مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ـ سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الثاني المجلد ٦١ شباط « فبراير » ١٩٧٣ محرم ١٣٩٣


Shiabooks.net

حلم في عرفات

تأليف : محمد سرجيه
بقلم : عارف النكدي

« ثوروا ايها المضطهدون !

تكبروا على اولئك الذين تعالوا وتكبروا ...

فالظالم ليس عملاقا ، الا انكم اقزام ، وليس واقفا الا لانكم راكعون !.»

هذا بعض ما يقوله الرئيس سرجيه لقومه في كتابه : « حلم في عرفات » وهو كتاب املته عقيدة صافية لا غش فيها ، على رجل مؤمن بربه ، آخذ بكتابه ، مخلص لوطنه ، صادق في نصحه لقومه . رجل ملأ قلبه الايمان ، ففاض على لسانه ، فالقاه درسا على اخوانه وابنائه و (على من القى السمع وهو شهيد) .

وليس من عجب ان يكون الاستاذ سرجيه من كان ، فهو ابن حلب البلد المخصاب المنجاب ، فيوم عقمت اكثر البلدان الغربية ، كان منها من كان من رجالات السيف والقلم في المتقدمين ، وكان منها من كان من المتأخرين : الكواكبي ، وهنانو ، والجابري ، والكيالي ، وغيرهم كثيرون .

أوليس الكواكبي اول من بعثها في المتأخرين صرخة مدوية تملأ الاسماع لو ان العرب يسمعون ...

لم تخف عليه انها صرخة في واد .. وانها تذهب ــ في يومه ــ مع الريح . ولكنه رجا لها ان تذهب في الغد بالاوتاد ..

نعم ! كانت في امسها ــ كما قال ــ صرخة في واد ، رجا لها ان تذهب في غدها بالاوتاد . فكان ان جاءت اوتاد قامت بين كل قطر وقطر من الاقطار العربية اوتاد لم تكن من قبل . جعلت هذه البلدان وكانت وحدة متضامنة ، متماسكة جعلتها ممالك ... ودولا ... متقاطعة متدابرة ، بينها من الحواجز والفواصل ، ما لا تستطيع معها ــ ان استطعت ــ ان تجتاز بلدا الى بلد ، الا بالجوازات والتصريحات .

آلمت المؤلف هذه الاوضاع والحالات ، وهذه الاقزام القائمة ، على رؤوس هذه الشعوب النائمة ، وهذه الاخلاق المتهدمة ، في الرئيس والمرءوس ، وفي السائس والمسوس ، ورأى ان مثل هؤلاء الاقوام مستقرهم السعير في قعر جهنم .

فرأى ان يجول جولة فيها ، ليرى ما آل اليه في الاخرة امر هؤلاء الذين كانوا من اهل الفساد في الدنيا .

هبط الجحيم ، صاحبه مرشد ينتقل به في (مناطق حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وشرابها صديد ، ومقامعها من حديد) حتى وقف به عند تاجر (غاطس في قطر من السكر المغلي) جزاء لما كان من تلاعبه في السكر واحتياله . ثم انتقل به مرشده الى قاض ابت عليه نزاهته ـ التي يزعمها ـ ان يشرب فنجانا من القهوة في شركة للسيارات ، ولكنه اشترى سيارتين : سيارة له وسيارة لزوجه كل سيارة بخمس ليرات ... لانه قاض نزيه يعف عن الحقير حلالا ... ويأكل الجليل حراما .. ثم انه جعل يمر به على المحامي ، والطبيب ، والنائب ، والوزير ، والتاجر ، والصناعي ، والسفير والاجير . والمرشد يشرح له ما كام من كل منهم ، الى ان وقفه عند مخلوق عجيب له ثلاثة رؤوس : رأس ثعلب ، ورأس خنزير ، ورأس افعى . فقال له : هذا رجل منافق ، كان يمثل بطلا قوميا ويتمسح بذيل كل اجنبي ، حتى آخر يوم من حياته . ثم وقف المرشد فجأة وصاح وهو يشير باصبعه ويقول :

« هؤلاء اقذر من عرفتهم النار : هم ممن ايدوا الوحدة العربية ، ثم عادوا فايدوا الانفصال ، ينادون بالوحدة ، ويعملون على الانفصال .

ثم جعل يخاطبهم بقوله :

« يا اشباه الرجال ولا رجال ! ان الدنيا لم تكن دنيئة الا لانكم خلقتم فيها » فالتفت صاحبنا الى مرشده وقال له : اخرجني من جهنم انها اشبه شيء ببلادي » .

هكذا يصف المؤلف اوضاعنا الوطنية بقلم صريح فصيح .

فيقول في ما يقوله ، ناصحا حينا ، ومستشهدا احيانا :

ان العرب عندما طلبوا السماء ، ملكـوا الارض والسماء ، وعندما طلبـوا الارض فقدوا الارض والسماء .

ومن قوله : « الذين يحاربون لا يؤمنون ، والذين يؤمنون لا يحاربون .

ومن ذلك : « اسرائيل لا تزول بالدعاء والبكاء ، بل بالتضحية والفداء .

وقوله : « الثورات يضع مبادئها الفلاسفة ، ويستشهد في سبيلها النبلاء .. ويستغلها الخونة والجبناء » .

ومما قاله : « انكم تفسدون زعماءكم عندما تؤمنون بهم ايمان الدراويش بمشايخهم . وتخونون بلادكم عندما تغرقون في خضم ابله مـن الولاء لهم ... ان كثيرين منهم لا اخلاق لهم .

ويقول : لا يصلح حال هذه الامة الا بما صلح به اولها :

« بامير اجير ، لا باجير امير . وبحاكم يخضع للشعب ، لا بشعب يخضـع للحاكم . بخليفة كالفاروق ، لا بملك كفاروق » .

ويختم المؤلف كتابه بمقتطفات من كلمات قيلت فيه، وفي كتابه. وكلها اقوال كبار من رجالات العلم والسياسة والفضل .

ثم رسائل بعث بها ابو علي (المؤلف) الى ابنه علي فيها كثير من النصائح والعظات والاراء الوطنية الصادقة .

وبعد هذا (حكايا) عن القضاء والاحكام والقضاة وشيء مـن سيرتهـم ومواقـفهم وكلها شائق مفيد ، وجدير ان يعرف وان يقتدى بالصالح منهم .

هذا وصف لهذا الكتاب القيم ، ليس بمغن عن الاطلاع عليـه ، والاخـذ بما فيه ، من حكم وعظة وارشاد .

عارف النكدي
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

العرفان : الاستاذ محمد سرجيه رئيس محكمة الاستئناف بحلب من القضاة الذين عرفوا بالنزاهة وتطبيق القانون والضمير . كما ان الاستاذ عارف النكدي العالم البحاثة الوطني الصادق المخلص حينما كان مديرا للعدلية في سورية لم يزل قضاة سورية الكبار واهل الفكر والراي يذكرون انه المثل الـذي يجب ان يحتذى وانه لا يجارى ولا يبارى في نزاهته وعدالته وصدقه واخلاصه .

فراغ مجنون يعوي وحده

بقلم : زهير مارديني

(... اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا .. وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد. لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا . ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا . وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم . قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فلياتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا . انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذن ابدا . وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق .. فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم ...)

صدق الله العظيم .

كانت قطع الليل السوداء ترتفع الى اعلا فوق سماء بيروت مساء الخميس اول شباط ، حين رحت اجوب الشواطىء ، اراقب عن كثب كيف تغسل عروس لبنان على شواطئه همومها ، كما تغسل تنهدات الخاطىء ذنوب الخطيئة ...

كانت بيروت في تلك الامسية حشد غريب من الخوذ الفولاذية ، والطلاب ، والناس يهرعون الى دورهم في المساء كأن الامر لا يعنيهم ، وكأن ما يجري حولهم من مظاهرات طلابية ، واضراب معلمين ، وصرخات مبحوحة قادمة من الجنوب لتذكر ابناء بيروت بان الجنوب من لبنان ... كان هذا الامر يتعلق ببلد آخر.. لقد بدت بيروت ذلك المساء وكأن عدوى فقدان الحس بالقضايا العامة الذي عم معظم ارجاء الوطن العربي قد وصل اليها يجرجر اذياله .. وكان صدر بيروت في تلك الساعات في حركة دائمة ، يبرز الى الامام ، ثم يعود الى الوراء ... دقات قلبها لا تقف .. فقد كانت كلها حركة وزفرات وتنهدات ، وكانت تقاليد الحياة تضيق على بيروت الخناق ، تلتف حول نفسها بغية ان تجد في الافق الفسيح

مكانا ما ينطلق فيه السر المكتوم ••• ثم سرعان ما وجدت مكانهـا في صدري المحطم ، وهو يستمع الى رنات الصوت الاغن ، ويختلس النظرات مــن خـلال عينيه الدامعتين ثم يعبث بشعر رأسه كلما مضت الشواطيء في قصتها ••

اهذه هي بيروت التي كانت تثور من اجل قضايا العرب ؟ ماذا حـل بهـا وكيف تبلد حسها واصبحت كالمخدرة تئن من ضربات القدر وتهرول الى خدرها تاركة طلابها لعصي الجند وهراواتهم وقنابلهم المسيلة للدموع ••!

لم تعرف بيروت في ذلك المساء ان الفتى الطاريء الذي يطوف طرقاتها قد تحول الى كاهن يتقبل الاعتراف •• وكان في صدر بيروت الشيء الكثير تريـد الافصاح عنه ••• وكأنها شعرت ان في وعاء قلبي ما يكفـي لسخريتها فبـدأت تحدثني بصوت هامس رقيق خفيف السمع لدرجة انني وجدت مشقة كبرى فـي تبيين العبارة التي كانت تستقر في العقل وفي القلب معا •••

ماذا فعلتم بالانسان في هذا البلد وغيره من البلدان العربية ؟

وجلست بصمت اخرس اصغي الى اقوالها كواحد مــن اصحـاب الكهف الذين اخبرنا القرآن الكريم بقصتهم •• وهكذا شعرت بان الكهف احمله معي••

لكل كهفه الاثير الخبيء ، وغالبا ما تتعلق هذه الفقرة الكبيرة المستكبرة في اعلى نخاعنا الشوكي ، والتي نسميها الجمجمة ، فاذا هي كهف الكهوف ••!

ومر من امامي انسان بلادي ••!

الصياد الذي يهتز بردا عند شبكته ••• نازح الجنوب الذي تـرك ارضه وزراعته وجاء الى بيروت هربا مــن (الجوع) ليجوب الشوارع طلبا للرزق ••• والقروي الذي سرقه التاجر لانه لا يعرف كيف يبيـع محصولـه ••• والشاب الذي صنعوا له صنما من تمر (الماركسية) ليعبده ، ثم سرعان ما اكلوه وتركوه يندب ما كان يعبد •• الطالب الذي علموه ان الثورة هي تـرك الصف والنزول الى الشارع لمحاربة الامبريالية ••• المعلم الذي لـم يعلـم الطلاب سوى التمرد على المثل ، واحتقار الاديان ، والهزء بالمثاليات ••• والمثقف الحر الذي يغلق على نفسه كهفه ويبكي •••

هذه هي الكتل البشرية التي تنتظر مصيرها بقلق محموم •••

وعلى الضفة الثانية برز امامي اصحاب الفكر لا حملة الشهادات ••• واهل الرأي وليس تجاره •• قادة الناس الذين اصبحوا بلا ناس ••• حملة الثقافات•• هؤلاء الذين يقرأون ويكتبون ولا يجدون من ينشر لهم فسرعان مـا يمزقـون ما يكتبون ويدخلون كهفهم مرغمين •••

ان الكهف قد ابتلع في نهم التنين كل الالسنة الصادقة ، حتى جمرات الموقد غشاها الرماد الثقيل ••• الثقيل •• فراغ مجنون يعوي وحده ••• وتحول بلد الاشعاع الى مقبرة ••

اما الذين اعفى عنهم التنين •• فاني اعرفهم ، واعرف ماذا يكتبون ، ولمـن يكتبون ، وعن اي مستنقع آسن يدافعون •••

قلة قليلة من ابناء وطني يحق لها ان تتقـدم الصفوف لتنير الطريق امـام الانسان ، ولكن من يتجرأ على اقتحام الكهف والاخذ بيدها ؟ لا احد •!

قلة قليلة لم يرمها احد بحجر •• وهؤلاء مسؤوليتهم كبيرة ، ولكن هؤلاء تائهون ••• ما تزال الهزيمة تقرع رؤوسهم وتؤرقها •• لقـد هالهم ان يحتـل الساحة صغار الفكر ، وصغار النفس ••• فاعتصموا في كهفهم •!

وتسأل هؤلاء الذين يسرحون ويمرحون في المؤسسات الصحفية الفنية ماذا قدموا لانسان هذه الارض ، غير الاعلانات والتحريض والهزء بالارض والسمـاء وما فوق الارض وما تحت السماء وافساح المجال امام السفـه ليصبـح المثـل الاعلـى •••

انهم لم يقدموا الا فتات حينا واجترار للتقليدي حينا ، وتشويه او اصطناع او فوقعيات او تشكل كاذب •• فريق مأجور يكتب لغيره ولا يهمه ماذا يكتب ، وفريق ناكص على عقبيه ، وفريق مكب على وجهه صلب فكره حيث وصل فـي مقعد الدرس ، وفريق دون جذور يستعير قضايا غيره ويكتبها بلغة عربية مكسرة لتكون له قضية •• ويسار مشوه ممسوخ جاهـل يضع الالفـاظ الغريبة فـوق بعضها بدون هدف ليقال عنه تحرري ، وتمرد ولا انتمـاء ولا معقول ، وقـرف وقلق ، وسخرية قاتلة من كل شيء •••

وتمر الاحداث في هذا البلد كالسحاب ، كأن شيئا لم يكن ••• ويستقبلها

الناس ببساطة غبية ، وعقول فارغة وشعور ميت ..

فهل تركتنا الحضارة طعاما سائغا للذئاب الجائعة ...

اما خارج الكهف ، كهفي ، وكهفك ... فهناك الجيل الجديد الذي ولد وبدأ يتكون بشعور طويلة ، وازياء ملونة كقوس قزح ، يجوع لكي يمتشق قوامه ، ويعتمد الريجيم الذي بدأ يصل الى عقله .. تخلف وضياع .. لقد ولد دون ان يولد فكره معه .. جيل بدون اساتذة ولا مفكرين ولا دعاة اصلاح حقيقي .. يدفع من ذاته تحت ضربات العصر كل ما يحمله الكون من طموح ...

اما نحن فلا نعي ولا نفهم ماذا يدور حولنا ... منذ عام ١٩٤٨ والطريق هي الطريق ، والمسيرة المتسكعة هي المسيرة ... وتنفجر الدنيا من حولنا ، ويصدمنا الركض بالجديد .. ضربة ضربة ... اعداء الامس يصبحون اصدقاء اليوم ... جدار الصوت يتحطم من حولنا كل يوم بانفجار كياني ، يزلزل كل الكهوف ما عدا كهفنا ، وتستدير الاعين عجبا ودهشة ...

ماذا تفعل هذه الامة الضائعة واين هم رجالها ؟

لا جواب .. !

الرجال هم هؤلاء الذين يحتلون المناصب وهم على الارائك متكئون ... يملكون الاذاعات والصحف والمؤسسات الضخمة ، ويختزون لديهم كل الكفاءات في برادات الاجهزة المصنوعة ... ومن لا يعجبه فامامه البحر !

وتهزأ اسرائيل بقرارات هيئة الامم المتحدة ، وتتحداها فماذا بـ ــ ٩٥ ــ دولة في العالم تخشاها ، وتتشامخ كابليس ، وتتحدى ، وترمي بقفازها في الوجوه الميتة ، ولا من مجيب .. !

العالم يجن ركضا خلف المستقبل ، وآمال المستقبل ، اما نحن فنواجه هذا الجنون بالمشي الوئيد ، والتقليد الممسوخ ، اخر مبتكراتنا تصنيع القيادات بدلا من ايجاد المصانع ، و (تثوير) الوزارات ، والرئاسات بدلا من تنوير العقول .. وتدور الدبابير الجائعة تنهش من يحاول ان يصحح المسيرة .

ثمة حد ادنى يجب ان يتحقق ... وثمة حد ادنى ايضا يجب ان يتوفر ... وهذا ما يجدر بنا ان ندعو اليه ونطالب به ...

لقد افلس الفكر الذي استوردناه وزرعناه في عقول الناشئة .. وفسد الفكر المعلب الذي اطعمناه للناشئة وذات صباح استفاق حكامنا فاذا بناشئتهم يطالبون برأسهم ... لقد انقلب السحر على الساحر .. فليس هناك من ثورة سوى الثورة الماركسية ، ومن يقول خلاف ذلك فهو عميل مأجور انتهازي فوقي تحتي الى آخر الالقاب التي حفل بها قاموسهم ...

بالامس فقط كانت الماركسية هي الهم المعبود ... هكذا علموا الناشئة في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعة ... فليحصدوا ما زرعوا وما ربك بظلام للعبيد ...

العالم كله تجاوز نبؤات ماركس وشلته .. وانطلق في دروب ومنعطفات واساليب ومواقع لم تخطر على بال انجلز ولينين ... ونحن غارقون برغمنا في تفسير الدياليكتية والتكتيك ، وهل كان ستالين مصيبا ام خروتشيف .. لقد ابحرنا بدون زيار ...

ان اكثر من نصف الانسانية قد دخل الان المعترك الحضاري عاملا لحسابه الخاص ، ولقيم من صنعه ، يريد ان يبني بيته الانساني على طريقته ... لم يعد الرئيس الاميركي نجما في الصين ، ولم يعد ماوتسي تونغ هداما في واشنطن .. لقد اجتمعا وتحالفا ... كما اجتمع نيكسون وبريجنيف وتصادقا وطفقا يضربان في الارض ... في الدنيا يفتشان عن غنائم تائهة لاقتسامها ...

ملايين القتلى في فيتنام تصرخ وهي جثث ناغرة ... أكانت الحرب لانكما كنتما في حرب باردة فسخناها باجسامنا لنقيكم لسعة البرد .؟

الطبول الافريقية تقرع لا للرقص الهستيري ولكن لتستيقظ الغابات ... سواد القطران استحال انسانا له فلسفته وله خطه الحضاري ... واخيرا شاهدنا بام اعيننا سفارات اسرائيل في ست دول افريقية ترمى من النوافذ وسط اللعنات ...

وهناك الانسان ...

هذا السيل البشري الذي يقف الان .. يزعق .. يهدر .. يضرب بالارجل .. يطالب بحقه .. اسماء شتى اطلقوها عليه ، شعب ، جماهير ، والف

اسم واسم سموها هم واباؤهم .. ولكن وراءها نبضا واحدا لقيمة واحدة هـي الانـسان ...

ويستيقظ الجميع ما عدانا ...

انسانا ما يزال قطيعا مطلق العنان عقله في اذنيـه يصفق للذيـن مجـدوا الماركسية ، ثم يصفق للذين لعنوها .. انه ما يزال رعية وراء جبة السلطان ، وان كان هذا السلطان قد تبدل اسمه فاصبح (قيـادة ثوريـة جماعيـة) تـارة ، وديمقراطية ممسوخة اخرى ... ديكتاتورا مرة ، وحاكما فردا اخرى ...!

اما انسان العالم فقد تمرد .. تمرد على اقتصاد الدولة واقتصاد الفرد ... لم يعد بحاجة الى فكرة تصلبه في الهيكل ثم يشتغل لها ... انـه يريد اقتصادا له ، لذاته ، لخيره ضمن المجتمع ولرفاه المجتمع ... ومن خلاله يريـد تنظيـم الانتاج الاقتصادي والتوزيع ، ويريد بالمقابل تنظيم ناسه ...

لا معجزة ولا فلسفة .. انها اجابة على تحديات حضارية وحياتية قائمة .. والانسان هو الذي يبني بجهده وبالارادة والتخطيط مصيره ...

من المستحيل ان يظل المرء واقفا هادئا في مسيرة راكضة صاخبة ...

ان الفكر الحر هو الآن خبز الانسـان ، وليس من الممكن ان يطلي الانسان وجهه لاخفاء الخوف او الغضب او اللامبالاة او الهم الذي يعانيه .!

المتخلف وحده يدفع الثمن .. اما كيف سينقذ انسانا نفسه ، فهذا واجب هؤلاء الذين لم يرمهم احد بحجر ويخيل الي انهم مطالبون بتغيير اسسنا الفكرية نوعا لا كما ... بحيث لا يستطيع اي مهرج ان ينتزع مـن الجيل التصفيق كلما بدل موقعه من اقصى اليسار الى اقصى اليمين ...

ستكون مهمة هؤلاء تغيير زاوية النظر نفسها ... وهي جعل الجيل الجديد ينظر من المستقبل الى هذا الحاضر ... ويجتذب ذاته في حركـة اندفاع الـى الغـد ...

انها دعوة للخلاص من السديمية ... من السكونية ... من الغياب عـن العصر ... من عدم تحسس مآسي ابـن الجنوب وابـن المناطق التـي تئن من

النسيان والاضطهاد ...

ان مهمتهم ان يجعلوا الجيل يحب ... فمن لا يطيق الحب لا يطيق العداء ...

الناقم ، الموتور ، الحاقد الدموي ، هؤلاء لا مكان لهم في المسيرة القادمة.. انهم حرائق ، ورجال دمار تزييف على الفكر نفسه ... هم غربان جيفة تريد المشاركة في الاسلاب لا خلق القيم الجديدة ... تعرف فرح التخريب لا فرح الخلق ...

الذين يحق لهم قيادة المسيرة الجديدة من اجل الانسان العربي هم الذين يؤمنون بان الانسان مرتبط باخيه ، ناج معه وبواسطته ...

لا دعوة جديدة الا في الاطار الانساني ..

لقد يأوي الانسان الى الكهف في الازمات ، في سويعات الارهاق المدمر .. في الهرب حمق .. ولكن هل يستطيع الانسان ان يعيش في الكهف ابدا ...

هكذا قالت لي الامواج ... وهي تضرب الصخر لتسمع الكاهن الاعتراف ..

زهير ماريدني

اسمه عجيب

★ ★ ★

● خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جماعة من اصحابه الى البادية للصيد والقنص . فلقيهم احد الاعراب . ممتطيا جواد الشهب ، فأوقفه عمر وقال له : ما اسمك ؟ قال : شهاب ، قال أبو من ؟ قال : أبو جمرة ، فقال من انت؟ قال : من بني حرقة ثم من بني ضرام . قال : اين مسكنك ؟ قال : في ذات لظى قال : ما اسم جوادك . قال : سعير . قال : ادرك أهلك قبل ان يحترقوا .

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

كتب الاستاذ نزيه خاطر في جريدة النهار مقالا عن جوائز جمعية اصدقاء الكتاب ومكافآت وزارة التربية بعنوان : صدرت الفرمانات وفازت اللعبة الاجتماعية ، هذا المقال وفيه كل الحقيقة والواقع يؤيد ما كتبناه باختصار في العدد الماضي ولذلك ننشره هنا ونزيد عليه مما لم نذكره في العدد الاول ، وهذا هو المقال :

صدرت الفرمانات وفازت اللعبة الاجتماعية

يقال في لبنان مؤسسات توزع الجوائز الفكرية والادبية والفنية على كبار رجال الثقافة اللبنانية. فبين حين وآخر يصدر علينا بيان مقتضب معلنا بالفاظ مبهمة تقييم سلسلة من الاسماء المتداولة بيننا . بعضنا يصفق لان في القائمة اشخاصا يتذوقهم وبعضا يثير الاشاعات ضدها لعدم تجاوبه . او هؤلاء وأولئك يحركون التساؤلات السلبية حول اسماء في القائمة لرفضهم اياها . وتبقى جميع هذه المواقف غامضة ، ناقصة ، مفركشة ، من حيث لا احد من اصحاب التيارات المعاكسة هذه يعمل على تبرير ما اقدم عليه : لا اصحاب الجوائز يفسرون اختياراتهم : (صدرت جوائز اصدقاء الكتاب مثل الفرمان . ووزعت وزارة التربية ستين الف ليرة على ١١ فنانا ومفكرا ومؤرخا دون اي توضيح) . ولا المعارضون يبسطون الدوافع الصريحة لرفضهم منطق المشرفين على توزيع الجوائز .

لنترك جانبا عناصر التململات الذاتية التي ترافق طبيعيا وغريزيا آية جائزة تعطى . فهل بيننا من يرفض ان يتصرف الانسان كانسان ؟ ولنطرح

« واقع الجوائز اللبناني » بعد ان اصبح هو قضية تحرك اهواء فاسدة فيها الحظر الصريح على واقعنا الثقافي • أي ان مضمون الجائزة التقييمي اذا هو اصاب من لا يستحقه في ظرف معين من مرحلة معينة ، يبث البلبلة في الرأي العام وما يعادله من سوق تجارية • خاصة ان للتظاهرات الثقافية اصداء اقتصادية تقاس بالوف الليرات اللبنانية • وان ما يجب ان لا ننساه اننا دخلنا اليوم مرحلة التسويق الثقافي • فلكل اسم من فنانينا وادبائنا (هؤلاء اقل) له ميزانيته المرتبطة مباشرة بالشهرة الاجتماعية • فهو « مسوق » • قدر ما هو في واجهة حركتنا • واي تفضيل يطال غيره يعرضه للسقوط او للتراجع • ومثل هذا غير مقبول ان لم يتبرر فكريا واجتماعيا وذوقيا من قبل القيمين •

وتكفي نظرة على الاسماء المتعددة التي وزعت عليها جوائز اصدقاء الكتاب في الاثنتي عشرة السنة الفائتة حتى نرى كم هذه بلا فائدة ولا فعالية • اي انها لا تصيب ايا من المؤثرات الاجتماعية الثقافية • فهي دون واقعنا الثقافي : ان من زاوية تقديم بعض الاسماء عبر روائعها • وان من زاوية اثارة فضول القارىء تجاه الاسماء المتوجة وتشجيع الجمهور المتذوق على مطالعة اعمالها الفكرية او الادبية او الدراسية • وما يحدث فعلا ان الجوائز تولد صامتة • توزع ولا ردات فعل تجاهها • ومن يتحرك فقط من ينالونها او من يظنون انفسهم محرومين اياها • بينما المطلوب لفتها الجمهور الكبير الى اصحابها رغبة في تسويق الروائع الادبية في مجتمع يتجاهل الثقافة • مما يقتل مفعول الجوائز • او يحصر نتائجها في خلايا صغيرة • اي مما يرفع عنها وظيفتها الاساسية وهي تحريض الانسان اللبناني ، اولا ، والعربي ، ثانيا ، على متابعة النشاطات الثقافية عبر رفع فضوله الى المعطيات الفكرية •

السؤال هو : هل هذه الجوائز مساعدات او ترضيات او حسنات ••• او ماذا ؟ في صراحة انها دون هوية ثقافية • او وظيفة اجتماعية واضحة • وجودها يشبه احتجابها ، انها مجانية • ان اعطيت لا تنفع صاحبها وان منعت لا تضر احدا • نعم ، انها تساعد ماديا من يقبض « الشيك » • وحسنا فعلت وزارة التربية برفعها « مساعدتها » الى الستة آلاف الليرة عن طريق حصر مختاريها في اسماء عشرة • لكننا نحن بعيدون عن الجائزة التي تقيم من تسميته • ربما لان

ليس وراء الجائزة رجال فكر وذوق ملتزمون بمفاهيم وجماليـات ويتصرفـون انطلاقا منها . فالمنشود هو اللفت الى « فردية » المتوج وغرائبـه الفنيـة . او الاشارة الى عمل او الى اسم على انه يستحق توقف المتذوقين عليه . او رفـع اديب او فنان الى درجة التكريس الوطنية على انه هو النموذج المثالـي لرجـل الفكر الوطني . ونلتطم دائما باسماء مشهورة قبل حصولها على الجائزة حتى ان الاغلبية بيننا تتساءل دائما هل الجائزة ترفعها او هي ترفع من وجود الجائزة ومن هم وراءها .

العقلية التي وجهت الى الان منطق لجان الجوائز قديمة ، قديمة . هي من لبنان تعدته النشاطات الثقافية التي اليوم مـلء واجهاتـه الاجتماعية (المفهوم شامل) . لذا ينتظر طرف يقوم بدور الدم الجديد في جسد شاخ وعتق .

وتكفي نظرة على لجنة اصدقاء الكتاب حتى نفهم لماذا سقوط جوائزهم . جوائز ؟ انها لعبة اجتماعية .

قارئي الكريم :

وبعد هذا المقال ما نقوله نحن عن دولة « لبنان الابجدية » ، « لبنان الاشعاع » والادب والفكر والثقافة وتـقدير المشرفين ــ وغـير المشرفين الذيـن يضمـون امضاءاتهم ــ للادب والثقافة .

من المعلوم ان المجلات الثقافية في البلاد العربية تصدرها الحكومات الا في لبنان فيصدرها الافراد ، ومن المعروف ان الناس في اكثرهم قـد انصرفوا عـن الادب الرفيع الى الادب او اللاأدب الجنسي والحزبي ، عدا انه منذ صدور مجلة العربي في الكويت التي تخصص لها وزارة الاعلام مبلغا ضخما اصبـح البيـع يعرضنا لخسارة كبيرة . وكانت المجلات الثقافية السياسية : العرفـان والاديب والاداب والتي تصدر منذ عشرات السنين وقد استنزف اصحابها مالهم وصحتهم في سبيلها ، كان اصحابها قد تقدموا منذ سنوات بعريضة الـى وزارة التربيـة يطلبون منها ان تشترك في مجلاتهم لا ان تعطيهم صدقة لتساعدهم علـى تعزيزها والنهوض بها وتدارك خسارة البيع ، فلم يصغ احـد لهذا الطلب ، بينمـا نسمع ونقرأ ان وزارة التربية وزعت على ١١ اديبا ومفكرا وفنانا مبلـغ ٦٦ الف لـيرة لبنانية ، أليس اصحاب هذه المجلات الثلاثة من الادباء والمفكرين ؟ الا يستحقون

ان يكونوا من بين هؤلاء المحظوظين ؟ وتأخذ الحكومة عوضا عن مناصرتها اعدادا من صحفهم توزعه على مكتباتها ومدارسها وسفاراتها .

ثم هذه الجوائز السنوية التي توزعها الدولة جائزة رئيس الجمهورية والجائزة التقديرية ، ألا تستحق مجلاتنا هذه واحدة منهما ، على ثلاث سنوات ، كل سنة مجلة ، مع العلم باننا نحن الذين نصنع الادباء ونشجعهم وننهض بهم ، ونحول المعرفة الى قيم ، ومجلاتنا تحتل ارقى الجامعات والمكتبات لا في لبنان بل في العالم اجمع ، ونحن صلة وصل ثقافي وادبي وسياسي بين لبنان وبقية اقطار العالم من عربية واجنبية ، وبين الوطن والمهجر الخ .

وبعد ألم يحن ان توزع هذه الجوائز بصورة صحيحة ، وما بالها مخصصة بفئة معينة ، اذا تعدتها فلفئة ثانية فلثة او واسطة . وما شأنها لا تصل الينا ، اذا قلنا للشيعة ـ والادب عند الشيعة ـ قالوا انها طائفية ، واذا قلنا للجنوب والذكاء والعلم في جبل عامل ، قالوا انها اقليمية ، المطالبة بالحق الصريح الواضح ، ليس طائفية ولا اقليمية ، الا يوجد عندنا من يستحقون الجائزة او من يجب ان تعطى لهم قبل غيرهم الجائزة ، اليس عندنا الاستاذ عبد اللطيف شرارة وهو اديب كبير ، وصاحب عشرات المؤلفات وكلها مفيد ونافع واخوه الاكبر الاستاذ محمد شرارة الذي كل مقال له يساوي كتابا مفيدا نافعا ، والسيد حسن الامين المؤلف والكاتب ، والذي يقضي حياته منقبا وباحثا بين الكتب والمكاتب ليقدم للناس افضل الغذاء الروحي ، والشيخ علي الزين الاديب المؤرخ الناقد صاحب المؤلفات القيمة ، والاستاذ وديع ديب الكاتب والشاعر وصاحب المؤلفات الصغيرة بحجمها الكبيرة بفائدتها وغيرهم وغيرهم .

قارئي الكريم :

احداث جبل عامل الاخيرة مالها وما عليها ، وشبابنا لماذا ينخرط معظمهم في احزاب مخربة وغير مخربة سنعالجها في عدد قادم والى اللقاء .

نزار الزين

صفاء خلوصي وموقفه من قضية فلسطين

بقلم: وحيد الدين بهاء الدين

في يوم الناس هذا قلما وجدت شخصية تكشفت فيها خصائص علمية وفكرية وفنية وفي اطار متميز بالاصالة والقوة لا سيما بعد ان تعقدت حياتنا المعاصرة ببشاعة وشذوذ وباتت الحضارة البشرية في مهب الريح تمزقها التناقضات والصراعات ويتهددها السقوط والفناء في اية لحظة حتى آل الامر الى حال من الحيرة والقلق لا يكاد معهما المرء ــ وهو ذو بصر وبصيرة ــ يستشرف الطريق المستقيم ويغرف من خلالهما علاجا ناجعا . من هنا كان لا بد مما لم يكن منه بد : هو التسليم بالمقدور ...

الدكتور صفاء خلوصي من النوع النادر من هذي الشخصيات التي لها مثل هذا الامتياز الظاهر ، لانه يجمع بين الثقافتين العربية والاوربية في خصوبتهما ورفعتهما جمعا عظيما عزيز النظير، طبع انتاجاته في الوان المعرفة الانسانية بطوابع دائمة السمات لا تتأثر بعوامل خارجة عن الارادة حتى ولو تأثرت بشيء فلا يمكن ان يكون بكل شيء ، لكونها القاعدة العريضة لكيانه الثقافي الانساني .

كذلك يجمع صفاء خلوصي بين العاطفة الروحية المتزنة والذهنية العلمية المجردة ، اكسبتاه طوال معاناته تجارب الحياة وممارساته فنون الادب والفكر عمقا في الرؤيا وثقوبا في الرأي وبعدا في العقل .

فقد طرح صفاء خلوصي في مؤلفاته واثاره قضايا وموضوعات منها ما هو مطروق ولكن من زاوية ذاتية خاصة ومنها ما هو غير مألوف مثبتا عبقريته في اكثر ما سطر ، مفصحا عن انه المجدد بالمعنى الصحيح . حسبي ذكرا ان له نظريات ادبية ابتكرها من مقررات تجاربه على الصعيدين الذاتي والحياتي دون ان تنزلها من عقله وشعوره قراءته ورحلاته الفكرية ، بحيث اثارت هذه النظريات الدالة على ذكاء وابداع ، الضجة في بعض المحافل والمنتديات ، وحركت الاقلام والالسنة .

كأن ثمة حوار وسجال خاضه صفاء خلوصي بشأنها مع الاخرين : من

مسـاندين ومعارضين .. مشايعين ومناهضين . حتى كان النصر او الانتصار حليف نظرياته وارائه الجديدة تلك .

فالجديد غير المألوف له طعمه وطاقته علـى اكتساح القديـم اذا كان فيـه مميزات الاصالة والتحدي والديمومة لانه يصعب ان يتقبله الناس على علاته ومن تلقاء انفسهم . لذا يلاقي المقاومة .

حتى اذا لقي مثل هذه المقاومة فانـه يتطلب وقـتا كيما يترسخ ويضرب في الاعماق كالشجرة الواغلة الجذور في التربة لا تقتلعها الرياح العاتية .

مهما يكن من شيء فالاسترسال في ما ليس من قصدي لا غناء فيه . انما اود ان اعالج موقـفه صفاء خلوصي من قضيـة فلسطين ... بسبب مـن الاهمية الكبرى التي تحتلها فلسطين في واقع العالم الراهن ، وبسبب من مضاعفاتها التي تتفاقم على ترادف الايام والاعوام .

اولى صفاء خلوصي قضية فلسطين قدرا مـن الاهتمام وهـو يستوعب ابعادها واصداءها ويدرس اسبابها ونتائجها ويلتقـط ردود افعالهـا في العالـم المعاصر كله : مشرقا ومغربا .

هذه مقتطفات من قصيدة نظمها صفاء خلوصي باللغـة الانكليزية وترجمها شعرا الى اللغة العربية محمد حسن الصراف في كتابه (بيادر تمـوز) وعنوانهـا « انشودة فلسطين » :

اكـذاك فلسطين هانت
ونيوب الغرب لنا بانت
بشقاء بلادي قـد هامت
وبثوب سليمان دخلت
وبنهج الرحمة قد عاثت
وبلهجة شاؤول تحكـي
وبنجمـة داود نـادت
وبدينك يا موسى عبثت
واساءت باسمك ما شاءت

ان هذه القضية وان كانت سياسية ولكنها باتت تهم كل عربي ومسلم لاسبابها الدينية والتاريخية والفكرية ، وليس تناول صفاء خلوصي لها الا عن طريق الادب ، ومن هذا الذي يجهل علاقة الادب بالسياسة •• ؟!

تلك صرخة يطلقها صفاء خلوصي شظايا على لسان لاجئة عربية ويقول :

فمرادي سيف او مدفع
وجليل مهدي والمرجع
انفاسي نار تتولع
وكذاك دمي سم ينقع
في قلب عدو يتمنى
ان يضوى الكون اجمع
فاثيروا الهمة للنصر
ليعود اللاجيء للوكر
فيطيب الكون بعالمنا
ويفوح العالم بالعطر
وقريبا افتح افاقا
واكون شعبا عملاقا
واغني ابدع ألحاني
من قلب يهفو مشتاقا
وتكون فلسطين المهرا
فيغني لي دهري العمرا
أو : دعني وحدي اتوجع
لندائي طلب الحرية
واسمي لاجئة عربية

فقد صار الادب يلعب ذلك الدور القيادي لا الحيادي في تذليل مشكلات سياسية ومصيرية في عالمنا المتغير وفي تبصير الناس بما هم فيه وبما يمكن ان يكونوا عليه وبما ينبغي لهم ان يفعلوا او يستعدوا له في قوابل الايام ؟!

انها اغنية الفدائيين العرب •• الاغنية التي يرددها الآفاق في كل مكان :

رفـقاء بلادي المكلومة
ورجاء الدنيـا المظلومة
لنضحي الروح وما ملكت
لنعيد الارض المهضومة
والموت لاجلك يا وطني
عـز وحيـاة معصومة
لن نقبل في عيش رغد
والقـدس باهلـي

★ ★ ★



موقـفه صفاء خلوصي من قضية فلسطين نابع من نزعته العلمية واحساسه الذاتي وايمانه بحرية البحث والاختيار .

معناه : أن لا دخل للعاطفة والهوى في مثل هذه القضية التي اتخذت صبغة العالمية والدولية في خطورتها السياسية واهميتها التاريخية .

اذا كانت احداث التاريخ وحتميته تـفرض على المفكر احكاما معينة او ان المفكر يبني احكامه على اساس منها فان ذلك يعني ان مـا جرى في ما سلف مـا يبرح يجري ولكن بأسلوب آخر .. كذلك يعني ان التاريـخ وان كان لا يعيـد نفسه بالمعنى الصحيح فانما الوقائع تتماثـل في مقاصدها والتجـارب تتشابه في طبائعها والمواقف تتناظر في مدى عنفها وعمقها .

بعد هزيمة حزيران المدمرة سنة ١٩٦٧ كتب صفاء خلوصي مقـالا عنوانـه (في مفترق الطرق) امتنعت احدى المجلات الرجعية يومذاك عن نشره . عالج فيه ما مني به العرب من جراء تهاونهم في حق ارضهم وترفع قادتهم عن النـقد الذاتي والاتعاظ باخطاء الماضي وسلبياته ومما قال (هل انتقلت عصابات شيكاغو الـى فلسطين المحتلة .. هل عزمت الولايات المتحدة على (امركـة) الشرق الاوسط واقامة ولايات متحدة جديدة في هذه البقعة الغنية بالخيرات .. هـل سيصبـح العرب في الشرق الاوسط كالهنود الحمر والزنوج في الولايات المتحدة .. وضمن امبراطورية صهيونية تمتد من الفرات الى النيل ..) .

ويستطرد صفاء خلوصي : (ومن الذي يعمل تحت ستار الصهيونية في الشرق الاوسط . هل ان سكان اسرائيل اليوم كلهم يهود حقا .. ام ان معظمهم من الاميركيين الرأسماليين المغامرين . القصة عجيبة وتدعو الى الدهشة والى الدراسة الدقيقة الجدية والا فسنصبح جميعا ــ لا سمح الله ــ يوما ما لاجئين. واذا كان ابناء الضفة الغربية قد وجدوا الضفة الشرقية ملجأ يلجأون اليه فاننا لن نجد ملجأ نلجأ اليه سوى رمال الصحراء ..) .

ثم ينظر الى هذه المأساة عبر التاريخ واصلا بين واقع غزاة اليوم وواقع غزاة الامس محللا : (ما اشبه الليلة بالبارحة .. ما اشبه غزاة الغرب اليوم بغزاة الشرق بالامس . لكأني بجموع المغول والتتر تتدفق على بلادنا لتهتك حرماتنا وتدنس مقدساتنا وكلهم قد جاءوا اليوم من الغرب . ثلاث موجات شهدها تاريخنا الطويل ١ ــ موجة الصليبيين، ٢ ــ موجة التتار، ٣ ــ موجة الصهيونية. ولكن يبدو ان هذه الاخيرة اقواها واقساها . فقد انتهت موجة الصليبيين بالاندحار وبضياع جموع منهم في الصحراء او الاختلاط والامتزاج مع العرب وانتهت موجة التتار باعتناقهم الاسلام .. ويبقى الحدس والتخمين يدور حول الموجة الثالثة والاخيرة .. موجة الصهيونية .. هل سيكون مصير الصليبيين ام مصير التتار !؟ أم انهم قدر لهم مصير ثالث ستطلع به علينا الايام ..) .

وينتهي صفاء خلوصي الى رأي او نظرية يستنبطها كعادته وقد اثبتت الايام صدقها وصحتها ، انه يقول: (يبدو انهم يتوخون كالصليبيين الحرص على المناطق الساحلية فحسب بل شرعوا يتغلغلون داخل البلاد العربية . ولكن هل في العرب اليوم من الحيوية ما يمكنهم تحدي هذا التغلغل على نحو ما فعلوا في القرون الوسطى . يقول بعضهم ان هناك حتمية التاريخ وان هذه الموجة العارمة تجتاح كل ما امامها وتحطم وتدمر الى ان يقف امامها بيبرس جديد او صلاح الدين جديد . انا لا أؤمن بحتمية التاريخ من جانب واحد فاذا كانت حتمية الصهيونية تقضي ذلك فان حتمية العرب تقضي شيئا معاكسا ..) .

على ان صفاء خلوصي يحمل بريطانيا واميركا مسؤولية تردي الاوضاع في الشرق العربي بنسجهما خيوط المأساة منذ الوهلة الاولى وتحملهما عار الابد لانهما صنعتا اسرائيل ظلما وعدوانا وجعلتا منها جسرا الى اطماعهما الاقتصادية

وسيطرتهما السياسية وغزوهما الفكري بغية تحطيم القيم العربية والاسلامية التي كانت وما انفكت تتصدى لهما وتقـف دونهما متحدية . حسب صفـاء خلوصي قولا : (اشعر بخيبة امل .. بخيبة امـل في انكلتـرة ام الماغناكارتا والحيـاة البرلمانية.. وبخيبة امل في اميركا التي ينتصب امام مدخلها تمثال الحرية العريق.. ذلك التمثال الذي كان مقـررا باديء ذي بـدء ان ينتصب في مدخـل قنـاة السويس ..) .

وفي نفس الصيف ارتحل صفاء خلوصي على مضض الـى اوربا فانكلتـرة ليقـف بنفسه على اصداء الهزيمة ويتلمس كل شيء عـن كثب مطالعا الصحف والمجلات ومتصديا بالرد على الكتب التي ظهرت باميركا وانكلترة واوربا يومئذ ومستمزجا اراء الانكليز تارة والوافدين من الاجانب على تلك البلاد تارة اخرى فوجد ان الرأي العام وان كان ضد العرب شامتا بهم بسبب الدعايات الظالمـة ، فانه ما يبرح لنا اصدقاء يمكن ان يكونوا لنـا عونـا وناصرا في شرح قضيتـنا العادلة واطلاع غيرهم من المتأثرين بالتيارات المعادية المضادة لحقوقنا على الحقائق المرة وطرح موقفنا المشروع امامهم .

والبداية كانت في ان بعض المنصفين مـن هؤلاء الاجانب كالمؤرخ العالمـي ارنولد توينبي والكاتب السويدي رينه بادم ومـن اليهما نشـر دراسات شتـى تضمنت دفاعا مشرفا عن العـرب وحقوقهم دل عـلى ان العقلية الاوروبية تعلوها خضيرة الفساد من جراء الاحابيل الصهيونية وانها شرعت تستيقظ من رقادها على الواقع المعاش !!

من هنا وفي هذا الزخم المتداخل المتناقض فكـر صفاء خلوصي في ايجـاد حركة عالمية .. عربية اسلامية فعالة كالحركة الصهيونية تدخل كـل بيت وترص العالم العربي الاسلامي رصا يجعله كتلة متينة واحدة .

وهناك حين عرضت فكرة تأسيس جمعية الجهاد الفكري العالمـي لاسترداد القدس الى العرب والمسلمين والاوربيين المؤيدين لقيت استجابة قويـة كما رأى صفاء خلوصي ان تكون مجلة (الاسلامك ريفيو) التي يصدرها بلندن المولوي عبد المجيد عبيد الرزاق منذ اكثر من نصف قرن بعـد تغيير اسمها الـى المجلة (الاسلامية والشؤون العربية) لسـان حالها . كذلك رأى ان تقام مؤسسة باسم

مؤسسة البحوث الفلسطينية تتولى تعبئة العالم المتحضر فكرا واحساسا وتفهيمه وجهة نظر العرب والاسلام •

وعاد صفاء خلوصي الى العراق وكله امل في ان تثمر مساعيه في الغايات التي توخاها وعمل ما وسعه في سبيلها وايده فيها الكثيرون من ذوي النصفة والوعي •

على انه لم يكتف بما اضطلع به بل قام هو وجماعة من الاساتذة الجامعيين بتأسيس جمعية الجهاد الفكري لانقاذ فلسطين تناضل بامكاناتها واقلامها في شتى اللغات الاجنبية في العالمين الشرقي والغربي هدفها الهاب الاذهان من اجل هذه القضية المقدسة وارسال الاساتذة الى الخارج لالقاء المحاضرات باللغات الحية لابقاء قضية فلسطين حية في الرؤوس كمأساة كربلاء ومصرع الحسين عليه السلام •

من هنا تقدموا بطلب الى وزارة الداخلية غير انه رفض •••

وعندما قابل صفاء خلوصي وزير الداخلية دار بينهما حوار مثير ••

قال الوزير ما معناه ـ موجها الكلام اليه ـ ان الجماعة استغلوا حسن نيتك وجعلوك واجهة لاغراض اخرى ••

ـ استغرب هذا القول •• واريد مزيدا من الايضاح ••

ـ انهم جميعا حزبيون ينتمون الى احزاب شتى ويهدفون الى غير ما تريده••

ـ اخالفكم في ما ذهبتم اليه ••

وراح صفاء خلوصي يزكي الاسماء واحدا •• واحدا ••

لكن مع هذا كله فقد اصر وزير الداخلية على موقفه ورأيه •• فرد عليه صفاء خلوصي :

ـ اذا لم تجز الجمعية فبوسعنا الحصول على الاجازة المنشودة عن طريق محكمة التمييز ؟

ـ ولدينا طريقة لنقضي عليها ••

وكان جواب صفاء خلوصي صريحا حاد الصراحة :

ـ يا بؤس البلد الذي تكون فيه سلطة وزير الداخلية فوق سلطة محكمة التمييز التي هي اعلى سلطة قضائية في البلاد ... انتم تتحملون لعنة التاريخ الذي لا يرحم .

ومنحتهم محكمة التمييز حق تأسيس الجمعية ولكنهم لم يستطيعوا تنفيذ الفكرة لمقاومة السلطات الادارية لها وحجب المساعدات المادية والادبية عنها ..

وكان من الطبيعي ان يفضي الامر كله الى الاخفاق .. فالاساتذة عموما عزل لا يملكون غير اقلامهم وافكارهم ..

في الوقت الذي دفنت فكرة تأسيس جمعية الجهاد الفكري المقدس كذلك ضاعت الجهود المبذولة بانكلترة في سبيلها لا لشيء الا لعدم تضافرها واسنادها من لدن الحكومات العربية والاسلامية القائمة انذاك .. كأن لم يكن ثمة امر ذو اثر وخطر ...

والشيء الذي اراده صفاء خلوصي من تأسيس هذه الجمعية هو اعتقاده بل ايمانه بأن المعركة العسكرية مع الصهاينة تحولت الى معركة اعلامية . لذا يقول : (يجب الا يكون مصيرنا فيها كمصيرنا في المعركة العسكرية بل ان في وسعنا ان نستغل ما اصابنا من ظلم وحيف في المعركة العسكرية ونحيله الى سلاح بتار نشهره في وجه العدو في المعركة الاعلامية ..) .



ولصفاء خلوصي تعليقات موضوعية على قصة (وادي الاحلام) التي وضعها الاديب الاميركي (فارديس فشر) وترجمها الى اللغة العربية الكاتب العراقي فريد لقمان لما فيها من حقائق تاريخية صارخة عن اليهود وصور واقعية عن اهتماماتهم ومقدساتهم لا يصح الاعراض عنها بلا تعليل وتفصيل ..

ان هذه القصة المستقاة من المصادر الوثيقة التي بلغت المئتين والموضوعة بنزاهة بعيدة المدى تصور العصر الذهبي لليهود وتدينهم امام محكمة التاريخ وتدحض مزاعمهم الباطلة في السلام والوئام وتعري اساليبهم الشاذة المتبعة عبر الدهور في تحقيق مآربهم ثم تكشف صراعهم في سبيل ترسيخ عنصريتهم ضد الانسانية ..

يقول صفاء خلوصي : قرأت النص الانكليزي ولحسن الحظ انـي عثرت على النسخة الوحيدة التي بقيت من الكتاب لان الصهيونية العالميـة ــ على مـا بلغني ــ ابتاعت الكتاب واحرقته (١) وقد وفق الاستاذ فريد لقمان الى الحصول على هذه النسخة الفريدة وترجمتها الى العربية) ..

فالقارىء يستشعر وهو مأخوذ بجلال الموقف ذلك الصراع الحاد بين الملـك سليمان والملك الدعي أهيجا ...

حيث ان الملك سليمان يحض اليهود على ايثار النزعـة الانسانية والـروح المثالية في التعامل والتفاهم مع الشعوب الاخرى حتى درجة الاندماج فيها برحابة وسماحة . بينما الملك الدعي اهيجا يدعو اليهود الى العنصرية المقيتة وجعل تلك الشعوب قرابين ليهوه الذي يعده آلها لبني اسرائيل وحدهم دون غيرهم مدعيـا أنهم انما خلقوا ليصبحوا مطايا مسخرة للاسرائيليين .

هنا يطرح المؤلف فارديس فشر سؤالا واردا يدعه بلا جواب .. ماذا كان يحدث لو انتصر سليمان على أهيجا ...

بيد ان صفاء خلوصي يجيب عن سؤاله بحكمة وروية قائلا : « لـو قـدر لسليمان ان ينتصر لما كانت اليوم قضية فلسطين ولما هدرت دمـاء مئات الالوف من الابرياء دون مبرر .. فالعنصرية البغيضة هي المسؤولة عن كل هذه الضحايا التي قدمت وستقدم في المستقبل ... » .

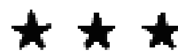
ويثير مؤلف قصة (وادي الاحلام) قدسية الرقم ٧ لدى اليهود نقلا عـن العلامة اوغستيان : (ان العدد ٧ يرمز الى الروح و٧ زائدا ١٠ او ١٧ هو رمـز القدسـية) ..

وتعقيب صفاء خلوصي على هذا مستمد من مضمونات الواقـع اذ يقول :

١ ــ هذا ما تفعله الصهيونية في كل بقاع الدنيا حيث تبتاع الكتب الناهضة لها والمنددة بهـا فتحرقها تخلصا من اثارها وردود افعالها كما حدث لكتب المفكر التركـي رفعت جواد اتلخـان والمؤرخ الشهير ضياء اويغور والصحفي المعروف شهاب طـان . وقد تولى صديقنـا الاديب ابراهيم الداقوقي ترجمة بعض مؤلفاتهم من اللغة التركية الى اللغة العربية كـ (جذور الصهيونيـة وفي زنزانات اسرائيل وهـا اليهـا) ..

(وهذا العدد الاخير ـ يريد ١٧ ـ يضم جميع التواريخ الشهيرة • ولو امعنا النظر في ذلك لوجدنا انفسنا امام حقائق هائلة • فالمؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد في بازل كان سنة ١٨٩٧ ووعد بلفور سنة ١٩١٧ وقرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ والتوسع الاسرائيلي الاخير سنة ١٩٦٧ اما سنة العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ فمجموع ارقامها ٦ + ٥ + ٩ + ١ يساوي ٢١ اي ثلاث سبعات••)

كذلك لم يتردد صفاء خلوصي في مناقشة اقوال فارديس فشر في هذه القصة التاريخية التي تفضح الصهيونية في ما يتعلق بشخصية موسى وهل هي حقيقية او هي اسطورية وفي كون اللغة العبرية لغة بدائية كالدين اليهودي من عناصر شتى ثم طوفان الجنس على كل ما هنالك • يقول صفاء خلوصي : (والملحوظ في هذا العصر الذهبي الذي يصفه لنا فارديس في قصته (وادي الاحلام) : ان الناحية الجنسية تطغى على كل ما عداها دينيا واجتماعيا • ففي أرباض معبد اورشليم كانت هنالك خلايا فيها تماثيل عشتروت وكانت الفتيات اليهوديات يمارسن الدعارة فيها وكانت الفتيات من الجواري المملوكات يقدمن نذورا وسط طقوس مشينة مخلة بالاداب ••) •



من اجل هذا يطالب صفاء خلوصي جامعة الدول العربية ، (بان تنشر هذه القصة وتوزعها في مختلف اقطار العالم وبمختلف اللغات) •

★ ★ ★

ولا يقتصر حديث صفاء خلوصي على فلسطين وموقفه الفكري الايجابي منها وانما يتركز احيانا على ادحاض اضاليل الصهاينة وتفنيد افتراءاتهم على العرب والتشكيك في اصالتهم الحضارية والاخلاقية والتقليل من اهميتهم في الميادين العلمية والادبية التي اثبتوا فيها الجدارة والمقدرة ثم اظهارهم بمظهر المعتدي المغتصب ••

على اثر نكبة حزيران اخرج راندولف الابن ونستن تشرشل حفيده كتابا عن حرب الايام الستة جاء فيه بالحرف الواحد ، (فقد كان تحرير القدس من الحكم الاسلامي حلم المسيحيين واليهود معا منذ عهد بعيد ••) •

وما كان من صفاء خلوصي الا ان يتصدى لهما بالرد المنطقي المفحم في مجلة

(الاسلامك ريفيو) الصادرة بلندن ويقول : (ان هذا القـول الذي يثير حفيظة خمسمائة مليون مسلم ليدل مع الاسف الشديد على ان ابن شرشل وحفيده لما يرثا كياسة سلفهما الراحل ودبلوماسيته ولا بعد نظره وانما اثبتا بصراحة انهما من سلالة القبيلة اليهودية الضائعة التي زعما في مستهل الكتاب انها استوطنت بريطانية وانحدر منها الانكليز ..) .

وحين زعم استاذ صهيوني يتولى تدريس مادة الاسلام واليهود : (ان اليهود لا يسعهم ان يسهموا في الحضارة الانسانية الا في فلسطين) نسف صفاء خلوصي ادعاءه الزائف برده الحاسم : « وتلك لعمري فرية ظاهرة البطلان عندما يفكر الانسان في ان النبي موسى تلقى وحيه في مصر لا في فلسطين وان اهم اجزاء التلمود دون في العراق لا في فلسطين وان اروع الاشعار العبرية نظم في الاندلس الاسلامية لا في فلسطين فاين بقيت قيمة لهذه الدعوة الباطلة المفتراة .. »

وللمستشرق اليهودي ابا ايبان كتيب في اربع وستين صفحة عنوانه : (في المد القومي) وفيه ينظر الى القضية العربية نظرة ضيقة حاقدة ، وقد علق صفاء خلوصي على بعض من فقراته تعليقات صائبة مقنعة ومما قال : « اما من الناحية الاكاديمية فنهض اساتذة الجامعات اليهود في كل مكان بتحليل القضية العربية تحليلا عجيبا غريبا وعلى رأس هؤلاء المستشرق اليهودي ابا ايبان الذي القى محاضرة في جامعة اكسفورد تجمع بعد ذلك بهيئة كتيب عنوانه : (المد القومي) ليزيد من تنكر الغرب للقضية العربية . ان هذا الكتيب يحاول ان يبرهن على خطأ نظرية المؤرخ ارنولد توينبي القائلة ان عصر القوميات الصغيرة كالقومية الصهيونية المزعومة قد انتهى وانه اليوم عصر الوحدات الكبيرة » .

ويبدأ محاضرته بقوله : « ان رجل الدولة الحقيقي هو رجل الدولة الفيلسوف كما تخيله افلاطون » . ولو طبقنا هذا المقياس اليوم لخلت اكثر الحكومات من رجالها .

ويشدد على ضرورة ابقاء البلاد العربية مجزأة بدعوى خطأ نظرية توينبي زاعما اننا عدنا الى عصر القوميات المجزأة التي شاعت في القرن التاسع عشر ..

ويرفع عقيرته قائلا (ان سبعين مليون عربي ـ والصحيح مائة مليون عربي ـ

يسكنون اربعة ملايين ميل مربع يناوئون دولة من مليوني نسمة يسكنون ثمانية الاف ميل مربع) ...

ويحاول جاهدا ان يبرهن على ان اسرائيل ليست سببا في اضطراب الشرق الاوسط وانما السبب الحقيقي كره العرب للغربيين منذ قديم الزمان . منذ ايام المسعودي الذي نعتهم بالبلادة والرطانة ولما كان اكثر سكان اسرائيل من الاوربيين والاميركيين فهم لهذا السبب يكرهونها .

ولو صح ما يدعيه ابا ايبان من كره العرب للغرب لما نقل العرب التراث اليوناني الى العربية ولما اتجهوا صوب الغرب في نشر رسالتهم السماوية ولركزوا جهودهم على الشرق وحده ..

ثم يقول ان لا صحة لحتمية التاريخ القائلة ان ــ الوحدة هي الوضع الطبيعي للتاريخ العربي ــ ويزعم ان العرب لم يكونوا موحدين الا في فترتين هما فترة الخلفاء الاول وعصر صلاح الدين . وينسى او يتناسى العصر الاموي والعصر العباسي الاول وان ما حصل بعد ذلك لم يكن الا انتقالا من نظام مركزي الى آخر لا مركزي اذ بقي حتى اشد ملوك الطوائف صلافة يخطب ود الخليفة ويذكر اسمه على المنابر وعلى النقود التي يضربها .. ومن الغريب انه يرى ان القومية الصهيونية ظهرت في وقت واحد مع القومية العربية وهذا غير صحيح فالقومية العربية اقدم من دعوة هرتزل سنة ١٨٩٧ .. انها ترجع الى ايام احياء التراث العربي في مصر في اوائل القرن التاسع عشر .. ويقول : لا سبيل الى اللقاء بين الديمقراطية العربية التي تؤمن بالمساواة ولا تؤمن بالحرية والديمقراطية الغربية التي تؤمن بالحرية ولا تؤمن بالمساواة . وان القومية في البلاد العربية والافريقية خالية من المحتوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ..

ويقول ان العرب لا يمتلكون غير وحدة اللغة والثقافة وينسى وحدة الدين والتاريخ والتكوين الجغرافي ، ويقول (لو كان ذلك سببا لقيام وحدة اذن لتوحدت دول اميركا اللاتينية وما يدريه انها ليست سائرة نحو الوحدة في مؤتنف الزمن ...) .

ويؤكد ايبان ان اللغة لا تؤلف ــ مصيرية تاريخية ــ .. وان لا ضرورة

ـ لمصالحة الغرب مع القومية العربية ـ وان وحدة مصر مع سوريا كانت اشبه بوحدة النبي يونس مع الحوت •• ويزعم ايبان ان التضامن الاقتصادي بين البلاد العربية اقل منه بين اقطار اوروبا الغربية وخلاصة نظريته : التنوع والتسامح لا الوحدة في الشرق الاوسط •

ثم يتساءل صفاء خلوصي قائلا : وقد تسألون الان ما طريق العمل ؟ طريق العمل واحد لا ثاني له •• انه الطريق الذي سلكته كوبا ••• انه الطريق الذي سلكته الجزائر بعد استعمار ١٣٠ سنة •• الطريق الذي سلكه الجنوب العربي بعد اضطهاد ١٢٩ سنة • ويجب ان يرافق هذا الاسلوب من العمل ثورة في التكنولوجيا ومناهج التعليم وتطهير الجهاز الاعلامي والدبلوماسي للبلاد العربية لتتمكن من مجابهة اساليب الشخصانية واللاعقلانية والغائية الصهيونية • وعلينا ان نحاول الجمع بين الاسلام والعروبة بنفس الطريقة التي جمع بها الصهاينة بين الديانة الموسوية والعنصرية الصهيونية الجديدة ••



* * *

ان اردنا ربط قضية فلسطين بالواقع العربي بكل ايجابياته وسلبياته لخرجنا الى نتيجة واحدة وهي ان الحضارة العربية في محنة ، ينبغي انقاذها قبل ان تكون مضغة في الافواه • ولو لم تكن ثمة محنة بالمعنى الصحيح لما صارت حالنا الى هذا الوضع المثير الاليم الداعي الى النهوض العلمي والعملي بلا تلكؤ وتخاذل••

حسبنا ان نقرأ ما يذكره صفاء خلوصي •• (ان الموقف المأزوم الحرج الذي نجد انفسنا فيه اليوم ليس غزوا خارجيا يجتاح الشرق الاوسط ولا محاولة لاستغلال اراضينا وثرواتنا الطبيعية • ليس مجرد فرض شعب غريب على شعبنا انما هو صراع حضاري •• صراع بين الحضارة العربية الاسلامية وحضارة هي اخلاط حضارات متنافرة يحاول المغالطون ظلما وعدوانا ان يسموها حضارة يهودية •• فمحنتنا هي في الحقيقة : محنة حضارة ••) •

معناه ان هذه الحضارة عربية اسلامية او اسلامية عربية ، وانقاذها يقع بالضرورة على عاتق العرب والمسلمين معا ، فقد سجل التاريخ البشري سابقة لهذا كله •• لان ـ كما يرى صفاء خلوصي ـ « هذه الحضارة ليست عربية

حسب ولا اسلامية حسب انما هي عربية اسلامية ومن حق جميع الشعوب العربية والاسلامية ان تدافع عنها .. » .

من هنا يدعو صفاء خلوصي الى العودة الى الاشقاء الذين عاضدوا العرب ووقفوا الى جانبهم في احرج المواقف التاريخية وفي احلك الاحوال السياسية ، حيث يستطرد .. (واذا كان صلاح الدين حرر القدس ورضي بمعاهدة هدنة مع الصليبيين بحيث يحتفظون بالشريط الساحلي وبممر الى القدس فان الظاهر بيبرس التركي ضرب بكل شيء عرض الحائط ولم يرض بانصاف الحلول ولا الحلول السلمية او اشباه السلمية . فبعد ان ضرب المغول في ـ عين جالوت ـ تلك الضربة التي مزقت اسطورة الجيش المغولي الذي لا يقهر التفت الى الصليبيين وفعل بهم الافاعيل حتى ايقنوا بما لا يدع مجالا للشك ان لا مكان لغير دولة اسلامية في فلسطين . ان صلاح الدين يمثل انصاف الحلول والظاهر بيبرس وقلاوون يمثلان الحل الحاسم الذي لا مساومة فيه ولا مهادنة . فصلاح الدين بتسامحه مع الصليبيين ارجأ حل القضية الفلسطينية مائة عام ولكن يجب الا نبخس الرجل حقه فهو اول من اثبت للعالم الاسلامي بامكان تحرير فلسطين من ربقة الصليبيين بانتزاعه القدس من ايديهم بعد معركة حطين الظافرة فجعله من جاء بعده من سلاطين المماليك اسوتهم مع شجب سياسة الحل الوسط ..) .

ثم يرى صفاء خلوصي ان اقتران دعوته بالعمل الايجابي من لدن العرب والمسلمين هو الضمان الواقعي لتحرير فلسطين وبلوغ النصر المنتظر .. انه ليقول : (واليوم يعيد التاريخ نفسه .. فلنعد الى اشقائنا في الحضارة .. الى اولئك الذين كانوا سندا لنا في الحروب الصليبية ليكونوا لنا في ـ الحروب الصهيونية ـ ولتخرج المعركة الفلسطينية من طابعها الضيق الى طابعها الحضاري . طابع الحضارة العربية الاسلامية) ..

لئن كان الشيء بالشيء يذكر فاقول ـ بعد هزيمة حزيران بثلاثة اشهر كتب الي صديقي الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح ، المعروف بقصائده الحزيرانية والايلولية ما يعزز دعوة صفاء خلوصي ويؤيد وجهة نظره وهو يقول : (ليتنا نجرب الدعوة الدينية ، مستنجدين بالاسلام في انحاء المعمورة ان يحمونا من

الغارة اليهودية • ان كان لم يزل في الوجود مسلمون بمعنى الكلمة ، كالمسلمين الفاتحين سابقا وكاليهود الفاتحين لاحقا • فان لم ينجدنا الاسلام ويطرد اسرائيل من القدس لا يبقى لنا سبيل للحياة الا باعتناق الدين اليهودي الذي اثبت كفايته لجمع الكلمة وتحقيق الغايات كما اثبت الدين المسيحي عجزه عن تأمين حق من حقوق الانسان او رد اي عدوان ••) •

بغداد ـ الاعظمية — وحيد الدين بهاء الدين

المراجع ـ رسائل خاصة في خزانتي ـ مجلة الاخاء البغدادية عدد ١ و٢ السنة التاسعة حزيران ١٩٦٩ ـ صحيفة الجمهورية البغدادية الاعداد : ١١٠ ـ ١٣٦٠ ـ ٢٦٣ في ٢٨ ـ ١٠ ـ ١٩٦٧ ـ١٦ـ ٤ ـ٩٦٨ ـ ١٨ ـ ١٠ ـ ١٩٦٨ ـ كتاب « بيادر تموز » وقد تضمن ترجمة الاشعار من اللغة الانكليزية الى اللغة العربية وهو للشاعر المفكر الصيدلي محمد حسن الصراف .

من علماء النفس الكبار
ليوث زوندي

بقلم : الدكتور علي زيعور

١ ـ منطلقات نظريـة زونـدي :

رأى فرويد النفسية مرتبطـة بالشروط البيولوجيـة • وابحـاث الطبيب الهنغاري زوندي تنطلق من نواح بيولوجية ايضا في تفسيره للاوعـي والنفسية ؛ وقد كانت نقطة ابتدائها من القصة الاتية التي يرويها بنفسه حيث يقول : جاءتني يوما شابة مع زوجها تشكو خوفها الوسواسي ، التسلطي ، مـن ان تسمم ذويها الاعزاء • وعند الانتهاء سألتني والدموع تترقرق في مآقيها :

ـ هل رأيت في حياتك شخصا تشحيه افكارا بمثل هذه الغباوة ؟

ـ منذ سنوات ، اجبتها قائلا ، كنت استقبل بانتظام سيـدة عجوز لطيفة ، من الريف ، جاءتني تتألم من افكار تسميم اهلها ، افكار هي من هذا القبيل • ثم انها ، ايضا ، كانت تصيغ شكاويها بنفس المفردات تقريبا • امـا الزوج ، الـذي كان حتى ذلك الحين جالسا على مقعد وغارقا في الصمت ، فقد اجاب فجأة :

ـ اني اعرف هذا الامر ، سيدي الطبيب ••• فتلـك السيدة الهرمـة هي امـي (١) •

صعق زونـدي ، مؤسس « تحليـل الـقدر » (Schic Ksalsanalyse) ودهش لهذا التطابق ، وآمن بان هناك علاقة سببيـة بين الحالتين وراح يسائـل نفسه ويبحث : لماذا اختار هذا الرجل المرأة التي لاحقتها ، بعـد زواجها منـه ، الآلام والاشجان التي تلازم امه ؟

ان زوندي لم يقبل اللجوء للصدف ، بل آمن بان امرا مقدرا هو مـا املى هنا الاختيار وربط بين الاشخاص الثلاثة • من هنـا افترض ان المورثات هـي

---

١ ـ يراجع كتاب شوندي ، تحليل القدر (تحليل الـ « شيكزال ») ، الصفحات العشرين الاوائل Lipot Szondi ' Schiksalsanalyse ' éd. Benno Schwabe, Bale, 1948 .

المفسرة لذلك : ان عودة عناصر جدودية متشابهة او متواحـدة ــ او بعبارة من علماء الوراثة ، ان « المورثات المتنحية » « Gène recessif » (١) ــ هي الاساس لهذه الوحدة المشتركية في القدر بين الام وابنها وكنتها . ان هؤلاء الثلاثة اقارب بالمعنى الوراثي للكلمة : فعصاب الزوجة يشبه كثيرا عصاب الحماة والى درجة يصعب معها القول بالتطابق العرضي ، او بالصدفة العابرة ، لا بد اذن من ان الزوجين قد انجذبا لبعضهما البعض لانهما كانا يحملان نفس المورث الذي كان عندها مسيطرا بينما كان عنده في حالة متنحية . والذي ثبت زوندي على فرضيته هذه هو نتائج ابحاثه الغزيرة على أكثر من خمس مائة شجرة نسب عائلية لاشخاص لاسويين ، ولسويين ايضا .

٢ ــ اللاوعي العائلي :

وهكذا فبين اللاوعي الشخصي واللاوعي الجماعي وضع زوندي ما سماه باكتشافه للاوعي العائلي . هذا اللاوعي مؤلف بفعل المورثات المتنحية التي لا تؤثر في مجمل خصائص الجسم العضوي ، في النموذج الظاهري « Phénotype » بل تحدد ، تحديدا قدريا ، اختياراتنا مثل اختيار الاصدقاء ، اختيار الزوج او الزوجة ، اختيار المهنة بل وحتى اختيار الامراض والموت (٢) .

٣ ــ زوندي والنظرية الوراثية الضد منديلية :

ينطلق زوندي من النرظية البيولوجية القائلة بانه ليس هناك مورثات متنحية بشكل مطلق ، اي تبقى كامنة كمونا تاما لوجود مورث سائد يقف في وجهها ويمحيها ، فكل المورثات تنزع لان تتمظهر وتعمل (٣) .

على هذا فالمورثات المتنحية تحافظ على ما سماه زوندي بالاتجاه المورثي (٤) اي تلك الدينامية التي تدفع شخصين ، الواحد نحو الاخر ، اذا كانا يحملان

١ ــ المورث المتنحي « Gène recessif » هو عكس المورث السائد « dominant »

٢ ــ كان تحت عنوان لكتاب زوندي « تحليل القدر » والذي ظهر عام ١٩٤٤ ، وهو : « الاختيار في الحب والصداقة والمهنة والمرض والموت » . وفي هذا دلالة على طبيعة نظرية المؤلف .

٣ ــ هذا عكس النظرية المنديلية التي تنص على ان مورثا مسيطرا ، سائدا ، يمنع منعا باتا عمل المورثات المتنحية في تكوين الفرد ما دام هذا السائد واقفا في وجهها ، ويعارضها .

٤ ــ الاتجاه الوراثي او المورثي : الاستثرات Génotropisme

مورثات متشابهة او متواحدة (١) • والمورثـات وان كانت بيولوجية مـن حيث اصلها ومصدرها ، فانها تحدث تأثيرها وفعلها على الصعيد الروحي ، على صعيد الارتعاشات « Pulsions » النفسية • ففي القصة المذكورة عن الوسواس ذاتـه الموجود لدى الحماة وكنتها ، رأى زوندي ان المورث الذي حتـم ذلك التصرف موجود ايضا لدى الزوج ولكن بحالة هي متنحية بحتة ، وبالتالـي بدون تأثير او فعل في تكوينه (جبلته) الفيزيائي او النفساني ، وهذا المورث عينه هو مـا دفعه صوب تلك المرأة التي كان لا بد ان يظهر عندها ، في وقت متأخر ، فكرة التسميم المتسلطة ، وهو ايضا ما حتم حبهما وزواجهما •

٤ ــ تحليـل القـدر :

بعد ذلك انصبت ابحاث زوندي على وضع تقنية لنظريته التي سماها ، كما رأينا ، « تحليل القدر » ، تحليل ال « شيكزال » ••• فميز بين نوعين من القرابة: في الدم والقرابة في المورثات المتنحية التي هي قرابة اكثـر روحانية وغير مرئيـة والتي اولاها « تحليل القدر » عنايتـه • كما اهتم « تحليـل القدر » بطرائـق اكتشاف العوامل الوراثية المخبأة بأن درس لا فئات الدم لوالدي الشخص فقط ، بل ولاولئك الذين دخلوا اسرته عن طريق الزواج او الذين يقيمون معـه اواصر مودة وصداقة ، او بينهم مشتركية في المثل الاعلى ••• كان زوندي يقدم سـتة منضودات ، سلاسل ، الواحدة منها مؤلفة من ثمانيـة صور ، اي ٤٨ صورة • وفي كل منضودة كان هناك صورة شخص مصاب ، بطريقـة متميزة ، باحـدى الشذارات « Anomalies » الارتعاشية ــ وهي ثمانيـة ارتعاشات وفـقا للترتيب الذي اقامه زوندي نفسه • وعلـى الشخص ان يختـار السحنتين ، الصورتين ، اللتين تبدوان له الاكثر لطافة ، الاقرب الـى نفسه ، اللتين يتعاطف معهما اكثـر من غيرهما (٢)

وصرح مؤسس تحليل القدر ان النتائج التـي حصل عليهـا كانت مدهشة

---

١ ــ متواحدة ، هوية Identiques

٢ ــ يراجع بالفرنسية كتاب زوندي ــ ترجم وصدر في باريس سنة ١٩٥٢ ــ الـذي يحـوي على هذا التشخيص التجريبي للارتعاشات :

Szondi, Diagnostic eqeri mental des pulsions, traduit par R. Bejarano-Pruschg , Paris , P. U. F. , 1952 .

وفاقت مبتغاها ، وعلى هذا فقد صاغ جملة حكيمة جعلها ركيزة نظريته ، وهي : « حظ الاختيارات الارتعاشية لرجل ما وستعرف ممن قد تحدر ، ومن هو ، وما هو القدر الذي ينتظره » (١) .

٥ ـ الحرية ، اهمية التربية والتوجيه المهني :

يعود زوندي الى معضلة الحرية ، تلك المشكلة الماورائية بل والسيكولوجية ايضا ، فيقول : لسنا احرارا في اختياراتنا ، ذلك ان المورثات هي التي تختار عنا ، تختار لنا .

لكن ذلك لا يعني اننا مجبرون ، واننا مسيرون بقضاء وقدر لا سلطان للانسان عليهما . وهنا يقف زوندي موقفا وسطا بين الجبر الذي تفرضه علينا المورثات وبين الاختيار الذي يراه موجودا فقط ضمن الدائرة البيولوجية لهذه المورثات . تلك هي ، مثلا ، حالة القدر الفصامي الشكل . قد نستطيع ان نعيش هذا القدر بعدة طرق واشكال : فهناك مفصوم فصاما بسيطا ، مجرد فصام بسيط ، هناك من يتألم فقط من وسواس ما ، هناك شخص قد يصاب بالبارانويا، او من يصبح فعالا نشيطا ، او مخترعا . هذه الجبرية ، اذن ، قابلة للتوجيه والانقياد . من هنا اهمية الطفولة والتوجيه المهني اللذين يقودان هذه الجبرية ويوجهانها : انهما يقودان الارتعاشات ، او يوجهان الميول الارتعاشية ولا سيما للمصابيين وللذهانيين من الناس . وعلى المربي والموجه المهني واجب العناية بهذه الميول الارتعاشية لا الاقتصار فقط على تربية الاستعدادات البدنية والروحية المولد . ويشدد زوندي على اخذ الارتعاشات بعين الاعتبار في التربية والتوجيه المهني ، اذ ان اهمالها يجعل عمل المربي ، والموجه ، كحاطب الليل .

٦ ـ زوندي في مدرسة التحليل النفسي :

احتل اللاوعي منزلة كبرى في ابحاث زوندي ، مثله في ذلك كمثل فرويد وآدلر ويونغ . وقد انصبت ابحاثه ، كما رأينا ، على الكشف عن المورثات المتنحية او الكامنة التي تحتم وتحدد اختياراتنا . يعني ذلك بتعبير اخر ، ان

---

١ ـ وردت في فولكيه ، مذاهب علم النفس المعاصر (الفرنسية) ص ٢٥ ، مستقاة من زوندي، تحليل القدر ، ص ١٣٦ .

المورثات المتنحية ـ او الكامنة ـ ترتدي جلبابا نفسانيا ، اي انها بنظره ذات دلالة ومعنى نفساني : فالتشوقات «aspirationo» الارتعاشية ، تلك الارتعاشات المتعلقة بالمورثات المذكورة، هي لا واعية . ذلك انها كامنة«Lateute» وكامنة او متنحية تعني لاواعية ، اي انها كامنة بالنسبة للوعي .

باختصار ، نظرية اللاوعي هنا ، كما يلاحظ ، هي نظرية بيولوجية . لا يبحث زوندي عن اللاوعي النفساني فقط ، بل انه تعمق اكثر في المشروع الذي رسمه فرويد قبلا وهو القعر الفيزيولوجي ، او الارضية الفيزيولوجية للعقد النفسية . لقد ظن زوندي انه وجد هذا القعر للعقد اللاواعية ، وجده في المورثات المتنحية ، في البيولوجيا ، في الفهم البيولوجي للاوعي ، في ان المورثات الكامنة هي لاواعية (اي كامنة بالنسبة للاوعي) . يبقى بذلك زوندي ، وان غاص اكثر من شيخه في البيولوجيا ، في عداد مدرسة التحليل النفسي ، او علم نفس الاعماق ، التي تؤوب باصلها الى فرويد والتي تبقى واحدة مهما اختلفت طرائقها حسب قول زوندي عينه .

لا شك بأن نظرية اللاوعي العائلي ذات قيمة ، وهي تسلط اضواء على النفسية اللاواعية ، على طبقة من النفسية العميقة . كما ان زوندي قد راتب هذه الطبقة فوضعها بين طبقة اللاوعي الشخصي الذي اكتشفه فرويد وبين طبقة اللاوعي الجماعي الذي اكتشفه يونغ . من هنا نرى انه باكتشافه للاوعي العائلي ووضعه اياه بين هذين النوعين المذكورين ، قد وضع نفسه بين فرويد ويونغ . ولقد اصر على ان يبقى في حظيرة التحليل النفسي وان يبحث عن « شجرة عائلة » ـ عن نسب ـ اللاوعي .

الدكتور علي ي. زيعور
من اساتذة علم النفس في الجامعة اللبنانية

إعْرِفْ نَفسَكْ

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

- ٢ -

مشاكل المراهقة في هذا العصر ، اشد مــن مطلق زمــن مضى ، فــقد كان الشاب يتزوج في الثامنة عشرة من العمر مثلا ، لكنه لا يكاد في مثل هذه الاعوام ينهي دراسته المتوسطة ، وقد يدخل الجامعة ، ولا يتهيــأ لتأسيس بيــت الا بين ال ٢٥ و٣٠ ، هذا علاوة على الاختلاط والاغراء .

وكان يتهجى كلمات : حرام ، عيب ، ولا يكاد يحوم حول الشبهات الا بعد تعب واخطار ، لكنه اليوم يجد تشجيعا وحوافــز ، منهــا ان بعض الجامعــات بالولايات المتحدة ، توزع على الطالبات موانــع الحمل ، بــل وتسهل لهن سبل الاجهاض .

لم ينفرد الاسلام بتحريم الاختلاط المحرم ، لكنــه انفــرد بتهيئــة المصل الواقــي :

١ ــ امر الشاب بصيام بعض الايام علاوة على صوم رمضان .

٢ ــ بعدم اللجوء للفراش الا اذا داهمــه النعاس ، علــى ان يغادره لاول وهلــة يستيقظ بها .

٣ ــ بالابتعاد عما يثير الجنسيات من كتب ومجلات ومناظر واحاديث .

٤ ــ بغض البصر ..

اما الفتاة فحبذا لو اشغلت نفسها بدراسة ما ينفع امتها من العلوم والخدمات العامة ، كتمريض المجاهدين ومساعدتهم ولو بخياطة قميص ، عملا بقول سيدنــا محمد « من جهز غازيا فــقد غزا » .

لا تحريم وتحليل دون تعليل

الاختلاط المحرم يقطف ثماره الذرية والاجسام والاخلاق والعقول ، او اذ الاتصال بين صحيح ومصاب بالسل مثلا او السفلس ، ولو عن طريق التنفس او العطاس او السعال او القبلة ••• يفضي لامراض مخيفة ••

فقد يسري المرض سريانا متبادلا ، ويعطل قناتي المرأة او يفضي للعقم المشترك ، وينتقل من دم الابوين لدم الاولاد ويبيت في المفاصل والعضلات والاحشاء والجهاز العصبي ويشوه الوجه والاسنان والعيون والاصابع ويجعل انف الطفل كسرج الحصان •

وقد يكمن مرض احد الابوين بالرحم ليصيب مولودا آتيا ، او يثمر اجهاضا او طفلا مصابا ، قد يفارق الحياة بعد الولادة مباشرة •• وما الى ذلك من كوارث قضت على حضارات ، وتعيذ الحضارات المعاصرة من مغبتها •••

وهذا ما أخشاه على الامم التي دفعت زمامها لليهود فتلاعبوا بها وحملوها على حفر قبرها بيدها ، كما حملوا انكلترا على اباحة الشذوذ الجنسي ، وحملوا السويد على اباحة الزواج من الشقيقات • •

عادات اختلاط العروسين

الوسط الذهبي ــ دراسة اخلاقية ــ دراسة صحية ــ الكتمان ينتهي بالابرام •

العاقل لا يسير في طريق الا بعد السؤال ولا يفشي ببضاعة سوقا الا اذا رجح اتفاقها ولذا لا يقدم على زواج الا اذا كانت كفة الهدوء والطمأنينة وجودة الاثمار راجحة •

اذا فالتعرف على الخطيبين قبل ابرام العقد امر تفرضه الاجواء ، وللامم فيه عادات مختلفة فبعضها تشدد فلا تسمح للخاطب برؤية المخطوبة ، قبل ابرام العقد ، بل قبل ليلة الالتقاء وبعضها تفتح امامهما باب الاختلاط على مصراعيه اشهرا واعواما ــ ليطلع كما يزعمون ــ على مكنونات نفس الاخر واخلاقه وطباعه ، وعاداته وميوله •••

الوسـط الذهبـي :

هذه العادات ــ كما يرى القارىء ــ جانبت نقطـة الوسط ، وقـد لجـأ الاسلام كعادته ، وسطا ذهبيا ، ونقطة فنية مشعة بين ظلمتـي افـراط وتفريط ، فقال بلسان حال تشريعه :

لا اختلاط مطلق ولا عقد دون رؤية ، بل مشاهدة قبل العقد بحضور ثالث تشتمل على مجالسة ومؤاكلة وتدقيق ونظر ، وباسلوب لا ادري كيف اصفـه ، واستنشاق رائحة فم •

هذه المشاهدة ليست مباحة فحسب بل رآها بعض اهل العلم واجبـا لان رسول الله قال لخاطب استشاره : انظر اليها ••• ان في اعين النساء شيئا •••

هذا الوسط الذهبي البريء من الغلو ارتفاعا ، او انخفاضا ، منطق سليم ، بل لا يجد المفكر المحرر منطق سليم سواه ، اذ الاختلاط المطلق قبـل العقـد ، وابرام الاتفاق دون رؤية ينتجان عن نتائج غير سليمة •

ذلك لان فترة الاختلاط تعايش مصطنع قائم على المجاملة والتكلف والتغرير وستر دفائن القبور وكوامن الصدور ، اذ كلا الخاطبين يجمل واقعـه ، ويتكلف من الاخلاق ما يرضي الآخر فاذا ما تدهورا (بعثر مـا في القبور وحصل مـا في الصدور) •

وعلى ذلك فاختلاط الخاطبين المطلق ابرام العقـد او ابرامه دون رويـة ، تجاربه ليست سليمة ولنفرض سلامتها فـان دراسة اصول الخاطبـين وتربيتهما وواقعهما وتراثهما الفكري اشد سلامة •

دراسـة اخلاقيـة :

هذه الدراسة عبد طريقها للعالم كله سيدنا محمد صله الله عليه واله وسلم•

١ ــ تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع ، او دساس •

٢ ــ اياكم وخضراء الدمن : الفتاة الجميلة النابتة من بيت منحرف التربية•

٣ ــ التوجيه المدرسي الذي زاملهما خلال الحياة الدراسية •

كل هذا يذكرني بكلمة ذاك الخاطب الذكي :

« اعرف اولادي منذ الشروع بخطبة امهم ، اعرفهم من دراسة امهم أمهـا اولا ثم ابيها وعمها » ••

قطعا ، اذ تكاد الفتاة ان تلد امها ، وكان هذا الذكي ادرك سمو نظره فقال لابنائه :

واول احساني اليكم تخيري لطاهرة الاعراق بـاد عفافهـا

فترة المشاهدة هذه ، يحرم بها الغش والتغريـر ، كالذيـن يسترون شيبهم بخضاب لا سيما ان كان حصيلة تراكم سني العمر لا حصيلة ضعف البصيلات••

وتغرير كهذا يخول القاضي فسخ العقد وحفظ حقوق المتعرض لسهام الغبن منهما ، اذ نرى في التاريخ عمر بن الخطاب حكم بفسخ عقـد قـام علـى تغرير وستر شيب •••

هذا الموضوع تذمر احد الزوجين من شيب الاخر حقـول بكتب الادب ، نستقي بعضها تعزية للمغبونين ••

رأت الزوجة الشيب اكليلا على رأس زوجها ، وما ان امتعضت حتى دعـاه كمالا ووقارا ، وما ان اخذ بخضبه حتى عادت جذوره لسواد الليل بياض النهار، وكان احد الادباء اخذ لسان هذا الحال وسبكه قائلا :

قالت اراك خضبت الشيب قلت لهـا سترته عنك يا سمعي ويا بصري

فقهقهت ثـم قالت مـن تعجبها : تكاثر الغش حتـى صار بالشعر

دراسـة صحيـة :

استشارة الطبيب قبل ابرام العقد واجبة ، اذ قـد يكون احـد الخاطبـين معرضا لاضطرابات نفسية تحول دون الانسجام ، بل ودراسة الزمـرة : معرفـة الموجب والسالب من دمهما واجبة ، حرصا على مستقبل الذرية ، اذ قـد يترتب على اهمال هذه الدراسة ندرة الحمل او اسقاطه او عدم استمرار حياتـه ان لـم يتدارك يتداركه الله بطبيب يستطيع استبدال دمه المتغاير بدم منسجم ••

الكتمان ينتهي باعلان العقد :

سيدنا محمد عليه صلاة الله وسلامه ، قال : اخفوا الخطبة .

هذا تحذير من اذاعة نبأ المفاوضة ــ ان جاز هــذا التعبير ــ قبـل ابـرام الاتفاق ، خشية ان يطرأ على تلك المساعي ما يميتها ، فيذهب الذين سمعوا انباءها بالتعليل مذاهب ليست من مصلحة الخاطبين ، اذ قطع الصلات بعد اعلان المساعي لا سيما بعد فترة اختلاط ولو قصيرة ، يفضي لكوارث لا تخفـى عـن فطانـة القارىء ...

الزواج من القريبات :

قيل : كانت أمنا الاولى ، تلد توأما ، ذكرا وانثى ، وتزوجهما من توأم اخر من أبنائها ، ذكر وانثى .. هذه القصة ، مهما اعتـرى سندها ، ترمـز الـى ان الانسان الاول ، ادرك بفطرته ان زواج الاباعد محسنات ولو عـن اخته الـتي ولدت معه لاخته التي ولدت قبله او بعده ..

حرم الاسلام الاصول والفروع والاطراف وانفرد بالتحريم بسبب الرضاع، ونبه لفوائد الابتعاد عن القريبات كبنات العم والعمة والخال والخالة ، اذ الزواج منهن لا سيما اذا تكرر اجيالا يثمر اضرارا صحية وفكرية ... وقد حذر رسول الله منه بقوله « لا تنكحوا القرابة فان الولد يخلق ضاويا » .

اشتهر على ألسنة الفقهاء والاطباء بل والشعراء بعد الاسلام حكمة الابتعاد عن زواج بنات العم والعمة والخال والخالة ، فاخـذ الشعراء يرون المولود منهن سائرا في طريق الضعف ، اذ يقول أحدهم مهددا بارسال من يمثل دور الاغتيال :

فتى لـم تلـده بنت عم قريبـة ... فيضوي وقد يضوي رديد الاقارب

ويقول اخـر :

ان بلالا لـم تشنـه أمـه ... لـم يتـناسب خالـه وعمـه

وآخـر :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبـة ... مخافـة ان يضوي علـي سليلـي

وآخر : الا فتى نال العلى بهمه ... ليس أبـوه بابـن عـم أمـه

تـرى الرجال تهتـدي بـأمـه (١)

وآخر : أنذر من كان بعيد الهم تـزويـج أولاد بنـات العـم

فليس نـاج مـن ضوى وسقم

عرف مسلمو القرون الاولى فوائد الابتعاد ، وتردد على السنتهم وأقلامهم كلمة عمر بن الخطاب « اغتربوا لا تضووا » ولا تزال المراجع طافحة به (٢) •

ادركنا مستنيرين بالهدي النبوي ، معنى قول الفـقهاء « زواج بنت العـم والعمة والخال والخالة مكروه » ورأينا قول ابي حامد الغزالي بالاحياء :

« من الخصال التي تجب مراعاتها في المرأة ان لا تكون من القرابة القريبة ، اذ يخلق الولد خاويا نحيفا » وساق الغزالي كلمة « اغتربوا لا تضووا »، وفسرها بقوله : لا تتزوجوا القريبات كيلا يعتري اولادكم الهزال » (٣) •

هذا ، وقد صرح الطب بان زواج القريبات اذا تكرر افضى لاخطار منهـا عدم القدرة على تكوين الذرية او موتها المسرع او حياتها مشوهة، بل وقد يفضي لانقراض الاسر المبتلاة به ، ولولا خوف التطويل لتحدثت عن الاسر التي كادت تصبح خبرا كأسرة الشهابيين في لبنان مثلا •

وحسبنا ان الزواج من القريبات يساعد على استعصاء الامراض الموروثة ، اذ قد يحمل الاب جذور وراثة مرض ما ، وتحمل الام ــ بنت عمه ــ نفس تلك الجذور ــ فينقلانه مكبرا لطفلهما ••

مثلا ، شخص ورث من اجداده امراضا عرضته باربع اصابع ، اذا تـزوج بابنة عمه ، وهي طبعا تحمل هذه الوراثات ، تساعد الوارثان وانتجا طفلا يفـقد

١ ــ بأمه بفتح الالف بهديه .

٢ ــ حبذا لو ظفر القارىء باحد المراجع الاتية :

أ ــ النويري : نيل الارب جـ١ ص ١٠ و١١ .

ب ــ الماوردي : ادب الدنيا والدين ص ٩٣ .

ج ــ عبد الله عفيفي : المرأة العربية ج١ .

د ــ الشيخ سعيد العرفي : سر انحلال الامة العربية ووهــن المسلمين ، دمشق مطبعــة ابن زيدون ١٣٥٣ هـ .

٣ ــ السيد رشيد رضا : تفسير المنار الطبعة الاولى ج٦ ص ٢٠ و٢١ .

اصبعا او اصابع او الكف كله .

الجاحظ سبق علماء الدواجن المعاصرين :

قال في كتابه الحيوان (١) ما نصه :

« لا يكون الحظ الا في نتاج شكلين متباينين ، فالتقاؤهما هو الاكسير المؤدي الى الخلاص ، وهو تزاوج بين هندية وخراساني ، فانهما لا تلد الا الذهب الابريز » ..

ويرى الجاحظ « الدجاج الناتج من عربي وهندي ، يحمل الشحم واللحم » ويقول محذرا من زواج القريبات ما نصه :

« ورأينا الخلاسي من الناس ـ يعني المولود من اب حبشي وام بيضاء او العكس ـ يخرج أعظم من ابويه ، وأقوى من أصله » ..



هذا بعض ما نحتفظ به من كنوز المعرفة ، اما الامم التي بلغت حضارتها حدها وانقلبت الى ضدها ، فقد اخذت تعود الى عصور الظلمات . وها نحن نقرأ نقلا عن احدى جرائد السويد نصا بهذا العنوان :

زواج الرجل من شقيقته في مجلس النواب السويدي ـ استوكهلم ـ جريدة « اخبار المساء » قررت محكمة في كارلسكوكا ان تدع رجلا عمره ٣٤ سنة يستمر في المعيشة مع اخته التي عمرها ٢٥ عاما كشخصين متزوجين ..

اما أحد اعضاء البرلمان وهو من حزب الاحرار سيحاول ان يفرض على البرلمان تغيير القانون كي يستطيع الرجال ان يتزوجوا من اخواتهم ..

لم تكتف الامم القديمة بزواج بنت العم والعمة والخال والخالة بل انغمست بالزواج من الاصول والفروع ، ولم نر مشترعا كحمورابي او حكيما كافلاطون، اشار للضرر الناجم عن ذلك الانغماس ...

اما اشارات العهدين لذلك الضرر ، فتمهيدا للاسلام اذ شفى الله به امما كمجوس فارس ، اذ كانوا قبل اشراق شمسه ، يرون المتزوج ليس بابنة العم

١ ـ ج١ ص ٦٢ و٦٨ و٧١ طبعة الساسي ، مصر مطبعة السعادة ١٣٢٥ ـ ١٩٠٧ .

والعمة والخال والخالة بل بأمه واخته ينتج ذرية ذكية نبيلة مباركة ...

ولذا رأينا قضاة المسلمين بفارس ، يفرقون بين الرجل ومحارمه اذا طلب الزوجان تحكيم الشريعة الاسلامية ويرون العقد ليس صحيحا ، اما الاولاد فاولاد شبهة ــ حسب تعبير الفقهاء ــ (١) .

وهكذا سادت كلمة الفقهاء : الزواج من القريبات مكروه ، واكاد اجزم ان المسلم الشركسي الذي تراه للان يعرض عن خطبة بنت عمه وعمته وبنت الخال والخالة ويرى لهما في نفسه مكانة احترام الاخت اكاد اجزم ان هذا تأثير فقهي في الاصل ، وان رآه بعضنا عادات ... (٢)

اما اللذين يحرصون على الزواج من بنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات ويرون بذلك تعزيزا لروابط القرابة ، فقد فاتهم ان رابطة الزوجية والمصاهرة اشد تأثرا من روابط القرابة .

القرآن وحده امر بالنظر :

القرآن اذا أمر بشيء ، أشار لحكمته ، وحض على التقاطها ، وأوكل حرية الاستنتاج والاستنباط لذوي البصائر ، ليطوروا المفاهيم بما يفرضه العقل الكلي المنفتح المستنير ..

تحدث القرآن عن سر تكوين الانسان ، بسور متعددة ، ومناسبات شتى ، ولفت النظر للانظمة الثابتة العادلة ، التي رافقت التكوين ، وعرض المراحل بقوله تعالى :

١ ــ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين .

٢ ــ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .

٣ ــ ثم خلقنا النطفة علقة .

٤ ــ فخلقنا العلقة مضغة .

---

١ ــ مسند الامام احمد ص ١٩ ، ٢ ــ مجلة هدي الاسلام ، عمان العدد خمسة من السنة الخامسة ص ٤٦١٤ .

٥ ــ فخلقنا المضغة عظاما •

٦ ــ فكسونا العظام لحما •

٧ ــ ثم أنشاناه خلقا آخر •

فتبارك الله أحسن الخالقين •

هذه المراحل ، أرتنا المواد الحيوية المبثوثة في التــراب تنــقلب اوذيــة ، سلالة : خاصة ، يتناولها الابوان ، فينقلب الدم نطفة وينقلب ما يتدفق مــن بين الصلب والترائب علقة ، ولا تلبث هذه ان تنقلب مضغة تحتفظ بعظــام يكسوها اللحم ، ثم يتحول انسانا في احسن تــقويم ••

لنمعن النظر بمراحل التكوين ، ونقــف تجاهها خاشعين ، لقــد نادت ذوي البصائر ومنحتهم ما ينمي بصائرهم •

تراب يهب موادا حيوية ، فغذاء فدما ، فنطفة تعلق ببويضة ، يحلان قــرارا مكينا ، وتمسهما يد التطور « خلقا من بعد خلق » : طورا بعد طور ، ثم تشرف المراحل على النهاية « هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء » « ثم نخرجكم طفلا » يعدل وضعه الجسمي تعديلا يساعده على الخروج ويسبقه سائل يعقــم لــه الطريق ••

« أرأيتم ما تمنون ؟ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ يــا أيهــا الانسان ما غرك بربك الكريم ؟ الذي خلقــك فسواك فعدلك ، في أي صورة مــا شاء ركبك » •

ان كنت حين مرورك بتلك المراحل متحكما بزمــام القيادة ، فهــلا كونت جسمك تكوينا يدرء عنه مرض الشيخوخة والهرم ؟؟

محمد علــي الزعبي

• • •

لقاء في واشنطن

بقلم : ر . و .

قرأت المقال الافتتاحي لجريدة العمل في ١٩ ـ ١ ـ ١٩٧٣ عن اقتراح الشيخ بيير الجميل بمخاطبة العرب للعقل اليهودي في العالم . وقد اعجبت بالفكرة . وذلك لاني جربت مثل هذا النوع من الخطاب عندما كنت في الولايات المتحدة . واليك هذه الحادثة :

كان ذلك في مطار دالاس في واشنطن ، وصادفت شابا في الثلاثينات له شاربان ولحية شقراء ، ويجلس قبالتي على الطاولة في الكافتيريا ، فشككت في امر اللحية . فحدثته . فاستشرق (بدل استغرب) لهجتي الانكليزية وسألني عن موطني فقلت من لبنان .

قال : اين يقع ؟

قلت ـ في الشرق الاوسط . ملاصقا للحدود الشمالية لفلسطين ـ لا اذكر الاسم الاخر .

قال ـ لماذا لا تذكره ؟ (وقد عرف كلانا غريمه) .

قلت ـ لانه اسم منتحل ، غير حقيقي .

قال ـ ماذا كانت تدعى ايران في السابق ؟

قلت ـ الفرس او العجم .

قال ـ واصبح اسمها ايران بعد ان قرر شعبها تغيير الاسم .

قلت ـ لكن شعب فلسطين لم يقرر تغيير اسم بلاده اعتقد انك يهودي ؟

قال ـ لي الشرف في ذلك . لكني لست صهيونيا .

قلت ـ وانا عربي من لبنان . لا اقول لي الشرف بكوني عربيا لاني لم اخير في ذلك ولم افعل شيئا في هذا السبيل . اني عربي بكل بساطة ، ثم ان

قولك بان لك الشرف لتكون يهودي يقربك جدا من الصهيونية ٠

وعلى اية حال لنكن هنا صديقين ٠ لكن حتما اذا فكرت في الهجرة الى فلسطين لتصبح مواطنا اسرائيليا فسنكون عدوين بدون ادنى ريب ٠

ـ قال ـ اعتذر على كلمة « لي الشرف ٠٠٠ » فانا لم اقصد بها التحدي او الاهانة ٠ لكن قل لي لماذا لا يعيش العرب واليهود في الشرق الاوسط بسلام؟

قلت ـ لان اليهود لا يريدون السلام ٠ لقد اقبلوا من جميع انحاء العالم واحتلوا فلسطين بقوة سلاح الدول الكبرى وطردوا منها اهلها العرب ٠ طردوهم من بيوتهم وحقولهم وحوانيتهم ثم طلبوا الينا ان نوقع وثيقة استسلام ، هل هذا مقبول او معقول ؟

اسمع لقد كان اليهود مضطهدين في جميع انحاء العالم على ايدي جميع الشعوب الا في البلاد العربية حيث كانوا دائما يتمتعون بمكانة محترمة ومركز لائق حيث اكثرية الشعب العربي من المسلمين الذين يحترمون اليهود ويعتبرونهم اهل ذمة وكتاب ويؤمنون بانبيائكم ٠ كما اننا واياكم من شعب واحد هو الشعب الارامي اذ يقول جدنا وجدكم ابراهيم ابو اسماعيل واسحق : « اراميا جئت من اور الكلدانيين » ٠

لقد كان كبير مستشاري النبي العربي رجلا يهوديا هو كعب الاحبار ٠

وكان اليهود متعاونين اعظم التعاون مع العرب في الاندلس ٠ لدرجة ان الحكومات الاسبانية منذ خروج العرب من اسبانيا الى اليوم حرمت على اليهود دخول بلادها بسبب الخدمات التي كانوا يؤدونها للحكم العربي فيها ٠

وبعد وعد بلفور وقبله ، الى يوم تأزم الحالة في فلسطين بعد الحرب الثانية، كان اليهود في البلاد العربية ينعمون بالراحة والسلام وبامتيازات جمة لا تنعم بها اية اقلية دينية او قومية اخرى سواهم ٠ وذلك بسبب روح التسامح التي تتحلى بها نحن العرب وبسبب ما تتحلى به الاقليات اليهودية من انضباط وخضوع للقانون وميل للثقافة والعمل المنتج ٠

واليوم ، لو ان اليهود الذين ذهبوا الى فلسطين وعددهم للان لم يزد على مليونين ونصف المليون نسمة ، اقول لو انهم ذهبوا كمهاجرين عاديين واستوطنوا

البلاد العربية ، في اي بقعة منها ، متفرقين ، ومعهم علمهم ورأس مالهم والمستوى الحضاري الذي اكتسبوه في اوروبا واميركا . ووظفوا كل ذلك في الامة العربية بالتعاون مع الشعب العربي مستغلين واياناً خيرات ارضنا البكر والتي لا تنضب لكانوا اقاموا بيننا على الرحب والسعة . كما كان يقيم اليهود العرب قبل قيام الازمة الفلسطينية . ولكان باستطاعة البلاد العربية ان تستوعب جميع يهود العالم (١٥ مليون نسمة) ونبقى بحاجة الى مزيد من الناس . كما ان ١٥ مليون يهودي يظلون اقلية في هذا البحر الزاخر من العرب . فلا نشعر نحن بالحيف والغبن ولا تشعرون انتم بالكراهية والعداء والخوف الدائم .

لكنكم فضلتم الطريق الوعر ، واني اشفق عليكم لانكم ضحايا البنوك والدول الكبرى في اوروبا واميركا ، لقد وظفوكم لخدمة اغراضهم ومطامعهم في ثروات بلادنا . وجعلوا منكم مستخدمين في شركة استشارية شبيهة بشركة « الهند الشرقية » التي انشأتها الاحتكارات الانكليزية في السابق واستعمرت الهند بواسطتها . وانتم اليوم هكذا : موظفون بدون رواتب عند الدول الكبرى التي لها مطامع في بلادنا وثرواتنا ، ومتطوعون تهرقون دماءكم لتزيدوا الذهب في صناديقهم .

وسوف يأتي يوم يرفضكم فيه جميع العالم ويطردونكم من بيوتكم ويقتلونكم في الشوارع والطرقات . والشعب الوحيد الذي كان لا يزال يحمل لكم قدراً كبيراً من العطف والاحترام ــ وهو الشعب العربي ــ وفرضتم انفسكم اعداء له وجلادين ، سوف يغمد خنجره فيكم ايضا ، لانه بعدائكم له فقدتم آخر امل لكم في الارض .

وقبل ان اصل الى هذه النهاية كنت ارى ملامح محدثي تتغير ثم سألني بلهفة عن اسمي وعنواني ليكتب لي فيما بعد . فرفضت اعطاءه ما اراد . ثم عرفني بنفسه . وبانه مهندس الكتروني مسافر الى اليابان .

وما لبثنا الا قليلا حتى نادى المنادي على ركاب الطائرة المتوجهة الى اليابان فودعني الرجل اليهودي وانصرف .

رسالة من مقيم الى مهاجر

بقلم : جرجي ابراهيم نصر

ان السواد الاعظم من اللبنانيين ، عصفت بهم رياح الهجـرة ، وطوحت بهم الاقدار ، وابعدتهم عن أهلهم ، بعد ان تفرقوا في بقاع العالم ، وانـتشروا تحت كل كوكب ، وتغلغلوا في زوايا الارض •

وهذه قصة فتى ساقته ظروف الحياة ، شطر ديار الاغتراب ، تاركـا أمـا وشقيقات ، يبكين على فراقه ، وينحبن على بعاده ، وقد طالت غيبته عنهن ، فبرح بهن الشوق ، وامضهن الحنين • فأخذن يتوسلن اليـه للعودة ، بعـد ان قربت شمس أمه من الافول ، وهو يعللهن بالآمال والوعود •

وقد أهاجت هذه الحادثة عواطفي ، وصعدت زفراتي ، وأسالت عبراتـي • فبعثت اليه برسالة ضمنتها الشوق والحنين والذكريات ، متمنيا عليه العودة الـى وطن السحر والجمال ، كان لها الاثر العميق في نفسه ، مما دفع به للرجوع الـى بلاده • وكان لقاء ما بعده من فراق • وفي ما يلي الرسالة والابيات التي جاد بهـا الخاطـر •

أيها المواطن الكريم

ما أمر الفراق على القلوب ، وأقسى الغربة على النازح المشرد ، عـن وطنه وعن أهله • فللنازح البعيد ، وجيب في كل قلب ، وأنة من كل صدر •

لقد اصبحنا بعد طول النوى في أسى دائم ، ولوعة باقية • لقد تركت والدة ولهى ، وشقيقات أمض بهن الحنين الى اجتلاء طلعتك بعد طول غيابك ، لقد وقفن حاسرات بعيدات عن عينيك ، قريبات من قلبـك ، يبعثن اليـك بأرق العواطف وابقى الذكريات ، راجيات معللات النفس بقرب عودتك •

وما صبابة مشتاق على أمـل الى لقاء كمشتاق بـلا أمـل

فلعل وميضا من رأفة ، وبقايا من حنان ، ونبيلا مـن عاطفة ، تدعوك الـى

المودة ، وتدفعك الى حلاوة اللقاء ، بعد مرارة الغيبة وطول الفراق .

عودا الــى وطــن النسور | مهــد المسـرة والحبــور
وطــن الطبيعــة والجمــال | ومجتلــى الجفــن القريــر
والزهــر يطفــح وجهــه | بسنــى الجداول والغديــر
والشمــس تبعــث نورهــا | مــن خلف موجات الاثيــر
حيــث الظبــاء النافــرات | وحيــث تغريــد الطيــور
والارز والجبــــل الاشــم | وحيــث انــواع الزهــور
هــذا هــو لبنــان فــي | مــا فيــه مــن عين وحــور

بكاسين ـ لبنان — جرجي ابراهيم نصر

تطوّر مفهوم الجريمة والعقاب

من قلم : روكس العزيزي

- ٢ -

السجين

وجد المجتمع ، فوجدت معه الحضارة ، وكان لا بـد من الانظمة والقوانين التي تتعقب الجريمة والمجرمين ، ونتيجة لذلك وجـد السجن ، واذا نظرنا الى السجن من خلال الترتيب الجزائي وجدنا ان اغراض السجن تنحصر في ثلاثة :

١ ــ حراسة السجين والمحافظة عليه •

٢ ــ احتجاز السجين الى ان تقول العدالة كلمتها بحقه •

٣ ــ الاصــلاح •

فقد اعتبرت مجموعة يوستنيان ــ في القانون الروماني ــ اعتبرت السجن مؤسسة للاحتجاز وليست للعقوبة •

وقد سارت الدول التي اتبعت القانون الروماني على المبادىء نفسها ، فلم تعتبر السجن عقوبة ، وظلت الفكرة مسيطرة على العالم الذي نهج نهج الرومانيين مدة الف سنة •

وجاءت المحكمة العليا في بريطانيا ، وقررت ان السجن هـو مؤسسة يقصد منها الوصول الى اهداف ، وليس السجن غاية بحد ذاته •

لذلك ، ظلت السجون طيلة القرون الوسطى تعتبـر مؤسسات للاحتفاظ بالسجناء الى ان تتم محاكمتهم ، هذا بالنسبة الى حراسة السجين والمحافظة عليه•

★ ★ ★

اما بالنسبة الى الغرض الثاني ، الذي هـو احتجاز السجين فـقد اضيف الى اهداف السجن لما اصبحت مصادرة الملكية جـزاء مـن العقوبـة ، واصبح

بالامكان ، احتجاز السجين الى ان يدفع الغرامة او التعويض المفروض عليه . وما يزال لهذا الغرض مفعوله في بريطانيا . حيث يخلى سبيل الاشخاص الذين تم حبسهم لعدم دفع الغرامات المترتبة عليهم او الديون المطلوبة منهم . اجل يخلى سبيلهم عند تأدية ما يطلب منهم سواء كان غرامة او دينا .



كما يخلى سبيل من حقر المحكمة اذا قام بالتكفير عن زلته . والجدير بالملاحظة ، ان قانون الاجراء الاردني ، لا يستثني هذا الهدف من اهداف السجن ، حيث اقر مبدأ السجن التضييقي لاجبار المدين المقتدر على دفع الديون المستحقة عليه .

وللدائن الحق ، في طلب الافراج عن مدينه المحبوس ، في حالة دفعه للدين كاملا او في حالة قبول الدائن مبدأ التسوية ، اي دفع الدين اقساطا .



كما ان الغرض الاول الذي هو الحراسة والمحافظة على السجين يعتبرها المشرع الاردني هدفا من اهداف مؤسسة السجن . اذ يحتفظ في داخل السجن، او في قسم منه بالموقوفين انتظارا لانتهاء محاكمتهم وليس بخاف ان الاحتفاظ بالموقوف المتهم بجريمة قتل ، فيه مصلحة للمتهم نفسه وللمجتمع ، لان ايداعه السجن محافظة على حياته من طالبي الثأر . من اهل القتيل ، ومن الناحية الثانية، يحال بينه وبين التأثير في مجرى التحقيق والمحاكمة .

اما الغرض الاصلاحي ، فقد اضيف الى اهداف السجن ، عندما اصبحت مصادرة الملكية جزءا من العقاب ، ولا يزال هذا الهدف مرعي الجانب الى الان في بريطانيا ، كما اشرنا الى ذلك قبيل هذا .



وكانت دراسة (بكاريا) BACCARIA عن الجريمة والعقاب ، هي حجر الزاوية في العلم الجنائي ، حيث ان دراسته كانت ترتكز على المبدأ القائل :

« ان مؤيد العقوبة القانونية ، هو حماية المجتمع ، ومنع الجريمة » .

وبالتالي فان (بكاريا) خلص من دراسته الى نتيجة لا مفر منها وهي ، ان عقوبة الاعدام ، ليست فقط تدبيرا خاطئا وانما هي تدبير فاشل لا فائدة منه في الوقت نفسه .

وقد قام السير (وليم بلاكستون) بالدفاع عن مبدأ اصلاح السجون لان السجون قبل ذلك كانت مباءات لانشاء الجريمة ، او مساعدة على تأصيلها في النفوس . وطالب بالتعقل في استعمال عقوبة الاعدام .

لكن في نهاية القرن الثامن عشر ، كانت الجرائم الكبرى قد ازدادت بنسبة ٢٠٠٪ الى ما كانت عليه في القرن السادس عشر والسابع عشر .

ولما كانت حالة السجون في تلك الفترة قد بلغت من السوء حدا اثار الضمير العالمي قام (هوارد) ** بوضع دراسة حاول فيها اثبات فاعلية السجن كاداة للعقاب ، فنادى (بكاريا) بضرورة جعل السجون صحية ، وآمنة ، وان السجان يجب ان يكون خادما للعدالة ، ومن اجل ازالة التدمير المادي والمعنوي الذي كان يلحق بالسجناء في تلك الزرائب ، التي يزج بها الذين ساء حظهم ، طالب بايجاد غرف في السجون ، وانه يجب ان يقوم السجين بعمل ، في مشاغل صحية ويحافظ على شعائر دينه ، ايقاظا لضميره ، ليعود الى المجتمع انسانا سوي الانسانية .



كان هذا في اواخر القرن الثامن عشر وعلى التحديد سنة ١٧٧٧ ، اما في البلاد العربية فقد قام الامام (علي بن ابي طالب) (ع) في فجر الاسلام ، ينادي بضرورة الاحتفاظ بانسانية السجين وبكرامته ، وطالب ونفذ ما طالب به ، وقلده

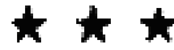
** جون هوارد هو رجل بريطاني ، انساني النزعة ، ومصلح للسجون ، ولد في هنكي في لندن، ربما في ٢ ايلول ، ورث عن ابيه املاكا طائلة ، وقد قرر الرحلة وفي طريقه الى البرتغال سنة ١٧٥٤ نهب قرصان فرنسي مركبه الى مدينة برنس وعومل اخشن معاملة وحشية وقد سمح له ان يعود الى بريطانيا لقاء فدية وعد بشرفه ان يسددها . دخل عضوا في الجمعية الملكية سنة ١٧٥٦ صار الشريف الاعلى لبدفورد واخذ يزور السجون فوجد السجون في بلاده ككل السجون في ذلك الزمان ، رديئة بشكل رهيب ، وكان السجان ومعاونوه يتقاضون خوة من السجناء ، ويلاحظ ان هناك مساجين بلا سبب ، وسبب اطالة سجنهم انهم غير قادرين على دفع المال الذي يطلبه السجان منهم فطالب باعطاء راتب للسجان فتحدوه ان يجد بلادا تدفع اجورا للسجان فلم يجد وفي سنة ١٧٧٤ اعطى شهادة امام لجنة من البرلمان سن بموجبها قانون يصرف بموجبه راتب للسجان .

خصومه ، اذ فرض للسجين نظافة المكان ونظافة الجسم وكسوة في الصيف وكسوة في الشتاء ومساعدة اسرته ، لانها لم تشركه في الجريمة ، وفرض للسجين مالا يحتفظ بجزء منه يوم خروجه ، من السجن ليمكنه من رد اعتباره الاجتماعي؛ لانه اعتبر السجين اخا لنا مرض ، ومن واجبنا علاجه • (١)

لقد تبنت القوانين البارزة في اواخر القرن الثامن عشر ، نظرية (هوارد) لكن عددا من القضاة تابع حكومته ، وطالبها بما ذكرته القوانين لبناء السجون وتحويلها من زرائب لا يليق ان تأوي اليها الخنافس ، الى اماكن تشعر من يحل فيها ، انه لم يطلق انسانيته الى الابد •

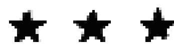


ومع ابتداء القرن التاسع عشر ، وازدياد الجرائم ، زاد عدد السجون الصحية وفي اواخر العقد الثاني من القرن التاسع عشر قامت (اليزيبث فراي) بتأليف جمعيات نسائية لتثبيت نظرية (هورد) وتأكيد امكانية اصلاح المجرمين، واعادتهم الى المجتمع اعضاء يصلحون لممارسة نشاطاتهم الخيرة فيه •



وفي ما بين سنة ١٧٧٥ وسنة ١٧٨٧ كانت العقوبات التي لا تستوجب الاعدام ، يعاقب عليها بالنفي عن الاوطان ، فكانت تقوم الدول الاوروبية ــ وعلى الاخص بريطانية ــ بتصدير الجانحين الى الديار الاميركية ، لكن اميركة سدت الطريق في وجه هذه الدول بعد ثورتها المعروفة ، ولم تعد تسمح للدول الاوروبية ــ وعلى رأسها بريطانية ــ ان تجعل من بلادها مستودعا للمجرمين والجانحين •

فتحولت الحكومة البريطانية الى استراليا ترسلهم اليها ، وكانت عقوبة النفي مصحوبة بالاشغال الشاقة بمعناها الواسع ، ومفهومها الدقيق •



---

١ ــ كتاب الخراج طبعة المطبعة السلفية ص ١٤٩ ــ ١٥٠ وقد عرضت على طبعة بولاق المطبوعة سنة ١٣٠٢ اعتمدت مخطوطة الجزائر التيمورية رقم ٦٧٤ •

٢ ــ كلمة للعزيزي في ذكرى مولد الامام علي منشورة في مجلة الايمان •

وظل الحال يسير على ما رسم له الارتجال ، الى ان جاء (جرمي بنثم) الذي حاول ان يجعل افكار (بكاريا) و (هوارد) واقعا عمليا ، فنجح في ابتداء عمله، باقامة اول سجن تنتفي عنه صورة الارهاق في العمل الشاق . وتظهر فيه مكانها صورة لما ينتجه العمل .

لكن يبدو ان البشرية لا تقبل الافكار الانسانية بسهولة ، على الرغم من لمسها النتائج الطيبة باليد ، فاستغني عن فكرة (جرمي بنثم) في سنة ١٨١٦ . وبقيت حالة السجون في هذه الفترة وكل القرن التاسع عشر تتأرجح بين نظرية (هوارد) و (بكاريا) و (جرمي بنثم) و (فراي) المجددة المصلحة ، وبين الافكار التقليدية ، التي ترى ان السجين مخلوق لا يستحق الا ان يصب عليه سوط عذاب ، هو وكل الذين هو مسؤول عن اعالتهم ، غير ناظر اصحاب هذه الافكار الى النتائج الاجتماعية الخطرة التي تترتب على افكارهم واعمالهم تلك .



الى ان جاء القرن العشرون ، حيث تطورت الافكار المحافظة التقليدية ، وحلت محلها فكرة متطورة انسانية ، تدعو الى رعاية الانسان ومحاولة تجنيبه الظروف التي تقوده الى الجريمة ، فانخفض عدد الجرائم التي تستوجب عقوبة الاعدام ، وحصرت في :

أ ـ الخيانة العظمى .

ب ـ والقتل الذي تصحبه كل اركان الجرائم الكبرى وعناصرها .

ج ـ والقرصنة .

د ـ واحراق الموانىء .



وبذلك نرى ان مؤسسة السجن لاهدافها المعروفة في ايامنا ، لم تظهر بشكلها الصحيح ، الا بعد الحرب الكونية الاولى .

اما بالنسبة الى القرن التاسع عشر ، من اوله الى اخره ، فان مؤسسة السجن لم تكن تعتبر مؤسسة قانونا .

وتوالت الاصلاحات على انظمة السجون الاصلاحية ، وقد ثبتت المبادىء الاصلاحية التي تعتبر السجن مؤسسة تقود خطى السجين الى الحرية ، والى العود به الى الحياة الكريمة ، قوانين اسوج وايطالية واليونان ، التي نصت على ان السجن مؤسسة اصلاح لزواره ، لا مركز تدمير لشخصياتهم المعنوية •



وقد عقدت مؤتمرات عديدة ، غرضها اصلاح السجون في (لندن) و (براغ) و (برلين) ما بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٥ ، فخرجت هذه المؤتمرات بقواعد ثابتة توحي بمستوى ادنى لمعاملة السجناء وقد كان مجرد التوصية بذلك نصرا للانسانية كبيرا • وقد تبنت عصبة الامم تلك القواعد والتوصيات • وقامت الرابطة الدولية للجزاء والمعاقبة سنة ١٩٤٦ ، باعادة النظر في القواعد الاساسية التي تبنتها عصبة الامم •



وقد تبنى المؤتمر الدولي الذي عقد في (هيج) سنة ١٩٥٠ تبني تلك المبادىء وقامت هيئة الامم المتحدة بمتابعة هذه الحركة ، فتم لها تطوير السجون بعد مؤتمر (جنيف) سنة ١٩٥٥ حيث وافقت معظم الدول على اعتبار الغرض الاساسي من السجن هو الاصلاح ، مع دراسة فردية لحالة كل سجين واخلاقه واحتياجاته على انفراد •

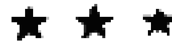


وسبق مؤتمر (جنيف) مؤتمر (بروكسل) سنة ١٩٥٠ قامت فيه هيئة الامم بدراسة تطوير المسؤولين عن السجن وموظفي السجون ، بحيث اصبح السجن يضم نفسانيين ، وعاملين اجتماعيين ومدرسين ومدربين مهنيين ، وتأكدت القاعدة في هذا المؤتمر • للانتقاء العقلي في تصنيف السجناء علميا ومهنيا وقد اعتبر مبدأ السجن المفتوح ، الذي تم تطويره في الولايات المتحدة ، بالاشتراك مع بريطانية والدول الاسكندنافية ، اعتبر مساهمة فعالة في اعادة الاعتبار الاجتماعي للسجين ، وازداد استخدام علم النفس لتحليل حالة السجناء •



وليس يخاف انه قد ازداد عدد السجناء والمجرمين ، بحيث تضاعف عدد السجناء عما كان عليه قبل الحرب الكونية الثانية .

فادخل في السجن وسائل ترفيه ، ومعاهد تدريب مهني وعلمي ، وقامت وزارات التربية والتعليم في بعض الدول بادخال برامج تعليمية في السجن .



ان اغلب الدول الاوروبية قد تبنت النظريات التقدمية الخاصة بتطوير السجون لكن دولا من اعضاء هيئة الامم ما زالت سجونها من الناحية العملية زرائب ، ووسائل تدمير جسماني ونفسي ، تخرج ناقمين على المجتمع الانساني منحرفين اخلاقيا ، وكثيرا ما يخرجون من سجونهم ومعتقلاتهم اشباه مجانين .

وما زال الحبس الافرادي متبعا في بعض الدول ، ذاك السجن الذي فرضه الخليفة عمر بن الخطاب على المجرم المشهور (عارم) وعرف في التاريخ بسجين (عارم) ونحن ندعوه الزنزانة .



وما زالت بعض السجون في البلاد العربية تعيش في ابنيتها ، وفي القائمين عليها ، في عهود ما قبل الاصلاح الذي عرفته الدنيا واقرته . فامست تلك السجون من اهم الوسائل لهدم انسانية السجين وكرامته وكأن المسؤولية في تلك الديار من اهل الكهف ، وكأن تلك البلاد تنتظر عودة (الامام علي) (ع) من جديد ، او تتوقع (بكاريا) و (جرمي بنثم) جديدين ، ليوجهوا انتباه هذه الدول الى ان القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر قد وليا الى غير رجعة . وان السجين ، امانة في عنق الانسانية وانه اخ لنا مرض يجب علاجه .



ولا بد من الاعتراف ان تطوير السجن بموجب القانون لا يكفي ، ان لم يكن السجانون من ذوي الاختصاص والضمائر الحية ، فاصلاح السجن لا يتوقف عند بناء المراحيض ، ولا عند تنظيف السجن ولا عند تقديم السرير للسجين ، والعناية بطعامه وشرابه ، بل يجب ان يكون الاصلاح اعمق من ذلك .



فتجب دراسة السجناء كلا على انفراد ، ويجب ان يحدد السجناء بمجموعات ، يحافظ على هذه المجموعات فئات مستقلة عن غيرها ، ومعاملة كل فئة معاملة خاصة مناسبة لاستعدادها الجسمي والعقلي . لان وضع حدث استعمل سيارة غيره ليذهب بها نزهة قصيرة ثم اعادها مع محكوم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة نتيجة لارتكابه عشرات الجرائم التي وحدت في حكم واحد ، ان وضع هذا الحدث في تلك الزريبة يؤدي احدى نتيجتين عكسيتين :

آ ـ احداها ، افساد هذا الحدث وتدميره تدميرا نهائيا تاما ، في روحه وفي جسمه وجعله زميلا مجرما مدى الحياة .

ب ـ والثانية ، ـ وهي نتيجة مشكوك فيها كثيرا ـ اصلاحه ، بسبب تقززه من المجرمين المحترفين ، والنتيجة الاولى هي الاكثر احتمالا .

وهذا الاسلوب يذكرنا باسلوب الحجاج ، الذي اشاع الفساد والذلة في نفس سجنائه وزرع الجريمة في دماء الذين نجوا من القتل بيده وبيد زبانيته او الموت صبرا .

اذ كان يسجن النساء والرجال في سجن واحدة ليذل المرأة التي تنجو من الموت ، ويحولها على الرغم منها بغيا .

فلنحاول اصلاح سجوننا على اعتبار ان السجناء اخوان لنا مرضوا لان الخبرة دلت على ان المعالجة العقابية المبنية على اساس الايذاء والاذلال والاحتقار ، لم تحسن سلوك السجناء وعلى النقيض فانها جعلتهم اسوأ مما كانوا قبل ان تشتمل عليهم جدران السجن .

والحقيقة التي لا بد من التصريح بها ، هي ان ما وصلت اليه الانسانية في ادوارها لا يعدل التقدم الذي وصلت اليه في الاثنين والسبعين سنة الاخيرة ولا سيما في اقرار الاعلان العالمي لحقوق الانسان اذ ان الغرب اخذ ينظر الى السجن والسجناء نظرة فيها كثير من التطور الانساني ، فقد دخلت وسائل الترفيه والتعليم والنظافة والاشراف الصحي الى السجون بدرجة مذهلة ، وقد اخذ القضاة في الولايات المتحدة يقسطون السجن على السجناء العاديين بحيث لا يتعارض السجن مع طريقة اكتساب عيشهم .

وفي البرازيل يستغني السجناء عن الرقابة فيقوم بينهم مـن يحاكم المخالفين من السجناء ، ويرعاهم وليس للسجان الا تنفيذ ما يأمر به القانون ، وليس بعيدا ان يسمح للسجناء بالمساعدة في حالة يشب فيها حريق بالقرب من سجنهم ومن ثم يعودون الى السجن •

كما ان هناك مطالبات بالسماح للنساء ان يـزرن ازواجهـن المساجين في خلوات خاصة في اوقات معلومات من الشهر صونا لهن من الانحراف وصونا لهم من الالتواء العاطفي والجنسي ، كما ان هناك الاطباء مختصين لفحص السجناء ، كلا في دائرة اختصاصه ، لفرز ذوي الامراض العقلية الذين تأصلت فيهم الجريمة مرضيا عن بقية المساجين ، وهذا يحمي المجتمع من جرائم الذين اصبحت الجريمة طبيعة فيهم ، فاذا شملهم العفو يظلون تحت المراقبة الشديدة •

واذا انتقلنا الى الاعلان العالمي لحقوق الانـسان رأينـا المادة الخامسة مـن هذا الاعلان العظيم تقول :

لا ينزل التعذيب باحد ، ولا يعامل احد او يعاقب بشكل شرس او وحشي او محط بالكرامة •

والمادة التاسعة تقول : لا توضع اليد على احد ولا يعتقل ولا ينفى تعسفا •

والمادة العاشرة تقول : لكل انسان الحق ، على قدم المساواة التامـة في ان ينظر في قضيته بانصاف وبعلانية ، محكمة طليقة الرأي ، نزيهة الغرض ، فتـقطع في الحقوق التي له ، والواجبات التي عليه ، وفي صحة اية تهمة جنائية يرمى بها •

والمادة الحادية عشرة تنص على ما يلي :

١ ـــ لكل متهم بجرم الحق في ان تفرض براءته حتى يثبت جرمه قانونا في محاكمة علنية تؤمن له فيها جميع الضمانات الضرورية للمدافعة عن نفسه •

٢ ـــ لا يدان احد في عمل قام به او امتنع عنه ما لم يكن ذلك ، عند حصوله جرما في عرف القانون الوطني او الدولي ، لذلك لا يحكم على احد بعقوبة اشد من التي كانت تنطبق عليه عند حصول الجرم •

المادة الثانية عشرة : لا تجوز المداخلة تعسفا في حياة احد الخاصة ولا فـي

امر عائلته ، او بيته او مراسلاته ، ولا يجوز التهجم على شرفه وسمعته ، ولكل انسان الحق في ان يحميه القانون من مثل تلك المداخلة او هذا التهجم .

والمادة السادسة عشرة تقول :

١ ــ للرجل والمرأة وقد اوفيا على البلوغ ، الحق في ان يقترنا في الزواج وان ينشأ لهما عيلة دون ان يقيد من هذا الحق اي قيد يمت الى العرق او الجنسية او الدين ولها الحق في اقامة الزواج او في مدة قيامه ، وعند انقطاعة حقوقهما بها على حد سواء .

٢ ــ لا يعقد الزواج الا بقبول حر تام من طالبيه .

هذه لمحات اردت ان اثير فيها افكارا وخواطر لعلها تجلسو جوانب تطور مفهوم الجريمة والعقاب .

اسئلة بعد المحاضرة

س ١ ــ من كان بكاريا وما جنسيته وفي اي زمن عاش ؟

هو (سيزلر بكاريا) ايطالي الجنسية ، ينتمي الى اسرة نبيلة من (ميلانو) ولد في ١٥ آذار سنة ١٧٣٨ وتوفي سنة ١٧٩٤ ، قرأ مؤلفات (مونتسكيو) الفرنسي ، فاوحت اليه فكرة الاصلاح الذي ينطبق على العدالة .

كان متخصصا بعلم الجرائم وعلم الاقتصاد نشر كتابه الحقوقي سنة ١٧٦٤ .

س ٢ ــ من هو (هوارد) ؟

جون (هوارد) بريطاني الجنسية ولد في (هنكي) بلندن سنة ١٧٢٦ وتوفي سنة ١٧٩٠ كان انساني النزعة ومصلحا للسجون ورث عن ابيه املاكا طائلة ، وقد قرر الرحلة ، وفي طريقه الى البرتغال نهب قرصان فرنسي مركبه وابحر به الى مدينة برنس الفرنسية وعومل هناك اخشن معاملة وحشية . وقد سمح له ان يعود الى بريطانيا لقاء فدية وعد بشرفه ان يؤديها . انتخب عضوا في الجمعية الملكية سنة ١٧٥٦ وصار الشريف الاعلى لـ (بدفورد) سنة ١٩٥٧ واخذ يزور السجون في ذلك الزمن ، فوجد السجون في بلاده ككل السجون في ذلك الزمن، رديئة بشكل رهيب ، لان السجان ومعاونيه كانوا يتقاضون من السجناء خوة ، ولاحظ ان هناك مساجين بلا سبب ، وقد طالت مدة سجنهم لانهم غير قادرين على

دفع المال الذي يطلبه منهم السجان ، فطالب (جون هوارد) ان يعطي السجان راتبا ، فسخر منه اصحاب السلطة ، وتحدوه ان يجد بلادا تدفع اجورا للسجانين فلم يجد وفي سنة ١٧٧٤ ادى شهادة في حضرة لجنة من البرلمان سن قانون تقرر بموجبه صرف راتب للسجان .

س ٣ ــ من كان وليم بلاكستون ؟

وليم بلاكستون رجل بريطاني الجنسية ولد في ١٠ تموز سنة ١٧٢٣ وتوفي في ١٤ شباط سنة ١٧٨٠ ؛ توفي والده قبل ان يرى النور ، ولما بلغ الخامسة عشرة دخل اوكسفورد فنال شهادة الحقوق بمرتبة شرف ، فلما اراد ان يمارس المحاماة اخفق ، محاميا فتابع دراسة الحقوق فنال الدكتوراه في الحقوق واصبح استاذا للحقوق في الجامعة التي تخرج منها .

الف كتابه البارع (التعليقات) فاشتهر بسببه جدا في كل الدنيا ــ الا في بريطانيا ــ وكان كتابه هذا اصلا لكل القوانين في اميركة .

تزوج وعمره ثمان وثلاثون سنة ، عين مسؤولا عن المطبعة في اكسفورد فحسنها ، عين قاضيا فمستشارا حقوقيا للملكة اليزابيث سنة ١٧٦٣ ، منح لقب سير . درس :

١ ــ الادب .

٢ ــ الهندسة : هندسة الريازة وكتب اطروحتها لكنه بعد نيل شهادة الهندسة تحول الى الحقوق لانه رأى في الحقوق خدمة عامة .

تسلم عدة مناصب عالية في جامعات كثيرة استاذا للحقوق .

يذكر جرمي بنثم ان بلاكستون كان دقيقا جدا ، ويتهكم على دقته قائلا ، ان احد طلابه جاء مرة متأخرا فعنفه بلاكستون ، ثم اندفع نحوه ليمسكه ، فهرب الطالب من وجهه واخذ بلاكستون يدور خلفه ، فغافل بلاكستون وجلس في مكان لم يستطع بلاكستون ان يميزه فيه من بقية الطلاب، ولشدة نقمته على هذا الطالب مزق اوراق الامتحان ، وارغم الطلاب كلهم على اعادة الامتحان انتقاما من الطالب المتأخر .

قال جرمي بنثم على بلاكستون « ان كتابه التعليقات كان توراة المحامين ،

لكنه كان يشتري ولا يقرأ كالتوراة التي لا يخلو منها بيت » .

قال جرمي بنثم الناقد المر ان بلاكستون ما كان يتذبذب او يتلون ، وهو اول من جعل القانون ينطق بكلام العلماء المهذبين ، واكسب علم القانون شكلا وجاذبية ، وطهر القانون من غبار الرتابة المكتبية ، والبس القانون مظهرا لائقا !

س ٤ ـ من هي اليزابيث فراي ؟

هي بريطانية الجنسية ولدت سنة ١٧٨٠ وتوفيت سنة ١٨٤٥ ، قضت عمرها وهي تسعى الى تحسين حياة السجناء ، وخاصة سجن (نيوجيت) للنساء قامت بتعليم السجناء ، وكانت تقرأ لهم التوراة .

كانت تؤمن ان الدين هو السبيل الى اصلاح السجناء وتغيير طباعهم .

كانت اما لاثني عشر طفلا في اسرة (جيرنـي) وكانت اسرة ناجحة كان اخواها (سامبول) و (دانيال) من الاثرياء ، وكانا يشتغلان في اعمال البنوك ، وهما المؤسسان لبنك باركليز .

ابتدأت بزيارة سجن (نيوجيت) في سنة ١٨١٧ وهي في السابعة والثلاثين من العمر ، بعد ان وضعت الحرب النابوليونية اوزارها مباشرة ، لان الجرائم زادت والسجون امتلأت وهذا امر طبيعي بعد كل حرب ، فلم تكن السجون كافية لاستيعاب السجناء ، وكانت معاملتهم رديئة اما طعامهم فلا يمكن وصف رداءته .

كان السجناء يجلدون بلا سبب يقيدون بالسلاسل وكانوا يحبسون في سجون انفرادية تحت الارض وكان الكثيرون يرسلون على سفن الى استراليا .

ولما زارت سجن (ويكفيلد) وجدت السجن المخصص لمائة وعشرة سجناء يشتمل على الف وستمائة وسجينين (١٦٠٢) من الرجال و٢٧٨ من النساء .

وضعت النظم التالية لسجون النساء فرضت :

١ ـ تعيين مديرة لادارة شؤون النساء .

٢ ـ فرضت ان تعمل السجينات في الخياطة والتطريز وغيرها من اعمال النساء .

٣ ـ منعت الاستجداء ، الشجار ، السباب ، والقمار ، واستعمال الالفاظ البذيئة .

٤ ــ فرضت ان يعين من السجينات مشرفة ترافقهن لمقابلات الاصدقاء والتأكد من توفير متطلبات السجن •

٥ ــ فرضت تقسيم النساء الى صفوف لا يزيد عدد كل صف على اثنتي عشرة سجينة يعين لكل صف عريفه •

٦ ــ تكون العريفة او العريف احسن السجناء خلقا في ذلك الصف او المجموعة ، واذا خالفت العريفة او العريف النظام فصلا من العرافة ويجب ان يعرف العريف والعريفة القراءة والكتابة •

٧ ــ العرفاء مسؤولون عن التصرفات للسجناء في صفوفهم وعليهم اخبار العرفاء الاخرين عن اي تصرف غير لائق من الصفوف الاخرى •

٨ ــ اي عريف يخالف الاوامر يعفى من منصبه ويعين من يليه في الثقة •

٩ ــ يتأكد العرفاء من نظافة ايدي ووجوه السجينات عند مجيئهن الى العمل •

١٠ ــ يقرع الجرس للصلاة في التاسعة صباحا ويقرأ الكتاب المقدس من قبل مديرة السجن او احد الزائرين •

١١ ــ في الساعة السادسة مساء تجمع السجينات للصلاة مرة اخرى •

١٢ ــ مديرة السجن تحتفظ بسجل لاعمال السجينات وسلوكهن •

بمساعيها حولت سجن نيوجيت الى سجن مثالي •

وتدخلت الى ان تمكنت من تعيين طبيب لكي تعينه لسجن السجناء الى استراليا للتأكد ان السجناء يتناولون الطعام الكافي •

وكانت قد شكلت جمعية من نساء المجتمع للعمل على تحسين حالة السجينات وجلب الطعام والكساء لهن وكانت النساء قد جمعت في سنة ١٨٢٨ مبلغ ٢٠٠٠ جنيه صرفت على السجينات قبل ان تعين الحكومة بدل اتعاب للسجينات •

س ٥ ــ من كان جرمي بنثم ؟

ولد في ١٥ ـ ٢ ـ ١٧٤٨ في لندن وتوفي في ٦ ـ ٦ ـ ١٨٣٢ ٠

والده كان محاميا ، كان اليعقوبيون يعطفون عليه وكان جده يتعاطى بيع العقار وكان من المثرين ٠

دخل جرمي مدرسة وستمنسر وهو في السابعة من العمر ٠

ودخل جامعة اكسفورد في الثانية عشرة من عمره ٠

ودخل مدرسة الحقوق في الخامسة عشرة ٠

ودعي للبار « اي سمح له بالمرافعة » في سن الحادية والعشرين ٠

عند انتهائه من دراسته الحقوق لم يمارس المهنة بل بدأ دراسته لما يوجد في القانون من شوائب وفي العشرين قرر ان يوجد اسسا علمية للقانون والتشريع ٠

ونشر في سنة ١٧٧٦ رسالته الاولى « عجالة عن الدولة » وفي سنة ١٧٨٥ ذهب الى روسيا لزيارة اخيه الذي كان مستشارا للحكومة آنذاك لانشاء مستعمرة صناعية في اوكيراتب وكتب وهو في زيارته تلك كتابه عن الاقتصاد السياسي ٠ وعاد الى انكلترا سنة ١٧٨٨ وكان قد ظهر كتابه PANOPTICOW او بيت التفتيش ـ اي السجن ـ وقد طالب الحكومة بانشاء ذلك لغاية سنة ١٨١١ وبالرغم من موافقة البرلمان على ذلك سنة ١٧٩٤ اهمل الاقتراح ٠ فقام بمطالبة الحكومة عام ١٨٢٠ ـ ١٨٢١ وحصل على تعويض مقداره ٢٣٫٠٠٠ جنيه استرليني ٠

كان احد مؤسسي جامعة لندن وفي سنة ١٨٢٨ كتب للخديوي محمد علي ان الجدوى الاقتصادية لقناة السويس عظيمة وكان يترأس مع داتيال اوكونول عن مستقبل ايرلندة ٠ اسس مجلة ويستمنستر رفيو ٠

بعد وفاته قام من تبع مدرسته وهم ملز ، اوستن بين ، وسلرجويك وكان مهتما في البرلمان ٠

عمان ـ الاردن

روكس العزيزي

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان

احد اعضاء جمعية رعاية السجناء في الاردن

مع المتنبي

الأهــل والحنين

بقلم : محمد شرارة

من اي افق يطرح الشاعر نفسه في هذه المرة . ومن اي ازمــة يطــل على الوجود ؟ لم يخرج من المعمعة خروج الظافر . ولكنه لم يقع في الاسر ، ولا جر ذيول الهزيمة . لقد بقي نارا ، ولكنها نار يطاردها المطر ، وبقي لوحــة فنيــة . ولكنها لوحة يجري وراءها الضباب الاسود . وقــد حاول الضباب ان يلفه او يطويه تحت التراكم المتكاثف . ولكنه بقي برقــا في تراكم الضباب كمــا بــقي ناقوسا يدق في هدوء المقابر الموحشة ، وفي ظلمة الليل الذي يصب السكون على الربوع النائمة .

والناقوس الذي يدق في الربوع الغافية ناقوس ضائع يقــترب رنينه مــن الاصوات الخافتة ، ومن اللهاث الاخير في حركة الحياة .

لقد غادر المدينة التي تفتحت فيها البراعم وضاعت الينابيــع . ومــا كــاد يغادرها وينتقل منها حتى رأي العالم فارغا والدنيا سرابــا . ولكن اللحظة التي فقد فيها العالم كانت لحظة الميلاد الجديد ، او اللحظة التي تغلغلت فيهــا التجربة وانسابت الى الاعماق المظلمة ، والى الزوايا الخفية القابعة في ابعد الدهاليز .

كانت الرؤية الاولى رؤيــة الشباب الموشاة بالالوان التــي تحملها فراشة الحدائق الجميلة . والشباب ربيع تــتحرك فيه العواطف المختلفة كما تــتحرك اسراب الطيور السكارى في الفضاء الضاحك ومن هذا الربيع كانت هذه الرؤيا :

ان اكن معجبا فعجب عجيب لا يرى فوق نفسه مــن مزيد

وعندما تلوح النفس بهذا الحجم يتضاءل العالم ، ويتحول الــى مادة رخوة خاضعة للاشكال التي يريدها الرائي .

هذه الرؤيا قائمة على الايمان المطلق بالنفس ، ومهمــا تكــن الخلفية التي

تمدها بالشعاع فالذي لا ريب فيه انها تشير الى المصير ، وتلقي ضوءا كشافا على الغد الذي يتراءى من خلالها وكأنه القمقم الذي يتصاعد من فوهته الدخان ، وفي بعض الاحيان تنتهي القصة من البداية •• اي ان السطور الاولى تحمـل النهاية وتسحبها من المستقبل البعيد الى الحاضر الراهن •

الفكرة التي ينطوي عليها البيت واضحة •• انها التعالي الى المستوى الذي يتراءى فيه الشاعر وكانه آله جالس على العرش لا شاعر يوشي الحياة بالخيوط الجميلة • وماذا ينتظر الانسان اذا ظلت تخامره مثل هذه الرؤيا ؟

شيء مهم ان تكون عظيما ، وان تكون في مركـز القيـادة الفكرية ولكن الاهم من ذلك ان تكون الرؤيا مشتركة بينك وبين الناس ، او ان يكون ايمـان الناس بعظمتك متساويا ، ولو في الحد الادنى ، مـع ايمانك بنفسك ، والا كنت كمن ينادي الصخور ، او يضرب في حديد بارد ، او يحرك الاوتاد بحنين النسيم •

نحن لا نشك في قيمة الشاعر وقدرته الفنية ومكانته الفكرية وحيويته التي صاغته صياغة فريدة في عالم الابداع الفني • وايماننا بطاقته الخلاقـة في الشعر العربي يقترب من ايمان ايون بابداع هومير في الشعر اليونانـي ولكننا لا نسير معه الى هذا الحد في مشاركة الرؤيا ولا نقر مثل هذه الخيلاء •

ومثل هذه الرؤيا لا تستطيع ان تفرض وجودهـا • ولا يلبث صاحبهـا ان يجد نفسه في غابة مهجورة • انها رؤيا مستمدة مـن ريش الطاووس وألوانـه ، والفجوة بينها وبين الواقع واسعة وعميقة • واذا استمر العمق والسعة تناهى ذلك الى الوحدة ، والوحدة تنتهي الى الحياة بين الاشباح • وعندئذ يبدأ الحنين الى الماضي الجميل ، والى الذكرى التي تسد الفراغ وتطمئن الفزع الرهيب • وقـد استطاعت حلب ان تروض تلك الخيلاء وان تخفف شيئا مـن فورانها المتطرف • والشعر الذي ابدعته ، او اسهمت في ابداعه كان شعرا معافى ، وكان على جانب كبير من الصحة والحيوية والانطلاقة الرائعة والتصوير الواعي ، كما كان قليـل الشكوى والتذمر •

كانت حلب الهة الجمال والحكمة تلتقي في ربوعهـا فينوس واثينـا ، فاذا تعالت فينوس وحومت في سماء الغرور تطلعت اثينـا واشارت بعينيهـا الرائيتين

الوديعتين الى الجمال الصاعد وأعادته الــى البيت الجميــل والـسهول الخضر ، والمنازل المتواضعة .

وقد عاش الشاعر هذه الفترة بين الجمال والحكمة . ووجد في ذلك اشباعا لروحه وعواطفه وفكره ، ولذلك نجد في حياته شيئا من الطمأنينة المقرونة بالسعادة او بما يشبه السعادة ، ولا نجد في ذلك الشعر اي تلفت او ذكــرى تشد صاحبه الى اهله واحبابه . فلما وقعت الواقعة بينه وبين حلب بدأ الفراغ . وبدأت ولادة جديدة وبدأ العالم يأخذ الوان الغروب وموسيقى الجنائز .

قد يكون الحزن اشد أصالة في الحياة وأبعد اعماقا من السرور لان الالـم لا يزال اقوى من الامل ، والاخذ اكثر من العطاء :

ابدا تسترد ما تهب الدنيــا   فيا ليت جودها كــان بخــلا

وقد لاحظ ابن الرومي ، وهو مــن ارهف الشعراء حسا واقواهم التقاطا ، ان اللحظة الهانئة تحمل ، وهي تذوب في تيار الزمن ، غشاءا حزينا يغطي الوهج الاول الذي حمله اللقاء . وقد أحس لامرتين هذا الاحساس نفسه في البحيرة . وفي ضوء الحس الخائف من تلاشي الثواني السعيدة ، هتف هتاف الهلع بالافلاك وطلب منها ان توقف دورانها حتى تكون لحظة اللقاء وعاء الازلية الذي لا يعرف التلاشي والذوبان .

ولذلك كان التعبير عن الوجود الحزين من ادق الاشكال الواقعية واعمقها صدقا . انه يحمل يد الجراح في التعرية ، وعين الهدهد في الرؤية . ثــم يصوغ ما يعريه ويراه صياغة امينة يلتقي فيها التاريخ بالفن ، ويتعانـقان كمــا تتعانق الاشواق المتلاقية بعد رحيل طويل .

وحالة العذاب التي يعانيها الشاعر في هذه المرحلة هي الحالة الاصيلة . وكل ما عداها تظاهر ان لم يكن رياء واصطناعا . لــقد جاء الى مصر وحاول ان يبلع آلامه ولكن الآلام كانت اكبر من الافواه . والجروح اوسع مــن ان تمتد لهــا الخيوط التي تحاول شدها في مواجهة التزيف .

في هذه الحالة كان الحنين الذي يشير الــى الفراغ الكبير ، وكانت لوعــة الذكرى ، وبدأت اطلالة الاهل في القصائد الجديدة :

احن الى اهلي واهوى لقاءهم وأين مـن المشتاق عنقاء مغـرب

والحنين هنا مولود أصيل بدأ بالنمو منذ بدأت الفجـوة في حلب واخـذ بالتكامل حتى تمت ولادته تتمة طبيعية • اما ما جاء بعد ذلك :

فان لم يكن الا ابو المسك اوهم فانك احلـى في فؤادي واعذب

فلا يتعدى الاكذوبة المتداعية التي تحمل برودة الموت في كـل وجـه من وجوهها الباهتة • ولو لم يأت بعد ذلك ما يسنـد هـذه النظـرة لكان هـذا ـ الشحوب ـ الذي ينطوي عليه البيت كافيا في الدلالة عـلى ان ـ الحنين ـ هو الاصيل ، وان الشعور بالحاجة الى الانقاذ من هذا الجو الاسود تعالى فوق كل شيء •

لم يعد الاهل هنا اهلا بالمعنى المألوف ، وانما هم زوارق النجـاة فالسفينة اصطدمت بالجليد ، واخذت تترنح بين الامـواج وتـرقص رقصة المذبـوح ، والشاطيء بعيد • اما الشوق الثائر فلم يكن سوى صوت حزيـن مـن اصوات الاستغاثة الشاعرة برهبة الفراغ •

هذا الشكل الهاديء من اشكال الحنين لم يدم كثيرا ، ولـم يكن سوى الايماءة الاولى الى صيحة اكبر :

بم التعلل لا اهل ولا وطن ولا نديـم ولا كأس ولا سكن

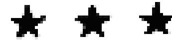
لقد صار الفراغ اوسع وصار ـ التعلل ـ ومحاولـة الابتعاد عـن الرعب اكثر فشلا • ولم تكن محاولة الاحتماء من ـ الوحشة ـ في بـلاد الموت سوى الاحتماء من الريح بالعاصفة • اما الطلب الذي جاء بعد ذلك :

لا تلق دهرك الا غير مكتـرث ما دام يصحب فيه روحك البدن

فلا يتعدى العودة الى ـ التعلل ـ الذي تساءل عنه في البيت السابق تساؤلا مرا ، وهي لا تختلف كثيرا عن عودة الجاحد الى الاستنجاد بالله في ساعة المحنة وان جاءت بعد ذلك الطلب هذه الحكمة المستمدة من روح الواقع ومن صميمه :

فلا يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفائت الحزن

ولكن الحكمة شيء ، والعمل بها شيء آخر .



معنى ذلك ان العالم الجديد لم يستطع ولن يستطيع ان يكون بـدلا للعالم القديم ، لان هذا العالم كان مملوءا بالملهمات والعرائس الرائعـة . ووراء كـل قصيدة من قصائده خلفية قادرة على الوحي ، وعلى اشعال الذبالـة التـي تنير جوانب العالم الداخلي .

في العالم القديم سيف الدولة والروم ، والبطولات ، والانتصارات الـتي تهز الرواكد والفن العسكري ، وفيه الابداع والفهم الادبي والتقدير القائم على الذكاء . والبذل الطبيعي . اما العالم الجديد ففيه كافور . وكافور ، كما تقول الرواية ، « لم يكن سوى عبد خصي مثقوب الشفة السفلى ، عظيم البطن مشقق القدمين ، ثقيل البدن لا فرق بينه وبين الامة . ولما سئل عنه بعض بنـي هـلال قال : رأيت امة سوداء تأمر وتنهي » . ولا حاجة لتحليل هذه الصورة لان الملامح التي تتألف منها كافية في الدلالة على شخصية الرجل .

اما تاريخه الماضي فتقول الرواية انه : « كان لقوم من اهل مصر يعرفـون ببني عباس ، يستخدمونه في حوائج السوق ، وكان مولاه يربط في رأسه حبـلا اذا اراد النوم ، فاذا اراد منه حاجة يجذبه بالحبل لانه لـم يكن ينتبه بالصياح . وكان غلمان ابن طغج يصفعونه في الاسواق كلما رأوه فيضحك فقالوا : ان هذا الاسود خفيف الروح . وكلم ابو بكر محمد بن طغج صاحبه في بيعه فوهبه له ، فاقامه على وظيفة الخدمة . ولما توفي سيده ابو بكر كان له ولد صغير ، فتـقيد الاسود بخدمته ، وأخذت البيعة لولده فتفرد الاسود بخدمته وخدمة امه ، فقرب من شاء وابعد من شاء ، ثم ملك الامر على ابن سيده وأمر ان لا يكلمه احد من مماليك ابيه ، ومن كلمه اوقع به ، فلما كبر ابن سيده وتبين مـا هـو فيه جعل يبوح بما في نفسه في بعض الاوقات على الشراب ، ففزع الاسود منه ، وسقـاه سما فمات وخلت مصر له » .

واذا قورن هذا العالم ورئيسه بالعالم السابق ورئيسه . كان الفـرق كما يعرفه كل من له المام بتاريخ تلك الفترة ، او بتحليل هذه الصورة ، وليس مـن الهين على شاعر في حجم المتنبي ان يستبدل العالم الذي يقف على رأسه كافـور

بالعالم الذي يقـف على رأسه سيف الدولة • ومن هذا الفرق بين العالمين ولـد الفراغ الذي نلمحه في شعره الجديد ، وولد معه التمزق والقلق والنظرة السوداء الى الدنيا حتى يكاد يحس الذي يراه في هذه المرايا انه يرى ابـا العلاء لـولا الجانب الفني الذي يميزه عن ابي العلاء وغيره من شعراء العرب ، ولـولا الخيط الذي ظل يشده الى الطموح وان كان خيطا على جانب كبير من النعومة •

وكان كل شيء يشير من البداية الى هلهلة الارتباط بهذا العالم والى الضيق به والتبرم منه ، كما كانت طلائع العاصفة تتراكم وتنتشر خيوطها الاولى في ساحة الهبوب • ولم يكن الحنين الى الاهل سوى التعبير الابتدائي عن الغربة الخانقة • وكان ذلك التعبير هادئا يحمل صورة الخبر العادي والاحساس بالمسافة الكبيرة التي تفصل بينه وبين احبابه • ولم تكن المخاوف فيه كبيرة • فاذا كانت المرحلـة الثانية كان الشعور بالغربة أحد ، وكانت السياط اللاسعة اقوى ، وكانت القصيدة او القصائد التي تحمل دخان الحرائق :

ذرانـي والفلاة بـلا دليـل ووجهي والهجـير بـلا لثام
عيون رواحلي ان حرت عيني وكل بغـام رازحـة بغامـي

ليقل الواقفون على حدود الكلمات ما شاءوا ، وليختلف ابن جني مـع ابن فورجة في منهم ــ العيون ــ و ــ الحيرة ــ وما اشبه ، فـفهم النحاة والواقفين على تخوم القواميس لا يهم كثيرا ، والمهم هو الجو النفسي الذي يلوح ، عـلى رغم السواد • وراء الكلمات ، ويشير الى نوع من التحول الذي يشبه المرآة في كف خائفة •

وفي الوقت الذي يعود الايمان المطلق بالنفس ، وتعود معه الثقة التي تتحدى العالم المأهول بالجن والغيلان ، وتناوح الرياح والغبـار الاصفـر ، والوحوش الجائعة • يبدأ نوع من الحنان الذي يطل من الزوايا المضيئة في نفس الانسان • وما هذه المشاركة للنوق التي هدها الاعياء حتى كادت تتهاوى ، سوى احساس جديد ــ وان كان خاطفا ــ بوحدة الحياة ، ووحدة الينابيع التـي تتجلى فـي وحدة الكون بالرغم من تناقضاته الكثيرة التي تكاد تفتقد الحدود •

ان الاحداث التي تبعث على التأمل في الكون والحياة ، وتـوصل الباحث

الى النتائج الحية هي الفصول الخالدة في تاريخ المشاعر والفكر • واذا وصل الانسان اليها ند عن العالم السائر تحت السياط التي تلوح بها الايدي القابعة وراء الاساطير المختلفة • وهذا الانفصال وان لم يكن خيرا في بعض الاحيان فان يكون شرا كله •

والقصيدة السابقة تلقي ضوءا اكبر ، وتري مسافة اوسع وتوضح المدى الذي انحدرت اليه الهوة بينه وبين العالم الجديد • والهزيمة التي يكابدها الآن اقسى بكثير من الهزيمة السابقة • لقد ظن بعد خروجه من حلب ان القاهرة تعويض مثالي ، وانه سيصل فيها الى مرتبة الامارة التي تجعله في صف سيف الدولة • ولكن كافورا ، في هذه الامنية بالذات ، كان بعيد النظر ، وكان خوفه منه ومن طموحه يدل على فهم وذكاء •

« ايستكثر ادعاء الملك على من ادعى النبوة ؟! » بهذا المعنى اجاب الذين سألوه عن لامبالاته في الرغبة الاحمدية حول توليته الولاية • وفي الجواب ما يشير الى ان الرجل لم يكن في ذلك المستوى من الغباء الذي تصوره به الرواية• ولو فرض ان الرواية كانت دقيقة في تصوير الملامح لصح عندئذ فيه قول شوبنهاور : « اغبى الاغبياء ينقلب ، عند مصلحته ، الى اذكى الاذكياء » •

مهما يكن فقد وصلت العلاقة بينه وبين كافور الى النقطة الملتهبة وفي هذه النقطة تضاعفت الهزيمة ، وتضاعف معها الاحساس بالفراغ والرعب كما تضاعف الشعور ، في الوقت ذاته ، الى الخلاص •• والى عمل شيء يفتح الابواب المسدودة على الانفاس •

في هذه اللحظة جاء العيد ، والعيد قطعة من الزمن لا تختلف عن غيرها • ولكن للناس فيه شؤون اخرى تختلف عن شؤونهم في بقية الايام • انه الصفاء الذي يأتي بعد تفجر البارود ، وانطلاق الدخان •

في هذا اليوم تلتف الابتسامات على بعضها ، وتلتقي العيون في نظرات متعانقة ، وتتخذ الانسانية رونقا يشبه رونق الطيور الراقصة على ضفاف البحيرات • وتلفت الشاعر فلم يجد اهلا ولا احبابا ولا عناقا ولا تبادلا عاطفيا بينه وبين احد ، بل لم يجد سوى الوحشة المشحونة فصب ذلك في قصيدة من روائع الشعر :

عيد .. بأيـة حال عدت يـا عيد   بما مضى ام لامـر فيك تجديـد

أمـا الاحبـة فالبيـداء دونهـم   فليت دونك بيـدا دونهـا بيـد

وبالقدر الذي تشير القصيدة الى اسوداد الدنيا ، تشير الى الضياء البعيد، والى الاحضان الناعمة التي تمت . وهذه الاحضان هي الريش الناعم الجميـل الذي يتلقى الرؤوس المتعبة والصدور اللاهثة الهاربة من الاخاديد . ولكن اين الاحضان :

تبغي الوصول الى سماد دونهـا   قمم الجبـال ودونهـن حتـوف

الرجل حافيـة ومالـك مـركب   والكـف صفـر والطريق مخوف

واذا تساءل المتسائلون : وهل كان اهله بهذا المستوى الـذي يضعهم فيه ؛ وهل يستحقون هذا الـقدر من العواطف ، واذا قيـل لمثـل هؤلاء المتسائلين : ما الذي يدعو الى طرح مثل هذه الاسئلة ، جـاء الجواب : كثرة الشكوى من الاهل ومن الاقارب الذين لا يختلفون عن العقارب احيانا ، وكثيرا ما نسمع مثل هذه الصرخة عن الاهل :

مهلا بني عمنا مهلا موالينـا   لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

اللـه يعلـم انـا لا نحبكم   ولا نلومكم ان لـم تحبونـا

واذا ووجه السؤال بسؤال معارض : أينحدر الاهل دائما الى مثـل هـذا الحضيض ، كان الجواب اكثر تواضعا ، واقـل عصبية ، ومـن التواضع تطـل الرؤية على عالم اكثر واقعية ، واكثر قربى مـن المنطق . والحقيقـة ان علاقـة ـ القربى ـ لا تجعل الاقارب اصفى مـن غيرهم .. اي ان الانتمـاء النسبـي لا يمحو الاحقاد ، ويعمل على تصفية النفوس ، ولكن تبقـى للخيط اهمية وان تضاءلت الى مستوى الصفر في بعض الاحيان .

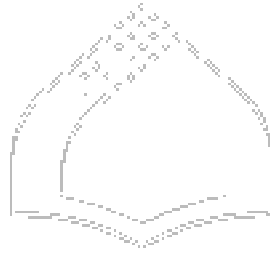
على ان في اهل الشاعر من يحبه ، ومن يصل في حبه الى درجة الموت مـن الفرح بلقائه .. وما حديث جدته بمجهول . فـقد كتبت له تطلب عودته الـى الكوفة . وكتب لها لما وصل الى بغداد ، وطلب منها ان تذهب اليه لاسباب حالت بينه وبين الوصول اليها . وما ان وصل الكتاب حتى وقع تحت القبل المتلاحقة ،

وظلت القبل في عناق مستمر مع الرسالة حتى فاضت روحها فيها . وكانت قصيدة جديدة في تخليد هذه العاطفة :

لك اللـه مـن مفجوعة بحبيبهـا قتيلـة شوق غير ملحقها وصمـا
احن الى الكأس التي شربت بهـا وأهوى لمثواها التراب وما ضمـا
ومـا انسدت الدنيا علي لضيقها ولكن طرفـا لا اراك بـه اعمـى

ويكفي ان يكون في اهله مثل هذه المرأة حتى يستحقوا فوق حنينـه حنينا اكبر ، كما يكفي الدنيا حنانا ان تلد مثل هذه الانسانة وقـد يتجمـع العالـم فـي واحد .

بغـداد محمد شرارة



الاحتجاج اقرب للخلاص

★ ★ ★

● قيل ان المنصور اشخص رجلا من الكوفة ، سعي به ان عنده اموالا لبني امية ، فلما مثل بين يدي المنصور قال : ايها الرجل اخرج الينا مـن ودائع بنـي امية التي عندك . فقال : أوارثهم انت يا امير المؤمنين ام وصيهـم ؟ قال : لا . قال : فلم ادفع اموالهم اليك ؟ قال : ان بني امية خانـوا المسلمين وانـا القائم بأمرهم . قال : هل لديك بينة ان هذا المال من تلك الخيانات ، فـقد كان للقوم اموال من وجوه شتى ، فان ثبت على شيء حكم الخيانة خرجت منه . فأطـرق المنصور ساعة ثم قال : يا ربيع خل الرجل ، فقال الرجل : ما عندي مال . ولكن رأيت الاحتجاج اقرب الى الخلاص ، فـان رأى امير المؤمنين ان يحضر خصمي فلعله يفلجني بالحجة . فان في مالي سعة . فبعث المنصور الى الساعي ، فأحضره فقال الرجل : يا امير المؤمنين ، ان هذا الساعي عبد لي آبق ، وقد سرق لـي مالا ، فهدده فاعترف .

شعراء المهجر العامليون

بقلم: السيد حسن الأمين

— ٢ —

ونلحظ دائما الفرق بين شكواه وهو في النجف وشكواه وهو في غير النجف، فالنجف تمده ابدا بقوة روحية وطاقة معنوية، فتعيضه بذلك عن الكثير وتملأ قلبه بالفيض الغزير فهو مثلا في غير العراق يقول مثل هذا القول الذي لم يقل مثله في كل شعره العراقي :

خطب رماني حيث لا روض الثنا ... زاه ولا ماء المكارم جاري
ما بين قوم ليس يسرح جارهم ... في جور جهار وسوء جوار
بشرو لو كشف الغطاء وجدتهم ... ما بين شيطان وبين حمار

وبالرغم مما في هذا القول من قسوة ، وما قد يكون فيه من ظلم ، فقد نجد له ما يبرره ، بأن الشاعر وهو العالم الاديب المفكر ، كان لا يجد من يفهمه على حقيقته ، ومن لا ينظر اليه الا انه مشرد عن وطنه ، ومما زاد بالازراء به انه عاطل من المال خالي الجيب وهذا ما عبر عنه بقوله :

خوف وفقر واغتراب حيث لا ... يسر ولا عدوى على الاعسار
واذا تأملت الشدائد لم تجد ... كيبين مغترب بغير يسار

وتتكرر في شعره غير العراقي هذه الظاهرة :

كريم رماه الدهر في دار غربة ... فأصبح في دور الضلال يدور
وكيف يطيب العيش بين منازل ... وفيهن كلب للكرام عقور
منازل اشرار اذا ما سبرتها ... وجدت قصورا حشوهن قصور
اروح واغدو ظامئا في ربوعها ... وللماء حولي صيحة وخرير
خليلي ان الظلم طال ظلامه ... فهل من تباشير الصباح بشير

كما يتكرر الحزن وتتكرر الكآبة والشكوى في كل القصائد :

يعـز علينـا ان نـروح ومصرنـا لفرعون مغنـى يصطفيـه ومغنـم

وهذه القصيدة من احسن قصائده واوقعها في النفس ، وكذلك القول فـي قصيدته الرائية :

تذكرت والمحـزون جـم التذكـر مسـرة ايـام مضـين واعصـر

هذه القصيدة التي يتزاحم فيها التفاخر والتحسر فيقول مفاخرا :

منازلنـا مـأوى للغريب وظلنـا ترف حواشيه علـى كـل مصحر
واكـنافـنا مخضلـة واكـفنا تفيض على مثـر لدينـا ومقـتر
نسوق الابـي المستميت بـابيض صقيل ونقـتاد الحـرون بأسمـر
وتشرق اشراق الصبـاح وجوهنا اذا ما دجـا فـي مأزق ليـل عثير
نغلس في كسب المعالـي وغيرنـا تؤوم الضحى والمجد حظ المبكـر
وسامرنـا بالحـي كـل مهلـل يصيـح بأعلـى صوتـه ومكبـر

ثم يعود الـى الاسى :

شريـد فريـد بالشـآم مقلقـل كأنـي بهـا ثـاو على روق اعفر

وفي قصيدة اخرى يصف تنقله بين البلاد :

ففـي حلب يومـا ويوما ببابـل وبالمنحنى يومـا ويومـا بحاجـر

وفيهـا يقـول :

لقد طال عمر الهجـر يـا ام عامـر ورثت حبال الصبر مـن كل صابر
وحـن الـى ارض الشآم معـرق تدافعـه عنهـا اكـف المقـادر
رعى الله احبابا اذا مـا ذكرتهـم حسبت فؤادي فـي مخالب كاسر
اسائل عـن اخبارهـم كـل وارد واطرح اخباري علـى كـل صادر
وان ضحك البرق الشآمي اسبلت جفوني بمنهل مـن الدمع هامـر

وان خفقت ريح الشمال تبرجت على الرغم مني محصنات السرائر

وفي قصيدته اللامية تتنازعه شتى الاحاسيس وتتقاذفه ضروب العواطف فهو اذا تذكر غربته قال :

غريب يمد الطرف نحو بلاده فيرجع بالحرمان وهو همول

في هذه القصيدة يتأكد لنا ما ذكرناه من قبل من انه كان وهو في النجف روي الفؤاد شقي الجسد ، فقلبه في النجف وجسمه في الوطن :

الا فارحموا صبا له في عراقكم فؤاد وجسم في الشآم طريح

اما هنا وقبل الوصول الى النجف فهو يقول ما يناقض القول السابق ، مع انه في الحالين غريب شريد محزون ، انه يقول مخاطبا دياره البعيدة :

ليهنكم ان القلوب لديكم ــ وان بعدت منا الجسوم ــ حلول

فليس هنا ما يفعم القلب سعادة ويملأ النفس هناء ، ليس هنا قبة علي تفيض عليه اطمئنانا وسكونا ليس هنا مجالس للعلم ونواد للادب ، بل هنا ما يعبر عنه بقوله :

ومما شجا قلبي واجرى مدامعي والقى علي الهم وهو ثقيل

نزولي وقد فارقتكم في عصابة سواء لديهم عالم وجهول

ويسترسل قائلا :

وجدت بهامس الهوان كأنني مهين ومجدي لو علمت اثيل

أكابد ذلا بعد عز موطد وكل غريب في اللئام ذليل

ومن احسن قصائده في الحنين قصيدته التائية التي يقول في مطلعها :

من لي برد مواسم اللذات والعيش بين فتى وبين فتاة

ورجوع ايام مضين بعامل بين الجبال الشم والهضبات

ولكن امنية الشاعر لم تتحقق فلم يكتب له الرجوع الى الوطن بل مات غريبا في دمشق .

السيد كاظم الامين

ومن شعراء خرج السيد كاظم الامين قبل مائة واربعين سنة (١٢٣١ ـ ١٣٠٣) مهاجرا الى النجف فعكف على الدرس وصحبة العلماء ، ثم حدثت له امور اثارت شجونه وبعثت فيه شكوى متواصلة كان ينظمها شعرا يبعث به الى الجبل ، وهو في ذلك يحن الى موطنه حنينا شعريا متواصلا يعم به لبنان كله ثم يخص جبل عامل :

تجاذبني الى لبنان نفس ... تردد في حشا دنف جريح
وينزع بي لذاك السفح شوق ... أبرده بهطال سفوح
واصبو في هوى تلك الروابي ... ولي جبل من الحلم الرجيح
وتدعوني لعاملة وكم من ... فلاة دون أربعها نزوحي

ثم يشير الى ما يتنازعه من الحنين الى بلاده ، والسكون في مهجره ، فهناك في الوطن الاهل والاحباب :

لئن اصبحت فيها مستهاما ... فرب اخ بها طلق صبيح

وهنا في المهجر طلب العلم وجوار علي :

فطورا استجيب لها وطورا ... اقول لها مكانك تستريحي
فأن قدمت رحلي لارتحال ... قدمت اذا على بلد فسيح
وان اخرتها فألى مقام ... حميد الامر ذي ثمن ربيح
لدى بلد به الرحمان اعلى ... لصنو المصطفى اسنى ضريح

وبعد التردد الطويل والتراوح بين العودة والمقام ، فهو طورا يصيخ السمع الى نداء النفس الذي يدعوه الى الوطن ، وطورا يصيخ السمع الى نداء الروح الذي يدعوه الى الركون والسكون في الجوار العظيم ، والقلب موزع بين الندائين ، اذا فاض فيه الشوق ، تفجر فيه الايمان ، وما كان للشوق ان يغلب الايمان في قلب كقلب السيد كاظم الامين لذلك يصمم قائلا :

فخار الله لي ما فيه روحي ... لدى الدنيا وبعد فراق روحي

وهكذا يقيم السيد كاظم اقامة دائمة في العراق ، ولكن الشوق يظل يهيجه فيلوذ بالشعر مشتاقا الى شقراء ومن في شقراء :

اهدي السلام الى القوم الكرام بني القوم المشار اليهم بالكرامات
يهدى اليهم على بعد المدى وعلى ما في الحشاشة من شوق وغلات
اشتاقهم وهم بين الضلوع على ما بيننا حال من دو وموماة
هم بالشآم وداري بالعراق فيا بعد الديار ويا طول المسافات

ويظل يلوذ بالشعر :

اعاملة حيتك عني ديمة ليبت بها برد الربيع مفوفا
ولا زال معتل النسيم مؤرجا لديك بانفاس الخزامى وألطفا

واذا كان الله قد خار له ـ كما قال ـ ما فيه الروح في الدنيا وفي الآخرة ، واذا كان القلب منه مستريحا بالايمان مطمئنا باليقين ، فانه انسان فيه ضعف الانسان ، فيه العاطفة الجياشة ، والنفس الحساسة ، فيه كل ما يثير الوجد ويضرم الشوق •• أيستطيع ان ينسى شقراء أيستطيع ان ينسى وادي الملول والحومة؟• ايستطيع ان ينسى الليالي القمراء في مشارف المطل ومطالع الدغالي هنا في حريبة وفي وردة في ظلال التين ، هنا في الدواوير بين الكروم ••

ووادي السلوقي والسكيكة متألقة بالغضيض من الرند والسنديان ، ومتبرجة بالنضير من السكوكع والخزامى والاقحوان •• أيستطيع ان ينسى ذلك ؟•• أيستطيع ان ينسى الاماسي في شواثا وطريق العين ، والاصائل على بئر مازح ؟ هنا حين ينشر الربيع مطارفه الخضر فينطلق البصر في اعذب ما يرى البصر ، وتجول العيون مصعدة الى القمم الشامخة فتمتلىء نضرة ونعيما ، ثم تجول مصوبة الى الوادي الاغن بين السندس والنضار واللجين •• وحين يزهو الصيف فتهب الريح رخاء من اقصى الذروة الى ادنى السفح بين رفيف اللوز وحفيف التين وتثني البطم • أيستطيع الشاعر النازح ان ينسى شقراء ، أيستطيع ان يمحو خيالها من ذهنه ويزيل ذكراها من قلبه ؟• ما كان مستطيعا مهما لاذ بالايمان ولجأ الى اليقين ، سيظل ابدا ذاك الشقراوي المشوق الى كل ما في

شقراء من اخوان وخلان وحسن شائق وجمال فتان ، فها هو يخاطب شقراء من يهجره البعيد :

يا بلدة اصبحت لبنان ناضرة بين البلاد بها حييت من بلد

ان لبنان كله عند ابن شقراء السيد كاظم الامين ، ان لبنان كله اصبح ناضرا بشقراء ، وان محاسن شقراء هي التي اضفت على لبنان ما اضفت ، لذلك فهو يهتف بها : حييت يا شقرا من بلد .. ثم يتابع الحديث عنها معددا محاسنها :

طابت هواء وطابت منظرا ، وصفا بها المقام لاهل الدين والرشد
هي الشفاء لدائي لا العذيب ولا ظباء جيرون ذات الغنج والغيد
الق العصا بفناها غير ملتفت الى الابيرق فالدهناء فالسند
تعش من الدهر في امن وفي دعة بها ومهما ترم من لذة تجد
سقيا لها ولايام بها سلفت بغبطة ولعيش لي بها رغد
مضت وشيكا وما ابقت علي سوى الوجد المبرح والتذكار والسهد
فليت يرجع غب النأي لي زمن طابت اصائله في ذلك البلد
طال الفراق فلا آت نسائله ولا كتاب يوافينا على البعد
اذا تذكرت فيها اعصرا سلفت أكاد أقضي من الاشجان والكمد
وان تذكرت اقوامي بها وذوي مودتي هد تذكاري قوى جلدي

وتظل شقراء نصيب عينيه ويظل يناجيها ويناجي اهلها بالشعر :

قل للاحبة ان حلت ديارهم خلفت اي فتى محب في النجف
مضنى الحشاشة في هواكم شفه الشوق الشديد الى لقاكم واللهف
وبراه طول النأي عنكم فاغتدى رهن الحوادث في العراق اخا دنف
سقيا لذاك السفح كم نلنا المنى فيه وطرف الدهر عنا منطرف
في معشر ما منهم الا اخو حسب صميم بالسماحة قد وصف

قبضوا الاكف عـن القبيح تكرما   عما يشين وبالندى بسطـوا الاكف

الشيخ حسن زين الدين

ومن رحل الى العراق قبل اربعمائة سنة كان الشيـخ حسن زيـن الدين (٩٥٩ ــ ١٠١١) الذي اشتهر باسم صاحب المعالم ، وهو كتاب لـه بلغ مـن اجادته فيه ان صار يعرف به ، هاجر الى النجف دارسا فكان كغيره مـن العامليين يتخذ من الشعر تعبيرا عن الشوق الشديد وكانت هجرته مـن بلدة جبـع ذات الرياض والغياض والماء النمير الصافي . فبعد ان درس فيها وفي غيرها ولـم يعد يجد في جبل عامل ما يزداد به علما ومعرفة مضى الى العراق ، وهو القائل مـن قصيدة :

وان عراك العنـا والضيم في بلـد   فانهض الى غيره في الارض وارتحل

والعناء الذي يعنيه هنا حين يقصد نفسه انما هو عناء الجهل ، والضيم الذي يريده هو ضـيم المتطلع الى العلم المتشوق الى المعرفة وهـو لا يجدهما ، لذلـك طبق قاعدته على نفسه ومضى من جنائن جباع الى هجير النجف .

واذا كان قد دعا في شعره الى الارتحال ومضى عليه فما هو ان امتدت الايام به بعيدا عن وطنه حتى عاد يقول مثل هذا القول :

فـؤادي ظاعـن اثـر النيـاق   وجسمي قاطـن ارض العـراق

ومن عجب الزمـان حيـاة شخص   تـرحـل بعضـه والبعض باقـي

وتشتد به اللوعة ويثور الوجد فيسترسل :

واظمانـي النـوى واراق دمعـي   فـلا اروى ولا دمعـي براقـي

سقـتني اباريـق الدهـر كأسـا   مريـرا مـن اباريـق الفـراق

وليس لـداء مـا ألقـى دواء   يؤمـل نفعـه غـير التلاقـي

ويظل مشوقا لا يجد غير الشعر متـنفسا يلجأ اليه فيما هو فيـه ، ويمضي وهو الفـقيه الوقور المنكب على دروسه العاكف على كتبه المنصرف الـى عبادته وتقواه ، يمضي كما يمضي الانسان الرقيق الشعور المرهف الحس حين تعن لـه ذكريات بلده وقومه واهله وحين تلوح له في الخيال جبـاع ويتراءى لـه الكرم

والبستان، واللذات والصحب والخلان، وحين يتصور لبنان كله فيهتف من اعماقه:

كم ليلة من ليالي البين بت بها ارعى النجوم بطرفي وهي ترعاني
لا يسكن الوجد ما دام الشتات ولا تصفو المشارب لي الا بلبنان
فكم تقضت لنا بالحي ازمنة على المسرة في كرم وبستان

على انه وقد قدرت له العودة الى الوطن ، ونزل بعد تلك النوى منازله الاولى في الكروم والبساتين ، لم يلبث كغيره من العامليين ان عاد يحن الى مهجره ويتشوق الى منشئه متذكرا النجف وايامه فيها :

يا راكبا عج بالغري وقف على تلك الربوع مقبلا اعتابها
وقل ابن زين الدين اصبح بعدكم قد ألبسته يد الشجون ثيابها
ودعت لواعجه الشديدة جفنه يوم الفراق الى البكا فاجابها

بيروت حسن الامين

مع الشاعر السوري : الدكتور زكي المحاسني

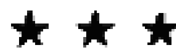
بقلم : جمال مهدي الهنداوي

— ٢ —

والى هنا وعلى ذكر الادب وضعف الوجدان الادبي في عصرنا ، الذي أشار اليه الدكتور المحاسني في نهاية حديثه ، ومدى أثر هذه الظاهرة في نفسه ، حيث عبر عنها بالصورة آنفة الذكر ، كان بيننا حديث ، حيث قلت ، لا شك بأن للظروف تأثيرها على سير حياة الاديب وعلى اتجاهات الادب ، بحكم تلك الظروف ، ولا يمكن لاي انسان ان يتجرد عن تأثير الظروف على وجوده ، باختلاف انواع هذا التأثير ، الذي قد يأتي بنتائج سلبية بعضا او ايجابية في البعض الآخر ، فتكون بعدئذ وتبعا لذلك حياته ، اما حياة بؤس وشقاء ، واما حياة سعادة ورخاء ، خاصة وان لزمننا الذي نعيشه طابعه الذي يختلف عن زمن الفردوسي ..

وكمثال على تأثير الظروف على الادب والادباء ، ان يقام للرصافي الشاعر المعروف تمثال في بغداد ، وهو الذي كان مضطهدا ، وعاش في اواخر ايامه ، بين احضان البؤس والشقاء ، ومات وهو لا يملك غير فراشه الذي كان ينام عليه عام ١٩٤٥ ..

وان الشاعر محمد مهدي الجواهري يعود الى العراق مكرما ، ويخصص له المسؤولون (١٥٠) دينارا ، راتبا شهريا ..



وبعد هذا وفي اللحظة التي اوشكت ا ن انهي فيها هذا اللقاء مع الشاعر الكاتب الدكتور المحاسني ، وتهيأت للرحيل ، خطر ببالي ، اننا لم نتطرق الى ذكر ديوانه الشعري بين مؤلفاته ، فسألت الدكتور عنه ، فقال نعم ، اننا لم نتطرق الى ذكره ، ذلك لانني مشغول الآن في تهيئته ، وسوف لا يطول أمد

صدوره ، وقد يكون صدوره على وجه التحديد خلال العام القادم باذن الله .. فشكرته جدا على هذه المعلومات القيمة ، وعلى هذا الوقت الذي جاد به علي ، لاسجل هذا اللقاء او هذا الحديث ، تاريخا موجزا لحياة اديب كبير من الادباء اللامعين في دنيا العروبة ، ويعتبر واحدا من بناة النهضة الادبية والفكرية فيها ، وتدور عنه في بعض الاوساط الادبية ، بأنه يحتمل ترشيحه من قبل بعض الهيئات، لنيل جائزة نوبل في الآداب ، راجيا الباري جل وعلا ان يمن عليه بالعمر المديد ، المقرون بالصحة والعافية ، ليوفق لانجاز مشاريعه ، (ولا سيما ملحمته) خدمة للادب العربي ، ومجد أمة العرب ، ولغة القرآن العظيم .. ومن الله التوفيق ..

وفيما يلي النشيد الرابع المنوه عنه من (الملحمة العربية الكبرى) بعنوان : « نجم أحمد .. »

دلف المجد الى دار الرسول	يتمشى في حمى البيت النبيل
يصحب التاريخ في موكبه	يعرض الفرسان جيلا بعد جيل
ويسمع الافق أصوات ندايا	تطرف الآباد في الدهر الطويل
تقرع الاهوال أبواب العلى	لتراها بين وجد وذهول
لم تكن في حلم معسولة	تتراءى أوبيان سلسبيل
أو أغان أنشدت رهن الهوى	لتبل الشوق في وهج الغليل
انما جاءت بضحيان تجلى	في حقيقات وضوح وحفول
أمة كبرى على هام الورى	ورثت خالدة المجد الاثيل
سائلاني في الدنا عن أصلها	يرزح الكاهل بالعبء الثقيل
واطلبوا في جبهة الشمس لها	مطلع النور من الصبح البليل
تكتب الحدثان أقلام اذا	غبر الطرس تمادت في المثول
هي أزهار تسامى عطرها	لهدى الانسان جلت عن ذبول
سيرة من يعرب موصولة	برواياات عموم وخؤول

★ ★ ★

عنـد سـر اللـه آي أبـرمت لتجير الارض مـن سيـل وبيـل
من رأى الصحراء فـي لحفتها حيث يغلي الرمل فـي غير ظليـل
عبقريـات علـى عالمهـا طلعت فـي الدهر في طلع النخيل
لامـرىء القيس وللاعشى بهـا لمحـات لـم تكـن عند مثيـل
وتجلـت حمـس طامحـة هي فرسان الحمى يـوم النـزول
ولـدى السامر في نجوى الليالي بـات سادات أقانيـم العقـول
كمنـت فـي يعـرب قوتهـم واستجاشت عـدة الامـر الجليل
وانبرت فـي (أحمـد) طالعـة جمعت فـي نبلهـا كـل سليـل



نـقب الاحبـار أخبـار الدجى وعلى المرصد باتـوا فـي الرعيل
يسألـون النجـم عـن مولده فـوق آطـام تـراءت كالدليـل
وبدت (يثـرب) فـي تحنانهـا تتمنـى مطلـع الافـق المنيل
صرخـة قـد مـلأت أرجاءهـا دونها الرعـد وتضريب الطبـول
ولـدت آمنـة (أحمدهـا) فاهتـفي بالبشر يـا أرض الحقول
مـن رأى صقـر قريش مصعـدا في (حراء) غاب في الغـار البتول
يسأل الرحمن فتحـا وهـدى في دروب قربت يـوم الـوصول
وسوسات فـي قـريش غلغلـت في نفوس هن كالـداء الدخيـل
قـد أبت واستنـفرت واسكتبرت أن تـرى الديـن يفادي ببديـل
يـا لقومي مـن لخذلان الفتـى قبل ان يفتن شيبـا فـي كهـول
آنـذروا بالحـرب ما اصنامنا ترتضي منـا بهجـر أو عـدول
حرزنـا العـزى ولـلات دعانـا ومنـاة تـرتعينـا بقبـول
يـا أبـا جهـل ثولتـك الشياطين أمـا تنفك تدعـو كالضلـول

لك زوج تنفث الكيد وما ... تزلت الا بها ذات الكبول
ذا أبو سفيان محتار تكمي ... بدثار من خداع وفضول
يقرع السن على ما فاته ... من كمين وهو في نوم الجهول
وأبو بكر يفدى مرسلا ... ليلة الهجرة في أغلى زميل
لم تكن مكة تبغي فرقة ... غير باغين أهابوا بالرحيل
وعلى يثرب أنصار أعانوا ... لابتدار النصر بالفتح المهول
واذا مكة يعلو صوتها ... يزحم الآفاق بالسلم العجول
من أتى المسجد ألفى مأمنا ... أو أبا سفيان في دار القبيل
ذاك يوم كون الله به ... عزة لم يعرها هون الذليل
ومن الاسلام هبت راية ... لم تنكس في حزون أو سهول
(أحمد) قد حطها فوق الربى ... فغدت زهرا على الروض الجميل
هزت التاريخ في أعصره ... يده واستفتحت كل سبيل
هو دين عزة الدنيا به ... ظفرت جدواه بالحمد الجزيل
خط مجدا جبهة النجم به ... دون اشعاعاتها لمع النصول
وبفرقان بدت آيته ... في هدى زحزح أسداف السدول
لكأني أسمع الجيش على ... باب قسطنطينة رهن الدخول
وعلى الآساد بالشام أرى ... جولة الآساد فيها والشبول
معرك للدهر والعرب به ... في شهيد ، والاعادي في قتيل
وضجيج مادت الارض به ... عند أبواق وخفق وصليل
وبلاد حاليات بعدما ... حازها العرب فغالت بالبسول
وديار عمها الافرنج في ... وضح الفم فباتت كالطلول
وحمام سلمت آمالها ... من عواديها فرقت بالهديل
ورسول الله داع عندها ... بصفا ود على السلم كفيل
ترقد الدنيا لتصحو صحوة ... فتراه الشمس في غير أفول

طويريج ـ الحلة ـ العراق ... جمال مهدي الهنداوي

رسوم

بقايا جيل

للسيد علي ابراهيم

كان يجمعهم صباح كل يوم ، مقهى صغير متواضع ، يشرف على البحر لم تصل اليه يد المهندس ، ولم يلج حرمه التنظيم الحديث بكافة صوره واشكاله ، بقي كما هو كأنه معقل للزمن الغابر لم يستسلم امام تقلب الايام وكر السنين ، تواجه الداخل اليه مجموعة من رسوم الرجال الماضين ، الذين كتبوا تاريخ البطولة ، وعرفوا بالتضحية ، وسارت اسماؤهم على كل شفة ولسان ، ولم يكن لرواد المقهى من عمل غير ملء الفراغ وقتل الوقت بالاحاديث والمساجلات عن الايام التي كانت فيها الارض تنبت الخير والبركة ، والسماء تمطر الخصب والنماء ، يوم لم يكن للمواطن عهد بالسموم والشرور ، ينشد الامن والسلام ويميل للدعة والهدوء ، وانت عندما تسمعهم متحمسين مخلصين يتناشدون الاشعار ويفتخرون بالماضي لا تملك غير الرثاء لهم ، والاسى للمصير الذي وصلوا اليه ، يقول احدهم :

تشوقني العرب وآدابها وقهوة البن وشرابها
وقبة ترفع في مهمه قد وشجت بالارض اطنابها
لا يخرس الجرن لديها ولا تغلق دون الضيف ابوابها

ويقول الثاني :

خيلاء الميدان اين المذاكي فوقها الصيد بين كر وفر
اين لا اين جحفل ان تنادى ماجت البيد في كتائب سمر
أين ابطالنا المغاوير تمحو وصمة العار عن جبين اغر

مع ان لسان المنطق والواقع يقول :

ذهبت دولة الجحافل والرايات والخيل والقنا والقواضب
واتت دولة القنابل والغازات والسم والشهاب الثاقب

لم يعد ينفع الاسود وثوب بعدما طار بالجناح الثعالب

يذكرون فيما يذكرون ، ان الدنيا كانت بالف خير ، وان القناعة كنز لا يفنى ، وان الطمع من مصائب الانسان وادوائه القاتلة ، ولكن الحياة تجري على غير ما يشتهون ، وتأبى ان تتعرف الا على الجهد الدائب ، والنضال المرير في سبيل القوة ليكون الانسان عزيزا كريما ، قلت لهم ما لنا ولهذا الحديث المكرر المعاد ، نحن نحيا فعلينا ان نجتهد ونحرص على هذا الوقت الثمين الذي يذهب هدرا ، وان كان لا بد من الشعر وعظته فلا يوجد اسمى وانبل من الحكمة السائرة التي تركها لنا الاخطل الصغير :

شقيت امة اذا المجد ناداها تلوت على الاسرة كسلى

أغل مهر العلى اذا كنت شهما هان من نام في الطريق وذلا

تطلب المجد لست تسعى اليه طالب المجد شق للمجد سبلا

اما الصفاء والطيبة ، والتعلق بما توحيه المروءة والاريحية فهي من نعم الله الثمينة على الانسان ، تنعش روحه وتجمل له الحياة ، غير ان ذلك لا يمنع من الرجوع للعقل ، ولا يحجب الحقيقة المرة المؤلمة ، فالناس في صراع دائم ، على المطامع والاهواء ، وانتم يا رواد المقهى الصغير الرابض على شاطىء البحر في المدينة العريقة بيروت ، تتحلقون وليس لكم هدف غير الحديث عن الماضي والاستغراق فيه ، انتم بقايا جيل عاطفي نبيل نرجو ان لا نحرم مما فيه من حسنات .

مع القافلة

كان لا يفصل همومه عن هموم الناس ، يحيا معهم ويعيش ألمهم واملهم ، كأن قلبه ينبض مع كل قلب وعينه تدمع مع كل عين ، وقد بادلوه حبه وشعوره واهتمامه فكانوا بالعاطفة الصادقة ويحفلون بكل ما يهمه فهو عندهم بالمغيب والمشهد ، بسمة وامل ، وروح طيبة ، خيرها مأمول ، وشرها مأمون ، اشتغل بالادب ووعاه ، وعاد للاثار القديمة والتراث العالمي يأخذ منه ما يستطيع ، فازهر في نفسه واشرق ، ولكن اي ادب هو هذا الذي اشتغل فيه جميل ، انه ادب الانسان اينما وجد وكيف اتجه ، ادب الطبيب في عيادته والعامل في زراعته ،

ادب العالم والمهندس والفيلسوف ، ادب الحياة التي تغمر ابناءها بالحب والجمال وتنير لهم الطريق ، ان وصلوا ولم يقطعوا ، وعملوا ولـم يكسلوا ، ان استقامت نواياهم ولم ينفث الشيطان في عقولهم وقلوبهم •

وكنت ارنو اليه فاذا هو فيض من عطاء واشراق قريب من النفوس والقلوب، ليس البهاء لديه طلعة ووسامة وليس الجمال قامة مديدة ، وملامح مادية للرجولة وكمال الاجسام ، او التفوق العقلي والنبوغ والعبقرية ، وانما هـو معنى وراء ذلك لا تستطيع ان تحدده وتعبر عنه وان وعيته واحسست به ، يقـول لجليسه هلم الي ، فانا لك ، واخوك الذي درج معك على وجه الارض ، واحتضن شعاع الشمس وألق الفجر بجميع جوارحه ، لا يعنيني من تكون والـى اي جماعة او طائفة ومذهب تنتمي ، فليس للفكر والشعور حدود وسدود ، وانما هـي شرور الانسان واطماعه دعته للتقسيم والتنويع فجعل من مخلوقات الله شيعا واحزابـا تتعادى وتتفانى ، ولا يسلم احد من أذاها مع انها ليست باقية طويـلا في هـذه الدنيا وانما هي المامة عجلان ، فبرعم الزهر ما وجد ليبقى ، سيمضي به الخريف، والنبتة الزاهرة ستصبح هشيما تذروه الرياح ، أنا وانت يا اخي شركاء بالانسانية نبتنا على تربة الوطن وأشرقت علينا شمسه وهب علينا نسيمه ، ثم اننا مدعوون لرحلة العمر ، فعلينا ان نقطع مراحلهـا بالتعاون والحب ، فاذا كتب فعن هـذه النفس الكريمة يصدر ، لان البلاغة عنده قبل كل شيء ، صدق واخلاص فـي القول ، وابتعاد عن التباهي والمماحكة •

كنت اذا جلست اليه واستمعت كلامه وقرأت ما يكتب اناجي نفسي ، قديما قيل : شرف العلوم بشرف موضوعاتها ، فاذا كـان موضوع الادب ، تهـذيب النفس الانسانية ، والسير مع القافلة التي تؤم مطلع النـور ، وتستهدف المثـل الاعلى ، فهو من الغايات الكبرى التي ينبغي ان يسعى اليها الانسان •

بيروت علـي ابراهيم



الشيخ محسن أبو الحب

بقلم المرحوم مهدي عباس العبيدي (١)
الهوامش بقلم الدكتور جليل ابو الحب

ـ ١ ـ

ان كثيرا من الشعراء المجيدين بل الفحول المبرزين قد ضلوا في زاوية النسيان بينما لا يزال من رآهم وشافههم حيا يرزق • فهناك أدب جم له الاثر المباشر على الحياة الادبية في العراق • ولا نبالغ اذا قلنا ان اكثر الشعراء الحاضرين هم آثار تلك النهضة الادبية قبل خمسين سنة او تزيد على ذلك بشيء قليل • اقول ذلك وهذا الادب الغزير في حاجة الى بحث ودراسة وتسجيل خوفا عليه من الضياع • ومن جملة هؤلاء الافذاذ الشيخ محسن ابو الحب (٢) نجل الحاج محمد • توفي وتركه صغير السن يقاسي آلام اليتم وضر الفقر •

وقد ولد في كربلاء سنة ١٢٤٥ هـ (٣) سنة خمس واربعين ومائتين بعد الالف •

---

* يعرف في تاريخ كربلاء الحديث شخصان بهذا الاسم وهما الشيخ محسن ابو الحب الجـد ، والذي يدرس شعره هنا المرحوم مهدي عباس العبيدي ، والثاني هو الشيخ محسن (الحفيد) بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن ابو الحب المتوفي سنة ١٣٦٨ . وقد امتهن الاثنان الخطابة من على المنبر الحسيني .

وقد سمي الثاني (محسنا) تيمنا باسم جده لانه ولد سنة ١٣٠٥ هـ وهي سنة وفاة جده . وفي نفس العائلة الآن ، اطلق الدكتور ضياء الدين بن الشيخ محسن أبو الحب اسم والده (محسن) على ولده الثالث ، فيكون هذا الصغير حفظه الله هو الثالث بهذا الاسم في عائلة آل ابي الحب .

١ ـ تخرج المرحوم مهدي عباس العبيدي سنة ١٩٤٢ م من كلية التربية ببغداد (دار المعلمين العالية سابقا) ، من قسم اللغة العربية . وقد درس اللغة العربية في عدة مدارس ثانوية منها دار المعلمين الريفية وكلية الملك فيصل الاول ، وقد توفي في اوائل عام ١٩٦٨ وكان مديرا لاحدى المدارس الثانوية في الاعظمية .

٢ ـ لقد وصفه من رآه من معمري كربلاء بانه كان ربعة في الطول . متوسط البنية اسمر الوجه ، واسع العينين ، يعتم بالجلبية (الكشيدة) . وقد توفي عن سبعة اولاد وبنت . لقد كان اول من ادخل القراءة على المنبر الحسيني بدون الكتب . فالقراء قبله يقرأون بالكتب وهي بايديهم .

٣ ـ ان هذا التاريخ غير صحيح البتة ، وقد كان أول من ذكره هو المرحوم الشيخ محسن ابو الحب (الحفيد) . وقد اخذه منه الكثيرون ممن ترجموا للشيخ محسن ابو الحب (الجد) . ان

وقد أخذ الادب وسمع الشعر وروى الاخبار عن السلف الصالح من الائمة الطاهرين (ع) ...

عن الحاج محمد علي المتوفي سنة ١٣٨٢ (١) ، والحاج جواد بدقت المتوفي سنة ١٢٨١ (٢) ، وآخرين غيرهم من الخطباء والوعاظ . فما زال يختلف الى انديتهم ويقطف من ازهار احاديثهم ، ويجني من ثمر علمهم ، ويتلقف منهم ما ينثرون ، حتى ناهز الثلاثين (٣) ، واذا به قد نبغ في الشعر وبرز في الخطابة فكان

عدم صحة هذا التاريخ ثبت لدي بالسببين التاليين :

اولا : في الجزء الاول من كتاب (شعراء كربلاء) ، تاليف سلمان هادي الطعمة ، المطبوع في النجف الاشرف سنة ١٩٦٦ ورد بيتان من الشعر للشيخ قاسم الحر (١٢١٦ - ١٢٧٦) يؤرخ فيهما مولد محمد حسن ابو الحب المتولد يوم عيد الفطر من عام ١٢٥٥ هـ ، والبيتان :

بشرى لمحسن ذي العلا بمحمد الحسن الصفات
سر الورى ميلاده ارخته (بالخيرات)

ان محمد حسن بن الشيخ محسن هو ثاني انجاله ، والاول كان الشيخ محمد علي ، وقد كان خطيبا مثل ابيه وتوفي سنة ١٢٠٧ . فليس اذن من المعقول ان يكون الشيخ محسن (الجد) قد تزوج وانجب طفلين وهو ابن العاشرة . اذ لا بد ان يكون عمره حين ولادة ابنه الثاني على الاقل عشرين عاما، والاصح هو ان يكون عمره اكثر من ذلك ، فلولا تقدمه في السن والمجتمع لما اهتم شاعر معروف ابن الخمسين عاما على تثبيت ميلاد ابنه الثاني .

ثانيا : في سنة ١٢٥٥ تقريبا ، وقبل ان يتوفى المرحوم الشيخ محمد حسن ابو الحب بسنتين ، سالته انا بنفسي عن عمره ، فاجابني رحمه الله مبتسما « لقد كان عمري سنة وفاة والدي خمسين عاما ، وقد مضى على وفاة والدي حوالي خمسين عاما ، فانا الآن ابن المائة او ازيد قليلا . » وقد توفي رحمه الله سنة ١٢٥٧ هـ .

ان هذين الدليلين كافيان لتصحيح ميلاد الشيخ محسن الجد الى ما قبل سنة ١٢٤٥ بعشرة او عشرين عاما .

١ - الشاعر الحاج محمد علي بن الشيخ محمد بن الشيخ عيسى آل كمونة - شاعر مجيد من عائلة معروفة من كربلاء ، له ديوان مطبوع ترجم له الكثيرون ، مثل السيد محسن الامين والسيد محمد حسن الكليدار ومحمد علي اليعقوبي وسلمان هادي طعمة .

٢ - الحاج جواد بن محمد حسين آل بدقت من كربلاء . شاعر فحل ترجم له جميع من درس الشعر والشعراء في كربلاء . كان هو والشاعر محمد علي كمونة وغيرهما مثل الشيخ محسن ابي الحب الجد والشيخ عمران عويد والشيخ موسى الاصفر والشيخ علي الناصر السلرمي يجتمعون في ندوات كربلاء الادبية ، لا سيما ندوة السيد كاظم الرشتي ، لمطارحة الشعر ومبادلة الادب والدراسة والعلم. وقد رثاه الشيخ محسن ابو الحب (الجد) لدى وفاته .

٣ - هذا يؤيد ما ذهبت اليه من انه لا بد انه كان قد تقدم في العمر قليلا قبل ان يصبح معروفا في المجتمع ويهنئه الشعراء ويؤرخون لميلاد نجله الثاني .

السابق في الحلبة ولقب آنذاك بأبي الحب ، وهو لقب باق لعائلته في كربلاء حتى اليوم وسبب هذه التسمية ان طبيبا وصف له حبا لما اشتد بـه السعـال وضيق الصدر فكان يحمله معه ويعطي منه لمـن يراه مبتليا بهـذا الـداء فسمي ابـو الحب (١) ...

وكان نابه الشأن رفيع القدر في زمانه ومما يدل عـلى سمو مكانته اهتمام المؤلفين في تعليقه على كتبهم وابداء رأيه في مأثورهم ، فهذا معاصره محمد حسين النوري (٢) في مقدمة كتابه (نفس الرحمن) يقول مفتخرا : (وممن قرض عليه الفاضل الاديب المشتهر بنهاية الكمال في الافاق ، سيد قراء العراق الشيخ محسن القاريء ادام الله توفيقه) .

يبتدىء هذا التقريظ بالحث على الابداع فيقول :

مـن كان ذا قلـم فليمل مبتـدأ ... كـذا والا فـلا حـظ ولا قلـم

ثم يقول واصفا للكتاب :

مـن يطلع فيـه يعلـم ان ظاهره ... فيه النعيم وفـي بطنانـه النعـم
يـور تولد مـن نور فما نظرت ... عين امـرء غير ما تجلى بـه الظلم
أثنى عليـه لساني غير مبتـدىء ... وسوف يثني عليـه اللوح والـقلم

ثم يذكر اسم الكتاب وفيمن ألف :

جاء اسمه نفس الرحمن حين بـدا ... معنـاه مـن نفس الرحمن يغتنـم
أبـان مـن قـدر سلمان ورفعته ... ما كان قصر عنـه العرب والعجم

وللمترجم ديوان يقع في (١٩٨ صفحة) ثمان وتسعين ومائـة صفحة مـن

---

١ ـ ان هذه القصة وان كانت تضفي علـى المترجم لـه الشهامة والكـرم ، الا انني اشك فـي صلاحيتها بان تكون سببا لتسمية العائلة بهذا الاسم (ابو الحب) وذلك للسببين التاليين :
اولا ـ هناك بعض الاوراق التي تحمل ختما باسم الحاج علي ابو الحب وبتاريـخ يزيـد على الـ ١٥٠ سنة ، اي قبل شهرة المترجم له .
ثانيا ـ هناك في عائلة ابي الحب في كربلاء افراد بل وافخاذ تحمل هذا اللقب وهم ليسوا من صلبه بل ان بعضهم يلتقي معه ، بأبيه ، وبعضهم يلتقي معه بجده .
٢ ـ الميرزا حسين بن الشيخ محمد تقي الطبرسي النوري المتوفي سنة ١٣٢٠ طبع مؤخرا كتابـه « نفس الرحمن » في المطبعة الحيدرية ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ وكانت هذه هي الطبعة الثانية . والكتاب عـن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضوان الله عليه .

القطع المتوسط خطي موجود عند عائلته وهم من العائلات المعروفة في كربلاء ووقفت على نسخة (١) عند حفيده السيد ضياء ابو الحب المدرس للتربية في دار المعلمين الريفية (٢) •

والديوان تغلب عليه الناحية الدينية • يكاد يكون كله في رثاء الحسين وآل الحسين (ع) • فهو يعد من أدب الحسين • وللحسين أدب خاص قد يعجز الادباء عن جمعه بل يتعبهم • وهو ينبوع للشعر فياض يمد الادب بماء متواصل وغذاء غزير مستديم •

وهو يشرح لنا سبب رثائه لهم ومدحه اياهم فيقول مخاطبا عليا :

أمير المؤمنين ولاك حصني ٭ بيوم الحشر ان كشف النقاب

وها أناذا استقري ديوانه قاطفا من ورده جانيا من ثماره وان تساوت الازهار وتشابهت الاثمار لتكون نموذجا لاثره رابطا هذه الباقة بوحدة موضوع لا بما تنظم به الباقات والموضوع هو كما المحنا اليه يوم عاشوراء أو أدب الحسين •

بغداد — للبحث صلة — مهدي عباس العبيدي

---

١ — في الحقيقة ان هناك عدة نسخ خطية للديوان كلها منقولة عن النسخة الاصلية القديمة التي القصائد لم تدرج بهذه النسخة الاصلية — قسم منها بقي محفوظا في صدد — خطباء المنابر الحسينية حصل على بعضها حفيده فسجلها ، وقسم آخر تشتت في بعض المجاميع الخطية . فقد وجدت مثلا قصيدتين في مجموعة آل الرشتي لم تكن موجودة في الديوان ، والنسخة الاصلية هذه من الديوان هي في هذه النسخة بخط المرحوم الشيخ محسن ابو الحب الحفيد وبخطي انا ، يظهر ان هناك كثيرا من المتوفي اثناء الحرب العالمية الاولى) ، والنوعان الآخران ، متوسط ورديء . كما ان هناك اضافات يظهر من كتابتها ان جزءا منها كتب في زمانه والجزء الآخر بعد وفاته . هناك ثلاثة انواع من الخط في هذه النسخة ، خط جميل وجيد جدا (وقد يكون هذا الجزء هو خط ولده محمد سعيد ابو الحب لدي ، كان قد اهداها لي المرحوم العم الشيخ محسن ابو الحب الحفيد سنة ١٩٢٤ م بمناسبة نجاحي في الثالث المتوسط وهي الآن عند الدكتور ضياء ابو الحب على سبيل الاعارة حيث انه ينوي نشر الديوان . اما النسخ الاخرى فانا اعرف ان الدكتور ضياء ابو الحب لديه نسخة من الديوان بخط يده ، ولدي انا نسخة ثانية بخط الميرزا صادق الواعظ احد تلامذة الشيخ محسن الحيف ، وعلى ما اعتقد ان لدى الاستاذ حسن عبد الامير — في كربلاء — نسخة ايضا . وقد تكون هناك نسخة في « صندوق » المرحوم اليعقوبي ، ولدى السيد صدر الدين الشهرستاني نسخة اخرى .

٢ — الدكتور ضياء ابو الحب الآن استاذ التربية المساعد في كلية التربية في جامعة بغداد .

مع الخالدين

مع أوغست ستريندبرغ

بقلم : سمير شيخاني

صوت ــ في السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٤٩ ، احتفلت اسوج ، حكومة وشعبا ، بذكرى مرور مائة سنة على مولد اوغست ستردبرغ ، احد مشاهير الروائيين المسرحيين في العالم ، والشاعر ، والرسام ، والرجل الذي تعرف الى مختلف ميادين النشاط الفكري من الجغرافيا الى الكيمياء ، ومن الطب الى اللاهوت .

ستردبرغ ــ أصحيح ما تقول يا سيدي ؟ لكم يسرني معرفة ذلك .

صوت ــ صحيح تماما ... وقد اقامت « جمعية ستردبرغ » للمناسبة معرضا لرسومك في المتحف الوطني للفنون في استوكهلم ، وجلها لوحات تمثل البحر في العواصف ، كما اصدرت مصلحة البرق والبريد ثلاثة طوابع مختلفة تخليدا لذكراك . اما مسارح العاصمة الاسوجية فقد اقتصرت برامجها على تمثيل الروايات الرائعة التي وضعتها ويزيد عددها على الثماني والخمسين .

ستردبرغ ــ لا عجب في ذلك ، فقد عرفت بلقب شكسبير أسوج . ويدهشني كثيرا ان وطني قد اعترف بفضلي على الرغم من مواقفي العنيفة المعروفة .

صوت ــ لقد ذكرتني بضرورة الاشارة الى ذلك تنويرا للقراء ... فقد قضى ستردبرغ وقتا غير قصير خارج اسوج بسبب نقده اللاذع للمجتمع الاسوجي ولعدد من الشخصيات المعروفة ، ولم يكن يعرف الهوادة في نقده . عاش في المانيا ، والنمسا ، وفرنسا ، وسويسرا ، وايطاليا ، والدانمارك . وتزوج ثلاث مرات ، ورزق ستة اولاد ، وكان على اهبة الزواج للمرة الرابعة عندما عاجلته المنية العام ١٩١٢ .

ستردبرغ ــ ارجوك ، بلا فضائح ! (يقهقهان) .

صوت ــ ثق ان شيئا من ذلك لم يراود تفكيري ، ولكنها الامانة التاريخية •

ستريندبرغ ــ اذا كان كذلك فلا بأس • والآن ماذا تريد قوله ؟

صوت ــ كنت يا سيد ستريندبرغ في شخصيتك وحياتك وادبك واعمالك سلسلة من المتناقضات • كنت في آن ملحدا ، وفي آن آخر تقيا ورعا ، شديد التعصب ••• كنت من انصار الطبقة العاملة ، كما كنت ارستقراطيا من الناحية الفكرية ، تتصرف تصرف السوبرمان • وكنت واقعيا ، كما كنت متصوفا •••

ستريندبرغ (مقاطعا) ــ لا عجب في ذلك ، يا سيدي ، فان رجلا في مثل قوتي ، لا بد له ان ينجذب نحو هذا التناقض الغريب •

صوت ــ لم تدعني أنهي سلسلة المتناقضات ، وسارعت الى التعليق والتبرير •

ستريندبرغ ــ وماذا بقي لديك من صفات متناقضة تجدها فيَّ ؟!

صوت ــ كنت رحب الصدر ودنيئا ، مقداما وجبانا ، قاسيا ورقيقا متواضعا ، محبوبا ومسببا للنفور والاشمئزاز ، طيب القلب وفجا ••• لم تكتف بشن حربك الشعواء على الافراد ، بل تحديت المجتمع الاسوجي ، والعالم بأسره•

ستريندبرغ ــ حتى ان الكثيرين يتهمونني بأنني تحديت الله نفسه !

صوت ــ ومع ذلك فكثيرون هم الذين يحبونك ويقدرونك حق قدرك ، ولا يقل عنهم الذين يمقتونك اشد المقت • اما حياتك وشخصيتك فهما في عرف الكثيرين قصيدة رائعة غريبة ، تأسر الالباب ، وتبعث على النفور في آن معا •••

ستريندبرغ ــ التناقض يلاحقني في كل شيء •• ماذا تريد ؟! (يقهقهان) •

صوت ــ دعنا نتحدث الآن عن الناحية المسرحية في اعمالك الادبية • فقد ظن الناقد المسرحي الفرنسي المعروف فرنسيسك صارسي عندما شاهد في اواخر القرن الماضي (حوالي ١٨٩٨) رواياتك تمثل على مسارح باريس ، ان باستطاعته ان يستخلص منها افضل النتائج وادقها عن سلوك الازواج الاسكنديناڤيين اليومي في حياتهم العائلية • وقد اجمل صارسي معاملة الرجال لزوجاتهم بالعبارة

الموجزة المؤثرة التالية : « تـرى الازواج ، اول مـا تـراهم ، غاضبين حانقين ، وسرعان ما تتملكهم سورات من الجنون المخيف » •

ستر ندبرغ ــ لا عجب في ذلك ، فـقد اتيـح لصارسي ان يشهـد اروع تمثيلياتي عن الحب والزواج ، وهي التـي اكسبتنـي شهرتـي العالمية كمؤلف مسرحي ، امثال : « الانسة جولي » ، و « الدائنون » و « الاب »

صوت ــ غير ان مسرحيات الحب والبغض ، والنزاع بين الرجل والمرأة من اجل النفوذ والتسلط ، وفـقدان الانسجام والوفاق بين الزوجين ، ليست سوى ناحية من نواحي تاجك الادبي الضخم • فـفي اثنـاء الاحتفال الـذي اقيم في استوكهلم وحضره ضيوف من مختلف انحاء المعمور ، ألقي الضوء على عبقريتك وشمول نظرتك وشخصيـتك الادبية والفكرية الفذة ، وتنوع مؤلفاتك وقد مثلت خلال هذا المهرجان ابدع مسرحياتك « الحلم » •

سترندبرغ ــ انها مسرحية شعرية خيالية ، لا يقيدها زمان او مكان ، فيها العطف الصادق على الجنس البشري المتألم في عالـم يعـج بالاحلام الذهبيـة والاوهام •••

صوت ــ اما « على طريق دمشق » ، وهـي مسرحية « سريالية » ، فتعتبر فاتحة عهد المسرحيات التعبيرية ومصدر وحي والهام لعدد من الشعراء المسرحيين الواقعيين امثال يوجين اونيل ، وجان بول سارتر وسـواهما •

سترندبرغ ــ ولا تنس ان لـي مسرحيات مستقاة مـن صميـم التاريخ الاسوجي ، واشهرها « السيد اولـوف » ، و « غوستاف فاسا » ، و « الملـك شارل الثاني عشر » • وقد نحا في المسرحية الاخيرة نحـوا جديـدا في كتابـة المسرحيات التاريخية يختلف اختلافا بينا عما ألفناه في مثـل هـذا النوع مـن المسرحيات ، واشهرها مسرحيات شكسبير •

صوت ــ وكنت تكره هـذا الملك المحارب ، شارل الثانـي عشر ، كرهـا لا مزيد عليه ، فدعوته « المجرم الكبير » ، وقد اجدت في وصف سقوطه المهول في مشاهد موسيقية رائعة •

سترندبرغ ــ لا تنس انني كنت موسيقيا ، وقد تركت في هـذا الفن بعض

الآثـار ...

صوت ـ ذلك هو الواقع ، يا سيدي . فـقد كنت ذا قدرة فائقـة علـى العمل ، قوي الذاكرة ، شديد التعلـق بالحياة ، يعـج رأسك بالآراء والنظريات الجديدة على اختلاف انواعها . وكنت ترغب في اختبار كل شيء ، والاطلاع على كل شيء . وقد اشتهرت كرسام ، فتخصصت في رسم مناظر العواصف البحرية، وتلاطم الامواج ، واكفهرار الجو . ووقـفت قسما مـن وقتك عـلى الموسيقى والنحت ، فتركت بعض الآثار فيهما . وأكببت على العلوم ترشف من معينها دون ان ترتوي ، حتى بات لديك من كل علم اخبار واخبار .

ستراندبرغ ـ كنت عالمـا بالجغرافيا ، والكيميـاء ، والفيزيـاء ، وعـلم الحيوان ، وعلم النبات ، وعلم طبقات الارض ، والفلكيات ، والرياضيات ، وعلم الآثار ، والاجتماع ، والابحاث اللغويـة ، والفلسفـة ، والطب ، واللاهـوت ، والتاريخ الـخ ...

صوت ـ وكان لديك مختبر علمـي خاص تجري فيـه مختلف التجارب . وقد وضعت كتبا ومقالات عديدة في الاختبارات والمباحث التي كنت تقوم بها ..

ستراندبرغ ـ ولم أقـف عند هـذا الحد ، بـل درست اصول تكريـر المشروبات الروحيـة ، وصنع الخزف والبـورسلين . وتعلمت اللغـة الصينيـة وآدابها ، وعقدت حول الثقافة الصينيـة فصولا لهـا اهميتها في عالـم الصحافة والنشر . وتركت حوالي ستة آلاف رسالة في مواضيع متنوعـة لا ادري مـاذا تـم بهـا .

صوت ـ اطمئن ، فان « جمعية ستراندبرغ » تهتـم اليـوم بجمعها تمهيدا لنشرها في عدة مجلدات ...

ستراندبرغ ـ شكرا لك على هذا الخبر ، وشكرا للجمعية المذكورة عـلى نشاطها هذا واهتمامها بي وبانتاجي .

صوت ـ ونعود الى نشاطك الادبي فنذكر أنك كنت كاتبـا قصصيا مـن الطراز الاول . الا ان رواياتك وقصصك القصيرة هي ذات طابع قومي شديد ، وصبغة محلية ، فلم تلق خارج حدود اسوج ، وحتى في بلدان اوروبا الشمالية ،

الزواج الذي عرفته مسرحياتك • ولعل اشهر قصصك « ابن الجارية » ، وهـي ترجمة مطولة لحياتك ، افرغتها في قالب قصصي جـذاب ، فجاءت عـلى غرار اعترافات جان ـ جاك روسو • وفيها تسرد دقائق حياتـك الغريبـة ، المليئـة بالمخاطر في صراحة تامة وتحليل نفسي عميق •

سترندبرغ ـ ولي مجموعة قصص قصيرة بعنـوان « الزواج والتزويج » آثارت علي السلطات العامة لدى ظهورها لجرأتهـا وصراحتهـا المتناهية • فيهـا رسمت لوحات رائعة عن الزواج العصري ، والمرشحين للزواج ، الاكـفاء منهـم وغير الاكفاء ، وامعنت في الهجو والتهكم اللاذعين •

صوت ـ ولك كذلك ثلاثة دواوين شعرية تخولك احتلال مقـام ممتاز في مصاف الشعراء الغنائيين الكبار • وقد قضيت خلال تنقلاتك في القارة الاوروبية حوالي سنة ١٨٩٠ وقتا غير قصير في الحلقات البوهيمية الدولية التي كانت تتردد الى احد مقاهي برلين •

سترندبرغ ـ كنت انزوي في ركن من اركان المقهى المظلمة ساعات وساعات محتضنا قيثارتي ، منغما لحنا من الحاني الشجيـة • وهنـاك وضعت انشودة « روح الشلالات » التـي تتضمنها مسرحيتـي الشعبيـة الغنائيـة « العروس المتوجـة » •

صوت ـ ولعل من اشهر قصائدك الغنائية «رحلة الى البلد» و « الاناشيد» ، وهما قصيدتان تظهران بوضوح تام روحك الشعرية الموسيقية •

ستر ندبرغ ـ سيدي ، هل بقي لديك شيء عني لم تتحدث فيه ؟

صوت ـ لا ، يا سيد ستر ندبرغ ••• لماذا هذا السؤال ؟

ستر ندبرغ ـ لاعرف متى ستنتهي هذه المقابلة •• ولاشكرك على تفكيرك في تقديمي الى جمهور قراء العربية !

صوت ـ لا شكر على واجب ، يا سيدي ••• واستودعك الله •••

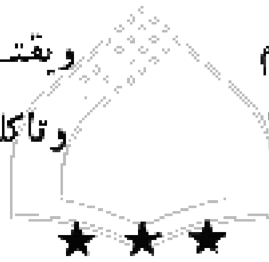
ستر ندبرغ ـ مع السلامة ، يا سيدي !

سمير شيخاني

الشهرة هيهات أفرّ في رياض

شعر: أحمد الصافي النجفي

سعى للشهرة الجوفاء قوم ... وكم بالشهرة اندثر الشهير
فبعض الناس يقتله خفاء ... وبعض الناس يقتله الظهور
كبعض الخلق يقتله ظلام ... ويقتل سافل الحشرات نور
كذاك النمل فوق الارض يحيا ... وتأكله متى طار، الطيور



★ ★ ★

لقد جبت المخاطر في حياتي ... فكيف لمأمني منها وصلت
فلو عرضوا علي البدء طفلا ... والقى ما لقيت، لما قبلت

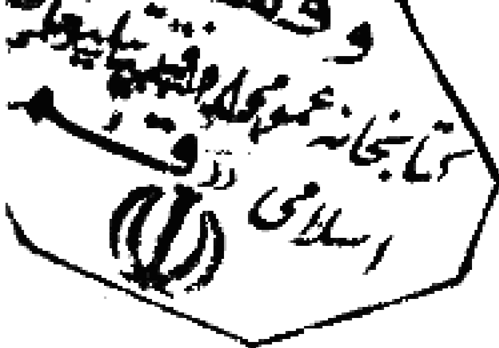
★ ★ ★

افر من النوادي زاخرات ... بالوان المجاملة الوضيعة
وآوي للحقول طليق نفس ... فلست مجاملا الا الطبيعة

★ ★ ★

انت في نزهة وخير ملاه ... في رياض وانت في الهم ساهي
فكل الامر للاله ودعه ... وتفرج على صنيع الله

احمد الصافي النجفي



العام الجديد ١٩٧٣

شعر : جورج صليح

وافــى تواكبـه المعـرة		عــام كفانـا اللـه شـره
وتـربـص بـالآمنـين		تشـد اسرائيـل أزره
لكـن فـي سيمائـه		دخـن الصـدور المستعـره
السم فـي فمـه ، وفـي		يـده دم ، والعـين جمـره
الـدرب مـرسوم لـه		درب السباق الـى المضـره
مـا حـاد عـن بنيانـه المـرصوص بالاشـلاء شعـره
أيـن المسـرة فيـك يـا أعيـادنـا ؟ أيـن المبـسره ؟
أولاه مصرع (وائل (١)		فـي عالـم الاجرام شهـره
لـو كان عـام النصر كنا		تـنحني ونبـوس ظفـره
أيـن الليـالـي البيض ؟ أيـن العيـش سلسالا وخضـره ؟
يـا ليـت أجنحـة الخيال		تقلنـا نحـو المجـره
لـنقيم فـي جـو سمـا		ونـأى عـن الظلام فـتره
وتكـون أجـواز الفنـان		حماتنـا مـن أي كـره
تلقي الصواعـق مـن هنـاك علـى الـرؤوس المشمخـره
فـتصيب (نكسـن والصهايـن) مـرة ، بـل ألـف مـره

★ ★ ★

أواه ! طـار بنـا الخيال		ولـم نـزل في جوف حفـره

---

١ ـ وائل زعيتر الاديب العالم المسالم القتاله في روما عملاء الارهاب الصهيوني .

الضعف ـ بله الخلف ـ واقع حالنا . ياما أمره
والغرب يحقرنا كأن العرب تحت الشمس غبره
هانوا فصار وجودهم (حاشا وجود النفط) عثره
هدروا مياه جباههم راضين بالآبار ثره ..
وتبايعوا الدولار سلطانا فكان الامر أمره
يقضي على من شاء منا ، أو يدر عليه دره ...
جعل اليهود جنوده وأعد للفئران ... هره ...
فاذا بنا تحت الخيام وقومه فوق الاسره .



يا عم (١) (وائل) يا عميدا تقرع الاشجان صدره
أعطاك وائل عمره يا ليته أعطاك صبره
لحكمت أن رحيله صان الشريف وفك أسره
هذا الشهيد نريده لمعاشر الشهداء عبره
هو من ملائكة السماء حياته في الارض سخره
متمرد متجرد متجدد قلما وفكره
قبس يشق شعاعه في أفقنا المسدود ثغره
لولا انطفاء مناره لم تكشف الآفاق سره
لهفي على الغصن النحيل تعمد الجانون هصره
الروض يبكي زهره بندى يخضب كل زهره
لهفي على الحمل الوديع تهيب الذئبان نحره

١ ـ عم الشهيد الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن ولسان العرب في لبنان .

غالـوه فـي الظلمـاء واستوفـوا عـلى النكـراء أجـره
أتـرى الصدى الصيـاح رفرف فوقـه واحتل قبره ؟
هيهـات ، مـا للثائـر الروحي مـن يستـام ثـأره .

★ ★ ★

يـا أمـة فجعت بـه مـا مات ان أحييت ذكـره
لا تلعني الدهـر الخؤون بـل العني مـن خـان دهـره ..
كثـرت ضحيـات الفـداء ، ومـا الفدائيـون كثـره
اليوم (وائـل) في ضيافـة (كامـل) (١) يشتـف خمـره
(غسان) (٢) بينهمـا عظـام فـريسة وحطـام ثـوره
نـكء الجـراح قديمهـا بجديدهـا ، كـم فيـه حسـره !

★ ★ ★

يـا فاطـر الشهـداء هب أرواحهـم أمنـا وقـره
واعطف عـلى الاحيـاء أنضـاء الخطـوب المستمـره
العـدل أوصـد بابـه فـي وجههـم وأدار ظهـره
فالويـل للمقهـور سـوغ منطـق (الفانـتوم) قهـره ،
أرض المناكيـد العبيـد تـدوسهـا الاقـدام حـره .

★ ★ ★

العـام يعـذرنـي اذا استـقبلت عـودتـه بـزفـره .

باريس — جورج صيدح

---

١ و٢ ـ كامل مروة وغسان كنفاني . الصحافيان البارزان في جهادهما جرى اغتيالهما في بيروت .

الاجئة

شعر: عبد الحسين عبد الله

حملت في الظلام طفلا هزيلا — باكيا يملأ الفضاء عويلا
وعيون السماء تهمي عليها — مالآت عرض الطريق سيولا
تغمر الطفل بالحنان وتلقي — فوق عينيه ثوبها المبلولا
كلما شاهدت على البعد دارا — اسرعت نحوها تروم الدخولا
ثم عادت حيرى فقد اوصدوا — الباب من دونها وسدوا السبيلا
ارعش البرد ركبتيها فكادت — ترتمي في الطريق عرضا وطولا
قلت ماذا تبغين قالت مبيتا — للضحى يحفظ الصغير العليلا
قلت اهلي كثر وبيتي صغير — جحر ضب فكيف يأوي نزيلا
اتبعيني لعلني عند اهلي — لمنام الصغير القى سبيلا
تبعتني ولي اليها التفات — يترك القلب داميا مذهولا
جئت اهلي بها ويا فرحة القلب — وقد اجزلوا لها التأهيلا
غمر الطفل من بناتي حنان — علم الامهات عطفا جميلا
واتساع البيوت ليست مسافات — اذا ما حوين خلقا نبيلا
وصغار قد ادخرن نقودا — بذلوها ليشتروا المأكولا
كلهم راكض الى السوق يعدو — مرحا ضاحكا ويأتي عجولا
يعرفون القلوب بالبؤس تدمى — ويداوون بالقليل الغليلا
والذي لم يذق من البؤس كأسا — لا يعي في الحياة الا قليلا

عبد الحسين العبد الله

لبنان الجنوبي

شعر : توفيق ابراهيم

اتيت من البقاع الى الجنوب   لامسح دمعة الشعب الكئيب

واتقل عن امانيه الغوالي   حنين الام للوطن السليب

وامي أمتي الثكلى تنادي   حياتي ، مهجتي ، ولدي حبيبي

أتنهشني الذئاب وانت حي   وفي عينيك شوق للوثوب ؟

وارضخ للغزاة وفي ضلوعي   فحيح الجرح يعصف باللهيب ؟

فديتك لا تدع زحف الأفاعي   يدنس تربة الوطن الحبيب



فلسطين الحبيبة لا تهابي   قراصنة الازقة والدروب

فخلفك امة دحرت قواها   غزاة الغرب في الامس القريب

وهل خلف الحدود سوى كلاب   تهدد بالمخالب والنيوب

تغذيها ضواري الغاب جهرا   بأطنان القذائف والحبوب

لتغزو ارضنا غدرا وتحمي   حقول الزيت من غضب الشعوب

دعي الفانتوم تزعق في سمانا   دعي الاوغاد تعبث في الجنوب

فمهما الغاصب الباغي تمادى   وهددنا « بهولاكو الرهيب »

ستأتي ساعة ننقض فيها   على اسطورة الشبح الغريب

ونطرد كل مغتصب دخيل   ونسخر من « جبابرة » الحروب

فهول الليل يعقبه صباح   يزلغط بالاشعة والطيوب



فلسطيـن الحبيبـة لا تبالـي بقرقعـة المـدافـع والـدبيـب
فضـرب المسجـد الاقصى امتهان لعيسـى ، والكنيسة ، والصليـب
وهل كـان المسيـح سوى حكيم يـداوي الـداء بالفعل العجيـب
ومـا زال المسيـح الحـي فينـا ينـدد بالصهاينـة الكعـوب
وصـوت محمـد مـا زال حيـا يـدوي فـي المآذن والقلـوب
وفـي آيـاتـه الحسنـاء يدعـو الـى نبـذ اليهـود ذوي العيوب
ـفكيف نهـاب فاجـرة عجـوزا تغطـي الفحش بالثـوب القشيب
وصـوت الامـة السمحاء دونـي يلف الكـون بالالـم الخضيـب
وكيـف نهـاب والدنيـا مدانـا وفـي لبنـان : لبنان الجنوبـي ؟

توفيق ابراهيم

الخنفـس

مـا للشبـاب تغيرت حالاتهـم فـتخنثوا وتشبهـوا بالخنـفس
اضحـى فتانـا كالفتـاة تأنقـا وفتاتنـا تحكـي الفـتى بالملبس
أرخى ذوائبـه وقصت شعرهـا واخشوشنت وغدا طـري الملمس
ويكـاد طرفك لا يميـز أنيسة مـا بـين أترا بـلهـا من مؤنس
فـقدت انوثتهـا وسر جمالهـا فيهـا كما فـقد الصواب المحتسي
وعـرا فتاها مـن تشبهـه بهـا ضعف وشر الضعف ضعف الانفس
اودى بعـزة نفسـه وابائـه واتى على الخلق العظيـم الانفس

خربة سلم أحمد حسن الامين

في كهوف جعيتا

شعر : ابراهيم بري

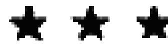
دخلت بابك في صمت وفي ادب … ورحت أوغل في الاجيال والحقب
تاريخك الفذ ، لا التاريخ يدركه … فانت اقدم من صور ومن حلب
بل انت اقدم لوحات تصورها … انامل الله في الاسفار والكتب
سبعون مليون عاما ، كلها انتسبت … الى مقامك يا صوفية النسب
كم هاجمتك خيول الدهر وانكفأت … الى الوراء ، ولاذت عنك بالهرب
وفي هياكلك العذراء كم صفرت … ريح الشمال ، وهلت ادمع السحب
تلك القناديل ما اسنى تألقها … كأنها انسكبت من مهجة الشهب
تضفي على الليل اضواء ملونة … فالليل مختضب بالماس والذهب
من انت ؟ صنع اله أم عباقرة … صاغوا الحضارة في سردابك الرطب
زاروك ،والشمس كانت تستريح على … سريرها ، وعن الافاق لم تغب
دقوا ازاميلهم في الصخر فانفتحت … اضلاعه ، واطل الصخر بالعجب
هنا حدائق عاج ، قربهن نما … غصن من البان مع غصن من القصب
وفي الزوايا شموع يحترقن على … نفوسهن ، بلا وهج ولا لهب
وفي نقا الصخر يبدو ثعلب شره … لف اللسان على قطف من العنب
وخلفه ، لاح فلاح يسل عصا … بكفه — وعليه هيئة الغضب
وفي الاعالي نساء يتكئن على … جرارهن ، من الارهاق والتعب
وينضح الماء من ندي الرخام على … انامل تتلقى الماء بالقرب
وزين القاع طاووس تحجر في … مكانه ، وزها بالراس والذنب
ويستريح على زند الرخام فتى … حلو الجبين ، طويل العنق والشنب
تبثه الشوق حسناء ، بنظرتها … تضم كل معاني الشوق والعتب
وفي البعيد خيام الجن قد برزت … عجيبة الصنع في الادغال والكثب
معاجز فيك يهفو الانبياء لها … فهل ترى عاش في هذي الكهوف نبي؟
يا بنت لبنان ارجعت النبوغ لنا … في صنعة العلم ام في مهنة الادب

ابراهيم بري

عتاب ٧

شعر: هادي الشربتي

لـم الق للحزن في عينيك من اثـر	اما اهاجك بعض الشيء من خبري
أم ان قلبك قـد جف الحنان بـه	كمثـل قولك حتى عـاد كالحجـر
أم المـروءة بيـن الناس ضـائعـة	كأن اصحابهـا ليسو مـن البشـر
أم المصـائب هانت بعـد كثـرتهـا	حتـى تعـودت الدنيا علـى الضرر
ومـا لشـدوي لـم يهززك من زمن	ولا يثيـرك ارنـانـي ولا وتـري
قسا فؤادك لا يهفـو لحشرجتـي	في حين منهـا تلظى الكون بالشرر
وهل تضاءلت حتـى لا يهزك مـا	قـد ذقت من علقم مـر ومن عسر
أم هكذا تنزل الدنيـا بصاحبهـا	حتـى يقـابلـه الاهلـون بالضجر
وشيمـة الدهر هل ادى العقوق بها	الـى التزحلق في مستنقع قـذر
لكنمـا هـذه الدنيـا خـلائقهـا	مجبولة ـ منذ أن كانت ـ على العهر
تسـربت بالخنـا من بدء خلقتهـا	فلـم تجد بـسوى الآثام والوضـر



يا مدية الغـدر يا موتـا يطـالعني	جذي ضلوعـي ولا تبقي ولا تذري
ومزقـي مهجتـي اربـا لتمضغها	سـود الليالي ولا تبقي على اثـري
لا ترحميني اذا استجديت مـرحمة	لربمـا استميـح العذر مـن خور
فتلـك فرصـة خيـر انـت مالكة	لهـا فصولـي كما تبغين وابتدري
فالارض ملكـك والايـام قـائمـة	تحميـك من كـل بـاغ آثم أشـر
فالناس همـل ورب العصر سيدهم	وانـت في كفـه اقوى من القـدر
لا ترهبـي وافعلي مـا انت راغبـة	وليس في القـوم من نـاه ومزدجر
عبي الدمـاء فقد غـودرت ظامئـة	ووردك اليـوم صاف غير ذي كدر
ان لم تكن شيمة المنصور شرب دم	مـا الفرق ما بيـن منصور ومندحر



يـا منيــة الطهر ، يا فجرا اراقبــه ... يـا نفثة الـسحر في انشـودة السحر
يا بسمــة الامل المنشود يومىء لي ... جـلال ليـل من التسهيد معتكـر
يـا رقـة الخمر اذ دبت بنشوتهـا ... في الروح فارتهنت في نشـوة الخدر
يا ضحكة الصبح لو لاحت تهش لها ... مـن الجفون الوف عشن في سـهر
يا نغمـة صاغهـا داود رقتهـا ... ذابت بسمع الهوى في أحسن الصور
هبي نسيم حيـاة تستقيم بـه ... روحي وتبعث آمالـي من الحفر

كربلاء ــ العراق ... هادي محمد الشربتي

نريــح الاجــرة

★ ★ ★

● اراد احدهم ان يستأجر منزلا من أحد البخـلاء ، فلمـا حضر الرجـل للمعاينة سأل صاحب البيت قائلا : أين المطبخ ؟ فقال : في الجيران من يطبخ لك . قال : اين المخبز ؟ قال : سمعت ان جارك فلان قد صنع تنـورا جديـدا وهـو لا يمانع ان تخبز عنده . قال : فأين المرتقى الى السطح ؟ قال : امـام باب البيت ساحة نظيفة يطيب النوم بها . قال : ان كانت حوائج المنزل كلها خارجـه فنحن خارجون ونريح الاجرة .

قبس من الحسين «ع»

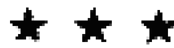
شعر: كاظم جواد رضا

طهرت وطاب بك المولد ... وزانك قدرك والمحتد
وانت السراج وفي ضوئه ... سنمضي وان عز ما ننشد
ومنك تشع معاني الخلود ... سموا وعزا وانت الغد
وانت الغياث وهل من دليل ... سواك بطغيانها يصمد
وانت أبنت لنا منهجا ... وقلت : أيا هؤلاء اقتدوا
أيا معشر الناس اني نذير ... لكم فاسمعوني ولا تعتدوا
رسمت لنا دربنا لاهبا ... وأطلقتها صرخة ترعد
بأني لا ارتضي ذلكم ... وكيف تمد اليكم يد ؟
وهل مسلم من يوالي الطغاة ... ويرضى الفجور ويستعبد
وأنت القوي الذي لا يلين ... وانت العفيف الذي يزهد
وانت العزيز الذي لا يضام ... وانت الكريم الذي يقصد
وكنت الشجاع بقطعانهم ... ولم تأل جهدا وهم شرد
نهضت واصحابك المخلصون ... وكان العدو لكم يشهد
ورايـاتكم رفرفت عاليا ... واصدرن بيضا كما المورد
صمدتم فكنتم ليوث الوغى ... مثال الاباء ، وريع العدو

★ ★ ★

خرجت لتصلح ما افسدت ... علوج امية اوحد
بصحب تسابق نحو العلا ... وروح الولاء بهم يصعد

يدور دجى تستشف الوجود وترعى العهود وتسترشد
تطيع الحسين بن بنت الرسول وتحمي الذمار ولا ترقد
فهبوا جميعا ولأواؤها يكاد يشيب لها الامرد
وخاضوا المعارك واستبسلوا وكل هزبر بها سيد
كماة اذا ما دعوا للبراز اطاحوا الرؤوس ولم يجمدوا
كمثل (ابي الفضل) ثأر الاله ومثل (زهير) بهم يحصد
ومثل (علي)يشع سنا و (مسلم) يفري ولا يقعد
ومثل (حبيب) بدا باسما و (نجل الزكي) له مشهد
ودور (الزينب) اكرم به يهز المشاعر بل يخلد
وبنت علي بأقوالها أقضت مضاجع من يجلد
و (زين العباد) قوي الفؤاد ورمز الجهاد ومن يعضد
هنا المهرجان بذكرى الشهيد بأرض البطولات لا (المربد)



أمعقد آمالنا الساميات لأنت نشيدي والمقصد
وانت العظيم الذي لم يزل بأنواره يسطع الفرقد
وفيك (الرسالة) قد جسدت فرحت الذي شابها تطرد
فأنقذتها من يد العابثين وانك حقا لها المنجد
لهفنا اليك لما نابنا وانا بشخصك نستأسد
وفي (اربعينك) بعض اسى وبعض دروس بها نرشد
ظمئت لارواء غرس لنا وكان السقاء دما يرفد
كذا التضحيات والا فلا فبوركت فذا لك السؤدد



أيـا الشهـداء وهذي العدى — وليس لصمصامها مغمد
تحاول كيدا ولا ترعوي — وباتت بحق لنا تجحد
وراحت تخبي لنا المهلكات — وأعينها حوم رصد
كأنا ـ واسلامنا شاهد ـ — ولسنا لامتنا نجهد
كأنا كفرنا بكتب السماء — ولم نك نفعل ما يحمد
فيا لوقاحة ما يتت — ويا لقباحة ما تنشد
ونحن اذا ما اردنا الحياة — بغير هدى الله لا نسعد
وأنت الشموخ وأنت الثبات — وأنت لنا شعلة توقد
فضحت بثورتك الظالمين — وعلمتنا كيف نستشهد
سنأخذ حقا لنا من (يزيد) — ومعك لنا في غد موعد
يجل بك الخطب يا سيدي — وقلب المحب به يكمد
وفي القريحة قد الهبت — وهيهات يوما لها تبرد
وان عزائي على فقدكم — وما نالكم من اذى سرمد
سلام عليك اذا ما بعثت — ويوم قتلت واذ تولد

بغداد ـ الكاظمية

كاظم جواد رضا
بكالوريوس آداب

أجـود الجـياد

● سأل الحجاج ابن القرية : ما يحمد من الخيل ؟ فقال : اذا كان قصير الثلاث ، طويل الثلاث ، رحب الثلاث ، صافي الثلاث ، فهو الجواد . اما القصير فالثلاث ، فالعسيب والساق والظهر ، واما الطويل الثلاث فالاذن والنحر والسالفة ، واما الرحب الثلاث فالمنخر والجوف واللبابة ، واما الصافي الثلاث ، فالاديم والعين والحافر .

طرائف من السنغال

رحلة صيد

شعر: ابراهيم حاوي

من ديوان لوافح ونوافح الذي تامل بطبعه قريبا .

هذه الحكاية الشعرية نقلها لي احد الصيادين ابو جميل وطلب مني نظمها شعرا في وقتها ١٩٦٨ تقريبا فنظمتها تلبية لصداقته .

يقول ابو محمد في حديث ... لصياد القلوب ابي جميل
ارى نفسي تتوق الى المعالي ... ولن اكتمك شوقي يا زميلي
لقد صدئت بنادقنا فهيا ... لصيد البر نأتي بالجزيل (١)
وفي الاهداف ما جربت جفتي ... ولكن في الفضاء فتى المهول

★ ★ ★

وهب الاجدلان قبيل فجر ... بديع البزغ ذي ريح عليل
الى بر مرج فسيح ... الى غاب الى ظل ظليل
الى وحش الى طير كثير ... الى ماء غزير سلسبيل
وقال : ابو محمد يا زميلي ... لعمري لست ارضى بالقليل
وراح مصوبا في الحال جفتا ... الى الاكلون(٢) ذي الريش الجميل
فخاب ولم يصب والطير ولى ... ليشكو من اذى الغادي الدخيل
وفرقع ما لديه من « ضروب » ... جزافا « ممعنا » في المستحيل
وثار ابو جميل وهو يعدو ... بأهبته على غير السبيل

---

١ ـ لا يخفى انهما من هواة صيد البحر اصلا .
٢ ـ الاكلون طائر افريقي جميل وكبير ومشهور بطيبة لحمه .

ليثبـت انــه فـذ وحيـد ... « بكـار » الصيد ذو باع طويل
ويثبـت انــه رام قديـر ... وصيـاد مـن الوزن الثقيـل
فلـم يحظ بشيء مـن مـراد ... ولـم يشف بشـيء من غليـل
ويعـزي كلمـا اخطـا لشيء ... على عين الغبي او « الهبيـل »
رويـدك لا تـذل ابـا جميل ... فما لـك في الحذاقة من دليـل
فلـم تتـرك بساحك من جريح ... ولـم تترك بساحك من قتيـل
واغيظ ما يغيظـك جلـع غـر ... بدعـوى الصيد مغرور جهول
فطـورا يدعـي صيـاد بحـر ... وان برا فـذو الصيد الاصيل
اصـخ يـا مدعـي صيدا لنقد ... ومـا للناس مـن قـال وقيـل
لئـن تلـق كمـا تهوى عميلا ... فليس النـاس كـلا بالعميـل

لبنـان ... ابراهيم حاوي

خصال حميـدة

● اجتمع عدد من الحكماء عند انوشروان فقال : ليتكلم كل واحد بكلمة نافعة . فقال احدهم : الصمت المصيب ابلـغ حكمـة . وقال الآخـر : تحصن الاسرار انفع رأي . وقال الثالث : لا شيء انفع للرجل من المعرفة بقدر مـا عنده من الفضل وحسن الاجتهاد في طلب ما هو مستحق له ، وقال الرابـع : الاحتراز من كل احد احرز رأي . وقال الخامس : لا يروح المرء على نفسه بمثـل الرضا بالقضاء . فقال انو شروان : كل قد قال فأحسن ولا خـلاص لاحـد الا التثبت للاختيار ، والاعتقاد للخيرة .

والدي لا أنساك

شعر : بشار كامل الزين

قسما برب الوالدين بـأن ذكرك غـير منسي
بـرا بكل أب وأم فـي الوجود بكـل جنس
هيهات تنسى وأنت من ربيتني ومـلأت نفسي
حبا لذي العرش المكين وتائبا عن كـل رجس
ألهبتني شوقا لرؤياك التـي طويـت بـرمس
ذكراك ألطف من نسيم الفجر قبل شروق شمس
قلبي يحدثني بأن ملائكة السماء عليـك تمسي
ايمانك اللهم يعلم أنـه ملء اليقين بغـير لبس
لي في عزاك الصبر حب الرسول فـداه نفسي
علمتني أحيا على هدي الرحيم فطـاب درسي
أنساك كيف ؟ وأنت قدر من تراث غدي وأمسي
خلفتني،فعزمت أن ابقى لدينك مخلصا ابدا لغرسي
رغم الذين يعربدون، يشوهون ضيـاء قبسي
رغم الذين تحكموا ، قد مات فيهم كـل حس
وأضاعوا جم معالم المجد الرفيع يـوم نحس
يتلاعبـون بأمـة الاسـلام للهـدف الاخس
يتنازعون الحكم أدوارا علـى أطـلال كرسي
متـفرقين ممزقـين بكـل قطـر ألـف جبس

حتى اذا بلغوا الحروب واسقطوا في شر نكس
يتسابقون غباوة شرقا وغربا للتأسي
ويخلفون وراءهم ذلا يعيب يدا ويخسي
أرضا تباركها السماء بمسجد وجوار قدس
ما كنت أحسب امتي بالحق قد بيعت ببخس
عجبا ارادوا الانتصار بلحن غانية وجرس
يتلمسون الحل سلما وهو عار بعد بأس
والحل في ضرب العدى في وحدة الاسلام مرسي
رحماك ربي ان جنحت بكل صرخاتي وهمسي
فالكرب زاد بغربتي والحال آلمني بلمس
وفقيد نفسي يا الهي في جوارك فيه أنسي
أمنن عليه برحمة وأجعل له نورا بقبس

بشار كامل الزين

أبــا حميد

وجهت هذه الابيات سنة ١٩٦٨ الى الصديق الكريم الاستاذ عبد المجيد كبة مدير المحاسبات العام في العراق حينئذ لرفع ظلامة من احد موظفيه ، وقد استجاب لهذا الرجاء جزاه الله خير الجزاء .

أبا حميد وانت الصارم الذكر ... وأنت غرتنا ان أظلمت غرر
أنت الصديق الذي تحلو صداقته ... ويرتجى بيننا والليل معتكر
أراك عنوانه من بعد ما قبرت ... مواهب ومزايا بين من قبروا
والصفح عن (قدرة) خلق ومفخرة ... والذنب عن (حكمة) ينسى ويغتفر
فانصر أخاك(فتى الزوراء) قد سلمت ... يد الى الحق ــ رغم الظلم ــ تنتصر

بغداد **محمد حسين الشبيبي**

قضـــاء وقـــدر

قصة بقلم : بلقيس الحوماني

كانت قاعة الاستقبال غاصة بالزائرين يمضون ساعات السهرة بشرب القهوة وتدخين النارجيلات والخوض في احاديث ومواضيع شتى .. وكانت المواضيع تبدأ بين شخصين لتنتشر بعد ذلك بين الحاضرين جميعهم او بعضهم حسب اهميتها .

وكان رب البيت يتصدر القاعة بجسمه الضخم المهيب في جلسة مريحة وامامه نارجيلته يدخنها بهدوء وثقة وقد خلع طربوشه فبانت صلعته اللامعة وهو لا يفتأ يفتل شاربه الابيض الكث جائلا بين الحضور بعينيه الواسعتين الحادتين مستمعا الى مجادلاتهم واحاديثهم متدخلا بين حين وآخر بسؤال او تعليق ساخر او معطيا رأيه بلهجة حاسمة بدون ان ينتظر ردا .. وبين حين وآخر كان يرفع من صوته مناديا الخادم طالبا المزيد من القهوة او جمرات للنارجيلات .

وطرق سمعه كلمة اثارت اهتمامه فالتفت الى رجلين قريبين كانا يخوضان في موضوع ما واخذ ينصت صامتا وهو ينفخ في نارجيلته . كان الموضوع دائرا حول القضاء والقدر او (النصيب) كما كانوا يدعونه .. وكان الجدل يدور بينهما بشدة وحماسهما يزداد كلما ابدى احدهما دليلا جديدا او شاهدا قويا على ما يعتقده .

كان احد المتجادلين يقول بسلطة القضاء والقدر وجبد حتميته وكان هذا يكاد يكون اكبر الحاضرين سنا .. بدينا متدلي الكرش يمتص نارجيلته بهدوء وثقة وقد ازاح طربوشه الى الوراء وراح يدلي بحججه وبراهينه بصوت واثق مستصغر لحجج خصمه . وكان من رأيه ان الذي لا يعتقد بالقضاء والقدر هو رجل كافر لان الله قد قدر على الانسان كل ما يصيبه من خير وشر، ليس من قبل ان يولد فقط ، وانما منذ بدء الخليقة فقد سجل الله تعالى في اللوح المحفوظ كل ما سيكون وما سيجري على مخلوقاته .. فالانسان ، والحالة هذه ، عاجز كل العجز عن تحويل قضاء الله او النصيب كما يقول الناس ..

اما خصمه في الرأي ، فقد كان رجلا كبير الجسم ما زال فيه بقية من شباب وقوة ونضارة كبير الشارب عالي الجبهـة عاري الرأس لا يكف عـن تـدخين السكاير وهو يدافع عن رأيه بقوة وعنف • وكان من رأيه ان « النصيب » ما هو الا كلام فارغ لان الانسان مخير في اعماله وفي السبل التي يسلكها وان النتائج هي خيرة او شريرة تبعا لتلك السبل او الاعمال • وختم كلامه قائلا بعنف : (ان ما يصيب الانسان من خير او شر كان باستطاعته ان يغيره لو انه تصرف تصرفـا مخالفا •• فمثلا •• لو انني قمت هذه اللحظة وخرجت الى طريق ما وقابلت لصا سلبني ما احمل من نقود فان هذا لا يعد قضاء كان لا بد ان يحصل لانـني كنت استطيع ان اؤجل خروجي ساعة فلا القى اللص) •• معنى هذا ان ما يحدث لي انما هو مرتبط بمشيئتي وتصرفي الذاتي • واجاب الاول بتهكم وثقة (ولكن ، لو كنت ذهبت هذا المساء الى القهوة مثلا فانك لا تكون قد غيرت القضاء والقدر وانما يكون قد قدر عليك ان تكون في القهوة ان ما تفعله وتقوله جميعا في هذه اللحظة انما هو طبق خطـة مرسومـة ليس الا •• قـل لا يصيبنا الا مـا كتب اللـه لنـا •••

وهنا تدخل رجل بجانبهما كان يستمع طول الوقت فقال يجيب المتكلم ، ان الامر لو كان كذلك لما طلب الانبياء والرسل من الناس تخير اعمالهم الصالح منها من الشرير •• ولو كان صحيحا ان عمل المرء ونتيجته هو امر مفروض او مقـدر عليه لما كان ثمة حاجة اذن الى ان يخلق الله للانسان العقل المميز •••

وهنا تدخل رجل رابع فقال مدافعا عن مبدأ القضاء والقدر بان الانسان لو كان مالكا زمام امره ، اذن لرأينا كل انسان يضع خطة لعمل ما ، يبلغ الى النهاية التي يريد ويتصرف بالايام والحوادث كما يبغي •• ولكننا نرى بدلا من ذلك ان الواحد منا تتلاعب به الحوادث والايام ذلك لان قوى غامضة مسلطة علينا هـي القضاء والقدر ، لا نستطيع امامها حيلة •• وقديما قيـل ؟ وتـقدرون فتضحك الاقـدار •••

وسكت المتحدث وقد بان عـلى وجهـه الانتصار •• وبـدا ان جميـع الحاضرين قد شد انتباههم الموضوع فاخذ كل واحد منهم يدلي بحجة او شاهد يؤيد وجود القضاء والقدر • وكثرت القصص والادلة والحوادث التـي اوردها الحاضرون والتي بدت وكانها حدثت بدون سبب مفهوم • وبـدا الرجل الـذي

لا يعتقد بوجود القضاء والقدر مفحما ولكنه بقي على عناده وقـد ازداد عنفـا وعصبية • وهنا ، لاول مرة ، تدخل صاحب المنزل فقال بصوته العميق الهاديء :

ـ رأيي ان الانسان مخير وغير مسير • صحيح انه غالبا لا يبلغ مـا يريد وهو لا يستطيع ان يأمن الى الزمن وغدر الايام ولكن هذا لا يعني ان ثمة قوى غامضة مسلطة عليه ••)

وسكت برهة ليأخذ نفسا طويلا من نارجيلته بينما سكت القوم وقد اتجهت نظراتهم الى اسفل وشفاههم تتمتم بكلمات الرحمة فقد كان المرحوم اسعد ابـن تصدرت القاعة لشاب في مقتبل العمر قد احاطت بهـا شرائط سود ، وقال بعـد لحظة تأمل وقد كست وجهه سحابة :

ـ (كلكم تعرفون قصة المرحوم اسعد ••) ووجـم السامعـون وسقطت نظراتهم الى اسفل وشفاههم تتمتم بكلمات الرحمة فقد كان المرحوم اسعد ابـن صاحب المنزل الوحيد وقد انتهت حياته بمأساة فـقد كان طيـارا يفيض حيـاة وصحة وشبابا •• وذات يوم ، ذهب في رحلة ولم يعد ••

وتابع صاحب المنزل :

ـ ان من يسمع قصة ابني اسعد سرعان ما يحولها الى القضاء والقدر فالكل يعرف ان الرحلة التي لم يرجع منها لم تكن الرحلة المقررة له في ذلك اليوم وانما تبادل مع زميل له رحلتيهما كي يتمكن من السفر في اليوم التالي مـع زوجتـه الاجنبية الى بلدها لقضاء عيد قومها معهم •

وهنا قال نصير القضاء والقدر بلهجة انتصار :

ـ اذن ما الذي جعل ابنك يستبدل رحلته برحلة زميله في تلك الليلة بالذات ان لم يكن مقدرا عليه ان يموت في تلك الليلة ؟

ورد عليه مستمع آخر ضاحكا :

ـ ان الذي جعله يفعل ذلك هـو رغبته فـي السفر فـي اليوم التالي •• لا شيء غامض في ذلك ••

وقال صاحب المنزل وهو يصلح من نار نارجيلته بالملقاط الصغير :

ــ في الواقع ان مسألة القضاء والقدر او ما نسميه بالنصيب هي مسألة اختلف فيها اناس كثيرون ولم يستقر عليها الرأي تماما • مفهوم الناس عنه انه قوة غامضة مسلطة على المخلوقات والبشر على الاخص فتسيرهم حسب ما هو مقدر عليها منذ الازل • وفي رأيي انه لو تدبرنا كل حادث يحيق بالمرء لرأينا انه حدث نتيجة لاسباب عديدة وتصرفات صدرت عن المرء نفسه او عن اشخاص آخرين قد لا يمتون اليه بصلة سوى صلة الانسانية ونوع الحادث ، خيرا كان او شرا ، انما هو في الغالب ، تابع لنوع هذه التصرفات ومدى تأدية كل فرد كان له صلة به لواجبه واتباعه للخط المستقيم في مسيرة حياته • وقد نرى ان الرجل الذي حاقت به مصيبة هو غير مسؤول عما حاق به وانما المسؤول هو شخص او اشخاص آخرون وان الرجل هو مظلوم وهذا صحيح ، ولكن الناس جميعا مرتبطون معا برابطة الانسانية وهذه الرابطة تضعف او تقوى حسب بعد الشقة او قربها بين الواحد منهم والآخر •• وهو كالسلك المكهرب ما ان يمسه ماس حتى يسري الكهرباء اليه ••

واخذ صاحب المنزل نفسا عميقا من نارجيلته ثم استطرد :

ــ وهكذا ، قد نرى امرءا مستقيما يؤدي واجبه كما يجب ان يؤديه ، وتودي به مصيبة او يقع به ظلم لا يستحقه فنقول انه القضاء والقدر الذي لا يفرق بين الخير والشر وقد يشك الملحد في العناية الالهية التي لا ترعى الابرار ويشك اكثر في قيمة او نتيجة صالح الاعمال •• والمجتمع مليء بامثال هذه المآسي المحيرة ولكن المسؤولية تقع على المجتمع نفسه •• فكلما ادى افراده واجباتهم بكل دقة وامانة واستقامة كلما انخفض عدد هذه المآسي •• فالانسان لا تصيبه هو فقط نتائج اعماله مهما كان نوعها وانما تصيب افرادا آخرين قد لا يمتون اليه بصلة كما اسلفنا ••

ونادى صاحب المنزل غلامه طالبا نارا للنراجيل وانشغل الحاضرون حينا باصلاحها وهم يستمعون الى صاحب المنزل يتابع :

ــ لنعد الى اسعد المرحوم مثلا •• انها ليست قوى غامضة غير مفهومة تلك التي دفعته الى تلك النهاية وانما مجموعة حوادث واسباب مختلفة اتجهت كلها الى هذه النقطة او المصيبة فهو اولا لم يكن ليفكر في استبدال رحلته لو لم يكن

يريد ان يسافر في اليوم التالي وهو لم يكن ليفكر في السفر الى ذلك البلد البعيد لو لم يكن متزوجا من امرأة اجنبية تريد ان تقضي عيد قومها معهم وايضا تلك الطائرة لم تكن لتستخدمها الشركة مضحية بارواح بريئة لو تمشى المسؤولون فيها مع ضمائرهم وواجباتهم • تلك كلها كانت الحوادث التي تلاقت، كما قلنا ، الى هذه النتيجة ••

واحنى رأسه متشاغلا ، وحنى الحضور رؤوسهم اسفا مظهرين شعورهم معه •• ثم اخذ كل منهم يبدي تعليقا وقال واحد منهم :

ـ هذا صحيح •• فلو كانت الاعمال مقدرة على الانسان لا خيار له فيها لما كان مسؤولا عنها امام الله ولما كان ثمة ثواب وعقاب في الآخرة ••

وقال آخر :

ـ من المؤسف اننا اعتدنا ان ننسب كل مصيبة الى الله او القضاء والقدر بينما هي منا ومن نتائج اعمالنا سواء بشكل مباشر او غير مباشر •

وقال آخر باسفه :

ـ حقا ان الكسل والتواكل الذهني فينا يمنعنا من التفكير بعمق في كل ما يصيبنا ••

وكان الليل قد انتصف او كاد فنهض واحد من الزائرين يستأذن بالانصراف وسرعان ما هب الباقون وقوفا يودعون هم ايضا •

ووقف صاحب المنزل في وسط الديوان ، بعد انصراف زواره ، يجيل انظاره في الجو الملبد بسحب الدخان وفي اكواب القهوة الملطخة الحوافي والنارجيلات الخابية الجذوات واحس بانقباض وحزن كانا يساورانه كلما خلا الى نفسه وساد السكون ارجاء المنزل وذلك منذ فقدان وحيده •

ومشى تاركا القاعة وقد تراخى جسمه وانكمش حجمه عما كان يبدو عليه بين زائريه وبان كبر السن على وجهه •• وقبل ان يصل الى غرفته ، لمحت عيناه الضوء ما زال ساطعا في غرفة زوجته فاتجه اليها ، وزاد انقباضه وحزنه منظر السواد الغارقة فيه زوجته ووجهها الحزين يطل من مسط غطائها الاسود الذي

لفته حول رأسها .

كانت جالسة القرفصاء على راحة الارض وقد امسكت بيدها مجموعة من صور كست اكثرها صفرة الزمن ومضت تتأملها الواحدة بعد الاخرى بصمت وهي تهز رأسها بين الفينة والاخرى ..

وعندما احست بقدوم زوجها صدرت عنها حركة سريعة حاولت بها اخفاء الصور في صدرها والنهوض من مجلسها فقد كان من تشدد زوجها في رغبته في ان لا تستسلم للحزن والحسرة ان اقسم يمينا معظما بان ينتزع من يدها الصور ويحرقها اذا ما رآها تسهر معها ومع الذكريات فيما لا فائدة منه . ولكن نظرة منها الى وجهه وعينيه جعلتها تتوقف عن محاولتها . وراقبته بنظراتها الكسيرة في عجب وهو يتقدم ناحيتها ببطء ثم ينهار مرة واحدة على الطراحة بجانبها ويمد يده الى الصور يتناولها من يدها .

وساد الجو صمت حزين كان الاب اثناءه يقلب الصور واحدة اثر الاخرى وقد تهدل شارباه وارتخت كتفاه بينما الام منكسة رأسها الى الارض تهزه بين حين وآخر بحسرة واخيرا ، اخترق الصمت المؤثر صوت الام الثكلى تعدد شبه نائحة :

ـ كم من الناس نصحوني ان لا اعلمه ليكون طيارا .. لولا ذلك لماحدث له ما حدث .. كم من الناس نصحوني بان لا اسمح له بالزواج من اجنبية مشؤومة .. لولاها لما فكر في تغيير رحلته .. كم توسل الي ان ارضى له بان يعمل في بلد آخر .. لو كنت رضيت معه بذلك اذن لما ذهب في تلك الرحلة المنحوسة .. ماذا فعلنا يا ربي كي تكتب علينا ان نحرم من ولدنا الوحيد ؟؟

ورفعت عينيها الى السماء في عتب والم وحزن بالغ ثم رفعت منديلها المخطط بالسواد الى عينيها تجففهما ..

وهز الاب رأسه بدوره ببطء حزين ليقول بعد فترة بصوت خافت متهدج :

ـ (نصيب) ...

بلقيس الحوماني

الذكرى السنوية الأولى للمرحوم أديب الزين

بقلم : اليونس ، الصالحي
صدر الافاضل
الانصاري ، الزين

ابن العلامة المغفور له الشيخ عارف الزين ــ وشقيق الاديب الكبير الاستاذ « نزار الزين » صاحب مجلة « العرفان » الزاهرة وجريدة « جبل عامل » الغراء، وشقيق القاضي اللامع الاستاذ زيد الزين ــ المفتش القضائي في وزارة العدل بلبنان • والفقيد الكريم كان على مستوى عال من الثقافة الغنية ، والخلق الرفيع • فهو سليل ذلك البيت الكبير المرموق ، والاسرة الطاهرة التي كانت مدرسة بالعلم والادب والوطنية • وكان ، رحمه الله ، رقيق الحاشية لطيف المعشر •• تحس بقلبه الكبير يحدثك ويصغي اليك ، ويغمر مجلسك أنسا ورقة ووقارا •• وفي ملامحه رصانة محببة ، ونظرات مهذبة ، وابتسامة نابعة من الصدر •• فهي لا تنطفيء ابدا •• واذا توقف شلالها فترة يظل بريقها يغمر عينيك ، ويحف بهما عذوبة ولطافة • وقد عكف على تربية أسرته ــ بنفس الروح المثالية التي ربى بها « الشيخ العارف » ــ تغمده الله برحمته ورضوانه وعفوه وغفرانه ــ تلك الاسرة التي يعبق ذكرها في كل مجلس ، وينتشر اريج شمائلها في كل محفل • فأنجال الراحل الكريم ينهلون من أصفى ينابيع العلم وأرقاها وأنقاها • تعازينا الحارة لآل « الزين » الكرام ــ شقيقي الفقيد النبيلين ، وشقيقتهما الطاهرة المصونة السيدة « ام رغيد » وزوجها الفاضل السيد مصطفى رضا النحاس ــ الذي هو من أعيان دمشق ووجهائها المرموقين • رحم الله فقيدنا الغالي رحمة واسعة • والامر لله من قبل ومن بعد ، وانا لله وانا اليه راجعون •

عبد اللطيف اليونس

أديب الزين

رجل الشهامة والوفاء والمحبة

بقلم : خضر عباس الصالحي

كنت وما زلت مجبولا على حب السفر الى خارج العراق للتعرف على عادات الشعوب وطبائعها ، وحين ارتحل من مدينة الى مدينة اخرى أشعر بأنني مقبل على عالم مسحور ، واحس بأنني مكتشف أحاول التوغل في اعماق المجهول ..!..

وقد سحرتني مباهج الحياة في لبنان .. لبنان القطر العربي الذي يتميز بطابع خاص لا نجده في بلاد أخرى .. فهو بلد مضياف يتلمس فيه الانسان الراحة والاطمئنان ، وشعبه ودود ومحب للصديق ، وربما يتيه الغريب في ازقة بيروت ولكنه سرعان ما يعثر على من يساعده ، ويشعر كأنه يعيش بين عائلة كبيرة ، وهو شعور يحس به يوميا ، ودون انقطاع خلال اقامته في تلك الربوع الجميلة ..!..

وقد قمت برحلات عديدة الى لبنان للاطلاع على معالمها الفكرية والاثرية ، والوقوف على ماضيها القديم ، ومعطياتها الحديثة .. فكنت أجوب شوارع بيروت ، واشبع عيني من مبانيها ذات التراث العريق ، والتمتع بمرأى عماراتها الشاهقة التي هي آية فريدة في الجمال ، وفن العمران ..!..

وكنت أتنقل بين افانين وديان لبنان النضرة ، وأتجول بين نقاء هواء البحر وسطوع شمسه ، واطوف بين الاوراد اليانعة المنتشرة في الحدائق ذات التصاميم البديعة ، فأتنسم عبق النسيم العابر ، واستاف أريج الزهر الفواح .. وفي احضان هذه الطبيعة الخلابة تتكشف لنفسي حقائق الكون والوجود ..!..

وكنت أتردد على مكتب مجلة « العرفان » الغراء في بيروت ، وهي في طليعة المجلات العقائدية الصادرة في لبنان ... ولها اهميتها في شحذ أفكار القراء ، وفتح اعينهم على قضايا امتهم العربية المصيرية ، وتلعب دور الرائد في هذا المجال ، وانها منطلق رحب لحملة الاقلام والآراء الحرة ، ومنبر الفكر الناضج ،

أديبُ الزّينْ

رجل الشهامة والوفاء والمحبة

بقلم : خضر عباس الصالحي

كنت وما زلت مجبولا على حب السفر الى خارج العراق للتعرف على عادات الشعوب وطبائعها ، وحين ارتحل من مدينة الى مدينة اخرى أشعر بأنني مقبل على عالم مسحور ، واحس بأنني مكتشف أحاول التوغل في اعماق المجهول ..!..

وقد سحرتني مباهج الحياة في لبنان .. لبنان القطر العربي الذي يتميز بطابع خاص لا نجده في بلاد أخرى .. فهو بلد مضياف يتلمس فيه الانسان الراحة والاطمئنان ، وشعبه ودود ومحب للصديق ، وربما يتيه الغريب في ازقة بيروت ولكنه سرعان ما يعثر على من يساعده ، ويشعر كأنه يعيش بين عائلة كبيرة، وهو شعور يحس به يوميا ، ودون انقطاع خلال اقامته في تلك الربوع الجميلة ..!..

وقد قمت برحلات عديدة الى لبنان للاطلاع على معالمها الفكرية والاثرية ، والوقوف على ماضيها القديم ، ومعطياتها الحديثة .. فكنت أجوب شوارع بيروت ، واشبع عيني من مبانيها ذات التراث العريق ، والتمتع بمرأى عماراتها الشاهقة التي هي آية فريدة في الجمال ، وفن العمران ..!..

وكنت أتنقل بين افانين وديان لبنان النضرة ، وأتجول بين نقاء هواء البحر وسطوع شمسه ، واطوف بين الاوراد اليانعة المنتشرة في الحدائق ذات التصاميم البديعة ، فأتنسم عبق النسيم العابر ، واستاف أريج الزهر الفواح .. وفي احضان هذه الطبيعة الخلابة تنكشف لنفسي حقائق الكون والوجود ..!..

وكنت أتردد على مكتب مجلة « العرفان » الغراء في بيروت ، وهي في طليعة المجلات العقائدية الصادرة في لبنان ... ولها اهميتها في شحذ أفكار القراء ، وفتح اعينهم على قضايا امتهم العربية المصيرية ، وتلعب دور الرائد في هذا المجال ، وانها منطلق رحب لحملة الاقلام والآراء الحرة ، ومنبر الفكر الناضج ،

حيث تسهم في مرحلة البناء والتطوير ، وتقوية صرح الاخوة على اساس المساواة، وحل المشاكل المطروحة بروح الانصاف العالية ، وتدارك الامور بالروية والحكمة، ومضاعفة الجهود المتواصلة لاستكشاف المواهب الادبية ••• وصاحبها الاستاذ نزار الزين خير واقف على شؤون الصحافة العربية ، وملم بهـا اكمل الالمـام ، وصراحته المتناهية جلبت له المعاناة التي لا حد لها •• كما ان مكتب « العرفان » أصبح بمثابة سوق عكاظ يجتمع فيه اقطاب الفكر ، ومنهم الادباء احمد الصافي النجفي ، ورشيد سليم الخوري ، وحسن الامين ، ووديع ديب ، وعبـد اللطيف شرارة ، ومحمد جواد الدجيلي ، والسيد علي ابراهيم وسواهم ، فيجري بينهـم حديث الادب الذي تلتقي فيه الارواح ، ويثار النقاش حول المسائل الفكرية التي تشغل بال الرأي العام العربي في الوقت الحاضر •• !••

ان مجلة « العرفان » الزاهرة مرآة للحياة الفكرية المتجددة ، تجسد فـي محتوياتها الاهداف القومية ، وتحمل شعارات خيرة تخدم بها الانسـانية •• وان لمقالاتها انعكاسـات تقدمية على الشعب ، وانفتاحا على كل القوى الخيرة في الوطن العربي الكبير ، وهي مجندة للعمل في كل ما يجلب الازدهار لامتنا العربية ذات التاريخ المجيد في الدفاع عن الحق والقيم السامية ، والمسعى الحقيقي لنشر العدل الاجتماعي ، وتوفير مستلزمات الرفـاه الاقتصادي للمواطنين ، وتمكينهم مـن بلوغ آمالهم المنشودة •• !••

وما زالت تحمل مسؤولياتها التاريخية التي تتحدد في اطار مصلحة الشعب، والتعلق بحب الوطن ، وتقييم ذوي الفكر من الجيل السابق لجعلهم منارا للجيل المعاصر يسترشد بهديهم ، ويسلك نفس الطريق الذي سلكوه •• !••

وفي سفرتي الاخيرة الى لبنان في اليوم الاول من شهر تموز سنة « ١٩٦٩» الميلادية ، وعند وصولي الى بيروت ذهبت كالعادة الى مكتب العرفان الكائن في الطابق الخامس من بناية العازارية لزيارة الاخ العزيز الاستاذ نزار الزين ، ولمـا دخلت عليه استقبلني بلهفة حارة ، وهو باسم الثغر ، مشرق الوجه ، طلق المحيا ، وغمرني بفيض من العواطف الاخوية الدالة على طيب الارومة ، وكـرم المحتد ، والاغراق في الوفاء ••• وقال ووجهه يتهلل فرحا وابتهاجا :

ـــ أقدم لك أخي الكبير أديب الزين •••

فأسرعت لمصافحته ، ونظرت اليه باعجاب وسرور وقلت :

ــ يسعدني جدا التعرف عليك بعد ان قرأت مقالاتك الشائقة التي تنشرها في مجلة « العرفان » الزاهرة ... وجلست الى جانبه ... فوجدته رجلا مهيب الطلعة ، قوي الشخصية ، عذب الكلام ، حلو النكتة ، نحيف البنية ، حفر الدهر في وجهه اخاديد المعاناة ، ترتسم على جبينه ملامح السماحة والنبل والدعة ... وراح يسحرني بحلاوة حديثه اللذيذ ، فدلل على ما يتمتع به من ثقافة متنوعة ، وفكر متفتح ، وامتلاك المقدرة التعبيرية المؤثرة .. ! ..

وحين ازمعت على مغادرة مكتب العرفان ... اقترب مني ووضع يده الحنون على كتفي وقال :

ــ غدا ستتناول طعام الغداء مع الاستاذ نزار الزين في بيتي ...

فأجبته والحياء باد على وجهي :

ــ أرجو قبول اعتذاري عن تلبية دعوتك الكريمة ..

فأبتسم ابتسامة ذات مغزى وقال :

ــ هيهات ان اقبل منك عذرا مهما كان وجيها ... فان الاحتفاء بك فرصة ذهبية فكيف ندعها تفلت من يدنا بعد ان جاد علينا بها الزمن الضنين ...

فشعرت بخجل شديد وقلت :

ــ اذا كان ولا بد فانني سأنزل عند رغبتك .

فضحك في فرح كفرحة الاطفال وقال :

ــ انك ستشرفني بزيارتك لي في بيتي بصحبة اخي نزار الزين .

فشكرته بلسان كادت الكلمات تتعثر فيه .

وفي ظهر اليوم التالي قصدت مع الاستاذ نزار الزين منزل أخيه اديب الزين الواقع ببيروت في حي كركول الدروز ــ شارع الجزائر ــ ملك الخيمي ... وكان بانتظارنا ــ فلما قرعنا جرس الباب ــ انفتح الباب على مصراعيه ، وأطل علينا بوجه يطفح البشر فيه ، وقابلنا بقلب يزخر بعاطفة الصداقة والوداد والمحبة .. ! ..

وازدانت المائدة بكل ما لذ وطاب من المأكولات والفواكه والمرطبات التي

رهنت على ما عرف به آل الزين من السخاء ، وما جبلوا عليه من كرم النفس .. واقبلنا على الطعام بشهية ... وأخونا أديب الزين قد تجاوز الحدود في توفير كل ما يبعث الحبور الى نفوسنا ، ويفيض علينا بكل ما في قلبه من عواطف الحب والحنان ، وما انطوت عليه نفسه الكبيرة من شهامة وبذل ونكران ذات ، وما يتحلى به من خلق كريم جعله مثلا أعلى في دنيا المروءة والاخلاص والتضحية .!.

ولما انتهينا من تناول وجبة الغداء ... جلسنا في البهو المفروش بالسجاد الايراني الفاخر ، والذي زينت جدرانه بالصور الزاهية الالوان، وكانت تتصدرها صورة كبيرة لخالد الذكر المغفور له ساكن الجنان المجاهد العربي الشيخ أحمد عارف الزين الذي كلما ذكر التاريخ اركان النهضة الفكرية في الوطن العربي الكبير فانه يتألق بينهم علما بارزا ، وسياسيا رائدا ، ومؤلفا بارعا ، وكاتبا بليغا ، فقد كان في حرب دائمة مع الاستعمار ، وقد أدى رسالته في الحياة على خير ما يمكن ان يؤديها انسان مخلص ، وقدم أجود العطاء الفكري بمختلف ميادينه ، وكان جذوة متقدة من الصراحة والاباء وعزة النفس .. !. .

وادار الاستاذ أديب الزين دفة الحديث ، فكنت مأخوذا بسحر كلامه ، لما تحفل به حياته من التجارب ، وما تستند اليه من رصيد ضخم من الخبرات .!..

ولما استأذنت بالانصراف مع الصديق الحميم نزار الزين صافحني وهو يشد على يدي بقوة كما لو كان يخشى افلاتها من قبضته ... وما عتمت ان بارحت الدار العامرة ، ولساني يلهج بالثناء عليه ، وجدني عاجزا عن مجاراة عواطفه الجياشة ، وجذور الانسانية والكرم العربي المتأصلة في نفسه ، والتي يقصر التعبير عن وصفها .. !..

وتكررت بعد ذلك زياراتي له ، وتتابعت دعواته لي ؛ وتمكن الود بيني وبينه ... لما بيننا من التوافق في الاتجاه الفكري ، فعرفت فيه نبلا في غير مفاخرة ، وبذلا في غير تزمت ، لا يقول الا حقا ، ولا ينطق الا صدقا ، عميق النظرة الى الوجود ، شديد الحساسية بالصلات الانسانية التي تربط بين الناس .. !..

لقد ركنت الى أفياء ظليلة من روحه الحنون ، وكأني فزت بأعز الاماني ؛ فهو نموذج فذ للذهن المتوقد ، والبصيرة النافذة ، وسمو الادراك ، وعلو الهمة،

والربط بين القول والفعل ، والتجاوب مع كل عمل نافع ، وما يكفل رأب الصدع بين الاخوة المتنازعين اذ يزن الامور بتفكير سليم ، ويمضي في كل ما ندب له طبعه الخير الذي ألزم نفسه به ، وبين جنبيه قلب كبير فيه متسع للعفو والغفران لكل من أساء اليه ، فهو لم يضمن لخصومه غير الحنو والاشفاق ... يعيش راضي النفس ، مطمئن الفكر ، هادىء البال بعد ان حقق واجباته الكاملة في تربية اولاده تربية صالحة ، واعدهم اعدادا تاما لخدمة المجتمع ، واصبحوا مثالا يحتذى بهم حيث يمثلون الاريحية في انبل شمائلها ، والخلق الرفيع في اصدق صوره .. !..

لقد ولد أديب الزين وفي عروقه تجري دماء العروبة الاصيلة ، ونشأ وترعرع في صيدا احدى مدن جنوب لبنان المهمة ، وشهد ابرز احداث تاريخها المعاصر ، وتزود بنور العلم في رحابها ، وانطبع بطابع بيئتها التي صدر عنها من ارفع ما في أدب العرب وعلومهم ، وعاش في كنف والده العظيم الذي له في مجال الفكر آثار قيمة ، والذي اغنى المكتبة العربية بمؤلفاته النفيسة ، وظل أمينا على وصايا أبيه ، متمسكا بقوميته العربية المتحررة ، ودينه الاسلامي الحنيف ، متحريا عن الحقيقة دون ختل وخداع ، ومن غير اللجوء الى الانفعال العاطفي ، وذلك منذ تدفق مداد قلمه في ميادين الكلمة المناضلة ... يتصف بثقة عجيبة بالنفس ، ويسعى بكل جهده لبث الوعي الصحيح ، ويمتليء قلبه بالعطف على أبناء الانسانية الذين يمضغون العذاب والالم ، ويتضورون من الجوع والشقاء ...

وليس من قبيل الصدف ان يستحوذ على نفسي شعور جائش بالمحبة الصادقة نحوه ، وشوق عارم لمصاحبته ، وذلك للاستمتاع بفيض خبراته التي انارت ظلمة روحي الغائصة في دوامة الضياع ، والتي هي احدى مميزاته البارزة ، والتي ينبغي الا نبخسها حقها من الانصاف والتثمين ... وهو في أسوأ الظروف القاسية يقابلني بأبتسامة مشرقة ترتسم على وجهه ، ويغدق على نفسي عاطفته الانسانية الخلاقة ... حتى بت آكن له في حنايا قلبي حبا أخويا يجري في شراييني كالدم الصافي النقي ، وينثال على فمي نشيدا وجدانيا بديع التعابير ، طريف المعاني ، بعيد الدلالات ، جامح الحنين ، وانا اتحسس نفسي دوما مشدودة الى نفسه الشفافة التي لا مكان فيها للاحقاد والمطامع الدنيئة .. !..

وفي صباح يوم الاثنين المصادف للخامس عشر من شهر ذي الحجة سنة « ١٣٩١ » الهجرية ، والموافق لليوم الواحد والثلاثين من شهر كانون الثاني سنة « ١٩٧٢ » الميلادية أصيب الاستاذ أديب الزين بالنوبة القلبية التي لم تمهله غير ساعات معدودات فارق على اثرها الحياة ، وبموته انطفأت شعلة وهاجة في ميدان الفكر والمعرفة الانسانية ، وكان للخبر وقع الصاعقة المفاجئة على جميع اصدقائه وعارفي فضله ••• وقد ذهلت من هول هذه الصدمة التي سدت مسالك تفكيري ، وفقدت السيطرة على نفسي ، واعتراني الوجوم ، ولم أقو على الصمود في وجه هذه الفاجعة المؤلمة ، وتمكن القلق من نفسي ، ولم يزايلني الاضطراب ، وشعرت ان موجة طاغية من الحزن جثمت على صدري ••• وفي غمرة التأثر الشديد رحت أصارع في دخيلة نفسي حشدا من الآلام ، وطافت في رأسي ذكريات حبيبة امست اليوم أشلاء مبعثرة في طوايا الماضي ، فتسارعت الدموع من عيني منحدرة على خدي ، وتجمدت الكلمات على شفتي الراعشتين ، وتصاعدت من أعماقي آهة خرساء هدها الاعياء والاسى ••• لقد راعني هذا النبأ المحزن واقض مضجعي ، وغمرني بكآبة موحشة ، وغامت الحياة في عيني ، فبت غارقا في لجج من الاشجان المبرحة ، ولذت بالدموع الغزيرة التي انفجرت من عيني انفجار الحمم من فوهة البركان ، وقد وجدت فيها متنفسا عن نفسي الحزينة •••

لقد مات وخلف وراءه ذكرى عطرة ، ومجموعة مقالات علمية وادبية هي عصارة افكاره ، وحصيلة مواهبه ، وثمرة كفاءاته التي تكشف عن قدرته على الانتاج والابداع ، وتظهر براعة وسائله التعبيرية ، وموضوعية اساليبه المنهجية التي تحمل قسطا ضخما في اسعاد الشعب ، والقضاء على التناقضات الاجتماعية التي تنخر في داخله ، والتي تمنعه من تحقيق هدفه الكبير في صنع المستقبل الزاهر •• !••

لقد كان ينبوعا يتدفق بالوداعة والايثار واللطف ، وهيهات ان يمحو الموت صورته من لوحة الذهن بعد ان سجل اسمه في صفحات التاريخ •• !••

رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما وهب لوطنه من تضحيات ، وما قدم لامته من خدمات •• !••

بغداد   خضر عباس الصالحي

اخي ... الاستاذ الفاضل نزار الزين دام مؤيدا

سلاما وتحايا طيبة زاكية وبعد لا ادري باي لسان او باية عبارة اعبر عن حزني العميق بمصابكم الاليم بفقد المحبوب المغفور له ابي حافظ الاديب فانا لله وانا اليه راجعون وفي الوقت الذي اشاطركم بهذا الخطب العظيم والحادث الجلل اعتذر من تقديم التعازي اليكم في حينه حيث كنت في العتبات المقدسة ولم اطلع الا بعد حين وادعوه تعالى بان يرعى الباقين برعيه ويحفظكم بحفظه ويتغمد الفقيد برحمته ويلهمكم الصبر على عظيم رزيته وتقبلوا منا ابيات التعزية التالية وفيها تاريخ الوفاة والسلام عليكم وعلى جميع الاسرة الكريمة خصوصا على الاستاذ حافظ الزين ابقاه الله للجميع خير عزاء وسلوة بعد ابيه ومنا الجميع يقدمون التحايا اليكم ورحمة الله وبركاته .

(لنزار) الصبر زين انه يكسب الاجر على نكبته
(فاديب) الزين لن نفقده وابنه (الحافظ) في أمته
ان يفارق هذه الدنيا فقد نال عفو الله في جنته
واكتى رضوانه ارخته (وبها ادخل في رحمته)

وبها ادخل في رحمته

١٤ + ٦٣٥ + ٩٠ + ٦٥٣ = ١٣٩٢

العمارة **عبد الغفار الانصاري**

★ ★ ★

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب العرفان وكامل الايمان الاستاذ نزار الزين سلمه الله تعالى

سلام عليكم وانتم مع السلام

قرأت في مجلتكم « الطاقة في الكون » و « في مجاهل القطب الجنوبي » والفاجعة الشديدة ان الاستاذ اديب الزين المحترم قد ارتحل الى ربه فانا لله

وانا اليه راجعون رضا بقضائه وتسليما لامره • ويا ضيعة رجل عظيم وشخصية كريمة وذكرى للمرحوم المحترم وتعزية وسلوة لاخوة الفقيد وعند حضرتكم وعند ولده الكرماء •

لانني لا انسى ساعة ورودي في بيروت ــ ١١ صفر ١٣٨٩ هـ ــ بيروت بلد الاحلام • وبلد الامين بلد الزين بلد العرفان بلد الاعيان ، وصلت الى دكان الحاج حسن الشمعة فالشمع دليل الطريق فعلمت ان السيد الحسن الامين المكرم قد ذهب الى قريته فخرجت من الدكان لافتش هتلا يناسب للمبيت • نظرت الى الشارع اللنبي ودكاكين وبنايات شامخات وفنادق ، اذ خطر في خلدي ان حجة الاسلام الشيخ محمود فرحات له رسالة من اخيه وهو في يدي ، ودكتر السيد حسين محمد جعفري وهو في بيروت واذا دكتر جعفري موجود فما حاجة الى هتل والى منزل ــ وصلت حذاء مكتبة العرفان ــ دخلت المكتبة وسألت عن الاستاذ نزار فقام لي احد الاخوة وساقني الى مكتبه فصادفني رجل كبير المنزلة وعظيم القدر وصافحني وعانقني ــ الاستاذ نزار الزين ــ فيا حبذا للقائه ويا اهلا لوجوده الشريف ــ اخذ يدي ورجع الى مكتبه حتى وصلنا الى قاعته واخذنا نتحدث كانا رفقاء ونسيت الغربة وذهلت عن الكربة • كل احاديثه حلوة ولقائه سلوة لاني زرت اديبا مكافحا وكاتبا بلا مدافع وبطلا في سبيل الدين وبلاغة صاحب المجلة العلمية والادبية التي بلغت من عمره اكثر من نصف القرن •

سألني الاستاذ عن اهبة سفري ثم طلبها من الحاج حسن شمعة وقال لي لا يمكن ان تنزل في هتل او مكان آخر لان البلد بلدك والبيت بيتك ــ ومن حسن الحظ ولطف الله سبحانه ــ اذ ورد الاخ السيد حسن الامين ففرحنا جميعا ــ قلت لحضرة السيد انك وردت في باكستان ورجعت منه بلا خبر فجئت لبنان بلا خبر وزرتكم بلا اطلاع • الحمد لله الذي وفقني لزيارتكم أطال الله بقاءكم ــ فأخذ السيد يقول في بيروت منزل مرتضى موجود وهو لا يحتاج الى اخر والاستاذ نزار يقول لا يمكن له ان يرحل من منزلي فاتفقنا على ان احضر على مائدة في منزل اديب الزين ــ المرحوم ــ رحت الى بيت عالية ومنزل رحيب ومكان لطيف دخلت في قاعة اللقاء والاستاذ الاديب على بابه يرحب احر ترحيب بلا لقاء من قبل زرت رمز السماح ، رمز الاخلاق وشكرت الله بلقائه وشعرت في

نفسي ان اديب الزين ونزار الزين وحسن الامين واحد في الاخلاق واحد في المشاعر واحد في الانسانية والكرامة واحد في السفر واحد في المقعد ولهم وحدة كاملة بجميع معانيها •

كنت حذاء مأدبة كبيرة وعليها فيما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ولكن عيني كانت قريرة لرؤياها وجوها باسمة وسمعي مستفيدة من كلمات عالية واحاديث علمية • قال لي الاخ نزار الزين المحترم « الاخ الاديب عالم زراعي صاحب وسامة بالعلوم الزراعية » أهذا عالم زراعي ؟ قلت في نفسي وهو عالم اديب فني بحاث في العلوم الحديثة — اني طالعت مقالاته في العرفان الغراء على مواضيع متجددة وتراجم متعددة واستفدت من قلمه وفكره وادبه •

أيها المجاهد الكريم نزار الزين حفظكم الله ابكي على فقد اديب المرحوم الذي رحب بي اذ نزلت في بيروت • وكنت مستفيدا من علمه الواسع من قبل ورودي في بيروت وبعد عودتي منه ابكي على فقد اديب ناثر وكاتب عال ابكي معكم وبكى عليه كل من يحب العرفان ويستفيد منه ودموعي هدية الى حضرتكم والى اشبال الفقيد واقربائه •

ادعو من الله تعالى الصبر لكم جميعا والمغفرة له رحمه الله •

وادعو لولده السعيد حافظ اديب الزين صاحب المقال « والدي لا ارثيك•• بل ارثي امتي » اني رأيت تحت كلمات من مداد السوداء وجه ولد ثابت العقيدة وقلب مطمئن بالايمان ، وفكر ورث كابرا عن كابر ووجدت الشبل من عرينكم •

رحمة الله على والده واطال الله سعادة ولده برد الله مضجع الاديب ووفق الله الشاب الحافظ • هو سر لابيه انشاء الله •

والسلام عليكم وعلى اخواني الذين هم في ذاكرتي الخالدة •

سلام على السيد حسن الامين واخوته والحاج حسن شمعة ووو

باكستان **مرتضى حسين صدر الافاضل**



وانا اليه راجعون رضا بقضائه وتسليما لامره • ويا ضيعة رجل عظيم وشخصية كريمة وذكرى للمرحوم المحترم وتعزية وسلوة لاخوة الفقيد وعند حضرتكم وعند ولده الكرماء •

لانني لا انسى ساعة ورودي في بيروت — ١١ صفر ١٣٨٩ هـ — بيروت بلد الاحلام • وبلد الامين بلد الزين بلد العرفان بلد الاعيان ، وصلت الى دكان الحاج حسن الشمعة فالشمع دليل الطريق فعلمت ان السيد الحسن الامين المكرم قد ذهب الى قريته فخرجت من الدكان لافتش هتلا يناسب للمبيت • نظرت الى الشارع اللنبي ودكاكين وبنايات شامخات وفنادق ، اذ خطر في خلدي ان حجة الاسلام الشيخ محمود فرحات له رسالة من اخيه وهو في يدي ، ودكتر السيد حسين محمد جعفري وهو في بيروت واذا دكتر جعفري موجود فما حاجة الى هتل والى منزل — وصلت حذاء مكتبة العرفان — دخلت المكتبة وسألت عن الاستاذ نزار فقام لي احد الاخوة وساقني الى مكتبه فصادفني رجل كبير المنزلة وعظيم القدر وصافحني وعانقني — الاستاذ نزار الزين — فيا حبذا للقائه ويا اهلا لوجوده الشريف — اخذ يدي ورجع الى مكتبه حتى وصلنا الى قاعته واخذنا نتحدث كانا رفقاء ونسيت الغربة وذهلت عن الكربة • كل احاديثه حلوة ولقائه سلوة لاني زرت اديبا مكافحا وكاتبا بلا مدافع وبطلا في سبيل الدين وبلاغة صاحب المجلة العلمية والادبية التي بلغت من عمره اكثر من نصف القرن •

سألني الاستاذ عن اهبة سفري ثم طلبها من الحاج حسن شمعة وقال لي لا يمكن ان تنزل في هتل او مكان آخر لان البلد بلدك والبيت بيتك — ومن حسن الحظ ولطف الله سبحانه — اذ ورد الاخ السيد حسن الامين ففرحنا جميعا — قلت لحضرة السيد انك وردت في باكستان ورجعت منه بلا خبر فجئت لبنان بلا خبر وزرتكم بلا اطلاع • الحمد لله الذي وفقني لزيارتكم أطال الله بقاءكم — فأخذ السيد يقول في بيروت منزل مرتضى موجود وهو لا يحتاج الى اخر والاستاذ نزار يقول لا يمكن له ان يرحل من منزلي فاتفقنا على ان احضر على مائدة في منزل اديب الزين — المرحوم — رحت الى بيت عالية ومنزل رحيب ومكان لطيف دخلت في قاعة اللقاء والاستاذ الاديب على بابه يرحب احر ترحيب بلا لقاء من قبل زرت رمز السماح ، رمز الاخلاق وشكرت الله بلقائه وشعرت في

رسالة الى والدي

في ذكراه الاولى

بقلم : حافظ أديب الزين

والدي الحبيب

من قلب مكلوم ، لم ولن تبرأ جراحه ، كلمات يخطها قلم يرتعش بين اناملي ، وخواطر تنقلني اليك في دنياك البعيدة ، تستحث الدموع في مقلتي ، .. ولكن طيفك المترائي أبدا في طي تساؤلي يجيب : علمتك يا ولدي ان تكون اقوى من الفاجعة ، فلا تحزن علي أنا السعيد في دنياي الابدية ، بل فكر كيف يمكنك اسعاد حزانى الارض .

سنة كاملة مضت على فراقك لنا ، ولكن الفراغ الذي تركته في قلوب اهلك ومعارفك ما زال فراغا لا يملؤه سوى أمل لقائك في جنان الخلد يا والدي .

ان خير ما نذكرك به ، نحن اولادك واحباؤك ، هو السير على المثل التي جسدتها والمبادىء التي رسمتها لنفسك في حياتك . كنت تعمل بالمثل القائل : « اذا لم تستطع ان تنير العالم ، فأنر على الاقل الزاوية التي أنت فيها . » وقد كنت يا والدي نورا في حياتك ، وستظل ذكراك الطاهرة تنير درب حياتنا ، لان ما زرعته في نفوسنا من مثل انسانية ، لا يمكن ان تمحوه صروف الزمان .

كلما صادفتني خديعة مخادع ذكرتك يا والدي لانك علمتنا الصدق والامانة ، وطالما عانيت من المخادعين .

كلما واجهتني جهالة جاهل ، ذكرتك ، لانك علمتنا اللجاجة في طلب العلم ، فقد كنت تحب مستنيري العقول ، وطالما تألمت من جهل الجاهلين .

كلما امعن المسلمون في غيهم وضلالهم ، ذكرتك ، لانك طالما أسفت لحالهم ، وناديت بوجوب العود الى منابع شريعة الاسلام التي لا تنضب .

كلما مرغ المسلمون انوفهم في وحول الاستعمار شرقية ام غربية ، ذكرتك ، لانك كنت تصبو الى رؤية المسلمين أسيادا اعزة في بلادهم ...

... الانسان ليس سوى نموذج من حياة ، يمثل قيما روحية ومادية ، يعبر عنها في شخصيته ومعاملاته واخلاقه ، وانسانك يا والدي جمع مـن القيم أرفعها وانبلها ، وعهدنا اليك ان نتابع الرسالة .

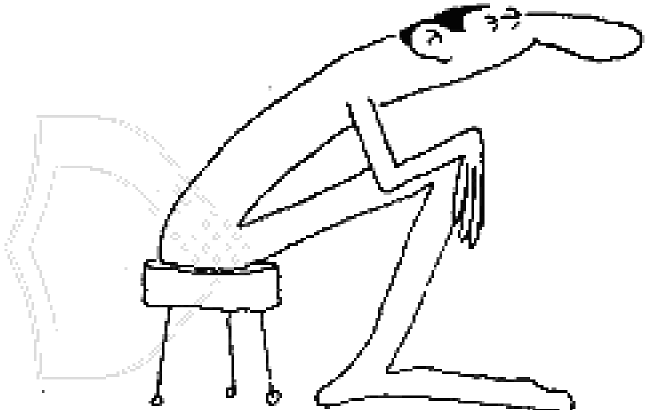
ختاما يا والدي ، اردد مع صدى صوتك الآتي مـن السموات البعيـدة : « قدسنا الجريحة ـ ترى هل ينساك من آمنوا بمحمد الذي أسري بـه اليـك ، وبالناصري الذي حضنت دعوته ، وشهدت ازقتك درب آلامه ؟ متى تنقشع عنك غمامة الباطل ويرفع آذان النصر من جامعك الاقصى ، وتقرع اجراس الفرح في كنيسة القيامة ؟ دمعة حرى عليك يـا قـدس ، حين صرت سلعـة بيـد تجـار الشعوب ... »

الى اللقاء يا والدي ـ في جنان الخلد انشاء الله ـ وادعو الله ان يهدينـا جميعا الى درب الهدى ، ويمكننا من متابعة الرسالة التـي بدأتها في حياتـك ، رسالة العلم والعمل النابعين من الايمان به تعالى .

حافظ أديب الزين

السّير بأمان





تقل فاعلية عيني السائق — كما تقل فاعلية سيارته — مع مرور السنين ·

ومن حسن الطالع ، أن معظم علل البصر يمكن بسهولة اصلاحها اذا ما كلف السائقون أنفسهم عناء ذلك · والواقع ان كثيرين من المسؤولين يوجبون اجراء فحص للبصر قبل اجراء الفحص اللازم لمنح رخصة قيادة السيارات ·

من هنا ، كان لزاما عليك أن تزور طبيب عيون وتطلب اليه أن يجري عليك فحصا للاستيثاق ، خاصة ، من ثلاثة أشياء :

١ — تقييم حدة بصرك ·

٢ — صلاح عينيك لقيادة السيارات في الليل (ان السائق الذي يناهز الخامسة والخمسين من عمره وتبلغ حدة بصره ٢٠ على ٢٠ يحتاج الى ضعف مقدار النور الذي يحتاج اليه شاب في ربيعه العشرين ويتمتع بنفس حدة البصر) ·

٣ — مقدرة عينيك على العمل معا · ذلك ان استخدام كلتا عينيك معا ، لا عين واحدة ، هو عنصر جوهري في تقييم حكمك على السرعة والمسافة ·

من اجل حياة أسلم واطول
اعلان في سبيل الخدمة العامة
صادر عن
شركة خط الانابيب عبر البلاد العربية

ابواب العرفان

للاواسيلة للمناظرة

سيادة الشاعر المبدع الاستاذ عدنان مردم بك الاكرم حرسه الله !

يلذ لي يا اخي ، ان افتتح هـذا النهار الشريف ـ الاضحى ـ بالتحـدث اليك ، بعد ان قرأت درتك الواسطة (مصرع غرناطة) تلك المسرحية الشعرية ، التي سكبت فيها ذوب قلبك ، وومضات روحك ، فصورت ببراعة اوضاع امتنا ، وما هي فيه من تـفرق وشتات ! فما اشبه ايامنا الحاضرة بماضينا السحيق !

ماذا اعدد لك من حسنات هذه المسرحية ، من طواعية القوافي ، مـن سحر البيان من ابراز لدور المرأة ، من نقد مخلص لارواء قديمة تتجدد ، فمـا اصدق ما انطقت به القاضي عياضا :

نحن الذي نصر العدو ... ولـم نـزل تتملـق
اسيافنـا مـا بيننـا ... بدمـائنـا تـتدفـق
ورماحنـا مـا بيننـا ... بصدورنـا تـتشدق
اين ابـريء وكلنـا ... بالاثم بـاغ معـرق ؟
اغرى العـدو تشاحن ... مـا بيننـا وتـفرق
وضغائـن كالنـار ... لا تبلـى ولا تترفـق
كنا على الوطن الذبيح ... النصـل راح يمـزق
فعلام نجـأر مشفقين ... وليس فينـا مشفـق ؟

وما نطق به (يوسف كماشة) :

فالعرب في شتى التخوم ... دمى يسيرها الهـوى

وما نطقت به (زينب) :

ما كان اوجع ان نعيش دمى بلا هدف وغاية
ونساق ســوق الكبش قربانا لتذبح في النهاية

وما نطقت به (عائشة الحر) :

ان الهزيمة للكريم الحر مـدعـاة لثـار

حقا ان الصورة التي رسمتها للامة من خلال تاريخها ستظل خالدة لمـا فيها من ابداع ممتاز ، فتحية خالدة ، وتهنئة صادقة .

باخـلاص
روكس بن زائد العزيزي



العرفان : ننصح باقتناء هذه المسرحية .

غـيـرة

● روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر يوما فـقال : ان بنـي هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا فتاتهم علي بن ابي طالب ، الا فلا آذن ، ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتـي فاطمـة وينكح فتاتهم . ان فاطمة بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها .

وَإذا الصُحفُ نشِرت

الغلاء هــو ابــن الحكومة البــار !

بقلم الخوري يوسف عون

الابن البار هو الذي يعترف بفضل ابيه ويحسن اليه .

والابن العاق هو الذي ينكر فضل ابيه ويسيء اليه .

والانسان قد يبتلى بأبن عاق .

اما الحكومة فكل ابنائها بررة ، يسبحون بحمدها ... ويشكرون فضلها !

وأبناء الحكومة اعمالها .

فاذا اساءت عملا فعملها لا يكون بها عقوقا ، بل الناس تعقها . امـا عملها السيء فهو يبر بها ويستر عوراتها ، وينفخ بأبواقها ... والغلاء هـو احد ابناء الحكومة البررة الذي يحمدها على ما انعمت عليه من ولادة ، وتربية ، ورفاهية ، ورخاء ، ونفوذ ، وبطش !

والحكومة تلد الغلاء من دون حبل ، ومن دون قيصرية ، ومـن دون قابلة قانونية .

فهذا المولود العجيب يتكون بلحظة خاطفة ، ويولد في لحظة خاطفة ، وينمو في لحظة خاطفة . الوالدان : نفس امارة بربـح غـير مشروع ، وعـين مأمورة باغماضة ، فلا تروع .

وبتعبير افصح : التاجر يغري الحكومة ، والحكومة تغمض عينها . فيولد الغلاء ، ويعم البلاء والشقاء . فتفرغ جيوب وتمتليء جيوب .

هذا الشرح قد يظن به انه نظري . فلننتقل الـى الشرح الواقعي ليكـون كلامنا مفحما ومصلحا .

نحن لا نسأل الحكومة عن غلاء المواد الاجنبية ، فقد تجد لها بعض العـذر

في ذلك . ولكن نحن نسألها سؤالا واحدا يفضحها ويبرهن للجميع عن صدق ما تقول وصحة ما تتهم . ونرجو الحكومة ان تجيب . واذا سكتت فسكوتها برهان على تبنيها الغلاء .

وسؤالنا هو هذا :

كيف تسمح الحكومة ببيع ليتر الماء المعبأ محليا بخمسة وستين قرشا ، اي اغلى بكثير من ليتر البنزين الذي يباع بثلاثين قرشا ؟

ليتر الماء من لبنان ــ وليتر البنزين من السعودية . مع العلم ان ليتر البنزين ، لولا ضرائب الحكومة لكان يباع بخمسة قروش . فهل وضعت الحكومة ضريبة على المياه المعبأة أعلى بكثير من الضريبة على البنزين ؟

وهل تعرف الحكومة كمية النبع المعدني في فصل الصيف والصيهود ؟

وهل تعرف الحكومة من أين تعبأ المياه في فصل الثلج ، بل في زمن الشح وانقطاع الماء ، وشدة الحاجة الى مياه الشفة ؟

واذا كانت لا تعرف ، فلماذا تريد وتصر ان تبقى حكومة ؟

واذا كانت تعرف فلماذا تسمح بهذا الغلاء غير المعقول ؟

بل كيف تستطيع الحكومة ان تدافع عن نفسها وتدفع عنها تهمة الرشوة ؟

هذه فضيحة ، بل وصمة تضاف الى وصمات تلطخ بها جبين الحكومة ، منها تلك التي اعترفت بها امام المجلس والرأي العام ولم « يرف لها جفن » ، عنيت اعترافها بعجزها عن مكافحة تهريب الدخان ، فقررت خفض سعر الدخان الاجنبي لتحارب التهريب ــ كما ادعت ــ أي انها اعترفت بانها لا تستطيع ان تقضي على المهربين ، فقضت على الخزينة .

ان مثل هذا الاعتراف بالعجز وحده كاف لترحيلها . مع ان الرأي العام يعتقد ان المهربين تعرفهم الحكومة وتغضي عنهم لانهم « من عضام الرقبة » .

ومثل هذه الفضائح اخوات وبنات عم وخال ...

نحن لا نلوم هذا الصنف من البشر الذين يريدون ان يتحكموا برقابنا وبأموالنا وهم عاجزون عن مهرب دخان . وعن زجاجة ماء ... بل نلوم النواب،

نواب الشعب ، ممثلي الشعب ، الذين اختارهم ليدافعوا عنه ، فاذا بهم يتواطأون عليه ويشاركون الحكومة في امتصاص دمه بسكوتهم عنها وبتأييدهم ، فتضع سكينها على اعناقنا ، ونوابنا يصفقون لها غير آبهين لحسابنا .

نعم لا الحكومة تخشى حساب المجلس ، ولا النواب يخشون حساب الشعب !

ويقولون لك : ما اصعب الحكم في لبنان !

كذبوا ! وهل اسهل من الحكم في لبنان ؟

وهل اطيب واسلس من شعب لبنان ؟

الا هنيئا لهذه الحكومة بهذا المجلس .

وهنيئا لهذا المجلس بهذا الشعب .

ولكن لا هنيئا لارض لبنان بمن عليها في اخر زمان ...

ونحن نظن ان الكثير من طيبة الشعب يزيد في فساد الحكم .

قيل : كان احد الامراء صالحا جدا ، فطلب ان يدلوه الى شعب فاسد ليصلحه . فدلوه على شعب لبنان . فاصلحه ، وفسد هو !

اننا نأمل الا تذهب كلمتنا هذه صرخة في واد . بل ننتظر من الرئيس سلام ان يثبت وجوده كحاكم بالفعل لا بالحكي .

ان عمر بن الخطاب عندما تفقد رعيته في الليل ورأى امرأة تطبخ الحصى لبنيها الذين كانوا يصرخون حولها من الجوع ، تعللهم بالامل علهم ينعسون ، لم يكتف بتأليف اللجان واذاعة البيانات ، بل عاد وحمل كيس الطحين على ظهره ، وجرة السمن بيده وذهب الى بيت المرأة وطبخ لها ولاولادها ، وما رجع حتى شبعوا اكلا لا وعودا .

فهل تحمل حكومتنا على ظهرها كيس مسؤوليتها ام تبقى تتنعم بلذة الحكم والتحكم تاركة كل عبء المسؤولية على رئيس البلاد ؟

اما آن لرئيس البلاد ان يجد حوله من يريحه ولو يوما واحدا ؟

اما آن لرئيس البلاد ان « يطلع خلقه » على هؤلاء ولو يوما واحدا ؟

عله « يطلع » !

الخوري يوسف عون

رسائل الأدباء

من الشاعر القروي لجعفر الخليلي

اخي الاديب الكبير الاستاذ جعفر الخليلي رعاه الله .

احمد الله اليك . والى ادبك الجم . وقريحتك الفياضة . وقلمك الكرار . وقلبك الجياش بالمحبة . والعطاء . وشمول المودة . والى ذهنك الوقاد . الواعي حشود الذكريات والتراجم . مغمورة بالشعور الرقيق الرفيق . انه لادب يبعث على الاكبار والاعجاب . بيد انه لا يستكثر على العراق . مهد اللغة والفقه .والفلسفة والشعر والعلم الواسع الغزير . وما انت يا رعاك الله . وعباس رحمات الله عليه . الا دوحتا معرفة وفن من ادواحه الباسقات . في جناته التي تجري من تحتها الانهار . ولا تزال من عهد الامام الاعظم . قطوفها دانية ذلول. وظلالها وارفة كثيفة . ويا لها من قطوف . ما كادت . بل باتت لما عودتموها . تجني نفسها الى كل موائد الادب . في دنيا العرب . ويا لها من ظلال . ما ان تحنو حنو الامهات على الراتعين في خمائلها . حتى تسلخ عنها . نسخ منها . ترف في الآفاق . غمائم تقطر الندى . فتلطف حر الصحاري . وتنشر المظلات على رؤوس الضاربين في الفلوات . وحتى لقد نازعت ظلال الارز بردها وسلامها . واوشجت قممه وسفوحه واريافه موداتها وارحامها . وحسبنا دليلا كثرة من لك خاصة . ولعدد لا يحصى من ادباء العراق عامة ، من خلص الاصدقاء في لبنان ، وما لشاعر العراق العظيم حافظ جميل من قصائد في وطن الارز لم يكد يبلغ صدقها وحرارتها ورقتها ، اعظم شعرائه المدلهين بحبه ، المتقلبين منذ ولادتهم في احضانه . اما هديتك القيمة الاخيرة ، الجزآن الثالث والرابع من كتاب (هكذا عرفتهم) فهو تحفة التحف ، تجارت فيه البلاغة والسلاسة والفكاهة تجاريا يأخذ باللب . ويستبد بالمشاعر . فبينما قارئك يبكي معك من بكيت من خلانك الراحلين كانهم آله وخلانه . اذ هو ينفجر بالضحك للنادرة ترويها عن بعض ظرفائهم . حتى بت اخشى على ضعاف القلوب من المطالعين يصابون بنوبات من هذه المتناقضات المؤثرة تتردد بين افئدتهم واعصابهم . وتمعن في هزهم

واضطرابهم • بل حتى بت اخشى مـا اكـون عليك بالـذات • لفرط تعلقـك باخوانك ، وهم كثر • والدهر بنا جميعا قلب وكانما كـل قلوبهم حشدت فـي صدرك الرحب ، تفور بشتى عواطفها واحاسيسها • وتفيض بالدموع القريـرة حينا • والسخينة حينا ، ثم لكم آلمني حقا ان تصاب في عـام واحـد باخيـك وزوجتك • فتفقد بفقدهما الساعد الشديد والقلب الحنون •

اني ايها الاخ الكريم اذ اطلب لك العزاء عنها واكره عنه • اشكـر لـك هديتك النفيسـة التي تزدان بها مكاتب اخوانك ، وتضيف يدا ادبية جديدة ، من ايادي الرافدين على وطننا العربي الكبير والسلام عليك من اخيك الشكور •

كانون الثاني ١٩٧٣ **رشيد سليم الخوري**



من روكس العزيزي لابراهيـم السمان

أخي العزيز الاستاذ ابراهيم السمان المحترم ــ الوكيـل المساعـد لوزارة الثقافة والاعلام مدير فرع الاذاعة في القدس سابقا •

تحيتي واحترامي وبعد ،

اسمح لي بان اشكرك على هديتك اللطيفة (اصوات عربية) الذي ترجمت فيه لنخبة خيرة من اعلام هذه الامة :

أ ــ عادل زعيتر •

ب ــ الشاعر القروي •

ج ــ امين يوسف غراب •

د ــ علي محمود طـه •

هـ ــ حسن عبد الله القرشي •

فقد قرأت الكتاب بلذة ، فوجدت فيه امتاعا وفائدة ، باسلوب رشيق رقيق وبيان ناصع مشرق ، هو السهل الممتنع ، والذي يضاعف قيمـة الكتاب عندي : انه يرسم طريقا واضحا لناشئة الادباء الذين يريدون ان يعالجوا الادب الاذاعي ، اخذ الله بيدك لتخدم هذه الامة بما عرف عنك من خلق رفيع وقلم مهذب •

باخـلاص

روكس بن زائد العزيزي

بريد القراء

الصدر : نرفض نسبة ((انا))

الى الامام علي

جاءنا من رئيس المجلس الشيعي الاعلى السيد موسى الصدر :

« لقد قرأت في عدد جريدة « النهار » أمس الخميس ١٤ ــ ١٢ ــ ١٩٧٢ مقالا بعنوان « قصيدة للامام علي » عليه السلام موضوعها « انا » . ثم راجعني عشرات من المواطنين طالبين رأي المسلمين الشيعة في فقرات هذه القصيدة .

انني أؤكد عدم صحة انتساب هذه الخطبة (القصيدة) الى الامام . وقد وضعت في هذا الصدد دراسات مفصلة واعرض عن نقلها الشريف الرضي في كتاب « نهج البلاغة » . ثم ان بعض فقرات الخطبة تتعارض مع الآراء الثابتة الواردة عن الامام والتي تنسجم جميعها مع العقيدة الاسلامية . ومن مبادئنا رفض كل ما ينسب الى النبي او الامام عندما يتعارض مع القرآن الكريم . ونحن نجد في هذه القصيدة اسناد صفات مخصوصة بالله سبحانه وتعالى حسب نص القرآن الكريم ــ لا يجوز اسنادها الى الامام . وسأقدم الى « النهار » دراسة مفصلة في هذا الموضوع » . وهذا هو المقال والقصيدة موضوع الرد .

قصيدة للامام علي

رؤياها نبوية عاصفة

بين حين وآخر لا بد من التراث نعود اليه لنستلهم اصالته . ولا بد ان نقر بأن التراث الفكري العربي يتمتع ببعض الجوانب المضيئة التي تكفل له استمرارا . ونلفت في الاخص ، الى التراث الصوفي وما يتصل به ، ونحن رأينا سوريالية النفري (راجع « النهار » ١٦ ــ ١ ــ ١٩٧٢) وبعضا من مملكة

الخياة عند ابن عربي (« النهار » ٢ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢) ورأينا صورة الـذات الكوزمية في شعر المكزون السنجاري (« النهار » ٣٠ ـ ١١ ـ ١٩٧٢) • وها اننا نقدم احدى خطب الامام علي بن ابي طالب التي لم يجمعها الشريف الرضي في « نهج البلاغة » •

وهذه الخطبة ، التي اعتبرها من ابرز القصائد الكاشفة ، تتجلى فيها صورة الانسان الاسلامي الكامل ، هي ، على حد تعبير ماسينيـون ، « النص الملحمـي الاسلامي الذي كان اوفر النصوص حظا خلال تكوينه الطويل » • انهـا تسبق « نهج البلاغة » مقدار ١٥٠ سنة (جمعه الشريف الرضي حوالي ٤٠٠ هجرية ـ ١٠٠٩ ميلادية) •

نشرت اول مرة في كتاب عبـد الرحمن بـدوي • « الانسان الكامـل في الاسلام » (مصر ١٩٥٠) ومن المدهش ان الكتاب ، الـذي قرأتـه في مكتبـة الجامعة الاميركية في بيروت ، لم يخرج ـ رغم عنوانه ـ سوى مرتين من المكتبة خلال ما يزيد على عشرين سنة • وهذا تدليل على هروب العرب مـن اي عميق وعدائهم لاية عقلانية • وهي حالة لا تؤدي الا الى التسطح العقيم • ان جميـع الآثار التي تتطلب جهدا عقليا تطمس وتغيب • فالنفري الذي طمس ، هو الآخر، ما يقارب ألف سنة ، واكتشف منذ سنوات ، ليس سوى دليل قوي عـلى صحة ما أقول •

(للتذكير : الامام علي بن ابي طالب ، الـذي تدرسه مناهجنا في منتهـى السطحية ، ولد سنة ٦٠٠ م• نشأ في جانب الرسول وتزوج ابنته فاطمة ، وقتل ، قبل صلاة الصباح ، في احد مساجد الكوفة على يدي احـد الخوارج ويدعـى عبد الرحمن بن ملجم المرادي •

قال فيه النبي : « انت مني بمنزلة هارون من موسى » و « من كنت مولاه فعلي مولاه ») •

معظم خطب علي ابن ابي طالب مشحونة بضروب من الالم والايمان • وفي كلماته يقول الشريف الرضي ، في مقدمته « لنهج البلاغة » ، « مسحة مـن العلم الالهي وعبقة من الكلام النبوي » •

ولعل هذه « الخطبة ــ العقيدة » ، التي تقتطف منها مــا يتصل بالشعــر مباشرة ، تبرز بعضا من ألق تلك الشخصية الفذة التي لو ساعدتها ظروف الزمان والمكان لغيرت وجه الاسلام ..

انها مجد يزاد الى امجاد الامام ولا يخفى ما فيها مــن رؤيوية « نبويــة » تعصف في جسم « الأنا » . كذلك اثر المسيحية والقرآن والتاريخ الرائي القديم.

صبحي حبشي

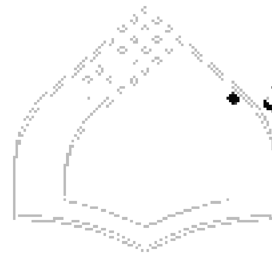
★ ★ ★

أنــــا

أنا سر الاسرار
أنا شجرة الانوار
أنا دليل السموات
أنا أنيس المسبحات
أنا سمندل الافلاك ...
أنا سائق الرعد
أنا شاهد العهد .
أنا قطب الديجور
أنا البيت المعمور .
أنا زاجر القواصف
أنا محرك العواصف
أنا مزن السحائب
أنا نور الغياهب .
أنا جوف الشوامس
أنا فلك اللجج
أنا حجة الحجج
أنا سبب الاسباب
أنا جوهر القدم

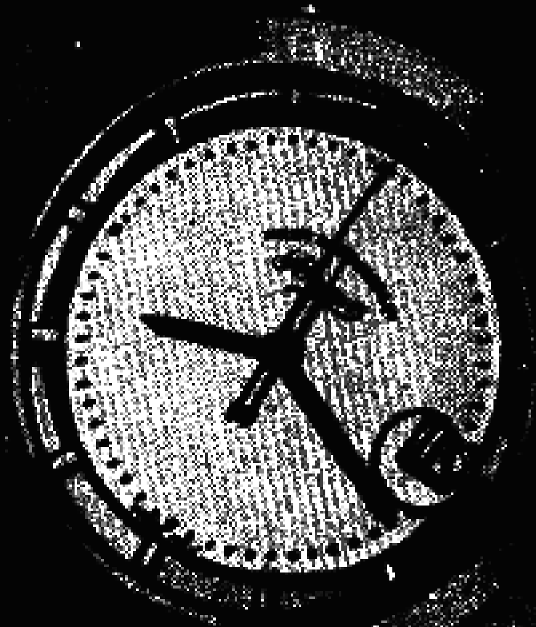
أنا مرتب الحكم .
أنا منية الامل
أنا عامل العمل .
أنا الاول والآخر
أنا الباطن والظاهر
أنا البرق اللموع
أنا السقف المرفوع
أنا جامع الآيات
أنا ساجر البحر
أنا خلاصة الاخلاص
أنا مفجر الانهار
أنا ام الكتاب
أنا فصل الخطاب
أنا علم الاعلام
أنا ألفة الالاف
أنا مائدة الكشف
أنا سر ابرهيم
أنا نخلة الخليل

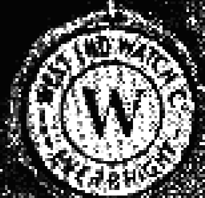
أنا مبعوث بني اسرائيل
أنا البرهان
أنا عقد الايمان •
أنا كاسي العراة
أنا ساقي الكوثر •
أنا ظهير الاظهار
أنا مبيد الكفره •
أنا قالع الباب
أنا مفرق الاحزاب •
أنا حافظ الكلمات
أنا مخاطب الاموات •
أنا مكلم الثعبان •
أنا آلاء الرحمن •
أنا الضارب بالسيفين
أنا الطاعن بالرمحين
أنا الجوهرة الثمينة
أنا باب المدينه •
أنا مكنون الحجاب
أنا وعد الوعيد
أنا وفاق الآفاق
أنا النون والقلم
أنا مصباح الظلم
أنا النبأ العظيم
أنا السراط المستقيم •
أنا هلال الشهر
أنا لؤلؤ الاصداف
أنا سر الحروف
أنا نور الظروف •



أنا الجبل الراسخ
أنا العلم الشامخ •
أنا مفتاح الغيوب
أنا مصباح القلوب •
أنا نـور الارواح
أنا روح الاشباح
أنا الفارس الكرار
أنا نصرة الانصار •
أنا السيف المسلول
أنا الشهيد المقتول •
أنا شقيق الرسول
أنا بعل البتول •
أنا عمود الاسلام
أنا مكسر الاصنام •
أنا قاتل الجن
أنا ساقي العطاش
أنا بطرس الروم
أنا امام المعلمين
أنا مشكاة النور
أنا حامل الراية
أنا صاحب الآية
أنا قطب الاقطاب
أنا حبيب الاحباب
أنا مهدي الاوان
أنا عيسى الزمان
أنا والله وجه الله ،
أنا والله اسد الله (•••)

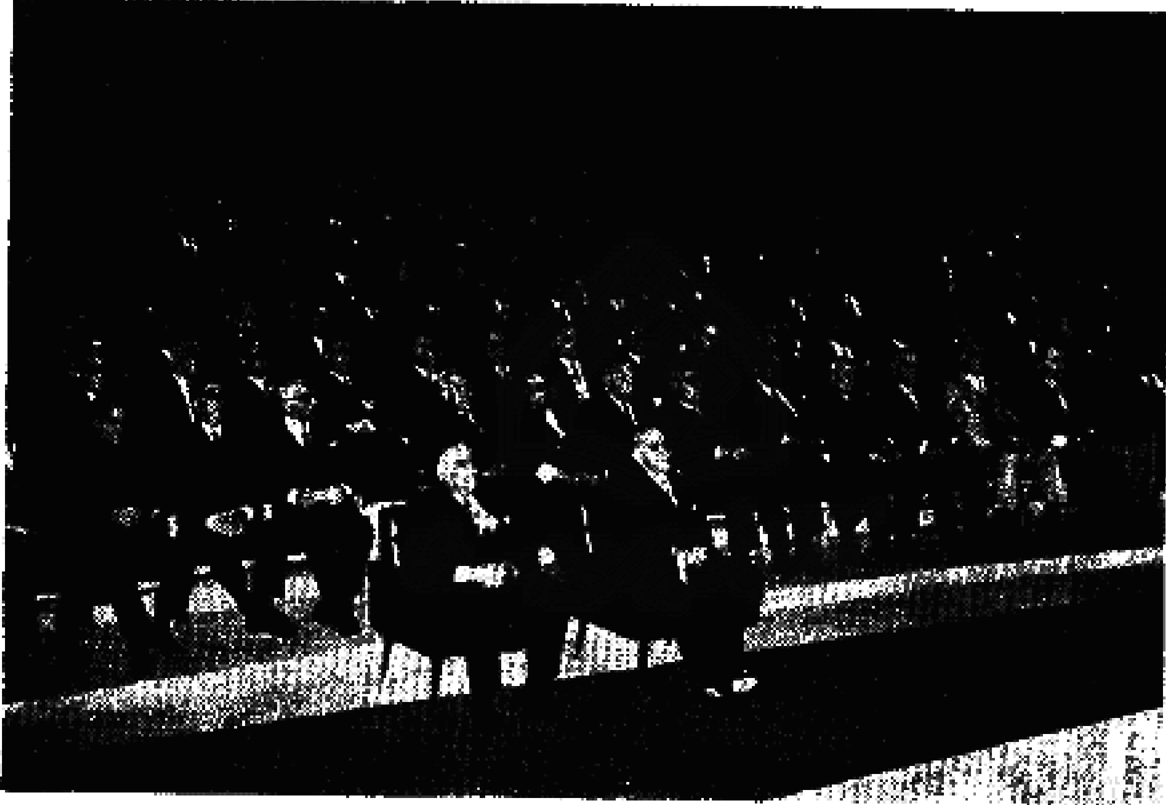
الامام علي
(من خطبة البيان)


وست اند
تحفظ الوقت
WEST END WATCHE
KEEP PERFECT TIME
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
تلفون ٣٢٥٨٥
الكويت


W

الذكرى الاولى لوفـاة رشيـد بيضون

سلام : كان علما من أعلام الوطنية الصادقة



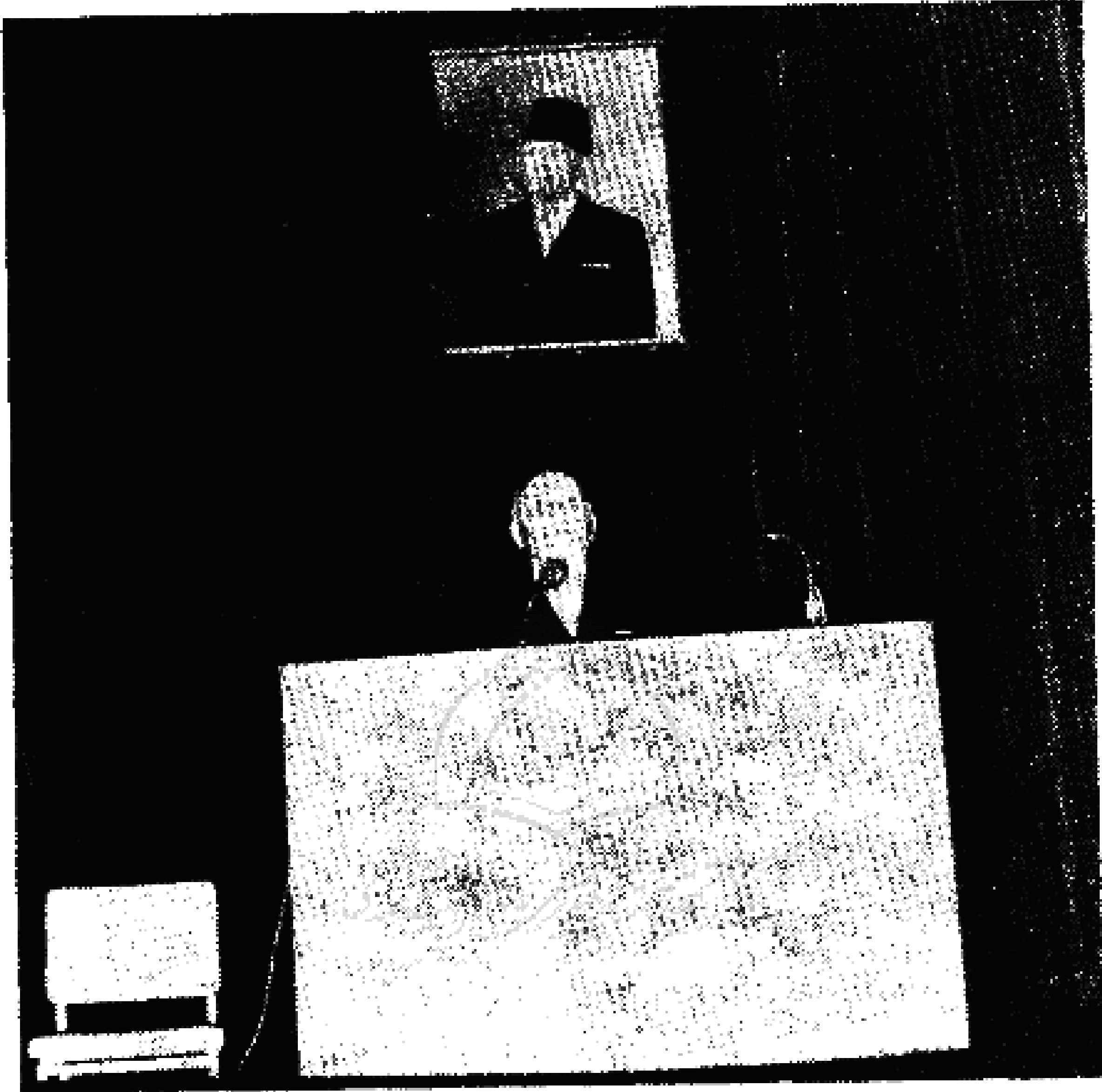
قسم من الحشد الذي حضر الحفلة التذكارية للمرحوم رشيد بيضون •

★ ★ ★

رعى الرئيس سليمان فرنجية الذكرى الاولى للمغفور لـه رشيـد يوسف بيضون الوزير والنائب ومؤسس الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية الـتي دعت اليها لجنة احياء ذكراه في ٢١ ــ ١ ــ ١٩٧٣ في قاعة الاونيسكو •

وقد مثل الرئيس في الاحتفـال الرئيس صائب سـلام وحضـره الوزراء والنواب والسفراء العرب والاجانب ونقيب الصحافة الاستاذ رياض طـه وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين وجمع من رجال الديـن مـن مختلف الطوائف وعدد من رؤساء المعاهد والجامعات ورجال الفكر والمواطنين •

افتتح الاحتفال بتلاوة عشر من القرآن الكريم رتله الحاج عبـد الرؤوف



الرئيس صائب سلام يلقي كلمته

★ ★ ★

كبي ، وعلى الاثر ، تحدث الاب عبد الله داغر رئيس كليــة السيدة في الجمهور التابعة للاباء اليسوعيين عن مآثر رشيد بيضون التربويــة وجــذوره الانسانية الراسخة في محيطه الاجتماعي والمجال الوطني .

وتلته الدكتورة جمال حرفوش رئيسة دائرة الصحة في الجامعــة الاميركية فذكرت ان رشيد بيضون كان « قدوة بعمله المتفاني في سبيل المجتمع والوطن.. ومشاركته في العمل الجماعي والخدمة العامة » .

وعقبها الشاعر محمد يوسف حمود فالقى قصيدة نوه فيها « بمنائر » رشيد بيضون الدائمة الاشعاع في ميادين العلم والفكر .

ثم تكلم فضيلة الشيخ محمد مهدي شمس الدين عن رشيد بيضون رائــد

الفكر وعن التغيير الذي آمن به عن طريق العلم ودعوته الى بناء الانسان فكـرا وعملا وروحا •

وتكلم الرئيس سلام فقال :

« ••• يخطيء من يظن ان عطاء رشيد بيضون قد انحصر في ابناء طائفته في هذا الميدان ، فهو في سعيه لتعزيز كيانهم انما كان يعمل لتعزيـز كيان لبنـان ، فلبنان المستقل الذي يفخر بحرية ابنائه وتحرره ويحرص على مستقبله لا يمكن الا ان يطير بجناحيه والخدمة الفضلى في لبنان ، في تقوية جناحه المهيض ليوازي جناحه المرفرف المحلق عاليا •

ولهذا حق علينا جميعا ، على جميع ابناء لبنان ان نشترك اليوم في احيـاء ذكرى رشيد بيضون الذي قدم للبنان اقصى ما يمكن لفرد من ابنائه ان يقوم به في ميدان لا زلنا في اشد الحاجة الى البذل والعطاء فيه ، والى الكثير مـن ابنائه يجعلون من رشيد بيضون قدوة حسنة لهم فيما يفعلون •

وكان رشيد بيضون فوق اشعاعـه نبراسا منيرا في ميادين الخير وحقول التربية والتعليم في لبنان العزيز ، كان علما من اعلام الوطنية الصادقـة ، الصافية ورائدا من رواد الرعيل الاول في النضال اللبناني العربي •

كان رشيد بيضون مثالا نادرا في العطاء ، وسيبقى لبنـان معطـاء ، كثير العطاء ، في الرجال من امثال الفقيد الكبير رشيد بيضون » •

وكانت كلمة الختام للنائب محمد يوسف بيضون الـذي وصف الذكـرى بانها تكريم للخير والوطنية والانسان والقيم الاجتماعية وشكر الرئيس سليمـان فرنجية لرعايته الذكرى كما شكر كل من الرئيس سلام الذي مثل فخامته والذين حضروا •



● اصدر علماء ومشايخ العلويين في سورية ولبنان بيانـا واضحا صريحـا يقولون فيه : ان السياسة التي فرقت في الماضي وابعدت عن الحقائق قد ذهبت ، وانه لم يبق هناك مجال للافتراء والدس فهم يعترفون ويقرون بأن العلويين شيعة

جعفريون يقولون : اشهد ان لا آله الا الله وان محمدا رسول الله ، وان عليا عبد الله واخو رسوله •

العرفان : بعد هذا البيان ، ووجود المساجد التي تقام فيها الصلوات في طرابلس واللاذقية وطرطوس وغيرها ، لم يعد هناك مجال للقيل والقال •

★ ★ ★

النقيب طـه يحاضر في الحدث

عـن « الصحافة مجـد لبنان »



دعا طلاب المدرسة الانجيلية في حدث بيروت، بالاتفاق مع طلاب ثانوية جبل لبنان وثانوية كفرشيما الوطنية ، نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه الى القاء محاضرة بعنوان « الصحافة مجد لبنان » •

وقد تحدث النقيب عن دور الصحافة اللبنانية في الداخل والخارج فقال ان الصحافة هي التي تصنع مجد هذا البلد الصغير الحجم القليل السكان المحدود الموارد والمشع على العالم العربي والعالم الاوسع • فصحافتنا هي التي تعبر عن مختلف الاتجاهات والتيارات ، وهي التي تمثل ـ بمجموعها ـ الرأي العام العربي والفكر العربي ، على تعدد مذاهبه وعقائده • كذلك فان صحفنا مقروؤة في طول البلاد العربية وعرضها ، من المحيط الى الخليج ومن حدود تركيا وايران الى حدود افريقيا الوسطى • ولئن كان كل قطر عربي يمنع دخول بعض الصحف التي لا توافق سياسته ، فان كل قطر عربي يبيح دخول عدد من صحف لبنان يكفي لعرض جانب من صحافتنا • وهكذا تمتد انباء لبنان واراء بنيه وافكارهم الى مجموعة الدول العربية : كل من زاويتها وعبر سياستها الموجهة •

ربما كان من الافضل ان توزع الصحف اللبنانية كلها في البلدان العربية

كافة ، غير ان تعدد مبادىء صحفنا وتنوعها لا يمكـن ان ينسجم وسياسة الدول الشقيقة ، المختلفة الانظمة والمتناقضة المذاهب الاقتصادية والاجتماعية •

ان صحافتنا هي ثمرة هذا النظام الليبرالي المعتز بحرياتـه الواسعة ، وهي على صورته ومثاله • اذ لو كان نظامنا موجها لكانت صحفاتنا ملتزمة بفكر واحد ومبادىء موحدة • واذا كان منع الصحيفة اللبنانية مـن دخول الاقطار العربيـة يشكل نقطة ضعف ، فان تعدد اكوان صحافتنا يؤلف نقطة قوة ، ذلك لانه يسمح لهذه الصحافة بتمثيل مختلف الآراء والمبادىء في بلاد العرب وفي الدنيا بأسرها •

وايا كان معتقدنا السياسي الاقتصادي ، فينبغي ان نقر بان النظام الليبرالي الذي يقوم على تعدد الاتجاهات والاحزاب والعقائد هو الذي يخلق الجو الصحي لتطور الصحافة وتقدمها •

قد يكون النظام الاشتراكي او الثوري اكثر فعالية وسرعة وحزما ، واجدى في تحقيق مكاسب سياسية وفي اجراء التحويل الاقتصادي الاجتماعـي • الا ان النظام الديمقراطي الليبرالي هو الذي يخلق المناخ والتربة الخصبة لنمو الصحافة والفكر الحر •

لقد كانت الصحافة المصرية رائدة الرأي والفكر في العالم العربـي ، قبـل الثورة ، وكانت صحافة لبنان تنظر الى صحافة القاهرة نظرة التلميذ الصغير الـى المعلم الكبير • بيد ان النظام الثوري القومي ما لبث ان جمـد الصحافة المصرية التي كان عليها ان تكون اداة الثورة والتغيير • هـذا في حين انطلقت الصحافـة اللبنانية في آفاق الحرية ، والتجدد ، والتكامل الفني •

ولما كان لكل شيء ثمن ، فان ثمن البناء الثوري هـو تبنـي الرأي الموجه كذلك فان الصحافة الحرة المتطورة هي وليدة النظام الليبرالي حتى ولـو كـان مركنتيليا •

السوفياتي مسلموف اصبح عمره ١٦٧ سنــة



ذكرت صحيفة « ازفستيا » السوفياتيــة ان شيرا عــلي مسلموف (١٦٧ سنة) وهو اكبر معمر في الاتحاد السوفياتي ، لا يزال يسير بخطى ثابتة على طرق قريته في جبال القوقاز •

واضافت الصحيفة تقول في رد على سؤال من احــد قرائها : ان مسلموف لا يزال يتمتع بصحة طيبة ويقوم ببعض الاعمال الزراعية الخفيفة •

ويعتبر مسلموف اكبر سكان قرية بارزافو المشهورة بطــول اعمار سكانها وتقع القرية على ارتفاع ٢،٠٠٠ متر في جبال اذربيجان •

ومسلموف من مواليد عام ١٨٠٥ ، وذلك يعني انه كان في السابعة من العمر عندما غزا نابوليون روسيا • وكان قد احتفل اخيرا مع زوجته البالغة ١٠٧ سنوات من العمر بالذكرى الخامسة والسعبين لزواجهما •

غزالة الشدراوي معمرة زغرتـا

اولادها واحفادها ٢٤٨ اخرهم جاء في الميلاد !

* * *



غزالة الشدراوي : ٩٦ سنة و٢٤٨ ولدا وحفيدا •

عمرها ٩٦ عاما « وبعـدا صحتـي مليحة » •

اولادها واولاد اولادها « كتار •• حسبوهـم ، طلعـوا ٢٤٨ صبـي وبنت » •

اخر هؤلاء ولد في عيد الميلاد وهو « حفيد حفيدي ••• الله يخلي ولاد الناس لاهلهم » •

هي : غزالة الشدراوي ـ المقسيسي المعمرة الزغرتاوية التـي تتذكر الكثير عن اهوال الحرب الكونية الاولى •

تقول : « يا ابني الجوع مجنون فالت • الناس اكلـوا الكلاب والبسينات ورجالنا قبضايات كانوا يروحوا يهربوا القمح من بلاد بعيدة ويجيبوه ، تانأكل • كان قطع الطرقات والتشليح ضارب طنابو • سركيس نعوم (قبضاي زغرتـاوي مشهور) مشي عا رأس ٥٠ قبضاي وفتح الطرقات كلهـا وامن للناس يسافـروا بالليل •

« الموتى كتروا بايام الهوا الاصفر • ما حـدا دفنوه بتابـوت • كانـوا يحملوهم بفرشتهم واللحاف ويفتحوا جورة بالتراب ويحطوهم فيها • ومش كل الموتى كانوا يلاقوا من يدفنهم • انا شفت بعيني مرا غريبة ميتـة عـم تنتشهـا الكلاب • وواحدة ثانية ماتت والحشيش بتمها •

« كنا نطلع عا اهدن مشي نحمل ولادنا وغراضنا • كانت الطريـق طويلـة بس ما كنا نتعب متل اليوم » •

مـــن يحمـــي مـــن ؟



الياس غازي (بصرما ــ الكورة) شكا مـــن ان رعـــاة محميين يدخلـــون بمواشيهم بساتين الزيتون (الصورة) وهي لا تزال تحمل ثمارا فتأكـــل الاخضر واليابس • وعندما شكا امره الى البلدية والنواطير ، جاءه الجواب : مـــن حـــق الاغنام ان تأكل من الرزق !

العرفان : ومن حق الماعز ايضا وليفنى الزيتون •

عرفات : تفهم واستجابة لكل ما طرح مـــع الرئيس البكر

اجتماع بين صدام حسين وعرفات وبحث القضايا المصيرية

قال السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير انـــه وجـــد تفهما واستجابة لكل ما طرح على بساط الحبث مع الرئيس احمد حسن البكر • وقد قابل عرفات ، السيد صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقي •

وقال في تصريح لوكالة الانباء العراقية ، ان وفد المنظمة بحث مـــع الرئيس البكر في مجمل الوضع في المنطقة العربية بصفة عامـــة ، والوضع بالنسبة الـــى المقاومة بصفة خاصة •

واضاف ان الثورة الفلسطينية باقية رغم كل المؤامرات التي تحاك ضدها •

واستقبل السيد صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة بمكتبه فـــي

المجلس الوطني ، السيد عرفات والوفد المرافق له ، واستغرقت المقابلة ٤٥ دقيقة .

وقال السيد عرفات انه بحث مع السيد حسين في قضايا مصيرية مهمة عربية وفلسطينية .

واضاف يقول في تصريح صحفي ان البحث تطرق الى موقف العراق الملتزم من الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني .

ومن جهة اخرى زار السيد عرفات الفريق اول حماد شهاب عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الدفاع في مكتبه الرسمي بوزارة الدفاع .

وكان « ابو عمار » قد حضر اجتماعا للجنة السياسية لحركة المقاومة الفلسطينية في العراق .

وقالت وكالة الانباء العراقية ان السيد عرفات تحدث في الاجتماع الذي استغرق ساعة ونصف الساعة وحضره رؤساء واعضاء التنظيمات الشعبية الفلسطينية ، عن تجربة اللجنة السياسية في العراق .

واضافت تقول انه أشاد بهذه التجربة كبداية للعمل الجبهوي ، كما عرض ما دار في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني الاخير في القاهرة ، وموقف وفد حركة المقاومة الفلسطينية في اجتماعات مجلس الدفاع العربي المشترك الاخيرة .

ومن ناحية اخرى ، تلقى عرفات برقية من الرئيس الاوغندي عيدي امين يحثه فيها على التعاون مع الاردن .

وحذر الرئيس امين في برقيته ، من انه اذا بقيت الدول العربية غير متحدة فانها لن تستطيع ان تأمل بهزيمة اسرائيل .

وقال في برقيته : لقد شعرت بان من واجبي ان ارسل اليك نداء مستعجلا جدا للنظر في اخر التطورات في الشرق الاوسط باهتمام شديد وبطريقة ايجابية ، بغية التأكد من ان نور الوحدة والتعاون الذي اخذ يشع في الشرق الاوسط الان سيزداد اشعاعا .

وعقد الرئيس عيدي امين محادثات مع وفد زائر من منظمة التحرير الفلسطينية يتألف من ١٠ اعضاء .

ورحب الرئيس امين بالتقارب بين الاردن والدول العربية الاخرى ، وقال انه اذا كانت لا تزال هناك مشكلات ، فانه يجب البحث فيها سرا بين الفرقاء المعنيين الى ان يتم الوصول الى اتفاق بشأنها .



● كتب صديقنا الاديب الهمام الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين مقالا في زميلتنا « الاديب » بعنوان الوجه الادبي لروكس بن زائد العزيزي . والاستاذ وحيد الدين قد انصرف في المدة الاخيرة للكتابة عن الادباء المنتجين المخلصين كالخليلي والعزيزي والدكتور صفاء خلوصي وغيرهم ، فنشكره ونتمنى له دوام الصحة والنشاط .

● « فلاسفة الحكم في العصر الحديث » تأليف عباس محمود العقاد صدر في منشورات المكتبة العصرية ببيروت وصيدا في ١٥٦ صفحة حجم كبير .

● توفي في ٨ الشهر الماضي المؤرخ اللبناني سمعان الخازن الذي عمل مدة في القضاء ثم انصرف لتأريخ بلدته زغرتا ولبنان في عهد المتصرفية وارخ مطولا ليوسف كرم . ولد الفقيد في زغرتا عام ١٨٩٧ ومؤلفاته هي : « يوسف بك كرم قائمقام نصارى لبنان » صدر عام ١٩٥٤ في ٢٥٢ صفحة « الحرب في سبيل الاستقلال او يوسف بك كرم وداود باشا » مطبوع في جونيه ١٩٥٧ في ٢٩٥ صفحة مع صور ورسوم . « يوسف بك كرم في المنفى ، صفحة رائعة من تاريخ لبنان المجيد في القرن التاسع عشر » طبع في طرابلس ١٩٥٠ في ١٩١ صفحة « تاريخ اهدن المدني » طبع في جونية ١٩٣٨ في ٣٥٨ صفحة « تاريخ اهدن الديني » طبع في بيروت عام ١٩٣٩ في ٣٠٣ صفحات « تاريخ الاسرة الاهدنية » طبع في طرابلس عام ١٩٦٨ .

● صديقنا الشاعر المهجري جورج صيدح نزيل باريس دخل في الثمانين من عمره المديد باذن الله نتمنى للاخ الحبيب دوام الصحة والعافية .

● كتاب « البرهان على ما في (شعر الراعي) من وهم ونقصان وهو كتاب استدرك فيه وصنفه الباحث العراقي هلال ناجي نحوا من ٣٥٠ مسألة على كتاب « شعر الراعي النميري واخباره » الذي طبعه المجمع العلمي بدمشق بتحقيق

الدكتور ناصر الحاني وعز الدين التنوخي ، وقد تضمن تصويبا لاوهـام كثيرة وقع فيها الحاني والتنوخي •

● تم ترجمة كتاب « الاسلام بمحض ارادتنـا » تأليف الباحث العراقـي الدكتور صفاء خلوصي من الانجليزية الى الالمانية والصينية واليابانية والكورية والعربية وهو يبحث في الاسباب التي دعت عددا من الاوربيين والامريكيين الى اعتناق الدين الاسلامي مع ذكر اراء مشاهير شعراء الغرب وكتابـه وادبائه فـي شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة الدين الاسلامي • وقد وزع من الطبعات الانجليزية حتى الان مائة الف نسخة • ويعد الدكتور صفاء خلوصي الطبعة الرابعة التي ستكون موسعة ومنقحة وفيهـا ترجمـة لقصيـدة الاديب اللبناني مارون عبود التي يقول فيها مخاطبا ولده الذي سماه محمدا :

عشت يا ابني عشت يا خير صبي
ولدتـه امـه في رجـب
امـه مـا ولـدتـه مسلمـا
او مسيحيـا ولكـن عربـي
والنبـي الـقرشي المصطفـى
آيـة الشرق وفخـر العـرب

وفي النية ترجمة الكتاب الى اللغات الحية الاخرى كالروسيـة والفرنسية والايطالية •

● اصدر الدكتور ضياء الديـن ابـو الحب كتـاب « التربيـة الموسيقية للمعوقين عقليا » ليكون مقدمة لمنهج الموسيقى للمعوقين عقليا الذي وضعه جماعة من المختصين وهو يعالج اهمية الموسيقى في علاج المتخلفين مـن الناحية الذهنية • يعتبر موضوعه فريدا في ميدانه • وقد قام بنشر الكتاب الادارة المحلية بمحافظة بغداد على نفقتها خدمة للرعاية الاجتماعية للمعاهد الخيرية المرتبطة بها •

● يبدأ الحرس الوطني السعودي في تنفيذ مشروع ثقافي كبير يتمثل فـي افتتاح مكتبات ثقافية في مختلف فرق ووحدات ومدارس الحرس الوطني ونادي الحرس الوطني بالرياض وستبلغ هذه المكتبات عشرين مكتبة في المرحلة الاولى•

هذا وقد تم تأمين اثاث هذه المكتبات وجرى الانتهاء من طبع سجلاتها وكافة مطبوعاتها وسيتم قريبا توزيع الكتب على هذه المكتبات والجدير بالذكر ان هذا المشروع هو احد المشروعات الثقافية الهامة التي ينفذها الحرس الوطني لرفع مستوى منسوبي قواته معنويا وثقافيا ٠

● اقام وزير الاعلام السعودي الشيخ ابراهيم العنقري حفل تكريم بمقر الوزارة بجدة للوفود الاعلامية والاسلامية التي حضرت حج هذا العام لتغطية ونقل وقائع هذا التجمع الاسلامي الاكبر وهي اثنان وثلاثون دولة وخلال الحفل تلا رئيس وفد لبنان نص برقية تلقتها الوفود من الملك فيصل ردا على برقية رفعتها الوفود الى جلالته معربة فيها عن شكرها العميق لما لقيته من عون مكنها من اداء مهمتها على خير وجه ٠ ثم القى احمد فراج عضو الوفد المصري كلمة اشاد فيها بدور العقيدة في توحيد اهداف المسلمين لمواجهة التحديات التي تعترض مسيرتهم وفي ختام الحفل ارتجل وزير الاعلام كلمة قال فيها ان دور وزارة الاعلام في اتاحة الفرصة للوفود الاعلامية العربية والاسلامية نابع من ايمان هذه المملكة ملكا وحكومة وشعبا بالدور العظيم الذي يجب ان تقوم به الامة الاسلامية في بناء الحضارة الانسانية على اسس من القيم الاسلامية الحقيقية التي تكفل حياة فاضلة لبني البشر جميعا ٠

● اقام الشيخ ابراهيم العنقري وزير الاعلام السعودي حفل عشاء لطلبة قسم الاعلام بكلية الاداب بجامعة الرياض في فندق صحاري بالاس حضرها وزير المعارف الشيخ حسن آل الشيخ والدكتور عبد العزيز الفدا وكيل جامعة الرياض والدكتور عزت خطاب وكيل كلية الاداب والدكتور احمد خالد البدلي رئيس القسم وعدد من كبار موظفي وزارة الاعلام وقد القى الدكتور عبد العزيز الفدا كلمة باسم طلاب القسم والجامعة شكر فيها الوزير على تبنيه لفكرة انشاء هذا القسم ورعاية طلبته وقد رد وزير الاعلام بكلمة شكر فيها وزير المعارف الشيخ حسن آل الشيخ وضمنها وصاياه لابنائه طلبة القسم وحثهم فيها على الجد والاجتهاد ٠

● صرح الدكتور عبد الله بكر عميد كلية البترول والمعادن السعودية بانه

قد تقرر بصفة مبدئية مباشرة الدراسات العليا في الحقـول الهندسية المختلفـة والرياضيات التطبيقية مع بداية العام الدراسي المقبل وقال انه قد تم بناء الجـزء الاكبر من مباني الكلية وسيتم تسلم مبنى ادارة الكلية في الصيف المقبـل بعـد اكتمال المرحلة الاولى من المشروع •

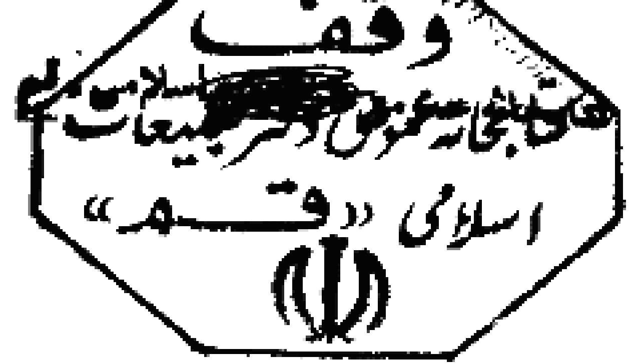
● اجتمع في مكة المكرمة الامين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح قزاز باعضاء ندوة الشباب الاسلامية العالمية التـي عقـدت في الريـاض يرافقهم سعيد الجندول والدكتور محمود محمد سفر • وقد تحدث الامين العام معهم عن دور الشباب المسلم في بلورة مجتمعاتهم وتكييفها بمـا يتفـق ومبادىء الاسلام السمحة والعمل على تطبيق الشريعة الاسلامية في جميـع مناحي الحياة فكريا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا • وتناول الحديث الظروف المصيريـة التـي تعيشها الامة الاسلامية اليوم والتي يكيد فيها اعـداء الاسلام للدين الاسلامي الحنيف وقد ركز الامين العام في حديثه على ان الشباب المسلم المثقف يضطلـع بدور كبير في العمل الواعي المركز من اجل دينه وعقيدته •

● موقع الادب العربي من العصر وقضاياه ، سيكون الموضوع الذي يبحثه مؤتمر الادباء التاسع الذي يعقد في تونس في ١٨ مارس المقبل •

ثـرثـرة الصبـاح

* * *

● كتاب ادبي يقع في ١٨٠ ص من القطع المتوسط ، طبـع طبعا انيقا علـى ورق جيد • مؤلفه الاستاذ سعد البواردي ، لم نقرأ لـه مـن قبل ، ولكن هذا الكتيب يدل على موهبته الادبية الطيبة ، ففيه مقالات تحوي ادبا جـزلا وطريفا وفيه حكمة الاديب الحق • ليس ثرثرة كما سماه مؤلفه تواضعا ، وانما هو ادب مفيد ، باسلوب شيق جدير بالمطالعة نشكر المؤلف الاستاذ سعـد علـى هديته النافعة ونتمنى لـه الـتقدم دائما في معارج الادب الـذي يحتاج لامثاله مـن النابهين •



في ذمة الله

وداد تقي الدين

● انتقلت الى رحمته تعالى عن ٧٥ عاما المأسوف عليها وداد تـقي الديـن حرم المرحوم الشيخ سليم علم الدين ووالدة الشيخ نجيب علـم الديـن والشيخ سليمان علم الدين ونبيهة زوجة الدكتور خليـل المصفي وجمـال زوجـة عادل تقي الدين وسعاد زوجة حليم النجار .

وقد نقل الجثمان من شملان الى بعقلين مسقط رأسها حيث شيعت بمجالي التكريم .

و « العرفان » تتقدم من آلها وذويها ، وتخص الشيخ نجيب علـم الدين ، بأحر التعازي راجية لهم الصبر والسلوان وللفقيدة الرحمة الواسعة .

الحـــاج عاطف الزين

● توفي في بيروت على اثر مرض عضال الحاج عاطف الزين ، وقـد نـقل جثمانه الى مسقط رأسه شحور حيث شيع بمجالي التكريم ، واقيم له في النادي الحسيني بشحور اسبوع حافل حاشد القيت فيه الخطب والقصائد ، وكان رحمه الله كريما شجاعا لطيف المعشر ، فلنجليه الحـاج سميح وعبـد العزيز تعازينـا الحارة ، نسأل الله ان يتغمد الفقيد برحمتـه ورضوانـه وان يلهمهـم الصبـر والسلوان .

العرفان

مجلة ثقافية سياسية ... رية

فتية العدد

حلفت لو رفعوا تمثاله ذهبا

شعر: يوسف فضل الله سلامة

خمسين عاما تبث الهدى طرقاً ... تتلى ، وآيا لدنيا العلم ميثاق
كأن «عرفانك» الميمون طالعه ... نجم له في رحاب النور آفاق
حلفت لو رفعوا تمثاله ذهباً ... يرف منه على اليوبيل اشراق
لما وفوه حقوق الفضل كاملة ... وقصرت ذمم فيها وأعنـاق
أي الميادين لم تفلح بساحتها ... ولم يكن لك إرعاد وإبراق
فكنت في الحرس اليقظان قائده ... وكنت أول من قاسوا ومن ذاقوا
لولا يراعك عين المجد ما انفتحت ... في موطن ، أو بدا للحق إحقاق
ولا جنى الشعب في استقلاله ثمراً ... تدار منه بيوم النصر اطباق
تسولك في النهضة الكبرى فحظهم ... شهد ، وحظك : تنكيل وارهاق
العبقرية لا تمحى مفاخرها ... وفي الدنى صحف تتلى وأوراق

العدد الثاني المجلد

١٠ شباط (فبراير) ١٩٧٣ م ــ محرم ١٣٩٣ هـ ــ تأسست ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م

مؤسسها أحمد عارف الزين — العرفان — رئيس التحرير نزار الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ - سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

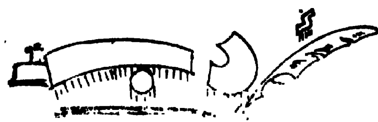
العدد الثاني المجلد ٦١ شباط « فبراير » ١٩٧٣ محـرم ١٣٩٣

الصفحة	الموضوع	الكاتـب

علم . أدب . تاريخ

أبحاث فلسفية

أبحاث اجتماعية



حلم في عرفات

تأليف: محمد سرجيه
بقلم: عارف النكدي

« ثوروا ايها المضطهدون !

تكبروا على اولئك الذين تعالوا وتكبروا …

فالظالم ليس عملاقا ، الا انكم اقزام ، وليس واقفا الا لانكم راكعون !.»

هذا بعض ما يقوله الرئيس سرجيه لقومه في كتابه : « حلم في عرفات » وهو كتاب املته عقيدة صافية لا غش فيها ، على رجل مؤمن بربه ، آخذ بكتابه ، مخلص لوطنه ، صادق في نصحه لقومه . رجل ملأ قلبه الايمان ، ففاض على لسانه ، فالقاه درسا على اخوانه وابنائه و (على من القى السمع وهو شهيد) .

وليس من عجب ان يكون الاستاذ سرجيه من كان ، فهو ابن حلب البلد المخصاب المنجاب ، فيوم عقمت اكثر البلدان الغربية ، كان منها من كان من رجالات السيف والقلم في المتقدمين ، وكان منها من كان من المتأخرين : الكواكبي ، وهنانو ، والجابري ، والكيالي ، وغيرهم كثيرون .

أوليس الكواكبي اول من بعثها في المتأخرين صرخة مدوية تملأ الاسماع لو ان العرب يسمعون …

لم تخف عليه انها صرخة في واد .. وانها تذهب ــ في يومه ــ مع الريح . ولكنه رجا لها ان تذهب في الغد بالاوتاد ..

نعم ! كانت في امسها ــ كما قال ــ صرخة في واد ، رجا لها ان تذهب في غدها بالاوتاد . فكان ان جاءت اوتاد قامت بين كل قطر وقطر من الاقطار العربية اوتاد لم تكن من قبل . جعلت هذه البلدان وكانت وحدة متضامنة ، متماسكة جعلتها ممالك … ودولا … متقاطعة متدابرة ، بينها من الحواجز والفواصل ، ما لا تستطيع معها ــ ان استطعت ــ ان تجتاز بلدا الى بلد ، الا بالجوازات والتصريحات .

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٢٧٤ — ٢٨١	شعراء المهجر العامليين	حسن الامين
٢٨٢ — ٢٨٥	مع الدكتور زكي المحاسني	جمال مهدي الهنداوي
٢٨٦ — ٢٨٨	— رسوم — بقايا جيل	علي ابراهيم
٢٨٩ — ٢٩٢	الشيخ محسن ابو الحب	مهدي عباس العبيدي

أبحاث فنية

٢٩٣ — ٢٩٧	مع الخالدين	سمير شيخاني



٢٩٨ —	الشهرة	احمد الصافي النجفي
٢٩٩ — ٣٠١	العام الجديد ١٩٧٣	جورج صيدح
٣٠٢ —	لاجئة	عبد الحسين عبد الله
٣٠٣ — ٣٠٤	لبنان الجنوبي	توفيق ابراهيم
٣٠٥ —	مغارة جعيتا	ابراهيم بري
٣٠٦ — ٣٠٧	عتاب	هادي الشربتي
٣٠٨ — ٣١٠	قبس من الحسين	كاظم جواد رضا
٣١١ — ٣١٢	طرائف من السنغال	ابراهيم حاوي
٣١٣ —	والدي لا أنساك	بشار الزين

مسرحيات، قصص

٣١٤ — ٣٢٠	قضاء وقدر	بلقيس الحوماني

تاريخ

٣٢١ — ٣٣٣	ذكرى اديب الزين	

أبواب العرفان

٣٣٤ — ٣٦٠	ابواب العرفان — المراسلة والمناظرة واذا الصحف نشرت، عواطف الادباء والمفكرين — رسائل الادباء — بريد المهجر — الاخبار الخ ..	

ان العرب عندما طلبوا السماء ، ملكـوا الارض والسماء ، وعندما طلبـوا الارض فقدوا الارض والسماء •

ومن قوله : « الذين يحاربون لا يؤمنون ، والذين يؤمنون لا يحاربون •

ومن ذلك : « اسرائيل لا تزول بالدعاء والبكاء ، بل بالتضحية والفداء •

وقوله : « الثورات يضع مبادئها الفلاسفة ، ويستشهد في سبيلها النبلاء •• ويستغلها الخونة والجبناء » •

ومما قاله : « انكم تفسدون زعماءكم عندما تؤمنون بهم ايمان الدراويش بشايخهم • وتخونون بلادكم عندما تغرقون في خضم ابله مـن الولاء لهم ••• ان كثيرين منهم لا اخلاق لهم •

ويقول · لا يصلح حال هذه الامة الا بما صلح به اولها :

« بامير اجير ، لا باجير امير • وبحاكم يخضع للشعب ، لا بشعب يخضـع للحاكم • بخليفة كالفاروق ، لا بملك كفاروق » •

ويختم المؤلف كتابه بمقتطفات من كلمات قيلت فيه، وفي كتابه• وكلها اقوال كبار من رجالات العلم والسياسة والفضل •

ثم رسائل بعث بها ابو علي (المؤلف) الى ابنه علي فيها كثير من النصائح والعظات والاراء الوطنية الصادقة •

وبعد هذا (حكايا) عن القضاء والاحكام والقضاة وشيء مـن سيرتهـم ومواقـفهم وكلها شائق مفيد ، وجدير ان يعرف وان يقتدى بالصالح منهم •

هذا وصف لهذا الكتاب القيم ، ليس بمغن عن الاطلاع عليـه ، والاخـذ بما فيه ، من حكم وعظة وارشاد •

عارف النكدي

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

العرفان : الاستاذ محمد سرجيه رئيس محكمة الاستئناف بحلب من القضاة الذين عرفوا بالنزاهة وتطبيق القانون والضمير . كما ان الاستاذ عارف النكدي العالم البحاثة الوطني الصادق المخلص حينما كان مديرا للعدلية في سوريا لم يزل قضاة سورية الكبار واهل الفكر والرأي يذكرون انه المثل الـذي يجب ان يحتذى وانه لا يجارى ولا يبارى في نزاهته وعدالته وصدقه واخلاصه .

آلمت المؤلف هذه الاوضاع والحالات ، وهذه الاقزام القائمة ، على رؤوس هذه الشعوب النائمة ، وهذه الاخلاق المتهدمة ، في الرئيس والمرءوس ، وفي السائس والمسوس ، ورأى ان مثل هؤلاء الاقوام مستقرهم السعير في قعر جهنم .

فرأى ان يجول جولة فيها ، ليرى ما آل اليه في الاخرة امر هؤلاء الذين كانوا من اهل الفساد في الدنيا .

هبط الجحيم ، صاحبه مرشد ينتقل به في (مناطق حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وشرابها صديد ، ومقامعها من حديد) حتى وقف به عند تاجر (غاطس في قطر من السكر المغلي) جزاء لما كان من تلاعبه في السكر واحتياله . ثم انتقل به مرشده الى قاض ابت عليه نزاهته — التي يزعمها — ان يشرب فنجانا من القهوة في شركة للسيارات ، ولكنه اشترى سيارتين : سيارة له وسيارة لزوجه كل سيارة بخمس ليرات ... لانه قاض نزيه يعف عن الحقير حلالا ... ويأكل الجليل حراما .. ثم انه جعل يسر به على المحامي ، والطبيب ، والنائب ، والوزير، والتاجر ، والصناعي ، والسفير والاجير . والمرشد يشرح له ما كام من كل منهم، الى ان وقفه عند مخلوق عجيب له ثلاثة رؤوس : رأس ثعلب ، ورأس خنزير ، ورأس افعى . فقال له : هذا رجل منافق ، كان يمثل بطلا قوميا ويتمسح بذيل كل اجنبي ، حتى آخر يوم من حياته . ثم وقف المرشد فجأة وصاح وهو يشير باصبعه ويقول :

« هؤلاء اقذر من عرفتهم النار : هم ممن ايدوا الوحدة العربية ، ثم عادوا فايدوا الانفصال ، ينادون بالوحدة ، ويعملون على الانفصال .

ثم جعل يخاطبهم بقوله :

« يا اشباه الرجال ولا رجال ! ان الدنيا لم تكن دنيئة الا لانكم خلقتم فيها » فالتفت صاحبنا الى مرشده وقال له : اخرجني من جهنم انها اشبه شيء بيلادي » .

هكذا يصف المؤلف اوضاعنا الوطنية بقلم صريح فصيح .

فيقول في ما يقوله ، ناصحا حينا ، ومستشهدا احيانا :

مكانا ما ينطلق فيه السر المكتوم ••• ثم سرعان ما وجدت مكانهـا في صدري المحطم ، وهو يستمع الى رنات الصوت الاغن ، ويختلس النظرات مـن خـلال عينيه الدامعتين ثم يعبث بشعر رأسه كلما مضت الشواطىء في قصتها ••

اهذه هي بيروت التي كانت تثور من اجل قضايا العرب ؟ ماذا حـل بهـا وكيف تبلد حسها واصبحت كالمخدرة تئن من ضربات القدر وتهرول الى خدرها تاركة طلابها لعصي الجند وهراواتهم وقنابلهم المسيلة للدموع ••!

لم تعرف بيروت في ذلك المساء ان الفتى الطارىء الذي يطوف طرقاتها قد تحول الى كاهن يتقبل الاعتراف •• وكان في صدر بيروت الشيء الكثير تريـد الافصاح عنه ••• وكأنها شعرت ان في وعاء قلبي ما يكفـي لسخريتها فبـدأت تحدثني بصوت هامس رقيق خفيف السمع لدرجة انني وجدت مشقة كبرى فـي تبيين العبارة التي كانت تستقر في العقل وفي القلب معا •••

ماذا فعلتم بالانسان في هذا البلد وغيره من البلدان العربية ؟

وجلست بصمت اخرس اصغي الى اقوالها كواحد مـن اصحـاب الكهف الذين اخبرنا القرآن الكريم بقصتهم •• وهكذا شعرت بان الكهف احمله معي••

لكل كهفه الاثير الخبيء ، وغالبا ما تتعلق هذه الفقرة الكبيرة المستكبرة في اعلى نخاعنا الشوكي ، والتي نسميها الجمجمة ، فاذا هي كهف الكهوف •!

ومر من امامي انسان بلادي •!

الصياد الذي يهتز بردا عند شبكته ••• نازح الجنوب الذي تـرك ارضه وزراعته وجاء الى بيروت هربا مـن (الجوع) ليجوب الشوارع طلبا للرزق ••• والقروي الذي سرقه التاجر لانه لا يعرف كيف يبيـع محصولـه ••• والشاب الذي صنعوا له صنما من تسر (الماركسية) ليعبده ، ثم سرعان ما اكلوه وتركوه يندب ما كان يعبد •• الطالب الذي علموه ان الثورة هي تـرك الصف والنزول الى الشارع لمحاربة الامبريالية ••• المعلم الذي لـم يعلـم الطلاب سوى التمرد على المثل ، واحتقار الاديان ، والهزء بالمثاليات ••• والمثقف الحر الذي يغلق على نفسه كهفه ويبكي •••

هذه هي الكتل البشرية التي تنتظر مصيرها بقلق محموم •••

فراغ مجنون يعوي وحده

بقلم : زهير مارديني

(... اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا .. ونحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد. لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا . ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا . وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم . قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فلياتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا . انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذن ابدا . وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق .. فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم ...)

صدق الله العظيم

كانت قطع الليل السوداء ترتفع الى اعلا فوق سماء بيروت مساء الخميس اول شباط ، حين رحت اجوب الشواطىء ، اراقب عن كثب كيف تغسل عروس لبنان على شواطئه هسومها ، كما تغسل تنهدات الخاطىء ذنوب الخطيئة ...

كانت بيروت في تلك الامسية حشيد غريب من الخوذ الفولاذية ، والطلاب ، والناس يهرعون الى دورهم في المساء كأن الامر لا يعنيهم ، وكأن ما يجري حولهم من مظاهرات طلابية ، واضراب معلمين ، وصرخات مبحوحة قادمة من الجنوب لتذكر ابناء بيروت بان الجنوب من لبنان ... كان هذا الامر يتعلق ببلد آخر.. لقد بدت بيروت ذلك المساء وكأن عدوى فقدان الحس بالقضايا العامة الذي عم معظم ارجاء الوطن العربي قد وصل اليها يجرجر اذياله .. وكان صدر بيروت في تلك الساعات في حركة دائبة ، يبرز الى الامام ، ثم يعود الى الوراء ... دقات قلبها لا تقف .. فقد كانت كلها حركة وزفرات وتنهدات ، وكانت تقاليد الحياة تضيق على بيروت الخناق ، تتلفت حول نفسها بغية ان تجد في الافق الفسيح

الناس ببساطة غبية ، وعقول فارغة وشعور ميت ••

فهل تركتنا الحضارة طعاما سائغا للذئاب الجائعة •••

اما خارج الكهف ، كهفي ، وكهفك ••• فهناك الجيل الجديد الـذي ولد وبدأ يتكون بشعور طويلة ، وازياء ملونة كقوس قزح ، يجـوع لكـي يتنشق قوامه ، ويعتمد الريجيم الذي بدأ يصل الى عقله •• تخلف وضياع •• لقد ولد دون ان يولد فكره معه •• جيل بدون اساتذة ولا مفكريـن ولا دعـاة اصلاح حقيقي •• يدفع من ذاته تحت ضربات العصر كل ما يحسله الكون من طموح •••

اما نحن فلا نعي ولا نفهم ماذا يدور حولنا ••• منذ عـام ١٩٤٨ والطريق هي الطريق ، والمسيرة المتسكعة هي المسيرة ••• وتنفجـر الدنيا مـن حولنـا ، ويصدمنا الركض بالجديد •• ضربة ضربة ••• اعداء الامس يصبحون اصدقـاء اليوم ••• جدار الصوت يتحطم من حولنا كل يوم بانفجار كياني ، يزلزل كـل الكهوف ما عدا كهفنا ، وتستدير الاعين عجبا ودهشة •••

ماذا تفعل هذه الامة الضائعة واين هم رجالها ؟

لا جـواب •• !

الرجال هم هؤلاء الذين يحتلون المناصب وهم على الارائك متكئون ••• يملكون الاذاعات والصحـف والمؤسسات الضخمـة ، ويحتزون لديهـم كـل الكفاءات في برادات الاجهزة المصنوعة ••• ومن لا يعجبه فامامه البحر !

وتهزأ اسرائيل بقرارات هيئة الامم المتحدة ، وتتحداها فـاذا بـ ــ ٩٥ ــ دولة في العالم تخشاها ، وتتشامخ كابليس ، وتتحدى ، وترمي بقفازها في الوجوه الميتة ، ولا من مجيب •• !

العالم يجن ركضا خلف المستقبل ، وآمال المستقبل ، اما نحن فنواجه هـذا الجنون بالمشي الوئيد ، والتقليد الممسوخ ، اخر مبتكراتنا تصنيع القيادات بدلا من ايجاد المصانع ، و (تثوير) الوزارات ، والرئاسات بدلا من تنوير العقول •• وتدور الدبابير الجائعة تنهش من يحاول ان يصحح المسيرة •

ثمة حد ادنى يجب ان يتحقق ••• وثمة حد ادنى ايضا يجب ان يتوفر ••• وهذا ما يجدر بنا ان ندعو اليه ونطالب به •••

وعلى الضفة الثانية برز امامي اصحاب الفكر لا حملة الشهادات ... واهل الرأي وليس تجاره .. قادة الناس الذين اصبحوا بلا ناس ... حملة الثقافات.. هؤلاء الذين يقرأون ويكتبون ولا يجدون من ينشر لهم فسرعان ما يمزقون ما يكتبون ويدخلون كهفهم مرغين ...

ان الكهف قد ابتلع في نهم التنين كل الالسنة الصادقة ، حتى جمرات الموقد غشاها الرماد الثقيل ... الثقيل .. فراغ مجنون يعوي وحده ... وتحول بلد الاشعاع الى مقبرة ..

اما الذين اعفى عنهم التنين .. فاني اعرفهم ، واعرف ماذا يكتبون ، ولمن يكتبون ، وعن اي مستنقع أسن يدافعون ...

قلة قليلة من ابناء وطني يحق لها ان تتقدم الصفوف لتنير الطريق امام الانسان ، ولكن من يتجرأ على اقتحام الكهف والاخذ بيدها ؟ لا احد .!

قلة قليلة لم يرمها احد بحجر .. وهؤلاء مسؤوليتهم كبيرة ، ولكن هؤلاء تائهون ... ما تزال الهزيمة تقرع رؤوسهم وتؤرقها .. لقد هالهم ان يحتل الساحة صغار الفكر ، وصغار النفس ... فاعتصموا في كهفهم .!

وتسأل هؤلاء الذين يسرحون ويمرحون في المؤسسات الصحفية الغنية ماذا قدموا لانسان هذه الارض ، غير الاعلانات والتحريض والهزء بالارض والسماء وما فوق الارض وما تحت السماء وافساح المجال امام السفه ليصبح المثل الاعلى ...

انهم لم يقدموا الا فتات حينا واجترار للتقليدي حينا ، وتشويه او اصطناع او قوقعيات او تشكل كاذب .. فريق مأجور يكتب لغيره ولا يهمه ماذا يكتب ، وفريق ناكص على عقبيه ، وفريق مكب على وجهه صلب فكره حيث وصل في مقعد الدرس ، وفريق دون جذور يستعير قضايا غيره ويكتبها بلغة عربية مكسرة لتكون له قضية .. ويسار مشوه ممسوخ جاهل يضع الالفاظ الغريبة فوق بعضها بدون هدف ليقال عنه تحرري ، وتمرد ولا انتماء ولا معقول ، وقرف وقلق ، وسخرية قاتلة من كل شيء ...

وتمر الاحداث في هذا البلد كالسحاب ، كأن شيئا لم يكن ... ويستقبلها

اسم واسم سموها هم واباؤهم •• ولكن وراءها نبضا واحدا لقيمة واحدة هـي الانسان •••

ويستيقظ الجميع ما عدانا •••

انسانا ما يزال قطيعا مطلق العنان عقله في اذنيـه يصفق للذيـن مجـدوا الماركسية ، ثم يصفق للذين لعنوها •• انه ما يزال رعية وراء جبة السلطان ، وان كان هذا السلطان قد تبدل اسمه فاصبح (قيـادة ثوريـة جماعيـة) تـارة ، وديمقراطية ممسوخة اخرى ••• ديكتاتورا مرة ، وحاكما فردا اخرى •••!

اما انسان العالم فقد تمرد •• تمرد على اقتصاد الدولة واقتصاد الفرد ••• لم يعد بحاجة الى فكرة تصلبه في الهيكل ثم يشتغل لها ••• انـه يريد اقتصادا له ، لذاته ، لخيره ضمن المجتمع ولرفاه المجتمع ••• ومن خلاله يريـد تنظيـم الانتاج الاقتصادي والتوزيع ، ويريد بالمقابل تنظيم ناسه •••

لا معجزة ولا فلسفة •• انها اجابة على تحديات حضارية وحياتية قائمة •• والانسان هو الذي يبني بجهده وبالارادة والتخطيط مصيره •••

من المستحيل ان يظل المرء واقفا هادئا في مسيرة راكضة صاخبة •••

ان الفكر الحر هو الآن خبز الانسان ، وليس من الممكن ان يطلي الانسان وجهه لاخفاء الخوف او الغضب او اللامبالاة او الهم الذي يعانيه •!

المتخلف وحده يدفع الثمن •• اما كيف سينقذ انساننا نفسه ، فهذا واجب هؤلاء الذين لم يرمهم احد بحجر ويخيل الي انهم مطالبون بتغيير اسسنا الفكرية نوعا لا كما ••• بحيث لا يستطيع اي مهرج ان ينتزع مـن الجيل التصفيق كلما بدل موقفه من اقصى اليسار الى اقصى اليمين •••

ستكون مهمة هؤلاء تغيير زاوية النظر نفسها ••• وهي جعل الجيل الجديد ينظر من المستقبل الى هذا الحاضر ••• ويجتذب ذاته في حركـة اندفاع الـى الغـد •••

انها دعوة للخلاص من السديمية ••• من السكونية ••• من الغياب عـن العصر ••• من عدم تحسس مآسي ابـن الجنوب وابـن المناطق التـي تئن من

لقد افلس الفكر الذي استوردناه وزرعناه في عقول الناشئة •• وفسد الفكر المعلب الذي اطعمناه للناشئة وذات صباح استفاق حكامنا فاذا بناشئتهم يطالبون برأسهم ••• لقد انقلب السحر على الساحر •• فليس هناك من ثورة سوى الثورة الماركسية ، ومن يقول خلاف ذلك فهو عميل مأجور انتهازي فوقي تحتي الى آخر الالقاب التي حفل بها قاموسهم •••

بالامس فقط كانت الماركسية هي الههم المعبود ••• هكذا علموا الناشئة في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعة ••• فليحصدوا ما زرعوا وما ربك بظلام للعبيد •••

العالم كله تجاوز نبؤات ماركس وشلته •• وانطلق في دروب ومنعطفات واساليب ومواقع لم تخطر على بال انجلز ولينين ••• ونحن غارقون برغمنا في تفسير الديالكتية والتكتيك ، وهل كان ستالين مصيبا ام خروتشييف •• لقد ابحرنا بدون زيار •••

ان اكثر من نصف الانسانية قد دخل الان المعترك الحضاري عاملا لحسابه الخاص ، ولقيم من صنعه ، يريد ان يبني بيته الانساني على طريقته ••• لم يعد الرئيس الاميركي نجسا في الصين ، ولم يعد ماوتسي تونغ هداما في واشنطن •• لقد اجتمعا وتحالفا ••• كما اجتمع نيكسون وبريجنيف وتصادقا وطفقا يضربان في الارض ••• في الدنيا يفتشان عن غنائم تائهة لاقتسامها •••

ملايين القتلى في فيتنام تصرخ وهي جثث ناغرة ••• أكانت الحرب لانكما كنتما في حرب باردة فسخناها باجسامنا لنقيكم لسعة البرد •؟

الطبول الافريقية تقرع لا للرقص الهستيري ولكن لتستيقظ الغابات ••• سواد القطران استحال انسانا له فلسفته وله خطه الحضاري ••• واخيرا شاهدنا بام اعيننا سفارات اسرائيل في ست دول افريقية ترمى من النوافذ وسط اللعنات •••

وهناك الانسان •••

هذا السيل البشري الذي يقف الان •• يزعق •• يهدر •• يضرب بالارجل •• يطالب بحقه •• اسماء شتى اطلقوها عليه ، شعب ، جماهير ، والف

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

كتب الاستاذ نزيه خاطر في جريدة النهار مقالا عن جوائز جمعية اصدقاء الكتاب ومكافآت وزارة التربية بعنوان : صدرت الفرمانات وفازت اللعبة الاجتماعية ، هذا المقال وفيه كل الحقيقة والواقع يؤيد ما كتبناه باختصار في العدد الماضي ولذلك ننشره هنا ونزيد عليه مما لم نذكره في العدد الاول ، وهذا هو المقال :

صدرت الفرمانات
وفازت اللعبة الاجتماعية

يقال في لبنان مؤسسات توزع الجوائز الفكرية والادبية والفنية على كبار رجال الثقافة اللبنانية. فبين حين وآخر يصدر علينا بيان مقتضب معلنا بالفاظ مبهمة تقييم سلسلة من الاسماء المتداولة بيننا . بعضنا يصفق لان في القائمة اشخاصا يتذوقهم وبعضا يثير الاشاعات ضدها لعدم تجاوبه . او هؤلاء وأولئك يحركون التساؤلات السلبية حول اسماء في القائمة لرفضهم اياها . وتبقى جميع هذه المواقف غامضة ، ناقصة ، مفركشة ، من حيث لا احد من اصحاب التيارات المعاكسة هذه يعمل على تبرير ما اقدم عليه : لا اصحاب الجوائز يفسرون اختياراتهم : (صدرت جوائز اصدقاء الكتاب مثل الفرمان . ووزعت وزارة التربية ستين الف ليرة على ١١ فنانا ومفكرا ومؤرخا دون اي توضيح) . ولا المعارضون يبسطون الدوافع الصريحة لرفضهم منطق المشرفين على توزيع الجوائز .

لنترك جانبا عناصر التململات الذاتية التي ترافق طبيعيا وغريزيا أية جائزة تعطى . فهل بيننا من يرفض ان يتصرف الانسان كانسان ؟ ولنطرح

النسيان والاضطهاد ...

ان مهمتهم ان يجعلوا الجيل يحب ... فمـن لا يطيـق الحب لا يطيـق العـداء ...

الناقم ، الموتور ، الحاقد الدموي ، هؤلاء لا مكان لهم في المسيرة القادمة.. انهم حرائق ، ورجال دمار تزييف على الفكر نـفسه ... هم غربان جيفة تريـد المشاركة في الاسلاب لا خلق القيم الجديدة ... تعرف فرح التخريب لا فـرح الخلـق ...

الذين يحق لهم قيادة المسيرة الجديدة من اجل الانسان العربي هـم الذين يؤمنون بان الانسان مرتبط باخيه ، ناج معه وبواسطته ...

لا دعوة جديدة الا في الاطار الانساني ..

لقد يأوى الانسان الى الكهف في الازمات ، في سويعات الارهاق المدمر .. في الهرب حمق .. ولكن هل يستطيع الانسان ان يعيش في الكهف ابدا ...

هكذا قالت لـي الامواج ... وهـي تضرب الصخـر لتسـمع !الكاهن الاعتراف ..

زهير مارديني

اسمـه عجيب

★ ★ ★

● خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جماعة من اصحابه الـى البادية للصيد والقنص . فلقيهم احد الاعراب . ممتطيا جواد االشهب ، فأوقفه عمر وقال له : ما اسمك ؟ قال : شهاب ، قال أبو من ؟ قال : أبو جمرة ، فقال مـن انت؟ قال : من بني حرقة ثم من بني ضرام . قال : اين مسكنك ؟ قال : في ذات لظى قال : ما اسم جوادك . قال : سعير . قال : ادرك أهلك قبل ان يحترقوا .

ليس وراء الجائزة رجال فكر وذوق ملتزمون بمفاهيم وجماليات ويتصرفون انطلاقا منها • فالمنشود هو اللفت الى « فردية » المتوج وغرائبه الفنية • او الاشارة الى عمل او الى اسم على انه يستحق توقف المتذوقين عليه • او رفع اديب او فنان الى درجة التكريس الوطنية على انه هو النموذج المثالي لرجل الفكر الوطني • ونلتطم دائما باسماء مشهورة قبل حصولها على الجائزة حتى ان الاغلبية بيننا تتساءل دائما هل الجائزة ترفعها او هي ترفع من وجود الجائزة ومن هم وراءها •

العقلية التي وجهت الى الان منطق لجان الجوائز قديمة ، قديسة • هي من لبنان تعدته النشاطات الثقافية التي اليوم ملء واجهاته الاجتماعية (المفهوم شامل) • لذا ينتظر طرف يقوم بدور الدم الجديد في جسد شاخ وعتق •

وتكفي نظرة على لجنة اصدقاء الكتاب حتى تفهم لماذا سقوط جوائزهم • جوائز ؟ انها لعبة اجتماعية •

قارئي الكريم :

وبعد هذا المقال ما نقوله نحن عن دولة « لبنان الابجدية»، « لبنان الاشعاع» والادب والفكر والثقافة وتقدير المشرفين ـــ وغير المشرفين الذين يضعون امضاءاتهم ـــ للادب والثقافة •

من المعلوم ان المجلات الثقافية في البلاد العربية تصدرها الحكومات الا في لبنان فيصدرها الافراد ، ومن المعروف ان الناس في اكثرهم قد انصرفوا عن الادب الرفيع الى الادب او اللاأدب الجنسي والحزبي ، عدا انه منذ صدور مجلة العربي في الكويت التي تخصص لها وزارة الاعلام مبلغا ضخما اصبح البيع يعرضنا لخسارة كبيرة • وكانت المجلات الثقافية السياسية : العرفان والاديب والاداب والتي تصدر منذ عشرات السنين وقد استنزف اصحابها مالهم وصحتهم في سبيلها ، كان اصحابها قد تقدموا منذ سنوات بعريضة الى وزارة التربية يطلبون منها ان تشترك في مجلاتهم لا ان تعطيهم صدقة لتساعدهم على تعزيزها والنهوض بها وتدارك خسارة البيع ، فلم يصغ احد لهذا الطلب ، بينما نسمع ونقرأ ان وزارة التربية وزعت على ١١ اديبا ومفكرا وفنانا مبلغ ٦٦ الف ليرة لبنانية ، أليس اصحاب هذه المجلات الثلاثة من الادباء والمفكرين ؟ الا يستحقون

« واقع الجوائز اللبناني » بعد ان اصبح هو قضية تحرك اهواء فاسدة فيها الحظر الصريح على واقعنا الثقافي • أي ان مضمون الجائزة التقييمي اذا هو اصاب من لا يستحقه في ظرف معين من مرحلة معينة ، يبث البلبلة في الرأي العام وما يعادله من سوق تجارية • خاصة ان للتظاهرات الثقافية اصداء اقتصادية تقاس بالوف الليرات اللبنانية • وان ما يجب ان لا ننساه اننا دخلنا اليوم مرحلة التسويق الثقافي • فلكل اسم من فنانينا وادبائنا (هؤلاء اقل) له ميزانيته المرتبطة مباشرة بالشهرة الاجتماعية • فهو « مسوق » • قدر ما هو في واجهة حركتنا • واي تفضيل يطال غيره يعرضه للسقوط او للتراجع • ومثل هذا غير مقبول ان لم يتبرر فكريا واجتماعيا وذوقيا من قبل القيمين •

وتكفي نظرة على الاسماء المتعددة التي وزعت عليها جوائز اصدقاء الكتاب في الاثنتي عشرة السنة الفائتة حتى نرى كم هذه بلا فائدة ولا فعالية • اي انها لا تصيب ايا من المؤثرات الاجتماعية الثقافية • فهي دون واقعنا الثقافي : ان من زاوية تقديم بعض الاسماء عبر روائعها • وان من زاوية اثارة فضول القارىء تجاه الاسماء المتوجة وتشجيع الجمهور المتذوق على مطالعة اعمالها الفكرية او الادبية او الدراسية • وما يحدث فعلا ان الجوائز تولد صامتة • توزع ولا ردات فعل تجاهها • ومن يتحرك فقط من ينالونها او من يظنون انفسهم محرومين اياها • بينما المطلوب لفتها الجمهور الكبير الى اصحابها رغبة في تسويق الروائع الادبية في مجتمع يتجاهل الثقافة • مما يقتل مفعول الجوائز • او يحصر نتائجها في خلايا صغيرة • اي مما يرفع عنها وظيفتها الاساسية وهي تحريض الانسان اللبناني ، اولا ، والعربي ، ثانيا ، على متابعة النشاطات الثقافية عبر رفع فضوله الى المعطيات الفكرية •

السؤال هو : هل هذه الجوائز مساعدات او ترضيات او حسنات ••• او ماذا ؟ في صراحة انها دون هوية ثقافية • او وظيفة اجتماعية واضحة • وجودها يشبه احتجابها ، انها مجانية • ان اعطيت لا تنفع صاحبها وان منعت لا تضر احدا • نعم ، انها تساعد ماديا من يقبض « الشيك » • وحسنا فعلت وزارة التربية برفعها « مساعدتها » الى الستة آلاف الليرة عن طريق حصر مختاريها في اسماء عشرة • لكننا نحن بعيدون عن الجائزة التي تقيم من تسميته • ربما لان

صفاء خلوصي وموقفه من قضية فلسطين

بقلم: وحيد الدين بهاء الدين

في يوم الناس هذا قلما وجدت شخصية تكثفت فيها خصائص علمية وفكرية وفنية وفي اطار متميز بالاصالة والقوة لا سيما بعد ان تعقدت حياتنا المعاصرة بشاعة وشذوذ وباتت الحضارة البشرية في مهب الريح تمزقها التناقضات والصراعات ويتهددها السقوط والفناء في اية لحظة حتى آل الامر الى حال من الحيرة والقلق لا يكاد معهما المرء ــ وهو ذو بصر وبصيرة ــ يستشرف الطريق المستقيم ويغرف من خلالهما علاجا ناجعا • من هنا كان لا بد مما لم يكن منه بد : هو التسليم بالمقدور •••

الدكتور صفاء خلوصي من النوع النادر من هذي الشخصيات التي لها مثل هذا الامتياز الظاهر ، لانه يجمع بين الثقافتين العربية والاوربية في خصوبتهما ورفعتهما جمعا عظيما عزيز النظير، طبع اتناجاته في الوان المعرفة الانسانية بطوابع دائمة السمات لا تتأثر بعوامل خارجة عن الارادة حتى ولو تأثرت بشيء فلا يمكن ان يكون بكل شيء ، لكونها القاعدة العريضة لكيانه الثقافي الانساني •

كذلك يجمع صفاء خلوصي بين العاطفة الروحية المتزنة والذهنية العلمية المجردة ، اكسبتاه طوال معاناته تجارب الحياة وممارساته فنون الادب والفكر عمقا في الرؤيا وثقوبا في الرأي وبعدا في العقل •

فقد طرح صفاء خلوصي في مؤلفاته واثاره قضايا وموضوعات منها ما هو مطروق ولكن من زاوية ذاتية خاصة ومنها ما هو غير مألوف مثبتا عبقريته في اكثر ما سطر ، مفصحا عن انه المجدد بالمعنى الصحيح • حسبي ذكرا ان له نظريات ادبية ابتكرها من مقررات تجاربه على الصعيدين الذاتي والحياتي دون ان تنزلها من عقله وشعوره قراءته ورحلاته الفكرية ، بحيث اثارت هذه النظريات الدالة على ذكاء وابداع ، الضجة في بعض المحافل والمنتديات ، وحركت الاقلام والالسنة •

كأن ثمة حوار وسجال خاضه صفاء خلوصي بشأنها مع الاخرين : من

ان يكونوا من بين هؤلاء المحظوظين ؟ وتأخذ الحكومة عوضا عن مناصرتها اعدادا من صحفهم توزعه على مكتباتها ومدارسها وسفاراتها .

ثم هذه الجوائز السنوية التي توزعها الدولة جائزة رئيس الجمهورية والجائزة التقديرية ، ألا تستحق مجلاتنا هذه واحدة منها ، على ثلاث سنوات ، كل سنة مجلة ، مع العلم بانا نحن الذين نصنع الادباء ونشجعهم وننهض بهم ، ونحول المعرفة الى قيم ، ومجلاتنا تحتل ارقى الجامعات والمكتبات لا في لبنان بل في العالم اجمع ، ونحن صلة وصل ثقافي وادبي وسياسي بين لبنان وبقية اقطار العالم من عربية واجنبية ، وبين الوطن والمهجر الخ .

وبعد ألم يحن ان توزع هذه الجوائز بصورة صحيحة ، وما بالها مخصصة بفئة معينة ، اذا تعدتها فلفئة ثانية فلتة او واسطة . وما شأنها لا تصل الينا ، اذا قلنا للشيعة ــ والادب عند الشيعة ــ قالوا انها طائفية ، واذا قلنا للجنوب والذكاء والعلم في جبل عامل ، قالوا انها اقليمية ، المطالبة بالحق الصريح الواضح ، ليس طائفية ولا اقليمية ، الا يوجد عندنا من يستحقون الجائزة او من يجب ان تعطى لهم قبل غيرهم الجائزة ، اليس عندنا الاستاذ عبد اللطيف شرارة وهو اديب كبير ، وصاحب عشرات المؤلفات وكلها مفيد ونافع واخوه الاكبر الاستاذ محمد شرارة الذي كل مقال له يساوي كتابا مفيدا نافعا ، والسيد حسن الامين المؤلف والكاتب ، والذي يقضي حياته منقبا وباحثا بين الكتب والمكاتب ليقدم للناس افضل الغذاء الروحي ، والشيخ علي الزين الاديب المؤرخ الناقد صاحب المؤلفات القيمة ، والاستاذ وديع ديب الكاتب والشاعر وصاحب المؤلفات الصغيرة بحجمها الكبيرة بفائدتها وغيرهم وغيرهم .

قارئي الكريم :

احداث جبل عامل الاخيرة مالها وما عليها ، وشبابنا لماذا ينخرط معظمهم في احزاب مخربة وغير مخربة سنعالجها في عدد قادم والى اللقاء .

نزار الزين

ان هذه القضية وان كانت سياسية ولكنها باتت تهم كل عربي ومسلم لاسبابها الدينية والتاريخية والفكرية ، وليس تناول صفاء خلوصي لها الا عن طريق الادب ، ومن هذا الذي يجهل علاقة الادب بالسياسة .. ؟!

تلك صرخة يطلقها صفاء خلوصي شظايا على لسان لاجئة عربية ويقول :

فمرادي سيف او مدفع
وجليل مهدي والمرجع
انفاسي نار تتولع
وكذاك دمي سم ينقع
في قلب عدو يتمنى
ان يضوى الكون اجمع
فاثيروا الهمة للنصر
ليعود اللاجيء للوكر
فيطيب الكون بعالمنا
ويفوح العالم بالعطر
وقريبا افتح افاقا
واكون شعبا عملاقا
واغني ابدع ألحاني
من قلب يهفو مشتاقا
وتكون فلسطين المهرا
فيغني لي دهري العمرا
أو : دعني وحدي اتوجع
لندائي طلب الحرية
واسمى لاجئة عربية

فقد صار الادب يلعب ذلك الدور القيادي لا الحيادي في تذليل مشكلات سياسية ومصيرية في عالمنا المتغير وفي تبصير الناس بما هم فيه وبما يمكن ان يكونوا عليه وبما ينبغي لهم ان يفعلوا او يستعدوا له في قوابل الايام ؟!

انها اغنية الفدائيين العرب .. الاغنية التي يرددها الآفاق في كل مكان :

مساندين ومعارضين •• مشايعين ومناهضين • حتى كان النصر او الانتصار حليف نظرياته وارائه الجديدة تلك •

فالجديد غير المألوف له طعمه وطاقته علـى اكتساح القديـم اذا كان فيـه مميزات الاصالة والتحدي والديسومة لانه يصعب ان يتقبله الناس على علاته ومن تلقاء انفسهم • لذا يلاقي المقاومة •

حتى اذا لقي مثل هذه المقاومة فانـه يتطلب وقـتا كيما يترسخ ويضرب في الاعماق كالشجرة الواغلة الجذور في التربة لا تقتلعها الرياح العاتية •

مهما يكن من شيء فالاسترسال في ما ليس من قصدي لا غناء فيه • انما اود ان اعالج موقـف صفاء خلوصي من قضيـة فسلطين ••• بسبب مـن الاهمية الكبرى التي تحتلها فلسطين في واقع العالم الراهن ، وبسبب من مضاعفاتها التي تتفاقم على ترادف الايام والاعوام •

اولى صفاء خلوصي قضية فلسطين قدرا مـن الاهتمام وهـو يستوعب ابعادها واصداءها ويدرس اسبابها وتنائجها ويلتقـط ردود افعالهـا في العالـم المعاصر كله : مشرقا ومغربا •

هذه مقتطفات من قصيدة نظمها صفاء خلوصي باللغـة الانكليزية وترجمها شعرا الى اللغة العربية محمد حسن الصراف في كتابه (بيادر تمـوز) وعنوانهـا « انشودة فلسطين » :

اكـذاك فلسطين هانت
ونيوب الغرب لنا بانت
بشقاء بلادي قـد هامت
وبثوب سليمان دخلت
وبنهج الرحمة قد عاثت
وبلهجة شاؤول تحكـي
وبنجمـة داود نـادت
وبدينك يا موسى عبثت
واساءت باسمك ما شاءت

ويستطرد صفاء خلوصي : (ومن الذي يعمل تحت ستار الصهيونية في الشرق الاوسط • هل ان سكان اسرائيل اليوم كلهم يهود حقا •• ام ان معظمهم من الاميركيين الرأسماليين المغامرين • القصة عجيبة وتدعو الى الدهشة والى الدراسة الدقيقة الجدية والا فسنصبح جميعا ــ لا سمح الله ــ يوما ما لاجئين• واذا كان ابناء الضفة الغربية قد وجدوا الضفة الشرقية ملجأ يلجأون اليه فاننا لن نجد ملجأ نلجأ اليه سوى رمال الصحراء ••) •

ثم ينظر الى هذه المأساة عبر التاريخ واصلا بين واقع غزاة اليوم وواقع غزاة الامس محللا : (ما اشبه الليلة بالبارحة •• ما اشبه غزاة الغرب اليوم بغزاة الشرق بالامس • لكأني بجموع المغول والتتر تتدفق على بلادنا لتهتك حرماتنا وتدنس مقدساتنا وكلهم قد جاءوا اليوم من الغرب • ثلاث موجات شهدها تاريخنا الطويل ١ ــ موجة الصليبيين، ٢ ــ موجة التتار، ٣ ــ موجة الصهيونية• ولكن يبدو ان هذه الاخيرة اقواها واقساها • فقد انتهت موجة الصليبيين بالاندحار وبضياع جموع منهم في الصحراء او الاختلاط والامتزاج مع العرب وانتهت موجة التتار باعتناقهم الاسلام •• ويبقى الحدس والتخمين يدور حول الموجة الثالثة والاخيرة •• موجة الصهيونية •• هل سيكون مصير الصليبيين ام مصير التتار !؟ أم انهم قدر لهم مصير ثالث ستطلع به علينا الايام ••) •

وينتهي صفاء خلوصي الى رأي او نظرية يستنبطها كعادته وقد اثبتت الايام صدقها وصحتها ، انه يقول: (يبدو انهم يتوخون كالصليبيين الحرص على المناطق الساحلية فحسب بل شرعوا يتغلغلون داخل البلاد العربية • ولكن هل في العرب اليوم من الحيوية ما يمكنهم تحدي هذا التغلغل على نحو ما فعلوا في القرون الوسطى • يقول بعضهم ان هناك حتمية التاريخ وان هذه الموجة العارمة تجتاح كل ما امامها وتحطم وتدمر الى ان يقف امامها بيبرس جديد او صلاح الدين جديد • انا لا اؤمن بحتمية التاريخ من جانب واحد فاذا كانت حتمية الصهيونية تقضي ذلك فان حتمية العرب تقضي شيئا معاكسا ••) •

على ان صفاء خلوصي يحمل بريطانيا واميركا مسؤولية تردي الاوضاع في الشرق العربي بنسجهما خيوط المأساة منذ الوهلة الاولى وتحملهما عار الابد لانهما صنعتا اسرائيل ظلما وعدوانا وجعلتا منها جسرا الى اطماعهما الاقتصادية

رفـقاء بلادي المكلومة
ورجاء الدنيـا المظلومة
لنضحي الروح وما ملكت
لنعيد الارض المهضومة
والموت لاجلك يا وطني
عـز وحيـاة معصومة
لن تقبل في عيش رغد
والقـدس باهلـي

★ ★ ★

موقـف صفاء خلوصي من قضية فلسطين نابع من نزعته العلمية واحساسه الذاتي وايمانه بحرية البحث والاختيار .

معناه : أن لا دخل للعاطفة والهوى في مثل هذه القضية التي اتخذت صبغة العالمية والدولية في خطورتها السياسية واهميتها التاريخية .

اذا كانت احداث التاريخ وحتميته تـفرض على المفكر احكاما معينة او ان المفكر يبني احكامه على اساس منها فان ذلك يعني ان مـا جرى في ما سلف مـا يبرح يجري ولكن بأسلوب آخر .. كذلك يعني ان التاريـخ وان كان لا يعيـد نفسه بالمعنى الصحيح فانما الوقائع تتماثـل في مقاصدها والتجـارب تتشابه في طبائعها والمواقف تتناظر في مدى عنفها وعمقها .

بعد هزيمة حزيران المدمرة سنة ١٩٦٧ كتب صفاء خلوصي مقـالا عنوانـه (في مفترق الطرق) امتنعت احدى المجلات الرجعية يومذاك عن نشره . عالج فيه ما مني به العرب من جراء تهاونهم في حق ارضهم وترفع قادتهم عن النـقد الذاتي والاتعاظ باخطاء الماضي وسلبياته ومما قال (هل انتقلت عصابات شيكاغو الـى فلسطين المحتلة .. هل عزمت الولايات المتحدة على (امركـة) الشرق الاوسط واقامة ولايات متحدة جديدة في هذه البقعة الغنية بالخيرات .. هـل سيصبـح العرب في الشرق الاوسط كالهنود الحمر والزنوج في الولايات المتحدة .. وضمن امبراطورية صهيونية تمتد من الفرات الى النيل ..) .

مؤسسة البحوث الفلسطينية تتولى تعبئة العالم المتحضر فكرا واحساسا وتفهيمه وجهة نظر العرب والاسلام •

وعاد صفاء خلوصي الى العراق وكله امل في ان تثمر مساعيه في الغايات التي توخاها وعمل ما وسعه في سبيلها وايده فيها الكثيرون من ذوي النصفة والوعي •

على انه لم يكتف بما اضطلع به بل قام هو وجماعة من الاساتذة الجامعيين بتأسيس جمعية الجهاد الفكري لانقاذ فلسطين تناضل بامكاناتها واقلامها في شتى اللغات الاجنبية في العالمين الشرقي والغربي هدفها الهاب الاذهان من اجل هذه القضية المقدسة وارسال الاساتذة الى الخارج لالقاء المحاضرات باللغات الحية لابقاء قضية فلسطين حية في الرؤوس كمأساة كربلاء ومصرع الحسين عليه السلام•

من هنا تقدموا بطلب الى وزارة الداخلية غير انه رفض •••

وعندما قابل صفاء خلوصي وزير الداخلية دار بينهما حوار مثير ••

قال الوزير ما معناه ــ موجها الكلام اليه ــ ان الجماعة استغلوا حسن نيتك وجعلوك واجهة لاغراض اخرى ••

ــ استغرب هذا القول •• واريد مزيدا من الايضاح ••

ــ انهم جميعا حزبيون ينتسون الى احزاب شتى ويهدفون الى غير ما تريد••

ــ اخالفكم في ما ذهبتم اليه ••

وراح صفاء خلوصي يزكي الاسماء واحدا •• واحدا ••

لكن مع هذا كله فقد اصر وزير الداخلية على موقفه ورأيه •• فرد عليه صفاء خلوصي :

ــ اذا لم تجز الجمعية فبوسعنا الحصول على الاجازة المنشودة عن طريق محكمة التمييز ؟

ــ ولدينا طريقة لنقضي عليها ••

وكان جواب صفاء خلوصي صريحا حاد الصراحة :

وسيطرتهما السياسية وغزوهما الفكري بغية تحطيم القيم العربية والاسلامية التي كانت وما انفكت تتصدى لهما وتقف دونهما متحدية • حسب صفاء خلوصي قولا : (اشعر بخيبة امل •• بخيبة امل في انكلترة ام الماغناكارتا والحياة البرلمانية•• وبخيبة امل في اميركا التي ينتصب امام مدخلها تمثال الحرية العريق•• ذلك التمثال الذي كان مقررا باديء ذي بدء ان ينتصب في مدخل قناة السويس ••) •

وفي نفس الصيف ارتحل صفاء خلوصي على مضض الى اوربا فانكلترة لتقف بنفسه على اصداء الهزيمة ويتلمس كل شيء عن كثب مطالعا الصحف والمجلات ومتصديا بالرد على الكتب التي ظهرت باميركا وانكلترة واوربا يومئذ ومستمزجا اراء الانكليز تارة والوافدين من الاجانب على تلك البلاد تارة اخرى فوجد ان الرأي العام وان كان ضد العرب شامتا بهم بسبب الدعايات الظالمة ، فانه ما يبرح لنا اصدقاء يمكن ان يكونوا لنا عونا وناصرا في شرح قضيتنا العادلة واطلاع غيرهم من المتأثرين بالتيارات المعادية المضادة لحقوقنا على الحقائق المرة وطرح موقفنا المشروع امامهم •

والبداية كانت في ان بعض المنصفين من هؤلاء الاجانب كالمؤرخ العالمي ارنولد توينبي والكاتب السويدي رينه بادم ومن اليهما نشر دراسات شتى تضمنت دفاعا مشرفا عن العرب وحقوقهم دل على ان العقلية الاوروبية تعلوها خميرة الفساد من جراء الاحابيل الصهيونية وانها شرعت تستيقظ من رقادها على الواقع المعاش !!

من هنا وفي هذا الزخم المتداخل المتناقض فكر صفاء خلوصي في ايجاد حركة عالمية •• عربية اسلامية فعالة كالحركة الصهيونية تدخل كل بيت وترص العالم العربي الاسلامي رصا يجعله كتلة متينة واحدة •

وهناك حين عرضت فكرة تأسيس جمعية الجهاد الفكري العالمي لاسترداد القدس الى العرب والمسلمين والاوربيين المؤيدين لقيت استجابة قوية كما رأى صفاء خلوصي ان تكون مجلة (الاسلاملك ريفيو) التي يصدرها بلندن المولوي عبد المجيد عبيد الرزاق منذ اكثر من نصف قرن بعد تغيير اسمها الى المجلة (الاسلامية والشؤون العربية) لسان حالها • كذلك رأى ان تقام مؤسسة باسم

يقول صفاء خلوصي : قرأت النص الانكليزي ولحسن الحظ انـي عثرت على النسخة الوحيدة التي بقيت من الكتاب لان الصهيونية العالميـة ــ على مـا بلغني ــ ابتاعت الكتاب واحرقته (١) وقد وفق الاستاذ فريد لقمان الى الحصول على هذه النسخة الفريدة وترجمتها الى العربية) ..

فالقارىء يستشعر وهو مأخوذ بجلال الموقف ذلك الصراع الحاد بين الملـك سليمان والملك الدعي أهيجا ...

حيث ان الملك سليمان يحض اليهود على ايثار النزعـة الانسانية والـروح المثالية في التعامل والتفاهم مع الشعوب الاخرى حتى درجه الاندماج فيها برحابة وسماحة . بينما الملك الدعي اهيجا يدعو اليهود الى العنصرية المقيتة وجعل تلك الشعوب قرابين ليهوه الذي يعده آلها لبني اسرائيل وحدهم دون غيرهم مدعيـا أنهم انما خلقوا ليصبحوا مطايا مسخرة للاسرائيليين .

هنا يطرح المؤلف فارديس فشر سؤالا واردا يدعه بلا جواب .. ماذا كان يحدث لو انتصر سليمان على أهيجا ...

بيد ان صفاء خلوصي يجيب عن سؤاله بحكمة وروية قائلا : « لـو قـدر لسليمان ان ينتصر لما كانت اليوم قضية فلسطين ولما هدرت دمـاء مئات الالوف من الابرياء دون مبرر .. فالعنصرية البغيضة هي المسؤولة عن كل هذه الضحايا التي قدمت وستقدم في المستقبل ... » .

ويثير مؤلف قصة (وادي الاحلام) قدسية الرقم ٧ لدى اليهود نقلا عـن العلامة اوغستيان : (ان العدد ٧ يرمز الى الروح و٧ زائدا ١٠ او ١٧ هو رمـز القدسية) ..

وتعقيب صفاء خلوصي على هذا مستمد من مضمونات الواقـع اذ يقول ٠

١ ــ هذا ما تفعله الصهيونية في كل بقاع الدنيا حيث تبتاع الكتب المناهضة لها والمندية بهـا فتحرقها تخلصا من اثارها وردود افعالها كما حدث لكتب المفكر التركـي رفعت جواد اتلخـان والمؤرخ الشهير ضياء اويغور والصحفي المعروف شهاب طـان . وقد تولى صديقنـا الاديب ابراهيم الداقوقي ترجمة بعض مؤلفاتهم من اللغة التركية الى اللغة العربية كـ (جذور الصهيونيـة وفي زنزانات اسرائيل ومـا اليهمـا) ..

ـ يا بؤس البلد الذي تكون فيه سلطة وزير الداخلية فوق سلطة محكمة التمييز التي هي اعلى سلطة قضائية في البلاد ... انتم تتحملون لعنة التاريخ الذي لا يرحم .

ومنحتهم محكمة التمييز حق تأسيس الجمعية ولكنهم لم يستطيعوا تنفيذ الفكرة لمقاومة السلطات الادارية لها وحجب المساعدات المادية والادبية عنها ..

وكان من الطبيعي ان يفضي الامر كله الى الاخفاق .. فالاساتذة عموما عزل لا يملكون غير اقلامهم وافكارهم ..

في الوقت الذي دفنت فكرة تأسيس جمعية الجهاد الفكري المقدس كذلك ضاعت الجهود المبذولة بانكلترة في سبيلها لا لشيء الا لعدم تضافرها واسنادها من لدن الحكومات العربية والاسلامية القائمة انذاك .. كأن لم يكن ثمة امر ذو اثر وخطر ...

والشيء الذي اراده صفاء خلوصي من تأسيس هذه الجمعية هو اعتقاده بل ايمانه بان المعركة العسكرية مع الصهاينة تحولت الى معركة اعلامية . لذا يقول : (يجب الا يكون مصيرنا فيها كمصيرنا في المعركة العسكرية بل ان في وسعنا ان نستغل ما اصابنا من ظلم وحيف في المعركة العسكرية ونحيله الى سلاح بتار نشهره في وجه العدو في المعركة الاعلامية ..) .



ولصفاء خلوصي تعليقات موضوعية على قصة (وادي الاحلام) التي وضعها الاديب الاميركي (فارديس فشر) وترجمها الى اللغة العربية الكاتب العراقي فريد لقمان لما فيها من حقائق تاريخية صارخة عن اليهود وصور واقعية عن اهتماماتهم ومقدساتهم لا يصح الاعراض عنها بلا تعليل وتفصيل ..

ان هذه القصة المستقاة من المصادر الوثيقة التي بلغت المئتين والموضوعة بنزاهة بعيدة المدى تصور العصر الذهبي لليهود وتدينهم امام محكمة التاريخ وتدحض مزاعمهم الباطلة في السلام والوئام وتعري اساليبهم الشاذة المتبعة عبر الدهور في تحقيق مآربهم ثم تكشف صراعهم في سبيل ترسيخ عنصريتهم ضد الانسانية ..

(الاسلامك ريفيو) الصادرة بلندن ويقول : (ان هذا القـول الذي يثير حفيظة خمسمائة مليون مسلم ليدل مع الاسف الشديد على ان ابن شرشل وحفيده لما يرثا كياسة سلفهما الراحل ودبلوماسيته ولا بعد نظره وانما اثبتـا بصراحة انهما من سلالة القبيلة اليهودية الضائعة التي زعما في مستهل الكتاب انهـا استوطنت بريطانية وانحدر منها الانكليز ••) •

وحين زعم استاذ صهيوني يتولى تدريس مـادة الاسلام واليهـود : (ان اليهود لا يسعهم ان يسهموا في الحضارة الانسانية الا في فلسطين) نسف صفـاء خلوصي ادعاءه الزائف برده الحاسم : « وتلك لعسري فرية ظاهرة البطلان عندما يفكر الانسان في ان النبي موسى تلقى وحيـه في مصر لا في فلسطين وان اهـم اجزاء التلمود دون في العراق لا في فلسطين وان اروع الاشعار العبريـة نظم في الاندلس الاسلامية لا في فلسطين فاين بقيت قيمة لهذه الدعوة الباطلة المفتراة ••»

وللمستشرق اليهودي ابا ايبان كتيب في اربع وستين صفحة عنوانه : (في المد القومي) وفيه ينظر الى القضية العربية نظرة ضيقة حاقـدة ، وقـد عـلق صفاء خلوصي على بعض من فقراته تعليقات صائبة مقنعة ومما قال : « اما مـن الناحية الاكاديمية فنهض اساتذة الجامعات اليهود في كل مكان بتحليل القضية العربيـة تحليلا عجيبا غريبا وعلى رأس هؤلاء المستشرق اليهودي ابا ايبان الـذي القـى محاضرة في جامعة اكسفورد تجمع بعد ذلك بهيئة كتيب عنوانه : (المـد القومي) لـزيد من تنكر الغرب للقضية العربية • ان هذا الكتيب يحاول ان يبرهن علـى خطأ نظرية المؤرخ ارنولد توينبي القائلـة ان عصر القوميـات الصغيرة كالقومية الصهيونية المزعومة قد انتهى وانه اليوم عصر الوحدات الكبيرة » •

ويبدأ محاضرته بقوله : « ان رجل الدولة الحقيقي هــو رجـل الدولة الفيلسوف كما تخيله افلاطون » • ولو طبقنا هـذا المقياس اليوم لخلت اكثـر الحكومات من رجالها •

ويشدد على ضرورة ابقاء البلاد العربية مجزأة بدعوى خطأ نظريـة توينبي زاعما اننا عدنا الى عصر القوميات المجزأة التي شاعت في القرن التاسع عشر ••

ويرفع عقيرته قائلا (ان سبعين مليون عربي ــ والصحيح مائة مليون عربي ــ

(وهذا العدد الاخير - يريد ١٧ - يضم جميع التواريخ الشهيرة • ولو امعنا النظر في ذلك لوجدنا انفسنا امام حقائق هائلة • فالمؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد في بازل كان سنة ١٨٩٧ ووعد بلفور سنة ١٩١٧ وقرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ والتوسع الاسرائيلي الاخير سنة ١٩٦٧ اما سنة العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ فمجموع ارقامها ٦ + ٥ + ٩ + ١ يساوي ٢١ اي ثلاث سبعات••)

كذلك لم يتردد صفاء خلوصي في مناقشة اقوال فارديس فشر في هذه القصة التاريخية التي تفضح الصهيونية في ما يتعلق بشخصية موسى وهل هي حقيقية او هي اسطورية وفي كون اللغة العبرية لغة بدائية كالدين اليهودي من عناصر شتى ثم طوفان الجنس على كل ما هنالك • يقول صفاء خلوصي : (والملحوظ في هذا العصر الذهبي الذي يصفه لنا فارديس في قصته (وادي الاحلام) : ان الناحية الجنسية تطغى على كل ما عداها دينيا واجتماعيا • ففي أرباض معبد اورشليم كانت هناك خلايا فيها تماثيل عشتروت وكانت الفتيات اليهوديات يمارسن الدعارة فيها وكانت الفتيات من الجواري المملوكات يقدمن نذورا وسط طقوس مشينة مخلة بالاداب ••) •

من اجل هذا يطالب صفاء خلوصي جامعة الدول العربية ، (بان تنشر هذه القصة وتوزعها في مختلف اقطار العالم وبمختلف اللغات) •



ولا يقتصر حديث صفاء خلوصي على فلسطين وموقفه الفكري الايجابي منها وانما يتركز احيانا على ادحاض اضاليل الصهاينة وتفنيد افتراءاتهم على العرب والتشكيك في اصالتهم الحضارية والاخلاقية والتقليل من اهميتهم في الميادين العلمية والادبية التي اثبتوا فيها الجدارة والمقدرة ثم اظهارهم بمظهر المعتدي المغتصب ••

على اثر نكبة حزيران اخرج راندولف الابن ونستن تشرشل حفيده كتابا عن حرب الايام الستة جاء فيه بالحرف الواحد ، (فقد كان تحرير القدس من الحكم الاسلامي حلم المسيحيين واليهود معا منذ عهد بعيد ••) •

وما كان من صفاء خلوصي الا ان يتصدى لهما بالرد المنطقي المفحم في مجلة

ـ لمصالحة الغرب مع القومية العربية ـ وان وحدة مصر مع سوريا كانت اشبه بوحدة النبي يونس مع الحوت .. ويزعم ايبان ان التضامن الاقتصادي بين البلاد العربية اقل منه بين اقطار اوروبا الغربية وخلاصة نظريته : التنوع والتسامح لا الوحدة في الشرق الاوسط .

ثم يتساءل صفاء خلوصي قائلا : وقد تسألون الان ما طريق العمل ؟ طريق العمل واحد لا ثاني له .. انه الطريق الذي سلكته كوبا ... انه الطريق الذي سلكته الجزائر بعد استعمار ١٣٠ سنة .. الطريق الذي سلكه الجنوب العربي بعد اضطهاد ١٢٩ سنة . ويجب ان يرافق هذا الاسلوب من العمل ثورة في التكنولوجيا ومناهج التعليم وتطهير الجهاز الاعلامي والدبلوماسي للبلاد العربية لنتمكن من مجابهة اساليب الشخصانية واللاعقلانية والغائية الصهيونية . وعلينا ان نحاول الجمع بين الاسلام والعروبة بنفس الطريقة التي جمع بها الصهاينة بين الديانة الموسوية والعنصرية الصهيونية الجديدة ..



اذ اردنا ربط قضية فلسطين بالواقع العربي بكل ايجابياته وسلبياته لخرجنا الى نتيجة واحدة وهي ان الحضارة العربية في محنة ، ينبغي انقاذها قبل ان تكون مضغة في الافواه . ولو لم تكن ثمة محنة بالمعنى الصحيح لما صارت حالنا الى هذا الوضع المثير الاليم الداعي الى النهوض العلمي والعملي بلا تلكؤ وتخاذل..

حسبنا ان نقرأ ما يذكره صفاء خلوصي .. (ان الموقف المأزوم الحرج الذي نجد انفسنا فيه اليوم ليس غزوا خارجيا يجتاح الشرق الاوسط ولا محاولة لاستغلال اراضينا وثرواتنا الطبيعية . ليس مجرد فرض شعب غريب على شعبنا انما هو صراع حضاري .. صراع بين الحضارة العربية الاسلامية وحضارة هي اخلاط حضارات متنافرة يحاول المغالطون ظلما وعدوانا ان يسموها حضارة يهودية .. فمحنتنا هي في الحقيقة : محنة حضارة ..) .

معناه ان هذه الحضارة عربية اسلامية او اسلامية عربية ، وانقاذها يقع بالضرورة على عاتق العرب والمسلمين معا ، فقد سجل التاريخ البشري سابقة لهذا كله .. لان ـ كما يرى صفاء خلوصي ـ « هذه الحضارة ليست عربية

يسكنون اربعة ملايين ميل مربع يناوئون دولة من مليوني نسمة يسكنون ثمانية الاف ميل مربع) ٠٠٠

ويحاول جاهدا ان يبرهن على ان اسرائيل ليست سببا في اضطراب الشرق الاوسط وانما السبب الحقيقي كره العرب للغربيين منذ قديم الزمان ٠ منذ ايام المسعودي الذي نعتهم بالبلادة والرطانة ولما كان اكثر سكان اسرائيل من الاوربيين والاميركيين فهم لهذا السبب يكرهونها ٠

ولو صح ما يدعيه ابا ايبان من كره العرب للغرب لما نقل العرب التراث اليوناني الى العربية ولما اتجهوا صوب الغرب في نشر رسالتهم السماوية ولركزوا جهودهم على الشرق وحده ٠٠

ثم يقول ان لا صحة لحتمية التاريخ القائلة ان ــ الوحدة هي الوضع الطبيعي للتاريخ العربي ــ ويزعم ان العرب لم يكونوا موحدين الا في فترتين هما فترة الخلفاء الاول وعصر صلاح الدين ٠ وينسى او يتناسى العصر الاموي والعصر العباسي الاول وان ما حصل بعد ذلك لم يكن الا انتقالا من نظام مركزي الى آخر لا مركزي اذ بقي حتى اشد ملوك الطوائف صلافة يخطب ود الخليفة ويذكر اسمه على المنابر وعلى النقود التي يضربها ٠٠ ومن الغريب انه يرى ان القومية الصهيونية ظهرت في وقت واحد مع القومية العربية وهذا غير صحيح فالقومية العربية اقدم من دعوة هرتزل سنة ١٨٩٧ ٠٠ انها ترجع الى ايام احياء التراث العربي في مصر في اوائل القرن التاسع عشر ٠٠ ويقول : لا سبيل الى اللقاء بين الديمقراطية العربية التي تؤمن بالمساواة ولا تؤمن بالحرية والديمقراطية الغربية التي تؤمن بالحرية ولا تؤمن بالمساواة ٠ وان القومية في البلاد العربية والافريقية خالية من المحتوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ٠٠

ويقول ان العرب لا يمتلكون غير وحدة اللغة والثقافة وينسى وحدة الدين والتاريخ والتكوين الجغرافي ، ويقول (لو كان ذلك سببا لقيام وحدة اذن لتوحدت دول اميركا اللاتينية وما يدريه انها ليست سائرة نحو الوحدة في مؤتنف الزمن ٠٠٠) ٠

ويؤكد ايبان ان اللغة لا تؤلف ــ مصيرية تاريخية ــ ٠٠ وان لا ضرورة

الغارة اليهودية • ان كان لم يزل في الوجود مسلمون بمعنى الكلمة ، كالمسلمين الفاتحين سابقا وكاليهود الفاتحين لاحقا • فان لم ينجدنا الاسلام ويطرد اسرائيل من القدس لا يبقى لنا سبيل للحياة الا باعتناق الدين اليهودي الذي اثبت كفايته لجمع الكلمة وتحقيق الغايات كما اثبت الدين المسيحي عجزه عن تأمين حق من حقوق الانسان او رد اي عدوان ••) •

بغداد ــ الاعظمية **وحيد الدين بهاء الدين**

المراجع ــ رسائل خاصة في خزانتي ــ مجلة الاخاء البغدادية عدد ١ و٢ السنة التاسعة حزيران ١٩٦٩ ــ صحيفة الجمهورية البغدادية الاعـداد : ١١٠ ــ ١٣٦٠ ــ ٢٦٣ في ٢٨ ــ ١٠ ــ ١٩٦٧ ــ١٦ــ ٤ ــ٩٦٨ ــ ١٨ ــ ١٠ ــ ١٩٦٨ ــ كتاب « بيادر تموز » وقد تضمن ترجمة الاشعار من اللغة الانكليزية الى اللغة العربية وهو للشاعر المفكر الصيدلي محمد حسن الصراف .

حسب ولا اسلامية حسب انما هي عربية اسلامية ومن حق جميع الشعوب العربية والاسلامية ان تدافع عنها .. » .

من هنا يدعو صفاء خلوصي الى العودة الى الاشقاء الذين عاضدوا العرب ووقفوا الى جانبهم في احرج المواقف التاريخية وفي احلـك الاحوال السياسية ، حيث يستطرد .. (واذا كان صلاح الدين حرر القدس ورضي بمعاهدة هدنة مع الصليبيين بحيث يحتفظون بالشريط الساحلي وبسر الـى القدس فان الظاهـر بيبرس التركي ضرب بكل شيء عرض الحائط ولـم يرض بانصاف الحلـول ولا الحلول السلمية او اشباه السلمية . فبعد ان ضرب المغول في ـ عين جالـوت ـ تلك الضربة التي مزقت اسطورة الجيش المغولي الـذي لا يقهـر التفـت الـى الصليبيين وفعل بهم الافاعيل حتى ايقنوا بما لا يـدع مجالا للشك ان لا مكـان لغير دولة اسلامية في فلسطين . ان صلاح الدين يمثل انصاف الحلول والظاهـر بيبرس وقلاوون يمثلان الحل الحاسم الذي لا مساومة فيه ولا مهادنة . فصلاح الدين بتسامحه مع الصليبيين ارجأ حل القضية الفلسطينية مائة عـام ولكن يجب الا نبخس الرجل حقه فهو اول من اثبت للعالم الاسلامي بامكان تحريـر فلسطين من ربقة الصليبيين بانتزاعه القدس من ايديهم بعد معركة حطين الظافرة فجعله من جاء بعده من سلاطين المماليك امثولتهم مع شجب سياسة الحل الوسط ..) .

ثم يرى صفاء خلوصي ان اقتران دعوته بالعمل الايجابي مـن لدن العرب والمسلمين هو الضمان الواقعي لتحرير فلسطين وبلوغ النصر المنتظـر .. انـه ليقول : (واليوم يعيد التاريخ نفسه .. فلنعد الى اشقائنا في الحضارة .. الـى اولئك الذين كانوا سندا لنا في الحروب الصليبية ليكونـوا لنـا في ـ الحروب الصهيونية ـ ولنخرج المعركة الفلسطينية من طابعها الضيق الى طابعها الحضاري . طابع الحضارة العربية الاسلامية) ..

لئن كان الشيء بالشيء يذكر فاقول ـ بعد هزيمة حزيران بثلاثة اشهر كتب الي صديقي الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح ، المعروف بقصائده الحزيرانية والايلولية ما يعزز دعوة صفاء خلوصي ويؤيد وجهة نظره وهو يقول : (ليتـنـا نجرب الدعوة الدينية ، مستنجدين بالاسلام في انحاء المعمورة ان يحمونـا مـن

المفسرة لذلك : ان عودة عناصر جدودية متشابهة او متواحـدة ــ او بعبارة من علماء الوراثة ، ان « المورثات المتنحية » « Gène recessif » (١) ــ هي الاساس لهذه الوحدة المشتركية في القدر بين الام وابنها وكنتها • ان هؤلاء الثلاثة اقارب بالمعنى الوراثي للكلمة : فعصاب الزوجة يشبه كثيرا عصاب الحماة والـى درجة يصعب معها القول بالتطابق العرضي ، او بالصدفة العابرة ، لا بـد اذن مـن ان الزوجين قد انجذبا لبعضهما البعض لانهما كانا يحملان نفس المورث الذي كـان عندها مسيطرا بينما كان عنده في حالة متنحية • والذي ثبت زوندي على فرضيته هذه هو نتائج ابحاثه الغزيرة علـى اكثر مـن خمس مائـة شجرة نسب عائليـة لاشخاص لاسويين ، ولسويين ايضا •

٢ ــ الـلاوعـي العائلـي :

وهكذا فبين اللاوعي الشخصي واللاوعي الجماعي وضع زوندي مـا سماه باكتشافه للاوعي العائلي • هذا اللاوعي مؤلف بفعـل المورثـات المتنحية التـي لا تؤثر في مجمل خصائص الجسم العضوي ، في النموذج الظاهري « Phénotype بل تحدد ، تحديدا قدريا ، اختياراتنا مثل اختيار الاصدقاء ، اختيـار الزوج او الزوجة ، اختيار المهنة بل وحتى اختيار الامراض والموت (٢) •

٣ ــ زوندي والنظرية الوراثية الضد منديلية :

ينطلق زوندي من النرظية البيولوجية القائلة بانـه ليس هنـاك مورثـات متنحية بشكل مطلق ، اي تبقى كامنة كمونا تاما لوجود مورث سائد يقف فـي وجهها ويسحيها ، فكل المورثات تنزع لان تتمظهر وتعل (٣) •

على هذا فالمورثاتالمتنحية تحافظ على ما سماه زوندي بالانتحاء المورثي(٤) اي تلك الدينامية التي تدفع شخصين ، الواحد نحو الاخر ، اذا كانـا يحمـلان

---

١ ــ المورث المتنحي « Gène recessif » هو عكس المورث السائد « dominant »

٢ ــ كان تحت عنوان لكتاب زوندي « تحليل القدر » والذي ظهر عام ١٩٤٤ ، وهو : « الاختيار في الحب والصداقة والمهنة والمرض والموت » . وفي هذا دلالة على طبيعة نظرية المؤلف .

٣ ــ هذا عكس النظرية المندلية التي تنص على ان مورثا مسيطرا ، سائدا ، يمنع منعا باتا عمل المورثات المتنحية في تكوين الفرد ما دام هذا السائد واقفا في وجهها ، ويعارضها .

٤ ــ الانتحاء الوراثي او المورثي : الاستنراث Génotropisme

من علماء النفس الكبار

ليوث زوندي

بقلم : الدكتور علي زيعور

١ ــ منطلقات نظريــة زونــدي :

رأى فرويد النفسية مرتبطــة بالشروط البيولوجيــة • وابحــاث الطبيب الهنغاري زوندي تنطلق من نواح بيولوجية ايضا في تفسيره للاوعــي والنفسية ؛ وقد كانت نقطة ابتدائها من القصة الاتية التي يرويها بنفسه حيث يقول : جاءتني يوما شابة مع زوجها تشكو خوفها الوسواسي ، التسلطي ، مــن ان تسمم ذويها الاعزاء • وعند الانتهاء سألتني والدموع ترقرق في مآقيها :

ــ هل رأيت في حياتك شخصا تشجيه افكارا بمثل هذه الغباوة ؟

ــ منذ سنوات ، اجبتها قائلا ، كنت استقبل بانتظام سيــدة عجوز لطيفة ، من الريف ، جاءتني تتألم من افكار تسميم اهلها ، افكار هي من هذا القبيل • ثم انها ، ايضا ، كانت تصيغ شكاويها بنفس المفردات تقريبا • امــا الزوج ، الــذي كان حتى ذلك الحين جالسا على مقعد وغارقا في الصمت ، فقد اجاب فجأة :

ــ اني اعرف هذا الامر ، سيدي الطبيب ••• فتلــك السيدة الهرمــة هي امــي (١) •

صعق زونــدي ، مؤسس « تحليــل الــقدر » (Schicksalsanalyse) ودهش لهذا التطابق ، وآمن بان هناك علاقة سببيــة بين الحالتين وراح يسائــل نفسه ويبحث : لماذا اختار هذا الرجل المرأة التي لاحقتها ، بعــد زواجها منــه ، الآلام والاشجان التي تلازم امه ؟

ان زوندي لم يقبل اللجوء للصدف ، بل آمن بان امرا مقدرا هو مــا املى هنا الاختيار وربط بين الاشخاص الثلاثة • من هنــا افترض ان المورثات هــي

---

١ ــ براجع كتاب شوندي ، تحليل القدر (تحليل الـ « شيكزال ») ، الصفحات العشرين الاوائل
Lipot Szondi ' Schiksalsanalyse ' éd. Benno Schwabe, Bale, 1948 .

وفاقت مبتغاها ، وعلى هذا فقد صاغ جملة حكيمة جعلها ركيزة نظريته ، وهي : « حظ الاختيارات الارتعاشية لرجل ما وستعرف ممن قد تحدر ، ومن هو ، وما هو القدر الذي ينتظره » (١) •

٥ ـ الحرية ، اهمية التربية والتوجيه المهني :

يعود زوندي الى معضلة الحرية ، تلك المشكلة الماورائية بل والسيكولوجية ايضا ، فيقول : لسنا احرارا في اختياراتنا ، ذلك ان المورثات هي التي تختار عنا ، تختار لنا •

لكن ذلك لا يعني اننا مجبرون ، واننا مسيرون بقضاء وقدر لا سلطان للانسان عليهما • وهنا يقف زوندي موقفا وسطا بين الجبر الذي تفرضه علينا المورثات وبين الاختيار الذي يراه موجودا فقط ضمن الدائرة البيولوجية لهذه المورثات • تلك هي ، مثلا ، حالة القدر الفصامي الشكل • قد نستطيع ان نعيش هذا القدر بعدة طرق واشكال : فهناك مفصوم فصاما بسيطا ، مجرد فصام بسيط ، هناك من يتألم فقط من وسواس ما ، هناك شخص قد يصاب بالبارانويا ، او من يصبح فعالا نشيطا ، او مخترعا • هذه الجبرية ، اذن ، قابلة للتوجيه والانقياد • من هنا اهمية الطفولة والتوجيه المهني اللذين يقودان هذه الجبرية ويوجهانها : انهما يقودان الارتعاشات ، او يوجهان الميول الارتعاشية ولا سيما للعصابيين وللذهانيين من الناس • وعلى المربي والموجه المهني واجب العناية بهذه الميول الارتعاشية لا الاقتصار فقط على تربية الاستعدادات البدنية والروحية المولد • ويشدد زوندي على اخذ الارتعاشات بعين الاعتبار في التربية والتوجيه المهني ؛ اذ ان اهمالها يجعل عمل المربي ، والموجه ، كحاطب الليل •

٦ ـ زوندي في مدرسة التحليل النفسي :

احتل اللاوعي منزلة كبرى في ابحاث زوندي ، مثله في ذلك كمثل فرويد وآدلر ويونغ • وقد انصبت ابحاثه ، كما رأينا ، على الكشف عن المورثات المتنحية او الكامنة التي تحتم وتحدد اختياراتنا • يعني ذلك بتعبير اخر ، ان

١ ـ وردت في فولكيه ، مذاهب علم النفس المعاصر (الفرنسية) ص ٢٥٤ ، مستقاة من زوندي، تحليل القدر ، ص ١٣٦ •

مورثات متشابهة او متواحدة (١) • والمورثـات وان كانت بيولوجية مـن حيث اصلها ومصدرها ، فانها تحدث تأثيرها وفعلها على الصعيد الروحي ، على صعيد الارتعاشات « Pulsions » النفسية • ففي القصة المذكورة عن الوسواس ذاتـه الموجود لدى الحماة وكنتها ، رأى زوندي ان المورث الذي حتـم ذلك التصرف موجود ايضا لدى الزوج ولكن بحالة هي متنحية بحتة ، وبالتالـي بدون تأثير او فعل في تكوينه (جبلته) الفيزيائي او النفساني ، وهذا المورث عينه هو مـا دفعه صوب تلك المرأة التي كان لا بد ان يظهر عندها ، في وقت متأخر ، فكرة التسميم المتسلطة ، وهو ايضا ما حتم حبهما وزواجهما •

٤ ــ تحليـل القـدر :

بعد ذلك انصبت ابحاث زوندي على وضع تقنية لنظريته التي سماها ، كما رأينا ، « تحليل القدر » ، تحليل أل « شيكزال» ••• فميز بين نوعين من القرابة: في الدم والقرابة في المورثات المتنحية التي هي قرابة اكثـر روحانية وغير مرئيـة والتي اولاها « تحليل القدر » عنايتـه • كما اهتم « تحليـل القدر » بطرائـق اكتشاف العوامل الوراثية المخبأة بأن درس لا فئات الدم لوالدي الشخص فقط ، بل ولاولئك الذين دخلوا اسرته عن طريق الزواج او الذين يقيسون معـه اواصر مودة وصداقة ، او بينهم مشتركية في المثل الاعلى ••• كان زوندي يقدم سـتة منضودات ، سلاسل ، الواحدة منها مؤلفة من ثمانيـة صور ، اي ٤٨ صورة • وفي كل منضودة كان هناك صورة شخص مصاب ، بطريقـة متميزة ، باحـدى النشازات « Anomalies » الارتعاشية ــ وهي ثمانيـة ارتعاشات وفـقا للترتيب الذي اقامه زوندي نفسه • وعلـى الشخص ان يختـار السحنتين ، الصورتين ، اللتين تبدوان له الاكثر لطافة ، الاقرب الـى نفسه ، اللتين يتعاطف معهما اكثـر من غيرهما (٢)

وصرح مؤسس تحليل القدر ان النتائج التـي حصل عليهـا كانت مدهشة

---

١ ــ متواحدة ، هويـة **Identiques**

٢ ــ براجع بالفرنسية كتاب زوندي ــ ترجم وصدر في باريس سنة ١٩٥٢ ــ الـذي يحـوي على هذا التشخيص التجريبي للارتعاشات :

Szondi, Diagnostic eqeri mental des pulsions, traduit par R. Bejarano-Pruschg , Paris , P. U. F. , 1952 .

اعرف نفسك

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

- ٢ -

مشاكل المراهقة في هذا العصر ، اشد مـن مطلق زمـن مضى ، فـقد كان الشاب يتزوج في الثامنة عشرة من العمر مثلا ، لكنه لا يكاد في مثل هذه الاعوام ينهي دراسته المتوسطة ، وقد يدخل الجامعة ، ولا يتهيـأ لتأسيس بيـت الا بين ال ٢٥ و٣٠ ، هذا علاوة على الاختلاط والاغراء .

وكان يتهجى كلمات : حرام ، عيب ، ولا يكاد يحوم حول الشبهات الا بعد تعب واخطار ، لكنه اليوم يجد تشجيعا وحوافـز ، منهـا ان بعض الجامعـات بالولايات المتحدة ، توزع على الطالبات موانـع الحمل ، بـل وتسهل لهن سبل الاجهاض .

لم ينفرد الاسلام بتحريم الاختلاط المحرم ، لكنـه انفـرد بتهيئـة المصل الواقـي :

١ ـ امر الشاب بصيام بعض الايام علاوة على صوم رمضان .

٢ ـ بعدم اللجوء للفراش الا اذا داهمـه النعاس ، علـى ان يغادره لاول وهلـة يستيقظ بها .

٣ ـ بالابتعاد عما يثير الجنسيات من كتب ومجلات ومناظر واحاديث .

٤ ـ بغض البصر ..

اما الفتاة فحبذا لو اشغلت نفسها بدراسة ما ينفع امتها من العلوم والخدمات العامة ، كتمريض المجاهدين ومساعدتهم ولو بخياطة قميص ، عملا بقول سيدنـا محمد « من جهز غازيا فـقد غزا » .

المورثات المتنحية ـ او الكامنة ـ ترتدي جلبابا نفسانيا ، اي انها بنظره ذات دلالة ومعنى نفساني : فالتشوقات «dspirationo» الارتعاشية ، تلك الارتعاشات المتعلقة بالمورثات المذكورة، هي لا واعية . ذلك انها كامنة«Lateute» وكامنة او متنحية تعني لاواعية ، اي انها كامنة بالنسبة للوعي .

باختصار ، نظرية اللاوعي هنا ، كما يلاحظ ، هي نظرية بيولوجية . لا يبحث زوندي عن اللاوعي النفساني فقط ، بل انه تعمق اكثر في المشروع الذي رسمه فرويد قبلا وهو القعر الفيزيولوجي ، او الارضية الفيزيولوجية للعقد النفسية . لقد ظن زوندي انه وجد هذا القعر للعقد اللاواعية ، وجده في المورثات المتنحية ، في البيولوجيا ، في الفهم البيولوجي للاوعي ، في ان المورثات الكامنة هي لاواعية (اي كامنة بالنسبة للاوعي) . يبقى بذلك زوندي ، وان غاص اكثر من شيخه في البيولوجيا ، في عداد مدرسة التحليل النفسي ، او علم نفس الاعماق ، التي تؤوب باصلها الى فرويد والتي تبقى واحدة مهما اختلفت طرائقها حسب قول زوندي عينه .

لا شك بأن نظرية اللاوعي العائلي ذات قيمة ، وهي تسلط اضواء على النفسية اللاواعية ، على طبقة من النفسية العميقة . كما ان زوندي قد راتب هذه الطبقة فوضعها بين طبقة اللاوعي الشخصي الذي اكتشفه فرويد وبين طبقة اللاوعي الجماعي الذي اكتشفه يونغ . من هنا نرى انه باكتشافه للاوعي العائلي ووضعه اياه بين هذين النوعين المذكورين ، قد وضع نفسه بين فرويد ويونغ . ولقد اصر على ان يبقى في حظيرة التحليل النفسي وان يبحث عن « شجرة عائلة » ـ عن نسب ـ اللاوعي .

الدكتور علي ي. زيعور
من اساتذة علم النفس في الجامعة اللبنانية

الوسـط الذهبـي :

هذه العادات ــ كما يرى القاريء ــ جانبت نقطـة الوسط ، وقـد لجـأ الاسلام كعادته ، وسطا ذهبيا ، ونقطة فنية مشعة بين ظلمتـي افـراط وتفريط ، فقال بلسان حال تشريعه :

لا اختلاط مطلق ولا عقد دون رؤية ، بل مشاهدة قبل العقد بحضور ثالث تشتمل على مجالسة ومؤاكلة وتدقيق ونظر ، وباسلوب لا ادري كيف اصفـه ، واستنشاق رائحة فم •

هذه المشاهدة ليست مباحة فحسب بل رآها بعض اهل العلم واجبـا لان رسول الله قال لخاطب استشاره : انظر اليها ••• ان في اعين النساء شيئا •••

هذا الوسط الذهبي البريء من الغلو ارتفاعا ، او انخفاضا ، منطق سليم ، بل لا يجد المفكر المحرر منطق سليم سواه ، اذ الاختلاط المطلق قبـل العقـد ، وابرام الاتفاق دون رؤية ينتجان عن نتائج غير سليمة •

ذلك لان فترة الاختلاط تعايش مصطنع قائم على المجاملة والتكلف والتغرير وستر دفائن القبور وكوامن الصدور ، اذ كلا الخاطبين يجمل واقعـه ، ويتكلف من الاخلاق ما يرضي الآخر فاذا ما تدهورا (بعثر مـا في القبور وحصل مـا في الصدور) •

وعلى ذلك فاختلاط الخاطبين المطلق ابرام العقـد او ابرامه دون رويـة ، تجاربه ليست سليمة ولنفرض سلامتها فـان دراسة اصول الخاطبـين وتربيتهما وواقعهما وتراثهما الفكري اشد سلامة •

دراسـة اخلاقيـة :

هذه الدراسة عبد طريقها للعالم كله سيدنا محمد صله الله عليه واله وسلم•

١ ــ تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع ، او دساس •

٢ ــ اياكم وخضراء الدمن : الفتاة الجميلة النابتة من بيت منحرف التربية•

٣ ــ التوجيه المدرسي الذي زاملهما خلال الحياة الدراسية •

لا تحريم وتحليل دون تعليل

الاختلاط المحرم يقطف ثماره الذرية والاجسام والاخلاق والعقول ، او اذ الاتصال بين صحيح ومصاب بالسل مثلا او السفلس ، ولو عن طريق التنفس او العطاس او السعال او القبلة ••• يفضي لامراض مخيفة ••

فقد يسري المرض سريانا متبادلا ، ويعطل قناتي المرأة او يفضي للعقم المشترك ، وينتقل من دم الابوين لدم الاولاد ويبيت في المفاصل والعضلات والاحشاء والجهاز العصبي ويشوه الوجه والاسنان والعيون والاصابع ويجعل انف الطفل كسرج الحصان •

وقد يكمن مرض احد الابوين بالرحم ليصيب مولودا آتيا ، او يثمر اجهاضا او طفلا مصابا ، قد يفارق الحياة بعد الولادة مباشرة •• وما الى ذلك من كوارث قضت على حضارات ، ونعيذ الحضارات المعاصرة من مغبتها •••

وهذا ما أخشاه على الامم التي دفعت زمامها لليهود فتلاعبوا بها وحملوها على حفر قبرها بيدها ، كما حملوا انكلترا على اباحة الشذوذ الجنسي ؛ وحملوا السويد على اباحة الزواج من الشقيقات ••

عادات اختلاط العروسين

الوسط الذهبي ــ دراسة اخلاقية ــ دراسة صحية ــ الكتمان ينتهي بالابرام •

العاقل لا يسير في طريق الا بعد السؤال ولا يفشي ببضاعة سوقا الا اذا رجح اتفاقها ولذا لا يقدم على زواج الا اذا كانت كفة الهدوء والطمأنينة وجودة الاثمار راجحة •

اذا فالتعرف على الخطيبين قبل ابرام العقد امر تفرضه الاجواء ، وللامم فيه عادات مختلفة فبعضها تشدد فلا تسمح للخاطب برؤية المخطوبة ، قبل ابرام العقد ، بل قبل ليلة الالتقاء وبعضها تفتح امامهما باب الاختلاط على مصراعيه اشهرا واعواما ــ ليطلع كما يزعمون ــ على مكنونات نفس الاخر واخلاقه وطباعه ، وعاداته وميوله •••

الكتمان ينتهي باعلان العقد :

سيدنا محمد عليه صلاة الله وسلامه ، قال : اخفوا الخطبة •

هذا تحذير من اذاعة نبأ المفاوضة ــ ان جاز هــذا التعبير ــ قبــل ابــرام الاتفاق ، خشية ان يطرأ على تلك المساعي ما يسيئها ، فيذهب الذين سمعوا انباءها بالتعليل مذاهب ليست من مصلحة الخاطبين ، اذ قطع الصلات بعد اعلان المساعي لا سيما بعد فترة اختلاط ولو قصيرة ، يفضي لكوارث لا تخفــى عــن فطانــة القارىء •••

الزواج من القريبات :

قيل : كانت أمنا الاولى ، تلد توأما ، ذكرا وانثى ، وتزوجهما من توأم اخر من أبنائها ، ذكر وانثى •• هذه القصة ، مهما اعتــرى سندها ، ترمــز الــى ان الانسان الاول ، ادرك بفطرته ان لزواج الاباعد محسنات ولو عــن اخته الــتي ولدت معه لاخته التي ولدت قبله او بعده ••

حرم الاسلام الاصول والفروع والاطراف وانفرد بالتحريم بسبب الرضاع، ونبه لفوائد الابتعاد عن القريبات كبنات العم والعمة والخال والخالة ، اذ الزواج منهن لا سيما اذا تكرر اجيالا يثمر اضرارا صحية وفكرية ••• وقد حذر رسول الله منه بقوله « لا تنكحوا القرابة فان الولد يخلق ضاويا » •

اشتهر على ألسنة الفقهاء والاطباء بل والشعراء بعد الاسلام حكمة الابتعاد عن زواج بنات العم والعمة والخال والخالة ، فاخــذ الشعراء يرون المولود منهن سائرا في طريق الضعف ، اذ يقول أحدهم مهددا بارسال من يمثل دور الاغتيال :

فتى لــم تلــده بنت عم قريبــة فيضوي وقد يضوي رديد الاقارب

ويقول اخــر :

ان بلالا لــم تشنــه أمــه لــم يتــناسب خالــه وعمــه

وآخـــــر :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبــة مخافــة ان يضوي علــي سليلــي

وآخر : الا فتى نال العلى بهمه ليس أبـــوه بابــن عــم أمــه

كل هذا يذكرني بكلمة ذاك الخاطب الذكي :

« اعرف اولادي منذ الشروع بخطبة امهم ، اعرفهم من دراسة امهم أمهـا اولا ثم ابيها وعمها » ..

قطعا ، اذ تكاد الفتاة ان تلد امها ، وكان هذا الذكي ادرك سمو نظره فقال لابنائه :

واول احساني اليكم تخيري لطاهرة الاعراق بـاد عفافهـا

فترة المشاهدة هذه ، يحرم بها الغش والتغريـر ، كالذيـن يسترون شيبهم بخضاب لا سيما ان كان حصيلة تراكم سني العمر لا حصيلة ضعف البصيلات..

وتغرير كهذا يخول القاضي فسخ العقد وحفظ حقوق المتعرض لسهام الغبن منهما ، اذ نرى في التاريخ عمر بن الخطاب حكم بفسخ عقـد قـام علـى تغرير وستر شيب ...

هذا الموضوع تذمر احد الزوجين من شيب الاخر حقـول بكتب الادب ، نستقي بعضها تعزية للمغبونين ..

رأت الزوجة الشيب اكليلا على رأس زوجها ، وما ان امتعضت حتى دعـاه كمالا ووقارا ، وما ان اخذ بخضبه حتى عادت جذوره لسواد الليل بياض النهار، وكان احد الادباء اخذ لسان هذا الحال وسبكه قائلا :

قالت اراك خضبت الشيب قلت لهـا ستر ته عنك يا سمعي ويا بصري

فقهقهت ثـم قالت مـن تعجبها : تكاثر الغش حتـى صار بالشعر

دراسـة صحيـة :

استشارة الطبيب قبل ابرام العقد واجبة ، اذ قـد يكون احـد الخاطبـين معرضا لاضطرابات نفسية تحول دون الانسجام ، بل ودراسة الزمـرة : معرفـة الموجب والسالب من دمهما واجبة ، حرصا على مستقبل الذرية ، اذ قـد يترتب على اهمال هذه الدراسة ندرة الحمل او اسقاطه او عدم استمرار حياتـه ان لـم يتدارك يتداركه الله بطبيب يستطيع استبدال دمه المتغاير بدم منسجم ..

اصبعا او اصابع او الكف كله •

الجاحظ سبق علماء الدواجن المعاصرين :

قال في كتابه الحيوان (١) ما نصه :

« لا يكون الحظ الا في تتـاج شكلين متباينين ، فالتقاؤهما هـو الاكسير المؤدي الى الخلاص ، وهو تزاوج بين هنديـة وخراساني ، فانهـا لا تلـد الا الذهب الابريز » ••

ويرى الجاحظ « الدجاج الناتج من عربي وهندي ، يحمل الشحم واللحم » ويقول محذرا من زواج القريبات ما نصه :

« ورأينا الخلاسي من الناس ــ يعني المولود مـن اب حبشي وام بيضاء او العكس ــ يخرج أعظم من ابويه ، وأقوى من أصله » ••

★ ★ ★

هذا بعض ما نحتفظ به من كنوز المعرفة ، اما الامم التـي بلغت حضارتها حدها وانقلبت الى ضدها ، فـقد اخذت تعود الى عصور الظلمات • وهـا نحن نقرأ نقلا عن احدى جرائد السويد نصا بهذا العنوان :

زواج الرجل من شقيقته في مجلس النـواب السويـدي ــ استوكهلم ــ جريدة « اخبار المساء » قررت محكمة في كارلسكوكا ان تدع رجلا عمـره ٣٤ سنة يستمر في المعيشة مع اخته التي عمرها ٢٥ عاما كشخصين متزوجين ••

اما أحد اعضاء البرلمان وهو من حزب الاحـرار سيحاول ان يفرض علـى البرلمان تغيير القانون كي يستطيع الرجال ان يتزوجوا من اخواتهم ••

لم تكتف الامم القديسة بزواج بنت العم والعمة والخال والخالة بل انغمست بالزواج من الاصول والفروع ، ولم نر مشترعا كحمورابي او حكيما كافلاطون، اشار للضرر الناجم عن ذلك الانغماس •••

اما اشارات المهدين لذلك الضرر ، فتمهيدا للاسلام اذ شفى الله بـه امما كمجوس فارس ، اذ كانوا قبل اشراق شمسه ، يـرون المتزوج ليس بابنـة العم

---

٢ ــ ج١ ص ٦٢ و٦٨ و٧١ طبعة الساسي ، مصر مطبعة السعادة ١٣٢٥ ــ ٩١٠٧ .

تــرى الرجال تهتــدي بــأمــه (١)

وآخر : أنذر من كان بعيد الهم تــزويــج أولاد بنــات العـــم

فليس نــاج مــن ضوى وسقم

عرف مسلمو القرون الاولى فوائد الابتعاد ، وتردد على السنتهم وأقلامهم كلمة عمر بن الخطاب « اغتربوا لا تضووا » ولا تزال المراجع طافحة به (٢) •

ادركنا مستنيرين بالهدي النبوي ، معنى قول الفــقهاء « زواج بنت العــم والعمة والخال والخالة مكروه » ورأينا قول ابي حامد الغزالي بالاحياء :

« من الخصال التي تجب مراعاتها في المرأة ان لا تكون من القرابة القريبة ، اذ يخلق الولد خاويا نحيفا » وساق الغزالي كلمة « اغتربوا لا تضووا »، وفسرها بقوله : لا تتزوجوا القريبات كيلا يعتري اولادكم الهزال » (٣) •

هذا ، وقد صرح الطب بان زواج القريبات اذا تكرر افضى لاخطار منهــا عدم القدرة على تكوين الذرية او موتها المسرع او حياتها مشوهة، بل وقد يفضي لانقراض الاسر المبتلاة به ، ولولا خوف التطويل لتحدثت عن الاسر التي كادت تصبح خبرا كأسرة الشهابيين في لبنان مثلا •

وحسبنا ان الزواج من القريبات يساعد على استعصاء الامراض الموروثة ، اذ قد يحمل الاب جذور وراثة مرض ما ، وتحمل الام ـ بنت عمه ـ نفس تلك الجذور ـ فينقلانه مكبرا لطفلهما ••

مثلا ، شخص ورث من اجداده امراضا عرضته باربع اصابع ، اذا تــزوج بابنة عمه ، وهي طبعا تحمل هذه الوراثات ، تساعد الوارثان وانتجا طفلا يفــقد

---

١ ـ بأمه بفتح الالف بهديــه •

٢ ـ حبذا لو ظفر القارىء باحد المراجع الاتية :

أ ـ النويري : نيل الارب جـ١ ص ١٠ و١١ •

ب ـ الماوردي : أدب الدنيا والدين ص ٩٣ •

ج ـ عبد الله عفيفي : المرأة العربية ج١ •

د ـ الشيخ سعيد العرفي : سر انحلال الامة العربية ووهــن المسلمين ، دمشق مطبعــة ابن زيدون ١٣٥٢ هـ •

٣ ـ السيد رشيد رضا : تفسير المنار الطبعة الاولى ج٦ ص ٢٠ و٢١ •

٥ ـ فخلقنا المضغة عظاما •

٦ ـ فكسونا العظام لحما •

٧ ـ ثم أنشاناه خلقا آخر •

فتبارك الله أحسن الخالقين •

هذه المراحل ، أرتنا المواد الحيوية المبثوثة في التراب تنقلب اوذية ، سلالة : خاصة ، يتناولها الابوان ، فينقلب الدم نطفة وينقلب ما يتدفق من بين الصلب والترائب علقة ، ولا تلبث هذه ان تنقلب مضغة تحتفظ بعظام يكسوها اللحم ، ثم يتحول انسانا في احسن تقويم ••

لنمعن النظر بمراحل التكوين ، ونقف تجاهها خاشعين ، لقد نادت ذوي البصائر ومنحتهم ما ينسي بصائرهم •

تراب يهب موادا حيوية ، فغذاء فدما ، فنطفة تعلق ببويضة ، يحلان قرارا مكينا ، وتمسهما يد التطور « خلقا من بعد خلق » : طورا بعد طور ، ثم تشرف المراحل على النهاية « هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء » « ثم نخرجكم طفلا » يعدل وضعه الجسمي تعديلا يساعده على الخروج ويسبقه سائل يعقم له الطريق ••

« أرأيتم ما تمنون ؟ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ؟ الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك » •

ان كنت حين مرورك بتلك المراحل متحكما بزمام القيادة ، فهلا كونت جسمك تكوينا يدرء عنه مرض الشيخوخة والهرم ؟؟

محمد علي الزعبي



والعمة والخال والخالة بل بأمه واخته ينتج ذرية ذكية نبيلة مباركة ٠٠٠

ولذا رأينا قضاة المسلمين بفارس ، يفرقون بين الرجل ومحارمه اذا طلب الزوجان تحكيم الشريعة الاسلامية ويرون العقد ليس صحيحا ، اما الاولاد فاولاد شبهة ـ حسب تعبير الفقهاء ـ (١) ٠

وهكذا سادت كلمة الفقهاء : الزواج من القريبات مكروه ، واكاد اجزم ان المسلم الشركسي الذي نراه للان يعرض عن خطبة بنت عمه وعمته وبنت الخال والخالة ويرى لهما في نفسه مكانة احترام الاخت اكاد اجزم ان هذا تأثير فقهي في الاصل ، وان رآه بعضنا عادات ٠٠٠ (٢)

اما اللذين يحرصون على الزواج من بنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات ويرون بذلك تعزيزا لروابط القرابة ، فقد فاتهم ان رابطة الزوجية والمصاهرة اشد تأثرا من روابط القرابة ٠

القرآن وحده امر بالنظر :

القرآن اذا أمر بشيء ، أشار لحكمته ، وحض على التقاطها ، وأوكل حرية الاستنتاج والاستنباط لذوي البصائر ، ليطوروا المفاهيم بما يفرضه العقل الكلي المنفتح المستنير ٠٠

تحدث القرآن عن سر تكوين الانسان ، بسور متعددة ، ومناسبات شتى ، ولفت النظر للانظمة الثابتة العادلة ، التي رافقت التكوين ، وعرض المراحل نقوله تعالى :

١ ـ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ٠

٢ ـ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ٠

٣ ـ ثم خلقنا النطفة علقة ٠

٤ ـ فخلقنا العلقة مضغة ٠

---

١ ـ مسند الامام احمد ص ١٩ ، ٢ ـ مجلة هدي الاسلام ، عمان العدد خمسة من السنة الخامسة ص ٤٦١٤ ٠

قولك بان لك الشرف لتكون يهودي يقربك جدا من الصهيونية .

وعلى اية حال لنكن هنا صديقين . لكن حتما اذا فكرت في الهجرة الى فلسطين لتصبح مواطنا اسرائيليا فسنكون عدوين بدون ادنى ريب .

ــ قال ــ اعتذر على كلمة « لي الشرف ... » فانا لم اقصد بها التحدي او الاهانة . لكن قل لي لماذا لا يعيش العرب واليهود في الشرق الاوسط بسلام؟

قلت ــ لان اليهود لا يريدون السلام . لقد اقبلوا من جميع انحاء العالم واحتلوا فلسطين بقوة سلاح الدول الكبرى وطردوا منها اهلها العرب . طردوهم من بيوتهم وحقولهم وحوانيتهم ثم طلبوا الينا ان نوقع وثيقة استسلام ، هل هذا مقبول او معقول ؟

اسمع لقد كان اليهود مضطهدين في جميع انحاء العالم على ايدي جميع الشعوب الا في البلاد العربية حيث كانوا دائما يتمتعون بسكانة محترمة ومركز لائق حيث اكثرية الشعب العربي من المسلمين الذين يحترمون اليهود ويعتبرونهم اهل ذمة وكتاب ويؤمنون بانبيائكم . كما اننا واياكم من شعب واحد هو الشعب الارامي اذ يقول جدنا وجدكم ابراهيم ابو اسماعيل واسحق : « ارامياً جئت من اور الكلدانيين » .

لقد كان كبير مستشاري النبي العربي رجلا يهوديا هو كعب الاحبار .

وكان اليهود متعاونين اعظم التعاون مع العرب في الاندلس . لدرجة ان الحكومات الاسبانية منذ خروج العرب من اسبانيا الى اليوم حرمت على اليهود دخول بلادها بسبب الخدمات التي كانوا يؤدونها للحكم العربي فيها .

وبعد وعد بلفور وقبله ، الى يوم تأزم الحالة في فلسطين بعد الحرب الثانية، كان اليهود في البلاد العربية ينعمون بالراحة والسلام وبامتيازات جسة لا تنعم بها اية اقلية دينية او قومية اخرى سواهم . وذلك بسبب روح التسامح التي تتحلى بها نحن العرب وبسبب ما تتحلى به الاقليات اليهودية من انضباط وخضوع القانون وميل للثقافة والعمل المنتج .

واليوم ، لو ان اليهود الذين ذهبوا الى فلسطين وعددهم للان لم يزد على مليونين ونصف المليون نسمة ، اقول لو انهم ذهبوا كمهاجرين عاديين واستوطنوا

لقاء في واشنطن

بقلم : ر. و.

قرأت المقال الافتتاحي لجريدة العمل في ١٩ ــ ١ ــ ١٩٧٣ عن اقتراح الشيخ بيير الجميل بمخاطبة العرب للعقل اليهودي في العالم • وقد اعجبت بالفكرة • وذلك لاني جربت مثل هذا النوع من الخطاب عندما كنت في الولايات المتحدة • واليك هذه الحادثة :

كان ذلك في مطار دالاس في واشنطن ، وصادفت شابا في الثلاثينات له شاربان ولحية شقراء ، ويجلس قبالتي على الطاولة في الكافتيريا ، فشككت في امر اللحية • فحدثته • فاستشرق (بدل استغرب) لهجتي الانكليزية وسألني عن موطني فقلت من لبنان •

قال : اين يقع ؟

قلت ــ في الشرق الاوسط • ملاصقا للحدود الشمالية لفلسطين ــ لا اذكر الاسم الاخر •

قال ــ لماذا لا تذكره ؟ (وقد عرف كلانا غريمه) •

قلت ــ لانه اسم منتحل ، غير حقيقي •

قال ــ ماذا كانت تدعى ايران في السابق ؟

قلت ــ الفرس او العجم •

قال ــ واصبح اسمها ايران بعد ان قرر شعبها تغيير الاسم •

قلت ــ لكن شعب فلسطين لم يقرر تغيير اسم بلاده اعتقد انك يهودي ؟

قال ــ لي الشرف في ذلك • لكني لست صهيونيا •

قلت ــ وانا عربي من لبنان • لا اقول لي الشرف بكوني عربيا لانني لم اخير في ذلك ولم افعل شيئا في هذا السبيل • اني عربي بكل بساطة ، ثم ان

رسالة من مقيم الى مهاجر

بقلم : جرجي ابراهيم نصر

ان السواد الاعظم من اللبنانيين ، عصفت بهم رياح الهجـرة ، وطوحت بهم الاقدار ، وابعدتهم عن أهلهم ، بعد ان تفرقوا في بقاع العالم ، وانـتشروا تحت كل كوكب ، وتغلغلوا في زوايا الارض •

وهذه قصة فتى ساقته ظروف الحياة ، شطر ديار الاغتراب ، تاركـا أمـا وشقيقات ، يبكين على فراقه ، وينحبن على بعاده ، وقد طالت غيبته عنهن ، فبرح بهن الشوق ، وامضهن الحنين • فأخذن يتوسلن اليـه للعودة ، بعـد ان قربت شمس أمه من الافول ، وهو يعللهن بالآمال والوعود •

وقد أهاجت هذه الحادثة عواطفي ، وصعدت زفراتي ، وأسالت عبراتـي • فبعثت اليه برسالة ضمنتها الشوق والحنين والذكريات ، متمنيا عليه العودة الـى وطن السحر والجمال ، كان لها الاثر العميق في نفسه ، مما دفع به للرجوع الـى بلاده • وكان لقاء ما بعده من فراق • وفي ما يلي الرسالة والابيات التي جاد بهـا الخاطـر •

أيها المواطن الكريم

ما أمر الفراق على القلوب ، وأقسى الغربة على النازح المشرد ، عـن وطنه وعن أهله • فللنازح البعيد ، وجيب في كل قلب ، وأنة من كل صدر •

لقد اصبحنا بعد طول النوى في أسى دائم ، ولوعة باقية • لقد تركت والدة ولهى ، وشقيقات أمض بهن الحنين الى اجتلاء طلعتك بعد طول غيابك ، لقد وقفن حاسرات بعيدات عن عينيك ، قريبات من قلبـك ، يبعثن اليـك بأرق العواطف وابقى الذكريات ، راجيات معللات النفس بقرب عودتك •

وما صبابة مشتاق على أمـل الى لقاء كمشتاق بـلا أمـل

فلعل وميضا من رأفة ، وبقايا من حنان ، ونبيلا مـن عاطفة ، تدعوك الـى

البلاد العربية ، في اي بقعة منها ، متفرقين ، ومعهم علمهم ورأس مالهم والمستوى الحضاري الذي اكتسبوه في اوروبا واميركا . ووظفوا كل ذلك في الامة العربية بالتعاون مع الشعب العربي مستغلين واياانا خيرات ارضنا البكر والتي لا تنضب لكانوا اقاموا بيننا على الرحب والسعة . كما كان يقيم اليهود العرب قبل قيام الازمة الفلسطينية . ولكان باستطاعة البلاد العربية ان تستوعب جميع يهود العالم (١٥ مليون نسمة) ونبقى بحاجة الى مزيد من الناس . كما ان ١٥ مليون يهودي يظلون اقلية في هذا البحر الزاخر من العرب . فلا نشعر نحن بالحيف والغبن ولا تشعرون انتم بالكراهية والعداء والخوف الدائم .

لكنكم فضلتم الطريق الوعر ، واني اشفق عليكم لانكم ضحايا البنوك والدول الكبرى في اوروبا واميركا . لقد وظفوكم لخدمة اغراضهم ومطامعهم في ثروات بلادنا . وجعلوا منكم مستخدمين في شركة استشارية شبيهة بشركة « الهند الشرقية » التي انشأتها الاحتكارات الانكليزية في السابق واستعمرت الهند بواسطتها . وانتم اليوم هكذا : موظفون بدون رواتب عند الدول الكبرى التي لها مطامع في بلادنا وثرواتنا ، ومتطوعون تهرقون دماءكم لتزيدوا الذهب في صناديقهم .

وسوف يأتي يوم يرفضكم فيه جميع العالم ويطردونكم من بيوتكم ويقتلونكم في الشوارع والطرقات . والشعب الوحيد الذي كان لا يزال يحمل لكم قدرا كبيرا من العطف والاحترام ــ وهو الشعب العربي ــ وفرضتم انفسكم اعداء له وجلادين ، سوف يغمد خنجره فيكم ايضا ، لانه بعدائكم له فقدتم آخر امل لكم في الارض .

وقبل ان اصل الى هذه النهاية كنت ارى ملامح محدثي تتغير ثم سألني بلهفة عن اسمي وعنواني ليكتب لي فيما بعد . فرفضت اعطاءه ما اراد . ثم عرفني بنفسه . وبانه مهندس اليكتروني مسافر الى اليابان .

وما لبثنا الا قليلا حتى نادى المنادي على ركاب الطائرة المتوجهة الى اليابان فودعني الرجل اليهودي وانصرف .

ر. و.

تطور مفهوم الجريمة والعقاب

من قلم: روكس العزيزي

- ٢ -

السجن

وجد المجتمع ، فوجدت معه الحضارة ، وكان لا بد من الانظمة والقوانين التي تتعقب الجريمة والمجرمين ، وتتيجة لذلك وجد السجن ، واذا نظرنا الى السجن من خلال الترتيب الجزائي وجدنا ان اغراض السجن تنحصر في ثلاثة :

١ ــ حراسة السجين والمحافظة عليه •

٢ ــ احتجاز السجين الى ان تقول العدالة كلمتها بحقه •

٣ ــ الاصلاح •

فقد اعتبرت مجموعة يوستنيان ــ في القانون الروماني ــ اعتبرت السجن مؤسسة للاحتجاز وليست للعقوبة •

وقد سارت الدول التي اتبعت القانون الروماني على المبادىء نفسها ، فلم تعتبر السجن عقوبة ، وظلت الفكرة مسيطرة على العالم الذي نهج نهج الرومانيين مدة الف سنة •

وجاءت المحكمة العليا في بريطانيا ، وقررت ان السجن هو مؤسسة يقصد منها الوصول الى اهداف ، وليس السجن غاية بحد ذاته •

لذلك ، ظلت السجون طيلة القرون الوسطى تعتبر مؤسسات للاحتفاظ بالسجناء الى ان تتم محاكمتهم ، هذا بالنسبة الى حراسة السجين والمحافظة عليه•



اما بالنسبة الى الغرض الثاني ، الذي هو احتجاز السجين فقد اضيف الى اهداف السجن لما اصبحت مصادرة الملكية جزاء من العقوبة ، واصبح

العودة ، وتدفعك الى حلاوة اللقاء ، بعد مرارة الغيبة وطول الفراق •

عودا الـــى وطـن النسور مهـد المسـرة والحبـور
وطـن الطبيعـة والجمـال ومجتلـى الجفـن القريـر
والزهـر يطفـح وجهــه بسنـى الجداول والغديـر
والشمــس تبعـث نورهـا مـن خلف موجات الاثـير
حيـث الظبـاء النافـرات وحيـث تغريـد الطيـور
والارز والجبــل الاشـم وحيـث انـواع الزهـور
هـذا هـو لبنـان فــي مـا فيـه مـن عين وحـور

بكاسين ـ لبنان جرجي ابراهيم نصر

وبالتالي فان (بكاريا) خلص من دراسته الى تنيجة لا مفر منها وهي ، ان عقوبة الاعدام ، ليست فقط تدبيرا خاطئا وانما هي تدبير فاشل لا فائدة منه في الوقت نفسه •

وقد قام السير (وليم بلاكستون) بالدفاع عن مبدأ اصلاح السجون لان السجون قبل ذلك كانت مباءات لانشاء الجريمة ، او مساعدة على تأصيلها في النفوس • وطالب بالتعقل في استعمال عقوبة الاعدام •

لكن في نهاية القرن الثامن عشر ، كانت الجرائم الكبرى قد ازدادت بنسبة ٢٠٠٪ الى ما كانت عليه في القرن السادس عشر والسابع عشر •

ولما كانت حالة السجون في تلك الفترة قد بلغت من السوء حدا اثار الضمير العالمي قام (هوارد) ** بوضع دراسة حاول فيها اثبات فاعلية السجن كأداة للعقاب ، فنادى (بكاريا) بضرورة جعل السجون صحية ، وآمنة ، وان السجان يجب ان يكون خادما للعدالة ، ومن اجل ازالة التدمير المادي والمعنوي الذي كان يلحق بالسجناء في تلك الزرائب ، التي يزج بها الذين ساء حظهم ، طالب بايجاد غرف في السجون ، وانه يجب ان يقوم السجين بعمل ، في مشاغل صحية ويحافظ على شعائر دينه ، ايقاظا لضميره ، ليعود الى المجتمع انسانا سوي الانسانية •



كان هذا في اواخر القرن الثامن عشر وعلى التحديد سنة ١٧٧٧ ، اما في البلاد العربية فقد قام الامام (علي بن ابي طالب) (ع) في فجر الاسلام ، ينادي بضرورة الاحتفاظ بانسانية السجين وبكرامته ، وطالب ونفذ ما طالب به ، وقلده

** جون هوارد هو رجل بريطاني ، انساني النزعة ، ومصلح للسجون ، ولد في هنكي في لندن، ربما في ٢ ايلول ، ورث عن ابيه املاكا طائلة ، وقد قرر الرحلة وفي طريقه الى البرتغال سنة ١٧٥٤ نهب قرصان فرنسي مركبه الى مدينة برنس وعومل اخشن معاملة وحشية وقد سمح له ان يعود الى بريطانيا لقاء فدية وعد بشرفه ان يسددها , دخل عضوا في الجمعية الملكية سنة ١٧٥٦ صار الشريف الاعلى لبدفورد واخذ يزور السجون فوجد السجون في بلاده ككل السجون في ذلك الزمان ، رديئة بشكل رهيب ، وكان السجان ومعاونوه يتقاضون خوة من السجناء ، وبلاحظ ان هناك مساجين بلا سبب ، وسبب اطالة سجنهم انهم غير قادرين على دفع المال الذي يطلبه السجان منهم فطالب باعطاء راتب للسجان فتحدوه ان يجد بلادا تدفع اجورا للسجان فلم يجد وفي سنة ١٧٧٤ اعطى شهادة امام لجنة من البرلمان سن بموجبها قانون يصرف بموجبه راتب للسجان .

بالامكان ، احتجاز السجين الى ان يدفع الغرامة او التعويض المفروض عليه . وما يزال لهذا الغرض مفعوله في بريطانيا . حيث يخلى سبيل الاشخاص الذين تم حبسهم لعدم دفع الغرامات المترتبة عليهم او الديون المطلوبة منهم . اجل يخلى سبيلهم عند تأدية ما يطلب منهم سواء كان غرامة او دينا .

★ ★ ★

كما يخلى سبيل من حقر المحكمة اذا قام بالتكفير عن زلته . والجدير بالملاحظة ، ان قانون الاجراء الاردني ، لا يستثني هذا الهدف من اهداف السجن ، حيث اقر مبدأ السجن التضييقي لاجبار المدين المقتدر على دفع الديون المستحقة عليه .

وللدائن الحق ، في طلب الافراج عن مدينه المحبوس ، في حالة دفعه للدين كاملا او في حالة قبول الدائن مبدأ التسوية ؛ اي دفع الدين اقساطا .

★ ★ ★

كما ان الغرض الاول الذي هو الحراسة والمحافظة على السجين يعتبرها المشرع الاردني هدفا من اهداف مؤسسة السجن . اذ يحتفظ في داخل السجن، او في قسم منه بالموقوفين انتظارا لانتهاء محاكمتهم وليس بخاف ان الاحتفاظ بالموقوف المتهم بجريمة قتل ، فيه مصلحة للمتهم نفسه وللمجتمع ، لان ايداعه السجن محافظة على حياته من طالبي الثأر . من اهل القتيل ، ومن الناحية الثانية، يحال بينه وبين التأثير في مجرى التحقيق والمحاكمة .

اما الغرض الاصلاحي ، فقد اضيف الى اهداف السجن ، عندما اصبحت مصادرة الملكية جزءا من العقاب ، ولا يزال هذا الهدف مرعي الجانب الى الان في بريطانيا ، كما اشرنا الى ذلك قبيل هذا .

★ ★ ★

وكانت دراسة (بكاريا) BACCARIA عن الجريمة والعقاب ، هي حجر الزاوية في العلم الجنائي ، حيث ان دراسته كانت ترتكز على المبدأ القائل :

« ان مؤيد العقوبة القانونية ، هو حماية المجتمع ، ومنع الجريمة » .

وظل الحال يسير على ما رسم له الارتجال ، الى ان جاء (جرمي بنثم) الذي حاول ان يجعل افكار (بكاريا) و (هوارد) واقعا عمليا ، فنجح في ابتداء عمله، باقامة اولسجن تنتفي عنه صورة الارهاق في العمل الشاق • وتظهر فيـه مكانها صورة لما ينتجه العمل •

لكن يبدو ان البشرية لا تقبل الافكار الانسانية بسهولة ، عـلى الرغم من لمسها النتائج الطيبة باليد ، فاستغني عن فكرة (جرمي بنثم) في سنـة ١٨١٦ • وبقيت حالة السجون في هذه الفترة وكل القرن التاسع عشر تتأرجح بين نظريـة (هوارد) و (بكاريا) و (جرمي بنثم) و (فراي) المجـددة المصلحـة ، وبين الافكار التقليدية ، التي ترى ان السجين مخلوق لا يستحق الا ان يصب عليـه سوط عذاب ، هو وكل الذين هو مسؤول عن اعالتهم . غير ناظر اصحاب هـذه الافكار الى النتائج الاجتماعية الخطرة التي تترتب على افكارهم واعمالهم تلك •



الى ان جاء القرن العشرون ، حيث تطورت الافكار المحافظـة التقليديـة ، وحلت محلها فكرة متطورة انسانية ، تدعو الى رعايـة الانسان ومحاولة تجنيبه الظروف التي تقوده الى الجريمة . فانخفض عدد الجرائم التـي تستوجب عقوبة الاعدام ، وحصرت في :

أ ـ الخيانـة العظمى •

ب ـ والقتل الذي تصحبه كل اركان الجرائم الكبرى وعناصرها •

ج ـ والقرصنـة •

د ـ واحراق الموانىء •



وبذلك نرى ان مؤسسة السجن لاهدافهـا المعروفة في ايامنـا ، لـم تظهر بشكلها الصحيح ، الا بعد الحرب الكونية الاولى •

اما بالنسبة الى القرن التاسع عشر ، من اولـه الـى اخره ، فان مؤسسة السجن لم تكن تعتبر مؤسسة قانونا •

خصومه ، اذ فرض للسجين نظافة المكان ونظافة الجسم وكسوة في الصيف وكسوة في الشتاء ومساعدة اسرته ، لانها لم تشركه في الجريمة ، وفرض للسجين مالا يحتفظ بجزء منه يوم خروجه ، من السجن ليمكنه من رد اعتباره الاجتماعي، لانه اعتبر السجين اخا لنا مرض ، ومن واجبنا علاجه • (١)

لقد تبنت القوانين البارزة في اواخر القرن الثامن عشر ، نظرية (هوارد) لكن عددا من القضاة تابع حكومته ، وطالبها بما ذكرته القوانين لبناء السجون وتحويلها من زرائب لا يليق ان تأوي اليها الخنافس ، الى اماكن تشعر من يحل فيها ، انه لم يطلق انسانيته الى الابد •



ومع ابتداء القرن التاسع عشر ، وازدياد الجرائم ، زاد عدد السجون الصحية وفي اواخر العقد الثاني من القرن التاسع عشر قامت (اليزيبث فراي) بتأليف جمعيات نسائية لتثبيت نظرية (هورد) وتأكيد امكانية اصلاح المجرمين، واعادتهم الى المجتمع اعضاء يصلحون لممارسة نشاطاتهم الخيرة فيه •



وفي ما بين سنة ١٧٧٥ وسنة ١٧٨٧ كانت العقوبات التي لا تستوجب الاعدام ، يعاقب عليها بالنفي عن الاوطان ، فكانت تقوم الدول الاوروبية ــ وعلى الاخص بريطانية ــ بتصدير الجانحين الى الديار الاميركية ، لكن اميركة سدت الطريق في وجه هذه الدول بعد ثورتها المعروفة ، ولم تعد تسمح للدول الاوروبية ــ وعلى رأسها بريطانية ــ ان تجعل من بلادها مستودعا للمجرمين والجانحين •

فتحولت الحكومة البريطانية الى استراليا ترسلهم اليها ، وكانت عقوبة النفي مصحوبة بالاشغال الشاقة بمعناها الواسع ، ومفهومها الدقيق •



---

١ ـ كتاب الخراج طبعة المطبعة السلفية ص ١٤٩ ـ ١٥٠ وقد عرضت علي طبعة بولاق المطبوعة سنة ١٣٠٢ اعتمدت مخطوطة الجزائر التيمورية رقم ٦٧٤ .

٢ ـ كلمة للعزيزي في ذكرى مولد الامام علي منشورة في مجلة الايمان .

وليس يخاف انه قد ازداد عدد السجناء والمجرمين ، بحيث تضاعف عدد السجناء عما كان عليه قبل الحرب الكونية الثانية •

فادخل في السجن وسائل ترفيه ، ومعاهد تدريب مهني وعلمي ، وقامت وزارات التربية والتعليم في بعض الدول بادخال برامج تعليمية في السجن •



ان اغلب الدول الاوروبية قد تبنت النظريات التقدمية الخاصة بتطوير السجون لكن دولا من اعضاء هيئة الامم ما زالت سجونها من الناحية العملية زرائب ، ووسائل تدمير جسماني ونفسي ، تخرج ناقمين على المجتمع الانساني منحرفين اخلاقيا ، وكثيرا ما يخرجون من سجونهم ومعتقلاتهم اشباه مجانين •

وما زال الحبس الافرادي متبعا في بعض الدول • ذاك السجن الذي فرضه الخليفة عمر بن الخطاب على المجرم المشهور (عارم) وعرف في التاريخ بسجين (عارم) ونحن ندعوه الزنزانة •



وما زالت بعض السجون في البلاد العربية تعيش في ابنيتها ، وفي القائمين عليها ، في عهود ما قبل الاصلاح الذي عرفته الدنيا واقرته • فامست تلك السجون من اهم الوسائل لهدم انسانية السجين وكرامته وكأن المسؤولية في تلك الديار من اهل الكهف ، وكأن تلك البلاد تنتظر عودة (الامام علي) (ع) من جديد ، او تتوقع (بكاريا) و (جرمي بنثم) جديدين ، ليوجهوا انتباه هذه الدول الى ان القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر قد وليا الى غير رجعة • وان السجين ، امانة في عنق الانسانية وانه اخ لنا مرض يجب علاجه •



ولا بد من الاعتراف ان تطوير السجن بموجب القانون لا يكفي ، ان لم يكن السجانون من ذوي الاختصاص والضمائر الحية ، فاصلاح السجن لا تتوقف عند بناء المراحيض ، ولا عند تنظيف السجن ولا عند تقديم السرير للسجين ، والعناية بطعامه وشرابه ، بل يجب ان يكون الاصلاح اعمق من ذلك •



وتوالت الاصلاحات على انظمة السجون الاصلاحية ، وقد ثبتت المبادىء الاصلاحية التي تعتبر السجن مؤسسة تقود خطى السجين الى الحرية ، والى العود به الى الحياة الكريمة ، قوانين اسوج وايطالية واليونان ، التي نصت على ان السجن مؤسسة اصلاح لزواره ، لا مركز تدمير لشخصياتهم المعنوية .



وقد عقدت مؤتمرات عديدة ، غرضها اصلاح السجون في (لندن) و (براغ) و (برلين) ما بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٥ ، فخرجت هذه المؤتمرات بقواعد ثابتة توحي بمستوى ادنى لمعاملة السجناء وقد كان مجرد التوصية بذلك نصرا للانسانية كبيرا . وقد تبنت عصبة الامم تلك القواعد والتوصيات . وقامت الرابطة الدولية للجزاء والمعاقبة سنة ١٩٤٦ ، باعادة النظر في القواعد الاساسية التي تبنتها عصبة الامم .



وقد تبنى المؤتمر الدولي الذي عقد في (هيج) سنة ١٩٥٠ تبني تلك المبادىء وقامت هيئة الامم المتحدة بمتابعة هذه الحركة ، فتم لها تطوير السجون بعد مؤتمر (جنيف) سنة ١٩٥٥ حيث وافقت معظم الدول على اعتبار الغرض الاساسي من السجن هو الاصلاح ، مع دراسة فردية لحالة كل سجين واخلاقه واحتياجاته على انفراد .



وسبق مؤتمر (جنيف) مؤتمر (بروكسل) سنة ١٩٥٠ قامت فيه هيئة الامم بدراسة تطوير المسؤولين عن السجن وموظفي السجون ، بحيث اصبح السجن يضم نفسانيين ، وعاملين اجتماعيين ومدرسين ومدربين مهنيين ، وتأكدت القاعدة في هذا المؤتمر . للانتقاء العقلي في تصنيف السجناء علميا ومهنيا وقد اعتبر مبدأ السجن المفتوح ، الذي تم تطويره في الولايات المتحدة ، بالاشتراك مع بريطانية والدول الاسكندنافية ، اعتبر مساهمة فعالة في اعادة الاعتبار الاجتماعي للسجين ، وازداد استخدام علم النفس لتحليل حالة السجناء .



وفي البرازيل يستغني السجناء عن الرقابة فيقوم بينهم مــن يحاكم المخالفين من السجناء ، ويرعاهم وليس للسجان الا تنفيذ ما يأمر به القانون ، وليس بعيدا ان يسمح للسجناء بالمساعدة في حالة يشب فيها حريق بالقرب من سجنهم ومن ثم يعودون الى السجن •

كما ان هناك مطالبات بالسماح للنساء ان يــزرن ازواجهــن المساجين في خلوات خاصة في اوقات معلومات من الشهر صونا لهن من الانحراف وصونا لهم من الالتواء العاطفي والجنسي ، كما ان هناك الاطباء مختصين لفحص السجناء ، كلا في دائرة اختصاصه ، لفرز ذوي الامراض العقلية الذين تأصلت فيهم الجريمة مرضيا عن بقية المساجين ، وهذا يحمي المجتمع من جرائم الذين اصبحت الجريمة طبيعة فيهم ، فاذا شملهم العفو يظلون تحت المراقبة الشديدة •

واذا انتقلنا الى الاعلان العالمي لحقوق الانسان رأينــا المادة الخامسة مــن هذا الاعلان العظيم تقول :

لا ينزل التعذيب باحد ، ولا يعامل احد او يعاقب بشكل شرس او وحشي او محط بالكرامة •

والمادة التاسعة تقول : لا توضع اليد على احد ولا يعتقل ولا ينفى تعسفا•

والمادة العاشرة تقول : لكل انسان الحق ، على قدم المساواة التامــة في ان ينظر في قضيته بانصاف وبعلانية ، محكمة طليقة الرأي ، نزيهة الغرض ، فتــقطع في الحقوق التي له ، والواجبات التي عليه ، وفي صحة اية تهمة جنائية يرمى بها •

والمادة الحادية عشرة تنص على ما يلي :

١ ــ لكل متهم بجرم الحق في ان تفرض براءته حتى يثبت جرمه قانونا في محاكمة علنية تؤمن له فيها جميع الضمانات الضرورية للمدافعة عن نفسه •

٢ ــ لا يدان احد في عمل قام به او امتنع عنه ما لم يكن ذلك ، عند حصوله جرما في عرف القانون الوطني او الدولي ، لذلك لا يحكم على احد بعقوبة اشد من التي كانت تنطبق عليه عند حصول الجرم •

المادة الثانية عشرة : لا تجوز المداخلة تعسفا في حياة احد الخاصة ولا فــي

فتجب دراسة السجناء كلا على انفراد ، ويجب ان يحدد السجناء بمجموعات ، يحافظ على هذه المجموعات فئات مستقلة عن غيرها ، ومعاملة كل فئة معاملة خاصة مناسبة لاستعدادها الجسمي والعقلي • لان وضع حدث استعمل سيارة غيره ليذهب بها نزهة قصيرة ثم اعادها مع محكوم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة نتيجة لارتكابه عشرات الجرائم التي وحدت في حكم واحد ، ان وضع هذا الحدث في تلك الزريبة يؤدي احدى نتيجتين عكسيتين :

أ ـ احداها ، افساد هذا الحدث وتدميره تدميرا نهائيا تاما ، في روحه وفي جسمه وجعله زميلا مجرما مدى الحياة •

ب ـ والثانية ، ـ وهي نتيجة مشكوك فيها كثيرا ـ اصلاحه ، بسبب تقززه من المجرمين المحترفين ، والنتيجة الاولى هي الاكثر احتمالا •

وهذا الاسلوب يذكرنا باسلوب الحجاج ، الذي اشاع الفساد والذلة في نفس سجنائه وزرع الجريمة في دماء الذين نجوا من القتل بيده وبيد زبانيته او الموت صبرا •

اذ كان يسجن النساء والرجال في سجن واحدة ليذل المرأة التي تنجو من الموت ، ويحولها على الرغم منها بغيا •

فلنحاول اصلاح سجوننا على اعتبار ان السجناء اخوان لنا مرضوا لان الخبرة دلت على ان المعالجة العقابية المبنية على اساس الايذاء والاذلال والاحتقار ، لم تحسن سلوك السجناء وعلى النقيض فانها جعلتهم اسوأ مما كانوا قبل ان تشتمل عليهم جدران السجن •

والحقيقة التي لا بد من التصريح بها ، هي ان ما وصلت اليه الانسانية في ادوارها لا يعدل التقدم الذي وصلت اليه في الاثنين والسبعين سنة الاخيرة ولا سيما في اقرار الاعلان العالمي لحقوق الانسان اذ ان الغرب اخذ ينظر الى السجن والسجناء نظرة فيها كثير من التطور الانساني ، فقد دخلت وسائل الترفيه والتعليم والنظافة والاشراف الصحي الى السجون بدرجة مذهلة ، وقد اخذ القضاة في الولايات المتحدة يقسطون السجن على السجناء العاديين بحيث لا يتعارض السجن مع طريقة اكتساب عيشهم •

دفع المال الذي يطلبه منهم السجان ، فطالب (جون هوارد) ان يعطـي السجان راتبا ، فسخر منه اصحاب السلطة ، وتحدوه ان يجد بلادا تدفع اجورا للسجانين فلم يجد وفي سنة ١٧٧٤ ادى شهادة في حضرة لجنة من البرلمان سن قانون تـقرر سوجبه صرف راتب للسجان •

س ٣ ــ من كان وليم بلاكستون ؟

وليم بلاكستون رجل بريطاني الجنسية ولد في ١٠ تموز سنة ١٧٢٣ وتوفي في ١٤ شباط سنة ١٧٨٠ ، توفي والده قبل ان يرى النور ، ولمـا بلـغ الخامسة عشرة دخل اوكسفورد فنال شهادة الحقوق بمرتبة شرف ، فلمـا اراد ان يمارس المحاماة اخفق ، محاميا فتابع دراسة الحقوق فنال الدكتوراه في الحقوق واصبح استاذا للحقوق في الجامعة التي تخرج منها •

الف كتابه البارع (التعليقات) فاشتهر بسببه جدا في كل الدنيا ــ الا فـي بريطانيا ــ وكان كتابه هذا اصلا لكل القوانين في اميركة •

تزوج وعمره ثمان وثلاثون سنة ، عين مسؤولا عـن المطبعـة في اكسفورد فحسنها ، عين قاضيا فمستشارا حقوقيا للملكة اليزابيث سنة ١٧٦٣ ، منـح لقب سير • درس :

١ ــ الادب •

٢ ــ الهندسة : هندسة الريازة وكتب اطروحتها لكنـه بعـد نيـل شهادة الهندسة تحول الى الحقوق لانه رأى في الحقوق خدمة عامة •

تسلم عدة مناصب عالية في جامعات كثيرة استاذا للحقوق •

يذكر جرمي بنثم ان بلاكستون كان دقيقا جدا ، ويتهكم على دقـته قائلا ، ان احد طلابه جاء مرة متأخرا فعنفه بلاكستون ، ثم اندفع نحوه ليمسكه ، فهرب الطالب من وجهه واخذ بلاكستون يدور خلفه ، فغافل بلاكستون وجلس في مكان لم يستطع بلاكستون ان يميزه فيه من بقية الطلاب، ولشدة نقمته على هذا الطالب مزق اوراق الامتحان ، وارغم الطلاب كلهم علـى اعادة الامتحان انتـقاما مـن الطالب المتأخر •

قال جرمي بنثم على بلاكستون « ان كتابه التعليقات كـان توراة المحامين ،

امر عائلته ، او بيته او مراسلاته ، ولا يجوز التهجم علـى شرفه وسمعته ، ولكل انسان الحق في ان يحميه القانون من مثل تلك المداخلة او هذا التهجم •

والمادة السادسة عشرة تقول :

١ ـ للرجل والمرأة وقد اوفيا على البلوغ ، الحق في ان يقـترنا في الزواج وان ينشأ لهما عيلة دون ان يقيد من هذا الحق اي قيد يمت الـى العـرق او الجنسية او الدين ولها الحق في اقامة الزواج او في مدة قيامـه ، وعنـد اقطاعة حقوقهما بها على حد سواء •

٢ ـ لا يعقد الزواج الا بقبول حر تام من طالبيه •

هذه لمحات اردت ان اثير فيها افكارا وخواطر لعلها تجلـو جوانب تطـور مفهوم الجريمة والعقاب •

اسئلـة بعـد المحاضرة

س ١ ـ من كان بكاريا وما جنسيته وفي اي زمن عاش ؟

هو (سيزار بكاريا) ايطالي الجنسية ، ينتمي الى اسرة نبيلة من (ميلانو) ولد في ١٥ آذار سنة ١٧٣٨ وتوفي سنة ١٧٩٤ ، قـرأ مؤلفـات (مونتسكيو) الفرنسي ، فاوحت اليه فكرة الاصلاح الذي ينطبق على العدالة •

كان متخصصا بعلم الجرائم وعلمالاقتصاد نشر كتابه الحقوقي سنة ١٧٦٤ •

س ٢ ـ من هو (هوارد) ؟

جون (هوارد) بريطاني الجنسية ولد في (هنكي) بلندن سنة ١٧٢٦ وتوفي سنة ١٧٩٠ كان انساني النزعة ومصلحا للسجون ورث عن ابيه املاكا طائلة ، وقد قرر الرحلة ، وفي طريقه الى البرتغال نهب قرصان فرنسي مركبه وابحر بـه الـى مدينة برنس الفرنسية وعومل هناك اخشن معاملة وحشية • وقـد سمح لـه ان يعود الى بريطانيا لقاء فدية وعد بشرفه ان يؤديهـا • انـتخب عضوا في الجمعية الملكية سنة ١٧٥٦ وصار الشريف الاعلى لـ (بدفورد) سنة ١٩٥٧ واخـذ يزور السجون في ذلك الزمن ، فوجد السجون في بلاده ككل السجون في ذلك الزمن، رديئة بشكل رهيب ، لان السجان ومعاونيه كانوا يتقاضون من السجناء خوة ، ولاحظ ان هناك مساجين بلا سبب ، وقد طالت مدة سجنهم لانهم غير قادرين على

٤ ـ فرضت ان يعين من السجينات مشرفة ترافقهن لمقابلات الاصدقاء والتأكد من توفير متطلبات السجن •

٥ ـ فرضت تقسيم النساء الى صفوف لا يزيد عدد كل صف على اثنتي عشرة سجينة يعين لكل صف عريفه •

٦ ـ تكون العريفة او العريف احسن السجناء خلقا في ذلك الصف او المجموعة ، واذا خالفت العريفة او العريف النظام فصلا من العرافة ويجب ان يعرف العريف والعريفة القراءة والكتابة •

٧ ـ العرفاء مسؤولون عن التصرفات للسجناء في صفوفهم وعليهم اخبار العرفاء الاخرين عن اي تصرف غير لائق من الصفوف الاخرى •

٨ ـ اي عريف يخالف الاوامر يعفى من منصبه ويعين من يليه في الثقة •

٩ ـ يتأكد العرفاء من نظافة ايدي ووجوه السجينات عند مجيئهن الى العسل •

١٠ ـ يقرع الجرس للصلاة في التاسعة صباحا ويقرأ الكتاب المقدس من قبل مديرة السجن او احد الزائرين •

١١ ـ في الساعة السادسة مساء تجمع السجينات للصلاة مرة اخرى •

١٢ ـ مديرة السجن تحتفظ بسجل لاعمال السجينات وسلوكهن •

بمساعيها حولت سجن نيوجيت الى سجن مثالي •

وتدخلت الى ان تمكنت من تعيين طبيب لكي تعينه لسجن السجناء الى استراليا للتأكد ان السجناء يتناولون الطعام الكافي •

وكانت قد شكلت جمعية من نساء المجتمع للعمل على تحسين حالة السجينات وجلب الطعام والكساء لهن وكانت النساء قد جمعت في سنة ١٨٢٨ مبلغ ٢٠٠٠ جنيه صرفت على السجينات قبل ان تعين الحكومة بدل اتعاب للسجينات •

س ٥ ـ من كان جرمي بنثم ؟

لكنه كان يشتري ولا يقرأ كالتوراة التي لا يخلو منها بيت » •

قال جرمي بنثم الناقد المر ان بلاكستون ما كان يتذبذب او يتلون ، وهو اول من جعل القانون ينطق بكلام العلماء المهذبين ، واكسب علم القانون شكلا وجاذبية ، وطهر القانون من غبار الرتابة المكتبية ، والبس القانون مظهرا لائقا !

س ٤ — من هي اليزابيث فراي ؟

هي بريطانية الجنسية ولدت سنة ١٧٨٠ وتوفيت سنة ١٨٤٥ ، قضت عمرها وهي تسعى الى تحسين حياة السجناء ، وخاصة سجن (نيوجيت) للنساء قامت بتعليم السجناء ، وكانت تقرأ لهم التوراة •

كانت تؤمن ان الدين هو السبيل الى اصلاح السجناء وتغيير طباعهم •

كانت اما لاثني عشر طفلا في اسرة (جيرني) وكانت اسرة ناجحة كان اخواها (سامبول) و (دانيال) من الاثرياء ، وكانا يشتغلان في اعمال البنوك ، وهما المؤسسان لبنك باركليز •

ابتدأت بزيارة سجن (نيوجيت) في سنة ١٨١٧ وهي في السابعة والثلاثين من العمر ، بعد ان وضعت الحرب النابوليونية اوزارها مباشرة ، لان الجرائم زادت والسجون امتلأت وهذا امر طبيعي بعد كل حرب ، فلم تكن السجون كافية لاستيعاب السجناء ، وكانت معاملتهم رديئة اما طعامهم فلا يسكن وصف رداءته •

كان السجناء يجلدون بلا سبب يقيدون بالسلاسل وكانوا يحبسون في سجون انفرادية تحت الارض وكان الكثيرون يرسلون على سفن الى استراليا •

ولما زارت سجن (ويكفيلد) وجدت السجن المخصص لمائة وعشرة سجناء يشتمل على الف وستمائة وسجينين (١٦٠٢) من الرجال و٢٧٨ من النساء •

وضعت النظم التالية لسجون النساء فرضت :

١ — تعيين مديرة لادارة شؤون النساء •

٢ — فرضت ان تعمل السجينات في الخياطة والتطريز وغيرها من اعمال النساء •

٣ — منعت الاستجداء ، الشجار ، السباب ، والقمار ، واستعمال الالفاظ البذيئة •

مع المتنبي

الأهل والحنين

بقلم : محمد شرارة

من اي افق يطرح الشاعر نفسه في هذه المرة • ومن اي ازمة يطل على الوجود ؟ لم يخرج من المعمعة خروج الظافر • ولكنه لم يقع في الاسر ، ولا جر ذيول الهزيمة • لقد بقي نارا ، ولكنها نار يطاردها المطر ، وبقي لوحة فنية • ولكنها لوحة يجري وراءها الضباب الاسود • وقد حاول الضباب ان يلفه او يطويه تحت التراكم المتكاثف • ولكنه بقي برقا في تراكم الضباب كما بقي ناقوسا يدق في هدوء المقابر الموحشة ، وفي ظلمة الليل الذي يصب السكون على الربوع النائمة •

والناقوس الذي يدق في الربوع الغافية ناقوس ضائع يقترب رنينه من الاصوات الخافتة ، ومن اللهاث الاخير في حركة الحياة •

لقد غادر المدينة التي تفتحت فيها البراعم وضاءت الينابيع • وما كاد يغادرها وينتقل منها حتى رأى العالم فارغا والدنيا سرابا • ولكن اللحظة التي فقد فيها العالم كانت لحظة الميلاد الجديد ، او اللحظة التي تغلغلت فيها التجربة وانسابت الى الاعماق المظلمة ، والى الزوايا الخفية القابعة في ابعد الدهاليز •

كانت الرؤية الاولى رؤية الشباب الموشاة بالالوان التي تحملها فراشة الحدائق الجميلة • والشباب ربيع تتحرك فيه العواطف المختلفة كما تتحرك أسراب الطيور السكارى في الفضاء الضاحك ومن هذا الربيع كانت هذه الرؤيا :

ان اكن معجبا فعجب عجيب　　　لا يرى فوق نفسه من مزيد

وعندما تلوح النفس بهذا الحجم يتضاءل العالم ، ويتحول الى مادة رخوة خاضعة للاشكال التي يريدها الرائي •

هذه الرؤيا قائمة على الايمان المطلق بالنفس ، ومهما تكن الخلفية التي

ولد في ١٥ ــ ٢ ــ ١٧٤٨ في لندن وتوفي في ٦ ــ ٦ ــ ١٨٣٢ •

والده كان محاميا ، كان اليعقوبيون يعطفون عليه وكان جده يتعاطى بيع العقار وكان من المثرين •

دخل جرمي مدرسة وستمنسر وهو في السابعة من العمر •

ودخل جامعة اكسفورد في الثانية عشرة من عمره •

ودخل مدرسة الحقوق في الخامسة عشرة •

ودعي للبار « اي سمح له بالمرافعة » في سن الحادية والعشرين •

عند انتهائه من دراسته الحقوق لم يمارس المهنة بل بدأ دراسته لما يوجد في القانون من شوائب وفي العشرين قرر ان يوجد اسسا علمية للقانون والتشريع •

ونشر في سنة ١٧٧٦ رسالته الاولى « عجالة عن الدولة » وفي سنة ١٧٨٥ ذهب الى روسيا لزيارة اخيه الذي كان مستشارا للحكومة آنذاك لانشاء مستعمرة صناعية في اوكيراتب وكتب وهو في زيارته تلك كتابه عن الاقتصاد السياسي • وعاد الى انكلترا سنة ١٧٨٨ وكان قد ظهر كتابه PANOPTICOW او بيت التفتيش ــ اي السجن ــ وقد طالب الحكومة بانشاء ذلك لغاية سنة ١٨١١ وبالرغم من موافقة البرلمان على ذلك سنة ١٧٩٤ اهمل الاقتراح • فقام بمطالبة الحكومة عام ١٨٢٠ ــ ١٨٢١ وحصل على تعويض مقداره ٢٣٫٠٠٠ جنيه استرليني •

كان احد مؤسسي جامعة لندن وفي سنة ١٨٢٨ كتب للخديوي محمد علي ان الجدوى الاقتصادية لقناة السويس عظيمة وكان يترأس مع داتبال اوكونول عن مستقبل ايرلندة • اسس مجلة ويستشر رفيو •

بعد وفاته قام من تبع مدرسته وهم ملز ، اوستن بين ، وسلرجويك وكان مهتما في البرلمان •

عمان ــ الاردن

روكس العزيزي

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان

احد اعضاء جمعية رعاية السجناء في الاردن

الوديعتين الى الجمال الصاعد وأعادته الى البيت الجميل والسهول الخضر ، والمنازل المتواضعة .

وقد عاش الشاعر هذه الفترة بين الجمال والحكمة . ووجد في ذلك اشباعا لروحه وعواطفه وفكره ، ولذلك نجد في حياته شيئا من الطمأنينة المقرونة بالسعادة او بما يشبه السعادة ، ولا نجد في ذلك الشعر اي تلفت او ذكرى تشد صاحبه الى اهله واحبابه . فلما وقعت الواقعة بينه وبين حلب بدأ الفراغ . وبدأت ولادة جديدة وبدأ العالم يأخذ الوان الغروب وموسيقى الجنائز .

قد يكون الحزن اشد أصالة في الحياة وأبعد اعماقا من السرور لان الالم لا يزال اقوى من الامل ، والاخذ اكثر من العطاء :

ابدا تسترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا

وقد لاحظ ابن الرومي ، وهو من ارهف الشعراء حسا واقواهم التقاطا ، ان اللحظة الهانئة تحمل ، وهي تذوب في تيار الزمن ، غشاءا حزينا يغطي الوهج الاول الذي حمله اللقاء . وقد أحس لامرتين هذا الاحساس نفسه في البحيرة . وفي ضوء الحس الخائف من تلاشي الثواني السعيدة ، هتف هتاف الهلع بالافلاك وطلب منها ان توقف دورانها حتى تكون لحظة اللقاء وعاء الازلية الذي لا يعرف التلاشي والذوبان .

ولذلك كان التعبير عن الوجود الحزين من ادق الاشكال الواقعية واعمقها صدقا . انه يحمل يد الجراح في التعرية ، وعين الهدهد في الرؤية . ثم يصوغ ما يعريه ويراه صياغة امينة يلتقي فيها التاريخ بالفن ، ويتعانقان كما تتعانق الاشواق المتلاقية بعد رحيل طويل .

وحالة العذاب التي يعانيها الشاعر في هذه المرحلة هي الحالة الاصيلة . وكل ما عداها تظاهر ان لم يكن رياء واصطناعا . لقد جاء الى مصر وحاول ان يبلع آلامه ولكن الآلام كانت اكبر من الافواه . والجروح اوسع من ان تمتد لها الخيوط التي تحاول شدها في مواجهة النزيف .

في هذه الحالة كان الحنين الذي يشير الى الفراغ الكبير ، وكانت لوعة الذكرى ، وبدأت اطلالة الاهل في القصائد الجديدة :

تمدها بالشعاع فالذي لا ريب فيه انها تشير الى المصير ، وتلقي ضوءا كشافا على الغد الذي يتراءى من خلالها وكأنه القمقم الذي يتصاعد من فوهته الدخان ، وفي بعض الاحيان تنتهي القصة من البداية .. اي ان السطور الاولى تحمل النهاية وتسحبها من المستقبل البعيد الى الحاضر الراهن .

الفكرة التي ينطوي عليها البيت واضحة .. انها التعالي الى المستوى الذي يتراءى فيه الشاعر وكانه آله جالس على العرش لا شاعر يوشي الحياة بالخيوط الجميلة . وماذا ينتظر الانسان اذا ظلت تخامره مثل هذه الرؤيا ؟

شيء مهم ان تكون عظيما ، وان تكون في مركز القيادة الفكرية ولكن الاهم من ذلك ان تكون الرؤيا مشتركة بينك وبين الناس ، او ان يكون ايمان الناس بعظمتك متساويا ، ولو في الحد الادنى ، مع ايمانك بنفسك ، والا كنت كمن ينادي الصخور ، او يضرب في حديد بارد ، او يحرك الاوتاد بحنين النسيم .

نحن لا نشك في قيمة الشاعر وقدرته الفنية ومكانته الفكرية وحيويته التي صاغته صياغة فريدة في عالم الابداع الفني . وايماننا بطاقته الخلاقة في الشعر العربي يقترب من ايمان ايون بابداع هومير في الشعر اليوناني ولكننا لا نسير معه الى هذا الحد في مشاركة الرؤيا ولا نقر مثل هذه الخيلاء .

ومثل هذه الرؤيا لا تستطيع ان تفرض وجودها . ولا يلبث صاحبها ان يجد نفسه في غابة مهجورة . انها رؤيا مستمدة من ريش الطاووس وألوانه ، والفجوة بينها وبين الواقع واسعة وعميقة . واذا استمر العمق والسعة تناهى ذلك الى الوحدة ، والوحدة تنتهي الى الحياة بين الاشباح . وعندئذ يبدأ الحنين الى الماضي الجميل ، والى الذكرى التي تسد الفراغ وتطمئن الفزع الرهيب . وقد استطاعت حلب ان تروض تلك الخيلاء وان تخفف شيئا من فورانها المتطرف . والشعر الذي ابدعته ، او اسهمت في ابداعه كان شعرا معافى ، وكان على جانب كبير من الصحة والحيوية والانطلاقة الرائعة والتصوير الواعي ، كما كان قليل الشكوى والتذمر .

كانت حلب الهة الجمال والحكمة تلتقي في ربوعها فينوس واثينا ، فاذا تعالت فينوس وحومت في سماء الغرور تطلعت اثينا واشارت بعينيها الرانيتين

ولكن الحكمة شيء ، والعمل بها شيء آخر •



معنى ذلك ان العالم الجديد لم يستطع ولن يستطيع ان يكون بـدلا للعالم القديم ، لان هذا العالم كان مملوءا بالملهمات والعرائس الرائعـة • ووراء كـل قصيدة من قصائده خلفية قادرة على الوحي ، وعلى اشعال الذبالـة التـي تنير جوانب العالم الداخلي •

في العالم القديم سيف الدولة والروم ، والبطولات ، والانتصارات الـتي تهز الرواكد والفن العسكري ، وفيه الابداع والفهم الادبي والتقدير القائم على الذكاء • والبذل الطبيعي • اما العالم الجديد ففيه كافور • وكافور ، كما تقول الرواية ، « لم يكن سوى عبد خصي مثقوب الشفة السفلى ، عظيم البطن مشقق القدمين ، ثقيل البدن لا فرق بينه وبين الامة • ولما سئل عنه بعض بنـي هـلال قال : رأيت امة سوداء تأمر وتنهي » • ولا حاجة لتحليل هذه الصورة لان الملامح التي تتألف منها كافية في الدلالة على شخصية الرجل •

اما تاريخه الماضي فتقول الرواية انه : « كان لقوم من اهل مصر يعرفـون ببني عباس ، يستخدمونه في حوائج السوق ، وكان مولاه يربط في رأسه حبـلا اذا اراد النوم ، فاذا اراد منه حاجة يجذبه بالحبل لانه لـم يكن ينتبه بالصياح • وكان غلمان ابن طفج يصفعونه في الاسواق كلما رأوه فيضحك فقالوا : ان هذا الاسود خفيف الروح • وكلم ابو بكر محمد بن طغج صاحبه في بيعه فوهبه له ، فاقامه على وظيفة الخدمة • ولما توفي سيده ابو بكر كان له ولد صغير ، فتـقيد الاسود بخدمته ، وأخذت البيعة لولده فتفرد الاسود بخدمته وخدمة امه ، فقرب من شاء وابعد من شاء ، ثم ملك الامر على ابن سيده وأمر ان لا يكلمه احد من مماليك ابيه ، ومن كلمه اوقع به ، فلما كبر ابن سيده وتبين مـا هـو فيه جعل يبوح بما في نفسه في بعض الاوقات على الشراب ، ففزع الاسود منه ، وسقـاه سما فمات وخلت مصر له » •

واذا قورن هذا العالم ورئيسه بالعالم السابق ورئيسه • كان الفـرق كما يعرفه كل من له المام بتاريخ تلك الفترة ، او بتحليل هذه الصورة ، وليس مـن الهين على شاعر في حجم المتنبي ان يستبدل العالم الذي يقف على رأسه كافـور

احن الى اهلي واهوى لقاءهم وابن مـن المشتاق عنقاء مغـرب

والحنين هنا مولود أصيل بدأ بالنمو منذ بدأت الفجـوة في حلب واخـذ بالتكامل حتى تمت ولادته تمنة طبيعية • اما ما جاء بعد ذلك :

فان لم يكن الا ابو المسك اوهم فانك احلـى في فؤادي واعذب

فلا يتعدى الاكذوبة المتداعية التي تحمل برودة الموت في كـل وجـه من وجوهها الباهتة • ولو لم يأت بعد ذلك ما يسنـد هـذه النظـرة لكان هـذا ــ الشحوب ــ الذي ينطوي عليه البيت كافيا في الدلالة عـلى ان ــ الحنين ــ هو الاصيل ، وان الشعور بالحاجة الى الانقاذ من هذا الجو الاسود تعالى فوق كل شيء •

لم يعد الاهل هنا اهلا بالمعنى المألوف ، وانما هم زوارق النجـاة فالسفينة اصطدمت بالجليد ، واخذت تترنح بين الامـواج وتـرقص رقصة المذبـوح ، والشاطيء بعيد • اما الشوق الفائر فلم يكن سوى صوت حزيـن مـن اصوات الاستغاثة الشاعرة برهبة الفراغ •

هذا الشكل الهاديء من اشكال الحنين لم يدم كثيرا ، ولـم يكن سوى الايساءة الاولى الى صيحة اكبر :

بم التعلل لا اهل ولا وطن ولا نديـم ولا كأس ولا سكن

لقد صار الفراغ اوسع وصار ــ التعلل ــ ومحاولـة الابتعاد عـن الرعب اكثر فشلا • ولم تكن محاولة الاحتماء من ــ الوحشة ــ في بـلاد الموت سوى الاحتماء من الريح بالعاصفة • اما الطلب الذي جاء بعد ذلك :

لا تلق دهرك الا غير مكتـرث ما دام يصحب فيه روحك البدن

فلا يتعدى العودة الى ــ التعلل ــ الذي تساءل عنه في البيت السابق تساؤلا مرا ، وهي لا تختلف كثيرا عن عودة الجاحد الى الاستنجاد بالله في ساعة المحنة وان جاءت بعد ذلك الطلب هذه الحكمة المستندة من روح الواقع ومن صميمه :

فلا يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفائت الحزن

الى النتائج الحية هي الفصول الخالدة في تاريخ المشاعر والفكر • واذا وصل الانسان اليها ند عن العالم السائر تحت السياط التي تلوح بها الايدي القابعة وراء الاساطير المختلفة • وهذا الانفصال وان لم يكن خيرا في بعض الاحيان فلن يكون شرا كله •

والقصيدة السابقة تلقي ضوءا اكبر ، وتري مسافة اوسع وتوضح المدى الذي انحدرت اليه الهوة بينه وبين العالم الجديد • والهزيمة التي يكابدها الآن اقسى بكثير من الهزيمة السابقة • لقد ظن بعد خروجه من حلب ان القاهرة تعويض مثالي ، وانه سيصل فيها الى مرتبة الامارة التي تجعله في صف سيف الدولة • ولكن كافورا ، في هذه الامنية بالذات ، كان بعيد النظر ، وكان خوفه منه ومن طموحه يدل على فهم وذكاء •

« ايستكثر ادعاء الملك على من ادعى النبوة ؟! » بهذا المعنى اجاب الذين سألوه عن لامبالاته في الرغبة الاحمدية حول توليته الولاية • وفي الجواب ما يشير الى ان الرجل لم يكن في ذلك المستوى من الغباء الذي تصوره به الرواية• ولو فرض ان الرواية كانت دقيقة في تصوير الملامح لصح عندئذ فيه قول شوبنهاور : « اغبى الاغبياء ينقلب ، عند مصلحته ، الى اذكى الاذكياء » •

مهما يكن فقد وصلت العلاقة بينه وبين كافور الى النقطة الملتهبة وفي هذه النقطة تضاعفت الهزيمة ، وتضاعف معها الاحساس بالفراغ والرعب كما تضاعف الشعور ، في الوقت ذاته ، الى الخلاص •• والى عمل شيء يفتح الابواب المسدودة على الانفاس •

في هذه اللحظة جاء العيد ، والعيد قطعة من الزمن لا تختلف عن غيرها • ولكن للناس فيه شؤون اخرى تختلف عن شؤونهم في بقية الايام • انه الصفاء الذي يأتي بعد تفجر البارود ، وانطلاق الدخان •

في هذا اليوم تلتف الابتسامات على بعضها ، وتلتقي العيون في نظرات متعانقة ، وتتخذ الانسانية رونقا يشبه رونق الطيور الراقصة على ضفاف البحيرات • وتلفت الشاعر فلم يجد اهلا ولا احبابا ولا عناقا ولا تبادلا عاطفيا بينه وبين احد ، بل لم يجد سوى الوحشة المشحونة فصب ذلك في قصيدة من روائع الشعر :

بالعالم الذي يقــف على رأسه سيف الدولة • ومن هذا الفرق بين العالمين ولــد الفراغ الذي نلمحه في شعره الجديد ، وولد معه التنزق والقلق والنظرة السوداء الى الدنيا حتى يكاد يحس الذي يراه في هذه المرايا انه يرى ابــا العلاء لــولا الجانب الفني الذي يميزه عن ابي العلاء وغيره من شعراء العرب ، ولــولا الخيط الذي ظل يشده الى الطموح وان كان خيطا على جانب كبير من النعومة •

وكان كل شيء يشير من البداية الى هلهلة الارتباط بهذا العالم والى الضيق به والتبرم منه ، كما كانت طلائع العاصفة تتراكم وتنتشر خيوطها الاولى في ساحة الهبوب • ولم يكن الحنين الى الاهل سوى التعبير الابتدائي عن الغربة الخانقة • وكان ذلك التعبير هادئا يحمل صورة الخبر العادي والاحساس بالمسافة الكبيرة التي تفصل بينه وبين احبابه • ولم تكن المخاوف فيه كبيرة • فاذا كانت المرحلــة الثانية كان الشعور بالغربة أحد ، وكانت السياط اللاسعة اقوى ، وكانت القصيدة او القصائد التي تحمل دخان الحرائق :

ذرانــي والفلاة بــلا دليــل ووجهي والهجــير بــلا لثام
عيون راوا حلي ان حرت عيني وكل بغــام رازحــة بغامــي

ليقل الواقفون على حدود الكلمات ما شاءوا ، وليختلف ابن جني مــع ابن فورجة في منهم ــ العيون ــ و ــ الحيرة ــ وما اشبه ، فــفهم النحاة والواقفين على تخوم القواميس لا يهم كثيرا ، والمهم هو الجو النفسي الذي يلوح ، عــلى رغم السواد • وراء الكلمات ، ويشير الى نوع من التحول الذي يشبه المرآة في كف خائفة •

وفي الوقت الذي يعود الايمان المطلق بالنفس ، وتعود معه الثقة التي تتحدى العالم المأهول بالجن والغيلان ، وتناوح الرياح والغبــار الاصفــر ، والوحوش الجائعة • يبدأ نوع من الحنان الذي يطل من الزوايا المضيئة في نفس الانسان • وما هذه المشاركة للنوق التي هدها الاعياء حتى كادت تتهاوى ، سوى احساس جديد ــ وان كان خاطفا ــ بوحدة الحياة ، ووحدة الينابيع التــي تتجلى فــي وحدة الكون بالرغم من تناقضاته الكثيرة التي تكاد تفتقد الحدود •

ان الاحداث التي تبعث على التأمل في الكون والحياة ، وتــوصل الباحث

وظلت القبل في عناق مستمر مع الرسالة حتى فاضت روحها فيها • وكانت قصيدة جديدة في تخليد هذه العاطفة :

لك الله من مفجوعة بحبيبها ... قتيلة شوق غير ملحقها وصما

احن الى الكأس التي شربت بها ... وأهوى لمثواها التراب وما ضما

وما انسدت الدنيا علي لضيقها ... ولكن طرفا لا اراك به اعمى

ويكفي ان يكون في اهله مثل هذه المرأة حتى يستحقوا فوق حنينه حنينا اكبر ، كما يكفي الدنيا حنانا ان تلد مثل هذه الانسانة وقد يتجمع العالم في واحد •

بغداد محمد شرارة

الاحتجاج اقرب للخلاص

★ ★ ★

● قيل ان المنصور اشخص رجلا من الكوفة ، سعى به ان عنده اموالا لبني امية ، فلما مثل بين يدي المنصور قال : ايها الرجل اخرج الينا من ودائع بني امية التي عندك • فقال : أوارثهم انت يا امير المؤمنين ام وصيهم ؟ قال : لا • قال : فلم ادفع اموالهم اليك ؟ قال : ان بني امية خانوا المسلمين وانا القائم بأمرهم • قال : هل لديك بينة ان هذا المال من تلك الخيانات ، فقد كان للقوم اموال من وجوه شتى ، فان ثبت على شيء حكم الخيانة خرجت منه • فأطرق المنصور ساعة ثم قال : يا ربيع خل الرجل ، فقال الرجل : ما عندي مال • ولكن رأيت الاحتجاج اقرب الى الخلاص ، فان رأى امير المؤمنين ان يحضر خصمي فلعله يفلجني بالحجة • فان في مالي سعة • فبعث المنصور الى الساعي ، فأحضره فقال الرجل : يا امير المؤمنين ، ان هذا الساعي عبد لي آبق ، وقد سرق لي مالا ، فهدده فاعترفه •

عيد •• بايــة حال عدت يــا عيد بما مضى ام لامــر فيك تجديــد

أمــا الاحبــة فالبيــداء دونهــم فليت دونك بيــدا دونهــا بيــد

وبالقدر الذي تشير القصيدة الى اسوداد الدنيا ، تشير الى الضياء البعيد• والى الاحضان الناعمة التي تمت • وهذه الاحضان هي الريش الناعم الجميــل الذي يتلقى الرؤوس المتعبة والصدور اللاهثة الهاربة من الاخاديد • ولكن اين الاحضان :

تبغي الوصول الى سعاد دونهــا قمم الجبــال ودونهــن حتــوف

الرجل حافيــة ومالــك مــركب والكــف صفــر والطريق مخوف

واذا تساءل المتسائلون : وهل كان اهله بهذا المستوى الــذي يضعهم فيه ، وهل يستحقون هذا الــقدر من العواطف ، واذا قيــل لمثــل هؤلاء المتسائلين : ما الذي يدعو الى طرح مثل هذه الاسئلة ، جــاء الجواب : كثرة الشكوى من الاهل ومن الاقارب الذين لا يختلفون عن العقارب احيانا ، وكثيرا ما نسمع مثل هذه الصرخة عن الاهل :

مهلا بني عمنا مهلا موالينــا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

اللــه يعلــم انــا لا نحبكم ولا نلومكم ان لــم تحبونــا

واذا ووجه السؤال بسؤال معارض : أينحدر الاهل دائما الى مثــل هــذا الحضيض ، كان الجواب اكثر تواضعا ، واقــل عصبية ، ومــن التواضع تطــل الرؤية على عالم اكثر واقعية ، واكثر قربى مــن المنطق • والحقيقــة ان علاقــة ــ القربى ــ لا تجعل الاقارب اصفى مــن غيرهم •• اي ان الانتمــاء النسبــي لا يمحو الاحقاد ، ويعمل على تصفية النفوس ، ولكن تبقــى للخيط اهمية وان تضاءلت الى مستوى الصفر في بعض الاحيان •

على ان في اهل الشاعر من يحبه ، ومن يصل في حبه الى درجة الموت مــن الفرح بلقائه •• وما حديث جدته بمجهول • فــقد كتبت له تطلب عودته الــى الكوفة • وكتب لها لما وصل الى بغداد ، وطلب منها ان تذهب اليه لاسباب حالت بينه وبين الوصول اليها • وما ان وصل الكتاب حتى وقع تحت القبل المتلاحقة ،

كما يتكرر الحزن وتتكرر الكآبة والشكوى في كل القصائد :

يعـز علينـا ان نـروح ومصرنـا لفرعون مغنـى يصطفيـه ومغنـم

وهذه القصيدة من احسن قصائده واوقعها في النفس ، وكذلك القول فـي قصيدته الرائية :

تذكرت والمحـزون جـم التذكـر مسـرة ايـام مضـين واعصـر

هذه القصيدة التي يتزاحم فيها التفاخر والتحسر فيقول مفاخرا :

منازلنـا مـأوى للغريب وظلنـا ترف حواشيه علـى كـل مصحر
واكـنافـنا مخضلـة واكـفنا نفيض على مثـر لدينـا ومقـتر
نسوق الابـي المستميت بـابيض صقيل ونقـتاد الحـرون بأسـر
وتشرق اشراق الصبـاح وجوهنا اذا ما دجـا فـي مأزق ليـل عثير
نغلس في كسب المعالـي وغيرنـ نؤوم الضحى والمجد حظ المبكـر
وسامرنـا بالحـي كـل مهلـل يصيـح بأعلـى صوتـه ومكبـر

ثم يعود الـى الاسى :

شريـد فريـد بالشـآم مقلقـل كأنـي بهـا ثـاو على روق اعفر

وفي قصيدة اخرى يصف تنقله بين البلاد :

ففـي حلب يومـا ويوما ببابـل وبالمنحنى يومـا ويومـا بحاجـر

وفيهـا يقـول :

لقد طال عمر الهجـر يـا ام عامـر ورثت حبال الصبر مـن كل صابر
وحـن الـى ارض الشآم معـرق تدافعـه عنهـا اكـف المقـادر
رعى الله احبابا اذا مـا ذكرتهـم حسبت فؤادي فـي مخالب كاسر
اسائل عـن اخبارهـم كـل وارد واطرح اخباري علـى كـل صادر
وان ضحك البرق الشآمي اسبلت جفوني بمنهل مـن الدمع هامـر

شعراء المهجر العامليون

بقلم: السيد حسن الامين

— ٢ —

ونلحظ دائما الفرق بين شكواه وهو في النجف وشكواه وهو في غير النجف، فالنجف تسده ابدا بقوة روحية وطاقة معنوية، فتعيضه بذلك عن الكثير وتملأ قلبه بالفيض الغزير فهو مثلا في غير العراق يقول مثل هذا القول الذي لم يقل مثله في كل شعره العراقي :

خطب رماني حيث لا روض الثنا زاه ولا ماء المكارم جاري

ما بين قوم ليس يبرح جارهم في جور جهار وسوء جوار

بشرو لو كشف الغطاء وجدتهم ما بين شيطان وبين حمار

وبالرغم مما في هذا القول من قسوة ، وما قد يكون فيه من ظلم ، فقد نجد له ما يبرره ، بان الشاعر وهو العالم الاديب المفكر ، كان لا يجد من يفهمه على حقيقته ، ومن لا ينظر اليه الا انه مشرد عن وطنه ، وما زاد بالازراء به انه عاطل من المال خالي الجيب وهذا ما عبر عنه بقوله :

خوف وفقر واغتراب حيث لا يسر ولا عدوى على الاعسار

واذا تأملت الشدائد لم تجد كيين مغترب بغير يسار

وتتكرر في شعره غير العراقي هذه الظاهرة :

كريم رماه الدهر في دار غربة فأصبح في دور الضلال يدور

وكيف يطيب العيش بين منازل وفيهن كلب للكرام عقور

منازل اشرار اذا ما سبرتها وجدت قصورا حشوهن قصور

اروح واغدو ظامئا في ربوعها وللساء حولي صيحة وخرير

خليلي ان الظلم طال ظلامه فهل من تباشير الصباح بشير

السيد كاظم الامين

ومن شقراء خرج السيد كاظم الامين قبل مائة واربعين سنة (١٢٣١ ـ ١٣٠٣) مهاجرا الى النجف فعكف على الدرس وصحبة العلماء ، ثم حدثت له امور اثارت شجونه وبعثت فيه شكوى متواصلة كان ينظمها شعرا يبعث به الى الجبل ، وهو في ذلك يحن الى موطنه حنينا شعريا متواصلا يعم به لبنان كله ثم يخص جبل عامل :

تجاذبني الى لبنان نفس ... تردد في حشا دنف جريح
وينزع بي لذاك السفح شوق ... أبرده بهطال سفوح
واصبو في هوى تلك الروابي ... ولي جبل من الحلم الرجيح
وتدعوني لعاملة وكم من ... فلاة دون أربعها نزوحي

ثم يشير الى ما يتنازعه من الحنين الى بلاده ، والسكون في مهجره ، فهناك في الوطن الاهل والاحباب :

لئن اصبحت فيها مستهاما ... فرب اخ بها طلق صبيح

وهنا في المهجر طلب العلم وجوار علي :

فطورا استجيب لها وطورا ... اقول لها مكانك تستريحي
فأن قدمت رحلي لارتحال ... قدمت اذا على بلد فسيح
وان اخرتها فألى مقام ... حميد الامر ذي ثمن ربيح
لدى بلد به الرحمان اعلى ... لصنو المصطفى اسنى ضريح

وبعد التردد الطويل والتراوح بين العودة والمقام ، فهو طورا يصيخ السمع الى نداء النفس الذي يدعوه الى الوطن ، وطورا يصيخ السمع الى نداء الروح الذي يدعوه الى الركون والسكون في الجوار العظيم ، والقلب موزع بين الندائين ، اذا فاض فيه الشوق ، تفجر فيه الايمان ، وما كان للشوق ان يغلب الايمان في قلب كقلب السيد كاظم الامين لذلك يصمم قائلا :

فخار الله لي ما فيه روحي ... لدى الدنيا وبعد فراق روحي

وان خفـقت ريح الشمال تبرجت على الرغم مني محصنات السرائــر

وفي قصيدته اللامية تتنازعه شتى الاحاسيس وتتقاذفه ضروب العواطف فهو اذا تذكر غربته قال :

غريب يسـد الطرف نحـو بـلاده فيرجع بالحرمـان وهـو هسـول

في هذه القصيدة يتأكد لنا ما ذكرناه من قبل من انه كان وهـو في النجف روي الفؤاد شقي الجسد ، فقلبه في النجف وجسمه في الوطن :

الا فارحموا صبا لـه فـي عراقكم فـؤاد وجسم فـي الشآم طريـح

اما هنا وقبل الوصول الى النجف فهو يقول ما يناقض القول السابق ، مع انه في الحالين غريب شريد محزون ، انه يقول مخاطبا دياره البعيدة :

ليهنكـم ان القلـوب لديكـم ـ وان بعدت منـا الجسوم ـ حلول

فليس هنا ما يفعم القلب سعادة ويملأ النفس هناء ، ليس هنا قبة علي تفيض عليه اطمئنانا وسكونا ليس هنا مجالس للعلم ونواد للادب ، بـل هنا ما يعبـر عنه بقوله :

ومـا شجا قلبي واجـرى مدامعي والقى عـلي الهـم وهو ثـقيل

نزولي وقـد فارقـتكم في عصابة سـواء لديهـم عالـم وجهـول

ويسترسل قائـلا :

وجدت بهـامس الهـوان كأنني مهين ومجـدي لـو علمت اثيـل

أكابـد ذلا بعـد عـز موطـد وكـل غريـب فـي اللئام ذليـل

ومن احسن قصائده في الحنين قصيدته التائية التي يقول في مطلعها :

من لـي بـرد مواسم اللـذات والعيش بـين فتـى وبـين فتـاة

ورجـوع ايـام مضـين بعامـل بين الجبـال الشم والهضبـات

ولكن امنية الشاعر لم تتحقق فلم يكتب له الرجوع الى الوطن بـل مات غريبا في دمشق .

شقراء من اخوان وخلان وحسن شائق وجمال فتان ، فها هو يخاطب شقراء من بهجره البعيد :

يا بلدة اصبحت لبنان ناضرة بين البلاد بها حييت من بلد

ان لبنان كله عند ابن شقراء السيد كاظم الامين ، ان لبنان كله اصبح ناضرا بشقراء ، وان محاسن شقراء هي التي اضفت على لبنان ما اضفت ، لذلك فهو يهتف بها : حييت يا شقرا من بلد .. ثم يتابع الحديث عنها معددا محاسنها :

طابت هواء وطابت منظرا ، وصفا بها المقام لاهل الدين والرشد
هي الشفاء لدائي لا العذيب ولا ظباء جيرون ذات الغنج والغيد
الق العصا بفناها غير ملتفت الى الابيرق فالدهناء فالسند
تعش من الدهر في امن وفي دعة بها ومهما ترم من لذة تجد
سقيا لها ولايام بها سلفت بغبطة ولعيش لي بها رغد
مضت وشيكا وما ابقت علي سوى الوجد المبرح والتذكار والسهد
فليت يرجع غب النأي لي زمن طابت اصائله في ذلك البلد
طال الفراق فلا آت نسائله ولا كتاب يوافينا على البعد
اذا تذكرت فيها اعصرا سلفت أكاد أقضي من الاشجان والكمد
وان تذكرت اقوامي بها وذوي مودتي هد تذكاري قوى جلدي

وتظل شقراء نصيب عينيه ويظل يناجيها ويناجي اهلها بالشعر :

قل للاحبة ان حللت ديارهم خلفت اي فتى محب في النجف
مضنى الحشاشة في هواكم شفه الشوق الشديد الى لقاكم واللهف
وبراه طول النأي عنكم فاغتدى رهن الحوادث في العراق اخا دنف
سقيا لذاك السفح كم نلنا المنى فيه وطرف الدهر عنا منطرف
في معشر ما منهم الا اخو حسب صميم بالسماحة قد وصف

وهكذا يقيم السيد كاظم اقامة دائمة في العراق ، ولكن الشوق يظل يهيجه فيلوذ بالشعر مشتاقا الى شقراء ومن في شقراء :

اهدى السلام الى القوم الكرام بني القوم المشار اليهم بالكرامات

يهدى اليهم على بعد المدى وعلى ما في الحشاشة من شوق وغلات

اشتاقهم وهم بين الضلوع على ما بيننا حال من دو ومومات

هم بالشآم وداري بالعراق فيا بعد الديار ويا طول المسافات

ويظل يلوذ بالشعر :

اعاملة حيتك عني ديسة لبست بها برد الربيع مفوفا

ولا زال معتل النسيم مؤرجا لديك بانفاس الخزامى وألطفا

واذا كان الله قد خار له ــ كما قال ــ ما فيه الروح في الدنيا وفي الآخرة ، واذا كان القلب منه مستريحا بالايمان مطمئنا باليقين ، فانه انسان فيه ضعف الانسان ، فيه العاطفة الجياشة ، والنفس الحساسة ، فيه كل ما يثير الوجد ويضرم الشوق .. أيستطيع ان ينسى شقراء أيستطيع ان ينسى وادي الملول والحومة؟. ايستطيع ان ينسى الليالي القمراء في مشارف المطل ومطالع الدغالي هنا في حريبة وفي وردة في ظلال التين ، هنا في الدواوير بين الكروم ..

ووادي السلوقي والسكيكة متألقة بالغضيض من الرند والسنديان ، ومتبرجة بالنضير من السكوكع والخزامى والاقحوان .. أيستطيع ان ينسى ذلك ؟.. أيستطيع ان ينسى الاماسي في شواتا وطريق العين ، والاصائل على بئر مازح ؟ هنا حين ينشر الربيع مطارفه الخضر فينطلق البصر في اعذب ما يرى البصر ، وتجول العيون مصعدة الى القمم الشامخة فتمتلىء نضرة ونعيما ، ثم تجول مصوبة الى الوادي الاغن بين السندس والنضار واللجين .. وحين يزهو الصيف فتهب الريح رخاء من اقصى الذروة الى ادنى السفح بين رفيف اللوز وحفيف التين وتثني البطم . أيستطيع الشاعر النازح ان ينسى شقراء ، أيستطيع ان يمحو خيالها من ذهنه ويزيل ذكراها من قلبه ؟. ما كان مستطيعا مهما لاذ بالايمان ولجأ الى اليقين ، سيظل ابدا ذاك الشقراوي المشوق الى كل ما في

والبستان، واللذات والصحب والخلان، وحين يتصور لبنان كله فيهتف من اعماقه:

كم ليلة من ليالي البين بت بها ارعى النجوم بطرفي وهي ترعاني
لا يسكن الوجد ما دام الشتات ولا تصفو المشارب لي الا بلبنان
فكم تقضت لنا بالحي ازمنة على المسرة في كرم وبستان

على انه وقد قدرت له العودة الى الوطن ، ونزل بعد تلك النوى منازله الاولى في الكروم والبساتين ، لم يلبث كغيره من العامليين ان عاد يحن الى مهجره ويتشوق الى منشئه متذكرا النجف وايامه فيها :

يا راكبا عج بالغري وقف على تلك الربوع مقبلا اعتابها
وقل ابن زين الدين اصبح بعدكم قد ألبسته يد الشجون ثيابها
ودعت لواعجه الشديدة جفنه يوم الفراق الى البكا فاجابها

بيروت حسن الامين

قبضوا الاكف عن القبيح تكرما عما يشين وبالندى بسطوا الاكف

الشيخ حسن زين الدين

وممن رحل الى العراق قبل اربعمائة سنة كان الشيخ حسن زين الدين (٩٥٩ ــ ١٠١١) الذي اشتهر باسم صاحب المعالم ، وهو كتاب له بلغ من اجادته فيه ان صار يعرف به ، هاجر الى النجف دارسا فكان كغيره من العامليين يتخذ من الشعر تعبيرا عن الشوق الشديد وكانت هجرته من بلدة جبع ذات الرياض والغياض والماء النمير الصافي • فبعد ان درس فيها وفي غيرها ولم يعد يجد في جبل عامل ما يزداد به علما ومعرفة مضى الى العراق ، وهو القائل من قصيدة ·

وان عراك العنا والضيم في بلد فانهض الى غيره في الارض وارتحل

والعناء الذي يعنيه هنا حين يقصد نفسه انما هو عناء الجهل ، والضيم الذي يريده هو ضيم المتطلع الى العلم المتشوق الى المعرفة وهو لا يجدهما ، لذلك طبق قاعدته على نفسه ومضى من جنائن جباع الى هجير النجف •

واذا كان قد دعا في شعره الى الارتحال ومضى عليه فما هو ان امتدت الايام به بعيدا عن وطنه حتى عاد يقول مثل هذا القول :

فؤادي ظاعن اثر النياق وجسمي قاطن ارض العراق
ومن عجب الزمان حياة شخص ترحل بعضه والبعض باقي

وتشتد به اللوعة ويثور الوجد فيسترسل :

وانلساني النوى واراق دمعي فلا اروى ولا دمعي براقي
سقتني اباريق الدهر كأسا مريرا من اباريق الفراق
وليس لداء ما ألقى دواء يؤمل نفعه غير التلاقي

ويظل مشوقا لا يجد غير الشعر متنفسا يلجأ اليه فيما هو فيه ، ويمضي وهو الفقيه الوقور المنكب على دروسه العاكف على كتبه المنصرف الى عبادته وتقواه ، يمضي كما يمضي الانسان الرقيق الشعور المرهف الحس حين تعن له ذكريات بلده وقومه واهله وحين تلوح له في الخيال جباع ويتراءى له الكرم

صدوره ، وقد يكون صدوره على وجه التحديد خلال العام القادم باذن الله ․․ فشكرته جدا على هذه المعلومات القيمة ، وعلى هذا الوقت الذي جاد به علي ، لأسجل هذا اللقاء او هذا الحديث ، تاريخا موجزا لحياة اديب كبير من الادباء اللامعين في دنيا العروبة ، ويعتبر واحدا من بناة النهضة الادبية والفكرية فيها ، وتدور عنه في بعض الاوساط الادبية ، بأنه يحتمل ترشيحه من قبل بعض الهيئات، لنيل جائزة نوبل في الآداب ، راجيا الباري جل وعلا ان يمن عليه بالعمر المديد ، المقرون بالصحة والعافية ، ليوفق لانجاز مشاريعه ، (ولا سيما ملحمته) خدمة للادب العربي ، ومجد أمة العرب ، ولغة القرآن العظيم ․․ ومن الله التوفيق ․․

وفيما يلي النشيد الرابع المنوه عنه من (الملحمة العربية الكبرى) بعنوان : « نجم أحمد ․․ »

دلف المجد الى دار الرسول ... يتمشى في حمى البيت النبيل
يسحب التاريخ في موكبه ... يعرض الفرسان جيلا بعد جيل
ويسمع الافق أصوات ندايا ... تطرف الآباد في الدهر الطويل
تقرع الاهوال أبواب العلى ... لتراها بين وجد وذهول
لم تكن في حلم معسولة ... تتراءى أوييان سلسبيل
أو أغان أنشدت رهن الهوى ... لتبل الشوق في وهج الغليل
انسا جاءت بضحيان تجلى ... في حقيقات وضوح وحفول
أمة كبرى على هام الورى ... ورثت خالدة المجد الاثيل
سائلاني في الدنا عن أصلها ... يرزح الكاهل بالعبء الثقيل
واطلبوا في جبهة الشمس لها ... مطلع النور من الصبح البليل
تكتب الحدثان أقلام اذا ... غبر الطرس تمادت في المثول
هي أزهار تسامى عطرها ... لهدى الانسان جلت عن ذبول
سيرة من يعرب موصولة ... بروايات عموم وخؤول

★ ★ ★

مع الشاعر السوري : الدكتور زكي المحاسني

بقلم : جمال مهدي الهنداوي

ـ ٢ ـ

والى هنا وعلى ذكر الادب وضعف الوجدان الادبي في عصرنا ، الذي أشار اليه الدكتور المحاسني في نهاية حديثه ، ومدى أثر هذه الظاهرة في نفسه ، حيث عبر عنها بالصورة آنفة الذكر ، كان بيننـــا حديث ، حيث قلت ، لا شك بـأن للظروف تأثيرها على سير حياة الاديب وعلـى اتجاهات الادب ، بحكـم تلـك الظروف ، ولا يمكن لاي انسان ان يتجرد عـن تأثـير الظروف عـلى وجوده ، باختلاف انواع هذا التأثير ، الذي قد يأتي بنتائج سلبيـة بعضا او ايجابية فـي البعض الآخر ، فتكون بعدئذ وتبعا لذلك حياته ، اما حياة بؤس وشقاء ، وامـا حياة سعادة ورخاء ، خاصة وان لزمننا الذي نعيشه طابعه الذي يختلف عن زمن الفردوسي ..

وكمثال على تأثير الظروف على الادب والادباء ، ان يقام للرصافي الشاعـر المعروف تمثال في بغداد ، وهو الذي كان مضطهدا ، وعاش في اواخر ايامه ، بين احضان البؤس والشقاء ، ومات وهو لا يملك غير فراشه الـذي كان ينام عليـه عـام ١٩٤٥ ..

وان الشاعر محمد مهدي الجواهري يعود الـى العراق مكرما ، ويخصص له المسؤولون (١٥٠) دينارا ، راتبا شهريا ..



وبعد هذا وفي اللحظة التي اوشكت ان انهي فيها هذا اللقاء مـع الشاعـر الكاتب الدكتور المحاسني ، وتهيأت للرحيل ، خطر ببالي ، اننا لـم نتطرق الـى ذكر ديوانه الشعري بين مؤلفاته ، فسألت الدكتور عـنه ، فقال نعم ، اننـا لـم نتطرق الى ذكره ، ذلك لانني مشغول الآن في تهيئته ، وسوف لا يطـول أمـد

لـك زوج تنـفث الكيـد ومـا ... تـزلت الا بهـا ذات الكبـول
ذا أبـو سفيـان محتـار تكمـى ... بـدثـار مـن خـداع وفضول
يقـرع السن عـلى مـا فاتـه ... من كمين وهو فـي نوم الجهـول
وأبـو بكـر يفـدى مرسـلا ... ليلـة الهجرة فـي أغلـى زميـل
لـم تكـن مكـة تبغي فرقة ... غـير باغـين أهابـوا بالرحيل
وعلـى يشـرب أنصـار أعانـوا ... لابتـدار النصر بالفتـح المهول
واذا مكـة يعلـو صوتهـا ... يزحم الآفـاق بالسلـم العجـول
مـن أتـى المسجد ألفـى مأمنـا ... أو أبـا سفيـان في دار القبيـل
ذاك يـوم كـون اللـه بـه ... عزة لـم يعرهـا هـون الذليـل
ومـن الاسـلام هبـت رايـة ... لم تـنكس فـي حزون أو سهول
(أحمد) قـد حطها فـوق الربى ... فغـدت زهرا على الروض الجميل
هـزت التاريـخ فـي أعصـره ... يـده واستفتحت كـل سبيـل
هـو ديـن عـزة الدنيا بـه ... ظفرت جذواه بالحمد الجزيـل
خط مجدا جبهـة النجـم بـه ... دون اشعاعاتها لمـع النصول
وبفـرقـان بـدت آيتـه ... في هدى زحـزح أسداف السدول
لكأنـي أسـع الجيش علـى ... باب قسطنطينة رهـن الدخـول
وعـلى الآمـاد بـالشـام أرى ... جولـة الآساد فيهـا والشبـول
معـرك للدهـر والعـرب بـه ... في شهيد ، والاعادي فـي قـتيل
وضجيـج مـادت الارض بـه ... عنـد أبـواق وخفـق وصليل
وبـلاد حـاليـات بعـدمـا ... حازهـا العـرب فغالت بالبسول
وديـار عسهـا الافرنـج فـي ... وضح الفـم فباتـت كالطلـول
وحمـام سلمـت آمـالهـا ... مـن عواديهـا فـرقت بالهديـل
ورسـول اللـه داع عندهـا ... بصفا ود علـى السلم كفيـل
ترقد الدنيـا لتصحو صحوة ... فتراه الشمس في غير أفـول

طويريج ــ الحلة ــ العراق — جمال مهدي الهنداوي

عنـد سـر اللـه آي أبـرمت لتجير الارض مـن سيـل وبيـل
من رأى الصحراء فـي لحفتها حيث يغلي الرمل فـي غير ظليـل
عبقريـات علـى عالمهـا طلعت فـي الدهر في طلع النخيل
لامـرىء القيس وللاعشى بهـا لمحـات لـم تكـن عند مثيـل
وتجلـت حمـس طاحمـة هي فرسان الحمى يـوم النـزول
ولـدى السامر في نجوى الليالي بـات سادات أقانيـم العقـول
كنـت فـي يعـرب قوتهـم واستجاشت عـدة الامـر الجليل
وانبرت فـي (أحمـد) طالعـة جمعت فـي نبلهـا كـل سليـل

★ ★ ★

نـقب الاحبـار أخبـار الدجى وعلى المرصد باتـوا فـي الرعيل
يسألـون النجـم عـن مولده فـوق آطـام تـراءت كالدليـل
وبدت (يثـرب) فـي تحنانهـا تتمنـى مطلـع الافـق المنيل
صرخـة قـد مـلأت أرجاءهـا دونها الرعـد وتضريب الطبـول
ولـدت آمنـة (أحمدهـا) فاهتـفي بالبشر يـا أرض الحفول
مـن رأى صقـر قريش مصعـدا في (حراء) غاب في الغـار البتول
يسأل الرحمن فتحـا وهـدى في دروب قربت يـوم الـوصول
وسوسات فـي قـريش غلغلـت في نفوس هن كالـداء الدخيـل
قـد أبت واستنـفرت واستكبرت أن تـرى الديـن يفادي ببديـل
يـا لقومي مـن لخذلان الفتـى قبل ان يفتن شيبـا فـي كهـول
أنـذروا بالحـرب ما اصنامنا ترتضي منـا بهجـر أو عـدول
حرزنـا العـزى ولـلات دعانـا ومنـاة تـرتعينـا بقبـول
يـا أبـا جهـل ثولتـك الشياطين أمـا تنـفك تدعـو كالضلـول

لم يعد ينفع الاسود وثـوب   بعدما طـار بالجناح الثعالب

يذكرون فيما يذكرون ، ان الدنيا كانت بالف خير ، وان الـقناعة كنـز لا يفنى ، وان الطمع من مصائب الانسان وادوائه القاتلة ، ولكن الحياة تجري على غير ما يشتهون ، وتأبى ان تتعرف الا على الجهد الدائب ، والنضال المريـر فـي سبيل القوة ليكون الانسان عزيزا كريما ، قلت لهم ما لنا ولهذا الحديث المكـرر المعاد ، نحن نحيا فعلينا ان نجتهد ونحرص على هذا الوقت الثمين الـذي يذهب هدرا ، وان كان لا بد من الشعر وعظته فـلا يوجـد اسمى وانبـل من الحكمة السائرة التي تركها لنا الاخطل الصغير :

شقيت امـة اذا المجـد ناداهـا تلوت عـلى الاسـرة كسلـى

أغل مهر العلى اذا كنت شهما   هان من نام في الطريق وذلا

تطلب المجد لست تسعى اليه   طالب المجد شق للمجد سبلا

اما الصفاء والطيبة ، والتعلق بما توحيه المروءة والاريحية فهي من نعم الله الثمينة على الانسان ، تنعش روحه وتجمل له الحياة ، غير ان ذلـك لا يمنع من الرجوع للعقل ، ولا يحجب الحقيقة المرة المؤلمة ، فالناس في صراع دائـم ، على المطامع والاهواء ، وانتم يا رواد المقهى الصغير الرابض على شاطىء البحر فـي المدينة العريقة بيروت ، تتحلقون وليس لكـم هدف غـير الحديث عـن الماضي والاستغراق فيه ، انتم بقايا جيل عاطفي نبيل نرجو ان لا نحـرم مما فيـه مـن حسنـات •

مـع القافلـة

كان لا يفصل همومه عن هموم الناس ، يحيا معهم ويعيش ألمهـم واملهم ، كأن قلبه ينبض مع كل قلب وعينه تدمع مع كل عين ، وقد بادلوه حبـه وشعوره واهتمامه فكانوا بالعاطفة الصادقة ويحفلون بكل مـا يهمه فهـو عندهم بالمغيب والمشهد ، بسمة وامل ، وروح طيبة ، خيرها مأمول ، وشرها مأمون ، اشتغـل بالادب ووعاه ، وعاد للاثار القديمة والتراث العالمي يأخذ منه ما يستطيع ، فازهر في نفسه واشرق ، ولكن اي ادب هو هذا الذي اشتغل فيـه جميل ، انـه ادب الانسان اينما وجد وكيف اتجه ، ادب الطبيب في عيادته والعامـل في زراعتـه ،

رسوم

بقايا جيل

للسيد علي ابراهيم

كان يجمعهم صباح كل يوم ، مقهى صغير متواضع ، يشرف على البحر لم تصل اليه يد المهندس ، ولم يلج حرمه التنظيم الحديث بكافة صوره واشكاله ، بقي كما هو كأنه معقل للزمن الغابر لم يستسلم امام تقلب الايام وكر السنين ، تواجه الداخل اليه مجموعة من رسوم الرجال الماضين ، الذين كتبوا تاريخ البطولة ، وعرفوا بالتضحية ، وسارت اسماؤهم على كل شفة ولسان ، ولم يكن لرواد المقهى من عمل غير ملء الفراغ وقتل الوقت بالاحاديث والمساجلات عن الايام التي كانت فيها الارض تنبت الخير والبركة ، والسماء تسطر الخصب والنماء ، يوم لم يكن للمواطن عهد بالسموم والشرور ، ينشد الامن والسلام ويميل للدعة والهدوء ، وانت عندما تسمعهم متحمسين مخلصين يتناشدون الاشعار ويفتخرون بالماضي لا تملك غير الرثاء لهم ، والاسى للمصير الذي وصلوا اليه ، يقول احدهم :

تشوقني العرب وآدابها ... وقهوة البن وشرابها
وقبة ترفع في مهده ... قد وشجت بالارض اطنابها
لا يخرس الجرن لديها ولا ... تغلق دون الضيف ابوابها

ويقول الثاني :

خيلاء الميدان اين المذاكي ... فوقها الصيد بين كر وفر
اين لا ابن جحفل ان تنادى ... ماجت البيد في كتائب سمر
أين ابطالنا المغاوير تمحو ... وصمة العار عن جبين اغر

مع ان لسان المنطق والواقع يقول :

ذهبت دولة الجحافل والرايات والخيل والقنا والقواضب
وانت دولة القنابل والغازات والسم والشهاب الثاقب

الشيخ محسن أبو الحب *

بقلم المرحوم مهدي عباس العبيدي (١)
الهوامش بقلم الدكتور جليل ابو الحب

- ١ -

ان كثيرا من الشعراء المجيدين بل الفحول المبرزين قد ضلوا في زاوية النسيان بينما لا يزال من رآهم وشافههم حيا يرزق • فهناك أدب جم له الاثر المباشر على الحياة الادبية في العراق • ولا نبالغ اذا قلنا ان اكثر الشعراء الحاضرين هم آثار تلك النهضة الادبية قبل خمسين سنة او تزيد على ذلك بشيء قليل • اقول ذلك وهذا الادب الغزير في حاجة الى بحث ودراسة وتسجيل خوفا عليه من الضياع • ومن جملة هؤلاء الافذاذ الشيخ محسن ابو الحب (٢) نجل الحاج محمد • توفي وتركه صغير السن يقاسي آلام اليتم وضر الفقر •

وقد ولد في كربلاء سنة ١٢٤٥ هـ (٣) سنة خمس واربعين ومائتين بعد الالف •

---

* يعرف في تاريخ كربلاء الحديث شخصان بهذا الاسم وهما الشيخ محسن ابو الحب الجد ، والذي يدرس شعره هنا المرحوم مهدي عباس العبيدي ، والثاني هو الشيخ محسن (الحفيد) بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن ابو الحب المتوفي سنة ١٣٦٨ . وقد امتهن الاثنان الخطابة من على المنبر الحسيني .

وقد سمي الثاني (محسنا) تيمنا باسم جده لانه ولد سنة ١٣٠٥ هـ وهي سنة وفاة جده . وفي نفس العائلة الآن ، اطلق الدكتور ضياء الدين بن الشيخ محسن أبو الحب اسم والده (محسن) على ولده الثالث ، فيكون هذا الصغير حفظه الله هو الثالث بهذا الاسم في عائلة آل ابي الحب .

١ - تخرج المرحوم مهدي عباس العبيدي سنة ١٩٤٢ م من كلية التربية ببغداد (دار المعلمين العالية سابقا) ، من قسم اللغة العربية . وقد درس اللغة العربية في عدة مدارس ثانوية منها دار المعلمين الريفية وكلية الملك فيصل الاول ، وقد توفي في اوائل عام ١٩٦٨ وكان مديرا لاحدى المدارس الثانوية في الاعظمية .

٢ - لقد وصفه من رآه من معمري كربلاء بانه كان ربعة في الطول . متوسط البنية اسمر الوجه ، واسع العينين ، يعتم بالجلبية (الكشيدة) . وقد توفي عن سبعة اولاد وبنت . لقد كان اول من أدخل القراءة على المنبر الحسيني بدون الكتب . فالقراء قبله يقرأون بالكتب وهي بأيديهم .

٣ - ان هذا التاريخ غير صحيح البتة ، وقد كان أول من ذكره هو المرحوم الشيخ محسن ابو الحب (الحفيد) . وقد اخذه عنه الكثيرون ممن ترجموا للشيخ محسن ابو الحب (الجد) . ان

ادب العالم والمهندس والفيلسوف ؛ ادب الحياة التي تغمر ابناءها بالحب والجمال وتنير لهم الطريق ، ان وصلوا ولم يقطعوا ؛ وعملوا ولـم يكسلوا ، ان استقامت نواياهم ولم ينفث الشيطان في عقولهم وقلوبهم •

وكنت ارنو اليه فاذا هو فيض من عطاء واشراق قريب من النفوس والقلوب، ليس البهاء لديه طلعة ووسامة وليس الجمال قامة مديدة ، وملامح مادية للرجولة وكمال الاجسام ، او التفوق العقلي والنبوغ والعبقرية ، وانما هـو معنى وراء ذلك لا تستطيع ان تحدده وتعبر عنه وان وعيته واحسست به ، يقـول لجليسه هلم الي ، فانا لك ، واخوك الذي درج معك على وجه الارض ، واحتضن شعاع الشمس وألق الفجر بجميع جوارحه ، لا يعنيني من تكون والـى اي جماعة او طائفة ومذهب تنتمي ، فليس للفكر والشعور حدود وسدود ، وانما هـي شرور الانسان واطماعه دعته للتقسيم والتنويع فجعل من مخلوقات الله شيعا واحزابـا تتعادى وتتفانى ، ولا يسلم احد من أذاها مع انها ليست باقية طويـلا في هـذه الدنيا وانما هي المامة عجلان ، فبرعم الزهر ما وجد ليبقى ، سيمضي به الخريف، والنبتة الزاهرة ستصبح هشيما تذروه الرياح ، أنا وانت يا اخي شركاء بالانسانية نبتنا على تربة الوطن وأشرقت علينا شمسه وهب علينا نسيمه ، ثم اننا مدعوون لرحلة العمر ، فعلينا ان نقطع مراحلهـا بالتعاون والحب ، فاذا كتب فعن هـذه النفس الكريمة يصدر ، لان البلاغة عنده قبل كل شيء ، صدق واخلاص فـي القول ، وابتعاد عن التباهي والمماحكة •

كنت اذا جلست اليه واستمعت كلامه وقرأت ما يكتب اناجي نفسي ، قديما قيل : شرف العلوم بشرف موضوعاتها ، فاذا كـان موضوع الادب ، تهـذيب النفس الانسانية ، والسير مع القافلة التي تؤم مطلع النـور ، وتستهدف المثـل الاعلى ، فهو من الغايات الكبرى التي ينبغي ان يسعى اليها الانسان •

بيروت

علـي ابراهيم



السابق في الحلبة ولقب آنذاك بأبي الحب ، وهو لقب باق لعائلته في كربلاء حتى اليوم وسبب هذه التسمية ان طبيبا وصف له حبا لما اشتد بـه السعـال وضيق الصدر فكان يحمله معه ويعطي منه لمـن يراه مبتليا بهـذا الـداء فسي ابـو الحب (١) ...

وكان نابه الشأن رفيع القدر في زمانه ومما يدل عـلى سمو مكانته اهتمام المؤلفين في تعليقه على كتبهم وابداء رأيه في مأثورهم ، فهذا معاصره محمد حسين النوري (٢) في مقدمة كتابه (نفس الرحمن) يقول مفتخرا : (وممن قرض عليه الفاضل الاديب المشتهر بنهاية الكمال في الافاق ، سيد قراء العراق الشيخ محسن القارىء ادام الله توفيقه) .

يبتدىء هذا التقريظ بالحث على الابداع فيقول :

مـن كان ذا قلـم فليبل مبتـدأ كـذا والا فـلا حـظ ولا قلـم

ثم يقول واصفا للكتاب :

مـن يطلع فيـه يعلـم ان ظاهره فيه النعيم وفـي بطنانـه النعـم
يـور تولد مـن نور فما نظرت عين امـرء غير ما تجلى بـه الظلم
أثنى عليـه لساني غير مبتـدىء وسوف يثني عليـه اللوح والـقلم

ثم يذكر اسم الكتاب وفيسن ألف :

جاء اسمه نفس الرحمن حين بـدا معنـاه مـن نفس الرحمن يغتنـم
أبـان مـن قـدر سلمان ورفعته ما كان قصر عنـه العرب والعجم

وللمترجم ديوان يقع في (١٩٨ صفحة) ثمان وتسعين ومائـة صفحة مـن

١ ـ ان هذه القصة وان كانت تضفي علـى المترجم لـه الشهامة والكـرم ، الا انني اشك فـي صلاحيتها بان تكون سببا لتسمية العائلة بهذا الاسم (ابو الحب) وذلك للسببين التاليين :

اولا ـ هناك بعض الاوراق التي تحمل ختما باسم الحاج علي ابو الحب وبتاريـخ يزيـد على الـ ١٥٠ سنة ، اي قبل شهرة المترجم له .

ثانيا ـ هناك في عائلة ابي الحبفي كربلاء افراد بل وافخاذ تحمل هذا اللقبوهم ليسوا من صلبه بل ان بعضهم يلتقي معه ، بأبيه ، وبعضهم يلتقي معه بجده .

٢ ـ الميرزا حسين بن الشيخ محمد تقي الطبرسي النوري المتوفي سنة ١٣٢٠ طبع مؤخرا كتابه « نفس الرحمن » في المطبعة الحيدرية ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ وكانت هذه هي الطبعة الثانية . والكتاب عـن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضوان الله عليه .

وقد آخذ الادب وسمع الشعر وروى الاخبار عن السلف الصالح من الائمة الطاهرين (ع) ...

عن الحاج محمد علي المتوفي سنة ١٢٨٢ (١) ، والحاج جواد بدقت المتوفي سنة ١٢٨١ (٢) ، وآخرين غيرهم من الخطباء والوعاظ . فما زال يختلف الى انديتهم ويقطف من ازهار احاديثهم ، ويجني من ثمر علمهم ، ويتلقف منهم ما ينثرون ، حتى ناهز الثلاثين (٣) ، واذا به قد نبغ في الشعر وبرز في الخطابة فكان

عدم صحة هذا التاريخ ثبت لدي بالسببين التاليين :

اولا : في الجزء الاول من كتاب (شعراء كربلاء) ، تأليف سلمان هادي الطعمة ، المطبوع في النجف الاشرف سنة ١٩٦٦ ورد بيتان من الشعر للشيخ قاسم الحر (١٢١٦ – ١٢٧٦) أرخ فيهما مولد محمد حسن ابو الحب المتولد يوم عيد الفطر من عام ١٢٥٥ هـ ، والبيتان :

بشرى لحسن ذي العلا بمحمد الحسن الصفات
سر الورى ميلاده ارخته (بالخيرات)

ان محمد حسن بن الشيخ محسن هو ثاني انجاله ، والاول كان الشيخ محمد علي ، وقد كان خطيبا مثل ابيه وتوفي سنة ١٣٠٧ . فليس اذن من المعقول ان يكون الشيخ محسن (الجد) قد تزوج وانجب طفلين وهو ابن العاشرة . اذ لا بد ان يكون عمره حين ولادة ابنه الثاني على الاقل عشرين عاما، والاصح هو ان يكون عمره اكثر من ذلك ، فلولا تقدمه في السن والمجتمع لما اقدم شاعر معروف ابن الخمسين عاما على تثبيت ميلاد ابنه الثاني .

ثانيا : في سنة ١٣٥٥ تقريبا ، وقبل ان توفى المرحوم الشيخ محمد حسن ابو الحب بسنتين ، سألته انا بنفسي عن عمره ، فأجابني رحمه الله مبتسما « لقد كان عمري سنة وفاة والدي خمسين عاما ، وقد مضى على وفاة والدي حوالي خمسين عاما ، فانا الآن ابن المائة او ازيد قليلا . » وقد توفي رحمه الله سنة ١٣٥٧ هـ .

ان هذين الدليلين كافيان لتصحيح ميلاد الشيخ محسن الجد الى ما قبل سنة ١٢٤٥ بعشرة او عشرين عاما .

١ – الشاعر الحاج محمد علي بن الشيخ محمد بن الشيخ عيسى آل كمونة – شاعر مجيد من عائلة معروفة من كربلاء ، له ديوان مطبوع ترجم له الكثيرون ، مثل السيد محسن الامين والسيد محمد حسن الكليدار ومحمد علي اليعقوبي وسلمان هادي طعمة .

٢ – الحاج جواد بن محمد حسين آل بدقت من كربلاء . شاعر فحل ترجم له جميع من درس الشعر والشعراء في كربلاء . كان هو والشاعر محمد علي كمونه وغيرهما مثل الشيخ محسن ابي الحب الجد والشيخ عمران عويد والشيخ موسى الاصفر والشيخ علي الناصر السلرمي يجتمعون في ندوات كربلاء الادبية ، لا سيما ندوة السيد كاظم الرشتي ، لمطارحة الشعر ومبادلة الادب والدراسة والعلم. وقد رثاه الشيخ محسن ابو الحب (الجد) لدى وفاته .

٣ – هذا يؤيد ما ذهبت اليه من انه لا بد انه كان قد تقدم في العمر قليلا قبل ان يصبح معروفا في المجتمع ويهنئه الشعراء ويؤرخون لميلاد نجله الثاني .

مع الخالدين

مع أوغيست ستريندبرغ

بقلم: سمير شيخاني

صوت ــ في السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٤٩ ، احتفلت اسوج ، حكومة وشعبا ، بذكرى مرور مائة سنة على مولد اوغست ستر ندبرغ ، احد مشاهير الروائيين المسرحيين في العالم ، والشاعر ، والرسام ، والرجل الذي تعرف الى مختلف ميادين النشاط الفكري من الجغرافيا الى الكيمياء ، ومن الطب الى اللاهوت •

ستر ندبرغ ــ أصحيح ما تقول يا سيدي ؟ لكم يسرني معرفة ذلك •

صوت ــ صحيح تماما ••• وقد اقامت « جمعية ستر ندبرغ » للمناسبة معرضا لرسومك في المتحف الوطني للفنون في استوكهلم ، وجلها لوحات تمثل البحر في العواصف ، كما اصدرت مصلحة البرق والبريد ثلاثة طوابع مختلفة تخليدا لذكراك • اما مسارح العاصمة الاسوجية فقد اقتصرت برامجها على تمثيل الروايات الرائعة التي وضعتها ويزيد عددها على الثماني والخمسين •

ستر ندبرغ ــ لا عجب في ذلك • فقد عرفت بلقب شكسبير أسوج • ويدهشني كثيرا ان وطني قد اعترف بفضلي على الرغم من مواقفي العنيفة المعروفة •

صوت ــ لقد ذكرتني بضرورة الاشارة الى ذلك تنويرا للقراء ••• فقد قضى ستر ندبرغ وقتا غير قصير خارج اسوج بسبب نقده اللاذع للمجتمع الاسوجي ولعدد من الشخصيات المعروفة ، ولم يكن يعرف الهوادة في نقده • عاش في المانيا ، والنمسا ، وفرنسا ، وسويسرا ، وايطاليا ، والدانمارك • وتزوج ثلاث مرات ، ورزق ستة اولاد ، وكان على اهبة الزواج للمرة الرابعة عندما عاجلته المنية العام ١٩١٢ •

ستر ندبرغ ــ ارجوك ، بلا فضائح ! (يقهقهان) •

القطع المتوسط خطي موجود عند عائلته وهم من العائلات المعروفة فـي كربلاء ووقـفت على نسخة (١) عند حفيده السيد ضياء ابـو الحب المدرس للتربية في دار المعلمين الريفية (٢) •

والديوان تغلب عليه الناحية الدينية • يكاد يكون كلـه في رثـاء الحسين وآل الحسين (ع) • فهو يعد من أدب الحسين • وللحسين أدب خاص قد يعجز الادباء عن جمعه بل يتعبهم • وهو ينبوع للشعر فياض يسد الادب بماء متواصل وغذاء غزير مستديم •

وهو يشرح لنا سبب رثائه لهم ومدحه اياهم فيقول مخاطبا عليا :

أمير المؤمنين ولاك حصني ... بيوم الحشر ان كشف النقاب

وها أناذا استقري ديوانه قاطفا من ورده جانيـا مـن ثـماره وان تساوت الازهار وتشابهت الاثمار لتكون نموذجا لاثره رابطا هذه الباقة بوحدة موضوع لا بما تنظم به الباقات والموضوع هـو كما المحنـا اليه يـوم عاشوراء أو أدب الحسين •

بغداد — للبحث صلة — مهدي عباس العبيدي

١ ـ في الحقيقة ان هناك عدة نسخ خطية للديوان كلها منقولة عن النسخة الاصلية القديمة التي القصائد لم تدرج بهذه النسخة الاصلية ـ قسم منها بقي محفوظا في صدد ـ خطباء المنابر الحسينيـة حصل على بعضها حفيده فسجلها ، وقسم آخر تشتت في بعض المجاميع الخطية . فقد وجدت مثـلا قصيدتين في مجموعة آل الرشتي لم تكن موجودة في الديوان ، والنسخة الاصلية هذه من الديوان هـي في هذه النسخة بخط المرحوم الشيخ محسن ابو الحب الحفيد وبخطي انا ، يظهر ان هناك كثيرا مـن المتوفي اثناء الحرب العالمية الاولى) ، والنوعان الآخران ، متوسط ورديء . كما ان هناك اضافـات يظهر من كتابتها ان جزءا منها كتب في زمانه والجزء الآخر بعد وفاته . هناك ثلاثة انواع مـن الخط في هذه النسخة ، خط جميل وجيد جدا (وقد يكون هذا الجزء هو خط ولده محمد سعيد ابـو الحب لدي ، كان قد اهداها لي المرحوم العم الشيخ محسن ابو الحب الحفيد سنة ١٩٢٤ م بمناسبة نجاحي في الثالث المتوسط وهي الآن عند الدكتور ضياء ابو الحب على سبيل الاعارة حيث انـه ينوي نشر الديوان . اما النسخ الاخرى فانا اعرف ان الدكتور ضياء ابو الحب لديه نسخة مـن الديوان بخط يده ، ولدي انا نسخة ثانية بخط الميرزا صادق الواعظ احد تلامذة الشيخ محسن الحيفد ، وعـلى ما اعتقد ان لدى الاستاذ حسن عبد الامير ـ في كربلاء ـ نسخة ايضا . وقـد تكون هناك نسخة في « صندوق » المرحوم اليعقوبي ، ولدى السيد صدر الدين الشهرستاني نسخة اخرى .

٢ ـ الدكتور ضياء أبو الحب الآن استاذ التربية المساعد في كلية التربية في جامعة بغداد .

الموجزة المؤثرة التالية : « تـرى الازواج ، اول مـا تـراهم ، غاضبين حانقين ، وسرعان ما تتسلكهم سورات من الجنون المخيف » •

ستر ندبرغ ــ لا عجب في ذلك ، فـقد اتيـح لصارسي ان يشهـد اروع تشيلياتي عن الحب والزواج ، وهي التـي اكسبتنـي شهرتـي العالمية كمؤلف مسرحي ، امثال : « الانسة جولي » ، و « الدائنون » و « الاب »

صوت ــ غير ان مسرحيات الحب والبغض ، والنزاع بين الرجل والمرأة من اجل النفوذ والتسلط ، وفـقدان الانسجام والوفاق بين الزوجين ، ليست سوى ناحية من نواحي تتاجك الادبي الضخم • فـفي اثنـاء الاحتفال الـذي اقيم في استوكهلم وحضره ضيوف من مختلف انحاء المعمور ، ألقي الضوء على عبقريتك وشمول نظرتك وشخصيتك الادبية والفكرية الفذة ، وتنوع مؤلفاتك وقد مثلت خلال هذا المهرجان ابدع مسرحياتك « الحلم » •

سستر ندبرغ ــ انها مسرحية شعرية خيالية ، لا يقيدها زمان او مكان ، فيها العطف الصادق على الجنس البشري المتألم في عالـم يعـج بالاحلام الذهبيـة والاوهام •••

صوت ــ اما « على طريق دمشق » ، وهـي مسرحية « سريالية » ، فتعتبر فاتحة عهد المسرحيات التعبيرية ومصدر وحي والهام لعدد من الشعراء المسرحيين الواقعيين امثال يوجين اونيل ، وجان بول سارتر وسواهما •

ستر ندبرغ ــ ولا تنس ان لـي مسرحيات مستقاة مـن صميـم التاريخ الاسوجي ، واشهرها « السيد اولـوف » ، و « غوستاف فاسا » ، و « الملـك شارل الثاني عشر » • وقد نحا في المسرحية الاخيرة نحـوا جديـدا في كتابـة المسرحيات التاريخية يختلف اختلافا بينا عما ألفناه في مثـل هـذا النوع مـن المسرحيات ، واشهرها مسرحيات شكسبير •

صوت ــ وكنت تكره هـذا الملك المحارب ، شارل الثانـي عشر ، كرهـا لا مزيد عليه ، فدعوته « المجرم الكبير » ، وقد اجدت في وصف سقوطه المهول في مشاهد موسيقية رائعة •

ستر ندبرغ ــ لا تنس انني كنت موسيقيا ، وقد تركت في هـذا الفن بعض

صوت ـ ثق ان شيئا من ذلك لم يراود تفكيري ، ولكنها الامانة التاريخية .

سترندبرغ ـ اذا كان كذلك فلا بأس . والآن ماذا تريد قوله ؟

صوت ـ كنت يا سيد سترندبرغ في شخصيتك وحياتك وادبك واعمالك سلسلة من المتناقضات . كنت في آن ملحدا ، وفي آن آخر تقيا ورعا ، شديد التعصب ... كنت من انصار الطبقة العاملة ، كما كنت ارستقراطيا من الناحية الفكرية ، تتصرف تصرف السوبرمان . وكنت واقعيا ، كما كنت متصوفا ...

سترندبرغ (مقاطعا) ـ لا عجب في ذلك ، يا سيدي ، فان رجلا في مثل قوتي ، لا بد له ان ينجذب نحو هذا التناقض الغريب .

صوت ـ لم تدعني أنهي سلسلة المتناقضات ، وسارعت الى التعليق والتبرير .

سترندبرغ ـ وماذا بقي لديك من صفات متناقضة تجدها فيَّ ؟!

صوت ـ كنت رحب الصدر ودنيئا ، مقداما وجبانا ، قاسيا ورقيقا متواضعا ، محبوبا ومسببا للنفور والاشمئزاز ، طيب القلب وفجا ... لم تكتف بشن حربك الشعواء على الافراد ، بل تحديت المجتمع الاسوجي ، والعالم بأسره .

سترندبرغ ـ حتى ان الكثيرين يتهمونني بأنني تحديت الله نفسه !

صوت ـ ومع ذلك فكثيرون هم الذين يحبونك ويقدرونك حق قدرك ، ولا يقل عنهم الذين يمقتونك اشد المقت . اما حياتك وشخصيتك فهما في عرف الكثيرين قصيدة رائعة غريبة ، تأسر الالباب ، وتبعث على النفور في آن معا ...

سترندبرغ ـ التناقض يلاحقني في كل شيء .. ماذا تريد ؟! (يقهقهان) .

صوت ـ دعنا نتحدث الآن عن الناحية المسرحية في اعمالك الادبية . فقد ظن الناقد المسرحي الفرنسي المعروف فرنسيسك صارسي عندما شاهد في اواخر القرن الماضي (حوالي ١٨٩٨) رواياتك تمثل على مسارح باريس ، ان باستطاعته ان يستخلص منها افضل النتائج وادقها عن سلوك الازواج الاسكندينافيين اليومي في حياتهم العائلية . وقد اجمل صارسي معاملة الرجال لزوجاتهم بالعبارة

الرواج الذي عرفته مسرحياتك • ولعل اشهر قصصك « ابن الجارية » ، وهـي ترجمة مطولة لحياتك ، افرغتها في قالب قصصي جـذاب ، فجاءت عـلى غرار اعترافات جان ــ جاك روسو • وفيها تسرد دقائق حياتـك الغريبـة ، المليئـة بالمخاطر في صراحة تامة وتحليل نفسي عميق •

سترندبرغ ــ ولي مجموعة قصص قصيرة بعنـوان « الزواج والتزويج » أثارت علي السلطات العامة لدى ظهورها لجرأتهـا وصراحتهـا المتناهية • فيهـا رسمت لوحات رائعة عن الزواج العصري ، والمرشحين للزواج ، الاكـفاء منهـم وغير الاكفاء ، وامعنت في الهجو والتهكم اللاذعين •

صوت ــ ولك كذلك ثلاثة دواوين شعرية تخولك احتلال مقـام ممتاز في مصاف الشعراء الغنائيين الكبار • وقد قضيت خلال تنقلاتك في القارة الاوروبية حوالي سنة ١٨٩٠ وقتا غير قصير في الحلقات البوهيمية الدولية التي كانت تتردد الى احد مقاهي برلين •

سترندبرغ ــ كنت انزوي في ركن من اركان المقهى المظلمة ساعات وساعات محتضنا قيثارتي ، متمتما لحنا من الحاني الشجيـة • وهنـاك وضعت انشودة « روح الشلالات » التـي تتضمنها مسرحيتـي الشعبيـة الغنائيـة « العروس المتوجـة » •

صوت ــ ولعل من اشهر قصائدك الغنائية «رحلة الى البلد» و « الاناشيد»، وهما قصيدتان تظهران بوضوح تام روحك الشعرية الموسيقية •

سترندبرغ ــ سيدي ، هل بقي لديك شيء عني لم تتحدث فيه ؟

صوت ــ لا ، يا سيد سترندبرغ ••• لماذا هذا السؤال ؟

سترندبرغ ــ لاعرف متى ستنتهي هذه المقابلة •• ولاشكرك على تفكيرك بتقديمي الى جمهور قراء العربية !

صوت ــ لا شكر على واجب ، يا سيدي ••• واستودعك الله •••

سترندبرغ ــ مع السلامة ، يا سيدي !

سمير شيخاني

الآثـار •••

صوت ـ ذلك هو الواقع ، يا سيدي • فـقد كنت ذا قدرة فائقـة علـى العمل ، قوي الذاكرة ، شديد التعلـق بالحياة ، يعـج رأسك بالآراء والنظريات الجديدة على اختلاف انواعها • وكنت ترغب في اختبار كل شيء ، والاطلاع على كل شيء • وقد اشتهرت كرسام ، فتخصصت في رسم مناظر العواصف البحرية، وتلاطم الامواج ، واكفهرار الجو • ووقـفت قسما مـن وقتك عـلى الموسيقى والنحت ، فتركت بعض الآثار فيهما • وأكببت على العلوم ترشف من معينها دون ان ترتوي ، حتى بات لديك من كل علم اخبار واخبار •

سترندبرغ ـ كنت عالمـا بالجغرافيا ، والكيميـاء ، والفيزيـاء ، وعـلم الحيوان ، وعلم النبات ، وعلم طبقات الارض ، والفلكيات ، والرياضيات ، وعلم الآثار ، والاجتماع ، والابحاث اللغويـة ، والفلسفـة ، والطب ، واللاهـوت ، والتاريخ الـخ •••

صوت ـ وكان لديك مختبر علمـي خاص تجري فيـه مختلف التجارب • وقد وضعت كتبا ومقالات عديدة في الاختبارات والمباحث التي كنت تقوم بها ••

سترندبرغ ـ ولم أقـف عند هـذا الحد ، بـل درست اصول تكريـر المشروبات الروحيـة ، وصنع الخزف والبـورسلين • وتعلمت اللغـة الصينيـة وآدابها ، وعقدت حول الثقافة الصينيـة فصولا لهـا اهميتها في عالـم الصحافة والنشر • وتركت حوالي سنة آلاف رسالة في مواضيع متنوعـة لا ادري مـاذا تـم بهـا •

صوت ـ اظنن ، فان « جمعية سترندبرغ » تهتـم اليـوم بجمعها تمهيدا لنشرها في عدة مجلدات •••

سترندبرغ ـ شكرا الك على هذا الخبر ، وشكرا للجمعية المذكورة عـلى نشاطها هذا واهتمامها بي وبانتاجي .

صوت ـ ونعود الى نشاطك الادبي فنذكر أنك كنت كاتبـا قصصيا مـن الطراز الاول • الا ان رواياتك وقصصك القصيرة هي ذات طابع قومي شديد ، وصبغة محلية ، فلم تلق خارج حدود اسوج ، وحتى في بلدان اوروبا الشمالية ،

العام الجديد ١٩٧٣

شعر: جورج صالح

وافــى تواكبــه المعــرة عـــام كفانــا اللــه شـــره
وتــربــص بــالآمنــين تشــد اسرائيــل أزره
لكـــن فـــي سيمائــه دخـن الصــدور المستعــره
السم فــي فمــه ، وفــي يــده دم ، والعــين جمــره
الــدرب مــرسوم لــه درب السباق الــى المضــره
مــا حــاد عــن بنيانــه المــرصوص بالاشــلاء شعــره
أيــن المســرة فيــك يــا أعيــادنــا ؟ أيــن المبــره ؟
أولاه مصرع (وائل (١) فــي عالــم الاجرام شهــره
لــو كان عــام النصر كنا نــنحنــي ونبــوس ظفــره
أيــن الليــالــي البيض ؟ أيــن العيــش سلسالا وخضــره ؟
يــا ليــت أجنحــة الخيال تقلنــا نحـــو المجــره
لنــقيم فــي جــو ســا ونــأى عــن الظلام فــتره
وتكــون أجــواز العنــان حماتنــا مــن أي كــره
نلقي الصواعــق مــن هنــاك علــى الــرؤوس المشمخــره
فــتصيب (نكســن والصهايــن) مــرة ، بــل ألــف مــره

★ ★ ★

أواه ! طــار بنــا الخيال ولــم نــزل في جوف حفــره

---

١ ـ وائل زعيتر الاديب العالم المسالم اغتاله في روما عملاء الارهاب الصهيوني .

الشهرة هيهات أفرّ في رياض

شعر: أحمد الصافي النجفي

سعى للشهرة الجوفاء قوم ... وكم بالشهرة اندثر الشهير
فبعض الناس يقتله خفاء ... وبعض الناس يقتله الظهور
كبعض الخلق يقتله ظلام ... ويقتل سافل الحشرات نور
كذاك النمل فوق الارض يحيا ... وتأكله متى طار ، الطيور

★ ★ ★

لقد جبت المخاطر في حياتى ... فكيف لمأمني منها وصلت
فلو عرضوا علي البدء طفلا ... والقى ما لقيت ، لما قبلت

★ ★ ★

افر من النوادي زاخرات ... بألوان المجاملة الوضيعة
وآوي للحقول طليق نفس ... فلست مجاملا الا الطبيعة

★ ★ ★

انت في نزهة وخير ملاه ... في رياض وانت في الهم ساهي
فكل الامر للآله ودعه ... وتفرج على صنيع الله

احمد الصافي النجفي

غالوه في الظلماء واستوفوا على النكراء أجره
أترى الصدى الصياح رفرف فوقه واحتل قبره ؟
هيهات ، ما للثائر الروحي من يستام ثأره .

★ ★ ★

يا أمة فجعت به ما مات ان أحييت ذكره
لا تلعني الدهر الخؤون بل العني من خان دهره ..
كثرت ضحيات الفداء ، وما الفدائيون كثره
اليوم (وائل) في ضيافة (كامل) (١) يشتف خمره
(غسان) (٢) بينهما عظام فريسة وحطام ثوره
نكأ الجراح قديمها بجديدها ، كم فيه حسره !

★ ★ ★

يا فاطر الشهداء هب أرواحهم أمنا وقره
واعطف على الاحياء أنضاء الخطوب المستمره
العدل أوصد بابه في وجههم وأدار ظهره
فالويل للمقهور سوغ منطق (الفانتوم) قهره ،
أرض المناكيد العبيد تدوسها الاقدام حره .

★ ★ ★

العام يعذرني اذا استقبلت عودته بزفره .

باريس جورج صيدح

---

١ و٢ ـ كامل مروة وغسان كنفاني . الصحافيان البارزان في جهادهما جرى اغتيالهما في بيروت .

ألضعف ـ بلـه الخلـف ـ واقـع حالنـا • يامـا أمـره
والغـرب يحقرنـا كـأن العـــرب تحت الشمـس غبـره
هانـوا فصار وجودهـم (حاشا وجـود النـفط) عثـره
هـدروا ميـاه جباههـم راضـين بـالآبـار ثـره ••
وتبـايعـوا الـدولار سلطانـا فكـان الامـر أمـره
يقضي علـى مـن شـاء منـا ، أو يـدر عليـه دره •••
جعـل اليهـود جنـوده وأعد للفئران ••• هره •••
فـاذا بنـا تحت الخيـام وقومـه فـوق الاسـره •



يا عم (١) (وائل) يا عميدا تـقرع الاشجـان صدره
أعطـاك وائـل عمـره يـا ليتـه أعطـاك صبـره
لحكمـت أن رحيلـه صان الشريف وفـك أسـره
هـذا الشهيـد نـريـده لمعـاشر الشهـداء عبـره
هـو مـن ملائكة السماء حياتـه في الارض سخـره
متمـرد متجـرد متجـدد قلسـا وفكـره
قبـس يشـق شعاعـه فـي أفـقنا المسدود ثـغره
لـولا انطفـاء منـاره لـم تكشـف الآفـاق سره
لهفي علـى الغصن النحيل تعـد الجانـون هصره
الـروض يبكـي زهـره بنـدى يخضب كـل زهره
لهفـي علـى الحمـل الوديـع تهيـب الـذئبـان نحـره

١ ـ عم الشهيد الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن ولسان العرب في لبنان .

لبنان يغني

شعر : توفيق ابراهيم

اتيـت من البقـاع الـى الجنوب   لامســح دمعــة الشعـب الكئيب
وانقـل عـن امانيـه الغـوالـي   حنـين الام للـــوطن السليـب
وامـي أمتـي الثكلـى تنـادي   حيـاتـي ، مهجتي ، ولدي حبيبي
أتنهشنـي الذئـاب وانـت حي .   وفـي عينيـك شوق للوثـوب ؟
وارضـخ للغـزاة وفي ضلوعـي   فحيـح الجـرح يعصف باللهيب ؟
فديتـك لا تـدع زحف الافاعي   يدنس تـربة الوطـن الحبيـب



فلسطيـن الحبيبـة لا تهـابي   قـراصنـة الازقــة والدروب
فخلفـك امـة دحـرت قـواها   غـزاة الغـرب في الامس القريب
وهل خلف الحـدود سوى كلاب   تهـــدد بالمخـالب والنيـــوب
تغـذيها ضــواري الغاب جهـرا   بأطنـان القـذائف والحبـــوب
لتغــزو ارضنـا غـدرا وتحمـي   حقول الزيـت من غضب الشعوب
دعـي الفانتوم تزعق في سمانــا   دعـي الاوغـاد تعبث في الجنوب
فمهمـا الغاصب الباغـي تمـادى   وهــددنـا « بهولاكو الرهيب »
ستأتـي ساعـــة ننقض فيهـــا   علـى اسطـورة الشبـح الغريب
ونطـرد كـل مغتصب دخيـــل   ونسخر من « جبابـرة » الحروب
فهـول الليل يعقبـه صبـــاح   يـزلغط بالاشعـة والطيـــوب



اللاجئة

شعر: عبد الحسين عبد الله

حملت في الظلام طفلا هزيلا ... باكيا يملأ الفضاء عويلا
وعيون السماء تهمي عليها ... مالآت عرض الطريق سيولا
تغمر الطفل بالحنان وتلقي ... فوق عينيه ثوبها المبلولا
كلما شاهدت على البعد دارا ... أسرعت نحوها تروم الدخولا
ثم عادت حيرى فقد اوصدوا ... الباب من دونها وسدوا السبيلا
ارعش البرد ركبتيها فكادت ... ترتمي في الطريق عرضا وطولا
قلت ماذا تبغين قالت مبيتا ... للضحى يحفظ الصغير العليلا
قلت اهلي كثر وبيتي صغير ... جحر ضب فكيف يأوي نزيلا
اتبعيني لعلني عند اهلي ... لمنام الصغير القى سبيلا
تبعتني ولي اليها التفات ... يترك القلب داميا مذهولا
جئت اهلي بها ويا فرحة القلب ... وقد اجزلوا لها التأهيلا
غمر الطفل من بناتي حنان ... علم الامهات عطفا جميلا
واتساع البيوت ليست مسافات ... اذا ما حوين خلقا نبيلا
وصغار قد ادخرن نقودا ... بذلوها ليشتروا المأكولا
كلهم راكض الى السوق يعدو ... مرحا ضاحكا ويأتي عجولا
يعرفون القلوب بالبؤس تدمى ... ويداوون بالقليل الغليلا
والذي لم يذق من البؤس كاسا ... لا يعي في الحياة الا قليلا

عبد الحسين العبد الله

في كهوف جعيتا

شعر: ابراهيم بري

دخلت بابك في صمت وفي ادب　　ورحت اوغل في الاجيال والحقب
تاريخك الفذ ، لا التاريخ يدركه　　فانت اقدم من صور ومن حلب
بل انت اقدم لوحات تصورها　　انامل الله في الاسفار والكتب
سبعون مليون عاما ، كلها انتسبت　　الى مقامك يا صوفية النسب
كم هاجمتك خيول الدهر وانكفات　　الى الوراء ، ولاذت عنك بالهرب
وفي هياكلك العذراء كم صفرت　　ريح الشمال ، وهلت ادمع السحب
تلك القناديل ما اسنى تالقها　　كأنها انسكبت من مهجة الشهب
تضفي على الليل اضواء ملونة　　فالليل مختضب بالماس والذهب
من انت لا صنع الـه ام عباقرة　　صاغوا الحضارة في سردابك الرطب
زاروك ،والشمس كانت تستريح على　　سريرها ، وعن الافاق لم تغب
دقوا ازاميلهم في الصخر فانفتحت　　اضلاعه ، واطل الصخر بالعجب
هنا حدائق عاج ، قربهن نما　　غصن من البان مع غصن من القصب
وفي الزوايا شموع يحترقن على　　نفوسهن ، بلا وهج ولا لهب
وفي نقا الصخر يبدو ثعلب شره　　لف اللسان على قطف من العنب
وخلفه ، لاح فلاح يسل عصا　　بكفه — وعليه هيئة الغضب
وفي الاعالي نساء يتكئن على　　جرارهن ، من الارهاق والتعب
وينضح الماء من ندي الرخام على　　انامل تتلقى الماء بالقرب
وزين القاع طاووس تحجر في　　مكانه ، وزها بالرأس والذنب
ويستريح على زند الرخام فتى　　حلو الجبين ، طويل العنق والشنب
تبثه الشوق حسناء ، بنظرتها　　تضم كل معاني الشوق والعتب
وفي البعيد خيام الجن قد برزت　　عجيبة الصنع في الادغال والكثب
معاجز فيك يهفو الانبياء لها　　فهل ترى عاش في هذي الكهوف نبي؟
يا بنت لبنان ارجعت النبوغ لنا　　في صنعة العلم ام في مهنة الادب

ابراهيم بري

فلسطين الحبيبة لا تبالي | بقرقعة المدافع والدبيب
فضرب المسجد الاقصى امتهان | لعيسى ، والكنيسة ، والصليب
وهل كان المسيح سوى حكيم | يداوي الداء بالفعل العجيب
وما زال المسيح الحي فينا | ينـدد بالصهاينة الكعوب
وصوت محمد ما زال حيا | يدوي في المآذن والقلوب
وفي آياته الحسناء يدعو | الى نبذ اليهود ذوي العيوب
فكيف نهاب فاجرة عجوزا | تغطي الفحش بالثوب القشيب
وصوت الامة السمحاء دوني | يلف الكون بالالم الخضيب
وكيف نهاب والدنيا مدانا | وفي لبنان : لبنان الجنوبي ؟

توفيق ابراهيم

الخنفس

ما للشباب تغيرت حالاتهم | فتخنثوا وتشبهوا بالخنفس
اضحى فتانا كالفتاة تأنقا | وفتاتنا تحكي الفتى بالملبس
أرخى ذوائبه وقصت شعرها | واخشوشنت وغدا طري الملمس
ويكاد طرفك لا يميز أنيسة | ما بين آترا بلها من مؤنس
فقدت انوثتها وسر جمالها | فيها كما فقد الصواب المحتسي
وعرا فتاها من تشبهه بها | ضعف وشر الضعف ضعف الانفس
اودى بعزة نفسه وابائه | واتى على الخلق العظيم الانفس

خربة سلم — **احمد حسن الامين**

يــا منيــة الطهر ، يا فجرا اراقبــه
يا بسمــة الامل المنشود يومىء لي
يــا رقــة الخمر اذ دبت بنشوتهــا
يا ضحكة الصبح لو لاحت تهش لها
يا نغمــة صاغهــا داود رقتهــــا
هبي نسيم حيــاة تستقيــم بــــه

يــا نفثة السحر في انشودة السحر
جــلال ليــل من التسهيد معتكــر
في الروح فارتهنت في نشوة الخدر
مــن الجفون الوف عشن في سهر
ذابت بسمع الهوى في احسن الصور
روحي وتبعــث آمالــي من الحفر

كربلاء ــ العراق

هادي محمد الشربتي

نربــح الاجــرة

★ ★ ★

● اراد احدهم ان يستأجر منزلا من أحد البخــلاء ، فلمــا حضر الرجــل للمعاينة سأل صاحب البيت قائلا : أين المطبخ ؟ فقال : في الجيران من يطبخ لك • قال : اين المخبز ؟ قال : سمعت ان جارك فلان قد صنع تنــورا جديــدا وهــو لا يمانع ان تخبز عنده • قال : فأين المرتقى الى السطح ؟ قال : امــام باب البيت ساحة نظيفة يطيب النوم بها • قال : ان كانت حوائج المنزل كلها خارجــه فنحن خارجون ونربح الاجرة •

عتاب

شعر: هادي الشربتي

لـم الق للحزن في عينيك من اثـر | اما اهاجك بعض الشيء من خبري
ام ان قلبك قـد جف الحنان بـه | كمثـل قولك حتى عـاد كالحجـر
ام المـروءة بيـن الناس ضـائعـة | كأن اصحابهـا ليسو مـن البشـر
ام المصـائب هانت بعـد كثـرتهـا | حتـى تعـودت الدنيا علـى الضرر
ومـا لشـدوي لـم يهززك من زمن | ولا يثيـرك ارنـانـي ولا وتـــري
قسا فؤادك لا يهفـو لحشرجتـي | في حين منهـا تلظى الكون بالشرر
وهل تضاءلت حتـى لا يهزك مـا | قـد ذقت من علقم مـر ومن عسر
ام هكذا تنزل الدنيـا بصاحبهـا | حتـى يقـابلـه الاهلـون بالضجر
وشيمـة الدهر هل ادى العقوق بها | الـى التزحلق في مستنقع قـذر
لكنمـا هـذه الدنيـا خـلائقهـا | مجبولة ـ منذ ان كانت ـ على العهر
تسـربت بالخنـا من بدء خلقتهـا | فلـم تجد بسوى الآثام والوضـر



يا مدية الغـدر يا موتـا يطـالعني | جذي ضلوعـي ولا تبقي ولا تذري
ومزقـي مهجتـي اربـا لتمضغها | سـود الليالي ولا تبقي على اثـري
لا ترحميني اذا استجديت مـرحمة | لربمـا استمبـح العذر مـن خور
فتلـك فرصـة خيـر انـت مالكة | لهـا فصولـي كما تبغين وابتدري
فالارض ملكـك والابـام قـائمـة | تحميـك من كـل بـاغ آثم اشـر
فالناس همـل ورب العصر سيدهم | وانـت في كفـه اقوى من القـدر
لا ترهبـي وافعلي مـا انت راغبـة | وليس في القـوم من نـاه ومزدجر
عبي الدمـاء فقد غـودرت ظامئـة | ووردك اليـوم صـاف غير ذي كدر
ان لم تكن شيمة المنصور شرب دم | مـا الفرق ما بيـن منصور ومندحر



يـدور دجـى تستشف الوجود وترعـى العهـود وتسترشد
تطيع الحسين بن بنت الرسـول وتحمـي الذمـار ولا تـرقـد
فهبـوا جميعـا ولأواؤهـا يكـاد يشيـب لهـا الامـرد
وخـاضوا المعـارك واستبسلوا وكـل هـزبـر بهـا سيـد
كـماة اذا مـا دعـوا للبـراز اطاحـوا الرؤوس ولم يجبدوا
كمثل (ابـي الفضل) ثأر الاله ومثل (زهيـر) بهـم يحصـد
ومثـل (علـي)يشـع سنـا و (مسلم) يفـري ولا يقعـد
ومثل (حبيـب) بدا باسمـا و (نجـل الزكي) لـه مشهـد
ودور (الزينـب) اكـرم به يهز المشـاعر بـل يخلـد
وبنـت علـي بأقـوالهـا أقضـت مضـاجع من يـجلد
و (زيـن العباد) قـوي الفؤاد ورمـز الجهـاد ومن يعضـد
هنـا المهرجان بذكرى الشهيد بأرض البطولات لا (المـربد)



أمعقـد آمالنـا الساميـات لأنـت نشيـدي والمعقـد
وانـت العظيـم الذي لـم يزل بأنـواره يسطـع الفـرقـد
وفيك (الرسالـة) قد جسدت فـرحت الـذي شابها تطـرد
فأنقذتهـا مـن يـد العابثيـن وانـك حقـا لهـا المنجـد
لهفنـا اليـك لمـا نـابنـا وانـا بشخصـك نستـأسـد
وفـي (اربعينـك) بعض اسى وبعض دروس بهـا نـرشـد
نشـت لارواء غـرس لنـا وكـان السقـاء دمـا يرفـد
كـذا التضحيـات والا فـلا فبوركـت فـذا لك السـؤدد



قبس من الحسين «ع»

شعر: كاظم جواد رضا

طهرت وطاب بك المولد ... وزاتك قدرك والمحتد
وانت السراج وفي ضوئه ... سنمضي وان عز ما ننشد
ومنك تشع معاني الخلود ... سموا وعزا وانت الغد
وانت الغياث وهل من دليل ... سواك بطخيائها يصمد
وانت أبنت لنا منهجا ... وقلت : أيا هؤلاء اقتدوا
أيا معشر الناس اني نذير ... لكم فاسمعوني ولا تعتدوا
رسمت لنا دربنا لاهبا ... وأطلقتها صرخة ترعد
بأني لا ارتضي ذلكم ... وكيف تمد اليكم يد ؟
وهل مسلم من يوالي الطغاة ... ويرضى الفجور ويستعبد
وأنت القوي الذي لا يلين ... وانت العفيف الذي يزهد
وانت العزيز الذي لا يضام ... وانت الكريم الذي يقصد
وكنت الشجاع بقطعانهم ... ولم تأل جهدا وهم شرد
نهضت واصحابك المخلصون ... وكان العدو لكم يشهد
ورايـاتكم رفرفت عاليا ... واصدرن بيضا كما المورد
صمدتم فكنتم ليوث الوغى ... مثال الاباء ، وريع العدو



خرجت لتصلح ما افسدت ... علوج امية اوحد
بصحب تسابق نحو العلا ... وروح الولاء بهم يصعد

طرائف من السنغال

رحلة صيد

شعر: ابراهيم حاوي

من ديوان لوافح ونوافح الذي تامل بطبعه قريبا .

هذه الحكاية الشعرية نقلها لي احد الصيادين ابو جميل وطلب مني نظمها شعرا في وقتها ١٩٦٨ تقريبا فنظمتها تلبية لصداقته .

يقول ابو محمد في حديث ... لصياد القلوب ابي جميل
ارى نفسي تتوق الى المعالي ... ولن اكتمك شوقي يا زميلي
لقد صدئت بنادقنا فهيا ... لصيد البر نأتي بالجزيل (١)
وفي الاهداف ما جربت جفتي ... ولكن في الفضاء فتى المهول

★ ★ ★

وهب الاجدلان قبيل فجر ... بديع البزغ ذي ريح عليل
الى بر مرج فسيح ... الى غاب الى ظل ظليل
الى وحش الى طير كثير ... الى ماء غزير سلسبيل
وقال : ابو محمد يا زميلي ... لعمري لست ارضى بالقليل
وراح مصوبا في الحال جفتا ... الى الآكلون(٢) ذي الريش الجميل
فخاب ولم يصب والطير ولى ... ليشكو من اذى الغادي الدخيل
وفرقع ما لديه من « ضروب » ... جزافا « معنا » في المستحيل
وثار ابو جميل وهو يعدو ... بأهبته على غير السبيل

---

١ ـ لا يخفى انهما من هواة صيد البحر اصلا .
٢ ـ الاكلون طائر افريقي جميل وكبير ومشهور بطيبة لحمه .

أبـا الشهـداء وهذي العدى | وليســ لصمصـامهـا مغمـد
تحـاول كيـدا ولا تـرعوي | وبـاتـت بحـق لنـا تجحـد
وراحـت تخبـي لنا المهلكـات | وأعينهـا حـوم رصـد
كأنـا ـواسلامنـا شـاهد ـ | ولسنـا لامتنـا نجهـد
كـأنـا كفرنـا بكتب السمـا | ء ولـم نـك تفعل مـا يحمـد
فيـا لوقـاحة مـا يتـت | ويـا لقبـاحة مـا تنشـد
ونحـن اذا مـا اردنـا الحياة | بغيـر هـدى اللـه لا نسعـد
وأنـت الشموخ وأنـت الثبات | وأنـت لنـا شعلـة توقـد
فضحـت بثـورتك الظـالمين | وعلمتنـا كيـف نستشهـد
سنأخذ حقـا لنـا من (يزيد) | ومعـك لنـا في غـد موعـد
يجل بـك الخطـب يـا سيدي | وقلـب المحـب بـه يكمـد
وفـي القريحـة قـد الهبـت | وهيهـات يومـا لهـا تبـرد
وان عـزائـي علـى فقـدكم | ومـا نالكـم من اذى سـرمد
سـلام عليـك اذا مـا بعثت | ويـوم قتلـت واذ تـولـد

بغداد ـ الكاظمية

كاظم جواد رضا
بكالوريوس آداب

أجـود الجـياد

● سأل الحجاج ابن القرية : ما يحمد مـن الخيل ؟ فقال : اذا كـان قصير الثلاث ، طويل الثلاث ، رحب الثلاث ، صافي الثلاث ، فهو الجواد • اما القصير الالثلاث ، فالعسيب والساق والظهر ، واما الطويـل الثـلاث فالاذن والنحـر والسالفة ، واما الرحب الثلاث فالمنخر والجوف واللبابة ، واما الصافي الثلاث ، فالاديم والعين والحافر •

والدي لا أنسـ .. ك

شـعر : بشّار كامل الزين

قسما برب الوالدين بـأن ذكرك غـير منسي
بـرا بكل أب وأم فـي الوجود بكـل جنس
هيهات تنسى وأنت من ربيتني ومـلأت نفسي
حبا لذي العرش المكين وتائبا عن كـل رجس
ألهبتني شوقا لرؤياك التـي طويـت بـرمس
ذكراك ألطف من نسيم الفجر قبل شروق شمس
قلبي يحدثني بأن ملائكة السماء عليـك تمسي
ايمانك اللهم يعلم أنـه ملء اليقين بغـير لبس
لي في عزاك الصبر حب الرسول فـداه نفسي
علمتني أحيا على هدي الرحيم فطـاب درسي
أنساك كيف ؟ وأنت قدر من تراث غدي وأمسي
خلفتني، فعزمت أن ابقى لدينك مخلصا ابدا لغرسي
رغم الذين يعربدون، يشوهون ضيـاء قبسي
رغم الذين تحكسوا ، قد مات فيهم كـل حس
وأضاعوا جم معالم المجد الرفيع بيـوم نحس
يتلاعبـون بأمـة الاسـلام للهـدف الاخس
يتنازعون الحكم أدوارا علـى أطـلال كرسي
متـفرقين مسزقـين بكـل قطـر ألـف جبس

ليثبت انه فذ وحيد — « بكار » الصيد ذو باع طويل
ويثبت انه رام قدير — وصياد من الوزن الثقيل
فلم يحظ بشيء من مراد — ولم يشف بشيء من غليل
ويعزي كلما اخطا لشيء — على عين الغبي او « الهبيل »
رويدك لا تذل ابا جميل — فما لك في الحذاقة من دليل
فلم تترك بساحك من جريح — ولم تترك بساحك من قتيل
واغيظ ما يغيظك جلع غر — بدعوى الصيد مغرور جهول
فطورا يدعي صياد بحر — وان برا فذو الصيد الاصيل
اصخ يا مدعي صيدا لنقد — وما للناس من قال وقيل
لئن تلق كما تهوى عسيلا — فليسن الناس كلا بالعسيل

لبنان — ابراهيم حاوي

خصال حميدة

● اجتمع عدد من الحكماء عند انوشروان فقال : ليتكلم كل واحد بكملة نافعة . فقال احدهم : الصمت المصيب ابلغ حكمة . وقال الآخر : تحصن الاسرار انفع رأي . وقال الثالث : لا شيء انفع للرجل من المعرفة بقدر ما عنده من الفضل وحسن الاجتهاد في طلب ما هو مستحق له ، وقال الرابع : الاحتراز من كل احد احرز رأي . وقال الخامس : لا يروح المرء على نفسه بمثل الرضا بالقضاء . فقال انو شروان : كل قد قال فأحسن ولا خلاص لاحد الا التثبت للاختيار ، والاعتقاد للخيرة .

قضـــاء وقـــدر

قصة بقلم: بلقيس الحوماني

كانت قاعة الاستقبال غاصة بالزائرين يمضون ساعات السهرة بشرب القهوة وتدخين النارجيلات والخوض في احاديث ومواضيع شتــى •• وكانت المواضيع تبدأ بين شخصين لتنتشر بعد ذلــك بين الحاضريــن جميعهم او بعضهــم حسب اهميتهــا •

وكان رب البيت يتصدر القاعة بجسمه الضخــم المهيب في جلسة مريحــة وامامه نارجيلته يدخنها بهدوء وثقة وقد خلع طربوشه فبانت صلعته اللامعة وهو لا يفتأ يفتل شاربه الابيض الكث جائلا بين الحضور بعينيــه الواسعتين الحادتين مستمعا الى مجادلاتهم واحاديثهم متدخلا بين حين وآخر بسؤال او تعليق ساخر او معطيا رأيه بلهجة حاسمة بدون ان ينتظر ردا •• وبين حين وآخر كان يرفع من صوته مناديا الخادم طالبا المزيد من القهوة او جمرات للنارجيلات •

وطرق سمعه كلمة اثارت اهتمامه فالتفت الى رجلين قريبين كانا يخوضان في موضوع ما واخذ ينصت صامتا وهو ينفخ في نارجيلته • كان الموضوع دائــرا حول القضاء والقدر او (النصيب) كما كانوا يدعونه •• وكان الجــدل يــدور بينهما بشدة وحماسهما يزداد كلما ابدى احدهما دليلا جديــدا او شاهدا قويــا على ما يعتقده •

كان احد المتجادلين يقول بسلطة القضاء والقدر وجــد حتميته وكان هــذا يكاد يكون اكبر الحاضرين سنا •• بدينا متدلي الكرش يمتص نارجيلته بهــدوء وثقة وقد ازاح طربوشه الى الوراء وراح يدلي بحججه وبراهينــه بصوت واثق مستصغر لحجج خصمه • وكان من رأيه ان الذي لا يعتقد بالقضاء والقدر هــو رجل كافر لان الله قد قدر على الانسان كل ما يصيبه من خير وشر، ليس من قبل ان يولد فــقط ، وانما منذ بدء الخليقة فــقد سجل الله تعالى في اللوح المحفوظ كل ما سيكون وما سيجري على مخلوقاته •• فالانسان ، والحالة هــذه ، عاجز كل العجز عن تحويل قضاء الله او النصيب كما يقول الناس ••

حتى اذا بلغوا الحروب واسقطوا في شر نكس
يتسابقــون غبـاوة شرقـا وغربـا للتـأسي
ويخلفون وراءهــم ذلا يعيــب يــدا ويخسي
أرضا تباركها السماء بمسجد وجــوار قــدس
ما كنت أحسب امتي بالحق قــد بيعت ببخس
عجبا ارادوا الانتصار بلحن غانيــة وجــرس
يتلمسون الحل سلســا وهو عار يعــد بـأس
والحل في ضرب العدى في وحدة الاسلام مرسي
رحماك ربي ان جنحت بكــل صرخاتي وهمسي
فالكرب زاد بغربتــي والحال آلمنــي بلمــس
وفــقيد نــفسي يا الهي في جوارك فيه أنسي
أمنن عليــه برحمة وأجعل لــه نــورا بقبس

بشار كامل الزين

أبـا حميد

وجهت هذه الابيات سنة ١٩٦٨ الى الصديق الكريم الاستاذ عبد المجيد كبة مدير المحاسبات العام في العراق حينئذ لرفع ظلامة من احــد موظفيه ، وقد استجاب لهذا الرجاء جزاه الله خير الجزاء .

أبـا حميد وانت الصارم الذكــر وأنــت غرتنـا ان أظلــت غــرر
أنت الصديق الذي تحلو صداقته ويرتجى بيننـا والليــل معتكــر
أراك عنوانه من بعد مـا قبرت مواهب ومزايـا بــين مــن قبروا
والصفح عن (قدرة) خلق ومفخرة والذنب عن (حكمة) ينسى ويغتفر
فانصر أخاك(فتى الزوراء) قد سلست يد الى الحق ـ رغم الظلم ـ تنتصر

بغـداد
محمد حسين الشبيبي

لا يعتقد بوجود القضاء والقدر مفحما ولكنه بقي على عناده وقد ازداد عنفا وعصبية • وهنا ، لاول مرة ، تدخل صاحب المنزل فقال بصوته العميق الهادىء :

ـ رأيي ان الانسان مخير وغير مسير • صحيح انه غالبا لا يبلغ ما يريد وهو لا يستطيع ان يأمن الى الزمن وغدر الايام ولكن هذا لا يعني ان ثمة قوى غامضة مسلطة عليه ••)

وسكت برهة ليأخذ نفسا طويلا من نارجيلته بينما سكت القوم وقد اتجهت نظراتهم الى اسفل وشفاههم تتمتم بكلمات الرحمة فقد كان المرحوم اسعد ابن تصدرت القاعة لشاب في مقتبل العمر قد احاطت بها شرائط سود ؛ وقال بعد لحظة تأمل وقد كست وجهه سحابة :

ـ (كلكم تعرفون قصة المرحوم اسعد ••) ووجم السامعون وسقطت نظراتهم الى اسفل وشفاههم تتمتم بكلمات الرحمة فقد كان المرحوم اسعد ابن صاحب المنزل الوحيد وقد انتهت حياته بمأساة فقد كان طيارا يفيض حياة وصحة وشبابا •• وذات يوم ، ذهب في رحلة ولم يعد ••

وتابع صاحب المنزل :

ـ ان من يسمع قصة ابني اسعد سرعان ما يحولها الى القضاء والقدر فالكل يعرف ان الرحلة التي لم يرجع منها لم تكن الرحلة المقررة له في ذلك اليوم وانما تبادل مع زميل له رحلتيهما كي يتمكن من السفر في اليوم التالي مع زوجته الاجنبية الى بلدها لقضاء عيد قومها معهم •

وهنا قال نصير القضاء والقدر بلهجة انتصار :

ـ اذن ما الذي جعل ابنك يستبدل رحلته برحلة زميله في تلك الليلة بالذات ان لم يكن مقدرا عليه ان يموت في تلك الليلة ؟

ورد عليه مستمع آخر ضاحكا :

ـ ان الذي جعله يفعل ذلك هو رغبته في السفر في اليوم التالي •• لا شيء غامض في ذلك ••

وقال صاحب المنزل وهو يصلح من نار نارجيلته بالملقاط الصغير :

اما خصمه في الرأي ، فقد كان رجلا كبير الجسم ما زال فيه بقية من شباب وقوة ونضارة كبير الشارب عالي الجبهة عاري الرأس لا يكف عن تدخين السكاير وهو يدافع عن رأيه بقوة وعنف . وكان من رأيه ان « النصيب » ما هو الا كلام فارغ لان الانسان مخير في اعماله وفي السبل التي يسلكها وان النتائج هي خيرة او شريرة تبعا لتلك السبل او الاعمال . وختم كلامه قائلا بعنف : (ان ما يصيب الانسان من خير او شر كان باستطاعته ان يغيره لو انه تصرف تصرفا مخالفا .. فمثلا .. لو انني قمت هذه اللحظة وخرجت الى طريق ما وقابلت لصا سلبني ما احمل من نقود فان هذا لا يعد قضاء كان لا بد ان يحصل لانني كنت استطيع ان أؤجل خروجي ساعة فلا القى اللص) .. معنى هذا ان ما يحدث لي انما هو مرتبط بمشيئتي وتصرفي الذاتي . واجاب الاول بتهكم وثقة (ولكن ، لو كنت ذهبت هذا المساء الى القهوة مثلا فانك لا تكون قد غيرت القضاء والقدر وانما يكون قد قدر عليك ان تكون في القهوة ان ما تفعله وتقوله جميعا في هذه اللحظة انما هو طبق خطة مرسومة ليس الا .. قل لا يصيبنا الا ما كتب الله لنا ...

وهنا تدخل رجل بجانبهما كان يستمع طول الوقت فقال يجيب المتكلم ، ان الامر لو كان كذلك لما طلب الانبياء والرسل من الناس تخير اعمالهم الصالح منها من الشرير .. ولو كان صحيحا ان عمل المرء ونتيجته هو امر مفروض او مقدر عليه لما كان ثمة حاجة اذن الى ان يخلق الله للانسان العقل المميز ...

وهنا تدخل رجل رابع فقال مدافعا عن مبدأ القضاء والقدر بان الانسان لو كان مالكا زمام امره ، اذن لرأينا كل انسان يضع خطة لعمل ما ، يبلغ الى النهاية التي يريد ويتصرف بالايام والحوادث كما يبغي .. ولكننا نرى بدلا من ذلك ان الواحد منا تتلاعب به الحوادث والايام ذلك لان قوى غامضة مسلطة علينا هي القضاء والقدر ، لا نستطيع امامها حيلة .. وقديما قيل ؟ وتقدرون فتضحك الاقدار ...

وسكت المتحدث وقد بان على وجهه الانتصار .. وبدا ان جميع الحاضرين قد شد انتباههم الموضوع فاخذ كل واحد منهم يدلي بحجة او شاهد يؤيد وجود القضاء والقدر . وكثرت القصص والادلة والحوادث التي اوردها الحاضرون والتي بدت وكانها حدثت بدون سبب مفهوم . وبدا الرجل الذي

يريد ان يسافر في اليوم التالي وهو لم يكن ليفكر في السفر الى ذلك البلد البعيد لو لم يكن متزوجا من امرأة اجنبية تريد ان تقضي عيد قومها معهم وايضا تلك الطائرة لم تكن لتستخدمها الشركة مضحية بارواح بريئة لو تمشى المسؤولون فيها مع ضمائرهم وواجباتهم • تلك كلها كانت الحوادث التي تلاقت، كما قلنا ، الى هذه النتيجة ••

واحنى رأسه متشاغلا ، وحنى الحضور رؤوسهم اسفا مظهرين شعورهم معه •• ثم اخذ كل منهم يبدي تعليقا وقال واحد منهم :

ـ هذا صحيح •• فلو كانت الاعمال مقدرة على الانسان لا خيار له فيها لما كان مسؤولا عنها امام الله ولما كان ثمة ثواب وعقاب في الآخرة ••

وقال آخر :

ـ من المؤسف اننا اعتدنا ان ننسب كل مصيبة الى الله او القضاء والقدر بينما هي منا ومن نتائج اعمالنا سواء بشكل مباشر او غير مباشر •

وقال آخر باسف :

ـ حقا ان الكسل والتواكل الذهني فينا يمنعنا من التفكير بعمق في كل ما يصيبنا ••

وكان الليل قد انتصف او كاد فنهض واحد من الزائرين يستأذن بالانصراف وسرعان ما هب الباقون وقوفا يودعون هم ايضا •

ووقف صاحب المنزل في وسط الديوان ، بعد انصراف زواره ، يجيل انظاره في الجو الملبد بسحب الدخان وفي اكواب القهوة الملطخة الحوافي والنارجيلات الخابية الجذوات واحس بانقباض وحزن كانا يساورانه كلما خلا الى نفسه وساد السكون ارجاء المنزل وذلك منذ فقدان وحيده •

ومشى تاركا القاعة وقد تراخى جسمه وانكمش حجمه عما كان يبدو عليه بين زائريه وبان كبر السن على وجهه •• وقبل ان يصل الى غرفته ، لمحت عيناه الضوء ما زال ساطعا في غرفة زوجته فاتجه اليها ، وزاد انقباضه وحزنه منظر السواد الغارقة فيه زوجته ووجهها الحزين يطل من مسط غطائها الاسود الذي

ـ في الواقع ان مسألة القضاء والقدر او ما نسميه بالنصيب هي مسألة اختلف فيها اناس كثيرون ولم يستقر عليها الرأي تماما • مفهوم الناس عنه انه قوة غامضة مسلطة على المخلوقات والبشر على الاخص فتسيرهم حسب ما هو مقدر عليها منذ الازل • وفي رأيي انه لو تدبرنا كل حادث يحيق بالمرء لرأينا انه حدث نتيجة لاسباب عديدة وتصرفات صدرت عن المرء نفسه او عن اشخاص آخرين قد لا يمتون اليه بصلة سوى صلة الانسانية ونوع الحادث ، خيرا كان او شرا ، انما هو في الغالب ، تابع لنوع هذه التصرفات ومدى تأدية كل فرد كان له صلة به لواجبه واتباعه للخط المستقيم في مسيرة حياته • وقد نرى ان الرجل الذي حاقت به مصيبة هو غير مسؤول عما حاق به وانما المسؤول هو شخص او اشخاص آخرون وان الرجل هو مظلوم وهذا صحيح ، ولكن الناس جميعا مرتبطون معا برابطة الانسانية وهذه الرابطة تضعف او تقوى حسب بعد الشقة او قربها بين الواحد منهم والآخر •• وهو كالسلك المكهرب ما ان يمسه ماس حتى يسري الكهرباء اليه ••

واخذ صاحب المنزل نفسا عميقا من نارجيلته ثم استطرد :

ـ وهكذا ، قد نرى امرءا مستقيما يؤدي واجبه كما يجب ان يؤديه ، وتودي به مصيبة او يقع به ظلم لا يستحقه فنقول انه القضاء والقدر الذي لا يفرق بين الخير والشر وقد يشك الملحد في العناية الالهية التي لا ترعى الابرار ويشك اكثر في قيمة او نتيجة صالح الاعمال •• والمجتمع مليء بامثال هذه المآسي المحيرة ولكن المسؤولية تقع على المجتمع نفسه •• فكلما ادى افراده واجباتهم بكل دقة وامانة واستقامة كلما انخفض عدد هذه المآسي •• فالانسان لا تصيبه هو فقط نتائج اعماله مهما كان نوعها وانما تصيب افرادا آخرين قد لا يمتون اليه بصلة كما اسلفنا ••

ونادى صاحب المنزل غلامه طالبا نارا للنراجيل وانشغل الحاضرون حينا باصلاحها وهم يستمعون الى صاحب المنزل يتابع :

ـ لنعد الى اسعد المرحوم مثلا •• انها ليست قوى غامضة غير مفهومة تلك التي دفعته الى تلك النهاية وانما مجموعة حوادث واسباب مختلفة انتهت كلها الى هذه النقطة او المصيبة فهو اولا لم يكن ليفكر في استبدال رحلته لو لم يكن

الذكرى السنوية الأولى للمرحوم أديب الزين

بقلم : اليونس ، الصالحي
صدر الافاضل
الانصاري ، الزين

ابن العلامة المغفور له الشيخ عارف الزين ـ وشقيق الاديب الكبير الاستاذ « نزار الزين » صاحب مجلة « العرفان » الزاهرة وجريدة « جبل عامل » الغراء، وشقيق القاضي اللامع الاستاذ زيد الزين ـ المفتش القضائي في وزارة العدل بلبنان • والفقيد الكريم كان على مستوى عال من الثقافة الغنية ، والخلق الرفيع • فهو سليل ذلك البيت الكبير المرموق ، والاسرة الطاهرة التي كانت مدرسة بالعلم والادب والوطنية • وكان ، رحمه الله ، رقيق الحاشية لطيف المعشر •• تحس بقلبه الكبير يحدثك ويصغي اليك ، ويغمر مجلسك أنسا ورقة ووقارا •• وفي ملامحه رصانة محببة ، ونظرات مهذبة ، وابتسامة نابعة من الصدر •• فهي لا تنطفىء ابدا •• واذا توقف شلالها فترة يظل بريقها يغسر عينيك ، ويحف بهما عذوبة ولطافة • وقد عكف على تربية أسرته ـ بنفس الروح المثالية التي ربى بها « الشيخ العارف » ـ تغمده الله برحمته ورضوانه وعفوه وغفرانه ـ تلك الاسرة التي يعبق ذكرها في كل مجلس ، وينتشر اريج شمائلها في كل محفل • فأنجال الراحل الكريم ينهلون من أصفى ينابيع العلم وأرقاها وأنقاها • تعازينا الحارة لال « الزين » الكرام ـ شقيقي الفقيد النبيلين ، وشقيقتهما الطاهرة المصونة السيدة « ام رغيد » وزوجها الفاضل السيد مصطفى رضا النحاس ـ الذي هو من أعيان دمشق ووجهائها المرموقين • رحم الله فقيدنا الغالي رحمة واسعة • والامر لله من قبل ومن بعد ، وانا لله وانا اليه راجعون •

عبد اللطيف اليونس

لفته حول رأسها •

كانت جالسة القرفصاء على راحة الارض وقد امسكت بيدها مجموعة من صور كست اكثرها صفرة الزمن ومضت تتأملها الواحدة بعد الاخرى بصمت وهي تهز رأسها بين الفينة والاخرى ••

وعندما احست بقدوم زوجها صدرت عنها حركة سريعة حاولت بها اخفاء الصور في صدرها والنهوض من مجلسها فقد كان من تشدد زوجها في رغبته في ان لا تستسلم للحزن والحسرة ان اقسم يمينا معظما بان ينتزع من يدها الصور ويحرقها اذا ما رآها تسهر معها ومع الذكريات فيما لا فائدة منه • ولكن نظرة منها الى وجهه وعينيه جعلتها تتوقف عن محاولتها • وراقبته بنظراتها الكسيرة في عجب وهو يتقدم ناحيتها ببطء ثم ينهار مرة واحدة على الطراحة بجانبها ويمد يده الى الصور يتناولها من يدها •

وساد الجو صمت حزين كان الاب اثناءه يقلب الصور واحدة اثر الاخرى وقد تهدل شارباه وارتخت كتفاه بينما الام منكسة رأسها الى الارض تهزه بين حين وآخر بحسرة واخيرا ، اخترق الصمت المؤثر صوت الام الثكلى تعدد شبه نائحة :

— كم من الناس نصحوني ان لا اعلمه ليكون طيارا•• لولا ذلك لماحدث له ما حدث •• كم من الناس نصحوني بان لا اسمح له بالزواج من اجنبية مشؤومة•• لولاها لما فكر في تغيير رحلته •• كم توسل الي ان ارضى له بان يعمل في بلد آخر •• لو كنت رضيت معه بذلك اذن لما ذهب في تلك الرحلة المنحوسة •• •ماذا فعلنا يا ربي كي تكتب علينا ان نحرم من ولدنا الوحيد ؟؟

ورفعت عينيها الى السماء في عتب والم وحزن بالغ ثم رفعت منديلها المخطط بالسواد الى عينيها تجففهما ••

وهز الاب رأسه بدوره ببطء حزين ليقول بعد فترة بصوت خافت متهدج :

— (نصيب) •••

بلقيس الحوماني

حيث تسهم في مرحلة البناء والتطوير ، وتقوية صرح الاخوة على اساس المساواة، وحل المشاكل المطروحة بروح الانصاف العالية ، وتدارك الامور بالروية والحكمة، ومضاعفة الجهود المتواصلة لاستكشاف المواهب الادبية ••• وصاحبها الاستاذ نزار الزين خير واقف على شؤون الصحافة العربية ، وملم بهـا اكمل الالمـام ، وصراحته المتناهية جلبت له المعاناة التي لا حد لها •• كما ان مكتب « العرفان » أصبح بشابة سوق عكاظ يجتمع فيه اقطاب الفكر ، ومنهم الادباء احمد الصافي النجفي ، ورشيد سليم الخوري ، وحسن الامين ، ووديع ديب ، وعبـد اللطيف شرارة ، ومحمد جواد الدجيلي ، والسيد علي ابراهيم وسواهم ، فيجري بينهـم حديث الادب الذي تلتقي فيه الارواح ، ويثار النقاش حول المسائل الفكرية التي تشغل بال الرأي العام العربي في الوقت الحاضر •• !••

ان مجلة « العرفان » الزاهرة مرآة للحياة الفكرية المتجددة ، تجسد فـي محتوياتها الاهداف القومية ، وتحمل شعارات خيرة تخدم بها الانسانية •• وان لمقالاتها انعكاسات تقدمية على الشعب ، وانفتاحا على كل القوى الخيرة في الوطن العربي الكبير ، وهي مجندة للعمل في كل ما يجلب الازدهار لامتنا العربية ذات التاريخ المجيد في الدفاع عن الحق والقيم السامية ، والمسعى الحقيقي لنشر العدل الاجتماعي ، وتوفير مستلزمات الرفـاه الاقتصادي للمواطنين ، وتمكينهم مـن بلوغ آمالهم المنشودة •• !••

وما زالت تحمل مسؤولياتها التاريخية التي تتحدد في اطار مصلحة الشعب، والتعلق بحب الوطن ، وتقييم ذوي الفكر من الجيل السابق لجعلهم منارا للجيل المعاصر يسترشد بهديهم ، ويسلك نفس الطريق الذي سلكوه •• !••

وفي سفرتي الاخيرة الى لبنان في اليوم الاول من شهر تموز سنة « ١٩٦٩» الميلادية ، وعند وصولي الى بيروت ذهبت كالعادة الى مكتب العرفان الكائن في الطابق الخامس من بناية العازارية لزيارة الاخ العزيز الاستاذ نزار الزين ، ولمـا دخلت عليه استقبلني بلهفة حارة ، وهو باسم الثغر ، مشرق الوجه ، طلق المحيا ، وغمرني بفيض من العواطف الاخوية الدالة على طيب الارومة ، وكـرم المحتد ، والاغراق في الوفاء ••• وقال ووجهه يتهلل فرحا وابتهاجا :

ـ أقدم لك أخي الكبير أديب الزين •••

أديب النجف

رجل الشهامة والوفاء والمحبة

بقلم : خضر عباس الصالحي

كنت وما زلت مجبولا على حب السفر الى خارج العراق للتعرف على عادات الشعوب وطبائعها ، وحين ارتحل من مدينة الى مدينة اخرى أشعر بأنني مقبل على عالم مسحور ، واحس بأنني مكتشف أحاول التوغل في اعماق المجهول ..!..

وقد سحرتني مباهج الحياة في لبنان .. لبنان القطر العربي الذي يتميز بطابع خاص لا نجده في بلاد أخرى .. فهو بلد مضياف يتلمس فيه الانسان الراحة والاطمئنان ، وشعبه ودود ومحب للصديق ، وربما يتيه الغريب في ازقة بيروت ولكنه سرعان ما يعثر على من يساعده ، ويشعر كأنه يعيش بين عائلة كبيرة، وهو شعور يحس به يوميا ، ودون انقطاع خلال اقامته في تلك الربوع الجميلة ..!..

وقد قمت برحلات عديدة الى لبنان للاطلاع على معالمها الفكرية والاثرية ، والوقوف على ماضيها القديم ، ومعطياتها الحديثة .. فكنت أجوب شوارع بيروت ، واشبع عيني من مبانيها ذات التراث العريق ، والتمتع بمرأى عماراتها الشاهقة التي هي آية فريدة في الجمال ، وفن العمران ..!..

وكنت أتنقل بين افانين وديان لبنان النضرة ، وأتجول بين نقاء هواء البحر وسطوع شمسه ، واطوف بين الاوراد اليانعة المنتشرة في الحدائق ذات التصاميم البديعة . فأتنسم عبق النسيم العابر ، واستاف أريج الزهر الفواح .. وفي احضان هذه الطبيعة الخلابة تتكشف لنفسي حقائق الكون والوجود ..!..

وكنت أتردد على مكتب مجلة « العرفان » الغراء في بيروت ، وهي في طليعة المجلات العقائدية الصادرة في لبنان ... ولها اهميتها في شحذ أفكار القراء ، وفتح اعينهم على قضايا امتهم العربية المصيرية ، وتلعب دور الرائد في هذا المجال ، وانها منطلق رحب لحملة الاقلام والآراء الحرة ، ومنبر الفكر الناضج ،

برهنت على ما عرف به آل الزين من السخاء ، وما جبلوا عليه من كرم النفس .. واقبلنا على الطعام بشهية ... وأخونا أديب الزين قد تجاوز الحدود في توفير كل ما يبعث الحبور الى نفوسنا ، ويفيض علينا بكل ما في قلبه من عواطف الحب والحنان ، وما انطوت عليه نفسه الكبيرة من شهامة وبذل ونكران ذات ، وما تحلى به من خلق كريم جعله مثلا أعلى في دنيا المروءة والاخلاص والتضحية .!.

ولما انتهينا من تناول وجبة الغداء ... جلسنا في البهو المفروش بالسجاد الايراني الفاخر ، والذي زينت جدرانه بالصور الزاهية الالوان، وكانت تتصدرها صورة كبيرة لخالد الذكر المغفور له ساكن الجنان المجاهد العربي الشيخ أحمد عارف الزين الذي كلما ذكر التاريخ اركان النهضة الفكرية في الوطن العربي الكبير فانه يتألق بينهم علما بارزا ، وسياسيا رائدا ، ومؤلفا بارعا ، وكاتبا بليغا ، فقد كان في حرب دائمة مع الاستعمار ، وقد أدى رسالته في الحياة على خير ما يمكن ان يؤديها انسان مخلص ، وقدم أجود العطاء الفكري بمختلف ميادينه ، وكان جذوة متقدة من الصراحة والاباء وعزة النفس .. !. .

وادار الاستاذ أديب الزين دفة الحديث ، فكنت مأخوذا بسحر كلامه ، لما تحفل به حياته من التجارب ، وما تستند اليه من رصيد ضخم من الخبرات .!..

ولما استأذنت بالانصراف مع الصديق الحميم نزار الزين صافحني وهو شد على يدي بقوة كما لو كان يخشى افلاتها من قبضته ... وما عتمت ان بارحت الدار العامرة ، ولساني يلهج بالثناء عليه ، وجدني عاجزا عن مجاراة عواطفه الجياشة ، وجذور الانسانية والكرم العربي المتأصلة في نفسه ، والتي تقصر التعبير عن وصفها .. !..

وتكررت بعد ذلك زياراتي له ، وتتابعت دعواته لي ، وتسكن الود بيني وبينه ... لما بيننا من التوافق في الاتجاه الفكري ، فعرفت فيه نبلا في غير مفاخرة ، وبذلا في غير تزمت ، لا يقول الا حقا ، ولا ينطق الا صدقا ، عميق النظرة الى الوجود ، شديد الحساسية بالصلات الانسانية التي تربط بين الناس .. !..

لقد ركنت الى أفياء ظليلة من روحه الحنون ، وكأني فزت بأعز الاماني : فهو نموذج فذ للذهن المتوقد ، والبصيرة النافذة ، وسمو الادراك ، وعلو الهمة،

فأسرعت لمصافحته ، ونظرت اليه باعجاب وسرور وقلت :

ــ يسعدني جدا التعرف عليك بعد ان قرأت مقالاتك الشائقة التي تنشرها في مجلة « العرفان » الزاهرة ... وجلست الى جانبه ... فوجدته رجلا مهيب الطلعة ، قوي الشخصية ، عذب الكلام ، حلو النكتة ، نحيف البنية ، حفر الدهر في وجهه اخاديد المعاناة ، ترتسم على جبينه ملامح السماحة والنبل والدعة ... وراح يسحرني بحلاوة حديثه اللذيذ ، فدلل على ما يتمتع به من ثقافة متنوعة ، وفكر متفتح ، وامتلاك المقدرة التعبيرية المؤثرة .. !..

وحين ازمعت على مغادرة مكتب العرفان ... اقترب مني ووضع يده الحنون على كتفي وقال :

ــ غدا ستتناول طعام الغداء مع الاستاذ نزار الزين في بيتي ...

فأجبته والحياء باد على وجهي :

ــ أرجو قبول اعتذاري عن تلبية دعوتك الكريمة ..

فأبتسم ابتسامة ذات مغزى وقال :

ــ هيهات ان اقبل منك عذرا مهما كان وجيها ... فان الاحتفاء بك فرصة ذهبية فكيف ندعها تفلت من يدنا بعد ان جاد علينا بها الزمن الضنين ...

فشعرت بخجل شديد وقلت :

ــ اذا كان ولا بد فانني سأنزل عند رغبتك .

فضحك في فرح كفرحة الاطفال وقال :

ــ انك ستشرفني بزيارتك لي في بيتي بصحبة اخي نزار الزين .

فشكرته بلسان كادت الكلمات تتعثر فيه .

وفي ظهر اليوم التالي قصدت مع الاستاذ نزار الزين منزل أخيه اديب الزين الواقع ببيروت في حي كركول الدروز ــ شارع الجزائر ــ ملك الخيسي ... وكان بانتظارنا ــ فلما قرعنا جرس الباب ــ انفتح الباب على مصراعيه ، وأطل علينا بوجه يطفح البشر فيه ، وقابلنا بقلب يزخر بعاطفة الصداقة والوداد والمحبة .. !..

وازدانت المائدة بكل ما لذ وطاب من المأكولات والفواكه والمرطبات التي

وفي صباح يوم الاثنين المصادف للخامس عشر من شهر ذي الحجة سنة « ١٣٩١ » الهجرية ، والموافق لليوم الواحد والثلاثين من شهر كانون الثاني سنة « ١٩٧٢ » الميلادية أصيب الاستاذ أديب الزين بالنوبة القلبية التي لم تمهله غير ساعات معدودات فارق على اثرها الحياة ، وبموته انطفأت شعلة وهاجة في ميدان الفكر والمعرفة الانسانية ، وكان للخبر وقع الصاعقة المفاجئة على جميع اصدقائه وعارفي فضله ••• وقد ذهلت من هول هذه الصدمة التي سدت مسالك تفكيري ، وفقدت السيطرة على نفسي ، واعتراني الوجوم ، ولم أقو على الصمود في وجه هذه الفاجعة المؤلمة ، وتسكن القلق من نفسي ، ولم يزايلني الاضطراب ، وشعرت ان موجة طاغية من الحزن جثمت على صدري ••• وفي غمرة التأثر الشديد رحت أصارع في دخيلة نفسي حشدا من الآلام ، وطافت في رأسي ذكريات حبيبة امست اليوم أشلاء مبعثرة في طوايا الماضي ، فتسارعت الدموع من عيني منحدرة على خدي ، وتجمدت الكلمات على شفتي الراعشتين ، وتصاعدت من أعماقي آهة خرساء هدها الاعياء والاسى ••• لقد راعني هذا النبأ المحزن واقض مضجعي ، وعصرني بكآبة موحشة ، وغامت الحياة في عيني ، فبت غارقا في لجج من الاشجان المبرحة ، ولذت بالدموع الغزيرة التي انفجرت من عيني انفجار الحمم من فوهة البركان ، وقد وجدت فيها متنفسا عن نفسي الحزينة •••

لقد مات وخلف وراءه ذكرى عطرة ، ومجموعة مقالات علمية وادبية هي عصارة افكاره ، وحصيلة مواهبه ، وثمرة كفاءاته التي تكشف عن قدرته على الانتاج والابداع ، وتظهر براعة وسائله التعبيرية ، وموضوعية اساليبه المنهجية التي تحمل قسطا ضخما في اسعاد الشعب ، والقضاء على التناقضات الاجتماعية التي تنخر في داخله ، والتي تمنعه من تحقيق هدفه الكبير في صنع المستقبل الزاهر •• !••

لقد كان ينبوعا يتدفق بالوداعة والايثار واللطف ، وهيهات ان يمحو الموت صورته من لوحة الذهن بعد ان سجل اسمه في صفحات التاريخ •• !••

رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما وهب لوطنه من تضحيات ، وما قدم لامته من خدمات •• !••

بغداد **خضر عباس الصالحي**

والربط بين القول والفعل ، والتجاوب مع كل عمل نافع ، وما يكفل رأب الصدع بين الاخوة المتنازعين اذ يزن الامور بتفكير سليم ، ويمضي في كل ما ندب له طبعه الخير الذي ألزم نفسه به ، وبين جنبيه قلب كبير فيه متسع للعفو والغفران لكل من أساء اليه ، فهو لم يضمن لخصومه غير الحنو والاشفاق ... يعيش راضي النفس ، مطمئن الفكر ، هادىء البال بعد ان حقق واجباته الكاملة في تربية اولاده تربية صالحة ، واعدهم اعدادا تاما لخدمة المجتمع ، واصبحوا مثالا يحتذى بهم حيث يمثلون الاريحية في انبل شمائلها ، والخلق الرفيع في اصدق صوره .. !..

لقد ولد أديب الزين وفي عروقه تجري دماء العروبة الاصيلة ، ونشأ وترعرع في صيدا احدى مدن جنوب لبنان المهمة ، وشهد ابرز احداث تاريخها المعاصر ، وتزود بنور العلم في رحابها ، وانطبع بطابع بيئتها التي صدر عنها من ارفع ما في أدب العرب وعلومهم ، وعاش في كنف والده العظيم الذي له في مجال الفكر آثار قيمة ، والذي اغنى المكتبة العربية بمؤلفاته النفيسة ، وظل أمينا على وصايا أبيه ، متمسكا بقوميته العربية المتحررة ، ودينه الاسلامي الحنيف ، متحريا عن الحقيقة دون ختل وخداع ، ومن غير اللجوء الى الانفعال العاطفي ، وذلك منذ تدفق مداد قلمه في ميادين الكلمة المناضلة ... يتصف بثقة عجيبة بالنفس ، ويسعى بكل جهده لبث الوعي الصحيح ، ويمتلىء قلبه بالعطف على أبناء الانسانية الذين يمضغون العذاب والالم ، ويتضورون من الجوع والشقاء ...

وليس من قبيل الصدف ان يستحوذ على نفسي شعور جائش بالمحبة الصادقة نحوه ، وشوق عارم لمصاحبته ، وذلك للاستمتاع بفيض خبراته التي انارت ظلمة روحي الغائصة في دوامة الضياع ، والتي هي احدى مميزاته البارزة ، والتي ينبغي الا نبخسها حقها من الانصاف والتثمين ... وهو في أسوأ الظروف القاسية يقابلني بأبتسامة مشرقة ترتسم على وجهه ، ويغدق على نفسي عاطفته الانسانية الخلاقة ... حتى بت أكن له في حنايا قلبي حبا أخويا يجري في شراييني كالدم الصافي النقي ، وينثال على فمي نشيدا وجدانيا بديع التعابير ، طريف المعاني ، بعيد الدلالات ، جامح الحنين ، وانا اتحسس نفسي دوما مشدودة الى نفسه الشفافة التي لا مكان فيها للاحقاد والمطامع الدنيئة .. !..

وانا اليه راجعون رضا بقضائه وتسليما لامره • ويا ضيعة رجل عظيم وشخصية كريمة وذكرى للمرحوم المحترم وتعزية وسلوة لاخوة الفقيد وعند حضرتكم وعند ولده الكرماء •

لانني لا انسى ساعة ورودي في بيروت ـ ١١ صفر ١٣٨٩ هـ ـ بيروت بلد الاحلام • وبلد الامين بلد الزين بلد العرفان بلد الاعيان ، وصلت الى دكان الحاج حسن الشمعة فالشمع دليل الطريق فعلمت ان السيد الحسن الامين المكرم قد ذهب الى قريته فخرجت من الدكان لافتش هتلا يناسب للمبيت • نظرت الى الشارع اللنبي ودكاكين وبنايات شامخات وفنادق ، اذ خطر في خلدي ان حجة الاسلام الشيخ محمود فرحات له رسالة من اخيه وهو في يدي ، ودكتر السيد حسين محمد جعفري وهو في بيروت واذا دكتر جعفري موجود فما حاجة الى هتل والى منزل ـ وصلت حذاء مكتبة العرفان ـ دخلت المكتبة وسألت عن الاستاذ نزار فقام لي احد الاخوة وساقني الى مكتبه فصادفني رجل كبير المنزلة وعظيم القدر وصافحني وعانقني ـ الاستاذ نزار الزين ـ فيا حبذا للقائه ويا اهلا لوجوده الشريف ـ اخذ يدي ورجع الى مكتبه حتى وصلنا الى قاعته واخذنا نتحدث كاننا رفقاء ونسيت الغربة وذهلت عن الكربة • كل احاديثه حلوة ولقائه سلوة لاني زرت اديبا مكافحا وكاتبا بلا مدافع وبطلا في سبيل الدين وبلاغة صاحب المجلة العلمية والادبية التي بلغت من عمره اكثر من نصف القرن •

سألني الاستاذ عن اهبة سفري ثم طلبها من الحاج حسن شمعة وقال لي لا يمكن ان تنزل في هتل او مكان آخر لان البلد بلدك والبيت بيتك ـ ومن حسن الحظ ولطف الله سبحانه ـ اذ ورد الاخ السيد حسن الامين ففرحنا حسبعا ـ قلت لحضرة السيد انك وردت في باكستان ورجعت منه بلا خبر فجئت لبنان بلا خبر وزرتكم بلا اطلاع • الحمد لله الذي وفقني لزيارتكم أطال الله بقاءكم ـ فأخذ السيد يقول في بيروت منزل مرتضى موجود وهو لا يحتاج الى آخر والاستاذ نزار يقول لا يمكن له ان يرحل من منزلي فاتفقنا على ان احضر على مائدة في منزل اديب الزين ـ المرحوم ـ رحت الى بيت عالية ومنزل رحيب ومكان لطيف دخلت في قاعة اللقاء والاستاذ الاديب على بابه يرحب احر ترحيب بلا لقاء من قبل زرت رمز السماح ، رمز الاخلاق وشكرت الله بلقائه وشعرت في

اخي العزيز الاستاذ الفاضل نزار الزين دام مؤيدا

سلاما وتحايا طيبة زاكية وبعد لا ادري باي لسان او باية عبارة اعبر عن حزني العميق بمصابكم الاليم بفقد المحبوب المغفور له ابي حافظ الاديب فانا لله وانا اليه راجعون وفي الوقت الذي اشاطركم بهذا الخطب العظيم والحادث الجلل اعتذر من تقديم التعازي اليكم في حينه حيث كنت في العتبات المقدسة ولم اطلع الا بعد حين وادعوه تعالى بان يرعى الباقين برعيه ويحفظكم بحفظه ويتغمد الفقيد برحمته ويلهمكم الصبر على عظيم رزيته وتقبلوا منا ابيات التعزية التالية وفيها تاريخ الوفاة والسلام عليكم وعلى جميع الاسرة الكريمة خصوصا على الاستاذ حافظ الزين ابقاه الله للجميع خير عزاء وسلوة بعد ابيه ومنا الجميع يقدمون التحايا اليكم ورحمة الله وبركاته .

(لنزار) الصبر زين انه   يكسب الاجر على نكبته
(فاديب) الزين لن تفقده   وابنه (الحافظ) في أمته
ان يفارق هذه الدنيا فقد   نال عفو الله في جنته
واكتسى رضوانه ارخته   (وبها ادخل في رحمته)

وبها   ادخل   في   رحمته
١٤ + ٦٣٥ + ٩٠ + ٦٥٣ = ١٣٩٢

العمارة   **عبد الغفار الانصاري**

★ ★ ★

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب العرفان وكامل الايمان الاستاذ نزار الزين سلمه الله تعالى

سلام عليكم وانتم مع السلام

قرأت في مجلتكم « الطاقة في الكون » و « في مجاهل القطب الجنوبي » والفاجعة الشديدة ان الاستاذ اديب الزين المحترم قد ارتحل الى ربه فانا لله

رسالة الى والدي

في ذكراه الاولى

بقلم : حافظ أديب الزين

والدي الحبيب

من قلب مكلوم ، لم ولن تبرأ جراحه ، كلمات يخطها قلم يرتعش بين اناملي ، وخواطر تنقلني اليك في دنياك البعيدة ، تستحث الدموع في مقلتي ، •• ولكن طيفك المترائي أبدا في طي تساؤلي يجيب : علمتك يا ولدي ان تكون اقوى من الفاجعة ، فلا تحزن علي أنا السعيد في دنياي الابدية ، بل فكر كيف يسكنك اسعاد حزانى الارض •

سنة كاملة مضت على فراقك لنا ، ولكن الفراغ الذي تركته في قلوب اهلك ومعارفك ما زال فراغا لا يسلؤه سوى أمل لقائك في جنان الخلد يا والدي •

ان خير ما نذكرك به ، نحن اولادك واحباؤك ، هو السير على المثل التي جسدتها والمباديء التي رسمتها لنفسك في حياتك • كنت تعمل بالمثل القائل : « اذا لم تستطع ان تنير العالم ، فأنر على الاقل الزاوية التي أنت فيها •» وقد كنت يا والدي نورا في حياتك ، وستظل ذكراك الطاهرة تنير درب حياتنا ، لان ما زرعته في نفوسنا من مثل انسانية ، لا يمكن ان تمحوه صروف الزمان •

كلما صادفتني خديعة مخادع ذكرتك يا والدي لانك علمتنا الصدق والامانة ، وطالما عانيت من المخادعين •

كلما واجهتني جهالة جاهل ، ذكرتك ، لانك علمتنا اللجاجة في طلب العلم ، فقد كنت تحب مستنيري العقول ، وطالما تألمت من جهل الجاهلين •

كلما امعن المسلمون في غيهم وضلالهم ، ذكرتك ، لانك طالما أسفت لحالهم ، وناديت بوجوب العود الى منابع شريعة الاسلام التي لا تنضب •

نفسي ان اديب الزين ونزار الزين وحسن الامين واحـد في الاخلاق واحد فـي المشاعر واحد في الانسانية والكرامة واحد في السفر واحد فـي المقعـد ولهـم وحدة كاملة بجميع معانيها .

كنت حذاء مأدبة كبيرة وعليها فيما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ولكن عيني كانت قريرة لرؤياها وجوها باسمة وسمعي مستفيدة من كلمات عاليـة واحاديث علمية . قال لي الاخ نزار الزين المحترم « الاخ الاديب عالـم زراعـي صاحب وسامة بالعلوم الزراعية » أهذا عالم زراعي ؟ قلت في نفسي وهو عالم اديب فني بحاث في العلوم الحديثة ــ اني طالعت مقالاته في العرفان الغراء عـلى مواضيع متجددة وتراجم متعددة واستفدت من قلمه وفكره وادبه .

ايها المجاهد الكريم نزار الزين حفظكم الله ابكي على فـقد اديب المرحوم الذي رحب بي اذ نزلت في بيروت . وكنت مستفيدا من علمه الواسع مـن قبل ورودي في بيروت وبعد عودتي منه ابكي على فقد اديب ناثر وكاتب عال ابكـي معكم وبكى عليه كل من يحب العرفان ويستفيد منه ودموعي هدية الى حضرتكم والى اشبال الفـقيد واقربائه .

ادعو من الله تعالى الصبر لكم جميعا والمغفرة له رحمه الله .

وادعو لولده السعيد حافظ اديب الزين صاحب المقال « والدي لا ارثيك.. بل ارثي امتي » اني رأيت تحت كلمات من مداد السوداء وجه ولد ثابت العقيدة وقلب مطمئن بالايمان ، وفكر ورث كابرا عن كابر ووجدت الشبل من عرينكم .

رحمة الله على والده واطال الله سعادة ولده برد الله مضجع الاديب ووفق الله الشاب الحافظ . هو سر لابيه انشاء الله .

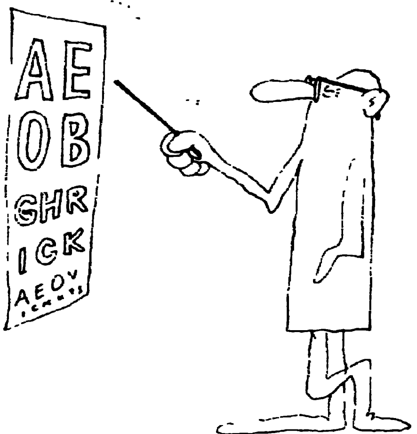
والسلام عليكم وعلى اخواني الذين هم في ذاكرتي الخالدة .

سلام على السيد حسن الامين واخوته والحاج حسن شمعة ووو

باكستان مرتضى حسين صدر الافاضل







تقل فاعلية عيني السائق ــ كما تقل فاعلية سيارته ــ مع مرور السنين ·
ومن حسن الطالع ، أن معظم علل البصر يمكن بسهولة اصلاحها اذا ما كلف السائقون أنفسهم عناء ذلك · والواقع ان كثيرين من المسؤولين يوجبون اجراء فحص للبصر قبل اجراء الفحص اللازم منح رخصة قيادة السيارات ·
من هنا ، كان لزاما عليك أن تزور طبيب عيون وتطلب اليه ان يجري عليك فحصا للاستسياق ، خاصة ، من ثلاثة أشياء :

١ ــ تقييم حدة بصرك ·

٢ ــ صلاح عينيك لقيادة السيارات في الليل (ان السائق الذي يناهز الخامسة والخمسين من عمره وتبلغ حدة بصره ٢٠ على ٢٠ يحتاج الى ضعف مقدار النور الذي يحتاج اليه شاب في ربيعه العشرين ويتمتع بنفس حدة البصر) ·

٣ ــ مقدرة عينيك على العمل معا · ذلك ان استخدام كلتا عينيك معا ، لا عين واحدة ، هو عنصر جوهري في تقييم حكمك على السرعة والمسافة ·

من اجل حياة أسلم وأطول

اعلان في سبيل الخدمة العامة

كلما مرغ المسلمون انوفهم في وحول الاستعمار شرقية ام غربية ، ذكرتك لانك كنت تصبو الى رؤية المسلمين أسيادا اعزة في بلادهم ...

... الانسان ليس سوى نموذج من حياة ، يمثل قيما روحية ومادية ، يعبر عنها في شخصيته ومعاملاته واخلاقه ، وانسانك يا والدي جمع من القيم أرفعها وانبلها ، وعهدنا اليك ان تتابع الرسالة .

ختاما يا والدي ، اردد مع صدى صوتك الآتي من السموات البعيدة : « قدسنا الجريحة — ترى هل ينساك من آمنوا بمحمد الذي أسري به اليك ، وبالناصري الذي حضنت دعوته ، وشهدت ازقتك درب آلامه ؟ متى تنقشع عنك غمامة الباطل ويرفع آذان النصر من جامعك الاقصى ، وتقرع اجراس الفرح في كنيسة القيامة ؟ دمعة حرى عليك يا قدس ، حين صرت سلعة بيد تجار الشعوب ... »

الى اللقاء يا والدي — في جنان الخلد انشاء الله — وادعو الله ان يهدينا جميعا الى درب الهدى ، ويمكننا من متابعة الرسالة التي بدأتها في حياتك رسالة العلم والعمل النابعين من الايمان به تعالى .

حافظ أديب الزين

وما نطقت به (زينب) :

ما كان اوجع ان نعيش — دمى بلا هدف وغاية
ونساق سـوق الكبش — قربانا لتذبح في النهاية

وما نطقت به (عائشة الحر) :

ان الهزيمة للكريم الحر — مـدعـاة لثـار

حقا ان الصورة التي رسمتها للامة من خلال تاريخها ستظل خالدة لمـا فيها من ابداع ممتاز ، فتحية خالدة ، وتهنئة صادقة •

باخـلاص

روكس بن زائد العزيزي

العرفان : ننصح باقتناء هذه المسرحية •

غـيرة

● روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر يوما فـقال : ان بنـي هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا فتاتهم على بن ابي طالب ، الا فلا آذن ، ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتـي فاطمـة وينكح فتاتهم • ان فاطمة بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها •

ابواب العرفان

للاستاذ ... المناصرة

سيادة الشاعر المبدع الاستاذ عدنان مردم بك الاكرم حرسه الله !

يلذ لي يا اخي ، ان افتتح هـذا النهار الشريف ــ الاضحى ــ بالتحـدث اليك ، بعد ان قرأت درتك الواسطة (مصرع غرناطة) تلك المسرحية الشعرية ، التي سكبت فيها ذوب قلبك ، وومضات روحك ، فصورت ببراعة اوضاع امتنا، وما هي فيه من تـفرق وشتات ! فما اشبه ايامنا الحاضرة بماضينا السحيق !

ماذا اعدد لك من حسنات هذه المسرحية ، من طواعية القوافي ، مـن سحر البيان من ابراز لدور المرأة ، من نقد مخلص لاَرواء قديمة تتجدد ، فـما اصدق ما انطقت به القاضي عياضا :

نحن الذي نصر العدو — ولـم نـزل نتسلـق
اسيافنـا مـا بيننـا — بدمـائنـا تـتدفـق
ورماحنـا مـا بيننـا — بصدورنـا تـتشدق
اين ابـريء وكلنـا — بالاثم بـاغ معـرق ؟
اغرى العـدو تشاحن — مـا بيننـا وتـفرق
وضغائـن كالنـار — لا تبلـى ولا تترفـق
كنا على الوطن الذبيح — النصـل راح يمـزق
فعلام نجـأر مشفقين — وليس فينـا مشفـق ؟

وما نطق به (يوسف كماشة) :

فالعرب في شتى التخوم — دمى يسيرها الهـوى

في ذلك • ولكن نحن نسألها سؤالا واحدا يفضحها ويبرهن للجميع عـن صدق ما نقول وصحة ما نتهم • ونرجو الحكومـة ان تجيب • واذا سكتت فسكوتها برهان على تبنيها الغلاء •

وسؤالنا هـو هذا :

كيف تسمح الحكومة ببيع ليتر الماء المعبأ محليا بخمسة وستين قرشا ، اي اغلى بكثير من ليتر البنزين الذي يباع بثلاثين قرشا ؟

ليتر الماء من لبنان ــ وليتر البنزين مـن السعودية • مـع العلم ان ليتـر البنزين ، لولا ضرائب الحكومة لكان يبـاع بخمسة قـروش • فهـل وضعت الحكومة ضريبة على المياه المعبأة أعلى بكثير من الضريبة على البنزين ؟

وهل تعرف الحكومة كمية النبع المعدني في فصل الصيف والصيهود ؟

وهل تعرف الحكومة من أين تعبأ المياه في فصل الثلج ، بـل في زمن الشح وانقطاع الماء ، وشدة الحاجة الى مياه الشفة ؟

واذا كانت لا تعرف ، فلماذا تريد وتصر ان تبقى حكومة ؟

واذا كانت تعرف فلماذا تسمح بهذا الغلاء غير المعقول ؟

بل كيف تستطيع الحكومة ان تدافع عن نفسها وتدفع عنها تهمة الرشوة ؟

هذه فضيحة ، بل وصمة تضاف الى وصمات تلطخ بها جبين الحكومة ، منها تلك التي اعترفت بها امام المجلس والرأي العام ولم « يرف لهـا جفن » ، عنيت اعترافها بعجزها عن مكافحة تهريب الدخان ، فقررت خفض سعر الدخان الاجنبي لتحارب التهريب ــ كما ادعت ــ أي انها اعترفت بانهـا لا تستطيـع ان تقضي على المهربين ، فقضت على الخزينة •

ان مثل هذا الاعتراف بالعجز وحده كاف لترحيلها • مع ان الرأي العـام يعتقد ان المهربين تعرفهم الحكومة وتغضي عنهم لانهم « من عضام الرقبة » •

ومثل هذه الفضائح اخوات وبنات عم وخال •••

نحن لا نلوم هذا الصنف من البشر الذيـن يريدون ان يتحكموا برقابنـا وبأموالنا وهم عاجزون عن مهرب دخان • وعن زجاجة ماء ••• بل نلوم النواب،

وإذا الصحف نشرت

الغلاء هـو ابـن الحكومة البـار !

بقلم الخوري يوسف عون

الابن البار هو الذي يعترف بفضل ابيه ويحسن اليه •

والابن العاق هو الذي ينكر فضل ابيه ويسيء اليه •

والانسان قد يبتلى بأبن عاق •

اما الحكومة فكل ابنائها بررة ، يسبحون بحمدها ••• ويشكرون فضلها !

وأبناء الحكومة اعمالها •

فاذا اساءت عملا فعملها لا يكون بها عقوقا ، بل الناس تعقها • امـا عملها السيىء فهو يبر بها ويستر عورانها ، وينفخ بأبواقها ••• والغلاء هـو احد ابناء الحكومة البررة الذي يحمدها على ما انعمت عليه من ولادة ، وتربية ، ورفاهية ، ورخاء ، ونفوذ ، وبطش !

والحكومة تلد الغلاء من دون حبل ، ومن دون قيصرية ، ومـن دون قابلة قانونية •

فهذا المولود العجيب يتكون بلحظة خاطفة ، ويولد في لحظة خاطفة ، وينمو في لحظة خاطفة • الوالدان : نفس امارة بربـح غـير مشروع ، وعـين مأمورة باغماضة • فلا تروع •

وبتعبير افصح : التاجر يغري الحكومة ، والحكومة تغمض عينها • فيولد الغلاء • ويعم البلاء والشقاء • فتفرغ جيوب وتمتلىء جيوب •

هذا الشرح قد يظن به انه نظري • فلننتقل الـى الشرح الواقعي ليكـون كلامنا مفحما ومصلحا •

نحن لا نسأل الحكومة عن غلاء المواد الاجنبية ، فقد تجد لها بعض العـذر

عواطف الادبـــاء والمفكرين



سيادة الاستاذ نزار الزين المحترم ،

تحية طيبة وبعد :

لقد شكرتكم بالامس القريب لهديتك القيمـــة (مجلة العرفان) واليـــوم وقد كادت ان تنتهي السنة على ابتداء ارسال تلك الهدية ، اسمحوا لي ان اجدد الاشتراك على نفقتي الخاصة ، لامرين :

الاول : اني بحالة مالية تمكنني من دفع الاشتراك السنوي الزهيد •

وثانيا : كون الكل يقدر ان يغذي المجلـــة للاستمرار في تأديـــة رسالتهـــا النبيلة ، اما هي فلا تقدر ان تغذي هذا الكل دون تقديم الغذاء المادي الكافـــي لها كي تقوي على الحياة وبالتالي الاستمرار في الصندور •

كما وارجو ان تستمروا باهدائها الى الصديق الحاج دولان مرغوش تجدون طيه تحويلا بقيمة الاشتراكين •

وكما استحقيتم سابقا شكري ارجو ان تتيقنوا ان ثـــقتي وشكري يزدادان بقبول طلبي والتماسي هذا •

وتفضلوا بقبول خالص تقديري واحترامي •

الدكتور موسى جلبوط

العرفان : شكرا يا اخي ولو كان كل مشترك مثلك يدفع اشتراكه ويهديها لصديق له لحمدنا الله وشكرناه او لو كان هؤلاء الاغنياء مـــن الجنوب الذيـــن يبزعقون اموالهم هنا وهناك يهدونها لعشرة مشتركين فما يضيرهم •

نواب الشعب ، ممثلي الشعب ، الذين اختارهم ليدافعوا عنه ، فاذا بهم يتواطأون عليه ويشاركون الحكومة في امتصاص دمه بسكوتهم عنها وبتأييدهم ، فتضع سكينها على اعناقنا ، ونوابنا يصفقون لها غير آبهين لحسابنا •

نعم لا الحكومة تخشى حساب المجلس ، ولا النواب يخشون حساب الشعب !

ويقولون لك : ما اصعب الحكم في لبنان !

كذبوا ! وهل اسهل من الحكم في لبنان ؟

وهل اطيب واسلس من شعب لبنان ؟

الا هنيئا لهذه الحكومة بهذا المجلس •

وهنيئا لهذا المجلس بهذا الشعب •

ولكن لا هنيئا لارض لبنان بمن عليها في اخر زمان •••

ونحن نظن ان الكثير من طيبة الشعب يزيد في فساد الحكم •

قيل : كان احد الامراء صالحا جدا ، فطلب ان يدلوه الى شعب فاسد ليصله • فدلوه على شعب لبنان • فاصلحه ، وفسد هو !

اننا نأمل الا تذهب كلمتنا هذه صرخة في واد • بل ننتظر من الرئيس سلام ان يثبت وجوده كحاكم بالفعل لا بالحكي •

ان عمر بن الخطاب عندما تفقد رعيته في الليل ورأى امرأة تطبخ الحصى لبنيها الذين كانوا يصرخون حولها من الجوع ، تعللهم بالامل علهم ينعسون ، لم يكتف بتأليف اللجان واذاعة البيانات ، بل عاد وحمل كيس الطحين على ظهره ، وجرة السمن بيده وذهب الى بيت المرأة وطبخ لها ولاولادها ، وما رجع حتى شبعوا اكلا لا وعودا •

فهل تحمل حكومتنا على ظهرها كيس مسؤوليتها ام تبقى تتنعم بلذة الحكم والتحكم تاركة كل عبء المسؤولية على رئيس البلاد ؟

اما آن لرئيس البلاد ان يجد حوله من يريحه ولو يوما واحدا ؟

اما آن لرئيس البلاد ان « يطلع خلقه » على هؤلاء ولو يوما واحدا ؟

علـه « يطلع » !

الخوري يوسف عون

واضطرابهم • بل حتى بت اخشى مـا اكـون عليك بالـذات • لفرط تعلقـك باخوانك ، وهم كثر • والدهر بنا جميعا قلب وكانما كـل قلوبهم حشدت فـي صدرك الرحب ، تفور بشتى عواطفها واحاسيسها • وتفيض بالدموع القريـرة حينا • والسخينة حينا ، ثم لكم آلمني حقا ان تصاب في عـام واحـد باخيـك وزوجتك • فتفقد بفقدهما الساعد الشديد والقلب الحنون •

اني ايها الاخ الكريم اذ اطلب لك العزاء عنها واكره عنه • اشكـر لـك هديتك النفيسة التي تزدان بها مكاتب اخوانك ، وتضيف يدا ادبية جديدة ، من ايادي الرافدين على وطننا العربي الكبير والسلام عليك من اخيك الشكور •

كانون الثاني ١٩٧٣ **رشيد سليم الخوري**

★ ★ ★

من روكس العزيزي لابراهيـم السمان

آخي العزيز الاستاذ ابراهيم السمان المحترم ــ الوكيـل المساعـد لوزارة الثقافة والاعلام مدير فرع الاذاعة في القدس سابقا •

تحيتي واحترامي وبعد ،

اسمح لي بان اشكرك على هديتك اللطيفة (اصوات عربية) الذي ترجمت فيه لنخبة خيرة من اعلام هذه الامة :

أ ــ عادل زعيتر •

ب ــ الشاعر القروي •

ج ــ امين يوسف غراب •

د ــ علي محمود طـه •

هـ ــ حسن عبد الله القرشي •

فقد قرأت الكتاب بلذة ، فوجدت فيه امتاعا وفائدة ، باسلوب رشيق رقيق وبيان ناصع مشرق ، هو السهل الممتنع ، والذي يضاعف قيـمة الكتاب عندي انه يرسم طريقا واضحا لناشئة الادباء الذين يريدون ان يعالجوا الادب الاذاعي ، اخذ الله بيدك لتخدم هذه الامة بما عرف عنك من خلق رفيع وقلم مهذب •

باخـلاص

روكس بن زائد العزيزي

رسائل الأدباء

من الشاعر القروي لجعفر الخليلي

اخي الاديب الكبير الاستاذ جعفر الخليلي رعاه الله .

احمد الله اليك . والى ادبك الجم . وقريحتك الفياضة . وقلمك الكرار . وقلبك الجياش بالمحبة . والعطاء . وشمول المودة . والى ذهنك الوقاد . الواعي حشود الذكريات والتراجم . مغمورة بالشعور الرقيق الرفيق . انه لادب يبعث على الاكبار والاعجاب . بيد انه لا يستكثر على العراق . مهد اللغة والفقه . الفلسفة والشعر والعلم الواسع الغزير . وما انت يا رعاك الله . وعباس رحمات الله عليه . الا دوحتا معرفة وفن من ادواحه الباسقات . في جناته التي تجري من تحتها الانهار . ولا تزال من عهد الامام الاعظم . قطوفها دانية ذلول . وظلالها وارفة كثيفة . ويا لها من قطوف . ما كادت . بل باتت لما عودتسوها . تجني نفسها الى كل موائد الادب . في دنيا العرب . ويا لها من ظلال . ما ان تحنو حنو الامهات على الراتعين في خمائلها . حتى تنسلخ عنها . نسخ منها . ترف في الآفاق . غمائم تقطر الندى . فتلطف حر الصحاري . وتنشر المظلات على رؤوس الضاربين في الفلوات . وحتى لقد نازعت ظلال الارز بردها وسلامها . واوشجت قممه وسفوحه وارياقه موداتها وارحامها . وحسبنا دليلا كثرة من لك خاصة . ولعدد لا يحصى من ادباء العراق عامة ، من خلص الاصدقاء في لبنان . وما لشاعر العراق العظيم حافظ جميل من قصائد في وطن الارز لم يكد يبلغ صدقها وحرارتها ورقتها ، اعظم شعرائه المدلهين بحبه ، المتقلبين منذ ولادتهم في احضانه . اما هديتك القيمة الاخيرة ، الجزآن الثالث والرابع من كتاب (هكذا عرفتهم) فهو تحفة التحف . تجارت فيه البلاغة والسلاسة والفكاهة تجاريا يأخذ باللب . ويستبد بالمشاعر . فبينما قارئك يبكي معك من بكيت من خلانك الراحلين كانهم آله وخلانه . اذ هو ينفجر بالضحك للنادرة ترويها عن بعض ظرفائهم . حتى بت اخشى على ضعاف القلوب من المطالعين يصابون بنوبات من هذه المتناقضات المؤثرة تتردد بين افئدتهم واعصابهم . وتمعن في هزهم

الخياة عند ابن عربي (« النهار » ٢ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢) ورأينـا صورة الـذات الكوزمية في شعر المكزون السنجاري (« النهار » ٣٠ ـ ١١ ـ ١٩٧٢) • وهـا اننا نقدم احدى خطب الامام علي بن ابي طالب التي لم يجمعها الشريف الرضي في « نهج البلاغة » •

وهذه الخطبة ، التي اعتبرها من ابرز القصائد الكاشفة ، تتجلى فيها صورة الانسان الاسلامي الكامل ، هي ، على حد تعبير ماسينيـون ، « النص الملحمـي الاسلامي الذي كان اوفر النصوص حظا خلال تكوينه الطويل » • انهـا تسبق « نهج البلاغة » مقدار ١٥٠ سنة (جمعه الشريف الرضي حوالي ٤٠٠ هجرية ـ ١٠٠٩ ميلادية) •

نشرت اول مرة في كتاب عبـد الرحمن بـدوي • « الانسان الكامـل في الاسلام » (مصر ١٩٥٠) ومن المدهش ان الكتاب ، الـذي قرأتـه في مكتبـة الجامعة الاميركية في بيروت ، لم يخرج ـ رغم عنوانه ـ سوى مرتين من المكتبة خلال ما يزيد على عشرين سنة • وهذا تدليل على هروب العرب مـن اي عميق وعدائهم لاية عقلانية • وهي حالة لا تؤدي الا الى التسطح العقيم • ان جميـع الآثار التي تتطلب جهدا عقليا تطمس وتغيب • فالنفري الذي يطمس ، هو الآخر، ما يقارب ألف سنة ، واكتشف منذ سنوات ، ليس سوى دليل قوي عـلى صحة ما أقول •

(للتذكير : الامام علي بن ابي طالب ، الـذي تدرسه مناهجنا في منتهـى السطحية ، ولد سنة ٦٠٠ م• نشأ في جانب الرسول وتزوج ابنته فاطمة ، وقتل ، قبل صلاة الصباح ، في احد مساجد الكوفة على يدي احـد الخوارج ويدعـى عبد الرحمن بن ملجم المرادي •

قال فيه النبي : « انت مني بمنزلة هارون من موسى » و « من كنت مولاه فعلي مولاه ») •

معظم خطب علي ابن ابي طالب مشحونة بضروب من الالم والايمان • وفي كلماته يقول الشريف الرضي ، في مقدمته « لنهج البلاغة » ، « مسحة مـن العلم الالهي وعبقة من الكلام النبوي » •

بريد القراء

الصدر : نرفض نسبة ((أنــا))

الــى الامــام عــــلي

جاءنا من رئيس المجلس الشيعي الاعلى السيد موسى الصدر :

« لقد قرأت في عدد جريدة « النهــار » أمس الخميس ١٤ ــ ١٢ ــ ١٩٧٢ مقالا بعنوان « قصيدة للامام علي » عليه السلام موضوعها « انا » • ثم راجعني عشرات من المواطنين طالبين رأي المسلمين الشيعة في فقرات هذه القصيدة •

انني اؤكد عدم صحة انتساب هذه الخطبة (القصيدة) الى الامام • وقــد وضعت في هذا الصدد دراسات مفصلة واعرض عن نقلها الشريف الرضي في كتاب « نهج البلاغة » • ثم ان بعض فقرات الخطبة تتعارض مع الآراء الثابتة الواردة عن الامام والتي تنسجم جميعها مع العقيدة الاسلامية • ومن مبادئنا رفض كــل ما ينسب الى النبي او الامام عندما يتعارض مع القرآن الكريم • ونحن نجد في هذه القصيدة اسناد صفات مخصوصة بالله سبحانه وتعالى حسب نص القــرآن الكريم ــ لا يجوز اسنادها الى الامام • وسأقدم الــى « النهار » دراسة مفصلة في هذا الموضوع » • وهذا هو المقال والقصيدة موضوع الرد •

قصيدة لــلامــام عــلي

رؤيــاهــا نبويــة عاصفــة

بين حين وآخر لا بد من التراث نعود اليه لنستلهم اصالته • ولا بد ان نقر بأن التراث الفكري العربي يتمتــع ببعض الجوانب المضيئــة التــي تكفل لــه استمرارا • ونلفت في الاخص ، الى التراث الصوفي وما يتصل بــه ، ونحن رأينا سوريالية النفري (راجع « النهــار » ١٦ ــ ١ ــ ١٩٧٢) وبعضا مــن مملكــة

أنا مبعوث بني اسرائيل
أنا البرهان
أنا عقد الايمان •
أنا كاسي العراة
أنا ساقي الكوثر •
أنا ظهير الاظهار
أنا مبيد الكفره •
أنا قالع الباب
أنا مفرق الاحزاب •
أنا حافظ الكلمات
أنا مخاطب الاموات •
أنا مكلم الثعبان •
أنا آلاء الرحمن •
أنا الضارب بالسيفين
أنا الطاعن بالرمحين
أنا الجوهرة الثمينة
أنا باب المدينه •
أنا مكنون الحجاب
أنا وعد الوعيد
أنا وفاق الآفاق
أنا النون والقلم
أنا مصباح الظلم
أنا النبأ العظيم
أنا السراط المستقيم •
أنا هلال الشهر
أنا لؤلؤ الاصداف
أنا سر الحروف
أنا نور الظروف •

أنا الجبل الراسخ
أنا العلم الشامخ •
أنا مفتاح الغيوب
أنا مصباح القلوب •
أنا نــور الارواح
أنا روح الاشباح
أنا الفارس الكرار
أنا نصرة الانصار •
أنا السيف المسلول
أنا الشهيد المقتول •
أنا شقيق الرسول
أنا بعل البتول •
أنا عمود الاسلام
أنا مكسر الاصنام •
أنا قاتل الجن
أنا ساقي العطاش
أنا بطرس الروم
أنا امام المعلمين
أنا مشكاة النور
أنا حامل الراية
أنا صاحب الآية
أنا قطب الاقطاب
أنا حبيب الاحباب
أنا مهدي الاوان
أنا عيسى الزمان
أنا والله وجه الله ،
أنا والله اسد الله (•••)

الامام علي
(من خطبة البيان)

واعل هذه « الخطبة ــ العقيدة » ، التي نقتطف منها مـا يتصل بالشعر مباشرة . تبرز بعضا من آلق تلك الشخصية الفذة التي لو ساعدتها ظروف الزمان والمكان لغيرت وجه الاسلام ..

انها مجد يزاد الى امجاد الامام ولا يخفى ما فيها مـن رؤيوية « نبويـة » تعصف في جسم « الأنا » . كذلك اثر المسيحية والقرآن والتاريخ الرائي القديم.

صبحي حبشي

* * *

أنـــا

أنا سر الاسرار
أنا شجرة الانوار
أنا دليل السموات
أنا أنيس المسبحات
أنا سندل الافلاك ...
أنا سائق الرعد
أنا شاهد العهد .
أنا قطب الديجور
أنا البيت المعمور .
أنا زاجر القواصف
أنا محرك العواصف
أنا مزن السحائب
أنا نور الغياهب .
أنا جوف الشوامس
أنا فلك اللجج
أنا حجة الحجج
أنا سبب الاسباب
أنا جوهر القدم

أنا مرتب الحكم .
أنا منية الامل
أنا عامل العسل .
أنا الاول والآخر
أنا الباطن والظاهر
أنا البرق اللموع
أنا السقف المرفوع
أنا جامع الآيات
أنا ساجر البحر
أنا خلاصة الاخلاص
أنا مفجر الانهار
أنا ام الكتاب
أنا فصل الخطاب
أنا علم الاعلام
أنا ألفة الالاف
أنا مائدة الكشف
أنا سر ابرهيم
أنا نخلة الخليل

الذكرى الاولى لوفاة رشيد بيضون
سلام : كان علما من أعلام الوطنية الصادقة



قسم من الحشد الذي حضر الحفلة التذكارية للمرحوم رشيد بيضون .

★ ★ ★

رعى الرئيس سليمان فرنجية الذكرى الاولى للمغفور له رشيد يوسف بيضون الوزير والنائب ومؤسس الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية التي دعت اليها لجنة احياء ذكراه في ٢١ ـ ١ ـ ١٩٧٣ في قاعة الاونيسكو .

وقد مثل الرئيس في الاحتفال الرئيس صائب سلام وحضره الوزراء والنواب والسفراء العرب والاجانب ونقيب الصحافة الاستاذ رياض طه وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين وجمع من رجال الدين من مختلف الطوائف وعدد من رؤساء المعاهد والجامعات ورجال الفكر والمواطنين .

افتتح الاحتفال بتلاوة عشر من القرآن الكريم رتله الحاج عبد الرؤوف

الفكر وعن التغيير الذي آمن به عن طريق العلم ودعوته الى بناء الانسان فكـرا وعملا وروحا •

وتكلم الرئيس سلام فقال :

« ••• يخطيء من يظن ان عطاء رشيد بيضون قد انحصر في ابناء طائفته في هذا الميدان ، فهو في سعيه لتعزيز كيانهم انما كان يعمل لتعزيـز كيان لبنـان ، فلبنان المستقل الذي يفخر بحرية ابنائه وتحرره ويحرص على مستقبله لا يمكن الا ان يطير بجناحيه والخدمة الفضلى في لبنان ، في تقوية جناحه المهيض ليوازي جناحه المرفرف المحلق عاليا •

ولهذا حق علينا جميعا ، على جميع ابناء لبنان ان نشترك اليوم في احيـاء ذكرى رشيد بيضون الذي قدم للبنان اقصى ما يمكن لفرد من ابنائه ان يقوم به في ميدان لا زلنا في اشد الحاجة الى البذل والعطاء فيه ، والى الكثير مـن ابنائه يجعلون من رشيد بيضون قدوة حسنة لهم فيما يفعلون •

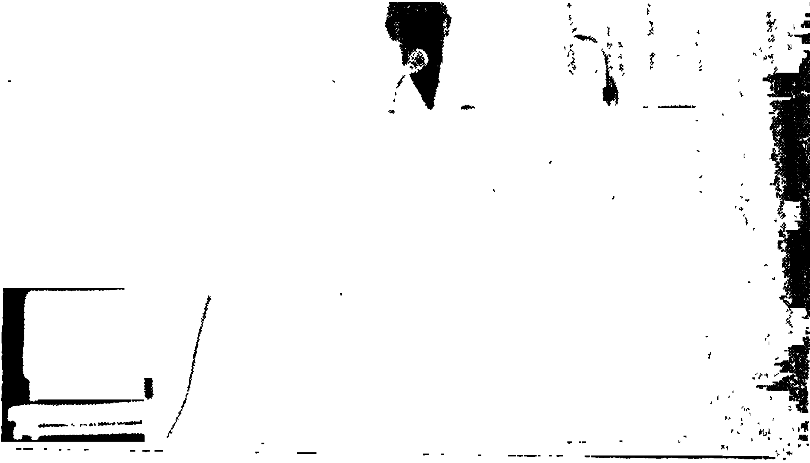
وكان رشيد بيضون فوق اشعاعـه نبراسا منيرا في ميادين الخير وحقول التربية والتعليم في لبنان العزيز ، كان علما من اعلام الوطنية الصادقـة ، الصافية ورائدا من رواد الرعيل الاول في النضال اللبناني العربي •

كان رشيد بيضون مثالا نادرا في العطاء ، وسيبقى لبنـان معطـاء ، كثير العطاء ، في الرجال من امثال الفقيد الكبير رشيد بيضون » •

وكانت كلمة الختام للنائب محمد يوسف بيضون الـذي وصف الذكـرى بانها تكريم للخير والوطنية والانسان والقيم الاجتماعية وشكر الرئيس سليمـان فرنجية لرعايته الذكرى كما شكر كل من الرئيس سلام الذي مثل فخامته والذين حضروا •



● اصدر علماء ومشايخ العلويين في سورية ولبنان بيانـا واضحا صريحـا يقولون فيه : ان السياسة التي فرقت في الماضي وابعدت عن الحقائق قد ذهبت ، وانه لم يبق هناك مجا للافتراء والدس فهم يعترفون ويقرون بأن العلويين شيعة



الرئيس صائب سلام يلقي كلمته

★ ★ ★

كبي ، وعلى الاثر ، تحدث الاب عبد الله داغر رئيس كليـة السيدة في الجمهور التابعة للاباء اليسوعيين عن مآثر رشيد بيضون التربويـة وجـذوره الانسانية الراسخة في محيطه الاجتماعي والمجال الوطني •

وتلته الدكتورة جمال حرفوش رئيسة دائرة الصحة في الجامعـة الاميركية فذكرت ان رشيد بيضون كان « قدوة بعمله المتفاني في سبيل المجتمع والوطن•• ومشاركته في العمل الجماعي والخدمة العامة » •

وعقبها الشاعر محمد يوسف حمود فالقى قصيدة نوه فيها « بمنائر » رشيد بيضون الدائمة الاشعاع في ميادين العلم والفكر •

ثم تكلم فضيلة الشيخ محمد مهدي شمس الدين عن رشيد بيضون رائـد

كافة ، غير ان تعدد مبادىء صحفنا وتنوعها لا يمكـــن ان ينسجم وسياسة الدول الشقيقة ، المختلفة الانظمة والمتناقضة المذاهب الاقتصادية والاجتماعية .

ان صحافتنا هي ثمرة هذا النظام الليبرالي المعتز بحرياتـــه الواسعة ، وهي على صورته ومثاله . اذ لو كان نظامنا موجها لكانت صحفاتنا ملتزمة بفكر واحد ومبادىء موحدة . واذا كان منع الصحيفة اللبنانية مـــن دخول الاقطار العربيـــة يشكل نقطة ضعف ، فان تعدد اكوان صحافتنا يؤلف نقطة قوة ، ذلك لانه يسمح لهذه الصحافة بتمثيل مختلف الآراء والمبادىء في بلاد العرب وفي الدنيا بأسرها .

وايا كان معتقدنا السياسي الاقتصادي ، فينبغي ان نقر بان النظام الليبرالي الذي يقوم على تعدد الاتجاهات والاحزاب والعقائد هو الذي يخلق الجو الصحي لتطور الصحافة وتقدمها .

قد يكون النظام الاشتراكي او الثوري اكثر فعالية وسرعة وحزما . واجدى في تحقيق مكاسب سياسية وفي اجراء التحويل الاقتصادي الاجتماعـــي . الا ان النظام الديمقراطي الليبرالي هو الذي يخلق المناخ والتربة الخصبة لنمو الصحافة والفكر الحر .

لقد كانت الصحافة المصرية رائدة الرأي والفكر في العالم العربـــي ، قبـــل الثورة ، وكانت صحافة لبنان تنظر الى صحافة القاهرة نظرة التلميذ الصغير الـــى المعلم الكبير . بيد ان النظام الثوري القومي ما لبث ان جمـــد الصحافة المصرية التي كان عليها ان تكون اداة الثورة والتغيير . هـــذا في حين انطلقت الصحافـــة اللبنانية في آفاق الحرية ، والتجدد ، والتكامل الفني .

ولما كان لكل شيء ثمن ، فان ثمن البناء الثوري هـــو تبنـــي الرأي الموجه كذلك فان الصحافة الحرة المتطورة هي وليدة النظام الليبرالي حتى ولـــو كـــان مركنتيليا .

جعفريون يقولون : اشهد ان لا آله الا الله وان محمدا رسول الله ، وان عليا عبد الله واخو رسوله •

العرفان : بعد هذا البيان ، ووجود المساجد التي تقام فيها الصلوات في طرابلس واللاذقية وطرطوس وغيرها ، لم يعد هناك مجال للقيل والقال •

★ ★ ★

النقيب طه يحاضر في الحدث

عن ((الصحافة مجد لبنان))



دعا طلاب المدرسة الانجيلية في حدث بيروت، بالاتفاق مع طلاب ثانوية جبل لبنان وثانوية كفرشيما الوطنية ، نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه الى القاء محاضرة بعنوان « الصحافة مجد لبنان » •

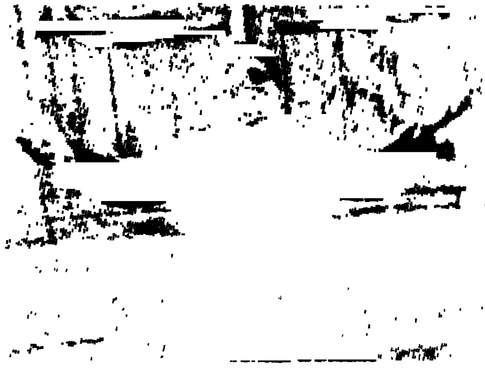
وقد تحدث النقيب عن دور الصحافة اللبنانية في الداخل والخارج فقال ان الصحافة هي التي تصنع مجد هذا البلد الصغير الحجم القليل السكان المحدود الموارد والمشع على العالم العربي والعالم الاوسع • فصحافتنا هي التي تعبر عن مختلف الاتجاهات والتيارات ، وهي التي تشل ــ بمجموعها ــ الرأي العام العربي والفكر العربي ، على تعدد مذاهبه وعقائده • كذلك فان صحفنا مقروءة في طول البلاد العربية وعرضها . من المحيط الى الخليج ومن حدود تركيا وايران الى حدود افريقيا الوسطى • ولئن كان كل قطر عربي يمنع دخول بعض الصحف التي لا توافق سياسته ، فان كل قطر عربي يبيح دخول عدد من صحف لبنان يكفي لعرض جانب من صحافتنا • وهكذا تمتد انباء لبنان واراء بنيه وافكارهم الى مجموعة الدول العربية : كل من زاويتها وعبر سياستها الموجهة •

ربما كان من الافضل ان توزع الصحف اللبنانية كلها في البلدان العربية

غزالة الشدراوي معمرة زغرتـا

اولادها واحفادها ٢٤٨ اخرهم جاء في الميلاد !

* * *



غزالة الشدراوي : ٩٦ سنة و٢٤٨ ولدا وحفيدا .

عمرها ٩٦ عاما « وبعـدا صحتـي مليحة » .

اولادها واولاد اولادها « كتار .. حسبوهـم ، طلعـوا ٢٤٨ صبـي وبنت » .

اخر هؤلاء ولد في عيد الميلاد وهو « حفيد حفيدي ... الله يخلي ولاد الناس لاهلهم » .

هي : غزالة الشدراوي ــ القسيسي المعمرة الزغرتاوية التـي تتذكر الكثير عن اهوال الحرب الكونية الاولى .

تقول : « يا ابني الجوع مجنون فالت . الناس اكلـوا الكلاب والبسينات ورجالنا قبضايات كانوا يروحوا يهربوا القمح من بلاد بعيدة ويجيبوه ، تانأكل . كان قطع الطرقات والتشليح ضارب طنابو . سركيس نعوم (قبضاي زغرتـاوي مشهور) مشي عا رأس ٥٠ قبضاي وفتح الطرقات كلهـا وامن للناس يسافـروا بالليل .

« الموتى كتروا بايام الهوا الاصفر . ما حـدا دفنوه بتابـوت . كانـوا يحملوهم بفرشتهم واللحاف ويفتحوا جورة بالتراب ويحطوهم فيها . ومش كل الموتى كانوا يلاقوا من يدفنهم . انا شفت بعيني مرا غريبة ميتـة عـم تنتشهـا الكلاب . وواحدة ثانية ماتت والحشيش بتمها .

« كنا نطلع عا اهدن مشي نحمل ولادنا وغراضنا . كانت الطريـق طويلـة بس ما كنا تتعب متل اليوم » .

السوفياتي مسلموف اصبح عمره ١٦٧ سنــة



ذكرت صحيفة « ازفستيا » السوفياتيــة ان شيرا عـــلي مسلموف (١٦٧ سنة) وهو اكبر معمر في الاتحاد السوفياتي ، لا يزال يسير بخطى ثابتة على طرق قريته في جبال القوقاز •

واضافت الصحيفة تقول في رد على سؤال من احـــد قرائها : ان مسلموف لا يزال يتمتع بصحة طيبة ويقوم ببعض الاعمال الزراعية الخفيفة •

ويعتبر مسلموف اكبر سكان قرية بارزافو المشهورة بطـــول اعمار سكانها وتقع القرية على ارتفاع ٢،٠٠٠ متر في جبال اذربيجان •

ومسلموف من مواليد عام ١٨٠٥ ، وذلك يعني انه كان في السابعة من العمر عندما غزا نابوليون روسيا • وكان قد احتفل اخيرا مع زوجته البالغة ١٠٧ سنوات من العمر بالذكرى الخامسة والسعبين لزواجهما •

المجلس الوطني ، السيد عرفات والوفد المرافق له • واستغرقت المقابلة ٤٥ دقيقة•

وقال السيد عرفات انه بحث مع السيد حسين في قضايا مصيرية مهمة عربية وفلسطينية •

واضاف يقول في تصريح صحفي ان البحث تطرق الى موقف العراق الملتزم من الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني •

ومن جهة اخرى زار السيد عرفات الفريق اول حماد شهاب عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الدفاع في مكتبه الرسمي بوزارة الدفاع •

وكان « ابو عمار » قد حضر اجتماعا للجنة السياسية لحركة المقاومة الفلسطينية في العراق •

وقالت وكالة الانباء العراقية ان السيد عرفات تحدث في الاجتماع الذي استغرق ساعة ونصف الساعة وحضره رؤساء واعضاء التنظيمات الشعبية الفلسطينية ، عن تجربة اللجنة السياسية في العراق •

واضافت تقول انه أشاد بهذه التجربة كبداية للعمل الجبهوي ، كما عرض ما دار في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني الاخير في القاهرة ، وموقف وفد حركة المقاومة الفلسطينية في اجتماعات مجلس الدفاع العربي المشترك الاخيرة •

ومن ناحية اخرى ، تلقى عرفات برقية من الرئيس الاوغندي عيدي امين يحثه فيها على التعاون مع الاردن •

وحذر الرئيس امين في برقيته ، من انه اذا بقيت الدول العربية غير متحدة فانها لن تستطيع ان تأمل بهزيمة اسرائيل •

وقال في برقيته : لقد شعرت بان من واجبي ان ارسل اليك نداء مستعجلا جدا للنظر في اخر التطورات في الشرق الاوسط باهتمام شديد وبطريقة ايجابية ، بغية التأكد من ان نور الوحدة والتعاون الذي اخذ يشع في الشرق الاوسط الان سيزداد اشعاعا •

وعقد الرئيس عيدي امين محادثات مع وفد زائر من منظمة التحرير الفلسطينية يتألف من ١٠ اعضاء •

مــن يحمــي مــن ؟



الياس غازي (بصرما ــ الكورة) شكا مــن ان رعــاة محميين يدخلــون بمواشيهم بساتين الزيتون (الصورة) وهي لا تزال تحمل ثمارا فتأكــل الاخضر واليابس • وعندما شكا امره الى البلدية والنواطير ، جاءه الجواب : مــن حــق الاغنام ان تأكل من الرزق !

العرفان : ومن حق الماعز ايضا وليفنى الزيتون •

عرفات : تفهم واستجابة لكل ما طرح مــع الرئيس البكر

اجتماع بين صدام حسين وعرفات وبحث القضايا المصيرية

قال السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير انــه وجــد تفهما واستجابة لكل ما طرح على بساط الحبث مع الرئيس احمد حسن البكر • وقد قابل عرفات ، السيد صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقي •

وقال في تصريح لوكالة الانباء العراقية ، ان وفد المنظمة بحث مــع الرئيس البكر في مجمل الوضع في المنطقة العربية بصفة عامــة ، والوضع بالنسبة الــى المقاومة بصفة خاصة •

واضاف ان الثورة الفلسطينية باقية رغم كل المؤامرات التي تحاك ضدها •

واستقبل السيد صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة بمكتبه فــي

الدكتور ناصر الحاني وعز الدين التنوخي ، وقد تضمن تصويبا لاوهـام كثيرة وقع فيها الحاني والتنوخي •

● تم ترجمة كتاب « الاسلام بمحض ارادتنـا » تأليف الباحث العراقـي الدكتور صفاء خلوصي من الانجليزية الى الالمانية والصينية واليابانية والكورية والعربية وهو يبحث في الاسباب التي دعت عددا من الاوربيين والامريكيين الى اعتناق الدين الاسلامي مع ذكر اراء مشاهير شعراء الغرب وكتابـه وادبائه فـي شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة الدين الاسلامي • وقد وزع من الطبعات الانجليزية حتى الان مائة الف نسخة • ويعد الدكتور صفاء خلوصي الطبعة الرابعة التي ستكون موسعة ومنقحة وفيهـا ترجمـة لقصيـدة الاديب اللبناني مارون عبود التي يقول فيها مخاطبا ولده الذي سماه محمدا :

عشت يا ابني عشت يا خير صبي
ولدتـه امـه في رجـب
امـه مـا ولـدتـه مسلمـا
او مسيحيـا ولكـن عربـي
والنبـي الـقرشي المصطفـى
آيـة الشرق وفخـر العـرب

وفي النية ترجمة الكتاب الى اللغات الحية الاخرى كالروسيـة والفرنسية والايطالية •

● اصدر الدكتور ضياء الديـن ابـو الحب كتـاب « التربيـة الموسيقية للمعوقين عقليا » ليكون مقدمة لمنهج الموسيقى للمعوقين عقليا الذي وضعه جماعة من المختصين وهو يعالج اهمية الموسيقى في علاج المتخلفين مـن الناحية الذهنية ويعتبر موضوعه فريدا في ميدانه • وقد قام بنشر الكتاب الادارة المحلية بمحافظة بغداد على نفقتها خدمة للرعاية الاجتماعية للمعاهد الخيرية المرتبطة بها •

● يبدأ الحرس الوطني السعودي في تنفيذ مشروع ثقافي كبير يتمثل فـي افتتاح مكتبات ثقافية في مختلف فرق ووحدات ومدارس الحرس الوطني ونادي الحرس الوطني بالرياض وستبلغ هذه المكتبات عشرين مكتبة في المرحلة الاولى•

ورحب الرئيس امين بالتقارب بين الاردن والدول العربيـة الاخرى ، وقال انه اذا كانت لا تزال هناك مشكلات ، فانه يجب البحث فيهـا سرا بين الفرقـاء المعنيين الى ان يتم الوصول الى اتفاق بشأنها •



● كتب صديقنا الاديب الهمام الاستاذ وحيد الدين بهـاء الدين مقالا في زميلتنا « الاديب » بعنوان الوجه الادبي لروكس بن زائد العزيزي • والاستـاذ وحيد الدين قد انصرف في المدة الاخيرة للكتابة عـن الادباء المنتجين المخلصين كالخليلي والعزيزي والدكتور صفاء خلوصي وغيرهم ، فنشكره ونتمنى له دوام الصحة والنشاط •

● « فلاسفة الحكم في العصر الحديث » تأليف عباس محمود العقـاد صدر في منشورات المكتبة العصرية ببيروت وصيدا في ١٥٦ صفحة حجم كبير •

● توفي في ٨ الشهر الماضي المؤرخ اللبناني سمعان الخازن الذي عمل مدة في القضاء ثم انصرف لتأريخ بلدته زغرتا ولبنان في عهد المتصرفية وارخ مطـولا ليوسف كرم • ولد الفقيد في زغرتا عام ١٨٩٧ ومؤلفاته هي : « يوسف بك كرم قائمقام نصارى لبنان » صدر عام ١٩٥٤ في ٢٥٢ صفحة « الحـرب في سبيـل الاستقلال او يوسف بك كرم وداود باشا » مطبـوع في جونيـه ١٩٥٧ في ٢٩٥ صفحة مع صور ورسوم • « يوسف بك كرم في المنفى ، صفحة رائعة من تاريخ لبنان المجيد في القرن التاسع عشر » طبـع في طرابلـس ١٩٥٠ في ١٩١ صفحـة « تاريخ اهدن المدني » طبع في جونية ١٩٣٨ في ٣٥٨ صفحة « تاريـخ اهـدن الديني » طبع في بيروت عام ١٩٣٩ في ٣٠٣ صفحات « تاريـخ الاسرة الاهدنية » طبع في طرابلس عام ١٩٦٨ •

● صديقنا الشاعر المهجري جورج صيدح نزيل باريس دخل في الثمانين من عمره المديد باذن الله تتمنى للاخ الحبيب دوام الصحة والعافية •

● كتاب « البرهان على ما في (شعر الراعي) من وهم ونقصان وهو كتاب استدرك فيه وصنفه الباحث العراقي هلال ناجي نحوا من ٣٥٠ مسألة على كتاب « شعر الراعي النميري واخباره » الذي طبعه المجمع العلمـي بدمشق بتحقيـق

قد تقرر بصفة مبدئية مباشرة الدراسات العليا في الحقـول الهندسية المختلفـة والرياضيات التطبيقية مع بداية العام الدراسي المقبل وقال انه قد تم بناء الجـزء الاكبر من مباني الكلية وسيتم تسلم مبنى ادارة الكلية في الصيف المقبـل بعـد اكتمال المرحلة الاولى من المشروع .

● اجتمع في مكة المكرمة الامين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح قزاز باعضاء ندوة الشباب الاسلامية العالمية التـي عقـدت في الريـاض برافقهم سعيد الجندول والدكتور محمود محمد سفر . وقد تحدث الامين العام معهم عن دور الشباب المسلم في بلورة مجتمعاتهم وتكييفها بمـا يتفـق ومبادىء الاسلام السمحة والعمل على تطبيق الشريعة الاسلامية في جميـع مناحي الحياة فكريا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا . وتناول الحديث الظروف المصيريـة التـي تعيشها الامة الاسلامية اليوم والتي يكيد فيها اعـداء الاسلام للدين الاسلامي الحنيف وقد ركز الامين العام في حديثه على ان الشباب المسلم المثقف يضطلـع بدور كبير في العمل الواعي المركز من اجل دينه وعقيدته .

● موقع الادب العربي من العصر وقضاياه ، سيكون الموضوع الذي يبحثه مؤتمر الادباء التاسع الذي يعقد في تونس في ١٨ مارس المقبل .

ثـرثـرة الصبـــاح

* * *

● كتاب ادبي يقع في ١٨٠ ص من القطع المتوسط ، طبـع طبعا انيقا علـى ورق جيد . مؤلفه الاستاذ سعد البواردي ، لم نقرأ لـه مـن قبل ، ولكن هذا الكتيب يدل على موهبته الادبية الطيبة ، ففيه مقالات تحوي ادبا جـزلا وطريفا وفيه حكمة الاديب الحق . ليس ثرثرة كما سماه مؤلفه تواضعا ، وانما هو ادب مفيد ، باسلوب شيق جدير بالمطالعة نشكر المؤلف الاستاذ سعـد عـلى هديته النافعة ونتمنى لـه الـتقدم دائما في معارج الادب الـذي يحتاج لامثاله مـن النابهين .

هذا وقد تم تأمين اثاث هذه المكتبات وجرى الانتهاء مـن طبـع سجلاتها وكافة مطبوعاتها وسيتم قريبا توزيع الكتب على هذه المكتبات والجدير بالذكر ان هذا المشروع هو احد المشروعات الثقافية الهامة التي ينفذهـا الحرس الوطني لرفـع مستوى منسوبي قواته معنويا وثقافيا .

● اقام وزير الاعلام السعودي الشيخ ابراهيم العنقري حفل تكريم بمقـر الوزارة بجدة للوفود الاعلامية والاسلامية التي حضرت حج هـذا العام لتغطية ونقل وقائع هذا التجمع الاسلامي الاكبر وهي اثنان وثلاثون دولة وخلال الحفل تلا رئيس وفد لبنان نص برقية تلقتها الوفود من الملك فيصل ردا علـى برقيـة رفعتها الوفود الى جلالته معربة فيها عن شكرها العميق لما لقيته مـن عون مكنها من اداء مهمتها على خير وجه . ثم القى احمد فراج عضو الوفد المصري كلمـة اشاد فيها بدور العقيدة في توحيد اهـداف المسلمين لمواجهـة التحديات التـي تعترض مسيرتهم وفي ختام الحفل ارتجل وزير الاعلام كلمـة قال فيهـا ان دور وزارة الاعلام في اتاحة الفرصة للوفود الاعلامية العربيـة والاسلامية نابع مـن ايمان هذه المملكة ملكا وحكومة وشعبا بالدور العظيم الذي يجب ان تقوم بـه الامة الاسلامية في بناء الحضارة الانسانية علـى اسس مـن القيم الاسلاميـة الحقيقية التي تكفل حياة فاضلة لبني البشر جميعا .

● اقام الشيخ ابراهيم العنقري وزير الاعلام السعودي حفـل عشاء لطلبة قسم الاعلام بكلية الاداب بجامعة الرياض في فندق صحاري بالاس حضرها وزير المعارف الشيخ حسن آل الشيخ والدكتور عبد العزيز الفدا وكيل جامعة الرياض والدكتور عزت خطاب وكيل كلية الاداب والدكتور احمد خالـد البدلي رئيس القسم وعدد من كبار موظفي وزارة الاعلام وقد القى الدكتور عبد العزيز الفدا كلمة باسم طلاب القسم والجامعة شكر فيها الوزير عـلى تبنيه لفكرة انشاء هذا القسم ورعاية طلبته وقد رد وزير الاعلام بكلمة شكر فيها وزير المعارف الشيخ حسن آل الشيخ وضمنها وصاياه لابنائه طلبة القسم وحثهم فيهـا علـى الجـد والاجتهاد .

● صرح الدكتور عبد الله بكر عميد كلية البترول والمعادن السعودية بانـه

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نـزار الزين

العرفان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ – سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الثالث المجلد ٦١ ، ١٥ آذار « مارس » ١٩٧٣ ، صفر ١٣٩٣

في ذمة الله

وداد تقي الدين

● انتقلت الى رحمته تعالى عن ٧٥ عاما المأسوف عليها وداد تقي الدين حرم المرحوم الشيخ سليم علم الدين ووالدة الشيخ نجيب علم الدين والشيخ سليمان علم الدين ونبيهة زوجة الدكتور خليل المصفي وجمال زوجة عادل تقي الدين وسعاد زوجة حليم النجار •

وقد نقل الجثمان من شملان الى بعقلين مسقط رأسها حيث شيعت بمجالي التكريم •

و « العرفان » تتقدم من آلها وذويها ، وتخص الشيخ نجيب علم الدين ، بأحر التعازي راجية لهم الصبر والسلوان وللفقيدة الرحمة الواسعة •

الحاج عاطف الزين

● توفي في بيروت على اثر مرض عضال الحاج عاطف الزين ، وقد نقل جثمانه الى مسقط رأسه شحور حيث شيع بمجالي التكريم ، واقيم له في النادي الحسيني بشحور اسبوع حافل حاشد القيت فيه الخطب والقصائد ، وكان رحمه الله كريما شجاعا لطيف المعشر ، فلنجليه الحاج سميح وعبد العزيز تعازينا الحارة ، نسأل الله ان يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه وان يلهمهم الصبر والسلوان •

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

كتبنا في العدد الماضي عن الثقافة وواجب تعزيزها من قبل الحكومة لا على الشكل الذي تفعله بل تقديرا صحيحا وفهما واقعيا ، اذا وجد من يقرأ ويطالع من المسؤولين ، وعلى كل حال فواجبنا ان نظهر حقنا وان نطالب به على جميع المستويات .

يجد القاريء في باب الاخبار خبر عن حقوق الصحافة ومطالب الصحفيين من الحكومة وقد تقدم النقيب الاستاذ رياض طه بتقرير مفصل عن هذه المطالب ، واجتمعت لجنة من المسؤولين في الحكومة ومن نقابة الصحافة فبحثت هذه المطالب ثم تأجل الاجتماع الى موعد آخر ، نخشى ان يكون طويلا ويكثر التأجيل ولا نصل الى التحقيق .

وحينما أشار حضرة النقيب الى الصحف الاسبوعية السياسية كان الافضل ان يقول : الصحف الدورية السياسية فتشمل حينئذ الصحف الاسبوعية والشهرية السياسية ، لان الصحف الشهرية يمكنها ان تصدر اسبوعية . وعلى كل حال فان الصحف الثقافية السياسية وهي تنحصر في ثلاثة :

١ ــ مجلة العرفان التي مضى على تأسيسها ٦٤ عاما .
٢ ــ مجلة الاديب التي مضى على تأسيسها ٣٢ عاما .
٣ ــ مجلة الآداب التي مضى على تأسيسها ٢٢ عاما .

هذه الصحف التي تخدم لبنان وتنشر ثقافته في العالم اجمع وهي صلة وصل بين لبنان والعالم العربي وصلة وصل بين الوطن والمهجر ، وان اعدادها موجودة في اهم دور الكتب وجامعات العالم . هذه الصحف الثقافية السياسية

مطبعة الجمهورية الجديدة - تلفون ٢٢٨٥٢٠

الذي نحبه ونؤيده نظرا لكفاءته ونزاهته وجهاده الدائب في سبيـــل الصحافـــة عامة ، ان ينقل مطالبينا هذه للمسؤولين عساهم يشعـــرون بشعورنـــا ويحسون باحساسنا ويرفعون عنا الهضم وعدم الاكتراث بخدماتنا .

قارئي الكريم :

جرائم اسرائيل من ضرب المخيمات الى اسقاط الطائرة الليبيـــة اي قـــتل الابرياء هنا وهناك وفي كل مكان حللها الاستاذ م بجريدة الزمان في المقال الآتي :

لا تلوموها

بقلم : م

هو الحقد مقروم الى اللحم ساغب   يلـذ بـأن يحسو الدمـاء ويخمرا

لا تلومومهـــا ... !!

ظمئت الى الدماء ، الفي عام .. فولغت فيها .. وعبت منها .. وشربت .. ونهلت .. وامتصت .. وما ارتوت .!

جاعت الى الجريمة ، الفي عام .. فأنشبت اظفارها .. وحددت انيابها .. ومزقت اللحم .. وقضقضت العظم .. وازدردت ضحاياها .. وما شبعت ..!

منذ مذبحة الاطفال والنسوة ، في « دير ياسين » عام ١٩٤٨ ، الى مذبحتي « البداوي » و « النهر البارد » الى خطف الطائرة الليبية المدنية وقصفها ، فوق سيناء عام ١٩٧٣ ، حيث اصطبغت الارض بالدماء .. واختلطت اللحوم بالرغام.. وفاضت ارواح الاطفال والصبايا وارتفعت رائحة الشواء ، الى السماء .. مرورا بقصف العمال في « ابي زعبل » وتهديم مدرسة « الحوض » علـــى الطلاب ، في الكنانة .. ولوغ في الدماء .. ونهش في الضحايا .. ولا ارتـــواء .. ولا مـــن بشبعون . !

« لا تلومونا » : قالها زعيـــم العسكريتاريا في اسرائيـــل .. بعـــد غزوة « البارد » و « البداوي » وتفجير الطائرة الليبية في يـــوم واحـــد ..! اعتراف صريح بجرائم مبيتة مصمم عليها.. لا يكفي ان يشرد الفلسطينيون من أرضهم.. بل ينبغي ملاحقتهم ، والقضاء عليهم ، حيثما وجدوا .. والطائرة المدنية لا يكفي

لها مطالب عديدة منها :

١ ــ هذه المكافآت التي توزعها وزارة التربية الوطنية للادباء والمفكرين والفنانين وقد وزعت في السنة الماضية ٦٠ الف ليرة على عشرة ، فلتجعلنا من هؤلاء العشرة وتأخذ مقابل ذلك اعدادا من مجلاتنا توزعها على مكاتبها ومدارسها لا دون مقابل .

٢ ــ من الجوائز : جائزة رئيس الجمهورية والجائزة التقديرية وهي تعطى للادباء ، ومجلاتنا مصنع للادباء يدخل واحدهم ناشئا فيصبح عبقريا ، الا نستحق ان نعطى من هذه الجوائز ولو كل سنة لواحد .

٣ ــ ما يضير لو اشتركت وزارة الخارجية في مجلاتنا باعداد توزعها على سفاراتها .

٤ ــ اذا كان لا يمكننا نشر الاعلانات القضائية فلماذا لا نعطى من الاعلانات الرسمية ؟!

٥ ــ في رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة ووزارة الاعلام مخصصات ثقافية لماذا لا يصل الينا منها شيئا .

٦ ــ مجلاتنا تنشر دائما النثر والشعر في وصف لبنان وجماله وتبث الدعوة للاقبال عليه في جميع مواسمه ، فلماذا لا تخصنا وزارة السياحة او المصلحة الوطنية لانماء السياحة بشيء ؟!

هذه مطالبنا وهي سهلة التحقيق وضرورية لصسودنا واستمرارنا وتعزيزنا ، لان المجلات الثقافية في جميع البلاد العربية تصدرها الحكومات الا في لبنان ، ولذلك فنحن وقعنا في خسارة كبيرة ، لاسباب عديدة منها البيع باسعار اقل من الكلفة كبقية المجلات العربية التي تصدرها الحكومات والمنافسة الشديدة على جميع المستويات وعدم وجود الاعلانات الخ .

لذلك فانا نحمل الحكومة كل مسؤولية تضر بنا وتجبرنا لا سمح الله على التوقف عن الصدور .

انا نتمنى على الزميل الكريم نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه

غدا الجزائر والمغرب وتونس والسودان •• ولن توفر بغداد ولا الرياض ولا صنعاء ولا عدن ولا دول الخليج •• ما دامت متفوقة في الاجواء •• وما دامت لها مطامحها الكبار •• وليس بالضرورة ان تستعمركم ، جميعا استعمارا مباشرا ، فقد تستعمركم بسطوتها وسيطرتها ، ووضعكم تحت مظلتها •• لا تلوموها •• اذا تمادت باجرامها •• بل انفسكم لوموها •• واذا لم تستشرفوا الابعاد •• وتهبوا هبة الرجل الواحد لدرء مخاطرها •• ترديتم الى استعمار طويل غشوم •• لا يحاكيه استعمار قديم ولا حديث •• !

اسخف ما سمعت ، شيئا تحدث عنه الناس قبل حدوثه •• واضيع ما سمعت العدوان على المدنيين العزل في اثناء الاحتراب •• وآنس ما سمعت بالامس، قولا لابي مدين ، يأمل فيه : « ان تكون جريمة اسقاط الطائرة عاملا للحشد وسببا لبدء معركة المصير ضد اسرائيل » واروع ما سمعت قولا للملك الحسن يعلن ارسال قوات مغربية الى جبهة من جبهات القتال ! هكذا يكون الثأر ، بالحشد وممارسة القتال ! لا بالقول دون الفعل ، ولا بالانتقام من مدني اعزل لا يجلب قتله سوى النقمة الانسانية •• ولا انسى القول : ان صمت القذافي ابلغ ما سمعت بعد جريمة الطائرة ، فعساه يبقى صامتا ، ويستمر فاعلا !

وفي لبناننا ، لا نرضى بأن يبقى لبنان بلدا مفتوحا امام الاعداء •• يخرقونه ساعة يشاؤون •• ويذرعونه من الجنوب الى الشمال ساعة يريدون •• ويغدرون بمواطنينا واخواننا ويحرقون مطارنا ويدمرون مرافقنا ساعة يستحسنون •• في هذا كله عار نرفضه ونأباه ، ولن نلبس لبوسه •• نريد لبناننا بلدا قويا كل القوة، يدفع عن حماه ، ويحمي كل من اواه ، نريد للبناننا جيشا من اقوى جيوش العالم نسبيا واحدثها تسلحا ، ونريد ان نكون جميعا ، نحن اللبنانيين ، جنودا فيه ، نأتمر بأمره ، ساعة تدعو الحاجة ، نريد للبنان ساسة ونوابا يكفون عن استغلال الاحداث ، والتنديد بالجيش وبث سموم التقولات والتخرسات •• نريدهم في النائبات اعوانا للجيش لا اعوانا عليه •• نريدهم ان يزيدوا من مخصصات الدفاع ، لا ان ينقصوها او يحولوها للانشاءات ومشاريع الطرقات ••

* * *

العرفان : وفي مقال الاستاذ زهير ماrديني في هذا العدد الحقائق الواضحة بهذا الموضوع فليتأمل القارىء •

ان تخطف •• بل ينبغي تنسف •• ليقتل كل من فيها •• كضربـة انتقام موجهة الى القذافي الذي ما انفك يناصب اسرائيل العداء ••! « لا تلومونا » قالهـا : زعيم العسكريتاريا في اسرائيل •• (دولة الحضارة والقيـم الانسانية •• فـي القرن العشرين ••!)

لا تلوموها •• لا تلوموا اسرائيل •• ان غزت وتوسعت •• وطغت وبغت •• وتكبرت وتجبرت •• وتمرجلت وتعنترت •• وسفحت دما •• ومزقت لحما •• وسحقت عظما •• فمن ذا الذي ردها ؟! ومـن ذا الـذي تصدى لها •• كمـا يتصدى الرجال للرجال ، والانداد للانداد ، والقروم للقروم ؟!

لا تلوموها •• ان امعنت في كيدكم وقهركم •• فانتم لـم تتفرغوا لها •• انتم مشغولون في كيد وقهر بعضكم بعضا •• بـل انتم مشغولون في خلافاتكم الداخلية •• ونزاعاتكم الشخصية •• وانقلاباتكم وثوراتكم العربيـة •• وايضا ايديولجياتكم الاجنبية •• انتم اظلم منها لكم •• انتم اعـداء نفوسكم اكثـر منكم اعداء لها •• !

لا تلوموها •• أنتم كثرة مكسورة •• وهي قلـة منصورة •• استنعجتم فاستأسدت •• واستبغثتم فاستنسرت •• انتم اغنياء اثرياء •• تهدرون الاموال على التنعم والبذخ والرفاه •• وهي فقيرة تستجدي المال ، لاعداد العدة وتكثيف السلاح •• أنتم تربون اولادكم في القصور ومرابع الدلال •• وهي تربيهم فـي معسكرات التدريب وميادين القتال شبان العشريـن عندكم يقـودون السيارات الفخمة للنزهة واللهو والطيش والتسلية •• وشبان العشريـن عندهـم يقودون الفانتوم والميراج والسكاي هوك ، للسيطرة على الارض والسمـاء ، وقصفكم كأعجاز نخل خاوية .

لا تلوموها •• انتم مجرمون بضعفكم وفرقتكم ، اكثر منها مجرمة في بطشها وعدوانها •• انتم مستهترون بخطرها •• وهي غير مستهترة بأصغر خطر يتهددها •• انتم تتفرجون على من تستهدفهم بعدوانها •• وهي تنسقكم ضحيـة بعـد ضحية •• وتستفردكم دولة بعد دولة ••!

لا تلوموها •• فيما مضى ، طال عدوانها فلسطين والاردن وسوريـا ومصر ولبنان •• والان اخذ عدوانها يتسع وينداح •• فطال بالامس ليبيا •• وقد يطال

الكثير من جوهرها حين نحاول بيانها على نحو مـن الانحاء ، فما هـي عبقرية الظرف التي نعرفها لدى مارك توين ، او برناردشو ، ولا هي من ملامح السخرية لدى مارون عبود ، او اناطول فرانس ، فلقد كان فؤاد حبيش ، علـى ظرفـه ، ولطفه ، وخفة روحه ، وانقياده العفوي لما يرد على خاطره من بواعث التهكم في احاديثه اليومية ، وبيانه المعتاد ، كان اقرب للقلب من كل ظريف ، والصق بالروح من كل ساخر .

انها في اخر ما يتناهى الى الحس « عبقريـة البشاشة » ، هـذه البشاشة الخفية ، الراتعة في رحاب سريرته ، وقد بلغ من هيمنتها علـى اعماقه ، ان كانت تطفو قسرا على محياه ، وتشيع في قسماته ، وتأتلق خلف كلماته ، حتى في حالات غضبه ، وساعات اكتئابه . ولا اعرف احدا تست لـه ادوات هـذا النوع مـن العبقرية ، وتكاملت اسبابها لديه ، على نحو ما هو شأنها مع الشيخ فؤاد حبيش. والتاريخ لا يذكر ـ فيما اعرف ايضا ـ شخصا يمثل تلـك العبقرية الفريـدة ، ويظهرها ملء الحياة والعافية ، سوى الشيخ فؤاد حبيش . وسواء في ذلك تاريخ هذا الحي من العرب : لبنان وغيره من احيائهم ، وتاريـخ المجتمعـات الادبيـة والصحفية والعسكرية ، في ديار العالم .

ذلك بان تلك البشاشة ـ وهي في الروح كما في الوجه ـ لـم ترتفع الـى درجة تصبح معها ضربا من العبقرية ، الا لانها كانت في الاساس لديه : « فلسفة» قائمة بذاتها ، ومنهجا عفويا ينتهجه صاحبها في الشعور والتفكير والعمل .

كانت طريقة في الشعور ، لان « الانسان » في الشيخ فؤاد ظـل اقـوى صفاته ، واوضح سماته ، ولا سبيل الى ابراز ذلـك الموقف في حسه الانسانـي بالكلام وحده ، فالذين قضوا في عشرته الايام والاعـوام ، وتمرسوا بحقيقـة سريرته ، لا يزالون يشعرون في غيابه ، تتمة لشعورهم في حضوره ، انهـم فقدوا اخا ، وصديقا . ومحبا ، ومعوانا في كل موقف ومهمة ، علـى تنـوع هـؤلاء ووفرتهم ، وتفاوت اذواقهم ، وامزجتهم ، ومقاماتهم ، ونزعاتهم .

وكانت طريقة في التفكير ، لان رجولة الشيخ فؤاد حبيش كانت تمنعه مـن ان تنزلق انسانيته الى ظلمة التشاؤم ، وتصونه من الوقوف حائرا متوانيا ، فـي حومة الاوصاب ، وتفجر الاحازن ، او الاسترسال مع خطرات اليأس ، ونزوات

غـاب الشّيخ فـؤاد

بقـلم : عبد اللطيف شـرارة

كلح الصباح بسوته من ليلة تقضت على وجه الصباح ظلامها

وهل يملك المفجوع بالنور في شخص فؤاد حبيش ، ان يرى بعد في الصباح القا ، او في الضحى رواء ؟

لقد تعطل في حسي معنى النور في هذه الدنيا ، منذ نعاه لي الناعي ، وانـا الذي كنت اجد ، لحظة اطل عليه او يطل علي ، ان لهذه الدنيا معنى يظل ساميا وكبيرا ، وان الحياة تستحق ان نحياها ما دام يشرق فيها وجـه كوجه الشيـخ فؤاد ، ويخفق بها قلب مثل قلب الشيخ فؤاد !



رائعة كانت اطلالته في حس من يعرفه ! ولا اذكر على مدى نحو من اربعين عاما انه قطب ما بين حاجبيه او عبس ، واذا حدث شيء من ذلك ، او ما يشبهه ، كان عبوسه ، حتى عبوسه ينطوي على ضرب من البشاشة يدركها عارفوه . ولا تخفى على احد من ذوي الاحساس المرهف والذوق الرفيع ، ايا كان رأيهم فيـه او رأيه فيهم .

تلك واحدة من صفاته التي تنم ، فيما تنم ، عن عبقرية فريدة خاصة ، تخسر

اسبوع الدم ومسؤولية احرار العرب

بقلم : زهير مارديني

عاشت الامة العربية الاسبوع الاخير من شهر شباط الماضي ، (اسبوع الدم) وهي ترنو بآفاقها الى الوضع الذي وصلت اليه على ايدي القيادات (المصنعة) ولا تجد لديها ما به توصف هذا الاسبوع ، « اسبوع الدم » !

دم هنا في طرابلس ، وفي مخيمي البداوي ونهر البارد يتجمد على التراب ، ثم تدوسه الاقدام وتمر .. ودم هناك في السماء فوق سيناء يختلط بذرات الرمل ويعصف مع الهواء ويصرخ ليوقظ النيام ..! ولا حس .. ولا همس .. لقد اصبح للذل فلسفة وعقيدة ، واستراتيجية وتكتيك ! واصبح له اذاعات .. وتلفزيونات .. ومدارج تحشد فيها الببغاوات التي ركب عقلها في اذينها !

وحدهم احرار العالم الذين يعون مسؤولياتهم الحضارية ارتعدت اقلامهم بايديهم وهم يرون انفسهم ملزمين بفضح المجرمين وتعريتهم ..

اما احرار هذه الامة فقد غرسوا اقلامهم في قلوبهم لانهم لم يجدوا مكانا ولو صغيرا يستطيعون ان يملأوه بما يغلي في خواطرهم ، ويلهب اعصابهم !

ولاول مرة منذ نصف قرن ، تقرأ في الصحافة العالمية ـ عفوا الصحافة المؤممة ـ تبريرا منطقيا للمناضلين العرب الذين لجأوا الى السلاح لانتزاع حقوقهم ، ولمحاولة استرجاعها ، لان السلاح هو الوسيلة الوحيدة التي بقيت لديهم للتعبير عن استنكار فهم الاخرين الخاطىء لانسانيتهم !

في اسبوع الدم كان علينا ان نعمل اكثر مما نتحدث .. وكانت النتيجة انه حتى الكلام نضب من حلوقنا اليابسة .. من كان له قريب من الضحايا بكى واستبكى ، ومن كان له صديق عزيز زرف عليه قطرات من الدموع ثم سرعان ما جفت الدموع ، وانسرب الناس في حياتهم يسعون وراء الرزق الحلال والحرام ، كأن الامر لا يعنيهم .. وتحول دم الشهداء في مخيمي البداوي ونهر

العذاب ، فكان اذا اربد الجو ، وتلبدت السحب تنذر بالاخفاق ، اوّ تنهال بوابل من البلاء ، ينسل بفكره الى ما يضحك ، ويلهي ، وينأى بالعزائم عـن التخاذل ، وبالنفوس عن الارتطام في المآزق والمزالق •

وكانت بشاشته اخيرا ، طريقة في العمل ، وهذا مـا تتكشف عنـه مطارح جهده ، وثمار جهاده ، فقد ولج الجندية منذ نعومة اظفاره ، وظل جنديا لوطنه في كل حقل وميدان • ثم انتقل من خدمة العلم الى خدمة القلـم ، وراح يتخطـى المألوف كصحافي ، ليطلع الاخرين على ما لا يعرفونه ، ويضعهم في جـو العصر الذي يحيون به وهم عنه غرباء •

وتلفت يستعرض الحياة الادبية في لبنان ، واذا به يجدها في الثلاثينات من هذا القرن ، تشكو الجمود ، وتظهر عليها أعراض فقر الدم، فسعى سعيا حثيثا في تحريكها ، وايلائها من القوة والنشاط ما يجعلها ارقى واغنـى وارد بالعافية على المهتمين بها ، واضعا نصب عينيه ان لا تكون « حرفـة الادب » في لبنـان ، كما عرفت من قبل ، شيئا افقر من السكافة والجزارة •

هكذا ولدت صحيفة « المكشوف » ثم « دار المكشوف » للنشر • وكانت هذه الاخيرة ، اولى مأثرة من نوعها في لبنان ، اذ لم تلبث الدور المماثلة ان نشأت على اثرها ، وطفق ادباء العربية في كل بلد عربي ، يولون وجوههم شطـر لبنان ، كلما ارادوا نشر اثر من آثارهم ، او تلقي اصداء ما ينظمون وما ينثرون •

وليس هذا كل شيء ، فقد كان فؤاد حبيش « القارىء » الامثل في لبنان ، وفي غيره من ديار العربية ، كان يقرأ ، ويناقش ما يقرأ ، ولا يني عن توجيه غيره نحو القراءة ، حتى تجمعت لديه خزانة كتب ضخمة ، يخالجك الذهول حين تعرف انه استوعب معظمها • واطلع على اكثر ما فيها ، وانهـا تنتظـم فـروع المعارف البشرية ، ولا سيما الجوانب التاريخية والادبية والعسكرية •

كان يعمل بصمت وهدوء ، على « تحديث » لبنان ، ونقله الى هذا العصر ، من جميع النواحي • وظل يجاهد في هذه السبل ، رغم الـداء الذي حـد مـن نشاطه ، الى ان قضى عليه نشاطه !

ألا انه غاب ، ولا تزال بشاشته تملأ آفاق لبنان ، وتشع من لبنان على بلاد العرب جمعاء • ولن ينطفىء ذلك النور ، فوهجه قائم في القلوب والصدور •

عبد اللطيف شرارة

كثيرون من مدعي الدفاع عن قضية فلسطين نصبوا انفسهم قضاة في سدة الحكم ، واخذوا يلومون الشعب الذي لا يتحرك ، والشعب الذي نام على ايدي جزاريه •• وكثيرون وجهوا نداءاتهم الى رئيس عربـي معين ووجهوا اضواءهم نحـوه •••

« هذا الرئيس ما يزال صامتا •• لم يتكلم •• اشترك في موكب الشهداء في بلده ثم انسحب ! العالم يرقب خطوات هذا الرئيس •• متى ينتقم وكيف ! » كأن جرح مذبحة السماء لم يصب كل عربي •• كأن الرئيس العربي المذكور هو وحده الذي جرح ! لماذا ؟ نعم ! لماذا ؟ الكلام الكثير الذي هدر في اسبوع الدم على الورق ، وطفق يسعى بعد اسبوع الدم بدون هدف لن ينزع عن احرار هذه الامة المسؤولية •••

لقد شاء قدرنا أن يحارب العربي على اكثر من جبهة •• ولعل اعنفها جبهته الداخلية لا جبهة العدو !

نحن من هؤلاء الناس الذين يتنفسون هذا القدر القاسي ويعيشونه •• ولا نملك في المجال سوى صياغة بعض الاسئلة ••• فوانيس على الطريق ••• قـد تعين على عمق الرؤيا وسعة الساحة •• ماذا لدينا للعمل ؟

سؤال كبر على حجم المسؤولين ، كل المسؤولين ، وارتـد الـى المواطنين مدحورا مقهورا •••

هل يضير ان يخرج الاحرار مـن مخابئهم ويتحركون ويفكرون ويتبادلون الرأي ويضعون برامج للعمل ، لا مخططات للقول والاستهلاك الجماهيري !

هل يضير ان نفكر معا بصوت عال بدون خوف ؟

سؤال ثان نضعه امام الناس لا امام الحكام ! امام المؤمنين بامتهم ، لا امام المتاجرين بها !

مم يخاف الاحرار ؟

سؤال ثالث !

البارد ، وشهداء الطائرة الليبيـــة ، الـــى ارقـــام توضع في (ارشيف) المذابــح الصهيونية ضد العرب •• مجرد ارقام في القائمة الطويلة •• الطويلة •• الحافلة بارقام شهداء دير ياسين وكفر قاسم ، وبحر البقر •• والقناة •• والبداوي ونهر البارد •• والطائرة الليبية ••!

وتمطت من الجاهلية الاولى صورة ابي قابوس المنذر ويوم بؤسه السنوي لتتصل بيوم وعد بلفور •• ويوم التقسيم •• ويـــوم الاسكندرونة •• ويـــوم (١٥ مايو ١٩٤٨)•• ويوم دير ياسين وقبية وكفر قاسم •• واخيرا لا اخرا الى يوم غزو مخيمي البداوي ونهر البارد •• ويوم مذبحة السماء في سيناء •• حتى (الخامس) من حزيران قد تحول بدوره الى يوم للذكرى نحـــن علـــى موعد قريب معها •• ايام بعد ايام تحولت بعبقرية شيطان رجيم مـــن محرضات تلامس نخوة المعتصم الى ايام بؤس مكرورة تنتشلها دورة الارض حول الشمس ، من مستقرها ، في المناسبات الرسمية ، ثم تعود فترميها في غيابة (الارشيف) ••

الذين انغرس جرح مذبحة السماء فوق سيناء ، وجريمة الارض في مخيمي البداوي ونهر البارد ، في دمائهم كاللعنة الابدية ، سكينـــا جائعة وراء الشغاف والاعصاب يخشون على هذا الجرح ان يهدأ كما هدأ لـــه اخ مـــن قبل •• بل اخوات •• ان ابتلعه الحذر يعني ذلك بعض الموت •• رحـــم الله الموتى يـــوم (مالجرح بميت ايلام) !

الجرح الاخير ما يزال ساخنا على جسم كل عربي مؤمن يجدر بنا ان نتحمله ينزف ولا نضع عليه الضمادات ، لا نريده ان يندمل •• لان موت الجراح هـــو مطلب العدو الاساسي •• ولكي لا يموت الجرح كغيره علينا ان نظل نحدق بـــه محملقين في اعماقه في موضوعية وصرامة وقسوة •• وهـــل تجدي المرارة الآن ، وهل اجدتنا في الماضي ؟ وهل ينفع اغماض العيون او حتى عماها ؟

لا بد ان نعرف كلما مضى يوم على مذبحة السماء فـــوق سيناء ، وجريمة الارض في طرابلس ، كم سنبتعد عن الحدث الجديد ، لكي لا يتحول الى قديم منسي ••

هنا يطل واجب احرار هذه الامة ومسؤولياتهم ..

ليس صحيحا ان الامة العربية قد تخلى عنها احرارها .. هذه كذبة صهيونية وجدت بيننا من يدافع عنها ويختطفها ليبرر عجزه وفشله ...

ليس صحيحا ان القضية الفلسطينية قد اضحت تعني ابناء الشعب العربي الفلسطيني ! هذه ايضا كذبة صهيونية تنتشر بين صفوفنا كما تنتشر السموم في الهواء .. وعلى الاحرار ان يدافعوا عنها فعلا لا قولا !

وواجب الاحرار هنا تحويل (بنزين) الكلام الى حركة دائرية تحرك الناس، وتحرك العجلة على الطريق ...

الى متى يعيش (قابيل وهابيل) في اهابنا الى اليوم .. آدم وحواء حين بدت لهما سؤاتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ... يوم بدت السؤات في حزيران .. وبعد حزيران .. في اسبوع الدم الاخير ، وما بعده لم يبق على الانظمة المتاجرة بقضية فلسطين ما يستر عوراتها .. حتى ورقة التوت سقطت ولم تسقط هذه الانظمة !

وواجب اصحاب الفكر العربي الاحرار من كل جيل وميل ان يصوغوا الاسئلة التي يطرحها المواطن المقهور الجريح وان يعقدوا محكمة شعبية يحاكمون فيها كل من يعيق هذه الامة عن خوض معركتها بايدي ابنائها !

مائة مليون كافية ، وليخرس من يستهزيء بهذا الرقم !

فاذا اصدرت هذه المحكمة الحرة احكامها لن تستطيع الصهيونية ان تقيم فوقنا مذبحة في سماء سيناء .. وعلى ارض مخيمي البداوي ونهر البارد في طرابلس ..

لسنا بالمتشائمين لاننا نؤمن بهذه الامة وبقدرتها على انتزاع حقها بايديها.. ولتذهب الى الجحيم كل الافكار (المصنعة) وكل التعاليم والطقوس والمذاهب ، وليذهب معها مستوردوها !

زهير مارديني

هل يخافون الاتهام ؟ هل يخافون السجــون والتعذيب والاضطهاد ؟ واي حر في الدنيا يخاف ؟

وما قيمة الخوف من حكام يرتجون خوفا من تحرر احرار الامة من الخوف؟!

مثلا : نقول مثلا من باب الافتراض : لو وقعت مذبحة جديدة فهل سيكون موقفنا منها مشابه للموقف الذي اتخذناه ونحن نستقبل الصناديق الخشبية التي وضع العدو فيها الشهداء وكتب على ظهورها « ذكر » و « انثى » للتفريق فقط، وحين فتحت الصناديق كان المنظر يحرك الحجر !! دموع •• وصراخ •• وندب •• وتأوهات فقط.؟

من المؤكد ان لدى الاحرار اكثر من جواب علــى هذه الاسئلــة الثلاثة ، فلماذا لا يضعون هذه الاجابات في ميثاق •• في كراس •• في لائحة لا مكان فيها لارقام شهداء العدوان ، بل لشهداء النضال ضد المعتدي ••

العنصر البشري في المعركة كان وما يزال غائبا •• لم تأخذ كلمة عربي لا في المعركة ولا قبلها ولا بعدها معناها السياسي النضالي الكامــل •• بقيت اربعــة احرف فارغة من المحتوى وبدلا من ان تأخــذ ابعادها الشاملــة منــذ حزيران الاسود ، فتحتوي الاقليمية الضيقة ، والطائفية البغيضة ، اذا بهــذه الاقليمية ، وهذه الطائفية تحتويها وتستخدمها •• وعادت اللعبــة القديمة في الالهاء لتمارس على اوسع مدى ، في العراق وسوريا ومصر والاردن •• الدول التي بامكانها ان تشكل مركز الثقل ضد العدو ! هل هــي صدفة ؟ ام ان هنــاك مخططا مدروسا مطلوب تنفيذه ؟

ثم ماذا عن الكفايات التي سحقت في مــناخ الارهــاب الفكــري قبــل (الخاموس) من حزيران وبعده ••• هــذه الكفايات الــتي هربت في الظــلام كالعصافير المذعورة •• لتصب في الاقنية البعيدة عــن معركــة فلسطين ، وقضية فلسطين !

تفسير جعفر الصادق للقرآن

الدكتور سليمان زيعور

يقدم الصديق الدكتور سليمان زيعور تعليقاته ودراسته النقديـة في العدد القادم ، او الذي يليه بعد نشر التفسير بكامله . العرفان .

لم تدرس بعد شخصية الامام الصادق مـن مختلف جوانبهـا ، هناك عدة جهات ما تزال غامضة سيما وان ما نسب لـه كثير . ثلاثـة مستشرقين ، بشكل خاص ، اهتموا بالصادق : روسكا ، هوليمار ، كروس . امـا الذين درسوه من العرب ، فبلا شك ان معظمهم لم يصلوا الى الادنى مـن الموضوعية ، والابتعاد عن الاطناب ، وصف الكلام المديحي الذي لا يغني الفكر كثيرا .

هناك ناحية لم تتناول بعد تمامـا ، هـي شخصية الصادق الصوفـي ، أو المؤسس للصوفية . كان ماسينيون (١) اول مـن اشار الـى نصوص في تفسير القرآن موجودة في « حقائق التفسير » للسلمي . ثـم جاء الاب الدكتور نويـا فحقق تلك النصوص ونشرها في سنة ١٩٦٨ (٢) ، ثم حللها في فصل مـن كتاب جيد كان موضوع رسالته للدكتوراه (٣) .

يتضح ، ببساطة مدهشة ، ان هذا التفسير الصوفي منبـع حقائق كثيرة في الفكر الصوفي العربي ـ الاسلامي . بمعنى انـه لا حاجة لعناء او لاعمال ذهن كي تلاحظ تلك العلاقة الوطيدة بين اقوال الامام وتفسيره ، وبين ما سيقوله أئمة الصوفية . بعبارة اخرى ، تدهش بالـفعل تلك القرابة في المصطلحات والمفاهيم والبينات . ان الاسس التي يشاد عليها التصوف موجودة في ذلك التفسير الذي احتفظ به السلمي في « حقائق التفسير » باسم الامام الصادق الذي يعـد ، بناء

---

(1) Massignon , Essai Sur Le Lexique ... , PP. 201 - 206 .

(2) P. Nwyia , Le « tafsir » mystique ... in Melan qes de L'université Saint Joseth (Begron th. 1968) , PP. 181 - 230 .

(3) id. Exéqèse Coramn que et Langage Mystique ... Beyr - outh . 1970 .

ـجة ٣٠٠٠ عـ م تد

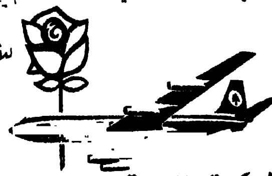
إختيار وتدريب مضيفة تت



لضيافة اللبنانية المشهورة التي راجت في أنحاء العالم لم تطلع لهذا المستوى السعيد إلا بعد ٣٠٠٠ عام من المحافظة على التقاليد العريقة والتهذيب في العادات والأخلاق

نحن أول معاني هذه الضيافة الترحيب الحار الذي يلقاه المسافر على متن طائراتنا. ثم وجبات الطعام التي نعد لـه ساخنة حتى في الرحلات القصيرة المسافة. ويتحلى حسن هذه الضيافة في الاطباق الخزفية و الفضية التي يقدم فيها الطعام، و أيضا في أنواع المشروبات التي تقدم مجانا لركاب الدرجة الاولى. ومن عادة الضيافة تهنئة المريسة لمسافرين لشراء الهدايا على متن الطائرة معفاة من الرسوم الجمركية. ١٥٠ منظمة وطائرة على ان ضيافتنا تعني قبل كل شيء توفير الراحة والعناية والخدمة الشخصية التي اشتهرت شركتنا تقديمها لركابها. لقد قضينا ٣٠ عاما في اتقان هذه الخدمة.

للإستعلامات والحجز، راجعوا وكيلكم للسفر المعتمد لدى "اياتا" أو:



الجودة على متن الطائرة

طيران الشرق الأوسط الخطوط الجوية اللبنانية



لجميع خلقه ، الرحيم بالمؤمنين خاصة . عن جعفر انه قال في قوله « الله » : انه اسم تام لانه اربعة احرف : الالف وهو عمود التوحيد ، واللام الاول لوح الفهم، واللام الثاني لوح النبوة ، والهاء النهاية في الاشارة . والله هو الاسم الفرد المتفرد ، لا يضاف الى شيء ، بل تضاف الاشياء كلها اليه . وتفسيره : المعبود الذي هو أله الخلق ، منزه عن كل درك مائيته ، والاحاطة بكيفيته . وهو المستور عن الابصار والاوهام ، والمحتجب بجلاله عن الادراك .

عن الرضا عن ابيه عن جده في قوله « الرحمن الرحيم » قال : هو واقع على المريدين والمرادين . فاسم الرحمن للمرادين لاستغراقهم في الانوار والحقائق ، والرحيم للمريدين لبقائهم مع انفسهم واشتغالهم باصلاح الظواهر . والرحمن المنتهي بكرامته الى ما لا غاية له، لانه قد اوصل الرحمة بالازل وهو غاية الكرامة ومنتهاء بدءٍ وعاقبة . والرحيم وصل رحمته بالياء والميم وهو ما يتصل به من رحمة الدنيا والعوافي والارزاق .

٣ ــ ذكر عن جعفر الصادق في قوله « الحمد لله » قال : من حمده بصفاته كما وصف نفسه فقد حمده . لان الحمد حاء وميم ودال. فالحاء من الوحدانية، والميم من الملك، والدال من الديمومية . فمن عرفه بالوحدانية والديمومية والملك فقد عرفه .

٤ ــ سئل جعفر بن محمد عن قوله « الحمد لله رب العالمين » قال : معناه الشكر لله وهو المنعم بجميع نعمائه على خلقه وحسن صنعه وجميل بلائه . وألف الحمد من آلائه وهو الواحد . فبآلائه انقذ اهل معرفته من سخطه وسوء قضائه . واللام من لطفه وهو الواحد . فبلطفه اذاقهم حلاوة عطفه وسقاهم كأس بره . والحاء فمن حمده وهو السابق بحمد نفسه قبل خلقه . فبسابق حمده استقرت النعم على خلقه وقدروا على حمده . والميم فمن مجده . فبجلال مجده زينهم بنور قدسه . والدال من دينه الاسلام . فهو السلام ودينه الاسلام وداره السلام وتحيتهم فيها سلام لاهل الاسلام في دار السلام .

٥ ــ عن جعفر بن محمد الصادق قال : « الرحمن » الذي يرزق الخلائق ظاهرا وباطنا . فرزق الظاهر الاقوات من المأكولات والمشروبات والعوافي ،

على ذلك ، المؤسس الحقيقي للتصوف السني المستمد من القرآن والسنة والذي اصابته ، في سبره ، روافد الغنوصية والتيارات الهندية والافلوطينية ...

أدناه ، التفسير الصوفي للقرآن الكريم وسوف تقدم ـ عند نهاية العمل ـ محاولة في دراسة مدى ذلك التفسير في نشوء الفكر الصوفي والمصطلحات المعجمية الصوفية . فوق ذلك كله ، ان ذاك التفسير دليل عام ، يضاف على ادلة، على ان منبع التصوف ـ كتجربة روحية تسعى لبلوغ المطلق ـ ذو مصدر قرآني . لقد كان الصادق نبع التصوف السني ، التصوف الذي لم تلطخه النرفانا ولا الغنوص ... (١) .

تفسير القرآن (٢)

مقدمة : حكي عن جعفر بن محمد انه قال : كتاب الله على اربعة اشياء : العبارة والاشارة واللطائف والحقائق . فالعبارة للعوام ، والاشارة للخواص ، واللطائف للاولياء ، والحقائق للانبياء .

(١ ـ سورة الفاتحة)

١ ـ « بسم » . عن جعفر بن محمد قال : الباء بقاؤه ، والسين اسماؤه ، والميم ملكه . فايمان المؤمن ذكره ببقائه ، وخدمة المريد ذكره باسمائه ، والعارف فناؤه عن المملكة بالمالك لها .

وقال ايضا : « بسم » ثلاثة احرف : باء وسين وميم . فالباء باب النبوة ، والسين سر النبوة الذي أسر النبي به الى خواص أمته، والميم مملكة الدين الذي يعم الابيض والاسود .

٢ ـ عن جعفر بن محمد انه سئل عن « بسم الله الرحمن الرحيم » قال : الباء بهاء الله ، والسين سناؤه ، والميم مجده . والله اله كل شيء ، الرحمن

---

١ ـ هناك ايضا تفسير مخطوط منسوب للصادق ، جمعه محمد بن ابراهيم النعماني الذي كان تلميذا للكليني .

٢ ـ ليس هذا التفسير جامعا . انه لبعض السور ، ولبعض الآيات ، واحيانا هو لبعض الفقرات او لفقرة من الآية الواحدة . العناوين لم ترد في الاصل ، وضعت للتسهيل .

٥ ـ « ربنا آتنا في الدنيا حسنة » (٥) .

قال جعفر : صحبة الصالحين .

٦ ـ « هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام » (٦) .

قال جعفر : هل ينظرون الا اقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق فيكشف عنهم أستار الغفلة فيشهدون بره ولطفه بل يشهدون البار اللطيف .

٧ ـ « وقضي الامر » (٧) .

قال جعفر : وقضي الامر وكشف عن حقيقة الامر ومغيبه .

٨ ـ « زين للذين كفروا الحياة الدنيا » (٨) .

قال جعفر : زين للذين جحدوا التوكل زينة الحياة الدنيا حتى جمعوها وافتخروا بها . « **ويسخرون من الذين آمنوا** »(٩) اي من الذين توكلوا على الله في جميع امورهم، ونبذوا تدابيرهم وراء ظهورهم، واعرضوا عنها وهم الفقراء الصبّر الراضون .

٩ ـ « ان الله يحب التوابين » (١) . *

قال جعفر : يحب التوابين من سوالاتهم ، ويحب « المتطهرين » من اراداتهم .

١٠ ـ قال جعفر : « لله ما في السماوات وما في الارض » (٢) :

من اشتغل بهما قطعاه عن الله عز وجل ، ومن اقبل على الله وتركهما ملكهما الله اياه .

١١ ـ « وان تبدوا ما في انفسكم » (٣) .

قال جعفر : الاسلام . « او تخفوه » الايمان .

(٣ ـ آيات من سورة آل عمران)

١ ـ « الم » (٤) . قال جعفر : الحروف المقطوعة في القرآن اشارات الى الوحدانية ، والفردانية ، والديمومية ، وقيام الحق بنفسه بالاستغناء عما سواه .

(*) انظر الارقام في حاشية الصفحة التالية .

ورزق الباطن العقل والمعرفة والفهم وما ركب فيه من انواع البدائع : كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس والظن والهمة •

٦ ــ وقال جعفر بن محمد : « صراط الذين انعمت عليهم » بالعلم بك والفهم عنك •

٧ ــ قال جعفر : « آمن » اي قاصدين نحوك ، وانت اكرم من ان تخيب قاصدا •

(٢ ــ سورة البقرة)

١ ــ « سبحانك لا علم لنا » (١) •

قال جعفر : لما باهوا باعمالهم وتسبيحهم وتقديسهم ضربهم كلهم بالجهل حتى قالوا « لا علم لنا » •

٢ ــ « واذ جعلنا البيت مثابة للناس » (٢) •

عن جعفر بن محمد قال : البيت هاهنا محمد • فمن آمن به وصدق برسالته دخل في ميادين الامن والامان ، « مقام ابراهيم » : مقام القبلة • جعل قلبك مقام المعرفة ، ولسانك مقام الشهادة ، وبدنك مقام الطاعة • فمن حفظها فانه مستجاب الدعاء البتة •

٣ ــ « ربنا واجعلنا مسلمين لك » (٣) •

قال جعفر : اجعلنا مسلمين لك اي احفظني واهل بيتي كي نسلم انفسنا وقلوبنا اليك ولا نختار الا ما اخترته لنا • وقال ايضا : اجعلنا مقيمين معك لك •

٤ ــ « ان الصفا والمروة من شعائر الله » (٤) •

عن جعفر بن محمد قال : الصفا الروح لصفايها عن درن المخالفات ، والمروة النفس لاستعمالها المروة في القيام بخدمة سيدها • وقال : الصفا صفاء المعرفة ، والمروة مروة العارف •

---

١ ــ سورة ٢ آية ٣٢ (٢ : ٣٢) •
٢ ــ ٢ : ١٢٥ • (٣) ــ ٢ : ١٢٨ • (٤) ــ ٢ : ١٥٨ • (٥) ــ ٢ : ٢٠١
(٦) ــ ٢ : ٢١٠ • (٧) ــ نفسه • (٨) ــ ٢ : ٢١٢ • (٩) نفسه •

وصفا وحالا وخلقا •

١١ ـ « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك مـن العلم » (٣ : ٦١) • قال جعفر : هذه اشارة في اظهار المدعين لاهل الحقائـق ، ليفتضحوا في دعاويهم عند اظهار اثار انوار التحقيق وبطلان ظلمات الدعاوي الكاذبة •

١٢ ـ « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي » (٤) • قـال جعفر : للذين اتبعوه في شرايعهم ومناسكهم، « وهذا النبي » لقرب حال ابراهيم من حال النبي صلى الله عليهما ، وشريعته من شريعته دون ساير الانبـياء وساير الشرايع ، « والذين آمنوا » لقرب حالهم مـن حال ابراهيم • « واللـه ولـي المؤمنين» في تشريفهم الى بلوغ مقام الخليل عليه السلام اذا القرب منه من (في) درجة المحبة بقوله : « ويحبهم ويحبونه » •

١٣ ـ « بلى من اوفى بعهده واتقى فان اللـه يحب المتـقين » (٥) • قال جعفر : من أوفى بالعهد الجاري عليه في الميثاق الاول ، « واتـقى » وطهر ذلك العهد وذلك الميثاق من تدنسه بباطل • والوفاء بالعهد الكون (يكون) معه بقطع ما سواه • لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصدق كلمة تكلم بها العرب قول لبيد : الاكل شيء ما خلا الله باطل » • ومن وفى بالعهد سمي محبـا والله يحب المتـقين •

١٤ ـ قال جعفر « كونوا وبانيين » (٦) • قـال : مستمعين بسمع القلوب ناظرين باعين الغيوب • قال جعفر : باتفاق المهج يصل العبد الى بر حبيبه وقرب مولاه •

١٥ ـ قال الله : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » (٧) •

وقال جعفر : لن يصلوا الى الحق حتى ينفصلوا عما دونه •

١٦ ـ قال جعفر في قوله « من دخله كان آمنا » (١) قال : من دخل الايمان قلبه كان آمنا من الكفر •

---

(١) ـ ٣ : ٤٥ • (٢) ـ ٣ : ٣٧ • (٣) ـ ٣ : ٣٩ • (٤) ـ ٣ : ٦٨ • (٥) ـ ٣ ي ٧٦ •
(٦) ـ ٣ : ٧٩ • (٧) ـ ٣ : ٩٢ •

٢ ــ قال جعفر في قوله « ان الله لا يخفى عليه شيء » (٥) قال : لا يطلعن عليك فيرى في قلبك سواه فيمقتك •

٣ ــ قال جعفر في قوله « شهد الله » (٦) قال : شهد الله بوحدانيته واحديته وصمديته ، « وشهد الملائكة واولو العلم » له بتصديق ما شهد هو لنفسه •

٤ ــ وسئل جعفر عن حقيقة هذه الشهادة ما هي فقال : هي مبنية على اربعة اركان : اولها اتباع الامر ، والثاني اجتناب النهي ، والثالث القناعة والرابع الرضا •

٥ ــ قال جعفر « ان الدين عند الله الاسلام » (٧) قال : هو ما سلم عليه صاحبه من وساوس الشيطان ، وهواجس النفس وعذاب الآخرة •

٦ ــ قال جعفر : « ويحذركم الله نفسه » (٨) ان تشهد لنفسك بالصلاح لان من كانت له سابقة ظهرت سابقته في خاتمته •

٧ ــ قال جعفر في قوله « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني » (٩) قال : قيد اسرار الصديقين بمتابعة محمد صلى الله عليه وسلم لكي يعلموا انهم وان علت احوالهم وارتفعت مراتبهم لا يقدرون مجاوزته ولا اللحوق به •

٨ ــ « اني نذرت لك ما في بطني محررا » (١) قال جعفر : عتيقا من رق الدنيا واهلها • وقال جعفر : « محررا » اي عبدا لك خالصا ، لا يستبعده شيء من الاكوان •

٩ ــ « فتقبلها ربها » (٢) قال جعفر : تقبلها حتى يعجب الانبياء مع علو اقدارهم في عظم شأنها عند الله • الا ترك ان زكريا قال لها « اني لك هذا • قالت هو من عند الله » ، اي من عند من تقبلني •

١٠ ــ « وسيدا وحصورا » (٣) • قال جعفر : السيد المباين عن الخلق

(١) ــ ٣ : ٣٧ • (٢) ــ ٣ : ٣٨ • (٣) نفسه •

(٤) ــ سورة آل عمران ، آية ١ (٣ : ١) • (٥) ــ ٣ : ٥ • (٦) ــ ٣ : ١٨

(٧) ــ ٣ : ١٩ • (٨) ــ ٣ : ٢٨ • (٩) ــ ٣ : ٣١ •

هم الناس ولا تغفلوا عن الله • فمن عرف انه من الانسان الذي خص خلقته بما خص به ، كبرت همته عن طلب دني المنازل ، وسمت به الرفعة حتى يكون الحق نهايته « وان الى ربك المنتهى » (١)، وسمو همته مما خص به من الاختصاص من التعريف والالهام •

٢ ــ « فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » (٢) • قال جعفر بن محمد : الصدق والتقوى يزيدان في الرزق ويوسعان المعيشة •

٣ ــ « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » (٣) • قال جعفر الصادق : لا بد للعبد المؤمن من ثلاث سنن : سنة الله وسنة الانبياء وسنة الاولياء • فسنة الله كتمان السر • قال الله : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا » (٤) • وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مداراة الخلق ، وسنة الاولياء الوفاء بالعهد والصبر في البأساء والضراء •

٤ ــ « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك » (٥) • قال جعفر : من لم يجعل قصده الينا على سبيلك وسننك وهديك ضل الطريق واخطأ الرشد •

٥ ــ « من يطع الرسول فقد اطاع الله » (٦) • قال جعفر بن محمد : من عرفك بالرسالة والنبوة فقد عرفني بالربوبية والالهية •

٦ ــ عن جعفر بن محمد في قوله « اتخذ الله ابراهيم خليلا » (٧) قال : اظهر اسم الخلة لابراهيم لان الخليل ظاهر في المعنى ، واخفى اسم المحبة لمحمد صلى الله عليه وسلم لتمام حاله • اذ لا يحب الحبيب اظهار حال حبيبه بل يحب اخفاءه وستره لئلا يطلع عليه سواه ولا يدخل احد فيما بينهما • وقال لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم لما اظهر له حال المحبة » قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني « (٨) اي ليس الطريق الى محبة الله الا باتباع حبيبه ، ولا يتوسل الى الحبيب بشيء احسن من مبايعة حبيبة وطلب رضائه •

(١) ــ سورة النجم ، آية ٤٢ (٥٣ : ٤٢) • (٢) ــ ٤ : ٩ • (٣) ــ ٤ : ٥٩ • (٤) ــ الجن، ٢٦ •(٥) ــ ٤ : ٦٤ • (٦) ــ ٤ : ٨٠ • (٧) ــ ٤ : ١٢٥ • (٨) ــ آل عمران ، ٣١ (٩) ــ سورة المائدة ، آية ١ (٥ : ١) • (١٠) ــ نفسه •

١٧ ــ « ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم » (٢) • قال جعفر في هذه الآية : من عرفه استغنى به عن جميع الانام •

١٨ ــ « اتقوا الله حق تقاته » (٣) • قال جعفر : التقوى ان لا ترى في قلبك شيئا سواه •

١٩ ــ قال جعفر الصادق : « يأمرون بالمعروف » (٤) والمعروف هو موافقة الكتاب والسنة •

٢٠ ــ « هذا بيان للناس » (٥) • قال جعفر : أظهر البيان للناس ، ولكن لا يتبينه الا من أيد منه بنور اليقين وطهارة السر • الا تراه يقول : « وهدى وموعظة للمتقين » (٦) • ألا ان الاهتداء بهدي البيان والاتعاظ به للمتقين الذين اتقوا كل شيء سواه •

٢١ ــ « بل الله مولاكم » (٧) • قال جعفر : متولي اموركم بدئا وعاقبة•

٢٢ ــ « فاذا عزمت فتوكل على الله » (٨) • قال جعفر : أمر باستقامة الظاهر مع الخلق وبتجريد باطنه للحق • الا تراه يقول : « فاذا عزمت ••• » •

٢٣ ــ « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » (٩) • قال جعفر : يذكرون الله قياما في مشاهدات الربوبية ، وقعودا في اقامة الخدمة ، وعلى جنوبهم في روية الزلف •

٢٤ ــ « اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (١٠) • قال جعفر : اصبروا عن المعاصي ، وصابروا على الطاعات ، ورابطوا الارواح بالمشاهدة ، واتقوا الله اي تجنبوا الانبساط مع الحق • « لعلكم تفلحون » : تبلغون مواقف اهل الصدق فانه محل الفلاح •

(٤ ــ آيات من سورة النساء

١ ــ قال جعفر في قوله « يا ايها الناس » (١١) اي كونوا من الناس الذين

(١) ــ ٣ : ٩٧ • (٢) ــ ٣ : ١٠١ • (٣) ــ ٣ : ١٠٢ • (٤) ــ ٣ : ١١٠ (٥) ــ ٣ : ١٣٨ •
(٦) ــ نفسه • (٧) ــ ٣ : ١٥٠ • (٨) ــ ٣ : ١٥٩ • • (٩) ــ ٣ : ١٩١ • (١٠) ــ ٣ : ٢٠٠ •
(١١) ــ سورة النساء ، آية ١ (٤ : ١) •

مثله في الظلمات » (٨) : كمن ترك مع شهوته وهواه فلم يؤيد بروايح القرب وموانسة الحضرة .

قال جعفر : « اومن كان ميتا » بالاعتماد على الطاعات ، « فاحييناه » فجعلنا له نور التضرع والاعتذار .

٤ ــ « وان هذا صراطي مستقيما » (٩) . قال جعفر بن محمد : طريق من القلب الى الله بالاعراض عما سواه .

(٧ ــ آيات من سورة الاعراف)

١ ــ « خذوا زينتكم عند كل مسجد » (١٠) . قال جعفر : أبعد اعضاءك من ان تمس بها شيئا ، بعد ان جعلها الله آلة تؤدي بها فرايض الله .

٢ ــ « والقى السحرة ساجدين » (١) . قال جعفر : وجدوا نسيم رياح العناية القديمة بهم فالتجوا الى السجود شكرا، وقالوا « آمنا برب العالمين» (٢).

٣ ــ « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة » (٣) . قال جعفر : كان وعده ثلاثين ليلة فاليوم على ميعاد ربه وانتهى الاجل لقدومه، فاخرجه عن حده ورسمه، واكرم موسى بكلامه ، وبان عليه شرفه خارجا عن رسوم البشرية، حتى سمع ما سمع من ربه من غير نفسه وعلمه وغير وقته الذي وقت لقومه دليلا بذلك على ان منازل الربوبية خارج عن رسوم البشرية .

٤ ــ « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » (٤) . قال جعفر : الميقات طلب الرويــة .

وقال جعفر : سمع كلاما خارجا عن بشريته واضاف الكلام اليه وكلمه من نفسية موسى وعبوديته، فغاب موسى عن نفسه وفنى موسى عن صفاته، وكلمه ربه من حقائق معانيه فسمع موسى صفة موسى من ربه . ومحمد سمع من ربه صفة ربه فكان احمد المحمودين عند ربه . ومن هنا كان مقام محمد صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ومقام موسى الطور . ومنذ كلم الله موسى على الطور افنى صفتها فلم يظهر فيها النبات ولا تمكين لاحد عليها .

---

(١) ــ ٧ : ١٢٠ . (٢) ــ ٧ : ١٢١ . (٣) ــ ٧ : ١٤٢ . (٤) ــ ٧ : ١٤٣ (٥ ــ ٧) نفسه .

(٥ ـ آيات من سورة المائدة)

١ ـ قال جعفر بن محمد في قوله « يا ايها الذين آمنوا » (٩) قال : فيه اربع خصال : نداء وكناية واشارة وشهادة : « يا » نداء « واي» خصوص نداء ، « وها » كناية ، « والذين » اشارة ، « وآمنوا » شهادة •

٢ ـ « ان الله يحكم ما يريد » (١٠) • قال جعفر : حكم بما اراد وامضى ارادته ومشيئته • فمن رضي حكمه استراح ، وهدي لسبيل رشده ، ومن سخطه فان حكمه ماض عليه ، وله فيه السخط والهوان •

٣ ـ « اليوم اكملت لكم دينكم » (١) • قال جعفر بن محمد : اليوم اشارة الى يوم بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوم رسالته •

٤ ـ « يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » (٢) • قال جعفر : يغفر لمن يشاء فضلا ، ويعذب من يشاء عدلا •

٥ ـ « وابتغوا اليه الوسيلة » (٣) • قال جعفر : اطلبوا منه القربة •

(٦ ـ آيات من سورة الانعام)

١ ـ قال جعفر في قوله : « وعنده مفاتح الغيب » (٤) ، قال : يفتح من القلوب الهداية ، ومن الهموم الرعاية ، ومن اللسان الرواية ، ومن الجوارح السياسة والدلالة •

٢ ـ « اني وجهت وجهي » (٥) قال جعفر : يعني اسلمت للذي خلقه ، وانقطعت اليه من كل شاغل وشغل• « للذي فطر السموات والارض» (٦) قال : الذي رفع السماء بغير عمد ، واظهر فيها بدايع صنعه ، قادر على حفظ قلبي من الخواطر المذمومة ، والوساوس التي لا تليق بالحق •

٣ ـ قال جعفر في قوله « اومن كان ميتا فاحييناه » (٧) قال : ميتا عنا فاحييناه بنا ، وجعلناه اماما يهتدي بنوره الاجانب ، ويرجع اليه الضال • « كمن

(١) ـ ٥ : ٣ • (٢) ـ ٥ : ١٨ • (٣) ـ ٥ : ٣٥ • (٤) ـ سورة الانعام ، آية ٥٩ (٦ : ٥٩)
(٥) ـ ٦ : ٧٩ • (٦) ـ نفسه • (٧) ـ ٦ : ١٢٢ • (٨) ـ نفسه • (٩) ـ ٦ : ١٥٣ •
(١٠) ـ سورة الاعراف ، آية ٣١ (٧ : ٣١) •

والحادي عشر عين المحبة • والثاني عشر عين الانس والخلوة وهي عين المعرفة بنفسها ومنها تتفجر هذه العيون • فمن شرب من عين منها يجد حلاوتها ويطمع في العين التي هي ارفع منها ، من عين الى عين حتى يصل الى الاصل • فاذا وصل الى الاصل تحقق بالحق •

٩ ــ سئل جعفر عن الحكمة في قوله « وهو يتولى الصالحين » (٦) ونحن نعلم انه يتولى العالمين ، فقال : التولية على وجهين : تولية اقامة وابداء ، وتولية عناية ورعاية لاقامة الحق •

(٨ ــ آيات من سورة الانفال)

١ ــ « وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا » (٧) • قال جعفر : ان يفنيهم عن نفوسهم • فاذا افناهم عن نفوسهم كان هو عوضا لهم عن نفوسهم •

٢ ــ « استجيبوا لله وللرسول » (١) • قال جعفر ، اجابوه الى الطاعة لتحيا بها قلوبكم • « اذا دعاكم لما يحييكم » (٢) • قال جعفر : الحياة هي الحياة بالله وهو المعرفة • كما قال الله تعالى : « فلنحيينه حياة طيبة » (٣) •

٣ ــ « ليقضي الله امرا كان مفعولا » (٤) • قال جعفر : ما قضاه في الازل يظهره في الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت •

٤ ــ « ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة ••• » (٥) • قال جعفر : ما دام العبد يعرف نعم الله عنده فان الله لا ينزع منه نعمة ، حتى اذا جهل النعمة ولم يشكر الله عليها اذ ذاك حري ان ينزع منه •

٥ ــ « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » (٦) • قال جعفر : تريدون الدنيا والله يريد لكم الآخرة ، وما يريد الله لكم خير مما تريدونه لانفسكم •

٦ ــ « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » (٧) • قال جعفر : الحلال ما لا

(١) ــ ٨ : ٢٤ • (٢) ــ نفسه • (٣) ــ النحل ، ٩٧ • (٤) ــ ٨ : ٤٤ • (٥) ــ ٨ : ٥٣ •
(٦) ــ ٨ : ٦٧ • (٧) ــ ٨ : ٦٩ • (٨) ــ سورة التوبة ، آية ٢٥ (٩ : ٢٥) •
(٩) ــ ٩ : ٢٧ • (١٠) ــ ٩ : ٤٠ •

٥ ــ « قال رب ارني انظر اليك » (٥) • قال جعفر : انبسط الى ربه في معنى رويته لانه رأى خيال كلامه على قلبه • فبه انبسط اليه • فقال له : « لن تراني » (٦) اي لا تقدر ان تراني لانك انت الفاني فكيف السبيل لفان الى باق• « ولكن انظر الى الجبل » (٧) • فقال : وقع على الجبل علم الاطلاع فصار دكا متفرقا ، زال الجبل من ذكر اطلاع ربه• وصعق موسى من روية تدكدك الجبل • فكيف له بروية ربه عيانا ، معاينة روية الله لعبده والعبد فان ، وروية العبد لربه والعبد بربه باق •

وقال : ثلاث من العبيد الى ربهم محال : التجلــي والوصلة والمعرفة • فلا عين تراه، ولا قلب يصل اليه، ولا عقل يعرفه• لان اصل المعرفة من الفطرة، واصل المواصلة من المسافة ، واصل المشاهدة من المباينة •

قال جعفر في قوله « لن تراني ولكن انظر الى الجبل » (١) : اشغله بالجبل ثم تجلى ، ولولا ما كان من اشغاله بالجبل لمات موسى صعقا بلا افاقة •

قال جعفر في قوله « سبحانك تبت اليك » (٢) قال : نزه ربه واعترف اليه بالعجز وتبرأ من عقله • « تبت اليك » : رجعت اليك من نـفسي ولا اميل الى علمي • فالعلم ما علمتني والعقل ما اكرمتني به ، « وأنا اول المؤمنين » (٣) انك لا ترى في الدنيا •

٧ ــ « ويضع عنهم اصرهم والاغلال » (٤) • قال جعفــر : اثــقال الشرك وذل المخالفات وغل الاهمال •

٨ ــ « فانبجست منه اثنتا عشر عينا » (٥) • عن جعفر بــن محمد في هذه الآية قال : انبجست من المعرفة اثنا عشر (؟) عينا يشرب كل اهل مرتبة في مقام من عين من تلك العيون على قدرها • فاول عين منها عين التوحيد • والثاني عين العبودية والسرور بها • والثالث عين الاخلاص • والرابع عين الصدق • والخامس عين التواضع • والسادس عين الرضا والتفويض• والسابع عين السكينة والوقار• والثامن عين السخاء والثقة بالله • والتاسع عين اليقين • والعاشر عين العقــل •

(١ ــ ٣) نفسه . (٤) ــ ٧ : ١٥٧ . (٥) ــ ٧ : ١٦٠ . (٦) ــ ٧ : ١٩٦ .
(٧) ــ سورة الانفال ، آية ١٧ (٨ : ١٧) .

لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وقبول ما جاء به ، وانفاقهم الاموال ، وبذل المهج.

٧ ــ قال جعفر في قوله : « ان اللــه اشتــرى مــن المؤمنــين انفسهــم واموالهم » (٦) . قال : يكرمهم على لسان الحقيقة وعلى لسان المعاملة : اشترى منهم الاجساد لمواضع وقوع المحبة من قلوبهم فأحياهم بالوصلة .

٨ ــ « ان الله له ملك السموات والارض » (٧) . قال جعفــر : الاكوان كلها له فلا يشغلنك ما له عنه .

٩ ــ « لقد جاءكم رسول » (٨) . قال جعفر الصادق : علم الله عجز خلقه عن طاعته ، فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته ، فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة فقال : « لقد جاءكم رسول مــن انفسكم عزيز عليه ما عندهم ... » فألبسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الــى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته وقال : « مــن يطع الرسول فــقد اطاع الله » (٩) .

(١٠ ــ آيات من سورة يونس)

١ ــ « لما ظلموا » (١٠) . قال جعفر : لما قابلوا نعمنا بالكفران .

٢ ــ « والله يدعو الى دار السلام » (١١) . قال جعفــر : الدعــوة عامة والهداية خاصة .

وقال ايضا : ما طابت الجنة الا بالسلام وانما اختارك بهذه الخصائص لكي لا تختار عليه احدا .

وقال ايضا : عملت الدعوة في السراير فتحللت بها وركنت اليها .

٣ ــ « وشفاء لما في الصدور » (١) . قال جعفر : شفاء لما في الصدور اي راحة لما في السراير. وقال جعفر : لبعضهم شفاء المعرفة والصفاء ، ولبعضهم شفاء التسليم والرضا، ولبعضهم شفاء التوبةوالوفاء ، ولبعضهم شفاء المشاهدة واللقاء.

٤ ــ « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » (٢) . قال جعفر في هذه الآية : انه انتباه من غفلة او انقطاع عن ذلة والمباينة من دواعي الشهوات .

يعصى الله فيه ، والطيب ما لا ينسى الله فيه •

(٩ ـ آيات من سورة التوبة)

١ ـ « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة » (٨) • قال جعفر : استجلاب النصر في شيء واحد وهو الذلة والافتقار والعجز ، لقوله « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة » لم تقوموا فيها بانفسكم ولم تشهدوا قوتكم وكثرتكم وعلمتم ان النصر لا يوجد بالقوة وان الله هو الناصر والمعين • ومتى علم العبد حقيقة ضعفه نصره الله • وحلول الخذلان بشيء واحد وهو العجب • قال الله « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » • فلما عاينوا القوة من انفسهم دون الله رماهم الله بالهزيمة وضيق الارض عليهم • قال الله « ثم وليتم مدبرين» موكلين الى حولكم وقوتكم وكثرتكم •

٢ ـ سئل جعفر الصادق عن قوله « زين لهم سوء اعمالهم » (٩) • قال : هو الرياء •

٣ ـ قال جعفر في قوله « وايده بجنود لم تروها » (١٠) • قال : ذلك جنود اليقين والثقة بالله والتوكل على الله •

٤ ـ « ولكن كره الله انبعاثهم » (١) • قال جعفر : طالب عباده بالحق ولم يجعلهم لذلك اهلا ثم لم يعذرهم ولامهم على ذلك • الا تراه يقول : « وقالوا لا تنفردوا في الحر » (٢)• « ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة » (٣)• قال جعفر : لو عرفوا الله لاستحيوا منه ولخرجوا له عن انفسهم وارواحهم واموالهم بدلا من واحد من اوامره •

٥ ـ « ما على المحسنين من سبيل » (٤) • قال جعفر : المحسن الذي يحسن اداب خدمة سيده •

٦ ـ « رضي الله عنهم ورضوا عنه » (٥) • قال جعفر : رضي الله عنهم بما كان سبق لهم من الله من عناية وتوفيق ، ورضوا عنه بما من عليهم بمتابعتهم

---

(١) ـ ٩ : ٤٦ • (٢) ـ ٩ : ٨١ • (٣) ـ ٩ : ٤٦ • (٤) ـ ٩ : ٩١ • (٥) ـ ٩ : ١٠٠ •
(٦) ـ ٩ : ١١١ • (٧) ـ ٩ : ١١٦ • (٨) ـ ٩ : ١٢٨ • (٩) ـ النساء ، ٨٠ (١٠) ـ سورة يونس، آية ١٣ (١٠ : ١٣) • (١١) ـ ١٠ : ٢٥ •

اجمعين في النظر اليـه ولـم تطاوعهم الالسنة بقولهم « هـذا غـلام » • فهو عندهم غلام وعند الحق علم من الاعلام •

٣ ـ « قد شغفها حبا » (١) • قال جعفر : الشغاف مثل الغين اظلم قلبـه عن التفكر في غيره والاشتغال بسواه •

٤ ـ « انا لنراها في ضلال مبين » (٢) • سئل جعفر بن محمد عـن العشق فقال : ضلال • ثم قرأ « انا لنراها في ضلال مبين » • قال : معناه في عشق ظاهر •

٥ ـ « فلما رأينه واكبرنه » (٣) • قال جعفر : سترت هيـبة النبوة عليهن مواضع ارادتهن منه فاكبرنه •

٦ ـ « لا تدخلوا من باب واحد » (٤) • قال جعفر : نسي يعقوب اعتماده على العصمة والقوة وان القضاء يغلب التدبير بقوله « لا تدخلوا من باب واحد» ثم استدرك عن قريب وساعده التوفيق فقال : « مـا اغنى عنكم مـن الله مـن شيء » •

٧ ـ « ايتها العير انكم لسارقون » (٥)• قال جعفر : اضمر يوسف في امره مناديه اياهم بالسرقة ما كان منهم في قصته مع ابيهم : ان فعلكم الـذي فعلتم مع ابيكم يشبه فعل السراق •

٨ ـ « كذلك كدنا ليوسف » (٦) • قال جعفر : اظهرنا عليه عامـة بركات آبائه الصادقين بما عصمناه به في وقت الهم •

٩ ـ « ان ابنك سرق » (٧) • قال جعفـر : معنـاه ان ابنـك مـا سرق وكيف يجوز هذه اللفظة على نبي بن نبـي • وهذا مـن مشكلات القرآن وهو كقوله في قصة داود « خصمان بغى بعضنا على بعض » (٨) وما كانا خصمين وما بغيـا •

١٠ ـ « لا تثريب عليكم » (٩) • قال جعفر : لا عيب عليكـم فيما عملتم لانكم كنتم مجبورين عليه وذلك في سابق القضاء عليكم •

(١) ـ ١٢ : ٣٠ ، (٢) ـ نفسه ، (٣) ـ ١٢ : ٣١ ، (٤) ـ ١٢ : ٦٧ ، (٥) ـ ١٢ : ٧٠ ، (٦) ـ ١٢ : ٧٦ ، (٧) ـ ١٢ : ٨١ ، (٨) ـ ٣٨ : ٢٢ ، (٩) ـ ١٢ : ٩٢ .

وقال جعفر : فضل الله معرفته ورحمته توفيقه .

٥ ــ « وان يمسسك الله بضر ... وان يردك بخير » (٣) . قال جعفر : جعل الله مس الضر منوطا بصفتك، وارادة الخير لك منوطا بصفته ليكون رجاؤك اغلب من خوفك .

(١١ ــ آيات من سورة هود)

١ ــ « ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين » (٤) . قال جعفر : الآيات هو التواضع عند اولياء الله والسلطان التكبر على اعداء الله .

٢ ــ « فاستقم كما امرت » (٥) . قال جعفر الصادق : افتقر الى الله بصحة العزم .

(١٢ ــ آيات من سورة يوسف)

١ ــ « قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضعة » (٦) . قال جعفر : كان لله تعالى في يوسف سر، فغطى عليهم موضع سره. ولو كشف لهم عن حقيقة ما اودع فيه لماتوا . الا تراهم كيف قالوا « هذا غلام » ولو علموا اثار القدرة فيه لقالوا هذا نبي وصديق . ولما كشف للنسوة بعض الامر قلن « ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم » (٧) .

٢ ــ « وشروه بثمن بخس » (٨) . قال جعفر : باعوه بالبخس من الثمن لجهلهم بما اودع الله فيه من لطائف العلوم وبدايع الآيات .

وقال جعفر : انت تتعجب من بيع اخوة يوسف بالبخن من الثمن ، وما تفعله اعجب منه ، لانك تبيع حظك من الآخرة بشهوة نظرة ، او خطرة من الدنيا . وربما باع الرجل معرفته بابخس ثمن ، وربما فاته حظه من ربه باقل القليل .

وقال جعفر : كان لله في يوسف سر مغطى عليهم ، مودع فيه حين اخرجوه من الجب فبيع بالثمن البخس . ولو شهدوا فيه ودايع اسرار الحق عنده لماتوا

(١) ــ ١٠ : ٥٧ . (٢) ــ ١٠ : ٥٨ . (٣) ــ ١٠ : ١٠٧ . (٤) ــ سورة هود ، ٩٦ .
(٥) ــ ١١ : ١١٢ . (٦) ــ سورة يوسف ، ١٩ (١٢ : ١٩) . (٧) ١٢ : ١ . (٨) ــ ١٢ : ٢٠

٢ ــ « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مــا بانفسهم » (٨) • قال جعفر الصادق : لا يوفقهم لتغيير اسرارهم ، ولا يغير عليهــم احوالهم • ولــو وفقهم لتغيير الاسرار ، ومشاهدة البلوى ، لذلوا وافتقروا فنالوا به النجاة •

٣ ــ « وما دعاء الكافرين الا في ضلال » (١) • قال جعفر : من دعا بنفسه فالى نفسه دعا ، وهو الكفر والضلال• وذلك محل الخيانة والاسقاط من درجات اهل الامانة • فانَ الدواعي تختلف : داع بالحق وداع الــى الحــق وداع الى طريق الحق • كل هؤلاء دعاة يدعون الخلق الى هذه الطرق لا بانفسهم • فهذه طرق الحق • وداع يدعو بنفسه ، فالى اي شيء دعا فهو ضلال •

٤ ــ « ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه مــن اناب » (٢) • قال جعفر : يضل عن ادراكه ووجوده من قصده بنفسه ، ويهدي اي يوصل الى حقايقه من طلبه بــه •

٥ ــ « ولكل اجل كتاب » (٣) • قال جعفر الصادق : للروية وقت •

٦ ــ عن جعفر بن محمد في قوله « يمحو الله ما يشاء ويثبت » (٤) قال : يمحو الكفر ويثبت الايمان ، ويمحو النكرة ويثبت المعرفــة ، ويمحــو الغفلة ويثبت الذكر ، ويمحو البغض ويثبت المحبة ، ويمحــو الضعف ويثبت الــقوة ، ويمحو الجهل ويثبت العلم ، ويمحو الشك ويثبت اليقين ، ويمحو الهوى ويثبت العقل على هذا النسق • ودليله « كل يــوم هــو في شأن » (الرحمن ، ٢٩) ، محوا واثباتا •

٧ ــ « وعنده ام الكتاب » (٥) • قال جعفر : الكتاب الــذي قدر فيــه الشقاوة والسعادة • فلا يزاد فيه ولا ينقص منه « وما يبدل القول لــدي » (٦) الاعمال اعلام • فمن قدر له بالسعادة ختم له بالسعادة ، ومن قدر له بالشقاوة ختم لــه بهــا •

---

(١) ــ ١٣ : ١٤ • (٢) ــ ١١٣ : ٢٧ • (٣) ــ ١٣ : ٣٨ • (٤) ــ ١٣ : ٣٩ • (٥) ــ نفسه •
(٦) ــ سورة ٥٠ ، ٢٩ • (٧) ــ سورة ابراهيم ، ١ •

١١ ــ « اذهبوا بقميصي هذا » (١) ٠ عن جعفر قال : كان المراد في القميص أنه اتاه الهم من قبل القميص بقوله « وجاءوا على قميصه بدم كذب » (يوسف ، ١٨) فاحب ان يدخل السرور عليه من الجهة الذي دخل الهم به عليه٠

١٢ ــ « قال ابوهم اني لا اجد ريح يوسف » (٢) ٠ قال جعفر الصادق : يقول ان ريح الصبا سأ الله تعالى فقال : خصني بان ابشره بابنه ٠ فاذن الله له في ذلك ٠ وكان يعقوب ساجدا فرفع رأسه وقال « اني لا اجد ريح يوسف » ٠ فقالت له اولاده « انك لفي ضلالك القديم » (٣) اي في محبتك القديمة ٠ وكان الريح ممزوجا بالعناية والشفقة والرحمة والاخبار بزوال المحنة ٠ وكذلك المؤمن المتحقق يجد ريح نسيم الايمان في قلبه ، وروح المعرفة من العناية التي سبقت له من الله في سره ٠

١٣ ــ « وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن » (٤) ٠ قال جعفر الصادق : قال يوسف « احسن بي اذ اخرجني من السجن » ، ولم يقل اخرجني من الجب وهو اصعب ٠ قال : لانه لم يرد مواجهة اخوته بانكم جفوتموني وألقيتموني في الجب بعد ان قال « لا تثريب عليكم اليوم » ٠

١٤ ــ « ان ربي لطيف لما يشاء » (٥) ٠ قال جعفر الصادق : اوقف عباده تحت مشيئته ، ان شاء عذبهم ، وان شاء عفا عنهم ، وان شاء قربهم ، وان شاء بعدهم ، لتكون المشيئة والقدرة له لا لغيره ٠ ثم اظهر لطفه لعباده المخصوصين بالمحبة والمعرفة والايمان ، وذلك قوله : « ان ربي لطيف لما يشاء » لعباده الذين سبقت لهم منه العناية والولاية ٠

١٥ ــ « عبرة لاولي الالباب » (٦) ٠ قال جعفر الصادق : لاولي الاسرار مع الله ٠

(١٣ ــ آيات من سورة رعد)

١ ــ « الكبير المتعال » (٧) ٠ قال جعفر : كبر في قلوب العارفين محله ، فصغر عندهم سواه ٠ وتعالى عن ان يتقرب اليه الا بصرف كرمه ٠

---

(١) ــ ١٢ : ٩٣ ٠ (٢) ــ ١٢ : ٩٤ ٠ (٣) ــ ١٢ : ٩٥ ٠ (٤) ــ ١٢ : ١٠٠ ٠ (٥) ــ نفسه ٠
(٦) ــ ١٢ : ١١١ ٠ (٧) ــ سورة رعد ، آية ٩ (١٣ : ٩) ٠ (٨) ــ ١٣ : ١١ ٠

عرفت الله

بقلم حسين أحمد شحاده

... كلما حاولت سبر الماضي السحيق ... وكلما غصت في اعماقه اللامتناهية ... باحثا عن درة وجودي .. علني اجد جذورها بين اطباق اصدافه .. او لعلني المحها .. جنينا ينام في جوف محاره .. فانك لا تجدني في تقلبي هذا ... الا كالصدى المشوش حائرا قد اختلط عليه صوته .. والا كالمعنى اليابس .. يزحف في خريفه العشرين .. مفتشا في حقول اليأس .. عن ربيبته الكلمة .!

.. ولقد تحسبني في دوامتي العنيدة .. دمعة حارة تبحث عن عين ثكلى .. وبسمة باهتة جافة .. تبحث عن شفة الاثم .. وخفقة حزينة .. تموء في لهاثها .. كأنها تقيم مأتما لجرحها الدفين .. في القلب المنقود ..!

.. وانني لفي حومة الصراع النفسي العاق .. خلجة مبحوحة .. تئن في شكواها .. لنفسها الملتاعة .. في ليلها المتهم ..! وفكرة مذبوحة .. تنفضها الجرأة .. لتجتلي مدية الرعب .. وشخصية القاتل المجنون ..!



.. لا .. لا تسخر من شجوني .. ولا تهزأ من ارق عذابي .. فهاهم اولاء اترابي .. ينتشلونني من غفوة النسيان .. ويدفعونني دفعا الى محاولتي هذه.. فلا اجني من ترحالي المضني .. الا العجز والهباء ..!

ثم يلتفون حولي .. في مرحهم .. كأنني لعبة الفراغ .. تصرخ .. من ضغط ايديهم على جيدها .. النحيل .

واسمعهم ينادونني ...

ايـن اللـقيط ..؟

ها هو الـقروي ..!

(١٤ ـ آيات من سورة ابراهيم)

١ ـ « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الـى النور » (٧) .

قال جعفر : عهد خصصت به ، فيه بيان هلاك سالف الامم ، ونجاة امتك . انزلناه اليك لتخرجهم به من ظلمات الكفر الى نور الايمان ، ومـن ظلمات البدعة الى انوار السنة ، ومن ظلمات النفوس الى انوار القلوب .

التتمة في العدد القادم

فطـر عـلى البـذل

● حكى انه لما مات حاتم الطائي تشبه به أخوه ، فقالت لـه أمه : يـا بني اتريد ان تحذو حذو اخيك ، فانك لن تبلغ ما بلغه ، فـلا تتعبن فيما لا تنالـه . فقال : وما يمنعني ، وقد كان شقيقي واخي من أمـي وأبـي ؟ فقالت : اني لمـا ولدته ، كنت كلما أرضعته ، أبى ان يرضع حتى آتيه بمن يشاركه فيرضع الثدي الآخر ، وكنت اذا أرضعتك ودخل صبي بكيت حتى يخرج !!

عنوان مجلة العرفان :
صيدا ـ لبنـان ـ العرفان
بيروت ص. ب : ٣٩٧٨ : العرفان
تلفون : مكتب بيروت ٢٩٧٠١٧
مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥
المخابرات الهاتفية علـى مكتب بيروت
المطبوعات المضمونة كتب او صحف على مكتب صيدا
الرسائل المضمونـة علـى مكتب صيـدا او بيروت

AL-IRFAN
Revue Artistique' - Scientifique et Politique
Propr. Réd. en chef, directeur : NIZAR EL ZEIN
B.P. : 3978 — Tél. : 297017

... تكبر الايام .. وتشب عن طوقها الشهور .. وتكر السنون .. واثقة من مسيرتها .. راضية عن عبورها المستقيم .. في خضم هذا الكون .. لترسم في كف كل وليد .. اطوار حياته ومسؤوليته .. كجد حكيم يوزع على ابنائه وعلى احفاده .. واجباتهم ..

تقسيم لا يدانيه حيف .. ولا يطأه احتكار ..

... وكبرت أنا ...

فتلمست في خطوط راحتي .. انني رجل يعشق عمله .. ويعطي من دمه ومن روحه لطلابه في ــ معهد التربية ــ وكنت انتشي بهذا العطاء .. الذي افتقدته في طفولتي اليتيمة .. ولم ينسني التفكير المحض في غابر الحرمان ... الا نظرات مولهة تبرق بالاعجاب والدلال ..! ترسلها احدى طالباتي .. الى عيوني الساهمة .. فتهديها معنى جميلا .. كنت اهفو اليه كلما امتد الى قلبي شذاه ..!

واحس كأنني التقيت بدرة وجودي .. وعرفت نفسي بعد غياب طويل .. وارى الحياة لونا جديدا يتفتح بالورد ما عرفته في قديم تشردي ... ولا مال نحو آفات اضطرابي .. عندما كنت في عنفوان الشقاء ..!

★ ★ ★

هدى .. كانت لي .. زهرة ربيعية .. تنشر الحياة في ارجائي وتعيدني خلقا آخر .. يعانق امانيه ويرف بروعة الاحلام .

هدى .. كم يحلو لي .. ترداد اسمها .. في كل خطوة من خطواتي وفي كل لفتة من لفتاتي .. كأنني احاول ان التقطه بفمي كلما فر مني ..!

ولقد يخيل الى ذهني الرحب .. انه كان مرتعا خصبا لطيفها الملائكي البديع .. تلهو مع تصوراته .. وتناغي زغرداته وتشدو مع خيالاته .. وتواكب احلامه .. وتصحو على اوتار همساته ..

وتعيش مع ذكراه .. حلوها .. ومرها .. كأنها الحلقة المفقودة من سلسلة ماضيه البعيد ..!

تعالى ايها المجهول ..!

.. فلا يزيدونني في تنابزهم .. الا بعدا عنهم .. والا نفورا منهم .. فانصرف الى دموعي .. اذرفها سخينة .. من كبدي الحرى وابثها نجواي المرتعشة :

من انا ..؟

جئت ..! ولكني لا اعلم من اين ..؟

هل انا مخلوق عجيب .. هوى من كوكب آخر ..؟

ام انني شظايا شهاب محروق ..! لست ادري ..!

كل ما اعرفه عن ذاتي .. انني غريب .. غريب في مشاعري .. غريب في افكاري .. غريب في اخلاقي ..

فليس لي طقوس عبادية .. ولم اعهد في عبوديتي مولى يطعمها ويكسوها.. ويبثها نوائب الدهر الغاشم .. ويخفف عنها وخز الضمير .. الحر فلم استشعر يوما ان للضمير .. انياب .. تخلص الانسان من دنس اللذة الفوضوية .. وتسحبه من اغوار هواه الرجيم ..!

ولم تدغدغ احاسيسي .. الا قوة خفية كان لها وقع النغم السخي الساحر .. في ألباب المؤمنين .. فاراهم .. يرتعدون حينا من رؤياها .. ويطمئنون كثيرا اليها .. في ابتهالاتهم .. الرقيقة وفي تخشعهم الآمن .. ولا تلهج نفوسهم بذكرها .. الا عبر سيول من الاجلال والاكبار والتعظيم ..!

... ويرددون اسمها بحنو جزع .. وبخشية رفيقة .. كأنها تهاب الرفض .. لآمالها .. وطموحها الكبير ..!

« آلهنا .. ربنا .. مولانا .. يا من بعد فلا يرى .. وقرب نشهد النجوى .. وفقنا لما تحب وترضى .

انك انت .. الغفور القدير ... »



كأنه لم يجد الا اوهام اليقظة تخمد جذوة الوجوم من جسده الهزيل ••

جلسنا ••! فحاول جادا ان يسلوني •• ودعاني الى الصبر •• استعين بـه على خطبي الجلل ••

فابتسمت ••! فهل يسلو الحزين حزنه ••؟ وهل يسلو البائس بؤسه ••؟ ومع ذلك •• فقد كان لي في كلماته •• تسلية ناعسة امـزق بهـا حجب الوقت الـثقيل ••!

وفجـأة •••

احسست بنصل حاد •• يرتجف حول عنقي •• لينتقـم للساعـد الـذي احتضنه وللصدر الذي ضمه وغيبه عن مآسيه •• ولولا ان امسك عادل بالقبضة السافلة •• بسرعة لاشعورية •• ولولا ان تحمس احفاد الليل الـى الجاني •• لغار النصل في عنقي •• وارتوى الصادي الغليل •• وقـضيت أنـا •• بدايـة مجهولة •• ونهاية مبهمة ••!

•• امسك عادل •• بيد صلاح •• وهو يرغي ويزبـد •• كمن مسه الشر فاستعبده •• ثم اسر اليه كلاما •• فتسرب الى نفسه فهدأت •• والى عقله •• فاستبصر •! وعلم ان كل ما يربطني بفتاته قد انتحرت وشائجه منـذ اسبوع او اكثر ••!

فما كان في وسعه الا ان يرحل حذرا من افتضاح امره •• ومن سوء عقباه•

ولكنني عللت •• خيبة رجوعه •• بأنـه تراجع •• يمهـد للـغدر بطريقة مناسبة للانـتقام ••!



آه •• ما اعذب الرحمة •• على قلوب الضعفاء •• وما اروع بسمة العفو في اضلع المحكوم عليه موتا •• وهو لا يكـاد يصدق بانـه نجى مـن القضاء المحتوم ••! فما بين الفترة التي دنى فيها اللؤم مـن عنقي •• ومـا بين تسلط صديقي على براثن التشفي والتهور ••! رحت •• افتش عـن قلبـي الهلع ••

... لم اكن اعلم .. ان البراءة تخون .. وان الخيانة تلتقي مع الهوس الاحمق .. خلف استار الثقة العمياء ولم ادري .. ان الابله الذي تستاف خياناتي الحبيبة غباره .. قد جمع قواه الثائرة ليحبك مكره وخبثه بخيوط النفاق رأيته معها :

مع انشودتي .. مع عزائي .. مع دنياي ..!

ورأى صلاح .. ان هدى ملهمة شعري .. وحروف تتكيء على كتبي .. وصورة عذراء تلمع في خاطري ..

وكأس اترعه ... واسكر من بقاياه ..!

فحقد ..!

وبكيت ..

واعد العدة للثأر ..

فاكتفيت .. بجرحي القديم .. انكأه .. واكويه .. بالسهر .. وبالتدخين .. وبالسهاد ..!

وظلت هدى في عالمي .. املا تعرى من اوراقه .. وتمنيت رجوعها .. بلا تحية .. او سلام ..!

★ ★ ★

.. وكان ليل .

خرجت فيه من منزلي .. اتعثر في حفر اعيائي وارهاقي .. وابحث عن مقهى ماجن .. ادفن في احضانه قنوطي وعبوسي .. ومرارتي ..!

مشيت .. والثلج ينثر في الليل الفاحم رذاذه المغرور .. وانا كقطعة من الليل .. احتوتني ذراته واستقرت على شعري الاشعث وعلى حاجبي .. فغدوت للناظرين : كهلا يحمل سني حياته التسعين .. ليودعها الموت الزؤام ..

وفي المقهى .. التقيت بصديقي عادل .. مشرد الذهن والفكر والحديث..

فيلفني .. صاحبي .. بذراعيه .. وأتكلم كمن يودع زهور المغامرة ... ويتجنب اشواكها الهائلة : كأنني رأيت .. يا .....!

فلا يمهلني الحديث .. ويهزني بعنف .. ما الذي حل بك .؟

فاستيقظ .! وتتتبه مشاعري اليه .. وترثي عيناي .. من قطوب مرآه .. وابصره : مائرا بهندامه المترهل وثيابه الممزقة متورما بخدوش جبينه .. المتفصد بالحب والوفاء .. فاكبر فيه شجاعته وولاءه .. وجلده على الاصغاء الي :

كأنني رأيت .. يا عادل ..

انني احوم في هجعة صوفية .. كبرعم رضيع يمتص انداء العجز المزهر .. وكأنني في ذروة تسلقي المرعب بنــور .. مستطير .. يسكب الزيت المصفى .. في جعبة قنديلي المهشم ..!



ابتسم شريك حزني .. ورفيق مسرتي .. ومحضني بنظرة دقيقة شاملة .. فلم اعجب .. فهذا طبع من اخذ من ــ الفلسفة ــ نصيبه وعبــن منهلها .. حكمة في الرأي .. وسعة في الاطلاع .. وسدادا في سبل التفكير ..!

وسألني .. هل تعرف الله ..؟

قلت .. لا .. ولكنني سمعت به كثيرا بين مختلف الطبقات .. في هرمنــا المشوه ..!

فكر مليا .. وقال : هل كنت في غيبوبتك هذه .. تستنجد بقوة لا كالقوى .. مؤملا ان تكفيك شر الاشرار .. وجرم المجرمين ..!

اجبته .. بلى .. واسترسلت من جديد .. احكي له .. قصة الخوف .. والرجاء .. والاطمئنان ..

.. وبعد ان طلب قدحا من قهوته المرة .. واشعل لفافــة تبغــه .. ونفث سحب الدخان في وجهي .. تكلم بهدوء ..

.. اذن ثق .. يا عزيزي .. ان النور الذي الهمك .. الى ربيعه الاخضر

فرأيته يشد خوفه .. نحو بصيص من نور .. كأنه الوحي .. او كأنه الالهام .!

كان يشد خوفه .. بخفقاته العميقة .. وينطلق متأوها ذليلا .. يذوب رقة ومسكنة .. كلما مد يد الغوث .. او الح في السؤال ..

... ويمدني القلب .. بمزيج من الرجاء .. والاطمئنان ... فتنهل ادمعي غزيرة وفي كل قطرة من قطراتها .. حبة تسبيح .. ولهفة دعاء تقدمها لتحنان هذا النور ..! وتنتفض روحي كالمخنوقة .. فلا تجد الا هذا النور .. في توسلاتها يمسح عن تضاعيفها .. صور المصير القلق ..!

.. واما عقلي .. فقد كان في حيرة من افكاره .. يسألها عن هذا الحنان الباسم .. فلا تجيبه الا بالصمت يغفر فاه ..!

فقد كانت هي الاخرى .. مبهوتة .. مشتتة تلملم اطراف هذا المعجز .. فلا ترمق في تجوالها .. الا اثر يتسرب من قوة مهيمنة ..

تجتاز الوجود والزمن .. وهي تعلو وتسمو .. عن محدودية الوجود .. وتغيرات الزمن ..!

فاستبشرت ..

وظل فكري .. هائما في همته .. نحو اجراء التساؤلات ..

وبقي الرجاء في فمي .. وفي حناياي .. لحنا عبقريا يرسل الدعة الـي .. ويشملني بنعومة الامن الانيس .

★ ★ ★

... اين انت .؟

هل مسك الخبل .. باسرابه .!؟

الا تسمعني ..؟ لقد ولت كومة الخداع ..

ردد النظر هل ترى .. لصلاح .. من اثر ..!

ويهزني .. كالام .. تخال وحيدها البكر في نومه .. قد غادر الروح ..!

وعجبت ٠١ ممن تفيض روحه بالحب ٠٠ ولا تتحرك انامله ٠٠ بل لا تتحرك كل ذرة فيه ٠٠ ليخط للحبيب المنعم ٠٠ اسمى آيات الشكـر والتبجيل ويزداد عجبي ٠٠ ممن ليس له روح تفيض بالحب ٠٠ والحب حولـه يصفـو ٠٠ وينشر عليه عصارة الخير ٠٠ انى اتجه ٠٠ وكيفما ٠٠ سار ٠٠!

صليت بجميع جوارحي ٠٠

فكانت الصلاة ٠٠ امي ٠٠ وابي ٠٠ والكلمة التي تخلت عـن معناي طيلة عمري ٠٠ غير اني عدت استرخي الاشباح التي قذفتني وتوارت عـن وحدتـي كأني المذنب الخؤون ٠٠! فابتهلت ٠٠ ودعوت ٠٠ وسالت نفسي مزقـا ٠٠ كما سالت نفوس المؤمنين قبلي ٠٠

واشتدت حرارة اللقاء الموهوم ٠٠ في آناء الليل البهيم ٠٠!

« الهي ٠٠ ربي ٠٠ مناي ٠٠ يا من بعد فلا يرى ٠٠ وقرب فشهد النجوى ٠٠ انني مجهول ٠٠ فعرفني بفيض من سناك ٠٠ »

٠٠ لا شيء ٠٠ ويتكسر الرجاء ٠٠ عـلى صخور التشاؤم ٠٠ ويبقـى ٠٠ صديقي عادل ٠٠ نفحة معطرة ٠٠ ونغمة متينة ٠٠ لا تـدرك الا محنـة الطهـر العفوي البسيط ٠٠ فاردي له تسلسلي المكفهر فيقول :

٠٠ مثلك ٠٠ يا عزيزي ٠٠ مثل طفل يجهش امام والده ٠٠ ليعطيه قارورة السم المزركشة ٠٠ وفي ظنه انها لعبة تسره والاب عطوف علـى فلـذة كبده ٠٠ يمنعه من خطر القارورة المزركشة ٠٠ ولا يجيبه الى مبتغاه ٠٠!

فما عليك ٠٠ يا اخي ٠٠ وانت في باكورة الايمان ٠٠ الا ان تـقرأ القرآن المجيد ٠٠ بوعي وفهم ٠٠ وتسهب في قرائته فانك واجـد بين اعطاف حروفـه الكريمة شفاء لصدرك من غمه ٠٠ وهمه ٠٠

واذكر ربك دثرا ٠٠ فبذكره يطمئن القلب ٠٠ وينعـم البال ٠٠ ويرتـاح الضمير ٠٠



٠٠ حنيت رأسي حياء من صاحبي ٠٠ بعدما تجـدد الامـل الصبوح في

.. هو الله .. وما تصوراتك .. سوى مرآة مصقولة .. لفطرته التي فطر الخلق جميعا عليها .. ولا تبديل لما يشاء ..

وان ما تألفه من انصراف المرضى .. عن مرابع الشفاء .. مع ما هم مفطورين عليه .. ان هو الا .. ضباب .. لا بد ان ينقشع .. وغيوم لا بد ان تفصح وظلام .. سيتلوه فجر .. وحجب .. لا تهدها .. الا تجربة عنيفة .. كالتي احترقت في اوارها الساعة ..

.. فالفطرة يا عزيزي .. تشقى كما الانسان يشقى .. وتجوع .. وتعطش .. وتسأم .. ولكنها مع كل ما يشوبها .. لا تفنى .. ولا تموت ما دام في المخلوق المؤدب ..! عرق ينبض بالحياة ..

وان حدثك هذا .. يردني الى عصر شيخ الائمة .. امامنا الصادق (ع) فيذكرني بحادثة جرت له مع احد المتشككين .

وانني لآمل ان اعرضها على مسمعك في قريب الايام .. وانا زعيم بأنها ستمس فؤادك في صميمه ...

.. عرفت الكمال .. من خلال .. نقصي .. وفاقتي .

وعرفت الغنى .. من خلال .. فقري .. وحاجتي ..

عرفت الله .. فضاقت الدنيا في عيني .. وتلاشت هدى عن معبدي ..

عرفت الله .. فخجلت من نكران الجميل .. فصليت .. وتهجدت .. كما يصلي المؤمنون .. وكما يتهجدون ..

وعلمت .. ان الصلاة .. رسالة الشاعر . والعواطف .. والتعبير .. فرفعها على اعتاب قدس الاقداس ..

وكانت على مراحل خمس : وازعا داخليا .. يرفق بقافلتنا .. كلما شذ خطوها .. عن الطريق .. واننا لنخاف وحشة الدرب المروع فلا نجد العزيمة والصمود .. الا مع الذكرى الخالدة .. تظلنا بالثقة والعون .. وتحثنا على العمل الدؤوب ..

غبار المعاول

بقلم : محمد شرارة

ادانة العالم مرتبطة ، أو قد تكون مرتبطة باللحظة التي بـدأ فيها الانسان بالانفصال عن بقية الكائنات الحية ، وبدأ الوعـي يكافح في اكتشاف الابعـاد المطوقة والدروب الغارقة في الشـوك والصخـور والرعب الصاخب ، وبـدأت الشخصية الرائعة تنسل من غبار الحياة ، أو حياة الغبار •

في الجانب الآخر تجد « البوتالا » أنها مصدر الاضواء ، وأن عنان القيادة يجب أن يبقى بيدها ، وأنها هي الوحيـدة التي تعـرف الوقت المناسب لارخاء العنان أو شده •

و « البوتالا » هي الحليف المقدس للخرافة ذات الازياء المختلفة التي تلدها التيجان ، أو القلانس ، أو العمائم ، او ما اشبه من الازياء المتعارضة في الشكل الكهنوتي وان اتحدث في الجوهر • واذا قال شاعر :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثـا حول قبتنـا تخـور

أو قال شاعر آخر :

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الامم

اهتز العرش ، وتعالت « البوتالا » في صيحـة الموبـذان الاعظم ، وكان تنفير ، وكان الارهاب بمختلف أشكاله ، وكانت المطاردة في جميع الجبهات •

المتنبي أحد الطرائد في عصره ، فقد طارده الكهنوت السياسي ، كما طارده الكهنوت الديني • لماذا ؟ لانه رفض أن يمدح أمـيرا كبيرا ، او وزيـرا خطيرا ، فكان الرفض اعتداء على الاعراف المقدسة •! وكانت « المعاول » وكان لها قصة مع الشاعر الذي تجرأ ورفع رأسه في وجه الامارة ، أو في وجوه بعض الامارات•

تبدأ المعاول من الحاتمي حتى تصل الى الصاحب بن عباد ، مرورا بالحسن

مهجتي •• فابتهج من سمو للحكمة •• وتهمس عيني بسمة خجلى •• آلهي •• اغفر لمن •• ضل في متاهات الظنون ••

ويعيش القرآن •• في سلوكي واقعا حيا يزخر •• بالعطاء ••

وانسى درة وجودي التافهة •• واترحم •• على اطياف هدى •• الرابية فهو : وجودي •• واصالتي •• وحبي •!

حسين احمد شحادة
ايران ـ خراسان ـ فياباان تهران
مدرسة آية الله الميلاني

الاسمـاء الحسنة

★ ★ ★

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أحبكم الينـا يـا معشر المسلمين احسنكم اسماء ، فاذا رأيناكم فأجملكم منظرا ، فـاذا اختبرناكم ، فأحسنكـم مخبـرا •

وقيل ان الرشيد خرج يوما يتنزه مع لفيف من أصحابه ، فرأى سعيد بـن سلم • فقال : من ؟ قال : سعيد أسعدك الله ، قال ابن من ؟ قال ابن سلم سلمك الله • قال أبو من ؟ قال : ابو عمرو عمرك الله • فقال : بارك الله عليك، واكرمه•

و « العروض » وبعضها يتناول المقارنة بينه وبين سابقيه من الشعراء في الدوران حول المعاني •• مجرد المعاني • أما الاداء أو التكنيك فلم يخطر على بال القافلة• واذا خطر كان خطوره من الضحالة بشكل يرثى له •

كل ما تريد أن تقوله القافلة في « المقارنة » أن الشاعر كان بعيدا عن الابداع وأنه كان « كلا » في المعاني على غيره ، وأنه لم يبتكر شيئا ذا أهمية •

بالرغم من أن الملاحظة في موضوع المقارنة بالـذات لا تخلو مـن حيوية ، تبقى شيئا سطحيا عاجزا عن رؤية الجديد ، او عما قد يكون جديدا، لان الابداع كما يكون في الريادة واكتشاف نقطة جديدة يكون في الاخراج أيضا •

عندما راقب امرؤ القيس « سرعة » الجواد ، وخلع عليها « قـيد الاوابد » كان مبدعا بالتأكيد ، ولما جاء بعده أبو العلاء وخلع عـلى « السرعـة » ذاتهـا « مسابقة الظلال » لم يكن أقل ابداعا من صاحبه الذي تقدمه •

امرؤ القيس يقول :

وقـد أغتـدي والطير في وكناتها بمنجرد « قيـد الاوابد » هيكـل

والشاعر موفق كثيرا في صياغة « الرؤية » وتحويلها الى « رؤيا » فلما جاء بعده أبو العلاء كانت رؤياه :

ولما لـم يسابقهن شيء من الحيوان « سابقن الظلالا »

وهي لا تقل ابداعا عن الرؤيا السابقة •

مثل ذلك يقال في قول أبي العتاهية :

الـناس فـي غفلاتهـم ورحـى المنيـة تطحـن

وقول شوقي :

كرة الارض كـم رمت صولجانا وطـوت مـن مـلاعب وجيـاد

والغبـار الـذي عـلى صفحتيها دوران الرحـى علـى الاجسـاد

فالرؤية في الخط العام ، او في الهيكل العظمي مشتركـة ،ولكن الاخراج

بن علي ، والحسن بن لنكك ، والطرائفي ، وامثالهم مـن الوجوه الـتي تشكل الرعيل الاول من القوافل التي لا تعرف لون السماء من فرط ما انحنت رقابها • كما يقول الجواهري •

واذا قيل مرة اخرى : لماذا ؟ كان الوقوف على الدوافع هـو وحده القادر على الاجابة ، وعلى وضع الامور في نصابها •

الحاتمي شكل من أشكال التعبير عن الوضع السياسي الـذي يجلس على قمته معز الدولة والوزير المهلبي ، ويلتقي مع الحاتمي ابن لنكك الشاعر • وهذان الرجلان لا يعبران عن الامانة للفن بقدر ما يعبران عن الخضوع للامير ووزيره • والامير ووزيره حاقدان على الشاعر ، لانهما يريدان مدحا ، والشاعـر لا يريد • وبين الارادة واللاارادة كانت الاحقاد من الجانب الذي دفـع الحاتمي وصاحبه الى الهدم • ومن ذلك يتضح ان « الهدم » لم يكن سوى امتثال لامر صادر عن حاكم سياسي له سلطة كبرى ، وامتثـال الحاتمـي لا يختلف كثيرا عـن امتثال الجندي لامر الجنرال ، وماذا يكون الهدم الذي يسمي نـفسه « نقدا » عندما يكون امتثالا لامر شبيه بالامر العسكري •!

ابن وكيع ، وهو الحسن بن علي ، لا يختلف عـن الحاتمي وصاحبه ابـن لنكك ، فقد كان هو الآخر ظلا لابن حنزابه • وهذا الرجل في مصر لا يختلف عن الوزير المهلبي في العراق •

أما الصاحب بن عباد فوجه آخر ، وهو لون قائم بذاته ، وله وزنه الثقافي وقيمته الادبية انه يعرف المتنبي ، ويعرف مكانته في الهرم الفني • وفي ضوء هذه المعرفة طلب منه ــ وهو في طريقه الى شيراز ــ أن يمر على أصفهان ، وان يبقى فترة في رحابه و « يضمن له مشاطرته جميع ماله » ولكن الشاعر رفض ، وكان من أثر الرفض ما كان •

لقد انضم الصاحب الى القافلة ، وهو أمـر مؤسف ، وحمـل معوله مـع الحاملين ، وكان له دوره البارز في محاولة التحطيم ، ولكن القافلة كلها أخفقت ، ولم تصادف سوى القليل من النجاح •

اكثر أعمال هذه القافلة وبحوثها تدور حول أغلاط في « النحو » و « اللغة »

ان صورتي العجلي وأبي العتاهية أقرب الى النثر والى الحكاية الاعتيادية منهما الى الشعر • أما صورتا المتنبي وشوقي فشعر ، لانهما أقرب الـى الرقص منهما الى المشي الاعتيادي فـ « ما » الاستفهامية في بيت المتنبي خلقت « الجو » النفسي المقدر لها أن تخلقه في هذا المكان ، وهيأته للاثارة ، ثم جعلته يوغل فـي التطلع والسير الى مركز حساس دقيق في بـرج المراقبة ، ثـم اوقفتـه في غرفة الانتظار تحت حالة من الانفعال والتوتر وشد الاعصاب • فلما جاء ما بعدها جاء في صورة تنطوي ، فيما تنطوي ، على نقد ينطوي بدوره على شيء غير قليل من السخرية اللاذعة بالعيون العاجزة عن التمييز بين الاشياء التي تتضح الفروق بينها اتضاحا صارخا •

سر الابداع في هذه السخرية التي حملتها « ما » وهو لون بعيـد جدا عن اللون الاصفر الذي يعكسه بيت العجلي • وأبو فراس لم يكن غبيـا ولا جاهلا بهذا « السر » وأمثاله ، ولكن هناك شيء آخر غير الفهم والثقافة يغـرق الضوء أحيانا ، ويسحو المقاييس ، ويحول التفكير الى فوضى ، والـنقد الـى غوغائية • وهذه الفروق الواضحة بين المتنبي والعجلي تكاد تكون أوضح بين أبـي العتاهية وشوقي •



اذا كان الشاعر مدينة ، كما يقول باسترناك ، فالمتنبي لـم يكن في الواقـع مدينة كسائر المدن ، وانما كان عاصمة جذابة تغري الاصدقاء في اللحظة التي تحرك الأعداء وتكون منهم جيشا غازيا طماعا يحاول الاستيلاء عليهـا ، فاذا أخـفقت اهدافه تحول الى لهب وحرائق متتابعة حتى تقلب المدينة الى أطلال •

حاول هذا الجيش الذي رأينا رعيله الاول أن يحول المدينة الى أطلال تقف فوقها النواعي ، وتحوم حولها قصائد البكاء • فهـل نجحت المحاولـة ؟ وهـل تداعت المدينة ؟

لقد وقف الشاعر في قلب الحريق ، وجر أنفاسه الغارقـة في دخان المعمعة ، ثم انتفض كما ينتفض النسر الجريح في الرد على ذلك الرعيل :

فـؤاد مـا تسليه المـدام وعمـر مثل مـا تهب اللئام

الجديد وما يرافقه من حركة متنوعة دائرة بين الهمس والصيحة على البساطة الساذجة في صياغة أبي العتاهية . وفي ذلك عنصر ابداعي لا شك فيه . ورؤية هذا العنصر توقف الرائي وجها لوجه مع العقاد في حملته على شوقي واتهامه بالسرقة .

ان العقاد يتغاضى عن الملامح الدقيقة في الصورة الرائعة عندما يوجه تلك التهمة الى شوقي ، ويتشابه مع موقف ابي فراس في حملته على المتنبي لما وصل في انشاده الى هذا البيت :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره   اذا استوت عنده الانوار والظلم

وكان المتنبي يلقي قصيدة الهجوم في مجلس سيف الدولة ، وأبو فراس يتابعه فيها ويشير الى الشعراء الذين سبقوه . فلما وصل الى البيت المذكور قال أبو فراس : وهذا سرقته من قول معقل العجلي :

اذا لم أميز بين نور وظلمة   بعيني فالعينان زور وباطل

لو كان الشعر معنى فقط لكانت التهمة التي وجهها العقاد لشوقي ، وأبو فراس للمتنبي صحيحة . ولكن الشعر لم يكن ولن يكون حجرا من المرمر ، ولا خشبا من الابنوس ، بل تمثالا يستوقف العيون ويشدها اليه ، ثم يشد الفكر حتى يوصله الى درجة النشرة .

الفرق كبير جدا بين « فنوس » والرخام الذي حوله الفن الى الاهة . وعلى النقد . أي نقد أن يدرك الفرق الكبير بين الرخام والاهة الجمال . وان لم يدرك ذلك كان نقدا رخيصا مبتذلا ان لم يكن في ادنى حدود الابتذال .

لو أخذنا رأي شللي في الشعر : « اجمل كلمات مصفوفة في أبدع نظام » لتوارت تلك المقاييس ، واعتصمت بالخجل ، ولكن الشعر لم يكن « كلمات حلوة » فقط ، بل عملية تفاعلية يختلط فيها غبار الذهب بغبار الفيروز وغيره من الاحجار الثمينة حتى تشكل في النهاية منظرا من أبدع المناظر وأشدها تعقيدا ، كما يقول بول فاليري . وفي هذه الاضاءة يظهر الفرق بين صورتي العجلي والمتنبي ، كما يظهر الفرق بين صورتي أبي العتاهية وشوقي .

فيثاغور نفسه حتى بعد موته • ولما خرج هباسوس » من أبناء « ميتا بونيتون » على هذه القاعدة تحطمت به السفينة جزاء آثامه التي أغضبت الآلهة (١) » •

وفي زمن الشاعر انضمت له جماعة لا على صعيد الشعر أو صعيد الفلسفة ، بل على صعيد آخر ، ولكنها لم تستطع الصسود ، كما قيـل ، وتـفرقت عنه ، وانتهى الامر به الى الاعتقال أو السجن •

فيثاغور أقنع عددا من الناس بتقسيمه للعالم ، واستطاع ان يدفـع الآلهة للدفاع عن نظرته أو تقسيمه ، واستطاع أن يجعل « هباسوس » عبرة للخوارج• أما شاعرنا فقد تحول هو نفسه الى عبرة أو ما يشبه العبرة ، فالمعاول تزداد حوله، كما تزداد كثافة الغبار حتى تصبح حياته قريبة من حياة الطائر الذي يفـقد عدة الطيران قادمة بعد قادمة ، وخافية بعد خافية :

على قلق كأن الريح تحتـي أوجههـا جنوبـا أو شمـالا

ولكنه يبقى ، وان كان راكبا على الريح ، مسيطرا ، ويبقى بيده عنان القيادة وزمام التوجيه بحيث يبدو لمن يراقب هذا « الاصرار » وكأنـه التجسيد الحي للشطر الثاني في قول جبران :

وفي الزرازير جبن وهـي طائرة وفي البـزاة شمـوخ وهي تحتضـر

انه الروح التي لا تعرف الوهن ، أو لا تكـاد تعرفـه ، وقلما تـقع عليها العيون وهي في خط الدفاع • انها دائما ، او غالبا في خط الهجوم • واذا قـدر للهجوم أن يتراخى خلقت له وسائل الاثارة :

غضبت لـه لمـا رأيـت صفاتـه بلا واصف والشعر تهذي طماطمـه

والبلاط الذي ارتفعت به هذه الغضبة لـم يكن فارغا ، بـل كان مملـوأ بالشعراء وعلماء اللغة والكتاب والفلاسفة والفقهاء •

ومن الطبيعي أن لا تمر هذه « الاثارة » مرورا هادئا بعدما وضعت نفسها في مواجهة غضب أشد ، وتحريك متجهم • وكيف يكون الرد على « الميتادور »

١ ــ المصدر السابق •

ودهر ناسه نـاس صغـار وان كانت لهـم جثث ضخام
وما أنـا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغـام

ربما تستكبر « الرزانة » هذا الغرور ، وترى فيه تجاوزا ممقوتا وادعـاء مسرفا في الكبرياء والتطاول على البشرية كلها • وقد يكون مـن حق الرزانة أن تستكبر ما دامت تطوف على السطوح ، وتنظر الى الاشياء نظـرة جانبية منطلقة من زاوية خاصة •

ربما تستكبره ، وربما تراه شيئا اعتياديا اذا وزعت نظرتهـا علـى جميع الظروف والاخلاق التي كانت تحاصر الشاعـر ، وتحاول أن تسد عليـه جميع الكوى حتى تحول بينه وبين التنفس • ولو كانت ذنوبه تستحق هـذا الحصار لكان له مبرر ، ولكن ذنوبه كلها ، اذا كانت له ذنوب ، لا تتعدى رؤيـة خاصة للناس والاشياء • ولم يرد منه أن يتنازل عن رؤيته فقط ، بـل طلب منه ، فوق ذلك ، أن يتبنى رؤية غيره • ولم يقابله في الرفض ، لما رفض ، منطق أو علـم أو نقد موضوعي ، بل قابله منطق غوغائي من أناس صنفوا في خانـة العلم والادب والفلسفة وغيرها من فروع المعرفة • واذا وصل الاسفاف بالمنطق الى ما وصل في رؤى الحاتمي وابن وكيع وابي فراس وغيرهم فكيف تكون مواجهته !

واذا كان الانتهاء لهذا التقسيم البشري مشوبا بشيء غير قليل مـن المرارة والغضب عند الشاعر ، فقد كان مقرونا بما يشبه الهدوء العلمي عنـد فيثاغور • ومن ذلك يتضح أنه لم يكن بدعة أخلاقية أو فلسفية •

يقول فيثاغور : « هناك أناس ، وهنـاك آلهـة ، وهنـاك كائنات مثـل فيثاغور (١) » • والناس الذين يوقفهم فيثاغـور موقـف التعارض مـع الآلهة والناس ، هم ناس المتنبي تقريبا • وكما كان للفيلسوف غرفـة خاصة بين الناس والآلهة فقد كانت للشاعر هذه الغرفة ذاتها وان اختلف التعبير اختلافا طفيفا •

في الزمن الفيثاغوري « كانت الجمعية التي أسسها الفيلسوف تقبل الرجال والنساء ، وكانت الملكية فيها مشاعة والجميع يعيشون في مستوى واحد • وما يكتشفونه في العلم مشترك بين الجميع • وكانوا ينسبون مـا يكتشفونه الـى

1 — Bertrand Russell . Ahistory of Western Philosophy P. 33 .

الكبائر • وحدود الكبائر معروفة في القانــون الشرعي ، ولا يمكن أن يكــون « الاعتقال » منها ، لا لانه كبير ، بل لانه صغير جدا اذا كان عقوبة علــى ادعاء النبوة • ومن ذلك يتضح أن ثقافة الوالي التي أراد لها الشاعر أن تقف في قفص الاتهام لم تقف وحدها ، وانما وقفت معها ثقافة المتنبي أيضا •

واذا كان لهذه المداعبة الفقهية دلالة أبعد من الغمز ، فانها تشير الــى شيء من النضوج العلمي وهو نضوج ، على ما فيه ، لا يتناسب مــع العمــر البرعمي الذي يدعيه الشاعر •

هذه ملاحظة • والملاحظة الاخرى أن هذه الفكرة في الدفاع ، وفي محاولة شل التهمة تكاد تكون اعترافا بها ، فأسلوب الدفاع قائــم علــى طلب الرحمــة للمدعى عليه باعتباره قاصرا • والقصور يعفي القاصر من العقوبة ، ولا يصح أن تطلب الرحمة للبريء ، بل تطلب البراءة والتعويض عن الخسائر المختلفة اذا كان الدفاع واعيا •

ولم يقتصر الدفاع على ادعاء الطفولة ، بل تعداه الــى اتهــام « الوشاة » بالتلفيق واختراع الاكاذيب :

فما لك تــقبل زور الكلام وقــدر الشهادة قــدر الشهود

والطعن بـ « الشهود » رد للتهمة من اساسها ، واجتثاث لهــا من الجذور ، واذا كان الشهود اكثر من كذابين فماذا يبقى للشهادة من القيم ؟

وفي هذا الاتجاه لا يزال المنطق قائما على الفقه ، ولكنه يأخذ حيثية أخرى، هي حيثية الطعن بالشهود وتجريدهم من صفة العدالة • ومــن الواجب فقهيا أن يكون الشاهد عادلا : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبــوا قومــا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » • وهذه النقطة في الدفاع أقوى من النقطة الاولى • ولكن الشاعر يبقى في الخط العام ضعيفا • ولا تجد نقطــة واحدة من الضعف غير هذه النقطة في تاريخه :

١ ــ **القرآن الكريم •**

أمــا لــك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعتــق العبيــد .

اذا وقف وضرب برجله الارض ، وحمل بيده قطعة من القماش الاحمر !

هذه الروح ترافق الشاعر من بداية الحياة الى النهاية ... مـن أول أبيات قالها في الكوفة الى القصيدة الاخيرة التي قالها في شيراز ، ولـم تكن فيها فترة مشوبة بالوهن سوى الفترة التي سيق بها الى السجن ، وهي الفترة الوحيدة التي تتراخى بها لهجته ، ويستولي عليها شيء غير قليل من الخور . واذا قيل : كيف سجن ولماذا ؟ اجاب الثعالبي : « وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا الى بيعته قوما من رائشي نبله على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره الى والي البلدة ، ورفع اليه ما هم به من الخروج فأمـر بحبسه وتقييده » .

معنى ذلك أنه الشباب وروحه ، والنفس الكبيرة والهمة البعيـدة . ولكن هذه « النفس » لم تبق على كبرها أو كبريائها لما أخذتها النار . وفي القصيـدة التي وجهها للوالي من السجن ما يؤكد « الحداثة » الـتي أشار اليها الثعالبي ، ويؤكد الضعف الذي انحدرت اليه نفسه الكبيرة :

تعجل في وجوب الحـدود وحدي قبيـل وجوب السجود

وبهذا القول يحاول أن يدخل فيما يشبه الحوار الفقهي مع الوالي ، ويشير فيه الى « الشروط » التي يجب توفرها في اقامة الحدود . و « البلـوغ » مـن الشروط الاولى لاقامة الحد . فاذا كان البلوغ بعيدا عن سن الشاعر فأي سنـد شرعي لاقامة الحد عليه ؟

وبهذا « الادعاء » يغمز معرفة الوالي واهليتـه للقضاء ، اذ المفروض فيمن يتولى هذا المنصب الخطير أن يكون ملما بالفقه الاسلامي الماما يتناسب مع السلطة القضائية التي خولت ، في جملة ما خول ، لـه . واذا كان الوالـي يجهل أبسط الشروط لاقامة الحدود فأي حق له في الولاية والتصرف بأرواح الناس !.

منطق رائع من الناحية الفقهية لو كان « الاعتقال » حـدا ، أو كان الشاعر لا يزال في سن أدنى من سن البلوغ . ولكن الاعتقال لم يكن حدا يتناسب مع « الادعاء » الكبير الذي انغمس فيه الشاعر . وادعاء النبوة ، اذا صح ، من إكبر

الشيخ محسن أبو الحب

بقلم: المرحوم مهدي عباس العبيدي

- ٢ -

يبدأ الموضوع رثاء من أتخذ اسمه للتفاؤل اثناء الحروب ، وعند النزال أبي الحسين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فيقول :

ألللاسلام بعدك من محام ... اذا ما حل ساحته اضطراب
ألللايتام بعدك من كفيل ... اذا ما عضها للدهر ناب
لقد فقدوا آبا برا رؤوفا ... بفقدك يوم سار بك الركاب
وأقسم لو جميع الناس ماتوا ... بموتك لم يكن في ذاك عاب
نعيتك للكتاب فكان قبلي ... عليك له عويل وانتحاب
ألا شقوا ضريح أبي حسين ... بقلبي أو بعيني يا صحاب
فلست أرى التراب له محلا ... وان بهر السما ذاك التراب
ضريحا ضمه يدعى ترابا ... تعالى بل هو القبر المذاب

ثم يبدأ ذاكرا عاشوراء وسبب تجدد أساه عند الشيعة فيقول ردا على من يتسرب الى وهمه أنها حكاية قد مضت وواقعة سلفت ولم يدر ان الذكرى تنفع المؤمنين :

قتل الحسين فجددوا حزنا ... وتجلببوا لمصابه ثوبا
من لم يذب من اجله كمدا ... فلقد أصاب من الصفا قلبا
يوما يجدده الزمان لنا ... فيعود يابس حزننا رطبا
تمضي به الايام مشفقة ... أن لا تذوب بهوله ذوبا

واذا كان ذلك في سن « الحداثة » كما تقول القصيدة ويقول الثعالبي ، فان الذي كان بعدها شيء آخر ... كان خطا مستقيما من الاباء والقوة والانتفاضة المتلوة بانتفاضة أقوى .

وكلما أمعنت المعاول في هدمه ، وفي محاولة تحطيمه أمعن في التحدي والرد على الغارة بغارة أعنف حتى كانت المأساة التي انتهت بها حياته ، وانتهى بنهايتها طود شامخ فريد من العزة والكرامة والفكر والحيوية الفنية التي تحمل ريش الطاووس ، وهديل الحمامة الضائعة .

بغداد — محمد شرارة

العرفان : هذا المقال ويتبعه مقال آخر هما آخر مقالات الاستاذ محمد شرارة « مع المتنبي » .

الم يكفهم ان جاءهم خير مرسل فلم يلـق منهم سامعا او محاربا
زمانا اطاعوه ومذ مـات الحقوا به ولده مـن بعـده والاقاربا

ثم يشرح لنا سبب حزنه وثوران عاطفته في واقعة الطف فيقول :

اشد على نفسي اذا مـا ذكرتهم مماتهم عطشى الـقلوب سواغبا
ملاعبهم مـا بين مشتبك القنـا كفى المجد أهليه بـذاك ملاعبا

ثم يدفعه عجزه بل ألمه الى الاستصراخ بالمهدي المنتظر (ع) فيقول :

يا صاحب الكرة الغـراء أرقبها النصر يقدمهـا والبشر يعقبهـا
تـقر منهـا عيونـا طالما قذيت وأنفسا طـال في الدنيا تغربهـا

ثم انه يعلن لنا رأيه في نهج البلاغة ، وهو غريب في بابـه لـم أره في كتب الشيعة ولم أسمعه قبل هذا من فم احدهم • والشعراء يقولون بمـا يشعرون • فيقول :

هذا الكـتاب كـتاب الله أنزله على لسان عـلي أفصح العرب
أخو الكتاب الذي جاء النبي به كلاهما عـن نبي أو وصي نبي

ثم نراه متغزلا بفتاة تحمل بيدها مصباحا يهديها السبيل فيقول :

حملت بواحتها الشهاب لتهتدي نهج السبيل وليتهـا لا تهتدي
أتـتل مصباحا وضوء جبينهـا يذري بضوء الكوكب المتوقـد

وهذا يرينا ان الطرق لم تكن منـارة في ذلـك الوقت والعصر ، فيحتـاج الانسان للسير في الطرق لضياء يحمله معه •

ثم يرجع فيشرح لنا رأيه في البكاء على الحسين (ع) وهـو كلام مصدره الحب ومنبعه العقيدة ، وهو معنى طريف ولطيف ، فيقول :

انـي لابكيـه وأعلـم انـي قصرت والاعـوال ليس يفيـد
ذنبي عظيم حيث أني لـم اكن عنــه بصرحـة كربـلاء أذود

حـتى تعـود بـه فتحسبه ... ما غاب أو مـا زارنا غـبا

ثم نراه بعد ذلك يرينا عقيدته في أهل الطف رفـاق الحسين عليـه وعليهم الرحمة والـه :

أنتم لعمري حواري ابن فاطمة ... اذ لم يجبه سواكم ساعة أنتدبا
أنـفقتم في سبيل الله أنفسكم ... فنلتم فـوق مـا أملتـم رتبـا
ما فتية الكهف اعلى منكم شرفا ... انتم أشد وأقـوى منهـم سببا
ناموا وما نمتموا لهفي كنو مهم ... أنى ؟ وقد قطعت اعضاؤكم اربا
فروا وما قابلوا والله مـن احد ... ومـا فررتم وقـد قابلتم اللجبا
كـان الرقيـم كهفـا يظلهـم ... ولم يكن كهفكم الا قـنا وظبا
أصاب طالوت أصحابا وما صبروا ... معشار صبركم يـا معشر النجبا
ولـو بصفين جردتـم سيوفكم ... القى ابن هند سلاح الحرب وانقلبا
ما كان اعظمكم يوم الوفاء وما ... قد كان اكرمكم يوم الاباء أبـا
يـا حبذا كربـلا أرضا مطهرة ... ثوت بها عصبا اكرم بهـا عصبا
كانت لعمر أبي ارضا فمذ حظيت ... بكم أعيدت سمـا مملوءة شهبا

وهي قصيدة جميلة في جملتها • ثم هذه الابيات ترينا رأيه في الناس ونقمته على المجتمع الذي لا يقدر المنقذين والمصلحين ويأخذ عبرة مما حدث لمحمد وآله من صريعي المطامع والناكبين عن الحق • فهو يقول بعد أن يتغزل :

فلا تعتبر مـا قاله الناس فيهم ... فلست ارى في الناس للرشد طالبا
يقولون مـا لا يعلمون ولا ارى ... أدلهـم الا عـن النهج ناكبـا
وان شئت فكر في الزمان واهله ... فلست ارى الا سليبـا وسالبا
وان شئت جربهم فأنك واجـد ... اشدهم حرصا على الصدق كاذبا
واوفاهم عقـلا اذا قال جاهـلا ... واصوبهم رأيا اذا جـد لاعبـا

رضيتم وانتم أعظم الناس غيرة ... تسير اسارى فوق اكوار ضلع

فهي والله نفثة مصدور ، وقيلة مغدور • وقد توفيت والدته سنة ١٢٨٣ رثاها بقصيدة مطلعها :

أثفي بسجراها عليك دموعي ... أم هل تقوم بما أجن ضلوعي

ثم يصفها بالتجهد والعبادة ولكنه يذكر أنه لم يحضر تشييعها ، ولذا فقد ألم به هذا الحادث كثيرا • وهي الطف عبارة وأحسن أشارة :

وأشد ما في القلب منها أنها ... عدمت غداة رحيلها توديعي

ويل المحب اذا نوى أحبابه ... ظعنا وفاز سواه بالتوديع

ثم اسمع محادثته مع الفرات ، وتصور خياله لتحكم بأن هذه القصيدة لا تقل روعة عن قصيدة قيلت في طريف (١) :

اذا كانساقي الناس في الحشر حيدر ... فساقي عطاشى كربلاء أبو الفضل

على أن ساقي الناس في الحشر قلبه ... مريع وهذا بالظبا قلبه يغلي

وقفت على ماء الفرات ولم أزل ... أقول له والقول يحسنه مثلي

علامك تجري لا جريت لوارد ... أأدركت يوما بعض عارك بالغسل

أما نشفت اكباد آل محمد ... لهيبا وما أبتلت بغل ولا نهل

من الحق أن تذوي غصونك ذبلا ... أسى وحياءا من شفاههم الذبل

فقال أستمع للقول ان كنت سامعا ... وكن قابلا عذري ولا تكثرن عذلي

١ ـ لا شك ان المرحوم الاستاذ مهدي يقصد ليلى بنت طريف التي قالت ترثي اخاها الوليد بن طريف الشيباني الخارجي الذي قتله يزيد بن الشيباني في زمن الرشيد :

ايا شجر الخابور مالك مورقا ... كانك لم تحزن على أبن طريف

فتى لا يحب الزاد الا من التقى ... ولا المال الا من قنا وسيوف

ولا الذخر الا كل جرداء صلدم ... وكل رقيق الشفرتين خفيف

فهي هنا تخاطب شجر الخابور ، والحائري يخاطب نهر الفرات •

مـا سرني أنـى أموت بحسرتي حزنا عليـه وصار مـي مغمود
انى ليطربني أذا قـيل الوغـي شبت ومـد لواؤهـا المعقـود
مـا للرجـال وللحنين وانمـا شبم النساء النـوح والتعديـد
البيض تعلـم انهـا لاكفنـا خلقت قوائمهـا وهـن شهـود
فالى مَ يخبو في الحروب وقودها ويشب منها في القلوب وقـود

وهي قصيدة طويلة ، وعندي أنها من خيرة الشعر الذي يقال في هذا الباب، وهي تدلنا على ثورة نفسية ، وعاطفة صادقة ، وشعور ديـن فياض عـلى لسانه شعرا . ثم نراه يقف موقف المؤرخ ، فيشرح لـنا سبب كره ومحاربـة الاعراب ل علي (ع) فيقول من قصيدة ، وهي من جيد الشعر وأجزله :

حسدتـك أمـة آحمد لمـا رأت لك في العلى أثر الكريم الاوحد
كم سابقتك فقيل بعد لها اهبطي حطا عن العليا وقيل لـك أصعد
فتركتها تحبـو وراءك ضلعـا تهوى بسنخفض الحضيض الاوهد

ثم نراه يدفعه حبه وتحمسه الى هذا العتاب المـر مسزوجا بالحزن والالـم المحض يوجهه الى بني هاشم :

ولله ثـأر قـد أضيـع مثاره فهل ثـائر يرجـى لـثأر مضيع
وان ندعوها بال هاشم فأنهضوا والا اسكتوا لا يدعى بعد مدعي
فلو كنتـم أكفاء يـوم طلابهـا لثرتم اليهـا مسرعا أثـر مسرع
لقد كنتم مـن امنع الناس جانبا واحماهم ان ذل صعب التمنـع
فما بالكم اصبحتم بـعد عزكم تهب عليكم كـل نكبـاء زعزع
تذودكم عـن موطن بعد موطن وتقذفكم مـن بلقع بعـد بلقع
ويا عجبا كيف استطعتم تصبرا وتهجع منكم أعـين غـير هجع
حريمكم بـين اللـئام صوارخ واتتم بمرأى من حماها ومسمع

لولاه ما ارتفعت يوما بيوتكم مسموكة تتشاغى حولها النعم
لولاه اصبح دين الشرك مرتفعا وعاد يعبد جهرا فيكم الصنم
لم يدر قدر علي غير خالقه الناس الا علي كلهم عدم

وهي قصيدة طويلة ، جنينا منها ما تيسر لنا وسمح به الظرف ، وفي أخراها يعلن ولائه وتمسكه بأعتاب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم :

يا آل أحمد يا أزكى الانام خذوا غراء من عبدكم زينت بمدحكم
ان تقبلوها فما فضل كفضلكم او ترفضوها فما عدل كعدلكم
ما ان مدحتكم رفعا لقدركم لكن لرفعة قدري بامتداحكم

ثم صورة قصيدة يقولها في عاشوراء ، وهلال محرم ، ملؤها العاطفة والشعور الفياض بل تكاد تكون دمعا ممزوجا بالحزن ، منظوما كلما بل قصيدا . فيقول :

جاءت تفجر اكبدا وعيونا أيام عاشور بكا وحنينا
ضربت على وجه السماء ملاءة صبغت زواهرها حوالك جونا
وتراكمت سحبا فامطرت الثرى غيثا فانبتها شجى ورنينا
ما تنقضي عمر الزمان وانما يقضي بها كل امرء محزونا
ما قيل هل محرى الا انثنى قلبي بتجديد الاسى مفتونا
او كان يوم منه الا كان لي سببا الى طول البكاء سنينا
لا مرحبا بك يا محرم لم تدع قلبا على بشر به مأمونا
سل غير قلبي سلوة ان الاسى لم يتخذ غيري عليه أمينا
حقا على عيني أن لا يبرحا ينثرن فيه اللؤلؤ المكنونا
أيقال قد قتل الحسين عفا على هذي الليالي شد ما يبغينا
رد عن قلب محمد في آله أترى لهن على النبي ديونا

ألا أن ذا دمعي الذي أنت ناظـر غداة جعلت النوح بعدهم شغلـي
برغمي ارى مائـي يلـذ سواهد به وهم صرعى علـى عطش حولي

ثم ينتقل الى رثاء العباس عليه السلام ، وبعـده يرجع الـى نفسه متأثرا ، مفكرا بالواقعة وما ادراك ما الواقعة ، فيقول في قصيدة اخرى يجيب من يلومه على استمرار البكاء ودوامه فيقول :

سأبكيهم وان لـم تسعدينـي بثينة فـي البكاء خلـي ملامي
اذا ذكـر الحسين فـأي عين ـ تصون دموعها صون احتشام ؟
دعـا فاجابـه نـفر يسـير قليلهـم كـثير فـي الزحـام
اولئك صفـوة الجـبار حقـا بحصور سمت العلى اعلـى مقام

ثم ينبؤنا بعد هذا بما يشفي غليله ، ويبرد أواره ، فيقول فيها :

فمالـي والسياط لهـا صريـر بمتنـي غـير مخفـور ذمامي
فـلا واللـه لا يشفى غليلـي سوى قرع الحسام على الحسام

ثم هو شأن جميع هذه الطائفة ، لا يلذ لهم بل لا يقر لهم قرار ، ولا يرتاح لهم ضمير ، ولا يطمئنون بقصيدة او عمل تعبدي الا في ظلال دولـة تاجها معقود على نبعة هاشمية من سلالة الهادي الامين ، وعند ذلـك يحبب عندهـم السلام ويطيب ، فيقول :

سلامي يـا بنـي الهادي عليكم عليكم يـا بنـي الهادي سلامي

ثم يعلن رأيه في امامة علي (ع) فيقول على لسان النبي صلى اللـه عليـه وآله وسلم :

فقدموه فـان اللـه قـدمـه من لم يقدم لـم تثبت لـه قدم
لـولا عـلي لكنتم في الورى بهما وصل كأسد الشرى ان عدت البهم
لولاه ما اصبحت ترعى اسوار حكم مأمونة رعيهـا الخذراف والنعم

ان جن خـل العامريـة يافعـا فلقد جننت ولـم يحن تكويني
قالوا التجلد قلت ما هو مذهبي قالوا التوجد قلت هـذا دينـي
لا فـي سعاد ولا رباب وانمـا هو في البقايا مـن بنـي ياسين
الحب هـذا لا كمن تاهت بـه في الغـي سود ذوائب وعيون

ثم يختم ديوانه رحمة الله عليه في اعتذاره على ألسن قـتلى الطف من بني هاشم ومن والاهم رضوان الله عليهم اجمعين فيقول :

ما ضرنا القتل ان الـقتل عادتنا تفنى الكرام ولا تفنـى مساعيها
ما عابنا أننـا في اللـه مهلكنا وكلنـا روحـه للـه مهديهـا

بغـداد مهدي عباس العبيدي

اضحى يقلب كفه متأسفـا ... أكذا يجرعني الزمان الهونا ؟
أعلى بنـي تسل اشفار الضبـا ... حتـى استقين دماءهم فسقينـا
من لي بفتياني عرايـا في الثرى ... لـم تلف تغسيـلا ولا تكفينا
من لـي بفتياني عطاشا جرعوا ... بدلا مـن المـاء الزلال منونـا
من لـي بنسواني تؤلـم قسوة ... منهـا السياط معاصما ومتونـا
هذي بناتي بعـد قـتل حماتها ... عـاد العدو بسلبهـا مأذونـا
مستصرخات بي وأنى لـي بها ... لاكون عنهـا دافعـا ومعينـا
لا ذنب لي يـا ربـي الا انني ... أو ضمت نهجـا للرشاد مبينـا
كل امـرء ميراثه فـي ولـده ... لم صار ارثي عـن بني مصونا

ثم يعلن انه لا يبايع ولا يوالي الا ذرية مـن آل طـه فضلت علـى الناس وطهرت من الرجس في كتاب مبين . فيقول بعد كلام :

ما لم يرو عني البلاء ولـم يكن ... حبلـي بغـير ولائكـم مقرونا

ثم له قصيدة طويلة هي من جملة الغرر في ديوانه ، نذكـر منهـا غزلها والذي يبين مقدار حبه ويظهر قبسا من نور أيمانه في أهـل البيت الغـر الميامين فيقول (١) :

ان كنت مشفقة علـي دعينـي ... ما زال لومك في الهوى يغريني
لا تحسبي انـي للومك سامـع ... انـي اذا في الحـب غـير أمين
بيني وبـين الحب عهـد كلمـا ... رام العواذل نقضـه تركونـي

١ ـ وفي هذه القصيدة البيت المشهور :

ان كان دين محمد لم يستقم ... الا بقتلي يـا سيوف خذينـي

وهو خير بيت شعر قيل على لسان الحسين (ع) في ساعـة التضحية بنفسه في سبيل اللـه والاسلام . وكثير من الناس يعتقدون ان هذا البيت هو للحسين (ع) بالفعل .

واخذوا يضيقون الخناق على الثائرين ، فعاد الشهيد احمد بك مريود الى الاردن ، كما اتجه ادهم خنجر مع شكيب وهاب (القرية) بلدة سلطان باشا الاطرش في جبل العرب عرين الاسود • وتمكن زبانية الاستعمار الفرنسي وقواته التي كانت تعج بها البلاد السورية من اعتقال ادهم خنجر في حمى سلطان باشا ، الذي كان غائبا آنذاك عن القرية ، وسيق الثائر البطل مكبلا بالحديد وبالحراسة المشددة الى احد المواقع العسكرية الحصينة •

وعندما بلغ الخبر سلطان باشا ان الفرنسيين اعتقلوا البطل المستجير المستضاف بحماه ، اشتد غضبه وثارت ثائرته ، فبعث الى الفرنسيين يطلب منهم ان يخلوا سبيل الفتى البطل ، مؤكدا استعداده لدفع كل فدية من المال مهما بلغت عن مستجيره الضيف ، وبالطبع لم يقبل الفرنسيون طلب سلطان باشا ، كما انهم لم يقدروا التقاليد العربية في هذا الشأن وما يترتب عليها من المشاكل في المستقبل •

وقام على الاثر سلطان باشا مع نخبة من ابناء قومه الاشاوس الى الطريق التي اعتقدوا ان المصفحة التي تقلت المستجير الضيف الاسير ستمر عليها ، فما كان من المستعمرين الا ان حملوا ادهم خنجر بالطائرة الى دمشق ، ثم لم يطمئنوا الى بقائه في دمشق فبعثوه بالطائرة ايضا الى لبنان حيث أعدم رحمه الله وقدس أثره •

وكما هو معروف فان زعيم الثورة السورية سلطان باشا الاطرش اضمر في نفسه من ذلك الوقت الحقد على تصرفات الفرنسيين الذين امعنوا في التنكيل بابناء سوريا ولبنان على حد سواء • وراح الباشا يتحين الفرص للانتقام لشرفه وضرب العدو المستعمر الغاصب بما يستحق من عقوبة وخسائر فادحة • وهكذا بعد مضي ثلاث سنوات على حادث استشهاد البطل الثائر ادهم بك خنجر الصعبي ، قامت الثورة (١٩٢٥) السورية على أيدي زعيمها الخالد سلطان باشا الاطرش أمد الله بعمره ، وقد أبلى الزعيم البطل في تلك الثورة العظيمة البلاء الحسن المشكور ، وانتقم لمستجيره ومضيف بيته ولابناء وطنه ، الانتقام الصعب الطويل ، والذي كان السبب الاول في اخراج فرنسا من سوريا ، ولبنان•

البطل العاملي أدهم خنجر

بقلم محمد اديب غالب

هو أدهم خنجر الصعبي ، من عشيرة الصعبية التي تلتقي باصولها مع عائلات الاسعد والفضل ، ومن قرية المروانية قرب صيدا (لبنان) واحد رجالات النهضة القومية الثائرين في سورية . اشترك مع الشهيد احمد بك بن موسى بن حيدر مريود ، ابو حسين (١٢٩٤ — ١٣٤٤ هـ — ١٨٨٧ — ١٩٢٦ م) في حمل ما استطاع حمله من القمح على الخيول الى القرى اللبنانية في الجنوب ، عندما منعت الحكومة العثمانية اصدار الحبوب (الحنطة واشباهها) من ولاية سورية الى لبنان . وكانت تباع الحنطة بالثمن التي ثقلت من ارضها . فانقذ بهذا العمل الوطني الجليل عائلات لبنانية كثيرة كانت معرضة للموت جوعا . وعندما ظهر الاستعمار الفرنسي على سورية الداخلية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى تعاون ادهم بك خنجر الصعبي ، مع صنوه احمد بك مريود واحد اقرباءه من جبل عامل المدعو (حمزة) للعمل لمناوأة الفرنسيين ، واحتل هؤلاء مع العصابات التي الفوها مدينة دمشق (١٩٢٠ م) لفترة من الزمن قبل تشكيل حكومة الامير سعيد الجزائري ، ولدى دخول الجيش البريطاني ، ثم الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال غورو ، نزح احمد مريود الى شرق الاردن حيث اشترك في انشاء حكومتها سنة ١٩٢١ ، وبقي ادهم بك خنجر مع رفاقه الثائرين في اطراف القنيطرة قاعدة الجولان السورية . وعندما قام الجنرال غورو بزيارة تلك المنطقة وفي قرية (جباتة الخشب) كان الشهيد احمد مريود تسلل من الاردن والتحق على رأس تلك العصابة التي كان يديرها أدهم بك خنجر والبطل المعروف شكيب وهاب ، وامطروا الجنرال غورو وقواته بوابل من نيراهم ، واصابوا الجنرال غورو في يده الخشبية الصناعية ، وقتلوا بعض مرافقيه وجنوده وانسحبوا الى الاماكن الامينة المنيعة .

ثم عمد ادهم بك خنجر ، الى احراق طائرة فرنسية كانت رابضة في المطار الفرنسي بقرب صيدا . فقامت ثائرة الفرنسيين على أعماله البطولية الجريئة ،

أحرزت معلقة زهير هذه شهرة واسعة في قبائل العرب ، واقطع زهير بعدها الى مدح هرم بصورة خاصة ، دون ان يهمل غيره كالحارث بن عوف وحصن بن حذيفة وسواهما ، انما جل مدائحه كانت في هرم ، على النحو التالي :

ان تلق يوما على علاته هرما تلق السماحة منه والندى خلقا
وليس مانع ذي قربى وذي رحم يوما ولا معدما من خابط ورقا
لو نال حي من الدنيا بمنزلة وسط السماء لنالت كفه الافقا

ويقول :

دع ذا وعد القول في هرم خير البداة وسيد الحضر
واذا برزت اليه برزت الى صافي الخليقة طيب الخبر

ويروي صاحب العقد الفريد ان زهيرا مدح هرما بالقصيدة اللامية التي يقول فيها :

وأبيض فياض يداه غمامة على معتفيه ما تغب فواضله
تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي انت سائله
اخو ثقة لا تتلف الخمر ما له ولكنه قد يتلف المال نائله

ويروي البعض أنه مدح بها حصن بن حذيفة ، وقد اخذ زهير معنى البيت الثاني عن حاتم حيث قال :

وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وقد أعجب ابو تمام بقصيدة زهير الرائعة ، فمدح الخليفة المعتصم العباسي بقصيدة من بحرها وقافيتها ، جاء فيها :

هو البحر من اي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

واخذ ابو نواس معنى البيت الثاني فقال :

فتى لا تلوك الخمر شحمة ماله ولكن أياد عود ونواد

وهكذا أصبح زهير شاعر هرم المفضل ، وبات هرم ممدوح زهير الاول ، ويروي الاصمعي عن هرم أنه بلغ من تقديره لشعر زهير أنه حلف : لا يمدحه الا اعطاه ، ولا يسأله الا اعطاه ، ولا يسلم عليه الا اعطاه عبدا او وليدة أو فرسا ،

أجواد العرب

هرم بن سنان

بقلم : أديب فرحات

هو هرم بن سنان بن ابي حارثة ، ممدوح زهير بن ابي سلمى احد اصحاب المعلقات ، الذي يظن انه عاش بين سنتي ٥٣٠ و٦٢٧ م ، وكان سنان ابو هرم سيد غطفان ، وقد ماتت امه وهي حامل به ، وقالت عندما حضرتها الوفاة : « اذا انا مت فشقوا بطني فان سيد غطفان فيه » ولما ماتت شقوا بطنها واستخرجوا منه سنانا الذي اوصلته مواهبه العالية ، لما كبر ، الى ان فرض سيادته على غطفان .

ولما رزقه الله هرما نشأه تنشئة صالحة قويمة أهلته لان يتولى تلك السيادة على غطفان بعد أبيه ، فكان مثالا يحتذى في الكرم والاريحية ، والشجاعة والحمية ، كما كان مشهورا في حب السلام واصلاح ذات البين ، والاحسان الى الفقراء والمعوزين ، وقد تعاون والحارث بن عوف على عقد الصلح وحقن الدماء بين قبيلتي عبس وذبيان اللذين نشبت بينهما حرب السباق (داحس والغبراء) التي طال أمدها زهاء ٤٠ عاما ، وتحمل المصلحان ديات القتلى الذين لم يثأر لهم ، ومقدارها ثلاثة آلاف بعير أدياها في خلال ثلاث سنوات ، فكان لهذا الصلح العظيم أثره البالغ في نفوس العرب الامر الذي حمل زهير بن ابي سلمى على نظم معلقته الشهيرة التي مدح فيها المصلحين ، هرما والحارث ، وحذر القبيلتين المتحاربين من الحروب وويلاتها ، وختمها بأبيات حكمية خالدة :

يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سيحل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما ان ندرك السلم كاملا ... بمال ومعروف من القول نسلم
فاصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها عن عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما ... ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

رسوم

طريق الواجب

بقلم : السيّد علي ابراهيم

كان من ابرز سمات حامد بين معارفه ومواطنيه ، الصفاء والوضوح ، يعرف ذلك منه كل من عاشره واتصل به ، فهو عندما يرضيه عمل او يدنو من مفاهيمه عامل تبدو الغبطة على قسمات وجهه جلية لا لبس فيها ولا غموض ، وعندما يسيئه متلون يتلاعب بجوهر الامور ويعبث بالقيم وفقا لاهوائه وميوله يفر منه ولا يمكنه الاشتراك معه حتى بشؤون الحياة العادية البسيطة ، يتلهف على التوفيق بين الايمان وما يصدر عن المؤمن ، لا يستطيع ان يفهم هذا التناقض الغريب بين الاقوال والاعمال ، وهذه الرواية التي تمثل على مسرح الحياة فلا تهز المشاعر ولا تحرك العقول والقلوب ، لا هوادة لديه ولا مجاملة في الحق ، ولا تفسير يغير المعالم ويصور الاشياء على غير حقيقتها ، حتى لا تكاد تعرف المقصود منها ، ولا تأويل يأخذ بيد الانسان لمجاهل ليس في جوانبها نور ٠

وكثيرا ما كانت تجمعني به الدواعي فأراه ضيق الصدر كئيبا عندما يسمع متكلما يظهر غير ما يبطن او خطيبا يتفنن في رصف الجمل وتحريك المشاعر وهو بمعزل عما يدعو اليه فاقول له : هون عليك يا اخي ، أتحسب انك المسؤول عن هذا الكون ونظامه لتحمل الدنيا على ظهرك دون موجب لذلك ؟! ما يضيرك ان تقول كلمتك وتمشي وتترك الناس يعبثون ويلهون فالحياة قصيرة لا تستحق منا كل هذا الاهتمام فيجيبني قائلا :

اياك من كذب الكذوب وافكه ... فلربما مزج اليقين بشكه
ولربما ضحك الكذوب تفكها ... وبكى من الشيء الذي لم يبكه
ولربما صمت الكذوب تخلقا ... وشكى من الشيء الذي لم يشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه ... وبصمته وبكائه وبضحكه

فاستحيا زهير مما كان يقبل منـه ، فكان اذا رآه في مـلأ مـن الناس يقول : « عموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت » ، وقد مهد هذا الكرم الهرمي لزهير اسباب الغنى واليسار ، ووطأ له اكناف النعمة والترف ، فعاش في الجاهلية ، كما ذكر صاحب الاغاني : « سيدا كثير المال حليما معروفا بالورع » •

ويذكر صاحب الاغاني ايضا ان الخليفة عمر بن الخطاب رأى بعض ولـد هرم ، فقال له : « أنشدني بعض مدح زهير أباك » فأنشده ، فقال عمـر : « ان كان ليحسن فيكم القول (١) » فيجيبه : « ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء » فيقول عمر : « قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم » ، ويروي ابـن شبة أن عمر نفسه رأى يوما احد ابناء زهير فسأله : « ما فعلت الحلل التي كساها هـرم أباك » ؟ فيجيبه ابن زهير : « أبلاها الدهر » ويقول عمر : « لكن الحلل الـتي كساها ابوك هرما لم يبلها الدهر » •

يرى الخليفة عمر ان الشعر والادب أخلد وابقى مـع الزمن مـن النشب ، فهو برأيه هذا يسبغ الارجحية والافضلية للشعـراء والادبـاء علـى الكرمـاء الاسخياء ، وقد أيد ابو تمام الطائي هذا الرأي بقوله :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بغاة الندى من ايـن تؤتى المكارم

غير ان البعض يرون غير هذا الرأي ، ويعطـون الارجحيـة والافضليـة للاموال والصلات التي أغدقها كرام الممدوحين علـى الشعراء ، فجـود هؤلاء شعرهم حتى نطقوا بالحكمة والبيان ، ونفثت افواههـم السحر الحلال ، فـان اللهى تفتح اللها ، والى هذا المعنى أشار احد الشعراء المحدثين بقوله :

لولا الكرام وما سنوه من كرم لم يدر ناظم شعـر كيف يمتدح

أما رأينا الخاص فهو ان كلا الفريقين (المادحين والممدوحين) ملازم للآخر ومتمم له ، بل هو صنوه ورفيقه في الشهرة والخلود ، كما كانت الحال مـع زهير وهرم ، والمتنبي وسيف الدولة ، واحمد شوقي والخديوي عباس •

بيروت

اديب فرحات

---

١ ـ ان هنا بمعنى قد •

تعين ولا تقرب من القاب ، وكنت اذا رضت نفسي على سماع ما يقول انه شعر، لا افهم منه شيئا سوى الفاظ مبهمة لم توضع في محلها ولم تعبر عن شعور واحساس ، وانما هي ، اودية الحب السحري ، واجفان الفجر ، وحواشي الليل، واندلاق النور وضجعة الليل البهيم وغير ذلك ، مع اغماض جفون وغيبوبة بديعة لا واعية اثناء التلاوة وسحر الالقاء . قلت : يا هذا اي شيء انت ؟! وما هذا الذي تدعو اليه ؟! اني استغرب ، الا يعجبك قول الشريف الرضي :

ولقد مررت على ديارهم وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب نضوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني ومذ خفيت عنها الطلول تلفت القلب

او قول المتنبي :

وللنفس اخلاق تدل على الفتى أكان سخاء ما اتى ام تساخيا
أقل اشتياقا ايها القلب ربما رأيتك تصفي الود من ليس صافيا
خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

او قول الاخطل الصغير :

انا لا اشيع بالدموع صبابتي لكن الف جناحها بجناحي
غذيتها بدم الشباب وطيبه وهرقت في لهواتها افراحي
الفان في صيف الهوى وخريفه عزا على غير الزمان الماحي

ان هذا هو ادب الحياة الباقي ، لانه يعيش مع الناس ولا ينفصل عنهم يحرك عواطفهم ويدخل قلوبهم فيؤثر بها ، اما تلك الهمهمات والتمتمات ، اما ذلك القفز البهلواني العجيب ، فانه لا غناء به يذهب سريعا مع الريح ، ويبقي صدى المنشار وهو يحز الحديد .

بيروت علي ابراهيم

اني لا ارى يا صديقي آفة تهدم الاخلاق وتضر بالمجتمع مثل الرياء والنفاق، وقد ابتلينا بهذه الآفة وسيطرت على سائر مجالاتنا ، اقمنا وزنا كبيرا للدعاية والمظاهر الفارغة ، اما الداخل فلا يعنينا من امره شيئا أسمع كثيرا من الخطب التي يهدر بها اصحابها ، واقرأ ما تدبجه اقلامهم واراهم يفعلون غير ما يقولون :

اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة اساء

وكان من نتيجة ذلك اننا فقدنا الثقة حتى بأنفسنا ولا تنهض امة من الامم ان لم يعرف ابناؤها طريق الواجب فيسلكونه مخلصين جادين دون التواء وانحراف ، واننا لو اردنا الرجوع للماضي لوجدنا فيه الكثير من الامثلة والشواهد على صدق ما اقوله من ان العبرة بالتطبيق وان الشرائع والقوانين والانظمة تستفيد منها الشعوب بقدر الالتزام بها والعمل بموجبها وتنفيذها على الجميع بصورة عادلة ، قلت : ولكن الناس تختلف في تفسير الواجب وفي الطريق الذي يسلكه الانسان ليصل اليه ، فقال لي : علينا قبل البحث والجدل والضياع بين شعاب الكلام ، ان نكون صادقين مخلصين بتطبيق ما ندعو اليه ونؤمن به ولا يمكن ان ينشأ عن ذلك الا الخير ، فجميع العقائد الدينية والاجتماعية تنفع الانسان ولا تضره ، تأمر بالحق والعدل وتنهى عن الشر والمكر وان اختلفت باللفظ فهي متفقة بالمعنى :

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

ادب الحيـــاة

سامح الله عامرا وعانه ، اراد ان يكون شاعرا وحرص على ذلك فلم يترك صفة من الصفات التي قيل له انها للشعراء دون ان يحاول التحلي بها ، وركز بصورة خاصة على الزي والمظهر ، فأوشك ان يبدو بصورة درويش هندي يصطنع الغيبوبة كلما حفل الندي بالسمار المعجبين وهو شاعر ثائر مجدد، لا يحب الشعر الموزون المقفى ، يسخر من التقليد وينعى على الشعراء القدامى والمعاصرين جمودهم ، استهدف الغرابة باقواله واعماله فجاءت نابية لا تحلو

العلمي ، كخطوة اولى نحو رفع مستوى الامة العربية العلمي ، والنهوض بها الى مستوى ارقى الدول تقدما في البحث والاكتشاف •

٢ ــ قيام حركة ترجمة واسعة ومكثفة في مختلف الحقول العلمية بحيث تلاحق هذه الحركة احدث الابحاث والدراسات العلمية ناقلة اياها الى اللغة العربية • قد يقول البعض انه ليس في اللغة العربية من المفردات ما يمكن أن يتناسب مع مئات المصطلحات العلمية الحديثة التي تبتدع كل سنة ، وليس اسهل من الرد على مثل هذا الزعم ان تضافر جهود عشرات من المترجمين الضالعين في اللغة العربية بشكل منظم ومركز كفيل بتحقيق هذا الهدف ، وقولي هدا نابع من محاولات قمت بها في حقل ترجمة المواد العلمية تأكد لي بعدها أن ليس من كلمة تعصى على مترجم يضع نفسه امام مسؤولياته التاريخية في النهوض بلغته القومية وان اللغة العربية من الطواعية والقوة بمكان يسمح لها بمجاراة باقي اللغات العالمية بل والتفوق عليها •

ان مدى انتشار لغة ما ومكانتها في العالم يرتبط مباشرة بالتقدم الفكري والعلمي للناطقين بها ، فلننظر جميعا الى مستقبل زاهر لامتنا العربية ، نبنيه كل في حقل اختصاصه وليبدأ كل منا طريقه بترجمة ما امكنه من الابحاث والدراسات العلمية كي نوفر للاجيال الآتية مادة علمية وافرة باللغة العربية ، تقودهم بخطوات نحو الاعتماد على النفس في البحث العلمي ، وجعل الاكتشاف العلمي والاختراع هدفهم الاسمى ضمن نطاق اللغة العربية ليفرضوا هذه اللغة التي نعتز بها على العالم اجمع • ان عدونا الصهيوني قد ادرك بوضوح أهمية التقدم العلمي في فرض اللغة ، واهمية اللغة في الحفاظ على الروح الوطنية والقومية بين أبناء الامة ، فتمكن خلال ثلاثين سنة فقط من بعث لغة نسيها العالم منذ آلاف السنين ، وها هو يحاول احلال حروفها محل الرموز اللاتينية واليونانية المستخدمة عالميا • أو يجرؤ لسان عربي بعد ذلك أن يقول بعدم جدوى او امكانية اعتماد اللغة العربية لغة علم ؟ هل اللغة العبرية أكثر طواعية

اللغة العربية : لغة علم وفكر

بقلم : حافظ أديب الزين .

يكثر الكلام من وقت لآخر عن وجوب نقل الدراسة في ميدان الاختصاصات العلمية من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية . وهذا الانتقال يشكل من حيث المبدأ ضرورة وطنية وقومية وحضارية . فكل أمة تريد ترسيخ اقدامها في طريق الحضارة والتقدم العلمي ، بحيث تكون لنفسها مركزا علميا مرموقا بين الامم ، عليها ان تستخدم لغتها القومية كأداة للتعبير العلمي في عالمنا العربي يشكل خطوة أولى نحو اعادة الثقة بالنفس للامة العربية ، ودفعها قدما على طريق التقدم العلمي . لقد حاول الاستعمار (غربيا كان ام شرقيا) في القرون الماضية وما زال ، ان يضعضع لغة الضاد ويخنقها ، تمهيدا لازالتها من التداول ؛ لانه بقتل هذه اللغة تتهيأ له السيطرة على عقل الشعب العربي ، وقتل عزة نفسه وطموحه ، وقطع صلته بماضيه العظيم .

لكن هذا الانتقال ليس بالسهولة التي يتصورها البعض ، ممن ينظرون اليه بمنظار الحاضر الضيق . ان الاطار الوحيد الذي يمكن تناول المسألة من خلاله هو الاطار التاريخي العلمي المحض ، ويتمثل في حتمية اقتران طموحنا وعملنا في سبيل التقدم العلمي ، باستخدام اللغة العربية كأداة للتعبير ، وتلك مسؤولية الاختصاصيين من مثقفينا قبل غيرهم . اما كيف تتم عملية الانتقال تلك ، فليس افضل من تجارب امتنا العربية نبراسا يضيء لنا الطريق . تحقيق هذا الهدف يحتاج الى مرحلة انتقالية مثل المرحلة الانتقالية التي حولت الفاتحين المسلمين العرب من قبائل متأخرة ، الى صانعي احدى أعظم حضارات التاريخ واوصلتهم الى قمة التقدم والاكتشاف العلمي في جميع المجالات ، أيام الامبراطورية العباسية ودولة الاندلس .

اما متطلبات هذه المرحلة الانتقالية فتتلخص بما يلي :

١ ــ قيام حملة توعية وطنية وقومية واسعة النطاق ، ترسخ في اذهان المثقفين من امتنا ضرورة الانتقال التدريجي الى استعمال اللغة العربية اداة للتعبير

ابن زيدون
شاعر الطبيعة والحب
بقلم: ربيع النحاس

الانسان ابن بيئته يتأثر بها في مراحل حياته الاولى ما في ذلك ريب ثم يؤثر بها فيما بعد • فللبيئة تأثيرها الواضح وطابعها المميز الذي تطبع بـه ابنها فنتمثلها في افكاره وتصرفاته • في مشاعره واحاسيسه في كلامه في تنفسه في وجهه في كل حركة من حركاته وكل همسة من همساته ستطبع السعادة فيها علـى ثغـره بسمة وسينهل الالم فيها من عينيه دمعة •

لن يستطيع ان يفلت منها تمام الافلات مهما حاول شيء مـا سيشده اليها ، قد يثور أحيانا غير ان ثورته تنبع من البيئة لتسقي البيئة •

وانطلاقا من هذا التبادل اللاشعوري والترابط المتين بين الانسان وبيئته كان ابن زيدون واحدا من شعراء الاندلس متأثرا ومؤثرا بل واحدا مـن ابناء طبيعتها الخلابـة •

الاندلس ارض الطبيعة الساحرة والجمال الخالد ، جبال ووديـان هضاب وتلال رياض وحداق ينابيع وجداول ، ورود وازهـار ، خضرة تكسـو الارض وزرقة صافية تصبغ السماء وحمرة الشمس عند المغيب توحـي بالوداع • ولكن الى لقاء فجر جديد أجمل وتبشر بليل مقمر بهيج ملتقى للعشاق وموطنـا للهوى وكهفا للاسرار وكأسا للاشواق العطشى • انا لم ار تلك الارض بعينـي لكننـي رأيتها من خلال عيني ابنها الملهم وشاعرها المرهف ابن زيدون • مـن خلال قلبه وكلامه وعرفتها كأنها الارض التي بهـا نشأت ووصفتها كأنـي افترشت ترابهـا والتحفت سماءها ونشقت من عبير زهرهـا وترنمت بخفيف اشجارهـا وخريـر حداولها وأناشيد طيورها •

لكنني ما كنت في وصفي غير صدى لكلمات ابن زيدون •

هذه هي الرياض وقد متعت ناظري الشاعر بجمال وردها وزهرها واشعرته

حتى تكون لغة تدريس الطب والهندسة والفيزياء ... الخ في اسرائيل ؟ حـذار محاولات خنق الروح الوطنية والقومية في عالمنا العربي عـن طريق قـتل اللغة العربية ، ولنعمل يدا واحدة كل بقدر امكاناته على اعتماد اللغة العربية لغـة علم وفكر ، بادئين بالترجمة المكثفة وتعريب المصطلحات ، ثـم في بعث روح البحث العلمي والاكتشاف والاختراع في ابنائنا كي نشهد على ايديهم عودة اللغة العربية الى سابق مجدها .

حافظ الزين

ما يجب علـى المؤمن

● قال رجل للرقاشي : ما يجب على المؤمن في حق الله ؟ قال : التعيظم لـه والشكر لنعمه . قال : فما يجب عليه في حـق السلطان ؟ قال : الطاعة والنصيحة قال : فما يجب عليه في حق نفسه ؟ قال : الاجتهاد في العبادة ، واجتناب الذنوب. قال فما يجب عليه في حق العامة ؟ قال · كف الاذى وحسن المعاشرة . قال : فما يجب عليه في حق الخليط ؟ قال : الوفاء بالمودة وحسن المعرفة .

معها لقاءات عديدة في رياض الاندلس الساحرة عبوا منها كؤوس الهوى واستنشقا ازهار محبة :

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم بت اشكو قصر الليل معك

حتى اصبحت عينا الحبيبة دافع للانشاد :

ما للمدام تديرها عيناك فيميل في سكر الصبا عطفاك

واصبحت السعادة كل السعادة تكمن ايام الوصال بين احضان الحبيبة تضيء ظلمة لياليه وتسقي قلبه الظمآن ، ونفسه العطشى ، وهما بعيدان عن اعين الرقباء والحاسدين :

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا والسعد قد غض من اجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

ما اجمل الطبيعة وما احلى الاشياء في نظر الاحباء عندنا ينعمون بطيب اللقاء وحلاوة الوصال وكذا شاعرنا انعكست سعادته على الاحياء والاشياء فرأى كل شيء جميل لما طاب الهوى ، وحظي برضاء المحبوبة .

فالطبيعة تثير في نفسه معاني الهوى وتحرك لواعج الحب وتصل ما بينه وبين الحبيبة فمثل الطبيعة يجملها الحب ، فرأى في النجوم هواه وفي النسيم امانيه :

الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب ذاك النسيم

وسرعان ما اصبحت الحبيبة منبعا للسعادة اساسيا وما الطبيعة الا جداول تغذيها ومراتع خصبة للحب تجمله وتحييه ، لم تعد الطبيعة وحدها تطربه كما كانت أيام طفولته وما قبل الحب ولن تكون بعده في عينيه حلوة الا بوجود الحبيب :

اذ جانب العيش طلق من تألفنا ومربع اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا غصون الوصل دانية قطوفها فجنينا منه ماشينا

ولما ملأ الحب كل كيانه واخذ من قلبه كل مأخذ وروت صورة الحبيبة

بالصبا ، صبا الايام واماني الشباب ولذاته •

يـا روضة طالمـا اجنت لواحظنـا ... وردا جـلاه الصبا غضا ونسرينـا
ويـا حيـاة تملينـا بـزهرتهـا ... منـى ضروبـا ولـذات أفانينـا

وها هو ذا يتمثل في الورد مزيدا من الاشراق ويتطلع الـى النيلوفر النعس وقد بدأت خيوط الصبح تمتد في الافق لتوقظ ما غاب مـن وعيه وتنبه مـا ذبل من عينيه •

ورد تألـق فـي ضاحي منابتــه ... فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرى ينافحـه نيلوفـر عبــق ... وسنان نبـه منه الصبح احداهـا

اما ذكريات الطفولة بين احضان الطبيعة فما اجملها !؟ ••

هناك عند الجداول الزرقاء كان يجلس وكان يطيل النظر فيها لما تشق طريقها عبر خضرة رائعة وقد اتخذ من الهضاب مفرشا ومن البوادي مسكنا •

حين تغـدو الـى جـداول زرق ... يتغلغلـن فـي حدائـقَ خضـر
في هضاب مجلـوة الحسن حمـر ... وبــواد مصقولـة النبـت عفـر

ومع الطبيعة ••• كان الحب •

الحب تلك النغمة السحرية التي يطرب لهـا صاحب القلب المرهف والنفس الحساسة ، الحب بكل ما يحمله مـن معاني الاخلاص والتضحيـة ومـا يصبغه الصفاء •• صفاء النفس التي وجدت فيه قبسا من نور ، دون ان يفطن ان الظلمة لربما اختفت خلف الوميض • لكنه كان • وأنـى لقلب كقلب ابـن زيدون ان لا يستجيب •

الحب يناديه ويشدد النداء ، والطبيعة تجمل الحب في عينيه وقلبه والمجتمع الاندلسي الذي يشيع فيــه الترف وتسود الحرية الاجتماعية يهيـيء لـه فرص الاختلاط لتلعب الايام لعبتها ويفقد شاعرنا قلبه عند واحد من مجالس النساء التي انتشرت آنذاك للمناظرة الشعرية •

ذلك القلب أهداه لولادة بنت الخليفة المستكفي فبادلته الحب حبا ، وكان

الشاعر مع ابن عبدوس في مجال السياسة وحب ولادة مكث شاعرنـا في السجن قرابة السنة والنصف ثم هرب منه متشردا بعيدا عن وطنه وعن الحبيبة فكان ان طبع شعره بالحزن وما عادت الطبيعة تفرحه بل اضفى عليها ثوبا من الاسى • وعاش على ذكرى الحبيبة وايـام اللقاء والوصل وانشد بقلـب جريـح يعصر دما وعين كئيبة تعصر دمعا اروع قصائده واحلاها :

فها هو ذا يطلب من الحبيبة وصلا بعد تفرق وخصام ويعجب لتبدل الاحوال:

واعجب كيف يغلبني عـدو رضاك عليه من امضى سلاح

ولما ان جلتك لـي اختلاسا أكف الدهـر للحين المتـاح

فلو اسطيع طرت اليك شوقا وكيف يطير مقصوص الجناح

واصبح ذكر الوطن والحبيبة يثير في نفسه لواعـج الشوق والحنين فبكـى حالـه ومآله :

خليلي لا فطـر يسر ولا اضحـى فما حال من امسى مشوقا كما اضحى

كل شيء تبدل ليصبح شاعرنا لعبة بيد الزمن يضحكه تارة ويبكيه اخرى :

ان الزمان الذي مـا زال يضحكنا انسا بقربكـم قـد عـاد يبكينا

وما بقي له غير صبابة وشوق ، لوعة واسى تذيب قلبا حائرا باكيا :

يا دمع صب مـا شئت ان تصوبـا ويـا فـؤادي آن ان تذوبـا

• ذلك القلب خانه الصبر والتجلد وتناسى طعنة الغدر ليرتمي متوسلا الـى الحبيبة ويبكي ايام الفراق شاكيا ما بصدره من لوعة :

يـا هاجري كـم استفيـد الصبـر فـلا افـاد

هـلا رثـت لمـن يبيـ ت وحشو مقلتـه السهـاد

ويعتب عليها كيف تتناسى ايام الهوى وحلاوة الوصال لتحـرق الذكريات وتطعن قلبه بخنجر الغدر :

يـا نازحـا وضمير القلب مثـواه انستك دنيـاك عبدا انت دنيـاه

الهتـك عنـه فكاهات تلـذ بهـا فليس يجري ببال منـك ذكـراه

عينيه ، لم يطق ان يفصل بينها وبين الطبيعة فراح يقتطع من الطبيعة صورا ليجمعها لتصبح جامعة لمفاتن تلك الطبيعة الساحرة اضافة الى جمال خلقها وبالتالي لتصبح بالنسبة له كل رائع يربطه بالوجود وكل نفحة حب يغذي بها روحه وقلبه :

كأنمــا اثبتت فــي صحن وجنتــه   زهــر الكواكب تعويــذا وتزيينا

فهي تارة كوكب في افق الجمال :

لم نجف افــق جمــال انت كوكب   سالين عنــه ولــم نهجــره قالينــا

وصدرها تزينه قلادة لاشبه بروض يسيل عبره نهر فضي :

رأيت الشمس تطلــع مــن نــقاب   وغصن البــان يرفــل في وشــاح

ووجها لاشبه بقمر مضيء :

يــا اخــا البــدر سنــاء وسنى   حفــظ اللــه زمــانــا اطلعــك

واذا سعد الاحباء بحلاوة الوصل وطيب اللقــاء حينــا فان جــراح الحب وآلامه تظهر في احايين كثيرة • لان الظروف تتحكم فيها الاقدار • وكــل شيء يتبدل ، ويتغير لان السعادة ، لا تدوم •••

وما اقصر ايام السعادة في حياة شاعرنا ابن زيدون سنين قليلة عاشها ينعم بطيب اللقاء ، وحلاوة الوصال مرت متسارعة دون ان يشعر بهــا ويفاجأ بغــدر الحبيبة فما عادت تسمعه وما عادت تحس به ، وانصرفت الى غيره كنحلة لا تلبث ان تمتص رحيق زهرة حتى تذهب الى غيرها تماشيا مع طبيعتها الماجنــة وكونها بنت هوى تستسلم لكل عابر سبيل ، أفلم تكتب على ثوبها :

انـــا واللــه اصلــح للمعالــي   وامشي مشيتــي واتيـــه تيهــا

وامكن عاشقي من صحن خــدي   واعطــي قبلتــي مــن يشتهيهــا

وانطلاقا من التناقض بين نفسية ابن زيدون الصادقة المرهفة ونفسية ولادة القاسية المستهترة كانت حياة شاعرنا سلسلة من العذاب ونبعا من الاسى لا يجف واصبح ذليل هواه اسير حبه والمعشوقة لا ترحم ولا تلين •

ولم تكتف الاقدار بتحطيم قلبه المرهف بــل وبسبب هــذا الحب وتنافس

شيء واحد سيشده الى الحياة بعد ما ألم به من مصائب الا وهو الذكريات ... فها هي الطبيعة تعود لتأخذ مكانتها في نفسه وتذكره بالحبيبة وايام الحياة اللذيذة بين احضانها في رياض قرطبة الساحرة :

انـي ذكرتك بالزهـراء مشتاقـا والافق طلق ووجه الارض قد راقا
نلهو بما يستميل العين من زهـر حبال الندى فيه حتى مال اعناقـا
فالان احمـد مـا كنـا لعهدكـم سلوتـم وبقينـا نحـن عشاقـا

حتى البرق ـ استهواه واذكره بثغر الحبيبة ...

حتى هديل الحمام اذكره برنين العقد الجميل على الصدر الجميل ..

واني ليستهوني البـرق صبـوة الى برق ثغر ان بـدا كاد يخطف
ويذكرني العقـد المـرن جمانـه مرنات ورق في ذرى الايك تهتف

وكما اشرك الطبيعة ايام فرحته وسعادته لم يجد غيرها في مصابه يشركها لوعته واساه . فها هو ذا يطلب من الغمام بكاء عليه ومن البرق ثارا لـه ومـن النجوم اقامة مأتم على ما ضاع من شرفه .

الم يأن ان يبكي الغمام على مثلي ويطلب ثأري البرق منصلت النصل
وهلا اقامت انجـم الليل مأتمـا لتندب في الافاق، ما ضاع من نبلي

ويرى في اعتلال النسيم شكواه ولوعته :

ونطالمـا اعتـل النسيـم فخلتـه شكواي رقت فاقـتضت شكواك

او يرى في اعتلاله رقة وشفـقة عليه :

وللنسيم اعتـلال فـي اصائلـه كانه رق لـي فاعتـل اشفاقـا

حتى الورد تصوره باكيا عليه فما الندى يجول فيه الا ادمع اذرفها حزنا :

كـأن أعينـه اذ عـاينت ارقـي بكت لما بي فجال الدمـع رقراقـا

تلك البيئة بجمالها وتنوع مظاهر اللهو فيها :
ذلك القلب المرهف ..

وهو لم يعرف في حبها غير صدق العاطفة واخلاص المشاعـر ويثبت حفاظه على العهد رغم انصرافها عنه الى من لا يستحقون الحب :

وراقك سحـر العـدى المفـترى وغـرك زورهـم المفـتعـل
فـان ذمـام الهـوى لـن ازال ابقيـه حفظا كمـا لـم ازل

ويعلل لها ذلك الصدق ويطلعها على مدى ما تركه الحب في نفسه من اثـار فها هو ذا مستعد ليهبها حياته معترفا لها بضعفه امام ذلك الحب الذي اسر نفسه:

انـي اضيـع عهـدك ام كيف اخلـف وعـدك
وقـد راتـك الاماني رضـا فلـم تـتعـدك
سلنـي حياتـي اهبهـا فلسـت املـك ردك
الدهـر عبـدي لمـا اصبحت في الحب عبـدك

ولما لم يسمع لنداءاته صدى في نفس من احب عاد الى نفسه فـتذكر سوء حالها • لقد اصبح شريدا هائما على وجهه بعيدا عـن الوطن والاهـل والاحبة وخسر كل شيء •• كل شيء :

هل تذكرون غريبـا عـاده شجن مـن ذكركم وجفا أجفانـه الوسن
يخفي لواعجـه والشوق يفضحـه فـقد تساوى لديه السر والعلـن
ان كان عادكم عيـد فـرب فـتى بالشوق قد عاده مـن ذكركم حزن
بـم التعلل ؟ لا أهـل ولا وطـن ولا نديـم ولا كـأس ولا سكن

لقد تحطم كل شيء على صخرة الغدر والخيانة :

اصبح الفراق بديلا عن اللقاء وحل الاسى محل الفرحـة وسرقه الزمـان جنة تسقيه لذة الحياة واعطاه مكانها نارا تحرقه :

اضحى التنائي بديلا مـن تدانينا وناب عـن طيب لقيانـا تجافينـا
بنتم وبنا فمـا ابتلت جوانحنـا شوقا اليكـم ولا جفت مآقينـا
يا جنة الخلـد ابدلنـا بسدرتهـا والكوثر العذب زقومـا وغسلينا

شعراء كربلاء المعاصرون

هادي الشربتي

بقلم: السيد سلمان هادي الطعمة

وشاء القدر ان يقيل كربلاء من سباتها العميق الذي دام سنوات بعد خمود الجذوة الادبية التي اتقدت فيها ، وشاء أن ينفخ فيها روحا من نفحات عبقر ، فتفتحت بين ظهرانيها امكانيات أدبية اخذت تثبت موجوديتها رغم قلة الامكانيات وعدم توافر الظروف الملائمة .

والذي يغبط النفس ويرتاح له القلب ان اضمامة يانعة من الادباء الشباب اخذت على عاتقها بعث الروح الادبية في هذا البلد المقدس بكل اخلاص ونكران ذات ، ومن هؤلاء الشاعر الذي نحن بصدد الترجمة له . فهو هادي بن محمد بن كاظم بن حسن الشربتي .

ولد في كربلاء عام ١٩٣١ ميلادية ، ونشأ كما ينشأ الآخرون من لداته نشأة كفاف وبساطة ، فتلقى مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في احدى كتاتيب الصحن الحسيني الشريف . ثم انتقل الى المدارس الرسمية ، حيث حصل على شهادة الدراسة الاعدادية ، ودخل سلك الوظائف الحكومية ومكث فيها ردحا من الزمن حيث سرح من الخدمة . ومن ثم اكمل دراسته في جامعة المستنصرية ببغداد .

ويمتاز شاعرنا بسعة اطلاع وغزارة مادة وتمكن في اللغة العربية وآدابها اضافة الى كونه ضليعا بالادب الفارسي وملما الماما كافيا بفنونه واغراضه .. وله بحوث فولكلورية قيمة اعتاد نشرها في المجلات التي تعني بهذا الفن كالتراث الشعبي ، كما انه ينظم الشعر الشعبي على سبيل المفاكهة والتندر ، اضف الى ذلك ما يتمتع به من خفة روح وطلاوة حديث .

ومن آثاره المخطوطة ديوانه (اهازيج من الجنوب) وترجمة شعرية

تلك الطبيعة الساحرة ..

تلك العينين الرائعة التي ملكت نفسه واستأثرت بقلبه لتصبح وحدها ضياء لحياته ...

ذلك العمر الذي تقلبت فيه المقادير فاسعدته حينا وابكته حينا ..

ان كل ذلك خلق ابن زيدون الشاعر وخلق مع ابن زيدون ميزته الشعرية وهي اتصال شعره بحياته اتصالا قويا جعله يتغنى بكل مرحلة من مراحلها ففرح ايام الوصال وبكى ايام الفراق ثم عاش على الذكرى يستلهم من الطبيعة وحيه والهامه ويتخذها صديقة وفية تفرح لفرحه وتحزن لحزنه .

اتخذ الطبيعة صديقه الوفي حين عز الاصدقاء واضناه النوى وجرحه الفراق وابكاه الحب ..

دمشق ربيع النحاس

ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

غدا ستبكين حسنا كان من زمن ... يؤجج النار في قلبي ويبكيني
أما أنا فكما ينتهه سلفا ... سيان عندي (نيساني) و(تشريني)
سأتنحي ان ربيعي فات زاوية ... اجتر ذكرى ربيع غير ميمون

وقال في الغزل :

يا ناعس الطرف حرام عليك ... تقتل من يذوب وجدا اليك
تشع من عينيه اشعاعة ... تلتمس العطف على راحتيك
وبين جنبيه ثوى خافق ... يطلب ثار الدم في وجنتيك
حمدت هذا الليل لما انجلى ... سواده الاغدف في خصلتيك
زرقة عينيك سماء غدت ... تعكس نور الله في مقلتيك

اما قصيدته « عتاب » فانها تريك مبلغ شكواه وتبرمه من الحياة كقوله :

لم الق للحزن في عينيك من أثر ... أما أهاجك بعض الشيء من خبري
أم ان قلبك قد جف الحنان به ... كمثل قولك حتى عاد كالحجر
أم المروءة بين الناس ضائعة ... كأن اصحابها ليسو من البشر
أم المصائب هانت بعد كثرتها ... حتى تعودت الدنيا على الضرر
وما لشدوي لم يهزرك من زمن ... ولا يثيرك ارناني ولا وتري
قسا فؤادك لا يهفو لحشرجتي ... في حين منها تلظى الكون بالشرر
وهل تضاءلت حتى لا يهزك ما ... قد ذقت من علقم مر ومن عسر
أم هكذا تنزل الدنيا بصاحبها ... حتى يقابله الاهلون بالضجر
وشيمة الدهر هل ادى العقوق بها ... الى التزحلق في مستنقع قذر
لكنما هذه الدنيا خلائقها ... مجبولة منذ ان كانت على العهر
تسربت بالخنا من بدء خلقتها ... فلم تجد بسوى الآثام والوضر

والشربتي بعد كل هذا شاعر صادق اللهجة ، متقد الوجدان ، حلو الشمائل لطيف المزاج ، نذر نفسه لخدمة اللغة العربية والذب عن حياضها •

كربلاء ــ العراق ... سلمان هادي آل طعمة

لرباعيات الشاعر الفارسي (بابا طاهر عريان) بالفصحى والعاميـة • كما ان لـه مجاميع فولكلورية مخطوطة •

يمتاز شعر الشربتي بواقعيته ، حيث يغور فيـه الـى اعماق مشاعر الناس ومشاكلهم في غالب اتتاجه ، كما انه طرق فنونا أخرى كالغزل والرثاء والسياسة، ونشر آيات عواطفه في مختلف الصحف والمجلات العربية • والصفة العامة لشعره قوة السبك ومتانة اللغة مع سلاسة في اللفظ وتدفق في الاحاسيس ولطافة فـي الاسلوب وصفاء في الديباجة • وكذلك نثره يمتاز بالسلاسة والوضوح ، وغلبت روح الفكاهة عليه •

نماذج من شعره :

نحاول الآن عرض بعض النماذج الشعرية مما نظمه في فجر حياته وبعده • قال الشربتي يصف نفسه :

ليس مـن طبعي الشكاة ولكن ... انطقتني الظروف بالرغم منـي
لست بالمستكين اطلـب رفقـا ... مستغيثـا بذلـة المستمـن
او ذليـلا مـن حبـه لحيـاة ... يغمس العيش مـن صغار بجبن
انا من زمرة الدراويش احيـى ... دونمـا سوءة تلـوث ضبنـي
مفوشئي قطعة الحصير وقوتـي ... كسرة تمـلأ الحشا دون مـن
ان تبلغت لقمـة فـي صبـاح ... فطوال النهـار ألحس صحنـي
مـن يكن قانعـا بهـذا غنـي ... عـن طـلاب ورغبـة وتمـن
يجـد الدهر لـو يقاس ببعض ... من شموخ لديـه حبـة دخن

ومما قاله من قصيدة وجدانية طويلة :

نوار عقبي الذي تنوينه نـدم ... فسوف لن تجدي ندا يساويني
وان كفرت بديـن تؤمنين بـه ... وانت في كل حال لست من ديني
غدا سيذبل من ضعف ومن كبر ... ما في خدودك من ورد ونسرين
ويخمد النور في عينيك لا حور ... فيها ولا هـدب حلـو ليسبيني
ويضمحل شبـاب كان رونقـه ... يوما يحير لـب الحـور والعين

المجتمع من هموم وآلام ، ثم كانت لفرحات الشاعر سوانح قومية ودينية شارك فيها وانطلقت منها صيحات مدويات تردد صداها وامتد تأثيرها في البيئات العربية الواعية ، ومن الطبيعي أن تكون منظومات فرحات في ذلك الحين تعبيرا عن حوادث وجوانب من تاريخ نضالنا للحرية ألقاها في حفول اجتماعية ومدرسية .

أما باب الوصف والغزل في ديوان فرحات فكان أضيق من الباب الاول الذي دخل فيه الشعر الاجتماعي الواسع الآفاق ، والوصف كان شفافا والغزل أغاريد للفتاة العربية التي يعقد عليها المجتمع الجديد رجاءه في أن يكون تعليمها قائما على تربية قويمة تعدها لحياة الاسرة وبناء المجتمع الذي تفتحت منافذه على حضارة غربية وثقافة عصرية سليمة .

لم يكن غزل فرحات تشبيبا بغانية فاتنة أو تعبيرا عن هوى الشاعر وتعلقه بحسناء ، فان حسناواته كن بلادا عربية وعواصم أحبها الشاعر وتغنى بجمالها وامجادها كمصر والشام وطرابلس وزحلة في لبنان وغيرها من مغاني الشرق ، فمما قال فرحات في قصيدته « على بردى » :

كأن مياهه صفحات ماس بدائع حسنه الوصف الجميلا
على بردى وقفت فألهمتني فيروي القفر والربع المحيلا
هو النهر الذي يجري لجينا سنى لألائها سحر العقولا

★ ★ ★

أرى الظبيات يمشين الهوينى على بردى ويرخين السدولا
بدور قد توارت في غمام فقلنا نورها أضحى ضئيلا
ولكن قد توارت في حياها مخافة أن ترى فينا الخمولا

لقد وصف أديب فرحات في قصيدته ذوات الحجاب بعد العشرين من هذا العصر ، ولا ندري وهو يراهن اليوم سافرات وبعضهن كالعاريات هل يتغير وصفه ويستنكر ما يرى من تبرج وزينة ؟

ومهما يكن هذا الوصف للبدور ، فان الشاعر المعلم لم يسمح لنفسه وشعره أن يتغزلا بغير المحاسن الخلقية في بنات حواء ولم تتجاوز نظراته وهو في عز الشباب ما كان وراء الحجاب .

من وحي المجتمع

ديوان شعر لأديب فرحات

بقلم : وداد سكاكيني

من أعلام المعلمين في لبنان أديب باسمه وقلمه هو الاستاذ اديب فرحات الذي علم جيلا بعد جيل ، وكانت تربيته قائمة على التقوى والايمان بالعروبة ولبنان الذي أنبت رواد الحرية والقومية والفكر العربي الحديث •

هذا الاديب الموهوب الذي كافح الجهل والظلام في بلاده لم يتخذ من كفاحه وسيلة للمناصب العليا والوجاهة في المجتمع ، وانما قنع بمجد التعليم والتربية يعد فيهما الجيل بعد الجيل للمشاركة في بناء الوعي والحياة اللائقة في نهضتنا المعاصرة فعاش أديب فرحات دؤوبا مخلصا لهذه الرسالة البانية سعيدا بأدائها •

ولقد أوتي هذا المعلم الاديب موهبة الشعر والتعبير فيها عن حياته وما لابس هذه الحياة من شؤون وشجون ، واعانه اتقان العربية وصدق الشعور على التجاوب مع الطبيعة والنفوس في مجتمع احس مواجعه واشواقه •

فلا عجب اذا قال الشعر المعلم أديب فرحات منذ كان طالبا في الرابعة عشرة من عمره في المدرسة حتى صار استاذا كبيرا ، لكنه لم يبدأ الشعر غزلا وتشبيبا على العادة والطبيعة في مواهب امثاله ولداته وانما استهل هذا الطالب الفتى منظومه بالثورة على الغاشمين والناقمين في الشرق والغرب وكانت الحرب العالمية الاولى تضج بالمظالم والمطامع فنشر أديب فرحات أول قصيدة له في التعبير عن شعوره وشعور المجتمع العربي الذي كان يعيش فيه ويرى رواد الوعي فيه والتحرر يتحفزون للكفاح من أجل الامة التي كابدت الويل والشقاء من ضغط الاستبداد حتى أضرمت الدول الاستعمارية نار الحرب ونشرت الرعب والجوع في لبنان والبلاد العربية فكان تجاوب الشاعر الناشيء أديب فرحات مع المظلومين والقائمين بالكفاح أقوى من تعبيره عن ذاته فكانت قصائده تصويرا لما كان يعاني

مع الخالدين

القديس فرنسيس الأسيزي

بقلم: سمير شيخاني

صوت ــ كان القديس فرنسيس الاسيزي واحدا من كبار المحبين في العالم • كان محبا لله ومحبا للبشر • وكان التلميذ المثالي للسيد المسيح ، والنظير الايطالي لبوذا • والحقيقة انه لولا الواقع التاريخي الذي يؤكد أن القديس فرنسيس لم يسمع قط ببوذا ، لبدت حياته تقليدا متعمدا ومدروسا لحياة النبي الهندي • فقصتاهما تحملان الكثير من التشابه الشديد كما لو كانتا نسختين من المسرحية نفسها مترجمة الى لغتين مختلفتين •••

فرنسيس ــ لقد أثرت فضولي ، ايها السيد ، فهل لك ان تفصل نقاط التشابه ، انه ليسرني أن اعرف شيئا عن النبي الهندي بوذا الذي ذكرت •

صوت ــ حسنا ، فقد تخليتما ، بوذا وأنت ، عن جاه الحياة ونذرتما الفقر • وشجبتما الملكية الخاصة كمصدر لكل شر • ورحلتما في أرجاء الارض لتلطيف ومسح أخاديد الالم عن وجه الانسانية • وعرفتما الشفقة وجمال الحياة • ونظرتما الى نفسيكما والى كل مخلوق حي آخر ، على أنكم جميعا تؤلفون نغمة ختامية مؤثرة واحدة في قصيدة الخليقة • واخيرا كلاكما ، عندما أشرفتما على الموت ، طلبتما الى اصدقائكما ان يوسدوكما الارض العارية لانكما كنتما تجدان سرورا عندما تكونان أقل اعاقة بحطام الدنيا التي تعتبرانها من الاشياء السيئة • ولدت سنة ١١٨٢ وعرفت باسم فرنسيس الاسيزي ، ولكن اسمك الايطالي هو فرانشسكو برناردوني ، وكنت ابن بييترو برناردوني تاجر الاقمشة الميسور الحال في اومبريا • وكنت وانت صغير شديد الانفعال ثائرا ومبذرا ، تنفق المال الذي لا تقيم له أي وزن يمينا ويسارا ، وعلى العموم في سبيل مسرات الآخرين •

فرنسيس ــ كنت اعتقد ان توفير الوقت الطيب الممتع لاصدقائي بمال والدي افضل من ان اراه مخزونا في صناديقه •

وقصيدة فرحات في مصر أم الدنيا قال فيها :

يا مصر جئنا حاملين رسالة ... من شط لبنان بشط النيل
هي شوق أرز الرب للوادي الذي ... يبردي له ونخيل

وكان قارىء هذه القصيدة يتمنى لو ان شاعرنا الاديب لم يقتصر على الثناء وهو المؤرخ لامجاد مصر والعروبة ، فكيف لم ينص في الغابر والحاضر وينتزع من خياله وانطباعاته أروع الصور لما رأى في مصر من فتون وفنون في طبيعتها وحضارتها •

ولم يخل ديوان الاديب فرحات من منظومات مشرقة بالامل والمحبة منسوجات ببراعة التعبير قالها الشاعر فرحات في بعض الزعماء والحكام الطيبين المرجوين ، فجاءت قصائده تحيات وامنيات في مناصب وتبعات يعود خيرها لحياة الشعب في تطوره وأخذه بما يؤيد حقه وكرامته ، ولم يخل الديوان من شعر المراثي والاحزان ، قاله الاستاذ فرحات في تأبين فقيد عزيز أو صديق راحل •

على أن هذا الديوان لم يجمع على ضخامة صفحاته منظوم فرحات الذي قاله منذ صباه حتى كهولته، فلا تزال دفاتره تطوي كثيرا من القصائد والمقطوعات، وقد شبه الشاعر فرحات ديوانه ببستان فيه الزهر وفيه الشوك ، وان الازاهير العطرية تعانقها أشواك لا تخلو من جمال ، ولا يقدر الورد والعنبر على النسو والحياة دونها والبستان مهما زهت أناقته وبهجته لا يخلو شجره وزهره مما تختلف الاذواق فيه ، ألا ينم هذا الرأي على الصدق والتواضع فيما قال الشاعر ؟

ان ديوان الاستاذ اديب فرحات كان من « وحي المجتمع » في اكثر صفحاته ، وقد جاء متجاوبا مع شعوره وطبعه وقد غلبت على أبياته وقصائده الطوابع التعليمية التي لبست حياة الاديب الجليل في نثره وشعره ودلت على اتقانه وسيلة التعبير التي تتفقدها في تناج المستعجلين من الشعراء والكتاب •

وتحية طيبة لاستاذي الاديب الذي علمني وقوم تعبيري حتى مضيت قدما في أدبي وتجريبي •

دمشق ... وداد سكاكيني

البندقية ، وهكذا دواليك عبر اوربا • لقد ورث الف قيصر صغير الطموح ، ولكن دون مخيلة القيصر الاول • وهكذا كانت حضارة القرون الوسطى تتفسخ في هذه النزاعات الحقيرة المستمرة بين مدينة ومدينة •

صوت ــ ولفترة من الزمن عصفت بك شهامتك وفروسيتك والقتك في تيار تلك المنازعات العسكرية ، فانخرطت في خدمة علم مسقط رأسك • ولكن سرعان ما خاب أملك بعد حملة قصيرة بسبب اقتتال الايطاليين فيما بينهم • وفي احدى المعارك وقعت أسيرا ، فاتيح لك ، وانت في السجن ، وطوال اكثر من سنة ، ان تدرس الجانب الاقل اشراقا والاكثر وحشية من الحرب • فلما خرجت حرا طليقا عزمت على البحث عن اداة افضل من السيف لحل النزاعات البشرية •

فرنسيس ــ ان بحثي عن اداة السلام الغامضة توقف عندما اصبت بمرض شديد كان نتيجة الآلام التي عانيتها في السجن العسكري • وبدا شفائي امرا مشكوكا فيه لفترة من الوقت ، ولكنني ما لبثت ان تغلبت على الازمة • وحينما كنت مستلقيا على ظهري في فترة النقاهة البطيئة استطعت ان ادرس الحياة من زاوية جديدة • ان كل العالم ارتدى معنى جديدا عندما نظرت اليه من مركز تأملي الهادىء • كان هناك بين البشر جعجعة كثيرة بلا طحن وركض كثير وراء أمور لا قيمة لها ، ومعارك كثيرة حول نزاعات هي اسوأ من كونها عديمة الفائدة • تافهة • وفي تلك اللحظة قررت ان اتنازل عن حياة البشر المجنونة لاحيا حياتي الخاصة المعقولة • لقد وجدت ذلك السلاح الغريب القوي الذي يمكن ان يؤمن السلام بين البشر • ولكن حبذا لو كان بامكاني ان اجعل الآخرين يستخدمونه • يستخدمون سلاح اللطف المتبادل ، والشفقة المتبادلة ، والحب اللامتناهي • ذلك لان البشرية اخوة ، وبمساندة اخيه يمكن الانسان ان يساند نفسه •

صوت ــ ولم يمض وقت طويل حتى استطعت ان تضع موضع التنفيذ والتجربة ذلك السر الجديد الذي اكتشفته • ففي احد الايام وبينما كنت على جوادك مارا في حقول اومبريا رأيت رجلا مصابا بالبرص • وكنت ترتعد من قبل لرؤية هذه الجثث الحية • ولكن اثناء مرضك ازددت قربا من رعب الالم وبشاعة المرض ، بحيث انك لم تعد تحس الا بالشفقة على آلام الآخرين وامراضهم • وهكذا عندما رأيت الابرص يتقدم نحوك قفزت عن صهوة جوادك ، ولم تمنح

صوت ـ وكانت والدتك الزوجة المقتصدة لرجل ثـري غالبا مـا تلاحظ بمرارة انك تتصرف كأمير لا كابن صاحب حانوت ايطالي • أما والدك فانه لـم ينتظر منك ان تحقق شيئا في المستقبل •

فرنسيس ـ ولكن اذا كان والداي يقطبان ما بين حواجبهما فان الشبان في اسيزي كانوا يعبدونني • وقد اصبحت في نظرهم مثلا يحتذى في المرح واللهـو والازياء والطيش •

صوت ـ عندما بلغت عتبة الرجولة كنت تطمح الى أمرين وهما ان تبرز في الفروسية وفي الشعر • اردت ان تصبح محاربا وكاتبا ـ جنديا لكي تحافظ على سلامة مواطنيك ، ومنشدا لكي تملأهم غبطة • وبصورة خاصة اعجبت بالمنشدين المتجولين ، هؤلاء الذين عرفوا باسم التروبادور ، وكانـوا شعراء حب فرنسيين حولوا القسم الجنوبي من اوروبا الى قصيدة غنائية •

فرنسيس ـ الواقع ، يا سيـدي ، ان حبـي الشديـد لشعـر التروبادور الفرنسيين هو الذي حمل رفاقي على اطلاق اسم فرنشيسكو علي ـ وهو يعني « الفرنسي الصغير » •

صوت ـ يقال ان والدتك كانت قد سمتك جيوفاني ، ولكن قبل ان تبلـغ سن النضج كان اسم فرنشيسكو قد حل محل اسمك الاصلي • والى يومنا هذا يعرف قديس اسيزي بالاسم الذي يربطـه بالشعـراء الفرنسيين : فرنشيسكو ـ القديس فرنسيس ـ منشد الله المتجول •

صوت ـ كانت لك روح المغني الرقيقة ، وقلب الجندي الشجاع • ولكـن قبل ان تستطيع تعليم مواطنيك كان ينبغي لك اولا ان تحارب من اجلهم • كانت مدينتك في حرب لا نهاية لها من تلك الحروب التي عرفتها القرون الوسطى ضد المدينة الايطالية المنافسة بيروجيا • وقد كانت الامبراطورية الرومانية القديمة قد تفتتت الى عدد كبير من الامارات المستقلة •

فرنسيس ـ ان الرومان القدامى الذين اعتمدوا علـى السيف في محاولتهم توحيد العالم ، لم ينجحوا الا في تقسيمه • وحروبهم الكبيرة الباطلة قـد جرت كذلك الى حروب صغيرة باطلة• كانت كل مدينة تناصب الاخرى العداء : البندقية ضد فلورنسا ، فلورنسا ضد بيروجيا ، بيروجيـا ضد اسيـزي ، اسيـزي ضد

انهما أخواك ، والى الارض على أنها الام الحية لها جميعا • ولعل الصفة الغالبة على سلوكك في رأي الكثيرين كانت اللطف والكياسة • فكنت تعامل أدنى المخلوقات معاملتك لارفعها من حيث التقدير والاحترام وكنت مستعدا للاعتذار من متسول اكثر منك استعدادا للانحناء أمام امبراطور •

فرنسيس ــ واسمح لي أن اضيف ههنا انني كنت مرارا اخفض صوتي في حضرة الاشجار والازهار لكي لا أزعج رقادها • ولكنني اعترف أنني رفعت صوتي غاضبا مرة واحدة في حياتي على بعض اتباعي وذلك عندما استقبلوني بعد عودتي من حملتي الصليبية الشرقية استقبالا حماسيا وأخبروني أنهم انشأوا اثناء غيابي قصرا فخما للاخوية في مدينة بولون الايطالية • فقد رفعت يدي ووضعت حدا لحماستهم قائلا لهم : « ألا قولوا لي ، ايها الاخوة الذين نذرتم انفسكم للفقر ، منذ متى رأيتم ضروريا ان تهينوا الفقر بفخفخة القصور ؟! »

صوت ــ وهكذا مضيت هائما في الارض ، يا أخا الفقير ، يلتهب في نفسك حب عمل الخير ، حتى انهارت قواك في النهاية فعدت الى وطنك • كنت قد اصبحت عجوزا في تلك الاثناء ، كنت في الرابعة والاربعين من عمرك في مقياس الزمن ، وكنت ابن قرون في ميزان العطاء والخير • وعلى الرغم من ضعف نظرك مضيت الى امام كما كنت دائما المنشد المتجول السعيد في خدمة الله حتى نهاية الطريق • وكانت نهاية الطريق كبدايتها مسقط رأسك اسيزي •

فرنسيس ــ الواقع ان المرء اذا شاء ان يذهب الى أي مكان او ان يقوم بأي حج ، فينبغي له ان يعود دائما الى مسقط رأسه • ذلك بان هذا المكان هو بيت الله المقدس •

صوت ــ وفي بيت الله المقدس هذا رحت تنتظر النهاية : فراشك الارض العارية ، امك الارض المحبوبة ، يحيط بك نفر من اخوانك الفرنسيسكان وعدد كبير من اخوتك العصافير • وقبيل النهاية فتحت عينيك وباركت الجميع مرددا : « أيتبارك ابناؤك ايها الرب ••• طوبى للذين يعتصمون بالسلام ••• طوبى للذين في ساعة الموت يطيعون الوصية المقدسة « احبوا بعضكم بعضا » • واستسلمت الى الرقاد الاخير والبركة على شفتيك في ٣ تشرين الاول سنة ١٢٢٦ •

سمير شيخاني

هذا الاخ المتألم مالا فقط بل منحته نفسك • عانقته وتحدثت اليه كصديق ورفيق • ومن تلك اللحظة وجدت نوعا من السعادة الاهدأ والاعمق في البحث عن رفقة المنبوذين •

فرنسيس ــ ذلك بان اولاد القدر هؤلاء ، مثل كل المخلوقات الاخرى التي عاشت وتألمت وماتت ، لم يكونوا متصلين بي وحسب ، بل كانوا جزءا مني • وانا القائل في هذا الصدد مخاطبا الانسان : « انت بالنسبة الي اكثر من أخ ، أنت عضو متألم من لحمي ودمي • ألمك هو ألمي ، وفرحك فرحي » •

صوت ــ انك بتقدمك من الابرص كما تقدمت عدت اخيرا الى نفسك • وهكذا تركت المحظوظين ، « الاعضاء غير المتألمين في الوحدة الاجتماعية » وكرست نفسك لخدمة البائسين • ولقد قيل عنك انك تصغي الى الذين لم يصغ اليهم الله •

فرنسيس ــ أود ، يا سيدي ، ان اقرر ههنا انني لا ألتزم بأي طابع مماثل لرسالتي ، فانها ارادة الله أن أصغي الى جميع الذين هم في ألم ومحنة • كنت احس بالخجل اذ أرى الكثيرين من اخواني البشر مرضى وأنا معافى ، واراهم جائعين بينما أنا اجد الشراب والاكل • ولذلك بدلا من التنسك في البراري ذهبت أعيش بين الودعاء من الفقراء والمساكين عاملا على اعادة كرامتهم اليهم ، مشبعا جوعهم ، مخففا آلامهم • وكانت سعادتي عظيمة جدا لانني كنت افكر في نفسي قليلا ، وافكر في الآخرين كثيرا جدا •

صوت ــ عندما كنت تجد طعاما كنت توزعه على المحرومين مكتفيا بأصغر قدر لك • ومن حيث اللباس كنت تلتف صيفا وشتاء بعباءتك البنية الرثة وتشد وسطك بحبل • وقد أصبحت هذه العباءة اللباس الرسمي للفرنسيسكان اولئك الذين عرفوا بأنهم جنود المسيح غير المسلحين بالسيوف ، الذين قدتهم أيها القديس فرنسيس في حملة الشفاء والرحمة • ولقد كان اتباعك بعد سنة من تأسيسك الاخوية اثني عشر وحسب •

صوت ــ واسمح لي الآن ان اقول انك لم تدرس كثيرا • وقد كنت تؤمن ايمان الاطفال ، وتحب حب الاطفال البسيط الصحيح من صميم قلبك • وكالاطفال كنت تنظر الى العصافير على أنها اخوانك ، والى الريح والشمس على

ان يومـا بـه المعلـم يعلـي قـدره الناس يشبـه الاعيـادا
ليـس سيين أن يعيش عليـم قـتل العمـر خبـرة واجتهادا
وفتى عـاش ليـس يعلـم الا انـه عاش كـي يعيـث فسادا

★ ★ ★

انما العالمون أجـدر بالمـدح أكانـوا جماعـة أم فـرادى
خدموا الـناس والحضارة والعمران دومـا وخلـدوا الامجـادا
ربمـا اهلـك العباد جهـول وخبير بالعلـم أحيـا العبـادا
فرأينـا مـن فعل ذاك وهـذا فـي البرايـا جراحـة وضمادا
فاجتهـد ايهـا المعلـم أن تتـرك ذكـرا يسايـر الآبـادا
واذا الجهل قيـد الناس فادأب أن تفـك القيـود والاصفـادا
يـا أخـا الانبيـاء حـرر ان اسطعت عقـولا وأنفسا واعتقـادا
ذل قـوم ارواحهـم كبلوهـا بقيـود واطلقـوا الاجسادا

بغـداد محمد حسين الشبيبي

غـريـب !

★ ★ ★

عشت مـا عشت أبيـا طاهـر الفكـر تقيـا
مستقيما فـي سلوكـي أبـدا طلـق المحيـا
ثائـرا مـلء كيانـي حاملا حمـلا خفيـا ...
فهمـوم الشعب طـرا ألـقيت دومـا عليـا
وعلى رغـم انطلاقـي عشت في سجن غبيا ...
لـم أداهـن ، لـم أداج لـم أصادق « ثعلبيـا »
فلـذا كـنت غريبـا بين قومـي ، أجنبيا ...
لـم اكـن يومـا خنوعا بـل أبيـا ، عربيـا

محمد كزمـا

عيد المعلم

شعر: محمد حسين الشبيبي

القيت في الحفلة التكريمية التي اقامتها جمعية المعلمين في الحلة ـ العراق يوم ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٤٥ اعترافا بالخدمات الطويلة الطيبة التي اداها المرحوم الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق السعيد في حقل التربية والتعليم ، (وكان حيا يرزق) وتعتبر هذه الحفلة بمثابة اليوبيل الفضي للاستاذ المذكور بصورة خاصة ولكل معلم امضى مثل هذه المدة او اكثر بصورة عامة .

أي حفل هـذا الـذي يتهادى ... مـلأ الـعين بهجـة والـفؤادا
أتراه مادت بـه الحلةـ الفيحـاء فخـرا فـتاه زهـوا ومـادا
أم تـراه قـد ارشفته سلافـا ... ارهفـت حسـه فـزاد اتـقادا
نهضت لـم يطب لديهـا ركود ... وأبت راحـة وعافـت رقـادا
ارسلتها الـى الشباب تـدوي ... صرخـة نافست بهـا بغـدادا
صرخة هـزت الـنفوس فهبت ... بالقوافي تهـز حتـى الجمادا
عرفت اننـا نـريـد كفاحـا ... ووثوبـا ونهضـة وجـلادا

★ ★ ★

يا عروس الفرات ايتهـا الفيحـاء يـا مـن لحبهـا نـتفادى
كم أياد على الورى منك كثـر ... قد تماشت مـع العصور ازديادا
أنـت أنشـأت امـة وحيـاة ... وقبيـلا ومـوطنـا وبـلادا
ايه يـا موطن البلاغـة والسحـر سماع النشيـد عذبـا معـادا
فيه مـا فيه مـن عواطف شعب ... قـد سما فكـرة وجـل جهادا
وزكـا محتـدا ورق مزايـا ... وعـلا معدنـا وفـاض رشادا

★ ★ ★

لـن المهرجـان هـذا تسامى ... رفعـة بيننـا وطـال عمـادا
كـرم العلـم فاستفاقت عقول ... وشدا شاعـر وغنـى ونـادى

وحسبك يا ابـن الجد مت مناضلا | لتربيـة الاطفـال نعـم المنـاضل
ونلت بساح الرزق اجـر مجاهـد | الا في سبيل اللـه مـا عاش عامل
فتى العمل المقـدام حسبك انـه | لفضلك في كـل البريـة شامـل
فتبـذل للعمـران طاقـة جاهـد | الا في سبيل الخير مـا انـت باذل
فتى البذل والاعطاء والعهد والوفا | ومن شهدت فيمـا عملت المعامـل
سأرثيـك مداحا بمـا انت اهلـه | ولـو لام حساد وعنـف عـاذل
فأنت قوام الكون بـدء وجـوده | ومنـك امتدادا كونتـا المتكامل
لعمري ما شيدت قصور ولا سمت | ومنك لـدى بنيانها غـاب كاهل
فيـا باني العمران في كـل موطن | ويا واهب الطاقات فضلك طائـل
لئـن مت مجهول الفضيلـة بائسا | ولم تبك مأسوفـا عليك المحافـل
فلست بمحتـاج رخيص ثنائهـم | وانت غنـي أن تـقوم الدلائـل

لبنان الجنوبي — ابراهيم حاوي

الضاحكون

الضاحكون ، كتاب مـن روائعـه | تلك المنائـر بين الارض والفلـك
فيه الطرائف مـن شعر ومن أدب | أرق مـن كرة الحسون في الشرك
هنا الرموز ، هنـا الالوان تنثرها | خواطر «الشاعر الضحاك» في الحلك
ان شئت تفتحـه يومـا وتـقرأه | تكاد تغرق في بحـر مـن الضحك

توفيق ابراهيم

موت عامل

شعر : ابراهيم حاوي

القيت في تابين احد العمال القرويين في قرية محرونة

حياتك عيش بالمصائب حافل — وانت عن الخطب المروع غافل
تحيق بك الاخطار من كل جانب — وتحدوك من ركب المنايا قوافل
وفي كل يوم بل وفي كل لحظة — حبيب عزيز عن ديارك راحل
وانت اخو النسيان الا لمطمع — ومالك الا شاغل الحرص شاغل
تصول على هذا وتظلم غيره — وفوقك سياف المنية صائل
فما الحول نفاعا ولا الطول دافع — وهيهات ان يغني من الحين طائل
تأمل اخا الدنيا بعين بصيرة — وفكر خلي فارقته المشاغل
ترى كل شيء من بني العيش ناطقا — « الا كل شيء ما خلا الله باطل »
تغار على الدنيا وترجو نعيمها — « وكل نعيم لا محالة زائل »

★ ★ ★

ومن عبر الدنيا المريرة بيننا — فتى في سبيل الرزق للعيش عامل
يخلف اطفالا ويترك صبية — لها الله من دون البرية كافل
تبيت بلا راع يناديك حالها — الا بين هذا الخلق يا ناس عائل

★ ★ ★

بلى : ان هاتيك القلوب التي قست — لها عن نداء الخير في الشر شاغل
فليست ترى الاحسان الا لغاية — بها شهوات النفس او ما يماثل
لقد كفروا في كل شيء فلم تعد — لهم حسنات ترتضى او فضائل

بريد القراء

لميعة عباس عمارة تغرد في المجلس الثقافي للجنوب



لميعة عباس عمارة شاعرة من العراق ، طبع لهـا ، مؤخرا مجموعة شعريـة بعنوان ــ يسمونه الحب ــ وكان قد صدر لها ، (الزاوية الخاليـة ــ ١٩٥٩) و (عودة الربيع ــ ١٩٦٢) و (اغاني عشتار ــ ١٩٦٩) و (عراقية ــ ١٩٧١) وهي في جميع قصائد هذه المجموعات انثى عربية تعبـر عـن مشاعرها واحلامها ووجودها بالصراخ والرفض والتمرد ثم بالصمت ثم بالشعر •• وفي طريق عودتها من باريس مرت الشاعرة بلبنان •

فضحكت وقلت : « سبحان الله ، كل شيء في هذه المدفـأة صالـح سليم الا الدليل ! » فما ضرني لو اني استعملتها ؟

حاولت ان املأها غازا لاستفيد منها في أيام البرد والصقيع ، فلم افطن ، الا والغاز يتدفق حتى كاد يفسد ما حوله ، لان الدليل الذي يعين مقدار ما تستوعب مفـقود !

هنا امتد بي الفكر حالا الى امتنا العظيمة التي قبل عليها : « انها خير امـة اخرجت للناس » ، وتصورت موقفها الذليل في الدنيا ، ذلك الموقف الذي يعطل كل ما فيها من عناصر النبل والشجاعـة والكرم والخير والاريحيـة ، فعلمت ان مرد ذلك الى فقدان الدليل الذي يوجهها الى مـا فيـه خيرها وسعادتها ويستغل ما عندها من مقومات الامم الراقية ، ذات الحضارات العريقة !..

اليس من المحزن ان تكون هذه الامة بملايينهـا الكثيرة شبيهة بصفر الى اليسار في عملية حسابية بسيطة ؟

ان عيبها الاوحد ، انها كالمدفأة البريطانية الـتي نكبت بهـا ، انها فاقـدة الدليل ، وهكذا ذهبت تفودي هدرا على الرغم من جودة صنفها وجمال شكلهـا ولطف منظرها !

اصحيح ان هذه الاداة البسيطة التي لا قيمة مالية لهـا تعطل هـذه المدفأة وتجعلها عادمة الفائدة ؟ وامتي العظيمة ما خطبها ؟ امتي التي سادت العالم قديما، وتحكمت في مصاير البشر وملكت مقطع الرزق على البشرية كلها ، وكانت مائدة علمية جلست اليها الامم معتزة بما تتناول من فتات ولائمها الحافلـة بكل ما في الحياة الانسانية من خير ومجد وفخار فقدت كل شيء !

افقدت امتي الدليل ، فاصبحت عادمة الفائدة وسمحت للناس ان يقولوا انها امة متخلفة فمنهم من يقول ان تخلفها عقلي ، ومنهم نسبت تخافها الى لغتها ــ ارقى اللغات ــ ومنهم من قال ان تخلفنا ناجم عن تفرقنا ، وهناك مـن قال اننا تأخرنا لخضوعنا للعقلية القبلية ، والحقيقة ان كل ما فينا هو ناتج عـن فـقدان الدليل فمتى نهتدي الى الدليل الامين ؟

روكس بن زائد العزيزي

وبهذه المناسبة كان لها أمسية شعرية في المجلس الثقافي للبنـان الجنوبي كانت موفقة ولطيفة وقد خشيت مـن مهاجمة زعانف « الادب الحديـث » اي الغامض و « الشعر الحر » اي الذي لا طعم له ولا رائحة بل هو لغز ، والسيدة لميعة تنظم الشعر الحر ولكنه ذو معنى ومغزى . وهـذه مقطوعة صغيرة من شعرها الحر :

مثقف حـرب

★ ★ ★

على وجهه مثل رش الطحين
مـن الـفيء
في المكتب الضخم
صعب وصولك بابـه
مثقف حرب يفك رموز الكتابة
ويكتب شعرا مقـفى
وشعـرا مكفـن
يصـير مديـرا
يصـير وزيـرا
ومـاذا يصـير ؟
يظـل ذبابـه .

لميعة عباس عمارة

★ ★ ★

خاطرة من قلم ـ روكس بن زائد العزيزي
المدفأة .. والدليل ! ...

اشتريت مدفأة من صنع بريطاني ، ولـم ارد ان افض غلافها ، ثـقة منـي بالصناعة البريطانية ، فلما وصلت الى البيت ، وجدتها لا تحتوي على دليل الغاز ،

استغلال وجود هذه الجماعات من الشباب ليعبؤوها تعبئة وطنية ـ قومية ويحركوا طاقاتها البشرية ويهذبوا احاسيسها القومية والوجدانية ويهيئوها تهيئة صحيحة لتنطلق في الخارج ـ خارج لبنان والوطن العربي وتسعى لخدمة قضيته وعروبته وانسانيته • ان هؤلاء الشباب يشكلون في الخارج ، مادة خام طيبة ويحملون في اعماقهم مشاعر واحاسيس وطنية وقومية ملتهبة ـ انهم بحاجة ماسة الى من يقوم بتوجيههم والتخطيط لهم ، تراهم يحدثونك عن الوضع العربي الحاضر بكثير من المرارة والحزن وهم دائما يطرحون مثل هذا السؤال المأساوي المرير : مئة مليون عربي لماذا لا يستطيعون القضاء على مليون او مليونين اسرائيلي صهيوني ؟

لقد انزعجت وتألمت عندما قرأت في احدى الصحف : كيف ان احد الشباب واظن انه رئيس وفد الاوروغواي طلب ان يصدر المؤتمر بيانا يستنكر فيه العدوان الوحشي الذي تقوم به العصابات الصهيونية على جنوب لبنان فرد عليه الرئيس : ان دستور الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم يمنعنا من التدخل في الشؤون السياسية ـ يعني : ممنوع على الانسان اللبناني المشترك في المؤتمر ان يقول ويعلن : ان لبنان بحضارته وتراثه وقيمه الانسانية ويعتبر مهددا من قبل الصهيونية وعصاباتها ـ عصاباتها التي تحاول ـ عبر ـ ضرباتها ووحشيتها تشويه القيم ومقدسات الحضارة في كل مكان • ان الشرفاء في كل مكان من العالم قاموا بتحديد موقفهم الانساني ازاء قضية العرب العادلة واعلنوا عن اشمئزازهم لاعمال القتل والغدر الذي تقوم به دولة العصابات •

من تمنياتنا ان تنجح مؤتمرات المستقبل التي ستتابع معالجة قضايا المغتربين الشباب وان تتحول الى جهاز كبير للتوعية وتقديم الغذاء الروحي المناسب لهذا الشباب الناهض ـ ان فكرة العودة للجذور تبدو فكرة لامعة ممتازة ومن لا يحاول العودة والالتصاق بجذوره هو انسان مشرد ضائع يتخبط في هذا العالم الكبير الواسع ـ انه بلا اصل ، بلا جذور ، بلا هوية ـ وتبرز من جديد مرحلة المعاناة والتهيئة ـ هذا الانسان العائد لجذوره يجب ان نقوم بتهيئته تهيئة صالحة ليدرك عندما ينطلق في الخارج انه كائن حي ينتمي الى امة عريقة ويستحق لقب : سفير القضية العربية في ديار الاغتراب •

دكـار حسن يزبك

والذين هاجروا

هل نجح مؤتمر (الشباب المتحدر من اصل لبناني) كجهاز توعية صحيحة ؟

اخيرا انتهى مؤتمر (الشباب المتحدر من اصل لبنانـي) وانـتهت المآدب والحفلات الرسمية وغير الرسمية التي اقيمت على شرف المغتربين ، وبـدأ هؤلاء يستعدون للرحيل والعودة من جديد الى اعمالهم في ديار الاغتراب .

انه حدث رائع ، انعقاد مثل هذا المؤتمر ـ مؤتمر الشباب المتحـدر مـن اصل لبناني ـ انعقاده تحت شعار (العودة للجذور) ـ العـودة للتجديـد ـ تجديد ، الاحاسيس الوقمية (والانفعالات الوجدانية) .

ان القيام بزيارة الوطن مطلب وطني انساني ـ انها محاولة طبيعيـة لبعث الامل والذكريات الحلوة في النفس ـ وانا ـ كمغترب لبناني لـم يتسنى لـي زيارة الوطن وحضور مؤتمر الشباب هذا الذي انعقد في هـذه الفـترة ـ فانه يطيب لي ان اسجل بعض الملاحظات حول المؤتمر وماهيته ـ يوجد هنـا فـي السنغال عشرات من الشباب المتحدر من اصل لبناني ـ من مواليد هـذا البلد لا يعرفون شيئا عن وطنهم الام ، انهم احيانا يلتقطون بعض الاحاديث البسيطة الساذجة ، التي تخرج من افواه ابائهم ، ومثل هذه الاحاديث لا تقدم لهم فكرة مبلورة صحيحة حول لبنان ووجوده ـ هؤلاء الشباب حدثوني عـن انزعاجهم لعدم زيارتهم لبنان وحضورهم المؤتمر ، اعلنوا انهم لم يسمعوا او يقـرأوا اي شيء عنه . لقد تأثرت لحالهم ولحال كل مغترب يحب وطنه ويريـد زيارتـه او العودة اليه ولا يستطيع . وبهذه المناسبة اريد ان اعترف انـي ـ شخصيـا ـ فوجئت عندما علمت ان الاخ السيد جان نجيم هـو رئيس وفـد السنغال لدى المؤتمر وارجو من كل قلبي ان يكون الاخ نجيم قـد نجح في طـرح قضية او مشكلة المغترب اللبناني هنا امام المسؤولين .

ـ لاحظت ان المسؤولين عن انعقاد هذا المؤتمر ـ المهرجان ـ لم يحاولوا

اعضاء جسدك ، تلقيت الاشارة الهرمونية لتحويلك من صبي الى رجل ، ونموت الى ان اصبحت بحجمي الحالي ، وبدأت غددي الافرازيـة الصغيرة تعمل على انتاج السائل المنوي ليخزن داخلي •

وفي فترات الاثارة الجنسية ، كيف اعرف متى افرغ محتوياتي ؟

انا لا اعرف • فانا ببساطة اتبع الاوامر الصادرة من الطرف السفلي لعمودك الفقري والعديد من الامور المعقدة يحدث في منطقتـي عندمـا تصل الاشارة • فصمام العضلة العاصرة عند عنـق المثانـة ينضغط وينعصر بشدة بحيث يتعـذر جريان البول • وتغمرني موجات من التقلصات العضلية •

والشيء نفسه يحدث للحويصلتين المنويتين، مستودعي التخزين للسبرمات، وتوجدان بالقرب مني ، وتبدوان كحبتي فـول سودانـي متصلتين • وتسهـم الحويصلتان في توفير حوالي ٢٠٪ من السائل المنوي ، واوفر انـا باقي الكمية التي تقارب ما يملأ ملعقة شاي • ويتم اطلاق المزيج مـن خلال قناتـك البولية ، لينجز ما قدر او كتب له •

انا ••• كما قلت سابقا ••• كابوس هندسي ! لدي ثلاثة اقسام تقـع جنبا الى جنب داخل كيس ، والانبوب البولي الصغير الذي يفرغ مثانتك يمـر فوق القسم الاوسط ، واي شيء يحـدث هنـاك ويتسبب في انتفـاخ البروستـات ـ التهابات وعدوى وسرطان ـ يمكن ان يوسع هذه الاقسام ويمنـع بالتالي او يعيق جريان البول ، متسببا في الكثير من التعاسة •

الطريق الى الموت البطيء !

في حالة الانحباس الجزئي ، يتجمع البول في المثانـة ويغـدو بركة آسنة ، وكثيرا ما تقوم البكتيريا بغزو البركـة وتتكاثـر وتتسبب في التهابات خطيرة • والاسوأ من ذلك هو حدوث الانحباس الكامل • في هذه الحالة قـد يصل البول الى الكليتين ويصبح المجرى الدموي مثقلا بمواد النفايات ، الامر الذي يتسبب في التسمم البولي : العلة التي تستطيع ان تؤدي الى الموت البطيء •

وعندما يتقدم عمرك ، وينخفض انتاج هرمون الخصيتين، يكون من المنطقي المتوقع ان اتقلص الى حجم غدة الصبي ، لكن الغريب ان ما يحدث هـو النقيض

انــا البروستــات

وجود الجنس البشري يعتمد علــي أنا ٠٠٠
وبدوني تهبط احتمالات الحمل الى الصفر !

انه تصميم كالكابوس ، واللوم في ذلك يقع على الطبيعة !

فانا امثل مشكلة من المشاكل المحتملة لجسمك • لونــي احمر يميل الــى الاسمر ، وحجمي يقرب من حجم الجوزة • وانــي لاكمن وراء الكثير مـــن الامراض والعلل ، اذ استطيع ان ازعجك ، بجعلك مضطرا للقيام بعــدة رحلات الى الحمام كل ليلة ، او بوسعي قتلك بواسطــة تسمم البــول ! واذا عشت انت لفترة كافية فسوف اصبح انا مكانا خصبا لنمو السرطان ، يفوق في اهميته الكثير من الاماكن الاخرى •

غير انه من حسن الحظ ان لدي بعض النقاط الحسنة • فانا اقدم مساهمة كبرى في تحقيق حياة جنسية طبيعية لك • والى حد بعيد ، فــان وجود الجنس البشري ذاته يعتمد علي • انا غدة البروستات المستودع الرئيسي لتخزين السائل المنوي وبدوني فان احتمالات حدوث الحمل تهبط الى الصفر تقريبا !

وعند كل عملية قذف ، توفر خصيتاك نحـــو المئتــي مليون مــن خلايا السبرمات ، التي هي على درجة من الصغر بحيث يكــاد العدد كلــه يغطي رأس دبوس • ومهمتي هي انتاج سائل يعمل على انقاص عددها ، وتحويل آلاف منها الى واحدة • وهو سائل خاص فعلا ، يتكــون مــن : البروتينــات ، والانزيم ، والدهنيات ، والسكر لتغذية السبرمات الهشة ، والسمة القلويــة للتغلب علــى الحموضة القاتلة في مجرى الانثى التناسلي ، كما يحتوي على وسط مائــي حيث تستطيع السبرمات ان تسبح باتجاه بويضة الانثى •

وانا احتل مكانا في الجزء السفلي من بطنك ، عند عنق المثانة تماما • وحتى بلوغك سن الحلم ، كان حجمي لا يتعدى الثمرة الصغيرة • ومن ثــم ، مع بقية

اجراء أبسط سوف يحل المشكلة • وفي هذه الحالة يدخل الى الجسم آلة بحجم قلم الرصاص تقريبا ، عبر القناة البولية ، وتلحق بهذا الانبوب المضيء آلة للرؤية، ورأس قاطع كهربائي يستطيع الجراح بواسطته استئصال الانسجة المعوقة •

وثمة احتمال آخر ، وهو تجميد الانسجة المعوقة بواسطةسائل النيتروجين• وفيما بعد تموت الانسجة المتجلدة وتنسلخ ويتم التخلص منها مع البول • وتجزع انت من هذه الاجراءات ، معتقدا بانها تعني نهاية رجولتك ، والامر ليس كذلك ؛ فأربعة رجال من اصل خمسة يبقون مقتدرين جنسيا بعد العمليات الجراحية على البروستات •

الاصابـة بالسرطان

والتضخم غير الخبيث ليس اكثر مشاكاسي خطورة ، في حين ان السرطـان يمكن ان تكون مزعجة بنوع خاص ، اذ لا تعطي اي تحذير مبكر ، ففي الوقت الذي يلجأ ١٩ رجلا من اصل عشرين الى الطبيب ، يكون الاوان قد فات بالنسبة للشفاء الذي توفره الجراحة • كما ان المرض ليس بالمرض النادر • اذ في الوقت الذي تبلغ فيه سن الخمسين ، تكون معرضا للاصابة بسرطان غـدة البروستات، بنسبة ٥٪ • وعند سن السبعين ترتفع النسبة الى ٥٠ ٪ •

غير ان هذه الارقام ليست مدعاة للرعب كما تبدو • فأصابتي بالسرطان هي قبل كل شيء من النوع الذي ينمو عادة ببطء ونادرا ما تكون من النوع المتفجر الذي يستطيع ان يميت خلال اسابيع او اشهر • وهكذا فان امامك فرصة ممتازة للذهاب الى القبر بسرطان نشط ولكن غير قتال ، بدلا من ان تموت نتيجة مرض قلبي او تصلب الشرايين او السكري او اي شيء آخر !

نقطة اخرى : حتى عندما تكون اصابتي بالسرطان قد جاوزت المعالجة عـن طريق الجراحة ، فان هناك علاجات غير جراحية تستطيع ان تنقـذ الحياة في كثير من الاحيان • ويبدو انه يزداد نموا بعامل الاثارة الـذي يوفره هرمون الجنس الذكري • وبمجرد ازالة عامل الاثارة هذا ــ عن طريق عملية الخصي او المعالجة بهرمونات الجنس الانثوية ــ كثيرا ما يحدث ان يزول الالم ، وتعـود الحيوية ، ويصبح بالامكان القيام بالمهام العادية • والاشعاع يقلص السرطان لـدي كذلك

تماما . فأنا اغدو اكبر حجما ، وقد اصبح في حالات نادرة بحجم « الكريب فروت » او الليمون الهندي . ويمكن لهذا التضخم ان يكون سرطانيا او تورم غير خبيث ، هذا وان كان من النادر ان يكون غير خبيث .

وحتى الان لا زال الحظ يواكبك : فلا زلت انا بحجمي الطبيعي . لكن لا بد ان ينفذ المقدر سريعا ... ويبدأ التضخم البطيء . وعندما تصل الى سن الخمسين يكون هناك احتمال قدره ٢٠٪ بأنه سيكون لديك غدة بروستات متضخمة ، وفي سن السبعين تصل الاحتمالات الى ٥٠٪ وفي سن الثمانين الى ٨٠٪ .

لا تخف على فحولتك ورجولتك !

فما الذي يتسبب في التضخم ؟ ليس لدي ادنى فكرة . ولكن يبدو انه مرتبط بشكل ما بهرمونات الجنس ، اذ من النادر اصابة الخصيان بتضخم البروستات .

ان تضخم البروستات لديك لا يعني في حد ذاته وبالضرورة اية مشاكل خطيرة ، لكن في حال تضخمي الى حد كاف لاحداث ضغط على مجراك البولي ، فان السائل البولي سوف يأخذ في التناقص من حيث الحجم والقوة ، واذا حدثت التهابات فسوف يظهر احساس بالحريق كذلك ، مع اعراض اخرى مثل : التبول باستمرار ، والاحساس الدقيق وغير المريح بأن المثانة لم تفرغ تماما .

وعندما تحدث هذه الامور انصحك بالتوجه الى الطبيب فوراه والاحتمالات قليلة من واحد الى عشرين بأن تكون في حاجة الى اجراء عملية جراحية لاستئصالي . وسيحاول الطبيب معرفة ما اذا كان هناك عدوى او التهابات ، ومن المؤكد انه سوف ينصح بتجنب تعاطي المشروبات الروحية والتوابل والقهوة والشاي . فجميع هذه الاشياء تنقل مواد مثيرة الى البول ، وتستطيع هذه الاثارة ان تسد المجرى البولي الذي يعاني المشكلة اصلا .

وفي حالة حدوث انسداد ، تكون هناك حالة طوارىء فعلية ، والمشكلة الاولى هي فتح انبوب البول وافراغ المثانة . ويتم ذلك بواسطة تمرير انبوب خلال المجرى البولي الى المثانة ، ثم يكون امام الجراح عدة احتمالات : فهو يستطيع استئصالي بواسطة عملية جراحية اذا كنت كبيرة جدا . او لعله يقرر ان

أهم الأخبار والآراء

مطالب الصحافة بين اللجنــة الوزارية والنقابة
نص المذكرة بشان متاعب المهنة ومتطلباتها

عقد في وزارة الاعلام ، اجتماع بين اللجنة الوزارية المكلفــة درس مطالب الصحافة ، وبين ممثلي النقابة ، استمر نحو ساعتين ، درست فيه مذكرة النقابة ، التى ناقش الوزراء بنودها ، فاقروا بحث معظمها ، عــلى ان يتموا درسها فــي جلسة اتية .

وقد مثل الحكومة وزير الاعلام الاستاذ خاتشيك بابكيان ، ووزير العدل الاستاذ بشير الاعور ووزير المال الاستاذ فؤاد نقاع ومدير الاعلام العام الاستاذ رامز الخازن ومثل الصحافة النقيب الاستاذ رياض طــه ونائب النقيب الاستــاذ روبير ابيلا وامين الصندوق الاستاذ جورج عميرة .



هذا وكان نقيب الصحافة قد وضع مذكرة محددة في المطالب اعتبرت اساسا للبحث وجدولا للاعمال . وفي ما يلي نص المذكرة :

تعاني الصحافة اللبنانية ازمة مادية خانقة ستؤدي الى كارثة محتمة ، اذا لم تسارع الدولة الى انصاف الصحافة وتحقيق مطالبها .

وهو يتلاءم تماما مع المعالجة الهرمونية •

ولكن ، بالرغم من كل هذه المهارة الطبيعية ، فان اربعة آلاف شخص يموتون سنويا في بريطانيا ، نتيجة اصابة البروستات بالسرطان • فماذا تستطيع ان تفعل لكي تتجنب ان تصبح واحدا منهم ؟ من حسن الحظ ان هناك مجالا واسعا • فعندما يجري الطبيب فحصا جسديا ، فانه يطلب منك ان تجري اختبار بمصل حامض الفوسفات • والانزيم الذي يكشف عنه هذا الاختبار يكون في العادة منحصرا بغدة البروستات ، فاذا كان موجودا في الدم بكمية كبيرة ، فالافتراض هو ان الكيس الذي يغلف اجزائي الثلاثة يكون قد خرق ، وان الانزيم لدي يكون قد تسرب الى مجرى دمائك الامر الذي يشير الى حدوث الاصابة بالسرطان •

الجزء السفلي من المستقيم

والشيء الذي يأتي في الدرجة الاولى من الاهمية هو ان الاطباء يعتقدون بضرورة اجراء كشف مرة او مرتين سنويا على الجزء السفلي من المعي (المستقيم) الكبير ، ولا يستغرق الامر اكثر من دقيقة ، وهو يكاد يكون الطريقة الوحيدة لاكتشاف سرطان البروستات في مرحلة مبكرة تفيد معها الجراحة • واذا اكتشفت اصبع الطبيب جزءا نافرا وقاسيا بحجم الزر في انسجتي الملساء والطرية عادة : فهو يعتبر الامر اصابة بالسرطان الى ان يثبت العكس (في ثلاث مرات من اصل خمس تكون هذه الازرار سرطانا) • وللتأكد من ذلك يحصل الجراح على عينة من انسجة الزر ، وذلك باحداث شق في جسمك او بسحب بعض الانسجة بواسطة ابرة مجوفة • واذا كنت مصابة بالسرطان فعندئذ ينبغي استئصالي كليا •

فهل هناك شيء اخر تستطيع القيام به لتجنب التعاسة التي باستطاعتي ان اسببها لك ؟ لسوء الحظ كلا • ولذلك قد يكون من المفيد ان اكرر ما فعلته سابقا وهو :

يتوجب عليك مقابلة الطبيب كلما ظهرت اعراضي الكلاسيكية : الحاجة الى التبول باستمرار ، الاحساس بالحرقة ، وجريان البول بصورة ضعيفة • وبالطبع يجب ان تخضع نفسك لذلك الكشف البالغ الاهمية على الجزء السفلي من المعي الكبير ، مرة في السنة على الاقل ، ويستحسن ان يحدث ذلك مرتين •

عاجات صندوق التقاعد •

موارد جديدة :

اذا اقتنعت الدولة بوجوب مساعدة الصحف، لتأمين اكتفائها المادي وتقدمها التقني ، فان بوسعها ان تؤمن لها موارد جديدة معقولة منها :

أ ـ وضع تشريع بالزام كل مصرف عامل في لبنان ، وكل شركة مساهمة كبيرة ، بنشر الموازنة السنوية في عشر صحف على الاقل •

ب ـ الزام مصرف لبنان بنشر بيانه نصف الشهري ، في جميع الصحف اللبنانية لقاء اجر حسب التعرفة الرسمية •

ان تعميم بيان المصرف يؤدي الى تعزيز الثقة بالوضع المالي وبالنقد اللبناني، وان اجرة نشره مهما بلغت ، تبقى زهيدة بالنسبة الى الفائدة التي يجنيها المصرف والوضع المالي ، فضلا عن مساهمة ذلك في مساعدة الصحف •

وبعد ، فان الدولة تحمي الصناعة وتشجعها وتمنحها قروض التسليف وتخصها بتعرفة مخفضة لاسعار الكهرباء • وقد دخلت الصحافة مرحلة التصنيع دون ان تلقى اي حماية او تشجيع او عون •

ثم ان الصحافة تجارة ومهنة حرة • ولكن التاجر او الطبيب او المهندس يستطيع ان يخفض نفقاته تبعا لدخله ، بينما لا تستطيع الصحيفة ان تستغني عن المحررين والعمال والتجهيزات ، مهما بلغت خسارتها •

والصحافة اداة خدمة عامة ، ولكن الدولة تنفق الملايين على الاذاعة مثلا ، وتدع الصحف رازحة تحت اعباء العجز المادي •

هذه مذكرة عاجلة ، تصلح اساسا لبحث مطالب الصحافة ، من اجل حل ازمتها وتفادي كارثة صحفية خطيرة •

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

حبذا لو ان حضرة النقيب يقول : الصحف الدورية او الموقوتة بدلا من الاسبوعية لان المجلات الشهرية الثقافية السياسية مهضومة وفي ازمة صارخة دائمة مع انها تخدم لبنان والعرب والثقافة والادب اكثر من غيرها •

ان الصحافة ــ باعتراف الانظمة المرعية ــ ليست صناعــة وليست تجارة وليست مهنة حرة ، بل هي تمثل مزيجا من هذا كله معدا للخدمة العامة •

ان الدول العربية كلها تقدم للصحف المساعدات الماديــة مثلما تمول سائر اجهزة الاعلام • كذلك فان الدول الاجنبية تقدم للصحافة معونات مالية مباشرة وغير مباشرة لتأمين اكتفائها وتقدمها (ان فرنسا ، مثلا ، تهب الصحافة مساعدات واعفاءات ضريبية تزيد عن مليار ونصف مليار فرنــك سنويــا • فضلا عــن ان المساعدات البريدية والبرقية التي تزيد عن ثلاثمائة مليون فرنك • بالاضافة الى مساهمتها في دفع ثمن الورق والالات ، التي تزيد عن ٢٢ مليون فرنك) •

قروض التسليف : ان المؤسسات الصناعية والفندقيــة والزراعية ومشاريع البناء تستفيد من قروض التسليف الطويل الامد القليل الفائدة • وان من حــق الصحف ان تستفيد ، هي كذلك ، من التسليف على ان تقيم تراخيص الصحف كممتلكات صالحة للرهن ، مــا دامت المحاكم درجت علــى تثمين الامتيازات الصحفية وحجزها •

كذلك فان ادارات الدولة تصدر مجلات تكلف الخزينة مبالغ طائلــة دون ان تجد قراء لها • مع انها تستطيع ان تنشر المواد التي تراها في الصحف بموجب التعرفة الرسمية •

تقاعد اصحاب الصحف : ان قانون تقاعد واسعاف الصحافيين رقم ٦٥ ــ ٦٥ قد انشىء من اجل تأمين ضمانات اجتماعية لاصحاب الصحف والمحررين عــلى السواء •

ولما كان المحررون رغبوا العودة الى الضمان الاجتماعي ، فان ذلك القانون بات يشكو فراغا ونقصا • ولذا قدمت نقابة الصحافة مشروع قانــون تقاعــد اصحاب الصحف ، من اجل تأمين ضمان صحــي وتقاعــد لاصحاب الصحف • وهذا المشروع موضع درس لدى اللجان المختصة في المجلس النيابي ، فالمرجو ان تبادر الحكومة الى الموافقة عليه •

واذا تعذر على الدولة ان تقدم مساعدة كافيــة لصندوق تقاعــد اصحاب الصحف ، فان اتمام بناء دار الصحافة سيضمن ريعا سنويــا للنقابة يكفــي لسد

محاضرة سعيد فريحة عن الصحافة

بدلا من صندوق لتقاعد الصحافيين مكافاة على عدد السنين

الصحافي لا يتقاعد وقلمـه لا يشيخ

★ ★ ★

بدعوة من مجلس كلية الجامعة الاميركية القى الزميل الاستاذ سعيد فريحة صاحب « الصياد والانوار والشبكة » محاضرة عن الصحافة استوحاها من خبرته وحياته الصحفية منذ ٤٥ سنة . وقال انه لم يتعلم في مدرسة ومع ذلـك يحاضر باكبر جامعة وانه امضى الثلث الاول من عمله مخبـرا ومحررا ومراسلا وبـدأ الصحافة من اول السلم وما يزال يتسلق درجاتها بكثير من الحـذر وكثير مـن الاقتناع بان الوصول الى رأس السلم ممكن بالسياسة وليس بالصحافة وسلـم الصحافة طويل لا ينتهي وكلما تسلقنا منه درجة ارتفعت درجات .. وانه سقطت في الغرب كبريات من الصحف وكان سائدا انها اقوى مـن جبـل الجليد وفات الغرباء عن الصحافة ان طريقها كله جليد وجبـال جليـد .. وقال : ان اكثـر الصحافة من جنودها العمر لا نصفه ولا ثلاثة ارباعه بل كله مـن غير هدنة ولا تقاعد لذلك استغرب السعي لايجاد صندوق لتقاعد الصحافيين بدلا مـن ايجاد صندوق مكافأة على عدد السنين .. وان الاقلام في الصحافة لا تتقاعد فقد ظـل اللورد بيفر بروك صاحب اكبر امبراطورية صحفية في الغـرب يشرف ويوجـه ويسدد الخطى حتى اخر ايام شيخوخته . وصاحب مجلة « باري ماتش » الذي تجاوز الثمانين ولا يزال يشرف ويوجه ويسهر حتى الواحدة صباحا .. وتهـون الاعمار ومعها الجهد والعرق في سبيل صنع صحافة جيدة لا تتهاون مـع الظلـم والفساد ولا تتوانى عن تأدية واجباتها .

العرفان : ولكن الحكومة اللبنانية لا تكافيء واذا كافـأت فغير المستحقين وهي لا تقدر ولا تناصر المجاهدين الصابرين في خدمـة لبنـان والثقافة والادب والتفكير ، ولذلك فنحن نصر دائما على اقرار قانون تقاعد واسعاف الصحافيين .

سفر فخامة الرئيس سليمان فرنجية الــى القاهرة في زيارة رسمية لجمهورية مصر العربية الشقيقة

فخامته يدلي بتصريح قبيل مغادرته المطار يعلن فيــه تفاؤله بهذه الزيارة ويعرب عن ثقته باصالة الشعب المصري وبحكمة قادته وعلى راسهم سيادة الرئيس انور السادات

فخامته يقول : ان زيارتي اليوم لمصر هي تعبير عن شعور المحبة التي تربطنا بذلك البلد العربي العريق



ودع لبنان مجلسا وحكومة وشعبا فخامة الرئيس سليمان فرنجية والسيدة عقيلته لدى مغادرته بيروت متوجها الى جمهورية مصر العربيـــة في زيارة رسمية تلبية لدعوة من سيادة الرئيس انور السادات استمرت اربعة ايام •

ورافق فخامته في هذه الزيارة وفد رسمي يضم وزيـــر الخارجية والمغتربين الاستاذ خليل ابو حمد والمدير الـعام لرئاسة الجمهورية الدكـــتور بطرس ديب ومدير المراسم في القصر الجمهوري السفير روبير خلاط وانضم الى الوفد سفير لبنان في القاهرة الاستاذ محمد صبرا •

وقد استقبل وودع في مصر من قبل الحكومـــة والشعب بالحفاوة البالغـة وصدر بيان مشترك في بيروت والقاهـــرة ان المباحثات بـــين الرئيسين فرنجيـــة والسادات كانت ناجحة •

الحفلات والمآدب الكثيرة . ثم ودع بمجالي التكريم .

زيارة رئيس التشاد تومبالباي الـى لبنان

وصل في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة ٢٣ شباط ١٩٧٣ الى مطار بيروت الدولي رئيس دولة تشاد الافريقية السيد فرنسوا تومبالباي في زيارة



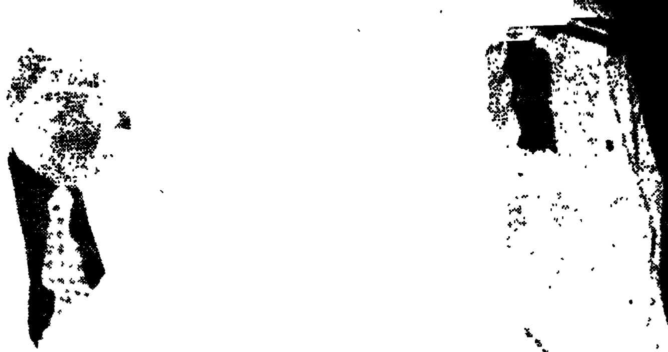
رسمية الى لبنان ، تلبية لدعوة من الرئيس فرنجية ، استمرت حتى ٢٦ شباط الماضي ورافقه وفد رسمي .

وقد كان فخامة الرئيس سليمان فرنجية في طليعة مستقبليه في مطار بيروت الدولي يحيط به اركان الدولة .

واجرى الرئيس التشادي مباحثات مع الرئيس اللبناني تناولت العلاقات الثنائية بين البلدين وقضية الشرق الادنى . كما قام بزيارة عدة اماكن سياحية . واخذ من البرنامج الموضوع للزيارة ان الرئيس التشادي استقبل اعضاء غرفة التجارة فيما يبدو انه اشارة الى امكان تنشيط التبادل التجاري بين البلدين .

العرفان : تتمنى للرئيس التشادي الذي قام بتعريب التدريس في بلاده كل توفيق ونجاح .

زيارة فخامة الرئيس سليمان فرنجيـة للمملكة العربية السعودية



انني واثق ان هذه الزيارة ستسهم في تحقيق الاهداف الـتي نسعى اليهـا لخدمة لبنان والمملكة السعودية والـدول العربيـة الشقيقـة كافـة وتعكس سياسة الانفتاح التي تتبعها وتشد اواصر علاقاتـنا الاخويـة باشقائنا العرب . وتقوي صداقاتنا الدولية •

وبعد استراحة قصيرة غادر فخامته قاعة التشريفات متوجهـا نحو الطائـرة يرافقه الرئيسان الاسعد وسلام وقائد الجيش واركان الدولة •

وفيما كان فخامته يصافح كبار مودعيه كانت المدفعية تطلق ٢١ طلقـه تحية ووداعا لفخامته .•

وعند الساعة الثامنة من يوم ٣ ــ ٣ ــ ١٩٧٣ اقلعت الطائرة الخاصة التي اقلت فخامته والوفد الرسمي المرافق متوجهة الى المملكة العربية السعودية •

تصريح السفير السعودي في بيروت عـن العلاقات السعودية ــ اللبنانية

اصدق دليل على قوة ومتانة العلاقات اللبنانية ــ السعودية انـه لا توجد اية مشاكل او قضايا معلقة بينهما

وقد استقبل فخامة الرئيس في السعوديـة اروع استقـبال واقيمت لـه

بحريته ، وبحرية صحافته .

وادلى وزير الاعلام الاستاذ خاتشيك بابكيان بالتصريح التالي :

نحن بالواقع لقاؤنا مستمر مع الصحافة ، لاننا جميعا في خدمة قضية واحدة هي قضية لبنان ، والصحافة وجه من وجوه لبنان ، وفيها تتمثل كل فضائل ومسائل المجتمع اللبناني ، من حرية ومسؤولية . واقول ذلك ، لان الصحافة تمثل سلطة في هذا البلد ، ويسرني ان اقول رغم ما يعتري احيانا هذا الميدان من شوائب ان الصحافة اللبنانية ترفع من شأن البلد في الاندية الدولية ، وهذا ما لاحظته مثلا في لقائي الاخير في القاهرة مع زملائي وزراء الاعلام العرب .

ورد نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه بالكلمة التالية :

لقد تفضل دولة الرئيس صائب سلام فتكلم باسمنا جميعا عن حقوق الصحافة وواجباتها ، واننا جميعا لنشكر لدولته كلمته الطيبة التي اعترف بها بان للصحافة حقوقا ، وان لها مطالب تنظر اليها الدولة بجدية وعطف واستعداد التنفيذ .

كذلك فاننا نشكر معالي وزير الاعلام الذي تفضل هو ايضا فاعطى الصحافة حقها المعنوي والذي يرئس اللجنة الوزارية التي كلفها مجلس الوزراء درس مطالب الصحافة .

ولا ننسى ان نشكر ايضا سعادة مدير عام وزارة الاعلام الاستاذ رامز خازن لتعاونه الصادق مع الصحافة .

مظاهرات شعبية في بغداد ابتهاجا بالاتفاق بين العراق والاي بي سي

انطلقت مظاهرات شعبية في حماسة عارمة منذ اللحظات الاولى بعد اعلان الرئيس احمد حسن البكر تفصيلات الاتفاق الذي تم التوصل اليه مع شركات النفط الاجنبية وقبلت بموجبه هذه الشركات اجراءات التأميم التي اتخذها العراق ضد شركة نفط العراق قبل تسعة اشهر .

لقاء رئيس الحكومة باعضاء مجلس الصحافـة
سلام : حرية الصحافة تمثل حرية لبنان
رياض طه : الحرية مـن طلائع فضائل العهد



اجتمع رئيس الحكومة السيد صائب سلام باعضاء مجلس نقابـة الصحافة في منزل النقيب الاستاذ رياض طه بحضور وزير الاعلام الاستاذ خاتشيك بابكيان والمدير العام للوزارة الاستاذ رامز خازن • وقد جرى في هـذا الاجتماع حوار حول حقوق الصحافة وواجباتها ، ثم تناول الحاضرون الغداء الى مائـدة النقيب طه • وادى اللقاء الى تفاهم حول مطالب الصحافة الحيوية وحول ضرورة التزام الصحف بالروح البناءة في نقل الانباء والتعليقات •

وفي نهاية الاجتماع ادلى رئيس الحكومـة الاستاذ صائب سلام ووزير الاعلام الاستذا خاتشيك بابكيان بالتصريحين التاليين :

انا سعيد ، كما اكون دائما ، عندما التقي باصدقائنا الصحافيين ، ولا بـد من كلمة شكر صادقة لنقيب الصحافة الاستاذ رياض طه الذي يهيىء لـنا هـذه الاجتماعات ، لانه بالاضافة الى ما فيها من متعـة الالتقاء بالاصدقاء ، وهي متعة حقة ، فيها ما نتبادله من آراء لما فيه مصلحة لبنان •

ولكن حيث نكون في الحكم او في خارجـه ، وفي الصحافـة دائما ، مع الحكم ، او مع من هو خارج الحكم ، غايتنا وهدفنا ان نخدم هـذا البلد الذي يرعانا ويرعى حريتنا • ومن ابرز ما يكون في حريتنا حرية الصحافة ، هذه الحرية التي نعتز بها ، ونفاخر العالم اجمع • وانا شخصيا لا ابيعهـا بالدنيا ومـا فيها ، فهي تمثل حرية لبنان التي بدونها ، لا يكون لبنـان • ولبنـان سيكون دائمـا

حققته حكومة الثورة من نصر كامل في معركة التأميم التي بدأت منذ تسعة اشهر •

واذاعت وكالة الانباء العراقية تصريحا للدكتور سعدون حمادي وزير النفط والمعادن الذي وقع الاتفاق مع شركات النفط اعرب فيـه عـن سروره وارتياحه العظيم لتوقيع الاتفاق وقال انه سيترك اثرا عظيما في العلاقات بين العراق وشركة نفط البصرة بما ينطوي عليه من عدالة وفائدة للطرفين •

كما احتفل العراق حكومة وشعبا بذكرى الثامن من اذار وكذلك تم الاتفاق بين العراق ولبنان على ضخ النفط •

الكويت تحتفل بعيدها القومي



تحتفل دولة الكويت الشقيقة هذه الايام بعيدها القومي •• وهذا بالنسبة للشعب الكويتي ليس مجرد احتفـال بذكرى قومية عزيزة على النفوس •• ولكنها فرصة للاحتفـال بالانجـازات الكبيرة التي تحققت خـلال السنوات القليلة الماضية على كافـة المستويات الداخلية والعربية والعالمية •• فعـلى المستـوى الداخلـي كانت ابـرز الانجازات زيادة الدخل المتحقق مـن البترول المصدر الرئيسي للدخل القومي •• واستغلال هذا الدخل في اقامة قاعدة اقتصادية سليمة وقويـة تعتمد علـى صناعة وطنية تتوافر لها مقومات النجاح والتقدم •• واقامـة قاعدة عريضة مـن الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية والثقافية والرياضية والاعلامية الميسرة لكل المواطنين •• وتحقيق الديمقراطية السليمة الـتي تضمـن للشعب مباشـرة سيادته في ارضه •• وعلى المستوى العربـي اسهمت الكويت بـدور بـارز في القضايا العربية المشتركة وفي مقدمتها قضية العدوان الاسرائيلي عـلى الـدول

وكان زخم الحياة قد استمر في العاصمة طوال الليل وسط استقبال شعبي منقطع النظير لبيان الرئيس البكر الذي شاركت في نقله محطات الاذاعة والتلفزيون ببغداد وكركوك والموصل والبصرة •

واعلن الرئيس البكر في بيانه الاتفاق مع شركات النفط الاجنبية على



تسوية جميع المسائل المعلقة معها بما يضمن سيادة العراق المطلقة على ثروته الوطنية ونفطه المؤمم واستجابة الشركات للمطالب العراقية بما فيها اعتراف الشركات بالقانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ الذي انتزع حوالي ٩٩ بالمئة من الاراضي التي كانت ضمن امتيازات شركة نفط العراق والقانون رقم ٦٩ لسنة ١٩٧٢ الذي صدر بموجبه قرار تأميم عمليات شركة نفط العراق •

وبرزت اول ردود الفعل على الصعيد الشعبي عندما بدأت الاذاعات ومحطات التلفزيون تذيع تعليقات قصيرة في الوقت الذي تحولت فيه البرامج المقررة الى اذاعة الاناشيد والاغاني الوطنية واخذ التلفزيون يعرض افلاما وثائقية عن الثروة البترولية وفي مقدمتها الاعلان التاريخي للرئيس البكر في الاول من حزيران الماضي بتأميم شركة نفط العراق •

وبلغت حماسة جماهير الشعب ذروتها بعد اعلان الرئيس البكر البيان التاريخي • فقد اندفع الالوف الى الشوارع تصاحبهم فرق الموسيقى الشعبية • وهي تهتف بحياة الرئيس البكر ومجلس قيادة الثورة وتعرب عن تأييدها لما

الاستاذ رامز خازن ، ومدير الوكالة الوطنية للانباء الاستاذ زهير السعداوي •

وقال الوزير بابكيان ، في تصريح عن المؤتمر ونتائجه :

هذا هو مؤتمر لوزراء الاعلام العرب في دورته التاسعة ، حضرناه بعد ان كانت اللجنة الدائمة للاعلام لدى امانة الجامعة العربية عملت طوال اسبوع بدراسة توصيات جمة في ميادين الاعلام كافة •

لا شك في ان مثل هذه اللقاءات لها قيمة كبيرة لان وحدة الاهداف الكبرى ووحدة القضايا العربية تفرض ولا شك على القيادات الاعلامية العربية ان تتبادل الاراء وان تتصل ببعض •

فهذه الدورة كانت بالاجماع ناجحة فوكلاء وزارات الاعلام والمديرون العامون المجتمعون في هذه اللجنة الدائمة كانوا قد وضعوا اسسا صالحة لتحرك اعلامي عربي موحد •

اما مجلس وزراء الاعلام العرب فقد استمر من يوم السبت حتى ظهيرة الاثنين ، وتوصل الى جملة توصيات في طليعتها طبعا شد روابط وحدة الهدف التي تربط اجهزة الاعلام العربية ومن ثم تحرك جديد باتجاه افريقيا ، وقد قرر ، وهذه هي النقطة الاساسية في هذه الدورة ، قرر المؤتمر ان يجعل من عام ١٩٧٣ عام التعاون العربي الافريقي • وكما هو معلوم ان ثمة اكثر من دولة افريقية قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل ، فمن هنا رأت اجهزة الاعلام العربية ان عليها واجبا كبيرا في توطيد اواصر الصداقة بين العرب ودول افريقيا •

وفي القريب العاجل سيأتي ولا شك هذا التحرك الاعلامي الجديد ثماره ونأمل ان نحصل على المزيد من النتائج عن طريق الزيارات المتبادلة ، وتبادل الخبرات ، وعقد اتحاد الاذاعات العربية اجتماعا وبحث هذا الامر مجددا بالنسبة الى جميع دول افريقيا •

وبالاجمال اعتقد ان المؤتمر كان ناجحا وقد حضرته ١٨ دولة عربية ممثلة كلها بكبار مسؤوليها في ميدان الاعلام •

وسئل الوزير بابكيان هل يمكن القيام بعمل اعلامي عربي ناجح مع

العربية وحقوق الشعب الفلسطيني وقضايا تنميــة المجتمع العربــي وتطويره •• وعلى المستوى العالمي اتجهت جهود الكويت الى اقامة سلام دولي قائــم عــلى العدل •• وتصفية الاستعمار وشجب النظم العنصرية •• وتأييد حركات التحرر في العالم ••

ويرجع الفضل في هذه الانجازات للسياسة الحكيمة التي وضعها سمو امير دولة الكويت الشيخ صباح السالم الصباح •• والتي تستهدف تحقيق الرفاهية لابناء الشعب الكويتي •• واقامة دولة حديثة تأخــذ باسباب الرقــي والتقــدم مستفيدة في ذلك باحدث انجازات العلــم والتكنولوجيا في مختلف المجالات •• ووضع الكويت في المكان اللائق بها على المستوى العربي والعالمي •• وتقوم كل اجهزة الدولة بدورها في تعاون وتنسيق كامل في اطار وزارة يقودها سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ••

الوزير بابكيان يتحدث عن مؤتمر وزراء الاعلام العرب بالقاهرة: في الجبهة الاعلامية الكلمة الاخيرة للحق وعلى الاعــلام اظهاره



تحدث وزير الاعلام الاستاذ خاتشيك بابكيان ، عــن نتائج مؤتمر وزراء الاعلام العرب في القاهرة ، وقال انها كانت مثمرة ، وقد تــم وضع اسس صالحة لتحرك اعلامي عربي جديد •

وقد ضم الوفد اللبناني الرسمي الى المؤتمر : المديــر العام لوزارة الاعلام

العربي في الوقت الحاضر افضل بكثير عما كان عليه في الماضي ولا سيما في المجال الدولي ذلك ان معظم الدول الغربية ادركت حقيقة اسرائيل وشاهدتها كما هي ..اة عنصرية توسعية ستؤثر حتما على مصالحها الكبرى في المنطقة العربية كما ان الدول الصديقة في آسيا وافريقيا قد اقتربت منا كثيرا وتفهمت حقائق الموقف العربي ووقفت بكل تأييد الى جانبنا بعد ان وقفت على حقيقة المطامع الاسرائيلية .

● التضامن العربي : يقول الشيخ زايد ان هذا الموضوع يتطلب منا ان نقف عنده بعض الوقت ذلك ان وحدة الصف العربي قاعدة اساسية في سلامة الكيان العربي .

سحر البيان



تميز حفل الاستقبال الذي اقامه الاستاذ اكرم زعيتر ، سفير المملكة الاردنية الهاشمية ، مساء يوم الثلاثاء ٢٠ شباط ١٩٧٣ ، تكريما للدكتور فؤاد صروف ، رئيس المجلس التنفيذي لمنظمة الاونيسكو لمناسبة تقليده وسام الاستقلال من المرتبة الاولى .

تميز هذا الحفل ، بالاضافة الى اناقته وروح الضيافة التي سادته وسخائه ، النخبة التي دعيت الى حضوره ورفعة موضوعه ، بسحر البيان وروعة الادب ، نفحة الخطابة الاخاذة ، وقد تجلت كلها في خطاب السفير الصديق وفي جواب المحتفى به الكريم .

منذ زمان لم يتح لنا ان نستمع الى مثل هذه الخطب .

في الماضي ، كان خطاب ، كالخطاب الذي القاه الاستاذ زعيتر ، يثير الدم

استمرار التردد والعجز على الصعيد العسكري فقال :

نحن بالواقع عندما افتتحنا الجلسة في اليوم الاول للمؤتمر ، القينا كلمة قلنا فيها ان المواجهة مع اسرائيل هي على جبهتين ، جبهة الحرب وجبهة الاعلام ، ونعتقد ان جبهة الاعلام لا تقل اهمية عن جبهة الحرب • لماذا ؟ لان في جبهة الحرب الكلمة الاخيرة هي للقوة العمياء وللبطش ، اما في جبهة الاعلام فالكلمة الاخيرة هي للحق ، لا تفرط به ، وعلى اجهزة الاعلام ان تظهر جميع اوجه هذا الحق في جميع الاندية ، ونحن نؤمن بان الرجولة ولا الاباء ، ولا الكرامة زالت في البشرية ، واذا تحركت الاجهزة الاعلامية تحركا صحيحا فلربما كان في ذلك سندا قويا للقضايا العربية ، هذا بمعزل عما يحصل في الجبهة على الصعيد العسكري •



الشيخ زايد يدعو لمواجهة اسرائيل بكل الامكانات والطاقات و [illegible]

اعلن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة اتحاد الامارات العربية في حديث لصحيفة « الاهرام » انه ليس هناك في الظروف الراهنة اهم من مجابهة الاخطار الصهيونية التي تتعاظم وتستهدفنا جميعا وتسعى لابتلاع الامة العربية وتلك هي قضية الساعة • وقال متسائلا « كيف نواجه الخطر ؟ » واجاب على ذلك بقوله : هناك امور يتعين علينا جميعا ان نلتزم بها ويترتب عليها نجاح كل عمل عربي مهما يتطلب من تضحيات •

ثم تحدث عن القضايا التالية فقال :

● التحرك العربي : على الرغم من ان التحرك العربي لم تستغل طاقاته في قضيتنا الا انه قد احرز تقدما كبيرا ولا يستطيع احد ان ينكر ان هذا الموقف

السياحة في ابو ظبي

اصدرت مديرية الآثار والسياحة التابعة لوزارة الاعلام في حكومة ابو ظبي اخيرا كتابا جديدا بعنوان « السياحة في ابو ظبي » وقد توج الكتاب برسم الشيخ زايد بن سلطان امير دولة الامارات العربية وولي عهده ، وكتب المقدمة معالي الشيخ احمد بن حامد وزير الاعلام والسياحة فاشاد بمعالم النهضة التي يرعاها حاكم البلاد في جميع مجالات التقدم والعمران والسياحة . وجاء الكتاب تعريفا بمعالم ابو ظبي السياحية وبمدنها المأهولة والفنون الشعبية واماكنها الاثرية وما فيها من نشاطات اخرى في ميادين الزراعة والصناعة والمصارف ومكاتب طيران والسفر والفنادق ودور الملاهي الخ ..

اننا نهنيء مديرية الآثار والسياحة في ابو ظبي في شخص السيد محمد صالح بدوه الدرمكي مدير الآثار السياحية على هذا المجهود الجبار ونثني على توجيهات وكيل وزارة الاعلام السيد راشد العبد الله باشراف وزير الاعلام الشيخ احمد بن حامد ورعاية امير البلاد الشيخ زايد بن سلطان الذي يرعى كل حركة ترمي لتعريف بلاده وغيرها .

الرئيس فرنجية يرعى الاحتفال باليوبيل الفضي لجريدة « الانشاء » الطرابلسية

احتفل في طرابلس باليوبيل الفضي لجريدة « الانشاء » الطرابلسية لصاحبها السيد محمود الادهمي ، وذلك في فندق المنتزه في طرابلس وبرعاية الرئيس سليمان فرنجية الذي مثله في الاحتفال محافظ الشمال الشيخ قاسم العماد وقد حضر الاحتفال عدد من نواب منطقة الشمال ورجال الدين ونقيب الصحافة الاستاذ رياض طه وجمع من الرسميين والصحافيين .

وبدأ الاحتفال بكلمة القاها السيد عمر مسقاوي باسم لجنة تكريم المحتفى به حيث شكر الرئيس فرنجية على منحه الصحافي محمود الادهمي وساما .

وعقبه في الكلام النقيب عدنان الجسر ممثلا الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس فنوه بالقضايا التي دافعت وتدافع عنها جريدة « الانشاء » .

في الاوساط الادبية ، دم الحرارة والنشاط والجدل ، فيناقشه الناس ، ويقبلون على قراءته مرة بعد مرة ، ويحللون عناصره ، ويخضعونه لنقد ادبي دقيق ، وينوهون بضروب الجمالات التي فيه ، ويبقى حديث القوم اياما واسابيع ، على غرار المعلقات والقصائد المجلية في سوق عكاظ .

العرفان : لا يعرف الفضل الا ذووه .

الغلاء . الغلاء . الغلاء !!

والماء ، الماء ، الماء

هنالك تعليقات كثيرة على الغلاء هذا بعضها :

قال النائب نديم نعيم : « يقولون ان الغلاء دليل البحبوحة وميزة البلدان الغنية ولكن في البلاد الغنية مقابل الغلاء الدخل المرتفع لطبقات الشعب . وفي لبنان هذا المقابل غير موجود وما يهم الطبقة الوضيعة من الشعب ان تكون البنوك مكتظة بالليرات وان تكون جيوب الاقلية متخمة بالمال اذ ما ينفع اذا كانت كل المأكولات حوله وليس في وسعه ان يأكل » .

وقالت جريدة العمل : « ان مفارز مكافحة الاسعار بحاجة الى رقابة اخرى تتعقبهم في تنقلاتهم والرعابة الاخرى تحتاج هي ايضا الى رقابة ثالثة .. قالوا ان اكلاف البناء ترتفع لان اسعارها الاساسية قد ارتفعت من مصادرها .. ولكن الرمل ، اجل الرمل هل هو مادة مستوردة ؟ ولماذا يرتفع سعر الرمل ، أليس لان هناك احتكارا » .

وقال النائب الدكتور جبران طوق : « انني كرجل اقتصاد لا أؤمن بالاجازات المسبقة ولا بالكوتا التي وعد وزير الاقتصاد بالحد منها والواجب ان يقضي بالغائها وان قانون العرض والطلب هما الاساس في تحديد الاسعار ويجب تركهما ليلعبا دورهما بتخفيض الاسعار تلقائيا وتجب حماية الصناعة المحلية بطريقة سليمة » .

والماء كل سنة يعدون بحل ازمته ولكن هيهات ؟ انها تزداد مع الاسف ، ولا تحل . والان يقولون بانهم سيأخذون من مياه عين الدلبة لزيادة مياه بيروت ، فينتزع طعم مياه بيروت وتنقطع مياه عين الدلبة . اين المدبر ؟!

وفي الختام القى ممثل الرئيس فرنجية الشيخ قاسم العماد كلمة بهذه المناسبة نوه فيها بدور جريدة « الانشاء » في مختلف النواحي شاكرا تكريم الرئيس فرنجية لصاحب الجريدة المذكورة وعلق الوسام على صدر المحتفى به •

★ ★ ★

ضمان صحي خاص باصحاب الصحف المسجلين

اذاع النقيب رياض طه بيانا هذا نصه :

« لما كان الزملاء المحررون سيلتحقون بالضمان الاجتماعي بعد نشر القانون الذي اقره مجلس النواب اخيرا ، ولما كان قانون تقاعد الصحافيين واسعافهم ما زال نافذا ، وسيقتصر ـــ والحال هذه ـــ على اصحاب الصحف •

وفي انتظار الموافقة على مشروع تقاعد اصحاب الصحف ، قرر مجلس ادارة صندوق تقاعد اصحاب الصحف ان ينشىء ضمانا صحيا خاصا باصحاب الصحف المسجلين في الجدول النقابي •

كذلك قرر مجلس نقابة الصحافة تقديم المساعدة المالية اللازمة الى هذا الصندوق ، لكي يتمكن من القيام بواجبه •

وعلى هذا ، فاننا ندعو الزملاء اصحاب الصحف الصحافيين ، الى ارسال بيانات باسماء اعضاء اسرهم (الاصول والفروع) الذين هم على عاتقهم قانونا ، لكي نعد احصاء دقيقا شاملا للاشخاص المستفيدين من هذا الضمان الصحي الخاص •

وفي الوقت عينه ، ندعو شركات التأمين العامة في لبنان ان تقدم الينا عروضها ، لكي يتولى مجلس ادارة صندوق التقاعد والاسعاف للصحافيين اختيار العرض الافضل •

مع العلم ان هذا الضمان الصحي سيكون على غرار الضمان الصحي في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ، وسيعتمد الشروط التي يطبقها الضمان الصحي حاليا ، باستثناء شرط واحد ، وهو ان هذا التأمين الخاص سيضمن



وتلاه السيد قبلان انطون رئيس ديوان وزارة الاعلام الـذي القى كلمـة بالنيابة عن مدير عام وزارة الاعلام السيد رامز الخازن نـوه فيهـا بالصحافـة اللبنانية وبتاريخها .

ثم تكلم النقيب طه الذي نوه بدور الصحافة وبرسالتها في خدمـة الحرية والفكر في لبنان ، حيث وصفها بانها الجيش الاول في الدفاع عـن لبنان وختم النقيب طه كلمته بقوله : اننا كصحفيين نرفع الشكر الى الرئيس فرنجية الـذي شاء ان يكرم الصحافة بشخص السيد محمود الادهمي .

وتبعه في الكلام حفيد شاعر الفيحاء سابا زريق الذي الـقى قصيدة بهذه المناسبة تناول فيها رسالة الصحافة .

وتلاه نائب طرابلس الدكتور الحافظ الذي اشاد بمواقف المحتفى به وشكر الرئيس فرنجية على بادرته الكريمة .

ثم القى صاحب « الانشاء » كلمة حدد فيها الخط الـذي اتبعته صحيفته منذ نشأتها وشكر الرئيس فرنجية لتقليده وساما .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام •

وزير الثقافة والاعلام

العرفان : شكرا لوزارة الثقافة والاعلام بالاردن علـى اهتمامها بمؤلفـات الاديب الكبير الاستاذ روكس العزيزي وكلها تستحق الاهتمام والطبع •

اللياقـة والصداقـة

★ ★ ★

● اشرنا غير مرة الى انا لا تنشر ما ينشره غيرنا وخصوصا في الشعر لانـا نارقون به ، وفي كل عدد تنبه الى ذلك ، ولكن ! وآخر مـا وقـع ان الاستاذ ابراهيم بري ارسل لنا قصيدة نشرت في الورود ولم نكن قد اطلعنا على الورود فنشرناها ، فاذا بالزميل صاحب الورود يظن انا نقلناها عنه ولم نشر الـى ذلك ، ولم يزل الاصل الـذي ارسل الينا عـلى الآلـة الكاتبـة موجـودا عندنـا ، كما وقع لنا مرة ان الشيخ محمد يعقوب، ارسل لنا مقالا اخذ عـن مقال للسيد محمد باقر الصدر نشر في مجلة الايمان بالنجف وكتب لنا من العراق ان اديبا او اثنين يرسلان بنتاجهما لمجلات في العراق وللعرفان ان مثل هذا الامر يدعو الـى قطع علاقتنا مع مثل هؤلاء •

اليونسكو تقدر الشاعر عدنان مردم بـك

★ ★ ★

● ان الجمعية الاستشارية العالمة المنبثقة عـن اليونسكو لاسبوع الكتاب الصوفي العالمي ، والمنعقدة في عاصمة الارجنتين بونوسيرس بتاريخ ٢٣ تشريـن الثاني عام ١٩٧٢ قررت منح لقب برفوسور للشاعر عدنان مردم بك مـع منحه الجائزة الثالثة للاعمال الادبية الصوفية الكبيرة وذلـك علـى مسرحيته الشعرية رابعة العدوية التي صدرت عام ١٩٧٢ •

العرفان : شكرا لليونسكو وهذه الجمعية المنبثقة عنـه ، ففيها تعزية على الاقل حيث لا يقدر الانسان ولا يقيم تقييما صحيحا ولا يكرم في وطنه • وتهانينا للاستاذ عدنان بهذا التقدير الذي صادف اهله ومحله •

معالجة اصحاب الصحف وعائلاتهم ويسدد النفقات عنهم مئة في المئة من دون ان يكلفهم شيئا » .

العرفان : على ان لا يقف ذلك دون تصديق القانون برمته .

احياء ذكرى الشيخ ابراهيم المنذر



ادلى الدكتور كريم عزقول ، رئيس اللجنة التحضيرية لاحياء ذكرى الشيخ ابراهيم المنذر ، بالتصريح التالي :

لمناسبة قرب صدور المجموعة الاولى من شعر المرحوم الشيخ ابراهيم المنذر الصادرة عن مكتب الدراسات العلمية لمؤسسة الاستاذ منصور عازار تنادي فريق من المعجبين بالشيخ ابراهيم للعمل على احياء ذكراه احياء لا يكون تذكاريا عابرا فحسب ، بل يكون فعالا في آثاره من جهة ، وفي استكشاف قيمة مساهمته في النهضة الحديثة من جهة اخرى .

وزارة الثقافة والاعلام بالاردن
تقرر طبع قاموس العادات للعزيزي
كتاب الوزير للمدير العام للوزارة

اشير الى كتابكم رقم ت ف ــ ٢ ــ ٩ ــ ٧١ تاريخ ٢١ ــ ١ ــ ١٩٧٣ بشأن نشر « قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية » .

ارجو اتخاذ الترتيبات اللازمة مع مطبعة القوات المسلحة الاردنية لطبع القاموس المذكور من مخصصات دائرتكم ، على ان يتم ذلك باشراف مؤلفه . وسأقوم بالاتصال شخصيا ، مع مدير المطبعة لمنحكم جميع التسهيلات الممكنة من ناحية الطباعة وتكاليفها .



احتفلت سورية بذكرى الثامن من آذار

بمناسبة ذكرى الثامن من آذار احتفلت سورية حكومة وشعبا بهذه الذكرى ، وقد أقيم بهذه المناسبة مهرجان خطابي على مدرج الجامعة السورية ، تكلم فيه الاستاذ فايز اسماعيل وزير الدولة وكان خطابه رائعا حلل فيه انجازات العهد ، وكانت الكلمة الاخيرة للرئيس حافظ الاسد الذي اوضح سياسة سورية

نائب نقيب الصحافة الاستاذ روبير ابيــلا يسلم جائزة سعيد عقل للشاعــر نجيب جمال الدين



سلم نائب نقيب الصحافة الاستاذ روبير ابيلا ، في دار النقابة ، جائزة سعيد عقل عن شهر كانون الثاني ١٩٧٣ للشاعر نجيب جمال الدين على ديوانه «حرائق على الثلج » قصائد اجترحت التجديد دون ان تخرج على حيز الاصالة • وذلك بحضور منشىء الجائزة الاستاذ سعيد عقل وبعض الزملاء والادباء •

العرفان : شكرا للاستاذ سعيد حين يفكر بالاصالة •

فصاحة الوزير الارمني

● عندما وقف وزير الاعلام اللبناني خاتشيك بابكيــان ليخطب في مؤتمر الاعلام الذي انعقد داخل الجامعة العربية ، فوجيء أحد اعضاء الوفد السوري بفصاحة الوزير اللبناني رغم انه ارمني ، مما حمله على ان يقــول لزميله احـد اعضاء الوفد الجزائري :

ـ شايف هالعجيبة ! ارمني بيحكي عربي أحسن من ولاد العرب !

وسأله الجزائري : وليش مستغرب ؟•

قال السوري : مستغرب لانو تعودنا على خطباء عرب مــن لبنان بيحكوا ارمني !!

● قررت الهيئة الادارية لمجلس المتن الشمالي للثقافة في لبنان ان تمنح خلال سنة ١٩٧٣ خمس جوائز مالية لافضل خمس دراسات نقدية عن كل من اعضاء المجلس الراحلين : بشارة الخوري (الاخطل الصغير) رئيف خوري ، ميخائيل صوايا ، يوسف غصوب ، عبد الله حشيمة ، ضمن الشروط التالية :

١ ـ قيمة كل جائزة الف ليرة لبنانية •

٢ ـ الاشتراك بالمباراة محصور بالطلاب اللبنانيين من كليات الاداب في جامعات لبنان •

٣ ـ لا يجوز ان تقل الدراسة عن ثلاثين صفحة فولسكاب مطبوعة على الآلة الكاتبة كما لا يجوز ان يشترك الطالب الا بدراسة واحدة ويجوز له ان يضع دراسته باللغة التي يشاء •

٤ ـ تودع الدراسات مركز مجلس المتن الشمالي للثقافة : الزلقا ـ عمارة شلهوب لقاء ايصال يحمل تاريخ الايداع ويسجل في سجل معد لهذه الغاية •

٥ ـ آخر مهلة لقبول الدراسات هي الساعة الثانية عشرة من ١٤ تشرين الاول ١٩٧٣ •

٦ ـ لا تعاد الدراسات الى اصحابها • الدراسة الفائزة تصبح ملكا لمجلس المتن الشمالي للثقافة •

٧ ـ تصدر اللجنة الحاكمة المؤلفة من اعضاء الهيئة الادارية لمجلس المتن الشمالي للثقافة المجتمعة باكثريتها القانونية قرارها قبل ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٣ ويكون هذا القرار مبرما غير قابل لاي طريق من طرق المراجعة •

٨ ـ يحق للهيئة الحاكمة ان تحجب ايا من الجوائز الخمس وان تستعين بمن تشاء من ذوي الاختصاص عند الاقتضاء ويكون حكمها في مطلق الاحوال مبرما وغير قابل لاي طريق من طرق المراجعة •

٩ ـ تسلم الجوائز للفائزين في احتفال يقام في مركز المجلس خلال تشرين الثاني ١٩٧٣ •

الداخلية والخارجية ثم جرى الاستفتاء على الدستور في ١٢ آذر فحاز الموافقة .
وبمناسبة الحوادث الداخلية المؤلمة التي حدثت في سورية تقول انها لم تكن لمصلحة الاسلام والا كان يجب ان تكون قبل هـذا التاريخ لان الرئيس حافظ الاسد كان للان بعد الانقلابات افضل رئيس عرفته سورية ، على مـا في الحكم السوري وكل حكم عسكري من هنات .

● صدر الجزء الاول من ديوان العامة للفقيد الشيخ ابراهيم المنـذر وهو بعنوان « شعر : للشيخ ابراهيم المنذر » في منشورات مكتب الدراسات العلمية بيروت ويقع هذا الجزء في ٢٢٤ صفحة حجم كبير وقد قدم له الشاعر امين نخلة.

● قررت لجنة الدفاع عن الدستور والحريـات في جلسة عقدتها في مكتب رئيسها المحامي محسن سليم ببيروت تخصيص مبلغ الف لـيرة لبنانيـة لافضل دراسة علمية وادبية توضع عن الشاعر العربي الكبير الفقيد خليل مطران ، آخر مهلة لتقديم الدراسات ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ٩١٧٣ . وقـد جاء في قرار اللجنة ان خليل مطران لم يكن للبنان فحسب بل لجميع البلاد العربية والشرقية . في ما تركه خليل مطران من الشعر الجيد والادب الرفيع تمجيدا بالحرية ، مـا يصلح ان يقام له تمثال في قلب العاصمة اللبنانية اعترافا بفضله وتكريسا لذكراه التى هي تكريم للحرية التي عمل الفقيد الكبير طيلة حياته في سبيل الدفاع عنها . ولما تركه ايضا من اثار يعتز بها كل لبناني وكل عربي . ويشير القـرار الـى ان الدراسات يجب ان تقدم الى مكتب امين عام اللجنة المحامي انطوان خير اللـه : بيروت ــ ساحة النجمة ــ ملك عريضة . وسوف يعلن فيما بعد عن اسماء اللجنة التي سيعهد اليها حق اختيار الدراسة التي تستحق الجائزة المقررة .
العرفان : تثني على نشاطات الاستاذ محسن سليم في كافة المجالات .

● صدرت في بيروت جريدة « الرقيب » بحلة جديدة بعهدة ناشرها ورئيس تحريرها ومديرها العام فاضل سعيد عقل وهي تصدر اسبوعية في كل يوم سبت.

● عقدت في النادي الثقافي العربي ببيروت نـدوة حول مسرحية « وصلت للتسعة والتسعين » مع الفنان المسرحي شوشو ، فارس يواكيم ، محمـد سلمان وجمع من الممثلين وقد ادار الندوة وضاح الحلو .

اليهم الدعوة الفرنسي روجيه غارودي والمستشرق مكسيم رودنسون والمؤرخ البريطاني توينبي •

● حقق الباحث العراقي الدكتور صفاء خلوصي شرح ديوان المتنبي لابن جني وقد طبع الجزء الاول من التحقيق وقد كتب عنه الدكتور ابراهيم السامرائي نقدا مطولا في المجلد السابع عشر من مجلة معهد المخطوطات استغرق ٦٥ صفحة وقد صدر النقد في فصلة مستقلة بعد ذلك •

● صدر عن وزارة الاعلام العراقية : « بدائع الخط العربي » لناجي زين الدين المصرف و « من الادب البلغاري » ترجمة كمال بطي و « عبقري من البصرة » (الخليل بن احمد الفراهيدي) للدكتور مهدي المخزومي •

● القى الدكتور زكي الجابر اخر محاضراته في بغداد قبيل سفره لمواصلة دراسته العليا في الولايات المتحدة الامريكية في نادي الاعلام حول « التلفزيون في اسرائيل » وهي اول فقرات الموسم الثقافي لجمعية المترجمين العراقيين •

● اعد الوزير العراقي السابق الدكتور شفيق الكمالي مجموعته الشعرية الجديدة للطبع بعنوان « هموم مروان وحبيبته الفارعة » كما اعد الشاعر صادق الصائغ للطبع اول مجموعة شعرية له بعنوان « نفق الى الماضي •• » •

● في المركز العام لجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد اقيمت ندوة عن « الفن والرسم » اشترك فيها حافظ الدوري وفائق حسين واسماعيل الشيخلي ونزار سليم وسميرة الصراف ونزيهة رشيد • واقيمت ندوة قصصية اشترك فيها سعيد الحكيم وصاحب كمر • وحول « تأميم النفط » تكلم كل من الدكتور عبد العال الصكبان والدكتور فاضل الجلبي • وتحدثت صبيحة الشيخ احمد داود عن « تطور الحركة النسوية في العراق » •

● ارسى الملك فيصل عاهل السعودية حجر الاساس لاكبر مكتبة علمية اسلامية ستشيد في المدينة المنورة عاصمة الاسلام الاولى لتكون معقلا للنور والعرفان ، وستحمل المكتبة اسم الملك عبد العزيز • وفي كلمة القاها بالمناسبة وزير الحج والاوقاف قال مخاطبا الملك « لقد احييتم في المدينة جمودها ووصلتم ما انقطع من جهودها واعدتم اليها سيرتها وبعثتم فيها رسالتها بعد ان مضى عليها

● الفنان الحلبي عبد العزيز دايه اقام معرضا لرسومـه في المتحف الوطني بحلـب •

● عائشة دباغ المؤرخة والباحثة الحلبية صدر لها عن دار الفكر في بيروت كتاب بعنوان « الحركة الفكرية في حلب » • وكانت المؤلفة قـد نالت درجة الماجستير من الجامعة الامريكية في بيروت قبل حوالي عشرين عاما ، ثـم ادخلت عليه بعض التعديلات الهامة •

● اقيم المهرجان الادبي الاول للمركز الثقافي العربي بديـر الزور بمناسبة انتقاله الى مقره الجديد ، كما اقيم في قاعة حافظ الاسد في مبنـى المركز الجديد معرض الرسام عبد الجبار ناصيف ، ومعرض الكتاب الفراتي للمحامي عبد القادر عيـاش •

● « خواطر في الفكر والادب والجمال » عنـوان المحاضرة التـي القاهـا القانوني السوري محمد سيرجيه في نادي شباب العروبة بحلب •

● عثر في البصرة جنوب العراق على المدخل الرئيسي لمسجد البصرة الكبير الذي بني عام ١٤ هجرية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وظل قائما الى العصور العباسية المتأخرة • وقال الدكتور خالد الاعظمي استاذ التاريخ القديـم بجامعة البصرة ان المدخل يحتوي على زخارف محفورة بالحجـر تمتـد الـى العصـر السلجوقي امكن معرفتها من خلال عملية الزخرفة والخط الكوفي • وذكـر ان عمليات التنقيب كشفت جدارا متكاملا يتألف مـن دخلات وطلعات خماسية مـن الطابوق المنجور ظهر استعماله لاول مرة في بناء المساجد خلال تلك الفترة وحتى الوقت الحاضر •

● برعاية الرئيس العراقي احمد حسن البكر عقد في بغداد خلال الفترة من ٢٧ حتى ٣٠ اذار اول مؤتمر عالمي للتاريخ • ويهدف المؤتمر اطـلاع المفكريـن العالميين على اوضاعنا العربية وتبادل الرأي حولهـا وتمتين الصلات بينهـم وبين المؤرخين والباحثين العراقيين للاتصال باحدث الاراء والمفاهيـم في دراسة وبحث التاريخ وسيحضر المؤتمر عدد من ابرز المفكريـن والمؤرخين العالميـين المعروفين بمواقفهم العادلة من القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين ومـن الذين وجهت

حج العام الفائت فعبر عن اعجابه بالجهود المبذولة في سبيل خدمة ضيوف الرحمن. وقال سماحته لقد شرف الله جلالة الملك فيصل بخدمة الحرمين الشريفين فحمل جلالته هذه الامانة وقام بادائها على افضل وجه . واضاف سماحته لقد تشرفت بمقابلة جلالته اثناء وجودي في المملكة ايام موسم الحج فوجدته كما عهدته يحمل هموم امته ولا يتحدث الا عن افضل السبل لكشف الغمة التي رانت على الامة العربية والاسلامية نتيجة ابتعاد المسلمين عن مبادىء دينهم العظيم . وما زال جلالته يذكر بان لا نصر لهذه الامة الا برجوعها الى كتاب الله وسنة رسوله .

● تقوم مصلحة الاشغال العامة بدراسة مشاريع وزارة الاعلام السعودية في منطقة أبها والتي تشتمل على انشاءات مختلفة لاذاعة أبها ومحطة الارسال والاستقبال والمباني السكنية الخاصة بالمهندسين والعاملين فيها .

● نظم اول معرض فني متنقل في المملكة العربية السعودية يطوف منقولا في عشر سيارات كبيرة على عدد من مدن وقرى المنطقة الجنوبية منها مدينة أبها ومدينة خميس مشيط . وتقوم بتنفيذ هذه الفكرة مديرية التعليم في أبها ويهدف المعرض الى ابراز معالم النهضة الشاملة التي تعيشها المملكة في مختلف المجالات.

● استقبل الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف السعودية قاسم الخطاط رئيس بعثة المخطوطات العربية التابعة للجامعة العربية الذي قدم الى المملكة في زيارة رسمية . وقد بحث مع الوزير امكانية تصوير الوثائق والمخطوطات الموجودة في مكتبات المملكة للاستفادة منها في ادارة المخطوطات العربية فوافق الوزير على هذا الطلب واوعز بتسهيل مهمة مندوب الجامعة العربية.

● نقلت وكالة الانباء السعودية عن وكالة الانباء الاسلامية ما يفيد ان الامانة العامة الاسلامية للمؤتمر الاسلامي تنظم مسابقة لاحسن اربعة بحوث حول الاقتصاد الاسلامي وتنمية التبادل التجاري بين الدول الاسلامية والسبل المؤدية الى اقامة سوق اسلامية مشتركة . وقد خصصت الامانة للبحوث الفائزة جوائز تقديرية في حدود ثمانية الاف ريال . ويمكن الحصول على شروط المسابقة من الشعبة الاقتصادية بالامانة العامة الاسلامية (ص. ب ١٧٨ جدة) .

زمن طويل تحاصرها الرمال فتقطع عنها شرايين الاتصال ، وقلوب المسلمين بها معلقة » • واضاف وزير الاوقاف يقول « ان المتتبع لاحوال العالم الاسلامي يجد في هذه المكتبة التي تضم تراث الاسلام جمعا لشتات المسلمين فتجذب العلماء منهم لاجتلاء الصورة الحقيقية لما ينبغي ان يكون حالهم من العودة الى ربهم ، وستظل تجذبهم لانها تجمع التراث والاثار » •

● تقرر استضافة مؤتمر الجيولوجيا الثاني للبلدان العربية في مدينة الرياض الذي سيعقد خلال عام ١٩٧٤ وتشترك فيه جميع الدول العربية الاعضاء في مجلس الجامعة • وهو يهتم بشؤون الثروات المعدنية وتبادل المعلومات والخبرات لا سيما في ما تتشابه به طبيعة البلاد العربية •

● عين الشيخ ابراهيم العنقري وزير الاعلام السعودي عضوا في مجلس الامن الوطني الى جانب عمله كوزير للاعلام •

● علم ان الملك فيصل امر بدعم كل من جمعية النهضة الاسلامية في حلب وجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت بمبلغ قدره ثلاثمائة وخمسة وخمسون الف ريال سعودي لتمكين الجمعيتين من متابعة مسيرتهما الخيرية الاسلامية • ويأتي هذا الدعم في نطاق التبرعات التي يأمر بها الملك للجمعيات والمؤسسات التعليمية والخيرية والمساهمة في بناء مساجد الله ، في كل بقعة من العالم امتدادا لمسيرة التضامن الاسلامي الخيرة •

● في سلسلة المكتبة الصغيرة التي تصدر في الرياض باشراف الشاعر والاديب السعودي عبد العزيز الرفاعي صدر الكتاب ٧ وعنوانه « ابو دلف الخزرجي عبقري من ينبع » تأليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في ١١٢ صفحة كما صدر الكتاب ٨ بعنوان « قصائد من مقبل العيسى » في ٤٨ صفحة وهذه اول مجموعة شعرية تصدر للشاعر الدبلوماسي السعودي مقبل العيسى •

● تحدث سماحة السيد موسى الصدر رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في لبنان لمراسل وكالة الانباء السعودية في البحرين عن انطباعاته عن موسم

كتب وردت إليـنـا

١ ـ احياء الاراضي الموات تأليف الاستاذ محمود المظفر ، انه دراسة فقهية مقارنة بالقانون وهو كتاب نفيس ويكفي انه في احياء الارض •

٢ ـ الشخصية والصراع المأساوي تأليف الاستاذ عدنان بـن ذريل وهو دراسة نفسية في طلائع المسرح الشعري العربي ، وبحث فيه عن ثلاثة من شعراء المسرح الكبار احمد شوقي وعزيز اباظة وعدنان مردم بك • ومؤلف هذا الكتاب قدر من كتب في الادب المسرحي وله عدة مؤلفات قيمة في هذا الموضوع •

٣ ـ الموسوعة الموجزة : امامي الجزء الخامس منها اي الجزء الاول مـن المجلد الثاني من هذه الموسوعة التي ستؤلف ٢٨ جزءا او سبع مجلدات ويبـدو من مطالعتنا لهذا الجزء انها في مجملها سهلة المطالعة كثيرة الفائدة •

٤ ـ أضواء على الشعر الحديث تأليف الاستاذ راجـي عشقوتي الاديب الشاعر الناقد ، وقد كتب عن الشعر الحديث بموضوعية وفهم ، وان لـــه اراء صائبة في تحليل الشعر وتقسيمه منذ اول القرن التاسع عشر لليوم •

نرجو مخلصين ان تسمح لنا الظروف للكتابة مفصلا عـن هذه الكتب او تتطوع من ادباء العرفان من يكتب عنهم •

جاءنا ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى : كل جهة تعني بالمخطوطات العربية •

تحية واكرام (وبعد)

نأمل ممن له معلومات عن كتاب باسم (مدينة العلـم) في الحديث تأليف ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي الرازي المعروف بـ (الشيخ الصدوق) المتوفي ٣٨١ هـ •

نرجو اعلامنا لغرض الانتفاع منه وفق الشروط المقبولة والمعقولة •

وختاما تقدم فائق الاحترام

العنوان ـ النجف الاشرف — محمد حسين الحسيني الجلالي

● اللجنة المشكلة بناء على امر وزير الحج والاوقاف السعودية السيد حسن محمد كتبي لدراسة المساجد المراد انشاؤها وترميمها في المملكة من المبالغ المعتمدة في ميزانية عام ٩٢ ــ ٩٣ هـ قد انتهت من تقديم توصياتها وقد اوصت ببناء ٨٢ مسجدا في المنطقة الوسطى والشرقية و٧٦ مسجدا في المنطقة الغربيـــة والجنوبية ومجموعها ١٥٨ مسجدا وقد تقررت التوصية بهذه المساجد بحسب اهميتها ومن واقع بيانات واستمارات لجان المساجد وتبلغ تكاليف انشاء هــذه المساجد ستة ملايين ريالا وقد اصدر الوزير تعليماته باعتمادها وتنفيذها .

بـــين لبنـــان والعراق

سررنا لاستيلاء لبنان على انابيب شركة ال : الاي. بي. سي نفط العراق ، وقد اصبحت من حقوقه . وهي خطوة جريئة يهنيء لبنان عليها .

كما تم الاتفاق بين لبنان والعراق كما تم قبلها الاتفاق بين سورية والعراق على ضخ نفط العراق في الاراضي السورية واللبنانية وقلنا انهـا خطوة جديدة عسى ان تكون موفقة لاتفاق العرب . ثـم فوجئنا بعــد ذلك بمنــع العــراق الاستيراد من لبنان . نرجو مخلصين ان تزول كل غمة وكل خلاف بين العرب .

في ذمة الله

انطـون قـازان
كلمة مشبعـة ثقافـة



مات المحامي والاديب المعروف انطـوان قازان من نزف داخلي فاجأه ، ولـم تستطع ان تنقذه منه الجراحة العاجلة التـي اجريت لـه ، على الاثر ، وكذلك مـن الغيبوبة التي دخلها منذ بدء النزف •

وهذه نبذة من حياته :

ـ ولد في ذوق مكايل سنة ١٩٢٧ •

ـ تلقى دروسه الابتدائية والثانوية فـي معهد عينطورة •

انطون قازان (١٩٢٧ ـ ١٩٧٣)

ـ نال شهادة الليسانس في الحقـوق من معهد الحقوق في بيروت •

ـ عمل في المحاماة ، فكان من ابرز المحامين واقدرهم •

ـ كتب الدراسات والمقالات الادبية واللغوية والقانونية في اعلى مستوى بديباجة مشرقة •

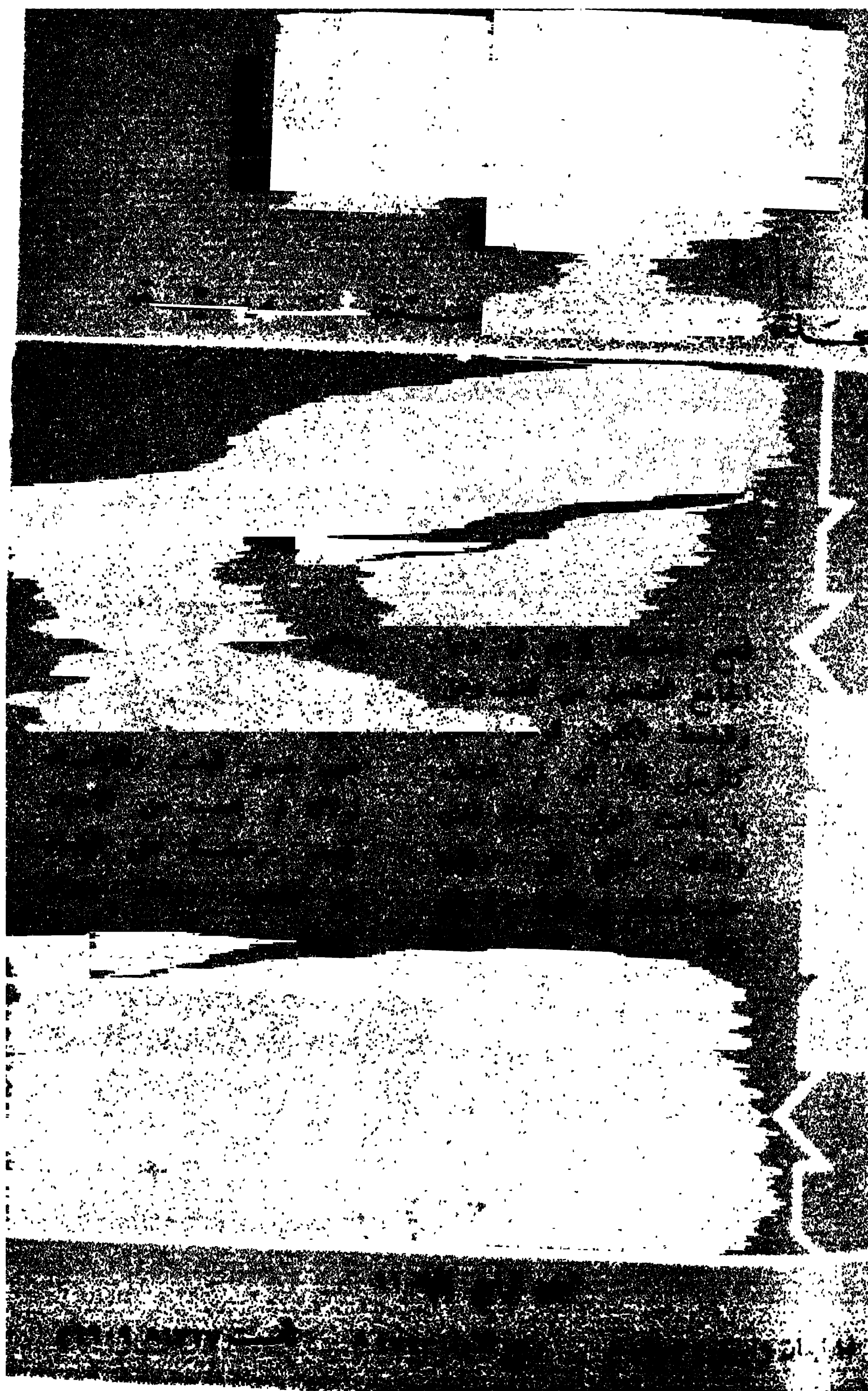
ـ ألقى محاضرات في القانون ، الادب والشؤون الوطنية •

ـ كان على ثقافة شاملة عربية وغربية وعالمية •

ـ نظم الشعر فاحتل مكانة مرموقة •

ـ رأس مجلس كسروان الثقافي •

ـ اهتم بالشأن العام ، فكان عضوا في مجالس كثيرة وفي الرابطة المارونية•



ـ اشترك في المهرجانات الخطابية والادبية مع ادباء وشعراء من العالم العربي •

حفلة في دكار لذكرى رشيد بيضون



● اقامت الجالية اللبنانية في دكار حفلة كبرى لاحياء الذكرى الاولى للمغفور له رشيد يوسف بيضون بحضور جمهور غفير من ابناء السنغال والمهاجرين •

وقد وجه الدعوة لاقامة هذه الذكرى المرجع الديني للجالية اللبنانية في السنغال الشيخ عبد المنعم الزين الذي استهل الحفل بكلمة قيمة ثم تعاقب على المنبر السادة الاب انطوان ابي يونس رئيس الارسالية المارونية هناك . والاستاذ اميل الكك المستشار الصحافي في السفارة اللبنانية ، والحاج ابراهيم جوب عضو المؤتمر الاسلامي الدائم في مكة المكرمة ، والاستاذ محمد مكي والسيد منير صالح • وكان عريف الاحتفال الاستاذ سميح بيطار • ويبدو في الصورة : الحاج ابراهيم قشاه . فضيلة الشيخ ابراهيم جوب ، لطفي هيدوس ، وهبي وهبي ، الحاج محمد قاووق ، ميشال معكرون ، السيد يوسف هاشم ، الاستاذ اميل الكك . سيادة الاب انطوان ابي يونس ، فضيلة الشيخ عبد المنعم الزين ، الاب لويس ابي يونس ، فريد عاصي ، الدكتور روكز •

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نـزار الزين

العرفان

مؤسسها
احمد عارف الزين

مجلة علمية ادبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ـ سنتها ١٠ اشهر بألف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الرابع مجلد ٦١ ، ١٥ نيسان ابريل ١٩٧٣ جمادى الاولى ١٣٩٣

العـرفـان

مجلة علمية ادبية ثقافية سياسية شهرية



قيمة اشتراكها : عشر ليرات لبنانية في لبنــان وسورية

ديناران كويتيان او ما يعادلهما في بقية البلاد العربية

عشرة دولارات او ما يعادلها في سائر الاقطار

الفا فرنك افريقي في السنغـال وشاطيء العـاج

مئة ليرة للبنانية للمؤسسـات الرسمية والبنوك والسفارات

وفي البريـد الجوي

واشتراك الانصار لا حـد لـه

عنوان مجلة العرفان :

صيدا ـ لبنـان ـ العرفان

بيروت ص. ب : ٣٩٧٨ : العرفان

بناية اللعازارية ـ الطابـق الخامس آ ـ ٤

تلفون : مكتب بيروت ٢٩٧٠١٧

مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

المخابرات الهاتفية علـى مكتب بيروت

المطبوعات المضمونة كتب او صحف على مكتب صيدا

الرسائل المضمونـة علـى مكتب صيـدا او بيروت

AL-IRFAN

Revue Artistique' - Scientifique et Politique

Propr. Réd. en chef, directeur : **NIZAR EL ZEIN**

B.P. : 3978 — Tél. : 297017

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

وكانت لنا وقفات وكتابات عدة مرات لا مرة واحـدة في البحث بحقـوق الصحافة ومطاليبها وحريتها ، لانا مهضومون اكثر من اي صحافي آخـر ، ولان لنا على الدولة حقوق لا تؤديها وعلى الشعب حقوق لا يؤديها ، وعلـى الاغنياء سواء كانوا من الجنوب او شيعة اطلاقا حقـوق وأي حـقوق يتجاهلونهـا ولا هنا وهناك عبثا • ولا يعني هذا انا تخلينا في يوم مـن الايام عن خدمة الـثقافة والعرب والمسلمين ، كذلك لم نعط حقنا ، بل أعطي للمنافقين والمشعوذين •

ونعود الى الصحافة فنقول : اما الحرية الصحفية والفكرية فانا في لبنـان نحسد عليها ، ولا شك بأنا في نعيم بالنسبة لغيرنا، ألا يرون كيف تصادر اعدادنا في بعض البلاد العربية دون مبرر او اي سبب ، الا يسمعـون وينظـرون كيف يقولون عند غيرنا للادباء والصحفيين :

يـا قـوم لا تتكلموا ان الكـلام محـرم.

فاذا نطقوا أسكتوا ، في أمكنـة ، واذا سكتوا حفظوا انفسهم في امنكـة اخرى ، ثم يقولون ويا بئس ما يقولون لانه كذب صراح ، حريـة لا وجود لها ، وحدة يدحضها الاساءة الى الشقيقات ، اشتراكية لم تغير ولم تبدل شيئا ، بـل افقرت الغني ولم تغن الفقير ، بل لم تزد قوته رغيفا ، نعود مرة ثانية الـى حرية الصحافة في لبنان ، فنقول رغم انا نحسد عليها فنطلب مـن الحكـام ان تتسع صدورهم قليلا وان يعلموا بان الحرية هي التي تميز لبنان عن غيره وهي الـتي تزيد حبنا له ، وان كنا يجب ان نعرف ونميز اين تبدأ الحرية واين تنتهي ، وان نكون لبنانيين قبل كل شيء ، نحافظ على لبنان ورقيه وسعادته ونهضتـه فـلا

ملاحظة

ضاق نطاق هذا العدد عن الكثير من المقالات والقصائد والاخبار الادبية والاجتماعية وعن الوفيات : الحاج محمد كردس ، الحاج احمد علي خليل ، الحاجة سنية الحر ، فالى العدد القادم .

بحيث لا يخرج المعنيون بأي قرار او اتفاق ويبقى كل شيء على ما هو عليه : تبقى الصحافة اللبنانية متروكة لمصيرها ، خاضعة لاقسى منافسة في العالم ، وافظع معاملة . ملزمة بلعب لعبة السوق التجارية كأي تجارة او سلعة ، دون أي تفهم من المجتمع لطبيعة اوضاعها المعقدة الاستثنائية . ودون أي استعداد جدي من الدولة للاشتراك في درس اوضاعها والمساعدة ، بالتالي ، على حل مشاكلها .

ولعل السبب الرئيسي للغموض بل الظلام المحيط بقضية الصحافة ، هو التهرب العام من مواجهة مشاكلها الرئيسية بصدق وصراحة واول هذه المشاكل هو المال والتمويل .

فالمجتمع اللبناني ، بشكل عام ، يريد صحافة تخدمه دون ان يكون على استعداد لتمويلها ، ودون ان يكون على استعداد لمنع تحول ملكية الصحف الى سواه .

ولقد كانت الدولة ، قبل حرب حزيران ٦٧ ، بدأت تتفهم واقع الصحافة ، فاقبلت على التعاون مع النقابة في سبيل « تنظيم » جديد يجعل « المهنة » على مستوى العصر . فبرز يومذاك مشروع ميشال اده المعروف بدمج الصحف ، وقبلته الجمعية العمومية لنقابة الصحافة بشكل اجماعي . وها قد مضت ست سنوات كاملة والمشروع مدفون مع ان هناك اتفاقا عاما على ان كثرة عدد الصحف تشكل عائقا رئيسيا دون اي تقدم .

واذا كان لا بد من نقطة انطلاق ، فلماذا لا تتسلح الدولة بالشجاعة وتتبنى مشروع الدمج او ما يشابهه ، ما دام الصحفيون قد قبلوا به ؟

اذا كان الجواب ان المشروع يكلف عشرة ملايين فالجواب على ذلك ان المبلغ سيزداد عاما بعد عام . ولا بد من يوم تكون فيه الدولة على استعداد لبعض التضحية بالمال في سبيل تنقية الجو ... ومبلغ العشرة ملايين يشكل ميزانية سنة واحدة فقط لوزارة الاعلام فيمكن تقسيط المبلغ على بضع سنوات ويحل الاشكال !

الاسراع في العمل ، اذن ، من وجهة نظر الدولة وحرصها على الاقتصاد

يجدر بصحافي لبناني لمصلحة ما ، ان يلجأ الى الطعن بلبنان والدعاية ضده ، لان مهمتنا التوجيه والارشاد ، أي التوجيه الصحيح الخالي من الغرض • علـى ان الاعتداء على الحريات حينما يأتي من الخارج فلا نادي بالويل والثبور ، ونوجه التهم لمن فعلوه ، اما القشة عندنا فنراها معولا هداما للحرية • نحن عرب ونطالب بالوحدة العربية قبل ان تنشأ جميع هذه الاحزاب التي تدعـي لنفسها لا الحفاظ على العروبة بل الوصاية عليها ، ولكن العروبة ليست بالاساءة الـى لبنان ، ي بطعن العروبة في الصميم ، ولا بانقسام العرب على بعضهم ، وتنابزهم بالالقاب : فهذا لا يفيد الا اسرائيل ، نعم انه ينفعها معنويا ، كما تفيدها اميركة ماديا ، وانه يضر بالعرب وبسمعتهم ومعنوياتهم وقضيتهم لا في اسرائيل واميركة فقط ، بـل في جميع الاوساط العالمية والدولية من صديقة وعدوة ، لان تفرقة الصف العربي في هذه الظروف الحرجة والاوقات الصعبة معناه خيانة ما بعدها خيانة ، حتى في مؤتمر ادباء العرب نختلف والادباء يجب ان يكونوا وجـه الامة المشرق ، فلماذا نحتج على اساءة معاملة الادباء والصحفيين في مصر ولا نحتج علـى غيرها حيث لو نطق الادباء والصحفيون لما اسكتوا فقط ، بل لدارت عليهم الدوائر •

نعود الى حقوق الصحافة ومطاليبها وانصافها ، فنقـول ان عتـب فخامـة الرئيس على الصحافة كان معقولا ومقبولا وصحيحا ، لـو ان الحكومة اللبنانية تؤدي حق الصحافة وتنصفها وتعززها •

وقد كتب زميلنا الاستاذ جبران حايك مقالا في رصيفتنا « لسان الحـال » ننقله للقراء لما فيه من صحة وواقعية وهذا هو المقال :

معضلة الصحافة ونقطة الانطلاق الـى حلها

قضية الصحافة مطروحة على بساط البحث العام • اثارها كبـار المسؤولين بتذمر وألم ، ويواجهها الصحفيون بقلق ، وتعقـد الاجتماعات لبحثها وتطـرح الآراء والنظريات حولها ، وآخرها ليلة امس محاضرة النقيب رياض طه في مجلس المتن الثقافي •

وليس هناك باب نور يلج منه الباحثون ، لان الاسطوانة تتكـرر في كـل

والادب والتاريخ والثقافة ولبنان والعــرب ، يخشى عليهـا مــن التوقف عــن الصدور ، اذا لم تتلق الدعم المادي والمعنوي ، ولكن اين مــن يسمع ؟ ومــن يقدر ، ومن يفرق بين الغث والسمين ؟! اللهم أهد قومي فانهم لا يبصرون .

كما ان تكريم الاديبة الفاضلة المنتجة السيدة اسمى طوبي بمناسبة منحهـا وسام قسطنطين المعظم جاء في محله ، لان السيدة اسمى مجاهدة بقلمها ولسانها وقلبها لا في سبيل قضية فلسطين فقط ، بل في سبيل المجتمـع الانساني عامـة . ومن احسن ما قرأنا لها مؤخرا من خواطرها مقال عن شباب ٧٣ نتقله للقراء لمـا فيه من فائدة قالت :

خواطر أسمى طوبي : شباب ٧٣

اعجب الكثيرون بالكلمة التي نشرتها « لسان الحال » عن البرنامج والواقع ان مؤلف التمثيلية الاستاذ انطوان غندور مفكر مهذب يعرض على الجمهور مـا وصلت اليه الحال عند شبابنا . والواقع ايضا ان البرنامج من اجمل البرامج ان لم يكن اجملها .

ويسألني اكثر من واحد : لماذا اشرح للشابات مضار الحريـة الشخصية لا للشباب مثلا ..؟ فأقول : وهل الرجل بحاجة الى هذه الحرية الـتي حصل عليها منذ بدء العالم ..؟

لقد اكل آدم التفاحة .. وعندما جاء الخالق الى جنة عـدن وسأله : هـل اكلت من الشجرة التي اوصيتك ان لا تأكل منها ..؟ فكان جدنا حاضر البديهـة سريع التخلص وكانت حواء هي المذنبة : وقد اجاب بمسكنة قال : « المرأة التي اعطيتني انت هي اطعمتني وانا اكلت » .. مسكين هو آدم انـه أكل فقط امـا الذنب فذنبها .

واتصورهما بعد ذلك خارج الفردوس .. آدم طويل القامـة كبير الجسم وهي نحيلته . .انثى ..

ويهاجمها حيوان فتصيح آدم آدم تعال الي .. ويركض ادم .. ويقطع عودا

بالمال ، يبقى افضل من التأجيل والمماطلة ، وانتظار معظم الصحف كي تسقط تحت وطأة الافلاس المادي •

وبعد ذلك ، بعد ان تستقيم السوق الصحفية ، ويصبح عدد الصحف محدودا ومعروفا ، يصار الى سن القوانين اللازمة ، على ضوء تجارب الامم الديموقراطية ، فتقدم الدولة للصحف المساعدات التي يجب تقديمها وتطلب منها في المقابل ، الخدمات العامة ، وتلزمها بالشروط التي تتطلبها المصلحة العامة •

اما اذا ظنت الدولة انها ستتمكن من « الاستيلاء » على الصحف ، برخص وسهولة ، كما استولت على التلفزيون ، فلتسمح لنا ان نصارحها ان هذه الخطة وخيمة العاقبة :

انها تؤدي اما الى تغلب الصحافة على الحكم واما الى تغلب الحكم على الصحافة • وفي الحالة الثانية تكون السلطة قد اضطرت للجوء الى وسائل غير ديموقراطية ليست في مصلحة النظام وديمومته •

المطلوب هو اقامة حوار « متكافىء » لا تنطلق الدولة فيه ، ضمنيا وباطنيا، من كونها سيدة متسلطة وآمرة ناهية • حوار يتجسد تعاونا عمليا ، مشروعا ، بالقوانين الجديدة • فيصار الى اتفاق المبالغ اللازمة ، بصورة علنية ، لا خوف فيها ولا تردد ، لحل احدى مشاكل المجتمع الكبرى •

وهو حوار يمكن الاسراع به متى تسلحت الدولة بالشجاعة الكافية لانفاق المال حيث يجب ان ينفق ، وفي الوقت المناسب ، وليس بعد فوات الاوان !

قارئي الكريم :

الحفاوة التامة بجريدة الهدى النيوركية اللبنانية ، بمناسبة يوبيلها الماسي ، كانت ضرورة ملحة ، وان كان ذلك قد أتى بعد فوات الاوان ، اذ ان الواجب كان يقضي ان يأتيها الدعم والحفاوة من قبل لتصمد وتبقى ولكن اين من يسمع؟!

وهذه ((**العرفان**)) التي مضى على تأسيسها ٦٤ سنة ميلادية و٦٦ سنة هجرية ، وهي لا تخدم الشيعة والجنوب والمسلمين فحسب ، بل تخدم العلم

ان نطلب من الاستاذ رياض وقد اصبح اعضاء النقابة ١٦ ان يفكر بتمثيل صحافة المحافظات وتمثيل الصحافة الثقافية السياسية الدورية الشهرية لا الاسبوعية فقط ، ثم تتمنى عليه ان يكون الاعضاء من الوجوه المشرقة مثله والقلوب المنفتحة المفعمة بالحب وخدمة الصحافة عامة ، لان الصحافة ليست السلطة الرابعة فقط ، بل انها الرقيب على جميع السلطات الباقية من تنفيذية وتشريعية وغير ذلك •

وانا لنعلم ان الاستاذ رياض يتابع المطالبة بحقوق الصحافة كاملة واذا كان للان لم يتوفق الى تحقيق الكثير منها ، فذلك من قصور الذين يراجعهم لا من تقصيره ، ولذلك فانا تتمنى عليه المزيد من المطالبة ، لانه من الواضح ان صاحب الحق في هذه الايام يجب ان يطالب بحقه بضراوة حتى ولو كان الحاكم عادلا ، فكيف اذا كان غير ذلك لا سمح الله •

قارئي الكريم :

المركز الطبي الشيعي وانشاء جامعة الذي بشر به المجلس اسلامي الشيعي الاعلى يستحق العناية والرعاية ، وليس بغريب تحقيق ذلك فان همة سماحة السيد موسى الصدر رئيس المجلس تذلل الصعاب وتحقق الرغاب ، وبعد عودة سماحته من اداء فريضة الحج ، وقيامه بجولة في الخليج العربي جرى له استقبال في المطار لم تشهد بيروت مثله ، حضروا مؤيدين وليقولوا لسماحة السيد : انا ننتظر منك تحقيق الكثير، ولقد حدثنا سماحته عن الشيعة في البحرين حديثا ادخل السرور على قلبنا واثلج صدورنا ، والى اللقاء في العدد القادم عزيزي القاريء •

ان كنت على خير الانام سائلا فخيرهم اكثرهم فضائلا

المتنبي

من شجرة ويضرب الحيوان فينقذها منه ويبتدىء التحكم .

ويظل الرجل على عرشه حاكما يأمره ودائما هي المذنبة . مـرة واحـدة في التاريخ قبل مجيء المسيح وجد حمورابي المشترع العادل ... واول ما كتبه في شريعته ووجد محفورا على اعمدة في العراق كان منه هذه الجملة :

« اذا اخطآ كلاهما .. فكلاهما يغرقان بالماء » .

انه انصاف لم تر المرأة مثله .. ولا اعلم هل عمل به .. وكم استمر .؟

الحرية الشخصية من الذي يدفع ثمنها هو أم هي ؟ وحتى في اواخر الـقرن العشرين هذا .. وفي ارقى مدن العالم تدفع هـي الثمن دائما .. وفي مقاطعـة واحدة هي مقاطعة كاليفورنيا في اميركا احصوا الف ام صغـيرة اعمارهن بين ١٣ و ١٤ عاما .. وكل واحدة تحمل طفلها علـى ذراعيهـا وتهيـم في الشوارع .. وتؤسس الحكومة الملاجيء لهذا الجيش من المخدوعات ولكنـه يظـل يتزايـد ويتزايـد .

تدفع هي كل هذا الثمن من دموعها .. وحنانها .. وضياعها في هذا العالم الواسع .

مهمته هو ان يغريها .. يا حبيبتي .. يا اعز من في الدنيـا علـى قلبي .. سنتزوج قريبا .. وكل ما املك هو لك ..

هذه وامثالها من المغريات يجب ان تصمد هي امامها والا كانت المذنبة وكان هـو البريء .

وتخدعها هي الحرية الشخصية .. وتحرك عواطفهـا ولا تتمالك نـفسها ثـم .. وثـم ..

ثم يمضي هو ليمثل الاسطورة من جديد !

قارئي العزيز :

بمناسبة انتخابات نقابة الصحافة التي باتت قريبة ، لا شك بـأن الزميـل العزيز الاستاذ رياض طه يحظى بتأييد الاغلبية الساحقة لا بتأييدنا فحسب ، على

الشعوب باتت تثق بحكامها .. ولا الحكام بالشعوب !

واصبح الوضع في دنيا العرب كالانسان الذي يخلق مشاكله بيديه ليشقى بعد ذلك بحلها ... وما يجري الآن بين العراق والكويت اكبر شاهد على هذا !

ارأيت الى الطفل كيف يلقي بدميته الى الارض لا لسبب سوى انها في يده ثم يبكي لها ان انكسرت او ضاعت وراء المنضدة ؟

ان اشد ما يروع في دنيا العرب هو رؤية الجهود الانسانية الخصبة تضيع في الهدم حتى كأن الحياة في الوطن العربي اضحت نوعا من العبث ..

ومن يدري ؟

فلعل الحياة في دنيانا اصبحت العبث بعينه الذي لا بد منه !

تبدو هذه الصورة للقارىء وكأنها قاتمة السواد .. ونحن نكره التشاؤم.. ونكره السواد ، وقد اضعنا النظارة السوداء ، ولكن على الانف لا امام القلب ، ولكن ما ان نرى الضحايا تتساقط وتتضرج بدمائها بايدي العرب حتى نردد :

ويمج احيانا دمـا فعلى　　　　منديلـه قطع مـن الكبد

غارات اسرائيل في العمق السوري واللبناني وما جرته وراءها ، وما كشفته، وما اخفته ، تدفع باسمكنا جلدا الى التجهم والالم ، وألـف اصبع تـدل عـلى اليأس ... فشبح الشقاء ، كالجزار العتيق ، ما رأى انسانا الا وتلمظت السكين في يـده !

على اننا من اولئك الذين يقولون ان الكأس ملأى الـى نصفها بـدل ان يقولوا انها فارغة الى النصف ... ومن اولئك الذين يرون ان نصف العمر نهارا لا ان نصفه ليل .. وان مع العسر يسرا ان مـع العسر يسرا . فحقيقة الابتسام واليسر والتفاؤل ليست اقل قوة في القلب من البكاء والعسر والتشاؤم !

لقد عودنا انفسنا على ان ننظر الى النصف المملوء مـن الكأس لا النصف الفارغ ، ونرى برغم زحف الاسنة العدوة ، وحمحمة الطغيـان الصهيوني ... والجهل المشعشش في رؤوس القادة المصنوعين في المخابر الالكترونية ... وبرغم

متى يرحل الجراد البشري من دنيا العرب

بقلم زهير مارديني

لو وجد للعرب (غرفة للتخطيط العلمي) تتناول بتجرد وموضوعية وحياد اوضاعهم السياسية ، وتقدم دراسة حقيقية عن ازمتهم مع انفسهم ، وازمتهم مع بعضهم ، وازمتهم مع الغير ، فماذا سيكون تقديرات هذه الغرفة ؟

ان (غرفة التخطيط) هذه مطالبة بان تجيب ، وبصراحة ٠٠ عن قصة العراق والكويت ، والمغرب وليبيا والعراق الجنوبي مع شماله ٠٠ والشمال السوداني مع جنوبه ، وحكاية بغداد مع بيروت ، ومسرحية اليمين واليسار والوسط ، ويسار اليمين ، ويسار اليسار ، ووسط الوسط ! ومأساة المقاومة مع العواصم العربية الثورية ، وبالعكس ٠٠

وبعد ان تفرغ (غرفة التخطيط) من هذه المهمة تنتقل الى الدراسة الثانية لتحدثنا عن علاقة القاهرة بموسكو ٠٠٠ وعلاقة موسكو بالعواصم الثورية ٠٠٠ ومن ثم علاقة موسكو بواشنطن .. وواشنطن بباقي العواصم العربية ، من صنعاء الى الخرطوم ، ومن طرابلس الى الخليج !

وبعد ان تنتهي (غرفة التخطيط) من كل هذا تعد لنا دراسة تلتزم من خلالها قواعد معينة في بناء تحليلاتها ٠٠٠ ليكون حكمها منطقيا ، ومقبولا وقابلا للتنفيذ !

من المؤكد ان هذه (الغرفة) لن تقوم في دنيا العرب لاسباب كثيرة ، ابرزها ان الحكام يكرهون الخوض في الارقام ، ويفضلون الاعتماد على الودع ، والرجم بالغيب ، واستلهام الجان ! يضاف الى هذا بان هناك عداء مستحكما بين معظم الحكام العرب والعقل ، ذلك لان العقل لا يؤمن بالهياج والصراخ وشق الجيوب والندب ، ولكنه يؤمن بالعمل الصامت المنتج الذي يعتمد على الارقام٠٠ ومن هنا كان الفراق الابدي بين معظم حكام الوطن العربي وشعوبهم ٠٠ فلا

الاسلام والانسان

بقلم: حافظ اديب الزين

نظرة الى بني الانسان في القرن العشرين ترينا مجتمعات بشرية تتفاوت تفاوتا شاسعا في تقدمها الاجتماعي او الاقتصادي او العلمي او الثقافي ويمكن الملاحظة بوضوح ان المجتمع (أي مجتمع عبر التاريخ وليس فقط في القرن العشرين) الذي يتميز حاكموه بالاخلاص في العمل والعدالة في الحكم ، ويتميز شعبه بالاحساس الكامل بالمسؤولية تجاه المجتمع ، وبالنشاط في العمل والاقبال على العلم ، بالاضافة الى النظام والتعاون ، وتتميز شريعته بحفظها لكرامة الانسان وحريته ، ومحوها لكل فارق بين افراد المجتمع غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم ، عاليهم في المكانة ودانيهم ... هكذا مجتمع يكتب له التقدم والازدهار والقوة .

هذا بالنسبة لبني الانسان ضمن المجتمع ؛ اما بالنسبة للانسان بحد ذاته ، وما يمثله من قيم وجودية ونفسية واخلاقية فما من اثنين يختلفان على ان الانسان الانسان ، هو من يكن في نفسه من المحبة لاخيه الانسان ما يجعله يمحو الانانية ونزعة الاستغلال منها ، ومن الطموح والشعور بالمسؤولية ما يجعله دائما تواقا الى الافضل والاكمل في عمله ومبادئه وعلمه ، ومن الخير ما يدفعه الى مساعدة أخيه الانسان دون ان يبغي من وراء ذلك جاها او تحقيق مأرب . هكذا انسان هو المثل الاعلى لكل بشري يريد ان يلعب دوره في هذه الحياة بكل احساس بالمسؤولية ، ضمن حدود المعطيات الانسانية التي وهبنا اياها الخالق .

تلك المبادىء التي ذكرنا وجوب توفرها في المجتمع ككل ، وفي الانسان مهما كان مركزه في المجتمع ، تلك المبادىء هي العقيدة التي تستحق ان يعتنقها مطلق انسان وتلك المبادىء بالذات هي مقومات العقيدة الاسلامية .

قد يقول قائل : ان ما ذكرته ليس سوى مبادىء عامة لا تحتاج الى سلطة روحية ماورائية كي تبدعها ، بل بامكان الانسان وحده ابداعها وتطبيقها ، والرد على ذلك القول سهل :

العصيات والمكورات والمعتقدات وما لسنا ندري من اصناف الجرثوم والمكروب، وبرغم الوان المصائب التي تلاحقنا ، وبرغم الموت الابيض البطيء ومنجله الحاصد في اكثر بقاع الارض العربية • برغم كل هذا مما يذكر وينشر ويذاع ، وما لا يذكر وينشر ويذاع •• فاننا وسنظل نرى من وراء ذلك كله : ان الشمس تشرق كل صباح بعد ان تمحوها العتمة ، وان الربيع يعاود الرابية بعد ان يعصف به لهب الصيف وصقيع الشتاء ، نظل نرى بعد ان شبع الحكام العرب من دماء شعوبهم وتقيأوا ••• وبعد ان كلت ايديهم من ضرب الابرياء وتشويه سمعة الاحرار •• نظل نرى عودة الى الضمير الغافي •• فبعد ان هدأ (الثوار) العرب نسبيا لانه لم يعد هناك شيئا يثورون من اجله ، ولا جلدا يسلخونه ، ولا رقبة يجزونها •• ولا انسانا يعذبونه لانه يرفض او يتمرد •• فبعد ان انتهى حصاد (الثوار) لا بد من رجوع المحراث الى الارض •• فبالرغم من السجون والمعتقلات والمحاكم اللاشرعية واللاقانونية ، التي تملأ دنيا العرب ، وبالرغم من اليأس القاتل الذي عشعش في الاعماق •• نظل نرى الزهرة تنمو والطفل يولد ، والفكر المبدع يتحفز ، والقلب يهفو للقلب •••

انها مجرد فترة زمنية اجتزناها واعطت اكلها ••• لقد اتى الجراد البشري على كل خير في دنيانا ولكن الجراد من عادته الرحيل بعد ان يدمر •• وهو الان وبعد فراغ الارض من شيء يقضمه سيغادر دنيانا مع قياداته التي جاء بها •

الفجر قادم •• فدنيا العرب عرفت مواسم الجراد ، وشاهدته يأكل ، وشاهدته يرحل ••• قد يتأخر رحيله لان الذي جاء بالجراد الى الارض لم يهيء له الطائرات لنقله •• فالجراد الذي ابتليت به الارض العربية لا يطير ، بل ينقل نقلا كما جاء نقلا !

وبعد رحيل الجراد سيعود الربيع ، وينبت الزهر •• وعندها سيكون بامكاننا ان نداوي جراحنا ونبني البيوت التي اكلها الجراد ، ولن نكون بحاجة الى غرفة عمليات تضع لنا برنامجا نسير عليه ، فستكون (غرفة العمليات) في كل شخص فينا ، في كل شاب ، في قلب كل صبية وطفل !



وكيف له ان يحيط بالآلاف من المسائل التي لم يكن لها وجود أيام الرسول ؟ وما رد الاسلام على العديد من النظريات العلمية التي تناقض بعضا من دعائم فلسفته كنظرية داروين والتحكم في جنس المولود وبعث الحياة في المختبر .. الخ ؟

بعض هذه التساؤلات نابع من تصور الاسلام على انه مجموعة من الاوامر والنواهي ينفذها المسلم كالآلة خوفا من عقاب الله وطمعا في ثوابه ، ومن يرى الاسلام من هذه الزاوية فهو مخطيء كل الخطأ .

الاسلام هو اسلوب حياة ، هو روح يتشربها الانسان وتنعكس في كل سكنة من سكناته وفي كل تصرفاته ومعاملاته . الاسلام يدعو الانسان لان يكون صريحا ، واقعيا وصادقا في تصرفاته وينهاه عن الرياء والمحاباة ، الاسلام يدعو الانسان لان يكون محبا لاخيه الانسان ، لا يحمل أي حقد او ضغينة عليه بل يسامحه اذا بدرت منه اذية ، ويهب لمعونته اذا اضطرته الحاجة . الاسلام يدعو الانسان مخلصا في ما يقول ويعمل ويسهر على مصلحة اخوانه كما يسهر على مصلحته هو . وينهى عن الاستغلال والانانية . الاسلام يدعو الانسان لان يعطي الدنيا حقها بأن يكون عضوا بناءا في المجتمع يتعاون مع اخوانه لرفع شأنه ودفعه في طريق التقدم والازدهار . واخيرا الاسلام يدعو الانسان ان لا يسكت على ظلم المعتدين وجور المستبدين وغدر الخائنين ، بل يقف في وجههم زاجرا بلسانه او مجابها بسلاحه ، كي يستقيموا عن شذوذهم ويكفوا الناس شرهم .

الاسلام يتوجه الى الانسان ذاته ، وليس الى مجتمع معين او شعب محدد ، الاسلام يخاطب عقل الانسان ، مطلق انسان ، يرشده الى اسلوب معين في الحياة والتفكير والتصرف ، ان اتبعه كان سيد نفسه وما استعصت عليه مسألة مستجدة . اما الشرائع الاسلامية الثابتة الاقتصادية والاجتماعية ، فانني اتحدى أيا كان ان يشير الى تشريعات انسانية أفضل منها ، اما من يهاجم تلك التشريعات متهما اياها بالتخلف عن روح العصر وهو يجهلها فتلك قمة الجهل ومثل هؤلاء يستحقون الرد .

في الواقع ، ان اي انسان في حال تخليه عن مؤثرات العاطفة والعصبية

١ ـ ان وضع بني الانسان لشريعة انسانية شاملة يدخل واقعيا في حيز المستحيلات ، فعشرات المناهج الفلسفية ـ الاجتماعية التي وضعها البشر عبر تاريخهم لم تتمكن من رسم الاطار الصحيح لتصرف الانسان كما رسمه الاسلام منذ اربعة عشر قرنا •

٢ ـ ان تطبيق المباديء التي ذكرنا هو « فرض عين » على كل مسلم ، يحاسب عليه تماما كالصلاة والصوم بل اكثر ، في حين انه ليس من شرع وضعه الانسان يصل بهذه المباديء الاجتماعية والانسانية التي لا بد منها ، الى درجة الفرض •

وقد يقول آخر : أين ذلك المجتمع الاسلامي الذي يطبق هذه المباديء ؟ واين الانسان المسلم الذي يعمل حقا وفق ما تقتضيه شريعته ؟

والجواب على ذلك أسهل :

أنتم أيها المسلمون سبب ضعف الاسلام • لقد تخاذلتم عن الذود عنه حين تكاتفت الشرائع المادية على هدمه مع انه كان مصدر قوتكم ، ودفنتموه في طي الذكريات حين بهرت أعينكم الحضارات الغربية وجرفتكم تياراتها في حين أنه وحده خشبة خلاصكم وطريق عزتكم وكرامتكم • متطلبات عصرنا الحالي تنحصر في العلم والعمل والاخلاص للوطن والتحرر الفكري للانسان وانعتاقه من قيود التقاليد البالية والخرافات ، وليس الاسلام هو الذي يلام على ضعف هذه المقومات في المجتمعات الاسلامية اسما التابعة للاستعمار فعلا ، المسؤولية تقع في الدرجة الاولى على عاتق من نصبهم الاستعمار حكاما علينا فسمحوا لجراثيمه ان تنخر في اجسامنا وتوهن من عقيدتنا • والمسؤولية تقع في الدرجة الثانية على آباء المسلمين وامهاتهم حين لا ينشئون ابناءهم على الايمان بالله والعمل بشرعه وحين لا يرضعونهم حب العلم والعمل مع الحليب كما أمر الاسلام ، وحين لا يعودوهم على الاخلاص والتعاون وحمل المسؤولية منذ الطفولة كما شرع الاسلام •

واخيرا قد يقول ثالث : كيف يمكن لدين أنزل لمجتمع قبلي بسيط كان سائدا منذ اربعة عشر قرنا ان ينطبق على مجتمع عصري بكل تعقيداته وتشعباته؟

تفسير جعفر الصادق للقرآن

الدكتور سليمان زيعور

ــ ٢ ــ

٢ ــ « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة » (٨) • قال جعفر : الشجرة الخبيثة الشهوات ، وارضها النفوس ، وماؤها الامل ، واوراقها الكسل ، وثمارها المعاصي ، وغايتها النار •

٣ ــ « وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره » (٩) • قال الصادق : سخر لكم السموات بالامطار ، والارض بالنبات ، والبحران سبيلا ومتجرا ، وسخر لكم الشمس والقمر يدوران عليك ، ويوصلان اليك منافع الثمار والزروع • وسخر قلب المؤمن لمحبته ومعرفته • وحظ الله من العباد القلوب لا غير ، لانه موضع نظره ومستودع اماناته ومعرفة اسراره •

٤ ــ عن جعفر بن محمد قال في قوله : « اجعل هذا البلد آمنا » (١٠) يعني افئدة العارفين : اجعلهم امناء سرك ، وآمنين من قطيعتك •

٥ ــ « واجنبني وبني ان نعبد الاصنام » (١١) • قال جعفر : لا تردني الى مشاهدتي الخلة ، ولا ترد اولادي الى مشاهدة النبوة •

٦ ــ قال جعفر : « اجعل افئدة من الناس تهوى اليهم » (١٢) ، لان افئدتهم تهوى اليك •

٧ ــ « هذا بلاغ للناس » (١٣) • قال جعفر : موعظة للخلق وانذار لهم ليجتنبوا قرناء السوء ، ومجالسة المخالفين • فان القلوب اذا تعودت مجالسة الاضداد تنعكس وتنتكس •

١٥ ــ آيات من سورة الحجر

١ ــ « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) • قال جعفر : « وانا له

العمياء ، يعمل (بضم الياء) عقله في العقائد المطروحة أمام ناظريه ، يظهر له الفرق الشاسع بين العقيدة الاسلامية وباقي العقائد ، ولا بد له ان يختار الاسلام، وتلك كانت النتيجة التي وصل اليها معظم من سلكوا طريق المقارنة •

الاسلام يهدف الى بناء الانسان المسؤول الذي يعي واجباته تجاه ربه ومجتمعه واخيه الانسان ، ويرى الحياة على انها حلبة للتباري في تأدية هذه الواجبات على أكمل وجه ، وهل لغير هذه النوعية من الانسان ان تبني من جديد المجتمع الانساني القائم على العدل والمساواة والمحبة والتعاون ؟ أوليست هذه النوعية من الانسان هي وحدها القادرة على النهوض بالمجتمع العربي والاسلامي الى مستوى القدرة على مجابهة المجتمع الصهيوني المزروع عنوة في كياننا والقادرة على طرد خطر الانحلال الذي يحاول المستعمر بثه في مجتمعنا وبين شباب أمتنا ؟

هل يعي حكامنا ومسؤولينا هذه الحقيقة ؟ وان كانوا لا يعونها (وهذا واقع الحال) فهل يعي المسلمون واجبهم في تنحية هؤلاء المتاجرين بدينهم المتمرغين بأعتاب الاستعمار شرقية وغربية ؟••• أم اننا نرفض الخروج من حالة اللاوعي ونصر على الانحدار اكثر نحو قعر الهاوية !!!•

أما الاجابة على المسائل العلمية التي يدعي البعض تناقضها مع مبادئ الاسلام فستأتي في مقال خاص في المستقبل القريب انشاء الله •

حافظ الزين

٢ ــ « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » (٢) . قــال جعفر : مــا عندكم ينفد يعني الافعال من الفرائض والنوافل ، وما عند الله باق من اوصافه ونعوته . لان الحدث يفنى والقديم يبقى .

٣ ــ « فلنحيينه حياة طيبة » (٣) . قال جعفر : الحياة الطيبة المعرفة بالله ، وصدق المقام مع الله ، وصدق الوقوف مع الله .

وقال جعفر : الحياة الطيبة ان يطيب له بان كل ذلك من الله واليه .

٤ ــ « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة » (٤) . قال جعفر : الدعاء بالحكمة ان يدعوه من الله الى الله بالله. والموعظة الحسنة ان يرى الخلق في أسر القدرة . فيشكر من اصاب ويعذر من أبى .

٥ ــ « واصبر وما صبرك الا بالله » (٥) . قال جعفر : امــر اللــه أنبياءه بالصبر. وجعل الحظ الاعلى منه للنبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل امر صبره بالله لا بنفسه .

١٧ ــ آيات من سورة الاسراء

قيل : جاء رجل الى جعفر بن محمد فقال : صف لي المعراج ! فقال : كيف اصف لك مقاما لم يسع فيه جبرئيل مع عظم محله ؟

١ ــ « وكفى بربك وكيلا » (١) . قال جعفر : كفى بربك وكيلا لمن توكل عليه وفوض امره اليه .

٢ ــ « ولقد كرمنا بني آدم » (٢) . قال جعفر : كرمنا بني آدم بالمعرفة .

٣ ــ عن جعفر بن محمد في قوله « ادخلني مدخــل صدق » (٣) قــال : ادخلني فيها على حد الرضا ، « واخرجني » عنها وانت عني راض .

وقال ايضا : واخرجني من القبر الى الوقوف بين يديك على طريق الصدق مع الصادقين .

---

(١) ــ سورة النحل ، ١٢ (١٦ : ١٢) ، (٢) ــ ١٦ : ٩٦ ، (٣) ــ ١٦ : ٩٧ ، (٤) ــ ١٦ : ١٢٥ ، (٥) ــ ج٦ : ١٢٧ .

لحافظون » على من اردنا به خيرا ، وذاهبون به عمن اردنا به شرا •

٢ ــ « اني خالق بشرا من صلصال » (٢) • قال جعفر : امتحنهم (الملائكه) ليحثهم على طلب الاستفهام فيزدادوا علما بعجائب قدرته ، وتتلاشى عندهم نفوسهم •

٣ ــ « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » (٣) • عن جعفر الصادق ، في قوله « عباد الرحمان » (٤) ، قال : جملة الخلق من جهة الخلقة ، لا من جهة المعرفة • و « عبادي » تخصيص في العبودية والمعرفة •

٤ ــ قال جعفر في قوله « لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون » (٥) قال : بحياتك، يا محمد ان الكل في سكرة الغفلة وحجاب البعد ، الا من كنت وسيلته ودليله الينا •

٥ ــ « ولقد آتيناك سبعا من المثاني » (٦) • عن جعفر في هذه الآية قال : اكرمناك وانزلنا اليك وارسلناك والهمناك وهديناك وسلطناك ، ثم اكرمناك بسبع كرامات : اولها الهدى ، والثاني النبوة ، والثالث الرحمة ، والرابع الشفقة ، والخامس المودة والالفة ، والسادس النعيم ، والسابع السكينة والقرآن العظيم وفيه اسم الله الاعظم •

١٦ ــ آيات من سورة النحل

١ ــ « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر » (١) • قال جعفر الصادق رضي الله عنه : سخر لك ما في السموات من الامطار ، وما في الارض من النبات ، وما في الليل والنهار من انواع الدواب ، وسخر لك الملائكة يسبحون لك ، وما في الارض من الانعام والبهايم والفلك والخلق • سخر لك الكل لئلا يشغلك عنه شيء ، وتكون مسخرا لمن سخر لك هذه الاشياء • فانه سخر لك كل شيء وسخر قلبك لمحبته ومعرفته وهو حظ العبد من ربه •

(٨) ــ ١٤ : ٢٦ ، (٩) ــ ١٤ : ٣٢ ، (١٠) ــ ١٤ : ٣٥ ، (١١) ــ نفسه ، (١٢) ــ ١٤ : ٣٧ (١٣) ــ ١٤ : ٥٢ .

(١) ــ سورة الحجر ، ٩ (١٥ : ٩) ، (٢) ــ ١٥ : ٢٨ ، (٣) ــ ١٥ : ٤٢ ، (٤) ــ الفرقان ، ٦٣ ، (٥) ــ ١٥ : ٧٢ ، (٦) ــ ١٥ : ٨٧ .

فيهم معاني الوحدانية والربانية •

وقال جعفر : لو اطلعت على ما بهم من اثار قدرتنا ورعايتنا لهم وتولية حياطتهم لوليت منهم فرارا ، اي ما قدرت على الثبات لمشاهدة ما بهم من هيبتنا • فيكون حقيقة الفرار منا لا منهم ، لان ما بدا عليهم منا •

وقال ايضا : لو اطلعت عليهم من حيث انت لفررت ، ولو اطلعت عليهم من حيث انا لوقفت • وذلك ان الولي له مع الله احوال لا يقدر على مشاهدته من نظر اليه من عند نفسه ، من ضعف البشرية يفر من رؤيته • وقد فر النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار •

٤ ـ « واذكر ربك اذا نسيت » (٥) • قال جعفر : اذا نسيت الاغيار فتقرب الـي بالاذكار •

٥ ـ « انا لا نضيع اجر من احسن عملا » (٦) • قال جعفر : ان الذين صدقوا الله في الارزاق والكفايات وطلبوا الرزق من وجهه الذي اباح الله طلبه ، فان الله لا يضيع سعيهم في طلب مرضاته ويسهل عليهم سبيل التوكل ليستغنوا بذلك عن الطلب والحركة ، ويخرجهم من ضيق الطلب الى فسحة التوكل •

٦ ـ قال جعفر الصادق : « الباقيات الصالحات » (٧) • هو تفريد التوحيد فانه باق ببقاء الموحد •

٧ ـ « قال انك لن تستطيع معي صبرا » (٨) • قال جعفر : لن تصبر مع من هو دونك فكيف تصبر مع من هو فوقك ؟

٨ ـ « وآتيناه من كل شيء سببا » (٩) • قال جعفر : ان الله تعالى جعل لكل شيء سببا وجعل الاسباب معاني الوجود • فمن شهد السبب انقطع عن المسبب ، ومن شهد صنع المسبب امتلأ قلبه من ريب الاسباب • واذا امتلأ قلبه من الريبة حال بينه وبين الملاحظة وحجبه عن المشاهدة •

٩ ـ « وكانوا لا يستطيعون سمعا » (١٠) • قال جعفر الصادق :

---

(٣) ـ ١٨ : ١٧ ، (٤) ـ ١٨ : ١٨ ، (٥) ـ ١٨ : ٢٤ ، (٦) ـ ١٨ : ٣٠ ، (٧) ـ ١٨ : ٤٦
(٨) ـ ١٨ : ٦٧ ، (٩) ـ ١ : ٨٤ •

وقال جعفر : طلب التولية ان يكون هو المتولي لـه ، اي ادخلني ميدان معرفتك واخرجني من مشاهدة المعرفة الى مشاهدة الذات •

٤ ــ « واجعل لي من لدنك سلطانا » • (٤) قال جعفر : قوة لي في الدين يوجب لي بها المحبة •

٥ ــ « ولقد آتينا موسى تسع آيات » (٥) قال جعفر : من الآيات التي خصه الله بها الاصطناع ، والقاء المحبة عليه ، والكلام والثبات في محل الخطاب، والحفظ في اليم ، واليد البيضاء واعطاء الالواح •

٦ ــ « وبالحق انزلناه وبالحق نزل » (٦) • قال جعفر : الحق انـزل على قلوب خواصه من مكنون فوايده ، وعجايب بره ، ولطايف صنعه ما نور بـه اسرارهم ، وطهر به قلوبهم ، وزين به خوارجهم • وبالحق نـزل عليهم هـذه اللطائف •

١٨ ــ آيات من سورة الكهف

١ ــ « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا » (١) • قال جعفر : اذ قاموا اي قاموا واخلصوا في دعائنا • وقال جعفر : قاموا الى الحق بالحق قيام ادب ، ونادوه نداء صدق ، واظهروا له صحة الفقر ، ولجأوا اليه احسن لجاء • وقالوا « ربنا رب السموات والارض » افتخارا به وتعظيما له ، فكافأهم الحق على قيامهم الاجابة عن ندائهم بأحسن جواب ، وألطف خطاب ، واظهر عليهم من الآيات ما تعجب منه الرسل حين قال : « لو أطلعت عليهم لوليت منهم فرارا » (٢) •

٢ ــ « ذات اليمين ••• ذات الشمال » (٣) • قال جعفر : يمين المـرء قلبه وشماله نفسه • والرعاية تدور عليها ولولا ذاك لهلك •

٣ ــ « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا » (٤) • قال جعفر : لـو اطلعت عليهم من حيث انت لوليت منهم فرارا، ولو اطلعت عليهم من حيث الحق لشاهدت

---

(١) ــ سورة الاسراء ، ٦٥ (١٧ : ٦٥) ، (٢) ١٧ : ٧٠ ، (٣) ــ ١٧ : ٨٠ ، (٤) نفسه ،
(١٥) ــ ١٧ : ١٠١ ، (٦) ــ ١٧ : ١٠٥ •
(١) ــ سورة الكهف ، ١٤ (١٨ : ١٤) •
(٢) ــ ١٨ : ١٨ •

يحمله الى حضرة المشاهدة على تجانب النور ، ليعرف اهل المشهد محله فيهم .

٦ ــ « الا اتى الرحمن عبدا » (٦) . عن جعفر بن محمد في قوله « الا اتى الرحمن عبدا » قال : فقيرا ذليلا باوصافه ، او عزيزا دالا باوصاف الحق .

٢٠ ــ آيات من سورة طــه

١ ــ « الا تذكرة لمن يخشى » (١) . قال جعفر : انزل الله القرآن موعظة للخائفين ، ورحمة للمؤمنين ، وأنسا للمحبين ، فقال : « ما انزلنــا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى » .

٢ ــ « فلما أتاها نودي يا موسى . اني انا ربك » (٢) . قال جعفر : قيل لموسى عليه السلام كيف عرفت ان النداء هو نداء الحق ؟ فقال : لانــه افنانــي وشملني ، وكأن كل شعرة مني كانت مخاطبا بنداء مــن جميع الجهات ، وكأنها تعبر من نفسها بجواب . فلما شملتني انوار الهيبة ، واحاطت بــي انوار العــزة والجبروت ، علمت اني مخاطب من جهة الحق . ولما كان اول الخطاب « اني » ، ثم بعده « انا » ، علمت انه ليس لاحد ان يخبر عن نفسه باللفظتين جميعا متتابعا الا الحق . فادهشت وهو كان محل الفناء . فقلت انت انت الذي لــم تزل ولا تزال ، ليس لموسى معك مقام ، ولا له جرأة الكلام الا ان تبقيه ببقائك ، وتنعته بنعتك ، فتكون انت المخاطب والمخاطب جميعا . فقال : لا يحمل خطابي غيري ، ولا يجيبني سواي ، وانا المتكلم وانا المكلم ، وانت في الوسط شبح يقع بــك محل الخطاب .

٣ ــ « فاخلع نعليك » (٣) . قال جعفر : اقطع عنك العلائق فانك باعيننا .

٤ ــ « ولي فيها مآرب اخرى » (٤) . قال جعفر : منافــع شتى ، واكبــر منفعة لي فيها خطابك اياي بقولك « وما تلك بيمينك يا موسى » (٥) .

٥ ــ « واحلل عقدة من لساني » (٦) . قال جعفر : لما كلم الله موسى عقد لسان موسى عن مكالمة غيره . فلما امره بالذهاب الى فرعون ناجاه بسره فــقال « واحلل عقدة من لساني » ، لاكون قايما بالامر على اتم مقام .

---

(٢) ــ ٢٠ : ١١ ثم ١٢ ، (٣) ــ ١٢ : ٢٢ ، (٤) ــ ٢٠ : ١٨ ،
(٥) ــ ٢٠ : ١٧ ، (٦) ــ ٢٠٠ : ٢٧ ، (٧) ــ ٢٠ : ٣٣ ، (٨) ــ ٢٠ : ٨٢ ، (٩) ٢٠ : ١١٥ .

لا يستطيعون سماع كلام الحق ، ولا سماع سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا سماع سير الهداة الصالحين من الانبياء والصديقين. لانهم لم يجعلوا من اهل القبول للحق فمنعوا عن سماع خطاب الحق •

١٠ ــ « ولا يشرك بعبادة ربه احدا » (١١) • قال جعفر : لا يرى في وقت وقوفه بين يدي ربه غيره ، ولا يكون في همه وهمته غيره •

١٩ ــ آيات من سورة مريم

١ ــ « واجعله رب رضيا » (١) • قال جعفر : رضيا اي راضيا بما يبدو له وعليــه •

٢ ــ « قال رب انى يكون لي غلام » (٢) • قال جعفــر : استقبل النعمــة بالشكر قبل حلولها « انى يكون لي غلام » وبأي بر ، واي عمــل ، واي طاعــة استوجب منك هذه الاجابة وهذا التفضل والكرم ، الا بسابــق تفضلك ونعمك على عبادك في جميع الاحوال • فاني ان ايست من عملي فلا آيس من فضلك •

٣ ــ « يا ليتني مت قبل هذا » (٣) • قال جعفر : لما لم تر في قومها موفقا ولا رشيدا ولا صاحب فراسة يبريها من قولهم ، قالت « يا ليتني مت قبــل » ان ارى في قومي ما ارى • وقال جعفر : « يا ليتني مت قبل » ان ار ى لقلبي متعلقا دون الله •

٤ ــ « وقربناه نجيا » (٤) • قال جعفر : للمقرب مــن اللــه تعالى ثــلاث علامات : اذا افاده الله علما رزقه العمل به ، واذا رفعه اللــه للعمل بــه اعطــاه الاخلاص في عمله ، واذا اقامه لصحبة المسلمين رزقه في قلبه حرمة لهم ويعلم ان حرمة المؤمنين من حرمة الله تعالى •

٥ ــ « يوم نحشر المتقين » (٥) • قال جعفر : المتقي الذي اتقى كــل شيء سوى الله ، والمتقي الذي اتقى متابعة هواه • فمن كان بهذا الوصف فان اللــه

---

(١٠) ــ ١٨ : ١٠١ ، (١١) ــ ١٨ : ١١٠ •

(١) ــ سورة مريم ، ٦ (١٩ : ٦) ، (٢) ــ ١٩ : ٦ ، (٢) ــ ١٩ :٨ (٣) ــ ١٩ : ٢٣ ، (٤) ــ ١٩ : ٥٢ ، (٥) ــ ١٩ : ٨٥ ، (٦) ــ ١٩ : ٩٣ •

(١) ــ سورة طه ، ٣ (٢٠ : ٣) •

وطال به الامر اتاه الشيطان فقال : ان اردت ان تتخلص من هذا البلاء فاسجد لي سجدة • فلما سمع ذلك قال مسني الشيطـان بنصب ، و « مسني الضر » حين طمع الشيطان في ان أسجد له •

وقال ايضا : لما تناهى ايوب في البلاء واستعذبه ، صار البلاء وطنا له • فلما اطمأنت اليه نفسه ، وسكن عند البلاء ، شكره الناس على صبره ومدحوه • فقال « مسني الضر » لفقد الصبر •

عن جعفر في قوله « مسني الضر » قال : حبس الوحي عنـه اربعون يوما ، فخشي الهجران من ربه والقطيعة ، فقال « مسني الضر » •

٢ ــ « وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فـردا » (٢) • قـال جعفـر : لا تجعلني ممن لا سبيل له الى مناجاتك ، والتزين بزينة خدمتك •

وقال جعفر : « فردا » عنك • لا يكون لي سبيل اليك •

٢٢ ــ آيات من سورة الحج

١ ــ « وترى الناس سكارى » • قال جعفر : اسكرهم مـا شهدوا مـن بساط العز ، وسلطان الجبروت ، وسرادق الكبرياء حتـى ألجأ النبيين الـى ان قالوا نفسي نفسي •

٢ ــ عن جعفر بن محمد في قوله « وطهر بيتي للطائفين » (٢) ، قال : طهر نفسك عن مخالطة المخالفين ، والاختلاط بغير الحـق • « والقائمين » مـع فؤاد العارفين ، المقيمين معه على بساط الانس والخدمة • « والركع السجود » : الأئمة السادة الذين رجعوا الى البداية عن تناهي النهاية •

٣ ــ « ليشهدوا منافع لهم » (٣) • قال جعفر : هو مـا يشهدونه في ذلك المشهد من بر الحق ، بان وفقهم لشهود ذلك المشهد العظيم • ثم منافعهم : ما وعد لهم عليه من الزيادات والبركات والاجابات •

٤ ــ عن جعفر بن محمد في قوله: « وبشر المخبتين » (٤)، قال : من اطاعني ثم خافني في طاعته ، وتواضع لاجلي ، وبشر من اضطرب قلبه شوقا الى لقائي ،

٦ ــ « كي نسبحك كثيرا » (٧) • قال جعفر : قيل لموسى استكثرت تسبيحك وتهليلك وتكبيرك ، ونسيت بدايات فضلنا عليك في حفظك في اليم ، وردك الى امك ، وتربيتك في حجر عدوك • واكثر من هذا كله خطابنا معك وكلامنا اياك • واكثر منه اخبارنا باصطناعنا لك •

٧ ــ قال جعفر : « واني غفار لمن تاب » (٨) لمن رجع الي في مهماته ، ولم يرجع الى غيري • « وآمن » وشاهدني ولم يشهد معي سواي • « وعمل صالحا » واخلص قلبه لي • « ثم اهتدى » ثم لم يخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم •

٨ ــ « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي » (٩) • قال جعفر : عهدنا الى آدم ان لا ينسانا في حال ، فنسينا واشتغل بالجنة • فابتلي بارتكاب النهي • وذاك انه ألهاه النعيم عن المنعم ، فوقع من النعمة بالبلية • فاخرج من النعيم والجنة ، ليعلم ان النعيم هو مجاورة المنعم لا الالتذاذ بالاكل والشرب •

٩ ثم ١٠ ــ « وعصى آدم ربه فغوى » (٩) • قال جعفر : طالع الجنان ونعيمها بعينه فنودي عليه الى يوم القيامة « وعصى آدم ربه » • ولو طالعها بقلبه لنودي عليه بالهجران ابد الابد • ثم عطف عليه ورحمه بقوله « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (١٠) •

١١ ــ « ومن اعرض عن ذكري » (١١) • قال جعفر في هذه الآية : لو عرفوني ما اعرضوا عني ، ومن اعرض عني رددته الى الاقبال على ما يليق به من الاجناس والاكوان •

٢١ ــ آيات من سورة الانبياء

١ ــ « وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين » (١) • قال جعفر : خرج منه هذا القول على المناجاة ، مستدعيا للجواب من الحق ، ليسكن اليه لا على حد الشكوى • وقال جعفر : لما سلط الله البلاء على ايوب

(٩) ــ ٢٠ ١٢١ ، (١٠) ــ ٢٠ : ١٢٢ ، (١١) ــ ٢٠ : ١٢٤ •
(١) ــ سورة الانبياء ، ٨٣ (٢٢ : ٨٣) ، (٢) ــ ٢١ : ٨٩ •
(٣) ــ سورة الحج ، ٢ (٢٢ : ٢) •

نور الابدية ، ثم نور السرمدية ، ثم نور الديمومية ، ثم نور الازلية ، ثم نور البقاء ، ثم نور الكلية ، ثم نور الهوية • ولكل واحد من هذه الانوار اهل وله حال ومحل ، وكلها من انوار الحق التي ذكر الله تعالى في قوله « الله نور السموات والارض » • ولكل عبد من عبيده مشرب من نور هذه الانوار ، وربما كان له حظ من نورين ومن ثلاثة • ولن تتم هذه الانوار لاحد الا للمصطفى صلوات الله عليه وسلامه ، لانه القائم مع الله تعالى بشرط تصحيح العبودية والمحبة • فهو نور وهو من ربه على نور •

عن جعفر بن محمد الصادق في هذه الآية قال : نور السموات بنور الكواكب والشمس والقمر • ونور الارضين بنور النبات الاحمر والابيض والاصفر ، وغير ذلك • ونور قلب المؤمن بنور الايمان والاسلام • ونور الطرق الى الله بنور ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم • فمن اجل ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم •

وقال ايضا في هذه الآية : نور السموات بأربع : بجبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام • ونور الارض بابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم اجمعين •

٣ ــ « لا شرقية ولا غربية » (٣) • قال جعفر في هذه الآية : لا خوف يوجب القنوط ، ولا رجاء يجلب الانبساط • فيكون واقفا بين الخوف والرجاء•

٤ ــ « رجال لا تلهيهم تجارة ••• » (٤) • قال جعفر : هم الرجال من بين الرجال على الحقيقة ، لان الله تعالى حفظ أسرارهم عن الرجوع الى ما سواه وملاحظات غيره • فلا تشغلهم تجارات الدنيا ونعيمها وزهرتها ، ولا الآخرة وثوابها عن الله تعالى • لانهم في بساتين الانس ، ورياض الذكر •

٥ ــ « والذين كفروا اعمالهم كسراب » (٥) • قال جعفر : اظلتهم ظلم صحبة الاغيار ، فكانت على قلوبهم مثل السراب • لم تغن عنهم شيئا ولم تدلهم على حق • ولو وجدوا السبيل الى الله تعالى لاضاءت سرايرهم فكانت كما قال الله تعالى « نور على نور » •

(٣) ــ نفسه ، (٤) ــ ٢٤ : ٣٧ •

وبشر من ذكرني بالنزول في جواري ، وبشر من دمعت عيناه خوفا مـن هجري • بشرهم ان رحمتي سبقت غضبي •

وقال ايضا : الملك بالشفاعة •

وقال ايضا : بشر المشتاقين الى النظر الى وجهي •

وقال ايضا : المخبت في التواضع كالارض ، تحمل كل قذر ، وتواري كل نجس وخبث •

٥ ــ « فنعم المولى ونعم النصير » • قال جعفر : نعم المعين لمن استعان به ، « ونعم النصير » لمن استنصره •

٢٣ ــ آيات من سورة النور •

١ ــ « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم » (١) • قال جعفر الصادق فـي هذه الآية : الغض عن المحارم ، وعما لا يليق بالحق ، فرض على العباد • وفرض الفرض غض الخاطر عن كل ما يستحله العبد • ومعناه حفظ القلب وخواطره عن النظر الى الكون لئلا يكون به طريدا غافلا محجوبا ، وان كان ذلك مباحا فـي الظاهر •

٢ ــ « الله نور السموات والارض ••• » (٢) • قال جعفر بـن محمد : الانوار مختلفة اولها نور حفظ القلب ، ثم نور الخوف ، ثم نور الرجاء ، ثم نور التذكر ، ثم النظر بنور العلم ، ثم نور الحياء ، ثم نور حلاوة الايمان ، ثـم نور الاسلام ، ثم نور الاحسان ، ثم نور النعمة ، ثم نور الفضل ، ثم نور الآلاء ، ثم نور الكرم ، ثم نور العطف ، ثم نور القلب ، ثم نور الاحاطة ، ثـم نور الهيبة ، ثم نور الحيرة ، ثم نور الحياة ، ثم نور الانس ، ثم نور الاستقامة ، ثـم نـور الاستكانة ، ثم نور الطمأنينة ، ثم نور العظمة ، ثم نور الجلال ، ثم نور القدرة ، ثم نور الجلال ، ثم نور الالوهية ، ثم نور الوحدانية ، ثم نور الفردانية ، ثـم

(٢) ــ ٢٢ : ٢٦ ، (٣) ــ ٢٢ : ٢٨ ، (٤) ــ ٢٢ : ٣٤ ، (٥) ٢٢ : ٧٨

(•) « المؤمنون » لم ترد .

(١) ــ سورة النور ، ٣٠ (٢٤ : ٣٠) ، (٢) ــ ٢٤ : ٣٥ .

بها صلاح الدار الفانية واهلها •

٤ ــ قال جعفر : « الذين يمشون على الارض هونا » (٤) • بـلا فخر ولا خيلاء ولا تبختر ، بل بتواضع وسكينة ووقار وطمأنينة وحسن خلق وبشر وجه• كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين فقال : « هينـون لينون كالجمل الانف : ان قيد انقاد ، وان انيخ على صخرة استناخ » • وذلك لما طالعوا مـن تعظيم الحق وهيبته ، وشاهدوا مـن كبريائه وجلالـه • خشعت لذلك ارواحهم وخضعت نفوسهم ، فالزمهم ذلك التواضع والتخشع •

٥ ــ « يتوب الى الله متابا » (٥) • قال جعفر : لم يرجع الى الحق من لـه مرجع الى سواه • حتى يكون رجوعه ظاهرا وباطنا اليه دون غيره، حينئذ يكون تائبا اليه •

٦ ــ « الذين لا يشهدون الزور » (٦) • قال جعفر : الزور امانـي النفس ومتابعة هواها •

٧ ــ « هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين » (٧) • قال جعفر : هب لنـا من ازواجنا معاونة على طاعتك ، ومن اولادنا برهم حتى تقر اعيننا بهم •

٢٥ ــ آيات من سورة الشعراء

١ ــ « قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون » (١) • قال جعفر : مـن احس بالبلاء في المحبة لم يكن محبا ، بل من شاهد البلاء فيه لم يكن محبا • بل من لم يتلذذ بالبلاء في المحبة لم يكن محبا • الا ترى السحرة لمـا وردت عليهم شواهد اوائل المحبة كيف زالت عنهم حظوظهم ، وهانت عليهم بذل ارواحهم في مشاهدة محبوبهم فقالوا « لا ضير » •

٢ ــ « قال كلا ان معي ربي سيهديني » (٢) • قال جعفر : من كان في رعاية الحق وكلايته لا يؤثر عليه شيء من الاسباب، ولا يهوله مخوفات الموارد لانه في وقاية الحق وقبضته • ومن كان في المشاهدة والحضرة كيف يؤثر عليه مـا منـه

---

(٤) ــ ٢٥ : ٦٣ ، (٥) ــ ٢٥ : ٧١ ، (٦) ــ ٢٥ : ٧٢ ، (٧) ــ ٢٥ : ٧٤ .

(١) ــ سورة الشعراء ، ٥٠ (٢٦ : ٥٠) ، (٢) ــ ٢٦ : ٦٢ ، (٣) ــ ٢٦ : ٨٠ ، (٤) ــ

٦ ـ « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » (٦) • قال جعفر : الحرمات تتبع بعضها بعضا • من ضيع حرمة الخلق فقد ضيع حرمة المؤمنين • ومن ضيع حرمة المؤمنين فقد ضيع حرمة الاولياء • ومن ضيع حرمة الاولياء فقد ضيع حرمة الرسول • ومن ضيع حرمة الرسول فقد ضيع حرمة الله • ومن ضيع حرمة الله تعالى فقد دخل في ديوان الاشقياء • وافضل الاخلاق حفظ الحرمات • ومن اسقط على قلبه الحرمات تهاون بالفرائض والسنن •

٢٤ ـ آيات من سورة الفرقان

١ ـ « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » (١) • قال جعفر : عيروا الرسل بالتواضع والانبساط ، ولم يعلموا ان ذلك اتم لهيبتهم ، واشد في بيان الاحترام لهم • وذلك انهم لم يشاهدوا منهم الا ظاهر الخلقة • ولو شاهدوا منهم خصائص الاختصاص لالهاهم ذلك عن قولهم « ما لهذا الرسول••»

٢ ـ « وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ••• » (٢) • قال جعفر : ذلك ان الله تعالى لم يبعث رسولا الا اباح ظاهره للخلق بالكون معهم على شرط البشرية ، ومنع سره عن ملاحظاتهم والاشتغال بهم • لان اسرار الانبياء في القبضة لا تفارق المشاهدة بحال •

٣ ـ عن جعفر بن محمد في قوله عز وجل « تبارك الذي جعل في السماء بروجا »• (٣) قال : سمى السماء سماء لرفعتها ، والقلب سماء لانه يسمو بالايمان والمعرفة بلا حد ولا نهاية • كما ان المعروف لا حد له كذلك المعرفة به لا حد لها • وبروج السماء مجاري الشمس والقمر وهم : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت • وفي القلب بروج وهي : برج الايمان ، وبرج المعرفة ، وبرج العقل ، وبرج اليقين ، وبرج الاسلام ، وبرج الاحسان ، وبرج التوكل ، وبرج الخوف ، وبرج الرجاء ، وبرج المحبة ، وبرج الشوق ، وبرج الوله .• فهذه اثنا عشر برجا بها دوام صلاح القلب، كما ان الاثني عشر برجا من الحمل والثور الى آخر العدد

(٥) ـ ٢٤ : ٣٩ ، (٦) ـ ٢٤ : ٦٣ •

(١) ـ سورة الفرقان ، ٧ (٢٥ : ٧) ، (٢) ـ ٢٥ : ٢٠ ، (٣) ـ ٢٥ ٦١ •

واثبتها بجبال التوكل ، وزينها بانوار الاخلاص واليقين والمحبة . « وجعل بين البحرين حاجزا » اي بين القلب والنفس ، لئلا تغلب النفس القلب بظلماتها فتظلمها (؟) ، فجعل الحاجز بينما التوفيق والعقل .

٦ ـ » وترى الجبال تحسبها جامدة « (٦) . قال جعفر : ترى النفس جامدة عند خروج الروح . والروح تسري في الفردوس لتأوى الى مكانها من تحت العرش .

وقال جعفر : نور قلوب الموحدين ، وانزعاج انين المشتاقين . تمر مر السحاب حتى يشاهدوا الحق فيسكنون .

٢٧ ـ آيات من سورة القصص

١ ـ « واصبح فؤاد ام موسى فارغا ... لولا ان ربطنا على قلبها » (١) .

قال جعفر : الصدر معدن التسليم ، والقلب معدن اليقين ، والفؤاد معدن النظر ، والضمير معدن السر ، والنفس مأوى كل حسنة وسيئة .

٢ ـ « فلما توجه تلقاء مدين » (٢) . قال جعفر : توجه بوجهه الى ناحية مدين ، وتوجه بقلبه الى ربه طالبا منه سبيل الهداية ، فأكرمه الله تعالى بالكلام . وكل من اقبل على الله تعالى بالكلية فان الله تعالى يبلغه مأموله .

٣ ـ « اني لما انزلت الي من خير فقير» (٣) . قال جعفر : فقير اليك ، طالب منك زيادة الفقر اليك ، لاني لم استغن عنك بشيء سواك .

وقال ايضا : فقير في جميع الاوقات، غير راجع الى الكرامات والآيات دون الفقر اليك والاقبال عليك .

٤ ـ « أنس من جانب الطور نارا » (٤) . قال جعفر : ابصر نارا دالة على الانوار ، لانه رأى النور على هيئة النار . فلما دنا منها شملته انوار القدس ، واحاطت به جلابيب الانس . فخوطب بألطف خطاب ، وأستدعي منه احسن

(١) ـ سورة القصص ، ١٠ (٢٨ : ١٠) . (٢) ـ ٢٨ : ٢٢ ،

(١) ـ سورة النمل ، ٢١ (٢٧ : ٢١) ، (٢) ـ ٢٧ : ٢٤ ، (٣) ـ ٢٧ : ٣٦ ، (٤) ـ ٢٧ : ٥٠

(٥) ـ ٢٧ : ٦١ ، (٦) ـ ٢٧ : ٨٨ ،

يصدر واليه يرد • الا ترى كيف حكى الله تعالى عن الكليم قوله « ان معي ربي سيهديني » •

٣ ـ « واذا مرضت فهو يشفيني » (٣) • قال جعفر : اذا مرضت برويـة افعالي واحوالي شفاني بتذكار الفضل والكرم •

٤ ـ « وما انا بطارد المؤمنين » (٤) • قال جعفر : ما انا بمكذب الصادقين•

٥ ـ « وما اسألكم عليه من اجر » (٥) • قال جعفر : ازيلت الاطماع عـن الرسل اجمع لدناءتها • فاخبر كل رسول عن نفسه بقوله « وما اسألكم عليه من أجـر ».•

٦ ـ « انهم عن السمع لمعزولون » (٦) • قال جعفر : هو ان يسمع المواعظ ولا يتعظ بها •

٧ ـ « انه هو السميع العليم » (٧) • قـال جعفـر : السميع مـن يسمع مناجات الاسرار ، والعليم من يعلم ارادات الضماير •

٢٦ ـ آيات من سورة النمل

١ ـ « لاعذبنه عذابا شديدا » (١) • قال جعفر : لابلينه بشتات السر •

٢ ـ « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها » (٢) • قال جعفر : اشار الـى قلوب المؤمنين • ان المعرفة اذا دخلت القلوب زال عنها الاماني والمرادات اجمع، فلا يكون في القلب محل لغير لله تعالى •

٣ ـ « بل انتم بهديتكم تفرحون » (٣) • قال جعفر : الدنيا اصغر عند الله وعند انبيائه واوليائه من ان يفرحوا بها او يحزنوا عليها •

٤ ـ « ومكروا مكرا ومكرنا مكرا » (٤) • قال جعفر : مكر الله اخفى من دبيب النمل على الصخرة السوداء في الليلة الظلماء •

٥ ـ قال جعفر في قوله « أم من جعل الارض قرارا » (٥) • اي مـن جعل قلوب اوليائه مستقر معرفته ، وجعل فيها انهار الزوايد مـن بـره في كل نفس ،

٢٦ : ١١٤ ، (٥) ـ ٢٦ : ١٢٧ ، (٦) ـ ٢٦ : ٢١٢ ، (٧) ـ ٢٦ : ٢٢٠ •

الايمان باليوم الآخر مدخل سعادة الحياة

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

وظيفة الحس ــ التلاميذ الاذكياء وصانع التلفزيون ــ للتلاوة والفكر ــ معرفة سر الروح ــ أمل من آمال الانسانية ــ بلوغ هذا الامل ليس مستحيلاً ــ ثمار عقيدة الايمان باليوم الآخر ــ الفرد المنظم طليعة المجتمع المنظم ــ الوسيلة المفضية لتنظيم الافراد ــ خرافة الضمير ــ في الدنيا لذتان فحسب •

قال لي بعض طلابي :

معلمو الرياضيات والطب والكيمياء ••• اذا قرروا نظرية ما ، ايدوها بدليل حسي ، فهل لكم ان تسلكوا هذا السبيل حول اليوم الآخر ؟

فقلت ، لا بد من تحديد وظائف ، الحس والعقل والبصر والبصيرة •

١ ــ وظيفة الحس :

نحن نشارك الحيوان البصر ، لكنه لا يشاركنا البصيرة •

حصة الحيوان غريزة محدودة محرومة من النوم ، وحصتنا عقل نام غير محدود •

لو وضعنا على السطح طفلا ، بلغ من العمر ثلاثة اعوام ، وخروفا بلغ ثلاثة اعوام ، لتدهور الطفل دون الخروف ، وقد يصبح ذاك الطفل ، قائد أمة ، او مخترعا او موجها او عبقريا •

اذن فحسنا قاصر متطور ، لا ينفذ للحقائق •

نرى ببصرنا الشمس جرما صغيرا ، يشرق ويغرب ، اذ لا يجول البصر الا في دائرة المحسوس ، لان العينين مادة لا ترى الا المادة ، يحيط بهما ، كأنها سور حول الحديقة •

جواب • فصار بذلك ملكا شريفا مقربا • اعطي ما سأل وامن مما خاف • وكذلك قوله « انس من جانب الطور نارا » •

٥ ــ « ونجعل لكما سلطانا » (٥) • قال جعفر : هيبة في قلوب الاعداء ، ومحبة في قلوب الاولياء •

٢٨ ــ آيات من سورة العنكبوت

١ ــ « يعذب من يشاء ويرحم من يشاء » (١) • قال جعفر : يعذب من يشاء بشتات الهم ، ويرحم من يشاء بجمعها له •

٢ ــ « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٢) • قال جعفر : الصلاة اذا كانت مقبولة فانها تنهى عن مطالعات الاعمال ، وطلب الاعواض •

٣ ــ « والذين جاهدوا فينا » (٣) • قال جعفر : المجاهدة صدق الافتقار، وهو انفصال العبد من نفسه واتصاله بربه • والمجاهدة تبري العبد من جميع ما اتصل به • والمجاهدة بذل الروح في رضاء الحق •

وقال ايضا : من جاهد بنفسه لنفسه وصل الى كرامة ربه ، ومن جاهد بنفسه لربه وصل الى ربه •

٢٩ ــ آيات من سورة الروم

١ ــ « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » (١) • قال جعفر : بالله فابدأ في صباحك وبه فاختم مساك • فمن كان به ابتداؤه واليه انتهاؤه لا يشقى فيما بينهما •

٢ ــ « الله الذي خلقكم ثم رزقكم •• » (٢) • قال جعفر : « خلقكم ثم رزقكم » : حركم الى اظهار اثار الربوبية فيكم • « ثم يميتكم ثم يحييكم » بالاستتار والتجلي •

---

(٣) ــ ٢٨ : ٢٤ ، (٤) ــ ٢٨ : ٢٩ ، (٥) ــ ٢٨ : ٣٥ •

(١) ــ سورة العنكبوت ، ٢١ (٢٩ : ٢١) ، (٢) ــ ٩٢ : ٤٥ ، (٣) ــ ٢٩ : ٦٩ •

(١) ــ سورة الروم ، ١٧ (٣٠ : ١٧) ، (٢) ــ ٣٠ : ٤٠ •

الآخر كانها تقول :

الذي قدر على ما ترون ليس عاجزا عما لا ترون ، والقدرة التي جعلت الماء نفسه يساهم في تكوين الشجرة ، وجعلت هذه الشجرة نفسها تنقلب نارا ، هذه القدرة لا تعجز عن الاعادة ، بل ان الاعادة أسهل من البدء .

اخذ ذاك الاعرابي المسكين ، عظما رميما باليا ، وضرب مثلا به ونسي خلق ذاك العظم ، قائلا ، « من يحي العظام وهي رميم » .

أنكر عقيدة اليوم الآخر ، ناسيا خلق نفسه من تراب تكمن به مواد حيوية انقلبت طعاما فدما فنطفة فعلقة فمضغة ... فانسا .

أنكر ناسيا ان الذي اوجد الكون كله دون مواد سابقة ، قادر على اعادة الانسان بعد موته وان عدمت المواد ، اذ الذي صنع القلم والمواد والورق وكتب سطرا ومحاه ، قادر على اعادة كتابته ، ولا يعجزه صنع المواد اذ ينشئها مما يريد قال تعالى :

(نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ، على ان نبدل امثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون) سورة الواقعة آية ٦٠ و٦١

« قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدء الخلق ، ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ، ان الله على كل شيء قدير » سورة العنكبوت آية ٢٠ .

اذن فالايمان باليوم الآخر ، ليس من وظيفة البصر ، بل من وظيفة البصيرة والفكر والعقل .

بهذه الوسائل ، ندرك ان النوم موت قصير ، أي لا نشعر بالوقت الذي مكثناه نائمين ، لكنه موت مختوم بيقظة ، والموت نوم طويل لا نشعر فيه بمرور القرون ، وهو ـ بنفس الوقت ـ مختوم بيقظة .

وقته طويل ، اذا قيس بعمرنا المحدود ، وقصير اذا قيس بعمر الزمن ، اذ الذين قاموا من الموت ، لا يدرون كم لبثوا في الارض ، والنائم لا يدري الوقت الذي سلخه نائما ، لا سيما وكلمة توفى تصدق على النوم القصير والنوم الطويل

عينانا لا تريان الحيويات الكامنة بالارض ، وقد نشرب الماء الملوث ونظنه نـقيا •

اعتمادنا على البصر في ما ليس من خصائصه ، كاعتمادنا في حـل معادلـة رياضية على أمي •

مسكين هذا البصر ، لا يدري ان البصيرة تستخدمه كوسيلـة للايضاح ، كما يستخدم مدرس الطب صورة القلب ، لينفذ منها الطالب الـى تركيب القلب الحقيقي •

هذا البصر ـ في الحقل الفكري ـ يشبه مريضا ظن نفسه سليما ، ناسيا أن رأيه في الحقول التي لا يدركها الا العقل الواعي والبصيرة النافـذة ، والفكـر المنطلق ، تكليف فوق الطاقة ، ومحاولة ليست ناجحة •

هذا البصر ، طفل قاصر ، أما البصيرة والعقل والفكر ، فأوصياء مخلصون ينصحونه ويقومون اعوجاجه ويكشفون اخطاءه ، ذلك لان الاستدلال بالخطوات على السائر ، وبالقدرة على القادر ، وظيفة الفكر والبصيرة •



من نقطة حصر البصر في دائرة المحسوسات ، ننطلـق مستخدمين العقـل والفكر والبصيرة ، لنستجلي بعض مخدرات الآيات الكريمة حول اليوم الآخر •

قال الله تعالى :

(وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال : من يحي العظام وهي رميم ؟ قـل : يحييها الذي انشأها اول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم) سورة يس ٧٨ ـ ٨١ •



الآيات الكريمة ، ترينا القدرة على شيء ، دليلا على القدرة علـى مثلـه ، (كما بدأكم تعودون) وبعد تركيز هذه القدرة في انفسنا ، ننطلق الى تقرير اليوم

باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد ، واحيينا بها بلدة ميتا » ، كذلك الخروج سورة ق آية ٩ ـ ١١ .

للتلاوة والفكر

قال الله تعالى :

(وقالوا أاذا كنا عظاما ورفاتا أانا لمبعوثون خلقا جديدا ؟ قل : كونوا حجارة او حديدا ، او خلقا مما يكبر في صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا ؟ قل : الذي فطركم اول مرة ، فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون : متى هو ؟ قل : عسى ان يكون قريبا .

يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ، وتظنون ان لبثتم الا قليلا) سورة الاسرار آية ٩٤ ـ ٥٢ (١) .

معرفة سر الروح امل من آمال الانسان

الانسان منذ عرف لذة الفكر ، أدرك انه مركب من جزئين ، محسوس وغير محسوس وقد مر عليه حين من الدهر لم يكن يدري شيئا حتى عن المحسوس نفسه ، ورغم جهله بهذا اخذ يحاول الحوم حول ما ليس بمحسوس .

مثلا ، جاء الحكم الصيني ، كونفوشيوس : المعلم المحترم ، قبل خمسة وعشرين قرنا فرأى قومه يقضون وقتا طويلا بالحداد على امواتهم غارقين بالتفكير متساءلين ، ما الذي فارق جسم فلان واحاله متحجرا بعد ان كان قبل لحظات متحركا ؟؟

رآهم يسيرون وراء هذا الامل البعيد ، فأطلق كلمته المشهورة :

« اذا كنتم لا تعرفون المحسوس : الجسم ، فكيف تحاولون معرفة ما ليس بمحسوس : الروح » .

طبعا لا يعرفون ما ليس محسوسا ، مع جزمهم بأنه شيء ، فارق على أمل العودة ، ولذا كانوا يحرقون جثمان الشرير خشية ان تعود روحه وينتصب للشر !

١ ـ فطركم : اوجدكم من العدم ، ينغضون رؤوسهم ، يحركونها تعجبا واستهزاءا لبثتم : المكتم

قال الله تعالى :

(الله يتوفى الانفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة الزمر آية ٤٢ •

وقال تعالى :

(قال كم لبثتم في الارض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوما او بعض يوم فسأل العادين ، قال : ان لبثتم الا قليلا ، لو أنكم كنتم تعلمون ؟!

أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وانكم الينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق ، لا اله الا هو رب العرش الكريم) سورة المؤمنون آية ١١٢ ــ ١١٦ •

التلاميذ الاذكياء وصانع التلفزيون :

تلا احدهم قوله تعالى :

١ ــ (أفعيينا بالخلق الاول ؟؟ بل هم في لبس من خلق جديد) سورة ق آية ١٥ •

٢ ــ (اولم يروا ان الله الذي خلق السماوات والارض ، ولم يعي بخلقهن، بقادر على ان يحيي الموتى ؟ بلى انه على كل شيء قدير) سورة الاحقاق آية ٣٣

٣ ــ (لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون) • سورة غافر ٥٧ •

تلا هذه الآيات وعلق :

لا اعياء : تعب ، ولا لبس ، شك ، اذ من قدر على احياء الجسم الكبير كالارض ، لن يعجز على احياء اجسام صغيرة •

ان الذي احيا الارض لمحيي الموتى سورة فصلت ٣٩ وسورة الروم ٥٠ •

وقال تعالى :

« ونزلنا من السماء ماءا مباركا ، فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل

ثمار عقيدة اليوم الآخر

هذه العقيدة قد لا يأنس بها الذين حرموا انفسهم من البصيرة والفكر ، لن لا يستطيعون رؤيتها مضادة العلم والعقل ، اذ هما يدركان ان قوانين الحياة تشير الى ان كل شيء سائر في طريق يفضي لاكمل ، أي ان كل شيء يحاول العودة ليس لما كان عليه فحسب بل لاحسن فهل الانسان وحده محروم من هذا الناموس ؟؟

للعالم أجل لا بد من الوصول اليه ، واذ وصله يجد حقائق كان يتخيلها ومعاني كان يراها بعيني بصيرته وفكره ، لكن كان هيكله الترابي يحول بينه وبين لمس المعاني المجردة ، وما ان تجرد من ذاك الهيكل حتى اصبح بصره ذا حدة اي قوة يرى ما لم يكن يرى .

قال الله تعالى مخاطبا الانسان :

(فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .

اشار القرآن الى قانون التكامل وبشرنا به فقال تعالى :

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة) .

كان الموت بدء حياة او كأنه وسيلة للحياة الاكمل ، اذ قانون الزحف شطر الاكمل لا يستثني .

الفرد المنظم ، طليعة المجتمع المنظم

تتفق كلمة اطباء الفكر في العالم كله ، بأن الفرد هو العامود الفقري في بناء الاسرة فالامة ، وترى تمتعه بالاخلاق الفاضلة ، درعا يدفع عن المجتمع كوارث تهدده ، وهذا ما دفع اولئك الاطباء للانطلاق بخدمة الامم من نقطة تقويم اخلاقها ، اذ الحياة ــ كما قال سقراط ــ نهر ، اما الاخلاق فقوارب النجاة . اذ الاخلاق الفاضلة سعادة ، ولو تعرض صاحبها لاتعاب ، والانحراف عنها شقاء ولو سمع المنحرف عبارات الثناء .

تعددت آراء الانسان واختلفت مشاربه حول ذاك الامل ، لكنه وقف على باب المعرفة واجما متسائلا مع الرئيس ابن سينا :

لعمرك لا أدري وقد اذن البلى وقد حان ترحالي ، الى اين ترحالي ؟
واين محل الروح بعد خروجها من الهيكل المنحل والجسد البالي ؟؟

واذا كان ابن سينا يرثي جهله بالورقاء التي وصفها بالسافرة المبرقعة المحجوبة الهابطة من عل ، فالاعرابي الذي بكى جمله وعلل البكاء بكلمة أبكي جهلي بالذي حمل الجمل ويحمل الجمل ، أجدر بالرثاء ؟؟

بلوغ هذا الامل ليس مستحيلا

ضم القرآن الى معجزاته الكثيرة معجزة البشارة بأن بلوغ هذا الامل بعيد وشاق لكن ليس مستحيلا .

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، عن الروح ، فانتظر الوحي وكان هذا النص :

« ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربي ، وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

ومن أجمل ما رأيت تعليقا على هذه الآية ما جاء في مجلة المنار للسيد رشيد رضا (رحمه الله) وخلاصته :

« ليس فهم كنه الروح مستحيلا على قوم ساروا في طريق فكر طويل ، بل المستحيل ان يقع الناس على هذا الكنه ما زالوا يجهلون الكثير الكثير » .

كأن الآية تقول للسائلين والمتسائلين :

شخص يملك خمس ليرات ، قال لتاجر يملك الملايين ، ارجو ان تقبلني شريكا فاجابه :

ما اوتيت من المال الا قليلا ، اي اذا أصبح مالك كثيرا اصبحت جديرا بنوال درجة شريك !

عدل الله ، ولذا نرى انكار القيامة تمهيدا لانكار الله نفسه ، وهم بنفس الوقت، يطيلون الحديث حول الضمير والوجدان والمروءة والانسانية والعالمية ... لكنهم يزاولون اعمالا تشهد بهزال مفعول هذه التعابير في داخلهم ، كأن الضمير بهم مستتر أو مذبوح .

هل الخوف من الرادع القانوني ؟ هذا آخر ما يجول في نفس المنحرفين اذ على مقدار سيطرتهم على المال يستخدمون حتى القانون وحماته .

ان هزال الايمان باليوم الآخر ، مقدمة تنتج الهزال بجميع المثل العليا ومنها الضمير ، وتخلق الانسان الذي لا يرى بالتضخم من مال ودم سواه يأسا .

انسان كهذا — طبعا — لا يرى بعبادة المال انحرافا ، اذ هو يكفل ويشفع ويستثني ويبرأ وينجي ويرفع ، فاذا انكشفت اخطاء عباده — وقلما تنكشف — اراقوا على نارها سائلا من مال فبردت وبهتت ؟

هؤلاء يرون المثاليات سخرية ، واصطياد الناس عبقرية ، واذا نجت السفينة بأيديهم ، فان نجاتها تعود ، اما لانهم نفذوا مبدءا ملك قلوبهم ، او حرصا على عروشهم وألقابهم ..

هؤلاء لا تخيفهم الروادع المعجلة — اذ يشفع لهم المال او الوظيفة او المركز او الاسرة — فاذا هزلت بهم عقيدة اليوم الآخر ، اصبحوا خطرا على أنفسهم وسواهم .

لا يحجمون عن ضرر الناس خشية الناس ولا خشية الله ، بل قد يرتكبون ويسولون الارتكاب .

واذا كانت عقيدة اليوم الآخر تقيم على المؤمن بها حارسا وخشية القانون تكفكف بعض الشر ، فلا ادري ما الرادع الذي يضرب على يد من هزلت به عقيدة اليوم الآخر ونجا — لسبب ما — من الرادع القانوني؟؟

في الدنيا لذتان فحسب

كتاب اعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ، ج٤ ص ٢٧٤ من الطبعة الاولى عام

ما هي الوسيلة المفضية لتنظيم الافراد ؟

ان ما يدعونه الآن بالمدارس التجريبية تعرض علينا الانسان مشحونا بالانانية والاثرة ، وترينا ذوي السلوك الحسن ، لا يقصدون الا لذة الزهو باعجاب الناس بهم او الحرص على منافع شخصية كثمار لذاك السلوك •

ورغم ان هذه المدارس تردد قاعدة (عش لاجل الآخرين) وتنصح بالقيم الاخلاقية والاعتدال وبعد النظر ، والوقوف عند حدود العقل او الحياة مشيرة بالعقل او ربط للتعرف بالعقل ، نرى بعضها يصرح بأن قوانين الاخلاق ينبغي ان تسري على العامة ، أما قادة الشعوب ، فيباح لهم ان يضمروا خلاف ما يقولون •

على ان هذه المدارس ـ على تعددها ـ واستعانتها بالفلسفة والطب بل والروادع القانونية وتغنيها بالضمير الفردي والعالمي ، لم يزد المجتمعات الا شقاءا ، اذ لم تستطع التسلل الى داخل الفرد وتعقيم قلبه المتحكم في تصرف حواسه •

اذن فاصلاح الداخل هدف عميق ومقصد بعيد ، ويستحيل الظفر به الا بالاستعانة بعقيدة اليوم الآخر ، اذ هي وحدها حارس ورادع ومراقب ، يؤثر في السلوك ، يحفظ الحواس ترهيبا ويبسطها ترغيبا •

لنقرأ قول الله :

(ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) •

خرافة الضمير

الرقابة الآلهية التي تحتل القلوب هي التي تحدد السلوك ، اما الضمير الذي لا ينتزع بجذور الى هذه الرقابة او الذي لا يعترف بهذه الرقابة ، فهزيل ومعدوم ومهزوم هزلت به تلك الرقابة ، لا ادري ما هي القيود التي تحول بينه وبين ضرر الناس •

هل الخوف من الله ؟ ان الذي هزلت به عقيدة اليوم الآخر لا يستطيع اقامة دليل على ايمانه بالله ، اذ ان انكار القيامة يستلزم انكار الوحي وانكار

مع المتنبي

المرأة والحب

بقلم : محمد شرارة

المرأة في اطار الحضارة العربية ، على اختلاف مراحلها ، لا تختلف عن أي امرأة في اية حضارة مماثلة . ورؤية الجوهر الانساني في العالم النسوي لم تكن غامضة او مشوشة فقط ، بل كانت حلما في رؤوس الذين يعيشون على الاحلام ، او شبحا غارقا في ضباب ممتد على مدى الآفاق اذا قدر لها أن تكون مولودة .

يشك ارنست فيشر ، وهو قمة من قمم الفكر العالمي ، « في ان الاغريق القدامى يمكن أن يعتبروا اطفالا اسوياء ، وذلك بسبب احتقارهم وازدرائهم العمل » . ومن الغرابة بمكان ان يطلب مفكر كبير من حضارة الطفولة ، وان كانت طفولة لعوبة ، ان تحترم المرأة وتنظر اليها النظرة التي تستحقها ، او ان تضعها في النقطة المناسبة من الدائرة الانسانية في الوقت الذي لا تزال أرقى الحضارات في عدد من الامم العالية التطور غارقة في نظرات الطفولة الحضارية التي تحتقر المرأة عمليا وان احترمتها في الكلمات المدونة على الورق . وهذه الظاهرة لا تخفى بالتأكيد على واحد مثل ارنست فيشر . فكيف سوغ لنفسه ان يطلب من حضارة الاطفال ما طلب ؟

نحن لا نشك ، بالرغم من هذه النظرة ، ان اكثر الحضارات بدائية لا تخلو من قطرات مضيئة ، ففي حضارة سومر ، مثلا ، امير معروف بـ «كموديا الصغير» يروي لنا عن حكمه ما يلي : « في خلال سبع سنوات كانت الخادمة ندا لخدومتها ، وكان العبد يمشي بجوار سيده ، واستراح الضعيف في بلدي بجوار القوي » . ويقول ول ديورانت في كتابه « قصة الحضارة » عن هذا الرجل : « تدل ملامحه القوية المتناسبة على أنه رجل مفكر عادل حازم دمث الاخلاق ، وكان رعاياه يجلونه لا لانه جندي محارب ، بل لانه فيلسوف مفكر » .

« تستأثر سومر بهذه الشمعة ، بل تشترك معها اكثر الامم التي تقف معها

١٣٧٤ ـ ١٩٥٥ بحث موضوع ـ اللذائذ في الجنة ـ وحدثنا عما يكاد يخيل لبعض القراء ان لذائذ الجنة تشبه ما يتمتع به الناس في حياتهم هذه .

ومع ايماننا ان في الجنة لذائذ ، تتحقق أنها تتناسب مع تركيبنا حينذاك ، اذ لنا تركيب آخر ، نفهمه من قوله تعالى :

« وننشئكم في ما لا تعلمون » .

اما تركيبنا هذا فمحروم اللذائذ ، اما ما يعده بعضنا لذائذ فهو دفع آلام، اذ اللذة شيء لا يمل ، وقد امدنا الامام الشافعي حول هذا الموضوع بكلمته الشهيرة :

(لولا وقوفي بين يدي ربي بالاسحار ، وجلوسي مع الاخيار ، لما اخترت البقاء في هذه الدار) .

يعني ان الوقوف بين يدي الله لذة لا تمل مهما طال امدها ، والجلوس بين يدي الاخيار والتمتع بسماع احاديثهم لذة لا تمل مهما طال المكوث ، اما سواها مما يعده كثيرون لذائذ فهي دفع آلام .

مثلا ، الاكل والشرب والنوم ومطالب الجسد ، ليست لذائذ بل دفع آلام الجوع والعطش وحرمان الجسد ، فاذا حاول الشخص الاستزادة منها انقلبت امراضا .

والتمتع بالجلسات او الليالي الحمر ، قد يجده قصيرو النظر لذائذ غير عالمين ما يعقبه من معكرات صحية واقتصادية .

لا نستطيع القول : ان اللذائذ التي وعدنا الله بها في الجنة لا رصيد لها ، ولا نتمسك بحروفها تمسكا غير مشروط ، اذ اختلاف النواميس يحول بيننا وبين الاقتراب من وضعها ، ولو كنا على بعد لحظات منها !

مثلا ، قيل للنسر ، كيف تتنفس السمكة، وها هي جارتك تعيش في الساحل الذي تطل عليه ، فاجاب :

لا ادري وهي لا تدري كيف اتنفس أنا ، اذ نواميس تركيبنا متغايرة .

والصبوة اثم وان كانت في حد ذاتها شيئا آخر • واثمها أنها مقرونة بالجنس Sex أو ما أشبه ذلك من المفاهيم التي تقلب الحقائق وتلقيها على الشاطيء الآخر •

حجر آخر في « المستنقع » الكبير ، ونبرة أخرى من نبرات الغربة في العالم الضبابي الموحش ، ورؤية يمدها الواقع الحي بالقوة • ولكنها تبقى على ما فيها من حيوية رؤية خائفة •

وشاعر جديد يسير في القافلة نفسها ، ويحرك وترا شاديا يفيض على جوانبه الحب • واذا كان الحب في الشعر العربي غزيرا كثير الفيضان فان هذا الحب من نوع آخر • انه حب الزوجة الذي لوى عنان القافلة وردها الى الحى بعد الرحيل :

بينما نحن بالبلاكث فالقاع والعيس تهوي بنا هويا
خطرت خطرة منك على القلب فما استطعت بعدها مضيا
قلت لبيك اذ دعاني لك الشوق وللحادين ردا المطيا

انها نغمة جديدة تهز الطقوس المطمئنة النائمة على أمان عميق واثق من قدسيته وقدرته على الخلود والبقاء الابدي •

وقد تكون هناك نبرات أخرى مماثلة مبثوثة في قلب التراث الكبير الواسع • اذا كانت الحضارة العربية تتحرك على هذا المسرح في مثل هذه المسرحية فماذا كان دور المتنبي فيها وفيه ، وهل كان مع الرياح التي توجه الشراع أم كان يسير في الاتجاه المعاكس ؟

ابرز خصائص الشاعر وضوح الرؤية وبعد النظرة واستخراج الذهب من الرغام وعرضه على العيون بكل ما فيه من الوهج • وقد رأيناه ، وهو يركب الريح ، قادرا على توجيهها في كثير من المآزق بالرغم من القلق الذي يكابده • مخالفة النظرة العامة في قضية المرأة خاصة نوع من الركوب على العاصفة لا على الريح فقط ، فهل توكل على نفسه وركب العاصفة ، أم كان حجرا آخر في المستنقع ؟ اذا قلنا ركب العاصفة كان القول مبالغة ان لم يكن مبالغة كبيرة • لكن هنالك « شيء » ، وان كان شيئا مختلفا ، لا يخلو في جوهره من رؤية جديدة •

على الدرجة نفسها في سلم التطور ، ففي كتاب هندي قديم مطالبة بمساواة المرأة في تعليمها كل ما يتعلمه الرجل من العلوم والفنون ، ولا يستثني مــن ذلك حتى القضية الجنسية (١) واذا وصلنا الى العرب رأينا عــددا مــن هــذه الشمــوع المتواضعة تفلت بين حين وحين من الطوق الآخر •

فهذا شاعر يرى رجالا يضربون النساء ، فيأخذه التأمل ، ثم يدعو على يده اذا قدر لها إن ترتفع وتضرب زينبا :

رأيت رجالا يضربون نساءهم فشلت يميني حين أضرب زينبا

الرجل لا يستنكر ضرب الرجال ، على ما يظهر ، ولكن دعوته على يــده اذا شاركت في فعل ما فعلوا ، اكثر من استنكار ••• انه احتجاج ان لم يكن تظاهرة كـبيرة •

هذا الرجل شمعة في الوادي المعتم الكئيب ، وصوت ، على غربته ، يحرك الاستنكار والاعجاب في لحظة واحدة •

لقد ألقى حجرا في المستنقع ، وهي « الصفاء » الذي يتراءى في مياهه ، ثم كشف ما وراء الصفاء في حركة بارعة •

وهناك شاعر آخر يمتلك رؤية اكبر ، وابعد مدى • انه شاعر لطيف وديــع حساس يشعر بأن المرأة مظلومة ، وانها بحاجة الى النصير ، وان النصير لا يــزال في عالم بعيد بعيد ، ولم يتبلور في أي دور من ادوار التكوين :

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشء الصغــار

بنفسي كل مهضوم حشاها اذا ظلمت فليس لهــا انتصار

فالبيتان لا يحملان ملاحظة عابرة مصحوبة بالعزيمة كما هو شأن الملاحظات المماثلة ، وانما يحملان إحساسا حزينا عاجزا عــن القيام بالفعــل الــذي تفرضه الملاحظة • والرؤية التي يحملها رؤية معاكسة للرؤية السائدة وهــو مضطر لان يحيطها بالكوابح ما دام الرصد الاجتماعي ساهرا علــى حماية المفهوم السائد وقادرا على تحويل الرؤية التي لا تروقه الى تهمته • والتهمة هنا هــي الصبوة •

(1) The Kamasutra

ولفت للانظار الى ما ينبغي أن يكون « مقياسا » وفي رثـاء آخـر تبدو الاميرة كأخيها الامير « مراعية لحرمة المجد » و « القصاد » و « الادب » وهـي تتمتع بـ « خلائق » فريدة ، وتستأثر بها دون الاخريات من بنات جنسها . ولا تختلف هذه المرأة عن اعاظم الرجال بـ « همومها » واشواقها . فالمـرأة ، اذن ، بهمومها لا بجنسها ، وكلما كان « الهم » عاليا كانت صاحبته عاليـة . وفي ذلـك اصرار على المقياس السابق .

وفي هذه القصيدة ، كما في القصيدة السابقة اشارة الـى الجمال ، والـى « المبسم الحلو » وفي ذلك شيء جديد ... شيء يقترب من الثورة . أشرنا اليه في مقال سابق . وقد وجد أبو بكر الخوارزمي هنا ، كما وجد أبو منصور هناك، ما يفش جرابه المنفوخ ، فقال كلمته المشهورة : « لو عزاني انسان عـن حرمة لي بمثل هذا لالحقته بها وضربت عنقه على قبرها » . والذي يقول هذا القول أديب ومفكر لا بدوي من الصحراء .! والمسألة في جوهرها ليست مسألـة « حرمة » و « تعزية » بل شيئا آخر يتجسد في هذه « المكانة » التـي يستطيع صاحبها ان يقول في ظلالها ما لا يستطيع غيره أن يقوله .

ان الشاعر كان يركب العاصفة ، كما قلنا ، وكان يدغدغ أحيانا ما لا يجوز مسه بله الدغدغة . وما غضب أبي بكر وأبي منصور وامثالهما سوى نـذير بأن المجتمع مقبل على عالم جديد لو قدر للدولة ان تبقى ، ولكن الانهيار العسكري وما تبعه من انهيار سياسي تحت معاول التخريب التي كانت بيد هولاكو وزبانية التتر أدى الى انهيار الطلائع الفكرية وكان ما كان مما يعرفه تاريخ المأساة التـي مست العالم كله لا العرب وحدهم .



الخطوة الأخرى في النظرة الى المرأة كانت خاصة أيضا ، ولكنه لا يتحدث فيها عن « الهموم » و « الخلائق » والعناية بالادب ، بل عن جوانب أخرى مـن الاخلاق الناشئة عن الجمال :

ومن خبـر الغواني فالغواني ضيـاء فـي بواطنه ظـلام

فمن الغواني ، وما شأنهن ، ولماذا كن ضياء يختفي وراءه الظلام ؟ الغواني،

.قد تجلى هذا « الشيء » في رثاء والدة سيف الدولة ، وفي هذا القول بالذات :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء علـــى الرجال

وأصبح هذا « القول » زادا لكل واقف على المنابر في رثـاء الموتى مـن النساء ، وعونا للمراثي التي تجد فيه الهاما مطلا علـى نوافذ ضيقة يباح فيهـا الحديث عن المرأة وعن فضائلها التي خسرتها الدنيا بخسارة الفقيـدة الفاضلة • والنظرة ، وان كانت تهز القاعدة العامة ، تبقى في حـدود الخط العلمي الدقيق ، وفي تخومه الصلبة • وتبقى « من » وصلة الموصول خطا دفاعيا قادرا علـى صد الهجوم لكل الذين تسول لهم انفسهم اطلاق الاعنة ، والقيام بحركة التفاف على الشاعر •

المهم ان المرأة ، هنا ، لم تكن « انثى » بل « فضيلة » والنظرة لها يجب ان تكون من هذه الزاوية لا من زاوية الانوثة • وواضح أنهـا ، في هـذا الرفرف بالذات ، لا تساوي الرجل وتعادلـه في الوزن فقط ، بـل انهـا أفضل منـه • والافضلية ، وان كانت خاصة ••• في هذه « الام » قادرة علـى التحول الـى مقياس جديد يلغي المقياس القديم ويدله من الاساس • ولو قدر لكل امـرأة أن تمتلك صفات هذه الوالدة ، لكان النساء كلهـن شموسا ، وكان الرجال كلهـم أقمارا ، أو أهلة :

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا « التذكير » فخـر للهـلال

لعبة على الالفاظ ، ولكنها لعبة رائعة ، ودغدغـة للجـدار الاسود الاصم الذي بنته الميثولوجيا حول هذا الجناح الحنون مـن أجنحة الامم والشعوب ، وتحريك في الوقت ذاته للعيون المغمضة ، أو التي تريـد أن تبقـى مغمضة الى الابد • واذا كان ذلك لفتة صغيرة في الاساس ، فان الانسانية كلها لم تكن سوى تفصيل صغير أضيف الى تفصيل صغير كما يقول ارنست فيشر في كتابه ضرورة الفن (١) والمهم في الموضوع ان المـرأة تقاس بـ « قيمتها » الخلقيـة والعلميـة والادبية وما أشبه ، كما يقاس الرجل « قيمته » وفي ذلـك ربـح كبير للفكر ؛

١ ـ ترجم هذا الكتاب باسم : الاشتراكية والفن مرة ، وضرورة الفن مـرة اخرى . والترجمة الثانية نص عنوانه بالانكليزية : The necessity of Art

وهو « الحسن » دائما •• انه « الضياء » المزيف ، و « الغدر » الذي لا يعرف الوفاء ، ولا يمكن ان يعرفه ، او قلما يستطيع ، على الاصح ، ان يعرفه، وهو « الذنب » الذي لا يعرف الحكم عليه استثنافا او تمييزا • والشاعر مصر على رؤياه ، مطمئن اليها ، واثق منها يؤكدها في لحظات الهدوء ، وفي ساعة الغضب :

مما أضر بأهل العشق أنهم ... هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا

تفنى عيونهم دمعا وأنفسهم ... في اثر كل قبيح وجهه حسن

واذا قيل ان التهمة الاخيرة موجهة للجمال كله ، ولا يقتصر على جمال خاص جاء الجواب في القصيدة نفسها :

ما في هوادجكم من مهجتي عوض ... ان مت شوقا ولا فيها لها ثمن

والهوادج خاصة بالظعائن ، او القوارير • ومن ذلك يظهر أنه لا يزال في حدود الاخص ، وفي دائرته الضيقة •

في هذه الدائرة تكاد تكون نظرة الشاعر هدهدية ، فالجمال على الاغلب تاجر شيلوخي ، وله قدرة على الامتصاص تقترب من جشع جهنم ، وهو في الوقت نفسه تيار هائل في الحركة والتأثير وتوجيه الحياة العاطفية والنفسية ، وجميع قصائد الحب الرائعة من وحيه وينابيعه :

تقولين ما في الارض مثلك عاشق ... جدي مثل « من » أحببته تجدي مثلي

و « من » هذه لم تكن كناية عن « المرهفات » كما يدعي الشاعر بعد هذا البيت مباشرة ، وانما هي الجمال الحي الذي يكاد يجنح العالم ويلقيه على الميناء في ساحة الطيران • والمتنبي لم يكن شاعرا فقط عندما رأى الجمال « ضياء » يخفي وراءه ما يخفي ، وانما كان فيلسوفا يراقب الحياة ويتأمل اسرارها في الحركة والسكون ، ثم يصوغ تأملاته في قالب شعري بديع •

يلاحظ مما ذكرنا أن نظرة الشاعر كانت مركزة على فئة خاصة من النساء •• فئة « النماذج » اللواتي يتجسدن في أم سيف الدولة واختيه ، وفئة « الغواني » اللواتي يلحن في ثياب من « الضياء » وشاعرنا يلتقي في هذا التعبير

كما يقول القاموس ، جمع غانية ، والغانية : امرأة اغتنت بجمالها عـن الزينـة • فالغواني ، اذن ، في عالم المرأة لا يختلفن عن « الاغنياء » في عالم الرجل •

معنى ذلك أنه الغنى ، ولكنه هذه المرة غنى الجمال ، وقد يكون أشد تأثيرا من غنى الجيوب ، كما قد يكون أشد زهوا وغرورا من أخلاق الطواويس •!

في القرآن الكريم اشارة صريحة الى « التلاقـي » بين الغنـى والطغيان • وجاء علم الاقتصاد فيما بعد ليؤكد الترابط بين الانتاج الهائـل ، او بين التراكم الفوضوي في السلع وطغيان المسيطرين على قوى الانتاج المؤدي الـى الغنـى الاسطوري •

واذا كان الغنى مصحوبا ، غالبا ان لم يكن دائمـا ، بالجبروت والطغيان ، فلا تعود القضية قضية امرأة او رجل ، وانما قضية انسان معين في طبقـة معينة • فاذا كان الغنى المالي قادرا على ان يضع صاحبه في الهـرم الاجتماعي ، فان الغنى الجمالي يمتلك القدرة نفسها ، ويحول ثيودورا Theodora، مثـلا ، من مومس تمتهن البغاء في روما الى ملكة ، ومن خليلة لجوستنيان الاول الـى امبراطورة ، حتى استطاعت ان تغير قوانين روما التي كانت تمنع الزواج بين المومسات وابناء الطبقات العليا ، وتحولها الى ما تريد ، ثم تقفز من المبغى Brothel الـى قصر الامبراطور (١) ويبقى الحظ سائرا في طريقه حتى يصل الى كريستيان كيلر التي هزت بريطانيا قبل سنوات قليلة مرورا بالمركيـزة بومبادور في قصـور باريس ، وحبابة قبلها في قصور دمشق •

معنى ذلك ان المرأة لم تكن بدعة في استغلال جمالهـا واستغـلال ثروتها ، واتخاذها سلما الى الهرم الاعلى في المجتمع ، وشأنها في ذلك شأن الاضواء المماثلة في القصور التي تبدو وكأنها لوحات مـن الجمال الاعلـى ، ووراء اللوحة مـا وراءها • ونظرة الشاعر ، في هذه الدائرة بالذات ، فيها مـن الواقـع التاريخي بقدر ما فيها من الفن ، وهي تتراوح بين البعد العميق والبساطة الهينة السهلة •

هذه النظرة ، او « الرؤيا » ثابتة لا تكاد تبهت ، ولا يأخذها الشحوب :

اذا غدرت « حسناء » وفت بعهدها   فمن عهدها ألا يدوم لهـا عهـد

(1) The Sexology . June 1965

بركة عليك (١) » .

وهذا الوالد ، على بداوته ، يلتقي في تفكيره مع واحد مثل لامرتين :

« ليت من كان له ابن أو أخ أو صديق لم يعرف الخير ولم يفهم الفضيلة يدعو الله ان يلقي عليه مثل هذا الحب ، فانه اذا شعر به أصبح خليقا بكل اخلاص ، حقيقا بكل بطولة ، جديرا بأن يرتفع الى مستوى هذا المثل الاعلى لحبه . واذا ما انطفأت جذوة هذا الحب في قلبه بقي في نفسه ما بقيت حياته أثارة من لذة هذا الحب القدسي تجعله يعاف مياه الرذيلة ويطمح ببصره الى المنبع الذي استقى منه ما استقى في تلك المرة (٢) » .

وليست القصة قصة الحب وحده ، او كيفما كان ، وانما هي قصة هذا « النوع » من الحب ، وقصة المرأة أيضا . فما كل فتاة بجوليا التي أوحت للامرتين ما اوحت من صفاء وشفافية ، وما كل امرأة بمدام فياردو التي جعلت تورجنيف : « يحب الكون لانها فيه ، ويحب جميع النساء لانها منهن » وما كل صبية كهذه الصبية العربية الرائعة التي كانت « بركة » على حبيبها .

واذا كان للمرأة مثل هذا الدور احيانا في رواية الحياة فما شأنها في حياة ابي الطيب ، او هل كان لها شأن فيها ؟ لقد كتب بعضهم في هذا الموضوع ، ووصل به الاستنتاج ، لا الى الحب وحده ، بل الى تعيين الحبيبة ، فكانت أخت سيف الدولة التي رثاها بعدما ماتت بالقصيدة المشهورة التي تقول فيما تقول :

أرى العراق طويل الليل مذ نعيت فكيف ليل فتى الفتيان في حلب

وكتب بعض آخر كتابا كاملا في هذا الموضوع . ولكن « الصدى » المنصوبة في طريق البحث كانت عاجزة عن الاضاءة الكافية ، فأبيات الغزل التي يبتديء بها القصائد مشاعة بينه وبين غيره ، ولم تكن بدعة في قصائده ، وليست كافية للدلالة على الحب . لقد قال في احداها :

وما أنا الا عاشق .. كل عاشق أعق خليليه الصفيين لائمه

١ ـ مجلة العربي الكويتية : تموز ١٩٧٢ . وقد تصرفنا في بعض الفقرات تصرفا بسيطا فرضه السياق .

٢ ـ رفائيل . الطبعة السابعة : ص ٩٧ :ترجمة احمد حسن الزيات .

الجميل مع علي بن الجهم صاحب « عيون المها » :

وقلن لنا نحن الاهلــة في الدجى « نضنني » لمن يسري بليل ولا تقري
فــلا وصل الا مــا تزود ناظــر ولا بذل الا في الخيال الذي يسري

ولكن شتان بين الضبائين ، فهذا ضياء مرح لعوب فيه شيء من خفة الطفولة وعبثها ، وشيء من فرح العصافير ووثباتها ، وذاك جدي صارم في تأملاته البعيدة النازلة الى الاعماق • بيد أنه لقاء يبقى جميلا مهما كانت الفوارق •

اما الحب فهو الاثاث العاطفي الذي يحول الغرفة الى لوحة تزداد جمــالا كلما ازدادت العيون تأملا في ملامحها الفاتنة • وفي هذه الغرفة تتحول المرأة الى ينبوع من الضوء الفيروزي في غيمة شفافة من الزغب والحرير والعطور القادمــة من زجاجة الاساطير في الشرق البعيد الحالم • واذا صار الحب في هذا المستوى كان « اكسيرا » قادرا على تحويل النحاس الى ذهب، والغباءة الى ذكاء والخمول الى حيوية •

روي عن العرب : « ان احد رؤساء القبائل كان له ابن أهله ، او حاول ان يؤهله ، ليخلفه في رئاسة القبيلة من بعده • وكان الفتــى ساقط الهمــة ، رديء النفس ، سيء الخلق ، فغمه ذلك ، ووكل به من يعلمه فلم يتعلم • قال المعلم لابيه ذات يوم : كنا نرجوه على حال فحدث منه ما أيأسنا وهو العشق ، لقد عشق بنت احد الاشراف ••• فقال الوالد : الآن رجوت صلاحه • ثم دعا أبا البنت ، وقال له : اني مستسر اليك سرا ، فلا يعدونك • ان ابنــي احب ابنتك ، واريــد ان يتزوجها ، فمرها بأن تطعمه من غير ان يراها ، فاذا استحكم طعمه فيها كان عليها ان تعلمه بأنها راغبة عنه لقلة ادبه • ثم قال للمعلم : خوفه بي وشجعه على مراسلة الفتاة • وفعلت الفتاة ما طلب منها ، وكان ذلك بداية الانقلاب في حياة الولــد ، فأخذ في التأدب ، وتعلم الشجاعة • ثم طلب الوالد مــن المعلم أن يشجــع الولد على رفع الامر لوالده ، فتشجع ورفع الامر اليه وكان الزواج » •

خاف الوالد ان يعد الولد ما كان بينه وبين فتاته من المراسلة نقطــة سوداء في حياتها بعدما أصبحت زوجته ، فنبه على ذلك ، وقال له : « لا تزدرين بها في مراسلتها اليك ، فاني أنا الذي أمرتها ، ومن صار سببا لعقلك فهــو اعظم الناس

وما هي الا أن أراها فجاءة فأبهت حتى مـا اكـاد اجيب

ويستمر اللحن الحزين حتى نصل الى جارة الوادي :

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عيني في لغـة الهوى عيناك

مرورا بقول الآخر : « فنحن سكوت والهوى يتكلم » فاذا ذهبنا الى أمـة أخرى سمعنا تورجنيف يقول : « لما رأيتها تسمرت في مكانـي » ومـن هـذا الاستعراض البسيط للجزئيات نجد الشاعر مشرفا على خلجات النفوس العاشقة ، ملما باسرارها ، مدركا خفاياها الموشحة بألوان الطيوف . وعندما تكلم عنها كان كلامه أقرب الى رؤية العالم منه الى رؤية العاشق . ولكن هذه الرؤية الفلسفية ليست الوحيدة ، بل يرافقها احساس آخر أيضا ... احساس معبأ بطاقة انفعالية ذاتية تتسلل من الثقوب الصغيرة السرية في الجدار الاصم وتفلت من العتمة الـى المرايا التي تعكس الوجه الغائب او الذي اريد له أن يكون غائبا ، ففي قصائـد الشاعر أبيات ، على قلتها ، تند منها نبرة صغيرة ، ثم تنداح في دوائر تتألف منها أصوات تكاد تكون قصة ان لم تكن قصة فعلية . من هذه الابيات ما أعده الجو النفسي الغارق في اعصار دائر بين الانطلاق والانكفاء . وفي هـذا الجو نـدت كلمات يتخذ الرمز فيها صورة تقترب من الكشف ، ان لـم تكـن كشافة ، عن العاطفة التي تخامر روح الشاعر :

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي « شيئا » تتيمه « عين » ولا «جيد»

فالجو النفسي ، كما يلوح ، جو خانق مملوء بالكبريت وغيره من الغازات التي تتنفس السموم والموت ، ولكن الصور الخلقية التي تلونها العيون والاعناق تبقى حية زاهية مغرية قادرة على الاقتحام لو بقي لها « شيء » مـن « القلب » و « الكبد » التي أخذها الدهر ذرة بعد ذرة حتى اغمت اغماء تامـا عن لـوح الوجود . هذا هو المفهوم الظاهر الواضح . امـا المفهوم الخفـي النائم وراء الكلمات فواضح أيضا . وقد عبر عنه بدقة وعذوبة وصراحة هذا الاعتراف الحي الذي ترسو على شواطئه تنهدات الانقاذ :

وكان أطيب مـن سيفـي معانقـة أشباه رونقـه الغيـد الامايـد

وفي هذه « التنهدات » ينفض الشاعر كل مـا حكم عليه التزمت الاجتماعي

وهو أقرب الى الضعة منه الى الصدق • واذا لم يكن هذا وامثالـه كافيا فهل هناك ما يشير او يوميء الى هذه العاطفة ؟

واضح !ن هموم الشاعر واهدافه كانت في شيء آخر غير الحب :

فـلا تحسبن المجـد زقـا وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

فالهبوات السود ، والفتكة البكر ، واعناق الملوك ، هي السبل المؤدية الى المجد ، والمجد وحده هو الهدف الاساسي في كل ما يبتغيه • ولكن هل يتنافى في طلب المجد مع الحب ؟ ألم يكن سيف الدولة من المثل العليا لا في الوصول الـى المجد فقط ، بل في تحقيقه ايضا ؟ وهل خلا قلب هذا الرجل النموذج مـن عاطفة الحب •

ان قصته مع الفتاة الرومية مشهورة ، وشدة حبه لهـا معروفة في التاريخ • وقد حسدها الجواري على هذا الحب حتى خاف عليهـا منهن • وتحت وطـأة الخوف نقلها الى مكان أمين ، وقال فيها أبياتا عاطفية رقيقة :

راقبتني العيـون فيـك فاشفقت ولـم أخـل قـط مـن اشفاق
فتمنيـت أن تكونـي بعيـدا والـذي بيننا مـن الود بـاق

ومن الممكن ، اذن ، أن يكون المجد هدفا ، وان يكون مـع السعي الـى المجد قلب • فهل نستطيع ان نجد ذلك في شعره ؟

في كثير من الابيات نجد حبا ، ولكنه يأخذ في بعضها زيـا فلسفيا او قاعدة علمية ويظهر في شكل قانوني واسع حتى يبدو وكأنه مستمد من تجارب البشرية كلها لا من تجربة شخصية ذاتية :

الحب ما منع الكلام الالسنا وألذ شكوى عاشق مـا أعلنا

ففي هذا البيت وامثاله خلاصة فكرية مركزة تسندها خلفية مـن الاستقراء والفحص الدقيق والغربلة حتى تصل الى هذه النتيجة المنطقيـة الواضحة • واذا ذهبنا نختبر الجزئيات كانت هذه البداية المشوبة بحفيف الاوراق التـي تحملها رياح الخريف :

(في الجانب العاطفي) بينما الآن في هذا الديوان تبدين اكثر جرأة على اقتحام الاسوار » • فكان جوابها : « ان الدارس لشعر المتنبي يقع في اخطاء صنعها له المتنبي نفسه •• كأن تجد بوحا لا يمكن ان يصدر الا عن تجربة حقيقية ، لانه يحمل عنف الصدق وعمق التجربة • اذن فالمتنبي لا بد ان يكون كذا • هذا استنتاج هيأه لك المتنبي نفسه فاوقعك فيه •

الشاعر الناضج ، فنيا ، لا يساعدنا في كشف نفسه ، لانه لا يكتب تجارب مراهقة تعتمد الصدق والصراحة ، ولكنه يكتب ما يجده نموذجا مستقبليا ، او مثالا غيبيا يرضى عنه بشكل حيادي وفق تصميم مدروس تساعد الموهبة في عطائه التلقائي •

والجرأة « التدريجية » في دواويني عمل مدروس اجتماعيا ، وغاية وهدفا لاعمالي الفنية ، فقد اتخذت جرأة الكلمة شعارا في حين يتخذ غيري جرأة الفعل (١) » •

والجواب لم يكن ردا على سؤال المجلة وحده ، وانما كان تأكيدا لرأي ، قبل ان تسألها مجلة الاذاعة ، مر في حوار سريع بيني وبينها حول المتنبي ، او ، بالدقة ، حول النبرة العاطفية العميقة التي تومض أحيانا في شعره ، فكان رأيها نفس الرأي الذي قدمته للمجلة • ورأي شاعرتنا الكريمة لا يتعدى « فتوى » قضائية صادرة عن محكمة لها سلطة عليا في اصدار الفتاوى •

نحن نختلف مع الصديقة الشاعرة في « بوح » المتنبي العاطفي ، ونراه ، على الاقل ، قريبا من الصدق وقد يصل الخلاف الى « بوحها » بالذات • وربما تكون قصيدة « شهرزاد » احد النقاط التي نستند اليها في ان « جرأة الكلمة » لم تكن شعارها الوحيد • وشهرزاد وان لم تكن صريحة ، فيها ما في نبرات المتنبي من رحلة العذاب ، وفيها قارورة الزهر التي تحمل ما حملته « دار الحبيب » لجياد الشاعر من رحيق الآلهة •

ان الكلمات في الشعر خاصة مركزة ، والتركيز لا يقدم المنح بسهولة ما دامت الايماءات البخيلة هي الاصل • ولكن الايقاع واللحن النابض الهارب من

---

١ ـ مجلة الاذاعة والتلفزيون البغدادية . العدد : ٧١ .

بالاختفاء والانسحاب الى العوالم البعيدة في النفس . والحالة النفسية التي دفعت هذه الكلمات الى الوجود من الحالات الفريدة في تاريخ النفس الانسانية . انها الحالة التي تتجرد فيها النفس من جميع التيارات الدخيلة الـتي فرضتها ظـروف معينة ، او وضع اجتماعي خاص ، او ما اشبه ذلك مما يساعد المجتمع علـى ان يدس في النفوس مفاهيمه ومثله العليا .

في هذه اللحظة ذات « الهبوات السود » و « الفتكة البكر » و « تضريب أعناق الملوك » وما يشبهها من المفاهيم الفلسفية النيتشوية ، ويحل محلها نوع من الصفاء الذي يرافق السماء بعد السحابة المتلاشية التي يأتي بعدها البلور الشفاف.

ذلك الجندي الذي كان يحارب علـى مختلف الجبهات بـدأ يواجه تيارا داخليا جديدا من الخلجات والمشاعر وبدا يحس انه بحاجة الى صدر دافيء ... الى حمام منعش يمسح عن جبينه ما تركت فيه الهبوات السود من الآثار الدامية، وبدأ يشعر ان « السيف » الذي كان عدته الوحيدة في الوصول الى اهدافه التي تتعالى عن التسمية ، قد أخفق اخفاقا يقترب من اليأس ، ولذلك لـم يعد أطيب الاشياء ، ولا أهلا للعناق ، بل هناك ما هو أحلى وأطيب واكثر رقة مـن رونقه وذبابه ... هناك « الغيد » اللواتي يمنحن الحياة ما يومض فيها مـن النعومـة والحنان ، وهؤلاء « اطيب عناقا » لو لم ينتصر الدهر ويربح المعركة .!

هذه الندة لم تكن الندة الوحيدة الـتي تشير اشارة قويـة الـى الجانب العاطفي ، بل هناك غيرها وغيرها :

مررت على دار الحبيب فحمحمت جيادي وهل تشجي الجيـاد المعاهد

فما سر هذه « الحمحمة » التي تكاد تحمل افراح الدنيا كلها ، على ما فيها من حزن ، وتحمل شكر الشاعر على ما فيها مـن عواطف المشاركـة ؟ أيمكن ان تكون مجرد تمثيل بارع صاغته القدرة الفنية لايقـاع الباحثين في الاخطاء عندما يدرسون هذه الاحاسيس التي يشتعل فيها البرق الخاطف ؟ لـقد ألقت مجلـة الاذاعة في بغداد على الشاعرة الكبيرة لميعة عباس عمـارة سؤالا مماثلا حـول ديوانها الاخير : « يسمونه الحب » :

« في ثلاثة من دواوينك لم تكوني بهذه الجرأة على تسمية الاشياء بأسمائها

النصوص الشعرية المخفية من دواوين شعراء البلاد العربية

بقلم : الدكتور محسن جمال الدين

١ ــ الشيخ عبد المحسن الكاظمي

هذا بحث لم يتطرق اليه الباحثون ، ولم تعالجه اقلام الكتاب الناقدين . اوحته الي اقامتي (بمكة المكرمة) في السنة الدراسية ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ م . حينما تصفحت جريدة (ام القرى) لسنتها الاولى ، والتي صدر عددها الاول الاسبوعي في يوم الجمعة ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ هـ . المصادف ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٤ (١) .

وكانت الجريدة تنطق باسم الحملة السعودية وحروبها في الجزيرة العربية والحجاز خاصة . وقد جعلت شعارها الآية الكريمة من سورة (الشورى) « وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها » .

هذا واستتر رئيس تحريرها ومديرها متسترا عن مطالعيها الى ان ظهر اسمه في العدد التاسع منها ، في زاوية صغيرة . وهو المرحوم (الشيخ يوسف ياسين) . ولم تبق الجريدة أحدا من معارضيها السياسيين الا تناولته بالنقد والتقريع واللوم والتأنيب . وصبت هجمات لاذعة على بعض شخصيات العراق يومذاك الذين كانوا يسيرون في بطانة (الشريف حسين) ، شريف مكة وحاكم الحجاز .

ووجدت الغريب من الاخبار والنصوص التي يجب ان تدرس وتعرض وتناقش لمسلك بعض أدباء وساسة العرب المخضرمين في عصرنا الحاضر، ومواقفهم المتأرجحة ، بين الاندفاع والانكماش ، وبين حرارة العواطف وهمودها ، والمدح المفرط والهجاء المؤلم !!

ولم استغرب ذلك لعلمي بان اغلب الادباء والشعراء والساسة في عصرهم لم

سياج الكلمة ، وان ظل مرتبطا بها على هروبه ، يدنـي الاستنتاج مـن الواقع ، ولميعة تعرف ذلك بكل دقائقه وأبعاده •

نحن نستند ، فيما نستند ، الى « الايقاع » الـذي يقترب احيانـا مـن « الدموع » في النميمة على الاسرار • ومهما كان الشاعر بارعا في لعبة الاختفـاء تبق الالحان نمامة قادرة على اضاءة اللعبة وان كان الضوء متقطعا •

من الممكن ، برغم هذه الملاحظة ، ان نقبل التفرقة في « جرأة الكلمة » بين الشاعرة والشاعر ، لان المرأة لا تزال كأسا زجاجيا في المجتمعات الـتي تتبنـى فلسفة البداوة في الحياة ، بينما الرجل اناء من حديد • ولذلك كان الشاعر اقدر على المواجهة من الشاعرة اذا اقتضت الكلمة شيئا مـن التبعات • ولـو كانت الحقوق العاطفية متساوية لما كانت هناك أسوار ، ولا حاجة الى اقتحامها • واذا عرفنا ان المتنبي لم يكن جريئا فقط في مداعبة الطقوس ، وانما كان مغامرا ايضا ادركنا أنه لم يكن بحاجة الى نصب « الفخ » بلـه اخفاءه • واذا بـدا غامضا احيانا ، فلا يعود ذلك الى الرغبة في القاء ستار على نفسه ، بـل الـى رغبة الفن الذي يحلو له أن يلقي على وجهه غلالة يتراءى تحتها اكثر جاذبية ، واكثـر لفتا للعيون التي يشدها الجمال ، او الى رغبة خاصة في جر العقول الـى متاهة تضيع فيها عيون القطا ، كما فعل في مطلع القصيدة التي القاها في مجلس سيف الدولة:

وفاؤكما كالربع أشجـاه طاسمـه بأن تسعدا والدمع اشفاه ساجمـه

وقد ووجه ، على اثر القائها ، بنظرات حائرة ، كما تعلم لميعة ، ومـا زالت هذه الحيرة مسيطرة على عدد من عقول الباحثين الى اليوم • لهذا الاعتبار ونحوه يبدو غامضا أحيانا لا لايقاع الباحثين عامة في أخطاء •

في هذه الاضواء نجد ان النبرة العاطفية لا تخلو من واقع • ولكنـه واقع متواضع يبقى في حدود صغيرة ، ولا يصل ، بالتأكيد ، الـى درجة الامامة فـي الحب • وفيما ذكرناه من أبيات مرايا كافية لرؤية الواقـع المذكـور وان كانت هناك أبيات أخرى قادرة على اضافة شيء غير قليل من القناعة •

بغـداد محمد شرارة

في حياته ، وبعد مماته . لم يتزلف للطغاة ، ولم ينل مثل ما نال غيره من واسع هباتهم ، وموفور عطاياهم ، فقد عاش غريبا بائسا ، ومات مريضا معدما ، مع ما ساهم به من ايقاظ الشعور العربي في محاربة المستعمرين ، وتنشيط الوعي السياسي في دنيا الحركات السياسية والقومية في بلاده العراق أو خارجها .

هذا وفي مجموعتي شعره : الاولى التي صدرت سنة ١٩٣٩ بدمشق ، والثانية التي صدرت بالقاهرة سنة ١٩٤٨ . نجد فيهما الكثير من القصائد ذات الشعور الوطني ، والحس الشعبي ، وكان من الاجدر والواجب للذين نشروهما وأشرفوا على محتوياتهما ، اقارب واصدقاء ، ان ينشروا جميع النصوص ، ويثبتوا جميع القصائد ، او يشيروا الى المقتبسات ، او يشرحوا الظروف التي حالت دون اثبات اصولها . لان الاحداث التاريخية ، والفوائد العلمية تدعوهم ، وتلح عليهم في كشف ذلك امام عيون الدارسين والمحققين . ولا احسب ان ذلك حاط من قدرهم ، او منتقص من مكانتهم الادبية . واحسب ان الاقدمين من علمائنا ومؤرخينا كانوا اكثر حرصا منا وحرية على ابقاء (النصوص) واثباتها .



ولا يخفى ان الشاعر (الكاظمي) يمتلك ثروة وطنية طيبة من الصفحات البيض اكثر من غيره ، ممن تزلفوا ومدحوا وقرظوا كثيرا . كما له يد فضلى كريمة في الثورة العربية الاولى . وفي الحركات الاستقلالية ، وفي كشف نوايا الدولة العثمانية والاتراك من اصحاب (حزب الاتحاد والترقي) . كما ان له الدعوة الصارخة في وحدة البلاد العربية ، قبل غيره من الشعراء . ومن قرأ قصائده « ذكرى الفتوح » (٤) و « انين وحنين » و « تخاذلنا هو السبب » و « ليت الانام جميعهم عرب » و « ما عنك يا اوطاننا بدل » و « وليس بين الانام كالعرب قوم » و « كم غزونا وكم فتحنا » و « مجد قحطان » و « وطني انت كل ما أتمنى » و « ليس سواكم ايها العرب لي فخر » (٥) و « فلسطين » و « يوم حطين » و « ذكرى فتح القدس » و « سيروا بنا » (٦) القائل منها :

سيروا نذب عن الحمى ونرد عنه المستبدا

نحمي حمى أوطاننا ونصونها غورا ونجدا

يكونوا مقيدين بمبادىء حزبية معينة تصد من اندفاعاتهم ، او تصمت من ألسنتهم ، او تمنع لكتاباتهم الشخصية ، وتكبح اهواءهم الفردية ان تطغي على جوانب مسالكهم الاجتماعية والاخلاقية •

فترى الكثيرين من شعرائنا خاصة الذين رحلوا لدار حقهم ، والذين بقوا احياءا يرزقون • اخفوا ــ مع الاسف الشديد ــ عن أبناء جيلهم ، والاجيال القادمة من ابناء وطنهم واخوتهم ، الكثير من القصائد والابيات ، أخفوها وابعدوها ، عن أعين الحقيقة المجردة • اما لمحبة بعد عداوة ، او لعداوة بعد محبة ، او لخوف وتستر ، او لتملق ورجاء !! وكل هذا يلامون عليه من جهة ، وينتقدون من أجله من جهة ثانية • والغريب ان اكثر دارسي تاريخ الادب الحديث في العالم العربي لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتنقيب في الصحف والمجلات القديمة ، ولم يقوموا بغربلة ومقارنة النصوص الشعرية (المطبوعة) بدواوين ومجاميع ، مع المخطوطات والقصائد المتناثرة في صحافتنا هنا وهناك ويلام في هذا غالبا الشعراء انفسهم الذين جمعوا دواوينهم ونشروها في حياتهم ، او ابناء أسرهم الذين اهتموا بتراثهم بعد موتهم •

ولهذا نجد الكثير من التبديل والتحوير والحذف والاهمال في النصوص الشعرية المتداولة لاغلب كبار الشعراء في البلاد العربية • كما لم تكن هناك الجرأة او الحرية ، او الشجاعة في اثبات تلك النصوص • اما لخجل او حياء يحسبونه منقصا لقدرهم ، او حاطا لمنزلتهم • بعد ان تغيرت احوالهم الاجتماعية والمعاشية والسياسية •

وما علموا ان الشاعر هو انسان حساس ذو مشاعر زئبقية ، شأنه شأن الآخرين من أصحاب العواطف المتأججة !! ان وجد خيرا مدحه ، وان وجد شرا ذمه • وقل من الشعراء من ظل وفيا أمينا على اتجاهاته وخط سيره ، الذي انتهجه في حياته ، اسواء كان من الاقدمين ام من المعاصرين •

الشاعر عبد المحسن الكاظمي (٢)

والشريف حسين (٣) :

الشاعر (الكاظمي) الذي عرف بـ (شاعر العرب) كان انسانا طيب الذكر

آمـال يعـرب كلها ... مـن حول ركبك في طواف
وافت وفـود العـرب ... كي تسعى الى البطل الموافي

وتتابع قصائد (الكاظمي) في مدح انجال (الملـك حسين) جـد الاسرة الهاشمية • فله قصائد في (فيصل الاول) و (عبد اللـه) و (علـي) • وكانت كلها تشير الى صلة ، ومودة ، وآمال ، ورجاء •

ولكن جريدة « ام القرى » (٨) كشفت لنا عـن سطحية هـذه العلاقة بين (الشريف حسين) و (الشاعر الكاظمي) • اذ نشرت في صفحتها الاولـى ابياتا من قصيدة تبدو طويلة • نظمها صاحبها في عـام ١٩٢٥ م ــ ١٣٤٣ هـ • وقـد صيرت الممدوح بالامس القريب مذموما ، وكشفت لـنا كذلك عـن صورة من صور ومهازل التاريخ السياسي العربي في البلاد العربية ، وتساوم عليها الوسطاء، لدى المستعمرين الغاصبين • واصبحت صكوك العمـلاء تلعب دورهـا • فقاوم اغراءها من قاوم ، وانخذل امامها من انخذل • وشرد مـن كان صليب العـود ، واعدم من كان وطنيا مخلصا ، ونفي من كان مقاوما عنيدا •

وكان موقف المرحوم (الشيخ عبد المحسن الكاظمي) موقفا لا هوادة فيه، مع المعتدين الدخلاء على وطنه (العراق) وبلادنا العربية الاخرى ، تشهد بذلك قصائده وروائعه ، قال من قصيدته « ذكرى الفتوح » (٩) :

عسى (بغـداد) يوقظها بيانـي ... فتقـرأ فيـه أبكـار المعانـي
اذا مـا راعنـا الحدثان شدنـا ... علـى انقاضه صـرح الامانـي
أصون لهـا المعوذ مـن ودادي ... ولـم أطلـع علـى سـر جنانـي
أباعـد مـن يباعـد غـير أنـي ... أدانـي فـي هواها مـن يدانـي
اذا مـا قيـل (بغداد) كواهـا ... بلاعجـة الحنـين فـقد كوانـي
أشاطرهـا الحنـين ولا أبالـي ... أأسعفنـي المداجـي أم لحانـي
ومن شاء الوقوف علـى اعتقادي ... فديني اول و (الكـرخ) ثانـي
أحب (الكرخ) أسمـع أو أراه ... وليت (الكرخ) يسمع أو يدانـي

ونــرد عنها مــن عــدا ظلمــا عليهــا او تعــدى
سيروا نــؤلــف شملها ونعيدها عقــدا فعقــدا
ان كان حــرب فابتنوا لي في بطون الطير لحــدا
او كان سلــم فاجعلــوا ذاك الثرى عينــا وخــدا
أوطــاننــا أرواحنــا بــل انهــا بالروح تفدى
أبــدا نجاهــد دونهــا ونكافح الخصم الالــدا
ونصد عنها مــن نــوى أو هــم يومــا أو تصدى



اما علاقة (الكاظمي) بالاسرة الهاشمية ، فتبدو مــن اول قيــام الثــورة العربية في الحجاز سنة ١٩١٦ م ـــ ١٣٣٤ هـ • وما لدينا مــن نصوص شعريــة للشاعر نفسه ، تدل على حسن المودة والصلة ، والاخاء والتقارب الروحي • فقد كان من الشعراء الذين ساهموا في (الثورة العربية) بقوة بيانه ، وطلاقة لسانه، وتدفق ارتجاله !!

فتراه يصف هذه الثورة من قصيدته « وليس سواكم أيها العرب لي فخر » بقوله وهو يخاطب « الشريف حسين » (٧) :

أيحي رجاء العرب من بعــد موته أسيفك أمضى أم عزيستك البكــر
وموردها السلسال والبحر ناضب أأنت الندى أم أنت يوم الندى بحر
وما السيف الا حيث عزمك شاحذ وما البحر الا حيث جودك والبــر
حملت مــن الاعباء والخطب نازل باثقاله مــا لــم يطق حمله ظهــر
أقم حيث قام الدهر يقرئك الثنــا وحيث توالى الفتــح واطرد النصر

وقصيدة اخرى بعنوان « تحية الحسين » نظمها سنة ١٣٤٢ هـ قال منها :

رب الجـــلال تحيــة يهديكهــا رب القوافــي

عثرت عليه في (ام القرى) وباسم الشاعر (عبـــد المحسن الكاظمي) • هـو الكشف عن هذا الاثر الشعري وضمه الـــى مجموعته الشعرية الـتي ستطبع قريبا ــ ولاني دجدته مبتورا عند نشره في ديوانـه الذي طبـع في المجموعـة الثانية • (١١) ولم يثبت منه المحققون الا بيتين فقط • دون الاشارة الى المناسبة وتاريخها •

وها أني أسجله الآن كما وجدته ، مقتطفا كما يبدو من قصيدة طويلة :

ألا أيـن الرفـاق وهـل صدوق … يـوافينـي بـأخبـار الرفـاق
لقد سبقوا ومـا سبقـوا عجالا … الـى الغايـات الا لالتحاقـــي
وخلـوا فرقـة الاحبـاب تتلو … علـى سمعي سوى خير التلاقـي
اذا كـان اللقـاء علـى هـوان … رجعت مـن الفراق الـى الـفراق
يقولون الديـار عليـك ضاقت … وارض العـــز واسعـة النطـاق
وهـل سكن يضيق بنـا اذا مـا … سكنا فـوق اكـوار النياق (١٢)
قد اتفق (الحسين) مع الاعادي … فلا كان (الحسين) علـى اتـفاق
ولـولاه لمـا بلغـوا مرامـا … وحكما فـي الشآم ولا العـراق

★ ★ ★

اذا شرب العزيـز ثمـال كاس … شربنـا العـز بالكاس الدهـاق
ونستبقي العـلاء بما لدينـا … مـن النبرات والكلـم البواقـي

★ ★ ★

وهكذا يمكننا القول بان شعر المرحوم الشاعر (الكاظمي) لم يكن وحده الذي طرأ على بعض نصوصه الحذف ، او التبديل في العبارات • وهو قـد جمع ونشر بعد وفاته • بل رأينا الآخرين من شعرائنا المعروفين ، قـد حوروا وبدلوا وحذفوا الابيات والقصائد من دواوينهم ، وكان منهم الاحياء ، او الذين ماتـوا بعد ذلك • ولم يكن السبب في هذا الحذف والتبديل الا ان عواطفهم قد تبدلت،

واهوى في (الرصافة) مـا خبثه ومـا أهـوى سوى غـرر المجاني

★ ★ ★

غير أنه لبؤسه الذي كان يتحمله تحمل الحـر للاذى ، والكريـم للضيم • وجدناه يهادن أحيانا ، ويصبر مرة ومرات عـلى احـداث الزمن ، وقـوارع الخطوب !!

وكانت له مواقف سلبية من شاعر الـدور والقصور الكبيرة (شوقي) • وانحياز للشعب المصري ، وانصار الوطنية البارزين ، كالشيخ محمـد عبـده ، وسعد زغلول ، وحافظ ابراهيم • ولا ادري الذي دعاه ــ رحمة اللـه عليه ــ ومن الذي دفعه الى تقريع (الشريف حسين) ولومه الحـاد ، وارضاء خصومـه واعدائه بعد خروجه من الحجاز وابعاده الى المنفى • أهو غرض مادي ــ وهـذا ما استبعده ــ من الكاظمي ــ قـد قام بتقديمه رسول (السعودية) يومـذاك واحد دعاتها (الشيخ حافظ وهبة) ؟ ام هي ثورة النفس عن (الشريف حسين) لانه لم يحقق الآمال التي كانت تجول في نفوس أحرار العـرب يومئذ في ثورته التي اعلنها ضد الاتراك في التاسع من شعبان عام ١٩١٦ ؟ ام هناك احوال اخرى نجهلها سيوفق التاريخ المعاصر الى كشفها وفضح اسرارها ؟

ثم كيف نوفق بين مدحه المفرط له ولانجالـه وصداقتـه المستمرة معهـم وعلاقته الطيبة بهم ، وبين ما نظمه في الهجوم عليه ؟

كل هذا لا يجلوه ويكشفه الامـن قـد يدرس (الكاظمي) بتجرد عـن العواطف ، او من المقربين اليه بالروح ومعرفة الاسرار •

وكان من الاجدر والاولى للسيـدة الجليلـة الاخت الدكتورة (ربـاب الكاظمي) حينما تحدثت عن والدها الشيخ بحديث مفصل عـن ذكرياتها وحياتها معه ، ان تشرح لنا الاحوال السياسية له في مصر وخارجها ، وعلاقاته مع أقطاب رجالات العرب بشيء من التفصيل والاسهاب ، مما ينفـع الباحثين والدارسين • ويكون وثيقة ذات أهمية تصدر بلسان ابنته الوحيدة ، وخلفه الصالح (١٠) •

★ ★ ★

ان الغرض الذي دعاني اليوم الى اثبات (النص الشعري) التالـي ، الذي

وتطورها » . فجعل تاريخ صدور « ام القرى » عام ١٩٢٥ م . كما ورد ص ٢١٩ من كتابه . ومرة اخرى جعل تاريخها عام ١٩٢٣ ص ٣٦٧ وكلا التاريخين ليس فيهما تثبت وصحة .

٢ ــ الشيخ عبد المحسن الكاظمي (١٢٨٢ هـ ــ ١٣٥٤ هـ) ١٨٦٥ م ــ ١٩٣٥ م شاعر عراقي هاجر من وطنه العراق ــ واستوطن مصر ــ وقد عرف بديباجته العربية المتينة ، وشاعريته الفياضة، وارتجاله المبدع . لم يخلف من بعده الا ابنته الدكتورة الفاضلة (رباب الكاظمي) وشعره الخالد .

٣ ــ الشريف حسين بن علي (١٢٧٠ ــ ١٣٥٠ هـ) ١٨٥٤ ــ ١٩٣١ م . من اشراف مكة المكرمة، ومن حكامها المعروفين قام بالثورة العربية عام ١٩١٦ م نفي الى (قبرص) ومات بعمان ودفن بالمسجد الاقصى .

٤ ــ راجع : ديوانه الاول ص ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٩٥ .

٥ ــ راجع دوانه الثاني ص ٢٣٣ .

٦ ــ راجع الجزء الاول ص ٢٣٣ .

٧ ــ راجع الجزء الاول ص ١٩١ .

٨ ــ راجع جريدة « ام القرى » الصادرة بمكة المكرمة . في عددها (٢٣) الثالث والعشرين بتاريخ ٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ هـ ٢٩ مايو ١٩٢٥ م ص ١ .

٩ ــ راجع القصيدة في دوانه الاول ص ١٢٨ وما بعدها .

١٠ ــ راجع ما كتبته السيدة الدكتورة (رباب الكاظمي) بعنوان « والدي الكاظمي » في مجلة الكتاب العراقية عدد ٢ س ٢ سنة ١٩٦٩ م .

١١ ــ راجع جريدة ام القرى العدد ٢٣ السنة الاولى في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ هـ ــ ٢٩ مايو ١٩٢٥ ص ١ .

١٢ ــ راجع البيتين الخامس والسادس وقد نشرا فقط في ديوانه الثاني ص ٢٨٥ .

واوضاعهم قد تغيرت ، فانصرفوا عن مدح سيد كريم ، او رئيس وجيه ، او وزير متنفذ ، او غني محسن •

وفي الدراسة القادمة سأعرض لشاعر معروف آخر من شعراء العراق رأيت له نصا شعريا بخطه لم ينشره كاملا في ديوانه •

كما وجدت لشاعر ثان تصرفا غريبا ــ فقد حذف قصائد من ديوانه الاول ــ بعد ان اعاد طبعه • ولم اعثر على تعليل منطقي او غرض علمي ، أجاز لـه هـذا التبديل والحذف والاختيار •



اللهم اجعل لنا ولشعرائنا الجرأة والصراحة والايمان • بان نقول ما نعتقده والذي نعتقده ، نعمله ونكتبه ، ونتمسك به • والا فالصمت أولى وأجدر • وهو خير من القول المزيف ، الذي يخفي الحقائق ويطمس الوقائع • ويشوه الصور ، التي كانت في ماضي ايامها جميلة ، صريحة ، عالية !!

اهم المصادر والمراجع :

١ ــ الاعلام ، للزركلي •

٢ ــ جريدة ام القرى السنة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ •

٣ ــ مجلـة الكتاب العراقية •

٤ ــ ديوان الكاظمي ج١ •

٥ ــ ديوان الكاظمي ج٢ •

٦ ــ الموسوعة العربية الميسرة •

٧ ــ مجموعات (عبد الرحيم محمد علي) عن الكاظمي •

بغداد ــ كلية الاداب **الدكتور محسن جمال الدين**

الهـوامش :

١ ــ لقد اختلط الامر على الاستاذ (اديب مروة) صاحب كتاب « الصحافة العربية ــ نشأتها

ليبين احدهما الاخر • ويصوره ، نحو قولهم « الصيف ضعيت اللبن » والمثال يصير فيه من جزئي لاشتراكهما في أمر كلي ، اذا كان الحكم المنقول من احدهما الى الاخر موجودا للجزئي الاعرف من أجل ذلك الكلي أو يظن به انه يوجد له من جهته ، والا لا تصح النقلة من جزئي الى جزئي أعني ان لم يكن هنالك كلي وكان وجود ذلك الحكم من اجله للجزئي الاعرف •

وقال المبرد : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول ، والاصل فيه التشبيه كقولهم : « مثل بين يديه اذا انتصب » فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الاول •

كقول كعب بن زهير •

كانت مواعيد عرقوب لهما مثلا : وما مواعيدها الا الاباطيل •

وابن السكيت يرى أن المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه ، معنى ذلك اللفظ •

وعن بلاغة المثل يقول ابراهيم النظام : يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام •

ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكتابة •

وابن المقفع يقول : اذا جعل الكلام مثلا كان اوضح للمنطق ، وآنق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث •

وقال صاحب روح البيان : التمثيل ألطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل ، واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل العيس ، وقمع صورة الجامح الغبي •

وهو ابداء للمنكر في صورة المعروف ، واظهار للوحشي في هيئة المألوف ، وارادة للمخيل محققا • والمعقول محسوسا ، وتصوير للمعنى بصورة الاشخاص•

ومن ثم كان الغرض من التمثيل ، تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالشاهد •

ويقصد بالتمثيل • ابراز المدركات المعقولة والمعاني الخفية : في صورة

المثل والأمثال واللغة العربية

بقلم : احمد عبد الرحيم السايح

المثل والمَثَل والمثيل ، كالشِّبه والشَّبه والشبيه لفظا ومعنى ، والجمع امثال •

والمثل ـ محركة ـ الحديث • وقد مثل به ، وامتثله ، وتمثله ، وتمثل به •

وقد يعبر بالمثل والشبه ، عن وصف الشيء ، نحو قوله تعالى في سورة الرعد : « مثل الجنة التي وعد المتقون » آية ٣٥ •

وقد يستعمل المثل ـ بكسر الميم وسكون التاء ـ عبارة عن المشابه لغيره في المعاني ي معنى كان •

وهو أعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة •

وذلك أن الند يقال فيما يشاركه في الجوهرية فقط •

والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة •

والشبه يقال فيما يشاركه في الكيفية فقط •

والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط •

والمثل عام في جميع ذلك ، ولهذا لما أراد الله نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال تعالى في سورة الشورى « ليس كمثله شيء » أي كذاته وشبهه •

والمثال : يستعمل بمعنى الموصوف والصورة ، وجمعه : امثلة ، يقولون مثاله كذا أي وصفه وصورته ، والمثال اسم من ماثلة أي شابهه •

والامثال : جمع مثل من يضرب به من الامثال •

والمثل : عبارة عن قول في شيء ، يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ،

ما انتفع المرء بمثل عقله ... وخير ذخر المرء حسن عقله
ان الفساد ضد الصلاح ... ورب جد جره المزاح
من جعل النمام عينا هلكا ... مبلغك الشر كباغيه لكا
ان الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة
يغنيك عن كل قبيح تركه ... يرتهن الرأي الاصيلُ شبكه

ونكتفي بهذا القدر من هذه الارجوزة ، ويقال انها اشتملت على أربعة آلاف مثل .

والعرب قد اهتموا بجمع الامثال رتدوينها في وقت مبكر ، وذلك بعدما تيسرت الكتابة وسهلت وسائلها وانتشرت بينهم .

فحظيت الامثال بالاهتمام كغيرها من الفنون التي تمثل التراث القديم . ونجد ان ، حركة جمع الامثال القديمة وتدوينها قد مرت بمراحل ثلاث :

المرحلة الاولى :

بدأت على أيدي الاخباريين والقصاص . وأول من تذكره المصادر في هذا الشأن هو عبيد بن شربة الجرهمي اليمني وقد نسب اليه ابن النديم كتابا بعنوان ، « كتاب الامثال » غير ان هذا الكتاب ــ ولعله أول كتاب للعرب في هذا المجال ــ فقد مع ما فقد من كتب التراث .

وذكر ابن النديم في فهرسته اسماء بعض الرواة الذين أخذ عنهم عبيد بن شربة مروياته ومعظمهم يمانيون ، مما يؤكد أن أمثال عبيد كانت في معظمها أمثالا يمانية .

ومن هؤلاء الاخباريين الاوائل الذين ألفوا في الامثال في القرن الاول الهجري « صحار ابن العياش العبدي » .

ومنهم أيضا علاقة الكلابي وينسب اليه كتابا في الامثال يشتمل على خمسين ورقة .

محسة او مألوفة لبيان صفتها وحالها ، او تقرير معانيها ، وتمكينها في النفس ، او لبيان امكان وقوعها وتحققها وغير ذلك من الاغراض .

أما الامثال : فانها أقوال سائرة مسلمة سيقت للعظة والاعتبار مع الايجاز ، والاحكام والدقة ، والتركيز ...

وقضاياها مما تتظاهر العقول البشرية على التسليم به . فاذا عرض للناس في حياتهم أمر من الامور التي تدخل في مفهوم أحد الامثال ، تمثلوا به فتأنس النفوس لذلك .

والامثال من آداب العرب الهامة لانها تجري على ألسنتهم مجرى الشعر ، وهي عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح ؟

والامثال من كلام العرب في الجاهلية والاسلام وبها كانت العرب تعارض كلامهم فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق بالكناية . فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال .

ايجاز في اللفظ واصابة المعنى ، وحسن التشبيه .

والشعر العربي تضمن كثيرا من الامثال ، والحكم ، وبهذا وصل الى قمة الابداع ، وذروة ما قدر .

ومن ذلك قول ابي ذؤيب :

فلا تك كالثور الذي دفنت له حديدة حتف ثم أمسى يثيرها

وبعض الشعراء ، نظم القصائد كلها من الامثال كأرجوزة ابي العتاهية التي سماها ذات الامثال ، ومنها :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من أتقى الله رجا وخافا
هي المقادير فلمنى أو فذر ان كنت اخطأت فما أخطا القدر

★ ★ ★

لكل ما يؤذي وان قل ألم ما أطول الليل على من لم ينم

يعد الغرض من الامثال حكاية ما يدور حولها من قصص وتاريخ واجترار ذلك والتندر به •

وانما اصبحت العناية تتجه الى تسجيل الالفاظ الغريبة والتراكيب الفصحى ، والنوادر ، فعوملت الامثال « كمواد خام » يجد فيها العلماء ضالتهم العلمية ، سواء من ناحية دلالة اللفظ على المعنى ، أو من الناحية التركيبية للجملة •

فأصبح المثل لهذا شاهدا لغويا ، نحويا ، أسلوبيا عند هؤلاء العلماء •

وتميزت هذه المرحلة أيضا بميزة أخرى ، وهي الحرص على الامثال الشعبية السائرة المسموعة من العرب والتي يلتقطها اللغوي بأذنه من بدو الجزيرة العربية •

ولا ريب أن كثيرا منها كان منحدرا مع العرب عبر عصور سحيقة •

وهكذا أعطت هذه المرحلة ثمارا جيدة في الحقل اللغوي ، والتراكيب البلاغية والاساليب الادبية •

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة جمع هذا التراث الهائل • من الامثال العربية الذي توزعته ، مجموعات اخبارية ولغوية ، وتصنيفية في موسوعات عامة ، تميزت بالترتيب والتنسيق ، فظهرت بذلك معجمات الامثال عند العرب •

كجمهرة الامثال لابي هلال العسكري (توفي بعد ٣٩٥ هـ ١٠٠٥ م) ومجمع الامثال للميداني (توفي في ٥١٨ هـ ١١٢٤ م) والمستقصي في امثال العرب لجار الله محمود الزمخشري (توفي سنة ٥٢٨ هـ ١١٤٤ م) ومجامع الامثال للبيهقي تلميذ الميداني (توفي سنة ٥٦٥ هـ ١١٧١ م) وتميزت هذه المرحلة بجمع الامثال العربية القديمة من العصر الجاهلي حتى القرن السادس الهجري •

وأصبحت مرجعا لرواد العلم وطلاب المعرفة ، وجهابذة النحو والصرف والتراكيب اللغوية والاساليب المختلفة •

المرحلـة الثانيـة :

وابتداء من القرن الثاني الهجري ، تحولت حركة جمع الامثال تدريجيا من ايدي القصاص والرواة والاخباريين ، الى ايـدي اللغويين ، الذيـن اشتـدت عنايتهم بالامثال العربية ، كنماذج جيدة للغة العربية الفصحى ، فنشطت حركـة تدوين الامثال عندهم حتى ليخيل للباحث ان كـل لغوي في ذلـك العصر كـان يشارك في تصنيف الامثال وجمعها ودراستها فظهرت في هذا الشأن والذي بعده مؤلفات •

ابي عمرو بن العلاء (توفي ١٤٥ هـ ٧٧٠ م)

والمفضل الضبي (توفي حوالي ١٧٠ هـ ٧٨٦ م)

ويونس بن حبيب (١٨٢ هـ ٧٩٨ م)

وابي فيد السدوسي (حوالي ١٩٨ هـ)

وابي زيد الانصاري (٢١٥ هـ ٨٣٠ م)

والاصمعي (٢١٦ هـ ٨٣١ م)

وسعدان بن المبارك (٢٢٠ هـ ٨٣٥ م)

وابي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣ هـ ٨٣٧ م)

وابن السكين (٢٤٣ هـ ٨٥٧ م)

وغيرهم ممن بذلوا جهودا جبارة في هذا الميدان • ولم يبق لنا من مجموعات القرن الثاني الهجري الا كتابان أحدهما « كتاب امثال العرب » للمفضل بن يعلى الضبي • والثاني « كتاب الامثال » لابي فيد مؤرخ بن عمرو السدوسي •

وكتاب المفضل الضبي ، طبع مرتين احداهما في القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ والثانية في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ •

وهذه المرحلة التي تحول فيها جمع الامثال من أيـدي الاخباريين والرواة الى اللغويين والنحاة والصرفيين ، تتميز بالجدية العلمية والدراسة الجادة • اذ لم

يعلـل والايـام ينقص عمـره كما تنقص النيرات مـن طرف الزند

الى غير ذلك من الامثال الحكمية التـي يتناقلها الناس ، وترويهـا الامـم بعضها عن بعض ، واقدم مجموع لها امثال سليمان واكثر الامم أخذت عنها .

وهي عند العرب مقتبسة من امثال الهند والفرس والروم فضلا عما يرويـه العرب عن أسلافهم وحكمائهم كاكثم بن صيفي وغيره ، وينسبون امثـالا كثيرة الى لقمان ، وهو من قدماء الحكماء يشبه شاعرا حكيما بنحو هذا الاسم عنـد اليونان Aleman من أهل القرن السابع قبل الميلاد وهو أقدم مـن نظـم الشعر الغنائي عندهم .

الثاني : امثال مبنية على الحوادث . وهـذه الامثال خاصة بالعرب ولـم يأخذوها عن غيرهم لان الحوادث جرت لهم ، ووقعت وقائعها عندهـم ، ولمسوا حيثياتها بأنفسهم مثل : (الصيف ضيعت اللبن) وأصل هـذا المثـل ان امـرأة تزوجت رجلا موسرا مسنا ، فلم يعجبها ، فطلقها في الصيف حيث يكثـر الخصب واللبن ثم تزوجت شابا فقيرا ، وأرسلت الـى زوجها الاول تسأله لبنا فقال لهـا « الصيف ضيعت اللبن » .

ومثل : « ما يوم حليمة بسر » فمن حليمة وما يومها ؟؟

أما حليمة فهي ابنة الحارث بن ابي شمر ملك الشام وكانت كأجمل أهـل دهرها وأكملهم .

ويومها . يقال عنه . انه استحكمت الجفوة بين المنذر بن ماء السماء ملـك الحيرة ، والحارث ابن أبي شمر الغساني ملك الشام ، وطمع كل منهما في صاحبه، فخرج اليه بما ملك من قوة وبأس شديد ، وبينا الحارث في طريقه الـى العراق قدم عليه قادم من الحيرة له نسب في الغساسنة فأخبره ان جيش المنذر لا ينالـه العدو وأن لا طاقة له بقتاله ، فلما ترأى الجيشان عـلى « عين أبـاغ » اختـار الحارث مائة من فتيانه كلهم شديد البأس ، قوي الشكيمة ، وأمرهم أن يأتـوا المنذر فيفضوا اليه بطاعتهم ، وطاعة أهـل الشام جميعا ، حتـى اذا أنسوا منـه هدوءا وغفلة فتكوا به ، ثم امر ابنته حليمـة فطافت بهـم ، فضمختهم بالمسك جميعا . وكان ذلك مما أفاض عليهم حمية وعزما واقداما ، فذهبوا حيث أمروا ،

وقد عني رجال العلوم بمعرفة أحداثها ووقائعها والمناسبات التي قيلت فيها، وشرحها والتعليق عليها •

والامثال العربية نوعان :

ـ الاول : امثال حكمية كقولهم « الجار قبل الـدار » و « الحرب خدعة » و « الخطأ زاد العجول » و « العتاب قبل العقاب » •

ومثل قول أبي العتاهية في ارجوزته « ذات الامثال » :

لكـل انسـان طبيعتـان ... خـير وشـر وهمـا ضدان
والخير والشر اذا مـا عـدا ... بينهما بـون بعيـد جـدا
انك لـو تستنشق الشحيما ... وجدتـه أنتـن شيء ريحـا
مـا تطلع الشمس ولا تغيب ... الا لامـر شأنـه عجيـب

ومن ذلـك :

اقدح وانت مسترخ ••• اقدح بدفلي في مرخ •

قال : بلغ من كثرة نار المرخ ، أن الريح تهب فيحـك بعضه بعضا فيورى ، تخرج منه النار ومثله العفار والدفلي •

قـال الاعشى :

زنـادك خير زنـاد الملـوك ... وافـق منهن مـرخ عفـارا
ولو كنت تقـدح في صخرة ... بنبع حصاة لاوريـت نـارا

والنبع أقل الشجر نارا ، والزند : عود مثل السواك يفرض له في الزندة •

وهي عود عرضه أصبعان ، فيفرض له فيه حتى يتمكن العود الاعلى الذي يقال له : الزند الاسفل فيقدح له في الغرض (الحز) فيأكل كـل واحد منهمـا صاحبه حتى يحترق طرف الزند ، وما مس من الزنـد ، وينقصي الاعلى حتـى لا يستطاع ان يقدح به ، وذلك اذا ألح عليهما القادح وكثر استعماله اياهما •

قال ابن حرد التغلبي :

يقول ليس أحد مثله في الحرية ، لانه منع جاره من الملك .

وجاء في مجمع الامثال للسيداني : « ان بعض الملوك وهو عمرو بن هند طلب من عوف رجلا وهو (مروان القرظ) وكان قد أجاره فمنعه عوف وابى ان يسلمه فقال الملك عمرو بن هند لا حر بوادي عوف أي انه يقهر من حل بواديه فكل من فيه كالعبد له لطاعتهم اياه » .

وقيل :

وأصبح مسكنا من حيل عوف بلا رث الجوار ولا ذميم

والامثال تمثل نماذج صادقة من تفكير العرب وآدابهم واهميتها اللغوية تتمثل فيما شملته من غريب اللفظ وجمال الاسلوب .

وقد أدت دورا بارزا في حفظ اللغة العربية ونموها واتساعها وشمولها وتبلورها وقد فطن العرب الى اهمية ذلك فدونوا أكثر ما يمكن من الاشياء التي يخشون على ضياعها بسرعة ، ومنها الامثال .

هذا يدل على ان العرب كان فيهم عدد ممن يحسن الكتابة .

وقد أفادت الامثال الادب العربي فأمدته بتراكيب لفظية بديعة كما أن وراء كل مثل قصة تحكي الاحداث والوقائع ، وهذا أعطى الادب ذخيرة حية وعطاء مولدا .

وبما أن الامثال اشتملت على الكنايات ، والمجازات ، والاستعارات ، والتشبيهات والطباق ، والجناس والتورية ، وغيرها من النكات البلاغية .

فقد أفادت منها البلاغة واستمدت منها الصورة الحية والقوة . وتبقى الامثال اعظم مصدر للغة العربية اذا امدتها بتراكيب أصيلة ، اعتمدت عليها العربية الفصحى في بيانها وعطائها ونهوضها وتبلورها وتفاعلها مع الحياة ، ولا شك ان الامثال العربية ثروة عظيمة ، وذخيرة حية جديرة بالدراسة والتحليل لنزداد استفادة بالتراث الفكري للعرب .

القاهرة — احمد عبد الرحيم السايح

وقتلوا المنذر ، وهو في العدد العديد من قوته ، حتى اذا سمع الحارث وجنده صيحة الظفر من فتيانهم زحفوا فتلاقوا بأعدائهم واوقعوا بهم •

فراحوا فريق في الاسار ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هارب

ذلك هو يوم حليمة وهو من أروع أيام العرب وأصولها ، وقد يروي العرب عشرات الامثال قالها الواحد في حادثة واحدة كما رووا في حادثة الزباء وقصير وجذيمة الابرش •

فذكروا في اثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت مثلا منها : قول قصير : « رأي فاتر وعدو حاضر » • « ما ضل من تجري به العصا » •

وقول الزباء : « لامر ما جدع قصير أنفه » •

« بيدي لا بيد عمر »

وهذه الامثال واشباهها كثيرة في أقوال الجاهلية •

وهناك من العرب من ضرب بهم المثل وهم : كليب بن ربيعة وكعب بن مامة، وحاتم طيء • وعوف ابن محلم الشيباني •

فقيل : أعز من كليب وائل •

قال النابغة الجهدي :

كليب لعمري كان أكثر ناصرا وأيسر جرما منك ضرج بالدم

ويقال : أجود من كعب بن مامة •

قال أعشى بن شيبان •

أقل تعللا يوما ببخل على السؤال من كعب بن مامه

ويقال للرجال : أنت أسخى من حاتم طيء •

قال الشاعر : كنت حاتميا اليوم •

ويقال : لاحر بوادي عوف •

وحي الحياة

من قلم : روكس بن زائد العزيزي

١

اذا عجزت ان تكون صديقا عفيفا ، فكن خصما شريفا .

٢

خذ نفسك بالحزم والشدة ، وخذ غيرك بالرفق واللين !

٣

ويل للغرب من حماقة نفسه ، وويل للعالم من حماقة الغرب !..

٤

كل مهذب في ضميره ، يحزن يوم يلتقي بالمغرور ، ويكاد يذوب من اجله خجلا ، ويرثي للملابس المغرور لانها مضطرة ان ترافقه ، وللارض لانها مرغمة ان تتحمله !...

٥

ترى لو كانت ثمرة معرفة الخير والشر فضيلة ، أكان يقدم احد على اقتطافها ؟

٦

ويل للعروش التي لا تسندها عواطف الشعب ،

وويل للتيجان التي لا يحميها العلم !

٧

ليس في نقد الانسان لقومه ، وثورته على جمودهم ، ووضعه اصابعهم على عيونهم ، ما ينافي حبه لهم !..

٨

المستعمر نمس ، والوصولي ثعلب ، فويل لاسراب الحمام ، اتفقت عليها النموس والثعالب !..

المصـــادر :

١ ـ بصائر ذوي التميز للفيروز ابادي . جـ١ طبع المجلس الاعلى بالقاهرة.
٢ ـ مجمع الامثال للميداني . الجزء الاول .
٣ ـ تلخيص الخطابة لابن رشد .
٤ ـ المزهر للسيوطي . الجزء الاول .
٥ ـ تاريخ آداب اللغة العربية جـ ١ جرجي زيدان .
٦ ـ الاغاني لابي فرج الاصفهاني .
٧ ـ الفهرست لابن النديم .
٨ ـ معجم الادباء لياقوت الحموي .
٩ ـ مقدمة كتاب الامثال للسدوسي .
١٠ ـ الامالي لابي علي القالي .
١١ ـ المستقصي للزمخشري .
١٢ ـ لسان العرب مادة « صيف » .
١٣ ـ خزانة الادب . الجزء الثاني .
١٤ ـ المرأة في جاهليتها . عبد الله عقيقي . جـ ١ .
١٥ ـ تاريخ ابن الاثير جـ ١ .
١٦ ـ جمهرة الامثال .
١٧ ـ مجلة كلية الآداب . المجلد الاول . الرياض .

١٩

تجسم الشقاء في حياة البشر ، يوم زعم العلم والفلسفة ، انهما قادران على حل معضلات الحياة كلها !

٢٠

اذا تجردت الحياة من الايمان بما هو اسمى مــن الحياة ، عادت جحيمـا لا تطـاق ! •••

٢١

اذا كنت مخلصا في اعتقادك ، امينا في انتقادك للانحطاط والمنحطين ، فلماذا تحسد الذين اثروا عن طريق الخسة والنذالة ؟!

٢٢

لعل حسدك للمنحطين ، اعظم دليل على انك لن تتورع عن السير في سبلهم المعوجة لو تهيأت لك احوال اللؤم ، وخسة الخيانة كما تيسرت لهم !

٢٣

كثيرا ما تكون نجاتنا من مزالق الحياة تدبيرا الهيا !••

٢٤

المجازفة بالحياة بطولة ، اما المجازفة بالسمعة الحسنة فرعونة !

٢٥

اذا تحولت دماء ابناء الامة ومجاهديها خمرة للمتزعمين ، فقد حلت اللعنة ، وجـاء الطوفان !

٢٦

في قلب كل ام احتفت بزواج ابنها مجزرة ، لا تشرف ما تفخر به الانسانية من العواطف ! •••

٢٧

أهذه هي حكمة الحياة ؟

فانها لا تبني كوخا الا على انقاض قصـر ، ولا تنجب بعوضة الا بعـد ان تفترس فيلا ، ولا تجمع بين قلبين ، الا لتمزق افئدة وقلوبا !••

عمان ــ الاردن **ــ للبحث صلة ــ** **روكس العزيزي**

٩

المحروم من لذة القيام بالواجب ، محروم من كل خير وفضيلة !

١٠

من اعظم نعم الله ، ان ترى اللذي سعوا في تدميرك جاهديـن ، يطلبـون مساعدتك فتبذلها لهم بنفس سمحة ، وقلب كبير !••

١١

الدين الصحيح اسمى من الطائفية والحزبية ، لانه دعوة حارة الـى المحبة والاخاء ، ومشاركة منكوبي الانسانية بلواهم باخلاص !•••

١٢

التفكير العميق يدل على ان بعض الناس جعل الديـن وسيلة للاستعباد ، واستغلال اسمى العواطف واشرفها ! ••

١٣

اعتقاد بعض الناس ان الدين ادعية ، ونصائح ، جعل صوت الدين خافتا !••

١٤

الخيانة تفترس ضحاياها بمخالب الكذب ، وانياب التملق الدنيء ، والمديح الزائف !••

١٥

قل ما تعتقده حقا ، ولا تطلب من الناس السير بموجبه ، بل اقنع بان ترى لذة الناس بمخالفة ما من أجله رضيت بان تموت !••

١٦

ستسوت كل الاعمال التي كانت غايتها الشبهة وحدها !

١٧

لعل اعمال الانبياء والعظماء لم تثمر الا لانها صنعت لغايات سامية !

١٨

هنالك ما هو شر من الجهل ، واقبح من الجريمة : العلـم الذي لا يهذب الاخلاق ، ولا يسمو بالنفوس !

وعيونكم من الظلام ؟! ما فعلتم لانفسكم وللوطن وما هـي المحاولات التي قمتم بها غير العبث واللهو ، انني افهم قضيتكم بصورة واضحة لا تعقيد فيها ، انتم مدعوون للعمل والتطبيق والبعد عن الفوضى والتشويش ، وسنسير خلفكم لو رجعتم لقليل من الحكمة والروية ، ولا يمكن لسفينتكم ان ترسو على شاطىء السلامة مع هذه الرياح العاتية فقليلا من الدعة والهدوء . ابوك الذي كنت في خاطره املا ورجاء ، وفيقلبه حنانا وعزاء، يحس بالحسرة والمرارة لعدك عن اهلك وبيتك وذويك وان كنت قريبا منهم في الجوار والسكن ، فابدأ من هنا يا عزيزي، فلا يمكن ان تحمل البر بين جوانحك لوطنك وتقطع اباك وامك وتبتعد عن اهلك وذويك فافتح لهم قلبك واشرح آمالك وآلامك ، واشركهم في احساسك وشعورك فهم انصارك واعوانك .

عملك الذي تعيش منه لا تتنكر له ولا تكرهه ، فالاخلاص حلية العامل وطريقه الى النجاح ، والعمل يزكو وينتج اذا احبه العامل ورضي عنه وانصرف اليه بفكره وقلبه ، اما البغضاء والسأم ، والفرار من الواجب وازدراء النعمة والسخر من كل شيء ، فهي صفات تأخذ بيد الانسان بعيدا عن التوفيق والفلاح .

وطنك العزيز ، الجميل الساحر ، الذي هو هبة الارض من السماء ، حضنتك شمسه ، وهب عليك نسيمه ، تفيأت ظله ، وسحرك حسه وكان بارا بك فانشأك متعلما قادرا ، فاذكره كل صباح وانت تلقي الدرس على ابنائه وقل لهم :

لبنان فن في الطبيعة قائم دقت محاسنه عن الافهام
قسم تغطى بالسماء كأنها في الكون امثلة على الابهام
شم فوارع علمت ابناءها عند الحوادث كيف رفع الهام
ومدارج تنبيك منحدراتها ان الحياة مذاهب ومرامي
تركت بنيها اينما حكمت بهم نفذوا على الاسباب كالاحكام
وترى هنالك كل شيء ناطقا ان لا يعيش هنا سوى المقدام
يتقلب التاريخ من ابنائه في الغر بين فوارس وكرام

رسوم

نهاية الطريق

بقلم : السيد علي ابراهيم

كان معروفا برفضه لكل مألوف ، ثار على القديم ولم يعجبه الجديد ، تنكر للماضي ولم ينل من الحاضر ما يشتهي فوقف في ظلام الشك والحيرة مجهدا لا يبصر نورا ليهتدي، ولا يلمح في الافق البعيد أملا ليسكن ويرتاح ، هو مثال للجيل المضطرب الحائر الذي طال شقاؤه وامتد ليله ولم يستطع ان يحقق هدفا ، لا يملك غير التذمر والشكوى والطموح البعيد الواسع دون ان تساعده الوسائل ، فاصبح بسبب ذلك جيل السلبية والرفض •

وكان صاحبنا من رواد الجيل ونجومه اللامعة ، شغله الجدل عن العمل ، واتخذ الكلام له صنعة يموت فيها ولا يعيش منها ، وله في هذا المجال رفقاء واشكال ليس لديهم من حطام الدنيا سوى الارصفة والشوارع وبيوت ذويهم المساكين الذين يرون هذا الفراغ الهائل يمس ابناءهم وليس لهم معه علاج غير الصبر والالم ، يرون الاماني التي عاشوا لاجلها امدا طويلا وهم في ترقب وانتظار برقا خلبا ، حضنتها قلوبهم واحتواها وهج ابصارهم حتى اذا ادركت الثمرة او كادت ، هبت عليها ريح طاغية ولفتها العاصفة فتبخرت الاحلام والآمال واطلت عليهم الحقيقة بقسوتها •

قلت لنبيل ذات يوم : اين هي نهاية الطريق معكم يا عزيزي ! فقد شبعنا نقدا وتهديما ومل الناس منكم هذا المشهد المكرر المعاد •

يا من يحاول ان يلغي بقوته ... حكما اصر على تنفيذه القدر
لن للزمان متى هبت عواصفه ... ان الغصون اذا لم تلو تنكسر
كم جاهل بلغ الجوزاء ثم هوى ... عنها الى دركات الذل ينحدر
يرنو الى مجده والسيف منثلم ... والتاج ممتهن والعرش مندثر

لماذا لا تسيرون مع الركب وتبنون للحياة ؟! ألم تتعب اقدامكم من الشوك

صدرك ؟! فقال ان هذه الافكار هي التي كسبت النكد والشقاء .

ازعجتم السابـح في لجـه وهجتم في الجـو ذات الجناح

ولو انصرفتم للاحلام الزاهرة ، وسعيتم خلف السرور والمحبة ، ووقفتم في محراب المرأة خاشعين ، تستوحون منها الروائع ، لم يطرق الشر بابكم ، ولم نر هذه الويلات والمصائب التي اوشكت ان تقضي على مدنيتكم الزاهرة وتمحوها.

قلت انك ارحت نفسك من حيث تعب الكرام يا صديقي .

بيروت علـي ابراهيم

* * *

جبل اذا وصفوا الرواسي لم يكن ابـدا لصدر الارض غـير ومـام

شاعـر الغـزل

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يدمي بنانه

شغله مظهره وشكله عن كل شيء ، فاصبح دمية تحلو للناظـر وتستهوي القلوب ، رافق المرآة منذ نشأ ووعى يطالع فيها وجها لم يكن وجـه سيد ، عرف بين الناس انه شاعر الغزل وصديق المرأة تأمره فيطيـع ويركض خلفها لاهثـا ، اردت ان اكتب عنه شأني مع كل ظاهرة تستحق الدرس والتأمل ويستطيع العاقل ان يأخذ منها عظة وعبرة فجلست اليه اسأل وافكر •

قلت لماذا انت شاعر المرأة وحدها وفي الحياة نوازع كثيرة ومرامي متعددة؟!

فقال اني انصرفت لهذه الناحية وانا في اول الطريق وحبست نفسي عليهـا فلم اعد اهتم بغيرها ، وليس لي شأن بهذا الصراع المرير علـى المادة ، الـذي تعادى فيه الناس وتفانوا ، وجعل من الحياة بؤرة شر واذى ومسرح آلام وارزاء، كأني المقصود للاخطل الصغير عندما خاطب عمر بن ابي ربيعة :

ملأت افق الحب عطـرا وسنى وصورا للوحـي فيهـا سـور

الجنـة الزهـراء مـا ترسمه والخمرة العذراء مـا تعتصر

أآمن بالاختصاص فهو من سبل التفوق والابداع بالشعر وغيره •

قلت ولكنك نسيت قول الاخطل في هذه القصيدة :

الشعر روح الله في شاعره ذلـك يوحيه وهـذا ينشـر

الحكمة الغراء مـن اسمائه وعدن مـن اوطانـه وعبقـر

ومن أين اتيت بهذه البدعة عن الشعراء ، سمعنا بطبيب الانف ، والاذن ، والحنجرة ، وغير ذلك ولم نسمع بشاعر الرأس والمعدة والمرأة والحرب والسلم ، ثم اني اسألك يا صديقي ، اذا حبست السماء المطر وانقطع الماء ألا تحس بالحاجة اليه كبقية الناس ؟! واذا كنت مهددا بغزو عدو يسلب حقك ألا تحس بالخطـر مثل غيرك واذا شكا الناس عيشا ضيقا ألا تشكو وتتألم وتفيض براكين الشعر في

عليها وطدت دعائم المستقبل •

وفي جنباتها نمت الازاهير لتفوح •

••• فبقيت ربيعا دائما ، مع كل شبيبة تطل •

— ٤ —

ما الربيع ، الا بذور حضنتها الطبيعة •

وجففها الصيف •

وندبها الخريف •

وبللهـــا الشتاء •

ثم ، غنى لها الربيع ، فأفاقت مزهوة طروبة •

— ٥ —

العلم ، زينـــة المـــرء •

اذا كان حامله متواضعا رزينا •

لا متشامخا ، متعجرفا •

••• فمن طلب العلم • وثق بالله •

وآمن بقدرتـــه •

— ٦ —

ما أجمل الايام تمضي •

وفي طياتها جلائل الاعمال ، وعظائم الامور ، والعبر ،

وحقائب مملوءة من كنوز الروح •

واياد بيض ، الى الفقراء ، الذين يقبعون في خيام الحرمان •

بيروت نصرت خريش

خمس كلمات

بقلم : نصرت توفيق خريش

— ١ —

رأيته مغموما ، منقبضا .

فسألته ما بك ؟

قال :

يلتذ الانسان معاشرة امثاله طباعا ومعرفة .

وتراه مغموما ، اذا قضي عليه بمعاشرة من لا يشاكله !...

— ٢ —

الثورة :

دماء تغلي في العروق .

تنمو مع الايام .

وتكبر في النفوس .

تجري في الاعصاب .

وتتغلغل مع السلالات

من الاجداد الى الاحفاد .

ثم ، يأتي يوم ، وتنفجر .

— ٣ —

الشبيبة ، فخر الاوطان .

« حكاية مغترب » أهداه « الى كل عربـي اللسان والوجدان » فجـاء في ٤٥٤ صفحة من القطع الكبير.

لقد أغنت الشهرة التي نالها صيدح عن التعريف به ، وخاصة بعـد صدور تحفته الرائعة « أدبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » في ثلاث طبعات ، وهو فـي الاصل محاضرات القاها في معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعـة الدول العربية في القاهرة عام ١٩٥٦ أرخ فيها لطائفة كبيرة من شعراء المهجـر وادبائـه وزادت صفحاته عن ٦٠٠ صفحة كبيرة ، وقبل ان نستعرض قصائد الجزء الاول من ديوانه الجديد ـ القديم لا بد من الاشارة الى ان صيدح من مواليد دمشق عام ١٨٩٣ ، ومن خريجي مدرسة عينطورة في لبنان ، استوطن القاهرة أولا ثـم غادرها الى اوروبا عام ١٩٢٥ حيث تزوج من فتاة فرنسية، ورزق مولودة واحدة، وبعد عامين انتقل الى الارجنتين ، وامضى فيها ربع قرن يعمـل بالتجارة ، ويقيم الآن في باريس مع زوجته ، وقد جاء صدور هذا الجزء من ديوانه وهو يلج عتبة الثمانين ـ مد الله في عمره .

يفتتح ديوانه بذكرى هجرته التي فرقته عن أحبائه واصدقائه وخلانه ، وهو لا يعرف ما اذا كانت فلك النوى ستؤوب به يوما ، وترميه على شواطيء الوطن، والحسرة الاليمة التي رافقت هذا الاقتلاع :

يـا وقفة بين دروب النـوى — من لي بدرب ينتهي بالاياب ؟
وضعت قلبي في يـدي عندما — ودعت بالكف أكف الصحاب

وما ان وصل الى ديار الاغتراب ، وغاص مع سائر الادباء في خضم الاعمال التجارية المجهدة ، حتى راح يصور احوالهم المزرية ، وهم الذيـن رزقهم اللـه قلوبا هلامية حساسة ، وعواطف رقيقة ما خلقت لتنغمس في دنيا الارقام والمتاعب بين علوج تبلدت مشاعرهم ، وخشنت معاملتهم ، حتـى استحالـوا كالمستنقعات الآسنة التي حكم على أزاهيرهم أن تحيا فيها :

يا وردتي طرت كذات الجناح — ولم تعودي في معـاد الطيور
رباه سلطت عليهـا الريـاح — فحومت فوق الربى والثغـور

الشاعر جورج صيدح في ديوانه الجديد - القديم

بقلم: عيسى فتوح

في الرسالة التي تلقيتها من الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح من باريس بتاريخ ٢١ - ٦ - ١٩٧٢ أخبرني عن عزمه على اعادة طبع دواوينه بقوله : « ديواني القديم (حكاية مغترب) لا يرضيني كما هو ، فكان لا بد من مراجعته ، وغربلة قصائده قبل اعادة طبعه ، نزولا عند الحاح أصحابي في بغداد، فلما شرحت لهم عذري ، ارسل الي وحيد الدين بهاء الدين نسخة كان قد اشتراها عام ١٩٦٠ ، وبوصولها عمدت الى العمل الجدي على هدى اصحاب الاختيار والذوق ، وصدر القرار باصدار اربعة كتب بدلا من كتاب واحد ضخم، كل كتاب له موضوعه الخاص ، الاول « حكاية مغترب » الثاني « آفاق وأشواق » الثالث « اصداء الاحداث » من شظايا ومراثي ، والرابع « الثمالات» لكل ما في الجعبة من غوايات ودعابات واخوات ، اشترك فيها المراسلون من شعراء العصر ، ربما ينجز آخر هذا العام باذن الله .. » .

وفعلا بر صيدح بوعده ، فلم يكد يطل عام ١٩٧٣ حتى كان الجزء الاول « حكاية مغترب » من ديوانه القشيب بين يدي ، أقلب صفحاته ، والتهم قصائده بنهم لا يرتوي وجوع لا يشبع ، وقد قسمه الى قسمين : الاول حكاية مغترب مع بني وطنه (١٩١٢ - ١٩٧٢) من صفحة ٥ الى صفحة ١٧١ وضم اثنتين وثلاثين قصيدة ، والثاني حكاية مغترب مع أسرته من صفحة ١٧٥ الى صفحة٢٣٥ وضم اثنتي عشرة قصيدة .

يقع الجزء الاول من ديوانه اذا في ٢٣٥ صفحة من القطع الصغير ، وقد أصدرته دار الكتاب الجديد مبوبا أحسن تبويب ، مطبوعا أفخر طباعة واجملها ، وكان صيدح قد أصدر أول دواوينه « النوافل » عام ١٩٤٧ في بونس ايرس وأهدى طبعته كاملة الى لجان الدفاع عن فلسطين ثم « النبضات » عام ١٩٥٣ في باريس ، وفي عام ١٩٦٠ اصدر مختارات من شعره في ديوان ضخم تحت عنوان

دعوني الـى جـد الحيـاة وكدها فقلت لاحـلام الصبا قضي الامـر

ان من كان في طبعه الادب قلما يغدو تاجرا ماهرا ، وكثيرا مـا يتعـرض للخسائر الفادحة نتيجة انشغاله بالادب ، لا سيما الشاعر الـذي وهب حساسية مفرطة ، وخيالا وثابا ، لا ينسجم مع لغة الارقام والحسابات الجامدة ... وأول خسائر الشاعر صيدح كان عام ١٩٢٥ في مصر ، الامر الذي أدى الى ارتحاله عنها الى المهجر البعيد ، تاركا بعض أهله ، مستسلما الى حظه العاثر وألمه الممض :

عاثـر الجـد بعدما كان نارا علـى علم
زاهـرا كان نجمـه فهو النجم في الظلم
نازحـا كـل زاده عـزة النفس والالم
صابرا ليس يشتكي غير ما فيه مـن سقم

وهو لا ذنب له في هذه الخسائر الا كرمه الباذخ :

ان تظنـوه مذنبـا فاجعلوا ذنبه الكرم

هاجر وهو لا يدري أين ستلقي به أكف الـنوى ، ولا في أي مرفـأ امين ستطرحه السفن الماخرة لانه :

حيث لا تشتهي البـرا كين قـد تسقط الحمم

ولسوء حظه رمته فلك النوى :

في محيـــط رجالـه كالضواري بـلا ذمـم

وفي زحمة هذه الاحداث المكتظة ، والنكبات القاهرة يلتفت الـى وطنـه ليظهر له حبه الكبير ، وشوقه العارم ، ووفاءه النادر ، وهو الذي تركـه مشردا هائما بلا نصير او معين :

يـا ديارا عبدتهـا مثلما يعبـد الصنم
لـك قربت مهجتي وشبابي الذي انصرم
ومتاعـي وصحتـي وشعوري ومـا نظم

وانطرحت كالعندليب الصدي ... في صفحة المستنقع الاربد ..

★ ★ ★

لهفي عليها ما أذل الاسير ... آسره علج دعي الحسب
رباه لو ألقيتها في غدير ... لاحتضرت راقصة من طرب
بريئة من دنس المرقد ... تياهة بالكفن المزبد ...

وهو يتمنى لو كانت وردة الادباء المهاجرين شوكا ، اذا لابتعدت عن شمها الانوف الوقحة ، ولم تهصرها الايدي الغليظة ، ومع ذلك فالشوك يرتع فوق الهضاب حرا سعيدا ، والورد يكاد يختنق من شوقه للهواء الرطيب :

لو كنت مشوكا ما غزتك الانوف ... ولا تهادتك اكف الملاح
ولا تحداك هواة القطوف ... ولا توالت غمزات الوقاح
الشوك ريان على الانجد ... وأنت عطشى للهواء الندي

أرأيت تصويرا أجمل وابدع واحلى من هذا التصوير الرائع لحال الادباء المهاجرين الذين ضاعوا في دنيا الاغتراب ضياع التبر النقي في التراب ، ومع ذلك لم يفارق البريق معدنهم الحر الاصيل .

وفي قصيدة « الخطوة الاولى » يحكي لنا جانبا من انتقاله المفاجيء من عالم المدرسة المليء بالرؤى الجميلة ، والاحلام العذبة ، الى عالم التجارة المتعب ، ولما يزل رخص العود غض البنان ، طري الجناح ، بعيدا عن مرابع صباه في دمشق :

هجرت ربوع الشام والقلب مثخن ... جريح سهام كان اقتلها الهجر
اذا البلبل الغريد فارق أهله ... فكل رياض الكون في عينه قفر
سقى الله جنات سقتني حنانها ... كأم على أحضانها الولد الغر
سكرت بها في فجر عمري وها أنا ... صحوت فلا فجر هناك ولا سكر
نزلت ديارا لا سمائي سماؤها ... ولا أرضها أرضي ولا شعرها الشعر

سويدائها ، لا يبارحها ، فكيف اذا استمعنا الى قصائده في أسرته ، في نعي والدته مثلا ، في وحيدته جاكلين ، في حفيديه ، حيث تكون العاطفة أشد انصهارا ، وحسبك ان تقرأ هذه النماذج التي تقدم اليك نفسها بلا وسيط • يقول لاخوته عندما بلغه نعي والدته في القاهرة :

ودعوها شيعوها بمراسيم الخشوع
وعلى الهام ارفعوها واغسلوها بالدموع
وقفوا يا من رعوها حولها صف شموع
آمنا لا تضعوها في الثرى بل في الضلوع

وفي قصيدته « شيطنة » تتجلى قمة الوصف ـ وصف الطفلة التي غابت أمها وأوكل أمر رعايتها الى أبيها ، فراحت تعبث بنباتات الحديقة ، وترشها بالماء على هواها ، متفلتة من اسار المراسيم الوثيقة ، بينما راح كلبها الصغير يبلع ريقه خائفا عاقبة الطيش ••• ازاء هذا المنظر أحس الشاعر بأنه أسعد مخلوق في الكون ، حيث امتزجت في عينيه دموع الفرح ، بدموع الشكر :

ابنتي مع كلبها تلعب في رحب الحديقه
أمها غابت فمن ذا يكبح البنت الطليقه
أعلنتها ثورة ضد المراسيم الوثيقه
ضربت بالعشب داست اصص الزهر الانيقه
ومضت تفرك آذان الافانين الصفيقه
مورقات أصبحت أرجوحة اللهو الحليقه
رشرشتها بسخاء ترك العطشى غريقه
من رآها ظنها تطفي بالماء حريقه

الى أن يقول :

كلبها المسؤول عنها قلق يبلع ريقه

لم أجد يوم نكبتي فيك عطفا ولا كرم

معظم قصائد صيدح بين العشرينات والثلاثينات تحمل طابع الروماتيكية ، ويغلب عليها البث والبوح والشجن ، لان الروماتيكية كانت هي الغالبة على انتاج الادباء والشعراء في تلك الفترة التي لمع فيها الياس ابو شبكة ، وابو القاسم الشابي ، وابراهيم ناجي ... أضف الى انه كان في ذلك الحين شابا مغامرا طموحا ، يعانده الحظ ، ويفجعه القدر ، وتعيق دربه الطويلة الوف العثرات ، ولذلك تراه يهرب منها الى ذاته ، ليعكس خيبته شعرا يلتهب بالوجد والالم ، وبخاصة عندما يمر العيد ، وهو منفي في مغتربه البعيد ، لا أنيس يسري عنه ، ولا سمير يخفف من همومه واحزانه :

هبت الريح فقامت تستطير بين أيديها الى لا مستقر
وأنا كالورق الذاوي أسير هائما في الكون ما شاء القدر
وكأني في يد الدهر النكير أثر من بعد عين أو خبر

انه في هذا البحران يحيا في الظلام ، والشمس من حوله تنير الكائنات ، أما نهاراته فطويلة ، بطيئة ، مملة :

تشرق الشمس فتزهو الكائنات وينير البشر أعماق القلوب
وتهب الطير تشدو النغمات ويفيق الروض ريانا طروب
وأنا أشهد ، والقلب كسير مهرجان النور في كل سحر
حي غيري أيها الفجر المنير ودع المنفي في ليل الكدر

الناس يعيدون من حوله ، يهزجون ، يطربون ويمرحون ، وهو نهب الوساوس والهموم :

عدت يا عيد لحاك الله عيد والذي غيرني ما غيرك

في هذا الموشح طاقة غنائية هائلة ، ككل شعره ، تذكرني بغنائية شوقي ، ولذلك يجد شعره طريقه الى القلب بسهولة ، يدخلها بلا استئذان ، يستقر في

مع الخالدين

مع مدام كوري مكتشفة الراديوم

بقلم: سمير شيخاني

صوت : اصابت الشهرة ماري كوري منذ سنين عديدة عندما هز العالم اكتشافها مادة الراديوم • واليوم تصيبها شهرة جديدة ، ذلك بأنها لولا عملها لبقي تحطيم الذرة حلما يراود مخيلة العلماء ••• سوى ان ماري كوري الحقيقية لم تكن المرأة التي مجدها العالم بالجوائز والشهادات والدرجات الفخرية • ماري كوري الحقيقية كانت الفتاة البولونية الصبية الفقيرة الجميلة ، التي وجد معها بيير كوري ، وكان قد اصبح عالما مرموقا ، خير من يتناقش واياه في شؤون العمل الخطير ••• كانت المرأة التي كان بوسعها ان تعمل طوال سنوات بلا جدوى في مختبر حقير بارد ، ومع ذلك يتملكها السرور العظيم اذ يعطي الراديوم ذلك الاشعاع الجميل • ولكن فضلا عن ذلك كله ، كانت ماري كوري الحقيقية المرأة التي كانت ابنتاها تدعوانها « امي العذبة » : امرأة بسيطة ، شديدة التواضع ، حمل اليها العلم حياة غنية وزواجا سعيدا ، ونهاية مؤلمة ••• ولكن ما لي ولهذا التقديم استبق فيه الاحداث واختصرها ، فلنستعرض مع ماري كوري نفسها قصة حياتها الحافلة هذه من الالف الى الياء •

مدام كوري : اسمح لي ، يا سيدي ، في مستهل هذه المقابلة ان اشكرك على ما قدمتني به من عبارات انا لا استحقها حقا • فلنبدأ الآن استعراض مراحل حياتي اذا شئت • فانا مولودة في فرصوفيا في ٧ تشرين الثاني من العام ١٨٦٧ • •قد اضطررت لمغادرة العاصمة البولونية في خريف ١٨٩١ لاشتراكي في منظمة ثورية للطلاب ، ورحلت الى باريس حيث سجلت اسمي في السوربون لدراسة العلوم الطبيعية •

صوت : وغالبا ما كان الطلاب يقابلونك في ممرات الجامعة ويتساءلون من تكون هذه الفتاة ذات الوجه الحيي العنيد ، والشعر الاشقر الرمادي الجميل

خائف عاقبـة الطيش على ردف الرفيقـه
وأنـا فـي مقعـدي أسعد حـي في الخليقه
أتغاضـى وعيونـي لـم تفارقهـا دقيقـه

ليس ما ذكرت الا استعراضا سريعا لبعض ما ورد في الجزء الاول من ديوان صيدح الذي ستليه الاجزاء الثلاثة الباقية ، وهو ان دل فانما يدل على الشاعرية الطلقة التي وهبها صيدح ، والتي تقوم علـى عنصريـن بارزيـن في الغنائيـة والتصوير ، فكان صيدحا اسما وفعلا .

دمشـق **عيسى فتوح**

★ ★ ★

العرفان : وقع في قصيدة شاعرنا الكبير « صيدح » المنشورة في العدد الثاني من العرفان ص : ٢٩٩ بعنوان « العام الجديد » تقديم وتأخير في الابيـات العشرة الاول وهو ان الانترتيب يكر احيانا حين تصليح كلمة فعذرا .

ترفرف اياما بطولها . واخيرا عدتما الى باريس لتقيما في مسكن صغير يحمل الرقم ٢٤ في شارع لاغلاسيير . فهل لك ، يا سيدتي ، ان تحدثينا قليلا عن هذا المسكن ؟

مدام كوري : كانت جدرانه تزينها الكتب ، والكتب وحسب . ولم يكن فيه سوى كرسيين ومنضدة خشبية بيضاء ، فوقها ابحاث في الفيزياء ومصباح زيتي ، وبعض الازهار . ولكن رويدا رويدا رحت احسن معرفتي بشؤون التدبير المنزلي . فابتكرت الوانا من الطعام لا تستدعي وقتا طويلا للتحضير ، او يسكن تركها على النار لتطهى بعد تعديل شعلة النار تحتها ، كل ذلك لكي اوفر لنفسي متسعا من الوقت للعمل في المختبر مع زوجي بيير كوري .

صوت : وفي السنة الثانية لزواجكما وضعت طفلة جميلة اسميتماها ارين التي نالت فيما بعد جائزة نوبل مثلك تماما . غير ان فكرة الاختيار بين الحياة الزوجية المنزلية والانصراف الى العلم واحترافه لم تخطر ببالك ابدا . كنت تعنين بشؤون المنزل ، وبطفلتك وبوضع الطناجر على النار ، الى جانب عملك في المختبر لاكتشاف اعظم اكتشاف في العلم الحديث حتى ذلك الحين . وفي نهاية ١٨٩٧ كنت قد حصّلت شهادتين جامعيتين، وكان هدفك التالي درجة الدكتوراه. وبينما كنت تبحثين عن موضوع تقومين بالابحاث حوله لفتت نظرك نشرة وضعها حول خصائص الاورانيوم العالم الفرنسي انطوان هنري بيكريل .

مدام كوري : الواقع ان اكتشاف بيكريل هذا قد ادهشنا وفتننا كثيرا ، بيير وانا ، فماذا كان مصدر الطاقة التي كانت مركبات الاورانيوم ترسلها باستمرار كاشعاعات ؟ لقد كان ذلك موضوعا شيقا للبحث ، وقفزة الى عالم مجهول . وبفضل مدير كلية الفيزياء حيث كان يعلّم بيير سمح لي بأن اجري اختباراتي العلمية في غرفة صغيرة في الطبقة الاولى من المدرسة كانت تستخدم كمستودع . الا ان مناخ تلك الغرفة كان مؤذيا للادوات الدقيقة الحساسة التي كنت استعملها ، كما كان مؤذيا جدا لصحتي .

صوت : وفي غمرة دراساتك لاشعاعات الاورانيوم اكتشفت ان مركبات عنصر آخر هو الثوريوم يرسل كذلك ، ومن تلقاء نفسه ، اشعاعات شبيهة

والملابس المتواضعة ، فيأتيهم الجواب الغامض « انهـا غريبـة ، واسمها صعب واشد غرابة » !

مدام كوري : صحيح ، فان اسمي الاصلـي هـو ماري سكلودوفسكا . والواقع انني بقيت فترة طويلة من الزمن أعرف من قبـل زملائي الطلبـة بذات الرأس السلافي الصغير ، والشعر الاشقر الرمادي .

صوت : ولكن الشبان لم يكونوا ليثيروا اهتمامك . فـقد كانت دروسك العلمية وحدها تستأثر بك وتجعلك تعملين بحرارة . وكنت تعتبرين ضائعة كـل دقيقة لا تقضينها في الدرس . وقد بلغ بك الحياء والخجل من اقامة صداقة مـع الفرنسيين انك سكنت مع مواطنيك من البولونيين الذين كانـوا يؤلفون جالية صغيرة في الحي اللاتيني ، حيث كانت حياتك بسيطة جـدا ، مكرسة بكاملهـا للدرس ، بعد ان طردت منها فكرة الحب والزواج .

مدام كوري : ولكن ذلك لم يمنعني من الزواج بفرنسي هـو العالم بيير كوري الذي كرس حياته للبحث العلمي ، فلم يتزوج علـى الرغم مـن بلوغـه الخامسة والثلاثين ... وكنت انا في السادسة والعشرين ، عندما تم لقاؤنا الاول سنة ١٨٩٤ في المختبر ، وربطت بيننا صداقة حميمة وثيقة . ولقد طلب ان يزورني في حجرتي المتواضعة ، فاستقبلته .

صوت : وقد وجدك رائعة على الرغم من بساطة ثيابك ، وملامحك العنيدة المتحفظة . وكان اكثر ما اعجب بيير فيك اخلاصك لعملك ، وشجاعتك ونبلك . وبعد بضعة اشهر طلب منك ان تكوني زوجته .

مدام كوري : الا ان الزواج من شاب فرنسي ، وتركي اسرتي الى الابد ، وهجر وطني الحبيب بولونيا ، كل ذلك كان امرا غير وارد بالنسبة الي . ولذلك فقد مرت عشرة اشهر قبل ان اقرر نهائيا قبول فكرة الزواج .

صوت : وفي الايام الاولى من حياتكما المشتركة قمتمـا بنزهات في الريف المجاور على دراجتين دفعتما ثمنهما من مبلغ قدم اليكما هديـة يـوم الزفاف . وكنتما تقيمان في فنادق بسيطة مجهولة ، حيث كانت السعادة في عزلتكما هـذه

كنا ننسى مواعيد الاكل والنوم • وفي مناسبات كثيرة كـان بيير يضطر للذهاب الى فراشه بعد معاناة نوبات ألم شديدة في ساقيه • واما انا فقد كنت على وشك ان أصاب بانهيار عصبي •

صوت : لقد كانت الطاقة الاشعاعية تنمو وتكبر على حساب حياتكما انتما العالمان اللذان منحتماها الحياة • وكان الراديوم مسحوقا ابيض شديد الشبـه بملح الطعام ، الا ان خصائصه كانت مدهشة ، وقـد تجاوزت اشعاعاته في قوتها كل التوقعات • فقد تبين انها اقوى من الاورانيوم بمليوني ضعف • ولعل اعظم ما كان ينتظر ان يقوم به الراديوم من معجزات هو استخدامه في حـرب الانسان ضد السرطان • وفي سنة ١٩٠٣ دعا المعهد الملكي البريطاني بيير رسميـا ليحاضر في لندن عن الراديوم • وعلى اثر ذلك انهالت عليكما الدعوات لحضور المـآدب التكريمية لان لندن شاءت ان ترى والدي الراديوم • وفي تشرين الثاني من تلك السنة انعمت عليكما الجمعية البريطانية الملكية بواحدة مـن ارفـع جوائزها : وسام دايفي •

مدام كوري : ثم جاء الاعتراف التالي باهمية اكتشاف الراديوم من اسوج• ففي العاشر من كانون الاول ١٩٠٣ اعلنت اكاديمية العلـوم في استوكهولـم ان جائزة نوبل في الفيزياء لتلك السنة قد منحت مناصفة الى انطوان هنري بيكريل، وبيير وماري كوري لاكتشافاتنا في الطاقة الاشعاعية • وكانت جائزة نوبل تعني مبلغا يناهز السبعين الف فرنك ذهبي • ولـم يكـن القبـول بهذا المبلغ يناقض الروح العلمية • على العكس كانت تلـك الفرصة الوحيدة لتخليص بيير مـن ساعات التدريس المضنية ولانقاذ صحتي المنهارة •

صوت : ولكن عندما صرفتما قيمة الشيك وزعتما الهدايا والقروض المالية على شقيق بيير وشقيقاتك واشتركتما في بعض الجمعيات العلمية ، فضلا عن بعض الهدايا للطلاب البولونيين ، والى صديق لك من اصدقاء الطفولة • وقد انشأت حماما عصريا في مسكنك واصلحت احـدى الغرف الحقيرة • ولكن لـم يخطر ببالك قط ان تحتفلي بتلك المناسبة العظيمة بشراء قبعة جديدة •

مدام كوري : وبقيت اعلّم ، ولكنني ألححت كثيرا عـلى بيير لكي يتـرك

باشعاعات الاورانيوم • وقد تبين لك ان قوة المواد المشعة في كل حالة كانت اقوى مما يبدو معقولا بالنسبة الى كميةالاورانيوم او الثوريوم في المركبات المدروسة• وتساءلت من اين يأتي هذا الاشعاع غير الطبيعي • ولم يكن هناك سوى تفسير واحد ممكن وهو أن المعادن ينبغي ان تحتوي ، بكمية قليلة ، علـى مادة مشعة اقوى من الاورانيوم والثوريوم • ولكن ما هي هذه المادة ؟

مدام كوري : في اختباراتي وتجاربـي كنت قـد فحصت كـل العناصـر الكيماوية المعروفة • ولذلك كان ينبغي ان تحتوي المعادن علـى مادة مشعـة ما زالت عنصرا كيماويا مجهولا حتى ذلك الحين • في ذلك الوقت تـرك زوجي بيير الذي كان يتابع تقدمي السريع في التجارب العلمية باهتمام بالـغ اختباراته الخاصة لكي يساعدني على اكتشاف ذلك العنصر المجهول • وقـد عزلنا وقسنا اشعاعات عناصر معدن البتشبلند فتبين لنا بعد فترة وجودة عنصرين بدلا من عنصر واحد • وفي تموز من سنة ١٨٩٨ استطعنا ان نعلن اكتشافنا لواحد مـن هذيـن العنصرين • وقد اطلقت عليه اسم بولونيوم تيمنا ببولونيا الحبيبة •

صوت : وفي كانون الاول من السنة نفسها اعلنتما عن وجود عنصر كيماوي ثان جديد في البتشبلند اطلقتما عليه اسم الراديوم • وكـان عنصرا قدرتمـا ان طاقته الاشعاعية هائلة جدا • ولم يكن احد قد رأى الراديوم من قبل ، ولم يكن احد يعرف وزنه الذري • ولكي تبرهنا على وجود البولونيوم والراديوم عملتما طوال اربع سنوات متواصلة • وهكذا في سنة ١٩٠٢ ، اي بعـد خمسة واربعين شهرا من اليوم الذي اعلنتما فيه امكانيـة وجـود الراديـوم ، حققت النصـر الحاسم : فقد نجحت في عزل ديسيغرام من الراديوم الخالص عن معدن التشبلند، وحددت وزنه الذري • وهكذا وجد الراديوم رسميا •

مدام كوري : ولكن مع الاسف كانت امامنا معارك اخرى • فمرتب بيير في كلية الفيزياء كان خمسمئة فرنك في الشهر • ولم يكن ذلك ليكفينا بعـد مولد ابنتنا ارين • ولذا اضطر الى القبول بمنصب تعليمـي عـادي في السوربون • والغريب في الامر انه لم يحصل على منصب الاستاذيـة الا سنة ١٩٠٤ بعـد ان اعترف العالم بأسره بقيمته العلمية • اما انا فقد ساعدته بالتدريس في كلية للبنات بالقرب من فرساي • وفي غمرة انهما كنا بالتدريس واجراء الاختبارات المتواصلة

الجراحية انقذت بصرك ، الا انك لم تشعري بالراحة ، وعرفت انــك ستضطرين الى هجر العمل .

مدام كوري : وانا القائلة في هــذا الصدد « لست ادري اذا كنت استطيع الحياة دون مختبر » .

صوت : وظهر يوم الجمعة في ٦ تمــوز ١٩٣٤ ، ودون خطب او مواكب ، ودون وجود أي سياسي او هدية رسمية ، احتللت مكانك المتواضع في مملكــة الخالدين . فدفنت بجانب بيير في مقبــرة صو ، بحضور انسبائــك واصدقائك والذين عملوا معك واحبوك .

سمير شيخاني



ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقــا لمقتضيات فنيــة لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التدريس في كلية الفيزياء • ومع ابتسام الشهرة لنا راحت البرقيات تنهال علينا من كل حدب وصوب ، وكتبت عنا المقالات الصحافية بالآلاف ، ووصلتنا مئات الطلبات ممن يريدون توقيعينا ورسمينا، فضلا عن الرسائل العديدة من مخترعين، وقصائد الشعراء حول الراديوم • حتى ان احد الاميركيين كتب يسألني اذا كان بامكانه ان يسمي فرسه في السباق باسمي •

صوت : الا ان مهمتكما بالنسبة اليكما لم تكن قد انتهت • كل ما كان يهمكما العمل ، والعمل باستمرار • وفي السادس من كانون الاول ١٩٠٤ وضعت طفلة ثانية سوداء الشعر هي ايف التي كتبت فيما بعد سيرة حياتك، ولكن ما لبثت ان استأنفت حياتك العملية في المدرسة والمختبر !

وفي ٣٠ تموز ١٩٠٥ انتخب بيير عضوا في اكاديمية العلوم الفرنسية وكانت السوربون في هذه الاثناء قد انشأت كرسيا للفيزياء من اجله ، وهو المنصب الذي طالما رغب ان يحتله • غير انه لم يكن قد انشىء بعد المختبر المناسب •

مدام كوري : ولكن القدر كان لبيير بالمرصاد • ففي سنة ١٩٠٦ وكان ، اليوم ، الخميس في ١٩ نيسان يوما ممطرا قتل زوجي المسكين في احد شوارع باريس اثر صدمة عربة تجرها الخيل • فطلب الي ان احتل مكانه في السوربون ، وهي المرة الاولى التي يسمح فيها لامرأة ان تتولى منصبا تعليميا عاليا •

صوت : ومما يذكر في هذا الصدد ان البهو الذي القيت فيه محاضرتك الاولى مستأنفة الموضوع من حيث تركه بيير قبل وفاته ، قد زخر بالطلاب والمستمعين المشدوهين ، حتى ان الكثيرين احتشدوا في ممرات الجامعة وخارجها • وقد فزت مرة ثانية بجائزة نوبل سنة ١٩١١ ، ولكن في حقل الكيمياء هذه المرة • ولما زرت الولايات المتحدة للمرة الاولى قدم اليك الرئيس وورن هاردنغ باسم نساء البلاد غراما واحدا من الراديوم •

مدام كوري : وفي زيارتي الثانية الى العالم الجديد قدم الي مبلغ خمسين الف دولار لشراء الراديوم اللازم لمختبر فرصوفيا ، مسقط رأسي •

صوت : وفي سنة ١٩٢٠ هددت بالعمى ، ولكن سلسلة من العمليات

ضريبة الدم

شعر: خضر عباس الصالحي

سأبقى على الاغصان طيرا مغـردا   لأرسل بأسم الشعب شعرا وأنشدا
وقيثار قلبي من هوى الشعب يستقي   قصيدا بأصداء الشعـور تفـردا
وما كان شعبي غـير شعب مناضل   يخط طريق النصر في حومة الردى
يسيل الـدم المطلول طهـر تربـة   من الرجس ، رجس الذل حين تمردا
وتلك جباه النجم قـد شاد فوقها   له صرح مجد قـد عـلا وتوطدا

★ ★ ★

اذا الشعب يوما سيم خسفا تأججت   عزائمه الشمـاء تستأصل العـدى
وصوب خطوط النار وافت طلائع   لتغسل عـارا فـي الجبين تجسدا
وفي غمرة اللـج العنيف تحفـزت   كتائب شعب ، والصمود لهـا حدا
أطارت صواب الخصم عند لقائـه   بمعركة لـم تبق وغـدا ومفسدا
بدا الليل ملغـوم المفاوز عاصفـا   بـه يهـدر الزلزال تيهـا معربدا
تجـن الاعاصير الرهيبـة حولـه   وينفجـر البركان غيظـا مهـددا
لقد أضرم الشعب العراقي ثـورة   وهاج خضم الحقد في الصدر مزبدا
وأحرق في وهـج الكفاح جحافلا   وبالغالـة الغـراء جيشا تصيـدا
وأودى بحلـم الغاصبين مسجـلا   على مفرق التاريخ فـوزا مؤكدا
قراصنة الاوطـان أضحـوا أذلة   يجـرون أذيـال المهانـة سجـدا
مشارف طغيان هوت مـن سمائها   وبات اضطهاد الشعب حلمـا مبددا
وأومأ فجـر النصر نحـو أنطلاقة   وللشعب قد ضوى السبيل الممهدا

إلى الدكتور علي الصافي .
بعض التصريحات .
الفراغ .

شعر : احمد الصافي النجفي

ايـا ابن اخـي يـا علـي الرتب — ويـا خـير فخـر لعـم واب
لأنـت نسيبـي روحـا وخلقـا — وتلـك لعمـري اعلـى النسب
فكنت صديقـي مـذ كنت طفـلا — ومـركـز آمـالـي المـرتـقب
تفرست فيك « ابن شهرين » مجدا — واذ بالفراسـة ذي لـم تخب
جمعت المفاخر مـن كـل نـوع — ويكفيك انـك « صافي النسب »

★ ★ ★

بعض التصريحات

ابصرت تصريحات قـادة شعبنـا — فرأيت مـن أخطائهم مـا يذهـل
فـدع السياسة ان اردت تساميـا — ان السياسة « مـرأة لا تخجـل »

★ ★ ★

الفـراغ

مات خير الاصحاب قدما ، وقدما — مـات حتـى اعدائـي الاكـفاء
قد خـلا الربـع لا صديق صحيح — أو عـدو بـه يليـق العـداء

احمد الصافي النجفي

ومنظره المحزون أضحـى مذوبـا قلوب الورى حتى وان كن جلمدا
وكم زج في زنزانـة الموت لاجيء ليلقى من الاعـداء حكما مؤبـدا
وكم من فتى يأبى الرضوخ لخصمه به الهول أمسى محدقـا مترصـدا
يرى الموت في ساح النضال شهادة تطيب بثغر الحـر طعمـا وموردا
قـد انبجست أعراف شيمته دمـا لينقـذ شعبـا بالهـوان مقيـدا
نضا عنه يأسا كان في الذهن راسخا وسار حثيث الخطو في موكب الهدى
لثوار « فتح » انـه انضم رافضا حياة بهـا أضحى اليهودي سيـدا
وما ألوت الاحداث مهمـا تفاقمت بعزمتـه أو أن يمـد لهـا يـدا
يحقـق أهـداف الجماهـير زحفه ولو دونها خرط القتاد لـقد غـدا



أيـا هولهـا مـن نكسة دمويـة بها سيف عار في الحشابات مغمدا
مراجل حقـد راح يغلـي لهيبهـا بشعب كأشباح الدجنـة قـد بدا
أرى النازحين الابريـاء تمزقـوا ضياعا بهـم سهـم المنيـة سددا
عليهم من الويلات رانت سحابـة وجيش مـن الآلام زاد تحشـدا
موزعة الاشلاء تلقـى جسومهـم فلم تـر عين مثلهـم قـط مشهدا
وما لاح فيهم غير شيـخ محطـم تجرعـه المـأساة عيشـا منكـدا
وأم بأعماق الدجى هدهـا السرى وفي مقلتيها نهـر دمـع تجمـدا
وترعشها ريـح الخطوب فتشتكي من البطش في جوف الظلام تجلدا
وفي معصميها القيد يغطس داميـا وتبكي ولكن البكا ينطوي سدى
وفي السفح، في الاغوار لم تحو خيمة مـن العـرب الا بائسا متوجـدا
وغـير صريـع مزقتـه قنابـل فأمسى على صدر التـراب موسدا

وغنى لاحرار الحمى كـل شاعـر وهلل للفتـح العظيـم وزغـردا
اذا الشعب فيه الوعي اصبح سائدا فهيهات يرضى أن يعيش مصفـدا

* * *

أيا ثورة العشرين اذكيت في دمـي لهيب انفعـال قـد تنزى توقـدا
تركت بتاريخ الشعـوب صحائفـا تجلت بآيـات البطولات والـفدا
وخلفـت للاجيـال أروع عبـرة وفي مسمع الدنيا دويا من الصدى
وصرت هزارا فـي الرياض مرتـلا قصيدا بجيـل التضحيات ممجدا
قصيدا يحـي الثائريـن فأنهـم يهزون فـي وجـه الطغاة مهنـدا
مواكبهم قد غذت السير لم تـدع مسيرتهم طـودا أشـم وفدفـدا
وحثوا على متن السحائب خطوهم كأن لهم أضحى مع الشمس موعدا
وقد شيدوا فوق الكواكب منـزلا وليس لشعـب مثلـه ان يشيـدا
وكان ومـا زال الكفاح لطامـح سبيلا بـه يبنـي الحيـاة مجددا
وظل التفاني فـي الـفداء لثائـر سلاحا بـه يستل نصـرا مؤيـدا
ويجفو سنـى الايثار كـل مداهن من المثـل العليـا خـلا وتجـردا

* * *

أيا ثورة العشرين والعرب أصبحوا بأرض فلسطـين العزيـزة شـردا
يحـز شبـا الاسياف أعناق أمـة لها شرف عالي الذرى قـد تخضدا
ألا لهف نفسي والجياع من الطوى يذيبون أحشـاء الظـلام تنهـدا
فكم مـن طريـد في هجير حياتـه بآهاتـه الحرى اصطلـى وتأودا
تقاذفـه نـوء مـن البؤس انـه عن الوطن المرزوء أصبح مبعـدا
وكم من يتيم قد برى الجوع جسمه يبيت على شوك العـذاب مسهدا

فدائي

شعر : سلمان هادي الطعمة

زها فـي أفقنـا الفجر   وقد حان لـك النصر
ثباتا فـي الوغى كيما   يتيـه بعزمك الفخـر
فثب للحـرب جبـارا   فأنـت الباسل الحـر
وقبـل فوهـة الرشا   ش لا خوف ولا ذعـر
ومـزق عنـك شذاذا   لهـم في أرضنا وكـر
وسر نحـو الوغى حتم   ينـال بزحفك الثـأر

★ ★ ★

أخـي يـا مـن فديـت النفس لا ينتابك الـقهر
صمودك فوق خط النا   ر رمـز للابا فخـر
ودرس للبطـولات   بـه قـد أشرق السفر
ونبراس زهـا نـورا   وتـاه بذكـره الدهر

★ ★ ★

أخي ان الكفاح غـدا   بـه يلتـزم الحـر
الام نئـن مـن قيـد العدى ويهدنا الجـور ؟
وفيـم القدس أضنتها   خطـوب ما لهـا حصر ؟
فـلا ثـأر نطالبـه   وقـد ساد بنـا الشر
وسوف النصر نجنيـه   وقـد حالفنـا الصبر

وغير جريح مـن دماه قـد ارتوى — عـدو فيقضـي ليلـه متهجـدا
يمارس سمل العين مستنزفا دمـا — لقومي فلـم يترك عجوزا وأمـردا
ويخنـق أحلامـا ويقبـر مأمـلا — لشعب سما شأوا وقد طاب محتدا

★ ★ ★

فصبرا بني قومي سيلتهم الدجـى — فم الفجر منه النور ينساب عسجدا
وترتفع الرايات فـي قمـة العلى — فقد صار شعب العرب شعبا موحدا
اذا اندلعت نـار الملاحم في غـد — ستشهد يوم الروع شعبا مجنـدا
وتلمح « للفتح » الجليل عواصفا — وجيشا على سحـق الطغاة تعودا
هو الجيش، جيش الرافدين يقوده — فتى عرفته الحرب فـذا وأصيـدا
يعيـد لابنـاء العروبـة عـزة — ويبني لهم فـوق الجماجم سؤددا
اذا المجـد يحميه الكمـاة فانمـا — مع الدهر يبقى المجد غضا وسرمدا
وان منيت آمال قومـي بنكسة — فلن يخفت الايمان فيهـم ويخمدا
وفي الجولة الاخرى يشنون حملة — تذيق العدى موتـا زؤاما وأسودا
وتطلق مـن نـير الـغزاة بلادهم — وتبني لهم فـوق السماكين مقعدا

العراق — **خضر عباس الصالحي**

أخي مظهر

شعر: هادي الشربتي

الى اخي الاستاذ الشاعر مظهر اطيمش ردا على تحيته

قواف بهـا جادت يراعـة مبدع أهاجت شظايا لوعـة بين اضلعـي
وفاضت حنينـا مـن قريحة شاعر تشت قوافيه الـى كـل مسمـع
تعود ان يزجـي القريض روائعـا تسح بعطـر مـن معاليـه اضوع
ويسحر ألبـاب الرجال اذا بـدت قوافيه تمضي مـن بديع لابـدع
تمـر عليـه العاديات وقلبـه يغذيـه ايمـان فلـم يتـزعـزع
تعشق صوغ الشعر فهـو سميره بليل مـن الهـم المهيمن أسفـع
وتلك القوافي لـم تكن غير مضغة يجود بهـا مـن قلبـه المتـقطع
تفيض وفاء وهي من دفـق روحه فأكرم بفيض سال مـن حر منبـع
خبرنا به خير الصديق فمذ نـأى نحن لـه فـي كـل نـاد ومجمع

★ ★ ★

حلفت بعينـي مـن أحب بأننـي ضنين متى تقسو الخطوب بأدمعي
ولكن ذوب العاطفات الـتي بهـا تجود أقضت رغم أتقـي مضجعي
ولا غرو اذ أذكت بقلبـي لاعجـا هي الجمر ان تلمس فؤادي تلذع
حنينك «للطف» (١) الحبيب اعادني الى ذكريات عشن في خاطري معي
الـى زمن تحلـو مجالس لهونـا بمرتبع مـن ريـق الانس ممرع
فمن بيت شعر أنت تتلـو عروضه تغنـي لكأس بالمدامـة مترع

---

١ ـ الطف : من اسماء كربلاء .

تقـدم جيشنـا المغوا ر لا يرهبـك الكيـد
ولملـم جرحـك الفاغر ان فـت بـك العضـد
وحلـق في سماء الـقدس نسرا شاقـه المجـد
تقحـم ثـورة كبرى فزحفـك للعـدى وأد
ودرب التضحيات الغر قـد فازت بـه الاسد
وفي دحر العدى لـم يبق ارهـاب ولا قيـد
ويضحى الموطن الغالي جنانـا زانهـا الورد

كربلاء ـ العراق **سلمان هادي آل طعمة**

الـى أبـي صبـاح

وجهت هذه الابيات الى صديقه الدكتـور المعروف شاكر خصبـاك سنة ٦٦ ـ ٦٧ الدراسية بعد صدور قرار عودته الى الجامعة العراقية ، وكان حينئذ يشغل كرسيا في جامعة الرياض .

تهانينا اليـك أبـا صبـاح فحقك واضح وضح الصباح
على رغم الذين رموك ظلمـا تعود الـى مواصلة الكفاح
فيمناك الـتي حملت يراعـا ينمـق كـل آيـات فصاح
سرت مسرى الاثير بكل فج وفاحت في الرياض شذا أقاح
حديثك ممتـع سحرا حلالا وخلقك رق مـن روح وراح

بغـداد **محمد حسين الشبيبي**

واري في الرياض وجه الاهي

شعر : جورج كعدي

افتح القلب للجمال ورنم — اغنيات تحتل عرش القلوب
ان نفسي جوعى لكل جميل — وجمال الحياة سحة طيب
واري في الرياض وجه الهي — يدفق النور منه كالشؤبوب
واناجي الطيور تنثر ريشا — مخمليا على الربى والدروب
واطيل التحديق نحو سماء — طلسمتها ستارة من غيوب
مضني ان اعيش تحت سماء — جاهلا سر امرها المحجوب
مستحما من الشعاع بغمر — انعش النفس بعد طول قطوب
وشعاع النجوم هل هو الا — نفثات من شاعر مكروب
لا ينى يرقب السماء منيبا — لحبيب في مشهد ومغيب
وحبيبي ملء الوجود جمالا — عبقري السنى ندي الطيوب
نحن قبل الوجود كنا خيالا — سابحا في مهامه وسهوب
وارانا صرنا ضياء مشعا — يملأ الارض بالشذاء السكيب
فازه بالنور ما حييت وطرب — فلذيذ الحياة بالتطريب
واخلع النير فالتجار نير — ناء في حمله خيال الاديب
واخفض الطرف ان خلوت بروض — واذكر الله مثل طير خطيب
لا ينى يبعث الصلاة غناء — ناعم الجرس فوق غصن رطيب
سائرا عابرا شجيا حنونا — مثل شعر الى القلوب جبيب

ومن ضحكة نشوى بثغـر محبب تحلى من الحسن البديـع بأروع
ومن همسة تسري‌مع الليل والورى رقود وعود الصبح لـم يتفـرع
هنالـك يحلـو للاحبـة سامـر واغراقة فـي جوف ليـل مقـنع
فكم أصبحوا فيهـا الحياة رغيدة وكـم طلبوا منهـا فلـم تتمنـع

★ ★ ★

كلفت بأرض « الطف» منذ طفولتي وارجو بأن‌تمسي لدى الموت‌مهجعي
فلي عندها فـي كـل شبر لبانـة من العمر تبدو لي على كل موضع
وأودعتها احلى الاماني فمـا ابتغى فؤادي سواها فهي بيتـي ومفزعي
ولو جبت في الآفاق طـرا فلم يكن الى غيرها يومـا ركوني ومرجعي
دفنت بهـا خير الاحبة لـم تـزل طيوف لهـم تترى فينهل مدمعـي
ومـن نبتها أحببت غرسا وصالـه لدى الروح‌من احلى الاماني وامتع
أهاجت شظايا لوعـة البين اضلعي قواف بهـا جادت يراعـة مبـدع

كربلاء ـ العراق **هادي محمد الشربتي**

هذي برامجنا

موسى الزين شرارة

قلنا لهم هاتوا البرامج وانزلوا ... للانتخاب فحسبنا تغرير
قالوا لنا احسابنا انسابنا ... وبطون مجد انجبت وظهور
ورسومنا او ما ترون كانسا ... هذي الوجوه اهلة وبدور
وشوارب « اثرية » معقوفة ... لم يحو عنتر مثلها والزير
والسيد المختار عاش وزلمه ... زلما لنا والسيد « الناطور »
وبيارق من ذلكم وصغاركم ... نسجت وقلتم مخمل وحرير
وخزائن سمنت بفضل هزالكم ... ومزارع مسلوبة وقصور
وبنادق ومسدسات خلفها ... ابواقنا والطبل والزمور
ونضارنا الوهاج فيه يشترى ... شرف رخيص منكم وضمير
ووعودنا بالماء تجري انهرا ... والكهرباء يعم منها النور
والكوخ يصبح يلدزا او جنة ... غناء روض داره وزهور
والبائسات نساؤكم وبناتكم ... وصغاركم ولداته والحور
والضحك ما وسع الخيال «على اللحى» ... والكذب والتلفيق والتزوير
وقضاء حاجة كل من هو ماهر ... بالقتل او هو مجرم مشهور
وحماية «القبضاي» فليفتك بمن ... يهواه منكم ذنبه مغفور
فدم الضحايا الابرياء لكل من ... والى وهلل باسمنا مهدور
فالشرع مطاط لنا فنفوذنا ... القانون والتشريع والدستور



شعر فيليب انــزل اللــه فيــه كــل حسنى اكرم بهــا بفيليب
شاعــر يمــلأ الديــار غنــاء بتفانــين مــن شعــور طروب
هو شعــر ارق مــن دفعة الطــل واصفى مــن دمعــة المحبــوب
فيه مــن عالــم الخيال سنــاء وسنــى شاعــر لطيف مهيــب
لم يضق بالقديم ذرعا ومــا نــد عــن الــوزن في جديــد خصيب
فلك التهنئات مــن خل صدق حطمت جسمه عوادي الخطوب
سمرتــه علــى السرير طويــلا كمسيح علــى الصليب صليب
فكأن السرير قــد صار منــي وانا منه فــي دواجي الكروب
فاشفني يــا الاه من الــم الداء حنانــا فانــت خــير طبيــب
كرمى عين القريض كرمى طفالى نزهتها الايــام عــن كل حوب

لاباز ــ بوليفيا الكمــدي

الامــام علــي ((ع))

تاليف الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود

★ ★ ★

العلم والادب والتاريخ الصحيح جمعت في هذا الكتاب الضخم المؤلف من اربعة مجلدات ، فالى الاستاذ المؤلف تهانينا ، وقد كنا ننتظر في السنة الماضيــة تشريفه للبنان لنقوم ببعض الواجب نحوه ، وقد اصدرت هــذا الكتاب بطبعــة جديدة مكتبة العرفان لصاحبها السيد اكرم عاصي ويطلب منها وثمنه اربعــون ليرة لبنانية . طبعه انيق ومجلد ، ننصح الجميع باقتنائه ، ونزف الــى القراء في جميع الجهات بشرى وهي ان الاستاذ عبد الفتاح سيصدر مؤلفا عن كــل مــن الائمة الاثني عشر تطبعها مكتبة العرفان بالتسلسل .

من صور الماضي
شباب الامس

شعر: ابراهيم حاوي

كانت الحقل وكان البيــدر — مــورد العيش لنـــا والمصدر
لا نــرى غيرهمـــا قبلتنـــا — وعلـــى تلـــك الاماني نسهر
والفتى الفلاح فيمـــا بيننـــا — من لـــه جهد بهـــذا اكبـــر
نبذر الحب اتكـــالا ولنـــا — امـــل باللـــه فيمـــا نبـــذر
فيـــدر الخصب في اشغالنـــا — بركات مـــن سمـــاه نمطـــر
ويفيض الرزق مما نشكـــر — نعمة تضفـــو وفضل يغمـــر
واذا ما موسم الزرع استوى — ثـــم قـــفاه حصـــاد مشمـــر
خف ابطال الحمـــى يحفهزم — لجنـــى العيش جهاد اكبـــر
يتبـــارون حصادا كالوغـــى — ايهـــم يـــوم التنادي اقـــدر
« والصبايا » حكم ما بينهم — أيهم شيخ الشباب الاجـــدر

★ ★ ★

يا شباب الامس يا قطب الرحى — انتـــم الاصل وفيكم نفخـــر
كل عصر مـــر حتى يومنـــا — يوم نطريـــه بفخـــر نذكـــر
حبـــذا الغابر مـــن ايامنـــا — شيـــق تاريخـــه والمخبـــر
ليتـــه يومـــا يعود القهقرى — وعلـــى المسرح فينـــا يظهـــر
فيرى الاهوال مـــن اعمالنـــا — ويرى مـــن حالنا مـــا يبهـــر
ويرى الخنـــع مـــن شبابنـــا — ويـــرى المائـــع فيما ينظـــر

هذي برامجنـا وذا دستورنـا ابـدا فـلا نقض ولا تحويـر
نحـن اذا عشنا كرامـا سادة لا عاش منكـم عامـل وفـقير
مـا ضرنا جهـل يعيث بنشئكم فالجهـل معوان لـنا ونصـير
من كوح بائسكم وجوع فقيركم تطهى اللحوم لـنا وتبنى الدور
لا ترهبونـا بالكـلام فكلكم عسر بارسان الهـوى مجـرور
قبس الوظيفة حـين تبدو قلبـه يهفو ومن قفص الضلوع يطير
ما شئتم قولوا فـلا مـن سامع ولـو ان كـل القائلين جريـر
مـا انـتم بشـر اذا فكرتـو بـل انـتم بقـر ونحن الـنير
ان كنتم بشر كما ادعت العدى زورا على هذي المظالـم ثوروا

موسى الزين شرارة

غـرور

احذر دعـي الديـن والاخلاق حـذر الزيوف ببهـرج وورِاق
اضحى لباسهما ويا أسفي علـى مـن لا يشد اليهما بـوثـاق
كم من غرور فـي ملابس عابد قـد بـل مسجده بدمع نفاق
احتف شاربـه وارسل لحيـة ومشى يسبـح قـدرة الخلاق
أخفى ببزتـه وحسن مقالـه أهواءه كالسم فـي الدريـاق
ما كان يفعل مـا بدا لك فاعلا لو لـم تـقم للزيف سوق نفاق
فتراه فيها حاسرا عـن ساقـه يجـري وراء الاصفـر البراق
اني اعيذ الدين مـن ان يشترى او ان يبـاع كسلعـة الاسواق

احمد حسن الامين

ابواب العرفان

العلم

مترجمة عن الانكليزية

بقلم : حافظ أديب الزين

- ١ -

كان انتشار الحصبة الالمانية (RUBELLA) عام ١٩٦٤ واحدا من أسوأ الاوبئة في التاريخ الاميركي • حوالي ٣٠،٠٠٠ طفل أصيبت امهاتهم الحاملات بهم بالمرض ، ولدوا مصابين بعاهات مزمنة كالصمم او العمى • ويبدو الآن ان هذه الشذوذات اصبحت تتضمن العوارض النفسية عند الاطفال المعروفة بالانزوائية ، ويعتقد ان لهذا العارض الخطير الذي يتميز بالانعزال شبه الكلي عن الاختلاط مع الآخرين • اسبابا نفسية وعضوية متعددة • وحتى وقت قريب لم يكن التلف العصبي الذي تسببه تلك الحصبة يصنف بين تلك الاسباب ، حسب الاحصاءات التي اجريت في بريطانيا والولايات المتحدة ، تبلغ نسبة المصابين بالانزوائية خمسة حالات بين كل ١٠،٠٠٠ مولود جديد •

واحدة من المشتركات في ابحاث جامعة نيويورك ، « ستيلا تشيس » استاذة طب الاطفال النفسي في المركز الطبي للجامعة ، وجدت ان ٢٠ بالمئة من أصل ٢٤٣ طفلا اصيبت امهاتهم بالحصبة ، لم يصابوا بتلف عضوي من أي نوع ، وان حوالي ٥٠ بالمئة لم يظهروا دليلا على أي عارض نفسي • تسعة من الـ ٢٤٣ طفلا ممن اظهروا ايضا درجات متفاوتة من التخلف العقلي ، كانوا انزوائيين • طفلا واحدا لم يظهر تخلفا عقليا ، كان انزوائيا ، وقد حكمت

ويـرى ابناءنـا رائدهـم عـاهـــر او خنـفس مستهتـر
او فتـاة همها مـن عيشهـا منظر مـن عريها او مظهـر
واذا خاطبتهـا فـي امرهـا نطقت فحشا وفيـه تجهـر
هكـذا منطقنــا يأمرنـا وكـذا المنطق دومـا يأمـر
مـا لكم والعلم انـتم أمة لهـدى منطقنـا تـفتقر

★ ★ ★

انكـوص بعـد انجازاتنـا خاب هـذا المنطـق المبتكر
ان علمـا هكـذا يأمركـم هـو بالجهل لحقـا اجـدر
ايقول العلم كونـوا همـلا همنـا مـن عيشنا مـا نظفر
ام يقـول العلم كونوا همجـا شرف يهـوى وخلـق يهـدر
اي فـرق بـين حيواناتكم مـن اباحات وهـذا المنكر
فالوحوش العجم منكم ايسر والسوام البهم منكـم اطهر
علمكم مـن غـادر مصدره بئس ذا العلم وبئس المصدر
ليتكـم للغـرب اذ قلدتـم قد عرفتم فيكم مـا يمكـر
ولقد ضعتم فصرتـم همـلا يذكر الخزي بكم ان تذكروا
اين انتم مـن جدود قبلكم لم يفتهم فـي مداهم مفخـر
ايهـا العار علـى اجدادكم اكتموا مـن انتم لا تذكروا
واقبعوا في عجزكم واستسلموا فعلـى شيء بدالـن تقدروا
طلقوا الدنيـا فلستم اهلهـا ودعوا الوحش بهـا يستأثر
ربمـا يحمي حـماه فطـرة ان غـزا اوطانـه مستعمـر
ولاتتـم همكم مـن أمركـم مخجل يـزري وفعـل منكـر

الجنـوب ابن الوادي

بعضا من ضوء الشمس يتمكن من الوصول الى اختراق السطح في الجانب المضيء ٠

مع ان يوما واحدا على الزهرة يوازي اربعة اشهر على الارض ، فمعدل الحرارة والضغط في الجو لا يتغير كثيرا بين الليل والنهار ٠ هذه المعلومات اكدت معلومات سبق ان قدمتها مركبة فينوس التي نزلت على الكوكب في كانون الاول عام ١٩٧٠ ، « فينوس ٨ » التي نزلت على الجانب المضيء من الكوكب سجلت درجة حرارة ٤٧٠ + درجات مئوية اثناء النهار ، وضغطا مقداره ٩٠ + ١٥ وحدة ضغط جوي * (و٠ ض٠ ج) (ATMOSPHERE) أما فينوس ٧ التي نزلت على الجانب المظلم من الكوكب سجلت حرارة ليلية ٤٧٥ + ٢٠ درجة مئوية وضغطا مقداره ٩٠ + ١٥ و٠ ض٠ ج ٠

يتكون جو الزهرة من ٩٧ بالمئة غاز ثاني اكسيد الكربون ، حوالي ٢ بالمئة نيتروجين ، أقل من ١و٠ بالمئة اكسجين ، وربما ١ بالمئة بخار ماء قريبا من غطاء الغيوم ، حوالي ٢٠ ــ ٣٠ ميلا فوق سطح الكوكب ، تحرت العربة وجود كميات ضئيلة من الامونيا : ١٠ر٠ ــ ١و٠ بالمئة ٠

الرياح العرضية كانت تهب باتجاه دوران الكوكب حول محوره ، وقد تدنت سرعتها من ١٦٠ قدم في الثانية على علو ٢٨ ميلا الى ستة اقدام في الثانية على علو ٦ ــ ٧ أميال ٠

بعد ان حطت المركبة على السطح ، تابعت ارسال المعلومات مدة ٥٠ دقيقة أخرى ، فحللت بعضا من تربة السطح بواسطة مقياس طيفي يعتمد الاشعةالجيمية (GAMMA - RAY SPECTROMETER) ، وظهر بان القشرة السطحية هشة وكثافتها اقل من ١٫٥ غرام في السنتيمتر المكعب ، ويقترح التحليل بأن سطح الزهرة يماثل الصخور الغرانيتية على الارض ٠ أظهر المقياس الطيفي ان سطح الزهرة يحتوي على ٤٪ بوتاس ، ٢٠٠و٠ ٪ يورانيوم ، و ٠٠٠٠٦٥و٠ ثوريوم ٠ اما الصخور ، فتشبه الصخور الارضية التي تبدلت كثيرا بفعل العوامل المختلفة بعد تكونها في شكلها المنصهر ٠

* وحدة الضغط الجوي : توازي ضغطا مقداره ١٫٠٣٣٦ كلغ على سنتيمتر مربع واحد ٠

« تشيس » ان التقارن بين التخلف والانزوائية كـان عارضا جزئيا • ولاحظت « تشيس » ان تلك الدراسة تؤكد العلاقة بين الحصبة والانزوائية ، عـلى الرغم من ان كيفية انعكاس التلف العضوي على التصرفات ليست معروفة بعد • وهي تقترح وجوب سؤال أمهات الاطفال الانزوائيين مـا اذا اصبن بالحصبة اثنـاء الحمل ، لتأكيد العلاقة بينهما •

★ ★ ★

- ٢ -

بدأت البحرية العسكرية الاميركية تستخدم طائفة جديدة مـن أسود البحر المسماة « فوك » بدلا من رجال الضفادع في بعض المهمات •

هذه الحيوانات البحرية لها عفرة شبيهة بعفرة الاسد ، وميزتها على الانسان أنها قادرة على النزول الى عمق ٢٥٠ مترا مـن غير سابـق تدريب ومـن دون تجهيزات خاصة •

بعد صيد هذه الحيوانات ، تروض مدة ثلاثة أسابيع علـى موالفة البشر ، ثم يبدأ ارسالها الى اعماق البحر كي تلتقط الاشياء الغريقة كالنسائف والشظايا ••• الخ ، ولها من القوة ما يمكنها من استخراج اشياء يبلغ وزنها نحو طن •

★ ★ ★

- ٣ -

معلومات جديدة عن كوكب فينوس (الزهـرة) جمعتها مركبـة الفضـاء الروسية « فينوس ٨ » ، التي نزلت برفق على سطحه في شهر تموز مـن السنـة الماضية • كان هناك جدل حول ما اذا كان حزام الغيوم المحيط بالكوكب كثيفـا لدرجة تمنع ضوء الشمس من بلوغ السطح في المناطق النهارية مـن الكوكب • وقد صممت « فينوس ٨ » خصيصا لقياس درجة الاضاءة على مختلف الارتفاعات فوق سطح الكوكب ، اذ كانت تحمـل مقياسا للضوء (PHOTO MEYER) حساس لتغيرات واسعة في الاضاءة ، وقد اعطى هذا المقياس قراءات بينما كانت العربة تتهادى في جو الكوكب لمدة ساعة تقريبا قبل وصولها الى السطح • وقـد اظهر المقياس الضوئي ان الجو يضعف كثيرا من ضوء الشمس ، ولكن يبقى هناك فارق اكيد في الاضاءة بين الجانب المضيء والجانب المعتم من الكوكب ، علما بأن

الديني السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي حول الخلاف الناشب بين الحكومتين الكويتية والعراقية على الحدود فاجاب سماحته بما يلي :

« قال الله تعالى : والصلح خير وقال سبحانه : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم • وقال عز من قائل : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » •

انطلاقا من هذه الآيات المباركات يجب على المسلمين ان يتحدوا فيما بينهم• ويكونوا كلهم في وصف واحد متراص ،ممتثلين اوامر الله سبحانه في الالفة والوحدة والمودة والتحابب ، وبالاخص اذا كان اعداء المسلمين يتربصون بهم الدوائر ويوحدون صفوفهم لضرب المسلمين في عقر دورهم• كما هو الشأن في الحال الحاضر ، فالمسلمون مضطهدون من قبل الشرق والغرب في بلاد شتى من بلدان العالم الاسلامي •

ولذا فانني ادعو الاخوين الجارين الشقيقين المسلمين الكويت والعراق اللذين طالما كان بينهما التآلف والاخوة والتحابب ان يعالجوا المشكلة التي حدثت قبل ايام على الحدود بروح اسلامية عالية ، ويزيلوا اسباب التوتر والنزاع بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي احسن فان الله مع العاملين في سبيل الاصلاح وهو الموفق المستعان •

الكويت **محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي**

في مقتبس مهذار

★ ★ ★

قد كنت آمل أن تقول فرائدا ... تبقى على مر الزمان خرائدا
حتى نطقت فلاح لي منك الذي ... لم يرض من هذي البرية واحدا

بغداد **محمد حسين الشبيبي**

بريد القراء

حول كتاب ثرثــرة الصباح

لهذا الكتاب نصيب كبير من الجدية ، ان لم نـقل الجدية كلها ، والتي هي عكس كلمة « الثرثرة » ، التي اراد مؤلف الكتاب الاستاذ سعد البواردي ، ان يضعها في موضع التواضع ، الذي يرفع من قدر الكثير ، مــن الحقائق الصادقة التي هي بين دفتي صفحات الكتاب •

ويبدو لنا ، من خلال النظرات النافذة العميقة ، الغنيــة بصورها الجمالية ، وموضوعياتها الحية ، التي توصل اليها مؤلف الكتاب الاستاذ البواردي •

نقول : يبدو لنا ، اهمية المواضيع العديدة ، التي اختارها بواقعية صادقة ، تهدف اول ما تهدف اليه ، استخلاص الحقائــق ، وتلمس الطــرق ، الــتي تنير السبيل امام القارىء العربي ، وتنفض عن كاهله غبــار الاستكانــة ••• غبــار الاخطاء الغير المغتفرة للانسان العربي في هذا العصر التكنولوجي الحديث •

ولو اردنا ان نقيم الكتاب الجديد للشاعر السعودي المعروف ، وان نقول كلمتنا فيه باختصار ، فاول ما يتبادر الى ذهننا من خلال ما قرأناه ، انــه دعــوة صادقة ، الى الاخذ بالقيم الروحية ، والمناهج العلمية ، وهي دعوة قلما يمتاز بها غير ارباب الفكر الانساني العربي ، من رجال العلم والادب ، الذي يعد المؤلف احد وجوه المشرقة في الجزيرة العربية •

م• ١

* * *

جريدة « صوت الخليج » الكويتية
تستفتي السيد الشيرازي

استفتت مجلة « صوت الخليج » الكويتية سماحة العلامة المجــدد المرجع

وثق يا صاحبي القديم الجديد بأنني باق على عهد الوداد ، فان عز اللقاء ، فالخاطر يرافقك ، والضراعات تترجى لك الخير ، والقلب ينبض بمحبتك •

ولك الوداد المصفى ، والاخاء الاحم •

المخلص
وديع فلسطين

★ ★ ★

مـن محمد شرارة

الـى زكي قنصل

أخي الاعز الشاعر الكبير الاستاذ زكي قنصل المحترم

في صباح مشرق جميل كان ساعي البريد يقف أمام بوابة الـدار ، ويغمـز باصبعه زر الجرس الهاديء ، فيأتي ، على أثـر الغمز ، رنين جميـل يقترب من الموسيقى الموحية • ولما وصلت اليه كانت بيده هديتك الجميلـة ••• ديوانـك الذي يحمل غناء المصابيح في ليال تاهت بها النجوم ، وضاعت قطرات الضوء في غمرات الحلك الغرابي المدل بجناحه الاسود •

وعلى الصفحة الاولى من الديوان كلمتك المتواضعة الـتي تـقف وراءها روحك بكل ما فيها من ودائع الانسان الكبير الذي يطلب المزيد من غنى النفس، وان كانت نفسه من أغنى النفوس بالاحساس والعاطفة واللهب السائر في دروب القوافل الصاعدة • (١)

لقد اعادني ديوانك ، ايها الاخ الكريم ، الى الطلائع الاولى مـن أيامنـا

---

١ ــ كانت كلمة الشاعر على الصفحة الاولى ما نصه : هذا ديواني

يسعى اليك بقمحه وزوانـه　　فاقرأه ثـم اطرحه في الغربال
ان تبق للخباز منـه حفنـة　　ابقيت ذكـرك خالدا في بالـي

ونحن بقدر ما نكبر للشاعر تواضعه ، نشكر له ثقته الغالية ، ونرجو ان نكون عند حسن ظنه .

رسائل الأدباء

من وديع فلسطين الـى صاحب العرفان

القاهرة في السادس من اذار ١٩٧٣

اخي العزيز الاديب الكاتب المفكر الكبير الاستاذ نزار الزين
دام في حفظ الله ورعايته

أحييكم أطيب تحية ، وامحضكم اصدق الـود ، وادعو لكم باتصال التوفيق في مآتيكم الادبية والفكرية وفي اموركم الشخصية ، فيكون النجاح لكم حليفا والفوز في متناول يديكم •

اختتم المجلد الستين من « العرفان » الشامخة ، فاستحققتم مني قبلات بعدد تلك السنين ، ومن أمة العرب تقديرا لا يحد لاياديكم التي بها وصلتم رسالة أبيكم الراحل العظيم ، وسار الخلف في طريق السلف يرفع مشعل « الحرف » الشريف ، والقلم النزيه ، والفكر الحر الصريح ، والايمان بكل القيم السماوية والخلقية والمناقب العربية • فدمت يا صاحبي الاعز عزيزا ، ودامت « العرفان » متعارفة الفضل ، وليعنك الله على احتمال مكاره العلم ، ما دامت شريعتنا في دنيا الضاد ان العلماء أهل مغارم لا مغانم !

وانه ليسعدني دائما أن اكون من أسرة « العرفان » ، أخصها بآثار اليراعة كلما واتت • وقد شرفتموني في العام الفائت بادراج فصلين لي في عددين متتاليين ــ ولعلهما الثامن والتاسع ــ ولكن ساعي البريد استكثرهما علي واستخسرهما فيّ فلم يصلا الي هما والعدد الثالث •

فان كانت هذه الاعداد الثلاثة (الثالث والثامن والتاسع من المجلد الستين) قريبة التناول ، شكرت لك جديد فضلك بموافاتي بها •

من روكس العزيزي الـى جعفر الخليلي

سيادة العلامة الثبت والاديب المبـدع

الاستاذ جعفر الخليلي حرسه اللـه

★ ★ ★

يا أخي ، يا طويل العمر وجليل القدر •

قرأت كتابك الرائع « هكذا عرفتهم » جزءيه : الثالث والرابـع ، مرتـين فسحرت بما انطوى عليه من ساحر البيان ، فهو آية مـن آيات الفن والابداع • ففيه السيرة ، وفيه الوفاء والاخلاص ، وفيه الوصف الساحر ، والنكتة البارعـة التي خصك الله بها ، انه فتح في عالم الادب !

ووقفت طويلا طويلا ، عند ذكرك لاخيك العلامة المرحوم عباس وانت تعدد مزاياه بموضوعية ، وصداقة ، فاكبرت الواصف والموصوف • فاذا كانت الاخوة قد صوحت ازهارها في عصرنا الغائم : الشبيه بالصافي ، فانها قـد وجدت فـي قلبك الكبير ظلالا تتفيأ بها • ومن هـذا القلب الكبير فاضت ينابيـع الوفـاء الصادق الذي لا زيف فيه ، تصف الاخوان وتخلد الاصدقاء !

ثم عرجت على الظرفاء فكان لهم حظ من قلمك المهذب •

اما الصورة التي رسمتها للمرحوم (يوسف يعقوب مسكوني) فقد جاءت بارعة حقا •

ابقاك الله ابا فريدة ذخرا للعلم وللادب ولمكارم الاخلاق •

باخـلاص

روكس بن زائد العزيزي — **عمان ــ الاردن**

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان في الاردن

الادبية التي كانت فيها « بلاغة العرب في القرن العشرين » تهز الاغصان الناشئة في عوالمنا الراكدة ، وتوقظ العصافير النائمة في غمائم الفجـر الشتائـي الموشى بالالوان الرمادية الغارقة في البقايا من غبش الليل الطويل •

كانت ، يومئذ ، مدرسة الشاعر القروي جرس اليقظة العاصف الذي يفتح عيون العرب على « اوضاعهم » المؤسفة ، وعلى « وحوش اوربا » الوالغة في دماء الشعوب • وكان من بناة هذه المدرسـة الياس فرحات وامـين مشرق ونسيب عريضة وغيرهم من شعراء المهجر • ولما قرأت ديوانك الملتهب، نور ونار ، احسست انه غرفة جديدة في بناء هذه المدرسة التي تتلاقى فيها نعومة الصبا الحنون بعزم الاعاصير •

انني أتفق معك في كثير من اللمسات ، واخالفك في « تعميم » النظرة الـى الشعر الحديث ، ففي هذا اللون من القصائد شعر ، وفيـه ثروة قادرة علـى ان تضيف الى تراثنا الادبي الغزير عالما جديدا متطورا يستطيع الوقوف بجانب الادب العالمي ، وعلى تخوم « الكنز الذهبي » الذي بينه عمالقـة الافكار والاحاسيس الغنية ، ولا يشعر بالغربة • واذا كان بجانب ذلك لون مضحك معقد « لا يفهمه حتى قائلوه » كما تقول شاعرتنا الكبيرة لميعة عباس عمارة ، فما ذلـك بغريب ، لان كل عصر من عصور الادب ملتقى التناقضات •

و « بنت عدنان » لا يصح ان تبقى وحيدة في الساحة ، بل يجب ان تلتقي مع « بنات العالم » وتتفاعل معها كما فعلت في العصور السابقة • والثقافة ، كما تعلم ، ملك الشعوب ، لا ملك أمـة خاصة وان كانت لكـل أمـة خصائصهـا المحدودة • ومن الضروري ان نبقى على صلة بالفكر العالمي ولغاته الحية • وكفى « بنت عدنان » ما ألقاه الزمن على وجهها من خرق وبراقع بالية حتى كادت تعجز عن استيعاب ما أبدعته العلوم والفنون •

وبعد •• فهذه ملاحظة سريعة عابرة ، والديوان بحاجة الـى دراسة أوفى • وارجو ان تساعد الظروف على القيام بهذه الدراسة • ولـك مودتي واعجابـي وتقديري مع الشكر الجزيل •

بغـداد محمد شرارة

اباذيرك ، والرفه الذي فيه القول : اخشوشنوا ان النعم لا تدوم ، من مفاتن اعمالك ، وقد يبتعد الخيال بمن الف شعرك تماما كطارقي هيكل - دلفي - فيقول : انه السحر ، اخذ بشاعر النجوم فاخذنا نحن به •

ويرتاح اصحاب الفستق المقشر الى احضان شعرك ، فهم عليه اجتناء ، ولا الغواني على مقل الفواغي في انهمار الندى ، ولهم انتشاء الفاتحين ، انهم اصابوا شاعرا يجسد لهم صبابات الشباب ، التي ميزوا بها عصرهم ، فاثقل العصور بسوجعاتهم •

النبرة الهادئة ، كما الهمس في حديثك ، تبقى الينبوع لاتتاجك الفني ، وانه الينبوع الذي يطلق النهر الصاخب ، تماما كما في افقا ، تنساب المياه رصينة كمن يسر خطيرا الى ماجد ، ولا تكاد ، حتى تنشل في صخب الى الوادي الذي حضر العالم •

ما في حديثك من رصانة ، وفي شعرك من رقة ولطافة وملس وميد ، هو الدمعة التي عناها الاخطل الصغير :

ومن الدمع ما يهزك للعطف ومنه المدمدمات الهوادم

حسك المرهف المنقى ، الذي حلل لك اطلاق العطف الى مدمدمات ، سنة الفنان التي حللت للفينتشي - المادونا - فانتهى منها الى صخب ، لا تحاول ان تجده في شلالات نيفارا •

انت يا اخي ، من - لف القدود في الراقصة الى الغجرية الى - مجموعتك الاخيرة - المجرمون - اخذتني بثورتها غير الدامعة ، الثورة العاقلة التي من اكوانها انها بناءة •

هذا هو الشعر الذي افتقدنا به توفيق ابراهيم ثلاث سنوات واكثر ، عاد الينا كما الدبيب في العروق ، له على المفاصل كما الشمم كما الصخب كما الحروف ، وله جواز الاحتراق الى التكامل الخلاق •

يا قائدين شؤون امتنا ضل الرعاة واخفق العهد

الشعب يشكو الجور منتفضا « هل في القصور لسائل رد »

من الشاعر فوزي سابا الـى الشاعر توفيق اربـاهيم
حول مجموعته الشعرية «(المجرمون »)

★ ★ ★

اخي توفيق ،

لكثرة ما تداولت الجمال اصبحت مهموما ، فرحت الـى القوافي تجدلها . والهم يروح على قدود وخصور . او انك على لسان القائل :

تنهب الدر مــن ثغــور العذارى وتسميــه فاعــلات مفاعــل

على هذا! انت شاعر النجوم .

تفاكهت الشعر وآنسته فالعافية عليكما ، وطالما بشر صداح قبرة بربيـع اين منه معاطف الغواني ، فكيف ومزامير على شفتيك تنهل ؟

ما استعجلت امرا ولا أخرت . امرك هذا مع المصائب الدواهي ، والمرنـح من الجمال الغاوي ، فانت مع شعرك كما مع نفسك ، على وداد صادق ، ليخالك الآخذ تهمس اليه باسرار الجمال والقبح ، اسرار الوله والضنى والوجد ، بخبايا الجوع والفقر والتشرد واستقتال النفوس لنعرف مــن الدنـاءات اصرارا علـى تعميقها تخمة في الجيوب .

ما استعجلت امرا ، اخذت الحنان والعطف والشفقة وحولتها ، كـما فـي المعجزات ، حقوقا وفروخا ، ومزقت الاقنعة عن الوجوه الـتي عناهـا الـقول الشريف : احذروا صفر الوجوه من غير علة ــ وابرزتها في عين الشمس فلا يزوغ طرف ، ولا تتقزز نفس من لؤم مدثر ورجس يجمهر على مطايا الازلام . فالطهارة نوارة اشعاعه .

يا اخي توفيق ،

كما الكهان في معابد الاغريق ، تداولت الجمال على هــدب ريشـة ، ولا مرور الطيب مع الصبايا خدر ليخال انك نعمت وتنعمت ، فالفستق المقشر مـن

يقول لها او يقول عنها شيئا ..

في هذا الميدان ، ميدان « ادب الرسائل » يظل الاديب العربي وديع فلسطين من فرسانه المجلين ، فالكلمة لديه هي الاداة الطبيعية للتعبير عن المشاعر الانسانية، فهي لا تحتال دلا تزوغ بل هي الاداة والموضوع والوحدة غير المنفصلة .. وقد يكون وديع فلسطين اخر حبة في عنقود هذا الادب ..

« الكلمة الجميلة » عند وديع فلسطين هي الارض التي اطلعته ، والانسانية التي تحتاطه ، والجماعة التي يقاسمها النهار وخبـز المساء ، والمـأساة ، والوطن الذي يعيش ورقا اخضر في ظنه ونارا مؤججة في عيونه . فما اظلم من يسأل وديع فلسطين من اين تأتي بكلماتك ؟!

آخر ما وصلنا من هذا الادب تلك الرسالة التي وجهها وديع فلسطين الـى صديقه الاستاذ محسن سليم ، محامـي الضائعين والمظلومين والمنسيين في هـذا الوطن .. والرسالة ليست بحاجة الى توضيح او شرح ، انها نموذج حي للاسلوب الذي يعتمده الرجال حين يمسكون بالقلم ويكتبون ..

وفيما يلي نص الرسالة :

القاهرة في السادس عشر من اذار ١٩٧٣

اخي العزيز الفقيه الكبير الاستاذ محسن سليم ،

دام في حفظ الله ورعايته هو والاسرة الكريمة

احييك اطيب تحية ، وامحضك اصدق الود ، وادعو الله ان يديم عليـك آلاءه ويكتب لك التوفيق المؤزر في جميع امورك .

اتابع باعجاب واكبار جميع مواقفك فأحمد اللـه الذي صفـى انسانيتك ورققها وشففها حتى باتت اغلى صفاتك واعظم مقتنياتك .

مات السنهوري فلم يذكره ذاكر . ولكن صوت محسن سليم كـان جهيرا وفيا في التحدث بمآثر هذا العلم القليل المثيل في دنيا الفقه والتشريع .

استشرت اسباب « اللادستوريات » في ديـار شتـى ، وصارت امورهـا

لا يستقر الوضع فـي بلـد حتى يثور ويقصف الرعـد
ويزول ليـل مثل سالفـه ويطـل فجـر وجهه سعـد
وارى العروبة كلها وطنـي لا الفرد يحكمها ولا العبـد

انها بعض دمعاتك المدمدمة التي فجرتها في مجموعتك ـ المجرمون ـ فاهلا بك الى هذه الثورة البناءة •

فوزي سابا

رد التحية الى الشاعر الناثر فوزي سابـا ، مـن توفيق ابراهيم

على قمـم القريض بنيـت صرحا يتيـه بـه ويأتـلق الشمـوخ
وحين قرأت نـثرك وهـو شعـر صروح قصائدي أخـذت تبـوخ

★ ★ ★

من وديع فلسطين
الى محسن سليم



« ادب الرسائل » كان عنوانا رائعا مـن عناوين الادب العربي الكبرى •• ولـه تاريخ وباحثون ومنقبون وهواة ••

ففي هذا الادب الخالد تكون « الكلمـة الجميلة » بمثابـة جمال الجمالات •• وهـذه « الكلمة الجميلة » تستهوي العرب وتشدهم وتربطهم بتراثهم •• فالفنون لديهم كلها كلمات •• الموسيقى عندهم كلمة عـلى فـم الوتر •• والتصوير لديهم كلمة علـى فـم اللـون •• والزنابق على الربى ، والنجوم في السماء ، والعيون الكبيرة السوداء •• كلهـا كلمات تنتظر من يقولها •• وما اشقى النجوم والعيون في بلادنا يوم لا تجد من

وفي قلبك ايمان بالانسانية ، وعلى لسانك انشودة الحرية والعدالة والحق ، وامام عينيك امال الانسانية في دنيا مثالية .

فتقبل مني كلمة اعجاب ، وانحناءة اجلال ، وقبلة حب .

مع التحيات للاسرة العزيزة .

« الجديد »

كتب وردت للمجلة

★ ★ ★

١ ـ موكب مهاجر نظم : محمد جواد الدجيلي وهو قصيدة طويلة بـل قل ملحمة مؤلفة من ١٨ صفحة بالقطع الكبير ، مطبوعة طبعا جيدا على ورق ممتاز ، وهي تروي قصة هجرة الحسين « ع » بآله ومن معه الى كربلاء في محرم ، حيث قاتلوا الظلم والباطل فقتلوهما معنويا ، وقتلوا دفاعا عن الحق . ومن أحق مـن شاعرنا الكبير الاستاذ الشيخ محمد جواد الدجيلي وهو المجبول لحما ودما وقلبا وقالبا بحب آل البيت عامة والحسين خاصة من التحليق في هذا الموضوع .

٢ ـ أضواء على الصحافة التونسية تأليف عمر بن قفصية ، وهو كتاب يدل اسمه عليه يحوي تاريخ الصحافة التونسية منذ نشأتها حـتى اليوم ، وهو كتاب قيم بذل مؤلفه جهدا وعناية لاخراجه ، حبذا لو كان الطبع والورق افضل مما هو، شكرا للاستاذ عمر على كل حال ، ولا نظن الا ان الحكومة التونسية تشجعه على اخراج بقية مؤلفاته .

٣ ـ ديوان نصر سمعان ، نسقه واشرف عليه الاستاذ رشيد شكور طبعته كرام الجالية ، والاستاذ نصر سمعان مـن شعـراء العصبة الاندلسية المجيدين ، عسى ان يكتب عن الديوان احد الشعراء فيوفيه حقه .

شكـرا للمهدين .

كنسيج العناكب ، فقام صاحبنا محسن سليم قومة الضيم يلقي نفسه في الخضم ، معليا القيم « الماجنا كارتية » الرواسي ، محذرا من كل تجاوز وتجاف ، قائلا للناس بجرأة المستبسلين : يا قوم هذا خطأ واليكم الاسانيد ، وهذا صواب على صراطه اديروا المقاليد • وسواء أأصغى القوم الى صوته ، او ابتلعته بطون الجبال ، فقد ارضى الضمير ، وسكن النفس ، وسجل في صفحات الحق الباقية موقفا جديدا من مواقف شرفه •

وحين تسلم الرقاب الى دور القضاء ، لا يكون هناك من عاصم الا الطهرية « البيوريتانية » في مراعاة الاصول القانونية • وقد تابعت مرافعات محسن سليم في قضايا شتى ، فلاحظت بالتقدير والاجلال تقديسه لتلك الاصول القانونية ، وثورته على كل ما يتحيف عليها او يتعسف في سوء تأويلها • ولهذا تزخر مرافعاته بالدموع القانونية يرتجي منها احقاق العدل قبل تبرئة ساحة متهم •

واحدث مواقف محسن سليم ــ ولا اقول اخرها لان مواقفه ليس لها اخر باذن الله ــ هو رصيده جائزة لتخليد ذكرى الشاعر الضائع بين قومه خليل مطران ، لا لان هذا الشاعر العظيم ــ وكنت من اصفيائه المقربين ــ كان مجددا في الشعر ، موهوبا في استلهام ابكار المعاني ، بل لانه كان قبل كل شيء وبعد كل شيء « شاعر الحرية » الماجد ، الذي وقف موقف الكرامة امام متوعديه قائلا :

انا لا اخاف ولا ارجي   فرسي مؤهبة وسرجي

وكل شعر مطران يطفح بآيات الحرية ، ناهيك بالمعاني الانسانية ، والقيم الخلقية ، وناهيك باعمال الخير والبر التي كان لها في شعر مطران نصيب معلوم مهما انتقده الناقدون وعابه العائبون •

ان مواقف محسن سليم القديمة والجديدة لا تذكرنا الا بسقراط اثينا ، ذلك المعلم الذي كان يصف نفسه في تواضع الحكماء والعلماء بانه « مجرد ذبابة » تنبه الغفاة من اهل اثينا وتوقظ النائمين في سبات الغفلة •

فيا سقراط لبنان ، بل سقراط ما هو اكبر من لبنان ، سر في طريقك ، واثبت في مواقفك وفي يمناك نواميس العدالة السماوية ، وفي يسراك « الماجنا كارتا » ،

بقاءها وزوالها ، فاشار الى احتجاب مجلة « لايف » لتزايد خسارتها « وهنا تكمن مشكلة الصحافة بل مأساتها » وقال ان الاشتراكيين ينطلقون من هذه الثغرة لكي يتهموا الصحافة الليبرالية بانها اداة الرأسمالية •

وعالج المحاضر واقع صحف لبنان ، فضرب امثلة عن العجز المالي الذي تقع فيه الصحف وعرض ارقاما مفصلة عن نفقات الجريدة والمجلة في لبنان ، مثبتا ان الجريدة اليومية تخسر نحو ٣٠ الف ليرة شهريا وان عجز الاسبوعية يقارب العشرين الفا •

وبعد ان عرض الاشاعات والتهم عن الدعم المالي الخفي ، قال ان طبيعة النظام الرأسمالي تفرض ان تتأثر الصحافة بنفوذ المال « وما ينطبق على الصحافة انما ينطبق من باب اولي ــ على السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية » • فالمال هو عصب الانتخابات والعمل السياسي • ان الذين ينتخبهم الشعب لتمثيله وحكمه متهمون ــ غالبا ــ برشوة الناخبين ، ومتهمون كذلك بقبول الرشوة من الاحتكارات المالية ومن خارج الحدود •

ولئن كان الصحافيون متطوعين للخدمة العامة ، دون تكليف من الشعب ودون تفويض ، فان النواب والوزراء قد انتخبوا ليكونوا في خدمة مجتمعهم ، وقد اعطاهم الشعب مناصبهم ورواتبهم لما يفترض فيهم من نزاهة واخلاص في خدمته » •

وقال النقيب « ان الصحافة ــ في طول البلاد وعرضها ــ تلقى الدعم من حكوماتها ، سواء أكانت مؤممة تديرها الاحزاب او السلطة ، ام كانت في انظمة تقليدية • والصحافة العربية الوحيدة التي لا تلقى اي دعم من حكومتها هي الصحافة اللبنانية » •

وتحدث المحاضر عن مساعدة فرنسا لصحافتها ، باعفائها من الضرائب وبالمساهمة في ثمن المطابع والورق واجور النقل • وقال ان صحافتنا في حاجة الى دعم كما ان ديمقراطيتنا تحتاج الى اصلاح ، وان على الدولة ان تؤمن اكتفاء الصحافة الذاتي مثلما تدعم الصناعة والزراعة والسياحة •

وقال النقيب طه ان انشاء مسافة كيلومتر واحد في اوتستراد يكلفنا عشرة

في عالم الصحافة

محاضرة النقيب رياض طه :

« الديمقراطية والصحافة في لبنان »



القى نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه محاضرة في نادي مجلس المتن الشمالي للثقافة بعنوان « الديمقراطية والصحافة في لبنان » ، قدمه رئيس المجلس المحامي الاديب جوزيف باسيلا • وكان في مقدمة الحضور الاستاذ رامز الخازن مدير عام وزارة الاعلام واعضاء مجلس نقابة الصحافة •

بدأ المحاضر حديثه بتحديد مفهوم الديمقراطية • فقال ان اساسه ما يزال هو نفسه مثلما اطلقه المفكر اليوناني القديم الذي ابتكر لفظة الديمقراطية ، واورد كلمة بيريكليس تعرف الديمقراطية بانها حكم الشعب نفسه لمصلحة الاكثرية ولتأمين المساواة ، حيث لا تمييز الا على اساس الموهبة لا الانتماء الى طبقة معينة • واشار الى مفهوم القديم ، الا ان صراع العقائد وصراع الانظمة طورا المفهوم القديم فبات اشمل واعمق • وبعد ان شرح النقيب النظرة الليبرالية والنظرة الشيوعية الاشتراكية ، قال اننا ما نزال نطمح الى تحقيق ما نادت به ديمقراطية اثينا منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وان ديمقراطيتنا مثل غابة جميلة خضراء تعيث فيها الافاعي والعقارب•

وتحدث عن الصحافة فقال انها ليست مرآة المجتمع فحسب ، بل هي جزء اصيل منه وهي قلب النظام ولسانه ، واوضح ان حرية الصحافة هي ضمانة الحريات كلها وهي ليست مستقلة بذاتها ، وانما هي شريان الديمقراطية •

وتطرق النقيب الى الحديث عن الجانب المادي من الصحافة الذي يقرر

التقريظ والانتقاد

رحلة الى الاندلس للاستاذ ناجي جواد

بقلم : عبد المهدي الفائق

رائع جدا ومفيد ايضا ان نتذكر امجادنا ونحن نعيش ظروفا تملي علينا ان نربط الماضي بالحاضر وصولا الى المستقبل ، وان نأخذ العبر والدروس مما حدث تلافيا لما قد يطرأ ، وفلسطين التي تكالبت عليها قوى العدوان منذ سلح الانكليز الصهاينة ومنعوا العربي حتى من أن يحمل خنجرا ، ومنذ أن اعطى بلفور وعده الى ان خرج الجيش البريطاني والعصابات الصهيونية تستولي على اجزاء واسعة من فلسطين ، الى ان خرجت امريكا الى الميدان فسلحت الصهاينة بأحدث الاسلحة وامدتهم بالملايين بعد الملايين ، ثم كانت مجزرة الخامس من حزيران ، واليوم بعد ان طردتها شعوب الهند الصينية شر طردة ، تخطط مع العملاء مؤامرة جديدة تهدف من ورائها القضاء النهائي على القضية الفلسطينية.

فلسطين وهي تعيش هذه المأساة توجب على كل عربي ان يمعن الفكر بمأساة (فردوسنا المفقود) في الاندلس ، فما حدث في الاندلس حدث بعضه في فلسطين ، وتعمل قوى الاستعمار على تحقيق ما لم يتحقق ، فقد أضعنا الاندلس باختلاف الكلمة والقيادة ، وتكالب الحكام ووقوعهم تحت اقدام الاجانب وكل منهم يريد من هؤلاء ان يكون الى جانبه ضد الحكام الآخرين وبتهاون العرب لا سيما أبناء المغرب العربي وعدم نجدة اخوانهم ، هذه بعض الجوانب التأريخية التي تحتم على ابناء الامة العربية ان يأخذوا منها الدرس حتى لا تكون فلسطين الاندلس الثانية خبرا من الاخبار التي يرويها التأريخ .

والكاتب الاديب الاستاذ ناجي جواد يشير الى شيء من هذا في كتابه (رحلة الى الاندلس) ويقول في كلمة الاهداء (الى الفدائيين المجاهدين من أجل ان لا تتكرر مأساة الاندلس في فلسطين).

ومؤلف الكتاب مشهور بحبه للسفر ، وكثرة اسفاره ، ويعبر في كتابه عن

ملايين ليرة ، فهل تستحق هذه من مال المكلفين اكثر مما يستحق تعبيد طريق الوعي والاعلام الوطني الصحيح ؟!!

واستطرد المحاضر يقول ان المجتمع كله مسؤول عن هذه الركيزة الاساسية في بناء الديمقراطية « ولا يمكن ان يحكم الشعب نفسه بنفسه ولنفسه ، الا اذا كان قادرا على التعبير عن رأيه بحرية » •

وختم نقيب الصحافة محاضرته بقوله « ومثلما يفترض في الناخب ان يكون حرا في ممارسة حقه باختيار ممثليه ، يفترض في الصحافي ان يكون حرا في ممارسة حقه بالافصاح عن رأيه • ولن تكون الديمقراطية سليمة الا متى توافرت لها هاتان الضمانتان : نزاهة الاستفتاء الحر ، ونزاهة الصحافة الحرة » •

ورد المحاضر على اسئلة الجمهور فنفى ما يقال من ان حرية الصحافة تتعرض اليوم للخطر وردد ما قاله الرئيس سليمان فرنجية لمجلس نقابة الصحافة ملتزما بضمان الحرية ، كما تحدث النقيب عن المباحثات بين اللجنة الوزارية والنقابة لتحقيق مطالب الصحافة •

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له … اذا لم يكن في فعله والخلائق

وما بلد الانسان غير الموافق … ولا أهله الادنون غير الاصادق

المتنبي

★ ★ ★

سفر مغترب

زارنا مودعا بمناسبة عودته الى الارجنتين مقر عمله المهاجر الفاضل الغيور الشيخ محمد علي البلاغي ، وله في بونس ايرس عاصمة الارجنتين مآثر طيبة ، في خدمة بني قومه والمغتربين من ابناء بلاده وقد اشترك في عدة جمعيات خيرية واجتماعية •

ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرّجال

ويظهر ان المؤلف لم يذهب الى الاندلس للمتعة كما يقول عن نفسه ولم يذهب كذلك لمشاهدة الآثار العربية الخالدة حسب ، بل ذهب الى هناك مؤرخا ومنقبا وباحثا ومستنبطا ، فقد اشار الى الاسماء ومفردات اللغة العربية التي تحملها اللغة الاسبانية سواء أكانت اسماء رجال وحيوانات وصناعات ام اسماء حارات واماكن عامة ورجال •

ولم يترك المؤلف ناحية من مناحي الحياة في الاندلس الا وتحدث عنها فكما أشار الى العادات والمطاعم العربية التي ما زال الاسبان يتعلقون بها ، كما وصف مصارعة الثيران وصفا رائعا في صور شعرية أخاذة ، وبعد ان يصف المصارعة يقول (والغريب في امر هؤلاء القوم ، انه مهما كان رأيك في المصارعة فما عليك الا أن تصفق مع المصفقين ، وتتحمس مع المتحمسين ، والا تتوالى عليك النظرات الشزر ، فاللعبة بضعفها وقسوتها تحتم عليك مشاركة أهلها احاسيسهم المحمومة فاذا لم تتجاوب معهم أمسيت في عداد من ينطبق عليهم المثل القائل العاقل بين المجانين مجنون ، فاكبر اهانة توجهها الى الاسباني هو انتقادك المصارعة واستهجانها فهو يعتز بها كل الاعتزاز ويعتبرها جزءا لا ينفصل من كيانه وتراثه فالجميع يتغنون بها ويمجدون أبطالها ويقلدون حركاتهم ويتشبهون في تصرفاتهم) •

ويشير المؤلف الى شيء يستحق عناية المسؤولين العرب والمؤسسات الثقافية والتراثية العربية حيث يقول ان هناك آثارا عربية تكاد تندرس وهي تحتاج الى العناية والرعاية ، ولا شك ان الحكومة الاسبانية تدرك ان هذه الآثار السبب الاول لانتعاش الصناعة السياحية في اسبانيا يجب العناية بها والحفاظ عليها والاستعانة بالخبراء العرب والدوائر العربية المختصة لاجل تحقيق كل هذا •

والكتاب بعد هذا لا يعطيه حقه مقال واحد ، بل يحتاج الى بحوث مسلسلة واهتمام بالكتاب العرب به ، والشيء الذي يؤاخذ عليه المؤلف انه لم يكن حاضرا عملية طبعه لذلك لم يخل من اخطاء مطبعية كما وقع المؤلف نفسه في

هذه الهواية فيقول (فاذا ما طرت لبلـد بعيد وابحرت لعالـم جديـد جمعتني الصدفة الطيبة ورفقة السفر المحببة بمعارف أقاسمهم العيش الوديـع واشاطرهم المسرة الهانئة بروح التعارف والتعاون ٠٠ فالانسانية واسعـة لا تحدها حـدود ولا تفرقها اجناس والوان ولا تختلف مشاعرها بين عـرب أم هنـود ، وقلوبهم خلقت نقية صافية لا تتعكر الا عندما يرميها لئيم بحجر) ولكـن رحلته التـي اثمرت فقد كتب مؤلفا عن الاندلس لم أقرأ مثله في سلاسته وحسن وضعه مـع ولهي بقراءة الكتب السياحية والبلدانية ٠

ان المؤلف قد جعل من قلمه (كاميرا) دقيقة فوصف الاندلس وصفا صادقا ووضع امامك ما شاهده وكأنك تراه ، فاسلوبه سهل ممتنع وله قدرة كبيرة على الاستعانة بمفردات اللغة وهو يرسم لك صور ، غرناطة او قرطبة ، وعندما يصف لك ما شاهده في قصر او جامع تلمس تمكن المؤلف مـن اللغـة ، ورهافة حسه وعذوبة سرده ٠

والمؤلف بعد هذا لا يصف لك الحاضرة دون ان يشير الـى تاريخها كيف فتحها العرب وكيف ضاعت من العرب ، وهو في سرده للاحداث يشير باصبعـه الى اماكن الحذر وضعف الرأي وكأنه يقول فلنأخذ العبر من هذه الاحداث ٠

والمؤلف بعد هذا يعجب بالادب الرائع الذي تركتـه الاندلس بين طيـات التأريخ ، ويسجل المؤلف بقوة وبيان أبي عبد الله الصغير الـذي سلم غرناطـة للملك فرديناند ، وهو يكتب الى سلطان فاس رسالة مؤلمة يتنصل فيها من تبعية ما حدث ويصور نفسه فيها ضحية للقدر ، وما جاء في هذه الرسالة (هذا مقـام العائذ بمقامكم المتعلق باسبـاب ذمامكم المترجـي لعواطف قلوبكـم وعوارف أنعامكم ، المقبل الارض تحت اقدامكم ، المتلجلج اللسان عنـد محاولة مفاتحة كلامكم ، وما الذي يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل ، وقضيته المقضية عـن التفضل والاعتذار تجل ، بيد أني أقوله لكم ما أقوله لربي واجترائي عليه اكثر والاحترام اليه اكبر ، اللهم لا بريء فاعتذر ولا قوي فانتصر ، ولا ابريء نفسي ان النفس لامارة بالسوء) ولا يهمني هنا اعترافه بالتقصير ، ولكن الذي يهمني ويهم التأريخ ان هذه البلاغة قد استعملها لجمع قوى الشعب والكيد للاعـداء المتربصين ولما ضاعت الاندلس قال عنها الصغير وهو يتخاذل بمرارة :

للأسئلة والمناظرة

لم تتعود « العرفان » أن تفتح صفحاتها للجـدل الفارغ والتهاتـر حـول اختلاف الرأي ووجهات العقيدة والفكر بين الكتاب والقراء وهي الـتي أسست على التقوى والحق والتهذيب في رسالتها وطريقتها فتعهدت حرية الرأي بالحجة الدامغة والسداد في الموضوع والتعبير ، فما بال المجلة العزيـزة تسمح لتهاتـر تسلل الى صفحاتها في موضوع قديم تجدد منذ بضعـة أشهر في صحيفة عربيـة سعودية ونقله الخائضون فيه الى مجلـة « العرفـان » في لبنـان ، فهل ضاقت صحيفة « الدعوة » للحقيقة في البرهان بهذا الجدل الناقم حـتى تحول محتواه الى ما يشبه التهمة والريبة في مقال الاستاذ الكبير احمد عبد الغفور العطار الذي بدأ الموضوع عن اديب الفكرة الاسلامية والبلاغة العربية الكاتب الخالد الذكر مصطفى صادق الرافعي .

فاذا كان مقال الاستاذ العطار حول الرافعـي والعقاد لـم يعجب الذيـن غضبوا لما جاء فيه فهل ينبغي لهم ان يتناولوه بالتفنيد والتسفيه وان يتحولوا الى التهاتر في نقدهم وردهم بالتي هي أسوأ ، حتى نقلوا هـذا الجدل العقيم مـن بلادهم الى لبنان حيث ينشر خصمهم العطار مقالات له وكتبا في الادب واللغـة والتراث وفي نقاده الغاضبين من لم تغب عن خواطرهم ومطالعاتهم تلك الخصومة القديمة التي عبرت عنها مقالات محمومة ارتفعت حرارتهـا واشتد لهيبها علـى صفحات « الرسالة » المصرية وفي تعبير النقاد والكتاب حول مذهبين ومتنافسين، وذلك منذ خمسة وثلاثين عاما وبعد وفاة الرافعي يرحمه الله الذي كان عنيفا في نقده للعقاد وادبه وقد نشر هذا النقد المشهور في كتابه « على السفود » .

وكان الاستاذ محمد سعيد العريان صديق الرافعي ورفيقه عـلى تفاوت في العمر والمزاج ينشر في مجلة « الرسالة » سلسلة من فصول كتابه عـن « حيـاة الرافعي » فهبت الاضغان من الاعماق وكان الكاتب الكبير سيد قطب أشد النقاد طعنا في أدب الرافعي واسلوبه فتصدت له أقلام مصرية وسورية بمقالات عنيفـة اتهمته بالتحيز لصديقه العقاد الذي عانى في حياته الفكرية خصومـة طاغية مـن الرافعي .

اخطاء في مفردات اللغة وهي اخطاء قد يقع فيها الكثيرون من الكتاب والمؤلفين ، والكتاب يجب ان لا يخلو منه بيت عربي ولا تفوت قراءته واستيعابه على عربي؛ شاكرين للمؤلف الجهد الذي بذله في تبويبه وفي اخراجه وفي ورقه الفاخر وطباعته الانيقة •

الكاظمية ــ العراق عبد المهدي الفائق

اللحــن الحبيس

شعر : علي محمد الحائري

★ ★ ★

لي هوى البلبل الطروب الى الشدو ولكن أيــن المصيــخ الطروب ؟
أين خضر الافنان تسكرها الريح وايــن المنــى وايــن الحبيب ؟
اين شمس الاصيل وهــي نضار في ذرى الايك من غرام تذوب ؟
ايــن دل الغدران تيمهــا الوجد فأفشــــى هيامهــن الوجيــب ؟
اين دنيا تهفــو لوقــع نشيدي اين ظبي على وسادي يلــوب ؟
لهف قلبي حتام يكظــم حبــي اكذا تكظم الغــرام الــقلوب
فاذا مــا همســت فالهمس آه واذا مــا نبست فهــو نحيــب
واذا ما ضحكت فهــو شواظ من جمار الاسى وبــرق خلوب
يــا ليالــي حفــلا بالمــآسي علليني فــقد براني اللــغوب
علليني بغــير عربــدة اليأس فــقد انــفذ الدمــوع نضــوب
عللينــي بغــير مــا ترك العدم وغير المــاضي الــذي لا يؤوب

كربلاء ــ العراق علي محمد الحائري

والانحراف تغلق هذا الباب الذي يقتحمه الناقمون ، وما اعظم العودة للحق في النقد والنزول عند احكامه العادلة الصادقة •

دمشق وداد سكاكيني

★ ★ ★

اخي العزيز الاستاذ ابراهيم السمان المحترم

وكيل وزارة الثقافة والاعلام المساعد

★ ★ ★

تحيتي واحترامي وبعد

قرأت ، لا بل وجدت امتاعا وفائدة في كتابك اللطيف (دموع المحار) فلا يسعني الا ان اهنئك بهذه السماحة التي تناولت بها موضوعاتك ، فاستطعت بلباقة ورشاقة ان تعرض معلومات مفيدة في احاديثك التي ضمها هذا الكتاب •

فوضعت بين يدي القاريء حياة او جانبا من حياة ذلك الشاعر العالم علي الجارم ، وجلوت في دموع المحار اختراع كرة الغوص ، وما يلاقي الغواصون • وانرت جوانب من حياة (تشايكوفسكي) وما فيها من سبحات ذوي الفن ، واظهرت الاسلوب الذي اكتشفت فيه منافح شجرة الكينيا وكيف تمكن العلم من اختراع الكينا مخبريا ، وختمت كتابك بحديثك الذي كان احتاجا على القنبلة الذرية بعنوان (صوت من الشرق) •

فلك مني اصدق تحية على هذه الطريقة التي تقدم فيها معلوماتك ، فجئت بفائدتين فائدة تثقيف الجماهير ، وفائدة التعليم لمن يريد ان يمارس الكتابة الاذاعية •

فتقبل يا اخي صادق مودتي وتقديري •

باخلاص

عمان ـ الاردن روكس بن زائد العزيزي
ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان في الاردن

وقد دخلت هذه المعركة القلمية والنقدية تاريخ الادب الحديث في تطوره واتنفاضاته وما دار بين الرواد والنقاد حول هذا التطور في تحرر التفكير والتعبير، فما بال العلامة السعودي الاستاذ أحمد عبد الغفور العطار ينبش الماضي فيما كان بين السطور والصحف مدفونا او مطويا فيبدأ هذه المعركة الادبية المتجددة ـ والبادىء أظلم ـ ناقدا أدب الرافعي وهو بسبيل الاصلاح والسلام بين مختلفين في الرأي مختصمين في امور وحوادث مكشوفة ؟

واذا كان الاستاذ العطار قد تجنى على أدب الرافعي في حكمه ونقده وما اكثر الذين حاولوا النيل من هذا الادب وكاتبه بعد وفاته فهل يليق بحماة العربية ورعاية النقد والتراث في تلك الديار المباركة ان يتناولوا العطار ومقاله بالتشهير والتعبير لا بالحجة والبرهان ، وان لا يقنعوا بنشر خصومتهم في صحف بلادهم فينقلوها الى لبنان وغيره من البلاد العربية والاسلامية التي ينبسط فيها للعطار صيت حميد فيما يؤلف من كتب قيمة وينشر من موضوعات خطيرة تتعلق باللغة والفكر وقضايا الادب والتحرير حتى غدا معدودا في طليعة الدائبين في خدمة العربية والاسلام •

وكان من آخر مؤلفاته « الزحف على لغة القرآن » وقد أهداه الى أنصار الضاد الذين يجاهدون في الله حق الجهاد بنصر لغة القرآن وآدابها وعلومها ومناوأة الدعاة لمذاهب الهدم والتقويض للفصحى ومقوماتها » فكيف يتهم خصوم العطار صديقهم فيما يناضل من أجله وبسبيله في قلمه وحرية رأيه ومساعيه المشكورة في وطنه وفي العالم العربي كله •

ومن احدث ما أخرجت المطبعة للاستاذ العطار كتابه عن « الشيوعية والاسلام » ثم « اليهودية والصهيونية » ألا تدل هذه العناوين ومحتوياتها على اتجاه العطار في الجهاد فكيف يتهم بالتشفي من الرافعي يرحمه الله ولم يكن له صديقا او عدوا فاذا أخطأ في مقاله عنه او اساء ، فللنقاد ان يضعوا النقاط على الحروف فيما جاء بمقالاتهم ، غير انهم كشفوا عما في نفوسهم وبخاصة حين نقلوا مآربهم الى مجلة « العرفان » المعروفة بالنقد الباني وحرية الرأي في نزاهة التعبير والهدف ولعل المجلة التي لم تتعود ان تفتح صفحاتها الا للحقيقة وكشف الباطل

٢ ــ يشترط على الوارد الالتزام بالصلاة وعدم شرب المسكر .

٣ ــ يشترط عدم التأخير من الساعة الحادية عشرة ليلا .

٤ ــ ان يدفع الوارد اجرة رمزية .

٥ــ فقدان اي شرط يوجب فصل الوارد ولو بواسطة البوليس المحلي .

واهم الوسائل الضرورية هي :

١ ــ دائرة ترشد الطلاب الى الجامعات ومتطلباتها .

٢ ــ مكتبة تهيأ فيها ما يطلبه الطلاب من الكتب الدينية والمدرسية .

٣ ــ تأثيث الغرف بما يناسب القسم الداخلي .

تبقى الحواجز المتصورة والتي اهمها الرصيد المالي ، ولا اظنه حاجزا واقعيا للمحسنين الذين يشعرون بعظم المسؤولية (ثم) تقبل الطلاب لهذه الفكرة واظن · ان النظرة الجادة الى العادات المتأصلة والمضايقات المادية التي قل من لا يتصف بها عن الطلاب ، تكفي لتحديد مدى تقبلهم لهذا المشروع .

(اما) التشكيك في المكان ذلك فيكفي دليلا على الامكان وقوع ما يشابه ذلك في الطوائف والامم الاخرى ، فهذه (Y. M. C. W) . (C. A) المسيحية وهذه (حسينية البهرة) الاسماعيلية وهما مؤسستان تشبهان الى حدما ما تقصد ولهما فروع في مختلف الدول وتأمن نفسها بنفسها ويحميها القانون المحلي من دون تدخل اية رغبة مخالفة ــ شخصية او سياسية ــ .

واخيرا : اقدم اعتذاري من هذا التصريح كما وادعوا الله سبحانه ان يأخذ بيد كل مخلص امين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لنــدن

الداعــي
محمد حسين الحسيني الجلالي

مطبعة الجمهورية الجديدة ــ تلفون ٢٢٨٥٣٠

الى سماحة سيدنا الاستاذ مرجـع الشيعة
السيد ابو القاسم الخوتي دام ظله

والى كل من يهمه امر الاسلام والمسلمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(وبعد) فقد اضطرني القدر على الاقامة في لندن مدة من الزمن • ولندن كما هو واضح مدينة الحرية بمختلف الوجوه والاعتبارات وهي ــ اليوم ــ لكل حجيج وفاسد معدن • وما تفتقر اليه في بلد الحرية هذا كثير كتأسيس (المسجد) و (المكتبة) و (ومركز الخدمات الاجتماعية) • وبالنظر الى الحديث المتواتر : « من حج ولم يهتم بامور المسلمين فليس منهم » • وقاعدة : « تقديم الاهم على المهم » الضرورية رأيت لزاما علي بالوجوب الشرعي والعقلي ان ابدي ما يجول بالخاطر القاصر انه من اهم الواجبات ، ان لم يكن هــو الاهم بالذات ، في بلــد الحريات • فاعتقد نظرا لمطالعاتي عن هذا المحيط وما يحيط به من المغريات : ان الواجب الاول بالبلاد هو تلافي الانحراف الملموس للشباب المقيم في هــذا البلد الذين سرعان ما تؤثر فيهم البيئة فيحرفون الى اسوأ درك وان اصلاح هذا الخطر الداهم ــ دفعا ورفعا ــ هو اهم ما يتصور مــن خدمة الــى مستقبــل الاسلام والمسلمين •

لذلك اقدم اقتراحا متواضعا لكل مــن يجــد في نفسه شعورا بالمسؤولية وقدرة على العمل في خصوص الطلاب الوافدين لغرض الدراسة والذين عقد كل من الدين والوطن والاولياء ، الآمال الجسام على مستقبلهم ــ وهــم الكثــرة هنــا ــ •

والاقتراح : ان تفصل ــ بحاجز طبيعي ــ بين شبابنا وبين الانحراف وتهيأ لهم وسائل الدراسة اللازمة • ومقتضى الظروف المحلية ــ هنا ــ ان يتملك مكان بمثابة القسم الداخلي حاو للوسائل الضرورية وخاضع لشروط ومقررات اهمها :

١ ــ يؤسس مكانان احدهما للطلاب والآخر للطالبات •

بالقلق ، كان يحس بالوحشة : ما شاء اللـه •• بيروت اصبحت مدينـة كبيرة ، مليئة بالمخلوقات ، التحركات فيها كثيرة ، لـم يستطع ان يطيق مثل هـذا الجو المضطرب ، المزعج ، كان يفكر بالذهاب الى بلدته ، الى مسقط رأسه •• انه لـم يأت ليحضر مع اخوانه مؤتمر المغتربين والشباب لقد اتى ليعيش فترة ممتعة من الايام في قريته التي غاب عنها ٢٥ سنة •• ان وجوده في بيروت لا يقدم لـه اية فائدة مادية او متعة روحية •

١١ ـ آب

(•• يا لله ، ماذا ارى •• ماذا يعني هذا الخراب •• أحقـا هـذه هـي قريتي ؟•• قريتي الحبيبة الحلوة تحولت الى هذا الشكل •• الى خراب •• الى اكوام من الحجارة ؟ اين هو البيت الذي ولـدت وتربيت فيـه ؟ ايـن بيـوت اصدقائي •• رفاق الطفولة ••؟) •• كان يمشي ببطء يتطلع ، ويفتش عـن اشياء عزيزة على قلبه •• كان يبكي بكاءا مرا •• لقد فاجأته هـذه المشاهـد السوداء المروعة •• انها الصدمة •• بل انها الكارثة يعيشها بكـل جوارحه •• كان يمشي ويتطلع ويبكي •• خطر بباله ان يتجه صوب البيدر ـ مرتع طفولته ـ ويجلس تحت شجرة الخروب الموجودة هناك •• الله •• انهـا لا تزال حيـة ، شاخت •• لكنها باقية رغم كل الدمار الذي حل ببلدته •• جلس وهـو لا يزال في حالة تأمل عميق •• (•• من هو المسؤول يا رب ••؟ كنت اتمنى ان اعـود ، بعد غياب ٢٥ سنة وارى بلدتي باقية •• اراها كما كانت •• كما تركتها •• ماذا يعني هذا الخراب وهذا الدمار ••؟ تلك الليلة كان وحيدا •• عزاؤه الوحيـد ، كان يحس انه موجودا ينام على التراب ـ تراب ارضه •• ارض وطنه • نـور القمر الساطع كان يبعث في نفسه بعض الانشراح ـ بينمـا كانت تزيـد مـن وحشته وقلقه وتحاول قتله والقضاء عليه •• في تلك اللحظة مرت بقربـه امـرأة شابة يبدو على وجهها اثر التعب والارهاق ، لم يعرفها ولم يحاول التعرف عليها ، اقتربت منه وسألته : من انت يا اخ •• هل استطيع ان اقـدم لـك خدمـة او مساعدة ؟ فرد عليها وهو يمسح دموعه : انا انسان غريب •• عدت مـن المنفـى بعد غياب ٢٥ سنة لازوركم وازور قريتي المهدومة ••

والذين هاجروا

مذكرات مغترب مجهول

حزيران ــ ١٩٧٢

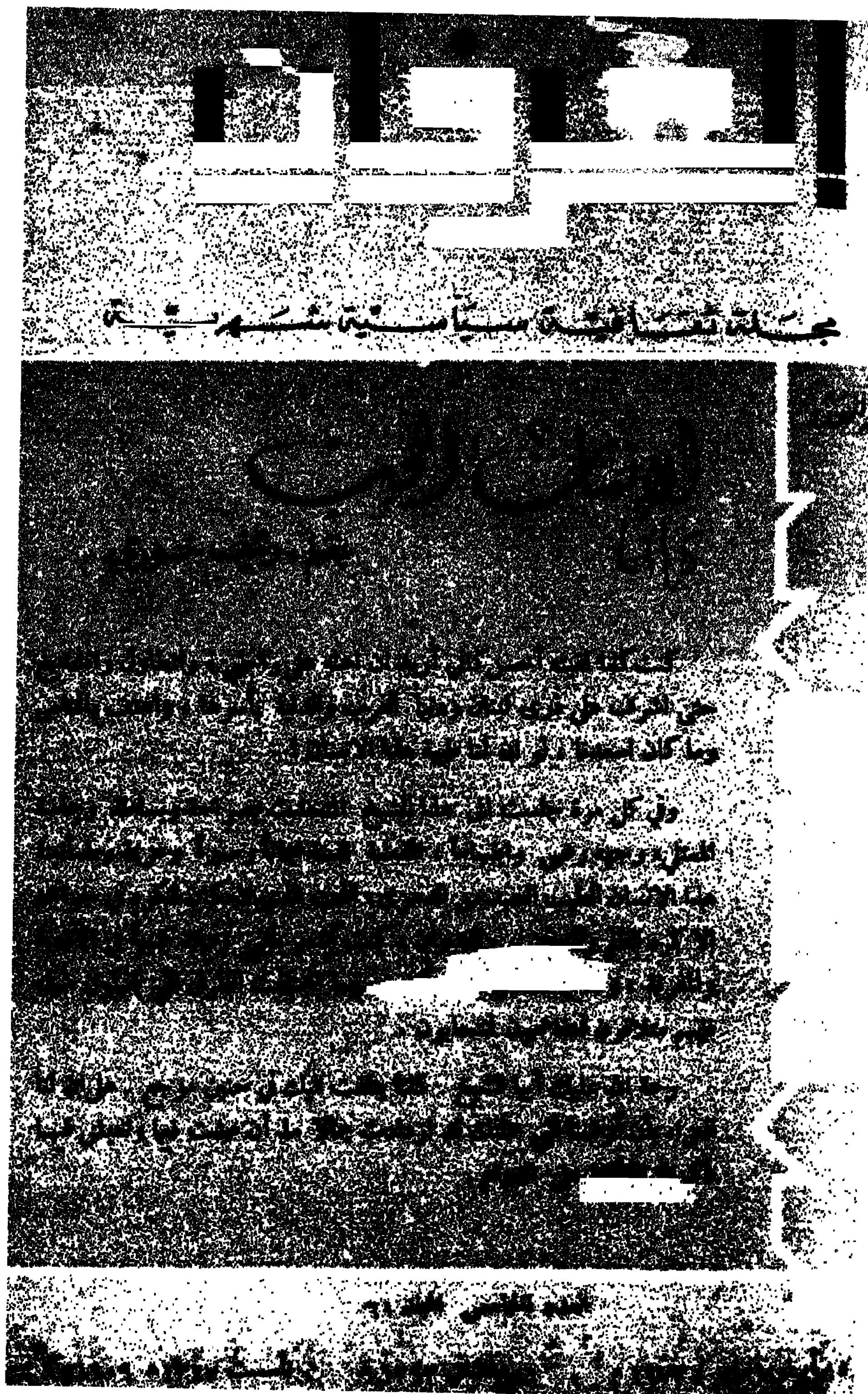
.. الصحافة ، الاذاعة ، اكثر وسائل الاعلام اللبنانية كانت تتحدث عن موضوع زيارة المغتربين لوطنهم وحضورهم مؤتمر (الشباب المتحدر من اصل لبناني) هذا المؤتمر الذي هيأته الجامعة ــ اللبنانية الثقافية في العالم ــ على اساس فكرة : اظهار لبنان وابرازه بشكله (الجديد) امام ابنائه المغتربين وتقوية اواصر العلاقة بين لبنان المقيم ولبنان المغترب .

٢٠ ــ تموز :

كان جالسا في غرفته يستمع الى اذاعة بيروت وهي تقدم بعض اغاني فيروز، وصباح ووديع الصافي ، مثل هذه الاغاني الحلوة كانت تبدو منعشة بالنسبة له، وكانت تحاول ازالة بعض هموم الغربة وآلامها عن صدره .. (زوروني كل سنة مرة ..) تنهد ، ولاول مرة بدأ يشعر بوجود اشياء خفية تتحرك في اعماقه .. انه مهاجر منذ ٢٥ سنة .. منذ ٢٥ سنة لم ير وطنه ، لم يرى قريته الحبيبة التي ولد فيها ، لم ير احبابه واصدقاءه .. اصدقاء طفولته .. آه لقد اصبحوا كبارا مثله ، .. اين هم اليوم ..؟ يجب ان يعود ، لقد طال زمن الغربة ، يجب ان يزور قريته .. ولو لايام .. لاسابيع ..

١٠ ــ آب

صباح هذا اليوم وصل الى بيروت ، وتسنى له لاول مرة ــ منذ ٢٥ سنة ان يستنشق هواء لبنان الجميل ، لم يشاهد احدا من اهله يستقبله ، كانت الدموع تنهار على خديه ، كان يشعر بقليل من السعادة ــ سعادة مزوجة


مجلة ثقافية سياسية شهرية

ـ ولكن ما اسمك ؟

ـ اعتقد ان اسمي لا يهمك .. انا مغترب مشرد ومقيم ضائع ..

.. وقف على رجليه وهو يحاول متابعة سيره والخروج من داخل قريته المنكوبة .. النزوح منها للمرة الثانية .. بينما كانت المرأة الشابة لا تزال تنظر اليه وهو يبتعد عنها رويدا رويدا .. كانت تتمنى ان تتعرف عليه .. اخذت تركض وراءه وهي تنادي وتقول له : قل لي من انت ، ما اسمك ، وسأدلك على اهلك . واصدقائك . سأقول لك اين هم وفي اي مكان موجودين .. فرد عليها بصوت عال : انا انسان غريب مشرد . زيارتي لكم انتهت ، بلغيهم تحياتي واشواقي ...

(غابة تاندا ـ افريقيا) ٢٤ آب

كان جالسا في غرفته ، يعيش مع الحان سمفونية بتهوفن الخامسة (ضربة القدر) تناول الدفتر واخذ يتابع تدوين مذكراته ... الصحف والاذاعات كانت تتحدث عن هجمات العدو البربرية على بعض قرانا في الجنوب .. انني الان اذكر ذلك .. ولكن المسألة كانت اكبر واضخم .. لقد شاهدت شيئا مروعا .. اكوام من الحجارة ، وطيورا تحلق فوق منطقة الخراب .. ولم ار احدا من اهلي ، لم ار اصدقائي ، رفاق الطفولة . وهكذا عدت ونزحت .. من جديد .. عدت الى ادغال افريقيا حيث امضيت فيها فترات طيبة من عمري ، ٢٥ سنة ، وبدأت اشعر اليوم ان غربتي هذه المرة ستكون مرة مريرة وقاسية .. واتساءل بحرقة كيف سيكون شكل مصيري في المستقبل ..؟

حسن يزبك

دكار



صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

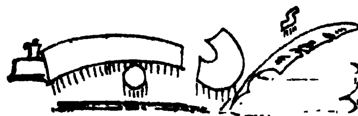
العرفان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ — سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الخامس مجلد ٦١ ، ايار « مايو » ١٩٧٣ جمادى الثانية ١٣٩٣



العــرفــان

مجلة علمية ادبية ثقافية سياسية شهرية



قيمة اشتراكها : عشر ليرات لبنانية في لبنــان وسورية

ديناران كويتيان او ما يعادلهما في بقية البلاد العربية

عشرة دولارات او ما يعادلها في سائر الاقطار

الفا فرنك افريقي في السنغــال وشاطيء العــاج

مئة ليرة للبنانية للمؤسسـات الرسمية والبنوك والسفارات

وفي البريــد الجوي

واشتراك الانصار لا حــد لــه

عنوان مجلة العرفان :

صيدا ــ لبنــان ــ العرفان

بيروت ص. ب : ٣٩٧٨ : العرفان

بناية اللعازارية ــ الطابــق الخامس آ ــ ٤

تلفون : مكتب بيروت ٢٩٧٠١٧

مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

المخابرات الهاتفية علــى مكتب بيروت

المطبوعات المضمونة كتب او صحف على مكتب صيدا

الرسائل المضمونــة علــى مكتب صيــدا او بيروت

AL-IRFAN

Revue Artistique' - Scientifique et Politique

Propr. Réd. en chef, directeur : **NIZAR EL ZEIN**

B.P. : 3978 — Tél. : 297017

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

كتب زميلنا الكبير الدكتور احمد زكي في زميلتنا « العربـي » مقالا تحت عنوان :

من اين ، والى اين ، يا رجال العرب

ومما قاله :

ابدأ باسم الله اكتب في موضوع سياسي ، ومـن كتب في السياسة هـذه الايام ، لا سيما في موضوع مصيري ، وجب ان يبدأه باسم الله ، وان يطلب فيه العون من الله والسلامة ، على كلتا الحالتين ، خطأ كان مـا يكتب او صوابـا • فالخطأ ان ازعج ، كان بعض الصواب لجمهور الناس اشد ازعاجا • والخطأ كثيرا ما يحلو ، ولبعض كلمات الحق مرارة لا تحلو ولو مزجتها بأرطال من عسل •

كاتب العربي ، والرقباء

على ان الكاتب السياسي يقيه من اعقاب كلمة الحـق الصريحة ، في مجلـة كهذه ، لا بد من دخولها الى بضع عشرة دولة عربية ، انه لا يستطيع ان يبلغ بها من الصراحة ما يريد ، وهو كلما مد البصر رأى على ابواب هـذه الدول خفراء ، اسموهم الرقباء ، يأذنون بدخول ما يروق ، ويمنعون مـا لا يـروق • وتختلف اذواق هؤلاء الرقباء ، فمنهم من يجيز ومنهم من يمنع •

وجاء في آخر مقاله ما نصه :

اما الحرب فيحكمها ان يكون لديك سلاح ، وان تكون قطـع غيار ، وان تكون حاضرة • فان تكن حاضرة حقا فلا سبيل الا الحرب، ولا شيء غير الحرب،

مطبعة الجمهورية الجديدة ـ تلفون ٢٢٨٥٣٠

الدفاع ، وماذا فعل العرب ؟ » اذا بنا نطالع في زميلتنا « الانباء » التي تصدر في البرازيل لرئيس تحريرها الصديق الاستاذ عبد اللطيف يونس مقالا افتتاحيا بهذا المعنى ننقله للقراء لما فيه من فهم وواقعية وصدق :

يا عرب ماذا صنعتم للبنان

بقلم : عبد اللطيف اليونس

لبنان •• كان بكل ما فيه من عزة وأنفة وكبرياء •• وتسامح ، وتساهل ، وانفتاح ــ تسامح قانون وتساهل معاملة ، وانفتاح حدود •• وتقبل للقيم ، واتساع للمبادىء وتجاوب مع الاشقاء •• بكل ما فيه من صلابة عقيدة ، وعنف ايمان ، وتشبث بأعراف !

لبنان •• الخميلة في صحراء لاهبة ، والينبوع في أرض عطشى ! لبنان •• العقل النير ، والفكر الخير ، والقلب الذي لا يتوقف عن العطاء •

لبنان •• جريح !

فيه جرحان عميقان : واحد من العدو الصهيوني المجرم الغادر الماكر ، وآخر من أشقائه العرب الذين تلكأوا عن مساعدته في محنته •• واكتفوا بالبلاغات والبيانات والتصريحات ! ومتى أسقطت البيانات طائرة ، واوقفت البلاغات دبابة ، وحدت التصريحات من تقدم العدو ؟!

رحم الله « الريحاني » •• قال له أمير عربي ــ لـ « المؤمنين ! » ــ انه يستطيع اسقاط الطائرات بقراءة « الفاتحة » ــ « الفاتحة » التي لم يستعملها « محمد » في حروبه مع مشركي قريش •• وانما استعمل السيف والرمح والنبال •• وكان يأمر بأن « تعقل » الناقة ، ثم يتوكل على الله •• ولا يأمر بترك الناقة طليقة ، ثم يكتفي بـ « التوكل » ! واما اتباع « محمد » الجدد •• فانهم يطلقون الناقة في أرض مليئة بالضباع والذئاب واللصوص ! ويعمدون الى المسابح ، والتعاويذ ، وتلاوة « الاوراد » ! ويتركون الصهاينة يتقدمون ويدمرون

ولا شيء نستعيض به عن حرب في سيناء ، وفي الجولان ، وعبر الاردن •

ولكن الشجاعة تظل شجاعة ما تقدم الرجل الى الميدان وبيده سيف • وليس من الشجاعة ان يتقدم الاعزل • والاعزل عند القدماء كان من ليس معه رمح او سيف • والاعزل عند الاحدثين قد يطلق على صاحب المدفع الذي يرمي بقذيفته عشرات الاميال ، ولكن تعوزه الذخيرة •

وعبد الله بن الزبير ، حاصره الامويون في مكة ، فخرج اليهم ، وعلى جسمه كفنه ، وفي يده صارمه ، واستشهد • وكان بطلا • ولكني لست ادري كم يجوز على الامم ما يجوز على الفرد • واميل الى ان انصح بان لا تخرج امة الى الميدان وعلى اجسامها اكفانها •

ان لم تكن حرب مركزة في الميدان ، فلتكن حربا مشتتة في كل ميدان ، وفي كل بلد ، وكل عاصمة ، وكل بيت ، وكل طريق ، وفيما صنع الفدائيون من رجال فلسطين ، ويصنعون ، الكثير الذي يحتذى ، بعد شيء من التغيير والتحوير •

وهي حرب، اذا بدأت ، لا يحصى زمانها بالسنين • انها حرب الحياة ، تنشأ مع الحياة ، تنشأ مع الولائد وتتقاصر بها الاعمار •

والنصر آخر الامر ؟

لا شك لاحد فيه ، ولا لمن هو ؟

وليس كالحروب صانعة رجال •

قارئي الكريم :

فالى متى نسلط الرقباء الاغبياء او الحزبيين المتطرفين على الناس وتتغنى بالحرية ؟!

وفي حسابنا للسلم والحرب لا نكون عمليين وواقعيين ، بل نسير دون حساب صحيح مخطط •

وبينما كنا نهم بكتابة افتتاحية هذا العدد بموضوع « لبنان وعجزه عن

والاكتفاء بالطلب من الله ان يسحق العدو ويمحقه ـ وكيف يسكن ان يسحقه ويسحقه وهو يحاربنا ببترولنا واموالنا •• ونحن لاهون عنه بخلافاتنا وشعاراتناه وانصرافنا الى لهونا وملذاتنا • وتكديس ملايينا في مصارفه يستثمرها ضدنا ، ويستخدمها للهجوم علينا •• وفي كل يوم « خيام » جديدة ، لـ « لاجئين » جدد •• وارض عراء لمشردين مبعدين !!!

« اندفعوا •• او انقرضوا » ! ولنست شرفاء •• ولا نعش صاغرين أذلاء••

فما عرف العرب في تاريخهم متقاعسين متواكلين جبنـاء ورحم اللـه « شوقي » امير الشعراء :

ان البطولة أن تموت من الظما ليس البطولـة أن تعـب المـاء

الشاعر جورج كعدي

فـي زيارة لبنـان



يزور لبنان الشاعر الوطني المهجري الاستاذ جورج كعـدي لطبـع احـد دواوينه ، وكان قد زاره منذ ثلاث سنوات فطبع ديوانه « الكعديات » بجزءين•

وفي حديث لزميلتنا « البيرق » كان مما قاله صديقنا الشاعر (بانه لو كان يوجد عدل في لبنان لحكم على سعيد عقل بالسجن المؤبد لانـه يقـول باستبدال العامية بالفصحى واحلال الحرف اللاتيني مكان العربي) يسلم فمك يـا استاذ • وقد بشرنا الاستاذ كعدي بانه سيعود نهائيا للوطن ، فاهلا بـه بين اهله واخوانه واصدقائه وعلى الرحب والسعة •

ويفتكون ! ثم ينحون باللائمة على غيرهم ، ويهاجمون بعضهم بعضا ، ويشتمون بعضهم بعضا !

هاجمت الطائرات العدوة سورية ـ بكثافة ووحشية وتحد •• ووقفت سورية وحدها تجابه التحدي •• ويندفع طيرانها وحده للانتقام •• ويغير على معسكرات العدو بجرأة وبسالة وبطولة •• فيسقط للصهاينة طائرات ، وتسقط له طائرات •• ولم تتحرك طائرة عربية من مطار عربي ، لنجدة الطيران السوري العربي !

ويهجم العدو الصهيوني على لبنان •• في أعنف حملة ضارية منذ حرب حزيران سنة ٦٧ ـ ولعل هجومه الاخير أشد فتكا وتهديما وتخريبا من معارك سنة ٦٧ ـ ولا يتحرك في البلدان العربية الا اقلام الكتاب ، وألسنة الساسة ، والهواتف والرسائل والبرقيات ! والعدو ـ بخبثه وخبرته وتجربته ـ يعرف ان العرب لن يتحركوا •• فيستهين ، ويستصغر ، ويستخف ! وقد تغير قواته غدا على سورية •• فلا تجد أمامها الا الجيش السوري وحده يقابلها بعنف ايمان ، ومتانة عقيدة ، ومثالية بطولة •• وتبقى الجيوش العربية الاخرى هادئة ساكنة جامدة •• ويكتفي القادة العرب بالبيانات والتصريحات والتهديدات !!

وثماني عشرة دولة عربية ! ـ ١٨ ـ ! لا بارك الله ، ثم لا بارك الله ، والف مرة لا بارك الله ! وماذا تغنينا هذه الكثرة الكاثرة من العواصم والاسماء والاعلام والارقام •• وعدونا جاثم على صدورنا •• يأخذ منا بترولنا ليصنع به مدافع وصواريخ ودبابات وطائرات •• ثم يهاجمنا بها •• ببترولنا العربي ، واموالنا العربية المكدسة في بنوكه وشركاته •• ويحتل أرضنا ، ويشرد شعبنا ، ويستعمل من يبقى منه عاملا ومستخدما واجيرا !

فيا للعار ! ثم يا للعار ! يهاجم الطيران الصهيوني سورية •• فلا تهرع طائرة عربية من مطار عربي ! ثم تهاجم القوات الصهيونية ـ النازية والفاشية ـ حدود لبنان فتهدم المدن ، وتحتل القرى ، وتدمر الدور والجسور •• فلا ينتفض في الامة العربية ضمير قذيفة ، او وجدان صاروخ •• وانما كلام في كلام في كلام •• ولا شيء غير الكلام ، وطقطقة مسابح ، ومداعبة « نراجيل » ••

... واسرائيل

بقلم : حافظ اديب الزين

هذا هو المقال الاول في سلسلة مقالات تتناول الموقف بين امتنا العربية ــ الاسلامية واسرائيل •

الافتراض الوحيد الذي افترضه مسبقا ودون أي تبرير هو ان الشعب العربي لا يمكن ان يقبل في أي حال بوجود اسرائيل كجسم غريب في الوطن العربي ، وان عداءه معها مستحكم لا يحل الا بزوال أحد الفريقين من الوجود ــ هذا هو منطق التاريخ • ونحن كعرب نؤمن بوجوب استئصال اسرائيل كدولة عنصرية معادية تقوم على الاغتصاب والارهاب ، واقامة دولة ديموقراطية لا عنصرية مكانها ، عربية الكيان والروح ، لا توجد فيها فوارق دينية او عرقية • هذا هو الايمان الوطيد لكل عربي مخلص ، وعلى اساس ايمانه هذا ، عليه ان يبني تصوره لكيفية تحقيق هذا الهدف من بين التصورات المختلفة المطروحة والتي يحدد اهمها بما يلي :

١ ــ تحرير ارض فلسطين بواسطة الحرب النظامية •

٢ ــ اعتماد الوسائل السياسية في تحصيل حقنا في فلسطين •

٣ ــ التحرير عن طريق الجهاد المقدس (حرب التحرير الشعبية ــ حرب العصابات) •

٤ ــ اعتماد الاساليب الثلاثة التي سبق ذكرها مجتمعة •

٥ ــ ترك حل المسألة للزمن ، وذلك باقامة سلام دائم مع اسرائيل ، مما يترك المجال للتناقضات الداخلية فيها ، العنصرية والسياسية ان تنفجر ، مما يوهن من قوة اسرائيل ويودي بها الى الزوال •

٦ ــ فتح الحدود مع اسرائيل ، وانتظار مرور جيلين او ثلاثة تزول خلالهما العداوة المستحكمة بين العرب والصهاينة خاصة بين الناشئة ، وتضييع الملايين

صحف المحافظات



الانسة نهاد سلامة الاديبة الشاعرة باللغة الفرنسية المحررة في جريدة الصفاء التي تصدر باللغة الفرنسية ، كريسة زميلنا الاستاذ يوسف فضل الله سلامة والتي نرجو لها مستقبلا لامعا في الصحافة كتبت في زميلتنا « الصفاء » مقالات عن صحف المحافظات ، وقد اختصت صحافة الجنوب بمقالا ضافيا تكلمت فيه عن صحفها وما تعانيه فشكرا لها •

جمعية نساء جبل عامل ونشاطها والوسام لرئيستها

توالي جمعية نساء جبل عامل نشاطها في خدمة الجنوب وساكنيه ، وهذا مما يخفف من محنة هذا الجنوب المحروم وقد منحت الحكومة وسام الارز من رتبة ضابط لرئيسة هذه الجمعية السيدة دنيا مروة المنجد ، فنحن نهنيء الوسام حين يعلق على صدر مثل السيدة دنيا • وتتمنى لجمعية نساء جبل عامل ورئيستها واعضائها التوفيق والنجاح • وندعو الى تشجيعها ومؤازرتها •

وبريطانيا تعترف بحدود اسرائيل ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ ، وتضمن وجودها دوليا ضمن هذه الحدود • حتى موقفها من عدوان الخامس من حزيران فيه الكثير من التراخي ولا يحد من انحيازها اكثر لجهة اسرائيل سوى رغبتها في الحفاظ على مصالحها البترولية والاقتصادية في العالم العربي •

فرنسا اكثر تشددا مع اسرائيل بالنسبة لعدوان حزيران ولكنها كانت على علاقات ودية معها قبل حزيران ١٩٦٧ وهي تضمن دوليا وجود اسرائيل ضمن الحدود السابقة لهذا العدوان •

اما روسيا فتقف في الظاهر موقف المعادي لاسرائيل والمؤيد للعرب في سبيل ازالة آثار العدوان ، ولكن تمنعها (بتشديد النون) عن تزويد العرب بأسلحة هجومية متطورة وسماحها لليهود السوفيات بالهجرة الى اسرائيل (وقد اصبحت هذه الهجرة دون قيود في الفترة الاخيرة بعد ان كانت في البدء تشترط دفع ٢٥،٠٠٠ دولار نفقات تعليم) •• يجعلنا نضع علامة استفهام كبيرة حول المدى الذي يمكن لها تأييدنا ضمنه ، اذ ان سياسة الانفتاح على الغرب والتفاهم المتبادل مع الولايات المتحدة قد لا يسمحان لها بالتصلب في تأييد العرب وهذا طبيعي لان روسيا لن تضع مصلحة الشعب العربي قبل مصلحة شعبها وما تسميه « السلام العالمي » • وقبل حزيران ١٩٦٧ كانت روسيا على علاقات اعتيادية مع اسرائيل وهي ستعارض اية محاولة عربية لتخطي حدود حزيران ١٩٦٧ اذا اصبح العرب في وضع يمكنهم من التصدي لاسرائيل ، ولنفترض أحسن الاحوال ، فروسيا قد تتغاضى عن الطموح العربي اذا تمكن من تحقيق غاياته العسكرية حتى الحدود التي عينها قرار التقسيم عام ١٩٤٨ ، اما اذا تجاوز الطموح العربي هذه الحدود فمن المؤكد ان روسيا سوف تتدخل بكل الوسائل لضمان وجود اسرائيل ضمن حدود ١٩٤٨ (نذكر هنا بأن روسيا كانت من اوائل الدول التي اعترفت باسرائيل حين انشائها) وهذا الموقف كثيرا ما اعلنه المسؤولون السوفيات للمسؤولين العرب بشكل مباشر او غير مباشر • والمنطق يؤيد هذا الافتراض لان حاجة العرب لروسيا هي عسكرية بالدرجة الاولى تليها الحاجات التقنية والتكنولوجية ، وفي حال زوال اسرائيل وانصراف العرب الى التنمية ، فالامل ضعيف في اعتمادهم على الروس في المجالات غير العسكرية ، فالشعب العربي

الاربعة اليهودية بين عشرات الملايين العربية وذلك يسمح بقيام اكثرية عربية في فلسطين تستلم الحكم وتعيد كل شيء الى أصالته التاريخية •

كل واحد من هذه التصورات ، يجد له عددا لا يستهان به من المؤيدين والمؤمنين بفعاليته وايضا اعدادا كبيرة من المؤمنين بعقمه ، وليس افضل من مشاورة العقل والمنطق في امر كل واحد من هذه التصورات قبل ان نصل في النهاية الى التصور الصحيح الذي يجب ان يأخذ به كل عربي مخلص كأسلوب لاعادة كرامة العرب المهدورة في فلسطين •

١ ـ الحرب النظامية

هذا النوع من الحرب لم تعد تقرر نتيجته القوة العسكرية للجيوش المحلية ، بل اصبح يخضع لاعتبارات دولية عديدة تؤثر جذريا على النتيجة ، فلذا يتوجب بحث هذا التصور على الصعيدين العالمي والمحلي •

ان اسرائيل الآن كيان معترفا به اكثر من ٩٥ دولة في العالم من بينها الولايات المتحدة وروسيا وانكلترا وفرنسا ، اما الصين فتقف حاليا موقفا معاديا لوجود اسرائيل طالما ان العرب يقفون مثل هذا الموقف • فوجود اسرائيل اذن له ضمانات دولية يتوجب الوقوف عندها قبل التفكير بحرب نظامية لاستئصال اسرائيل •

موقف الدول الكبرى

الولايات المتحدة تقف موقفا منحازا لاسرائيل بشكل كلي حتى في وضعها الحالي كدولة معتدية اغتصبت ارض ثلاث دول عربية في حرب اعترف العالم كله بعدم شرعيتها • والولايات المتحدة على استعداد للتدخل عسكريا بناءا لمعاهدة دفاعية معقودة بينها وبين اسرائيل ، اذا حاول العرب تجاوز خطوط ما قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، علما بأن روسيا لن ترد على مثل هذا التدخل بتاتا لاسباب سيرد ذكرها فيما بعد • والولايات المتحدة تمد اسرائيل باحدث الاسلحة بحيث يقف العرب عاجزين حتى عن استعادة الاراضي المحتلة في حرب الخامس من حزيران •

سكانها ، وفي أي حال ، لن يتعدى عدد الذين سيجدون نهايتهم في انتصار عربي في احدى الحروب البضعة آلاف أما الملايين الباقية فتتمسك بمواطنيتها الاسرائيلية ، ولن تترك اسرائيل الا اذا زلزلت الارض من تحتها واقتنعوا بأن بقاءهم في اسرائيل يعني دمارهم وهذا لا يحصل الا بتفجير اسرائيل من الداخل لا عن طريق انتصارات محدودة تحدث تغييرا بسيطا في الحدود • حتى اليهود الشرقيين المضطهدين داخل اسرائيل ، يعرفون ان عودتهم الى الدول العربية او تشردهم في بلاد العالم من جديد سوف تكون اكثر ذلا من حالتهم الحاضرة ، واسرائيل تستغل هذه الناحية بالذات لتنمي الحس القومي الاسرائيلي فيهم ولحملهم على الاخلاص لاسرائيل • اما اليهودي الغربي فيدرك تماما ان المجتمعات الاوروبية والاميركية التي سبق ان اضطهدته وكرهت وجوده فيها ، لن تكون راغبة في استقباله من جديد ، ومن جهة ثانية فان مصالحه الاقتصادية باتت كلها في اسرائيل بعد ان صفى كل اعماله في وطنه الام ، فهو لن يترك اسرائيل وان انتصر العرب في معركة او اكثر طالما ان كيان اسرائيل مضمون دوليا •

ثم الاسرائيلي قد يكون جبانا في الاصل ، ولكنه وجد قوة في اخلاص حكومته له ولمصالح دولته ، وتمكنت الحكومات الاسرائيلية من خلال الاعداد النفسي والعسكري والوطني للتسبيبة ، منذ قيامها ، ••• تمكنت من خلق النوعية الاسرائيلية الجديدة التي تؤمن بأن دفاعها عن اسرائيل مسألة حياة او موت ، بقاء او تشرد من جديد وتشتت في جميع انحاء العالم• ويا ليت الحكومات العربية أعدت شعوبها وخاصة شبابها وشاباتها مثل هذا الاعداد ، لما كانت قامت قائمة لاسرائيل •

٢ ــ اقتصاد اسرائيل ، مهما قست عليه ظروف الحروب المتتالية فسيظل بخير طالما ان اقتصاد الولايات المتحدة وبعض دول اوروبا الغربية بخير ، وطالما ان العرب لا يواجهون التغلغل الاسرائيلي في افريقيا وآسية وامريكا اللاتينية بشكل فعال ، ولا سبيل لانهيار هذا الاقتصاد الا بتقويض دعائمه التجارية والصناعية من الداخل وفي الخارج ، ضمن مخطط شامل لتقويض الكيان الاسرائيلي بأكمله داخليا وخارجيا •

بقيت هناك ناحيتين لا بد من تناولهما بالبحث ضمن هذا السياق :

بطبيعته معاد للشيوعية الملحدة وهو الآن مضطر لقبول التعايش معها نظرا لحاجته الماسة لتأييد روسيا العسكري والسياسي كدولة كبرى لها تأثيرها في الميزان الدولي •

تبقى الصين الشعبية ، وهي ليست الآن ولا في المستقبل المنظور في وضع يمكنها من التدخل عسكريا لمصلحة العرب نظرا لانها مبتدئة في حقل الاسلحة المتطورة ، ولبعدها عن ساحة المعركة ، وعدم امكانية وجود بحري لها في المتوسط •

اذن فأية محاولة لمجرد التفكير في حرب نظامية هجومية لتحرير فلسطين ليست سوى ضرب من ضروب الاحلام والتمني في الوقت الحالي (على الرغم من ان ذلك كان ممكنا في السنين الاولى لقيام اسرائيل) ، وللاسف ان الحكام العرب لم يصارحوا شعوبهم بهذه الحقيقة التي تفرضها الضمانات الدولية لوجود اسرائيل ، لسبب معروف وهو انهم اتبعوا لاجل بقائهم في مناصبهم سبيل تخدير شعوبهم بالاماني الكاذبة والكلمات البراقة لا سبيل العمل الجاد والاخلاص الكامل لقضاياهم • هذا بالاضافة الى الواقع العسكري للجيوش العربية النظامية التي لم تبلغ بعد مستوى حرب تحريرية شاملة ، ولا ينتظر لها ان تبلغ هذا المستوى في القريب العاجل نظرا لتزويد الغرب لاسرائيل بالاسلحة المتطورة بشكل مستمر ومكثف ، وعدم وجود تزويد مماثل للعرب من قبل روسيا او غيرها ، فهذه الوسيلة للتحرير ليس من جدوى في التفكير بها الان ، الا اذا تغيرت المفاهيم والاتفاقات والضمانات الدولية لغير صالح اسرائيل باتجاه ازالتها ، وهذا ما لا يبدو في أفق السنوات المكملة لهذا القرن العشرين •

وهنا اريد ان اتصدى للمفهوم القائل بان اسرائيل الآن لا يمكنها احتمال أي انتصار عربي ولو محدود لان هذا يزعزع ثقة الاسرائيليين بحكومتهم وقدرتها على حمايتهم ، ويؤدي في نفس الوقت الى انهيار الاقتصاد الاسرائيلي بسبب خوف الرأسمال الغربي ، اليهودي وغير اليهودي من توظيف امواله في دولة غير مستقرة • هذا المفهوم مرفوض لسببين :

١ ــ الوقائع تشير الى ان اسرائيل قد خلقت تماسكا قويا لدى غالبية

اسرائيل لن تأبه بالرأي العام العالمي الذي سيقف مستفظعا الحدث ومستنكرا له ، وان اسرائيل لن تجد كثير عناء في اقناع ذلك الرأي العام أنه لم تكن لديها وسيلة أخرى لحفظ وجودها وكيانها امام العرب المعتدين المصممين على محوها من الوجود !!! ••• خاصة في الغياب المزمن للاعلام العربي عن ساحة الرأي العام العالمي •

ان ما اردته من ايراد تلك الحقائق عن واقعنا المؤلم ليس بث التخاذل واليأس في النفوس ، بل شحذ الهمم للبدء بالعمل الجاد المخلص ، انطلاقا من وعينا الكامل لواقعنا المريض ، وتوحيد الكلمة والبناء الصامت والسريع للانسان العربي الجديد المؤهل لخوض معركة التحرير وللقوة العسكرية الحربية بحيث تقف على الاقل ندا لاسرائيل تكبح جماح عدوانها وتسلطها • ان استحالة شن حرب هجومية نظامية لتحرير فلسطين في المستقبل القريب ، لا يعني ان الجيوش العربية ليس لها دور تلعبه في مواجهة اسرائيل اثناء هذه المرحلة ، بل يجب ان تلعب تلك الجيوش دورا رئيسيا في ايقاف الطموح الاسرائيلي في التوسع عند حده عن طريق انشاء جهاز دفاعي قوي في دول المجابهة مع اسرائيل ، وابقاء الجبهات مع اسرائيل مشتعلة باستمرار كي لا يعطي المجتمع الاسرائيلي فرصة للبناء الداخلي السريع لان استمرارية اشتعال الجبهات تفرض على اسرائيل ابقاء قسم كبير من احتياطييها تحت السلاح مما يسبب نقصا في اليد العاملة عندها وتخصيص قسم اكبر من موازنتها لشؤون الدفاع باستمرار •

وهنا يلح علينا سؤال : هل ان حكوماتنا العربية الحاضرة التي لم تستطع سوى استصدار الادانة تلو الاخرى « لبربرية » اسرائيل من مجلس الامن ، هل هي قادرة على بناء الجيش العربي القادر على تطبيق هذه الاستراتيجية ضد اسرائيل ، علما بانه لا ينقصها لا المال ولا الرجال ولا السلاح ؟ ماذا ينقصها اذن؟ ينقصها الصدق والصراحة مع شعوبها وبالتالي تنقصها ثقة تلك الشعوب ، وينقصها الاستراتيجية والتخطيط الواضحين للمستقبل واستباق الاحداث بدلا من سياسة الارتجال التي تتسم بها تصرفاتها الآن • تنقصها السياسة التربوية الوطنية الصحيحة التي تكفل اعداد الشباب المخلص لوطنه المستعد للموت في سبيله ، وليس الشباب المخلص للحزب او الحكم • تنقصها الجرأة على مواجهة

● اولا : ان صناعة الاسلحة الخفيفة والثقيلة في اسرائيل هي في تطور سريع جدا وتخصص لها الدولة ميزانية ضخمة ، وتضمن هذه الخطة التصنيع المحلي لجميع الاسلحة التي تحتاجها اسرائيل ابتداءا من الطلقة وانتهاءا بالطائرة والصاروخ • كمثل على ذلك ستفرغ اسرائيل من انشاء مصانع مكتملة لطائرات الميراج الفرنسية والزوارق الهجومية وصواريخ هوك الاميركية وصواريخ كاتيوشا السوفياتية مع قطع غيارها • وهي تمتلك الآن مصانع حديثة للبنادق والرشاشات ومدافع الهاون والمدرعات الخفيفة ، وهي في سبيل تصنيع المدفعية الثقيلة والمدرعات الثقيلة وغيرها من الاسلحة مع قطع غيارها وذخيرتها • في حين ان صناعة الاسلحة العربية قد اصيبت بالجمود بعد حرب حزيران ، وهي بعد ان كانت متقدمة على مثيلتها في اسرائيل قبل تلك الحرب ، خاصة في مصر ، فهي الآن متخلفة عن الصناعة الاسرائيلية خطوات كبيرة • وبدل ان يعمل حكامنا على تحصيل هذا الفارق من خلال العمل الجاد ، الصامت والمتواصل ، انطلاقا من واقع امتلاك اسرائيل لهذا التفوق الصناعي وعملا على اللحاق بها والتفوق عليها في هذا المجال ، فهم يكتفون بالتحجج امام شعوبهم والتباكي امام العالم بأن اسرائيل لم تكن لتحصل على هذا التفوق لولا مليارات الغرب واساليب التجسس والسرقة والاحتيال ، متناسين ان المسألة مسألة حياة او موت وان العالم لا يعبأ بهم طالما هم في مركز الضعيف ، وطالما انه يرى المليارات العربية تذهب الى شراء السيارات الاميركية الضخمة وبناء القصور الفخمة وقضاء الليالي الحمراء مع فاتنات العالم ، وطالما انه يرى العرب يقتتلون فيما بينهم حتى تكاد تصل شكاويهم على بعضهم الى الامم المتحدة ، وذلك بدلا من العمل يدا واحدة ضمن خطة مشتركة لمواجهة اسرائيل •

● ثانيا : مسألة امتلاك اسرائيل للقنبلة الذرية ، سواء أكانت تمتلكها الآن (وهذا هو الاحتمال الغالب) او ستمتلكها خلال السنين القليلة القادمة ، فاسرائيل لن تتوانى عن استعمالها ضد العرب اذا ما أحست ان قوتهم العسكرية الكلاسيكية باتت اكبر من قوتها ، وفي هذه الحال ، أي حال استعمال اسرائيل للقنبلة الذرية لدرء خطر زوالها ، يجب على العرب ان يكونوا أذكى من الاعتماد على وهم المظلة الوقائية الذرية السوفياتية ، وعلينا ان ندرك منذ الآن ان

تفسير جعفر الصادق للقرآن

الدكتور سليمان زيعور

- ٣ -

٣ – « وما انت بهادي العمي » (٣) . قال جعفر : اظهار آيات رسالاتك على من أظهر الحق عليه في الازل آيات السعادة ، وحلاه بحلية الاختصاص فيكون دعاؤك له دعاء تذكير وموعظة لا دعاء ابتداء . لانه من لم تجر له السعادة في الازل لم يمكنك ان توصله الى محل السعادة . انت الداعي والمنذر والله الهادي . الا تراه يقول : « وما انت بهادي العمى » .

٣٠ – من سورة السجدة

١ – « يدعون ربهم خوفا وطمعا » (١) . قال جعفر : خوفا منه وطمعا فيه.

٣١ – من سورة الاحزاب

١ – « ... والصادقين والصادقات ... » (١) . قال جعفر : الصادق من يصف لك خير الآخرة لا خير الدنيا ، ويدلك على حسن الاخلاق لا على سيئها ، ويعطيك قلبه لا جوارحه .

٢ – « وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (٢) . قال جعفر : داعيا الى الله لا الى نفسه . افتخر بالعبودية ولم يفتخر بالنبوة ، ليصح له بذلك الدعاء الى سيده . فمن اجاب دعوته صارت الدعوة له سراجا منيرا يدله على سبيل الرشد ، ويبصره عيوب النفس وغيها .

٣٢ – من سورة سبا

١ – « ولقد آتينا داود منا فضلا » (١) . قال جعفر : « فضلا » ، ثقة بالله تعالى وتوكلا عليه .

---

(٣) – ٣٠ : ٥٣ . (١) – سورة السجدة ، ١٦ (٣٢ : ١٦) .

(١) – سورة الاحزاب ، ٣٥ (٣٣ : ٣٥) ، (٢) – ٣٣ : ٤٦ سورة سبا ، ١٠ (٣٤ : ١٠) .

(١) – سورة فاطر ، ١ (٣٥ : ١) ، (٢) – ٣٥ : ٢٨ ، (٣) – ٣٥ : ٣٢ .

الاحداث بحزم وقوة بدلا من التهرب منهـا والتنصل مـن المسؤوليـة وتبريـر الاخطـاء •

باختصار ، حكوماتنا تنصب نفسها مسؤولة عن القضايا التي تضمن بقائها في الحكم وعن تنفيذ المشاريع والمخططات التي تناسب مصلحتها ، اما ما تبقى (وهو الاهم لان عليه يتوقف مصير الوطن) فهـي ليست مسؤولة عنـه ، وفي سبيـل « تحمل مسؤولياتها » تلك ، لا تتورع عـن كبت الحريات وقمـع المعارضين والاعتقالات العشوائية وملء السجون « بالخونة » (•••) واغتيال من تجـد فيه « عنصر خطر » على بقائها •

ألهمنا يا رب الصبر على بلوانا التي اصابتنا ، وامددنا مـن لدنك بالعـزم والقوة للعمل على عزة وطننا العربي ورفعته ، وأزل الغشاوة عن اعيننا كي نرى الطريق الى استعادة كرامتنا وشرفنا واضحا جليا ، انك سميع مجيب •

والى اللقاء في العدد القادم

صـلاة غانـدي



ـ يا رب ، لا تسمح ان يتوقف نظري على امور تسبب لي افكارا قبيحة ، والا فالافضل لي ان اكون اعمى •

ـ يا رب ، لا تسمح ان تستلذ اذناي بسماع نميمة ، والا فالافضل لي ان اكون اصم •

ـ يا رب ، لا تسمح لي ان تتدنس شفتاي بكلمات بذيئـة ، والا فالافضل لي ان اكون ابكم •

ـ اجعلني يا رب ان اغلب اعدائي بالمحبة ، وان لا يكون لـي مـن سلاح اشهره في وجوههم غير الحب ، والحب وحده فقط •

٣٥ ـ سورة الصافات

١ ـ « فلما اسلما » (١) ، قال جعفر : اخرج ابراهيم من قلبه محبة ابنه ، واخرج اسمعيل من قلبه محبة الحياة .

٢ ـ « وما منا الا له مغام معلوم » (٢) ، قال جعفر ، الخلق مع الله على مقامات شتى ، من يجاوز حده هلك ، فللانبياء مقام المشاهدة ، وللرسول مقام العيان ، وللملائكة مقام الهيبة ، وللمؤمنين مقام الدنو والخدمة ، وللعصاة مقام التوبة ، وللكفار مقام الطرد والغفلة ، هذا بمعنى قوله تعالى « وما منا الا له مقام معلوم » .

٣٦ ـ سورة ص

٤ ـ « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (١) ، قال جعفر : صدق القول ، وصحة العقد ، والثبات في الامور .

٢ ـ « وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه » (٢) ، قال جعفر : ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من فتنه داود وبلواه ومحنته ، وما خرج اليه من عظيم التنصل والاعتذار ، ودوام البكاء والاحزان ، والخوف العظيم حتى لحق بربه ، فهذه وان كانت المواقعة فيها تتسع ، فان عاقبتها عظمت وجلت وعلت ، لان الله قد اعطاه بذلك الزلفى والحظوة .

٣ ـ قال جعفر : « هب لي ملكا » (٣) ، اي القنوع بقسمتك ، حتى لا يكون لي مع اختيارك اختيار .

٤ ـ « وان عليك لعنتي الى يوم الدين» (٤)، قال جعفر : سخطي الذي لم يزل مني جارية عليك ، وواصلة اليك ، في اوقاتك المقدرة وايامك الماضية .

٣٧ ـ سورة الزمر

١ ـ « الحمد لله ، بل اكثرهم لا يعلمون » (١) ، قال جعفر : لا يعلمون ان احدا من عباد الله لم يبلغ الواجب في حمده وما يستحق من الحمد على عباد الله

---

(١) ـ يس ، ١ (٣٦ : ١) ، (٢) ـ سورة الصافات ، ١٠٣ (٣٧ : ١٠٣) ، (٣) ـ ٣٧ :١٦٤

(١) ـ سورة ص ، ٢٠ (٢) ـ ٣٨ : ٢٥ . (٣) ـ ٣٨ : ٣٥ ، (٤) ـ ٣٨ : ٧٨ .

٣٣ ـ من سورة فاطر

١ ـ « يزيد في الخلق ما يشاء » (١) • قال جعفر : صحة النحيزة وقوة البصيرة •

٢ ـ « انما يخشى الله من عباده العلماء » (٢) • قال جعفر : خشية العلماء من ترك الحرمة في العبادات ، وترك الحرمة في الاخبار عن الحق ، وترك الحرمة في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وترك الرحمة في خدمة الاولياء والصديقين •

٣ ـ قال جعفر في قوله تعالى « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » (٣) • قال : فرق الله تعالى المؤمنين ثلاث فرق :

سماهم مؤمنين اولا ، ثم سماهم عبادنا فاضافهم الى نفسه تفضلا منه وكرما ، ثم قال « اصطفينا » جعلهم كلهم اصفياء مع علمه بتفاوت مقاماتهم ، ثم جمعهم في آخر الآية بدخول الجنة فقال : « جنات عدن يدخلونها » ، ثم بدأ بالظالمين اخبارا انه لا يتقرب اليه الا بصرف كرمه • فان الظلم لا يؤثر في الاصطفائية •

ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء •

ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن احد مكره • وكلهم في الجنة بحرمة كلمة واحدة ، يعني كلمة الاخلاص •

وقال جعفر : النفس ظالمة ، والقلب مقتصد ، والروح سابق •

وقال ايضا : من نظر بنفسه الى الدنيا فهو ظالم ، ومن نظر بقلبه الى الآخرة فهو مقتصد ، ومن نظر بروحه الى الحق فهو سابق •

٣٤ ـ سورة يس

١ ـ « يس » • قال جعفر الصادق رضي الله عنه في قوله « يس » اي يا سيد ، مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم • لذلك قال النبي عليه السلام : انا سيدكم ، ولم يمدح بذلك نفسه • ولكنه اخبر عن معنى مخاطبة الحق اياه بقوله « يس » •

اعماله الثواب والاعواض كانت الملائكة اولياءه • ومن تحقق في افعالـه وعملها على مشاهدة امرها ، فهو وليه • لانه يقول اللـه تعالى : « اللـه ولـي الذين آمنوا » (٣) •

٣ ــ « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » (٤) • قال جعفر : القرآن شفاء لمن كان في ظل العصمة ، وعمى على من كان في ظلمة الخذلان •

٤٠ ــ سورة الشورى

١ ــ « وهو يحيي الموتى » (١) • قال جعفر : يحيي نفوس المؤمنين بخدمته، ويميت نفوس المنافقين بمخالفته •

٢ ــ « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة » (٢) • قـال جعفـر : الا ان تتوددوا الي من الاعمال ما يقربكم الى ربكم •

٤١ ــ سورة الزخرف

١ ــ « لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون » (١) • قال جعفـر رضي اللـه عنه : لا خوف على من اطاعني في الاوامر والفرائض ، واتبع الرسول فيما سن •

وقال ايضا : لا خوف في الآخرة على من خافني في الدنيا ، ولا خوف عـلى من احبني وازال عن قلبه محبة الاغيار ، ولا خوف على من صان وديعتي عنـده وهو الايمان والمعرفة ، ولا خوف على من احسن ظنه بي فانـي اعطيه مأموله • والخوف يكون على الجوارح ، والحزن على القلب ، من مخافة القطيعة •

٢ ــ « وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين » (٢) • قال جعفر : شتان بين ما تشتهي الانفس وبين ما تلذ الاعين• لان جميع ما في الجنة من النعيم والشهوات واللذات في جنب ما تلذ الاعين كاصبع تغمس في البحر • لان شهوات الجنة لهـا حد ونهاية ، لانها مخلوقة • ولا تلذ الاعين في الدار الباقية الا بالنظر الى الباقي جل وعلا • ولا حد لذلك ولا صفة ولا نهاية •

---

(١) ــ سورة فصلت ، ١٢ (٤١ : ١٢) ، (٢) ــ ٤١ : ٣١ ، (٣) ــ ٢ : ٢٥٧ ، (٤) ــ ٤١:٤٤

(١) ــ سورة الشورى ، ٩ (٤٢ : ٩) ، (٢) ــ ٤٢ : ٢٣ .

(١) ــ سورة الزخرف ، ٦٨ (٤٣ : ٦٨) ، (٢) ــ ٤٣ : ٧١ .

بنعمه ، وان احدا لم يحمده حق حمده الا حمده لنفسه •

٢ ـ « انك ميت وانهم ميتون » (٢) • قال جعفر : انك ميت عما هم فيه من الاشتغال بانفسهم واولادهم ودنياهم • وانهم ميتون اي مبعدون عما خصصت به من انواع الكرامات •

٣ ـ « لئن اشركت ليحبطن عملك » (٣) • قال جعفر : لئن نظرت الى سواه لتحرمن في الآخرة لقاه •

٤ ـ قال جعفر : « الحمد لله الذي صدقنا وعده » (٤) هو حمد العارفين الذين استقروا في دار القرار مع الله تعالى • وقوله « الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن » (سورة فاطر ، ٣٤) حمد الواصلين •

٣٨ ـ سورة المؤمن

١ ـ « لمن الملك اليوم » (١)• قال جعفر : اخرس المكونات ذوات الارواح عن جواب سؤاله في قوله « لمن الملك » • فلم يجسر احد على الاجابة ، وما كان بحقيق ان يجيب سؤاله سواه • فلما سكنت الانس عن الجواب ، اجاب نفسه بما كان يستحق من الجواب فقال « لله الواحد القهار » •

٢ ـ « اننا لننصر رسلنا والذين آمنوا » (٢) • قال جعفر : ننصر رسلنا بالمؤمنين ظاهرا ، وننصر المؤمنين بالرسل باطنا •

٣ ـ « وأمرت ان اسلم لرب العالمين » (٣) • قال جعفر : لا ألتجيء الا اليه ، ولا اذل الا له • لان الالتجاء اليه محل الفرح ، والتذلل له معدن العزة •

٣٩ ـ من سورة فصلت

١ ـ « وزينا السماء الدنيا بمصابيح » (١) • قال جعفر : زينا جوارح المؤمنين بالخدمة •

٢ ـ « نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا » (٢) • قال جعفر : من لاحظ في

---

(١) ـ سورة الزمر ، ٢٩ (٣٩ : ٢٩) ، (٢) ـ ٣٩ : ٣٠ ، (٣) ـ ٣٩ :٦٥ ، (٤) ـ ٧٤:٣٩

(١) ـ سورة المؤمن ، ١٦ (٤٠ : ١٦) ، (٢) ـ ٤٠ : ٥١ ، (٣) ـ ٤٠ : ٦٦ •

التوحيد • فهذا وامثاله من تمام النعمة عليه وعلى امته به وبمكانه •

٢ ــ « حمية الجاهلية » (٢) • قال جعفر : الحميةالمذمومة التخطي من الحدود الى التشفي •

٤٥ ــ سورة الحجرات

١ ــ « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١) • قال جعفر : الكريم هو المتقي على الحقيقة ، والمتقي المنقطع عن الاكوان الى الله •

٤٦ ــ سورة ق

١ ــ قال جعفر في قوله «لمن كان له قلب» (١)، يعني قلبا يسمع ويعقل ويبصر• فكلما سمع خطاب الله تعالى ــ بلا واسطة فيما بينه وبين الحق ــ عقل ما من عليه بالايمان والاسلام ، من غير مسئلة ولا شفيع ولا وسيلة كانت له عند الله في الازل ، وابصر قدرة القادر الباري في نفسه وملكوته وارضه وسمائه ، فاستدل بها على وحدانيته وقدرته ومشيئته •

٤٧ ــ سورة الذاريات

١ ــ قال جعفر في قوله تعالى : « ضيف ابراهيم المكرمين » (١) • مكرمين حيث انزلهم اكرم الخليقة، واظهرهم فتوة ، واشرفهم نفسا واعلاهم همة : الجليل صلوات الله وسلامه عليه •

٢ ــ « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (٢) • قال جعفر : لينظر الموحد الى الاغيار فيراها ازواجا مثاني واربعا ، فيفر منها ويرجع الى الواحد الاحد ليصح له التوحيد بذلك •

٣ ــ « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » (٣) • قال جعفر الصادق رضي الله عنه : يعني يا محمد ذكر عبادي جودي وكرمي وآلائي ونعماي وما سبق من رحمتي ، لامتك خاصة • والذكرى التي تنفع المؤمنين ذكر الله تعالى للعبد ، وما سبق من العناية القديمة بالايمان والمعرفة والتوفيق للطاعة والعصمة عن المعاصي•

وقال جعفر: كل من ذكر الله تعالى: فاذا نسي ذكره كان مجهولا عن ذكره•

٤٢ ـ سورة الاحقاف

١ ـ « ما كنت بدعا من الرسل » (١) • قال جعفر في هذه الآية : لم يكن لي في نبوتي شيء • انما هو شيء اعطيته لا بي بل بفضل من عند الله ، حيث اهلني لرسالته ووصفني في كتب الانبياء السالفة صلوات الله عليهم اجمعين •

٢ ـ « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » (٢) • قال جعفر : استقاموا مع الله تعالى بحركات القلوب مع مشاهدات التوحيد •

٣ ـ « يهدي الى الحق والى طريق مستقيم » (٣) • قال جعفر : يدل على طريق الحق بالخروج من المعلومات والمرسومات والتحقيق بالحق ، وهو الصراط المستقيم •

٤٣ ـ سورة محمد

١ ـ « الذين كفروا اتبعوا الباطل » (١) • قال جعفر : لا يوفق لسلوك طريق الحق من لم يحكم مبادي احواله مع الحق • ومن اهمل مبادي الاحوال كيف يرجى له التناهي فيها ؟

٢ ـ وقال جعفر في قوله « انه لا اله الا الله » (٢) : ازال العلل عن الربوبية ، ونزه الحق عن الدرك •

٤٤ ـ سورة الفتح

١ ـ « ويتم نعمته عليك » (١) • قال جعفر : من تمام النعمة على نبيه صلى الله عليه وسلم ان جعله حبيبه ، واقسم بحياته ، ونسخ به شرائع الرسل اجمع ، وعرج به الى المحل الادنى ، وحفظه في المعراج حتى « ما زاغ » « وما طغى » ، وبعثه الى الاسود والابيض ، وحل له ولامته الغنائم ، وجعله شفيعا مشفعا ، وجعله سيد ولد آدم ، وقرن ذكره بذكره ، ورضاه برضاه ، وجعله أحد ركني

---

(١) ـ سورة الاحقاف ، ٩ (٤٦ : ٩) ، (٢) ـ ٤٦ : ١٣ ، (٣) ـ ٤٦ : ٣٠ •
(١) ـ سورة محمد ، ٢ (٤٧ : ٣) ـ (٢) ـ ٤٧ : ١٩ •
(١) ـ سورة الفتح ، ٢ (٤٨ : ٢) (٢) ـ ٤٨ : ٢٦ •
(١) ـ سورة الحجرات ، ١٣ (٤٩ : ١٣) •
(١) ـ سورة ق ، ٧ (٥٠ : ٧) •

بأمر ، وما سكت الا بأمر • أمر فكان أمره قربة عن الحق ، ونهى فكان نهيه ادبارا وزجرا •

٤ ـ « ثم دنا فتدلى » (٤) • قال جعفر : انقطعت الكيفية عن الدنو • الا ترى ان الله تعالى حجب جبريل عن دنوه ، ودنو ربه منه ؟

وقال ايضا : دنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع في قلبه من المعرفة والايمان ، فتدلى بسكون قلبه الى ما أدناه ، وزال عن قلبه الشك والارتياب •

٥ ـ « فكان قاب قوسين او ادنى » (٥) • قال جعفر : ادناه منه حتى كان منه كقاب قوسين • والدنو من الله تعالى لا حد له • والدنو من العبد بالحدود•

٦ ـ « فاوحى الى عبده ما اوحى » (٦) • قال جعفر : بلا واسطة فيما بينه وبينه سرا الى قلبه ، لا يعلم به احد سواه • بلا واسطة الا في العقبى حين يعطيه الشفاعة لامته •

وقال الصادق في قوله « دنا فتدلى » : لما قرب الحبيب من الحبيب بغاية القرب نالته غاية الهيبة • فلاطفه الحق بغاية اللطف ؛ لانه لا تحمل غاية الهيبة الا غاية اللطف • وذلك قوله « فاوحى الى عبده ما اوحى » : اي كان ما كان ، وجرى ما جرى ، وقال الحبيب ما يقول الحبيب لحبيبه ، وألطف له الطاف الحبيب لحبيبه ، واسر اليه ما يسر الحبيب الى حبيبه • فأخفيا ولم يطلعا على سرهما احدا سواهما • فلذلك قال : « فاوحى الى عبده ما اوحى » • ولا يعلم احد ذلك الوحي الا الذي اوحى ، والذي أوحي اليه •

٧ ـ « ما كذب الفؤاد ما رأى » (٧) • قال جعفر : لا يعلم احد ما الذي رأى • صار الحبيب من الحبيب قريبا ، وله نجيا ، وبه انيسا • قال الله تعالى : « نرفع درجات من نشاء » (٨) •

---

(١) ـ النجم ، ١ (٥٣ : ١) ، (٢) ـ ٥٣ : ٢ ، (٣) ـ ٥٣ : ٣ ، (٤) ـ ٥٣ : ٨ ، (٥) ـ ٥٣ : ٩ ، (٦) ـ ٥٣ : ١٠ ، (٧) ـ ٥٣ : ١١ ، (٨) ـ ٦ : ٨٣ .

والله تعالى ذكره احديته وازليته ومشيئته وقدرته وعلمه • ولا يقع عليه النسيان والجهل لانهما من صفات البشرية • وكل من ذكر الله تعالى فبذكره له يذكره •

٤ ـ قال جعفر في قوله « ومـا خلقت الجن والانس الا ليعبدوني » (٤) • قال : الا ليعرفوني ثم يعبدوني على بساط المعرفة ، ليتبرءوا من الرياء والسمعة•

٤٨ ـ سورة الطور

١ ـ « والطور » (١) • قال جعفر : ما يطرأ على قلب احبائي مـن الانس بذكري ، والالتذاذ بحبي •

٣ ـ « فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا» (٣)• قال جعفر : عند هذا الخطاب والقربـة •

٢ ـ « وكتاب مسطور » (٢) • وما كتب الحق على نفسه لهم من الاقتراب سهل عليه معالجة الصبر واحتمال مؤنته • وكذلك كل حال يرد على العبد فـي محل المشاهدة •

٤٩ ـ سورة النجم

١ ـ « والنجم اذا هوى » (١) • قال جعفر : هـو محل التجلي والاستتار من قلوب اهل المعرفة • عن جعفر بن محمد في قوله تعالى « والنجم اذا هوى » ، قال : النجم محمد صلى الله عليه وسلم • اذا هوى انسرح منه الانوار •

وقال : النجم قلب محمد • « اذا هوى » : اذا انقطع عن جميع مـا سوى اللـه •

٢ ـ « ما ضل صاحبكم وما غوى » (٢) • قال جعفر : ما ضل عن قربـه طرفة عين •

٣ ـ « وما ينطق عن الهوى » (٣) • قال جعفر : كيف ينطق عن الهوى من هو ناطق باظهار التوحيد ، واتسام الشريعة ، وآداب الامر والنهي ؟ بل ما نطق الا

(١) ـ الذاريات ، ٢٤ (٥١ : ٢٤) ، (٢) ـ ٥١ : ٤٩ ، (٣) ـ ٥١ : ٥٥ ، (٤) ـ ٥١ : ٥٦
(١) ـ الطور ، ١ (٥٢ : ١) ، (٢) ـ ٥٢ : ٢ (٣) ـ ٥٢ : ٤٨ •

زينب لان العرب كانت لا تزوج الرقيق • فاقتدى بتشريعه العملي هـذا كثير من الصحابة •

لم يكتف بذلك بل جعل عتق الارقاء كـفارة لكثير من الذنوب منها : كفارة اليمين • كـفارة قتل الخطأ • كـفارة الصوم • كـفارة مظاهرة النساء • بدليل قوله : (لا يوآخذكم الله بالعفو في ايمانكم ولكن يوآخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشر مساكين ••• او تحرير رقبة • ومن قتل مؤمنا خطـأ فتحرير رقبة مؤمن ودية مسلمة الى اهله • فان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاقا فديـة مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمن • والذين يظاهرون من نسائهم ثـم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة مؤمنة • من قبل ان يتماسا) •

انظر في كم وجه حثت الشريعة على اعتاق الرقيق ولم تكتف بذلـك بـل امرت الاغنياء بأن يشتروا الارقاء ويعتقوهم احتسابا لوجه اللـه بدليل قولـه تعالى : (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر مـن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآت المال على حبـه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) وهو بذل المال في اعانة من اراد التخلص من الرق • وفي تخليص الاسراء والارقاء • وقد قرن هذا العمل مع اركان الايمان الاساسية •

ولم يكتف بذلك ايضا حتى جعل له سهما في بيت مال المسلمين مـن مـال الزكاة والصدقات بقوله : (انما الصدقة : للفقراء • والمساكين • والعاملين عليها • والمؤلفة قلوبهم • (وفي الرقاب) • والغارمين • وفي سبيل الله • وابن السبيل)•

والشاهد في قوله وفي الرقاب اي في فك قيود الرق عن رقاب الارقاء • الا يكون بعد ذلك كله تحريم او شبه تحريم او منع بات • افهل يجوز ان يقال بعد ذلك ان الاسلام شرع الرق ؟ كلا هذا بهتان عظيم •

حتى لقد حث على عدم الرق باكثر من ذلك • واوقع في النفـوس باسلوب يستحيل النفوس الجامحة ويعطف القلوب القاسية حيث قال : (لقد خلقنا الانسان في كبت) (تعب ومشقة) ثم ندد بمن لبسوا رداء الكبرياء واحتقروا مـن دونهم ولم ينظروا اليهم بعين الرحمة فقال : (ايحسب الانسان ان لن يقدر عليه احـد

الرق في الإسلام

بقلم : م . م

يزعمون ان الاسلام جاء بالرق وامر بالرق وفرضه . وهو من اعظم مطاعنهم ويقولون انها من بقايا الهمجية . وكيف يجوز للانسان ان يستعبد اخاه الانسان الى اخر ما هنالك من مفترياتهم فعليه نجيب :

الرق قديم وجد بين الامم لم تخل امة من الامم من الاسترقاق . فمن رحيمة وهي الاقل ومن قاسية جائرة وهي الاكثر . فلما جاء الاسلام ورأى حال الارقاء وما هم عليه من الاضطهاد والهوان رق لحالهم .

وحيث لم تكن السياسة بذاك الوقت تقضي بمنعه بتاتا لما تشرب عليه دم القوم من ضرورية الرق حتى عدوه من ضروريات الحياة . وكان منعه بتاتا ربما غير قابل للتطبيق (كالايات المترهدات في الكتاب المقدس التي لم يقدر احد على تطبيقها حتى اليوم) .

فرأى الاسلام وجوب تحوير قانونه وتعديل نظامه لذلك قضى : بان الرق لا يجوز الا في حرب شرعية مع قوم صارحوا المسلمين بالعداوة والاذى . وبشرط ان يضرب الامام الرق على رقابهم . فأن رأى المصلحة في عدم استرقاقهم فله ذلك . فسد بهذا القانون كثيرا من ابواب الاسترقاق . لا بل بالحقيقة منعه بتاتا لعدم توفر او لتعذر شروطه . وفي هذه الايام اصبح مستحيلا . وقد ثبت عن الامام ابي حنيفة انه بقي ثمان سنوات يفتش على امة شرعية فلم يجد مطلقا مما يؤكد ان الرق الشرعي امتنع منذ القرن الرابع للهجرة .

الدين الاسلامي ما فرض الرق ولا سنه بل اجازه كسائر الاديان . ولكنه فاقها باقفال اكثر ابوابه . وبما سنه من نظامات في معاملة الرقيق . فكأنه بفعله وبقانونه هذا ينادي بأن اعادة الاسترقاق من بقايا الهمجية . وقد امر باعتاق الارقاء وحث عليه حثا شديدا حتى جعله من اعظم القربات .

واول من اعتق رسول الله (ص) مولاه زيد بن حارثة وزوجه بنت عمة

الحث على تحرير الارقاء والعطف عليهم • بل بالعكس حثهم على الطاعة وامرهم بالعبودية كما يطيعون السيد المسيح (ع) • وقد وافق القديس بطرس في رسالته الاولى حيث اوصى العبيد بان يخضعوا لساداتهم • وهذا برهان علـى وجـود الرق في الشريعة المسيحية • والا اذا لم يكن رق وارقاء فما الداعي لامرهم بالخضوع لساداتهم ؟

ما جاء به الاسلام من الاصلاح نحو الرقيق

ان المنصف لا يسعه الا الاعتراف بأن الاسلام اعظم شريعة تناضل عن الحرية وتدافع عنها قال تعالى : (ان اكرمكم عند اللـه اتقاكم) وقال (ص) : (لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى • سلمان منا اهل البيت) وكان سلمان رقيقا •

ان الشريعة الاسلامية حامت عن الرقيق وبذلت جهدها لاخماد نار الرق بالمرة او تخفيف وطأته الى ان تزول متى استعد الزمان لذلك • كما هـو الحال اليوم • حيث اصبح لا يجوز الرق مطلقا لفقدان شروطه •

اذا فالاسلام اول من نادى بابطال الرقيق • يزعم بعض المتعصبين ان ما قامت به اوروبا اليوم هو من اثار دينهم • والحقيقة انها من اثار الدين الاسلامي وتعاليمه التي عنه اقتبسوها والى انفسهم نسبوها • كما يشهد بذلك علماء اوروبا انفسهم • ان اوروبا لم تنهض الا بعد ان هجرت التعاليم المسيحية تماما •

اجمعت علماء الحنفية وعليه الفتوى بانه لو جرى لفظ العتق علـى لسان المالك ولو هازلا او سكرانا او مكرها عتق الرقيق • ولو ولدت الرقيقة ولدا من مالكها فلا يجوز ان تنقل الى مالك آخر • ومتى مات سيدها صارت حرة • ولو اشترك اثنان او اكثر في شراء رقيق فاعتق احدهما ما خصه اعتق الباقي حكما بالرغم عن باقي الشركاء • واذا حكم الخليفة بأن رقبة الارقاء المملوكين غير صحيحة نفذ حكمه بالحال واعتقوا جميعا • افبعد هـذا يقال ان الاسلام شرع الرق ؟

الاسلام لم يأمر بالرق ولا جعله فرضا ولا سنة • وانما هو شيء كان عليه الناس من جميع الامم • وكانوا بطبيعتهم اذ ذاك لا يمكن حملهم علـى تركه • فوضع له من الاحكام ما يمحوه مع الحكمة •

(اي يتكبر ويتجبر ويذل الفقير ويستبد بالضعيف) (يقول اهلكت مالا لبدا) (اي كثير يندد على الغني اذا دعي لانفاق شيء في سبيل الانسانيـة والمصلحـة العامة • يقول انفقت مالا لبدا • وهو لم ينفق الا على شهواته • فهـو يقـرع الاغنياء البخلاء الذين لا ينفقون في سبيل الخير العام • ثـم قال في شأنهـم) : (ايحسب ان لم يره احد) • ثم امتن الله عليه بقوله : (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) ومع هذه النعم لـم يسع لنفـع البائس والضعيف • فاختار طريق الشر على طريق الخير • ثم قال : (فلا اقتحم العقبة) اي فلم يبذل جهده للدخول في الشدائد التي تعود عليه وعلى بـني جنسه بالخـير في الدنيـا والآخرة • واصل معنى العقبة الطريق الوعرة في الجبل • تستعار للشدة • ثـم بين تبارك وتعالى ان تلك العقبة والشدة التي امره بتحملها والدخول في مضايقها هي فك الرقاب اي اعتاق الارقاء واطعام الفقراء واليتامى في ايـام المجاعة فقال : (وما ادراك ما العقبة) ثم اجاب بأن العقبة هي : (فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة (جوع) يتيما ذا مقربة • او مسكينا ذا متربة) (فقر) ثـم ختم ذلـك بقوله : (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) •

ابعد هذا كله يقال ان الاسلام شرع الرق • ام يقال ان الاسلام شرع اعتاق الرقيق • وحث عليه كل الحث وجعله مـن اعظم القربات • وقرنـه مـع اركان الايمان • وحبب الى الاغنياء فكه ارشادا الى ان الاسلام دين حرية يكره الاسر والاستعباد ؟

ومع هذا كله ترى بعض المتعصبين من الاغيار يقولـون : (ان الاسلام لا يعد نظاما اجتماعيا لاباحته الاسترقاق • وان مسئلة الـرق اوجبت فشل الاسلام امام النظام الاجتماعي) • فتأمل •

مع ان الاسترقاق موجود قبل الاسلام وكان عند اليهود والمسيحية بحالـة فظيعة جدا • ولم يكن للاسترقاق عندهـم نظـام خاص • فكانـوا يسترقـون ويخطفون الناس ويعاملونهم بافظع انواع القسوة حـتى جـاء الاسلام وحفـظ النظام) •

لم يرد في الشريعة المسيحية • ولا في عموم الكتاب المقدس كلمة واحدة في

الله . قال : وما قال الله ؟ قالت قال : والكاظمين الغيظ . قال كظمت غيظي . قالت والعافين عن الناس . قال عفوت عنك . قالت زد فأن الله يقول والله يحب المحسنين . قال فانت حرة لوجه الله . (هكذا كان يعامل المسلمون الارقاء حينما كانوا مسلمين بالمعنى الحقيقي) .

وروي ان رجلا من الصحابة ضرب عبدا له . فجعل العبد يستغيث قائلا اسألك بوجه الله . فلم يعفه فسمع الرسول (ص) صياح العبد فانطلق مسرعا فلما رأى الضارب الرسول امسك يده فقال (ص) (سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني امسكت يدك) قال فأنه حر لوجه الله يا رسول الله . فقال (ص) (لو لم تفعل لسفعت (احرقت) وجهك النار) .

وقال (ص) (العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين) وعن ابن مسعود قال : بينا انا اضرب غلامي اذ سمعت صوتا من خلفي : (اعلم يا بن مسعود . اعلم يا بن مسعود) فالتفت فاذا رسول الله (ص) . فالقيت السوط من يدي فقال لي مغضبا (والله لله اقدر عليك منك على هذا) .

وقال (ص) (اذا اتى احدكم خادمه بطعام فليجلسه وليأكل معه . كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) وقال (ص) لابنته السيدة فاطمة (ع) لما ارادت ان تتحجب من عبد لها وهبه لها (ص) قال (انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك) .

انظر ايها القاريء الى هذه الاداب المحمدية . والاخلاق والحنان والتواضع والرحمة حيث جعل الرقيق بمنزلة نفسه .

وقد حثت الشريعة على الزواج بهن رفعا لشأنهم فقال تعالى (وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) .

فمن هنا ترى ما اتى به الاسلام من اصلاح حال الرقيق وحقوقه المقدسة . التي لم تحكم بها شريعة قبله ولا بعده . ابعد هذا يحق للاغيار ان يعيبوا على الاسلام ويقولوا امر بالرق . وان الــرق اوجب فشل الاسلام امام النظام الاجتماعي ؟ كلا والله ان قولهم هذا بهتان عظيم .

ما امر به الاسلام نحو الرقيق

امر الاسلام ان يعامل الرقيق بالحسنى • وان يطعمه مما يأكل • ويلبسه مما يلبس • وان لا يكلفه من العمل فوق طاقته • وان يكون سعيدا رافها كأنه عضو من اعضاء العائلة وافرادها تماما بدليل قوله تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا • وبذي القربى • واليتامى • والمساكين • والجار ذي القربى (القريب رحما) والجار الجنب (البعيد) والصاحب بالجنب (الرفيق) وابن السبيل (المسافر) وما ملكت ايمانكم (الارقاء)) •

فجميع هؤلاء امر بالاحسان اليهم واحسن معاملتهم • وقرن ذلك بعبادته تعالى وعدم الاشراك به وهي اعلا درجة العبادة وذلك تعظيما لقدرهم •

اما الاحاديث الشريفة الواردة في حقهم فمنها قال (ص) (من لطم مملوكه او ضربه فكفارته عتقه) وقال (يا ابا ذر اعيرته بأمة انك امرؤ فيك جاهلية • اخوانكم خولكم (عبيدكم) جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم • فان كلفتوهم فاعينوهم) •

فترى من ذلك ان الشريعة الاسلامية سادت بين العبد وسيده • وامرت السادة ان يعاملوا عبيدهم كما يعاملوا اخوانهم واولادهم • وقال ايضا (ص) (اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون • ولا تعذبوا خلق الله • فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم • لا يدخل الجنة خب خداع ولا متكبر ولا سيء الملكة) (اي الذي يسيء الى من يملكه من الارقاء) • وقال ايضا : (اول من يقرع باب الجنة المملوك والمملوكة فاتقوا الله واحسنوا فيما بينكم وبين الله وفيما بينكم وبين مواليكم) سئل عبد الله بن عمر قائلا : يا رسول الله كم نعفو عن الخادم اذا اساء (يريد الهلوك) فصمت صلى الله عليه وآله برهة ثم قال : (اعفوا عن الخادم كل يوم سبعين مرة) •

كان للامير ميمون بن مهران جارية فاستعجلها بالعشاء لاضيافه فجاءت مسرعة حاملة قصعة الثريد فعثرت واراقتها على رأس سيدها ميمون من اعلاه الى اسفله • فقال لها سيدها يا جارية حرقتيني • قالت يا سيدي ارجع الى ما قال

موقف العراق التاريخي من الخلاف بين النجديين والهاشميين
وثائق خطيرة ومذهلة تنشر لأول مرة

بقلم: السيد عبد الرزاق الحسني

لما دبر الاتحاديون وسائل التنكيل بالعرب فساقوا رجالهم الى ميادين القتال في القفقاس، وشنقوا عددا من احرارهم في سورية والعراق، ونفوا اطفالهم ونساءهم الى مجاهل الآفاق، واعلنوا سياسة التتريك الصريحة تأجج الشعور العربي في اقطار العروبة كافة فاعتزمت بريطانية الاستفادة من الهوة السحيقة التي ولدتها هذه الاضطهادات بين الامبراطورية العثمانية والاقوام التابعة لها، فتفاهمت مع بعض امراء العرب، وتخاصمت مع البعض الآخر، بغية خلق المتاعب لخصومهم الاتراك ومن ورائهم الالمان.

ولما اتم الحسين بن علي، شريف مكة المكرمة، مراسلاته مع السر مكماهون، المقيم البريطاني في مصر، واعلن الثورة على الترك في التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ الهجرية والعاشر من حزيران سنة ١٩١٦ الميلادية، طفقت الامدادات الحربية البريطانية تتوارد على « جدة » من « بورت سودان » كما اخذت صناديق الذهب الوهاج تنقل الى الشريف حسين بدون حساب بغية تمكينه من استمالة الاعراب للانضمام الى قواته، والقيام بحركات عدائية ضد الحاميات التركية المرابطة في الحجاز.

ونادى الشريف حسين بن علي بنفسه ملكا على العرب فلم يقر زعماء العرب الآخرون نداءه « فالملك ابن سعود يقول انه احتج على اعلان الملك حسين ملكا على العرب فتدخل الانكليز في الامر ... واضطروا الملك حسينا الى الغاء اللقب الجديد مكتفيا بملكية الحجاز » (١) « على ان الشريف حسينا استمر في تسمينه نفسه ملك العرب او ملك البلاد العربية في علاقاته مع جيرانه ورعاياه على

---

١ ـ حافظ وهبه في كتابه « جزيرة العرب » ص ١١٨ .



لبنانية المشهورة التي ذاعت في آفاق العالم لم نبلغ هذا الشوط البعيد إلا بعد ٣٠٠٠ عام من المحافظة على التقاليد العريقة والتهذيب في العادات والأخلاق

ول معاني هذه الضيافة الترحيب الحار الذي يلقاه المسافر على متن طائراتنا، ثم وجبات الطعام التي تقدم
اخنة حتى في الرحلات القصيرة المسافة. ويتجلى حسن هذه الضيافة في الاطباق الخزفية والاواني
ة التي يقدم فيها الطعام، وايضا في أنواع المشروبات التي تقدم مجانا لركاب الدرجة الاولى. ومن معاني
ضيافة تهيئة الفرصة للمسافرين لشراء الهدايا على متن الطائرة معفاة من الرسوم (أكثر من ١٥٠ صنفا معروضا للبيع).
ضيافتنا تعني قبل كل شيء توفير الراحة والعناية والخدمة الشخصية التي اشتهرت شركتنا
ا لركابها. لقد قضينا ... ٣٠٠٠ عام في اتقان هذه الخدمة.

للاستعلامات والحجز، راجعوا وكيلكم للسفر المعتمد لدى "اياتا" أو:



الجودة على متن الطائرة

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية



اما الحسين فقد اتخذ قراره في اوائل عام ١٩١٩ م و « قام باعلام الحكومة البريطانية عن عزمه على احتلال خرما ، وطلب منهـا ان تبارك مشروعه . وفـي منتصف آذار عقد اللورد كرزن مؤتمرا مع موظفيه للبحث في الموضوع وتوصل المؤتمر الى اقرار اجماعي تقريبا فحواه ... ان خرما جزء من المملكة الحجازية ، وانه يجب ان يسمح للشريف باتخاذ الخطوات التي يراها كفيلة باثبات حقوقه . وفي الوقت نفسه استقر الرأي على ابلاغ هذا القرار الى ابن سعود مـع التحذير المناسب من مغبة التدخل في الامر خشية ان يخسر ثقة الحكومة البريطانية ومنحة الخمسة آلاف جنيه الشهرية » (١) .

وخرما وتربه قريتان او واحتان بين الحجاز ونجد يرى الحسين انهما مـن الحجاز لقربهما منه ، ولان البادية تفصل بينهما وبين نجد ، فضلا عن وجود عدد كبير من اشراف مكة المقيمين فيهما منذ زمن بعيد ، ويرى عبـد العزيز آل سعود انهما من نجد اذ يفصل بينهما وبين نجد جبل حضن وقد جرى العرف مـن العهد الجاهلي على ان نجدا تبتدىء من جبل حضن وفي المثل : مـن رأى مضنا فقـد أنجد ، أي دخل نجد .

وكان الامير عبد الله ثاني انجال الملك حسين ، بعد ان فرغ من أمر « المدينة المنورة » واضطر الوالي التركي فخري باشا الى الاستسلام بعـد حصار استمر ثلاث سنوات ، كتب رسالة الى العاهل النجدي عبد العزيز آل سعود بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٣٣٧ لينقل اليه خبر هذا الانتصار الرائع وقـد ختم رسالته بهـذه العبارة :

« ولا يخفى على مدارككم بأنه لم يبق والحالة هذه شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة ادامه الله وايده عـن الالتفـات لاصلاح داخليتهـا وشؤونها ، والتنكيل بمن يسعى للافساد والتخريب من العشائر التابعة لها » (٢) ورد ابـن سعود على كتاب الامير الهاشمي مباركا له انتصاره ، ومؤكدا بانه لا يبغي غـير السلم مع جيرانه . في الوقت نفسه فانه تلقى انباء موثوقة عـن خروج قـوات

١ ـ الحاج عبد الله فلبي في كتابه « تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد عبـد الوهاب السلفيـة » ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

٢ ـ الاستاذ امين الريحاني في كتابه « تاريخ نجد الحديث وملحقاته » ص ٢١٩ .

الرغم من نصح الحلفاء له بترك هذا اللقب الذي يزعج امراء العرب الآخرين ويثير جفائظهم عليه » (١) •

« ووصل في عام الثورة الاول ١٩١٦ رسول من الحسين الى عبد العزيز ـ آل سعود ـ يحمل صرتين سلمهما اليه وقال : هذا من جلالة الملك • ومع الصرتين رسالة مؤرخة في ٢٥ شوال ١٣٣٤ يوافق ٢٥ اغسطس ١٩١٦ ••• صرتين باطنهما ألف وخمسمئة جنيه تستلمونها منه ••• وبعد اقل من ثلاثة أشهر وردت رسالة اخرى جوابية تاريخها ١٨ محرم ١٣٣٥ يوافق نوفمبر ١٩١٦ موقعة هكذا : ملك البلاد العربية وشريف مكة واميرها ثم الختم : الحسين بن علي ••• والصرة داخلها ألف جنيه ولا مؤاخذة فان الحالة معلومة ••• وساورت عبد العزيز الظنون في موقفه مع الحسين فاستشار أباه الامام عبد الرحمن وبعض كبراء نجد ، واخبرهم بصرر الذهب التي وردت عليه من الحسين وقال : ساكتب اليه فان تكن له نية وراء المساعدة لنا تنبهنا اليها ، وكتب الى الحسين شاكرا وطالبا تحديد الحدود بين الطرفين فاذا بالحسين يغضب ويقول في الجواب : ماذا عراك يا ابن سعود الا تعلم لاي أمر قمنا ؟ وفهم عبد العزيز جواب الحسين أنه اصبح يشك في انه ملك العرب ، وان نجدا من بلاده وصاحب نجد من رعاياه ، وذلك ما كان عبد العزيز يأبى ان يصدق فيه ظنون نفسه عندما كان يتسلم صرر الحسين فأسرع الى مكاشفة الحكومة البريطانية ••• فأبلغها عزمه على أن يحدد حدود بلاده بنفسه • وأجابه الوكيل البريطاني في البصرة السر برسي كوكس في خلال حديث دار بينهما في العقير : ان اية حركة على الشريف اليوم هي علينا ، ومساعدة لاعدائنا واعوانك ، وألح البريطاني على ان يعده عبد العزيز وعدا قاطعا بان يتجنب كل ما يؤدي الى القتال مع الشريف فوعده بذلك على شرطين : الاول ان لا يتدخل الشريف في شؤون نجد ، وان فعل فالحكومة البريطانية تلتزم الحياد ، والثاني كف الحسين عن ان يتكلم باسم العرب او يدعو نفسه ملك العرب فتعهد الوكيل البريطاني بذلك » (٢) •

---

١ ـ الاستاذان : محمد توفيق حسين ونبيه فارس في كتابهما « هذا العالم العربي » ص ٩٩ •

٢ ـ الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه « شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز » ج١ ص ٢١٦ •

وسبعمئة جندي من القوة النظامية ، وبعض مئين قتلى من القوة غير النظامية دون أسرى ، لان الاخوان القساة قضوا على كل جريح واسير ، المحارب وغير المحارب » (١) •

وأصر الاخوان النجديون على التقدم نحو « الطائف » واحتلالها ، ولا سيما وهي لا تبعد عنها باكثر من سبعين كيلو مترا ولكن « ارسلت الحكومة البريطانية انذارا لامير نجد في ٤ يونيو سنة ١٩١٩ ــ ٥ رمضان ١٣٣٧ ــ وحذرته مغبة تقدمه في الاراضي الحجازية » (٢) « ومرة اخرى عقد اللورد كرزت اجنته الادارية ••• وابلغت اوامر توقيف الدفعات الشهرية برقيا الى ارنولد ولسن » (٣) وكيل الحاكم الملكي العام في العراق الذي كان يتولى توزيع مثل هذه الهبات •

استيلاء الاخوان على الحجاز

« كان المغفور له الحسين بن علي يعتقد ان عليه مسؤلية قيادة الامة العربية، ان تبعته عظيمة امام الله والوطن والتأريخ • لذلك تشدد في موقفه ازاء قضية فلسطين تشددا بلغ به حد رفض المعاهدة التي عرضها عليه الانكليز • واستمر في الرفض رغم تهديدهم وتلويحهم بالاخطار المحدقة بالحجاز » (٤) •

وقد حدث في فاتح عام ١٩٢٤ حادث خطير غير مجرى التأريخ العربي ، وساعد على اضطراب الجزيرة العربية ووقوع تبدلات جذرية فيها • فقد ألغى الترك الكماليون الخلافة الاسلامية في بلادهم ، وخلعوا خليفة المسلمين السلطان عبد المجيد الثاني واخرجوه وأهل بيته من ديارهم • وكان الحسين بن علي يزور امارة شرقي الاردن في تلك الآونة فسعى ولده الامير عبد الله لمبايعة أبيه خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين فتمت هذه البيعة في « عمان » على صورة رسمية في يوم الجمعة ثامن شعبان ١٣٤٢ (١٤ اذار ١٩٢٤) فزاد هذا التحدي لشعور

---

١ ـ اللواء الركن ابراهيم الراوي في كتابه « من النهضة العربية الكبرى الى العراق الحديث » ص ١٣٤ ـ ١٣٨ •

٢ ـ حافظ وهبه « جزيرة العرب » ص ٢٠٣   ٣ ـ فلبي « تاريخ نجد » ص ٣٢٥ •

٤ ـ الاستاذان منيب الماضي وسليمان موسى في كتابهما « تاريخ الاردن في القرن العشرين» ص٢٢٤

الحسين من المدينة في ايار ١٩١٩ م ووجهتها تربة • ويروي الامير عبد الله اخبار هذه القوات بقوله :

« كان والدي قد وجه الشريف حمود بن زيد علـى رأس قوة الـى الخرما فلم يفلح في مهمته • ثم بعثه مرة اخرى فعاد جريحا مغلوبا ••• فجهز والدي قوة اخرى ••• ولم تنجز شيئا • والواقع انني كنت أرى عدم الدخول في معركة من هذا النوع في ذلك الوقت فالناس سئموا الحرب ، والجنود المستأجرون امتلأت جيوبهم ولم تعد لهم رغبة في جلاء ••• وكان حسين افنـدي روحي كاتم اسرار المعتمد البريطاني في جدة قد اختلى بي وقال لـي : ان بريطانية نصحت بعـدم الحرب ضد الوهابيين ••• وانها تعلم ان بيد الوهابيين قوى نشطة متعصبة ينبغي اخماد نارها بالحكمة ••• ولقد كنت اعرف مغزى تبليغاته ••• ولكن في الوقت نفسه صارحت جلالة الملك والدي بلزوم تأخير هذه الحركة فأجابني : يجب عليك ان تتوجه الى الخرما للقضاء على هذه الحركة الافسادية ، وان معك مـن القوة ما لو قابلت بها كل العرب لتغلبت عليهم ••• وبعد التشاور مع من اعتقد اخلاصه من الرؤساء رجحت الاستيلاء على مدينة تربة وحصنها المعروف » (١) •

وسار الامير عبد الله بقواته الى تربة كما أشار الـى ذلـك في مذكراته ، ودارت رحى الحرب بفظاعة بين القوات السعودية والـقوات الهاشمية في التاسع عشر من آيار ١٩١٩ م ، وكان شاهد العيان فيهـا اللواء الركـن ابراهيم الراوي فهو يقول :

« نحن قادة الجيش وكذلك الجنود لم تكن لنا رغبة في القتال ولـم نكـن محسين مثل رغبتنا وحماسنا في قتال الاتراك اذ اننا اتينا الى الحجاز لغاية معلومة حتى ان اميرنا عبد الله نفسه لم يكن مبالا للحرب ••• ولكن اكرهنا على خوض هذه الحرب التي اشعل نارها الحسين وحده ••• وكانت خسائرنا عشرة مدافـع وحوالي عشرين رشاشة ثقيلة ، ومثلها خفيفة ، وما ينوف على الالف بندقية مـع اعتدة وتجهيزات وخيل وبغال وما يقرب خمسمئة خيمة ، وهـي كلما كانت تملك الحملة التي كان عددها ما ينوف على الـ ٢٥٠٠ رجل ••• وقد قتل ستون ضابطا

ـ مذكرات الملك عبد الله ص ١٤٤ ـ ١٤٧ من الطبعة الرابعة •

الطائف ... وكان الجيش النجدي يزداد عددا وقوة ... في غسق ذلك اليوم ، اليوم السابق من صفر ـ ٧ سبتمبر دخل الاخوان الطائف كالسيل الجارف فقتلوا عددا من الابرياء ... راح العريان والاخوان يطرقون الابواب ويكسرونها فيدخلون البيوت اما قهرا واما بعد ان يؤمنوا أصحابها ثم يعملون فيها أيدي السلب » (١) .

هرب الامير علي

على اثر سقوط « الطائف » بأيدي الاخوان النجديين أبرق الامير علي الى اخيه الملك فيصل من جدة هذه البرقية :

جلالة الملك فيصل ـ بغداد التاريخ ١٠ ايلول ١٩٢٤

الموقف خطر للغاية . خرقنا خط الحصار جبرا وخرجنا من باب الريح ـ احد ابواب الطائف ـ سالمين . انا الآن نخيم في بادان بالقرب من عرفه للدفاع عن مكة . الحالة حرجة جدا . لا تسل عما فعلوه في الاهالي من قتل وسلب . أخشى على مكة من تسلطهم . داركوا المسألة .

التوقيع : علي

وقد امر الملك فارسلت صورة هذه البرقية الى المستر جان بيرس بتاريخ ١٠ ايلول ١٩٢٤ ليعرضها على المعتمد البريطاني .

تنازل الحسين عن العرش

عمت مدن الحجاز : مكة والمدينة وجدة الفوضى وصار الاهلون يتطلعون الى واقعهم المرير برعب واذا بتجار مكة واشرافها يجتمعون في جدة ويبرقون الى الملك حسين هذه البرقية ، وقد وقع فيها العشرات :

صاحب الجلالة الملك المعظم : مكة

بما ان الشعب الحجازي بأجمعه الواقع الآن في الفوضى العامة ، بعد فناء

---

١ ـ الريحاني في كتابه « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٩٩ وهو يقول في هامش الصفحة ٣٠١ « كان لهذا الحادث الم في نفس السلطان عبد العزيز فامر بتاليف لجنة لتقدير الخسائر والتعويض على المنكوبين من الاهالي ومن الجنود والجاويين وقد دفع نحو عشرة آلاف ليرة من التعويضات » .

الوهابيين الموقف العربي في الجزيرة ، والتنافس على الحكم والاستغلال سوءا على سوء •

وما كاد الحسين يرجع الى « مكة المكرمة » في نهاية اذار ١٩٢٤ م حتى عقد الاخوان الوهابيون « اجتماعا خطيرا في الرياض دعوا فيه السلطان ابن سعود ان يسمح لهم بحج بيت الله الحرام رضاء او عنوة ، وكان الملك حسين يحول دون ذلك من قبل ، واذا بشركات الانباء العالمية تذيع اخبارا عن حركة الجيوش النجدية من الجنوب ومن الشمال في آب ١٩٢٤ » (١) •

وفي جلسة مجلس الوزراء العراقي المنعقدة في يوم ١٨ ايلول ١٩٢٤

« تلي كتاب رئيس الديوان الملكي المرقم س ــ ٤ ــ ٥٣٠ والمؤرخ في ١٧ــ ٩ ــ ١٩٢٤ متعلق بتجاوزات القوات الوهابية على مدينة الطائف • فالحكومة العراقية ترى ان الغزوات المستمرة التي تقوم بها قوات ابن سعود لتوسيع نفوذ الوهابية في مناطق الحكومات العربية ، والاخلال بالموازنة الحالية الموجودة في جزيرة العرب ، او استيلاء عظمة ابن سعود على الحرمين الشريفين مما يأتي بأضرار بالغة من الجهة الدينية والسياسية والاقتصادية على العراق • وعليه قرر مجلس الوزراء ان يطلب الى فخامة المعتمد السامي بيان التدابير المتخذة لازالة هذه الاضرار الآن وفي المستقبل ليتمكن مجلس الوزراء من اتخاذ قرار نهائي في هذه المسألة » (٢) •

« مشى الاخوان من مركز الاجتماع في تربد ولم يعلم بهم احد في مكة او في الطائف قبل ان اجتازوا الحدود • لم تعلم الحكومة بهجومهم قبل ان وصلت سرياتهم في اليوم الاول من صفر ١٣٤٣ ــ سبتمبر ١٩٢٤ الى قرية الجوية التي تبعد بضعة اميال عن الطائف ••• فاستعرت بينهم وبين سرايا الجيش هناك معركة دامت بضع ساعات كانت الغلبة فيها للاخوان • تقهقر النظاميون الى جهة

١ ــ عبد الرزاق الحسني في ص ٢٠٦ من المجلد الاول من كتابه « تاريخ الوزارات العراقية » الطبعة الثالثة •

٢ ــ مقررات مجلس الوزراء العراقي ص ٤٨ ــ ٤٩ من مجموعة الاشهر آب ــ ايلول ــ تشرين الاول سنة ١٩٢٤ •

وهولندا وايران في جدة الى خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد بمكة رسالة يشيرون فيها الى ان لحكوماتهم رعايا في مكة ويرجون معاملتهم بالحسنى . فأجاب القائدان بأن اهل مكة كلهم في أمان واطمئنان ، ومن جملتهم رعايا الدول الاجنبية ، وسألا في نهاية رسالتهما عن موقف تلك الحكومات ازاء الحرب القائمة ، فتسلما منهم كتابا بتاريخ ٦ ربيع الثاني (٤ نوفمبر ١٩٢٤) هذا نصه :

الى خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد

وصلنا كتابكما ولا يخفى عليكما ان حكوماتنا التزمت الحياد التام في الحرب القائمة بين نجد والحجاز فنحن محايدون ولا يمكننا التدخل بأي وجه كان في هذا الخصام . وقد احطنا بتصريحكما ان ليس لكما نظر في رعايانا . نؤيد مضمون كتابنا الاول المختص بهم ا هـ (١) .

ثم تأتي تواقيع المعتمدين لحكومات : بريطانية وفرنسة وايطالية وهولندا وايران في جدة .

فيصل ينصح أخاه عليا

أدرك الملك فيصل ملك العراق خطورة موقف أخيه الملك علي ، ملك الحجاز ، فأبرق اليه يقول :

جلالة الملك علي ـ جدة بغداد ٥ اوكتوبر ١٩٢٤

مع عدم علمي بموقف مكة اليوم اخبر سيدي بأن لديه فرصة ثمينة لارجاع الحجاز الى ما كان عليه ، وتأمين استقباله ، من فكري انه يحتم على جلالتكم في هذه الظروف التي لها ما بعدها ان تذيعو للعالم الاسلامي ان مسؤولية الحرمين ليست عائدة لاهل الحجاز وحدهم بل هي في عنق المسلمين عموما وتظهروا رغبتكم الاكيدة في الاتفاق معهم وتطلبوا اليهم ارسال وفود للتفاهم ووضع الخطط الضرورية للقيام بتلك المسؤولية وترسلو برقيات الى الجمعيات الاسلامية في الهند ومصر وغيرهما بهذا المعنى ثم تخبرو بريطانية العظمى بانكم مستعدون

١ ـ خير الدين الزركلي في كتابه « شبه جزيرة العرب » ص ١ ـ ٣٤٠ .

الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الارواح والاموال ، وبما ان الحرمين الشريفين خاصة ، وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة ، وبما ان الحجاز بلد مقدس يعني أمره جميع المسلمين ، لذلك قررت الامة نهائيا طلب تنازل الشريف حسين وتنصيب ابنه الامير علي ملكا على الحجاز فقط مقيدا بدستور بمجلسين وطنيين ... والله الموفق لما فيه الصلاح ا هـ (١) .

وقد أجاب الحسين على هذه البرقية بأنه يرحب بالطلب ومستعد لتلبيته لكنه يرجو البحث عن غير ابنه علي ليخلفه في الملك لانه وابنه واحد ، فرفض ارباب البرقية ذلك وبايعوا عليا بالملك ، واضطر الحسين الى مغادرة مكة المكرمة الى جدة في التاسع من تشرين الاول ١٩٢٤ م ، ومنها ابحر الى العقبة « ثم اخبرته السلطات البريطانية بضرورة مغادرته العقبة الى قبرص لئلا يغري وجوده في العقبة بالوهابيين فيندفعون الى الشمال قبل ان تتمكن بريطانية من التمركز في العقبة ، ذلك التمركز الذي تم فيما بعد في صيف عام ١٩٢٥ » (٢) .

الاندفاع نحو مكة

ظل الاخوان النجديون في الطائف ينتظرون أمر عاهلهم السلطان ابن سعود في الزحف على مكة وعدن ، حتى اذا علم وشاع أمر تنازل الحسين عن العرش ومبايعة الحجازيين لنجله الاكبر الامير علي ملكا على الحجاز فقط ، وانسحاب القوات النظامية الى جدة ، اندفع هؤلاء النجديون نحو « ام القرى » واحتلوها صلحا لا حربا « فتعرضت قصور الحسين للنهب والسلب ، ودمرت جميع مقامات واضرحة أئمة الاسلام الاولين في مقبرة معلى والاماكن الاخرى » (٣) « وكما سلط الحسين البدو على الاتراك وبيوتهم فأعملوا فيها يد النهب والسلب كذلك سلط الله عليه الاخوان فقاموا بنفس الرواية التي مثلت مع الاتراك » (٤) .

وتولى خالد بن لؤي امارة مكة فأبرق قناصل بريطانية وفرنسة وايطاليا

١ ـ الريحاني في كتابه « تاريخ نجد الحديث وملحقاته » .
٢ ـ فلبي في كتابه « تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب السلفية » ص ٣٣٦ .
٣ ـ فلبي في المصدر السابق ص ٣٣٦ .
٤ ـ حافظ وهبه في كتابه « جزيرة العرب » ص ٢٥٢ .

ابلاغ الامر للمعتمد البريطاني

سر الملك فيصل بهذا الجواب فبعث به الى المعتمد السامي البريطاني في العراق مرفقا بهذه الرسالة :

عزيزي السر هنري : سري

اني أرسل الى فخامتكم طي كتابي هذا برقية وردتني من أخي علي في مكة. ونظرا لما اعلن من عطف فخامتكم على نجاح الموقف الجديد في الحجاز ، فاني أضم صوتي الى صوته ، وارجو منكم ان تبلغوا حكومة جلالة الملك ملتمسي بوجوب اسراعها الى اجراء التأثير الكافي على ابن سعود ليوقف حركات اعوانه الى حين انتهاء المفاوضات .

محبكم ـ فيصل

قرار مجلس الوزراء

كان رئيس الوزراء العراقي ، ياسين الهاشمي ، قد وجه كتابا سريا الى المعتمد البريطاني في بغداد برقم س ٢٣٠٤ وتاريخ ١ تشرين الاول ١٩٢٤ م لبيان التدابير المتخذة من قبل حكومة جلالة ملك بريطانية لازالة الاضرار الدينية والسياسية والاقتصادية التي ستصيب العراق من جراء الغزوات المستمرة التي تشنها قوات ابن سعود » ولما لم يجد في جوابه ما يشفي الغليل اتخذ مجلس الوزراء هذا القرار .

« تلي كتاب فخامة المعتمد السامي المرقم ١٨٤ والمؤرخ في ٣ تشرين الاول ١٩٢٤ المتعلق بمسألة تجاوز سلطان نجد على الممالك العربية المجاورة فلم يجد مجلس الوزراء في الكتاب المذكور ما يزيل قلقه من الاضرار التي ستصيب مصالح العراق من استيلاء ابن سعود على الحرمين الشريفين او من غارات قواته على البلدان المجاورة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يرى مجلس الوزراء ان سياسة حكومة جلالة بريطانية في شأن هذا الحاكم العربي لم تزل غير مريحة

---

١ ـ قرار ٧ تشرين الاول ١٩٢٤ في ص ٦٩ من مجموعة مقررات مجلس الوزراء للاشهر آب وايلول وتشرين الاول ١٩٢٤ .

لقبول أي اقتراح يرجع المناسبات الحبية الى ما كانت عليه اثناء الحرب العامة وتكونو بتماس دائم مع ممثلها في جدة على ان تعطفو على آراءه وتخبرو حكومة مصر بنياتكم الحسنة ورغبتكم في وضع اساس لارجاع الصلات الصميمية التاريخية وترسلو الى ابن سعود نفسه تكلفونه بالصلح بطريقة التحكيم حرمة الاماكن المقدسة وحقنا لدماء المسلمين وتخبرو بريطانية بذلك وتطلبو توسطها وتكاتبو امراء العرب بالحسنى وتعاملوهم معاملة طيبة وتطمنوهم عن عزم الحجاز على انتهاج خطة المسالمة والمحبة معهم فاذا فعلتم هذا وثابرتم على انتهاج خطة التفاهم مع الامم الاسلامية والمسيحية فعلا لا قولا ، وسعيتم في تطمين راحة شعبكم ليلتف حول عرشكم اعتقد بأنه يقع في اقرب وقت انقلاب هائل نحو حكومة جلالتكم وتأتي نتيجة تكون بحول الله مضمونة ورأيكم الموفق •

فيصل

لقد سر الملك علي بهذا الاقتراح ورد عليه في الحال بالبرقية الآتي نصها :

مكة ٧ ــ ١٠ ــ ١٩٢٤ جلالة أخينا الملك فيصل ــ بغداد

أشكر جلالتكم على ارشاداتكم وسنجريها حرفيا واثناء وجودي بجدة تكلمت مع المعتمد البريطاني في هذه الشؤون وطلبت دوام المذاكرة باتمام المعاهدة واوعد بالتسهيلات • واني مستعد لازالة جميع سوء التفاهم وارجوكم أيضا اتخاذ اللازم في عدم اهمال مساعدتنا وعسى الله يوفق الجميع • وساحرر الكتاب لابن سعود رأسا •

علي

ثم اعقب البرقية المثبتة فويق هذا بالبرقية الآتية :

مكة ٧ ــ ١٠ ــ ١٩٢٤ جلالة الملك فيصل ــ بغداد

غدا سأبعث نجابا رسولا لابن سعود ارجوكم اعلام ذلك بواسطة المندوب السامي او بالواسطة التي ترونها موافقة لعله يأمر بتوقيف الحركة لحين المفاوضات هذا ان استحسنتموه •

علي

في الأدب والحياة

الحرب .. والحب .. والموت والشعر

بقلم : محمد شراره

في تلك الارض البخيلة المسرفة في الشح وانقباض اليد ، كانت الحرب شريعة تقترب من الشرائع المقدسة . وكان الغزو قانونا من القوانين التي تتخذ الظنون فيها لونا من ألوان الابدية التي لا تعرف التغير او الاهتزاز . وهذه الارض لا تعرف او لا تكاد تعرف سوى الواتر والموتور ، والمنتصر والمهزوم ، والظافر والمترقب :

بغار علينا واترين فيشتفي ... بنا ان أصبنا أو نغير على وتر

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي الا ونحن على شطر

هذه الارض ، على شحها ، ولدت الابطال والشعراء والانبياء أيضا ، كما ولدت عباقرة البيان والفكر والاسلوب الاخاذ الفاتن في البلاغة وفي اخراج الصور المشرقة الفتانة التي تهز الالباب وتبهر العقول . وفي هذه الارض ولد ، فيمن ولد ، شاعر شجاع ينتمي الى خفاجة التي تنتمي بدورها الى بني عقيل بن كعب الهابطة من قيس عيلان المعروفة بعددها الكبير ، وعددها الجبارة .

هذا الشاعر هو توبة بن الحمير الذي كان يعبر المفازة التي لا يقطعها الطير ، ويصل الى بلاد مهره التي كانت تحميها الصحراء الملتهبة من الغزاة . وكان بنو عامر بن صعصعة جيرانا لخفاجة كما كانوا اقارب ، وهذه الجيرة المضافة الى القرابة جعلت الغزو هدفا مشتركا بين الوشائج المتشابكة ، والقرابة المتجاورة . وفي هذه القبيلة ولدت ليلى الاخيلية التي تنتمي الى معاوية بن عبادة المعروف بالاخيل ..

وفي احد الايام عاد الغزو الذي كان مشتركا بالظفر ، وعاد الفرسان من المعامع وعلى وجوههم غبار الانتصار ، وعادت الخيل وفي اصواتها حمحمة الزهو ، ونداء الكبرياء القاهرة . وخرج الحي لاستقبال الظافرين ، وكانت نساء الحي في

بالنظر الى العراق ووجود قواته داخل حدود العراق المحددة بموجب المعاهدة العراقية النجدية وتربصهم للهجوم على عشائر العراق في كل حين أمر مخل بحقوق الحكومة العراقية وبراحة سكان العراق • وعليه فوض مجلس الوزراء الى فخامة رئيس الوزراء المفاوضة مع فخامة المعتمد السامي في النقاط الآتية الذكر » (٢) •

بغداد ـ البقية في العدد الاتي ـ السيد عبد الرزاق الحسني

٢ ـ ملفات المركز الوطني لحفظ الوثائق ص ٤ •

★ ★ ★

الزواج حصن او قلعة تحمي المرأة من العاشق وتحول بينه وبين الامل ، او بينه وبين الطمع ، وهذه القلعة تستطيع فعلا ان تقوم بالحماية ، وتتمكن ان تقطع الخيط الدقيق الذهبي ، وتسحب الجسر الذي تسير عليه الاقدام في العبور من شاطيء الى شاطيء .. تستطيع ان تفعل ذلك في العرف الاجتماعي والقانوني وما اشبه ذلك ، ولكنها لن تستطيع ان تفعل شيئا منه في العرف السيكولوجي ، او في القوانين الخفية التي قامت عليها العوالم الداخلية للحياة ولا سيما في مثل هذا النوع الرهيب من الزواج .

أغلب الظن ان هذا النوع من الزواج قائم على النكاية والانتقام من العاشق اكثر من قيامه على رعاية الحياة والسير مع قوانينها الطبيعية واهدافها العليا . وفي مثل هذه الخطوات يتخذ من الشرائع ومن المجتمع ستارا لتغطية الهدف الحقيقي الذي تقف وراءه النكاية او الانتقام او ما يشبه هذه الدوافع . ومن هنا ينطلق رد الفعل المعاكس ، والقيام بحملة المواجهة التي تبدو في ظاهرها هجوما على المجتمع وعلى قوانينه وشرائعه المقدسة .!

ان الفعل المنعكس في مثل هذه المواقف لا ينطلق ، واقعا ، من الاستهتار بالمجتمع وقيمه واعرافه وشرائعه ، بل من موقف نفسي منعكس عن موقف نفسي آخر ، ولكن هذا الموقف الآخر مسلح بالقانون والشريعة ظاهرا ومحتم بهما ، بينما الفعل المقابل مجرد من السلاح ومن كل أشكال الحماية . ومن هنا يأخذ هذا الموقف الطابع التراجيدي وينتهي الى مسرح المأساة .

في هذا الضوء يجب ان يفهم موقف توبة من ليلى وأبيها وزوجها الاذلفي .! فقد زوجها أبوها لرجل لا يتناسب ، على ما يظهر ، معها ولا يستطيع ان يقف واياها على ارض واحدة . وكل غايته من هذا الزواج ان يوجد الكابح الذي يوقف توبة ويسد فمه . ولكن توبة لم يقف ، وفمه بقي مفتوحا ، وبقي ينبوعا من ينابيع الشعر ، وبقيت ليلى اغنية على شفتيه .

لقد تزوجت ليلى ، كما عرفنا . وكان توبة يزورها قبل الزواج ، ولم تنقطع الزيارة بعده . « فعاتبه اخوها وقومها فلم يعتب ، وشكوه الى قومه فلم يقلع ،

الطليعة ، وكانت ليلى من الوجوه الرائعة في الجانب النسائي ، كما كان توبة من الوجوه البارزة في الجانب الثاني •

في هذه اللحظة الغنية بالافراح كانت التفاتة ، وكانت الالتفاتة بداية قصة من قصص الحب الذي مسح وجه الحياة بريشة من ريشه الناعم ، وروح من ارواحه الحلوة الهانئة ، ونفس من انفاسه التي تمر على الظلال والينابيع وحمائم الغابة الوديعة •

لقد تحرك التيار ، وارتعش السلك الخفي بين القلبين ، وحملت العيون انباء الكهرباء ، وكانت العاطفة المشتركة بين الفارس والشجاع الظافر والفتاة التي كانت تبحث عن فارس الاحلام • وراح الشعر يلعب لعبته ، ويمثل دوره على المسرح الجديد ، ويعزف على الاوتار النابضة ، ويعيد النغم الذي مر على ملايين القلوب في اثناء السير الذي بدأته الحياة •

لم يكن توبة بحاجة الى شهادة تثبت كفاءته او قدرته او جدارته ، ولم يكن بحاجة الى عمل يكشف عن هويته ،، فقد كانت جميع المقاييس العالية التي سنها زمانه متوفرة فيه ، وكانت جميع القيم التي يطلبها عصره جاهزة لديه ، وكانت القرابة التي ترتفع احيانا فوق القيم والمقاييس حاضرة مهيأة • ولكن ذلك كله أخفق في الشفاعة لتوبة واخفق في الاقناع ، وأبى عبد الله بن الرحال الا ان يزوج ليلى لرجل من بني الاذلغ يجهل التاريخ اسمه بله سيرته •

لقد انهزمت المقاييس ، واندحرت القيم ، وهوت القرابة في مستوياتها التي وضعتها فيها الاعراف القبلية ، ولكن العاطفة بين الرجل والمرأة بقيت شامخة تتحدى جميع الهزائم ، وتقف في وجوه الذين يتجاهلون أسرار النفس ، ولا يعرفون مساراتها التي تتحرك فيها •

مأساة هذه الفئة من البشر انها تهمل التجربة التي مرت بها او مر بها غيرها ، ولا تعرف من العلاج لمثل هذه المواقف سوى اغلاق الابواب واعادة الينابيع الى المصب الذي انطلقت منه ، واذا تمردت الابواب ، ورفضت الينابيع ان تعود الى مصبها جاء التهديد والوعيد وقامت القيامة ، وانطلقت السيوف من اغمادها ، وراحت تنتظر الدماء •

واعذب النغمات ولذلك كان لها شأن كبير في تصوير الشخصيات الفنية ، كما كانت تلعب دورا اكبر في المشارف على الحياة .

ويواجهنا هذا الجمال مرة أخرى ، لا في عيون ليلى وحدها ، بل في وجهها كله ، فهذا الوجه ابلج كالدينار مملوء بالنعيم والمسرة ، تفيض نعمه على الحياة ، ولو سألت به سحاب الثريا لاجاب السحاب سؤالها ، ونزل على رغبة هذا الوجه الصبوح الناعم ، ومون الارض العطشى ، واغاثها بما يروي الظمأ الكاوي .

ومعنى ذلك ان هذا الوجه يحمل من اللطف والرقة والحنان والطهر ما يحوله الى صلاة قادرة على تحويل الطبيعة من الضد الى الضد ، وفي ضوء هذه الرؤيا تتلون الطبيعة ، وتحمل الاشياء فيها رموزا جديدة ، ودلالات خاصة لها ابعادها التي تستمد من المشاعر حركة وحيوية وبهجة معينة .

هذه الصورة لا يستأثر بها توبة ، فقد رآها جميل في بثينة ، وابن الدمينة ، او سوادة بن كلاب في ظمياء . ويظهر انها عزيزة على قلوب الشعراء حتى تلاقى الكثير منهم حولها ، وكان لها هذا الشأن في التصوير ، او في استعادة الوانها للاخراج الفني . وما دام لليلى ورفيقاتها مثل هذا التأثير على الطبيعة فليس بغريب ان يكون لها اكبر من هذا التأثير على النفوس الشاعرة والاحاسيس الظامئة الى مثل هذه الوجوه التي تستورد الغيث من السحاب ، او تحوله الى انشودة تلقي على الارض ارق ما في وجودها .

لقد كانت ليلى ، بالنسبة الى توبة ، بمثابة « الوارد » الذي يتحدث عنه الصوفيون في انفتاح ابواب النفس ، واطلالها على القصيدة التي تكون الشريط النفسي ، او تكون « النبع » الذي يستمد من « الوارد » وجودا فنيا يختلف باختلاف الطوالع التي تقف وراءه .

لليلى في هذا العرش الجميل المرصع الذي تنبعث منه الطوالع الملحة ، وتوبة لم يكن صدى لمجتمع تحاول اهرامه ان تجعل من الناس أحجارا مبعثرة لا يشدها بناء ولا تمسكها روابط حية ، بل كان انسانا له ذوق جمالي تقف وراءه الينابيع التي ترهف الحواس وتصفي الارواح .

هذا الموقف من المجتمع ومواجهة قوانينه بالرفض ، واتخاذ القصيدة اداة

فتظلموا منه الى السلطان فأهدر دمه ان أتاهم .! » (١) ولا نعرف الاساس الفقهي الذي استند اليه السلطان في اهدار الدم ، كما لا نحب ان ندخل في نقاش شرعي حول هذا الحكم وامثاله . ومن المعروف ان الشريعة تتشدد كثيرا في اراقة الدماء بله اهدارها . وهناك حديث معروف يقول : « ادرأوا الحدود بالشبهات » هـذا اذا كان الفعل يستوجب الحد فكيف اذا كان زيـارة مجردة ! ولكن مـا قيمـة الشرائع ، وما قيمة تشددها في المحافظة على الحياة اذا كان للسلطان فهم آخر .!

مهما يكن الامر فان الغاية التي توخاهـا الوالـد مـن الحيلولة بين البنت وحبيبها لم تصل الى اهدافها . وكل ما صنعه انه عقد المشكلة ، وحـول حيـاة البنت وزوجها الغيور الى مأساة اخرى تضاف الى المآسي الكثيرة الـتي رآهـا عبد الله قليلة حتى ضم اليها هذه المأساة .

فليلى بقيت محبوبة ، وبقي الحب مشتركا ، ولم يستطع الزواج ان يلقـي عليه شيئا من الجليد . وبقي الشعر قادرا على تصوير الحب ونقل الخاجات التي ترتعش به ، وبقي المجتمع المتزمت يقـرأ الشعر ويتناقلـه ، ولـم يستطع غضب الاهل ، ولا حكم السلطان ان يفعل شيئا او ان يحـول الحركة الـى سكون . فكيف كانت ليلى في هذا الشعر ، وكيف كانت الحالـة النفسية الـتي يكابدها العاشق الشاعر !

ليلى جميلة ، ولا بد ان تكون جميلة . والتاريخ نفسه يقول عنها قبـل ان تقول الشعر : « طويلة ، دعجاء العينين ، حسنة المشية ، حسنة الثغـر » (٢) وفي مكان آخر يسأل الحجاج جلساءه بعدما أتمت امامهـم قصيـدة في مدحـه .. « أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا ، ولكنا لم نر امرأة قـط اطلق منهـا لسانا ، ولا أجمل منها وجها ، ولا أحسن منها محاورة » (٣) ولـم يخرج الشعر في تصويرها عما قاله التاريخ ، فقد كانت عيونها فيه لا تختلف عن عيون الظبية المطفـل ذات المحاجر السود ، وهي عيون ذباحة ، تديرها فتنطل وراءها حياضي الموت . والعيون نوافذ للاطلالة على النفس . وكثيرا ما تحمل رسائل تعجز عن أدائها ابرع الاقلام ،

---

١ ـ الاغاني ج ١١ .
٢ ـ فوات الوفيات ج٢ صفحة ٢٩٠ .
٣ ـ الديوان : طبعة بغداد ١٩٦٨ صفحة ٦٦ .

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك او يسليك او يتوجع

وقد تجد النفس في الشكوى شيئا من الراحة او تخفيف العبء اذا كان المشتكى اليه في مستوى روحي له قدرة الاشراف على الرؤية واستشفاف النفس الشاكية من خلالها • ولكن الذين يشكو لهم توبة او بعضهم ، على الاقل ، يرون القضية رؤية اخرى • وهم يقيمون في مناخ نفسي يكاد يكون على الضفة الاخرى من الشاطيء ، ولذلك تجد الشكوى شيئا من الاستخفاف او الاستهانة او نوعا من اللامبالاة الغريبة •

معنى ذلك ان توبة كان متعبا جدا من الحمل ، وأنه لم يكن مهتما بالارض التي يلقي فيها بذوره ، بل كان المهم ان يلقبها كيفما كان ، وكيفما كانت الارض• ولذلك كانت الاذن التي يصب فيها شكواه ، وان تكن قادرة على السماع ، عاجزة عن تذوق اللحن الذي يسر عليها • ويضطر الشاعر ان يتخذ ازاء هذا الموقف اللامبالي : موقف الدفاع عن حالته النفسية ، وذلك بضرب الامثال الحسية ، والاستناد الى الواقع الروحي •

ان هؤلاء الذين ظنهم العاشق أهلا لتخفيف آلامه لم يجدوا ما يقولون له سوى كلمة باردة خالية من كل حرارة ومن كل وميض ، ولا تكاد تعرف شيئا من المعاناة التي يكابدها الشاعر • واذا دلت على شيء فانما تدل على انهم يحومون في أفق معافى من زفرات الحب ، وكأن الشاعر كان يضرب في حديد بارد عندما القى لهم قطعا من حياته ، فقد كان الجواب : « لا يضيرك نأيها » وهي كلمة باهتة شاحبة شحوب الاوراق الخريفية التي تطاردها الرياح •

كان يظن توبة أنه يخاطب قلوبا حساسة يجد في احساسها صدى مشاعره ، ويجد فيها أجوبة النداء الذي يتعالى في روحه ، ولكنه لم يجد سوى كلمة تكاد تكون غلافا منطويا على مشهد كوميدي لا تخلو من السخرية • ولا شيء أشق على النفس من ان يكون الانسان في عالم ، وان يكون صاحبه الذي يظنه قطعة من حياته في عالم معاكس •

ان اللحظة التي كانت مؤهلة ومعدة لان تتخذ شكلا من اشكال التجاوب تنقلب الآن وتبدأ بالاعداد والتهيؤ لاتخاذ شكل من اشكال الدفاع • وتوبة الذي

للمواجهة دعم المشاركة الوجدانية بين الشاعر وملهمته ، ورفع التجاوب بينهما الى مستوى التحدي المشترك ، ولم يبق توبة وحده في المواجهة ، بل شاركته ليلى فيها مشاركة قوية حادة ، ورفضت هي الاخرى ان تكون صدى للمجتمع الذي يحاول ان يطفيء في نفسها الشموع .

كانت ليلى بمثابة الوارد الصوفي كما رأينا ، وكانت صورتها رائعة في شعر الشاعر . أما الحالة النفسية التي نشأت عن رفض الانقياد للتقاليد الاجتماعية وتحديها فقد كانت على جانب لا يستهان به من التوتر . وذلك شيء اعتيادي وطبيعي جدا ما دام التوازن بين الشاعر والمجتمع واقفا على كف عفريت .

لقد خلقت اللحظة او هنيهة اللقاء بعد العودة الظافرة من الحرب لحظة من الضوء الجديد في القلبين الشاعرين ، ثم تحولت اللحظة الى موجة متبوعة بموجة. ومن بين الامواج اللذيذة تصاعد النداء الروحي واخذ يطالب بالجواب . ووجه النداء بما عرفنا من الرفض والمطاردة ، فكان الاختلال في التوازن ، وكان الشعر اداة التعبير عن هذا الاختلال الصارخ الذي يواجهنا في الصورة الثانية من شعر توبة .

قاعدة الصورة الجديدة هذه المسافة الحادة بين الشاعر والدار التي تضم ليلى ، فدارها نائية ، والنأي مستمر يتصاعد في قوته ، ولا أمل في تنازله او هبوطه الى مستوى ترتجي فيه الزيارة . ذلك يشير اشارة قوية الى سد قائم بين النفس والنفس المرتجى الذي يسنحه اللقاء وما ينطوي عليه من متع ومباهج . ومثل هذا السد يبعث اليأس او قد يبعث على اليأس ، وعندئذ ترتد الحياة على نفسها وتأكل بعضها ما دامت عاجزة عن ايجاد ما تأكله . ولكن توبة لا ييأس ، ولا يقع في الشرك المنصوب لاصطياده ، بل يحيد عنه ، ويحاول ان يقفز فوق السد ان لم يستطع تحطيمه .

انه يعترف اعترافا خاطفا بأن « النوى » كانت سريعة ، وانها قامت على عجل من جنوب عنيزة ــ وهي قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تهيم ــ واتخذت اتجاها غامضا يبعث على الحيرة . ويواجه الشاعر هذا الموقف بالشكوى في البداية على الاساس المعروف :

يصبح اليوم الذي تبتعد فيه ليلى « حجة وشهورها » كما ان الحول يتلاقى كله في يوم واحد اذا اقتربت ليلى :

أرى اليوم يأتي دون ليلى كأنما ... أتى دون ليلى حجة وشهورها
لكل لقاء نلتقيه بشاشة ... وان كان حولا كل يوم أزورها

والتعبير في البيت الثاني لا يخلو من قلق (١) ولكن الاداء الواضح في البيت الاول يفترض بنفسه وجود الضد فيما بعد ، فاذا كان « اليوم » بدونها « حجة وشهورها » كانت السنة بوجودها يوما واحدا • وذلك يعني ان التفسير الذي رأته « النسبية » في لغة انشتاين وجدت ما يماثله او ما يقترب منه في لغة توبة •!

وما دامت ليلى قادرة على اذابة الزمن وتحويل الدنيا الى نشوة متصلة بنشوة وقدح متبوع بقدح فمن الخسائر الكبرى ان تبقى هذه السعادة بمنآها البعيد البعيد ، وان يبقى القلب الظاميء في عطش متبوع بعطش •

وهذا الاحساس يلقي على الارادة شوقا حادا ويدفعها الى اتخاذ الخطوة اللازمة نحو الهدف • وبالفعل تحركت الخطى وسار الشاعر وهو يحس ان الابعاد تذوب في خطواته كما يذوب الزمن في هنيهات الرؤيا الحالمة • وما تراءى الحي حتى تراءت ليلى من بعيد على ربواته وحول خيامه لا كما تتراءى الحبيبة المقدسة ، بل كما يتراءى « الانذار » الذي يأخذ شكل الوعيد ، ويشير الى النهاية السيئة •

لقد كانت سافرة ، وكان للسفور في هذه اللحظة معنى غير معناه • انه اشارة ضوئية تلعب نفس اللعبة التي يلعبها الضوء الاحمر على مفترق الطرق • وبالقدر الذي كانت ليلى ذكية في انارة الاشارة كان توبة ذكيا في التغلغل الى الاعماق ، وفي فهم المقصود فهما أخفقت معه الاحبولة الماكرة التي أعدت للالتفاف حول عنقه ، ونجا من الوقوع في الخيوط المعقدة •

---

١ ـ اوقع البيت المذكور شارحيه في خلاف . وقد فهمه بعضهم : « وان كان كل يوم حولا في طوله فانه يقصر علي » كما فهمه آخر : « لم املها ولو زرتها حولا لاحدث كل يوم بشاشة » على ان المقصود واضح وان كان الشاعر غير موفق في التعبير .

ظن او اعتقد انه سيجد المواساة او التسلية او التوجع بعد شكواه لم يجد شيئا من ذلك ، بل وجد استخفافا بعواطفه واستهتارا بقوة الرابطة القائمة بينه وبين ليلاه . وكان بامكانه ان يرد على الموقف الكوميدي بموقف مماثل ويتخذ منه ملهاة تحول اولئك « الرجال » الى سخرية ، ولكن هيهات ... ان الشاعر لا يزال في المركز الرئيسي من دائرة المأساة ، وانسان في مثل هذه النقطة يصعب عليه الانطلاق من الضد الى الضد والقفز فوق حبل بهلواني منصوب للاصطياد . ولذلك فرض الموقف التراجيدي شكلا آخر ، واتخذ رؤية جديدة قائمة على الايضاح والتعليم لمحاولة خلق نفسية جديدة قادرة على فهم الحالة النفسية التي يكابدها توبة .

فالذين يعتقدون ان « نأيها لا يضير » بحاجة لان يعرفوا أشياء في منتهى البساطة .. بحاجة لان يعرفوا ، مثلا ، ان « ما شف النفوس » لا يمكن ان يكون عسلا ان لم يكن حنظلا . واذا كان هؤلاء يعرفون ان البكاء يؤذي العيون ويحول بينها وبين النوم فكيف يجهلون « ما شف النفوس » ؟

على هذه الارضية من الموازنة يعتمد توبة في ايقاظ الادراك النائم ويحاول ان ينقله الى الاحاطة بالاشياء ، فالاذى الذي يلحق العين من البكاء شيء حسي يحمل آثاره في الاشفار وتكسر أهدابها ، والاذى الذي يلحق النفس من وراء البعد ، وان كان شيئا خفيا متواريا في الداخل ، يحمل هو الآخر آثاره في الملامح والقسمات ، ومعناه ان المادي والمعنوي يشتركان في ترك الآثار على جوانب مادية لها قيمتها في الموصول الى الادراك . وقد اكتفى الشاعر بهذا المثل الخاطف ، ولم يكلف نفسه اكثر وذلك ثقة منه ، على ما يظهر ، بقدرته على الاناع ، وانتقل بسرعة مماثلة الى الحديث عن « المعاناة » المرة التي يلاقيها من هوى ليلى ، ومن تأثيره في نفسه .

قيل لانشتاين ذات مرة : « هل تستطيع ان تحدد لنا نظرية النسبية في كلمات محدودة ؟ » فاجاب : « اذا جلست على حديد محمي دقيقة واحدة فكم تكون الدقيقة ؟ » وجاءه الجواب : « سنة » واعاد السؤال : « واذا جلست في حضن حبيبتك سنة فكم تكون السنة ؟ » وكان الجواب : « دقيقة » ! فقال : « هذه هي النظرية النسبية » وتوبة يرى الرؤيا نفسها . انه يسد الزمن حتى

لها مكانا في روحه • ولكن نعش الاساطير مر على المقابر واقام فيها قبل ان تلد الحياة توبة وان كان الحب لا يزال ريشة ملونة في جناح الاسطورة •

اللفظ المشترك بين « نار » العاشق التي لاحت تحت الجبل او « اليفاع » على تعبيره و « نار » النبي التي لاحت على الطور ، يخط لونا قائما على تناقض مثير بين الوقفتين في النظرة الى هذا المشترك اللفظي ، فنظرة العاشق قانعة مكتفية بما فرض على الحياة ، او بما شاءت الظروف ، او بما شاء القدر • بينما كانت نظرة النبي تحاول ان تمزق المستحيل ، وتطلب رؤية الله نفسه وراء النار • وبين هذا النوع من القناعة وهذا النوع من الطمع تنسبج الذكرى خيوطا تتحرك بين الضفتين ، وتقفز من النقيض الى النقيض • ويمر امامها الانسان على مثل هذا الشريط الذي تقف وراءه الحياة بكل ما فيها من زخم التناقض وحدته وجبروته الذي لا يعرف الحدود • ومن هذا التناقض الصارخ يجد التطور نوافذه التي يطل منها في كل لحظة على الوجود •

ولكن هذه القناعة التي تتراءى وكأنها مكتفية برؤية النار لا تكاد تستقر قليلا في الذهن حتى يرتفع الستار عن صورة اخرى توحي ، ان لم تؤكد ، بأن تلك القناعة لم تكن سوى لعبة من اللعب التي تتسلى بها النفس عن الاخفاق الذي لا يعرف الحدود • ومن هذا التناقض الصارخ يجد التطور نوافذه التي تعبيرا دقيقا عندما قال :

كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه وقد يئسنا •• فما لليأس يغرينا ؟!

ولا يبعد ان يكون الاكتفاء برؤية النار من فصيلة هذا اليأس الذي يغري المصاب به لا بالزيارة المجردة ، بل بما هو ابعد منها •

وبالرغم من كل ما يشير الى الاكتفاء برؤية الاشياء التي لها علاقة قريبة او بعيدة بليلى فان الاصرار على رؤيتها بالذات وعلى زيارتها أيضا ، يبقى الشيء الجوهري المقصود بذاته • واذا أدى ذلك الى لومه او معاقبة ليلى وانتفاضة زوجها ، انبرى للرد العنيف • وقد لا يكتفي بالدفاع عن نفسه وتبرير موقفه ، بل يقلب الموقف ويلقي على الزوج اوصافا يستطيع ، بواسطتها ، ان يتحول من نقطة الدفاع الى الهجوم :

كان على الوجه السافر خيط « اريان » الذي تتحدث الاسطورة عن قدرته على الهداية ومقدرته في اضاءة الدهاليز الملتوية التي تتراقص في فضائها الاشباح. وكان لهذا الخيط فضل في زوغان العاشق عن الضربة الهدامة التي اعدها له الحي .

كانت اللعبة بارعة ، وكانت براعتها جبارة في المحافظة على حياة الشاعر ، ولكن النشوة التي كانت تعده بالجنة الخالدة تحولت الى خيبة مرة ، او هزيمة من اشد الهزائم قسوة واوجاعا . وكان المنتظر ان ينشأ من هذا الموقف الدرامي موقفا يعيد للدافع حيويته وحركته ونشاطه ، ولكن الذي كان غير ذلك .!

البطولة ترفض الهزائم ، واذا قبلتها فلن يكون قبولها سوى لحظة يتبعها الرفض الابدي الذي لا هوادة فيه . وتوبة بطل تعرفه البوادي ، وفارس تعرفه الخيل . فكيف تخلى عن بطولته ، وترك الساحة بهذه البساطة ، واقتنع من المغامرة بالنجاة ؟ الاسئلة وجيهة لو كانت الساحة ساحة معركة تلعب البطولة فيها دورها الشجاع ، ولكن الساحة شيء آخر ... شيء مرهف حساس يكاد يكون شبح العاشق فيه ، بله وجوده ، سلاحا من اسلحة الفضيحة التي تحول انسانة عزيزة عليه الى مضغة في الافواه . فكيف يكون الامر اذا انقلب الشبح الى وجود متحرك ، وانقلب الوجود الى معركة تلعب فيها السيوف ، وتتعالى حولها حمحمة الخيول الغاضبة .!

هذا السبب ، على ما اعتقد ، هو الذي ترك الموقف الدرامي يتفجر تفجرا بالدنيا ، وخلى العاشق ينسل كما ينسل الشبح الخفي ، ويترك الساحة لفرسان الهواء .

وفي هذه اللحظة الخائبة أصبحت ليلى ولقاؤها شيئا فوق اليد .. شيئا أبعد من الافق ، ولكن « نار ليلى » تبقى في مستوى العيون ، واذا خاب الرجاء في رؤية ليلى كانت « نارها » بلسما للقلب . واذا كانت النار هي الاخرى بعيدة ، وكانت فوق الرؤية ، كانت رؤية العينين اللتين قدر لهما ان تراها ، كافية .

قناعة رائعة تكاد تحول هذه « المخلوقة » البدوية من انسانة لا الى اله فقط ، بل الى اله الآلهة لو قدر للاسطورة ان تبقى حية الى زمان توبة ، وتجد

او خلل في نظام الكون •

واذا كان التاريخ يتحرك في مثل هذا الاطار الكز فان ليلى تدك هذا الاطار، وتقف وراءه في صورة من صور التحدي الغريب الذي يقترب من الاسطورة •

في اللحظة التي تبدأ المعركة الحاسمة بين توبة وخصومه يظهر في الساحة أخوه عبيد الله وابن عمه قابض • وتدور الرحى حادة تذوب تحت دورانها الارواح • ويرى قابض ان المعركة اكبر منه فيترك الميدان ويهرب • اما أخوه عبيد الله فيصمد حتى تنقطع ساقه • وتنفعل ليلى وتتحدث عن المعركة ، وتقارن بين هزيمة قابض وصمود عبيد الله :

دعا قابضا والموت يخفق ظله   وما قابض ، اذ لم يجب ، بنجيب

وآسى عبيد الله ثم ابن أمه   ولو شاء نجى ، يوم ذاك ، حبيبي

وفي البيتين عاطفة قوية تتراوح بين الالم والتقدير • وفيهما فوق ذلك اعتراف بأن توبة « حبيب » او بأنه لا يزال حبيبا وان ضمه التراب • ومثل هذا الاعتراف من امرأة متزوجة يكاد يكون جريمة ان لم يكن جريمة بالفعل •

وعندما تمر على الهضبة التي قتل فيها توبة لم تقف عندها وتكتفي بالوقوف كما يفعل العاشقون عادة ، بل وقفت وضربت على الانصاب قوائم « المقرم » ــ وكان لزوجها ــ بالسيف • ولم يكن هذا العمل تكريما لتوبة فقط ، وانما كان ردا على الموقف الباهت الذي وقفه اقاربه ، فقد كان عليهم ان يكرموا ابطالهم في تكريم توبة فتى الفتيان • ولكنهم تواروا واختفوا عن المسرح كما تختفي الاضواء وراء الستائر السود في لحظات الحرب • واذا توارى الاهل واختفروا الذمم ولم يحافظوا على الامانة ظهرت ليلى وراء الهضبة التي ثوى في ترابها الحبيب وصانت الامانة التي فرضتها على نفسها او فرضها عليها الحب •

ومرة أخرى تمر على قبر توبة ومعها زوجها ، ثم تقف امام القبر وتلقي عليه تحية • وفي هذه التحية تختلف الرواية بين قائل بانها هي التي ارادتها وان زوجها نهاها عنها وقائل ان الزوج ارغمها عليها • ووراء التحية يقف البيتان المشهوران :

لعلك يـا تيسا نـزا فـي مريرة معاقب ليلـى ان تـرانـي أزورهـا
واني اذا ما زرتها قلت «يا اسلمي» فهل كان في قولي «اسلمي» ما يضيرها

وهو قول فيه من البراءة بقدر ما فيه من الطهـر ، ولا يستوجب شيئا مـن الريبة بله العقوبة . واذا قورنت هـذه الوقفة البريئـة الطاهـرة بوقفة ذلـك « التيس » الذي ينزو في المريرة نشأ عن ذلك صورة حية تتراءى فيها الاضداد الصارخة وهي تحمل من الاثارة والتحريض على احد الضدين بقدر ما تحمل من الكاريكاتور . وبذلك تظهر التحية البريئة وكأنها ضحية مظلومة تصيح على طول المدى وتصب اللعنة على القاتل الظالم .

وقد وفق الشاعر توفيقا رائعا في خلق الصورة التي أرادها . وبخلق هـذه الصورة الفنية البديعة خلق في نفس القاريء تجاوبا منحازا اليه ، كما خلق فـي الوقت نفسه شعورا قائما على الكره لغريمه .

ان الغريم ، وهو الزوج ، يتراءى في الشعر كمـا يتراءى في الرواية انسانا معبأ بما يشبه الكبريت ، وانسان في مثل هذه التعبئة يكاد يكون قطعة ملتهبة في كل لحظة . وحياته اهتزاز متواصل وتشنج بعد تشنج .

والذي زاد المأساة عمقا ان ليلى لم تكن معنى حرفيا قائمـا في غيره ، بـل كانت عالما قائما بذاته منفصلا عن كل ما نعرفه عن المرأة وعمـا حيك حولها مـن تاريخ وقصص واخبار وخرافات . او تاريخا متكاملا ليس له « قبل » ولا يكـاد يكون له « بعد » . تاريخا يبدأ من الصفر ، ويبقى أو يكاد يبقى في هذه النقطة وحيدا غريبا لا يجرؤ ان ينضم اليه أحد في أي عصر او في أي جيل من الاجيال . وانسانة بهذا الحجم لا يمكن ان تكون الحيلولة بينها وبين التعبير عـن عواطفها وخوالجها سوى ورطة تفوق كل ورطة . وهذا الذي كان .

ما هي القصة ؟ الملمون بتاريخ العرب في ذلـك العصر خاصة يعرفون كيف كانت نظرتهم للمرأة ، ويعرفون أن المرأة لـم تكـن تعرف نفسها سوى أنثـى ضعيفة . وعندما تكون في مجتمع مثل هذا المجتمع البدوي الـذي نـذر نفسه لاشد الافكار تقوقعا ، واقوى الاقفاص فولاذا لا يمكن ان يكـون للانسان أي انسان فيه شخصية بله الانثى التي كان التبشير بمجيئها نوعا من التبشير بكارثة

الكلمات في تعبيرها عن الحب تفقد المبالغة فيها معناها • بل ربما كانت قاصرة ، مهما ابتعدت ، في اداء الرؤيا • وفي ضوء هذه الملاحظة نستبعد ان يصدر عن ليلى مثل هذا القول : « ما عرفت له كذبة قبل الآن ! »

في الوقت نفسه لا نستبعد ان تطلب المرور على القبر ، وان تلقي عليه التحية المناسبة ، لان ذلك يتناسب ، او لا يتنافى على الاقل ، مع ما عرفت به من قوة الشخصية وقوة الوفاء • والتي تعقر بعير زوجها على أنصاب القبر لا يستكثر عليها ان تطلب المرور عليه وتسلم •

وكما يجد الجرح نوعا من البلسم في المرور على القبر والقاء التحية على توبة النائم تحت جنادله تجد اللوعة نافذة في التفلت مرة ثانية الى المعركة التي اودت بتوبة وخلته تحت الصفائح • واذا ذكرت المعركة فلا بد ان يذكر معها « قابض » وتذكر معه التبعة التي تفرضها الوشيجة والقربى على الاهل ، فليلى تشعر شعورا حادا بأن المعركة بين توبة وبني عوف لم تكن متكافئة ، وان قابضا مسؤول عن اختلال التوازن ، ومسؤول ، بالتالي ، عن مصير ابن عمه ، وعن دمه الذي أراقه بنو عوف •

قد تستريح النفس اذا شعرت بأن القدر كان اكبر منها عندما يخطف انسانا عزيزا عليها وتستسلم الى الذي كان • اما اذا شعرت بأنها لم تكن في المستوى المطلوب ، او بأن الاعوان لم يكونوا عونا للحياة على الموت بل كانوا عونا للموت على الحياة ، فان الشعور يتحول الى عذاب داخلي ، او سياط لساعة تدور حول اولئك الذين ساعدوا القدر على لعبته • وهذا هو السر في ذلك الالحاح على الدور الخياني الذي لعبه قابض في سير المأساة • وقد رأيناه فيما تقدم ، والموت يخفق ظله ، متغاضيا عن نداء ابن عمه ، او جبانا يؤثر الحياة على الموت • ونراه الآن « يتخلى عن ابي حرب ، وينهزم قبل ان يبدأ القتال » • وقد استعان على هزيمته بجواده الذي كان من خيار الخيل •

يظهر الجواد في هذه اللحظة الحرجة بكل ما فيه من أصالة ، وبكل ما له من نسب عريق • والخيول الاصيلة تعرف ما يراد منها في لحظات الرعب ، وهي تمتلك احساسا مرهفا يلتقط حفيف النسيم بله الزئير في هبوب العاصفة • وقد

ولــو أن ليلــى الاخيلية سلمت علي ودونــي جنــدل وصفائــح
لسلمت تسليــم البشاشة أو زقــا اليها صدى من جانب القبر صائح

والذي روى ان ليلى أرادت التحية قرن ذلك بقولها : « ما عرفت لــه كذبة قبل الآن » والذي روى ان زوجها طلب ذلك منها علله بأنــه أراد تكذيب توبة • ثم تتخذ الحادثة طابعا اسطوريا ينتهي بموت ليلى • وبعدئــذ تدفنها الاسطورة الى جانبه ، وينبت على كل قبر فيما بعد شجرة ، وتأخــذ الشجرتان المنفصلتان ، في بادىء الامر ، بالنمو ، حتى اذا طالتا تعانقتا والتفتا على بعضهما ، وكونتا نوعا من الوحدة • وهاتان الشجرتان اللتان تعانقتا على قبري توبة وليلى تعانقتا أيضا على قبري عروة وعفراء • ولا يخفى ان عفراء كانت مثــل ليلــى متزوجة مــن رجل آخر •

مهما تكن الدوافع التي دعت الاسطورة الى مثل هذه النهاية فمن الممكن ان تكون البداية معقولة • ولا نستبعد الجانب الذي يــرى أن الزوج فرض التحية على ليلى ، أو حاول ان يفرضها عليها • والسبب في ذلك واضح ، فالموتى موتى، ولا يمكن أن يردوا سلاما او تحية • ولما قال توبة ما قال كان ذلك شعرا ، وكان مبالغة في الاخلاص والوفاء ، كما كان مبالغة من ناحية اخرى في قدرة ليلى علــى احياء الموتى • وربما كان الزوج على علم بهذه البداءة ، ولكنه تغاضى عــن علمه وحمل الالفاظ معانيها المألوفة وتجاوز عن المعاني المجازية بدافع معروف • وطلب ما طلب وهو واثق بأن التحية لا تجاب • وعندها تجد الشماتة ابتسامة جديــدة ، ويجد الحقد تعبيرا متشفيا في النظرات والملامح •

اما ان تكون ليلى هي البادئة لتقول بعد ذلك كلمتها السابقة فغير مفهوم ، ولا يتناسب ابدا مع ذكائها واخلاصها • فليلى فيما عرفنا وفيمــا سنعرف عــلى جانب كبير من الذكاء ، وعلى جانب اكبــر مــن الاخلاص • ومحاولــة امتحان الاحباب ، وهم موتى ، في « الصدف » وضع للموتى في مستوى الاحياء • واذا جاز ذلك على غير ليلى فلا يجوز عليها ولا يصح ان توجه اليها مثل هذه التهمة ، فليلى تعرف ان حبيبها صادق ، وتعرف انه لم يكن في يوم من الايام بحاجة الــى امتحان • وليلى شاعرة أيضا ، ولا تقل شاعرية عن توبة • والشاعــرة تعرف ان

معه الجواد الذي فر به ، ويلوح وراءه نداء توبة • ولكن النداء يخفق ولا يجد الاذن التي تتلقى نبراته ، ويبقى الفارس الهارب في ركاب حصانه الذي يلعب في خواصره ، ويدغدغه حتى يدفعه الى الطيران •

لا تسخر ليلى في هذه المرة من الفرار ، ولا ترى جبنا في هذه الهزيمة ، بل ترى غدرا وما يرافق الغدر من قبح شنيع • وفي مرايا الرؤية الجديدة لا تبقى في ذلك العنفوان الذي كانت تشرف منه على الخيال الراخي عنان جواده ، بل تتراءى وكأنها نفس خافت يلوذ بالمرارة ويعتصم بالشجا الكئيب •

فليلى في اللحظة الجديدة تختلف عن ليلى التي كانت تتابع « قابضا » في كل خطواته وترصد حركاته رصدا يزودها بالالوان التي تعينها على اخراج الصور المضحكة • لقد كان ذلك ساعة الهزيمة من الموت عندما كان جواده يهوى به هوي الصقور • أما الآن وقد مات توبة ونجا قابض فلم يبق في خيالها سوى الصور المتضادة التي تتنقل بين بطن الارض التي اخذت حبيبها واديمها الذي يتحرك فوقه قابض ويسير عليه •

هذه الصورة دفعتها الى الاعماق ولم تعد تتلمس فيها سوى الاحزان ، واذا تراكم الحزن على النفس ضاعت في متاهته • ويمكن ان يكون هذا هو السبب في الموقف الجديد الذي يدعو على قابض بالشر ، ويطلب له « الجزاء » على صنيعه بمثله • وهو موقف عاجز متخاذل يلوح وراءه اللهاث المتعب •

وربما يكون هذا الدعاء ، على ما فيه ، مقبول ، وقد يكون له وجه لو وقف الامر عنده ولم يقترن بأمنية تبدو وكأنها شيء غريب ، فقد تمنت ، وهي تدعو على قابض بالشر ، ان يكون عبيد الله بدل توبة ، وان يكون الموت له لا لاخيه •

وقفة عبيد الله كانت من وقفات الشرف كما رأينا سابقا في تقدير ليلى وتثمينها لهذه الوقفة وثنائها على الاخ • ولكن الحرص على توبة وعلى بقائه حيا تجاوز القيم الاخرى وابقاه وحده في مركز الدائرة •

عرفنا ان عبيد الله صمد في المعركة وظل يدافع عن أخيه حتى قطعت ساقه، واكبرت ليلى هذا الصمود • ولكنها ، بالرغم من ذلك ، تمنت ان يكون عبيد الله

كان جواد قابض من الخيل التي تعرف كيف تستفيد من ارخاء الاعنة ، وكيف نستعير من السهام انطلاقها ، وكيف تترامى مثلها في المسافات البعيدة • وكانت هذه السرعة التي يتمتع بها جواد الفارس المهزوم كافية لطمأنينة راكبه على حياته ووصوله الى شاطيء الامان • ولكن ليلى تأبى الا ان تحول بين الامان وفؤاد الفارس حتى في هذه اللحظة التي يقوم فيها الجواد بما يشبه المعجزات •

ان الجهد الهائل الذي يبذله الجواد الاصيل في ادخال الطمأنينة على قلب فارسه لم يكن كافيا ، ولذلك ظل يلح عليه في بذل جهد اكبر ، وكانت مظاهر الالحاح بادية في ضرب الجواد وغمزه في جانبه الايسر حتى راح « يهوي هوي الصقر » بالقدر الذي حاول توبة ان يخرج ذلك الاذلفي في صورة مضحكة تحاول ليلى هنا ان تخرج قابضا في صورة اكثر اضحاكا وابعد سخرية •

ان الخوف بحد ذاته صفة من الصفات المستهجنة التي تتنكر لها اخلاق العروبة الاصيلة • واذا تخلى الخائف ، ولا بد ان يتخلى ، في ساعة المحنة عن ذوي القربى تحول الخوف في نفسه الى عار • فكيف به اذا انقلب الى هزيمة ذليلة لا تعرف كيف تبتعد عن الموت ؟! لقد كانت طاقة الجواد المبذولة كافية لرد الخوف ، وكانت سرعته الخاطفة قادرة على تخفيف الرعب ، وكان على فارسه ان يدعه وشأنه ما دام يسبح فيه ويطوي الارض طي السجل • ولكن الفارس الخائف أبى ، فوق ذلك ، الا ان يغمز خواصر الوجاد ، ويدقها برجليه دقا تهتز في صوته الكمية المريعة من الجبن الذي ينطوي عليه قلب الفارس •

ان القلم الذي استطاع ان ينفض هذه الالوان قلم صناع ، والريشة التي ابدعت تناسقها ريشة ماهرة ، ولو اكتفت بها ووقفت عندها لكان في ذلك ما يطفيء الغليل • ولكن ليلى لا تكتفي ولا تحب الوقوف ، بل تحاول ان تجعل من قابض طللا او دمنة بالية •

فالعذاب الذي تعانيه ، والالم الذي تكابده يكاد يكون بداية بلا نهاية ، او نقطة تتحول الى خط بلا حدود • وفي مثل هذه الدوامة تنشأ حالة نفسية تختنق فيها المقاييس وتضطرب اولى البداهة المنطقية ، وتفقد الموازين ضوابطها الدقيقة الحادة • وفي بؤرة الالم والمشاعر الملتهبة يلوح « قابض » مرة أخرى ، ويلوح

الإمام محمد عبده

بين الدين والفلسفة

بقلم : حمدي ابراهيم عيسى

ان الله جلت قدرته يعطي الدنيا لمن يشاء من البشر سواء احب ام لم يحب، ويعطي الحكمة والدين لمن أحب ، فاذا اعطى عبدا من عباده الحكمة وفصل الخطاب خضع له مجتمعه واداته بسادئه فلاسفة عصره .

ونريد ان نلقي الضوء على شخصية اسلامية لها مكانتها الاجتماعية في الزمن السابق والزمن اللاحق .

ويحق لنا أن نتحدث عن الامام المصلح المجدد الشيخ محمد عبده حيثأعطى لامته من الفكر والعلم ما جعلنا نعتبره منهجا نسير عليه .

ولقد كان في غاية التواضع اذ اعترف بفضل معلمه واستاذه رائد النهضة الفكرية السيد جمال الدين الافغاني ، حيث جمعت ظروف الامة العربية وحاجتها الى النهضة والتقدم بين الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الافغاني .

ولقد قال الامام محمد عبده كلمته المشهورة « ان ابي وهبني حياة يشاركني فيها اخواي علي ومحروس والسيد جمال الدين وهبني حياة اشارك فيها محمدا وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام والاولياء والقديسين » .

ومن تلك اللحظة التقت هذه العوامل كلها في نفس الامام بذكاء فذ وتفكير عميق وبديهة حاضرة وايمان مطلق بوطنه ودينه .

دوره في الاصلاح الديني :

رأى الامام محمد عبده ان الدين الاسلامي الحنيف هو دين التوحيد وهو يسر لا عسر لا التواء ولا تعقيد وأنه لا تعارض بينه وبين المدنية لان اكثر القيم والمثل والمبادىء التي تنادي بها المدنية الحديثة تستمد أصولها منه .

بذل اقصى جهده من اجل تخليص الدين من الخرافات محتفظا بالجوهر

فداء لتوبة ، وان يكون النعي له لا لاخيه :

فليت عبيد الله كان مكانه   صريعا ، ولم اسمع لتوبة ناعيـا

قد تكون هذه الامنية رهيبة ، وقد يحس الانسان امامها بشيء من الجفلة كما يحس بشيء من الهلع على القيم التي تذوبها الامنية وتمحوها مـن الوجود ، فعبيد الله شهم وشجاع ، وقد فعل كل ما تهـواه الشهامة والاريحيـة ، ووقف الوقفة التي تفرضها الشجاعة وحاول ان يصون أخاه من الموت ولا تستحق بطولته سوى الاكبار ٠ وليلى تكبر البطولة والنبل وما يتفرع عنهما من اخلاق ٠ وكـل قصائدها في توبة تمجيد لهذه الصفات التي تجسدت في وقفة أخيه ٠ فكيف تمنت مثل هذه الامنية التي تلقي الضباب والذبول على صورتها الحيـة المشرقة التـي عرفناها عنها فيما مضى ؟!

لا يستكثر على الشاعرة ان تحرص على حبيبها وعلى بقائـه الذي تحملـه نورا في جبينها وحيوية في قلبها ٠ ولكن هذه الامنية تكاد تكون شيئا دخيلا على مشاعرها الشفافة الغنية بالفضائل ٠ فكيف سمحت لهـذا الشيء الدخيل الغريب ان يغشى نفسها ويظهر على لسانها ؟!

هناك لحظات في الحياة أقوى ، على ما يظهر ، مـن جميع المقاييس الـتي سنتها الاخلاق ، وهي لحظات مملـوءة بالنشوة والسعـادة ٠ واذا مرت عـلى الانسان او على بعض الناس طلب لها الامتداد الذي يسري بها الى خضم الازل، ويدخلها في امواجه التي لا تعرف النهاية ٠ واللحظة التي تلد العاطفة المتبادلة بين قلبين من هذه اللحظات التي تبدأ فيها الرواية الطويلة ، وهي مشغوفة ، كما قلنا، بالتغلغل في تخوم الزمن ٠ ولن يبقى ذلك الامتداد الا اذا بقي التبادل المشترك ٠ ولن يبقى التبادل الا اذا بقي الطرفـان اللـذان يزودانهـا بالنشوة ٠ فاذا غاب احدهما الغياب الذي لا يرجى بعده لـقاء انقلبت النشوة الـى شقاء ، وتحولت السعادة الى بؤس ٠ ولذلك كان هذا الحرص الشديد عـلى بقـاء توبة حيا ٠ وسنرى فيما بعد بقية الجوانب في هذا الموضوع ، فقد طال البحث ، وقد يكون كثيرا على صحيفة سيارة ٠

بغـداد   محمد شرارة

تلقى على عاتق اصحابها .

٣ ـ الاوامـر الالهية :

وهو يرى في ذلك ان الاوامر الالهية لا يكون لها قيمة اذا لم يكن للانسان الاختيار في ان يطيعها أو يعصيها .

٤ ـ احكـام الشريعـة :

يرى الامام محمد عبده ان احكام الشريعة قامت على اساس حرية الانسان ومسؤوليته عن ما يقوم به من افعال سواء للخير المحض او للشر المحض .

٥ ـ الآيـات القرآنية :

يرى الامام ان الآيات القرآنية تنسب الفعل الى الانسان صراحة وقد ذكر ذلك في بضع آيات من القرآن .

مكـانتـه :

يعود الامام بعد ذلك ليفند ما قال من آراء في الجبرية ، فهو يرى ان حرية الاختيار عند الانسان محدودة ولكنها مطلقة عند الله سبحانه وتعالى ، والاسباب التي دعت الامام محمد عبده للدفاع عن حرية الارادة هـو انتشار التواكل بين العامة نتيجة الجبر وبسبب الاستعمار والحكام وبعض المتصوفين .

وقد أوضح ذلك ليقضي على الافكار الفاسدة ، ففرق بين التوكل والتواكل الذي يعني الثقة بالله مع الاخذ بالاسباب وبين التواكـل الـذي يعني التكاسل وعدم الاكتراث استنادا الى القضاء والقدر .

ولقد فسر قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف :

« لو انكم متوكلون على الله حق توكله لرزقكم كـما يرزق الطير تغـدو خماصا وتعود بطانا » .

فيرى ان الطير لا تحصل على رزقها الا بالسعي والعمل والا لقـال الرسول

الحقيقي للاسلام ورأى ان الوصول الى الغايات والاهداف لا يكون الا بالمحافظة على تعاليم الاسلام وتطبيقها تطبيقا يتناسب مع الفكر الواقعي مجـردا مما يعلق بالعقل من آراء فاسدة متخذا في ذلك منهجا قويما هو الكتاب والسنة والاجتهاد والـقياس •

لذلك كثر اتباعه وارتفعت كلمته فظـل مرفوع الرأس يخشاه كـل حاكم جائر ، خاصمه الجاحدون من رجال الدين ، وحاربه الرجعيون مـن السياسيين ، وحوكم وحكم عليه بالنفي ولكن ذلك لم يثنيه عن دعوته •

رأيه في التنظيم الاجتماعي :

رأى ان المسؤول الاول عن الفرد هي الاسرة باعتبار أنهـا احـدى عناصر تكوين المجتمع الانساني ، فاذا رسخت فيها الفضائل تكـون المجتمـع الانساني الصحيح الذي هو اشبه ما يكون بجمهورية افلاطون في المجتمع المثالـي الـذي يسوده الحب والوفاء وترفرف عليه راية السعادة •

ولقد دافع عن الدين الاسلامي دفاع الابطال في وسائلـه للاصلاح وظهـر ذلك جليا في مؤلفاته كمقامات بديع الزمان الهمذاني ودلائـل الاعجـاز واسرار البلاغة ، كما انشأ جمعية احياء الكتب •

موقف الامام الفلسفي من الجبر والاختيار :

جاء الامام في عصر الفلسفات والتراجم ، فكان لا بد وان يتخذ موقفا معينا للرد على هؤلاء الفلاسفة ، فأوضح موقفه من الجبر والاختيار بما يأتي :

١ ـ شهـادة الوجـدان :

وقد رأى الامام محمد عبده في ذلك بان سليم العقل يقر بانه موجود مـن غير دليل يهديه ولا مرشد يرشده فكذلـك ايضا يشهد أنـه مـدرك لاعمالـه الاختيارية يزن نتائجها بعقله ويقدرها بارادته ثم يصدرها بقدرته •

٢ ـ الاجمـاع :

رأى الامام محمد عبده ان اجماع الناس على نسبة الافعـال ومسؤوليتها

رسوم

ولكن إلى أين المصير؟!

بقلم: السيد علي ابراهيم

اول ما لفت نظري بجارنا عاصي شعر رأسه ولحيته ، وهذه الثياب الملتصقة بجسمه التي توشك ان تقيده وتغله ، وميله الشديد للغرابة في شكله وافكاره ، وهو فتى غض الاهاب ندي العود لم يستقبل بعد غير عامه العشرين ، وكنت استعرض في ذهني السنين الخالية ، وارجع للعصور الماضية مرددا ، التاريخ يعيد نفسه ، مرت ازمنة متعاقبة على اللحى وهي محل اهتمام الناس وعنايتهم ، اوحت للشعراء القدامى ، ووقف عندها المفكرون ، وها هي اليوم تحتل في المجتمع مكان الصدارة من جديد •

حاولت ان افهم نهجه وطريقته بالتفكير واسلوبه في الحياة ، فنحن بامس الحاجة لمعرفة ما يحيط بنا ويبقى العالم عالما ما طلب العلم ، فان ظن انه علم فقد جهل • سمعت عنه انه احد الشباب المتحرر الداعي للتجديد والتطور ، وسمعت ان الامور بينه وبين أهله ليست على ما يرام لانه متطرف عابث كثيرا ما يريد ان يحملهم على غير ما يشتهون ، وهو في ذهابه وايابه عندما نلتقي لا يعدو معي التحية التي لا تعبر عن شيء ، وتشاء الصدف ان تكثر اجتماعاتنا ويتعدد اللقاء بيننا ذلك انه ارتبط مع احد بني بما يشبه الصداقة فكنت ادخل عليهما احيانا دون دعوة حبا بالبحث والتنقيب والنبش عن دفائن النفس الانسانية ، وقد طال عجبي بعد معرفته على حقيقته واشتدت حيرتي فلم يكن الدافع لهذه اللحية الكثة الكريمة والشعر الطويل ، سوى حب التفرد بعمل ليس له غاية كأنه يثبت به وجوده ويدلل على شخصيته ، نوع من العناد للمجتمع وددت ان يكون له هدف لافهمه وأحاول الاستفادة منه ، ولم يكن عناده مبنيا على نظرية او رغبة عاقلة واعية وانما يقول لك اريد هذا وكفى فأما كيف يعالج شؤون العلم والفكر ، والى اين وصلت به التعبئة لما ظن انه وعى من كتب ونظريات ، وكيف هو حاله مع المناهج الدراسية التي مر بها مرور الكرام والتي خلقت لنا جيلا بعيدا عن الانسجام فعلم ذلك عند ربي ، قلت له ذات يوم : ولكن الى اين المصير يا بني

صلى الله عليه وسلم لرزقكم كما يرزق الطير تلبث في اعشاشها وتفتح افواهها فتصبح خماصا وتمسي بطانا •

رحم الله امامنا وطيب ثراه •

فلقد تغلغلت دعوته للاصلاح في نفوس تلاميذه دعاة حملوا الشعلة من بعده بعد ان فاضت روحه الى بارئها في يوليو سنة ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٥ م عن ستة وخمسين عاما عامرة بالايمان والكفاح والدعوة الى الاصلاح وانارة العقول •

القاهرة — حمدي ابراهيم عيسى



ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

ومـا التيه طبـي فيهم غير انـني　　بغيض الـي الجاهـل المتعاقـل

واحب ان اسألك ، هل احسست بما تكتب وتنظـم ؟ وهـل كنت تعيش العواطف والافكار التي تقولها ؟ ام انت بان ينهار بناؤه قبل ان يخرج منه ؟ وهل دعتك نفسك والح عليك الميل الآسر لتسير في هذا الطريق ام هـو الفراغ وحب الظهور من اخصر طريق ظننت انه يوصلك الى الغاية ؟ ، ليس هـذا هـو الادب الذي ابقى الشعراء وخلدهم وجعل منهم منائر تهدى السارين في الظلمات ، ليس هذا هو شأن الذين ازهرت قلوبهم فانارت افكارهم وحملوا رسالة الحق والحب مدى الازمنة والعصور ، يبدو ان السماء لم تمسح على بصرك وبصيرتك لتكون اديبا ، فعلام هذه الضجة والى م هذا العناء والمشقة ؟ الا تشغل نفسك بما يعود عليك وعلى غيرك بالمنفعة :

اذا لـم تستطع شيئا فدعـه　　وجاوزه الـى مـا تستطيع

قال لي : لقد سمعت من غيرك ثناء وتشجيعا ، ومرت علي سنون وانا فـي هذا الحقل فهل تطلب مني ان اخرج منه صفر اليدين بعد ان بنيت الآمال الكبار ونشرت والفت • قلت هذي مصيبتنا الـتي نشكو منهـا تضاف الـى نوائبنـا وارزائنـا :

فـتنة الـناس وقينـا ـالفتنـا　　باطـل الحمـد ومكذوب الـثنا
سكت الناس عـلى الناس بـما　　سمعـوا منهـم وغضوا الاعينـا
فاستحالت وانـا مـن بعضهـم　　اذنـي عينـا وعيـني اذنـا

لم يعد للكلمة عندنا مدلول والحقيقة لا عين لها ولا اثر ان اول ما نهتم بـه ويعنينا هو الظاهر ، اما الداخل فلا شأن له بنظرنا ، نستهدف في حياتنا وتصرفنا التقرب الى الناس بمسايرة رغائبهم وميولهم وان لم نعتقد بصحة ذلك وجدواه •

علـي ابراهيم

معكم ، الا ينبغي لكم ان تفكروا بنتيجة الثقافة لجيلكم الحائر الذي هـو املنا وعدتنا للايام السود ، الا يمكن ان تفهم منكم شيئا وكل انسان لـه قابلية فهم الحقيقة اذا وجدت ، لماذا يغني كل منكم على ليلاه وليس لديكم قـدر مشترك تتفقون عليه لنسير خلفكم ساعين مجديـن متعاونين لاسعاد هـذا الوطن وخيره لا نطلب منكم سوى الرجوع لرويتكم وفطنتكم فالسلبية المطلقـة لا يمكن ان تفيد احدا وليست الغوغائية من سبل النهوض بالمجتمع وتطوير الحياة لما هـو افضل واجمل ، وطالما انكم لم تتفقوا على شيء ولم تحققوا املا او توحدوا عملا فلماذا لا تنصرفون في مستهل دراستكم للتزود مـن المعرفة واستيعابها ، ولـن يفوتكم خوض الغمار بالمستقبل القريب فانتم القادة الحقيقيون للمجتمع •

فقال لي يا سيدي : الواقع اننا بحالة يأس منكم وقـد بعدت الشقة فـلا تحاول المستحيل ، وقديما قال الشاعر العربي وأعرفك معنيا بالشعر والادب :

وقام يجمع شملا غير مجتمـع ... منها ويجبر كسرا غير منجبر

ليس هذا هـو الادب

ظن ان الدعاية هي كل شيء فاتقنها وبذل جهوده في سبيلها ، مـا عناه ان يرجع لنفسه ويحاسبها وينظر الى طاقاتها فيستعملها بحكمـة واعتدال ، ولا وقف من مواهبه موقف التواضع والانصاف لتنمو وتزدهر اذا وجـدت ، وانما هـو ضجة في الدنيا تحس بفراغها وخوائها ، وكنت ارثي له وتأخذني به الرحمة عندما اراه لا يهدأ ولا يستقر وهو يتحدث عن مواهبه واذا اتفق له ان نشر قصيدة او كتب كلمة في جريدة تراه متأبطا ذلك المنشور يدور به ويدور ، لا يرحـم سامعا ولا يشفق على عاقل ، يحب ان يقول لك عندما يتمكن من سمعك وانتباهك لقد قال شوقي وقلت : ونظم الاخطل ونظمت ، قلت لـه مرة : ألـم يتفق لـك ان عارضت قول المتنبي :

افي كل يـوم تحت ضبني شويعر ... ضعيف يقاوينـي قصير يطـاول
لساني بنطقـي صامت عنـه عادل ... وقلبي بصمتي ضاحك منـه هازل
واتعب مـن ناداك مـن لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك مـن لا تشاكل

وما اشنع الجمال يوم ينهار عرشه ، ويدنس هيكله ! •••

٣٥

البشر اسرى العواطف ، مهما تعمقوا في الفلسفة ، وارتقوا في العقل ، وغاصوا في التأمل ! ••

٣٦

مهما يتجبر الناس فالله اعظم منهم ، ومهما يحتاطوا فان حيطتهم لا تغني عن الاقدار لا قليلا ولا كثيرا •

٣٧

لا شك في العناية الالهية ، ولا شك في الحظ ، لكن سعي الانسان ضروري لمساعدة العناية ، ولايقاظ الحظ !

٣٨

هفوة لسان ، تخلص حياة انسان في اغلب الاحيان !

٣٩

ليس التسامي اصيلا في طبيعة البشر ، وما المتسامون سوى ابطال ورواد ، يبشرون بانه يمكن الانتصار على الحيوان الكامن في طبيعة الانسان !

٤٠

نحن نشعر بالحب للذين نصنع لهم المعروف ، لاننا وهبنا لهم شيئا من قلوبنا ، وبعضهم يشعر بلا وعي انه كاره لوجودنا ، ناقم علينا ، لانه يريد ان يكون عظيما !

٤١

عندما يتراشق الزوجان التهمة ، فاعلم انهما قد تبادلا الخيانة عاجلا ام آجلا ! •••

٤٢

الذي يعترف بالجميل ، ويقر بالمعروف مخلصا ، اسمى من انسان عادي !

وحي الحياة

من قلم : روكس بن زائد العزيزي

٢٨

البشر ذئاب ، واعفهم هو الذي استطاع ان يزيل دماء فرائسه عن شفتيه بلباقة !

٢٩

حب الام لابنها ، يدفعها الى ابعد حدود الغيرة من الزوجة ، وينقلها على غير وعي منها ، من اسمى مراتب الحب والامة ، الى مستنقعات الكراهية الحاقدة ، والبغض القاتل ، الذي يتمنى النكبة ، ويرتاح للشماتة !...

٣٠

لا شيء ينتصر كانتصار الاخلاص ، وان تألم المخلصون !...

٣١

المجتمع لا يستشيرنا في الشهرة ، ولا يطلب رأينا في الخمول !

٣٢

تضيع حقيقة الحياة بين حماقات العامة وخرافاتها ، وفلسفات الخاصة ونذالاتها !

٣٣

أليس اعظم دليل على وحشية البشر واخلاق الغاب ، انهم لا يعاملونك معاملة انسانية الا اذا افقدوك انسانيتك ، وخافوا بطشك ؟! ...

٣٤

ما اقبح الزهرة الجميلة عندما تذبل !

ما اقبح الرجل الطيب اذا فسد !

لقاء مع صاحب الغفران الجديد أو حلم في عرفات
القاضي المجاهد السيد محمد سرجيه

بقلم الحاج عبد الجليل سلاح

كان اللقاء في حديقة السبيل بحلب . الغيمات تسبح في الافق كالريش الدامي نسل من جناحي بلبل مزقته مخالب البزاة ... النسيم الندي المفعم بأريج ألف زهرة يكتب ألحانه على ماء البحرة ويميل بالاغصان من غير ان يزعج صغار الطير التي كانت تنشد له شكرا وامتنانا ... نوافير الماء تراقص ذات اليمين وذات الشمال ، حسب اتجاه الهواء ... الانسام تهز برفق وريقات شجرة المستحية القريبة من البحرة فيتصارع على وجهها الظل والنور .

مواكب الزهر الطروب ، تراقص بنشوة على ايقاع الانسام .

مليكة السماء ، تسدل الستار على النهار بعين دامية وتختفي خلفه وهي تلون شرفات ثكنة طارق بن زياد بلون الشفق .

وكل ما في الكون ! هفهاف البسمات ، عنبري النسمات ، قزحي الالوان .



أخي أبا علي !

س : يلاحظ في كتابك (الغفران الجديد او حلم في عرفات) انه برغم تعدد الوانه فانك تصر فيه وتركز على فكرة الجهاد في سبيل الله . فما الذي دعاك لان تطرق هذا البحث ، الذي أمسى غريبا في هذا العصر ؟

ج : أدب المقاومة الذي كتب بعد النكسة ، كله ، ينصب على وجوب الدفاع عن الارض ، او الوطن ، او مكافحة الاستعمار . وانني أشارك كل الذين كتبوا في تلك المجالات . ولكنني اريد ان اضيف اليها سببا اراه في نظري مهما جدا ، وهو الجهاد في سبيل الله . لاننا نحن العرب ، لم ننتصر في التاريخ ، الا عندما تعلقنا بحبل الله ، وجاهدنا في سبيل الله ... وقد ثبت بالواقع والتجربة : أن العرب عندما طلبوا السماء ، ملكوا الارض والسماء . وعندما

٤٣

رقعة الحياة ، الرحب من النقطة الضيقة التي يراها المتشائمون •

٤٤

انصار القديم لانه قديم ، انانيون فطرة ، وخوفهم من التجديد خشية عـلى مراكزهم ، ودفاعا عن نفوسهم !

٤٥

الناس معذورون في الحاحهم على طلب المال ، مع علمهم انهـم مائتون غدا لانهم يطلبون حياة كريمة تليق بالبشر ، قبل ان يصلوا الى القبر !

٤٦

يقتل الناس بعضهم بعضا من اجل امور ثلاثة في الظاهر :

آ ـ المجـد والشرف ،

ب ـ القوميـة ؛

ج ـ الوطن والوطنية ،

والحقيقة ، انهم يساقون الى المجزرة تنفيذا لرغبات زعيم ، او محافظة على مصالح محتكر ! لئيم •

٤٧

بعض الناس لا تهمهم الجريمة بقدار ما يهمهم خوف الفضيحة •

٤٨

قالت سمكة لاختها « ما بالنا نكره البشر كل هذه الكراهية ؟ »

فاجابت « اليس في وحشيتهم ما يبرر موقفنا منهم ، امـا ترين عبثهم بنا ، وصيدهم ايانا ، واكلهم لنا ؟ »

فابتسم البحر قائلا « ان هذا شيء مما يصنعه بعضكم ببعض ! •• »

عمان ـ الاردن ـ للبحث صلة ـ روكس العزيزي

فعليهم ان يسعوا الى الموت في سبيل الله ، ان كانوا في محبته صادقين •

س : وهل الاستشهاد يضمن لنا النصر برغم ضعفنا ؟

ج : وهل انتصر محمد بقوته وعدد جنوده ••• اعلم يا (اخي) ان النفوس المؤمنة وحدها هي التي تشغل بال الله ، فدعاء صادر عن قلب مؤمن ، اثناء المعركة ، يجعل السماء تتحرك ، ولو اقتضى ذلك قلب نظام الكون • فالمؤمن الصادق اذا أقسم على الله أبره ، وان لله رجالا اذا ارادوا أراد •

س : ما رأيك في الجيل الجديد ؟

ج : هناك ظاهرة تحتاج الى تفكير عميق ••• ففي جيلنا نحن القدامى ، كان الآباء ، والابناء يشتركون في محاربة المستعمر • وان الثورة السورية في الريف ، وفي المدن ، خلال خمس وعشرين سنة ، أحرقت الارض تحت أرجل المستعمر ••• لقد كان الناس يقتلون ، يحبسون ، يعذبون ، يطردون من الوظائف ، من المدارس ، فلا يخافون ••• واليوم وأسفاه ، نرى (الشاطر) من ابناء هذا الجيل ، يتهرب من التجنيد ••• هذه الظاهرة المرعبة تقض مضجعي في كل صباح ومساء ••• انها تحتاج الى درس الاسباب من قبل الحكام والمحكومين •

س : ما هي نظرتك الى المستقبل البعيد ؟
ج : اذا لم ننتصر على اسرائيل فسيأتي يوم :

١ ـ تحتل فيه جميع منابع البترول في العراق والسعودية وابو ظبي والبحرين وليبيا الخ •••

٢ ـ تحتل مكة والمدينة • تهدم الكعبة والحرم النبوي الشريف • بعد ان احتلت القدس ، واحرقت المسجد الاقصى •

٣ ـ تطرد جميع سكان الضفة الغربية •

٤ ـ يمسي العرب والمسلمون بلا ارض ، بلا دين ، بلا تاريخ ، بلا حضارة•
٥ ـ تمسي البلاد العربية كقطيع غنم في حظيرة جزار ، يذبح منها ما يشاء ، عندما يشاء •

طلبوا الارض ، فقدوا الارض والسماء •

س : ما هو أقوى مقطع في كتابك يدعو الى هذه الفكرة ؟

ج : عندما ذهبت الى الحج مرضت كثيرا لدرجة وصلت معها الى مرحلة الموت • فأوحت لي هذه الواقعة ان عزرائيل حضر ، وطلب مني ان اعطيه روحي • واثناء الحوار سألته متى ننتصر على اسرائيل ••• قال : لن تنتصروا على اسرائيل ، حتى تحبوا عزرائيل •

ان آباءكم كانوا يفضلون الموت على الحياة ، فانتصروا ، وأنتم تفضلون الحياة على الموت فانكسرتم ••• ثم أضاف : لن تنتصروا حتى يتصوف المجاهدون ، ويجاهد المتصوفون • فلا جهاد بلا تصوف ، ولا تصوف بلا جهاد •

ولم أقبل معه ان اعطيه روحي حتى وعدني بدخول الجنة • وفي الجنة ، شاهدت والدي الحاج علي وهو من المجاهدين القدامى فخاطبني معاتبا :

لمَ أتيتني مريضا ولم تأتني شهيدا ؟••• قلت : لقد أتيتك مطهرا بماء زمزم • قال : والله لو كانت زمزم بحرا ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، واغتسلت بها جميعا لما طهرتك كما يطهرك دمك في سهل بيسان •

وانني أعتبر هذه الجملة من الكتاب بمثابة (أم الكتاب) •

س : لقد وصفت الاستشهاد وصفا جميلا فجعلته : سياحة جميلة في غيوم وردية ، على شريط مذهب • جعلته : ناعما ناعما كجناح غيمة ، ناغما ناغما كزغردة غنوة ، حالما حالما كعودة العائدين • فما هو هدفك من ذلك ؟

ج : الموت في سبيل الله ، هو قدوم الحبيب على الحبيب ، والشهيد يتمنى ان يعود من الآخرة الى الدنيا ، فيقتل ألف مرة ليسعد بنعيم الشهادة ألف مرة •

س : اننا نرى كثيرا من الاشخاص يحبون الله بصدق ومع ذلك فهم لا يستشهدون في سبيل الله •

ج : حقيقة الصدق في المحبة ، هي رغبة الحبيب بلقيا الحبيب • وهذا لا يكون الا بالموت في سبيل الله • فالموت لا يفر منه الا مريب في محبة الله •

«لمحة من رحلة العمر في حياة صيدح» من خلال أشعاره

بقلم: جعفر الخليلي

لقد سبق لي وانا استعرض احد دواوين الشعر لاحد الشعراء ان قلت بان شعر الشاعر او نثر الناثر لا يصلح ان يكون عنوان صاحبه الا ما ندر ، فالكثير من الشعراء والكتاب تباين آثارهم الادبية وما جبلوا عليه من خلق ، وتتنافر وما يحملون من نزعات وافكار دلت على تنافرها التجارب ، واذا ما تسنى لاحدنا ان يتعرف عن كثب باحد الشعراء او الكتاب من هذه الاكثرية ليدهش مما يجد من البون الشاسع بين ما استنتج من شعر ذلك الشاعر ونثر ذلك الكاتب ، وما وقف عليه بنفسه من الاخلاق التي قد تخرج صاحبها من حظيرة الانسان وطبيعته وتلصقه ببعض الحيوانات كالذئاب والثعالب وغيرها ، ولولا هذا النادر من ائمة الادب الذين تعبر آثارهم الادبية عن حقيقتهم لما صح ان يتخذ من شعر شاعر مثلا يحتذى به ، ويستدل على قيمته وحقيقته .

ومن هذا النادر الذي تنطبق آثاره القلمية على واقعه انطباقا كليا يأتي جورج صيدح في المقدمة ، هذا بالاضافة الى ما طبع عليه من رقة الشعور ، ورهافة الحس ، وعلو الكعب في الفن الذي يحكيه نسجه ، ويصوره وضع قوافيه في مواضعها التي لا يحسن وضعها الا الشاعر الملهم الموهوب المتفنن الذي سيأتي الحديث عن شاعريته في غير هذه الفرصة .

وقد عرف القراء ولا سيما الادباء منهم ـ شعر صيدح ، فاكبروا فيه نبوغه ، وعظيم قدره في صياغة الكلمة ، اما الذين عرفوا (صيدح) عن قرب فقد اعجبوا به انسانا تتمثل كل معاني الانسانية في سيرته ، وسلوكه ، ومذهبه في دنياه ، فلا عجب ان يكون صيدح من تلك الفئة القليلة التي تحكي آثارهم حقيقتهم ، ويمثل شعرهم واقعهم ، وتصور أخيلتهم افكارهم بكل خطوطها والوانها ، وتحكي الجانب المهم من رحلة العمر عندهم بدون زيادة ونقصان .

ولد صيدح في دمشق سنة ١٨٩٣ فيكون الان قد انهى الثمانين ، والحمد

س : بلغني انك ستعيد طبع كتابك الغفران الجديد او حلم في عرفات ؟

ج : بعد ان نفدت اكثر نسخ الكتاب ، أفكر بطبع عشرة آلاف نسخة من مالي الخاص وأقدر ان أرباحه ستكون حوالي عشرة آلاف ليرة سورية ••• وانني سأدفعها لورثة من يموت شهيدا في سبيل الله •

س : ورأس المال ؟

ج : سأسترده من قيمة الكتاب المبيع ، لا لآخذه لنفسي ، ولكن لاطبع به الكتاب طبعة ثالثة ، فأوزع أرباحه لورثة من يموت شهيدا في سبيل الله ••• (وهكذا دواليك) •

وقد وقفت المبلغ المخصص لطبع العشرة آلاف نسخة في حياتي ، وأوصيت بها بعد وفاتي ، لتكون خيرا جاريا ما دام في الوجود دولة تسمى اسرائيل •

س : هل تمانع من يريد أن يشترك معك بزيادة عدد النسخ كيما تزداد حصة أهل الشهيد ؟

ج : هذا نور على نور • ولكنني لن اطلب من أحد ذلك • انني سائر وحدي • وأكون سعيدا فيما لو زاد عدد المريدين لهذه الفكرة •

س : ما هي احلامك ؟

ج : أحلم بالشهادة في سبيل الله • في المعركة في سهل بيسان • مجهولا ، مغمورا ، لا يدري بي أحد • تكفنني ثيابي ، وتغسلني دمائي ، وتصلي علي ملائكة الرحمن • ثم لا يهمني ان يعرف الناس او لا يعرفوا ، ما دام الله يعرفني•

* * *

ثم ودعني وغاب ليختفي بين عرائش الياسمين ، قرب النبعة السكرى بزغب القمر ، الذي كان يسهر عليها •

مسكين أنت يا أبا علي : لن يتصوف المجاهدون • ولن يجاهد المتصوفون• ان كلمات (جان بول سارتر) في الشعب الفرنسي أثناء الحرب ، لم تكن بأقوى من كلماتك فينا • لولا أنك ألقيت بذورك في أرض صماء بلا غيمات •

الحاج عبد الجليل سلاح
سكرتير تحرير جريدة الجماهير بحلب
حلب

والحكومات التي سببت للعرب هذه النكبات ، او مما تخص حياته نفسه ، وحياة الاهل والاصحاب والاخوان من فرح او ترح ، ومن سعادة او شقاء التي تهز الشاعر هزة دونها هزة الموج الصاخب للسفينة ، فاندفع جورج صيدح يعبر عن تلك الخواطر والانفعالات بالقصائد والمقاطع الشعرية حتى اجتمع لديه اضعاف ما كان قد طبع من الشعر من قبل ، لذلك ارتؤي باقتراح طائفة من عارفي فضله ـ واذا من بعضهم ـ ان يعيد صيدح النظر في طبع ديوانه من جديد ليضم ما سبق ان ضمت دواوينه من قبل وما لم تضم من شعره الذي يؤلف الاكثرية في مختلف ابوابه واغراضه ، وقد تألف من كل ذلك ديوانه الجديد المؤلف من اربعة اجزاء ، والذي صدر منه الجزء الاول اليوم ، وتسنى لي ان اشرف على اخراجه بالمشاركة مع الدكتور صلاح الدين المنجد من حيث اختيار الورق ، وتعيين نوع الحروف ، وكيفية صفها ، ثم ارغمت على مغادرة بيروت قبل ان يتم طبع هذا الجزء ، ومن هذا الجزء وما بعده من الاجزاء الثلاثة ـ اذا ما تم طبعها ـ سيعرف القاريء عن (جورج صيدح) اهم ما ينبغي ان يعرف ، وستحمله هذه المعرفة حتما على التشوق لرؤيته ، والتعرف اليه عن كثب •

ولما كان لكل مثل نقيض فسيجد القاريء في صيدح ـ اذا كتب له ان يرى صيدح ـ خير نقيض للمثل القائل : (تسمع بالمعيدي خير من ان تراه) وسيؤخذ حين رؤيته بدماثة خلقه، ورقة حواشيه، وطهارة نفسه، وسيتحقق بنفسه ان ما قرأه في هذا الديوان قد رآه بكامل حقيقته رؤي العين ، وان ليس لصيدح بالمعيدي من صلة اسما او رؤية •

واذا بدأ القاريء بالجزء الاول من ديوان (صيدح) فكأنما يبدأ باول مواجهة صيدح للحياة العملية والادبية ، وهي التي ستبين له من خلال اشعاره حلية واضحة ، اما شعر صيدح ومكانته بين الشعراء فله حديث آخر غير هذا المقال الذي اقتصر على لمحة من رحلة عمره من خلال اشعاره •

والجزء الاول هذا معنون (بحكاية مغترب مع بني قومه) وهو يتناول فصلين احدهما يخص شؤون اغترابه والبواعث التي حملته على قول الشعر وهو يجوب تلك الافاق تاجرا وسائحا يرتاد مجالس الشعراء ، ويحضر منتدياتهم في مهاجرهم ، ويستجيب دعواتهم ، وما يتبع ذلك من ذكريات واسباب استدعته الى

لله انه أبعد ما يكون اليوم عن انطباق المثل القائل :

ان الثمانين وبلغتهـــا قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فهو يسمع جيدا وبأذن مرهفة ، لقد ولد من ابوين فاضلين وكان ابوه حاكما من حكام العدل ، وانهى دراسته في كلية (عينطورة) ولحق بأهله في مصر ليعمل هناك في التجارة وكان ذلك في سنة ١٩١١ .

ولقد سبق لصيدح ان عرف نفسه في كثير من الدواوين والصحف في المهاجر والاوطان العربية من الشرق والغرب كان اولها مجموعته الشعرية التي اصدرها باسم (النوافل) وهي ديوان يجمع بواكير شعره ، وكان رأيه فيه فيما بعد رأي المرحوم عبد القادر المازني في ديوانه الاول ، فقد سطا على ديوان المازني بعد سنين طويلة مدع طويل اليد ، وبدأ يستخرج منه ابياتا وينشرها باسمه في الصحف !! فقيل للمازني : لماذا انت ساكت عن هذا الدعي السارق وقد كاد ان ينتحل كل شعرك في ديوانك ؟

قال المازني : هذا ديوان آل به الفشل يوم اصدرته الى ان يلف به البقالون الجبن والزيتون ، فلماذا تريدون ان تذكروني به ؟ وانا لم ار (النوافل) لاقول عنه شيئا ، ولكني اعلم ان (صيدح) يتجنب اليوم ذكره كما تجنب المازني ذكر ديوانه ! على الرغم من ان (النوافل) قد خص ريعه بالفلسطينيين وانه تقدت نسخه ولم تبق منه حتى ولا نسخة واحدة ، والغريب ان لي انا قصة باسم (التعساء) كتبتها وطبعتها وانا ابن ست عشرة او سبع عشرة سنة ، وانه ليعتريني اليوم الخجل منها كلما ذكرتها واود لو لم اكن قد كتبتها .

ثم خرج لصيدح بعد ذلك ديوانه الفخم (حكايات مغترب) الذي عبر عن شاعريته الفياضة في مختلف المناسبات خير تعبير ، وحكى صيدح في نزعاته وافكاره وتفننه في قصيده خير حكاية ، وصور رحلة حياته خير تصوير ، كما صدرت له كراسات مستقلة باسم (نبضات) ، وباسم (شظايا حزيران) و (شظايا ايلول) وهاتان الاخيرتان كانتا من وحي محنة فلسطين ونكبتها .

وقد كثرت بعد ذلك الحوادث والعوارض والمناسبات الوطنية والاجتماعية والانسانية التي تشمل العرب بمجموعهم ، او تشمل الحكومات العربية ،

ان حبست الدمــوع كبرا بكى القلب والقلم

ومع ذلك فقد قال عن مصر التي عبدها عبادة الصنم على حد تعبيره :

انمــا العيش نائبــا عنك يــا مصر كالعــدم

وتضيق به الدنيا بعد خروجه من مصر ويخيب في عمله ويعبر عن ذلك فـي قصيدة عصماء يقول فيها :

ثقلت علــى نفسي الحياة وضــاق فيهــا المــذهب

لا مــال ، لا آمــال ، لا هــدف يلــوح فاطلــب

وفي نيس بفرنسا يحس بالوحشة والغربة فتهيج شاعريته في قصيــدة يصور بها حنينه الى موطنه والى الايام التي قضاها بمصر فيقول :

اين اخواني واين الصب أيــن ؟ اين اهلي ؟ ايــن أمــي وأبــي ؟

ايــن ايامــي بارض الهرمــين ؟ ليس لــي في غيرهــا مــن ارب

ثم ييمم اميركا الجنوبية عابرا المحيط الاطلسي الــى (فنزويلا) ونــزل (كراكاس) ، ويوفق هناك في عمله توفيقا باهرا ، وقد اصبح له شأن كبير بــين الجالية العربية من لبنانيين وسوريين وغيرهم ، وينقل لي الاستاذ رامز مكــارم الذي لا يزال يقيم بفنزويلا وهو ابن اخ الشيــخ نسيب مكارم الخطاط الكبير : ان ما من مشكلة لاحد من الجوالي الا وكان حلها على يــد (صيدح) هناك ، وقال : انه كان له لدى الحكومة الفنزويلية مكانة محترمة طالمــا خلص بسببهــا الكثير من السجن ، بل كثيرا ما دفع من كيسه الغرامة وخلص الغريم من غرمائه.

وحين اقبل صيدح عــلى (كراكاس) سنــة ١٩٢٧ استبشر خيرا منــذ اول وصوله اليها وقال فيما قال :

وكان الصباح ، وكان الاقاح يزيــن البطــاح بعقيانــه

وكان النسيم نديــا رخيــم يــرف النعيــم بأردانــه

فحط الرحال بارض الجمال كــأن المئآل لاوطــانــه

نظم الشعر منذ سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٧٢ حين تم طبع هذا الجزء من الديوان .

والفصل الثاني من هذا الجزء يتناول شؤونه الخاصة بين اسرته وتصوير عواطفه نحو أمه ، وزوجه ، وابنته وحفيدته وغير ذلك .

وحين يترك (صيدح) سوريا متجها الى مصر ، يودع دمشق بقصيدة يبثها فيها حنينه وينشدها فيما ينشد قوله :

وداعا دمشق الشام ، لو ترفق النوى ... لاورق عودي فيك وانعقد الزهر

واني لطير من طيورك لم تزل ... تجاذبني تلك الحدائق والنهر

ويعمل في مصر بالتجارة ويوفق ، ويمتلىء شبابه بالمغامرات ، ويملك سيارة خضراء يوم كان الحصول على عربة يجرها حمار لا يخلو من صعوبة ، فله قصيدة رائعة من الادب المكشوف في مصر لم اعثر عليها في هذا الجزء ولعله حذفها من هذا الجزء من الديوان ليثبتها في الاجزاء الاخرى او انه رأى من المناسب ان يتجاهلها بالمرة ، ثم اصيب بخسارة فادحة في تجارته بعد ذلك التوفيق ، ومع ذلك فقد قال عن مصر :

فما انا راض عنك ان حفني الغنى ... ولا انا ماض عنك ان عضني الفقر

ولكنه مضى عنها اخيرا ، واضطر الى الهجرة منها سنة ١٩٢٥ قاصدا اوروبا ، وعبر عما اصابه من الخسارة التي ذهبت بكل ما كان يملك بقصيدة فاخرة عنونها (بالتاجر الخاسر) وهي تحكي جانبا من عزة نفسه وابائه نلتقط منها هذه الابيات على غير ترتيب .

زاهرا كان نجمه ... فهوى النجم وادلهم

نازحا كل زاده ... عزة النفس والالم

ما أزالت اباءه ... عندما زالت النعم

دونكم ما له فلا ... تذكروا عرضه بذم

ان تظنوه مذنبا ... فاجعلوا ذنبه الكرم

ويذهب ابو ماضي في تعليقه ويقول : « وهذا البلبل (الصيدح) من آكابر شعراء العربية في المهجر على قلة نظمه ـ ويومذاك كان صيدح قد شغلته التجارة عن النظم ـ له قصائد خالدة اشهرها قصيدته (في غابة بولونيا) ـ وسيأتي حديثها فيما بعد عند البحث عن شاعرية صيدح ـ وعلى رغم الهجر والترك لم تفقد شاعريته لمعانها » .

ويستمر ابو ماضي فيقول : « وشد ما كان ابتهاجنا عندما دخل صيدح الى ادارة (السمير) فجأة ، فرأيناه لا يزال في ثوب الشباب والقوة ، وقد عرفنا منه انه سيلبث في نيويورك مع اسرته شهرا ثم يسافر الى باريس للسياحة والنزهة ، وسيقرأ الناس قصيدة له في (السمير) في وصف نيويورك وايامه فيها منذ عشر سنوات ثم في حياة المهاجر القائمة على الكفاح والتناحر . فنرحب بالشاعر الملهم الصديق المحبوب » .

واقيمت لصيدح حفلة تكريم بنيويورك من لدن الجامعة العربية كان ابو ماضي من القائمين بها ، والقى صيدح فيها قصيدة عامرة عبر فيها عن خوالجه الصادقة بحب العرب والعروبة ونزعاته الخفاقة بالاشواق فيقول وهو يخاطب المكرمين له من الادباء :

كم زرتكم فكرة والنفس في شغف ... الى التعارف والاشواق تصبيها
حتى ظفرت بايديكم تصافحني ... وتنثني وفؤادي في مثانيها
هي العروبة في انقى مظاهرها ... هي المروءة في ارقى مجاليها

ويقلع من نيويورك الى باريس ويودعها او قل يودع الشعراء الذين اغنوا الشعر العربي بالجديد بافكارهم ومعانيهم ، وعلى رأسهم ابو ماضي ، ورشيد ايوب بقصيدة ينظمها في الباخرة ، ثم يعود من باريس الى فنزويلا ، وتتوسع تجارته ، ويبسط كفه كل البسط في مساعدة العاملين من اجل فلسطين ، والعاثرين في دنياهم ، والفاشلين في اعمالهم ، والمعوزين في حياتهم ، ويفوز منه الادباء ، والصحافيون ، والباحثون والكتاب باكبر نصيب من مساعداته لانجاز مهماتهم .

ويلمع نجم صيدح ، ويتردد اسمه بين جميع الجوالي العربية في كل المهاجر

وبدأت تظهر مزايا صيدح في فنزويلا يوما بعد يوم لا كشاعر من كبار الشعراء المبدعين فحسب ، وانما بما كان يبذل وينفق في مساعدة المشاريع ، وما يقدم من معونة للمعوزين من العرب الذين لم يوفقوا في اعمالهم ، فيعالج مرضاهم على حسابه ، وينفق على دراسة ابنائهم ، ولم يزل حتى اليوم يعمل مثل هذا وهو بباريس وليس لديه الا ما يكفيه مؤونته من دنياه ، ذلك لان (صيدح) لا يقيم وزنا للمال ، وطالما اشار بشعره الى ذلك وصدقته التجربة والخبرة من لدن عارفيه ، ومن هذا ما قاله وهو في فنزويلا والمال يفيض من بين يديه :

نفرت روحي من الروح التي في محيطي وأبت كل اتصال
حولي الناس الى المال سعوا وانا اسعى الى قنص خيال

وقنص الخيال هذا لا يعني الشعر بقدر ما يعني الفضيلة ومكارم الاخلاق عند صيدح ، ويتاح له وهو في فنزويلا ان يقوم برحلات واسعة استجابة لدعوات تلقاها من معارفه الادباء ، ومن الشعراء من الجوالي العربية الذين تضمنت قصائده واشعاره ذكرياتهم ، وكان في ضمن هذه الرحلات رحلته الى الولايات المتحدة مدعوا لزيارة (معرض دنيا الغد) بنيويورك فيرحب به الادباء ويكرمونه، وينشر له ايليا ابو ماضي في جريدته (السمير) احدى قصائده ويكتب عنه قائلا :

« اخذت بابل الجديدة بعد ان لبست حلاها وجواهرها بل حلى العقل البشري الجبار بالمعرض الذي قام فيها تجتذب اليها الناس من كل قطر حتى الشعراء الذين يهربون من المدائن ليكونوا مع انفسهم ، ومع ربة الالهام ، فقد جاء الى نيويورك من كراكاس ـ فنزويلا ـ صديقنا الشاعر الملهم صاحب القصائد الرائعة جورج صيدح مع قرينته المهذبة انطوانيت وطفلتهما الجميلة (جاكلين) التي نشرنا له فيها قصيدة من اجمل الشعر ـ وهو يشير الى قصيدة صيدح في عيد ميلاد ابنته التي يقول فيها :

أتراها خيرت في خلقها فاتت كاملة الحسن المبين ؟
ام براها الله من ذوب السنا وبنات الناس من ماء وطين ؟

في عين السماء ، وما ابغضكم الى الارض التي تمشون فوقها ! كشف اللـه عـن الشاعر هذه الغمة ، واخرجه من ليلها كالبدر سنيا مشرقـا ، ولعلنـا لا نلبث ان نسمع ان المكر السيىء قد حاق باهله ، ونجا هذا البلبل الصداح من محنته وعاد الى الغناء طروبا » •

وابو ماضي كما يعرف اهل المعرفة ، اغنى شعراء عصره على الاطلاق بالصور الشعرية ، والافكار المبتكرة ، ويعتبر رأيه في صيدح مـن حيث الشاعرية مـن الشواهد التي لن نستغني عنها حين تتناول ذات يوم شاعرية صيدح وادبه ، امـا هنا فليس غرضنا الا استعراض جانب من حياة صيدح من خلال شعره •

اجل لقد طلق صيدح العسل منذ ذلك الوقت اي منذ سنة ١٩٤٥ بعد جهود استمرت عشرين سنة في فنزويلا وحدها • هذه السنين التي يقول عنها في احـدى قصائده :

عشرون عاما ليتني ما عشتها ... كيلا تعـد عـلي في الاحقاب

وخرج من فنزويلا مستجيبا للدعوات التي تلقاها من مختلف الجهات ، فقام بزيارة نيويورك مرة اخرى ، ومنها توجه الى الارجنتين ، واحتفي به هناك احتفاء باهرا ، واقامت له الرابطة الادبية مأدبة كبيرة ، ووافته دعـوة تكريم ملحة مـن فنزويلا واصرار من لدن ادباء العرب بكراكاس تكفيرا عن ذنوب اللؤماء الذيـن كانوا قد ماتوا بغيظهم •

وعاد من الارجنتين ليودع فنزويلا الوداع الاخير بعد فراق خمس سنوات، وفي حفلة تكريمه بكراكاس أنشدت قصيدته التي يصف فيها عودته ويقول :

عاد وفي عينيه طيف الذهاب ... وفي يديه الكأس شهد وصاب
عاد ومـا غير طول النـوى ... ممـا عرفتم فيه غير الـشياب
صب مديـن لكـم دائـن ... في هذه الليلة صفـى الحساب

وفي سانباولو بالبرازيل كان لصيدح شأن كبير في نفوس تلـك الجمهرة من كبار أئمة الشعر والادب الذين كانت تحتضنهم جمعية (العصبـة الاندلسيـة) وتمثلهم مجلة (العصبة) الفخمة كما كانت تمثل جريدة (السائح) الرابطة القلمية

الاميركية والافريقية ، ويعبر الى البلدان العربية • وان شخصيته تبلغ مثل هــذا المقام في عالم الشهرة من حيث الشعر والادب ، والسخاء والكرم ، ودماثة الخلق الخلق لا بد وان تخلق لها منافسين وحاسدين ، وكائدين ، وهذا هو الذي وقــع تماما ، وكان على صيدح ان يتخذ الحيطة لنفسه فلم يفعل فاكتوى بنار الخيانــة والفتن ولفقت عنه وشايات ملأت صدر الحكومة غيظا ، واتسع الخرق ، واشتدت الازمة بسبب انتحار خصومه به وحلت الكارثة التي ذهبت بالكثير مــن مالــه ، ونكدت له عيشه ، وضيقت عليه حريته حتى اضطر الى ان يصفي اعماله التجارية بعد قضاء عشرين سنة من العمل المضني المتواصل وغادر كراكاس مصورا ما حل به في قصيدة باسم (المحنة) نشرتها له جريدة (السمير) في سنة ١٩٤٣ جاء فيها :

ان رأيت الحق يخشى باطلا   وسمعت الحمد للجور المشين
فاهجر الدار وجانب اهلهــا   لا يقيم الحــر بــين الخانعين

ويعلق ابو ماضي على هذه القصيدة ديقول :

« هذه القصيدة المحرقة الكاوية التي جاءت مجردة من كل تعليق او اشارة او تفسير وهي التي اشرنا اليها أمس ، هذه ليست قصيدة ولكنها حكايــة مأساة هائلة فظيعة نزلت بالشاعر ، فان من قرأ شيئا من قبل لناظمها الشاعر المبدع جورج صيدح او عاشره ولو قليلا يعرف ان الشكوى ليست مــن طبعه ، وان اجفانــه ابخل ما تكون بالدمع ، ولكنه في هذه القصيدة يشكو شكوى مريرة هــي اشبه بصراخ أسد طعين او نسر جريح ، هو صراخ الكريم غدر بــه لئيم ، وشكــوى محسن قوبل على جميله بالعقوق والاساءة ، وهــي كذلك شكوى نفس رفيعــة راقية مشى اليها اللؤماء بالنكاية ، ودا. وا حولها بالوشايــة ، فكدروا مشربها ، ونغصوا عيشها ، وكم أتت الاساءة من اللؤماء وكان ضحاياها الابرياء •

ويسوء (السمير) التي كانت تعلل النفس بالحصول علــى قصيدة ضاحكة راقصة من هذا الشاعر الفذ ان نحمل اليوم الى قرائها هــذه القصيدة المتجهمــة الشاكية التي تكاد قوافيها تتطاير شواظا يحرق اهــل الظلــم والبغي ، ويكــاد القاريء يلمس وراء كل حرف صورة مأساة وجيعة دامية • فيا دمعة الشاعر مــا اغلاك ! ويا نفس الشاعر ما اطهرك ، ويا ايها الجانون على هذا الشاعر ما احقركم

اذناي بصيته المدوي ، ولست ادري الان كيف عـرف مجيئي لبيروت ففاجأنـي وبصحبته صديق الطرفين الاستاذ رشاد دارغوث الاديب اللبنانـي المعروف ، وفي هذا الفندق (نيو رويال) اكتحلت عيناي لاول مـرة برؤيتـه (فصدق الخبـر الخبرا) وسعدت بزيارته •

وفي سنة ١٩٥٨ غادر صيدح بيروت الى باريس ليقيم هناك ، ومـن شعره يستقريء القاريء انه يغادر لبنان على غير رضا من الاحوال السائـدة يومذاك فهو يقول :

ان ارضا غضت بكل دخيل   لا تبالـي اذا الاصيـل تشرد

هذا باقتضاب مجمل لجانب حياة صيدح الذي يلوح للقارىء مـن شعره ، اما مكانة صيدح من الشعراء ، ومكانة شعره في عالم الفكر والشعور ، ومبلـغ ما تضمن هذا الشعر من الوفاء ، والمحبة وكرم النفس ، والوطنية الصادقة ، التي اشتهر بها ، ومبلغ ما قطع من المراحل وهو يصعد القمة مـن بلاغة القول ونسج القافية فان له ـ كما اشرت في هذا المقال غير مرة ـ حديثا آخر ستصوره الاجزاء الثلاثة الاخرى بالاضافة الى الجزء الاول وبالاضافة الى القسم الثاني من هـذا الجزء الذي يحكي الكثير من رقة عاطفته ، ورهافة حسه ، كشاعر عبقري مجيده

بغداد ـ كرادة مريم   جعفر الخليلي

بنيويورك والذين لم يبق منهم الا ميخائيل نعيمة اليوم بارك الله في عمره ، اما من مؤسسي (العصبة) الاوائل فقد بقي شكر الله الجر اطال الله عمره الى جانب شفيق معلوف والشاعر القروي والياس فرحات حفظهم الله واخرين لا استحضر اسماءهم •

وفي هذه السنة سنة ١٩٥١ اوفد الجنرال بيرون رئيس جمهورية الارجنتين مندوبا من لدنه الى رئيس جمهورية سوريا في مهمة خاصة ذات شأن فارتؤي ان يوفد معه صيدح تعزيزا لهذا الايفاد فدعي صيدح لهذه المهمة وكان ان ترك المهجر وأم دمشق بعد تلك الغيبة الطويلة ، وقد استقبل صيدح استقبالا شائقا واحتفي به احتفاء كبيرا واقيمت له حفلات تكريم كان من بينها حفلة (النادي العربي) التي انشد فيها صيدح قصيدته المشهورة التي نعت الشام فيها (بام النسور) وافتتحها بقوله :

أم النسور تفرسي وتأملي ... أعرفت وجه القادم المتهلل ؟

ثم يغادر دمشق الى لبنان بعد ان ينجز مهمته فيرحب به خير ترحيب كشاعر من شعراء سوريا فيقول :

وقائلة اهلا بشاعر سوريا ... فقلت لها لبنان مهبط اشعاري

ويكثر من شعره في لبنان كما اكثر من شعره في سوريا وكما اكثر واكثر واكثر في فلسطين التي سيأتي ذكرها في مجال تعيين شاعرية صيدح واغراض شعره حين يتسنى لي ان اتناول شاعريته •

وفي سنة ١٩٥٦ دعي صيدح لمصر لالقاء محاضرات عن شعراء المهجر بصفته اخبر الواقفين على الشعر المهجري ، وافهم الشعراء باغراض اشعارهم والوانها ، فالقى هناك تلك المحاضرات القيمة التي تألف منها ذلك الكتاب الضخم الفخم (ادبنا وادباؤنا في المهجر العربي) والذي طبع غير مرة واصبح المرجع الوحيد لدراسة هذا الادب العامر بالصور الشعرية ، والذي قاد عزيز اباظة حملة غير موفقة ضده •

وفي سنة ١٩٥٧ اتيح لي ان ارى (صيدح) لاول مرة بعد ان امتلأت

فهم في مملكة عميان .. عور جعلوا انفسهم ملوكا .

ولقد حق للحكيم ان يقول :

الاعور في مملكة العميان ملك .

ـ ٤ ـ

تعادلت عقول المفكرين في حججهم .

ولقيت آراؤهم استحسانا .

ولما حان التنفيذ ...

حلت القوة محل الحق .

فأخذت الكيل كيلين ! ...

ـ ٥ ـ

نفتش عن الاصلاح والتعمير .

والتهذيب والفضيلة .

وكلها في صدورنا .

فلماذا لا نستعملها في صد عوامل التخريب والرذيلة ؟

ـ ٦ ـ

الانسان . خلق ليكون مثالا في التسامح والصبر .

لا كبارود على نار .

أو كرصاصة في فوهة بندقية .

... فلنضع امام اعيننا حكمة نفيسة وهي :

الغرور مقتلة العبقرية .

والتواضع سر العظمة .

بيروت نصرت توفيق خريش

خمس ست كلمات

بقلم : نصرت توفيق خريش

— ١ —

سبحانك ، يا الله !

ايها المالك العادل .

يا من خلقت الانسان على مثالك .

ومن روحك نفحته بنسمة .

وزينته بعقل ولسان ! ...

— ٢ —

ما من شيء . اثمن من الاخلاق .

واسمى من العقل .

واجمل من الروح .

والترفع عن الارضيات .

... ما كان أرفع مجتمعنا :

لو ملك هذه المزايا ! ...

— ٣ —

عجبت من هؤلاء المتزعمين .

جلسوا يتكلمون ... ومن حولهم ناس يصغون .

... ويا ليتني لم اسمعهم ! ...

والمشرعون على اختلاف مذاهبهم هم الذين سبقوا غيرهم من الكتاب بتطور النثر على ايديهم •

ومهما يكن من امر فلا مندوحة من الاعتراف بأنه قد تكون في القرن الثالث للهجرة نثر عربي يتصف بغزارة المادة وتنوع الاسلوب صالح للرواية وللجدال النظري قادر على تتبع الفكرة والالتصاق بها في كل منعرجاتها وعلى اداء جميع دقائق المعنى • ولم تمض مائة سنة حتى زال هذا اللون من النثر العربي المتصف بانتقاء اللفظ واختياره وبانسجام عدد النغمات وقام مقامه النثر المسجع • وفي الواقع لم يكن النثر المسجوع زائرا جديدا في اللغة العربية بل كان عندها اسلوبا قديما مألوفا يرجع عهدها الى العصر الذي كان النثر فيه خطابيا او شفاهيا على اقل تقدير ، اذا كان موجها في الحقيقة الى السمع لا الى النظر •

ويظهر ان هذا اللون من النثر المسجع قد قطع القرون الثلاثة الاولى من الاسلام يحيا حياة فاترة محدودة النطاق فلم يكن يستعمله الا نفر قليل من الدعاة ولا تجد له من وراء ذلك اثرا الا السجعة السجعتين يضيفها مشاهير الكتاب الى جملهم المرسلة •

حتى اذا ما وصل القرن الرابع للهجرة اصبح هذا اللون من النثر هو الغالب ، وطغى على غيره وعم واذابه مستعمل في مواضيع من الادب وابواب لم يكن قد تطرقها من قبل بل هو يمتد الى ما وراء المواضيع ويقتحم الى ما ابعد من الابواب فيصبح متصرفا في كامل الآداب النثرية ايا كان لونها ومهما كان غرضها سواء كانت من آداب الخيال والقريحة ام من آداب الدواوين او في المواضيع التاريخية • ولعل السبب في هذا التغلب القاهر راجع الى ما كان مشهورا في سائر الاوساط الادبية من تفوق الشعر على النثر • ومع ذلك فانه يجمل بنا ان لا نشدد الحكم على النثر المسجوع فهو الذي امد العربية بعدد من جواهرها الادبية وهو الذي اكسبها اثارا فيها من جودة الصناعة ما يجعلها مثالا تطبيقيا لقاعدة الفن المطلق الخالص • ولا يمكن ــ مع هذا ــ ان نغفل عما كان لهذا النثر من سيىء الاثر في ذات الوقت على الاسلوب فلقد جر له الفقر وحمل الكتاب على الاقتصار من اساليب الكتابة على الجمل القصيرة من شتات الجمع

مراحل تطور النثر في الأدب العربي

بقلم: حسين فهمي الخزرجي

منذ القرن السادس للميلاد كان للعرب في شعرهم الجاهلي ادب من هذا النوع الذي نسميه « كلاسيكيا » واعني بالادب الكلاسيكي مجموعة من الآثار الادبية تبدو معبرة عن قصد سام بعينه وعن موقف خاص من مشكلة الحياة ومصير الانسان وعن ضرب من الشعور والفهم في لغة احاطت بها كل العناية لوضع صناعة دقيقة راقية تامة الشروط • وكان يجري تنسيق الالفاظ طبق نظرية خاصة للجمال الفني يعتبر الايجاز من اهم قواعدها • وان اسمى غايات الشاعر حينذاك ان يكون لكل بيت من قصيدة من التفوق في ايجاز العبارة ومتانتها ما يجعل قوله تسير به الركبان فيصبح كالمثل عند قومه والناطقين بلغته •

اما في النثر فكان للعبارة من المتانة ما لا يبقى معه شيء يحجب مصدرها عن الناطق بها او المستمع اليها ، وبذلك كان اللفظ في اللغة العربية يذكرنا بالارومة التي اشتق منها •

والعبارة العربية كالمزهر ، اذا نقرت نقرت احدى اوتاره رنت كل الاوتار ، وخفت جميع الاصداء الخفية لكل ما ينتسب اليها من مفردات او يلتحق بها ثم تحرك في اعماق النفس موكبا من العواطف والصور • واذا نحن نظرنا الى العربية من حيث الصناعة ادركنا في غير عناء ان سبك اللغة العربية فيه للادب كنوز زاخرة لا تحصى وموارد لا تعد • فلقد كان نشوء هذه اللغة وتطورها مبنيا في اعظم قسط من مفرداتها على التداول بين المقاطع المقصورة والمقاطيع المحدودة •

وعلى ذلك، فقد احرز النثر في القرون الثلاثة الاولى من الاسلام ـ على وجه الخصوص ـ مكانه اللائق به ، ووافق ظهوره ما حصل من تقدم في التعبير وطرائق البحث في المواضيع العلمية •

وفي الواقع كان اهل صناعة التفكير المنطقي الاستنتاجي والفقهاء

الصهيونية تنظيم لتنفيذ المخطط التلمودي

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

الصهيونية تنظيم لتنفيذ المخطط التلمودي

لقد نادى التلسود يهود العالم ، وحثهم على استجابة صوت الذيـن يحثون على التوجه لفلسطين وحيث ان الصهيونية اقامت نفسها مقام هذا الصوت ، فقد وجد بها تلاميذ التلسود ضالتهم •

معلوم ان الدول عرضت على اليهود مساحات واسعة من مناطق كثيرة لكنهم ابوا الا فلسطين ، ولو كانوا يكتفون بالاستعمار والعلمانية والقومية كما زعم رزوق ، لما اصروا على فلسطين دون سواها •

ذلك لان رزوق حين يعرض اليهود يباعد بينهم وبين الصهيونية ، ناسيا ان مجلد العهد القديم يحصر مهمته بالهجرة لفلسطين ويرى تلـك الهجرة تخطيطا سماويا والتلسود يضرب على هذه الوتيرة ، حتى ان دائرة المعارف اليهودية حين تعرض مهمة الصهيونية لا تعرض اكثر من هذا •

اذن فمهمة الصهيونية هي مهمة العهد القديم والتلسـود ، والدكتور رزوق حين يعرض الصهيونيين تلسوديين لا يرضى ربط الصهيونية بالدين اليهودي •

وكم نتمنى على الدكتور البحاثة ان يحدد كلمة (الدين اليهودي) فان قصد وصايا موسى فهذه لم تتعرض لفلسطين ، وان قصد ما طرأ بعد موسى فهذه كلها مواعيد تدور حول فلسطين ، وقد صرح وايزمن نفسه بقوله :

(ان ميثاق الشعب اليهودي هو وعد الله بارض فلسطين) •

وتصريح وايزمن هذا مردد على كل لسان ، فقد جمعنا معتقل راشيا ايـام الحرب العالمية الثانية بيهودي هنغاري يدعى (سلافو) (١) وكان يحدثني بنفس

---

١ ـ كنا نخوض باحاديث حول فلسطين لكن اخانا معروف سعد وهو احد رفاقنا في المعتقل حينذاك كان يفوز من احاديث سلافو بحصة الاسد .

فافضى بعدد منهم الى التضحية بالمعاني واللعب في سبيل العناية بالشكل والاسلوب •

ولكن هذا النوع من النثر قد انقضى اليوم عصره وزال سلطانه ، فعادت الحرية المطلقة الى النثر بفضل نهضة الآداب العربية التي بدأت منذ ثلاثة ارباع قرن تقريبا •

وفي هذا الباب ذكر بعض المتتبعين للادب مرارا عديدة ما للتأثيرات الاجنبية من فضل على هذه النهضة سواء من حيث الاسلوب وفن التعبير او من حيث تجديد اللون الادبي في ذاته واختيار المواضيع وهي عوامل لا يسكن نكرانها ولكنها لم تكن لتؤثر لو لم تصادف رغبة دفينة في الانبعاث وشوقا الى احياء تراث عظيم قد وقف سيره •• تراث القرنين الثاني والثالث للهجرة ، ذلك ان البشير والشعوب لا يقبلون من التأثيرات والعوامل في باب العبقرية الا ما كان ملائما للخلاصة الخالصة من عقليتهم مسايرا لما لها من حركة وتوثب •

وها هو ذا اليوم النثر العربي قد تهذبت حواشيه واتضحت آياته وتم تجديده على ايدي الجيلين الآخرين من الكتاب وبفضل ما بذله هؤلاء من جهود متواصلة وما جروا عليه من جد وعمل حتى اصبح هذا النثر اهلا لان يكون اداة تعبير لحضارة عصرية وبلغ هذا المستوى من الرقي الذي به يتم تأليف الآثار الفنية الخالدة •

واني آمل بكل قوة ان يأتي اليوم الذي يوجد فيه تصنيف لمؤلف عربي من المعاصرين ينقل الى اللغات الاوربية فيقيم لابناء الغرب الدليل على ان ابناء عدنان وقحطان قادرون مرة اخرى على تنمية كنز الفكر البشري •

كربلاء ـ العراق حسين فهمي الخزرجي



الصهيونية المعاصرة ، وختم جولته قائلا :

« ان تأثيره ــ التلمود ــ على يهود اليوم ، لا يقل عن تأثيره علـى يهـود الامس ، بل ان اسرائيل ولفنسوية في كتابه اليهود في بلاد العرب ، ص ٢٣ يرى عدم العمل بالتلمود ارتدادا عن اليهود » اذ سلطة التلمود الان هي الاولى •

على هذا العنصر الديني ، الذي ينزع لجذور تلمودية ، قامت الصهيونية ، اذ هي بنت التلمود ، وحفيدة العهد القديم وحليفة البروتوكولات ••

لقد أججت هذه المصادر ، نار الحنين لفلسطين ، وارتنا ترانيم تفوق مراثي ارميا ، قبل ان يطرأ اسم عشاق صهيون •••

هذه المصادر ، ترنو لرؤية الهجرة اليهودية ، مـن زوايا العالم ، متوجهـة شطر بلاد اللبن والعسل ، تحقيقا لنبؤات بل تأوهات حزقيال •

لا يوجد في الصهيونية سوى ترديد أهـداف تلـك المصادر ، وان تفوقت مناهج التنفيذ الآن ، بالتنظيم والاستعانة بالوسائل الطبيعية ، كما قـال أحـد هاعام ••

اذن ، ليست الصهيونية الحديثة ، صاحبة فكرة انتزاع فلسطين ، بـل هي تنظيم حديث ، أفضى لتنفيذ مخطط الانتزاع •

ورث هذا التنظيم ، الاستعانة بالدول القديمة علـى ابادة سكان فلسطين ، كما نرى في سفري المكابيين الاول والثاني ، واخذ يستعين بالدول الحديثة •

ورث عصمة التلمود ، ونفذ ما اتفقت اليهودية على تنفيذه اجيالا ، فـي جميع ظروف الزمان والمكان ، وشد اليهود مـن اطراف الارض ، بحبال العهـد القديم والتلمود ، وتبناها مرجعا لانظمتـه وموجها لسياسته ، وهـو « طبعا » لا يتبنى ما يفتر همته ويضعف عزيمته •••

لقد كفانا مدرس الدراسات التوراتية ، في الجامعة العبرية ، مهمة تعقب اثر التلمود ، في اقطاب الصهيونية الحاضرة فقال :

« ان الطابع الديني هو السبب الداخلي الاوحد وراء كفاح اليهود » •

الروح التي يتحدث بها وايزمن بل ويصرح بان التلمود يرى غير اليهود حيوانات يجب شنقهم وقتلهم (١) وكثيرا مـا كنت احـدث سلافـو عـن قصة اليهودي والمجوسي فيعلق قائلا :

(هذا لا يزال قائما) •

أي ركن من اركان الصهيونية ليس تلموديا ؟ ان شاعر الصهيونية ـ بياليك ـ نفسه ، خريج مدرسة تلمودية ، وقـد عاش بفلسطين عشر سنوات ، ١٩٢٤ ـ ١٩٣٤ لخدمة التلمود ، ونشر أهدافه وحفظ نصوصه ، اما احد هاعام فقد استمد نشاطه ومقالاته من التلمود ••

ولم يخف أقطاب الصهيونية هؤلاء ، اهدافهم التلمودية ، حتى أن هرتـزل الف كتابه « الدولة اليهودية » على أسس تلمودية ، ونادى بهذا بروايته «الارض القديمة والارض الجديدة » واعلن انه ساع لاقامـة دولـة ثيوقراطية ، يتخـذ لاقامتها من فلسطين موضع قدم ، كما نادى بهذا في يومياته ج١ ص ٣٤٧ و٧٠٣ اذ قال ما نصه :

« كلما ازداد عدد المهاجرين ، ازدادت حاجتنا للارض » •••

التلمود يرى يهود العالم ، مكلفين بالتوجه شطـر فلسطين ، ولـم يـزد المعاصرون ، على تنفيذ نصوصه ، التي يشاهدونها في سفر اكتوبر ت ١١٠ ص٧١ و١١١ و أ ص ٧١٤ ، وقد صرح بها الصهيوني المعروف « كاليشر » معللا تدفـق المهاجرين بقوله :

« كي تصبح البلاد تدريجا في حوزتنا ونمتلك الارض المقدسة ، وفقا لمـا تنبأ به أنبياؤنا » •

هذا التوجيه الصهيوني المركز ، الذي لم تزده القرون الا صقلا ومضاءا ، هو الذي اوحى للشاعر الصهيوني « ليلينبوم » أن يتخذ شعاره « انـا لعينيـك يا صهيون » •

وهكذا اوجز صاحب الصهيونية والتلمود ، سيطـرة التلمود علـى النفس

١ ـ وهذا ما يعترف به رزوق نفسه في ص ١٥ من كتابه ٢ •••

اوجز الدكتور رزوق حديثه حول صهيونية الرعيل الاول والثاني من بناة الصهيونية الحديثة بقوله :

ومعظم الزعماء الصهيونيين المنحدرين من بيئات في شرقي اوروبا يحملون الاثر التلمودي في نشأتهم الاولى وتربيتهم) .

ورغم هذا الاعتراف الجامع يصر الدكتور على تقي الصلة بين التلمود والصهيونية قائلا :

(وهناك تعاليم ـ يعني في التلمود ـ تتنافى مع الدعوة الصهيونية) .

اما الرعيل الثاني ، فحسبنا منه ان هرتزل نفسه ترعرع في كنف جده (سيمون لوب) ببيت يعرفه الناس مركزا للحجاج العائدين من القدس كل عام بعد مشاهدة الله باكيا نادما يئن في خرائب الهيكل ، بل حسبنا ان الدكتور رزوق نقل الاعتراف بتأثير ذلك البيت في حنايا هرتزل .

تناسى الدكتور رزوق كل ما حدثنا به حول تلمودية اقطاب الصهيونية المعاصرين وحرص على تبرأتهم من العهد القديم والتلمود وارادهم علمانيين ديموقراطيين بل ودلو برأهم من الانطواء على التوسع والابادة ولم يعترف بان انتزاع فلسطين ليس هو سواد عين العهد القديم وبيت قصيد التلمود وغاية منهاج التهويد البعيدة !

اذن فاقطاب الصهيونية تلموديون يرون الاجهاز على العرب واجبا مقدسا ، كم نادى بهذا الاستاذ جاكوب كاتتر احد اساتذة الجامعة العبرية المعاصر .

من مدارس التلمود في اوروبا الشرقية ، برز قرن الحركات التي دعوها بداية استعادة الامجاد الغابرة ، وتخرج المصممون على القفز من فلسطين سواء ، تحقيقا لمخطط الارض الرمزية الذي نراه في الماسونية ، او في ادوار شهود يهوه .

ومنها تخرج مؤسسوا الدولة الثيوقراطية المصممة على هدم الاقصى وحاملوا العقائد التلمودية التي لم يزدها مرور السنين الا تأثيرا وبكاء وهنيئا لتنفيذها .

تلاميذ هذه المدارس احلوا التلمود مركزا رفيعا ومنهلا يستقون منه فكرهم

هذه الدولة ، الدينية ، جمعت المنفيين بالوسائل الطبيعية ، لان تجميعهم كما قال أحد هاعام : لا يتم بالعجائب ، بل بالوسائل الطبيعية .

سلطة رجال التلسود هي الاولى ، ويرون الدولة لا تتجرأ على رفض مطالب دار الحاخامية ، ويرون حق الفهم والاستقراء موقوفا عليهم ...

حمام العروس

لقد توارث السواد منذ اجيال واجيال ، وجوب تنفيذ نصوص التلمود ، وما زال يعكف على التنفيذ حتى الفه ، ورأى التساهل بحرف من حروفه ، كقصة « حمام العروس » مثلا جريمة ..

وخلاصتها ، بعض الحاخاميم يرون لانفسهم حقا بمراقبة العروس ، اذا استحمت ليلة زفافها ، وان رأى بعضهم وجوب استتارها لحظة الدخول ورأى اخرون عدم الوجوب .

لقد أثارت هذه المسألة نقاشا مريرا ، حمي وطيسه عام ١٩٦٤ ، وتوسلت الدولة بلسان بن غوريون ، طالبة تعديل مفهوم النص ، لكن دار الحاخامية ابت الا تنفذه بحروفه .

دار الحاخامية ، عباد ــ بتشديد الباء ــ حرف ، هذا ما يريني اشد الناس تمسكا بالصهيونية ، اشدهم تمسكا باليهودية ، ومن هذه النافذة ارى ثيودور هرتزل ، وموسى موتتيفوري وأحد هاعام وآل روتشيلد وهربرت صموئيل ، وسواهم وسواهم ، من الذين قادوا قافلة انتياع ارض بفلسطين ، وسعوا للتهجير لها ، وفتحوا مدارس زراعية بها ، واقاموا حراسا لمستعمراتها ، اراهم تلسوديين عريقين ، واعطفهم على عزرا ومفنيا ونحميا وحجي وزربابل ، ثم طرأ عليهم كلمة صهيونيين ...

حام الدكتور اسعد رزوق حول تلمودية الصهيونيين العميقة ، وخلص الى القول :

ومما لا ريب فيه ان التأثير التلسودي يبدو واضحا لدى هذا الرعيل الاول (يعني مرافقي هرتزل) او ميثاقها مع الدين ميثاق ازلي .

بألف لا يشهدون ..

وضع الدكتور تبعة ما زعمه اليهود اضطهادا على عاتق اوروبا وعلله بالحسد لانتسابهم لسام وانتساب سواهم لكنعان ويافث ، ولم يتذكر ان هرتزل قال :

لو لم تكن السامية موجودة لوجب ان نوجدها .

واستمات الدكتور بتبرئة اليهود من التمسك بعهدهم وتلمودهم وارادهم علمانيين ديموقراطيين ، طبعا لينفذ من هذه المقدمة لنتيجة هي المقصد البعيد البعيد من كل هذا الكتاب :

تلك النتيجة لو شاء الدكتور الافصاح عنها لما زاد على :

« ان الذين يدفعون خطر المد الصهيوني بيد دينية ، رجعيون ، سائرون في طريق مسدودة » .

مثلا ، لم يلتفت لما تواتر في التاريخ حول سارقي الاطفال الذين حدثنا عنهم البيروني في كتاب (الآثار الباقية) ص ٦٧ و٦٨ وفاض على السنة واقلام المؤرخين بجميع العصور وحققه الدكتور علي سامي النشار في كتابه (مدخل الى الفلسفة) ج٢ ص ٣٢٥ .

نموذج من كتاب « الصهيونية والتلمود »

جمع هذا الكتاب بين النفي والاثبات بحقول كثيرة ، اقتصرنا منها على الاجابة على سؤال ، هل مؤسسو الصهيونية الحديثة تلموديون ثيوقراطيون ، ام قوميون علمانيون ديموقراطيون ؟؟

نصوص آيات

١ ــ معظم الآراء عن العودة من زوايا الارض ــ لفلسطين ــ تعود التفوق لجذور تلمودية ص ٢١٣ .

٢ ــ التقى التلمودية هي حب صهيون ، والدعوة الى تشجيع الاستعمار اليهودي لفلسطين ص ٢٢٠ .

٣ ــ احاط بهرتزل عدد من التلموديين ص ٢٢٢ .

وفرضوا تدريسه في جامعاتهم ثم اقاموا له مدارس استثنوا طلابها من الخدمة العسكرية واخذوا منه عام ١٩٤٧ يصدرون موسوعة باسمه اذ هم اركانه وحاملو رايته !

الا ما اجهلنا حين نردد ما وجه له رزوق ونعلله قائلين :

التفريق بين اليهودية والصهيونية يكثر الاصدقاء ويقلل الخصوم ناسين ان هذا ليس صحيحا اذ اليهودية نفسها تعرض علينا انتزاع فلسطين من الكنعانيين منذ سنة وعشرين قرنا عرضا لم يعرف التعديل !!

لقد قامت جميع الحركات اليهودية في نطاق منهاج هـذا الانتزاع وليست الصهيونية الا وريثة جمعية جلعاد التي ارتنا اليهود في مطلق ارض من العالم يدعون جمعياتهم باسم جبال فلسطين ووديانها (١) •

والصهيونية لم تأت بجديد بل ضمت لجشع العهد القديم الطامع بذهب الحويلة وحمرا العراق جشعا جديدا ونهما فريدا يريها كفوز الشرق الاوسط وسوائله ومركزه التجاري بعين جائع اقبل نحو حانوت عطار •

وعلى هذا فكل يهودي صهيوني وتلمودي ، بل وجميع الذين يرون بمجموع العهد القديم قداسة الوحي او يعبرون عن جميع اسفاره بكلمة (كتبت بيد ملهمين) كل هؤلاء ــ ولو مع التفاوت ــ صهيون ، او ــ على الاقل ــ بزعجهم امتداد صهيون السياسي والعسكري ولو لمس عشا منه درجوا •

موجز القول

دافع الدكتور عن اليهود وبرأهم ، او حاول تبرئتهم من قصة « الذبائح البشرية » ولم يقل هذه الحوادث سلسلة يشد بعضها بعضا ، بل قال :

ان ابن حزم لم يتحدث عن هذا الموضوع ، وهذا دليل على عدم وقوعه •

أقام الدكتور الدليل السلبي ، مقام الادلة الايجابية ، فذكرنا بقصة اللص الذي قال له الحاكم : ان فلانا وفلانا يشهدان بما يدينك ، فاجاب : سآتيك

١ ـ جلعاد اسم جبال عجلون وصهيون اسم جبل في القدس واشلكول اسم واد .

مع الخالدين

مع المتنور بوذا

بقلم: سمير شيخاني

صوت ــ للبوذية اليوم من الاتباع ما يفوق اتباع أي ديانـة اخرى عرفها التاريخ • ذلك بأن عددهم اليوم يناهز الخمسماية مليون• وصور بوذا ، ورسومه مألوفة كأي عمل فني آخر في العالم بأسره • ولكن كم منا من يعرف مـن هـو بوذا ، وماذا كانت الرسالة التي جاء بها الى الدنيا ، واي شيء اراد قولـه حول مشاكل الحياة ؟

طوال خمس واربعين سنة ، وحتى وفاته في سن الثمانين ، يهيـم عبقـري الارادة والعقل ، في وادي نهر الغانج المقدس ، مستيقظا عند الفجر ، سائـرا بين خمسة عشر ميلا وعشرين كل يوم ، معلما بسخاء كل الناس دون أي مكافـأة ، ودون أي تمييز بين الطبقات والطوائف ، مرشدا الى سبيل السعادة التي وجدها شخصيا • ولم يكن مشاغبا ، فلم يلق أي مضايقة لا مـن قبـل الكهنة الذيـن عارضهم ، ولا من قبل أي حاكم • وقد نعم بالشهرة والحب بحيث انه كان كلما اقترب من مدينة هرع السكان اليه ناثرين الزهور على طريقه • وقد كانت غايته الحقيقية المنتصرة تعليم الـناس طريقة نبيلـة وسعيدة للحيـاة والممات في هذا العالم الاول • فلنتعرف فيما يلي الى حياة بوذا التي تعتبر مـن أبسط وانبـل القصص التي عرفتها الآداب الدينية في التاريخ •••

بـوذا ــ اسمي الاصلي سيدارتا ساكيا ــ موني غوتاما ــ الذي يعني اذا ما ترجمناه الى العربية « غوتاما الذي ينتمي الى قبيلة ساكيا والذي بلـغ غايتـه من الكمال ! » ولدت في أسرة احد الامراء الهنود ، وكان والدي يحكم قبيلـة ساكيا في ظلال جبال حملايا • وكانت والدتي احدى زوجتي المهراجا ، وكلتاهما ابنة ملك مجاور • وقد قيل لي انه لما شعرت والدتـي الاميرة باقتـراب موعـد الوضع ، هرعت ــ كما كانت العادة القبلية تقضي ــ الى قصر والدها للولادة •

٤ ـ الشاعر الصهيوني ـ بياليك ـ تكلم عن دور التلمود بالتثقيف الصهيوني ص ٢٢٨ ٠

٥ ـ بعض اليهود رأى هرتزل مسيحا موعودا ص ٢٢٥ و٢٩٦ ٠

٦ ـ لتدريس التلمود مدارس تستثني الدولة طلابها من الخدمة العسكرية، وله موسوعة تصدر منذ عام ١٩٤٧ ٠

نصوص نفـي

١ ـ ان هرتزل لم يتأثر بالتلمود ص ١٩ ٠

٢ ـ الصهيونية ليست بنت التلمود ولا تتلقى منه همجية تعاليمها ص ١١١

٣ ـ فكرة القومية التي عرفتها اوروبا بالقرن ١٩ و٢٠ هي المحرك الاساسي لصهيونية هذا الفريق ، ـ يعني هرتزل واخوانه ـ وهذا اقرب الى الحقيقة من نسبة صهيونيتهم الى تعاليم التلمود ص ١٣٢ ٠



وهكذا نرى مؤسسي الصهيونية والصهيونيين المعاصرين ، تارة يجزمون بعصمة التلمود ويقيمون دولتهم على حجر زاويته ، وطورا ملحدين بالتلمود بل والعهد القديم ، يغزون فلسطين تحت لواء القومية والعلمانية ٠٠٠

ولا ريب ان القاريء يرى في نصوص الاثبات تصميما تلموديا يثبته الواقع، في نصوص النفي هنا وتكلفا وحرصا على تخفيف مدلولها ٠٠

ويرى بل يلمس من نصوص الاثبات تأثير التلمود في نفوس الصهيونيين ، ويرى الماسونية والبروتوكولات ، جداول تحاول الانقلاب نهرا معدا لاغراق العرب اولا ٠

ليت هذا الكتاب حدثنا ولو لحظات :

باي نقطة اختلفت الصهيونية مع البروتوكولات والتلمود والماسونية ؟ هل بنقطة مسيا ام بنقطة الحية النحاسية ، ام بنقطة التصميم على هدم الاقصى والقيامة ، ام بنقطة ابادة كنعان ، ام بنقطة الاستغلال والاستعلاء والاستعداء ٠٠ ام بتناقض التلمود نفسه ٠

بيروت محمد علي الزعبي

الاحتفالات الصاخبة ، وانشدوا : « سعيد هو الاب ، سعيدة هي الام ، سعيدة هي زوجة مثل هذا الابن وهذا الزوج » •

صوت ـ ولكنك فكرت بينك وبين نفسك ان تلك عقدة قوية اخرى ينبغي لك ان تحلها • فانتظرت المأدبة التي اقامها والدك المهراجا ، للاحتفال بولادة الطفل ، لتتسلل خارجا من القصر وسط الليل دون ان تترك أي كلمة لاحد ، ولكن بعد ان ألقيت نظرة على زوجتك وطفلك النائمين • لقد كانت ارادتك حديدية ، ذلك بأنك تحولت من امير زمني الى امير للزهاد والنساك • وانتشرت شهرتك انتشار صوت جرس ضخم معلق في السماء !••

بوذا ـ وسط ذلك الليل ركبت العربة التي كان يقودها خادمي شانا وصوت الشيطان يلاحقني مرددا : « عد وكن ملكا ، وسأجعلك اعظم ملك على القارات الاربع • تخل وحسب عن هذه المغامرة الجنونية » • ولكنني لم اصغ الى ذلك الصوت • فالوعد الذي قدمه الي ومناني به لم يكن سوى هواء الليل الفارغ • وبلغنا ضفة احد الانهار عند الفجر ، فقصصت شعري الطويل ، ونزعت عني ملابسي ومجوهراتي الملكية واعطيتها كلها مع جوادي وسيفي الى شانا ، وطلبت اليه ان يعود الى القصر ويخبر والدي وزوجتي بما عزمت عليه • وبعدها ارتديت ملابس الفلاحين الخشنة ومضيت أنشد الحكمة من أفواه الحكماء الذين كانوا يقيمون في كهوف التلال •

صوت ـ ولكنك لم تجد ما تتعلمه من معلمي الديانات القديمة • فأنت لم تنبذ الثروة والجاه والاسرة وتصبح اشبه بالمتسولين لكي تلتقط حكمتهم • فهؤلاء المعلمون الدينيون كانوا مثل مهراجات الهند أسياد الشعب ، وكانوا يستعبدون نفوس الجماعات ويقيدونها بقيود الخرافات والشعوذة والطقوس والمراسم •

بوذا ـ صحيح ما تقول فهؤلاء الكهنة البراهمة لم يكونوا يعرفون أي شيء عن الحقيقة • فطوال ست سنوات عملت بحرفية تعاليمهم • وكان السبيل الوحيد للخلاص في عرفهم العيش عيشة الزهد والتنسك • ولكنني مع كل زهدي وتنسكي لم اقترب قط من الحقيقة • وايقنت عندئذ ان السبيل الى راحة بالي

ولكن المخاض جاءها وهي في الطريــــق ، فوضعتني في بستان هــادىء ملــيء بالاشجار الاطلسانية .

صوت ـ أود ههنا ان اذكر انك ابصرت النور قبل الميلاد بخمسمائة وثلاث وستين سنة ، واقصد بذلك ميلاد السيد المسيح ، مؤسس المسيحية الذي ولد في مذود حقير في بيت لحم بفلسطين لاب كان نجارا . ومع ان ثمــة اختلافــا كبيرا بينك وبينه من حيث الوضع الاجتماعي ، الا ان تعاليمكما السامية تكاد تتشابه ، كذلك الطريقة التي بشرتما بها ونشرتما تلك التعاليم ... فــقد كــان كلاكمــا تطوف في ارجاء بلاده ، مبشرا الذين يلتقهم ويختلط بهم . هذا ما وددت قوله ، فأرجو ان تستمر في سرد وقائع حياتك .

بــوذا ـ حسنا ، ترعرعت وسط مباهج القصر الملكي في كاپيلا ـ فستو ، وكنت من هذه الناحية اسيرا في سجن من الرخام والذهب ، لا اتصال لــي بعالم شعبي . وكانت حياتي سعيدة جدا وزائفة جدا بروعتها المدهشة . وقــد قطفت كل ثمرة شهية من شجرة الحياة ، بالغا الاغصان الاعلى منهــا ، كلمــا ازدادت قامتي طولا ، وازداد طموحي . ثم لما بلغت التاسعة عشرة اقترنت بابنــة عمــي الحسناء يازودارا .

صوت ـ ولكن اشراقة زواجك عكرها سواد ظلال الخيبة المريرة . ذلــك أن زوجتك كانت عاقرا . فبدأت تكتنف وتطيــل التفكير في اســور الحيــاة ، وتتساءل لماذا تكون هبة الحياة في أحسن حالاتها كجوهرة زائفة يمنحنا اياها اله بخيل ؟ لماذا ينبغي ان تكون اسعد حياة مليئة بالآمال غير المحققة ؟ واخيرا ، هل الحياة جديرة بأن نحياها ؟

بــوذا ـ وتنيجة لهذه التساؤلات ، وبسبب معرفتــي بشقــاء الانسان ، عقدت العزم على القيام بعمل ما . ففتحت قلبي للكهنة المتجولين الذيــن كانــوا يستجدون على عتبة قصري ، وأصغيت لاقوالهم ، وطلبت اليهم ان يحدثوني عن اهانات هذا العالم ومخادعاته . وعندها قررت ان اغادر القصر ومباهجه لاصبح حاجا متوحدا يبحث عن الحقيقة . فلمــا تأهبت للشروع في الرحلــة ، بلغني ان زوجتي قد وضعت اخيرا طفلا ذكــرا . واحتشد حولــي الــناس ، واقامــوا

ـ ليتمجد الودعاء الذين نبذوا كل نية سيئة وكل غرور واعتقاد بأنهم اقوم الناس اخلاقا ، واحلوا محلها الحب والشفقة والعطف •

ـ لتتمجدوا عندما توجهون افضل جهودكم للتدريب الذاتي وضبط النفس •

ـ ولتتمجدوا دون حدود عندما تنعتقون من قيود الفردية والانانية •

صوت ـ وهكذا راحت شهرتك واسطورتك تذيعان في ارجاء الهند • وقد رويت الحكايات والقصص الكثيرة عن حكمتك ونظامك ! واصبحت تلك القصص متحابكة في انجيل بوذي عظيم • واذا شئت ان اختصر تعاليمك فأقول ان السبيل الاكيد للخلاص ـ في نظرك ـ هو من خلال الاحترام المتبادل بين البشر بغض النظر عن الطبقات والعقائد •

بوذا ـ وانا من حث أتباعي على عدم استعمال اي سلاح للاقناع اللهم الا سلاح اللطف الذي هو اللسان المقنع • « فاذا لم استطع ان اقنعك ، فلا ينبغي لي أن أحكم عليك ! »

صوت ـ ولم تكن تهتم بلاهوت دينك ، بل كان اهتمامك ينصب على خلاقيته فحسب •

بوذا ـ هوذا الواقع •• فأنا لا اعرف شيئا عن سر الله ، ولكنني اعرف كل شيء عن بؤس البشر •

صوت ـ وبالاختصار ، فقد علست شعبك بطولة الالم دون التسبب بالالم ، والشجاعة امام الموت دون قتل • وفوق كل ذلك ، علمتهم الصبر ـ الصبر الرزين الذي اشتهر به الشرق ، والرفق ، واللين • وقد بشرت بقوة الحب ، وكنت تود ان تغسل العالم بالحب • ولذا تنازلت عن عرش لكي تعيش وسط المحرومين • وحثثت اتباعك على ان يحذوا حذوك ، فيتخلوا عن عرش التكبر والغطرسة ويختلطوا بتواضع مع ابناء جنسهم • وكان كل مترهبن يدخل السلك الذي انشأته ـ « رهبنة الثوب الاصفر » ـ ينبغي له ان يلتزم بحياة التجوال على وجه الارض • وقد فرضت على نفسك تحرير فكرك تماما من

والسلام الداخلي ليس في ألم الجسد . وهكذا رحت احيا حياة طبيعية وآكل كالآخرين . ولكن الذين كانوا يؤمنون بالخرافات والذين كانوا قد تجمعوا حولي وأصبحوا من تلاميذي سرعان ما انفضوا عني مرتدين خائبي الرجاء ! ووجدت نفسي وحيدا من جديد .

صوت ــ وذات ليلة جلست تحت شجرة تين ضخمة معمرة تتنازع وشكوكك ووحدتك ، عندما نزل عليك سلام عظيم . ولما أفقت عند الفجر لم تعد غوتاما المتشكك ، بل اصبحت بوذا المتنور . ذلك بأنك اخيرا قد فهمت السر الكبير للالم البشري ، واسبابه وعلاجه . وما لبثت ان يممت شطر مدينة بناريس حيث ألقيت اول عظة لك في حديقة للغزلان . وقد استمع اليها خمسة اشخاص . فأدهشهم ما سمعوه من اقوال جديدة تختلف كثيرا عن الاقوال التي كان يرددها عليهم كهنتهم . فماذا قلت لهم ؟

بــوذا ــ قلت لهم ان الطريق الصحيح للخلاص ليس في عالم خارجي ، بل داخل نفس كل انسان . وقلت لهم كذلك، ان المهم في نظري هو تصرفات الانسان في وجود الحاضر . ثم انني في تلك الفترة البدائية نوعا من التاريخ اعلنت القاعدة الذهبية التي تفتح العيون ، وتمنح التفاهم ، والتي تؤدي الى راحة البال ، والحكمة الاسمى ، والتنور الكامل .

صوت ــ ان الموضوع الرئيسي لكل عظاتك كان بلوغ التنعم بالسعادة الروحية . فهل لك ان تسمعنا احدى تلك العظات ؟

بــوذا ــ ليتمجد اولئك الذين يعرفون ، وتكون معرفتهم منزهة عن التضليل والخرافة .

ــ ليتمجد اولئك الذين يقولون ما يعرفون بطريقة رقيقة ، وصريحة ، وصادقة .

ــ ليتمجد اولئك الذين سلوكهم مسالم وشريف وخالص .

ــ ليتمجد اولئك الذين يكسبون معيشتهم بطريقة لا تسبب الاذى او الخطر لاي كائن حي .

وست أند





« شؤون الزمان والوعي » •

بـوذا ـ وكرست حياتي لهدف واحد وحسب هـو « السعادة من خلال السلام » ، مجتهدا في عدم مس أي كائن حي بأذى • فكما ان النحلـة لا تؤذي الزهرة ، ولا لونها ، ولا اريجها ، وتطير بعد ان تمتص الرحيق ، كذلـك ليعش الرجل الحكيم على الارض •

صوت ـ رائع جدا ! وفي ذات مرة اثنـاء تجوالك حولت خطـاك نحـو كابيلافاستو ، المدينة التي كان يحكمها والدك • فاستقبلك اخوتـك واعمامك ، وحتى والدك في احدى خمائل العاصمة القديسة ودهشوا لرؤيتك على الحال التي وصلت اليها وبخاصة لما تناولت صحنك ورحت تطوف بالموجودين طالبا الاحسان منهم • اما انت فدهشت لرؤية الجميع من دون زوجتك ، يازودارا •••

بـوذا ـ بالطبع •• فهرعت افتش عنها فوجدتها في الحجرة الـتي تركتها فيها آخر مرة رأيتها قبل مغادرتي القصر ، نائمة وبين يديها طفلنا • فلمـا رأتنـي بثوبي الاصفر ورأسي الحليق وملامحي النحيلة ، عصفت بها ذكرى حياتها السابقة السعيدة ، وخرت على قدميها ، وتشبثت بقدمي وراحت تنتحب بـمـرارة ••• ورآها والدي فطلب الي الصفح عنها كما صفحت هي عني ، واحبتني طوال هذه المدة ورفضت ان تأكل الا وجبة في اليوم ، وان تنام على السرير الزوجي بدلا من افتراش الارض •

صوت ـ وعندها خفضت عينيـك بصمت ، فـفهمت يازودارا ، ونهضت وذهبت لتعود بابنكما راهولا بعد ان ألبسته اجمل الثياب • فتقدم منـك مرحبا بعودتك سائلا اياك ان تعطيه حصته في المراث • وكان ان اعطيته بعد ان بلغتما شجرة التين الضخمة المعمرة صحنا مثل صحنك لجمع الصدقات وطلبت اليـه ان يدخل السلك المقدس الذي أنشأته ، ويتبعك • وطوال السنين التي تبقت لك من حياتك المديدة ظللت تجوب المدن وتخيم في الضواحي ، والحدائق وعلى ضفاف الانهر معلما انجيل السعادة ، واصبحت الها لديانة جديدة أنت الـذي لـم تكن تؤمن بأي الـه !!!

بيروت سمير شيخاني

وجلــوت آفــاق المعارف فازدهت ... لــم لا وانــت دليلهــا المتبصــر
سجلت فــي التاريخ غــر صحائف ... ستظـــل مشرقــة ولا تتستـــر

★ ★ ★

يــا صفوة الاحرار ذلــك وفدكم ... دنيــا بألــوان الــثقافــة تعمــر
نزل السرور المحض حيث نزلتــم ... وسعــى يقبلكــم ولاء مبهـــر
خــير الضيوف بكربــلاء حللتــم ... غــر الجبــاه ونعــم هــذا المنظر
فعلــى لقائكــم الحبيــب تحيــة ... ازكى مــن الطــل الشفيف واطهر

كربلاء ـ العراق ... سلمان هادي آل طعمة

★ ★ ★

رسل الثقافة

شعر: سلمان هادي الطعمة

« تحية لوفد مؤتمر الادباء العرب الذي زار كربلاء »

يـا وفـد حياك النضال الاكبـر ... وصبـا لمقدمـك الـفرات الـنير
وهفت على الوادي البشائـر طلقة ... باللطـف تعبـق والمـودة تزخـر
فاستلهمت وحـي القريض عواطف ... قـد هزها يـوم اللـقاء الازهـر
أنتم بنـاة الفكر فـي هذا الحمى ... ومنابـع بسنـا الحجـى تتفجـر
بكـم المواطن تستعين اذا طغـى ... خطب ولـف الشرق غيـم اكـدر
وبكم زها وجـه العراق وكيف لا ... يزهـو وأنتـم فجـره المتنور
فالافق لـولا نوركـم لا يزدهـي ... والارض لـولا سعيكـم لا تثمر
والعلم سيفكم الـذي في حـده ... يرتـد طيـش الغادريـن ويخسر
فاذا نهضتـم للكفـاح امامكـم ... هبت نـفوس كالليـوث تزمجـر
واذا دعوتـم فالعيـون شواخص ... والعزم يرعد فـي الصدور ويهدر
تغفو العيون عـن الضلالة والعمى ... وعيونكم ترعـى الحياة وتسهـر

★ ★ ★

حـي الـثقافة ، والـثقافة مصدر ... ثـر يسجلـه الكفـاح الاوفـر
يـا موكب الادباء هب لي منطقـا ... فالـى لـقاك قلوبنـا تتحسـر
قـدت السفينة ، والغيوم كثيفـة ... والمـوج يطغى والعواصف تـزأر
وحملت اعبـاء الـثقافة صامـدا ... لا تنثنـي فزعـا ولا تتقهقـر

الكلب الوفي

شعر : محمد أديب غالب

ربيت كلبا فصار الكلب انسانا والكلب خير من الانسان أحيانا
فنال كلبي بالاخلاص مرتبة وفاق بعض الورى بالخلق وجدانا
وصار يكرم مني كل عاطفة ويدفع الدين جزلانا ونشوانا
حتى سما وتعالى في محبته ورد احساني بالوجدان احسانا
الكلب لا ينثني عن حبه أبدا ولا يقيم لغير الحب سلطانا
الكلب يحيا وفيا نحو صاحبه وفي الوفا صار للانسان عنوانا
الكلب يحمل اسما غير ان به من الامانة ، اشكالا وألوانا

★ ★ ★

وجئت يوما الى الانسان في لهف ارد عنه الردى من حيث قد كانا
وارتجي له كل الخير عن سعة واصطفي له عيش العمر ريحانا
ورحت أشبع منه الجوع تحنانا لعل يصبح بالاحسان شبعانا
وقد نسيت بأن النفس طينتها من طينة الشر والاهواء بنيانا
اذا به ذات يوم يوف مرحمتي حربا ويقذفني بالغدر نيرانا
حتى بدا هكذا الانسان كلبانا وصار بعد الوفا الكلب انسانا

★ ★ ★

يا أيها الناس خير الناس في نظري من عاش للحب، لا من عاش شيطانا

طرابلس ــ لبنان
محمد اديب غالب

شارع الحمراء
بمناسبة عيد الفصح

شعر : محمد كزما

في عاصمتنا شارع فيه الغواني تمرح
شبانه خنافس والقبح فيهم أقبح !
شقراؤه تكبر ... سمراؤه تسبح ...
العهر فيه شائع والطهر فيه مسفح
للشرب فيه حانة الخمر فيها يطفح
وجانباه مسرح فيه البغايا تسرح
كلابها سمينة لكنها لا تنبح ...
يعج بالناس ضحى وبالعطور ينضح
نهاره مسترخي وليله لا يسزح !
للغد فيه منبر للسر فيه مطرح
تمشي على أرصفة فيه الزحام مفرح
معرض أزياء على أجسام عاج تنضح
صبابة ... مغناجة ... يحلو لها التبجح
أجواؤه محمرة والنار فيها تقدح
أعياده دائمة والفصح فيه أفصح !

محمد كزما

والشاربون حليب الام في دعة … صاروا يتامى •• وعين الام لم تنم
يا ويحمن ضربوا، يا ويحمن ثكلوا، … يا ويحمن يتموا•• من لي بمعتصم؟!
يا ذل من سكتوا•• يا ذل من جبنوا … أصابهم صمم •• حيى على الصمم !
لو عاد يوما «ابو سعدى» لساحتنا … «لقطع الروس » من غيظ ومن ألم !

★ ★ ★

لا يصلح القوم فوضى لا نظام لهم … وكل علم مع التخطيط ينسجم
لا تيأسوا ، ان فجر المجد منبلج … وكل جرح ، مع الآلام ، يلتئم
والظلم ، مهما تمادى في قساوته ، … يذكي لظاه ، ويلقى شر منهزم
أعقل •• توكل ، كما قال الرسول … ولا تكن همـلا تنساق كالغنم
فالحق لا يرتجى في شكل مظلمة … ولو تفانت له « جمعية الامم »
الحق للقوة الهوجاء ، يا وطني ، … فشد عزمك تأمن شر مقتحم !

★ ★ ★

يا آل ناصر ، والايام شاهدة … لأنتم خير من يبقى على الذمم
كبش الفداء••وهل في الساح غيركم … سلاحه لامع في حلكة الظلم
عشتم لنا خير ذخر ، يا أحبتنا ، … لولاكم ما رفعنا رأس منتقم !

« ابو فادي »

انصفونا

● قال عبد الملك بن مروان : انصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة ابي بكر وعمر ! ولا تسيرون فينا ولا في انفسكم بسيرة رعية ابي بكر وعمر ! نسأل الله ان يعين كلا على كل •

الـــى الشهيدين المرحومين
موسى ويوسف ناصر

« ان الله اشترى مـــن المؤمنين انفسهم ، على ان لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون • وعـــدا عليـــه حقـــا في الـــتوراة والانجيـــل والقرآن » •

صدق الله العظيم

★ ★ ★

حيـــي الشهيديـــن ملتفين بالعلـــم | واستلهم المجد ، بعد اليوم، يا قلبي
كبرتما في ظـــلام القبر ، لا عجب | ضريبة الكبر لا تغلـــو بـــدون دم
أقصى أمانـــي أن أجثـــو لقبركما | وأن اقبـــل رمـــزا باعث الهمـــم
نامت عيون المعالي عـــن مرابعنـــا | فاستفرد الخصم آسادا بـــلا أجم
قالوا : قوانـــا لهـــا حد لمعركـــة | قلنا : نـــفوسكم محدودة الشمـــم
قالوا : سنحمي بعـــد اليوم عزتنا | قلنا : ومن يحسكم من غضبة الالم؟
الشعب يحمل اوجاعا علـــى مضض | لكـــن ثوراتـــه تأتيـــك بالحمـــم
يـــا مستخفا بشعب الارز ، مبتسما | مستكثر النار من مستصغر الضرم
بركان شعبي هز الارض من غضب | وصب نارك في «الفيلات» لا الخيم
ويـــا الهـــا عبدنـــاه بـــلا ملـــل | هل ان عدلك قسطاس على الامم ؟!
فزمـــرة البغي في حـــرز وفي كنف | وأمة الحق والايمان في عـــدم !••
جريمة الـــغدر لا تنسى ، فليلكما | نور الى الفجر يهدي كـــل منهـــزم
حيران •• ألقى شباب الحي منكبتا | فبعد مصرع أهل العزم لـــم أنـــم
حلاوة العيش زالت اثـــر غيبتهـــم | وغصة الحلـــق هدت كـــل مبتسم

الدكتوراه الثانية ، باشراف الدكتور سعيد البستاني • ثـم حمل خلاصة عمله ، ودخل قاعة المحكمة بجامعة القديس يوسف ، ينتظر حكم اللجنة فيه •

وكانت مناقشة حامية بين المتهم ولجنة التحكيم ، انتهت بانتصاره ، ومنـح درجة الدكتوراه في الادب العربي بتقدير شرف اول • دخل الـى القاعة دكتورا واحدا ، وخرج دكتورين ، والباب مفتوح ••

وقابلته على الباب ، كان متعبا وسعيدا • لقد مر بامتحان شاق امـام قضاة قساة • لم يتركوا صفحة من رسالته دون تعليق وملاحظة • وكان يرد على اتهام القضاة بجرأة •

ـ « لم تكن التجربة الاولى ، وامل الا تكـون الاخيرة • ولكـن هـذه المرحلة كانت عنيفة جدا لكثرة المواد امام لجنة التحكيم • صحيح ، انني خرجت ظافرا ، ولكن عبئا جسيما ترتب على هذا النجاح • هـذا العبء هـو الاحساس بمسؤولية الاديب الذي يتحتم عليه تقديم المثل الذي سيحتذيه من يصاب بـداء احتراف الادب •

وجسيلة كلمة استاذي الدكتور عبد النور حين قال : انه لن يكتفي بالثناء•• حتى لا اغر واتناسى واجب التحقيق والدقة • وطبعا ••• ارجـو ان احقق طلب اساتذتي في كل ما وجهوه لي • وهو عبء كبير » •

● كيف وجدت المناقشين ؟

ـ لقد اتم الاساتذة الاربعة بعضهم بعضا مـن الناحيـة النقدية ، غير ان الدكتور البستاني وعبد النور كانا من العمق بدرجة تجعلني انحني امام توجيهاتهم الثمينة لانها صدرت من قلب استاذ الى قلب طالب •

اما الدكتور اسامة عانوتي ، مع احترامي لكل ما قدمه من ملاحظات قيمة ، فانه اطال ملاحظاته بشكل لم استطع تسجيلها ، مما جعل الفائدة منهـا معدومة تقريبا • وكنت ارجو ان يتئد في حديثه ليتسنى للمستمعين ولي الانتفاع بافكاره•

واحب ان اشير الى ان الاب بولس نويه ، كان مثالا للانسان الـذي يقدر جهد الطالب ، ويوجه الملاحظات على انه أب ذو قلب عطوف ، وعالم وفقه مواطن

واذا الصحف نشرت

مقابلة مع الدكتور « التونجي » بعد مناقشة دكتوراه الثانية

انه مدمن دكتوراه . ما يزال شابا . لا تعرف متى ينتهي ضحكه ومتى يبدأ قراءته وتأليفه .. اذكره مرة في امتحاد مادة النحو ، كتب لاستاذه في الجامعة العبارة التالية : « راجع في هذه القضية كتابي .. كذا » . وثار استاذه ، وكاد يسقطه في الامتحان . واذكر تعليقات زملائه الجامعيين على سرعته في الكتابة والتأليف .. كانت ساخرة جدا ، ومعبرة جدا . فمن جملة القصائد التي نظموها فيه :

يمارس التأليف في الطريق

ويعشق المجد على خازوق ..

وكان يضحك ، ويثابر ، غير ملتفت الى احد . له حتى الان ٢٦ كتابا مطبوعا بالعربية والفارسية والعبرية ، منها « غاندي وكفاحه المسالم ، المعجم الذهبي ، بدر شاكر السياب ، معجم الادوات النحوية » وغيرها .

من طهران الى ليبيا

في القاعة الكبيرة بجامعة القديس يوسف ببيروت اجتمعت لجنة التحكيم المؤلفة من : الدكتور سعيد البستاني ، الدكتور جبور عبد النور ، الدكتور اسامة عانوتي ، والاب بولس نويه . اجتمعوا ليناقشوا رسالة الدكوتراه الثانية للشاب الضاحك والمؤلف محمد التونجي .

نال محمد التونجي شهادة الدكتوراه الاولى من طهران . وعاد ليدرس في جامعتي دمشق وحلب . ثم انتقل الى ليبيا حيث يدرس الان في جامعة بني غازي.

امضى الدكتور محمد التونجي سبع سنوات عجافا ، يشتغل في موضوع

مكتوبة بالعربية والعبرية والانكليزية • حتى الاعلانات الرسمية مما يدل على ان العبرية لن تستطيع الحياة • فهي لغة قديمة ميتة • وتراثها الاول هـو التوارة • وبعض الكتب الشعرية •

وهم حينما يريدون التحدث بالعبرية يدخلون الكثير مـن الالفاظ الشرقية والغربية • وهذا هو الفرق بين العبرية القديمة الخالية مـن الدخيل تقريبا ، وبين العبرية الحديثة المطعمة بما يعادل الثلث من العربية والالمانية والانكليزية •

وقصدهم من محاولة احيائها خلق عامل من عوامل مقومات القومية • وهو اللغة طبعا • ولذلك فانهم يجمعون اليهود القادمين بشكل مدارس صغيرة ليلية واجبارية ، يعلمونهم بها هذه اللغة ، على امل التحدث بها في المستقبل •

ورأيي ان الاجنبي الاسرائيلي سيبقى على اجنبيتـه مهمـا فعلت السلطـة الاسرائيلية • والشرقي يفضل التحدث بالعربية لانها اللغة التي تحدث بها اجداده، ولانها اوسع افقا بكل تأكيد •

اليهـودي لايجيـد العبريـة
والعبرية لن تستطيع الحيـاة

● لماذا تدرسون العبرية اذن ؟

ـ نحن لا ندرس العبرية على انها احدى اللغات الحية •• ابدا ، انما ندرسها على انها احدى اللغات الميتة • وطالب كلية الاداب يجب ان يطلـع علـى بعض اللغات الشرقية والسامية لتتسنى له المقارنة بين لغته وادبـه وبين لـغات الامم المجاورة وادابها •

كما ندرس الفارسية ، لانها لصيقة بالادب العربـي وتاريخـه في الاعصـر العباسية تمام الالتصاق ويستغل دعاة نهضة اللغة العبرية هذه الناحية ، ويعلنون على الملأ ان اهميتها هي التي دعت الجامعات الى تدريسها •

● كيف تواجه حركة احياء العبرية الميتة منذ الفي سنة ، وتيار الدعوة الى اعتبار اللغة العربية لغة ميتة واستبدالها باللهجات العامية ؟

الجودة والمزالق التي يتعثر بها الشاب •

● صار لك تجربتان مع الدكتوراه وتجارب كثيرة في التأليف المستقل • ما الفرق بين كتابتك هنا وكتابتك هناك ؟

ـ التأليف عامة ، يجب ان يكون نقيا من كل خطأ ، مرتبا ومبوبا ، وتقدم فيه المادة تقديما سهل التناول لكل المطالعين •

اما التأليف الذي سيعرض على اللجنة ، فانه يتطلب دقة اوفى ، لان الناقد سيجابهك هنا وجها لوجه ، ويناقشك • وقد يسقط المرء في هذه المناقشة • ولهذا فيجب ان يكون هذا النوع من التأليف تام المكانة •

والتأليف له نقاده •• ولكن لا يراهم وجها لوجه •

ويستطرد الدكتور محمد التونجي ، فيتحدث عن مشروعاته الجديدة :

ـ هناك اربعة كتب في المطابع ، الاول : « الباخرزي ، حياته وشعره وهو جزء من الرسالة التي ناقشتها اليوم • والثاني : الادب في العصر السلجوقي ، وهو ايضا جزء من الرسالة ، مع كثير من التوسع والتهذيب • وثالث : التمهيد في النحو والصرف لطلاب الجامعة الليبية ، بالاشتراك مع زميلين هناك • اما الرابع ، فانه يطبع في مطبعة جامعة عين شمس ، وهو « اللغة العبرية وادابها » وهو ايضا يدرس في الجامعة الليبية •

والكتب الاربعة تطبعها الجامعة الليبية على نفقتها الخاصة •

وبين يدي كتاب لم يطرق موضوعه من قبل ، وهو « حركة التأليف في عصر المماليك » •

اللغة العربية اوسع اللغات افقا في العالم ودعاة اللهجات العامية مخربون

● المعروف ان اللغة العبرية ماتت منذ الفي سنة تقريبا • كيف استطاع اليهود الجدد احياء لغتهم القديمة ، ولماذا ؟

ـ اليهودي لا يجيد اللغة العبرية ويجد المرء في شوارع فلسطين الاعلانات

كتب وردت للمجلة

★ ★ ★

١ ــ للبحث عن تاريخنا في لبنان تأليف الشيخ علي الزين وهو كتاب تاريخي ضخم سيكتب عنه احد كبار المؤرخين •

٢ ــ في مهب الريح : قصة واقعية اجتماعية للشاعر المهاجر الاستاذ الياس قنصل ، وللاستاذ الياس في قصصه كما في شعره عذوبة وصدق •

٣ ــ الفتاة العصرية ، الى أين ؟! لمؤلفه الشيخ اسماعيل البغدادي وهو يعالج فيه قصة الفتاة العصرية والى اين وصلت من التبرج والاستهتار ويطلب منها ان تعود الى الحشمة وصيانة نفسها من الابتذال ولكن الفتاة العصرية تجيب الشيخ اسماعيل حفظه الله فتقول له ، ألم تسمع ما قال غيرك : (قبل « المينوجيب والاكستراجيب » كانت بعض الفتيات جميلات ، اما الآن فقد صرن كلهن جميلات ، فالتي فقدت جمال وجهها لم تفقد جمال سيقانها) ولذلك نرى ان تأثير المغريات اهم بكثير من تأثير الوعظ والارشاد على الفتاة العصرية ، لانا وصلنا الى عصر تدهورت فيه الاخلاق لحد مفرط ، وعلى كل حال فنحن نتمنى لكتاب الشيخ الرواج الذي يستحقه ، والشيخ اسماعيل من المشايخ الافاضل الذين يعملون باخلاص ونشاط لنشر العلم والدين •

انصرف وهو مأجور

★ ★ ★

● قعد رجل على باب داره ، فأتاه سائل يسأله • فقال له : اجلس ، ثم صاح بجارية عنده فقال : ادفعي الى هذا السائل صاعا من حنطة • فقالت : ما بقي عندنا حنطة . قال : فأعطيه درهما • قالت : ما بقي عندنا دراهم • قال : فأطعميه رغيفا • قالت : ما عندنا رغيف • فالتفت اليه وقال : انصرف يا فاسق يا فاجر • فقال السائل : سبحان الله تحرمني وتشتمني ! قال : احببت ان تنصرف وانت مأجور •

ـ الحديث عن العبرية شيء غير الحديث عن اللهجات العامية • هم عندما يحيون لغتهم انما يريدون ان يوهموا العالم ان اليهود يتكلمون لغتهم • اما الحديث عن اللهجات العربية فهو هدم للغة اصيلة تعتبر من اوسع اللغات في العالم افقا •

ودعاة اللهجات لا شك مخربون ، ويرغبون في فصل اجزاء الوطن الواحد، لقد جبت بعض الاقطار العربية • وكنت احدث الناس جميعا ـ متعلمين وغير متعلمين ، وكنت اشعر انني في قلب دمشق ، خاصة عندما احدثهم باللغة الفصيحة •

اما عندما اريد ان احدثهم بلغتي الشامية ، فانني احتاج الى ترجمان في كل قطر • علما بان اللهجات العامية بحد ذاتها هي عربية في الاصل ، ولكن تحور نطقها قليلا ودخلته الفاظ اجنبية عايشت السكان العرب • فاهل الشام دخلت لهجتهم الفاظ تركية وفارسية مثل ـ كباب ـ ، ـ كبة ـ ، كفته ـ كهرباء ـ ، كما دخلت عليهم ايضا بعض الالفاظ السريانية •

واهل العراق دخلتهم بعض الالفاظ الاشورية ، او الكردية او الفارسية واهل مصر دخلتهم بعض الالفاظ المصرية القديمة ، وبعض لغات المماليك الذين كانوا يحكمون انئذ • واهل شمال افريقية دخلتهم بعض الالفاظ الاوروبية كالايطالية والفرنسية ، وبعض اللغات المحلية كالبربرية •

لهذا فان حصانة اللغة العربية الفصيحة سلامة لوحدة عربية ينشدها كل انسان يحيا على هذه الارض • ويجب ان نرفض باي حال دعوة التوجه الى العامية ، لانها شعوبية بحتة •

٥ ـ الاخلاد الى الراحة في المنزل بعد الانتهاء من العمل وعدم التورط في مواعيد خارجية قبل التأكد من ان الزكام قد زال نهائيا •

٦ ـ ينصح الاطباء بترطيب غرفة المصابين بالزكام منعا للاصابة بجفاف الحلق والانف • الاشياء التي يقاسي منها معظم المصابين بالزكام •

٧ ـ الاكثار من الاستماع الى الموسيقى الهادئة والركون الى الراحة مع الاكثار من شرب السوائل •

٢ ـ الوقاية من داء السكر

تهتم الدوائر الصحية اليوم في العالم بمكافحة مرض السكر ، وتعتبره من الامراض الاجتماعية التي تهدد الفرد والاسرة والمجتمع صحيا واقتصاديا • وقد كان يظن منذ سنوات ان نسبة السكري تبلغ واحدا بالمئة من الناس ولكن الاحصاءات الاخيرة دلت على ان نسبته تبلغ اثنين ونصفا بالمئة او اكثر • ثم ان مضاعفات هذا المرض خطيرة في الغالب • فضلا عن انه يعيق صاحبه عن الانتاج ويتركه في كثير من الحالات عبئا على الاسرة والدولة •

من اجل ذلك عمدت بلدان كثيرة في اوروبا واميركا الى انشاء مستوصفات مجانية خاصة تعنى بمكافحة مرض السكر ومعالجته • وحثت المواطنين على استشارة الاخصائيين في هذه المستوصفات لدفع مضاعفات المرض عن المصابين به ، او لدفع المرض نفسه اذا امكن عن المهيئين له بالوراثة او بعوامل مرضية اخرى • والواقع انه بالرغم من التقدم الكبير الذي احرزه الطب في معالجة داء السكر فان الشفاء السريري والبيولوجي ما يزال نادرا • والطب يذكر حالات من السكري كانت ناشئة عن تضخم الغدة الدرقية او عن ورم في الغدة النخامية وقد امكن شفاؤها بعد عملية استئصال الغدة الدرقية المتضخمة او الورم النخامي ولكن هذه الحالات تبلغ من الندرة بحيث لا يصلح الاستشهاد بها •

وقد يحدث احيانا ان يشفى المصاب بسكري معتدل حين يهرع للمعالجة مبكرا ويأخذ بالحمية والعلاج المضبوط ولكن هذه الحوادث ايضا نادرة بين جمهور المرضى لان السكري في الغالب لا يشفى بعد ان يقبل ويستقر ، ولان المريض مع الاسف لا يعرض على الطبيب الا بعد فوات الاوان •

الصحة وتدبير المنزل

١ — ٧ نصائح للمصابين بالزكام

هل انت مصاب بزكام ؟

اذا كنت مصابا به فاقرأ هذا البروتوكول ، فللزكام بروتوكوله :

اعلن بعض الاطباء الاميركيين استياءهم من بعض التصرفات الشاذة التي يقوم بها اكثر المصابين بالزكام وفي معظم المجتمعات المتقدمة دون مراعاة لادنى اصول اللباقة او حسن التصرف الذي تفرضه الحياة العصرية في جميع ظروف حياتنا اليومية •

والمصابون بالزكام كما يقول الاطباء ، يجهلون او يتجاهلون كما يظهر ما عليهم من واجبات صحية واجتماعية وكسب مراعاتها تجاه انفسهم وتجاه الغير في مجتمعهم ••

مجرد ملاحظات

والى هؤلاء يوجه الاطباء الملاحظات التالية :

١ — على المصابين بالزكام الذين تضطرهم ظروف عملهم الى مغادرة الفراش والاختلاط بغيرهم من الاصحاء • الانتباه الى انهم يحملون كمية كافية من محارم الورق الصحية ، حتى لا يتعرضون للاحراج او اثارة استياء الاخرين في الكثير من الظروف الحساسة •

٢ — من اللياقة تغطية الانف والفم بمحرمة من الورق الصحي ، عند الشعور ببدء السعال ، ثم رمي المحرمة مباشرة في سلة المهملات ، على ان تغسل اليدين بالماء والصابون او الكحول بعد كل مرة •

٣ — من المستحسن عدم الاقتراب من الزملاء اثناء العمل حتى لا تنتقل جرثومة الزكام الى الغير •

٤ — عدم مشاطرة الطعام او الشراب مع افراد الاسرة •

للكشف عن استعدادهم للسكري ، ولكن هناك فريقين من الناس يجب عليهما وجوبا مؤكدا ان يجريا هذا الاختبار وهم اصحاب السمنة والمولودون من ابوين مصابين كلاهما او احدهما بالسكري او هم من البدينين ، وقد دلت الاحصاءات على كثرة وجود مقدمات المرض عند هؤلاء وعلى سهولة القضاء عليها بمجرد معالجة السمنة •

والسكري من جهة اخرى وراثي في اكثر من ثلاثين بالمئة من الحالات وقد تبين ان ثمانية وعشرين بالمئة من الاشخاص المولودين من امهات مريضات بالسكري يصابون به فيما بعد •

فمن الواجب اذن ان يطلب الاطباء من الوالدين المصابين بالسكري ان يجروا لابنائهم كل سنة اختبارا للكشف عن استعدادهم للمرض •

وقد يحدث احيانا ان يظهر السكري عند احد الابناء قبل ان يظهر على احد ابويه بزمن طويل وتبلغ نسبة هذه الحوادث نحو خمسة عشر بالمئة • ففي مثل هذه الحال يجب اجراء الاختبار على الابوين •

اورد بعض الاخصائيين علامة للاستدلال على وراثة الامهات الشابات للاصابة بالسكري • وهي ان الام التي تلد اطفالا بدينين تكون مؤهلة للسكري بنسبة ٩٠ بالمئة اذا كان وزن الطفل خمسة كيلو غرامات واربعمائة غرام وبنسبة ١٠٠ بالمئة اذا كان وزنه ستة كيلو غرامات •

والخلاصة انه يجب على جميع المستوصفات الرسمية والشعبية ان تنظم معاينات وقائية وعلاجية لمكافحة مرض السكر ومضاعفاته • وان تعمد الى اجراء الاختبار المخبري الذي اشرنا اليه على جميع الاشخاص الذين يشتبه في استعدادهم للسكري حتى اذا دل الاختبار على انهم في الدور التمهيدي للمرض عولجوا فورا بالانسولين بالحمية الشديدة وبدون اي انتظار او تردد فان ذلك خليق بان يدفع عنهم المرض في معظم الاحيان •



وتقول بعد فوات الاوان لان السكري في معظم الاحيان لا يقبل دفعة واحدة وانما يمهد لنفسه مقدمات تسبق ظهوره بـ ٥ سنوات كما تسبق المناوشات الصغيرة المعركة الطاحنة .

وهذه الفترة الطويلة التي تسبق ظهور السكري تتميز بعجز الجسم عن ضبط كمية السكر في الدم والانسان يمكن ان يتفادى الاصابة النهائية بالسكري حين يعرض نفسه على الطبيب خلال هذه الفترة والطبيب يستطيع ان يكشف عن استعداد الشخص لداء السكر بواسطة اختبار مخبري خاص عن طريق فحص الدم ، فان الشخص العادي اذا تناول كمية من سكر الجلوكوز على الريق ارتفع مقدار السكر في دمه من ١٣٠ سنتيغراما بالليتر وهو الحد الطبيعي الاعلى الى ١٦٠ سنتيغراما . فاذا كان الشخص مهيئا للاصابة اي كان في فترة مقدمات المرض فان السكر يرتفع لغاية ١٧٠ او ١٨٠ او ٢٠٠ على الاكثر فاذا زاد عن المئتي سنتغرام باللیتر اعتبر الشخص مصابا بالسكري .

اذن فنحن نستطيع بواسطة هذا الاختبار ان نكشف عن استعداد اي شخص للاصابة بداء السكر ، وان نعرف فيما اذا كان يجتاز فترة المقدمات التي قد تطول حتى تبلغ عدة سنوات يصبح بعدها مريضا دائما بالسكري او اذا كان سليما لا يهدده اي نذير من نذور الاصابة المقبلة .

والجدير بالاشارة هنا ان هذا الاضطراب او العجز في ضبط كمية السكر في الدم الذي تتميز به فترة المقدمات يمكن ان يشفى بالمعالجة بنسبة ٤٠ بالمئة من الاشخاص ، ويمكن رفع هذه النسبة ايضا بضبط الجرعة والمداومة عليها مدة طويلة وبالتكبير في استعمال الانسولين .

والقاعدة المتبعة اليوم عند معظم الاطباء انهم ينصحون المرضى بالانتظار اطول مدة ممكنة قبل استعمال الانسولين ولكن يبدو ان هذه القاعدة خاطئة فقد اجريت اختبارات على عدة اشخاص عولجوا بالانسولين وهم ما يزالون في فترة المقدمات فشفوا ولم يظهر عليهم السكري فيما بعد مع ان بعضهم مضى عليه نحو عشرين سنة ولم يتبع اي نظام غذائي .

ومن الخير ان يجري جميع الناس هذا الاختبار المخبري كل فترة من الزمن

نـغمس الرغيـف بالـود وبـالايثـار نلبـس القميـص والـردا
يحسدنـا الـنجم عـلى الـفتنا ويعجب الزمـان مـن ذاك الصفا
قـرأت فيـه كـل هـذا واضحا وعشتـه مـا بـين ضحك وبكـا
ولاح لـي معدنـك الاصيل مـن حفـظ عهـود ودمـوع للوفـا
حتـى وددت انـي ممـن مضى وانت تجلونـي بابـدع الـرؤى

النجف الاشرف ـ العراق د. احمد الوائلي

صلاة مسيلمة

● حكى الاصمعي ، قال : كنت في المسجد الجامع في الكوفة ، اذ قام اعرابي يصلي وخلفه قوم جلوس . فقال : الله اكبر ، افلح من هب الى صلاته ، واخرج الواجب من زكاته ، واطعم المسكين من نخلاته ، وحافظ على بعيره وشاته ، فضحك القوم . فقال : أمن هينمتي ضحكتم ؟ (الهينمة الصوت وهو شبه قراءة غير بينة) .. اشهد عند الله على عمتي انها سمعت ذلك من فم مسيلمة .

رسائل الأدباء

هكـنا عرفتهم

من الدكتور احمد الوائلي الى الاستاذ جعفر الخليلي

★ ★ ★

صدر حتى الان من كتاب (هكذا عرفتهم) لمؤلفه جعفـر الخليلـي اربعة اجزاء وهذه الاجزاء الاربعة تسجل تاريخ مـا اهمله التاريخ علـى حـد وصف الكاتب الصحافي المرحوم حبيب جاماتي خير تسجيل ، وفي هذه الاجزاء الاربعة يعرض المؤلف جانبا من حياة اشخاص قال عنهم انهـم عاشوا بعض الوقت لغيرهم اكثر مما عاشوا لانفسهم ، ويصور آلامهم وآمالهم وافكارهم عـلى قـدر مـا يستساغ ، وقد تلقى الكتاب والنقاد والشعراء هـذا الكتاب بشيء كثـير مـن الاهتمام وعبروا عن آرائهم فيه كتابة وشعرا وهذه مقطوعة مـن الشعر ارسلها الدكتور احمد الوائلي الى العرفان تعبيرا عن كتاب (هكـذا عرفتهم) وتأثيره في نفسه :

ايها (ابا الهاتف) يا همس النـدى ... في ألـق الـروض وجلـوة السنا
قـرأت أمس (هكـذا عرفتهـم) ... و (هكذا عرفتهم) سفـر حـوى
و (هكـذا عرفتهم) دنيـا بهـا ... كـل الـذي تضمه دنيـا الورى
مـر عليهـا قلـم مصـور ... فصور الـدر وصـور الحصـى
ومـر بالخريـف حقـلا اجـردا ... ومـر بالربيـع فـواح الشـذا
وأسمـع الاذن نعيـب بومـة ... وشدو غريـد علـى أيـك شـدا
ومـر بالذكرى فايقـظ الهـوى ... غضا وأورى مـن تباريح الجـوى
ايـام كـان العيش خصبـا لينـا ... حلوا وان عشنا علـى مص النوى

اليهود) الذي برز فيه عبد الله بن سبأ واقترح خطة لضرب المسلمين بعضهم ، وتولى تنفيذ الخطة بنفسه .

٢ ـ سافر عبد الله بن سبأ الى مصر ودعى المصريين الى الامام علي بن ابي طالب وحرضهم على قتل عثمان ، ونجحت الخطة .

٣ ـ حرض عبد الله بن سبأ عثمان على شيعة علي وعليا على شيعة عثمان ونجحت الخطة .

٤ ـ سافر عبد الله بن سبأ الى الشام وحرض معاوية واهل الشام على الطلب بدم عثمان ومحاربة الامام علي ، ونجحت الخطة .

٥ ـ حرض عبد الله بن سبأ ام المؤمنين عائشة وطلحة والزبير على حرب الامام علي ، ونجحت الخطة .

٦ ـ اثار عبد الله بن سبأ فتنة من عسكر الامام علي حيث انشقت وسميت بالخوارج ، ونجحت الخطة .

٧ ـ انشأ عبد الله بن سبأ فرقة سبائية ظاهرها الاسلام وباطنها اليهودية ، ونجحت الخطة .

وكثرت هذه الفرقة واصبحت (سرطانا ساما في جسد المجتمع الاسلامي الى الان) ـ على حد تعبيره ـ ولست ادري باي عقلية يكتب هذا الصحفي :

١ ـ فلم يأت الى الدنيا بعد رجل اسمه عبد الله بن سبأ ، وانما هو شخصية خيالية اوجدها امثال هذا الصحفي في العصور المظلمة وقد حقق ذلك الدكتور طه حسين والسيد مرتضى العسكري وغيرهما .

٢ ـ مؤتمر صنعاء ، ذلك المؤتمر الذي حضره (شيوخ واثرياء وعلماء وحكماء وامراء اليهود) في اي تاريخ انعقد هذا المؤتمر الموسع الذي جمع فاوعى ؟ ان التواريخ لا تشير الى انعقاد مثل هذا المؤتمر ، وقد يكون من قبيل السبق الصحفي انفراد هذا الصحفي باكتشاف هذا المؤتمر وتغطية وقائعه ، دون سائر الصحفيين ووكالات الانباء ، وهو بحق يستحق جائزة نوبل لانه في نهاية

الأسئلة والمناظرة

شرارة الفتنة الطائفية
تصل الى آبار البترول في الخليج

رافق وفد باكستان الى مؤتمر وزراء الاوقاف الذي انعقد مؤخرا في الكويت صحفي هندي يدعى (حكيم محمد كامل بحر العلومي) ثم نشر في مجلة (البلاغ) الكويتية سلسلة مقالات بعنوان (الفرماسون ـ الحركة الهدامة السرية) وفي حلقتها الثالثة المنشورة في العدد ١٩٢ من مجلة البلاغ الكويتية الصادرة بتاريخ ١٥ محرم ١٣٩٣ شن على الطائفة الشيعية هجوما ظالما واتهمها باتهامات طائشة كالتي كانت تتراشق بها الطوائف المتناحرة في القرون الوسطى ، ناسيا ان مقاله يطبع على احدث المطابع التي انتجها القرن العشرون وان يقرأ في ضوء الكهرباء •

وهو مرة يطلق على الشيعة ـ وهي احدى اكبر الطوائف المعروفة في العالم كله ـ لقب السبأئيين ، وتارة يطلق عليهم النصيرية ، ويغمز في الحكم السوري الذي لم يشترك وزير اوقافه في المؤتمر ، مستغلا عدم تمثيله في المؤتمر •

ويصل به الجنون الى درجة انه يلقي القناع من وجهه فيطلق على النبي الاعظم (ص) : « حاخامهم الاكبر الذي قال من بكى وابكى وتباكى وجبت له الجنة ، الوارد في كتاب كنز العمال » للتقي الهندي •

ويتخبط هذا الصحفي تخبط كل من خرج عن اختصاصه الى حقول لا يعرف عنها شيئا وهو يحاول الصاق تهمة اليهودية بالشيعة فيتخيل لليهود دورا معجزيا في عهد الخلفاء الراشدين ويرتب لاسطورته ابطالا وادوارا تكفي لالقاء الضوء على عقلية هذا الصحفى العجوز ويعرض بعض نشاطات اليهود في عهد الخلفاء الراشدين في الادوار التالية :

١ ـ مؤتمر صنعاء ، الذي حضره (شيوخ واثرياء وعلماء وحكماء وامراء

١ ـ كل الناس ـ الذين لهم عاطفة ـ يبكون ، والفارق ليس في اصل البكاء وانما في المأساة التي تستدر دموعهم ، فهنالك من يبكي على المال اذا ضاع وهناك من يبكي على القيم اذا ضاعت .. والنبي الاكرم (ص) بكى ابراهيم ، وقال : « القلب يخشع والعين تدمع » والقرآن مدح الباكين : « اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » وقال : « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا » وقال : « ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » . وانت ـ يا كاتب المقال ـ ماذا تستنكر ؟ هل تستنكر اصل البكاء ؟ فانت لست بانسان ، لان الانسان متى بلغت به فورة الحزن الى درجة معينة يبكي واذا حصر دموعه تجمعت عقدة في نفسه ، او هل تعتبر ان كل من يبكي شبيه باليهود ؟ فعليك ان تعتبر كل الناس شبيهين باليهود ، لانهم جميعا يبكون ، او هل تشبه حائط المبكى بالامام الحسين عليه السلام ؟ فانت تحاول تصعيد معنويات اليهود بتشبيه حائط المبكى ببطل اعظم واثسن ثورة في التاريخ .

٢ ـ ان البشرية جميعا تنتظر قائدا مصلحا يغير وجه العالم ولكن كل فرد ينتزع مواصفات ذلك القائد المصلح من مسبقاته ، والامام المهدي (ع) واقع سيظهر حتما ويقضي على امثالك حسب بشائر القرآن وتصريحات الرسول ، ولا خلاف بين المسلمين في ان المهدي من ولد علي والزهراء سيظهر في اخر الزمان ويملأ الارض عدلا وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا ، غير ان الشيعة يقولون : انه المهدي بن الحسن العسكري واهل السنة يقولون : انه رجل من ولد علي والزهراء ، اذن فلا خلاف في اصله ، والروايات المبشرة بالمهدي الموعود عن النبي الاكرم (ص) واردة في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن ابي داوود ، وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه ومسند احمد بن حنبل وغيرها ويكفي ان ترجع الى (كتاب منتخب الاثر) للشيخ لطف الله الصافي ، لتعرف ان الاحاديث الواردة حول الامام المهدي عن طريق اهل السنة اكثر من الف حديث .

وانت عندما تشبه فكرة المهدي لدى الشيعة بفكرة المسيح عند اليهود ، انما تشبه فكرة المسلمين جميعا بفكرة اليهود .

٣ ـ عندما تقول كل شيء حرام في الشريعة اليهودية!! فهو حرام في الشريعة السبائية . يحق لنا ان نسألك عن هذه الخبرة الموسوعة التي حصلت عليها في فقه

القرن العشرين اكتشف مؤتمرا في اواسط القرن السابع ، ولعلـه بواسطة علـم الاثار والحفريات اكتشف هذا المؤتمر ، ولكن يبقى سؤال هو : انـه في معرض التنقيب عن البترول كيف اكتشف مؤتمرا لليهود ؟ وكيف اكتشف مؤتمر صنعاء في الكويت ؟ انه بحق معجزة صحفية . ولا شك ان مؤتمرا خياليا كمؤتمر صنعاء لا بد ان يخلق شخصية كعبد الله بن سبأ .

٣ ـ وهل ان عليا وعثمـان وعائشة وطلحـة والزبير ومعاويـة والمصريين والخوارج واهل الشام والشيعة كلهم كانوا شخصيات مـن الكارتون حـتى استطاع عبد الله بن سبأ ان يحركهم كما يريد ؟ ولست اعرف مـا اذا كان هـذا الصحفي العجوز قد عاده الى صباه فاصبح مغرمـا بالصور الكارتونيـة الـتي تظهرها الشاشة « الصغيرة » للاطفال .

وبعد تلك الفتوحات الصحفية عقد كاتب المقال فصلا للمقارنة بين اليهودية والسبائية ، كي يوضح ان السبائية (يهودية متوارية بنقاب الاسلام ، كانما هي نسخة ورقة الكربون اليهودية) على حد زعمه ووقف على نقاط هي :

١ ـ بكاء اليهود عند حائط المبكى وبكاء السبائية امام التعزية .

٢ ـ انتظار اليهود للمسيح الموعود وانتظار السبائية للامام الموعود .

٣ ـ اليهود يكتمون اسرارهم ويخادعون العالم وعندهم لكل شيء ظاهـر وباطن والسبائية يكتمون عقائدهم الدينية ويستعملون التقية وعندهم لكل شيء ظاهر وباطن .

٤ ـ كل شيء حرام في الشريعة اليهودية فهو حرام في الشريعة السبائية .

٥ ـ اليهود حرفوا التوراة كذلك حرف السبائيون القرآن الكريم .

٦ ـ اليهود يحسبون انفسهم سادة العالم والسبائيون يحسبون انفسهـم سادة المسلمين .

٧ ـ السبائيون كاليهود يجب عليهم الزنا كعبادة مفروضة باسم ـ متعة ـ .

وهنا نود ان نقف على هذه النقاط التي اكتشفها هذا الصحفي الهندي دون العلماء والمفكرين :

النور • ثم هل نسيت ادعاءك وزملاءك ان النبي (ص) قرأ في صلاة الصبح : « تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى » قليلا من الحياء ايها العميل المأجور •

٥ ـ اما قولك : « ان السبائيين (تعني الشيعة) يعتبرون انفسهم سادة العالم » فكل صاحب حق يعرف نفسه سيدا ، والشيعة واثقون من انفسهم ومن عدالة افكارهم فيعتبرون انفسهم سادة وليس ذلك من الايحاء النفسي وانما لقنهم القرآن ذلك عندما قال : « كنتم خير امة اخرجت للناس » وانت لا تعتبر نفسك سيدا لانك لست صاحب حق ، ولست ـ طبعا ـ من خير امة اخرجت للناس •

٦ ـ واما اتهامك الشيعة بانهم يعتبرون المتعة واجبة فذلك كذب صريح فالزواج سواء الدائم منه والموقت ليس واجبا لدى الشيعة ، ثم ان المتعة وردت في القرآن الكريم حيث قال : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجودهن » والمسلمون لا يختلفون في تشريع المتعة وحتى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب صرح بأن الرسول الاكرم (ص) غادر الحياة والزواج الموقت قائم بين المسلمين، فقال : « متعتان كانتا على عهد رسول الله ••• »

وبعد ذلك ماذا تريد ايها الصحفي من التدخل في الشؤون الدينية التي ليست حقل اختصاصك وعلماء المسلمون موجودون لم يوكلوك للقيام بدور المحامي فيما بينهم ؟ ثم ماذا تريد من الشيعة والسنة وانت قادياني لا شيعي ولا سني ؟• وتاريخك اسود يدينك بالعمالة ، فانت ساهمت في اثارة الفتنة بين شقي باكستان ، تلك الفتنة التي انتهت بتمزيق اكبر دولة اسلامية في العصر الحاضر ، واليوم جئت الى الخليج لتنفيذ خطط اسيادك الطامعين في بترول الخليج ، في محاولة لتمزيق الصف الداخلي ••

اننا نعلن لحكام الكويت ان ينتبهوا الى ان الخطة الطائفية التي مرت بالعراق ثم بباكستان ثم بجمهورية مصر العربية ، ثم بالجمهورية العربية السورية تحاول الآن خلق مناخ ملائم لها في الخليج •

فيا حكام الكويت امنعوا موقظ الفتنة قبل ان تشعل شرارة الطائفية ابار البترول •

الاديان ، وعن الشهادة العلمية التي حملتها يوم دخلت الجامعة البترولية .. ثم ان الانثى من كل حيوان حرام لدى اليهود وليس عند الشيعة ، ثم ان الالتقاء في المحرمات لا يضر فالديانات السماوية تحرم الظلم والقتل بغير الحق والغصب والزنا ... الخ ولكن الذي يضر هو اللقاء في المحللات وانت واتباعك واليهود تتفقون على حلية جرد الكلب والارنب ، فانتم سواء .. ثم ما هذا القياس العلمي العظيم الذي ادخلته في فقه الاديان ؟ وهل يصح لنا ــ على اساس هذا القياس ــ ان تقول : ان اهل السنة يهود مقنعون بالاسلام لان اليهود حاربوا مع زوجة نبيهم صفوريا وصي نبيهم يوشع بن نون ، واهل السنة حاربوا مع زوجة نبيهم عائشة وصي نبيهم علي بن ابي طالب .

٣ ــ ان اتهام الشيعة بكتمان اسرارهم كذب مفضوح . فمنابر الشيعة في كل مكان في العراق وايران والخليج وباكستان والافغان والسعودية لا تنصب في المساجد والحسينيات فحسب وانما تنصب في الشوارع والساحات ، ومكبرات الصوت ترفع اصواتهم الى المآذن وتنقلها عبر الاذاعات الى كل بيت والمطابع ــ وخاصة في لبنان ــ منصرفة الى نشر افكارهم فاين هي اسرارهم ، ونرجو ان تخرج الى مجلة البلاغ مرة اخرى اذا كان لك سبق صحفي آخر ، كسبقك الصحفي في اكتشاف مؤتمر صنعاء . واما التقية ــ التي لم تفهمها ــ فهي مبدأ عقلائي فكل انسان وجد نفسه معرضا لخطر عليه ان يكتم ما يسبب له الخطر ، سواء أكان ما يسبب الخطر مالا او عرضا او عقيدة او اي شيء اخر ، وهذا مبدأ اقره القرآن الكريم حيث قال : « الا ان تتقوا منهم تقاتا » واما الظاهر والباطن فهما ليسا عند الشيعة ، وانما عند المسلمين جميعا بل عند الناس جميعا فالقرآن دعى المسلمين الى ان يتعمقوا ولا يكونوا سطحيين وقشريين يوم قال : « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ؟» و «ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ». وعالم اليوم كعالم الامس يهتم بقراءة ما وراء السطور واكتشاف النوايا من الالفاظ .

٤ ــ اما اتهام الشيعة بتحريف القرآن الكريم فقولك هذا يكشف عن انك وزملاءك القاديانيون تريدون ان تخرجوا على العالم بقرآن غير قرآننا المنتشر في جميع العالم وبمائة واربع لغات ، وبذلك تهيىء الجو لاخراج قرآن القاديانية الى

وفي نهاية العام كان اول مرفق تقيمه الشركة لحقن الماء داخل مكمن في المنطقة المغمورة على وشك الانتهاء في جزيرة ابو علي •

وكانت اعمال التصميم الهندسي تجري لانشاء فرضة ثالثة لتحميل الناقلات في الجعيمة الواقعة على مسافة ٢٤ كيلومترا تقريبا الى الشمال الغربي من فرضة رأس تنورة ، ومن المقرر ان تبدأ اعمال الانشاء في اوائل عام ١٩٧٣ •

وقدر احتياطي البترول الثابت وجوده في نهاية العام بنحو ٩٢،٩٢٢ مليون برميل ، اي بزيادة اجمالية قدرها ٤،٩٣٣ مليون برميل على تقدير عام ١٩٧١ •

وبلغ عدد السفن التي حملت بالزيت الخام ومنتجات البترول خلال العام ٣،٧٣٤ وقد حملت ما مجموعه ١،٨٧٧،١١٨،٧٠١ برميل ، اي بزيادة ٣١ في المائة على ما حمل في عام ١٩٧١ • وعالج معمل التكرير التابع للشركة في رأس تنورة خلال العام ٢٠٥،٢٩٧،٩٣٥ برميلا من الزيت الخام والبنزين الطبيعي وغاز البترول السائل الخام مما نشأ عنه سبعة انواع من المنتجات الرئيسية •

وفي نهاية العام بلغ مجموع عدد موظفي ارامكو في المملكة ١١،٢٨٢ ، منهم ٩،٢١١ موظفا ومتدرجا سعوديا و ١،٠٣١ موظفا امريكيا و ١٠٤٠ موظفا من جنسيات اخرى • وشغل الموظفون السعوديون ٤١ في المائة من مجموع المناصب الرئاسية في الشركة وعددها ٦١٧ • وكان متوسط الدخل السنوي للموظف السعودي ١٩،٢٩٧ ريالا ، اي بزيادة ٨،٤ في المائة على ما كان عليه في عام ١٩٧١ • وبلغ مجموع ما انفق على العوائد للموظفين السعوديين ٧٦،٦٨١،٠٠٠ ريال ، وهذا الرقم يشمل المبالغ المدفوعة في حالات التقاعد والاقعاد الدائم او الوفاة والمكافأة على المدخرات ومكافأة الخدمة المستمرة والعناية الطبية •

واشترك ما يقرب من ٢،٤٠٠ موظف متدرج في برامج تدريبية اعدتها لهم الشركة • وفي نهاية العام كان مائة موظف سعودي يدرسون في الجامعات والمدارس الاخرى ، منهم ٩٠ في الولايات المتحدة و ٩ في المملكة العربية السعودية وواحد في لبنان • وقد تخرج ١٦ موظفا سعوديا من غير هؤلاء خلال العام بعد ان حازوا على شهادة البكالوريوس وحصل سبعة آخرون على شهادات في مواضيع معينة عقب اكمالهم سنتين من الدراسة الجامعية •

استعراض اعمال شركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) خــلال عـــام ١٩٧٢

الظهران ، المملكة العربية السعوديــة ـ رفعت شركــة الــزيت العربيــة الامريكية (ارامكو) انتاجها من الزيت الخام بما يزيد على الربع في عــام ١٩٧٢ للسنة الثانية على التوالي • وحسب التقرير السنوي الــذي اصدرتــه الشركــة مؤخرا بلغ متوسط ما انتجته من الزيت الخام ٥،٧٣٣،٣٩٥ برميلا في اليوم ، اي بزيادة ٢٧،٥ في المائة على متوسط ما انتجته في عام ١٩٧١ • وهذه اول مرة يصل فيها انتاج الشركة الى بليوني برميل في عــام واحد ، اذ بلــغ مجموع انتاجهــا ٢،٠٩٨،٤٢٢،٦٠٣ براميل او ٢٨١،٠٦٩،١٧٧ طنا انكليزيا • وقد احتفظت المملكة العربية السعودية بمكانتها كأكبر بلد مصدر للزيت الخام في العالم واحتلت المركز الثالث بين دول العالم المنتجة للزيت الخام بعد الولايات المتحدة وروسيا •

وورد في التقرير ان برنامج التوسعة في الشركة الذي بــدأ في عــام ١٩٧١ استمر خلال ١٩٧٢ بسرعة متزايدة • فــقد حفرت ١٧٦ بئــرا لاستخراج الزيت وحقن الماء والمراقبة ، اي بمعدل بئر واحد كل ٢،١ يوم • وكان العمل يبدأ فــي انشاء معمل جديد لفرز الغاز من الزيت كل ٤٥ يومــا تقريبا • ومــد حوالي ٣٤ كيلومترا من خطوط الانابيب كل شهر • وقد زادت الطاقــة في مختلف المجالات نتيجة لاعمال الانشاء التي تمت اثناء العام ، فزادت الطاقة على فــرز الغاز مــن الزيت بمقدار ١،٠٠٠،٠٠٠ برميل في اليوم وعلى تركيز الزيت بمقدار ٦١٠،٠٠٠ برميل في اليوم وعلى تخزينه بما مجموعه ٢،٠٠٠،٠٠٠ برميــل • كذلــك زادت الطاقة على توليد القوة الكهربائية بنحو ٢٥ في المائة فبلغت ٢٢٨ ميغا واط •

ومن المشاريع الرئيسية التي انجزت خلال العام انشاء جزيــرة اصطناعيــة رابعة في فرضة رأس تنورة البحرية مما رفع عدد مراسي الجزر الاصطناعية مــن ستة الى ثمانية ، وكذلك خزانين للزيت الخام سعة كل منهما مليون برميل • وكان العمل قد اوشك على الانتهاء في نهاية العام في بناء فرضة في الميــاه العميقة علــى مسافة ٦٤ كيلومترا من شاطيء المملكة لتحميل الزيت الخام مــن حقــل الظلوف المغمور بالمــاء •

الكلية هذه الاموال في برنامج انشائي يهدف الى توسعة مرافق الكلية لتمكينها في النهاية من استيعاب ٣،٠٠٠ طالب . وقد وظفت ارامكو حتى الآن ٦١ طالبا من طلاب كلية البترول والمعادن ، منهم ٣٢ وظفوا في عام ١٩٧٢ . ويوظف الواحد من هؤلاء مدة سنة واحدة ضمن برنامج التعاون مع الكلية التي يقتضي منهاجها من الطالب الحصول على خبرة عملية لمدة سنة في احدى الصناعات في القطاع الخاص .

واكملت الشركة المدرسة الخامسة والاربعين من المدارس التي بنتها بموجب اتفاقية مع الحكومة العربية السعودية ، وقد بلغ مجموع ما انفقته الشركة حتى نهاية عام ١٩٧٢ بموجب اتفاقية المدارس هذه ١٨٤،٦٤٤،٠٠٠ ريال .

اسم الذئب

● كان ابو دحية القاص من اكذب الرواة . وكان يقول : ليس في خير ولا فيكم . فتبلغوا بي حتى تجدوا خيرا مني .

قال في قصصه يوما : كان اسم الذئب الذي أكل يوسف « هملاج » قالوا : ولكن يوسف لم يأكله ذئب فقال : اذن فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف !

وقد وسع برنامج التدرج ، الذي ابتدأ في عام ١٩٧٠ بمائة وثمانية عشر متدرجا ، بحيث اصبح يضم في نهاية العام ٩٢٠ من الفتيان السعوديين الذين يتدربون لشغل الوظائف الحرفية والفنية والعمل في المصانع والمكاتب •

وفي نهاية العام كان ٧٣ في المائة من موظفي الشركة السعوديين مشتركين في برنامج تملك البيوت • ومنذ بدء هذا البرنامج في عام ١٩٥١ ، بلغ مجموع الموظفين السعوديين الذين تملكوا بيوتا بقروض من الشركة بدون فوائد ٧،٩٨٠ موظفا • وواصلت الشركة الانفاق على مشاريع عمرانية في المناطق التي تشكل بيوت الموظفين فيها اكثرية المساكن •

وقد ادى برنامج الانشاء وتوسعة مرافق الشركة الى ازدياد احتياجات الشركة التي بلغت ارقاما قياسية من البضائع والخدمات • وقد قفز عدد المقاولات التي عقدتها ارامكو مع شركات سعودية من حوالي ١٨٠٠ مقاولة في عام ١٩٧١ الى ٧٣٠٠ مقاولة في ١٩٧٢ • وبلغ مجموع ما دفعته الشركة الى المؤسسات السعودية ١،٠٨٤،٢٠٠،٠٠٠ ريال ، اي بزيادة ١٨٠ في المائة في سنة واحدة • وقدمت المساعدة الفنية الى اكثر من ٤٠ من اصحاب المؤسسات المحلية التي بلغ عدد من استخدمتهم نحو ٤،٨٠٠ شخص والتي بلغت قيمة البضائع التي انتجتها والخدمات التي ادتها ما يزيد على ١٦٨،٠٠٠،٠٠٠ ريال • وكفلت الشركة قرضا لتأسيس عيادة لطب الاسنان يملكها رجل اعمال سعودي وقرضا آخر لانشاء مصنع للقوارير الزجاجية ، وساعدت في تأسيس مدرسة للحام • وتلقى حوالي ١٢٨ مزارعا ومربي دواجن مساعدات فنية وارتفع الدخل الاجمالي لاولئك المزارعين والوكالات التي تؤمن لهم لوازمهم الى ٢٣،٦٨٤،٠٠٠ ريال ، اي بزيادة ٦٠ بالمائة على ما كان عليه في عام ١٩٧١ • وبلغ مجموع التبرعات التي دفعتها الشركة لاغراض تعليمية وخيرية وانشائية خلال العام حوالي ١٠،٤٧٨،٠٠٠ ريال• واشتملت هذه التبرعات على ٦٠ منحة دراسية تقدمها الشركة للطلاب والطالبات الذين تختارهم الحكومة من الرعايا السعوديين ، وهم يدرسون في معاهد تعليمية في الولايات المتحدة ولبنان والنمسا •

ودفعت الشركة الى كلية البترول والمعادن بموجب اتفاقية عقدت عام ١٩٧٠ القسط الاخير من عدة دفعات بلغت في مجموعها ٦٠،٠٩٢،٠٠٠ ريال • وتستخدم

رحم الله ضحايا العدوان فقد بذلوا اقصى جهدهم في خدمة بلادهم ، وعلى غيرهم تدارك الباقي :

« والجود بالـــنفس اقصى غاية الجود »

★ ★ ★

نقابـــة الصحافة الجديدة

التأمت الهيئة العامة لاصحاب الصحف السياسية يـــوم ٢١ ــ ٤ ــ ١٩٧٣ وبعد الظهر لاصحاب الصحف الادبية وانتخبت مجلسا للنقابة مؤلفا من الاساتذة: رياض طه ، غسان تويني ، روبير ابيلا ، جبران حايك ، وفيق الطيبي ، بسام فريحة ، جورج عميرة ، عبد الغني سلام ، محمد بديع سربيه ، فريد ابـــو شهلا ، عزيز المتني ، الياس عون •

ثم اجتمعت هذه الهيئة وانتخبت الاستاذ رياض طه نقيبا والاستاذ فريـــد ابو شهلا نائبا للنقيب والاستاذ محمد بديع سربيه امينـــا للسر والاستاذ جورج عميرة امينا للصندوق • تهانينا لمجلس النقابة الجديد وعلى رأسه الاستاذ رياض طه كما اجتمعت الهيئة العامة لنقابة المحررين وانتخبت الاستاذ ملحم كرم وقائمته، ثم اجتمعت النقابة الجديدة فجددت انتخاب الاستاذ ملحم كرم نقيبا بالاجماع •

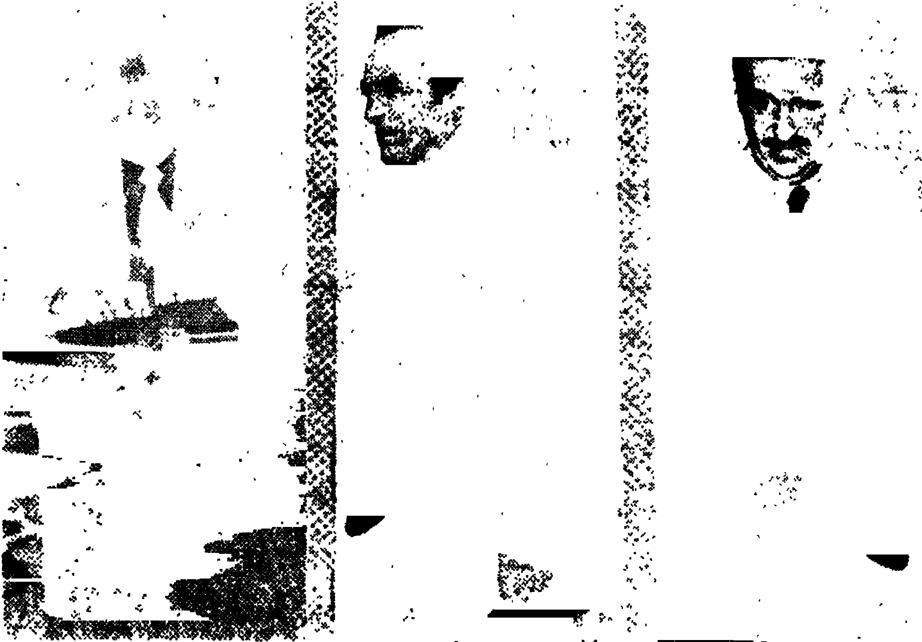
★ ★ ★

رياض طه يكرم شارل حلو

تكريما لفخامة رئيس الجمهورية السابق الاستاذ شارل حلـــو اقـــام نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه والسيدة عقيلته حفلة استقبال في منزلهما وذلك فـــي ٣٠ ــ ٤ ــ ١٩٧٣ من الساعة السابعة الى الساعة التاسعة مساء ، وذلك بمناسبة صدور كتاب الاستاذ رياض « الاعلام والمعركة » الـــذي كتب مقدمته الاستاذ شارل حلو •

اهم الاحداث والآراء

غــزو لبنــان



الشهيد ابو يوسف — الشهيد كمال ناصر — الشهيد كمال عدوان

★ ★ ★

الضعيف يتجرأ عليه كل الناس ، لانا اصبحنا بعصر صح فيه المثل : « من لم يكن ذئبا اكلته الذئاب » • واذا كانت دولة صغيرة او محايدة فليس معنى ذلــك ان تكون ضعيفة • وحينما تكون ضعيفة ليس بمستغرب ان يغزوها عدو، فكيف بعدو ماكر غادر غاصب ، طالما انه قد غزا اكبر منها واقــوى وخــرج منتصرا ، استدراك هذا الضعف ليس بالامكان ان يحصل في شهر او سنة لو اراد لبنانهذا الاستدراك ، المهم الآن ايجاد طريقة او حل يحفظ لبنان ويحافظ علــى المقاومة ، بتفكير صحيح ونظر ثاقب •



الدكتور امين الحافظ

تشكيــل الوزارة

ان رئيس الجمهورية

بناء على الدستور

بناء على المرسوم ٥٥١١ تاريخ ٢٥ ــ ٤ ــ ١٩٧٣ المتضمــن تعيين الدكتور امين الحافظ رئيسا لمجلس الوزراء •

بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء

يرسم ما يأتي :

المادة الاولى : عين السادة :

مراسيم قبول استقالــة الوزارة السلامية

وتشكيل الحكومة البديلة برئاسة امين الحافظ

صدرت مراسيم قبول استقالة الحكومة السلاميــة وتشكيــل الحكومــة الحافظية .

قبول الاستقالــة

ان رئيس الجمهورية

بناء على الدستور

بناء على كتاب السيــد صائب سلام تاريــخ ١٠ ــ ٤ ــ ١٩٧٣ المتضمــن استقالة الوزارة التي يرئسها .

يرسم ما يأتي :

المادة الاولى : قبلت استقالة الوزارة التي يرئسها السيد صائب سلام .

المادة الثانية : ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة .

تعيين امين الحافظ

ان رئيس الجمهورية

بناء على الدستور

وبناء على المرسوم الرقم ٥٥١٠

يرسم ما يأتي :

المادة الاولى : عين الدكتور امين الحافظ رئيسا لمجلس الوزراء .

المادة الثانية : ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة .

في ذمة الله

اللواء الامير فؤاد شهاب



مســاء ٢٥ ــ ٤ ــ ١٩٧٣

غادر هذه الفانية اللواء الامير فؤاد شهاب رئيس الجمهورية وقائد الجيش اللبناني السابق • توفاه الله على اثر سكتة قلبية لم تمهله طويلا ، وكان لنعيه رنة حزن وأسى عميقين ، وقد صلي عليه في كنيسة مار جرجس في بيروت ثم شيع الى مقرد الاخير باحتفال منقطع النظير • وقد شحذت الاقلام للثناء عليه بعد وفاته ، ولم نسمع لاحد صوتا للدفاع عنه يوم اساءوا اليه ، على ان للرجل في السياسة حسنات وله سيئات ، وأما اذا قارناه بغيره من رجال السياسة لوجدنا ان حسناته تفوق سيئاته ، بينما غيره سيئاته تفوق حسناته على انه شخصيا كان ذو ضمير حي •

والى القاريء نبذة من حياته :

● ولد الفقيد الكبير سنة ١٩٠٣ في بلدة غزير بقضاء كسروان ، وهو ينتمي الى عائلة تسلمت الحكم في لبنان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر • ويرجع نسبه من جهة الام الى آل حبيش احدى العائلات العريقة في كسروان •

● انهى دراسته الثانوية في مدرسة الاخوان المريميين في جونيه •

امين الحافظ رئيسا لمجلس الوزراء وزيرا للاعلام وزيــرا للصحة العامــة بالوكالة •

فؤاد غصن نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع الوطني •

بشير الاعور وزيرا للداخلية •

كاظم الخليل وزيرا للعدل •

جوزف سكاف وزيرا للموارد المائية والكهربائية •

خاتشيك بابكيان وزيرا للتصميم العام •

نجيب علم الدين وزيرا للاشغال العامة والنقل •

خليل ابو حمد وزيرا للخارجية والمغتربين •

فؤاد نفــاع وزيرا للمال •

ميشال ساسين وزيرا للاسكان والتعاونيات •

ادمون رزق وزيرا للتربية الوطنية والفنون الجميلة •

طوني فرنجية وزيرا للبريد والبرق والهاتف •

اميل روحانا صقر وزيرا للعمل والشؤون الاجتماعية •

فهمي شاهين وزيرا للزراعة •

علي الخليل وزيرا للسياحة •

بهيج طباره وزيرا للاقتصاد والتجارة •

زكريا النصولي وزيرا للصناعة والنفط •

المادة الثانية : ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة •

● الدراسات التي تابعها ، بالاضافة الى الدورات الدراسية التي تابعها في سوريا ولبنان ، فقد درس في سان مكسان وشالون وفرساي ، ثم التحق بمدرسة الحرب العليا في باريس سنة ١٩٣٨ .

● انتخب في ٣١ تموز ١٩٥٨ رئيسا للجمهورية باكثرية ٤٨ صوتا مقابل ٧ اصوات للسيد ريمون اده وورقة بيضاء .

● حقق جلاء القوات الاميركية عن ارض لبنان بعد حلفه اليمين الدستورية بشهر واحد .

● استلم سلطاته الدستورية كرئيس للجمهورية في ٢٣ ايلول ١٩٥٨ .

● اعلن عن استقالته ببيان تاريخي في ٢٠ تموز سنة ١٩٦٢ وعاد عنها ، تلبية لرغبة شعبه والمجلس النيابي .

● رفض ترشيح نفسه لمنصب الرئاسة من جديد في دورة ١٩٧٠ . وجاء رفضه ببيان تاريخي اخر .

الحاج محمد كردس

● توفي في بغداد بسكتة قلبية الحاج محمد كردس وهو من التجار المعتبرين المشهورين بصدقهم واستقامتهم وحسن معاملتهم ، وكان رحمه الله كريما لطيف المخشر ، ولذلك كان الاسف عليه عاما من جميع اصدقائه وعارفيه ، وكان من انصار العرفان المخلصين ومن مشتركيه القدامى . ان العرفان وقد اسفت لفقده ، وهي تشارك عائلته وانجاله وآله في مصابهم هذا وتقدم لهم تعازيها الحارة ، وترجو للفقيد الرحمة الواسعة .

الحاج احمد خليل

● توفي في صيدا الحاج احمد علي خليل ، وهو رجل عصامي هاجر الى دكار اولا فحالفه التوفيق ، ثم انتقل الى المغرب فتملك وسكن هناك ، وفي المدة الاخيرة داهمه مرض عضال عجز عنه نطس الاطباء ، كان كريما صادقا مستقيما

● التحق بالمدرسة الحربية للجيوش الخاصة في الشرق في دمشق بتاريخ ١٢ ــ ١٢ ــ ١٩١٢ .

● تخرج برتبة ملازم بتاريخ ٢٠ ــ ٩ ــ ١٩٢٣ والتحق باللواء الاول السوري المشترك في بلاد العلويين .

● رقي الى رتبة ملازم اول ونقيب وتسلم امرة مركز راشيا منذ تاريخ ٧ ــ ١١ ــ ١٩٣٠ حتى ٥ ــ ٣ ــ ١٩٣٦ وبعد ذلك انتقل الى اركان الحرب العامة لجيوش الشرق .

● رقي الى رتبة مقدم بتاريخ ٢٥ ــ ١٢ ــ ١٩٣٧ وعين قائدا لفوج القناصة الثاني ، وبعدها رقي الى رتبة عقيد بتاريخ ٢٥ ــ ١ ــ ١٩٤٢ .

● تسلم قيادة اللواء الجبلي الخامس خلال سنة ١٩٤٣ ، الذي كان يضم عناصر لبنانية فقط .

● رقي الى رتبة زعيم بتاريخ ٢٥ ــ ١ ــ ١٩٤٤ ، وكلف بتنظيم قوات الشرق الخاصة بعد هدنة عكا بتاريخ ١٤ ــ ٧ ــ ١٩٤١ ، هذه القوات التي اشتركت في المعارك الى جانب الحلفاء في ليبيا وايطاليا وفرنسا .

● في الاول من اب سنة ١٩٤٥ ، وعلى اثر الاتفاق الذي جرى بين الحكومتين اللبنانية والفرنسية ، اصبح جيش الشرق الخاص ، يأتمر بأمر السلطات اللبنانية ، وعين اللواء فؤاد شهاب بقرار من مجلس الوزراء قائدا عاما للجيش اللبناني .

● بتاريخ ١٤ ايار سنة ١٩٤٨ كلف بقيادة جميع القوى المسلحة التي اشتركت في حملة فلسطين .

● بتاريخ ١٨ ــ ٩ ــ ١٩٥٢ ، وعلى اثر استقالة المغفور له الشيخ بشارة الخوري ، تسلم اللواء شهاب رئاسة حكومة مؤقتة ووزارتي الدفاع والداخلية بمقتضى المرسوم رقم ٩٤٤٣ تاريخ ١٨ ــ ٩ ــ ١٩٥٢ .

● تسلم بتاريخ ١٨ ــ ١١ ــ ١٩٥٦ وزارة الدفاع مع الاحتفاظ بقيادة الجيش .

مجلة ثقافية سياسية شهرية

افتتاحية العدد

أنت وحدك أمة وتاريخ

بقلم: رشيد [illegible]

وإذ يتداعى الوطن لتخليد ذكرى [illegible] [illegible] من [illegible] بإحياء ذكرى النهضة الشعبية التي فجرتها [illegible] [illegible] [illegible] البقعة الزكية معقل العروبة والوطنية.

هكذا عرف الراحل المجاهد الشيخ أحمد [illegible] الزين، أن الانسان [illegible] بأعماله وأن السير في الطليعة يؤخذ ولا يعطى [illegible] فعمل جاهداً حتى بلغ القمة وثبت فيها باسم يكبر مع الأيام وصفاة لا تضام.

إذا كانت الثقافة والأخلاق حياة الأمم والجهاد والتضحية [illegible]، كانت وحدك أمة وتاريخ [illegible] الأجيال واحداً ممن [illegible] عليك [illegible] وأخلاقك ومبادئك وجهادك [illegible] من [illegible] لكي [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] في وطنك [illegible] وإنما [illegible] [illegible] [illegible] بأفكارك كذلك [illegible] [illegible] [illegible] وصاحب [illegible]

متواضعا لطيفا ، يمتاز بمعشر ولا أبهى ، وكان محبوبا من الجميع ، وهو من انصار العرفان ومحبيه • تعازينا الحارة لارملته وانجاله وشقيقتيه وصهره السيد عبد اللطيف فخري • نرجو للفقيد الرحمة الواسعة ولآله الصبر والسلوان •

الحاجة سنية الحر

● توفيت في الغازية الحاجة سنية الحر عقيلة صديقنا الحاج محمد رؤوف الحر وشقيقة الصديق الشاعر الاستاذ نزار الحر ، وكريمة الصديق الوفي المرحوم الشيخ مصطفى الحر ، وقد شيعت بمجالي التكريم واقيم لها اسبوع حافل تليت فيه الخطب والقصائد ، تعازينا الحارة لآلها وذويها ، نرجو للفقيدة الرحمة الواسعة ولالها الصبر والسلوان •

ملاحظة

نشرنا في اعداد ثلاثة « تفسير جعفر الصادق للقرآن » بقلم : الدكتور سليمان زيعور كما استخرجه الاب « نويا » اليسوعي من المخطوطات ، البعض يستبعد ان يكون هذا التفسير للامام جعفر الصادق ، نرجو التعليق او الحوار حول هذا التفسير •

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ـ سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد السادس مجلد ٦١ ، ١٥ حزيران « يونيو » سنة ١٩٧٣م ،
جمادي الاولى سنة ١٣٩٣ هـ

العــرفــان

مجلة علمية ادبية ثقافية سياسية شهرية



قيمة اشتراكها : عشر ليرات لبنانية في لبنــان وسورية

ديناران كويتيان او ما يعادلهما في بقية البلاد العربية

عشرة دولارات او ما يعادلها في سائر الاقطار

الفا فرنك افريقي في السنغــال وشاطيء العــاج

مئة ليرة للبنانية للمؤسســات الرسمية والبنوك والسفارات

وفي البريــد الجوي

واشتراك الانصار لا حــد لــه

عنوان مجلة العرفان :

صيدا ــ لبنــان ــ العرفان

بيروت ص. ب : ٣٩٧٨ : العرفان

بناية اللعازارية ــ الطابــق الخامس آ ــ ٤

تلفون : مكتب بيروت ٢٩٧٠١٧

مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

المخابرات الهاتفية علــى مكتب بيروت

المطبوعات المضمونة كتب او صحف على مكتب صيدا

الرسائل المضمونــة علــى مكتب صيــدا أو بيروت

AL-IRFAN

Revue Artistique' - Scientifique et Politique

Propr. Réd. en chef, directeur : **NIZAR EL ZEIN**

B.P. : 3978 — Tél. : 297017

مسألة وضوح

بقلم : عبد اللطيف شراره

لا مشاحة ان المجتمعات العربية الراهنة ــ والمجتمع اللبناني على الاخص ، وهو يعطي صورة قريبة من الاصل عن كل منها ــ تعاني من الغموض الرائن على تفكير الافراد فيها ، رجالا كانوا ام نساء ، اضعاف ما تعاني منه سائر المجتمعات في أقاصي المعمورة وادانيها على السواء .

ذلك بأن المسألة لم تعد ، كما كانت تطرح في العقود الاولى من هذا القرن، مسألة « جهل ، وفقر ، ومرض » ، ولم تقو الاجيال السابقة على حلها بطريقة مقبولة ، وانما هي ، في جوهرها ، مسألة وضوح فكري لدى الافراد والجموع ، هنا وفي كل مكان . والذين يحسبون انهم « يفكرون » في ديار العربية من أقصى المشرق الى اقصى المغرب ، ينسون في الاعم الاغلب ، ان افكارهم شيء ، وواقع المجتمع الذي يتقلبون فيه ــ او المجتمعات على وجه أصح ــ شيء آخر ، لانهم يصدرون فيما يقولون او يكتبون ، عن ثقافة ، وبالتالي عن حياة ، منفصلة عن ثقافة مجتمعاتهم وحياتها . انهم « يشعرون » او « يعتقدون » كما وصف أحد الباحثين المحدثين ، ولكنهم لا يفكرون !

هذه قضية خطيرة ، في منتهى الخطورة ، لا سيما حين تنجلي تتائجها ، ويظهر أبعد ما تسفر عنه ، لان معناها الحقيقي في آخر ما تفضي اليه ، هو ان ما يهيمن في الحقيقة، على مجتمعاتنا ويسير سلوكها ليس الفكر، بل « الانفعال »، وليس العلم ، بل « الوهم » ، وليس الواقع ، بل « الخيال » . والانفعال يعني الغضب ، والقلق ، والرعونة ، والاضطراب ، والذعر ، وما الى ذلك من تموجات عاطفية صاخبة لا يستقيم لاحد معها ان يعمل وينتج . والوهم يعني الاستغراق في الذات ، واغفال كل ما هو موضوعي ، والاقامة في عالم « مغلق » لا ينفذ اليه النور ، ولا سبيل معه الى الخروج من الكهوف المظلمة التي عاش بها الاقدمون ، ولم يبق لها ظل من وجود على سطح الارض الحديثة . والخيال يعني هذه الضروب من الخدر التي استهوت الخيام وأبا نواس في الخمرة ، وبودلير في الحشيشة ، والمحدثين في الافيون والهيرويين !



أبواب العرفان

مطبعة الجمهورية الجديدة ـ تلفون ٢٢٨٥٢٠

العداوة ، وكثرت الاقنعة التي يرتديها الاعداء ، حتى تحولت معظم نعم الحضارة الى نقمات ، واذا بالعلم يغدو « قناعا » ، و « الحرية » ستارا ، والانسانية غلافا ، وتضيع الحقائق في مشتجر الدعايات والاعلانات ، فلا يملك ذوو النيات الحسنة بعد ان يتبينوا شيئا واضحا ، من كل ما يشهدون ويسمعون !

واول ما يقتضيه التفكير الواضح ان نرجع الى « النقطة » الاساسية ، الى « العلة » التي نشأت عنها ، وحولها ، وعلى اثرها بقية العلل •

والنقطة الاساسية في المشكلات الفكرية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية التي يعانيها اللبنانيون ، وغير اللبنانيين ، في سواحل البحر الابيض المتوسط ، انما هو قدوم جماعة من المهاجرين الى فلسطين على مدى نحو من قرن ، واقامتهم « دولة » على حساب السكان الاصليين ، فكان لا بد من الاضرار بالبلدان المجاورة لفلسطين ، لا يقل عن الضرر الذي لحق بفلسطين ذاتها •

هذه هي النقطة الاساسية في ازمة الشرق الاوسط من اولها الى آخرها ، وتلك هي العلة الاولى التي نشأت عنها مشكلة اللاجئين ، وقضية المقاومة ، وحكاية النزاع بين الاردنيين والفلسطينيين ، ثم بين الفلسطينيين واللبنانيين ، ثم بين العرب والعرب في كل مكان ، وهي « حكاية » لا اصل لها سوى النزاع بين الاسرائيليين وسائر أهل آسيا وافريقيا معا •

والعلة الاولى التي ترد اليها سائر « العلل » في هذه الديار ، في المرحلة الراهنة من تاريخها ، انما هي بالضبط « طمع » اليهود في ان تكون لهم اليد العليا ، والكلمة الاولى في مقدرات هذه المنطقة ، وتوجيه مصيرها • ولا شيء غير ذلك •

لنعد بكل بساطة ، الى النقطة الاساسية ، الى العلة الاولى ، فماذا نجد ؟ لن نجد سوى الاشياء التي كان يشكو منها الواعون ، ويتألم لمرآها المثقفون ، من الجهل ، الى الفقر ، الى المرض ، الى سائر ما كانت تعانيه « الدولة العلية » قبل قرن كامل من مظاهر التخلف واضطراب الادارة ، وجور الاحكام ، ثم لن نجد غير اهمال « الباب العالي » لما كان يصاعد اليه من تظلمات ، وارشادات ، وتحذيرات تعج بها احداث التاريخ في كل مكان وزمان •

ولكن هناك شيء لم يكن يشاهده أحد ، وهو ان يهود تلك الايام ، عمدوا

الاكيد الذي لا يرقى اليه ادنى ظل من شك ، ان هناك ، في الخبايا والزوايا، « اعداء » للفكر ، وان اعداء « الوضوح » اكثر فأكثر ، والذين يصطادون في الماء العكر ، لا يرضيهم ان يكون الماء صافيا ، لان رزقهم ينقطع حينذاك ، وتضيع عليهم فرصة الشعور بقدرتهم انهم واسعو الحيلة ، وان غيرهم مغفل يسكنهم ان يسلبوه ارضه ووطنه وحقوقه كما يمكنهم ان يؤلبوا عليه المغفلين الآخرين الذين بهرتهم مآثرهم التكنولوجية ، وقواهم المادية ، فينفذون من بين هؤلاء وهؤلاء الى ما يبتغون •

ذلك هو الواقع • يجب ان نحملق فيه ، ان نصوب اليه نظرنا باكبر كسية من النور نسلطها عليه ، وان نختنق في الوقت نفسه كل غضب مهما كان عادلا ، وكل ذعر أيا كان مبرره ، وكل رعونة في السلوك والتصرف •

ولقد وردت لدى احد الكتاب الفرنسيين هذه العبارة : « اعداء التفكير ثلاثة : البرد ، والضجة ، و ••• المرأة » • وهؤلاء الاعداء ، هم اعداء العرب ــ ولبنان خاصة ــ في هذه الايام !

والبرد لا يكون في الطقس وحده ، وانما يكون اكثر ما يكون في القلوب ، والعقول ، في علاقات الافراد ، في المواقف التي يتخذونها من آلام الآخرين ومتاعبهم وهمومهم • والضجة ليست اختلاط الاصوات العالية ، وقرقعة الادوات والآلات وحسب ، بل هي أيضا في فوضى الاخبار ، والتعليقات ، والآراء ، ومحاولات التأثير على الرأي العام ، وتجاذبه في مختلف الاتجاهات المتعاكسة ، والنزعات المتغايرة • اما المراد بالمرأة ، في معرض الحديث عن اعداء الفكر ، فهو هذه الجملة من الاتجاهات التي تسجد الغرائز ، وتخضع النفس لمشكلات الجنس واوحال الجنس ، ولا ترى في وجود الانسان على اديم هذا الكوكب ، سوى ملذات الجنس ، وهمومه ، ومتاعبه ، والحديث عنه ، والافتنان في سرد قصصه ، واغراق المجتمع بسيول من ثرثراته وترهاته • ومن المعروف لدى كل مطلع ومثقف ان الذين كانوا « السبب » في ايجاد هذا الجو ، واحداث هذا التيار ، هم اليهود ، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم فرويد وبرغسن •

لا ندحة اذن عن « توضيح » هذا الجو الذي يتقلب فيه المعاصرون ، وايضاح ما غمض من اقوال ، واعمال ، فان اخطر ما مني به هذا الجيل الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية ، انه فقد صراحة الصداقة ، بنسبة ما فقد صراحة

من النثر الفني

حالة في الغابة وغضب الصغار

للدكتور ميشال سليمان

كالشمعة الخضراء ضربت جذورها كبد التراب ، تحف بها من كل جانب اشجار وادغال لا تمت اليها الا بنسب الجوار •

كانت سنديانة جدنا • مديدة القامة ، مشققة القشور ، ما برحت آثار حرائق الاعياد عالقة بساقها الضخم • وكانت انطفأت قبلا بالصمغ البخور •

لم تسلم في تاريخها المديد من جور الفؤوس • ومع ذلك بقيت الوحيدة في الغابة مشرئبة بجلال اغصانها نحو السماء •

ولكم تساءلت جاراتها : علام هذا الشموخ ؟

ولكم جاء الجواب حفيفا بين اوراقها ، مفاده : ان تكون شاهد اجتياح العواصف ، والفؤوس ، والقطعان ، تضرب في مملكة الغابة الساجية على مهابتها • وان تكون الى هذا ، رائية الغصون الصغيرة ، تحل محل الجذور المضمحلة في برودة رمادها •

ثم ماذا عن التعايش مع هذه الغصون البلهاء ؟ وهي التعيسة من ضعف ، تهز جذورها والغصون المتشابكة المكتوفة لانها لا تعرف معنى الشموخ •

السنديانة ؟ ساعة تريد ان ترتاح ، تتحرك بالحفيف • ولحظة ترغب في النوم تطلق الصيحات • وهي لا تخلع ثيابها في الصيف ولا في الشتاء • فالعري ليس من مذهبها ، وان كانت تعشق النظر الى سوق جاراتها التي تتعرى في الشتاء ، وترتدي اثوابها في الربيع • ولكنها تظل فريسة عقدة النقص ، فلا تجد الى الخيلاء سبيلا •

وتصمت السنديانة • وما عساها تقول لهذه التي لم يولدها حب شجرة لجار من فصيلتها ، بل اطلعها موت شجرة قطعت شكيستها الفؤوس فعاشت لا تعرف

الى « استغلال » التخلف ، والجهل ، والفقر ، ليضعوا ايديهم على ما لا حق لهم به ، واعانهم على ذلك الاستغلال من بعد ، أقوام تهمهم مصالحهم الآنية ، دون ان يخطر ببالهم انهم « يقدمون » على تصرفات واعمال ينكرونها على انفسهم في المستقبل ، ويأبون مع الزمن ان يعملها غيرهم معهم !

وهذا يعني بكل وضوح ان اللبنانيين، كالسوريين ، كالاردنيين، كالمصريين، جميعهم غير مسؤولين ــ تاريخيا وشرعيا ــ عما حدث لفلسطين واهل فلسطين •

تلك هي النقطة ! من المسؤول اذن ؟

لا بد من الوضوح مكررا ! ولا يصح اعتبار الفقير مسؤولا اكثر من الغني، والجاهل مسؤولا اكثر من العالم ، والمريض مسؤولا اكثر من السليم ، حتى مع التسليم بأن « الضحية » لا يخلو في كثير من الظروف ، ان يحمل بعض التبعة في المصير الذي انتهى اليه ، أي ان يكون هو الضحية • ولكن أين هي التبعة التي يحملها حكما ، أولئك الذين لم يكونوا « قاصرين » حين ضحوا بفلسطين واهل فلسطين ، قبل اكثر من نصف قرن ؟

اذا كان للدعايات ان تعمل عملها في الحاضر ، وكان للتضليل ان « يفيد » أصحابه في الآن ، وكان للحقيقة ان تخفى وراء الاقنعة والستارات والدهاليز ، فان المستقبل كفيل باسقاط الدعايات مع الحاضر ، وكشف الضلالات مع الآن ، وازاحة الاقنعة ، والقاء النور على الدهاليز •

وهذا ما حققه الزمن الذي هو اليوم في حقيقته « مستقبل » الافكار ، والآراء ، والخطط ، والمباديء التي طرحها في الماضي موشيه هس ، وتيودور هرتسل ، وحاييم ويزمن ، وبن غوريون ، ومن ناصرهم ونسج على منوالهم •••

وكل شيء في هذه الحياة ذو ثمن • ولكل فعل رد فعل • والجهل لا يدوم، والفقر لا يدوم ، فلا يمكن ان يدوم استغلال الجهل واستغلال الفقر •

لقد آن للعرب ان يعرفوا ان لبنان غير مسؤول عن ازمة حضارية كان هو احد ضحاياها ، وآن للعالم ان يعرف ان العرب غير مسؤولين عن « طمع » الطامعين بأرضهم وتراثهم وحقوقهم •

والمسألة كلها مسألة وضوح في التفكير ، وقدرة على الفهم ، واناة في التصرف ، والزمن كفيل بكشف الحقيقة ، وازهاق الباطل ، واحقاق الحق •••

عبد اللطيف شرارة

ويرين على منقاديهما والاجنحة والبراثن صمت حزين • لكنهما لم ينطلقا في اثره• ترى ، هل كان رفيقا لهما ، ام كان ولدا ؟ لست ادري ، وعلى كل حال ، لم تكن المرة الاولى التي آسف فيها لكوني اجهل لغة الطيور •

كان ذلك في الصباح ، وعندما اخذ الدفء يندفق في الارض من اشعة حجبها الغمام ، خرجت الى الطبيعة اتملى من فسحة بيضاء في بعض اخضرار • فأبصرت ولدا صغيرا قد جمع الثلج ، وصاغ منه عروسا صغيرة ، عجز عن ان يوضح في جسمها الناحل معالم العينين والفم •

ووقفت انصت اعجابا • فالتفت الي وقال :

ـ هل اعجبتك ؟

قلت :

ـ لماذا لم تضع لها حبتي زجاج ملون مقام العينين ؟•

قال :

ـ ستزيدها قبحا !

قلت :

ـ ليتها كانت من غير الثلج •

قال :

ـ لماذا ؟

قلت :

ـ لانها مبتلاة بالعمر القصير ، ولهذا يحرص الكثيرون من عشاق تماثيل الثلج ان يضعوا لها في الاوقاب فحمات صغيرة ، تشير الى اناسي العيون •

واطرق الصبي غاضبا • فعلمت انني انما حملته ما لا قبل له به ، وانصرفت عنه معاتبا نفسي • لكنه ما عتم ان لحق بي ، وتشبث بيدي الى ان عدت الى حيث كنا • فدلني والغبطة تطفح من عينيه ، ومن فمه ، ومن خديه جميعا ، على ابتداع ، كمل اعجوبته • فنظرت ، ويا لدهشة ما رأيت نفقا صغيرا حفره الصبي في الثلج ، ليصون به عمر الحبيبة من برد المطر • فقلت في سري مبتسما :

ـ حقا ، ان غضب الصغار لا يدوم •

الدكتور ميشال سليمان

قوانين الصمت والقتال . تقبل الارض باغصانها حين تهب العاصفة وتصفر في ظهرها ساعة تغيب . وقد فاتتها اصول المواجهة والمجابهة . فما ذاقت طعم ذلك الشوامخ في الهاوية .

ويثور الشجر الهزيل على واقع حاله . فهو ليس بمخلوق من حفنة حبوب ، بل الفؤوس هي التي فكت قيوده وهو في بطن الارض جنين . وما ضره وضعه في تلقي الجراح . فالوقوف والانبطاح لديه سيان . والمهم ان لا ينزف دمه . اما الحكمة الموجبة الوقوف ، فهي عنده خطة بلهاء .

وتصطخب السنديانة بالغضب . وتصرر جاراتها باسنانها . ثم ترتفع دمدمة التناقض الابدي بين الحقائق المتباينة . وانه لتناقض يوقر الاذان منذ ما طلع في الارض الشجر .

ويتفق للسنديانة ان تولد عدة ابناء بعيد تدويرة اغصانها ، وتغير عليها العاصفة في الشتاء محاولة هصرها وازدرادها . فتثور الادغال حولها وتطوقها باذرعها الكثيفة . لانها تعلم يقينا ان ليس لها قسم ، ولن يكون بمقدورها ان تبلغ في الفضاء مدى حيويا الا اذا عمدت الى تبني جاراتها الصغيرة من ذوات القمم .

غضب الصفار

كان ذلك في الصباح ، عندما سرحت عيني من نافذتي ، من دون قصد معين ، لاصبح شاهدا متطوعا لمشهد بدع ، ضم عصفورين ، ثلاثة على الاصح . اثنان منهما كانا يتقلبان حول غصن ، دقيق في اللوزة المقابلة التي سلبها الشتاء اكثر ملابسها فباتت تنتظر قدوم الربيع لتشتري الجديد من منسوجه . ولم يكن لي ان اعرف من امرهما سوى انهما من تلك العصافير الاليفة التي جاءت فتوطنت ادواحنا والسقوف . ذلك لانهما كانا يتخاصمان عبر صيحات حاقدة ومقتضبة .

اما الثالث ، فكان يصعد ويهبط ايضا ، ولكن بصمت وكان دائما يحط على غصن فوقهما حتى اللحظة التي قرر فيها ان يصفق بجانحيه وينصرف كسيف الخاطر .

وتشاء اللحظة ان يؤخذ صاحباه بتصرفه المفاجيء . فيتوقفا عن القتال ،

بينما هو محصن يزرد الحديد •• ولكن اوليس الاوديسة لم تصده اهوال الطريق عن غاية الوصول ، وعندما خشي على نفسه ورفاقه من الانهيار وراء نداء الجنيات ـ السيرين ـ الى قاع البحر ، شد جسمه بالحبال الى صاري المركبة ، بعد ان صب الشمع في آذانه وآذان رفاقه ، فلا يسمعون نداءات القاع ، فسلم ورفاقه ••

لقد اسعفته ثقافة الحيلة ، وهي الجانب الاكثر وعيا من ثقافة المعركة ، حيث لا تنفع قوته ، وامجاد بطولته •• ولم يسقط صريع الطريق بينما الهدف يتراءى لناظريه في البعيد القريب ••

حقيقة العدو في معاقله ومقاتله ، ليست اسرارا من اسرار الاستراتيجية المرسومة في اقماط الذكاء ، عندما يؤلف الشعب بحجمه كله ، جيش الميدان ينصب من حروف الدائرة الى مركزها فيملأ رحابها •• وعندما يصح وصف المعركة بخروج امة كاملة الى ساحة التحدي ، لا يكون دور الشعب ان يتفرج على حلبة صراع • يبرز فيها فارس لفارس او مئة لفارس ! وهل قضيتنا ، فرسان يتبارون في اصابة الهدف ، على مرأى الناس ، ام شعب يرتمي في لهيب المعركة ، فتنبت تحت اقدامه مروج الجنة !

قبل حرب حزيران ١٩٦٧ وبعدها ، وحتى الان ، كان الشعب وما يزال متفرجا على الحلبة •• وهو في هذه الحالة احد اثنين : اما انه فقد حس المعركة ، واما اريد له ان يعزل عن المعركة ويلهى بحلبات الصراع النيرونية :

وحوش تفترس رجالا ، ورجالا يدقون اعناق وحوش ، همجية تدغدغ غرائز القتال وتغني عن المشاركة بالفرجة •• اعتقد وارجو ان اكون مخطئا بان الشعب لن يفقد حس المعركة ، ولكنه عزل عنها عزلا قسريا تحت تأثير المخططات المجرمة التي رسمت له لينقلب دوره الى متفرج !

اسرائيل تبعث بلصوصها الى شوارع بيروت فتقتل من تقتل ، وتعود (ولا من شاف ولا من دري) !

من المحيط الهادر الى الخليج الثائر لم نسمع بهمسة ، الجميع نيام •• كأن الامر لا يعنيهم ، وكأن اسرائيل لم يسبق لها ان غزتهم في عقر دارهم وفككت صواريخهم ونقلتها بالهيلوكوبتر ••!

شعب وفرجة

بقلم : زهير مارديني

ما كنت احب ان اتحدث ، او اكتب ، او (اثرثر) في ذكرى دخول حرب حزيران سنتها السابعة ، ولكن جاء من اقنعني بان ذكريات الالم كذكريات الهناء، واليسر ، يجب ان تحيى ، ومن لم يحمل في جنباته تلك الحبة الميتة ، لا يرجو ان تورق نفسه وتزهر وتثمر .. ونحن امة حفلت ايامها بالاحداث والمآسي .. ولا بد للتراب ان ينتفض ، وللزمن ان يتم فعله ، ومن لم يذكر مواضع الالم والوجع فاته الكثير من اسباب العافية !

ولكن ماذا اكتب ؟

ان كل ما حولي وامامي يقول لي : افعل ما يفعله غيرك واستسلم لليأس ، ففيه احدى الراحتين .. الا ترى من يطلقون على انفسهم نعوت الكتابة والفكر والبحث قد لاذوا بالفرار من المعركة ، ولزموا منازلهم ليحافوظا على رؤوسهم !

الجواب الوحيد الذي انطلق من بين شفتي هو :

اذا فعلت ذلك فمعنى هذا انني مت .. ومع انني لا اكره الموت الا انني لا اسعى اليه !

لقد لفت نظري وانا اقرأ المعلقات والبحوث والدراسات عن الحرب الحزيرانية كما نسميها ، و (الخاموس من حزيران) كما يسميها العدو ، ان معظم المتفضلين علينا بالكتابة قد تحدثوا عن الواقع العربي المرير ، والامراض التي تفتك بالامة العربية ، بحيث تحول العدو في اذهاننا الى اسطورة لا تقهر ..!

قد يكون في بعض ما كتب ونشر واذيع في هذه الذكرى الجارحة بعض الصواب .. ولكن من المؤكد ان العدو ليس اسطورة .. وان الامة العربية ما تزال موجودة رغم الجراح والالام والظلم والتعذيب والتنكيل ومحاكم « المسخرة » !

لقد انتصر اشيل الالياذة .. ولكن سهما واحدا قتله في كعبه المكشوف ،

ان معركتنا ليست سلاحا كلهـا ، وليست سياسة ودبلوماسية وتصريحـات وصور تنشر في الصحف الاجنبية ... بل هي الى ذلك وفوق ذلك كله ان يشعر الفرد العادي بان هذه الحرب حربه هو ، وليست حرب انظمته ..

لقد افلست هذه الانظمة افلاسا علنيا ، وصفي طابقها نهائيـا ... وعلـى اصحاب الارض ان يستلموا الراية بالسلم او بغيره ... المهم ان يستلم الـقادة مسؤولياتهم .. اما كيف يتم ذلك فعلمه عند هؤلاء الذين يتفرجون على المجازر كأن الامر لا يعنيهم ... الانظمة لن تتخلى عن مواقعها طالمـا ان الشعب يتلهـى بالفرجة ..

حين انفتح العربي المسلم على العالم شعوبا واعراقا .. لـم ينتقـل لانـه محكوم من نظام لا يسمح له بالنقد او ابداء الرأي ، او تقريـر المصير ـ وفـق اللغة الدارجة ـ بل انتقل ومعه ايمانه بان الحرب حربه هو ، حرب رسالة .

واذ يرمي رام ، بان الاسلام لم يكن دولة قومية ، وانه قـد جهر ألا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ، ليبلغ الرامي هدفا ما من توهين الوجود العربي ، فقد اخطأ الهدف ، لان الاسلام ، بدعوته الـى الاخاء والمساواة ، بين الشعوب ، قد وضع كتاب العرب في يمينهم ودفعهـم برسالتهم ، وبعثهـم ينشرونها ، وليس بصاحب عرق من يكون صاحب رسالة .. وهذا ليس توهينـا للوجود العربي ، بل تعزيزا لشأنه ، وتمجيدا لانسانيته ، وتكريسا له بحمل الرسالة ..

ولانهم حاولوا وأد الفكر العربي الاسلامي صبت عليهم اللعنة فاذا بالشعب يتخلى عنهم ويتركهم الى مصيرهم ..

الزمام اليوم بيد الامة وليس بيد الانظمة .. وكل يوم تتأخر فيه الامة عن استلام مسؤوليتها التاريخية يتأخر موعد الحرب مع العدو ...

!فهموها جيدا هذه الانظمة قامت لكي لا تحارب الامة ! او نحتاج هنا الى دليـل !

فاذا لم تستلم الامة المسؤولية فسيكون هناك ذكرى سابعة وثامنة وتاسعة لا سمح الله !

زهير مارديني

ما معنى هذا ؟

لو عدنا قليلا الى الوراء ، وقلبنا بضعة صفحات من التاريخ الحديث ، لوجدنا ان مصر كلها قامت حين اعتقل بشارة الخوري ورفاقه ... فاذا بالمظاهرات تعم الدنيا العربية وتهدر ، واذا بالنحاس باشا رئيس الوزارة المصرية يستدعي سفير فرنسا في ساعة متأخرة من الليل ويقول له :

(ايه هي الدنيا فالتة .. تمسكو رئيس جمهورية بلد عربي ونحنا هنا .. اقسم بشرفي اذا لم يفرج عنه ساصادر جميع الممتلكات الفرنسية في مصر ، واغلق السفارة) !

كان الشعب العربي في ذلك الحين ما يزال يتحسس قضاياه ويؤمن بها .. والايمان رؤية واضحة مثلما هو قناعة نفسية غامرة .. وعندما ينفصل الايمان عن وضوح الرؤية ، يصبح الانسان مخدرا ... وهذا ما فعلته الانظمة المصنوعة في الامة العربية حين استوردت الثقافة الافيونية وارغمت الناس على تعاطيها بالقوة تارة وباللين اخرى ..

لن تتحرر من واقعنا ما لم تتحرر من خدر الثقافة الافيونية التي حولتنا من امة مؤمنة الى امة متفرجة على حرب لا تعنيها ...

لا نغالي اذا قلنا باننا اول من رفض مثل هذه الثقافات حين اعطينا الثقافة العربية الاسلامية .. كنا معلمي التوحيد عندما كانت الامبراطوريات تسحق الشعوب ، والرعايا لا يعرفون هوياتهم ..

لا نريد ان نفتش عن الظهر في الساعة الرابعة عشرة ... لماذا نفتش عن علاج لامراضنا المستعصية من صيدليات الشرق والغرب ، ولا نفتش عنه في صيدلاتنا ..

لنؤمن اولا اننا نحن في حرب .. لا في حالة حرب ، والحرب فرضت علينا فرضا .. والذين تفرض عليهم الحروب يتصرفون كرجال لا كاطفال .. ولا قبل لنا برد المحنة ، ولا مناص لنا من خوض الكريهة .. فلا هم يجنحون للسلم لنجنح لها .. وما كان سلامهم ، عبر التجارب المريرة ، الا خداعا ، وعملا حضاريا من صميم اعمال الحرب والعدوان ..

فالى جانب دستور لبنان وقوانينه الوضعية ـ الواجبة الاحترام والتطبيق ـ هناك دستور اخر يلتزم به اللبنانيون • وهذا الدستور هـو وحدتهـم الوطنية الحقيقية البعيدة عن الانانية والاثرة وحبهم للحرية لنفسهم ولجميع بني الانسان•

دستورهم ايضا محبة ـ وتسامح ـ وتعاون بين جميـع الشعـوب عـلى اختلاف معتقداتها ونزعاتها ـ •

دستورهم اخيرا ان يعيشوا امنين مطمئنين احرارا في ديارهم لا يعكر صفو حياتهم احد ـ ولا سلطة تـفرض عليهم ارادتها الا سلطة القانون وسلطة الحفاظ على القيم الانسانية التي كانت ولا تزال شعار كل لبناني اينمـا كان علـى ارض الوطن او عبر الحدود •

اما الصراع في لبنان ـ وقد ثبت الان انه بعيد كل البعد عـن الاعتبارات الدينية او الطائفية ـ فلا بد له من ان يركز عـلى الحقائق والمعطيات الصحيحة ليسهل حله واعطاء كل ذي حق حقه •

فمن حق لبنان بل من واجبه ـ ان يتمسك بسيادته لان الدولـة لا تعرف بانها دولة الا بسيادتها وهذه السيادة يجب ان تكون كاملة غير منقوصة •

فبدون هذه السيادة لا تستقيم حرية ـ ولا يتحقق عـدل ـ والا شريعـة الغاب تصبح القاعدة وهي انتفاء لكل سيادة او نظام •

اما الوجود الفلسطيني ـ العربي في وطننا فاهلا وسهلا بـه علـى الرحب والسعة ولكن في حدود السيادة اللبنانية والقوانين النافذة ـ

ولعل هذا الاحتراز هو في مصلحة هـذا الوجود الفلسطيني ـ العربـي نفسه ـ اذ لو قبل لبنان التنازل عن سيادتـه الكاملة ـ وهـو مجـرد افتراض للبحث والمناقشة ـ وقبل نظرية القائلين بالحد من هذه السيادة او بتعطيلها ـ فان الوجود الفلسطيني والعربي علـى ارض لبنـان سوف يتعرض لمختلف انـواع الاخطار الداخلية والخارجية الامر الذي لا يرتضيه لبنان لاخوان يمثلون قضيـة عادلة يشهد العالم بأسره بقدسيتها وعدالتها •

فلبنان الحريص على سيادته الكاملـة ـ غير المنقوصة ـ حريص بالـوقت

السيادة اللبنانية الكاملة الشرط الأساسي للتواجد الفلسطيني - العربي في لبنان

بقلم : المحامي محسن سليم

الذين اعتقدوا ان بامكانهم تحويل الصراع القائم حاليا في لبنان الى اقتتال ديني او طائفي فشلوا فشلا ذريعا •

والذين اعتقدوا ان بامكانهم ان يلعبوا دورا سياسيا عن طريق استغلال الازمة وتصويرها بانها قد تنقلب الى ازمة طائفية او دينية ـ هؤلاء ايضا فشلوا في مخططاتهم ـ •

حتى رجال الدين انفسهم ادركوا من خلال اجتماعاتهم التي احيطت ـ مع الاسف ـ بالكثير من العلانية والدعاية ـ ان الطائفية خفت صوتها في لبنان ولم تعد تستطيع ان تحرك جماهير الشعب التي اصبحت من الوعي بحيث انها لم تفسر معنى تلك الاجتماعات الا انها اجتماعات عادية لرجال ينتمون الى « قطاع خاص » لا بأس ان يجتمعوا ويساهموا في تهدئة الخواطر ويشتركوا في اقتراح الحلول ـ اما الدين ـ والطائفية ـ فقد كانا بعيدين عن حقيقة تلك الاجتماعات التي كان يتمنى الشعب لو انها حصلت بسرية تامة ، بدون ضجة ، وبدون استغلال للظروف الراهنة •

فلبنان الذي تعيش فيه جميع الاديان السماوية وجميع الطوائف بحرية وتسامح ومحبة ـ لم يعد يتحرك الا من خلال المصالح المتصلة بشخصيته المميزة وما يترتب على المحافظة على هذه المصالح من شروط وتنائج •

واللبناني سواء كان مسلما او مسيحيا ـ او منتميا الى اي دين اخر ـ لم يعد يفكر الا لبنانيا مجردا عن اي اعتبار اخر يجره الى ذلك ايمانه بديمومة هذا الوطن ـ وطنا لجميع ابنائه ـ ولجميع المضطهدين الاحرار في العالم •

موقف العراق التاريخي من الخلاف بين النجديين والهاشميين
وثائق خطيرة ومذهلة تنشر لأول مرة

بقلم: السيد عبد الرزاق الحسني

الاستعانــة بلنــدن

لم يكتف الملك فيصل بما كتبه الـى المعتمد السامي البريطانـي في العراق حول ما أصاب شقيقه الملك علي من حرج فأبرق الـى أخيه الامير زيـد في لندن البرقية الآتي نصها بتاريخ ١٩ تشرين الاول ١٩٢٤م •

الامير زيد : لندن الرقم س ٤ ــ ٥٦٦

سألني جلالة الملك علي أن أطلب اليك مساعدة ناجي الاصيل في المفاوضات، ولا شك في أنك ستقوم بذلك وتطلب باسم العائلة وأهل الحجاز الابرياء التوسط الحبي من حكومة صاحب الجلالة البريطانية لايقاف القتال وحـل الاختلافـات سلميـا •

فيصل

انتكاس جديـد

بينما كانت المراسلات والمكاتبات جارية هـذا المجرى الحبـي السليم واذا بالملك فيصل يتلقى في ٢٦ تشرين الاول ١٩٢٤ البرقية الآتية مـن أخيه الملك علي في جـدة :

جلالة أخينا الملك فيصل   بغداد

رقم ٧٧ البرقية الواردة أمس من البحرين لجدة تبتدىء :

طاهر الدباغ سكرتير الجمعية الحجازيـة : وصل تلغرافكم العمومي أمـا رسالتكم الرسمية الخاصة المتعلقة بالصلح فلم تصل • لا يمكن نشر روح السلام في الجزيرة ما دام الحسين واولاده حاكمين في الحجاز • لا تقصد الطمع في ملك الحجاز أو التسلط عليه ولذا فهي تترك للعالم الاسلامي ، وهـذا مـا يراه مـن

نفسه على الحفاظ على القضية الفلسطينية التي كان ولا يزال يعتبرها قضيته وقضية العرب الكبرى •

فالقضية الفلسطينية وما تمثله ـ وقضية سيادة لبنان الكاملة وما ترمز اليه كلتا القضيتان يجب ان ينظر اليهما كوحدة متماسكة ـ متصلة ـ متكاملة ـ لا تفريق بينهما ولا تفريط بهما ـ

الا فليعلم الجميع ـ وخصوصا الذين يتمسحون بالاديان والطوائف في كل مناسبة ـ ان اللبنانيين والفلسطينيين المخلصين الواعين المتواجدين على ارض لبنان ـ بحكم الضرورة ـ لن يدعوهم يصلوا الى ـ تنفيذ ـ مخططاتهم الاجرامية بالتفريق فيما بينهم ـ

ان لبنان حريص على التمسك بسيادته الكاملة كما ان الثورة اللفسطينية يجب ان تكون حريصة على احترام هذه السيادة التي هي الشرط الاساسي لتواجدها وبقائها ـ واستمرارها ـ في نطاق رسالتها الاصلية التي وجدت لاجلها •

محسن سليم

في سبيل الثواب

★ ★ ★

● لما رجع الرشيد من الحج كان قد نذر ان يتصدق بألف دينار على احق من يجده ، فدفع المال الى بعض ثقاته ، وامره ان يطلب فقيرا مستحقا للاعطاء • فانتهى هذا الى عريان محلوق الرأس في خربة ، فقال في نفسه لا اجد افقر من هذا فقال : يا فتى خذ هذا المال واستعن به • فقال : لا حاجة لي فيه ، قال : احب ان تأخذه ، قال : ان كان ولا بد فثم حجام حلق رأسي ولم يكن معي شيء، فادفعه اليه • قال : فقصدت الحجام فامتنع من اخذ المال ، فقلت له : هو الف دينار ! فقال : ما حلقت رأسه الا للثواب فلا آخذ عليه اجرا • قال : فعدت وما وجدت اكرم منهما وأهون مني •

مخطئا او معتديا ــ كما يدعي عظمته ــ فما هو قد زال • وما هو جرم أخي علي وهو يتضرع اليه طالبا منه السلم ؟ وما هو جرم بقية افراد عائلتي حتى يضغط على الشعب الحجازي مستندا الى شراذم همجية لا تعرف غير سلب ونهب كل آمن ، وينذره بأن لا أمان له حتى يخرج افراد اسرتي من وطنهم ومقر ملكهم الموروث من الوف السنين في الوقت الذي اختار لنفسه ملكا وحكومة مدنية ، والتجأ الى عظمته والى الامم كافة طالبا وضع حد لسفك الدماء • ان تمادي عظمته على هذه الاعمال يثبت بأنه لا يرمي بسياسته هذه الى امتلاك البلاد وضمها الى بلاده المنكودة الحظ ، والتي تئن تحت جور حكمه الفردي وهو انما يرغب في التنكيل بعائلتنا ليصفو له الجو ، ولكي لا يبقى أحد ينازعه الحكم في أرض الحجاز • وهكذا كان قد فعل مع أهل حايل عندما طلب اليهم جلاء ابن رشيد •

ان عظمة السلطان قد رفع الستار عن مقاصده الخفية واظهر العداء جليا نحو جميع افراد اسرتي بلا استثناء ، وهو يصر اليوم على ابعاد من هو منها في الحجاز ، والا فلا أمان لاهل الحجاز • ولا يستبعد ان يجمع قواه بعد ان ينال مرغوبه في الحجاز ويطلب خروجي من العراق عاجلا أم آجلا ، متذرعا بعين الاساليب ونفس المغالطات التي يتذرع بها اليوم تجاه حكام وامراء الجزيرة الذين سعى الى استئصالهم متزملا برداء العصمة والدفاع عن حقوقه ، ولا يصعب عليه ان يتخذ نفس الخطة التي نجحت معه حتى الآن تجاه العراق فيجيش جيوشه عاجلا أم آجلا ، ويشن بها الغارات على أطراف هذه البلاد ليلتجيء الاهالي الى اخراجي من بين ظهرانيهم ، لاني في نظره أحد أفراد تلك الاسرة التي يجب ان لا تعيش على ظهر البسيطة ، ولانه يتخيل ان يكون العالم بأمره ، وان لا يكون في البلاد العربية جميعها من يتجرأ على منازعة عظمته •

والآن بالنظر لهذه التصريحات العدائية المعلنة لنواياه السيئة واطماعه الواسعة التي لا اشك في انه سيكون لها تأثير عظيم على مستقبل العراق وبلاد العرب كافة فاني أرى ان اعرض القضية برمتها على أنظار حكومة جلالة الملك قبل ان اقوم بأي عمل ماديا كان او معنويا • وانني انتظر الجواب بأسرع ما يمكن •

محبكم : فيصل

الندامة لترك البلاد المقدسة ، واذا خرج الحسين واولاده من الحجاز فأنتم آمنون في بلادكم وقد ارسلنا التعليمات بذلك لرؤساء جيشنا • السكرتير الخصوصي لسلطان نجد • انتهت : التوقيع (علي)

والى جانب هذه البرقية تلقى الملك علي من البحرين البرقية التالية بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٢٤

الشريف علي بن الشريف حسين جدة

اني أحترم شخصكم احتراما عظيما ولكن معاملة والدكم لاهل نجد وسائر المسلمين هي التي جعلتنا نقف هذا الموقف فاذا كنتم تحبون السلام وحقن الدماء، اخلو الحجاز وتنظرو حكم العالم الاسلامي فان اختاركم أو اختار غيركم فنحن نقبل حكمه بكل ارتياح • أما اذا بقيتم في أرض الحجاز فان مسؤولية ما يقع من الحوادث تقع عليكم سلطان نجد (١)

فيصل يستنجد بالانكليز

اضطرب الملك فيصل من اندفاع القوات النجدية نحو الاراضي الحجازية فاجتمع بالمعتمد السامي البريطاني اجتماعا مطولا في ٢٧ تشرين الاول ١٩٢٤ ثم كتب اليه ما يلي :

بغداد ٢٩ ربيع الاول ١٣٤٣ ــ ٢٨ تشرين الاول ١٩٢٤

عزيزي السر هنري

حسب وعدي أمس الى فخامتكم اقدم في طيه صورة البرقية الواردة الي من أخي الملك علي ، وهي مرسلة في الاصل من سكرتير عظمة سلطان نجد ، وموجهة الى أهالي جدة •

اني لا اظن بأن جلالة ملك بريطانية يرضى لهذه العائلة التي أنا أحد أفرادها بمثل هذه الحقارة العلنية ، بل اني لا أعتقد بأنه يرضى ولن ترضى حكومة جلالته بأن اطأطأ الرأس أمام هذه الاهانة الشخصية • فاذا فرضنا ان الحسين كان

---

١ ــ الاستاذ الريحاني في كتابه « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٢١ •

من الهجوم ــ من غير اثارة ــ من قبل أي حاكم مستقل ، الا ان استعدادها هذا للمساعدة يشترط فيه ان تسترشد الحكومة المحليـة صاحبة الشأن في سياستها تجاه ذلك الحاكم بآراء الحكومة البريطانية • ان الحكومـة البريطانية لا يمكنها الاعتراف بحق هذه الحكومات المحلية بالتدخل في نزاع قائـم بين حاكمين عربيين مستقلين ، ولن ترضى بأي تدخل من هذا القبيل » ا هـ (١) •

فيصل يرد على القرار

لم يرض الملك فيصل بالقرار الذي اتخذتـه الحكومـة البريطانية تجـاه الخلاف بين السعوديين والهاشميين فكتب الى السر هنري دوبس المعتمد السامي البريطاني في العراق رسالة مطولة شرح فيها وجهة نظره في الموضوع هذا نصها :

بغداد ١٠ ربيع الاول ١٣٤٣ ــ ٩ تشرين الاول ١٩٢٤

عزيزي السر هنري

قرأت بكل اهتمام كتاب فخامتكم المرقم ر • و ــ ٢٤٦ والمؤرخ ٣ تشريـن الاول ١٩٢٤ والبرقية الواردة من وزارة المستعمرات والمرسلة في طيـه ، وتبينت منهما رأي حكومة صاحب الجلالة وفكر حكومة الهند فيما يتعلق بخطر الوهابية على الاماكن المقدسة • واني أشكر لفخامتكم جزيل الشكـر عنايتكم في اطلاع الحكومة البريطانية على افكاري واقتراحاتي •

يظهر لي من البرقية الآنفة الذكر ان وزارة المستعمرات لم تنظر الى المسألة الا من حيث علاقتها بالحجاز ونجد فقط ، ولم تجب على مـا أبديتـه في كتابي المؤرخ في ٢٤ ايلول ١٩٢٤ من الملاحظات بشأن ما يتوقع ان يصيب العراق بسبب هذا النزاع من الاضرار الجسيمة المادية والمعنوية ، هذا اذا تمكن نجد من تحقيق مطامعه وبسط نفوذه على الحجاز وبقية أطراف جزيرة العرب الجنوبية • نعم ان الوزارة المشار اليها ذكرت في برقيتها انها مستعدة لمعاونة البـلاد الواقعة تحت مسؤوليتها ، ودفع أي هجوم يقع عليها من أي حاكم مستقل وذلك بقدر طاقتها ، وعلى شرط ان يكون الهجوم قد وقع من غير اثارة • ان هـذه العبارة لـم تسر بناظري مع ما تضمنته من قيود الا وولدت في نفسي قلقا لا أود أن أخفيه عـلى

١ ــ المركز الوطني لحفظ الوثائق : الاضبارة ص ٤ •

نقل الشكوى الى لندن

لم يكن في وسع السر هنري دوبس المعتمد السامي البريطاني في العراق ان يتصرف برسالة الملك فيصل الموجهة اليه ، فبعث بها الى حكومته في لندن على لسان البرق ، وقد درست الحكومة البريطانية هذه الشكوى دراسة دقيقة واتخذت قرارها الذي طيرته الى معتمدها في العراق برقم ٣٨٣ وتاريخ ٣٠ ـ ٩ ـ ١٩٢٤ وبلغه السر هنري دوبس الى الملك فيصل برسالته المرقمة آر او ـ ٢٤٦ والمؤرخة ٣ تشرين الاول ١٩٢٤ وهذا نصه :

« ان الحكومة البريطانية لم تتردد أبدا في تعقيب سياستها التي تقضي بالحض على السلام والوفاق وانمائهما بين سائر حكام البلاد العربية بكل وسيلة ممكنة ، وفي عين الوقت انها متمسكة بسياستها التقليدية من عدم التدخل في الشؤون الدينية وليس في نيتها التورط في أي نزاع يرمي الى الاستيلاء على الاماكن المقدسة الاسلامية مما قد يدخل فيه حكام بلاد العرب المستقلين •

« وفي المشكلة الحاضرة تنوي الحكومة البريطانية حصر مجهوداتها في محاولة صيانة من في الحجاز من رعايا صاحب الجلالة البريطانية المسلمين ، والمسلمين الذين تحت حماية جلالته ، وذلك بقدر ما يكون بالامكان عمليا ، وفقط في حالة طلب كلا الطرفين المتنازعين من تلقاء نفسيهما توسط حكومة صاحب الجلالة البريطانية مستعدة للقيام بأمر مثل هذا الذي حاولت القيام به في الشتاء الماضي في مؤتمر الكويت ولكن عبثا ما حاولته (١) ويرجع السبب الاكبر في ذلك الى تأخر الحسين في الموافقة على ارسال مندوب وقد بلغ ما سبق ذكره الى الحسين •

« واما ما يتعلق بالجهات المتاخمة لبلاد العرب مما تتحمل الحكومة البريطانية فيها مسؤوليات من طرف جمعية الامم فالحكومة البريطانية مستعدة لان تقدم للحكومات المحلية ذوات العلاقة ما يمكن تقديمه من المساعدة في رد ما يحدث

---

١ ـ في كانون الاول من عام ١٩٢٣ م عقد مؤتمر في الكويت في محاولة لتثبيت الحدود بين سلطنة نجد وكل من العراق والاردن والحجاز وقد حضر المؤتمر مندوبوا العراق والاردن كما حضره مندوبوا نجد ولما لم يحضر مندوب عن الحجاز فقد فشل المؤتمر .

اعوانه به . أليس في هذا ما يكفي لتبرير اثارة خواطرنا ويدعو الى وجوب اهتمامنا بايجاد الدواء عاجلا قبل ان يستفحل الداء ؟

اذا كانت حكومة صاحب الجلالة لا تريد أو لا تستطيع حقيقة ان تضيق على حكومة نجد أو لا تملك الوساطة الكافية في الظروف الحاضرة لارغام عظمته على ان ينزل عند ارادتها وكانت حكومة جلالة الملك تعتقد ان الحصر البحري لا يأتي بالفائدة المطلوبة كما فهمت من فخامتكم فماذا عسى ان تكون حدود المعاونة التي ينبغي ان نعتمد عليها فيما لو هوجمت عشائرنا داخل حدودنا ؟

ان المساحة العربية التي تؤثر فيها الطيارات التأثير المرغوب ليست من الوسعة بحيث تشمل جميع بادية العراق ولربما يتعسر ان تتجاوز فعلا منطقة السكك الحديد بكثير . وبناء عليه ستبقى عشائرنا البعيدة عن هذه المنطقة تحت رحمة التجديين المتجاوزين وهذا ما يصعب علينا السكوت عنه مع اعتقادنا بأنه في استطاعتنا أخذ الترتيبات اللازمة لحفظ كرامتنا من الاهانة ، وصيانة ارواحنا واموالنا من ان تسطو عليها يد الاخوان . ولا أظن ان كلفتنا في هذا السبيل تكون اكثر من الخسائر التي ستنتابنا عند تركنا الامر على حالته الراهنة . فاذا كانت حكومة جلالة الملك ترى التدخل فيما يختص بصيانة الحرمين الشريفين مخالفا لتقاليدها التي سارت عليها حتى الآن ، الا يترتب عليها ان تترك الحرية للطوائف الاسلامية في أن تقوم بما يطمئن وجدانها ويصون أقدس مقدساتها من عبث الايدي المتعصبة الغاشمة وهل هناك لوم على العراقيين او تبعة فيما لو ارادوا الدفاع عن مقدساتهم وحرياتهم والسعي فيما يصون وحدتهم ويحفظ كيان مملكتهم في المستقبل ؟

فبناء على الاسباب المرددة اعلاه ان الحكومة العراقية ترى نفسها مضطرة لاتخاذ الاجراءات الفعالة المقتضية التي تحفظ للامة حدودها من التعدي وحفظ ارواح رعاياها قبل ان يخرجوا لرعي اغنامهم ، وترجو من حكومة جلالة الملك المؤازرة التامة للحصول على هذا المقصد . أما فيما يختص بمسألة الحجاز فاني اقدم صور مخابرات برقية بيني وبين جلالة الملك علي بعد ان تبوأ العرش لاطلاع فخامتكم عليها . واني بعد هذا ارى ان نسعى السعي الجميل في هذا الصدد حفظا لكرامة الاماكن المقدسة وصيانة للارواح والاموال . كما أني اود ان اطلب من عظمة

فخامتكم في مثل هذا الوقت الذي هجمات نجد تتوالى علـى البلاد المجاورة لـه سواء في ذلك الحجاز أو العراق أو شرقي الاردن او الكويت وغيرهم من الامارات العربية الواقعة جنوبي نجد فهل يجب علينا ان نحكم بأن جميـع رؤساء البـلاد العربية مخطئون ، وان نجد وحده هو المصيب أو أن هنـاك مطامع ينبغي لـنا ان نوقفها عند حدها ، ونعد لها عددها في الوقت الحاضر كي نأمن شرها في المستقبل •

ان الخطر الذي يهدد مصالح العراق بسبب انتشار نفـوذ الاخوان لا يقل عن غيره ، ولا نزال اليوم نرى بالرغم مـن اهتمام حكومة جلالـة الملك بشؤون العراق قسما من بلادنا تحت استيلاء الحكومة النجدية فعـلا والوعود التي منينا بها لم تجد فائدة لان مطالبنا بخصوص الخسائر العظيمة التي أصابت رعايانا في الانفس والاموال لا تزال مهملة في نظر نجد ، ولا تزال عشائرنا غير مطمئنة مـن تجاوزات الاخوان • وغدا اذا خرجت الى الصحراء ــ ولا بد من خروجها لاجل رعي مواشيها ــ فانها ستكون دائما تحت خطر الغارات الفجائيـة ولا شك في ان الخطر عليهم في هذه السنة سيكون أشد منه في كل سنة اخرى نظرا لمـا ولدتـه الموفقيات الاخيرة من الجشع في نفوس الاخوان •

اني لا أقصد بما تقدم ان حكومة جلالـة الملك غير مهتمـة بالمحافظة على حدود العراق العمومية ، ولا يمكنني ان اقوم حقيقة بواجب الشكر تجاهها على ما تبذله من الجهود العظيمة في ردح الطامعين عن حدودنا الشمالية الا اني اود ان توجه نظرها بنفس الاهتمام الى الحدود الاخرى اعني حدودنا الجنوبية والغربية، وهي لا تقل خطورة عن الحدود الشمالية بالنسبة لمستقبل العراق ان لم يكن في الوقت الحاضر ففي الآتي القريب • ان ترك الاخوان على رسلهم يخرقون حرمات الاماكن المقدسة ويعبثون بلا رادع يردعهـم بأرواح العشائـر وامـوال رعايـا الحكومات المجاورة لهم استنادا على القوة الغاشمة ، وفي سبيل نشر فكرة دينية متشبعة بعوامل التعصب البعيدة عن كل مبدأ مدني لا بـد ان يقذف في القريب العاجل بالعشائر القاطنة ما بين سورية والعراق في أحضان الوهابية ويؤدي في نفس الوقت الى سلب راحتنا تماما فيما وراء مجرى الـفرات وانقطاع مواصلاتنا مـع سورية وفلسطين • واقرب دليل على صحة هذا هـو ان ابـن شعلان حالما بلغـه سقوط الطائف اوفد رسله الى نجد ليعرض الطاعـة على سطانه خوفا مـن بطش

والآن قد استولى على مكة المكرمة الامر الذي سوف يؤول الى عدم امكان اداء فريضة الحج ، ويخل بالموازنة بين البلاد العربية ، ويضطر في نهاية الامر العشائر القاطنة ما بين سورية والعراق ، وعلى طول الفرات غربا الى اعتناق مذهب الوهابية تخلصا من تجاوزات دعاته وتعدياتهم ، وسوف يهدد سلامة المواصلات بين العراق وسورية وفلسطين • وعليه لا يسع مجلس الوزراء الا الاحتجاج على هذا الاستيلاء ، ويطلب الى الحكومة البريطانية الاشتراك الفعلي في محافظة حدود العراق وحماية عشائره بصورة دائمة من غارات الوهابيين ويود الاطلاع على التدابير التي ستتخذ من جانب الحكومة البريطانية الحليفة في هذا الشأن ليتمكن من اعادة النظر في الموقف » •

وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٤م قرر مجلس الوزراء بناء على ما جاء في كتاب رئيس الديوان الملكي رقم ٦٣٣ تاريخ ٢٤ ــ ١١ ــ ١٩٢٤ :

« تأليف لجنة في وزارة الاوقاف برئاسة معالي وزير الاوقاف لان ترسل وزارة الاوقاف خمسة عشر ألف ربية من واردات الاوقاف النبوية لاسعاف المهاجرين في جدة » (٢) •

حصار جدة والمدينة واستسلامهما

بعد ان احتل الاخوان النجديون مدينة الطائف في ٧ ايلول ١٩٢٤ واستولوا على مكة المكرمة في ١٤ تشرين الاول سحب السلطان ابن سعود قسما من جيشه لحلول موسم الحج الذي صادف في تموز ١٩٢٥ فلما انتهى هذا الموسم أخذ يعد العدة لاحتلال ما تبقى من الحجاز ، وكانت أمامه مشكلتا المدينة المنورة وجدة تحتاجان الى مزيج من الحكمة والحزم ، فلما جاء اليه ولده الامير فيصل على رأس جيش نجدي لجب ، وجه قسما منه الى المدينة بقيادة احد اشباله محمد ، وأرسل الثاني الى جدة بقيادة فيصل • وكان الوضع في هاتين المدينتين حرجا جدا لفقدان الطعام والماء والعلاج والامان مضافا الى كثرة اللاجئين والوافدين واضطراب الاهلين فاضطرت المدينة المنورة للاستسلام في ٥ كانون

---

١ ـ مجموعة مقررات مجلس الوزراء للاشهر الثلاثة : آب ايلول تشرين الاول ١٩٢٤ ص ٩٩ـ١٠٠.

٢ ـ مجموعة مقررات مجلس الوزراء العراقي لشهري تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٢٤ ص ٣٢ .

سلطان نجد بكل الحاح توقيف اعوانه موقتا الـى ان تحـل المسألة حلا سلميـا واكلفه بعقد مؤتمر بأسرع ما يمكن لاجل هذه الغاية ، ولا أخالـه يرفض ، والا تقع كل المسؤولية عليه ، واني انتظر جواب فخامتكم بالموافقـة لاشرع في هـذا الامـر •

محبكم : فيصل (١)

سقوط مكة بايدي الوهابيين

قبل ان يمعن المعتمد السامي في رسالة الملـك فيصل المثبتـة فويق هذا ، ويفكر في المؤتمر الذي اعرب عن رغبته في عقده مع عاهل نجـد ، سقطت مكـة المكرمة بأيدي الوهابيين واندفعوا لاداء العمرة والطواف بالكعبـة بين التهليـل والتكبير فانتفت الغاية من عقد المؤتمر اذ وافت من الملك علي هذه البرقية :

مكة ١٣ ـ ١٠ ـ ١٩٢٤ الرقم س ٤ ـ ٥٩٥

جلالة أخينا الملك فيصل ـ بغداد

حرمة للبلد الطاهر وحقنا للدماء اجبرنا عـلى الانسحاب بجميـع جندنـا وقومنا لجدة •

ـ علـي ـ

موقف العراق من سقوط مكة

بينما كان الملك علي يعد الرسائل التي تقرر ارسالها الى عاهل نجـد ، والى الجمعيات الاسلامية وفاقا لنصيحة أخيه الملك فيصل واذا بالقوات السعودية تحتل مكة المكرمة فيتخذ مجلس الوزراء العراقي الـقرار التالي في ٢٥ تشريـن الاول سنة ١٩٢٤ :

« تفاوض مجلس الوزراء بخصوص مسألة استيلاء ابـن سعود عـلى مكة المكرمـة واكتساحـه الحجـاز فـقرر مجلـس الـوزراء فـي قـراره المتخذ في الجلسة الخصوصية المنعقدة في ٧ تشرين الاول ١٩٢٤ المضار الاقتصادية والدينية والسياسية التي تلحق العراق من توسع نفوذ ابـن سعود في الحجاز •

---

١ ـ المركز الوطني لحفظ الوثائق : الملفة س ـ ٤ •

يؤدي الى ضعضعة العراق وهو في بدء قيامه كدولة يحتاج الى التنظيم اكثر من القتال • وبتضييق الانكليز وتوسطاتهم المتكررة لدى ابن سعود حصل الاتفاق على ان تعرض المشاكل ما بينه وبين العراق في مؤتمر يجتمع فيه ممثلوه وممثلوا العراق وممثل انكلترا وقد اجتمع هذا المؤتمر فعلا في الفجير اكمالا لمؤتمر حصل بين الانكليز والسعوديين في المحمرة ، وتمكنوا ان يربطوا الامور بتفاهم خفيف ويسنعوا التصادم الفعلي لوقت معين » (١) •

هذه دراسة تاريخية عن الخلاف بين النجديين والهاشميين وموقف العراق منه وكيفية انتقال الحجاز من الهاشميين الى النجديين كتبناها بروح المؤرخ المحايد تعززها الوثائق والمستندات التي لا طعن لطاعن فيها والله من وراء القصد •

بغداد السيد عبد الرزاق الحسني

١ ـ توفيق السويدي في كتابه « نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية » ص ١١٣ ـ ١١٤

ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها •

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع •

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار كما ان المواد الواردة لا ترد الى أصحابها سواء نشرت ام لم تنشر •

الاول سنة ١٩٢٥ وخضع الملك علي لحكم القدر فوقع معاهدة تسليم جـدة الى ابن سعود في ١٧ كانون الاول ١٩٢٥ والتوجه الى العراق ليكون على مقربة مـن اخيه الملك فيصل « وتلك الايام تداولها بين الناس » •

العراق والنزاع الهاشمي السعودي

« كان الشعور العام في العراق ، بسبب وجود الملك فيصل كملك فيه مـن جهة ، ومن جهة اخرى الدعاية التي نشرت هنا وهناك ضد الوهابيين، يظهر بصورة مناهضة شديدة لابن سعود فأصبحت العشائر العراقية مهـددة بغزوات العشائر السعودية ، وقد تفاقمت الحالة الى درجة بات معها الاصطدام ووقوع الحـرب بين البلدين ممكنا • وقد مرت في الداخل متأثرة بهذه الحالة الطارئة فان الملـك فيصل كان متأثرا بما أصاب أخاه ووالده من الخلاف مـع ابـن سعود ، وضياع ملكهما وكان متحفزا لانجادهما بكل وسيلة بواسطة العـراق ، لكـن الحكومة العراقية ، وهي في بدء تأسيسها ، وبالنظر لوجود الجيش البريطاني فيها ، لم تكن قادرة على ان تحصل على قوة مسلحة منظمة تحقـق الغرض ، كما ان الحكومة البريطانية لم تكن لتسمح بوقوع هذا الاصطدام بين العراق وابن سعود • ومن يدري ؟ ربما كانت ــ وهذا الارجح ــ مرتاحة الى ان يتسلم قيادة الجزيرة ابـن سعود الذي اثبت انه كفء اكثر من غـيره لتأمين الامن في الصحراء ، وفي بـلاد تتحكم فيها البداوة اكثر من الحضارة • وقد أيدت بريطانية رأيها في الموقف بأنها لا تسمح بوقوع أمر كهذا ، واتصلت بدورها بابن سعود موصية اياه بطول البال وعدم الاستفزاز للعراق • لكن الامر مع الملك فيصل كان متفاقما الى حد أنه كاد يعلن الحرب على ابن سعود بينما الوزارة التي كانت قائمة يومئذ ــ وهي وزارة الهاشمي الاولى ــ لم تكن تشاركه في هذه السياسة لاعتقادها ان امرا كهذا قـد

وقفنا نحاكم انفسنا امام محكمة الضمير الانساني بنزاهة ، لا نجد انفسنا طاهرة كالزنبق ، نقية كالثلج وهذا الغبار الذي يخفي جمال انفسنا اوحى الى بعض الضعفاء بان يجرموا !

★ ★ ★

والى القارئ مقدمة هذه الخواطر

أخي القارىء الكريم ،

هذه خواطر مرت بي ،
وتجارب مررت بها ،
فاذا وجدت لها في نفسك صدى فشكور ،
وان تنكرت لها فمعذور ! ...

عمان ٣ ايار سنة ١٩٦٣

٥٥

اذا بحت للناس بهم من همومك ، بحثوا عن مواطن الضعف ، وسددوا السهم !

٥٦

اللهم نج العرب من نفوسهم اولا ، ونجهم من اعدائهم ثانيا ! ...

٥٧

من احسن اليك فشكره واجب ، فاشكره الف مرة ، ولا تنس ان تشكر من خدعك ، اصدق الشكر ، لانه علمك ان تحتاط ، قبل ان تثق !..

٥٨

بعض البشر يعشقون الشهرة ، كيفما كانت ، واينما وجدت ، ولا فرق عندهم بين ان تكون الشهرة ايجابية ام سلبية ! ...

٥٩

البشر ينسون الخير ويتناسون الشر ، ويكذبون حواسهم ، ويصدقون اوهامهم .

وحي الحياة

من قلم : روكس بن زائد العزيزي

٤٩

الحنين الى عظمة الماضي ، جعل بعض العظماء والعباقرة يحاولون الانتساب الى الالهة ، يوم رأو ايديهم خالية مما يفتخرون به في ماضيهم !

٥٠

جوهر الخيانة واحد ، ولا يغير من ذلك اعتقاد الجمهور ان الخائن المستور اشرف من الخائن المفتضح !

٥١

لو اصيبت قلوب الناس بزلزال ، ونفوسهم بقارعة مفاجئة ، لظهرت الارض مقبرة للشرف والضمير والاخلاق ، على الرغم من هذا التزمت العنيف ! ...

٥٢

في ابتسامة هذه انتحار ، وفي تنهدة تلك انتحار ، غير ان الاعمى يسمع جرس الابنسامة فيخاله رنين الحياة ، وما علم انه صليل السيف يقطر دما ...

ويسمع الزفرة فيتوهمها رحمة بالبائسين ولا يدري ان كل انسان مشغول بهمومه عن آلام الآخرين .

٥٣

أليس من المحزن ان تكون مفاخر البشر مجازر وحشية ، وفضائلهم انانية شخصية ، ومقاييسهم للخير والشر ناقصة نسبية ؟! ...

٥٤

قد نكون ــ في عرف القانون ــ غير مسؤولين عن اثم الاثيم ، وجريمة المجرم ، لكن هذا لا يجعلنا ابرياء من وصمة الاثم ولوثة الجريمة ، لاننا اذا

٦٩

لو استطعنا ان نحول الرياء الذي في الحياة ، والتدجيل الذي يرتدي احيانا رداء الدين ، لو استطعنا ان نحول ذلك كله عفافا حقا ، وصلاحا حقا ، لاضحت الحياة جنة تجري من تحتها الانهار !..

٧٠

كثيرا ما يحاول الانسان ان يفتح صناديق اسرار الناس ، فيفتح مقبرة اسراره ! ..

٧١

النفس التي الفت الذل لا تستطيع ان تدرك معنى من معاني الرجولة الحق ، والفضيلة الصادقة !..

٧٢

عندما يعمد المسؤول الى الحيلة والمراوغة ، فانه يقر ضمنا بانه بعيد عن الحق والعدل والصواب ! ..

٧٣

لا بد للطبيعة من الانتقام ، فلا يسرنك ان انتقامها يتأخر ، فكلما تأخر انتقامها كان اشد هولا ، واشنع وقعا ! ...

٧٤

الصلة لا دين لها ، ولا ضمير ، ولا مبدأ !..

٧٥

سجل بعض اقوال العداوة ، وقابل بينها وبين اقوال الصداقة ، تر الى اي درك يهوى الناس وهم يسيرون مع عواطفهم مجردة من سيطرة الموضوعية والعقل!

٧٦

اذا استطعت ان تهزم خصومك ، بلا مال كنزته ، ولا اعوان تعتز بهم ، فثق بانك تملك ما هو اعظم من المال ، وافضل من الاعوان !..

عمان ـ الاردن ـ للبحث صلة ـ روكس العزيزي

٦٠

لكل دماغ فلسفة خاصة لا يقنع الا بها ! ••

٦١

الفاظ الاطفال ولثغاتهم ، بقايا من لغة اهل الجنة !••

٦٢

أمية النفس والضمير ، شر من امية العقل !••

٦٣

اذا كان المسيح قد مات مصلوبا باسم ناموس موسى ، فما اكثـر الذين يتم اغتيالهم باسم شريعة المسيح ، ظلما وعدوانا !••

٦٤

قد تصل الى القمة سريعا ، ولكن لا يمكن ان تجلس عليها للاستجمام !••

٦٥

العامة كالمرأة ، تحب العطف ، وتحترم القوة !••

٦٦

عواطف العامة ، ومودة المرأة ، ثمنهما وعود كاذبة ، وتملقات رخيصة !••

٦٧

من سره اعجاب العامة صباحا ، فلينظر الى صلب المسيح مساء !••

٦٨

ثلاثة ماتوا وتأخر دفنهم :

أ ـ بخيل على الناس شحيح على نفسه •

ب ـ رجل انهدم ايمانه بالناس وانهدمت ثقة الناس به •

ج ـ فتاة سليطة اللسان مهدومة الاخلاق !••

ولكنه اصاب من جهة ثانية نحتفظ بذكرها ، على اننا قبل الانصراف من سماع هذا الجدل ارسلنا نظرة عجلى نستطلع ترتيب « الجدث » الذي نحن تحت قبته الآن ، فقد فات اهل الفقيد ان يضعوا انموذجا من اختراعاته الكهربائية بل فاتهم ان يوجدوا ، « كتابا » للزائر يسجل فيه ما يتصور في « تلفزة » خاطره من مبدعات الفقيد الخالدة ، ويكتب ما يوحيه اليه عقله ان ترحما وان اكبارا واجلالا، كما هي الحال على ضريح فقيد الخيال جبران خليل جبران •

هذه امنية غالية تتقدم بها الى العلامتين الشيخ سليمان ظاهر والشيخ احمد رضا ، عضوي المجمع العلمي السوري ابتغاء احداث هذه « الاشياء » الضرورية كي تتم الفائدة الذكرية لوفاة هذا الراحل العظيم •



انتقلنا بعد ذلك الى منزل العلامة المفضال الشيخ سليمان ظاهر وهناك استقبلنا في البهو بوداعته المعروفة وبعد ان استقر بنا الجلوس بدأت اسأله عن الاتفاق الفرنسي السوري فكان يبعث الى سمعي اجوبة سياسية سديدة جديرة بالاعتبار الا انه فات ــ عريف الطريق ــ ايضا ان يعرف فضيلة الشيخ علينا وظل اسمي مجهولا لديه حتى « قمنا » تتناول طعام الغذاء في الغرفة المحاذية وهناك نهض احد الرفاق وقام بعادة التعريف بعد ان ابدى عذره العاطفي المشفوع بابتسامة « التقصير » عن الواجب ، بينما كان عريف الطريق منهمكا في بطنه يسلأها خبزا « وطبخا » •

ولما انتهينا من الطعام خرجنا على الشوي نشبع مقاعده الوثيرة « مداعبة ودهسا » وبدأ الشيخ يتلو علينا بعض الروايات التي وردت بحق دعبل الخزاعي وعلي بن يقطين وانهما كانا اصلح اهل زمانهما وهو قول قد استقر في مقعدي لان فضيلة الشيخ اسنده الى زمن نطق به التاريخ « وتضاربت » به الرواة مما جعلني ان اعترف صراحة ان ما كتبته في شأن هذين المصلحين ــ في تقدي اعيان الشيعة للعلامة الامين ــ كان خطأ وقد يكون هذا الخطأ متأت عن المصادر ــ الدخيلة ــ التي اعتمدت عليها في ذلك النقد •

فأنا مع شدة احترامي لفضيلة الشيخ اتقدم بخالص الشكر اليه ، مكبسرا

مشاهداتي في عيد الأضحى

مرفوعة للعلامة المفضال الشيخ سليمان ظاهر

بقلم : عبدالله بري

••• وكأن السيارة التي كانت تجري تحتنا ــ ذهابا ــ الى النبطية تزفر بشوق وعاطفة آلية تكاد تنطق بما يخامر نفوسنا من مسرة تقترن مع حب الاطلاع واستقراء الحوادث التي ما برحت تقام في هذه الاعياد القومية المجيدة •

ولقد وصلنا ــ النبطية حاضرة جبل عامل ــ على عجل وقد ذهب بنا « عريف الطريق » الى حيث رقد فقيد الامة العربية والاختراع المرحوم حسن كامل الصباح اذ ضربت على جدثه « قبة » كبيرة وعليها حربة بيضاء تلهب احشاء الشمس « ببريقها » ، ولما دخلنا القبة وجدناها كثوى تشغله مقاعد وثيرة جلس عليها ثلة من الوجهاء الافاضل في النبطية وبينهم العلامة الفاضل الشيخ احمد رضا والاستاذ محمد الجابر وبعد التحية العربية التي تبودلت على اساس « المعايدة » ــ طبعا ــ وبعد ان استقرت رحاب « الجماعة » بدأ الاستاذ الجابر يتابع حديثه عن النشاشيبي وكتابه « الاسلام الصحيح » فأثار الجدل حول مسألة « التذكير والتأنيث في القرآن » ولكن العلامة الرضا كان يفعم سمع « الحضور » بأجوبته « الناضجة » وآرائه السديدة ، الا ان الاستاذ الجابر المشهور باعتداله لم يقف عند حد السؤال بل تعداه الى اثارة العواطف المنطقية فقال بوجوب ايجاد رد رادع لزعم اديب فلسطين الكبير •

وطبيعي ان نجد من « الحفل » من يتناول اطراف الحديث ــ مشاركا ــ فتكلم شيخ عريض الشاربين خفيف الذهن « جلل » الشيب عارضيه ، حول هذا الموضوع فأشار الى فائدة منطقية تقول بأبطال زعم النشاشيبي ولكنه لم يستوعب البحث الاجمالي الذي يريد ان يجعله يضارع باستقراره « اعتدال » الاستاذ الجابر ، غير ان هذا القول جاء متأخرا بمعناه الصحيح كما وان الاستاذ نفسه اضاف الى اعتداله تأخير ما بعده تأخير •

ولقد اخطأ ــ عريف الطريق ــ لانه لم ــ يعرف ــ علينا وفقا للعادة المتبعة

اثيوبيا ، مما جعل الامير ان يبعث بأذاعته المعروفة حتى لا يذهب ـ المسلمون ـ الى ذلك المذهب العارم الذي يوجد الاندفاع والتضحية في سبيل الاحباش ..

وانتقلنا بعد ذلك الى قول الامير في الشعر العاملي وانه لـم يتذوق أحسن منه حلاوة وطلاوة على ، رغم اطلاعه على الشعر التهامي والنجدي الخ .. كأنما يريد فضيلة الشيخ ان يذهب ـ بذلك ـ رأيي في الادب العاملي من انـه ادب لا يزال في حداثته ـ طفلا يرتع في مهده ـ وذلك استنادا علـى التقسيم الرباعي الذي قسم الآداب الى آداب عالمية ، آداب قوميـة ، آداب اقليميـة ، واداب موضعية او مكانية .

فأما الاول ـ الادب العالمي ـ الذي هو عبارة عـن مزيج ثقافات مختلفـة تظهر بحلة قشيبة فأنه يتمشى على قاعدة منطقية سليمـة وتنتظم فيـه الـروح الفلسفية بالحكمة الطبيعية التي يدفع بها الاستقرار الى روعة وجمال توجد فـي النفس هزة لطيفة ينشرح معها الذوق الادبي وتأنس بهـا الروح العلمية المطلقـة التي ينطبع عليها قسما كبيرا من حكمته هذا النوع مـن الادب والـذي يتأثـر بمفعوله الفرد الشاعر ولا يتأثر به .

فالادب العالمي هو دستور الآداب القومية وموجد الادب الاقليمي والادب الموضعي او المكاني معا ـ وان كان هذا الادب ينشأ عادة على دعائم الفطرة في جو هادي مشبع بالبحوث والالغاز ـ ولكن ان لم يكن الادب العالمي موجد لـه فانه باعث به من الاجداث المعفاة .

والادب القومي تكون فائدته ـ احيانا ـ اعم من فائدة الادب العالمي نظرا الطريقة الابداعية التي ينشأ بين احضانها هذا الادب وغايـة المضارعـة والمنابهة التي تنشأ عنها قواعده الالزامية تغذيها الروح القوميـة الـتي تشعـر ، ابـدا بتعزيزها وجعلها في مصاف الادب ، العالمي العام .

اما الادب الاقليمي فهو صفة تدريجية تتجه اوضاعها نحـو الادب القومي المطلق الا انه يحتاج لدراسات متتابعة وتشجيع مستمر كي ينمو في حقله متسربا مع النزعة العاطفية والتكيف الطبيعي الى درجة الادب القومي الـتي تغذيـه من سلطانها وجمالها القويم البهي .

ذلك المنطق القويم الذي لا ينطق الا بالحكمة السامية والموعظة الحسنة •

غير اننا قد نجد اليوم من اصلح نفسه وتطوع خاضعا لعبادة الله ولكنه يغترف الاثم وراء ستار من التقوى ، ولعل هؤلاء الرجال الذين ضربوا مثلا للصلاح في ذلك الزمن وتتناقش حول صلاحهم اليوم ــ هم اشد كفرا وتفاقا من اصحابنا اليوم الذين لا يعرفون الله الا في « استدارة » دينار او في مرضاة حاكم عنيد جبار •

وعلى كل حال ان ما رواه لنا جناب الشيخ بالاسناد كاف لان يجعل اعتقادنا يستقر على حقيقة تاريخية كانت خير مثل او اعتراف نأتي به اليوم لابطال ما زعمناه ــ اعتمادا على ما زعم ــ في ذلك النقد ونرجو ان يوفق الشيخ الى خير ما يرضاه الله وترضاه الامة ••

وانتقل الشيخ بنا ــ في حديثه ــ الى الامير شكيب ارسلان ، وكيف ان فتى من بنت جبيل كتب عنه في احدى المجلات البلشفية انه مستأجر للطليان ، فالحق ان هذا الامير كان ولم يزل يعطف على القضية العربية الاسلامية خير عطف ضحى في سبيله ثروته ومركزه وهو جدير بالثناء طالما كانت مواقفه الشريفة تنم دائما عن اباء وشهامة قل ان تتوفر في زعيم يجاهد ويناضل منذ سنين عديدة لاجل مصلحة العرب عامة والاسلام خاصة •

ومع ذلك فقد كان يريد ذلك الفتى ان يقول ان الامير كتب من قبل ــ حاملا حملته الشعواء على الطليان ــ ولكن يجب الا ينسى ان الذي يعلمه الامير عن الامور الدبلوماسية والوقائع الجغرافية غير الذي نعلمه نحن ، فهو يبرهن ــ بأثبات ــ ان سياسة التنكيل في الاسلام تقوم بتمثيل دور فظيع في الحبشة وان الطليان الذين نكلوا بأسلام طرابلس الغرب هم غيرهم اليوم اذ كان الزعيم موسوليني بعد المقابلة التي جرت بينه وبين الامير حققت جميع المطالب التي تقدم بها المسلمون ، وهكذا فقد ظل عطفه يغدق عليهم حتى باتوا والسنتهم تنطق بالشكر والثناء لهذا الصنيع المستحدث الجميل •

وبالعكس ــ بينما كان موسوليني ينعش باقتصادياته صدور المسلمين في المقاطعات الاسلامية طبعا ــ كان النجاشي ورجاله يسيؤون الى الاسلام في

مرهون الصفّار شاعراً

بقلم: سلمان هادي الطعمة

كثير منا من سمع او قرأ لهذا الرجل الذي طبقت شهرتــه الاندية الادبية ، وتعدت شهرته الى جملة من البلدان العراقية والعربيــة في الاربعينيات • غير ان الذي دعاني الى كتابة هذا البحث ما لاقاه الشاعر من اعراض مــن لــدن ادبائنا الذين لم يتوفر لاحدهم كتابة دراسة وافية عنه ، كيف لا وهو الذي نــذر نفسه منذ شرخ شبابه لخدمة لغة الضاد واحياء تراثها الثقافي والحضاري والانساني •

كان رحمه الله شاعرا جميل الذوق ، قوي الديباجة ، واسع الخيال ، بديع الاسلوب ، تفنن نظما باللغتين الفصحى والعامية • وعالج كــثيرا مــن المواضيع الاجتماعية والدينية والقومية والانسانية والوجدانية • فلــه مــن الشعر الرائق الشيء الكثير ، ونشر آيات عواطفه في مختلف الصحف والمجلات المحلية •

ولد مرهون بن حسن بن درويش الصفار الخزاعي ببغداد سنــة ١٣١٥ هـ الموافق سنة ١٩٠٠م • ونشأ بها وبعد تركه المدرسة الثانوية انتقل الــى النجف الاشرف عام ١٩١٥م اثر وفاة والده ، وكانت حينذاك قد اشتدت وطأة الاتــراك وازداد ظلمهم ، ومكث بها زهاء ست سنوات ، عاد بعدها الى مسقط رأسه بعــد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني • عين موظفا في دوائر الدولة ، منها تعيينه مدرسا في المدرسة الحسينية ، وموظفــا في المجلس التأسيســي عنــد تشكيــل الحكومة العراقية ، ثم عين موظفا في وزارة العدل سنة ١٣٤٤ هـ ، وتنقــل بــين بغداد والعمارة والسماوة والفلوجة وكربلاء والنجف والحلة ، واستقر اخيرا في بغداد بمنصب محاسب دائرة كاتب العدل الجنوبي •

تلقى تعاليم الدين على اساتذة قديرين منهم السيد عباس شكــاره والشيخ باقر زايد دهام والشيخ حبيب آل ابراهيم والشيخ بشير العاملي • ويروى عنــه ان له مكانة مرموقة وشخصية محترمة • وكانت له ندوة ادبية ضمت جمهرة مــن خيرة الشعراء والادباء والمفكرين ، اذ تقوم فيهــا مساجلات ومناقشات شعريــة

ولكن الادب الموضعي او المكاني قل ان ينحصر تحت رأي او فكرة فهو « شريد » بين هذا وذاك بين الادب الاقليمي والادب العالمي وبين الادب القومي والادب الاقليمي وهذا هو الذي يهيمن على قرائح الادباء والشعراء في جبل عامل والذي يعمل عمله في نفوسهم بصورة ظهر معها النقص والابتذال فظيعا الى حد يعجز الباحث عن ادراكه طالما كان التلون والايثار العاطفي هو رمز الشعر والشاعرية بين ادبائنا ـ المحترمين ـ شأنهم في النقد والتأليف والاستنتاج ...

ولا شك ان فضيلة الشيخ يقول معنا هذا القول طالما كانت حالة الادباء على هذا الشكل « المطرز » الذي تحمله الاولاد كالشقائق الحمراء يوم الاعياد وخصوصا في يوم عيد الاضحى (١) .

ديترويت ـ مشيغن　　　　عبد الله بري

١ ـ ننشر هذا المقال لنعود بالذكرى الى استاذينا العلامتين الشيخ سليمان ظاهر والشيخ احمد رضا ، وقد طلبنا من وزارة التربية الوطنية تعليق صورتيهما بدار الكتب الوطنية ولم تجب للان ، فلعل وزير التربية وهو جنوبي هذه المرة يستجيب لرغبتنا ، وقد وجدنا هذا المقال بين المقالات القديمة التي وردت للعرفان ، ومن الطبيعي انه لم ينشر سهوا ، ولعل هذا الذي دفع صاحبه الى هجر العرفان بعد ان كان من انصارها المعنويين ، كما ان عالم ديترويت مشيغن الذي كان دائما يكتب في العرفان ويلقى الضيافة والتاهيل في بيت صاحب العرفان ، لم يذكر العرفان بعد الغنى فانطبق عليه المثل العامي « لا تدعو على صاحبك بالسعادة بتخسرو » .

وشمخت عــزا بالعلوم ورفعة　　لا الشعــر يدركها ولا التبيــان
اشبال شعبك للكفاح تآزروا　　متسانديــن كأنهــم بنيــان
لبنان ابنــاك الكرام وان نأوا　　عــن شعبنا فهــم لــنا اخــوان
من قبل يــا لبنان طبت أرومة　　وشهود مــا قــد قلتــه غسان
لبنان جــدد مــا مضى ببطولة　　وليسع فيــك الشيب والشبان
(ان ليس للانسان الا ما سعى)　　وبنص هــذا ينطــق الــقرآن
جبل العروبة للعلى ارفــع راية　　تهفــو لهــا الامصار والبلدان
جبل العروبة عش بعــز دائــم　　واهنأ بما قــد نلت يــا لبنــان

وهو يعبر عن مشاعره نحو مجتمعه ، وما احاق بــه مــن حرمــان وتشاؤم وشكوى وما يعانيه من ازمة نفسية وهواجس وآهات ، فيخاطبه قائلا :

اذا مــا رمــت ان ترقى　　فسل عــن سلــم المجــد
رياض العلــم لا تسقــى　　بغير السعــي والجــد
فكم مــن جاهل يشقــى　　ممــا يخفــه او يبــدي
وكــم مــن عالــم حقــا　　بنــور العلــم يستهــدي

★ ★ ★

يســير المــرء لا يــدري　　الــى ايــن انتهى السير
ســرى لكنمــا يجــري　　حثيثــا ضده الدهــر
وذا المســكــين للقبــر　　كئيبــا ساقــه الــفقر
ويضحي ذلــك المثــرى　　واقصى همــه (الصفــر)

★ ★ ★

اذا مــا رمت ان تسعــى　　فسل عــن غــادة الحقل
لمــاذا تسكن المرعى　　بهــم فــي الحشى يغلــي

وادية هامة ، كان لها تأثير كبير في بعض اليقظة الفكرية ودعم وتشجيع وتطوير تراثنا العربي •

وهو اضافة الى ذلك باسم الروح ، حلو الحديث ، لطيف المعشر ، واسع الاطلاع ، محدث بليغ يؤنسك حديثه ويشدك وجوده • اتصل بالشاعر المعروف الاستاذ عبد الرحمان البناء الذي نشر له الشيء الكثير من قصائده الاجتماعية والانتقادية في جريدته (بغداد) • اصدر ديوانه في جزئين اسماهما « الدرر اللماعة في سبيل الشفاعة » عام ١٩٥٣م ، حوى شعرا شعبيا في مدح النبي والعترة الطاهرة ، وقصائده تلك تردده المحافل وتتغنى به المحاشد •

وقد ولع بالشعر فراح يقرأه ويحفظه ويعارضه ، وهو شاعر يكتب من ثمار روحه وشاعريته ، وينظمه بصياغة ممتازة يتجلى فيها الفن الرفيع ، وقصيدته « لبنان » هي اجمل قصائده واعمقها اثرا ، واغزرها عاطفة ، فيها تصوير رائع ، وموسيقى عذبة ، وروح جذابة ، وهذا ما تجود به قريحته الوقادة ويراعه الفياض:

حياك مجد العرب يا لبنان ... فيك الكرام ذوو النهى سكان
فيك السعادة والهناء وقد زهت ... في كل روض من حماك جنان
فيك النعيم لمن يؤمك قاصدا ... ومن النعيم الحور والولدان
فيك الصفاء وفيك حسن خلايق ... فيك العلى والعلم والعرفان
يا جنة شغف النفوس جمالها ... حبا ولم يستثن منه مكان
قد كنت يا لبنان اول حافظ ... عهد العروبة مذ خصومك خانوا
قد كنت تدأب لاتجاه ساعيا ... وبمثل سعيك تنهض الاوطان
لبنان دم بالطيبات موشحا ... بك من قديم تفخر الازمان
اصبحت تاج المكرمات وفخرها ... والمكرمات لاهلها تيجان
الضاد والمجد الاثيل تحالفا ... بك والتحالف للعلى عنوان
فيك العروبة قد نمت وترعرعت ... وسموت فيها ما سمت كيوان

ما ذنب شيخ عاجز في بيته أصلاه وغد بالرصاص صئول ؟
ما ذنب ربات فررن من الحمى اذ ما لهن الى النجاة سبيل ؟
عبث الصهاين ثم في اعراضها اذ لم يكن بين اللئام نبيل
ان الصهاين طبعها من قبل في مكر على جبن بها مجبول
الله اكبر ما الجواب اذا التقى بكم النبي المصطفى المرسول
ويقول يا زعماء عليا أمتي انتم الى الدين الحنيف نصول
لم لا زحفتم زحفة عربية تدع الدماء على الصعيد تسيل ؟
أبناء دجلة والفرات اليكم مر الكلام من العتاب اكيل
الله ! ما هذا السكوت آما بكم قرم على جيش الطغاة يصول ؟
هذي ألوف اللاجئين تواردت ولهم صراخ في الفضا وعويل
جودوا بفيض المكرمات عليهم فالمكرمات على الكريم دليل
جودوا بما تسطيعه ايمانكم فالجود فعل في الحياة جميل
لا تبخلوا بالمال يا أربابه ما نال فخرا بالزمان بخيل
جودوا بأعطاء الزكاة وسارعوا فالعمر يفنى والثراء يزول

وأخيرا فقد باغتته المنية في شهر ذي القعدة سنة ١٣٨٠ هـ الموافق أيار ١٩٦١ م ، وكان لنعيه صداه المدوي ، وكان متوقعا ان يقابل هذا الصدى بألم وحزن عظيمين ، لما له من مكانة علمية متميزة وآثار خالدة وخدمات حافلة بجلائل الاعمال .

هذه قبسة من ذكرى اديب عاش بين ظهرانينا ، عسى ان نحقق من الرجاء في اذكاء همم الشباب لدراسة حياة هذا الرجل وشعره . والبركة في ابنته الاديبة المحققة السيدة ابتسام الصفار ، فهي خير خلف لخير سلف ، وكلنا ثقة في ان لا تحرم الاخت ابتسام جمهور القراء من نتاجات والدها المرحوم ، فتسعى في اخراج كتاب يخلده ويحييه في عالم الخلود ، خلود الكلمة الشريفة الصادقة .

كربلاء ـ العراق سلمان هادي آل طعمة

سوى الاحزان لا ترعى ولم تكسب سوى الذل
ورب الحقل لا يرعى سواه في عمى الجهل

★ ★ ★

قوام الحقل فلاح يداري الارض بالحرث
وما مسته أفراح ولم يلبس سوى الرث
ورب القصر مرتاح بصيد الغيد والعيث
مناه اللهو والراح ويقضي الليل بالطمث

★ ★ ★

ومشاعره مليئة بحب الوطن العربي ، والتغني به ، فهو لم ينس فلسطين الحبيبة لحظة ، وقصيدته هذه قالها بمناسبة اطالة الهدنة وانتظار الجيش العراقي لتأدية رسالته القومية ، وهي تنبض بالشعور الانساني المرهف والعواطف الجياشة :

حتام هذا الانتظار يطول والمجرمون على البلاد تصول
والام هذا الاحتجاج ولم نجد ان الوساطة عذرها مقبول
اين الذين بزعمهم في هدنة وقف القتال لديهم موكول
قالوا اغمدوا اسيافكم اذ كلنا بالامن ما بين الورى مسؤول
يشكون من ظلم العباد لبعضهم والعدل فيما بينهم مقتول
قد قرروا ما يشتهون برأيهم او ما دروا من بعد ما سيئول
جيش العراق اذا استمر سكوته ان الحسام بحكمه سيقول
وليظعن السيف في احكامه عدلا وان الباطل المطلول
قولوا لشرتوك اهلا ترعوي ما هذه الاجرام يا مهبول ؟
ما ذنب طفل مات في سعه الوغى سحقا عليه العاديات تجول ؟

ـ ٣ ـ

تعتز الشعوب بالارض •
التي حلوا عليها رحالهم •
فجعلوا منها وطنا عزيزا
غاليـــا •••
وتأسف هذه الشعوب •
وقد رأوا نفوسهم بلا حكام !

ـ ٤ ـ

ما اهنــأ الحياة ، لا تشوبها شائبة •
ولا يعكر صفاءها حقد أو حسد •
لــو كانت الحقيقة :
على لسان الجميع •
والنية الصالحة ، في قلوب الكل •

ـ ٥ ـ

ما احوجنا ، الى مواطنين صالحين •
يغارون على مصالح وطنهم وعزته :
ترسخ الفضيلة في قلوبهم •
وتنطبع الوداعة على وجوههم •
والابتسامة على ثغورهم •

ـ ٦ ـ

بليتنـــا الكبرى ، انما هي •

خمس كلمات

بقلم : نصرت توفيق خريش

— ١ —

تجلت عظمة الخالق .

في كل كائن .

وفي كمال الكون وترتيبه .

فما اعظم الارض بدورانها .

والشمس بانوارها .

والليل بنجومه .

والسماء بزرقتها .

والبحر بصفائه وهياجه .

— ٢ —

ايامنا قصيرة معدودة .

ساعاتها تهيب بنا .

الى الاستفادة منها ، قدر المستطاع .

... فلا ندع الوقت يذهب سدى .

ولنتق الله ، ونحافظ على اوطاننا .

محافظتنا على انفسنا ...

ولنستقم في معاملة الآخرين .

رسوم

الشيخ احمد رضا

بقلم: السيد علي ابراهيم

من أبرز وجوه التراث اللبناني وألمع رجاله ، اذا جلست اليه شعرت بسهولة العلم وجلال المعرفة ، تدرك لاول نظرة انه متميز رفيع القدر قوي الشخصية هادىء رصين لا يمكن ان تجد الكلمة النابية طريقا الى لسانه عف الحديث حتى كأن التهذيب يأخذ قواعده من سلوكه وتعامله مع الناس حمل الشعلة وقاد طلاب العلم في دروب التجديد في مجتمع تعلق بالقديم فأسرف ، ولم يرمق الدنيا الجديدة بنظرة الفة وعطف فوقف هو ومعه فئة قليلة من الرجال يدعو للتطور والاخذ بالصالح المفيد ولم ينثن عزمه امام عقبة كؤد بقي يكافح ويناضل حتى أوشك ان يتضح ويبين •

عجيب امر هذه العبقرية ودقيق سرها كيف استطاعت ان تناضل في ميادين متعددة ، الادب شعره ونثره ، واللغة قديمها وحديثها ، والفقه واصول الدين مع تفسير ذلك وفقا لمفاهيم العصر ولم يهمل العناية بالمجتمع فوصل لرتبة القيادة في الشعب •

ألف رسالة الخط ، هداية المتعلمين ، الدروس الفقهية ، رد العامي الى المنتخبة للمعاني المستحدثة ، كتاب الوافي بالكفاية والعمدة •

مثل بلاده في عدة مؤتمرات سياسية وادبية منها ومؤتمر الساحل ، ومؤتمر بلودان ، والمؤتمر الاسلامي العام في القدس ، ومؤتمر بيت مري الثقافي الذي عقدته جامعة الدول العربية ، كما انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق ثم انتدبه هذا المجمع لتأليف معجم يجمع فيه من اللغة باختصار مفيد ويضم اليه ما وضعه مجمعا دمشق ومصر من الكلمات المنتخبة للمعاني المستحدثة وما دخل في الاستعمال وطرأ على اللغة • فتم له ذلك بعد جهد دام نحو ثماني عشرة سنة •

وهو في الادب منارة في ذلك العهد السحيق عهد الجناس والطباق ، والتورية ، والمبالغة والمدح والرثاء يوم كانت تجمع الاوصاف المروية عن العرب

بهؤلاء الذين يتاجرون بالاقوال ،

وينقبضون عن الصراحة في الرأي •

وصحـــة الاعتقـــاد •

فـــلا احترام لهم •

ولا قيمة ، لما يقولون ويعتقدون •

بيروت نصرت خريش

★ ★ ★

قولهم (قيمة كل امرىء ما يحسن) من المعاني وكم تحت قولهم (الحلم عشيرة) وقولهم (ما عال من اقتصد) وكثير امثال هذا من بدائع المعاني الكثيرة التي يدل عليها هذا اللفظ القصير دلالة وافية بالمرام .

شعـــره

ولم ينس الشعر فله في عالم الجمال روائع لم يلتفت لها الباحثون منصرفين عنها للجانب الاهم من شخصيته جانب الفقه والعلم والدين واللغة والاصلاح الاجتماعي وهو في الشعر لا يعدل عن الحكمة والتوجيه والحديث عن القيم والمثل الانسانية الرفيعة مثل قوله :

ان لم تعالج ذا ضنى بالذي … يشفى به عاد الى نكسه
او لم تعالج مذنبا عاثرا … اذكيت حب الذنب في نفسه
لا تجزيا لشر فتى بائسا … تزيده بؤسا الى بؤسه
بعض من المعروف تدلي به … للمجتدي افضل من حبسه
لا تعذل الجاهل في صحبه … كل امرىء يأوى الى جنسه
لا تأمن الدهر في صرفه … واصبر على المكروه من بأسه
فالصبر اجدى للفتى مطلبا … من جزع يدنيه من رمسه
من كان يرجو الخير من دهره … فقد جنيت المر من غرسه
لا يرتجي ذو اللب اصلاحه … فيومه يبتنى على امسه
وهو على الاحرار لا يأتلي … يرميهم بالهون من مسه
طالت لياليه على ساهر … يرقب ضوء الصبح من شمسه
كم من قرير العين في اهله … مأتمه غطى على عرسه
من حكم الشهوة في عقله … دل على النقصان في حسه
أو لم يثبت محكما رجله … في مزلق خر على رأسه

ومن قوله في شكوى الزمان :

للناقة والفرس وتحشد بقصيدة هي اقرب للعمارة منها للصور الحية المعبرة عن الشعور والاحساس ، عهد الصناعة اللفظية والزخرف البياني حيث يقتل اللفظ المعنى ويجني التكلف على الروح ، فيشتغل الادب باللف والدوران كما يشتغل الحاوي بالالعاب ، ازدهرت مكانته الادبية في مصر وسوريا فكان احد كتبة العرب الناهضين في العرفان والمقتطف ومجلة المجمع والمقتبس وغيرها • يقول في كتابه النفيس « مولد اللغة » وهو فيه من الرواد الاوائل اخذ عنه الباحثون ورجع اليه العلماء على اختصاره •

« انك اذا نظرت اللغة العربية في اخريات الجاهلية واوائل الاسلام ، رأيت لغة جرت على سنن واضحة في اشتقاقها ، وعلى طراز أنيق من روائها وبهجتها وعلى نمط فاخر من طلاوتها ، وعلى بيان عذب في تركيبها واساوبها ، وسعت صدرها للاشتقاق فكان له في صلبها قوام متين وفسحت سوحها للمجاز فحفلت باستعاراته البديعة وبسرسله المستملح وكان لها في ذلك الميزة الظاهرة على غيرها من اللغات ، حتى وسعت بعد ذلك ما دعاه تمدنها من العلوم يوم ملكت اقطار الارض وحازت علوم الاولين •

انظر ، تر لغة تؤثر الخفة في لفظها ، تسهيلا للنطق مع وفرة بيان فهي تقلب الحرف اذا ثقل مكانه الى ما هو اخف منه على النطق (كميزان وميعاد) وما جاء على بابهما وتأبى الجمع بين ساكنين فتنقص حرفا او تغير حركة لتتخلص منه •

تجد لغة كلماتها قليلة الحروف ، يغلب عليها الثلاثي من الابنية الاصلية بل يكاد هذا يبلغ ثلاثة ارباع المستعمل من كلماتها •

تجد لغة اذا دخلتها كلمة اجنبية عنها قلق موضعها حتى تأخذ وزن كلمات اللغة وهيئة حركاتها لتشاكلها وتماثلها وتأتلف معها ، لذلك تراهم يشذبون الكلمات الاعجمية الطارئة التي لم تأت على اوزان العرب بالحذف والابدال حتى تلائم الاسلوب العربي الموجز الخفيف ، فاذا عربوا الاعجمي ورأوه ثقيلا بعض الشيء منعوه من التنوين حتى لا تزيد حروفه حرفا على النطق •

تجدهم في بيانهم يجمعون المعنى الكثير تحت اللفظ القصير فكم تحت

أجواد العرب

الحسن بن سهل

بقلم : أديب فرحات

هو الحسن بن سهل والد السيدة بوران زوجـة المأمون الخليفة العباسي ، وكنيته ابو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ، وقد كان مـن اكبر المقدمين في دولة المأمون ، ووزيره الاعز بعد اخيه الفضل بن سهل، وكان المأمون عندما ولي الامر بعد أخيه الامين عام ١٩٦ هـ قد استوزر الفضل بن سهل ولقبه بذي الرئاستين، وولى أخاه الحسن ديوان الخراج، وفي سنة ١٩٨هـ ولاه كل ما افتتحه طاهر بن الحسين من اقاليم الجبال والعراق وفارس والاهواز والحجـاز واليمن ، وذلك بعد مقتل الامين ، وقد كتب الـى طاهر بتسليم تلـك الاقاليم المذكورة اليه فتسلمها الحسن سنة ١٩٩ هـ ووزع العمال عليها وضبط الامـور فيهـا .

ولما خرج ابراهيم بن المهدي على ابـن اخيه المأمون كـان الحسن ممـن يقاتلون ابراهيم فاشتغل في الحرب ضده ردحا من الزمن . ولما قتل اخوه الفضل بن سهل سنة ٢٠٢ هـ قتل المأمون قاتليه وبعث برؤوسهم الـى اخيه الحسن ثـم أسند اليه الوزارة مكان أخيه ، الا ان الحسن تأثر بالغ التأثر من قتل اخيه وجزع عليه جزعا شديدا ، فاختل عقله حتى قيد بالحديد وحبس ، ولقد كتب القواد الى المأمون بذلك سنة ٢٠٣ هـ ، فاستوزر احمد بن ابي خالد ، وكانت وفاة الحسن في مدينة سرخس سنة ٢٣٦ هـ .

كان رحمه الله رجلا فاضلا عالي الهمة ، واسـع العطـاء ، كثير الاجـازة للشعراء سخي الكف لغيرهم ، لبيبا حاذقا ، بصيرا بالامور ، وقـد اكثر الشعراء من مدحه ، وقصة اقتران الخليفة المأمون بابنته بوران ، وما بـذل في زفافها من العطاء ، وما اظهر من كرم النفس واليد ، مشهورة ، حـتى طـار صيتها وذاع ،

طغى الدهر في ظلمي واكثر من هضمي فما لليالي لا تفيء الى سلم
يقتص سواد الليل بالهم مضجعي ويسلمني ضوء النهار الى الهم
كأن الصلال الرقش باتت تعلني بما في نيوب الصل من ناقع السم
كأن على شوك القتاد اضالعي تبيت فلا ينفك ينشب في جسمي
صحبت اذى الايام ستين حجة رهين نضال فيه أرمي ولا ارسي

وله في الحنين :

تمنيت ان أغشى الحمى عمر ساعة تقر بها عين وتنعش روح
ولكن من اهواه شط مزاره ومن دونه حالت مهامه فيح
يؤرقني ومض من البرق موهنا على عدواء الدار بات يلوح
ويطربني عذب النسيم اذا سرى يسر على واديهم ويفوح
متى يستقر القلب من الم النوى ويهدأ مكلوم الفؤاد قريح
تواترت الانباء شتى كذوبها فهل نبأ يشفي الفؤاد صحيح

بيروت علي ابراهيم

ثياب عمر

● رئى على عمر بن الخطاب قميص قيمته اربعة دراهم ، وهو يخطب في المدينة ، فقيل له : انت امير المؤمنين ، وتلبس الخشن من الثياب • فقال عمر : اني اخشى ان اسأل عن لينه يوم القيامة • فبكى غلامه سالم • وقال : يا امير المؤمنين اني رأيتك قبل الخلافة لبست ثوبا بأربعين دينارا ، فاستخشنته ، فقال : اني كنت لم انل شيئا الا طلبت ما فوقه ، فلما نلت الخلافة ، علمت ان ليس فوقها الا الجنة فدعني اطلبها • قال سالم مولى عمر : قومت ثياب امير المؤمنين ، وهو خليفة باثني عشر درهما ، قميصه وخفه وعمامته وسراويله وقلنسوته •

وقد قالت شعراء ذلك الزمان وخطباؤه اشياء كثيرة في ذلك العرس ، ومما يستظرف في ذلك قول محمد بن حازم الباهلي :

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
يا امام الهدى ظفر ت ولكن ببنت من ...

وهكذا نعم العروسان العظيمان واحدهما بالآخر ، وقد عاشت بوران مع المأمون حتى وفاته سنة ٢١٨ هـ وتوفيت سنة ٢٧١ هـ ولها من العمر ٨٠ سنة ، فتكون مدة اقامتها معه ١٠ سنوات ومدة ترملها ٥٣ عاما ، وعاصرت المعتضد بالله الخليفة العباسي الذي زفت اليه الاميرة قطر الندى بنت خمارويه ملك الدولة الطولونية في مصر .

الاصل تتبعه الفروع

ولما كانت كل فتاة بابيها معجبة ، أعجبت بوران بمزايا ابيها واخلاقه التي ورثتها عنه ، كالكرم والجود ، والاحسان والعطف ، كما ورثت عنه القصر الحسني الذي شاده جعفر بن يحي البرمكي على شاطىء دجلة ، فكان آية في الهندسة والفن والزخرف . ثم انتقلت ملكيته الى المأمون بعد أفول شمس البرامكة ، وقدمه المأمون الى وزيره الحسن بن سهل ، وقدمه الحسن الى ابنته بوران .

ولما زفت قطر الندى الى المعتضد ، بعد زهاء قرن من بناء ذلك القصر ، بعث الخليفة الى بوران يستنزلها عن قصرها لانه كان يشتهيه ان يكون قصر الخلافة ، فاستمهلته اياما ريثما تفرغ القصر وتسلمه اليه . ثم رممته وعمرته وجصصته وبيضته وفرشته باجمل الفرش واحسنه ، وعلقت اصناف الستور على ابوابه ، وملأت خزائنه بكل ما يخدم به الخلفاء ، ورتبت فيه من الخدم والحشم والجواري ما تدعو الحاجة اليه ، ولما فرغت من ذلك كله انتقلت منه وكتبت الى الخليفة تدعوه اليه .

فبعث الخليفة وفدا مؤلفا من وزيره عبيد الله بن سليمان ومن رئيس حرسه ورئيس شرطته كي يطلعا على حال القصر قبل الانتقال اليه ، ووقف

وملأ الاسماع ، وقد تزوجها المأمون لمكانة ابيها عنده ، وزفت اليه في بلدة (فم الصلح) ، وذلك في رمضان سنة ٢١٠ هـ • فلما دخل عليها كانت عندها حمدونة بنت الرشيد ، اخت المأمون ، وزبيدة ام أخيه الامين ، وام الفضل والحسن جدة بوران ، وقد فرش ابوها للمأمون حصيرا منسوجا من الذهب نثرت عليه جدتها الف لؤلؤة من انفس اللآلىء فلما رأى المأمون اللآلىء المنثورة قال : « قاتل الله ابا نواس لكأنما شاهد ما نحن فيه حين قال يصف الخمرة يعلوها الحباب :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على ارض من الذهب »

ثم امر بجمع اللآلىء ، ثم اعطاها لبوران وقال : « هذه نحلتك (اي مهرك) فسلي حوائجك » فأمسكت عن الكلام ، فقالت لها جدتها : « سلي سيدك فقد امرك » فسألته الرضى عن عمه ابراهيم بن المهدي ففعل ، وسألته الاذن للسيدة زبيدة بالحج فأذن لها ، وقد بنى بها في ليلته تلك ، فأوقدوا في تلك الليلة شمعة من عنبر وزنها ٤٠ منا (المنا كناية عن رطلين) ، قيل اقام المأمون عند الحسن ١٩ يوما اعد له فيها الحسن ولجميع من كان معه كل ما يحتاجون اليه ، فكان مبلغ ما انفق عليهم ٥٠ ألف الف درهم (أي ٥٠ مليونا) حتى ان المأمون نسبه الى السرف في ذلك البذل ، وامر له بعشرة آلاف درهم (١٠ ملايين) من ماله الخاص لا من بيت المال بالطبع ، واقطعه بلدة (فم الصلح) ، فجلس الحسن ووزع المال على القواد والحشم والعسكر •

ويروي الرواة ان الحسن احتفل بعرس ابنته وعمل من الولائم والافراح ما لم يعهد مثله في عصر من العصور ، فانه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع وبساتين وجوار ودواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت بيد رجل فتحها وقرأ ما في الرقعة فاذا علم ما فيها ذهب الى الوكيل المرصد لذلك ، فيدفعها اليه ويتسلم ما فيها ، ثم نثر على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر ، وانفق على المأمون وقواده ، وجميع اصحابه واجناده واتباعه ، وكانوا خلقا لا يحصى ، حتى على الحمالين والمكارين والملاحين وكل من ضمه العسكر ، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئا لنفسه ولا لدابته •

تهويد الدول

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

حصان طروادة ــ نداء للتهودين في اوربا واميركا ــ تهويد المتدينين ــ

كيفما تحرك الناس ، وجد اليهود بحركتهم فرصة ، فان انسوا بحكم السلالات الوراثي ، وجد اليهود فرصة للتسلل لداخل البلاط ، وضربوه بسيف الاستغلال ، كما شاهدنا بتاريخ الملكيات في انكلترا وبروسيا ، فاذا استعصى البلاط على الاستخدام والاستغلال ، اليهودي ، ضربته اليهودية بسيف من هيأتهم المحافل وخلعت عليهم لقب فرسان حكماء ، كما رأينا في ضرب اللويسات والقياصرة والانقلاب الحميدي ، وان فضل الناس النظام الجمهوري ، استخدم اليهود الوسائل التي يعرفها من لمس الماسونية ، وسلموا الزمام يدا تتفانى في انجاح مخططاتهم .

وكيفما تحركت الانظمة ، استطاع منهاج (دولة دون قرقعة (١)) المؤسس منذ ٢٥ قرنا ومنهاج (حصان طروادة (٢)) المشهور منذ ٥ قرون استطاع ان يستغل الايدي الحاكمة ويوجه السفينة اليهودية بيدها لساحل الامن ، ولو تحررت هذه الانظمة من كابوس السطحية لادركت ان اليهود هودوها من الداخل . وان زعموا قوميتها وحملوا جنسيتها ، اذ لليهودي صفة واحدة ثابتة، هي اليهودية اما سواها من الصفات كالرأسالي والشيوعي فصفات عارضة ، ولا هم لها الا توجيه سواها للتهويد اي تدجينه لخدمة مصلحة اليهود ، ودفعه للتعاون مع خادميها ولو تغايرت المبادىء الاقتصادية .

اذن فالمتهودون يلتقون بمصالح مشتركة يتوخونها من مساعدة اليهود

---

١ ــ انظر تفصيل هذه الدولة في شرح بروتوكولات حكماء صهيون للبحاثة عجاج نويهض .

٢ ــ حصان طروادة يشير للهدم من الداخل واخر من مثله ــ في ما اعلم ــ يهودي زعم الاسلام ودعا نفسه مصطفى ابو سعد واقام وقتا طويلا اماما في احدى جوامع نابلس ، انظر جريدة الشهاب : آذار ٦٩٠٢ نقلا عن ديلي تلغراف ، كانون الثاني ١٩٧٢ .

الوزير وصاحباه يجيلون النظر في ما وقعت عليه عيونهم من آيات الترف وروائع النعمة في ذلك القصر العريق ، ويعتبرون بما مر به وما شهده من ايام الدولة واحوالها منذ كان لجعفر ثم للمأمون ثم للحسن ثم لبوران ، وفيما هم في ذهولهم اقترب منهم شيخ هرم يدب على عكازته وقد تقوس ظهره ، وحياهم ، فابتسم له الوزير وقال له بصوت عطف : « اراك بخير يا أبا يحي ، ان قصرك يا ابا يحي سيرى جديدا ينسيك ما تحرص عليه من ذكريات الماضي كله فهز الشيخ رأسه اسفا وهو يقول : « هيهات يا سيدي ، ذاك زمان قد مضى بأهله » .

وابو يحي هذا شيخ جاوز المئة من العمر كان في خدمة البرامكة اولا ثم في خدمة المأمون ، وقد قدمت اليه بوران احدى جواريها فتزوجها واسكنته واياها في دهليز القصر ، ولما قال للوزير كلمته المذكورة قال له الوزير : « اراك مسرفا في ما قدرت يا أبا يحي ولعلك تشهد عن قريب في هذا القصر آية تألقه يوم تزف قطر الندى بنت طولون الى امير المؤمنين ابي العباس المعتضد » ويقول الشيخ : « آويحسب مولاي الوزير أني ارى بعض ما رأيت في يوم بوران ؟ » ثم يسرد ما اظهر الحسن بن سهل من بذل وسخاء في يوم بوران وانه سقطت عليه بندقة من بنادقه التي نثرها على الناس فاذا هو صاحب ضيعة لعمرو بن مالك بما فيها من بستان ودار وآنية ورقيق .

أجل هذا ما روي عن الحسن بن سهل الذي ضرب كرمه وسخاؤه الرقم القياسي على كل الناس ولا سيما الشعراء والادباء الذين كانوا اعظم الوسائل للاعلام والنشر في تلك العصور ، فرفعوا اعلام مدحه في الآفاق ، ونقشوا اسمه على صفحات الخلود .

بيروت — اديب فرحات

الرفق هو الخير كله

● قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من الخير كله ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير كله » .

محسن الامين بسهم قوله :

قالوا : الشعوب نفكها من رقها كلا بل استعبادها قد راموا
ان كان هذا امنكم وسلامكم فعلى السلام تحية وسلام

تهويد المتدينين

منهاج التهويد لا يعني الا خلق الادلة على امتلاك فلسطين والقفز منها لسواها ، متواريا وراء المواعيد •

بعض المتهودين مدفون بناووس المواعيد التي تسود صفحات العهد القديم (١) ، ناسيا ان السير في طريق ابراهيم يستلزم الايمان بالمسيح كما نرى في الانجيل (٢) ولو لمس المتهودون المتدينون هذا الفهم العميق ، لادركوا ان الانجيل لا يجد لاستمرار المواعيد مبررا •

وبعضهم لا يزال حريصا على اقامة الهيكل مرددا مع اليهود (لا عبادة مقبولة الا به) ولو عاد للفصل الرابع من انجيل يوحنا وسمع قول المسيح للمرأة السامرية :

« صدقيني ايتها المرأة انها تأتي الساعة التي تعبدون فيها الآب لا في هذا الجبل (يعني جبل نابلس) ولا في اورشليم ، انتم تعبدون ما لا تعلمون ، تأتي الساعة حيث العابدون يعبدون الآب بالروح والحق » •

ولم يكتف المسيح بتحررهم من عقدة العبادة محصورة بالهيكل ، بل بشر بهدمه ، وعرض مستقبله ساحة مبعثرة الحجارة (٣) وغسل عقولهم من طفولة القول :

(مل الله من سكنى السحاب والضباب فلجأ للهيكل ووجد نعمة الدفء والاستقرار) •

١ ـ انظر سفر اللاويين ١٨ وسفر التثنية ٨ ـ ٢٥ وسفر اشعيا ٤٨ ـ ١٨

٢ ـ انظر رسالة رومية ٨ ـ ١٤ و ٩ ـ ١٧ و ١٤ ـ ١١ ورسالة غلاطية ١ ـ ٤ ورسالة بطرس الاول ٣ ـ ٩ •

٣ ـ يوحنا ٣٧ ـ ٣٨ •

ويرونهم اداة لتنفيذها •

والمتهودون حريصون على خدمة اليهود اكثر من اليهود انفسهم ، مثلا طلب اليهود نصف النقب لكن ابى المتهودون الا ان يقدموه كله على طبق من ذهب !!

نداء للمتهودين في اوروبا وامريكا

أيها المتهودون ، أيها المسيرون ، ان منهاج التهويد الذي اراده السنهدرين شباك صيد ليس متربصا بفريق من الانسانية دون فريق ، وان المصير الاسود الذي ينطوي عليه اليهود ينتظر خالقيهم الذين حنوا اعناقهم وقدموا ظهورهم ليمتطيها اليهود •

لقد فاتكم ان اليهود يتخسون الشعوب بكره بعضها بعضا ، ليؤججوا نار تسافك وينفردوا بالاسلاب •

والواقع ، لستم بحاجة لهذا الشرطي الذي يحاول ابتلاعكم تنفيذا لمخططات التلمود اذ هو يرى العالم كله ـ ومنه انتم طبعا ـ مخلوقا من زرائب الحيوانات اقد تستعتم بارض هذا الشرق وطباق ثراه وانتصرتم بابنائه في الحربين العالميتين ، لكنكم ـ تنفيذا لمنهاج التهويد ـ جازيتموه جزاء سنمار •

لقد نجح اليهود بتهويدكم منذ ربطتم العهد القديم بالانجيل ، فتطوعتم ، لتنفيذ ما دعوه بنبؤات الكتاب المقدس ، اذ هذه عبارات في سطور لا تستطيع خلق انتفاضة الا اذا ظفرت بقوم يجزمون بصحتها ، وقد مثلتم الدور الذي رشحكم له اليهود عالمين ان تنفيذ تلك النبؤات يستلزم ابادة العرب وفي مقدمتهم المصريون •

تهودتم وفي طليعتكم السياسيون وحملة الاقلام ورجال الدين اليهود الذين يظهرون التدين بالمسيحية •

تهودتم وغدرتم ونكثتم ، وصدتم بشباك الامن والسلام فاصابكم السيد

خطا فاصلا بين اليهودية والصهيونية ولم ير للتبرءة علاقة بالسياسة (١) •

لقد رأينا اكليروس المانيا واميركا اشد الناس تحمسا لاصدار القرار الصادر في ايلول ١٩٦٣ بل كان شعار هؤلاء (يجب اصدار عفو عام عـن الذين قتلـوا الآله) (٢) •

برأت الكنيسة قوما لا يزالون يرونها عدوا سياسيا ودينيا ، وعلقوا عـلى القرار بكلمة (طبعا نحن ابرياء لان الذي صلب ليس المسيح لان هذا لم يـأت بعد) اما الذي صلب فقد دبـر عملية صلب نفسه وشرب خـلا ممزوجا بمـواد مخدرة ليخفف العذاب عن نفسه (٣) •

برأتهم ــ طبعا دون محاكمة ــ ولم تتذكر انها الى الان لا تعترف ــ ولـو اعترافا مبدئيا ــ بالاسلام •

زج اليهود الكرسي البابوي باستنكار السامية ، كما نرى في اتصالاتهم مع يوحنا الثالث والعشرين بل وحملوها عام ١٩٣٧ على افتداء مئتي يهودي من يـد النازية بمبلغ خمسين كيلو من الذهب •

بيروت — محمد علي الزعبي

---

١ ــ انظر ص ١٨ و٢٠ و٢١ من كتاب البتراة طبع دار الجمهور للتاليف والترجمة والنشر دمشق ١٩٦٥ مؤلفه بشير كعدان •

٢ ــ ص ٢٥ منه وانظر ص ٦٥ من انيس القاسم : سلسلة كتب فلسطينية رقم ٢ نحن والفاتيكان واسرائيل ، بيروت ، مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٦ •

٣ ــ انظر جريدة الاهرام ٢٢ لدا ١٩٦٥ •

لقد خطط اليهود فنفذ المتهودون الذين باعوا ضمائرهم للذين هدموا النواميس الدينية والخلقية واولوا الانظمة التي قد تحتفظ ببعض السمو تأويلا يفضي للتهويد وقدموا العالم قرابين على مذابح الاهواء استجابة لنزوة السيطرة المنبثقة من اسطورة (الشعب المختار) •

ان هزال الوعي مسر تجتازه اليهودية ولو لم تعلنها ، وقد اجتازته فوضعت على عيونكم غطاءا اسود حال بينكم وبين النظر البعيد ولم تدروا انهم دفعوا البشرية قرونا لمنعطف خطر ، وسيكون مستقبلها اشد خطرا اذا رأينا موجهيها مستترين بقصوركم وجامعاتكم •

لقد صفق لكم اليهود فرقصتم وتناولوا زبيبة المواعيد والهيكل فعربدتم ، وفاتكم ــ وكم فاتكم ــ ان الله اسمى من ان ينتزع من قوم ارضهم ويمنحها آخرين تجاه رشوة هي عبادته ، لان هذا المفهوم ينال من جلال الالوهية ويجرح عدلها ويثبت انحيازها واجحافها وتزمتها ، اذ لا يليق به تعالى ان يرشو او يرشاه

لقد فتح البابا يوحنا الثالث والعشرون باب التبرءة ، فأمر منذ عام ١٩٦٣ بحذف كلمة (اللهم العن اليهود) التي تتكرر بصلاة الجمعة الحزينة وعقد عام ١٩٦٤ اجتماعا ضم ثمانماية والفي كاردينالا ومطرانا وانتزع منهم تسهيدا لقرار التبرءة الاخير •

ومن العجيب ان البابوية تطلق على الآب يوثينيسيوس المتوفي عام١٦٥ تطلق عليه كلمة قديس ، وتطلق هذه الكلمة على الاب باسيل المتوفي بالقرن الرابع ، ولا ادري كيف توفق بين قداسة هذين وقداسة قرار التبرءة الذي نسي انه برء ذرية من قتلوا اسطفان ورجموا يعقوب ، نسوا هذا واصدروا قرار التبرءة ليطهر الذين ارادهم البحاثون العميقون بكلمة :

(اذا احترق اليهودي بنار التعصب لا ينبغي ان ننسى انه هو الذي اوقد النار) •

وهكذا غسل قرار التبرءة ــ ولو في ما يبدو للناس ــ اليهود من كلمات (الشعب العاصي) (الشعب الملعون) ورآهم يحملون اقدم الديانات ، واقام

ما هنالك من كلمات تتناسب وواقعهم المجرد عن كل شائبة وريب ولـقد اجـاد الشاعر الفارس ابو فراس بقوله :

الى الله اشكو ان في النفس حاجة تمر بهـا الايـام وهي كما هـي

ولو اننا انعمنا النظر لوجدنا الفارق الكبير ـ والكبير جدا ـ واعني مـا اقول اذ ان اجدادنا القدماء ساروا بأجيالهم نحو التقدم الحقيقي والرقي العـام مما لو قيض لجيلنا الحاضر المتخنفس ان يدير عجلة الحكم لرجع بالامة القهقرى اميالا • بل آلاف الاميال كيف لا ؟ والحالة اليوم تدعو الى القلق والضجر لمـا يحمل جيلنا التقدمي بين طياته من عادات وتقاليد هي من وحي الشيطان لا مـن وحي الرحمن • وقد نبذوا كل فكر وقول يدعو الى التضامن والحب والوئام بين الامة الواحدة • يريدون ان يبثوا مبادءهم الهدامة الى الامة بالقوة والعنف وقد عرف عنا أننا نحن العرب اصحاب مبدأ وعقيدة ملؤهـا الانصاف والحق والخير تتعهد بالتساوي وحفظ النظام وما يؤول اليها مـن اعمال جبـارة تصلح للامـة وتصلح الامة لها •

واذا قلت الجيل الحاضر لا يغرب عن بالي وعن بال كل منصف ان هنـاك رجالات ومفكرين عظام الا انهم نقطة في خضم هذا الكون الفسيح الرحب المترامية اطرافه والمتعددة جوانبه •

اجل هناك رجال اعمال يسعون جاهديـن ومخلصين ليخلصوا امتهـم مـن كوابيس الضلال وما احسبهم الا انهم ينفخون في رمـاد • اذ ان الـقلوب قست ـ بل اشد من الحجارة قسوة ـ وغلفت بالرين وغلب عليها الانانيات واصبح كل قول وفعل لا يستهوي فكرهم وعقلهم بل كل امر فيه صلاح عندهم مردود مـن اصلـه •

هذا فضلا عن ان اغلبية المرشدين مـن علماء ومؤمنين قـد هاجـروا مـع المهاجرين الى عاصمة البلاد بيروت تاركين مـا تبقى مـن الشعب وفوضاهم ••• لعل لها عذرا وانت تلوم •••

اقول ذلك راجيا منكم ايها الرفاق ان تعذروني في الـقول وتتمهلوا علـي قليلا كي اعطيكم مثلا لا يستطيع اي انسان حر واع ان ينكره ذلـك ان اغلبية

نظرة من خلال الواقع الأليم

بقلم : عبد الرحيم الزين .

قرب عين ماء تقع على سفح جبل من الصنوبر كنا اربعة • جلس كل منا على صخرة وتربع ، والاشجار تحيط بنا من كل جانب ، والطبيعة صافية هادئة وكأننا في فصل الصيف اذ كان الوقت في شهر شباط • أخذ كل منا يفكر ويحمد الله تعالى متطلعا الى السماء حيث لا غيوم ويتوسل اليه ان ينزل المطر على هناك حيوانات بحاجةالى ماء فضلا عن ان المزروعاتوحتى البشر مهددة بالعطش• قال احد الاخوة ها ان الله تبارك وتعالى حجب المطر عنا تأديبا لنا علنا نرجع ونتوب الى رشدنا ونرحم انفسنا •

وبعد برهة من الوقت سادها الصمت الكامل سأل احدهم حتى متى سنظل نرتع تحت هذا الواقع المرير الذي نعيشه في هذا العصر عصر النور عصر الذرة عصر التقدم والعمران عصر الصعود الى القمر وربما الى الزهرة والمريخ ؟ فالتفت اليه وقلت تساؤلاتك هذه تتبادر الى كل ذهن يشعر بالواقع واذا اردنا ان نغوص في هذا اليم لاحتاج بنا المقام الى أيام وليال ولكن اجيبك بايجاز وبصراحة تامة • قال هذا الذي اريده •

قلت بما أنني من جبل عامل اي الجنوب الذي غلب عليه مؤخرا هذا الاسم مع ان جميع العالم يتخبط بخبط عشواء دون رادع من ضمير او وازع من وجدان فلا يوجد هناك بيئة دون سواها الا وابناؤها كما نحن فيه • اود ان اتكلم عن بعض ما يدور في خلدي عن واقع ذلك الجبل الاشم (١) الذي انتج رجالات ورجالات • كل منهم يعد في أمة • وقد اصبحنا لا نعي ما نلفظ ولا ندري ما نقول اذ ان القيم الاخلاقية قد فقدتمن أساسها ، وحل مكانها الترهات والافكار المسمومة المستوردة من خارج اقاليمنا المعطاءة التي دفع رجالها العظام بالامة الى المستوى اللائق بها من حضارة ومدنية وتاريخ ومجد وعز وسؤدد الى

١ ــ اعني جبل عامل الجنوب اليوم •

الى ان تصبح جبالا من حقد وضغينة على مجتمع هو بأمس الحاجة الى موجهين روحيين لهم القدرة على مجابهة هـذه التيارات الفاسدة والوقـوف بوجهها سدا منيعا كي لا تذوب تلك الفئة القليلة التي لا تـزال متمسكة بأهـداب مبادئها وعقائدها والمحافظة عليها •

ان كل انسان يشعر ويحس فيه غيرة وحمية على بني امته ووطنه لا بد وان تعتمل في ذاته جميع التصورات والتساؤلات عن الواقع المرير الذي نعيشه بألـم ومرارة ونتحسسه يوميا بل في كل لحظة ونرى بام العين المجردة الى ما تبقى من لهاثات الماضي التي ستتبدد على ايـدي اصحاب التحركات اللاوعي لـتبني على انقاضها غرائزها المسعورة التي لا حدود لها ولا وقوف عندها •

الى هنا وقف الرفاق وهم ينظرون الى الشمس الـتي آذنت بالمغيب قائلين الى موعد آخر والى جولة اخرى فالى اللقاء •

عبد الرحيم الزين

البلاد وعلى الاخص في الجنوب عندما يحدث موت يعين ذوو الراحل الكريم حفلة اسبوع نهار الاحد سواء تقدم الموعد أم تأخر لتتلى فيه الخطب والقصائد الرنانة مشيدة بأعماله الجبارة حتى ولو كان من طبقة سفلى (وفي الكرت) يكتب كلمات ــ العميد ــ الفقيد الغالي ــ الوجيه ــ وغيرها من الكلمات البراقة • ولربما كان اولاده او اخوته لا يحكون معه في حياته • ولكن سرعان ما يموت يكثر العجيج والضجيج ويكثر البكاء والنواح وذلك اما لارث تركه او لجاه يريدون ان يتربعوا على كرسيه من خلال تلك الحفلات المؤذية (والانكى) من ذلك يحين موعد الحفل وتبدأ الخطباء والشعراء في وصف صاحب الذكرى • فلا حاتم الطائي امامه حبة خردل من الكرم والسخاء ولا اعظم فيلسوف يجاريه في قول وفي فكر ولا اشجع شجاع في العالم الماضي او الحاضر الا صعلوكا • ومن وراء المذياع يسمع السامع تلك الكلمات النابية فيتصور ان هذا النموذج يجب ان يكون قد حقق الشيء الكثير الكثير من مشاريع عامة وخاصة فأذا ما سألت عنه فلسوف تتجلى لك الحقيقة بأنه رجل عادي او اقل من عادي ولا فرق بين ان يكون الراحل انثى او ذكر كبيرا ام صغيرا عالما ام تاجرا وجيها ام ناطورا •

وكيف بك ايها الاخ حينما تسمع الخطيب (المصقع) (او المصقع) عندما يتصل به الكلام وتفيض قريحته او قحته عن العرب والعروبة اتراه كيف يزمجر ثم يرعد ثم يبرق واذا هناك لا مطر بل ولا رذاذ وانما هناك شعور ذات ليس الا فيملأ الآفاق طنينا وكأنه القائد الوحيد او الحاكم الفرد في عصره يستطيع ان يقود الامة (المعثرة) بكل ما في هذه الكلمة من معنى الى شاطيء الامان • هذا مثل بسيط من امثلة لا تعد ولا تحصى من واقع هذا الجيل الضائع التائه المنحل المار من مبادئه مرور السهم من الرمية عفوا أخي انها نفثة مصدور متألم عايش المجتمع بجميع احاسيسه وجربه باكثرية مشكلاته ومعضلاته فلم يجد الا الالم الممض والجرح الدامي الذي لا دواء له ولا علاج اللهم بلى الا ان يرى احباءه من بني وطنه قد عادوا الى سيرتهم الاولى • الى صوابهم • الى حجمهم الطبيعي • الى تراثهم المنهك تعبا • الى مجدهم المؤثل الذي اصبح على شفير الهاوية تدحرجه امواج الجهل والضلالة فيرتطم على صخور العنجهية والكبرياء والانانية والعظمة البلهاء • فتتفتت لتغدو كسيرات بل ذرات ثم تأخذ بالانتفاخ والتورم

منها ، ولنقل بأن العدد ليس هو المهم بل الانسان فان :

٢ ـ اسرائيل لديها من الطيارين المدربين ما يزيد على عدد الطائرات التي لديها في حين ان الجيوش العربية تعاني نقصا مزمنا في الطيارين .

ب ـ سلاح البحرية : تمتلك اسرائيل مصنعا للزوارق الحربية الهجومية (مشابهة لزواق « شربورغ » الفرنسية التي سرقت اثنين منها من فرنسا) مزودة بصواريخ بحر ـ بحر تصنع محليا ايضا وبامكان هذا الزورق ضرب القطع البحرية الكبيرة عائمة كانت او غواصة . كما يمكنها استعمال هذه الزوارق في عمليات انزال بحري محدودة .

ويشكل هذا الزورق ردا عمليا على سلاح البحرية العربي الذي يركز على القطع البحرية الكبيرة ، هنا يمكننا ملاحظة اهمية التخطيط في عملية التسلح اذ بدلا من تكديس القطع البحرية ، خططت اسرائيل لصنع هذا الزورق القليل التكاليف نسبيا مع احتياجاته من قطع الغيار والصواريخ ، وهو كفيل بمواجهة البحرية العربية من جهة ، ويصلح للقيام بعمليات هجوم محدودة على الشواطيء العربية من جهة ثانية .

ج ـ اسلحة البر : لا تمتلك اسرائيل تفوقا ملحوظا على العرب في هذا المجال في حال غياب الطيران ، ولكن هناك ناحية تجب الاشارة اليها وهي ان سلاح البر الاسرائيلي اسرع حركة من مثيله العربي ولذا يمكنه تغطية مساحة اكبر من الارض في عملياته ، بل يمكنه التنقل من جهة الى أخرى بسرعة تفتقدها الجيوش العربية على خطوط تنقلها (كما برهنت على ذلك حرب حزيران) والسبب في ذلك التنظيم الدقيق والمتقن لتلك القوات . لكن ذلك التفوق يمكن تلافيه وتدارك خطره بمزيد من التدريب والتنظيم والاندفاع في تنفيذ المهمات ، والمثل الحي على ذلك هو معركة الكرامة في الاردن الذي تكفلت فيها سرعة حركة السلاح المدرع الاردني ، ومدفعية الفدائيين الخفيفة والمتوسطة المتحركة بالاضافة الى سرعة حركة المناضلين واستبسالهم وعملياتهم الانتحارية المخططة ، تكفلت بهزيمة الجيش الاسرائيلي شر هزيمة .

... واسرائيل

بقلم : حافظ اديب الزين

ذكرت فيما سبق ان الجيوش العربية هي الآن اضعف من ان تشن حربا لاسترجاع اراضيها المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ ، ولا اقول ذلك استهتارا بقوة تلك الجيوش او شكا في اخلاصها ، ولكن بناءا على وقائع محددة حول قوة الجيش الاسرائيلي والقوة المقابلة عند الجيوش العربية والتي تدلل بوضوح على تفوق الجيش الاسرائيلي في النواحي التالية :

١ ـ الاسلحة المتطورة

أ ـ سلاح الجو : تمتلك اسرائيل اعدادا كبيرة من طائرات فانتوم وسكايهوك المتطورة ، ولن ادعي معرفتي بالاعداد الصحيحة لتلك الطائرات لانني أؤمن بأن ما يصل اسرائيل سرا منها ليس بأقل مما يصلها علنا • ويعمل في خدمة اسرائيل عدة طائرات تجسس اميركية تشتغل الكترونيا بدون طيار ، هذا عدا عن طائرات الميراج التي تمتلكها والتي اصبح لديها مصنعا لصنعها مع قطع غيارها ، علما بأنها ادخلت تعديلات فنية على تلك الطائرة بحيث اصبح مخزونها من الوقود والذخيرة اكبر ، بالاضافة الى ما تحمله حاملات الطائرات الاميركية المتواجدة باستمرار في البحر المتوسط من طائرات تكون عونا لاسرائيل عند الحاجة • والشيء الاهم هو توفر العدد الكافي من الطيارين الكفوئين المدربين لدى اسرائيل (يهودا كانوا او مرتزقة ، فالمهم ان الطائرات تطير وتضرب أيا كان قائدها) •

بالمقابل فالجيوش العربية تمتلك طائرات الميغ ١٩ و٢١ ولنصدق بأن الاتحاد السوفياتي قد زودها بميغ ٢٣ ، بالاضافة الى اعدادا من طائرات الميراج الحديثة• لكن يبقى هناك عاملين اثنين يرسمان علامة استفهام حول قدرة الطيران العربي على الصمود طويلا امام الطيران الاسرائيلي :

١ ــ الطائرات العربية اقل عددا من الطائرات الاسرائيلية خاصة المتطورة

٢ ـ مساندة جوية للجيش السوري في حال اشتراكه في المعركة •

وللاحاطة بالامر من كافة نواحيه علينا الاخذ بالوقائع التالية :

أ ـ ان اسرائيل كانت دائما مستعدة للتخلي عن سيناء باستثناء شرم الشيخ ومنطقة محيطة به ، وقسم من قطاع غزة ، عن طريق مفاوضات ثنائية مباشرة مع مصر •

ب ـ ان اسرائيل قد استغلت ثروات سيناء الى ابعد الحدود عن طريق مضاعفتها لانتاج البترول في آبار سيناء مما عوض لها كل خسائرها المادية في حرب حزيران بالاضافة الى الاستفادة من معادنها خاصة اليورانيوم •

ج ـ ان سيناء تشكل بالنسبة لاسرائيل مساحات شاسعة من الصحراء لا تصلح للاستيطان حاليا وكونها صحراوية ، يجعل الدفاع عنها يحتاج الى انشاءات عسكرية باهظة التكاليف واعدادا كبيرة من الجنود •

د ـ الدول الاوروبية تحاول جاهدة فتح قناة السويس بأي وسيلة من الوسائل •

في ضوء هذه الوقائع ، فالرد الاسرائيلي المحتمل على أي هجوم مصري لاسترداد سيناء وقطاع غزة (او ما تيسر منهما) سوف يكون واحدا من احتمالين :

١ ـ الرد بضراوة على الهجوم المصري ومنعه من تحقيق غاياته وبالتالي ابقاء سيناء في حوزة اسرائيل •

٢ ـ التراجع السريع والمدروس امام الجيش المصري الى خط دفاع قوي يسمح لها بوقف الجيش المصري والاحتفاظ بالمناطق التي تريد من سيناء وقطاع غزة ، مع القيام بضربة ارتدادية هجومية قوية للجيوش المصرية التي ستعمل على الانتشار في سيناء للحلول مكان الجيش الاسرائيلي المنسحب وبذلك تحقق اسرائيل اربعة اهداف :

أ ـ تكبيد الجيش المصري خسائر فادحة في الارواح والمعدات •

٢ ــ التناسق والتكتيك الحربي :

يعمل الجيش الاسرائيلي بكافة اسلحته في تناسق يكاد يبلغ حد الكمال ضمن مخطط حربي دقيق يضع حلا لمختلف الاحتمالات وينفذ في اوقاته المحددة بعد تهيئة الجو المناسب لتنفيذه • وقد بلغ الجيش الاسرائيلي هذا المستوى العالي من التقنية نظرا للعوامل التالية :

أ ــ اعطاء المجال للخبرات العلمية العالية كي تمارس مسؤوليات القيادة والتوجيه •

ب ــ الاطلاع والممارسة المستمرين لاحدث الخطط والاستراتيجيات العسكرية في العالم •

ج ــ المساعدة والتدريب الاجنبيين •

د ــ التقدير العلمي الدقيق لقوة الجيوش العربية بمختلف اسلحتها وبناء الجيش المقابل القادر ليس فقط على رد تلك الجيوش بل والمزود بالقدرة الهجومية الكافية لتحطيمها •

هـ ــ امكانيات اسرائيل في التغطية الاعلامية السريعة لعملياتها وتهيئة الجو العالمي المناسب لها مما يسمح بتوجيه الضربات والبقاء دائما في موقع الهجوم ، اي تحدد هي مكان وزمان المعركة باستمرار ، مع قدرتها في التمويه على الرأي العام العالمي وكسبه الى جانبها •

و ــ بناء مجتمع الحرب الذي يتكيف بسرعة فائقة مع جو المعركة مما يسهل على الجيش الكثير من مهماته الداخلية ويعطيه زخما مستمرا من المعنويات القتالية •

بعد تفهم معطيات تفوق الجيش الاسرائيلي على الجيوش العربية نأتي الى بحث ما يدور عليه الكلام في ايامنا هذه حول قرب قيام مصر او مصر وسوريا بتحرك عسكري ضد اسرائيل • بالنسبة لمصر فان مهمة جيشها تتركز في أمرين :

١ ــ مجابهة عسكرية مباشرة مع الجيش الاسرائيلي لاسترداد سيناء وقطاع غزة •

الجيش المصري لسيناء بأنه نتيجة لرغبة اسرائيل في السلام مع مصر ، وفي فتح قناة السويس لتفريج الكرب عن التجارة الاوروبية ، وذلك عن طريق سيطرتها على وسائل الاعلام العالمية • وتقوي حجتها اكثر ان هي تمكنت من توجيه ضربة مضادة سريعة للجيش المصري بعد دخوله سيناء ، فانها ستصور نفسها بصورة الحريص على السلام امام العالم ، وترضي شعبها وتقنعه بأن جيشها ما زال بألف خير ولكن تخليه عن سيناء هو خطوة استراتيجية مرحلية تفرضها الظروف العالمية والداخلية •

أما بالنسبة للجيش السوري فان بامكانه الحصول على انتصارات محدودة في الجولان خاصة اذا تمكن طيرانه من الوقوف نـدا امام الطيران الاسرائيلي ، وقد ينجح في استرجاع قسم من اراضي الجولان ، وفي هذه الحال يحتمل كثيرا ان تقوم اسرائيل بعمليات انتقامية في العمق السوري • الموقف على هذه الجبهة غامض نوعا ما ، ولكنه يبعث على بعض التفاؤل في حال اخلاص الحكم السوري في معركته لان مواقع الجيش السوري قوية استراتيجيا ••• وهـذا متوقع لان الاوضاع الداخلية مستقرة نسبيا ••• والله اعلم •

في الواقع من الصعب التنبؤ بما سيحدث علـى الجبهات العربيـة في حال تجدد القتال ، والايام القادمة وحدها هي التي تجيب علـى مختلف التساؤلات • لكن المبدأ الرئيسي القائل بأن الجيوش العربية النظامية عاجزة عـن تحرير كامل ارض فلسطين بسبب قصور قدراتها العسكرية عـن قـدرة الجيش الاسرائيلي حاليا ، وبسبب الضمانات العالمية لوجود اسرائيل على المدى القريب • هذا المبدأ يظل قائما وينبغي تصور الحل المعقول للقضية ضمن اطاره •

ننتقل الآن الـى امكانية تحقيق حـل سياسي او سلمـي زمني للقضيـة الفلسطينية •

—

مقارنة بين الامكانات السياسية للدول العربية ومدى تأثيرها علـى المصالح العالمية ، وبين الامكانات المقابلة لدى اسرائيل تظهر لنا ما يلي :

١ ـ ترتبط اسرائيل بعلاقات سياسية مع اكثر من ٩٥ دولة من دول العالم، ولكن تأثيرها او تأثير حليفتها الولايات المتحدة المباشر لا يتعدى بضع عشرات من

ب ـ القضاء على قواته الضاربة وبالتالي عدم تمكينه من التقدم اكثر لاحتلال المناطق التي تود الاحتفاظ بها •

ج ـ التخلي لمصر عن الاقسام التي تريد من سيناء والتي رفضت مصر اخذها عن طريق المفاوضات المباشرة •

د ـ تمكين مصر من فتح قناة السويس •

أنصار الاحتمال الاول يعللون رأيهم بأنه لا يمكن لاسرائيل ان تسمح للعرب بأي انتصار لان في ذلك قضاء على معنويات شعبها وسمعة جيشها •

أما أنصار الاحتمال الثاني فيعللون رأيهم بأن وقوعه ينتج عنه ما يلي :

أ ـ تخلي اسرائيل عن مساحة صحراوية شاسعة ليست هي في حاجة عملية لها سواء من ناحية ثرواتها المعدنية والنفطية وقد استغلتها مرحليا الى أبعد الحدود ، او من ناحية اعتبارها مع قناة السويس حاجزا استراتيجيا طبيعيا في وجه الجيش المصري لانها تعلم ان بقائها في سيناء سيكلفها الكثير في حال قيام مصر بحرب استنزاف طويلة الامد ، ثم ان قوة طيرانها تسمح لها بالتهديد الدائم للعدو في المناطق الصحراوية ، فالتخلي عن صحراء سيناء يضع الجيش المصري من جديد على ارض ضعيفة استراتيجيا للقيام بتحركات كبيرة مما يجعل ضربه اسهل •

ب ـ فتح قناة السويس مما يرضي اماني الدول الاوروبية •

ج ـ تتدخل الدول الكبرى لوقف الحرب فتكون اسرائيل قد احتفظت بما تريد من اراض تكفل لها « امنها » على الجبهة المصرية ووجهت ضربة قوية الى القوة الضاربة للجيش المصري مما يضع هذا الجيش (وهو الند الرئيسي للجيش الاسرائيلي) جانبا لسنوات عديدة اخرى خاصة وان المجتمع المصري الشديد الحاجة لمشاريع التنمية وتوفير الرزق والعسل للملايين الاربعين من المصريين عام ١٩٧٥ ، سوف تضغط حاجته الاقتصادية تلك للتوقف مرحليا عن العمليات العسكرية ضد اسرائيل والالتفات الى تحسين الوضع الاقتصادي •

د ـ لن يصعب على اسرائيل ان تحفظ هيبة جيشها بوصف استرجاع

ب ـ تمكنت بالبرهان الحسي الملموس من فرض هيبة جيشها على العالم اجمع سواء بانتصاراتها المتكررة على الجيوش العربية ، او من خلال تقدمها الصناعي المستمر في حقل صناعة الاسلحة ، مع التبرير الاعلامي الدائم والناجح لوجهها العسكري ، هذا مما اضعف كثيرا من تأثير قرارات الامم المتحدة .

ج ـ تمكنت ايضا بالبرهان الحسي الملموس من اظهار قدرتها وبراعتها في التحرك السياسي والعسكري والاعلامي ضمن تخطيط علمي مدروس يجند في خدمة اهدافه جميع الطاقات وبشكل خاص الاستخبارات ، بحيث يتم التنفيذ بدقة باهرة ، وفي اغلب الاحيان ينجح نجاحا شبه كامل .

ه ـ يشكل الشرق الاوسط منطقة استراتيجية حساسة بالنسبة للقوى المتصارعة على النفوذ في العالم وذلك بسبب موقعه الجغرافي كصلة وصل بين آسية وافريقية واوروبا ، وبسبب طاقاته الاقتصادية والبترولية الهائلة . وتلك القوى تعي تماما ان الانقسام والتفرقة الذين زرعتهما اثناء استعمارها المباشر المنطقة يجب ان يستمر كي لا يتلمس الشعب العربي طريقه الى الوحدة من جديد فيشكل قوة بشرية واقتصادية قوية . لذلك على الرغم من اطمئنان تلك القوى على ان التفكك بين الدول العربية ما زال حاليا في اوجه ، وان في استطاعتها ضمان استمراره لسنوات عديدة ، ولكن من الافضل وجود صمامات امان في المنطقة تضمن استمرار هذا التفكك لآماد بعيدة ، وهذا هو بعض الدور الذي تلعبه اسرائيل ، بالاضافة الى ايران والحبشة في المنطقة .

اسرائيل وايران تشكلان صمامات امان من حيث قوتهما العسكرية الرادعة ، الاولى تتكفل بما يسمى الهلال الخصيب ، والثانية بالعراق والخليج العربي ، والحبشة من حيث كونها مركزا هاما للمخابرات الاميركية والاسرائيلية وتشكل منطلقا لعناصر التخريب والجاسوسية الى السودان ومصر وليبيا وغيرها من الدول الافريقية بالاضافة الى اشرافها على مدخل البحر الاحمر الجنوبي .
ذلك الدور الذي تلعبه اسرائيل في المنطقة ، بالاضافة الى النفوذ الاقتصادي والسياسي الذي لليهود في كلا من امريكا وروسيا ، يبعد عن اذهاننا امكانية حصول تحول في الموقف الدولي حول ضرورة استمرار وجود اسرائيل باتجاه ازالتها .

هذه الدول ، وبالمقابل فالدول العربية لها علاقات دبلوماسية مع معظم دول العالم ولكن تأثيرها المباشر لا يتعدى بضع عشرات من الدول ايضا • فغالبية الدول الاعضاء في الامم المتحدة تتخذ موقفها بحسب تطور الاحداث ، وبحسب المسألة المعروضة امامها • تلك الاغلبية ادانت اسرائيل لعدوانها في حرب حزيران ولخرقها المتواصل لوقف اطلاق النار ، ولكنها تقلب موقفها اذا كان الامر يتعلق بوجود اسرائيل ، في تلك الحال ، معظم الدول التي تعترف باسرائيل سوف تعارض الغاء وجودها •

٢ ـ الدول الاربع الكبرى ملتزمة بضمان وجود اسرائيل ضمن حدود ما قبل حرب حزيران ، والامم المتحدة ملتزمة قانونيا بضمان حدود اسرائيل ضمن حدود قرار التقسيم لعام ١٩٤٨ ، الا اذا صدر قرار معاكس من الجمعية العمومية بالغاء الاعتراف بدولة اسرائيل ، وفي هذه الحال ، وان نال مثل هذا القرار اغلبية الثلثين المطلوبة ، فانه سيسقط في مجلس الامن وفيه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا تمتلك حق الفيتو ، وكلها حريصة على وجود اسرائيل•

٣ ـ الاعلام الاسرائيلي يطغى تماما على الاعلام العربي في اوروبا والامريكتين واستراليا واقسام من اسية وافريقيا ، وبذلك توصل اسرائيل وجهة نظرها وحدها الى ثلث العالم (وهو الثلث المؤثر لان الثلث الثاني المكون من الهند والصين وكذلك الثلث الباقي المؤلف من الدول الصغيرة نسبيا ليس لها تأثير سياسي وافر في الميزان الدولي على المدى القريب خاصة وان الولايات المتحدة واوروبا تمتلك ناصية اغلبها) • وهكذا تمكنت اسرائيل من طمس الوجه الانساني والقانوني لقضية فلسطين ، وزرع ما تريد من افكار في اذهان العالم حول حقها في الاستمرار كدولة مستقلة ، وبان جيرانها العرب انما يريدون القضاء عليها مع كل ما تمثله من « تقدم وتطور ومدنية » او بكلام آخر يريدون تخريب تلك الواحة اليتيمة في صحراء الشرق الاوسط •

٤ ـ اسرائيل تفرض احترامها كدولة في جميع انحاء العالم بالوسائل التالية:

أ ـ اهتمامها الشديد بالبحث العلمي المتقدم في جميع الميادين وحرصها على التواجد في كل مؤتمر علمي عالمي وعرض آخر ما توصل اليه البحث عندها •

كلمة عن قضية "ووترغيت"

بقلم : ر. و

تشغل قضية التجسس التي قام بها اركان الحـزب الجمهوري في الولايات المتحدة على الحزب الديموقراطي الرأي العام في اميركـا . وكذلك تفرض علينا فتكاد تشغلنا ربما عن قضيتنا الاولى فلسطين فتحدثت عنهـا وسائـل الاعـلام العربية في كثير من التفصيل والتكرار . ان ما يعطي القضية هذه الاهمية هو ان الذين قاموا بها هم اركان الحزب الذي ينتمي اليـه رئيس الجمهورية « ريتشرد نيكسون » بحيث يحاول خصومه الصاق التهمة به شخصيا لحمله على الاستقالة من رئاسة الجمهورية .

فهل هذه اول واخطر مسألة يقوم بها رئيس جمهورية في اميركا (او اعوانه) كي يثار حولها ضجيج لم يثر حول غيرها ؟ ايهما اكثـر خطورة واسوأ عاقبـة اغتيال رجل (رئيس جمهورية مثلا) او سرقة مستندات ؟

عندما اغتيل رئيس جمهورية اميركا سنة ١٩٦٣ المرحوم « جون كنيدي » ، قتل قاتله ثم قاتل قاتله ثم قاتل قاتل قاتله وكل من له ضلع بعملية الاغتيال . ثـم كل شاهد في اي قضية فرعية من هذه العملية . وبعدها قتل شقيقه الذي كـان رئيسا لاعلى هيئة قضائية في اميركا عندما اعلن عن رغبته في ترشيح نفسه للرئاسة، لئلا يعود وهو رئيس فيفتح ملف الجريمة من جديد . وهكذا اختفى كـل أثـر للجريمة ، ربما نهائيا . وكانت الظنون تحوم حول خلفه بأن له ضلعا في الحادثة. لكن تحقيقا واحدا لم يفتح ، وشاهدا واحدا لم يستطع ان يدلي بشهادته .

لماذا حدث ذلك ؟ ومن هي القوة التي استطاعت اخفاء الجريمة بهذه الدقة؟ هل هي نفس القوة التي تحاول اليوم اغتيال نيكسون ادبيا ؟

ان القرائن تدلنا على الجهاز القاتل في المرتين .

في علم القانون يوجد قاعدة يعتمدها المحققون عند وقوع الجريمة ، تقول :

٦ ـ الشعوب العربية وخاصة الشعب الفلسطيني ، لن يقبل ان يساوم على حقه الانساني والتاريخي والقانوني في ارض فلسطين كاملة غير منقوصة ، يقابل ذلك النوايا التوسعية التي هي من ركائز وجود اسرائيل كدولة ، فيهود العالم يبلغون ١٥ ـ ٢٠ مليونا والصهيونية تخطط لاستيعاب معظمهم ولكن طبعا بالتدريج ، وهذا يتطلب منها توسعا دائما على حساب جارات اسرائيل العربيات محتجة بحقها التاريخي والالهي في ارض اسرائيل ، وان كانت تتخلى تدريجيا عن هذه الحجة لعلمها بأنها واهية ، وتحاول ان تستبدلها بفرض الامر الواقع بوجودها كدولة على العالم مستخدمة عوامل القوة والزمن والحضارة والتقدم العلمي . والسنين القادمة ستشهد نجاحها في فرض ذلك الواقع اذا لم تبادر الدول العربية الى مواجهة مستمرة سياسيا وعسكريا وعلميا مع اسرائيل لاسقاط واقعها هذا .

كل هذه العوامل تجعل من موقف اسرائيل السياسي قويا على الصعيد الدولي ، وبالتالي يمكنها بمساعدة الدول الكبرى من ضمان بقائها ضمن الحدود التي تريدها ، وهذا ما يجعل الحل السياسي البحت للقضية الفلسطينية أيضا ضربا من ضروب الاحلام والتمني لدى البعض ، ووسيلة من وسائل التخدير التي يستخدمها حكامنا الميامين ، بارك الله خطاهم الحثيثة في سبيل تثبيت كيان اسرائيل ، وبعثرة قوى الشعب العربي بتوجيهه الى مسالك تؤدي به الى قبول اسرائيل كواقع لا بد منه ، والحيلولة بينه وبين الطريق الحق المودي الى فلسطين ، ودفعه الى هاوية اليأس كي تخلص الى اقناعه بترك حل المسألة للتاريخ لان « قضيتنا محقة ولا بد لها ان تنتصر » ..

والى اللقاء في العدد القادم

حافظ اديب الزين

لا تعجل بالحكم حتى تسمع الخصمين

● قال عمر بن عبد العزيز : « اذا اتاك الخصم وقد فقئت عينه . فلا تحكم له ، حتى يأتي خصمه ، فربما فقئت عيناه جميعا » .

ملاحظــة

عندما نشبت الثورة الروسية سنة ١٩١٧ تألبت عليها جميع دول الاستعمار القديـم ـ انكلتـرا وفرنسا والمانيـا واليابان . لان كلا منها كان لهـــا استثمارات في روسيـــا القيصرية ، حتى ان ٧٥٪ من الراسمال المصرفي في روسيـا والسكك الحديدية ومناجم الفحم والحديد ومنابع البترول كانت مملوكة لتلك الدول .

لم تتدخل اميركا ضد الثورة . لـم يكن لهـا مصلحة في ذلك .

عندما بدأت حكومة الثورة اعـادة البنـاء الداخلي ، اسرعت رؤوس الاموال الاميركية بمد يـد العـون . فبنت محطات توليد الكهرباء ومصانـــع السيارات والصناعـات الثقيلـة .

وعندما شن هتلر الهجوم على بولونيا وفرنسا وانكلترا واجتاح كل اوروبا لم تحرك اميركا ساكنا لنجــدة حلفائها الاوروبيين . لكن عندما هجم هتلر علـى روسيا (حزيران سنة ١٩٤١) سارعت اميركا واعلنت الحرب علـى الهتلرية المعتدية (كانون الاول سنة ١٩٤١) . منجدة بذلك حليفتها الجديدة روسيا الشيوعية . مضافا الـــى ذلـك مليارات اطنان الاسلحة الاميركية المرسلة الى روسيا .

وعندما بدأ الدولار الاميركي بالانهيار سارعت روسيـا لعقد صفقة القمح المشهورة وصفقة الغاز في سيبيريا بمئات مليارات الدولارات . منقذة بذلك الاقتصاد الاميركي مـــن الانهيار . ومبقية الدولة « الامبريالية الاولى » علـى قيـد الحياة لتتابع « اضطهادها للقوى التقدمية في العالم » .

ر. و.

« من هو المستفيد من حصول الجريمة ؟ ومن هو القادر على ارتكابها ؟ وفي حادثتي كنيدي ونيكسون من هي الجهة المنفذة والمستفيدة ؟ » لمعرفة ذلك علينا مراجعة اعمال الرجلين كنيدي ونيكسون او على الاقل بعض الاعمال المهمة التي قاما بها :

١ ـ يتصف عهد كنيدي بانه عهد الانفراج في الداخل وفي الخارج : ففي داخل الولايات المتحدة كان يتبع سياسة ضد التمييز العنصري . كذلك رفض السماح لاصحاب مصانع الصلب بزيادة الاسعار ولو قرشا واحدا للكيلوغرام . وعندما جاءه وفد منهم لمراجعته بهذا الامر رفض استقبالهم . اما في الخارج فقد رفض توسيع الاعمال الحربية في فيتنام ـ كان عدد الجنود الاميركيين في فيتنام على عهده لا يتجاوز اربعين الفا او نحوها ، وفي نهاية عهد « جونسون » كانوا خمسمئة الف ـ وكذلك حاول ان ينهي المشكلة الفلسطينية على اساس قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ .

٢ ـ اما نيكسون فماذا فعل ؟ في الداخل لم يفعل شيئا ذا شأن يذكر فجمد الوضع واكتفى بانه لم يسمح بتدهور الاحوال .

اما في الخارج ، فقد اعاد الانفراج الى منطقة التوتر في الشرق الاقصى وذلك : ١ ـ بتبادل التمثيل الديبلوماسي مع الصين ، ٢ ـ وبانهائه الحرب في فيتنام بانسحاب الجنود الاميركيين منها . وقد نتج عن ذلك توقف قطاع كبير من مصانع الصلب (الاسلحة) . مما ادى الى انخفاض سعر الدولار بهذه السرعة (في لبنان كان الدولار يساوي ٣١٠ قروش فاصبح ٢٦٠ قرشا) .

فهل اتضح المستفيد من الجريمة والقادر على ارتكابها ؟ وهو ، طبعا ، قادر على تنصيب رئيس الجمهورية وتنحيته واغتياله .

الآن الرئيس نيكسون عرضة لمحاولة اغتيال معنوية بسبب انهاء الحرب في فيتنام . وربما بسبب تجميد الوضع في الشرق الاوسط ايضا .

اتمنى له الخلاص والسلام .

ر. و

قلب ذكي وعقـل غير ذي عطـل وفي فمـي صارم كالسيف مشهور

صوت ـ صحيح والله قولك فلقد عرفت بلسان وصفوه بأنه كان كالسيف تضرب به اعداءك ومقارعيك فتسيل منهم جراحا • ولذا خافك العظماء وخافـوا انتشار فكاهاتك عنهم غير ان ما يدهش انه لم يكن احد ليتوقع ان تصبح مـن امراء الظرف والفكاهة •

ابو العيناء ـ هوذا الواقع •• ففي صباي غرفت ما بوسعي مـن اعـلام البصرة في الادب والفقه امثال ابي عبيـدة وابي زيـد الانصاري والاصمعـي وسواهم •

صوت ـ وتوقع الكثيرون اذ رأوك تـقوم بالتدريس حينا انـك ستصبح اماما في الادب واللغة او الفقه •• ولكنك سرعان ما انصرفت عن كل ذلك الـى الروايات واخبار العرب فأي مهنة احترفت لتكسب عيشك بعد هجرك التعليم ؟

ابو العيناء ـ كنت ذا عقار ليس كثيرا ولكنه كان يدر علي ما يكفيني مـن الرزق •

صوت ـ وما سبب نزوحك عن البصرة ؟

ابو العيناء ـ اسمع هذه القصة تعرف السبب : « رأيت غلاما ينادون عليه بثلاثين دينارا وهو يساوي ثلاثمئة دينار فاشتريته وكنت ابنـي دارا فاعطيتـه عشرين دينارا لينفقها على الصناع • فانفق عشرة عليهـم واشترى بعشـرة لـه فقلت : مـا هـذا ؟ قـال لا تعجـل فـان اربـاب المـروءات لا يعتبـون على غلمانهـم فقلـت في نـفسي انـي اشتـريت الاصمعـي ولـم ادر • ثم اردت ان اتـزوج امـرأة سرا فـلا تدري زوجتي بالامر فاستكتمته ودفعت منه ذلك فقال : رأيت أبقراط يذم ذلك النوع فقلت له : يا ابن كيت وكيت لـم اعلم اني اشتريت جالينوس وضربته عشر مقارع فاخذني وضربنـي سبعا وقال : يا مولاي الادب ثلاث وانما ضربتك سبعا قصاصا • فرميته فشججت رأسه فذهب الى بنت عمي وقال : ان مولاي تزوج واستكتمني فقلت لا بد من تعريف مولاتي بالخبر فضربني وشجني ••• فمنعتني زوجتي من دخول الدار وظللت كذلك حتى طلقت المرأة الجديدة ، فقلت اطلق سراح هذا الغلام واستريح لكنه لزمني واراد

مع الخالدين

أبو العيناء : أمير الفكاهة العربيّة

بقلم: سمير الشيخاني

صوت ـ وصف المؤرخون ابا العيناء بقولهم : « كان فصيحا بليغا من ظرفاء العالم آية في الذكاء وسرعة الجواب الذي كان ينطلق من بين شفتيه كالقذيفة تصيب من تصيب لا فرق لديه من حيث مقام المصاب او من حيث مقدار التدمير الذي يصيبه به •

ولقد اعتمد العرب على فلتات البديهة وخطرات الفكرة المتوقدة وبداهة الذكاء فكان لهم فيها انواع من الفنون القائمة على الفطنة المتنبهة والبصيرة النافذة والذهنية اللاقطة ، كل ذلك في طرافة وظرف وابتكار •

معنا الآن واحد من هؤلاء الظرفاء الاذكياء اما اسمه فهو محمد بن القاسم الهاشمي وقد ابصر النور في الاهواز ونشأ في البصرة حيث توفي واما لقبه الذي عرف به اكثر من اسمه فهو ابو العيناء فهل لنا ان نعرف لماذا اطلق عليك هذا اللقب ؟ عفوا •• السلام عليك اولا •

ابو العيناء ـ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته •• كان في احدى عيني حول ولعل ذلك كان السبب في اطلاق اللقب علي •• وعلى اي حال فأنا القائل شعرا في ذلك :

حمدت الهي اذ بلاني بحبها ... على حول يغني عن النظر الشزر
نظرت اليها والرقيب يظنني ... نظرت اليه فاسترحت من الغدر

صوت ـ وبعد ان تجاوزت حد الاربعين وكان ذلك اثر خروجك من البصرة اصابك مرض في عينيك ذهب ببصرك فقلت شعرا اليس كذلك ؟

ابو العيناء ـ اجل قلت شعرا هو هذا :

ان يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نور

صوت ـ ووقف عندك رجل من عامة الناس فسألته من يكون فاجابك : « انسان من بني آدم » فما كان جوابك ؟

ابو العيناء ـ قلت له : « اهلا وسهلا واطال الله بقاءك كنت اظن ان هذا النسل قد انقطع (يقهقهان) » •

صوت ـ وسئلت على سبيل المداعبة لماذا تخرج وقد صدر توقيع امير المؤمنين في حبس الزنادقة ؟

ابو العيناء ـ فقلت له : « خرجت كي ادعو الله ان يدفع الشر عنك وعن اصهارك » •

صوت ـ كانت بينك وبين الوزيرين عبيد الله بن يحيي وابن ابي داود خصومة عنيفة شديدة فلقيك ذات يوم العباس بن رستم وقال لك : « انا اكفر منك » فماذا كان جوابك ؟

ابو العيناء ـ قلت له : « لانك تكفر ومعك خفرة من يحمونك مثل ابن يحيى وابن ابي داود وانا اكفر بلا خفارة » •

صوت ـ واعطاك احد الوزراء دابة ولم يرسل اليك علفها فلما التقيتما قلت مداعبا الوزير : « ايها الوزير هذه الدابة أاحملتني عليها ام حملتها علي » ؟

ابو العيناء ـ لقد وجدت في ذلك افضل سبيل للوصول الى غايتي •• انها براعة الطلب كما تعلم •

صوت ـ ورأت احدى القيان في اصبعك خاتما نفيسا فطلبت اليك ان تهبها اياه لتذكرك به فقلت لها : « اذكري انك طلبته مني ومنعته » •

ابو العيناء ـ وفي يوم قدمت الي قدر فوجدتها كثيرة العظام فقلت : «اهذه قدر ام قبر ؟ » (يقهقهان) •

صوت كنت يوما في مجلس اسماعيل بن اسحق القاضي فدخل رجل ومشى على رجلك فصحت فقال : بسم الله ، فما كان ردك عليه ؟

ابو العيناء ـ قلت له من فوري : القصاب يذبح ويقول : بسم الله •

الحج فزودته بما يحتاج اليه . وعاد بعد عشرين يوما وقال : قطع الطريق ..
وبقي عندي وبعد ذلك اراد الغزو فجهزته فلما غاب بعت ما املك بالبصرة
وخرجت منها خوف ان يرجع » .

صوت ـ وكنت تحسن التخلص من المشاكل وتتقن التزلف الى ذوي النفوذ والسلطان وقصصك مشهورة مع المتوكل . فقد سألك مرة رأيك في داره فماذا كان ردك ؟

أبو العيناء ـ قلت له ما يقوله كل فهيم حكيم : « ان الناس بنوا الدور في الدنيا وانت بنيت الدنيا في دارك » .

صوت ـ وكنت معتدا بنفسك كثيرا عارفا بظرفك مقدرا اياه حق قدره فلما قال مرة الخليفة المتوكل انه يشتهي ان تكون في عداد ندمائه ولكنك ضرير كان جوابك مفحما ، اتسمعنا اياه ؟

ابو العيناء ـ قلت اذ ذاك : « لو اعفاني امير المؤمنين من رؤية الهلال ونقش الخواتم فاني اصلح لمنادمته » .

صوت ـ ومع انك كنت شديد الاعتداد بنفسك الا انك كنت تعرف قدر الناس ولا نزال نذكر ردك على من سألك اي شيء يحسن الجاحظ فقلت له : ليت شعري اي شيء كان الجاحظ لا يحسن ؟

ابو العيناء ـ صحيح هذا .

صوت ـ ولندخل الآن في باب الاجابات اللاذعة والتهكمات الساخرة التي اشتهرت بها ..

ابو العيناء ـ هيا بنا ندخل .

صوت ـ دخلت مرة على الوزير اساعيل بن بلبل فسألك : « ما الذي اخرك عنا يا ابا العيناء ؟ » فقلت له ان حمارك سرق ، فبم اجبته عندما استفسر كيف سرق ؟

ابو العيناء ـ قلت له : « لم اكن مع اللص لاخبرك » .

الأنبار

بقلم: السيد حسن الأمين

فيما يروي البلاذري في فتوح البلدان عن سبب تسميتها بهذا الاسم : انها كانت اهراء البلاد الفارسية ، ومن ذلك ان اصحاب النعمان وصنائعه كانوا يعطون ارزاقهم منها •

ومن الدراسات التي قام بها « واردر » و « هلبرخت » لما بقي من الاطلال القائمة الآن تبين ان المدينة تعود الى ما قبل الساسانيين ، كما انها اصبحت من اهم المدن في عهد الساسانيين وكانت في عهد اميانوس تعتبر بعد طيسفون من اهم مدن بابل ، كما انها اتخذت كقاعدة عسكرية لتكون معدة امام ما يحتمل من هجمات الروم على العاصمة الفارسية •

واذا كان قد قيل ان الذي اختط الانبار هو الملك الساساني سابور الاول الذي حكم من العام ٣١٠ الى العام ٣٧٩م فيبدو ان ذلك يعني انه هو الذي جددها واعاد بناءها وحصنها ، لا أنه كان اول من انشأها •

وقد عرفها الفرس باسم (فيروز سابور) ، ثم عرفها العرب باسم الانبار وتركوا اسم فيروز سابور لطسوج مما كان يتبعها من اقاليم •

قال سترك : « اختار ملوك الساسانيين المتأخرون هذه المدينة الحصينة لاقامة دور الصناعة والاناتبير لانها تتوسط اخصب اقاليم الدولة الفارسية وتربطها بالعاصمة طيسفون قناة صغيرة صالحة للملاحة » •

على انه لا بد من القول ان اسم الانبار قد عرفه العرب لمكانين آخرين غير الانبار الكبرى التي تتحدث عنها ، هما : الانبار ، القرية التابعة لبلخ والتي ينسب اليها ابو الحسن علي بن محمد الانباري • وسكة الانبار بأعلى مرو ، واليها ينسب ابو بكر محمد بن الحسين عبدويه الانباري •

الانبار في العهد الاسلامي

المثنى بن حارثة الشيباني هو اول من دخل الانبار في الفتح الاسلامي في

صوت ــ سوى ان ابنك افحمك يوما في رده فقد كان مريضا فسألته ما يشتهي ؟ فاجابك اليتم •

ابو العيناء : الا تعلم ان الابن سر ابيه ؟؟

صوت : والآن هل لك ان تنهي هذه المقابلة ببعض طرائفك ترويها لنا ؟

ابو العيناء ــ « مررت يوما في درب بسر من رأى (مدينة سامراء اليوم) فقال لي غلام : « يا مولاي هنا حمل سمين والدرب خال فامرته ان يأخذه وغطيته بطيلساني وسرت به الى منزلي فلما جاء الغد جاءتني رقعة من بعض الرؤساء يقول فيها : ان صبيان دربنا اخبروني انك اخذت الحمل فرده مفضلا فكتبت اليه : يا سبحان الله ما اعجب هذا الامر مشايخ دربنا يزعمون انك رجل سوء فلا اصدقهم وانت تصدق صبيان دربك » •

صوت ــ وهل من نادرة اخرى تكون مسك الختام ؟

ابو العيناء ــ اسمع هذه •• فقد استودع احدهم امام محلتي قارورة فيها زئبق فجحده الامام اياها ولما قام يصلي بالناس قرأ : « قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون ؟ » وكررها اكثر من مرة فصاح الرجل اذ ذاك : « قارورة الزئبق يا سيدي » (يقهقهان) •

سمير شيخاني

فأحسنا قتالهم حتى كرهونا ، ثم نزل صاحبنا وهو يتلو قوله تعالى : فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا • ثم قال لنا : من كان لا يريد لقاء ولا يطيب نفسا بالموت فليخرج عن القرية ما دمنا نقاتلهم فان قتالنا اياهم شاغل لهم عن طلب هارب • ومن اراد ما عند الله فما عند الله خير للابرار • ثم نزل في ثلاثين رجلا ، فهممت بالنزول معه ثم أبت نفسي ، واستقدم هو واصحابه فقاتلوا حتى قتلوا •

ولما بلغ عليا ما جرى خطب خطبته الشهيرة التي يقول فيها : « ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا » والتي وصف فيها بعض ما نفذه جنود معاوية من اوامر القتل والسلب والتخريب : « ••• ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعثها ما تمتنع عنه الا بالاسترجاع والاسترحام » •

وهكذا نرى ان جنود معاوية وقائدهم كانوا جديرين بالمهمة التي كلفهم بها سيدهم ، فاستقووا حتى على النساء العربيات المسلمات وغير المسلمات اللواتي وصف علي بعض ما نالهن ، فضلا عما نال غيرهن •

ثم استنفر علي جيشا عدته ثمانية آلاف بقيادة سعيد بن قيس الهمداني لمطاردة المعتدين فتعقبهم حتى بلغ اداني ارض قنسرين وقد فاتوه فانصرف •

الانبار عاصمة السفاح

كانت الانبار ايام الساسانيين من اكبر المدن الآهلة ، وبعد الفتح الاسلامي وقيام الكوفة والبصرة وغيرهما بدأت الانبار تفقد اهميتها واخذت بالتدهور •

ولما جاءها ابو العباس السفاح واتخذها عاصمة له استعادت مكانتها وتجدد فيها العمران حتى عادت من اكبر المدن • قال ابن قتيبة في الاخبار الطوال : « ثم ان الامام ـ اي السفاح ـ سار من الحيرة في جموعه حتى اتى الانبار فاستطابها فابتنى بها مدينة باعلى المدينة عظيمة لنفسه وجموعه وقسمها خططا بين اصحابه من اهل خراسان وبنى لنفسه في وسطها قصرا عاليا منيفا فسكنه واقام بتلك المدينة طول خلافته ، وتسمى الى اليوم مدينة ابي العباس » •

عهد ابي بكر . وكان اول امير عليها الزبرقان بن بدر في السنة الثانية عشرة مــن الهجرة . وظل امرها امر غيرها من الولايات الاسلامية حتى خلافة علي بــن ابي طالب .

وقد ارسل معاوية ، سفيان بن عوف الغامدي ليغير عليها وكان من وصيته له : « فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك واخرب كل ما مررت بــه من القرى واحرب الاموال فأن حرب الاموال شبيه بالقتل وهو اوجع للقلب (١) » .

ونحن حين نقارن بين هذه الوصية ووصية منقوخان الى اخيه هولاكو حين ارسله لغزو البلاد الاسلامية وفتح بغداد ، والتي يقول فيها : « اما مــن يعصيك فأغرقه في الذل والمهانة مع نسائه وابنائه واقاربه وكل ما يتعلق بــه وابدأ بأقليم قهستان في خراسان فخرب القلاع والحصون » .

حين نقارن بين وصية الملك المغولي التتري ووصية معاوية نعلم ان الوصيتين من معدن واحد ، مع العلم ان جيوش هولاكو وثنية تغزو بلادا اسلامية وعربية ، وجيوش معاوية جيوش يدعي صاحبها العروبة والاسلام ، ويغزو بهــا الــعرب والمسلمين . ولا ادري كيف يصح لنا في المنطــق الانسانــي والمقياس الاسلامي والمعيار العربي ان نستبشع ما فعلته جيوش هولاكو ثم نغض الطرف او لا نبخل بالاحترام على من امر جيوشه ان تفعل في بلاد العرب وديار المسلمين ما لم تفعل اكثر منه بعد ذلك جيوش المغول وجحافل التتار .

الغامدي ينفذ الوصية

وقد قاد الغامدي ستة آلاف مقاتل فقابله أشرس بن حسان البكري بــما لا يزيد عن المائتين . وقد روى حبيب بن عفيف ما وقع قائلا : كنت مع أشرس بــن حسان البكري بالانبار على مسلحتها اذ صبحنا سفيان بــن عوف الــغامدي في كتائب تلمع الابصار منها فهالونا والله وعلمنا اذ رأيناهم انه ليس لــنا طاقة بهم ولا يد ، فخرج اليهم صاحبنا وقد تفرقنا فلم يلقهم نصفنا ، وايم الله لقد قاتلناهم

١ ـ وكذلك وصى معاوية قائده الاخر بسر بن ابي ارطاة حين ارسله لغــزو الحجاز واليمن : « سر حتى ترد المدينة فاطرد الناس واخف من مررت به وانهب اموال كل من اصبت له مالا ممن لــم يكن قد دخل في طاعتنا » .

فنرى قطع الخزف المحطم والزجاج المكسر والحلي المهشمة . وكنا تتطلع امامنا فنرى الى اقصى النظر طلولا وفجوات واخاديد ووهدات هي كل ما بقي من مدينة الانبار ، فلا اثر للبناء ولا بقية للعمران . فان يد الهدم عملت عملها في مخلفات المدينة فنقلت آجرها الى الفلوجة لتبني فيه من جديد وتستعمله في انشاء البلدة المستحدثة .

ثم كنا امام قبة اخرى دخلنا اليها بابا اوصلنا الى باب ثان دخلنا منه الى غرفة مظلمة فيها قبران متوازيان يعرفها الناس هناك بقبر ابي القاسم ، ثم سرنا بين الانقاض الى قبر ثالث يعرف باسم ابو خمرة ولكن قبته متهدمة ولم يبق الا القليل من جدرها .

فمن هم يا ترى اصحاب هذه القبور الذين استطاعت قبورهم ان تتغلب على الزمن فتنقرض المدينة ويزول اثرها ويتهدم كل بناء فيها وتظل قبورهم مرفوعة العماد مشيدة الاركان يقصدها الناس في المواسم والاعياد ؟!

ومن هم ابو فياض وابو القاسم وابو خمرة ؟. هل هذه الاسماء اسماؤهم الحقيقية ام هي اسماء حورها الزمن ولاكتها الالسنة فوصلت الينا بهذا الشكل ؟ وهل لابي العباس السفاح الذي اقترن اسمه باسم الانبار قبر بين هذه القبور ومقام بين هذه المقامات ؟.

لقد تهدم قبر ابي خمرة ولم يبق منه الا رسمه وما ندري اذا كانت القبور الاخرى ستستطيع الصبر على قراع الدهر طويلا فيكتب لها من الخلود اكثر مما كتب ام انها ستلحق بالقبر المهدوم ؟.

ورحنا نمشي في التلال هابطين صاعدين حتى كنا في ساحة واسعة في وسطها صخرة كبيرة اسطوانية الشكل يسمونها (شمرة علي) ويروون لها قصصا كثيرة مرتبطة بحياة امير المؤمنين مما لا نعتقد ان له اصلا .

هل للسفاح قبر فيها ؟

وهل للبكري قبر ؟

وبعد رحلتنا هذه بعدة سنين زار الانبار سائح آخر هو السيد علي النجفي

وفي الانبار فتك السفاح بالامويين بعد ان أنشده الشاعـر سديف ابياتـه السينية التي يقول فيها :

واذكروا مصرع الحسين وزيـدا وقتيـــلا بجانـــب المهـــراس
والقتيل الـذي بحـران أضحى ثاويـــا بـــين غربـة وتـناسي

ثم اعقبها بهذين البيتين :

لا يغرنـك مـا تـرى من رجال ان بـــين الضلـوع داء دويــا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا تـرى فـوق ظهرهـا أمويـا

وبنفس القوة التي استنكرنا بها تصرفات الامويين ، نستنكر هذا التصرف غير الانساني . فالفظائع لا تبيح الفظائع ، والظلم لا يبرر المظلم .

ولكننا لا نستطيع الا ان نخشع لارادة اللـه التي شاءت ان تديـن مـن الامويين في نفس البلد الذي طغوا وبغوا فيه ! ..

وتوفي السفاح بالانبار سنة ١٣٦ هـ وفيها بويـع بعده اخوه ابـو جعفـر المنصور ، ثم بنى بعد ذلك بغداد وانتقل اليها بعدما سكن الهاشمية .

الانبار حين زرتها العام ١٩٤١

زرت اطلال الانبار العام ١٩٤١ واليك بعض ما دونته آنذاك :

... بعد خمس عشرة دقيقة من خروجنا من الفلوجة كنا على انقاض الانبار، فقصدنا اول ما قصدنا الى القبر الذي يسميه سكان تلك النواحي (ابو فياض) فدخلنا بابا الى ساحة مملوءة بالاتربة ومحاطة بسور يـدور عليها مـن جوانبها الاربعة وفي وسطه بنية فوقها قبة كبيرة حولها عـدة قباب صغار . ودخلنا بـاب البنية الى قبو مستطيل وصلنا بعده الى باب ولجناه الى حجرة مظلمـة في وسطها قبر تقوم عليه القبة الكبيرة . وجميع هذه الابنية مهشمة مشوهة وهـي بسيطة لا اثر للفن والزخرف فيها .

ومن قبر ابي فياض مشينا الى جهة الشمال فكنا امام تلال واسعة هي ركام المدينة المنقرضة ، فأخذنا طريقنا فيها ورحنا نصعد ونهبط بين بقايا الدور والقصور

فكتب في بعض ما كتبه : « وشاهدت قبرا آخر فسألت عنه ، اجابوا هـذا قبـر ابو خمرة • ورحنا نسير بين الاطلال والانقاض حتى بدت لـنا قبة بيضاء كروية الشكل • لقد اخنى عليها الدهر وراحت تزخر تحت كلكلـه وعليها علـم اسود صغير تداعبه الشمال على قبـة مرقد ابـي العباس السفـاح مؤسس الخلافـة العباسية » •

فهو اذن يرى ان قبر ابي فياض هو قبر السفاح دون ان يذكـر عـلى اي شيء استند في ذلك •

ثم يقول : « اتجهنا نحو الجنوب بين الانقاض والحفر حتى اوقفنـا الخادم على معالم مرقد في وسط هوة وعليه الصخور والآجر وعلم أخضر مركوز عـلى تلك الانقاض فأشار بيده وقال : هذا قبر حسان بن حسان البكري » (١) •

ولعل المقصود بمعالم القبر هو ما ذكرنا ان الناس سموه لنا قبر ابي القاسم• ونحن لم يذكر لنا احد اسم حسان البكري بين اسماء اصحاب القبور •

بيروت　　　　　　　　　　　　　　　　حسن الامين

---

١ ــ المعروف انه اشرس بن حسان .

لا فلاح لقائد يحتقر اعداءه

● كان قتيبة بن مسلم الباهلي واليا على خراسان ايام الامويين ، وقائدا من خيرة قوادهم • خرجت عليه خارجة ، فأهمه خروجهم ، فقيل له : ما يهمك منهم ؟ وجه اليهم وكيع بن ابي سود ، فانه يكفيكهم • وكان وكيع هذا محاربا مغوارا ، ولكن قتيبة رفض توليته القيادة قائلا : « لا ، ان وكيعا رجل به كبر ، ومن كان هكذا قلت مبالاته باعدائه ، فلم يحترس منهم ، فيجد عدوه غرة منه » •

فلـن أغير مـا سن الالـه بـه ... لكـن أغير ، مـا قـد سنه البشر
يزجي لـنا العلم أخطارا تهددنـا ... كـأن عالمنـا بالعلـم ينتحـر ●

★ ★ ★

● وللصافي بيت آخر في ذات الموضو ع وهو :

ماذا يفيدك بعـد اليـوم يـا بشر ... ان كنت بالعلم ، لا بالجهل ، تنتحر

★ ★ ★

((نفحـة الخلـد))

يسكر شعري مـن يسمعون لـه ... ففيـه نفـح مـن جنـة الخلـد
ان جـاء شعـري عفوا بـلا تعب ... سيتعب الـدارسين مـن بعـدي

★ ★ ★

((تشويـش))

مـن محيطي أصابنـي التشويش ... فـي صراع مـع العبيـد أعيش
هـم عبيـد لمـا يريـد سواهم ... وسواهـم احـزابهـم والعروش
فـي نـفوس عطـلات ، وفكـر ... ان تفتشـه سـاءك التفتيـش
ان ارادوا حريـة ، أطلقتهـم ... فـي الخيال الخمـور والتحشيش

★ ★ ★

((النـور الالهي))

من الناس ذو نـور ويسعى ليختفي ... فيكشفه نـور عليـه دليـل
ومنهم الى الاضواء يسعى لكي يرى ... فيخفيه حتى في الضياء ، خمـول

★ ★ ★

((الشيب والشعر))

وغر رأى رأسي بدا نصف اصلـع ... فقلت وقد القى لـه نظـرة السخر
لـو انـك ذو ذوق وعـين بصيرة ... نظرت الى الشعر المنسق لا الشعر

عالم في عالم

شعر : أحمد الصافي النجفي

أنـا عالـم وأحب كـل العالـم ... مالي صديق بينه مـن « آدمـي »
ايـن الصديـق يحب مـا أحببته ... كلا ، ومـا يختص بعض العالـم
انـي لاعجب مـن وجودي بينهم ... متكلمون معـا بـدون تفـاهم
أبعـاد اقوالـي ، يقصر فهمهـم ... عنهـا فهـم فـي حاجـة لتراجم
أفضي بأقـوالـي لهـم عربيـة ... وكانني أفضي بهـا لاعاجـم

★ ★ ★

مـن للهم والمرض

مات الرفاق وانـي عشت بعدهـم ... وليس لي بمرير العيش مـن غرض
خلقت بالهـم والامراض ممتزجـا ... فلـو أمـوت ، فمن للهم والمرض

★ ★ ★

جهـاز الاذاعـة

احفظ « جهاز اذاعتي » يـا خالق ... هذا الـذي بعظيم شأنك ناطـق
ان شوشوا باذاعـة ، او موهـوا ... وهما يضل ، فمـا أذيـع ، حقائق
شعري كلحـن الطير دون تكلف ... ذا لحنـه حـر وشعـري صادق

★ ★ ★

« عيوب الكون »

في كل يـوم عيوب ، تستثير دمي ... في الكون تدعو الى تفجير تقماتي
كرمت حلقي عـن سب أفوه بـه ... لكـن قلبـي مليء بالمسبـات

★ ★ ★

« مـاذا اصحح »

مـاذا اصحح مـن أخطـاء عالمنا ... لو ساعفت قدرتي ، لو ساعد القدر

واروع الشعر مـا يأتيـك منهمرا وحي تدفق مـن اعماق وجـدان
والشعر خمر مـن الارواح نعصره كيما يـروي صداه كـل ظمآن
يا اهل لبنان خلـوا اللهو ناحيـة عدوكم طامـع فـي ارض لبنـان
صهيون اخبث اهل الأرض قاطبـة لم يرع عهدا ولـم يخضع لبرهان
لم يخش ربا بفيض الخير يغمرنـا ومـا رعى حرمـة يومـا لانسان
الـقتل غايتـه والنهـب عادتـه من عهـد موسى لاسحق وناثـان
مص دماء الورى في كـل سانحة ولوث الارض مـن خبث وبهتان
وبلص الناس مـن اموالهم طمعـا ان يحكم العرب حكم الظالم الجاني
اولى الضحايا فلسطين التي حملت مـا ليس تحملـه اطـواد شهلان
جار اليهود علينـا فـي مظالمهـم وارهقونـا بتشريـد وعـدوان
سيناء والجولان الحر قـد نهبوا كذلك الحولـة الخضرا بلبنـان
لكـن سنثأر مهمـا اشتد عسفهم فالثأر مـن عـاد غسان وعدنـان
سنستعيد الـذي ضاع مـن وطن عالي الذرى يتهادى فـوق كيوان
فانـــه صورة للخلــد زاهيـة وزينـة الارض من حسن واحسان
فان قومي مـا ماتـوا وقد نهضوا بالامس وانتفضوا اشبـاه عقبـان
يحيـا الـفداء ويحيا مـن يؤيده هـم الفخار لـنا في كـل ميدان
فلينحني الدهـر اجلالا وتكرمـة لكل مـن ذاد عـن عرض واوطان
تأتي الليالي وتمضي في مدارجهـا وذكر فتح علـى الاجيال نورانـي
اثني عليكم وقلبي فـي مباهجـه بصادق القول يـا أبنـاء لبنـان
على النكدي الحر ذي الادب الذي تدفق كالشلال مـن عمـق وجدان
مؤثـل المجد صمصام بـلا فلـل صلب العقيدة مـن اصلاب عدنان
شغلت نفسي بحب العرب قاطبـة كشغـل نفسي بانجيـل وقـرآن

بيروت

جورج الكعدي

لبنان والفداء

شعر : جورج كعدي

لبنان جئتك مـن قفر اعيش بـه | كيما اكحل مـن مـرآك اجفانـي
كيمـا ارى لوحـة للحسن فاتنـة | بكف صنين قـد ماجت بألـوان
لبنان جئتـك والذكرى تهدهدني | والشوق يحفزني واللـه يرعانـي
لبنـان جئتـك والآمال ناشطـة | كي استعيد نشاطي بين اخوانـي
لبنـان جئتـك والآلام تعصرنـي | والداء هدمني والبعـد اشقانـي
لعل انسى الذي عانيت مـن علل | خرساء هدت فؤاد الشاعر العانـي
في مهجر ليس خـل فيـه يؤنسني | الا تـذكـر جـيران بلبنـان
انـا الغريب الذي مد الزمان بـه | اتيـت استشرف الدنيـا بلبنـان
فـان لبنـان جنـات مفوفـة | بكـل شكل مـن الالوان فتـان
وروح ربـك فـوق الارز حائمة | وفـوق اطواده الشمـا ووديـان
وفـي جداولـه تنساب حالمـة | حلـم الزهور بطل الفجر نديـان
وفي سنى شمسه الجلواء غامـرة | شتى المجالات مـن كـرم وبستان
وفـي شواهقـه الشماء لاثمـة | خـد السماء بصمت الحالم الهاني
وفـي الينابيـع الحـان مزقزقـة | كزقزقات الهـوى في قلب ولهـان
هذي بلادك فافخر فـي محاسنها | على العوالم من قاص ومـن داني
فيها السلام لمـن قـد جاء ينشده | فـي كـل رابيـة حسناء مفتـان
او ظل دوح بـه الاطيار شاديـة | على غصون مـن الشربين والبـان
او شاطيء البحر والامواج هادرة | وزرقـة البحر حسن ما لـه ثاني
واسأل الشعر شيطانـي فيخذلني | فينثني خجـلا ذهـلان شيطانـي

أمـل نـور كونـي … أصبح اليـوم حطامـا
فرحة الامس تـلاشت … كـرؤى زارت لمـامـا
هل لجرح الهجـر يومـا … ان يـرى منك التحامـا
وبرغـم الصـد قلبـي … لـم يـزل يرعى الذمامـا
ليت فـي بيـداء عمري … ظلـك الرفـاف دامـا

بغـداد خضر عباس الصالحي

الـى حبيبتي

حبيبتي نجـوى خواطري … يا كرمة فـي كف عاصـر
ترنيمة القمري في الضحى … نشوان مـن خمر البيادر
وخفـة الشادن اذ هفـا … وخفقـة مـن جنح طائر
عيناك زورقان مـن لظى … لا يرسوان فـي المحاجـر
وهدبـك المقـدار رائشا … سهامـه لعينـي ناظـر
أهواك والساهد شافعـي … اليـك والغـرام آسري
بالورد اذ يبـش للنـدى … والصبح اذ يبـدو لساهر
وما حوت طيبـا خميلـة … ومـا يموج في الغدائـر
ومـا تنـث غيمـة بهـا … ري ضمـاء بالازاهـر
وما يقله الربيع مـن رؤى … ومـا اضل قلب شاعـر
يمين مـن ليس بناكـث … عهـدا وليس بالمنـاور
اللـه ممـا قـد جنيتـه … وهل يحل قتـل كافـر ؟

كربلاء ـ العراق علي محمد الحائري

٧ شفة

شعر : خضر عباس الصالحي

لـم أزل ألـقى ملامـا   فـي هواهـا وخصامـا
أسرفـوا فـي الظلم لمـا   منعـوا عني الكلامـا
ليس بدعـا ان تجنـوا   انهـم عاشـوا لـئامـا
لـو رأوها وهـي ترمي   عـن محياهـا اللثامـا
حولها طافـوا اندهـاشا   وسجـودا وقيـامـا
شمت لمحـا مـن سناها   وشـذا العطـر تهامـى
تجتليهـا العين بـدرا   ضوؤه يطـوي الظلاما
أغـرقتنـي بعبـير   فأتتشى الـروح وهامـا
تيمتنـي بقـوام   آه ما أحلـى الـقواما
سحـرتنـي بعيـون   لـم أجـد فيهـن ذامـا
زرقـة العينـين فيهـا   أبحـر الـقلب وعـامـا
لـم أزل أمـلاً منهـا   اكؤسـا ظمـأى وجامـا
يخصب الفكـر لديهـا   والهـوى يضحى ضرامـا
عبقـر الشعـر تغـذى   مـن لماهـا فتسامـى
لـثمت ثـغر الامـانـي   فأزدهى الكـون أبتساما
تسكب الاطيـاب ميهـا   فـأفـاويق الخزامـى
وتصـب العطـر فيهـا   مثـل صهبـاء الندامـى
طير حبـي فـي اشتيـاق   حـولهـا رف وحامـا

الناصرية

شعر: فاضل السيد مهدي

يا موكب الفن الاصيل ورسالة السحر الجميل
من ثدي روحك كم رضعنا منهل العلم الجليل ؟
ولكم توارثنا السعادة منك جيلا بعد جيل ؟
ولكم سكرنا في عبير رياضك السمح الخضيل ؟
ولكم تناهبنا جمالك بين دوحك والنخيل ؟
ولكم تغنى العاشقون على فراتك في الاصيل ؟
أغصان خيرك نستفيء بظلها الحلو الظليل !
غابات نور انت تبدين الطريق الى الضلول
معطاءة ابدا فلم تبخس بشيء كالبخيل
(الناصرية) كعبة الاحسان والخلق النبيل
ومنابع الاحلام .. يجري ماؤها كالسلسبيل
يقف الخيال عن التصور في كمالك في ذهول !
والنطق يجمد في اللهات لحسنك الطاغي المهول
ما أنت الا تحفة صنعتك آلهة العقول
حتى البساطة فيك الهام لفنان كسول !
يا بلدتي يا فيض وجداني الذي يغري ميولي
أهواك اهوى كل شيء فيك يوقظ لي فضولي
اهواك أغنية تثير مباهج القلب العليل

الناصرية ــ العراق **فاضل السيد مهدي الناصري**

العرفان : ولماذا لا يوجد مشترك واحد للعرفان في الناصرية .

قصة الأمس*

بشعر: محمد علي الرباوي

قصة الامس غناء قدسي النغمات
نحن وقعناه حبا فيه أزكى النفحات
وجعلناه عبيرا بين زهر الابسوات
وافترقنا وكلانا صار لحن الذكريات

يا حبيبي .. أترى مثلي الى الماضي تحن
أم ترى ألهاك عن ماضي هوانا العف ظن
يا حبيبي .. حبنا يسأل عنا كيف نحن
فلنعده ، اننا بعد الهوى صرنا نئن

يا حبيب الروح دنيانا خيال سيزول
كل شيء في حياة الناس حلم لن يطول
فلنغن الحب ما بين أزاهير الحقول
قبل ان يعرف يوما زهر عمرينا الذبول

الرباط — محمد علي الرباوي

كم بـه من أسد حامـي الذمـار عنـه قـد ذاد وللبـؤس اقتحـم

★ ★ ★

زعمـاء الارز صونـوا أرزكـم وانبذوا الـقتل لتوفـوا بالعهـود
أبذلوا الجهـد لاصلاح الـورى فعسى مجـد الحمى يومـا يعـود

★ ★ ★

يـا ربي لبنـان يـا أرض العراق يـا ضفاف النيـل يا أرض الشآم
أين مـن يصلح مـا بـين الورى ويمـد الـناس أمنـا وسـلام
انـا الاصـلاح خـير لكـم واتفـاق الـقوم اولى مـا يـرام
ان مـوسى ثـم عيسـى أمـرا بـاتفـاق واتحـاد ووئـام
ان طـه ضـم أشتـات الـورى ونهاهـم عـن نـزاع وخصـام

★ ★ ★

يـا بنـي يعـرب أنتـم أخـوة آل طـه والنصارى فـي الوجود
نبـذوا الاحقـاد أدوى دائكـم وارفعوا للامـن خفـاق البنـود

علية القبيسي

أزمة شاملة

شعر : عَلية القبَيسي

يـا بلاد العرب يـا أرض الجدود   أيـن أشبالـك اضحوا والاسود
أيـن عبس وقريش قـد غـدوا   أين لخـم أيـن قحطـان قعـود

★ ★ ★

أيـن غزلان النقـا أيـن الهنـا   أيـن جـام الصفو بل أين السرور
أزمـة حلـت بلبنـان فمـا   شاهدت أمثالهـا قـط العصور
زمـن ريعت بـه أسـد الشرى   زمـن بـان بـه عنـا الحبـور
مشـرق الارض الـى مغـربهـا   وشمـال وجنـوب فـي شرور
وقتـال وحـروب جمـة   واغتيـال واعتـداء وفجـور

★ ★ ★

أندبـي يـا بنـت لبنـان الحمى   واسبلـي الدمـع وادمي للخدود
واسكبـي دمعـك قـان عندمـا   واسألـي الرحمن عـزا كي يعود

★ ★ ★

يـا عرين الاسد يـا مهد الفخـار   يـا منـار الوحي يا فخر ، الامم
لـم تـزل للمجد ركنـا والفخار   يـا لـواء العز يـا ربـع الشمم
في جمال الارز كـم عقـل يحـار   وكـذا حرمـون ذيـاك الاشـم
لـم يـزل للمجد والعـز منـار   بين أطلال الحمى الـفرد العلـم

ابواب العرفان

واذا الصحف نشرت

حرصا على سمعة لبنان في الداخل والخارج
تحرك رجال الديـن يجب ان يبقـى صامتا

المحامي الكبير الاستاذ محسن سليم يبدي نشاطـا اجتماعيا عديـم النظـير ويعالج الاوضاع العامة بواقعية وحكمة ، هـذا التطوع للخدمـة العامة يستحق الاكبار والتقدير ان لم تقدره الحكومة فيجب ان يقدره الشعب .

تحرك رجال الدين بصورة علنية ــ وعلـى الصورة الـتي حصل ويحصل فيها ــ في الظروف الراهنة ــ للمساعدة على حل الازمة ــ هل هو مفيد ؟

ام يجب ان يأخذ شكلا اخر ؟

اننا لا نعارض في اشراك جميع قطاعات الشعب اللبناني في المساهمة بحـل الازمة للعودة الى الحياة الطبيعية في البلاد .

بل ان هذا الاشراك ضروري ليشعر كل فرد انـه عضو فاعل مسؤول فـي المجتمع .

ولكننا ضد هذا التحرك العلني لرجال الدين نظرا للاضرار الـتي يمكن ان تلحق به في الداخل وفي الخارج .

فاجتماعات رؤساء الطوائف قد تكون ضرورية ومفيـدة في كـل الظروف العادية .

ولكـن ..

لا يجوز ان تأخذ هذه الاجتماعات طابع التهويل ، وتجسيم الامور باحاطتها

انما نشكر رجال الدين على اهتمامهم ـ ونشكرهم على تحركهم ـ •

ولكن يجب ان يعلموا ان القضية تحتاج الى عمل صامت اكثر منه عمل لـه طابع الدعاية التي لا يجوز ان يكون لها مكان في الازمة الراهنة •

قلنا ونكرر ، بان تحرك رجال الدين مفيد وضروري ولكن كأعضاء عاملين مسؤولين في المجتمع اللبناني •

اما تحركهم على اساس ان القضية لها طابع ديني او مذهبي ـ او طائفي ـ فهو يسيء للقضية ويظهر لبنان في الداخل والخارج على غير حقيقته •

محسن سليم

قصر الشعر وطوله

● **قيل لعقيل : لم لا تطيل الشعر ؟ فقال : يكفيك من القلادة ما احاط العنق •• وقيل لاخر ذلك فقال : يكون احوك وعلى افواه الرواة اعلق •**

وقالت مليكة بنت الحطيئة : يا أبت كنت ترغب عن القصار ، فصرت ترغب فيها • فقال : لانها في الآذان اولج وعلى الفكر اروج ، والناس اليهـا احوج • وقيل لاخر مثل ذلك فقال : حسبك غرة لائحة وسمة واضحة • وقال اخـر : اذا مدحتم فاقصروا ، واذا هجوتم فأطيلوا ، فالشر لا يمل •

★ ★ ★

احمق مرزوق

● كان المعتضد اذا رأى ابن الجصاص قال : هذا احمق مرزوق ! وكان ابن الجصاص هذا اوسع الناس دنيا ، وله من المال ما لا ينتهي الى عـده ولا يوقف على حده • وبلغ من جده انه قال : تمنيت ان اخسر مرة ، فقيل لي اشتر الـتمر من الكوفة وبعه بالبصرة ، ففعلت ذلك ، فاتفق ان نخل البصرة لم يحمل في ذلك العام ، فربح ربحا واسعا •

بالدعاية العلنية او الشخصية الواسعة •

ان الدين لا علاقة له بالمشكلة المطروحة الان •

ورجال الدين لا يجوز لهم حمل الناس على الاعتقاد بان المشكلة لها جوانب دينية او مذهبية او طائفية •

ان المشكلة لها اسباب معروفة ـ منها ما هو لبناني صرف ـ ومنها ما هو اقليمي عربي ـ ومنها ما هو دولي •

وابعاد المشكلة اصبحت هي ايضا معروفة من الجميع •

وخصوصا من قبل الذين يعالجون هـذا الموضوع بالنسبة لقربهم من الاحداث •

والامر الثابت حتى الان : ان المشكلة المطروحة بعيدة كل البعد عن القضايا الدينية او الطائفية او المذهبية ـ انها قضية سياسية ـ واجتماعية ـ واقتصادية ـ اكثر منها اي شيء اخر •

ان تكرار اجتماعات رجال الدين وتحركهم ـ وظهور اجتماعاتهم وصورهم في الجرائد وفي التلفزيون وغيرها من وسائل الدعاية يعطي فكـرة للرأي العـام اللبناني والعربي والعالمي ـ ان موضوع الازمة له طابع ديني او مذهبي •

في حين ان العكس هو الصحيح •

تجاه هذه الحالة ـ لا يسعنا الا ان نطلب مـن اصحاب السماحة والغبطة والسيادة ان يحيطوا اجتماعاتهم ـ اذا كانوا يعتقـدون ان اجتماعاتهم ضروريـة ومفيدة ـ بكثير من الكتمان ـ وان يمتنعوا عن السماح لصورهم ان تظهر على شاشات التلفزيون او غيرها من وسائل الاعلام ، وان يعلنـوا للمـلأ الحقيقـة الراهنة ـ وهي ان الازمة لا تتسم باي طابع ديني ـ فان ذلـك اجدى وانفـع للقضية من اي مظهر اخر •

ان الشعب اللبناني اصبح من الوعي والمسؤولية بحيث لـم يعـد يقبل ان تصبح القضايا المصيرية سببا للظهور او للدعاية الشخصية •

قرب المثقفين منهم • فلم اسمع ان واحدا منهـم سعـى ان يكـون جلساؤه او مستشاروه دائما من العلماء او الفهماء ، او الادبـاء ، او سعى ان يكون راعيـا للثقافة والفكر ، او حاميا ومقدرا ومكرما للمثقفين والعلماء والادباء • واذا وجد فقلائل جدا •

فاذا لم تغير الدولة نظرتها الى رجال العلم والثقافة والادب ، يغير المثقفون ما في انفسهم • وتتبدل مفاهيم المجتمع ، فالمشكلة ستبقى قائمة مستعصية •

واملنا كبير ان يضم الرئيس فرنجية العلماء والادباء والمثقفين تحت جناحيه، ويتخذ منهم الاعوان والمستشارين ، ويفتح صفحة جديدة للبنان جديد •

الدكتور صلاح الدين المنجد

العرفان : هذا الجواب كان احسن واصرح ما قيل في الموضوع .

في المحنة يغيب المثقفون مـا رأيك ؟

صلاح الديـن المنجـد

أملنـا مـن الرئيس فرنجية

بيتان من الشعر قالهما الاخطل الصغير قبل ثلاثين عاما او اكثر ، مـا زالا يعبران عن الواقع الذي نعيش فيه • قال :

مت اذا شئت ان تكـون اديبـا او فبـدل بارض لبنـان دارا
بلـد قسـت حظوظ بنيـه فأصبنـا مـن بيضهـا الاصفارا

ولك ، ايها القاريء ، ان تفهم من كلمة « الاديب » الـتي ذكرها الاخطل : العالم ، والمفكر ، والمثقف ، والباحث والاديب • فكلهم في المصيبة سواء • لانهم جميعا ليس لهم مكان معترف به في لبنان • واذا سمعت من يقول : « لبنان بلـد الاشعاع والفكر » فلا تصدقه • فهذه اسطورة • فالفكر لم يحتل المكان اللائق به ، بعد • والمفكرون والمثقفون يعيشون رغم كفاحهم على الهامش •

اذن كيف تريد ان يسد المثقفون اعناقهم ، ويطلقوا ألسنتهـم واقلامهم اذا نزلت النكبات ، او استحكمت الازمات ، وهم لا يسألون عن رأيهم ، واذا قالوا فلا يعبأ بما يقولون •

وهنا يستثنى المثقفون الملتزمون بمبدأ عقائدي سياسي • وما اعتقد هؤلاء يتحركون بانفسهم ، ولكن يوحى اليهم فينطلقون •

ومشكلة غياب الفكر والثقافة والمفكرين والمثقفين ، لها اسباب :

اول : ان اهل الثقافة ، بصورة عامة ، لم يفرضوا وجودهم ــ الى يومنا ــ امام الدولة • فما زالوا على الهامش •

ثان : انهم لم يستطيعوا بعد ، ان يؤثروا في المجتمع تأثيرا عميقا يدفعه الى تقديرهم والتطلع اليهم في الازمات • مع العلم ان هذا المجتمع لا يـزال في بعض طبقاته قاصرا ــ ثقافيا ــ عن تقديرهم وفهمهم ايضا •

ثالث : ان اصحاب مهنة السياسة، ورجال الدولة لا يستطيبون على الاغلب،

من عبد القادر عياش
الــى روكس العزيزي

دير الزور ــ سورية في ٢ ــ ٥ ــ ١٩٧٣

عزيزي الاديب والمؤرخ روكس بن زائد العزيزي رعاه الله

ازكى التحية واجمل التمنيات

سرتني رسالتك المؤرخة ٢٦ ــ ٤ ــ ١٩٧٣ ، يـا للبشرى الكبيرة ، بدفعك قاموسك الى المطبعة . وفي هذه المدة بتوصية رئيس الدولة بطبعه اضافة الى امر الوزير . لقد كنت انا واثقا من ان القامــوس سيطبع . ذلــك ان صدوره عــن الجهات الرسمية يشرفها ومأثرة لها . وبذلك تقدم حكومة الاردن دليــلا يضاف الى الادلة الاخرى على غيرتها على الـفكر وعملها له . خاصة في مثـل قاموسك واحسبه عملا مفيدا للاردن وللثقافة العربية . وانك رائد فيه .

لقد اخرج الاستاذ الكبير المرحوم احمد امين قاموسه التقاليــد والعادات ولكنه لم يكن بالمعنى الصحيح للقاموس ، ولـم يكن خاصا بمصر ولا شامــلا دقيقا . ومع هذا كان عمله مشكورا ومذكورا .

لقد صبرت وجزاك الله خيرًا على صبرك والله يحب الصابرين .

توقعت من تسلم رسالتك التي لم تتأخر عما قبلها انهــا تحمل خبــرا سارا بشأن القاموس ، ولم تخب فراستي . فان اسراعك بالجواب قرينة بانفراج الصبر وتوفيقك . ما ان اتيت على دفعك القاموس الى مطبعة القوات الاردنية المسلحة، حتى طفرت دموع الفرح من عيني . ونطق لساني بالشكر لله العلي القدير مفرج الكروب .

لقد طال انتظارك لمثل تلك الفرحة ، وطال مكوث القاموس ملقى بلا حراك. ولعلك كنت اقرب الى اليأس من طبعه ، فاتاك الفرج والله لا ينسى العلمــاء المخلصين العاملين امثالك .

ونطق لساني بشكر الوزير الهمام الذي امــر بطبــع القاموس . ورئيس

رسائل الأدباء

من روكس العزيزي الى المحامي عبـــد القادر عياش

★ ★ ★

سيدي البحاثة المحقق المحامي الاستاذ عبد القادر عياش الاكرم اعزه الله

يا جليل القدر وطويل العمر !

بين يدي رسالتك التي تفيض بانبل العواطف الاخوية ، الرسالة التي زادتني ايمانا بان في الحياة اخوانا هم من صفاء النفس ونقاء السريرة في المنزلة السامية ، التي تضفي على الحياة روعة تنسينا كل منغصاتها •

وان قلبا عامرا بالوفاء على ضفاف الفرات لاثمن من كل مـــا في الوجود • حقا يا سيدي ان تنبه رجال الحكم عندنا الى عملي الصامت الذي ابتدأ من سنة ١٩٣٨ ، تلبية لاقتراح استاذي وصديقي المغفــور لــه الاب (انستاس مــاري الكرملي) ولاقتراح المجمع العلمي في القاهرة ، دليل على ان الله لا ينسى صبر الصابرين كما قلت ، وعلى ان بلادنا بخير ــ على كل ما اصابها من نكبات ــ •

اتمنى لموسوعتك الفراتية الكبرى ان تظهر باشرافك عليها ، وارحب بــك اخا عزيزا وضيفا كريما في عمان بلدك وبلد كل عربي اصيـــل • واعانقك بشوق واحترام شاكرا لك رسالتك التاريخية الرائعة التي اعتز بها وافخر •

ختاما ، حرسك الله وابقاك ذخرا وعنوانا للوفاء •

باخـــلاص

روكس بن زائد العزيزي

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان

لوزير الاعلام فضله الكبير على الثقافة لمجرد صدور امره بطبع قاموسك ، ولاشكر لدولة رئيس الوزراء توصيته بطبع القاموس • ان لم يكن شكرا لهما بالمقابلة المباشرة فببرقية او رسالة اوجهها اليهما من عمان •

ذلك اني احسبني الشخص الذي بليك بالفرح والغبطة • بانفراج امر قاموسك ، لقد كنت في غاية الشوق الى رؤيته وهو مخطوط لديك فكيف وهو مطبوع ؟

وكنت دائما اهم بان احضر الى الاردن لالقاك واعانقك والقي نظرة على قاموسك • اني شديد الاهتمام بالقواميس ، وبخاصة الفولكلورية التاريخية مثل قاموسك ، فكيف قاموسك ؟

وكانت ظروف تقعد بي ، ولم انس قاموسك ، وقد كتبت الي عنه • ولذلك يقتضي امر انطلاقه بمعانقتك عناق التهنئة والفرحة والشوق وقد تراكم وطال واستوجب حضوري الى عمان للقائك ، وليس ذلك بالكثير عليك وعلي •

ارجو ان احضر في منتصف ايار ، وساتصل بك هاتفيا من دمشق ، وارجو ان تبلغ سلامي الى الاهل والى اديبنا الكبير محمد اديب العامري والاستاذ عيسى الناعوري والاستاذ ظبيان ، والدكتور عبد الكريم الغرايبة عميد كلية الآداب بجامعة الاردن ، التقينا في بغداد ، وجاءتني منه رسالة ، اتمنى لك وللاهل ولقاموسك التوفيق واجمل التمنيات • دمت بخير •

المخلص المشتاق
عبد القادر عياش

معذرة على الاطالة ، فقد اقتضتها هزة الفرح ونشوة البشرى •

من الياس فرحات الى كعدي كعدي

الافق الجميل اول شباط سنة ١٩٧٣

عزيزي المحامي الاديب الكبير الاستاذ كعدي فرهود كعدي المحترم

تحية الاعجاب والاجلال • وبعد ،

الوزراء الذي اوصى بالطبع • ان التاريخ يقدر لهما فضلهم هـذا اجمل وابقى تقدير • جزاهم الله خيرا على ما قدما لامتهم •

اني اقدر فرحك العظيم واقدر جهدك الفائق في صنع هذا القاموس ، واقدر اهميته وفائدة طبعه واخراجه • ولذا كان فرحي بدفعك القاموس الى المطبعة كبيرا ، وجاء دمعي تعبيرا صادقا عن فرحي الطاغي فحمدا لله كثيرا •

« لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها ! »

كان امر موسوعتي الفراتية • وعملي الدائب في اعدادها يلازمني ليلا ونهارا ، ثم يئست من امر اخراجها لعجزي المالي ولوجودي في دير الزور النائية والصغيرة والمتخلفة ، وقد بلغ بي اليأس اني ما عدت افكر فيها منذ عدة سنوات، وفي اليأس راحة •

لقد جاء امر قاموسك يفتح لي كوة من الامل بشأن « الموسوعة الفراتية الكبرى » وفي امثالنا : « ان مطرت ارض بشرت اختها » •

ذرفت عيناي الدمع تعبير عن فرحتي بانفراج امر قاموسك بعد ان مكث طويلا ينتظر رحمة الله • وتعبيرا عن حزني المقيم على الموسوعة الفراتية • التي اخذت لها عدتها واخرجت اجزاء قليلة منها ، وكنت اومل ان انجزها اعدادا واخراجا ، لتخدم وادي الفرات وتنفع الناس ، ولكن فقدان المشجع والمؤازر جعلني اقنط ، وادع امر الموسوعة وانا كاره حزين • اتمنى ان يعاودني الامل بشأن الموسوعة الفراتية •

لقد نسي الاستاذ عيسى ان يبلغك سلامي مع اني كنت عنده وحدي وسألته عنك وقدمت اليه اربعة كتب اخذتها من ابني في دمشق •

اما وعد الاستاذ ظبيان ؟! ••

ليس من يأس في تأجيل الطبع شهرين • وفي امثالنا : « ان عازك يوم اوصله بالآخر ! »

ان انفراج امر قاموسك ليستحق مني المجيء الى عمان لتهنئتك ، ولاشكر

فاذا اردت مـن العشار سلامـة خذ مـا تراه وخـل عنك الباقي !

وطبعا اعني ما تراه ببصرك وبصيرتك •

ان قلمك مبضع جراح خبير • يشق الدمل ويعصره وينظفه مما فيه من فساد ثم يدهن الجرح بزيت المحبة ، الانسانية • لم ار النعيمـة ولا رأيت جبـران ولا الريحاني ولعل سبب كرهي لادب جبران والنعيمة جهلي مضمونه ، فأنـا رجـل عامي بسيط ، ثقفت نفسي بقدر امكاني فلا احب الا الكـلام المفهوم فاذا قرأت لنعيمة قوله ليس الفيل مثلا اكبر من النملة ! وليس الـثور اكبر مـن الضفدع اضحـك •

لا على النعيمة ولكن على نـفسي لاني لا أفهم •••

اشكر لك هديتك الثمينة التي هـي هـذا الكتاب الثمين • واشرك معك شكري الصديق الاديب الشاعر عبد الله يوركي حلاق ، الذي كان الساعي فـي الخير • والساعي في الخير كـفاعله •

والف تحية عطرة يبعث بها اليك المخلص

المعجب الياس فرحات

وصية طفيلي

● قال ابن دراج الطفيلي لاصحابه ، لا يهولنكم اغلاق الابواب ، ولا شدة الحجاب • ولا عنف البواب ، وتحذير العقاب ومبارزة الالقاب ، فان ذلك صائر بكم الى محمود النوال ، ومغن لكم عـن ذل السؤال ، واحتملوا الوكزة الموهنة واللطمة المزمنة ، في جنب الظفر بالبغية ، والدرك للامنيـة ، والزمـوا الخفـة بالواردين والبشاشة بالخدم والموكلين ، فاذا وصلتم الى مرادكم فكلوا محتكرين، وادخروا لغدكم مجتهدين ، فانكم احق بالطعام ممن دعى اليـه وأولى بـه ممن صنع له ، فكونوا لوقته حافظين وفي طلبه متمسكين •

قرأت كتابك العظيم (ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه) بنصف عين ! • وكنت اود لو استطيع قراءته بالف عين حتى لا تفوتني منه كلمة ولا حرف ولا حركة ، ولقد كنت اظن قبل قراءته ان نعيمة قمة لا سفوح لها •• فعلى من يريد ان يصل اليه ان يهبط من فوق بطيارة نافورية واذا بي اراك تنقض عليه كالعقاب من قمة صنين فتعري الناسك •• وتنقره نقرات مؤلمات داميات وبحكمة ولطف تسح كل جرح تحدثه فيه بنقطة زيت العطف واللطف !

لست من عشاق ادب نعيمة ولست من عشاق ادب جبران ، واعتقد ان هذا السيل الجارف من الكلام ، كلامهما ، غير المفهوم جهد ضائع بل جهد فيه الضرر للشبيبة العربية التي هي في حاجة قصوى الى ادب مثل ادب الريحاني ، ادب واقعي يهز النائمين هزا عنيفا ويوقظهم ليريهم طريق الحياة ! اما ادب صاحبينا نعيمة وجبران فانه كأغاني الامهات اللواتي يردن ان تهبط سكينة النوم على اطفالهن الضاجين : تقرأ ، وتقف مفكرا : ماذا قال هذا ؟ وماذا قال ذاك •••

ومن يلق بعد الحفر كنزا لهانىء   ومن يلق رملا تحت رمل لنادم !

لم اقرأ لنعيمة الا القليل القليل من بعض مقالاته ، وكنت من اربعين سنة او اكثر قرأت له مذكرات (الارقش) فاستهواني اسلوبه الذي كان جديدا علي وقرأت له القصيدة المنثورة في كتابك هذا التي مطلعها كحل اللهم عيني • فلما وصلت الى قوله انه يريد ان يرى الله حتى في (قذى العاهر) طرحت الورقة التي كنت اقرأ فيها جانبا وقرفت من هذا الشعر الذي يتمرغ في مثل هذه الاقذار •

قلت اني لست من عشاق هذا النوع من الادب ، ادب التنويم المغناطيسي ! ادب الغيبيات التي ليس وراءها الا غيبيات اشد منها تضليلا ، انه ادب ليس من العلم في شيء وانما هو كالخروب نقطة دبس على قنطار خشب ! لو سألتني : أأنت كافر؟ لقلت لا، بدليل قولي: «أجنة نحن والسنون لم تلقنا بعد في المهود»:فما الذي يدرك الجنين من حكمة تملأ الوجود ؟ ولو سألتني : أمؤمن انت لسمعتني اقول :

يمضي الفلاسفة الكبار كأنهم   في العلم ما شبوا عن الاطواق

حـق العشيرة ان تهنيء نـفسها ... بـك او تباهل مـن أراد تمحـلا
او تبتنـي ابنـاؤهـا وبناتهـا ... لك في حشاشة كـل قلب منـزلا
لو لم تكـن بشرا كخلتك هابطا ... للارض مـن قبـل الملائك مرسلا

وبعده وقف المحتفى به الاستاذ جورج كعدي فالقى قصيدة يراها القارىء منشورة في باب الشعر من هذا العدد من العرفان ، ثـم تكلـم الاستاذ محمـد قره علي فذكر اول معرفته بعارف بك يوم كان بائـع صحف ، وختـم الاجتماع صاحب الدعوة بكلمة شكر • شكرا لعارف بك الذي أتاح لـنا هذه الـفرصة الجميلة ، وهذا الاجتماع الادبي •

مجلس لبنان الجنوبي

● انتخب المجلس الثقافي للبنان الجنوبي هيئته الادارية على النحو الاتي : القاضي زيد الزين امينا عاما ، الدكتور محمـد المجذوب نائبـا للامين الـعام ، المحامي ناجي يضون امينا للسر ، محمد علي شمس الدين امينا للصندوق •

والسادة : سليمان ابو زيد ، حبيب صادق ، احمد سويد ، الدكـتور فؤاد شاهين ، احمد فتوني ، الياس مرعي ، وجيه نحله ، سمير فياض ، موسى طيبـا ، علي عواضة اعضاء •

وبالشكر تـدوم النعم

يشكر الاستاذ اديب فرحات الدكتور بهيج عازوري الذي اجرى لـه ، في مستشفى الجامعة الاميركية ، عملية فنيـة حديثـة لاستئصال غـدة البروستاد ، جديرة بالاعجاب ، كانت ناجحة وموفقة مئة بالمئة ، وقد تنازل الدكتور عازوري عن قسم كبير من رسوم تلك العملية •

ويشكر ايضا الدكتور فوزي ابي جسرة الذي اجرى عملية جراحية لتجميل انف حفيدته أمل فؤاد فرحات ، كانت ناجحة وموفقة ، ولكنه لم يشأ ان يتقاضى سوى نصف الرسم المطلوب لما عرف ان الفتاة يتيمة •

اقرأ الأخبار والآثار

في رحاب النكدي ومؤسسة بيت اليتيم

من عادة العلامة المؤرخ الوطني الصادق النزيه المخلص الاستاذ عارف بك النكدي عضو مجمع اللغة العربية ان يدعو كل سنة ندوة العرفان الادبية والادباء المتصلين بمكتب مجلة العرفان الى مأدبة غداء تنقلب الى مناقشات علمية ومساجلات ادبية وشعرية ، وكانت هذه السنة مناسبة زيارة الشاعر المهاجر الوطني الاستاذ جورج كعدي الى وطنه الام لبنان ، فكانت المأدبة موسعة تكريما للشاعر جورج كعدي والمهاجرين في شخصه وللعلم والادب ، حضرها علماء وادباء وصحفيون ووجهاء كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الاساتذة: محمد جميل بيهم ، الدكتور زكي النقاش ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، عبد الله النجار ، محمد كامل شعيب العاملي ، المحامي كعدي كعدي ، امين ابو عز الدين ، اديب مروة ، بديع شبلي : محمد قره علي ، سلام الراسي ، صاحب العرفان الخ ، وقد احاطهم القائسون على مؤسسة بيت اليتيم وعلى رأسهم الاستاذ النكدي باللطف والرعاية ، وقد طافوا بعد الغداء على مؤسسة بيت اليتيم حيث اعجبوا بالترتيب والنظافة والعناية الفائقة بكل شيء • ثم جلسوا يتناقشون الادب والاجتماع الخ ، وحان وقت الكلام فوقف الاستاذ العاملي وألقى ابياتا جميلة هذه هي :

يا عارف النكدي اي نقيبة ... ما كنت في الشوفين فيها ، الامثلا
ومواقف لك ما بهرت بجلق ... والثورتين بها الحسين وفيصلا
بكفيك معهدك الذي شيدته ... وجعلته بين المعاهد أولا
هذا الجميل بعقوتيك وحوله ... فئة أصارت معهدا لك محفلا
غبطت بها الارض النجوم واوشكت ... لو تمتحن بنزولها ان تنزلا

ان الامة العربية التي لا تدخر وسعا في تقل المعركة بينها وبين دولة العدوان الصهيوني ليسرها اليوم وهي ترى مظاهر التقدير وكلمات الاعجاب والثناء تنهال من جميع الصحف الاوروبية وبلا استثناء مشيدة بالدور الكبير الذي يقوم بـه الفيصل من اجل غد مشرق ليس لبلاده فحسب وانما للملايين العربية والاسلامية في كل مكان •

ويكفي العالم المسلم فخرا ان يتذكر فخامـة الرئيس بومبيدو دور الاسلام في حضارة العالم فيذكر ذلك في كلمات بسيطة تحمل معانـي الايجابية وبشكـل فريد واخاذ ولقد كان اول اجتماع للفيصل مـع الرئيس بومبيـدو وفي باريس وسيلة للتعبير عما تكنه فرنسا للمملكة العربية السعودية من تقدير ولعاهلها مـن احترام وللعالم العربي والاسلامي من ود وهي حقيقة طفت على السطور وانتشرت على صفحات الجرائد الفرنسية معلنة ترحيبها الحـار بالفيصل صانـع التاريـخ المعاصر وباني نهضة المملكة ورائد التضامن الاسلامي الذي يريد من وراء رفـع لوائه تحقيق الحياة الكريمة للمسلمين جميعا •

وكان جميل ايضا ان لا ينسى الرئيس بومبيدو في كلمة الترحيب التي قالها في حفل العشاء التكريمي للفيصل ان فرنسا التي تلعب دور الـقيادة في العالـم الاوروبي ليسرها اليوم ان تلعب المملكة نفس الـدور دور الاعتدال والتوفيـق داخل العالم العربي والاسلامي • ولـقد اشاد الفيصل بمواقف الرئيسان ديغول وبومبيدو من اجل القضية الفلسطينية بصفة خاصة ورجا ان تنال هذه القضية من الدعم والتأييد ما يساهم على عودة الفلسطينيين الى اراضيهم وديارهم •

وبعد ان زيارة الفيصل الى فرنسا انما هي تأكيـد لتعميـق الروابط بـين البلدين والتي تنبع عن ايمان العاهلين في ان الخير كل الخير في لـقاء القمة فـي باريس الذي لا بد وان يتمخض عـن حدث هـام يشارك في اخـراج الـقضية الفلسطينية الى العالم الاوروبي باسلوب بعيد عن الافتعال ليشرح ولا يجـرح • ونهيب باصحاب النفوس الكبيرة في ان يكونوا مع الحق دائما •

حفاوة فرنسا بالفيصل

حدث يفخر بـه كل عربي ومسلم



في الاستقبال الرائع الذي استقبل بـه الفيصل عاهـل المملكـة العربيـة السعودية في فرنسا ما يجعل كل مواطن عربي ومسلم يفخر بهذه الحفاوة •

وهذه الحقيقة تجعلنا ننظر الى زيارة الفيصل لفرنسا نظرتنا الـى حـدث جليل استطاع العرب من خلاله تحقيق امانيهـم في ايصال صوتهم عبـر العالـم الاوروبي الى امريكا وافريقيا وكل مكان في العالم • فالـقضية الفلسطينية وفي هذا الوقت بالذات بعد ان تكالبت عليها قوى الشر في حاجة الى مثل هـذا اللقاء وعلى تلك الارض التي شهدت مولد الحرية يوما ما ولا تزال تمارسها في اسلوب تسنطيع ان تقول بانه الاسلوب المناسب في الوقت المناسب •

مجلة ثقافية سياسية شهرية

العدد

تكريم الفكر

بقلم : الدكتور بطرس ديب

ان حملاتك المباركة في سبيل تلـــك المناطق وفي طليعتها « جبل عامل » ـ والاقربون اولى بالمعروف ـ إنني ذلك لاكبر خدمة اسديت الى بلـــدك هذا لبنان ، وانت اذ وجهت الانظار ، نبهت في الوقت ذاته الى ما فيه من كنوز دفينة ولا سيما في حقل القيم الانسانية التي بها يحيا لبنان .

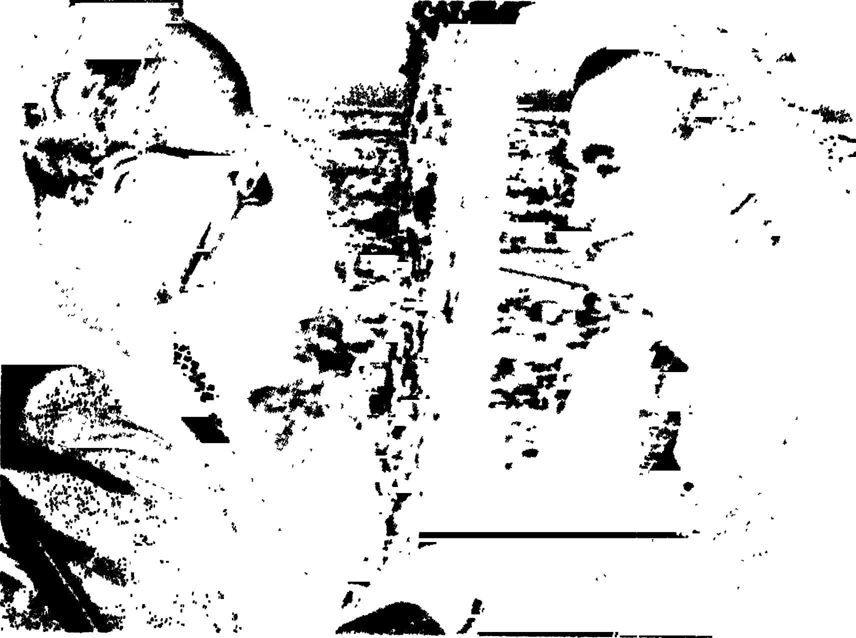
ان العدالة اصبحت ديناً يستوفى لامنة واستعطاء .

ان القيم الإنسانية التي بهـــا ناديت ، كان لابد ان تستعيد مكانتها في بلد يؤمن بالانسان وبحقه الطبيعي .

واي حق طبيعي اوضح مما للفكر على الانسان !! واذا كان تكريم الفكر من خصائص الانسان ، فهل اولى من بلدالإنسان وكرامته ، والفكر وحريته بأن يكرم الإنسانية ويكرم الفكر في الشيخ احمد عارف الزين صاحب العرفان

العرفان : اين الدكتور بطرس اليوم من تكريم الفكر في عرفان العارف .

وسام جوقـة الشرف
للوزير نجيب علم الدين



قام سفير فرنسا في لبنان السيد ميشال فوتتين بتقليد معالـي الشيخ نجيب علم الدين وزير الاشغال العامة والنقل ورئيـس مجلـس ادارة طـيران الشرق الاوسط ورئيس الشركة . وسام جوقة الشرف من رتبة ضابط ، وذلك في حفلـة خاصة كانت قد حددت مسبقا واقيمت في مبنى الادارة العامـة لشركـة طيران الشرق الاوسط ، وحضرها عدد مـن كبار موظفـي السفارة الفرنسيـة واعضاء مجالس ادارة الشركة وكبار موظفيها • وتبودلت الخطب اثنـاء تقليـد الوسام : مركزة على العلاقات الودية المتبادلة بين لبنان وفرنسا وعلى اهمية التعاون القائم بين شركة طيران الشرق الاوسط والخطوط الجويـة الفرنسية • هـذا ، وقـام السفير الفرنسي وصحبه بجولة على منشئات الشركة وقاعدتها الهندسية للتعرف على اوجه النشاط العديدة التي تقوم بها شركـة طيران الشرق الاوسط • فـي الصورة السفير الفرنسي وهو يهنيء الوزير نجيب علم الدين •

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ – سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

الجزء السابع مجلد ٦١ – ١٥ تموز « يوليو » ١٩٧٣ رجب ١٣٩٣

العـــرفـــان

مجله علمية ادبية ثقافية سياسية شهرية



قيمه اشتراكها : عشر ليرات لبنانية في لبنـــان وسورية

ديناران كويتيان او ما يعادلهما في بقية البلاد العربية

عشرة دولارات او ما يعادلها في سائر الاقطار

الفا فرنك افريقي في سنغـــال وشاطيء العـــاج

مئة ليرة لبنانية للمؤسسات الرسمية والبنوك والسفارات

وفي البريـــد الجوي

واشتراك الانصار لا حـــد لـــه

عنوان مجلة العرفان :

صيدا ــ لبنـــان ــ العرفان

بيروت ص . ب : ٣٩٧٨ : العرفان

بناية اللعازارية ــ الطابـــق الخامس آ ــ ٤

تلفون : مكتب بيروت ٢٩٧٠١٧

مكتب صيدا . ٧٢٠١٠٥

المخابرات الهاتفيه علـــى مكتب بيروت

المطبوعات المضمونه كتب او صحف على مكتب صيدا

الرسائل المضمونـــة علـــى مكتب صيـــدا او بيروت

AL - IRFAN

Revue Artistique' Scientifique et Politique

Propr Red en chef, directeur **NIZAR EL ZEIN**

B P 3978 Tél 297017

الشيخ أحمد عارف الزين
عدو الاستعمار والاقطاع والتخلف والجهل

بقلم: محسن سليم

طلبنا من صديقنا الاستاذ محسن سليم ــ وهو من كبار رجال القانون والتشريع والسياسة في لبنان والعالم العربي ــ ان يكتب لنا مقالا لمجلة العرفان ، فقبل ــ سيادته ــ مشترطا ان يكون اول مقال ينشر له في مجلتنا عن صاحب العرفان ــ وعن تحليل لشخصيته النضالية ضد الاستعمار ــ والاقطاع ــ في صوره المختلفة ــ وعن التخلف وغيره من الآفات . فقبلنا شاكرين عاطفة الاستاذ محسن سليم النبيلة ، راجين له التوفيق في جميع ما يقوم به من نشاطات في سبيل القضايا العامة .

كلما وصلني عدد من اعداد العرفان ــ الاغر ــ تعاودني الذكريات الى مؤسس هذه المجلة المغفور له احمد عارف الزين ــ والى « الرجولة المثالية والشجاعة والوطنية » التي كان يتحلى بها ــ ذلك الرجل الكبير .

فالعرفان ــ في نظر مؤسسها ــ لم تخلق للكسب والتجارة كما هي الحال بالنسبة لبعض الذين ينشؤون الجرائد والمجلات في ايامنا الحاضرة ، بل للكفاح والجهاد في سبيل توعية الرأي العام وتثقيفه لحمله على المطالبة بحقوقه المشروعة في الاستقلال والسيادة والحرية .

ولعل « العرفان » كانت من اوائل المجلات العربية التي صدرت في لبنان والتزمت بخط سياسي معين ، وهو المطالبة باستقلال البلاد العربية استقلالا تاما، ومطالبة الاستعمار يومئذ باحترام هذا الاستقلال ــ والدعوة الى وحدة عربية شاملة تضم جميع الشعوب العربية في وحدة حقيقية اندماجية ــ او في شكل اتحاد على حد سواء .

وقد ثابر صاحب العرفان على هذه الخطة وجند نفسه ومجلته تجنيدا كاملا في سبيل هذه الغاية النبيلة بالرغم من جميع الصعوبات التي كانت تعترض « هذا

لبنان والعالم العربي بل انــه كان عضوا بارزا في الحركات النضاليـــة الاستقلالية وقائدا من قواد الفكر والكفاح فيها .

وقد عرف صاحب العرفان ــ اكثر مــا عرف بخطبــه الوطنيـــة الحماسية وبمواقفه البطولية في كل مرة كان يجب فيها على القائد ان يتخــذ موقفا حاسما لينير الطريق امام المواطنين العاديين .

وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ احمد عارف الزين يتحدث عن الاستقلال والسيادة والحرية ويطالب سلطات الاحتلال الاجنبي بهذه الحقوق المشروعة للبنان وللشعوب العربية كان الذين يقولون بهذه المبادىء ويعملون لها ــ فئة قليلة في العالم العربي ، بعضهم استشهد على اعواد المشانق ــ والبعض الاخــر حاربــه الاستعمار حربا لا هوادة فيها ــ والشيخ احمد عارف الزين هو مـــن هذه الفئة التي نكل بها الاستعمار اشد تنكيل ــ وحرمها من الكثير ــ ولكنه لــم يستطع ان يعطل نشاطها او ان يقضي على روحهـــا النضالية ، تلـــك الروح الـــتي كانت متأججة في صدره وهي التي كانت تجعله يتحمل كـــل انـــواع العذاب والحرمان من اجلها .

الشيخ احمد عارف الزين مؤسس العرفـــان ــ وصاحب القلـــم الجـــريء والمواقف النضالية المعروفة ــ وخطيب الجماهير المطالبة بالحرية والانعتاق من نير الاستعمار « ونير الاقطاعيات الدينية والزمنية » التي كانت تتعامل مع الاستعمار في ذلك الوقت ــ ان هذا الرجل العظيم لــم يكرم في حياتــه التكريـــم الـــذي يستحق ــ ولم يكرم بعد مماته التكريم اللائق به .

ان حفلة تكريم تقام تخليدا لذكراه وتعليق صورة صاحب العرفـــان في بهو المكتبة الوطنية الى جانب بعض كبار رجال الفكر والقلم لا اعتقد ان ذلك يشكل تكريما كافيا من قبل الدولة والشعب نحو هذا العظيم من امتنا .

لقد طالب احمد عارف الزين بالحرية الكاملة لمواطنيه ووطنه وامته يوم لــم يكن احد من الرجال يجرؤ على التلفظ بهذه الكلمة التي كان يعتبرها الاستعمار جريمة بحقه .

ويوم كان الشيخ احمد عارف الزيـــن يكتب ويخطب ويقـــود المظاهـــرات

الشيخ احمد عارف الزين



النوع من النضال » خصوصا وان لبنان والبلاد العربية كانت خاضعـــة للاحتلال العسكري الاجنبي ـ وكانت جميع صلاحيات الحكم بيـــد سلطات الاستعمـــار التي كانت ترى في هذه الدعوة للتحرر والاستقلال تحديا لها ولمصالحها •

وقد تحمل صاحب العرفان في سبيل تحقيق مبادئه القوميـــة التحررية كـــل انواع العذاب طيلة حياته •

ولم يثنه عن عزمه هذا لا سجن ـ ولا تشريد ـ ولا تعطيل لمجلتـــه ـ ولا حرمانه من المنافع المشروعة التي كانت حقا من حقوقه الطبيعية •

وصاحب العرفان الذي وضع نفسه « وعرفانه » في خدمـــة القضية الوطنية التي جند نفسه لها لم يكتف بمحاربة الاستعمار الاجنبي بقلمه الجريء الحـــاد ـ او بما كان يدبجه من مقالات وابحاث وانتقادات كانت لهـــا اصداء واصداء في

ان الحرية في نظر هذا العظيم لم تكن وقفا على شعب معين او امــة معينة ، بل هي لكل الشعوب ولكل الامم على اختلاف الوانها ومعتقداتها .

لقد كان لبنان الدولة ولبنان الوطن مقصران بحــق هــذا المناضل الوطني الكبير .

فلنعمل على تلافي هذا التقصير لكي لا نتهم بالعقوق فنسجل علــى انفسنا اننا شعب لا نكرم رجالنا الافذاذ .

ان الشيخ احمد عارف الزين ثروة لبنانية وعربية قل مثيلها .

شيء ما ــ يجب ان يعمل لهــذا الانسان العظيــم ــ وان جاءت الدعــوة متأخرة ــ هذا الشيء لا اطلبه من الحكومة ــ ولا من الدولة ــ ولا من لبنــان فحسب . اني اطلبه من فئة الوطنيين المناضلين الاحرار في لبنــان وكافة ارجــاء العالم العربي .

فهل من مجيب على هذا النداء الذي لا يستهدف الا الوفاء لكبير من لبنان عاش كبيرا ومات كبيرا ولم يكرم ــ بعد ــ كما يكرم الكبار في بلاد العالم .

بيروت محسن سليم

أربعة في أربعة

● يجب ان يكون في المرأة اربعة اشياء سود : شعر الــرأس ، والحاجبان ، واشفار العين والحدقة ، واربعة بيض : اللون وبياض العين والاسنــان والساق ، واربعة حمر : اللسان والشفتان والوجنتان واللثــة ، واربعــة مــدورة : الرأس والعنق والساعد والعرقوب ، واربعة طوال: الظهر والاصابع والذراعان والساقان، واربعة واسعة ، الجبهة والعين والصدر ولوركــان ، وربعــة دقيقــة : الحاجبان والانف والشفتان والاصابع ، واربعة غليظة : العجــز والفخــذان والعضلتــان والركبتان ، واربعة صغيرة : الاذنان والثديان واليدان والرجلان ، واربعة طيبة : الريح والعرق والفم والانف ، واربعة عفيفة : الطرف والبطن واللسان واليد .

ويساق الى السجون من اجل استقلال وسيادة بلاده وامته لـم يكن احد ــ الا القليل القليل ــ يجرؤ على المناداة بهذه المطالب الاساسية •

ويوم كان احمد عارف الزين يثور على الاقطاعية والاقطاعيين مـن رجـال الدين ورجال الاقطاع الموروث ــ لم يكن احد يستطيع ان يتحمل مواجهة هذه القوى الجبارة التي كانت تساند الاستعمار يومئذ ويسائدها بكل قواه تحقيقـاً لاغراضه واهدافه •

الشيخ احمد عارف الزين لم يكن اقليميا ولا طائفيا ولا عنصريا • انه كان زعيما من زعماء الفكر والتوجيه والتحرر ، وطاقة نضالية من الطاقات التي كـان العالم العربي باشد الحاجة اليها •

ان هذا الكبير من امتنا كان مؤمنا بالله ايمانا لا حد لـه ــ ومؤمنا بنفسه وبشرعية نضاله الوطني الى اقصى حدود الايمان •

عاش حياته في الجهاد ــ ومات وهو يحمل علم الجهاد على الظلم والاستبداد والتخلف والجهل •

وهو لا يزال حيا في ذكراه بيننا نحن الذين عرفناه عن كثب وخبرنا نضالـه وكفاحه ــ « وعرفانه » الاغر لا يزال حيا ــ وهو بيد امينة ومخلصة في عهـدة نجله الكريم ــ الاستاذ نزار الزين ــ الذي اخذ على نفسه اكمال الرسالة ومتابعة النضال في سبيل المبادىء التي عمل والده العظيم من اجلها •

فالنضال في سبيل التحرر والانعتاق مـن الاقطاعيات المتعـددة الانـواع والصور ــ لا يزال في نظري ــ واجبا مقدسا على كل وطني مخلص لهذا الوطن•

ان المغفور له الشيخ احمد عارف الزين كـان صورة حقيقيـة « للمقاومة الحية » ، هذه المقاومة التي تجلت بمحاربة الظلم والاستبـداد والمطالبة بالحرية لجميع الشعوب الرازحة تحت نير الاستعمار •

لم يكن هذا المناضل الوطني لجزء من لبنان ــ او لجزء من الامة العربية ــ انه كان لكل اجزاء لبنان ولكل اجزاء العالم العربي •

يده ترتفع وتهبط عليه •• وقد مد رجليه ، واتكأ علـى صخرة أليفة •• وحولـه أزهار ترنو ، وفوقه أغصان تشرئب •• وكأنها ترقص مـع النغم ، وتزغرد مـع النسيم •• وتتهادى مع ظل « لبادته » الشامخة فـوق رأسه بزهـو ، والمنتصبة بكبرياء •• وقد شد وسطها بطوق تتدلى منه ذوآبـة حلوة •• يداعبهـا الهواء فتتحرك مع أصابع الراعي ولهاثه الخافت •• وزفرة هادئـة تتصاعد مـن ثقوب « شبابته » الناعمة الملمس ، الرقيقة الصوت ، الانيقة النغم ، المتهدجة الصدى !

وتتأنق السماء •• فتصب اناقتها في بسمات الحسان ـ حسان لبنـان •• فاذا بالبسمة نعيم لا يفنى ، وفتنة لا تتوارى ، وسحر لا يجارى ، و•• وكما قال رشدي المعلوف :

وهناء الارض مـا دام علـى الارض هنـاء

آمنت بالبسمة الناعمة الانيقة الحنون •• « حق » مـن العطـر يندلـق ، وشلال من النور ينهمر ، ونافذة تطل منها على القلب ـ فاذا به الجنة الـتي وعد بها المتقون ! ولولا التقى •• لقلت هذا هو « التقى » ، وما سواه فلا ـ أو كمـا قال سليمان الحكيم : « باطل ، وقبض الريح » !

ويجلجل صوت « الناقوس » ، ويرتفع الـى جانبه صوت « المؤذن » •• فاذا في لبنان « اخاء » : بين قلنسوة وعمة ، وانجيل وقرآن ، وصليب وهلال •• بين غطاء رأس أسود ، وآخر أبيض •• بين راهب اعتكف في دير ، وشيخ اعتكف في صومعة •• بين احزاب ذهبت في اليمين الى أقصاه ، وأخرى ذهبت في اليسار الى آخر مداه ، وترتفع بينها أصوات عنيفة ، وتناحر دائـم مستمر •• فتخال أن الوقيعة قد نشبت ، والثورة قد بدأت •• وما هي الا سحابة صيف وتمر ، وفورة حليب وتنتهي ، وزبد يشمخ فوق الموج ثم يتلاشى •• واذا لبنان « الاعجوبة » : مدرسة في التآخي ـ بين الآراء المتغايرة ، والافكـار المتضاربـة ، والنظريـات المتعارضة •• مثلما هو مدرسة في العطاء ـ عطاء القلب الذي لا يتوقف ، والروح الذي لا يضن ، والطبيعة التي لا تشح !

حتى الصخرة في لبنان لهـا قلب •• تحتفظ في سويدائه باخبـار العصور ، وشذا العطور ، وصدى جلجلة الغازين ، وزمجرة اللبنانيين المدافعين المستميتين!



بقلم : عبد اللطيف اليونس

« تهدي العرفان هذه القطعة الرائعة الى الرئيسين سليمان فرنجية ومعمر القذافي » .

واد يشرئب من اعماق الخلود .. وقمم تنحني من مشارف النجوم .. وأفق تتهاوى عليه آفاق السماء ، فتنهل من عبيره أفانين الشذا ، وتلتهم سحائب العطر ، وتغرف أمواج الربيع !

وهج في صفحة الشمس يندلق عليه .. فينقل اليه دفء أشعتها .. وينقل منه برودة نسيمه ، وصفاء أديمه ! وخفر في وجه البدر .. يتسلسل الى اعين اتقيائه ؛ ووجوه صباياه ! وورود لا تذوي ، وأريج لا يجف ، وخضرة لا تموت!

انه لبنان !

لبنان النجم الساهر، والنسمة الناعمة، والافق المطل ! لبنان العمة البيضاء ، والقلنسوة السوداء — المتفاهمتان المنسجمتان .. تغرفان فيأهما من الارز ، وصفاءهما من صنين ! لبنان : المعنيين والشهابيين واليزبكيين ! لبنان : اليازجي ، والشرتوني ، والبستاني ، والامير شكيب ارسلان ! لبنان : الريحاني ، وجبران ، واحمد فارس الشدياق ! لبنان : الشيخ احمد عارف الزين ، والقروي ، وابو ماضي ، وفرحات ، وعيسى اسكندر المعلوف ! لبنان : أجيال لا نهاية لها — من علم وفن ، وتقدم وحضارة !

كل شيء يمكن ان يضمحل ويتوارى — الا الربيع في أرض لبنان .. وفي قلوب فتيانه وملامح عذاراه ! وكل شيء يمكن أن يموت — الا المروءة في نفوس أبنائه ، والشجاعة في نفوس شجعانه ! وكل شيء يمكن أن يتلاشى — الا صدى وشوشة الغدير في آذان الزهور .. ولهاث الراعي وهو يجري وراء غنماته وعنزاته .. أو وهو يداعب « نايه » الحنون ، و « أرغوله » الشجي .. واصابع

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

ـ عبء الفلسطينيين عبء جماعي ولا يجوز ان يتحمله لبنان وحده .

ـ وضع العرب سيء ، ولسنا على استعداد لمواجهة العدو .

الدكتور محمود رياض
الامين العام للجامعة العربية

بين الحقيقة والريـــاء والواقـــع والخيـــال

ان ما قاله الامين العام للجامعة العربية واهل مكة ادرى بشعابها هـــو عين الحقيقة والواقع ، وان ما يقوله غيره فيه الكثير مـــن الريـــاء والخيال ، ولئن رد الاستاذ شفيق الحوت على الدكتور محمـــود رياض بـــان العبء عبء اسرائيل لا عبء الفلسطينيين ، « فكل الدروب تؤدي الى الطاحون » انه عبء ثقيل على لبنان ، الذي لا يكفي نفسه بدون خسارة جسيمة فكيف مع الخسارة الجسيمة .

القذافـــي وتصريحـــه

لو كان الرئيس القذافي عمليا وواقعيا مع لبنان ، لتبرع مـــن بتروله بمئـــة مليون ليرة تهدى للبنان كل سنة لقاء بعض الخسارة التي تصيبه من وجود الفدائيين في ارضه، وبذلك يكون قد نفع وعمل عملا يذكر، اما تصريحه بالقدح والذم فهذا مما يضر لبنان بمسلميه ومسيحييه على السواء ولا ينفـــع احـــدا ، والرئيس او الزعيم يربأ به ان يلقي الكلام على عواهنه ويتكلم كلاما لا فائدة منه ، ولو اطلع على التاريخ لعلم ان كلامه لا يستند الى برهان . ونحن قد كتبنا مرارا وتكرارا على ما في لبنان من هنات غير هينات ، سواء كان في السياسة او الاقتصاد ، فـــي الوظائف او الضرائب ، مما يجب ان نعود لذكره وتفصيله والدعوة الى استدراكه واصلاحه اذا امكن ، على ان ذلك لا يعني ن نخرب لبنان ونعمل على قتل أمنـــه

أعظم مدينة في التاريخ .. تحدت أعظم فاتح في التاريخ ــ هي « صور » ، وهو « اسكندر المقدوني » ! ولما عطشت الانواس فلم تجـد النبال .. وعطشت الافواه فلم تجد المياه .. وكان لا بــد مــن أن تستسلم .. فضل سكانهـا أن ينتحروا جميعا ولا أن يستسلموا .. فكانوا في بطولتهم الخارقة مثـلا خالـدا ، وفي انتحارهم الجماعي أعظم مثل خالد !

ويطل يوم لبنان .. يوم جلاء آخر المستعمرين عنــه .. وتنطلق مــن قلب مغارة « جعيتا » صخرة تنحدر مع مياهه المنحدرة الى الشاطىء .. ثـم تسكن الى جانب رفيقاتها اللواتي يحملن ذكرى غازين مضوا ــ وبقي لبنان ! وماتوا ــ وبقي لبنان ! واضمحل ذكرهم ــ وبقي اسم لبنان ! اللهم احمــه مــن الصهاينة الطامعين المتآمرين المجرمين .. وصنه مــن حدقات الليالـي ، وسهام الايـام . واحفظ شاعره « تقولا معلوف » ــ الذي يصور ماضيه وحاضره أروع وأبـدع تصويـر :

عرب قبـل أن نكـون نصارى ... قبـل أن يغمـر الورى الاسـلام

أمـة أمنـا المـروءة ، والجـود ... أبونـا ، والعـزة الاعمـام

عبد اللطيف اليونس

مـا يجب على المؤمن

● قال رجل للرقاشي : ما يجب على المؤمن في حق الله ؟ قال : التعظيم لـه والشكر لنعمه . قال : فما يجب عليه في حق السلطان ؟ قال : الطاعـة والنصيحة قال : فما يجب عليه في حق نفسه ؟ قال : الاجتهاد في العبادة ، واجتناب الذنوب. قال فما يجب عليه في حق العامة ؟ قال : كف الاذى وحسن المعاشرة . قال : فمـا يجب عليه في حق الخليط ؟ قال : الوفاء بالمودة وحسن المعرفة .

"العرفان" في خدمة العرفان

منذ سنة ١٣٢٧ هجرية ، ١٩٠٩ ميلادية

مدرسة سيارة نافعة لا نظير لها

علم من الجنوب ، من جبل عامل ، سكن مدينتنا ، وضع تاريخها ، جدد مجدها ، رفع اسمها في كل مكان ، ولكننا نحن الصيداويين وبالاخص الشباب المثقف لم نقدره قدره ، ولم نفه حقه ، ولم نعترف بجميل عرفانه ، ذلك هو الشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان .

الدكتور محمد المجذوب

الاستاذ بالجامعة اللبنانية

لقد كان صاحب العرفان يجمع لنا خيوط النور من كل مكان ويبثها شعاعا في بلادنا وفي جبلنا ، فنلمح بها فجر الحياة العربية الطالع ، حين لا ملمح للنور عندنا الا من حيث يطلع « العرفان » ، ومن حيث يكتب ويكافح صاحب « العرفان » .

حسين مروة

عزيزي القارئ

لقد اوجدنا هذا الباب لنستعرض واياك مجلتك العرفان ، منذ تأسيسها منذ نشأتها للآن ، لتدرك وتلمس وتتأكد اي رجل عظيم بطل كان مؤسس العرفان واية مدرسة سيارة نافعة كانت مجلة العرفان ، تدخل كل بيت وكل مكتبة فتقدم الغذاء الروحي الذي لا يقدمه سواها .

ففي المجلد الاول يقول والدنا عليه الرحمة في افتتاحيته اي في افتتاحية اول عدد صادر من العرفان في غرة المحرم ١٣٢٧ هـ الموافق ٥ شباط « فبراير » ١٩٠٩ م ما نصه :

واستقراره ، وضربه في الصميم للقضاء عليه .

اما الفداء والمحافظة على الفدائيين ، فكل من لا يدعمم الفداء فهو خائن ، وان لبنان بحكم دعمه للقضية الفلسطينية من الواجب ان يؤيد الفدائيين ويدعمهم . ولكن العرب « كل العرب » ماذا فعلوا للبنان حتى يطلبوا منه ما لا يطلب ويكلفوه ما يستطيع وما لا يستطيع . أليس من العيب والعار ان تقفل الشقيقة او الجارة او ـ سمها ما شئت ـ حدودها في وجه لبنان ، وهذا ما لا يفعله العدو بعدوه . وغير ذلك من الامور مما ينطبق عليه قول الشاعر :

وكان ما كان مما لست اذكره فظن شرا ولا تسأل عن الخبر

ونتيجة القول ان العرب منذ سنة ١٩٦٧ متهمون بامور كثيرة ، منها امران مهمان يسيران بالعرب الى الهزيمة والخراب وهما :

١ ـ ان العرب يكثرون من الثرثرة والكلام، ويقلون من الاعمال والافعال.

٢ ـ انهم مبتلون بالتفرق والتخاذل وانهم لا يتفقون حتى على المصلحة العامة وها ان الوقائع تثبت ذلك . هذا الخلاف الذي ينشب دائما بين الشقيقات لسبب ولغير سبب هو وحده كاف لان تعيد اسرائيل وترقص طربا على قبورنا ، فهل نغير ما بأنفسنا ليغير الله أمرنا وينصرنا على عدونا .

قارئي الكريم :

سنة العرفان عشرة اشهر وهي تعطل شهري آب « اوغسطس » وايلول « سبتمبر » الموافقان لشهري رجب وشعبان ، ثم تستانف الصدور في ١٥ تشرين الاول « اكتوبر » الموافق شهر رمضان ١٣٩٣ هـ .

سياسة

● قيل ان ارسطو طاليس كتب كتابا الى الاسكندر الاكبر يعلمه فيه كيف يسوس دولته قال : اعلم ان العالم بستان سياجه الدولة ، والدولة سلطان تحيا به السنة ، والسنة سياسة يسوسها الملك ، والملك راع يعضده الجيش ، والجيش اعوان يكنفهم المال ، والمال رزق تجمعه الرعية ، والرعية عبيد يتعبدهم العدل والعدل مألف وهو صلاح العالم .

روايتهم عن انفسهم يطالعون « بسرية وشغف » مجلة العرفان التي تصدر في صيدا ـ لبنان •

حرب ضارية من قبل المستعمر، تركيا ثم فرنسة وغيرهما من دول الاستعمار، حرب ضارية من الزعماء الذي يكرهون توعية الشعب وايقاظ النيام ، حرب ضارية من رجال الدين الذي هزهم التحرر ، واعماهم الجمود ، فاخروا الشيعة في العراق مئة سنة الى الوراء ، بينما دفع بها مؤسس العرفان في جبل عامل مئة سنة الى الامام ان لم يكن مئات •

فاية بطولة يا قارئي الكريم الوقوف في وجه جميع هذه التيارات واحراز التوفيق والنجاح ؟!

الغيبة

● قال الحجاج بن الفرافصة : سألت مجاهدا يوما عن الرجل يكون وقاعا في الناس ، فأقع فيه ، أله غيبة ؟ قال : لا • قلت : من الذي تحرم غيبته ؟ قال : رجل خفيف الظهر من دماء المسلمين ، خميص البطن من اموالهم • اخرس اللسان عن اعراضهم ، فهذا حرام الغيبة فيه ، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له ولا غيبة فيه •



الدنيا

● قال رجل لامير المؤمنين علي بن ابي طالب صف لي الدنيا ، فقال : ما اصف في دار أولها عناء وآخرها فناء ، حلالها حساب وحرامها عذاب ، من آمن فيها سقم ، ومن مرض فيها ندم ، ومن استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن • ثم ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار فناء لمن تزود منها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، مسجد ابينا آدم ومهبط وحيه ، ومتجر اوليائه ، فاكتسبوا منها الرحمة وادخروا منها الجنة •

« .. وبعد فلما كان هذا العصر المنير ، عصر العلم والنور ، والحرية والدستور ، عصرا تلألأت فيه انوار الحكمة وتقشعت سحب الجهل وغياهب الظلمة ، ومنشيء هذه المجلة منذ نعومة أظفاره وهو يتشوق لانشاء صحيفة يتمكن بها من خدمة امته ووطنه اذ « كل امريء ميسر لما خلق له » . والآن قد تيسر لنا ذلك ، اذ الامور مرهونة بأوقاتها ، فانشأنا هذه المجلة على اعتراف منا بالعجز والتقصير ودعوناها العرفان ، ولكل اسم من مسماه نصيب » .

فخدمة الامة والوطن هدفه ونشر العلم والعرفان وسيلته ، ومما يثبت لك ذلك هذه المواضيع النافعة المتألقة التي عالجتها العرفان باقلام اساطين الكتاب وجهابذة الشعراء . وكان من اكبر مساعديه ومناصريه المعنويين في هذا المجلد علامتنا وصهرنا المرحوم المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين الذي يمتاز عن غيره باسلوبه الادبي المونق المشرق ، والعالم الاديب العبقري الشيخ محمد علي حشيشو الذي قضى قبل اوانه والذي لم تخرج صيداء بعده للآن مثله في ذكائه وادبه . عدا كتاب وشعراء عديدون من لبنان وسورية والعراق ومصر الخ . فمن هذه المواضيع ــ عدا الكلام عن صيدا وصور وتاريخهما ــ على سبيل المثال لا الحصر :

القضاء والتاريخ ، الامم باخلاقها ، السياحة والاخلاق ، العربية الفصحى ، تأليف الامة ، تعلم العلوم الطبيعية من مطاليب القرآن ، تعلم البنات الخ من المواضيع الهامة المفيدة .

ومن اخبار هذا المجلد وهي كثيرة ، خلع السلطان عبد الحميد ، طوفان في حمص ، احرار ايران ، فتاوى العلماء ضد الشاه الخ والشعر اكثره في مواضيع اجتماعية اخلاقية .

وهكذا تجد أيها القاريء ان منشيء العرفان جمع بين الدين والدنيا ولكنه حورب ولاقى من الصعوبات والمشقات اقصاها حتى من رجال الدين الذين كانوا يرون ان بعض المواضيع التي تطرقها العرفان هي ضد الدين « يحرمون الحلال » ، وكان قسم من العلماء والادباء النابهين في النجف الاشرف حسب

يكتف بالهرب والتفجع على الايام التي اضاعها وهـو يعمل مـن اجـل (البعث العربي) ، بل حمل الدعوة كما فهمها وانطلـق وسط تحديـات العصر وتيارات الالحاد ، والارهاب الفكري ، انطلق بقلبه وضميره محاولا وقف زحف التيـار الاثيم ، واشعال شمعة تبدد الظلام الفاجع ...

وكتابه الذي نحن بصدده (الحزب) ليس الكتاب الاول في هذا المضمار ، بل سبقه كتاب (الامة العربية عوامل حفظها وتمزيقها) ، وتبعه كتاب (البعث)، وهو في كتبه الثلاثة لم ينفصل عن عروبته ليلحق باعدائها ، ولم يتاجر بافكاره في سوق نخاسة الفكر ، ولا رهن مبادئه عند حكام الالتزام ... ولكنـه انطلـق يتحـدى :

تحدى الواقع على مرارته ... وتحدى الارهاب الفكري على قسوته ... وتحدى الصغار الصغار من ابناء امته الذين تصوروا في لحظة خـدر ان السلطة تحميهم ، وان الجاه يحفظهم ، وانهـم بامكانهم سحـق الـفكر تحت ضربـات (بساطيرهم) !

وهكذا يسخر الله للعروبة من يظل يقاتل من اجلها ، ويتحـدى في سبيلها ، ولا يستسلم .

نحن نعرف ان الاسلام الذي جعل من هذه الامة خير امـة اخرجت للناس يقوم على جناحين هما العقل والوجدان ، او العلم والحلم ، او المعرفة والحب .. ولم تخسر هذه الامة معاركها الا بعد ان تخلت عن الوجدان والحلم والحب ، لان العقل والعلم والمعرفة متوفر حتى للعدو !

وكتب جلال السيد الثلاثة قامت على الجناحين معا ... لهـذا جاءت بمثابة التحدي الكبير لكل الزيف الذي افرزته مطابع تصنيع الفكر في الربـع الـقرن الاخير ...

كل ما فعله المؤلف هو قيادة القارىء في رحلة داخل النفس العربية وخارجها .. رحلة مع الاخطاء ، ومع المخطئين ... رحلة يصعب عليك بعدها ان تصدق ان ما جرى بهذه الامة ليس طبقا لقوانين الصدفة ... وانما طبقا لمخططـات وضعها

جلال السيد تحدى الهزيمة بالحزب

بقلم: زهير مارديني

ان الرقي والاحترام ، والسخاء ، وعظمة الاخلاق ، والقيم والمشاعر السامية ، وكل ما يمكن اعتباره من مقومات وجود الامة العربية ... لا يمكن الحصول عليها عن طريق التنكر لمقدسات الامة ، والالحاد ... فالتنكر عار يلحق بمرتكبه ، والالحاد نوع من الانانية المقيتة ... فما اقبح ان يجلس الانسان مكان الاله ليشرع للكون ..

سوف تنتحر كل حضارة بدون القومية والدين ...

سوف يتحول النظام الى فوضى ...

سوف ينعدم التوازن وضبط النفس ، والتمسك بالمثل ...

سوف يتفشى الشر في كل مكان ... وسوف يفصل الحاكم عن المحكوم .. ويصبح الحاكم في عزلة قاتلة ...

ان الحاجة ملحة الآن وبعد ان حل بنا ما حل ، ان نراجع انفسنا ، ونضع اخطاءنا امام اعيننا وتتفحصها ، وتقوي صلتنا بمثلنا ، وننطلق من جديد .!

هذا بعض ما تقفز من القلم على الورق وانا اصل الى الصفحة ـ ٤٣٨ ـ من كتاب الاستاذ جلال السيد (الحزب ... او مشكلات الامة العربية وعلاجها) ..

لقد قرأت الكتاب ، وتحركت للكتابة عنه ، ثم ردني الى الصمت احساس بان هذا الكتاب ليس من نوع يكفي فيه ان تقرأ عنه ، او تقرأ حوله ، سواء كان عرضا او نقدا وتلخيصا .. فهو ينتمي الى نوع الكتب الجيدة التي يزيد ثراء المرء لو قرأها ... ويضيع عليه الكثير لو اكتفى بالقراءة عنها دون قراءتها .

مؤلف الكتاب هو ثالث ثلاثة من مؤسسي حزب البعث ، وقد انفصل عن الحزب الذي انشأه حين اصبح اسمه (حزب البعث العربي الاشتراكي) .. ولم

التخلف ، التخلف الفكري ، التخلف الجسدي ، التجزئة العربية ، النفط ، حكم الفرد ، اسرائيل ، الاستعمار ، الشعوبية ، الشيوعية ومداخلها ، اللاجئون الفلسطينيون ، العرب لا يقرأون ــ •

وهذه الفصول كلها تتجه نحو ابراز اهمية حرية الفكر في هذه المرحلة ، لان انطلاق الفكر وتحقيقه للانتصارات العلمية لا يكون الا في ظل الحرية •• اما الافكار المراقبة فانها تدور حول نفسها وحول الحدود التي تسمح بها السلطات الحاكمة (ص ٢٣٨) •

ويرى المؤلف ان الدكتاتورية في بلاد العرب هي اخطر المشاكل المباشرة الراهنة التي يعاني منها العرب لانها ليست مشكلة قائمة بذاتها وانما العقبة ايضا في سبيل معالجة كثير من المشاكل الاخرى ••• فالدكتاتورية نبعت عند الدكتاتوريين لا من الارادة والعقل وحدهما بل من دوافع نفسية اخرى وبيولوجية والتي هي لاصقة بهم دوما تحول دون معالجة التخلف لانها تزيد فيه وتمعن وتحول دون معالجة التجزئة وتحقيق الوحدة ما دام كل حاكم قد قنع بما لديه من وطن يتحكم فيه وهو يعلم ان الوحدة معناها القضاء على حكمه •• وكذلك فان الديكتاتورية قد عملت في نخر النفس العربية واقصائها عن آمالها ومثلها عندما اورثتها الشلل وخلقت فيها العجز فانصرفت تبحث عن السلامة والكرامة وهي تمنع معالجة اسرائيل (ص ٢٤٢) •

ويؤكد المؤلف ان الاساليب الدكتاتورية وبدعة الانقلابات العسكرية في بلاد العرب قد انطلقت من عقالها بتمهيد وتهيئة وتخطيط من اسرائيل ••• ومع ان القابلية متوفرة في العناصر التي تنفذ الانقلابات والرغبة قائمة لديهم في التسلط والتحكيم فان تلك القابليات وهذه الرغبات لا تكفي وحدها لتحقيق العملية •• واذا لم يكن هناك تمهيد ولا تهيئة ظاهرة للعيان يدركها كل انسان فان هناك التمهيد الذي يستهوي الانقلابيين عندما يزين لهم الانقلاب ويجعله في نظرهم وسيلة الانقاذ لوطنهم الذي تردى في حماة التخلف والرجعية والفوضى ، والتهيئة لا تعني ابراز التدخل الاسرائيلي الظاهر اذ ان التدخل الظاهر يثني الانقلابيين عن عزمهم ، وقد يتدخل الاسرائيليون علنا في تأييد أمر من الامور اذا ارادوا منع

العدو باحكام ، وسلمها للمستغلين ، وحكام الفرد ، وللانقلابات العسكرية المتوالية لتطبيقها باحكام ..

يقول جلال السيد في (ص ١٥) :

(القضية العربية لم تعالج لانها لم تكن واضحة لدى الذين حاولوا معالجتها. والمريض لا يعالج ما لم يتم تشخيص مرضه ، وقد يقع خطأ في تشخيص المرض ويعطي المريض دواء للمرض الوهمي فيصبح الدواء داء بدلا من ان يكون شفاء ، ويمكن بوجه من الوجوه القول ان تشخيص امراض العرب كان خاطئا .. وتبعا لذلك كان الدواء ضارا في بعض الاحيان وكان عديم الجدوى في احيان اخرى . وزعماء العرب الذين تصدوا لقيادة امتهم في العصر الحديث لم يدرسوا هم بانفسهم حال الامة وانما نقلوا دراسة الدارسين من الاجانب واعتبروا دراساتهم صحيحة قطعية وبنوا عليها خططهم ومعالجاتهم .. والدارسون من الاجانب في جملتهم يقخون فريسة لواحد من الخللين .. خلل الجهل او خلل الغرض والتعصب ..) .

وهكذا يلجأ المؤلف لمنهج جديد في دراسة القضية العربية ، منهج قد يبدو مستحدثا وغريبا انه يثبت بالحجج والبراهين فساد النظريات الطارئة ، والفكر الدخيل ، بنفس الاسلوب الذي حاول فيه حكام الانقلابات فرض الافكار التي جاء بها الاجانب ... كأنه يستعير عقول القوم والسنتهم ليريهم بها ما يحاولون اثباته ، هو عكس الحقيقة التي كان ينبغي ان تطالعهم لو احسنوا استخدام عقولهم ، ودرسوا مشاكل امتهم على الطبيعة دون ان يسرقوا فكر الغير ليقال ان لديهم فكرا .. وكتاب (الحزب) لا يستهدف فرض الرأي ، ولكنه يبسط الداء ويصف الدواء بتواضع المؤمن بامته الحريص على ماضيها والمتطلع الى حاضرها..

انه يختار الاسلوب السهل الممتنع الذي يحلو له في الاقناع ، واللغة العربية التي يراها مناسبة للنفاذ الى العقول والافئدة ، والمنهج الذي يعين على بلوغ الهدف . ونشهد ان الكتاب قد اختار فاحسن الاختيار ..

يقع الكتاب في (١٣) فصلا ـ المشكلات العربية والانطلاق لمعالجتها ،

يبقى اقتراحنا هذا نظريا ، بل يجب المبادرة الى اخراجه الى حيز العمل •• واذا كانت الحكومات العربية في اغلب مناطقها تمنع قيام الحزب لانها تمنع تعدد الاحزاب او تمنع الاحزاب مطلقا فان هناك سبلا اخرى يتم بها اللقاء بين الافراد المتشابهين او المتقاربين في افكارهم والمتلاقين حول مثل معينة واهداف واضحة هو بداية تأسيس هذا الحزب •• وان تمام اللقاء والتعارف لا يكون بالجمود والقعود بل انه يقضي سفرا وسياحة طويلة المدى وبحثا عن العناصر المنسجمة فيما بينها والتي تحمل العقيدة الواحدة والتي يقرب بعضها من بعض امزجة مشابهة ، وعزوف عن الدنيا وبهرجها وقناعة بالعيش الكفاف وتصميم على التضحية والعمل المتواصل مهما تكن نتائج ذلك وعواقبه • كما ان بعض الحكومات العربية لا تكافح مثل هذا الحزب الذي رسمنا رسما اجماليا خططه وقواعده في هذا الكتاب وخصوصا فهو حزب لا يجعل القوة والعنف والدماء وسيلة الى بلوغ اهدافه • وكلما اسرع المفكرون العرب بتأسيس الحزب فانهم سيكسبون من الوقت ما يخدم مصالح امتهم وكل تماهل او تراخ هو مضيعة للوقت فالمبادرة واجب يمليه الصالح القومي والانساني ايضا) ••

منذ هزيمة حزيران حتى الآن ، وعلى امتداد السنوات الست العجاف والكتاب يكتبون ، ملايين الكلمات في الهزيمة وطريقة مواجهتها ، ولو نخلنا هذه الكلمات وغربلناها لكانت كتب جلال السيد الثلاثة هي من الكتب القليلة التي طفت على السطح •• ونحن ندعو الله ان يظل جلال السيد يملأ قلمه بمداد التحدي ••• ليقدم للعرب المزيد من كتب الوجدان والحلم والحب ••

زهير ماrديني

وقوعه .. ومنعا للجدل الذي قد يقوم حول هـذه الدعـوى فنحن نقـول ان اسرائيل اذا لم تتدخل سرا في التمهيد للانقلابات فانها تباركها وتؤيدها وتخلـق حولها جوا من التقدير والاعجاب وتكيل الثناء للقائمين عليها بعـد وقوعها ... واسرائيل لا تفعل هذا بنفسها ايضا لان ذلك يبعث الشك في النفوس وانما تفعله بواسطة غيرها .. (ص ٢٤٢) .

وينتقل المؤلف الى العلاج فيؤكد بعدم جدوى القوة في تهديم الدكتاتورية، اي القوة المسلحة ، وانما يجب تهديم الدكتاتورية باستعمال القوة الشعبية التـي تضغط على السلطات بمختلف الوسائل وتضطرها الـى الانهزام امامها والتسليم بالحكم الدمقراطي ، ذلك ان قوة الشعب اصيلـة ومضمونة ومأمونـة العواقب ومتفقة مع الكرامة ومع المثل العليا ، وهي لن تنقلب علـى الاحرار لانهـا بذلك تكون قد انقلبت على نفسها وهددت مصالحها الكبرى وتكون سارت في طريق الانتحار ومع انه قد تقع حوادث انتحار الا انهـا شاذة ولا يقاس عليهـا ، وان الاعتماد على قوة الشعب هو الذي جعلنا نبحث عن خلق نواة لقوة الشعب هـي الحزب الشامل الهادىء في سيره الصاعد وهو الذي يتولى حل المشكلات العربية بعدما يصبح مؤيدا من الاكثرية الساحقة في يوم قريب او بعيد لا فرق في ذلـك (ص ٢٤٥) .

وهكذا يطرح المؤلف فكرة الدمقراطية ، ويـرفض التعاون مـع الـقوات الاجنبية لتهديم الدكتاتورية التي تقوم عادة على سواعد الاجانب ، لانه يشق في اخلاص القوات الاجنبية ويعتبرها انما عاونت في الموضوع لتحقيق اغراضها هي لا اغراض الامة ، والمشاركة تقترن بنتيجة واحدة هي فوز الاقوى بالحصة الكبيرة والاقوى بلا شك هي القوة الاجنبية . (ص ٢٤٥) .

ويحلل المؤلف بموضوعية علمية فكرة الحزب الذي يدعـو اليها الكتـاب المعنون بها فيقول : (ص ٤٣٧) .

(... كتابنا هذا يدور حول شيء واحد وهو يحمل اسم (الحزب او علاج مشكلات الامة العربية ، والحزب هو الذي سيتولى العـلاج .. ولا ينبغـي ان

والتأمين كذلك عامل مشجع على الادخار وزيادة الانتاج حيث تقوم شركات التأمين باستثمار اموالها في المشروعات الصناعية الكبرى التي تساهم في حماية الاقتصاد الوطني وفتح مجالات كبيرة للعمالة والانتاج .

وهناك نوع من التأمين يسمى التأمين الاجتماعي تلزم الدولة بمقتضاه اصحاب الاعمال بالتأمين على عمالهم حتى تضمن لهم حدا ادنى للمعيشة بتقديم المساعدة لهم في حالة العجز عن الكسب او المرض او الاصابة او الشيخوخة او البطالة ... الخ ويعتبر هذا التأمين مظهرا للتكافل الاجتماعي الذي حضت عليه جميع الاديان السماوية .

تعريف التأمين :

اختلف الشراح اختلافا كبيرا في تعريفهم للتأمين حتى استقر الامر اخيرا على التعريف الذي وضعه الاستاذ هيمار حيث يعرف التأمين بأنه : « عملية بها يحصل شخص يسمى المستأمن على تعهد لصالحه او لصالح غيره بأن يدفع له آخر ، هو المؤمن ، عوضا ماليا في حالة تحقق خطر معين وذلك نظير مقابل مالي هو القسط وتبني هذه العملية على تحمل المؤمن تبعة مجموعة من المخاطر باجراء المقاصة بينها وفقا لقوانين الاحصاء » .

وعرفته المادة ٧٤٧ من القانون المدني المصري بما يلي :

« التأمين عقد يلزم المؤمن بمقتضاه ان يؤدي الى المؤمن له او الى المستفيد الذي اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال او ايرادا مرتبا او اي عوض مالي آخر ، في حالة وقوع الحادث او تحقق الخطر المبين بالعقد وذلك في نظير قسط او اية دفعة مالية اخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن » .

وهذا التعريف الذي جاء به القانون المدني ينصب على الناحية القانونية فقط واغفل الناحية الفنية في التأمين فلم يبين الغاية التي توخاها المشرع من هذا النظام وهي قيام شركات التأمين بتجميع اكبر عدد ممكن من المخاطر المتشابهة وتحمل تبعتها باجراء المقاصة بينها وفقا لقوانين الاحصاء كما جاء بتعريف الاستاذ هيمار السابق .

التأمين في الشريعة والقانون

بقلم: توفيق علي وهبه

اولا : التامين في القانون الوضعي

نشأ التأمين اصلا باعتباره وسيلة تمكن التاجر من مواجهة الضرر الذي قد يصيبه من مخاطر غرق بضاعته ومن ثم فقد كان التأمين البحري مـن أقدم صور التأمين حيث نشأ في اواخر القرون الوسطى (القرن الرابع عشر الميلادي) ولكن تعددت بعد ذلك المخاطر التي يمكن التأمين ضدهـا فتناولت الحريق والسرقـة والضياع والتلف واخيرا ظهر التأمين على الحياة • ويتم التأمين باتفاق كتابي بين الشخص وشركة التأمين وبمقتضاه يلتزم الشخص بدفع اقساط دوريـة لمدة معينة مقابل التزام الشركة بدفع تعويض عند وقوع الخطر المؤمن ضده • وتقوم فكرة التأمين على اساس عمومية المخاطر ، وامكان تحديد احتمال حدوثها وفقا لقوانين الاحصاء ، فالحريق مثلا يتعرض له عدد كبير من الافراد فاذا دفع كل واحد منهم مبلغا بسيطا بطريقة دورية فان الرصيد الذي يتراكم لدى شركة التأمين يمكنها من تعويض من يصيبه الضرر ، وبذلك يتوزع الضرر على عدد كبير من الرؤوس فلا يشعر به أحد ، بدلا من وقوعه على رأس واحد فلا يقوى على احتماله• اما التأمين على الحياة فهو على صور متعددة واكثرها انتشارا التزام شركة التأمين بدفع مبلغ معين عند وفاة الشخص لورثته او لمن يحددهم في العقد • وقد يكون التأمين لمدة معينة اذا مات الشخص قبل انقضائها تلتزم الشركة بدفع التعويض المتفق عليـه ، واذا لم تحدث الوفاة التزمت برد المبلغ المدفوع • وهو في هذه الصورة اقرب ما يكون الى الادخار • وكما ان الافراد يؤمنون ضد المخاطـر فان شركات التأمين بدورها تؤمن ضد وقوعها لدى شركات تأمين اخرى وتسمى هذه العملية اعـادة التأمين (١) •

---

* فاز هذا البحث بالجائزة الاولى في مسابقة البحث الموجز بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٧ وقد ترجمه الى اللغة التركية لمجلة كلية الحقـوق باستانبول الاستـاذ الدكتور ثروة رمضان الاستاذ بكلية الحقوق بتركيا .

١ ــ الموسوعة العربية الميسرة مادة « تامين » ص ٨٥؛ .

اما التأمين الخاص : فتقوم بـه الشركات والجمعيات التبادليـة والتعاونية فتؤمن على الافراد انفسهم كل حسب ظروفه الخاصة ومـا يحتمل ان يواجهه من أخطـار •

جـ ـ التأمين على الاشخاص والتأمين من الاضرار : يشمـل التأمين علـى الاشخاص كل ما يتصل بشخص المؤمن له من حوادث او وفـاة أما التأمين مـن الاضرار فيشمل كل الاضرار المادية التي تلحق المستأمن أيا كان نوعها او سببها• ويمتد التأمين من الاضرار ليشمل التأمين من المسؤولية كما هو الحال في التأمين من المسؤولية المدنية الناشئة عن حوادث السيارات ولا يشمل هـذا النوع مـن التأمين بطبيعة الحال التأمين من المسؤولية الجنائية •

أركـان التـامين :

من تعريف التأمين يمكننا استخلاص اركانه في اربعة هي :

١ ـ الخطـر •
٢ ـ القسط •
٣ ـ العوض المالي •
٤ ـ المصلحة في التأمين •

١ ـ فالخطر عبارة عن حادث مستقبل محتمل الوقـوع ولا يتوقف تحققه على محض ارادة المؤمن له أي يقع دون ارادته •

٢ ـ أما القسط فهو المبلغ الذي يدفعه المؤمن له شهريا او سنويـا حسب الاتفاق لتقوم الشركة بمقتضاه بتحمل تبعة المخاطـر المؤمن ضدها فالقسط فـي التأمين بمثابة الثمن في البيع او الاجرة في الايجـار ، ويشمل القسط مـا يوازي قيمة الخطر بالاضافة الى المصاريف التي تتكلفها الشركة وكـذا الارباح ويسمى القسط في مجموعه بالقسط التجاري •

٣ ـ العوض المالي وهو اما ان يكون تعويضا يقدر بحسب قيمة الخسارة الناتجة عن تحقق الخطر المؤمن ضده واما ان يكون مبلغا محددا نص عليه في عقد التأمين ، فالعوض يدفع حسبما اتفق عليه بين المؤمن والمؤمن له •

٤ ـ المصلحة في التأمين : نصت المادة ٧٤٩ من القانون المدني المصري على

اقســام التــامين :

ينقسم التأمين من حيث الشكل الى قسمين :

١ ـ التأمين باقساط محددة : وهو النوع السائد وبمقتضاه يقــوم شخص يسمى المستأمن او المؤمن له يدفع اقساط معينة ولمدة محددة الــى شركة التأمين وذلك طبقا للشروط والاوصاف التي يحددها عقد التأمين ، وتقوم الشركة فــي مقابل ذلك بدفع عوض مالي في حالة تحقق الخطر المؤمن ضده ، او دفــع المبلغ المتفق عليه في نهاية مدة العقد كما في حالة التأمين على الحياة اذا لم تتحقق وفــاة المؤمن عليه خلال فترة سريان العقد •

٢ ـ التأمين بالاكتتاب : وهذا النظام تقوم به جماعة معينة من الناس بــأن يدفع كل منهم مبلغا معينا على دفعات او دفعة واحدة لمواجهة اي اخطار يتعرض لها احدهم ولا تبغي اي ربح من وراء هذه العملية ، ويكون لافراد هذه الجماعة صفة المؤمن والمؤمن له في نفس الوقت حيث يقومون هــم انفسهم بجمع هــذه الاموال ودفع العوض ويعتبر التأمين بالاكتتاب نوعا مــن انواع التعاون الــذي يحبذه الدين ويحض عليه •

وينقسم التأمين من حيث الموضوع الى ثلاثة أنواع :

أ ـ التأمين البحري والتأمين البري : التأمين البحري هــو أقــدم أنــواع التأمين ظهورا نظرا للمخاطر التي كانت تتعرض لها السفن اثناء نقل البضائع من اخطار البحر او سطو القراصنة ويشمل التأمين على السفينة وما عليها من بضائع، ولا يمتد هذا التأمين الــى الاشخاص الموجودين علــى ظهــر السفينة اذ انهــم يخضعون لنظم تأمين اخرى •

أما التأمين البري وكذا التأمين الجوي والنهري فيكون ضد اخطار الــنقل او السفر بالسكك الحديدية والبواخر والسيارات والطائرات وغيرها من وسائل النقل ويشمل ذلك التأمين على البضائع والاشخاص •

ب ـ التأمين الاجتماعي والتأمين الخاص : ويكون التأمين الاجتماعي عــلى فئات معينة هي طبقة العمال حيث تلزم الدولة اصحاب الاعمال بالتأمين علهيم ضد اصابات العمل وضد البطالة كما سبق ان قلنا •

بعد انتهاء مدة العقد ، او تدفع له كتعويض اثناء فترة سريانه في حالة تحقق الخطر المؤمن ضده •• وفي حالة دفع التعويض قبل تمام دفع الاقساط فان الشركة لا تخسر شيئا اذ ان ما تدفعه من عوض ، سبق ان حصلت عليه من افراد آخرين ومحسوب طبقا لاحدث ما وصلت اليه نظم وقوانين الاحصاء ، وان الشخص الذي يعمل لضمان مستقبله واحتياطه له لا يمكن ان يكون مقامرا بحال من الاحوال •

٢ ـ وللتأمين وظائف اقتصادية عديدة حيث تقوم شركات التأمين بالمساهمة في المشروعات الصناعية الكبرى وغيرها من المصالح الاقتصادية والانتاجية التي تنمي اقتصاديات الدولة وتقلل من عدد العاطلين ، بالاضافة الى انها تمنح المؤمن عليه مزيدا من الثقة فيمكنه بعد دفع ثلاثة اقساط سنوية ان يقترض مبلغا يتناسب مع ما سبق ان دفعه • والتأمين يعتبر نوعا من الادخار شبه الاجباري اذ يلتزم الفرد بدفع الاقساط باستمرار ودون توقف، أما في الادخار فيمكنه ان يدفع او لا يدفع • وكذا من السهل سحب المبالغ المدخرة في أي وقت بخلاف ما يدفع في التأمين اذ لا يمكن سحبه الا اذا صفيت الوثيقة •

وللتأمين ميزة اخرى وهي انه اذا تحقق الخطر المؤمن ضده تدفع قيمة التعويض المقررة فورا اما في الادخار فلا يمكن سحب اكثر من المبلغ المودع وقد لا يكفي لتغطية الخسارة التي لحقت بالشخص •

٣ ـ التأمين يحقق للشخص ما يعجز عن تحقيقه لولا وجود مبلغ التأمين الذي يساعده على مواجهة تكاليف الحياة او اتمام الغرض الذي من اجله عمل التأمين كدفع مهر او مواصلة تعليم •• الخ •

خصائص عقد التامين :

عقد التأمين من العقود الملزمة للطرفين ومن عقود المعارضة كما أنه عقد احتمالي (غرر) ويعد كذلك من العقود الزمنية ومن عقود الاذعان •

١ ـ عقد التأمين ملزم لطرفيه فالمستأمن ملزم بدفع قسط شهري او سنوي للمؤمن • والمؤمن ملزم بدفع مبلغ التأمين للمؤمن له اذا تحقق الخطر المؤمن منه•

٢ ـ اما انه عقد من عقود المعارضة فلأن كل عاقد يحصل على مقابل لما

ان : « يكون محلا للتأمين كل مصلحة اقتصادية مشروعة تعود على الشخص من عدم وقوع خطر التأمين » فمن المحتم ان يكون هناك مصلحة واضحة للمستأمن اذ ان انعدام مصلحة الشخص في التأمين من شأنه ان يزيد في نسبة المخاطر المفتعلة التي يمهد لها المستأمن سبل وقوعها غير آبه بانعدام الشيء محل التأمين لانعدام مصلحته في المحافظة عليه • ويكون الامر اشد خطورة اذا كان المؤمن عليه شخصا غير المستأمن فانعدام المصلحة يعرض حياة المؤمن عليه للخطر •

ويقوم التأمين على فكرتين اساسيتين :

١ ـ تعاون المستأمنين •
٢ ـ المقاصة بين المخاطر •

فقيام المستأمنين بدفع الاقساط لتتمكن الشركة من تغطية الاخطار التي يتعرض لها بعضهم يعتبر نوعا من التعاون فيما بينهم ، وما الشركة الا وسيط لتنظيم عملية جمع الاقساط واستثمارها ودفع التعويض اللازم للمستحقين ثم تحصل الشركة بعد ذلك على بعض الارباح مقابل قيامها بهذا العمل •

اما المقاصة بين المخاطر فهو من عمل الشركة اذ تقوم بجمع المخاطر المتشابهة وعمل المقاصة بينها وفقا لقوانين الاحصاء حيث تقدر قيمة المخاطر المحتمل حدوثها وعلى اساسها تقدير الاقساط المطلوبة من المستأمنين ، يضاف اليها كما سبق الارباح والمصاريف الادارية الاخرى •

مزايا التأمين :

للتأمين مزايا اجتماعية اقتصادية عديدة منها على سبيل المثال (١) :

١ ـ مزايا خلقية فالتأمين يكفل الامان والاحتياط للمستقبل ومواجهة المخاطر المحتمل حدوثها وبذلك يضمن الفرد وجود ما يعينه على تحمل كوارث الدهر بدلا من طلب المساعدة ومد يده للاخرين وعقد التأمين بعيد كل البعد عن القمار او شبهة القمار اذ المقامرة تؤدي الى خسارة محققة لاحد الطرفين ، بينما ذلك لا يحدث مطلقا في التأمين اذ ان المبالغ التي يدفعها الفرد اما ان تعود اليه

---

١ ـ شرح القانون المدني الجديد (التامين) د. محمد علي عرفة .

ان اول من تحدث عن التأمين هو الامام محمد بن عابدين من فقهاء المذهب الحنفي في القرن الماضي (١٧٨٤ ـ ١٨٣٦ م) حيث ورد ذكـر التأمين في حاشيته (رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار) بمناسبة التأمين البحري الذي انتشر في ايامه عن طريق التجار الذين كانوا يستوردون البضائع مـن بلاد اوروبا في عصر النهضة •

رأي ابن عابدين :

يقول ابن عابدين : « جرت العادة ان التجار اذا استأجروا مركبا من حربي يدفعون له ويدفعون أيضا مالا معلوما لرجل حربي مقيم في بلاده يسمى ذلك المال (سوكرة) على انه مهما هلك من المال الذي في المركب بحرق أو غرق او نهب او غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منه ، وله وكيل عنه مستأمن في دارنا يقوم في بلاد السواحل الاسلامية باذن السلطان يقبض مـن التجار مال السوكرة واذا هلك من مالهم في البحر شيء يؤدي ذلك المستأمن للتجـار بدلـه تمامـا • والذي يظهر لي انه لا يحل للتاجر اخذ بدل الهالك من ماله ، لان هـذا التـزام مالا يلزم » •

وهذا الرأي لابن عابدين ينصب على حالة ما اذا عقد عقـد التأمين في دار الاسلام حيث تطبق عليه قوانين الاسلام التي تحرم هذا العقد في رأيهما • اما اذا كان العقد معقودا في دار الحرب وأرسل صاحب السوكرة مبلـغ التعويض الـى التاجر في دار الاسلام فانه يكون حلالا في هذه الحال لانه اخذ مال حربي برضائه دون غدر او خيانة وليس بعقد فاسد معقود في دار الاسلام •

رأي الفقهاء المعاصرين :

ينقسم موقف الفقهاء المعاصرين من التأمين الى ثلاثة اقسام :

١ ـ الفريق الاول يرى تحريم التأمين تحريما باتا لانـه كالقمار أو الرهان المحرم • وفي التأمين على الحياة اجتراء على حق الله تعالى لان الذي يضمن حياة الشخص المؤمن عليه لمدة معينة والا دفع تعويضا لمن يحددهم في حالة وفاته يكون خارجا هو ومن أمن لديه عن دين الاسلام •

٢ ـ اما الفريق الثاني فيقر بعض انواع التأمين ويحرم البعض الاخر فيرى

اعطاه • فالمستأمن يدفع الاقساط الدورية ويحصل في مقابلها على الامان المتمثل في تغطية الخطر للمؤمن ضده والمؤمن يدفع تعويض لمن لحقه الضرر مقابل ما حصل عليه من اقساط • وحيث ان التأمين ليس مصدرا للربح بالنسبة للمستأمن فان التعويض الذي يدفع له يجب الا يزيد عن الخسارة التي لحقت به •

٣ ـ والتأمين عقد احتمالي او عقد من عقود الغرر لان المستأمن والمؤمن عند ابرامهما هذا العقد لا يعرف كل منهما مقدار ما يعطي او يأخذ اذ ان امر ذلك غير معروف وقت حصوله • اما اذا نظرنا الى المؤمن ومجموعة المستأمنين بصفة عامة نجد ان فكرة الغرر بعيدة الاحتمال لان المؤمن يحصل على اقساط ضخمة من المستأمنين ويقوم باستثمارها ثم يغطي ما يحدث من اخطار للمستأمنين وما يبقى بعد ذلك يحفظ كاحتياطي للشركة نظير المصروفات وأجر العمل وما دام التأمين قائما على الحساب الدقيق وفق قوانين الاحصاء فان احتمال الخسارة بعيد عنه كل البعد وان احتمال المكسب مؤكد بالنسبة له •

٤ ـ اما ان التأمين من العقود الزمنية المستمرة فلانه يعقد لفترة زمنية تحدد في العقد يظل المؤمن فيها متحملا تبعة الخطر ، كما يلتزم المستأمن بدفع الاقساط في مواعيدها الدورية المحددة في العقد طول فترة سريانه •

٥ ـ التأمين عقد اذعان : وعقد الاذعان هو الذي يكون أحد عاقديه مضطرا للاذعان للشروط التي يفرضها الطرف الاخر ، فعقد التأمين يشمل الشروط التي تضعها الشركات وهي الجانب القوي في العقد ويضطر المستأمن لقبولها ولا يمكنه تعديل أي شرط فيها ، ولذلك تدخل المشرع في معظم الدول لتنظيم عقود التأمين منعا من تعسف الشركات واستغلالها للمستأمنين •

ثانيا : التامين في الشريعة الاسلامية

والآن ما هو موقف الشريعة الاسلامية من هذا النظام ؟

التأمين نظام حديث نسبيا لم يعرف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الخلفاء الراشدين او الأئمة المجتهدين • ولذلك لم يرد ذكر لعقد التأمين في السنة النبوية الشريفة ولا في اقوال الصحابة او الأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين •

٣ ـ اما الفريق الثالث من الفقهاء فيرى جواز التأمين ، ومن هذا الرأي الامام الشيخ محمد عبده حيث نسبت اليه فتوى أجاز فيها التأمين وهذه الفتوى منشورة بمجلة المحاماة السنة الخامسة رقم ٤٦٠ ص ٥٦٣ وهذا نصها :

فتـوى شرعيـة

تامين على حياة . جوازه . شركة مضاربة .

القاعدة الشرعية : عمل شركات التأمين على الحياة عمل مباح لان اتفاق الشخص مع أصحاب شركة التأمين هو من قبيل شركة المضاربة ، وهي جائزة .

السؤال : سأل جناب مدير شركة قومبانية متوال ليف الامريكية في رجل اتفق مع جماعة (قرمبانية) على ان يعطيهم مبلغا معلوما في مدة معلومة على اقساط معينة للاتجار فيها لهم فيه الحظ والمصلحة ، وانه اذا مضت المدة المذكورة، وكان حيا ، يأخذ هذا المبلغ منهم مع ما ربحه من التجارة في تلك المدة ، واذا مات في خلالها تأخذ ورثته او من يحق له حال حياته اخذ المبلغ المذكور مع الربح الذي ينتج مما دفعه فهل ذلك يوافق شرعا .

الجواب : اتفاق هذا الرجل مع هؤلاء الجماعة على دفع ذلك المبلغ على وجه ما ذكر يكون من قبيل شركة المضاربة ، وهي جائزة ، ولا مانع للرجل من أخذ ماله مع ما انتجه من الربح بعد العمل فيه بالتجارة ، واذا مات الرجل في ابان المدة ، وكان الجماعة قد عملوا فيما دفعه وقاموا بما التزموه من دفع المبلغ لورثته أو لمن يكون له حق التصرف في المال ان يأخذ المبلغ جميعه مع ما ربحه المدفوع منه بالتجارة على الوجه المذكور .

وبذلك يكون الامام الشيخ محمد عبده أول من قال بأن التأمين عقد مضاربة . ويرى بعض الفقهاء (٤) ان التأمين بكل انواعه ضرب من ضروب التعاون التي تفيد المجتمع والتأمين على الحياة يفيد المؤمن كما يفيد الشركة التي تقوم بالتأمين أيضا ، ويذهب أصحاب هذا الرأي الى أنه لا بأس شرعا بالتأمين على الحياة اذا خلا من الربا بمعنى ان المؤمن عليه اذا عاش المدة المنصوص عليها

---

٤ ـ هذا الراي للمرحوم الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ـ الاهرام الاقتصادي السابق الاشارة اليه .

ان التأمين على السيارات مثلا لضمان اصلاحها ليس حراما • اما التأمين على الحياة فهو نوع من المقامرة لانه ان دفع شخص بعض المال ومات فبأي حق يستحق كل المبلغ ، وان عاش حتى نهاية مدة التأمين فانه يأخذ المال الذي دفعه مع فائدة وهذا ربا (١) •

والخلاف بين أصحاب هذا الرأي وبين من يجيزون عقود التأمين جملة وتفصيلا محصور في دائرة واحدة لا يتجاوزها وهي عقود التأمين التي تكون بين مستأمن وشركة مؤمنة هي اجنبية عنه وهو اجنبي عنها ، وهما طرفان ، لكل واحد منهما حقوق وواجبات ، فالتأمينات الاجتماعية التي تقوم بها الدولة سواء أكانت بين الموظفين أم العمال وسواء أكانت شاملة لها صفة العموم ام كانت خاصة ببعض الطوائف ، صحيحة مباحة ليس هناك اي اعتراض عليها وهي تعاون اجتماعي سواء أكانت اتفاقيا أم كان فرضا من الحكومة فان هذا نوع من التآخي أيا كان سببه ولو كان بالالزام والتحتيم (٢) •

وعلى هذا يتحدد موقف هذا الفريق من الفقهاء فيما يلي (٣) :

١ ــ ان التأمين التعاوني والاجتماعي حلال لا شبهة فيه •

٢ ــ انه لا يحل عقود التأمين غير التعاوني للاسباب الآتية :

أ ــ لان فيها قمارا او شبهة قمار على الاقل •

ب ــ لان فيها غررا والغرر لا تصح معه العقود •

جـ ــ لان فيه ربا اذ تعطى فيه الفائدة ، وفيه ربا من جهة أخرى وهو انه يعطي القليل من النقود ويأخذ الكثير •

د ــ لانه عقد صرف اذ هو اعطاء نقود في سبيل نقود في المستقبل • وعقد الصرف لا يصح الا بالقبض •

هـ ــ لانه لا توجد ضرورة اقتصادية توجبه •

---

١ ــ راي فضيلة استاذنا الشيخ محمد ابو زهرة ــ مجلة الاهرام الاقتصادي العدد ١٣٢ في ١٥ ــ ٢ ــ ١٩٦١ .

٢ ، ٣ ــ انظر رأي استاذنا الشيخ محمد ابو زهرة ــ أسبوع الفقه الاسلامي ص ٥٥١ ، وكذا تعليقه على موضوع التامين اثناء مناقشته امام المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

الوفاء بـه قضاء .

رأي مجمع البحوث الاسلامية :

عرض موضوع التأمين على المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالازهر الشريف في شهر المحرم عام ١٣٨٥ هـ وقرر بشأنه ما يلي (٧) :

١ ـ التأمين الذي تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيهـا جميع المستأمنين لتؤدي لاعضائها ما يحتاجون اليه من معونات وخدمات أمـر مشروع وهو مـن التعاون على البر .

٢ ـ نظام المعاشات الحكومي وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعي المتبع في بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع في دول أخرى : كل هذا مـن الاعمال الجائزة .

٣ ـ أما أنواع التأمينات التي تقوم بها الشركات أيا كان وضعها مثل التأمين الخاص بمسؤولية المستأمن ، والتأمين الخاص بما يقـع على المستأمن مـن غيره والتأمين الخاص بالحوادث التي لا مسؤول فيها والتأمين علـى الحياة ومـا في حكمـه :

فقد قرر المؤتمر الاستمرار في دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين مع الوقوف ـ قبل ابداء الرأي ـ على آراء علماء المسلمين في جميع الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع .

والان ما هو موقفنا من التأمين بعد ان بينا آراء الفقهاء في هـذا الموضوع الهـام ؟

لقد أصبح التأمين اليوم ضرورة تحتمها المصلحة العامة فهـو يمنح الامـان والاطمئنان للمستأمن ويساهم في تحقيق مصالح اقتصادية ضخمة ـ فالقول بأنـه لا توجد ضرورة اقتصادية تحتـم التأمين ليس صحيحا ، لان شركـات التأمـين تساهم ـ بأموالها المتجمعة نتيجـة عمليات التأمين ـ في المشروعـات الاقتصادية الكبرى ومن الضروري بل من المهم جدا ان يستمر عمل هذه الشركات بل ويزداد

٧ ـ كتاب المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية ص ٤٠١ .

في عقد التأمين استرد ما دفعه فقط دون زيادة . أما اذا لم يعش المدة المذكورة حق لورثته ان يأخذوا قيمة التأمين (التعويض) وهذا حلال شرعا .

وقد أجاز البعض الآخر (٥) التأمين بالقياس على عقد الموالاة (ولاء الموالاة) الذي يعتبره الحنفية من مراتب اسباب الارث وهو ان يقول شخص مجهول النسب لاخر انت وليي تعقل عني اذا جنيت (أي بدفع التعويض في حالة ارتكابه جناية خطأ) وترثني اذا أنا مت .

وقد أقر بعض الصحابة بصحة عقد الموالاة منهم عمر وابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم كما أخذ به أبو حنيفة واصحابه . ويعتبر ولاء الموالاة عقد معارضة ملزم للطرفين ـ كما هو الحال في عقد التأمين ـ حيث يلتزم الشخص بأن يتحمل العوض المالي عن جناية الخطأ التي يرتكبها الآخر على ان يرث الاول الثاني في حالة وفاته دون وارث . وفي عقد التأمين يتحمل المؤمن دفع العوض مقابل التزام المستأمن بدفع الاقساط .

وذهب فريق ثالث من أصحاب الرأي المجيز للتأمين الى أن التأمين في العصر الحديث أصبح ضرورة لا يمكن تجاهلها وانتهى الى ان هذا التأمين جائز شرعا للاسباب الآتية (٦) :

١ ـ اولا انه عقد مستحدث لم يتناوله نص خاص ولم يشمله نص حاظر ، والاصل في ذلك الجواز والاباحة .

٢ ـ انه عقد يؤدي الى مصالح بيناها وبينا وزنها ولم يكن من ورائه ضرر واذا ثبتت المصلحة فثم حكم الله .

٣ ـ انه أصبح عرفا دعت اليه مصلحة عامة ومصالح شخصية والعرف من الادلة الشرعية .

٤ ـ ان فيه التزاما أقوى من التزام وعد ، وقد ذهب المالكية الى وجوب

٥ ـ من هذا الراي للاستاذ مصطفى الزرقا (عقد التامين وموقف الشريعة الاسلامية منه) اسبوع الفقه الاسلامي ص ٣٦٩ والاستاذ احمد طه السنوسي ـ مجلة الازهر العددين ٢ ، ٣ من المجلد ٢٥ سنة ١٣٧٣ هـ .

٦ ـ التامين لفضيلة استاذنا الشيخ علي الخفيف وهو البحث المقدم للمؤتمر الثاني لمجمع البحوث.

ونظام المعاشات الحكومي او نظام التأمين الاجتماعي الذي يبيحه جمهور الفقهاء المعاصرين والذي اقره مجمع البحوث الاسلامية جزء من التأمين ، وما يقال عن التأمين الخاص او الفردي الذي تقوم به الشركات يمكن ان يقال عن نظام المعاشات او التأمين الاجتماعي فقد يدفع العامل او الموظف مبلغا يسيرا ويأخذ عند احالته الى التقاعد ايرادا شهريا يفوق ما دفعه ويستمر دفع هذا الايراد لورثته بعد وفاته بل ان هناك حالات يدفع فيها المستأمن قسطا أو اقساطا تعد اصابع اليد الواحدة ثم يموت فيصرف لذويه معاشا شهريا بصفة مستمرة يفوق أضعاف ما حصل منه •

كما ان هناك جهالة في نظام المعاشات اذ ان الهيئة القائمة على تنفيذ هذا النظام لا تعلم مقدار الاقساط التي ستحصل عليها من المؤمن له والتي ستدفع له او لورثته بمقتضاها المبالغ التي يحددها القانون عند نهاية المدة •

واذا قيل ان نظام التأمين الخاص يشوبه الربا او شبهه الربا فان في نظام التأمين والمعاشات ربا ايضا • اذ تستثمر هيئة التأمين والمعاشات اموالها بالربا (٨)•

وعلى ذلك فكل ما وجه نظام التأمين الخاص من انتقادات يرى البعض تحريمه على أساسها يمكن توجيهها ايضا الى نظام المعاشات الذي يقره جلة الفقهاء ومجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف (٩) •

ولذا فاننا لا نرى فارقا جوهريا بين النظامين الا في الجهة التي تقوم بهذا العمل وهي المؤمن ففي نظام المعاشات تقوم به الدولة ممثلة في الهيئة العامة للتأمين والمعاشات بينما في التأمين الخاص فتقوم به شركات مساهمة مؤممة في الجمهورية العربية المتحدة ويمكن اعتبارها كالهيئة العامة للتأمين والمعاشات لسيطرة الدولة عليها ولذا فليس هناك أي مبرر لهذه التفرقة •

ان الاموال التي تجمع من المستأمنين تستثمر في المشرعات الكبرى ومقدما سلفا الارباح التي سوف تحققها وعلى هذا تقوم الشركات بحساب التعويضات

---

٨ ـ هناك نظام يسمى استبدال المعاش وهو ان يستبدل (يقترض) العامل او الموظف جزءا من معاشه بعد مدة معينة يقضيها في الخدمة نظير استقطاع قسط شهري منه ويضاف على مبلغ الاستبدال ارباح تقدر حسب مدة القرض وهذا ربا يحرمه الدين . ومن الواجب الغاء هذه الفائدة .

٩ ـ يمكن ان يقال : ان هناك فرقا ملحوظا وهو ان الدولة التي هي ملزمة شرعا برعاياها هي التي تدفع ، ولا حرج من هذا شرعا ، واعتقد ان الشركات المؤممة التي هي ملك للدولة يمكن اعطاؤها حكم هيئة التامين والمعاشات الحكومية ، لان الدولة في الحالتين هي التي تتولى العملية .

حتى تسهم بنصيب أكبر في تنميـة الاقتصاد القومي بمـا تقدمه مـن مدخرات المستأمنين •

والتأمين نظام تعاوني يقوم على اساس التعاون والتضامن بين المستأمنين وما المؤمن (شركات التأمين) الا وسيط لتنظيم عملية جمـع الاقساط واستثمارهـا ودفع العوض للمؤمن لهم فلا مقامرة ولا رهان في التأمين حيث ان القمار والرهان يتوقفان على المصادفة والحظ وان القانون الوضعي نفسه لا يقرهما ، ويعد باطلا كل عقد رهان او قمار • كما انه لا توجد هناك خسارة لاحد طرفي العقـد نتيجة لدقة الاحصائيات التي تعتمد عليها شركات التأمين في حساب الاقساط •

ان التأمين نظام حديث ــ كما سبق القول ــ ولم يرد لـه نص في الشريعة الاسلامية ولا يوجد ما يدعو الى تحريمه فالاصل في العقود الاباحة اذا لم يخالف العقد قواعد الشرع وليس كل مستحدث مخالف للشرع بالضرورة ، بل هناك من الامور الحديثة ، ما لم يرد فيها نص لا بالتحريم ولا بالاباحة ، ويجب النظر الـى هذه الامور على أساس الضرورة والمصلحة العامة حتى لا يكون هناك حرج على المسلمين ، فمن المبادىء الفقهية الهامة ان « الضرورات تبيح المحظورات » •

ولنا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فعندما دعت مصلحة المسلمين الى جمع القرآن وهو أمر لم يحدث في حيـاة النبي عليه الصلاة والسلام تردد أبو بكر في بادىء الامر حتى اقنعه عمر بـأن في جمعه مصلحة عامة لاستشهاد كثير من القراء في معركة اليمامة فخوفا على القرآن مـن الضياع وافق كبار الصحابة رضوان الله عليهم على جمعه في صحائف ثم جاء عثمان فأمر بجمع القرآن في مصحف واحد وارسل به الى الامصار منعا من اختلاف القراء •

وكذا حد شارب الخمر لم يكن محددا في عهد رسول الله صلى اللـه عليه وسلم وحدد في خلافة ابي بكر الصديق بأربعين جلدة رفعت الى ثمانين أيام عثمان عندما كثر شاربو الخمر ورئي ان العقوبة غير رادعة فكان مـن المصلحة زيـادة العقوبة ردعا للشاربين وزجرا لهم •

كما ان الفاروق عمر بن الخطاب انشأ نظما جديدة للحكم لـم تكن معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد أبي بكر ، ولم يعارض أحد مـن الصحابة في ذلك •

في ان للتحديد الاختياري مفعول التحديد الاجباري فاذا عارض التحديد الاجباري التحديد الاختياري سقط التحديد الاجباري

بقلم : المحامي كعدي كعدي

الارض مصدر ثروة الناس المادية ، من فجر تاريخهم حتى اليوم وهم يقتتلون عليها ويصبغون وجهها بدمائهم ووجهها ضاحك يغمر وجوههم بالابتسامات والنعم والخيرات .

في الارض وجد الانسان وطنه والوطن اقدس مقدسات الانسان هو اول ملعب مرحت فيه جياد صباه فالله قد خلق للانسان وطنا في الارض قبل ان يخلق الانسان . كل ما في الحياة يرمز الى وطن فالسماء وطن الكواكب والنجوم والاقمار . والارض وطن البشر والاشجار والازهار فلا غرو اذا رأينا الناس يحرصون كل الحرص على الارض وعلى الوطن واملاكهم حرصهم على نفوسهم وكيانهم فكيان الانسان في كيان وطن مقدس تنبت ارضه الحرية وتمطر سماؤه شآبيب الاستقلال .

ان المشترع في طليعة الناس في تقويم الارض والملكية .

وتثبيتا للملكية العقارية على ركائز صحيحة تسلم معها حقوق الناس من كل اعتداء وغزو وغارة شرعت معاملات التحديد والتحرير الاجباري بموجب القرارات ١٨٦ و١٨٧ و١٨٨ و١٨٩ تاريخ ١٥ اذار سنة ١٩٢٦ . هذه القرارات اخضعت كل عقار عائد للافراد وللادارات العمومية لمعاملة تحديد وتحرير تجري بواسطة دائرة فنية هي دائرة المساحة تحت اشراف القاضي العقاري واخضعت محضر التحديد المختص بكل عقار للتثبت من قبل القاضي العقاري بعد تصفية جميع الاعتراضات المدونة عليه او لاحالته الى امانة السجل العقاري ليصار الى تسجيله على الصحيفة العينية وجعلت للحقوق العينية المسجلة في السجل العقاري قوة ثبوتية مطلقة لا تسمع دعوى ضدها بعد انقضاء مدة سنتين على معاملة التثبيت حتى ولو

ولكن ما هو الموقف من الربا الذي يشوب نظام التأمين ؟

المحتمل حدوثها ثم تجنب جزءا من الارباح يعرف بالاحتياطي لمواجهة أي أخطار غير متوقعة ثم ارباح الشركة . ويضاف جزء من هذه الارباح الى قيمة التأمين الذي يرد في نهاية المدة .

ومن تتبع عملية التأمين يتبين ان المستأمنين يعتبرون شركاء او مساهمين في المشروعات التي تساهم فيها شركات التأمين ومن غير المتوقع ان تخسر هذه الشركات الا اذا حدث ــ لا قدر الله ــ نكسة للاقتصاد القومي نتيجة حروب او كوارث طبيعية وفي هذه الحالة لا اعتقد ان شركات التأمين يمكنها الوفاء بالتزاماتها او حتى دفع الاقساط السابق تحصيلها من المستأمنين .

وعلى الرغم ان من المؤكد حصول شركات التأمين على مبالغ ضخمة من الارباح نتيجة استثمار اموال المستأمنين في المشروعات الاقتصادية ، وما الربح الذي يضاف الى المبالغ المحصلة عند ردها في نهاية مدة التأمين الا جزء من الارباح التي حققتها هذه المبالغ ومن حق المستأمن الحصول عليها . وليس هناك ما يدعو الى تحريم هذا العائد . أقول على الرغم من ذلك فما زال في النفس شيء من هذا الربح .

ونرى أنه من الافضل ان تؤول ارباح شركات التأمين الى الدولة لاستخدامها في المشروعات العامة التي يحتاج اليها جمهور المواطنين . وعلى شركات التأمين ان تقوم بتقدير التعويض الذي يدفع للمؤمن له عند تحقق الخطر المؤمن ضده ، او مبلغ التأمين الذي يدفع في نهاية العقد عند بقاء المستأمن على قيد الحياة بدون اضافة أي ارباح اليه ويقدر مبلغ التأمين على قدر الاقساط المتفق على تحصيلها من المؤمن له طول مدة العقد ، فلو توفي قبل نهاية هذه المدة صرف مبلغ التأمين للمستحقين . كما يجب منع شركات التأمين من استثمار أموالها بالربا (١٠) .

وبذلك نضمن خلو عقد التأمين من الربا أو شبهة الربا .

القاهرة

توفيق علي وهبه
مدير الشؤون القانونية ــ تفتيش عام التجارب
بريد الدواوين ــ القاهرة

١٠ ــ تستثمر شركات التامين بعض اموالها بالربا ومن امثال ذلك اقراض المستامنين بعد مرور مدة معينة يحددها العقد بضمان قيمة التامين وتفوض ارباحا على هذه القروض وهذا ربا منهي عنه .

القرار ١٨٦ تاريخ ١٥ - ٣ - ١٩٢٦ وقد استقر الاجتهاد على ان المقصود بكلمة الغش ليس استعمال الخدعة والحيلة فقط بل كل عمل تكون نتيجته قيد عقار على اسم شخص غير مالكه الحقيقي مع معرفته بان العقار لا يخصه كما استقر على ان اقامة الدعوى بعين العقار تقطع مدة مرور الزمن على المطالبة بالتعويض .

وكما ان المشترع توخى من وراء التحديد الاجباري صيانة الملكية الفردية توخى من وراء التحديد الاختياري تحقيق الغاية نفسها فقد وضع المفوض السامي الفرنسي بتاريخ ٢٤ ايار سنة ١٩٢٩ القرار ٢٥٧٦ المتعلق بالتحديد الاختياري والمادة الرابعة منه عينت الاشخاص الذين يمكنهم طلب التحديد الاختياري وهم :

١ - صاحب الملك .

٢ - الشريك في الملك مع الاحتفاظ بحق الاعتراض لكل شريك في الملك الشائع .

٣ - الوصي او القيم المعين على قاصر .

٤ - اصحاب الحقوق العينية .

واوجب في اتباع معاملات التحديد الاختياري على الطالب ان يرفع طلبه الى مدير الشؤون العقارية مصحوبا بعلم وخبر يحمل تصديق المختار او بسندات ملكيته .

والمادة ٨ منه اوجبت على مأمور الدوائر العقارية نشر خلاصة طلب التحديد وخلاصة قرار القاضي في الجريدة الرسمية وفي ثلاث جرائد محلية .

والمادة ٢ منه قالت ان الغاية من التحديد الاختياري هي وضع العقارات المسجلة في ظل نظام القرارين ١٨٨ و١٨٩ باستثناء ما ورد صراحة في القرار ٢٥٧٦

فما دام ان وضع العقارات التي مسحت اختياريا يخضع لاحكام القرارين ١٨٨ و١٨٩ والمادة ١٧ من القرار ١٨٨ تمنع سماع اية دعوى بعد مرور سنتين كما مر فالتحديد الاختياري يتمتع بمفعول التحديد الاجباري نفسه وعليه الاجتهاد عامة منه قرار رقم ١١ لمحكمة توحيد الاجتهادات بتاريخ ١٢ نيسان سنة ١٩٤٥ التي اعطيت الحق بان يكون لاحكامها صفة القانون .

كانت المعاملات مبنية على عيوب او خلل لان التحديد يمحو كل عيب فلا يعقل ان يقيد الشارع حق الاعتراض بمهلة ويترك باب الاعتراض مفتوحا للطعن بصحة المعاملات فالمادة ١٧ من القرار ١٨٨ المعدلة بالمادة الثامنة من القرار ٤٥ ل٠ ر المؤرخ ٢٠ نيسان سنة ١٩٣٢ ورد نصها مطلقا والمطلق يجري على اطلاقه فقد قالت :

« ان الحقوق العينية المسجلة في السجل العقاري وفقا لمنطوق محاضر التحديد والتحرير لا يمكن الطعن بها البتة فان القيود المتعلقة بهذه الحقوق تعتبر دون سواها المصدر لهذه الحقوق ولها القوة الثبوتية المطلقة ولا يمكن ان تكون عرضة لاية دعوى كانت اذا كانت قد انقضت مدة سنتين ابتداء من التاريخ الذي اصبح فيه نافذا قرار التصديق وقرارات القاضي العقاري المنفرد وفي حالة الاستئناف قرار محكمة الاستئناف الصادر وفقا لاحكام القرار ١٨٦ المؤرخ في ١٥ اذار سنة ١٩٢٦ واذا لم يدون في اثناء هذه المدة اي اعتراض او اية دعوى في صحيفة العقار العينية ٠ واذا ردت هذه الاعتراضات او الدعاوى ٠ ويمكن لذوي الشأن انما في حالة الخداع فقط ان يقيموا دعوى العطل والضرر على الخادع الخ ٠

يلاحظ ان هذه المادة اوجبت لابرام قيود السجل العقاري ان تكون انقضت سنتان على تثبيت المحاضر او احالتها الى امين السجل العقاري وان تقام الدعوى وتسجل على صحيفة العقار العينية خلال سنتين تحت طائلة الرد وقد عدلت هذه المادة بالمادة الاولى والثانية من المرسوم رقم ٩٧٩٤ الصادر ٤ ايار سنة ١٩٦٨ ٠

فالمادة الاولى تنص :

« يمكن الباس التعويض الذي يحكم به بالاستناد الى الفقرة السابقة شكل التعويض العيني بحيث يعاد العقار او الحق العيني لصاحبه اذا كان لا يزال مسجلا باسم من احرزه بطريق الخداع ولم ينشأ عليه اي حق للغير ٠

والمادة الثانية توجب :

« ان تقام الدعوى بالتعويض العيني او البدلي في مهلة عشر سنوات تبتديء من تاريخ انقضاء مهلة الادعاء بالحق العيني المعينة في المادة ٣١ من القرار ١٨٦

محمد بهجت الاثري داعية المثل

بقلم: وَحيد الدين بهاء الدين

دعاة المثل قلة في كل زمان ومكان ..!

مردها الى انهم ينذرون نفوسهم في سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي ويجندون طاقاتهم العقلية والشعورية لترصين مبادىء الحياة الانسانية الخالية من الشوائب ويعملون من اجل ان يكونوا عبر التاريخ انوارا على الدرب الطويل .

لا لشيء الا لانهم مفطورون على سلامة العقيدة وحرية الوجدان وايثار كرامة العلم والعمل ، مختارون بفعل غير ارادي لاداء مهماتهم بالقدر المتاح في الميدان المتهيأ لهم .. تنبض باعماقهم منازع التوثب والاطلالة ، وتتوهج بدخائلهم نيات صادقة تحملهم على التفكير الحر القائم على التجربة والمشاهدة .

محمد بهجت الاثري من هذه الطبقة .. الراقية في افكارها .. الفاضلة في اتجاهاتها ... الراضية بحالها وواقعها ..

معناه انه داعية المثل ..

والداعية كما بدا لا يكون الا في عداد النماذج النادرة من الرجالات ، تبرز مواهبهم الفذة كما يبرز الذهب الخالص من خلل الرماد ، ولا يكشف التاريخ عن شخصياتهم القوية .. الفارضة نفسها بسهولة .

اضطلاع الاثري باعمال ووظائف على مدى حياته العملية والشخصية ..

اصداره مؤلفات وتحقيقات في شتى فروع الثقافة العربية الاسلامية ..

مشاركاته الفعلية في المؤتمرات السياسية والدينية والندوات الادبية والعلمية من اجل اظهار الوجه الصحيح لقضايا التاريخ الاسلامي والادب العربي وما اعتورهما على تطاول الحقب ...

فاذا مسح عقار مسحا اختياريا وانقضت مدة السنتين ثم طرأ عليه مسح اجباري فان تعارض مع التحديد الاختياري سقط التحديد الاجباري لان التحديد الاختياري يتمتع بالقوة الثبوتية المطلقة التي لا يمكن ان تكون عرضة لاية دعوى فصاحب الحق العيني يصبح في مأمن من اي طارىء يمكن ان يحدث خلافا لارادته لان الحماية التي اكتسبها بوضع عقاراته في ظل القرارين ١٨٨ و١٨٩ حماية مستمرة لها المفعول نفسه الذي للعقارات الممسوحة بصورة اجبارية وهذه هي روح القانون فلنفرض ان اعتبر التحديد الاختياري مؤقتا وان الملكية التي كرسها تبقى عرضة للزوال بمفعول التحديد الاجباري لانتفت الغاية التي توخاها المشترع من القرار ٢٥٧٦ ولاصبح النص عديم الفائدة ونص الشارع لا يلغى الا بقانون وقانون لم يصدر بالغاء القرار ٢٥٧٦ فلا وجه للقول بان وضع التحديد الاختباري كوضع القضية المحكمة الناجمة عن حكم سابق في معرض دعوى لاحقة لان القضية المحكمة هي وسيلة دفاع لحظها الشارع لمصلحة المحكوم له وله ان يتنازل عنها في معرض دعوى لاحقة اما الحق العيني المكتسب بصورة نهائية والمسجل في السجل العقاري بنتيجة تحديد اختباري فان وجوده سيبقى مستمرا ما لم يتنازل عنه صاحبه باحدى الوسائل الشرعية وليس في القانون العقاري ما يدعى بالتنازل الضمني عن ملكية عقارية بل بالعكس فان القانون لا يعتبر وجود حق او انشاءه او تعديله او اسقاطه الا بتسجيله في السجل العقاري عملا بالمادة ١١ من القرار ١٨٨ والمادة ٣٩٣ من قانون الموجبات والعقود.

كعدي كعدي

والابتكار وشرعا سمحا مرنا قوامه وبلاغه مراعاة المصلحة العامة في كل زمان ومكان وتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض بالعدل والاحسان واخلاقا سامية تتوافى قوانينها بالانسان فيما يهم به ضميره وتضطرب به جوارحه ـ على مشارع الخير والرحمة والمعروف وسياسة عادلة تستهدف قواعدها الكلية توثيق اواصر الجماعات بالتعارف وتشييد المجتمعات على اركان الاخاء ودعوة الامم والشعوب الى التعاون العام لضمان سعادة الحياة ورفاهة العيش تحت افياء السلام) •

ليس في الاسلام نوافذ مغلقة يحار المرء دونها ولا يجد الوسيلة اليها ، ولا مشكلات عويصة تنتظر حلولا ناجعة لها ، ولا امور تحتمل الجدال والسجال ، لانه دين مبني على اسس راسخة •• مستدامة •• شاملة لا يأتيها الباطل من بين يديه ولا من خلفه ••• (ان الدين عند الله الاسلام ••) •

من هنا فان البداية في ميادين الاصلاح والتجديد عند الاثري تكون من الاسلام نصا وروحا والاستعانة بخبرات الانبياء والعلماء والمصلحين ثم العمل بمقتضى السنن الصحيحة والحقائق الثابتة التي ترفض الحوار ، والبطلان • لنقرأ ما يقوله الاثري : (وما زال الكتاب والسنة الصحيحة يبعثان في نفوس الاذكياء المثقفين الثورة على الوثنية البدع والمحدثات والثورة على ترف المترفين واستبداد الملوك والثورة على الجمود والتقليد ومجانفة الفطرة وسنن الطبيعة التي لا تبديل لخلقها) ••

بيد ان الحضارة الاوربية ـ والمفروض ان تكون في صالح الانسانية جمعاء ـ جاءت ـ بدعوى تنازع البقاء ـ تعادي الاسلام وتحاربه في عقر داره بلا هوادة باظهاره بمظهر غير طبيعي •• شاذ كما لو كان عاملا من عوامل التخلف والانحطاط لتصرف المسلمين والعرب عن انبل ما وهبهم اياه الله منذ انبثاق النور المحمدي وعن اعز ما يملكون من تراث وذخائر ، حتى تعود شامتة به ساخرة منه ببرر افناؤه ويهون القضاء عليه •• فقد قال الاثري : (وقد كان هدفه ـ يريد الغرب ـ ولا يزال اذابة شخصية المحتلين في هذه الحضارة وتغيير ما بانفسهم من ح الاعتزاز بعقيدتهم والتعلق بلغتهم وبتاريخهم والاكبار لحضارتهم تغييرا يسلمهم الى الخضوع لارادته والاستسلام لسلطانه والفناء في مذاهبه فهو يعلم من سلطان كل اولئك على نفوسهم الشيء الكثير ويعلم انه لن يستطيع ان يؤدي

قيامه بالرحلات والاطلاعات الموصولة في سبيـل توضيح اهـداف مساعيه ودعواتـه •••

تعرضه للتنكيل والسجن من جراء مناهضته قوى البغي والطغيان وتصديه لافتراءات الغربيين والشعوبيين وترويجه المضامين المستقاة مـن جوهـر الحقائق والوقائع ومن صميم التجارب والحـوادث في السياسة والاجتمـاع والاخـلاق والتشريع والقانون •••

نيله جوائز واوسمة تتويجا لاعمالـه وتقييما لاثـاره وتقديـرا لشخصـه الشجاع •••

هذا كله بلا شك هو اللسان الصادق •• الناطق بذلك •• وهـو كذلـك الوسام الرفيع الذي كان وما يبرح يزين صدره وسيبقى شاهـدا امينـا للاجيال الصاعـدة •



طبيعي ان تكون المثل التي يدعو الاثري الـى تجسيدها مشتقة مـن ضمير الاسلام ومن عناصره الذاتية والانسانية ثم من طبيعة المراحل التي كان وما يزال يجتازها في طريقه الى غاياته واقداره •

وبتعبير ادق ان مثله الاعلى هو الاسلام •••

يؤمن الاثري بالاسلام ولا يعرف عنه بديلا لكونه دينا ودولة •• كفيلا بمـا في الوجود والكون جملة وتفصيلا مسايرا لجميع الحضارات والمدنيات : ما تقادم منها •• وما يتعاقب •• وما يمكن ان تقوم في القوابل من الايام • يقول (فـلا ريب في ان يكون مثلها الاعلى ـ الضمير يعود الى مجلة العالم الاسلامي التـي حررها زمنا ـ هو الاسلام •• الصحيح كما نزل به الوحي •• النقـي كما بلغته الرسالة ، الحي كما رفت به ارواح الفاتحين الميامين ، الجديد الخالـد كما هـو بجميع خصائصه ومزاياه في جميع مناحيه واهدافه معدن جدة وخصب وخلـود على وجه الزمان • فتستجلى عنه عقيدة جميلة تصل الانسان بالحقيقة الازلية••• السرمدية الواحدة • وفكرا حيا متوثبا مزاجه الصفاء والسمـو وطبيعته الابداع

ويقولون : بسمارك ونابليون ولينين وجان دارك وفلان وفلان ..

ونقول : ابو بكر والفاروق وذو النورين وحيدر وخالـد وخديجة وفاطمة وعائشة واسماء والخنساء ..

ويقولون : دهاء تشمبرلين وعظمة الانكليز ..

ونقول : دهاء معاوية وعمرو والمغيرة وزياد وعظمة العرب والاسلام .

ويقولون : مدنية القرن العشرين للميلاد ..

ونقول : مدنية القرن الاول للهجرة.. مدنية القرآن. مدنية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الاولى والاخيرة في تاريخ الانسان من الازل لا الى الابد.

ويقولون : الحضارة الغربية ..

ونقول : جسم بلا روح ووحشية في غير رحمة . غـارات خانقـة وآلات مدمرات وتوثب انسان على انسان وامة على امة من اجل البطن وظلـم القـوى للضعيف في غير هوادة ولا حساب ..

ويقولون : شرائع اثينا وروما وباريس والناتوراليزم والشيوعية وامثـال هذه الواوات من لعنات الغرب ووقاحات المتجردين ..

ونـقول ويقول معنا الدهر : الاسلام ثم الاسلام (ان الديـن عند اللـه الاسلام) ..

ويقولون : ذكرى الجندي المجهول ؟

ونقول : ذكرى منقذ العالم المعروف (محمد) ..

ويقولون : القانون ..

ونقول : كتـاب اللـه ...

وبالرغم من دعوات الاثري الى الاسلام المثالي واتباع تعاليمـه لصالح بني الانسان في كل الاجيال فانه لا يتوانى عن المطالبة بالاخذ من الحضارة الغربية ما هو موائم لمقتضيات وجودنا وتقاليدنا وتطلعاتنا من الاساليب المبتكرة والفلسفات

عمله وينتهي الى غايته وينجح نجاحا تاما الا اذا مهد له السبيل بتوجيهات خاصة ومنازع جديدة تقطع صلة المسلمين بدينهم وتضعف نوازعهم الى الاستقلال عنه والتمرد عليه ..) .

لقد تأثر بهذه الظاهرة الخطرة اناس كان ينبغي لهم ان يكتشفوا السر المبطن وراءها بانفسهم ، لصيانة دينهم وشد ازره ، لكنهم اتخذوا من هذه الحضارة الزائفة .. الزائغة قبلة لهم وقدوة . بدأوا يعيشون في مناخها المغري الموبوء ويستجيبون لاهوائها واضوائها ناعتين بالرجعية كل ما له صلة بالاسلام ، وواصمين قيمه الفكرية والروحية بافيون يخدر الاذهان والنفوس .

وما زاد الامر خطورة والهوة اتساعا الا سياستنا التهريجية .. الاتكالية ، اذ نحن استمرأناها واستسلمنا لسطوتها غير قليل ثم تغييرنا ما بانفسنا . اسمعه يقول :

يا رسول الله خير المرسلين يا منيل العرب غايات الفخار
قم تأمل حالهم في العالمين كيف بعد العز ذلوا في الاسار
هدموا ما شدت من دنيا ودين ورموا وحدتهم بالشجب
كل من تلقاه ينحو مذهبا ويحهم ؟ لم يتركوا من مذهب

ولكن مع هذا كله فلنرافق الاثري على رسل في كيفية مقارنته الحضارة الاسلامية التي اتت لاسعاد البشرية وانقاذها مما كانت تعانيه على تطاول الدهور بالحضارة الاوربية التي اتت لاذلال الشعوب وحجب الحريات والحقوق المشروعة عنها ثم تشويه الحقائق والقيم وتمجيد الطغاة .. الكفرة ومصاصي الدماء :

يقول المحرومون علم ما عمل محمد (ص) والجاهلون بتاريخ الاسلام والحريات ، الثورة الفرنسية التي هدت (البستيل) هي التي منحت الانسان الحرية والحياة ...

ونقول : بل اسألوا الدهر عن ثورة العرب بعدما ثار بهم (ابن عبد الله) على الف بستيل وبستيل من سجون العقل والوجدان وقيود خرافات الكهنة وكهنة الخرافات .

وظهرت مثل الشمس الا انها ... تخفى ونورك في البرية سرمد
وبينت بالحق المبين فلا هوى ... يطغى عليك ولا منى تترصد
الفتح عندك شرعة وعقيدة ... واخوة وتراحم وتودد
دستورك القرآن اما وعظه ... فهدى واما حكمه فمسدد
عال خلى الاهواء .. لا متملق ... احدا ولا متعسف يتسرد

ثم ان فلسفة القوة هي الاصل الذي طالما نادى به الاثري واستند اليه في دعواته ودراساته كوسيلة تطبيقية لاقامة نظام عدل وتثبيته على كرور الآماد .

لا شيء كالقوة يحقق المصير الانساني ويحدد اطاره وابعاده ثم يقيم دعائم ديمومته واستمراريته ، ولا سيما بعد ان تعقدت الحياة بفعل التقدم العلمي والحضاري وتطورت المقاييس والمفاهيم بالنسبة الى كثير من القضايا والمسائل ، وتألبت قوى الشر والظلم على الاسلام تبغي افتراسه وتركه اشلاء بشماتة وحقد بارد .

فالامة التي تريد الحياة الحرة الكريمة وتحمي ذمارها وديارها من الغادرين الكائدين يجب ان يصبح كيانها مدعما بالقوة .. معززا باسبابها الكلية .

وهل من متطلبات هذا ، الا الوحدة والتعاون على جمع الكلمة وتسخير الامكانات والطاقات لقطع دابر المطامع الاستعمارية والثبات في وجه المؤامرات والدسائس التي تنسج خيوطها ضد الاسلام والعرب في الخفاء والعلن . ولعل في كلام الاثري ما يؤيد هذا (فما من شك ان نظاما من الانظمة كائنا ما كان نوعه وشكله لا يكتب له التوفيق ما لم يكن له سناد من القوة واذا كان شطرا ، فالقوة التي تسنده هي شطره الثاني ، وبدونهما لا يعد للنظام وجود ومثلهما مثل الجسم والروح اذا اجتمعا كانت الحياة والا فالموت ..) .

ولما كان الاسلام فيجوهره ينهضعلى قاعدة مكينة من الاخاء والخير والعدل واحقاق الحق وازهاق الباطل فان الاثري بسبب من ايمانه بهذه القيم الانسانية وبحكم اعتماده القوة في حل المشكلات المستعصية يطالب بالجهاد .. باستعمال القوة واعتبارها الفيصل الحاسم في تحطيم العقبات التي يضعها الاستعمار لمآربه

الحديثة والاكتشافات الفنية الرائعة • انه يقول : (•• الى جانب ما يتحتم علينا اقتباسه من علوم العصر واستخدامه من مرافق مدنية الغرب المادية من مخترعات آلية ومكتشفات علوم العصر ولا كانت هذه العزلة الروحية عن الاسلام وهو اسمى ما عرفه البشر الى الان من النظم العادلة الضامنة لسلامته) •

حيث ان القرآن ــ كما يرى الاثري ــ يتضمن التفسير العملي لما تحقق في رحاب الطبيعة ومضمار العلم من الانجازات والمشروعات ، وهي التي طالما راودت الانسان ••

ثم انه يمكن اللحاق بالركب الحضاري الاوربي اذا ما وعينا ذواتنا وادركنا ما يحاك ضدنا ورجعنا الى كتاب الله وجعلنا الاسلام ارهاصا يرتكز عليه هيكل حياتنا ووجودنا • يركز الاثري على هذا بقوله : (كما يجب ان نفهم حق الفهم اننا بشر كالاوربيين ان لم نكن ارهف حسا واذكى ذهنا واعرق تاريخا في الحضارات وان ما وصلوا اليه من الرقي المادي نستطيع ان نصل الى مثله واحسن منه في الماديات وان نكون الى ذلك بشرا اسمى في خلقه ومروءته وخلوص نيته وعمله لخير الانسانية بفضل القرآن اذا صححنا فهمنا له ، واتخذناه دستورا للعمل وقاعدة للحياة) ••

اما مثل الاثري في هذا الاسلام للانسان الكامل التكامل فهو النبي (ص): منقذ البشرية من الضلال الى النور ورائدها الى الحق والحقيقة • وقد صدق (ولا يزال الشعراء والفلاسفة والمسرحيون من الامم الغربية خاصة دائبين على خلق الصورة التي يتخيلونها (للاوبرمنتش) الجرماني او (السبرمان) البريطاني •• واعجب شيء ان يفوت هؤلاء جميعا ان هذا الانسان الكامل بل المثل الاعلى للانسان الكامل قد سبق كونه ووجوده على سطح هذه الارض قبل اربع مئة والف عام في اروع صورة فذة تليق بكرامة الانسان على الله وتنسجم مع الغاية التي ارادها لخلقه وبعث من اجلها رسله وفي اكمل ما يمكن ان يكون عليه البشر من سمو الذات وجلال الشأن •• وان هذا المثل الاعلى للانسان الكامل في هذه الصورة الرائعة الفذة الكاملة هو شخص محمد بن عبد الله النبي العربي ••) •

كذلك صدق الاثري قائلا في قصيدته (صاحب البعثة الكبرى) :

لعمر العلى لن يدرك العرب العلى وهم فـرق شتى وشمل مدمر ...
الا فاسلكوهـا وحـدة عربيـة لها من هدى الاسلام روح ومظهر .

اما ايثار العلم والعمل معا على ما يناهضهما فمن هاته المثل .. يؤكد عليها الاثري في اكثر ما نثر ونظم .. كتب وخطب انسجاما مـع روح الاسلام وتمشيا مع نزعته الواقعية وتحقيقا لكل من الطموحات والغايات الخاصة والعامة . فعلاقة العلم بالعمل عضوية بداع من تأثيرهما الواضح في مجريات الامـور والاحداث لا يصح فصل الواحد منهما عن الاخر وتفضيله عليه لاي سبب من الاسباب .

لا يتعارض الدين مع العلم لانه مشروع ومطلـوب بالضرورة لانـه اكسير الحياة على الا يكون وسيلة الى الشر والتدمير والانتقـام . ذلـك ان الاسلام الذي يمثله القرآن اصدق تمثيل يقدر العلم ويحله المحل الاعلى الخليق به ويحض العلماء على مواصلة البحث والدرس والتطلع لاستنباط مـا يخامرهـم والوقوف على ما يجهلون .

اما العمل فهو موجد المناخ الملائم للعـم وتطبيقاتـه ليؤتي اكلـه لصالح الآخرين .

وما دام العلم لا حد لآفاقه واتجاهاته يرفض الجمود والقناعة بما هو موجود ويوجب الحركة الديناميكية الدائمة فان العمل هـو المهماز لاسبابـه والكفيـل بالتوصل الى افضل النتائـج . (قـل اعملوا فسيرى اللـه عملكـم ورسوله والمؤمنون) . والمهم ان يغدو ثمة اخلاص في العمل وحسن نيـة لقيـادة العلـم وتوجيهه الوجهة السليمة .. المفيدة . يقول الاثري في قصيدة (معجزة العلم) :

وآليت في البدء الاعاجيب الكبر فكيف لو جاوزت اطـوار الصغر
فكن على الخلق سلامـا ونـدى ولا تكـن شرا ولا آلـة شـر ؟!
يـا فاتـق (الذرة) باقتـداره وورِدهـا منـك بـاذن والصدر
مـا بالك اليـوم خضعت طائعـا لزمـرة مـن المجانين (نـور) ؟
حبست ما لو اطلقوا مـن (ذرة) لاصبح العالـم بـ (الـذرة) ذر
يا علم لـو حازك غـير طامـع لكنت كالرحمـة رفقـا وابـر

بغـداد وحيد الدين بهاء الدين

الخفية ورد كيد الاعداء الى صدورهم وارجاع فلسطين الى اصحابها الشرعيين • لان ما اخذ بالقوة لا يستعاد ولا يمكن ان يستعاد الا بالقوة • هذه بديهة •••

ان مصير العرب والمسلمين مرهون ايجابا في عودة فلسطين الى ايدي اهلها مهما كانت وتكن الاسباب ، ومحدد سلبا في ضياعها من هاته الايدي ••

لنتحاش لعنة التاريخ وحكمه •• ؟!

من هنا ما في الاتحاد والوحدة •• التكاتف والتعاضد على الجهاد في سبيل استرداد الحق المسلوب والشرف المهدور من معنى ودلالة ••؟

لقد قال الاثري :

يـا نياما ضيعوا مـا ورثـوا ضيعـوا عهـد العلى والشرف
امـا آن لكـم ان تبعثـوا سيرة (الهادي) ومجد السلف
ان اهـل الكهف قبـل انبعثوا مـن رقـاد طال تحت السدف
واعادوا فـي الحيـاة الدأبـا ومنـال المجـد رهـن الدأب
فاستفيقوا واثيروا (العربـا) طال ــ يا قوم ــ رقاد (العرب)

لقد لعب الاستعمار باساليبه وطرائقه اقذر الادوار لكـي يطعـن في صميم العروبة والاسلام طعنة نجلاء باقامة دولة الصهاينة في اقدس بقعة من بقاع الدنيا، لتتخذها منطلقا للوعيد والعدوان ، ومنطقة نفوذ مضمونة •

من اجل هذا كله يرى الاثري ان محنة العرب والمسلمين هي الانكليز • هذا صحيح الى اقصى حدود الصحة • اما قال غاندي ما معناه : اذا تنازع سمكـان في الماء كان الانكليز وراءهما • يأتي بعدهـم الامريكان والفرنسيس والطليـان والروس ومن اليهم من اعداء الاسلام التقليديين •••

ولئن كان الاستعمار منذ اكثر من نصف قرن استهدف ومـا يبرح فلسطين كمرحلة اولى ، فانه يستهدف الاسلام ــ لانه القصد الاساسي ــ من خلال هذه المأساة التي لا احسب ان البشرية قد رأت امض وافجع منهـا في تاريخها الحديث كله •• انها ازمة حضارة تنذر بالانفجار والانهيار ، وانـه افلاس خلقـي عـلى المستوى العالمي •

مناصرة طالبي الزعامة ، بل والسهر على اعدادهم لاستغلالهم وللاستفادة من انانيتهم التي تدفعهم لتحقيق مصالحهم وعلى مذبح مصلحة قومهم ، وامدنا البروتوكول رقم ٩ بهذا النص :

١ ـ الحيوانات لا تستطيع النفاذ الى بواطن الامور ، اذ لا هم لها الا التسكع وراء المتع والملذات .

٢ ـ نحن نبدل الحاكم بمطية من قبلنا ، تأتي به من بين مطايانا او عبيدنا الذين يتهافتون على الكراسي والوصول للحكم ليفني بعضهم بعضا .

٣ ـ أقعدنا عملاءنا مقعد الرياسة وامسى امرهم بيدنا .



طبعا من استعذب انحناء العنق لا يستطيع الشموخ ، ومن آنس بالقيود والاغلال ، لا يستطيع كسرها ، ومن رباهم الاستعمار ليبنوا ما يريد ، لا يستطيعون هدم ما بنوا !!

الفراش الطائش لم يأخذ من اخوانه الذين القوا انفسهم في النار عبرة ، والذين جاءوا بعد الحسين بن عون لم يأخذوا من الخدعة التي دفنته ودفنتنا بيده عبرة ، بل استعذبوا النار ، ولا تزال اجواء فلسطين تردد اصواتهم التي ارسلوها مياها تطفيء نار ثورة عام ١٩٣٦ بهذا النص :

« ندعوكم للاخلاد للسكينة ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة الانكليزية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وسنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » .

شاهدوا بعد مساعيهم هذه ما شاهدوا من عدل صديقتهم القديمة انكلترا وعزيزتهم الحديثة الولايات المتحدة ، ورغم هذا ارسلوا عام ١٩٤٧ لرئيس الولايات المتحدة مذكرة محشوة بالتوسل ، يلفتون فيها نظره ـ طبعا الكريم ـ للعطف على فلسطين ، فقابلهم بالصراحة مسبوكة بهذا النص :

« ان حكومتي تتصرف طبقا لسياسة الولايات المتحدة التقليدية التي ترمي لتعزيز وابراز فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين الى حيز الوجود » .

تهويد الزعماء

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

التهويـد السياسي

قال اللورد كرومر ، مندوب انكلترا السامي بمصر ، اواخر القرن الماضي ، واوائل هذا القرن :

« لا نستطيع الخروج من بلد ، الا اذا ربينا جيلا ، ينفذ تخطيطنا » •



هذا منهاج قديم ، رافق تسلل البرتال ثم الانكليز والهولاند ، للهند والهند الشرقية ، وحرصت عليه فرنسا بمصر ثم الجزائر ، لكن الليالي الحبالى بالحوادث عرضت علينا مناهج القرن الماضي وما قبله بل ومناهج مطلع هـذا القـرن نفسه عرضتها بدائية ، اذا قيست بما رأينا بعد الحرب العالمية الثانية •

رأينا بعدها رسميين يشبعهم موجهوهم القابا واوسمـة ، ويعترفون بهـم كجامعة عربية ورؤساء وزارات ، وملـوك ورؤساء جمهوريات ، فيبادلهم هؤلاء عدم الاعتراف بفلسطين كبلد ذي كيان ، ويأخذون بالاعتراف باليهود لكن عـلى مراحل ، ممقدمتها الهدنة الموقتة ومتوسطها الهدن المتعددة وكارثتها الهدنة الدائمة، التي تلاها الضحك على الشعب الذي يعبـد الاصنام ، بالبيانـات والاحتجاجات الموصوفة بشديدة اللهجة ، ثم مؤتمرات او مؤامرات قيمة كان ختامها لهثـا وراء يارنغ وتسولا لفتاة الحل السلمي او الجزئي او التعويض ركوعا على اقدام يارنغ حامل نعمة قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ ت٢ ١٩٦٧ •



نحن لا نعجب ممن تعاون على تربيتهـم المتهودون وكونوا منهـم نواطير مسيرين •

لا نعجب ، اذ حدثنا البروتوكول رقم ١ عـن منهاج خلـق المطايـا وجب

يوجب مغادرة الرعايا السوفيات مصر ، ولم يدر ان هذا مسبوق بتخطيط مشترك مـدروس .

نسوا هذا كله واخذوا يرددون ، سنزيل آثار العدوان كأن خسارة مـا بعد ٥ حزيران عدوان وخسارة ما قبله ليس عدوانا .



ايها النساءون ، الرافعون اعلام نجاحكم الفردي على حجر زاوية الجراح ، ماذا قدمتم للبلد الجريح ؟

لقد فاتكم ـ وكم فاتكم وسيفوتكم وسوف يفوتكـم ـ ان عشرة يهـود متوجين باحدى سقاف فلسطين او احدى اوديتها هو العدوان المجسم !

فرحتم باستقبال سوء ، ولم تدروا ان تجاهل الثعبان يغريه باللدغة المميتة ، وان الافعى لن تكف عن النهش الا اذا علتها قدم تدق عنقها !

أيها النساءون ، كثيرا ما عللتم انكساركم تعليلا يثير الضحك ، طبعـا وشر المصائب ما يضحك ، تارة تقولون :

نحن منصورون لان العدو حاول اسقاط النظام القائم في بلدنا ولم يستطع ، وطورا تقولون : نحن منصورون لانا خسرنا الطائرات ولم نخسر الطيارين ، وآنا تقولون : العوض بوجه الاحرار ولو خسرنا القدس وآنا تضعون التبعـة عـلى عاتق القضاء والقدر .

لقد طال أمد تطاحنكم وجدلكم ومحاولـة سحـق بعضكـم بعضا وتبادل الشتم واللوم ، وآن لكم ان تستيقظوا ، وتخرجوا من قبـر التخاذل ليس حرصا على فلسطين ، بل حرصا على كيانكم الخاص وكراسيكم المسحورة .

أيها النساءون ، ان فكتوريا وعدت دزرائيلي بفلسطين منـذ عـام ١٨٩٨ وبلفور اعلن هذا الوعد منذ عام ١٩١٧ ، فمثلا دور الذي باع ما لا يملك .

ولئن افترضتم انفسكم اوصياء على قاصرين ووقعتم على مـا لا تملكون ، فقد الحقنا تواقيعكم بتوقيعي فكتوريا وبلفور اذ الجميـع لا يملكـون حـق

شاهدوا هذا ، فاعتصموا بالسكوت ، وتواصوا بالكتمان ، وزعموه مقررات سرية ، وتدافعوا لتوقيع الهدنة .

وقدموا لروزفلت يدا مثقلة بالرجاء ، ورأسا منحنيا بالتواضع ـ بل بالضعة ـ ظانين انه يضمد جراح فلسطين ، ولا يدرون ـ وكم عاشوا وهم لا يدرون ـ انه حفيد كلتيون روزفلت اليهودي ابن اليهودي حفيد اليهودي الذي عاش عضوا في القوة الخفية ، التي لا أمل لها بالحياة الا هدم الاقصى تحقيقا للتخطيط الماسوني .

فنسوا ان ايزنهاور اعترف باليهود منذ ليلة ١٥ ايار ١٩٤٨ وان وصايا ولسن الاربع عشرة ترى للعرب حق تقرير المصير ما داموا في الدائرة التركية اما اذا خرجوا منها فاتهم ذاك الحق . (١)

نسوا ان صنمي الغرب والشرق اللذين عبدوهما من دون الله ، متفقان بغرس اليهود شوكة في عيننا ، وها هو عبد الناصر يحدثنا عن السهم الذي نفذ من فوهة نسيانه او الخدعة التي انطلقت من فجوة غفلته .

ها هو ذا يعترف بالسهم الذي صوبته يد واشنطن وموسكو المتحدة فيقول يوم ٩ حزيران ١٩٦٧ من راديو وتلفزيون القاهرة :

« كان امامنا رسالة من الرئيس لندن جونسون ، سلمت الى سفيرنا في واشنطن يوم ٢٦ (يعني من شهر مايو) تطلب الينا ضبط النفس ، والا نكون البادئين باطلاق النار ، والا فسوف نواجه نتائج خطيرة ، وفي نفس الليلة ، فان السفير السوفياتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة ٣،٣٠ من بعد نصف الليل ، وبلغني بطلب ملح من الحكومة السوفياتية الا نكون البادئين ، باطلاق النار ، وفي صباح الاثنين الماضي ، الخامس من حزيران ، جاءت ضربة العدو » .

نسي هذا النساء الكبير ان الروس منذ يوم ٢ حزيران اصدروا بلاغا

١ ـ في الرقم ١٢ من وصايا ولسن الصادرة ابان الحرب العالمية الاولى ما نصه :
« التمتع بالحرية حق لجميع الامم التي تحت الحكم التركي » .
انظر كتاب (مبادىء ولسن الديموقراطية) ، مصر مطبعة المقطم والمقتطف ١٩٢٥ ، وانظر : كلوب : جندي مع العرب ص ٦٤ .

نحن واسرائيل

بقلم : حافظ اديب الزين

– تابـع العـدد الماضي –

أسباب قوة اسرائيل العسكرية والسياسية ، ومكانتها الدوليـة ، ونجاحها حتى الآن في فرصة واقعها كدولة ذات كيان ووجود مستقل بالنسبة لمعظـم دول العالم ، هي نفسها الاسباب التي ادت الـى تعاظم قـوة الحضارات الاوروبيـة والاميركية والروسية بل كل حضارة عبر التاريخ وتتلخص بما يلي :

١ ــ التخطيط العلمي والعملي في جميع المجالات ، تخطيطا مبنيا على الواقع الحاضر ، ويتبصر الخطوط العريضة للمستقبل الذي تريـده الدولة انطلاقا مـن هذا الواقع لا من اوهام وافتراضات وشعارات لا اساس لهـا في دنيـا الواقـع والتطبيق العملي •

٢ ــ التنظيم الدقيق الكفيل بتنفيذ المخططات الموضوعة على أكمل وجه •

٣ ــ استغلال جميع طاقات المجتمع المادية والبشريـة في سبيل تأمين حاجات الدولة الاقتصادية والعسكرية والسياسية •

٤ ــ اعطاء الاولوية للبحث العلمي والتصنيع المحلـي والاكتفـاء الذاتـي اقتصاديا وعسكريا ، واذا استمرت حالة المهادنة مع اسرائيل كما هي عليـه الآن ، فان اسرائيل ستحقق هذا الاكتفاء الذاتي خلال السنوات العشر القادمة •

٥ ــ تقديم مصلحة الامة والوطن على المصالح الفئوية والشخصية •

كل هذه العوامل جعلت من اسرائيل خلال خمس وعشرون عاما كيانا يحسب له ألف حساب في ميزان القوى في الشرق الاوسط ، وبـذا يمكنـه المساومـة السياسية والاقتصادية مع معظم دول العالم مهما اختلفت عقائدها •

بالنسبة للولايات المتحدة اسرائيل هي تلك الربيبة « الشاطرة » التي تمثل

التصرف من المالك وهو كما قال السلطان عبد الحميد : العالم الاسلامي •

ايها النساؤن

ايها النساءون ، ان ضحيتكم اتفقا بغرس اليهود كحربة ، واقاماكم حراسا لها •

اما نحن فقد تسافكنا باسم الانتصار لاحدهما ، كما تسافك اليونان والطرواد القدماء حول سيادة الآلهة وتسافك أهل صيدا وجبيل حول سيادة عشتار وادونيس •

اتفقا وخلقا في اوساطنا جماعات تمد يدها لليهود تحت راية الرأسمالية وجماعات تمد يدها لهم تحت راية الشيوعية •

اتفقا ودفعا وكلاءهما لتنفيذ ما اتفقا عليه ، اذ هما مصممان على تنفيذ عهود اليهود ولو اختلفت الانظمة ، اذ من ليس يهوديا متهما فهو متهود او ابن ارملة •

اتفقا ونفذا تخطيط اليهود التلمودي القائم على قاعدة (السابق بالضربة الاولى هو الناجح) •

اتفقا ، ولا عتب ولا لوم ولا تعنيف ، اذ من ديدن اللص ان يسطو على بيت القافلين ، وها قد قام بمهماته مغتنما فرصة غفلة ونسيان وتفريط وسذاجة وطفولة صاحب البيت •

اتفقا ، وما اجدرنا ان ننشد مع حافظ ابراهيم :

انا لا ألوم المستشا ر اذا تعلل او تصدى
فسبيله ان يستبد وشأننا ان نستعدا

بيروت محمد علي الزعبي

العرفان : طيب الله الانفاس يا شيخنا مثلك فليكن رجل الدين من النافعين ، وقد اصبح اكثرهم مع الاسف من المشعوذين ، وبينما كنا نهم ان نكتب افتتاحية بهذا المعنى اذ ورد مقال الشيخ الشاب بهمته واخلاصه فاكتفينا •

والفيليبين وماليزيا وبعض الدول الافريقية والاميركية اللاتينية وغيرها •

واسرائيل تستغل مكانتها الدولية تلك الى اقصى الحدود والغالبية الساحقة من يهود العالم أينما كانوا يتجندون لخدمة مخططات اسرائيل عن طريق عدة قنوات رئيسية ، مستغلين تلك المكانة :

١ ـ الاستيلاء على وسائل الاعلام •

٢ ـ الهيمنة على السوق المالي •

٣ ـ الوصول الى درجات عالية من العلم الذي هو عصب الحياة في هذه الايام •

٤ ـ تدريب الشباب اليهودي او استئجار المرتزقة لتنفيذ متطلبات تخريبية قد تحتاج اليها اسرائيل في هذا المكان او ذاك والقيام بمهام التجسس المطلوبة منه•

٥ ـ حث اليهود على الهجرة الى اسرائيل او على الاقل تقديم الدعم المادي لها وتنظيم تلك العمليات •

هذا بالنسبة لاسلوب عمل اسرائيل على المجال الدولي ، وتتناول الآن بالبحث ما تقوم به اسرائيل في المجال الداخلي لتثبيت كيانها وفرض نفسها كدولة مستقلة لا يمكن للعرب زحزحتها ولا يسعهم الا الاعتراف بها •

١ ـ يتكون سكان اسرائيل من فئات قدمت من شتى أنحاء المعمورة كثير منها لم يولد في اسرائيل فلذا لا تربطه بها سوى الروابط الدينية البحتة ، او الامل في ايجاد مجالات افضل للعيش والعمل في اسرائيل « وطنهم القومي » اذا كانت احواله الاجتماعية في موطنه الاصلي متدنية • وتعرف اسرائيل ان هذه الروابط ليست كافية لبعث الشعور الوطني الذي يدفع أولئك الى الاستبسال والموت في سبيل اسرائيل خاصة وان المستوى المعيشي في اسرائيل متدن نظرا للعجز الاقتصادي الدائم ، واعتماد الاقتصاد بشكل رئيسي على الهبات والمساعدات الدولية ، ولحالة الحرب او التوتر الدائمة مع جيرانها العرب • لمواجهة هذه الحال وضعت اسرائيل خطة تنفذ على مراحل :

أ ـ القيام بالتعبئة الاعلامية بين اليهود الذين يزمعون على الهجرة وهم

مصالحها في المنطقة خير تمثيل ، ولذلك فهي لا تتردد في تلبيـة جميع طلبـات « ربيبتها المدللة » •

بالنسبة لروسيا ، اسرائيل هي ذلك الوجود الـذي يكفل استمرار حاجـة العرب العسكرية والاقتصادية والسياسية لها من جهة ، والذي يماثل في تكوينـه الاجتماعي العديد من ملامح المجتمع الشيوعي التعاوني من جهة ثانية •

بالنسبة للدول الاوروبية ، اسرائيل هي الممثـل الامين للحضارة الغربية في الشرق الاوسط وقد جعلت اسرائيل لنفسها مثل هذا الطابع في ذهن اوروبا عـن طريق الدعاية الاعلامية واعلاء مستوى جامعاتها والمشاركـة في المؤتمرات العلمية العالمية واضفاء الطابع الغربي على الحياة في مدنها •

وبالنسبة للدول النامية ، فاسرائيل هي المثال للدولة الصغيرة التي استطاعت خلال فترة قصيرة من الزمن ان تبني كيانا عسكريا وسياسيا وصناعيا قويا وتشفع لها حالة الحرب مع جيرانها في اهتزاز كيانها الاقتصادي • واسرائيل بنـاء علـى ادراكها لنظرة الدول النامية اليها سارعت الى تقديم مختلف العروض الاقتصادية والماليه والفنية والعسكرية الى تلك الدول كي تكسبها الى جانبها في صراعها مـع العرب على المجال الدولي ، ومن جهة ثانية ، يمكن لتلـك الدول ان تصبح مـع الوقت السوق الرئيسية للمنتوجات والمصنوعـات الاسرائيلية وكمصدر رخيص للمواد الاولية التي تحتاجها صناعتها • من هذا المنطلق تمكنت اسرائيل مـن نيل اعتراف معظم الدول النامية الحديثة الاستقلال وبناء علاقات متينة معها يساعدها في ذلك الاستعمار الشرقي والغربي علـى السواء • والمراقب لمجريـات السياسة العالمية يمكنه ان يلاحظ بأن الكثير من هذه الدول قـد تنتقـد سياسه اسرائيل العدوانية واحيانا تصوت ضدها في الامم المتحدة ، ولكن اسرائيل وتلـك الدول تدرك ان هذه المواقف الدولية ليس لها مطلق تأثير على حقيقة العلاقات بينهما وفي الوقت نفسه تميد في اسكات العرب عن انتقاد تلك الدول وتدفعهم الى الزهـو « بانتصاراتهم السياسية في الامـم المتحـدة ، وفضحهـم لالاعيب الاستعمـار والصهيونية العالمية» ، بينما في الواقع نرى اسرائيل تبني علاقات اكثر وثوقا تحت هذا الستار من التمويه العالمي المشترك بينها وبين تلك الدول مثـل ايران وتركيا

بهذه السبل تعمد اسرائيل جادة على خلق كيان متماسك بالرغم من كونه يجمع شتات جماعات أتت من مختلف أنحاء المعمورة • ولكن واقع الامر يختلف قليلا عما تسعى اليه اسرائيل داخليا اذ ان في برنامجها هذا ثغرات عديدة مثل التفرقة بين اليهودي الشرقي والغربي ، عدم توفر الامان للمستوطنين اليهود ، تدني مستوى المعيشة ، انتشار البطالة ••• الخ • وتتجسد هذه الثغرات في مظاهرات اليهود السود والاضرابات المستمرة واشتراك بعض اليهود في تنظيم سري يهدف الى القيام بعمليات فدائية داخل اسرائيل • هذه الثغرات لا بد من استغلالها الى اقصى الحدود والنفاذ منها الى صميم الكيان الاسرائيلي ضمن خطة لتقويضه • واسرائيل تعي حقيقة هذه الثغرات وهي تسعى الى تلافيها ، وللاسف فان عملها في سبيل تلافيها يفوق بكثير محاولات العرب في سبيل استغلالها وتوسيع تأثيرها وانعكاساتها على الامن داخل اسرائيل ، ولكن هذا قدرنا نحن الشعب العربي ، حكومات تعرف الحقيقة ولكن تعمل على تعميتنا عنها وتعرف الطريق الصحيح ولكن فقط كي تبعدنا عنه ••• ونحن نائمون نومة أهل الكهف ، دب الكسل في عروقنا فتخاذلنا وتشربت نفوسنا بالمهانة فاعتادت الذل والهزيمة متنفسا لها ، وعلت عيوننا غشاوة « الضباب » فتهنا عن جادة الصواب ••• وبعدها نصيح بصوت يبدأ جهوريا ثم لا يلبث ان يخفت ويخفت تتخلله عدة تثاؤبات : ••• « النصر لنا » •

ماذا ننتظر يا اخوتي •• ماذا ننتظر ؟ !! لا يكاد يمر اسبوع الا ويطلع علينا احد المسؤولين الاسرائيليين بحديث يقول فيه بكل صراحة ان اسرائيل لن ترد الاراضي المحتلة للعرب وهي تجسد هذه السياسة ببناء عشرات المستعمرات في تلك الاراضي واستقبال عشرات الآلاف من المهاجرين كل سنة ، وفي نفس الوقت لا ينبغي علينا ان ننسى ان سياسة بناء الدولة الاسرائيلية التي تستوعب خمسة عشر مليونا من اليهود ما تزال نصب اعين المسؤولين الاسرائيليين ، طالما هم يواجهون بمثل هذا الاستهتار والتخاذل من قبل العرب • شيء لا بد ان تعرفوه : ان الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ تسمح لها باستيعاب مليوني مهاجر يهودي واكثر ، وهي لن تتخلى الا عن ذلك القسم الصحراوي من سيناء • فهل ننتظر ان تستوعب اسرائيل تلك الاعداد الجديدة من اليهود وتؤقلمها في جو

ما زالوا في موطنهم الام ، وبعث الشعور بالـولاء لـ « قوميـة الاسرائيليـة » ووجوب الاستقرار الابدي في « ارض الميعاد » •

ب ـ تأمين نقل المهاجرين ، وحين وصولهم تأمين السكن الفوري لهم فـي المستعمرات والقرى والمدن ، وضمن هـذه الخطة يجري بنـاء آلاف الوحدات السكنية سنويا •

ج ـ تعويدهم على جو المجتمع الاسرائيلي تدريجيا بواسطة خطـة اعلامية ذات هدفين :

١ ـ تعميق الشعور بالولاء القومي لدولة اسرائيل •

٢ ـ افهامهم بأن لا مجال امامهم للعودة الى موطنهم الاصلي ، فذلك يعـد خيانة قومية ودينية « لمشيئة يهوه » وبالتالي عليهم ان يكونوا دائما عـلى اهبـة الاستعداد للتضحية في سبيل اسرائيل في صراعها من أجـل الحياة ضد اعدائهـا العرب الذين يتربصون بها الدوائـر ويسعون الـى « سلبها » حقهـا التاريخي والقومي و « الواقعي » في الوجود •

٢ ـ جعلت اسرائيل من مجتمعها مجتمع حرب بكل منعى الكلمة ، فالتجنيد الاجباري مفروض على جميع الشباب والشابات واكثر مـن ثلث ميزانية الدولة تذهب لشؤون الدفاع والتسلح ، وصناعة الاسلحة متقدمة نسبيا فيها ، والتعبئة النفسية والاعلامية مستمرة ، والجندي الاسرائيلي يكرم كثيرا وله مكانة خاصة في نفوس الشعب ، والقادة العسكريون يتحركون باستمرار بين ظهرانـي الجيش والمواطنين لوضعهم دائما في حالة « تقبل » أيـة حرب قد تنشب وبالتالي تحمل الوضع الاقتصادي الذي سينجم عن هذه الحرب •

٣ ـ تحرص اسرائيل على توفير النشأة العسكرية والقومية الملتزمة لـدى الاطفال والشبيبة وذلك اثناء دراستهم وعن طريق التلفزيون والراديو وغيرهما من اجهزة الاعلام وعن طريق التنشأة البيتية ، واخيرا عـن طريق التجنيد الاجباري ، فهي تدرك ان ذلك الجيل الذي ترعرع في اسرائيل يكون التزامه بالارض أقوى ومشاعره القومية أعمق •

وحي الحياة

من قلم : روكس بن زائد العزيزي

٧٧

الذين يبرز الاقلال اسمى مواهبهم ، وتظهر الجدة خير ما فيهم مـن عناصر الانسانية ابطال يستحقون التمجيد !..

٧٨

سيزاحمك الناس حتى على الامور التي تظن انه لا مزاحم لك عليها !..

٧٩

الشرقية متهمة ابدا ، ولو كانت ملاكا ، لان اعصاب زوجها لم تتعود الامانة غالبـا !..

٨٠

في كل قلب ناحية بكر لم يطرقها رائد ، وهي تتوقع فاتحا يطرق بابها .

٨١

الرأي العام هو الذي يلقن الرحمة ، ويفرض السير بمقتضى الشرائع .

٨٢

لقد كان الشعب دائما هو القائد الرائد في كل دور مـن ادوار التاريخ وان ظهر نقيض ذلك !

٨٣

افتخر الديك بانه امير قنه ، فرد عليه الغراب: « اتدري ما وراء الجدران ؟»
« اتدري ان احتفاء الناس بك هم تدفع ثمنه كل ما يفتخر الشريف بصيانته » .

٨٤

نحن في حاجة عظيمة الى الصبر ، لمواجهة النكبات .

الحرب مع العرب ؟ هل ننتظر ان تنتهي اسرائيل من اشباع الاراضي المحتلة باليهود المدربين والمهيئين للحرب وخلال ذلك تكون اسرائيل تعد الجو العالمي لعملية توسع جديدة •• كل ذلك وما زال بين الحكام العرب من ينادي بالعودة الى قرار التقسيم كأنه ابن يومه ولم يتعظ بتجربة خمس وعشرين عاما من حياة اسرائيل •

الوقت يمر بسرعة ، ونحن نملؤه بالكلام والنقاش والمهاترات والنزاعات الداخلية والركض وراء مجلس الامن ، بدلا من ان نملؤه بالعمل والبناء الجاد لقوانا الداخلية ورص الصفوف •

الانسان العربي يكاد يفقد ثقته بنفسه واهليته للحياة الكريمة ، ولذلك نسمعه يردد عبارات مثل « العرب جرب » او « تحرير ؟•• ولا بألف سنة ما بنحرر فلسطين » •• الخ •• كفى ايها الحكام •• كفى حرقا بأعصاب هذا الشعب وامانه لنفسيته وكرامته ، لقد فشلتم واستهلكتكم السنون فتنحوا في سلام وأسسوا ناديا للمتخاذلين تقضون فيه بقية عمركم •• افسحوا المجال لمن يريد ان يعمل مخلصا في سبيل القضية •• هذه كلها صرخات تنبعث من قلب كل عربي ، ولكن نادرا ما تجد متنفسا لها في ظل اجهزة كبتكم • ان المسلك المتخاذل الذي تسلكونه تجاه اسرائيل ، قد دفع بالعديد من مفكرينا الى اليأس ، وبالتالي الى طرح فكرة الحل السياسي ــ الزمني لقضية فلسطين انطلاقا من واقع ان اسرائيل وجود قد فرض نفسه في ظل اللامبالاة والمهازل التاريخية وهذه الحلول ستكون موضوع حديثنا في المقال القادم ، وقد اخرنا بحثها قليلا لعرض ما جاء في هذا المقال ، كمقدمة لا بد منها •

الى اللقاء في العدد القادم

حافظ الزين

عميقة بارزة ، بروز عين الجاحظ ، وهي ان العدل الاجتماعي يسمى ، ولا يوجد •

٩٣

المصيبة تخلق الناس خلقا جديدا !
فان حلت ، استوجبت منا الشكر •

٩٤

يخاف الناس من العمل المؤقت ، بل يكرهونه ، فما بالهم يحبون الحياة ، مع علمهم انها مؤقتة ؟

٩٥

المحبون يهمهم ان يذكروا من يحبون ، وقد يكون ليس في ذكر احبابهم اي خير لاولئك الاحباب !

٩٦

لو اصلح كل واحد من المسؤولين شيئا من الفساد ، ما وصل المجتمع الى ما يعانيه من فساد وارتباك !

٩٧

نكبة الحياة ان كل واحد يعتقد انه مؤقت في مركزه ، فلا يسعى الى الاصلاح •

٩٨

لو ذاق المتهالكون على النسل مرارة العقوق لعلموا ان العقم نعمة احيانا !•

٩٩

الحياة سائرة بنا الى المساواة على كل ما نشاهد فيها من الادلة على نقيض ذلك ! ••

١٠٠

المثل السامية قيود ، ولا خير في الحياة اذا فقدت •

١٠١

سيصل الناس يوما الى حد يسكتون فيه عن النقد ، يوم يعلمون انهم شركاء في كل الهفوات التي ينتقدون !

اما الحياة فتتقاضانا صبرا ، وحكمة ، وذكاء ، وقد تضطر ابناءها احيانا الى النفاق ، فهل الحياة اعنف من النكبات ؟! ••

٨٥

عظمة سقراط تتجلى في ثباته ، وهو قادر على الهرب ، وفي تجرعه السم شاكرا الآلهة على هبتها التي يجهل الحكمة منها !•••

٨٦

لا يخلد في الحياة ، الا الصدق والحق !••

٨٧

ابتسامة فولتير ضرورية :

اذا حدثك الخائن عن الوطنية وارغمت على الاصغاء •

اذا حدثك الملوك عن العفاف !

اذا سلطت عليك الحياة احمق مغرورا •

اذا رأيت صدقا يحاول ان يقبض ثمنك ويطلب منك ان تكون انت السمسار !

٨٨

اذا بنيت الحياة الزوجية على العفاف والوفاء ، تحولت المودة بين الزوجين الى صوفية سامية !

٨٩

كل الافلاسات التي اصابت الاديان كان سببها رجال دين !

٩٠

كلما تقدمت السن بالزوجين المحرومين من النسل شعرا بوحشية الحياة ، وبقسوة العزلة •

٩١

اقسى ما تمر به المرأة ان تعلم انها محرومة من نعمة الامومة !

٩٢

بين اهمال الرئيس لحقوق مرؤوسيه ، وحاجة المرؤوسين لعطفه ، تبدو

المتنبي والخيول العراب

بقلم : وديع ديب

من العسير أن تجد بين أمم الارض وشعوبها ، أمــة كلفت بالخيــل وعنيت بدراسة أنسابها وطبائعها ، من حيث الاصالة والجودة ، ومن حيث النفع والخير ، بمقدار ما عني العرب بها • وبحسبنا أن نعلم أن الخيل أنزلت مــن كتاب اللــه العزيز منزلة المقدسات ، التي يصح بها القسم • كما في قولــه تعالى : والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، الى آخر الآيات البينات • ومما جاء في الحديث الشريف قوله : الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة • هــذا ويذكر ابن رشيق في كتاب العمدة أن اسماعيل عليه السلام ، هــو اول من ذلــل الخيل وركبها • وكانت قبل من سائر الوحوش • ثــم يذكــر خيل رسول اللــه (صلعم) جريا على العادة بالتبرك باسمه ، فيقول : ومــن خيله « السكب » وهو فرسه يوم « أحد » ومنها المرتجز واللزاز والورد • ومن ثــم يشير الــى أشهــر الخيول في الجاهلية ، من مثل (أعوج) لكندة ويذكــر أن سبب تسميته بهــذا الاسم هو أنه ركب يوم كان صغيرا رطبا • فاعوجت قوائمه ، وكان مــن أجــود خيل العرب • كذلك كان « حلاب » لبنــي تغلب • « والصريح » لبنــي نهشل « وجلوى » لبني ثعلب ، وداحس والغبراء لبني زهير و « اليحموم » للنعمان بن المنذر • وفي كتاب الفقه لابي منصور الثعالبي ، طائفة مــن أنواع الخيل بالنسبة لصفاتها المميزة حيث يقول : « فاذا كان الحصان كريم الاصل رائع الخلق فهــو العتيق الجواد ، واذا خلا من الهجنة فهو الاصيل المعرب ، واذا كان تــام الحسن فهو المطهم ، واذا كان حديد البصر فهو « الطموح » وليس بعيدا أن يكون فرس المتنبي من هذا النوع الاخير بحيث يلتقي الطموحان في حلبــة المجــد ، لتحقيق هدف واحد ، يعود عليهما بالخير المعقود على النواصي • والمتنبي هو الوحيد بين الشعراء الذي كان ينظر الى حصانه نظرة الند لنده ، والشريك لشريكه ، والخدين لخدينه » ، أليس هو القائل :

تركت السرى خلفي لمن قــل ماله ۞ وأنعلت افراسي بنعمــاك عسجــدا

١٠٢

الابناء في طفولتهم ودائع عند آبائهم وفي شيخوخة الاباء يمسون ودائع عند ابنائهم !

١٠٣

الكرم قانون الطبيعة ، والبخل بدعة الانسان !

١٠٤

البخل يكلفنا اضعاف ما يكلفنا الكرم في اغلب الاحيان •

١٠٥

الذي يخاف من النقد السخيف ، يموت قبل ان يبدأ الحياة •

١٠٦

لا فرق بين معنى صادق وشريف فكل صادق شريف ، وكل شريف صادق !

١٠٧

ويل للاخلاق من قوم يرونها حركات موزونة وتقاليد موروثة !

١٠٨

ويل للدين ممن يرونه رسوما مجردة ، وطقوسا ميتة •

١٠٩

قيمة كل شيء بمقدار الحاجة اليه !

١١٠

الايام كفيلة بهدم كل وهم ، وتحطيم كل وثن ، وتدمير كلّ صنم !

١١١

تظهر مادية البشر حتى في عبادتهم لله !••

١١٢

خضوعنا لما فرضته القوة ، وقبله الضعف لا يعني ان ذلك التحديد كان عادلا ، وان قبولنا كان صحيحا !

عمان ـ الاردن ـ للبحث صلة ـ روكس العزيزي

لــه فضلة عن جسمه فــي اهابه تجيء علــى صدر رحيــب وتذهب
شققت بــه الظلماء أدني عنانــه فيطغــى وأرخيــه مــرارا فيلعب
ومــا الخيل الا كالصديق قليلــة وان كثرت في عين مــن لا يجــرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتهــا وأعضائهــا فالحسن عنــك مغيــب

فهي بالاضافة الى جمالها ، وحاجة الاعرابي اليهــا ، في الحــل والترحال ، لاشبه شيء بالحصن المنيع المتحرك في الكر والفر وربما كلمة الحصان لها المدلول ذاته كما يلاحظ من معانيها عند الشعراء الفرسان من أمثال عنترة ، فارس بنــي عبس حيث يقول :

مــا زلت أرميهم بثغــرة نحــره ولبانــه حتــى تسربــل بالــدم
فازور مــن وقــع القنــا بلبانه وشكــا الــي بعبــرة وتحمحــم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لــو علــم الكلام مكلمــي

فحصان عنترة يشعر ويتألم ولكنه لا يدري ما غاية صاحبه من خوض غمار الحرب • غير ان حصان المتنبي يدرك مأرب صاحبه ، من اشارة لا تتعدى حركة الكف او القدم :

ومهجة مهجتي مــن هم صاحبها أدركتها بجــواد ظهــره حــرم
رجلاه في الركض رجل واليدان يد وفعله مــا تريــد الكــف والقدم
الخيل والليل والبيداء تعرفنــي والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقد يوميء لهذه الخيل الذكية باشارة من رمح ، أو ومضة من سيف ، فاذا هي تطير به بين الارض والسماء في اتجاه الرماح المسددة الى اهدافها :

وجردا مددنــا بين آذانهــا القنا فبتــن خفافــا يتبعــن العواليــا
تماشى بأيــد كلما وافت الصفــا نقشن بــه صدر البــزاة حوافيــا
وتنظر من سود صوادق في الدجى يرين بعيدات الشخوص كما هيــا
وتنصب للجرس الخفــي سوامعا يخلــن مناجــاة الضمــير تناديــا

يستدل من هذا القول ، ان الشاعر كفيل باسعاد حصانه في حالـة بلوغـه شيئا من أسباب السعادة • اما كيف ولع المتنبي بالخيل فأمر يعود بحسب رأيـي المتواضع ، الى عوامل عديدة : أهمها : أنه ربيب مدينة الكوفة ، التي كان منهـا العالم بأنساب الخيل هشام الكلبي ، المتوفي قبل ولادة الشاعر بنحـو قـرن من الزمن ، فقد توفي هشام سنة ٢٠٦ للهجرة ، وقـد ولـد المتنبي في حـدود ٣٠٣ للهجرة ، والمعروف عن هشام الكلبي ، أنه أخذ علم الانساب عـن أبيه محمد بن السائب الكلبي • وقد يكون من بعض العوامل أن أبا الطيب نشأ يتيما في رعاية أب عرف بالسقاء ، لانه كان ينقل الماء الفرات لبيوت الاغنياء ، على ظهر مطية ماء ولعلها من الخيل • واني لاتصور هذا الطفل الذكي ، مرافقا لابيه في بعض أعماله وقد جلس بين جرار الماء ، ينظر الى سراب بعيد بعيد ، حملـه فيما بعـد عـلى الـقول :

وصول الـى المستصعبات بخيلـه ولو كان قرن الشمس ماء لأوردا

ومن ثم أخذت هذه الاحلام والاماني تتفاعل في نفسه ، وتوحي اليـه بكل جليل عظيم ، وكان أن بلغ منه الفخر مبلغا لم يصل اليه شاعر من قبل • فهو يفخر بنفسه قبل كل شيء ، ويزهو بها ولا يلبث ان يتعالى في مجلس سيف الدولة على أميره هذا وبصوت يجلجل كالصواعق ، يقول للناس حوله :

الخيل والليـل والبيـداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ولعله البيت الوحيد من شعره • الـذي كان السبب في اخراجه مـن بيت سيف الدولة الى غير عودة •

وبديهي أن الخيل لم تعرف المتنبي بنسبة مـا عرفها أو عرف مـن شمائلها وطباعها ومختلف صفاتها • وربما كان الوفاء من أبـرز أخلاقها • فهي اكثر مـن مطية في طريق • انها الرفيق المخلص ، والصديق الامين ، وانهـا في عينيه لاجمل اشياء هذه الدنيا قاطبة •

ويـوم كليـل العاشقين كمنتـه أراقب فيه الشمس أيـان تغـرب

وعيني الـى أذنـي اغـر كأنـه من الليل بـاق بين عينيـه كوكب

رسوم

يقظة الروح

بقلم : السيد علي ابراهيم

كان يعيش في ليل من الشك طويل ، يأكل قلبه الحقد وتستحوذ عليه الكراهية للناس والاشياء فتنغص حياته ، ما رأيته سعيدا هانئا وانما هي ظلمات في نفسه تتراكم ، ونكد وشقاء يأخذان بيده لمصير اسود له اول وليس له آخر ، وكأن الطبيعة ارادت ان تسهم في هوانه وذله فجاءت به قزما تقتحمه العين ولا ترى فيه غير الصغار والاستكانة ، يسير في الطريق وكأنه يحبو ، يضاف الى ذلك سحنة منقلبة تحسبه لاجلها يبكي اذا ضحكت منه الحياة مرة فاقبلت عليه ، واجتمع له مع هذه السمات والعطايا فقر رهيب يصارعه منذ نشأ ووعى فترى الرغيف يسير امامه وهو يتبعه لاهثا متعبا ، وكان من نتيجة ذلك انه فصل كل قضية له عن الناس وعاش وحيدا في نفسه وتفكيره ، يحسب انه خلق للعذاب ، ولا يمكن ان يفكر بمجتمعه ومواطنيه الا من الناحية المؤلمة التي تبعث الاسى •

قلت في نفسي : احسب ان الايمان لو دخل قلب هذا المواطن لجعل منه انسانا طيبا وبدل القفر واحة جميلة وارفة الظلال ، فان التعاسة وليدة خلو النفس من العقيدة ، اوصله الفراغ في الداخل لجحيم الالم فلفحت وجهه النيران الملتهبة ولم تبق منه شيئا ، ثم غاب عن عيني وفكري واخذتنا دوامة الحياة فلم اعد اسمع عنه شيئا ، لقد هاجر وبقيت حيث انا ومرت على ذلك سنون طويلة واذا به يعود بعدها لجواري انسانا جديدا لا عهد لي به ، تغير فيه كل شيء واصبح الاعصار نسيما عليلا ينعش ويحيي • وطالما شددت الرحال واتعبت نفسي في سبيل البحث والتنقيب وطلب المعرفة فلا يمكن ان اهدأ وامامي هذه الظاهرة الغريبة ، وصلت حبل الود بيني وبين جميل وتعددت لقاءاتنا فكنت ارى نور نفسه يلقي على جسمه ظلالا عذبة محببة فتنهزم الدمامة وراء ذلك ، لم تعد العين ترى فيه غير الجمال والبهاء ، لان الشكل والمادة لا يدخلان في حساب المحبة والاحترام بقدر ما يدخل الاحساس والشعور ، ها هو يغمر الناس بعطفه وحبه فلا يذكرهم بسوء ، لا يكره ولا يحقد ولا تعرف البغضاء لقلبه سبيلا لا يبدر منه غير الخير

ففي هذه الابيات الرائعة تطل عليك خيل المتنبي ، بعيون تبصر ما وراء الليل ، وآذان تسمع ما وراء الضمائر ، فكأنما هي الشاعر في أروع ساعات الحدس والالهام . فلا عجب بعد هذا الوصف الدقيق البارع أن يكون المتنبي في طليعة من أحب الخيول العراب وهام بها وحدث عن ذكائها ووفائها وفاخر في صداقتها والعيش معها وهو القائل :

تركنا لاطراف القنا كل شهوة   فليس لنا الا بهن لعاب

اعز مكان في الدنى سرج سابح   وخير جليس في الزمان كتاب

من هنا يصح القول في ان هذه الخيول العتاق ، كانت من خير مقتنياته ، ومن أطيب أمانيه ولكم تمنى لو تكون اداة للفرار من الموت ، لا خوفا ولا جبنا ، ولكن على سبيل ان تكون من وجوه الاسباب الى حياة أطول وعيش افضل ، لعله يحقق حلما يوحد به امة ، ويعز به شعبا . بيد ان الحياة اضيق من ان تتسع لحلم جميل جليل .

ونرتبط السوابق مقربات   وما ينجين من خبب الليالي

وديع ديب

بيروت

وهناك من تكون الاريحية شعاره والشهامة نهجه فيمشي في الطريق القويم مرددا :

فلا نزلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

ولا ادري لم التصقت بنبيل وسرت خلفه وشدتني اليه أسباب المحبة والتقدير ، كنت اراه من جنود الوطن وان لم يلبس شارة الجنود ، لم يفهم للتفرقة معنى فالمواطنون لديه سواء تناجيهم الشمس عند بزوغها ، ويصافح وجوههم النسيم عند هبوبه ، وهم يسيرون في درب واحد الى مصير مشترك ، يجمعهم الحس والشعور ويتعرضون جميعا للارزاء والنوائب ويشتركون بالمسرة والتمتع بأطايب الحياة ، لم يعترف بالالوان والميزات التي خلقها الانسان فحطمت كيانه وهدمت امنه وسعادته ، نظر للدين من ناحية وهجه واشراقه فهو لديه سبيل للرفعة والسمو وعلاج للمرضى ، يستهدف بتعاليمه الانسان ليسمو ويرتفع ويبتعد به عن الشر والاذى :

لا يخرج العالم من ظلمة لولا تحليه بعلم ودين ..
فلا تخالن من خلا منهما شيئا وان قيل من العالمين

ما كان منذ وجد وهتف له الداعون سببا للتناحر والتباغض اذا ادرك الانسان حقيقته ، ونظر للوطنية من جهتها الخيرة الكريمة فهي لديه تضحية وفداء، وبذل وعطاء تأخذ بيد الانسان لتحقيق المثل العليا والقيم الخالدة الباقية على مرور الازمنة ، فلا يجوز ان تكون بابا يلج منه المتاجرون فيها للربح، ويستعملونها ستارا لمآربهم واغراضهم حتى اذا وصلوا اليها تخلوا عنها .

اما النظام فهو عند نبيل النعمة الكبرى التي حصل عليها الانسان بعد طول الدأب والسرى ، وبعد ان جاهد وناضل وقطع المدارج كادحا ، لحمته وسداه الثقة ، وهو رمز التقدم وعنوان المدنية والحضارة ، ولن يكون بغير ذلك مفيدا للحاكم والمحكوم ، ولن تستقيم معه الموازين .

بيروت علي ابراهيم

والاحسان والرضى والحنان ، اشرقت السعادة في وجهه ودخلت الطمأنينة قلبه فحل البشر في كيانه .

قلت له ذات يوم : لا يصح لك ان تتركني حائرا مضطربا وانا اقارن بين ماضيك وحاضرك مستغربا هذا التناقض بينهما ، انك ذهبت شيطانا ورجعت انسانا فما هو سبب التحول والتغير ؟! فقال لي : انها يقظة روحي يا صديقي ، تعبت من السير في الظلام وأدمت قدمي أشواك الجحود ، انصرفت في هجرتي الى العمل ودأبت عليه بعد البطالة هنا ، فكنت أصل الليل بالنهار ولا أرتاح الا بمقدار الضرورة ، ولا ادري لم قادتني هذه الحياة الجديدة للتفكير بالله وبالناس اكثر من التفكير في نفسي ، وها أنذا أحس اليوم بانني نقطة صغيرة في هذا الكون العظيم أسمع دائما النداء يتردد بين فكري وقلبي (الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله) .

من جنود الوطن

كان يجيب دعوة الداعي ويهب لنصرة المظلوم ، اذا سبرت غوره وتبعت خطوه وجدته يعيش للناس وتعنيه آمالهم وآلامهم لا يحبس نفسه عن مشكلة انسان ، ولا يقف ساكتا امام خطب عرى ، تراه دوما في زحمة من العمل يتصبب جبينه عرقا ، ولا يهدأ او يسل .

هي للنفوس خصائص يصعب علينا تأويلها ، جمعت ارادة الله في الحياة النقائض وجعلت للكون سرا لا تدركه العقول :

عجبا لامر الفكر تصرعه الرؤى ... ويحب دوما ان يطل فيصرعا ...
ما انفك يجري في مجال متعب ... يسعى فيعجز في الطريق اذا سعى
شكلين تبصر في جمال رائع ... الطب حل بواحد فتضوعا

فانك ترى هنا انانيا منكمشا على نفسه ، تشغله انا عن الوجود ومن فيه ، يحسب الدنيا خلقت لاجله ووجدت لتحقيق اغراضه ومآربه ، يشعلها نارا متأججة ليحصل على غاية رخيصة ولا تسمن ولا تغني من جوع ، لسان حاله ينشد :

اذا مت عطشانا فلا نزل القطر

فلنعش اخوة ، نحارب الشر ،
ونقضي عليـــه ،
نلطف الحمى ، ونخمد الـــنار •
••• ما من شيء ، ينغص العيش
ويقضي علـــى الكيان ،
مثل التفرقة والتباعد •

ــ ٤ ــ

الامة التي تريد الخير ، في صفوفها ،
والاصلاح في عملها ، عليها :
أولا ــ ان تتبع الحزم والجد •
ثانيا ــ ان تستند على الحقيقة ،
لانها السلاح الذي لا يصدأ ،
والقوس التي لا تنكسر •
ثالثا ــ ان تسهد عيون ابنائها ،
وتصرف عقولهم عن القشور ،
الـــى اللبـــاب •

ــ ٥ ــ

لا نستطيع انجاز الاعمال ،
بمقاومة الصعوبات فحسب •
بل هنالك نواة ، لا غنى عنها ،
في كل عمل ، نعمله ، ونريد ان يكون مجديا •
هذه النواة ، بل هذا الاساس في النجاح ،
هـــو المثابـــرة ،

خمس ست كلمات

بقلم : نصرت توفيق خريش

— ١ —

الام ، نـواة العالم واساسه .
توجتها الدنيا ، بالرأفة والحنان .
... على البنين ان يجعلوها
في عروش افئدتهم .
ويقدموا لها قرابين الحب والعطف .
لانها عماد حياتهم ، ربتهم صغارا .
وزودتهم بالفضيلة كبــارا .

— ٢ —

اهدموا ، كل اساس متداع ،
وشيدوا على انقاضه ، ما هو أقوى .
أعدوا جيلا ، يحطم صولجان الفوضى
ببصيرتــه ،
وعلمـــه ،
وثقافتــه ،
يخط الحق ، بيراعة الحق .

— ٣ —

التعايش الودي يكون :
بالتسامح والخير والاخوة .

الوجودية والقضية العربية

بقلم: حسن يزبك

يعتبر الفيلسوف الالماني ادموند هوسرل ــ الذي توفي عام ١٩٣٨ ــ من كبار مؤسسي الفلسفة الوجودية ، وهو الذي اكتشف نظرية (الاحالة) في اوائل هذا القرن ، وخلق حركة التحويل في (نظرية المعرفة) ــ ايسبق الفكر موضوعه ام ان الموضوع يسبق الفكر ؟ وقد عرفت فلسفته بفلسفة (الظاهريات) واسم الظاهرية مأخوذ من الظاهرة ، والظاهرة هي ما يواجه المرء تلقائيا في الادراك العادي • لقد جاءت هذه الفلسفة كنتيجة طبيعية للشك الذي راود النفوس كثيرا في اواخر القرن الماضي فيما يتعلق بالعلوم جميعها ــ لا سيما ــ الرياضيات ــ في ذلك الوقت ابرز برتراند رسل رأيه المشهور ــ (الرياضيات هي العلم الذي لا يدري المرء فيه عم يتحدث وفيم يبحث ، ولا اذا ما كانت عباراتها صحيحة) والجانب الخطير فيها ، انها تثير ازمة الشك في (الميتافيزيقا) لقد بزغت المشاكل جميعا في فلسفة هوسرل من نظرية واحدة استدعتها ظروف العصر باكمله •

تعتبر فلسفة هوسرل (الظاهرياتية) مصدرا اساسيا من المصادر الفلسفية التي بنى عليها جان بول سارتر ثقافته الفلسفية الحديثة ، وقد حاول تحديد مفهومه حول فكرة (الاحالة) بهذا الشكل (ان العالم لا شيء وان الذات لا شيء ايضا ، وذلك قبل عملية الاحالة ــ ان الاحالة تعمل على انبثاق الذات والعالم معا في لحظة واحدة ، وضمن عملية وجودية واحدة) قال ذلك قبيل الحرب الكونية الثانية • ان هذه الحرب باحداثها المروعة تمثل نقطة تحول اساسية في تفكير سارتر الفلسفي وهي التي دفعته للوقوف وجها لوجه امام (الكوجيتاتوم) الديكارتي ــ معلنا (انا موجود اذن انا افكر) وليس هنالك من ماهية تسبق الوجود ، الانسان حر ــ حرية لا حد لها ــ حر في تفكيره وفي اختياره للعمل الذي يجب ان يقوم به ، وسيكون مسؤولا في النهاية عن كل تصرفاته واعماله ــ وفي سبيل تطبيق هذه النظرية ــ عمليا ــ انخرط في صفوف

والمواظبة على العمل .

ـ ٦ ـ

الطغيان ، وان استبد ،
برقـاب الـناس .
فلا بد للسواد ان يتبدد ،
وللنهار ان تسطع شمسه .
... سواعد الشباب خلقت :
لتحطم الجور ، وتغسل ما يدنسه الطغيان .

بيروت نصرت خريش

لقد تكشف سارتر في السنوات الاخيرة ــ هــذه حقيقــة مؤلمــة يجب ان نعترف بها ــ عن (يسارية رخوة) اذ مالأ الصهاينة في احتلالهم لفلسطين متجاهلا ذلك التشابه بين الحركة الصهيونية والحركة النازية ــ وكان يعتبر مــن كبــار المثقفين الفرنسيين الذين وقعوا على بيان ايار المشهور الذي صدر قبــل حــرب حزيران ١٩٦٧ ــ ونحن لا زلنا منذ سنوات ننتظر من سارتر ــ فيلسوف الحرية والضمير الانساني ان يقوم بتحديد موقفه الانساني الجديد ازاء القضية العربية ونرجو ان يكون قد سمع او قرأ عن مذابح الصهيونية الجديدة •

دكــار حسن يزبك



ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقــا لمقتضيات فنيــة لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

حركة المقاومة الفرنسية التي ازعجت الاحتلال النازي ـ كان يريد من خلال حركته النضالية ـ ان يبلور مفاهيمه حول ، قضية الحرية والالتزام امام مواطنيه والعالم ـ كان يقاوم ويفكر ويكتب ، اصدر في ذلك الوقت كتابه الفلسفي الكبير (الوجود والعدم) ـ ترجمه للعربية الدكتور عبد الرحمن بدوي ـ فأحدث ضجة خطيرة في الاوساط الفكرية ـ الفلسفية ، وفي تلك الفترة كتب مسرحيته المشهورة (الذباب) وهي من وحي احداث الحرب واهوالها ، وفي هذه المسرحية يتعرض سارتر لمشكلة الحرية والمسؤولية ، (لقد قمت بعملي يا الكتر ، وساحمله على كتفي كما يحمل عابر الماء المسافرين ، فاوصله الى الشاطىء الاخر واكون مسؤولا عنه وستزداد فرحتي ما ازداد ثقلا علي الحمل ٠٠ لان حريتي هي اياه ٠٠) كان هذا حديث (اورست) موجها الى (الكتر) في مسرحية (الذباب) ٠

لقد كان سارتر معروفا في البلاد العربية بنزعته التقدمية واليسارية ، وبعاداته للاستعمار والامبريالية وكانت اكثر مؤلفاته الفلسفية ومسرحياته ورواياته التي اصدرها خلال (الاربعينات والخمسينات والستينات) تتحدث عن قضايا الحرية والاختيار والمسؤولية ـ المسؤولية اتجاه الآخرين وكانت الشعوب المضطهدة ترى فيه : المحامي الانساني الطيب ـ من هنا نستطيع ان ندرك لماذا كانت فلسفته الانسانية تنتشر في ربوع الوطن العربي وعلى اي ـ اساس ـ كان يمنح لافكار سارتر ذلك الحب والتقدير ٠ لقد كان الانسان العربي في تلك الفترة ـ فترة الخمسينات ـ يعيش حالة التمزق والضياع وكان في امس الحاجة الى قيادة فكرية ـ فلسفية توجهه وتخطط له دروب النضال والعمل وتبلور له قيمة الحرية وتأثيرها في النفس ، فقد وجد في (الوجودية) صورة مهزوزة للحضارة الاوروبية وهي تعاني مرحلة المخاض ، تعاني ازمة الشك وهي تقف على شفير الهاوية ـ انها تبدو سائرة نحو الافلاس الروحي ٠

الانسان العربي حصل ـ نتيجة اتصاله بالحضارة الغربية ـ واحتكاكه بها حصل على القشور اخذ الاشياء السيئة وتخلى عن الاشياء النافعة المفيدة ـ من هنا برزت ازمته ونتج عنها تلك الفوضى الاجتماعية التي يعيشها ، لقد مست الوجودية اذن ازمته وحضارته وحركت وجدانه ٠

« وكانت هذه الجموع الزاحفة ـ للتفرج والنزهة ـ تتألف من فئتي الرجال والنساء ، انعزلت كل فئة منهما عن غيرها انعزالا تاما ، تدر ان تجد معه رجلا يرافق امرأة ، او امرأة تسير منفردة الى جانب رجل من اقربائها ، غريبا كان أم قريبا » .

« وكانت النساء محجبات حجابا تاما لا يظهر سوى ايديهن ، ويغلب على ملاءاتهن وبراقعهن لون السواد الفاحم ، يمشين كتلات متفرقة او متراصة ، حيث لا يسمح للرجال ان يقتربوا منهن ، او يحوموا حولهن ... » .

ولا يفوته ان يعرج على ذكر الخصومات التي كانت تنشب بين الاحياء الشعبية لاتفه الاسباب ، حيث يبدأ التراشق بالحجارة ، وخاصة بين حي الشركسية وهي سكة الصالحية ، وبين حي الميدان وحي الشاغور ، واحيانًا تمتد الخصومة الى الكبار ، فتستمر اياما ، ويسقط فيها الجرحى والقتلى ، ويؤدي الامر الى تدخل العناصر المسلحة « الضبطية » .

لكنه يتحدث بالمقابل عن جانب آخر مضيء من عادات أهل دمشق ، هو « الصبحيات » التي كانت مقتصرة على النساء ، مصطحبات ضيفاتهن الى أحد البساتين القريبة ، فلا يزلن ينتقلن بين الاشجار على ضفتي النهر ، حتى يخترن مكان الصبحية ، حيث يتناولن قهوة الصباح ، فتمد الارض بالسجاد ، وتوضع فوقها الطنافس والارائك ، وقد يطول مجلسهن ، فيتسامرن ويتحدثن ، ويدخن ، ويضرب بعضهن على الخود ... فقد كان بين نساء دمشق في الماضي عازفات ماهرات ، ومنشدات بارعات ، لا اعذب من اصواتهن ولا ابدع ، كسامية خانم ـ نابغة الفن الشامي ـ وعائشة ، وفهسية وغيرهن من الموسيقيات ، والمغنيات المغمورات اللواتي كن ينشدن الموشحات الاندلسية ...

ويتحدث في الفصل الثالث عن دراسته الاولى في كتاب الشيخ (محمد معتم) الذي كان صورة لكتاتيب دمشق ، وقضبانه الثلاثة المختلفة الاطوال ، وكيف يستعملها ، الطويل للصبي البعيد ، والوسط للمتوسط ، والقصير للقريب ، وهو جالس في مكانه لا يتحرك كصخرة حطها السيل من عل ، وكيف كان الصبية يجلسون متربعين على حصير بلدي سميك ، داخل غرفة عفنة نتنة مظلمة ، ليس

الدكتور كاظم الداغستاني في كتابه «عاشها كلها»

بقلم : عيسى فتوح

لا اعرف انني قرأت كتابا بمتعة ونهم مثلما قرأت كتاب « عاشهـا كلهـا » للدكتور كاظم الداغستاني ، الذي لم يسعدني الحظ في التعرف اليه الا قبل فترة قريبة ... فقد سمعته يتحدث من وراء الميكروفون ، وقرأت نتفا مبعثرة مما كتب عن كتابه ، فزادني ذلك شوقا لقراءته ...

يقع الكتاب في ٣٢٣ صفحة من القطع الوسط ، ضمنه ذكرياته عن دمشق قبل اكثر من نصف قرن تقريبا ، ولا سيما الحي الذي عاش فيه ـ حي سكة الصالحية ـ وبيته ـ بيت الافندي ـ كما كان يسميه أهل الحارة ، اكبر البيوت واكثرها اتساعا ، وهو بناء من الطراز الشامي المعروف بليوانه وغرفه الكثيرة المحيطة ببحرة واشجار وعرائش ، وجناحيه : البراني المخصص للضيوف ولعب الاطفال مع اصدقائهم ، والجواني المخصص للنساء وضيفاتهن .

كانت الصالحية ، في زمن الصبي ـ كما يسمي نفسه ـ ضاحية من ضواحي الشام القديسة ، يقصدها المعافون للنزهة ، والمرضى للاستشفاء ، وكانت وسائط النقل هي الحمير البيض ، ذوات السروج الحمر التي يهرول الاجراء من الصبية وراءها ، وهي تتسلق براكبيها الطريق الصاعدة الى الصالحية ، ليعودوا بها الى مراكز انطلاقها في المدينة ، سيقانهم عارية ، واسمالهم بالية ، واقدامهم حافية ...

هذا المنظر الذي عفى عليه الزمن بفعل الحضارة والآلة ، سجله الدكتور الداغستاني بعين المصور ، في جملة اعترافاته الحميمة عن ماضي دمشق قبل ستين عاما ، مما لم يتطرق الى وصفه أحد ممن كتبوا عن هذه المدينة العريقة التي شهدت ولادة التاريخ ، كما يتعرض ، من خلال حديثه عن النزهات في سكة الصالحية ، الى وصف مجتمعات الحريم فيقول :

وكان هذا أحد المهتمين بتربية وتطيير اسراب الحمام ايضا ، اقتيد الى الجندية الاجبارية ، فاختاره اليوزباشي التركي آذنا في بابه ... لكنه تأخر يوما عن موعد عمله ، لان الابلق قائد السرب ، شرد عن سربه ، وعبثا حاول اعادته وهو في الجو ... فاهتم واغتم وتأخر ساعتين ، فكان تأخره سببا لشنقه ، في حين رفض أحد يشتري الابلق بعد وفاة صاحبه لانه كان شؤما عليه .

في الفصل الخامس ذكريات الداغستاني عن مرابع اللهو في دمشق قبل اكثر من نصف قرن ، كخيمة كركوز وعيواظ ، ومسرح التياترو ، ومربع الكباريه ، ومطرباتها كساري جبران وغيرها . اما الفصل الذي يليه فقد اثبت فيه ثلاث رسائل طويلة كان قد بعثها للاديبة السيدة الفة الادلبي من معرة النعمان ، تحدث فيها عن أبي العلاء ، وأصل تسمية شارع أبي رمانة (الجلاء) بدمشق ، ثم عن مدينة افاميا التي تتوسط سهل الغاب .. واخيرا ينهي الكتاب بذكرياته الباريسية ، يوم قصد فرنسا طالبا . فلم تختلف ذكرياته هنا عن ذكريات أي طالب فارق شرقه الطيب الانيس الوادع المحافظ ، لينغمس في حمأة اللذات والشهوات ، ولذلك خرجت اعترافاته عن دائرتها المحلية ، لتصبح ذكريات عامة ، ليس لها لون خاص ، او نكهة مميزة ، الا في حدود انها تحمل اسم صاحبها ...

ان اهمية الكتاب تنبع من الفصول الاولى حتى سفر مؤلفه الى باريس ، لان هذه الفصول الممتعة حوت كنوز الماضي ، ماضي دمشق الذي أوشك ان يمحي من الاذهان ... اعترافات صحيحة مئة بالمئة ، نقرؤها فنلمس الفرق بين مجتمع دمشق في الماضي والحاضر ، هذا الحاضر الذي تغلغلت في حناياه شفرة المدنية الحديثة ، فراحت تزيفه ، تتأكله من اطرافه ، وتقترب من بؤرة الضوء فيه شيئا فشيئا ، حتى يأتي يوم نرى دمشق تحيا حاضرها فقط .

لقد قص الدكتور الداغستاني ذكرياته الحسية بأسلوب سهل يفيض بالرقة والعذوبة والدفء والحنان ، فكان امينا في التصوير ، كما كان صادقا في الوصف ... والكتاب في جملته شريط حفل بشتى الصور الزاهية والالوان البديعة عبر ماس لا أحب ولا امتع .. زد على ذلك الاسلوب الطلي الذي صب فيه اعترافاته

لها الا نافذة واحدة اتخذ الشيخ من ارضها موضعا لطعامه المؤلف من خبز التنور والبصل فقط ... وقد خلعوا في العتبة قباقيبهم الخشبية التي براها قدم السير عليها ، فأصبحت رقيقة كأنها قشور الاخشاب اللينة ، وصلت بين طرفيها سيور من جلد ضيقة عتيقة ... ويصف ضيقه بهذا الكتاب وألمه ، وبكاءه ، حتى اضطر الشيخ الى وضعه في الشباك لعله يتسلى بمرأى المارة من خلال قضبانه الحديدية، و « الصبيرة » وهي لوحة من ورق سميك مهترىء كتبت عليها حروف الهجاء منفردة واضحة رغم ما تراكم عليها من اوساخ قديمة العهد ...

ثم يحدثنا عن كتاب آخر كان فيه أسعد حالا ، هو كتاب الشيخة أم رشيد وابنتيها الشيختين فاطمة وامينة الكلاس ، اللواتي كرسن السنين الطويلة لتقرئة القرآن ، وتعليم القراءة والكتابة والحساب للآلاف من فتيان الصالحية ، وقد اولته الشيخة أمينة عناية خاصة ، جعلته يتفوق على رفاقه حتى ختم القرآن .

ولختم القرآن عيد وفرحة في الكتاب والبيت معا ، حيث يلبس الصبية الجديد من الثياب ، اما هو فيلبس الطربوش ويجلس بين يدي الشيخة التي تروح تتمتم بعض آيات ، تنفخ في نهايتها على رأسه ووجهه ، ثم تطلب اليه أن يقرأ في اول المصحف الذي تفتحه امامه ، وقد وقف تلامذة الكتاب يحيطون به ، فيرتل سورة الفاتحة ثم البقرة ولا يكاد يصل الى مطلع الآية السابعة التي مطلعها « ختم الله » حتى يخطف أحد زملائه الطربوش عن رأسه ويركض به الى والده في البيت فيسلمه وينتظر هدية البشرى ، ثم يسير الصبي بعد ذلك وحوله رفاقه ينشدون الى البيت حيث تقام الفرحة ...

وفي الفصل الثالث وعنوانه « ابن الحارة » يروي لنا جانبا من ذكريات الشيطنة ، وشوقه لان يتشبه بكل « قبضاي » او « زكرت » او « معدل » ... وكيف قادته شيطنته الى طعن أحد رفاقه برو النيني بخنجر ، فاضطر أهله الى ارساله الى المدرسة الشرقية في زحلة ، حيث تتلمذ على العلامة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف ... ثم يتحدث عن هوايته في تربية اسراب الحمام وتطييرها ، وقد كانت هذه الهواية شائعة في دمشق حتى عند أفراد الطبقة الراقية ، كما يذكر المرحوم فخري البارودي في مذكراته ... ويجره الحديث عن الاسراب الطائرة ، الى حكاية طريفة ومؤسية ، بطلها حليم ملكة صاحب « الابلق المشؤوم » ...

مع الخالدين

مقابلة مع العالم الفرنسي فابر : هوميروس الحشرات

بقلم : سمير شيخاني

صوت ــ « باسم القانون القي عليك القبض .. » سمع الرجل الكهل المستلقي بوجهه فوق الرمل كما لو كان شحاذا نائما ، هذه العبارة ، فالتفت الى شرطي القرية وسأله بكل هدوء عن السبب . فقال له الشرطي : « لقد كنت اراقبك . انت شخص مشبوه ، لم ار احدا مثلك من قبل . آمرك بمرافقتي » . وقفز الكهل كالجندب وراح يوضح للشرطي انه انما يدرس الحشرات . وبسخرية اجابه هذا : « الذباب .. اتتوقع مني ان اصدق انك تستلقي ههنا تحت اشعة الشمس المحرقة لمراقبة الذباب ؟ » وهز رأسه ، الا انه ما لبث ان دهش اذ لمح في عروة ذلك الكهل ذي العينين السوداوين البراقتين والقبعة السوداء العريضة شريطة وسام جوقة الشرف ، فتركه وشأنه . وعاد الكهل يبحث في التربة امامه ، وكان قد جاء الى ذلك المكان منذ الفجر مع خروج الفلاحات الى الحقول ، وبقي حتى الغروب ، فلما لمحته احداهن وهي عائدة الى البيت قالت لرفيقاتها : « مسكين هذا الرجل ، انه لا ريب مصاب بمس .. » والواقع ان جان هنري كازيمير فابر قد اعتاد مثل هذه العبارات التحقيرية . فمنذ طفولته وهو موضوع سوء تفاهم في كل امر . ولد فابر في قرية من جنوب فرنسا الوسطى سنة ١٨٢٣ من ام لا تعرف القراءة ولا الكتابة ...

فابر ــ وفضلا عن ذلك كانت امي تعتبر ان حبي للحقول لهو مضر ، وجمعي للمعادن ولاعشاش العصافير والحشرات من عوارض الجنون . وكان والدي فلاحا فاشلا ، ساخطا ، قلق البال . وبعبارة اخرى كانت حياتنا ، حياة اسرة فابر ، حياة بائسة انقضت في احياء الريف الفقيرة ، تميزها الديون ، وعدم الاستقرار العاطفي ..

وانطباعاته ، هذا الاسلوب الشعري الممتزج بأصداء النفس وانعكاسات الـروح الداخلية .

كنت وانا أقرؤه احس باجواء طه حسين في كتابه « الايـام » لشدة الشبـه بينهما ... اسمعه يحدثنا عن طفولته : « لقد كان يحس ان الفرح يملأ قلبه وان السعادة تفعم كل جانحة من جوانحه ، فيشعر بالغبطة تلف ذاته والمرح يحتويه .. لقد احتواه المرح ... مرح الصبا العظيم ، فألفـه واعتاده ، والنفوس على مـا اعتادت والفت » .

انه سكب اعترافاته تلك بلغة ناعمة طلية ، تقرؤها فـلا نحس فيهـا العسر والتكلف ... لغة قريبة من كل نفس ، شبيهة بلغة الهمس الدافي الحنون ، ومن هنا كان منبع الشهرة الواسعة التي حظي بها الكتاب ، فدفعه التشجيع الذي لقيه من القراء والاقبال المنقطع النظير الى الاسراع في طبـع روايتـه « حكاية البيت الشامي الكبير » التي لا تقل روعة وجودة عن « عاشها كلها » .

دمشق عيسى فتوح

والطبشورة ، ولساني • بهذه الاشياء الثلاثة سيطرت عليهم وسحرتهم • وادخلت في منهاج التعليم الممل مبادىء الكيمياء والفيزياء التي لم ادرسها قط شخصيا • ولكنني باستعارة الكتب ، وبالادوات البسيطة كنت اسبق تلاميذي بدرس الموضوع ، فاذا دخلت الصف نقلت اليهم ما وعيته من حقائق مقرونة بالحماسة • وقد كلفني كتاب عن الحشرات مرتبي الشهري مما اضطرني الى قبول اعطاء تلميذ دروسا خاصة في مادة الجبر ، مع انني لم اكن اعرف شيئا من ذلك • الا انني عكفت على دراسة الجبر ، وكذلك الهندسة ، فوجدت متعة في ذلك لا تضاهى •

صوت ـ لا عجب في ذلك ، فانت القائل في وصف الاعداد : « انها حجر الزاوية الجبار في قبة هذا الكون ، وسيدة الزمان والمكان » • ولكن الواجب سرعان ما شدك ، يا ايها المعلم في الاقاليم ، اذ انك تزوجت في الحادية والعشرين وتجرأت ان ترزق طفلا وانت ذو دخل بسيط •

فابر ـ صحيح ، ولكن الطفل لم يعش طويلا ، وبقي المرتب ضئيلا لا يفي بحاجتنا • ولكي أحسن وضعي تعمقت في دراسة الكيمياء والفيزياء وحزت على شهادات عليا من جامعة مونبيلييه • الا انني لم اوفق الى منصب تعليمي حسن فعدت الى كلية كاربنترا ، والى التنقل في الحقول في ساعات الفراغ لمراقبة الحشرات ودراستها • وكان زملائي شديدي الغيرة من شعبيتي بين طلابي فاطلقوا علي لقب الذبابة •

صوت ـ ولكن تلاميذك الذين كانوا يفكرون بالقاب اكثر لذعا لاساتذتهم الاخرين كانوا يعبدونك حقا • واخيرا حدثت لك مغامرة بسيطة ، لعلها المغامرة الوحيدة في حياتك الطويلة التي دامت اثنتين وثمانين سنة • فقد تسلمت كرسي الفيزياء في احدى كليات جزيرة كورسيكا بمرتب سنوي يعادل ٣٦٠ دولارا • فسافرت الى الجزيرة الشهيرة بازهارها وقممها المكللة بالثلج وشواطئها واصدافها •

فابر ـ الواقع ان جزيرة كورسيكا بدت لي كالفردوس ، وفيها تعرفت الى عالم نباتي شهير علمني كيف اميز بين مختلف الازهار التي تحيط بي ، كما

صوت ــ ولكي تنقص الاسرة فما يلتهم طعاما ، ارسلت وانت في الرابعة من عمرك الى جديك البسيطين الساذجين في الريف ، فتركاك تنمو وتكبر على هواك . وهكذا التقطت اذناك اصوات مختلف الحشرات التي رأتها عيناك وعمدت يداك الى التقاطها في تلك المنطقة الريفية . وكانت السنوات الست التي قضيتها هناك اساس مهنة فريدة في نوعها استمرت ثمانية عقود توجت بما يسكن ان يسبغه عليها العلم والادب والملوك والحكومات من آيات التكريم والتقدير .

فابر ــ وفي العاشرة من عمري دخلت احدى المدارس حيث كان اولاد صفي من البلادة بحيث قضوا خمس سنوات ليتعلموا القراءة ، في حين انهم اكتشفوا في خمس دقائق انني كنت اختلف كثيرا عنهم ، فجعلوني ادفع الثمن بتهجماتهم علي واهاناتي وضربي .

صوت ــ ولما فشل والدك في اعمال الحراثة،راح يتنقل بين الاحياء الفقيرة في مدينة بعد اخرى مديرا المقاهي الحقيرة . فتحولت حياتك الى جحيم من المشاحنات والقذارة . فلما حرمت التعليم وانت في السابعة عشرة هست على وجهك في طرقات جنوب فرنسا البيضاء ، سعيدا مع انك كنت خالي الوفاض .

فابر ــ كنت هكذا حرا فلم آبه لخلو جيبي من المال ، ولبقائي احيانا بلا طعام . وقد عملت احيانا في الزراعة والحراثة واحيانا في السكة الحديدية. واتفق مرة ان اشتريت ديوان شعر باللغة العامية فلم يبق معي ما آكل به ، فجرجرت جوعي ورحت انشد الابيات الشعرية لقاء تصدق الناس علي بما اسد به رمقي ..

صوت ــ وفي مدينة آفينيون تقدمت الى مباراة للحصول على منحة تتيح لك الالتحاق بدار المعلمين فنجحت واحرزت الدرجة الاولى . ولكن الاساتذة اعتقدوا انك كسول ولم يدروا انك كنت تحت ستار الاستظهار بلا فهم تدرس اللاتينية وحاليا كنت تدرس اليونانية من كتاب ليس له سوى ترجمة لاتينية . وتخرجت في سن التاسعة عشرة ، وعملت في التدريس في كلية كاربنترا ، وكان تلاميذك من كل الاعمار ، منهم الذكي اللامع ، ومنهم المتأخر عقليا ، وجميعا قذرون ، وغير مؤدبين ، ويكرهون الدروس والاساتذة على السواء .

فابر ــ ولم يكن لي من وسائل الدفاع ضدهم سوى اللوح الاسود ،

الا فترة قصيرة حتى استدعاك الى باريس ومنحك وسام جوقة الشرف • وقدمك الى الامبراطور نابليون الثالث • ولكن ذلك لم يؤثر فيك فهربت من الناس ومن ضجيج العاصمة رافضا حتى مشاهدة المتاحف الطبيعية، مفضلا على ذلك اصوات الحشرات التي كنت تعيش واياها •

فابر ــ ولكن ايام نابليون ووزير تربيته كانت معدودة ، اذ اكـره رجـال الدين الوزير فكتور دوروي الذي قاوم نفوذهم في المدارس علـى الاستقالة • ووضع اسمي على اللائحة السوداء بصفتي كنت انعم برضاه ، وفصلت من عملي في التدريس لاني سمحت للفتيات بحضور دروس البيولوجيا التي اعتبرها رجال الدين مفسدة لاخلاقهن •

صوت ــ وكنت قبل ذلك بشهور التقيت في اثناء نزهاتك انكليزيا وحيدا ، مكتئبا لوفاة زوجته هو الفيلسوف الشهير دجون ستيوارت هل ، وكان يشاطرك حبك للنبات • فلجأت اليه ، وحصلت منه على قرض بمبلغ مئتي دولار • فمـاذا فعلت بهذا المـال ؟

فابر ــ انتقلت واسرتي المؤلفة من زوجتي وخمسة اولاد وابي العجوز ، الى منزل صغير بالقرب من اورانج ورحت اواجه المستقبل الـفارغ فـراغ جـدران الحجرة التي كنت اعمل فيها • وكنت اذ ذاك في السابعة والاربعين مـن عمري ، وقد قوطعت في مهنة التعليم ، ولم يكن لدي مـن حطـام الدنيا سوى مجموعة غريبة من المعرفة في الحشرات • فرحت اروي ما اعرفه عن اسرار حياتها •

صوت ــ ولعل تلك الصفحات التي كشفت فيها الاسرار المركبة في حيـاة تلك الحشرات ليس لها مثيل في الكتابات العلمية • انها جواز مرورنا الى صميم اسرتك الصغيرة ، مملكة الحيوان • الا ان الكتب المطبوعـة علـى ورق حقير ، وباحرف صغيرة ، ولا رسوم فيها تزينها ، ولا دعايـة تواكبها ، تبيـع ببطء ولا تروج كثيرا • ولذا لم تدر عليك كتبك الا اكثر قليلا مما كسبته من مهنة التعليم، وذلك بصورة غير منتظمة • وتجاهلك النقاد الادبيون ، وانكر العلماء على هذه الكتب ذكاءها وسحرها •

فابر ــ لقد خشوا اذا ما قرئت صفحة دون تعب وجهد ان تكون المعلومات

تعرفت الى عالم حيواني معروف علمني كيف اشرح البزاقة • وقد كان ذلك دافعا لي لكي انطلق في دراسة علمين جديدين ، فلما غادرت كورسيكا بسبب داء الملاريا ، تقدمت لنيل شهادة البيولوجيا في جامعة تولوز •

صوت ـ وادهشت الاساتذة بمعرفتك ونفاذ بصيرتك • ولكن افضل منصب قدم اليك كان في احدى ثانويات آفينيون بمرتب سنوي يعادل ٣٢٠ دولارا ، والغريب في الامر انك عندما فقدت هذا المنصب التعليمي بعد عشرين سنة كاملة كان مرتبك هو اياه •

فابر ـ في هذه الاثناء وقع بين يدي الكتاب الذي بدل حياتي بحق وحقيق • كان مجلدا في علم الحشرات وضعه عالم كان يعتبر ثقة في زمنه • الا ان ما يجعل لصفحاته اهمية كبرى ليس ما كانت تحتويه تلك الصفحات بل عبارة مغلوطة قادتني الى اكتشاف الحقيقة الصحيحة • ومع ان اكتشافي ذاك كان بسيطا في حد ذاته الا ان قيمته تكمن في انه اظهر لي ان كل شيء في العلم يمكن ان يكون موضوع تساؤل •

صوت ـ وانقضت اربعون سنة قبل ان تعتبر دراستك كاملة تامة بحيث تعمد الى نشر النتائج التي توصلت اليها • فلما ظهرت ابحاثك راح علماء الحشرات في باريس وسواها من العواصم يفركون عيونهم • فقد كان علمهم حتى ذلك الحين في معظمه اندفاعا نحو اكتشاف انواع جديدة • وغالبا ما كان مطلقو الاسماء يعتبرون الحشرة معروفة عندما يمكن اطلاق اسم عليها • وكنت انت من اكتشف حيوات هذه الحشرات • فبدلا من جمع الحشرات الميتة وتثبيتها على الدبابيس ، كنت تحتفظ بالحشرات الحية في اقفاص لدراستها ، كما كنت تعيش معها في الحقول •

فابر ـ وفي انكلترا قرأ تشارلز داروين ابحاثي بشغف ودهشة ، وكتب الي من فوره طالبا معاونته في اجراء اختبارات غريزة عودة النحل الى القفير ، وما لبث فيما بعد ان دعاني « المراقب الذي لا مثيل له » •

صوت ـ وذات يوم زارك وزير التربية فيكتور دوروي الذي كان يقلب نظام المدارس الرسمية في فرنسا ، فوجدك استاذا ممتازا وعلى هواه • وما هي

الاسلام دين الحياة

بقلم : عبدالرحيم الزين

عدنا والعود احمد . الا ان المكان غير المكان الاول . جلستنا هـذه كانت على ضفاف نهر يفصل ارض القماطية عن ارض بمكين يدعى (النهر الافوت) .

وما ان استقر بنا المقام حتى بادرني احد الرفاق فقال : هـل الاسلام ديـن الحياة ؟ قلت له اسمع : اجل الإسلام دين الحيـاة لا ريب ، يعتبرهـا ويرعاها ، ويتسع لشؤونها ويعالج مشكلاتها التي تتصل بالاحياء انفسهم ، وبما حولهم مما خلق الله من اجلهم .

جمال الوجه مـع قبـح النفوس   كقنديـل علـى قبـر المجوسي

والتوجيهات الاسلامية منذ بكرة الصبا أمتع سياج ، واقوى حاجز لكـل جيل وخصوصا جيلنا الصاعد من زحوف الفوضى الخلقية التي يجلب بها علينـا الاعداء من افلام تستهوي وتفسد ، ومجلات فيها تلون الحرباء ، وعادات سيئـة تنتقل عدواها في غير ابطاء الى البنات والابناء الذين لا يجدون منـا هذه الرعاية هم اليتامى حقا والذين عناهم امير الشعراء شوقي بقوله :

ليس اليتيم من انتهى ابـواه من   هـذي الحيـاة وخلفـاه ذليـلا

ان اليتيـم هـو الذي تلقى له   أمـا تخلـت او ابـا مشغـولا

اذن فبالبديهة أيها الاخوة الرفاق ان الدين يميز الخبيث من الطيب ، ويفصل الحلال والحرام ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويوفـر الكمال في هـذا الانسان ، ويدع للعقول المبصرة والافكار النيرة امورا تعمل فيها الرأي جهدنـا حتى لا يحصل التقصير ، ولا ننتظر فيها بينة من ربنا يقول النبـي الاعظم (ص) ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فـلا تعتدوها ، وحـرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم فلا تبحثوا عنها .

لقد مدح الرسول (ص) نساء الانصار فقال : نعـم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين .

التي تتضمنها غير صحيحة .

صوت ـ وفي اواخر حياتك ابتعت قطعة ارض بالقرب من مدينة اورانج ، كانت فردوسا للحشرات التي كرست حياتك لدراستها ، فحملت اليك الشهرة ولو متأخرة ، ولقب « هوميروس الحشرات » الذي اطلقه عليك العالم الادبي . وراح العلماء كذلك يقرعون بابك بعد ان اعترفوا بقيمتك العلمية .

فابر ـ وفي عيد ميلادي السابع والسبعين ـ اي في سنة ١٩١٠ ـ كانت بلدة سيرينيان ملتقى النخبة من العلماء والكتاب المشاهير العالميين الذين احتفلوا بيوبيلي ، وفيه تدفقت علي الاوسمة والانعامات والالقاب والدرجات العلمية الفخرية .

صوت ـ الا ان كل ذلك لم يحركك البتة ، مع انه سرك بالطبع .. وكان قد تبقى من حياتك خمس سنوات ، فلم تكتب الا القليل القليل ، ولم تعد تعمل بين اقفاصك الا لماما . وأذكر ههنا ان احدهم شاء ان يمتحن ايمانك بالله فسألك : « اتؤمن بالله » فماذا كان جوابك ؟

فابر ـ اجبته ، يا سيدي بما يلي : « لا ، انا لا اؤمن بالله ـ انا اراه في كل مكان .. » .

بيروت سمير شيخاني

كواهلهم الاعباء الثقيلة من حفظ النظام والحريـة والاستقلال وحمايـة العدالة الدينية والاجتماعية .

وهم المحور والقطب اللذان تدور عليهما رحـى صيانـة الاوطان وصيانـة النفوس والاعراض والاموال والقوانين الالهية والوضعية .

وهم الجنود البواسل اذا دق ناقوس الخطر على سلامة الشعوب الضعيفة ، وفيالق الدفاع عن المبادىء الشريفة ، وفرسان الكفاح في ساحـة الحرب الـتي يسببها رجال المطامع والاستغلال والاستعباد .

وهم الثقاف الذي يقوم اعوجاج المستبدين والظالمين والغاصبين .

وهم الذين برؤيتهم تنقشع سحائب الهموم والغموم والامتعاض .

أجل لانهم اشد تثبتا بالحياة ، واكثر تطلعا الى معالي الامور مـن الكهول والشيوخ الذين جف معين حياتهم ، وانحدروا مـن سماء القـوة الـى وهـدة الضعف ، واعرضوا عن الدنيا واقبلوا عـلى الآخرة ومن قـرأ تاريـخ الاسلام وخصوصا معركة كربلاء لوجد ان الشباب هم الذين كانوا يهجمون عـلى الموت دفاعا عن الرسالة وحفاظا على كلمة الحق واعلاءها فعلـى الشباب وحدهم يتوقف العمران والاستقرار شرط ان لا يكونوا من الشباب المخنثين المتخنفسين اليـوم ، الذين خرجوا من الدين عـلى الدين وخصوصا ابنـاء حملة العلم الذيـن جاهد آباؤهم حق جهاده وهم قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم مـن الرمية واصبح همهم الوحيد تمشيط شعورهم وتدهينهـا وكويهـا وحشو بطونهـم طعامـا ، وجلوسهم الى طاولات القمار والخمور .

فاذا صاموا هاموا عن الفضيلة ، واذا افطروا افطروا على الرذيلة .

واذا حجوا فالى خمارة او بيت دعارة . كسالى عـن الطاعـة نشاطى الـى المعصية .

القماطيـة عبد الرحيم الزين

فهل كان منهجهن في الفقه والمعرفة على غرار ما يشيع اليوم في الصحف والمجلات ، وعلى ألسنة بعض الذين يجيبون على أسئلة القراء . والذين يحلون مشكلات الاسر ، واللواتي نواجههن في المجتمعات المختلطة ؟

ومن اعجب ما رأيت في حياتي ان امرأة تسير في الشارع العام وهي في غاية الكمال وفي احسن حجاب وابنتها تمشي بجانبها وهي في غاية الخلاعة والسفور .

وكأني بالمربي الشاعر الكبير الاستاذ كامل سليمان قد عنا هذه الفتاة بقصيدة له طويلة (١) قد اخترت لكم بعض ابياتها يقول الشاعر :

فاتنة تلقي الحيا جانبا ... بارزة في حسنها مسفرا
في شبه عري وقح صارخ ... قد زينته فبدا مسعرا
قد قصرت من ثوبها طوله ... بل جعلت ما تحته اقصرا
ان جلست ابدت لنا عورة ... او انحنت عن ظهرها شمرا
وعرضت للناس من جسمها ... ما كان لولا عريها لا يرى
تلك صبايانا ـ وشبابنا ... خنافس ـ يا رب ما أحقرا

ألسنا بحاجة الى شباب واع مؤمن ؟ بلى والله اننا بحاجة ماسة وملحة الى مثل هؤلاء الشباب .

فالشباب هم امل الامة وعمادها ، ونبراس الحياة ورمزها ، ورجاء المستقبل.

وهم القوة الفعالة في بناء المجد وتركيز حجر الزاوية في انشاء هيكل الحضارة والمدنية والعمران .

وهم الشعلة المتأججة الوثابة الى السمو والصعود في سلم الرقي والخلود .

وهم الينبوع الفوار المتدفق بالحيوية والنشاط المتطلع الى وجه الوجود بالغطرسة والاعتزاز .

والشباب هم الذين تقوم على سواعدهم الاعمال الجبارة ، وتلقى على

١ ـ لقد اثبت هذه القصيدة في كتابي الذي سيصدر قريبا ان شاء الله .

بسمة الشهيد

قصة - بقلم : حسين أحمد شحاده

••• قبل ان ينبلج الفجر الكاذب •• زرت معبــد الاحلام •• فرأيتها تغفو على سفوح الرمز المعقد •• تنتظر على مضض خلانها المعذبين •!

••• وانساب اليها صدى انيني وتنفسي العميق ليالملم وشاح الكرى عــن جفنها الناعس •! اما تنهداتي فراحت تنشر في اجوائها لحنا حزينا كأنه الموت ينتقم من كارهيه •••

وكالمسحور •• سلمت اليها •• عقلي •• وقلبي •• وروحي •!

وبحنان •• استسلمت الي بكل جوارحها •• وانطلقنا الــى عالم اوشك ان يدرك مراتب الكمال ••!

فرمت على صدري باقة من الآمال الوردية •• الخضراء ••

واشارت الى روض فتي ينضح بعرف التعبير المؤثــر •• ويهمس •• وفــي همساته ثقة عبر سور من مشاتل النور البريئة وهي تقبل اطار لوحة اثرية : انهــا الانسان في اطواره وتطلعاته •!

فلم ابال بتقلباته •• لانني بعض وجودها الحائــر المضطرب وتلهفت الــى المجهول من امري وامرها •• فلاحت لعيني تباشير المستقبل وهــو يسـزق حجب الانسانية المعذبة ويضفي على رعبها القاتــل وصمتها الرهيب نغمات باسمة مــن الدعة والامن والسلام ••!

فسنني الخير واستبشرت حتى كاد ان يذوب الغموض من وجناتي لولا ان ضج سؤال في نفسي ••• ما سر هذي الحياة الجميلة ؟؟



••• تلك الينبوع في خريره عبر تعرجات الجدول •• ودنــدن منتشيا : انا

فبي تسمو الحياة .. وتحضر .!

ابتعدت عنها .. وكلمتها من وراء حجاب .!

اني ارى بهاؤك المتكبر .. ذابلا كورقة خريفية على خـد الافق البعيد .. فانت خجلى تشقين الغروب .. وثوبـك .. يـا شمس .. يخشى ان يغتصبه الظـلام ..

ولئن ضحكت بك الدنيا .. فسريعا ما تغضب .. بعـد ان يلتهمك البحـر المسحور .!

★ ★ ★

والتفت الى الحنان ... استشف منه الراحة والدفء والاخلاص فاذا بكف، امي تنام على جبيني لتمسح عنه تجاعيد التردد ..

والارتباك .. وسمعتها تقول بجلال ووقار ...

ولدي حبيبي ...

واسترسلت في حديثها اسلوب عاطفي اثار مشاعري لتؤرخ مسؤولية الام عبر الزمن ... الى ان قالت :

يا بهجة الروح ... ويا فلذة الكبد ..

نحن امتداد لهذا الوجود ..

كان بنا .. وبنا سوف ينتهي ...

... أفلسنا لغز الروعة والبهاء في هذا الكون الفسيح ؟

ونحن كما تحس وتشعر ... مدرسة الحب والخير والجمال ..!

حاولت ان اتكلم ...

وحاولت ان تستمع الي كأنني انغام انشودتها الساحرة ...

فلم تفلـح ..

ودعونا السكون وحده يترجم اختلاجات نفسينا عبر ذبذبات الاحاسيس ..

سر هذه الحياة الجميلة •••

قلت : لا ••

انت تبكي لمن يبكي عليك •!

وتجود بدمع •• كان لمن تسخو اليه

وعطاؤك لا ينكر •••

لكنه ليس ربيع الحياة ••!

★ ★ ★

••• وهف النسيم العليل ناعسا على زيتونة خضراء •••

فتبجحت بدلال :

انا كسرة الخبز في افواه المساكين

بجبيني حطمت اعمدة الجوع •••

رحيــق ثغري ••

كان دوما بلسما للجراح

في عروقكم يسري دمي •!

فأنا •• شراع السنين •• ترسو على شط الامانــي الخالدات اجبت تفيــا وقلــت :

كوني كيف شئت •• فانت لا تبلغين الخلود •••

★ ★ ★

فسخرت بنت السماء مني •• ومنها •• ورمقتني بنظرة شزراء تتقــد وهجا وقالت وهي تلدغني بسهامها الساخنة وتحاول ان تنفذ الى اعماق اعماقي :

في شعاعي وقود الارواح ••

وفي سناي كان خفق القلوب ••• ولم يزل ••

ومـــن اين ؟

ابتسم دون ان يخفي لوعته واجاب :

انا من مدينة دفنت تراثها في كهوف التاريخ ...

انا المنسي من مدينة النسيان ..

أنا دموع الابرياء .. وأنات اليتامى وبؤس المحتكرين ..

أنا رسالة ابدية ودمي احرفها ..

أنا نبع يتدفق من حوض الخلود ... بلا حساب ..

انا سنبلة ذهبية يتناسل الحب منها في حقول الرجاء ...

انا شمس اشرقت .. لكنها لا تركن للغرب .. ولا يستهويها المغيب ..

انا كلمة حق .. قيلت عند حاكم جائر ..

قلت افصح ...

اجاب وبسمة تزهر ... وجهه .. انا الشهيد ..

انا الطيف القاسي في ضمير الظالمين ..

وانا الطيف الحاني ... في ضمير المظلومين ..

انا يا عزيزي .. لغز هذه الحياة الجميلة ..

وما انهى حديثه .. حتى اسبل جفنيه .. وسلم الروح ..!

★ ★ ★

... استيقظت من نومي .. ونفضت عن عيني النعاس .. ورحت ابحث عن بقايا بسمة الشهيد ... ولكن !

وبكل حسرة .. لم اجد في بلادي .. للشهداء مقابر .. واذا بامتي امجاد .. وامجاد .. وامجاد .. غير انها لا تتنفس ..

وتمنيت .. ان التقي .. بشهيد الليلة في حلمي الجميل .. بيد اني ..

وعلمت ••• ان اللغز الذي ابحث عنه ابعد من تصوراتها ••!



سئمت المسير •••

وكان اليأس يقتلني ••• وحسبت ان دروبي تبتلعني وتلفظني الى متاهات الضياع ••• لولا ان نادى بصري قنديل زيت باهت واستدعاه • شبح ينحني على الارض والدم يتقاطر من ذراعيه بحرارة كأنه يناجيه ويحثه على العسل الدؤوب والاشواك حوله تعرقل ما يأمل انجازه •• ويرجوه ••!

بيد ان هذا الدم الملتهب كان يرسم في الارض كلمة :

يا ارض •• انت جسر للعقيدة ••• وملتقى العاملين •• للمبدأ •••

وان كنت عظيمة ••• فمن الرسالة والانسان •••

والا •• فما انت الا •• مهد •• ولحد ••!

ورأيته •••

يقتلع جذور الالم بقسوة هي الرحمة ••• مستمدا من عمق جراحاته قوة وبيديه حفنة من تراب الهي مقدس •••

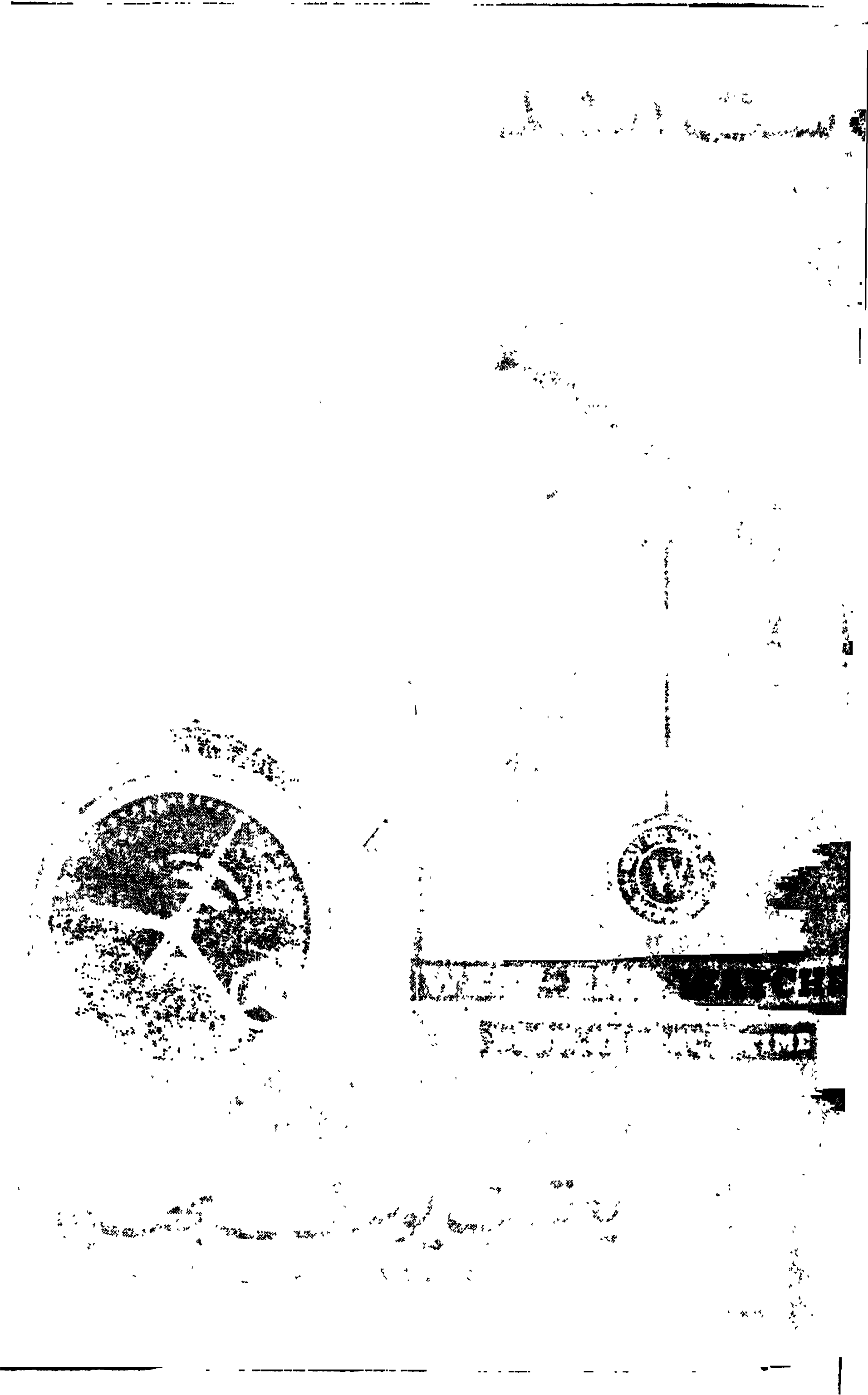
يواري بها مستنقعات الذلة والهوان •• وما تعانيه الكرامة المهدورة من زيف وتمزق •• وعبودية •••

••• ثم ابتسم ابتسامة هادئة •• كأنها العزة تلثم ثغره •• ورفع يديه نحو السماء ••• وتمتم بكلمات •• دعتها دماؤه •• وحفظتها وضمتها بين حناياها •• لتخلد بخلودها المجيد •••

••• هرولت اليه وانا ذاهل مما اراه •••

ودنوت منه اكثر بعد ان استلقى على ظهره وتوجه نحو قبلة المسلمين ••• واذا بعينيه تبرق باشعاعات النصر والحياة فاهتزت كل ذرة في كياني •• واعتراني الخضوع والرهبة من جرأة هذا الموقف النبيل ••• وسألته :

انت ••من انت ؟


WATCHE

بسمة الشهيد

اواه •! يا اسى •• ويا خيبة الآمال •••

وجدت المسلمين ••!

يلتزمون بما يتفق مع اهوائهم ونزعاتهم •••

واما •• حين يقتضي الالتزام •• تضحية ودما •• ونكران ذات ••

فليسوا مسلمين ••! فبكيتهم ••! وبكيت نفسي ••! لانني كاتب احلام•• وخيالات •• بلا الوان ••

وتساءلت : من ومن ينفخ في صدر التماثيل ••• الحياة ••؟

من يلصق الحرف على شفة الحجر ••؟

مشهد حسين احمد شحادة

الربيعي ربيـــع الاصدقاء

★ ★ ★

حل بيننا فجأة الاديب المفكر الاستاذ عبد العزيز الربيعي ولكن لايـام قليلة كعادته ، مع انا كنا ننتظر ان يقضي الصيف بيننـا ، وكـان موضع الحفاوة مـن اصدقائه ومحبيه ، ثم غادرنا الى القاهرة ليغرق بين الكتب كما فعل بلبنان • وحين يزور الربيعي لبنان ينشط سوق الادب ، ونـدوة العرفـان الادبية الـتي تفخر بالربيعي وتعتز بادبه ترحب به اجمل ترحيب وتتمنى عليه ان تكون اقامته اطـول فيما بيننا لتتمكن من القيام بالواجب نحوه على اكمله ، وقد قرأنا مقالا في الجديد وآخر في الاديب عن اريحية الربيعي ، كما وردتنا قصيدة في مدحه فالـى اللقـاء في تشرين •

النبع الصافي من شعر الصافي

الشاعر العفوي ياتيه الوحي احيانا دفعة واحدة واحيانا ياتيه الوحي متقطعا، وهذا ما جرى للصافي في قصيدته مع الماضين التي يراها القاريء على الصفحة المقابلة ، فبعد شهر من وحي تلك القصيدة وبعد عمل « الكليشه » لها ، جاءته هذه القطعة مكملة للقصيدة وهي كما يراها القاريء من نفس العيار ، اما محل التكملة فياتي قبل البيت الاخير من القصيدة ، وهذه هي الابيات :

حتى حجى من يقول ، يجمد ان
لم يلق ردا من سامع ذرب

العقل ينمو مع الحوار ، اذن
فارث زمان الحوار واكتئب

ان احتكاك الافكار يقدح كالزند
ويأتي بالنور واللهب

فانقم على الراديات ان تك أبصرت
جمودا في الشعر والادب

لقد فقدنا مجالس الادب
فما سوى الراديات والكتب

نبغي كلام الاحياء مختلطا
لم تخف في الراديات والترب

مع الماضين

شعر: احمد الصافي النجفي

متعتُ عصري والقادمين غدا … من أدب مشرق السنا، عجبِ
ليتَ يعود العهد القديم، لكي … لا يحرم السابقون من أدبي
أريد رهط الماضين يسمعني … ماليَ بالحاضرين من أرَبِ
أمة عرب صفت ينابعها … لم يُفسِد الغرب ذوقها العربي
منهم بنجد، لمّا يزل أثر … يحفظه ربنا من النوبِ
وإنني منهمو، فما مسخت … مني «الثقافات» طابع العربِ
مني قريبون رغم بعدهمو … ولي بهذا العصر عيش مغتربِ
شخوصهم في الخيال حاضرة … تُسمعني ما تركن في الكتبِ
فكيف لا أستطيع أُسمعهم … من أدبي المستثير للطربِ
كأنني سامع «الإذاعة» لا … يستطيع ردًا للقول عن كثبِ
من لم يطق رَد من يخاطبه … جُمّد عقلاً وعاش عيش غبي
ذلكَ «حقن» للفكر في أذن … ليس كلامًا، ان كنت لم تُجبِ
لو سمعوا من يردُّ قولهمو … مَا أفرطوا في الخداع والكذبِ
كنَا قديما نردُّ قائلهم … حتى البليغ، الفصيح في الخطبِ
صرنا بعصر الآلات وأُسفي … لدى سماع الأقوال، كالنُصُبِ
تبًا لعصر الآلات صَيّرنا … آلاتِ سمع، لكل مغتصبِ
لصم غدا القول والسّماع لنا … ما مَرّ هذا في أظلم الحُقبِ
لو تعقل الراديات لانفجرت … إذ حمّلوها كذبًا، من الغضبِ
«آلات نطق» هنا تقابلها … «آلات سمع» تلوح كاللعبِ ؟!
«إنساننا» ناقصٌ بعصرهمو … فابكِ عُصور الظلام وَانتحبِ

كلما عاودني ذكر الهوى فيك هزتني المنى والعنفوان
وتراءى لي بساطا حوله لندامانا كؤوس وقيان

★ ★ ★

اي كأس ناولتنيه يد بضة ناعمة كالسندس
فرشفت الكأس والثغر معا رشفة تحيي فؤاد المحتسي
وتدانت لي فكانت غفوة بيننا لولا رنين الا كؤوس
غفوة مسكرة في سحر ساحر يفضح سر الانفس
واذا بي دونما ادري على ساعد في الرمل رخص الملمس
تعبت فاتنتي واستسلمت للكرى لكنني لم أنعس

★ ★ ★

انا يا احباب قلبي شاعر في بحار الحسن والحب غريق
ما على الشاعر من ذنب اذا جن بالغيد واغواه الرحيق
هو في تيه الاماني زورق قد رمته الريح في بحر سحيق
هو من احساسه في سكرة ابدا في الدهر منها لا يفيق
فاعذروه ان تعاطى كأسه في الدجى‌او في الضحى‌او في‌الشروق
انه يطرد بالكأس الاسى بعدما مل االندامى والرفيق

★ ★ ★

السنى يرفض تبرا وفمي في خمار من رحيق القبلات
والندامى من بعيد هتفوا بالاغاني للعيون الملهمات
كل حسناء على ساعدها صبها يغمرها بالهمسات
كلما ردد نجواه لها قابلته بالرضا والبسمات

ليالي الحب في الصيف

شعر: احمد محمد الخليفه

اقبـل الصيف وغنتنـا المنـى اغنيـات الحب في دنيـا الجبال
وتهـادى الشاعـر الشادي عـلى موكـب الحـب يغنـي لليالـي
شاعـر يقتـات بالنجـوى ولا غيرها يصبيه فـي ليـل الوصال
يـا ليالـي الحب حسبي وقفـة للمواعيـد علـى هذي الرمـال
اتسلـى فيـك احـلام الصبـا صادحات في رؤى الذكرى حيالي
ان مـن يصبيه تذكـار الهـوى فهو بالروح ـ فتـى ـ غير مبالي

★ ★ ★

يـا عـذارى الحب آن الملتقـى فأعيدوا فـي الشواطي الذكريات
واسكبوا الالحان في ناي الهوى ليس ارجاع الهـوى بالامنيـات
هذه الاكوان غرقـى فـي السنى كنجـوم فـي بحـار عائمـات
والعشيـات تنـادي اهلهـا لبساط الـراح ليـلا للحيـاة
للهـوى المسكـر مـن بهجتـه لليالـي الشاعريـات اللواتـي
انـا مـن اسحارهـا فـي نشوة بين مـاضي مـن تجليهـا وآت

★ ★ ★

حسب تذكـار الهـوى اغـرودة رددتهـا فـي العشيات الحسـان
سكـر الشاطيء مـن ترجيعهـا فاذا فـي كـل سفـح مهرجـان
صدحـات يسكر الشعـر بهـا ويغـار الكأس منهـا والدنـان
آه يـا ايـام حبـي ان بـي لليا ليـك غـرام وافتتـان

رفض الهزيمة

شعر: خضر عباس الصالحي

أضحى بأرض القدس يعبث مفسد ... ويعيث بالقيم الرفيعة ملحد
وتصول في وطن العروبة طغمة ... وتضج أخرى بالوعيد وترعد
اللاجئون فلم يكن فيهم سوى ... شيخ يئن وبائس يتشرد
والأم من جرح عميق في الحشا ... ما عاد ينفعها أسى وتجلد
تبكي على شهدائها في لوعة ... وتظل من ألم الجوى تتأود
وهنالك أبنتها الطريدة في الدنى ... تمسي معذبة وروح مجهد
والقلب في أضلاعها متمزق ... والدمع ليس بعينها يتجمد
تهتاجها الشكوى ولا من سامع ... الا فؤاد في الضلوع مخضد
وتحس بالآلام وهي كأسهم ... في قلبها الباكي الحزين تسدد
وبجنبها كم من يتيم في الدجى ... يلتاع وهو الضائع المستوحد
يهمي المدامع وهي بعض عزائه ... بعنائه ، بعذابه متفرد
شبح هزيل لاح في أسماله ... جم الأسى متألم ومسهد
سور الشقاء على ملامح وجهه ... وبقلبه جرح الفجيعة يكمد
ضاقت به سبل الحياة ولم يزل ... رهن الضياع به تقاذف فدفد
وضراوة الارزاء تلهب شجوه ... واذا اشتكى من حزنه يتهجد
يرتاع من هول الحوادث بعدما ... عز النصير وغاب عنه المنجد
حتى الصخور اذا وعت مأساته ... لتفجرت لأساه منها الاكبد

★ ★ ★

نوب توالت لو أصابت جلمدا ... بشرارها منها يذوب الجلمد

هكـذا الحـب نعيـم خالـد   وهنـاء للمحبـين مواتـي
ليـس يـدري الحب الا معشـر   عرفوا بالحب اسـرار الحيـاة ؟؟

* * *

انـا يـا احبـاب قلبـي شاعـر   عشت للحب بروحـي وضميري
لـي علـى كـل الربـى متكـأ   في ليالـي الحب يندى بالعبـير !
فالدراري في الدجى تعلـم بـي   كلما غنيت فـي الـروض النضير
كـم شفاه فـي الدجـى قبلتهـا   وخـدود ونهـود ونحـور
ذكريـات الامس تجـري في دمي   شعـلا تنـداح من نـار ونـور
يخفـق الشوق علـى هزاتهـا   فيكـاد الامس يحيا في شعوري !

البحريـن   احمد محمد الخليفة

مذكرات السيد حسن الامين

الجـزء الاول

* * *

أصدر العلامة المؤرخ السيد حسن الامين الجزء الاول من مذكراته • وقـد أتى بها على ذكر العرفان طبعا ، ومما قاله : ان صاحب العرفان اول من شجعه في حياته الادبية اذ انه قد نشر له اولى مقالاته على « علاتها » وسنأتي بعد ذلك على ذكر هذه المذكرات وتحليل لماذا النشر على « علاته » مما فعله والدنا عليه الرحمة وفعله نحن احيانا •

سميرة

شعر : محمد علي الرباوي

قتل الليل سميره
ورماها خلف أمواج المحيط
وانتهى كل ضجيج
كان في كهف الظهيره
مثل جوال يتيه بين أحياء المدينه
يشنق الحب ، ويفني خمر كاسات السكينه .
سيطر الليل على هذي المدينه
ونسجنا لسميره
بعض أشعار الرثاء
وشعرنا في الختام
بخطى ظل على مرسى العيون
خبأ الانسام عنا والضياء
وتمايلنا .. ولبينا نداءات الدجون .
نحن فئران صغار
حرم الله علينا أن ننام
حيث ان القط لا يرقد ان حل الظلام
وحوالي هذه الربوة دار
وبنى فوق السما ألف جدار

المسجـد الأقصى تناثـر دمعـه … مـن نكسة عظمى ينـوح المسجد
كـل المعابد قـد تعرض أهلهـا … للبطش لـم يسلم هنالـك معبـد
هـذا هـو العمل الفدائي الذي … فتكت بـه رجعيـة تتهـود
وعلـى الدخيل اذا يثـور مناضل … يلقـى بسجـن مظلـم أو يبعـد
والخصم يحرق بالقنابـل دورنـا … ونظـل بالكلـم الرخيص نـندد
طفحت كؤوس الذل هل من صرخة … لتهيب بالشبـان كـي يتجنـدوا
واذا أحاط بنـا الهـوان فانمـا … كان أرتشاف الموت نعـم المـورد

★ ★ ★

مهمـا أساليب التآمـر أتقنـت … صنعا فأعمـال القتـال تصعـد
ومسـيرة الاحـرار نحـو مآرب … عليـا بأسبـاب النجـاح تؤيـد
ان الجماهـير الغفـيرة وحدهـا … بجهادهـا الدامـي ينـال المقصد
وبصولة الأبطـال تصنع مجدهـا … وبفكـرة ثوريـة تسترشـد
ويرافق الثورات نصـر ان غـدت … بقوى الجماهير العظيمـة تسنـد
لا بـد أن يغشى مرابـع أمتـي … مستقبـل ألـق وعيـش أرغـد
فجـر الطلائع سوف يجتاح الحمى … ويـزول عنهـا غيمهـا المتلبـد
وتشع في الآفـاق شمس تحـرر … وبثغرها الوضاء يبتسـم الغـد

★ ★ ★

هيهات يحلو العيش في قيد العدى … حتى تحـرر مـن سلاسلها اليـد
ستظل في قلبـي وكـل جوارحي … لهب الكآبـة والشجا لا تخمـد
حتـى أرى للعرب تخفـق رايـة … في قدسنا ولهـم يضيء الفرقـد
بالتضحيات وبالجماجم والـفدا … تبنـي العروبـة مجدها وتوطـد
لا يحـرز الآمـال غـير مهاجـم … ويخيب فـي احرازهـا المتـردد
فمتى جيوش العرب تزحف للوغى … وهناك في حيفـا يكـون الموعـد
ومتى يـرف لـواء يعرب عاليـا … يحميـه جيش في الكريهة يصمـد
ويذود عنـه لا يهاب مـن الردى … واذا بـه غـدر العدى يستشهد
من مات كي يحيا الحمى من بعده … راحت بذكـراه المواطـن تحمـد

بغـداد — خضر عباس الصالحي

نفس أبية

شعر : ناصر بن عبد الله الحواسي

تحيـة اعجـاب لـنفس ابيـة ... تصر علـى أن لا تزلف أو اطـرا
تصر ولو لـم يرض ذلـك أمـة ... من الناس ترضى بالهوان لها جسرا
وان قيل ان المـرء يجهل قـدره ... اذا لم يداهن ان خفاء وان جهـرا
فـذاك وايـم اللـه رأي لقلـة ... من الناس لا وزن لها في الورى يدرى
وان يخف قدر المـرء من عز نفسه ... لدى قلـة لا تنشد الفضل والقدرا
فـذاك دليـل ساطـع ومؤيـد ... بأن أبي القـوم في الشيمة الاخرى
بـأن أبي الـقوم كالطود شامـخ ... ابى ان يطيع الريح سوقا ولا جرا
اذا لا ينـال الحـق دون توسل ... غدا الحق ظلما والمذاق غـدا مرا
وصد حسيب الـقوم عن نيل حقه ... تماما كصد الناس كي تشرب الكدرا
فـلا خير في عيش لـه الذل شائب ... وان كان في روض يرى زهره درا
وصبر الفتى مع قسوة العيش دهره ... أخف اذا من أن يهان ولـو شبـرا
ومن يدخـر وسعا اذا كـان قادرا ... لصد الاذى عن مبتل يرجو به أجرا
ولم يبن صرحـا في الحياة يزينـه ... وبعد صعود الروح يرجو به أجرا
فذلك والمحروم في الحظ والنهـى ... سواسية كالعين تشبهها الاخرى
وما قيمة الانسان يزدان حظـه ... ولم يسد معروفا ولـم يؤو مضطرا
اذا فات وقت السعد في العمر يا فتى ... فقد لا يعود السعد ان فاتك الدهرا
تداركه واعمـل جميـلا تنل بـه ... رضا اللـه ثـم العالمين بـه طـرا

فعلينا يا رفاق الدرب ان نعلم ان القط

بالمرصاد ، ان نمنا واطبقنا الجفون

سوف ينقض علينـا في جنون

وعلينا يـا رفاق الدرب ان نلحق في هذا النهار

حبنـا السامي ، لسميره •

من ديوان « الكهف والظل » الرباط ـ محمد علي الرباوي

اخـذ وعطـاء

★ ★ ★

● كان المنصور من ابخل خلفاء بني العباس وكـان يلقب لبخلـه المفـرط بالدوانيقي « والدوانيق جمع دانق والدانق سدس درهم » • وقد كانت له حيل في تدبير المال لبناء مرافق الدولة حتى لا تغرم خزانة الدولة شيئا ، ومـن حيله في ذلك انه اراد تحصين البصرة والكوفة فعمل لكـل منهما سورا وخندقـا باموال الدولة ، ولكنه اراد ان يسترجع من اهل كل مدينة ما انفقه عليها ، فأمر ان يقسم على كل فرد منهم خمسة دراهم ، فلما تم توزيع المال عليهم وعرف عددهم ، امـر ان يجبى من كل واحد منهم اربعين درهما وفي ذلك يقول الشاعر :

يـا لقومي مـا لقينـا مـن امـير المؤمنينـا
قسـم الخمسـة فينـا وجبـانـا الأربعينـا

حياة عبير

شعر : جورج كعدي

حياة عبير وعمر ضياء — يموج بليل شديد الظلام
تلاطم من غضب موجه — وغطى الجبال وهف وهام
وصعد اتفاسه مكمدا — واحنى عليها وغط ونام
فرحت اراعي نجوم السماء — واسبح بالروح فوق الغمام
وانفذ في عالم مبهم — فالقي رحالي بشط السلام
فاسمع اسرار ما يختفي — من الكائنات وراء الحمام
كاني نبي ارى صادقا — عوائم محجوبة بالضرام
فأيان سرت اجد نارها — تطهر رجسا وتشفي سقام
وحولي ينابيع من عبقر — تزيد ظمائي أواما أوام
فيا لك نفسا تروم المحال — فتشهى لكل بعيد المرام
فلا الروض يشبع اطماعها — ولا هينمات لطاف النسام
ولا الفجر تفجر الماسه — شعاعا يعيد اليها الوئام
فماذا تريدين يا نفس مني — لقد حيرتني مناك الجسام
فقالت اعود الى منبعي — وارخي بجنات ربي الزمام
فابصر ما لا تراه عيون — واسمع ما لا تعيه الانام
هناك زرابي (١) مبثوثة — بكل مكان تثير الهيام
هناك نهور تسيل شهادا — وتجري نضار وتهمو ابتسام

تعلمنا الايــام أنـــا وان بـدت لـنا بعضهـا بيضا مصابيحها غرا
فلا بد من ضد لهـا يطرق الدنـي ولا بـد مـن كـره تجرعه قسرا
ولا بد من موت بـه يفقـد الرجا فلا راحة تعطى لكي تدفـع الشرا
ولا تملك المـال الذي كان جمعه ثقيلا عليها فيـه كم أومأت زجرا
وان مات محمود الخصال فلم تمت محاسنه تحيي لـه بيننـا الذكـرا
وشتان بـين الـناس ذاك ذكـره قبيح وذاك الناس تزجي له الشكرا
ولا تصطفي من يدعي الـود كاذبا تمهل فأفعال الفتى تكشف السترا
ومـن يسـد معروفا اليك لمـرة فاياك ان تنساه وابق لـه ذخـرا
يواسيك فـي بلواك شهم مجرب حصيف قضىمن عمره الفترةالكبرى
ومـا يبلـغ المرء الحضيض بآفـة أشد ولا انكى مـن الغيبة النكرا
ولكنهـا الايـام تظهر مـا خفى وتبديه صرفا بعدما تنـزع القشرا
ومـا حمـل الانسان فضلا يزينه بارفع مـن علـم يحملـه فخـرا
وعقـل اذا ماجـد جـد تبينـت محاسنه كالـدر تفتنـه سحـرا
ومـا الجهـل الا علـة سرمديـة مساوئه لـن نستطيع لهـا حصرا
ولو واتت الجهال في العمـر فرحة ودنيا همو ظلت لهم تمتح الصدرا
فمـا قيمـة الدنيـا اذا لم يزنها لباس مـن العرفان يكسبها تبـرا

الرياض — ناصر بن عبد الله الحواسي



أين اليقين ؟! *
حلم !

شعر : معروف ابراهيم

اين اليقين ؟

وينو ضمير الحي، وين صار اليقين		عم يخدعونا بحبر اسود عاورق
كنا بحضن الدهر باقة ياسمين		عجرين صرنا لا غصون ولا ورق
الايام كشفتهم عاطول السنين		ونحن فهسنا مين ثروتنا سرق
في ناس عم تشرب عرقها من الجبين		وفي ناس من دماتنا تشرب عرق

شغل الله

كفى يا قلب تتحملوا يا الله		الماضي راح كلو شغل الله
انا انسان لو الله عطاني		لا حرق كنت هالشعب اللحيالا
لاني في شعب مالو اماني		بهالدنيا حرام يعيش والله
خصوصي اللي بكون اسمو اناني		ما بحب غيرو يا ماشا الله
كريم الاصل في الو حساب تاني		ما بينضام في عمرو ان شا الله
ما بيرتاح بالو كل جاني		طول الدهر لربو ان صلى
انا خلقان فلتة في زماني		وعلى ايام قضيتها سقلله
انا يلي بقلبي عالساني		الاناني لا بحبو ولا بطيقو

---

* لم تتعود العرفان ان تنشر الزجل اي الشعر العامي الا نادرا حين تجد شيئا ذا مغزى ومعنى حسن ، وذلك لان هذا الشعر يفهمه اللبنانيون فقط لا جميع القراء .

وجنـات ازهارها بدعـة فمنها شقيق ومنها خـزام
وغابات اشجارها باسقات ذوات غصون طوال وسام
لقد حملت كل زوج بهيج وحطت عليها طيور الحمام
فعادت لنفسـي احلامهـا وراحت تغني نشيد السلام

لاباز ـ بوليفيا

الكعدي

١ ـ في القرآن الكريم وهناك زرابـي مبثوثة اي نمارق وبسط من زبرجد وزمرد

يـا قلبـي

يا قلبي قد زادت جراحك واستبد بـك الالم
أدمتـك أيـدي الحادثات وسلمتك الى السقم
كف الاسى عصرتك يـا قلبـي وذوبك الضرم
حتـى لمستك دمعة مـن مقلتي سالت كسدم
لـم تطرق الافراح بابك مذ أحاط بـك السأم
وتلاشت الآمال فيـك وقـد تناهبها العـدم
وتقطع الوتـر الطروب ومـات لحنك والنغم
وتنبهت فيـك الجراح الداميات ولـم تنـم
فتعـز بالصبـر الجميل برغـم جرحك والالم
فعسى ستلتئم الجراح ويختفـي شبح العـدم
وتشع فيـك الامنيـات وينجلي ليـل السأم

كربلاء ـ العراق

كاظم ناصر السعدي

ابواب العرفان

للاسئلة والمناظرة

الـى الاديبة مريانا دعبول فاخوري
صاحبة مجلة المراحل الغراء

لما كانت حرية النقد والرأي والنشر مقـدسة ، وكنت طالعت كلمتـك في كتابي « ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه » في العدد ١٩٩ شباط سنة ١٩٧٣ من المراحل . وكان عهدي بالمراحل منبرا حرا للاراء والافكار الحرة اتيت راجيا منك التفضل بنشر كلمتي هذه بالعدد المقبل مكان الصفحة التي نشر رأيك فيها تنويرا للاذهان وكشفا للقناع عن محيا الحقيقة فالحقيقة روح الادب وضالة الاديب .

« قرعت الباب فاسمعي الجواب »

١ ــ مراحلك لم تبلغ مراحل الكتاب فظلت في السفح ومن قعـد في السفح فاته سحر جمال القمة .

٢ ــ ما دمت تعترفين في رأيك بكلمتي الشيـخ حبيب مسعـود والدكتور جميل جبر بان ليس بمستطاعك ان تنازليهما او تنتقديهما ، وتقريـن في نقـدك كتابي بان ليس لك علمي ودراستي وقلمي فما معنى قولك بعد ذلك :

« فاعلم انك لا تزال مقصرا عن نسيبك الخ » .

وقوام النقد ان يكون الناقد فوق مستوى المنقود علما وثقافـة واطلاعا . والا صح فيه قول المتنبي :

« وكم من عائب قولا صحيحا وآفـة مـن الـفهم السقيم
ولكن تأخـذ الافهام منـه على قدر القرائح والعلوم »

حلم

مبارح اجاني شخص شفتو بالمنام　　من ايدو وشال عن راسي الحرام
قلي يا نايم قوم اسمع هالكلام　　قلتلو يا ميت هلا قبل السلام
قلتلو مينك انت باحترام　　ألي انا من بعيدا وداني الامام
جيت حتى قلك وارجع اوام　　من شين نعرف في حلال وفي حرام
والفقر منو عيب عالرجال العظام　　تصبر الصبر منيح بتنال المرام
قال الامام كلمة وعلى روحو السلام　　لولا الفقر رجال بالماضي يكون
كنت قطعت راسو بشفرة هالحسام

عنقانا　　　　معروف ابراهيم

قالوا في الصبر



● قال النبي صلى الله عليه وسلم : الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب •

وقال علي بن ابي طالب : الصبر مطية لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو ، اذا استهدف غرض الهم فارمه بنبال الصبر •

وقال عمر بن الخطاب : لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت ايهما ركبت•

وقال انو شروان : جميع مكاره الدنيا تنقسم الى قسمين : ضرب فيه حيلة فالاضطراب دواؤه ، وضرب لا حيلة فيه فالاصطبار شفاؤه •

« الحيواتات » وباي زمان كانت وما مآتي نعيمه فيهـا ؟ ومـا كان اسمه وكيف كـان جسمه ؟

الا ترين انك تتهين في متاهـات مـن الغيبيات التي مـا وراءها الا غيبيات اشد ضلالا منها وقد يكون لسحر اسلوب نعيمه قسط وافر في تقلك اليها فهـو ساحر الاسلوب كما وصفته في الصفحة ٢٣ من كتابي •

ارى انك في اشد الحاجة الى من يفك قلمك وفكرك مـن عقـال السحـر لتدركي ان هالات البشر نسيج من ضعف الضعفاء وجهل الجهلاء ووهم الواهمين الا ترين الى المناطق التي يخيم عليها الجهل والضعف كيف تعلو قبـاب الزعامات فيها والى المناطق التي تعلو قباب العلم فيها كيف تتلاش الهالات •؟

خير دليل على أنك لم تدركي لب الكتاب نعيك على اللغة مقامهـا وتأثيرها فكأنك لم تدركي ان تقدي ابعد من اللغة واعمق مما ترين فانا ما اتيت عـلى ذكر بعض الاخطاء اللغوية الا عرضا فمالك تعريضين عن الجوهر وتقبلين على القشور؟ واللغة مـا مآخذك عليها وهي ظـل الفكر والعقل والخيـال هـي جسد الروح اليس عبير الزهر لغة الزهر ؟ اليس حفيف الاشجار لغة الاشجار واغاريد الاطيار لغة الاطيـار ؟

أليس الكون بمن فيه وما فيه كلمة الله ؟ اما قيل في البـدء كانت الكلمـة وكانت الكلمة عند الله ؟

٤ ـ لم تقف هفواتك عند هذا الحد بل تعدت الى ابعد مـن ذلـك حيث تقولين : « الادب شيء والفهم شيء آخر » •

هنا التفلسف يذر قرنيه

هلا قلت لنا ما هو الادب وما هو الفهم ومـا الفارق بينهمـا ؟ ان الادب والفهم تؤامان فادب لا فهم فيه لا حياة فيه •

الا ترين الى المتنبي في البيتين الآتي الذكر كيف جعل الفهم عنوان الادب؟

الادب اوسع من الفلسفة فان تكن الفلسفة بحرا له شواطىء فالادب بحـر بلا شواطيء ، وكما ان البحر لا يجيد الغوص على الدر فيه الا الغواص الماهـر

وكيف يكون مقصرا من قلت فيه انك اعجبت كل الاعجاب بمقدرته وبحثه الدقيق وتحليله كل كلمة من كلمات الاستاذ نعيمة ؟

٣ ـ تقولين انك فتشت بين الجمل والمفردات عن وضع المعاني الفلسفية التي عرفتها من وراء مرداد وغيره فعرفت ان الفلسفة فهم الانسان نفسه وانك فهمت نفسك ومن خلال هذا الفهم تعلمينني ان ليس من السهل ان يفهم الانسان نفسه عن طريق دراسة اللغة والتعمق في صرفها ونحوها • فيا ليتك اقلعت عن كل ما تقولين واخذت بنصيحة ابن الوردي :

« جمل المنطق بالنحو فمن يحرم الاعراب بالنطق اختبل »

لو عرفت ربك ما خاطبت قلبك •

« آه من قلبي وقد بلورته المصائب فاصبح يرى الاسود ابيض والابيض اسود » فقلب يرى الاسود ابيض والابيض اسود لا يفهم الحياة التي لا تتبدل ولا تتغير • فاسودها اسود وابيضها ابيض •

من يفهم ربه لا يستصغر نفسه امام انسان فلا يقول امام الدكتور جميل جبر والشيخ حبيب مسعود « من انا لاناازلهما او لاتقدهما » •

فاذا كنت كما تصفين نفسك فلم الخوض في بحر لا طاقة لك فيه ، وما كلف الله نفسا فوق طاقتها ؟

من يفهم ربه يخجل في القرن العشرين من ان يقول :

« نحن ابناء التراب لا تتمكن من فهم رسالته السماوية » •
وابناء التراب تحرروا من كل عبادة ليست تفهما ووعيا ولو كانت عبادة الله•

ان قلما يخط هكذا عبارات لقلم مغموس بمداد الوهم والجهل وما حط

الشرق الا الوهم والانقياد الاعمى بربك قولي لي كيف عرفت ان رسالة نعيمه سماوية فوق مدارك ابناء التراب وانت تقرين بعجزك عن معرفة رسالة ابناء التراب ومن يعجز عن معرفة رسالة الارض لا يدرك رسالة السماء • اذا كنت رأيت ان بيني وبين نعيمه « حيواناات » فهل لك ان تذكري لي احدى تلك

جريدة ومجلة : لا اغالي اذا قلت اني لم اقرأ قط في حياتي من هذا اللون الادبي كتابا يفوقه او يضاهيه اصالة وتشريحا وغربلة ونخلا مع التزام النزاهة والرصانة والتقدير حتى لـقد حدثتني النفس ان امثل دور ملتزمي بيعـه فاقتصر على هذا النداء الصادق الصريح • يا عشاق الادب ويا جهابـذة النقـد في لغـة العـرب لا تفوتنكم مطالعة اروع كتاب في هذا الباب الف حتى اليوم الا وهو « كتـاب ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه » •

وجاء في رسالة وجهها الي البحاثة الكبير الاب رفايل نخلة اليسوعي من على صفحات جريدة النهار « انتقدت اديبا اشهر من نار على علم لا يزال في قيد الحياة ولم تخش غضبه ولا استياء آلاف مؤلفة من المعجبين بـه العادين ايـاه استاذهم الاعلى في الادب بل الفلسفة هذا الكاتب ليس مواطنك فقط بـل مـن اقـرب اقربائك فانك ابن عمته ولم تحل صلة الدم دون كشف بعض مكنوناته الفاضحة• فعلت كل ذلك بلهجة دائمة الهدوء واللطف لا اثـر فيهـا البتـة لتوتر اعصابك وتسلطها على نقدك الرشيد الرزين • بتلك الجرأة المثلى خدمت الـنقد العربـي الذي لا يزال في الاقماط خدمة تخلد اسمك في تاريخ نشأته • لقد اتاحت العناية الالهية لك دون غيرك ان تقوم بتلك الخدمة العسيرة للنقد السديد » •

وكتب الخوري يوسف عون مقالا نشر في ملحق جريدة النهار استهله بقوله:

« زارني صديق لي اديب فسألني مـا رأيـك في كـتاب كعدي كعدي في ميخائيل نعيمة قلت ما رأيك انت ؟

قال عندما قرأت في الصحف عن ظهور كتاب المحامي كعدي كعدي في نقـد الاديب الكبير ميخائيل نعيمه قلت : رجل عادي يتصدى لمصارعة عملاق فاشفقت على الرجل ولما قرأت الكتاب اشفقت على العملاق الذي اصبح هو العادي • ان المجابهة لم تكن مبارزة بالسيف او المسدس بل بالتعرية لـقد اصر الرجل العادي على تعرية العملاق لانه على ما يبدو كان يعلم ان تحت الـثوب البراق الفضفاض الملقى على كتفي « جوليات » قروحا مزمنة وبثورا ودمامـل مميتة فـراح يضع اصبعه على جرح وجرح وذاك يصرخ ويتلوى دون ان ينبس ببنت شفة كأنه رأى في التسليم ذلا ففضل الآلام على الكلام حتى سقط مغشيا عليه » •

هكذا الادب من لا يجيد الخوض فيه يظل على الشاطيء يتلهى بالاصداف لذا لم تشبعي فضولك من الكتاب لانك بقيت خارج الكتاب •

هل لك ان تدلي على رأي او فكر او نظرية لنعيمه قصرت عن ادراكها او لم احسن معرفتها او اخطأت مرماها ؟ وكيف تدلين وانت لم تدركي نعيمه ولا ادركت رأيي فيه والناس اعداء ما جهلوا •

٥ ــ تهوي بك المهاوي الى حيث تحاولين ان تلبسي التناقض لباس التطور كأن قد فاتك ان التطور شيء والتناقض شيء آخر التطور نمو وازدهار في عالم الخير والجمال والفن والفكر والعقل والتناقض هدم وفساد وافساد •

الا ترين الى المسلمين كيف عمدوا الى المجاز في تفسير بعض آيات القرآن تنزيها للقرآن عن التناقض لانه كلام الله وكلام الله لا تناقض فيه ولك في الصفحة ٢٠٢ من الكتاب خير هاد وما لنا نذهب الى البعيد وامامنا دستور نعيمه يقول :

« لئن غفرنا للشاعر ابياتا ما حشا بها القصيدة الا لزيادة العدد فلن نغفر له تناقضا في المعاني » •

ان خطأك هذا قادك كما قاد نديم سعادة الى عدم التمييز بين التناقض والتضاد فالتضاد نظام تقوم عليه الحياة كالليل والنهار والولادة والموت والتناقض لا يعرف الى الحياة سبيلا •

٦ ــ خرقت قاعدة كرستها في الصفحة الاولى من المراحل وهي : « الرجاء الا ترسل مواد سبق نشرها في مجلات وصحف اخرى » •

بنشرك كلمة نديم سعادة مع انها نشرت في جريدة النهار كما اثبت « بعبارة عن جريدة النهار » وما ذاك الا توصلا لتدعيم رأيك الخاطيء وقد فاتك ان الخطأ يزداد بالخطأ خطأ وما دام انك سوغت للباطل ما لا يسوغ فمن باب اولى ان نسوغ للحق ما سوغت للباطل فنأتي بفيض متتابع الورود من اقلام كبار الكتاب والشعراء •

١ ــ قال الشاعر القروي رشيد سليم الخوري من مقال نشر في اكثر من

جاءت الاجوبة نعم والف نعم لكعدي كعدي الذي نخل ميخائيل نعيمه بعـد ان غربل هذا الاخير الكثيرين » •

وقال الشاعر العراقي احمد حامد الشربتي في رسالة بعث بها الي :

« ان كتابكم القيم وما تضمنه من دراسات دقيقة وافيـة شاملة بالشواهد والادلة في شأن اديبنا الكبير وفيلسوفنا الشهير الاستاذ ميخائيل نعيمة الذي كنت وما زلت احمل له عظيم الاجلال والاكبار والاعجاب والتقدير فاشهد انـك قـد بلغت الذروة فيه من حيث الاستقصاء والتحليـل والنهـج الموضوعي السليـم والترفع عن الاساءة الشخصية والتعريض والتجريح وكنت صريحا الـى ابعـد حدود الصراحة في ما للرجل وما عليه معتمدا في ذلك على ما حباك الله من الجرأة الادبية الفذة وشدة العارضة والثقافة الاصيلة العميقة الشاملة » •

ونظم الشاعر سعيد غنام قصيدة استهلها بقوله :

« جردت للقلم الرشيق يمينـا فاتـى كتابك رائعـا ومبينـا
وخدمت بالنقـد الموجه امـة عاشت على المدح السخيف سنينا »

هذه قطرات من بحر ما نثرت اقـلام الشعراء والادباء ولـو جئت اعـدد اسماءهم لضاق بي المقام فيا ليتك قرأت الكتاب بعين الناقد البصير المتحرر مـن سطوة كل وهم وخوف ومجاملة وسحر بيان لكنت في عـداد هؤلاء الافذاذ • في الكتاب جرأة وحرية لا يدركهما من يجرجر وراءه قيود الوهم والخوف والجهل• الناقد من جعل الحقيقة نبراسه والحق متراسه فلا تأخذه في الحقيقة والحق لومة لائم او صداقة صديق وقرابة قريب لان الحق فوق الصداقات والقرابات علـى حد الآيـة :

اقبل الحق ممن جاء به من صغير او كبير وان كـان بغيضا بعيـدا واردد الباطل على من جاء به من صغير او كبير وان كان حبيبا قريبا •

الناقد من يقيم موازين من التحليل والتعليل والمقارنة فـلا يرسل الكـلام جزافا لا تناسق ولا انسجام ولا اتزان فيه •

ان من لا ينقي القمح من الزؤان عابد وليس بناقد • مهما كنت على صلات

وقال الاستاذ عبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد في حلب :

« وقد اتضح لي من خلال الفصول انه اروع الاسفار الادبية والعلمية معا ومن اكثرها فائدة ومتعة فبالرغم من صلة النسب التي تمتون بها الى ادبينا ومفكرنا الكبير الاستاذ نعيمة بينتم له وللقراء ما وقع فيه من تناقض وما في بعض آثاره من هنات وهذا لعمر الحق شأن الناقد النزيه الذي لا يتأثر بمن كتب وبما له من شهرة واسعة وصيت ذائع بل يتأثر بما كتب وبما قد يكون من تتاجه الفكري من تباين في الافكار والآراء » .

وجاء في رسالة الشاعر المهجري الكبير الياس فرحات :

قرأت كتابك العظيم « ميخائيل نعيمه بين قارئيه وعارفيه » بنصف عين وكنت اود لو استطيع قراءته بالف عين حتى لا تفوتني منه كلمة ولا حرف ولا حركة ولقد كنت اظن قبل قراءته ان نعيمه قمة لا سفوح لها . فعلى من يريد ان يصل اليه ان يهبط من فوق بطيارة نافورية واذ بي أراك تنقض عليه كالعقاب من قمة صنين . فتعري الناسك وتنقره نقرات مؤلمات داميات وبحكمة ولطف تمسح كل جرح تحدثه فيه بنقطة من زيت العطف واللطف .

ان قلمك مبضع جراح خبير يشق الدمل ويعصره وينظفه مما فيه من فساد ثم يدهن الجرح بزيت المحبة الانسانية » .

وكتب الاديب يعقوب افرام منصور :

« اشهد انك كنت صارحا في نقدك ومع قريبك وهذه الصراحة جعلتك منصفا مع الحق والحقيقة وبوأتك مرتبة الصدارة في رعيل النقاد عند العرب المعاصرين » .

وكتبت الاديبة انطوانيت عازار في جريدة البيرق :

« هل وفق كعدي كعدي الى القضية الكبيرة التي تناولها في كتابه النقدي هذا الذي قيل فيه انه وجد ليضع المقياس النقدي في مكانه ؟ هل وفق الى اختيار النقاط الاساسية في ادب النعيمي وطرقها بكثير من الحساسية الادبية المرهفة ؛ هل توصل الى تحقيق ما يصبو اليه النقد العصري الصحيح ؟ انطلاقا من هنا

وزرفتها الى قرائه ان افند مقال الناقد فقرة فقرة حسب السياق بذلك الرد ، ولم يكن لي قصد الى النقد بل تقويم الاود لينجلي الصرح عن الزبد .

١ ـ الراي والعقل والحقائق الدينية :

جاء في فاتحة الرد ان الحقائق الدينية لا تكون بالرأي ولذلـك فـان آراء الافغاني فاسدة لا وزن لها مع انه من شريطة علماء الكلام في اصول دين الاسلام (العقل والنقل) بكل تأويل او تفسير لو حمل الكلام علـى ظاهره والتقابل بين ساجيه ومائره سواء في الآيات القرآنية او الاحاديث النبوية وان كل مـا لا يسلم به العقل فهو عندهم مرجوح لا راجح بعكس الجبرية اتبـاع جهم ابـن صفوان والظاهريين كابن حزم فانهم يأحذون بظاهر اللفظ ويفسرون الآية مثلا « يـد الله فوق ايديهم » بان لله يدا ورجلا بينما المعتزلة من اهل الاسلام وعلماء الكـلام يؤولون اليد هنا بالآية بالقدرة . وان تفسير الاية قـدرة اللـه فـوق قدرتهـم كالجاحظ والهذيل العلاف وابي علي الجبائـي وابي جعفـر الاسكافي وغيرهم وفلاسفة العرب كابن سينا والفارابي وابن رشد وغيرهم ولم يطلق احد مـن اهل الاسلام على هؤلاء بانهم كفرة او انهم فسقة وفجرة فـلا يكون الافغاني العظيم مطعونا بعقيدته او بعيدا عن اهل ملته .

٢ ـ السيد الافغاني ومكانته الدينية والعلمية :

ان من انشأ جيلا في طليعة فجر النهضة بـين شيخ معمـر وراهب مقلنس واديب مفكر ولغوي متبحر وله في نصرة الدين رسالة الرد على الدهريين وفـي اثبات الخالق الديان رسالة الرد على الفيلسوف ارنست رينان وفي الـرد علـى القدرية رسالة الواردات الالهية وفي الرد على مذهب النشوء والارتقـاء رسالـة وآراء بالاضافة لمقالاته في العروة الوثقى وفي السنة الاولى مـن الاهرام وفـي صحف الشرق والغرب . ومن تلامذته من شيوخ الاسلام الشيخ محمـد عبـده الامام والشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد والشيخ عبد الرحمن الكواكبي صاحب ام القرى والشيخ عبد اللـه النديم صاحب جريـدة التنكيت والتبكيت ولسان حال الثورة العرابية في مصر ومن رجال السياسة سعـد زغلول ومصطفى كامل ومن رجال القلم والعلم والتاريخ والادب واللغـة الشيخ طاهـر الجزائري

بنعيسه فما تبلغين معشار ما لي وقد احببته حبا تقصرين عنه انت فحبك تبخير وحبي تقدير حبك اعمى وحبي بصير حبي يسمو به فوق النقد وحبك يجلب له النقد حبي هو الذي حداني على وضع كتابي فيه فصديقك من صدقك وليس من صدقك ومن مدحك بما ليس فيك فقد ذمك ورحم الله عمر بن الخطاب الذي قال : رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي •

والسلام عليك

كعدي كعدي

الافغاني والجنة وآدم والارز

كان الافغاني حقيقة كلية (محمد عبده)

رد على رد

كاشفني احد الزوار من قراء ملحق جريدة « النهار » والاثر في نفسه اشد ولسانه في العتب احد ، بما عزا الدكتور نصر الله للسيد الافغاني من سمادير واوهام اشبه باضغاث احلام لمغايرة ما ابداه من آراء بشأن هبوط آدم وحواء من السماء بعض المفاهيم العالقة في الاذهان وهي تنطوي على رواسب ملحوظة بالدليل والبرهان •

مررت على آراء الافغاني في الرد بدون تدقيق لاني مصدر هذه الآراء من قبل وتتبعت بقية المقال بامعان خشية ان تكون سدلت عليها ثوبا عناكب النسيان او عرض بالفوات ، ما لم يكن بالحسبان • ولم يدر بخلدي التعرض لهالة ذلك الوقار والجلال وان يقابل مثل فضل الافغاني مع اشتهار فضله وعظيم قدره بتلك المساآت والقرائن والمقارنات وما بها من اعنات •

ينقسم رد الدكتور محمد عزت نصر الله الى قسمين ديني وسياسي وكلاهما من قلمه شطحة ومن نشوزه رشحة لو صدرتا عن لقلقة احد المتنطعين لا احد المناضلين لهان الامر ولكن هذه النوعية من العنجهية هفوة لمثله لا تغتفر عند مثلي • ولا مندوحة من ان ارى ان من حق السيد علي وانا الذي ادليت بآرائه

٤ ـ هل الجنة والاخرة مخلوقتان :

لا يمتنع تسمية روضة او بستان في الارض بكلمة (جنة) كما جاء في كتاب الكافي لابن القيم ص ١٧٥ بقوله (حي على جنة الدنيا بمعرفة الله وطاعته وحي على جنة الآخرة بتحقيق هذه المعرفة) ويعتمد المعتزلة وعلماء الكلام على ان الجنة لم تخلق بعد على حديث رواه الترمذي في جامعه عـن ابـن مسعود الصحابـي الجليل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم حين اسرى بـي قال اخبر امتك ان الجنة طيبة التربة عذبة المياه وانها قيعـان وآن غراسها وقـد نعت الكافي هذا الحديث بانه حسن صحيح ويستـدل علماء الكـلام من هـذا الحديث ان جنة الخلد لو كانت مخلوقة لما كانت قيعانا وانها في بدء التكوين كما يستدلون على ذلك بالآية (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) فيقتضي تعليق قيام الآخرة على زوال الدنيا حسب رأي الامام الافاني •

٥ ـ ما هي الشجرة التي نهي آدم عن القرب منها :

اعترض الناقد على ان تكون الشجرة التي نهى آدم وحواء عـن القرب منها انها من شجر الارض وقول ابي موسى الاشعري ان جنة آدم تتغير وجنة الخلـد لا تتغير مما يدحض قوله ويقتضي ان تكون هذه الشجرة من شجر الارض مـا دامت هذه الجنة في الارض وغير قابلة للخلود وقـد اختلفـوا في تعريف تلـك الشجرة وما هي قال ابن مسعود انها الكرم وقال ابن عباس انهـا السنبلة وقـال ابن جريح عن بعض اصحابه انهـا شجـرة التين ـ تفسـير القرطبـي ج١ ص ٣٠١ ـ ٣٠٧ •

٦ ـ آدم والارز :

لقد ذهب الذاهبون الى جنة آدم اما انها كانت في اعالي عـدن في اليمن او ما بين النهرين او في اعالي الباكستان ولكن السيد رحمه الله لفت نظره بناء مخيم بيت ابو ادم وسفينة نوح وهيكل سليمان من خشب الارز وعدم وجود شجـر الارز الا في المغرب الاقصى وباريس ولبنان وان شجر الارز في باريس والمغـرب ليس معمر وانه قد يكون هناك شجر قديم كان معمـرا في الارز بدليل وجـود شجرة للان في معاصر الباروك بلبنان طول مساحة جزعها المستديرة ستة عشرمترا

والشيخ ابراهيم اليازجي ومحمود سامي باشا البارودي وقاسم امين وجرجي زيدان واديب اسحق ونجيب الحداد . هل يصح ان نعده مطعون العقيدة وللاسلام والمسلمين والشرق والشرقيين من ارباب المكيدة وقد عرفه الشيخ محمد عبده وهو امام المسلمين في عصره بقوله : (كان حقيقة كلية تجلت الى كل ذهن بما يلائمه او قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله) وتعريف مصطفى كامل له بالحق القائم .

٣ ـ هل جنة آدم (جنة الآخرة) :

ذهب الدكتور نصر الله الى ان الجنة التي وعد بها المتقون في الآخرة هي جنة آدم وانه هبط من كوكب في السماء الى كوكب الارض خلافا لرأي السيد الافغاني ، وقد جاء في كتاب حادي الارواح لابن القيم ص ٤٢ ـ ٤٩ اي رأي ابن بحر ان جنة آدم في الارض وان الله امتحن آدم وحواء فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار وان ابا القاسم البلخي وابا مسلم الاصبهاني فسرا الاهباط في الآية (اهبطوا منها جميعا) الانتقال في الارض من بقعة الى بقعة لا من السماء الى الارض . وجاء في كتاب نعيم الجنة ص ١٥ طبعة ثانية للسيد محمود علي قراعة ان علماء الكلام في الاسلام قالوا ان هذه الجنة كانت بستانا في الارض جعله الله لآدم ولم تكن جنة المأوى التي وعد بها المتقون والجنة ههنا بعرف اهل الكلام اما منكرة كما جاء في الآية (وجنتين من اعناب) او مقيدة بالاضافة وان جنة آدم معرفة بالالف واللام غير مراد بها جنة الخلد وان السياق دل على انها جنة في الارض كما روى الشميل عن الافغاني بذلك الحوار الذي تولى نشره لي ملحق النهار .

وقد جاء في كتاب نعيم الجنة ص ٢٢ عن ابي موسى الاشعري ان جنة آدم تتغير وتلك في الآخرة لا تتغير فما رأي الدكتور بكل هذه الحجج والبراهين ؟

وقد قسم علماء الاسلام الوجود الى ثلاثة اقسام ازلي وابدي وهو الله ولا ازلي ولا ابدي وهي الدنيا وابدي غير ازلي وهي الآخرة والازل هو ما لا يفرض له بداية زمنية تنتهي اليها سلسلتها من جانب الماضي والابد ما لا تفرض له نهاية زمنية تنتهي اليها سلسلتها من جانب المستقبل .

هذا الرثاء البليغ المؤثر حيث قال (نعت الينا انبـاء الاستانـة انسان عين الفضل والكمال ومجمع اشعة الحكمة بل قطب دائرة العلوم على الاجمال رحلة العارفين وقاضي علوم الدنيا والدين فرع الارومة الزكية استاذنا ومولانا السيد جمـال الدين الافغاني فكان لمنعاه يوم اشتد وقعه على القلوب والمحاجر وقال في وصفه انين الاقلام فامدتها بالدمع عيون المحابر كيف لا وهـو خطيب الشرق الاعظـم الذي رن في الخافقين صدى خطابه وامامه الاجل الاكبر الـذي انبثقت انـوار اليقين من سماء محرابه واستاذ علومه الذي ما فتئت الحكمة تتدفـق بين فؤاده ولسانه وتجري مناهل العرفان بين خاطره وبنانه قضى رحمه الله بعلـة السرطان وقد تشبث منه بين الفك والنحر ولا غرو ان يدب السرطان في البحر) .

ومن هنا يتبين ان الهالة التي خلعتها دوامـة الزمن وصحف الشرق والغرب ونوادي الفضل والعلم والادب على فيلسوف الشرق وحكيمه هي هالـة التقدير وليست اسطورة من الاساطير .

محمد كامل شعيب العاملي

ونيف ويقدر عمرها بستة الاف واربعماية ستة الى احتمال الظن بان نشأة الانسان الاول اي آدم في ضاحية من جبال الارز او بالقرب منه باعتبار اذا قسنا عمر آدم للآن وهو خمسة آلاف وتسعماية واربعة اعوام (هذا بالنسبة لعهد الافغاني امـا اليوم فقد اصبح ستة آلاف عام الا عامين) يكون عمر هذه الشجرة اطول مـن عمر آدم بستماية عام ونيف وان الجبال المرتفعة تعد سماء بالنسبة الـى الارض المنخفضة على سبيل المجاز وكونه نشأ في الارز احتمالا نظرا لبعد المواصلات بين ارز لبنان وما بين النهرين واليمن وغيرهما وتعذر حمل مثـل هذه الاشجار الـى غيرها من الاقطار ومما يؤيد رأي الافغاني ان قبر النبي شيت ابن آدم في مزرعـة شيت التي دعيت باسمه وهي معروفة في شمال الارز وقبـر نـوح المطل عليـه « كور نوح » صاحب السفينة بالقرب من معلقة زحلة . وكلاهما في لبنان .

٧ ـ الافغاني والانكليز والشاه ناصر الدين :

لقد كان الخلاف بين السيد الافغاني وناصر الدين شاه العجم ذلك الكتاب المشهور الذي وجهه الافغاني للمرجع الديني الاعلى اي السيـد حسن الشيرازي في النجف الاشرف الذي حرم على اثره زراعة التبغ في ايران وكان سببا لتجميد المعاهدة البريطانية الايرانية فكيف يكون صنيعة الانكليز ومقالاتـه في العـروة الوثقى وخطبه في الهند والافغان وايران ومصر تدحض قوله ومنذ قدم الافغاني الاستانة بدعوة من السلطان عبد الحميد لم يبرحها لحين وفاته في ٩ مارس عـام ١٨٩٧ وقد قضى نحبه الشاه ناصر الدين والافغاني في الاستانة بعد المصالحة بين الاثنين بواسطة السلطان وقول الافغاني له (اكراما لخليفة المسلمين عفوت عـن الشاه ناصر الدين) فكيف يكون تآمر مع الانكليز في لندن على اغتياله وهو في الاستانة وكيف ان هذا الجفاء ظل مستمرا وقـد استدعاه لايـران بعـد الشاه ناصر الدين الشاه مظفر الدين بواسطة السفارة الايرانية وقـد رغب الانكليـز للسلطان عبد الحميد بان لا يسمح له بالذهاب لايران ولما اوجس خيفة من ذهابه سرا دس له السم في فنجان من قهوة فاودى بحياته كـما ورد في الجلد ٢٤ مـن العرفان .

وقد رثاه العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في الضياء وعـزا وفاتـه لـداء السرطان بين الفك والنحر وذلك على ما يظهر خشية بأس السلطان ونحن نـورد

غير مبال .. بما سال .. او نال .. وامامنا مثل من امثلة الجهاد الدائب في سبيل الحرف ما تبذله كل من مجلة العرفان ، ومجلة الاديب .

ان المكتبة الصغيرة .. عمل تافه في دنيا الحرف .. ولكنه مع ذلك ، يعتـز جدا برأيكم فيه .. اسأل الله ان يرزقه الصبر والصمود ..

لكم موفور الشكر . وخالص الاعجاب

من المخلص
عبد العزيز الرفاعي

الــى أمــي

من صاحب العرفان

في السابع من تموز ومنذ سبع سنوات ، مرت آلم ذكرى عرفتها في حياتي، انها نكبة ما بعدها نكبة ، وكارثة تهون بعدها كل كارثة ، الا وهي ذكرى وفـاة والدتي ، ولولا ان الموت حق ، لفضلنا بعدها الموت على الحياة ، ولو كان الفداء يقبل لما ترددنا عن فدائها « بنفسنا » ان كل أم مهما بلغ الانسان من بلاغة الكلم وذرابة اللسان لا يتمكن ان يفيها حقها من الشكر والثناء فكيف بمن كانت مثل امي ، انا نخاطبها بقول شاعر معاصر حيث قال :

ذقت الحيـاة علـى يديك وطالما فاضت بمنهــل النعيـم يـداك
يسري حنانك فـي دمائي مثلما تسري النضارة في الخميـل الزاكي
تتهللين اذا ابتسمـت وان بكت عينـاي فجـرت الاسـى عينـاك

وبعد وفاتها نردد في عيد الامهات قول الشاعر الآخر :

مـا للزمان ضفاف تلتقي فيهـا ولا حـدود وآفـاق نرجيهـا
ما مر يـوم وعادت منـه عائدة الا لتوقـظ ذكرانـا وتحييهـا
فهل تراها بكت في عيدها فرحا ؟ ام خوفها من غد قد كان يبكيها !
يمحو الزمان من الايـام اسعدها ولا يعيد الـغد الآتـي مواضيها !

رسائل الأدباء

من روكس العزيزي الى عبد العزيز الرفاعي

سيادة الاستاذ الكبير الشيخ عبد العزيز الرفاعي الاكرم

الطائف رئاسة مجلس الوزراء

يا طويل العمر وجليل القدر

هديتك الثامنة من المكتبة الصغيرة – التي اخذت على نفسك عهدا ان تجعلها وسيلة للعلم وللثقافة بهذا الاسلوب الدقيق الموجز المركز – وصلت الي ، (قصائد) من (مقبل العيسى) فقرأتها بلذة . فوجدت من واجبي ان اهنىء الشاعر بما وصل اليه من صفاء الشاعرية ونقاء الديباجة ، واهنىء سيادتكم بالمستوى الرفيع الذي وصلت اليه هذه المكتبة التي تعهدتموها بالرعاية ، وبالانفاق السخي ، ستذكركم ثقافة القرن العشرين اشرف ذكر ، بابتكاركم لهذا الاسلوب الرفيع المبسط .

اعود الى شكركم ولاهنىء الثقافة بجهودكم الخيرة المباركة .

ختاما اسمى الاحترام

باخلاص

ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان

روكس العزيزي

من عبد العزيز الرفاعي الى روكس العزيزي

سيادة الاستاذ الجليل روكس بن زائد العزيزي

مثل هذه الكلمات السخية المشجعة .. ما اعتبره ومضات مضيئة في طريق اي جهد ثقافي هادف .. مهما كانت ضآلته .. حتى ولو كان في ضآلة المكتبة الصغيرة التي ابى كرمك الا ان تشيد بها !

انتم بلا شك ، في مقدمة من عرف طريق الشوق او الشوك .. وسار فيه

ان تكتب وصيتك وتودع هذه الدنيا ! ...

لا تضحك ... فالقضية جد . اصغ الى ما سأقول وستجد انني على حق . واذا كنت تعرف قيمة القلب ، لانني علمت انه تحدث اليك ، فاستمع الـي مـرة لعلك تعرف حق قدري :

... الاحظ انك تخاف على اسنانك وشعرك ورئتيك وقلبـك ، فتداريهـا وتهتم بها ، ولكنك مع الاسف لا تشعر بأي خوف عندما تفكر بي . لماذا ايهـا الرجل ؟... وما سر هذه اللامبالاة يا صاح ؟.. ربما لانك لا تعرفني ، ام لانني مخلوق صبور طيب اعمل بصمت وشرف !... فأنـا لا ادق كالقلب ولا انفـخ وانتفخ كالرئتين ولا اتوجع كالاسنان ولا اتساقط كالشعر .

● **تجنب الخمر والدهن الكثير وانا اتكفل بالباقي**

نعم انك لا تعرفني ... ولهذا سأعرفك بنفسي : أنا اكبر عضو في جسمك وأملأ القسم الاعلى للجهة اليمنى من جوفك . وزني ٢ كيلـو ونصف تقريبـا . وعلى الرغم من شكلي البسيط . فأنا اهم اعضائك جميعـا . ان القلب والرئتين يحتلان مكان الصدارة دون وجه حق ، وانا اخجل من ذلك ! ...

اقوم باكثر من ٥٠٠ وظيفة هامة ، ولو تخلفت عن واحدة اساسية من هـذه الوظائف الكثيرة ، عليك ان تبدأ باعداد لوازم الدفن !... انني اتدخل عمليا في كل شيء تفعله تقريبا : امنح القوة اللازمة لعضلاتك عندما تمارس اي نوع مـن الرياضة او تبذل اي جهد . اهضم الطعام الذي تتناولـه واحوله الـى مقويات تساعدك على العمل . احول السموم الى بلسم . افرز النفايات الضارة . اضبط ميزانية السكر والدهون ... وما لا آخر له من الاعمال الهامة .

ولو اردت ان تجعل آلة ما تقوم بالمهام التي اتولاها ، لاضطررت الى انشاء مصنع كيمائي كبير للقيام بسهامي السهلة فقط ... اما وظائفي الصحية فـلا يمكن القيام بها على الاطلاق . ولكي تأخذ فكرة عن ذلك يكفي ان تعرف انني افـرز اكثر من ١٠٠٠ مادة كيمائية القيام بعمليات التحويل المختلفة التي أؤديهـا . واذا جرح اصبعك جرحا صغيرا فان دمك سينزف حتى الموت اذا لـم اتدخـل لوقف النزيف .

الصحة وتدبير المنزل

كبـــدك يتحدث اليـــك

انا العضو الصامت الذي يحافظ على حياتك فيخلصك من السموم ويقاوم الامراض ويهضم لــك الطعام ...

لو قدر لاعضاء جسمنا ان تنطق لقالت فينا ما قاله مالك في الخمر ... ولو كنا رحماء بأنفسنا لما ظلمناها وحملناها ما لا طاقة لها به . وجميعنا يكــاد يكون مدانا على ظلم اعضاء جسمه ، فمن خرج بريئا من « محاكمة القلب » أدين بتهمة اضطهاد المعدة ، او الرئتين او الرأس او الكليتين .

قبل بضعة اعداد اسمعنا القراء « صوت القلب » فبــاح بمكنون « قلبه » وأفصح عن حقيقة شعوره وعما يعانيه مــن متاعب بسبب رعونتنــا واستهتارنا ، وارشدنا الى ما فيه راحته ، التي هي راحة لنا ، وسعادته ، التي هي سعادة لنا . وكذلك « صوت المعدة » .

فما هو لسان حال الكبد ؟.. ما هي شكاواه ، وما هي مطالبه ، ومــا هي اقتراحاته ؟.. وقبل كل شيء ، ما هو الكبد ؟.. وما هي وظائفه ومــا هو دوره الكبير في حياة كل انسان ؟..

كبدك اليوم يتحدث اليك، كما تحدث اليك كل من قلبك ومعدتك بالامس، وكما ستتحدث اليك أعضاء أخرى في المستقبل .. فاصغ اليــه بامعان ، وحاول ان تنصفه ، بل حاول ان تساعده ، لانه الجندي المجهول الــذي تتوقف حياتك على بقائه نشيطا صحيحا معافى .

انني انا كبدك ، الساكن في جوفك ، الساهر على حياتك ... انــا الجندي المجهول الذي لا تشعر بوجوده وتعيش بفضل كده وتعبه . فانا الذي يقوم باكثر من ٥٠٠ عملية حيوية في جسمك ابتداء من ازالة السموم والنيكوتين والكحــول الى الكثير الكثير من الوظائف الهامة التي لو تخليت عن واحدة منها لكان عليك

اقاوم مقدار نصف زجاجة من الويسكي بالصودا او ثمن غالون من البيرة • ولو كان عندك ذرة من العقل لما جعلتني اتجرع غصص السموم ••• لانني اذا قصرت في عملي فقد يقصر عمرك !•••

ثم ان بعض المواد التي يفرزها جسمك تكون سامـة لـو تجمعت بكميات كبيرة ، ومراقبتها هي من جملة وظائفي • فعندما تمارس نوعا من الرياضة العنيفة او تبذل اي مجهود جسدي آخر ، تحرق عضلاتك كميات من الغلوكوز وتطـرح حامض اللاكتيك الذي يشكل خطرا عليك • وبدلا من ان اتخلص منه احوله الى غليكوجين (نشاء) للمؤونة • فأنا اتصرف كربة بيت مدبرة •

وعندما تأكل قطعة من الشوكولاتة ، تتحول مـادة السكر في الامعاء الـى غلوكوز ، ولو تسربت كمية كبيرة من هذا الغلوكوز الـى مجرى الـدم فسوف تموت حتما ، كما يفعل السكري ان لم يعالج بالانسولين ، لكنني اتدارك الامـر قبل حدوثه • وحين اجد كمية كبيرة من الغلوكوز في الـدم فانـي احولها الى غليكوجين • وبهذه الطريقة استطيع ان اخزن ما يعادل نصف رطل مـن السكر • وعندما يخف الغلوكوز في الدم ــ بين وجبات الطعام مثلا ، وهو امر مضر كـما لو كان زائدا ــ فانني احول المؤونة التي خزنتها من الغليكوجين الـى غلوكوز واغذي جسمك •

ويحدث الشيء نفسه بالنسبة للكريات الحمراء • ففي كـل ثانيـة تموت عشرة ملايين من هذه الكريات ، وحين تموت يجب التخلص منها • لذلك فانـي اخزن هذه النفايات لاستعملها فيما بعد عند تكوين كريات حمراء جديدة ، ومن بعض النفايات الاخرى استطيع ان اخزن ما يعادل ربع غالون مـن عصير اخضر صفراوي يساعد في عملية الهضم • ومن الطبيعي ان يتسرب السائل الى المرارة ، ومنها الى الامعاء الدقيقة ، واثناء الهضم يساعد هذا السائل علـى تحويل كريات الدهن الكبيرة الى اخرى صغيرة تذوب في الماء وقابلة للهضم بسهولة •

ولهذا السائل وظيفة اكثر اهمية من ذلك ، وهي انه يذيب الرواسب الدهنية التي تستطيع ان تسد المجاري مني والي ، لو لم اتخلص منها باستمرار • وهـذا العصير الذي ازود به المرارة باستمرار يتضمن بـدوره نفايات مـن الكريـات

● احول السم الى بلسم

وانا ايضا جهاز واق يحفظك من الامراض • أتقول كيف ؟•• حسنا • هل تعلم ان تترات البروتين الموجودة في قطخة اللحم بعد هضمها في الامعاء يمكن ان تكون مميتة ـ رغم لهفتك لتناول اللحوم ـ لو صدف ودخلت مجرى الدم ؟••• ولكنني انا الذي يلطفها ويحولها من حامض الامونياك الى البروتين الذي يغذي خلاياك واعضاءك كلها • واذا كان هناك أي بروتين زائد عن حاجة جسمك فلا اتركه يضر بك ، وانما احوله الى الكليتين ليفرز مع البول •

انت تملك عددا كبيرا من الغدد التي تفرز كمية لا بأس بها من الاملاح يمكن ان تسبب لك تورما كبيرا ، فأقوم انا باتلاف الزائد عن الحاجة واعمل كصمام واق للقلب •

لا تتعجب ، فأنا لم اقل شيئا بعد ، هذه بداية فقط ، وسأعطيك المزيد من المعلومات عن نفسي : الشريان الكبدي في جبهتي العليا يتصل مباشرة بزميلي القلب ، فاذا ما جاءت دفقة قوية من الدم الى القلب يمكن ان تعرقل حركته وتهدد حياتك بالخطر ، اقوم بامتصاصها فورا كالاسفنجة ، ثم اقوم بارسالها تدريجيا الى القلب حسب استطاعته وحاجته •

انا كبدك ••• انا الذي ازيل السموم من جسمك •• السموم التي تلتهمها عامدا متعمدا دون حساب لاي خطر • ولكن لا بأس ، المهم ان تعرف انني انا الذي يخلصك منها • فنيكوتين السجائر وكافيين القهوة ومختلف العقاقير التي تبتلعها يوميا لو حقنت بالاوعية المتصلة بالقلب مباشرة لفقدت حياتك في دقائق معدودات ••• لكنني اقف لها بالمرصاد ، فما ان تصلني حتى امتصها ، وفي فترة من ٦ الى ١٠ ثوان فقط اثناء مرورها بي ، استطيع ان اقوم بعملية تخليص الدم من هذه السموم القاتلة •

● الكحول •• عدوي رقم ١

ولولاي انا لكاد كل شيء يكون ضارا • واذا كنت تشرب الكحول ، مثل اي ارعن آخر ، فانها تتجمع في الدم بكميات قاتلة ، لكنني احولها الى ثاني اوكسيد الكربون الذي لا ضرر منه ، والى ماء • وفي غضون ساعة استطيع ان

يسكن ان يسبب مشاكل خطيرة اخرى . اهمها اقامة غشاء ليفـي عاطـل ومعطل يحولني الى جهاز متقلص قاس اصفر اللون ، سميك ومعقد . وهذا هـو مرض الكبد بالذات . ولو حدث ان اصبت به ـ لا قدر الله ـ لكان عليك ان تتوقع عاقبة السوء !..

ولكن مرضي ، مرض الكبد هذا ، ما هي اسبابه ؟.. اسمع : هناك عـدة عوامل يمكن ان تسبب هذا المرض . هناك العدوى والتسمم بالزرنيخ او بعقاقير اخرى . لكن العاملين الرئيسيين اللذين يلعبان دورا هامـا همـا الطعام الخفيف والكحول . فالشخص الذي يتناول طعامـا خفيفـا ويستهلك بانتظـام خمس زجاجات من الويسكي يوميًا عليه ان يتوقع اصابة كبـده بالتضخم والتشمع .. انه مرض الكبد الخطير . وارجو الا تكون واحدا من هؤلاء المجانين .

انني ادعى بالعضو الصامت ، ولكنني في الايام العصيبة أجـد عـدة طرق للشكوى فلو شعرت انت يوما ما بتعب غير طبيعي ، او بفقدان الشهيـة وانعدام الرغبة في الاكل او بضعف او انتفاخ في بطنك ، يجدر بـك ان تبـدأ في التفكير بي . ولو شعرت بتمدد في مجاري الدم بما يشبه العنكبوت في القسم العلـوي من جذعك ، او اذا اصفر لونـك ، فمـن الافضل ان تسارع وتتصـل بالطبيب المختص .

ولكن كيف سيتأكد الطبيب من انني سبب المتاعب ؟.. لن اكتمك السر !. هناك بعض الفحوصات الطبية . في الفحص الاول احقن بمادة خاصة ، فاذا كبر حجمي وجب ان اتخلص من ٩٥ بالمائة من كمية العلاج في ٤٥ دقيقـة . والفحص الاخر والاوسع ، هو قياس الصبغة الحمراء في الدم ، فاذا وجدت نسبتها عالية ، فمعنى ذلك انني اسير على درب المشاكل !.. والفحص الاخير هو ادخال انبوب في جوفي لاستخلاص جزء مني ليخرج ويفحص .

على كل حال ، لو اصابك مرض الكبد ـ وهو اخر حلقة في سلسلة المتاعب التي يمكن ان تحدث لي ـ فستوضع في الفراش وتتناول مقويات مـع وجبات خصوصية ، وسيحرم عليك مجرد النظر الى الكحول . ان هذا العلاج يتيح لـي حظا كبيرا في ان استعيد نشاطي واعود الى عملي بكفاءة .

الحمراء التالفة ومن صبغتين ، احداهما حمراء والثانيــة خضراء • ولــو تسربت كمية كبيرة من هاتين المادتين الى الدم فانك ستصاب بمرض « اليرقان » ، الذي يسبب اصفرار الجلد وابيضاض العيون •

ولو حدث ذلك ، فان الاصابة تكون واحدا مــن ثلاثــة انواع : الاصابة ببعض الامراض او بالملاريا او بأحد انواع فقر الدم الــتي تقضي بسرعة علــى الكريات الحمراء فيظهر الاصفرار ، لان الخلايا تحترق بكميات تفوق قدرتي على التخلص منها • وعرقلة جريان السائل الهضمي الى البطن يمكن ان تسبب تكتل الصفرة وتسربها الى الدم ، فيحدث اليرقان •

وعندما تلتهب خلاياي العاملة تنيجة لمرض ، او عندما يسد الدهن مجاري ، افقد قدرتي على افراز المادة الصفراء ، وهذا يعني انني اكــون في مأزق صعب • ولكن لا تخف ، فان لدي من الاحتياطات والقدرة علــى التجــدد والانتاج مــا يجعلني اصمد في وجه الصعاب • فلو تسكن المرض من اتلاف ٨٥ في المائة مــن خلاياي العاملة فانني استطيع الاستمرار في القيام بوظائفي ، على الرغم من ذلك•

ولكن لا اخفي عليك ، فهذه القدرة بالذات هي في الوقت نفسه مــن نقاط الضعف عندي ، لانك لن تنتبه للامر الا حين اكون في حالة الخطر الشديد • ثــم ان من الممكن ان يقتطع الاطباء ٨٠ بالمائة مـــن حجمي ـ كما يحدث في بعض حالات السرطان ـ ومع ذلك استمر في القيام بخملــي واودي وظائفــي بشــكل طبيعي ••• بل واقوم بعمل فذ وفريد من نوعه ليس في استطاعة اي عضو آخــر ان يقوم به ، وهو انني في خلال بضعة اشهر فقط اتمكن مــن استعادة حجمــي الطبيعي !••

● الدهن •••• ذلك الخطر الاكبر

اذا كانت الالتهابات تستطيع ان اقضي على المرض واصلــح الضرر ، وفي اغلب الاحيان أعود الى حجمي الطبيعي • لكن تسرب الدهن الــى خلاياي هــو الامر المخيف فعلا ، لانه يبخثر العاملة منها • ولو كثر الدهن فانني اتضخم (الم تسمع عن الكبد المتضخم ؟) واصبح حساسا • والدهن يستطيع ان يتسرب الى مجرى الدم ويشكل عائقا في الاعضاء الحيوية • بل واكثر مــن ذلك • فالدهن

بريد القراء



في ذكـراك يـا أخي ...



المأسوف على شبابه :
زيد توفيق محي الدين

ماذا اقول عن أخ حبيب ارتحل عنا الى الابد ، وفقيد غال غيبته عنا الاقدار في مقتبل العمر وغض الشباب ؟ ...

ماذا عساني أقول في ذكرى أخي الذي ارتحل عنا منذ عـام كامل وخلقنـا للحسرات والآهات وللاسى الممض والحزن المرمض والدموع الحرى ...

لقد فقدنا بفقده ذلك القلب المترع عطفا وحدبا وبرا ونزوعا حارا الى كـل خير وجميل ... ذلك الانسان ، الانسان ، المحب لعملـه ، المتفانـي في خدمـة مجتمعه ، الصادق في لهجته ، النزيه المستقيم في مسلكـه ، الرصين في أحكامه ، العميق الاخلاص في وطنيته ...

وكلما مرت الايام يا أخي وازدادت شقة البعاد ما بيننـا اتساعا ، شعرنـا ــ شعورا حادا ملحا ــ بمسيس الحاجة الى وجودك بيننا ، الى عاطفتك الجياشة وحنانك الغامر ، الى صمتك العميق الرصين اذ تصمت ، والـى حديثك الطلـي وابتسامتك المشرقة الورود ... الى حرارة الايمان ودفء الاخـلاص في نبراتك اذا دار الحديث ــ وما أكثر ما كان يدور ــ عن حدودنا الجنوبية الصامدة وعن الغزوات والانتهاكات العديدة لارضنا الطاهرة ...

وكم وكم هلع قلبي وأنا اسمعك تردد وأنت في أشد التوق والتحرق الـى

● **اسمع هذه النصائح**

والآن ماذا بامكانك ان تفعل لتجنب أي واحدة من هذه المشاكل ؟.. اليك هذه النصائح وستشكرني في المستقبل :

● راقب وزنك ، فعندما يزداد وزنك يزداد وزني ايضاً . وهــذه قاعــدة مخروفــة .

● قلل من الدهنيات ما استطعت وتذكر دائما ما يمكن ان تسببه لي مــن متاعب .

● تجنب شرب الخمر ، فهي لا تؤذيني وحدي ، وانما تلحــق ضررا جسيما بزملائي الاعزاء من الاعضاء الحيوية الاخرى .

● هناك مقويات خاصة مثل فيتامين « ب » والموجــود في القمــح وخميرة الــبيرة .

انك اذا اعطيتني قليلا من الانتباه والعناية ، فسوف اظـل اعمـل بصمت كاللولب في كافة المجالات ، وعلى جميع الجبهات ، لكــي احتفظ بــك في صحة جيــدة .

الان ، أعد قراءة كلامي هــذا بامعان وباشر بتطبيــق النصائح واجتنــاب المحظورات ، والا وجدت ما لا يسرك .

حاجة الى ثمرات جهادك العنيد وفيض قلبك الرحيم ...

أي لوم علينا جميعا بعدك يا أخي اذا قـرح الحزن اجفاننـا وغلف قلوبنا وسرى في عروقنا !... وأي عجب او غرابـة اذا تجهمتنا البهجة وحـل السرور علينا ضيفا ثقيلا كريها ؟

وأي تقصير معيب في حقك علينا جميعا يا أخي اذا نحن لم نرع ذكراك حق رعايتها ، اذا نحن لم نختزنها في العيون ونطبق عليهـا الجفون ... اذا نحن لـم نحفظها في شغاف القلوب ، اذا لم نجعل عروقنا تختلج بها ، اذا لم نحمل انفاسنا امواج عبيرها ونظراتنا ألقها وتوهجها وبهاءها ...

بل أي جحود ونكران لاياديك البيضاء يا أخي الحبيب اذا نحن اقتصرنا في تكريم ذكراك على البكاء وان كان صادقا سخيا وعلـى الالتياع وان كان ممضا محرقا ... ذلك اني اعرف حق المعرفة ، كما يعرف ذلك جميع عارفيك انك تؤثر في تذكرنا اياك وجهه الايجابي البناء ، وهو الاقتداء بك نهجـا وسيرة وسلوكا ، واستئناف السير على آثارك في دروب التضحية والايثار والعطاء بدون حساب ، وتوخي الخير العام في السر والعلن واستشراف المستقبل الرغيد المشرق مـن بين ثنايا الحاضر التعيس المظلم ... وما أشقه ـ يا أخي ـ من نهج ، لكن علينا جهد استطاعتنا ان تتابعك فيه وتقتفي خطاك ما دمنا حريصين على ذكراك حية خالـدة في قلوبنا وعقولنا وفي جميع ما يصدر عنا من أقوال أو افعال ..

هنيئا لك يا أخي بخلود الـذي استحققته بجهدك وكفاحك وتضحياتـك الجسام وتفانيك في خدمة مجتمعك وبما حملته بين جنبيك مـن شعـور انساني أصيل واحساس وطني نبيل ...

أما نحن فليس لنا بعد انقضاء عـام علـى رحيلك الا ان نضع زهرة علـى قبرك ، وان نترك لقلوبنا ان تسيل دموعا سخينة على ثراك الطهور ، ضارعين الى الله ان يلهمنا الصبر على فراقك والقدرة على اقتفاء خطاك والاقتداء بك .

شقيقة الفقيد
ليلى توفيق محي الدين

المشاركة في الذود عن حياض الوطن :

« لست أفضل من غيري ••• لست خيرا من شباب كثيرين يستشهدون في ساحة المعركة ، على الحدود ••• »

لقد كنت أتطلع اليك بعين الاخت المحبة الــى أخيها البــار العطوف وكنت فخورة ومعتزة بنوازعك الخيرة وبمشاعرك الوطنية المتأججة لكن هــذا الشعور كانت تشوبه منغصات الخوف عليك باعتبارك الانسان المثالي الذي تمنيت دائما ان يعيش لنا ولمجتمعه ولامانيه ، ليتابع رسالة البذل والسمح والعطاء والخير من أجل مجتمع قوي مزدهر •••

ولشد ما كنت تقسو على نفسك يا أخي وتشق على جسمك وانت تعمــل بدأب وجد ونشاط في الليل والنهار ، وفي محيط وظيفتك وفي محيط عائلتك وفي محيط المجتمع الكبير الذي تنتمي اليه ، وما اكثــر مــا هزئت بالمصاعب وذللت العقبات التي اعترضتك وانت ماض في سبيلك نحــو أهدافك القصية لا تلــوى على شيء •••

كم ساعدت المحتاجين الى عونك ، وكم ضمدت من جراح ، وكم اعطيت من ذات يدك ومن ذات نفسك !••• كم ضحيت بفترة راحــة واستجمام انت بأمس الحاجة اليها ، وكم سخوت في البذل وتفانيت في الايثار ونكران الــذات ! ••• كل هذا وانت معتصم بصمت هو أبلغ من كل تعبير وأبين من كل اعلان •••

كل هذا وانت ترفض ان يوجه اليك اي امتداح او تقريظ وان تسلط علــى نشاطاتك اية اضواء ••• فكيف لا اعتز بك يــا أخي وكيف لا أفخــر بالسجايا الانسانية النبيلة التي تجلت فيك كأحسن وأروع ما يكون التجلي !•••

وكيف لا يتصدع قلبي وتطير نفسي شعاعا عــلى آثارك حين شاء الــقدر القاسي ان ينتزعك من بيننا وانت في أبان نضجك وفي عنفوان شبابك ، والجميع من اقربائك واصدقائك وعارفيك قد أناطوا بــك أروع الاماني وعلقــوا عليك ازهى الآمال •••

والمجتمع الذي كان هاجسك الدائم آناء الليل واطراف النهار مــا زال في

آراء الناس ومشاكلهم



الاستاذ محسن سليم ـ محام كبير ـ وقانوني قل نظيره في لبنـــان والعالم العربي ـ انتخب منذ اربع سنوات عضوا في المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى • في المدة الاخيره بلغه ان المجلس الشيعـــي يرغب في قبـــول مساعدات روسيـــة وشيوعية لبناء المركز الصحي الكبير المنوي اقامته في منطقة الساحل الجنوبي ـ فثار على السياسة التي يتبعها المجلس بهذا الخصوص وارسل برقيات وبيانـــات تحذر رئيس المجلس واعضاءه من الاقدام على مثل هذا الامر الخطير مؤكـــدا ان الروس لا يستهدفون من تمويل المشروع الا اغراض سياسية بعيدة المدى •

ويبدو ان صراعا عنيفا قائم داخل المجلس الاسلامي الشيعي لا بالنسبة الى هذا الموضوع بالذات بل بالنسبة الى سياسة المجلس نفسه من القضايا العامـــة • فمحسن سليم يتهم المجلس بانه انحرف عن السياسة التي انطلـــق منها في البداية وهي العمل على اشاعة الاسلام الصحيح بين جميـــع المسلمين وازالـــة الـــفوارق الدينية والمذهبية والامتناع عن اثارة النعرات المذهبية على اختلافها •

وقد تجلى هذا الخلاف في البرقية التي ارسلها مؤخرا الاستاذ محسن سليم الى سماحة الامام السيد موسى الصدر ـ هذه البرقية التي كان لهـــا وقع شديد

حضرة الاديب الفاضل صاحب مجلة العرفان الغراء المحترم

تحية واحتراما وبعد ،

لما كانت مجلتكم الزاهرة مسرحا للادب ونشره ،

ولما كنت في الماضي من الذين كانوا ينشرون على صفحاتها ما تجود به القريحة في مناسبات لذلك وعودا الى الماضي فقد أحببت ان اتقدم بهذه المناسبة، في سنة ١٩٧٢ قبل الانتخابات الاخيرة اقام النائب السابق السيد اسعد بيوض مأدبة عشاء في دارته في بيروت على شرف السفير السابق والامين المساعد للجامعة العربية السيد اسعد الاسعد وقد دعا السيد بيوض بعض اصحابه لحضور هذه الحفلة وقد كنت من المدعويين لهذه الحفلة التي تجلى بها الكرم المرجعيوني وازدانت هذه المأدبة بكرم الاخلاق والاناقة وتخللها كل ما يشتهى من مآكل ومناظر وكل ما لذ وطاب وقد طلب الي احد الاصدقاء الحاضرين ان اصف هذه المأدبة بما تجود به القريحة وكان بودي ذلك فاجبت الطلب ونظمت الابيات التالية ، ولما كانت مجلة العرفان الغراء مرتعا خصبا للادب ونشره لذلك ارجو منكم نشر الابيات التالية ولكم شكري :

قد كنت بالماضي القريب متيما ... بنسيم وادي التيم بالازهار
بالمنظر الخلاب حول سهوله ... بالبلبل الصداح بالانهار
بالغانيات الغيد في ارجائه ... بالمنظرين الزهر والانوار
بالياسمين الفل في نواره ... بأبي « اديب (١) » منيتي ومناري
لم انس ليلا قد قضيت بداره ... وثلت بالنجوى الى السمار
والشمس مشرقة تشع بداره ... والبدر أحرقه شعاع الدار
والبلبل الغريد في جنباته ... وحمامة الوادي على الاشجار
وشكا الرفاق الى الرفاق حنينهم ... وتركت ما اشكو الى الاقدار
وحننت للماضي البعيد بعامل ... وبكيت انغامي على القيثار
والكأس رنحني وطاب شرابه ... وسلوت فيه بلبلي وهزاري
ورضيت من صحبي باسعد وحده ... وشعاره في اسعد كشعاري

الصوانة — اخوكم : محسن الامين

١ ــ اي صاحب الدعوة .

النصوص القانونية فحسب بل من النفوس ايضا ليظهر لبنان امـام العالم وكأنـه وطن الجميع في نظام تسوده العدالة وترعاه المساواة في جميع الحقوق والواجبات فوجودكم في مركـز القيادة الروحية للطائفة على هـذا الاساس الوطنـي يصبح امرا ضروريا لاني اؤمن بان فيكم من القدرات الذاتية والخاصة ما يمكنكم مـن تحقيق هذا الهدف النبيل ، انـي اذ اصر على بقائكم في مركـز القيادة الروحية للطائفة اتوسل اليكم دعوة اعضاء المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الـى جلسة سريعة طارئة للاستقالة فورا من مراكزهم بعد ان حكستم عليهم سماحتكم وحكم عليهم الرأي العام في الطائفة بالفشل واستبدالهم ـ عـن طريق الانتخاب طبعا ـ باعضاء جدد ارجو ان يكون حظهم اوفر في النجاح والخدمة العامة مـن الاعضاء الحاليين ، ان العناصر المنتمية الـى الطائفة الاسلامية الشيعيـة بلبنـان اصبحت من الوعي والادراك والمسؤولية بحيث لم تعد تقبل لقيادتها الروحيـة والمدنية الا الرجال الاقوياء المخلصين القادرين على خدمتها وتحريرها مـن العبودية ومـن المركبات العديدة التي سيطرت ولا تزال ـ مع الاسف ـ تسيطر عليها حتى الان وبانتظار الموقف الحاسم الذي ستتخذونه بالنتيجة والذي يؤمن تحقيق الاهداف السامية التي وجد المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى من اجلها •

تفضلوا بقبول فائق الاحترام

المحامي محسن سليم

الحوار بين القذافي والمرأة في مصر

في اللقاء الذي حضره الرئيسان انـور السادات ومعمـر القذافي ، وضم القيادات النسائية في مصر ، كان الحوار حـارا ، ووضع الرئيس الليبي خلالـه جدارا ضخما من الفوارق بين الرجل والمرأة •

قال ان عمل المرأة في المصانع وفي المعامل ، وفي الهندسة ، اهـدار لطبيعـة المرأة وتقويض للجنس البشري • وان الاسلام حفظ للمرأة طبيعتها وحماها ، وان الحضارة الغربية والشيوعية تشتركان في اهدار انسانية المرأة • وقال ان هنـاك

ومستحب في جميع الاوساط الاسلامية واللبنانية على حد سواء وهذا هـو نص البرقية المذكورة :

سماحة الامام السيد موسى الصدر المحترم

الحازمية ـ لبنـان

في الخطاب الذي القيتموه بمناسبة تنصيب مفتي للطائفة الشيعية بطرابلس والمنشور في بعض الصحف اليوم تهديد صريح بعزمكم على الاستقالة من رئاسة المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ومن صفة الامامـة المتصلة بهـذا المنصب ، ان هذا التهديد الذي تطلقونه في هذا الظرف بالـذات وتحت تأثير بعض الاحداث والتفاعلات الطارئة داخل الطائفة وخارجها ينطوي على خطورة نجلكم عن الاقدام عليه نظرا للنتائج المترتبة على وضعكم هذا التهديد موضع التنفيـذ ، واذا كان المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى بعد مرور اربع سنوات على انتخابه قد فشل في مهمته كما صرحتم بذلك مؤخرا لانه لم يكن في مستوى الاحـداث والمسؤوليات الملقاة على عاتقه واستحق سخط وعدم ثقة الجماهير الاسلامية الشيعية ومفكريها واصحاب الرأي فيها فلا يجوز ان تكون نتيجة ذلـك معاقبـة الطائفة الشيعيـة بانسحابكم من قيادتها الروحية لانكم شخصيا لم تفشلوا في تأدية الرسالة التـي انتخبتم من اجلها بل لا يزال باستطاعتكم اصلاح الاخطاء العديدة التي ارتكبت في الماضي بالعودة الى النهج الذي انطلقتم منه في البداية وهو العمل علـى اشاعة الاسلام الصحيح في صفوف جميع المسلمين والقضاء علـى الحواجـز والفوارق الدينية والمذهبية للوصول الى وحدة اسلامية شاملة محررة من سيطرة الاعتبارات السياسية والتاريخية والتي هدفها مصلحـة الاسلام والمسلمين ورائدها خدمـة الوطن اللبناني بما يؤمن له البقاء والاستمرار في ظل نظامه الحالي في اطـار مـن الديمقراطية الصحيحة والسيادة الكاملة ، فنحن احـوج مـا نكـون في ايامنـا الحاضرة الى قيادة روحية حقيقية تشارك بقية القيادات الوطنية المتحررة في ايجاد الحلول للمشاكل التي يعاني منها الوطن وتعمل بصمت عـلى تحريـر اللبنانيين وتوحيد صفوفهم في اطار وطني واحد عـلى اساس الوصول يومـا مـن الايام ـ وارجو ان يكون هذا اليوم قريبا ـ الـى الغاء الطائفيـة السياسية لا مـن

التقريظ والانتقاد

علـى خط النـار

الكتاب الذي بين ايدينا « على خط النار » من الكتب التي صدرت ابـان احتدام الأزمة الدامية بين الفرقاء العرب الاخوان ، والتي ما زلـنا نعيش آثارها الدامية حتى يومنا هذا ، وكأننا في حـرب « داحس الجاهليـة » لا في معركـة مصيرية ، مع عدو صهيوني مشترك ، ومن ورائه عالـم اجنبي يحمـل الاحقـاد التاريخية على كل ما يمت الى العروبة بصلة من الصلاة في العزة الفكرية ، وحرية المكـان .

وهذا الكتاب ، كان بحق ظاهرة من ظواهر دعـوة التآخي ، بين الفرقـاء العاملين في صفوف المعركة المصيرية التي تخوضها امتنا العربية من الخليج الـى المحيط . وكأني بمؤلفه المصلح الجليل معالي الشيخ عبد اللـه السعد ، اراد ان يرسم الطريق السليم ، والمحبة المشتركة ، لفرقاء المعرفة كافة ، قبل ان تمتد الفرقة الى الصفوف . وهو الرجل الذي جعل من حياته سلما في خدمـة ونشأة المقاومة العربية ، نظامية كانت او شعبية على حد سواء .

والكتاب المذكور بما حفلت ابوابه الهادفة ، مـن الـتزام حـول الترابط العضوي بين ابناء العروبة والاسلام ، فانه كان يصلح قبل تعميق جذور الخلافات العربية بين المقاومة العربية والانظمة الحاكمة ، الى توطيد دعائم المحبة والمسالك الصادقة بين المناضلين كافة ، والى تنقية الشوائب في هدي من الاخوة والتعاون الجدي السليم .

فروقا مادية بيولوجية ونفسية بين الرجل والمرأة ، ولا يمكن ان تقوم بينهما مساواة ما •

في البداية تكلمت السيدة كريمة السعيد امينة التنظيم النسائي بالاتحاد الاشتراكي عن تاريخ المرأة المصرية وكفاحها ونضالها ، وقالت ان الحركة النسائية كانت تنبع دائما من الحركة الوطنية ، وان الرئيس السادات قال ان المرأة ما زالت تختزن طاقات هائلة للعمل الوطني • وتحدثت عن الدور الذي لعبه التنظيم السياسي في محو الامية ، وفي تنظيم الاسرة •• وفي تشجيع النساء على قيد اسمائهن في جداول الانتخاب ، وقالت ان المرأة المصرية لم تقف وحدها في مجال النضال الوطني ، بل كان معها الرجل •

احاديث عن التناقضات

وتحدثت الفنانة فايدة كامل باعتبارها عضو مجلس الشعب ، فقالت :

اننا نسمع عن تناقضات وخلاف قد يؤجل الوحدة • وفي رأيي ان ما يثار لا يشكل تناقضا لان ثورة الفاتح من ايلول امتداد لثورة ٢٣ تموز •

فالقول بوجود خلاف حول قضية التحرير والقضاء على اسرائيل لا وجود له ، لان المعركة على مرحلتين :

- مرحلة ازالة آثار العدوان •
- ومرحلة استعادة الحق العربي وازالة الوجود الصهيوني العدواني •

وقالت السيدة فردوس سعد : لقد سمعنا ان الرئيس القذافي كان له الفضل الاول في انه فتح الطريق للعمل امام المرأة ، ثم سمعنا انه يعارض عمل المرأة ، ولذا نريد ان نطمئن •

ورد الرئيس القذافي فقال ان هذا السؤال البسيط هو لب الموضوع كله • هل تعمل المرأة في المصانع والمعامل او لا تعمل ؟ ان عمل المرأة في المصانع وفي الاعمال القاسية يتنافى مع طبيعتها ، بل اهدار لطبيعة المرأة العطوفة الرقيقة • وعمل المرأة في هذه المجالات اهدار لطبيعتها وتقويض للجنس البشري كله ، بينما الدين والطبيعة البشرية يناقضان عمل المرأة في المجالات الصعبة •

ـ نصري المعلوف وزيرا للدفاع •

ـ جوزيز شادر وزيـر دولة •

ـ الدكتور البير مخيبر وزير دولة •

ـ عثمان الدنا وزيرا للصحة العامة •

ـ فؤاد نفاع وزيرا للخارجية •

ـ ميشال ساسين وزيرا للاسكان والتعاونيات •

ـ ادمون رزق وزيـرا للتربيـة •

ـ طوني فرنجيه وزيرا للبريد والبرق والهاتف •

ـ اميل روحانا صقر وزيرا للعمل والشؤون الاجتماعية •

ـ فهمي شاهين وزيرا للاعلام •

ـ الدكتور علي الخليل وزير دولـة •

ـ سورين خان اميريان وزيرا للسياحة •

ـ الدكتور حسن الرفاعي وزيرا للتصميم العام •

ـ توفيق عساف وزيرا للصناعة والنفط •

سلمى محسن سليم

تفوز بشهادة الماجستير بتفوق مـن الجامعة الاميركية

نوقشت في آخر هذه السنة المدرسية بالجامعة الاميركية وامـام نخبة مـن كبار اساتذتها اطروحة باللغة الانكليزية لنيـل شهـادة الماجستير عـن « هجرة اللبنانيين والسوريين الى مصر ومدى مساهمتهم في بناء النهضة الحديثة » وقـد فازت بهذه الاطروحة السيدة سلمى مرشاق زوجة المحامي الكبير الاستاذ محسن سليم بتفوق وبعلامة جيد جدا ـ وهذه الاطروحة هي الاولى من نوعها في لبنان

أهم الأحداث الدولية

الحكومة الجديدة

فيما يلي التشكيلة الوزارية التي صدرت مراسيمها :

ـــ تقي الدين الصلح للرئاسة والمالية .

ـــ فؤاد غصن لنيابة الرئاسة والاشغال العامة .

ـــ صبري حماده وزيرا للزراعة .

ـــ مجيد ارسلان وزير دولة .

ـــ بهيج تقي الدين وزيرا الداخلية .

ـــ كاظم الخليل وزيرا للعدل .

ـــ جوزف سكاف وزيرا للموارد المائية والكهربائية .

ـــ الدكتور نزيه البزري وزيرا للاقتصاد والتجارة .

الاستاذ عارف بك النكدي ، وليسمح لنا اخواننا ان نؤكد لهم ان النكدي هـو الامير شكيب ارسلان نمرة ٢ على مستوى أعلى بالثقافة . ولذلك فانه من العار على اخواننا الدروز ان يسيئوا لشخصية مثالية كهذه الشخصية ، بل واجبهم ان يكرموه ويقدروه ويناصروه بشخصه وباعماله النافعة .



الاستاذ محمد قرهعلي يلقي كلمته في مادبه النكـدي والاستـاذ قرهعلي بلبـل المجالس والحفلات و يرى بجانبه صاحب العرفان ، وهنا نتساءل لماذا صمت الصديق القـديم كغيره في الدعوة الى العرفان ؟



في مادبة النكدي ومؤسسة بيت اليتيم عند البطون لم تضع العقول

والعالم العربي وقد يصار الى ترجمتها الى اللغتين العربية والفرنسية لتعميم فائدتها على المواطنين •

اننا اذ نهنيء السيدة سلمى مرشاق بهذا الفوز العظيم ونهنيء بالوقت نفسه صديقنا الاستاذ محسن سليم بهذه الزوجة العالمة التي ادت وتؤدي خدمات جلى لوطنها لبنان عن طريق البحث والتأليف •

رئيس واعضاء الرابطة الدرزية الاميركية يزورون بيت اليتيم الدرزي في عبيه

لمناسبة انعقاد مؤتمر الرابطة الدرزية الاميركية السابع والعشرين في لبنان قام رئيس الرابطة الشيخ بهيج ابو الحسن يرافقه اعضاء المجلس ووفود المغتربين بزيارة تفقدية لمؤسسة بيت اليتيم الدرزي في عبيه •

وجرى لرئيس الرابطة ومرافقيه استقبال شعبي حافل شارك فيه رئيس المؤسسة المربي الكبير الاستاذ عارف النكدي ورئيسة لجنة سيدات بيت اليتيم السيدة خولا جنبلاط ارسلان ووفود من المستقبلين واعيان الطائفة الدرزية •

وقد قام رئيس الرابطة واعضاؤها بجولة في المؤسسة اطلعوا خلالها على منشآتها ومنجزاتها كما شاهدوا عرضا سينمائيا عن اعمالها •

واقيم للمناسبة مهرجان خطابي تكلم خلاله الرئيس الاستاذ عارف النكدي فرحب برئيس واعضاء الرابطة ونوه بجهود المغتربين ومساهمتهم في المشاريع الخيرية وتوالى بعد ذلك على الكلام السادة : وديع ملاعب ، شفيق يحيى ، شفيق المصري ، فندي الشعار ، عبد الله النجار ، كما تحدث اخيرا باسم الرابطة الاميركية ـ الدرزية امين سرها المهندس الاستاذ عجاج العنداري •

العرفان : تدعو جميع المهاجرين الى مناصرة هذا المشروع الخيري الهام •

كما ندعو الرابطة برئيسها وامين سرها وسائر اعضائها ان يطلبوا من سماحة شيخ العقل وضع حد لما يثار بغير حق حول العلامة البحاثة المثل الاعلى في النزاهة



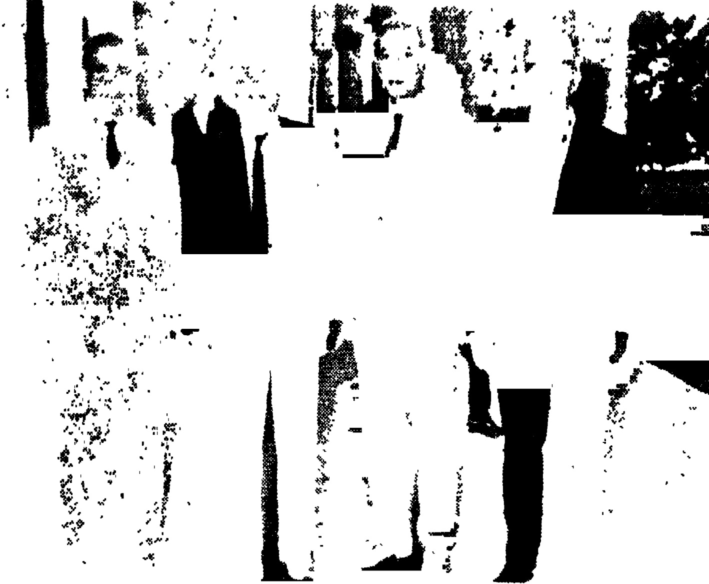
السيد حسن الشيرازي في سيرالون وبجانبه وزيـر الزراعة
مع افراد من الجالية اللبنانية او بـل العاملية



نقيب الصحافة يستقبل الاستاذ عبد اللطيف الخشن الصحافي المهجري

● الزميل العزيز الاستاذ عبـد اللطيف الخشن الاديب الشاعـر الصحفـي المهجري صاحب جريدة « العلم العربي » التي تصدر في بونوس ـ ايرس عاصمة الارجنتين باللغتين العربية والاسبانية وسفير لبنان الادبي والعروبة في تلك البلاد، يزور لبنان حاليا ، وقد كان موضع الحفاوة والترحاب من جميع عارفيه ومقدريه، ويرى في الصورة بالوسط وعن يساره نقيب الصحافة وعن يمينه صاحب العرفان.

● المفكر الاديب الكبير الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود كان مـن ضيوف



من اليمين الى اليسار : صاحب العرفان ، سلام الـراسي ، عارف النكدي احمد بدر



منظر من مأدبة النكدي يمثل اكثر الحضور
وقد ذكرنا اسماءهم في العـدد الماضي

عيد الجيش
عيد لبنان



★

بمناسبة عيد الجيش يوم ١ آب يسر العرفان ان تتقـدم بالتهنئـة لصاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية القائد الاعلى للجيش ، ولقائـد الجيش العمـاد اسكندر غانم وبهذه المناسبة ننشر مقالا للزميل الكبير الاستاذ عبـد اللـه المشنوق بعنوان : جيشنا الكبير .

جيشنا الكبير

بقلم معالي عبد الله المشنوق ـ وزير الداخلية سابقا

الجندية تكوين ونظام وقوة ورجولة وفروسية وفداء ... وليس كالجندية ـ في نظري ـ وسيلة لمكافحة الميوعة في الشباب وصهرهم في بوتقـة الوحـدة الوطنية . اقول هذا كمرب سلخ خمسين عاما من عمره في التربية والتعليم وخرج منهما بهذه العقيدة التي لا تتزعزع وهي ان المرء لا يتم تكوينه على النحو المثالي اذا هو لم ينتسب الى مؤسستنا الكبرى ولم يكتسب منهـا انضباطـا ورجولـة وخشونة وفداء ... ألم يقل محمد (صلى الله عليه وسلم) : اخشوشنوا فـان النعم لا تدوم ؟ ونحن نقول لشبابنا اخشوشنوا فـان التخنث والميوعـة مرض وليس كالثكنة والتدريب القاسي دواء ... اسألوا مجربا ولا تسألوا حكيما .

انا اؤمن بان جيش لبنان يجب ان ينخرط في صفوفه كل لبناني دون تمييز.



الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في نقابة الصحافة وهو يقدم للنقيب الاستاذ رياض طه الذي استقبله مع لفيف من الزملاء والادباء مجموعته « علي بن ابي طالب » ويرى الاستاذ عبد الفتاح بالوسط وعن يساره النقيب والاستاذ محمد قرهعلي وعن يمينه صاحب العرفان والسيد اكرم عاصي صاحب مكتبة « العرفان » الذي اكرم وفادة الاستاذ عبد الفتاح وضيافته فاستحق شكرنا جميعا

لبنان في اوائل هذا الصيف حيث كان موضع الحفاوة والتقدير ، ولم تتمكن من القيام بواجبه على الوجه الاكمل لانه استعجل السفر ، وقد علمنا انه سيضع مؤلفات عن الائمة « ع » ، وبهذه المناسبة نهيب بالقراء والانصار للاقبال على مؤلفه الضخم : « علي بن ابي طالب » الذي جددت طبعه مكتبة العرفان لصاحبها السيد اكرم عاصي •

● فندق فاروق بسوق الغرب لصاحبه الصديق الاستاذ داود صليبا اصبح محجة الزوار من ادباء ومفكرين وعلماء وشعراء ، حين أمه المفكر الاديب الكبير الاستاذ جعفر الخليلي للاستجمام والراحة •

● من ضيوف لبنان في هذا الصيف البحاثة المحقق الاستاذ كوركيس عواد والمؤرخ الثبت الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني وقد حلا في ضهور الشوير وكانا موضع الحفاوة والترحيب من الاوساط الادبية والثقافية وكل من عرف جهادهما في خدمة الادب والتاريخ •

في الكورة ، وقفوا امامي كأنهم مفرزة في جيش ••• كأسنان المشط ••• هــذا مارشال في الجيش والثاني مدير البنك المركزي والثالث استاذ الطب الداخلي في جامعة مونتيفيديو والرابع نقيب الصحافــة والخامس عضــو في مجلس الـنواب والسادس شيخ في مجلس الشيوخ والسابع من المع رجال القانون ••• الى آخر المفرزة • كلهم قمم في الحقول التي يعملون فيها • وكانت امهم ، رحمها الله ، في الثماني من عمرها اذ ذاك ، تضمني الى صدرها ودموعها تنهمر بغزارة على خديها وتقول : دعني اشم في انفاسك عبير لبنان ••• ويشهد الله اني ما شعرت في حياتي بأني قريب من شخص قربي من هذه الام التي وجدت في نفحة من لبنان الحبيب•

في كل بلد في العالم اثر لبنان ، او اثر قــدم للبنانيين • وقــد رأيت الارزة شامخة في لندن في غير موضع • ورأيت اعجاب البريطانيين بهــا واحترامهم لها • ورأيتها شامخة في عواصم اخرى • ولا انسى حين كنت اتمتع بالفرجة على الارزة اني سمعت زمور سيارة ــ وهذا عجيب في لندن حيث التزمير ممنــوع والمنــع محترم ــ فالتفت فوجدت سيارة من لبنان ••• ورفعت عن المي بنظرة طويلة الى الارزة الكبرى ••• ما اعظم المفارقة !

وكنت عام ١٩٢٦ في عبادان بايران • والعرب كانوا يقولون : ما بعد عبادان حجر ، دلالة على بعدها ، فسمعت جوقة تعزف لحنــا لعمــر الزعنــي : صندوق العجايب ، قوم تفرج آه يا سلام شوف احوالك بالتمام ، شوف ملوك بني عثمان كانوا ملوك على الزمان ، كانوا ملوك وصاروا ناس ، يا لطيف من غدرات الزمان!

الله الله ••• من هم هؤلاء الذين ينشدون للايرانيين اغنية الزعني ••• انها فرقة من لبنان الجبل تنقل الى فارس لونا من الوان الغنــاء الشعبي اللبناني ••• والحضور طربون يطيبون بالفارسية طبعا •

قد يتألف جيشنا في لبنان من عشرة او عشرين الفا او اكثر ، لكن جيشنا في الخارج يضم ثلاثة ملايين جندي حملوا الى العالم قبسا مــن اشعاع لبنان وغرسة من عبقريته ••• نور يضيء ••• وغرسة تنمو ومجد يتحقق •

هذا هو جيشنا المغترب الكبير ، انه يعتــز بجيشنــا المقيم ، حامــي الوطن وصانع الرجال • وان جيشنا المقيم يحق له ان يرفع رأسه عاليا بجيشه الكبير الذي

ويشهد الله اني ما أسفت في حياتي على شيء كأسفي على اني لم اخضع للتدريب العسكري • صحيح ان الكشفية تمهد للجندية • وصحيح ايضا اني اقدم كشاف في لبنان ، فقد التحقت بالكشفية العام ١٩١١ • ولكـن الكشفية شيء والجندية شيء آخر بكل معنى الكلمة • وليس الظل كالاصل •

لم اكتب هذه الكلمة للتوسع في فوائد الجندية كنظام تربوي صارم ولكني مهدت بالحديث عن محبتي واحترامي للجندية لاكتسب عطف الجنـود فادعوهم الى مصاحبتي في رحلة صاروخية عبر المحيطات والقارات ليتعرفوا مجـد لبنـان ويروا ما قدمته العبقرية اللبنانية من خدمات للحضارة وما تركته مـن آثار هـي خالدة على الدهر •

لن ابدأ الرحلة من اقدم العصور لكـي اصف امجـاد قدامـى اللبنانيين ، فينيقيين وعربا ، فهذا شرح يطول • وهو من اوجب واجبـات المربين في المدارس والجامعات وفي الثكنات والمعاهد العسكرية • ولكني كنت اود لو يرافقني جنود لبنان بالروح والفكر في الطواف الذي قمت به في اوروبا وآسيا واميركا واقطـار من افريقيا ، فرأيت بام العين ما حققه ثلاثة ملايين لبناني منتشرين تحت كل سماء وكوكب من امجاد ومنجزات • شاهـدت المواطنين اللبنانيين في اعلـى المناصب ، قمما شامخة في العلم والادب والاقتصاد والصناعة والمال والسياسة • رأيتهم نوابا في البرلمانات وشيوخا في مجالس الشيوخ ، رأيتهم اساتـذة عظماء في الجامعات ، وتحدثت اليهم في مصانعهم ومصارفهم وانديتهم ورفعت رأسي عاليـا حيثما نزلت في بلد واجتمعت فيه الى جاليتنا اللبنانية •

اجل ، لقد حقق اللبناني في المهجر ما لم يحققه مواطن في العالم ينتمي الـى بلد في حجم لبنان • ولعلي لا اتجاوز الحقيقة والواقـع حين اقـول ان نسبتنـا الحضارية في المهجر لا تقاس بمساحة الرقعة التي يقـوم عليهـا وطننا الذي فاقت صادراته البشرية ، جنسا ونوعا وحصادا ، معظم صادرات العالم •

هل احدثكم ، ايها الجنود ، عن اقطاب الطب اللبنانيين في الولايات المتحدة، وعن اقطاب المال والصناعة في البرازيل والارجنتين ، او عن الاقطاب اللبنانيين في مونتيفيديو بالاورغواي ، حيث قابلت عشرة شبان من عائلة عبد الله مـن قلحات

السيد علي زين الموسوي

● توفي في بيروت ونقل جثمانه الى مسقط رأسه « بعلبك » كبير عائلته ـ السيد علي زين الموسوي ـ المستشار في المحكمة الجعفرية العليا سابقا ، كما انه عين عضوا في المجمع العلمي اللبناني حينما انشيء مجمع علمي في لبنان لم يدم طويلا ، وقد انتخب رئيسا له يومذاك الاستاذ محمد جميل بيهم .

وقد شيع السيد علي الى مقره الاخير بمجالي التكريم كما اقيم له اسبوع حافل ، تعازينا الحارة لانجاله وجميع العائلة كما نرجو للفقيد الرحمة الواسعة .

خليـل فرنسيس

● توفي في بيروت ونقل جثمانه الى مسقط رأسه « القليعة » ـ خليل فرنسيس ـ وجيه بلده وعميد عائلته ، وكان ابو سليم حلو الحديث لطيف المعشر ، كريما ، خدوما . وقد شيع الى مقره الاخير بمجالي التكريم كما اقيمت الصلوات التذكارية عن روحه . وكانت لنا في صيدا جلسات ادبية لطيفة مع الصديق « ابو سليم » . تعازينا الحارة لانجاله ولصهره الزميل العزيز الاستاذ راضي دخيل ، تتمنى للفقيد الرحمة الواسعة ولآله حسن العزاء .

فاطمـة الزيـن

ام محمود

● توفيت في بيروت ونقل جثمانها الى مسقط رأسها صيدا « فاطمة الزين ـ ام محمود » حيث صلي عليها في النادي الحسيني ، وقد شيعت الى مقرها الاخير بمجالي التكريم وكانت ام محمود تمتاز بمعشر ولا أبهى ومحضر ولا ألطف سميرة الزعماء والنساء على مختلف طبقاتهن لترطيب الاجواء وتلطيف المناخ ، يحبها الجميع وتحب الجميع ، ويكفيها فخرا ان اخاها المرحوم ابن عمنا الشيخ

حمل الى العالم رسالة لبنان وكان في اماتته للرسالة صنوا لجيشنا المقيم في اماتته لسياج الوطن •

يــوم ولــد للبنــان جيش

بقلم : جان كميد

يوم ولد للبنان جيش اكتمل له عقد القيم الجوهرية التي جعلت منه لبنان • زاد عدد ارزاته ارزة ، وانتصب الاقوى من اعمدة بعلبك •

ومع مولد الجيش ولدت مخان كثيرة في نفوس اللبنانيين : الاطمئنان الــى بقاء الاستقلال والحفاظ على الكيان ، الثقــة بالغــد ، الشعور العميــق بالامن وبالارتكاز الى عضد صلب ، وهي مشاعر لا غنى عنها لحيــاة الشعب النفسية ، وسير عجلة عمله بصورة طبيعية •

ونما هذا الجيش مع نمو الفكرة القائلة بان الاستقلال لا يكفــي ان يكون وثيقة رسمية تعلن ويجري الاعتراف بهــا ، اذ ان الاستقــلال الحقيقــي ليــس الاستقلال « القانوني » وحسب ، بــل هــو الاستقــلال الاقتصادي والثقافي والدفاعي • فالدولة التي يرتبط اقتصادهــا باقتصاد سواها لا تملــك ان تقــرر سياستها بكل حرية ، والدولة التي تعتمد على « حليفاتها » دفاعيا هي دولة مقيدة في سياستها كذلك ، كما ان الاستعمار الفكري هو شر انواع الاستعمار • لــذا كان الجيش ، الذي ولد مع ولادة الاستقلال ، احدى الدعائم التي ساهمت ، وما تزال ، في جعل هذا الاستقلال استقلالا حقيقيا فعليــا ، وفي اكساب لبنــان صفة الدولة الحرة السيدة •

وما كانت المحن التي مر بها لبنان منذ ان اصبح له جيش لتنتقص مــن قيمة وجود هذا الجيش ، بل لقد كانت فرصا برهن فيها جيشنا انــه ، ووعي الشعب ، منقذا الوطن على الدوام • وان الشدائد تنتــاب الاوطان لهــي محــك عزيمتها الحقيقية ، والمصهر الذي يسبك المعدن الثمين ويحوله جوهرا خالصا نقيا •

الوطن والخطر توأمان متلازمان دوما ، كذلك الجيش والتضحيات • مــن هنا ان القرابين التي قدمها جيشنا على مذبح هــذا الوطن هــي شعائر عادية في الفرائض المقدسة التي يمارسها ، شعائر تكاد تصبح يوميــة • واننــا اذ نتخيل جيشا دون تضحية واستشهاد فكأننا نتخيــل ارضا ولا ثمــر ، وشمسا ولا نور ومعبدا ولا عبادة وصلاة •

احمد سامي قريملي

● نعى الينا آل قريملي والسيد يوسف هاشم صفي الدين وعقيلته من دكار « احمد سامي قريملي » الذي هاجر الى السنغال منذ سنين عديدة طلبا للرزق كغيره من اللبنانيين ، وكان الفقيد يراسل العرفان ويكتب لهـا عن اخبـار المهجر والمهاجرين كما يراسل غيرها من الصحف اللبنانية ، كل ذلك لا لـقاء أجـر بـل للخدمة العامة ، كما انه عرف بحدبه على المشاريع الاجتماعية والخيريـة ، وقـد شيع الى مقره الاخير مأسوفا عليه بمجالي التكريم • فنحن الذين تلقينـا نعـي الفقيد بأسى واسف ، ندعو الله له بالرحمة الواسعة ، وتتمنـى لآلـه الصبـر والسلوان ونقدم تعازينا الحارة لآله وذويه وللاخ الصديق الوجيه السيد يوسف هاشم صفي الدين ، وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا باللـه العلي العظيـم •

الشيخ علي اسماعيل



توفي بالمستشفى ببيروت الشيخ علي اسماعيل ثم نقـل جثمانـه في اليوم الثاني من بيت ولده احمد الى مسقط رأسه شحور بموكب حاشد ، ثم اقيم له في النادي الحسيني بشحور اسبوع حافل حاشد ألقيت فيه الخطب والقصائد •

لم يكن الشيخ عالما او ثريا كبيرا ، ولا زعيما شهيرا ولكن كان لحياته اثـر في نظر العلم والحياة ، لان حياته عليه الرحمـة كانت مليئـة بالعمـل النافـع ، ومناصرة العلم والاعمال الخيرية والاجتماعية فله على شحور ايـاد بيضاء تذكـر فتشكر ، وله على طلبة العلم الديني اياد مشكورة ايضا ، وقد وافته المنية قبـل الاوان ونحن بأمس الحاجة الى امثاله من الغيورين المخلصين• على انه مما يخفف

محمد رضا الزين العلامة المؤمن الاديب اللطيف المتواضع الذي لم تكن الابتسامة تفارق شفتيه وابنها السيد محمود صفي الدين صاحب دار بيروت للطباعة والنشر وهو من الاشخاص الذين تفتخر بهم ونعتز • نرجو للفقيدة الرحمة الواسعة ومن البديهي ان تقدم تعازينا الحارة للسيد محمود والسيدة ام مصطفى • فنحن شركاء في المصاب •



محمد طاهر الزين

وعلي محمود الزين

● الاجل المخروم حوادثه كثيرة في هذه الايام حيث الحضارة تفعت من جهة واضرت من جهة ثانية ، فمن حوادث الطائرات الى حوادث السيارات ، وهذان الفقيدان المأسوف على شبابهما كانا ضحية حادث سيارة ، فقد ذهبا الى الكويت كغيرهما سعيا وراء طلب المعيشة والرزق ، وفي هذه السنة ارادا زيارة بلدهما واهلهما ، واذا بهما يدركهما الموت في حادث سيارة قرب دمشق ، وقد نقلا الى مسقط رأسهما شقراء حيث دفنا باحتفال مهيب ، واقيم لهما اسبوع حافل حاشد في النادي الحسيني بشقراء ، حضرته البلدة برمتها ولفيف كبير من القرى المجاورة وبقية انحاء لبنان من العلماء والنواب والادباء والوجهاء وسائر طبقات الشعب ، وقد تكلم بهذه المناسبة عدد من العلماء والخطباء ، وكان عريف الحفلة الاستاذ عبد الرحيم الزين الذي افتتحها بكلمة مناسبة قيمة لولا طولها ، وبعد نهاية الاحتفال دعي الجميع الى بيت السيد عبد الكريم نمر الزين وقد لبى اكثرهم الدعوة وكانوا يعدون بالمئات • وكانت مأدبة عامرة سخية ، أكل الجميع هنيئا وشربوا مريئا عن روح الفقيدين ، وقد دلت على اريحية وكرم الاخ ابو نزيه ، وانصرف الجميع ونحن في مقدمتهم يترحمون على الفقيدين ويكررون التعازي لآلهم ، ويلهجون بالشكر والثناء على السيد عبد الكريم ووالده واخوانه لحسن وفادتهم واستعدادهم وتنظيمهم ، كما ان مأدبة ابي نزيه كانت حقا تليق بالملوك •

مجلة ثقافية سياسية شهرية

العدد

العارف وعرفانه

بقلم : عبد اللطيف اليونس

كانت « العرفان » منذ صدورها مدرسة سيارة ـ وستظل ترقبها العيون وتتلقفها العقول ، وتتهافت لتداولها الأكف . فيها من نفائس الأدب اجلها ، ومن حدائقها أنضرها ، ومن رياحينها أزهاها وأبهاها . كم تتلمذ عليها ادباء ناشئون فصاروا عباقرة . ولم رافقتها أقلام مغمورة ـ فأصبحت ذات شأن كبير ، وأثر عظيم . ولم تتيحها يراع فاستقى منها ، وكتب فيها وعنها ... واذا بينابيعها الثرة تتدفق بين شقيه ، فتملأ صحائف كثيرة ، وتغرس أفكاراً منيرة ، وتشرق مبادىء وتعاليم .

رحم الله الشيخ العالم « العارف » فقد كان بيته مدرسة ، و« عرفانه » مدرسة ، ومجلسه أنى كان مدرسة وأي مدرسة .

يتبع

المصيبة الخلف الصالح السلف الصالح فاحمد ومحمد من مفاخرنا ومن الشباب الذين نعتز بهم . ونرجو ان يسير جميع اخوانهم على منوالهم • تعازينا الحارة للانجال الطيبين ولجميع العائلة ونحن شركاؤهم في مصابهم فقد كان المرحوم من انصار العرفان والدعاة له ومحبيه طيلة حياته • نسأل الله ان يتغمده برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جنته •

ونساء دليقان

انتقلت الى رحمته تعالى في عاليه السيدة ونساء دليقان ارملة المرحوم الشيخ احمد جابر شهيب ووالدة الدكتور رفيق وشفيق وفؤاد جابر فكان لفقدها رنة حزن وأسى لما اتصفت به من حنان وعطف و « عمل مبرور » واخلاق فاضلة، تعازينا الحارة لانجالها وخصوصا الصديق العزيز الدكتور رفيق ونسأل الله ان يتغمدها برحمته الواسعة •

الغلاء ـ الغلاء ـ الغلاء
الماء ـ الماء ـ الماء



الغلاء يستفحل في لبنان لا كل سنة عن سنة أو كل شهر عن شهر بل كل يوم عن يوم حتى انه اصبح لا يطاق . وكان من نتيجته ان اصيب الناس اكثر الناس بالطمع والجشع •

واما الماء فكل سنة ينتظر الناس الفرج وتقول الحكومة ان المشكلة ستنتهي واذا بها تزداد . أليس من العار ان يكون في لبنان مشكلة ماء . وهذا يدفع اصحاب البنايات المتمولين الجشعين ان يمنعوا الماء الساخن عن المستأجرين . الذين استأجروا البناء على انه فخم وبعد ذلك تبين انه لا ينطبق عليه شيء للبناء الفخم . فمتى تحل الحكومة قضية الغلاء والماء ؟!

مطبعة الجمهورية الجديدة تلفون ٢٢٨٥٣٠

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العرفان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ـ سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العـدد العاشر مجلـد ٦١ كانون الاول « دسمبر » ١٩٧٣ ذو الحجة ١٣٩٣

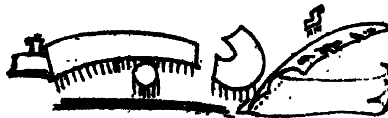
الصفحة	الموضوع	الكاتب

علم ، أدب ، فكر ، سياسة

أبحاث فنية

أبحاث علمية

مواضيع إسلامية



بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

اعياد اربعة مرت على لبنان في الاسبوع الماضي كلها من اهم الاعياد التـي يحتفل بها العالم اجمع لا لبنان فحسب ولذلك فجدير بنا ان نقف عند كل واحد منها بكلمة ولو مختصرة لنكون قد ادينا حقها واحتفلنا بهـا ولـو رمزيا ، لان الاحتفال الحقيقي بالاعياد يكون يوم طرد اسرائيل نهائيا من بلاد العرب .

اما العيد الاول فهو : عيد المعلم : عيسى بن مريم « ص »

واما الثاني فهو : عيد رأس السنة الميلادية

واما الثالث فهو : عيد الجلاء

واما الرابع فهو : عيد الاضحى المبارك .

عيد المعلم عيسى بـن مريم « ص »

ونواحي العظمة في « السيد المسيح » كثيرة لا تحصى .. كل واحدة منها : مثل سائر ، ودستور نابض ، وقيم رفيعة . زهده وتقشفه ، واقعيته وصراحته .. جرأته في تحدي الظلم ، وصفع وجوه الظالمين .. ايمانه الذي دفع الثقة الوطيدة، الى النفوس المنهارة المريضة .. فجعل لها من ايمانها بنفسها ، وبه : عافية وصحة وسلامة .. فشفاها من مرض ، وانقذها من ضعف ، ونجاها من ضيم ، وخلصها من هوان .. وجعل منها قوة تتحدى القوى ، وزوبعة تتحدى الزوابع والاعاصير!

أليس غريبا عجيبا .. طفل لا أب له يتحدى وحده سلطان روما ، ونزوات الصهاينة .. ولؤمهم وحقدهم ، وشراستهم وضغنهم ولا يبالي ! يدخـل الهيكل فيطرد منه المرابين ، ويضربهم بالسوط على وجوههم ، ويصيح فيهم بصوت راعد

دار الابجدية للطباعة
بيروت ـ شارع المخلصية
هاتف : ٢٣٨١٧٤

والى رؤيا الحاضر والمستقبل بفكر ثاقب ونظر الى الامور والمفاهيم جديد ومفيد ، ونستبدل الحقد والبغضاء بالمحبة ، اي حينما نسير على خطى محمد وعيسى « ع » ، والا اذا بقينا في عقلية عفنة ، وفكر مظلم ، فلا الحاضر يتألق ، ولا المستقبل يزدهر ، ويمكننا ان نردد كل سنة مع المتنبي قوله :

« عيد بأية حال عدت يا عيد »

وجدير بنا ان نردد مع الشاعر قوله :

فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى وعرج على الباقي فسائله لم بقي

اي ان نغير ما في نفوسنا حتى يغير الله ما بنا ، وان لا نزحف زحفا ، بل نهرول مع العصر المتقدم المتطور الطائر . وان نستبدل الجبن بالشجاعة والبخل بالكرم ، والعمل بدون تنظيم وتخطيط بل ارتجالا الى العمل المنظم العلمي المدروس . وهكذا يغير الله حالنا الى حال ، واي حال غيرها افضل من هذه الحال ، وحينئذ فقط يحق لنا ان نغني ونزغرد ونرقص على اوتار هائثة . ونقول : اهلا بك يا عيد . انك مجيد وسعيد .

عيد الجلاء

انه اعرودة على لسان البشر ، بل انشودة في فم الزمن ذلك هو جلاء آخر اجنبي عن لبنان ، والمهم ان لا يبقى لبنان بعده مسرحا للاجنبي من كل جنس ، ولا خلية لاذناب الاجنبي ، ودعاة الطامعين .

عيد الاضحى المبارك

واشرأب الافق !

ليست اطلالته للان كما نريد !

ليس فيه ذلك الالق المتوهج .. ولا في مشارفه نعومة السحر ، وبسمة عسر ، وخضاب أصابع الفجر !

ليس فيه زهو العذارى ، وهن يتثاءبن على مرج ربيع .. ولا تمطي ذؤابة

هادر مجلجل ـ صوت « ابن السماء » : « لا تجعلوا بيت أبي مغارة لصوص » !

يا ابن السماء : منذ ان ضربتهم •• طبعتهم بطابع الذل ! ومنذ ان طردتهم من الهيكل •• تاهوا في الارض ! ومنذ ان حلت عليهم لعنتك •• حلت عليهم لعنة السماء ، ولعنة الناس •• وما تزال في وجوههم آثار سوطك وفي آفاق السماء صدى صوتك •• وقد زلزلت آثارهم ـ منذ ان زلزلت ايمانهم ! وهدمت كيانهم ـ منذ ان هدمت تعاليمهم ! واقصيتهم عن فلسطين ـ منذ ان آمن بك الناس ، واحتضنوا تعاليمك ، وساروا على هديك ، وارسيت في صدورهم صخرة ايمان ! ولكنهم « عادوا » ـ بعد ان ضعف « ايمان » الناس ، وتضاعفت شراهيتهم ، وازداد تكالبهم ، وقوي تنافسهم على الاذى والمعصية ، وارتكاب الموبقات ! عادوا الى الارض المقدسة •• ليحتلوها ، ويدنسوها !!!

يا ابن السماء : خطوات خطوتها على الارض •• صارت منطلق خير للانسان ، ومعبر فضيلة له ! ودستورا وضعته للناس : « احبوا بعضكم ، باركوا لاعينكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، صلوا لاجل الذين يسيئون اليكم •• » لو ادركوا معناه •• وعرفوا عمق مغزاه ، وبعد مداه •• لما كان بينهم غني وفقير ، وظالم ومظلوم ، ومعتد ومعتدى عليه ـ بل لكانوا كما اردتهم وكما ارادهم المصلح العظيم « محمد » ص ـ صاحب الشريعة الخالدة السمحة •• سواسية « كأسنان المشط » •• و « الانسان اخو الانسان •• أحب أم كره » !

يا ابن السماء : رسالتك السامية : آفاق لا تحد ، وفضائل لا تعد •• ويكفي أنك أنت اول من نبه الناس الى خطر اليهود ، وخاطبهم بقوله : يا ابناء الافاعي ، ويا أبناء قتلة الانبياء ! فالى رسالتك السامية ، وعقيدتك السامقة ، نحني القلب ، ونخفض الاجفان •

عيد رأس السنة الميلادية

عيسى ومحمد نبيان واخوان وداعيتا ايمان ومحاربا ضلال وبهتان ، الحق حيث يلتقيان ، والباطل حيث يفترقان ، ولذلك فان اللبنانيين مسلمين ومسيحيين يكرمون هذا العيد ويحيونه ، ويجمعون على الحفاوة به • انه عيد ما أعظمه وابهجه حينما ننطلق بقلوب مؤمنة من ظلام الماضي القريب الى نور المستقبل البعيد.

وهو بينهم أعظم مثل في الخلق الكريم ، والنفس الطاهـرة ، والورع الصادق ، والتواضع الجم !

نبي عظيم •• أنشأ عقيدة شريفة ، وبنى مجتمعـا فاضلا ، وأسس دولـة كبرى •• ومضى ! وجاء بعده من حملوا أمانته بأمانـة ، وادوا رسالته بقـوة ، واندفعوا فيها بعزم وثبات وايمان !

ذاك كان « محمد » •• واولئك كان رجاله ، وحملة رسالته وعقيدته ! واما نحن اليوم •• فاين نحن من صفاء العقيدة ، وينابيع سموها واشراقها وانطلاقها ؟! اجدادنا القدماء •• انقذونا من بين براثن الجهل والعبوديـة والتخلف والتفكك والضياع •• واما « نحن » ــ غفر الله لنا •• وان كنت اشك في انه سيفعل ! ــ فقد عدنا من جديد نرتمي في احضان التخلف والتفكك والعبوديـة والضياع !! وليتنا اتخذنا من معنى « الحج » وشعائره ، منطلقا لجمـع الكلمـة ، وتوحيـد الصف ، ولم الشعث •• والعمل على استعادة شرفنا الضائع وتراثنـا المبـدد ، وكرامتنا المهينة ! والقضاء على الصهيونية العاتية المجرمة التي تفغـر فاها لابتلاع تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا ! ورحم الله حافظ ابراهيم •

فاما حياة تبعث المـوت في البلـى وامـا ممات لـم يقس بممـات

فهل نأخذ من عيد الاضحي درسا في التضحية وفي الايمان كما آمن ابراهيم واسماعيل وعيسى ومحمد ؟ اللهم حقق ذلك واهدنا الى سواء السبيل •

الغلاء ليس بعبع الشعب وغول الوطن

بل هو نذير سوء للحكام فليحذروه

قارئي الكريم :

معلق يعلق على الاخبار في الاذاعة اللبنانية يعده الناس اديبا كبيرا وسياسيا كبيرا ــ ولكن الدراهم تفسد الذمم ــ يقول بعد كلامه عن الغلاء وانـه دليـل الازدهار وانه موجة خارجية ، الخ ، ولماذا الندب والعويل ؟ لا ، لا ، يـا سعادة المعلق ، « ما هكذا تورد يا سعد الابل » ، لا تنكر الموجة الخارجية ولكن يضاف

الصفصافة وهي تستحم في غدير .. ثم تتمايل وهي تتحدى ألسنة الشمس اللاهبة ، او الريح العاتية الحرون !

وانما فيه خجل لا من اسرائيل وحدها ، بل من العرب والمسلمين الذين باعوا دينهم بالحادهة وايمانهم بشكهم وتفاؤلهم بتشاؤمهم ، ومحبتهم ببغضائهم .

ويأتي العيد ــ عيد الاضحى المبارك .. الذي يجتمع في مكة المكرمة مئات الوف المسلمين من شتى انحاء المعمور ، لينعموا بالمبيت في « عرفات » ، وصلاة العيد في « منى » ، وذبح الضحية فيها .. ثم الطواف حول « الكعبة » المكرمة ، حيث تتلى الادعية والاوراد ، وتنصرف النفس عن نفسها .. لتندغم في مبدعها وخالقها .. وتذوب لوهلة أنانيتها وغطرستها .. وتشعر بحقيقتها وانسانيتها .. وتصبح جزءا من الكل ــ من هذا الوجود الكبير .. الذي تهيمن عليه روح الإله !

وهناك .. في كنف تلك الرؤى الطاهرة ، والاماكن المقدسة ، شعر الناس أنهم سواسية كأسنان المشط : لباسهم واحد ، ومظهرهم واحد ، ومسيرتهم واحدة ! ليس في احدهم شعار غنى ، ولا مظهر وجاهة ، ولا أي دليل من دلائل الترف والنعيم ! « وانما المؤمنون اخوة » .. تجمعهم شهادة « لا آله الا الله ، ومحمد رسول الله » .. يهيمن عليهم التقى ، ويسيطر الورع .. وينبعث من ضمائرهم ايمان عميق بمثل أعلى ، وشعور واقعي بأن « الانسان ، اخو الانسان، أحب أم كره » ، و « لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » .. « ومن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » . ولكن .. ما ان يرجع الناس الى مناطقهم ، حتى يعود اكثرهم الى ما كان عليه ــ من جشع وطمع، وتكالب وتعال ، وحسد وحقد .. الا من عصم ربك .. وهؤلاء قليل ! « وانك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » .

ويذهب الحجاج الى « يثرب » ، ليزوروا قبر « النبي محمد » .. ذلك الانسان العظيم العظيم ! واحد من قلائل ، في هذه الدنيا ، تخطى الزمن ، وتجاوز الاحداث ، واخضعها لمشيئته ورسالته .. وخلق من اولئك الحفاة العراة، فئة جبارة مؤمنة .. تكتسح الدنيا ، وتنشر تعاليمها في سائر أنحاء المعمور ..

.. وسقطت المعادلات التاريخية الكبـــرى !

اعلان الهدنة علــى جبهــة الحرب الباردة بين :

- اليســـار واليمين
- الشرق والغــرب
- الثورية والديمقراطية

بقلم : باسم الجسر

انفقت الولايات المتحدة الاميركية عشرات المليارات في الدعاية ضد الاتحاد السوفياتي ، ومئات المليارات في الاستعداد الحربي ضد « الخطــر » الشيوعي ، وعشرين عاما ، وفجأة التقــى نيكسون وبريجنيف ، وتكرس التعايش السلمــي كواقع ، بل كحقيقة كبرى في مجرى العلاقات الدولية • والمليارات ذاتهــا وربما اكثر ــ نظرا لحرب الفيتنام ــ انفقت لــدرء ما سمي « بالخطــر » الصيني •• وفجأة ، طار نيكسـون الى بكين ، واصبح « ماوتسي تونــغ » ذلــك الفيلسوف الهادىء الذي يستقبل رؤساء الغرب ، في مكتبته العامرة بالمخطوطات القديمة ••

وما ينطبق على واشنطن ولندن وغيرهما مــن عواصم الحضارة الغربيــة الرأسمالية الليبرالية ، ينطبق بشكل معكوس ، عــلى موسكو وبكين والعواصم الاشتراكية في العالم • فبعد ان ظلت الرأسماليــة والامبرياليــة مجسدتين فــي الغرب الاوروبي والاميركي ، اصبحت اوروبا امتدادا اقتصاديا للاتحاد السوفياتي وباتت الصين مجالا اقتصاديا حيويا لليابان واميركا •

كل ذلك حدث في السنوات العشر الاخيرة ، وبنــوع خاص في السنوات الخمس الاخيرة •

اما كيف حصل ذلك ولماذا ؟ فالآراء متعــددة والاجتهادات كثيرة ، لكنهــا تتفق كلها على تأكيد حقائق ثلاث ، وهي :

اليها الطمع والجشع والاحتكار ، والازدهار فقد كان في لبنان ازدهار اما في هذه الايام وخصوصا من ايار للان فاين الازدهار ؟! ألا يعلم هؤلاء الذين يريدون ان يجعلوا الاسود ابيضا ، بأن الحقائق والوقائع لا يمكن ان تدفع بالخلط والتهريج، وبالاوهام والاباطيل ، بل ان الغلاء الفاحش الذي لم يعد يحتمل مما اضطر حتى الذين عندهم ايراد كل شهر حوالي الفي ليرة لبنانية في هذه الاعياد ان يستدينوا ليأكلوا ويلبسوا فكيف بمن عنده ٢٠٠ ليرة ل فقط شهريا ، ثم ان هذا الغلاء يضر بالحكام قبل غيرهم ، وهو نذير سوء لهم وعليهم اذ انه يدفع الفوضويين والمخربين والشيوعيين والاشتراكيين المزيفين بان يصطادوا بالماء العكر ، وان يلجأوا الى الشعب وبث روح الاستهتار والفوضى ، ففكروا يا ايها الحكام جديا وبعمق محاربة الغلاء الفاحش ، كما فعل الرئيس شمعون ايام حكمه ، والا ندمتم ، وقد تم الشعب الى الافلاس والهاوية •

آفة القول المتطرف

يكثر البعض من الكلام في مختلف الموضوعات • لا سيما تلك التي تتطلب منه الحكم على الاشخاص •• فاذا به يمدح بعضهم ، حيث يتراءى له انهم جديرون بهذا المدح لما يتمتعون به من فضائل واخلاق ، كما نجده يقدح البعض الاخر بألفاظ نابية • ويسهب القول عن مساوئهم •

واذا سألناه عن علة هذا القول وجدناه يبرر ما يقول بأنه (حر) في ابداء رأيه • واصدار حكمه • وينسى ــ في نوبة حماسه ــ ان التطرف، واطلاق الكلام على عواهنه من الآفات التي تضير صاحبها وتبعده بعدا واضحا عن المجتمع الذي يعيش فيه •

ليس عليك حرج اذا انت قلت رأيك الصريح ، فهذا من حقك ••• ولكن التطرف في القول يبعدك عن جادة الصواب ، وكثرة الكلام تقلب افكارك الناضجة ، الى ثرثرة فارغة •

مؤتمر باندونغ وتصفية الاستعمار

اما الثغرة الثانية التي فتحت في جدار الانقسام الدولي فكانت تصفية الاستعمار واستقلال الشعوب الآسيوية والافريقية •

ذلك ان من اهم اسباب الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي ، الرأسمالي والاشتراكي ، كانت « مصائر » الشعوب الافريقية والاسيوية ، التي كانت في معظمها خاضعة اما للاستعمار واما لنفوذ الدول الغربية • فتحرير هذه الشعوب كان في مقدمة مطالب الحركات الوطنية والاحزاب الشيوعية ، كما ان ابعاد « الخطر » الشيوعي عن تلك الشعوب كان في طليعة اهتمامات الدول الغربية وسفاراتها في العالم الثالث •

ولكن ما ان اخذت هذه الشعوب تستقل وحكوماتها الوطنية تشعر بخطورة التصارع بين موسكو وواشنطن عليها ، حتى تبلورت فكرة « الحياد الايجابي » و « عدم الانحياز » وكان من جراء مؤتمر باندونغ وبروز هذا التيار بقيادة نهرو وعبد الناصر وتيتو ، ان تبدل « الصراع » بين الشرق والغرب ، الى « منافسة » بينهما على اكتساب العالم الثالث ، وكان من جراء هذه المنافسة ان اخذت تتبلور على هامش الانقسام وداخل كل معسكر ، اتجاهات جديدة (يوغسلافيا ، الصين من جهة ، فرنسا والبلاد السكندينافية من جهة اخرى) مما ادى الى بروز معادلات جديدة في مطلع الستينات كان ابرزها محاولة اوروبا للاستقلال عن اميركا والانضمام بين الصين والاتحاد السوفياتي •

تقدم التكنولوجيا وتضارب المصالح الاقتصادية

اما النوع الثالث من « الضربات » التي اصابت الانقسام العالمي الى معسكرين ، فيعود الى تقدم التكنولوجيا من جهة والى بروز تضارب في المصالح الاقتصادية داخل كل معسكر من جهة ثانية •

ذلك ان من اهم النتائج الواقعية للحرب العالمية الثانية اقتسام العالم « اقتصاديا » الى معسكرين ، احدهما يتحكم بها الدولار والثاني يرتبط ارتباطا وثيقا بالمخططات الاقتصادية السوفياتية • ولكن هذه « السيطرة » الاقتصادية كان لها ثمن وهو تحمل « تكاليف » المحاية العسكرية من قبل موسكو

اولا : ان معادلة « الشرق او الغرب » ، قد سقطت •

ثانيا : ان معادلة اليمين او اليسار قد وهنت •

ثالثا : ان معادلة الثورة او الديمقراطية قد زالت •

الثغرة الاولى : الخطر النووي

على الصعيد الدولي ، خرج المجتمع الدولي ، بعد الحرب العالميــة الثانية ، منفسما الى معسكرين : احدهما يتزعمه الاتحاد السوفياتي ويمتد الــى اواسط أوروبا والثاني تتزعمه الولايات المتحدة الاميركية وهو يشمل سائر انحاء الدنيا•

ولكن هذه الصورة المبسطة للانقسام العالمي اخذت تهتــز وتتغير ملامحها ، سنة بعد سنة ، بتأثير عوامل عديدة • فعندما صنع الاتحــاد السوفياتي اولــى قنابله الذرية ، تغيرت الستراتيجية الاميركية • وعندما انتصرت الثورة الصينيــة واصبحت الصين ، بملايينها الستمائة ، دولة تدين بالعقيدة الماركسية ــ اللينينية، وامتدت الاشتراكية من شواطىء الباسفيك الشمالية الى بحــر البلطيك ، كــان لا بد لميزان القوى في العالم ان يختل ، وللعالم الغربــي ، الرأسمالي ، ان يعيــد النظر في استراتيجيته •

وهكذا اصبح التسلح النووي الرادع عن الحــرب ، كمــا قــال ونستون تشرشل ، في اخر خطاب القاه في مجلس العموم قبل اعتزاله السياسة عام ١٩٥٦ •

ان حيازة المعسكرين ، الغربي والشرقي ، للاسلحه الذرية القادرة على محو معالم الحضارة عن وجه الكرة الارضية ، فتح اول ثغــرة تحت اقــدام الانقسام العالمي الى معسكرين ، واسقط اهم معادلة في تاريخ الانسانية وهي قدرة الحرب على حسم الخلافات بين الشعوب والدول •

لقد ادركت واشنطن وموسكو وبكين وباريس ولنــدن ، منــذ منتصف الخمسينات ، ان حربا عالمية لم تعد ممكنة وان لا منتصر في حرب نووية ، ولكن هذا الادراك لم يترجم الى تعايش سلمي ، قبل الستينات ، الا انــه خفف ، ولا ريب ، من حدة الانقسام العالمي الى غرب وشرق •

جبل عامل
جريدة أسبوعية

نزار الزين
صاحب مجلة العرفان
وجريدة «جبل عامل»

كانون الاول «ديسمبر» ١٩٧٣
ذو القعدة ١٣٩٣

جبل عامل
بين تالده وطريفه

بقلم : صاحب جبل عامل

جبل عامل المنكوب او فلسطين الثانية بالفعل لان اسرائيل تعتدي على حدوده دائما ، بل انها تحتل حدوده ، وتعتدي على ارضه وعلى سكانه . وبعد ذلك يقول الاميركيون الذين يناصرون هذا الثعبان السام، لا خوف على لبنان ، ولن يصاب بمكروه او اذى ، ألا يرون ، الا يسمعون ، الا يدركون بما يحل بالجنوب من قبل اسرائيل ، اليس الجنوب من لبنان ، والاعتداء عليه اليس اعتداء على لبنان ؟! او ان حبهم لاسرائيل قد اعمى ابصارهم وبصيرتهم فهم يرون سمها عسلا ، واجرامها محبة .

نعم جبل عامل هذا الذي كان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بلد العلم والعلماء ، يسعى اليه من جميع انحاء المعمور لتلقي العلم، ويصدر العلماء الى اعظم الدول الاسلامية يومذاك « ايران » فتزدهي بهم محافلها، وترتقي بهم معاهدها، وتغص بالخلق مساجدها لسماع مواعظهم وارشاداتهم ، ولم يزل للان بلد العلم والفضل والادب والشعر .

[illegible]

وواشنطن • وكان من جراء ذلك ان نما الاقتصاد الاوروبي والياباني في ظل المظلة العسكرية الاميركية ، كذلك تقدمت بعض الدول الاشتراكية الصغيرة (تشيكوسلوفاكيا ، بولونيا) في ظل المظلة العسكرية السوفياتية ، وادى كذلك الى شعور الجبارين بأنهما اصبحا في موضع الذي يحرق اصابعه بالنار ، بينما يأكل غيره الكستناء • وكما كان الاستقلال الفرنسي ، في عهد الجنرال ديغول ، بداية مرحلة الانفصام العضوي بين الاقتصاد الاوروبي والاميركي ، كذلك كان التعايش السلمي بداية مرحلة حول الاقتصاد السوفياتي نحو مزيد من الانتاج الاستهلاكي • ذلك ان الشعبين الاميركي والسوفياتي ، ربما ادركا ان تحملهما لمسؤولية السهر على حدود الغرب الرأسمالي والشرق الاشتراكي ، يجب ان يشاركهما في مغارمها ـ او تكاليفها ـ هؤلاء الذين يستفيدون عمليا منها •

اما النتيجة الحتمية لبروز التناقضات الاقتصادية داخل كل معسكر ، فكانت تلك اللقاءات التي اخذت تتوالى بين قادة الكرملين والبيت الابيض وانتهت بتدعيم التعايش السلمي بينهما على اساس ازالة اسباب التوتر في العالم ، والحد من التسلح النووي ، اما دور التقدم التكنولوجي في هذا المضمار ، فهو مرتبط بالاكتشافات العلمية المذهلة (الاقمار الصناعية ، الصواريخ عابرة القارات ، الغواصات النووية الخ •••) التي ادت الى اقتناع موسكو وواشنطن ، بأن التسابق على التسلح لا حدود له ، وانه سيؤدي بهما الى حرمان شعبيهما من ثروته ، في الوقت الذي يتكدس فيه السلاح بدون استعمال ، بل بدون امكانية للاستعمال !

لا يمين ولا يسار

في عام ١٩٥٦ اي قبل عودة الجنرال ديغول الى الحكم ـ وتدشينه لسياسة تصفية المستعمرات والاستقلال عن اميركا ، تلقى كيرميت روزفلت ، وهو من كبار الموظفين الاميركيين ، رسالة شخصية من الرئيس جمال عبد الناصر ، ردا على رسالة كان قد ارسلها اليه ، تتناول مسألة الحياد الايجابي التي كانت السياسة الاميركية تعارضها •

وجاء في رسالة الرئيس عبد الناصر ، قوله . ان العالم لا يمكن ان يبقى

منقسما الى معسكرين ، بل ان كل شيء يدل على انــه سينقسم الى ثلاثــة معسكرات ، في البداية ، الشرق والغرب والحياد ، ثم سوف ينقسم كل معسكر الى معسكرات ، فأوروبا قد تستقل عن اميركا والصين عــن الاتحاد السوفياتي واميركا الجنوبية عن اميركا الشمالية والخ ..

ولم تنقض سنوات قليلة حتى تحققت الرؤية الناصرية ، وكان ابرز ما تحقق انفصال الصين عن الاتحاد السوفياتي ، واستقلال فرنسا السياسي عــن اميركـا وبروز التنافس الاقتصادي بين الدول الثانوية (المانيا ، اليابــان ، فرنسا) وبين الرأسمالية الاميركية .

وكان من جراء هذه التحولات الهامة في مجرى العلاقات الدولية ، ان تأثر ميزان القوى . في داخل كل بلد ، وطرأ على الانقسامات العقائديــة او السياسية والحزبية ، تعديلات جذرية .

ففي بعض الدول الاوروبية ــ ولنأخــــذ فرنسا مثــلا ــ اختلت قواعــد التحالفات السياسية بين الاحزاب ، فأصبح اليسار الشيوعي اقل عنفا في مواقفــه من الامبريالية الاميركية ، واصبح اليسار الاشتراكي ، اي غير الشيوعي ، اكثــر انفتاحا على السياسة الاميركيـة، نكاية بالديغوليين الذين يصنفونهم يمينيين .

ورويدا رويدا اصبح المعلقون والمراقبون ، يجدون صعوبة في الحكم على مواقف الاحزاب ، بل على المواقف السياسية عامة ، انطلاقا من الانقسام العقائدي التاريخي المعروف : أي اليمين واليسار ؟

فاليمين ، كان حتى الستينات وبعدها بقليل ، بين الرأسمالية والغرب والعقلية المحافظة ، كما كان يشمل التفكير الدينــي والاحزاب القوميــة ، بــل وحتــى الايديولوجية الوطنية ..

وكان اليسار يعني الماركسية او الاشتراكيــة ، او الراديكالية ، او الثورة ، او الرفض ... او مناصرة المعسكر الشيوعي والاشتراكي ومقاومــة الامبريالية والاستعمار .. الخ ..

كان هنالك تاريخ لليسار في العالم او بالاحرى كان هنالك يسار تاريخي في

عامل
ثقافية جامعة

مؤسسها : أحمد عارف الزين

سل ذرى عامل هل قام قائمها
الا تناهى الى يمناك بالعجب

طبع من هذا العدد عشرة الاف
يهدى لمشتركي العرفان
ويوزع مجانا

ضيق قوم حدود جبل عامل وسعه آخرون ويستفاد مما ه عدة من الباحثين ان تحديده صحيح كما يلي :

شرقا طرف الاردن والخيط حولة الى نهر الفجر ووادي عوبا، ن الاكثرين جعلوا الحد الشرقي ين ، وغربا البحر الابيض المتوسط نوبا نهر القرن الجاري شمال شيحا (فلسطين) وشمالا الاولي (١) وهو شمالي صيداء، ي مقربة منه اقيم الملعب وبني دق الكبير الفخم .

واذا صح الحديث من ان فروة مسيك الصحابي اتى رسول الله ى الله عليه وسلم عن سبأ أهو ى أم امراة فقال : هو رجل من ب ولد عشرة تيامن ستة ساءم اربعة وعاملة ممن تشاءم ن تفرقهم عندما ارسل الله عليهم ل العرم .

تاريخ جبل عامل قبل النبوة هو مظلم جدا لا نعلم منه الا ما

الموصى اليه من انه على عهد الملك المجاهد صلاح الدين الايوبي جاء من بادية نجد جد آل علي الصغير محمد بن هزاع الوائلي القحطاني من رؤساء قبائل عنزة بجيش من اعراب بوادي قبائله الى بلاد جبل عامل بالديار الشامية ودخل البلاد والامير عليها يومئذ بشارة بن مقبل القحطاني واليه تنسب بلاد بشارة وحارب محمد بشارة فغلبه واستولى على البلاد وحكمها وتزوج بابنة بشارة فبشارة اذا جد الاسعديين من جهة الام .

كل هذا كان في القرن السابع الهجري ومن ذلك الحين اخذ نجم العامليين يشع فاشتهر منهم علماء اعلام كمحمد بن مكي صاحب المؤلفات المتعة الذي قتل في دمشق سنة ٧٨٦ وكان مقامه في جزين التي حفلت في عهده بالعلماء الاعلام من تلامذته وغيرهم وهم كثر ويقال انه كان له ابنة تلقب بست المشايخ لان والدها رخص لها ان تفتي النساء

فلسطين والصراع العربي ــ الاسرائيلي • وهذا ما يفسر التقاء اقصى اليسار المتطرف مع اقصى اليمين في اتخاذ موقف واحد من قضايا معينة او من احزاب معينة ، بالرغم من كل ما يفصل بينهما ، من المنطق والغاية •

بل لقد رأينا احزابا يسارية تتحارب وتتصارع بشراسة اقوى من الشراسة التي تحارب بها الاحزاب اليمينية ، ولعل السبب في ذلك يعود الى ان اليسار العربي استمد معظم مبادئه وافكاره ، استراتيجيته وتكتيكاته ، من تجارب الاحزاب الاخرى في العالم ، او انطلاقا من تصور مبالغ به لحقيقة الاسباب التي تسير اليسار الاوروبي الاشتراكي او اليسار الشيوعي السوفياتي او الصيني •

ولا يزال الكثيرون يذكرون كيف ان بعض العناصر اليسارية الشابة جنحت بعد نكسة ١٩٦٧ ، نحو مواقف راديكالية ، وكيف ان هذا اليسار الجديد فجر احزابا قومية او اشتراكية عربية ، وكيف اختار النهج الصيني مثالا بدلا من النهج السوفياتي ، ورفع اسماء هوشي منه وغيفارا ، كرمز لحركات التحرر التي تقودها البروليتارية ، لا الطبقة البورجوازية الوسطى •

ولكن مفاوضات السلام في الفيتنام من جهة ، ودخول الصين الامم المتحدة، والاتفاق السوفباتي الاميركي ، ما لبثت ان كشفت امام اعين اليساريين الجدد ، ان مصائر الشعوب والامم لا تقرر بالبساطة التي يتصورون ، وان الظروف الموضوعية للثورة ليست واحدة ولا دائمة ولا متشابهة .

وبينما كانت اعوام نهاية الستينات مرحلة بروز اليسار الجديد في العالم وفي الوطن العربي الاكبر ، كانت بداية السبعينات مرحلة انحسار مد اليسار الجديد ، وانقسامه الى يسارات متعددة متناحرة •

الثورة والديمقراطية

ان اكبر دليل على ان النظرة اليسارية الى الحقائق الموضوعية في اي بلد ، لم تعد ترتكز على المنطلق العقائدي الذي يفرق بين الرأسمالية والاشتراكية او بين التحرر والامبريالية او بين الاستغلال وتكافؤ الفرص ، هو في الامثلة العديدة التي توفرها لنا اوضاع العالم الراهنة •

ففي اوروبا مثلا ، نرى بعض الاحزاب الاشتراكية تتعاون مع الصهيونية ،

كل بلد يرتكز الى ماض ، الى نضال معين ، الى مواقف عقائدية وعملية ، بالنسبة الى القضايا الدولية والداخلية .

وبسبب التحولات الكبرى التي غيرت مجرى العلاقات بين الدول الكبرى بل غيرت مجرى الصراع الانساني من اجل البقاء والتقدم ، اخذت كل تلك المواقف السياسية والعقائدية والحزبية داخل كل بلد تصاب بالاهتزاز ثم بالتناقضات ثم بالتحولات الجذرية .

في العالم العربي

وكان اهم تلك الظواهر العقائدية ما حدث في العالم العربي .

فعند نهاية الحرب العالمية الثانية وقبل ان تنال الشعوب العربية استقلالها ، كان اليسار العربي فيها متلاحما مع الحركة الوطنية في النضال من اجل الاستقلال وطرد الاستعمار الغربي ، ولكن ما ان كان كل بلد عربي ينال استقلاله ، حتى كانت الجبهة الوطنية تنقسم الى وطنيين ويساريين . ثم لا يلبث اليساريون ان ينقسموا الى عدة يسارات والوطنيون الى عدة احزاب .

ولقد مرت هذه الانقسامات بمراحل ثلاث : الاولى هي مرحلة اللقاء بين اليساريين والاشتراكيين والثوريين ، والثانية هي مرحلة الانفصالات والانقلابات السياسية فيها ، والمرحلة الثالثة هي مرحلة تعميق الانقسامات (اليسار الجديد).

واذا ما ربط المراقب بين هذه الانقسامات والتحولات الدولية التي رافقت او بالاحرى نتجت عن تطور العلاقات بين الدول الكبرى ، لادرك مدى تأثير التحولات الدولية الكبرى على العلاقات بين اليسار واليمين في العالم العربي .

والحقيقة التي لم يعد هنالك من مهرب منها ، هي ان الاسباب التي دعت الى التحولات الهامة في مواقف الاحزاب والقوى السياسية في العالم العربي لم يكن مردها الاوضاع الداخلية او الاماني الشعبية او المصالح الوطنية فقط ، بل كان مردها في معظم الاحيان ، السياسة الدولية وانعكاس تضارب المصالح الدولية الكبرى .

وهذا ما يفسر التناقض الحاصل بين القوى والاحزاب اليسارية حول قضية

الخيل والحرب والمرأة

بقلم : محمد شراره

مسرح الحوار في العالم البدوي مسرح زجاجي ، وعلى الحركة التي تدور فوقه ان تعرف بأنها تتحرك على لوح من الزجاج الخفيف • وقلما تصل المعرفة في هذا العالم الى هذا المستوى • واذا وصلت وقدر لها ان تلتقي في نقطة صغيرة كانت نقطة الالتقاء من الثلج الذي تطوقه حرارة الصحراء •

في أبسط الامور تفارق السيوف اغمادها ، وعلى اتفه القضايا تتشابك ويدق بعضها بعضا • وفي تشابكها تتساقط الرؤوس وتسيل الدماء ، ثم تنشق الارض ، وتبلع الدماء السائلة ، وتضم الرؤوس الهاوية ، ولكن الرؤوس التي هوت تبقى قادرة على النداء ، ويبقى نداؤها « عطشا » الى دماء جديدة • واذا طال انتظار « الهامة » وطال فراغ الكؤوس تحول النداء الى لحن موسيقي حزين يشبه دموع الوداع في ساعة الرحيل • واللحن ، على شجاه ، لا ينقطع بل يبقى مستمرا حتى يتم الثأر ، وتستلىء الكؤوس مرة أخرى • ثم تستمر الحياة على هذه الوتيرة ما دامت « الاسطورة » ورقة ازلية من اوراق كتاب مقدس •!

في ظلال هذه الطقوس كان قيس بن زهير العبسي يغادر خيامه ويذهب الى أحيم بن الجلاح يشتري الدرع التي قيل عنها بأنها من أقوى دروع العرب واجملها • لقد قتل بنو عامر أباه يوم « النفراوات » وعلى عامر اذ ترف بأن زهيرا لم يكن شيئا قليلا في تاريخ القبيلة ، وان وراءه قيسا والربيع وعنترة وامثالهم من ابطال عبس الذين تعرفهم الميادين •

وكان يوم ، وكانت ليلة واذا الدرع الرائعة بين دروع اخرى ملك لقيس ، وقيس بها عزيز على السيوف اذا حاولت السيوف ان تنوشه او تحاول مسه • ولكن الدرع تمر على الربيع بن زيا عندما يمر عليه قيس ، فيراها ، ثم يلبسها • وفي لبسها يأخذه الزهو ويرى نفسه شيئا كبيرا • وتفرض الرؤيا عليه نوعا من الغضب العنيف الذي يحول بين الدرع وصاحبها الاصيل •

كما نرى بعض الاحزاب غير الثوريـــة (الديغولية مثـــلا) تعارض السياسة الاميركية • بل يذهب البعض الى حد القول بأن الكرملين كـــان يتمنى نجاح نيكسون في التغلب على فضيحة واترغيت ، لانه حريص على تنفيذ اتفاقه معه •

والخلاف القائم بين الصين والاتحاد السوفياتي والذي يجعـــل الاقتصاد الصيني يرتبط بالاقتصاد الاوروبي والياباني والاميركي ، في محاولة التحرر مـــن حاجته الى الاتحاد السوفياتي ، هذا الخلاف ينسف عقائديا وعمليا ، كل النظريات التي تتحدث عن وحدة حركات التحرر في العالم •

اما الاتفاقات الاقتصادية التي تقدر بعشرات المليارات بين اميركـــا والصين والاتحاد السوفياتي واوروبا ، فأنها كافية وحدها ، لطرح علامة استفهام كبـــرى فوق التناقض الاساسي الذي شغل ولا يزال يشغل بال كـــل الشعوب بين الثورة والديمقراطية •

ان الترجمة النهائية لكل صراع فكري او سياسي ، بالنسبـــة للشعب هـــو السؤال التالي : هل تغيير النظام هو الذي سيحل المشاكـــل ام اصلاح النظـــام ؟ وهذا السؤال يطرح سؤالا اخر : كيف يتم التغيير : بالقوة ام بالاختيار الطوعي ؟

او بتعبير آخر : ماذا نختار : الثورة ام الديمقراطية الشكليـــة التقليدية ؟! سيادة الشعب (او طبقة معينة) ام سيادة القانون ؟! العنف ام الاقناع ؟!

ان مسألة العنف الثوري كانت ولا تزال من اهم ما ذهب اليه العقل الانساني في محاولة بحثه عن اسلوب لتغيير مجرى الحياة ، بصرف النظر عن الاتجاه الذي يريد ان يغيرها نحوه • والعنف لم يكن ، دائما اسلـــوب الثوريين الاشتراكيين او اليساريين ، كما لم يكن دائما وسيلة تعمل لمصلحة اكثرية الشعب •

فهتلر وموسيليني انطلقا في نضالهما السياسي مـــن صفوف الاشتراكيين اليساريين فلما وصلا الى الحكم مؤيدين من اكثرية الشعبين ، الالماني والايطالي ، حكما كدكتاتوريين ولولا الحرب العالمية الثانية والتاريخ لـــم يثبت بعد ، انهـــا اشتعلت كنتيجة طبيعية لمخططاتهما التوسعية فحسب ، ولو لم تدمر بلادهما نتيجة لذلك ــ لربما كان بامكان الكثيرين من الالمان والايطاليين الذيـــن عاشوا بـــين عامي ١٩٣٠ ــ ١٩٤٠ ان يقولوا بأن النظام الثوري الاشتراكي ، قـــد افاد المانيا

البقية على الصفحة ١٣٨٥

الجديد حتى وجد نفسه اسيرا . انه قيس .. لقد وقف في وجـه الركب ، وطلب منه ان يغير الاتجاه :

ـ « الى أين ؟ »

ـ « الــى مكة » .

ـ « وماذا بمكة ؟ »

ـ « أبيعكن بها بدرعي » .

ـ « اي قيس ! ضل حلمك .. أترجو ان تصطلح أنت وبنــو زياد وقــد اخذت امهم وذهبت بها يمينا وشمالا ، فقال الناس في ذلك ما شاؤوا ، وحسبك من شر سماعه ؟! »

دار هذا الحوار بين فاطمة ابنة الخرشب أم الربيــع وقيس . كانت المــرأة حازمة ، وكانت في كلماتها قوة الانذار الذي أعاد الــى قيس شيئا مــن العقل ، فتخلى عن الظعائن ، ولكنه لم يتخل عن الابل . بل اخذها الى مكة فباعها واشترى بثمنها خيلا ، وكان في الخيل داحس والغبراء .



الدرع التي أريد منها ان تقي الفارس العبسي من سيوف بني عامر اذا مــا قامت الحرب بين القبيلتين كانت سببا في القضاء على الجنين الحربي قبل ولادته . لقد نسي قيس أباه ودخل يوم « الغزاوات » في زوايا معتمة ، ولم يبق منه حتى صدى الذكرى .

الدرع تحولت الى ابل ، والابل تحولت الى خيل وحولت في الوقت ذاتــه قيسا الى لاجئة في بني فزارة او بني بدر التي تنتمي الى فزارة . وفي هذه المــرة تنتقل القضيـة الى الخيل .

مأساة هذا الرجل العبسي أنه ذواقة ، وانــه يعرف كيف ينتقــي الدروع ، وكيف يختار الخيل ايضا . وكما كان جمال الدرع سببا في الحوادث التي حدثت

كانت الدرع جميلة ، والجمال يغري دائما ويجذب الهائمين بـه والحائمين عليه • وليكن الجميل ما يكون • ليكن « درعا » او « امرأة » او « كتابـا » او « قصيدة » او « ارضا » فانه مغر جذاب • وكثيرا مـا قتل الحب علـى اختلاف اشكال المحبوب • وكما قتلت قصيدة « دعد » صاحبهـا فمن الممكن ان تقتـل قيسا درع قيس اذا أصر على استعادتها • بيد ان قيسا لم يصر علـى ذلك ولكنه لم يتنازل عنها ، وبقيت الوسائط متبادلة بين العبيين ولكنها أخفقت كلها في اعادة الدرع لصاحبها •

لقد ضاعت قضية الدم الاولى ، وخفت صوت « الهامة » التـي تعوي وراء التراب ، وولدت ازمـة جديـدة بين الاقارب وانقلب التهيؤ للـثأر الـى تهيؤ آخر • لقد تحول التناقض بين عبس وعامر الى عبس نفسها ، واصبحت الـدرع هي القضية الاولى بين أبناء العشيرة الواحدة • امـا قضية الدم فسافرت الـى وادي النسيان • وأمر الهيام عجيب وان كان بدرع من الزرد والحديد •

ما فعل قيس في استرداد درعه ؟ لم يفعل شيئا ، ولكنه بقـي ينتظر ويترقب الفرص لينتقم من قريبه • وجاء فصل الربيع ، وانتشرت الاعشاب المترفة في بقاع مختلفة من الصحراء ، فتحركت ظعائن الربيع بن زيـاد وابلـه وقصدت البقـاع الحية الريانـة •

النسيم يداعب الهوادج ، ويغازل ضفائر العذارى ، ويمر على الوجوه المطلة من الغيوم المتمايلة على ظهور الرواحل ، وغنـاء الحـداة يشد عزائـم النوق ، والشمس تلقي خيوطها على القافلة المتموجة بين الغناء والنسيم وشعاع الشمس•

كل شيء يتحول الى زقزقة ، ولم تعد العصافير وحدها تشاوى ، بل الرمل والحصى والصهاريج والفراشات التي تتلاعب في الواحات ، والركب في هـذه الدنيا الوليدة يشارك الطبيعة في اعراسها ويتحول الى اجراس صغيرة حلوة ناعمة تدق دقاتها الراقصة على الالحان الآتية من النوافذ البعيدة •

في هذه الدنيا الوادعة المطمئنة السعيدة تعالى صوت جديـد يحمـل صداه طلبا حاسما مصحوبا بتهديد صارم لا يكاد يعرف الهوادة •• جفل الركب وأخذته البلبلة وكاد انسجامه ينقلب الى فوضى • وما كاد يفكـر كيف يواجه الحـدث

الفخ ، وفتح الورد صمام الامان في القنبلة ، وعلى قيس ان يواجه الانفجار •

تلاقى بعدها العبسيان ، ويخبر الورد قيسا بأنه راهن علـى خيله ، فيقول قيس : « لا ابالي من راهنت ما عدا حذيفة » •

ـ « لم أراهن الاه » •

ـ « انك ، ما علمت ، لانكد » •

لقد بدأ الفصل الاول من الرواية ، وبدأ « النسر » يلقي ما على وجهه مـن الغلائل • ولو كان المقصود بالسباق امتحان الخيل لهان الامـر ، ولكن الدلائل كلها تشير الى شيء اكبر من السباق واكبر مـن الخيل وامتحانها • وكان قيس يتجنب ، ما استطاع ، تلبية الاثارة ، ويحاول ، جهده ، ان يخمد الشرارة قبل ان تتحول الى جحيم • ولكن النية المبيتة في الجانب الآخر كانت اكبر مـن محاولة قيس •

عاد قيس من مكة ، وسأله حذيفة :

ـ « ما غدا بك ؟ »

ـ « غدوت لاواضعك الرهان (١) • »

ـ « بل غدوت لتغلقه ! »

كان الحوار حلقة جديدة في السلسلة التي بـدأت بعرض الخيل ، وانتقلت الى سؤال وجواب بين الورد وحذيفة • فالى المراهنة ، فالـى الحوار الاخير بين قيس وحذيفة الذي تتخذ لهجته طابع « التوبيخ » والاثارة اكثر مما تتخذ الطابع الاعتيادي •

يقبل الرهان قيس في الوقت الذي يكاد يرى النتائج ، ولا يشير التاريخ الى الظروف التي فرضت قبوله • ان قيسا يحس احساسا حادا بأن النية سوداء ، وان القضية تتجاوز سباق الخيل الى أشياء اكبر من ذلك • ولكنه قبل ، بالرغم مـن أحاسيسه ، ان تنزل الخيل الى الساحة •

---

١ ـ اواضعك : اطلعك على رايي ، وتطلعني على رأيك •

بينه وبين ابن عمه فسيكون جمال خيله سببا في المعركة التـــي كادت تفني اكبـــر القبائل العربية وتمحوها من الوجود .

في البداية رحبت فزارة بقيس ومن معه من بني قبس وكرمته ما شاء تكريم الضيوف . ولو بقيت الامور دائرة في افلاكها لكان كل شيء على مـــا يـــرام . ولكـــن ...

كانت الدرع في خيام بني زياد ، وكانت الخيل في ديار بني فزارة ، واذا كان الربيع هناك فان حذيفة هنا . حذيفة عنده خيل . وقيس عنده خيل ، ولكن شتان بين خيول البدري وخيول العبسي . لقد تحرك الحسد هذه المرة بـــدل الحب ، واريد لكبرياء الخيل ان تتوارى على الاقل ان لم تنته الى الذل .

رأى قيس في ملامح حذيفة الوانا جديـــدة وادرك مـــا وراءها . ولا يحب اللاجيء ان تتراكم الالوان . وان تحمل مـــا يحمله التراكم ، فغادر الحي الفزاري وذهب الى مكة .

لقد ظن ان السفر منجاة او وقاية من الازمة ، ولكن كثيرا ما يأتي البلاء مما نظنه أمانا . فهذا الرحيل الذي اريد منه ان يحل المشكلة كان من اكبر الاسباب في تعقيدها ، فحذيفة يعرض خيله بعد سفر قيس امام الورد العبسي ، ثـــم يطلب رأيه بعد العرض . لم يكن الورد في ذكاء قيس ، ولا في قدرته على التغلغل فـــي النفوس ، ولم يدرك ما اراد حذيفة من سؤالـــه ، ولذلك أجاب ببساطة متناهية : « ما ارى فيها جوادا مبرا » (١) .

ويعاد السؤال : « عند من الجواد المبر ؟ »

ــ « عند قيس » .

ــ « أتراهن ؟ »

ــ « نعـــم ! »

الذي خافه قيس وقع ، والذي فر منه وجده امام وجهه . لقد احكم حذيفة

---

١ ــ المبر : الغالب .

جرى بينها وبينه حديث مختصر . عاد الولد الى ابيــــه فارغ اليدين ، فأعاده الوالد مرة أخرى ، أطاع الولد أباه ، ومضى . لقد وجد قيسا ولكنه فقــد حياته وعادت الفرس عائرة . (١) .

لقد قتل الولد ، وبقتله تمت تعبئة القلــوب ، وولــد ظرف نفسي جديــد مشحون بالاصوات المختلفة . وفي غمرة الضوضاء المتعالية قتــل مالــك العبسي المقيم في بني فزارة ، وهو أخو قيس وصهر الفزاريين . وكان بالامكان ان تقف الدماء عند هذا الحد ، ويستبدل دم بدم . ولكـــن الغليــان ازداد ، وراحت السيوف تلمع في شعاع الشمس وتتهيأ للعمل في الرقاب والصدور .

بدأت الحرب بين ذبيان وعبس ، وأسر في الهجوم الاول حذيفة وقتل اخوه، وسعت غطفان في الصلح ، فنجح سعيها ، وتم اطلاق حذيفة . فلما عاد الى قومه ندم . وحاول قيس ان يقنعه بأن السلم افضل لــه ولقومــه فنجحت المحاولة . ولكن واحدا من بني مرة قبح رأيه ، فعادت الحرب مـــن جديــد ، واستمرت واستمرت معها الهزائم المتبادلة ، والنصر المتبادل حتـــى أكلت الرجال وكادت تفني القبائل .



في الوقت الذي كانت تدور الرحى على الحياة وتطحن ذلك العالم العجيب، كانت في بني طي فتاة صغيرة جميلة تسمع انباء الضحايــا والقصص بين الاطراف المتحاربة ، فيعصرها الالم ويزحف قلبها من مكانه ليقع بين مخالب النسور .

انها بهيسة بنت اوس الطائي . وهي فتاة لا تزال في عمر البراعم ، ولكنهــا تحمل من العواطف النبيلة والتفكير النير ما يكاد يلحقها ببطلات الاساطير في ذلك العالم الغارق بالعصبية والحماقة والدماء !

وردة ريانة بين الرمال الملتهبة التي يأكل بعضها بعضا ، تبقــى قادرة عــلى الاحتفاظ برونقها وشبابها الذي يفيض بماء الحياة .

كانت هذه الفتاة تفكر باعادة السيوف الى اغمادها والمحافظة علــى البقية

---

١ عار الفرس : ذهب على وجهه وتباعد عن صاحبه .

الميدان يموج ، والخيل تنطلق ملء الاعنة وتنهب الارض والمسافات • وكان « داحس » راهيا مطمئنا يلعب اكثر مما يسابق • وبينما كان يسير وهو واثق من قدرته جاءته لطمة غير منتظرة على وجهه فهوى وهوى معه راكبه ، وكاد الفارس وجواده يغرقان ! ورأت « الغبراء » رفيقها يهوي فخافت من الوقوع فيما وقع ، ورأى خيالها ما رأت فظل في الاتجاه ذاته ، ولكنه غير الطريق •

كان من الطبيعي ، بعد ما حدث ، ان يتخلف « داحس » وان يسبقه « الخطار » ـ وهو من جياد حذيفة ـ ولكن الغبرا ءـ وهي زميلة داحس ـ سبقت الحنفاء رفيقة الخطار •

بين السحاب الاسود ولد حوار جديد مشوب بجو متوتر • وفي الاثناء دخل حلقة الحديث رجل كئيب متجهم الوجه • تلفت الى قيس واعترف بملء حريته انه هو الذي لطم وجه جواده ، ثم طلب المغفرة من قيس على فعله الذي لم يكن سوى مؤامرة تمت بينه وبين حذيفة قبل ان يبدأ السباق !

لم يبق هذا الاعتراف شكا بأن الفوز كان بجانب قيس • وقد تنازل ، بالرغم من ذلك ، عن جميع حقوقه واكتفى بجزور واحدة ينحرها لاهل الماء حتى يتجنب « القالة في العرب » ولكن حذيفة رفض وأصر ان السبق كان لخيله فقط • في هذه اللحظة يقف رجل عاقل من بني مازن ـ فرع من فزارة ـ ويحاول ان يقوم بعمل وقائي ، فينهض ، ويقول : ان قيسا كان كارها لهذا الرهان من اوله ، وقد أحسن في آخره ، وان الظلم لا ينتهي الا الى شر » • ثم طلب ان يعطوه جزورا من نعمهم « فأبوا » ! عندها تبرع الرجل « بجزور من ابله » ولكن ابنه وقف في وجه أبيه ، وقال له : « انك لكثير الخطأ ، أتريد ان تخالف قومك وتلحق بهم خزية ؟ »

وصلت الازمة الى طريق مسدود ، واقفلت جميع ابواب الحوار ، فرأى قيس ان الرحيل عن بني فزارة افضل ما يمكن القيام به للقضاء على بوادر العاصفة ، فحزم امتعته ولف خيامه وتحرك الطعن الى مكان جديد وكان على الازمة ان تقف في هذه الحدود ، ولكن حذيفة ابى ايقافها ، فبعدما رحل قيس قلب الواقع وارسل ابنه وراء قيس يطالبه بالسبق ، فلم يجده ولكنه وجد زوجته،

ـ « لست هناك ! »

غضب الحارث لهذا الرد الذي لم يكن يتوقعه ، ووجد فيه استخفافا بسكاتته • وفي فورة غضبه بقي على ظهر جواده ، وانصرف بعد ما قطع الكلام•

كانت زوجة أوس تراقب ما يجري وتعجب مما حدث•• انه ضيف بالتأكيد، ومن عادة الضيوف ان تنزل اذا بلغت الاحياء المقصودة • ولكن هـذا الضيف غريب • لقد وقف لحظات ، ثم تابع السير •

ولما عاد زوجها رأته مغضبا • فسألت :

ـ « من الذي وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه ؟ »

ـ « سيد العرب الحارث بن عوف » •

ـ « فما لك لا تستنزله ؟ »

ـ « استحمق » •

ـ « وكيف ؟ »

ـ « جاءني خاطبا » •

ـ « أتريد ان تزوج بناتك ؟ »

ـ« نعـم ! »

ـ « اذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ »

ـ « قد كان ذلك » •

ـ « تدارك ما فاتك » •

ـ « بمـاذا ؟ »

ـ « تلحقه فترده » •

ـ « كيف وقد فرط مني ما فرط ؟ »

ـ « تقول له : لقيتني مغضبا بأمر لم تقدم فيه قولا ، فلم يكن عندي فيه الجواب الا ما سمعت ، فعد ولك ما احببت » •

الباقية من دماء القبائل او من دماء « العرب » على حد تعبيرها • وكانت تراقب الحياة ، وتتمنى ان تتهيأ الظروف التي تساعدها على القيام بهذه المهمة الكبيرة•

طفلة ، اذا قيست بأولئك الزعماء الكبار الذين سادوا اقوامهم ، لا تفكر بالذهب والملابس الناعمة ، ولا بالاساور والحلى • او بالهوادج الفارهة كما يفكر امثالها ، بل تفكر بـ « العرب » وتناحرهم ، وبالطريقة التي يمكن ان تنقذهم من هذه الحال الى حال اصفى واقرب الى الهناء •

لم يكن ذلك اعجوبة ، وانما كان معجزة ••• معجزة ان تفكر فتاة صغيرة بمثل هذه الافكار في عالم تأكله الحماقة ، ثم تأكل انسيوف لا يتبقى منه بعد الحماقة •

في اللحظة نفسها كان الحارث بن عوف يريد زوجة يملأ بها فراغ الحياة • ويمحو السأم الذي تخلقه رتابة البداوة • وكان يعتقد ان نساء العرب كلها جاهزة ، وما عليه الا ان يحرك اصبعه حتى تقبل عليه بنات السادة والزعماء •

في حمى هذه العقيدة تساءل :

ـ « أتراني أخطب الى أحد فيردني ؟ »

ـ « نعم » •

ـ « ومن ذاك ؟ »

ـ « أوس بن حارثة بن لام الطائي » •

انتخب الحارث بعد هذا التحدي أحد غلمانه ، وطلب منه ان يرحلا معا • ثم ركب الزعيم وركب معه غلامه حتى أتيا أوسا في دياره• فلما رآه أوس استقبله وقال له :

ـ « مرحبا بك يا حارث » •

ـ « وبك » •

ـ « ما جاء بك يا حارث ؟ »

ـ « جئتك خاطبا » •

استمرت الرحلة حتى وصلوا • وعندئذ اقيمت الولائـم ، وعمت الافراح ، فعل الحارث كل ما طلبت عروسه ، ولم يبق أي مانع من التلاقي • ولمـا اجتمعا ل لها : « قد احضرنا من المال ما ترين » وكان مـن المنتظر ان يكـون الجواب بتسامة ناعمة ، ولكنه كان صاعقة : « لقد ذكرت لي من الشرف ما ليس فيك ! » الغريب ان الحارث لم يغضب لهذه الاهانة ، بـل سأل ببساطـة : « وكيف ! » فكان الجواب الرائع : « اتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضاً ؟ اخرج الـى القوم فأصلح بينهم ، ثم ارجع الى أمك ، ولـن يفوتك مـا تريـد ! » فتعجب الحارث من هذه الارادة ، ثم اخبر خارجة بما قالت ، فأعاد كلمته السابقة : « اني لأرى همة وعقلا » •

انتهت الحرب بين عبس وذبيان ، وتحمل الحارث وهرم بـن سنان ديـات القتلى من الطرفين ، وهزت هذه الشهامة زهير بـن ابـي سلمى فقال في الرجلين كلمته الخالدة :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطـر منشم

عظيمين من عليا معد هديتما ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

وذلك شيء عظيم بالتأكيد • ولكن كان على الشعر الـذي هزتـه اريحية الرجلين ان لا يتجاهل هذه الفتاة وان يقدر لها موقفها الذي لا يقل خلودا عـن موقف الرجلين ان لم يتفوق عليه •

هذه الفتاة كانت جديرة بأن تقلب المقاييس ، وان تغير النظرة العربية العامة للمرأة ، فمن الرائع حقا الى ابعد حدود الروعة ان يكون في ذلك الزمان الاسود فتاة مثل هذه الفتاة المدهشة التـي هزت زوجها تلك الهزة في الليلـة الاولـى ، ووجهت له ما يشبه « التوبيخ » على التفرغ لها في الوقت الذي يتقاتـل العرب وتسيل الدماء على حد السيوف • ولكن الفتاة لم يكن عندها نـوق ولا اموال حتى تدفع ديات القتلى وان كان عندها موقف مـن اخلـد المواقف لا في تاريخ العرب وحده • بل في تاريخ الانسانية كلها • ولكن المواقف وحدهـا غير كافيـة على ما يظهر •

بغـداد محمد شرارة

اقتنع أوس برأي زوجته فركب في اثرهما ، ورآه خارجة بـن سنان رفيق الحارث ، فقال لـه :

ـ « هذا أوس في أثرنا » .

ـ « وما نصنع به ؟ امضي ! »

ولما رآهما أوس مستمرين في السير ، ولما يلتفتا اليه نادى : « يـا حارث ! اربع علي ساعة ! » فوقفا . وكان حوار جديد حل به الفرح محل الغم السابق ، وعاد الرجال الثلاثة .

في البيت ثلاث بنات ، وبهيسة أصغر الثلاث، فاستعرض الوالد بناته وعرض عليهن الامر ، فرفضت الكبرى والوسطى ، ورضيت بهيسة !

قال الاب : لقد عرضت الامر على اختيك فأبتا لانهمـا تخافـان الطلاق ! فقالت : « لكني ، والله ، الجميلة وجها ، الصناع يدا ، الرفيق خلقـا ، الحسيبة أبا ، فان طلقني فلا اخلف الله عليه » ورد الاب : « بارك الله عليك » .

هيأت الام بنتها ، وهـيء البيت المناسب ، وتلاقـى العروسان في غرفـة العرس . وبعد التلاقي بفترة وجيزة غادر الحارث مكانه ، وعـاد الـى صاحبه خارجة بن سنان . فسأله :

ـ « أفرغت من شأنك ؟ »

ـ « لا واللـه » .

ـ « وكيف ذلك ؟ »

ـ « لما مددت يدي اليها قالت : « مه ! أعند أبي واخوتي ؟ هذا والله ما لا يكون ! » .. امر الحارث بالرحيل ، وفي الاثناء عدلوا الى مكان منعزل ، واختلى العروسان مرة أخرى ، وبعد ذلك اعاد خارجة سؤاله : وأجاب الحارث « لا » .

ـ « لمـاذا ؟ »

ـ « قالت لي : أكما يفعل بالامة الجليبة ، او السبية الاخيذة ؟! لا واللـه حتى تنحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل لمثلي » . ففرح خارجة وقال له : « اني لارى همة وعقلا وارجو ان تكون المرأة منجبة » .

واعشب الوادع يبسط زغب انامله لاستقبال خطا الكرامين

وصمت الحجار ، مع وقار الخوابي ، لحظة تبارك كنهها الاشعة الذائبة ، تبعث فينا جميعا رنين الدهور .

املأوا لي كأسي حتى الجمام .

★ ★ ★

٣ ـ دقات الساعة

الساعة الخرساء ستستعيد سيرتها الاولى

سوف تدق كالعهد بها

سيرتفع صوتها في قرارة الفراغ الاصم

كنت اراها كل يوم ، متدلية من الحائط

تؤرجح لسانها في حلق بلا شفاه

وتدق مرارا ، دون ان اعرف ما السبب وفيما بعد

علمت بانها انما تؤرخ للنهار ، والشمس ، وللظل

وسمعت مرة من يقول بانها تؤرخ اعمارنا .

وسألتها ذات يوم كيف تؤرخ لي . ولم تجب . فعالجتها . فعاندت ، واغرقت صوتها في قرارة الفراغ الاصم .

وكبرت . وخلتها شاخت . ولكن بقيت لي بارقة امل بامكانية استعادتها سيرتها الاولى . ولحظة قطرت لها الزيت في خياشيمها ، انتعشت ، وشهقت ، ثم دبت فيها الحياة دبيبا خلته طرق اقدام بدع بالغ الايقاع .

وفيما كنت اعيدها الى مكانها في الحائط ، سمعتها تقول : قبلتك التي استقرت على فمي ، بفضلها نهضت ومشيت . فلتكن اولى دقاتي تاريخا لاصغريك كلما سعيا للحب ، لا للصلب .

بيروت ميشال سليمان

الأسرار الشائعة

بقلم : الدكتور ميشال سليمان

١ ـ اصرار

اذا ما حملت على اللجوء الى الادغال ، عبر الاشواك والظلال اليابسة ،

واذا ما جاءتني الريح من جديد ، تقرع نواقيس الجليد ،

مثل الفولاذ الذي يدمر الحياة ،

وكالحقد الذي يجهل كل الحدود ،

واذا ما سمرني ، وصوب على عيني فوهة الليل

اولئك الذين يحترفون القتل ، لانهم بدون قلوب ، وعميان لا يبصرون ،

واذا ما مضينا رفاقا ، تتألم في اعماق الكلمات المقتولة نخبيء في سرائرنا حبا مشتعلا ،

واذا ما قدر للشمس ان تبكي من جديد ،
فلن يكون بمقدوري ان اخونك ايها الشعب الطيب
الذي ينشد الهواء والضياء .

★ ★ ★

٢ ـ امل القطاف

تنام الكروم . تدخلني طراوة الفجر من خلال صمت الحجار .
هناك أناس جمد الضوء في عيونهم . فهم يجهلون لغة الحب .
هناك رياح جديدة تمتد من الباب المشرع لاحلام الشباب
هناك اناس لا يكفون عن ان يحبوا الحسن في طلعة كل نهار
هناك في كرومنا عنقود ينضج يوما فيوما ..
والذي يولد من انسانية الدوالي ..
يذلل كل الصعاب من اجل بلوغه
هناك في كرومنا تداعب الريح التراب المحتضن وفرة العافية

ان آنسا منك رغبة شديدة في اجراء الابحاث والاختبارات العلمية • وبعد فترة قصيرة من دخولك مدرسة اللاهوت ، نشرت مقالات قيمة عن الحيوانات المائية الصغيرة جدا التي لا ترى الا بالمجهر • وما هي الا سنة ، حتى اخبرت والدك انك قررت ان تصبح طبيبا •

اوزلر ــ وبعد ان تخرجت في كلية « ماك جيل » الطبية في مونتريال في كندا سافرت الى المانيا والنمسا وانكلترا للاستزادة من التحصيل • وفي احد مختبرات لندن اهتممت بدراسة التكتلات الشاذة التي تتشكل في الدم بعد ان يسحب من الجسم ، واستنتجت من ذلك ان هذه الاجسام تمثل دورا كبيرا في تخثر الدم • وقد كان من نتيجة اعلاني هذا الاكتشاف العلمي ان دعتني كلية ماك جيل للعودة الى كندا لكي اصبح وانا في الرابعة والعشرين استاذا للفيزيولوجيا •

صوت ــ وعلى الاثر حولت احدى قاعات المدارس في الكلية الى مختبر هو اول مختبر عرفته ماك جيل • ثم انفقت ستمئة دولار وتمثل نصف مرتبك السنوي ، في شراء نصف دزينة من المجاهر لتلامذتك • وزاولت اعمالا اضافية عديدة ، منها امانة سر المكتبة ، ورئاسة التسجيل في كلية الطب ، كما ساهمت في العديد من المجلات الطبية والجمعيات التي ربما تكون قد أسست فيما بعد الكثير منها ، وحضرت من الاجتماعات اكثر مما حضر أي طبيب في التاريخ • وكنت رائدا في حقل الصحة العامة ، بسبب اكتشاف داء الترخينة • فحدثنا عن ذلك •

اوزلر ــ كان داء الترخينة الذي ينشأ عن وجود الترخينات في الامعاء والانسجة العضلية مرضا نادرا جدا في كندا • فقد كان هناك اربع حالات مرضية وحسب مسجلة • ولكن منذ صباي ، وبعد الفحص المجهري لاحشاء حيوانات المزارع ، عرفت ان دودة الترخينة موجودة في الامعاء اكثر مما كانوا يتصورون ، وربما كانت تمتص قوة عدد لا يحصى من الكنديين • فتطوعت للقيام بعمليات التشريح لكل طبيب يسمح لي بذلك وسرعان ما بلغ معدل عمليات التشريح المائة في العام الواحد • وكان قد اكتشف في اوروبا ان الخنازير المصابة تسبب داء

الدكتور اوزلر أفضل أطباء العالم

بقلم : سمير شيخاني

صوت ــ لم يكتشف وليام اوزلـر اي دواء عجيب يقلب شؤون العلاج والشفاء رأسا على عقب ٠ ومع ذلك كان عند وفاته سنة ١٩١٩ اكثر الاطباء في التاريخ حظوة بحب البشر ٠ وبعد ذلك بثلاثين سنة ، ظهر مقال في مجلة الجمعية الطبية الاميركية ، جاء فيه : « ان السنين قد زادته مجدا على مجد ، فلم يحتل احد مكانه كافضل اطباء العالم » ٠

ان التشخيص العجيب ، والابحاث القيمة ، والكتابة العلمية الرائدة . والتعليم الحديث ، تلك كانت انجازات الدكتور اوزلر المحسوسة ٠ ولعل الاساليب الثورية التي ادخلها الى كلية الطب قد انقذت من الارواح ما انقذه التغلب على حمى التيفوئيد ٠ ولم يكن عظيما وحسب بسبب ما قام به ، بل بالنسبة الى ما كان عليه : كان سيد فن معالجة فكر المريض المضطرب وجسمه المريض على السواء ٠

ولد وليام اوزلر في مدينة اونتاريو الكندية سنة ١٨٤٩ ، وكان الابن الثامن للقس فيذرستون اوزلر ٠ طرد من مدرسة القرية وهو في سن الخامسة عشرة لانه نزع براغي مقاعد الدرس ذات ليلة وكدسها جميعا في القبو ٠

اوزلر ــ لعل تلك الحادثة كانت بركة علي ، لانني اذ نقلت الى مدرسة خاصة داخلية وقعت تحت تأثير رجلين عظيمين هما : عميد المدرسة دجونسون وكان رجل دين يدرس العلوم الطبيعية على سبيل الهواية ، والدكتور دجيمس بوفيل طبيب المدرسة الذي اصبح رجل دين في اواخر حياته ٠ ولقد اثر هذان الرجلان تأثيرا شديدا في حياتي ، ووجهاني نحو الاخلاص الشديد للعلم ، والايمان الديني العميق ٠

صوت ــ لم يكن في اغلب مدارس الطب في ذلك الزمان اي مجهر ٠ ولكن الدكتور بوفيل كان لديه مجهر ، كان يدربك عليه هو وزميله دجونسون ، بعد

ماك جيل التي كان يشغلها مرضى مصابون بأمراض مزمنة كانت تفرغ بسرعة لا بالوفاة بل بالشفاء • ولم تكن الحالات المرضية الجديدة تبقى طويلا في المستشفى • لقد كانت تلك من اروع الامثلة على العلاج في تاريخ الطب • واذاعت هذه التجديدات شهرتك خارج حدود كندا ، فعرض عليك منصب لتعليم الطب في جامعة بنسلفانيا فقبلت به • فكيف وجدت جو التدريس ؟

اوزلر ــ لقد بدلت جو التعليم تبديلا جذريا ، فبدلا من ان اعتلي منبر المحاضرات كما كانت العادة المتبعة ، وقفت امام منضدة واعترفت امام طلابي انني اكره تحضير المحاضرات معلنا انه ليس بوسعي التعليم دون وجود مريض يكون بمثابة كتاب الدرس • فدراسة اعراض المرض من دون كتب اشبه بالابحار دون الاستعانة بخرائط ، ولكن دراسة الكتب دون مرض اشبه ما يكون بعدم ركوب البحر • وعلى ذلك ، ادخلت الى قاعة المحاضرات شابا هزيلا وطلبت الى التلامذة ان يروا بانفسهم كيف تكون حالة حقيقية من حالات الاصابة بفقر الدم • الامر الذي ادهشهم لانها كانت المرة الاولى التي يعمد فيها أي طالب طب الى النقر على صدر مريض ، او الاستماع الى نبض قلبه ، او فحص الدم تحت المجهر • ذلك بانه في سنة ١٨٨٤ لم يكن هناك اي كلية طب اميركية تتبع مثل هذا الاسلوب في التعليم الطبيعي •

صوت ــ ولم تكن تكتفي بجلب المرضى الى طلابك ، بل حملت الطلاب الى المرضى • وكانت تلك كذلك المرة الاولى التي يدخل فيها طلاب الطب في أي بلد حجرات المستشفى بكل حرية ، مثلهم في ذلك مثل الممرضات والاطباء المعالجين • فكانوا يدونون البيان الخاص بالماضي الطبي للمرضى ، ويفحصونهم بدقة تحت الاشراف الدقيق بالطبع ، ويشخصون الامراض التي كانت تثبت او تصحح من قبل الطبيب المختص المكلف • ويهمني ان اؤكد ان هذا الاسلوب في التعليم هو اليوم حجر الاساس لكل تعليم طبي • هلا تابعت ، يا دكتور اوزلر ، سرد مراحل نشاطك •

اوزلر ــ كان الامناء على تنفيذ وصية احد اغنياء بالطيمور ويدعى دجونز هوبكنز ، يبنون اعظم مستشفى وكلية طب في الولايات المتحدة • فاختاروني

الترخينة ، فقمت طوال ثمانية اشهر بمساعدة جراح وطالب طب بيطري بتشريح آلاف الخنازير في مسالخ مونتريال ، فتبين لنا ان العشرات منها مصابة بالترخينة، فطالبنا بمراقبة اللحوم وفحصها قبل بيعها ، وبتعليم الجمهور كيفية طهو لحم الخنزير بطريقة سليمة وصحية •

صوت ــ ومن خلال عمليات التشريح كنت تكتسب تدريبا في علم الامراض، واسبابها واعراضها ، مما كان يقصر في بلوغه كثير من الاطباء الممارسين • وايقنت ان بوسعك ان تحقق انجازات اكثر اذا استطعت ، مع دراستك اعضاء اجسام الاموات ، ان تدرس المرضى لاحياء وتربط اعراضهم الخارجية بحالة غير طبيعية لاحد اعضاء الجسم الداخلية • ولكن المرضى الاحياء كان يصعب الحصول عليهم • فجامعة ماك جيل كانت تعتبرك رجل مختبر ، فلم تسمح لك بأن تفحص المرضى في حجرات المستشفى التابع لها •

اوزلر ــ صحيح •• وكان جناح داء الجدري في ذلك المستشفى تحت اشراف عدد من الاطباء يتناوبون عليه على كره منهم • فتطوعت للاشراف عليه بنفسي ، فكانت تلك المناسبة الاولى التي عملت فيها مع اناس مرضى • واصبت بالجدري ، ولكنها كانت حالة خفيفة لحسن الحظ • وما هي الا فترة قصيرة حتى طلبت الى رؤسائي ان يكلفوني الاشراف على جناح امرض غير معدية كذلك •

صوت ــ وكانت المستشفيات في تلك الايام اماكن كئيبة ومباني مظلمة • فبدلت كل شيء ، وكان اول ما عملته ان وزعت الزهور في الحجرات التي أمرت بطلائها بألوان فاتحة • ثم انهمكت في معالجة مرضاك ، فكنت تعطيهم القليل من الادوية والكثير من جرعات التفاؤل ، ممارسا العلاج السايكوسوماتي ، او الجسدي ــ النفسي ، قبل ان يبتكر هذا الاسم بزمن طويل •

اوزلر ــ ان المعجزات في لورد والسيدة آن في بوبريه لهي حقيقية • ونحن الاطباء نستخدم القوة نفسها كل يوم • انها لن تحيي الموتى ، ولن تضع عينا سليمة او تلحم عظمة ، ولكن لقوة الشفاء الكامنة في الايمان قيمة كبرى عندما تطبق بدقة في الحالات المناسبة •

صوت ــ وفي هذا المجال يقول احد اطباء مونتريال ان الاسرة في مستشفى

اوزلر ـ وفي الحرب العالمية الاولى انخرطت في الجيش ، لا للعمل على خط القتال ، بل كمستشار طبي للمستشفيات العسكرية الكندية والاميركية في انكلترا . فكنت اتلقى مئات البرقيات من انسباء الجنود الجرحى الموجودين في المستشفيات البريطانية فأعمد الى البحث عن هؤلاء الجنود وفحصهم . ولا ابالغ عندما اقول ان الجسم الطبي الكندي اعتمد لتطمين ذوي الجنود الجرحى هذه العبارة : « ان ولدكم قد عاده الدكتور اوزلر ، وهو بخير » .

صوت ـ الا ان ما يؤسف له ، يا سر ويليام ، ان ابنك الوحيد البالغ من العمر ٢١ سنة ، ريفير اوزلر جرح جراحا بليغة في معركة ايبر في آب سنة ١٩١٧ ، فحف فريق من اشهر جراحي الجيش الاميركي ، وبينهم تلميذك اللامع هارفي كوشنغ لانقاذ حياته ، ولكن العملية لم تنجح . وبقلوب كسيرة ودعوا ابن رئيسهم الحبيب اذ ووري جثمانه ثرى سهول الفلاندر . وبعد اعلان الهدنة ، قضيت سنة كاملة تجمع المال لتنقذ دور الكتب البلجيكية التي هدمتها الحرب ، والاطفال الجائعين في النمسا . الا انك في كانون الاول من ١٩١٩ ، لم تستطع مقاومة داء ذات الرئة . وبما انك كنت تعرف عن هذا الداء اكثر مما كان يعرفه اطباؤك ، ايقنت كيف ستكون النهاية ، وواجهت الموت بسكون . وبعد رحيلك عن العالم الاول ، وجدت قصاصة ورق بالقرب من سريرك ، اتذكر ماذا كتبت عليها ؟

اوزلر ـ بالطبع اذكر جيدا ما كتبت ، قلت فيها : « لقد كدت اصل الى ميناء السلام بعد رحلة رائعة مع مثل هؤلاء الرفاق طوال الوقت ، الى حيث ينتظرني ولدي » .

بيروت سمير شيخاني

لرئاسة دائرة الطب الداخلي بعد ان بحثوا في اوروبا واميركا عن اطباء للتدريس . ولم اكن بعد قد بلغت سن الاربعين . ومنذ افتتاح المستشفى والكلية اللذين حملا اسم دجونز هوبكنز سنة ١٨٨٩ ، راح الاطباء المتخرجون والمتدربون على يدي، بعد بضع سنين ينتشرون في انحاء البلاد .

صوت ــ كانت واجباتك في مستشفى وكلية دجونز هوبكنز جزءا بسيطا من نشاطاتك . ذلك بانك كنت ايضا رئيس جمعية طب الاطفال الاميركية . ومؤلف دراسة عن الشلل الدماغي الارتجافي ، وثقة في الذبحة الصدرية وبعض امراض الدورة الدموية ، وثمة مرض يحمل اسمك ، واخيرا كنت احد مؤسسي الجمعية الاميركية الوطنية لداء الصدر . وكنت في حرب ضد الملاريا والتيفوئيد وبعض الامراض الزهرية ، ورائدا في حملة تحسين مستشفيات الامراض العقلية. وفضلا عن ذلك ، كتبت زهاء ١٢٠٠ كتاب ومقال ، بعضها ما يزال كلاسيكيا في حقله ، لم يبزه اي انجاز مماثل ، حتى بعد نصف قرن من التقدم الطبي .

اوزلر ــ في سنة ١٨٩٧ ، قرأ فريدريك غيتس مستشار المحسن روكفلر الاب كتابي « مبادىء الطب وتطبيقاته » الذي الخص فيه كل ما عرفه علم الطب حتى ذلك الوقت ، وأصرح فيه كذلك بان هناك الكثير مما تنبغي معرفته ، وليس معروفا . فاعجب غيتس بما قرأ ، وعرض قضية الكتاب على روكفلر ، فكان من نتيجة ذلك الاجتماع تأسيس معهد روكفلر للبحث الطبي ، ومن ثم ظهور مؤسسة روكفلر .

صوت ــ ولكنك في سنة ١٩٠٥ ، ايقنت انك اذا بقيت تعمل كما كنت تعمل فانك ستنهك صحتك ولذا قررت ترك مستشفى دجونز هوبكنز لتشغل منصبا أقل جهدا . ومع ان كليات طبية اميركية كثيرة سعت وراءك ، ومع ان صاحب ملايين كنديا عرض على مستشفى ماك جيل مليون دولار اذا نجح في ارجاعك اليه ، فان اختيارك لم يقع الا على انكلترا حيث عينك الملك ادوارد السابع استاذا ملكيا للطب في اوكسفورد . وبعد بضع سنوات ، أنعم عليك بلقب بارون . وقد احببت بريطانيا ، كما أحبتك ، وما لبث منزلك في اوكسفورد ان اصبح نوعا من سفارة للعالم الجديد في العالم القديم ، اشتهرت بضيافتها .

أودية ، وجعلت من جسمهم الواحد اعضاء متغايرة وطوائف لا يجمعها الا الحشر في سجل واحد هو سجل الطامعين بديارها .

لم يكفهم هذا كله ، حتى جاء من يستدرك مـا فات حضرة الاب نويـا ! فخرج بهذا التفسير الباطني الجديد الذي جهله جميع المسلمين في جميع عصورهم وعرفه الاب نويا او ورثه من مخطوطات الاب لامنس .

تمهيد لفصول آنية وميزان عادل

الا لقد انتهت العهود التي كان تلاميـــذ السنهدرين يستتـرون بالتآويل ليتخذوها سلما لهدم فيرق باسم الانتصار لفريق آخر .

انتهت وعرفنا ــ ولو بعد خراب البصرة ــ اننـا نتأبط مجلدات ومجلدات من التفاسير وشروح الاحاديث وكتب الوعظ والتاريخ ... مشحونـة بالفكـر السنهدريني ، وآن لنا ان نعكف على تركة المخلصين الذين فسروا كتـاب اللـه تفسيرا يتناسب مع علويته .

هذه الدوافع حملتنا على استجابة نداء العرفان فاسرعنا بهذه الكلمة ، وهي تمهيد لكلمات ، ستضع ما قاله الاب نويا وألصقه بالامام الصادق في الميزان .

مع محمد الفاضل بن عاشور

بيت ابن عاشور ، امطاره علم وجدرانه فكـر ، واحجـار زواياه تحقيق ، وحدائقه فهم سليم .

لم استغرب حين وقعت بلهفة وشغف ، على كتابه (التفسير ورجالـه (١)) لانه صدر من نفس البيت الذي اصدر تفسير (سورتي الفاتحـة وعم) بقلـم العلامة محمد الطاهر والد محمد الفاضل .

عـودة لكنوزنـا

حدثنا الفاضل عن مفسر افريقي يدعى يحي بن سلام متوفي عام ٢٠٠ هـ ،

---

١ ـ طبعة ثانية عام ١٩٧٢ ، اصدار دار الكتب الشرقية بتونس ، وهذا البحث مدين له بجـل المفاهيم المستقيمة .

لبيك يا مجلة العرفان

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

بين يدي العدد الخامس من المجلد ٦١ من مجلة العرفان ــ ربيع الثاني ١٣٩٣ ــ أيار ١٩٧٣ ، وهو العدد الثالث الذي يحدثنا به الاب نويا المختفي وراء توقيع الدكتور سليمان زيعور عن تفسير الامام الصادق ، الذي يستقيه الاب عن المخطوطات ــ كما يقول ــ !

طالعت هذا العدد والعددين اللذين قبله فكتبت :

لم يكف الامام الصادق ما دسه عليه وعلى آبائه الائمة بل وعلى جده سيدنا الامام وجده الاعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ، لم يكفه ما دسه الوضاعون القدماء الذين نفذوا منهاج السنهدرين اليهودي القائل :

(لا تكذبوا نصوص الجوييم = الحيوانات ، بل اولوها تأويلا يبطل مفعولها) .

لم يكفه امراض الغلاة الذين اصعدوه لمقام الالوهية ، امثال ابن ابي زينب المجوسي الذي يتكلم العربية .

ابن ابي زينب الذي زعم ان الامام الصادق فسر قوله تعالى (يريد الله ان يخفف عنكم) فسرها بقوله :

(يسامحكم باركان الاسلام والايمان) .

لم يكفه عنت الملكيات المطلقة التي حملته على الحياة مكبوتا كبتا يذكرنا بقول دعبل الخزاعي :

اذا وتروا مدوا الى واتريهم   اكفا عن الاوتار منقبضات

لم يكفه هذا كله ولم يكف المسلمين سهام التأويل التي اعادت شعافهم

بحقول من التفاسير ، من اشهرها تفسير الامام عبد الحميد بن باديس وكتاب (التفسير ورجاله) للفاضل بن عاشور •

واما التاريخ ، فعبر تستقى من نواميس الحياة وسنن الكون تقص علينا اسباب ارتفاع الامم وسقوطها ، كي تسلك السبيل المفضى للارتفاع وتتحاشى اسباب السقوط •

الآيات التي تكشف النفسية اليهودية

اما هذه الآيات ، فقد علق عليها المفسرون القدماء تعليقات لا تسمن ولا تغني، ولا نبتعد عن الواقع ـ مع الاعتراف بجهود صاحب المنار (٣) اذا اعلنا انها لا تزال دون تفسير !!

ذلك لان اوائل تفسيرها أطلاع شامل على العهد القديم والتلمود والبروتوكولات ، وهذا لم يفزيه ـ كما اعلم ـ احد من القدماء ، لان العهد القديم استمر مدفونا في الاقبية المظلمة حتى بعثه لوثير والتلمود لا يزال • حتى الآن مجهولا لدينا ، وكل ما عرفناه ـ او عرفه يقظونا ـ حتى الان لا يتجاوز نقابه من أتون كبير !

اما مراقبة تصرف اليهود والاستدلال على خفاياهم من قرينة ما تبوح به السنتهم او اقلامهم او معاملاتهم او سيرتهم •

اما هذا الباب فلم يتقن الاستفادة منه الا قليلون في رأسهم ابن حزم العالم الاندلسي اليقظ •

ولئن التمسنا عذرا للقدماء وغافلي العصور الوسطى فلا أدري أي عذر التمس لمن احرقت النار قلوبهم وهم غافلون عن مصدر اشتعالها !

واما العلوم : الطبيعة ، التكوين ، الافلاك ، الكرة ، الجاذبيه ، كنوز الارض ، معادنها وسوائلها ، الملاحة ، الزراعة ، المياه الجوفية ، تكوين الانسان، الحيوان ، النبات وسواها وسواها من علوم القرآن •

---

٣ ـ بتفسير المنار تعاليق حول النفسية اليهودية جديرة بالمراجعة •

وعرض علينا قبسا من تفسيره المخطوط ، المحفوظ بالزيتونـة والقيروان ، ووقف طويلا ، ليحدثنا عن الروايات الممحصة ويساعدنا بالعثور على طليعة الدساسين ، امثال كعب الاحبار ووهب بن منبه والسدي والكلبي ... وسواهم مـن الذين اختلقوا الروايات الكاذبة والصقوها بابن عباس ، بل وبرسول الله ، عليـه صلاة الله وسلامه ، وبكبار الأئمة اهل بيته (٢) ، وما لبث ان تسربت لاذهـان الغافلين من المفسرين ، ولا تزال تتصدر صفحات المجلدات الضخمة ، ولا نزال ـ رغـم هزالها وسمومها ـ نتناقلها ونطمس بكل حرف منها بصيرة من بصائرنا .

واذا علمنا هذا وقعنا على الخطر الكامن بين سطور التفاسير وادركنا الخطر الذي تسلل من جمعية الوضاعين المنظمة التي دعاها اليقظون (سلسلـة الخزف) أي لا تلبث ان تنهار ، ويظهر هزالها .

لقد فات جمهرة مفسرينا ما دسته سلسلة الخزف ، فاقحموا بتفسير الآيـات ما تبرأ منـه .

لحظـات مـع المفسرين

القرآن عقائد وعبادات وعلوم وايقاظ همم وكشف اعماق النفسية اليهودية.

فأما العقائد والعبادات ، فقد امدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكـل ما يتعلق بتفسيرها ، بل جاءت سيرته القولية والعملية والتقريرية تفسيرا لكلياتها، وارتنا اياها كاملة ، وحذرنا من الزيادة بها او الايجاز بها .

وآما المعاملات : كالحدود والاحوال الشخصية والبيوع والحرب والسلم.. فهي كاملة في جوهرها ، وما المجتهدون في دائرتها الا كأطباء مخلصين اشتركـوا بتهيئة صيدلية تحتفظ بدواء لامراض طارءة وتكفل شفـاء جميـع الناس ولـو تغايرت ظروفهم وتعددت اوباؤهم .

واما ايقاظ الهمم واثارة غريزة الدفاع والحرص على كرامة الامة ، فقد فازت

٢ ـ نشر الاستاذ سليمان زيعور بعدد اذار ١٩٧٣ من مجلة العرفان ما يعيد كوامن الباطنية والصقه بالامـام الصادق .

في ترجمة ابن بشرون (اول متكلم بنظام الجاذبية) والحسن بن الهيثم (مخطط السد العالي) قبل الف عام وامثالهما من علماء عصر المأمون •

ثم فتر محاولو الاستفادة وما زلوا فاترين حتى ايقظهم الفخراري صاحب التفسير الشهير ، ثم ما زالت هذه الآيات تتلى للتبرك !! لا للفهم حتى حاول الاستفادة منها صاحب تفسير الجواهر •

وآخر كتاب ، في ما اعلم ، لفت النظر لمكنونات الطبيعة متذرعا بالقرآن ، هو كتاب معاصرنا المهندس « يوسف مروة » وهو كتاب ثمين يتحدى التعليق القاسي الذي منحه اياه الدكتور صادق جلال العظم •

هذا التفسير الجماعي المتطور ، هو انسان عيننا وبيت قصيدنا اذ يكشف ـ لحد ما ـ معنى الآيات التي تأمر بدراسة الطبيعة والكون ، ويرينا الطريق فسيحا امام القادرين على خدمة الاهداف البعيدة التي لا تزال في القرآن دون تفسير يتناسب مع علويتها !

هذا ما نحرص على الظفر ونود لو كحلنا عيوننا برؤيته ! لانه يذكرنا بكلمة عبد الله بن العباس •

(ان في القرآن معاني ، سوف يكشفها الزمن) •

هذا التفسير نعمة مزدوجة : يقيم من البحث في اسرار الطبيعة دليلا على عظمة الكون ويمكن من السيطرة ، على زمام الطبيعة ويمهد للانتفاع بمخدراتها ، ذلك لان رسول الله لم يعلق على الآيات التي يتطور تفسيرها بتطور الزمن •

شروط لا بد منها للمفسر

ها هوذا البحر المحيط ، كتاب الله ، وها هم الناس عيال على مكنوناته ، يفدون اليه خماصا ، ويعودون وقد تمتع كل منهم بمقدار من الفكر السليم يتناسب مع قدرته على الغوص او العوم ، حتى ان الذين لا يجرؤن على فراق رميلات الساحل ، يروحون بنصيب من المعرفة ! اذ الذين يقفون على تلك الرميلات لا يعجزون عن فهم المعاني اللازمة لكل الناس المكشوفة المعنى دون جهد مقل :

اما هذه ، فقد قصدها عبد الله بن العباس بقوله :

(ان في القرآن معاني سوف يكشفها الزمن) •

ذلك لان آيات العلوم تفسرها الازمنة اذ هي رائدة العلم ولا بد ان تتكشف معانيها بتقدم القلم •

اما الذين كتبوا حولها ــ حتى بالعصر العباسي الاول ــ عصر المراصد ومحاولة العثور على كنوز الارض ، فقد نهلوا منها ما نهل الطير من المحيط •

التفسير التالـي

ولذا لا ينبغي ان يفسرها شخص واحد او بضع اشخاص ، مهما اتسعت اقامتهم ، بل ينبغي ان نحشد لها مجموعة كبرى من الاختصاصيين بعلوم متعددة والوان مختلفة ، اذ معلوماتهم جزئيات لما جاء في القرآن من كليات الطبيعة •

ومع اختصاص هذه المجموعة وجهدها ، وسلوكها سبيل الكتابة على ضوء التطور العلمي الذي سبقه القرآن وخطط له •

مع اختصاصها وجهدها لما يفرضه تطور عقل الانسانية الكلي ، لا نستطيع الاعتماد على ما امدتنا به اكثر من بضع سنين ، اذ لا بد من عودتها لاستدراك ما فاتها او لا بد للجنة مثلها تمثل دور الاستدراك !

هذا التفسير التالي ، يتداوله الناس فترة ثم يعول منه البحاثون الاختصاصيون ما يجب تعويله لينفذ منه المثقفون لمخدرات الطبيعة ويرددون كلمة : (من عرف قوانين الطبيعة استخدمها) •

وبانتظار ذاك التفسير الجماعي المنقذ المرتقب ، الذي يأخذ بيد المثقفين لساحة معجزات القرآن العلمية ــ الكونية ــ البحتة ، اتمنى ان نجرد التفاسير مما لا ينسجم من اهداف القرآن ، لنجهز على المفاهيم المنحرفة قبل ان يبتلع غولها ما لا نزال نحتفظ من رمق فكري •

الآيـات العلية الكونية

الآيات العلية ــ الكونية ، استفاد منها بعضنا في العصر العباسي ، كما نرى

هؤلاء يعكفون وقتا طويلا على الاستنباط عكوفا مشبعا بالوعي ، ويصفهم عبد الله بن مسعود بقوله :

(كنا اذا قرأنا العشر آيات لا نكاد نتجاوزها حتى نتفهمها) !

هؤلاء يتخذون رسول الله قدوتهم ويعلمون ان حفظ القرآن يضع على عاتق الحافظ تبعة الادراك والمسؤولية •

يروون ان رسول الله ارسل بعثا ، فأخذ يستعرضه ليختار رئيسا وما كاد يمر بفتى ــ لعله احدثهم سنا ــ ويعلم انه اوسعهم حفظا حتى قال له :

(اذهب فأنت رئيسهم) (٤) •

طبعا لانه اوسعهم علما وابعدهم نظرا ، لان تفهم القرآن والوقوف عند حدود أوامره ونواهيه مدخل يسوغ الرياسة ويحمل على الخدمات المقرونة بذبح عفريت الانانية !

يقظة الصحابة ثم الامثل فالامثل

كلمة اسرائيليات ، تعني الروايات الهزيلة والاضاليل الماحقة المدسوسة بالتفاسير والاحاديث والتاريخ ، سواء أكان الدساسون يهودا ام غير يهود ، وان غلبنا ــ بتشديد اللام ــ اليهوديات لكثرتها (٥) •

الدس والوضع والافتراء عادة اليهود الدائمة وخلقهم الموروث ، اذ نراهم في مطلق ظرف يلتفون حول اللامع ويحاولون استغلاله ، فان لانت قناته وأصبح بيدهم آلة فذاك ، والا استعانوا بأعدائه ، فان اخفقت الاستعانة مثلوا دور حصان طروادة : ارتدوا ثوب اتباعه وهدموا من الداخل بيد لبقة مرنة لا يشعر بها الا الراسخون •

هذا ما مثلوه بعهدي سيدينا المسيح ومحمد ، عليهما صلاة الله وسلامه ؟ لقد حاولوا استغلال رسالتيهما وما ان استعصيا على الاستغلال حتى استعانوا

---

٤ ابن كثير : التفسير ج١ ص ٣٣ والترغيب والترهيب ، المطبعة المنيرية بالقاهرة ص ٤٠.

٥ ــ هذا ما اشتهر ، اما انا فلا ارى الدساسين اسرائيليين او كتابيين بل يهودا ولذا ادعو المدسوسات يهوديات •

(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله •• ولا تقربوا الزنا)

اما الذين غاصوا وعاموا فقد يكونون ممن يجد أنسأبتهم آيات العقائد والعبادات وهؤلاء ينبغي ان يتذرعوا بمعرفة العربية واسباب النزول والسيرة النبوية وتفسير بعض الآيات ببعض ، مراقبين ما تفرضه القرينة والسياق •

وقد يكونون ممن يجدون انسا بفهم المعاملات وهؤلاء ينبغي ان يتذرعوا بدراسة ما جاء حولها من توجيه نبوي ويستندوا على الصحيح الثابت ويتذكروا كلمة ان القيم :

(اينما وجدت المصلحة العامة فهناك شرع الله) •

وقد يكونون ممن يجدون انسا بالتفسير المأثور ومثل هؤلاء يعلمون ان رسول الله علق على ما يتطور تفسيره تعليقا لا يعدو الخطوط العريضة •

مثلا ، علق على آية (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) •

قائلا (الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي) •

طبعا ليحول دون تسرب المفاهيم الباطنية التي تفسر القوة بالخطب والقصائد والاحتجاجات والدعاء المفضي للتواكل وعبادة الاشخاص الذين يخالون الفرج لا بد آتيا من نوافذ مبادىء ملها اصحابها فصدروها كنفايات •

على ضوء هذا التوجيه النبوي نفهم الآيات المحكمة منهما لا يحوم حول خطر التأويل الذي يعيد الشعاف اودية !!

اوائل التفسير

من هذه الاوائل دراسة نفسيات المفسرين ومعرفة ميولهم اذ بعضهم يحمل فكرا سياسيا او مذهبا اقتصاديا ••• ولا يهمه من التفسير الا اثبات ما يريد وجدال من لا يلتقون معه ، كانه اتخذ القرآن حقلا تجارية وارضا لبذر اهوائه •

من هذه الاوائل التروي والاناة والاقتداء بسيرة علماء الصحابة ومفسريهم وقرائهم كعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل •••

« لا تسترسلوا الى كثيرين من المفسرين ، وان نصبوا انفسهم للعامة ، واجابوا في كل مسألة » .

ثم طارد هذا الدس كثيرون من اقطاب تاريخنا منهم بل اشهرهم دائرة معارف المسلمين وسور شريعتهم شيخ المسلمين وامام فكرهم أحمد بن تيمية .

ورغم نشاط فرقة الاطفاء هذه ، استطاع كعب واخوانه كوهب بن منبه وخلف اليكالي ، والمتأثرون بهم كالكلبي والسدي وابي بكر الاصم ومقاتل بن سليمان ... وسواهم وسواهم من الرواة الببغاوات استطاعوا النفاذ لاقلام المفسرين ، وها هي مجلدات التفاسير لا تزال طافحة بسمومهم وان اكتفينا منها بهذه الفقرات :

١ ـ ق ـ جبل تقوم عليه السماء .

٢ ـ ن ـ حوت يحمل الارض .

٣ ـ كان ذو القرنين يربط خيله بالثريا .

٤ ـ هيكل سليمان من ذهب ودر وياقوت وزبرجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة .

٥ ـ الارض على قرن ثور والثور على الحوت .

٦ ـ حول سليمان ٦٠٠ الف كرسي من ذهب وفضة يجلس عليها الانبياء .

٧ ـ كلب أهل الكهف وحمارة بلعام بالجنة ـ وزاد عبد الصاحب ، الكلب الذي أكل ابن الشرطي ... (٧)

نموذج من الدمس اليهودي الذي يتخلل تفاسيرنا

الحكومة اذا ارسلت موظفا تختاره من الاماثل لانها يمثلها ، وهذا يستلزم

٧ ـ حقول واسعة وواسعة في التفاسير تتحدث وتطيل في مثل هذه الخرافات بل هذه الرزايا ، وان كان بعض المفسرين كابن كثير ٣ ـ ١٠١ و٣٦٦ مثلا يذكرهـا ليرد عليها وبعضهم يذكرها بمعرض التباهي كسليمان بن مقاتل ١ ـ ١٢٣ والطبري في تفسيره المطبوع ببولاق ١٥ ـ ١٧ ودار المعارف ١ ـ ٣٤٤ والكشاف ١ ـ ٣٤٢ .

بالرومان وجاهلية العرب ، وما ان اخفقوا حتى امتطوا حصان طروادة ولا يزالون ممتطين !

مـاذا امرنـا رسول اللـه ؟

امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان نسمع من اليهود مـا يقولون ، ونزن اقوالهم بميزان القرآن والسنة ، فان وافق قبلناه والا رددناه .

والصحابة ، عملا بالتحديد القرآني لكلمة توراة ، يجزمون أنها تعني مـا انزل الله على موسى ، وهم واقعيون حين قالـوا لكعب الاحبار بلسان عمر بـن الخطاب :

« ان كنت تعلم ان احاديثك هذه مما أنزل الله علـى موسى ، فاقرأهـا ليلا ونهارا » .

وكأن كعبا اخذ يكفكف من غلواء الدس لا سيما بعد ان هدده عمر بالنفي قائـلا :

« لئن لم تنته لارسلنك الـى بـلاد القردة » وكشف خطر نفسيته قائـلا « لا تزل يهوديا ! وبعد ان تأكد هذا » (٦) علي بن ابي طالب بالجلـد والحرمان من دخول المسجد .

... غادر كعب المدينة بعد انكشاف خيوط المؤامرة التي اودت بعمر فهبط الشام واتخذ مركز السنهدرين المعلوم الذي ستره بكلمة (دير سمعان) اتخـذه مصنع وضع وافتراء يصدر للرواة ما تخلل التفسير وشـرح الاحاديث وحقـول التاريخ ، وما ان جاء عصر التأليف ، وهو بعد عصر كعب بنحو مئة عام ، حتـى دس كعب ما يشبع فضولهم ، ولا يزالون يتناقلونه ويتدارسونه كأن كعبا مدفون في نفوسهم وجار على رؤوسهم اقلامهم .

شاهد اليقظون دس كعب ولمسوا خطره فاخذوا يمثلون فرقـة اطفاء اشترك بها أئمة الفقه واساطين الحديث والمخلصون من المعتزلة اذ يقولون بلسان النظام :

٦ ـ ابن عساكر : تاريخ دمشق ٦ ـ ٣٨٥ .

وما الى ذلك من اضاليل سولت لخدام السياسة من المستشرقين ان يصولوا ويسجحوا ، وسولت للابواق امثال صادق العظم ان يمعنوا في الصولة والتسميم.

وزعموا ان هاروت وماروت ملكين اعترضا على الله فانزلهما للارض واصبحا منغمسين في الاخطاء (٩) .

وهناك مفسرون لا مراجع لهم الا الاضاليل اليهودية التي شوهوا بها مجلدات تفاسيرهم واتخذها اطفال الفكر لا سيما الذين كتبوا حول قصص الانبياء مصادر ومستندات !

ولم يكتفوا بالاسراف بتناقل تلك الموضوعات المخجلة بل رمونا بقصص تبارك الاطماع التي تزحف شطرنا الآن كقولهم :

« ان سليمان بنى مدينة تدمر » .

ومن العجيب ان الصديق الاستاذ عفيف طبارة ، وهو انظف من عرفت ممن عالجوا موضوع (قصص الانبياء) وقع بنفس هذه الهفوة (١٠) .

ومفسرون استنبطوا من فواتح السور اعدادا وحروفا وحوادث وملاحم وعقائد ... لا وجود لها الا في مبيتاتهم ، وعلقوا على الآيات التي تستعصي على التأويل بكلمة (الظاهر غير مراد) .

التأويل لديهم وسيلة سطو وتعمد هدم ، وقد توارثه قوم نستطيع تصنيفهم، واقاموا على حجر زاويته التي دعوها باطنا ، مذاهب وطوائف ، ناسين ان الحقد السياسي املاها على السابقين .

التأويل مبيتات يهودية خشي الصحابة خطرها منذ عاقب عمر ابن الخطاب شخصا يتساءل عن المتشابهات (١١) ، واخذت جذورها بالانكشاف منذ عهد

---

٩ ـ انظر التعليق السليم على هذا الموضوع في مجلة الفكر الاسلامي مجلد عام ١٩٧٢ .
١٠ ـ انظر ص ٢٩٦ من كتابه (مع الانبياء) .
١١ ـ الطبري : التفسير ٤ ـ ١٥٨

عصمة الانبياء والرسل ، لكن اليهود منذ ٢٦ قرنا اخذوا يلصقون بالوحي ما اقتضاه منهاج التهويد .

ومن هذه الملصقات تهم يخجل القلم من نقلها .

خلاصتها ان ابراهيم قدم زوجته لملك النقب فاستفاد بقرا وجمالا وحميرا ونوحا سكر ونام عاريا ولوطا زنا ببنتيه وموسى عشق وسليمان عظم الاصنام تقربا لقلوب نسائه الوثنيات .

اما قصة داود وخلاصتها :

ان داود عرف امرأة واولدها سليمان على فراش غير شرعي وعرض زوجها للقتل ليضمها الى زوجاته السبعمئة .

ويظهر ان كعبا اخذ ينفثها في الناس منذ عهد الراشدين اذ نسمع عليا بن ابي طالب يهدد متناقليها بمئة وستين جلدة ونسمع شخصا يرددها بمجلس عمر بن عبد العزيز فيقول احد الحاضرين :

لنفرض ان القصة واقعة ، وحيث ان الله ما ذكرها سترا على نبيه فهل يجوز لنا كشف ما ستره الله .

فيقول عمر « سماع هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس » .

هذا نموذج من الدس الذي يتخذ منه غافلو المفسرين مادة لتفسيرهم !!

وهناك تعاليق سطا بها الكعبيون على المعاني السليمة ، اذ زعموا ان يأجوج مأجوج مخلوقات عجيبة تتخذ احدى اذنيها فراشا والاخرى غطاءا .

ينقبون السد وفي اليوم الثاني يجدونه غير منقوب لان مسلما قرأ سورة الكهف !! (٨)

٨ ـ انظر التعليق السليم على آيات ٩٥ ـ ٩٧ من سورة الكهف لنطنطاوي جوهري وانظر التحقيق التاريخي بكتاب (فلسفة التاريخ العثماني) لمحمد جميل بيهم البحاثة البيروتي المعاصر !

غربة الإنسان الملتزم

بقلم : حسين أحمد شحاده

••• غمست يراعي في الدم •• وابتدأت امتص الحروف لاصورها اشعاعا حيا في ضمير الكون •• وفي ضمير الانسان •• ولاول مرة في تاريخ الكتابة •• اجد الحروف حمراء •• حمراء قانية •• تضيء في الليل •• كقبس من نور •• وكشعلة من نار ••

وفي وضح النهار •• كانت النفوس جميعا •• والقلوب جميعا •• تستقي من ندى الدم الممزوج بالكلمة •• او تستسقي بندى الكلمات التي تسبح في بحر من الدم النقي •• نقاء فيه صفاء الحق ومحنة المأساة •• ولوعة الغربة ••!

••• ومن هنا كانت الحروف تقية حمراء •• لانها ليست احرفا للترف والتسلية وليست بعد هذا وسائد ناعمة تتكيء على موائد التجارة والتجار ••! لكنه القلب الممزق والشفاه الظمأى والعيون الذابلة اقدمها •• رسما متشائما • لكنه صادق اللهجة والتعبير •••

واردتها ان تكون رمزية لتثير فيهم روح الفكر •• والتفكير والبحث الجدي عن مفهوم الحياة في الرسم والصورة •• عسى ان تنفتح امامهم آفاقا جديدة ولعل الرؤيا •• تتضح لهم اكثر فيرون ما لم ارى •• فيعملون •!

★ ★ ★

تساءلت ••!

ككل من يرسف على ارض المعاناة ••• وككل من يطفو على وجه الامل•• حينما يصطدم بظاهرة تاريخية •• تستدعي التبرير وتستدعي الدراسة وتلجئنا من حيث نريد او لا نريد الى التفلسف والتحليل •

تساءلت •• لماذا يحتاج الايمان •• اي ايمان الى تضحية والى دم نغمس فيه الحروف • والى ثورة تقتلع جذور الارهاب •• واصول ما انقطع عن السماء

بعيد لا سيما بعد العثور على مخططات المحفل النوراني الماسوني وقول البروتوكولات :

(لا تكذبوا نصوص الجوييم : (الحيوانات) بل اولوها تأويلا يبطل مفعولها) .

تلك التآويل صاغتها العقول الماكرة ، ودسها من الداخل فرقة حصان طروادة ، تنفيذا لمخططات سرية من السنهدرين ورياسة الجالوت والمدراس بنسجها وتصديرها ، وما زالت قيد التداول ، حتى اصبحت مصدرا للذين يفرحون بالصيد من الماء العكر من المستشرقين وسواهم (١٢) .

بيروت — محمد علي الزعبي

١٢ ـ انظر مجلة الوعي ـ الكويت عددي يوليو واكتوبر لعام ١٩٧٠ .

ماذا فعلت لكي اعاقب !. واحاكم .. وادان ..!؟

مع انه تعالى يقول : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .. »

حقا .. ان عقلي هو رسول من داخل ..

وحقا .. ان القرآن الكريم .. رسول من خارج ..

بيد اني لم ابلغ بهما الا الى بداية التنفيذ ونقطة الانطلاق ..

العقل .. يمدني بطاقة من الاحساس تدفعني نحو الحركة ..

والقرآن .. يلهمني شعورا صافيا بضرورة العمل النزيه .. ويطرح امام ناظري المنهج الرائد .. والنظام الحكيم ..

... غير اني اذا وقعت .. وشل كياني عن التحرك .. فمن المسؤول .؟

ومن ينشلني من واقعي الرهيب ..؟

ومع هذا كله .. سوف احاول مرة اخيرة ان اتابع مسيرتي بما تبقى لدي الشعور المتعب واسمحوا لي .. ان ابكي .. وان اجهش في البكاء .. خلال رحلتي في عمق المعاناة .. وتقلبي في حمم المأساة لانني لست صخرا ..

وانما .. وبين جوانحي روح مرهقة لا زالت ترف .. وتستشف الامل .. والاحلام فان اخطأت الدرب .. وهدني الالم .. واعتراني الانفعال .. بكل حدث يمر عني .. فلا تلوموني واعذروني .. لانني الابن المريض ..! ابن من ابناء الجنوب ..!



... ومشيت ابكي .. لانني غريب .. وتقوقعت احبس بين صدري اسهدم رسالة الوفاء للحقيقة كنت اخشى ان تضيع ذكراها هي الاخرى .. فلا شيء لدي الا الموت والبؤس والشقاء ... يعصرون جفافي .. بلعنة ابدية ... حتى الرمق الاخير اليائس من يأسه ..

.. وحدقت بالليل طويلا .. فاذا الغيم فيه محقون بانجمه المطفآت واذا

فالتصق في الارض وعاش فيها مفسدا فوضويا .

لا تعجبوا ..

ان سلسلة التناسق الجميلة .. حين تنقسم وتتجزأ .. يصير الجزء العاجز اعمى فوضويا مفسدا .!

واجبت نفسي : كلما كان الهدف كبيرا كان الطريق طويلا .. وهـل هناك هدف اكبر من ايمان الانسان بمبادئه وقضاياه ..؟

★ ★ ★

.. بكيت .. وانهلت دموعي كزخات المطر العنيد .. انا انسان يشعر .. ويحس .. ويدرك مسؤولياته معنى هذا .. انني قطعت نصف الشوط .. وبلغت نقطة البداية .. بداية الانطلاق والعمل والتنفيذ فحاولت جاهدا ان اتحـرك .. وفي عيوني بريق العزم وبين حنايا روحي لهيب مستعر ...

حاولت مرة .. واخرى .. حاولت مرارا عديدة ولكـن دون جدوى .. كمن يبحث عن المستحيل في طبق من الوهم ...

وبينما انا احاول .. تعثـرت .. ووقعت .. وارتميت عـلى التعاسة .. وفقدت كل شيء الا غربتي واشباحها السود ..

فصرخت .. ربـاه ..!

من المسؤول عن محنتي .. وبلائي .. وموتي البطيء ..؟

رجـال القيادة ؟

أم البيئة المجنونة ..؟

من المسؤول اذن ؟

المسؤولية مشاركة وتعاون على ادائها .. ولكن لا شيء.. ما من احد ..!

الا قرقعة الصدى الحزين .. فلو وجد من يتحمل المسؤولية لسمعت من حولي صداه .. وأنـا ...

غير ان هذه الروح مأسورة •• فلا تألو جهدا مـن تجوالها المضني •• الا الطاعة والحضور وتقف !

حلقة من قضاة الارض •• ومحكمة لا تـدرك جوهـر الترافـع ولا لب الخصومة ما دامت تخادن رواسب الانفعالات وايحاءاته من داخل الكيان وخارجه متأثرة بتلوثات السادية كابشع ما يكون التأثر •••

وقبيل صدور الحكم علي ••• انطلقت همهمـات الجمهـور الغاضب •• لتفق بحفيف الحقد المهزوز كمن مسه الخبل فجن وغاب عن وعيه :

اقتلوه

اقتلوه ••

انه مسلم •• انه من زوائد الوجود ••

ويهتف آخرون •• لا :

انه العدم •• لا وجود له ••!

اشنـقوه •••

★ ★ ★

••• فبكيت •• كنت انتظر من قاضي القضاة الحـق والخير والعدالة •• لكنه هو الآخر لا يملك ارادته هو مثلي مأسور للجميع •••

وفي غمرة الضباب الخانق•• امر المحلفون ان اقاد الى اللانهاية •! وبغطرسة ساخرة ركلني احدهم وقال :

اذهب ••• يا فقاقيع السماء •• ويا بخار الارض •• فهنـاك سوف تعرف نفسك وهناك سوف تعيش مع شرذمة المشردين الغرباء امثالك ••

وهناك سوف تبنون ••• مدينتكم المثالية الفاضلة •!

★ ★ ★

•• تعبت من المسير طولا •• وعرضا •• ففكرت بما تبقى لدي من عصارة

انا في كهفه السحيق شبح يمسك كابوسه بيديه كأنه اللعنة تسطو على كل آمالي الخريفية •• فتحرقني ويبقى رمادي المتناثر بقـــع مـــن الحسرات والالتياع •• تشل الحرف وتدمي اسطره ••!

•• مشيت في قلب العاصفة •••

كأنني معدوم وجلاد •• كأنني السجن والحياة •• تخيفني دروبي بمجاهيلها المظلمة ؟ من دروبي ؟

اتراها نفثة حقودة من فم جلاوزة القرون الوسطى ؟

فلم اذن •• كلما انحدرت من هضبة مرتجة الى تلعات محمومة •• تجدني في واد معذب يقتاع رموز السماء •• ومنح الارض اوسمة الانسان•• ثم يضغطها بنقمة جبارة لا تعرف من اين تجري •؟ ولم ؟ والى اين ينتهي صراعها وقد انصهر بحومة التنازع اللئيم ؟!•

اتراها ضريبة الاختيار والحرية ؟

ام انها غيلان اوبئة الطاعون المزمن •

فللتشاؤم •• آلهة التسبيب •• وللجوع •• آلهة الخيانة •• وللموت آلهة الجحود ••

وللغنى آلهة الجفاء والنكران •• ولكن :

للخوف رب يسلوه بعطف ومودة وحنان !

★ ★ ★

••• بكيت •• على قدر ما يحمله عمري من ثوان مرهقة •• ولفني الظلام •• وحدقت بالليل من جديد ودارت الحجب حوني باناتها الجوفـــاء •• وطوقني الانسان بألاعيب تفاقه •• واندمجت مع الاشباح الضائعة رغم انني ••• بعد ان استحضروني كما يستحضرون الروح •• وهي تنفر ممن ينغص حـــلاوة امنهـــا وسبحاتها ••• في عالم شفيف طاهر •• لا يفكر بالخبـــز كاطروحة في رؤاه •• ولا بالجنس كلذة وعناق ملهوف •••

الخضراء المفقودة ..!

فتجشمت منه تراثا للوحي عفته من قديم غربتي .. ولم ادر لماذا تخليت عن رونقه البديع .. ربما للخوف والجبن .. ولربما كان يومذاك كلمة بلا اسلوب ولربما عاصرته .. عرضا بلا منهجية .. وفي ظني انه كان مهجورا فهجرته مع المهاجرين ..!

ومهما يكن حالي .. فما يضيرني الآن لو تسلقت حيرة وجودي .. عسى ان يجيبني سدرة المعبد اليتيم فاتقي بالجواب مرارة الحرمان ...

... دخلت الى معبد النور ..!

فلم يستقبلني الا خطواتي بايقاعها المرتجف .. والانحولي المديد تعكس ظلاله القناديل الواجمة بلهاثها الحائر .. وتهزه هزا عنيفا يضطرب كلما جمدت اشعاعات عيوني على خيال مرآه !

وتنتابني رعدة هازئة تحثني للرجوع الى وحدتي وغربتي .. ويا ليتني اتقلص واذوب .. في كهف مظلم .. لا يعرف قسوة الصبر المعقد .. ولا افق رعبي هكذا مشدودا بخيوط من الاماني الطيبات ..

... غير ان العجوز التي كانت تتكلف الوقار بقامتها القصيرة وكأنها دمية كبيرة تتحرك بقطوب مروع وكأنها تؤدي دورا منافقا لسيدة ورثت سيادة الرقاب !

دنت مني .. وواجهتني بسيل من التحقيق والاسئلة ..! من انت ؟ وماذا تريد ؟ وماذا ...؟

اثارني الذهول .. وفوجئت .. ولم استمع الى بقية تقيحاتها وتقيآتها .. وغشيني دوار ارعن كاد يغميني ..!

لقد عرفتها وان كان تاريخ هجرتي حافل بالارتباك والضياع .. كيف تسألني عن هويتي ؟ وانا حفيدها المدلل .. آه من ارذل العمر ما امقته .. وما اشد وقعه على الغرباء ... ولكن لا بد لي ان اعيش كما يعيش الناس .. في الفكر والحلم الجميل .. فقلت :

الجهد .. لعلي اجد الحل والشفاء .. بل لعلي استطيع المناجاة .. عنـد قمـة الهـرم ...

فحزمت قواي الخرساء .. وشرعت اتسلق الهرم الكبير .. بيد اني .. ما ان خطوت خطوتين ما ان ارتفعت شبرا واحدا عن مكاني .. حتى احسست بمن يرميني الى اسفل .. بمن يأسرني من جديد ويرشقني بالنار والحديد ...

الى ان وقعت .. وكدت انفجر وانا ادفن وجهي في التراب .. واقول :

حينما يعجز السفح ان يبلغ القمة

عندما تنفصل القيادة عن الامة

تصبح المسؤولية حلما تائها في ضمير السراب ..!



فبكيت .. لانني غريب .. مجرم بلا جريمـة .. ولانـنـي لا ادرك اسرار القدر .. اعجز عن الايمان بما لا ادرك وبما لا اعلم .. وبما خفي عـن البصيرة والابصار .! وامشي عساني اتعثر بحكمة تجتاز التقليد وتعلمني لمـاذا يحكـم الله .؟ وما هو منطق القيادة والحكم ..؟ وكيف نصنـع الحضارة .؟ ونحـن مسيرون .. منحازون ! بل كيف تتخطى ازمانا ودهورا لن تعود ..؟

... وهكذا طردت بمعاناتي المجنونة .. وبكل بساطة انكروني واعدموني .. وانا اشلاء حي مبعثرة ... وانطفأت كما ينطفيء فجأة عود الثقاب ..!

.. الى هنا .. اسمحوا لي ان استريح .. وان اقف هنيهة لعلـي استجمع قواي الخائرة واستوفي قسطا ضئيلا من الانفاس .. استعين بـه علـى وعثـاء المسير ...!



.. مشيت .!

حتى لمحت من بعيد .. ومن بين التلال نـورا يمتـد بنعومـة انفاسه .. ليلفحني برفق كأنه دعوة دافئة مخلصة .. لزيـارة المعبـد الجاثم علـى الواحة

ويعبث قليلا بلحيته ثم يتقوص على عصاه ليحمل الى خوفي من صديقته شخصية هزيلة هازلة ..!

... وبعد ان استراح على مقعده .. ورمقني بسيل من الآهات والتنهدات .. سألني كما سألتني صاحبته من قبل ورجوته بالــذي رجوتها تنحنح وقال : هب انك عرفت لغز بلواك فما انت صانع بعده ؟

نظرت اليه بنفور وقرف .! ما هكذا يعامل الغريب ولا تروى بمثل هــذا غلــة الصادي !

واحسست بوجداني ينوء بثقل الاسئلة والاستجوابات : مع انني قد طرحت قضيتي ... فأنا اقل ما كنت اتمناه من زيارتي للمعبــد وللعجوز .. وللشيخ ان نغرسوا في نفسي املا يتجدد .. كلما ضاقت حولي السبل .. او تراكمت امامي الاهــوال ..

وتركت دمي المحروق يردد بلوعة :

من لا يعرف ان للحقيقة رسالة لا يبكي ولا يعيش حياته وعمره غريبا .
من لا يؤمن لا يضحي ! ولا يغمس يراعه ويعجنه في الدم ...

وهكذا ... بقيت رسالة الوفاء للحقيقة سلسبيلا عذبا زلالا ... يبثنــي الدعة والتماسك فقلت للشيخ وانا لا اخفي جهشة البكاء ...

ماذا بوسعي ان اعمل ؟ وكيف اطوف بمسيرة العمل ؟

وانت لا زلت شيخا وعجوزتك العجفاء .. تلثــغ في التعبير .. والمعبــد مفقود .. مثلي غريب ومن انت ؟
سألني الشيخ منكرا ...
فاجبتــه :

انا .. ومعبدكم بعض ضحاياكم ..! وصرخت .. وبكيت .. وخفت .. ولكــن .!
للخوف رب يسلوه بعطف .. ومودة وحنان .

حسين احمد شحادة

امــاه ••!

امامي بحور بلا موج ترسو على موانــيء غربتها •• ولا شواطيء هنــاك تحضنها بقلب رحيم حنون •••

••• وحولي صحرا ء•• تتلظى بسعير الجدب •• وتكاد تسيخ مــن اوار العقم •• فلا قوافل تشاركها الرؤية وتألف نبضاتها القلقة •• وتعانــق شوقهــا الحار •• لقطرة حب ندية تنام كبذرة خير على لعابها المجروح القاحل ••!

••• وفي ربيعي المهتريء ••• يحتكر الشوك اريج الورد •• ويمتص رحيقه كالافاعي لانه عات قوي •• ولان المسؤول وردة عزة •• عزها الجمال فاستلقت على حفنة من تراب لذا سئمت بنعة الالهام •• وتيار الغيب ومكر الوجود •• كما قد فهمه الحاكمون علي بالموت والاعــدام •• فهــلا ترحميني سيدتي وتسمحين للتجربة ان تغمرني بفيض من حكمتها •• فلا ادعي اني غريب عن الكون والازل!

••• ابتسمت العجوز بسخرية لاذعة •• وضحكت من اعماقها •• كضحكة الجن والابالسة ثم عادت الى عبوسها لتنفثني بفحيح مسموم من كلمات وقحة•• حسبتها تلتهمني بفوارنها المريع •!

عليك ان تبقى هنا •• ليس من حقك ان تسأل ••!

★ ★ ★

كظمت غيظي عنها •• ولم افلح في كظمه عن كياني المرتعش •• ودخلت في صراع جديد •• فقلت •• لقد ادركت اليوم •• ان مــن التشرد والغربة •• ان نجعل الاشخاص نماذجا للقدوة الحسنة والاسوة الرشيدة •• لا يسعنا اليــوم الا تتخذ المبدأ قدوة لنا ••• والتشريع اسوة •• كميــزان ثابت لا ينالــه الزيف ولا يمسه التشويه ••!

ما ان جنيت هذا النتيجة من واقعنا المعاش •• حتى اطل علينا شيخ يناهــز التسعين من عمره بقرع الارض بعصاه •• كأنه يعد ويحصي ما تبقى من حياته•• فينتشي من رتابة قلبه الخانق ويأنس لفسحة الطريــق •• ولا ينــي بين الفينــة والاخرى ان يقف ••• ويطيل في وقوفه •• ليعدل ما ترهل من اطماره البالية ••

ولـم يـك واللـه المعيد حسادة ولكن حنينا ان شكلي لهـا شكل
فاسرح لا شملي صديع ولا الحشا وجيـع ولا عيناي يبكيهما ثكـل

ويقول الشيخ ابراهيم يحي وقد فارق لبنان :

لهفي علـى تلـك الديار واهلهـا لـو كـان تنقع غلتـي لهفاتـي
يا ليت شعري هل ارى ذاك الحمى حـال مـن الفتيـان والفتيـات
سرعان مـا درجت اويقات اللقـا ان البـروق سريعـة الخطـوات

ولم يكن للاجىء الشريد ، جميل ، من عزاء في نكبته القاتلة غير ناي يوقع عليه الحانا هي ابلغ مما تركه الشعراء واوجع للقلوب ، وكلما اشتد بـه الشوق واستبد به الهوى لوطنه حيث رأى النور وتفتحت عينه على جمال الكون :

مال عـلى نايـه ومقلته يشب من خلف مائها لهب
حتى اذا بث ما يجيش به غص فـي ضلوعه القصب
كأنما الجرح جرح مقلته كان على نايـه لـه ثقب
فالناي لا يأتلي على فمه يعب مـن قلبـه وينتحب

كنت وانا استمع اليه كأنني اصغي لصوت بعيد متألم حنون جمع الله فيـه السحر والروعة واعطاه النعمة كلها تحسب عواطفـه جميعهـا وحياتـه وشعوره واحساسه في صوته المنبعث عن قلب جريح ملتهب يبـدو هيكله الهزيل المتداعي شبحا تركته القافلة فمشى متوكأ على عصاه ينشد الركب ويشكو ظلـم الانسان وبغيه ، كل ما فيه تيه وضياع وحيرة وحسرة ، يتلهف وهو الغريب النازح الذي شردته الايام وقذفه الطغيان بعيدا عن اهله ووطنه قصي الدار عـن بلده لسماع انباء ذلك المعتقل الحزين فكأن حواسه بقيت هناك ولم تترك للهيكل غير الاسى والحنين ، يعيش على امل العودة يحلم بها فتتراءى لـه الصور وكأنها شخوص متحركة تتواثب هنا وهناك ، حاول ان يلمسها بيده وهيهات للخيال ان يدنو مـن الواقع فهو يجول في الافق البعيد والحقيقة انه لا يوجد في بلده غير النار والدمار والقتل والتشريد فكيف يعود ومن اين له جناحا طائر ليحوم فوق الربـع الحبيب

رسوم

أمل العودة

بقلم : السيد علي ابراهيم

ترك لنا بعض الشعراء الذين هجروا اوطانهم لاسباب قاهرة واستبدت بهم المقادير فشردتهم عن ربوعهم آهات حرى تحس بلذعها ولفح هجيرها وتعرف انها صادرة من الاعماق فتلمس قلبك بيدك عندما تسمع حنينهم وتلهفهم وتكاد تعرفهم بسيماهم وتمشي معهم في مأساتهم ولا تملك نفسك من التأثر بعاطفتهم والرثاء لحالهم •

قيل للقاسم بن عبيد ما خبرك فقال :

وارحمتا للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه صنعا

فارق احبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا

ويقول ابو فراس في سجنه ويحس ان لكل شيء نفسا تحنو عليه فيناجي الحمام ، ويودع النسيم رسائله ويفضي الى الليل بشجوه :

يا ليل ما أغفل عما بي حبائبي فيك واحبابي

يا ليل نام الناس عن موجع ناء على مضجعه ناب

هبت له ريح شآمية متت الى القلب باسباب

ادت رسالات حبيب لها عرفتها من دون اصحابي

ويغني ابن زيدون على فننه :

اضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

وهذا ابن عباد يقول من سجنه :

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي سوارح لا سجن يعوق ولا كبل

والحركة والحيوية فهي زادنا في رحلة العمر الطويلة ، كنا نؤثر على انفسنا في الايام السود ونرجع لما وعيناه وسمعناه من الآباء والاجداد ، واذكر لك بعض الصور الباقية في ذهني والغريبة عنكم اليوم •

كان البائع في الصباح اذا استفتح كثيرا ما يطلب من المشتري ان يذهب لجاره ، وكنا مرة في المقهى فجاء مهاجر لبناني وسلم احد جلسائنا امانة مرسلة اليه من قريب له في المهجر وتبين انه يوجد غلط باسم المرسل اليه ، ولما كان الذي استلمها بحاجة ماسة سكت صاحبها الحقيقي ولم يطالبه بها حتى عرف هو من نفسه واعاد اليه المال على دفعات بعد زمن عندما تمكن من ذلك ، اما ادب الضيافة واكرام الوافد فكان لنا شريعة ، المحافل والنوادي والمجتمعات مدارس نرجع فيها لسير الماضين فنستمد منها عظة وعبرة •

كان يحدثني ابو حسان وخيالي يثب متوغلا في التراث العربي القديم فاقرأ :

يروى عن النبي انه قال الا اخبركم بشراركم ؟ قالوا بلى : قال من اكل وحده ، ومنع رفده ، وضرب عبده ، الا اخبركم بشر من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه •

قال رجل من المتقدمين ، وهو قيس بن عاصم المنقري :

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما اصبت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني غير آكله وحدي
قصيا كريما او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما من خلالي غيرها شيمة العبد

بيروت علي ابراهيم

ويشاهد المعالم والرسوم بدا في صورة درويش جوال :

وقفنا عند مرآه حيارى ما عرفناه
عجيب في معانيه غريب في مزاياه
له سربال جواب غبار الدهر غشاه
ووجه لوحته الشمس غارت فيه عيناه
تراه ان سرى برق تمناه مطاياه
وان اصغى لصوت الناي اشجاه فابكاه
اذا اعطيته شيئا ابت جدواك كفاه

قلت في نفسي وانا اناجي آله الارض والسماء : عفوك يا من خلق الرحمة لقد صرع الشر الانسان ولم يبق في الدنيا خير وجمال .

ابو حسان

كان يعيش في الماضي تنتقل قدمه لمصيره المحتوم وهو يلتفت خلفه ويتنشق أريج الزمن الغابر اذا نظرت اليه وجدته واحدا من اولئك الرجال القدامى الذين فهموا للحياة معنى لا يحيدون عنه ، اندفاع مع الصديق ، واجابة لصوت الداعي ، وسخاء دون تقدير للعواقب .

قلت الا تذكر لي يا ابا حسان سبب احتفاظك بصحتك وقوتك عبر هذه الايام الطويلة التي عشتها فقد شارفت على المئة ولم يزل للحياة عندك نصيب ، الا تتحفني ببعض الذكريات عن جيلك العملاق الذي اوشك على الانقراض وبقيت منه اعلام وعمد انت منها .

فقال لي : لم نكن نعرف الاسراف الذي انتم فيه كنا نكد ونسعى ونكتفي بالقليل نفوسنا مرتاحة ، وحاجاتنا قليلة ، نعيش بالثقة ونسلم امورنا لله ، وكان للاخلاق عندنا شريعة لا نحيد عنها ولا نفلسف الامور فنبتعد بها عن جوهرها ، لم يأكل الحسد والطمع قلوبنا ولم تقتل الشراهة اجسامنا ، اما الرياضة والنشاط

١٤٨

الذي عرفناه من الحياة الى الآن ، ان القوة هـي التي تحدد العدالة ، وان من واجب الضعف ان يقر ، ويعترف !

١٤٩

احب ان التقي بمن احسن الي ولو احسانا واحـدا لاجـدد جمال صورته المطبوعة في قلبي !

ويخجلني ان ارى من احسنت اليه لئلا يتوهم ان في نفسي شيئا من المـن عليـه .

١٥٠

اذا رأيت عقارب الخيانة تدب في ضمير صديقك ، فتغاض ، وقل : الهـي اجعل الوحش الكامن في قلب الرجل كاسود الجب يوم رأت ايليا !

١٥١

اشقى اصحاب السلطة ، هو ذاك الذي يضطر لاستعمال سلطته فـي كـل لحظـة

١٥٢

لعل مهاجمة الناس العنيفة لانسان ، اعظم دليل علـى انـه تفوق عليهـم ، وسحق كبرياءهم !...

١٥٣

الانسان مجموعة من الغرائز والعادات تصطرع وتتنازع !

١٥٤

كل شعب نائم ، لا بد له من اليقظة ، وكل شعب مستعبد لا بـد لـه من تحرر ، لكن المهم هو اتجاه النائم بعد اليقظة ، والمستعبد بعد تحرره !

وحي الحياة

من قلم : روكس بن زائد العزيزي

١٤٢

اخشى ان يكون الذي يحدثني عن العفاف والشرف ، قد فقدهما جميعا !٠

١٤٣

لعل كل اديب مدين للذي سرق افكاره :

أ ـ اذاع تلك الافكار ٠

ب ـ خفف على الاديب تحمل بعض المسؤوليات ٠

ج ـ اكتنز للاديب رصيدا من الشهرة الحق يوم تظهر الحقيقة !٠٠٠

١٤٤

اشقى من حياة جنود تخاصموا في ثكنة ، وسجناء اقتتلوا في سجن ، حياة زوجين لا حب بينهما ، ولا نسل لهما !٠٠٠

١٤٥

استهزاء رهائن السجون ، وقهقهاتهم ادلة حاسمة على انهم مؤمنون بان الذين ينعمون بالحرية شركاء لهم في جرائمهم السود !

١٤٦

من نعم الله ان تكون حياة الآباء شرفا لابنائهم ، وان يكون سلوك الابناء فخرا لآبائهم !٠٠٠

١٤٧

الخلود في الحياة لكل كلمة نبعت من قلب مخلص ، وفاه بها لسان صادق !

لمحات من شخصية الشبيبي في صور من شعره

بقلم: وديعة الشبيبي

لم يكن يدور في خلدي قط اني سألقاه وأودعه في آن واحد وانــه سيعود من سفره هذه المرة ليصبح ذكرى ندية في الخواطر بعــد سويعات مــن استقباله الحافل ، فقد تعودنا ان نودعه كلما سافر ، ونستقبله كلما عاد ، ونلقاه في زيارات متصلة جميلة مرتقبة فيلقانا بعواطفه الكريمة أبا رحيما ، وصديقا صدوقا ، وراعيا مرشدا ، وموجها حكيما •• ويلقى الجميع في رحابه ــ وقد وفدوا عليه من كل صوب ــ دنيا من الحب والفضل والفضائل ، ويستمعون اليــه يحدثهم في بساطة وتبسط وهم غير شاعرين بالزمن يمر في صحبته ، ويستمع اليهم يتحدثون اليــه فى غير ما تحرج او تكلف ، فيتسع صدره الرحب لاحاديثهم كلهــا رغم امتلائــه بالآلام •• ويتلقانا جميعا أهــلا وزوارا وعلــى ملامحه الهادئــة لطف ووداعــة وسماحة ، وألق ابتسامات صافية مرحبة سرعان ما تنسكب علــى لسانه حنانــا غامرا ، وتحيات طيبات ، وتكريما بليغا ، وحديثا ممتعا لا ينتهــي الشوق اليــه عنــد حــد ••

وعاد هذه المرة •• ولكنه عاد ليكون بعــد حين طيفا مــن الاطياف العذبة المرفرفة في سماء هذا الوادي ، وذكرى عاطرة تملؤه طيبا ونــدى ، وتقطر عليــه رحمة ويمنا وسلاما •• وضمه اليه موكب الخالدين اقباسا لامعة من مجد هــذه الامة العربية العريقة ، واحتفى به قلبا نبيلا كريما ، وفكرا ألمعيــا وقادا ، وروحا طاهرة رقيقة تغمرها شفافية صافية كالنور تتألق فيها خواطــره وافكاره عميقــة خالصة لوجه الحق والخير والانسانية متجاوبة وهذه المعاني الكبار تجاوبا جميل الوقع ، قوي التأثير ، موحي الاثر ••

ودعناه بالامس ، وما اشوقنا اليه اليوم في سفــره البعيــد تتلاشى امــام معنوياته العالية كل أشجان الحياة ، وتذوب أمام روحه الفتيــة ــ رغم تكاليف السنين ــ كل الاعباء الثقال ، وتنحني أمــام تواضعه الجــم كبريــاء المتعالين ، وتستنير به الارواح التائهة نبراسا مضيئا في ظلمات الطريق الموحش الطويل ••

١٥٥

في الشرق قوى عظيمة هائلة ، لكننا نخطىء اذا اكثرنا مـن تهديد الغـرب بقوتنا هذه ، فاثارة المخاوف والاحقاد لا تأتي بخير .

١٥٦

الحاجة تحجب وجه كل فضيلة ، وتشوه وجه المحتاج !...

١٥٧

اذا كنت موفقا حسدك الناس وتملقوك ، وحاولـوا جهدهم ان يهدموك ، وان عثر بك الحظ ، واسوك شامتين ، واحتقروك ناقمين . الا اولئـك الذيـن بلغوا النبوة او كادوا .

١٥٨

الفضيلة التي يولدها الطمع في النعيم ، او الرهبة مـن الجحيم ، او الخوف من الناس رذيلة مبرقعة !

١٥٩

يخشى الزاهد جهنم واحدة ، ويغوص رب العائلة الـذي لـم يوفـق في زواجه ، والذي عجز عن توفير اسباب السعادة لافراد بيتـه ، بجهنم ذات عشر دركات ، يضاف اليها جحيم الآخرة !..

١٦٠

ينعم الزاهد بالشوق الى سماء واحدة ، يتوقـع الحصول عليهـا في الحياة الثانية ، وينعم رب الاسرة الموفق في زواجه ، القادر على توفير اسباب السعـادة لافراد اسرته بجنة راهنة وجنة متوقعة !...

١٦١

الفضيلة والاخلاق قوة ينهار المجتمع ان فقدا .

ومن خلال هذه الخصائص العالية وانعكاسها على آثاره الادبية ، وعلى مظاهر جهاده وجهوده في خدمة الوطن والعروبة والاسلام ، كانت نظرة الناس اليه ، والى ما خلف للاجيال من مفاخر نظرة اجلال ، واكبار ، وتقدير ..

وسأقصر حديثي على جانب واحد من جوانب شخصيته العظيمة ذلك هو الجانب العاطفي والانساني وسأترك التاريخ يتحدث عن الجوانب المتعددة الاخرى وما اكثرها واغزرها لمن اراد التحدث عن الشبيبي !

ولست اريد بحديثي عن الجانب العاطفي في شعره ان اتحدث عن عاطفته الخاصة وما اوحت اليه من شعر وجداني رقيق حافل بالمعاني الغزار ، وانما اريد ان اتحدث عن تلك العاطفة الكبيرة التي تفجرت من قلبه الكبير ففاضت على جوانب وطنه وعلى دنيا العروبة ، بل على الناس اجمعين حبا خالصا ، ونورا هاديا في حالكات الدروب ، وتمثلت في شعره دعوة صريحة للخير والاصلاح وثورة عارمة على الظلم والطغيان والفساد ، وتوجيها حكيما نحو المستقبل المنشود .

وبين يدي الآن ديوانه النفيس أطالعه فيعجبني ان أجده فيه يحلق في آفاق الجمال والخيال حينا فيمتع القاريء المتأمل بسوانحه فيهما أي امتاع ، او يغوص به حينا آخر في اعماق النفس الانسانية فيراه فيلسوفا يلتهب شوقا الى المعرفة ، ويسعى ابدا وراء الحقيقة ليصوغ خلاصة تجاربه في الحياة خطرات فلسفية عميقة ، ونظرات كونية صائبة ، وحكما وضيئة بالغة صياغة معجبة رائعة ، او يخرج به أحيانا كثيرة من محراب فنه الشامخ الى دنيا الناس ، فيحيا معه واقع أمته ، ويتحسس في شعره العالي ــ كما اعتاد ان يتحسس في نثره الرصين ــ آمانها وآلامها ، ويتلمس فيهما معا مظاهر حياتها المختلفة واذا ادبه القيم جزء لا يتجزأ من نفسه الكبيرة ، ومن كيان هذا الوطن ، وتاريخ هذه الامة في كفاحها ضد الاستعمار، وثورتها من أجل الحرية ، وتطلعها الى المستقبل الافضل.

لم يكن الشبيبي ــ رحمه الله ــ ينظر الى الحياة من سمائه العالية ، بل كان شاعرا عاش احداث أمته الجسام فغمس قلبه في مداد شعوره المنفعل بتلك الاحداث المؤلمة القاسية التي ألمت بالعراق والامة العربية اثناء الحكم العثماني وما

ذلك الانسان الذي كان وسيظل ملء الحياة كلها هو عمي ، بل أبي الروحي المغفور له الشيخ محمد رضا الشبيبي ، ولا يسعني وأنا اعرض بعض جوانب شخصيته الفذة الا ان انحني خشوعا ، واجلالا لذكراه المعطرة الخالدة مع الايام ..

وبعد .. فانه من الواجب علي وانا من ألصق الناس به ان اتحدث عنه ، وحار فكري وهو يتأمل ذلك الانسان الكبير في صفاته المثلى كيف يبدأ الحديث عنه وكيف ينتهي منه ؟ أيتحدث عنه مجاهدا شجاعا ، وثائرا حرا ، وقائدا بارزا من قادة الفكر والسياسة والوطنية ، وعالما غزير العلم ، ومحققا ثبتا ، ومؤرخا امينا أم يتحدث عنه مصلحا مرشدا في شتى المجالات ، ورائدا انسانا ، وشاعرا متدفق الشاعرية ، رقيق الوجدان ، لطيف الادراك ، عميق الشعور ؟

واذا كان لي شرف التحدث عن الشبيبي ، فسيسعدني ان اتحدث عنه شاعرا هزني شعره العالي حين قرأته للمرة الاولى فوجدت فيه آفاقا ممتدة لا حدود لها ، وروحا وثابة خفاقة ، وقوة مهيبة جبارة ، هي قوة الحق والايمان والعقيدة الراسخة ، والارادة الصامدة ، والعزم الذي لا يفل .. واني لاحس بهذه القوة تنبعث من قلبه فينتفض بها شعره هذه الانتفاضة الرائعة :

يا قاضيا باضطهادي هبك تفعله ... فالحق قيد لساني غير مضطهد
يا قوة الحق حسبي منك أهبته ... فلست ذا العدة الشهباء والعدد
حب الحقيقة يصيبني وان كبرت ... وزج بي حبها في ما ضغي أسد
لا قلت للعين : نحو الباطل التفتي ... أنى يكون جلاء العين بالرمد ؟

وليس لي ان ابحث في القيمة الفنية لهذه الابيات او لسواها فذلك شأن الناقدين المعنيين بالدراسات النقدية ، وانما اريد ان اقول ان هذه الابيات العامرة وكثيرا غيرها في شعره لتخفق بهذا الاحساس العميق ، وتفيض بهذه القوة الدافعة ، وتنطق بهذه اللهجة الصادقة فتعبر عن شخصيته في اجل خصائصها الروحية أحسن تعبير ، فقد وهب الحق لسانه ، ولحب الحقيقة قلبه ، وعاش منافحا عنهما حتى اللحظات الاخيرة من حياته الحافلة .

ولا خير في شعر اذا لم يقم به خمول نبيه ، او نباهة خامل

واذا كان الشبيبي قد اجمل في هذه الابيات رسالة الشعر الحقة فرأى ان مما يعيبه ان يكون قائله غير ذي اثر في مناحي الحياة العامة ، فقد رأى كذلك ان الطاقات الشعرية المبدعة ينبغي الا تحصر في نطاق الموضوعات الخاصة ، او تستنفذ في التعبير عن المشاعر الذاتية فحسب بل يجب ان توجه الى تحقيق الغايات السامية فتهدي من ضل عن الطريق السوي ، وتوقظ من فقد الوعي اثر سبات طويل ثقيل ، وتبعث فيه احساسا جديدا بكل ما فيها من معان كريمة .

وبهذه الروح الحرة المجددة قال للشعراء :

مللنا القول في فرح التلاقي بمن نهواه أو ترح الوداع
أرى اوقاتنا ذهبت ضياعا وما هي غير مفخرنا المضاع
فيا شعراءنا انتقلت اليكم مراقبة العوائد والطباع
مراقبة ، هداية غير هاد تقوم بها ويقظة غير واعي

واذا رأينا الشبيبي رائدا مصلحا في ميدان الادب والشعر ، فما اكثر ما رأيناه كذلك في الميادين الاخرى ! فقد بلا الحياة خيرها وشرها وخاض غمراتها مجاهدا في سبيل حرية وطنه واستقلاله ، واصلاحه وانهاضه ، فاذا قرأنا له :

وأشقى الورى من يطلب السعي للعلا ويمنعه صوت الجهالة ان يسعى
اذا رام ان يستشرف الأفق طائرا هوى صاغرا او رام ان يستوي أقعى

أحسسنا بألمه وقد رأى الجهالة العمياء تقف في سبيل تحقيق المساعي المبذولة من أجل النهوض بالوطن ، وشعرنا بحزنه وقد رأى الساعين لاسعاده يرومون الصعود به الى الاعالي فيرغمهم جهل الجاهلين على ان يهووا بمساعيهم من تلك الآفاق صاغرين ..

ورأى العراق اثناء الحكم التركي يقاسي من خذلان الحق وسيطرة الاوهام، واستفحال الجهل والجمود الشيء الكثير ، وتلفت حوله يبحث عن دعاة الاصلاح

بعده فكانت نبعا غزيرا استقى منه الهاماته الفنية ، وجاءت قصائده الوطنية معبرة ابلغ تعبير عن أغلى امنيات امته الطامحة الى الحيـاة الكريمـة في ظـلال الحرية والاستقلال والكرامة الانسانية ..

وحين كان الشعر في تلك الفترة شعر ألفاظ منمقة ، واخيلة باهتة ، وابواب مطروقة محدودة كان الشعر في نظره فنا له رسالته الكبرى في هذه الحياة لانـه مستمد منها ، معبر عنها ، متأثر بها ومؤثر فيها في آن واحد فقد كان يستمده من اعماق قلبه ومن صور محيطه ، واحداث امته ، ومن الانسانية بعذابها وافكارها، ومثلها العليا .. وليس غريبا بعد هذا ان نراه يبدي رأيه الحر في ذلك اللون من الشعر الذي ظل مستملحا حتى بعد انقضاء تلك الفترة فيقول :

الى الآن لا يستملح الشعر ان علا ولا يستجاد القـول ان لـم يلفق
قريض طلـول عافيـات وأربـع وشعـر جمـال سائـرات وأينـق
مقيـدة ابوابـه وفنونـه وادهى دواهي الشعر تقييـد مطلق

وقد كان لا بد له من ان يثور على ذلك الطابع التقليدي الـذي كان يسم بميسم الجمود في عصر تميز بكونه « عصر اليقظة في الفكـر والشعـور » وان يكون في طليعة الحاملين لواء التجديد فيه فيخرج به مـن عالم الطلول العافيات ، والجمال السائرات ، والاقوال الملفقة ، والفنون المقيدة التي كانت تشل حركـة تقدمه وتقف دون انطلاقه في كل الآفاق ، وان يمضي به قدما الـى الحياة فـي اوسع مجالاتها ، ويجعل منه سلاحا ماضيا يفرق به بين الحـق والباطل ، ويشهره في وجوه اعداء التقدم والاصلاح ، فيحرك بـه الافكار الجامدة ، ويحطم بـه المفاهيم البالية ، ويحيي به العزائم الهامدة فتندفع الامة بوحيه الى الامام ناظرة من خلاله الى ما يرفع شأنها بين الامم الناهضة ، وتلك هي في رأيه رسالة الفن الجميل في الحياة وقد آمن بها ايمانه بالحق الذي كان يقدسه ويدعو اليه ، فقال معبـرا عن هذا الرأي الجليل :

من الحق حبس الشعـر الا لغاية تفـرق فيهـا بـين حـق وباطـل
كفى الشعر ذما ان للشعر قائـلا وما هـو الا قائـل غـير فاعـل

الفقر فيــك مزود وهــو مفتقر والبحر منــك مجود وهو محروم
الظلم ينفيك عن أهليك مضطهدا أأنت أم كل مــاء الارض مظلوم ؟

ورآه يخيم عليه الجهل ، ويخدر حواس أهليه الخمول ، وتتحكــم فيهــم العادات المضلة ، وتمزق وحدتهم السياسات المفرقة فآلمه ذلك اشد الايلام وقــال مصورا حال قومه حينذاك وفي قوله دعوة مخلصة الــى اتحــاد الكلمة ، ونبذ التفرقة :

محيرون قد استهوى عقولكم جهل وبعض ضروب الجهل تنويم
يا قوم ما الدين عادات معطلة وانمــا الديــن تحليل وتحريم
وما السياسة ما الاوهام فاعلة تحكم كيفمــا شاءت وتحكيــم
لا تجعلوا! آلــة التفريق دينكم فالدين عن وصمة التفريق معصوم

بغــداد وديعة الشبيبي

فما وجدهم يتجاوزون رتبة الآحاد عدا ، وتألم حين وجد قومه نائمين وقد نهضت الاقوام الاخرى فأودع الشعر ألمه وقال :

عددت داعيــة الاصلاح في وطني ... فما عدت رتبــة الآحــاد أرقامــي
أكلمــا رفعــت للحــق ألويــة ... كــرت لتخذلها رايــات أوهــام
العلــم علــم خرافــات وشعوذة ... والديــن ديــن منامات وأحــلام
موحــدون ولكــن عــز أنكم ... نتــم وقــد نهضت عباد أصنــام

ورأى الاتراك يملأون البلاد فسادا ، ويسيئون ادارة الشؤون العامة فيها ، ولا يكبحون جماح شهواتهم في سبيل الاستئثار بالحكم ، والتفــرد بالسلطان ، وبدافع من حرصه على الاخلاق مــن ان تضيع والفضائل مــن ان تستباح قــام يستنهض الهمم داعيا الى الاصلاح الخلقي اولا ممهدا به طريقا للنهضة الشاملة :

أفي هــذه الاخلاق للجنس نهضة ... وللبشــر الآتــين منـــه فــلاح
يريدون للدنيــا ضســادا وانهــم ... بجثمان هــذا الاجتمــاع جــراح
ألا همم يكبحن مــن شهواتهــم ... فينحط ميـــل أو يلــين جمــاح
وهل فاضل يرعى ــالفضيلة انهــا ... خيال سيفنى ، او حمــى سيبــاح

واذا دعا الى الاصلاح النفسي والخلقي فلأنه السبيل القويم المؤدي الــى الاصلاح العام فالارتفاع بالامة الى مستوى الامم الراقية الاخرى .. واذا كــان رقي الاخلاق سببا في رقي الامة فان في ضياعها ضياعا لها كذلك :

واذا أراد اللــه رقــدة امــة ... حتى تضيع أضاعهــا أخلاقهــا
ملك الضلال زمامها فاذا خبت ... أو امسكت سبب المعالــي عاقها
عجلت على البلوى فساقت نفسها ... للموت أو عجل البــلاء فساقها

ووجد في مطلع جهاده الوطني وطنه مظلوما مقيدا بأصفاد الذل والاستعباد، بعمه الفقر ، وينهب الطامعون خيراته السخية فعصف بقلبه الحزن وهتف :

يا مــاء دجلة عذبا فــي موارده ... لأنت في كبــد (الفلاح) يحموم

والمواضيع الادبية في صحف ومجلات عربية تتميز بالعمق وسعة الافق •

مـن آثـاره :

١ ـ الغزل في شعر كربلاء المعاصر ـ دراسة ادبية صدرت سنة ١٩٦٣ ، تتناول شعراء الغزل في المدينة دراسة وتحليل شعرهم •

٢ ـ عبير وزيتون ـ ديوان شعر صدر سنة ١٩٦٦ •

٣ ـ ارجوحة في عرس القمر ـ ديوان شعر صدر عام ١٩٧٢ •

٤ ـ في انتظار موسى بن ابي الغسان ـ ديوان شعر (مخطوط) •

نماذج من شعره :

حينما يكتب عدنان يصور أحاسيسه بدقة ويتناول الاشياء الصغيرة فيكسوها حلة قشيبة من الجمال منها حنينه الى لبنان وضبائه فيقول :

رفت رؤاك فجن نبع الوادي وهفا لدوحك كل طير شادي
لبنان يا روضا تبارك حسنه وزهت مفاتنه لدى الرواد
شهق الضياء على وسائد عرسه وسعى الربيع اليه بالابراد
لثم السحاب جبينه فتوردت وجناته خجلا من القصاد
شهد على شفة (العرائس) يجتنى جني السلاف بكل ثغر صاد
(فيروز) لاحت وهي عرس خميلة نشرت جدائلها بقلب الوادي
وشدت كأن يد الملائك وقعت الحانها ، فسكرت بالانشاد
(صنين) يومىء للنجوم فترتمي جذلا وتمرح في رواق النادي
لبست ثياب ظباء لبنان فمن تلقى تحار ، فأيهن تنادي ؟
ورمت ظبيات العرائش بيننا أمراسها فاصطدن طيب رقادي
منهن ناعسة العيون احبها رقدت جدائلها وطار فؤادي
استاف من فمها الرحيق وخصرها بيدي ويشهق ناهد لوسادي

أدباء كربلاء المعاصرون

عدنان غازي الغزالي

بقلم : سلمان هادي الطعمة

ظهرت حركة التجديد في الادب الكربلائي على يد نخبة من الادباء الشباب الذين بادروا باصدار مجموعات شعرية ذات الطابع الحديث ، كان لها اثر حاسم في رفع النتاج الثقافي الى ما تصبو اليه النفوس ، وما يحقق سموا واثراء للادب العربي الطالع . وكان بين هؤلاء الادباء المجددين الذين تصدروا الحركة الشعرية الاستاذ عدنان غازي الغزالي عضو اتحاد الادباء في العراق .

ولد الشاعر عدنان بن غازي بن خضير بن جاسم بن حسين الغزالي في سدة الهندية احدى ضواحي كربلاء بتاريخ ١ ــ ٧ ــ ١٩٣٧ م ودخل المدرسة الابتدائية وتخرج فيها ، فأكمل تحصيله الثانوي في كربلاء ، واستوطنها منذ سنة ١٩٥٢ م وحتى يومنا هذا . اكمل تحصيله العالي وتخرج بدرجة بكالوريوس في التربية وعلم النفس في جامعة المستنصرية ببغداد ، وما زال يمارس التعليم في كربلاء . ساهم ولفيف من الادباء الشباب في احياء بعض الندوات الادبية منها « ندوة الخميس » (١) فأبدى فيها نشاطا ملحوظا . وكتب في الصحافة ايضا حيث تولى ادارة تحرير مجلة (الرائد) التي كانت تصدرها نقابة المعلمين في المحافظة .

تفتحت اكمام قريحته بعد ان عرف المتنبي والبحتري والجواهري ونزار قباني والسياب والبياتي وغيرهم ، والتهم كتب الادب الكلاسيكية منها والمعاصرة، فكون له اسلوبا قائما بذاته يتميز بالبساطة والدقة والرمز التاريخي المنعكس على الواقع المعاصر ، يتجلى هذا في شعره بشكل مميز .

كتب في اللوتين العمودي والحر فأجاد فيهما ، وساهم بنشر بعض البحوث

---

١ ــ ندوة ادبية اسسها صاحب المقال في داره بكربلاء في ٢٦ ــ ٧ ــ ١٩٦٧ ودامت عاما واحدا ، عقدت مجالس عديدة كان يرتادها لفيف من ادباء العراق ، وعقدت اواصر ادبية مع بعض الندوات كالابداع الادبي وعبقر وغيرها .

ومن نماذجه في الشعر الحر قصيدة « صوت » التي يقول فيها :

وها انــا طوينا الدرب
ونسنا في حزون الارض
نهــرا خمــر
ومجمرة شتائيه
وقنديل من الملكوت مسجيا
ينام على جدائل وارف النخل
ويُسمخ ألف طهر مسه فامتد واتقدا
وكان الحب طفلا عندها
وتقــول الــناس
فصار الحب لا اقوى
وتضحك في عيونك الف شمس ما عرفناها
افديهــا
بملــح الارض
بدمع ابي الذي ابيضت مآقيه
بثوب الصبر مذ خلقت حواشيه
وقد رتقته جلــدا .

ومن وطنياته قصيدة يرفعها الى ياسر عرفات بعنوان « ميلاد بطل » :

مثلما يمرق ضوء الشمس من كوة كوخ
مــد في الافــق ذراعا
اسمرا مزق آلاف الغيوم

جمعت في شفتي المعاصي كلهـا ونصبت فـوق شفاهها اعـوادي



لبنـان عذرا مـا جفوت وانمـا قلبـي رهين فـي شعاب الوادي
مـا زلت اذكـر والمعاصر كلهـا فـي ثغـر ناهـدة وجيـد سعاد
مـن كـل كاعبة تخال جبينهـا قمـرا تألـق بالسنـاء الهـادي
من فيض كأسك كم رشفت وفي هـوى تلـك العيون يطيب لـي انشادي
ويلفنـي الشوق المجنـح كلمـا رقص النسيم ورق كأس النـادي

وفي قصيدة (الشال الاحمر) تتموسق الكلمات بلحن رائق وعذوبة متناهية وصور أخاذة ، فيقول :

الشعر علـى زندي يبـدر والشال الهفهـاف الاحمـر
والثغـر افديـه سكـر يسقيني الخمـر ولا أسكـر
والخال بخدك يـا قمـري ك (فتيت الند علـى مجمر)
حلمـا بالـدفء يمنينـي مـا اشهى مرفـأه الاخضـر
سنـوات سبـع ابحـر في عينيك وبـي شـوق اكثـر
وألملـم ليـلا اعبـده عـن نحـر يحسده المرمر
لتمـر سفينـة اشواقـي مـلأى بالمسك وبالعنبـر
ولتبحـر في الصدر العاري لـذرى النهدين ومـا صور
وحبيبـي اغنيـة سكـرى تستاف لمـى الثغـر الكوثر
وأغار برغم مكانـك فـي قلبي ـ من نفسي يـا سكر
يا فجرا نـور لـي دنيـا كـم ارق لـي طرفا يسهـر
مـا احلـى فجرك يغرقني بالطيب وبالشـال الاحمـر

خمس كلمات

بقلم : نصرت توفيق خريش

ــ ١ ــ

باسم الثغر ،

منفرج الاسارير ،

قلبه ينشرح سرورا ،

هكذا رأيتـــه .

ولكنني لما اطلعت على دخيلة نفسه .

عرفت حقيقة قول الشاعر « يغرد الطير مذبوحا من الالم » .

ــ ٢ ــ

في الهـــدوء :

راحة البال ، وانصراف الانسان الى التفكير والتعمق والتحليل .

الهدوء مصدر الجرأة .

وبالهدوء يدرس الاقدام على عمل يتطلب شجاعة .

ــ ٣ ــ

الكمال الانساني ، هدف ينشده المرء ، ليمتلك قلبه وتصفو حياته .

وكثيرا ما يشوه الانتقام والثأر هذا الكمال ، باضطراب الخواطـــر وسوء النيـــات .

يبرق قامتـــه الشماء
تنشك علـــى خضر التلال
يلثـــم النجم خطاها
جدول ينساب لو غنى
وان ثـــار دوي (العاصفة)
وربيع يملأ الارض عطاء
مذ احب البيدر الغافي بأحضان الحقول
وارتوى من خمرة الليمون في القدس القديمة
طاف في كل شرايين المدينة
حقده مليون ثائر
يزرع الحب بأحداق الصغار
وبآلاف الخناجـــر
انه الارض عطاء وبشائر

تلك هي بعض الصور الشعرية التي لا تغني عـــن مطالعة الدواوين التـــي اصدرها الشاعر ، فقد كتب في فلسطين والعمـــل الفدائـــي والقضايـــا الانسانية المعاصرة قصائد كثيرة ، وكذلك كتب في اغراض الشعر الاخرى •

ويمتاز شعر عدنان بكثرة الرموز التاريخية والاساطير التي يعكسها عـــلى الواقع العربي المعاش ، وبذا تميز بطابع الجودة والابداع •

كربـــلاء ـ العراق سلمان هادي آل طعمة

جبل عامل في عهد الجزار

لمحة من حياة الجزار

بقلم : الشيخ علي الزين

— ٢ —

المعارك بين جزين وجباع سنة ١١٩٨ هـ

يقول الخوري حنانيا المنير « وفي سنة ١٧٨٤م تحرك احمد باشا الجزار ضد الأمير يوسف شهاب وبعث فطلب منه السلاح الموجود في البلاد ، فراجعه الامير المذكور ودفع له ثلاثماية كيس لاخذ خاطره فلم يرض بل حرج على ارسال السلاح ، فالامير يوسف وحكام البلاد انكروا هذا الطلب ولم يرضوا به واستعدوا للحرب مع الوزير ، فوجه لهم عسكر ، وجمع الامير يوسف عسكر ايضا وتلاقوا في اراضي جباع فوق مدينة صيدا واشتبك الحرب وبدأ القواص والطعن والضرب وانتخت المناصب وتشددت الحكام واتفقوا على رأي واحد ونادوا يا لبني مدرز ، يا لغيرة العرض والحريم ، وتصلبوا في القتال فكسروا عسكر الوزير وقتلوا منه ماية نفر فولوا الادبار وولجوا الحصار » (١) .

ثم يقول « وكذلك المتاولة اذ بلغهم ان الدروز عمدوا على حرب الجزار وانهم جمعوا عسكرا واتفقوا على ذلك ، فهم ايضا نبهوا على بعضهم واجتمعوا من كل فج وغسيق ؟ وذكروا ما اصابهم من عظيم الضيق وقالوا اليوم أخذ الثأر وكشف العار وتوجهوا الى قلعة تبنين واحاطوا بها وفتحوها وقتلوا المتسلم الذي كان بها من قبل الجزار وقتلوا معه مقدار مايتين نفر ، وقتل منهم احد مشايخهم وأناس قلايل » (٢) .

★ ★ ★

الهوامش والتعليقات

١ ــ لاحظ ما يرويه الخوري حنانيا المنير ص ٣٩٤ من تاريخ الجزار طبعة بيروت باشراف وتحقيق الاب انطنيوس شبلي اللبناني ، والاب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، ثم لاحظ ما يرويه المعلم

فلو رجع الانسان الى نفسه ، يسأل لها الصفح لايقن ان مضايقة الاعـداء تصقلـه •

ـ ٤ ـ

عصرنا تحيط به ظروف عصيبة •

اجواؤها محمومة ، تتطلب معالجات نزيهة صريحة •

الثقافة تتدهور احيانا ، والاخلاق نسف الى الحضيض •

السياسات تتكالب على موائد الطمع •

فما أحوجنا الى رجال يحاربون بمبدأ سام •

ـ ٥ ـ

للنظام ، اهمية كبرى •

يجب ان نحافظ عليه ، محافظتنا على الحياة •

فبالانظمة تستقيم الامم ، وتصقل اخلاقها •

ان حافظنا على النظام ، نكون قد حافظنا على وقتنا الثمين ؛ وابعدناه عـن الصـدأ !•••

ـ ٦ ـ

تدارك العيب ، يكون بتهذيب روح الشبيبة عـلى مستوى عـال ، وواسع النطاق ، يشمل محبة الواحد للاخر ، واحترام الانسان اخـاه الانسان ، وحب الوطن •

بذلك يشعر الشاب بواجبه ، كي يساهم برفع معنويات أمته وبلاده •

عين ابـل نصرت خريش

وتلذدوا هناك خفية فقدر الله ان الجزار حكم الشام ايضا فهربوا الى العراق ونزل اولاد ناصيف على حمد الحمود كبير خزاعة » وفي ذلك الوقت صار حرب بين خزاعة وتامر الحمود شيخ عرب المنتفج • وظهر من اولاد ناصيف كل شجاعة واقدام وخلص الشيخ علي الزين احد اهالي شحور الى الهند وصار وزير لاحد ملوكها ونال عنده رتبة •• وحين ملك الانكليز عاد الى بلاده (١) •



الهوامش والتعليقات

يلاحظ الباحثون ان في عبارة المؤرخ السبيتي هنا شيئا من التهافت والاضطراب بين قوله « وكان المدبر الشيخ علي الزين صاحب شحور » ، وبين قوله بعد ذلك « وخلص الشيخ علي الزين احد اهالي شحور الى الهند » فانه بعد ان قال ان الشيخ علي الزين هو المدبر لاجتماع المتاولة في شحور ، وهو المنظم لثورتهم على الجزار ، لا يحسن به ان يقول بعد ذلك وخلص الشيخ علي الزين احد اهالي شحور الى الهند ، فان المدبر لشؤون القوم والمنظم لحركاتهم ضد حاكم الولاية لا يمكن ان يكون نكرة بينهم يحتاج الى ان يعرف باسم قريته ، ثم اذا كان الشيخ علي الزين هو صاحب شحور اي مالكها او حاكم مقاطعتها ـ فان مالك القرية او حاكم مقاطعتها لا يقال عنه فلان (احد اهالي القرية الفلانية) و لايصح ان يعرف باسم قريته ايضا بل ان قريته هي التي تعرف به •

واذن فان مثل هذا التعبير والترتيب لا يصح منه الا اذا كان هناك من اهالي جبل عامل الساكنين بغير شحور شخص آخر يحمل مثل هذا الاسم (الشيخ علي الزين) ومثل هذه المصادفة قد تحصل في كل عصر وفي كل قطر وفي كل عشيرة •

اما اذا اريد بهذه الجملة (من اهالي شحور) المقحمة بغير مكانها من

---

١ ـ لاحظ ص ٢٢ ـ ٢٣ من العرفان م ٥ نقلا عن مخطوطة ناصيف باشا الاسعد والحاج محمد سهيل ، ثم لاحظ ص ١٦٣ ـ ١٦٥ من جبل عامل في التاريخ للعلامة الفقيه ، ثم ص ١٧٤ من تاريخ جبل عامل للاستاذ محمد جابر •

طنوس الشدياق عن هذه الواقعة ايضا « انه لما ارسل الامير اسماعيل والامير سيد احمـد الشهابيان للجزار يتعهدان له بثلاث مائة الف قرش اذا هو اسند اليهما حكم البلاد ، ابقى الجزار رسلهما عنـده في عكا وارسل للامير يوسف يخبره ويخيره ؟! ولكن الشدياق لم يصرح بالشيء الذي خيره بـه الجزار بل قال ان مشايخ البلاد ابوا ان يقبلوا بالدفيعة ، ثم لم يذكر شيئا عن نوعية الدفيعة اهـي السلاح او المال ؟؟ بل قال واستعد الامير يوسف والمشايخ للحرب » .

لاحظ اخبار الاعيان ج١ ص ٦٤ من طبعة بيروت لسنة ١٩٥٤ .

ثم لاحظ ما يورده الامير حيدر احمد نفسه في تاريخه الكبير عن هذه الوقائع بين جباع وجزيـن من « ان الامير يوسف تهيأ للحرب والتمرد على الجزار وعساكره بمجرد ان عرف ان خاله الامير اسماعيل واخيه الامير سيد احمد قد ذهبا لعند الجزار ، وان الجزار مال اليهما » يعني ان الامير تهيأ للحـرب بدون ان يلح عليه الجزار بطلب شيء من المال والسلاح ؟؟

(لاحظ ص ١٣٦ ج١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين طبعة بيروت سنة ١٩٣٣)

فليت شعري اي الاقوال اصح واقرب للواقع الذي ننشده ، فالخوري حنانيا يعلل سبب الحرب بان الجزار طلب من الامير يوسف السلاح الموجود في البلاد فامتنعوا جميعا عـن تقديمه واستعـدوا للحرب ، والمعلم طنوس الشدياق يقول بان الجزار اخبر الامير يوسف بما كان من خاله الامير اسماعيل واخيه الامير سيد احمد ، وخيره بين ان يدفع الدفيعة او يقبل من خاله واخيه ما تعهدا به ؟

والامير حيدر احمد شهاب يقول بان الامير يوسف قد تهيأ للحرب بمجرد ان علم بان خاله واخـاه قد ذهبا الى عند الجزار اي تهيأ بدون ان يطلب منه الجزار شيئا ؟؟

٢ ـ ثم لاحظ ـ في النص الثاني ـ ان الخوري حنانيا لم يذكر اين اجتمع المتاولة ، ومن الذي دبر هذا الاجتماع ، ومن الذي قاد المتاولة الى قلعة تبنين ، ولا ذكر كيف كان رد الفعـل مـن عسكـر الجزار بعد ذلك؟! ثم انه لم يفرق بين المعركة التي قتل بها المتسلم في قلعة تبنين ، وبين المعركة التي جرت بعدها في ضواحي شحور . وقتل بها العدد الغفير من المتاولة ثم أسر من اسر مع الشيخ حمـزة المحمد الذي قتل في صيدا بعد فكاك الاسرى ، ثم فرار بقية الاعيان ، بينما يصرح الشيخ علي سبيتي بكل ذلك ويفرق بين المعركتين في الزمان والمكان وفي اثرهما على اهل البلاد كما يبدو من صريح عبارته حيث يقول :

المعارك بين تبنين وشحور كمـا يرويها السبيتي

« وفي سنة سبعة وتسعين جمعوا وحشدوا وكان المدبر الشيخ علـي الزين صاحب شحور ، فرأسوا حمزة من بيت علي الصغير ونهضوا الـى تبنين فقتلوا المتسلم وهرب الكاتب من بيت الايوب واخذ الدفاتر الى صيدا الـى الجزار فارسل عسكرا الى شحور فقتل مقتلة عظيمة واخـذ الاسرى فصلب حمـزة بالخازوق وفكوا الاسرى ، فهربت بيت الزين مـع اولاد ناصيف الـى الشام

الجزار وقوة جيشه ، ثم ليس لهم من جيرانهم الفلسطينيين من يعضدهم ويجيرهم كما كانت الحال في ايام الشيخ ظاهر العمر ، ولا في حكام لبنان من يطمئن اليه في الشدائد ، وقد اصبحوا ينكل الاخ منهم باخيه تقربا من الجزار او حرصا على نفوذهم الشخصي .

واذا صح ان الشيخ علي الزين قد ساير الميول الثورية التي حدت بالمنكوبين من ابناء المشايخ الى استغلال هذا الاجتماع الذي انعقد في شحور ، فذلك لانه أصبح ــ على ما يبدو من القرائن ــ امام امر واقع بعد ان نزل عليه ابناء ناصيف وبقية المتحمسين من (الطواح) وكلفوه بالدعوة الى اجتماع العامليين واستثارة حميتهم للثورة والهجوم على متسلم الجزار في تنين .. او لانه كان يخشى ــ اذا عارض نزعتهم لحرب وتلكأ عما يعتبرونه واجبا ــ ان يتهم بالجبن او بالخيانة لابناء قومه ولابناء ناصيف الذين اطمأنوا للظروف والعوامل التي اثارت الامير يوسف على الجزار ، واعتدوا بمساعدة الامير لهم وبمواعيده الخلابة .

ثم ان اندفاع المتاولة للقيام بما قاموا به يومئذ من مغامرات وحروب دامية قد تضاربت الاقوال في البحث عن عوامله وملابساته وفي الحديث عن اسبابه المباشرة ، فالمعلم طنوس الشدياق يذهب الى ان الامير يوسف ــ عندما وقعت الحرب بينه وبين الجزار ــ هو الذي استدعى متاولة جبل عامل من عكار وامدهم بالسلاح ودفعهم للغارة على بلاد الجزار (١) .

والامير حيدر احمد شهاب يذهب في تاريخه العام الى انهم لما سمعوا بثورة الامير يوسف وبتمرده على الجازر ــ حضروا الى الامير ــ وهو يعتد للقتال ويجمع ما عنده من الرجال ــ فتلقاهم بالبشاشة وامدهم بالخيل والسلاح فشنوا الغارة على بلاد الجزار وقتلوا متسلمه وسلبوا ونهبوا (٢) يعني انهم حضروا بحافز من انفسهم بدون ان يستدعيهم الامير يوسف لذلك ، وهذا اقرب لرواية العامليين ولرواية الخوري حنانيا المنير الذي يصرح بان المتاولة قد ثاروا وصمموا

---

١ ــ لاحظ ص ٦٤ ج٢ من اخبار الاعيان طبعة بيروت سنة ١٩٥٤ .

٢ ــ لاحظ ص ١٣٧ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ج١ طبع بيروت سنة ١٩٣٣ ، وص ٨٤٤ من نزهة الزمان ج٢ من طبعة سنة ١٩٠٠ .

الكلام ـ هو مجرد التحقير او الاستخفاف بالشيخ علي هذا ، فان في ذلك ضرب من البله والغفلة لانه بعد القول عنه « بانه صاحب شحور وبانه المدبر لاجتماع المتاولة ولحشودهم في الثورة على عمال الجزار في البلاد » لا يسوغ للمتكلم ان يتجاهل اسمه ومكانته وشهرته ثم يعرفه باسم قريته كما يعرف النكرات من الناس وخصوصا بعد ان عرف ان الشيخ علي الزين هذا ، قد فر مع اولاد الشيخ ناصيف النصار الى الشام ثم الى العراق ثم خلص الى الهند •

لذلك بانه لم يفر يومئذ الى خارج جبل عامل الا اعيان البلاد كأبناء ناصيف النصار وكالشيخ قبلان الحسن واخوته ، والا علماؤهــا الاعــلام كالشيخ محمد الحر والشيخ ابراهيم يحي والسيد صالح الموسوي ، اما الاشخاص العاديين فلم يكن فرارهم يتجاوز الغابات والادغال العاملية حيث يتسنى لهم ان يعودوا الــى اعمالهم وبيوتهم عندما يخف الضغط وتهدأ الامور ، لانهم ليسوا من المسؤولين ولا المعروفين لدى الدولة باسمائهم او بتأثيرهم السياسي والاجتماعي •

لهذا نستبعد ان تكون تلك الجملة المقحمة مــن كــلام اديب كبير كالشيخ علي مروة او الشيخ علي سبيتي ، بل يخيل الي انها مدسوسة في الكلام من قبل بعض النساخ تطفلا وفضولا او جهلا بالاصول البيانية ؟؟



ثم ان الباحث حين يمعن النظر في مجــرى الحوادث يستغرب ان يكــون الشيخ علي الزين صاحب شحور هو الذي دبر او فكــر في اجتماع العامليين او تنظيم الثورة على عمال الجزار وقتل المتسلم في قلعة تبنين ، وخصوصا بعــد ان رأى وشاهد كيف كان مصير ناصيف النصار وكيف تفرق العامليــون وتلاشت قواهم الحربية ؛ ثم كيف سيطر الجزار بقوة علــى البــلاد العاملية واللبنانية والفلسطينية ، ذلك بان الشيخ علي الزين هذا كان ـ كما عرف عنه مــن معمري جبل عامل ـ مدبرا للشيخ ناصيف النصار ومستشارا له ، وكان الى ذلك معروفا بحدة الذكاء واصالة الرأي وبعد النظر ، فلا يعقل من رجل هكذا وصفه وهكذا تجاربه ان يصوب الثورة على دولة الجزار وعلى جيشه المسيطر وهو يعلــم ان ليس لدى العامليين من القوى الحربية يومئذ ما يمكنهم من الصمود امام قــوة

الحجر المعهود فقلبه ووضعه على رسن الحصان فرأى المال تحت الحجر فاخـذه ومشى فسمع طير حجل يقاقي على رجمة فقوسه فقتله فخرق في الحجارة فجعل الدولاني ينقب الرجمة على الديك الحجل فوجد مـالا عظيما مدفونا في الرجمة ، ومثل هذا كثير : فهذا باب السعد والطالع ؟ »



لاحظ ص ٧٥ من العرفان م ٢٩ ، ثم لاحظ كيف يمضي الركيني الابن في سرد القصص التافهة بعدما روى الحادثة مشوشة مبتورة مما يدعو القارىء الـى الشك بصحة ما يرويه وبمدى انسجامه مـع تسلسل الحوادث وتناسق الظروف والملابسات الواقعية ؟

ثم لاحظ بعد انه لم يكن لدى الدولة يومئذ مخابرات سلكية او لاسلكية، ولا طائرات او سيارات للنقل السريع ، وان وصول اخبار الواقعة من تبنين الـى عكا او صيدا كان يحتاج الى مدة يومين وان تحضير العساكـر وارسالها مـن صيدا او عكا الى شحور كان بحاجة الى مثل هذه المدة على اقـل تقدير ، واذن فكيف نتصور ان قتل متسلم تبنين كان في اليوم الثاني عشر من شهر رجب وان مباغتة عساكر الجزار من عكا لقرية شحور كان في اليـوم الثالث عشر بـدون فاصل كما تنبئنا رواية الركيني الابن • ثم لا نعرف ان احدا من المؤرخين صرح باسم من قتلوا من اعيان المتاولة في معركة شحور ، وانما ذكر الفاضل السبيتي، ان الشيخ حمزة المحمد قد اسر مع العديد من المتاولة وفك الاسرى فـي صيدا وقتل الشيخ حمزة بالخازوق (١) •



ثم لاحظ ان الهارب من القتل والسلب الذي لا يعلم الى اين سينتهي بـه المطاف قد يتهاون بكل شيء ينقله الا بالمال الذي يسعفه فـي شدتـه وغربته • فكيف يعقل ان يتهاون به او يتثاقل من حمله ليضعه تحت اي حجر صادفه عـلى

١ ـ لاحظ ص ٤٠ من مشهد العيان مخائيل مشاقة : حيث يقول ان طرق الاعدام في ايام الجزار كانت متنوعة واغلبها على الخازوق : فكانوا يجلسون المجرم على الخازوق جلوسا عاديا ، او يلقونـه على بطنه او جنبه وتدخل حربة الخازوق في جسمه من جانب وتخرج من الجانب الاخر .

على القتال بدون ان يتصلوا بالامير يوسف او يستعينوا به ثم ادنى الى الواقع من رواية الشدياق ومن يقول بقوله من المؤرخين العامليين •

ثم لا ندري بعد اذا كان انطلاقهم الى تلك الغارات عفوا وارتجالا او بمشورة الشيخ علي الزين وبتخطيط منه ؟ كما يقول السبيتي ومشايعوه على هذا القول ؟؟



الحوادث كما يرويها الركيني الابن

اما الركيني الابن الذي حاول ان يتمم ما بدأه والده في يومياته ، فانه يروي حوادث شحور وتبنين بصور مضطربة تشككنا بمستوى معلوماته وكفاءته وتنفي كل علاقة للحوادث العاملية بالامير يوسف شهاب او بالشيخ علي الزين صاحب شحور او باي حافز سوى العواطف الهوجاء ، بل قد يرويها لمجرد التسلية (والتخريف) اذ يقول بعد سرد الكثير من القصص الخرافية :

« وفي يوم الاثنين يوم الثاني عشر من رجب صارت قتلة المتسلم في تبنين مع الشيخ حمزة بن محمد النصار ، وثاني يوم الثلاثاء يوم ، الثالث عشر صارت وقعة في شحور بين الدولة والشيخ حمزة المذكور ، وكان الغلب للدولة وقتل الشيخ حمزة وقتل معه قدر من المتاولة قرب مائتي رجل ، وقالت الزيادة زيادة ونقل ما لم يصح ليس فيه افادة ، ونهبوا اهل البلد نهبة عظيمة واخذوا الدولة السلب ورؤوس القتلى الى صيدا ، ويوم وقعة شحور شردت الناس في البراري والاوعار والجبال والاقفار وكل امرء في عقله محتار وصار الناس من الدولة يهربون وفي كل واد يهيمون •

ومن جملة سعد الدولة وحظهم في الدنيا لانهم من اهلها لان رجلا خبأ دراهما تحت حجر وهرب فمن التقادير الربانية وصروف الدهر العجيبة الغريبة ان بعض الدولة طالبا الرجل الذي خبأ ماله تحت الحجر المذكور من غير علم الدولاني ولا رآه ولا نظره يصل الى محاذات الحجر المدفون المال تحته وتنقطع احدى ركابات حصانه فنزل حتى يصلحها فلم ير شيئا يربط الحصان فيه الا

ثم حيث يقول « ولما اصبحت بلاد بشارة والشقيف تابعة لولاية الجزار مقيدة بأوامره وارادته استحضر اليه ابراهيم مشاقة جد جامع حوادث هذا الكتاب ، ووكل اليه ادارة الحكم على تلك المقاطعة مع معاون له من المسلمين ؟ وكان ابراهيم على جانب عظيم من الذكاء » .

فتوجه مشاقة الى ولايته وجعل مركزه قلعة مارون ، وقد احسن الادارة وعامل الرعية بالقسط والعدل ونال ثقة الاهالي فضلا عن ثقة الجزار ؟

(لاحظ ص ٣٩ من مشهد الاعيان)

★ ★ ★

ثم حيث يقول « ولما كانت المتاولة أهالي بلاد بشارة والشقيف خاضعة للجزار خضوع المغلوب لبثت تترقب الفرص لارجاع استقلالها واعادة الحكم لرجالها فتفرد منهم عصابة وقر رأيهم على الغدر بالجزار وقتله وقتل ابراهيم مشاقة وطرد جنود الجزار من بلادهم » .

وفي ثاني الايام دخلوا على ابراهيم مشاقة (متسلم الجزار) وطلبوا مواجهته وبينما كان يخاطبهم بلطفه المعهود وثب عليه أحدهم مشهرا بيده خنجرا يريد زرعه في صدره ولو لم يرم رجل ــ من رجاله ــ بنفسه امام سيده ويتلقى الطعنة بصدره لكان قضى على ابراهيم مشاقة .

وعند ذلك هجمت رجال مشاقة على العصابة وبددت قواهم وفتكت ببعضهم وكان ابراهيم شجاعا فابلى بهم بلاء حسنا .

★ ★ ★

واقعة شحور كما يصورها مشاقة

وبعد هذه الحادثة بلغ مسامع ابراهيم مشاقة عن ثقة ان المنهزمين سوف يعيدون عليه الكرة بعدد اوفر ، ولما لم يكن لديه حامية كافية طلب مجانبتهم فجمع حاميته وقام بها الى عكا حيث قص على الجزار ما حدث له وكيف ان جماعة لا يقل عددها عن الالف (هاجمتهم) ولما لم يظفروا بوطرهم نهبوا ما

جانب الطريق او ضمن اي رجمة من الحجارة بعدما اخرجه من بيته ليستعين بـه على الشدائد ، لتطمئن قلوبنا الى ما يحدثنا به الركيني الابن من اساطير ؟؟



معارك المتاولة مع الجزار كما يرويها مخائيل مشاقة

فلما تجد بين مؤرخي لبنان السالفين مؤرخا كالدكتور مخائيل مشاقة ــ في كتابه مشهد العيان ــ يعلل الحوادث ويرتب الفصول ويوضح الاغراض والنتائج بصورة توهم القراء بصحة ما يرويه وصواب ما يفرضه من احكام ، ولكن نزعته التبشيرية ومبالغته في التحيز وعدم احتياطه للواقع التاريخي فيما يرويـه ويقصه قد ورطه في كثير من الاخطاء والمتناقضات وجعلتنا تتخبط فيما نقرأ مـن اقواله ونحذر مما يرويه ويرسله ارسال المسلمات ، وحسبنا شاهدا على صحة ما نزعمه ان نتلوا عليك بعض ما جاء في كتابه من اقوال ومزاعم وذلك حيث يقول :

« وبعد ان تمكن الجزار من اخضاع البلاد التـي كانت تتولاها مشايـخ الزيادنة صفد ونواحيها اضرم الفتنة بـين الامير يوسف الشهابـي وبين مشايخ صعب حكام بلاد بشارة والشقيف ، وقصد من ذلـك اضعاف الفريقين ليستولي على بلادهم غنيمة باردة ؟

فأصبحت الحرب سجالا بين الفريقين وطال أمد اشتعالها حتى أسفرت عـن انتصار اللبنانيين ؟ وفشل مشايخ آل صعب وعجزهم عن حفظ استقلالهم ؟؟



وحيث يقول « ولما رأى الجزار فشل آل صعب ؟ انتهـز الفرصة لاعمـال سيفه في رقابهم ، فخرج عليهم بعسكره المؤلف من الاكراد والاتراك واعمل فيهم السيف واستباح اعراضهم ونهب اموالهم بعد ان قتل عميدهم ناصيف الضاهر؟؟ وبدد رجاله وتضعضعت بقية المشايخ وفروا من امامه لا يلوون على شيء .

لاحظ ٣٨ ــ ٣٩ من كتابه مشهد العيان .



وواقعة صيدا والحارة سنة ١١٨٦ هـ (١) .

٣ ـ ثم ان آل صعب لم يكونوا حكاما لبلاد بشارة وانما كانوا طيلة عهدهم في الحكم الاقطاعي حكاما لبلاد الشقيف ومقاطعتها ، ولعل ظـن المؤلف بانهم ينتسبون الى اصل كردي مثل أصله ؟ هو الذي حمله على ان يجعلهم حكام بلاد بشارة وجميع المتاولة ؟؟

٤ ـ ثم ان الجزار في بداية حكمه كان مسالما لمشايخ المتاولة وكان المشايخ منسجمين معه منذ ان حكم البلاد سنة ١١٩٠ هـ الى ان كانت واقعة يارون سنـة ١١٩٥ هـ كما قد اثبتناه فيما مضى من ابحاث .

٥ ـ ثم ان عميد المتاولة يومئـذ كان اسمـه ناصيف النصار ، لا ناصيف الضاهر ، وهو من آل علي الصغير لا من آل صعب كما توهم المؤلف في عبارته :

٦ ـ ثم ان الجزار حين شرد مشايخ المتاولة عن مقاطعاتهم قـد وضع لكل مقاطعة متسلما وكان متسلم بلاد بشارة اسمه ابراهيم اغا الكردي ـ علـى مـا اظن ـ وكان مسلما ولم يكن نصرانيا في عقيدته ولا يونانيا في هويتـه كابراهيم مشاقة على ما يذهب اليه المؤلف مخائيل مشاقة ص ٥ من كتابه فكيف نوفق اذن بين ابراهيم آغا المسلم الكردي وابراهيم مشاقة المسيحي اليونانـي اذا صح ان ابراهيم مشاقة كان يونانيا وكان متسلما من قبل الجزار على بلاد بشارة ؟؟

٧ ـ ثم ان متسلم الجزار في بلاد بشارة كان يسكن قلعـة تبنين لا قلعـة مارون كما يزعم المؤرخ مخائيل مشاقة فكيف تؤلف بين زعمه هـذا وبين مزاعم جميع المؤرخين وقطعهم في القول بان متسلم بلاد بشارة يوم قتلـه المتاولة كـان يسكن قلعة تبنين لا قلعة مارون ؟

٨ ـ ثم كيف يستطيع ان يكون الحاكم والمتسلم في ظـل ولايـة الجزار عادلا او كيف يحرز ثقة الاهالي وثقة الجزار معا ؟ مـع التناقض بين الاجراءات والاحكام التي ترضي الجزار وترضي الاهالي ليكـون المتسلم ابراهيم مشاقـة

١ ـ لاحظ ص ٥١٩ ـ ٥٩١ من كتاب للبحث عن تاريخنا في لبنان للكاتب تجد تفاصيل الحوادث وملابساتها واسبابها .

وجدوه في بيته ، وطلب من الجزار ان يعفيه من الوظيفة ؟

ولما لم يكن ما سمعه الجزار من ابراهيم مشاقة بالامر السهل عليه فقام وقعد له وبالحال امر بتجهيز عسكر لاخضاع العصابات ولم يقبل طلب مشاقة من حيث اعفاؤه من الوظيفة بل طلب منه ان يعود الى تلك البلاد مع الحملة .

وقامت الجنود ومعها قام ابراهيم مشاقة الى ولايته ليفتك بالعصابات ويرغمهم الى المسالمة وقد التقت الجنود بالعصابات على حدود البلاد الهائجة ودارت رحى الحرب بينهم ، وبعد قتال شديد انجلت المعركة عن ثلثمائة قتيل من المتاولة ؟ وعدد وافر من الاسرى وانهزامهم ، اما الاسرى فسيقوا الى عكا حيث جرى اعدامهم على الخازوق في حال وصولهم ، وظلت الجنود تطاردهم وتتوغل في النهب والسلب الى ان اخلد المتاولة الى السكينة ودفع غرامة الحرب ، ثم نشر الجزار امره بينهم ، وهو ان كل من اشتبه به او سطا على ابناء السبيل واخل براحة البلاد وسكانها قصاصه الخازوق :

لاحظ ص ٤١ ـ ٤٢ من كتاب مشهد العيان



مـا يلاحظـه الباحثـون

١ ـ كل من يقرأ تاريخ لبنان بين سنة ١١٨٣ و١١٨٦ هـ يدرك ان الفتن والحروب التي وقعت بين مشايخ المتاولة والامير يوسف شهاب كان وقوعها قبل ان يصبح الجزار واليا على عكا وصيدا وقبل ان يقتل الشيخ ظاهر العمر وتخضع بلاد الزيادنة لحكم الجزار فكيف يسوغ ان تنسب اليه الفتن بين المتاولة وبين الامير يوسف في هذه الفترة ؟؟

٢ ـ ثم ان الحروب التي وقعت بين المتاولة وبين اللبنانيين في عهد الامير يوسف شهاب لم يفشل فيها مشايخ المتاولة ولا آل صعب منهم ، وانما فشل فيها اللبنانيون واميرهم الشهابي ومن كان وراءه من بشوات الدولة العثمانية كما يتضح للقاريء من مطالعة اخبار واقعة كفرمان والنبطية سنة ١١٨٥ هـ

هذه الرواية التي اوحت بها العنعنات العائلية بدون أي حساب لمنطق الحوادث ، ذلك بان المتاولة بعد مقتل الشيخ ناصيف وانخذالهم وتشتت شملهم لم يبق باستطاعة اي زعيم منهم ان يجمع لدى الازمات اكثر من الف مقاتل ، ثم من المعلوم لدى جميع المؤرخين انه لم يقع في شحور وضواحيها يومئذ معركتان بل معركة واحدة ، وان معركة تبنين وقتل متسلم الجزار فيها كانت السبب المباشر لمعركة شحور واذن فقتل المتسلم في واقعة تبنين كان قبل معركة شحور لا بعدها، ثم ان المتاولة في كلا المعركتين كانوا بقيادة الشيخ حمزة المحمد لا الشيخ علي الزين ، ثم ان الشيخ علي قد فر بعد معركة شحور مع اولاد الشيخ ناصيف النصار الى الشام ثم الى العراق على ما يرويه الفاضل السبيتي او كما يروى عن الكتاب الذي تصفحه العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين ثم ان رجال آل الصغير لم يفنوا جميعا في عهد الجزار ، وان الذين سكنوا منهم في مشغرة قد سكنوا مع رجالهم فيها الى ان غدر بهم الامير يوسف شهاب سنة ١١٩٩ هـ وقبض على رجالهم وارسلهم بأمر الجزار الى عكا حيث شنقوا هناك (٢) .

١ ـ لاحظ ص ٢٤٦ من العرفان م ٤١ ج٣ .

٢ ـ لاحظ ص ٨٤٨ ج٢ من نزهة الزمان طبع مصر ، ثم ص ١٤١ ج١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين حيث يقول الامير حيدر « ولما اراد الجزار الخروج الى الحاج ارسل الى الامير يوسف ان يقبض على المشايخ المتاولة الذين كانوا نازلين في قرية مشغرة فارسل قبض على سبعة عشر منهم وارسلهم الى عكا الى سليم باشا فامر بشنقهم ولامت الناس الامير يوسف على ذلك لانهم كانوا قد نزلوا في بلاده واستأمنوا به ، فلم يحفظ الجوار ويرعى الزمام » .

عادلا في ظل ولاية الجزار وحكمه وموثوقا به من الاهالي ؟

٩ ـ ثم انه من الشائع لدى جميع مؤرخي هذه الفترة من حكم الجزار ان المتاولة يوم هاجموا متسلم الجزار قد هاجموه في قلعة تبنين ، وقتلوه مع جل رجاله بحيث لم ينج منهم سوى كاتبه من آل الايوب الذي فر بالاوراق الى عند الجزار .

ثم ان المعركة التي حصلت بعد هذه الواقعة في قلب البلاد وفي ضواحي قرية شحور لا على حدود البلاد كما يذهب مزيفوا تاريخ مشاقة ، ثم انهم قد اطلقوا جميع الاسرى في صيدا ولم يعدموا منهم يومئذ على الخازوق سوى الشيخ حمزة المحمد قائد حملة المتاولة على قلعة تبنين ، وكان اعدامه في صيدا لا في عكا على ما يرويه الفاضل السبيتي ص ٢٣ من العرفان م ٥ .



من عنعنات آل الزين

يروى عن احد المعمرين من آل الزين وهو الشيخ خليل بن الحاج يحيي الزين « ان احمد باشا الجزار ارسل لشحور عسكرا مؤلفا من اثني عشر الف مقاتل ، وجمع الشيخ علي الزين اربعة آلاف وتصادم الفريقان ، وكانت مقتلة عظيمه من الفريقين انتهت بانهزام الشيخ علي وعسكره ، وهذه الموقعة حصلت بين شحور وصريفا ولم تزل الى الآن تسمى تلك الارض (سدر القتلى او صدر القتلى) وكرت بقايا عسكر الجزار على شحور فنهبتها واحرقتها واختفى الشيخ علي الى ان جمع عامل الجزار في تبنين اموال البلاد وهيأها بالصناديق فانقض عليه الشيخ علي ومن معه فقتلوه واخذوا المال » ؟

وفيما يروى عن بعض المعمرين ان الاموال التي اخذت من عامل الجزار في تبنين حملت على ثلاثة بغال ، وان الجزار افنى الرجال من عائلة الصغير ، فجمع الشيخ علي النساء والاطفال ووضعهم في قرية مشغرة مع ما يلزمهم ووضع عليهم مؤتمنا من ثقاته ليقوم باودهم وسلمه مئة وخمسين ألف غرش » .

لاحظ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ من العرفان ج٣ م ٤١ ، ثم لاحظ مدى اضطراب

«شيطـان وملاك»

اذا سموت فنفسي والاله معا ... وان هبطت فلي عيش وشيطاني
شخصان لي واحد في الخلد منبسط ... غدا وفي النار يصلى شخصي الثاني

★ ★ ★

«اخـف»

شيب وامراض ، ويأتي الشعر ... لم يدر، «كيف الطبع» «كيف النشر»
اخشى عليه بعد موتي يتما ... شعري سواء واليتيم الدر
أخاف تعييني له وصيا ... برغم ان الاوصياء كثر
أخشى الوصي يدعيه بعدي ... شعري تبر ، اين منه التبر
اودعته اثمن شيء عندي ... عاطفتي فيه وفيه الفكر
أخاف حرمان البرايا منه ... فمثل شعري في القريض نزر
قد أجمع النقاد في قريضي ... بأن ما قد قلت ، شعر بكر
لم أفتخر به فهذا وحي ... والوحي شيء ليس فيه فخر
شعري قد اوحاه ربي عفوا ... لله مني والبرايا الشكر
يا ليتني ما جاء شعري هذا ... وظل في الصدر له مقر
لكنه جاء بلا اختياري ... مالي أمر للاله الامر
حملني به الاله عبئا ... لان شعري فيه يهدى العصر
اذ لم أكن ابغي بشعري اجرا ... ان رضاء الحق عندي الاجر
اردت للاصلاح حمل سيف ... فعاقني السقم ، فسيفي الشعر

★ ★ ★

ا - منتخب الصافي من شعر الصافي

شعر: أحمد الصافي النجفي

«القــوة الكامنــة»

ان عنــدي قــوة كامنــة · انــا لا ادري متــى تنفجــر
خاطهــا حصن ضنــى يمسكهــا · وتصاريــف الــدنــا والــقدر
واحــد مــن مئــة كــل الــذي · لاح والبــاقــي بهــا مستتــر
كــل اعمالــي وآيــاتــي الــتي · قــد رأيتــم ، مــن جحيم شرر
ان عنــدي قــوة مــن ذرة · ذرة لــم يكتشفهــا البشر

★ ★ ★

«الصيت المتعب»

تركت لصيتي ان يطــوف عوالمــا · واخفيت شخصي حيث لا يعرفونني
فشخصني مرتــاح ، وصيتي متعب · فهم يزعجون اسمي، ولا يزعجونني

★ ★ ★

«ضفــاف المــوت»

وصلت الــى ضفاف المــوت سقما · وضعفا كــاد يطفيء لــي الذبالــة
وعــدت كانمــا ربــي شفاتــي · وارجعنــي لتكميــل الرسالــة

★ ★ ★

«الالــه المعبــود»

مــا لغير الالــه يحلــو السجود · او جمــال ، بــه هــو المعبــود

قالوا لقد جاء مـن تفكير ناظمـه فقلت هـل جاء قـرآن بتفكـير
وكيف ، سبع سنين ما نطقت بهـا شعرا ومـا كـان تفكيري بمأسور
وكيف ، من بعدها الشلال فاجأني شـلال در تمنتـه طـلى الحـور

★ ★ ★

« التجديد والتقليد »

بتجديد أفكاري تـولعت ، ناقـلا لقراء شعري من نـفيس لانـفس
وأبقيت لي شكلي وزيي فلم أسل أكيف يكون الشكل ام كيفاكتسي
وعفت لكم تجديد شكـل وملبس وعيشا لفكر ، مـن جمود بمحبس
ولـو انني جاريتكم عشت متعبـا واتعبت حلاقي ، وخياط ملبسي !؟

★ ★ ★

« بـين القـرود »

برمت مـن التقليد مـا بين معشر يسمـون تقليـدا لهـم بجديـد
ومن لـم يقلـد بين رهط مقلـد يعش عيس انسان بجمـع قـرود

★ ★ ★

« شعر المسبحة »

ولـو نطقت حبات مسبحتي بمـا أحملها مـن بث همـي واكداري
ان نظمت من « سبحتي » كل حبة قصيدة شعر لـي توهـج بالـنار
قصائد تكـوي السامعين بنارهـا فيلمس كـل اذنـه غـير مختـار

★ ★ ★

« القرآن والشعر »

هداني الـى الـقرآن شعري فائقا سمعت كلاما يدهش الانس والجانا
واذ كنت في الاشعار اعظم شاعـر لذا كنت بالـقرآن اعظـم ايمانـا
كتاب لـدى الـفذ الاديب مقدس وليس يعـي تقديسه كل مـن كانا



« لا شيء غـيره »

لا شيء غير الخالق المبـدع يقبس مـن انواره من يعـي
أبدعت أشعاري لكـم كلها لانـني اتصلـت بالمبـدع
أغيب عـن ذاتي فافنى بـه يسمعني اشياء لـم تسمـع
في كـل شيء خالـقي ظاهر من كل شيء هو يحكي معي



« الرأسمالـي »

غني عيش لـم أزل « ورأسمالـي » ادب
اديـن غـيري ادبـا بـلا ربـى ولا طلب



« الجـولان »

جلت في النفس والوجود جميعـا بقريـض يحـير السامعينـا
انـني أمـة مـن الشعر وحـدي أبتغـي أمـة مـن الدارسينـا



« الاغـراب »

اغربت في حـر اشعاري فهاج لـه معاشر حرموا مـن رؤية الـنور

«وديان» داخ فراح يضرب رأسه غيظا ، وثم يسب « العازارا »
المارد الجبار نكس وانحنى وغدوت أنت المارد الجبارا
نهضت بلادي تسترد شبابها وترافق التاريخ أيا سارا
ما زال صوت الثائرين يهزها حتى استحالت كلها ثوارا
سورية زحفت ، ومصر تقدمت تحدو ودولاب المعارك دارا
فمن المحيط الى الخليج ضراغم هدرت ، وشعب للكرامة ثارا
دوى نفير الله .. اقبل احمد ليحطم الاصنام والكفارا
وملوكنا، وضعوا الكتاب وأقسموا سيحررون الارض دارا دارا
ولقد وفوا بعهودهم، منحوا الوغى الارواح والابناء والدولارا
دفعوا بساحات العلى ثمن العلى لم يمسكوا ذهبا ولا اعمارا

★ ★ ★

وعلى ذرى الجولان قصف صواعق منها ظلام الليل صار نهارا
فدروع سيناء تصب قذائفا ومدافع الجولان تسكب نارا
« ولسام » صاروخ على راحاتنا لم ينطلق الا رمى طيارا
ان الحرائق والدمار جزاء من ملأوا البلاد حرائقا ودمارا
فالبغي مهما امتد صرح عناده لا بد ان يهوي وان ينهارا
ولقد يكون القتل خير مؤدب للمستبد اذا بغى او جارا
اليوم من سيناء يبدأ سيرنا وغدا لحيفا نكمل المشوارا
فهناك تذكار الاحبة عاتب ان الاحبة تحفظ التذكارا
وجحافل الاجيال قادمة لكي تحيي الرسوم وتبعث الاثارا

بيروت ابراهيم بري

يا عابراً فوق القنال

شعر: ابراهيم بري

اكسبت شعبك عـزة وفخـارا   وغسلت في دمك الزكي العارا
وسللت سيفك ، فالبرية كلهـا   وقفت تبـارك سيفك البتـارا
سيف رددت به الغزاة عن الحمى   وبه اخذت مـن العدو الـثارا
وبدا جدار الموت دونك شاهقا   فوطأته حـتى ارتمـى وانهارا
ووثبت كالاعصار تحمل طاقـة   فـي ساعديك تدمـر الاعصارا
وبلمحة سكر الوجود بخمرهـا   حررت ارضا ، وانتزعت ديـارا

★ ★ ★

يا عابرا فـوق الـقنال كأنـه   قـدر يسوق امامـه الاقـدارا
ارجعت للاوطان بسمـة ثغرهـا   وزمان مجد قـد مضى وتوارى
وتعجرف التيـار حين وطأتـه   فمضى حذاؤك يسحق الـتيارا
وعبرت.. كيف عبرت تلك بطولة   وقف الزمان امامهـا محتـارا
فالناس للنبـأ العظيم تعانقـوا   فرحا ، وساروا في الدروب سكارى
حتى الحجارة للبـلاغ تحركت   نشوى.. بلاغك رقص الاحجارا
فلقد رأت صلف العـدو محطما   وقـواه مدبـرة تـود فـرارا
وأخذت مذياعي ورحت اضمـه   وجثوت حـتى اسمع الاخبارا

★ ★ ★

نصر عـلى نصر كـأن عنايـة   للـه تدفـع جيشنـا المغـوارا
فخطوط « برليف » تزلزل ركنها   واستسلمت للجيش حين أغـارا
كانت على الاحرار تطلـق نارها   فاذا بهـا تستقبل الاحـرارا

١٣٧٩

الشيخ - من مذكرات الضيعة

شعر : ابراهيم حاوي

الا لنــه فعلــك يـا مشيب   وعهدك ذلـك العاتي الرهيب
حللت بساحتي ضيفا مسـلا   فحلت حيثـما انت الكروب
وجردت الشباب مــن المزايا   فعاد الواهن العاري السليب
فأنكره ذووا القربــى تباعـا   وندت عــن صداقته القلوب
واسلمه الصحاب الى المآسي   فلا الخل الوفي ولا الحبيب
ولاالترب الخلوص ولا المؤاسي   لــه في وده الصافــي نصيب
وللغيد الحسان وقــد بسسن   تفور عنــد رؤيتــه غضوب
اذا كاشفتهم ذنبــي اجابــوا   « اليك فقد تكاثرت الذنوب»
يراني الـقوم بينهـم عدوا   وانــي بينهــم رجــل غريب
فان اغشى مجالسهم افاضوا   بما يؤذي الكريم وما يعيب
فينكر ما افاضوا فيــه ذوق   واخلاق • وتنكــره القلوب
شباب مائــع لا خير فيـــه   فــتاة في مباذلهــا لعــوب
تباروا باللباس وطول شعــر   وازياء هــي العجب العجيب
فقلدهــا الشيــاب وقلدتــه   وشاع الـغنج وازداد المريب
وكان شعارها الشعر الجديب   وكان شعاره الشعر الخصيب



واطفال منيت بهــم وذنبــي   بما جنت الحياة علــي شيب

عبرتان

شعر : ابراهيم فرام منصور

على ضريح الوالدة

واكبداه ••• ما عرفت قبل رحيلها كمدا كالذي في كبدي

يا لوعة لن يزول لاعجها حتى تزول الحياة من جسدي

يا موت أمي لقد رحلت بها تعدو حثيثا فخانني جلدي

أي سناء أزلت من مقل ، أي حنو سلبت من ولد

والدتي : يا مثل كل نبيل وفضيل ، ووردة البلد

أي فؤاد ينوب عنك اذا عاكس دهري وفت في عضدي ؟

يا رحمة الباري ظللي جدثا يحوي بقايا من ذكرها الابدي

على ضريح الوالد

ودعوه ••• فان الترب مثواه ، ولو ان بعض القلوب مأواه

قلوب بنين وآل وقربى ، قلوب أهل سره ونجواه

هده الداء العضال وأعياه ، وكساه بشحوب وأضناه

قد ذوى غصنه وجف صوته ، وتلاشت رخامته وصداه

قد عاش قانعا وقضى صابرا ، مناديا مسيحه ومولاه

مالان للصعاب وظل يسعى مثابرا لدينه ودنياه

ودع العاجلة بعبرة سالت ••• أفصحت عما كابد وقاساه

عبرة عبرت : أنا رفيق الانسان من قمطه لحين منعاه

ودعوه ••• فان الترب مثواه ••• وعما قليل تحال رؤياه

ودعوه ••• فان القبر مأواه ••• بعيدا عن الاحباب وقرباه

بغداد　　　　يعقوب فرام منصور

ابواب العرفان

في العلم

ترجمها بتصرف
حافظ اديب الزين

١ ــ هل يؤثر الطعام الذي نأكله على عمل الدماغ ؟ حتى وقت قريب كان المعتقد بأن الدماغ يأخذ من الدم حاجته من الاكسجين والسكر وكل ما يحتاجه ، دون ان يتأثر ذلك بمقدار تركيز هذه المغذيات في مجرى الدم ، مما يعني ان العمليات الاستقلابية (١) اليومية في الدماغ لا تتأثر بالتغيرات في الدم الناتجة عن أكل وجبة او عن الصيام . سوء التغذية لمدة طويلة خاصة اذا كان احد المغذيات الضرورية ناقصا يؤثر بالطبع على عمل الدماغ خاصة في مراحل نموه . غير ان باحثان من مؤسسة ماساشوستس للتكنولوجيا وهما ج. فيرنستروم و ر. ورتمان اثبتا ان الدماغ يستجيب ايضا للتغيرات الغذائية القصيرة الامد وليس فقط للتغيرات التي تستمر زمنا طويلا .

في اختبارات متلاحقة على الفئران اظهر الباحثان ان السرعة التي تصنع فيها خلايا الدماغ الناقل العصبي « سيروتونين » (٢) من « التريبتوفان » (٣) (Tryptophane) يعتمد في النهاية على نسبة التريبتوفان الى خمسة احماض

---

١ ــ الاستقلاب (Metabolism) ــ تمثيل الطعام ــ : عملية تحليل الطعام الى المواد الكيميائية الاساسية المكونة له .

٢ ــ السيروتونين (Serotonin) : مادة ناقلة للاشارات العصبية تفرزها الاعصاب عند نهاياتها على الخلايا والانسجة فتنقل التاثيرات العصبية اليها .

٣ ــ التريبتوفان : حمض اميني اساسي لصنع السيروتونين في الخلايا العصبية .

رأوني اشمطا بشعا فهبوا يكيلون الاذى ولهم دبيب
فان عاكستهم جنوا وثاروا وقد غصت بجمعهم الدروب
فتغزوني جموع لست ادري امصدرها شمال ام جنوب
حياتي بينهم كر وفر حياتي بينهم ابدا حروب

★ ★ ★

وفوضى عبشة عاشرت يوما واحسب انني فيهم اديب
فكنت كنعجة طابت فؤادا يحيط بساحها نسر وذيب
اذا ابديت باسم العلم رأيا لهم : قالوا ، به شكك وريب
فتحسبهم ذوي علم وفهم وهم عيب اذا ذكرت عيوب
تعالوا عن مودتنا انتفاخا وظنوا بالصواب وقد أصيبوا
وراحوا يغرقون بكل شيىء من الشهوات طاب ولا يطيب
وقد ظنوا الغنى ربا غفورا لهم في كل منقصة يجيب
بلى ان الغنى رب غفور وليس لكل شيء يستجيب
فليس من اغتنوا وهم حمير لهم في العلم حظ او نصيب
ولا من زاول التهويش دوما يقال له كما يهوى اديب
وان المال يحرزه جهول عريق في المعاصي لا يتوب
ورب جماعة صادفت عفوا خليط : في منازعها ضروب
مغلفة قلوبهم غلاظ لهم ظفر المهارش والنيوب
فتحسبهم جميع وهم شتات وتحسبهم شهود وهم غيوب
شديد بأسهم فيهم وطير متى من خارج هبت هبوب
الهي لو تبدلني بقومي سوا ما كنت لي نعم المجيب

الجنوب ابراهيم حاوي

الادمان ينتشر من شخص الى آخر على الرغم من ان تحديد العامل المسبب أصعب بكثير من تحديد الميكروب ، كما ان سريان مرض الادمان يشابه انتشار الوباء ازدياد مفاجيء في الاصابات يتلوه انخفاض مفاجيء • كيف تم الوصول الى هذا الاستنتاج ؟

١ ـ وزعت استمارات اسئلة على المدخنين الذين قدموا للعلاج، ٢ ـ اجري فحص البول لاستبيان وجود المخدرات في مساجين منطقة كولومبيا ، ٣ ـ تم حصر عدد الوفيات في الشهر نتيجة لاستخدام الافيون او اخذ جرعات كبيرة منه ، ٤ ـ احصيت اخباريات الشرطة عن المدمنين الموقوفين والمخدرات المصادرة•

عدد المدمنين الجدد كان منخفضا نسبيا حتى عام ١٩٦٦ ثم ازداد بسرعة حتى وصل القمة عام ١٩٦٩ • اكثر من ٢٠٪ من ١٣٠٠٠ مدمن تحت العلاج ابلغوا انهم استعملوا الافيون للمرة الاولى عام ١٩٦٩ • مع حلول عام ١٩٧٢ عاد عدد المدمنين الجدد وانخفض الى المعدل الذي كان عليه في الخمسينات ، وهذا يؤيد الاستنتاجات القائلة بأن ادمان الهيرويين ينتشر من الاتصال المباشر بين شخص وآخر •

من ناحية ثانية فان انتشار الادمان (عدد الذين يتعاطون الهيرويين) لم يصل الى القمة سوى عام ١٩٧١ والانخفاض من ذلك الوقت كان واضحا • وقد عزا ديبون وغرين السيطرة على هذا « الوباء » الى اجراءين اتخذتهما الحكومة المحلية : انشاء مؤسسة جعلت علاج الادمان في متناول الجميع وتشدد أكثر في تطبيق القانون مما جعل خفض كمية الهيرويين في الاسواق • وهناك امكان البدء بحملة تستهدف تغيير نظرة المجتمع بالنسبة لتعاطي الافيون ، بحيث تبعث في المواطنين الشعور بأن مدمن الهيرويين ما هو الا طفيلي على المجتمع ويجب التخلص منه ، فلذا من الافضل عدم الوقوع في شركه ، وهذا ساعد على خلق تفور في نفوس المراهقين من استخدام الهيرويين وساعد بالتالي على استئصال هذا « الوباء » الخبيث •

امينية اخرى في الدم وهي (تايروسين ، فينيل آلانين ، لوسين ، آيزو لوسين وفالين) وهذه النسبة تعتمد بدورها على تكوين الطعام الذي تم تناوله حديثا .

في هذه الاختبارات اعطيت الفئران ترتبنوفان فقط ، فازداد تركيز التريبتوفان في الدام والدماغ مما زاد بالتالي تركيز السيروتونين في الدماغ خلال ساعة فقط . وعندما اعطيت الفئران وجبة بروتينية تحتوي التريبتوفان والاحماض الأمينية الخمسة فارتفع تركيز التريبتوفان في الدم ولكن دون اي تغيير في تركيز التريبتوفان والسيروتونين في الدماغ ، مما برهن ان العامل المقرر هو نسبة تركيز التريبتوفان في بروتين الطعام الى الاحماض الامينية الاخرى . عادة يكون تركيز التريبتوفان في بروتين الطعام اقل بكثير من الاحماض الامينية الاخرى ، غير ان تناول كمية كبيرة من النشويات التي لا تحتوي ابدا على التريبتوفان ، تسبب ارتفاعا في تركيز التريبتوفان والسيروتونين في الدماغ ، ويعزى ذلك الى ارتفاع تركيز الانسولين في الدم بعد تناول النشويات والانسولين بدوره يخفض تركيز الاحماض الامينية الاخرى وهذا يطلق حرية التريبتوفان في العمل .

معظم خلايا الدماغ المحتوية على السيروتونين تتجمع في منطقة من جذع الدماغ معروفة بتأثيرها على عمليات النوم وتناول الطعام والحركات الطوعية وعلى افرازات الغدة النخامية . يفترض الباحثان بأن الخلايا العصبية السيروتونية (٤) يمكنها ان تعمل في تحويل العمليات الاستقلابية السطحية الى اشارات عصبية . وهذا يوصلنا الى افتراض نوع من الدوامة الفيزيولوجية حيث يؤثر الطعام المتناول في عمليات الدماغ البيوكيميائية وهذه بدورها تؤثر على كمية الطعام المتناولة .

الاوبئة تؤثر في قسم كبير من السكان ، وهي تبدأ فجأة وتنتشر بسرعة ، واستمرارها يتعلق بالعوامل الطبيعية وبالاجراءات المتخذة للسيطرة عليها . كلمة وباء تطلق عادة على الامراض التي تسببها الميكروبات غير ان روبرت ديبون ومارك غرين استنتجا بأن خصائص الوباء متواحدة في ادمان الهيرويين .

من خلال دراستهما لسوء استعمال الادوية في منطقة كولومبيا ، وجدا ان

---

٤ ـ الخلايا السيروتونية : التي تستخدم السيروتونين كمادة ناقلة للاشارات العصبية .

وايطاليا اقتصاديا واجتماعيا ولا نريد ان نعطي اسبانيا ، مثلا ، ولكن استفادة اسبانيا من الظروف الدولية المؤاتية في الربع قرن الاخير ، جعلها رغم النظام الذي لا يمكن وصفه بالاشتراكي ، تتقدم صناعيا واقتصاديا واجتماعيا ، ويكاد يبلغ مستوى المعيشة فيها اعلى من دول كثيرة •

عناوين جديدة لعالم جديد

هذه الامثلة لا نوردها ، بالطبع ، لنستنتج بأن النظام افضل من الثورة او ان سيادة القانون افضل من ديناميكية التاريخ •

ولكن ثمة حقيقة لم يعد بامكان احد ان يتجاهلها ، وهي ان ما سماه ماركس ولينين بالظروف الموضوعية ، المؤهلة لتحريك الثورة ، لم تعد تنحصر في التحليل الاقتصادي الاجتماعي لاوضاع البلد الداخلية ، بل اصبحت تشمل في ما تشمل الظروف والاوضاع الدولية •

ان الاحزاب الثورية ، في اي بلد في العالم ، لا تستطيع ان ترسم خطوط استراتيجيتها ولا حتى ان تضع تكتيكا لها ، بدون ان تأخذ بعين الاعتبار موقف الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وطبيعة العلاقات التي تمران بها ـ وهي بدورها قابلة للتغيير السريع ـ •

كما ان اي تكتيك ثوري لا يأخذ بعين الاعتبار العلاقات القائمة بين النظام الذي تثور عليه وبين واشنطن وموسكو ، وانعكاس اتفاق العاصمتين الكبريين الاخير ، فأنه واقع ، حتما ، في الخطأ •

ان الاحزاب الشيوعية العربية في اجتماع عقدته ، في بيروت ، عشية حرب تشرين ، اصدرت بيانا تحلل فيه الاوضاع العربية ••• ولم يكن حبر البيان قد جف بعد ، عندما جاءت خطوة مصر وسوريا تدحض معظم ما جاء في البيان ••

وما ينطبق على واقع الدول العربية ينطبق على الواقع اللبناني الذي هو جزء منه رغم خصائصه •

ان جغرافية الثورة والنظام في لبنان ، لا تنطبق على تاريخ الحركات الثورية والوطنية ، لان الاجتهادات الوطنية ليست موحدة في لبنان ، رغم مرور ثلاثين

...ة ٣٠٠٠ عـ... م تد...
إختيار وتدر... مضيفات...



...يافة اللبنانية المشهورة التي ذاعت في آفاق العالم لم تبلغ هذا الشوط البعيد إلا بعد ... ٣٠٠٠ عام من المحافظة على التقاليد العريقة والتهذيب في العادات والأخلاق

...كن أول معاني هذه الضيافة الترحيب الحار الذي يلقاه المسافر على متن طائراتنا، ثم وجبات الطعام التي تقد... ...ه ساخنة حتى في الرحلات القصيرة المسافة. ويتجلى حسن هذه الضيافة في الأطباق الخزفية والأواني ...فضية التي يقدم فيها الطعام، وأيضاً في أنواع المشروبات التي تقدم مجاناً لركاب الدرجة الاولى. ومن معاني ...ذه الضيافة تهيئة الفرصة للمسافرين لشراء الهدايا على متن الطائرة معفاة من الرسوم (أكثر من ١٥٠ صنفاً معروضاً للبيع) ...ان ضيافتنا تعني قبل كل شيء توفير الراحة والعناية والخدمة الشخصية التي اشتهرت شركت... ...قدمها لركابها. لقد قضينا ... ٣٠٠٠ عام في اتقان هذه الخدمة.

للاستعلامات والحجز، راجعوا وكيلكم للسفر المعتمد لدى "اياتا" أو...

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية





الجودة على متن الطائرة

اهم الاخبار والآراء

في عالم الصحافة

ما يجب ان نسجله لوجه الله والحقيقة الناصعة التي لا غبار عليها ان نقابة الصحافة لم تعرف للان نقيبا محبا مخلصا ، مثل الزميل العزيز الاستاذ رياض طه، الذي ما قصر ولن يقصر في خدمة الصحافة بصورة عامه والنقابة بصورة خاصة ، ولكن الحظ الذي يخون اكثر الاحيان خيار الناس قد عاكسه كثيرا ، اذ ان البلاد تمر بظروف قاسية من ازمة الى ازمة فلا يتمكن الصادق الشريف من القيام بالخدمات التي يريدها ، فالمنافقون المشعوذون يضعون العصي في الدواليب ، ويتوفقون ، لان المقدرين في بلادنا بل في البلاد العربية كلها للعفة والنزاهة قلة ، بل يمكننا ان نقول انهم مفقودون • وحينما اراد قسم من الصحفيين في احد اجتماعات الهيئة العامة لاصحاب الصحف الدعوة الى اضراب وتمرد على الحكومة لانها لا تعطي الصحافة حقها هدأ النقيب الزملاء وطلب اليهم اتباع السياسة الايجابية بدلا من السلبية واعطاء الفرصة للحكومة لتتلافى الامر ، ولكن الحكومة خيبت مساعيه المتواصلة ، فاذا به يضطر للتصريح بان الحكومة لم تنصف الصحافة في قليل او كثير • فاين قانون الصحافة الجديد ؟ واين قانون تقاعد واسعاف الصحفيين واين واين •

ونحن الصحف الثقافية السياسية نشكو اكثر من غيرنا ، فاذا كان غيرنا له بعض الموارد من الاعلانات الرسمية ، فنحن لا نعطى من الموارد التي نستحقها ، بينما في جميع البلاد العربية المجلات الثقافية تصدرها الحكومات ، الا في لبنان فانها تصدر بمجهود فردي •

قضية فلسطين

انها قضية العرب جميعا ، ان الحق والعدل يقضي باعادة سكان فلسطين

سنة على استقلاله ، لان الازدهار الاقتصادي والتقدم الاجتماعي الذي تـم منذ الاستقلال له علاقة بالتطورات العربية والاقليمية اكثر مما يرتبط عضويا بنظـام الحكم .

لذلك ادركت الدول الكبرى ، قبلنا ، ان اليمين اللبناني يختلف عـن اي يمين اخر في العالم من حيث منطلقاته التاريخية وظروفـه الموضوعية ، كذلك ان اليسار في لبنان ، يستمد ديناميكيته من خارج الواقع اللبناني .

ولسنا نغالي اذا قلنا ان تداخل مفهوم الثورية بالنضال العربـي ، بواقـع طائفي معين ، ادى الى تداخل مفهوم الديمقراطية الشكلية بالنظام ، بواقع طائفي اخر . ومن الطبيعي ان يصعب تفجير اي صراع في ظروف موضوعيـة متشابكة كالتي هي قائمة في لبنان .

فكيف حين تكون صورة الثوريـة والديمقراطيـة ، واليمـين واليسار ، مهزوزة عربيا ؟ وكيف حين يكون الانقسام العالمي اصبح انقسامات، والمتصارعون فيه عقائديا اصبحوا حلفاء اقتصاديين ؟!

او لا يحق لنا ، بعد هذا كله ، ان نقول :

ان المعادلات الثلاث التي أمضى جيلنا ربع قرن وهـو يعيش ويموت فـي دوامتها ، قد سقطت او على الاقل قد وهنت ؟

وان آفاقا جديدة قد فتحت امام البشرية :

ليست عناوينها :

الشرق او الغرب

اليمين أو اليسار

الثورة او الديمقراطية .

بـل عناوينها :

البيئة والتلوث والطاقة .

لا شعوب غنية ولا شعوب فقيرة ، بعد اليوم .

لا ثورة ولا استغلال ، بل جوار

وتعاون ومشاركة .

باسم الجسر

على عقد المؤتمرات الفلسطينية والمؤتمرات الاسلامية وتشكيل اللجان التنفيذيـة وارسال الوفود الى الخارج •

نجح الحاج امين في اخراج قضية فلسطين من النطاق المحلي الضيق الـى نطاق العالمين العربي والاسلامي • ودعا عام ١٩٢١ الى عقد المؤتمر الاسلامي العام في القدس •

عام ١٩٢٩ ، عندما نشبت ثورة فلسطين ، قال امام لجنة التحقيق البريطانية ان اليهود حاولوا رشوته بنصف مليون استرليني •

عام ١٩٣٠ كان ضمن الوفد الفلسطيني الذي ذهب الـى لنـدن لمفاوضة الحكومة البريطانية حول قضية فلسطين ومطالب الشعب الفلسطيني •

عام ١٩٣٤ قامت الحرب بين اليمن والسعودية ، فرأس بصفته رئيس مؤتمر العالم الاسلامي وفدا مؤلفا من شخصيات عربية عدة لوقف القتال •

عام ١٩٣٦ اندلعت ثورة فلسطين الكبرى وانتخب الحـاج امين ، باجمـاع الاحزاب الفلسطينية ، رئيسا للجنة العربية العليا التي قادت الثـورة ستة اشهـر كاملة وضعت اللجنة البريطانية على اثرها تقريرها الخاص بتقسيـم فلسطين بين العرب واليهود • بيد ان الثورة تجددت عام ١٩٣٧ ، وحاولت السلطـة البريطانية القبض عليه ، فطوقت قوة كبيرة دار اللجنة العربية العليا في القدس ، الا انه لجأ الى المسجد الاقصى واعتصم فيه اربعة اشهر ، ثم خرج خفية من فلسطين وسافر في زورق الى لبنان •

عام ١٩٣٩ ، في مطلع الحرب العالمية الثانية ، ضغطت بريطانيا عـلى فرنسا لتسلمها الحاج امين ، فعلم هو بالامر وغادر لبنان الى بغداد واقـام في العـراق سنة ونصف سنة •

عام ١٩٤١ نشبت ثورة العراق ضد التدخل العسكري البريطانـي ، ولمـا اوشك البريطانيون ان يحتلوا البلاد ، لجأ مع قادة الثورة العراقيه الـى ايران • لكن القوات البريطانية والروسية بعد احتلالها لايران ظلت تلاحقه واعلنت عـن جائزة قيمتها ٢٠ الف استرليني لمن يرشدها اليه • فانتقل الى اوروبـا اذ رفضت

الاصليين الى بلادهم والتعويض عليهم ، ولذلك فان تمثيل الفلسطينيين ضروري، بقي ان يتفقوا على من يمثلهم وعلى مطاليبهم ، ان وفدا يمثل الفلسطينيين يجب ان يكون برئاسة سماحة المفتي المجاهد الاكبر الحاج امين الحسيني ، لما اتصف به من ذكاء واخلاص وحنكة وحكمة ، ولقد ابلى بلاء حسنا وجاهد جهاد مرا في سبيل القضية ، ونحن اعرف الناس به وبجهاده فقد تعاونا اثناء ثورة فلسطين سنة ١٩٣٦ ، كما تعاون معنا في جهادنا ضد الانتداب • والى القاريء ما كتبته احدى الزميلات عن سماحته :

« من يقول فلسطين يقول الحاج امين » • فالحاج امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ورئيس مؤتمر العالم الاسلامي ، من ابرز الوجوه الفلسطينية واقدمها في النضال والثورة •

ولد في القدس عام ١٨٩٧ حيث تلقى علومه الابتدائية والثانوية تم دخل الجامع الازهر في مصر • وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى التحق بالفرقة ٤٦ في ولاية ازمير واستمر يخدم في الجيش العثماني ضابطا حتى انتهت الحرب •

بعدها عاد الى فلسطين فأنشأ الجمعيات والنوادي العلمية والثقافية والسياسية وقاد الحركة الوطنية الفلسطينية من اجل مقاومة الانتداب البريطاني ووعد بلفور •

في نيسان ١٩٢٠ ، خلال احتفالات موسم النبي موسى ، اطلق الشرارة الاولى لثورة القدس • فتشكلت محكمة عسكرية بريطانية لمحاكمة المتهمين بالاشتراك فيها وصدر عليه حكم غيابي بالسجن عشر سنين مع الاشغال الشاقة • لكنه تمكن من الهرب الى سوريا حيث كان مجال العمل فيها من اجل القضية الفلسطينية واسعا •

عام ١٩٢١ الغي الحكم الصادر عليه في فسطين فاعد اليها وتسلم منصب الافتاء خلفا لشقيقه محمد كامل الحسيني •

عام ١٩٢٢ انتخب رئيسا للمجلس الشرعي الاسلامي الاعلى فأصلح ادارة الاوقاف والمحاكم الشرعية الاسلامية ونظم شؤونها وسعى الى صيانة اراضي فلسطين من التسرب الى ايدي اليهود • وقاد الحركة الوطنية الفلسطينية وعمل

في ذمة الله

حبيب حاج علي

● توفي في النبطية التاجر الوجيه حبيب حاج علي ، وكان لطيف المعشر صادق المعاملة ، وقد شيع الى مقره الاخير بمجالي التكريم كما اقيم له اسبوع حافل بالنادي الحسيني بالنبطية • تعازينا الحارة لنجله الصديق الاستاذ كاظم مدير الاذاعة اللبنانية ولجميع آل حاج علي الذين تربطنا بهم صداقة قديمة • كما نرجو للفقيد الرحمة الواسعة ولآله الصبر والسلوان •

السيد محمد حسن هاشم

● توفي في بيروت ونقل جثمانه الى صريفا السيد محمد حسن هاشم المؤمن المتدين المسالم الوادع الوفي المخلص الذي لو كان كثير من الناس مثله لما احتجنا الى قضاء وقضاة ، شيع الى مقره الاخير بالعبرات والحسرات كما اقيم له اسبوع حافل حاشد بالنادي الحسيني بصريفا ، وهو يستحق كل تكريم ، ان الخسارة بالسيد محمد جسيمة ولكن كلنا شركاء بالمصيبة والعزاء ، ولا شك ان مثله يكون في الآخرة مرتاحا مسرورا لان الجنة مأواه • تعازينا الحارة لوالده الاخ الصديق المفجوع السيد حسن هاشم ، الذي نشاركه بقلبنا وعواطفنا وشعورنا ، وكنا نتمنى مشاركته بالذات ، لولا ان مانعا عرض لنا في آخر ساعة • ولجميع العائلة ، عزاؤنا ان الفقيد سيد هاشمي اصيل يقدم على جده الرسول واجداده الائمة طاهر الذيل نظيف القلب واليد واللسان ، والقول والحق يقال في هذا الشاب الطيب الطاهر ذو سعة ، لما تحلى به من فضائل ومآثر • نرجو له الرحمة الواسعة ولوالده وجميع آله ومحبيه الصبر والسلوان •

تركيا قبوله لاجئا سياسيا وبقي فيهـــا طوال الحــرب حتـــى اعتقلته السلطات الفرنسية • ومرة اخرى نجح الحاج امين في مغادرة فرنسا سرا صيف ١٩٤٦ الى مصــر •

اواخر ١٩٤٧ انشأ « جيش الجهاد المقدس » بقيادة عبــد القادر الحسينـــي الذي دخل الحرب مع الجيوش العربية •

ومنذ نكبة ١٩٤٨ والحاج امين يتابع في الظل القضية الفلسطينية وتطوراتها بمثل الاهتمام الذي كان يتابعها يوم كان في موقع المسؤولية •

هلال ناجي ... الرئيس الجديد

من اخبار العراق ان الصديق الحبيب العالم البحاثة المحقق الاديب الشاعــر الاستاذ هلال ناجي انتخب رئيسا « لاتحاد الكتاب والمؤلفين العراقيين » الــذي يضم حوالي الستماية اديب بين كلاسيكي ومتجدد • والرئيس الجديد له جولات متنوعة في الميدان الادبي • فعدا عن انه كان دبلوماسيا ، فقــد جمــع حاليا بين المحاماة والادب • وقد تطرق الى ابواب النقد والبحث والتحقيق • وارخ لكبــار رجالات العرب الذين خدموا امتهم عن طريق الكلمة والجهاد والعلم والسياسة • وقد تعدت كتبه المنشورة الثلاثين كتابا • والامل معقود علــى هلال ناجي بــأن يزدهر « اتحاد الكتاب والمؤلفين العراقيين » ويتكوكب حوله كل حملة الاقلام في العراق ، وان يدعو الى لقاءات ادبية على مستوى عربي شامل تبحث فيها قضايــا فكرية من وحي الساعة •

العرفان : احسنتم الاختيار لمن جمع الادب من جميع نواحيه •

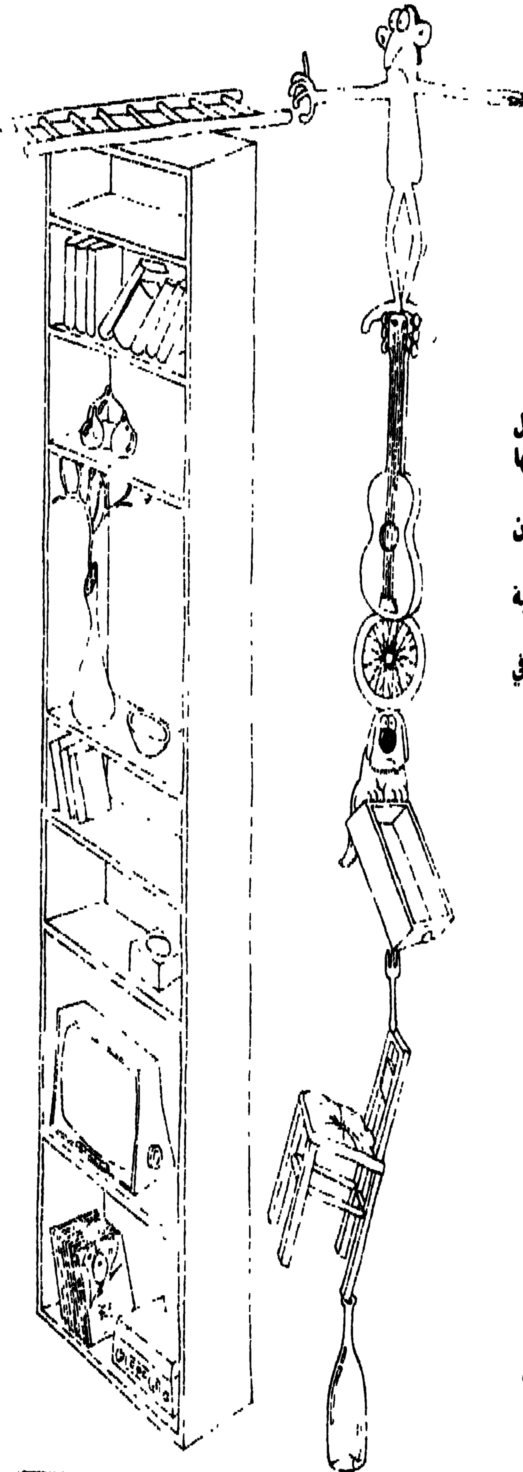
بالرفــاه والبنــين

في دمشق احتفل في بيت صهرنا العزيز الحاج مصطفى رضا النحاس بعقــد قران كريمته الملاك « رغداء النحاس » علـــى الشاب المثقف اللطيف الدكتــور غسان شاكر نجل الاخ السيد حمدي شاكر وذلك في حفل بهيج جمــع الاهــل والاصدقاء والمحبين ، تهانينا القلبية مع تمنياتنا الجميلة للعريسين اللطيفين ولدينا غسان ورغداء ، نرجو الله ان يمتعهما بالتوفيق والسعادة والحياة الرغيدة والرفاه والبنين •

الفهرس العام للعرفان

للمواضيع والاعلام لسنة ١٩٧٣ م ٦١

حرف الالف



سلامة الصعود

السلالم والمدرجات هي من الضروريات في كل منزل للوصول الى الرفوف العالية ولتعليق الستائر وانزالها ولغير ذلك من الحاجات العديدة .

يجب ان تكون السلالم قوية صحيحة التوازن ومتينة .

ولا يجوز ابدا استخدام الوسائل الاعتباطية للصعود كالكراسي والطاولات .

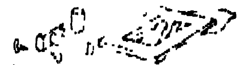
ان حوالي النصف من الحوادث العرضية المهينة في المنازل مسبب عن السقوط .

في سبيل حياة أطول وأسلم

اعلان في سبيل الخدمة العامة

صادر عن

شركة خط الانابيب عبر البلاد العربية



https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

حرف النون والهاء والواو واللام الف والياء

حرف الميم

مسرحيات، قصص

أبواب العرفان

في عالم الصحافة

شعر



الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

نحمدك اللهم ونشكرك ونؤمن بك ايمانا لا يتزعزع عن علم ومعرفة وعقل . ونسترحمك ان تتوب علينا وتغفر لنا آثامنا وذنوبنا ، وشرور جهالنا الذين غرر بهم الكبار والمجرمون وساقوهم من حيث لا يدرون ولا يدرون الى تحويل نعيمهم الى جحيم ، واخضرهم الى يابس ، وعمارهم الى خراب . وبقي اكثر اللبنانيين مدة سنة ونصف يحملون بيوتهم على ظهورهم ولم يزل قسم للآن ونحن منهم ينشدون قول الشاعر :

مشردون نفوا من عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

وتضررت « العرفان » كثيرا بهذه الحرب القذرة والنكبة النكباء والفتنة العمياء ، والمحنة القاسية ، وياما أمرها محنة لم يعرف تاريخ البشرية لها مثيلا .

فلم يبق لنا بيت ولا مكتب ولا ، ولا الخ ، ومع ذلك فنحن ننشد مع الشاعر اللبناني داود عمون قوله :

هجم الدهر علينا هجمة فلقيناه بالعزم الاكيد
بدد المال فلم نحفل به انما المال لنقص ومزيد
أننا من قوم صلاب عرفوا بمضاء العزم في الخطب الشديد
عركوا الدهر بشطريه فما غيرت منهم نحوس او سعود

والحكومة اللبنانية التي كانت يومذاك عدا ضفها لا تحكم وليست ذات سيادة ، هزيلة في تصرفاتها وجيشها وغير ذلك .

نأمل الآن ونتمنى بعد تسلم الرئيس الجديد الاستاذ الياس سركيس وتولي الحكومة الجديدة ان لا يبقى الوطن متجرا والسيادة امتيازا لفئات

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

نحمدك اللهم ونشكرك ونؤمن بك ايمانا لا يتزعزع عن علم ومعرفة وعقل . ونسترحمك ان تتوب علينا وتغفر لنا آثامنا وذنوبنا ، وشرور جهالنا الذين غرر بهم الكبار والمجرمون وساقوهم من حيث لا يدرون ولا يدرون الى تحويل نعيمهم الى جحيم ، واخضرهم الى يابس ، وعمارهم الى خراب . وبقي اكثر اللبنانيين مدة سنة ونصف يحملون بيوتهم على ظهورهم ولم يزل قسم للآن ونحن منهم ينشدون قول الشاعر :

مشردون نفوا من عقر دارهم   كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

وتضررت « العرفان » كثيرا بهذه الحرب القذرة والنكبة النكباء والفتنة العمياء ، والمحنة القاسية ، ويا ما أمرها محنة لم يعرف تاريخ البشرية لها مثيلا .

فلم يبق لنا بيت ولا مكتب ولا ، ولا الخ ، ومع ذلك فنحن ننشد مع الشاعر اللبناني داود عمون قوله :

هجم الدهر علينا هجمة   فلقيناه بالعزم الاكيد
بدد المال فلم نحفل به   انما المال لنقص ومزيد
أننا من قوم صلاب عرفوا   بمضاء العزم في الخطب الشديد
عركوا الدهر بشطريه فما   غيرت منهم نحوس او سعود

والحكومة اللبنانية التي كانت يومذاك عدا ضعفها لا تحكم وليست ذات سيادة ، هزيلة في تصرفاتها وجيشها وغير ذلك .

نأمل الان ونتمنى بعد تسلم الرئيس الجديد الاستاذ الياس سركيس وتولي الحكومة الجديدة ان لا يبقى الوطن متجرا والسيادة امتيازا لفئات

واشخاص وحالات وان لا يبقى الشعب بين نعاج وذئاب وخارجين على القانون .

كما تتمنى ان مثل الذين اضاعوا الدولة والخلافة ايام الامين حيث قال الشاعر :

أضاع الخلافة غش الوزير　　وفعل الامام ورأي المشير
وما ذاك الا طريقا غرور　　وشر المسالك طرق الغرور
فعال الخليفة اعجوبة　　وأعجب منه فعال الوزير

لا يبقى اهم خبز في هذا العهد .

ولولا هذه الظروف القاسية وهذه الازمة التي عصفت بلبنان وبالعرفان، فقد كان بودنا ان ننهض بالعرفان نهضة قوية ونضع جوائز لمن يضع احسن مؤلف عن قسم من العلماء والمجاهدين ممن جاهدوا في سبيل الدين والعلم والثقافة والادب والوطن ، فعسى ان يكشف الله هذه الغمة ، وتنفرج الازمة فيرى القاريء ما يسره وينفعه .

نزار الزين

* * *

سريع الحفظ

* جلس المتنبي يوما بسوق الوراقين فمر به دلال بيده دفتر فيه اكثر من عشرين ورقة ، فاستعرضه المتنبي حتى طال تأمله فيه . فقال له الدلال متضجرا : ان كنت تريد شراءه فعجل بالثمن ، وان كنت تريد ان تحفظ ما فيه فهذا لا يكون الا في اكثر من شهر . فقال المتنبي : ان كنت قد حفظته آخذه بغير ثمن ؟ فقال الدلال نعم . فشرع المتنبي يسرده عليه حتى اتمه ثم وضعه في كمه وانصرف به .

الاستقلال الاقتصادي

بقلم : مؤسس العرفان

يقول الكاتب الصحفي المشهور الاستاذ زهير ماروديني في كلمته عن مؤسس العرفان في كتابه « عشرة من الناس » الذي حواه العدد الثالث من العرفان اذار سنة ١٩٧٥ ما نصه :

« وعلى الجمهور العربي ان ينتظر نصف قرن او اكثر بعد الشيخ ليقرأ بالعربية ما كان ينشره الشيخ من افكار لو ترجمت الى جميع اللغات لما فقدت سحرها ! »

لقد صدق الاستاذ زهير ، فها هو مقال في السياسة والاقتصاد كتبه الشيخ سنة ١٩٢٧ في المجلد الرابع عشر من العرفان اي منذ خمسين سنة . فهل يرى القاريء في برامج الاحزاب التقدمية اليوم التي يفاخرون بها ويتمسكون بتنفيذها افضل من هذا البرنامج الذي يحويه هذا المقال ، الذي هو من اعداد الآنسة سلمى محي الدين وقد نقلته عن مجلد قديم وجدته عند والدها ، كما طلب منا الكثير من القراء اعادة نشر مقالات مؤسس العرفان كلما سنحت الفرصة .

ومع ذلك فقد اعترض علينا احدهم مدحنا والدنا كثيرا بنشرنا نفحة العرفان في كل عدد عنه . فالذي خدم « العرفان » خمسين سنة ، الا يحق له ان يحتل نصف صفحة في كل عدد منها ؟! قاتل الله الحسد .

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالناس اعداء له وخصوم

***

وهذا هو المقال :

الاستقلال كلمة محببة للنفوس ، خفيفة على الارواح ، لطيفة على السمع ، تدخل الآذان بلا استئذان ، وتحل حبات القلوب ولا يؤثر الاستعباد على الاستقلال والعبودية على الحرية الا كل سفيه جدير ان يحجر عليه ، ولا ينظر له بعين الاحترام فجزيرة العرب وما اليها من اقصاها الى اقصاها تحن لهذا الاستقلال وتصبو اليه ولسان كل عربي ينشد :

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي النقا اني اذا لسعيد

وقد قام منا فئة كبيرة ينشدون الاستقلال ويتطلبونه من مظانه ويسعون له سعيه ، سواء اكان ذلك في القلم او في السيف ولئن خابت جل المساعي اليوم فلعلها وعساها تثمر غداً :

وقل من جد في أمر يحاوله وحاول الصبر الا فاز بالظفر

بيد انا وجدنا بعد الاستقرار والتجاريب ان سعينا للاستقلال الاقتصادي افضل من سعينا للاستقلال السياسي الان لان الاخير بعيد التناول يحتاج لكثير من التضحية التي لم يقدم عليها الا الاقلون الذين لا مال لهم ولا نشب . على ان كل امرىء ميسر لما خلق له فليسع اولئك الافذاذ سعيهم ولتصرف باقي الامة جهودها في سبيل الاستقلال الاقتصادي الذي يرفه العيش ويوفر المال ، ويحسن الحال ، ويكون نواة صالحة لغيره والمستقبل كفيل بتحقيق الآمال وانجاح الاعمال .

ورب معترض يعترض ويقول واني لنا بالاستقلال الاقتصادي اذا لم ننل الجمركية المتواصلة التي ضاع معها كل اقتصاد واودت او كادت تودي بموارد البلاد ، فأجيب اني اعرف ذلك حق المعرفة واعرف ان الذين بيدهم السلطة من اجانب واقارب يمتصون دماء الشعب ويقضون على اقتصادياته قضاء مبرما وهل الاقتصاد الاوسط بين البخل والاسراف وهم قد اسرفوا واسرفوا كثيرا في الضرائب وبخلوا بل بخلوا كثيرا في الاصلاح فعملهم قضاء مبرم على الاقتصاد لكن كل ذلك لا يجعلنا نقع في هوة اليأس ولا نعد للامر عدته وها أنا ذاكر امام القاريء الكريم بعض الاقتراحات الموصلة للاستقلال الاقتصادي فان صادفت اذنا صاغية ونفسا واعية فهو القصد والا فما هي اول الصيحات التي ذهبت في واد ، وما أدراك ان تذهب غدا بالاوتاد ، وهاك الاقتراحات :

١ ـ ترويج البضائع والمنسوجات الوطنية والتعاهد والتضامن على الامتناع من مشترى سلعة اجنبية او طعام او شراب اجنبي يمكن الاستغناء عنه بمصنوعات الوطن ومحصولاته .

٢ ـ تنشيط ارباب الصنائع والحرف وتجديد الانوال التي كانت في بعض القرى بتأمين رأس مال لها وابتياع ما تصنعه بأسعار تعادل نظيرها من المصنوعات الاجنبية •

٣ ـ التذرع بالوسائل الممكنة لايجاد معامل للسكر بزرع الاراضي الواسعة من الشوندر وايجاد معمل للعطورات في الاكثار من زرع الورود والبنفسج والياسمين والعنبر وغيرها من الرياحين ذات الرائحة العطرة •

٤ ـ ايجاد بنك اهلي على نحو البنك المصري الاهلي يتقاضى ربحا معتدلا ويستغنى بواسطته عن البنك السوري اللبناني الذي يبتز اموال اهل البلاد ويتحكم بهم تحكيم السيد بالمسود وهو يأخذ في الظاهر في المائة ٩ ـ ١٢ ـ لكن في الحقيقة تبلغ مئته غالبا العشرين لما يجري من التصعيبات والتحكمات ومع ذلك فالمضطر لا مندوحة له عنه ويراه أسهل من غيره من المرابين الطماعين وجل تعنت هذه المؤسسة من بعض المديرين الجاهلين والمستفيدين النفعيين ولو تأمل اغنياء البلاد بعين البصيرة لسعوا للبنك الاهلي سعيه ليكون نواة طيبة للاستقلال الاقتصادي وليدر عليهم الارباح الطائلة ويخلصهم من مخالب ذاك البنك الاجنبي وتعنت مستخدميه

٥ ـ المدارس الوطنية وهي ان كانت أعم من موضوعنا فلها أتم التماس فيه وكيف لا تكون كذلك وقد أصبح تعليم ابنائنا في مدارس الاجانب حتما مقضيا فبدلا من ان تتسرب اموالنا لجيوب الاجنبي مع تسميمه لاولادنا ورجال مستقبلنا ومع عدم عنايته التامة بشؤونهم وطعامهم وراحتهم وهو مع ذلك يتقاضى منا الاجور الباهظة التي تثقل الكاهل فلماذا لا ينشيء اغنياؤنا المدارس الوطنية لا بقصد نشر العلم بل بقصد الربح والتجارة وأي تجارة رابحة خير من المدرسة وحبذا لو جربوا ليعرفوا صدق كلامنا لكن بشرط تجويد العمل وتسليم الادارة والتعليم للجنة امينة مستقيمة واذا لم يفعلوا فالذنب ذنبهم وماذا بعد الحق الا الضلال •

٦ ـ ايجاد مصرف عقاري زراعي لاعانة الفلاح وجلب الآلات الحديثة له وحثه على غرس الاشجار وتربية الماشية والطيور والا فبقاؤه على هذه

الحالة ليس من الاقتصاد في شيء •

٧ ـ تأليف لجنة من رجال ونساء لحث الناس على ترك الاسراف ولا سيما في الملابس التي تذهب هدرا وحملهم على ترك شرب المسكرات والتدخين واستعمال انواع المنبهات فان في تركها اقتصادين اقتصادا ماليا واقتصادا صحيا •

٨ ـ ايجاد صناديق للتوفير او الاقتصاد في كل بلدة يضع بها كل فرد خمسة بالمئة من مدخوله لتكون عونا له حال فقره وعجزه او تبقى ذخيرة لولده بعد موته او يعود نفعها على امته وبني جلدته •

٩ ـ تطبع النشرات التي تحث على الاقتصاد وتبين فوائده وتنشر في كل صقع وناد وتعطى كل رائح وغاد •

١٠ ـ تؤلف جمعية للاستقلال الاقتصادي ويكون مركزها دمشق او بيروت ويجعل لها فروع في كل مدينة وقصبة بل في كل بلد وقرية ومزرعة ويسهل الدخول بها لكل احد وتكون عاملة على بث روح الاقتصاد في البلاد والتذرع بالوسائل اللازمة لتنفيذ المواد المتقدمة ولا تدخل بها السياسة العالمية ولا السياسات المذهبية •

هذا ما رأينا ان نعرضه على الرأي العام ولعل الرصفاء الكرام أصحاب الصحف يعيرونه جانبا من التفاتهم ، ويولونه بعض ثقتهم ويفسحون له حقلا واحدا من صحفهم فأنه خيرا وابقى مما يطيلون به الجدال ، والقيل والقال ، من مباحثات النواب العقيمة واعمال الوزارة ، وحوادث السياسة المفؤودة ، وهم مما تصطك لهوله المسامع وتقشعر لفظاعته الابدان ، ولئن كنا نرى آثار النعمة واليسار ومتابعة البناء والعمار في بيروت مثلا فتلك موروثة او اموال جلب من بلاد المهجر ولولا الهجرة لوقعت البلاد في هوة من الافلاس لا تقوى على النجاة منها ومع كل ذلك فسوق الافلاس رائجة والحالة الاقتصادية في اغلب الاماكن تدعو لليأس والقنوط وتوجب علينا ان نعد لهذا الامر عدته فقد استفحل لعمر ابيك الداء وصعب على الناس تجرع الدواء لانه مر ، وكم من

مرارة اعقبتها حلاوة الغنى والثروة الطائلة ولو نظرنا الى بلاد الغرب لوجدناها سالكة سبيل الاقتصاد جادة في زيادة ثروتها وتكثير دخلها وما مثلنا ومثلهم الا مثل الساقية الصغيرة والنهر الكبير ، هم يجدون في انماء ثروتهم الطائلة ونحن نجد في تبديد ثروتنا القليلة الزائلة فهل نسعى للاستقلال الاقتصادي سعيهم ونعد له عدته ، ونبذل في سبيل تحقيقه ما عز وهان ام نبقى مستسلمين لحكم القدر اجراء للافرنج نكد ونجد ونسعى ونبذل عرق الجبين لتحصيل فلس او قرش سوري لنضعه في جيوب الاوروبيين ثمن خرقة قماش او كأس شراب او كيس تراب او ساعة خلاعة ورقاعة . طفح لعمرك الكيل ولم يعد في قوس الصبر منزع ولا في حسن الحال مطمع . فالى الاستقلال الاقتصادي أيتها الامة الاسيرة المستعبدة المغلوبة على امرها فقد كفاك تأخرا وتقهقرا فأصدعي بما يجب عليك لتكوني من الامم التي يكتب لها الحياة في صفحة العزة والعظمة وأباء الضيم .

اذا أنت لم تزرع وابصرت حاصدا
ندمت على التفريط في زمن البذل

احمد عارف الزين

حيلة ظريفة

❋ فكر احد الادباء في طريقة للتخلص من زيارات الثقلاء فكان يحتفظ بعمامته وعصاه بالقرب من باب مسكنه ، فاذا دق الباب اسرع ووضع عمامته على رأسه ، وامسك بعصاه ، ثم يفتح الباب فاذا ظهر ان الزائر غير مرغوب فيه قال : كم انا سيىء الحظ لانني خارج لمقابلة متفق على موعدها من قبل ، اما اذا كان الزائر محبوبا لديه فيقول : كم انا سعيد الحظ لقد عدت من الخارج الان .

بعد ١٩ شهراً من « المذبحة » :

هل ينطلق لبنان من نقطة الصفر ؟!

بقلم : زهير ماريني

ماذا يخبيء القدر للبنان الكيان ، ولبنان الحاضر ، لكـي لا نقول لبنان المستقبل ؟

ومع اننا نؤمن بالمثل الـذي يقول : اذا قامت القيامـة فسوف أغـرس شجرة .. !

ومع انه لا معنى للغرس ، ولا معنى للشجرة ، لانـه لن يستفيد منهـا احد ... فاننا لا نزال نصر على تفاؤلنا الطفولي المنطلق مـن غريزة العمـل و .... الامل ..! العمل حتى اخر رمق من الحياة ، والامل حتى لو لم يعـد هناك معنى للامل ..!

انها (غريزة) النحل الذي يمتص الرحيق مـن كـل زهرة ، ثم يفرزها عسلا لا يتذوقه بعد ذلك ... بل ان الانسان يجيء ويستولي عـلى هـذا العسل ... ولم يتعلم النحل في مئات الالوف من السنين ان يكف عن هـذا العمل المجنون ..!

ان الاجتماع الذي عقده المجلس النيابي في قصر منصور لمنـح حكومة الدكتور سليم الحص الثقة هو الشجرة التي علينـا ان نسقيها وزرعاها لكـي تنبت حبا وسنابل بعد ان قامت القيامة ، واتتصب الميزان ، وتحول لبنان الـى فوضى ... لا امن ، ولا من يشفقون ... بلد يحكمه القتلـة ، واللصوص ، وشريعة الغاب .

فما جرى في لبنان على مدى تسعة عشر شهرا ، ليس له مثيل في العالم ، سواء كان ذلك في التاريخ القديم ، او التاريخ الحديث ..! ان كل الاوصاف التي اطلقتها الصحافة العالمية عـلى احداث لبنان ، مـن حرب اهلية ، الـى اقتتال ، الى حرب قذره ، الى غير ذلك من التعبيرات ، لا يمكن ان تعبر عـن

النواقع ، لان ما جرى في هذا البلد الآمن، هو الجنون بعينه، بل هو الوحشية، والهمجية ، والبربرية ..!

ان الذين راهنوا على هدم الانسان في لبنان ليقيموا على الانقاض مجتمع الغابة ، قد نجحوا الى ابعد الحدود ... لقد عقد هؤلاء تحالف جهنمي مع الدم ، والخراب ، والبغض ...! لدرجة ان منظر الجثث التي كانت تلقى بالعشرات على الارصفة في المعرض والتباريز وامام سينما الريفولي و ... و ... منها المحترق ، ومنها المشوه تماما .. شيء لم يكن يلفت النظر كثيرا ... فمن وراء النوافذ كنا ننظر الى هذه الجثث ، فنجد اعدادها تزيد ساعة بعد ساعة ... منا من كان ينظر اليها في بلاهة .. ومنا من يضع يده على عينيه محاولا اخفاء هذا المشهد عن نظره ...

واذكر هنا حادثة عشتها بنفسي ... فامام مستشفى البربير ، وكنا ننقل عائلة من مبنى الامن العام الى المطار ، شاهدنا رجلا يطلق رصاص (الكلاشنكوف) بغزارة على المارة ، وكان يقود سيارتنا ضابط من امن الثورة الفلسطينية ، فسرعان ما اوقف موتور السيارة والقى بنفسه على المجنون مطلق النار ، ولكن المجنون افلت من يديه واندفع الى الامام مواصلا اطلاق النار ... واستطاع الضابط ان يلحقه ويقبض عليه بعد ان قتل اربعة شبان من المارة ... واقتاده الى مركز امن الثورة .. وهناك عرفنا ان المجنون عاد الى بيته فوجد ان شقيقته وابنه قد قتلا في البيت دون سابق انذار ، فحمل سلاحه واندفع يقتل الناس دون تمييز .. حين عدنا الى السيارة لنستأنف طريقنا وجدنا انفسنا في حالة اغماء ... وكان الجميع يتقيأون بما فيهم الضابط ...

ولكن ، هل ارتوى القتلة والسفاحون من كل هذه الدماء التي اغرقت شوارع بيروت والسهل والجبل ، ام انهم لم يرتووا حتى الان ...؟

من المؤكد ان الذي مارس القتل والقنص على مدى شهور السنة ما يزال متعطشا للدماء ، لهذا لا بد في عهد الرئيس سركيس من زرع شجرة التفاؤل والامل ... لعل وعسى ...!

لقد شاءت الظروف (كما قالت جريدة لوموند الفرنسية) ان تبدأ هذه الحرب يوم ١٣ نيسان من عام ١٩٧٥ ، ولم يكن هناك احد يتصور على الاطلاق في يوم ١٣ نيسان ان حادثة (باص) عين الرمانة مهما بلغت حدتها ـ حيث اسفرت عن مصرع ٢٧ فلسطينيا ولبناني واحد ـ ستقود لبنان بلا رحمة الى الحالة التي آلت اليها ! ...

ففي خلال ١٩ شهرا سقط اكثر من خمسين الف قتيل وثلاثة اضعافهم من الجرحى ، وبمقارنة هذه الارقام مع مجموع تعداد الشعب نجد ان نسبة الضحايا الى عدد السكان تبلغ واحد الى ٣٨ ، واذا اخذنا بعين الاعتبار ان ـ ٨٠٪ ـ من الضحايا سقطوا في بيروت وحدها ، وبالمقارنة الى عدد السكان الحاليين في العاصمة اللبنانية (عددهم ٦٠٠) الف نسمة ، بعد ان كانوا مليونا قبل اندلاع المعارك ، فان هذه النسبة المروعة والمذهلة ، تصل الى ضحية واحدة بين كل (١١) شخصا بما فيهم الاطفال والنساء والعجائز ...

ان هذه الحصيلة من الضحايا رافقها حصيلة افجع من الدمار ...

ذبح جماعي ... عائلات باكملها ذبحت كالنعاج .. وليت الامر انتهى عند الذبح ، بل شوهت الجثث بعد ذلك ...

بيوت تهدمت على اصحابها ... وما زالت قوات الردع تخرج الجثث من تحت الانقاض !

اطفال ابرياء ، اعمارهم لا تزيد عن السنة الواحدة ، اصبحوا لقطاء في الشوارع ... لا احد يدري ان كان اباؤهم وامهاتهم على قيد الحياة ام ماتوا ، بل لا احد يدري من هم هؤلاء الاطفال لانهم لا يستطيعون الكلام !

مدافع من عيار ـ ١٢٠ ـ و ـ ١٥٥ ـ ، وصواريخ من كل الانواع ، تطلق على الاحياء السكنية ، والمناطق ، تهدم وتقتل وتبيد ، دون رحمة او شفقة ...!

حصار تمويني يفرضه كل شارع على الاخر ... وكأن القنابل التي

اما القصور ومنها قصور الامراء في المصايف فلم تنج من الهدم والنهب.

قصر امير الكويت وصل اليه اللصوص ... لقد داهمه عشرون مسلحا ، وبدأوا في نقل محتوياته ... وعلمت قيادة الجيش بذلك فبعثت بثلاث مدرعات ، وحاصرت القصر والقت القبض على اللصوص ... وفي اليوم الثاني جاءت عناصر اخرى مسلحة ، وطوقت بيت الضابط الذي قاد الحملة وطلبت من سكان البيت ومنهم زوجته وابنه العمل على اطلاق سراح رفاقهم والا فانهم ينسفون المنزل بما فيه ومن فيه ، وفي هذه الاثناء مر مصادفة شقيق هذا الضابط ، وشاهد المسلحين الذين يحاصرون منزل شقيقه فأسره مستنجدا بالقيادة العسكرية ، فجاءت قوات من الجيش ، والقت القبض على هذه العناصر الذين اعترفوا في التحقيق انهم يشكلون عصابة مع زملائهم مهمتها السطو القتل والتخريب ، حتى تظل البلاد فريسة الخوف والفوضى ...

ومن يطالع الصحف الاجنبية خاصة يقرأ تفاصيل سرقة قصور امراء الخليج ، واخبار العصابات الدولية التي أمت لبنان لمشاركة المجرمين في عملية السلب والنهب والفتك بالابرياء ...

لقد اصدرت الغارديان البريطانية ملحقا خاصا عن القتلة والسفاحين ، تحدثت فيه عن هرب المجانين من (العصفورية) الذين راحوا يفرون من القنابل صارخين :

(اهربوا ... لقد وصل الينا المجانين) ..!

على هذا النحو قتل الوطن ، واجتمع المجلس النيابي في قصر العسيلي ومنح حكومة الدكتور سليم الحص ثقته وكان معنى هذا ان الحل العسكري قد فشل وان الحل السياسي هو البديل المتوفر ... ولكن ... هل استقامت الامور ، وقنع الجميع بان فوهة البندقية لا تحل المشاكل بل تعقدها وتزيدها اضطرابا ؟ الكل يرددون الآن :

هدأت ... ولم تهدأ ..!

ولاول مرة منذ ١٩ شهرا ينام الناس على الامل !!.

والذين لا يملكون السلاح ارفقوا املهم بالاكثار في الصلوات ... ذلك انه لم يحدث في التاريخ الحديث ان حصلت (مذبحة) كهذه المذبحة التي دخلت شهرها التاسع عشر ...

ان دخول السنة الثانية على هذه (المذبحة) يطـرح السؤال الكبير مـا الذي ستلده المذبحة ؟

هل هو لبنان جديد خارج من الدمار اكثر تماسكا من ذي قبل ؟

ان اعادة لبنان القديم يكاد يكون من المستحيلات ••• ولا بـد مـن الاتفاق على اي لبنان يريدون ؟

وقبل الاتفاق على هذا يظل شبح (المذبحة) مخيما فوق الرؤوس ••• خاصة بعد ان سقط الوطن •••

صحيح ان المجلس النيابي هـو الذي انتخب رئيس الجمهوريـة الا ان المسألة في هذا الاطار تبقى شكلية ، او اقـرب الـى الشكليات منهـا الـى الحقيقة •••

فقبل الانتخاب هناك الاختيار ••• وفـي الماضي القريب ، وبالتحديد حتى انتهاء ولاية فؤاد شهاب كانت القوى والجهات التي شاركت فـي اختيار رئيس الجمهورية هي حسب الاهمية والتأثير :

اميركا ، مصر ، البطريركية المارونية ، اصحاب المصارف ، اقطاب الطائفة الاسلامية ، الجيش •••

وبعد ذلك حدث تداخل في هذه القوى والجهات نتيجـة ابتعاد البعض لاسباب مختلفة ، وبروز مراكز قوى جديدة تملـك السلاح والنفوذ والدعم الدولي •••

منذ ايام والتكهنات تجزم بان هناك شبه اتفاق على حصر المعركة داخل الاطار اللبنانية ، وانه لولا هذا لما اجتمع المجلس وانتخب رئيسا للجمهورية •• ولكن ما هو موقف القوى الجديدة التي افرزتها (المذبحة) ؟

نلاحظ هنا ان القوى والجهات الجديدة التي يقع علـى عاتقها استمرار الهدوء لا تزال في مرحلة تفجير التناقضات ، ولكنها في النهاية ستجد القاسم المشترك بعد ان مل الحرب منها •

نقول هذا من باب الامل فقط ، ونحن نزرع الشجرة مـع بداية العـام الثالث للمذبحة ••• لقد سقط النظام وبقي اطاره ، وتلك معادلة جديدة فـي تاريخ لبنان ••• ظاهرة جديدة لم تحدث وقد ماتت في شعوب اخرى •

مات الشعر

.. وبقي عار «المذبحة» !

بقلم : زهير مارديني

اضرب هنا اخوك ... واطعن فذاك أبوك
الست قناص حي ... اقام فيه ذووك ؟
بني عمومتك الاقربون ... بل هم بنوك !
سلط عليهم رصاصاتك ... واسحق فهم اهلوك
ويرحم الله من ... اذ رحمت لم يرحموك

هذه الابيات من الشعر هي اخر كلمات الشاعر ... قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة !

فعلى دوي رصاص المذبحة في لبنان ... كان فم الشاعر يقذفها في كلمات ساخرة متتطمة مع الآهات والدموع والحرقة ..!

قائل هذه الابيات من الشعر هو الاديب العربي الذي اصدر قبل اكثر من نصف قرن (٦٠ عاما) جريدة (لسان العرب) ثم شارك في اصدار عدة صحف منها :

(المفيد ، الحياة ، الدفاع) ، واذا لم تخنّي الذاكرة فانه كان من المساهمين في تحرير جريدة (ام القرى) التي بشرت بالثورة العربية في عهد شريف مكة الملك حسين الكبير ..

قائل هذه الابيات كان من الشخصيات العربية اللامعة ، ومن افراد العصبة التي قادت النضال العربي منذ مطلع القرن الحالي ... ولانه كان كذلك حكم عليه بالاعدام مرتين من جانب فرنسا ، الاولى عام ١٩٢٠ بعد موقعة ميسلون ، والثانية عام ١٩٢٥ وقت انتفاضة الشعب العربي في سورية ضد الاحتلال ...

قائل هذه الابيات هو الاديب الذي اصدر ــ ٨ ــ دواوين شعرية ، وذلك غير ديوان (عبث الشباب) الذي اعده ثم احترق ، ففرح واستراح مما

قائل هذه الابيات من الشعر الحزين ••• الحزين ••• هو الشاب الذي ولد في دمشق مع ولادة البراكين المتفجرة في كل صقع من اصقاع العروبة •• ولد مع الثورات الآخذ بعضها باعناق بعض كأنما هي سلسلة محكمة الوضع لا تكاد تخبو في بلد عربي محتل حتى يندلع لهيب غيرها في بلد اخر ••• فمن ثورة في العراق ، الى ثورة في العشائر ، ومن ثورة في الريف الى ثورة في الشام ، وبين هذا القطر وذاك جمرات يسترها رماد ، وايد تمتد ولا بد لها من مس الزناد ••• والاجنبي يقلب وجوه الرأي فيعمد الى اساطيله ومدافعه وطياراته تارة ••• ويعمد على الاخذ بالترغيب والحيلة طورا ••• وما هو بالحالين ببالغ من نفوس هذه الشعوب غاية ••• اما الاجسام فالتسلط عليها بالنفي والاعدام والاحراق •••

بهذه الروح تسعر وقد الثورة في نفوس ابناء العروبة (الابلة في ذلك الوقت) ••• ومن هؤلاء شاعرنا الذي آمن مع طلائع ثوار العربية بمبدأ التخلص من الاجنبي الغاصب مهما بلغ الثمن ••• فخرج مع الخارجين حين اطلقت الرصاصة الاولى وهوى الشهيد الاول •••

هكذا تعرف شاعرنا على ثورة العرب الاولى ••• ورأى بام عينيه روح الضراوة والبغي والطماعية تغلي في مرجل سلطة الاجنبي المحتل ، وعاش باكورة شبابه تلك المرحلة من حياة عرب ما قبل البترول ، يوم هب الاجنبي في وجه الثورة يقتاد الجيوش ويقذف المدمرات ويأخذ المسالم بأسم المقاوم ، ويقتل الرضيع والامنة في خدرها انتقاما من الثائرين على الظلم واهله ••• فاذا المظالم تمتد امتدادها الفظيع في المدن والقرى ••• وتتناول رجالها ونساءها واطفالها وشيوخها بالقتل والتغريب والفتك والتعذيب •••

ورأى الشاعر المعارك في دنيا العرب بكل هولها ••• رأى المدن تتهدم ، وخيرة الرجال تقتل •• فانطلق يصف المعارك ويرثي الشهداء ، ويعتب على المتخاذلين ، ويلعن الظالمين ، ويستصرخ الهمم ••• فاذا بجيل عرب ما قبل البترول المتعلق بالحرية وشرفها ، والاستقلال وعزته ، والنضال وبراءته ••• اذا بهذا الجيل يتعلق بالشاعر وشعره فيحفظه في الصدور ، ويتدارسه

الناشئون في المدارس ، ويتناشده الفتيان في انديتهم ومحافلهم ، ويستشهد به الكتاب والادباء في مقالاتهم اللاهبة ...

وكان عرب ما قبل البترول يتكلمون لغة واحدة ، ويؤمنون بفكرة واحدة هي العروبة ، ويناضلون من اجل هدف واحد هو الحرية بمعناها ومبناها ...

فحين تتعرض سورية الى طغيان الاجنبي المحتل اثر ثورتها الاولى ، تقام في القاهرة حفلة لاغاثة منكوبيها فيقف امير الشعراء احمد شوقي ويقول :

سلام من صبا بردى ارق ‏ ‏ ‏ ودمع لا يكفكف يا دمشق

اما شاعرنا فيقف ليقول :

الاهل اهلي والديار دياري ‏ ‏ ‏ وشعار وادي النيرين(١) شعاري
ما كان من الم بجلق نازل ‏ ‏ ‏ واري الزناد فزنده بي واري
ان الدم المهراق في جنباتها ‏ ‏ ‏ لدمي وان شفارها لشفاري
دمعي لما منيت به جار هنا ‏ ‏ ‏ ودمي هناك على ثراها جاري

ويرثي الشاعر الشهيد فؤاد سليم بقوله :

صدقت والله وعدك ‏ ‏ ‏ لاجف دمعي بعدك
فؤاد ما مات من جد ‏ ‏ ‏ للاماني جده
قد كنت لي الف هم ‏ ‏ ‏ وكان سهدي سهدك
عودتني القرب حتى ‏ ‏ ‏ ما كنت احذر بعدك
وبت ابكيك وحدي ‏ ‏ ‏ وانت في القفر وحدك
يا ليت انك عندي ‏ ‏ ‏ او انني كنت عندك
اذا لخففت ما بي ‏ ‏ ‏ او كنت اسكن لحدك
قضيت حق العوالي ‏ ‏ ‏ وانت تقتاد جندك
عمالت المجد حتى ‏ ‏ ‏ ادركت بالموت مجدك

وتمر سورية في محنة دامية اثر ثورتها الاولى فلا يثور لبنان من اجل الجار الجريح ، فيعاتب الشاعر لبنان بهذه الابيات :

لا تاس جرحك ما للجرح من اسي ‏ ‏ ‏ ... قد يعدل الامل الاغراق في الياس
كان الرضى وظلال الحب وارفة ‏ ‏ ‏ واوحشتك الليالي بعد ايناس

عشنا تلذ بما للكاس من شبم … دهرا ونجرع ما الهم من كاس !
اخوان ما تلد الايام من كدر … ومن صفاء ومن امن وايجاس
لظبي لبنان مرعى في دمشق وفي … مروج لبنان مرعى ظبي (داماس)
صلات حب عراها غير واهية … وفي الزمان لها اركان آساس
صلات محيا وانساب زكت ، ودم … شباب انفاسا بانفاس
جنى علينا فاض الحد متثلما … ناس كانهم ليسوا من الناس
تداولتها عوادي غاشم شرس … صغار تقلب في الآثام دساس
لارهطه رهط قومي حين تنسبه … ولا ذووه بمرضيين اكياس
من معشر قبس الناس الهدى وابوا … الا الضلال فراموه بمقياس
مستذئبين عتاة لا قلوب لهم … كانما خلقوا من جلمد قاس !
اذا انتحيت امرءا منهم بواضحة … اشاح يضرب اخماسا لاسداس
كانما خلق الله العباد ضحى … وكان خلقهم في حالك عاس !
تحرروا من رباق النيل وانقلبوا … عبدان اطماع افاقين انكاس !
يا جيرة الشام اقضضتم مضاجعنا … بغيا علينا وتازيرا لجتاس !
ان كان سركم ماساء غيركم ....! … فللحوادث صبح بعد اغلاس !
ثرنا على الظلم خوضا في غياهبه … مسترشدين من البلوى بنبراس
صدعا بحق وذودا عن تراث علا … امية اورثته آل عباس ..
نشري بحر الدم استقلالنا ونقي … مواطن الطهر من عاب وادناس
.. لا ننكس الراس والارزاء قائمة … يابى الحرار علينا نكسة الراس
ونركب الموت للغايات نائية … ان فات ادراكها ركبان افراس
من كان يحفزه للحق حافزه .. … لم يدرع بمجنات واتراس
والحق مطلبه بالغصب منصلتا … لا بالحوار ولا تخطيط قرطاس

الى ان يقول :

الله يعلم انا كلنا عرب .... … وان ابيتم فما في الامر من باس !
كونوا سلائل (فينيق) او انتسبوا … الى عناصر لم تخلق واجناس !
وانكروا ما استطعتم نطق ناسكم … ان كان ينكر فيكم نطق نياس
لا يبلغ الخطب فينا صوت مائذنة … يوما ولا يتناول قرع اجراس !
ما كان للدين ما تدعوكم فئة … اليه ما الدين الا عدل قسطاس
الشيخ معتكف في بطن مسجده … فما لمطران اقوام وشماس
قيسوا الامور بمقياس لكم ودعوا … سواكم ليقيسوها بمقياس

في عام ١٩٢٢ وفي عمان ينشد الشاعر هذه الكلمات :

متى ترى تبسم لي يا زمان !
الا جنان ؟

اسلمتني ! لا انس لي لا امان !
الحـــدثـــان !
عيناي لما تبرحـــا تجريـــان
تصـــاختـــان
ابكي ربوعا لا تطيق الهـوان
رهـن امتحـان !
ابكـي ديـارا خلقت للجمـال
ابهـــى مثـــال
ابكي نفوسا قصـــدت بالرجال
عـــن النضـال !
ابكي جـلال الملك والملك جال
ظـــل خيـــال !

★ ★ ★

مـا لرحابـي وجنان الرحاب
اضحت يبـــاب !
مـــا لبنيهـا فـي اكتئـاب
اسـرى عـــذاب
ما بال شيب عربهـا والشباب
غيـــر غضـاب ؟
الناس يبنـون وما في الديار
غيـــر الدمـــار
اما ترى الغرب تعلى وطار ...
فـــوق البحـار ؟
وامتـي هاويـة فـي انحدار
بئـــس القـــرار

★ ★ ★

ايـن بنـو هاشـــم الاولـون
ايـــن البنـــون
ايـن بنـو اميـة الفاتحـــون

ايـن بنـو العباس اهل الفنون
يحتكمـــــــون ؟
ايـــن بنـــو فاطمة الغابرون ؟
هـــل يبعثـــون

★ ★ ★

يا زمن الشؤم . سقيت الشآم
كـــأس حمـــام
القبلتـــان اشتكتـــا والمقـام
معـــا نســام !
الى متى نبقـى اسرى انقسام
ونستضـــــام !

ويشاء زمن الشؤم ان يعيش الشاعر حتى يـرى كأس الحمام يسقـي للاقطار العربية قطرا بعد قطر ولا يبتسم الزمان لا للشاعر ولا لامتـه فيقضي ايامه الاخيرة في منزله القريب من البحر (الروشة) يبكي الانقسام ، ويبكـي ما هو اهم من الانقسام ... يبكي الاقتتال الوحشي ...!

في شبابه البكر انشد للثوار ، وفي شيخوخته لعن اشباههم ...

ما حل بالشاعر حل بكل عربي عاش المذبحة فـــي لبنان وتعايش مـع مآسيها وجرائمها ... وما حل بهذه الامة فـي لبنان شيء فظيع ... فليس سهلا على الشاعر ان يرى امانيه تتبخر ، واحلامه تدفن ، ومعتقداته تذبح ...

ثمانون ... تسعون ... عاما مضت والشاعر يعتلي المنابر مدافعا عـن العرب ومجد العرب وتراث العرب ، وحين يقعده المرض يسمع باذنيـه شتيمة العرب من افواه بعض العرب فيحترق من داخله ... ويصرخ :

اضرب هنا اخوك	واطعن فذاك ابـوك
ويرحم الله مـن	اذا رحمت لم يرحموك

ثم غاب عنا والى الابد في هدوء ودون ضجيج ...

غاب عنا شاعر الشام خير الدين الزركلي دون ان يودعه احد ، ودون ان يدري احد انه مات ...

وحتى الصحف اللبنانية التي كانت تصدر وسط الدمار والخراب لم تكتب عنه سطرا واحدا لانه لم يحمل (البازوكا) ولم يطلق مدفعه على الابرياء ...

ولا اعتقد ان الجيل الجديد الذي اشترك في المذبحة او لعنها يعلم اي شيء عن هذا الشاعر الذي سطر في التاريخ العربي صفحات خالدة ستبقى ما بقي لعروبة ما قبل البترول اسم في عالم الوجود ...

فمنذ ظهور البترول في دنيا العرب اختفت سير الرجال ، وجهلت الاجيال ايات عظات الوطنية ومنار الاخلاص في سبيل الحرية والاستقلال ... وغاب عن الوجود حكايات شعراء الثورات العربية ، شهداء الحق في دفع الباطل ... وقصص شهداء الحرية في خلع انيار العبودية ... فكانت النتيجة ما جرى في دنيا العرب من مجازر كان اخرها (مذبحة لبنان) ومات الشاعر .! الذي صرخ مرة في وجه المندوب السامي الفرنسي « ساراي » :

اجهر برايك لا ياخذك ترويع لا ينفع الصوت الا وهو مسموع

زهير مارديني

عمود الجمال

❋ قالت امرأة خالد بن صفوان له يوما : ما اجملك ؟ قال : كيف تقولين ذاك ، ومالي عمود الجمال ، ولا علي رداؤه ولا برنسه ؟ قالت : ما عمود الجمال وما رداؤه وما برنسه ؟ قال : اما عمود الجمال ، فطول القوام وفي قصر . واما رداؤه فالبياض ، ولست بأبيض . واما برنسه فسواد الشعر ، وانا اصلع . ولكن لو قلت : ما أحلاك وما املحك كان اولى .

١ ـ « النيربين » وادي النيربين : موضع فيه بساتين ورياض كان مدخل دمشق للقادم عليها من غربها .

مطلوب انشاء مؤسسة لدراسات الوحدة العربية

بقلم: الدكتور جورج جبور

— ٢ —

كتاب يقظة العرب لجورج انطونيوس يخضع منذ اوائل الستينات لهجوم مركز يشنه عليه ايلي خدوري وزوجته سيلفيا حاييم (وكلاهما صهيونيان اخصائيان في القومية العربية ، مقيمان في لندن) • محاور الهجوم : عاطفية الكتاب وعدم علميته وجديته اكاديميا ، وبريطانية ولاء مؤلفة (١) الخ •••

غياب التمييز العنصري في الاسلام يتعرض لعملية « اعادة تقييم » كبرى احدى ابطالها برنادرد لويس • في اختصاص من يدخل « برنامج » الحصول على كتابه الجديد بعنوان الاسلام والعنصر ، والرد عليه ليس بالعربية فقط ؟ (٢) •

اعلانات في صحف الغرب يبدو فيها « بدو النفط » يتلالئون اشعاعات ذهبية وهم يودعون اموالهم في حسابات سرية بمصارف سويسرا • ولنتذكر ان جهود اللجان المعروفة باسم « لجان مناهضة السامية » ، قد توصلت الى تحريم استعمال الانف الاقنى في الاعلانات للدلالة على الاهتمام بالمال •

ـ وثمة مهمة كتابتنا لتاريخنا ، وهي المهمة التي كتب فيها الكثير •

ـ وثمة مهمة زيادة معرفتنا بأنفسنا معرفة نقدية • وانني لاعجب

---

١ ـ في مجلات :
Die WELT Der Islam
Middle Eastern Affairs

(من الذاكرة ، وليس بين يدينا في دمشق نسخ من هذه المجلات لذكر المرجع بدقة) •

٢ ـ انظر مثلا ردا على لويس بالعربية نشره عبد الجليل حسن في مجلة الكاتب المصرية (نيسان ١٩٧١) ، الموجه الى قراء نجزم ان قليلين منهم رأوا باعينهم تهجمات لويس في مجلة انكاونتر • وانظر ملاحظات لنا على مقال حسن في الكاتب (حزيران ١٩٧١) بعنوان « اساسيات من اجل ثقافة عربية منظمة » •

اذا افكر بالصدى الذي يتركه لدى العرب نشر كتيب احصائي صغير يظهر منه ـ مثلا ـ ان الامة العربية اكثر امم الارض تمثيلا خارجيا ، فلدينا حاليا ـ تقديرا ـ ما يقرب من ستمائة سفير ، كذلك لدينا ما يقرب من /٤٠٠/ وزير راهن وآلاف من الوزراء السابقين تعاقبوا في جيل واحد . ولا تقتصر المعرفة النقدية طبعا على أمر هذه الاحصاءات الطريفة .

ـ وثمة مهمة الاعداد ، مهمة اعداد أجيال من العرب يحيطون بالشؤون العربية ويكرسون انفسهم لها . وانني لاتساءل أحيانا : لو كان ثمة في أية عاصمة عربية « كلية » للدراسات العربية ـ لدراسات المجتمع العربي الراهن ـ يتخرج منها مسؤولون عن الاعلام والخارجية والثقافة وغيرها : أفما كان بامكان هؤلاء الخريجين ان يقوموا بأعباء مسؤولياتهم على نحو أحسن مما يقوم به حاليا خريجو الحقوق والآداب ؟

تلك بعض مهمات ليست سهلة التحقيق ، وليس تحقيقها مرهونا حصرا بانشاء المؤسسة ، ولكن انشاء المؤسسة المقترحة يساهم في تحقيقها على نحو لا شك فيه . يكفي ان نبدأ بالحد الادنى ، ولن يكون الانجاز متواضعا حتى لو لم نتجاوز ذلك الحد .

د ـ الشكل التنظيمي وكيفية بدء العمل :

من الممكن تصور اشكال تنظيمية كثيرة للمؤسسة المقترحة ، كأن تكون مرتبطة مثلا بجامعة او وزارة ما ، او كأن تقوم مستقلة عن غيرها ـ وهو الافضل ـ حتى لا تتعرض لاحتمال ان تنعكس عليها تقاليد عمل (او لا عمل) تطورت في مؤسسات اخرى ، تقاليد قد لا يكون للمؤسسة المقترحة حاجة اليها .

ومن المهم ان تتمتع المؤسسة بالمرونة الادارية والاكاديمية ، وان تولد متحررة من الضيق القطري .

ولعل من غير المفيد في البداية ان نحاول وضع صيغة قانونية للمؤسسة حتى لا يستنفد الجهد في « الحذلقات » القانونية . واذا كنا لن

تقوم بعملية تقويم للمؤسسات الثقافية في القطر ، ولن نقارن بين ما انعقد عليها من آمال وما تحقق من افعال ، فان هذا لا يمنع من ملاحظة ان التشريعات التي أوجدت كثيرا من المؤسسات كانت دائما « أكبر » مما تم انجازه فعلا من قبل المؤسسات المنشأة ، وهذه وضعية تساعد على خلق نوع من أزمة الثقة ، أزمة نرجو ان تتجنبها المؤسسة المقترحة •

واذا كان من المسلم به ان انشاء المؤسسة المقترحة بدعم حكومي سيكون أفضل من انشائها بدونه ، فان من الممكن ــ في رأيي ــ قيام المؤسسة بأعمال أولية دون دعم حكومي ، اعمال تثبت بها نفعها ، وتثبت أن لديها تصورا واضحا وبرنامجا يوميا لما ستقوم به •

والحق ان المؤسسة يمكن ان تبتدىء عملها ــ سواء بدعم حكومي أو بدونه ــ كما يلي :

١ ــ وضع قوائم بيبلوغرافية موسعة ومشروحة بالكتب والدراسات الاجنبية والعربية التي صدرت عن الشرق الاوسط • هذه المهمة ليست صعبة بالنسبة للكتب والدراسات الاجنبية بسبب تقدم نظم الفهرسة والتصنيف الاجنبية • مجلات كمجلة الشرق الاوسط الامريكية وتقارير الرابطة الدولية للعلوم السياسية والمجلة الفرنسية للعلوم السياسية ومجلدات ملخصات الرسائل الجامعية وما اشبه ــ وكثير منها متوفر في المكتبات الشخصية لعدد من باحثينا وغير متوفر في مكتبات المؤسسات الثقافية في القطر ــ يصح أن تكون بداية منظمة للعمل • اما الكتب والدراسات العربية فلا بد من القيام بجهد أصيل لتصنيفها • وضع مثل هذه القوائم ونشرها يساعد على توجيه سياسة مكتبة المؤسسة المقترحة في استحصال الكتب وفي وضع اسبقيات للكتب المنوي تحصيلها •

٢ ــ وضع قوائم بيلوغرافية بالوثائق العربية المطلوب تحصيلها • يتم وضع هذه القوائم باستخراجها عموما من القوائم الاولى • ثم يمكن بدء العمل في تحصيل هذه الوثائق عن طريق طلبها خطيا من مراجعها : كأن تطلب

المؤسسة من الجبهة القومية في عدن برسالة بريدية عادية ارسال نسخ عن وثائقها (بياناتها السياسية ، برامجها الخ) • ولا تظن ان نسبة عدم الجواب على مثل هذه الرسائل ـ لا سيما حين تكتب مفصلة ومستوعبة وتطلب وثائق ومعلومات محددة سوف تتجاوز النصف •

٣ ـ نشر دراسات متخصصة دقيقة حول وضعية دراسات الشرق الاوسط في بلدان العالم الكبرى : وضعية الدراسات عن الشرق الاوسط في امريكا ، واخرى عن وضعية تلك الدراسات في الاتحاد السوفييتي ، وثالثة عن الوضعية في فرنسا وهكذا • مثل هذه الدراسات يمكن توزيعها على نطاق واسع ، ويمكن ارسالها الى كل الجهات السياسية والثقافية في الوطن العربي لاذكاء حماستها من جهة ، وللتأكيد على جدية عمل المؤسسة من جهة ثانية ؛ بالاضافة الى ذلك ، تساعدنا هذه الدراسات على ان نصبح أكثر خبرة في وضع اسبقيات برامج بحثنا •

٤ ـ وضع قوائم بيلوغرافية بأسماء اختصاصيي الشرق الاوسط في العالم مع لمحة عن كتاباتهم ونشاطاتهم والجهات الممولة لهم واتجاهاتهم السياسية • هذه أيضا مهمة ليست صعبة التحقيق لان كثيرا من مؤسسات دراسات الشرق الاوسط تنشر مثل هذه المعلومات عن اعضائها والنشطين في صفوفها • كذلك من الممكن بدء وضع قوائم بيلوغرافية مشابهة بأسماء اختصاصيي الشرق الاوسط من العرب ، وان كان هذا الامر يحتاج طبعا لجهد مضاعف اذ لم تقم أية مؤسسة ثقافية عربية بمثل هذه العملية من قبل •

٥ ـ تستطيع المؤسسة ان تنطلق في القيام ببحوث أصلية حالما تتوفر لها أول مجموعة كاملة او شبه كاملة من الوثائق • مثلا حين تستطيع المؤسسة وضع يدها على كل أو معظم الدساتير العربية الراهنة يمكن لباحث متخصص أن يكتب ـ وينشر ويوزع ـ دراسة خاصة بكيفية تجلي مفهوم الوحدة العربية في هذه الدساتير ، وبالمقارنة بينها في هذا الصدد (٣) •

---

٣ ـ ما اظن ان كثيرين في الشرق العربي مثلا يعرفون ان الدستور الجديد للمغرب نص على الالتزام بالعمل للوحدة الافريقية ، وان العروبة ورد النص عليها في الدستور لدى القول بان اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمملكة .

كذلك يمكن ان يتم أمر شبيه بذلك يعتمد البيانات السياسية للاحزاب الحاكمة ، والاخرى غير الحاكمة في الوطن العربي ٠

٦ ـ ثم يستطاع التقدم نحو دراسة مقارنة للمفاهيم الكبرى التي تتبناها الاقطار والحركات السياسية العربية مثل مفاهيم الاشتراكية والديموقراطية والحرية والعلمية والعلمانية والعالمية وطبيعة المواجهة ضد الصهيونية والاستعمار ٠ مثل هذه الدراسات يمكن توزيعها على نطاق عام او خاص ، حسب الحال ٠

٧ ـ كذلك يمكن التقدم نحو نشر تقارير حول كيفية تغطية القضايا العربية في برامج التعليم العربية : ما هو مفهوم القومية العربية الذي يخرج به طالب الدراسة الثانوية في الجزائر ؟ او في السعودية ؟ ٠

٨ ـ ويمكن بعد ذلك التقدم نحو دراسة التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي لكل قطر واقليم (كامارات الخليج) عربي بعد الاستقلال ، وعلى الاخص دراسة تطور القوى المتجة في هذه الاقطار والاقاليم ، تلك القوى التي يراها الكثيرون صاحبة المصلحة في الوحدة والقادرة على تحقيقها ٠

مثل هذا البرنامج الاولي ليس بالسهل ، وتستغرق تغطية بنوده ـ حتى الانتهاء من الخامس منها ـ ما لا يقل عن السنة اذا مارس العمل حالا فريق لا يقل مثلا عن خمس اختصاصيين ٠ اما تغطية بقية ما ذكرنا من البرنامج ، من البند السادس وما بعد ، فأمر مؤجل حاليا والى ما بعد تحقيق البنود الخمسة الاولى . كما ان تطوير البرنامج بتغييره او تغيير أولوياته فهو من حيث الاساس واجب وصلاحية المؤسسة بعد ان تقف على قدميها ٠

واذا قلنا ان تنفيذ البنود الخمسة الاولى من هذا البرنامج ليس بالامر السهل ، فان من الحق أيضا ان نقول انه ليس بالامر المتعذر او بالغ الصعوبة ٠ وربما كان بامكاننا ان نزود صفحات هذه المجلة بعد بضعة أشهر بقائمة بيبليوغرافية مفصلة عن الدراسات المنشورة باللغتين الانجليزية والفرنسية عن مفهوم القومية العربية ٠

هـ ــ معوقات وتوقعات :

المعوق الاول والاساسي هي تلك النظرة التي ترى انــه ليس بالامكان أبدع مما كان .

وتتفرع عن هذه النظرة جملة حجج كما يلي :

ــ ان ما ستقوم به المؤسسة المقترحة متضمن في تشريعات منشئة لعدة مؤسسات : تجميع الوثائق مهمة عدد من المؤسسات في وزارات عديــدة . كذلك فان تنشيط الدراسات العربية والرد على الاتجاهات الثقافية المعاديــة للعرب مهمة لكل الوزارات الثقافية (بما فيها أيضـــا الخارجية والاعــلام) ومؤســـاتها . اما العمل الوحدوي فهو مهمة المواطن والجماهير ومنظماتها .

الرد على هذه الحجة ليس صعبا فواقع الامر يشهد ان الجهود المبذولــة في تجميع الوثائق ــ على الرغم من أهميتها ــ لم تعــط ثمارهــا المرجوة ، وليس لها توجه عربي واضح وتقتصر في الغالب على أرشفة مــا هــو يسير التناول من مصادر كالصحف اما الدراسات العربية فمن الواضح شبه انعدامها وانعدام متطلبها الاول وهو متابعتها من قبل كل الوزارات الثقافية . امــا ان العمل الوحدوي مهمة الجميع فهذا لا يتنافى مــع الوضع الخاص للدارسين ، والاسهام الخاص الذي يستطيع ان يأتي به هؤلاء ليس بالامر الــذي يمكن المرور به سريعا . وفي الحقيقة ان انصار هــذه الحجة يصلون بالنتيجة الــى « تأجيل » المؤسسة المقترحة عن طريق توجيــه الاهتمام الــى « اصـــلاح » الاجهزة الموجودة ، فتصبح القضية قضية القضاء على الروتين وقضية اعــادة تنشيط الاجهزة الموجودة لتأخذ حجمها الــذي كان مطلوبا منها في الاصـل ، ولكن هذه القضية ــ كما هو معلوم ــ اصعب بكثير وتحتمل وقتا أطــول بكثير من انشاء مؤسسة جديدة بدم جديد .

ــ ان من المستحيل في قطر له توجه ثوري خاص تجميع وثائــق وكتب ونشر دراسات تخالف ذلك التوجه من قريب او بعيد .

هذه الحجة ترتدي عموما طابع المبالغة . ولعلنا لا نخطيء اذا قلنا ان

المثقفين العرب ــ عموما ــ كانوا أقسى في الرقابة على أنفسهم مما كانته عليهم أجهزة الدولة • ليس مطلوبا من شخص ما ــ بالطبع ــ ان يكون جاليليه جديدا ؛ ولكنه مطلوب من المثقف ان يكون واثقا بثقافته الى الحد الذي يدافع به عن آرائه ، فلا يهجرها مجانا دون وقبل ان يعبر عنها ، لقاء مكاسب سريعة او اتقاء لشرور متوهمة اكثر الاحيان ، وليس مطلوبا منه ان يبارك دائما ممارسات ثقافية يعلم هو في قرارة نفسه انها غير مجدية •

والحق ان كون المؤسسة المقترحة مؤسسة لدراسات الوحدة ؛ وهي الهدف المجمع عليه لدى الجميع ؛ يسهل اجتياز هذه العقبات التي يتذرع بها البعض •

ــ ثمة قناعة لدى كثيرين من مثقفينا ــ لاتقال جهارا أكثر الاحيان ــ وهي اننا دون المستوى الثقافي لاختصاصيي الشرق الاوسط في العالم ، واننا لا يمكن ان نرتفع الى المستوى العالمي ، اي الى مستوى « اساتذتنا » في الغرب • الشق الاول من هذه القناعة صحيح كتعبير عن واقع ، اما الشق الثاني ــ وهو أكثر ما يكون انتشارا لدى اولئك الذين مضت على قدومهم من « ديار الغربة والعلم » مدة طويلة ــ فينبغي ان يقود الى العمل لا الى الاستكانة • اهم سبب لهذه القناعة ــ في رأيي ــ هو تضخم الشعور بالتلمذة على الغرب لدى كثير من المثقفين • ان كثيرا من مثقفينا قنعوا من أساتذتهم بنيل الشهادة ؛ ولم يمارسوا التدريس في الجامعات الاجنبية ؛ ولم يشتركوا في مؤتمرات علمية يثبتون بها كانداد لاساتذتهم ، ويبرهنون بها لانفسهم ــ قبل أي أحد ــ أنهم تجاوزوا مرحلة التلمذة • وبمقدار ما يقل احتكاكهم اليومي بمصادر شهاداتهم بعد عودتهم الى وطنهم بمقدار ما يتأصل فيهم شعور بأنهم يستطيعون ان يكونوا اساتيذا هنا ، لا هناك ، وانهم بذلك لا يمكن لهم ان يطمحوا الى ممارسة تأثير عالمي •

ومن الطريف ان هذا الشعور بالتلمذة يعبر عن نفسه اكثر الاحيان باسم « الموضوعية » ؛ أي التواضع لعلم الغرب • فاذا بحث استاذ أجنبي في الادب

العربي ووجد في تعلق العرب به « سر » تخلفهم ، وصاغ تلك النتيجة في قالب « موضوعي » ، سادنا شعور غريب بأن الموضوعية تعني ادانة الادب العربي ادانة اثبتها « العلم » •

وتتفتق عن هذا النوع من التفكير « نظريات » عالية الوقع من مثل ان العالم الاجتماعي همه العلم وليس السياسة (أي تغيير المجتمع) ، وان من الواجب ان تحافظ على أصالة العالم ، وتتمسك بالعلم لوجه العلم • ويغيب عن بالنا ـ في هذا النوع من التفكير ـ ان واقع الامر في اكاديميات الغرب البورجوازي والشرق الاشتراكي هو خلاف ذلك ، وان مؤسسات دراسات الشرق الاوسط في العالم (وليس فقط تلك المؤسسات) نشأت وما تزال في أحضان الحكومات ولاغراض عملية وسياسية •

يكفينا هنا هذا القدر من تتبع الحجج المفترضة لاصحاب نظرة انه ليس بالامكان ابدع مما كان ، ومن الرد على تلك الحجج • وعلينا على كل حال ان نشير الى معوقين آخرين اكثر جدية مما ذكر وان كانا لا يثاران جديا أكثر الاحيان •

ـ المعوق الاول هو اختلاف ثقافات الباحثين العرب باختلاف مصادر ثقافاتهم ، وعجز كل فريق من هؤلاء الباحثين حتى الآن عن استيعاب اهتمامات ووجهات نظر الفريق الآخر • بعض الباحثين العرب درسوا في أمريكا وغيرهم في فرنسا وغيرهم في الاتحاد السوفييتي (الخ) • لكل فريق من هؤلاء « أبطاله » العلميون وهو لا يعرف شيئا عن أبطال زملائه • في حقل دراسات التغيير الاجتماعي ـ الاقتصادي ثمة منا من تتلمذ على ريمون ارون أو على غالبريث وعلى كولمان ، وثمة من تتلمذ على اوليانوفسكي وعلى راتمان • في حقل القانون الدولي منا من يحارب بنظريات كلسن واوبنهايم وشارل روسو وماكدوغال ، ومنا من يحارب بنظريات تونكين بوربوف واوشاكوف • كل فريق لا يعرف « أبطال » الفريق الآخر ولا يعترف بهم : فكيف « بتلاميذهم » ، ثم كيف يمكن ان يتعاون معا هؤلاء التلاميذ ؟

لن اقترح بالطبع حلولا لهذه المشكلة في هذا المكان ؛ ولا يغيب عن ذهني ان هذا الاختلاف يمكن ان يصبح مجال غنى ثقافي • ما ألح عليه هو ان علينا ـ في هذه المرحلة من تطورنا الثقافي ـ ان نحاول جديا استيعاب التقاليد الثقافية لكل فريق ، والمجال المفضل لذلك هو اهتمامنا بالدراسات العربية اهتمام الواثق بقدرته لا اهتمام التلميذ بالبرهنة على صحة الاطارات النظرية لاستاذه •

ـ المعوق الثاني هو معوق القطرية او البلقنة : ان واقع التجزئة المخيف قد انعكس على الثقافة ـ والثقافة السياسية خاصة ـ التي كانت دائما احد اهم مقومات القومية العربية • ومن المؤلم ان المثقفين السياسيين العرب يلتقون اكثر الاحيان في بلاد اجنبية وعن طريق الهيئات المهنية الاجنبية حتى اذا عادوا الى بلادهم فقدوا اقنية الاتصال ، كلها او معظمها ؛ ولم تعوضهم عنها الا قليلا اقنية الاتصال العربية •

ومن هنا يصبح بالغ الاهمية استقطاب المثقفين السياسيين العرب في نطاق مؤسسة عربية لدراسات الوحدة • ايجاد بعد قومي للمؤسسة المقترحة ؛ وانماؤه ، يصبح هو نفسه عملا توحيديا من الطراز الاول •

ربما طال حديث المعوقات ؛ مع انه لم يستنفد • ولعل من المناسب موازنته بحديث التوقعات ذات المدى البعيد والقريب :

ـ ففي المدى البعيد ليس ثمة من شك في انه ستقوم لدينا مؤسسات للدراسات العربية على الاقل جريا على سنة التطور مهما كان بطيئا ومترددا ؛ واستجابة لمشورات « الخبراء » العالميين (من الامم المتحدة) الذين نطلب مشورتهم والذين ـ فلنلاحظ بأسى او بدون عواطف ـ كانوا وراء انشاء كثير من المؤسسات العربية (الاقليمية) المهنية كمركز النظائر المشعة في القاهرة ؛ ومركز التدريب التربوي في سرس الليان •

ـ وفي المدى البعيد لا بد الا ان نكتشف عدم امكان استمرارنا في أخذ علمنا بأنفسنا عن غيرنا ، وفي مناقشة قضايانا المصيرية خارج وطننا في

ندوات تعقد باوروبا وامريكا .

ـ وفي المدى البعيد لا بد الا ان تنتبه الى ضرورة تطبيق الشعار المطروح دائما من ان العلم عليه واجب تبين سبل التنمية والتكامل العربيين ، أي واجب المشاركة في صنع المصير ، وصنع القرار السياسي عن طريق تقديم عناصره .

أما على المدى القريب فلا أشك لحظة في أن ما يجري تنفيذه بعد فشل مؤتمر الرباط من تقارب وحدوي (ميثاق طرابلس ، ثم اتحاد الجمهوريات العربية ، ثم اعلان الوحدة الكاملة بين الجمهوريتين العربيتين المصرية والليبية) سوف يكتشف ـ تجريبيا على الاقل ـ الحاجة الى قيام مؤسسة ما تكرس وقتها لدراسات الوحدة العربية .

فهل يمكننا ان نسارع بعقد ندوة عربية ـ عربية فعلا تضم دارسين من كل الاقطار العربية ـ موضوعها هو ذلك الموضوع الذي يشغل كل عربي مهما كان موقعه السياسي ، اي موضوع سبل الوحدة العربية ؟

وفي الختام لا بد من التأكيد على اننا لا نظن ان أحدا لا يشاركنا في وجاهة المداخل التي رأينا فيها دعوة الى ضرورة انشاء مؤسسة لدراسات الوحدة العربية . قد يكون ثمة خلاف في تحديد المدخل بالشكل الذي حددت به ، وفي ترتيبها في سلم الاولويات ، كما انه ليس ثمة من شك في أن كثيرين ستكون لديهم تحفظات جدية ـ ورفض كلي ـ ازاء بعض مما ورد أعلاه من افتراضات كبرى ، وتصورات مخالفة لاسلوب انشاء هذه المؤسسة المقترحة .

فاذا أثار هذا الاقتراح شعورا بجدية المبررات ، أمكن بالنقاش ، التوصل الى تصور عملي مشترك .

عجائب من بلاد الأمن والأمانة
مشاهدات وانطباعات في السعودية
بقلم : روكس بن زائد العزيزي

وما راء كمن سمعا !

الاصالة العربية ، والكرم العربي ، والقلب الكبير المفتوح ، والابتسامة العذبة ، والضحكة الصافية التي تنم علـى نقاء السريرة ، والامـن العجيب ، والامانة المذهلة ، كلها تراها مجسـنة في المملكة العربية السعودية !

التواضع ، وعدم التكلف الذي تلمسه في المسؤولين السعوديين يوحيان اليك بهؤلاء القوم مدرسة من مدارس الخلق العالي ! ..

❋ ❋ ❋

فما كنت أظن ان قدمي ــ يومـا ــ ستطأ تلك الديـار ، التـي صهر المغفور له (عبد العزيز آل سعود) قبائلها في بوتق (١) الحـب والتصافي ، واوجد فيها دولة تعدل من غير ان تتكلم ، وتحب العرب من غـير ان تتبجح ، الى ان جاءتني دعوة وزير الاعلام السعودي الدكتـور العالم (محمد عبـده يماني) مؤلف كتاب (الجيولوجيا الاقتصادية) (٢) .

❋ ❋ ❋

لبيت الدعوة ممتنا ، مشتاقا الى الديار التي انطلق منها مجد العـرب ، يوم وقفت الدنيا كلها خاشعة ، تحت سنابك خيولهـم ، يفتحون العالـم ، ويشيعون فيها العدل والرحمة ، حتى قال (غوستاف لوبون) : « لـم يـر

١ ــ من أوهام الكاتبين قولهم بوتقة ، والصواب ما ذكرنا . راجـع كتاب **اغـلاط اللغويـين الاقدمين** .

٢ ــ **مرجع هذه المادة في جامعة الرياض** .

العالم فاتحا أرحم من العرب ! (٣) » •

***

وها هي ذه الطيارة تدوي في مطار عمان ، بعد ان تأخر نهوضها عن موعده المقرر أربع ساعات كاملة !••

وتهبط في مطار (جدة) الدولي في الساعة الخامسة وربع السادسة من صباح الجمعة الى ١٤/٥/١٩٧٦ الخامس عشر من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٩٦ ، وتنتهي معاملات :

أ ــ الصحة ،
ب ــ الجوازات ،
ج ــ والجمارك ،

لكل من تحمل الطيارة ــ وهم كثيرون ــ في أقل من ساعة ، من غير أن تسمع صوتا يرتفع ، او كلمة زجرانية !

***

اجيل بصري ، لعلي أرى مندوب وزارة الاعلام في المطار ، فلا أجده ، فأسأل ضابطا برتبة ملازم أول ، عن مندوب الوزارة الفاضل ، فيجيب : « ان هذا الاستاذ قد تحول من مكتبه ، منذ بضع دقائق ، عندما يئس من وصول الطيارة ! » •

***

قلت لهذا الضابط : « أفي استطاعتي ان أجد فندقا محترما أرتاح فيه ؟» ابتسم وقال : « لعلك تطلب المستحيل ، ان لم يكن مندوب الوزارة ، قد سبق وحجز لك ما تطلب ! »

وفيما ان اهم بأن أقعد على كرسي في مكتب الجمرك ، اذا بالاخ الاستاذ (سالم الكيال) ــ مندوب وزارة الاعلام ــ يلقاني بابتسامة مشرقة

---

٣ ــ حضارة العرب ترجمة المرحوم عادل زعيتر •

ــ مع الرغم من النعاس الذي اثقل جفنيه ــ قال لقد قطعت الرجاء من وصول الطيارة ، بعد ان تأخرت عن موعدها كل هذا التأخر ، وكنت مشغول البال من نحوك ، فالحمد لله على سلامتك !

***

استدعى سائقا ، أقلنا بسيارته الى فندق (قصر الكندرة (١)) الفخم القريب من المطار .

سأل عن الشقة المحجوزة لي ، فاجابه المسؤول : « لقد سبقك سيد اردني ادعى انه ضيف وزارة الاعلام السعودية الذي حجزت له الشقة ! »

ضحكت وقلت : « الحمد لله ان الاحتلال كان اردنيا ، والرجل عمل بالحكمة القائلة ــ ابدأ بنفسك ، ثم تن بمن تحب ــ وعاد الى ما قاله بطل احدى مقامات اليازجي في (مجمع البحرين) :

« والصدق ان القاك تحت العطب ، لا خير فيه فاعتصم بالكذب
بمثل هذا كان يوصيني أبي !

فلا حول ولا قوة الا بالله !

***

لقد حاول المسؤول في (قصر الكندرة) ان يصرف المحتل من الشقة ، فطلبت منه ان لا يفعل ، وقلت : « لعل احد الضيوف نزلاء الفندق يتحول ، فأحل محله ! »

وفي أقل من نصف ساعة ، كان المسؤول في (قصر الكندرة) قد أعد لي الشقة المقابلة (التي) احتلت ! وقد قال وهو يضحك : ــ « هذا

١ ــ الكندرة في اللهجة الاردنية وفي اللهجة السعودية تعني الجمال والتنظيم ، فاذا قالوا كندرة عنوا بذلك انه رتبه (العزيزي)

الواجب ، أن يتقابل الصدق والكذب ! »

***

وبعد ان ارتحت قليلا ، زارني صديقي الاديب التونسي (الحبيب شيبوب) الذي دعي معي الى السعودية . فأحسست وأنا أسلم عليه بحقيقة فرحة الاديب بلقاء الاديب ! ..

وما ان دقت الساعة التاسعة ونصف العاشرة صباحا ، حتى كان مندوبا وزارة الاعلام :

أ ـ الاستاذ عايض الردادي ،

ب ـ والاستاذ سالم الكيال .

قد حضرا يدعواننا الى وزارة الاعلام في (جدة) ، لزيارة الاستاذ عزت المفتي) مدير الصحافة في مكتب (جدة) ، فلقينا أخا كريما ، بادي البشر والايناس فرحب بنا اجمل ترحيب ، فاغتنمت الفرصة ، لاطلب منه قائمة باسماء الادباء السعوديين الذين يرغبون في متابعة ما تنشره دائرة الثقافة والفنون الاردنية ، فوعدني خيرا ؟

اشعرهم امير المؤمنين

* اجتمع جماعة من الشعراء عند عبد الملك بن مروان فتذاكروا بيت نصيب وهو قوله :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

فما في القوم الا من عابه وازرى على نصيب فيه . فقال عبد الملك : فما كنتم تقولون انتم : فقال الاقيشر وكان احد الحاضرين :

اهيم بدعد ما حييت فان أمت فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي

فقال له عبد الملك : انت اسوأ رأيا من نصيب . فقالوا : فما كنت تقول انت يا امير المؤمنين ؟ قال كنت اقول :

اهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

علم الجمال

واسهام البلاد العربية والإسبانية في نشوئه وتطوره

بقلم: بشير زهدي

محافظ متحف الآثار اليونانية والرومانية والبيزنطية
استاذ محاضر في مقرر (علم الجمال) في جامعة دمشق .

١ ــ قد يتساءل المرء : وهل للجمال علم ، وما موضوعه وبحوثه ؟ وهل ظهر هذا العلم في عصرنا الحاضر ، ام ان الاجيال السابقة أسهمت في تأسيسه وتطوره وذلك بابداعها في مجالات الفكر الجمالي وميادين تنظيم المدن وفنون العمارة والنحت ، والرسم والتصوير والحفر والنقش ، والفسيفساء والخط ، والموسيقى والغناء ، والشعر والنثر ، والرقص والمسرح ..؟ وما مدى اسهام البلاد العربية والاسبانية في نشوء علم الجمال وتطوره ؟

٢ ــ للجمال علم يعرف باسم (علم الجمال ــ الاستطيقا) وهو أحد العلوم المعيارية الثلاثة التي يسميها (رويه) بالثالوث المدرسي ، تدرس القيم الانسانية (الحق والخير والجمال) وتتصف بأنها تستعين بالعقل ، وتتجاوز الوقائع الجزئية الى البحث فيما ينبغي ان يكون عليه ، وتصدر أحكاما قيمية ، وتصوغ قواعد أو معايير يعتمد عليها في دراسة قضايا الجمال ومقاييسه ، ونظرياته وقيمه ، وعلاقته بالحق والخير ، والمثل الاعلى والسرور الجمالي ، والفائدة والحياة ، والحب والتصوف ، والطبيعة والفن ، والقيم العددية والنور ، واللغة والانسان ... الخ . ويطمح علم الجمال في وضع قواعد للفن وقوانين للجمال ومعيار للذوق ... ويعرف بعضهم (علم الجمال) بأنه (كل تفكير فلسفي في الفن) .

★ ــ محاضرة القيت في الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء الواقع في ٣ ــ ٢ ــ ١٩٧٦ بحضور سيادة سفير اسبانيا في المركز الثقافي الاسباني بدمشق .

★★ ــ اهدي هذا البحث الجمالي الى (لبنان الحبيب) الذي امضيت اياما من طفولتي في فردوسه .

٣ ـ واذا كان (الكسندر بولجارتن ١٧١٤ ـ ١٧٦٢) اول من تبنى لفظ Esthetiyue المشتق من اللفظ اليوناني ـ الذي يفيد معنى الاحساس ـ وجعله عنوانا لكتابة AE Sthetica عام ١٧٥٠ بمعنى دراسة الجمال . او علم الجمال او فلسفة الجمال ، فان الانسان تحسس بالجمال قبل ان يكون للجمال علم يعرف به ويعالج طبيعته ويسهم في تنمية الذوق .. كما أبدع آثارا فنية خالدة منذ أقدم العصور وذلك قبل أن يكون للفن فلسفة تبحث في طبيعته وتعاريفه ؛ ووظائفه ومعاييره ، وعناصره وصلته بالانسان والطبيعة والتاريخ والصناعة ، والاخلاق والدين ، والعلم واللعب ؛ والحب والحياة ، والتربية والمجتمع ، والالهام والعبقرية ، والنقد والذوق والتذوق الفني ...

٤ ـ وتعتبر البلاد العربية والاسبانية من البلاد التي أسهمت في نشوء (علم الجمال) وتطوره تميزت أراضيها بالجمال ، واتصف سكانها بالاحساس الجمالي ، وتميزوا بابداع أقدم الاثار الفنية ، ومعاناة التجربة الجمالية والاسهام في تدوين الفكر الجمالي .

ان وقتنا لا يتسع للحديث عن تلك الاثار الفنية التي تشكل جزءا هاما من تراث الانسانية وممتلكاتها الثقافية ؛ كما لا يتسع للتعمق في معالجة الآراء البديعية والافكار الجمالية لهذا أرجو ان تسمحوا لي بذكر لمحة موجزة جدا عنها .

٥ ـ تذكر كتب تاريخ الفن أقدم المباني المعمارية التي تعود الى عصور ما قبل التاريخ في اسبانيا وأقدم المجمعات السكنية في البلاد العربية . ويؤكد المؤرخون دور العرب الفينيقيين في اقامة منشآت معمارية على السواحل الاسبانية وغيرها . كما أظهرت التنقيبات الاثرية منشآت معمارية هامة في مصر والعراق وسورية واليمن وغيرها تؤكد نشوء مفهوم معماري يعتمد على أقدم الدراسات الرياضية في مراحلها الاولى .

ورأى (جورج سارتون) ان (المقاييس التي تطلبها بناء هيكل او منزل

ربما كانت منبع الايحاء بأوائل الافكار الملهمة الهندسية) • واعتبر (حب الجمال) فطريا في الانسان ، وهو الذي مهد لظهور الهندسة • وقد (احتاجت الابعاد الى التعبير عنها فاستلزم هذا التعبير اختيار وحدات من جسم الانسان المكتمل النمو كالذراع والقدم والشبر •••) • وان اهرامات مصر تعتبر احدى معجزات العالم ، كما أن أبراج بابل وقصور الاشوريين في العراق وقصري ماري واوغاريت وقصور الامويين في سورية وفلسطين والاندلس ، ومعابد تدمر وبعلبك ، ودير القديس سمعان العمودي ، والمساجد الاموية في سورية وفلسطين والقيروان وقرطبة ودير القديس جاك دو كومبستل ، ومسارح سورية وتونس وليبيا وغيرها من المنشآت المعمارية العسكرية والمدنية والدينية والجنازية تعتبر من روائع فن العمارة وتدل على مدى ما أحرزه هذا الفن من تقدم في مجالات الدراسات المعمارية والجمالية التي توارثتها الاجيال المتعاقبة • وقد اطلع الرومان على التراث المعماري الذي ورثه عصرهم فأفادوا منه • وقد نبغ في عصرهم عدد من المهندسين الموهوبين من القطر العربي السوري وغيره نذكر منهم (ابولدور الدمشقي ٦٠ ـ ١٢٠) الذ قدر الرومان مواهبه الفنية وخبرته المعمارية فعهد اليه الامبراطور (تراجان ٥٢ ـ ١١٧) بمهمة تنظيم (فوروم) في روما عرف باسم (فوروم تراجان) كما عهد اليه القيام ببناء جسور على نهر الدانوب •

وكانت الاروقة الجميلة تحيط بطرفي الشوارع الرئيسية في المدن السورية ، وقد ظهرت الرغبة في الحد من النظر الى البعد اللامتناهي وذلك ببناء قوس يحقق هذه الرغبة الجمالية وهكذا شيدت أقواس النصر والتراتيل التي أصبحت عنصرا معماريا يحدد نقطة يستريح عندها البصر • وان ضخامة المباني تجسد المفاهيم الجمالية السائدة وقتئذ •

وان تحويل أحد مساكن مدينة (دورا أوروبوس) في سورية الى كنيسة سكنية عام ٢٣٢ ثم انتشار بناء أقدم الكنائس والاديرة في سورية وفلسطين ومصر وتونس أسهم في نشوء فن العمارة المسحية ومفاهيمه الجمالية •

وبعدما تحررت سورية وفلسطين ومصر من الحكم البيزنطي في القرن السابع الميلادي ظهرت مفاهيم جمالية جديدة لفن جديد . وقد أسهم فنانو الاندلس في مختلف مجالات الابداع الفني في القرن الثامن حتى نهاية القرن الخامس عشر في قرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة وغيرها ... وترك المؤرخون أجمل وصف لمدينة (الزهراء) ـ التي ينسب بناؤها الى (عبد الرحمن الداخل) عام ٣٢٥ هـ ـ وتقع في الشمال الغربي من قرطبة ـ وهناك مدينة (الزاهرة) في ضواحي قرطبة وينسب بناؤها الى (الحاجب المنصور) عام ٣٧٠ هـ ، ومدينة (الحمراء) مقابل غرناطة وينسب بناؤها الى (محمد بن يوسف ابن الاحمر) . وقد قام خلفاؤه من بعده بتوسيعها وتجميلها . وان أشهر آثارها قصر الحمراء وأشهر ما فيه (قاعة الاسود) ... تعتبر من روائع فن العمارة وتبدو كآثار رائعة تتحدث بلغة الصمت عن خلود الابداع الانساني ومفاهيم الجمال عند أولئك الفنانين الاندلسيين المبدعين .

وقد ترك الفن الرومانسكي والقوطي أثره في كل من سورية واسبانيا . فاذا كانت (قلعة الحصن) تعتبر من روائع فن العمارة العسكرية ، فان كنيسة القديس (جاك دو كومبوستيل) تعتبر من لآلىء فن العمارة الدينية في اسبانيا .

واذا كانت كل من سورية ومصر ازدانت بعدد كبير من مباني القلاع والمساجد والقصور التي تعود الى عهود الفاطميين والايوبيين والمماليك والعثمانيين ، فان اسبانيا شهدت ازدهار فن Flamboyant وفنون عصر النهضة الايتالة . ويعتبر (دير الاسكوريال) من أجمل ما أبدعه فن ذلك العصر . كما ساد الطراز (الباروكي) كمدرسة فنية محلية هامة في القرن الثامن عشر . وأكد الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه (دراسات فنية في الادب العربي ص ٠ ٦٣ ـ ٦٨) أن لفظ (باروك) منحدر من اللفظ العربي (براق) . وبعد منتصف القرن الثامن عشر ظهر في اسبانيا (الاسلوب الكلاسيكي الجديد) ومن روائعه المعمارية Sanfrancisco في مدريد ، وواجهة كاتدرائية Pampelvne Figransi

٦ ــ واذا استعرضنا تاريخ النحت في البلاد العربية والاسبانية منذ عصور ما قبل التاريخ أدركنا مدى تجسيد المنحوتات لمفاهيم الجمال عند الانسان عبر التاريخ • وان (غزال آلتاميرا) المكتشف في اسبانيا يمثل الاسلوب الواقعي في عصور ما قبل التاريخ • وقد عثر على تماثيل (الربة الام) في مختلف أنحاء العالم القديم واتخذت رمزا للخصب •

ورأى بعض الباحثين في تمثال (سيدة الشه) الجمال الاسباني ، وفي حليها التأثير الشرقي الفينيقي •

وأسهمت البلاد العربية عبر التاريخ بتقدم فن النحت وزينت آثار مصر والعراق أشهر متاحف العالم بأجمل المنحوتات الفنية • ويعتبر تمثال (أبو الهول) من روائع الفن العالمي رأى فيه (ايلي فور) رمزا للمعنى الخالد ، ويبدو كأنه ظهر مع فجر الفكر ، وتابع بتأمله الصامت جهود الانسان الكبرى وسيظل الى ما لا نهاية يعايش طموحنا وتطلعنا • ولاحظت الاستاذة الفرنسية (كريستيان دوروش نوبلوكور) في الفن المصري القديم الفكرة التشريحية لجسم الانسان ، واسلوب فن أكاديمي يعالج الاشكال ويميل دائما الى السمو والصفاء والاهتمام بمحاكاة الطبيعة في تصوير الاشكال وترجمة الانفعال الذي يرضي المشاعر ، والتصوير الواقعي الذي يرضي النفس ، واقتران الروحانية بالجمال ، والتوفيق بين التعبير والشكل • واستنتج (آرنولد هاوزر) مدى العناية والمهارة التربوية التي كان قدماء المصريين يبدونها في تعليم الجيل الناشيء من الفنانين • واعتبر (أخناتون ١٣٧٠ ــ ١٣٤٩) ق • م في مقدمة المجددين الواعين في الفن ، بشر بحب جديد للحقيقة ، فظهرت صور شخصية تعبر عن احساس مرهف ، كما ظهرت رسوم الطبيعة الجميلة • ونجد في منحوتات مدينة (ماري) الامورية السورية حرص الفنان على التعبير الباطني بملامح الوجه وكأنهم يؤكدون (ان الوجه مرآة الروح) • كما نجد في (رأس أميرة اوغاريت) الجمال الانساني النسائي المثالي ، وتدل المنحوتات التدمرية على أهمية مركز المرآة

الاجتماعية وميلها الى التجمل بالحلي المختلفة • وتتميز الرؤوس الجصية التدمرية بقوتها التعبيرية • ويجسد فن النحت العراقي في العصر الاشوري المفهوم الجمالي للقوة ••• الخ كل ذلك مما يفسر اعجاب (دولاركوا) بفنون العصور القديمة وتذوق ابداع مصر والعراق ، ووعيه أكثر من لون للجمال الفني حتى انه قال : ليس للفن ان يحصر في مدرسة واحدة •

واذا كانت المنحوتات القديمة تمثل الآلهة كما تخيلها ذلك الانسان القديم ، وتزين قصور الملوك في تلك العصور مدونة أعمالهم الفنية التي خلدتهم ، فان فن النحت أخذ منذ القرن السابع يتصف بطابع زخرفي ويبدو بديعا بقيمه التزيينية • وقد أسهم فنانو الاندلس في تطوير فن (الارابسك) وانتشاره •

٧ ـ وتعالج كتب تاريخ الفن في فصولها الاولى (الرسوم) الجميلة المكتشفة في كهوف (آلتاميرا) الاسبانية وما تمثله بألوانها الحارة والغنية أحيانا من حيوانات رسمها ذلك الفنان بدقة واقعية واسلوب يدل على ذوق فني ومهارة تتجلى في جمال الخطوط واستعمال الالوان وحسن التعبير عن الحركة ••• أضف الى ذلك الرسوم المكتشفة في اسبانيا وما تمثله من مشاهد صيد وحرب وحياة عائلية واجتماعية • واعتبر الاستاذ (اتيين سوريو) مثل هذه المنجزات الفنية لا بد أن تكون تعبيرا عن لون من ألوان الضرورة أو استجابة لحاجة ما أو جوابا على نداء • ورأى في الجهد الفائق الذي بذله فنانو ما قبل التاريخ ما يدل على الثقة بالفن وهدفه الماورائي وقدرته على توفير ملكية الخيرات المادية والروحية وما لازم الانسان عصرئذ من الاحساس بالرهبة والدهشة والخوف مما كان يحيط به • واكد ان (النفس البشرية ـ التي كانت لا تزال بكليتها تبحث عن ذاتها وقد بدأت تكتشفها ـ هي الحافز الحقيقي الى ذلك الاشباع السحري المثير للحاجة الجمالية) •

كما نجد في الرسوم الجوازية في قصر (ماري) الاموري ما لفت أنظار مؤرخي الفن فذهبوا الى القول بوجود مدرسة فنية ذات تقاليد خاصة في

حوض الفرات الاوسط انتقلت الى (دورا)في العصر الهلنستي والروماني وتركت آثارها الخالدة على جدران المعابد ورسوما جدارية تمثل اسطورة (آشيل) في مدفن الاخوة الثلاثة في تدمر ، ورسوما مسيحية على جدران معبد بل التدمري • ويعتقدون بانتقال تقاليد هذه المدرسة الفنية الى (انطاكية) ومنها الى أوروبا وذلك لما وجدوه من تشابه بين آثار هذه المدرسة ورسوم الكنائس الرومانسكية والقوطية من حيث الالوان الحارة واهمال المنظور ... الخ •

كما نجد في مصر أقدم الرسوم الجدارية وأجمل ما تمثله من مناظر طبيعية وطيور مائية ووصف دقيق للحياة اليومية أضف الى ذلك ملفات البردي وأهميتها الفنية وقيمها الجمالية • وتعتبر الصور المكتشفة في (الفيوم) من أجمل ما أبدعه فن الصور الشخصية لما تتميز به من واقعية وصدق في التعبير • ووجد فيها بعض مؤرخي الفن أحد جذور وأصول (الايقونات) والصور الدينية المقدسة ، في حين أن هناك من يعتبر سورية موطن هذا الفن وان القديس (لوقا) الانطاكي كان مصورا •

٨ ــ تاثرت اسبانيا بمدرسة (سيينا Sienne) الايطالية في القرن الرابع عشر ، وبالمدرسة الفلورنسية في أواخر القرن الرابع عشر كما تأثرت بالمدرسة الفلمندية في القرن الخامس عشر ، ثم ضعف هذا التأثير في القرن السادس عشر ، وقد ظهر فنانون مثل yanez de almedina و (فرناندو ليانوس) من تلاميذ (ليونار دوفنسي ١٤٥٢ ــ ١٥١٩) ونقل الفنان (لويس دو فارجاس) الى (اشبيلية) رقة الفنان الايطالي (كوريجيو ١٤٩٤ ــ ١٥٣٤) وظهر فنانون نسقوا ووفقوا بين التأثيرات الايطالية والفلمندية والابداعات الشعبية ، وكان الملك (شارلكان) قد عهد الى الفنان (تيتيان ١٤٧٧ ــ ١٥٧٦) ببعض الاعمال الفنية • وقام الفنانون الايطاليون بتزيين (الاسكوريال)والعمل في اسبانيا الى جانب الفنانين الاسبانيين وفي مقدمتهم (نافاريت المودو) • ورغم استمرار الملك على تكليف بعض الفنانين الفلمنديين ببعض الاعمال الففنية فان الفنان الاسباني

Sanchez Coelit كان بمثابة رئيس مدرسة الصور الشخصية، وبظهور الفنان الكبير (الجريكو) بدأ فعلا مجد التصوير الاسباني في القرن السابع عشر • ففي لوحته (عيد الفصح) لا يقتصر دور الضوء على بناء التصميم بل يتناول تمثيل المظهر الكامل للصورة ، وتتبين الشخصيات فيها عن طريق مجموعة المشاعل المرفوعة فوق رؤوسها وقد بدا بعضها في حالة الجلوس منفعلة ، وعبر (الجريكو) عن هذا الانفعال واللمسة الروحانية بواسطة ذبذبات النور ، وبدت الاجسام في أشكال عفوية باستطالتها غير الواقعية • وشكل ظهور الاجسام واستطالتها عقبة حالت دون فهم القيمة الجمالية لاعماله الفنية ،وفسر بعض الاطباء هذه الظاهرة بمرض كان يعاني منه الفنان ، ونسوا ان الفن نتاج خيال حسب تعبير (ليونيللو فينتوري) • وكان (الجريكو) ولد في كريت عام ١٥٤١ (وتلقى فيها مبادىء الدراسة الفنية على الطراز البيزنطي المولع بتكرار الاشكال التقليدية من خلال دراسة الواقع) • ثم مضى الى البندقية وتشبع في مرسم (تيتسيانو) بما كان يعد قمة معرفة الضوء واللون ، ثم تعرف في روما على الاشفال الاصطلاحية التي أشاعها (ميكلانجلو) ووصل أخيرا الى طليطلة التي أسست فيها القديسة (تيريزا) مركزا للرهبنة • فأحسن الفنان بما تلقاه من معرفة بالضوء واللون ان يعبر عن الواقع ويجعل من الدوافع الروحانية التي تلقاها من رهبان طليطلة مضمونة ومضوع فنه وقد تلاءمت تجاربه الروحانية مع أسلوب تلوينه الذي وصل فيه الى حالة من التناغم الرائع • وان قوة أضوائه وألوانه تثير في نفس المشاهد الاحساس بالمضمون الروحي ، وقال (ليونيللو فينتوري) حقا لقد كان يوما نادرا في تاريخ الانسانية يوم ولد مصور قوي الخيال مثل (الجريكو) عرف كيف ينشر النغم والمشاركة بين أذواق بيزنطية ورومانية واسبانية واننا ندين لهذه القدرة الخلاقة التي استطاعت أن تضع خبرات عصر النهضة للايحاء بروحانية سامية كانت في فنه تعبيرا عن عظمة الخالق •

ثم تابع الفنانون الاسبانيون في حمل مشعل الفن مثل (ريبالتا

١٥٥١ ـ ١٦٢٨) ومن بعده (ريبيرا ١٥٩١ ـ ١٦٥٢) الذي جعل المواضيع المقدسة اكثر انسانية . وان لوحته (عبادة الرعاة للطفل يسوع) تعتبر من روائع متحفف اللوفر يبدو النور مشعا من الطفل والى يمينه امه بأنبل المشاعر والعواطف وحولهما الرعاة الاقوياء . وهناك لوحة (الطفل عاري القدمين) التي تجسد فقر الطفل وسط طبيعة فاتنة أحسن الفنان في استخدام اللون والتعبير عن الفضاء الواسع والابتسامة التي تزين ملامح الطفل . اضف الى ذلك لوحة (القديس بابلو) في (متحف برادو) في مدريد . وحرص الفنان على تأكيد الطابع الانساني وسط الجمال الطبيعي ، والاعتماد على الضوء والظل ومعرفة خصائص الالوان .

اما الفنان (زوربا ران ١٥٩٨ ـ ١٦٦٤) فقد بلغت شهرته درجة جعلته يعرف بـ (كارافاجيو) اسبانيا مع انه لم يعرف الفنان الايطالي (كارافاجيو) الا من خلال اعمال الفنان (ريبيرا) . وقد اعتبر (زورباران) كصوفي ومبدع في عالم الالوان الجميلة ، ومن لوحاته في متحف اللوفر لوحة (دفن القديس بون آفتور) حيث تشاهد فيها الصور الشخصية تفيض بالحياة حول جثمان القديس وسط اجواء عاطفية ومشاعر انسانية . ويبدو الضوء عنصرا جماليا منسجما مع غنى الالوان . اضف الى ذلك لوحته العذراء المحفوظة في (متحف برادو) حيث تبدو السيدة العذراء واقفة تحيط برأسها دالة نور ويداها مضمومتان وهي متدثرة بثوب فضفاض وقد انحسر رداؤها عن كتفها الايسر . وهناك لوحة (العذراء) تبدو واقفة ويداها مضمومتان وتفيض ملامح وجهها بأنبل المشاعر .

اما (فيلاسكيز ١٥٩٩ ـ ١٦٦٠) فقد اعتبر كأحد رواد الفن الحديث . ابدع في رسم الصور الشخصية والمواضيع الفنية . وان ما يتميز به اسلوبه الفني من قوة وتعبير عن احساس مرهف مباشر جعله يعتبر بمثابة مبشر بظهور المدرسة الانطباعية . ولاحظ (ليونيللو فينتوري) ان (فيلاسكيز) كان يهتم بالمظهر الطبيعي للاشياء حتى ان فنه يتلخص في اهتمامه بابراز حجم

الكتلة اللونية بدا فيها من صلابة وما تشتمل عليه من جوهر حي • وكان (فيلاسكيز) بدأ حياته الفنية برسم مظاهر الحياة الشعبية ، وعندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره اتاحت له شهرته ان يصبح مصور ملك اسبانيا ، فأخذت لوحاته الطابع الاجتماعي لحياة النبلاء ، فسجل بريشته صور المضحكين الذين كانوا احد مصادر الهامه ، وكان يمتزج في صوره نبض الضوء والابتسامة الصارخة ، وقد تجلى في فنه نداء الحياة • ورأى (ليونيللو فينتوري) فيهم ان (فيلاسكيز) كان يؤثر القبح على الجمال لانشاء احدى الروائع الفنية ، وكان يعتمد على الواقعية المستمدة من تأثير النور والظل ، واعتبر هذا التأثير مظهر المثالية الواقعية ، فعبر عن الروح الانساني في عمق • ومن لوحاته المحفوظة في (متحف برادو) لوحة (مينياس) حيث يشاهد حول طفلة صغيرة قزمة وكلب ومربية ومصور ، وتوزيع هؤلاء الاشخاص في مجموعات تنبض بالحياة والحركة وقد جعل الفنان الكلب يبدو في مقدمة اللوحة باسطا قائمتيه الاماميتين في حالة سكون كما نجد تقابل النور المشع في مقدمة اللوحة مع ضعفه الظاهر في عدم وضوح لوحات الجدار ، ويعبر الشخص الصاعد على الدرج عن منظور اللوحة •

اما الفنان (موريللو ١٦١٧ ـ ١٦٨٢) فقد تميز فنه بواقعية شعبية تتجلى في مشاهد اقتبسها من الحياة ، نذكر منها لوحة (الفقير الصغير) التي تجلى فيها اسلوبه الواقعي ونقده الاجتماعي • وقد جعل من هذه المشاهد روائع فنية ، كما اشتهر بمواضيعه الدينية كلوحة (ولادة العذراء) المحفوظة في (متحف اللوفر) التي تجلى فيها ابداعه وعبقريته الفنية في لقاء العالم الواقعي بالعالم الماوراء الواقعي ، ولوحة (صعود العذراء وحولها الملائكة)• وهكذا اسهم بصوره للسيدة العذراء في رفع النموذج الى درجة المثالية • ورأى بعض النقاد تأثره بالفنان (فان ديل) •

وبمجيء الفنان (جويا ١٧٤٦ ـ ١٨٢٨) ظهرت مفاهيم جمالية جديدة في عصر ازداد الاهتمام بالتاريخ ، واصبح تمثيل الاحداث الانسانية في

الآثار الفنية اكثر اتصالا بالطبيعة التاريخية مما لـم يكن معروفا فيما مضى ، مما جعل لفن القرن التاسع عشر طابعه الفني الواقعي • وقد اكتشف (جويا) مضمونا جديدا لآثاره • وكان فنه من القوة ما جعله مصدرا للتأثر في احسن ما ابدعه الفن في القرن التاسع عشر • وان لوحة (تنفيذ الاعدام) في ٢ مايس ١٨٦٤ تعتبر من الاعمال الفنية الخالدة ، عرض فيها الفنان نخبة من المناضلين الاسبانيين ينفذ فيهم جنود نابليون حكم الاعدام يوم ٣ مايس ١٨٠٨ ، وعبر الفنان في لوحته عن الاحساس بالرعب والشعور باليأس في اللحظات الاخيرة التي يجتازها أولئك المناضلون في رحلتهم الـى عالم الخلود • بينمـا كانت فرقة ثانية من الجنود تدفع بجماعة اخرى من المناضلين نحـو ساحة الاعدام ، وقد وصفها (ليونيللو فينتوري) بانها (صورة من الجحيم) باستثناء منظـر القرية التي تظهر على احد المرتفعات التي تشهد هذه الكارثة الانسانية • وقد اتبع (جويا) في تصميم لوحة الاعدام الاساس المحوري ليضاعف الاحساس بشناعة الفاجعة عن طريق الفراغ الحافل بتلـك المجموعات البشرية ــ حسب تعبير فينتوري ــ • وان الضوء يكشف عن شكل التصميم كما تسهم الظلال في الايحاء به وعرضه في دينامية يسودها روح العنف • وقـد تركـز الضوء على شاب رافع ذراعيه معبرا بحركته ومظهره بقميصه عـن الكارثـة وقرب وقوعها • ورأى (ليونيللو فينتوري) هذه اللوحة بمثابة فتح في تاريخ الفن ، وان عنصرها التاريخي يؤكد ولادة عقيدة جديدة تقوم عـلى حـق الانسان بالحياة والحرية • وان هذا المشهد يجسد القضاء علـى القيم الانسانية بأداة غاشمة • وهكذا عبر (جويا) عن مشاعر شعب متطلع الـى المجـد فاعتبرت لوحته رمزا لثورة شعب على السيطرة الاجنبية • وقد وجه الفنان اهتمامه الى ابراز التأثير الدرامي دون الاهتمام بالمثاليات الجمالية المتوارثة ، وعبر عـن حبه لبلاده وشعبه بهذه الصورة الفاجعية ، فالتقى في هـذه اللوحة الواقعة التاريخية التي تمثل العنصر الموضوعي فيها مـع الاحساس الفنـي والتعبير الذاتي في وحدة العمل الفني •

٩ ـ اما في البلاد العربية ـ التي مارس فنانوها الرسم منذ عصور ما قبل التاريخ على سطح الاواني الفخارية والسطوح الجدارية وغيرها ـ فقد أدركت اهمية الصور في التعبير عن الافكار ، واصبحت هذه الصور بمثابة مصطلحات ثم كلمات ذات مضمون فكري وقيمة تشكيلية .

وقد اشتهر الفنان (رابولا) بصوره التي تزين الانجيل المحفوظ في فلورنسا والمعروف باسمه .

واخذ الفنانون يزينون المخطوطات الادبية والعلمية بصور فنية . وقد اشتهر (يحيى بن محمود الواسطي) في القرن الثالث عشر بمهارته الفنية وحسه البديعي واسلوبه الاصيل المتمثل في صوره الجميلة التي زين بها كتاب (مقامات الحريري) عام ٦٣٤ هـ . مما جعل هذا المخطوط يعتبر من أهم مخطوطات (المكتبة الوطنية في باريس) . ووجد الجماليون في صوره (التعبير الاجتماعي في الفن) . وهناك مخطوطات عديدة علمية وادبية مزينة بصور توضيحية ذات قيمة فنية وجمالية ، وتؤكد صلة العلم بالفن ، وحاجة كل منهما الى الآخر ومن هذه المخطوطات المصورة نذكر كتاب (البيطرة وانتاج الخيل وتربيتها وتدريبها) وكتاب في (تركيب العين وعللها وعلاجها على رأي أبقراط وجالينوس) لـ (حنين بن اسحق) وكتاب (الاغاني) لـ (ابي الفرج الاصبهاني) ...

١٠ ـ وتذوق ذوو الذوق جمال الخط العربي ، وأدركوا امكاناته في مجالات الزخرفة فاتخذوه ليضفي على السطوح التي يزينها مظهرا زخرفيا له قيمة جمالية ، وتحضرني بهذه المناسبة قصة فنان فرنسي عاد من الاندلس معجبا بجمال فنونها الاندلسية وزخارفها الفنية وكتاباتها العربية ، فزين باب كنيسة بلدته بكتابات عربية اعجبه جمال تكوينها واهمية قيمتها الزخرفية مما يؤكد انسانية الفن العربي الاسلامي . وقد نبغ عدد من الخطاطين المبدعين مثل (ابن مقلة) . وأوجد الاستاذ المرحوم (محمود جلال) طريقة جديدة في الرسم اعتمادا على الحروف العربية التي لاحظ فيها قيمتها التشكيلية

والجمالية ، فرسم جسم الانسان من تأليف الحروف العربية .

كما ادرك عدد من الفنانين العرب المعاصرين القيمة التشكيلية للحروف العربية فأبدعوا لوحات تعتمد على قيمها التشكيلية .

١١ ـ واذا كانت مدينة (اورول ـ الوركاء) اول المدن التي ابتكر سكانها فن الفسيفساء من الاصابع الطينية المختلفة الالوان ، فان الاجيال المتعاقبة ورثت تقاليد هذا الفن وجعلت من المربعات الحجرية الصغيرة لوحات فسيفساء في العصر الهلنستي تمثل مواضيع ميثولوجية . ورغب الفنان في الحصول على مكعبات مختلفة الالوان اتخذها من الزجاج .

وان لوحات الفسيفساء المكتشفة في سورية وفلسطين وليبيا وتونس والاسكندرية تدل على مدى اسهام فناني البلاد العربية في تقدم هذا الفن الذي شهد في العصر الاموي عصره الذهبي . وما زالت لوحات فسيفساء الجامع الاموي بدمشق وقبة الصخرة في القدس في فلسطين تثير اعجاب المشاهدين من متذوقين وفنانين وتساعد الباحثين في دراسة فردوس الارض كما تخيله فنانو ذلك العصر من قصور وجنات تجري من تحتها الانهار اضف الى ذلك القيم الجمالية للعناصر النباتية والزخارف الهندسية .

١٢ ـ واذا كانت سورية وفلسطين والعراق ومصر شهدت اقدم الاختام الاسطوانية والاختام المبسطة التي تدل على مدى رقي فن الحفر عصرئذ . فان الاجيال المتعاقبة ورثت تقاليد هذا الفن ، وابدعت اجمل الصور الميثولوجية والشخصية على بعض فصوص الخواتم . وكانت قيمة هذه الخواتم تتناسب مع اهمية احجارها وجمالية المشاهد المنقوشة عليها .

١٣ ـ ولن اهمية الاثار الزجاجية والفخارية والخزفية والحلي الذهبية والفضية والبرونزية والسيوف الدمشقية واليمانية والمنسوجات والمسكوكات وغيرها من الآثار المكتشفة في البلاد العربية والاسبانية تدل على اهمية هذه الفنون الصناعية .

دمشق

بشير زهدي

الأستاذ أحمد مظهر العظمة
في شعره ونثره

بقلم : حسان الكاتب

— ٢ —

وعرض بخيانة الخائنين واهمال المهملين فقال مخاطبا امته :

ايه يا أمتـي ويـا نبض قلبـي ... كـم ظلـوم مجـرب طغيانـه
يدعـي ثـم يعتلـي ثم يشكو ... شعب هـم أمضـه تأنانـه
يكتفي بادعـاء مجـد عظيـم ... ليس يدري ماركنه مـا جمانـه
لا ترجـى عروبـة تتجافـى ... عـن عـلاء رصينـة اركانـه

ومن قول الاستاذ العظمة اذ ولي وزارة الزراعة :

ضـل يـا نفس جهـول ... حسـب الحكـم تجـاره
انمـا الحكـم جهـاد ... وابـاء وحـراره
اذكـري الفـاروق عـدلا ... بـم يهتـم نهـاره

ولشاعرنا الكبير في وصف الاشياء المادية والمعانـي المجردة آيات بديعة بعد انعكاس صورها في نفسه الصافية الواعيـة ، فاسمعه وهـو يقول فـي قصيدته (قلبي) وهي واحد وعشرون بيتا :

عاش فيـه الاسى فكـان لسانه ... وقلوب الشباب مهـوى لبانـه
ليس مثـل القلوب يشدو طروبا ... وزمـان الاحزان ليس زمانـه

ولم هذا الاسى ، لان الحياة تؤلمه بما حـل فيها وهـو يعشق الكمال والمجد :

هازيء بالحياة وهـي خضوع ... ودمـوع وخدعـة ومجانـه
عاشق والكمـال خيـر غوانيـ ... ـه وغيـد الفساد لـن حسانـه

مولـع بالمآثـر الغـر والسؤ دد ، والعلم ، والعلا والصيانـه
مغـرم بالخيـام وهـي بيـان وسخـاء وعـزة وامانـه
مغرم بالسيوف يلمعن فـي الفتـ ـح وراء الهدى لتعلـي شانـه

وفي خطابه لنفسه يقول :

يـا نفس يـا لغـز الحيـا ة ، ومنبـع العجب الكبـير
اقنعـت بالعيـش المبـض وكنـت فـي عيش نضيـر

وفي وصف « خيال » يقول :

جال فـي مسرح الزمان القديم جولـة الحاذق اللبيب الحكيم
ورأى عيشـه سعـودا ونحسا حول تلك الضوى وقصر سليم
وسعى في مسارح العصر برقـا في الدجى فـوق ماجن وظلوم
ثم راح الخيال يعرج فـي الجو الـى عالـم السمو العظيـم
مثلـه النسـر قـوة ورجـاء في رحاب الفضاء بين النجـوم

وفي قصيدته في وصف البحر يقول :

ايها البحر الذي يهـوى الطماح وتوازيـه السمـوات الفساح
ويسيـر الطرف فـي آلائـه ثم لا ينفك فـي بعض النـواح
ويطيـر القلب مشفوقـا بـه وهـو حسن وجـلال وكفـاح
وصبـاح الشمس بسام لـه ومسـاها خاشع حتـى الـرواح

وفي وصف سفح جبل قاسيون المشرف على دمشق يقول مـن قصيدة ٢٣ مكرر :

غبـط السمـاء وليلهـا جبـل هـواه جمالهـا
تلـك النجـوم الساطعـا ت كـأنهـا آمالهـا
نثـرت عليهـا مثلمـا نثـر الفضائـل آلهـا
واللؤلـؤ المنثـور فـي أفـوافـه امثـالهـا

وفي خضرة الربيع يقول :

ابتسام الربيع فضضت اصبا — حي وذهبت في الاصيل مسائي
ووهبت الخيال في الفجر آيا — كلما رتلت أعادت صفائي
داعبتني الصبا وماجت بأطيا — ف لطاف من المعاني الوضاء ...

(ويشخص) النبات ويقول بعنوان «حديث وردة» :

ووردة حدثتني — عند الصباح الجميل
قالت ودمع أساها — في جفن عين كحيل
بعدت عن ورد داري — فيا لرزئي الجليل
وهاج دمعي لما — لست معنى الافول
فقلت يا ورد صبرا — فأنت حقا مثيلي
قالت فانت لوصلي — وانني للقبول (٢٥)

ويضيق ذرعا بعالم الزور والبهتان ، ويأنس بعالم الرياض ويقول فيه من قصيدة (عالم الرياض) :

رفت الارض في بدائعها الخض — ر وغنى الاغصان للافنان
وشدت كل زهرة بنشيد — والنسيم الرقيق كالزعفران
كل أخت تميس تيها بأخت — وتشيع الوفاء في كل آن

الى ان يقول في عظته للناس :

ايها الناس خففوا من عناء — وعناد ومطمع وتفاني
انتم اخوة فكونوا سلاما — ووئاما يطيب كالريحان
وعصي الآمال بالرفق يعطى — حين يصفو الانسان للانسان (٢٦)

وفي حكاية وصف (آثار مفن) في لوحات روائع يقول :

وشيخ جليل القدر ذلك ابو العهد — ومن حوله الافكار وهي قصائد
يحاكيهم فلاسفا يهتدون امة — ومن خلفهم قامت تماثيل تكائد (٢٩)

وشبيه بهذا قوله من قصيدة في وصف مفن مخرغربي :

ايه (للاحويدن) في ابداعه ذلك الرسم بالهام عجيب
انه دعي من الفن الذي يخبط الناظر في شك مريب
قال لي خلني وقد أبصرته دلني أي المثالين القريب
حسب الالوان في ابداعها أفقا حقا ، وكم من مستريب
هكذا الفن اذا خالطه ذلك الالهام والسحر المهيب(٣٠)

ومما قاله في (التلفاز) (٣٢) :

ما أخيلاه للهموم طروبا ما اخيلاه ناصحا وشفيعا
النهى والمنى تطوف تباعا ثم تطوى وكم تعود رجوعا
وتجوب الدنيا وانت مقيم وتروم العلا وتلقي الجموعا
ولو ان المصار صانوه حقا لتسامي فما يكون خليعا
وغدا منبرا وامسى رياضا وتغنى وظل دوما رفيعا
ايهذا العلم الدؤوب الليالي والكسول النؤوم يحيا وضيعا
انت شمس تنير درب المعالي وتناجي العلا وترجي القطيعا
ضل سعي الجناة عاثوا فسادا باسم علم ما كان يوما فظيعا

وقد استغرق الوصف في ديوان (نفحات) اربعا وثلاثين صفحة (٣٧ ـ ١١٠) وصف فيها دمشق وغوطتها وجلـنـة من مصايفها وبعض الحدائق والبحر وجملة من المخترعات الحديثة . وفيه تسجيلات وتعليقات وصرخات من آلام وآمال بعد وقائع واحداث في الوطن العربي والاسلامي في الصفحات ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٣ ... الخ .. وفي ديوانه الاول « دعوة المجد » في الصفحات ٣٥ و٦٢ ومنها اشادة بذكر ابطال وعظماء ، خالد بن الوليد وطارق وعمر بن عبد العزيز وصلاح الدين ... وغيرهم قديما وحديثا . ومن ذلك قوله من قصيدة عمر بن عبد العزيز في ديوان دعوة المجد :

ان السلام الذي قد كنت تنشده اضحى مواراى فلا ظل ولا أثر

والراحمين نجوم الامس قد بلغوا ... مـن المهانة مـا لا يبلـغ البشر
كل « ابي » وكل فـي ارومته ... مجد وعـز وآمال لهـا سيـر
من كل اصيد لـو بلغت ذلتـه ... لقمت تمنعـه معوانك القـدر
كم يستجير وكم تغريـه السنة ... حمراء من دم مظلومين قد غدروا
لعهدك النور حقا جل عـن شبه ... بعصر عدوان اهل الغرب يا عمر(٣٢)

وللاستاذ العظمة عبرات واعيات وقصائد دامعات ، فقـد رثـى بعض الاهل والاصدقاء والعلماء والادباء ودعاة الاصلاح والتوجيه ، ويلمس مـن يقرأ شعره في ذلك صدقه وحبه وتقديره . ومن قصائده في ذلك قصيدة في رثاء امه ومنها :

أمي يرن بسمعي صوتها ولهـا ... ذكرى يعبر عنهـا صامت الالم
لم اغش غرفتها ولهان مكتئبـا ... الا ولاح محياهـا بـلا حلـم
كأن كـل متـاع حـين المسه ... او حين أبصره قربى مـن الرحم
وكم سمعت نـداء حزنـي فاذا ... صوت المنى والمنايا واهم الكلم
وهكذا العيش أعمار واخيلـة ... والمرء من بعدها في قبضة الحكم(٣٣)

ويقول في رثاء الزعيم المغربي الاستاذ محي الديـن القليبي فـي حفلة تأبينية في ربيع الاول ١٣٧٧ (تشرين الثاني ١٩٥٥) :

مصابك مـن عـام تصرم دامع ... وعيشك للحق الدؤوب (وقائع)
محي الدين يا قلبا من الخير نابضا ... وسيفا على مـر العصور يقارع
كأنـي القـاك العشية مدرهـا ... تدافع عن ماض بـه المجد ذائع
تحدث عن فتك الفرنسيس بالاولى ... ارادوا العلا والغرب بالظلم بارع

الـى ان يقول :

حسامك مـا ذاك الهوان وهوله ... وقلبـك وضاء ورأسك رافـع
يلوح لنا فـي كـل افق كأنـه ... هلال له بين النجوم مطالع (٣٤)

وفي تأبين العلامة الاستاذ محمد كرد علي عنـد قبره بعـد كلمة فـي مآثره يقول (٣٥) :

محمد كنت الجد والفضل والعلا فبت ضجيعا شيعتك المدامـع
وللشام احـزان وللعرب لوعـة فيا لفقيد قـد بكتـه المجامـع

وفي رثائه البحاثة الاديب الاستاذ عباس محمود العقاد يقول (٣٦) :

يا يراعا قـد كان شمسا وطورا كان رمحا على صدور الاعادي
قـد حبيت البلاد نورا مبينـا بشعاع مـن العـلا والرشاد
ومنحت الشبـاب علمـا يقينـا لا ارتيابا وضلـة فـي اعتقـاد
فأدلـوا عـلى العصور بديـن وبمجـد محمـدي الجهـاد
ورميت العـدا بنقـد جـريء رب نقـد اشد مـن اصفـاد
نم قريرا فالغمـد روض ونـور وحبـور للراحـل العقـاد

وشعر الاستاذ العظمة مع نفسه واهله واخوانه يفيض ودا وصفاء ورقة وحنينا ومرحا ، ومن ذلك قوله في قصيدته (حنان قلب) (٣٧) :

مالـه كالضيـاء بين جنوحـي بعد ما غاب عـن ظلام المعانـي
ان يكـن غـادر الزمان ابـاه فلقد عاش فـي جنوح الحنـان
حسن للبيـد ، للفتوح ، لعهـد سار فيـه الاسلام سير البيـان
حن للصيـد مـن غطارفة المجد دعـاة الهدى ، رعـاة الزمـان
كـل شهم منهم رياض المعالـي عبق الذكر مـن شذى الايمان

وقوله مازحا في رسالة الى صديق اهدى الـى مكتبة التمدن الاسلامي غثا وسمينا من كتب وصحف (٣٨) :

اهديتم كتبا من خير ما سكبت قرائح الفضل من علم ومن ادب
وسوف يغنم منها كـل مكتسب نورا ينال بـه كنزا من الحقب
لكن فيها وقودا يصطلي فرحـا به (التمدن) دون الزيت والحطب

إكرم بها حين كانون سيرجفنيا ... يبرده وهي (للكانون) خير أب
فارسلوا بغيـة الاحراق نافلـة ... كبرى تباهي بهـا حبالة الحطب
وارسلوا من مجاني العلم ما ابتهجت ... به العقول ابتهاج النور بالسبب

وأخيرا لا يفوتني ان اقول : انما يكون المرء شاعرا حقـا بدقة ملاحظته ورقة عاطفته وسلامة ذوقه وروعة بيانه الفصيح الكلمات ، الحسن الرصف ، الجميل الوصف الذي لم يخلق باسلوبه ركاكه ، ولم يشبـه تعقيد ، ويجمع الاستاذ العظمة ذلك كله في اكثر شعره السهل الصادق الذي يذكرنا بما رواه ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات الشعراء (٣٩) عن ابن عباد قال ، قال لي عمر : أنشدني لاشعر شعرائكم ، قلت ، من هو يا امير المؤمنين ؟ قال : زهير قلت : وكان كذلك ؟ (٤٠) قال : كان لا يعاظل (٤١) بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه •

وهكذا نجد شعر الاستاذ العظمة في ديوانيه من اصدق الشعر واسهله واعذبه واتمه • حفظ الله شاعر الايمان والمجد للعلم والادب ومكانه مـن الأخلاق •

نثر الاستاذ العظمة :

والاستاذ احمد مظهر العظمة ـ مع ما اشرنا اليه من شاعرية اصيلة ـ كاتب كبير ، سخر ادبه للعلم والاصلاح منـذ اول عهـده بالتأليف وكتابـة المقالات في مجلة التمدن الاسلامي التي يرأس تحريرها منذ اربعين علما وفي غيرها من المجلات والصحف الكثيرة •

كتب في التفسير والسنة والعقيدة والعبادة والمعاملة والاخلاق والتشريع والتربية والحضارة والمدنية والعلم والثقافـة والمجتمـع والتراجم والشعـر والنثر والخطابة ••• الخ •

ـ وهو يرى ان الامة بحاجة الى ادب الاصلاح ، وكان يحمل عـلى ادب المتعة واللهو (٤٢) ومن قوله ردا لزعم ادباء اللهو والمتعة : (المطلوب مـن الاديب ان ذهب هذا المذهب او ذاك ان يثبت ان الاديب صدى الجمال بالفاظه

المختارة وجملة الفنية واسلوبه الاخاذ ، يوحي ذلك كله بذوق صهلر وطبع متمكن ، فيعمل في النفوس عمله ، فاذا بالآذان والقلوب تسمو ــ ولو كان في موضوع اجتماعي ــ فتهتز له او قل به كما تطرب بتغريد البلبل ، وتسر بخرير الجدول ، وتأنس بساعة الفجر ، ونشوة النصر ، وفرحة اللقاء ... ان الادب لا يحرص كل الحرص على موضوع دون موضوع ــ وان كان الصق ببعض الموضوعات ببعض ــ ولكنه يحرص على الفن البياني الجميل ذي القوة الاخاذة التي لا يملك مثلها الكلام العادي ، لان هذا الكلام للتفاهم الضروري ، والكلام الادبي وسيلة تعبير رفيع ان كان ادبا صرفا ، او وسيلة تأثير قوي لن كاد ادبا تطبيقيا ...) (٤٣) .

آ ــ للاستاذ العظمة اسلوبا من قوي فحل انيق حسن الايقاع في الاسماع والقلوب ، جزل الالفاظ الفصيحة ، موجز العبارة ، واضح الدلالة ، فيه صناعة محمودة لا اسراف فيها ولا تكلف ، يبدو ذلك في كثير مما يصنفه مجملا في مقدمات مجلة التمدن الاسلامي التي رأس تحريرها منذ اربعين عاماً ولا يزال .

ب ــ واسلوب علمي رقيق دقيق ، رشيق الالفاظ ، لين الجمل ، سهل العبارات ، مشرق المعاني ، بعيد عن المحسنات اللفظية ، الا ما سقط منها عفوا في مواضعه . وهو يعتمد على هذا الاسلوب في معرض البحث والتفصيل والتحقيق .

فمن الاسلوب الاول مقاله منذ اربعين عاما يصف فيه الامير خالدا الجزائري يوم وفاته في ١١ ــ ١٠ ــ ١٣٥٤ هـ وهو حفيد المجاهد الكبير الامير عبد القادر الجزائري الحسني ، وفيه يقول مشيرا الى طلبه مبارزة معتد طعن في الاسلام والرسول العربي (ص) .

(... لم اكن للامير قريبا او حميما فاكتب عنه مليا) ، وانما كنت له على بعد وانقطاع صديقا وفيا ، منذ كتب في احدى الصحف عن احد البوغاء الاعاجم من ذوي الدخلة الخبيثة للشريعة السمحة ، مقالا اصاب به عن غير

علم ولا هدى ، كرامة الرسول العربي صلى الله عليــه وسلم فاذا الامير يضج ضجيج ذي دنف من ألمه ، ويهب هبوب الاسد بوغت فــي عرينــه ، ويلسنه قوله : البراز البراز ، بالسلاح الذي تختاره ، او اعتذرت واستغفرت ... ؟ فكانت صيحة بطل تناقلتها الصحف والجماعات الغضبى ، اعقبهــا غسل عار ، واعتذار ، واستغفار .

وكتبت ـ وكتب الناس ـ الــى الامير اشكره علــى الغيرة والمروءة ، فاجابني : (لم افعل الا واجبي الديني ، اشكركم على مؤازرتكم وحميتكم).

وقد ذاد عن الاسلام في مواقف يستحق بها ان يكون في التاريخ مــن الخالدين . وساعده في جهاده ان كان ليسنا باللغة الفرنسية ، مشجا ، تحسبه وهو يخطب (ميرابو) خطيب ثورة الفرنسيس ... (٤) .

ومن اسلوب الاستاذ العظمة الثاني قولــه فــي اهم مزايــا الحضارة الاسلامية ما يلي :

(شمولها نواحي الحضارة جميعاً ، خلافا لمــا هي عليه حضارات الامم ، فحضارة اليونانين الاثينين فلسفيــة فنيــة ، والاسبارطيين مدنيــة جندية ، والرومان اشتراعية وحربية ، والفرس صناعية وفنية ، والهند فلسفية روحية.. اما الحضارة الاسلامية فهي روحية وخلقية واشتراعية وادبية وفلسفية وعلمية وعملية ...) .

واكثر مؤلفاته ومقالاته في المجلات والصحف كتبها باسلوبــه الثاني ، اغتناما للوقت ، ومراعاة للبحث وزيادة في السهولة .

اما خطبه ، فقد قواها التدريس ، والعمل في التمدن الاسلامي والتنقل من بعد الترشيح للنيابة . في احياء دمشق وغوطتها عــام ١٩٤٧ م وارتجالــه الخطب السياسية والاجتماعية التوجيهية التي وصلت بينــه وبين الجماهير ، وجاءت خطبة سهلة واضحة قصيرة الجمل والعبارات قوية الفواصل ، عميقة الاثر ، وكثيرا ما اطال فيها مراعاة لمقتضى الحال مع فصاحة قول وتدفق بيان وقوة استشهاد ومن خطبة ارتجلها الاستاذ العظمة افتتح بهــا مدرسة التمدن

الاسلامي الثانوية بصفته مديرها ـ عام ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م قوله :

(... هذا يوم من ايام الله له ما بعد ، انه يوم مدرسة الوطن وليدة الضرورة المبرمة التي كان بعض الناس في شك منها ، ثم آمنوا بها جميعا حين وقعت الواقعة ، فشارك اساتذة المدارس الفرنسية زبانية العدوان الاثيم فاصلونا حميما وبارودا ، ازهق النفوس البريئة ، وهدم المساكن الآمنة ، حتى اهتز الثقلان على ما اصابنا من ظلم لا يرحم ، واستعباد لا يألم ، ووحشية لا تستغني عن قرونها ، وانيابها واظفارها ... الخ) .

دمشق حسان الكاتب

مهرجان اسلامي في لندن للتعريف بالحضارة الاسلامية

قال رئيس لجنة مهرجان العالم الاسلامي ان هذا المهرجان الذي سيستمر ثلاثة اشهر وتفتتحه الملكة اليزابيث هو حدث لا دخل له في الشؤون السياسية .

وقال السير هارولد بيلي رئيس اللجنة في مؤتمر صحفي ان المهرجان الذي تقدر نفقاته بمليوني جنيه استرليني يهدف الى التعريف بالثقافة والحضارة الاسلاميتين من خلال الادب والموسيقى والفن .

وقال السير هارولد ان اعداد المهرجان استغرق ثلاث سنوات . وقد وصلت بالفعل كنوز اثرية من ٣٠ بلدا وحوالي ٢٥٠ متحفا لعرضها خلال المهرجان .

ويقول المنظمون ان المهرجان سيقدم للعالم الغربي الحضارة والثقافة الاسلاميتين .

وقالوا ان معارض وحفلات موسيقية ومحاضرات ستعقد في لندن ومقاطعات بريطانيا الاخرى .

وسيعرض التليفزيون البريطاني سلسلة من افلام اعدت خصيصا للمهرجان .

العرفان : كان المهرجان موفقا .

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة ومنقذ أمة

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

البلاد العربية كائن حي :

موقع يتيم ــ احياه الاسلام ، واحيا به ــ كائن تعددت اسماؤه .

موقع يتيم

البلاد العربية شامة في وجه العالم ، تزيده جمالا ووضاءة ، قد تستغني عن مجموعة ولا تستغني عن مجموعها ، إذ هي مصباحه الحضاري والروحي ، وهمزة وصله . فازت بموقع يتيم ، خلق الحضارات القديمة : المصرية ــ العراقية ــ الشامية ، اليمنية ــ وتجيء طليعة امبراطوريات التاريخ واحتفظ بما يلهم صناعة يقظة وزراعة متطورة .

غاصت البحار بيد ابنائها الكنعانيين (الفينيقيين) والحضارة ، ولم تعرف فوضى الطبقات التي فتكت بقدماء الفرس واليونان والرومان ... ولم تفارق فرنسا منذ وقت قصير !!! هي ، قطعة من ذهب ، تخللها بقيرون الغفوة ، بعض الاثرية ، فحاول الطامعون طرحها بأتون التجربة ، لكن لتخرجن ناصعة ، تنشد مع ابي زيد السروجي :

وطاعا أصيلي الياقوت جمر غضى   ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

حياها الله كنوزا ، فأخذ الطامعون يظفرون ببعضها ، وكان هذا سبب تمزيق أوصالها ، وبعثرة اجزائها ، ولعلها هي الممزق المبعثر الوحيد ، في هذا العصر ، لكن هذا لن يفضي لموتها اذ بها مقومات وحصانات تكفل يقظتها .

احياها الاسلام واحيا بها

ما كاد هذا الكائن ، يغفو لحظة ، بين جمر الزمين ، ويتقاسمه قدماء

المستعمرين ـ من يونان وفرس وروم وأحباش ، حتى جاء الاسلام فأقال عثرته ، واطلقه حاملا عقيدة تخالف المنطق وتشريعا يكفل سلم العالم .

لقد زاد الاسلام هذا الكائن الحي صقلا ، ونجاه من تجارب ومحن ، وسينجو من هذه المحنة ، اذا حشد امكاناته واكتشف طاقاته .

اما الاثربة التي علقت به ، وكادت تواري بعض خصائصه الاصيلة ، فليست خافية عن ذوي البصائر والانوف السليمة .

ولئن تسلل الطامعون من فجوات انقساماتنا الداخلية ، وفرحوا بمعاركنا الجانبية ، وما زالوا يفرون بعضا ببعض ، حتى اشرفوا على استنزاف طاقاتنا ، فقد وضعنا ـ او كدنا نضع لهذه الدهورة حدا وأخذنا من الدهر درسا .

هذا الكائن وان تعددت اسماؤه ، فرأيناها في العراق اشوريين وكلدانيين ، وفي الشام ـ سورية ولبنان كنعانيين وفيلطيين وارامين وفينيقيين ، وفي مصر هكسوس وفي المغرب بربر هو كان واحد ، ذو اسم واحد ، هو العرب الابطال المسلمون الخالدون .

ولئن تجرعنا من كأس تجزءتنا ، هذا العلقم القتاك ، فعادت دولتنا الكبرى دويلات ووطننا الكبير اوطانا ، فقد آن ان تتخذ التعاون المخلص مقدمة لوحدة كبرى ترفع لواء الاسلام لا سيما بعد ان أصبحت هذه الاجواء تفرضها .

تعليق على حضارة ديار عاد وثمود

السدود والتابعة ـ خط التجارة من حضرموت للشام ـ الحميرة اليمانية ـ

ولئن أوجزنا الآن البحث عن رقعة من بلاد العرب فلا ينبغي ان يفوتنا ان العرب وديار العرب ولذا وان أوجزنا البحث على بعضها الآن ، المنطقة العربية وحدة منذ قرون غارقة في القدم بل ان الديار التي تتكلم العربية الآن هي عربية منذ قرون لا نستطيع تحديدها .

قصص الرسل دعوة للاقتداء بهم واتخاذ سيرتهم درسا نستفيد به من المثابرة على الدعوة المخلصة لها ولو افضت لجهد ومشقة ٠

وقصص رسل العرب نافذة نطل منها على الديار التي عاشوا بها ونلتفت لما تمتعت به من حضارات ونلمس النواميس التي تميز ارتفاع الامم وانخفاضها ونضع الكف على الاسباب التي أحالت تلك الحضارات اخبارا ٠ حدثنا القرآن عن قوم هود وصالح وشعيب ولوط وايوب فأرانا باليمن والحجاز والاردن (العقبة الاغوار معان) وحوران قصورا وبساتين وتجارات ومعادن ومياها جوفية ٠ واذا اضفنا هذا لسدود اليمن ودولها وتبابعتها (أباطرتها او ولاياتها المتعددة) رأينا الديار الممتدة من اليمن لدمشق متفوقة على ما عاصرها أبنية وزراعة وصحة سكان وطول أعمار وانخفاض نسبة وفاة الاطفال ٠

ولئن اصبح بعض تلك الديار صحراء وبعضها مغمورا بالمياه كالبحر الميت مثلا فعلينا

تعليق على بلاد العرب كائن حي :

نحن العرب اخذنا مفتاح المعرفة ، فلم ندخل ومنعنا الداخلين ٠٠٠ تشريع خاتم الرسل عالمي ، تكفل بشفاء الانسان ، مما عاناه ويعانيه وسوف يعانيه ، بلغه رسول الله العرب اولا ووضع على عاتقهم مهمة نشره ٠

اتخذوه دستورا لحظة من عمر الزمن ، ثم تخلوا عنه منذ تخلوا عن الشورى ، فأفلت شمسهم واظلم مجتمعهم ، واشتركوا ، ملوكا وشعوبا ، بتشويهه ـ اي عرضه على العالم مشوها ـ فوقف سيل امتداده ، واجترأت عليه الاقلام الحاقدة والمأجورة والطفلة ٠٠

لقد ابتعدنا عنه ، فعدنا جاهليين نجتر كلمة التوحيد ، ونمارس عبادات لانكاد ندرك حكمتها ، فضللنا واضللنا ، بل هلكنا واهلكنا ، ورمينا البشرية بنكسة لن تقال الا اذا غيرنا ما تاقصنا ٠٠

ابتعدنا ، حتى نحن الذين نتناول طعامنا بملاعق الدين ، وشاطرنا

الجمهور مفاهيمه ، جهلا منا او مجاملة ، ومن الانصاف ان تنظـر الجمهور بعين المذرة ، اذا انجرف بتيارات متضاربة ومغريات مخيفة اجرجته وحاولت استئصال الايمان من صدوره ، بل ومن الانصاف ان نعترف انـا ـ بتشديد النون ـ نحمل الدواء الواقي ، لكن لم تتناوله ..

لقد تركنا الناس يلتهمون معرفة الاسلام من سيرتنا وواقعنـا وكتبنـا المحشوة بالاتربة والجدل ، ناسين ان العميان اذا قادوا عميانا ، انجرفوا فـي هاويـة ...

على اني ـ والحق يقال ـ المس الفرق بل عـدم التكافؤ بيننـا نحـن الشيوخ وبين الماديين والذين استعذبوا الصولة على الاسلام كالاب يوسف درة الحداد مثلا ، اذ يستغل هؤلاء تفريطنا وعدم دراستنا المنظمة ويرموننـا بسهام ، قد يخالونها لجهلهم الاسلام قاتلة ، اما نحن فقد نتجاهل السهـام او نقابلها بدريئة مرتجلة ، قد لا تعدو جملا نرصع بها خطبـة الجامع ، ولا تلبث ان تتبخر من اذهان السامعين ..

قد نملك الرد فكريا ، لكن لا نجد من ينشره ، لان اجـواء التوجيـه والنشر ليست معنا ، ولان الذيـن يصعدون عـلى اكتاف المسلمين ويزورون احياءهم مرة في البضع سنوات هم بواد آخر ، ولعل الذين وصفوا الفكـر الديني بالبائس نظروه من نافذة بؤسنا نحن . الا ان السياسة المبيتـة منـذ قرون سهرت على هزالنا ، لتخلو الساحة ، وقهرت بعضنا على الاحتماء بمن اعدتهم لتنفيذ مبيتاتها ، ومما يخزي ويؤلم ، ان بعضنا يبرر مطلق نظام قائم ، ويسدل على التبرير ثوبا دينيا كـان الاسلام صابون تغسل بـه انحراف المنحرفين ..

لقد ظلمتم الاسلام ـ أيها الناس ـ حين نظرتموه من نافـذة المرتزقـة باسمه ، كما ظلمتموه حين خلتوه يؤجج نزاعا بين الناس ..وظلمتموه اكثر واكثر حين حشرتم الذين لا يتقنون الدفاع عنه ، في زمرة حماته .

لقد تعلمنا التوحيد كمقدمات ونتائج ، ولـم نتعلمه بدراسة الطبيعـة والاستدلال من قوانينها الدقيقة على قوة تنظيمها بعناية وتقدير .

وتعلمنا الدفاع عن الاسلام ، رداً على المرضيات والتأريخيات ، ولم نتعلمه تصحيحاً للفكر المادي او المذاهب الاقتصادية المتغايرة التي اختلفت بكل شيء الا بالصولة على جوهرنا ، او صولة الاستشراق المختفية تحت رداء البحث المنهجي الموضوعي ، أو المدارس التي سلبتنا اطفالنا وما زالت تتخمهم بالشبهات حتى تبنوها كحقائق ، وخرجوا يلهثون وراء الزعامات التي دفعت سفينتنا لليم المبيد ..

لقد فاتكم ـ أيها الناس ـ ان الاسلام امرنا باحالة ارضنا فردوسا ، لنتخذها جواز مرور للفردوس السماوي ، اما نحن فقد غرقنا بالمفاهيم الملتوية ، وقذفنا بنفوس الجمهور ان الاسلام اختصنا بفردوس السماء حتى لو تركنا ارضنا بورا .

امرنا ان نقيم انفسنا مقام الطبيب ، ونصف لكل سائل ما يناسبه ، لكننا ، وصفنا للناس دواءا واحدا فأصبنا منهم مقتلا .

امرنا ان نتخذ من العلم حجتنا ، فأخذنا نلتهم دون حجبة ، كأننا جسم اعرض عن وسائل الدفاع ففتكت به الامراض السارية .

فارقنا نقطة الوسط التي اعدنا لها الاسلام ، واخذنا بمهماز الغلو نجنح ليستنقع المتناقضات فبعضنا ينظر الاسلام من نافذة خيالات الباطنية التي حمل رايتها الحلاج ، وانبرى بها ماسينيون ، كخرافة مأساة ابليس ، ويرى قصة الطوفان رمزية كأنه يرى مستحيلا ان يطوفه نهر فيغرق قوما ، ويرى تكوين الانسان الاول من تراب متناقضا مع العلم ، وبعضنا يبرر التخلف بل والطرد من فلسطين بالقضاء والقدر ، وبعضنا يرى ـ ترديدا للتوجيه الاستشراقي ـ الاسلام عثرة في طريق حياتنا كأمة ...

مسكين هذا الاسلام لقد وضعنا على عاتقه ما يبرىء منه ، فاشتركنا بتشويهه ، وحلنا دون سطوع نوره ، وعرضنا محاسنه مآخذ ..

لقد فاتنا ان الشمس ، تأفل ، لكن ليس افولا ابديا . وفاتنا ان اعمال المنحرفين ليست من تأثير اديانهم ، ولذا لا نضع تبعة انحراف دول الغرب على عاتق دينه ولا نضع جرائم الدول المعاصرة على عاتق سيدنا المسيح اذ لم يأمر باعداد قنبلتي هيروشيما وناغازاكي ولم يقل : امنحوا فلسطين ابناء الافاعي ..

بيروت محمد علي الزعبي

الشاعر أمين نخله

بقلم : وديع ديب

جاءت اطلالة الشاعر الامين الى الدنيا واطلالة القرن العشرين في موعد واحد . فقد توفاه الله الى رحمته عن خمسة وسبعين عاما . ولقد كان في شعراء الطليعة من أبناء هذا العصر . فهو يرقى في المستوى الشعري الى منزلة شوقي ومطران والرصافي وأبي ماضي والقروي والمعلوف والاخطل الصغير . الا أنه لم ينظم في جميع الاغراض المعروفة التي ألفها شعراء هذه الحقبة من الزمن . وكأني به يعيش للجمال وحده ، كما يعيش للنغم الساحر والصوت الآسر بما يشابه ابن الرومي في الكثير من شعوره الوجداني . وينفرد عن غيره من الشعراء في أنه لم يكن في شعره أبرع منه في نثره . فكأنهما يسكبان في بوتقة فريدة واحدة . مرد ذلك الى ما توفر له في حداثته من مناخ شاعري وحسب عربي . حسبه ان يكون ربيب رشيد نخلة ، الذي جعل للزجل اللبناني أجنحة من الخيال ترقى به الى سدة الشعر الوجداني الرفيع ، وحسبه أن يكون ابن من قال في النشيد الوطني :

سهلنا والجبل   منبت للرجال

ففي هذا المنبت العربي الاصيل نشأ الامين عزيزا مباهيا في عشيرته ووطنه . ولطالما سمعته يحدثنا باعتزاز عن شرف أرومته التي تمت الى الدوحة الهاشمية بصلة قربى . هذا ، ولم يكن حرصه على شرف نجاره بأشد من حرصه على أصالة الفاظه وشرف معانيها . من أجل ذلك ، كان كلما أطل على العالم العربي بكتاب من نثر أو شعر ، يتناوله أساطين اللغة بالنقد من أمثال الشيخ مصطفى الغلاييني ، والشيخ ابراهيم المنذر . وكان كلما أخذ عليه مأخذ لغوي يقرع الحجة بالحجة ولا يرضى بغير الاقناع دليلا . أقول هذا وأرجو أن لا يفهم من كلامي ، أنه كان مشدودا الى الحرف بأسباب لا

تنفصم ولا تقبل التحرك في مضمار البيان . ولولا هذا الميل فيه الى الابداع والتجديد ، لما انحنى أمام مدرسة بودلير مكبرا خاشعا :

ليت شعري أي خزي يعتري	شعراء الارض ان قاموا لديك
أنا لو بلغت جئت القبر في	حرمة الموت وقبلت يديك

وغني عن البيان أن كبار النقاد لم يتناولوا قصائده بالنقد الا بدافع الاكبار والتقدير . ومجمل القول فان أمين نخلة ، كان ممن يدينون بالمذهب الارستقراطي في اختيار ألوان الكلم . لذلك ألبس معانيه الديباج الموشى على غير اسراف في الزخرف ، علما منه ان المعاني الجميلة ، هي كالغواني الحسان اللواتي أغناها الله عن طلب الجمال في غير وجوهها ، وأجسادها . وهنا ليسمح لي القارىء الكريم ، باختيار فريدتين من فرائده في « دفتر الغزل » على سبيل المثال . لعل فيهما ما يعيد الرضى والاطمئنان الى النفوس بعد أن عصفت بها رياح المآسي والمحن ، التي نعانيها في أيامنا هذه . القصيدة الاولى بموضوع « الحبيب الاول » والثانية بموضوع « سيد درويش » وكلتاهما على غاية من الطرافة والابداع .

الحبيب الاول :

أحبك في القنوط وفي التمني	كأني منك صرت وصرت مني
أحبك فوق ما وسعت ضلوعي	وفوق مدى يدي ، وبلوغ ظني
هوى مترنح الاعطاف ، طلق	على سهل الشباب المطمئن
أبوح اذن ، فكل هبوب ريح	حديث عنك في الدنيا وعني
سينشرنا الصباح على الروابي	على الوادي ؛ على الشجر الاغن
أبوح اذن ، فهل تدري الدوالي	بأنك أنت أقداحي ودني
اتمتم باسم ثغرك فوق كأسي	وأرشفهما كأنك أو كأني
كأن الصحو يلمع في ظنوني	ويخفق في ضلوعي ألف غصن
على الوتر الحنون خلعت شوقي	وماج هواي في آه المغني
ففي النغم العميق اليك أمشي	وأسلاك حائر الوتر المرن

سيد درويش :

يا واحد الفن ، والآفاق مصغية جرى العشية ، حمراء الاسارير
اهتف ، تجد شفقا يمشي الى شفق معجل الخطو بين الوهج والنور
في الغيب منك جناحا طائر غرد مغلغل الصوت، خلف الحجب،مأسور
أدرت عيني فما زفا ، ولا خفقـا لما انطلقت ، فأذني في فم الزور
من أي بشدو سحيق أنت مرسله على ذرى غرف الولدان والحور
عاشت اغانيك كهفا يستعاذ بـه من الحياة ، ومـن صمم المقادير
وروضة،غضة، خضراء، قد سقطت ظمئى القلوب عليهـا كالعصافير
يا ليت صيحة «آه» منك طوع يدي حتى اقول لها : طيري بناء طيري
فتى الاغاني ، وما ناديت مستمعا، ونـي الربيع بسلطان الشحارير
لو أنصفتك الغصون الخضر مارقصت يوما، ولا صفقت يوما، لعصفور

قاموس عربي يدرس فـــي جامعة امريكية

كتبت الدكتورة الشاعرة سلمى الخضرا الجيوسي ، استـــاذة التـــراث العربي في جامعة يوتا الى الاستاذ طلال حكمت المديـــر العام لدائـــرة الثقافة والفنون تقول : ان قاموس العـــادات واللهجات والاوابـــد الاردنيـــة تأليف الاستاذ روكس بن زائد العزيزي الذي طبعته الدائرة يدرس في جامعة يوتـــا فـــي امريكا .

ومما يذكر ان قاموس العزيزي ، قد صدر في ثلاثـــة مجلدات ضخمة . اجتهد فيه مؤلفه ان يكون شامـــلا وملما بشرح مفصل عـــن كـــل العادات واللهجات والاوابد الاردنية .

ولعل تدريس هذا المعجم النادر فـــي احدى الجامعات الاجنبية ، يـــدل بوضوح الى المكانة الادبية المرموقة التي يمتاز بها العزيزي ، كما يـــدل ايضا الى مكانة قاموسه بين المؤلفات الاردنية الاخرى ، التـــــي حاول اصحابها ان يبحثوا في هذا المجال .

مؤشرات الحرب الخامسة بين العرب واسرائيل

بقلم : حيدر العرفي

تقوم في لبنان أحداث دامية تأمل ان تنتهي بشكل يحفظ وحدة لبنان ويحقق العدل لمواطنيه وتتعرض الضفة الغربية المحتلة لاجراءات قاسية من العدو الصهيوني ظهرت بوادرها بالسماح لليهود بالصلاة بالمسجد الاقصى المبارك/اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين/وبمصادرة الاراضي من اصحابها لاقامة مستوطنات للصهاينة . وقد قابلتها انتفاضة مباركة آمل ان تكلل بالنجاح .

وبعد فك الارتباط بدأت المناورات السياسية الى حالة انهاء الحرب بين العرب والصهاينة او حل مسألة فلسطين بشكل سلمي في مؤتمر جنيف او مجلس الامن وغيرهما . وتدور في أروقة بعض المحافل الدولية مناقشات تخص بعض جوانب القضية وتنتهي بعضها بقرارات لصالح العرب .

لكن ذلك كله يجب ان لا يجعلنا نغفل عن أن العدو الصهيوني لنا بالمرصاد وانه يتحين الفرصة لشن عدوان غادر خاطف كما فعل عام ١٩٦٧ ــ ذلك ان عدونا شرس طامع متوحش لا يفقه اي معنى من معاني الانسانية وان أهم سلاح لدى هذا العدو هو الحقد الاسود الدفين على البشرية والاديان ويلاحظ ان النظام الشيوعي بقسوته والنظام الرأسمالي برفاهيته لم يستطيعا ان يغيرا من مفاهيم اليهود المعكوسة او يقضيان على تجمعاتهم فيذيبهم ويكسر تفوقهم ــ لذلك فان صراعنا معه صراع بقاء ــ وقد نبهنا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم الى حقد اليهود وخبثهم في كثير من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة التي لم يكررها الشارع الا ليبين لنا خطورة اليهود ويؤكد على تصميمهم الماكر بمحاربة الفضيلة ومحو الاديان ونشر الضلال والرذيلة وعبادة المادة والهوى والشيطان .

وبالرغم من انني لست من أرباب السياسة او ممن له معرفة بالعلوم العسكرية او اطلاع على ما تريده الدول الكبرى من تأمين لمصالحها او نشر لافكارها في البلاد النامية مثل منطقة الشرق الاوسط .

وبالرغم من اخذي بنصيحة المرحوم عدنان مدريس رئيس وزراء تركيا الاسبق حيث يقول (اياك أن تشتغل بالسياسة في بلد تدار سياسته من الخارج) .

فانني وبدافع من حبي لديني وامتي وعلي أقوم ببعض الواجب الملقى علي ـ اذكر الحكام العرب والشعب العربي بالامور التالية التي هي في الحقيقة بدهيات فرضها الواقع ومن الواجب ان نوليها العناية الكافية والدراسة الوافية لانها مؤشرات حقيقية تدل على قرب وقوع الحرب الخامسة بيننا وبين الصهاينة . وقبل ان اذكر مجملها احب ان ابين ان (ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة) .

واليك ايها القارىء الكريم خلاصة هذه الاسباب :

اولا ـ ان اليهود سيعمدون للثأر من حرب رمضان عام ١٣٩٣ هـ المصادف تشرين اول ١٩٧٣ م لان هذه الحرب انتجت نتائج ايجابية لصالح العرب بالرغم مما رافقها من اخطاء وسوء تصرف بالاعداد والتخطيط والتنفيذ فهي أ : حطمت اسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر واليهود الصهاينة لا يريدون تصديق ان هذه الاسطورة قد تحطمت والى الابد لان غرورهم وصلفهم ، يجعلانهم معرضون عن الواقع .

ب : حطمت أسطورة أمن اسرائيل المزعوم باحاطتها بحدود من انهار او صحراء او جبال .

جـ : اظهرت كفاءة الجندي العربي كمقاتل جيد بالرغم من سوء تغذيته وسوء تدريبه وقلة امكاناته المادية ونفسيته المحطمة « وقد ظهرت بطولات من بعض الضباط والجنود في حرب رمضان هي بحق مجال الفخر والاعتزاز » .

د : اثبتت ان العرب قادرون على شن الحرب والقتال اذا سمح لهم بذلك

وان هذه الامة لم ولن تموت مصداقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : الخير في وفي أمتي الى يوم القيامة .

هـ : اثبتت مع فائدة فتح اكثر من جبهة وبآن واحد . وفعلا فقد عبرت القوات المصرية قناة السويس وحطمت خط بارليف بسرعة قصوى وبخسائر قليلة مستغلة التفات جيش الصهاينة وطيرانهم لصد الزحف الهائل الذي قام به الجيش السوري والذي يشكل خنجرا من قلب المنطقة المحتلة لقرب حدود سورية بعكس الجيش المصري الذي لا يشكل خطرا مباشرا وضربة موجعة للعدو كونه يواجه صحراء سيناء ، ومن بعدها صحراء النقب .

و : اثبتت فائدة الوحدة العربية والتكاتف العربي حين قامت البلاد العربية والاسلامية مشكورة وعلى اختلاف نزعاتها واتجاهاتها بواجبها أفضل قيام وهذا يجعلنا نرفع رأسنا عاليا ، فمنهم من قدم المال ومنهم من قدم السلاح ومنهم من قدم الرجال « والجود بالنفس اقصى غاية الجود » وانه ليوم مشهود حين امتزج الدم العربي الطاهر على ثرى الجولان الحبيبة وفي رمال سيناء الغالية فعانق الشهيد السوري أخاه الشهيد المغربي والاردني والعراقي والكويتي والسعودي والمصري .

ز : حركت قضية فلسطين ودفعت العالم لايجاد الحلول « كما يقول بعض أرباب السياسة » ولست هنا بصدد بحث سلاح البترول ونتائجه ، لكن الحقيقة التي لا تنكر انه جعل المواطن الامريكي والاوروبي يشعر بوجود قضية اسمها قضية فلسطين ويشعر بوجود العرب . وبقي على المسؤولين ووسائل الاعلام العربية ان تفهمه ان العرب اصحاب حق وان اليهود غزاة غاصبون وان هناك اكثر من مليون فلسطيني مشرد وهؤلاء يطلق عليهم اسم « اللاجئين الفلسطينيين » وان هؤلاء هم اصحاب البلاد الاصليين وان الصهاينة دخلاء طامعون .

ثانيا ـ وجود الاعداد الكثيفة من الصهاينة في المنطقة المحتلة واستمرار الهجرة اليها من روسية بحيث بلغ تعدادهم اكثر من ثلاثة ملايين نسمة حتى ان

المنطقة المحتلة لم تعد تكفي لاعاشتهم خاصة وان كل كيانهم قائم على أساس عسكري ٠

ثالثا ـ وجود الاسلحة الضخمة المخيفة التي تكدست في مستودعات الصهاينة والتي هي بازدياد مستمر حتى ان المنطقة المحتلة بأكملها اصبحت مستودعا للاسلحة المتنوعة ومن كافة المصادر والجهات وجميع صنوف الاسلحة من البرية والبحرية والجوية وقد بلغت قيمتها أرقاما خيالية تبلغ عشرات المليارات من الدولار هذا عدا الاسلحة التي حصل عليها الصهاينة كمساعدات مجانية عينية من امريكا وغيرها ٠

رابعا ـ الاحوال الاقتصادية السيئة التي يعاني منها العدو فقد عمد الصهاينة الى تخفيض عملتهم مرات في أوقات متقاربة اضافة الى موجة الغلاء الفاحش المستحكم في المواد الغذائية والضرورية وقد عمد المسؤولون الصهاينة الى رفع سعر البترول وبعض المواد الاخرى ومعلوم ان البطالة وسوء الاحوال الاقتصادية من الاسباب الرئيسية لقيام الحروب والثورات ٠

خامسا ـ سيعمد الصهاينة الى استغلال قوتهم في الولايات المتحدة فالرئيس فورد ونائبه اللذين وصلا الى الرئاسة عن غير طريق الانتخاب وانما بالتعيين ووجود كسينجر اليهودي وزيرا للخارجية وتعودهم في الكونغرس الاميركي كما سيعمدون لاستغلال وجود حزب العمال البريطاني كحزب حاكم في انكلترة يتعاطف مع اليهود الصهاينة ٠

ولكن من الصعب جدا فهم سياسة الانكليز وحقيقة مرادهم خاصة بعد ان تم تلقين مصالحهم النفطية في المنطقة وفتح قناة السويس ولا ندري اذا كان الجانب الاقتصادي قد يدفع باوروبا الى اتخاذ مواقف معينة ٠ وكذلك مواقف شركات النفط ورجال الاعمال في الولايات المتحدة الامريكية وتنبيه المواطن الامريكي الى خطر الصهاينة قد تدفع ساسة الولايات المتحدة الى اتخاذ مواقف ربما لا تكون في صالح الصهاينة الذين لا زالوا يعيشون بعقلية المتسلطين الذين يأملون بالتوسع في الوطن العربي وبحل قضية

فلسطين عن طريق « الوطن البديل » اي سكان اللاجئين الفلسطينيين في الضفة الشرقية .

سادسا ـ خوف الصهاينة من التقارب بين البلاد العربية والاتحاد والوحدة التي هي أمل الامة العربية المنشود ومصيرها المحتوم ذلك ان التقارب بين البلاد العربية يؤدي الى فوائد عديدة في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية وآمل ان يكون التقارب بين المملكة الاردنية الهاشمية وسورية نواة للوحدة ومثالا يحتذى به من بقية الدول العربية الاخرى .

واذا تتبعنا تاريخ المسألة الفلسطينية نجد ان الصهاينة كان سلاحهم الفتاك هو « فرق تسد » ، فقد كانوا يستغلون الخلافات بين العرب والتفكك الحاصل بينهم فيتسللون لتحقيق مطامعهم الاستيطانية والتوسعية ولا زالوا يعملون على زعزعة الصف العربي وزرع بذور الشقاق وفساد المجتمع ومحاربة الفضيلة ونشر الفساد والرشوة ومناصرة الرذيلة حتى استطاعوا ان يدنسوا المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين . ولا تعكر الاستعدادات العسكرية الضخمة التي جهز بها الغزاة الصهاينة لكنها ليست هي السبب الرئيسي لانتصاراتهم لانه لم يثبت لدى المحققين العسكريين ان جيش الصهاينة انتصر في اية معركة تصادمية مع أي جيش من الجيوش العربية منذ عام ١٩٤٨ حتى يومنا هذا . وان سلاحهم القوي هو تفكك الشعب العربي وفساد اخلاقه وقتل مثله العليا واماتتها ، فعلى العرب ان يعملوا على وحدتهم وان يتمسكوا بدينهم الحنيف وان يسدوا ايديهم الى اخوانهم في الدول الاسلامية . والنصر لنا باذن الله وصدق الله عز وجل القائل : وكان حقا علينا نصر المؤمنين .

سورية — حيدر محمد سعيد العرفي

حبات اللؤلؤ

قصة : بقلم - أم عصام

الشمس ترتمي على صدر الافق البعيد دامية باكيـة ••• اثواب المساء تزحف ببطء تغطي البيوت والاشجار والشوارع الملأى بالدمى البشرية • الصبية الصغار تضيق بهم الازقة فيخرجون الى الشوارع الكبيرة ينهمون من هوائها اللطيف ويهرعون مذعورين الى الارصفة المشجرة حين تفاجئهم سيارة مسرعة الى موعد ما • عينا سحر السوداوان تتفرسان في وجه الشمس الراحل ••• وجه بائس حزين يجمع بين الاثنين ، الشمس والسحر •• لكن لوعة الوداع التي اعتادت الشمس تجرعها لم تهب سحر الاحرقة تنسكب في اغوارها ودموعا تتراقص في مآقيها •• ولهفة الى مشاعر يعتصر قلبها فقدانها •• قلبها الساكن في أعماق صدر لاهث متعب •

تتساءل سحر :

ـ ترى زوجي مع من الآن ؟ •• مع ندى ام نادية ؟ •• مع جانيت أم فيوليت ؟ تراه من نصيب من هذا اليوم ؟ •• تراه مع من يتقن تمثيلية الحب ؟

ويداهم وجه سحر الغض البريء انفعالات قاسية حينما تتذكر كلمة حب مجاهل عينيها تنطق بأسى فظيع •• تتذكر اول يوم أحبته فيه ••• كان جسيلا ولا يزال يزهو بشخصية نادرة الوجود •• يتحلى برجولة تتجلى في نظراته الحادة وبسمته الهادئة وصوته الاجش الساكن الف واد عميق •

خيل اليها وهي تخطو مسحورة الى دنياه بأنه ناسك في المغارات الاسطورية رفيق الآفاق وصديق الهزار وأخ الطبيعة الخيرة • هكذا كان وما زال في رأيها •• وفي قلبها •• منذ أول لقاء جمع بينهما في حفلة عيد ميلاد صديقتها • لقاء طبع في جنباتها ملامحه الحبيبة وهدوءه العميق • خمس سنوات مرت على ذلك اليوم ، وهي لا تزال تستعيد دفء حبها ودفن

عواطفها التي تمازجت مع عواطفه . وتزوجا .. وكانت أسعد انسانة ... تلمظت نكهة الحب المعتقة . تلك الاسطورة الابدية والملحمة الخالدة . وتتحرق سحر وتتمتم !

يا للخدعة التي ابتدعوها لنا .. الحب ترى ما هو الحب ؟ لم لا يقولون نزوة عابرة تغزو قلب الرجل ؟ لم لا يقولون لهفة تعذبه قيمتها في صك يوقعه موظف مسؤول في الدولة وضع خصيصا لتغذية وهم البشر ؟

يعلو صوتها متضاحكا يمزق الصمت .. تكرر بسخرية : الزواج تعود الى صمتها الحزين ... ووجهها ينهم آخر قطرة من الخط الصغير الباقي من وجه الشمس الراحلة .. تزحف في رحاب السماء الواسعة غيمات شاردة تتدافع الدماء الى وجناتها الخجول . تتراكض العصافير الى اشجار الحديقة الصامتة ، يبحث كل منها عن مأوى .. عن فرع صغير في شجرة كبيرة يحتمي به من وحشة فلول الظلام الزاحف . يقف عصفور أليف على طرف الشرفة بالقرب من سحر .. يتلوى رأسه على الجانبين .. يبحث عن ألف ضاع منه .. يأمل عودته .

تتحسر (سحر) :

يا للامل كم يعذبنا وكم يغذينا ؟ حتى ذلك العصفور الصغير يحيا به .. تراها انثى ام الذكر في الطيور يختلف عن البشر ؟ تراهـا عشرة تجمعها ام صداقة ام زواج ؟

وتهزأ مرددة :

ـ زواج ؟ يجب ان اعترف بأنني فشلت في الاحتفاظ بزوجي ؟ ما السبب؟ لست ادري فشلت في جذبه الى بيته .. اصبحت قطعة أثرية يمتلكها ، ضاعت قيمتها حين غدت ملك يديه ..

لقد روت لها زوجة صديق ناصحة غيور حين هتفت في سمعها :
ـ حافظي على زوجك ستخطفه منك لعوب .. انه ساحر ورائع .. ترى

استكانتها هذه أماتت جذور الحياة لديه ، فراح يبحث عنها في الحفلات ؟ ..
تراها اخطأت حين اقتنعت به رجلا يملأ حياتها وبيتها ؟

ولم تطلب مشاركته الضياع والتشرد في الليالي السوداء بين بيوت الاصدقاء وزوايا الكهوف الحمراء ، او في المنعطفات الصامتة والسيارات التائهة في غفوة الليل تحمل في طياتها المتعة والخداع ، وشيئا يتنكرون وراءه ... شيئا خدعها وجرفها .. شيئا يسمونه الحب وتغيب الشمس .. ويجتذب (سحر) صمت واستلام مطلق .. ويصطبغ الافق البعيد بلوعة الرحيل وتندي خدود الغيمات دماء تنزف في أعطاف (سحر) وتغدو السماء لوحة فنية رائعة ... لوحة لا يحدها وصف ولا تستوعبها عين .. حتى ولا عين تسكن فيها لوعة ووحشة وشبح وداع لامنيات تيهت وتبهت .

وتستفيق (سحر) على رنين هاتفها المتواصل .. فتهرع اليه تحس بعذاب ... بخوف من المجهول .. وتنسكب المفاجأة في اذنها .

ــ زوجك في المستشفى .. صدمته سيارة .. لكنه نجا بأعجوبة والحمد لله .. تعالي حالا يطلبك يكرر طلبه لك .

تتخلص من ذهول المفاجأة مسرعة الى الخارج وهي تعتصر بين اصابعها حبات من اللؤلؤ كانت قد وجدتها في سريرها حين عادت من زيارة أمها .

وترمي بالحبات في سلة المهملات وتهرع الى سيارة تقلها الى زوجها في المستشفى وهي تردد :

ــ رباه احفظه لي انني أحبه .

أم عصام

البطة البيضاء

قصة : تأليف : ج . د . باغنول
ترجمة : عيسى فتوح

كانت بطة صغيرة بيضاء تنام تحت شجرة في احدى الغابات ، وكان على الشجرة بعض ثمار الجوز . وبينما كانت البطة مستغرقة في النـوم ، سقطت جوزة من الشجرة وأصابتها على رأسها ، فاستفاقت البطة مذعورة .

قالت : « آه . يبدو ان ثمة شخصا يطلق علي النـار . يجب ان أذهب لاخبر الملك » .

وهكذا غادرت البطة الغابة ، وأخذت سمتها اليه ، فالتقت اثنـاء سيرها بالدجاجة .

قالت الدجاجة : « الى أين انت ذاهبة ؟ » .

« انني ذاهبة الى الملك ، لان شخصا رديئا يطلق النار علي » .

قالت الدجاجة : « انني أسرع منك في الجري ، ولذلك سأمضي بسرعة لاخبر الملك » . وهكذا خفت الدجاجة ، تطوي الطريق طيا ، تاركة البطـة خلفهـا .

في الطريق قابلت الدجاجة القطة ، فقالت القطة : « مـا الامر أيتهـا الدجاجـة ؟ » .

قالت الدجاجة : « انني ذاهبة الى الملك ، لان احد الاشرار دخل بلادنا وقتل جميع الناس » .

قالت القطة : « آه . دعيني أذهب اولا ... سأجري بسرعـة واخبـر الملك » . وهكذا ركضت القطة طيلة الطريق ، مخلفة الدجاجة وراءها .

وبينما كانت القطة تركض مسرعة ، صادفت الكلب الذي كان يضطجع الى جانب الطريق • لم يكن الكلب يحب القطة • فقفز ثم صاح : « قفي » •

قالت القطة : « لا تستوقفني ، لقد حدث شيء مؤلم جدا » •

قال الكلب : « ما الذي حدث ؟ » •

أجابت القطة : « لقد دخل بلادنا مئة جندي ، وقتلوا الناس جميعا » •

قال الكلب : « ذلك مؤلم جدا ، ابقي هنا ، لانني استطيع ان أركض أكثر منك • سأسرع وأخبر الملك » • وهكذا طفق الكلب يجري طيلة الطريق ، مخلفا القطة وراءه •

في الطريق قابل الكلب الحصان الذي كان يرعى العشب الى جانب الطريق •

سأل الحصان : « ما الامر ايها الكلب ؟ لماذا تركض بسرعة فائقة ؟ » •

« اركض كي أخبر الملك ان جيشا كبيرا قد عبر تخوم بلادنا ، وراح ألف من الجنود يقتلون المواطنين كافة » •

قال الحصان : « ذلك مؤلم جدا • يجب ان ينقل الخبر الى الملك بسرعة • انني أسرع منك في الجري ، انتظر هنا ريثما أركض وأخبر الملك »• وهكذا راح الحصان يجري طيلة الطريق مخلفا الكلب وراءه •

كان الملك الاسد ينام في حديقته الجميلة ، فأيقظه وقع الحوافر وهي تجري • نظر حوله فرأى الحصان يقف أمامه •

قال الملك الاسد : « ما الامر ؟ » •

كان الحصان تعبا جدا ، حتى انه ما استطاع ان يتكلم •••

قال الملك : « اذهب واشرب قليلا من الماء ، ثم عد واخبرني » • وهكذا ذهب الحصان ليشرب بعض الماء ، وعندما رجع تمكن من الكلام • انحنى بين يدي الملك حتى صافح رأسه الارض ، ثم قال : « أيها الملك ان آلافا من الجنود دخلوا بلادنا ، وراحوا يقتلون الناس أجمعين » •

قال الملك : « اقرع الاجراس ، وادع جنودي » •

قرعت الاجراس ، فدخل جنود الملك من فيلة وثعالب ودببة وذئاب الى الحديقة ، وطارت ست حمامات فوق رؤوسهم •

صاح الملك : « اغدوا السير » • حينئذ انطلق الجنود كلهم من الحديقة • سار الملك الاسد والحصان في مقدمتهم ، وحلقت فوق رؤوسهم ست حمامات •

صاح الملك الاسد بالحمامات فوق رأسه : « هل تستطيعين رؤية أي شيء ؟ » •

قال الملك الاسد للحصان : « هل رأيت الجنود الشريرين يقتلون شعبنا ؟ » •

أجاب الحصان : « كلا ، ان الكلب هو الذي أخبرني » •

عندما جاؤا الى الكلب ، صاح الملك : « مكانكم » • حينئذ توقف الجميع •

قال الملك : « تعال الى هنا يا حضرة الكلب ، اين الناس الاشرار ؟ » •

فأشار الكلب بقدمه قائلا : « هناك » •

سأل الملك : « هل رأيتهم بنفسك ؟ » •

أجاب الكلب : « كلا ، لم أرهم بنفسي » •

صاح الملك : « استأنفوا السير بسرعة » • فاستأنف الجميع سيرهم : « الملك والحصان والكلب في المقدمة ، وخلفهم الفيلة والدببة والذئاب والثعالب ، وفوق رؤوسهم تطير الحمامات » •

هتف الملك بالحمامات : « هل ترين اي شيء ؟ » •

أجابت احدى الحمامات : « قطة واحدة فقط تستلقي الى جانب الطريق » •

سأل الملك الاسد الكلب : « هل رأيت اولئك الجنود الارديا يقتلون شعبنا ؟ » •

أجاب الكلب : « كلا لم أرهم بنفسي ، لكنني اعرف أن ذاك حقيقة ، لان القطة أخبرتني » .

قال الملك : « لا تصدق كل ما تسمعه » . حينما جاءوا الى القطة ، وقفوا جميعا ، فقال الملك : « أين اولئك الجنود الارديا ء ؟ » .

فأشارت القطة بقدمها قائلة : « هناك » .

سأل الملك : « هل رأيتهم بنفسك ؟ » .

أجابت القطة : « كلا ، لم أرهم بنفسي ، لكنني أعرف انه حقيقة ، لان الدجاجة أخبرتني » .

قال الملك : « لا تصدقي كل ما تسمعينه ، استأنفوا السير » . عندما ساروا حينا من الزمن صاح الملك بالحمامات ، وهن يطرن في الهواء فوقه : « هل تستطعن رؤية أي شيء ؟ » .

أجابت احدى الحمامات : « دجاجة واحدة فقط تجلس الى جانب الطريق » .

عندما وصلوا الى الدجاجة توقفوا جميعا .

سأل الملك : « اين أولئك الجنود الارديا ء ؟ » .

أجابت الدجاجة مشيرة برجلها : « هناك » .

سأل الملك : « كم مرة رأيتهم ؟ » .

أجابت الدجاجة : « لم أر أي واحد بنفسي ، لكنني اعرف انه حقيقة ، لان الكلب أخبرني » .

قال الملك : « لا تصدقي كل ما تسمعينه ، استأنفوا المسير » . بعد حين من الزمن سأل الملك الحمامات ما اذا كن يستطعن رؤية أي شيء ؟

أجابت احدى الحمامات : « بطة بيضاء فقط ، تقف الى جانب الطريق » .

عندما ادركوا البطة البيضاء توقفوا جميعا .

قال الملك : « تعالي الى هنا ايتها البطة » . فنهضت البطة وانحنت أمام الملك حتى لامس رأسها الارض .

سأل الملك : « أين اولئك الجنود الارديا ء ؟ » .

قالت البطة : « لم أر أي واحد منهم » .

« من ذا الذي قتل اذن ؟ » .

« لم يقتل أي انسان ، الا ان شخصا ما اطلق علي النار من بندقيته » .

سأل الملك : « وهل مسك بأذى ؟ » .

« نعم ، شيء ما لطمني على رأسي » .

قال الملك : « اعتقد بأنك حمقاء جدا ، اقتربي مني ودعيني انظر الى رأسك » .

عندما نظر الملك الى رأس البطة ، لم يستطع ان يجد أية علامة .

قال الملك : « أخبريني الآن ما الذي حدث ؟ » .

« كنت نائمة تحت شجرة في احدى الغابات ، فشعرت بأن شيئا ما لطمني على رأسي » .

قال الملك : « أرني الشجرة » .

حينئذ قادت البطة الجميع الى داخل الغابة وأرتهم الشجرة التي كانت تنام تحتها . وبينما هم يقفون تحتها سقطت جوزة على رأس الملك . نظر الملك الى الاعلى فرأى جوزا آخر كثيرا .

قال : « هذه شجرة جوز ، والجوز يتساقط منها ، انك أيتها البطة لحمقاء جدا . لقد اخبرت الدجاجة ان النار قد اطلقت عليك » . نقرت الدجاجة البطة .

البطة للدجاجة : « انك حمقاء جدا ، لقد أخبرت القطة ان بعض الاشرار دخلوا بلادنا وراحوا يطلقون النار على الناس » . عضت القطة الدجاجة .

الدجاجة للقطة : « انك حمقاء جدا ، أخبرت الكلب ان مئة جندي راحوا يقتلون شعبنا » . عض الكلب القطة .

القطة للكلب : « انك أكثر حمقا مني ، لانك أخبرت الحصان ان جيشا كبيرا قد عبر تخوم بلادنا » . لبط الحصان الكلب لبطة كبيرة .

قال الملك : « وانت أيهـا الحصان أحمق أيضا ، لانـك قلت ان آلاف الجنود دخلوا بلادنا ، ولذا سأعض بنفسي » •

عض الاسد الحصان •

قال الملك الاسد : « تذكر الآن ، لا تصدق كل ما تسمعه ، بل صدق ما تراه ••• سنعود الآن أدراجنا ، استأنفوا السير » •

حينئذ انطلق الملك تتبعه الفيلة والدببة والذئـاب والثعالب ، وفـوق رؤوسهم تحلق الحمامات •

هنا حاولت الدجاجة ان تدرك البطة ، والقطة ان تـدرك الدجاجـة ، والكلب ان يدرك القطة والحصان ان يدرك الكلب ، لكن البطة غاصت فـي الماء ، في حين لم تستطع الدجاجة ان تلحق بها •

طارت الدجاجة فوق الاشجار ، بينما لـم تستطع القطـة ان تمسكهـا وتسلقت القطة الشجرة ، بينما لم يستطع الكلب ان يتبعها ، وشرد الكلب بين الاشجار ، بينما لم يستطع الحصان ان يلحق به ، لذلك قفل راجعـا ، يطوي الطريق طيـا •

جوامع النسب في قبائل العرب

ـ جوامع النسب في قبائل العـرب ـ • معجـم يضم انساب قبائـل العرب ، وصلاتها بعضها ببعض ، يقع في مجلدين ، وهو مـن تأليف الاستاذ علي نصوح الطاهر ويقـوم الاستاذ روكس العزيزي بدراسة هـذا المعجم ، بالاشتراك مع خمسـة اساتذة اخرين من الثقافة والفنون والجامعة الاردنية من اجل اعطاء تقرير حول امكانية نشر المعجم •

ومخطوطة هذا المعجم ، يقع جزآه في ٧٥٤ صفحة مـن القطـع الكبير الكامل •

السيدة وداد سكاكيني

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

الاستاذة السيدة الاديبة الكبيرة وداد سكاكيني من حاملات القلم الواعي الحي ، ومن صاحبات البلاغة الواضحة ، والاسلوب العربي الاصيل.

جمعت في يراعها بين جمال لبنان ، وعظمة الشام ، وتاريخ القاهرة ، وامجاد بغداد • وكانت من امهات الادب الحر ، والثقافة النيرة ، والصراحة الهادفة •

لا تقليد في كتاباتها ومؤلفاتها ، ولا اقتباس في مقالاتها وآرائها • بحيث انها تملك مدرسة خاصة بها تجعلها في طليعة اديبات العالم العربي من اللواتي يتباهى بذكرهن الرجال ، وتتفاخر بترديد اسمائهن المحافل ، وتتسامى بكلماتهن الاحرف العربية ••

والسيدة وداد سكاكيني ليست بحاجة الى تقديم ، وتعريف ، واطراء ، وتقريظ • مثلما تقوم به بعض الاقلام لبعض المتباهيات المتزلفات النكرات في عالم الصحافة ومدعيات الكتابة والادب •

عرفتها كاتبة قاصة منذ عام ١٩٣٨ يوم ان كانت « الطليعة » من ابرز مجلات العالم العربي في دمشق • ترجو منها المساهمة في كتابة (القصة) المتكاملة النافعة ، والنقد الهادف البناء • ويوم ان كانت بعض الاديبات والصحفيات والشاعرات يكتب لهن رجال في بلادهن باسمائهن او باسماء مستعارة •

قال عنها الاستاذ الفاضل والصحافي المتتبع انور الجندي : « انها تمثل المثل الاعلى للمرأة الكاتبة فهي تشترك اشتراكا فعليا بارزا في معارك القومية العربية ، وتؤدي دورها في حركة المقاومة والتجمع •

كاتبة لها طابعها الواضح ، ولونها الصريح ، وتعنى بشؤون المرأة العربية على اوسع نطاق » . واردف يقول :

و « انها مجادلة ضخمة ، ومساجلة قوية ، وكتاباتها مثاليـة النهج قائمة على القيم ذات الهدف الواضح في التربية والفضيلة والخلق .

وهي تقاوم دعوى الاقليمية في الادب العربي كما تحارب الدعوة الـى العامية » .

وليست شهادة الاستاذ الكريم انور الجندي هي الوحيدة بحقها ، بل هناك شهادات اخرى في نظري شهادة المنابر التـي اعتلتهـا السيـدة وداد سكاكيني ، وشهادة الصحائف التي سجلتها فـي كبريات المجلات والصحف العربية والمهجرية .

وشهادة الاثير الذي حمل صوتها المدوي بالعـزة والكرامة ، والحرية ، والنهضة ، والتحرر السليم ، والجمال والعذوبة في الافكار والعبارة .

وشهادة المؤتمرات التي حضرتها مندوبة وممثلة عـن بلادهـا سورية ، واخواتها العربيات ، في الندوات والمؤتمرات النسوية والادبية .

اذا ذكرت الشام ونهضتها الادبية والنسائية فان الاديبـة الكبيرة وداد سكاكيني تأتي الزهرة العطرة في نسائم ادبها ومحافلها العلمية . واذا تحدث الادباء والنقاد والقصاصون عن الحركة الادبية النسوية ، فان السيدة الفاضلة وداد تأخذ الصدارة في ساحات كتاباتهم ، وتمجيدهم واطرائهم .

كانت مجلات الرسالة والاديب والعرفان والكاتب والآداب من المجلات التي تعتز بكتابة الاخت وداد سكاكيني ، ويرجع اليها كلمـا درست قضايـا المرأة العربية المعاصرة .

ولو كان هناك بعض الانصاف في تقييم الناس مـن الادباء والاديبات لرأيت بان وداد سكاكيني هي النموذج الحي الصادق البديـع للمرأة العربية الفاضلة الواعية المرشدة في قلمها وكتاباتها ومؤلفاتها .

فهذه « خطراتها » و « مراياها » للناس ، وتاريخها « لامهات المؤمنين » وسفرها « بين النيل والنخيل » وحبها « لاروى بنت الخطوب » ونقدها « للحب المحرم » و « انصافها للمرأة » وايضاحها « للستار المرفوع » وحبها « للعاشقة المتصوفة » ومعرفتها للحرف « بين سواده وبياضه » ، وتحليلها « لعمر فاخوري » وهو ابن بلدها القديم .

كل هذه الاضمامة من الورود والرياحين تلمت عقدها الاستاذة وداد سكاكيني .

وتشاء الحياة ان تجمع بينها وبين الشعر السلسل المنطلق كمياه بردى وهو في عزه وافتخاره وجريانه . يوم ان جمعت مائدة الحياة والادب والروح والصلة الزوجية بينها وبين المرحوم الصديق الاستاذ الشاعر الموهوب الدكتور زكي المحاسني . رحمة الله عليه .

واذا اردت ان اقتطف للقارىء العربي نماذج كثيرة من مقالاتها ، ومؤلفاتها فيكون في رأيي كمن يقوم بنشر اعلان للدعاية . وهذا ما لا تحتاج اليه وداد وربما قد يفقد المقالة رونقها ، والكتاب جوهره . واعتقد ان بيانها لا يحتاج الى تدليل ، او دعاية . ومع هذا فاني اعرض لها بعض المقتطفات الادبية من كتبها ، وبعض اللمحات العبقرية من افكارها . استمع اليها في قولها عن (عمر فاخوري) ومنبت اسرته في لبنان :

« فمن دأب لبنان ان يختص توابغه بطوابع من صنعه وابداعه ، وان يعدهم لايام عصيبة واحداث طارئة .

فاذا ضاق على نفوسهم الكبيرة وطموحهم البعيد فلقوا بكفاحهم وآمالهم الى اقصى الارض ، لكن قلوبهم الممتلئة بالوفاء والحنين تبقى عالقة بتراب الوطن وطبيعته وتراثه » .

وقالت تصف عمر فاخوري الكاتب المبدع صاحب « اديب في السوق » ابن بيروت الساحرة قولها : « لقد حمل من البحر عمقا وانطلاقا ، ومن الجبل الملهم الذي ترتفع قممه وتسطع وتمتد سفوحه نضرة وقوة وتساميا . »

وقالت تصف دمشق وطبيعتها الجميلة بقولها : « وكأنما منحة البقاء في دنيا الفناء يلونها النهار في البكور والآصال ، بتلاوين الخمائل الخضر

والافواف الحمر ، والغلائل البيض » •

وذكرت عن المرآة المعاصرة قولها :

« وما احرانا ونحن على وصيد حيـاة جديدة حسرة بان تتخذ المـرأة المعاصرة من هذه السيرة المثالية نشيدا تحدو بـه نهضتها واهزوجة تهدهد طفلها وتمضي في بيتها وبين الناس على هذا النور المنبعث من صوب الجزيرة ودائرة الوحي مستلهمة من امهات المؤمنين واخوات الشهداء • معاني الايثار والوفاء وآيات التقوى والفداء » •

وها هي ترسم بريشتها البارعة المرأة وتتحدث عـن مشكلة انصافها ، قالت :

« وما كانت المرأة في كل عصر ومصر ، الا ريحانـة الوجود ، ووسيلة الخلود ، فلنرو مغارسها بماء من صفاء القلب والروح • وتتعهد نماءها بعناية وتمحيص واخلاص • وعندئذ نكون قد انصفنا المـرأة وصنعنا مـن اجلهـا الجميل الذي لا يفنى » •

وذكرت لنا عن الذين يسدون نوافذ الحرية والمعرفة بقولها :

« الى من يسدون النوافذ ليطفئوا نور الله ، والى من يفتحونها بأدبهم ليملأوا القلوب من هذا النور • ولو كره الذين في تموسهم ظلام •

والى اللواتي يزيفن الكلمة كمـا يزيف الدينـار ، والذيـن يموهون الحروف ليتقدموا الصفوف » •

ثم اشارت عن الكتابة بتعريفها اللطيف :

« فالكتابة حبر على ورق لكنه سواد يشع بالنور ، ومـا جدوى مداد ينسحب لونه على الورق فلا يترك اثرا في حس او نفس او ذكر في بال » •

وتحدثت لنا عن مقالاتها المطوية والحبيسة بين الاوراق قالت :

« لو انها تحمل انفاسا من روحي ووجداني وصفحات مـن قلبي مرت باطوار من التأمل والنقد وحدة الاحساس بالواقع لما استجبت لها » •

ومن حسن تعليلها عن الهواجس والذكريات قولهـا ، « وان الهواجس والذكريات ارواحا كارواحنا فهي تنفصل عنا تحمل منا نصيبها مـن الحياة • وكم يسيء الادباء الى انفسهم وخواطرهم حين يحكمـون عليهـا بالسجـن والاهمال » •

هذه المقتطفات الخالدة من كتابات اديبة الشام الكبيرة الاخت السيدة وداد سكاكيني ذكرتني في خاطرة وهي موجهة الى اتحادات النساء العربيات في الشرق ، وديار المغرب العربي تدعوهن هذه الخاطرة في قيامهن لتكريم اديبتنا العربية البارعة ، والاشادة بخدماتها الاجتماعية والثقافية ـ وهي لا زالت والحمد لله ـ ذات القلم السيال الحار الكلمات والتوجيه في خدمة المجتمع العربي ، اسرة ، وامرأة ورجلا وطفلا .

ولعل خدماتها في سبيل المجتمع النسوي العربي ، بمؤلفاتها الرصينة ، واحاديثها البديعة ، وافكارها المبتكرة الجديدة . ما يساوي عشرات الاجتماعات في اتحاداتهن التي تقضى عادة وغالبا في الاحاديث المعادة ، والمظاهر الجوفاء . والتي تفتقد دائما الى آراء ومشورة وحكمة السيدة وداد سكاكيني .

فهل ترى ـ نحن الرجال ـ انصاف الاتحادات النسوية ، لاختهن المحترمة في تكريمها بمهرجان نسوي عربي عام . واعادة طبع مؤلفاتها المطبوعة النافذة وتوزيعها على عضوات الاتحادات وفي مكاتبهن ، ودور المعاهد الثقافية والاجتماعية . كما تسعى الاتحادات العربية في نشر مؤلفاتها المخطوطة التي تنتظر الناشر المنصف ، والموزع العادل .

واذا كانت هذه الفكرة لا تروق النساء الاتحاديات ، لانها صادرة من رجل ، فارجو الا تطمس الغيرة من بعضهن معالمها ، وتذهب من سمو مقصدها، واحرى بهن ألا يدعين بانهن مظلومات دائما من الرجال . يحتاج لهن من ينصفن الكريمات النابغات من بنات جنسهن في دنيا العالم العربي .

تلك هي كلمة صغيرة توخيت فيها الحقيقة التي شعت من بين آثار الاديبة المحترمة السيدة وداد سكاكيني . الحقيقة التي يراها الانسان وهي بادية في مؤلفاتها الرائعة وفي كتاباتها النافعة .

ولي فيما تسنح به الفرصة القابلة ان ارد ما علي من دين ادبي تجاه هدايا الاديبة الكبيرة ، والكتابة عنها ، وعن اخوتها العزيزة المحترمة ، وشمائلها العربية المعروفة ، ووفائها لوطنها العربي الكبير ، وامتها المجيدة الخالدة . واخوتها المخلصين . واخواتها الكريمات ، واسرتها الفاضلة .

الاديب
جامعة بغداد ـ كلية الآداب
محسن جمال الدين

التقريظ والانتقاد

كتاب جديد : حاضر العالم الإسلامي

بقلم : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

تأليف لوثروب ستودارد الامريكي ـ ترجمة عجاج نويهض ـ تعليق شكيب ارسلان ـ الطبعة الثالثة ـ نشر دار الفكر اللبنانية ـ اربعة اجزاء صفحاتها ٣٧٥ و٤٠٨ و٤٠٠ و٤٠٨ من القطع المتوسط

عرض وتقديم الاستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي
الاستاذ بالازهر الشريف

ـ ١ ـ

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب النفيس في القاهرة منذ ثمانية واربعين عاما عن المطبعة السلفية (عام ١٩٢٥) .

وفي عام ١٩٣٢ صدرت الطبعة الثانية منه عن مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .

وهذه هي الطبعة الثالثة اصدرتها مؤسسة دار الفكر في بيروت ومؤلف الكتاب في عالم الاموات (توفي عام ١٩٥٠) والمعلق على الكتاب وهو الامير شكيب ارسلان توفي قبله بسنوات (عام ١٩٤٦) .

وقد كتب المترجم العلامة عجاج نويهض مقدمة ضافية لهذه الطبعة تحدث فيها عن الكتاب وتاريخه معه وصلة الامير شكيب به حديثا ضافيا .

وفي صدر هذه الطبعة مقدمتا المعلق امير البيان للطبعة الثانية والطبعة الاولى من الكتاب والمقدمة التي كتبها المترجم للطبعة الاولى كذلك .

ـ ٢ ـ

ان الكتاب موسوعة كبيرة في ماضي الاسلام وحاضره وفي كل ما يتصل بسيطرة الحضارة الغربية الحديثة على العالم الاسلامي وفي اليقظة الاسلامية التي قامت في بلاد الاسلام في اخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وفي تاريخ الاسلام واحداثه الكبرى قديما وحديثا .

انه بفصوله وتعليقاته التي كتبها الامير شكيب وبدقة المترجم ومشاعره النبيلة وشفافية روحه وعمق ثقافته ليعد من أهم ما ظهر عن الاسلام من مراجع حديثة .

وفي الكتاب صور رائعة للحضارة الاسلامية العربية وتاريخ مفصل للاسلام الحديث في افريقية وآسية واوروبة . وهو ولا ريب كتاب قديم جديد موسوعي وموضوعي . فيه غزارة المادة وسعة الاطلاع وعمق الفكرة يشترك فيها جميعا المؤلف المتصف والمحقق المعلق والمترجم الطويل الباع الذكي النظرات .

ـ ٣ ـ

ان عجاج نويهض ليسدي الى الفكر العربي الحديث أجل يد باصراره على اصدار هذه الطبعة الجديدة النفيسة الانيقة الضخمة . وهو يقوم وحده بعبء كبير كان يجب ان يلقى على الهيئات والجامعات العربية والمعاهد الاسلامية في كل مكان من بلاد العروبة والاسلام . والدارس لحاضر العالم الاسلامي اليوم يجب ان يعي كل الدروس عن حاضره بالامس منذ خمسين عاما من الزمان .

ـ ٤ ـ

ولا يمكن فصل احداث الماضي في كتاب يصدر عن الاسلام عن حاضر العالم الاسلامي اليوم . ومن ثم فقد وصف صديقنا المفكر وديع فلسطين الكتاب بأنه تراث عربي باق بناسه واحداثه ووقائعه ودقائقه (العدد ٢٣٩ من « الاخاء » السنة الثانية عشرة) .

ان عجاج نويهض لمفخرة من مفاخرنا العربية حقا ونحن ـ في بلاد العروبة والاسلام ـ مدينون له بديون كثيرة لا يستطاع لها عد .

لقد نقل عجاج نويهض فكر مستشرق امريكي مشهور وآرائه في الاسلام وحاضر بلاده الى اللغة العربية بأسلوب ساحر وعبارة جميلة جليلة ودقة متناهية واضاف الى ذلك كله ثروة واسعة من فكر امير البيان شكيب ارسلان وثقافته الضخمة في التاريخ الاسلامي وفي الحضارة العربية .

وماذا أقول عن الكتاب وجهد مترجمه ومحققه فيه ؟ والكتاب شاهد بنفسه على نفسه ، وهو مع ذلك خالد مع التراث العربي خلود الزمن وسيظل مصدرا لكل باحث ومرجعا لكل دارس ومادة خصبة في تاريخ العالم الاسلامي وشعوبه وحضارته وجميع أحواله وشؤونه في الامس واليوم وغدا •

وأنا اذ أكتب هذه الكلمات القصار عن الطبعة الثالثة للكتاب أجدني عاجزا كل العجز عن البيان عن أهمية هذه الطبعة والجهد الذي بذل في اخراجها وعاجزا كذلك عن ايفاء المترجم العلامة حقه من التقدير والثناء والحمد •

وليس مثل عجاج نويهض وجهده الكبير مما يجهل أو يتجاهل • فالرجل بصدقه ومشاعره وروحه وانسانيته قد بذل من الجهد في هذا الكتاب ما ينوء بالعصبة أولي القوة من العلماء •

ـ ٥ ـ

أخي نويهض : تحية تقدير واكبار لما بذلت ، ولك الحمد والشكر على ما صنعت •

واليوم وأنا أختتم قراءتي للكتاب وقد امتدت نحو ثلاثة اشهر أجدني مضطرا للاعتراف بفضلك ، وللاعتراف من نبعك • ان بحوث كتابك عن اليقظة الاسلامية والجامعة الاسلامية والحضارة العربية والحركة العلمية في هذه الحضارة وعن أعلام الاسلام المعاصرين من أمثال الافغاني ومحمد عبده وشكيب أرسلان ومحمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز آل سعود وأحمد السنوسي وغيرهم وعن الاسلام في الصين والهند وجاوه وفارس وتركيا وأوربة وافريقية ، هذه البحوث لتعد من أهم الكتابات عن العالم الاسلامي •

وجزاك الله على ما قدمت للعرب والعروبة والاسلام وبلاد الاسلام من أياد تذكر وتشكر على امتداد الزمان •

مع خزائن الكتب

خزانة السيد سلمان هادي آل طعمه بكربلاء ــ العراق

بقلم : سلمان هادي الطعمة
عضو رابطة الادب الحديث في القاهرة

آل طعمة أقدم البيوتات العلوية في مدينة كربلاء ، يرجع تاريخ استيطانها الى اواسط القرن الثالث الهجري (٢٤٧ هـ) ويرتقي نسبها الى السيد ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى الكاظم (ع) . وقد انجبت هذه الطائفة ، رجالا أماثل في العلم والادب والزعامة الوطنية ، احتلوا مكانة مرموقة في التاريخ العربي المعاصر ، وتركوا آثارا حسنة خلدت لهم شهرة طائلة وذكرا جميلا ومآثر حميدة لا يمحوها كر الجديدين وتصرم الاعوام .

وكانت خزائن اعلام هذه السلالة حافلة بما تضمه من الذخائر والكنوز والمطبوعات النادرة والمخطوطات النفيسة ، ولا تزال بقايا آثارها شاخصة للابصار في قماطر افاضل العلماء من آل طعمة ومن بين هذه الخزائن : خزانة العالم الفاضل السيد عبد الحسين الكليدار بن السيد علي الكليدار بن السيد جواد الكليدار (١٢٩٩ ــ ١٣٨٠ هـ) وخزانة الدكتور السيد عبد الجواد الكليدار (١٣١٠ ــ ١٣٧٩ هـ) وخزانة السيد عبد الرزاق آل وهاب (١٣١٥ ــ ١٣٧٨ هـ) وخزانة الشاعر الكبير الدكتور صالح جواد الطعمة . وان اصغر تلكم الخزائن خزانة كاتب هذا الفهرس السيد سلمان بن السيد هادي بن السيد محمد مهدي بن السيد سليمان بن السيد مصطفى بن السيد احمد بن السيد يحيى آل طعمة من آل فائز الموسوي الحائري المولود في كربلاء ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م . وهذا ثبت بأسماء المخطوطات المحفوظة في خزانتي حاولت التعريف بها ، وآثرت نشرها رغبة في الافادة منها والاطلاع عليها .

١ ــ الحاشية الخليلية . خليل الله القزويني . نسخة محمد شريف بن

محمد رضا اللاهيجاني بخط تعليقي ١٩ جمادي الاولى ١٠٨٦ هـ ــ ٨١ ورقة • المقاس ١٩ سم × ١١سم • مسطرتها ١٧ سطرا •

٢ ــ كلمات قصار أمير المؤمنين (ع) • نسخة محمد حجة الاسلام زادة الرشتي الجاردهي • بخط لا بأس به ٦ ربيع الثاني ١٣٣٣ هـ مع ترجمة للمعاني باللغة الفارسية بين السطور • الترجمة بخط دقيق ١٨ ورقة • المقاس ٢٠ سم × ١٥ سم • مسطرتها ٩ أسطر •

٣ ــ منتخب الدعوات • نسخة الوالد السيد محمد هادي بن السيد محمد مهدي آل طعمة الموسوي • بخط نسخ جيد ١٥ ذي الحجة ١٣٨٠ هـ ١٨٥ ورقة • المقاس ١٢ سم × ٧ سم مسطرتها ٧ أسطر • على الصفحة الاولى تعليق بخط الشيخ اغا بزرك الطهراني صاحب ــ الذريعة ــ تاريخه ٦ محرم ١٣٨٦ هـ •

٤ ــ الاربعون حديثا •

تأليف الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الشهير ببهاء الدين العاملي (٩٥٣ ــ ١٠٣١ هـ) بخط نسخ جيد ١٠١٠ هـ ، ١٣٦ ورقة • المقاس ٢٣ سم × ١٢ سم ، مسطرتها ٢٠ سطرا ، ورقه صقيل •

٥ ــ شعر السيد جواد الهندي

للسيد جواد بن محمد على الحسيني الاصفهاني الحائري الشهير بالهندي المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ بخط لا بأس به (دون تاريخ) • ١١٠ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٦سم • مسطرتها ٢٠ سطرا •

٦ ــ المطول

شرح تلخيص المفتاح • لسعد الدين (مسعود) بن عمر بن عبد الله التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ ، نسخة في ١٢ رمضان ٧٤٢ هـ ، ١٣٥ ورقة المقاس ٢٨ سم × ٢٠ سم مسطرتها ٢٧ سطرا • خطه لا بأس به الهوامش مملوءة بالتعليقات •

٧ ــ شواهد الغيب

للسيد احمد بن كاظم الحسيني الرشتي الحائري المقتول سنة ١٢٩٥ هـ خط نسخ جيد ، قلم متوسط بخط المؤلف ، ٢ شهر ربيع الاول ١٢٧٤ هـ • بعض الكلمات بالحبر الاحمر ، ١٤٠ ورقة ، المقاس ١٩ سم × ١٥ سم

مسطرتها ٢٢ سطراً • على الصفحة الاولى منه تمليك باسم المؤلف • تجليده حديث ، ورقه أبيض صقيل •

٨ ــ فصوص الحكم

تأليف الشيخ محيى الدين بن عربي ابو بكر محمد بن علي الاندلسي (٥٦٠ ــ ٦٣٨ هـ) نسخ في ٢٥ ربيع الاول ٨١٧ هـ بخط نسخ جيد ٢٩٦ ورقة المقاس ٢٢ سم × ١٤ سم • مسطرتها ٢١ سطرا • الهوامش مملوءة بالتعليقات •

٩ ــ تنبيه العقول

نسخة عبد الرضا الخراساني ١٣ محرم ١٣٢٢ هـ ، خط فارسي جميل جدا ، ٢٤٨ ورقة ، المقاس ٢١ سم × ١٣ سم ، مسطرتها ١٨ سطرا •

١٠ ــ ديوان الشيخ محمد تقي الحائري

نسخة الشيخ محمد تقي بن محمد حسن المازندراي الحائري في شهر رجب ٣٤٧ هـ بخط نسخ جيد ، ٨٤ ورقة • المقاس ٢٢ سم × ١٦ سم • مسطرتها ١٠ أسطر •

١١ ــ نسخة أخرى

بخط لا بأس به ، ٢٤ ورقة المقاس ٢٢ سم × ١٧ سم مسطرتها ١٨ سطرا (دون تاريخ) •

١٢ ــ المنظومة المرجانية

نسخة السيد كلب باقر بن كلب حسين المولوي النقوي الحائري في شهر ذي القعدة ١٣٢٣ هـ بخط لا بأس به ، ١٢ ورقة ، المقاس ٣٢ سم × ١٦ سم مسطرتها ١٧ سطرا •

١٣ ــ شرح قانونجه

المنسوب الى محمود بن محمد الجغميني ، نسخة الحسين بن محمد بن

علي الاسترابادي بخط معتاد (دون تأريخ) عليه تمليك بتاريخ ١٢٩١ هـ ١٠٤ ورقات المقاس ١٩ سم × ١٢ سم ، مسطرتها ٢٠ سطرا الهوامش مملوءة بالتعليقات •

١٤ ــ مذكرات آغا خان الاول

تعريب الحاج مصطفى أسد خان ، كتب بالآلة الطابعة ١٣٨٦ هـ ، ٤٩ ورقة ، المقاس ٢١ سم × ١٧ سم مسطرتها ٢١ سطرا •

١٥ ــ نهاية التحرير

نسخ السيد محمد تقي القزويني المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ خط نسخ جيد بخط المؤلف سنة ١٢٢٣ هـ ، ١٧٠ ورقة ، المقاس ٢٩ سم × ٢٠ سم مسطرتها ٢٠ سطرا • في الصفحة الاولى منه تمليك مؤرخ في شهر شوال ١٢٤٣ هـ • مجلد تجليده حديث ، ورقه أبيض صقيل •

١٦ ــ نزهة الاخوان في وقعة البلد المقتول العطشان

لمؤلف مجهول (١٢٤٤ هـ)

نسخ بخط دقيق حسن ، ٢٧ ورقة ، المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم مسطرتها ٢٠ سطرا • نسخة منقولة عن نسخة السادة آل النقيب •

١٧ ــ روح البيان في الاجازة للسيد سلمان

اجازة السيد محمد مهدي الموسوي الاصفهاني الكاظمي (١٣١٩ ــ ١٣٩١ هـ) للسيد سلمان هادي آل طعمة بخط نسخ جيد ، نسخة في شهر رجب ١٣٨٨ هـ ، ١٧ ورقة • المقاس ٢١ سم × ١٦ سم مسطرتها ١٨ سطرا •

١٨ ــ كشكول

نسخ الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن ابو الحب الحائري (١٣٠٥ ــ ١٣٦٩ هـ) بخط دقيق حسن في ١ شهر رجب ١٣٦٥ هـ ، ٢٤ ورقة ، المقاس ١٥ سم × ١٠ سم • مسطرتها ١٤ سطرا •

١٩ ــ في أخبار غيبة الامام الثاني عشر

للشيخ محمد علي الحائري السنقري المتوفى ٦ محرم ١٣٧٨ هـ نسخة

السيد محمد رضا بن المرحوم السيد محمد مهدي آل طعمة الموسوي سنة ١٣٥٥ هـ ٦ ورقات المقاس ٢٢ سم × ١٤ سم ، مسطرتها ١٤ سطرا .

٢٠ ـ معشر العشاق

شعر شعبي . نسخ محمود عبود الكربلائي ، بخط رديء ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ٨٧ ورقة . المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ٨ أسطر .

٢١ ـ ذكريات

شعر . نسخ عباس مهدي ابو الطوس (١٣٥٠ ـ ١٣٧٧ هـ) بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ، ٦٥ ورقة . المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ١٢ سطرا .

٢٢ ـ من اغاني الشباب

شعر . نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ٦٥ ورقة . المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم ؛ مسطرتها ١٢ سطرا .

٢٣ ـ النشيد الظافر

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ، ٥٩ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٧ سم مسطرتها ٨ أسطر .

٢٤ ـ رباعيات

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٦ م / ١٣٧٦ هـ ، ١٤٠ ورقة . المقاس ٢١ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ٩ أسطر .

٢٥ ـ في محراب باخوس

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ، ١٤٠ ورقة ، المقاس ٢١ سم × ١٦ سم مسطرتها ٨ أسطر .

٢٦ ـ سوانح عابرة

نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧م/١٣٧٧هـ ، ٣٨ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٧ سم مسطرتها ١٦ سطرا .

٢٧ ــ زئير العاصفة

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ؛ ١٢ ورقة ؛ المقاس ٢١ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ١٢ سطرا ٠

٢٨ ــ مذكرات

نسخ عباس مهدي ابـو الطوس ، بخط لا بأس بـه فـي ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ؛ ٦٥ ورقة ، المقاس ١٥ سم × ١٠ سم مسطرتها ١٦ سطرا ٠

هدير الشلال

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط نسخ جيد في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ؛ ٤٢ ورقة ؛ المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم مسطرتها ١٨ سطرا ٠

٣٠ ــ الشعب والسلطان

شعر : نسخة مهدي جاسم الشناسي بخط جيد في ١٩٦٧م/١٣٩٧هـ ؛ ٤٣ ورقة ٠ المقاس ١٣ سم × ٩ سم ٠ مسطرتها ٨ أسطر ٠

٣١ ــ شعر السيد حسين العلوي

للسيد حسين بن السيد محمد على الموسوي الشهير بالعلـوي المتوفى ١٣٦٤ هـ ؛ ١٢ ورقة ؛ المقاس ٢١ سم × ١٦ سم ٠ مسطرتهـا ١٨ سطـراً ٠ نسخ بخط دقيق جيد سنة ١٣٦٩ هـ ٠

٣٢ ــ زيارات

نسخ السيد محمد مهدي بن سليمان بن مصطفى بن احمد آل طعمـة الموسوي بخط جيد في ١٣٢٢ هـ ، ١٤٩ ورقة ٠ المقـاس ١٨ سم × ١١ سم مسطرتها ٦ أسطر ٠

٣٣ ــ التاريخ الاساسي للولايات المتحدة الامريكية

تأليف جادل بيرد وماري بيرد ٠ تعريب السيد مصطفى السيد سعيـد آل طعمة المتوفى ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م بخط لا بأس به في ٥ ــ ١٠ ــ ١٩٣٣م، ٤٥٦ ورقة المقاس ٣٤ سم × ٢٢ سم مسطرتها ٢٤ سطرا ٠

٣٤ ــ نسخة اخرى

بخط رديء (دون تاريخ) ٢٦٧ ورقة ٢٠ سم × ١٢ سم ؛ مسطرتها ١٨ سطرا •

٣٥ ــ عظماء العلم

تأليف كرود ويلسن • تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ؛ بخط لا بأس به في ٢٥ ــ ١٠ ــ ١٩٤٦ م ، ١٥٩ ورقة ، المقاس ٣٤ سم × ٢٣ سم مسطرتها ٣٠ سطرا •

٣٦ ــ النظرية الذرية

تأليف سرور وتيلر • تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط لا بأس به في ١٦ ــ ١١ ــ ١٩٤٦ م ، ٢٤ ورقة ، المقاس ١٨ سم × ١١ سم مسطرتها ١٥ سطرا •

٣٧ ــ لم نحطم الذره ؟

تأليف : آرثر • كي سليمان • تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط معتاد في ٢ ــ ١٠ ــ ١٩٤٧ ، ١٨٠ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٣ سم ، مسطرتها ١٨ سطرا •

٣٨ ــ اقوال كونفوشيوس

تأليف يوتل جيتز • تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ؛ بخط لا بأس به في ٢١ ــ ٤ ــ ١٩٤٧ م ، ٧٢ ورقة ، المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ١٨ سطرا •

٣٩ ــ التعاليم الطارئة

تأليف ليه تزو • تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط معتاد في ٢٧ ــ ٤ ــ ١٩٢٧ م ، ٦٠ ورقة ، المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم

٤٠ ــ نسخة اخرى

بخط لا بأس به ، في ١٥ ــ ٥ ــ ١٩٢٧ م ، ٦٢ ورقة ؛ المقاس ٢١ سم × ١٤ سم ؛ مسطرتها ٢٠ سطرا •

٤١ ــ ديانة السيك

تأليف دوروثي فيلد • تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمــة ، بخط لا بأس به (دون تاريخ) ٦٠ ورقة ، المقاس ٢١ سم × ١٤ سم مسطرتها ٢٠ سطرا •

٤٢ ــ منطق العلوم الطبيـعية والعلوم الانسانية

تأليف نورث شبروت • تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط رديء في ٢٠ ــ ٤ ــ ١٩٥٠ ، ٨٠٨ ورقة (جزءان) المقـاس ١٧ سم × ١٢ سم مسطرتها ١٣ سطرا •

٤٣ ــ مجموع فيه :

١ ــ ملحمة الحاج جواد بدقت الشاعر الكربلائـي المتـوفى ١٢٨١ هـ عدتها ١٢٦١ بيتا •

٢ ــ قصائد متفرقة

نسخ بخط جيد في ١٨ جمادي الثانية ١٣٩٢ هـ ، ٢٠٥ ورقة المقـاس ٢٧ سم × ٢١ سم مسطرتها ٢٢ سطرا •
الكتاب مجلد بجلد سميك من المقوى

٤٤ ــ منتخبات البحار

نسخ بخط جيد في ١٤ رمضان ١٣٩١ هـ على يد السيد محمد هادي بن السيد محمد مهدي آل طعمة ، ٣٢ ورقة • المقاس ٢٥ سم × ١٨ سم مسطرتها ١٥ سطرا ، مجلد تجليده حديث ، ورقه سميك جيد •

٤٥ ــ قصيــدة

للشيخ حسين نجف المتوفى ١٢٥٤ هـ نسخ بخط جيــد فــي ٦ صفــر ١٣٩١ هـ ١٨ ورقة • المقاس ١٨ سم × ١٣ سم ، مسطرتها ١٠ أسطر •

٤٦ ــ مجموع شعري

نسخ بخط جيد في ٢٢ شوال ١٢٩٣ هـ ، ٤٤ ورقة المقـاس ١٩ سم × ١١ سم مسطرتها ١٠ أسطر •

٤٧ ـ مجموع شعري

نسخ بخط جيد في ٢٠ جمادي الاولى ١٣٨٨ هـ ، ٢٧ ورقة المقاس ١٩ سم × ١٠ سم ، مسطرتها ١٠ أسطر •

٤٨ ـ مجموعة آل ابي الحب

بخط السيد محمد هادي بن السيد محمد مهدي آل طعمة في ١٥ جمادي الثانية ١٣٨٨ هـ ١٤ ورقة • المقاس ٢١ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ٢٠ سطرا •

٤٩ ـ تعليقات على تراث كربلاء

نسخ السيد صالح بن السيد ابراهيم الشهرستاني الموسوي الحائري نزيل طهران ١٨ جمادي الاولى ١٣٨٦ هـ / ٣ ايلول ١٩٦٦ م ، ٢١ ورقة المقاس ٢٨ سم × ١١ سم مسطرتها ٢٥ سطرا •

٥٠ ـ مجموع شعري

نسخ بخط جيد في ٢٩ شوال ١٣٨٣ هـ ، ٣٥ ورقة ، المقاس ٢٢ سم × ١٧ سم مسطرتها ٢٠ سطرا ، مجلد بجلد سميك من المقوى • يضم بين طياته شعرا لطائفة من شعراء كربلاء وهم : كاظم الهر ، قاسم الهر ، محسن ابو الحب الكبير ، الحاج جواد بدقت ، الحاج محمد علي كمونة ، السيد جواد الهندي ، السيد عبد الوهاب آل الوهاب ، الشيخ احمد درويش علي الحائري ، عبد الحسين الحويزي ، جعفر الهر ، جواد الهر ، حسين الكربلائي ، السيد حسين العلوي ، السيد محمد علي آل خير الدين •

٥١ ـ زيارة الحسين

نسخ بخط جيد بتاريخ ٢ ذي القعدة ١٣٩٢ هـ (١٩ ورقة) الملقاس ١٨ سم × ١٤ سم مسطرتها ٩ اسطر ، مجلد تجليده حديث ورقه سميك جيد •

٥٢ ـ شعر السيد مرتضى الوهاب

للسيد مرتضى بن محمد بن حسين الوهاب الموسوي الحائري المتوفي ٣ رجب ١٣٩٣ هـ نسخ بخط جيد في ١٦ شوال ١٣٩٢ هـ (٧٨ ورقة) المقاس ٢١ سم × ١٦ سم مسطرتها ٢٠ سطرا •

٥٣ ـ مجموعة آل كمونة

نسخ محمد سعيد بن محمد كاظم الطريحي بخط دقيق حسن في ١٥ ربيع الاول ١٣٩١ هـ (١٩ ورقة) المقاس ٢١ سم × ١٥ سم مسطرتها ١٩ سطرا

٥٤ ـ أهازيج من الجنوب

يضم طائفة من قصائد الشاعر هادي بن محمد بن حسن الشريتي الكربلائي بخط حسن في ٢ محرم ١٣٩٢ هـ (٤٨ ورقة) المقاس ٢٠ سم × ١٥ سم مسطرتها ١٠ اسطر .

٥٥ ـ الركب الضائع

شعر علي بن محمد بن محمد علي الحائري نسخ بخط جيد في ٥ شوال ١٣٨٥ هـ ٣٠٢ ورقة ، المقاس ٢١ سم × ١٦،٥ سم مسطرتها ٢٠ سطرا .

٥٦ ـ أين حقي ؟

شعر السيد محمد صالح آل بحر العلوم نسخ عباس مهدي ابو الطوس في ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٥٤ (١٢ ورقة) المقاس ٢٠ سم × ١٧ سم مسطرتها ١٨ سطرا .

٥٧ ـ كتاب في النحو

مجهول المؤلف وكذلك تاريخ النسخ يبدو انه قديم (٧٥ ورقة) المقاس ١٨ سم × ١١ سم مسطرتها ١٧ سطرا ، ورقه ابيض مصقول خطه نسخي جميل ناسخه مجهول ، الهوامش مملوءة بالتعليقات .

٥٨ ـ لمعة تاريخية في بيوتات كربلاء والفاخرية

للشيخ محمد علي القصير الحائري المتوفي ١٣٥٤ هـ نسخه منقولة عن نسخة المصنف ١١ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم مسطرتها ٢١ سطرا .

٥٩ ـ زيارة الامامين الكاظمين

مجهول الناسخ ، خط نسخي جيد بتاريخ ١٥ جمادي الثانية ١٣٣٧ هـ ١٤ ورقة المقاس ٢٣٫٥ سم × ١٦ سم مسطرتها ١٤ سطرا مع ترجمة للمعاني باللغة الفارسية بين السطور •

٦٠ ـ هداية العقول الى غاية السؤول

في علم الاصول ، مجهول المؤلف ، بخط نسخي جيد ، عناوينه بالمداد الاحمر ، تاريخ نسخه ١٣٦٥هـ (٧٨ ورقة) المقاس ٢٣ سم × ١٤ سم مسطرتها ٢٦ سطرا ، الهوامش مملوءة بالتعليقات •

٦١ ـ شرح الفية بن مالك

للشيخ بدر الدين ابي عبد الله محمد ويعرف بـ (شرح ابن الناظم) بخط نسخي جيد ، مجهول الناسخ والتاريخ ١٧٢ ورقة المقاس ٢١٫٥ سم × ١٤ سم مسطرتها ١٩ سطرا •

(كربلاء ـ العراق) سلمان هادي آل طعمة

في المشورة

* استشار هارون الرشيد وزراءه فقال يحيى بن خالد البرمكي ، لا ينبغي للخليفة ان يستشير منا احدا الا خاليا به ؛ فانه أموت للسر واقدم للرأي ، واجدر بالسلامة ، واعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فان افشاء السر الى رجل واحد اوثق من افشائه الى اثنين ، وافشاءه الى ثلاثة كافشائه الى العامة• لان الواحد رهن بما افشي اليه ، والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه •

فاذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى الا يظهره رهبة منه ورغبة اليه ، واذا كان عند اثنين دخلت على الخليفة الشبهة ، واتسعت على الرجلين المعاريض ، فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد ، وان اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم • وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا ذنب له وعن الاخر ولا حجة معه •

المجلات الأدبية في الساحل السوري

بقلم : المحامي هاشم عثمان

لا بد من القول ، ان صحافة الساحل السوري هي من مواليد مرحلة ما بعد الانقلاب العثماني ، أي ما بعد عام ١٩٠٨ . ثم هي ولدت اهلية بعكس صحافة دمشق وحلب التي كانت في بداياتها الاولى رسمية نشأت بعناية الولاة وتحت رعايتهم .

ولئن كان حظ الساحل السوري من الصحافة الجيدة قليلا ، فان حظه من المجلات الفكرية والادبية ، كبيراً ، بحيث يمكن القول ، ولا حرج ، ان المجلات التي ظهرت في الساحل كانت بمستوى مثيلاتها في سائر المحافظات السورية ، ان لم تكن أرقى ...

❋ واول مجلة عرفها الساحل هي « العلوي » صدرت في الخامس عشر من ايلول ١٩٢٣ باللغتين العربية والافرنسية . مجلة سياسية ادبية حرة تبحث في « منافع البلاد العلوية المستقلة » مديرها المسؤول وصاحبها ورئيس الكتاب بالقسم الفرنسي : مصري زاده برهان الدين بك . ورئيس الكتاب بالقسم العربي « عندليب الوادي » عبد الكريم الخير .

عدد صفحاتها (٢٤) منها (١٦) باللغة العربية والباقي باللغة الفرنسية. مواضيع المجلة موزعة على الابواب التالية : الادبيات ـ السياسيات ـ اخبار نصف الشهر ـ الكلمة الاولى ..

❋ بعد سنتين ، جاءت « النور » (حزيران ـ يونية ١٩٢٥) لصاحبيها نصر الله طليع وجاد كومين الذين رغبا في ان تكون « مثالا من الفكر الحر الطليق » لذلك كانت « ميدان البحث الاخلاقي والادبي تتبارى فيه اقلام الكتاب والباحثين في عزلة عن السياسة » .

والمجلة شهرية يقع الجزء الواحد في نحو الثمانين صفحة . ابوابها كما

يلي : المقال الافتتاحي ـ خمائل الافكار ـ تطور المجتمع ـ حراب وسهام ، اوراق الخريف ـ حوادث الشهر ـ زهر وشوك .

* ما كادت ذبالة النور تخبو ، بعد فترة وجيزة من اشتعالها ، حتى توقدت شعلة « التجدد » (مطلع اذار ١٩٢٧) مجلة « ادب وفن واجتماع وفكاهة » لصاحبها اديب الطيار .

عدد صفحات الجزء (٦٤) صفحة ، ابواب المجلة هي : في رياض الشعر ، من هنا وهناك ، في عالم الكتب ، فكاهات ، سير العلم ، رواية العدد .

ميزة التجدد انها اهتمت بالقصة فافردت لها بابا خاصا . وهذا ما لم تفعله العلوي ولا النور .

* بعد سنتين تقريبا من ظهور التجدد ، صدرت « المرشد العربي » (١٠ نيسان ١٩٢٩) لمنشئها والمسؤول عنها الشريف عبد الله آل علوي الحسني . مجلة « دينية علمية خلقية تاريخية ادبية » ... « مولية وجهها نحو البحث عما يبين حقيقة الدين ويفند مزاعم المبطلين ، ويفضح دعاوى المبدعين والمحدثين متبسطة تبسطا لائقا بها فيما يهذب النفوس ويثقف العقول ويغذي الافكار باحثة بدورها في الاخلاق والعادات والاداب والتاريخ والتراجم والعلوم النظرية والاجتماعية ... »

* ثم بزغ نجم « الاماني » (مطلع تشرين الاول ١٩٣٠) « مجلة علمية ادبية اجتماعية تاريخية » ارادها منشئها ابراهيم عثمان ان تكون « صرخات الشباب الصاخبة لتحطيم الاغلال ومحاربة الجمود ، وحكمة الشيوخ المتروية الهادئة في جو بعيد عن السياسة واساليبها ... »

مجموع صفحات العدد (٥٦) صفحة . والمواضيع التي تناولتها المجلة متنوعة : قصائد ودراسات ادبية وتاريخية واجتماعية .

مما يسجل للاماني سبقها في الاهتمام بالنقد .

بعد غروب شمس الاماني ، بقي الساحل ما يقرب من خمس سنوات

بدون اي مجلة • ثم في عام ١٩٣٦ ظهرت « الصاعقة » لوصفي حداد « مجلة ادبية روائية انتقادية اسبوعية مصورة » هزيلة المحتوى •

✽ وفي العام التالي ١٩٣٧ اصدر المرحوم الدكتور وجيه محي الدين مجلة « النهضة » « علمية ادبية طبية اجتماعية » صدر العدد الاول منها في غرة شهر تشرين الثاني ١٩٣٧ •

مبدأ المجلة كان « الكفاح ضد الرجعية ، ونبذ الطائفية المقوتة والسير وراء المجد والسؤدد بتضامن واخلاص ؛ وبث روح التآلف والاخاء بين مختلف ابناء هذا الشعب ؛ فتكون هذه الصحيفة كمنبر حر يتبارى عليه كل من اعطاه الله نصيبا وافرا من حسن الذوق الادبي والثقافة العالية، والتضحية في سبيل المثل العليا •• »

ويلاحظ على هذه المجلة انها استعارت ممن الاماني زاوية « الرسائل المزوقة » كما اخذت عنها ايضا باب النقد •

هاته المجلات السبع ، هي كل ما صدر في فترة ما قبل الاستقلال •

اما في فترة ما بعد الاستقلال فقد انكمش العدد انكماشا كبيرا • وما صدر خلال هذه الفترة يكاد لا يذكر •

اول مجلة ظهرت بعد الاستقلال هي « القيثارة » (حزيران ١٩٤٦) اصدرتها « جماعة الشعر الجديد » شعارها « سلسلة شعر وفن » •

حددت كلمة العدد الاول اتجاه المجلة « رأينا ان تخصص للناحية الفنية الاكثر وضوحا واستقرارا في بلادنا وهي الشعر ، أرحب حقل من حقولها تمرح فيه عرائس الشعراء وخيالات القراء طليقة هائشة ، فليس في صحفنا الادبية الفنية على كثرتها صحيفة تزرت القسم الاكبر من صفحاتها لاظهار الفن الشعري بحلة جديدة وهو التراث الاول ويكاد يكون الوحيد في تاريخ امتنا الفني » •

ابواب المجلة هي :

ــ في رياض الشعر : ويشغل حيزا كبيرا من المجلة

ـ لآلىء منثورة : وما ينشر تحت هذا الباب عبارة عن شعر منثور

ـ الحان الريف : عبارة عن قصائد زجلية

ـ باقات من الشعر العالمي : هذا الباب عبارة عن دراسة حول شاعر اجنبي مع عرض نماذج من شعره

ـ تطواف الفراش : منتخبات من الشعر الحديث واخرى من القديم

ـ الفنون الجميلة

ـ آراء وخواطر

الملفت للنظر ان القيثارة لم تدل فني القصة والنقد اي اهتمام •

لم تعش القيثارة الا قليلا ثم احتجبت عن الصدور وباحتجابها فقد الساحل السوري اخر مجلة راقية •

لان المجلة التي صدرت بعدها لم تكن على المستوى المأمول •

❋ بعد احتجاب القيثارة ، ظل الساحل مدة طويلة بلا اي مجلة حتى صدرت « المنبر » (ايار ١٩٥٠) مجلة ادبية اسبوعية لصحابيها خالد شاكر وغازي ابو عقل •

وفي منتصف شهر كانون الثاني ١٩٥٤ تبدل اسمها الى « الغد » وجعلت شعارها « المدب في سبيل الشعب » مجلة فكرية ادبية جامعة •

وعلى الرغم من انه كتب عليها مجلة اسبوعية • الا انها لم تكن تصدر بانتظام واحيانا كثيرة يتأخر العدد عن موعده هذا من جهة • ومن جهة اخرى ، كانت طباعتها سيئة كثيرة الاغلاط فضلا عن ان مواد المجلة لم تكن موزعة على ابواب ثابتة •••

في عام ١٩٧٣ قام مكتب الثقافة والاعلام لاتحاد شبيبة الثورة (فرع اللاذقية) بمحاولة فاشلة لاصدار مجلة شهرية باسم « الموجة » صدر العدد الاول منها في مطلع اذار ١٩٧٣ وتلاه عدد ثان في نيسان من السنة نفسها ثم توقفت عن الصدور •

تلك هي كل المجلات التي صدرت في الساحل قديما وحديثا .

ولا بد لنا من توضيح بعض النقاط :

اولا ـ ان هذه المجلات كلها تقريبا صدرت في مدينة اللاذقية ما عدا : التجدد (صافيتا) والنهضة (طرطوس) .

ثانيا ـ من حيث مواقيت الصدور . كانت غالبيتها شهرية ، وسنتها عشرة اشهر فقط (النور ، التجدد ، المرشد العربي ، الاماني ، النهضة) . واحدة فقط هي (العلوي) كانت نصف شهرية . اما الصاعقة والمنبر فكانتا اسبوعيتين ...

ثالثا ـ ثم كانت اعمارها قصيرة جدا جدا . فبعضها توقف عن الصدور بعد بضعة اعداد كالموجة والعلوي . وبعضها الاخر لم يكمل عامه الثاني او توقف بعد العام الثاني ..

والحق ، انها برغم قصر مدتها ، استطاعت ان تنفخ روحا في جسد الحركة الادبية والفكرية في الساحل ، بعد ان كانت هذه الحركة مشلولة .. شبه ميتة .

واليوم ، مما يدعو للاسف الجديد ، خلو الساحل في اي صحيفة او مجلة تستقطب اقلام شبابه وادبائه ومفكريه .

اللاذقية **هاشم عثمان**

وصية غريبة

❋ لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له : أوص قال بم أوصي ، مالي للذكور دون الاناث ، فقالوا : ان الله لم يأمر بهذا . فقال : لكني آمر به . ثم قال : ويل للشعر من رواية الشعر . فقيل له أوص يا أبا مليكة للمساكين بشيء ، قال : اوصيهم بالمسألة ما عاشوا فانها تجارة لن تبور . قيل : اعتق عبدك يسارا . قال : اشهدوا انه عبد ما بقي . قيل : فلان اليتيم ما توصي فيه؟ قال : أوصي ان تأكلوا ماله . قيل أوص يا أبا ملكية قال : احملوني على حمار فانه لم يمت عليه كريم . !!

رسائل الادباء

من الشاعر الكبير الاستاذ جورج صيدح الذي بايعه صديقنا الاديب الكبير الدكتور صفاء خلوصي بامارة الشعر للاستاذ حسان الكاتب صاحب الموسوعة الموجزة .

يا كاتب الخير اني قارىء عان اوشكت أقرأ وجه العالم الثاني
تراجع الموت عني بعد غارته كأنه لم يشأ اسكات شيطاني
او انه احترم البيت العتيق فما أوهى دعائمه الا بميزان
أو أنه كاد لي مستمهلا أجلي للنيل من حرمتي من بعد جثماني
أصبحت افتقد الاشجان اشدها منذ اختبرتك معينا بأشجاني
لم تنسني حين صرف الدهر حجبني بل انتشلت من النسيان ديواني
آلات فضلك وافتني مخمسة (١) لم تنتظم حولها هالات عرفاني
أعيت لساني فاستنطقت عاطفتي أحدوثة الشكر وجدانا لوجدان
عذري اذا لم اعددها علانية أن البقية تأتي .. بعد اعلاني
«حسان» (٢) مدح رسول الله شرفه والآن شرفني مدحي (لحسان(٣))

باريس جورج صيدح

---

١ ـ الإستاذ حسان بدر الدين الكاتب كتب دراسة مطولة عني ونشرها في خمس دوريات .
٢ ـ حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم . ٣ ـ حسان بن بدر الدين الكاتب ـ صاحب الموسوعة الموجزة بدمشق ـ .

حاجز... وهوية

شعر : حسن الزين

انا مزقت الهويـــه
وتمردت على الاقدار والتاريخ
من أجــل قضيه
لم يعد في خلدي شيء من الوهم القديم
والاكاذيب التي لطخت الماضي بأثقال الجحيم
لم تعد تخدع احلامي بمعسول المظاهر
فتسلقت الى المستقبل المجهول ارجاء المخاطر
لا تقولي كيف ؟ لا ادري ، ولكني أجاهر
بعدائـــي
للذين اصطنعوا الحقد وخاضوا الحرب
تنفيذا لادنى الرغبات
وأحط الامنيات
وأذل الخطط الرعناء يبنيها عداء
ومجـــازر
صاغهـــا مستعمرون
وبناهـــا ظالمـــون
صمموها من دماء الابرياء
وأمانـــي السفهـــاء
يومها لم يبق في لبنان غير الموت والحقد ،
وقطـــاع الطريق ،
يبـــذرون
في عيون الشعب أكداس الرماد
كي يموت النور في عيني كي يفنى الضياء

غير أن الحق أقوى
ونــداء الخير أبقى ؛
من أكاذيب وأوهام سوافر
أرسلت فوق جبالي الخضر نارا ودخانا
واقامت في ربى لبنان للموت رهانا
ثــم مــاذا ؟
واليد الشقراء تقطع
بعد أن فجر كيد الاغبياء
ألف مبضع
وصواريخ ومدفــع
في وجوه الابرياء
مــن بــلادي
واليد البيضاء ليست يا فؤاد
لــك وحــدك
انها من قلب لبنان من التاريخ تنزع
ولو أن الحاجز المجنون ادرك
عندما فتش في متن الهويــة
عــن ضحيــة
ان لبنان وكل الكون يصغي
خجلا من ذلك العار
ومن تلــك المساخر
لانزوى في حقده وارتد
حتــى لا يقامــر
بقضايا ليس يملك
ولما امتدت يد منه بسكين وخنجر
تزرع العنف وتصطاد البراءة

لا ارتجاف الخوف يثنيها ولا دمع يفيض
من فتى لم يعرف الحقد ولم يسمع نداءه
غير أن اليـــد تقطع
ودمـــاء
تصبـــغ الارض ...
وصوت يتدافع !
قبل أن يمحو ظل البغي آثار الحياة
عـــن جبين مشرق
صرخة أصفر منها كل آلام البشر !
صوت أم !!
صوت آلام ثقيلة ... وحنان
فيه شيء من صلاة ...
وكأن الصوت أقوى كان من كيد الجناة
فتقهقـــر
لا تقولي بعد هذا كيف مزقت الهوية
انها تحتاج للتغيير كي تحمل روح الزمن
والوئـــام
ليس للحاجز فيها أي شأن
والظـــلام
لا يعشش
في زواياها الفسيحة

بيـــروت حسن الزين

١ ـ نظمت بمناسبة قطع يد طالب على حاجز اثناء الفتنة في لبنان .

في ربوع السماوة

شعر : خضر عباس الصالحي

هذي السماوة ذات الموقع الحسن ... وانها جنة فيحاء في وطني
ومجد تاريخها يعلو على زحل ... ما طأطأ الهام للاحداث والمحن
دخلتها والاسى في القلب متقد ... فحررتني من الآلام والشجن
وكفكف اللطف دمعا كان منسكبا ... على الخدود انسكاب العارض الهتن
وزرتها والربيع السمح يحضنها ... والطير يصدح جذلانا على الفنن
وللحقول أخضرار في مشارفها ... وقد تمنيت في أفيائها سكني
أجول جولة هيمان الرؤى ثملا ... بين الربوع ، وأخطو خطو مفتتن
فيها الطبيعة تجلو في مفاتنها ... ما في النفوس من الاحقاد والضغن
تخذت في ظلها للقلب منتجعا ... اليه اهرب من همي ومن حزني

* * *

هذا الفرات وفي واديه منسرب ... يضفي النعيم على الارياف والمدن
يسيل بين الرياض الغين قد رشفت ... منه الازاهر خمرا دونما ثمن
وقفت أرنو الى مجراه في شغف ... فأستيقظت عين اشواقي من الوسن
وانساب في عمق اعماقي رحيق ندى ... وغلغل العطر في روحي وفي بدني
رويت من مائه الصافي لظى ظمأ ... فانه منهل للشاعر الفطن
ورفرف الطيف، طيف الحب في نغمي ... فرحت أبدي الهوى في السر والعلن
وعاد للجسم احساس الشباب فما ... أصبحت أحمل أعباء من الوهن
أحسست اني ولدت اليوم فانطلقت ... دنياي من عالم الاوضار والدرن

* * *

مدينة تزدهي دوما بكل فتى ... بالنبل متشح ، بالفضل مقترن
في أهلها الضيف يحيا ناعما جذلا ... يلقى المحبة منهم دونما منن
ولم يزل أهلها الاحرار في دأب ... يحيون ما بات مدفونا من السنن
الذكريات وأطياف الهوى رسخت ... في لحن قيثارتي حتى مدى الزمن

السماوة ـ العراق ... خضر عباس الصالحي

عبيد الكراسي

شعر : حسين شعبان

طفح الكيل يـا عبيد الكراسي — يـا ضعاف النفوس والاحساس
قـد ملأتم أجـواء لبنان افكـا — وانغمستم بالشـر ، أي انغماس
فخفضتم جبينـه بالمخـازي — وهدمتم كيانـه بالمآسـي
ومنار الاشعاع والرغـد أمسى — بـؤرة للفسـاد والافـلاس
وقديما مناخـه كـان مهـوى — كل مـن فـر مـن مناخ قاس
كاد يهـوى برأسه مـن حيـاء — ذلـك الشامـخ الاشم الراسي
قـد ظهرتـم بمظهـر مستعار — فخدعتم بـه جميـع الناس
ونحوتـم بالطائفيـة نحـوا — كان ضربا مـن النفاق السياسي
وادعيتـم زورا حراسة قطـر — كـل آفاتـه مـن الحـراس
فأقمتـم دعـوى بغـير دليـل — وبنيتم صرحـا بغـير أساس
سفسطات يمجهـا كـل ذوق — كامـل الوعـي مرهف حساس
سمتـم الشعب ذلـة وهوانـا — فاحذروا الشعب ، فهو صعب المراس
وظننتـم ان المواطـن عبـد — تتـولاه قبضـة النخـاس
ساء ما تزعمون يـا رهط ابليس — وسؤتـم يـا عصبـة الخناس
قـد غلوتم بغيكم ، وضربتـم — بالاضاليل ، كـل رقـم قياسي
وتعـدى شذوذكم كـل حـد — فاتقوا الله يـا عبيد الكراسي

حسين شعبان

سوق السياسة

سوق السياسة بابـه لا يغلـق ... وقديمـه كجديـده لا يغلـق
تجـاره كثـر فمنهـم جاهـل ... غـر ومنهـم عالـم لا يلحـق
ورجال ديـن منهـم وعقائـد ... شتى وباسم الشعب كـل ينطق
والشعب يلهو بالوعود فمزهـر ... منهـا لديـه ويابس لا يورق
ويبيت موعـود عـلى آمالـه ... وتغيب آمـال وأخـرى تشرق
ويدور دولاب السياسة مسرعا ... الغـرب يدفـع سيره والمشرق
وتعلقـت بيمينـه ويسـاره ... أيـد تكـاد لضعفها لا تعلـق
شدت اليه وأوثقت فغدت كمـا ... يهوى يحركها الولـي المؤثـق
هذي سياستنا وهـذي حالنا ... لم يبـق فينـا واثق او موثـق

خربة سلم — **احمد حسن الامين**

انصار العرفان
والوفيـات

ضاق نطاق هذا العدد عن ذكر انصار العرفان وان كانوا قليلين للآن مع الأسف وعلى رأسهم سماحة الاخ العلامة العبقري السيـد حسن الشيرازي وهو دائما في جميع الظروف بمقدمة انصار العرفان .

كما ضاق عن ذكر الوفيات ، وسنستدرك كل ذلك فـي الاعداد القادمة ان شاء الله .

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول .
نزار الزين

العدد الثاني مجلد ٦٥ شباط « فبراير » ١٩٧٧ ، صفر — ربيع الاول ١٣٩٧

الصفحة | الموضوع | الكاتب

علم ، أدب ، فكر ، سياسة

ابحاث اجتماعية

ابحاث علمية



Shiabooks.net

الافتتاحية

ـ لبنانكم لبناننا
وعروبتنا عروبتكم ـ

« يا جنة الله لا « عدن » تماثلها — ولا تماثلها في الخلد جنات
أ آية انت يا صنين منزلة — ام كل ما فيك يا لبنان آيات
الدهر عندك ايام محببة — والعمر عندك يا لبنان ساعات
ضاعف جهودك يا لبنان مقتحما — حواجزا بالغت فيها السياسات »

كلنا نحب لبنان وكلنا نهيم به ولا نفضل وطنا عليه ، واي وطن يمكن ان يعيش فيه الانسان احسن من لبنان ، لقد جمع كل محسنات الحياة من جمال وحرية وغيرها وغيرها مما لا تجده في اي وطن آخر ، وان الذي لا يعشق لبنان كوطن ، يكون منحرفا ، او له اغراض خاصة ، اذا لا يجب ان يتهم المسيحي المسلم بانه لا يحب لبنان ، او يفضل وطنا آخر عليه ، وحين وقعت الوقيعة باللبنانيين وهربوا من القذائف والصواريخ ، ادركوا وزادوا معرفة ان لبنان لا يعادله وطن آخر ، لانه ربما كان في محنته افضل من غيره في نعيمه ، ولذلك نقول لكم ان لبنان ليس لكم وحدكم ولا تنفردون انتم بحبه بل نحن واياكم في هواه سواء ، وهو لا يعيش الا بجناحيه ، اذا ان لبنانكم لبناننا ، لا يستأثر احد به ، ولكن المهم المحبة فيما بيننا ، وتأمين العدالة والمساواة ، بحيث لا يشعر المواطن بظلم اخيه فيحقد عليه وكنا قد كتبنا كثيرا في اعداد العرفان الماضية حول هذا الموضوع .

وكذلك يا اخواننا « عروبتنا هي عروبتكم » فقد جاء في الحديث : « ليست العربية لاحدكم باب ولا أم ، وانما من تكلم العربية فهو عربي » اي ليست العربية او العروبة للمسلمين دون المسيحيين ، وانما هي لكلاهما ولولا ذلك لما حضنها ودافع عنها المسيحيون قبل المسلمين بعد عصر الانحطاط .

وقد كانت العروبة مع الاسف اثناء الكارثة محنة ثانية ، تاجر فيها الفريقان تجارة غير موفقة . فهي ليست لهؤلاء وحدهم ولا لهؤلاء بل هي لكليهما ، وهناك دائما من يدافع عنها مخلصا دون ضجيج . على انه اذا قال

احد بوحدة • او اتحاد مع الآخرين ، فلا يعد ذلك جريمة نكــراء ، فربما تقع الاتحاد المسيحيين اكثر من المسلمين • على ان العرب وهم على ما هم عليه مــن خلاف ، اية وحدة او اتحاد ينفع ، ثم ان لبنــان وهــو صاحب المــوارد غــير المنظورة ، لا يمكنه ان يعيش الا بالحرية السياسية والحرية الاقتصادية ، على ان لا يكون ذلك فوضى طبعا • اما ما تأتينا بــه الاحزاب المستوردة فيجب ان يبقى لغيرنا ، ونحن لا ينقصنا الذكاء ولا العلم لتصريف امورنا •

ولكن ما العمل اذا كنا قد ذهبنا ضحية كما قال احد قراء مجلةالعربي في عدد كانون الثاني « يناير » من هذه المجلة ما نصه :

ثمن اختلاف العرب

عندما عادت روح التضامن الى العرب استطاعوا ان يصلوا الى اتفــاق بشأن لبنان ••• واستطاعوا الى حد كبير ان يوقفوا نزيف الدم فوق ارضه • هل يعلم الزعماء العرب كم دفع لبنان بسبب استمرار خلافاتهم • أي اعداد من البشر قتلوا في أسوأ مجزرة في تاريخ العرب الحديث ••• وأي خراب حــل بهذا البلد الذي كان مفخرة كل عربي •

هل يعي العرب الدرس مستقبلا ويدفنون خلافاتهم بسرعة ، ويضمدون جراحهم على الفور ، حتى لا يقتل شعب عربي اخر •• وحتى لا يفتح مزيد من الحدود مع عدونا الاول اسرائيل •

هل نتعلم ونعتبر ؟

ونحن نضيف الى هذا اميركة وروسية •

على ان ما قاله « فالدهايم » ليس مستغربا باعتبار « ما اصابك من سيئة فمن نفسك » فلو رجعنا الى اخطائنا التي ارتكبتها الحكومات من سنة ١٩٤٣ اي من زمن الاستقلال الى سنة ١٩٧٥ اي بدء الكارثة ، لنبحث عــن المسئول الاول عن المحنة : اضف الــى الجشع ، وانا في ظروف متفاوتة لــم نستعمل عقولنا التي خلقها الله لنا لتدفع عنا السيئات والنكبات ، نجــد ان المســئول الاول هم اللبنانيين قبل غيرهم •

فيا اخواننا من هؤلاء وهؤلاء ، فكروا بعقولكم لا بعواطفكم، وانصفوا انفسكم من انفسكم لتعيشوا بمحبة وهناء وليسعد بكم لبنان •

حكم ومواعظ

ــ يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن .

« قرآن كريم »

* * *

ــ المتكبر والمتجبر بالنار .

« حديث شريف »

* * *

ــ لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحابيتم : أفشوا السلام بينكم .

« حديث شريف »

* * *

ــ ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وان ابغضكم الي ، وابعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون .

« حديث شريف »

* * *

ــ المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، اوسع شيء صدرا ، واذل شيء نفسا يكره الرفعة ويشنأ السمعة ، شكور صبور ، سهل الخليقة ، لين العريكة نفسه اصلب من الصلد وهو أذل من العبد .

علي بن ابي طالب

ــ عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء وعجبت المتكبر الذي كان بالامس نطفة ، ويكون غدا جيفة، وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى وعجبت لمن أنكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى ، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء .

علي بن ابي طالب

ارفعوا ايديكم عن العروبة !

بقلم : زهير مارديني

اعترف ان قصة المذبحة في لبنان طويلة ... وستكون تاريخا طويلا لم يكتب بعد ، ومن الوفاء لهذه الامة ان يكتب قبل الفوات ، وقبل ان يتمكن دعاة الثورة ، والثورة المضادة من تشويهه ...

لقد كتبوا ونشروا واذاعوا وتلفزوا هجوما على العرب والعروبة لم يسبق ان عرفته الامة العربية على كثرة ما عرفت من تجن ... ولم يوفروا حتى الاديان في هجومهم ... فاذا الجرح الدامي يصل الى وطنية العربي .. وما كانت هذه الوطنية قط اعتداء اثيما ... ولا حقدا لئيما ..!

نشأت رسالة تكبير وتوحيد ... ودعوة تعاون على البر ... ومشت في حالك العصور .. في يمينها قسطاس العدل .. وفي يسارها نبراس الهدى .. وما زالت تعطي باختيارها اضعاف ما اخذت بانتصارها ، حتى ملأت دنيا الناس حكمة وفنا وعمرانا ورفاها ... كانت تتخدر احيانا وتنام ، ثم سرعان ما تعود طيبة الخبر .. جليلة الاثر .. مبكية في تاريخ من فارقت.. مشكورة من اعقاب من حكمت ..

انها ـ وطنية العربي ـ نهضة من كبوة .. واصلاح من فساد .. واستعداد للجهاد .. تأديبا للسفاحين من امثال الذين ظهروا في لبنان اثناء المذبحة .. واستردادا للسلب .. وارضاء للاباء .. واطمئنانا الى العزة .. فكف بعد ذا وعفة .. ونسيان للخصومة .. ومصافحة للمغلوب .. وعود الى المعروف .. وضرب المثل الاعلى في مكارم الاخلاق ...

تلك روح العروبة وهذه تقاليدها .

سلمها أمن وايمان وخير عميم ... وحربها شجاعة نادرة ... وفروسية باهرة وتقدير للبطولة ، وعفو عند المقدرة .. ورفق بالجرحى .. ورحمة لليتامى ... وتأمين لمن التمس السلم ...

حرب اشبه بالمباراة الرياضية منها بالعداء .. وفي قديم تاريخ العروبة امثلة للجاهلين .. وحجج للجاحدين .. اما وقد جاوز المتقاتلون في المذبحة كل حد .. فانهم جميعا بدون استثناء لا يمتون الى هذه الامة بصلة ..

ان جميع الذين ساهموا في مذابح عين الرمانة ، والمسلخ ، والسبت الاسود ، والدامور ، والجية ، ودير عشاش ، وبيت ملات ، وشكا ، وتل الزعتر .. وغيرها وغيرها .. كل هؤلاء حرموا نفوسهم فعل الخير وغرقوا في مستنقع الجريمة ...

كانوا يصرخون وهم يتقاتلون كابشع ما يكون القتال واحقره ... أهذه هي العروبة ؟

وكانوا يكتبون وينشرون ويذيعون ويتلفزون : ما العروبة وما برنامج العروبة ... ؟

ولم يظهر في الساحة من يرد عليهم ، ويلقمهم حجرا ولو من بعيد ...

نحن سترد عليهم ، وعلى الشعوبيين الهازئين ، والمؤلفة قلوبهم ، والمنفوخة جيوبهم من المال الحرام ، والسلاح الحرام .

العروبة شعار هذه الامة .. وروحها .. وشمس اوطانها .. ومهوى افئدتها .. وملتقى ما تعدد من اقاليمها ولهجاتها ..

العروبة التي أمنا بها ، ان يشعر اللبناني ان له زحلة في الطائف ... والعراقي ان له فراتا في النيل ...

العروبة دم زكي يجري في عروق جسد واحد اعضاؤه الاقطار العربية وكل ما يعوق دورة هذا الدم يعرض الجسد كله للاخطار ..!

ويقولون بعد ان يستعيروا عبارات لينين وقبيله :

ها هي العروبة تفشل في لبنان ..!

كلا .. لم تفشل العروبة في لبنان ، ولكنها جرحت وسال دمها .. واما الفاشلون فكانوا للاجنبي حطبا .. قبل الثورة الافرنسية وقبل شريعة تحرير

العبيد في امريكا باكثر من الف سنة جهر مشرعنا العربي الاعظم بمبدأ الحرية والاخاء والمساواة فجعل فك الرقاب كفارة عن الذنوب وزلفى الـى الله ... وقال في حديثه :

الانسان اخو الانسان أحب ام كره ...

لم يكتفوا اثناء حربهم السوداء بتهشيم العروبة.. بل امعنوا في افترائهم على الله والتاريخ ، وزجوا بالاسلام والمسيحية في الاتون وراحوا يرقصون..

قالوا وارجفوا بان المسلم قد ابتعد عن المسيحي .. ولا ادري مـن اين جاءوا باقوال يدفعون بها لكي يصدقهم من يسمعهم ..

ان الاسلام دين يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويوجه الى الخير ويصد عن الشر ، ويريد ان تقوم امور الناس على العدل وتبرأ مـن الجور ، ثم يخلي بعد ذلك بينهم وبين امورهم يدبرونها كما يرون ما داموا يرعون هذه الحدود، ولا تزيد المسيحية على هذا ولا تنقص منه ، ولامر ما قال يسوع للذين جادلوه من بني اسرائيل :

(اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ..

وما اشك في ان الناصري لم يرد ان يعطي مـا لقيصر لقيصر بغير حقه ، او ان تقوم الصلة بين قيصر وبين الناس على الظلم والجور والخوف ...

ان الاسلام لم يقدم احدا على احد بمولده ولا مكانه الاجتماعي ، وانما فاضل بين الناس عند الله بالتقوى ، وفاضل بين الناس عنـد الناس بالتقـوى والكفاية وحسن البلاء ...

حادثة واحدة نسوقها الـى الذين جاءوا بالتاريـخ الاسلامي وراحـوا يشوهونه من وراء المذياع .. عل في هذا الذكر ما ينفع الذين صدقوا ما اذيع اثناء حمى الاقتتال ...

كان اول ما عرض للخليفة الثالث عثمان بـن عفان في الايـام الاولـى من خلافته ، قصة عبيد الله بن عمر بن الخطاب الذي قتـل الهرمزان وجفينـة وبنت ابي لؤلؤة ... وهي قصة امتحن بها المسلمون امتحانا عسيرا .. فابـو

لؤلؤة هو قاتل الخليفة عمر ... طعنه بخنجر ذي رأسين حين كان يتقدم للصلاة ، فتكاثر الناس على ابي لؤلؤة فاخذوه ، ولكنه قتل نفسه قبل ان يسأل في ذلك او يجيب .. وقال بعض الناس : انه رأى ابا لؤلؤة والهرمزان ، وكان قد اسلم ، وجفينه وكان نصرانيا ، قد خلصوا نجيا وفي ايديهم هذا الخنجر يقلبونه ... فلما اقبل عليهم قاموا وسقط الخنجر من ايديهم ... فلما قضى عمر اقبل ابنه عبيد الله شاهرا سيفه حتى اتى الهرمزان فقتله ..

فيقول الرواة انه لما احس عض السيف قال :

لا اله الا الله ...

ثم اتى جفينة النصراني فقتله ...

فيقول الرواة انه لما احس الموت صلب بين عينيه ...

ثم اتى عبيد الله منزل ابي لؤلؤة فقتل ابنته ... وبلغ الخبر صهيبا وكان على صلاة الناس ، فارسل من يكفه من المسلمين وقد انتهى اليه سعد بن ابي وقاص فساوره وما زال به حتى اخذ منه السيف ، ثم حبس حتى يقضي الخليفة في امره ..

فلم تكد بيعة عثمان تتم حتى شاور المسلمين الذين حضروه في امر عبيد الله هذا الذي ثأر لنفسه بنفسه وثأر لنفسه عن غير بينة ... فقتل رجلا مسلما ، وقتل ذميين بغير الحق ودون ان يخوله السلطان قتلهما ، وقد اختلف الرواة في الحكم الذي امضاه عثمان في هذه القضية ، فقوم يزعمون ان عثمان قضى بالقود ودفع عبيد الله الى الهرمزان ليقتله بابيه ... واكثر المؤرخين يزعمون ان عثمان قال :

انا ولي الهرمزان وولي من قتل عبيد الله ، وقد عفوت وادفع دية من قتل من مالي ...

ولم يعدم من قال من المسلمين :

يقتل عمر امس ويقتل ابنه اليوم ...

هذه الحادثة كانت سبب خلاف شديد وعميق بين المسلمين وصحابة النبي ، منهم لم يرض عن قضاء عثمان هذا ، فكان من الانصار من لبث يذكر عبيد الله بقتل الهرمزان وجفينة النصراني وبنت ابي لؤلؤة وينذره بالاقتصاص منه ... وكان زياد بن لبيد كلما لقيه قال له :

ألا يا عبيد الله مالك مهرب ولا ملجأ من ابن اروى ولا خفر
اصبت دما والله في غير حله حراما ، وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير ان قال قائل اتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمة نعم اتهمه قد اشار وقد امر
وكان سلاح العبد في جوف بيته يقلبه والامر بالامر يعتبر

فلما كثر ذلك من زياد شكاه عبيد الله الى الخليفة عثمان ، فدعا عثمان زيادا فنهاه عن ذلك فلم ينته ، وانما قال في عثمان نفسه :

ابا عمرو عبيد الله رهن ـ فلا تشكك ـ بقتل الهرمزان
فانك ان غفرت الجرم عنه واسباب الخطا فرسا رهان
أتعفو اذ عفوت بغير حق فما لك بالذي تخلى يدان

وكان الامام علي كرم الله وجهه يقول : لو قدر على عبيدالله اثناء خلافته لاقاد منه .

هذه حادثة تعمدت الاشارة اليها هنا ليقرأها الذين يريدون ان يطمسوا جرائمهم التي ارتكبوها اثناء المذبحة ... عل في ذكرها ما ينفعهم ...

ان من اسباب المذبحة جهلنا بالحقائق ، وهي مشكلة الصديق الجاهل ..
وما دام الجهل مشكلتنا الاولى ...
والفواصل بيننا كبيرة والحيطان اضحت بيننا منيعة ...
انه الصدق وحده الذي يجعلنا نرى اعمق وابعد ...

محمد جميل بيهم

من اعلام الفكر والتاريخ

بقلم : وداد سكاكيني

في طليعة المفكرين الدائبين في القضايا العربية والباحثين في تاريخنا الحديث تبرز شخصية الاستاذ محمد جميل بيهم بكل ما أوتي من زاد علمي وخلقي زادته الايام والتجارب عدة ضخمة من ثقافته العربية والغربية ، ومن خصال الثقات في التمحيص والاستقصاء للحقيقة والتاريخ •

لقد وهب هذا المفكر الكبير عمره وقلمه للعالم العربي عامة وللشعب الذي انبثق منه ويعيش فيه خاصة متمرسا بهمومه وأحداثه منذ الربع الاول من هذا العصر ، مشاركا أنداده في بلاده من رواد الفكرة العربية والحركات التحريرية في جهاده الطويل ، لكن على طريقته العلمية في مكافحة الظلم والظلمات والقاء النور بالحجة والمعرفة على كل ناحية فيهما ، ومنها خفايا الاستعمار على اختلاف أسمائه وأشكاله ، ومن أجل هذا الطريق الشائك الذي اختاره الاستاذ بيهم للكفاح أخذ يتجول في الشرق والغرب ويتغلغل في المجتمعات العربية والاجنبية ليرى من قريب ومن بعيد أثر الوباء الاستعماري الذي تسلل من حضارة المطامع الطاغية الى آفاق المستضعفين والمتخلفين بشتى الوسائل والاسباب حتى سيطر باسم الانتداب على سورية ولبنان فمزق وفرق وباعد وقرب ، وكان نفوذه وتأثيره أدهى وأمر في لبنان حيث توارث أحد جناحيه من تقاليده القديمة المرة أوهاما ومحاذير ، لم تستطع ثقافته وحضارته على ترادف السنين والاجيال وتطور الفكر والحياة ، أن تنتزعها من النفوس أو تغيرها وتحررها ليجاري غيره من البلاد العربية في بناء حياته وقوميته على وعي سليم وقواعد راسخة في التربية القومية التي تجمع العقول على طوايا صافية وأهداف واحدة وكان الاستاذ بيهم عالق الفكر والقلم فيما أصاب لبنان من بلبلة ومغالطة على يد (الانتداب) فأخذ ينشر مقالات للتوعية الفكرية والوحدة الوطنية ويدفع بالتي هي أحسن ما يزحزح الوهم والمكابرة عن الحقيقة الجاثمة ولم يكن في أسلوب بيهم أي

عنف أو جدل ، بل كان دأبه اللباقة في أي حوار أو اقناع ، وقد تجرد لهذه الوسيلة ميسرا لما خلق له مطمئن القلب والبال ولم يعرف القلق في المعيشة شأن أمثاله في بيروت من الميسورين الذين آثروا الاعمال الحرة الخيرة ، اذ كان أبناؤهم يتخرجون من المعاهد والجامعات ثم ينضمون اليهم فلا يلتمسون المناصب الا اذا كانت علمية أو لخيرة الانسانية ، وكانت دراسة بيهم تمكنه من المشاركة في تنمية الروح القومية والوطنية ولا تصرفه عن متابعة هذه الدراسة حتى أعد نفسه لما بعدها ، وكتب بحثا (١) عن (الانتداب) مقارنا في موضوعه بين استعمارين وفي منطقتين ، وكان المشرف عليه الاستاذ المشهور (ديمومبين) بجامعة السوربون وقد حسب الباحث الطموح أن البيئات العلمية بعيدة عن السياسة معتصمة بحرية الرأي ففاته أن أساتذة الجامعات والمستشرقين منهم كانوا أقرب الناس الى السياسة وأحبهم الى زعمائها ، وطالما مهدوا لها بوسائلهم وأيدوها في مستعمراتهم ، ولم يكن رفض البحث الذي تقدم به الطالب البيروتي محمد جميل بيهم ليقنعه بتجربة في غيره لعله لا يحرم (الدكتوراه) لكن نزعته الحرة أبت عليه مطاوعة الآراء التي تعزز بحثه وتضمن قبوله ، فارتد الى وطنه عازما على الرجوع الى تاريخه القديم فعكف على المطالعات والمراجعات وقام بشتى الرحلات ليقدم مؤلفا بعد مؤلف في القضايا العربية ، وفي تاريخ لبنان الذي تنازعته الاهواء والاحداث ، فكانت مؤلفاته تلقي الاضواء على حقائق مجهولة وملابسات متشابكة رفع الستار عما خفي منها ليكون جهده العلمي حافزا للمناضلين عن حق بلادهم في الحرية والسيادة القومية فاكتسب بوطنيته الصادقة ثقة الذين عرفوه في شخصيته المحببة وفي مؤلفاته القيمة لكن (الانتداب) الذي ضاق بالاحرار وان وقر العلماء منهم وقدرهم فانه أقصاهم عن مناصب النيابة والقيادة لينصرفوا الى ما هو أجدى على الوطن من السياسة التي قيدها الانتداب بمراميه ، فازداد الاستاذ محمد جميل بيهم همة في المجالات الفكرية والثقافية ونشر من مؤلفاته التاريخية هذه الكتب :

---

١ ـ نشرت هذا البحث مسلسلا مجلة (الايجبسيان) الفرنسية في القاهرة عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٩

١ ــ الانتدابان في سورية والعراق

٢ ــ قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور في جزئين

٣ ــ الحلقة المفقودة في تاريخ العرب

٤ ــ العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب

٥ ــ العهد المخضرم في سورية ولبنان من ١٩١٨ ــ ١٩٢٤

٦ ــ العروبة والشعوبيات الحديثة

٧ ــ عالم حر جديد في آسية وأفريقية والوطن العربي

٨ ــ عروبة لبنان

٩ ــ لبنان بين مشرق ومغرب

١٠ ــ الوحدة العربية بين المد والجزر ١٨٦٨ ــ ١٩٧٢

١١ ــ دراسة وتحليل للعهد العربي الاصيل ١٩٧٤

هذه بعض المؤلفات التاريخية التي قدمها الاستاذ بيهم في جهاده الوطني الطويل وعلى طريقته العلمية التي عرفت بالتجرد للحقيقة واستجلاء التطور في الاتجاهات الفكرية والسياسية في الواقع اللبناني الذي كانت تتنازعه الحيرة والمرارة منذ أعوام الانتداب حتى بعد الاستقلال ، وكأن هذا المؤرخ الثقة كان يسبق الزمن في دراسته المبنية على الحقيقة في الواقع والحجة في كل رأي أو بحث ، فقد دعا للوحدة الوطنية واقامتها على قواعد قومية صريحة لا تزعزعها الاعاصير ، فان رياح العروبة كانت تمر بحياة لبنان فيصدها المتوجسون خيفة من عواصفها ويحاول المرجفون أن يتبرأوا منها وينتموا الى ما يقصيهم عنها ، فبادر الاستاذ بيهم الى دراسة نقدية حولها زاد في قيمتها العلمية أنه عاصر حوادثها وشارك فيما يتعلق بها زهاء خمسين عاما ، فكانت دعوة صادقة لعروبة أصيلة في لبنان وحقيقة جاثمة بآرائها وأخبارها وقد حمل فيها الاستاذ بيهم على الكتب المدرسية في التاريخ قبل الاستقلال وبعده لما اندس بين سطورها من تحريف ، مؤكدا كل التأكيد على أن مصلحة لبنان في عروبته ، ومصلحة العرب في طابعه الخاص ...

ومن المآثر الوطنية للمؤرخ الاديب محمد جميل بيهم مساعيه القديمة لقيام مجمع علمي في لبنان أسوة بمجامع دمشق والقاهرة وبغداد اذ كان يرى مع علماء اللغة في وطنه من أمثال البستاني عبد الله ـ والمحمصاني أحمد عمر ووديع عقل وعبد الرحمن سلام وغيرهم أن العناية بالضاد وتراثها الذي صانه ونماه أعلام اللغة في لبنان ، قديمة وحديثه ، هي من رسالته وأصالته ، لكن أيدي المتخوفين على أحلامهم وأوهامهم من خطر العربية قد امتدت الى اهمال المجمع ، وقد فاتهم أن أعلام اللغة في ثقافتها وبيانها لا تزال رفافة شامخة في أقلام الشعراء والادباء الذين أنبتهم لبنان في جنوبه وشماله ، وقد ضمت مجامع البلاد العربية فئة من هؤلاء الى أعضائها ، كان بينهم الاستاذ محمد جميل بيهم كما انتخبته المجامع العلمية في الغرب عضوا عاملا ومراسلا •

لقد تعددت الجوانب والخصائص في الجهاد الوطني الذي تفرغ له هذا المؤرخ الاديب كان منها جانب بارز في النهضة النسائية بلبنان والعالم العربي منذ الربع الاول من هذا القرن ولطالما اعتزت الحركات التحررية بنصير المرأة محمد جميل بيهم الذي تفقد المتعلمة والواعية فيها ودعا للاخذ بأسباب النهضة عن طريق المدرسة والكتاب والتلاقي في ندوات التوعية والثقافة لترد للمرأة الثقة بنفسها ، وشخصيتها وتفرض تقديرها على الذين ضاقوا بوعيها وظهورها بما يليق بأمومتها وكرامتها فكان الاستاذ بيهم يشجع صحافتها ويؤيد منشئاتها وتجاربها ، ويشارك في المؤتمرات النسائية التي أقيمت في لبنان والعواصم العربية بقلمه ومحاضراته ويكرم من قريب ومن بعيد أقلاما ناشئة في الادب ومرجوة للصحافة والتأليف وكان يستطلع بوادر الموهوبات في التعبير وهن على مقاعد المدرسة ، فيهدي اليهن الكتب النافعة والمجلات النسائية وكنت من هؤلاء اللاتي شجعهن الاستاذ بيهم في نشر التجارب الادبية قبل الاوان ، فكلفهن تعبا في اتقان الكلمة المكتوبة لتبقى أقلامهن الجديدة دليلا على المواهب الصادقة اذا أتيحت لها أسباب التفوق والظهور ، ولكم فتح نصير المرأة في بيروت صدره وداره لتكريم الرائدات المجاهدات

في النهضة النسائية والمساعي الانسانية ومن هذا التكريم تأييد المرأة الحديثة في تطورها لحياة البيت والمجتمع فألف من أجلها الكتب الآتية :

١ ـ المرأة في التاريخ والشرائع سنة ١٩٢١
٢ ـ المرأة في التمدن الحديث سنة ١٩٢٧
٣ ـ فتاة الشرق في حضارة الغرب سنة ١٩٥٢
٤ ـ المرأة في حضارة العرب
والعرب في تاريخ المرأة سنة ١٩٦٢

ولا بد للقاريء المتتبع لمواقف الاستاذ بيهم في قضايا العروبة والتحرر يتساءل عن جهده في سبيل فلسطين ، عقدة العقد التي أعدها الاستعمار لتحول دون انطلاق العرب في بناء حياتهم ووحدتهم بعد مدحرة للطغاة من مثاليه ، فكانت فلسطين مدار الخواطر العربية التي توقعت خطرا مبيتا على فلسطين من الصهيونية الباغية حذرت منها أقلام عربية سبقت الى البحث في موضوعها منها قلم المفكر المبكر محمد جميل بيهم الذي كان يتتبع في بواكير مطالعته مطامع الصهيونية وتأييد الاستعمار فنشر في جريدة (الرأي العام) في بيروت عام ١٩١٤ مقالا عنوانه : (الخطر على فلسطين : أماني الصهيونية كيف نكافحها ؟) •

وقد بقي الاستاذ محمد جميل بيهم موزع التفكير في هذه النكبة الاستعمارية التي دهمت العالم العربي وهو يتأهب لحياة جديدة فأخذ يكتب المقال تلو المقال حول هذه النكبة ، وفي خلال الثورة العربية على الصهيونية الطاغية عهد اليه زعماء فلسطين بالانطلاق مع المجاهد الاستاذ الغوري الى الامريكتين وذلك عام ١٩٣٨ لشرح القضية الفلسطينية في مقابلات ومحاضرات كانت أجدى على القضية من جهود غيره ولولا بوادر الحرب العالمية الثانية ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ لطال تجوال الموفدين المجاهدين أكثر من تسعة أشهر ، على ان الاستاذ بيهم وضع بعد وقوفه على خفايا الامور كتابا في موضوع فلسطين المهددة جعل عنوانه (فلسطين أندلس الشرق) وقد تنبأ فيه المؤلف بما وقع

لها بعد قليل ، فكانت الحكومة اللبنانية تعهد اليه بتمثيلها في كل لجنة أو مؤتمر يعقد من أجل فلسطين حتى وقعت الواقعة غدرا وقهرا ولجأ المشردون الى لبنان فسارع الاستاذ بيهم وزوجته الرائدة الدمشقية نازك العابد الى انشاء مؤسسات تعليمية وانسانية بمعونة الحكومة لتأمين العمل للاجئين وتعليم المهن النسائية لمن اخترنها وآثرنها على المدرسة لضمان المعيشة على أن المتتبع للمؤلفات الاخيرة لعلامة بيروت محمد جميل بيهم يحس الحوافز الوطنية وراء دراساته للفكرة القائمة في الوجود اللبناني منذ دهمه الانتداب حتى بعد الاستقلال اذ كان يدور حولها تمحيص المؤلف للواقع بحرارة ولهفة وهذا ما يتبينه القارىء في كتاب : « لبنان بين مشرق ومغرب » فقد آسفت المؤلف هذه الحيرة في أهله على الرغم من ايمانهم بأصالتهم العربية وحقيقتهم اللبنانية فان التقاليد القديمة التي غدت من الذكريات المرة في جيل بعد جيل كانت تعاود المتخوفين مما تقتضي العروبة في الحياة الجديدة التي أقبلوا عليها متحفظين ، ولم يعملوا لما يتطلب التطور والتحرر من منازع متضاربة يأباها لبنان في تجاوبه مع اخوته العرب في قضايا التحرير والمصير ولهذا تصدى الاستاذ بيهم لتحليل الاسباب في هذا الموضوع الشائك جاء في كتابه : « لبنان بين مشرق ومغرب » وقد كشف فيه الستار عن صور لبنان في عهد الانتداب وبعد الاستقلال ، وهي صور لا يراها الذين هم فيها ، فناشد المؤلف المسؤولين والاهلين بأن يتعاونوا على مسحها لتبقى السمعة العالمية لوطنهم هي الصورة الوحيدة لرسالته وحقيقته .

هذه لمحة (١) متحفظة من مسيرة طويلة حافلة لخبير كبير في قضايا الفكرة العربية والدعوة التحررية هو الاستاذ محمد جميل بيهم الذي عرفه لبنان والعالم العربي في كفاحه العلمي الثبت ، وعرفه قراؤه من جيلين في مؤلفاته وآثاره ، وقد جئت بهذه اللمحة ولبنان في معاناة فادحة أنذر بأسبابها الاستاذ بيهم ودل عليها في بحوثه ومقالاته ، ولعله يخرج من الفتنتين اللتين عصفتا بلبنان مؤلفين بعد حين يودع كلا منهما حقائق ووثائق مطوية بين أوراقه ليقدمها أمانة لتاريخنا الحديث .

دمشق　　　　　　　　　　　　وداد سكاكيني

---

١ ـ لكاتبة المقال مؤلف عن الاستاذ بيهم تعده في دراسة لعصره ولآثاره .

احمد الصّافي النجفي

غادر العراق يرى ببصره وعاد اليه يرى ببصيرته

بقلم : زهير مارديني

ما اكثر الاشياء التي كانت تشدني الى الشاعر العربي احمد الصافي النجفي ...

طفولتي ، صباي ، شبابي ، ذكرياتي الطيبة ... فقد كان بالنسبة الي اكثر من مجرد شاعر أحبه ويحبني ... فقد كان يعرف كل شيء عن نزواتي وأسراري ، ولا يبوح بأي منها لاحد .

كنت أراه في طفولتي فأفرح بلقياه ... وحين أصبحت شابا فرضت عليه صخبي وضوضائي ومشاكلي فلم يكن يضيق بها وان كان يعاقبني باسلوبه الشاعري الذي لا يخلو من القسوة أحيانا ... وكان يفرض علي هذه القسوة بأبوة حانية ... وكنت اتقبلها بقلب مفتوح ...

اذكر الآن لقائي الاول مع الشاعر ...

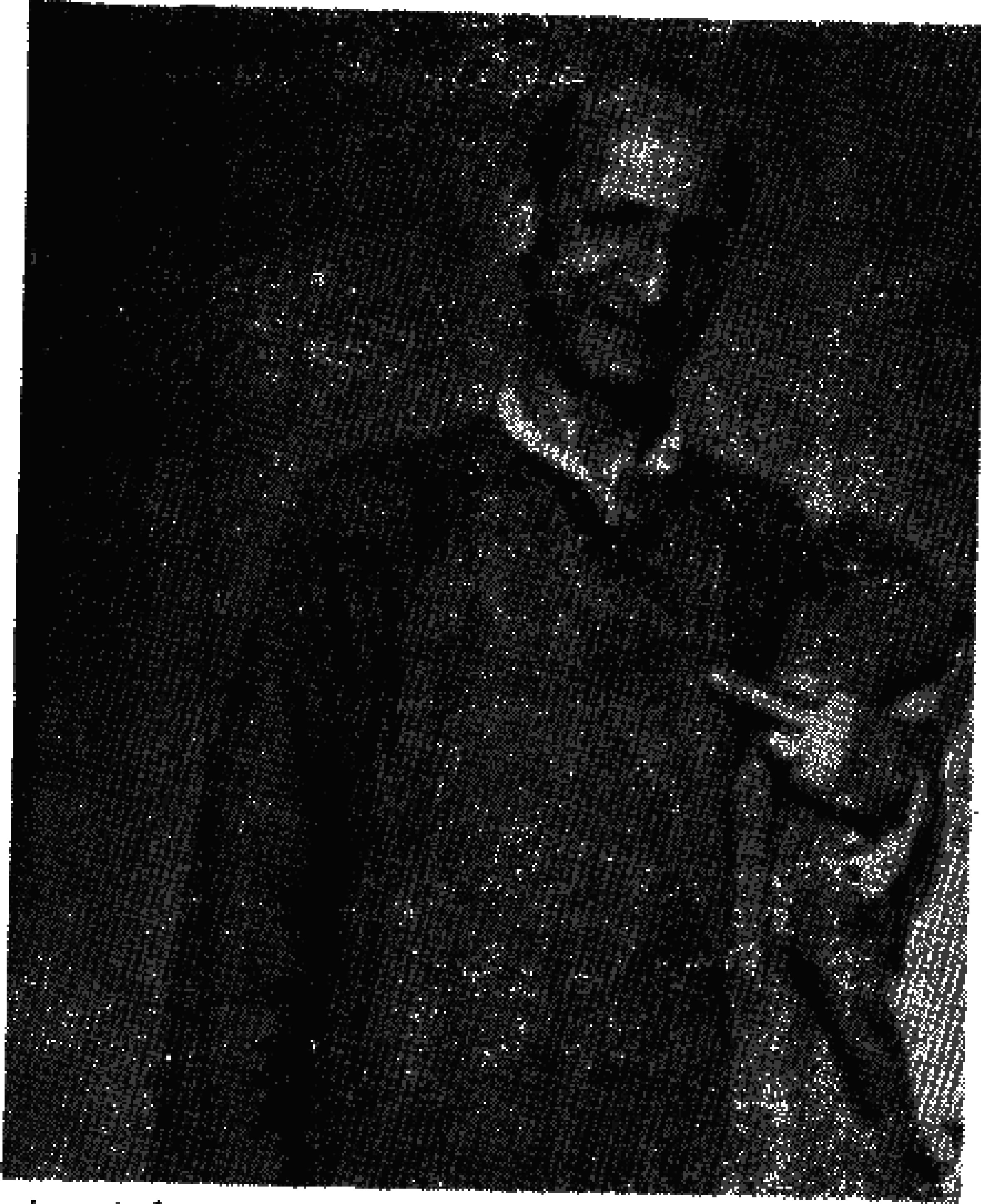
كان ذلك في منزلنا الملتصق بالمسجد الاموي الى جانب مقام صلاح الدين الايوبي ... وفي عام ١٩٤٤ .

منذ ذلك الوقت وانا ملتصق به ؛ افتش عنه اذا غاب ، واداري نزواته اذا حضر ... واذا كان الاستاذ نزار الزين صاحب العرفان صديقه الاول في غربته ، فأعتقد انني صديقه الثاني في هذه الغربة التي جمعتنا .

وآخر مرة لقيت الصافي كانت في مستشفى المقاصد ... وكان يروي للمحقق قصة أصابته أثناء الاقتتال الدامي في لبنان ... فقد كان يسكن قريبا من (اوتيل ديو) على خط المواجهة هناك ... قال الصافي :

(... كنت اسمع صوت الرصاص في البداية قلت : انهم يضربون الاعداء ... مضت الايام الخمسة الاولى لبداية الاحداث ، سألني جاري :

احمــد الصافي النجفــي



أين كنت تنام ؟ قلت في الصالون .. قال : اما كنت تعلم مــاذا أصاب بيتك ؟ وأراني خمسة ثقوب اخترقت الرصاصات منها الجدار ... وحين خف اطلاق النار غادرت المنزل مفتشا عن رغيف خبز أسد به جوعي ، لقد مضى علي ثلاثة أيام بدون أكل ... وعلى بعد خطوات من منزلي أحسست ببعض السخونــة في جسمي ، فاعتقدت ان الحمى قد عاودتني ، وسرعان ما وقعت على الارض فحملني جاري الى منزله وهو يقول : استــاذ انت مصــاب برصاص ... الا تحس ؟ وأغمي علي ثم صحوت فاذا بي فــي هــذا المستشفى .. والفضــل

يعود الى جاري الذي هتف الى السفارة العراقية وأعلمها بالخبر فاهتمت بي ، واستطاعت ان توصل سيارة اسعاف الى المنزل ، وهذه السيارة نقلتني الى المستشفى ... وقد قلت في ذلك شعرا :

بين الرصاص نفذت ضمن معارك فبرغم أنف الموت هـا أنا سالـم
ولها ثقوب فـي جداري خمسة قد اخطأت جسمي وهن علائـم

بعد هذا اللقاء الاخير في كانون الثاني ١٩٧٦ علمت ان الصافي قد انتقل الى وطنه العراق الذي غادره فتى ثائرا يرى عيوب امتـه فيكشفها وعاد اليـه بعد ٤٦ عاما شيخا فقد بصره :

يا عودة للـدار مـا أقساهـا اسمـع بغـداد ولا أراهـا

ويقول :

سني بروحـي لا بعـد سنيـن فـلاسخرن غـدا مـن التسعين
عمري الى السبعين يركض مسرعا والروح ثابتـة عـلى العشريـن

لم أستطع ان أودعه ..!

خشيت ان يحس بدموعي فيبكي ... خشيت من ذراعي ان تطوقه ... بكل ما في صدري من حنان ... خفت من الفراق ... فهربت من الفراق .. بالفـراق ..!

ذلك لانني عشت عمرا مع هذا الشاعر .. عشت عمري كلـه .. تـرى هل سألقاه ؟

«هذا الشاعر هل تعرفتم عليه ؟

صورته الاولى التي رسمتها في شاشة ذهني كانت :

(عصاتان) فوقهما صفان من الضلوع ، يضمان قلبا يتمرد عـلى سعـة الكون ، يغلف هذا قطعة من وبر الجمال في شكل عباءة ... ويعلو الهيكـل جمجمة تسترها كوفية وعقال يظهر منها الجبهة التي تتحدى ، والانف المتشامخ كانف ابليس ..!

كان هذا الطيف يلوح أحيانا في شوارع بيروت وصيدا ، او في شوارع دمشق ... يجلس أحيانا على مقعد منعزل من منتزهات الربـوة الشعبية ، او مقهى البحرين ... ما ان يراه الانسان حتى يتوقف ويطلق لخياله العنان ...

ففي هذا الطيف تاريخ من التشرد ، والصبر الطويل ••• وفيه أيضاً عالم شعري قائم بذاته ، يجر خلفه عشرة دواوين من الشعر ، طبعوا وتفدوا ••• وخمسة دواوين ما تزال مخطوطة ••• يضاف الى هذا ترجمة رائعة لرباعيات الخيام رفض الشاعر ان يعيد طبعها رغم المغريات بعدما سمع بأن الشباب يقرأون شعر الخيام ولا يفهمونه فيوغلون في الضلال •••

عشت مع هذا الطيف الاعوام الطوال هناك في دمشق ، وهنا في بيروت ، وألفني وألفته ••• شاهدته يداوي أمراضه بالصبر و •• الجهل !

رأيته في صخبه وصمته ••• رأيته في مرضه وصحته ••• وسأحاول هنا ان أرسم صورة الطيف ، مقيما هيكلها من شعره الذي هو حياته ، علني أستطيع أن أكشف الغطاء عن سيرة انسان يطلقون عليه في بلادي اسم (شاعر) ، عل الصورة تأتي واضحة الملامح ، بينة الحدود ، واقعية الدلالة•• حتى اذا ما اطلع عليها القارىء بدت الصورة في ظلها وبروزها ، ولونها ، كما هي على فطرتها ، وبدا صاحبها عريان بنابه وقرمه ، بنذاته وجولاته ، بسره وعلنه ••!

هذا العائد الى وطنه •!

كان القرن التاسع عشر يلف آخر شراع له حين بدا يظهر في شوارع النجف صبي فارع الطول يتلقى علومه على فقهاء البلدة ••• كانت هوايته المفضلة الذهاب الى بساتين أهله في ضاحية النجف ، والاستلقاء تحت ظل النخيل المتجاور •••

هناك كان الصبي يتمدد على قفاه ، ويغمض عينيه ، ويطلق العنان لمشاعره ، متلذذا بسماع حفيف الاوراق والاغصان ، كان يسمع خلال هذه الغيبوبة الحلوة جوقة موسيقية تعزف له فيطرب ، ويسعد بمرور النسمات الطيبة على وجهه وكأنها تدغدغه وتنعشه ، وطالما أصغى الى أصوات الطيور ، وتمنى لو يمضي أيامه كلها تحت شجرات النخيل ••• كان يحس أنه من هناك ، من السماء ، فمن على الارض رماه ••؟ ولكن نداء رفاقه يعلو ، ويعلو •• حتى يضطره الى مرافقتهم في العودة ••

في منزل الشاب كثر الحديث عن الثورة ، والاستقلال ، كما كثرت

اجتماعات أخيه الاكبر بالشيخ عبد الكريم الجزائري ، رائد الاحرار العراقيين ...

في هذا المنزل وضعت الخطط السرية الاولى للمقاومة ، وفيه نظمت حركات التحرير ... ومنه انطلقت الشرارة الاولى للثورة العربية الكبرى...

اجتماعات متوالية يحضرها الجزائري ، وجعفر ابو الشمن ، ويوسف السويدي ، ونخبة من الاحرار .

كان الشاب يصغي الى أقوالهم ، ويشارك في بعض المهمات التي توكل اليه ، والى رفيق عمره سعد صالح .

وفشلت الثورة العربية الاولى ، وزحف الانكليز الى النجف بعد نضال دام ستة أشهر .

كانت البلدة تعج بالهاربين ؛ فامتلأت الشوارع بالنساء : والاطفال ، وثغاء الحيوانات ...

الغاصب على الابواب بسلاحه وجنده ... واستقط في أيدي الجميع .

تحت ستار الليل كان بضعة شباب يتخطون صراخ النساء والاطفال ، وينطلقون الى الصحراء يتقدمهم الفتى وصديقه سعد صالح ..

على طريق الغربة .!

مشى الركب في الصحراء يطوي البيد طي حتى وصل الى حدود بلدة (الحي) ، من أطراف دجلة ، وهناك افترق الفتى عن صديقه : فذهب سعد الى الكويت . اما الفتى فاستأنف السير وحده الى الحدود الايرانية ... وحين وصل الى جبال (حلوان) كان قد قطع اثني عشر يوما سيرا على الاقدام ... وتابع الفتى السير مشيا الى بلدة (كرمان شاه) ومنها الى طهران ... وهكذا أمضى ثلاثين يوما بين الرمال ، والجبال ، والوديان ، والخوف ، والرعب .. وهناك في طهران قرأ في الصحف الايرانية نبأ القاء القبض على أخيه الاكبر وزجه في السجن . وبلغ الامر بالغزاة ان نصبوا المشنقة لارهاب شقيقه ؛ فما كان من الشقيق الا ان خاطبهم بأبيات من الشعر المخمس ارسلها بعد ذلك الى أخيه الفتى وهي :

انا في سوى العلى مـا رغبنـا نملأ الكون رهبـة ان غضبنـا
ما جزعنـا للسجن يوم غلبنـا ان من رام مثلمـا قـد طلبنـا
لا يبالي ان سيق للسجن سوقـا

نحن قوم عن العلى مـا قصرنـا حينمـا دار كوكب العـز درنـا
واذا جار حارس الدهـر جرنـا رخصت عندنـا النفوس فثرنـا
نطلب العـز والعلـى لنبقـى

قـد خلقنا دون الورى أحرارا وامتلكنا التيجـان والامصـارا
وجعلنـا لنـا المعالـي شـعارا ولقد سامنـا العـدو احتقـارا
فرآنا نسابق المـوت سبقـا

ان ذلي موتي ، وعزي حياتـي ما انثنت للعـدو يومـا قناتـي
انا فرع مـن دوحة المكرمـات انـا مـن أسرة كـرام أبـاة
لا يرون الحيـاة في الذل أبقى

انا لمـا اسرت لم أبـد ضعفـا لا ولم أرج مـن عـدوي عطفـا
ولقـد قلت والردى بـي حفـا شرع ان يكـون موتـي حتفـا
او أرانـي يكـون موتـي شنقـا

كانت هذه الابيات سلوى الفتى العربي ،و قـد قـام بنشرها في مجلة (العرب) التي يصدرها الاستاذ انسطاس الكرمي .

... وتعلم الفارسية !.

لم يهدر الفتى وقته وهو يواجه حياة التشرد ، بل بادر في طهران الـى تعلم الفارسيـة ، وأخذ يدرس الادب العربي في ثلاث مدارس ثانويـة ، ثـم انتقل بعدها الى الكتابة ، بالفارسية في الصحف الايرانية ... فانتخب عضوا في النادي الادبي الفارسي ، وتوج **هذه الفترة** باجراء خطوة أدبية حين أقـدم من دون كبار شعراء الفرس على ترجمة رباعيـات الخيـام ... واعترفـت الاوساط الادبية العالمية بأن ترجمته هذه هي أصدق ترجمة للخيام .

هذا المجد الادبي الذي سجله الفتى في طهران نقلـه الـى عضوية دار الترجمة والتأليف الفارسية ، فأخذ يترجم الكتب العربيـة للفارسيـة ، وأول كتاب ترجمه كان في علم النفس لمؤلفيه على الجارم وأحمد أمين ..

نـداء مـن العراق ..!

واشتد الطلب على الشاب من أهله واخوانه في العراق ، وخاصـة مـن الشيخ عبد الكريم الجزائري بعد ان استقل العراق ... وفي عام ١٩٢٧ وصل الفتى الى حدود بلاده ، فاستقبله شرطة الحدود الذيـن بادروا الـى تفتيش حقيبته فانهالت الدموع من عينيه ، وراح يقبل تراب وطنه ، وما ان عرفه رجال الشرطة حتى امتزجت ابتسامتهم بدموعهم ، ورحبوا به .. ثم واصل السيـر الى بغداد فالنجف .

اقترح البعض تعيينه قاضيا شرعيا ، واقترح آخـرون الاستفادة مـن مواهبه الشعرية ... ولكن حر العراق الشديد والامـراض التـي غزتـه ، وحساسيته المرهفة ... كل هذا حال دون بقائه في العراق ..

لقد اشار عليه طبيب انقذه من براثن المـوت بالذهـاب الـى سوريـة للاستشفاء ، فقصدها عام ١٩٣٠ ، وعاش فيها شابا ورجلا وشيخا ...

زار خلال السنوات التي قضاها في سوريا ولبنان المستشفيات والاطباء، ولكن احمد الصافي النجفي ظل شاعرا يكره المستشفيات ويبتعد عـن الاطباء لهذا بدأ يعايش امراضه ويداويها على طريقته البدائية ...

استقبلت دمشق الفتى القادم من النجف حين اطل عليها بعمامته السوداء وعباءته الفضفاضة ، واستقر فيها يتداوى حتى لم يبق من قـواه غـير خمسة بالمئة ... اما الباقي فقد التهمه المرض ، او على الاصح تجاهل المرض ..

ليتني استطيع ..!

لغيري ان يقول رأيه في مكانة شعره ... فما انا بالشاعر ولا بالناقـد ، ولكني مجرد انسان أحب أحمد الصافي النجفي ولازمه ... واذكر قوله :

بادلت هـذا الوجـود حبـي والسر فـي الحـب لـم تبحـه
اعطيت روحـي لكـل شـيء وكـل شـيء أخـذت روحـه

لقد أخلص الصافي للحياة بكل نواحيها من أعاليهـا وأدانيهـا ، وتغلغل فيها ، وعكس احاسيسه عليها فأتانا بشعر يشبه أرواح اولئك الشعراء وان لم يشبه افكارهم .. يقول :

الا تبـا لمجتمـع دنـيء تكـون جنسه من كـل رجس
اتيت لانشـر الاصـلاح فيـه فلم أصلحه بـل أفسدت نفسي

عاش الشاعر في دمشق المدينة الملول التي طالما هرب منها الشعراء فـي الماضي وسلاحه كبرياء جاء بها من الصحراء وأنف شامخ وانا يطلقها فـي وجه كل من يحاول النيل منه ...

أنا ... أنا ... يطلقها في وجوه الشعراء والادباء والصحفيين ..

أنا ... أنا ... يطلقها في وجوه الزعماء ورجال السياسة والوطنيين حين يحاولون معاملته كشاعر ...

أنا اكتفي من الحياة بغرفة اثاثها من الصحف القديمـة ، ورياشها بساط قديم بانت خيوطه ... ففي غرفته لا يوجد منضدة لانها تشغل فراغا بـدون فائدة ... والشاعر ينظم في المقهى ، وفي كل مكان يغشاه ... كما انه ليس في الغرفة سرير .. بل هناك الفراش وحده الذي جاء به من العراق وظـل في موضعه ... لقد الف الشاعر حياة التشرد ، واصبحت غرفته وارديته جـزءا منـه .

النفوس الكبيرة ..!

لقد عرف الادب العربي نفوسا كبيرة ، ولكنه فيما قرأت لم يعرف نفسا كنفس هذا الشاعر نأت بها نبالتها ان تذل.. وتخشع امام الاطماع والرغبات.. وأبت عليها عزتها ان تتمرغ في اوحال الضعـة ، او تغشى مسالـك المذلـة والهـوان ...

لقد عرف الادب المعري ذلك الفيلسوف الفقير الذي عاش مع نفسه في فاقته ، في حين ان قصور الامراء والملوك كانت تشتهي خفق نعاله في ابهائها..

وها هو الصافي يدب على الارض بنصف حذاء ، وثلثي قنباز ، وثلاثة ارباع عباءة ... يقيم بين الهوان وبين رغائبه سياجا من العزة التي جرت في دمه ، حتى اصبح وجوده جزءا منها ... واصبح شعره لسانها الذي لا يلوك سؤالا ولا يطيق ان ينطق بالبيت الضارع ، او الشطر الذليل ، او القصيدة المأجورة ... وهو القائل :

اغليت نفسي لكوني على النفيس حريصا
أعطيت شيئا ثمينا فهل ابيع رخيصا

وهو القائل :

لي في الشعر عالم مستقل انا فيه فرد بدون خلاف
لم أشارك غيري لاني كريي واحد لا شريك لي في القوافي

❋ ❋ ❋

نظمت الشعر مبتكرا مفيدا كتبت له التفرد والخلودا
ومن اصغى لاشعاري مليا ساضمن خلقه خلقا جديدا

الصافي والمتنبي وبالعكس .!

لم اسمع الصافي يمدح احدا من الشعراء ، كانت (الانا) وما تزال هاجسه تسيطر على وجدانه وهو القائل :

يا وضيعا في طموحي طعنا قائلا فيك أرى داء الانا
كنت يا هذا ولوعا بالانا عابدا للذات لو كنت أنا

ويختلف حال النجفي اذا ذكر المتنبي امامه ... انه يقول :

(... الحقيقة ان لابي الطيب قوة طاغية على عقله وقلبه ، ولكن قوته تلك كانت تذهب بددا امام شهواته في الحكم ، وتذوب امام صولة المال ، وتتلاشى في بريق الذي ذهب بكبريائه ، وانساه العظمة الحقيقية وهي اكبر من ان تركع للغنى) ...

هذه الآفة لم تقترب من الصافي ، فلقد نبع فنه من اغوار نفسه ، وتفجرت مواهبه من اعماق وجدانه ، فما عرفته في شعره الا صادقا مع نفسه ، وما ألفيته حين ينظم القريض يتلفت الى آفاق غير آفاقه وهو القائل :

احجب نفسي من حياء وعفة وابصر قوما خشما هيبة ليا
وكانوا لنور الحق يهوون سجدا لو اني أبديت نفسي كما هيا

سألته مرة كيف تكونت شخصيتك ، فأجاب :

(... تكونت شخصيتي من أمور عديدة أهمها :

١ ـ الثقافة القديمة والحديثة ... فقد درست في مدى عشر سنوات العلوم القديمة من نحو ، وصرف ، ومنطق ، وبيان وأصول فقه ... ثم أخذت اطالع ما ينشر عن الفكر الحديث ، العربي منه ، والفارسي ؛

٢ ـ الوحدة ... لقد قضيت عمري وحيدا ، وطالما تلذذت بهذه الوحدة ، وكان تأففي من الوحدة قلما يمر في مخيلتي ... وقلت :

سئمت من وحدتي غريبا الا صديق ... الا عدو ...!؟

ولكن هذه الوحدة أصبحت جزءا مني وقلت فيها الكثير من الاشعار :

انا ان جلست الى الطبيعة مفردا لم أخش من ملل ومن أحزان
الكائنات جميعهن خلائق يتحدثون معي بألف لسان

٣ ـ الامراض والآلام التي أعانيها منذ الطفولة ... وقد وصفت هذه الامراض بمناسبات كثيرة منها :

استلذ الحزن المذيب كما قد لذ للسامع الغناء الشجي
ان للحزن سكرة كالحميا خص في نيلها الفؤاد الذكي
سكرة الحزن تملأ القلب وحيا فهل الحزن للقلوب نبي
يا شوكاتك تسدي الوحي بالالم فأنت وردي حتى لو أسلت دمي

٤ ــ حياة التشرد : لقد كان لهذه الحياة فضل كبير في تكوين شخصيتي ، ففيها عرفت حقيقة الالم والعذاب ، والغربة ، والبعد عن الوطن والاهل ، وقلت :

عذبت في نفس يعز قنوعها   يقظاتها تلد البلى وهجوعها
ابدا تطوف فلا تفوز براحة   ومعيشة الآلام لا تسطيعها
أقسمت لي يا رب عيش تشرد..   لا طوف اسرار الدنا فاذيعها

٥ ــ التلذذ في التغلغل بالمجتمع ، وكان من نتائج هذا التلذذ دراسة عميقة لمجتمعي العربي ... لقد عشت مع الدراويش والمؤمنين ، عشت مع الكفار ومع العابدين ... عشت في الخمارات وفي المعابد ، كل هذا ساعدني على فهم المجتمع من أعماقه دون ان افقد شخصيتي المشرفة عليهم ، والناقدة لهم :

اخلصت فكرتي الى الحق حتى   كدت اغدو لو جئت قدما نبيا
انا لا اقرب الدناءة يوما   احتراما لجوهر الله فيا

سألته مرة لماذا لم تتزوج فأجابني : سامح الله اخي ، لقد عشت في دنيا الحب ستة أشهر فقط ، وحين طلبت الزواج فرض علي ان اتزوج ابنة عمي فرفضت ... وهكذا أمضيت حياتي عازبا ..

هكذا عاش الصافي ينشد الحياة ويغنيها باسلوبه ... عاش في الغربة والتشرد ٤٦ عاما يرى ببصره ، وحين أراد له القدر ان يعود الى وطنه ، عاد اليه يرى ببصيرته فقط ..!

بيروت **زهير مارديني**

خصم سوء

* بينما كان عبد الله بن جعفر راكبا اذ تعرض له أعرابي ، وأمسك بعنان فرسه ، وقال : أيها الامير سألتك بالله ان تضرب عنقي ، فقال له الامير : أمعتوه أنت ؟ فقال الاعرابي : لا ورب البيت ، ولكن لي خصم سوء ليس بي به طاقة . فقال الامير : ومن خصمك هذا ؟ فقال له الاعرابي : الفقر .

فالتفت الامير الى مرؤوسيه ، وقال : ادفع اليه ألف دينار ، ثم قال له : خذها ونحن مسئولون ، واذا عاد اليك فأتنا منصفوك منه . فقال الاعرابي : أطال المولى بقاءك ان معي من جودك ما أدحض به حجة خصمي بقية عمري .

عائد من بلاد الأمن والأمانة
مشاهدات وانطباعات في السعودية
بقلم : رُوكس بن زائد العزيزي

رن الهاتف ، ونحن في مكتب الاستاذ (عزت المفتي) وكان الذي يسأل عنا ، هو الاستاذ العلامة ، الاديب المبدع (عبد العزيز الرفاعي) كتوم رئاسة الوزراء في المملكة العربية السعودية ، صاحب المشروع الثقافي (المكتبة الصغيرة) وصاحب الندوة (١) الادبية التي تعقد في دارته ليلة كل جمعة من العشاء الى الساعة الثانية عشرة ، يحضرها نخبة من الادباء يتناقشون في قضايا العلم والادب . فبعد التحية الهاتفية ، طلب ان نتوجه الى (الرياض) ، فرتبت لنا رحلة اضافية ، ولما وصلنا الى مطار (الرياض) كان الاستاذ الرفاعي في انتظارنا ، فابى لطفه الا ان يوصلنا بسيارته الخاصة ، الى فندق (الانتركونتيننتال) في الرياض !

❋ ❋ ❋

وفي صباح الاحد ١٦/٥/١٩٧٦ زارنا الاستاذ الرفاعي يتفقدنا بما عرف عنه من لطف ، ومعه مجموعة من الصحف والمجلات التي في المملكة والتي تصل اليها . ودعنا ليقوم بمهام منصبه في رئاسة الوزراء !

وكان قد رتب لنا لقاء في وزارة الاعلام ، فواجهنا الدكتور الجليل (عبد العزيز محيي الدين خوجه) وهو عالم جليل ، رحب بنا ، وذكر لنا ان معالي وزير الاعلام الدكتور العالم (محمد عبده يمني) في انتظارنا وهو رجل ممتاز كان قبل ان يتسلم الوزارة استاذا للجيولوجيا الاقتصادية ، فعميدا لجامعة الرياض .

---

١ — سنتكلم على هذه الندوة في سير لاحقة (العزيزي)

ومن مزايا الوزير النبيل ، انه يشعرك عند الوهلة الاولى انه صديق لك ، لما طبع عليه من اللطف . وقد طلب من الاستاذ عزت المفتي ان يرسل لنا بالكتب التي تبحث عن الحركة الادبية في المملكة العربية ، وعن تاريخ المملكة . بالبريد لتسبقنا الى ديارنا !

* * *

وبعد ان ودعنا الوزير ، صحبنا الاستاذ (عايض محمد الرداد) مدير التنسيق في اذاعة الرياض ، فعقد معنا لقاء تحدثنا فيه عن الادب في ديارنا !

ونحو الساعة الخامسة ، ونصف السادسة صحبنا مندوب وزارة الاعلام الاستاذ (عطية ابراهيم ابو حمود) الى (الدرعية) فمررنا بحي (المعذر) الحي الذي فيه قصر جلالة الملك والامراء .

والدرعية هي البلدة التي انطلق منها الحكم السعودي ، وقد لاحظنا ان الحكومة تحافظ على الآثار كما هي ، وقيل لنا انها تنوي ترميم تلك الآثار ، لتقوم بعد ذلك ، ببناء الدرعية الحديثة . وفي هذا حكمة ، تكون درسا للابناء والاحفاد ، ليعلموا ان كل هذا التقدم صنعه قوم كانوا يقيمون في تلك البيوت المصنوعة من لبن التراب !

* * *

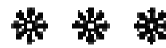
وفي الدرعية ابصرنا شيخا ، يقعد عند دار قديمة من دور الدرعية ، اسمه (ناصر بن عبد الله بن اسعيد) قيل لنا ان عمره في حدود المائة والخامسة والاربعين (١٤٥) وهو صحيح السمع . قال لنا انه عاصر نشأة الدرعية ، وعرف راعي الدرعية (سعود بن محمد) ، وعرف (الهزاني) و (عيسى بن خليفة) و (مبارك الصباح) ، وقال لنا ان الحياة في زمنه كانت شديدة الشظف ، وان الناس ما كانوا يعرفون الارز ، وان دية الرجل ، كانت سبعين ريالا ، وان اغلى المهور لم تكن تزيد على مائتي ريال !

وان الافراح كانت مقصورة على يومين قبل العرس ، والطعام الذي يقدم للضيوف كان العيش (١) والجريش !

---

١ ـ العيش هو الخبز .

وجاء ابنه ، واسمه (زيد بن ناصر بن عبد الله بن سعيد) فلما سألت الابن عن عمره ، اجاب انه في حدود الخامسة والخمسين ، لكنني اعتقد انه فوق الخامسة والسبعين !



ثم قصدنا مؤسسات التلفزيون بدعوة من الدكتور (عبد الرحمن الشبيلي) والاستاذ سليمان العيسى ، والاستاذ فوزان الفوزان ، والشبيلي هو المدير العام للتلفزيون وفوزان الفوزان مدير محطة الرياض ، فاطلعنا على اقسام المحطة وما فيها من آلات حديثة ، ودقة في العمل ، وبعد ذلك اجرى الاستاذ سليمان العيسي معنا حوارا دام عشرين دقيقة .

وقد لمسنا التقدم في هذه المؤسسة ، ورأينا الاستعداد لانشاء التلفزيون الملون ، ولانشاء المبنى الجديد . وقد تعرفنا الى المخرج السيد منذر القوري ، وهو رجل دمشقي نشيط !



وفي طريقنا الى الدرعية وعودتنا منها مررنا بوادي حنيفة ومسافات شاسعة من الاراضي معدة لبناء جامعة الرياض .

وقيل لنا ان الدولة تنوي انشاء درعية جديدة عصرية شمالي الدرعية القديمة .

حيلة طريفة

* قال الاصمعي . دخلت البادية ومعي كيس فيه دنانير فاودعته عند اعرابية ، فلما طلبته انكرته ، فقدمتها الى شيخ منهم فأصرت على انكارها . فقال الشيخ : قد علمت انه ليس عليها الا اليمين . فقلت ايها الشيخ كأنك ما سمعت قوله تعالى :

ولا تقبل لسارقة يمينا ولو حلفت برب العالمينا

فقال : صدقت ايها الرجل ، وهددها فاقرت وردت الي مالي ، ثم التفت الشيخ الي وقال : في اي سورة تلك الآية فقلت في قوله تعالى :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الا ندرينا

فقال الشيخ: يا سبحان الله لقد كنت اظن انها في : فتحنا لك فتحا مبينا

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة ومنقذ أمــة

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

سنن الله الثابتة او تنازع البقاء :

الاستعداد للحرب يمنع الحرب •••• قانون السببية :

الاستعداد للحرب يمنع الحرب

لا داعي للوقوف طويلا عند اسمي ولدي آدم المتنازعين ، والكيفية التي نفذ بها القتل ، والمكان والزمان اللذين شهدا الجريمة ، اذ ليس هذا كله مــن مقاصد القرآن •

ذكر الله قصتهما بهذا النص :

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ، اذ قربا قربانا ، فتقبل مــن احدهمـا ولم يتقبل من الآخر ، قال : لاقتلنك : قال : انما يتقبل الله من المتقين • لئــن بسطت الي يدك لتقتلني ، ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك ، اني أخاف اللــه رب العالمين • اني اريد ان تبؤ باثمي واثمك من أصحاب النار ، وذلك جــزاء الظالمين • فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين • فبعث اللــه غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال : يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي ، فأصبح من النادمين) •

الآيات الكريمة ، تعرض خصمين ، احدهمــا ضعيف منهــار مستسلم ، ينادي بلسان حاله : ان أقابل الاعتداء حتى ولا بدفاع ولو افضى الاعتــداء لقتلي ، والآخر ، عات مريد ، اعطى نفسه هواها ، ولم يزده استسلام خصمــه الا تمردا وتماديا •

الآيات الكريمة تضع كفنا على قانون التنازع ، المفضي لما يدعونه السلم

المسلح وترينا الانسان الشاذ عن خط الانسانية ، خطرا يهون أمامه خطر الحيوان المفترس .

الآيات الكريمة تحرم على أمة ارتداء ثوب الاستسلام اعتمادا على ما تقرره عصبة كذا او هيئة كذا او لجنة كذا ، اذ الوحوش الناطقة اذا شاهدت مستسلما ضربت بالمثل التي تتاجر بها عرض الحائط .

الآيات الكريمة ، تعرض المستسلم حاملا اثم المعتدي ، لان استسلامه يغري المعتدي ويدفعه لتحقيق احلام الشره والجشع !!!

مثلا ، لو قال ولد آدم المستسلم لاخيه ، الذي مزق صلة الرحم وسخر بعصبة النسب (لئن بسطت الي يدك بضربة خفيفة لاقابلنك بصفعة قاسية لما وقعت الجريمة) . قصة ولدي آدم ، درس تجاهلته الشعوب الغافلة ، التي جهلت ان اللغة الناعمة تغري الطامعين بتنفيذ ما تضمره نفوسهم وتمليه اهواؤهم وتستلزمه مبيتاتهم وتتطاول للفوز به نفوسهم . (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله) .

ندم وأحاطت بـه خطيئته ولفه ثعبان الضمير ونهشته أفعى الوجدان وأصبح لا يدري كيف يواري جثمان أخيه (فبعث الله غرابا ...) .

ندم ولو درى ان بعض ذراريه ، سيستسلمون ويخسرون قدسهم ولا يندمون لما ندم !!!

انفرد القرآن بالحديث عن هذا القانون ، وعلى ضوئه علل ارتفاع او انخفاض الامم دختم التعليل بكلمة (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

لندرك ان النصر والمجد يستلزمان جهدا ، ولنبني حضارتنا على هذه الزاوية ، سنة الله هذه نظام مطرد من ظفر بتعليله لمس الخوافي ، التي صمدها فلان او تردى بها فلان .

سنة الله هذه تعلل بها نجاح افراد او جماعات او امم بلغت الشغاف ،

واخفاق افراد او جماعات او امم حنت عنقها حذر الموت فماتت مـوت الـذل والاهانـة .

سنة الله هذه تعني اسبابا تشبه المقدمات المنطقية : ما كان منها سليمـا اثمر نتائج سليمة ، وما جاء مريضا اثمر نتائج فاسدة .

سنة الله هذه ، ادركها المسلمون منذ سمعوا كلمة (اعقـل وتوكل) أي استعدوا وتفاءلوا .

ربى الاسلام قوما عرفوا معنى سنة الله هذه ، ادركوا ثم خلف من بعدهم خلف خال النصر خطبة يلقيها او ابياتا يرددها ، او دعاءا يبتهل به : بـل خـال الله ينصر المسلمين لانهم يحملون اسم مسلمين) !!!!!

سنة الله هذه ترينا ارتباط بعض الحوادث ببعض ، او بعضها نتائـج بعض . وهذا ما يدفعنا لنلمس العلل لتفادي السقوط ، (على الاقل) كيـلا يتكـرر السقوط .

سنة الله قانون ثابت قاطع لا تمسه يد الاستثناء والمحاباة : اذ لا يفـرق بين شعب وشعب وشخص وشخص واسرة واسرة وطرف وطرف. وما على على الاحياء الا التدرع لناموس السقوط بدرع اليقظة ، كما تدرع اصحاب رسول الله لناموس الاوباء . الطاعون ، الافات الصحيـة ــ الكـوليرا ــ الامراض السارية ، بناموس الحجر الصحي بقيادة ابي عبيدة المعسكر فـي (عمراس) اغوار الاردن .

سنة الله نواميس منها ما يدخل في دائرة مقدرتنـا وعلينـا مناهضتـه كالهزيمة مثلا ، ومنها ما لا يدخل بها وعلينا الرضا والصبر ، كقتل المجاهدين مثلا . اذ هو ناموس ثابت ونحن عاجزون عن ايقافه ، امـا الانحراف فليس ناموسا ولسنا عاجزين عن مقاومته اذ نستطيع ابدال الكسل بنشاط والتبذيـر باقتصاد والجهل بعلم .

بل هنالك نواميس اجتماعية يدخل القضاء عليها فـي دائـرة مقدرتنـا ونستطيع تغييرها حين نلد ولادة جديدة لان الله نفسه أمرنا بالتغيير فقال :

(وما كان مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) •

سنة الله تصحو العقول من غفوة الانحراف الفردي والجماعي ، وتدرك ان الآلام ليست ارتجالا او ظالما بل نتائج مريرة لمقدمات انحراف مريرة •

دوام النعم ناموس ثابت لا يوقف امتداده الا الانحراف (لئن شكرتم) وضعتم النعمة في موضعها (لازيدنكم) من نعمة الاطمئنان والاستقرار والرغد • (ولئن كفرتم) بالنعمة وذبحتموها على محارق الشهوات والانانيات وتحقيق الوجود الفردي فـ (ان عذابي لشديد) ومن اشده ان يغزوكم الـذر الذي لم يتهج ولن يتهجى معنى كلمة انسانية •

سنة الله هذه ، ترى ما يصيب الغافلين تنفيذا للسنن العادلة ، والنواميس المنصفة ليشحذوا همتهم ويضاعفوا قوتهم وجلدهم ، بهذا وحده يخرجون من محنة التجربة اصلب عودا •

سنة الله هذه تعني استعانة بالاسباب الدنيوية ، وتطوير اوائل المقاومة وحرب القنوط وقتل الانانية •

سنة الله هذه تدفعنا لاستخدام الاسباب ، المفضية للنجاح ، اذ هو نابع من انفسنا او كامن بنا ، وما علينا الا اثارته والتقاطه •

اما عدم استخدام تلك الاسباب وتعليل الاخفاق بالقـدر ، فيذكرني بقصة السائق الذي لم يجهز سيارته بالحابس ، ومـا ان اصيب بالكارثة حتى اخذ يردد (الحق على بياع البنزين) • ناسيا ان البنزين طاقة قادرة عـلى دفع السيارة في احدى طريقين متغايرين ، وليس تبعـة اندفاعها فـي احداهمـا موضوعة على عاتق البنزين او الحابس ، اذ هما مسخران وليسا مكلفين بـل على عاتق المكلف اذ التكاليف يستلـزم القـدرة عـلى التنفيـذ ويستلـزم المسؤولية •

اما من فهم المعنى البعيد الكامن وراء كلمة (التكاليف) فقد اصاب مـا يصيبه الناجحون والا قطف ثمار المفاهيم السقيمة واشواكا تخدش حلقومه •

سنة الله هذه عرفها الناس باسم قانـون وناموس ، ولا يحتفظ بهـا الا

القرآن تقول هذا بتحد واصرار وجزم ، لكنا نحن المسلمين اخذنا منذ جهلنا سنن الله تعالى اخطاءنا الاجتماعية وقصورنا وتفريطنا تعليلا صبيانيا !!!

سنن الله عبر ، تتجسد حيوانا مفترسا يعتب على الذين رأوها في سابقيهم او معاصريهم فلم يعتبروا وتلوا قوله تعالى : (قد خلت من قبلكم سنن ، فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين) ولم يفهموا وكلمة انظروا هنا : تعني البصيرة والاستبصار ، بل ومحاولة الوقوع على العليل تشخيصا للداء ، وحرصا على الظفر بالدواء .

تعني ، ادرسوا الامم الخالية والمعاصرة ، وانظروا ـ ولو من عين الاثار ـ الانظمة التي كانت سبب ارتفاعها ، لتتخذوها اسوة ، او التي كانت سبب دفنها ، لتتخذوها عبرة !!!

سنن الله ثابتة ، ترتفع بها الامم بمقدار يقظتها او تنخفض بمقدار غفلتها .

سنن الله محكمة ثابتة موقظة عادلة ، ولئن سبق لتهيئتها كوارث واجتياحات فهي نعم لانها موقظات ومنبهات ومحذرات وانذار للمحنطين الذين اغمضوا عيونهم وبرروا غفلتهم بكلمة :

(لم نكن ندري ان عاقبة الانحراف الاجتماعي ذل اجتماعي وان النواميس الاجتماعية ثابتة ثبات نواميس الطبيعة) .

جميع الامم معرضة ليد قانون السببية ، لكن تتفاوت سهام الاصابة . او وسام التقدم بتفاوت يقظة او غفلة القادة ، وثقافة او جهل السواد ، لان الصعود والهبوط ، لاينبتان الا من جذور وضع الناس بذورها .

قانون السببية الحتمي ، دفع عقلاء الامم لمحاولة انقاذ مستقبل ديارها من فم غواله المخيف .

فمن اعتصم منهم بالكتمان والاعداد المتقن ، نجى نفسه ودياره من سيف القيامة المصلت ومن استعجل الشيء قبل اوانه ، او دل عليه الدخان قبل ان تتأجج النار وتحدى من حاول اطفاءها ، فقد كفر عن اخطاء تسرعه بدمه .

اذن ، ما يعتري الافراد والاسر والامم من خير او شر ، لم يأت صدفة او رمية من غير رام ، بل ثمرة لبذور ، ولا يزول الا بزوالها ، لان الله لا يهب دون جدارة ، ولا يسلب دون حيثيات •

ولذا علينا ان نجزم ان سنن الكون نافذة لكنها في الامم الواعية ، ليست حتمية اما الذين يحنون اعناقهم لما يخالونه حتمية فتدهسهم سيارة السنن المهرولة •

القرآن وحده اعلن ان الحوادث قائمة على اسباب ومسببات ، وان للنجاة ولو كانت فردية ـ كالفقر والجهل ـ طريقا سليما من ظفر به انقذ نفسه من غول الكوارث •

وهذا الاعلان يفرض الفكر السليم ويرينا سقوط بلد ما في هاوية الطامعين ، ليس امرا من الله بل نتيجة انحرافات دنيوية، اذا تداركها المنحرفون او ورثتهم استدار الزمن ، ذلك لان البلاء لا يأتي بغتة ولا يذهب صدفة ، بل يأتي مستندا لقانون السببية مذكرا بتنازع البقاء •

لقد خفي قانون السببية او تنازع البقاء على كثيرين فلم يدروا القنوط هو الغول الذي ابتلع امما وافقر ديارا •

ألم يدروا ان الطامعين يستعينون بقاعدة (الغاية تبرر الوسيلة) وان جهل قانون السببية مدخل للجبر والالجاء وهذان من اشر الوسائل !!!

انفرد القرآن بالحديث عن هذا القانون ، وعلى ضوئه علل ارتفاع او انخفاض الامم ، وختم التعليل بكلمة (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) •

الدنيا ترقص لمن اثبت جدارته وتغنى بقوته الذاتية ، اما الترجيح دون مرجح فأمنية خادعة • اذ يستحيل ان يخدش بعض الناس عزة بعض او ينال بعضهم من ارتفاع جبين بعض ، الا اذا شاهد الخادش ساحة المخدوش خالية من الدفاع • كما انه يستحيل ان يعول الذئب على اجمة الا اذا مات اسودها وضوي جراميزها !!!

سنن الله شمس يحرم منها الذين جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا على البقاء في قبر جهلهم ، ويشفى بشعاعها مريدو الحياة لا سيما في هذا الظرف الذي اخذ به قانون التغيير يطارد الناس في عقر دارهم .

والمشيئة التي يملكها الانسان تمكنه من الحرمان والتعرض للشعاع فليغتنم الفرصة ولا يحفر حتفه بظلفه . قال الله تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وهم فيها لا يبخسون) .

القرآن يأمر بالاعتبار وينادي : (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين) .

وكلمة انظروا هنا ، لا تعني نظر البصر ، بل البصيرة والاستبصار ومحاولة الوقوع على العلل او تشخيص الداء حرصا على الظفر بالدواء .
تعني : ادرسوا تاريخ الامم الخالية وانظروا اثارها واعرفوا السنن والطرق والانظمة والنواميس التي كانت سبب ارتفاعها، واقتدوا بها لترتفعوا، والسنن التي كانت سبب ابادتها فتنكبوها كيلا تبادوا .

تعليق تفرضه الاجواء

الى القادة الذين جهلوا قوانين التغيير ونواميس تنازع البقاء واحلوا قومهم دار البوار لا استطيع قبول معذرتكم ــ ككل وبظروف زمان ومكان متعددة ــ اذ الطبيب الذي يصف ما يميت او يجهل ما يشفي ليس جديرا بحشر اثنه في زمرة الاطباء .

لا تخدعوا انفسكم وتظنوا ان اليهود كسواهم من الدول يسمحون لكم بالحياة ولو عبيدا لاننا نراهم في البروتوكولات والعهد القديم والتلمود مصممين على تنفيذ حكم الاعدام بجميع الناس ــ ولو لحد ما ــ لا تخدعوا انفسكم بكلمة (الوقت في صالحنا) لان اليهود يفتعلون ما يشغلكم ويختلس الوقت وهم كما نعرف من تاريخهم ــ لا ينتظرون الفرص بل يخلقونها ليبتروا كل يد تمتد محاولة تضميد جراحنا ؟ !!!

لا امل في تأجيل مصيركم ، ان تغسلوا خطيئاتكم بدمكم !!!

لا تخدعوا انفسكم بكلمة (سنصالح اليهـود ، وبنفس الوقت نعبـيء طاقاتنا بتكتم ومهارة ودهاء) لان موقفكم بعد الصلح سيكون اكثـر حرجا ، اذ سيصبحون دولة (ذرية) وتصبحون سوقـا لصناعاتهم ولـو رأيتم فـي البروتوكولات هذا النص (يستحيل ان يتفقوا علينا لاننا فتحنا بينهم جراحات وثغرات) لقابلتم هذا التحدي بما يحبطه .

ان التلمود يعدهم بدياركم ، ولا نجـاة لكم الا بالاخلاص والتضحيـة والاكتفاء بالسلاح والقميص والرغيف وطلب الموت .

اما قولكم وراءهم الدول ، فان الدول نفسها وراء مـن يثبت جدارتـه للحياة ويتغنى بقوته الذاتية ، اذ من رجحت كفتـه رقصت لـه الدنيا ، امـا ترجيحها دون مرجح فأمنية خادعة .

ان موقفنا تجاه فلسطين كرجال ، يحمل الدول علـى الاعتراف باخطائها والحذر على مصالحها اذ هي مهمـا ضخمنا تحيزها لليهـود ـ عابدة مصالح خاصة وستندفع لمصافحة القادر على رعاية تلك المصالح .

ان اليهود هزيلون ، اما هزالهم هذا فمنبثق من داخلهم ، لانهم مجرمون لاديان الناس واخلاقهم واقتصادهم وامنهم ، والمجرم كما تعلمون اسير جرمه .

ان معركة واحدة ، يذوق بها العدو حر النار ، ستعيد الى ذاكرته (مـا كل مرة تسلم الجرة) .

هـو لـك لا عليـك

❋ كان سليمان بن عبد الملك مهيبا لا يجرؤ امـرؤ ان يكلمه ، وكـان وزراؤه قد استأثروا بشئون الدولة ، مما أغضب العامة ، فدخل عليه أعرابـي فصيح اللسان ، جريء الفؤاد ، فقال له : يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكـلام فاحتمله ان كرهته ، فان وراءه ماتحب ان قبلته . قال : هات يا أعرابي . فقال: سأطلق لساني بما سكتت عنه الالسن ، أداء لحق الله وحق أمانتك . أنت قد أحاطت بك وزراء اشتروا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فـي الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك ، فقال له سليمان: اما أنت فقد نصحت ، الا أنك جردت لسانك فهو سيفك . فقال : أجـل يـا أمير المؤمنين ، هو لك لا عليك .

الرّحلة في الأدب العربي

بقلم : حسّان الكاتب

الحديث عن الرحلة .. حديث ممتع لما يجده السائح من عوالم جديدة خلال تجوابه في العوالم الجديدة التي لم يعهدها .. وخاصة حين يكون السائح اديبا حساسا شفاف النفس والاحاسيس فهو يستطيع بذلك ان ينقلنا الى الأجواء التي عاشها والى الروائع التي شاهدها خلال رحلته وان الرحلة تتيح الالتقاء ببيئات وطبائع واجناس وانماط ومفاهيم وعادات لا عهد للمشاهد بها من قبل فلا تلبث ان تترك آثارها على نفس الكاتب المشاهد وقلمه وتختلف هذه الاثار باختلاف احساس الكاتب وثقافته وطابعه الادبي في كثير من الاحيان . لهذا نجد ان هذا النوع من الادب يختلف في مؤلفاته باختلاف عصر الكاتب وثقافته وغرضه وهدفه من الكتابة .

وفي ادبنا العربي القديم والحديث ما يجذبنا للحديث عن هذا المضمار في هذه الدراسة .

يقول الشاعر صالح جودت : « لا شك ان الرحلة لها اثرها على الكاتب . فهي انفتاح على دنيا جديدة بكل اجوائها وألوانها وحضاراتها ، وثقافتها وفنها وهزلها وجوها ، والاسفار مادة للكاتب لا تغني ، وقد كانت هي الالهام الاول لكثير من الكتاب العالميين مثل سومرست موم ، وارنست همنجواي وغيرهما » .

ويقول ايضا « أجمل مدائن العالم في اعماقي هي القاهرة ، وتليها بالترتيب سان فرانسيسكو ، ثم طوكيو ، ثم باريس » .

فاذا شاءت قسوة القدر يوما ان اعيش خارج القاهرة ، فالمدينة التي اختارها بغير تردد ، هي سان فرانسيسكو فان جوها ربيع دائم ، والخضرة والازهار فيها مستمران طول السنة ، هذا فضلا عن انها اربع مدائن في قلب مدينة ، الاولى امريكية ، والثانية زنجية ، والثالثة صينية ، والرابعة ايطالية ، فالاقامة فيها هي في الواقع رحلة بين عدة قارات .

ويقول الدكتور سيد نوفل : « من اروع احاديث الادب العربي ، قديمه وحديثه ووسيطه : احاديث الرحلات .. فشعراء الجاهلية وحكماؤهم قد رحل فريق منهم الى الاكاسرة في بلاد فارس والقياصرة في بلاد الروم واسمعوهم من اشعارهم ، والقوا عليهم من آيات حكمتهم ونالوا اعجابهم وتقديرهم وعطاءهم . وكذلك استمعوا الى بلغائهم مثلما اسمعوهم وتبادلوا وإياهم التأثير والتأثر في فنون البيان » ثم يقول : « وكانت الرحلات من اقوى الدعائم لوحدة الفكر العربي لعصور الاسلام الاولى ، رغم الشقة بين ارجاء العالم العربي الاسلامي وصعوبة وسائل الانتقال ومخاطرها البالغة في ذلك الزمان .. وكان حج بيت الله الحرام ، وكان طلب العلم ، من اسباب هذه الرحلات المحببة الى النفوس رغم وعورتها الشديدة وعذابها الاليم ... والرحلات في الأدب العربي نوعان : الاول رحلات الخيال والاخر رحلات الحقيقة . وفي الاول يخترع الاديب قصة ذات شخصيات فريدة ، يطوف بها عوالم مجهولة او غيبية بين بني الانس او الجن ، ويسودها الجو الروائي البديع .. وهي تزخر بالمعاني الدينية والاجتماعية » .

ولو استعرضنا تاريخ الرحلة لوجدنا ان الانسان مال الى الاستطلاع رغبة منه في السيطرة على العالم الخارجي مما دفعه منذ أقدم الازمنة الى التنقل والتجواب ، فاندفع من اقليمه الى الاقاليم المجاورة يكتشف آفاقها ، ويرتاد مجاهلها ، وكانت له في كل عهد من العهود سفرات ومغامرات دلت عليها الرسوم البارزة والنقوش . وها ان التاريخ يحدثنا أن المصريين كانت لهم منذ حوالي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد رحلات متعددة في عهد الاسرة السادسة بالبر والبحر الى بلاد بنت (ساحل الصومال) وأن الملكة (حتشبسون)جهزت حملة الى هذه البلاد عام ١٤٩٥ قبل الميلاد سيرت فيها خمس سفن كبيرة في البحر الاحمر ، وان النقوش البارزة في « الدير البحري » بمصر العليا تخبرنا كيف سيرت هذه السفن ، وكيف استقبلت بنت المصريين ، وكيف عادوا .

وبعد المصريين جاء الشعب الفينيقي ، وكان هو الذي أصبح قائما على أمر الملاحة في البحار ، فقام هذا الشعب برحلاته البحرية الخارقة التي استحوذ

فيها على مرافىء بحر الروم ، وشواطىء أوربا الغربية ، وخاض عباب المحيط الاطلسي واكتشف بعض سواحل أفريقية الغربية ووصل الى أميركة نفسها كما يستدل من أحدث الاكتشافات ، وقد سجلت رحلاته هذه في مضيقين اثنين هما :

رحلة حنون القرطاجي حول القارة الافريقية ، ورحلة عملقون الى سواحل أوربا الغربية ، وخصوصا جزائر بريطانيا العظمى التي كان يذهب اليها الفينيقيون لجلب معدن القصدير ، غير أنه لم يصلنا من هذين الكتابين الا نتف مبعثرة في كتب اليونان والرومان .

خلف الاغريق الفينيقيين برحلاتهم في أقطار الارض المعروفة ، وأنشأوا مستعمرات لهم في سواحل آسيا الصغرى وايطاليا ، وقد تركوا لنا معلومات ومعارف جغرافية واسعة تطلعنا على وصف الاقاليم والبلدان التي زاروها ، وتقول ان الارض كروية ، ووراء البحر والمحيط عوالم أخرى مسكونة ، وقد اشتهر منهم بالرحلات هوميروس الذي أغري ركوب البحر ، وطالت فيه رحلته ، ولما عاد الى بلاده نظم الألياذة والاوديسة ، وخص النشيد الثاني من الياذته بوصف البلدان والجبال والوهاد والبحار والانهار . كما اشتهر كذلك هيرودوت الذي بنى علمه على المشاهدة والعيان فقام برحلة طويلة الى مصر وبابل وبلاد الفرس والفينيقيين والطليان وسواحل البحر الاسود ، مكتشفا خلالها طرقا كانت قبله مجهولة ، ومدونا معلوماته هذه في تاريخه الكبير . وغير هذين العلمين اشتهر أيضا سيلاكس البحار الذي ألف رحلة في القرن الرابع قبل الميلاد ، واصفا لنا سواحل افريقيا والمغرب وسواحل مراكش على المحيط الاطلنطي واشتهر ارتيميذورس الرهاوي (القرن الاول قبل الميلاد) الذي زار ايطاليا وأقام فتعملا بروما وزار اسبانيا وسواحل الاطلسي الاوربية ثم شمال أفريقيا ومصر . وألف « رحلة مطولة » جعلها شبه موسوعة جغرافية حشر اليها ما سبقه به غيره من العلماء ، وما اكتسبه هو من خلال ترحاله وتطوافه . واشتهر كذلك اثنان آخران هما : يودوكسوس وهبالوس اللذان كانا يقومان برحلات ساحلية الى الهند ، ويظن مؤلف بريبلوس أن يودكسوس هو أول يوناني قام برحلة ساحلية من هذا القبيل ثم جاء هبالوس فيما بعد ،

وهو الذي اكتشف كيفية الافادة من الرياح الموسمية في رحلة الذهاب الى الهند . ولن ننسى هنا أن نشير الى فتوحات الاسكندر التي رافقه فيها علماء وجغرافيون رحالة سجلوا مشاهداتهم حتى غدت هذه السجلات جغرافية لبلاد آسيا .

ثم خلف اليونان الرومان وأصبحوا سادة الدنيا بعدهم ، فغذوا السير في الآفاق يضربون في أرجاء الامبراطورية الواسعة حتى وصلوا الى جزائر كناري ، وطافوا بدولتهم في أفريقيا وفي آسيا ، وبلغوا الهند والشرق الاقصى . وقد وصلتنا من أنباء هذه السفرات والرحلات جملة من الروايات التي قصها مؤرخوهم في كتبهم ، وأشهر هذه الكتب « التعليقات » ليوليوس قيصر ، و « جرمانيا » لتاسيت و « العشريات » لطيطش ليوش .

وجاء من بعد الرومان العرب المسلمون الذين بسطوا فتوحاتهم في مشارق الارض ومغاربها ، وكونوا لهم علائق تجارية مع الصين وبعض البقاع الروسية وبعض مجاهل أفريقيا ، ولم تمنعهم صعوبة المواصلات وسوء الاستعدادات من الرحلات الى أقصى الارض فأموا الموانيء الصينية يتعلمون فيها استعمال البوصلة ، واخترقوا بحر الظلمات ، وحاولوا الكشف مرتين عن أرض جديدة عبر المحيط الاطلنطي (١) (أميركا) وقد ضمت رحلاتهم وثائق عظيمة الشأن في تاريخ الانسانية ، ساهمت في التعريف بالشرق الاقصى وأفريقيا فضلا عن آفاق دولتهم ، وساعدت الرحالة الغربيين فكانت دليلا لهم في هذه المجاهل التي كانت أقدام العرب أسبق اليها من أقدام السائحين الغربيين بعشرة قرون .

هذا وقد ظل العرب هم الحائزين قصب السبق في ميدان الرحلات والاكتشافات حتى القرن الخامس عشر الميلادي حين انطلقت في أوربا حركات الاستكشاف الحديثة فاكتشف هنري المعروف بالملاح اقساما مجهولة من

---

١ ـ ورد ذكر المحاولة الاولى في كتاب الادريسي « نزهة المشتاق » وورد ذكر الثانية في « صبح الاعشى للقلقشندي » وسيأتي الحديث عنهما .

الشماطيء الافريقي (١٤٤١) ، ووصل بارتولوميو دياز (١٤٨٦) الى « رأس الاعاصير » في الطرف الجنوبي من القارة الافريقية ، ثم اقتحم فاسكو دي غاما بحر الهند عام (١٤٩٧) بهداية أحد الملاحة العرب ، وبلغ كولومبوس اميركا عام (١٤٩٢) واستطاع ماجلان أن يطوف لاول مرة حول الكرة الارضية (١٥١٩) فيثبت بالدليل العلمي ان الارض كروية .

وكان من نتائج هذه الكشوف ان أذكت روح المغامرة في أوربا كلها ، فاقتحم الغربيون غمار المحيطات ، واكتشفوا أوستراليا وجزر المحيط الهادي ، ولم يبق موضع على الارض لم يرحلوا اليه ، او يرسلوا البعوث لكشف أسراره . وها هم يفكرون اليوم في رحلات الى القمر والمريخ بواسطة ما اخترعوه من قذائف وسفن فضائية وصواريخ . هذا هو تاريخ الرحلات ، وحسبنا ان نعرض لتفصيل تاريخها عند العرب وفنونها وأشهر من قام بها .

الرحلات في العصر الجاهلي : أما رحلات العرب في العصر الجاهلي فكانت رحلات في سبيل التجارة ، ومن أجل طلب العلم ، كان يقوم بها نفر ممن كانوا يسكنون أطراف الجزيرة وحواضرها ، ونجاحه في اليمن . ففي اليمن كان العرب يتجرون ، منذ أقدم الازمنة ، مع مدن الساحل البعيد (ارتيريا والصومال) ومع بريجازا (٢) ، ويبعثون بسفنهم اليها . وكانوا يقصدون الى ساحل مالابار ، طوال عدة قرون ، للحصول على الخشب الذي كانت تبنى منه سفنهم ، كما كانوا يركبون البحر على طول سواحل أفريقيا الشرقية حتى رهابتا (٣) قرب زنجبار ، يمدون هذه البلاد بالذهب والنحاس والاحجار الكريمة ، فضلا عن السلع الاخرى التي كانت تستعمل في صناعة العطور والمراهم وبخور المعابد . وان كل شيء يقع تحت اسم النقل من آسيا وأوربا في خلال القرن الثالث قبل مولد المسيح ، يقول المؤرخ اليوناني :

---

٢ ـ بريجازا : ميناء هندي يدعى اليوم (بروتش) .

٣ ـ رهابتا : هي الان كويليمين على الفرع الشمالي من دلتا الزمبيزي .

أجاثار خيديس ، ان السبئيين وأهل جرها (٤) هم الذين كانوا مسؤولين عنه ، وهم الذين جعلوا سورية البطلمية غنية بالذهب ، وأتاحوا للتجار الفينيقيين تجارة رابحة وآلافا من الاشياء الاخرى ، هذا في اليمن .

وأما في الحجاز ومكة وسائر مدن الشمال فقد ساح المكيون في الولايات البيزنطية الشرقية ، بل زاروا عاصمتها ليقتبسوا من الثقافة اليونانية والرومانية ويقضوا فيها على الحركة الدينية التي كان يبلغهم صداها . وكان لتجار مكة رحلتان في الصيف والشتاء احداهما الى سورية وفلسطين ، والاخرى الى جنوبي جزيرة العرب ، كما كان للمتعرضين منهم لعطاء السادة والملوك ، وللمترحلين في سبيل العلم والهداية رحل واسفار تزودوا فيها بالجديد الطريف من ألوان الحضارة المتباينة ، واستقوا ما أفادهم علما ، وأكسبهم يقينا وطمأنينة نذكر منهم على سبيل المثال : النابغة الذبياني والاعشى وعلقمة الفحل ، والمرقش الاكبر الذين وفدوا على ملوك الحيرة وغسان ، ونذكر منهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي شك في الاوثان ، ورحل يطلب دين ابراهيم حتى بلغ الموصل والجزيرة ثم جال في الشام ، ونذكر كذلك الحارث ابن كلدة الثقفي الذي تعلم الطب وضرب العود بفارس واليمن .

هذه هي الرحلات العربية في العصر الجاهلي وهي رحلات ، لم يترك فيها العرب آثارا مكتوبة تستحق الدرس في ميدان الرحلة كفن أدبي لذلك نضرب عنها الصفح ونكتفي بهذه الالمامة التي نوطىء بها لدراسة الرحلات في الاسلام .

الرحلات في الاسلام :

لقد كان الاسلام نقطة تحول في تاريخ العرب المديد ، استطاعوا في

٤ ــ جرها او الجرها وكانت قائمة بالقرب من ميناء العقير الحالي . يقول سترابون : « وقد أصبح السبئيون واهل جرها اغنى القبائل جميعا لاشتغالهم بالتجارة وكانوا يمتلكون كميات ضخمة من الادوات المصنوعة من الذهب ، ويعيشون في مساكن فخمة ابوابها ونوافذها وجدرانها مطعمة بالعاج والذهب والاحجار الكريمة .

حكم فتوحاتهم ولعوامل تتصل بالتجارة وبطلب العلم وبالحج ان يجوبوا شتى اقطار المسكونة ؛ وينساحوا في البلاد متعرفين الى أكثر المناطق التي لم يكن لهم بها صلة من قبل • فمنذ السنة/٦١٠/للميلاد ، قامت في البلاد العربية دعوة دينية بشر بها فتى من قريش ؛ استطاع ان يجتذب العرب اليه ، وأن يجمع شملهم ، ويضمهم في نطاق دولة لها وحدتها ومميزاتها ، فمضوا يفتحون تحت رايته المدن والاقطار حتى تم لهم النصر ، وأصبحت الجزيرة ، بمختلف مراكزها ؛ تدين بالتوحيد •

ولما قبض النبي صلى الله عليه وسلم عام (٦٣٢) خلفه من بعده الخلفاء الذين وجهوا جيوشهم الى الشام ، وفارس ، والعراق ؛ فافتتحوها وافتتحوا ارمينية والقوقاز ، وتوغلوا في بلاد الروم • ثم استولوا على تركستان ، وهاجموا أرض الهند ، مواصلين زحفهم حتى ضفاف سيحون وجيحون (٥) ووادي مهران بالسند • وفي الغرب احتلوا أفريقيا الشمالية اثر فتح مصر ونوبيا وبرقة ، وهاجموا جبل طارق فاجتازوه ، ودخلوا ملاقة وغرناطة وطليطلة ، وأمعنوا في الارض الاسبانية حتى جبال البيرنه ؛ ثم اجتازوا هذه الجبال ، وأخذوا قسما من جنوب الغال ، وعبروا وادي الرون مواصلين زحفهم الى مقاطعة الصون ؛ ولولا خسارتهم في معركة (بواتية) لكانوا توغلوا في أوربا كلها ، ولكانت لهم السيادة على العالم كله •

هذه الفتوحات أتاحت للمسلمين وسائل السفر في امبراطوريتهم المترامية الاطراف ؛ وهيأت لهم أسبابه ، ومكنتهم من أن ينشروا لغتهم ومبادىء دينهم ومدنيتهم في كل ناحية ؛ فلم يبق التجوال ضربا من التغرب لان العربي كان يجد أينما حل قوما يفهمون لغته ؛ ويعتبرونه ضيفا يحتفون به ••• وكان للحج أثر واضح في تشجيع الرحلات اذ أن تأدية هذه الفريضة أوجبت على المسلمين ان يسافروا من أقاصي الارض الى مكة لزيارة كعبتها ؛ والتعريف الى مهد النبوة • وكثيرا ما كان القيام بهذه الفريضة نقطة انطلاق للرحالة

---

٥ ـ نهر الاكسوس والياكسارات حاليا .

الحجاج يندفع على اثرها الى الضرب في البلاد وتفقد عادات أهلها واستقصاء أحوالهم وأمزجتهم •

يضاف الى هذين العاملين (الحج والفتوح) عاملا التجارة والسفر وقيام نظام البريد وجباية الخراج • فالتجارة عند العرب منذ العصر الجاهلي كانت عاملا له أهميته في ازدياد حركة الاتصال بينهم وبين البلدان المعروفة لهم آنئذ، ولما ظهر الاسلام تعاظمت التجارة الى حد تجاوز حدود فتحهم ، فرأينا التجار المسلمين ينهضون الى أطراف الارض ، ينقلون البضائع ، ويشترون السلع ، وقد بلغوا في ذلك الى أقصى بحار الصين ، وسواحل البلطيق ، وصحارى افريقيا الداخلية ، وبلاد الاندلس والمحيطين الاطلسي والهندي • وخلفوا في هذه الممالك نقودا وآثارا يكتشفها الباحثون يوما بعد يوم وعليها أثر من هؤلاء التجار (٦) أما التوسع السياسي وانتشار رقعة الدولة في مساحات شاسعة من أنحاء العالم القديم فقد أديا الى زيادة أهمية المعلومات عن أطراف العالم الاسلامي ، وجعلا العرب في أمس الحاجة الى أن يعينوا الحدود ، ويعرفوا المسالك ومواقع المدن لحفظ حقوق بيت المال وتنظيم طرق البريد ، وساعدا بذلك على الرحلة والسفر ، فرأينا العرب يضربون بسهم وافر في هذا السبيل ، ويسافر الكثيرون منهم لدراسة البلاد وطرقها وتعيين مسافاتها • فاذا أضفنا الى هذه العوامل كلها شوق العربي الى المجهول ، واندفاعه الى الرحلة في طلب العلم الذي نشأ أمره في القرنين التاسع والعاشر للميلاد ، استطعنا ان نلم بالعوامل الاساسية التي حفزت العرب الى الاهتمام بالرحلة وتسطيرهم أخبارها في كتب دونوا فيها مشاهداتهم ، ورووا ما حدث لهم في

---

٦ ـ امتد ملك العرب في داخل افريقيا شمالا وغربا وشرقا حتى بلاد الكونغو والزولو . ولم تزل آثارهم هناك الى الآن . وقد عثر بعض الاثريين الانكليز في سنة ١٩٠٢ شمال الترانسفال بالقرب من بلاد « كفرة » على قبر عربي قديم عليه كتابة بالحروف الحميرية تنبيء ان اسم الميت « سلام » وانه توفي سنة ـ ٩٥ ـ هجرية (٧١٤) م وينتظر العلماء كشف آثار اخرى عربية هامة في تلك الاصقاع النائية . وكشف الالمان منذ بضع سنوات بالقرب من « دانفا » تحت انقاض مدينة « فوماكو » القديمة في داخل افريقيا الشرقية كتابات عربية قديمة فنقلوها الى متحفهم في برلين . وفي خرائب ممبسة ومليندة وقلاعهما آثار كثيرة ، وكتابات عربية لا تزال محفوظة الى الآن .

مختلف النواحي والاقطار . وقد أخذت طلائع هذه الكتب في الظهور منذ القرن التاسع للميلاد واستمرت في تضخم وازدياد طوال القرون الخمسة التالية ، حيث احتلت على ايدي فئة من الرحالين درجة أدبية رفيعة وتبوأت مكانة سامية بين غيرها من كنوز التراث العربي .

وفي أدبنا المعاصر ارتبط أدب الرحلات بمعالم حركة النهضة الحديثة .. بل ان الدارس لهذا اللون من الادب في أدبنا الحديث يدهش أو يكتشف أنه من أهم معالم مرحلة اليقظة الاولى التي صاحبت حركة التمرد على التخلف الذي عاشته أمتنا تحت جهل الحكم العثماني ، كما صاحبت حركة التمرد على محاولات الاستعمارين الفرنسي والانكليزي السيطرة على الفعلية العريقة ووضعها في القالب الذي يسير في فلكها ويؤيد وجودها وهي بالتالي قد صاحبت حركة المخاض الهائلة التي استطاعت ان تخرج الى النور هذا الشعب العربي الجديد الذي يكافح ليأخذ مكانا له في عالم سمته الاولى التقدم المستمر والتطور الدائم والمعرفة التي لا حد لها .

كريم وهو في الحرب

* كان معن بن زائدة يتصيد في أحد الايام فعطش ، ولم يكن في تلك الحال ماء مع غلمانه . فبينا هو كذلك ، اذ مرت به جاريتان من حي هناك ، في جيد كل واحدة قربة من الماء ، فشرب منهما . وقال لغلمانه : هل معكم شيء من نفقتنا ؟ فقالوا : ليس معنا شيء . فدفع لكل منهما عشرة أسهم من سهامه ، وكانت نصالها من ذهب . فقالت احداهما للاخرى : ويحك ما هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة ، فلتقل كل منا في ذلك شيئا . فقالت احداهما :

يركب في السهام نصال تبر ويرميها العدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الاخرى :

ومحارب من فرط جود بنانه عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصال سهامه من عسجد كي لا يعوقه القتال عن الندى

تلاؤم الأسماك مع البيئة والوظائف الحياتية

بقلم : رغيد النحاس

لقد تطورت المظاهر الحياتية لدى الكائنات الحية تبعا لمقتضى حاجة الكائن الحي للعيش بصورة تتلاءم مع البيئة التي يوجد فيها . ان وجود أي كائن حي في بيئة معينة يستلزم بالضرورة جملة من العمليات الحياتية والفيزيائية التي تتم بواسطة تفاعل مشترك بين الكائن الحي وتلك البيئة التي يتواجد فيها . وعلى هذا فان الكائن الحي يتطور وفقا للظروف البيئوية المحيطة به ، كما أن البيئة نفسها تتطور وفقا لتأثيرات مجموعة الكائنات الحية المتواجدة فيها . وعلى هذا فان لكل كائن حي حيزا يشغله في هذا الكون ، ولكل بيئة من هذا الكون مجموعة تختص بها من الكائنات . فالسمك مثلا لا يستطيع العيش على اليابسة . والبيئة البحرية مثلا غير مهيئة لاحتواء أشجار التفاح ، وهكذا . واذا ما استطاع نوع من السمك مثلا ان يعيش في بيئة تختلف في درجة حرارتها عن بيئته الاصلية فان ذلك يعني أن هناك تبدلات حيوية تطرأ على جسم السمك فتجعله قادرا على التلاؤم مع الوضع الجديد ، هذا مع العلم بأن السمك ذا حرارة متغيرة . واذا ما تفحصنا بقعة من التربة ووجدنا فيها بعض الاخاديد او الثقوب فاننا نستنتج ان هناك حيوانا ما قد اتخذ له وكرا او مسكنا وهو بهذا يؤثر على نوعية البيئة وقد يخرب الوضع الحياتي للكثير من الكائنات الحية التي لا ترى بالعين المجردة .

ان حياة الاسماك في المحيط تتطلب نمطا معينا من التلاؤم . فهذه الاسماك عليها ان تتكيف مع الوسط المائي المحيط بها . ان هذا الوسط يتطلب نوعا معينا من الحركة ومن التغذية ، ويجب ان تتوافر فيها خواص معينة لتستطيع مواجهة عوامل هذه البيئة الفيزيائية والكيميائية والحياتية ، فعليها ان تواجه حرارة المحيط وكثافته وملوحته وكل ما ينجم عن ذلك من آثار ، وعليها التكيف مع نوعية الضوء والصوت في المحيط ، وعليها ان تعرف كيف تهاجم فريستها وكيف ترد خطر مفترسيها .

تصنيف الاسماك وفق التلازم الغذائي

يحتوي المحيط على كائنات حية عديدة ، وأهم الكائنات هي تلك النباتات المجرية العائمة (phytoplankton) التي تستطيع ان تحول طاقة الشمس الى قدرة غذائية بواسطة عملية التركيب الضوئي (photosynthesis) فتحول بذلك الماء وثاني اكسيد الكربون المحلول في الماء الى سكريات ، ومن ثم فان هذه السكريات تدخل في عملية التخليق الحيوي (Biesynthesis) فتتحول السكريات الى بروتينات وشحوم وفيتامينات وغيرها من المواد الاساسية اللازمة لبناء جسم الكائن الحي ، وهكذا فان النباتات هي المخلوقات الحية الوحيدة القادرة على انتاج غذائها بنفسها ، أما الحيوانات فهي لا تستطيع القيام بعملية التركيب الضوئي ولذلك فهي بحاجة لان تأخذ المواد الغذائية الاساسية جاهزة وهي تفعل ذلك بالتغذية المباشرة على النباتات او بالتغذية المباشرة على حيوانات في مرتبة اقل منها في السلسلة الغذائية البحرية ، او على الاثنين معا .

بالنسبة لنوعية التغذية ، يمكن تقسيم الاسماك على الشكل التالي : (weatherly, 1972)

١ ـ اسماك عاشبة ـ وهي لا تملك اسنانا ولكنها تملك مصاف خيشومية خاصة تستطيع بواسطتها ان تصفي النباتات المجهرية لتأكلها . وتتميز الامعاء هنا بأنها ذات جدار رقيق ولا توجد معدة بكل معنى الكلمة .

٢ ـ أسماك لاحمة ـ وتملك أسنانا متطورة لها القابلية على القبض والمسك والتمزيق . أما الخياشم (gill-rakers) فقد تطورت بحيث تستطيع القبض على الفريسة واستبقائها وبردها وسحقها . والامعاء قصيرة وتوجد معدة حقيقية على شكل قارورة .

٣ ـ أسماك لاحمة عاشبة (Omnivores) هنا تكون الاجهزة الهضمية وسطا بين الحالتين السابقتين .

كما أن عادات الهضم قد تتغير مع تغير شكل الاسماك وفقا لنموها .

وعلى سبيل المثال فان صغار سمك الكراكي (pike) تمر في ست مراحل من التغيرات من وقت فقسها وهي بطول ٦ مليمترات ، الى وقت بلوغها حيث تصل الى ١٧,٥ مليمتر .

التمركز ، الحركة ، السباحة

تعتمد بعض الاسماك على ركائز لتدعم نوعية حياتها وحركتها . فالاسماك التي تدفن نفسها تختار أرضية لينة ، والاسماك التي تمشي ، لها زعنفة متطورة لهذا الغرض .

ان اكثر الاسماك تتحرك في الماء بواسطة ثني أجسامها كالموجة . وبعض الاسماك تستعمل التوتر في زعانفها ليتوجه الجسم دونما انحناء .

ولحركة المياه تأثير كبير على حياة السمك لان سرعة التيار قد تقرر توزع الاسماك . فعلى سبيل المثال ان التيارات السريعة المتواجدة عادة في أعالي الانهار تجتذب الاسماك القادرة على السباحة بصورة جيدة . أما التيارات البطيئة فتجتذب الاسماك الضعيفة غير القادرة على السباحة بصورة جيدة . وتتحسس الاسماك حركة الماء بواسطة خلايا متواجدة على الخط الجانبي في السمكة وهو يشكل جهازا هاما من اجهزة الحس لدى الاسماك (lateral line) بيد ان التأثيرات غير المباشرة للتيارات البحرية على الاسماك هي أهم بكثير من التأثيرات المباشرة . وتكون هذه التأثيرات غير المباشرة بتغيير البيئة حول السمك . فعلى سبيل المثال تقوم التيارات الباردة المتوجهة من الشمال الى الجنوب بسحب الانواع القطبية من الاسماك الى المناطق المعتدلة . وتؤثر التيارات أيضا على طبيعة البيئة الفيزيائية والكيميائية مثل تأثيرها على درجة الحرارة وعلى الملوحة .

وبالنسبة للسمك فان الحصول على سرعة عالية اثناء السباحة ليس شيئا بذي بال . بل الاهم من هذا هو قدرة السمكة على احداث انبجاسة مفاجئة تمكنها من الهروب من الحيوانات المفترسة ، أو أنها تحتاج هي بدورها للانقضاض على فريستها بسرعة (Gray, 1957)

فهناك بعض الاسماك الصغيرة التي تستطيع ان تبدأ قوة دافعة شديدة من بعد سكون ، وهكذا تحصل على تسارع (التسارع هو معدل تغير السرعة في وحدة زمنية معينة) اكبر أربع مرات من تسارع الجاذبية الارضية • وفي الحالات الاضطرارية فان السمكة قد تكابد قوة دافعة الى الامام تعادل ربع او نصف وزنها وذلك لمدة محدودة • هذا وان أقصى ما يمكن أن تصل اليه عضلة السمكة من قوة فاعلة هو اثنين بالالف (٠٠٠٢ر٠) حصان لكل رطل من وزن السمكة •

الحرارة ، الكثافة ، الملوحة

هناك فرق بسيط بين حرارة الاسماك والوسط المحيط • وتستطيع الاسماك أن تعيش في درجات حرارة تتراوح بين درجتين مئويتين تحت الصفر وحتى اثنين وخمسين درجة فوق الصفر ولهذا فلدينا تصنيفان أساسيان •

١ ــ أسماك تعيش في مجال ضيق من التغيرات الحرارية (stenothermal)

٢ ــ أسماك تستطيع العيش ضمن مجال واسع جدا من التغيرات الحرارية (eurythermal)

ان أي تغير في الحرارة يكون مصحوبا بتغير في معدل التمثيل الغذائي (metabolism) ، فيزداد معدل الهضم مع ازدياد الحرارة طالما أن السمك موجود في حدود الحرارة الاكثر ملاءمة لنوع السمك (optimum temperature)

كما أن التغير في الحرارة قد يكون السبب وراء توزع الاسماك على مناطق المحيطات المتغايرة في درجات حرارتها • ووفقا لذلك فان الاسماك تغير من شكلها بما يتلاءم مع هذا التغير في البيئة • فمثلا ان عدد الفقرات في منطقة الذيل في السمكة يتغير من منطقة لاخرى وفقا لتغير القوة المائية وفق كثافة المياه وهذه العوامل ذات علاقة وثيقة بتغيرات الحرارة •

كما أن الملوحة تتعلق بالحرارة بشكل كبير . ويمكننا هنا أن نقسم الاسماك الى تلك التي تستطيع تحمل نطاق ضيق من التغيرات في الملوحة (Stenohaline) ، والى أسماك تستطيع تحمل نطاق واسع جدا من التغيرات في الملاحة (euryhaline)

ان أهمية الاملاح والمعادن (وهي تقرر مقدار الملوحة) تكمن في أنها تستطيع التأثير على النمو بصورة مباشرة عن طريق تفشيها من خلال الجسم أو الغلاصم ، أو بصورة غير مباشرة عن طريق تغيير طرائق النمو في تلك الحيوانات التي تستهلكها الاسماك .

الضغط الحلولي او التناضح (osmosis)

التناضح عملية تتم بين سوائل مختلفة الكثافة مفصولة عن بعضها بغشاء عضوي وتستمر العملية حتى يتم التعادل في الكثافة بين هذه السوائل أو ـ بعبارة أصح ـ حتى يتم نوع من التوازن تفرضه ظروف الحيوان والبيئة . وهذه العملية مهمة جدا لاستمرارية حياة الحيوان ، اذ أن اكثر الحيوانات تتلاءم مع ضغط حلولي معين وهي بذلك تموت اذا ما انتقلت الى وسط يختلف في ضغطه الحلولي عن وسطها الاصلي . وهذا ما يحدث أحيانا حين تنقل اسماك المياه المالحة فجأة الى مياه عذبة .

وتقسم الاسماك الى أربعة أقسام وفقا لميزات عملية التناضح داخل جسم السمكة (Nikolsky, 1963)

١ ــ أسماك تتميز بسوائل داخل جسمها تتعادل مع البيئة الخارجية وهي تقع تحت فئة الـ (Myxinoids)

٢ ــ أسماك تناضحها الداخلي أقل من ذلك الندى في الوسط الخارجي بسبب املاح البوليك . وهي الاسماك الغضروفية (cartilaginous)

٣ ــ التناضح الداخلي أقل من ذلك الذي في الوسط الخارجي ، وهي الاسماك البحرية العظمية (bony fish)

٤ ـ التناضح الداخلي اكثر من الوسط الخارجي وهي اسماك المياه العذبة التي تحتوي على كمية من الاملاح المعدنية .

وبصورة عامة : فان الكثافة تزيد بازدياد نسبة الاملاح الذائبة في الوسط ، وتقل بازدياد درجة الحرارة .

العوامة ، التنفس

ان عوامة السمك (swim-bladder) تنظم العمق الذي تريد السمكة ان تتواجد فيه . ففي بعض الانواع مثل سمك القرش (shark) لا توجد عوامة فيستعيض عنها القرش بحركة الزعانف التي تنظم ارتفاعه في المحيط .

في معظم الاسماك القديمة تكون العوامة متصلة بالامعاء بقناة خاصة (ductus pneumaticus) تدخل من خلالها الغازات الى العوامة أو تغادرها . وفي الاسماك ذات العوامات المغلقة تطرأ تطورات خاصة على تركيب الغازات بعد دخولها من الخارج الى العوامة ، وتحصل هذه التغيرات بواسطة الافراز او الامتصاص من قبل الدم . ولهذا السبب يوجد ما يسمى بالجسم الاحمر (Red body) ملاصقا للعوامة وهو عبارة عن طبقة كثيفة من الاوعية الدموية .

وتمتاز بعض الاسماك بوجود فتحة أخرى في العوامة بالاضافة الى القناة السابق ذكرها . وهذه الفتحة تفتح مباشرة خلف الشرج . وهي تجعل السمكة قابلة للتخلص من الغاز الزائد عندما تغوص او ترتفع بسرعة . فعندما تغوص السمكة ، فان الغاز يظهر داخل العوامة ، وعندما ترتفع ، فان كثافة المحيط الخارجي تقل (تزداد الكثافة والضغط كلما زاد العمق) وبذلك يحاول الغاز أن يملأ اكبر حجم ممكن داخل العوامة) يتناسب حجم الغازات عكسا مع الضغط ، فعندما يقل الضغط يزداد الحجم (مما يجبر السمكة على طرد هذا الغاز . وهنا من الممتع ان نلاحظ ان فوجا من الاسماك الصاعدة مثل الرنجة (herring) يمكن معرفة مكانه عن طريق فقاعات الغاز الصاعدة الى سطح الماء .

ان معظم الاسماك قد تلاءمت بشكل تستطيع معـه امتصاص الاكسجين المحلول في الماء ، ولكن قلة من الاسماك تأخذ الاكسجين من الهواء ولذلك فان هذه الاخيرة قـد طورت عوامتها لتستطيع القيام بهـذه المهمة ، او انها باتت تتنفس بطرق أخرى .

خلال عملية التنفس العادي للاسماك يدخل الماء الى الفم ويخرج عن طريق الغلاصم . ولكن هناك بعض التغيرات التي تحصل والتـي تستلزمها ظروف حياتية معينة . فمثلا ، ان الحياة شبه الطفيلية لنـوع مـن السمك (hagfish) تتطلب ان يصل الماء الى اكياسه الغلصمية عن طريق منخر يتصل بالفجوة البلعومية .

كما أن الجلد يشارك في التنفس خاصة في طرح ثاني اكسيد الكربـون الناتج عن عملية التنفس .

ان ماء البحر مشبع على الاغلب بالاكسجين او أنه اكثـر مـن مشبع . ولهذا فان السمك ليست لديه أية مشكلة في هذا المجال خصوصا اذا كانت السمكة تتطلب كميات كبيرة من الاكسجين من أجل تنفسها .

وفي الحالات التي تقل فيها كمية الاكسجين ، فان السمك يتجمع عـلى مصاب الانهار او يبحث عن أي مكان يتوافر فيه هذا الغاز .

الحساسية تجاه الضوء

يتحسس السمك للضوء بعينيه وبقعـة حساسة للضوء . هـذا وان طبيعة تركيب العين وعملها يتقرران وفقا لنوع الاضاءة المتوافرة في بيئة معينة .

وتتأثر العيون بنوعية الاضاءة فتغير الاسماك من لونها وفقا للون الخلفية المتواجدة حولها . ومن امثلة التلون تلك التي تحصل في حال تجمع الاسماك في أفواج بحيث يساعد اللون الناتج بغية الاسماك عـلى اللحـاق بالفـوج والتوجه توجها صحيحا .

ويؤثر الضوء على نمو السمك كما يحدث في حالة تأثيره على نضوج الغدد التناسلية لدى الاسماك •

وحتى ان بعض الاسماك الموجودة في اعماق المحيطات ماتت مضيئة هي بذاتها •

الحساسية تجاه الصوت

يمكن للسمك أن يحس بصوت ذي توتر مقداره من خمسة الى خمسة وعشرين هرتز وذلك عن طريق الجهاز الخطي الجانبي السالف ذكره • أما الوترات الصوتية من ست عشرة الى ثلاث عشرة الف فتستقبلها أعضاء سمعية خاصة •

وتستطيع بخض الاسماك احداث أصوات خاصة وقد تقوم العوامة السمكية باحداث مثل هذه الاصوات عن طريق العضلات المحيطة بها في بعض الحالات •

ان هذه التطورات لها مبرراتها الهامة خاصة تلك التي تتعلق ببعض حالات السلوك الحيواني ، فمثلا تحدث بعض الاسماك أصواتا اثناء وضع بيوضها •

الكهربائية لدى الاسماك

هناك تيارات كهربائية طبيعية ضعيفة في البحر تنتج في جزء منها عن طريق المغناطيسية الارضية ، وفي أجزائها الاخرى عن طريق الاشعاعات الشمسية •

ان الكثير من الاسماك قادرة على احداث شحنات كهربائية وعلى ايجاد حقل كهرمغناطيسي حول أجسامها • وتكون الشحنات على نوعين : قوية وضعيفة • أما القوية فهي للهجوم والدفاع • وأما الخفيفة فهي لاعطاء الاشارات • وتستطيع اعضاء اللمس لدى الاسماك تقدير هذه الشحنات وتحريها •

ان رد الفعل الاول الذي تبديه السمكة تجاه التيار الكهربائي هو في أن السمكة تضع نفسها في محازاته ومن ثم فانها تدير برأسها نحو القطب الموجب للتيار وتسبح باتجاهه ، وأخيرا فانها تموت نتيجة لتشكل مواد سامة في الدم (الاستيلكولين) . ولهذا فان الصيد بالوسائل الكهربائية يعتمد على توجيه حركة الاسماك باتجاه وسيلة الصيد ، او ان التيار يستعمل لاحداث صدمة كهربائية تقضي على الاسماك مباشرة .

أثـر الذرات المعلقة (Suspended particles)

ان الذرات العالقة في الماء ذات تأثير كبير على السمك لانها تساهم في تعكير الماء اذا ما ازدادت نسبة تركيزها . وأعظم تلك الآثار تظهر عندما تصل كمية الذرات الى أربعة بالمئة من حجم الماء .

وللذرات المعدنية تأثير ميكانيكي على تصرفات الاسماك . ففي حال انتشار هذا النوع من الذرات ، تعمد السمكة الى تصغير حجم أعينها ، وفي المياه العكرة تفرز الاسماك مخاطا يرسب الذرات بسرعة وبذلك تتمكن السمكة من أن تكون محاطة بوسط صاف على الدوام .

ان الاسماك من نفس الفصيلة قد تختلف في تلاؤمها مع البيئة . والتلاؤم لا يؤدي فقط الى تعديلات شكلية ولكنه يتعدى ذلك بتأثيره على السلوك التناسلي . فمثلا ، تكون بيوض الاسماك ، التي تطرح بيوضها في أماكن التيارات السريعة ، من طبيعة لاصقة . كما تعمد أنواع اخرى من الاسماك الى دفن بيوضها تحت الرمال .

* * *

المراجع :

Gray, J. 1957. How Fishes Swim. SC. Am. Aug.

Nikolsky, G. V. 1963.The Ecology of Fishes. Academic Press, London and N. Y.

Weatherly, A. H. 1972, Growth and Ecology of Fish Populations. Academic Press, London and N. Y.

علم الجمال

وإسهام البلاد العربية والإسبانية في نشوئه وتطوره

بقلم: بشير زهدي

— ٢ —

وتجسد المفاهيم الجمالية عند صناعها المبدعين ومستوى ذوقهم الفني ومهارتهم اليدوية وخبرتهم المهنية ... وتؤكد من جديد مدى اسهامهم في اغناء التراث الفني والممتلكات الثقافية .

١٤ — وتذوق الانسان جمال أزهار الطبيعة في البلاد العربية والاسبانية، وانتشرت شهرة (الحدائق المعلقة) البابلية في الآفاق . وارتبطت أهمية الورود والازهار بحياة الانسان ومختلف مناسباته الحياتية وأعياده المختلفة . وبدت زهرة (اللوتس) في صور الحدائق على جدران المدافن المصرية ، وبلغ شغف قدماء المصريين بجمال الورود والازهار درجة جعلتهم يستوردون الغريب منها من النوبة والسودان . وأخذ الفنانون يتفنون في تمثيل الورود والازهار على تيجان الاعمدة والمنحوتات والرسوم الجدارية المختلفة .

وتأثر فنان (أوغاريت) الكنعانية بجمال الورود والازهار فجعل أحد مشاهد خلفية العرش الملكي العاجي يمثل **(ربة تمسك بيدها زهرة اللوتس)**. وكانت زهرة (السوسن) في سورية من الصادرات السورية الى مصر . واتخذ الفنان التدمري لمنحوتة (عشتار وتيكه) التدمرية اطارا جميلا مؤلفا من وحدات متكررة تمثل اغصان وعناقيد العنب وهناك منحوتات تمثل أشجار النخيل وقد عثر على منحوتة تمثل (ربة النصر تحمل بيمناها سعفة النخيل) والجدير بالذكر ان سعفة النخيل هو من التأثيرات الشرقية في الفنون اليونانية .

وان ما تمثله لوحات فسيفساء الجامع الاموي بدمشق من حدائق غناء وجنات تجري من تحتها الانهار تدل على مدى اهتمام ذلك الفنان العربي في

تمثيل طبيعة بلاده وتذوقه جمالها ورغبته في محاكاتها ٠ وليس هناك من يجهل أهمية (وردة دمشق) الشهيرة التي انتقلت الى اوروبا في فترة الحروب الصليبية ، فذاعت شهرتها لما تتميز به من جمال اللون ورقة العبير في عصر اعتبرت الورود والازهار فيه رمز الفرح ودليل الرقة كما اعتبرت عطورها مصدر سرور ٠

١٥ ــ اما فيما يتعلق بالفكر الجمالي ، فان (لوقيانوس السميساطي الفراتي ١٢٥ ــ ١٩٠) يعتبر في طليعة من تحدث عن الفن وتاريخ الفن والنقد الفني وقضايا الجمال ٠ كان أهله يطمحون ان يكون نحاتا لما كان لهذا الفن من أهمية تعود على صاحبها بربح كثير ، ولكن (لوقيانوس) كان يشعر بميل الى دراسة الادب ، فاطلع على تراث الاغريق ، وأخذ يتجول ويحاضر في عدد من بلاد العالم القديم في آسيا الصغرى ومكدونيا واليونان وايطاليا وفرنسا ٠ ومن المؤلفات القيمة الاثنين والثمانين المنسوبة اليه كتاب (المحاورات) ٠ وذكر (اميل جيميه) كيف كان (لوقيانوس) يعلم الشباب فن الكلام ، ويعتقد بأن جمال المكان والصدى في القاعات الجديدة من شأنه ان يسهم في جمال الخطاب ونجاح مهمة الخطيب او المحاضر ٠

كان (لوقيانوس) ناقدا فنيا ، وصف لوحة الرسام الاغريقي (زوكسيس) بعدما شاهد نسخة عنها في أثينا ، واعتبر اعجابه الشديد بها مما سهل عليه وصفها وصفا دقيقا ٠ وقال بأن بقية النواحي الجمالية فيها لا يستطيع اي كان معرفتها كدقة الرسم ، وانسجام الالوان ، وأثر النور والظل ، والتناسب وغيره فانه يترك مديح كل هذا لابناء الرسامين الذين عليهم مهمة فهمها ٠ ولكن هذا الكلام اعتبر تواضعا منه وذلك بعدما شرح تفاصيل اللوحة بطريقة تدل على ثقافته الجمالية ونظرته النقدية ٠

وكان (لوقيانوس) عندما يتحدث عن تمثال من ابداع (فيدياس) أو (براكسيتيل) يلاحظ تأثره به وغبطته الجمالية بشكل يجعل الجميع يشاركونه اعجابه به وتذوقه لذلك العمل الفني ٠ واكد (اندره ريشار) ان منهج التشابه ادى الى الوصف الادبي وانه منذ (لوقيانوس) حتى (تيوفيل جوتييه) كان

وصف الآثار الفنية معمولا به في تجربة نقدية .

وكان (لوقيانوس) كتب عن (فن الرقص الشعبي) وزودنا بمعلومات علمية وآراء جمالية تدل على مدى اهتمام مجتمع ذلك العصر بهذا الفن ، وشروح فائدة الرقص الشعبي الذي يجعل المحاربين جريئين وسريعي الحركة . وان (اللاكيديمونيين) كانوا يذهبون الى الحرب على صوت المزمار ، ويسيرون لخطوات منتظمة . وان شبابهم كانوا يتعلمون هذه الرياضة كما يتعلمون على الاسلحة ، وانهم عندما كانوا ينهون صراعهم بالايدي ويضرب بعضهم بعضا كان تمثيل هذه الحركة ينتهي برقص شعبي فيجلس نافخ المزمار في الوسط ويتخذ الشباب في سيرهم كل أوضاع المحاربين ... وتحدث (لوقيانوس) عن (رقصة الطوق) التي تعتبر بمثابة (باليه) للشباب والشابات يتخذ فيها شكل طوق وتبدأ بقفز الشباب بالشكل الذي سيقوم به في الحرب . وكانت (رقصة الطوق) تمثل القوة مع التواضع . وبلغ من اعجاب (لوقيانوس) بفن الرقص درجة جعلته يعتبره ليس أحد الفنون السهلة وانما كنوع متمم لعلوم الموسيقا والايقاع والهندسة ... يطبع العادات ، ويسمو بالعواطف ، وان له صلة بفن الرسم والنحت ، ويقلد النسب الموفقة فيهما ... واعتبر ثقافة الراقص لا نهاية لها ، وان دماغه بمثابة مكتبة عليها ان تضم كل القصص والاساطير والتواريخ . وملأ (لوقيانوس) صفحات حول المواضيع التي يستطيع الممثل ان يقصها بواسطة الحركات والاوضاع المختلفة، وذلك بعدما ذكر الخصائص الواجب توفرها في الفنان الراقص من جمال وحركة وقوة ورشاقة . وانهى الى القول بأن (فن الرقص أجمل الفنون) . وتحدث (لوقيانوس) عن المواضيع المصورة التي كانت تزين جدران قصور وفيلات (بومبيي) الايطالية قبل اندلاع بركان (فيزوف) الذي هدمها وقضى على روائعها الفنية مما جعل (لوقيانوس) من أوائل من تحدث عن (تاريخ الفن) و (النقد الفني) و (قضايا الجمال).

ويعتبر الفيلسوف الحمصي (لونجينوس) من أعلام رجال الفكر الجمالي ، ينسب اليه كتاب (في السمو)

١٦ ــ واذا كان (ديدرو) اعتبر الاشياء التي نتحدث عنها بكثرة هي

الاشياء التي نعرفها أقل من غيرها وذكر مثالا على ذلك لفظ (الجمال) فاننا نجد عند قدماء المفكرين العرب محاولات في تحديد معنى (الجمال) (والحسن) و (الملاحة) • وقد استنتج الدكتور اليا في معنيين للجمال عند العرب هما : ١ ـ معنى عام : يتعلق بأنواع مختلفة للمحاسن ، منها الملاحة وتقترن بها الحلاوة ، ومنها الروعة ••• ٢ ـ ومعنى خاص : هو التناسب التام الممتع •

وكان (ابن حزم) حدد معنى ١ ـ الحلاوة بدقة المحاسن ، ولطف الحركات ، وخفة الاشارات ، وقبول النفس لاعراض الصور ••• ٢ ـ ومعنى الروعة ببهاء الاعضاء الظاهرة ••• ٣ ـ ومعنى الحسن : بأنه شيء ليس في اللغة اسم يعبر عنه ، ولكنه محسوس في النفوس •

وهناك من اعتبر (الصباحة) في الوجه ، و (الاضاءة) في البشرة ، و (الجمال) في الانف ، (والحلاوة) في العينين ، و (الملاحة) في الفم ، و (الظرف) في اللسان ، والرشاقة في القد ، و (اللباقة) في الشمائل ••الخ•

واعتبر الدكتور (جميل صليبا) الجمال صفة تلحظ في الاشياء ، وتبعث في النفس سرورا ورضى دون تصور ، ويحدث في النفس تسمى بعاطفة الجمال ، والجمال مرداف للحسن ويفيد معنى التناسب •

ورأى الدكتور (عادل العوا) ان الجمال بالمعنى الذائع هو (انتظام الاشكال الحسية وتناغمها وانسجامها ؛ وينطلق ادراكه من الحواس ، ولكنه يقوم بالاعتماد على الذهن والفكر من أجل تقدير النسب والاشكال المتناسبة والصور المنسجمة والالوان المتناغمة وهي كلها تخلق الشعور البديعي ، وتثير العاطفة الجمالية في النفوس •••) ولكننا (اذا نظرنا الى الجمال بالمعنى الاصطلاحي ، ألفينا نعت الجمال يصف كل ما هو مرتب منظم يتفق مع القاعدة ، أو يتسق مع المثل الاعلى ، وبهذا المعنى تتحدث عن الجمال الاخلاقي •••) •

ونجد في الشعر العربي ما يشير الى (روحانية الجمال) وفي ذلك أنشد الشاعـر :

صونى جمالك عنـا اننـا بشر   من التراب ، وهذا الحسن روحاني

١٧ ــ وأثار موضوع (طبيعة الجمال) خلاف المفكرين الجماليين الذين انقسموا الى اتجاهين فكريين أحدهما (ذاتي) والآخر (موضوعي) .

اعتبر أنصار (المذهب الذاتي) الجمال ظاهرة نفسية وخبرة ذاتية ، وان الشيء يكون جميلا عندما نراه بمنظار الجمال ، لان الجمـال موجود فـي شعورنا ، وفي ذلك أنشد الشاعر (ايليا أبو ماضي) :

والـذي نفســه بغـير جمـال   لا يرى في الوجود شيئا جميـلا

كما ردد قائلا :

أيهـا الشاكـي ومـا بـك داء   كن جميلا تـر الوجود جميـلا

واعتبر المفكر (سلامة موسى) الجمال ظاهرة ذاتيـة ، وان الانسان لا يستجمل العالم وكائناته الا بمقدار ما في نفسه من جمال ، وان أجملنـا نفسا هو أكثرنا استمتاعا وتذوقا .

أما أنصار (المذهب الموضوعي) فقد اعتبروا الجمال قائما بذاته ، ولـه كيانه المستقل ، وموجود خارج النفس الشاعرة مما يؤكد تحرر الجمـال مـن التأثر بالمزاج الشخصي . واعتبر (زكي نجيب محمود) من الذين تجاوبوا مع هذه التيارات الفكرية الجمالية الحديثة التي ارادت أن يكون علم الجمال علما موضوعيا قائما بذاته .

وكان الاستاذ (أحمد حسن الزيات) رأى ان الخصائص المميزة للجمال هي : ١ ــ القوة ٢ ــ الوفرة ٣ ــ الذكاء . فالقوة هي شدة العمل وحدتـه ، والوفرة هي كثرة الوسائل وخصوبتها والذكاء هو الطريقة الرشيدة المفيـدة لتطبيق هذه الوسائل ...

واعتبر (ماهر كامل) للجمال جانبا موضوعيا قائما بذاته ، وجانبا ذاتيا يؤثر في احساسنا بالجمال الذي يقدم عناصره كلها من الطبيعة والمجتمع •

١٨ ـ وكان الجماليون تساءلوا عن صلة الجمال بالحق والحقيقة ، وما هو الصدق الذي ينشده الفنان في عمله الفني ؟ وهل يتجرد الشيء من الجمال اذا تجرد من الصدق ؟

ان (الجمال هو روعة الحق) وان (من الجمال ان نحكم الحق) وان (الفن بمثابة اسهام في الحقيقة العامة التي على الفنان ان يعبر عنهما وعن وحدتها بانسجام الخصائص والنهائية بالجمال) • وان (هدف الفن هو التعبير عن الحق والحقيقة) • ونحن في تراث الفكر العربي آراء كثيرة تعتبر (خير الشعر ما كان مطابقا للصدق وموافقا للوصف) وفي ذلك قول الشاعر :

وان أحسن بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وذهب بعض الجماليين الى القول بأن الصدق الفني الذي ننشده في الفنون ليس صدقا تاريخيا •••) (و لايمكن أن يكون الجمال هو المحاكاة الصادقة) او ان (الصدق الذي ننشده هو صدق الشعور) • وهذا ما يذكرنا بتصوير الشاعر ابي فراس الحمداني حالته النفسية بقوله :

هو في الروم مقيم وله بالشام قلب

وذكر (ابو هلال العسكري) في كتاب (الصناعتين) انه قيل لاحد الفلاسفة لان فلانا يكذب في شعره ، فأجابه : يراد من الشاعر حسن الكلام ، والصدق يراد من الانبياء •

١٩ ـ واعتبر المفكرون الجماليون مفهوم الجمال مطابقا لمفهوم الخير ، وان الجمال الحقيقي هو جمال الخير ، واذا كانت حاسة البصر تميز جمال الاشياء المرئية كما تميز حاسة السمع جمال الاصوات المسموعة ، فان (حاسة الانسان الخلقية تميز الافعال الخيرة) وبلغ الامر ببعضهم درجة جعلتهم يعالجون مواضيع الفن وكأنها جزء من (علم الاخلاق) أو يعالجون

مواضيع علم الاخلاق كأنها فرع من (علم الجمال • ونجد في تراث الفكر العربي ما يؤكد صلة الجمال بالخير • وقد أنشد (المتنبي) :

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن في فعله والخلائق

ففي حب الفضيلة ما يدل على جمال الروح ، وان النفوس الجميلة خيرة دائما • (والاحسان صورة نفسية للجمال) لهذا فان النفوس الجميلة تحب الخير وتقوم بالاحسان لكل انسان وفي كل مكان ، وفي ذلك أنشد الشاعر :

بث الصنائع لا تحفل بموقعها من آمل شكر الاحسان أو كفرا

فالغيث ليس يبالي أينما انسكبت منه الغمائم تربا كان أو حجرا

واعتبرت رؤية الجمال كانعكاس للجمال الروحي ، وفي ذلك يقول الشاعر (ايليا ابو ماضي)

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا

كما نجد جمال فضيلة الصبر في قول (أبي فراس الحمداني) :

أوصيك بالصبر الجمي ••• ••• ل فانه خير الوصية •

٢٠ ـ وذهب بعض المفكرين الى توضيح علاقة تقدير الجمال برقي السلوك الانساني ، وان الاحساس بالجمال يسهم في التربية الاجتماعية ، كما أن التربية الاجتماعية تسهم في تقدير الجمال ، وان من مهمات (علم الجمال) ان يجعل منا بشرا أرقى أخلاقيا ، وأفضل اجتماعيا وذلك لما للجمال من أثر فعال في النفوس وتربيتها مما جعل بعض المفكرين يعتبرون (علم الجمال أعظم مرب للانسانية) • فجمال الاناشيد يوحد مشاعر المواطنين ويحدد أهدافهم لسعادة مجتمعهم الانساني ، واعتبر الشاعر (الزهاوي) حفظ الاخلاق من مهمات فن الشعر ، وفي ذلك يقول :

ويحفظ الاخلاق أن تمسها يد العطب

وقد بلغ اعجاب (عمر بن الخطاب) بلامية العرب للشاعر العربي (الشنفري ـ ٥١٠ م) درجة جعلته يقول : (علموا أولادكم لامية العرب فانها

تعلم مكارم الاخلاق) مما يؤكد مسؤولية المفكر والاديب والشاعر والموسيقار والتزامهم ...

٢١ ـ وبحث الجماليون في صلة الجمال بالسرور الجمالي الذي يثيره نتيجة تأثيره في العقل بواسطة الحواس الراقية (السمع والبصر) التي تنقل الى المراكز العصبية كل التأثيرت لتي يحدثها التأمل في اللون والشكل والهيئة والحركة والسماع ... الخ . ويرافق هذه التأثيرات شعور بلذة جمالية أو سرور جمالي ينتج عنه انشراح . وان علم الجمال يبحث في هذه الاحساسات الجمالية مما جعل بعضهم يعتبرون (علم الجمال) علم الشعور والانفعالات .

واعتبرها (اخوان الصفا) كلها (لذات تجدها النفس بتوسط الجسد مرتين احداهما عند مباشرة الحواس لها ، والاخرى عند ذكرها بعدها) . وذكروا مثالا على ذلك : (اذا رأى المرء وجها حسنا او زينة من محاسن الدنيا ، فان النفس تجد عند رؤيتها لها سرورا ولذة ثم اذا غابت عن رؤية العين بقيت رسوم تلك المحاسن مصورة في فكر النفس ، وكلما لمحت هي لذاتها ونظرت في جوهرها رأت تلك الرسوم المصورة في فكرها ، فسرت بها والتذت ، وتذكرت تلك المحسوسات التي انطبعت فيها من هذه الرسوم ...)

فالمتعة الفنية الصافية تصل باللذة الجمالية او السرور الجمالي الى درجة من درجات التجلي والاشراق وذلك عندما يستمتع بالجمال لا بالحس وحده بل وبالقلب أيضا .

٢٢ ـ واذا كان الادراك الصوفي يسقط الحاجز الفاصل بين الذات والموضوع ، فان الادراك الجمالي احساس ينكشف لنا من خلاله معنى الموضوع الجمالي بما فيه من اتحاد وثيق بين المادة والصورة ونجد في أقوال الصوفيين الاسبانيين (القديسة تيريزا دافيلا) والقديس (يوحنا دولاكروا) آراء جمالية ورؤى بديعة . (فالفن أفضل المناسبات لاظهار الضياء وحقيقة المعنى السامي) وان (الطبيعة معجزة الخالق الالهي) وان (الغبطة الصافية خاصة بالنفوس المقدسة) وان (الروح روضة حب) و (عندما تناجي الروح الخالق العظيم يبدو لها الكون كجمال الخالق) و (الصورة مثيرة ومنبهة

للفكر الثقافي) ••• وكـان القديس (اوغسطين) التوني اعتبـر جمال نفس الانسان الذي ينتقل الى يديه الماهرتين هو من الجمال الاسمى الـذي تحـن اليه نفوسنا ليلا نهارا ، وان التعساء يفتنون بالملذات الحسـية ، ولا يرون حقيقة النور الذي يضيء كل انسان في هذا العالم •

وتميز الادب العربي الصوفي بجمعه جمال الحقيقة مع روعة الخيـال ، وهو يفيض بآراء جمالية وأفكار بديعية • لقد قامت الصوفية عـلى الـذوق الذي يعتبر أساسا هاما للابداع ، وتميز الصوفيون برقة الحس ، واعتبـروا الجمال بمثابة نفحة من النفحات الالية ، وان الاحساس بروعة الجمال سبيل من سبل تهذيب النفس وسمو الوجدان ، ونتيجة من نتائج رغبة الانسان فـي معرفة الكمال ، وظمئه الى الكشف عن السر الابداعي الاول ••• كل ذلـك جعل المتصوف يرى الوجود بمثابة لحن الهي •

وتغنى الصوفيون بأشعار عبروا بها عن جمـال الآفـاق الروحيـة ؛ واستخدموا المرئيات كشارات حقائق ، واتخذوا الجمـال المحسوس لاهداف روحية وأغراض وجدانية • وينسب الى (رابعة العدوية) قولها :

يـا عاذلي اني أحـب جمالـه تالله مـا أذنـي لعذلك سامعـه

والجدير بالذكر أن (رابعة العدوية) كانت تحيا حياة روحية جعلتها ترى الحياة كلها جمالا ونورا ومحبة ، واتجهت في سبل الايمان لتصل الى ريـاض الجمال ، فتحسست بوجودها في فردوسها الروحي ، وأخذت ترى فـي كـل شيء جمال الخالق وكماله بعدما ملأ حبها الالهي كل وجودها • وينسب اليهـا قولهـا :

حيثمـا كنت أشاهـد حسنـه فهـو محرابـي اليـه قبلتـي

وتدل الدراسة المقارنة بين (القديسة تيريـزا) الاسبانيـة و (رابعـة العدوية) المسلمة على ان التصوف تجربة روحية ، والتجربة شعور ، والشعور الصوفي نبع متدفق من عالم الجمال والكمال •

وأبدع الصوفيون في التعبير عن جمال المعاني والصور بألفاظ حسية ، وأسلوب رمزي جعل تعابيرهم فنا طريفا في التصوير . ففي (ترجمان الاشواق) للشيخ (محي الدين بن العربي) تصويرا رقيقا لحيرة العاشق ، وفي ذلك ينشد :

ليت شعري هل دروا أي قلب ملكوا ؟
وفؤادي لو درى اي شعب سلكوا
أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا ؟
حار ألباب الهوى في الهوى وارتبكوا

٢٣ ـ واعتبر بعض الجماليين الجمال يعتمد على الحب كما يعتمد الحب على الجمال ، وتنسب للشيخ محي الدين قصيدة ينشد في آخرها :

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه ، فالحب ديني وايماني

ويعتبر الادب العربي في مقدمة الآداب التي تطرقت الى موضوع الجمال والحب العذري وكان وفاء الشاعر في ذكر حبيبة في الغدو والآصال ، والحل والترحال ، والنوم واليقظة ، والشدة والرخاء ، والوصال والجفاء ، وكان يصف الحبيبة كجمال كامل برقة في اللفظ ، ودقة في التصوير ، وبلاغة في التعبير ، وغنى بالخيال ، فكانت أشعاره تنبع من حس مرهف ، وتفيض من قلب مسه جناح الحب العذري ، وتنساب في قصائد رقيقة تعبر عن صبابة الهوى ، وتصور حرقة الهيام . وفي ذلك أنشد (عنترة بن شداد ٥٢٥ ـ ٦١٥) قائلا :

أعاتب دهرا لا يلين لناصح وأخفي الهوى في القلب والدمع فاضحي

وكان (عمر بن أبي ربيعة) تحدث عن المرأة ومحاسنها ، وزينتها واغرائها وفتنتها وأنوثتها ... فكان في ذلك بمثابة المصور البارع في رسم أجمل صور الحسن والجمال النسائي . وقد عبر عن ولعه برؤية الجمال ، وتميزت رؤيته الجمالية بطابع التجرد وفي ذلك أنشد :

اني امرؤ مولع بالحسن أتبعه لا حظ لي فيه الا لذة النظر

وعبرت (ليلى الاخيلية) عن جمال الوفاء بقولها :

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليل

ونجد في قول (مجنون ليلى) أجمل وصف لحب قدر لغيره :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير (ليلى) ابتلانيا

٢٤ ـ ورأى الدكتور (زكي نجيب محمود) وحدة الحقيقة الانسانية . وان بخيل (الجاحظ) كبخيل (موليير) ، صورة انسانية لا تقيدها قيود اللغة التي رسمت بها ، ولا الاوضاع الاجتماعية التي نشأت في ظلها . كما ان (قيس) هو (روميو) ، وتبدو (ليلى) و « جولييت » كأختين في المصير . وان للامام (الغزالي) اعترافات ، وللقديس (اوغسطين) اعترافات ، وكلا المتصوفين يصدقان القول كيف أوشكا على الضلال قبل أن يتجلى لهما (جمال الهوى) ، ورأى ان على الفنان (مخاطبة الحقيقة الانسانية في صميمها) . واعتبر التفاهم سهلا بين الجميع وهم في (دولة الفن) .

٢٥ ـ ان جمال الآثار المكتشفة يؤكد ادراك أولئك الفنانين صلة الجمال بالتناسب ، وان الجمال يعتمد على نسق معين وكم محدد ، ويقوم على نوع من العلاقة بين الابعاد والمقاييس وحجم الشيء . وان الفن بمثابة تأليف بين أصوات منسجمة وأبعاد متناسبة .

وقد اكتشف في (تل حرمل) في العراق رقيم يتعلق (بتشابه المثلثات) مما يؤكد مدى اهتمام قدماء سكان بلاد ما بين النهرين بالرياضيات . واذا كان (الفيثاغوريون) فسروا الكون بأنه نغم وعدد ، وان للكون وجها كميا هو العدد ، ووجها كيفيا هو النغم فان (اخوان الصفا) اهتموا بالبحث في العدد وقيمه وخواصه وخصائصه لما للعدد من مقام خطير في فلسفتهم وثقافتهم الجمالية . كما نجد عند (الفارابي) صلة الجمال الموسيقي بالقيم العددية ، وفي عصرنا الحاضر اهتم بهذا الموضوع (ميخائيل خليل الله ويردي) في كتابه القيم (فلسفة الموسيقى الشرقية) .

٢٦ ـ واهتم الجماليون بدراسة صلة الفن بعلم النفس والعلاقة بين ما يبعث السرور الجمالي والتكوين الفسيولوجي والنفسي للمرء . وقد تحدث (اخوان الصفا) في الرسالة الرابعة من رسائلهم عن موضوع (النغم والالحان الموزونة التي لها تأثيرات في نفوس المستمعين لها كتأثير الادوية) . وتحدث (التوحيدي) في كتابه (المقايسات) عن (السماع والغناء وأثرهما في النفس ...) وأدرك الفنان المرحوم (أدهم اسماعيل) الدلالات النفسية للالوان . واذا كانت الالوان مواد خام فانها بالنسبة للمشاهد المتأمل مثيرات . فالاحمر يقترن بلون الدم ، ولاقترانه بلون الورود والشفاه والخدود كان له اثر في اثارة الغرائز . ويخشى هذا اللون ذوو المزاج العصبي السريع الانفعال لما له من أثر خفي في حياتهم اللاشعورية واحياء حالاتهم النفسية الباطنية ؛ ولهذا اللون أثره في اثارة الثيران .. الخ كما يقترن اللون الاصفر بنضوب الدم ويتمثل في أوراق الخريف اليابسة وحالات المرض لهذا يثير في النفس حالات مماثلة من الشعور بالضعف في حين أن اللون الازرق هادىء يمثل صفاء السماء والماء والسعة والعمق مما يجعله يثير في النفس هذا الشعور . وما يقال عن الالوان يقال أيضا عن الخطوط والزخارف والالحان . وتذكر كتب التاريخ قصة (الفارابي) وقوة ألحانه في التأثير في نفوس مستمعيها باضحاكهم أو جعلهم يميلون الى النوم ... الخ كما ذكر (محي الدين بن محمود اللازقي) ان من الالحان ما يؤثر في النفس الانسانية قوة وشجاعة وانبساطا تاما . ولا شك ان المواضيع الموسيقية المكتشفة في العراق وسورية ومصر تؤكد أهمية الموسيقا ودورها الاجتماعي منذ أقدم العصور . وان لوحة الفسيفساء المكتشفة في بلدة (مريمين) والمحفوظة حاليا في (متحف حماه) وما تمثله من مشهد موسيقيات مع آلاتهن الموسيقية المختلفة من صنجات وطاسات واورغن ... قد زودتنا بمعلومات هامة عن كيفية استخدام (الاورغن) . كما ان الرقيم الطيني المكتشف في (اوغاريت) الكنعانية وما يمثله من رقم طينية مكتشفة في العراق تدل على مدى اهتمام القدماء بالتدوين

الموسيقي • وينسب الى (ابن ريحان الرهاوي) وضعه علم الترانيم وادخاله الموسيقا الى الكنيسة وتأليفه أناشيد ذات ألحان مطربة كانت تثير السرور بانشادها من قبل فتيات مدينة (الرها ـ اديسا) وفتيانها •

٢٧ ـ وتذكر كتب الادب مجالس الادباء والشعراء واسهام المرأة في عالم الشعر والنثر • وان الشعراء كانوا يتفننون بمجالس الشاعرة (ولادة بنت المستكفي بالله ـ ١٠٩١) التي كان (ذكاؤها يضيء كل مجتمع ، وكانت بمثابة صاحبة مدرسة جمالية في الادب النسوي وتفتح امام السامع عالما من الجلال والجمال •)

٢٨ ـ واعتبر الشاعر العربي كل شيء فان وان الخلود للابداع ، وبهذه النظرة العدمية يقول :

يهرم الدهر ، وهو غض ، وتبلى جـدة الدهر ، وهـو زاه نضير

٢٩ ـ واذا كان الضحك من القيم الجمالية ، فان (الجاحظ) يعتبر بمثابة (أمير الضحك) كما يعتبر (ابن رشيق) في مقدمة من تحدث عن (النقد الادبي) •

٣٠ ـ وتابع المفكرون العرب والاسبانيون اسهامهم في تطور علم الجمال في القرن العشرين وقد خصص الاستاذ (ريمون باير) فصلا خاصا لاساتذة علم الجمال في اسبانيا مثل (اورتيجاي جاسيت ١٨٨٣ ـ ١٩٥٥) الذي (اعتبر الترجمان الاستطيقي هو المجاز ، وفي المجاز تصطدم حقيقتان وتتنازعان البقاء وتحصل على صقور عجائبية لا توجد في عالم آخر ، وان الشكل الكامل للهروب يوجد في الفنون الجميلة التي أحسنها هو المسرح في أوقات نجاحه ، وان الانسان مرتبط بشكل خاص بالحياة والعقلانية •••)•

وكانت أعمال هذا المفكر الادبية والفلسفية طورت مفهوم الحياة والنزعة الانسانية في التاريخ والفلسفة والفن وقد درس هذا المفكر الاتجاهات السائدة في الفن المعاصر وأعرب عن تشجيعه للفن التجريدي •

اما (بينا فينت ١٨٦٦ ـ ١٩٥٤) فكان مفهومه الجمالي ذا نزعة مثالية وطابع تشاؤمي مرتبط بعصره • في حين ان (اوجينو دورس ١٨٨٢ ـ ١٩٥٤) جذبته مفاهيم جمال الشكل التي تستطيع ان تولد طرزا مختلفا • ولاحظ التعارض بين الطراز البراق والطراز الكلاسيكي • فالطراز البراق سجل لسيادة الشكل الذي يقلد منتجات الفكر • وقد عرض آراءه الجمالية والذاتية عن الفن البراق ، واعتقد ان تفتح وتطور هذا الفن هما من منتجات عصور تاريخية مختلفة جدا وفي أماكن متباعدة أحدها عن الآخر ، وهو في العمارة والنحت بل وفي الشعر والعلم والعادات وكل مظاهر الثقافة الاخرى • وفهم هذا الفن كحالة فكر تتميز بالحلولية والدينامية كما فهمه كطراز متصف باستمرارية الاشكال وتعددها •

وكتب (فرانسيسكو ميرابنت ١٩٨٨ ـ ١٩٥٢) رسالة عن (الاستطيقا الانكليزية في القرن الثامن عشر) واعتبر النقد الفني كعلم مستقل متميز ، وان علم الجمال ظهر من تاريخ الفن ، وان الطبيعة كثيرا ما تثير في نفوسنا الفرحة الجمالية ، وان الفن يمكن ان يتفرع من الطبيعة ، واننا نميل الى البحث عن أمثلة في الفن اكثر مما نبحث عنها في الطبيعة وان الجمال يتلقى منابعه الثلاثة : ١ ـ الاعجاب بالمشاهد الطبيعية ٢ ـ الاعجاب بالاعمال الفنية ٣ ـ تحقيق الانسجام الاخلاقي والشخصي والاجتماعي • وان التجربة الجمالية ليست فقط في تأمل شيء جميل او تحقيق عمل فني وانما هي أيضا في ابداع فكرة وبناء طراز ورعاية ايقاع ، والشعور بخفقان ارواح الآخرين •

وفسر الاستاذ (خوزه كامون أزنار ١٨٩ ـ) الاشكال الفنية من وجهة نظر ظاهر فينومينولوجية ، واعتقد بأن الموقف النقدي أمام العمل الفني لا يجب ان يكون جوابا على نية أو غاية ، وانما هو قد جعل لذاته ، واننا عندما نصل الى معنى العمل الفني نصل الى سر لا يمكن سبر غوره • وان الامكان الوحيد لمعرفة العمل الفني هو التعاطف معه • ومن دراساته الجمالية ما خصصه لمفاهيم الجمال عند (الجريكو) و (بيكاسو) و (التكعيبية) • وقد أعطى تعبيرا جديدا لعاطفة التعبير الفني • واعتبر الاشكال لا تشاهد بحسب السطح وانما بحسب المكان وليس بحسب الزمان التاريخي والدائري

وانما بحسب الزمن الداخلي الذي هو أصل الاشكال واشتهرت نظريته عن (التفسير الزمني للفن) • وفسر الفن غير التمثيلي في عصرنا الحاضر بالذاتية المطلقة • وان كل كائن يحمل معه سطحه وزمنه ومسافته وبعده •

واعتبر الاستاذ (خوزه ماريا سانتش دو مونيان ١٩٩٠ ـ) من أنصار التعاطف الصوفي • اعتبر الطبيعة كوحدة استطيقية لعالم يحيط بنا ، وحدد تعريف المنظر الطبيعي كرؤية جزئية او تحليلية للطبيعة • وان التأمل في الطبيعة ليس حادث حواس فقط وانما هو أيضا حادث فكري روحي • وان هناك نوعا من التعاطف واللطف بين المتأمل والطبيعة ، واعتقد بوجود تناظر بين الحياة الاستطيقية والصوفية • وعرف (ماريا فالفيردي) بكتاب عن فلسفة الحوار ودراسة عن (فرلين) والاسهام في اعمال المجلة الاسبانية

واشتهر (كارلوس بوزونو) كنا قد فني • واشتهر (فرمان دو اورميتا) بدراسته في (تاريخ الاستطيقا) والموقف الجمالي لبعض الكلاسيكيين الاسبانيين ولا سيما (لويس بيبس) الذي كان يعتبر (الجمال من اتحاد وتناسب الاجزاء) • وفي مقاله عن (مفاهيم الذوق والفن) حاول اعطاء أساس مزدوج للاستطيقا أحدهما ذاتي والآخر موضوعي •

واهتم الاستاذ (داماسو آلو نسو) بعلم الجمال الادبي ، واعتبر العمل الفني كعالم مغلق ، ووجد علاقة الشكل بالمضمون علاقة جدلية فاعتبر كمفكر جمالي جدلي •

ان اهتمام الاساتذة الاسبانيين بدراسات علم الجمال جعل الاستاذ الفرنسي (ريمون باير) يقول : ان القرن العشرين يسجل لاسبانيا انطلاقة هامة في مجال الاستطيقا ، وظهور المذاهب الفنية والفكرية المختلفة •

كما أسهم الاساتذة العرب في تطور علم الجمال في القرن العشرين حتى يمكن القول بظهور مكتبة جمالية ضخمة تمثل احد ميادين النهضة العربية المعاصرة • ويعتبر (العقاد) في طليعة المهتمين بفلسفة الفن وعلم الجمال في

القرن العشرين في القطر المصري اعتبر الجمال والحرية شيئا واحدا ، وان ما نراه يكون جميلا بمقدار ما هو حر ، وهذا ما يفسر جمال مياه الينابيع والانهار ... ووجد في الفنون الجميلة ما يرضي في النفس حاسة الحرية ويتخطى بها حدود الضرورة والحاجة ، ورأى صلة الفن بالحياة عبر الحرية التي هي غاية الحياة وان الشيء لا يكون جميلا الا بقدر ما يستجيب لهذه الغاية التي تنشدها الحياة فالصوت الجميل هو الصوت السالك الذي يصدر عن حنجرة صافية ، والرشاقة تعبر عن تلاؤم اعضاء الجسم مع وظائفها وتأديتها لهذه الوظائف بسهولة .

وحاول (سلامة موسى) فهم الجمال اعتمادا على الطبيعة وتأصيل جذور الفن في صميم الواقع ... وعالج (أحمد حسن الزيات) مفهوم الجمال في الطبيعة والفن والجمال الطبيعي والجمال الصناعي . وتطرق (زكي نجيب محمود) الى موضوع الصورة في الفلسفة والفن وتحليل الذوق الفني ورسالة الفنان . ويعتبر الدكتور زكريا ابراهيم من المهتمين جديا بعلم الجمال ومشكلة الفن .

وفي القطر العربي السوري عالج الدكتور عبد الكريم اليافي موضوع القيم الجمالية وفكرة الزمان والمكان في الشعر العربي والشموع والقناديل في الادب العربي . ولا يتسع المجال لاستعراض جميع أسماء المفكرين الجماليين في الوطن العربي واسهامهم في نشر الثقافة الجمالية وتطور علم الجمال في القرن العشرين وفي مقدمة هؤلاء المفكرين نذكر من القطر العربي السوري السادة سامي الدروبي وعبد الكريم اليافي وعادل العوا وبديع الكسم وجميل صليبا ، وفؤاد مرعي ونايف بلوز والطيب تيزيني ... وغيرهم

ومن القطر المصري السادة زكريا ابراهيم ورمسيس يونان وعز الدين اسماعيل وبدر الدين أبو غازي ومحمد مندور وحسن سليمان وفؤاد زكريا ومحمود البسيوني وغيرهم ... من المفكرين الذين أغنوا ـ مشكورين ـ المكتبة الجمالية العربية ببحوث تعالج مختلف قضايا الجمال والفن نذكر منها : الاسس الجمالية في النقد الادبي ، والاصول الجمالية للفن الحديث ، والنقد

الجمالي وأثره في النقد الادبي وفلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، وجماليات اللون في السينما ، وعلم الجمال في تفسيره الماركي ، وفلسفة الفن في الفكر المعاصر ... الخ .

كما أسهم في تعريب مراجع في علم الجمال من تأليف السادة (اتيين سوريو) و (جان بارتلمي) و (سيجموند فرويد) و (بندتو كروتشه) و (برنار مايرز) و (شارل لالو) و (ليونيللو فيتوري) و « ارنست فيشر » و (جان ماري جويو) و (روجيه جارودي) و (الكسندر اليوت) و « بول فاليري » و (بليخانوف) و (هنري برغسون) و (بارسادا نوف) و « جون ديوي » ... الخ .

والخلاصة : حاولت في هذه الامسية السعيدة ان اذكر لمحة عن (علم الجمال واسهاك البلاد العربية والاسبانية في نشوئه وتطوره) واذا كان بعض المتشائمين يتساءلون بقلق عن مستقبل الحضارة ومصير الانسان والانسانية ، فاننا معشر المتفائلين الجماليين نعمل لمستقبل أفضل وغد أجمل ، ونعتقد بأن مستقبل الحضارة كمستقبل علم الجمال المرتبط بجمال المستقبل .

دمشق — **بشير زهدي**

صراحة بليغة

❋ خرج الشعبي مع ابن الاشعث علي الحجاج ، فظفر الحجاج بابن الاشعث فاستشار الشعبي أصحابه ، فأشاروا عليه بالاعتذار .

قال الشعبي : فلما دخلت على الحجاج خالفت مشورتهم ، ورأيت غير الذي قالوا : فسلمت عليه بالامرة ، ثم قلت : أيد الله الامير ، ان الناس قد أمروني ان أعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ، ولك الله ان لا أقول في مقامي هذا الا الحق : قد جهدنا وحرصنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة، ولقد نصرك الله علينا ، واظفرك بنا ، فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك ، والحجة لك علينا . فقال الحجاج : أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ، ويقول والله ما فعلت ولا شهدت . أنت آمن يا شعبي . فقلت : أيها الامير اكتحلت والله بعدك السهر ، واستحلست الخوف ، ولم أجد من الامير خلفا . قال : صدقت . وانصرف .

اللغة العربية
رابطة الشعوب الإسلامية

بقلم : السيد محمد سعيد العرفي

محاضرة القاها المغفور له العلامة العرفي بالقاهرة ، وهو مفتي دير الزور وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق . والاصح ان نقول انها رابطة الشعوب الاسلامية كما انها رابطة الشعوب العربية .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الاخيار

أيها السادة :

جاءت الشريعة الاسلامية رحمة للبشر عامة شاملة فلم تخص بنور هدايتها أمة دون أخرى ولا دعت شعبا دون آخر ولا خاصة بزمن بل هي خالدة بخلود الدهر ، وليست مختصة في مكان بعينه ولا كانت لاقليم دون غيره فهي ليست مقيدة في موطن ولا محصورة في بلد وانما وطنها الكرة الارضية بأسرها وهذا ما يفيده قول الله تعالى لنبيه « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ١٠٧ سورة الانبياء .

ومما لا نزاع فيه ان هذا الوطن الواسع مشتمل على أمم كثيرة ولغات مختلفة وقبائل متعددة وأقاليم متباينة وبلدان متسعة وارجاء شاسعة ولا بد لهؤلاء طبعا من لغة تجمع هذا المتفرق وتقرب هذا المتباعد وتسهل التفاهم مع جماعات يدينون بدين واحد ويؤمنون بعقيدة واحدة ويصدقون بكتاب واحد ويتبعون رسولا واحدا ، لان معرفة جميع لغات المسلمين لشخص واحد ليست بالامر الهين أو الشيء السهل بل تكاد تكون غير مقدور عليها نظرا لعمر الانسان القصير اذ انه لا يفي بتعلم تلك اللغات كلها تعلم اتقان واحاطة واجادة .

فاختار الشارع لهم لغة واحدة يتعارفون بها ويتفاهمون ، هي لغة عاصمة ذلك الوطن العظيم . اللغة العربية لان العاصمة تكون دائما مبعث الدعوة واكمل امورها وقد كان هذا الدين الانساني العام ابتدأ في البلدان العربية وترعرع فيها ونشأ فيها ثم سطعت شمسه المضيئة على العالم جميعه على أن

الشارع لم ينس مبدأ الدعوة الاسلامية وهي مكة المكرمة فجعل فيها بيته الحرام قبلة المسلمين .

اللغــة العربيــة

اختارها لما تشتمل عليه من البلاغة والفصاحة التي لا توجد في غيرها من اللغات بمقدار تفاوتها فيها ووصولها الى حد الاعجاز ، ولما فيها من التعبير عن الشعور الانساني والامور الذوقية والدقائق النفسية والحقائق المعنوية بصورة بذت غيرها من اللغات فضلا عن امكــان مجاراتهــا او مضاهاتهــا أو مزاحمتها في ميدان هذه الفضيلة .

اللغة العربية هي الجامعة بين انواع التعبير : من شدة وسهولة ، وقسوة ولين ، وايجاز واطناب ، واختصار واسهاب بحيث يقدر العالم بهــا على التفنن في اسلوبه حسب ما يقتضيه الحال : من وعد ووعيد ، وبشارة وانذار ، وزجر والتماس ، وامر ودعاء ، وطلب ورجاء ، ووعظ وتشويق ، وجد وهزل ، وبكاء وضحك ، وتنبه غفلة ، وذكر نسيان ، وصراحة وكناية ، وقصص وحكم وأمثال وغير ذلك .

يظن من لا معرفة له باللغة العربية انها مشتملة حقيقة عــلى كثير مــن المترادفات بصورة قطعية تبعث على اليقين ولا تحتمل الشك فتمشدق بالنقد الباطل وتمحك بالاعتراض الفاسد مع انه لو درى الصواب لعلم انها خلو عــن ذلك كله ؛ وانما هو تباين دقيق افقده مرور الايام وعدم التدوين مكانته تلك ؛ ولم يزل اثر ذلك الفرق الدقيق شاهدا في بعض الكلمات عند البــدو الذيــن لا زالت في لغتهم بقية حافظت على مادة الكلمة وان فسد الشكل وتطــورت اللهجة واعراب الالفاظ .

والسبب في ذلك ان معاجم اللغة لم تشتمل الا على النزر اليسير مــن اللغة العربية لان علماءها لم يفكروا في جمع الكلمات الا بعدمــا دب الفساد في اللغة حتى ان اول كتاب بلغنا انه ألف في اللغة هو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الحميدي المتوفي سنة ١٧٤ هجرية ، ولكن هذا لم يبق لدينا

منه الا تقليده كتاب الجمهرة لابن دريد الازدي المتوفي سنة ٣٢١ هـ الـذي قال في حقه معاصره نفطويه الازدي النحوي المتوفي سـنة ٣٢٣ هـ :

ابـن دريـد بقـرة وفيـه عـي وشـره
ابـن دريـد بقـرة وفيـه عـي وشره
وهـو كتـاب العـين الا انـه قـد غيـره

على ان الجمهرة كان لها من النذور سهم وافر الى ان اكملت حيدر ابـاد الهند طبعها في هذا العام • ثم لم يصلنا من كتب العرب الخلص الاقدمين شيء بل ان الموجود في يدنا معظمه من تأليف الموالي والاعاجم لاعتنائهم بالتدوين احتياجا اليه وتسهيلا لمعرفة اللغة العربية بعد ان كانوا سبب فسادها كما نقله صاحب العقد الفريد عن ابي عبيدة اللغوي سنة ٢٠٩ هـ • قال :

من عبد الله بن الاهتم بقوم مـن الموالي يتذاكرون اللحن فقـال : ان أصلحتموه انكم أول من أفسده •

فريق يناصر اللغة الغربية الفصحى ويعطف عليها ولكنه يعتبرها محصورة في الموجود المطبوع من كتب اللغة كالمصبـاح والصحاح والقاموس واللسان فكل كلمة لا وجود لها في تلك الكتب فانها غير عربية يجب ان تهجر وتلغى ، ويقف عند الوارد حتى انه لو صحت المادة لا يبيح الاشتقاق منها عـلى حسب قواعد الصرف العامة ولا يرضى ان يقع لفظ في موقع آخر •

وهذا رأي يحفظ لنا البقية الباقية من هجمات الاعـداء والمتألبين عـلى اللغة العربية ولكنه يفتح مجالا للطعن فيها واباحة القول : بأن اللغة العربية لا تتسع للفنون الحديثة والصنايع والادوات في حين انهـا اتسعت لكـلام رب العالمـين •

وفريق آخر يعاكسه تماما فهو يريد مسخ اللغة العربية وجعلها ألعوبة بيد خصومها كي يتمزق شملها فتصبح عبارة عن مجموعة لغـات أعجمية وكتلـة رطانة أو بعبارة أصح ان هذا الفريق لهادم لبناء اللغة العربية اذا ما كثر انصاره ومروجوه لا قدر الله تعالى •

وأصوب الآراء عندي مـا كان عـن اعتدال وتوسط فلا يضيع القديم ولا يتقاعس عن افساح مجال للآلات والادوات والعلوم الحديثة اما بإيجـاد مصطلحات توافق الاسلوب العربي وتركيبه واما باستعمال ما صيره الدهـر من المرادفات . لان هذه اللغة العربية القيمة بسبب المزايا التي ذكرناها سابقا قد جعلها الله اللسان العام للذين يدينون بالشرع الاسلامي ويتبعون محمـدا صلى الله عليه وآله وسلم .

لذلك اوجب الله تعلم جزء منها على جميع المسلمين وهذا يدلك على ان لها مكانة سامية عند الشارع ولقد بلغ من اهتمامه بها ان افترض لاجلها قراءة القرآن في الصلوات الفرائض والمندوبات ومن المعلوم ان القرآن لا يصح ان يقرأ بغير اللغة العربية كما ان مما لا يجهله أحد ان كـل مسلم عاقل بالغ تجب عليه الصلاة لا فرق بين ذكر وبين انثى وسواء أكان حرا أم عبدا .

فاذا تعلم المسلم مقدارا من القرآن فان ذلك يسوقه الى تعلم القرآن كله فمعرفة اللغة العربية تعلم الاحكام الالهية وخطاب اللـه تعالـى لـه بالاوامر والنواهي لان هذا هو المقصود من قراءة القرآن ولذلك عاب الله على مـن اغفل تدبر آياته فقال :

« أفلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين » ٦٩ المؤمنون بل حث الله على التدبر الذي جعله سببا لنزول القرآن قال تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب) ٣٠ ص ومما لا نزاع فيـه ان تدبر قوله أو فهمه يقتضي معرفة تلك اللغة التي صدر فيها فاذن يستفاد من هذه الآية الكريمة صراحة وجوب تعلم اللغة العربية نطقا وفهما ومـا ذاك الا لأن لغة القرآن هي اللغة الجامعة للشعوب الاسلامية والمقربة بينهم في التفاهم والتخاطب لما قلناه .

ان الدين الاسلامي جاء لدعوة جميع الخلق لا فرق بين شعب وآخر ولا بين عنصر وغيره وان في الدعوة اليه والدخول فيـه والاستفادة مـن مزاياه

السامية يتساوى فيها الابيض والاسود كما يتساوى في احكامه العادلة ابناؤه واعداؤه •

لذلك الزم الداخلين فيه المؤمنين به القائمين باحكامه تعلم اللغة العربية والنطق بها في اعز الاماكن واشرفها وهو الوقوف بين يدي الله تعالى لاداء العبودية ولم يتقبل عبادته ـ ما دام قادرا على النطق والتعلم ـ الا بقراءة كلامه تعالى الذي كان برهانا ساطعا على شرف اللغة العربية التي اتسعت له •

وانما جعل الشارع للمسلمين لغة واحدة عامة ـ مع عدم اجبارهم على ترك لغتهم الاصلية طبعا ـ كي يتحقق الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن النعمان بن بشير قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى « ولمسلم » المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله •

والحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابي موسى الاشعري: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » •

فلاجل الوصول الى هذا المقام الشريف الذي كان اعظم سبب لنجاح الاسلام وتفوق المسلمين على غيرهم من الامم واخضاعهم كل شعب وقف عقبة في سبيل الدعوة الاسلامية او قام بالخصام ضدها يجب ان يكون لذلك الجند لغة خاصة تكون سبب تقارب تلك الاعضاء في التفكير وتوحيد المسعى اذا ما ابعد بينهما المكان او اللغة او غير ذلك •

ادرك اعداء الاسلام حكمة وجوب قراءة القرآن في الصلاة وهي ما قلناه : إن اللغة العربية لغة المسلمين كلهم فارادوا أن يضاهوها بعملهم هذا

الذي اظهروه اخيرا وهو ايجاد لغـة عامـة للبشر أجمـع وسموها لغـة « الاسبرانتو » يزعمون انهم يريدون تقريب التفاهم بين الشعوب الانسانية .

ولكن من عرف مبادئها يفهم ان المطلب عبارة عـن احياء اللغة اللاتينية القديمة التي كانوا يسمونها لغة العلوم وهي اللغـة الدينية المسيحية وانمـا جعلوا عنوانها لغة البشر كي يوجهوا المسلمين كغيرهم الى الاهتمام بهـا وبذل العناية فيها علماً منهم ان للغة تأثيرا كبيرا فـي التغيرات الفرديـة والانقلابـات الجماعات والافراد ولا سيما اذا اتقنها الشخص اكثر مـن لغتـه الاصلية فان اعجابه بها لا يلبث ان يكون سبب اندماجه فيها بسرعة اذا لم يقف فـي سبيله مرشدون يهدونه ويبينون له الغث من السمين والخطأ من الصواب .

غير ان هذه الفكرة ـ فكرة لغة الاسبرانتو ـ لـم تـروج حتى الآن ، ولن تروج .

ولما كان المسلمون منذ عدة قرون في رقدة طويلة وما فتئوا فـي سباتهم فقد تفنن اعداؤهم في الهجوم على أقوى روابطهم ـ اللغـة العربيـة ـ فلم يكفهم ما ذكرناه من تشويقهم لهم بالتمسك بلغة البشر المذكورة حتى الفـوا جبهتين حربيتين ولكنهما مع الاسف تحت قيادة مـن يدعي الاسلام وبعضهم يزعم الزعامة الدينية وانه حامي الدين وبطله الماجـد عنـد حصول المنافـع وتقسيم المطامع وهذا لعمري اعظم مصيبة على المسلمين ودين الاسلام .

نعم لقد الفوا جبهتين عظيمتين :

الاولى ترجمة القرآن العظيم .

والثانية الاستعاضة عن اللغة العربية الفصحى باللغة العامية .

وكلا الرأيين يدعو اليه اعداء الاسلام وان تستروا بغيرهم كما قلنا ولكن على لسان من يعلنوه ؟

لا ريب ان الامر لا يحتاج الى تدبر وتفكير طويل ، لانهم يعلنونه على لسان زنديق يظهر الاسلام أو مغفل لا يدري من الدين الا انه مسلم ، او حفظ بعض احكام سطحية ولم يفقه حكمة التشريع ولم يتشرب بروح الدين اصلا .

وما ذلك الا لعلمهم بان هذه الدسائس وامثالها لا تروج الا بواسطة مدعي الاسلام ، والاسلام بريء منهم وهذا ثابت باعتراف المبشرين انفسهم فقد نشرت جريدة المؤيد المصرية بتاريخ ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ بعدد ٦٦٦٤ ترجمة عن مجلة العالم الاسلامي الافرنسية من بعض مقالاتها تحت عنوان : « الغارة على العالم الاسلامي » .

ان المبشرين اذاعوا خلاصة مؤتمر مصر التبشيري المسيحي الذي انعقد بتاريخ ٤ إبريل ، نيسان سنة ١٩٠٦ في دار اعرابي باشا في باب اللوق في قاهرة مصر بكتابهم : العالم الاسلامي اليوم .

فمن اقوالهم :

ثالثا ـ تبشير المسلمين يجب ان يكون بواسطة رسول من انفسهم ومن بين صفوفهم لان الشجرة يجب ان يقطعها احد اعضائها .

رابعا ـ ينبغي للمبشرين ان لا يقنطوا اذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة اذ من المحقق ان المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد الى علوم الاوروبيين وتحرير النساء ، وان تنصير امثال كامل في بيروت وعماد الدين في الهند ، ومرزا ابراهيم في تبريز ، واعمالا اخرى من هذا القبيل ، من شأنها ان تولد مجهودات جديدة يجب علينا ان نحمد بسببها نعمة الله علينا أ هـ .

هذا جزء من مقرراتهم قبل اربع وعشرين سنة ويوم كانت للاسلام صولة ومنعة فلا بد انهم الان قد نشطت قواهم وازدادت اعمالهم اتساعا وانتشارا .

فاذا كانوا قد وجدوا طبقة من المسلمين في ذلك الزمن فمن يدري الان ماذا وجدوا وماذا فعلوا وماذا احدثوا من تغيير في العقائد والتفكير ؟

اذ يجوز بعد ان اصبحت معظم البلدان الاسلامية مستعمرة وصار أهلها عبيدا أرقاء ولم يبق للاسلام حام ولا ناصر وانما هو تحت سلطة ورحمة الدول التي تنتمي للمسيحيين ان هؤلاء المبشرين قد نفذوا شطرا كبيرا من برامجهم في تغيير وتحويل المسلمين عن عقائدهم واستطاعوا ان يدسوا الدسائس على لسان اشخاص مشهورين قد يظن بعضنا فيهم الصلاح ويتبرك بهم وبالتماس دعواتهم وتقبيل ايديهم وهم اعداء الاسلام الالداء ولكنهم يخدعون ابناءه المؤمنين بالانتماء اليه والاتصاف بالعلم واظهار الصلاح والتقوى .

ولا يرد على الذهن ان هذا يؤثر على المؤمن فيلتبس عليه الصالح بالطالح ، كلا ، فان عندنا مقياسا صحيحا جيدا وميزانا لا يخطيء وهو ان الشارع بين لنا الاحكام وحد لنا الحدود فمن تجاوز ذلك بنفسه او شوق الى نقضه او دعا الى مخالفته او حث الغير على التعدي وخرق ذلك الحد وانتهاك حرمته أو حسنه في عين أحد فانه عدو للاسلام وان كان في ثياب ابنائه المخلصين .

فدعوى ترجمة القرآن من هذا القبيل بلا نزاع ولا اختلاف بين العلماء المؤمنين غير الجامدين فانه لو كان جائزا لامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلمان ان يترجم القرآن بالفارسية وبلالا بالحبشية وصهيبا بالرومية ولكنه كتب الى كسرى وقيصر والمقوقس الكتب باللغة العربية مع وجود من يحسن لغاتهم ، وان كتبه كانت انذارا لهم ليسلموا ويعبدوا الله وحده . فهي دينية محضة .

نعم ان اعداء الدين الاسلامي يعلمون ان القرآن بتلاوته معجز للبشر تحدى به الله تعالى الناس كي يأتوا بمثله ثلاث مرات .

به كله قال تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ٨٨ الاسراء ثم بعشر سور : قال تعالى « ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » ١٣ ـ هود ـ .

ثم بسورة واحدة مرتين :

قال تعالى « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » ٢٣ ـ البقرة •

وقال تعالى « ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » ٣٨ ـ يونس •

فما وسعهم الا العجز في زمن نضوج اللغة العربية وبلوغها أوج الكمال لذلك تراهم قد عدلوا عن المناظرة بالكلام والاتيان بمثله الى المقارعة بالسنان والمحاكمة الى الحسام لان هذا ايسر عليهم من ان يصدموا الحق بالباطل والباطل في كل عصر كان ولم يزل زهوقا ، فاذا قامت له دولة فلا تلبث الا يسيرا حتى تتلاشى وتضمحل ولا تبقى الا ذكريات للاتعاظ والاعتبار •

فعلى هذا لا نرى مانعا من اظهار عقيدتنا واعلان رأينا وما ندين به من ان الطعن الموجه الى اللغة العربية في عصرنا الحاضر هو طعن في الدين الاسلامي تحت شعارها وستارها بدافع العداوة والبغضاء أو انه جاهل ارعن والجاهل عدو نفسه فضلا عن غيره •

لذلك تجد اعداء الاسلام يتفننون في تحسين الطرق المهلكة ويستعملون وقايات السوء من المنتمين للاسلام عن غير ايمان صادق وبدون فهم لاحكامه الصحيحة وعقائده الثابتة كي يعموا بهؤلاء على العوام يريدون من وراء ذلك الفساد والافساد •

فاذا فحصت كل داع : لترجمة القرآن العظيم تجده من النمط الذي اشرنا اليه مدفوعا من جمعية عدوة للدين الاسلامي رأسا أو بالواسطة أو بوسائط كثيرة قد اتخذته تلك الجمعية آلة للاعلان عن فكرتها الخبيثة فنشرها •

فمن ذلك قولهم : ان ترجمة القرآن فيها منافع بها يطلع الناس على روح هذا الدين وتعاليمه ويقفوا على حقيقته وما يرمي اليه فلا يبقى محصورا في

الشعب العربي وحده •

لا ادري متى انحصر الدين الاسلامي في شعب كما يزعمون وهذه الملايين الكثيرة من شعوب مختلفة وعناصر متعددة قد دخلت في الدين الاسلامي قبل ان تختلق فكرة ترجمة القرآن فضلا عن مجاهرة الدساسين بها•

من المعلوم ان الترجمان يعبر عن فكر المترجم له ، فهل في استطاعة احد من البشر ان يقول : ان هذا المعنى هو مراد الله تعالى ؟

فاذا كان الله تعالى قد تحدى العالم كله بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن وعجزوا عن ذلك أفليس من يعجز عن اتيان مثل تركيبه وفصاحته هو أشد عجزا وابين ضعفا ممن يبتغي الاتيان بمعناه كاملا وفق علم الله تعالى ومشيئته؟

شراب الحمير

❋ دخل الاخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشده فأنشده تتفا من قصائده فلما انتهى قال : يا مولاي قد يبس حلقي فمر من يسقيني • فقال اسقوه ماء • فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير !

قال : اسقوه لبنا • قال : عن اللبن فطمت !

قال : فاسقوه عسلا • قال : شراب المريض •

قال : فتريد ماذا ؟ قال : أريد خمرا يا امير المؤمنين •

قال : ويلك أعهدتني اسقي الخمر لا أم لك ، لولا حرمتك بنا لفعلت بك ما فعلت •

فخرج فلقي فراشا لعبد الملك فقال له : ويلك ان امير المؤمنين استنشدني وقد يبس حلقي فاسقني شربة خمر ، فسقاه رطلا • فقال : أعد لي آخر • فسقاه آخر • فقال : تركتهما يعتركان في بطني ، اسقني ثالثا • فسقاه • فقال: تركتني امشي على ثلاث أعدل ميلي برابع فقال : قد عدلناك برابع وجعلناك تمشي على اربع فأرجع الى شراب الحمار خير لك •

العروس المؤدبة

تأليف : ديمتري جوليا

(١٨٧٤ - ١٩٦٠)

ترجمة : عيسى فتوح

كان في أدزيوبزها مواطن معروف يدعى لامشاتس ، تزوج فتاة من قرية تاميش • ولم يكونوا في تاميش ، كما يعرف كل الناس ، يصنعون النبيذ في تلك الايام ، بينما كان أهل أدزيوبزها على العكس تماما : غالبا ما يشربون النبيذ بدلا من الماء •

أثناء احتفالات العرس ، كانت عروس لامشاتس في غرفة منفصلة ، جريا على العادة هناك • فجأة أرادت أن تشرب فطلبت ماء •

همس الادزيوبزهيون بعضهم في آذان بعض ، وقرروا بالاجماع أن يقدموا ماء للعروس • اذ أن تقديم الماء لعروس اجتازت عتبة بيتهم ، يعتبر خرقا لآداب اللطف والمجاملة ؛ ولذلك جلبوا لها كأسا طافحة من أحسن النبيذ•

كذلك شعرت العروس ، من جهتها أيضا ، أنه من عدم اللباقة أن ترفض؛ ولا سيما بعد أن اجتازت عتبة بيتها الجديد ، ولم تكن ترغب في أن تشيع عنها سمعة العناد وحب المعاكسة ما عسى أن يحدث فليحدث ؛ فكرت في نفسها قليلا ، ثم كرعت كأس النبيذ •

فجأة شعرت بالمرض ، على غير مألوف عادتها ، وبدأ رأسها يغزل ويدور ، وظهر الكون سابحا أمام ناظريها • صاحت : « ماء ! » •

قرر الادزيوبزهيون مرة ثانية أنه من غير المناسب أن يقدموا ماء عاديا

بسيطا لمن قد دخلت عتبة بيتهم ، وأصبحت فعلا عضوا من أعضاء أسرتهم ، لكنه بدا واضحا للعيان أنها لم تعد على ما يرام .

صارت العروس حينئذ أبعد من أن تميز ماذا تعطى ، فدفعت في حلقها كل ما في الكأس . ومع شعورها بأنها لم تزل في حالة سيئة ، فقد لهثت : « ماء ! » ، فأتوها بالنبيذ مرة أخرى .

وهكذا تألمت طوال الليل ، وتألم معها جميع سكان أدزيوبزها .

عندما طلع الصباح ، اقترح أحدهم قائلا :

« دعونا نجرب أن نعطيها ماء »

وبكثير من الاعتذارات ، جلب لها الادزيوبزهيون كأسا من الماء ، وبعد ألف اعتذار شربته .... فشعرت فورا بأنها أحسن حالا .

كيف سرق حصان خليل ؟

سافر خليل من دال الى أدزيوبزها ليشاهد بعض أصدقائه القدامى ، وعندما أظلم الليل وكان تعبا ، فقد استلقى ليأخذ قسطا من النوم ، تاركا حصانه في الفناء الخارجي .

عندما استيقظ المضيفون في صباح اليوم التالي ، وجدوا أن حصان خليل قد اختفى : مسروق !! يا لهذا الحادث الجلل !! .

أيقظوا خليلا وأخبروه أن بعض اللصوص قد اقتادوا حصانه من الفناء تلك الليلة . آه ، لكن خليلا غضب غضبا شديدا وراح يصرخ :

« لا أريد أي عفو ، كل ما أريد أن يعيد لي لصوصكم الحقيرون حصاني حالا . واذا كانوا لا يفعلون ذلك ، فانني سأعامل أبناء هؤلاء اللصوص أسوأ مما عامل والدي آباءهم الذين كانوا لصوصا من قبلهم » .

صرخ وهدد ، فنظر الادزيوبزهيون بعضهم الى بعض ، لكن أحدا منهم لم يعرف ماذا كان والد خليل قد فعل في أدزيوبزها .

سألوا خليلا :

« اسمع يا خليل ، ماذا فعل والدك في أدزيوبزها ؟ » .

« لستم بحاجة لان تعرفوا ذلك . كل ما تحتاجون أن تدخلوا في عقولكم السميكة أنه ليس اللصوص مصدر الازعاج فحسب ، بل جميع سكان أدزيوبزها » .

استغرب سكان أدزيوبزها الامر جدا ، ولذلك قرروا أن يعثروا على حصان خليل المسروق مهما كلفهم ذلك من جهد : كان عليهم فقط أن يعرفوا ماذا فعل والده في أدزيوبزها .

عند المساء أعاد اللصوص حصان خليل . وقيل انه وجد في الغابة يرعى بين الشجيرات . حينئذ تجمعوا حوله وألحوا قائلين :

« والآن ألا تريد أن تخبرنا ماذا فعل والدك في أدزيوبزها ؟ » .

هنا يجب ان نقول ان والد خليل كان معروفا جدا بأنه مثال الرجل البليد الكسول .

أجاب خليل : « ماذا فعل والدي في أدزيوبزها ؟ اليكم ما فعله : سافر يوما الى أدزيوبزها ، فسرق حصانه ، ولهذا وضع السرج على ظهره وعاد الى البيت . وقد أوشكت أن أفعل الشيء نفسه » .

فانفجر الجميع ضاحكين .

الرجل الذي ربط الشيء الخاطيء

كان لتاغوا الوسيم شاربان أسودان طويلان ، وكانا مصدر فخر العائلة . ولذلك كان من الطبيعي أن يعتني بهما عناية فائقة .

كل يوم ، وقبل الذهاب الى الفراش ، كان يمشطهما ، ويعقصهما بأناقة ،

يزينهما بزيت شعر خاص يأتي به من المدينة ، ويربطهما بشريط أبيض لكي لا يتشعث شعرهما أثناء النوم • وفي الصباح ، عندما يحل الشريط ، يبدو شارباه في أحسن نظام : أملسين ، واخزين كشوك الاكاسيا •

نهضت زوجته مرة أبكر مما اعتادت ، فماذا رأت ؟ رأت ساحة الدار خالية ، ولا أثر للحصان • فبدأت تبكي وتندب بأعلى صوتها • وما هي الا لحظات حتى أقبل سكان القرية راكضين •

سألوا : « ما الامر ؟ » •

« لقد سرق حصاننا » ••• كانت زوجة تاغوا تشرق بالدمع ، وتتلجلج بالكلام •

في هذه اللحظة ظهر تاغوا في المدخل ، نصف نائم والشريط الابيض ما يزال على شاربيه •

تجمع الجيران حوله سائلين .

« أين كان حصانك أمس ؟ » •

« في باحة الدار ، ماذا بشأنه ؟ » •

« هل كان مقيدا ؟ » •

« كلا ، لكن لماذا ؟ » •

« ولا مربوطا بعمود ؟ » •

قال أحد الجيران : « تهانينا اذا • لقد ربطت شاربيك بعناية فائقة، لكنك نسيت أن تربط حصانك • يمكنك أن تعود الآن الى النوم يا تاغوا : على الاقل ليبقى شارباك كما هما عندما تستيقظ » •

تحية صافيتا

شعر : عبد الحميد علي ـ صافيتا

للحب نغمة اوتاري واشعاري — وما اخبيء من عطر وازهار
للحب نشوة صهبائي معتقها — كجذوة الطور اصفى من سنا نار
سكبتها وبأكواب مزخرفة — تدار ما بين احباب وسمار
فللمحبين منها والهوى سكر — وهل علي بما أهواه من عار
ذكرى الاحبة كم حنت الى خلدي — وهدهدت من شعوري كل تذكار
غنيت عزة « صافيتا » فرنخها — شعر يعبر عن صدقي واسراري
وما ادخرت لغير الحسن غالية — وما هززت لغير الحب اوتاري
يا ربة الحسن والدنيا مدوية — والكون باسمك احلى رجع اخبار
لولاك ما اتقدت في الجيل جذوته — وألهبته لاخذ الثأر بالثار
ورد الحضارة «صافيتا» وسلسلها — ويعرف الشهد مناكل مشتار
تباركت خمرة الخلاق يسكبها — على المحبين من بدو وحضار
شربتها فاستقر الحب في خلدي — فضم قلبي صراع النور والنار
آمنت بالعلم يغزو الجهل مؤتلقا — والشمس يخفي سناها كل انكار
كبرت للعزة التعساء منحنيا — لهيبة البرج يوري كل تيار
أذوى من الدهر جبارا بقوته — يستلهم الوحي لم يرضخ لجبار
مالي أراه وفي عينيه معلمة — كأنها قبس من جوهر الباري
يبشر الشرق فيها بعد فر... — غدا سيجمع حب الجار للجار

صافيتا — عبد الحميد علي

التجديد والتقليد

شعر : خضر عباس الصالحي

هو الفن روض عشت بين ظلاله هزارا بأوزان « الخليل » أزغرد
لزمت عمود الشعر دوما وانني على الرغم منهم شاعر متجدد
واني أرى التجديد في كل محتوى بديع الرؤى فيه الاديب يجود
وليس بشكل فوضوي مزخرف وفيه غموض الفكر غيم ملبد

* * *

هو الشعر وزن، والقوافي تزينه وفيه صبابات الهوى تتنهد
وفيه الشعور الحي نار تسعرت حرائقها هيهات تخبو وتخمد
يسمون بعض الشعر حرا وشعرنا على شعرهم رغم التبجح سيد
لقد حطموا الاوزان عمدا لعجزهم وبالادب الموروث شكوا ونددوا
ومـا شعرهم الا ضباب مكثف وفي معميات الفكر أمسى يصفد
فدعهم يتيهوا في دروب غواية فان لنا حتما سيبتسم الغد
ودعهم يخوضوا في خضم تشدق ففي شعرهم للغرب مالوا وقلدوا

* * *

يقولون تيار التطور جارف الى كل رجعي سهاما يسدد
اذا كان في التطوير وأد أصالة فذلك زعم باطل ومفند
وما غيمة التزييف الا ستنجلي عن الافق يوما والاصالة سرمد
وشعر لهم حر دعوه سينطوي واشعارنا عبر الزمان تخلد

بغداد خضر عباس الصالحي

حسناء

حسناء قد عزت مكانتها ... في قومها تبكي وتنتحب
وتقول لما جئت أسألها ... عن امرها أمري هو العجب
بنت البلاد ـ أنا مصالحها ... والكل أهلي حين أنتسب
تقضى بي الحاجات أجمعها ... وحوائجي من دونها الحجب
وأعيش في فقر ومسكنة ... ويصاغ باسمي الدر والذهب

خربة سلم — احمد حسن الامين

اعراضة من حبيب

شعر : صالح هادي الخفاجي

ثنا عطفه وانبرى معرضا ... حبيبي كالمعجب النافر
وصد فألهب قلبي الجريح ... وأحسست بالالم الثائر
وظل يلح على صبه ... بأعراضة المفزع الجائر
وغادر للهم نارا تجيش ... وتلهب في القلب والخاطر
فما استعطفت قلبه حالتي ... ولا رق للعاشق الحائر
لقد ضن حتى بلفظ السلام ... كما غض من صوته الساحر
يخال بأني اعمى فلا ... أحس بمحضره الباهر
شذاه يدل عليه اذا ... تغيب عن بصري الناظر

كربلاء ـ العراق — صالح هادي الخفاجي

مرثية شيخ الاسلام
الحاج ابراهيم نياس رضي الله عنه

هطل الدمع بعد طول احتباس ... وانجلى الامر بعد ليل التباس
فأتتنا الأنباء تترى وباحت ... ذبذبات الأثير بعد انتكاس
فعلمنا أن المنايا تمادت ... يوم جاست ديارنا لاختلاس
ففجعنا والخطب خطب جسيم ... عاد طير الاحزان عدنا نقاسي
غاب شيخ الاسلام فغابت ... يانعات الاثمار فوق الغراس
من رعانا بالعطف دهرا طويلا ... مطعما ساقيا ومن ثم كاس
ليته غاب بعد عمر مديد ... ثم أغفى في راحة للنعاس
كي يرى ما بناه لله يوما ... كاملا حافلا بكل الاناس
غير ان الأقدار تردي الاماني ... اذ حرمنا من وجه ذاك النطاسي
فكأن الحياة أمست خريفا ... يحمل الموت للورى والمآسي
وكان الشعوب ثكلى تنادي ... في رجاء ولهفة والتماس
ان يعيد الاله شهما تقيا ... كان نور الابصار في الانعكاس
كم نجونا بهديه في دروب ... وانتفعنا من علمه باقتباس
حيث صار الشقي منا سعيدا ... باعتناق الاسلام بعد ارتكاس
فعبرنا والعصر عصر أثيم ... عصر فسق وشهوة وانغماس
نحو ارض النجاة فيها عيون ... ينعش الروح نبعها في انبجاس
عب منها الظمآن بردا وريا ... في ظلال القرآن بعد اتناس
أي (سنباي (١)) غبت عنا فبتنا ... كاليتامى والدهر عات وقاس
حيث صار الالحاد وحشا قويا ... يتغذى بالناس بعد افتراس
لوث الطهر قربة للخطايا ... والمبادي في غربة وانطماس
وحقوق الانسان امست هباء ... في (فلسطين) عرضة للتناسي
(أرتيريا) تأوهت من جراح ... مات اطفالها وما جاء آسي
كل آن نمشي براع أثيم ... يتجنى من خشية واحتراس
ونمادي اخواننا باعتساف ... في سبيل الجلوس فوق الكراسي



الشيخ ابراهيم نيباس في الوسط الذي علامة × على صدره

كلما هب أشوس للاعادي ... قيل يأتي الجهاد بعد النفاس
خاب فأل الكفار بعد اتحاد ... فيه بات الاسلام فوق المساس
وأطلت (عكا) علينا بشوق ... بعد (حيفا) كظبية من كناس
ودعانا (الاقصى) فطرنا خفاقا ... وهبطنا من فوقه بالشماسي
فقد الشرك وعيه مذ رآنا ... فسحقناه تحت كعب المداس
وسنمضي من ساحة نحو اخرى ... في ثبات كما الجبال الرواسي
شهد الخلق أننا ما هزمنا ... يوم كنا من أمة ذات باس
أيها المسلم الحزين المعنى ... أنت تهفو للشيخ أم انت ناس
حي ذكراه فهي دين علينا ... وتذكر كم كان نعم المواسي
واذا زرت (كولخا) فاصطحبنا ... كي نأم المزار بعد الاماسي
فهو رمس في كوخ (زنك) صغير ... لا يوازي نزيله بالقياس
كان ملأ الانظار قدرا وجاها ... وهو صرح ما زال فذ الاساس
قام مثل الضمير قرب المصلى ... أو كنفس يقظانة بالحواس
كلما نام عابد عن صلاة ... حثه الشيخ دائما في حماس

السنغال — **منير صالح**

(١) سنباي : في اللغة ألولو فيه تعني يا والدنا

مختارات الصحف

جيمي كارتر ـ ورجاله

لم أذهب الى مكان في لندن وباريس ، ولم ألتق في العاصمتين الكبيرتين بأحد ـ الا وتطرق الحديث على نحو او آخر الى « جيمي كارتر » ...

... « كارتر » وفوزه برئاسة الولايات المتحدة الامريكية والطريقة التي فاز بها ؟

... « كارتر » وشخصيته والمفاتيح الى فهمها حتى يمكن فتح أبواب التعامل معه ؟

... « كارتر » وحكومته ومن يشترك فيها ومن لا يشترك ... وفي أي موقع ؟

... « كارتر » وسياساته واولوياته وأساليبه في العمل ، ونظرته الى الدنيا الواسعة ، والى القضايا المتشابكة ، والى الازمات الواقعة او المحتملة !



وكان لي رأي طرحته وناقشته مع كثيرين ، بالذات في لندن ، فقد كنت فيها يوم انتخابات الرئاسة الامريكية وبعده لعدة أيام ، وكان الموضوع ساخنا ... ضاغطا ... فارضا نفسه على كل الناس .

كان رأيي كما يلي :

ـ ان الطريق الذي يختاره اي سياسي للوصول الى السلطة ، هو نفسه الطريق الذي سينتهجه في ممارسة الحكم ، ولا يمكن ان يكون هناك خلاف بين الاثنين .

وكنت أشرح رأيي مستشهدا بنماذج من رؤساء الولايات المتحدة في

الفترة الاخيرة ، فأقول :

ـ ان الطريقة المتحفظة التي أدار بها ايزنهاور معركته الانتخابية معتمدا على أساطين رجال المال والاعمال في شرق الولايات المتحدة هي نفسها الطريقة المتحفظة التي حكم بها ايزنهاور •

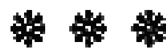
والطريقة « الفوارة » التي ادار بها كنيدي معركته الانتخابية هي نفسها الطريقة « الفوارة » التي حكم بها •

والطريقة « الملتوية » التي ادار بها نيكسون معركته الانتخابية هي نفسها الطريقة « الملتوية » التي حكم بها •

وفي حالة « جيمي كارتر » فان الطريقة التي سيحكم بها ليست بعد أمامنا ، ولكن أمامنا الطريقة التي وصل بها الى السلطة • وتلك ، وليس أي شيء غيرها ، هي المقدمة الطبيعية لنظام حكمه وأساليبه وممارساته •

كنت أقول ذلك

ثم كنت بعده احاول ان اطبق !



لقد لفت نظري في حملة « كارتر » الانتخابية انه بدأ مبكرا جدا ، وانه بدأ من الصفر ، وانه اختار لنفسه طابعا مميزا وصفته من قبل بأنه طابع « رسولي » يستجيب لحنين الشعب الامريكي نحو التطهير والتغيير خصوصا في أعقاب فضائح ووترجيت ، ثم اعتمد خمسة او ستة من غلاة المتحمسين له الى درجة التعصب ، وشق طريقه في الانتخابات الاولية ولاية بعد ولاية بأصرار غريب كأنه اصرار رجل لا يعرض نفسه على الناس ، وانما يفرض نفسه عليهم وكأنه صاحب حق شرعي خرج للمطالبة به !!

وكان من حوله في ذلك الوقت ثلاثة رجال ، كلهم من « اتلانتا » عاصمة ولاية جورجيا التي كان « كارتر » حاكما لها في جنوب الولايات المتحدة •

كان الثلاثة هم :

١ ـ « تشارلي كيربو » ، وهو محام من اتلانتا ، وقصته مع « كارتر » قصة غريبة •

كان « كيربو » اصغر الشركاء في مكتب كبير للمحاماة في اتلانتا ... وكان هو الشريك الخامس .

وكان الاربعة الكبار في المكتب يتولون القضايا الهامة ـ المالية والاقتصادية بالذات ـ واما « كيربو » فقد خصصوه للقضايا التي يتمنع الكبار تناولها كقضايا الجرائم والاحتيال وما الى ذلك .

وفي سنة ١٩٦٢ تقدم كارتر لعضوية مجلس النواب في ولاية جورجيا ، ولم يقبل نتيجة الانتخابات كما اعلنت : فقد اظهرته النتيجة مهزوما بينما كان هو واثقا انه فاز ، وقدم طعنا بالتزوير في صحة عملية فرز الأصوات ولم يجد محاميا يقبل قضيته غير « كيربو » الذي تولى القضية بالفعل واستطاع ان يكسبها وتمكن من خلع منافس كارتر من مقعده في مجلس النواب ودفع كارتر بدلا منه الى المقعد ، واعتبر « كارتر » ان « كيربو » هو الذي فتح له ابواب العمل السياسي ، فقد انتقل من عضوية مجلس النواب في الولاية الى منصب حاكم الولاية ، ثم الى مرشح لرئاسة الولايات المتحدة الامريكية ، ثم رئيسا .

و « تشارلي كيربو » اليوم هو اقرب الناس الى « جيمي كارتر » وكان المدير العام لحملته الانتخابية ، واعتقد انه سيكون المدير العام لنظام حكمه .

٢ ـ « بول اوستن » ، وهو رئيس مجلس ادارة شركة كوكا كولا ، ومقرها الرئيسي في اتلانتا ، وهي اكبر الشركات في الولاية ، ومن اكبر الشركات في الويات المتحدة .

و « اوستن » خبير في التنظيم ، وتتجلى مهاراته في تنسيق عمليات التوزيع .

ومما يلفت النظر ان « كانداال » رئيس مجلس ادارة « بيبسي كولا » كان من أقرب المقربين الى « نيكسون » بمقدار ما ان « اوستن » رئيس مجلس ادارة « كوكا كولا »من اقرب المقربين الى « كارتر » .

وكان بعض المتابعين « لمعسكر كارتر » قد ذهبوا الى انه قد يعين « بول اوستن » وزيرا للخارجية في حكومته ، وهو اهم منصب بعد الرئيس ، وحين تشكك بعض المراقبين في صواب تعيين رئيس مجلس ادارة « كوكا كولا » وزيرا لخارجية الولايات المتحدة ، كان الرد :

ـ ان « جيمي كارتر » يعتقد ان السياسة الخارجية لامريكا في حاجة الى عملية تنظيم علمي بعد الطريقة الانفرادية التي اتبعها « هنري كيسنجر » .

ان « جيمي » لا يريد خبيرا في السياسة الخارجية على رأس وزارة الخارجية ، وانما يريد كفاءة تنظيمية وادارية ، خصوصا وانه يريد ان يكون هو بنفسه المتحدث الرسمي باسم الولايات المتحدة في الخارج ، ولا يريد ان يكو الوضع الشاذ الذي كان « لهنري كيسنجر » مع « نيكسون » او مع « فورد » .

وصحيح ان « كيسنجر » استفاد من عزلة « نيكسون » بسبب فضيحة ووترجيت ، وملأ حيز الرئيس في السياسة الخارجية ... ثم قام بنفس الشيء مع « فورد » لان « فورد » كان رجلا قفز من « الفراغ » الى رئاسة الولايات المتحدة بعد سقوط نيكسون ، ولكن مهما كانت الاسباب فان « كارتر » مصمم على ان يكون هو وجه السياسة الخارجية لامريكا ، وليس أي وجه آخر .

واستبعد آخرون اختيار « بول أوستن » لوزارة الخارجية ، فقد بدا لهم ان اختياره ـ مهما كانت أسباب « كارتر » ـ سيكون صدمة للعالم الخارجي الذي لا بد للولايات المتحدة ان تتعامل معه باسلوب يستطيع هذا العالم فهمه ، واعتقد ان اختيار « سيروس فانس » لوزارة الخارجية اخيرا جاء مصداقا لذلك التقدير ، وبعده فليس هناك ما يمنع من ترشيح « اوستن » لوزارة اخرى او احتمال بقائه في « كوكا كولا » يشير على الرئيس من وراء ستار .

٣ ـ « هاملتون جوردان » ، وهو شخصية تستحق الاهتمام في معسكر

« كارتر » ، فهو شاب لا يتجاوز عمره الثلاث والثلاثين سنة، وهو مليء بأفكار ومطامح لا حدود لها ، وقد عمل من قبل في السياسة واشترك في الحملة الفاشلة لترشيح السناتور « ماكجفرن » الديمقراطي لرئاسة الولايات المتحدة سنة ١٩٧٢ ، ثم ذهب ذات يوم من سنة ١٩٧٤ الى مقابلة « جيمي كارتر » وهو بعد حاكم لاتلانتا يقدم اليه تقريرا من عشر صفحات عنوانه « لماذا يجب ان يصبح كارتر رئيسا للولايات المتحدة ؟ » . ثم عاد اليه بعد اسبوع بتقرير آخر من ثلاثين صفحة عنوانه « كيف يمكن » ان يصبح كارتر رئيسا للولايات المتحدة ؟ »

ومن يومها التصق « هاملتون جوردان » « بجيمي كارتر » ، واصبح صفيه الذي ينقل الوحي عنه الى بقية العاملين في حملته الانتخابية ، ثم اصبح المدير التنفيذي لهذه الحملة ،وكل التكهنات ترشحه الآن ليكون رئيس أركان حرب البيت الابيض في النظام الجديد .



وفي ربيع السنة الماضية ــ ١٩٧٦ ــ وقبل ان يحصل « كارتر » على ترشيح الحزب الديمقراطي له ، بدأ ينظم جهازه السياسي لعملية الانتخابات ، ولعملية الانتقال الى السلطة ، ولعملية الحكم بعد انتقال السلطة .

وكان تنظيم الجهاز السياسي لعلمية الانتخابات معقولا ومفهوما ، ولكن التنظيم لعملية الانتقال الى السلطة ولعملية الحكم بعد انتقال السلطة بدا نوعا من استباق الحوادث لا ضرورة له خصوصا وأنه سيكلف أموالا باهظة تحتاجها الحملة الانتخابية نفسها .

ولكن « كارتر » رفض كل نصيحة قدمت اليه في هذا الشأن .

قيل له :

أليس من المناسب ان تنتظر في تنظيم عملية انتقال السلطة حتى تحصل على ترشيح الحزب الديمقراطي اولا ؟

وكان رده :

سوف نحصل عليه !

وقيل له :

أليس من المناسب ان تنتظر في عملية الحكم بعد انتقال السلطة الى ما بعد نتيجة الانتخابات ؟

وكان رده :

انني سوف أصبح رئيسا ، ويجب ان أكون مستعدا من أول لحظة !

وأنشأ « كارتر » منذ ذلك الوقت ثلاثة مكاتب رئيسية .

مكتب لادارة مشروع الحملة الانتخابية نفسه ، وقد تولاه « هاملتون جوردان » تحت اشراف « تشارلس كيربو » .

مكتب للمواقف والقضايا ، وقد تولاه « ستيوارت ايزنستات » ، وهو محام شهير من أتلانتا ، وقد جمع « ايزنستات » في هذا المكتب عددا كبيرا من الخبراء وأساتذة الجامعات ، ولخص مهمة مكتبه في قوله :

ـ « ان مهمتنا كلها ان نجعل فكر كارتر موصولا بأوسع وأحسن الفكر المتاح في امريكا » .

ثم يستطرد « ايزنستات » :

ـ ماذا نفعل ؟ نحن نحاول تحديد « رأي كارتر » في كل المواقف والقضايا المثارة وقت الحملة الانتخابية ، ولذلك فلدينا خبراء في كل شأن من الشؤون الداخلية والخارجية .

ونحن لا نفرض عليه آراءنا ، وانما نفعل ما يلي في كل مسألة :

ـ ندرس اذا كان له فيها رأي سابق .

ـ ندرس رأي الحزب الديمقراطي فيها وتطوره .

يضيف خبراء مجموعتنا الى ذلك خير ما عندهم .

ـ نحاول عرض ما توصلنا اليه على مجموعة اوسع من العقول في امريكا .

ثم نعطيه على هذا الاساس رأينا مجددا ، والى جانبه مجموعة بدائل اخرى غير ما توصلنا اليها ، ثم يكون له ان يختار ، وفي هذه الحالة فان اختياره يصبح معبرا عنه .

ثم يجيء المكتب الثالث ، وهو المختص بانتقال السلطة ، ومهمته ان يحاول ان يحدد سياسات وقرارات كارتر في الشهور الاولى من حكمه ، ويحاول أيضا ان يرشح له قوائم بأسماء الرجال الذين يمكن ان يعاونوه في حكمه ، ويلاحظ ان الرئيس الامريكي عليه ان يعين مع بدء فترة رئاسته اكثر من ألفي مسؤول لاكثر من ألفي منصب هي في الحقيقة قيادة امريكا السياسية والتنفيذية .

واختيار كارتر لرئاسة هذا المكتب محاميا شابا من أتلانتا هو « جاك واطسون » ، وكان مساعدا « لكيربو » في مكتب المحاماة الشهير في عاصمة جورجيا .

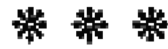
وقد نسق هذا المكتب ــ الذي أطلق عليه فيما بعد اسم « مجموعة العمل » ــ نشاطه مع « مكتب المواقف والقضايا » تطبيقا لقول كارتر نفسه :

ــ ان هناك صلة مباشرة بين ما قلته كمرشح وبين ما سوف أفعله كرئيس ... لان وعودا قطعتها هي وعود سأنفذها .

وقد جند هذا المكتب بدوره مجموعة من أكبر عقول امريكا وفي جميع المجالات من الدفاع الى السياسة الخارجية الى الازمة المالية الدولية الى مشكلة البطالة في الولايات المتحدة .

ويمكن ان تتصور ان قيادات امريكا الجديدة لن تكون ترشيحات واطسون وحده ، فنحن نستطيع ان نتصور ان بعضا من الذين أداروا المشروع الانتخابي نفسه ، والذين أشرفوا وشاركوا في أعمال مكتب المواقف والقضايا ، والذين تكونت منهم مجموعة العمل الخاصة ــ لن تتوقف أدوارهم عند دخول كارتر الى البيت الابيض .

وفي الغالب فانه من المتصور ان يجري تدعيمهم بشخصيات جديدة يكتشفها « كارتر » ، وبأعضاء في الحزب الديمقراطي يريد كسب ولائهم ، وبنجوم من رجال المال والاعمال والادارة من بين أفراد ما يعرف باسم « المؤسسة الشرقية » وهي الارستقراطية العريقة التقليدية على مدن الساحل الشرقي للولايات المتحدة .



وغير المكاتب المعروفة التي تشير على « كارتر » وتعد له ، فان هناك أصدقاء قريبين منه واصلين الى اذنه كما يقولون وهؤلاء خليط واسع .

على سبيل المثال هناك « دين راسك » الذي كان وزيرا للخارجية مع كنيدي وجونسون ، ثم ترك الحكم وعليه ظلال من مأساة حرب فيتنام التي كان واحدا من اكبر مؤيدي التورط الامريكي فيها .

وعندما خرج « راسك » من وزارة الخارجية أراد ان يعود الى التدريس في الجامعة ، ولم يجد جامعة تفتح له ابوابها الا جامعة جورجيا ، واستقر « راسك » في اتلانتا ، وهناك تعرف على الحاكم « جيمي كارتر » ثم نمت بينهما صداقة قوية : الدبلوماسي الدولي الذي يعرف الدنيا ، والسياسي المحلي الذي لم يخرج من الجنوب .

ولفترة طويلة كان « راسك » هو دليل « كارتر » الى مجاهل السياسة الدولية .

وكانت الصلة بين الاثنين وثيقة الى الحد الذي دفع بعض السفراء الاجانب في واشنطن الى التخمين بأن « كارتر » قد يختار « راسك » وزيرا لخارجيته ولو للسنة الاولى ، ولم يكن يدعوهم الى التحفظ في هذا التخمين الا سجل « راسك » في حرب فيتنام ، واحتمال استغلاله ضد « راسك » وضد « كارتر » ، والاثنان في غنى عن ذلك الآن ، وأفضل منه ان يظل « راسك » قريبا من اذن « كارتر » .

وهناك على سبيل المثال ــ وعلى نقيض من شهرة « راسك » ــ رجل لم يسمع العالم باسمه من قبل وهو « بيل شنيدر » ، وكان « شنيدر » صاحب مطعم صغير عرف « كارتر » منذ سنوات طويلة .

وحين بدأ « كارتر » حملته الانتخابية وأصبح يتنقل مع بعض مساعديه من ولاية الى ولاية ترك « شنيدر » مطعمه والتحق « بكارتر » وتولى الاشراف على الاعاشة اليومية للمرشح واعوانه ، اي ان عمله كان حجز الفنادق ونقل الحقائب والتأكد ان « كارتر » واعوانه سوف يكون لديهم ما يأكلونه .

وشيئا فشيئا فان « شنيدر » بدأ يأخذ دورا اكبر في حياة « كارتر » الى درجة انه أصبح شبه سكرتير خاص له ، ويبدو الآن انه سيصبح سكرتيره الخاص في البيت الابيض فعلا ، وسيجلس في مكتب مجاور لمكتبه بحيث لا يمر أحد الى المكتب البيضاوي ــ مكتب الرئيس ــ الا اذا مر على « شنيدر » وسمح له « شنيدر » بالدخول !

ويلاحظ ــ رغم ذلك ــ ان « كارتر » يفرض نظاما حديديا على الذين يعاونونه ويتعامل معهم جميعا من بعد ، وكأن طابعه « الرسولي » يفضل التعامل عن طريق حواريين .

وربما كان خطابه الى جميع مكاتبه بعد ترشيحه للرئاسة نموذجا لاسلوب تفكيره ، فقد شعر ان بعضهم قد يتجاوز حدوده فيخلط بين آرائه الشخصية وآراء الحملة الانتخابية ، وهكذا جاءهم خطاب منه نصه كما يلي :

« الى العاملين في الحملة الانتخابية

اريدكم ان تعرفوا انني اقدر رغبتكم في تقديم توصياتكم من أجل رسم سياستي العامة .

ولكني أريدكم في نفس الوقت ومن الآن أن لا تدعوا مجالا للبس بين

آرائكم الخاصة وبين ما يمكن ان تقبله حملتي الانتخابية منكم •

ليس بينكم من هو مخول ان يتكلم او يكتب باسمي أو باسم الحملة الانتخابية •

جيمي »

وكان لهذا الحزم أثره حتى على بعض النجوم كرجل مثل « ريتشارد هولبروك » •

كان « هولبروك » دبلوماسيا ممتازا في وزارة الخارجية الامريكية وفي مجلس الامن القومي الامريكي ، ثم اختلف مع سياسات « هنري كيسنجر » خصوصا في عملية غزو كمبوديا ، فاستقال وخرج ليشترك في اصدار مجلة من أنجح المجلات الامريكية عن « السياسة الدولية » •

وكان « هولبروك » من اوائل السياسة الدولية الذين انضموا لحملة « كارتر » لسياسات « كيسنجر » •

وسألت صديقا مشتركا في لندن عن « هولبروك » ، وقال لي :

ـ فور نجاح « كارتر » في الانتخابات ترك « هولبروك » الحملة الانتخابية وعاد الى مجلته •

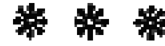
ولما سألته لماذا ابتعد ، كان رده :

ـ ان « جيمي كارتر » لن يعطي اي منصب لرجل يريد هذا المنصب •

سوف يعطي منصبا لاي رجل لانه يريد ان يعطيه هذا المنصب ، وليس لان هذا الرجل يريد ان يأخذ لنفسه هذا المنصب !

هذه طريقته ، ولست أريد ان أتلكأ أمامه بحيث يتصور انني انتظر شيئا ••• وحتى لو كنت انتظر شيئا فان الحصول عليه بالابتعاد وليس

بالاقتراب !



هذه لمحات عن طريقة « كارتر » اثناء الانتخابات .

فماذا تقول لنا هذه اللمحات عن طريقته في ممارسة السلطة .

ـ رجل أعطى نفسه ـ بحق او بغير حق ـ مسحة من « الرسولية ... بعيد او متباعد يفضل التعامل عن طريق حواريين ، وحواريوه فرق ودرجات ، والسمة الغالبة عليهم هي الشباب ، فكلهم بين الثلاثين والخامسة والثلاثين ومعظمهم من الجنوب ولكن مطامعهم تمتد الى الجهات الاربع ... ارادته اكبر من خبرته ، وهو يريد ان يتعلم ولكن بأسلوبه الخاص ... عنيد لكنه مفتوح للتأثير عليه عن طريق من يثق فيهم ... لا تغلبه عواطفه ولكن تحكمه مطامحه ... كلامه اثناء الحملة الانتخابية يستحق ان يدرس بعناية ودقة ، لان « وعودا قطعتها هي سياسات انفذها » !!

الانــوار **محمد حسنين هيكل**

اذا فسد نساؤكم وفسق شبابكم

❊ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف بكم اذا فسد نساؤكم ، وفسق شبابكم . ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قيل له : ويكون ذلك يا رسول الله . فقال : نعم ، وشر من ذلك . كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قيل : يا رسول الله ويكون ذلك ؟ قال : نعم . وشر من ذلك . كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا .

العرفان : اهذا هو الزمان الذي تنطبق عليه هذه الاوصاف .

الثورة الخضراء

محصول القمح للفدان يتضاعف أضعافاً وكذا الذرة وكذا الأرز

انها قصة رجل ، وقصة أمم . أما الرجل فهـو الدكتور نرمان بورلنـج وهو مدير البرنامج الدولي لتحسين انتاج القمح ، ذلك البرنامج الـذي تنفق عليه مؤسسة روكفلر ، ومكانه المكسيك . هذا الرجل هو الذي قاد الثـورة الى غايتها ونال في شهر اكتوبر الماضي من اجل ذلك جائزة نوبـل للسلام ، ومعنى السلام هنا ان احلال الشبع محل المجاعات في العالم يؤدي الى الرخاء فالى الرضا فالى السلام .

وأما الامم فهي كل أمة متخلفة لا يكفيها الغذاء ، فتهددها المجاعة مـن عام لعام . ونضرب مثلا لذلك بالهند وباكستان في عام ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ ، ففي هذا العام جاء موسم الرياح والامطار المعروف بالمنسون ، فكان اقصر طـولا من عادته ، وأمطار الشتاء قلت حتى انعدمت او كادت ، ودرجة حرارة الاجوار في شهر مارس ، وهو الشهر الذي يمتلىء فيه حب القمح ، هذه الدرجة زادت ما بين ٥ الى ٨ درجة عن معدلها . وكل هذا الحاسبين يقدرون ان العام لا شك عام مجاعـة .

ولكن لم تقع مجاعة . وعلى العكس من ذلك كـان محصول القمـح بباكستان ١٤ في المائة اعلى من محصول العام السابق ، وكان في الهند أعـلى كذلك وبنحو ٨ في المائة .

وفي المكسيك ، وفي تركيا ، وفي افغانستان ، كانـت محاصيل القمـح تتزايد من عام لعام ، جاء مطر او لم يجيء ، وارتفعت حرارة او لم ترتفع .

وتبدأ القصة من يوم تراءى للدكتور بورلنج ، منذ سنوات مضت ، عدم رضائه عن الزراعة التي كانت قائمة في البلاد المتخلفة ، ولا عن الجهـود التي كانت تبذل لتحسين الانتاج تحسينا لم يكن الا بطيئـا لا يسايـر الحاجـة الشديدة الملحة بتزايد السكان . تراءى له ان المطلـوب ثورة عارمـة فـي

الانتاج . وبدأ يخطط لها ؛ وكان من نتيجة ذلك اليوم ان كلا مــن الباكستان والمكسيك ، صارتا دولتين مستكفيتين من حيث ما تنتجان من قمح بعــد ان كانتا دولتين لا تستكفيان . وكذلك الهند فهي سائرة فــي هــذا الطريــق . وباطراد هذا الحال سينتهي العالم بأن يكون ، لا عالما يكفيه قمحــه فحسب ؛ ولكن عالما فائضا قمحه عن حاجته فتصبح مشكلة زيادة بعد ان كانت مشكلة نقص وجوع .

اما القصة العلمية فتبدأ من عام ١٩٤٣ ، حيث بــدأ الدكتور بورلنــج ، وهو من مواليد ولاية أيووا بالولايات المتحدة ، حين بدأ يجرب فــي صنوف عدة من القمح . لقد علم ان كل هذه الصنوف التقليدية بهــا مشاكل عــدة ، تختلف من صنف الى صنف . علم ان منها ما يتعرض للاصابة بالفطر ، مثــل صدأ الجذع الاسود . وعلم ان مقدار البروتين الذي بحبها ليس بالقدر الذي يرجى ، وعلم ان منها ما يتأهل للزرع في فصل قصير مــن الزمن معــين لــو خرجوا به عنه فسد ، وعلم ان صنفا قد تزرعه في مكان فينجح ، ثــم تزرعــه في مكان آخر اختلف عنه أوان زراعة ، فلا يصح . وعلم أن من هذه الاصناف ما لم يستجب للتسميد ، وتزيد سماده فتتناقص زيادة نموه حتى تتوقف ، ثــم يميل النبات بعنقه ويتدلى .

جمع الدكتور بورلنج صنوفا للقمح من كل الدنيا ، وبدأ يزاوج بينهــا تهجينا ، واخذ ينتج منها في المختبرات طفرات اصطناعا . وكان اهــم هــذه الصنوف الصنوف اليابانية القزمة تلك التي اكتشفها الدكتور سلمون بوزارة الزراعة بالولايات المتحدة .

ومن بحوث الدكتور بورلنج خرجت الاصناف الجديدة المسماة اليــوم بالاقماح الاقزام او القصيرة ، وهي عماد هذه الثورة الزراعية الكبرى .

والاقماح الاقزام ثنائية الجينات او ثلاثيتهــا تحتــوي جينين أو ثلاثــة جينات للقصر ولصلابة الجذع ــ لا تتدلى اعناقهــا بزيــادة السماد ، وهــي تحتمل زيادة السماد حتى ١٢٠ رطلا من السماد الآزوتي لكل فــدان ، بــدل

المائة رطل التي كانت •

وهذه الصنوف تقاوم الامراض ، وتقبل الزرع فـي فصول مديـدة ؛ ونسبة البروتين في حبها كبيرة •

اما المحصول في الهند وباكستان ، فقد ارتفع ارتفاعا باغتا ، من المتوسط المعتاد الذي هو نحو ١١ بوشيل للفدان الواحد الى ٥٠ بوشيـل • ودلـت التقارير على انه في بعض البقاع ارتفع المحصول الى ٥٠ بوشيل •

والاردب يساوي ٥ر٩١٦ بوشيل •

وأقبل الفلاحون على الزراعة الجديدة •

ففي الهند زاد المزروع قمحا جديدا من ١٥ فدان فقط في عام ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ الى ١١ مليونا في عام ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ ، وفي باكستان زاد فـي نفس تلك الفترة من ١٠ فدادين الى ٥ر٦ مليون فدان •

وكثورة في القمح ، ثورة أخرى عالمية في الذرة والارز ، ولكن لهـذه قصة أخرى •

الشر والخير !

❋ قالوا للمؤرخ البريطاني برتراند رسل : « انك تدعو الى الخير والى السلام بين الشعوب ، ولكن دعوتك كثيرا ما تضيع وسط صليـل السيوف ؛ فما تعليلك لهذه الظاهرة ، لماذا ينتصر الشر على الخير في كثير من الاحيان ؟ » •

قال : « الحقيقة التي لا مفر من الاعتراف بها ، هي ان الاشرار يتحدون ويقفون صفا واحدا ، رغم ما في نفوسهم من كراهية بعضهم بعضا ، اما دعـاة الخير ، فهم موزعون متفرقون ، وهذا هو سر ضعفهم ! » •

التدخين نكبة : هكذا يقول علماء بريطانيا

من بين كل تسعة مدخنين يزيد استهلاك ما يدخنونه على ٢٤ سيجارة في اليوم ، يتعرض واحد منهم على الاقل للاصابة بسرطان الرئة .. !

هذه هي احدى النتائج التي توصلت اليها كلية الاطباء الملكية ، وهي اكبر هيئة طبية في انجلترا ، بعد سلسلة من الابحاث والدراسات الجديدة التي قاموا بها حول علاقة التدخين بسرطان الرئة .

وقد وضع الاطباء الذين قاموا بهذه الابحاث تقريرا اكدوا فيه ان التدخين لا يسبب سرطان الرئة فحسب ، بل يؤدي أيضا الى الاصابة بعدة امراض خطرة مثل سدة الشريان التاجي للقلب وارتفاع ضغط الدم ، وسرطان المثانة ، وكذلك قرحة المعدة .

وقال التقرير ايضا ان الابحاث قد اثبتت ان المدخنين اكثر عرضة للاصابة بالالتهابات الرئوية وغيرها من أمراض الجهاز التنفسي .

وفند التقرير لاول مرة المزاعم القائلة بأن مدخني السيجار والغليون أقل عرضة للاصابة بهذه الامراض عن مدخني السجائر .. فقد اكد الباحثون أن المدخنين سواء كانوا من مدخني السجائر او السيجار او الغليون يستوون جميعا في التعرض للاصابة بهذه الامراض الخطرة .

دعا التقرير بعد هذا الى فرض حظر شامل على الاعلانات التي تنشرها شركات السجائر والتبغ في مختلف الصحف والمجلات ، كما طالب الباحثون في الوقت نفسه كخطوة للحد من استهلاك هذه السموم ، تحريم التدخين في الشوارع والطرقات والاماكن العامة ودور اللهو والسينما ، حتى نقلل من فرص التدخين عند الناس .

ويقول التقرير ان الباحثين اولوا اهتماما خاصا بمنع الدعاية للسجائر والتبغ التي تمتلىء بها الصحف والمجلات وبقية اجهزة الاعلام ، لما لهذه الاعلانات من اثر في زيادة الاقبال على التدخين .. فقد ثبت ان اكثر من ١٤ مليون جنيه استرليني ، قد انفقت في بريطانيا وحدها في العام الماضي ، على الدعاية لمختلف انواع السجائر والتبغ ، وكان من نتيجة ذلك ان ارتفع استهلاك السيجار مثلا من ٣٩٦ مليون سيجار في عام ١٩٦٢ الى ١١٣٣ مليونا في العام الماضي .

العربي

انصار العرفان وصاحبها
ايام المحنة

السادة :

١ ـ السيد حسن الشيرازي العلامة العبقري وهذا السيد « السيد » لم يتخل عن العرفان في الايام العادية فكيف بأيام المحنة .

٢ ـ السيد فخر الدين ابو الحسن « خير خلف لخير سلف » وانه لمن المؤسف ان يظلم مثل هذا الطراز من حملة الدين والعلم العاملين الفاهمين المخلصين .

٣ ـ صهرنا الحبيب الحاج مصطفى النحاس و « ابو رغيد » شهم كريم في الحالات العادية فكيف لا يكون اريحيا ايام المحنة .

٤ ـ محمود الزين « مختار شحور » .

٥ ـ الدكتور اسماعيل عباس وهو من الذين يعملون الخير بصمت ومحبة .

٦ ـ السيد يونس صفي الدين . وهو من انصار العرفان القدامى وحين كان وكيلها في دكار ارتفع عدد المشتركين هناك .

٧ ـ والى العدد القادم .

الجنس بعد الخمسين

منذ اللحظة التي يتحقق فيها للانسان النضج الجسماني الكامل ـ وهذا يحدث بين الخامسة والعشرين والثلاثين ـ يبدأ التدهور التدريجي في جميع اعضاء الجسم بما في ذلك الاعضاء التناسلية • ان عملية التدهور هذه بطيئة الى الحد الذي لا تشعر به حتى يحدث شيء ما يفتح اعيننا فجأة على الحقيقة التي نجهلها •

تختلف نسبة التدهور باختلاف الافراد ، وقد تزداد تعقيدا بسبب الامراض التي تؤدي في معظم الاحوال الى تسارع مطرد في عملية التدهور • وهكذا فان انسانا سليم الجسم قد يشعر بادراك الشيخوخة له في سن الستين ، في حين ان انسانا آخر في نفس حالة الانسان الاول يظل محتفظا بصحته العامة وبنشاطه حتى سن الثمانين • وقد نرى امرأة منهكة القوى زرية الشكل خائرة العقل في الخامسة والخمسين بينما نجد امرأة ثانية لا ينقصها النشاط والمرح في الخامسة والسبعين • ومن جهة اخرى قد نقع على رجال ونساء تبدو عليهم بسبب اعتلال الصحة المبكر او الارهاق الذهني جميع اعراض الشيخوخة والهرم في الاربعينات •

غير ان سن الخمسين هي بوجه عام السن التي يدخل فيها معظم الرجال والنساء الطور المعروف بمنتصف العمر • فعند تجاوز الانسان لهذه السن يشعر بأن الشيخوخة قد اخذت تحاول اللحاق به • وعلى كل حال فان كلمة الخمسين لا تعني الخمسين على وجه الدقة بل ان هذه الكلمة تصلح فقط لان تكون مشجبا تعلق عليه مفهومنا لكلمة الجنس في منتصف العمر •

الشيخوخة الجنسية تختلف بين رجل وآخر وبين امرأة واخرى • وبالنسبة للمرأة هنالك الحد الفاصل الواضح الذي يقال له سن اليأس • فعند دخول المرأة هذه السن تتضاءل قدرتها على انجاب الاطفال حتى تتلاشى

تماما • وتضعف الغدد التناسلية تدريجيا عند المرأة فلا يعود المبيضان قادرين على انتاج البويضات الناضجة داخل قناة فالوبيان • وبسبب هـذا يضطرب الطمث في بدء سن اليأس عند بعض النساء ، وقـد تطول المسافة حتى تبلـغ احيانا ستة اشهر •

وليست هذه هي الاضطرابات الوحيدة التي تشعر بها كثير من النساء• ففي بعض الاوقات قد تصاب المرأة بموجات متناوبة من الحرارة والقشعريرة يرافقها شيء من التعرق • وكثير من النساء يصبن اثنـاء سن اليأس بخفقان شديد في القلب وصداع وبحالات من الانقباض الذهني والتوتر • وفي مثل هذه الحالة يصبحن سريعات التوتـر والشعور بالارهـاق الجسمي الدائـم وعاجزات عن التغلب على البطء في الحركة وفي ردود الفعل • وأشد ما يؤلم المرأة ملاحظتها ان الشحم قد اخذ يتراكم عـلى اجزاء مختلفة مـن جسمهـا بسرعة مخيفة وبكمية لا تستطيع ان تخفيها عن انظار الناس •

ان التبدلات التي تصيب جسم الانسان في هذه المرحلة خفية ولكنهـا مخيفة • ان في أجسام الناس رجالا ونساءا عددا كبيرا من الغدد وهي اعضاء دقيقة الحجم تأخذ من الدم بعض المواد الكيميائية وتحولها الى مواد جديدة تنشط وتنظم مختلف وظائف الجسم مثل عملية الاستقلاب والنمو •

ومن الغدد ما يفرز محتوياته في فجوة من الجسم او عـلى سطحه مثل غدد الدمع واللعاب والعرق ومنها ما يفرغ هذه المحتويات داخل الدم او العقد الليمفاوية وهي الغـدد الصم ، ومنها ما يؤثـر عـلى النشاط الجنسي : فالهورمونات التي تفرزها الغدة الدرقية مثلا تؤثر عـلى السلوك الجنسي ، فاذا ازداد نشاط هذه الغدة ازدادت الرغبـة الجنسية واذا نقص هذا النشاط ضعفت الرغبة الجنسية • وهنالك غدة اخرى تؤثر على السلوك الجنسي وهي الغدة النخامية • وهناك أيضا غـدد الكظـر الملتصقـة بشحم الكليتين ، والهورمونات التي تفرزها هذه الغدد تنشط وظيفة القلب والعضلات وتساعد

على المحافظة على الضغط الاعتيادي للدم في الشرايين .

ان مجموعة الغدد التي تؤثر تأثيرا مباشرا على الوظائف الجنسية عند الرجال والنساء هي المجموعة المعروفة باسم الغدد الجنسية . وهي في الرجل الخصيتان وفي المرأة المبيضان وبالاضافة الى وظائف هذه الغدد المتعلقة باتناج النطف عند الرجل والبويضات عند المرأة ؛ فان الخصيتين والمبيضين تنتج عددا من الافرازات التي تؤثر على طول الانسان ووزنه وشحمه وتوزيع شعره. وتنتج الخصيتان الهورمون المذكر الذي يؤثر على نضج الاعضاء الجنسية . وهناك هورمون مؤنث ينتجه مبيضا المرأة يسمى ثيلين والمعتقد ان هذا الهورمون يؤثر على نمو الرحم والمهبل والثديين ، كما يؤثر على الرغبة الجنسية عند المرأة .

من المدهش ان نعلم ان اكتشاف الهورمونات هو اكتشاف جديد . ولم يتمكن الباحثون ـ بدافع من الاهمال الذي لم تعرف اسبابه ـ من اكتشاف هذه الهورمونات المذكرة والمؤنثة ومعرفة تركيبها الكيميائي الا في عام ١٩٣٤ . والهورمونات كما قلنا تؤثر على السلوك الجنسي عند الرجل والمرأة. ويظن بان زيادة انتاج هورمونات جنسية معينة عند بعض الاشخاص يجعلهم متمتعين بنشاط جنسي عظيم .

ولما كانت سن اليأس عند المرأة تؤثر على افرازاتها الهورمونية فلا بد من حدوث تبدلات هامة في نشاط المرأة الجنسي بعد بلوغها هذه السن .

ومع ان هناك علماء يقولون ان للرجل مرحلة تمكن مقارنتها بمرحلة سن اليأس عند المرأة فانني شخصيا أشك فيما يقوله هؤلاء الاشخاص عن حدوث تبدلات في جسم الرجل شبيهة بالتبدلات التي تصيب المرأة في سن اليأس .

ان سن اليأس عند المرأة يعني انتهاء خصبها وهذا امر يصيب النساء جميعا بدون استثناء . ولا يعني هذا ان المرأة تتجرد في هذه السن عن الرغبة الجنسية ، فسن اليأس لا تجردها من القدرة على ممارسة الجنس والرغبة فيه

شريطة ان تظل متمتعة بصحة عامة جيدة • وتلازمها هذه الرغبة حتى السبعينات • والحقيقة هي ان بعض النساء يصبحن اكثر تمتعا بالجنس بعد سن اليأس • ومما يزيد من هذا التمتع شعورهن بالطمأنينة بان ممارستهن للجنس لا تؤدي الى الحمل •

من الحقائق المعروفة ان معظم الرجال لدى تجاوزهم الخمسين من العمر يصابون بضعف تدريجي في قدرتهم الاخصابية • وبعبارة اخرى فان سائلهم الحيوي لا يعود يحتوي على عدد كاف من النطف او على نطف سليمة تسبب الحمل في كل مرة يزاول فيها هؤلاء الرجال عملية الجنس في ظروف مواتية للحمل عادة في غير هذه السن • ومع ذلك فما اكثر الرجال الذين ينجبون الاطفال في سن متأخرة • ومقابل ذلك يستحيل ان تحمل المرأة في سن الستين او حتى أقل من ذلك بكثير •

ولكن عجز الرجل عن انتاج النطف وانجاب الاطفال بسبب التقدم في السن ، لا يعني زوال رغبته الجنسية وانقطاع شعوره بالنشوة الجنسية فهذا امر يعتمد على قدرة الرجل على تحقيق انتصاب عضوه التناسلي •

ان هذا هو العامل الاساسي في الموضوع وبسببه يشعر كثير من الرجال بالضعف الجنسي اذا لم يستطيعوا تحقيق مثل هذا الانتصاب •

وبالرغم من الحقيقة الماثلة وهي ان بعض التبدلات الهورمونية تحدث عند الرجل بين الخمسين والستين من العمر فتؤثر على وظائف البروستات والخصيتين ، فان معظم هذه المشاكل ينشأ عن اسباب نفسية لا جسدية صحيح ان الرغبة الجنسية تخف حدتها فلا يعود الرجل راغبا او قادرا على الاكثار من الجنس ، غير ان الرجل المكثر في شرخ شبابه (سليقة وبدون شعور بالوهن بسبب اكثاره للجنس) يظل قادرا على ممارسة الجنس مرة او مرتين في الاسبوع بين الخمسين والستين من عمره • ولكن من المخف ان يصاب مثل هذا الرجل بالاضطراب والضياع اذا شعر بخور في قوته الجنسية•

ان الخوف من العنة عند الكبار والصغار ينشأ عن مؤثرات نفسية ، وهكذا يقع الكثيرون فرائس حلقة مفرغة : اذ يصابون باضطراب نفسي يؤدي الى اصابتهم بالعنة وهذه تزيد من اضطرابهم النفسي وتفاقم شعورهم بالضعف الجنسي وهلم جرا •

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العددان ٣ و ٤ مجلد ٦٥ اذار « مارس » ونيسان « ابريل » ١٩٧٧ م
ربيع الاول وربيع الثاني ١٣٩٧ هـ

هذا الكتاب

شاهد على المذبحة

زهير ماريني

يقوم مقام العددين الثالث والرابع من العرفان لسنة ١٩٧٧م ١٣٩٧هـ ، فالى اللقاء مع القارىء الكريم في العدد الخامس في منتصف شهر ايار « مايو » حيث يطالع القارىء المقالات العلمية والادبية والتاريخية الرائعة لمشاهير كتاب العالم العربي مع تدارك ما لم ينشر للاق عن انصار العرفان والوفيات وغيرهما .





هذا الكتاب

في صبيحة يوم الاحد ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٧٦ امسكت بالقلم وبدأت اكتب عن (المذبحة) في لبنان وفي ذهني خطوط عريضة للمسرحية التي الفها اديب الماني شاب اسمه (رنير فسباندر) وعنوانها (الزبالة •• والموت •• والمدينة) •

بطل هذه المسرحية واحد من تجار السياسة يقول عن نفسه :

(انا تاجر سياسة اريد ان انتقم من الناس •• من كل الناس •• لماذا ؟ انها حسابات قديمة بيننا •• ولم يفلح الزمن في ان يشفي احدا منها •• ان الناس يقبلون على السياسيين الذين يتاجرون بهم •• وقد حاولت عبثا ارشادهم فضلوا ، انهم بطبعهم يتعلقون بالمهرجين ، وفاقدي المروءة والشرف •• فرأيت ان افضل وسيلة للانتقام من هؤلاء الاغبياء تسليط اشرار السياسة عليهم •• لهذا رحت اشتري تجار السياسة ثم اهدمهم •• والغريب ان هذا العمل اكسبني الملايين واراحني •• لا يهمني ان كان صوت الضحايا الذي احب سماعه في الليل او عند الفجر صوت طفل مذبوح •• او فتاة اغتصبت •• او عجوز ينتحب •• كل هذا لا يهمني •• بل يهمني ان يعرف الناس حقيقة تجار السياسة الذين يذيبون شحم الابرياء ولحمهم ويكدسون الاموال !! •• فهؤلاء ، كل الذي يهمهم الجاه والمنصب والمال ولا يرون امامهم سوى الجماجم والعظام) •

هذه المسرحية تعرضت لاعنف هجوم شهدته اوربا ، واختلف الناس حولها •

اناس قالوا :

ولكنها الحقيقة •• فما الذي ضايق القراء من ذلك ؟

واخرون قالوا :

انها الحقيقة ، فلا داعي لذكرها عارية ...

من المؤكد ان ما ذكره الكاتب الالماني عن تجار السياسة ينطبق على الذين امتهنوا المتاجرة بهذه السلعة البشرية في الساحة العربية .. لقد اثبتت التجارب ان تجار السياسة في الوطن العربي يصح فيهم القول : « انهم يحبون رشاش الدماء وريح القتر » .. ولا بد من تعريتهم امام انظار مؤيديهم بذكر حقائقهم ..

فما جرى في لبنان شيء فاضح، ولا يفيدنا في شيء ان ننكر او نتجاهل بان ما جرى ايام (المذبحة) يمكن ان ينسى بسهولة .. فالكراهية التي تفجرت وقتلت ودمرت واغتالت وفتكت ستصبح اشد خطرا اذا بقيت في النفوس والاعماق ..!

ان الذين عاشوا المذبحة بكل هولها وبشاعتها لديهم ما يروونه ، ولكنهم في خوف من سرد الحقائق . لهذا لا بد من ان نستعيد القدرة على الكلام بصوت عال لنتحدث عن انهار الدماء التي سالت ظلما .

الكتابة ..! كم تتساءل الآن ما هي ؟ وتتعثر ..!! ذلك ان الكلمة قد ذبحت ، وعلينا ان نعطي الحبر زخم الدم اذا اردنا لكلامنا ان يقرأ .. فما لم نعط الحبر الذي به نكتب مرتبة الشرف فان كل كلام سيسفح .. كما سفح الدم .

لنعترف اولا ان كل كاتب الان متهم ...

كلنا تاجرنا بالكلمة سلبا أو ايجابا ...

صحيح ان الذي سيحاول المحافظة على شرف الكتابة سيدمر .. ولكن الصحيح ايضا ان الارض في لبنان التي تقيأت من جوفها دماء الابرياء تريد ان تتطهر ، ولا يطهرها سوى دماء شهداء الكلمة ..

فاذا سقط شهيد قلم فان هذا السقوط وحده سيكون الهدية ؛ النجم ، لكل الابرياء الذين هدر دمهم ظلما ...

لقد فقدنا جميعا كل شيء حين وقفنا أمام (المذبحة) عـراة من كـل فضيلة ••• ومن حق الناس اتهام الذين تاجروا بالكلمة الحرام •••

ان السواد أمامي وانا اكتب عن المذبحة كثير ••• ودم الابرياء من ابناء وطني يلون كل حرف •• كل سطر مما اخط •••

ان قصة المذبحة طويلة ••• وستكون تاريخا حافـلا بالفضائح التـي يندى له جبين الانسانية ، ولكن لا بد لهذه « المذبحة » أن تكتب في يوم ما، لا بد ان تذكر الحقائق مجردة بدون اصباغ وتلوين •

اعترف انني مضطر لان أتكلم عن القصص التي شاهدتها ، وعن الذين ارتكبوا الجرائم ، وفيهم من تشف حساسيته حتى لتضيق بهمسة نقـد ••• وفيهم الشباب الذين ظهروا بسلاحهم على الطريق كقطاع الطريق ••• وفيهم من تجمد قلبه وجفت مروءته ••• ثم علي ان أكون الراوية المحيط ، والناقد الذي لا يحابي ••• والمتنبيء الذي لا يكذبه الغد • • وعلي أن أرقص على الصراط فلا أهوى ، وان أعمل المبضع في بضع من كنت أحب وأحترم فـلا تسيل المحابر والدماء ••• أوليست هذه بالصعوبة الكبرى ؟

على اني سأحاول ، رغم الصعوبات ، ان اظفر بشيء لا أخجل بـه اذا قدمته ••• ولا تضيق به ، او تتسع عنه ، موازين المتقاتلين على الضفتين ••• وسأحاول الموضوعية ما استطعت ••• ولو اني أعرف أنها في الافق البديعي (الاستيتيكي) زئبقية الملامح كألاعيب الجن على المـوج ••• واعرف انـي لست بناج من متعصب يجرحني لمجرد اني قفزت من فوق افكاره ••• ولا من مخالف ينكر علي رأيا او أكثر من رأي ولو ذبحت الجهد ••• ومع ذلك فقد أقدمت رغم المخاطر ••• لقناعتي ان من اسباب المذبحة جهلنا بالحقائق ، وهي مشكلة الصديق الجاهل ••• وما دام الجهل مشكلتنا الاولى ••• والفواصل بيننا كبيرة والحيطان اضحت بيننا منيعة فلا بد من اقتحام غابـة المذبحة ••• ترى ما الذي جرى في لبنان ؟ ترى ما الذي سوف يجري ؟ هذا مـا سيرويه شاهد على المذبحة •

زهـير ماردينـي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

البداية

في ٢٦ شباط ١٩٧٥ ، جرت في مدينة صيدا تظاهرة قام بها صيادو السمك احتجاجا على شركة (بروتيين) فوقع اشتباك بين المتظاهرين وقوى الامن اصيب فيه النائب السابق معروف سعد برصاصة ادت الى استشهاده في ٦ اذار . فجرى تشييعه في جو حماسي خلا من وجود اية قوة لبنانية .

وفي ١٣ نيسان ١٩٧٥ وقع حادث كان بمثابة بداية (المذبحة) ، فحوالي الساعة الحادية عشرة صباحا ، وكان نهار احد ، وبينما كان جمع غفير يتقدمه رئيس حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل ، يحتفل بتدشين كنيسة للروم الكاثوليك في شارع مار مارون ، في عين الرمانة ، قام اربعة مسلحين باطلاق النار على الواقفين خارج الكنيسة فقتل (جوزف ابو عاصي) مع ثلاثة اخرين . وبعد ربع ساعة ، وصل اوتوبيس يقل عناصر من الكفاح الفلسطيني المسلح وغيره .. فانهالت عليه النار من كل جانب ، فقتل ٢٧ شخصا من ركابه ..

وتوالت ، بعد ذلك الاصطدامات والاشتباكات ، واتسعت في بيروت وضواحيها ، وفي سائر المناطق اللبنانية ، حتى غدت معارك حقيقية ، استمرت على مدى ١٩ شهرا .

نحن
الذين
نصنع
الفساد ،
والفساد
هو
الذي
يقتلنا !

[redacted] مروا من هنا !

جميع الذين عاشوا (المذبحة) في لبنان عن قرب وتعايشوا معهــا لــم يستطيعوا اطلاق اسم معين عليها ... كانت الحيرة تمزق كيانهــم ... فلــم يسبق في العالم أن جرت مثل هذه المذبحة على مدى تسعة عشر شهرا دون ان تهز الوجدان العالمي او حتى تحركه ... وحتى الوجدان المحلي قــد تجمــد وسيطر عليه الجنون الجماعي ... من هنا كانت الحيرة في التسمية ...

هل نسمي ما جرى ـ مثلا ـ حربا أهلية مثل تلــك التي نشبت عــام ١٩٣٦ بين قوى الجمهورية ، وقوى الجيش الاسباني بقيادة الجنرال فرانكو ، ووقوف الفاشيين في ايطاليا والنازيين في ألمانيــا الى جانب فرانكو ، ووقوف الاتحاد السوفييتي الى جانب الحكومة الجمهوريــة ... بينمــا الحكومتان البريطانية والفرنسية تدعيان الالتزام بسياسة عدم التدخــل رغم انهما كانتا تساعدان بسياسة عدم التدخل ـ من طرف خفي ـ كلا من الاطراف المتنازعة لان هدفهما واحد وهو استمرار القتال الى أن يضعف كل من الفريقين فلا ينتصر على الآخر ؟ هل يمكن ـ مثلا ـ ان نعتبر ما جرى ويجري في لبنان حربــا كتلك التي كانت الى عهد قريب ، تجري في الهنــد الصينية بــين القــوات اليسارية في فيتنام وكمبوديا ولاوس .. وبين القوات المتحالفة مع الولايات المتحــدة الامريكية .!؟

هل يمكن ان يكون ذلك الذي جرى في لبنان من طراز ونسق الحرب الكونغولية التي كانت تستهدف استقلال (كاتنغا) ، او النيجيرية التي كانت تستهدف انفصال (بيافرا) ؟

ان جميع الدراسات القانونية والتاريخية ، ودراسات الحروب الشعبية لا تندرج بالمقارنة مع الحرب التي جرت في لبنان ... فالمذبحة في لبــنان لا تشبه اي نوع من تلك الحروب التي جرت في الساحة العالميــة على مــدى

القرون المتعاقبـــة ••

كما أنه لا يمكن بشكل من الاشكال وبصورة مـــن الصور ان تـــدرج (المذبحة) تحت اي نوع من الحروب التـــي يمكن ان تسمى حربـــا بمفهوم القانون الدولي والدراسات التاريخية •

لقد أتاحت لي ظروف حياتي الصحفية ان أشهد جانبا من حرب الجزائر التي كانت تدور بين جبهة التحرير الجزائرية والقوات الفرنسية ••• وأتيـــح لي ان اغطي بعض أخبار حرب التحرير التي قامت بين قـــوات اليمـــن ضـــد القوات البريطانية المتمركزة أساسا في عدن ••• كما أتيـــح لـــي كصحفي ان أشهد الثورات والانقلابات والانتفاضات التي جرت في الساحتين الآسيويـــة والعربيـــة •••

واقسم ان ما شاهدته بأم عيني في لبنان مـــن مجازر وحشية ، لـــم أره ولم أسمع به ، ولم أقرأ عـــن مثيل لـــه في كل ما شاهدته من حروب وثورات وانقلابات وانتفاضات ، وفي كل ما قرأت عن الحروب البربرية ، حتى عـــن الحروب الصليبية التي بلغت الذروة في البشاعة واللاانسانية •••

لم تعرف حروب التتر والمغول أبدا ما يمكن ان يطلق عليـــه (القتـــل بالهوية) ••• لقد شاهدت العديد مـــن بني البشر بينهـــم الشيـــخ والشاب والطفل يذبحون كما تذبح النعاج بعد ان ابرزوا بطاقاتهم الشخصية ؟

أحد هؤلاء وكان شابا لا يتجاوز العشرين ربيعا لم يكن يحمل هويته ، فأمروه بخلع ملابسه كلها بما فيها ستار العورة •• وعن طريق مشاهدة العورة تم قتله لان عورته دلت على هويته !!

وكان القتل يجرى بالرصاص والسكاكين والارجـــل ، والذين مارسوا هذه الوحشية كانوا من الشباب الذيـــن لا يمكن ان يطلـــق عليهـــم وصف التخلف ••• كان منهم طبيب الاطفال ـ اي والله طبيب أطفـــال ـ ومنهـــم

المهندس المرموق ومنهم مدير فرع لمصرف أجنبي ... ومنهم ايضا وايضا من لم يعرف في حياته سوى التهريب ، وامتهان القتل بالاجرة .

لم يعرف تاريخ الحروب أبدا ما يمكن ان يطلق عليه (القتل بالهوية) .. ولم يعرف هذا التاريخ على كثرة ما عرف فئة من المقاتلين يحتمون بين الدور ويطلقون مدافع الميدان التي لا تستعمل الا في الحروب النظامية ، يطلقونها على المدنيين الآمنين ، فاذا القتلى بالعشرات والجرحى بالمئات ...

كما انه لم يعرف تاريخ الحروب ان الانسانية قد انعدمت بصورة مطلقة ونهائية كما انعدمت عند المتقاتلين ، في لبنان ..

فلقد ثبت بكل الادلة المانعة القاطعة ، ان وحوش الغاب أرحم وأنبل بكثير من هؤلاء الذين حملوا السلاح في لبنان وانطلقوا يقتلون ويدمرون..

ولو ذكرت القصص التي شاهدتها ، والحكايات التي سمعتها ، والروايات التي رويت عن هذه الوحشية لاحتجت الى ألف كتاب وكتاب ، ولو نشرت الصور التي التقطتها بنفسي ، والتي أخذتها من الصحفيين الاجانب الذين شهدوا المذابح عن قرب ، لملأت قلوب القراء رعبا وهلعا ...

ويكفي ان أقول ان حرب الابادة الجماعية التي عشتها في لبنان ، لم يعرف أحد في العالم العربي ، بل ولا في العالم كله بشرقه ومغربه مثيلا لها في وحشيتها وفظاعتها ...

ويكفي للتدليل على ان ما جرى في لبنان قد فاق الحد في العنف واللاانسانية واللاأخلاقية ...

يكفي أن أحدا من قادة المقاتلين على كثرتهم وتنوعهم ، لم يستنكر علنا ما فعله رجاله ، ولو من باب (رفع العتب) ... لقد مارس الجميع ، ابادة قطاعات كبيرة من قطاعات الشعب في لبنان ، فقتلوا ، وعن عمد ، الابرياء ، مستخدمين أفظع الوسائل وأكثرها وحشية وجبنا ونذالة . والذين اتيحت لهم

فرصة الاطلاع على ما تنقله أجهزة الاستماع العربية عن الصحف اليهودية ، وما تذكره نشرات أجهزة الاستماع نقلا عن الاذاعات الصهيونية ، أدركوا أن اسرائيل لم تسعد بشيء منذ وجودها الاغتصابي في عام ١٩٤٨ كما سعدت وتسعد بما يجري في لبنان من مذابح وحرب ابادة ..

وأي شيء يسعد العدو الصهيوني أكثر من رؤيته لبنان : « دما مسفوحا وعرضا مباحا » !!

(لبنان) الذي عرفه العرب ـ قبل المذبحة ـ لم يعد موجودا ..

بعضه دمرته (المذبحة) ..

عشرات الآلاف من أبنائه سقطوا قتلى وجرحى !

عشرات الآلاف من أبنائه أصبحوا بلا مأوى تضمهم المساجد والكنائس والاديرة ...

الهاربون من بيروت وحدها ، يبلغ عددهم نصف سكان المدينة الضحية ..

تسعمائة ألف لبناني ، كما تقول الاحصاءات الرسمية ، عبروا حدود لبنان جوا وبحرا وبرا هاربين تحت الأخطار الى البلدان الاجنبية والعربية .. هذا عدا ما قيل بأن سورية ضمت نصف مليون لبناني هربوا اليها !!

ولا أحد يعرف بالدقة كم عدد القتلى ... فهناك من يقدر هذا العدد بأربعين ألف قتيل ... وهناك من يزيد ويزيد ..

لكن الحقيقة الثابتة ، ان لبنان دفع أغلى ثمن في تاريخه من دماء أبنائه ...

أما أبناء النازحين الفلسطينيين ، فليس هناك من رقم حقيقي للضحايا من الشيوخ والنساء والاطفال والرجال والشباب ... لقد دفع الفلسطينيون بدورهم ثمنا فادحا في الحرب الوحشية .. (تقرير ياسر عرفات الى اللجنة المركزية به يروي أن عدد الضحايا الفلسطينيين/٣٩/ألفا) !!

أما خسائر لبنان المادية فتصل الى أرقام قياسية لا يمكن حصرها ، فما يقارب نصف لبنان نهب ودمر ...

انها (المذبحة) المروعة ، التي أشعلها اولئك الذين يضعون على وجوههم الاقنعة ، والدمى التي تتحرك بخيوط رفيعة لا تكاد ترى في العين المجردة.. كان الهدف وما زال نقل السرطان الى الجسم اللبناني ... لكي تطفأ آخر شمعات الحرية في الوطن العربي ... ونجح الهدف !!

لقد أمضيت قرابة الاشهر الثلاثة دون ان استطيع الاقتراب من القلم والورق والحبر ، فما شاهدته في لبنان على مدى ١٩ شهرا يتجاوز كل وصف اصطلح عليه الانسان منذ ان قتل قابيل أخاه هابيل ، مرورا بكل الفتن الدينية والطائفية والعشائرية على مر العصور ...

(مليشيا) بطابعها المذهبي ، تقاتل ميليشيا مضادة ... فصائل هذا الحزب تقاتل فصائل ذاك الحزب ، مسلحو قرية يقاتلون مسلحي القرية المجاورة ...

فصيلة من الجيش تنضم الى هذا الفريق ... وسرايا أخرى من الجيش تنضم الى ذاك ، وبعض الجيش يفضل الحياد ...

قائد عسكري يصدر بيان انقلابه الاول من اذاعة ومحطة تلفزيون تأتمران بأمره ، او بأمر غيره ، لا فرق ، فيرد عليه قائد عسكري آخر ببيان انقلاب مضاد يذيعه من محطة اذاعته وتلفزيونه ...

وينبري ملازم للجيش ليتحدى هذا وذاك من محطة ثالثة يعلن منها عن نفسه انه قائد . رئيس الدولة يتبرأ من رئيس حكومته ، ورئيس حكومة يتبرأ من رئيس دولته وجميع الاجراءات التي يتخذها ...

... منظمات (تحرير) مرابطة وغير مرابطة يستعصي على المراقب الحيادي حصر عددها او مسمياتها المثيرة ، تمتلك كل واحدة منها جيشا خاصا بها ، له قناصته ، ودورياته المدرعة ... واذاعته !!

وتحولت معاهد العلم والمكتبات الوطنية الى أماكن لتدريب المجرمين على السرقة والقتل وهتك الاعراض !!

نواب في البرلمان يعلنون على الملا ويقسمون بالشيطان الرجيم أن أرباحهم من تجارة السلاح التي يجهزون بها المقاتلين دونما تحزب ولا تمييز ، لم تزد على ١٢٪ لا كما يدعي منافسوهم ، وهم اعضاء في المجلس النيابي ، انها تجاوزت الربح المشروع ...

ورجال الاحزاب ـ يا لرجال الاحزاب ـ مشغولون بسوق السياسة السوداء ... لكسب تأييد هذا الفريق المحارب وذاك ... ورضا هذه الدولة وتلك ، لقبض ما يفتح به الله من رزق (حلال) ...

وصحف صفراء وحمراء وسوداء تصدر في مواعيدها من بين الحرائق والانقاض وجثث الموتى المتعفنة ، ومن تحت سماء مظللة الصواريخ ومدافع الهاون والقنابل والرشاشات ، وهي تشحذ همم المقاتلين الذين يدافعون عن (حرية) الموت ، وتشيد ببطولات وتضحيات الذين يغامرون بأرواحهم لنسف او حرق ممتلكات الابرياء ..

... حكومات عربية ، وغير عربية ، أقامت الجسور الجوية والبحرية والبرية ، تمد (المذبحة) بالوقود كلما أوشكت على الانطفاء .. تغذي جنون المقاتلين بالذهب والدولار والدينار لتظل نفوسهم مستعرة بلذة تجارة الموت وعمارة الخراب والتدمير ...

والناس ... او الطوائف ... سكارى وما هم بسكارى من عذاب حافة اخرة الدنيا ، لا يدرون ماذا يفعلون ... يهاجر من يمتلك منهم المال بعيدا عن الجحيم ، ليجدوا أنفسهم في جحيم أشد وأقسى الا وهو جحيم الغربة ... هربوا تاركين وراءهم ما ملكت أيديهم وما جنوه طيلة حياتهم .. ويعتصم آخرون في الجبال في حمى هذا الفريق وذاك مقابل دية ترتفع أسعارها وتنخفض حسب العرض والطلب ... فاذا الصواريخ تزورهم

مؤكدة لهم ان حال الهارب الى الجبل كحال المقيم في السهل والمدينة !

وبينما يلهو الآخرون بلعبة الموت ... ويستكين العاجزون في بيوتهم ليموتوا تحت الانقاض ، ينفرط العقد الذي ينظم المجتمع اللبناني ، فلا روابط بين العائلة الواحدة ، وكل يهرب برأسه وهو يود ان تطاح جميع الرؤوس دونه ...

وشعوب تقرأ وتسمع ما استجد من جنون الاقتتال ، ووحشية وبربرية التقتيل والتخريب واشعال الحرائق ... ومنع اطفاء الحريق ، وتعمد قتل الناس بالجوع والعطش ...

وتدير هذه الشعوب أجهزة راديواتها على الاذاعات الاجنبية لتستمع الى ما يقوله العالم عن لبنان الجريح وهي اقوال لا يجرؤ قلم عربي واحد ، يمتلك ذرة من الحياء والشرف ، ان يأتي على ذكرها ، أو حتى يفكر فيها ...

***

رب سائل يسأل هنا كيف كنتم تعيشون وسط هذا الجحيم ؟

كيف تحملتم الجوع والعطش والخوف ؟

من الصعب على أي كاتب مهما بلغت قدرته في التعبير ان يصف تلك الحالة التي كنا نعيشها وسط دوامة الرعب ...

اذا نظر الناس بعضهم الى بعض ... وحاول كل واحد ان يفرك عينيه اللتين اضناهما التحديق في المجهول .. ثم حاول ان يمسح اذنيه اللتين خف سمعهما من دوي القنابل والمتفجرات والصواريخ وطلقات الرصاص الحارق. وانتفض بعضهم وراحوا يضربون رؤوسهم في الحائط كان رؤوسهم ساعة حائط قديمة وقفت وفي حاجة الى هزة عنيفة ... فلا بد أنهم معذورون ... لان ما يشاهدونه من أصناف الفواجع على الارض اللبنانية شيء غريب .. وشيء مختلف عن كل المذابح التي سمعوا بها ..

فهؤلاء الناس الذين رأوا الصواريخ تزورهم في الليل والنهار تدمر وتقتل، ورأوا أطفالهم يصرخون نريد ان نأكل ... ونساءهم تطالب بالماء، ولا ماء، من حقهم ان يتساءلوا ... لماذا كل هذا ؟

وحين لا يأتيهم الجواب يقولون :

من هو المسؤول عن كل هذا ؟

شيء من هذا ... او مثل هذا ... حدث للمقيمين في لبنان ... فخلال ما يقرب من سنة ونصف سنة هزم الانسان في لبنان ...

هدم المتقاتلون مقاييس الحرب والقتال ... والنصر والهزيمة ... دم ... دم ... وسقط كل شيء، بل انهار كل شيء ... ولم يعد أمام الانسان الا الاستسلام لليأس ..

كنا نقف أمام الاحداث التي تفتت الصخر، كما يقف الانسان امام ميت .. وفقدت الارقام دلالتها ... كان رقم سقوط مئة قتيل وثلاثمئة جريح والعثور على ثلاثين جثة في يوم واحد لا يهز الناس، حتى ان الصحافة عادت لا تنشر مثل هذه الارقام في صفحاتها الاولى، بل تركتها للصفحات الداخلية كانها اعلانات مبوبة، لقد تجمد التاريخ عند هذه الاحداث، وتجمدنا نحن..

لم يكن لدينا ما نفعله أمام ما نراه ونسمعه ... وانقسم الناس الى قسمين :

الاول يتهم المقاومة الفلسطينية وحلفاءها بافتعال هذه (المذبحة) ..

والقسم الثاني يتهم الكتائب وحلفاءها ..

وضاعت الحقيقة ... ولم يقل أي من الطرفين، او القسمين بأننا هزمنا حين هزمنا الانسان فينا، واننا فشلنا لاننا سحقنا العقل واطلقنا للغرائز البدائية العنان !!

نحن نعرف الآن الكثير مما كنا نجهله قبل المذبحة ... فهل الذي نعرفه يكفي ؟

هذه مشكلة ...

أو هل من الممكن ان تهرب من مثل هذا العار القومي الذي لحق بالجميع ، وأدان الجميع ... فنشغل أنفسنا بأشياء أخرى ... ونغرق همومنا في انفعالات أخرى ...

او نقبل باعلان افلاسنا ؟

كنت أسأل جميع من أعرف من المفكرين والكتاب : هل تكتب اي شيء ؟ هل تفكر ؟ فيدير سامعي نظراته حولي كأنه يرى معتوها ؟

ذلك ان الكلمات قد فقدت معناها ... والكلمات مثل عملات انكشفت ... لم يعد لها غطاء ذهبي ... فالناس بعد ان رأوا ما رأوه من وحشية وفظائع تندى لها جبين الوحوش الضارية عادوا لا يعرفون معنى الغطاء ... معنى العملات ... معنى الذهب ... انه نفس الشعور الذي يغمر المعتوه..

فلم يسبق لاي شعب في الدنيا ان شاهد دولته تنهار بمثل هذه البشاعة ...

لم يسبق لاي شعب في الدنيا ان أحرق بيديه مؤسساته العامة والخاصة وهو يرقص .!!

وكان هناك ما هو أفظع من كل هذا ، وهو ذاك الشعور الآخر المؤلم : وهو الارتياح لهذا الشعور ، فكان المقاتلون يروون بفخر واعتزاز كيف اقتحموا دور الحكومة والمكتبات ودمروا وأحرقوا ما فيها على من فيها ...

وفقدنا الامل بكل شيء ...

فقدنا الامل بالسياسيين ، وبرجال الاحزاب ، وبكل ما انتجته المذبحة

وما أفرزته من قيادات ... وفقدنا الامل بوقف اطلاق النار بعد ان رأينا القرار رقم ٥٤ من قرارات وقف القتال يتحر على مصباحه كالفراش !!

والاهم من فقدنا الامل بالحاضر ، فقدنا الامل بالمستقبل ... ووقفنا أمام الجثث الملقاة تحت الجسور ونحن أتعس حالا من الجثث التي عادت لا تشعر وتحس ...

والقينا بالايام والاسابيع والشهور الى البحر ... فلا أيام ولا شهور ولا سنوات بعد ذلك ..!

وجاء بعض الحكام العرب الينا يسألون ، ولكن بعد فوات الاوان ..

كنا حين وصلت بعثة الجامعة العربية مع قواتها الرمزية الى بيروت كنا نستكثر على انفسنا حتى ان نعيش ..

فنحن لا نريد ان نضحك ... لقد نسينا الضحك أصلا ، ونسينا البكاء ، وما بين الضحك والبكاء ...

نحن لا نريد ان نرى اي شيء جميلا ... لقد طبعت صور الجثث المشوهة على جباهنا ...

وفي أي مكان نتجه اليه نكش من فوق وجوهنا ذباب الخزي ، ونمسح من وجوهنا طين العار .

***

ان تعيش في مجتمع مجنون لم تعد الارض فيه ملكا لبني الانسان شيء مرعب حقا ، خاصة بعد أن أصبح الناس لا يتصرفون تصرف البشر ... فلأول مرة في تاريخ هذه المنطقة العربية يصبح الخيال أضحوكة والواقع يمد لسانه للاسطورة ... ان القاتل الذي مارس الاجرام المتعمد لم يكن يعيش في الغابات ولا في الادغال ولكن وراء المتاريس وعلى أسطحة المنازل ، يقنص الابرياء وهو أشد قسوة من وحوش الادغال ، صحيح ان وجوههم تشبه وجوه الانسان بل وان المرء ليخلط غالبا بين الانسان وبينهم ، لكنه بعد ان

يسمع حديثهم لا يلبث ان يعرف انهم تحولوا بحكم ممارسة القتل اليومي الى نوع جديد من البشر . انهم لا يتصرفون تصرف بني الانسان ، ولكن تصرف البنادق ... لقد أصبح لهم مقاييس زمنية لتحركاتهم بـدلا من القلوب ... وكانت المأساة البشرية متشابهة في السهل والجبل ... لقـد استل المقاتلون الروح من الشعب ، ووقع المجتمع اللبناني بين أيدي الوحوش ... يتقن فيه المقاتل افناء أخيه ... لكن هذه في الحقيقة ليست الا وصفا غبيـا لمـا كان يجري في لبنان ، فالمأساة كانت أعمق من كل الالفاظ والنعوت ، فثمة اعصار هائل ثار وانطلق ... وليس هنالك في الافق ما يدل على ان الله قد اشفق على الانسان في لبنان ، كما حدث فـي سفينة نوح فوق الامواج ، فطفـا البعض من بني الانسان الذين ظلوا على انسانيتهم ، فوق دوامات ذاك الخـراب الجماعي الهائل ، وعملوا على الانقاذ ... ان كلمـة الانقـاذ هي الاشعـاع الوحيد الذي ظل يتضاءل على مدى ١٩ شهرا ، ولكن هذه الكلمـة بدورها قد سحقت لكثرة ما رددها سدنة الجريمة ومضغوها في افواههم ..

ترى هل بامكان الذين نجوا مؤقتا ان ينقلوا للناس بعض المشاهد التي عاشوها ، والتي تشبه اعماق جحيم انسانية معذبة ؟

ان آلوف الافكار تدوي في رأسي وتموج وأنا أحاول الاقتراب مـن المأساة لاروي بعض تفاصيلها ، غير انني ما ان أبدأ في الكتابة حتى ارى لهب النار يتراقص أمام عيني ، فأشعر ان يدا خفية تعتصر قلبي . . ذلك أنني كنت أخاف من المتعصبين ، والمتعصبـون لا يحترمون قوانين المنطق ، وكل محاولـة لاستعمال الكلمة الصادقة تجلب لقائلها المزيد من الاراجيف ... وبما انـني اعتدت على هذه الاراجيف والفتها والفتني صممت على اقتحام غابة الوحوش الضارية ... وحين بدأت أخط السطور الاولى على الورق كان جسمي كلـه عبارة عن جرح عميق ، وظل عقلي وحده متيقظا ...

كنت أرى المجتمع اللبناني يتمزق ، وكنت أتمزق معه ، وكنت على ثقـة بأن مجتمعا يتكون افراده ، من وزيرهم الى أدناهم على نحو مخجل لا يمكن الا ان ينهار ... وحين بدأ ينهار لم يطف على السطح مسؤول واحـد لديـه

الجرأة كي يقول الحقائق ! وأطل الخوف بهوله يتحكم في الاقوال والافعال. وكان خوفا جديدا لم يسبق آن آلفته ...

لقد عرفت الخوف القديم الذي عاشته شعوب الانقلابات والانتفاضات والثورات ... ولكن الخوف الذي عشته في لبنان كان جديدا على الانسان. كنت أخاف من الارض والكلمات والهواء ... لقد عرفت سجون الانقلابات ومع ذلك لم أكن أشعر بالخوف ... حتى حين رأيت الاجساد تتقطع أمامي تحت السياط لم أكن أشعر بكل هذا الخوف الذي كنت أشعر به في بيروت.. ولم أرتعد مرة امام انسان لاني اعرف ان بني الانسان يتمتعون بطيب النفس وخبثها معا ، فكان بعضهم ميالا للطيبة والبعض الآخر للخبث ، لكنهم جميعا يجمعون بين الاثنين ... اما في بيروت فقد ارتعدت فعلا في يوم (السبت الاسود) حين رأيت رشيشا يحصد العديد من البشر لمجرد انهم كانوا من طائفة غير طائفة القتلة ... وكنت أطل على هذا المنظر من نافذة عالية فأغمي علي ... ومنذ ان افقت وأنا أخاف ... فقد كنت أشعر باحساس غامض ينذرني بانني سأؤخذ ذات يوم واذبح لانني من طائفة معينة ... وكان معنى ذلك ان كل عدالة هنا قد اختنقت بعد ان خافت .. وبهذا لم يعد المخلوق من لحم وعظم القادر على الشعور بالفرح والالم موجودا ... وأصبحنا جميعا لا وجود لنا و لاأثر ... اننا عديمو الوجود ... ان وجودنا مقتصر على اعتباره كسرا في الحسابات ... كان واحدنا حين يحصل على رغيف الخبز يود لو يأكله وحده ... وحين يعثر على ابريق ماء يتمنى ان يشربه وحده من دون الناس ... وكان على الجميع ان يواجهوا المقاتل الوحش الذي يختبيء في زوايا البنايات ويبعث بصواريخه الموجهة الى الابرياء دون تمييز ... حتى الهرب من مجتمع الشيطان لم يعد متوفرا ، واسقط في يد الفقراء خاصة ...

سألني مرة قريبي وكان عمره يتجاوز التسعين عاما ، وكان يزورني :

ـ هل سأراك غدا ؟

قلت : اذا بقيت حيا ستراني فمن يدري ماذا سيحل بي بعد ذهابك ..؟

في اليوم التالي لم أقتل أنا بل قتل قريبي ... دخلوا عليه وأمطروه ١٥ رصاصة وتركوه يغرق في دمائه ثم اندفعوا ينقلون أثاث المنـزل ... وقد تفضلوا بتشويه وتحطيم كل ما لم يستطيعوا حمله ... كان منظرا بشعا حقا رؤية شيخ في التسعين يسبح في بركة دماء وعلى وجهه جواز سفره مغموسا بالدماء لانه كان من جنسية غضب عليها فجأة في ذلك اليوم ...

لم يكن هدفهم قتل قريبي بل نهب منزله ، فبعد ان نهب نصف لبنان صعدوا الى (الشتق) لنهبها . هذه صورة من الصور التي كانت تطالعنا صباح مساء ... صور تمثل رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا بين قتلى في الشوارع وتحت الجسور وفي غرف المنازل ، وظلام في الليل ، وجوع وعطش في النهار ، وسيارات شحن تنقل الجثث مع الزبالة ...

وكان على الجميع ان يعيشوا مع الوحوش البشرية ..

ان الرجال يستطيعون ترويض الثعابين ، والسيطرة على الاسود والنمور ... لقد كان لدى موسوليني نمران في مكتبه ... لقد حولهما من وحشين ضاريين الى حيوانين أليفين ... ان الانسان يستطيع السيطرة على كل الحيوانات المفترسة ... غير ان حيوانا جديدا ظهر في لبنان بين عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، وهذا الحيوان الجديد اسمه (القناص) ، انسان من لحم ودم لا يعيش في الغابات ، ولا في الادغال ، ولكن بين الناس ، ومع ذلك فانه أشد قسوة ووحشية من الحيوانات المتوحشة في الادغال ... ان لهم رغبات الوحوش الضارية ، مع أنهم ليسوا وحوشا ضارية ... بل ان بعضهم كان حتى الامس القريب من النخبة المثقفة التي تحتل المناصب ، وتتلقى العلم في الجامعات ... واعتقد أنهم كانوا يتصرفون في حالة من حالات اللاوعي ... كان الافضل ان يتحدث الانسان الى الحجارة بدلا من ان يتحدث اليهم ، ان اي عاقل او حتى مشروع عاقل لا يستطيع ان يوفق في اثارة اشفاقهم ... او اثارة فضولهم ، او في ايقاظ العواطف فيهم ، او حتى في ايجاد اي رد فعل في نفوسهم ... لقد أصبحوا بلا شعور ... والشفقة غريبة عنهم ... ولو اقتطع اسيرهم جزءا من جسده ، وكتب عليه بدمه الساخن ، مستجديا

رحمتهم لن يقرأوا شكايته ؛ بل انهم لن يعرفوا انها قطعة من اللحم ؛ اللحم البشري الساخن ...

ان الذي يدعو الى المرارة هو انك تحت وطأة الظروف مضطر الى ان ترى هؤلاء صباح مساء بأسلحتهم وثيابهم ، في الشوارع ، وداخل السيارات المصفحة ... وأحيانا فأنت مجبر على استقبالهم . أن الزمن الذي كنا نعيش تحت مظلته يشبه الى حد بعيد تلك الصورة التي رسمها الشاعر (ت . س اليوت) بريشته حين قال :

ان كل رعب يمكن ا نيحدد

وكل حزن له نهاية ما :

ليس في الحياة وقت نكرسه للاحزان الطويلة ،

لكن هذه ، انها خارج نطاق الحياة ، خارج نطاق الزمن .

انها خلود مستمر للشر والطغيان .

لقد تلوثنا بقذارة لا نعرف كيف نغسلها ،

قذارة متحدة بالهوام الخارقة للطبيعة ،

لسنا وحدنا ، وليس البيت ، وليست

المدينة التي تلوثنا ...

بل ان المجتمع كله هو الذي تلوث ..

هذا هو الوضع الذي كنا نعيشه في بيروت حيث لا كهرباء ، ولا ماء ، ولا هاتف ، وكان في جعبة كل منا مئات القصص الحية التي تكفي احداها لكتابة رواية كاملة ...

حدث مرة انني ذهبت بعد يوم خرست فيه القنابل لتفقد قريب لي يسكن على بعد أمتار قليلة من مستديرة الطيونه على طريق مطار بيروت الدولي ... ذهبت سيرا على الاقدام لانني لم أعثر على مجنون واحد يقبل

بنقلي في سيارته ... وهناك داهمتني القنابل والصواريخ فلجأت الى (كعب بناية) فاذا بي وجها لوجه أمام قريبي الذي أصيب بثلاث رصاصات في جسمه وراح يزحف قرابة ألف متر حتى وصل الى حيث وصلت ... لم يكن قد فتح عينيه قبل وصولي ، وما ان سمع صوتي حتى رأيته يباعد بين شفتيه ليتسول :

ـ عطشان ..!

قلت له وأنا أبلع ماء دموعي :

من أين لي أن آتيك بالماء وأنا لا أستطيع الحراك من هذا الرصاص المنهمر ...

وأخذت أتساءل عما يمكنني تقديمه الى الجريح .. لم يكن حولي ما يشرب ... تذكرت اني قرأت ذات مرة ان جنود جنكيز خان كانوا عندما يجتازون الهضاب والقفار دون ان يجدوا ماء يشربونه ، ينزلون عن صهوات جيادهم ، فيفصدون بخناجرهم شريانا من شرايين الحصان ـ عرق الحافر ـ ويمتصون الدم . ثم يضمدون الجرح ، ويسيرون الى الامام .

وهكذا كان جنود جنكيز خان ، لا يأكلون ولا يشربون طيلة أيام وأسابيع الا تلك القطرات من الدم الحار ... وسوس هذا الخاطر في نفسي فأردت أن أمنح الجريح قطرات من دمي لاروي عطشه ، ولعل الدم يفيده .. وارتفع صوت الجريح :

ـ عطشان ..!

وأعدت له العبارة بأن ليس عندي الآن ما يشرب ، فالبناء الذي يحمينا ليس فيه أثر للحياة ، فجميع السكان قد غادروه ، وان السائل الوحيد الذي استطيع ايجاده والذي أقدمه بكل سرور هو قطرات من دمي ، من دمي الشخصي ...

ـ عطشان ..!

وأبلغت الجريح عن عزمي فانتفض وصاح :

الشيطان وحده هو الذي يشرب دم الانسان ... فأجبته :

ان الذين أطلقوا عليك الرصاص هم من الشياطين الذين شقوا الارض واندفعوا بأسلحتهم يقتلون ويفتكون بدون هدف ...

ــ عطشان ..!

هذه آخر لفظة انطلقت من فم الجريح ... وحين وضعت رأسه على الارض لكي أذهب فأبحث له عن جرعة ماء كان الجسد بــاردا ... ولاول مرة أعرف ان الميت تفارقه الحرارة ويتيبس !!

ومع كل هذا كنا نستأنف الحياة اليومية ... كانت حياتنا المتبقية في أجسادنا قد تحولت كلية الى حركات آلية تقوم بها العضلات ... اما الغرائز والعقل والارادة فكانت ميتة ... لم يكن باقيا من اجسادنا الا الانعكاسات الآلية وحدها ، وقد اتسعت وعمت الجسد على شكل تشنج ، كذلك الذي يسبق النزع ويرافقه ، وتحولت الحياة الى حركة رتيبة ، لا تفكير فيها ولا ارادة ... وأضحى تفكيرنا مطبوعا بطابع الشذوذ .. نشعر ان جميع المقاتلين والسياسيين والقادة والمسؤولين يرقصون على ايقاع تقلصات أجسادنا ، رقصة شيطانية يشارك فيها الرئيس والوزير والقائد وكل الآخرين الذين يملكون وحدهم تحريك القطيع البشري ودفعه الى المسلخ ! يرقصون على ايقاع صرخات الاطفال وأنين الشيوخ وبكاء النساء ... ويستمر الرقص على أنغام أصوات المذيعين الذين (يجعرون) من خلف المذياع بما سرقوه من الكتب المترجمة !!

* * *

من المؤكد انه قد كتب ، وسوف يكتب الكثير عن تلك الايام من حياة لبنان التي يسميها البعض بالحرب الاهلية ، او الحرب الطائفية ، او (المذبحة) ... وأول ما تجب ملاحظته هو ان هذه الاحداث التي جرت على امتداد تسعة عشر شهرا لم تكن حربا بالمعنى المفهوم التقليدي لكلمة حرب . فالواقع انها كانت عمليات تدمير وتمزيق مأساوي للمجتمع العربي كله ، كانت

فضيحة كبرى كشفت للعالم الخارجي عن حقيقة المأساة التي يعيشها المواطن العربي ••• وسيبقى جرح لبنان حيا ••• وستستمر المأساة كالسوط لا يهدأ في أيدي النخاسين حتى يزول السوط والنخاس ••• تراها باقية ؟

••• وتمطت من الجاهلية الاولى صورة ابي قابوس المنذر ويؤم بؤسه السنوي لتتصل بيوم حادثة (باص) عين الرمانة ، ويوم السبت الاسود ، والاحد الاغبر •• ويوم المسلخ والدامور والنبعة وتل الزعتر والقاع ودير عشاش وتل عباس وبنت ملات •• شهر اثر شهر ، أيام بعد أيام تحولت بعبقرية شيطان عجيب من محرضات تلامس نخوة المعتصم الى أيام بؤس مكرورة تنتشلها دورة الارض حول الشمس ، من مستقرها ثم لتعود فترميها في غيابة المحفوظات العربية ••! الذين انغرست الفضيحة في لبنان كاللعنة الابدية ، سكينا جائعة وراء الشغاف والاعصاب يخشون على هذا الجرح ان يهدأ ••• ان ابتلعه الحذر فقد يعني ذلك بعض الموت ••• ورحم الله الموتى يوم (ما لجرح بميت ايلام) •••

ان اليوم الذي وضع العرب وجها لوجه ولاول مرة امام المعضلة الشكسبيرية المصيرية : ان نكون او لا نكون ، لم يكن يوم وعد بلفور ، ويوم التقسيم ، ويوم الاسكندرونة ، ويوم ١٥ (مايو) ـ أيار ـ ١٩٤٨ ، ويوم دير ياسين ، وقبية ، وكفر قاسم ، ويوم (الخاموس) من حزيران ١٩٦٧ ، ثم أيلول بعد حزيران ••• ولكنه أيضا وأيضا يوم عين الرمانة ، والسبت الاسود ، والدامور ، وتل الزعتر ، وبيت ملات ••• وكما اعتاد الناس على أيام دير ياسين وقبية و ••• و ••• فيجب ان لا نعتاد على الايام التي تلت ••• يجب ان لا يصبح المصير معه مصير ذلك الرجل التعس الطالع الذي عرف المنجم سوء حظه في كفه فرفض ان يكشف له خبايا قدره ، فلما ألح والحف قال له عندك عشر سنوات من التعاسة والشقاء والبؤس والمهانة والمتربة ••• وقال الرجل في لهفة :

وبعد ذلك ؟

قال المنجم : تكون قد اعتدت •••

هذا الاعتياد على الفضائح العربية التي لم يكن آخرها فضيحة لبنان هو ما ينتظره العدو على الجانب الآخر من الجبهة ، لانه يعرف انها صور أخرى من العجز والكساح أمام القدر (الاوديبي) المحتوم ••• ستتكرر !!

(كما اعتادوا سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ سوف يعتادون سنة ١٩٧٥ و ١٩٧٦) بهذا الامل ينتظر رابين وينتظرون ، ويلعب ويلعبون جميع الاوراق معا •••

قبل أن اقترب من غابة الاحداث التي عاشها لبنان مع أسبابها ومسبباتها لا بد من التوقف لحظات لاقول بأن العرب أيام (المذبحة) كانوا في مقاعد النظارة يتفرجون على القتال الدموي ••• من العرب من يقتل ••• ومن العرب من يتفرج !! أما القوى الكبرى قبل المذبحة وأثناءها فانما كانت تلهو بالشرق العربي وتتحداه وتستغله لانها رغم حرب رمضان ، وحرب البترول لم تجد فيه خطين يلتقيان في طريق •••

سورية ضد العراق وبالعكس ••

المغرب وموريتانيا ضد الجزائر وبالعكس •••

ليبيا ضد مصر ••• ومصر ضد ليبيا ومعها السودان وثلاثة أرباع العالم العربي سرا •••

منظمة التحرير الفلسطينية يصعب حصر خصومها العلنيين ، وأعدائها السريين •••

اما الكويت فانها لم تذبح ولكنها شاهدت ذبح لبنان فتحفزت !!

وعندما بدأت (المذبحة) ضد لبنان وفي لبنان كان المواطن العربي المسحوق غريبا عنها غربة كاملة لانه كان مبعدا عن الاحداث التي تجري في وطنه وخارج وطنه الابعاد الكامل •••

بدل الاسلحة الفاسدة عام ١٩٤٨ كانت هناك الادمغة الفاسدة والقوى

الفاسدة ... أما الشعوب ، عفو الشعوب ، فلم تكن بحاجة الى تلك الأزمة السوداء في لبنان عام ١٩٧٥ لتعرف ما بينها وبين الانظمة من انقطاع وغربة . كانت قد انقطعت عنها منذ زمن طويل ... وعلى التحديد منذ ان قفز حسني الزعيم ، عام ١٩٤٩ على السطح وقبض على عنق سورية وحكم عـلى سبيـل التجربة/١٣٥/يوما .. وبعدها كرت المسبحة في أرجاء الوطن العربي ...

منذ ذلك اليوم الاسود من حياة الامة العربية ١٩٤٩ والانظمة لا تتخلى عن دورها المسرحي الاحتكاري للقضايا العربية ... والا فما الذي يفسر لنا أسباب الصمت حيال ما كان يجري في لبنان من ذبح شعب بكامله .. ومـا مداه ؟ أليس من الغريب ان جميع البعثات العربية التي جاءت لتسأل في لبنان عن أسباب ما كان يجري فيه انما كانت تتظاهر بانسانيتها كأن الامر لا يعنيها، ولا يعني الانظمة العربية ...

استطيع ان أؤكد ، ولدي الدليل والبرهان انه مـا من مسؤول عربـي جمع شخصين معتمدين من قبله فعهد اليهما ببحث هـذه (المذبحة) وأسبابها وطرق تفادي مثلها او أشد منها نكرا ... يظهر ان « ازلامهم » ليس لديهـم الوقت لتبليغهم ـ او لعلهم لا يعلمون ولا يهمهم ان يعلموا ـ ان العدو جمع خير خبرائه والعلماء في لجان ومؤسسـات لدراسة تلك المذبحة ...

وأستطيع أن أجزم ، ولا ألقي الكلمات دون تمييز ، ان منظمة التحرير الفلسطينية ، بكل فكرها لم يكن حالها بأحسن من حال الانظمة التي تحالفت معها ، والانظمة التي خاصمتها !! وهذا الكـلام سبق لي أن رددتـه أمـام العديد من القادة الفلسطينيين قبل (المذبحة) وأثناءهـا ... وقلت لهـم ان الثورة الفلسطينية لم تتمكن من أن تضع نظرية للثورة التي تواجهها ...

الذين يحلو لهم ان يتسطقوا بلينين يأتون به من أذنه كلما بحثوا هـذا الموضوع فينصبونه على الاسطر ليكرر عبارته (لا ثورة بدون نظرية ثورية) هم انفسهم الذين يأتون بماوتسي تونغ ليقول (من ينقل النظريات فانه كالذي يبري قدمه ليلائم الحذاء ...) او كما قال : (فانهم مع ذلك يبرون أدمغتهم

والاقدام لملاءمة الحذاء الغريب) ... لقد أثبتت الايام اننا نستعير قضايا الغير لتكون لدينا قضية ... ومع القضية نستعير الفلسفات !

كانت المذبحة تجري في لبنان والمطابع تتدفق بفيض من الحديث عن (الطبقة) و (الاستراتيجية) و (اليسار) وما وراء الجدلية وما تحت « هيجل » وما قال (هوشه منه) .. فاذا الناس يدخلون طائعين او كارهين في السديمية الايديولوجية ... حتى باتت تلك الالفاظ تمارس الدور السحري الذي كانت تمارسه ، في الطقوس البدائية الاولى ، تعاويذ السحرة ... مع الرقص والبخور والارهاب الفكري أيضا بكل عنفه وضراوته ...

كل ما رموه في ساحة الاعلام لا يتعدى استبدالا في الشعارات مع استمرار الاخفاء ... كالذي يحول الماء من اناء مكعب الى اسطوانة مستديرة ، او زجاجة سوداء الى بلور أحمر ... أبدا لم تستطع أي حركة لدينا ان ترتفع عن مستوى الطفولة الثورية ومنهج التجربة والخطأ والبدء مع تجارب الامم من الف باء تلك التجارب ومن الادب الثوري الذي أفرزه القرن التاسع عشر قبل لينين بكثير . ولا أريد أن أضيف الى ذلك : الغرور والجهل وتزييف التحليل والتجارب ... فالحديث ذو شجون وليس هنا مكانه ...

ولست أريد ان انتصر هنا لنظرية معينة .. بعد أن انتحرت كل النظريات على أرض الدم .! ان اخطاء الثورة الفلسطينية كانت من بين الاسباب التي جرت الاقتتال الى (الصحن) .. وهناك ايضا خناجر الليل والقنابل كانت لها دوافع اخرى .. هل تذكرون ما الذي فعله ادم وحواء يوم وقعا في الخطيئة ؟.. بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة .. يوم بدت السوءات في يوم عين الرمانة والسبت الاسود والدامور ، وتل عشاش ، وشكا كانت الثورة الفلسطينية ورقة التوت لبعض الانظمة العربية لان هذه الانظمة ليس لديها الستر والثياب .. وخرج الجميع الى العراء حتى بدون ورقة التوت .

• الأرض مسرح تمثل عليه مأساة واحدة متعددة الأسماء •

[redacted] من احرق بيروت وسرقها ؟

هناك في احدى ناطحات السحاب بمدينة واشنطن ••• وفي الطابق الثاني عشر حيث يعقد (مركز اللعب) اجتماعاته رسمت الخطة في أوائل ١٩٧٤ لتبديل النظام في لبنان بأسلوب (النفس الطويل) عن طريق احداث قيادات شابة تحل محل القيادات الهرمة التي لم تستطع ان تتكيف، او تكيف النظام على ضوء متطلبات سياسة (الوفاق) ــ الاميركوسوفيتية ــ •

ولتحقيق هذا الهدف الكبير كان لا بد من حدث كبير ••• وهذا الحدث الكبير هو بالتحديد احراق قلب لبنان وهو مدينة بيروت العاصمة ••• هكذا قرروا ••! واشنطن قررت ، وموسكو لزمت الصمت !

وقد سبق ان عقد (مركز اللعب) اجتماعات مماثلة قبل ذلك وفي مطلع الخمسينات ، وبحث المجتمعون تبديل النظام في مصر ••• وكانت المقدمة لذلك الحدث الكبير احراق مدينة القاهرة •!

في ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢ احرقت مدينة القاهرة ، وقيدت الجريمة ضد مجهول ••

وفي أيلول ١٩٧٥ بدأ احراق مدينة بيروت ، ولا يدري أحد حتى الآن هل سنعرف اسماء المجرمين الحقيقين الذين أقدموا على هذه الجريمة عن سابق تصور وتصميم ••• ام ان الجريمة ستقيد بدورها ضد مجهول ؟

لن ننتظر ظهور نجمة الصبح للكشف عن العوامل التي أدت الى حريق بيروت ثم سرقتها ••• ذلك لان الاسباب التي من أجلها احرقت القاهرة انما هي نفس الاسباب التي أدت الى حريق بيروت وسرقتها • •

وليس الهدف من وراء الكشف عن الملابسات التي أدت الى الحريقين

الجري وراء شهوة في النقد او المادية ، او الدفاع عـن يبين ضجت الارض والسماء من جهله وغبائه الاسطوري ، او الهجوم عـلى يسار تعلـم الارض والسماء انه يفكر بعقل غيره وينفذ بأدوات سواه ... ذلـك لان الهـدف أكبر من هذا .. وارفع ..! ملاك الامر الا تتكرر المأساة التـي وقعت بعـد حريق القاهرة حين انهارت واجهات الحكم الدستورية الوطنيـة واستبدلوا بها واجهات ديكتاتورية ، لملموها من هنا وهنـاك ونصبوها لتحكـم فتبتت الخطايا التي أدت الى احراق بيروت وسرقتها ، وهنا تكون المواجهة ضرورية..!

ان هذه الكلمات لا تعدو صيحة في وجـه هواة التزييف ، ورافعـي شعارات السفه ... صيحة في وجه من ينظمون الكواكب عقود مديح لهـذه الايديولوجية او تلك .. صرخة لتوقظ . انها لا تعدو كونها شمعـة لتضيء الطريق أمام الذين لا يعلمون ... انها حصيلة لقاءات مع شخصيات مصريـة كريمة مسؤولة شهدت حريق القاهرة وسرقتها ... وقـد أخرجها الاعصـار المدمر الذي لف الوطن العربي على مدى ربع قرن من دائرة الضوء الى دائرة الظلام ، وحين عاد من بقي منها حيا الى دائرة الضوء من جديد جوبهت بحريق بيروت وسرقتها .

شخصيات من أمثال الاستاذ فؤاد سراج الدين السكرتير العـام لحزب الوفد المصري (المنصب الذي يلي زعامة الحزب مباشرة) ، حزب الاكثريـة ، وحزب الجماهير ، وحزب الدفاع عن الدستور والقانون والمؤسسـات ..

والاستاذ مصطفى مرعي رجل القانون وحارسه ، ورجل الدستور الذي رفض ان يداس وفيه عرق حياة ينبض ، والرجل الذي حمل لواء الدفاع عـن الحقيقة في جميع عهود الطغيان التي جابهتها مصر العربية ...

والاستاذ مرتضى المراغي ، الرجل القوي الذي أوصلته احداث حريق القاهرة الى وزارة الداخلية ليحقق في الحريق فكـان الشاهد الثانـي بعـد الاستاذ فؤاد سراج الشاهد الاول ...

وعشرات من الضباط الاحرار الذيـن يعرفون الاسرار ويدفنونها فـي صدورهم ...

وما كنت لاسمح لنفسي ان اكشف النقاب عما سمعته من هؤلاء حـول أسباب حريق القاهرة وسرقتها لولا حريـق بيروت وسرقتها ... فحين سكت أحرار العرب عن الحريق الاول واستكانوا كانت الخطايا ... الخطايا التـي أغرقت الامة العربية بالاكاذيب ، فكانت الهزيمة والتمزق . فاذا كان حريـق القاهرة قد تبعه حريق الوطن العربي ، فان حريق بيروت يراد من ورائه احراق النفوس ... وخاصة نفوس الجيل الجديد الذي أخذ يتحسـس مواقع أقدامه لينطلق بدون أكاذيب وعهر اعلامي فاضح ...

ويخطىء من يظن ان الذين أحرقوا بيروت وسرقوها انما يهدفون الـى اسقاط النظام في لبنان فقط ... ان أهدافهم أبعد من ذلك بكثير ... ولعل من بعض أهدافهم لا كلها صنع حكـام في الوطن العربـي يأتمرون بأمـر الدبلوماسية الحديثة ، ديبلوماسية (الوفاق) ، وينفذون الاوامـر بـدون مناقشة بعيدا عن البرلمانات والاحزاب ، و .... حرية الصحافـة . وعندمـا يصلون الى هذا تصبح الثورة الفلسطينية قد أينعت وحان قطافها . فاذا كان الهدف من وراء حريق القاهرة انما هو اسقاط دور الشعب لكي يتم التفاوض باسمه مع زعماء الصهيونية مباشرة دون (وجع راس) ، فان احراق بيـروت وسرقتها انما يهدف اول ما يهدف الى الاعتراف النهائـي بالكيان الصهيوني ، وجعله حقيقة معترف بها ، وممهورة بشهادة شهود عـدول يختمون مقابـل البقاء في مناصبهم يحكمون ...

وحين نقول هذا لا يعدمنا الدليل ... فما رأيناه مـن وقائـع صارخة تشهد على ان حريق القاهرة مر بسلام ، والتخطيط هو ان يمر حريق بيروت بسـلام ...

ومن كانت له أذنان فليسمع .!

احترقت القاهرة وسرقت في ٢٦ يناير (كانون الثانـي) ١٩٥٢ كمـا

أسلفنا ... واقال الملك فاروق حكومة الوفد التي أخطأت ولا شك باعلان الاحكام العرفية ... ذلك أنها اقيلت بعد اصدارها قرار اعلان الاحكام العرفية .

كان حريق القاهرة حافزا لنشاط الامريكيين في المنطقة ... فقد أرسل (دين اشيسون) وزير الخارجية الامريكية مندوبا عنه استعارة من وكالة المخابرات المركزية هو (كيرميت روزفلت) لدراسة الاحوال في مصر ... وبدأت الاتصالات السرية تجرى بين الامريكيين والضباط الاحرار ، تارة عن طريق الاستاذ (محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة في ذلك الوقت ورئيس تحرير الاهرام فيما بعد قبل ان يخرجه الرئيس السادات من هذا المنصب) وأخرى عن طريق رسلهم الذين بدأوا يتعرفون على حركة الضباط الاحرار ..

وكيرميت روزفلت هو حفيد الرئيس الامريكي الاسبق (تيودور روزفلت) .

ولم يكن من قبيل المصادفة ان يكون الامريكيون رأس الحربة في حريق القاهرة وفي حريق بيروت معا ، فالمخابرات المركزية الامريكية بدأت تتدخل في قضايا الشرق العربي تدخلا مباشرا منذ خروج بريطانيا من المنطقة ، وبدأت نشاطاتها التنفيذية بتدبير انقلاب حسني الزعيم في سورية ١٩٤٩ ، وكانت أول محاولة لنقل أسلوب الحكم المفضل لدى أمريكا والذي مارسته لزمن طويل في أمريكا اللاتينية ... وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الاضطرابات والقلاقل الداخلية بقسوة ، ويخرسون اصوات المعارضة ، ويعملون مباشرة لحساب واشنطن سرا ، ويعملون لحساب موسكو جهرا . ومنذ ذلك الحين وواشنطن تركز اهتمامها على مصر بعد أن دفعت بسورية الى العسكريين وتركتهم يتذابحون على الحكم ...

عينت واشنطن (جيفرسون كافري) سفيرا لها في القاهرة ، وهو من أشهر مدبري الانقلابات في وزارة الخارجية ، ويضم سجله سلسلة طويلة من

النشاط الانقلابي ، منها تقارب الثلاثين في أمريكا الجنوبية والوسطى ، وكان كافري أول سفير امريكي في فرنسا بعد التحرير ، في الفترة التي أزيح فيها ديغول عن الحكم ، وتم طرد الشيوعيون من الائتلاف الوزاري ، كما تم جذب الاشتراكيين للتعاون مع واشنطن ، وأصبحت فرنسا قاعدة لمشروع مارشال ثم لحلف الاطلسي •• ومن المفارقات العجيبة في التفكير الامريكي اقدام واشنطن على ارسال السفير غودلي الى بيروت وهو الخبير العتيق في تدبير الانقلابات في الشرق الاقصى : والوزير الامريكي المفوض في طهران الذي شهد الانقلاب على الشاه ، وشهد عودة الشاه ••• وقد شاء القدر أن يجعله يدفع الثمن فأصيب اثناء المذبحة وهو في بيروت بمرض السرطان : فسحب الى واشنطن •

جوبه جيفرسون كافري سفير أمريكا في مصر بصخرة حزب الوفد الصامدة وشعبية الحكم الراسخة ، مما أضعف من فرص القدرة على احداث انقلاب مشابه لما حدث في سورية ، وقد أسرع كافري عقب وصوله الى القاهرة هو وسفراء انكلترا وفرنسا وتركيا لتقديم مذكرتهم المشتركة الى محمد صلاح الدين (باشا) وزير الخارجية المصرية التي تدعو الى اقامة دفاع مشترك فور الغاء المعاهدة المصرية البريطانية من قبل حكومة الوفد ، وهي المذكرة التي أعلن مجلس الوزراء المصري رفضها أمام البرلمان ••• وقد روى الاستاذ محمد صلاح الدين فيما بعد ان هذه المواقف الوطنية لحزب الوفد وحكومته هي التي دفعت بواشنطن الى التخطيط لاحداث حدث ضخم في مصر فكان حريق القاهرة •••

جاء حريق القاهرة بمثابة الفرصة المواتية التي أنعشت أمريكا للتسرب في أجهزة الحكم في مصر ، وأمريكا لا تضرب الا بعد ان تشعر بأن نفوذها قد يواجه بصمود شعبي ، او بتمرد من قبل الحكام الوطنيين الذين يستندون الى قواعد شعبية ثابتة ••• وليس سرا على أحد : ان في مقدمة اسباب حريق بيروت انما يعود الى المواقف التي اتخذها الرئيس سليمان فرنجية حيال القضية الفلسطينية خاصة وحيال قضايا محلية لبنانية لم ترق لحكام واشنطن،

ومنها حرص الرئيس اللبناني على عدم المساس بحرية الصحافة ... فجميع الذين كانوا الى جانبه أيام ولايته كانوا يسمعون الهمس الامريكي ، وبعض الهمس من هنا وهناك بأن حرية الصحافة في لبنان ستقضي على عهد فرنجية اذا لم يبادر الى الوقوف بوجهها ، ولكن فرنجية رفض ، وبعناد ان يمس من هذه الحرية بالرغم من أنه ـ على الصعيد الشخصي ـ كان الخاسر الاول حيال هذه الحرية (المفلوشة) ... وحين كان الرئيس يفاتح بشأن الصحافة وتجاوزاتها التي فاقت حدود المعقول كان يجيب سائليه بمرارة :

(أنا أعرف عن تجاوزات الصحافة أكثر منكم بكثير ، ولدي الوثائق التي تدين العديد من الصحفيين الذين يتاجرون بوطنهم عربيا ودوليا ، ولكن أرفض أن يقول التاريخ أنه في عهد سليمان فرنجية قيدت حرية الصحافة .. حسابي مع الصحافة سيكون بعد انتهاء ولايتي) ...

وكان من الطبيعي أن تصل هذه الاقوال الى السفارات الاجنبية ، وفي طليعتها السفارة الامريكية التي تعني بأزمة الشرق الاوسط وتريد انهاءها وفق الاسلوب الامريكي الكيسنجري ... ولعل الكثيرون يجهلون ان الرئيس فرنجية قد بدأ عهده باغلاق باب المساعدات المالية على الصحافة اللبنانية (بالقفل والمفتاح) ، والذين انتقدوا موقفه هذا سمعوا منه أنه لا يريد مديحا من أحد ، فاذا وجدت الصحافة ما يمس العهد ورجاله بامكانها ممارسة النقد ... ولكن بعض الصحفيين مارسوا التشهير ... فاذا كان الرئيس أوقف المخصصات السرية العائدة للصحافة ، فان العديد من الصحفيين وقعوا في الخطأ الاكبر حين جعلوا من تشهيرهم بالعهد وأهله مادة للاستغلال العربي والدولي ...

أحد السفراء العرب في عهد فرنجية بعث الى حكومته بأول تقرير منذ تسلمه منصبه قال فيه :

(من المؤسف ان أؤكد لكم ان اي دبلوماسي في بيروت لا يستطيع معرفة حقيقة اتجاهات رئيس الجمهورية وحكومته ، ذلك لان جميع الصحف

اللبنانية لا تعترف بالعهد ورجاله ، وانما تمارس المعارضة غير المسؤولة ..) هذا الوضع الصحفي هو الذي أعطى الدبلوماسية الامريكية الحبل لتطويق العهد منذ بدايته ... فما ان بدأ الرئيس فرنجية خطواته في رسم السياسة لبلده بعيدا عن النفوذ الامريكي ، حتى أعطي الضوء الاخضر للصحفيين المرتبطين بشكل او بآخر بالعدائدات (الحرام) للهجوم على فرنجية وعهده . ولو عدنا بالذاكرة قليلا الى الوراء لوجدنا ان ذروة الهجوم على فرنجية وتقليب الرأي العام العربي والمحلي والاجنبي ضده شخصيا ، وضد عائلته وأنصاره انما بدأ منذ ان كان مؤتمر الرباط يجتمع بملوكه ورؤسائه لاقرار خطة السير بالقضية الفلسطينية على ضوء استراتيجية عربية ... فكان الاعتراف بمنظمة التحرير الممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني ... وكان قرار الرئيس فرنجية تلبية لرغبة منظمة التحرير ، بالذهاب الى نيويورك وهو المسيحي الماروني للتكلم باسم العرب في هيئة الامم المتحدة دفاعا عن القضية الفلسطينية . والذين شهدوا مؤتمر الرباط رأوا القيادة الفلسطينية تتوجه بكاملها الى مقر الوفد اللبناني لتشكر الزعيم فرنجية ــ وفق وصف ياسر عرفات يومها ــ على هذا الموقف البطولي الذي يقفه رجل قضية وليس رئيسا للجمهورية ... وحين خرج ياسر عرفات من مقر الوفد اللبناني كان يردد :

(كيف أخاف على الثورة الفلسطينية في لبنان ولدينا مثل الزعيم سليمان فرنجية يدافع عنها في اكبر هيئة دولية) ..!

وهنا بلغ الغضب الامريكي ذروته ... فكيف يخرج بلد صغير كلبنان على الجبروت الامريكي ، وأعطيت الاوامر الى (مركز اللعب) في واشنطن للتحرك فورا ... وكانت هذه الاوامر بمعرفة موسكو ورضاها !

وهنا نلاحظ الشبه الواضح بين موقف حزب الوفد المصري بزعامة مصطفى النحاس يوم قرر عدم الرضوخ للضغط الامريكي فكان حريق القاهرة ، وبين موقف سليمان فرنجية الذي أدى الى حريق بيروت .. وحين نقول هذا لا نعدم الدليل ...

أعلن (دين اتشيسون) وزير الخارجية الامريكية في ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٥١ ان قيادة الشرق الاوسط ليست اقتراحا يمكن قبوله او رفضه، والحكومة الامريكية لا تعترف بالغاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦ ••• ويقول تشرشل وترومان في بلاغ مشترك فيما بعد :

(ان أفضل وسيلة لازالة التوتر الراهن في مصر هي في قبول القيادة الغربية للشرق الاوسط) •

ولزمت موسكو جانب الصمت حيال هذا الموقف الامريكي البريطاني السافر •

هنا لا بد ان نلاحق بامعان موقف كل من واشنطن وموسكو أثناء وبعد حريق بيروت وسرقتها ••• فالى جانب الصمت السوفييتي أثناء المذبحة عاد سفير موسكو الى بيروت اثر دخول قوات الردع ، وبدأ يفتح النوافذ التي كانت مغلقة على حزب الكتائب و •• حلفاء هذا الحزب !

أما الموقف الامريكي فكان بمثابة عامل مؤشر على ان سياسة الوفاق بين الدولتين العظميين قد توصلتا الى موقف موحد حيال الشرق الاوسط وقيادته ، والفرق الوحيد بين احداث حريق القاهرة ، واحداث حريق بيروت ان بريجنيف حل محل تشرشل ، وفورد محل ترومان، بعد أن أخرجت بريطانيا من المنطقة بتعاون أمريكي سوفييتي •••

جميع الدلائل تشير الى أن واشنطن كانت تختفي وراء حريق القاهرة ، وها هي ذي الدلائل تشير الى أن واشنطن هي المدبرة والمنفذة لحريق بيروت وسرقتها ••• ولم يكن من قبيل المصادفة ان يبدأ حريق القاهرة من سينما أوبرا وكذلك بدأ حريق بيروت ••• كما ان حريق القاهرة جرى والسلطة غائبة كما سنرى ، وكذلك جرى في بيروت ••• لقد منع الذين نفذوا حريق القاهرة وصول الماء الى مكان الحريق ، أما في بيروت فقد أطلقوا النار على رجال الاطفاء والسيارات التي تحمل المياه •••

يضاف الى هذا بأن جميع مصادر الاخبار في أوربا ، وخاصة في أمريكا ، قد أشارت بأصابع الاتهام في حريق بيروت الى هنري كيسنجر ، ووصفته الصحف الفرنسية بأنه الرجل الخفي الذي يقف وراء المؤامرة الكبرى على لبنان ، وقالت الصحف الفرنسية الذي أعطته لقب (الدكتور نو) بأنه هو الذي ألهب النار في بيروت وهو الذي يذكيها كلما خبت ... وأنه هو الذي أرسل دين براون (لتظبيط) سير الخطة عندما تعثرت ، وأنه هو الذي أشار على سكرانتون مساعده بوجوب بحث القضية اللبنانية قبل بحث القضية الفلسطينية ... وفي رأي كيسنجر أنه لا يمكن تأجيل البحث في أزمة الشرق الاوسط ، الا اذا وجدت قضية مستعجلة تقف من حيث الاهمية والخطورة ، قبالة القضية الفلسطينية ، فتعمل على امتصاصها ، وارهاقها وتحويل أنظار الرأي العام الدولي عنها . وكان من الضروري ان تكون هذه القضية من صلب العالم العربي لا من خارجه ... أي ليس من اسرائيل ..

ولقد نشرت جريدة (النيويورك تايمس) خبرا عن اجتماع السفير الاسرائيلي بواشنطن (سيمحا دينتس) وهنري كيسنجر ، ذكرت فيه بأن وزير الخارجية الامريكي قال له صراحة بأن اسرائيل يجب ان تبقى متدرجة على حرب العرب ... وانه يجب الا تعطيهم الفرصة ـ بحربها الخامسة ـ لكي يتحدوا كما اتحدوا في حرب تشرين ... وردد كيسنجر ما كان قد ذكره مرة بأنه (ليس المهم في أزمة الشرق الاوسط ، ان يكون جميع الاطراف أقوياء . المهم ان يكونوا ضعفاء بحيث يعجزون عن الحرب ، وبذلك يسهل معهم الوصول الى حل) . وهذا ما فعلته الحرب اللبنانية التي انطلقت من حريق بيروت وسرقتها ، عندما امتصت طاقات جميع الاطراف ، وبعثرت جهودهم ، وبدأت تهيىء لمساعي السلام في المنطقة .. على الطريقة الامريكية !!

ولعل أقرب ما نستشهد به للدلالة على اضطلاع واشنطن بالاحداث اللبنانية هو ما جاء في خطاب الرئيس حافظ الاسد الملقى بتاريخ ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٧٦ حيث قال :

(لقد وقف القتال بعد وصول (ديـن براون) الـى بيروت ، لنعـد بذاكرتنا الى الوراء ... وقف القتال بعـد وصول دين براون الـى بيروت ، بالتأكيد أنا كمواطن عربي سأشكر اي انسان فـي هـذه الدنيا يستطيع ان يعمل على ايقاف اطلاق النار في لبـنان ، المهـم ان تقف المأساة وان تقف المؤامرة .. لكن استغرب ان لا يقف اطلاق النار الا بعد وصول دين بـراون الى بيروت ، أريد من كلامي هذا ان أقول : اذا كانت أمريكا ترغب فـي وقف اطلاق النار ، وتعمل على ايقافه ، فنحن نرحب بذلك) ..

واذا كان الرئيس حافظ الاسد قـد اختار القاظه بصفته المسؤول الاول في بلده ، فان الدبلوماسية الامريكية التي شعرت بنجاح مخططها فـي لبنان قد كشفت عن نفسها بنفسها حين أوعزت الى أجهزتها بصياغة أنبـاء معينـة تعمدت نشرها في صحيفة (النهار) البيروتية للدلالة على انها لم تعد تريـد تغطية دورها ...

فعشية العمل على تأليف وزارة الدكتور سليم الحص ، وبعـد استلام الرئيس الياس سركيس صلاحياته الدستورية اثر دخول قوات الردع ، وفـي صباح الجمعة ٣ كانون الاول (١٩٧٦) قالت (النهار) :

كشفت أوساط ديبلوماسية فـي بيروت ان وزارة الخارجية الفرنـسيـة تلقت اخيرا من وزارة الخارجية الامريكية مذكرة ، هـي واحدة مـن سلسلة مذكرات متبادلة بين وزارتي الخارجية فـي الولايات المتحـدة وفرنسا حول الازمة اللبنانية ومتابعة حكومتي البلديـن خطوات الرئيس الياس سركيس الخروج من هذه الازمة .

وأوضحت هذه المصادر ان الخارجية الاميركية ، بعدما استهلت مذكرتها باهداء التحية الى زميلتها الفرنسـية ، اعربت عن ارتياحها الـى « الخطـوات الامنية الثابتة والمرنة » التي يخطوها الرئيس سركيس لاقرار الامن والسلام في لبنان .

ثم تذكر الخارجية الاميركية زميلتها الفرنسية بمذكراتها السابقة التـي

تتضمن انتقادات شديدة لمن تسميهم الخارجية الفرنسية « الامــراء الذيــن يحكمون لبنان » .

ويظهر ان المذكرات الفرنسية تنطوي على انتقادات شديـدة لهــؤلاء « الامراء الذين يحكمون لبنان ويتحكمون به ، ويريدون العودة الى حكمــه والتحكم به » .

وتشاطر الخارجية الاميركية زميلتها الفرنسية الرأي فــي ضرورة تغلب الرئيس سركيس على مرحلة حكم هؤلاء الامــراء ، وان يوقف مــا تسميــه المذكرة الاميركية « تدليع الامراء الزعماء » .

وتشير المذكرة الى أن وزارة الخارجية الاميركية فهمت ان قمة الرياض شجعت الرئيس اللبناني على ممارسة حكــم شبيه بحكــم الرئيسين أنــور السادات وحافظ الاسد في مصر وسوريــا ، اي حكــم رئاسي فيــه حصر للمســؤوليات وتركيز لهذه المسؤوليات .

وتقع المذكرة الاميركية ، كما أوضحت المصادر الديبلوماسية ، في ثماني صفحات فولسكاب ،وتتضمن سبع نقاط رئيسية اضافة الى نقاط ثانويــة . ولخصت المصادر هذه النقاط بالآتي :

١ ــ وجوب انهاء مهمة « الامراء الذين يحكمون لبــنان ويتحكمون بــه .

٢ ــ ترى الخارجية الاميركية ان من مصلحة الفلسطينيين اعتماد أسلوب الحوار والمفاوضات والاقلاع عن العنف ، لانه الاسلوب الوحيد الذي مــن شأنه تحقيق مطالبهم الوطنية .

٣ ــ ان « قوة الردع العربية » هي جيش سركيس اللبناني .

٤ ــ تقول الخارجية الاميركية انها فهمت ان لا جيش للبنان قبل الاتفاق على « الصيغة السياسية الوطنية » .

٥ ــ لا علاقة بالولايات المتحدة ولا لأي جهة أخرى بالحل السياسي اللبناني الداخلي ، وان على الزعماء اللبنانيين ان يجدوا هم بأنفسهم ، بقيادة الرئيس سركيس « الزعيم القائد » ، ايجاد الصيغة التي تلائم لبنان من دون أي تدخل خارجي ٠

٦ ــ فهمت الخارجية الاميركية ان الدول العربية المستعدة لمساعدة لبنان ترغب في ان يظهر لبنان الجديد مظهرا يختلف عن السابق بحيث يضع في الحكم والحكومة « المفكرين المخططين المنتجين » ، وبعبارة أخرى كما ورد في المذكرة « الحكام الجدد الذين لا يحبون الظهور والتظاهر والمظاهر » ٠

٧ ــ اذا كانت هناك مطالب ذات طابع طائفي شائكة ومعقدة ، فقد فهمت الخارجية الاميركية أنه تم التفاهم في قمة الرياض على أن تحال هذه المطالب على اللجنة الرباعية (المصرية ــ السعودية ــ السورية ــ الكويتية) على مستوى السفراء او اذا اقتضى الامر على مستوى رؤساء الحكومات او على مستوى رؤساء الدول الذين اوضحوا للرئيس سركيس في الرياض أنهم على استعداد دائم لعقد اجتماع رباعي على مستوى القمة لحل أي أشكال او لدرس اي مطالب ذات طابع طائفي مصيري في لبنان ٠

كما تبدي الخارجية الاميركية اهتمامها بأمرين : التسوية السلمية والحرص مع مصير لبنان حاضرا ومستقبلا ٠

وتؤكد الخارجية الاميركية في مذكرتها ان اسرائيل لن تحتل جنوب لبنان ولا أي جزء من الاراضي اللبنانية ما دامت الولايات المتحدة تعتبر لبنان دولة صديقة ، وما دامت الولايات المتحدة تؤكد بين الفينة والاخرى حرصها على استقلال لبنان وسيادته وسلامة أراضيه ٠٠٠ وما دام لبنان في وضع الدولة المسالمة غير المعتدية ٠

وتؤكد الخارجية الاميركية ، من جهة أخرى ، ان مياه لبنان هي ملك للبنان ٠

كذلك تؤكد الخارجية الاميركية ، جوابا عن سلسلة المذكرات الفرنسية ، انها حريصة على لبنان ، وعلى دوره وعلى طابعه ، وانها تستطيع ان تؤكد أنه لا غنى عن دور بيروت كعاصمة لبلد مستقل وكمركز في الشرق الاوسط •

وتشير المذكرة الى أن الخارجية الاميركية مطلعة على تذمر الدول العربية من المبالغات السياسية والحزبية والصحافية في لبنان ، وهي تترك للرئيس اللبناني ان يعالج ذلك بما يراه مناسبا في ضوء مقررات قمتي الرياض والقاهرة •

وتبدي الخارجية الاميركية أخيرا في مذكرتها ، استعداد أميركا للمساهمة مع فرنسا واي فرقاء آخرين في مشاريع الاعمار والانماء في لبنان •

ومنذ ذلك التاريخ والدبلوماسية الفرنسية تعمل بشكل سافر بالتعاون مع الدبلوماسية الامريكية في هذا الاتجاه ، وليس من قبيل المصادفة قيام وزير الخارجية الامريكية « سايروس فانس » بزيارته لبعض العواصم العربية ومنها بيروت في نفس الوقت الذي يقوم فيه وزير الخارجية الفرنسية « لويس دوغيرنغو » بزيارة هذه العواصم ••• كما أنه ليس من قبيل المصادفة أيضا أن تبعث موسكو بموفدها « ميخائيل سيتنكو » رئيس دائرة شؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية السوفيتية الى بعض العواصم العربية لاكمال ما بدأه « دوغيرنغو » و « فانس » •••

هذا بعض ما نعلمه عن حريق بيروت وسرقتها ، فما هو الذي نجهله عن حريق القاهرة وسرقتها ؟

لم يكن رجل المخابرات المركزية (كيرميت روزفلت) مندوب وزارة الخارجية الاميركية المستعار من المخابرات ، ورئيس بعثتها الى مصر بعد حريق القاهرة ، غريبا عن المجتمع المصري ، فقد عمل في مصر خلال الحرب ،

وتوطدت صلته بالملك فاروق ، ووقف الى جانبه خلال أزمة (٤ فبراير ١٩٤٢) وأعد له مقابلة مع الرئيس فرانكلين روزفلت خلال زيارته لمصر عام ١٩٤٥ ..

كما ان جيفرسون كافري قد بدأ نشيطا في مقابلاته وعلاقاته يساعده في مهمته مصطفى أمين وشقيقه التوأم المرحوم علي أمين ومحمد حسنين هيكل ، وعن طرق هؤلاء بدأت الاتصالات مع العديد من الشخصيات المصرية لاجتذابها الى السياسة الامريكية ..

روى لي الاستاذ مصطفى مرعي صاحب الاستجواب الشهير في مجلس الشيوخ ضد الاسلحة الفاسدة وطغيان الفساد أيام فاروق ، والوزير الذي استقال لكي لا يكون شاهد الزور على انهيار النظام .. قال :

(لقد اتصل بي الامريكيون ثلاث مرات بعد حريق القاهرة للتعاون معهم على اسس رفضتها لانها ضد الشرعية ، وضد الديمقراطية ومع الحكم العسكري الفردي ... لقد رفضت اقتراحا خاصا بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي ، وأبلغتهم انني أفضل تطوير قانون الاصلاح الزراعي داخل البرلمان وليس عن طريق نفر من الضباط يعملون في الظلام) ، ويستطرد الاستاذ مصطفى مرعي قائلا :

(لقد كان الامريكيون يمهدون لنوع جديد من الحكم أرفضه ، وقد رفضته أمامهم لتنافره مع الديمقراطية ، وأحسست خلال الاحاديث التي جرت لي مع الامريكيين انهم يمهدون لانقلاب في مصر على غرار الانقلاب السوري وقد نبهت بعض الضباط الاحرار الذين اتصلوا بي لاساعدهم على خلع فاروق (عبد اللطيف البغدادي) ، وقلت لهم حذار من هذه اللعبة التي يلعبها الامريكان والروس لتقويض الديمقراطية واستبدال دكتاتورية عسكرية بها ، تقضي على مصر وكيانها وشعبها) . وقد سمعت أيضا من الصائغ صلاح سالم بعد اقصائه عن منصبه ، وقبيل وفاته بفترة وجيزة ان (كيرميت روزفلت) كان قد كون من دراسته لمصر ان الملك أعجز من ان يؤدي دورا ايجابيا في اصلاح النظام ، وقد أمضى روزفلت في

القاهرة الشهرين الاولين من عام ١٩٥٢ مع الملك يلهوان بتنفيذ مخطط (الثورة السلمية) ، وكان يدفعه دفعا لافتعال الازمات الوزارية التي برزت بعد حريق القاهرة ، وكان يشير عليه بتسليط البوليس السياسي التابع له على الشخصيات المصرية التي رفضت التعاون مع واشنطن .. (النحاس ... محمد صلاح الدين ... فؤاد سراج الدين ... مصطفى مرعي) ويقول الصاغ صلاح سالم :

(... لقد جرى عدة لقاءات بين جمال عبد الناصر وكيرميت روزفلت قبل حريق القاهرة) والمقطوع ان الامريكيين قد وجدوا في النشاط السري لحركة الضباط الاحرار بعض ما يحقق لهم أهدافهم بعد حريق القاهرة .

ويقول مايز كوبلاند في كتابه (لعبة الامم) ــ ص (٣٢) :

(.. عندما عاد كيرميت روزفلت الى واشنطن في مايو ١٩٥٢ بعد اقامة امتدت ثلاثة شهور قدم تقريرا الى وزير الخارجية الامريكية ديـن اتشيسون تضمن النقاط التالية :

١ ــ لم تعد الثورة الشعبية في مصر ممكنة بعد ان استطعنا ضرب حزب الوفد المصري وتسليط السياسيين بعضهم على البعض الآخر بحيث اصبح من المستحيل جمعهم ، وبعد ايقاظ مشاعر الكراهية في نفوس الشيوعيين والاخوان المسلمين ... لهذا يجب ان لا تقلق وزارة الخارجية الامريكية من احتمال قيام هذه الثورة التي لم تعد واردة في الحساب .

٢ ــ لم يعد هنالك من أمل في ابعاد الجيش عن القيام بانقلاب قريب ، واثنائه عن عزمه على تسلم السلطة ، رغم كل التحفظات التي يبديها واضعو مخططاتنا في واشنطن من ان تكون النتائج مشابهة لما جرى في سورية على أيدي العسكريين .

٣ ــ ان قادة الانقلاب القادم في مصر سيرفعون شعارات قياسية تخالف

ما اقترحه كثير من المراقبين الدبلوماسيين وتجعل منهم وهم في السلطة طرفا لينا ومرنا في أية مفاوضات تخوضها معهم في سبيل سلامة اسرائيل ، وهذا من شأنه ان يزيد من فرصهم في النجاح ..

٤ ــ يجب ان توافق الحكومة الامريكية على اقصاء الملك فاروق ونظامه الملكي نهائيا من مصر ، ولا يمنع هذا من أتباع بعض التشكليات للدبلوماسيين بارسال مذكرة احتجاج رقيقة تفسح المجال امام السفير الامريكي لاظهار قلقه المصطنع على سلامة الملك فاروق .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان صحف دار (خبار اليوم) هي المنبر الذي كانت تنطلق منه الدعاية للسياسة الامريكية ، وقد مثلث بنجاح نفس الدور الذ يقامت به الصحف الناطقة بلسان واشنطن في بيروت قبل وبعد الحريق. فكانت صحف أخبار اليوم تهاجم حزب الوفد المصري وتشهر به ، ثم تنقلب الى غمز السراي عندما تتبلور السياسة الامريكية وتفقد الثقة في قدرة فاروق على الامساك بالسلطة .. كانت هذه الصحف المتحركة النشيطة تمهد لظهور (البطل) المنقذ ..

ولا تكتمل الصورة لمعرفة آثار حريق القاهرة وسرقتها ، للوصول الى معرفة اثار حريق بيروت وسرقتها ، الا باجراء عرض للسياسة السوفيتية في المنطقة ... ذلك ان الاوضاع التي كانت سائدة في القاهرة قبل حريقها تشبه الى حد قريب الاوضاع التي كانت سائدة في بيروت قبل حريقها وسرقتها ...

لم يدخل السوفييت الى مصر بعد حريق القاهرة وسرقتها كغزاة ... ولم ينتصر تنظيم ماركسي فيها ولكن دخولهم جاء عن طريق السلطة !! كما أن خروجهم جاء على طريق السلطة أيضا !

والآن وبعد مرور سنوات على دخولهم مصر وخروجهم منها يمكننا ان نطرح سؤالا رهيبا وهو :

هل دخل السوفييت مصر بموافقة أمريكا ؟

وهذا التساؤل يقودنا تلقائيا الى ان نطرح على انفسنا سؤالا معاكسا وهـو :

هل ان السوفييت قد دخلوا مصر بالفعل ؟

ان أي عاقل في الدنيا لا يستطيع ان يصدق ان السوفييت يمكنهم الخروج من بلد بمثل السهولة التي خرجوا منها من مصر ، ومنطق العقل يقودنا الى الاعتراف بأن دخولهم الى مصر انما كان دخولا بموافقة واشنطن من بعض غاياته تدجين الشعب وجعله يتقبل الكيان الصهيوني في المنطقة كأمر واقع ...

ولعلنا لا نبتعد كثيرا عن المنطق حين نؤكد ان السوفييت قد دخلوا لبنان دخولا شكليا عن طريق واجهات سياسية لبنانية وفلسطينية تمهيدا لخروجهم على الطريقة المصرية ...!

***

يكاد يمضي على حريق القاهرة قرابة ربع قرن ، ومع ذلك فان أحدا لا يعرف لماذا احرقت ومن أحرقها ... لهذا فمن الطبيعي ان لا نعرف من أحرق بيروت وركام الحريق ما يزال قائما نراه صباح مساء ونكتم الحرقة في نفوسنا ... وقد يكون السبب في هذا يعود الى ان التوتر السياسي العسكري العالمي ، وما نتج عنه من (سياسة وفاقية) ما تزال تجر وراءها ما نراه ونلمسه ، لا يجعل الصورة الحقيقة لتلك الاحداث الكبيرة التي يعيشها الوطن العربي متوفرة ، لانها خاضعة للاهواء باستمرار ... ومن الضروري البحث عن تلك الصورة بشكل موضوعي لمعرفة جذور المشاكل الحاضرة وخطوط المستقبل في المنطقة ...

لقد كتب وسوف يكتب الكثير عن تلك الايام السوداء من حياة مصر

التي أدت الى احراق القاهرة واحراق النظام معها ... فقد كان حريق القاهرة نقطة تحول انقلابي في القضية العربية قادته الولايات المتحدة الامريكية باعتراف أجهزة المخابرات الامريكية ذاتها في أكثر من كتاب ... فهل يكون حريق بيروت وسرقتها بداية لتحول انقلابي جديد في الساحة العربية، تتبدل فيه الواجهات السياسية في البلدان العربية الواحدة تلو الاخرى على غرار ما حدث أثر حرب ١٩٤٨ ؟

ان الشواهد التي نعيشها تؤكد ان الضوء الأخضر لتنفيذ هذا المخطط قد أعطي للاجهزة الاجنبية من امريكية وسوفيتيية ... فما رأيناه من أحداث جرت في سورية والاردن ومن ثم القاهرة بعد توقف المذبحة في لبنان أكبر دليل على ان الايام القادمة حبلى بالمفاجاءات غير المتوقعة حتى لاذكياء الحكم .. ذلك أنه بعد حريق القاهرة كان الشرق العربي يحكم من قبل الاذكياء أيضاً .. ومن قبل الدهاة ... ومع ذلك فقد تساقطت الواجهات السياسية الحاكمة بسرعة مذهلة ...

قبل الانتقال الى حريق القاهرة وأسبابه ومسبباته لا بد من التوقف لحظات عند أحد الاسرار التي تضيق في صدر الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية السورية الدستوري الاسبق ..

فبعد مقتل حسني الزعيم جاء انقلاب سامي الحناوي ثم تبعه انقلاب أديب الشيشكلي ..

كان الشيشكلي قد انتهى من اعداد حركته الانقلابية وأصبح نائباً لرئيس الاركان مع أنه المسيطر على سورية .. تألفت يومها الحكومة السورية برئاسة الدكتور ناظم القدسي أحد أقطاب حزب الشعب الذي شغل في نفس الوقت منصب وزير الخارجية .

كانت القضية العربية قد برزت على المسرح السياسي العربي وتحركت باتجاه قيام اتحاد عربي شامل لمواجهة العدو الصهيوني (وها هو التاريخ

يعيد نفسه اليوم بعد مذبحة لبنان ويبدأ البحث باقامة اتحاد عربي) وفوجىء العالم العربي بانعقاد مؤتمر للدبلوماسيين الامريكيين في الشرق الاوسط في مدينة استنبول • وكان من الطبيعي ان لا يعلم أحد من الحكام العرب عن حقيقة ما دار في هذا المؤتمر ، فهؤلاء الحكام كالزوج المخدوع ••!

وجاء الى دمشق (البيون روس) مراسل صحيفة النيويورك تايمس في الشرق الاوسط ، وأحد الصحفيين الامريكيين القلائل الذين لم تبهرهم الصهيونية بكل مغرياتها ونفوذها •••

كنت يومها أراسل صحيفة قاهرية كبرى ، وبينما كنا نتاول طعام الغذاء في فندق (الاوريان بالاس) دخل مطعم الفندق الدكتور ناظم القدسي ، فما ان شاهدنا حتى دعانا الى مائدته ، فقد كان القدسي يعرف (البيون روس) حين كان وزيرا مفوضا لسورية في واشنطن اثناء الحرب العالمية الثانية ؛ ويعرف حياده بالنسبة للقضايا العربية •• اثناء الطعام كان الحديث يدور عن مؤتمر الدبلوماسيين ، وأحب الدكتور القدسي ان يعرف حقيقة ما جرى فيه لهذا راح يدير النقاش بدبلوماسيته المعهودة ووداعته المحببة ، في هذا الاتجاه ••• سأل القدسي روس :

(ماذا قرر المؤتمر يا مستر روس ••• انني أعلم صلاتك الوثيقة بالدوائر الدبلوماسية في واشنطن ؟)

أجاب الصحفي الامريكي وهو يدير غليونه بفمه :

(يظهر ان وزيركم المفوض في أنقرة لم يخبركم بما تم حتى الآن ••• لقد قرر المؤتمر اسقاط الواجهات السياسية الحاكمة في الشرق الاوسط ••• سورية ، مصر ، لبنان كبداية) •

وقفت اللقمة في حلق القدسي وبعد ان تغلب عليها وبلعها قال :

(سورية فهمنا اعتادت على الانقلابات القادمة من دياركم تجرجر

اذيالها ، ولكن ماذا ستفعلون بالملك فاروق ، وبشارة الخوري ورياض الصلح) ؟

أجاب البيون روس وهو يبادل الدكتور القدسي ابتسامته الساخرة بابتسامة مشابهة :

(كل ما وصل الى علمي وأنا في استنبول ان بداية التغيير الشامل ستكون من سورية .. أما بشارة الخوري ورياض الصلح فقد وضع لهما خطة رقيقة تتناسب مع أوضاع لبنان ، ذلك لان النظام في لبنان لن يمس في هذه المرحلة لان الدبلوماسية الامريكية تستعمله كرادار كاشف لما يجري في المنطقة بأكملها ... اما الملك فاروق فقد انتهى صدقني ..!) .

حين غادرنا الدكتور القدسي الى غرفته في الفندق لم ينس ان يحدثني بالهاتف ليقول لي :

(صاحبك مجنون ... أليس كذلك ؟) فأجبته على الفور :

(كلا يا دولة الرئيس .. فبعد فترة وجيزة سيثبت لك أنه عاقل ..)

بعد شهر من هذا الحديث أجبر الدكتور القدسي على الاستقالة ... وبعد أسابيع أحرقت مدينة القاهرة ، وبعد شهور قليلة سقط فاروق مع نظامه ... وتوالت الاحداث .

العبارة الوحيدة التي يذكرها القدسي من هذا الحديث هي :

(غير مسموح القيام بانقلاب عسكري في لبنان ، وانما المسموح به هو تحديث النظام بشكل يتلاءم مع طبيعة التحولات السياسية التي تقتضيها الحرب الباردة التي كانت سائدة) .

بعد خروج الملك فاروق من مصر هتفت الى الدكتور القدسي وقلت :

(هل قنعت يا دولة الرئيس ان صاحبي لم يكن مجنونا ؟) .

ولكن لماذا قررت واشنطن اسقاط الواجهات السياسية التي كانت حاكمة ؟

كل من اطلع على الكتب المخابراتية التي صدرت في الولايات المتحدة الامريكية ادرك ان واشنطن انما تختار التعامل مع حاكم فرد يستطيع ان يقرر وحده وينفذ وحده ... وفي سبيل هذا انشأت فرعا خاصا داخل جهاز المخابرات الامريكية اطلقت عليه اسم (مركز اللعب) .

فبعد انسحاب بريطانيا من فلسطين عام ١٩٤٨ قررت واشنطن التدخل في الشؤون الداخلية العربية ، وقد كشف عن هذه الحقائق لاول مرة (الان دالاس) رئيس المخابرات الامريكية المركزية في كتابه (هيئة المخابرات) . ثم تلاه (اندرو ويلي) احد أركان المخابرات الامريكية ، حين أصدر كتابا أسماه (هيئة المخابرات المركزية وكيف تعمل) وجاء بعدهما ثالثهما (كوبلاند) فحدثنا في كتابه (لعبة الامم) عن الخيوط التي تحرك هذه الهيئة مع الاسماء ..

ولعل (الان دالاس) كان اصرح من تحدث عن (مركز اللعب) ، وطريقة عمله .

لقد تحدث (دالاس) مطولا عن حريق القاهرة ، والاسباب التي دفعت بالمخابرات الامريكية للاقدام على الحريق ، ومنها ان واشنطن قررت التخلص من حزب الوفد المصري ورجاله مهما بلغت التضحيات ، ويقول دالاس ان السبب في هذا القرار يعود الى ان واشنطن قد ضاقت ذرعا بسياسة الوفد الخارجية ويقول في ص ٩٨ : (.. بعد اقدام حكومة مصطفى النحاس باشا على الغاء معاهدة ١٩٣٦ والعمل لطرد بريطانيا من القناة والسودان ، اوفد النحاس باشا وزير خارجيته محمد صلاح الدين باشا الى باريس تحت ستار حضور اجتماعات الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة التي كانت تعقد اجتماعاتها يومذاك في باريس ، وهناك أجرى اتصالات مع السفير التشيكي في باريس وتباحث معه في صفقة أسلحة تصدر الى مصر سرا ... عندها اوعزت الى

(مركز اللعب) لاسقاط حزب الوفد .. لقد بدا لنا هذا الحزب وكأنه يريد ان يلعب بالنار ، ولا بد من احراقه بها ..

ويحدثنا (اندرو ويللي) في كتابه ص ١١٢ فيقول :

(ان اجتماعات (مركز اللعب) نوع من (المسرحيات) الصغيرة ، تجتمع فيه (فرقة الخبراء) حيث تعرض عليها موضوعات معينة تختارها ادارة المخابرات المركزية وتطلب من كل فرد منهم ان يتخذ قراره ويقدم رأيه كما لو كان هو في مكان الشخصية الاجنبية التي تتمرد على النفوذ الامريكي ويراد تأديبها ، وهؤلاء الخبراء يدرسون عادة طبيعة الشخصيات الاجنبية وظروفها ومزاجها ، لكي يتمكن الخبير من معرفة نقاط الضعف عند هذه الشخصية والمؤثرات التي تستأثر به في تصرفاته ومواقفه ، ومن هؤلاء تتكون فرقة الخبراء في (مركز اللعب) .

يمثل كل واحد منهم الشخصية التي يكلف بدراستها والاتصال بها ، هذا التخصص يجعله قادرا على ان يتقمص شخصيته حين تبحث أمرها .

وبعد ان يعرض الخبراء (تبؤاتهم) و (دراساتهم) تعطى للعقل الالكتروني فيجمعها ويقدم الينا ارقامه النهائية فنعمل بها ..

وحين بحثنا قضية اسقاط حزب الوفد ، كان هناك من يمثل النحاس ، وفؤاد سراج الدين ، وصلاح الدين وفاروق وغيرهم من السياسيين الفاعلين في النظام ..

قرر (مركز اللعب) بأن اقصاء حزب الوفد يمكن ان يتم بالتحالف المؤقت مع فاروق ، وبعد اسقاط حزب الوفد نتيجة حدث كبير وهو احراق القاهرة يمكننا عندها ان نقذف بالملك فاروق من نافذة قصره الى البحر .. واعطيت الاشارة الى (مركز اللعب) بالتحرك .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ونحن نقارن بين حريق القاهرة وحريق بيروت :

ـ هل قرر (مركز اللعب) اسقاط عهد سليمان فرنجية مع المتعاونين معه لمجرد انهم تجاهلوا أوامر واشنطن في اكثر من موقف ... رغم اقتناع العديدين بأن الحكم في لبنان لا يقوم الا على دعائم امريكية ؟

ان نظرة سريعة على ساحة الاحداث تشير الى ان المجموعة السياسية التي كانت تحكم لبنان قد خطت في عهد الرئيس فرنجية خطوات سريعة في الاتجاه المضاد للسياسة الامريكية ـ السوفيتية (الوفاقية) ..

ان واشنطن لا يمكن ان تغفر لسليمان فرنجية ترؤسه وفدا لبنانيا على أعلى المستويات ، يذهب الى هيئة الامم المتحدة ويتكلم باسم العرب مدافعا عن قضية العرب ... والذين يتحون باللائمة على فرنجية لاغضابه واشنطن يجهلون ولا شك ان سليمان فرنجية هو الرئيس اللبناني الوحيد الذي جاء بارادة محلية فقط ؛ وليس نتيجة تداخلات أجنبية وعربية ... كما أنه لم يعد سرا على أحد ان جميع المتاعب التي لاقاها فرنجية لم تكن من صنع محلي او ارادات لبنانية ... لهذا فقد عاش لبنان منذ عام ١٩٧٣ الساعات الخطرة التي عاشها حزب الوفد في مصر عام ١٩٥٢ .. واذا كان وضع لبنان لا يسمح له بقيام حزب شعبي على غرار حزب الوفد الذي تمرد على النفوذ الغربي بكامله ودفع الثمن باهظا ، فان في لبنان مجموعات قيادية على اختلاف ميولها لا يمكن لها أن تتنكر لمواقفها المستجدة مقابل مغانم آنية ... ولا يمكننا ان نتجاهل الغباء والحمق والجهل الذي كانت تتصف به القيادات السياسية والعقائدية في لبنان مما ساعد على توسيع دائرة المذبحة ..

كان المطلوب اسكات الصحافة اللبنانية .

وكان المطلوب الابتعاد عن تأييد القضية الفلسطينية والاكتفاء بسياسة العزلة عن القضايا العربية ..

وكان المطلوب أيضا وأيضا فك ارتباط لبنان بدول المواجهة ...

وحين لم تتمكن القيادات السياسية اللبنانية من تحقيق هذا المطلوب بالتراضي ، لجأ الطالب الى (الكي) فكانت المذبحة ، ولم تكن عبارة سليمان فرنجية التي طالما رددها في أكثر من مناسبة عن وجود مؤامرة تحاك ضد لبنان (فلتة لسان) كما تصور البعض ، بل كانت تهدف الى افهام من لا يفهم ان (احراق بيروت) انما هو مقدمة ، ومقدمة فقط ...

ولا بد هنا من العودة الى حريق القاهرة لنسمع من شاهد الاثبات الاول الاستاذ فؤاد سراج الدين باشا القصة .

في صيف ١٩٧٣ أمضيت ثلاثة أيام متوالية مع الاستاذ فؤاد سراج الدين في فندق (بريتانيا) ـ برمانا ـ وكانت لي معه احاديث طويلة حول الحريق ...

لقد سعيت اليه لاعلم منه أسرار حريق القاهرة ، هذه الاسرار التي يحتفظ بها الرجل الكبير في صدره ويضيق بها ... ولولا احراق بيروت على الصورة التي احترقت بها القاهرة لما سمحت لنفسي بالكشف عن أسرار اؤتمنت عليها .. ان سراج الدين كان سكرتيرا لحزب الوفد المصري ووزيرا للداخلية يوم الحريق ... لهذا فهو الشاهد الاول عليه ..

كان وزير الداخلية المسؤول وبهذه الصفة رأى وسمع وتابع وعرف كل شيء ... وعندما حاول بعد الحريق ان يفتح فمه ، صادروا صحيفة المصري ، صحيفة الحزب التي كتب فيها ... وعندما وجد فرصة للكلام في تحقيقات الحريق النيابية ، أمروا بجعل التحقيق سريا ...

وسكت الرجل منذ ذلك اليوم الاسود ١٦ كانون الثاني ١٩٥٢ الى يوم ٢٦ حزيران ١٩٧٤ اليوم الذي اجتمعت به في فندق بريتانيا ..

لقد أمضيت معه ساعات الليل والنهار وأنا أصغي اليه وهو يروي

أحداث ذلك الحريق .. لم يكن الفندق قد امتلأ بالوافدين ... وبين حديقة الفندق ، وصالة الطعام كانت الاسرار تتدحرج كالاكر تبحث عمن يلتقطها ..

كان الرجل يعلم حقيقة علاقتي بمرتضى المراغي باشا الذي جاء بعده الى وزارة الداخلية ليحقق بالحريق . وقد سبق أن أمضيت الساعات الطويلة مع المراغي وأنا أسأله عن أسباب الحريق ومسبباته ..

وأذكر الآن بدون حرج ان سراج الدين قال لي :

(بعد ان عدت الى لبنان اثر غياب دام ٢٢ سنة بدأت أشعر بخوف عليه، ان الرفاهية التي يعيش فيها واللامبالاة الغارق في بحيرتها تجعلني أقلق على مصيره ... ان اللبنانيين يجهلون حقيقة النعمة التي يعيشون فيها ... ولكن هناك الكثير من مظاهر الترف التي لا تبشر بخير ... يضاف الى هذا جنوح الصحافة نحو تهديم الاسس الدستورية التي يقوم عليها النظام ... وأنا أشعر بناقوس الخطر يدق لانه سبق لي كمسؤول ان عشت في جو مماثل قبل حريق القاهرة ، ترى هل سيحل بلبنان ما حل بمصر ؟ لا أدري ، ولكن ما لمسته من تجاهل لطبيعة الاحداث وتناحر سياسي وسفه معيب ، كل هذا يدفعني للخوف ، وليتني كنت في وضع آخر لكنت تصرفت على نحو مختلف) ..

وقلت للرجل الذي يختزن الاسرار في صدره :

(لماذا لا تقابل رئيس الجمهورية ، وتجتمع بأصدقائك من رجال السياسة وتنبههم الى المخاطر التي لا يرونها) ؟ أجاب :

(أولا لا أريد أن أحرج رئيس الجمهورية ، لانني الآن خارج من وضع خاص ، كما انني لا أريد ان أخوض في مواضيع سياسية وأنا خارج مصر... وانت تعلم جيدا حقيقة أوضاعنا والافضل ان نهتم الآن بمصر ومستقبلها) .. بعد هذا انتقلنا الى الحديث عن الحريق ... ترى هل كان الرجل الكبير يتنبأ ؟

قال فؤاد سراج الدين :

(حريق القاهرة جرى ظاهريا لصالح الانكليز والسراي ، ولكن الحقيقة كما اتضح لنا فيما بعد كان لصالح غيرهم) ..

لا أريد هنا أن أخوض في شرح المعنى الذي أراده من وراء (غيرهم) ... ولكني سأعتمد على نص أقواله ... فنحن أمام حقائق تاريخية تروى من شاهدها الاول ..

قال الرجل وقد بدا أنه يتألم من رمي الاسرار بدون تنسيق وتبويب :

« ثلاثة مسؤولين كانوا وراء هذا الحريق هم : اللواء امام ابراهيم رجل البوليس السياسي الشهير ورئيس القلم السياسي في ذلك الوقت ، واللواء أحمد عبد الهادي مدير عام البوليس ... والضابط عبد الهادي نجم الدين ضابط بلوكات النظام في البوليس .

كان هؤلاء الثلاثة قد تلقوا أمرا من (السراي) من وراء ظهري بتدبير المؤامرة لاسقاط حكومة الوفد ... كنا نعيش أياما بلغ فيها الشعور الوطني أقصى حالات احتدامه ... ففي اليوم السابق ضرب الانكليز محافظة الإسماعيلية وقتلوا خمسين شهيدا من رجال البوليس فيها ... بعد مقاومة ضارية تمكنوا خلالها من قتل ٢٢ جنديا انكليزيا ... وقبلها بأسبوع تصدى الجيش الانكليزي في الاسماعيلية أيضا لمظاهرات تطالب بالجلاء عن أرض الوطن ، وقتل سبعة أشخاص ، وجرح أربعون ... وقبلها زحف الجيش الانكليزي على قرية اسمها (كفر عبده) مستخدما ٦ آلاف جندي و ٢٥٠ دبابة ، و ٥٠٠ مصفحة ، وعددا من الطائرات الحربية ، لكي يهدم القرية التي لا يزيد عدد بيوتها على مئة وخمسين بيتا ..

كان الشعور معبأ ضد الانكليز ، وكان متوقعا ان تنشب المظاهرات في القاهرة وغيرها بعد جريمة هدم الاسماعيلية ، وبعد المذبحة الدموية التي ارتكبها الانكليز فيها .. ولم يكن غريبا في الصباح التالي أن يغلي بالغضب

رجال (بلوكات النظام) الذين هم زملاء لشهداء الاسماعيلية .. ولكن كيف عبروا عن هذا الغضب ؟

في ثكناتهم بالعباسية قادهم أول الرجال الثلاثة .. الضابط عبد الهادي نجم الدين ، وخرج على رأس ٣٠٠ منهم متجها الى الجامعة في الجيزة ، وهناك حاول الطلبة تهدئة الجنود ، ولكن الضابط قاوم المحاولة من باب (التطرف في الوطنية) ، وغادر الجامعة بجنوده وقد انضم اليهم بعض الطلبة ... نجح الطلبة في ان يوجهوا هذه المظاهرة لمجلس الوزراء ... وأن يمنعوا اي تطور آخر لها ...

ولكن في نفس هذا الوقت كانت قد بدأت تندلع في القاهرة ، وبعيدا كل البعد عن المظاهرة ، بعض الحرائق المفاجئة .. ووصلتني الانباء متأخرة كثيرا ...

لقد وقع تمرد بلوكات النظام (البوليس) في الساعة السادسة صباحا ، ولكنني أنا وزير الداخلية لم أبلغ عنها الا في السابعة والنصف ... ولم أعرف الا بعد التاسعة ان المتمردين وصلوا فعلا الى الجامعة .. ولم أعرف الا بعد الثانية عشرة والنصف انه قد بدأ الحريق من (سينما اوبرا) ، وان المتظاهرين منعوا رجال الاطفاء عن العمل ومزقوا خراطيم مياههم بالسكاكين (يا للمصادفات الغريبة في الحريقين ، فاحراق مدينة بيروت بدأ من سينما أوبرا ومنع رجال الاطفال من مزاولة أعمالهم) .. واسرعت على الفور باصدار الامر بضرب الرصاص في الهواء لتفريق المخربين واتصلت بوزير الحربية حيدر باشا لامداد البوليس بقوات من رجال الجيش ... وهنا يجيء دور الرجل الثاني امام ابراهيم .

فقد دار الرجل على مناطق الاضطراب والحرائق يبلغ أمرا مخالفا تماما لأمري ، ويمنع رجال البوليس من التعرض للمخربين بأية صورة من الصور . وانتشرت الحرائق بصورة جنونية ... وتكررت أوامري بالضرب بالمليان ،

ولكن امام ابراهيم ترجمها الى (عدم المساس بالمتظاهرين) عـلى أساس أن الحريق عمل وطني ..

وعندما صممت على طلب الاستعانة بالجيش فوجئت بعد قليـل ببلاغ تلفوني من مدير الامن العام يقول لي انه قد تبلغ ان الحالـة هـدأت وان (امام بك) قد أبلغه بأنه فرق المتظاهرين وانتهى الامر ...

في هذا اليوم الاسـود كان موقف اللواء عبد الهادي ينطوي على تقصير جسيم يصل الى حد العمد ..

لقد ترك حريق القاهرة وتوجه الى سراي عابدين لحضور مأدبة الغداء بمناسبة مولد ولي العهد ، في حين انه كان باستطاعته ان يعتذر عنهـا بسبب هذه الظروف . . ومع ذلك فانه بعد المأدبة الملكية لم ينزل الى المدينة وهـي تحترق وهو أكبر ضابط بوليس بل توجه الى داره ليستريح وينام بعد الغداء الملكي ... وقد اتصلنا به فأجابونا بأنه نائم .. فاتصلت به بنفسي فلم يـرد علي لانه كان نائما ...

هذا بعض ما قاله الرجل عن الحريق ؛ لقـد أغفلت التفاصيل ونصوص الاوامر الصادرة الى الثلاثة من السراي مباشرة .. ويمكن القول أنه في هذا اليوم لم تكن هناك سلطة في مصر ، او في العاصمة التي كانت تحترق ... وان الدولة توقفت تماما عن العمل باشارة من الملك فاروق .. فقـد عمـل الملك والقوى التي تساندها على شل ما بقي من فاعلية أجهزة الامن ، لينطلق نشاطها من قيود النظام ؛ فلجأت هـذه القوى الرسمية الـى (العمل غـير المشروع) البعيد عن أجهزة الدولة بوصفها دولة ...

والحاصل من كل هذا ان (انفلات السلطـة) يـوم الحريق ، اشـاع الاضطراب لدى الجميع .. أما حكومة الوفد فقد أقالها الملك ... بعـد أن أعلنت الاحكام العرفية وجاءت بعدها حكومة علي ماهـر لتواجه مـا بعـد

الحريق ، ثم استقالت وهكذا تتابع استقالة الوزارات الى ان قامت ثورة ٢٣ يوليو بعد سبعة شهور وحسمت الموقف ٠٠٠

هذه هي قصة حريق القاهرة ٠٠٠ فما هي قصة حريق بيروت ؟

هل سننتظر ربع قرن أخرى للعثور على الشاهد الذي يستطيع الادلاء بمعلوماته عنها ؛

قد يكون الجواب عند (مركز اللعب) في واشنطن ، الذي يملك وحده التفاصيل ، ويملك بالتالي الاسباب التي دفعت بالمجرمين الى تطبيق نفس الخطة التي اتبعت في احراق القاهرة على احراق بيروت ٠٠٠ وهل من قبيل المصادفة ان يبدأ حريق القاهرة من سينما الاوبرا ، كما بدأ حريق بيروت من هذه السينما ؟ وهل هي المصادفة التي جعلت حريق القاهرة يتم أثناء غياب السلطة ، وكذلك حريق بيروت ؟٠٠ وهل من قبيل المصادفة أيضا وأيضا بأن يمنع رجال الاطفاء في القاهرة من حصر النار ، وأن يضرب رجال الاطفاء ببيروت بالرصاص لكي يظل الحريق سرا ؟!

هذا ما رواه الاستاذ فؤاد سراج الدين الشاهد الاول على حريق القاهرة ، ولعل من المؤسف حقا ، انه رغم زوال ذلك العهد ، الذي وقع في ظله هذا الحادث الخطير ، وبعد مرور ربع قرن من الزمان ما يزال وقوعه سرا غامضا لم يكتشف بعد على وجه التحديد من هم الذين ارتكبوه ٠!

قد يكون ــ مثلا ــ من الامور العادية ، ان تعجز سلطات الامن او النيابة العامة ، أو أي جهاز من أجهزة الامن في الدولة عن العثور على مرتكب جناية قتل ، او جناية سرقة ويقيد الحادث ضد مجهول ،٠ولكنه ليس من الامور العادية أبدا ان تعجز الدولة ، ويعجز الناس معها عن العثور على مرتكبي حادث هام وخطير كحادث حريق القاهرة ، كان له أعمق الاثار في تغيير مجرى التاريخ العربي المعاصر ٠٠!

نقول هذا اليوم ونحن على أبواب حريق بيروت ، لكي لا يطوى هذا

الحريق كما طوى اخ له من قبل ولان حريق القاهرة لا يزال حتـى الآن سرا غامضا لم يكتشف بعد ؛ فان تهمة تدبيره قد وجهت الى الكثيرين حتى الـى أولئك الذين لا مصلحة لهم أبدا في وقوع الحادث ؛ وذلـك بالرغم مـن ان هناك قاعدة جنائية تؤكد انه لكي يعرف من هو مرتكب الجريمة لا بـد وأن نبحث عن المستفيد منها :

وجهت تهمة حريق القاهرة الى حزب الوفد المصري •• بالرغم مـن ان حريق القاهرة كان هو الذي أبعده ــ وبطريقة غير دستورية ــ من السلطة ••

ووجهت تهمة تدبير حريق القاهرة الـى الاخوان المسلمين بينما الثابت تاريخيا ان حلفا قد قام بين الوفد والاخوان المسلمين ، قبـل حريـق القاهرة بأيام قليلة للتعاون معا فيما يتعلق باعمال الفدائيين الذي يقاومون فـي منطقة القتال ، وقد كان يشرف على هذه الاعمال بشكل سري وزيـر الداخلية فؤاد سراج الدين ويؤمن للفدائيين قيمة الاسلحة من جيبه الخاص كما اتضح ذلك في محاكمات الثورة يوم اعتقل سراج الدين بتهمة الاثراء غير المشروع وبرأته محكمة الثورة من هذه التهمة •• وكان يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢ ــ يوم الحريق ــ هو اليوم المحدد للقاء الاستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للاخوان المسلمين يرحمه الله مع الاستاذ فؤاد سراج الدين السكرتير العـام لحزب الوفد المصري •••

ووجهت تهمة تدبير الحريق الـى الحزب الاشتراكي ــ مصر الفتاة ــ ، والى رئيسه الاستاذ احمد حسين (مد الله في عمره) بالذات • واعتقل احمد حسين بهذه التهمة وقدم الى المحاكمة ، وظل في السجن حتى بعـد قيام ثورة ٢٣ يوليو •• بينما الثابت ، حتى في تقاريـر القسم السـياسي بالداخلية ، ان الاستاذ حسين كان ملازما الفراش في بيته ولم يخرج منه الا في مساء يـوم الحريق •• وقد روى لي تفاصيل القصة يوم جاء الـى بيروت وقضى صيف ١٩٧٤ في سوق الغرب •••

وقد تعددت الجهات التي اتهمت بحريق القاهرة ؛ فمن قائـل بان تنظيما

معينا من الضباط الاحرار او ممن كانوا ينتسبون الى الضباط الاحرار هـو الذي دبر الحريق ، لان الحريق من وجهة نظـر هؤلاء الضباط .. كان يخدم الاغراض التي كانوا يريدون تحقيقها .. وبعد ما يقرب من عشرين عاما بدأت الكتب المخابراتية الامريكية تصدر لتشير باصابعها العشرة الى ان الذي دبر هذا الحريق انما هي المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مـع اجهزتها التي بدأت تنشئها في مصر وبموافقة موسكو .. كما اوضحنا ذلك ...

ويذكر الاستاذ صبري ابو المجد مدير تحرير المصور ، واحـد الشباب الوطنيين الذين كانوا على مقربة من الاحداث فـي ذلـك الوقت يذكر حادثة يجدر بنا ان نتوقف عندها طويلا ونحن نقارن بين جريمـة حريـق القاهرة ، وجريمة حريق بيروت ، يقول الاستاذ ابو المجد :

(.. لقد سبق لي ان كنت مع لفيف مـن الشباب قبل ايام مـن حريق القاهرة ، في نادي جبهة مصر ، الذي كان علي ماهر باشا قـد انشأه ليجتمع فيه الشباب وغير الشباب من الحزبيين .. وقد عرفت من خلال حديث عـلي ماهر ان الحرب الشعبية الدائرة في القناة يمكن ان تتوقف نتيجة لحدث ما ، قد يقع في القاهرة ، وتقال بسببه حكومة الوفـد الحائزة على ثقـة الشعب والبرلمان وتأتي حكومة اخرى يمكن ان تصفـي المقاومة فـي القناة وتعـود بالبلاد الى النقطة التي بدأت منها قبل الغاء معاهدة ١٩٣٦ هذا الالغاء الـذي اعلنه النحاس باشا زعيم الوفـد فـي اجتماع مشتـرك لمجلسي البرلمـان والشيوخ ...)

والغريب ان علي ماهر قد شكل الوزارة الاولى بعد اقالـة حزب الوفد ثم استقال ، وكان اول رئيس لحكومة ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ..

لسنا هنا في معرض كتابة تاريخ جريمة حريـق القاهرة ، ولكننا فـي مجال مقارنة حريق القاهرة بحريق بيروت ، فاذا كان حريق القاهرة جاء بمثابة مقدمة لتغيير الواجهات السياسية التي كانت تحكم العالم العربي ، فان حريق بيروت هو بالتأكيد البداية لهذا التغيير ..!

هناك العديد من المؤشرات التي تثبت ان جريمة حريق بيروت لم تكن وليدة صراع طائفي او حرب اهلية في لبنان كما اشيع ، وانما كانت (مذبحة) بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة ، وهي تشكل جزءا من المخطط الخطير الذي وضعته المخابرات الامريكية : والقوى الصهيونية المتعاطفة معها ، وبينها قوى عربية غير مجهولة الهوية ، والهدف الاساسي لهذا المخطط ، كما كشفت عنه العديد من الصحف العالمية ، ان تنشغل الدول العربية بمشاكلها الداخلية وتنصرف عن مواجهة ازمة الشرق الاوسط ، وان تتعطل في هذه الدول جميع مظاهر حرية الرأي ، حتى الضئيلة منها ...

بدأ هذا المخطط بجريمة احراق بيروت على التحديد ، ثم اتجه الى السودان ، وقام بزيارة خاطفة للكويت لخلق جو من الفوضى السياسية في دول الخليج واماراته ... وقد شاءت الاقدار ان يسقط تل الزعتر فيتكشف هذا السقوط عن افتضاح بعض جوانب المخطط ، فلا يصاب الكويت بما اصيب به لبنان .. ولكن المخطط لم يتوقف فسرعان ما حط في مصر .. ولعل هذه المصادفة انما جاءت بمثابة تحذير شديد يفسر كلمة الحكيم العربي القديم عندما قال :

(انما اكلت يوم اكل الثور الابيض)

فبينما كانت القاهرة غافية تماما لما كان يخطط لها خلال يومي ١٨ ، ١٩ من كانون الثاني ١٩٧٧ (يناير) تماما كما كانت بيروت غافية في مطلع ايلول ١٩٧٥ ... وبينما كان حريق القاهرة يقارب عمره ٢٥ عاما ، وفي نفس الشهر (يناير) ــ كانون الثاني ــ تشهد القاهرة كما شهدت بيروت ذلك الحدث الكبير الذي هز مصر وايقظها من غفوتها !!

وكما كان حجم الجرح في لبنان غائرا وعميقا ، كذلك كان في القاهرة ... وكما كانت خطة تدمير بيروت مدبرة من قبل كذلك كانت خطة تدمير القاهرة مدبرة من قبل ...

دليل التدبير ذلك الذكاء الخارق في الحدثين في استخدام الكتل البشرية والهاب مشاعرها •• فالشعارات التي رددت في الساحة اللبنانية ، هي نفس الشعارات التي رددت في الساحة المصرية ، والتهم التي وجهت الى سليمان فرنجية واهله ، هي ذات التهم التي وجهت الى انور السادات واهله ••• والهتافات التي رددت في المدن اللبنانية هي ذاتها التي رددت في المدن المصرية •••• وظاهرة العنف البشع التي ظهرت في لبنان اثناء « المذبحة » هي نفس الظاهرة التي اتسمت بها الاحداث في مصر •• والرغبة الشديدة في التخريب التي تمثلت في الاسواق التجارية على ابشع صورة هي ذاتها التي تمثلت في الممتلكات العامة والخاصة في مصر •• وكان العنف مقصودا في البلدين •••

وشهود العيان الذين رأوا احداث مصر اكدوا ان الايدي التي افتعلت الاحداث في لبنان هي ذاتها التي افتعلتها في مصر •••• ذلك انه لم يكن من السهل على المتظاهرين في القاهرة والاسكندرية وغيرهما الحصول على الكيروسين او البنزين او الكرات المشتعلة التي احرقت هذه الكمية الضخمة من الممتلكات على مدى يومين ••• كانت اهداف المتآمرين في مصر ، هي اهدافهم في لبنان •• كما ان اهداف المتآمرين في حريق القاهرة ١٩٥٢ هي اهدافهم في عام ١٩٧٧ •

كان هدفهم في عام ١٩٥٢ :

(دور السينما : النصر وفيكتوريا وأوديون وريفولي وفيمينا ومتروبول وكايرو بالاس ومترو وفندقي شبرد وفيكتوريا ، وشركة شل ومطعم سان جيمس ومحلات توماس بار وروبرت هيوز ، وبونـدي ، وسيارات هيلمان وكريزلر وستوديو بيكر وكايرو موتورز) ••

وكانت الاهداف عام ١٩٧٧ المركز الرئيسي لمطافىء القاهرة ، واقسام بوليس القاهرة ، ودور الصحف و ••• و •••• هل عرفنا الآن لماذا صمرت

الفنادق الفخمة في لبنان والمتاجر والاسواق ؟

ومع ان الدولة في القاهرة قد اثبتت وجودهـا وانزلت الجيش لحفظ الامن فان الخسائر في القاهرة بلغت على مدى يومين ١٨ و١٩ يناير (كانون الثاني) ما يقارب مليار جنيه ونصف المليار كان نصيب المرافق العامة وحدها الملايين من الجنيهات .. لقد دمرت ونهبت بعض الجمعيات الاستهلاكية وقطاع التموين ، وفي القاهرة فقط دمر ١١ عربة سكة حديد و٢٨٩ اتوبيس ، و ٤٠ تروللي باس و ٤٧ ترام .. وامتد الحريق والنهب من القاهرة الى الاسكندرية الى المنيا والمنصورة وغيرها من المدن ..

واذا كانت احداث لبنان قد بدأت بحادث باص عين الرمانة .. فان احداث حريق القاهرة الثاني بدأت على شكل مظاهرات عنيفة اجتاحت القاهرة والاسكندرية وعواصم المحافظات في وقت واحد .. لقد بدأت بمظهر سلمي تطالب بالغاء قرارات زيادة الاسعار وعودتها الى ما كانت عليه .. وبسرعة رهيبة انقلبت الى التخريب والشغب واحراق المنشاءات العامة والخاصة ووسائل المواصلات ..

ومن يتتبع خط الاحداث على مدى ١٩ شهرا في لبنان ، وخطها على مدى « ١٨ و١٩ » في مصر يظهر واضحا ان الاسلوب كان واحدا ايضا ...

كان يحرك هذه المظاهرات الضخمة جهاز سري مدرب على الارهاب استطاع ان يلهب الحماس ويستأجر الخارجين على القانون ويدفع باللصوص الى الساحة ... وكما اصبح الشارع في لبنان على مدى ١٩ شهرا مفتوحا امام المجرمين واللصوص كذلك فتح في مصر يوم ١٨ ، ١٩ « يناير » كانون الثاني خاصة لامثال هؤلاء من عناصر التخريب ومثيري الشغب وعصابات النهب والسلب والتدمير والحرق .. « لنذكر ان المجرمين في لبنان فتحوا ابواب السجون وسلحوا المجرمين واطلقوهم بدون حدود لممارسة نشاطاتهم» .

ففي توقيت واحد خرجت هذه العصابات ووجهتها المحلات التجارية

والمرافق العامة ... وقبل كل ذلك اتجهت الى اقسام الشرطة في جميع المناطق حيث اعتدت عليها حتى تمنع رجالها من الخروج لحفظ الامن .. وكان لهم ما ارادوا ، فقد دوهمت اقسام الشرطة والمبنى الرئيسي لمطافيء القاهرة حتى تعجز عن اطفاء الحريق ... (لا بد ان نذكر هنا كيف كان الرصاص في لبنان ينهال على رجال المطافيء وسيارات الاسعاف لمنعها من الوصول الى اطفاء الحريق وانقاذ الجرحى) ..

وبدأت معالم الخطة لاحراق القاهرة تتكشف شيئا فشيئا .. وضبطت الوثائق التي تحتوي الخطة الكاملة لنسف العديد من المنشاءات الهامة مثل : (الجامعة العربية ، فندق شبرد ، دار الاذاعة والتلفزيون ، وفندق شيراتون ومبنى البريد وادارة مكافحة المخدرات وبنك مصر والهيئة العامة للتأمين والمعاشات ومصانع الشريجي للكبريت والنسيج والمصرف العربي الدولي وكافة محطات البنزين ..) كما تضمنت الخطة احراق مبنى السنترال ومصنع الغزل والنسيج بالمنيا وسنترال المنشية بالاسكندرية ..

وفي المنصورة تم ضبط احد الاشخاص مستغلا تجمع الناس اثناء الصلاة واخذ يوزع منشورات عليهم تتضمن الدعوة لاسقاط النظام ...

في اليوم التالي للحريق يوم ١٩ استهدف المخربون محطات السكك الحديد ، وبدا ذلك انه ليس من تفكير الصبية والعمال ولا الطلاب الذين تظاهروا ، بل من تفكير اجهزة علمية كانت قد اعدت لكل شيء عدته .. فكانت السيارات تطوف هنا وهناك تحرض ، تنقل المواد الملتهبة .. وكان الهدف الاساسي لهؤلاء اقسام الشرطة في الاحياء المكتظة بالسكان ، لان حرق اقسام الشرطة في هذه الاحياء معناه غياب الامن ، وغياب الامن يفتح الباب للمجرمين الصغار لينقضوا على المخازن والدكاكين ... وقد استطاعوا الوصول الى ٣٣ مجمعا استهلاكيا في قلب القاهرة كانت تخدم لا اقل من ثلاثة ملايين انسان ..

وبينما كانت الصحف العالمية تتحدث عن هـذه الجريمة الجديدة كانت الصحف الامريكية صامتة اما الصحف السوفيتية فقـد ندد بالسلطة وهاجمت النظام ، تماما كما حصل في لبنان ٠٠ ٠

والغريب في الجريمتين ان العالم يعرف هوية المجرمين فـي لبنان ومصر ولكن احدا لا يتجرأ على ذكر هويتهم الصريحة لماذا ؟

لكي تقيد الجريمة في لبنان ضد مجهول ، كما سبـق وقيدت الجريمة في عام ١٩٥٢ ضد مجهول ٠٠٠ ولكن هل تقيد الجريمة الثالثة في مصر ضد مجهول ايضا ٠٠٠

هذه هي المسألة ٠!

***

الثورات تأتي.. ولا تصنع

[redacted] الابناء يأكلون الحصرم

فجأة ، وجدت نفسي بلا قلم ولا ورق واين ؟ في اهدن ، وفي منزل طوني فرنجية ، وبين جمع من الشباب الزغرتاويين ...

كان هناك في باحة المنزل الذي يسمونه بالقصر ، وهو ابعد منا يكون عن هذه التسمية ، بعض الاطفال يسرحون .. اما صاحب المنزل فقد كان يصغي اكثر مما كان يتكلم ..

كان وجودي في تلك الامسية من غروب السبت ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٥ في ذلك المكان يستدعي التساؤل .. فالذين علموا بتركي بيروت والذهاب الى الشمال اجمعوا على وجود خلل في عقلي ، فقد كانت بيروت في ذلك اليوم يسيطر عليها الرعب .

كانت الصواريخ والرصاص والقنابل تنطلق بغير هدف لتستقر في البيوت الامنة وتقتل الابرياء ..!

جثث القتلى والجرحى في الشوارع لا تجد من يقترب منها ... معظم المباني اصيبت بالشظايا .. المقاهي الفخمة والانيقة تحطمت .. ليالي بيروت المعروفة بالمرح تحولت الى حريق ودخان واصوات انفجارات لا تتوقف .. والمدينة لا يحكمها القانون .. انما يحكمها الدمار والرصاص و .. الموت !

وسط هذا الجو المحموم كنت هناك في اهدن ، وفي المنزل العريق الذي يعرف سكانه الكثير من الاسرار عن اسباب وصول لبنان الى هذا المنحدر ولا يتكلمون ..

وقد كان لتركي مدينة بيروت اكثر من سبب .. فحين بـدأت لجنـة الحوار الوطني اعمالها كان هناك من يتحدث في القصر الجمهوري ببعبدا الى الرئيس فرنجية عن موقف نجله طوني حيال الازمة التي عصفت بشمال لبنان وجنوبه ووسطه .. وكان المتحدث ينتظر من الرئيس ان يجاري محدثه فـي ارائه التي تتضمن استنكار مواقف طوني ، خاصة عندما قال له :

(... يا فخامة الرئيس نحن نعمل بتوجيهات فخامتك في اطار التهدئة، وطوني بك يقود بنفسه عملية التصعيد في اهدن ... فهل تقبل بهذا يا فخامة الرئيس ؟)

ظهر عدم الارتياح على وجه الرئيس من هذا الحديث ، واستوى عـلى مقعده وهو يضغط على اعصابه لكي لا تنفجر وقال لمحدثه :

(ماذا فعل ولدي لكي يغضب صاحب السماحة ... تأكد انه لـو فعل غير ما فعله لما كنت راضيا عنه .. انا اعرف طوني جيدا ، واعرف انه يتصرف وفق تقاليد وعادات البيت الذي انجبه والبيت الذي رباه .. ثم انه لم يعـد صغيرا .. فهو متزوج ، ولديه ولدان ، وهو نائب .. وليس من عادات بيتنا ان يتدخل في شؤون الابناء حين يصبحون في موقع المسؤولية .. مـا فعله طوني اثناء الاحداث يستحق ان نتفحصه جيدا قبل ان ننتقده) !!

هذه العبارات كانت من بين العوامل التي دفعتني للانتقال مـن بيروت الى اهدن رغم الاخطار التـي تحيق بمثل هـذه المغامرة .. ولعـل الجنون الجماعي الذي كان يسيطر على بيروت في تلك اللحظات هـو الذي زين لي ضرورتها .. ان الجميع يقرون ان الحقائق ليست متوفرة .. وان ما ينشر في الصحافة لا يتعدى الاستنتاج الذي لا يخلـو مـن الغرض ... فلمـاذا لا يتصدى احدنا لمعرفة الحقائق بنفسـه ؟

لا انكر انني حين سمعت طوني فرنجية يتكلم الى زائريه بدأت الاسئلة

التي زرعتها في مخيلتي لتوجيهها اليه تتبخر .. فتصرفاته الهادئة ، وعفويته ، وتباسطه مع جلسائه ، كل هذا دفعني لان اضع اسئلة جديدة مستوحاة من الجو الذي طالعني .

كنت اتخيل انني سألاقيه يرتدي الثياب العسكرية ، ويمنطق خصره بالقنابل والمسدسات ، ويصدر الاوامر الى الانصار ...

أليس هو ، الذي ، كما قيل ونشر واذيع في انحاء العالم ، يتولى قيادة جيش التحرير الزغرتاوي ؟

ألم تكتب عنه الصحافة بانه اضحى من كبار متعهدي الفتن والحروب ؟

أليس هو الذي ملأ الدنيا اللبنانية ، وشغل الناس طيلة سنوات ولاية والده ؟

ألم تتطوع الاقوال لملاحقته وتطويقه ، سواء كان في اهدن يحل مكان والده ، او في بعبدا يشارك في الاجتماعات بصفته رئيسا لكتلة برلمانية تضم ثمانية نواب ... او وزيرا في الوزارة ؟

ـ طوني فرنجية وراء كل ازمة عصفت بلبنان ..!

ـ طوني فرنجية يختفي وراء كل صفقة دسمة ..!

ـ من اجل طوني وبسببه كانت الوزارات تسقط ويعاد تأليفها .!

هذه نماذج متواضعة جدا من الاقوال التي كانت تتجول على افواه السياسيين ابتداء من العميد ريمون اده ، وانتهاء بصائب بك ، ومرورا بالعديد من مقتنصي الاخبار وسماسرتها ..

واذا كان من الطبيعي ان يخوض الناس في سيرة نائب شاب تولى الوزارة اكثر من مرة ، وحدث ان اختلف مع والده رئيس الجمهورية حول قضايا سياسية معروفة منها اعتماد والده على عتاق السياسيين ... فانه ليس

من الطبيعي ان يختلق على لسان الشاب الكثير من الاقوال التي تفتقر الى التأييد ... من هذه الاقوال ان طوني فرنجية وقف في مؤتمر بكركي وطالب بتقسيم لبنان بحضور زعماء الموارنة .

لقد نشر في اكثر من صحيفة لبنانية ان نجل رئيس الجمهورية قال في هذا المؤتمر :

(... لم يعد بامكان المسيحي ان يعيش مع المسلم تحت سقف واحد.. ولا بد من تقسيم لبنان بعد فشل التعايش) .

وتلقفت الاندية السياسية هذه العبارات ، واضافت عليها بان الابن مكلف من قبل ابيه رئيس الجمهورية بعرض هذا الرأي في مؤتمر بكركي .

كان طوني فرنجية ما يزال يتحدث الى زواره حين عادت بي الذاكرة الى ميثاق ١٩٤٣ ، هذا الميثاق الذي ساهم في وضعه حميد فرنجية شقيق سليمان ... والمطالبة بتقسيم لبنان تنسف هذا الميثاق من جذوره ... وتنسف معه الكيان ، فهل صحيح يا ترى ما نسب الى الابن باسم الاب ؟

لقد سمعت من رشيد كرامي رئيس الوزراء عشية تأليفه الحكومة قوله :

(.. ان مهمتنا تنحصر في الاعداد للمصالحة الوطنية وتغيير ميثاق ١٩٤٣ الذي عفا عليه الزمن) .

لقد عقد هذا الميثاق في اعقاب استقلال لبنان ، واعطى الحق للطوائف من الاشتراك في حكم لبنان ، وترتب على ذلك ان يكون رئيس الجمهورية ماروني ، ورئيس المجلس شيعي ، ورئيس الوزراء سني ... فهل يمكن الاستنتاج ان هذه الصيغة قد اهتزت فطالب رشيد كرامي بالتغيير ، وطالب طوني فرنجية باسم ابيه بالتقسيم ؟

وليست هي المرة الاولى التي يقال فيها على لسان رئيس الجمهورية ان تقسيم لبنان بات يفرض نفسه ... فقد سبق ان نشر على لسان سليمان فرنجية وفي بعض المجلات المنتشرة في العالم العربي ، ان رئيس الجمهورية صارح حكومة الانقاذ فور تأليفها بانه لا حاجة لتدمير لبنان من اجل تحقيق مكاسب طائفة على حساب طائفة اخرى ... والافضل ان تتفق على صيغة تحسم النزاع بدلا من هذا الاقتتال المعيب ..

قطع الحوار (الاخواني) الذي كان يدور بين طوني فرنجية وجلسائه دخول سيدة من اهل البيت سلمت على الجميع واحتضنت طوني بك وهي تقول :

(.. خي ما احلى الجو في اهدن ، على الاقل هون ما في كذب) ..!

عبارة السيدة التي انطلقت من فمها بعفوية دفعتني لان التزم بالصدق حين اجتمع بطوني فرنجية على انفراد ، لقد صممت على ان اصارحه بكل شيء سمعته عنه ، ابتداء من حديث الصفقات المشبوهة التي الصقت به ، وانتهاء بمطالبته بتقسيم لبنان في اجتماع بكركي ..

حين دعينا الى غرفة الطعام عرفت اسباب وجود الاطفال بكثرة في تلك الامسية ... فالمناسبة هي الاحتفال ببلوغ (سليمان) نجل طوني سنته العاشرة ...

لم يكن جد الطفل من بين الحضور ، بل كان هناك في بعبدا يسير على درب الآلام ويتوجع ... ومن المؤكد انه كان متأثرا لغيابه عن هذا الاحتفال ... فالمعروف عن سليمان فرنجية تعلقه بعائلته الكبيرة ، العائلة الزغرتاوية ، والعائلة الصغيرة ، عائلة فرنجية ... انه يعرف جميع افراد العائلتين ، ويحرص على استقبالهم في منزله حين يكون في اهدن ..

الحفلة بسيطة ومتواضعة .. الشيء الوحيد الذي يميزها تلك الحفاوة التي تطوق المنزل الهادىء الخالي من الكذب ...

عشرة اطفال ، وعشرة شباب ، وخمس سيدات تحلقوا حول الطفل سليمان الذي اطفأ الشمعات ، وشقيقته (جيهان) التي لم تبلغ شهورها الخمسة تضحك بين يدي والدها .. وكم كان اهل الدار يودون لو كان الجد بينهم ... ولكن من كان في تلك الساعة يجهل اسباب تخلفه ؟ لقد كان الجو حزينا في انحاء اهدن وزغرتا ... وكذلك كان الجو في المنزل الذي يحتفل بهذه المناسبة السعيدة ..

ولعل هذا الجو نفسه كان يسيطر على جميع اللبنانيين ... فهذا منزله قد احترق ، وذاك ابنه قتل ، وذياك متجره قد دمر ... هناك ـ ٤٨٣ ـ عائلة زغرتاوية تركت متاعها ومتاجرها ومنازلها في طرابلس ونجت بارواحها لاجئة الى اهلها في زغرتا والمناطق المجاورة ...



ثمة شيء تمتاز به زغرتا عن غيرها من المناطق اللبنانية وهو جرأة اهلها على الخوض في المواضيع السياسية بمنتهى الصراحة ... انهم يعرفون تفاصيل السياسة اللبنانية ودقائقها ... ثم انهم يقتتلون فيما بينهم اثناء السلم ، ولكن ما ان يشعروا بالخطر حتى يتكتلوا ..

لقد سمعت من خصوم آل فرنجية السياسيين ، ومن شخصيات لم تقترب من العهد وصاحبه ان الرئيس سليمان لا يستحق كل هذا التجني الذي لقيه .. وخاصة من اهل اليسار !

فهو اول رئيس لبناني يأتي الى الحكم بدون ارتباطات خارجية مسبقة. واول رئيس لبناني يترك للقوى السياسية الماركسية حرية التعبير عن رأيها.. واول رئيس لبناني يتصرف حيال السفير الامريكي كما يتصرف مع غيره من السفراء دون تمييز ... ولا يستغرب اذكياء زغرتا وقوع الاحداث الكبيرة في عهده ... لقد رفض ويعناد ان يحول لبنان في عهده الى مركز نفوذ لهذه الدولة الغربية او تلك الشرقية ... مع انه قدم للاحزاب اليسارية ، وخاصة

الحزب الشيوعي ، الضمانات الكافية لمزاولة نشاطاتها بحرية تامة ... فماذا كانت النتيجة ؟

في عهده شق اليمين المحسوب على النظام ، والمعادي للشيوعية ، شق عصا الطاعة على الدولة وحمل السلاح باسم الدفاع عن النظام ... مقدما للعناصر المعادية للنظام فرصة العمر ، وهي افساح المجال امام الماركسيين لحمل السلاح ايضا ...

ان ابناء زغرتا يروون لكل من يسألهم ان هناك الكثير من العروض (الغربية) قدمت الى الرئيس ليضرب العمل الفدائي في لبنان لقاء مساعدات ضخمة لم يسبق ان قدمت الى اي من الدول العربية وكانت النتيجة ان ذهب الرجل الى هيئة الامم ليتكلم باسم العرب عن القضية الفلسطينية ... فماذا كانت النتيجة ؟

ان جميع القادة العرب يعرفون تفاصيل هذه العروض ، والجهات التي قدمتها ، ويعرفون بالتالي جواب الرئيس فرنجية عليها وقوله :

(... ان هذا لا يتم وسليمان فرنجية في الرئاسة ، فاذا شعرت ان هناك من يعمل لضرب العمل الفدائي في لبنان من فوق السلطة اللبنانية ، فسأكون اول من يحمل السلاح للدفاع عن شرف القضية الفلسطينية) .

واذكر هنا انني اجتمعت بالسيد صلاح خلف (ابو اياد) في بداية احتدام القتال في لبنان ، وكان يردد امامي عبارة السيد ياسر عرفات التي طالما رواها امام القادة الفلسطينيين وهي :

(انا لا اخاف على الثورة الفلسطينية في لبنان طالما ان سليمان فرنجية هو رئيس الجمهورية ..)

فما الذي جعل عرفات يعلن الحرب على فرنجية ، ودفع بفرنجية ليقابله بالمثل ؟

ان الذين يعلمون يصمتون ، والذين لا يعرفون يملأون الجو صياحا ، وبين الصمت والثرثرة الفارغة تغيب الحقائق .. ويمكنني ان اقول ان المؤمنين بالقضية الفلسطينية وعدالتها سيذكرون بعد وقت قصير انهم اضاعوا الفرصة الثمينة ليحققوا مكاسب لهذه القضية اثناء وجود الرئيس فرنجية في الحكم ... فقد كان بيت الرجل وصدره مفتوحان لتحقيق كل ما تطلبه الثورة الفلسطينية من لبنان ... مقابل شيء واحد وهو ترك الفرصة للبنانيين ليديرون شؤونهم بانفسهم بعيدا عن المداخلات الخارجية ، وبعبارة اوضح فان فرنجية كان على استعداد تام لينفذ كل الاتفاقات المعقودة مع منظمة التحرير مقابل عدم تورط الفلسطينيين في تحالفات مع جنبلاط ويساره ... ترى من الذي اغلق باب فرنجية في وجه الفلسطينيين وبالعكس ، ومن الذي اوغر صدر فرنجية ضد الفلسطينيين وبالعكس ...؟

الطريف في هذه القضية بالذات ان الجميع يعلمون التفاصيل والحقائق والاسرار ، ولكن احدا لا يتجرأ على البوح بها لماذا ؟

* * *

حول طاولة مستديرة ذابت عليها عشرات السجائر ، وكثرت فناجين القهوة الغادية والعائدة رميت اسئلتي دفعة واحدة امام طوني فرنجية ... وتركته يتحدث دون ان اقاطعه ... ولا اعتقد ان هناك سؤالا يمكن ان يفكر به لبناني واحد لم اوجهه اليه (بدون كذب) .!

ما من مرة رأيت صورته المتعالية التي يتعمد البعض ابرازها للنيل منه.. الا وفكرت بعدم الاقتراب منه ..

ولكن ما ان تقلب وجه العملة الاخرى حتى ترى الشاب المعتد بنفسه.. وهذا الواقع تجسده الاضواء والظلال لشاب وجد نفسه يضطلع بمسؤوليات كبيرة وهو ما يزال في مطلع شبابه ..

كنت اتخيله قبل لقائي انه ملتزم باراء هزمها العصر لانهـا ضد التاريخ ... فلبنان لم يعد يتحمل ابنـاء الزعماء الذين يأتـون الـى السياسة باسم ابائهم .. ترى هل تغيرت هذه الصورة بعد ان سمعت حديثه ؟

ــ اعذرني اذا تحدثت على سجيتي ، فمنذ بـدأ الاعصار المدمـر يلف بلادي وانا في شبه غيبوبة ... فلم أكـن اتصور ان تاريخا مـن الاخـوة والعلاقات التي تشد طرابلس الـى زغرتـا ، وبالعكس ، سيدمر علـى هذا النحـو .!

قال طوني فرنجية عباراته هذه ثم راح يحدق مـن شرفة منزله بمدينة طرابلس التي كانت علـى مرمى بصره ... ثم سرعان مـا استأنف حديثـه باطمئنان بعد ان رآني اصغي اليه دون ان اسجل اقواله علـى الورق ، فليس اشق على المسؤول من تسجيل اقواله امام عينيه ..

قلت له اريد ان اصدقك القول ، وأمـل ان تصدقني بدورك ... فلم يعد هناك مجال لاخفاء الحقائق .. ان لبنان يعيش مفترق طـرق ولا يدري احد ماذا يخبئون له في اوكارهم .. قال :

ــ وهل اوصلنا الى هذا الحال سوى الكذب ؟

ساعتان ونصف وطوني فرنجية يتحدث دون ان يظهر تأففه بالرغم مـن عشرات الهواتف الاضطرارية التي كانت تأتيه لتسأله :

ــ كيف الحالة ؟

ــ نشكر الله نأمل ان تتحسن ..

ساعة كاملة عرفت من خلالها قصة آل فرنجيـة .. ان العائلـة لا تهتم كثيرا بالاقوال ، فقد اعتادت عليها .. والصغير فيهـا يحترم الكبير ... وفي هذا يقول طوني :

(.. ان كل تصرف يقدم عليه والدي لا يرتجله .. لقد اختلفت معه كثيرا ، ولكني في النتيجة ادرك انه على حق ، لانه يؤمن ان وطنه على حق .! لقد وصفتني اثناء حديثك بالتعالي .. قد يكون هذا حق .. ولكني لا انفرد بهذا الوصف ، فكل زغرتاوي متعاليا .. قد يكون هـذا خطأ ، ولكن البيئة التي نعيش فيها تجعلنا نعتز بكرامتنا الى اقصى الحدود ، ولهذا تكثر حوادث القتل بيننا ... تستطيع ان تأخذ من الزغرتاوي كـل شيء بكلمة طيبة ولكن حذار الاقتراب من كرامته .. عندها يفقد توازنه ..

وهناك ناحية هامة من حياتنا مجهولة ، وهـي أن المواطن عندنـا يلزم زعماءه بالولاء للوطن فقط ، ولا يسألهم عن الانتماءات . لذا تجدنا نبتعد عن سوق المزايدات ، ونترفع عن المساومـات السياسية .. ان الارض التـي ننطلق منها هي الارض التي نعيش عليها ، وجمهورنا هـو الجمهور الـذي انتخبنا .. وهذا الجمهور يعرف جيدا ان نوابه ليسوا بحاجة الـى استجداء التأييد من هذا وذاك من خارج الدائرة الشعبية ... هكذا تصرف جـدي ، وهكذا تصرف والدي ، وعلى هذا النحو سأتصرف . كان بامكاننا ان نـرد على الذين اتهموني كما تقول بالوسائل المتعارف عليها في لبنان .. ولكن هذا يحتاج الى مال .. فما هو موقفي حين يعرف الناخب الزغرتاوي انـي دفعت مالا لهذا أو ذاك ليعبر عن رأيي .. فقد يكون هذا التصرف مرفوضا فـي العرف السياسي المألوف لدينا ، ولكن ليس بامكان طوني فرنجية ان يفعـل غير ما يفعله والده .. واذا كان كل من يعمل يخطيء ، فقد اخطأت لانني كنت أعمل ، ولكني اؤمن في أعماقي ان جميع ما قيل ونشر ضـدي يتبخر عنـد أبواب زغرتا واهدن .. وأنا أعلم جيدا لماذا تسلط على الاضواء .. وأبنـاء منطقتنا يعلمون .. لهذا لا أهتم ، ولا وقت لدي أضيعه بالرد .. ولكن مـا أزال أستغرب كيف ان البعض يتهم الآخرين دون ان يكون لديه اي دليل .. دليل واحد يعرضه أمام ناخبيه الذين يعلمون عنه كل شيء ... ومهما كـان رأي الآخرين بسلوكي السياسي ، فان عائلتي أول عائلـة فـي لبنان وصلت الى الحكم وأعطت تعهدا خطيا يقضي بالاعتراف المادي بأن جميع ما تملكـه

زيادة عما كانت تملكه قبل رئاسة سليمان فرنجية ، انما هو ملك لنقابة الصحافة .. وهذا الاعتراف موقع وموجود لدى نقيب الصحافة وبامكانه تطبيقه الآن وغدا وفي أي وقت يشاء .. لهذا لا أريد أن أخوض في موضوع الاتهام الذي يفتقر الى دليل .. أشاعوا انني اشتريت فندق البستان .. وان لدي العديد من المزارع في البقاع وان ... وان ... الى آخر (الاثات) الموجودة في جعبتهم .. عبارة واحدة أقولها لهم وهي ان الدستور لا يحمي المستغل مهما كانت صفته .. ليذكروا دليل واحد لديهم على استغلالي ، وأنا على استعداد لان أضع نفسي تحت تصرف القضاء ...

حاولت جاهدا ان أدفع محدثي دفعا الى حافة الصفقات المشبوهة التي قيل أن غيره من السياسيين قد اقتنصها ، ولكن طوني فرنجية كان يرفض الخوض في هذا الموضوع .. وحين كان يأتي على ذكر من أوسعوه نقدا ، كان يذكرهم بألقابهم .. الاستاذ كمال جنبلاط ، العميد ريمون اده ، الرئيس صائب سلام ... وكان شديد الاستغراب من جميع الذين يلاقون والده بوجه ، ويلاقون الناس بوجه آخر ... واذا كان طوني بك قد ذكر لي العديد من الاسرار حول القضايا الشائكة التي تدين العديد من الذين سلقوه بألسنتهم وطلب مني اغفالها الى ان يحين وقت ذكرها .. فان هنالك شيئا لا بد من ذكره هنا لعلاقته بتطور الاحداث التي قادت الى المذبحة .

انه حديث المرسوم ١٩٤٣ الذي حاول والده من خلاله استباق الاحداث، فكانت النتيجة ان قامت الدنيا ضده ولم تقعد الا بعد ان سحب رئيس الحكومة صائب سلام هذا المرسوم .. ترى لو طبق هذا المرسوم هل كان الغلاء في لبنان يصل الى حافة الجنون ؟ ان لبنان عاش بفضل قبضة من المحتكرين الشرسين المحسوبين على النظام كأغلى بلد في الدنيا ، وطوني بك لا ينكر أن هذا المرسوم قد أقصى عن قصر بعبدا العديد من الاصدقاء ، ولكنه يردف .

نحمد الله على أنهم كشفوا بأنفسهم عن اسباب صداقاتهم .!

وسألته :

ـ نحن نعلم انك تعرف الكثير عن أسباب المأساة الدامية التي تعصف بلبنان . . سواء من حيث موقعك العائلي ، او موقعك السياسي ، فهل هناك مؤامرة بالفعل لتدمير لبنان على هذا النحو ، ام ان الامر لا يعدو تراكم الاخطاء بعضها فوق بعض فكان الانفجار ؟

ـ مؤامرة . . . بلى هناك مؤامرة ، ومؤامرة أكبر من حجم لبنان ، ومن منا بات يجهل اسماء المتآمرين وهوياتهم . . . اسأل أي لبناني وهو يجيبك بدون تردد عن الاشباح التي تتجول في الظلام لتقتل وتدمر وتصطاد الابرياء . . . والغريب في هذه المؤامرة ان الجميع غرقوا في وحلها .

كان طوني فرنجية يستعيد من ذاكرته ما يعرفه عن المؤامرة وانا أستعيد من الذاكرة بدوري ما سمعته عن المتآمرين وأدوارهم . . . وحين رويت لطوني بك ما سمعت من تفاصيل عن المؤامرة قال :

ـ اذا كان العدو يفكر بالتآمر ، فلا بد ان نفكر نحن بكيفية قطع الطريق على تآمره . . القضية تخصنا نحن أبناء الوطن ، وتخص أيضا أبناء فلسطين ، وأبناء العرب . . . فلماذا لا تجتمع الاطراف الثلاثة وتتكاشف ؟ في قناعتي ان التآمر لا ينجح الا اذا توفر له المناخ والارض الصالحة . . . ومن المؤسف ان أقول والالم يحز في نفسي اننا قد مهدنا بأيدينا الارض للتآمر كما وفرنا له بأنفسنا المناخ الصالح . . . نحن الذين صنعنا كل هذا . . وأقصد (بنحن) رجال السياسة اللبنانيين والقادة الفلسطينيين . . . البعض عن جهل وانفعال والبعض الآخر عن قصد لقاء دراهم معدودات . واذا لم تخني الذاكرة فان العدو بدأ يفكر بالتآمر على لبنان منذ ظهور الجدل حول اتفاقية القاهرة ، وأعتقد من خلال معلوماتي ان التآمر استهدف ثلاث جبهات :

١ ـ ضرب الاحزاب والفئات اللبنانية المعروفة بتمسكها بسيادة لبنان . .

٢ ـ ضرب الجيش اللبناني كمؤسسة والقضاء عليه عن طريق اظهار عجزه تارة ورميه بالطائفية أخرى .

٣ ـ جعل الحوار اللبناني ـ الفلسطيني مستحيلا ..

ولنسأل انفسنا قبل ان نسأل غيرنا ، ماذا فعلنا نحن حيال كل هذا ؟ وقبل أن نسأل القادة الفلسطينيين نريد ان نسأل الساسة اللبنانيين : هل استطعتم الوصول الى صيغة معقولة للتواجد الفلسطيني في لبنان بدون مزايدات وتشنجات ..؟

ثم لنسأل الفلسطينيين بهدوء : لماذا فشلت الاتفاقيات الاربع التي أقرت من قبل السلطة اللبنانية الرسمية ومنظمة التحرير ، ولم تنفذ ؟

اتفاقية القاهرة ـ اتفاقية ملكارت ، الاتفاق بين فرنجية وعرفات . والاتفاق الذي عقد بين كرامي وعرفات .؟ من هو المسؤول عن هذا الفشل السلطة أم منظمة التحرير ؟

سؤال هادىء أضعه أمام الجميع وأنتظر الاجابة عليه .. فمن المؤكد ان عدم تطبيق هذه الاتفاقيات لا يعود الى النوايا السليمة التي كانت متوفرة لدى الطرفين ، ولا أقول هذا مجاملة ، او محاولة لذر الرماد في العيون .. بل أقوله وأنا مؤمن بأن الامر لو ترك للطرفين فقط لما وقع الصدام .. ولكن ، ولنقلها بصراحة ، هنالك بعض الاشقاء العرب يعملون مع بعض الاطراف الاجنبية لجعل الصدام حتميا بين اللبنانيين والفلسطينيين ، ولجعل اللقاء بينهما مستحيلا ..

ونلاحظ باستمرار ان موضوع التشكيك بالجيش اللبناني يرافق عادة موضوع العلاقات الفلسطينية ـ اللبنانية ... وهنا أريد أن أسأل صائب بك لماذا استقلت بعد حادثة استشهاد القادة الفلسطينيين الثلاثة فاتحا بذلك باب الحديث عن الجيش اللبناني والتشكيك بتصرفاته ونواياه .. في اعتقادي ان هذه الاستقالة كانت بمثابة الباب الضيق الذي دخل منه أعداء النظام وأعداء لبنان ... قبل الاستقالة كان الحديث يدور عن طائفية الجيش في الحلقات المغلقة ، وخلف الجدران ، أما بعدها فقد أصبح حديث الافواه ... فهل هناك بلدا في العالم يقبل ان يكون جيشه موضع اتهام على هذا الشكل

الفاضح ؟ ومع ان قائد الجيش قد ترك منصبه ، فان التشكيك بالجيش مـــا يزال مستمرا ، وعلى نطاق واسع •• أليست هـــذه المحاولة تستهدف هـــدم الجيش كمؤسسة؟ لقد أقرت حكومة الانقاذ (كرامي) قانونا للجيش، فلماذا لا يقره المجلس النيابي ؟ لقد كان من الطبيعي ، بل من الواجب ، ان تتصدى الفئات اللبنانية المرتبطة بالنظام للدفاع عن الجيش ، وهنـــا وقعنا جميعا فـــي الفخ الذي نصبه المتآمرون ••

واذا كان الشق الاول من المؤامرة الهادف الى ضرب الأحزاب المحليـــة بات واضحا ، والشق الثاني وهو التشكيك بالجيش قد شرحته وفق قناعاتي ، فان الشق الثالث وهـــو جعل الحوار اللبناني ــ الفلسطيني مستحيلا يبـــدو غائبا عن الافهام ••• وسأذكر في صدد ذلك الوقائع فقط ••

بعد أن بلغ اسماعنا حادث (البوسطة) في عين الرمانة (حادث بدايـــة الانفجار) ، وكنت وزيرا في حكومة رشيد الصلح ، بادرنا الى عقد اجتمـــاع الحكومة في مبنى قيادة الامن الداخلي • لقد وقـــع الحادث حوالي الســـاعـــة الثانية ظهرا ، وحوالي الثالثة كان الوزراء مـــع رئيسهم يبحثون في أمـــره ، يومها قلت أمام ١٨ وزير :

(•• لا بد من القاء القبض وبسرعة على جميع من اشترك بهذه الجريمة وتقديمهم للقضاء ليفصل بأمرهم •• فالموضوع خطير ولا شك ، ولا بد مـــن تطويقه عن طريق اجراءات سريعة وحاسمة •• ليأمر وزير الداخلية الآن ومن الهاتف رجال الدرك بالتوجه الى عين الرمانة لالقاء القبض على كل مـــن يثبت أنه فاعل ، وهذا التصرف طبيعي ومألوف في الحالات العادية ، فكيف تجـــاه الوضع الذي نعيشه ، فقال الرئيس رشيد الصلح :

ان مثل هذا الاجراء يتطلب موافقة الشيخ بيار الجميل ، لان المنطقـــة التي وقع فيها الحادث يقطنها المسيحيون وفيها مكتب للكتائب •• فهل هناك أي مانع من استشارته ؟

وحين لمس الصلح موافقة جماعية اتصل بالشيخ بيار الجميل الذي ولفانا الى مكان للاجتماع فورا وقال لنا : وأنا أشهد على ذلك ١٨ وزيرا :

تصرفوا كما تريدون ، واذا اعترض أحد فسأعتقله بنفسي ، واذا فتحت فمي احتجاجا فبامكانكم اقفاله .. القضية خطيرة وعلى الحكومة ان تتحمل مسؤولياتها ..

كانت النتيجة ان صدرت مذكرات توقيف بحق عشرة أشخاص أحدهم كان مسافرا ، وتوجه رجال الدرك حوالي الساعة الواحدة ليلا الى عين الرمانة لاعتقال من صدرت بحقهم مذكرات توقيف ، وما ان انطلقت أول رصاصة في وجه رجال الدرك حتى انسحبوا ... فمن هو المسؤول عن هذا التصرف ؟ لا أدري ..! ولكن الذي أدريه هو قول الوزير خالد جنبلاط :

نحن لا نقبل بأن تحقق الكتائب انتصارا على المقاومة ، ولا بد من اتاحة الفرصة للمقاومة لتحقيق نصر على الكتائب ..

بعد ذلك تدافعت الاحداث ، وتفاقمت واصطبغت الارض اللبنانية بدماء اللبنانيين والفلسطينيين .

ماذا عن الحرب بينكم وبين اهلكم في طرابلس ؟ أجاب طوني فرنجية

نحن لم نهاجم ، ولكننا دافعنا عن الطيش الذي كاد ان يودي بأهلنا .. ثلاثة آلاف مسلح ، وربما أكثر زحفوا باتجاه زغرتا فماذا تريد منا ان نفعل ؟ هل نتركهم يصلون الى منازلنا هنا ليدمروها كما دمروا منازلنا ومتاجرنا في طرابلس ؟ كل ما جرى هو ان ابناء المنطقة تجمعوا وانطلقوا يحرسون منافذ الطرق ، وثق اننا كنا مدافعين ولم نكن مهاجمين .. اما من أين يأتينا السلاح فالجميع يعلمون قصة السلاح في هذه المناطق وتوفره بكثرة .. وأحمد الله الآن على ان السلاح الثقيل لم يكن متوفرا لدى المتحمسين من شبابنا وما اكثرهم ، لقد كان لدينا بالفعل بعض السلاح الثقيل وقد جلبناه للتدريب وقد حرصت على أن أبقيه (تحت القفل) في منزلي ولم أسلمه الى أحد ، وقد

سبب لي هذا التصرف الكثير من الاحراج والنقد ، وسامح الله الذين نسجوا من مخيلتهم القصص حول هذا الموضوع .. لقد كنت وما أزال اؤمن ان القتال لن يوصلنا الى نتيجة ، فماذا لو دخل الطرابلسيون مناطقنا ، او دخلنا مناطقهم فهل ستكون النتيجة غير الانسحاب واعادة الارض والمنازل الى أصحابها ؟

هذه الحقائق معروفة جيدا في طرابلس ولا أريد أن أخوض طويلا في حادث داريا ووقوع الضحايا بفعل تصرفات رعناء سببها جنون فرد كاد أن يقتل أهله الذين تصدوا له .. أما الذين ظهروا في الصحف باسم بقايا الضحايا فهم يعرفون قبل غيرهم الدور الذي قمنا به لانقاذهم .. ولعل الذي قال انني كنت شاهدا على هذه المجزرة سيراجع ضميره بعد حين ويذكر الحقائق ..

ضحك طوني فرنجية لاول مرة منذ بدأنا حديثنا وأنا أقول له :

ولو ... وجيش التحرير الزغرتاوي ألم يقاتل ؟

جيش التحرير الزغرتاوي ؟ صدقني أنه لا يوجد لدينا جيش بهذا الاسم ..! تحرير ؟ تحرير ممن ؟ نحن لا نريد أن نحرر أحدا ... اسأل أصدقائك هنا ولديك منهم الكثير وهم سيخبرونك الحقائق عن هذا الجيش المزعوم .. كل ما هنالك اننا لاحظنا عام ١٩٦٨ ظهور موضة (الخنفسة) في أوساط شبابنا ، لهذا اسست مع مجموعة من اخواني الشباب ناديا تحت اسم (النادي الاجتماعي الزغرتاوي) ، وقد انضم الينا العديد من الشبان من أعمار مختلفة (١٦ ــ ١٧ ــ ١٨) وأقمنا مخيما لهم ورحنا ندربهم على استعمال السلاح بدلا من ان نتركهم فريسة (الخنفسة) وكان من بين المنتسبين بعض الطرابلسيين ، فكان المسلم يتدرب الى جانب المسيحي ... هذا النادي هو الذي أطلق عليه البعض (جيش التحرير الزغرتاوي) ، وقد أثبت شبابنا أثناء الصدام أنهم كانوا مقاتلين وليسوا مجرمين ... ولم يكن القتال الذي جرى مفاجأة لنا ، لقد خطط له منذ وقت طويل ، ومن المؤسف ان المخطط قد

نجح ... ففي عيد المولد النبوي نسفت بعض متاجر الزغرتاويين في طرابلس، ويومها سألت الرئيس رشيد كرامي :

ـ يا دولة الرئيس اذا حدث مرة أخرى ان نسفوا منازلنا ومتاجرنا فمن هو المسؤول ؟ أجاب :

ـ أنا المسؤول .. وهذا لن يحدث ..

ولكنه حدث والرئيس كرامي في الحكم ؟

بعد هذا انتقلنا للحديث عن اجتماع بكركي (ضم زعماء الموارنة) وما جاء على لسان طوني فرنجية بأنه طالب بالتقسيم ... لم يكن طوني فرنجية قد قرأ ما جاء على لسانه في الصحف ، ومع ذلك قال :

هل يعقل ان ابن سليمان فرنجية يتفوه بمثل هذا الكلام ؟ صدقني اننا لم نتطرق في الاجتماع المذكور الى هذا الموضوع ... ثم من قال للصحفي انني أنا الذي طالبت بالتقسيم ؟ لم يكن بيننا اي صحفي ، والذين شاركوا في الاجتماع لا يعقل ان يزوروا حديثا على لساني لم أتفوه بـه ، واذا كان هناك من همس باذن الصحفي بالقصة الملفقة ، فمعنى هـذا أن الهامس صاحب مصلحة .. وهنا لا حاجة للرد ..

ولا بأس ان أذكر لك حادثة يشهد عليها ١٨ وزيرا .. لقد دار نقاش حار بيني وبين الاستاذ اويس ابو شرف بعد حادثة عين الرمانة ... لقد كنت الماروني الوحيد الممثل في الوزارة ، وقد اشتد النقاش بيننا حـول الحادث فقلت :

الى أين تريدون الوصول بلبنان من خلال تصرفاتكم ..؟ هـل تريدون الوصول الى التقسيم ؟ اذا وصلتم الى هذا المطلب فليس بيننا من يساندكم.!

آخر سؤال طرحته امام الشاب الذي يتطلع الـى مستقبله باطمئنان رغم كل ما حدث هو : هناك الآلاف من اللبنانيين الاغنياء الذين سافروا الى أوربا

والحقوا اولادهم بالمدارس الافرنسية ، واستأجروا منازل لهم في باريس ونيس وكان فما رأيك بأمثال هؤلاء ؟

مثل هؤلاء غير جديرين بشرف الانتساب الى هذا الوطن ، انهم من اسباب المأساة ، وسنكون جد سعداء اذا ظلوا حيث هم ولم يعودوا ..!

ما هو التأثير النفسي لهذه المأساة لدى أبناء زغرتا ؟

نفس التأثير الذي لدى اخوانهم الطرابلسيين .. ومن المؤكد ان هناك ردود فعل ستظهر آثارها بعد وقت قصير .. فمن الصعب ان تقنع الزغرتاوي بالذهاب الى طرابلس لاستئناف نشاطه .. ومع انني من المتفائلين بزوال آثار هذه المحنة بسرعة ، الا انني لن أستطيع كنائب أن أتجاهل حاجة الناس الملحة للاطمئنان ، والى سلامة أرواحهم .. لهذا فسنطالب قريبا بانشاء محافظات في الجبل لتجنب المواطنين الاخطار التي تهدد حياتهم ..

عدت الى بيروت بعد أربعة أيام من اقامتي في زغرتا ، وبصعوبة وجدت سيارة قبل صاحبها بنقلي الى منزلي بعد أن سلبني نصف ما أملك .. السيارة تمضي في طريق مهجور لا أثر فيه للحياة ، ثم تقترب من قلب المدينة ... أصوات الرصاص والانفجارات الممزوجة بالرعب والخوف تمتد حول الطرقات ... وخلفي وأمامي ظهرت الحواجز الطائرة ، آخر تقليعة في أسلوب الحرب الشرسة ... وأحسست أن بيروت قد تحولت الى مقبرة للابرياء ..

***

اذا كان الابن قد نفى وباصرار ان يكون قد طالب بالتقسيم في مؤتمر بكركي لا باسمه ولا باسم والده فماذا يقول الوالد حول هذا الموضوع ؟

بعد انتهاء ولاية الرئيس فرنجية وبداية ولاية الرئيس الياس سركيس أخذ الوالد يتحرر نسبيا من تبعات المنصب الكبير ويرد على السائلين ببعض الصراحة لا كلها ...

فحين قالوا لفرنجية ان العديد من السياسيين قد اتهموك اثناء أواخر ولايتك بالعمل للتقسيم أجاب :

(... اتهموني بالعمل على تقسيم لبنان كما اتهموا كل المخلصين .. فعلام استندوا ؟ وهل صدر عن أي مسؤول لبناني ينتمي الى (الجبهة اللبنانية) التي أنتمي اليها أنا أيضا ، سواء كان مسؤولا دينيا او زمنيا ، هل صدرت كلمة واحدة تشتم منها رائحة العمل على تقسيم لبنان ؟ كلا ..!

هناك نزعة تهيمن على فئة معينة في كل بلد متعدد الطوائف تنزع اما نحو السيطرة ، واما نحو التقسيم ، فهذه الفئة تسعى في الدرجة الاولى الى ان تسيطر على البلد الذي تعيش فيه وعلى سائر الطوائف التي تقاسمها العيش ، والا فتنزع نحو التقسيم ، فتعمل له كما حصل في الهند ، وفي قبرص ... وأنا لا استطيع أن أتهم أحدا ، الا انني أستطيع أن اؤكد بأن سياسة معينة خطط لها خارج لبنان ، وهذا التخطيط تجسد في رسالة صدرت عن دار الافتاء ووقعها حسين القوتلي مدير دار الافتاء بعد عودته من زيارة قام بها الى احدى الدول العربية (ليبيا) اتهمت بالعمل ضد لبنان .. والمسعى للتقسيم برز ظرفيا تجاوبا مع الظروف بهدف الاستغلال ، لكن العمل للتقسيم لم يكن من صلب مخطط المؤامرة) ..

أما عن دور جنبلاط خلال الاحداث فيصفه الرئيس فرنجية بقوله :

(.. كمال جنبلاط لم يكن سوى تغطية يسارية او ما يسمونه بالفرنسية (فاتوش) او دمية تتحرك بارادة الآخرين ، كمال جنبلاط هو (فاتوش) يساري استعملوه غطاء لبنانيا لتنفيذ المؤامرة على لبنان ... كما اننا يجب الا ننسى ان المتآمرين استعملوا مطالب المسلمين أيضا غطاء لبنانيا ، في حين ان المسلمين هم في الحقيقة براء منهم ومن الشيوعية ، وذلك بهدف استقطابهم محليا ، وكسب اليسار العالمي دوليا ، واعترف بأن المتآمرين نجحوا ، للاسف ، في مخططهم بتحريك الاثنين) ...

ويصمت الرئيس فرنجية حين يطلب اليه تحديد هوية المتآمرين الاصليين ويقول :

(... اسألوا كيسنجر ليقول لكم هل للولايات المتحدة علاقة بالمؤامرة ام لا ؟)

واذا كان الابن قد ألمح الى دور صائب سلام في تفجير الموقف السياسي ، فان الوالد أيضا قد أفاض في الحديث عن علاقته بصديقه القديم، ذلك ان كثيرين من السياسيين قد أشاروا بصراحة الى أن الرئيس فرنجية قد اخطأ حين قطع علاقاته الطيبة بصائب سلام ، وهنا يكشف فرنجية عن أحد أسرار الازمة حين يقول :

(... أنا لم أقطع علاقاتي الطيبة بصائب سلام ، لكن الظروف هي التي قطعت علاقات الرئيس صائب بي ، وابرز هذه الظروف هو اصرار صائب سلام في ان يقر مجلس الوزراء مطلبا كان قد طرحه فاعتبرته غير مقبول وغير منطقي وغير منصف ، وقد أيد مجلس الوزراء رأيي وجاراني في موقفي المعارض لطلبه ... لقد طلب صائب سلام رئيس الحكومة اصدار بيان فيه اتهام صريح موجه لقائد الجيش بالتقصير (حادث فردان واقدام الاسرائيليين على قتل ثلاثة من القادة الفلسطينيين) ، ومن ثم اقالته ، غير ان مجلس الوزراء وأنا تصدينا لهذا الطلب ، لان قائد الجيش ليس (نكره) ، كما اننا لا نستطيع الصاق تهمة التقصير بقائد الجيش دون اجراء تحقيق بهذا الموضوع وجلاء الحقيقة .. وهذا ما اقترحناه على الرئيس سلام مؤكدين له ان التحقيق اذا أكد تهمته لقائد الجيش ، واظهر فعلا تقصيره ، فلن نكتفي باقالته بل نحيله الى المحاكمة، أما اذا دل التحقيق عكس ذلك فما علينا الا أن نشكره ، لكن الرئيس سلام لم يوافق على هذا الاقتراح فأصر على الاستقالة واستقال) ..

وعن التبرير الذي أعطاه صائب سلام لطلب اقالة قائد الجيش وقوله أنه ظل ليلة الحادثة ـــ حادثة فردان ـــ يبحث عن قائد الجيش للتجاوب معه في

ما يجب عمله عسكريا لمواجهة الحادثة ؛ لكن بدون جدوى ·· عن هذا التبرير يقول الرئيس فرنجية :

(·· ان هذا الكلام لا يستند على شيء ملموس أو حسي ··· لقد تلقيت من الرئيس سلام شخصيا ، وهو يعرف ذلك تماما ، تلقيت منه مكالمة هاتفية ، في تمام الساعة الاولى والدقيقة الخامسة والاربعين يقول لي فيهما ان الفلسطينيين يقومون بتصفية بعضهم بعضا ، اثر حادث وقع في مخيم الضبية ثم امتد الى فردان ، فأشرت عليه بضرورة اتخاذ التدابير والاجراءات العسكرية اللازمة لتطويق الحادث ، فرد بقوله أنه اتصل بهشام الشعار (رئيس قوى الامن الداخلي) وارسل قوة من الامن الداخلي الى فردان ··· وفي الساعة الاولى والدقيقة الخامسة والخمسين اتصل بي الرئيس سلام مجددا وقال لي موضحا : ان طبيعة الحادث ليست عملية تصفوية بين الفلسطينيين ، بل هي هجوم على فردان ، ولا نملك القوة العسكرية الكافية لمواجهة هذا الهجوم ، عندئذ قلت له سأتصل شخصيا بقائد الجيش لابلاغه النبأ ، وبالفعل اتصلت على الفور بقائد الجيش ، فأصدر اوامره الفورية بالتحرك ، وتحركت قوة عسكرية من ثكنة الفياضية في تمام الساعة الثانية والدقيقة الخامسة من بعد منتصف الليل ، وقد شاهدتها بأم العين من القصر الجمهوري حيث كنت أراقب كل تفاصيل الحادث وتطوراته ، أي بعد عشر دقائق فقط من مكالمة صائب بك التلفونية أي ··· وفي اليوم التالي زارني الرئيس ناظم عكاري في القصر الجمهوري وروى لي حرفيا كيف شاهد من شرفة منزله الكائن بالقرب من ثكنة المدفعية المضادة للطائرات في الرملة البيضاء تحرك قوة عسكرية أخرى من الجيش نحو مكان الحادث في فردان حيث وقعت الانفجارات التي أيقظته من النوم هو والسيدة عقيلته ··· اذا لقد شاهدنا ناظم بك وأنا ، كيف تحرك الجيش بالسرعة المفروضة بعد عشر دقائق فقط من مكالمة الرئيس سلام لي ، وذلك من ثكنتي الفياضية والمدفعية المضادة للطائرات ··)

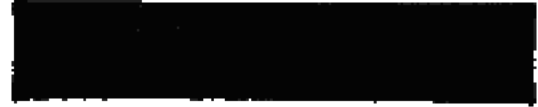
ان كلام الرئيس فرنجية يتمم كلام نجله طوني فرنجية ··· وما علينا

الا ان نذكر ، ولو باسهاب ، هذه الاحداث التي أضحت جزءا من تاريخ المذبحة ...

لقد ذرعت لبنان أيام المذبحة من الشمال الى الجنوب ، وقضيت أياما طويلة في ظلمات بيروت وما اكثر الاحداث التي وقعت ولم تلمحها عيناي ... وما أكثر الاسرار التي قيلت ولم تلتقطها أذناي .. واذا كان ثمة حقيقة رهيبة قابلتها في بيروت وصفعتني ، فهي أن مشاكل الشرق العربي واحدة .. فمهما تعرجت خطوط الحدود ، ومهما تعددت أسماء الاماكن ، ومهما اختلفت الطبائع ، مهما يكن من أمر هذا كله ، فانه يخضع لنفس المؤثرات ، وتتقاذفه نفس التيارات وتمزقه نفس المؤامرات ، وتفترسه نفس القوى ! حيرة وتخبط وارتباك ، وشكوك وآراء وأوهام وقلق وكبت وغليان !!

★★★

ما تزرعه
الرياح
تحصده
العواصف


[redacted]

نظام يهوي!

حين وقع الرئيس الياس سركيس مراسيم تأليف وزارة الدكتور سليم الحص وعام ١٩٧٦ يلفظ أنفاسه الاخيرة كان لبنان الذي عرفناه قد (فـرط) من قمة الورم حتى اسفل القاعدة ••• مثل اللبن الذي يسكب على الارض•• وهوى النظام القديم •••! هذا النظام الذي تحول بعد ١٩ شهرا من الاقتتال الدامي الى متاريس مكتظة بالسلاح ، وميليشيات ، وعصابات ، ورجال سياسة دهريون يسعون كالافاعي ••• ومبتدءو سياسة عضهم الطمع ، وأعمت بصائرهم الاحقاد ••• وفيما عدا ذلك فراغ ، فـراغ يعوي ••• فالشعب اللبناني الجريح المنكوب ، منكفيء على نفسه ، مختبيء خلف جدرانه من قرف ••• من خوف ••• من يأس ••!

كان لبنان قبل دخول قوات الردع وتأليف حكومة سليم الحص ، قرية كبيرة ، اجتاحها البرابرة الجدد بالتواطؤ مع عمدتها ورجالهم ، وفتكوا بمن فيها وبما فيها •••

وفيما البوم ينعق من كل صوب ، والغربان فوق الاشلاء •••

كانت كل المظاهر والظواهر تصرخ بأنها النهاية ••• نهاية النظام الذي تفكك ثم هوى •••

فلبنان الحالـم •••

لبنان الغارق في اللامبالاة المفزعة •••

لبنان الهازيء بكل ما في الوجود العربي من متغيرات وانتفاضات وارهاصات •••

هذا اللبنان وجد نفسه فجأة وسط العاصفة بلا سند او صديق او حتى مشفق ..

وبدأ لبنان يتعرف على قسوة الايام الحالكة السواد ... فالكل أجمع على تغيرات عميقة قد حصلت منذ ان اعتمد الجميع على فوهة البندقية لحل المشاكل المتراكمة والمستعصية ... ومنذ ان أقدم يمينه الباغي عى اطلاق (الغول) من عقاله بدون خطة او تخطيط او حتى حسابات أولية ... فكان أن اغتنم اليسار الفرصة وخاض معركة ضرب اليمين من جذوره ليحكم لبنان، او ما يستطيع أخذه منه ، مستغلا كل القوى التي وفرتها له أجهزة الاعلام الغربية والشرقية على السواء ... وكل السلاح !

انه فصل الليالي الطويلة في لبنان ...

الفصل الجديد الذي يمر على المذبحة ، والذي تعمد بالدم والحريق والنهب وكل ما أفرزته الوحشية البشرية من وسائل الدمار البشع ...

أشجار الارز التي كانت تزين جبال لبنان وتحميها بدأت تبكي ... فلم تعد هذه الاشجار تشهد الهدوء والدعة منذ ان بدأت الدبابات والمجنزرات وخوذ الجنود تظهر وتتخذ من ظلالها مكانا للاختفاء عن الانظار ... كل هذا كان بمثابة الدليل على ان الفصل الجديد للمذبحة سيكون أقسى من الفصل الذي سبقه . كيف لا والمدرعات اللبنانية رابضة على بعد أمتار من القصر الجمهوري ... وجنود الجيوش الثلاثة الذين انفصلوا على نحو مخجل عن الجيش (الاب) يتحفزون للانقضاض على بعضهم البعض ...

جيش أحمد الخطيب ممتد من الحمام العسكري في رأس بيروت حتى نقاط الحدود الجنوبية مرورا بالبقاع والهرمل وبعلبك ...

وجيش العميد اول عزيز الاحدب متواجد في بعض مراكز العاصمة ...

وجيش العقيد انطوان بركات متواجد في ثكنة الفياضية بالقرب من

وزارة الدفاع وتسانده القاعدة البحرية في جونيه الى جانب ثكنة صربا ..

وبعد ان كان لبنان يواجه على مدى فصول الصيف والخريف ، حرب الخطف ... وحرب الميليشيات ... وحرب التدمير والسلب والنهب ... بدأ يواجه حرب الاذاعات ...

فلكل جيش من هؤلاء الجيوش الثلاثة أحزابه ، واذاعاته ، وصحفه ، وجنده ...

الجميع يتحدثون عن الشعب ... يذكرون الشعب في بلاغاتهم وتعليقاتهم ، وبرقياتهم التأييدية ... ولكنهم يجهلون أمانيه ...

كانت أمنية (الامن) في قلب كل لبناني ... ولكن (الامن) تحول الى سراب وأصبح لبنان معزولا عن العالم ، ولم تعد صحف بيروت تستخرج (المانشيتات) القديمة من (أرشيفها) لتتحدث عن الانقلابات والتمردات العسكرية التي كانت تجري في العراق وسورية ومصر وصنعاء والسودان وعدن و ... (تتفلسف) ... لقد أصبحت الانقلابات والتمردات في عقر الدار ، ولم يكن بامكانها التحدث عن هذه الظواهر الظالمة بحرية ، كما هي العادة حين كانت تجري في البلدان المجاورة ... فالذي يده في النار غير الذي يده في الماء ...

وحتى الصحف الاجنبية التي بعثت بمندوبيها الى لبنان لملاحقة الاحداث لم تلتقط كاميراتهم سوى المشاهد المخزية الوحشية ... أما أقلامهم فقد اعتمدت على حبر الاثارة ..

وبدأ لبنان ينزف ...!

وسط (المارشات) العسكرية التي كانت تبث هديرها من اذاعة (بيروت) ، واذاعة (عمشيت) ، وتلفزيون القناة (٥) وتلفزيون القناة (٧) ... ووسط هذا الضجيج الصاخب المرهق للاعصاب المنهارة بدأ الجو

المشدود المتوتر يلف لبنان ... بينما شعارات الانقاذ ، والانقاذ المضاد تضاعف من القلق والخوف والرعب ...

وبينما الويلات والمخائم تتفاقم كان المواطن المسكين يشكو من الشلل والجمود والعزلة الخانقة ...

ذلك ان المواطن في لبنان وهو أكثر مواطني الشرق العربي انخراطا في السياسة ... لم يعد ينشد الامن المفقود ... بل كان ينشد الخبز الذي كان يسعى اليه باذلال لم يعرفه أيام الحرب العالمية الاولى . وكان أهل اليمين يتحدثون باستخفاف عن أهل اليسار ... وحين جاء الى الرئيس كميل شمعون من يخبره في مطلع عام ١٩٧٥ ان احدى الحكومات العربية حولت الى احد المصارف اللبنانية مبلغ سبعة ملايين دولار كان جوابه الممزوج بالسخرية :

(لقد اعتدنا ان نأكل الطعم و .....) فهذه الملايين ستزيد من متانة الليرة اللبنانية في الاسواق المالية العالمية) ..!

يوم المخاض العسير

لم يكن يوم الاربعاء العاشر من آذار ١٩٧٦ يوما طبيعيا في لبنان .. لقد بدأ الجيش (يتمزق) من مناورات السياسيين وتخبطهم وصراعاتهم وتفاهاتهم ... وكانت ساعة الولادة القيصرية قد حانت ...

فمنذ الصباح الباكر والاجواء مشحونة بالتوتر ...

مجلس الوزرا يجتمع بالقصر الجمهوري ببعبدا ويستدعي قادة الجيش ومنهم :

(العماد سعيد نصر الله رئيس الاركان العامة ، ونائبه العميد موسى كنعان ، ورئيس الشعبة الثانية العقيد جول بستاني و ... العميد الاول عزيز الاحدب الذي شوهد في باحة القصر يقلب صفحات سجل التشريفات

في طريقه لحضور اجتماع مجلس الوزراء ... وعندما التقط له أحد المصورين صورته أمام السجل التفت الاحدب نحوه مازحا : (شو بالجرم المشهود) !

كانت الغاية من هذا النشاط الرسمي انجاح المبادرة السورية التي كانت تطالب بقيام الوزارة الائتلافية لتتمكن هذه الوزارة من انهاء (حرب الثكنات) التي بلغت أوجها في ذلك الصباح ...

فقد أعلنت ست ثكنات جديدة تمردها ، أربعة في الشمال واثنتان في الجنوب ... وحاول الوفد السوري للوساطة ان يرمي بثقله لايقاف هذه الحرب متنقلا على الجبهات السياسية وجبهة المقاومة الفلسطينية ... ولم تكن مثل هذه الجهود تعني شيئا بالنسبة للكتل النيابية ... كل ما كان يعني هذه الكتل اجهاض مشروع الحكومة الجديدة التي اقترحها الوفد السوري والمؤلفة من ١٨ وزيرا ، ذلك لان معظم المرشحين كانوا من خارج المجلس .

وحوالي الساعة الثانية ظهرا ، كانت هواتف وكالات الانباء ترن بشكل متواصل ناقلة التقاط بلاغ صادر عن قائد سلاح الجو اللبناني العقيد (جورج غريب) الذي يحمل السياسيين مسؤولية الازمة ويدعو الى الوحدة الوطنية عبر (حكومة متوازنة) ، ويشدد على الاصلاح في جميع المؤسسات وليس في مؤسسة الجيش فقط . يقول البلاغ المفاجأة :

(ان سلاح الجو اللبناني اذ يطالب بهذا يعلن انه لا يشكل فريقا مع أحد بل فريقه الوحيد لحمة المواطنين ووحدة الوطن الواحد ...

ويدعو كل الاسلحة والملاكات العسكرية الى رص الصفوف والتضامن ، لان كل محاولة للانشقاق يمينا او يسارا تخدم التقسيم ، وتؤدي الى خراب البلاد وخدمة العدو .. ان لبنان كالطائر لا يحلق الا بتوازن جناحيه وصحتهما) .

فاجأ بروز اسم قائد سلاح الطيران على هذا النحو الكثيرين من الذين كانوا يعملون لاستلام الدفة العسكرية في تلك اللحظات الحاسمة ، وفي

الطليعة القيادات الرسمية في (اليرزة) التي كانت تضع رجلا في قصر بعبدا والاخرى خارجه ... فالمعلومات في ذلك اليوم كانت تؤكد ان هنالك اتصالات مكثفة بين قادة الاسلحة في الجيش لايقاف النزيف في جسم المؤسسة العسكرية ، وان هناك ثلاثة أسماء تتسابق لقيادة هذه الحركة ولم يكن من بينها قائد سلاح الطيران ..

كان تعليق كبار المسؤولين السياسيين الفوري على خطوة (الغريب) أنه تصرف أحمق لا يستند الى قاعدة عسكرية عريضة ... ومن المفارقات ان (الغريب) ظل غريبا عن المسرح طيلة الايام التي تبعت بلاغه وحتى توقف الاقتتال . وتحركت القيادات العسكرية لتطويق هذه المحاولة التي بدت للوهلة الاولى وكأنها محاولة انقلابية حقيقية ... فالبلاغ كان يحوي كل عناصر البلاغات الانقلابية ، كما ان توقيته كان مناسبا ، واذا كانت القيادات المدنية المسؤولة قد استقبلته باستخفاف ظاهر ، فان القيادات العسكرية قد استقبلته بمزيد من الاهتمام ، خاصة وأنه قطع عليها الطريق (للحسم العسكري) ..

وفيما كانت قيادة سلاح الطيران تتلقى برقيات التأييد من بعض الوحدات والقطعات اذا بحركة (الغريب) تتحول الى انطلاقة تتبعها عدة بلاغات صادرة عن القيادات العسكرية المختلفة ..

ـ الاول الاعلان في الصحف عن الكتاب الرسمي الذي وجهه ٢٥٠ ضابطا الى قائد الجيش علقوا فيه بقاءهم في الخدمة العسكرية على تنفيذ مطالبهم .. وأبرزها محاكمة العناصر التي خرجت على قوانين الجيش واجراء تحقيق في أوضاع الرتباء والضباط والافراد .. ويحمل الكتاب المؤرخ في ٩ شباط ١٩٧٦ (وثيقة شرف) تندد بالسياسيين والمعارضين للتحرر .. كما يحمل الكتاب تواقيع ضباط من : سلاح الجو ، المشاة ، المدرعات ، الاشارة ، المدفعية ، الهندسة ، النقل ، المضاد للطائرات .

ـ الثاني : نداء قائد الجيش الى العسكريين الذي حدد فيه (اطر

قيام جيش المستقبل ودعوة الفارين الى الالتحاق بثكناتهم سريعاً ، ملزماً نفسه بالعفو عن الجرائم التي ارتكبت باستثناء الجرائم الفردية) .

ـ الثالث : البيان الذي وجهه سبعون ضابطاً الى قائد الجيش ، والصادر عن مقر القيادة في اليرزة وتعهدهم بانقاذ البلاد عن طريق وحدة الجيش وتمسكهم بقسمهم الذي عاهدوا الله عليه والوطن للقيام بواجبهم مهما كان الثمن .

ان جميع المؤشرات توحي بأن كل هذه البلاغات العسكرية التي تناقلتها الصحف ووكالات الانباء العالمية انما صدرت بدون علم قصر بعبدا ، واذا كان القصر على اطلاع مسبق بوثيقة الشرف الموقعة من ٢٥٠ ضابط فانه يجهل ابعاد هذا النشاط العسكري المتلاحق ... وكان رشيد كرامي من الجاهلين بدوره .. ويظهر ان المقاومة الفلسطينية كانت وحدها المطلعة على النصوص والاسباب والمسببات ... ذلك ان بعض الضباط اللبنانيين ، وقد رأوا نفوذ القيادة الفلسطينية يمتد الى جسم الجيش الحي أخذوا يقيمون الجسور مع ياسر عرفات وصلاح خلف وابو حسن سلامة !

ولم يكن قصر بعبدا ورشيد كرامي وحدهما من الجاهلين ، فقد كان هنالك العديد من السياسيين البارزين لا يعلمون أي شيء عن المياه التي بدأت تسير من تحت النظام ... وهؤلاء قد بدأوا يفقدون صحة الرؤيا منذ ان تغلب عمى البصيرة على عمى البصر ...

هذا الفراغ بعث في الجو روائح احتمال قيام انقلاب عسكري ،

أمضى الوفد السوري ليلة الاربعاء وصباح الخميس في اتصالات مستمرة بين بعبدا واليرزة ، وكان الحديث عن (الانقلاب) المتوقع يملأ الاجواء السياسية ؛ ولكن أحداً من السياسيين لم يصدقه ... ولعل القدر أحب بدوره ان يساهم في تسخين المواقف فجاءت حادثة اغتيال العقيد عبد المجيد شهاب عند حاجز نهر ابراهيم ، على طريق طرابلس ؛ من قبل مسلحين قيل انهم من ميليشيا حزب الاحرار ، جاءت هذه الحادثة لازكاء النار ...

كان العقيد شهاب والعقيد جنادري الذي كانت سيارته تلحق بسيارة الاول ، قد دعيا لحضور اجتماع القيادة العسكرية في اليرزة للبحث في التطورات المستجدة على الساحتين السياسية والعسكرية ..

في هذا الوقت كان الرئيس رشيد كرامي في بعبدا يتجاوب مع نداء قائد الجيش بضرورة العفو عن العسكريين ولكن الرئيس فرنجية أفهمه ان قائد الجيش حنا سعيد لم يستشره في موضوع العفو ، وهو موضوع يعتبر بحثه من اختصاص مجلس الوزراء وليس من قبل ضابط يتصرف في القيادة العسكرية .. لهذا فعلى قائد الجيش ان يتحمل المسؤولية كاملة ...

الساعة الثالثة هبط الرئيس كرامي والوفد السوري من الطابق الثاني من قصر بعبدا ، وحين حاول رجال الصحافة استصراح رئيس الوفد السوري حولهم الى الرئيس كرامي الذي قال : (لا رأي لمن لا يطاع) ثم أردف : (أنا يائس) .!

انتقل كرامي بسيارة الكاديلاك المصفحة مع الوفد السوري الى مطار بيروت الدولي حيث ودع الوفد المسافر الى دمشق .

وبعد اقلاع الطائرة كان جميع الضباط السوريين الذين شاركوا في اللجان اللبنانية ــ السورية ــ الفلسطينية ، يغادرون بدورهم بيروت بعد ان تجمعوا في منزل السيد زهير محسن ..

وبينما كانت الطائرة الخاصة تحلق في سماء بيروت مقلة الوفد السوري والضباط السوريين كان جيش التحرير الفلسطيني المتمركز على شرفات عرمون والدامور والجية يغادر مواقعه الى مواقع بعيدة عن أنظار المخططين الانقلابيين ...

وبذلك أسدل الستار (مؤقتا) عن الوساطة السورية ...

عقدت منظمة التحرير الفلسطينية اجتماعا عاجلا حضره القادة

المتواجدون في بيروت في تلك الساعة برئاسة عرفات ، انتهى بعـد نقاش دام ست ساعات ببيان مقتضب لا يتعدى الاسطر الثلاثة يقول :

(ان ما جرى ويجري في لبنان انما هو من شؤون لبنان الداخليـة ولا علاقة لمنظمة التحرير به) ..

ويمكن اعتبار هذا البلاغ بمثابة الاعلان على أن عرفات خلافا لبياناته ، قد بدأ يتدخل بشؤون لبنان « علنا » ، وان الموضوع اللبناني أصبح جـزءا من الموضوع الفلسطيني ..

كان الرئيس فرنجية قد امضى يوما مرهقا وهـو يوالي اجتماعاته مـع الوفد السوري ومع رئيس الحكومة ، ومع كبار ضباط الجيش الذين زاروا بعبدا لترطيب الاجواء بين الرئيس وقائد الجيش ..

وبدأت الشائعات تتسرب من القصر الجمهوري عـن طريـق الصحفيين المتمركزين فيـه وبعضهـا يشير الـى ان رئيس الجمهورية سيستقيل ، وان كميل شمعون سيستقيل ايضا بعد استقالة كرامي الشفهية ..

طلب فرنجية وشمعون من اجهزة الاعلام تكذيب نبأ الاستقالة ...

انتقل فرنجية وشمعون الى الطابق الثاني فـي بعبدا ، وجلسا فـي قاعة الانتظار الى ان يحين موعد نشرة اخبار التلفزيون ، وسرعان مـا انضم اليهما بطرس الخوري ورينيه معوض .. وحوالي الساعـة التاسعة الا عشر دقائق ، وبينما كان المذيع جان خوري يعلن نبأ تكذيب شائعة استقالة فرنجية وشمعون توقف البث لحظات وامتلأت الشاشة بصورة العميد اول عزيز الاحدب ليعلن وسط دهشة المتفرجين (البلاغ رقم واحد) . داعيـا رئيس الجمهورية الـى الاستقالة ليحل محله بصورة دستورية رئيس جمهورية جديد في خلال سبعة ايام ، والطلب الى الحكومة ان تقدم استقالتها خلال اربع وعشرين ساعة والا اعتبرت بحكم المستقيلة ..

ظل رئيس الجمهورية وصحبه يصغون الى اقوال الضابط الانقلابي حتى نهايتها ، وكان تعليق فرنجية : (هذا انقلاب تلفزيوني) ..

شخص اخر كان يتطلع الى الشاشة التلفزيونية في تلك الساعة ويبتسم ابتسامة ذات مغزى ، وهذا الشخص هو السيد صلاح خلف (ابو اياد) الذي بدأ يظهر في الصورة كمخطط ومنفذ على الساحة اللبنانية باسم الثورة الفلسطينية .

تحرك القصر الجمهوري في تلك اللحظة ليرد على البلاغ رقم واحد ... فقد قامت فصائل مسلحة موالية لفرنجية باحتلال محطة البث بعمشيت ، وبثت منها حوالي الساعة الثانية عشرة والدقيقة خمسة وأربعين رسالة فرنجية الى اللبنانيين وفيها يقول :

(الشرعية في لبنان وفي نظامنا الديمقراطي والبرلماني وفي الدستور لا مصدر لها سوى الشعب اللبناني ، فالشعب هو مصدر السلطات ، والشعب هو الاساس في حياة هذا الوطن وديمومته ، فالى جانب هذه الشرعية ، وفي الدفاع عنها مستمرون مفتدين لبنان بأرواحنا .. عاش لبنان) .

وقامت محطة تلفزيونية للقناة (٥) في الحازمية ببث هذه الرسالة ، كما وزعت صور منها على الصحفيين ... وبذلك أصبح للانقلاب اذاعة ومحطة تلفزيون ، وكذلك للشرعية اذاعة وتلفزيون ... وبدأت حرب الاذاعات تواكب حرب الثكنات ... وبذلك أيضا تم اعلان الحرب بين الفئات المتمسكة بالشرعية من جهة ، وبين الفئات المتحالفة مع الفلسطينيين من جهة ثانية ..

باعلان هذه الحرب أصبحت (الشرعية) مطلبا عند الرئيس فرنجية لا بد من الدفاع عنه حتى النفس الاخير ، والذين كانوا يحيطون بالرئيس فرنجية في تلك الساعات القاسية كانوا يتساءلون بدورهم : ما الذي دفع بالرجل للبقاء في الحكم وهو الذي أعلن أكثر من مرة عزوفه عنه مقابل الاحتفاظ بالوحدة الوطنية ... وجاءهم الجواب من مسلسل الاحداث ، بأن التمسك

بالشرعية معناه قطع الطريق على الانقلابيين الذين سيتذابحون من أجل السلطة ، وقطع الطريق على السياسيين الذين لا يهمهم بقاء لبنان او زواله ...

اتخذ العميد أول الركن عزيز الاحدب مقره في مكتبه بقيادة منطقة بيروت ، واتجهت اليه الانظار لمعرفة أبعاد البلاغات التي بدأت تتسارع بشكل متواصل ... انظار الصحفيين وانظار الاصدقاء ... انظار الانتهازيين وأنظار السياسيين ... وبدأ الاحدب يرد على الهواتف بنفسه ليفصح عن طبيعة حركتــه ..

قال لاصدقائه من العسكريين والمدنيين الذين اتصلوا به بعد اذاعته البلاغ رقم واحد :

(ان حركتي تصحيحية وليست انقلابية .. وقد باركها قائد الجيش ومعظم الضباط ، فمنذ عشرة أشهر والبلاد تتخبط في حرب وطالما دعوت الى ايجاد حل لانهاء الازمة ، والعودة بالبلاد الى حالتها الطبيعية ، وفي الايام الاخيرة وبعد حملة الانقسام التي وصل اليها الجيش بدأت أفكر بالتعاون مع اخواني الضباط في اجراء حركة تصحيحية تعيد توحيد الجيش وتنهي الحرب الاهلية بموافقة جميع الاطراف ... ليس لي مطمع سياسي ، كما واني اؤيد المقاومة الفلسطينية ... لقد اتصل بي الشيخ بيار الجميل وسيزورني ، كما اتصل بي صائب بك هاتفيا وبارك خطوتي وسيزورني بدوره ، وآمل أن يتم التنسيق بيني وبين الملازم أول أحمد الخطيب بعد عودته من سورية) ...

الشيء الذي أخفاه الضابط الانقلابي هو حقيقة علاقته بمنظمة التحرير الفلسطينية ، فالذين كانوا الى جانبه يعلمون أنه ما كان بامكانه التحرك لولا الادوات الفلسطينية التي وضعت بين يديه ... وكانت صلته المباشرة بالعديد من قادة المقاومة (أبو اياد ، أبو حسن) تكاد تكون مفضوحة للجميع ، وبسبب (فضح) هذه العلاقة انفض عنه الكثيرون ممن كانوا يؤيدونه (الضباط الحياديون) ..

الساعة الثالثة من بعد منتصف تلك الليلة أجرى الرئيس فرنجية اتصالا هاتفيا مع الرئيس الاسد الذي كان قد اطلع من الوفد السوري على تفاصيل الموقف اللبناني ، ورغب بأن يعطي الفرقاء الوقت الكافي ليكشفوا عن جميع أوراقهم قبل اتخاذ الخطوة التالية ... لهذا أجل الاسد زيارته التي كان يزمع القيام بها الى فرنسا ..

روى رجال القصر ان الرئيس فرنجية كان أول من كشف أوراقه أمام الرئيس الاسد حين أبلغه تصميمه على عدم الرضوخ للقوة العسكرية مهما كانت النتائج ، وانه سيبقى في بعبدا حتى آخر دقيقة من ولايته ؛ وحين وضع فرنجية السماعة قال لزينه معوض الذي حضر الى القصر للمرة الثانية مستطلعا الموقف :

(ليعلم الجميع انني لن أرضخ للقوة .. ليأخذوا الاذاعة والتلفزيون والثكنات ويحكموا الناس ولكن أخذ الوطن شيء آخر) .

جاءت ردود الفعل متفاوتة ، فبينما وقف شمعون مع الشرعية وضد أي تمرد ، أعلن جنبلاط (كتكتيك) أنه ضد أي انقلاب عسكري ، وقال جنبلاط ان البلاغ رقم واحد فيه أخطاء يجب أن تصحح من قبل القيادة التي أعلنته ؛ أما الشيخ بيار فقد أعطى لنفسه وقتا ليدرس الموقف مع المكتب السياسي ..

وصمت السياسيون كعادتهم في تلك المواقف .. فمرسوم تمديد مدة ولاية المجلس لا يزال بدون توقيع ، كما ان البلاغ رقم واحد لم يتناولهم بالتحديد ... وبدأوا يجرون حساباتهم على الورق ..

كان الجميع يتساءلون في تلك الليلة هل هناك اعتقالات ستجرى في صفوف السياسيين ، وحين جاءهم الجواب بالنفي أردفوا :

ـ هل من الممكن القيام بانقلاب على هذا النحو مع المحافظة على الشرعية ، والابقاء على كل قوة متمركزة في مواقعها ؟ كان السؤال الاهم هو

موقف الملازم أحمد الخطيب الغائب الحاضر .. ففي ذلك اليوم كانت قواته توسع بيكار احتلالها للثكنات ، وتلوذ بالصمت حيال الحركة التصحيحية .. ولعل الكثيرون يجهلون ، ان ياسر عرفات شخصيا كان (المايسترو) الذي ينسق بين الحركتين ويحدد لكل منها مواقعها ...

صحيح ان بعض الافراد من جيش الخطيب قد أعلنوا انضمامهم للحركة الاحدبية ضمن بيانات ظاهرية ، ولكن الصحيح أيضا أن التأييد تم وأحمد الخطيب محتجزا بدمشق ... وحدها دمشق كانت على اطلاع بحقيقة الخيوط التي تربط الخطيب بالاحدب ، وتربط المقاومة بهما ...

فور عودة الخطيب من دمشق بدأت التساؤلات ... هل يمكن قيام تنسيق علني بين الخطيب والاحدب .. والى أي حد يمكن السماح للاحدب الاقتراب من الخطيب ؟

الذين اجتمعوا بالخطيب ظهر يوم السبت في مقره بالبقاع سمعوا منه مباشرة أنه على استعداد للتنسيق مع الاحدب بعد استقالة فرنجية ... وهكذا اتضح ان (المايسترو) أعطى لكل من الحركتين أرضية لا يمكن تجاوزها ... الاحدب يطالب بالاستقالة ، والخطيب يضغط على القوات المتحالفة مع فرنجية ..

واذا كان ياسر عرفات وصلاح خلف يخططان ، فان غيرهما ممن اكتشف مخططهما بدأ يخطط بدوره ولكن بعيدا عن الاضواء ..

جاءت حركة (العقيد انطوان بركات) باعلانه عن قيام (الجيش اللبناني) بمثابة الانذار على ان الجيش ما يزال يتمخض عن انقسامات جديدة ، ومع ان الاحدب وصف هذه الحركة بأن (اسمها أكبر منها) فانها جاءت مساندة للشرعية ... وبعد هذا الاعلان أصبحت الكتائب في صف الشرعية .

وجود العقيد بركات في ثكنة الفياضية ومساندة البحرية وصربا لحركته كان بمثابة الخط العسكري الذي استندت اليه الشرعية ..

كان يوم السبت هو يوم المجلس النيابي الذي غاب عن مسرح الاحداث طيلة الاشهر العشرة ... فبينما كان أحمد الخطيب يجمد نشاطه ، عكفت حركة الاحدب على التقاط أنفاسها .. وبدأ النواب يفتدون انفسهم بالضغط على فرنجية للاستقالة ..

كان الرئيس فرنجية قد استقبل رئيس المجلس وبحث معه في موضوع الاستقالة ، وقد اشترط فرنجية لقبوله البحث في الاستقالة ان يعقد المجلس النيابي جلسة خاصة ينص جدول أعمالها على بند واحد هو البحث بمصير رئيس الجمهورية على ضوء تطورات الاحداث ... على ان تسجل الجلسة على شريط يضم كافة المناقشات بهذا الشأن .. واشترط فرنجية ان تترك الحرية للاعضاء ليقول كل منهم كلمته بصراحة ، فاذا اتفقت كلمة ثلثي المجلس (٦٦ نائبا) على ضرورة الاستقالة فانه على استعداد لتقديمها فورا .. وقال فرنجية للاسعد :

(يا كامل بك هل تعتقد ا ن استقالتي ستحل الموقف ام انها ستزيد الامور تعقيدا ، انني أرى ان يحسم الموقف العسكري أولا عن طريق اعادة ايجاد الجيش ، وبعدها نستطيع ان نحسم الموقف السياسي باستقالتي او بدونها .. انني أخاف ان تشكل استقالتي فراغا جديدا أنتم في غنى عنه .. فما يزال هناك جيش الخطيب وجيش الاحدب وجيش بركات ... وهناك القيادة في اليرزة . توصلوا أولا الى صيغة يتم من خلالها جمع الشمل العسكري ، وبعدها نبحث في الموضوع السياسي ... لقد انهارت البلاد نتيجة للتخريب والمزايدات الكلامية ، وسياسة الغوغاء ومحاولة تهديم النظام بالقوة .. وانت تعلم قبل غيرك أني لست متمسكا بالكرسي ولكنني أريد ضمانات لاستمرار النظام والمجلس ليس في وضع يمكنه من تقديم أي ضمانة) .

عاد الاسعد الى قاعة المجلس النيابي ونقل الى الحضور اجواء الرئيس فرنجية ، فسرعان ما امسك ميخائيل الضاهر بورقة كتب عليها بضعة أسطر تطالب رئيس الجمهورية بالاستقالة ، وما ان بلغت نسبة التواقيع ٢٠ توقيعا

حتى امتلأت القاعة بالمسلحين الذين عرفوا بالقصة ، فاذا بالمسدسات توجه الى النواب للتوقيع .. ووسط هذا الجو المليء بالتوتر بلغت تواقيع النواب ٦٦ ، أي أكثرية ثلثي المجلس ..

توجه وفد نيابي الى القصر واجتمع بالرئيس واطلعه على تفاصيل الموقف دون ان يحدثه صراحة عن العريضة ، وقد ألمح أحد أعضاء الوفد « الرئيس عادل عسيران » اليها من طرف خفي فثار فرنجية في وجوه أعضاء الوفد وقال:

(لقد بلغتني جميع التفاصيل ، وأخبار العريضة ، وأنا أعرف من وقع ومن وقع بالنيابة عن غيره ، ومن وقع والفرد في خاصرته ... كان الاتفاق بيني وبين كامل بك على أساس جلسة نيابية مسجلة يناقش فيها موضوع الاستقالة بحرية تامة ، وليس على أساس عريضة توقع ... ان معنى استقالتي ان يحكم البلد رشيد كرامي الذي استقال شفهيا وسحب استقالته شفهيا ، لقد سألته اليوم بنفسي هل ينوي الاستقالة فعلا فأجاب بالنفي فماذا يعني كل هذا ؟ الى أين تريدون الوصول بلبنان ...؟ هل تريدون ايصاله الى الحكم العسكري .. قولوها بصراحة وبلا لف ودوران) ..

في الساعات الاولى من صباح الاحد ، وبينما كانت اذاعة عمشيت تعلن التمسك بالمبادرة السورية ، وبينما كانت دمشق تحتضن وفدا كتائبيا وتتمنى عليه البقاء .. كانت هناك سيارة سوداء تقف أمام الحمام العسكري ويترجل منها ضابط لبناني تحرسه ثلاث ملالات ظلت في الباحة الخارجية للحمام .. أما الضابط (الاحدب) فقد توجه فورا الى الطابق الثاني من المبنى الذي تسيطر عليه قوى أحمد الخطيب ..

وهناك وبعيدا عن الانظار تم اول لقاء بين الاحدب والخطيب ...

ويظهر ان (المايسترو) أبلغ جنبلاط وسلام وكرامي بقصة اللقاء ، فكان ان التقى الجميع للتنسيق ، وما ان وصل الى الجبهة المضادة شمعون ، الجميل شربل القسيس أنباء اللقاء هذا حتى أعلنت الكتائب لاول مرة تمسكها ببقاء

فرنجية ، وكذلك فعل شمعون وباقي الحلفاء .. وأخذت الاجواء تتلبد بالغيوم الداكنة .

لم ينم سكان قصر بعبدا تلك الليلة .. فالانباء التي وصلت الى القصر كانت تؤكد ان قوات الخطيب ستنقض في تلك الليلة وتحتل من فيه سواء بمعركة او بدونها ... ولكن الليل مضى وكل شيء ظل هادئا في قصر بعبدا، أما حوله وبعيدا عنه فكانت هناك قوات عسكرية تتحرك من الشمال والجنوب والوسط باشراف فلسطيني .. واذا كان يوم الاحد وليله قد مضيا بدون صدام ، فان أحدا لم يشك ان يوم الاثنين وليله سيكونا متشابهين ..

كانت قوات الخطيب تواصل زحفها الى بيروت قادمة من الجنوب والبقاع ... وأخذت أجواء جنبلاط وسلام تتحدث بصراحة عن وصول جيش الخطيب الى (خلده) حيث بدأت تتمركز هناك بانتظار انتقالها الى بعبدا ... كما ان قوات الخطيب قد تحركت شرقا الى صوفر وسوق الغرب ... وتتألف هذه القوة من عدد من الدبابات والمدافع والشاحنات والملالات وسيارات الجيب اضافة الى مجموعات من الجنود المجهزين بالاسلحة ... وقد انضم الى هذا التجمع العسكري اللبناني مجموعات فيادية تابعة لحركة فتح ، وقد تولت هذه المجموعة اصدار الاوامر . وقفت الآليات المدرعة على مشارف خلده الى جانب الطريق تفصل كل منها مسافات معينة تنتشر فيها سيارات الجيب وناقلات الجنود ، بينما شوهدت في الوقت نفسه قوات من الصاعقة تتحرك من المناطق البعيدة التي احتلتها بعد سفر الوفد السوري بالطائرة وتتمركز على مشارف عرمون العليا وتتجه الى مواجهة قوات الخطيب قاطعة الطريق على القوات الزاحفة ومقيمة الحواجز المدفعية المحملة ...

قال الرائد ضاهر آمر مجموعة قوات أحمد الخطيب :

(ستتجه الى قصر بعبدا الآن مهما كانت النتائج) ..

أما رفاق الرائد الضاهر فقد أكدوا ان زحف طابوره المـدرع سيكون جزءا من كماشة فكها الثاني المغاوير في ثكنة حمانا ..

في الوقت نفسه كانت هناك قوة مدرعة وآلية تابعـة لأحمـد الخطيب تتجه من شتورا وتتخذ مواقعها في المنطقة المتـدة من صوفر الـى سوق الغـرب ..

وبينما كان النقاش بين آمر مجموعة الخطيب وآمر مجموعة الصاعقـة يحتدم على مشارف خلده كانت اذاعـة الصنائع تذيع بيانـا يعلن (توحيـد الجهود) بين حركتي الخطيب والاحدب ...

والحقيقة ان هذا البيان كان بمثابة اعلان موجه الى دمشق بأن الصدام مع قواتها في لبنان بات متوقعا وان المقاومة ومعها الخطيب والاحدب ، وكل من جنبلاط وحلفاءه باتت تشكل جبهة واحدة في وجه دمشق ..

★★★

وحدي ..

وحدي ..

وحدي تماماً في هذا

البحر الواسع ..

الواسع ..

[redacted] رحلة الآلام من بعبدا الى الكفور !

عندما فوجيء الناس بالعميد أول الركن عزيز الاحدب يظهر على شاشة التلفزيون ويعلن البلاغ رقم واحـــد لحركته العسكريـة ، كانت ردة الفعل الفورية هي الدهشة اولا ، ومن ثم التريث •• حتى أنه سمع اطلاق الرصاص في كل من ضفتي بيروت الشرقية والغربية علامة على الارتياح •••

أولم ينتظر الناس الفرج حتى على أيدي العسكر منذ أكثـــر من عشرة أشهر ؟ أيام كانوا يبتهلون صباح مساء الى اللــه ان يلهم جيشهم (قبـــل ان يتسرق) النخوة والمروءة ، او على الاقل (الشفقة) على لبنان وأبنــاء لبـــنان الذين كانت تلتهمهم نيران الاقتتال القذر ••• او لم يشعر جميع اللبنانيين ان الهدنة التي تلت أشهر الكارثة بمبادرة سوريــة ؛ توشك ان تنهــار نتيجــة الألاعيب السياسية الداخلية والخارجية لتحتل الساحــة مـــن جديـــد بوادر استئناف المأساة ، على أشد وأفظع وأكثر شمولا •!؟

وكيف لا يرحبون ببروز العسكر الـــذي طالمــا تمنــوه وترقبوه ••• خصوصا وان صاحب البلاغ رقم واحـــد هو من أبـــرز الضبـــاط اللبنانيين (لبنانية) و (اعتدالا) وأقربهم الى مختلف الفئات اللبنانية ••!

وراحت برقيات التأييد تنهال على الاحدب من مختلف الجهات •• ولكن المفارقات بدأت تظهر رويدا رويدا ••• من هذه المفارقات ان حركة الاحدب لم تبادر الى دعوة السياسيين للانسحاب من الساحـــة ، بــل عـــلى العكس أوضحت أنها ــ الحركة ــ قامت لمساعدتهم على الخروج من المــأزق الـــذي يتخبطون فيه فأثارت شعورا بالاسف لـــدى بعض الــرأي العــام ، وشعورا بالطمأنينة لدى البعض الآخر ••• فمما لا ريب فيه ان حركة الاحـــدب كانت تحمل أكثر من عنصر نجاح ، في أول أمرها ••• ثم أخـــذت تميـــع وتفقـــد

عافيتها ، وتنحدر الى حركة (انقاذية) ... فحركة (تصحيحة) فحركة (ضغط) سياسي عاجز ، الى مواقف سياسية عقيمة .. وهذا ما كرهه الناس وعافته نفوسهم ..

ولا شك ان العوامل التي (بوخت) حركة الاحدب وانتزعت المبادرة منها ، ثم تركتها تدور على نفسها في نطاق نصفي الاذاعة والتلفزيون ... هذه العوامل عديدة ؛ وقد انطلقت أولا من صمود الرئيس سليمان فرنجية في وجهها ... ومن العقدة التي سيطرت على تفكيره ، والتي عبر عنها أحد المقربين اليه بقوله :

(انه لا يريد ان يكون آخر رئيس جمهورية للبنان ، فهو يريد ان يحفظ النظام (بعجره وبجره) بأي ثمن وبأية طريقة ... وثانيا ، من الذي بين الرئيس فرنجية والرئيس الاسد ... والذي بينهما (كلمة شرف) أعطاها فرنجية للاسد في الساعة الخامسة من بعد ظهر السابع من تشرين أول ١٩٧٣ ، أي بعد ساعات قليلة من بداية حرب رمضان ، بأن يضع جميع الامكانات اللبنانية تحت تصرف الجيش السوري المقاتل ... ولقد كان الرئيس فرنجية عند كلمة الشرف هذه ... ومن الواضح ان الذين خططوا لارغام فرنجية على الاستقالة لم يضعوا في حسابهم (كلمة الشرف) المتبادلة بين بعبدا والمهاجرين ... واذا كان ياسر عرفات قد اشتهر بالحيلة والذكاء فانه هذه المرة قد خانه الذكاء والحيلة معا ... فهو لم يضع في حسابه وهو يخطط لاعلان الحرب على سورية وفرنجية معا ما بين الرئيسين من ثقة متبادلة ... والغريب ان عرفات يعلم جيدا قصة هذه الثقة المتبادلة من بدايتها ... فكيف فاتته الحيلة والذكاء ؟ قد يكون الجواب على هذا هو من الاسرار التي ما تزال محفوظة في بعض الصدور التي تعلم كل شيء وتفضل الصمت الى ان يحين موعد تسديد الحسابات ...

وهكذا صمد فرنجية في وجه حركة الاحدب ، وفي وجه حركة أحمد الخطيب ، ولبث في قصر بعبدا شبه وحيد مستفرد قرابة ٥٦ ساعة ، ينتظر وصول القوات العسكرية لاخراجه منه .. وقد أقسم ألا يخرج من بعبدا الا

جثة هامدة ... بينما كان يخيل لاكثرية الناس بأن أيـام ، بل ساعات فرنجية في الرئاسة الاولى باتت معدودة ، وحبس هؤلاء أنفاسهم بانتظـار ساعـة الصفر يوم الثلاثاء ١٦ آذار ١٩٧٦ .

ولكن هؤلاء الناس مثلهم مثـل أصحـاب الحركـات والتحركـات العسكرية ، ومثل رجال السياسة ، لم يكونـوا قـد حسبوا حساب الثقـل السوري في لبنان الذي تصدى للقوى التي كانت تزحف من الجنوب ومـن الشرق نحو قصر بعبدا ، وأوقفها عند حد معين ... ولعل في هذا ما يكشف لنا تلقائيا أسباب تلك المعركة العسكرية التـي قامت بـين القوات السوريـة والقوات الفلسطينية وحلفاءها في صيدا ، وعلى مشارف بيروت ... فيمـا بعـد .

كان فرنجية ما يزال صامدا في بعبدا لوحده حين عادت دمشق تستقطب الاطراف العسكرية والسياسية : من لبنانيين وفلسطينيين الذين راحت وفودهم تتقاطر على عاصمة الامويين . من (أبو عمار) و (أبو أيـاد) ، الى زهـير محسن وتايف حواتمه ، ومن بعض ضباط حركتي الاحدب والخطيب الـى حزب الكتائب والامام الصدر ، الى الرؤساء الاسعد وسلام وكرامي ...

وحده كمال جنبلاط لم يدع الى دمشق ، ولم تبد أي رغبة في وجوده هناك ، ذلك ان الزعيم الاشتراكي اللبناني أعتقـد بـأن أسلوب الابتـزاز السياسي في التصدي بلاذع النقد والاتهام للحكم اللبناني يمكن ان ينفع مع الحكم الســوري ... ولكن ما كان منه ـ مـن جنبلاط ـ سوى ان وجـد نفسه مضطرا لان يجمع أغراضه وينتقل الى الجبل وقـد سمع وهـو يقول لمرافقيــه :

(يظهر اننا سنغيب طويلا عن بيروت هذه المـرة) لقـد أصبح الخاسر الوحيد على ما يبدو في صفقة اسقاط فرنجية ، وبينما كان جنبلاط يتوجه الى المختارة ، كان أحد المقربين من المقاومة الفلسطينية يسأل قائدا فدائيا بارزا :

ـ هل تريدون بالفعل ان تبيعوا سورية بصحبة جنبلاط ؟ وهل تدركون

بتصرفاتكم هذه انكم في طريقكم للاصطدام مع سوريا عسكريا وسياسيا ؟ وهل أنتم من القدرة بحيث تواجهون هذه القوى مجتمعة ؟ أجاب القائد الفدائي : اذا حصل هذا تكون القيادة الفلسطينية بدون فكر ؟ والغريب ان هذا قد حصل ... فأية أوراق كانت في أيدي القيادة الفلسطينية لكي تندفع في هذه اللعبة حتى النهاية ؟

في دمشق اجتمع الرئيس الاسد ومعاونوه الساعات الطوال وعلى مدى الليل والنهار مع ممثلي التجمع المعادي لفرنجية ، وممثلي التجمع المضاد محاولا ان يقنعهم بالركون الى (الاسترخاء العسكري) ، الذي سيقود الى (الاسترخاء السياسي) ، كمدخل معقول الى البحث في موضوع استقالة فرنجية ضمن اطار الشرعية ووفق قواعدها ، وبما لا يمس من كرامة هذا المنصب ومن يحتله ...

وكان من حصيلة الجولة الاولى من مباحثات دمشق ان حصل انقسام في صفوف الحركة التقدمية اللبنانية وتجمعها الذي يشكل قاعدة مساندة لحركة أحمد الخطيب ..

فعلى الطرف المتشدد والمطالب بالحسم العسكري السريع وقف كمال جنبلاط وحزبه ، والجبهة الشعبية (حبش) وبعث العراق ، ومنظمة التحرير العربي المساند للعراق ، وفصيل من الشيوعيين الذين انفصلوا عن الحزب وتبعوا ليبيا ، وبعض العناصر المدفوعة من قبل (فتح) والتي تتظاهر بالاستقلالية ..

وعلى الطرف المقابل وقفت الصاعقة ، وبعث سورية ، والناصريون المستقلون ممثلين بشاتيلا وواكيم ، بالاضافة الى فصيل من الشيوعيين المرتبطين بالحزب الشيوعي السوري ، وجناح من القوميين الاجتماعيين الممثلين بالياس جرجي قنيزح ..

أما منظمة (فتح) ومن يقف معها من اللبنانيين والفلسطينيين وأحمد

الخطيب والاحدب فقد اتخذوا موقف اللعب على جميع الحبال بانتظار الخروج من هذا الوضع على نحو يضمن ماء الوجه ...

أما في جانب القوى المساندة لفرنجية ، والنظام البرلماني فقد وقف صراحة كل من حزب الاحرار (شمعون) والكتائب (الجميل) والرهبانيات (شربل قسيس) وفصائل تشكلت أثناء الاحداث ..

كان الرئيس الاسد واضحا وصريحا تجاه جميع الوفود التي آمت دمشق منذ ان تأكد ان سليمان فرنجية لن يرضخ للتهديد والقوة .. ووفق رواية هذه الوفود قال الاسد :

ـ لا يمكن ان توافق دمشق بشكل من الاشكال على انقسام الجيش اللبناني ، ذلك ان اعادة بناء الجيش يتطلب جهدا ووقتا ، كما ان انقسام الجيش يهدد أمن سورية بالاضافة الى لبنان ..

ـ لا توافق دمشق اطلاقا على استعمال الحل العسكري لارغام رئيس الجمهورية على الاستقالة ، ذلك ان هذا الارغام يقود تلقائيا الى حدوث انقسام حقيقي في الجسم اللبناني المثخن بالجراح ..

ـ لقد أعلنت دمشق منذ بداية الاحداث بأنها ضد تقسيم لبنان ، لان التقسيم بحد ذاته يخلق في المنطقة وضعا جديدا لا تستطيع سورية في هذه الظروف مواجهته ... فاذا تمكنت القوى المعادية من اسقاط رئيس الجمهورية بالقوة ، فماذا سيكون موقفنا اذا ظهر في جونية ضابط وأعلن قيام الجمهورية المسيحية ودعا المسيحيين في العالم الى مساندتها ..؟ الا نكون بذلك قد أعطينا اسرائيل ورقة رابحة جديدة يمكن ان تشهرها في وجوهنا جميعا ... انني أعلم ان الرئيس فرنجية يعمل ضد التقسيم ، وهو غير متمسك بالمنصب ، ويمكن الاتفاق معه على حل مشرف ، فأي مصلحة للفدائيين والتقدميين بأن يكسبوا عداء قطاع لبناني واسع في سبيل انزال فرنجية بالقوة طالما أنه موافق على التنحي بأسلوب هادئ ... اذا وأقولها

بصراحة لا بد من الاتفاق اولا على صيغة مقبولة للاستقالة ، وهذا لا يتم الا باعطاء الجميع فرصة لالتقاط الانفاس والتفكير باخلاص لانهاء الوضع المتدهور في لبنان عن طريق الحوار البناء وليس عن طريق الاستفزاز المتبادل .. ان أي طرف من الاطراف لا يستطيع ان يحسم الموقف لصالحه.. لقد جرب الجميع الاقتتال على مدى سنة ، فماذا كانت النتيجة غير هدم الاقتصاد اللبناني ، وهدم الكيان وبالتالي انهيار الدولة بمؤسساتها ... لهذا يجب ان يعلم الجميع ان دمشق بكل ثقلها القومي والعربي والدولي ترفض باصرار استمرار الاقتتال ، كما ان بقاء الاضطراب على ما هو عليه لن يترك لرئيس الجمهورية اللبنانية القادم مقعدا يجلس عليه ... لنكن واقعيين فهل تقبلون تعريض القضية العربية كلها الى المواجهة مع أعدائها بسبب عناد هذا وتطرف ذاك ...؟)

هذا ما قاله الاسد ، ولكن ما أخفاه عن هذه الوفود وخاصة عن ممثلي فتح ، هو انه كان لدى الاسد صورة كاملة عن حقيقة العوامل التي أدت الى انقسام الجيش اللبناني ، ومن يختفي وراء هذه الحركة أو تلك ، ودور المقاومة الفلسطينية في الساحة اللبنانية العسكرية والسياسية .. لهذا فان الرئيس الاسد اشترط على عرفات للعودة الى المبادرة السورية جملة شروط أهمها :

ـ اتفاق جميع الاطراف المساندة للمقاومة على القبول بالحل السياسي بدلا من الحل العسكري ..

ـ تعاون جميع الاطراف لاعادة لحمة الجيش أولا ..

ـ تكليف السيد ياسر عرفات باجراء اتصالات مع جميع الاطراف اللبنانية المتعاطفة مع حركة المقاومة للموافقة على رأي موحد تجاه القضايا التالية :

١ ـ البت باستقالة رئيس الجمهورية على النحو الذي يرضي جميع الاطراف ..

٢ ـ اعتبار حركتي الاحدب والخطيب قد أدتا اغراضهما وعليهما الانسحاب بعد تسليم أسلحتهما الى قيادة الجيش .

٣ ـ استقالة حكومة كرامي ، وتشكيل حكومة جديدة تتولى السلطة من رئيس الجمهورية ، كما تتولى دعوة المجلس النيابي لانتخاب رئيس جديد بناء على (الوثيقة الدستورية) التي أعلنها الرئيس فرنجية .

٤ ـ اعادة بناء الجيش باشراف الحكومة الجديدة ..

٥ ـ ايقاف الحملات الصحفية بين جميع الاطراف ليتسنى للحكومة اعادة بناء الجيش والدولة .

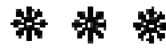
٦ ـ تكليف الوفد الكتائبي بنقل وجهة النظر هذه الى جميع الاطراف المتعاطفة مع الرئيس فرنجية .

عادت الوفود الى بيروت بعد أن اتضح لها الموقف السوري لتجري اتصالات مكثفة على جميع الجهات .. وبينما كانت الاجتماعات تتوالى بين عرفات ورفاقه من جهة ، وجنبلاط ورفاقه من جهة أخرى ... وبينما كانت الكتائب تقوم باتصالاتها مع الرئيس فرنجية وحلفائه ... كان رجال السياسة يبادرون الى نقل بندقية التأييد من كتف المقاومة الى كتف سورية لاثبات وجودهم ... وحده ريمون اده شذ عن القاعدة بصفته كان مرشحا للرئاسة ... ذلك ان معركة رئاسة الجمهورية كانت قد فتحت بشكل سري ... وقد أجرت المقاومة الفلسطينية اتصالات سريعة مع أطراف عربية عديدة توصلت الى نتيجة حسية بأن جميع الاطراف العربية والدولية تؤيد ترشيح السيد الياس سركيس ، وعندما توصلت المقاومة الى هذه النتيجة كان أمامها احدى خيارين :

اما التسليم لدمشق ..

او الصدام مع دمشق ..

فاختار عرفات وبعض رفاقه الثانية ... وهنا حصل شبه انقسام او انقسام حقيقي بين أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ... فانسحب البعض من المعركة ولزم دمشق ، بينما تصدى للقيادة (ابو عمار ، ابو اللطف ، ابو اياد) .



يوم الخميس ٢٥ أيار يمكن اعتباره يوما من أيام الأزمة التاريخي ... ففي ذلك اليوم كان لبنان قد تحول الى كتلة خطر ، فاللعبة التي كان لبنان مسرحا لها على مدى عام لم تعد مجرد حركة محلية محيطة بقصر بعبدا وانما امتد نطاقها فشمل لبنان كله ... فالاخطار التي كانت تهدد لبنان كالحرب الاهلية او التدخل الاجنبي عادت لتظهر من جديد ... وكان على (اليمين) الذي أثار العاصفة واطلق (الوحش) من قفصه ان يجد له وسيلة للخروج من هذا المأزق ، وكانت تصرفات (اليمين) في ذلك اليوم تختلف عن تصرفاته السابقة ، ولكن الخطر كان ــ فسي تقديره ــ لا يحتمل انصاف الحلول ..

وبدأ كمال جنبلاط في ذلك اليوم وكأنه يريد ان يفرض شروطه ..

ولم تلبث ان تحولت الاحداث الى العوبة تائهة في أيدي قلة من الرجال عطلوا العقل وأطلقوا للغرائز العنان .. أما دمشق التي أخذت على عاتقها ايقاف الاقتتال مهما كان الثمن فقد اعطت لنفسها مهلة ... لتدرس ... وتستجمع ... وتقييم مواقف الحلفاء القدماء ... وخاصة مواقف القيادات الفلسطينية ..

هذه هي ملامح اللوحة السريالية للتطورات الدراماتيكية التي توالت على امتداد نهار الخميس وليله .. وكان الشيخ بيار الجميل اول من اطلق النفير صباح ذلك اليوم ، فأعلن التعبئة العسكرية والسياسية ، كما أعلن تشكيل مجلس قيادة جديد للجبهة اللبنانية ..

ذلك أنه في هذا اليوم بلغت حرب الجبل ذروتها وكذلك حرب السهل.. وبدت عيون الروس والامريكان مغلقة، ذلك انه لم يبلغ في أي مكان على الارض ما بلغه في لبنان من عنف وضراوة وجنون .. ومع ذلك فان القوى الدولية الكبرى أصابها الصمم، وكذلك القوى الشقيقة التي يفترض فيها ان تكون في مستوى فهم الازمة التي تجتاح لبنان والتي ستطرق ابوابها بعد انتهاء مهمتها في لبنان ..

كانت تلك مأساة لبنان الكبرى لا في الاسبوع الذي تصاعدت فيه أحداث العنف؛ وانما منذ ان شاء قدره ان يكون المحطة الفلسطينية الاخيرة ...

خلال الايام الثلاثة التي سبقت الخميس الدرامي العنيف بلغ القصف المدفعي الى حد تعرض القصر الجمهوري لقذائف الهاون التي أصابته اصابات مباشرة ... وعلى ضوء هذه التطورات وبسببها اجرى الرئيس فرنجية اتصالا هاتفيا مع الرئيس الاسد، وعرض عليه تطورات الوضع العسكري الآخذ بالانحدار السريع ..

بعد أن أقفل فرنجية سماعة الهاتف، كان هاتف ياسر عرفات يرن في مكتبه وكان المتحدث وزير الخارجية السورية الذي قال لعرفات (وفق ماروته اوساط المقاومة) : لم يعد بالامكان السكوت والوضع أصبح أمام الاحتمالات التالية :

١ ـ ان تتمكن كافة الاطراف المعنية من الوصول الى اتفاق لوقف اطلاق النار ..

٢ ـ او تتصرف سورية وفق اجتهادها لصيانة أمنها ...

وأنهى وزير الخارجية السوري حديثه بأنه يرى ان تبادر المقاومة الى التوسط السريع مع جنبلاط ورفاقه، وستقوم سورية بدعوة جنبلاط اذا أصرت المقاومة على ذلك ..

في الساعة الخامسة من صبيحة الاربعاء كان عرفات يتصل بوزير الخارجية السورية ويبلغه نتيجة الاتصالات التي أجراها مع جنبلاط ، والتي انتهت الى حدود ترك مهمة اقناع جنبلاط بالموافقة على قرار وقف اطلاق النار انما يعود الى الرئيس الاسد ، بعد ان قامت المقاومة بتمهيد الارض امام سفر جنبلاط الى دمشق ، ولكن هل كانت المقاومة بالفعل تلعب دور الوسيط بين الفريقين المتقاتلين بعد ان تعهد ياسر عرفات للاسد بأن يتحول دور المقاومة من فريق يقاتل مع جنبلاط ورفاقه الى وسيط بين جنبلاط والجبهة اللبنانية ؟

الذين كانوا الى جانب عرفات وابو اياد في تلك الليلة السوداء لمسوا ان المقاومة وجنبلاط قد وضعوا استراتيجيتهما بالاصطدام مع دمشق ، أما التكتيك فكان التظاهر بلعب دور الوسيط على ان يترك اعلان الخلاف النهائي بين دمشق والفريق التقدمي الى جنبلاط ..

قد يقال هنا ان كل هذه الامور أضحت من الماضي ... فمثل هذا القول فيه الكثير من الخطأ ، ذلك ان القيادة الفلسطينية ما تزال موجودة على الساحة اللبنانية ، وكذلك الاحزاب القائلة بقولها ، كما ان الجبهة اللبنانية موجودة أيضا ، وسورية موجودة بدورها ... فاذا أردنا استشفاف معالم المستقبل فلا بد لنا من التوقف قليلا عند هذه الليلة الرهيبة (ليلة الاربعاء ـ الخميس) .!

في تلك الليلة اطفئت الاضواء على الطرقات المحيطة بالقصر الجمهوري والمؤدية اليه ، وكان الحرس الجمهوري في حالة استنفار ، أما أهل القصر فكانوا يسمعون أزيز القذائف وهي تحلق فوق القصر ومن حول جوانبه الاربعة على مدى سبع ساعات .. وعند الفجر اشتد القصف المدفعي حيث سقطت حوالي ٤٠ قذيفة صاروخية ومدفعية ، ثلاث منها وقعت عند الجهة الشرقية للمبنى الحجري فحطمت زجاج غرف النوم في ملحق قصر الضيافة..
وحوالي الساعة الخامسة صباحا أصابت خمس قذائف القصر اصابات مباشرة فحطمت الزجاج وبعثرت الاثاث وعطلت الشبكة الهاتفية الفرعية

(كانت شبكة الهاتف الرئيسية قد تعطلت قبل ثلاثة أيام) وشبكة المياه ..

كان الرئيس فرنجية يتنقل مع أفراد عائلته والموظفين من غرفة الى غرفة .. وجلس في مكتبه المجاور لغرفة نومه مع السيدة حرمه وابنتيه صونيا ولمياء يحتسي فنجان الشاي حوالي السادسة صباحا حين انضم اليهم لوسيان دحداح والشيخ سليم الخوري ..

وبدأت الصواريخ تتلاحق بسرعة آخذة بطريقها غرفة نوم الرئيس و (السطيحة) التي يخلو فيها فرنجية أحيانا الى نفسه ويفكر ...

في بادىء الامر رفض الرئيس ان يبارح القصر مرددا :

(سأظل هنا حتى آخر رمق في حياتي) .

ولكن تعطيل شبكة الهاتف الفرعية وتدمير الغرف الرئيسية دفع بالزوجة الى اقناع زوجها بضرورة مغادرة القصر ولو لايام ريثما ينتهي اصلاح العطب ..

كانت الساعة تدق الثامنة صباحا حين شوهدت سيارة الشيخ سليم الخوري تقف امام مدخل القصر وخلفها سيارة الرئاسة وست سيارات اخرى ..

ركب فرنجية سيارة الشيخ سليم الخوري ، والنساء سيارة اخرى ، اما سيارة الرئاسة فقد بقيت فارغة ، وتوزع الموظفون على باقي السيارات مع الحرس المرافقين ..

لم تستغرق الرحلة من بعبدا الى ذوق مكايل طويلا ، ففي التاسعة وصل الرئيس الى منزل الشيخ سليم في النقاش ... وحوالي العاشرة كان الرئيس في مبنى بلدية ذوق مكايل حيث اتخذ مقرا مؤقتا لرئاسة الجمهورية ..

ومن المؤكد ان الرئيس فرنجية قد حمل معه من قصر بعبدا الى ذوق مكايل الكثير من الاسرار التي ستظل حبيسة في صدره . ومنها انه حين بدأ

يتطلع من نافذة سيارته وهو يقطع الطريق من القصر حتى الضبية مرورا بالاشرفية وفرن الشباك تذكر كيف ان هذا الطريق ليلة انقلاب الاحدب قد فرغ من المسلحين الذين كانوا يملاون الطرقات باسلحتهم وارهابهم ... ترى هل اختفى المسلحون في تلك الليلة لانهم كانوا ينتظرون حدثا على الطريق ام ماذا ؟

صحيح ان هذا الانتقال الى كسروان قد انهى ألم فرنجية من عزلته ، وترك في نفسه الكثير من الشكوك حول اسباب فراغ الطريق من المسلحين في تلك الليلة ، ولكن الصحيح ايضا ان هذا الانتقال طرح على بساط البحث قضية استمرار الرئيس في مهامه ... وكان هذا الموضوع بالذات مدار بحث خلال اجتماع نواب الموارنة الـ ـ ١٩ ـ على مدى ست ساعات .

وقد اتخذ المجتمعون قرارا لم يعلن بضرورة استمرار الرئيس في مهامه ، والسبب في عدم اعلان هذا القرار يعود الى بقية أمل بامكان نجاح الوساطة السورية ..

وبالرغم من سفر الامام الصدر مع العقيدين الخولي والمدني والضباط السوريين الى دمشق .. فان المعلومات التي وردت الى المقاومة من العاصمة السورية تقول ان الرئيس الاسد على وشك اتخاذ قراره الحاسم بصدد الموقف في لبنان ، وعلى هذا بات الجميع بانتظار انتهاء زيارة جنبلاط لدمشق (السبت) .

لم يذهب جنبلاط الى دمشق مهادنا ، فقد سبق ان اتفق مع عرفات على ان يكون الصدام مع دمشق من حصته ، لهذا قام بزيارته الى دمشق وسط زفة اعلامية اشتركت فيها جميع أجهزة الاعلام الموضوعة تحت تصرف المقاومة في معركتها مع لبنان ، ابتداء من اذاعة العدو الاسرائيلي التي اطلقت على كمال جنبلاط اسم (زعيم اليسار) وانتهاء بمحطة لندن العزيزة جدا على قلب جنبلاط منذ القديم ، ومرورا بالاذاعات المستأجرة حديثا لنفخ النار كلما هدأت .. وقد كشف الرئيس الاسد بنفسه عن هذا اللقاء في الخطاب الذي ألقاه ٢٠ تموز ١٩٧٦ حين قال :

(••• طلب ياسر عرفات ان نستقبل كمال جنبلاط ، وقلنا لياسر لماذا نستقبل جنبلاط وهو يصر على متابعة القتال ، وماذا ستكون فائدة هذا اللقاء ؟

قال عرفات : لا هذه تصريحات للاستهلاك على الطريقة اللبنانية ••• لا تهتموا فيها ، الامر كلو ماشي) ••

وقال الرئيس الاسد :

« واستقبلنا كمال جنبلاط ، وكان لي معه لقاء طويل ••• ساعات طويلة عرضنا فيها أحداث لبنان منذ بدايتها وقلت له :

نحن متفقون واياكم على تحليل أحداث لبنان وعملنا جميعا من أجل وقف القتال ، ساعدناكم سياسيا وساعدناكم عسكريا ••• أقصد عسكريا بامدادكم بالاسلحة والذخائر • ومع هذا لم تستطيعوا أن تصمدوا ، ودخلنا لبنان وغامرنا باحتمال مجابهة مع اسرائيل ، وأعطينا للمقاومة كل الضمانات التي تريدها والكفيلة بحرية عمل المقاومة ، ثم ناقشنا الاصلاحات الوطنية ، واتفق على الوثيقة الدستورية وتتضمن ٩٠ الى ٩٥ في المئة مما كنتم طرحتموه• ثم جاء الانقلاب فطرح استقالة رئيس الجمهورية مع ان هذه المشكلة لم تكن مطروحة ولم نكن نؤيدها ••• أيدتم أهداف الانقلاب أي استقالة رئيس الجمهورية ، اتصلنا وبذلنا جهدا وتوصلنا الى اتفاق حول هذا الموضوع ، وعندما توصلنا الى اتفاق فجرتم الموقف انتم ، حتى الآن نحن راضون عما فعلناه ، راضون لاننا كنا نسير في الضوء ونعرف الى اين نسير ، وكنا نعتقد بأننا نسير واياكم في خط واحد والى هدف واحد : أما الآن وبعد الذي حصل فنريد ان تعلمونا حقيقة ماذا تريدون •••

المقاومة ، حقوقها ، ضماناتها لم تعد مشكلة بالقدر الذي تسمح به ظروف لبنان ••• موضوع الرئاسة واستقالة الرئيس لم تعد أيضا مشكلة ، فماذا لديكم بعد ؟

جرت مناقشة حول الوثيقة الدستورية .. اقدر انــه لــم تكن هنــاك اعتراضات جوهرية ، اذكر بعض الامثلة ...

قال جنبلاط نحن اتفقنا على ٦ نقاط ، الوثيقة الدستورية فيها ١٧ نقطة ، قلت له ليس المهم عدد البنود ٦ او ٧ المهم ماذا تحتوي هذه البنود ؟ هــذا هو المهم وليس المهم العدد . قال شكلنا لجنة درست الوثيقــة ووجدت انهــا غامضــة .. قلت له هذه خطوط عريضة لعمل مقبل كل بند فيها يحتاج الــى قرارات ، يحتاج الى مراسيم ، يحتاج الى قوانين ، وهناك تتحدد المعالم بدقة وتفعلون فيها ما شئتم . أما هنا فالامر غير ممكن ولا داعي للتفصيل والتحديد أكثر مما هو حاليــا ...

تحدث جنبلاط عن العلمنة ، تحدث وهو يريد دولة علمانية فــي لبنان ، قلت له طبعا ان الكتائب متحمسة للعلمنة ... عندما زارنا حــزب الكتائب ، قيادة حزب الكتائب وعلى رأسها الشيخ بيار الجميل ، سألته أنا شخصيا عن هذا الموضوع فقال لي :

انا لا أقبل للعلمنة بديلا ، أنا مصر ومتمسك بدولة علمانية فــي لبنان ، وطرحت هذا الامر على مفتي المسلمين وعلى السيد موسى الصدر وعلى بعض رؤساء الوزارات ورؤساء مجلس النواب ، ورفضوه لان الامر يتعلق بجوهر الدين الاسلامي ... قلت له رجال الدين المسلمون ، علماء الدين ، هم الذين لا يوافقون على العلمنة .. قال لا تهتم بهم انهم لا يمثلون شيئا .. قلت لــه ان الامر ليس أمر تمثيل ، انما الامر يتعلق بالدين الاسلامي وعندمــا يتعلق الامر بالاسلام فيجب عدم الاستهانة به . .

قال : خلونا نؤدبهم .. لا بد من الحسم العسكري .. من ١٤٠ سنــة وهم يحكموننا .. بدنا نخلص منهم .. هنا رأيت ان كل قناع قد سقط .. اذن ليس في الامر ما كنا نقول وليس ما كان يقال لنا ، الامر ليس بين يمين ويسار، ليس بين تقدمي ورجعي ، ليس بين مسلم ومسيحي .. المسألــة مسألــة ثــأر وانتقام تعود الى ١٤٠ سنة ..

وخرج كمال جنبلاط من هذا اللقاء ، وترك لي انطباعا بأنـه مصر عـلى القتال .. وقلت له :

لا تعتمدوا على مساعدتنا ، فنحن لا نستطيع أن نسير معكم في طريـق نحن وإياكم متفقون سابقا على أنه طريق المؤامرة » .

كان هذا آخر لقاء بين دمشق وجنبلاط وبعدها تتابعت الاحـداث ... من الصدام العسكري بين الجيش السوري من جهة ، والمقاومة وجنبلاط من جهة ثانية ... الى دخول قوات الردع بعد مؤتمري الرياض والقاهرة وتأليف حكومة الدكتور سليم الحص !!

***

هل

رأيت

هؤلاء

المجانين ؟



حكاية فرنجية مع الجيش

حكاية الرئيس سليمان فرنجية مع (العسكر) تعود الى تلك المرحلة التي فصلت بين انتخابه رئيسا للجمهورية في ١٧ آب ١٩٧٠ وبين تسليمه سلطاته الدستورية في ٢٣ أيلول من ذات السنة ، وما حصل حينذاك من تطورات ، وعلى الاخص الحملة التي شنها الرئيس المنتخب على المكتب الثاني ••• ثم غضبته على عماد الجيش جان نجيم رحمه الله اثناء الاجتماع السري الذي رتبه الرئيس السابق شارل الحلو في بيت الدين ••• فقد دعا الرئيس الحلو الرئيس فرنجية لقضاء بضعة أيام في ضيافته بالاتفاق مع قادة الجيش آنذاك ، وذلك بهدف تسوية أزمة المكتب الثاني في الشمال (الشيخة) الذي كان فرنجية قد طرده من منزله ••• وفي اللقاء الذي تم بين فرنجية والقيادة العسكرية ، بادر الجنرال نجيم الى تأكيد استعداده مع ضباطه للتعاون مع الرئيس المنتخب ••• فكانت ردة الفعل لدى الرئيس الذي لم يتسلم صلاحياته بعد قوله بعصبية :

(••• تتعاون معي ؟ أنا رئيس الجمهورية وأنت موظف عندي تتلقى الاوامر وتنفذها) ••

وتتدخل شارل الحلو في الموضوع وغير مجرى الحديث •• ثم عرض الجنرال نجيم لائحة عن التشكيلات بين كبار الضباط على الرئيس فرنجية فكان جواب الرئيس :

(اصنعوا ما شئتم الآن ••• فأنا لم أتسلم بعد صلاحياتي ، وعندما استلمها أعرف ماذا يجب ان أفعل) •••

وبعدما تسلم الرئيس فرنجية صلاحياته وجه أمرا لقائد الجيش نجيم بموضوع معين ، ولما وجد بعض التردد لدى الجنرال قال له الرئيس فرنجية بحدة :

(أنا اعطيتك هذه الاوامر وأمامــك طريقين .. فاما أن تنفذها ... أو تأتي بعسكرك للقيام بانقلاب ... وأنا ــ نوطرك) ..!

وبقي فرنجية ناطرا العسكر حتى ١١ آذار عام ١٩٧٦ ، الا انه هذه المرة كان على علم بهم ورحب بمجيئهم ... هذا ما رواه الرئيس فرنجيـة شخصيا بعد اذاعة البلاغ الاحدبي رقم واحد من تلفزيون القنال ٧ في تلة الخياط ... واذا كان الرئيس فرنجية قد بدأ عهده ببعض الشكوك تجاه فريق مـن ضباط الجيش ... فانه أنهى عهده بكثير من الشكوك تجاه مجمل القيادات ...

فقبل ساعات قليلة من نهاية ولايته سئل عن رأيه بمـا آل اليـه الجيش اللبناني من تشرذم فأجاب والاسى يلاقبه :

(طلائع جيش لبنان العربي ما شفتحدا منهم، وحسب رأيي الضابط المسلم الذي لزم بيته خلال الحوادث ارفع له قبعتي لانه جغرافيا انقطع عـن القيادة ولم يعد في امكانه تلقي أوامرها ، كذلك ابتعد عن عسكره فلم يعد في وسعه تنفيذ الاوامر ... أما الضابط المسيحي الذي بقي في منزله ، شو ضربته على قلبه ؟ هيدا بدو شنق لانه حلف اليمين التي أقسمها بالمحافظـة على البـلاد ، وعندما يسلمه رئيس الجمهورية السيف يقسم بالمحافظة على وطنه فأين هـو من القسم ؟ وهذا لا عذر له ، والافظع منه الضابط الذي ترك بلـده وسافـر لشم الهوا خوفا من الرصاص والقنابـل ... أمـــا الضبــاط المسيحيون والمسلمون الذين قاتلوا يسكن بتضل بتلاقيهم أسباب تخفيفية ..!

ومن المفارقات المذهلة في عهد الرئيس فرنجية ان الحديث عـن الجيش منذ بداية الولايةحتى نهايتها لم ينقطع.. واذا كانت جميع الجيوش في الدنيا تتمتع بحصانة لانها المؤسسة المصانة بحكم الدستور والقانون والعرف فانهذه الحرمة في لبنان كانت تتمزق وفق أهواء الاحزاب والهيئات والمتحكمين فـي مصير الشعب ... واذا كان لكل رئيس جمهورية في لبنان حكاية تروى مع الجيش ... فان حكاية هذا الجيش مع الرئيس فرنجية تظل الاعنف والاقسى والاشد مرارة ... ففي عهده تمزق الجيش كما لم يتمزق في أي بلـد فـي

الدنيا ••• فلم يسبق لاي جيش ، حتى الجيوش المهزومة في الحروب ، ان ترك ضباطه الثكنات ولزموا دورهم تارة ، او هربوا الى الخارج (لشم الهوا) مع الابقاء على جميع امتيازاتهم ••• او نصبوا مدافعهم لضرب القصر الجمهوري والمؤسسات الرسمية وظلوا يقبضون رواتبهم من الدولة ، واذا كانت الصحف خلال أيام المذبحة وقبلها قد أفاضت في الحديث عن هذه المؤسسة ، فان بعض الاسرار عن مسؤولية هذا الجيش وحقيقة ارتباطاته السياسية والعقائدية ما تزال حبيسة الصدور ولا تجد منطلقا •••

من هذه الاسرار ان حكاية الانقلاب الاحدبي بدأت مع تعثر المبادرة السورية ، وفي اجتماع كانت تعقده اللجنة العسكرية اللبنانية ـ السورية ـ الفلسطينية في وزارة الدفاع وحضره أعضاء الوفد السوري (خدام ، جميل ، الشهابي) ، جرى تبادل الحديث حول مستقبل الجيش اللبناني ، وقد تكونت لدى الوفد السوري قناعة بأن اعادة ترميم الجيش اللبناني انما باتت تتطلب وقت غير قصير ، بينما الاحداث تطرق أبواب المنطقة بعنف ••

وأكثر من ذلك فقد توافرت لدى الوفد السوري من خلال اتصالاته مع مختلف الجهات العسكرية والمدنية معلومات عن خيوط انقلاب عسكري يجري اعداده ، فما كان من اللواء ناجي جميل الا ان أخذ المبادرة وأبلغ الامر الى الدكتور لوسيان دحداح بقوله :

(انا شامم ريحة انقلاب ضد الرئيس) ••

وفي لقاء آخر سأل اللواء جميل لوسيان دحداح :

ـ هل اطلعت الرئيس عن ريحة الانقلاب •• فأجاب دحداح بالايجاب••

كذلك نقل اللواء جميل توقعاته هذه الى النائب طوني فرنجية ••• ومع ذلك فقد حرص اللواء على ابلاغ فرنجية ما لديه من معلومات ، فرد عليه فرنجيـة :

(أهلا وسهلا بالانقلاب) ..

ولكن السؤال المطروح في ذلك الوقت هو :

ما هي الاسباب التي أدت الى الانقلاب الاحدبي ؟

الجواب لا يحتاج الى كبير عناء ، لان ثمة مئة سبب وسبب يمكن اختصارها بثلاثة كافية لان تعطي صورة كاملة عن الوضع برمته ..

ـ أول هذه الاسباب ان الاجواء بين رئيس الجمهورية وقائد الجيش قد تبدلت كثيرا بعد انهاء خدمات العماد اسكندر غانم وتعيين العماد حنا سعيد خلفا له ... فقد سيطرت على العلاقات بين بعبدا واليرزة أجواء ذات طبيعة شباطية .. حتى وصلت الى ما يشبه القطيعة بينهما .. ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى الملابسات التي رافقت حادث قيام الطيران بضرب المسلحين في الاوزاعي ، دون الحصول على موافقة مسبقة من رئيس الجمهورية القائد الاعلى للجيش ، الامر الذي حمل فرنجية على صب جام غضبه على قائد الجيش ، في الوقت الذي كانت عوامل التمزق تفتك في جسم الجيش اللبناني نتيجة للصراع المتمادي بين شمعون الذي يطالب بانزال الجيش للمحافظة على الامن ، وبين كرامي الذي يعارض ذلك مشيرا الى انقسام اللبنانيين بين فريق مسيحي يؤيد نزول الجيش وفريق مسلم يعارض ذلك .. في الوقت الذي كان الجيش ينزف من جراء سقوط بعض عناصره ضحايا ... فضلا عن اشتداد الانقسامات داخله الى حد ان انشقت بعض القطاعات بحجة انحياز الجيش الى فريق دون آخر ..

وثاني هذه الاسباب مبادرة فرنجية الى طرح موضوع تبديل قيادة الجيش في أعقاب الشكوك التي أثارتها في نفسه تحذيرات اللواء ناجي جميل ، ورفض كرامي التجاوب مع هذا الطلب ، الامر الذي أدى الى نشوب خلاف بين فرنجية وكرامي حمل الاخير بعد انتهاء آخر جلسة لمجلس الوزراء على الادلاء بتصريحه لدى مغادرته قصر بعبدا معتبرا نفسه في حكم المستقيل .. دون ان يقدم الاستقالة خطيا ..

ثالث هذه الاسباب الاوضاع المتدهورة نتيجة انهيار معنويات العسكريين تحت تأثير عمليات احتلال الثكنات التي قام بها الملازم أول أحمد الخطيب في بعض المناطق اللبنانية ، والتي كانت تفرغ القيادة من بعض ركائز قاعدتها العسكرية في عدد من المناطق ..

وأهم من كل ذلك انهيار سمعة العسكريين ابان الحوادث الدامية .. فقد ضاعت هيبة العسكريين فباتوا عرضة لان يستسلموا لاي قوة مسلحة .. وحتى ان من بين المسلحين من كان يعتقل الضابط الذي يصادفه اذا لم يتجاوب معه ، مما زاد في انهيار معنويات العسكريين ... بينما ظل السياسيون يدورون على أنفسهم ، وكل يريد فرض الحل الذي يناسبه شخصيا من أجل انقاذ البلاد .. أي انهم ظلوا على خلافاتهم وصراعاتهم التقليدية ، بدون أي رادع او وازع . وقد يفهم تصرف السياسيين وعدم اعتبارهم من الاحداث على الرغم من الكوارث التي ولدتها ، فقد ثبت ان دور معظمهم لم يكن أكثر من دور المنفذ فقط ... دون ان يكون لغالبيتهم اطلاع كامل على تفاصيل الخطط .

في ضوء هذه الوقائع وسواها والتي تشكل أرضية خصبة لنمو بذرة انقلاب عسكري ، بالاضافة الى الاعتبارات الخارجية ، كان البلاغ العسكري رقم واحد ، والذي طالب باستقالة حكومة كرامي في غضون ٢٤ ساعة والا اعتبرت مستقيلة ، كما طالب باستقالة رئيس الجمهورية وانتخاب رئيس جديد يشكل حكومة جديدة ويتولى السلطات الدستورية ، وعندها ينتهي دور الحركة العسكرية التصحيحية ..

ولا مجال للدخول في دوامة تقييم التأييد لهذه الحركة ، على الرغم من التناقضات التي كانت بين معظم الجهات التي أيدتها .. ذلك ان التأييد ان دل على شيء فانه يدل على النفسية التي كانت مسيطرة في أوساط الرأي العام والتي باتت ترفض السياسيين على اختلاف آرائهم واتجاهاتهم ... ذلك ان الوسائل التي اعتمدوها منذ الاستقلال حتى الآن هي التي قادت الى الكارثة التي دفع ثمنها اللبناني من دمه ...

كانت أرضية الرأي العام مهيأة لتقبل أنباء انقلاب عسكري وأي حركة تصحيحة ، لان الاستياء كان يعم جميع المواطنين بعدما لمسوا ان النكبة لم تعلم أي درس للسياسيين الذين عادوا الى فتح (بازارهم) التقليدي حول حسابات الربح والخسارة .. الامر الذي شرع الابواب أمام الانشقاقات والانقلابات ... غير ان حلم الناس العاديين بعزل الطقم السياسي عبر البلاغ رقم واحد لم يتحقق ..

أما لماذا لم يتحقق هذا الحلم ولم ينجح لا الانقلاب ولا التحرك ولا التصحيح .. فذلك يعود الى ان أحداث السنة المنصرمة كانت قد نجحت في استنفاذ جميع القوى العسكرية والمدنية ، كما ونجحت في اغراق كل الفرقاء من لبنانيين وغير لبنانيين في رمال لبنان المتحركة ..

وهكذا وجدت حركة الاحدب نفسها مفتقرة الى العمود الفقري وهو القوة العسكرية التي تمكنها من الحسم بالقوة اذا اقتضت الحاجة ... وقد بلغ ضعف هذه الحركة انها عجزت عن السيطرة بل وعن حماية العاصمة .. وهذا ما حمل بعض النواب الذي حضروا الى المجلس النيابي يوم السبت المعاوم لتوقيع عريضة مطالبة رئيس الجمهورية بالاستقالة على القول :

(لقد جئنا لتنفيذ طلب العسكر وتبرير شرعية تحركهم .. بينما عجزوا عن تأمين الحماية حتى في نطاق ساحة النجمة ، فواجه أكثر من نائب الخطر وقتل مرافق الشيخ بيار الجميل على مدخل المجلس ..

ومما لا شك فيه ان ثمة عوامل وراء الازمة اللبنانية لا بد من تبسيطها ليستطيع المراقب الحيادي ان يفهمها على الاقل . ذلك ان السياسات الضيقة كثيرا ما تلعب الدور الرئيسي في كل أزمة تعصف بلبنان ..

من هنا البداية ... وعلى هذا الاساس فان اختيار الانقلابيين لعزيز الاحدب ووضعه في واجهة الحركة العسكرية ، كان اختيارا مرتجلا وسطحيا ، لهذا سقط الاحدب من القطار دون ان ينتبه اليه أحد ..

وثمة نقطة ضعف أخرى كانت تكمن في هذا الاختيار ولها أهميتها الكبرى وقد يكون سببها عدم تنبه العسكريين ، لها ، هو قلة خبرتهم في شؤون السياسة المحلية ، وبالتالي عدم تقديرهم الحساسية في الصراع التقليدي بين زغرتا وطرابلس ، والذي وصل الى أقصى درجات العنف أثناء الحوادث الدامية ... وربما ان هذا الاعتبار بالذات قد لعب دورا بارزا في حمل الرئيس فرنجية على رفض الاستقالة باصرار ، حتى لا يقال يوما من الايام ان ابن طرابلس عزيز الاحدب قد اسقط ابن زغرتا سليمان فرنجية من الحكم ، بينما كان سليمان فرنجية يدخل في الماضي الى منزل المغفور له عبد الحميد كرامي ويحصل منه على وثيقة ممهورة بتوقيعه تؤكد ترشيح شقيقه حميد فرنجية على لائحة عبد الحميد ...

وبينما هذه الاعتبارات ومضاعفاتها لم تكن واردة عند الذين طبخوا الانقلاب على نار سريعة ، وبينما راحت تتفاعل على الصعيد الزغرتاوي .. كان الرئيس شمعون (العتيق) في الشؤون السياسية المحلية يبادر الى استلام الدفة ويصر على بقاء فرنجية في الحكم مهما كلف الامر . .

وانطلاقا من دور شمعون هذا يمكن تفسير العبارة التي واجه بها شمعون الوفد النيابي الذي زار فرنجية مساء السبت ١٣ آذار ليبلغه مضمون العريضة التي وقعها ٦٦ نائبا ، اذ قال :

(شو ... رئيس الجمهورية مشمشة كل دقيقة بنهزها) : في هذا الوقت برزت ظاهرة انطوان بركات كرد فعل على حركة الاحدب ، لقد ظهرت كعنصر حماية ودفاع عن قصر بعبدا وعن الرئيس فرنجية بالذات ضد أي محاولة اجتياح لاسقاط الرئيس بالقوة حفاظا على الشرعية ...

ولكن ماذا يقول الرئيس رشيد كرامي حول هذه المواقف ومنها خلافه مع الرئيس فرنجية حول انزال الجيش ليحسم الموقف ؟

ويمكن تلخيص أقوال رئيس الحكومة المستقاة منه شخصيا في أكثر

من مناسبة حول موضوع الجيش ورفضه انزاله وانشقاقه بما يلي :

يقول رشيد كرامي :

(•• انا أتيت الى الحكم بعد ثلاثة أشهر من اندلاع الازمة وتفاقمها •• أتيت الى الحكم بعد تشكيل حكومة عسكرية ومع ذلك فان هذه الحكومة العسكرية لم تأمر بانزال الجيش ، وأنا أسأل لماذا ؟

وبعد ذلك تغيرت القيادة وعين العماد حنا سعيد قائدا للجيش ••

وهنا كانت المبادرة السورية وكان الوفد السوري الذي يأتي الينا بين الحين والآخر ، والذي عاش معنا كل تلك الحقبة وهو يعلم ولم يكن أيضا من المشجعين على انزال الجيش •••

وتساءل رئيس الحكومة :

ان القيادة الجديدة عندما طلب وقرر في مجلس الوزراء ان يتولى الجيش حفظ الامن في منطقة البقاع ، ماذا كانت النتيجة ؟ لم يستطع ان يؤمن الامن ، ومن البقاع خرج الملازم أول أحمد الخطيب •• (أو على الاصح أخرج) !! قرر مجلس الوزراء ان ينزل الجيش في الشمال كفاصل او كعازل بين طرابلس وزغرتا ، فماذا كانت النتيجة ؟

انقسم الجيش هناك وذهب فريق نحو الجهة التي ينتمي اليها طائفيا ، وبالتالي ذهب الفريق الآخر الى الجهة الاخرى •

وعندما تقرر ان ينزل الجيش في المنطقة الخضراء في بيروت ، ماذا جرى في منطقة الفنادق ؟ انقسم الجيش بعضه على بعض هناك ، وحاولت بعض المنظمات التي لها ميليشيات ان تعرض على بعض الضباط في تلك المنطقة مواقف معينة فكاد ان يحصل الصدام ••• ونقل بعض الضباط بسبب تصرفاتهم ، سواء لناحية تنفيذ الاوامر كما تقتضي المصلحة الوطنية او العكس •••

واذكر أنه عندما كنا نطلب من قيادة الجيش ان تقـوم ببعض الحمايـة لبعض المناطق او لبعض المؤسـسات فكانت ترد ان توزيع القوى على الشـكـل المطلوب منا تكرارا ادي الى انه لم يعد تحت أمرتنا من القوى ما نستطيع معه ان ننفذ ما يطلب الينا ••• وكل ما يتوفر من عناصر الجيش لا يزيد عدده على ثلاثمائـة •••

هذا من جهة ، وعندما حصل الانقسام في منطقة الشمال وارسل العميد موسى كنعان لاجراء تحقيق حول ما جرى وأسبابه ، فاذا به يضع تقريرا سريا يقول فيه انه لا ينصح باستعمال الجيش ولا بانزاله •• لان مـا أصابه فـي الشمال سيصيبه حيث يؤمر بالنزول وهكذا تفقد آخر ورقة في يـد السلطة . وقد أخفي هذا التقرير عني بينما اطلع عليـه كميل شمعون في القصر • ذات يوم من دون موعد سابق ، وكان هناك مع بعض الاركان يدرس هذا التقرير بالذات ، فكان دخولي عليهم وأنا رئيس الحكومة مفاجـأة ••• وكان مـن جملة الحاضرين العقيد فؤاد لحود فطرح السؤال حول انزال الجيش ، وانـا ببساطة من يجهل ما يدور في الاجتماع اعدت السؤال وطرحته على العقيـد لحود باعتباره ضابطا سابقا ونائبا مسؤولا فأعطاني كل الحق ، وهو كما قال يضع كتابا حول الجيش وسيذكر فيه كل الحقائق ••

وانني بصفتي وزيرا للدفاع كنت أناقش القيادة في مقـر الوزارة ، تلك القيادة التي أعلنت أمامي في صورة رسمية انها على غـير استعداد لانـزال الجيش ، وهي اذا طلب منها ذلك ستمتنع ولو اعتبر ذلك تمردا •• وقد نقلت هذا الى مجلس الوزراء وقلت لهم الحقيقة كما هي ، وفي ذلـك الوقت كانت هناك ضجة في الصحافة على خلاف مستحكم بيني وبين الرئيس شمعون حول انزال الجيش ، وبعد فترة انعقد مجلس النواب فـي جلسة لمناقشة الحكومة ، ووقفت وأعلنت الحقائق عـلى المجلس النيابـي وبينت موقف القيـادة ••• وبعدما انتهيت من كلامي وجه بعض النواب السؤال الـى الرئيس شمعون : هل انت موافق على ما قاله رئيس الحكومة ؟ فقال :

نعم انني متفق معه كل الاتفاق حول كل ما قال •••

اذن لماذا ثار ضدي كل هذه الاقوال ؟

اذكر في احدى جلسات مجلس الوزراء وكنا نبحث هذا الامر ان التفت الي الرئيس سليمان فرنجية وقال :

(.. بكل صراحة أنا لم أطلب انزال الجيش) .

وأذكر واقعة أخرى ...

عندما طلب الى القيادة ان تحضر الى مجلس الوزراء ليسمع المجلس منها ما نقلته أنا عنها الى المجلس ، اذا بالقيادة تعلن أمام مجلس الوزراء ان ليس في مقدورها ان تقوم بالدور الذي قد يطلبه منها وان نزول الجيش هو أمر غير متوفر . ولقد وجهت في بعض جلسات مجلس الوزراء كلمات نابية ، كما ان اللهجة التي جرى فيها النقاش لم تكن تتفق وكرامة القيادة ، وهذا ما حمل العماد حنا سعيد على مقاطعة المجيء الى القصر الجمهوري أسابيع ، وقال لعدد من المسؤولين انني على غير استعداد فيما اذا دعيت ان ألبي الدعوة ، وأن أحضر الى القصر بعد كل الذي سمعته ، وبعد كل ما وجه الينا لان كرامتي العسكرية تأبى ذلك ...

وحدث مرة ان دخلت على فخامة الرئيس فرنجية فوجدته في حال غاضبة فسألته عن السبب فقال لي :

(أريد أن أسمعك هذا التسجيل) اذ ظهر أنه كانت هناك آلة تسجيل أحاديث زوار الرئيس ، والحديث المسجل هو لضابط كبير في القيادة للجيش اللبناني .. جرى الحديث بينه وبين الرئيس فرنجية حول دور الجيش وانزاله وما يكون الموقف فيما اذا طلب من القيادة ذلك .. فكان جواب القائد الكبير (حنا سعيد) :

(نحن على غير استعداد ، وليست لدينا امكانيات فيما اذا طلب منا انزال الجيش) ..

فأعاد عليه الرئيس فرنجية السؤال :

ـ واذا قرر مجلس الوزراء وطلب اليكم رسميا ؟

فكان جواب الضابط الكبير :

(... نحن على غير استعداد حتى اذا قرر مجلس الوزراء) ..

فقال له الرئيس سليمان فرنجية :

(وكيف يمكنكم الا تنفذوا قرار مجلس الوزراء ؟) فأجابه الضابط الكبير ، وهذا ما أغاظ الرئيس فرنجية :

(نحن نعتبر ان مجلس الوزراء لم يعد يمثل السلطة والشعب) ..



***

خطر

يصفق

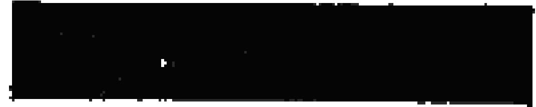
بأجنحته

السود

حول

شراع

ممزق!



نقاط فرنجية على حروف كرامي

ان (المذبحة) التي نفذت فـي لبنان تركت وراءهـا آثـارا ورواسب تراكمت بعضها فوق بعض ، وتفاعلت مع العوامل البشرية في أعمـاق نفوس السياسيين الذين اعتادوا ان يصنعوا الاحداث في لبنان ، وكانت نتيجة هـذا التفاعل ، تلك (المذبحة) التي من شأنها الابقاء على دماء الجروح التي تواصل نزيفها دون ان يتمكن التضميد من ايقافهـا ... واذا كانت طبيعـة الحيـاة سترغم الافراد على تضميد جروحهم بأنفسهم ، فمن يضمد جـروح الرجـال الذين كانوا في قمة المسؤولية أيام (المذبحة) ، وفي طليعـة هؤلاء الرجـال الرئيس سليمان فرنجية ورئيس وزارته رشيد كرامي ؟

لم يحدث في تاريخ العلاقات بين رؤساء الجمهورية ورؤساء الوزارة في لبنان ، على قسوة ما كان يقع ، شبيه بما وقع بين فرنجية وكرامي ... فمنـذ أن فرضت الاحداث على فرنجية تكليف كرامي بتأليف الوزارة والحرب التي كانت دائرة في الشوارع انتقلت الى مجلس الوزراء بكل قسوتها وضراوتها ؛ فمنذ الدقيقة التي كلف بها كرامي وفرنجية يعتبر ان سلطته قـد ضربت فـي الصميم ، ومن المفارقات ان فرنجية شعر بأنه أخطأ ، ثم واتته الشجاعة عـلى الاعتراف بالخطأ أمام جميع من انتقدوه للاتيان بكرامي ابان الازمـة ؛ فكان ان اشتعلت نار (المذبحة) بدلا من ان تطفأ ... ولا يضير أحد أن نعترف بأن المخابرات ، جميع المخابرات ، قـد تجمعت في بيروت لتجعل من هـذا الخطأ القنبلة الموقوتة لتفجير الوضع بكاملـه ... واستغلت اسرائيـل الفرصـة لحسابها ... هذا هو السر ، وهذه هي الحقيقة التي يشهد على صحتها كـل من عاش الازمة وتعايش معها ...

وكان من الممكن اصلاح هذا الخطأ عن طريق اقدام فرنجية على اقالـة كرامي ، ولكن وصول النار الى الجيش اللبناني قاعـدة وقمـة جعـل مـن المستحيل انقاذ ما يمكن انقاذه من سمعة الدولة وسمعة السياسيين .. سليمان فرنجية ، ورشيد كرامي ، وقـادة الجيش اللبنانـي ، يشكلون بخلافاتهـم

وصراعاتهم المرض الذي فتك بلبنان الارض والشعب ... فكيف الطريق الى الشفاء ، وما هو العلاج ، وما هي وسائل تعاطيه ؟

في العلاج النفسي يستلقي المريض على مقعد مريح ، وتنزل الستائر ليسود غرفة العلاج هدوء وظلام ، ثم يبدأ المريض يتكلم ويتكلم ، حتى تطفو العقد الدفينة وتظهر الرواسب الكامنة ...

وهذا ما فعله الرئيس الياس سركيس مع قادة الجيش اللبناني ... ولان رشيد كرامي لا يعترف بالمرض ويرفض دخول غرفة الفحص لم يبق أمامنا الا سليمان فرنجية الذي جاء بنفسه الى الغرفة ، بدون ستائر وظلام ، وبلا مقعد مريح ... بل اكتفى بوضع نقاطه على حروف كرامي ... وترك التاريخ ان يحكم بينه وبين الجيش وكرامي ...

بعد انتهاء عهد فرنجية وقيام عهد سركيس وتأليف حكومة الدكتور سليم الحص بدأ الرجل يلملم أوراقه وذكرياته ويطلق مـا عنده في تصريحات خاصة وعامـة ..!

يقول الرئيس سليمان فرنجية :

(التاريخ القريب لا البعيد ، سيثبت للرأي العـام اللبناني والعربي ان تصرفات ومواقف رشيد كرامي أثناء اشتراكه فـي الحكم معـي لا تختلف اطلاقا ، بنتائجها وانعكاساتها ، عن تصرفات ومواقف مستشار النمسا السابق (سايكس انكر) الذي قدم بلاده بعد مؤتمر ميونيخ هدية لهتلر ... رشيد كرامي شبيه به ، فقد تواطأ مـع الفلسطينيين للاستيلاء على لبنان ومقدراته ، ولكن الصمود اللبناني ، وعملية الاستيلاء على لبنان واللبنانيين (طويلة عـلى رقبتهـم) ...

لقد استدعيت رشيد كرامي الى القصر فور انتهاء الاستشارات وعقدت معه خلوة قلت له خلالها : (يا أفندي ــ الحساب بالعقلة خير مـن الغربـال

عاليبدر ــ وقبل ان أكفلك تأليف الوزارة يجب ان تطلع على شروطك ، فاما أن نتوصل الى اتفاق فنكلفك واما نختلف ... فرد كرامي قائلا :

ــ لي شرطان لا ثالث لهما ، ولن أتنازل عنهما البتة ... فسألته عن هذين الشرطين ، فقال :

١ ــ تعديل قانون الجيش ؟

٢ ــ تعديل قانون الجنسية .

فقلت له : بالنسبة لقانون الجيش لقد مضى على اللجنة النيابية ستة أشهر على درسه ، وهي بصدد وضع مشروع قانون جديد للجيش ، وانجازه بات وشيكا ..

أما بالنسبة لتعديل قانون التجنيس فبامكاننا تشكيل لجنة لدرسه ووضع القوانين المعدلة له ، ولن نختلف معك بشأنه في المستقبل ... وقلت لكرامي :

هل لديك شروط أخرى ؟ فقال : لا ... فقلت أعتبر نفسك مكلفا تأليف الحكومة وبامكانك المباشرة بالاستشارات .

هذان هما الشرطان الوحيدان اللذان وضعهما رشيد كرامي قبل تكليفه تفاهمنا معه على أساسهما ، لكنه لم يقل يومذاك أنه سيتواطأ مع الفلسطينيين ، أو سيأتمر بأمرهم ، ولا قال لي أنه لن يحدد موقفا او يتخذ قرارا الا بعد الحصول على موافقة (الاخوان) ، كل هذه الاشياء لم يقلها كرامي قبل تكليفه والا لما فكرنا لحظة واحدة في الاتيان به وتكليفه ...)

الحديث عن كرامي من قبل فرنجية لا ينقطع ... وهو بالتالي يقود الى الحديث عن الجيش الذي كان رئيس الوزراء نفسه هو الوزير المختص بشؤونه ... ففي عهد وزارة كرامي (انفرط) عقد الجيش ... لهذا فان

الرئيس فرنجية لا يلوم وزير الدفاع فقط بل يذهب في لومه الى القيادة التي كانت تسيطر على الجيش ، انه يقول :

(أتمنى ان تتحلى بالشجاعة الكافية لدى تصميمنا على تنظيم الجيش فنحاسب المسؤولين عن الجيش الذين قصروا في تلبية نداء الواجب الوطني ، فمنهم من ترك لبنان ، ومنهم من قبع في منزله يتفرج ، او اختبأ في (تنورة) زوجته جبنا ، ومنهم من جلس في الصومعة ، وكأن الحوادث الدامية تجري في بلاد (الماوماو) لا في لبنان علما بأن واجبهم ، الى أي فريق او طائفة انتموا ، يدعوهم للدفاع عن الكيان اللبناني وعما هو مفروض في أن يؤمنوا به على أنه الخط السليم والصحيح . ولكن ما حيلتنا حيال الضابط أو الجندي الذي يطالب بالكثير من بلده ولا يقدم له شيئا بالمقابل ، بل يقبع في منزله بانتظار ان يقوم ابنه او ابن الجيران في الدفاع عنه ..

ان مثل هذا الضابط او الجندي لا يستحق شرف تسميته ضابطا أو شرف الانتماء الى العسكرية اللبنانية ، فكثيرون من ضباط الجيش كانوا ضباطا او عسكريين بثيابهم فقط لا في عقليتهم وروحهم ونفسياتهم ... لقد كان القسم الاكبر من ضباط الجيش خاضعا ، ويا للاسف للروح الانهزامية باستثناء بعض الضباط ، وكانوا قلة الذين قاموا بواجبهم الوطني حيال بلدهم وشعبهم وكيان وطنهم ؟) .

ويستطرد الرئيس فرنجية قائلا :

(حنا سعيد قائد الجيش فقد ، لا فقط ثقتي ، بل ثقة كل لبناني ، واني أحمله مسؤولية الاحداث ومسؤولية الانهزامية في الجيش ... وأنا نادم ، وأكثر من نادم على الاتيان به لقيادة الجيش ، وأدعو على يدي بالكسر لانها وقعت مرسوم تعيينه) .

ولكن هل انتهى حديث فرنجية عند هذا الحد ؟

من المؤكد أن جلسته في الغرفة ، بدون ستائر وظلام ، وبلا مقعد مريح

ستطول ، فما زال لديه الكثير ليقوله ... ويعلنه بوثائقه ... فهـل سيتكلم قادة الجيش أيضا بعد ان يئسنا من دخول كرامي غرفة الاسرار ؟

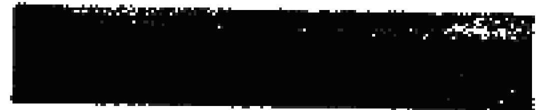
ان الذي يوضح موقف كرامي الحقيقي من تلك الازمة (المذبحة) هو عبارته التي رددها أمام أحد الملتصقين به من الذين لا يبوحون بسره أمام أحد وهذه العبارة تقول :

(مهما حاولوا اثارتي فلن أتكلم ، لاني لا أريد مصيرا كمصير وصفـي التل ... ان في صدري من الاسرار ما يكفي ولكن ... ولكن) ..!

عند (لكن) هذه تتوقف شهرزاد كرامي عن ترديد الكلام غير المباح .

★★★

تصرفوا
بقسوة
لكي
لا يقول
الناس
انكم
متكلفون !



لغز جيش لبنان العربي

في مطلع عهد الرئيس سليمان فرنجية ، وداخل مقهى تحول فيما بعد الى متراس بين المتقاتلين على جبهة الحازمية ـــ الشياح ... كان هناك مـــن يقول لأحد أقرب الملتصقين بالرئيس الذي واكبه في جميع مراحل عهده حتى خروجه من قصر بعبدا :

(... اذا أردتم المحافظة على الحماس الشعبي الذي قوبل به العهـــد ، فلا مندوحة من البدء من نقطة الصفر دون الالتفات الى الماضي المثقل بالآثام ، أي البداية من طريق (التأكيد الوطني) لاعادة بناء الدولة ، وذلك بتسليـــم مقدراتها الى عصبة من الشبان يكون لها منبرها الاعلامي المتحرك ، وكادارتها في الاوساط الشعبية والجامعية لاستعادة هويـــة لبـــنان الحقيقيـــة استعادة عميقة ، بعيدا عن معارك السيـــاسة المألوفة ، وما يلازمها من حقد ، ذلـــك ان الحاقدين سرعان ما يعمون أنفسهم ، ويدعون الى تقويض النظـــام ليتخلصوا من حاضر لا يستطيعون تحمله بأي ثمن . وحذار مـــن الاستهانـــة بالثـــورة الفلسطينية او تجاهلها كحركة تستقطب طلائع الجيـــل الجديـــد وتستهويه ، وخاصة في بعض أوساط الجيش حيث القناعة لدى قطاع واسع مـــن الجيش اللبناني ، بأن هذا الجيش مرتبط برئيس الجمهورية وطائفته ، وهو من دون الوزارة صاحب الكلمة فيه ، ولا شك ان لهذا الوضع رد فعـــل في صفوف بعض الضباط) .. ويمضي المتحدث الى هـــــذا المقـــرب الملتصق بالرئيس فرنجية فيقـــول :

أريد أن يعلم الرئيس الآن ، ومنك بصورة خاصة ان أزمة فلسطين كانت المرتكز الاساسي لجميع الحركات الانقلابية التي قامت في الوطن العربـــي ، فهي التي بعثت في شباب الضباط العرب من الصاف المثقفين دوافع الكفـــاح واحلام البطولة ، وان هذه الازمة بالذات هي التي قوضت جميـــع الانظمـــة الديمقراطية التي كانت حاكمة ، ومن الاسرار التي يجهلها الكثيرون ان جماعة الضباط الاحرار في مصر جعلوها بتأثيرات مختلفة داخليـــة وخارجية ركيزة

انطلاقتهم الاولى ، وقبل ان تعلن حكومة النقراشي باشا الحرب في ١٥ (مايو) ـ أيار ـ ١٩٤٨ قررت جماعة الضباط الاحرار مساعدة المقاومة في فلسطين ، وقد روى لي المرحوم الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وأنا أدون مذكراته : ان جمال عبد الناصر طلب مقابلته سرا ، وعرض عليه خدمات الضباط فشكره واستأجله رافضا تطوعهم دون موافقة الحكومة المصرية ؛ وقد قدم عبد الناصر فيما بعد استقالته للانضمام الى المقاومة فرفضت استقالته ، ولكن كمال الدين حسين استطاع ان يستقيل متطوعا في كتيبة القائمقام المصري أحمد عبد العزيز الذي تطوع للكفاح في فلسطين ، وما لبث أحمد عبد العزيز ان قتل . كما اتصل الصاغ حسن ابراهيم أيضا بفوزي القاوقجي قائد جيش الانقاذ ووضع مع عبد اللطيف البغدادي (وكانا معا في سلاح الطيران) خطة للقيام بتمرد داخل قطعات الجيش المصري ، ولكن الخطة لم يتم تنفيذها وما لبثت الجيوش العربية ان دخلت المعركة رسميا ... هذا بالاضافة الى ان العديد من ضباط الاخوان المسلمين في الجيش المصري كانوا يهربون السلاح الى المقاومة في فلسطين) ...

ثم أفاض المتحدث بما يعرفه عن تعاون الثورة الفلسطينية سرا مع الضباط العرب في بلدان الانقلابات العسكرية منذ ثورة رشيد عالي الكيلاني أيام الحرب العالمية الثانية حتى وصول فرنجية الى الرئاسة ...

ومن المؤكد أن هذا الحديث قد نقل بحرفيته الى الرئيس فرنجية ، ومن المؤكد أيضا ان الرئيس لم يستهن به ، ولكن عدم تقديره لدور الاعلام في ذلك الحين ؛ وعزوفه ان يكون له منبر اعلامي (صحيفة ومجلة على الاقل) حجب عن الانظار ، كل الانظار ، ما قدمه فرنجية الى المقاومة الفلسطينية خلال نصف ولايته الاولى ، وقد استطاع اعلام الثورة الفلسطينية بما لديه من امكانات ووسائل تصوير الرئيس فرنجية على صورة الخصم المباشر للثورة الفلسطينية وكان بامكان ياسر عرفات ان يحقق الكثير في النصف الثاني لعهد فرنجية لو ابتعد عن الجيش ، وتركه بمنأى عن (اللعبة) التي جرت على الساحة اللبنانية ... ولكن ياسر عرفات الذي خاض تجربة الاردن

وخرج منها منهكا دون ان يتمكن من تحقيق حلمه بضم قسم من الجيش الاردني الى صفوف الثورة ، أعاد نفس اللعبة مع الجيش اللبناني فهل تراه نجح ؟

مهما كان الجواب على هذا التساؤل قاسيا فان ما جرى للجيش اللبناني في عهد الرئيس سليمان فرنجية لا يعفي الجميع من مسؤولياتهم ؛ ومن هذا الجميع (ياسر عرفات) ... فقد كان هو القابلة لحركتي الاحدب والخطيب ؛ واذا كان (ابو حسن سلامة) أحد كبار معاوني عرفات هو الذي أوصل الاحدب الى مبنى التلفزيون ليلقي بيانه الاول ، ثم تركه هناك الى ان غادر الساحة مشفوعا بالعديد من الاتهامات ؛ فان ياسر عرفات هو الذي قاد الملازم أول أحمد الخطيب الى حلبة الصراع الدامية ، وتركه يواجه مصيره لوحده .!

واذا كانت الحركة الاحدبية لا تستحق الوقوف عندها طويلا ، فان حركة الخطيب (جيش لبنان العربي) هي ولا شك من الحركات التي يجب دراستها لادراك أبعادها تحاشيا للاصطدام بأمثالها فيما بعد ...

اذا نظرنا الى هذه الحركة العسكرية من الخارج ، تتراكم الصعوبات ، وتنصب الغوغائية أحابيلها ، فالقابلة التي شهدت عملية الولادة القيصرية (ياسر عرفات) لا يمكن لها ان تتكلم ؛ وشاهد الاثبات الوحيد على اسم الوالدين لا يمكن بدوره ان ينطق وان كانت هويته ليست بخافية على الرئيس رشيد كرامي رئيس الوزراء الذي ظل يعطف على الوليد ؛ ولا على السيد كمال جنبلاط ... الذي حاول تبني الوليد ، وحين تمرد الوليد على سلطانه سارع الى التبرؤ منه ... ونخاف ان نقترب كثيرا من الاسرار لكي لا نصل الى أسباب مصرع السيد خليل سالم ... وأسباب ذوبان الملايين من الدولارات الليبية التي صرفت بسفه ، وملايين الليرات اللبنانية التي سفحت على ضفة النهب والسرقة والتسلط ... لهذا لا بد لنا من الابتعاد عن الاسرار التي سيكشف النقاب عنها قريبا حين يتحرر (الحرامية) من عقدة الخوف المسيطرة عليهم من الفضيحة ...

جيش لبنان العربي وجد على الساحة اللبنانية ، فنصب مدفعيته وقصف ،

بوحركة دباباته واحتل المناطق، وكانت مجنزراته تشارك في المعارك التي كانت تجري • قبل دخول قوات الردع العربية ، ولكن كثيرين مـن ذوي النوايا الطيبة يعتبرون هذه الحركة العسكرية تعبيرا عن واقع المأساة التـي كان يعيشها الجيش اللبناني ••• لهذا يحملون المقاومة الفلسطينية المسؤولية الاولى عن فشل هذه التجربة (العربيـة) في لبنان •• المعلومات عـن (جيش لبنان العربي) ما تزال بعيدة عن أيدي المؤرخين وأنظارهم ••• ولكن أمامنا قائد هذه الحركة الملازم أحمد الخطيب ابن بلدة (مزبود فـي الشوف) ، وقد اجتمعت به أكثر من مرة وأصغيت اليه وهو يتحدث وقد لعبت الاقدار دورها حين راح يتحدث أمامي بعفوية تكاد تكون قريبة من البساطة المتناهيـة ••• دون ان يعلم انني أمتهن الكتابة ، وربما أتيت على نشر ما سمعته منه اذا قيض لي ان أكتب عن المذبحة ••• واذكر الآن انني قلت له مرة :

(لماذا لا تقف وراء المذياع وتعلن ما رددته أمامنا داخل الجدران المغلقة؟ انك لو فعلت لوجدت من يؤيدك ، فالساحة اللبنانية تفتقر الى الرجل الصادق، وبامكانك ان تكونه او خطيت الخطوة الاولى باعلان الحقائق مجردة مـن الزيف والتلوين ، وثق ان شباب المناطق المتصارعة في لبنان سيمدون اليـك أيديهم من فوق زعاماتهم الموروثة •••)

أطرق أحمد الخطيب طويلا ثم التفت الى الحضور وقال :

لا أستطيع ••• هناك من يقف في وجه جيش لبنان العربي ويسد عليه منافذ اللقاء مع أفراد الشعب •••

جواب الملازم الاول دفعني للمزيد من وضع الاتهامات التـي توجه الى (جيشه) أمام أنظاره ••• فحين التقيت به في أوائل أيلول ١٩٧٦ لم تكـن النهاية لحركته قد رسمت بعد ، ووضعت موضع التنفيـذ ••• فقـد كـان الخطيب يسيطر على مواقعه ومنها الاذاعـة في الصنائـع وتلفزيون تلـة الخيـاط •••

لم أتمكن من أن أحدد وهو يتكلم عن كنه الشخصية العسكرية التي يريد ان يتقمصها : هل هي شخصية أديب الشيكلي ، او جمال عبد الناصر ، أو معمر القذافي ...؟ او ... او ... وهذا ما كان معروفا لدى الاوساط الشعبية التي أيدته ورفعت له لافتات في الشوارع مذيلة بتوقيع (شباب المنطقة الغربية) و (شباب رأس بيروت) او برج أبي حيدر وغيرها وكلها تبايعه بالتأييد ...

حين تنظر اليه للوهلة الاولى يحاول ان يقنعك بنظراته التائهة أنه متواضع ، وحيي ... وأبناء بلدته (مزبود) ورفاقه في المدرسة الابتدائية والثانوية والجيش يؤكدون انه طيب السريرة الى أبعد الحدود ... وصريح الى أبعد الحدود أيضا ...

(الاحزاب والقوى التقدمية لم تهضمني ولا أنا هضمتها ، يجب الحذر من هذه الاحزاب دون الاصطدام بها ، لانها متمرسة على اجهاض الحركات الفتية ... كمال جنبلاط اوف ... لا أدري ماذا أقول عنه ... انه يصابحني بالتأييد ، ويمسيني بالمعارضة ، ويتركني أنام بقلق ... الشيوعية ما هضمتها في حياتي ولا هي هضمتني ، بيني وبينها تنافر ولكن رفقة الطريق تفرض علينا عدم الصدام الآن ... انعام رعد رجل معقول وأنصاره لم يمارسوا التجاوزات التي مارسها غيرهم من أركان التحالف التقدمي الاشتراكي الشيوعي ... المؤسسة العسكرية قتلت طموح الضباط أصحاب الاتجاه العربي ومع ذلك فاني أحن اليها) ..

هذه بعض العبارات التي تفوه بها أحمد الخطيب وأردفها بالعديد من الزفرات العميقة الخارجة من أعماقه ، ثم راح يتحدث بدون تركيز عن كل ما يتعلق بحركته وجيشه ورفقاء دربه ...

وقال :

(... سنة ١٩٤٣ لم يتمكنوا من ايجاد صيغة سليمة للتعايش والتفاهم

فكان عام ١٩٥٨ موسم حصاد النتائج السيئة ، وصيغـــة لا غالب ولا مغلوب كرست الطائفية فعلا وجرحت ضمائر الضباط المسلمين ...

قبل عام ١٩٥٨ كان عدد الضباط المسلمين قليل جدا ... ولكن الجنرال شهاب تدخل فصارت النسبة الطائفية ستة الى خمسة ... الله يرحم ، شهاب لم يتركوه يكمل طريقه لقد وقفوا بوجهه ... في عهد شارل الحلو استطــاع الزعماء الروحيين للطائفة المارونية العودة الى الصيغة السابقة البالية للتعايش داخل مؤسسة الجيش على أساس بقاء الامتيازات الطائفيـــة ... وجــاءت الاحداث الاخيرة في لبنان فاذا بالسلطة تنحاز الى الفريق المارونـــي وتسخر الجيش لضرب المناطق الوطنية ، ودفع العسكريين الى الموت دفاعــا عن بعض الاشخاص ...

في الدامور ، سقط الكثير من العسكريين دفاعا عن قصر السعديات... لفتنا نظر القيادة بتقارير كثيرة الى انهــا تستخدم الجيش لاسباب طائفيــة ، وذكرناها بالقسم العسكري ، وقلنا لهذه القيادة اننــا نحمي الاشرفية مثلمــا نحمي البسطة ونحمي الكرنتينا بنفس الحماسة المبذولة لحماية الدامور ... ولكن قيادتنا كانت تنظر الى الدامور بعين واحدة !!

قبل قيام جيش اللبناني العربي بحركته بوقت قصير ، سقطت الدامور ، وقد استبسل الجيش في الدفاع عــن الدامور ، في حــين ان بعض الضباط تدخلوا في الكرنتينا لاسقاطها ...

في عام ١٩٧٣ بدأنا نسمع من اخواننا في الجيش ان القيادات العسكرية العليا ، أو بعضها تسلح (المقاومـــة اللبنانيـــة) الكتائب والاحــرار وجيش التحرير الزغرتاوي ... وابتدأت الصورة تتضح أمامنا ... عيب يا جماعة.. لازم تراعو شعور الفريق الآخر الذي يتلاحم مع المقاومة الفلسطينية ولكــن على من تقرأ مزاميرك ؟)

وسأله أحـــد الحضور :

(وين كنتو وكل هذه الامور تجري أمام أنظاركم) ؟ قال :

(الحقيقة ان القيادات المتعاطفة مع المقاومة اللبنانية لـم تظهـر عـلى الساحة ، كانت تعمل في الخفاء ••• بعثوا بمدربين الى الكتائب والاحرار•• وكان هناك عدد من زملائنا الضباط ممن اوكلت اليهم مهمات تدريب من هذا النوع ••• وكنا نلفت النظر الى هذه التجاوزات ولكن بـدون جدوى ••• فالسلطة كانت راضية ، والعنصر الوطني داخـل القيادات العسكرية (كـان شبه غائب) ••• كما ان الكتائب والاحرار لم يستطيعا ان يتحملا تبعة القتال وحدهما ، فكان لا بد من اسنادهما ••• وكانت عناصر من الجيش (تفـر) من ثكناتها ليلا لتلتحق في صفوف القيادات اللبنانية وتعود مع أسلحتها فـي الصباح ••• وكان مسؤولوهم يغضون الطرف ••• فكنا نقبض عـلى بعض هؤلاء العسكريين الفارين ونحيلهم الى المحاكمة ، لكن سرعان مـا كان يطلق سراحهم دون ان يتخذ بحقهم أي تدبير •••)

يتوقف أحمد الخطيب عن الكلام ••• يمسـح جبهته ••• يتواه ويزفر ••• ثـم يقـول :

(في هذه الاثناء بدأت المقاومة الفلسطينية وأنصارها من الطرف الآخر يتدخلون بدورهم في الصراع المكشوف ، خاصة بعـد ان تدخـل الطيران والحرس الجمهوري الى جانب القوات اللبنانية ••• فرق تنسحب وتسانـد المقاومة الفلسطينية ••• وفـرق تنسحب وتساند المقاومـة اللبنانيـة ••• وانكشف الجميـع) •••

اوف ••• ذكرتني ••• كنت قد نسيت يقول أحمد الخطيب :

(كانت حواجز الجيش تقام في مواقع تمنع مقاتلي الحركة الوطنية مـن أن تقوم بالخطف وتفسح المجال أمام القوى اللبنانية لكي تخطف ما تشاء على الهوية ، وتتجاهل هذه الحواجز ان من بين الضباط الكثير من المسلمين ••• أنا كنت ضابط ارتباط في زحلة ورأيت الامر العجاب ••• في زحلة كان يرقع

الحياء يرتفع ويمارس التحيز على نطاق مفضوح ومتحاز ... لقد منعت بعض الضباط من نقل الاسلحة من ثكنة زحلة فاحتليت الثكنة ومنعتهم بالقوة وقد أحلت من أجل هذا على التحقيق ...

كل هذا دفعني ورفاقي الى الاتفاق على اعلان انتفاضة الجيش ...)
ويشرد أحمد الخطيب ويحاول ان يتذكر ... ويعود الى الحديث وكأنه يريد ألا يتوقف ... وتختلط عليه المشاهد ، ويقفز بذاكرته من زحلة الى صيدا فيقول :

(كنت ورفاقي نتألم من غياب السلطة الفعلية الواحدة في الجيش .. كنت مرة منقولا حديثا من صيدا ، وكنت بواسطة التقارير اتعرف على تعاظم حجم القوة الفلسطينية في صيدا ، ولم تكن هناك تحركات ضد هذا التعاظم من قبل السلطة ... لا استطيع ان اؤكد مئة بالمئة ضلوع السلطة بمقتل معروف سعد ، لقد قيل ان جورج عجيل هو الذي قام بالعملية وان السلطة متورطة ... وهذا يحتاج الى العودة الى التقارير الرسمية الموجودة لدى القيادة ...)

على أبواب رياق ..!

أحمد الخطيب يتكلم والاسئلة تنهال عليه من هنا وهنالك وهو يجيب على الطبيعة ... سئل لماذا لم ينضم الى حركته العديد من الضباط المسيحيين فابتسم ابتسامة صفراء سرعان ما ضمرت لتتركه يقول :

(... اتصلنا ، وتفاوضنا ، منهم من فضحوا الخطة ونالوا على ذلك منح ومراكز ، ومنهم ما زالوا يقفون موقف الحياد ويتشدقون بالوطنية ، منتظرين ان يعرفوا النتائج ، فيتحينوا الفرصة لاكل الثمار ...)

ويسرح أحمد الخطيب في تفكيره قليلا ، وبعد ان يروي العديد من القصص عن المفارقات التي كان يواجهها وهو يستعد لحركته يأخذ نفسا عميقا ليزيح عن صدره كابوسا ويعتدل في جلسته ثم يستطرد :

(••• في البداية وقفت على ابواق رياق ثم عدت الى المصنع وانشأت قيادتي الاولى ••• مجموعة صغيرة من الجنود وقليل من الضباط لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة ••• في ذلك الوقت وقع حادث الاعتداء على موكب الوزير السوري عبد الحليم خدام ؛ وطلبت الى دمشق لتناول فنجان قهوة ••• وقبل هذا كنت قد ذهبت الى دمشق ، وكنت يومها قد نقلت حديثا الى الحدود الجنوبية ••• فذهبت عبر الجبال مع أحد العسكريين الى منطقة بعد جديدة يابوس حيث قابلت زهير محسن •• وقلت له :

يا زهير هناك خطة لاحتلال حوش الامراء ، كان عندي مفرزة تستمع الى اللاسلكي وكشفت عن هذه الاستعدادات) الا ان زهير محسن اجابني :

ـ لا داعي للخوف وان أمرا كهذا لن يحدث •••

ولكن مع ذلك قد حدث •••

في المرة الثانية ؛ وبعد حادث الاعتداء على مرافقي الوزير خدام كان لقائي في دمشق عاصفا ، لقد شعرت انني معتقل ، وان الذين استدعوني لشرب فنجان القهوة حققوا معي حول الاعتداء ودور جندي فيه ••• ولكن اعتقالي لم يدم سوى ساعات انتهى بطي التحقيق •••

وحين أعلنت قيام جيش لبنان العربي في ١٩٧٦/١/٢١ أوقفت ايضا عند المصنع •••

اذكر أنه في ذلك اليوم جرى اتصال بين قصر بعبدا وقصر المهاجرين وفي ٧٦/١/٢٣ دخلت القوات السورية ••• في هذه الفترة أثرنا التريث ، وكان الود مفقودا بيني وبين القوات السورية ولكن الامور لم تتازم ••• فقد كنا في حوار متواصل مع هذه القوات ••• كانوا يحتجزون بعض آلياتنا ثم سرعان ما يردونها ••• ثم انتقلنا الى مرحلة أخرى ••• ابتعدوا عن هذا الموقع ••• اياكم أن توسعوا بيكار احتلالكم منعا للحساسيات ••• وعندما طوقنا زحلة لاحتلالها أبلغتنا المقاومة الفلسطينية بأن العقيد علي المدني يطالب

بفك الحصار ... فاثرنا عدم الصدام ولم نحتل زحلة ، بل اكتفينا بتطويقها ثم انتقلنا مع المقاومة الى عينطورة ... وعندها ادخلوا قواتهم الى ضهر البيدر فكان الصدام ... فتحنا جبهة فاريا فتدخل السوريون أيضا وقطعوا طريق عينطورة من الخلف ودخلوا في مواجهة سافرة معنا ومع المقاومة .. ... وحركة الاحدب ؟

وسأل سائل من أهله :

ما هو رأيك بحركة الاحدب الفاشلة ...؟

ـ انت شو دخلك ... ضروري السؤال الآن ؟

ـ نعم ضروري بعدما قيل الكثير عن اختلافكما دون ذكر الاسباب ..!

(... والله قصة حركة الاحدب عجيبة .. كان الاحدب يترأس عناصر انقلاب كان سيحدث برئاسة ضابط غيره ، وفجأة برز اسم الاحدب ليقطع الطريق عن الذين كانوا يخططون لانقلاب واسع وشامل .. وهذا التشجيع انما كان بتأثير الاخ ياسر عرفات الذي (دفشه) وبعث اليه (بأبو حسن سلامة) لايصاله الى التلفزيون ... وكان الاحدب مترددا ويظهر ان الاضواء قد بهرته فوقع في اللعبة ، استعملوه لفترة ثم تركوه ، ولكن عزيز الاحدب خدم ، سواء عن قصد او بدون قصد ، انقاذ النظام المتهاوي وأفسح المجال أمام عدد من الضباط للوقوف على الحياد بانتظار رجحان الكفة ضد صالحنا ... وسرق الاحدب الاضواء عن جيش لبنان العربي مما اضطرنا الى تأييده في خطوته لاسقاط فرنجية ... وأستطيع أن أقول ان عزيز الاحدب ليس عنده فكرا وطنيا ، وهناك شك ان يكون الاحدب من حراس الارز لان أفكار سعيد عقل (لابسته) ...

وسأل سائل من أهله أيضا :

ظهر ان جميع الانقلابات التي كانت مطبوخة هنا في لبنان ، وهناك خارج لبنان ، لم يكتب لها النجاح بما فيها حركتكم لماذا ؟

قال الخطيب بلهجة المطلع على الاسرار الذي لا يريد رميها كيفما اتفق :

(••• يا سيدي في لبنان من الصعب القيام بانقلاب ••• لان جمع عدد من الضباط يكاد يكون من المستحيلات •• خذ مثلا هنا في بيروت ••• كانت هناك سريتا مصفحات مستنفرتان دائما لحماية الوزارة ، وكان انطوان بركات يأمر هاتين السريتين ••• ثم ان الرئيس فرنجية بالاتفاق مع القيادة أحدث تعديلات تجعل الانقلاب أكثر صعوبة •• من هذه التعديلات ان السرية التي كان عددها في السابق ـ ١٢٠ ـ عسكريا تقلص حجمها الى ـ٣٦ـ عسكريا فقط • ثم ان أقطاب الموارنة كانوا يهيئون أنفسهم منذ وقت طويل للتصدي لاية حركة انقلابية، لهذا فان امكانية احداث انقلاب دفعة واحدة أمر صعب•• والافضل ان نقوم بثورة عسكرية كما حاولنا ان نفعل ، ولكن ••!)

عند (لكن) هذه توقف الخطيب ليرمي عن ظهره الحمل الثقيل الذي كان يحمله ، وهو حمل جنبلاط وحركته التقدمية •••

وقبل ان يخوض الخطيب في موضوع علاقته مع الاصدقاء الالداء تفرس في أيدي الحضور جيدا ، وحين لم يجد قلما يكتب على الورق أطلق لشفتيه العنان •••

كان الحمل الذي رماه الخطيب عن ظهره ثقيلا بالفعل ••• ولو وجد الخطيب في تلك اللحظة من يأخذ بيده ويقوده خارج حلبة الاحزاب والقوى التقدمية مع المحافظة على ماء الوجه لما تردد مطلقا ••• كان يعيش الصراع بين واجبه والواقع الذي وجد نفسه في داخله يدور دون ان يتمكن الخروج من الدوران ••• لهذا راح يقول :

(••• في البداية طالبنا ان تكون لنا القيادة العسكرية اذا كانت الحركة الوطنية ستتولى قيادة النشاط السياسي •• ولكن جاءنا الرد من جنبلاط هذا لا يمكن انتم مجرد فصيل تابع لنا تنفذون الاوامر فقط •••

وحين أخذوا بعض اسلحتنا من مدفعية ودبابات ومجنزرات وبعثوا بها

الى الجبل فكرنا بقطع الرواتب عن الضباط والافراد الذين ينفذون أوامر المجموعات التابعة لجنبلاط ... قال لنا رجال المقاومة الفلسطينية : ولو ... كيف توقفون الراتب عن العسكريين في الجبل ؟

قلنا للمقاومة بامكانكم ان تصدروا الاوامر الى كافة العسكريين للالتحاق بجيش لبنان العربي وان تترك له وحده حق تحريكهم والاستفادة من خبراتهم ... ولكن أقوالنا سرعان ما ذهبت أدراج الرياح ... ألف كمال جنبلاط جيش فخر الدين علنا ، لكي يأخذ منا الأسلحة سرا ، وحين حاولنا فتح افواهنا ركضوا ووضعوا أيديهم على أفواهنا .. قلنا يا جماعة الناس بتحب أن يشرف على الامن الشرطة والدرك ضباط من السلك ، فلماذا لا تضعوا على رأس هذا الجهاز ضابط منه فأجابونا :

القصة ما بتخصكم ، وانما تخص كمال بك ...

وكان ان فات الزمام وظهر الامن الشعبي بكل تناقضاته وتجاوزاته . وحين بدأنا نرفع أصواتنا رفعوا أصواتهم ، كان هدفهم الحاقنا بحركتهم كفصيل مرتبط باحزابهم فرفضنا ... كان لديهم عشرون حزبا ويريدون ان يجعلوا منا الحزب الحادي والعشرين ... وهذا لا ينطبق مع طبيعة تكويننا كجيش مرتبط بالشرعية بعد عودتها ..!

عندما وصل الخطيب الى هذا المنعطف تدخلت وسألت :

ولكن الحركة الوطنية تتهم الجيش العربي بأنه تخلى عن الحرب وبدأ يجمع الثروات من وراء بيع البنزين والطحين والمازوت والغاز ... أليس هناك من أخبركم بما يردده الناس عنكم وعن جيشكم ؟

هذا غير صحيح نحن لم نترك السلاح ... منذ البدء ، معارك البقاع والشمال جيش لبنان العربي هو الذي حسمها .. حرب الثكنات ومعركة الفنادق كان لنا الدور البارز فيها .. معركة عينطورة ، معركة فاريا ، نحن فتحناها .. جزين كنا هناك مع فتح نخوض المعارك ، نحن لسنا كغيرنا ، نحن

نعترف الآخرين بدورهم ... آخر موقعة خضناها كانت في الخندق العميق.!

لماذا لم تذكروا هذه الحقائق وتركتم لغيركم التبجح بها ؟

قـال بعصبيـة :

ـ الاعلام الوطني ضدنا منذ البداية .!

ـ ولكن هل تنكرون بأن الاذاعة في قبضتكم وكذلك القناة ٧ ؟

ـ هون ما بدي احكي ... في فمي ماء ... وماء كثير ..!

هذا الماء الكثير الذي تحدث عنه الخطيب رمى بعضه من فمه ولم يتلقفه أحد ، لأن الماء الاكثر غزارة كان قد ملأ الاسماع عـن الاثـراء والتجاوزات والفضائح .. ولن يستطيع أحد أن يمسحه ...

هل عرفنا الآن لماذا كان أحمد الخطيب مع الشرعية ؟

★★★



وفد جامعة الدول العربية
في الكفور

عن محضر الاجتماع الذي عقد في ٢ تموز ١٩٧٦ ، بين الرئيس سليمان فرنجية ووفد الجامعة العربية الثلاثي ، المؤلف من السادة : محمود رياض ، امين عام الجامعة ، وحبيب الشطي ، وزير خارجية تونس ، ومحمد آل خليفة، وزير خارجية البحرين . وقد جرت المقابلة بحضور الرئيس كميل شمعون ، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية والمغتربين ، والنائبين الشيخ بيار الجميل وادوار حنين ، والسادة نجيب الدحداح، امين عام وزارة الخارجية والمغتربين، وكارلوس خوري ، المدير العام بالوكالة لرئاسة الجمهورية ، والنائب السابق جوزف مغبغب :

رياض : ... بالنسبة للعلاقات اللبنانية الفلسطينية بتحكمها اتفاقية القاهرة وملحقاتها ، نجد ان الطرف الفلسطيني يقول موافق على تنفيذ هذه الاتفاقية ومع ذلك نواجه عدم التنفيذ . قرارات مجلس الجامعة لم تأت بجديد ، ومن السهل ان يكون مقبولا من الجميع وقف اطلاق النار . لا أحد يرفض ذلك . المصالحة اللبنانية والاتفاقيات وملحقاتها كلها وضعت ، والطرف الفلسطيني يقول انه موافق على التنفيذ . ومع ذلك نصطدم بعدم التنفيذ . يبقى تنفيذ هذا الكلام ...

السؤال المطروح كيف نبدأ مرة ثانية ، الجديد في الموضوع بأن استمرار الاحوال بهذا الشكل واستمرار القتال بالرغم من انني لمست من جانبكم الاستعداد للوصول الى حلول . تتصل بالفريق الآخر يقول : أنا موافق . اذا كنا نتكلم عن العلاقات الفلسطينية ــ اللبنانية ، نجد ان المنظمات وأبو عمار يكرر كل مرة انه على استعداد لتنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها . في المرة الماضية ، استمعت اليكم ورأيت انكم تعتبروها ــ ان لم يكن المشكلة الاساسية ــ انما اهم مشكلة .

وبالرغم من هذا استمر القتال على ما هو عليه .

الرئيس : ...قبل ما ندخل اليوم في أساس الموضوع ، محمود بك ، بقرار مبارح للجامعة ، نجد بندا بالقرارات . تتمنى التوقف عنده :

« ان تبادر الدول العربية التي أبدت الاستعداد للمساهمة في قوات الامن العربية الى ارسال قواتها الى لبنان فورا وبدون شروط مسبقة وان تبدأ تحركها في موعد لا يتجاوز ٢٤ ساعة ودعم هذه القوات حجما وتسليحا بما يكفل اداء مهمتها على الوجه الاكمل ، ومطالبة الدول العربية الاخرى بالاشتراك في هذه القوات بالاتفاق مع الامين العام للجامعة » .

رياض : فخامتك بتسأل عن أي نقطة ؟

الرئيس : نقطة ارسال قوات بدون شروط .

رياض : بدون شروط . انو اللي يبعت قوة ما يشترطش على الامين العام أشياء معينة ، لاستعمالها او لتسليحها .

شمعون : هل ان كل دولة بيخطر ببالها ان تبعت جيوش ؟

رياض : هما نقطتان . فخامة الرئيس بتسأل عن كلمة بدون شرط . المقصود من دون شروط يعني لما اتفقنا على بعض الدول . زي السودانيين . ما وضعوا انفسهم تحت امرة قائد القوة مباشرة ، تركوا أشياء معينة من شروط . يمكن التعبير ما هو دقيق ، الفقرة كانت ، هي واحد اقترحها حتى ما حدا من الدول يقول للامين العام انو عايز كذا وكذا ...

الرئيس ، يوضح : كل قوة بتدخل للبلد مخالفة للمادة ٧ من ميثاق الجامعة يعني بدون موافقتنا ، بنعتبرها قوة عدوة ، مش قوة سلم .

رياض : وضحت رأيك باجتماع سابق ، قلت : ان القوات التي ستشترك ، بتطالب فخامتك ان يكون الك الحق في الموافقة على الدول التي تنتسب اليها .
الرئيس : هذا أمر مفروغ منه . الالف من السيادة .

رياض : السيادة مذكورة في القرار الاول . وجاء هذا القرار مؤكدا

له ، حتى فكر البعض يكرر تاني كلمة سيادة في هـذا القرار . وقالوا انهـا موجودة في القرار الاول . البعض فكـر يكررها لمزيـد مـن الاطمئنان والوضـوح .

الرئيس : هذه الصورة اللي عندكم ، نقـدر نوضح وضعنا . عطينـا صورة لسعادة الامين العام ، مؤكد عرضها في الجامعة . هلق بتمنى عليكم ان تقولوا كيف تنظرون الى القضية اللبنانية التي بنظرنا أصبحت هـي الاولـى والقضية الفلسطينية تأتي اليه بعد القضية اللبنانية . وهذا شيء انسانـي ، بالاول الانسان نفسه وبعدين ابن عمه وجاره . طالما نحن متفقين ان اخوانـا العرب لم يفهموا القضية اللبنانية ، اذا بتريدوا أيا كان منكم ، تعطوني صورة كيف تنظرون الى القضية اللبنانية ؟

الشطي : ننظر نحن في تونس ، فخامة الرئيس ، الى القضية اللبنانيـة انها مأساة مبنية على سوء تفاهم وعلى عدم وجود حوار بنـاء بين الاطـراف المعنية . وانه لو يتوقف الاخوان اللبنانيون فيمـا بينهم ويتوفـق اللبنانيون هم الى الحوار مع الفلسطينيين ويكون ذلك في نطاق السيادة اللبنانية وفي نطاق الاتفاقات القائمة هكذا ممكن نصل الى نتيجـة . لـو يسقط السلاح ويقف القتال ونعوض السلاح والقتال بحوار . الحوار الداخلي فيما بينكـم وبدون تدخل اي كان ، ثم الحوار بينكم وبين الفلسطينيين . وهـذا نرغب نحن ان نشترك فيه لانه أصبحت الطريق خارجة عن النطاق اللبناني الداخلي وخارجة عن نطاق السيادة اللبنانية . اصبحت القضية عربية . لو تتوفق الى هذا نجد حلا الحل ما هو بالسهل لان ما وقـع من سوء تفاهم أدى الـى تصعيد وادى الى أحداث خطيرة جدا ، فهذه الاحداث بلغت اليوم حـدا من الخطورة ، جعلتنا نتوقف عندها ونشوف اذا في طريقـة أخرى غـير طريقـة السلاح ، غير طريقة البندقية لحل المشاكل ...

... نحن نتتبع تصريحاتكم وتصريحات الفلسطينيين ، مـا شفت ولا واحد يؤمن بحل الازمة عن طريق الحـل العسكري . او يؤمـن بانتصـار

عسكري او يؤمن بالقضاء على الآخر بالطريقة العسكرية . كل الاطراف تؤمن بالحلول السلمية . ما دام هذه الارادة موجودة ليش ما تتوقف مدة من الزمن وتحاول فيها بواسطة الحوار حل المشاكل . وفي هذا الظروف وبمساعدة هذا الحوار قد اقترحت الدول العربية في اجتماعها الاول ان تعرض عليكم قوة عربية ، وأجبتم بقبول هذا الاقتراح . وفعلا تحركت بعض هذه القوات . ولكن تنظيم هذه القوات وقيادتها ، وتحقيق وتحديد مهماتها ، يستدعي جوا من السلم . أي بعبارة أوضح لا يمكن لهذه القوة ان تقوم بدورها الا بجو من السلم لانه مفروض عليها ان تواكب ايقاف القتال ، ان تكون شاهدا على جميع الاطراف .

اين نضع هذه القوات ؟ ما دام القتال مستمرا . نحن نرى ان يقف القتال بطبيعة الحال بدون أي شروط ، يقف من أجل تثبيت الشروط ومن أجل التفاهم على الشروط . فاذا وقف القتال وفقنا لتركيز هذه القوة العربية في مراكزها وتكليفها بمهامها ، وكل هذا بالاتفاق مع الاخوة في نطاق سيادتكم . ما في ولا شيء مفروض . اذا توفقنا الى هذا ، ثم توفقتم انتم ، كما قررتم حسب معلوماتي ، الى ان تجعلوا هذه المائدة المستديرة لايجاد حل للبنان كلبنانيين ، اذ ذاك ننتقل الى المرحلة الثانية وهي مرحلة الوجود الفلسطيني وكيفية بقائه في لبنان بالاتفاق مع لبنان وعلى قاعدة احترام الاتفاقات القائمة هذا هو تصورنا للوضع . انا قلت انه هناك سوء تفاهم .

الرئيس : سوء تفاهم معالي الوزير ، سوء تفاهم شو سببه ؟؟ شو سببه ، هذا المهم ، وهذا بيت القصيد .

الشطي : ننظر للمستقبل .. المايدة المستديرة . مايدة لبنانية ـ لبنانية ومايدة لبنانية ـ فلسطينية وتطرح كل المسائل وننظر فيها كلها .

الرئيس : الطاولة المستديرة ، معالي الوزير ، هيدي للمستقبل ، والوضع اللبناني ـ اللبناني . اليوم في وضع عربي . في قضية لبنانية ، وقضية

فلسطينية . شو الاسباب التي أوصلت لبنان والفلسطينيين الى هذا سوء التفاهم ؟

وقت اللي بقول انو اخوانا العرب ما تفهموا بعد الوضع اللبناني . عما تقول معاليك : « بندرسها وننظر فيها » . اذا لغاية اليوم معالي الوزير اخواننا العرب بيجهلوها . ليش هالتأخر ؟؟ للتحرك العربي ، اليوم وصلنا لها الساعة التي نحن فيها واللبنانيين قسمين او بالاحرى فريقين : فريق يرفض رفضا باتا الاحتلال الفلسطيني ، وفريق ثاني راضي عنه . راضي برضاه او مفروض عليه ، وكمان علامة استفهام كبيرة .

هذا الإحتلال الفلسطيني . من من اخوانا العرب يرضى به ؟؟ في بلده او في لبنان ؟؟ الفلسطينيون موزعون في كل الدول العربية من ليبيا للبحرين مرورا بلبنان بسوريا ، بكل الدول . أية دولة عربية ـ أية دولة عربية ـ اذا استثنيت الشيكات ـ اعطت الفلسطينيين كما أعطاهم لبنان ؟؟ اول شيء لبنان عرض ١/٥ مساحته للاعتداء الدائم الاسرائيلي لدرجة انه بهذه المساحة ـ محافظة الجنوب ـ أهل الجنوب تشردوا وأصبحوا لاجئين . لبنان لاجيء في لبنان حتى يتحاشى القصف الاسرائيلي .

انتقل من الجنوب الى ضواحي بيروت ، كنا مرتاحين للوضع وكانوا أحب شيء على قلبنا . تحملناهم ، تحملنا الخسائر المادية والبشرية ، التي هي أهم من كل شيء ، ولم نشكو . الى أن توصل الفلسطيني أن يصبح الحاكم بأمره في كل محافظة الجنوب . لم نشكو وذلك من أجل قضية مفروض فينا جميعا ان نعمل لنجاحها . ولكن عندما أصبح هدف الفلسطيني ايجاد بلد بديل عن فلسطين هو بلدنا ، نحن قدرنا ـ وعن حق ـ ان قضية فلسطين ما عادت تهم الفلسطيني ، بل صار همه الوحيد ايجاد أرض بديلة عن أرضه وهي لبنان . هذا ما لا نقبله ولا بحالة من الحالات . هذا الظرف الذي نعيشه اليوم . حرب في العاصمة ، في ضواحي العاصمة ، في الجبال ، في أعلى الجبال ، وكان قد جرى سؤال للاخ محمود رياض لدى زيارته الاولى الى هنا ، والآن أوجهه الى أصحاب المعالي . يوم دعيتم للاجتماع بتاريخ ٩ و ١٠

من هذا الشهر؟ الدعوة توجهت من الامين العام بناء لشكوى تقدم بها ياسر عرفات والقدومي ، يشكو الجيش السوري انه يهاجم مواقعهم في عينطورة والمتين وعيون السيمان ــ طبعاً وهنا مفروض فيكم معالي الوزير ان تعرفوا هذه المناطق ...

يومها ، كان مفروض بأحد الوزراء أن يسأل ياسر عرفات ما هو عمل القوات المتواجدة في عينطورة والمتين وعيون السيمان ؟؟ ما هو عملها هناك؟؟ لم يسأل هذا السؤال؟ ويا ريته سأل .

الاخ الشطي بيقول انه مطلع على قضايانا بالجرائد والطرق الدبلوماسية، اعتقد انك لا بد ما تكون قد قرأت يا معالي الوزير تصريحا صدر عن الرجل الثاني في منظمة « فتح » الذي يسمونه ابو اياد . يقول فيه : « طريق القدس تمر في عينطورة وجونية » . ــ جونية حضرتك نزلت فيها اليوم ــ هل اللبناني عندما يسمع هذا الكلام من ثاني مسؤول في منظمة التحرير ، أي اثر يترك في نفسه ؟ أي اثر يترك في نفسه عن نوايا هالجماعة ؟؟

شو غايتهم من هذه التصرفات ؟؟ ياسر عرفات بيعمل تصاريح في الجامعة وفي غير الجامعة . بدو يسترد عروبة لبنان . لبنان كان عربي قبل ما يخلق ياسر عرفات وقبل ما يخلق جد جد ياسر عرفات من ٢٠٠٠ سنة ، يوم ولدت العروبة ، ولدت في هذا البلد ، العروبة الحقيقية . لأنو العروبة لها تفسيران .

الشطي : انا أعرف ان العربية الذي حافظ عليها هم المسيحيون في لبنان .

الرئيس : العروبة كما نفهمها نحن أظن أنه لا يقدر أي انسان ان يعطينا دروسا فيها . لكن كما يريدون ان يفسروها ، كذلك لا نقبل ان يعيش الانسان في القرن العشرين كما كانوا عايشين في الجاهلية ...

لقد دخل سرطان على الجسم اللبناني . هذا السرطان هو ما يسمى

بالمقاومة الفلسطينية أو بمنظمة التحرير •

لقد فرضت علينا اتفاقية القاهرة وذلك بمعرفة الاخ محمود • الاكثرية الساحقة اللبنانية رفضت الاعتراف بها •

اليوم بعد ما وصلنا اليه ، لا تتمنى الا شيئا واحدا : هو تطبيق هذه الاتفاقية • وكل عمل لا يبدأ بتطبيق الاتفاقية لن يعطي نتيجة ، اليوم عندما نسمع بالتصاريح المفروضة على بعضنا : « ان القضية لبنانية ـ لبنانية » ، امام مسؤولين شعبيين كبيرين ، يعني اللذين يمثلان الفريق المحارب ، أقولها : اذا الجامعة العربية تبدأ بتنفيذ اتفاقية القاهرة ، كل ما هو خلاف لبناني ـ لبناني تكونوا انتم حكم فيه ، ونحن نقبل تحكيمكم كما يكون •
يأتي الرئيس الاسد ويبعث لي رسالة يقول فيها : « انهوا هذا الوضع في لبنان » قلنا اذا كان كما يدعون ان سبب هذا الوضع هو لبناني ـ لبناني ، فأنا المسؤول الاول بهذه الدولة لا أتمكن من ان أجد محاورا من الفريق الثاني ـ كما طلبت معالي الوزير ـ اعرف ما هو مطلبه • عندنا رئيس حكومة ، الله خلقه سلبي • وغير سلبي لا يعرف ان يعمل ، هو الاستاذ رشيد كرامي • كل ما طلبنا منه : ما هو مطلبك يا أفندي مع من تمثل ؟؟ قال في اجتماع مجلس الوزراء القادم نقدمها ، ويمر الاجتماع القادم وغيره ••• وكل مرة كان يقول الاجتماع القادم • ازاء هذا الواقع ، قلت للرئيس الاسد بدنا محاور • اتصل بما يسمى قمة عرمون ، يعني كل خيرة الذوات المسلمين وسألهم : بتقبلوني كون محاور عنكم ؟؟ هم لم يرفضوا وأنا رحبت بالمحاور الجديد أجمل ترحيب • انه رجل مسؤول •
جاء ثلاثة شخصيات من سوريا وبقوا في لبنان كذا ايام • كانوا يعملوا اجتماعات مع كل الفرقاء • الى ان توصلنا بموافقة الجميع الى نقاط متفق عليها •

ذهبنا الى الشام ، قابلنا الرئيس الاسد واجتمعنا به ، وطلعنا بعد ذلك باتفاق على كل المطالب التي طالب بها المسلمون • اتفقنا مع الرئيس الاسد

اعادة عرضها على قمة عرمون . وعندما يوافقون عليها نعلنها للشعب اللبناني. جاء الوزير خدام واللوائين جميل والشهابي وعرضوها على القمة ، وافق عليها الكل مجتمعين . كان قبل ٧ شباط ، بين ٧ و ١٤ شباط ، أخذوا الموافقة على هذه الوثيقة من جميع المسؤولين . وفي ١٤ شباط ، أعلناها ، متأملين انه عند اعلانها كل انسان يعيد سلاحه الى خزانته .

شو حصل بعد اعلانها ؟

تصعد القتال . اذا خلاف لبناني ـ لبناني او مسلم ـ مسيحي ، ليس سوى خرافة وهمية ، الخلاف يا سادة لبناني ـ فلسطيني لا غير وهو سبب المشاكل .

كل لبناني خلال خمس سنوات تحرك من بيته الى مكان آخر ، ومر على بعد ٢ و ٣ كلم من أي مخيم كان ، أذل . يتوقف على الحاجز . تطلب هويته. من يطلب هوية اللبناني ؟ مشرد ترك أرضه المقدسة من دون أن يحارب واتكل على غيره حتى يحارب عنه ... هذا له حق ان يطلب من اللبناني هويته ؟؟ يقولون له : افتح صندوق السيارة ... ومن كان يحترم نفسه ولا يزعن لهم كان يطلق عليه النار ويقتل هو ومن معه . في أي بلد من العالم يحدث هكذا؟ مشرد ، لاجيء يتحكم بأهل البلد ؟؟ بأي بلد صار أو يمكن أن يصير مثل هذا ؟؟؟

ومع كل هذا ، تحملنا من أجل قضية مؤمنين بها أكثر منهم . تحملنا وتحملنا ... لكن لكل شيء حدود ، حتى الصلاة لها حدود . وعندما أصبحوا متحكمين في نصف بيروت ، العاصمة اللبنانية ، كيف تريدون ان نصبر يا جماعة ؟ على شو فينا نصبر ؟ صبرنا هذا ما كان الا ليؤدي بنا الى الاستعمار ، استعمار جديد . كلنا عشنا تحت نير الاستعمار ، وكلنا تنفسنا عندما ذهب الاستعمار حتى يأتي ياسر عرفات ليستعمر لبنان . ما حدا يقبلها . أكرر وأقول مع الاسف ما شعرنا بالوجود العربي ليقول : يا جماعة شو قصتكم ؟ اليوم وأخيرا ، أهلا وسهلا ، ولو مؤخرا ، شرفتم البلد .

هذا رأي فريق من البلد وقد سمعتموه مني . الحل الوحيد هو تطبيق اتفاقية القاهرة وملحقاتها والبدء بها ، كما قلت للاخ محمود آخر زيارة . اتفاقية القاهرة تفرض عدم وجود مسلحين على الاراضي اللبنانية يزيد عددهم عن ٢٥٠ مقاتل بالسلاح الخفيف وبمكان ما على الحدود الاسرائيلية . وهنا أقول لكم ماذا حصل على الحدود الاسرائيلية في تشرين ١٩٧٣ منذ اعلان الحرب . يومها عقدنا مجلس الوزراء وقررنا اعطاء كل التسهيلات وكل الامكانيات ووضع الجيش اللبناني بتصرف الفلسطينيين لكي يفتحوا على الجبهة اللبنانية ثغرة ـ ولو لم ينتصروا انما يخففون الضغط على باقي الجبهات . لمعلوماتكم ، اهدأ ايام على الحدود كانت آنذاك . رصاصة واحدة لم تطلق خلال هذه الفترة .

عندما يرى اللبناني كل ذلك ، هل يعود ويفكر بأن هؤلاء الجماعة يريدون استرداد أرضهم ؟ لا انهم موجودون في لبنان مع مساعدات عربية مادية تكفيهم الى ابد الابدين وباقون في لبنان . بموافقتنا وبارادتنا ما بيبقوا في لبنان .

واليوم سمعت تصريح عن الوجود الفلسطيني على الساحة اللبنانية ، أتأسف ، وأتمنى على من يشاء من الدول العربية والذي قلبه على هالجماعة واللي بريد للجماعة الخير ، يحطلوا كم طائرة تحت تصرفهم ويأخذهم لعنده . لسوء حظنا أو لحسن حظنا ، يمكن ما يعرف كم عندكم كثافة السكان بالكلم المربع ؟؟

الله اعلم ، عندما يزور أبو عمار البلدان العربية ماذا يقول ؟ وماذا يخبر ؟ كنا نقرأ تصاريحه ، كان يقول : « ١٦٠٠٠ شهيد خسرت المقاومة في لبنان » . لم يوجد رئيس دولة يسأله ما هو ثمن استشهاد هؤلاء ؟ في لبنان ؟؟ اين استشهدوا ؟ هل على الحدود الاسرائيلية أو في قلب بيروت او في جبل صنين أو في الشمال ؟؟ أحدهم زهير محسن تساءل بمؤتمر صحفي : هل يا ترى انتقلت اسرائيل وأصبحت في شمالي لبنان بدل ان تكون في جنوبه ؟؟

هؤلاء الفلسطينيون وهذه تصرفاتهم معنا . لم يدعوا إنسان عنده كرامته الا وجربوا اذلاله . من الجنوب الى الشمال . أبدأ في الجنوب : عائلة كريمة من آل الخليل ، رئيس بلدية صور ، ابن الخليل جربوا اغتياله ، لماذا ؟ لانه لم يخضع لارادتهم .

في بيروت ، في قلب بيروت . فقدنا مؤخرا صبري بك حماده رحمة الله عليه ، زعيم شيعي من أكبر زعماء الشيعة . هاجموه في بيته . وبقي ١٢ ساعة واقفا وراء الشباك يطلق النار شخصيا لكي يدافع عن كرامته ، وعندما توقف اطلاق النار ، وقع أرضا فنقل الى المستشفى ومنها نقل الى المقبرة .

عبد الحميد كرامي ، كلكم تسمعون به ، رحمة الله عليه ، قصفوا قصره؛ طالما رشيد كرامي كرامي لم يقدم كل خضوعه ، قصف قصره والده ، وهكذا خضع كليا بعد القصف .

هذا البيت الكريم ــ شمعون ــ ماذا حل بقصره ؟ نسفوه من الاساس. لماذا؟ لانه يحافظ على كرامته . وكم من الامثلة على هذا الشكل . هذا هو العمل الفلسطيني . اخواننا العرب يتصوروا ان الفلسطينيين عندنا مثلما هم في مصر أو الكويت أو السعودية او البحرين ــ عندكم ما في ، مرتاحين منهم الحمد لله انشاء الله تستمر هذه النعمة ــ .

المخيمات يلي قايمة الدني عليها . اول يوم هوجم المخيم . طبعا الذي لا يعرف ما هي المخيمات يقول ان هذا عمل وحشي ، ومعه حق ، لان المخيم مثل المستشفى فيه أطفال ونساء ومشايخ .

اليوم نحن في النهار الحادي عشر لحصار مخيم تل الزعتر . ويقولون ان المخيم صامد ضد الوحشية التي تصب عليه . كيف يمكن أن يصمد وهو مخيم؟ اليس من تساؤل ؟ اتمنى طرح هذا السؤال على وزير خارجية مصر يلي كان عن يبكي ويشهق على قصف المخيم . كيف يمكن لمخيم بالمعنى

الحقيقي ان يصمد ١١ نهارا ؟ المخيمات أصبحت معسكرات لا بل قلاع محصنة تحت الارض . بهذه المناسبة اليوم استلمت رسالة من الدانمارك يطالبوننا فيها بالمحافظة على بعض رعاياهم الموجودة في مخيم تل الزعتر .

تتذكر محمود بك اقتراح جاء من دولة الكويت بتخصيص ٣٠ مليون دولار لتحصين المخيمات مجلس الدفاع العربي . يومها قامت القيامة . المخيمات على ابواب المدن : صيدا ، بيروت ، طرابلس ، كلها محاطة بالمخيمات يومها لم نوافق . ولكن اؤكد ان المبلغ تأمن ثلاث مرات دون ان يمر على الجامعة العربية . لماذا تحصين المخيمات ؟ هذا التحصين لم يتم بنهار او اسبوع او شهر ، ان ذلك يستوجب شهور وسنين . لو ان نواياهم طيبة لا داعي لتحصين مخيماتهم . اذا كان مخيم ما يتعرض لخطر ينقل الى مكان آخر . بتذكر ، اظن ١٩٧٣ قالوا اننا قصفناهم بالطائرات ، قلنا لهم تفضلوا اختاروا أي مكان تشاؤون بعيدا عن المدن حتى نؤمن لكم مخيم حديث وعصري . رفضوا لانهم يريدون انيظلوا مسيطرين على مداخل المدن وعلى كل مرافق لبنان . عندما يكون الانسان يفكر ويخطط للسيطرة على مرافق بلد أي بلد كان ، هل يمكن ان تكون نواياه حسنة ؟

الشطي : فخامة الرئيس ، يمكن ان أوضح بعض النقاط . اولا نحن في العالم العربي صحيح ان سكانه كلهم مسلمين ، لكن نهتم بالمسيحي ونعرف ان المسيحي هو عربي وعربي صميم ونعرف الدور الذي لعبه وما زال يقوم به المسيحيون للحفاظ على الحضارة العربية . هذا ولا بد ان يكون حديثنا كله لننطلق منه ونعرف شيئا آخر أيضا انه ما فيش حرب طائفية في لبنان ولا بين مسلمين ومسيحيين .

سواء كان في تونس أو في بقية الدول العربية وبخصوص جلسات الجامعة العربية لم نطرق الموضوع من كونه خلافات وحرب بين مسلمين ومسيحيين . وفعلا الواقع ان المسيحيين من جهة والمسلمين من جهة أخرى ولكن ليس من أجل الاسلام او المسيحية ولا نعتقد ان حرب دينية في لبنان . هذا أمر متفق عليه . النقطة الثانية هو انه لماذا تأخر التدخل العربي ؟ صحيح

انه تأخر ولكن احتراما للسيادة ؛ لسيادة لبنان كنا دائما وأبدا ، خصوصا نحن في تونس حريصون على ان لا تمس سيادة لبنان وان يتدخل أحـــد فـــي شؤونه . الاضطرابات في لبنان كانت ذات وجهين وجـه لبناني ـ لبنانـي ، ووجه لبناني ـ فلسطيني .

كنا نعتقد ان الوجه اللبناني ـ اللبنانـي لا يمكـن ان يعالجـه الا اللبنانيون . والوجه اللبناني ـ الفلسطيني يمكـن ان يعالجـه اللبنانيـون والفلسطينيون بأنفسهم وبمساعدة سوريا التي كانت دائما وأبدا طيلة هـذه الفتنة تتدخل بينكم وبين الفلسطينيين .

حاولنا وفكرنا مرارا عديدة في دعوة مجلس الجامعة العربية من أجـل قضية لبنان . ولكن في كل مرة كنا نصطدم بشيء : ما هو رأي لبنان ؟ هل طلب منا لبنان ذلك ؟ وهل يحق لنا ان نجتمع باسم لبنان لننظر فـي شؤونه ؟ لبنان بلد مستقل ولماذا تتدخلون في شؤونه ولو كانت هـذه الشؤون تمس الفلسطينيين . هذا هو السبب الذي جعلنا نتأخر .

اليوم تدخلنا . لماذا تدخلنا ؟

شمعون : فيما يختص بالرجوع للجامعة نحن كنا نطلب تدخل الجامعـة وكان الفريق الآخر يرفض بصورة مركزة . تتذكر كلنا عبارة « لا تعريب » . يعني يقطعوا علينا طريق الجامعة ونحن نعتبرها مرجعنا الاول . ثـم الامـم المتحدة التي هي مرجعنا الثاني ؛ وكانوا يرفضون التعريب والتدويل .

الرئيس : يوجد عندنا سجلات الاونروا نحن قبلنا بها بمـلء حريتنـا واهلا وسهلا فيهم ، ولكن غير المسجلين في الانروا مع ألف سلامة . طالما هم هنا ؛ لن يكن سلام على الارض اللبنانية .

ما هي حقوقهم على لبنان ؟؟ يوجد ١٧٦ ألف فلسطيني دخلوا ١٩٤٨ يا الف مرحبا بهم ، ولكن ما يزيد عن هذا العدد ، عن الاشخاص ذاتهم ، مـاذا يعملون في لبنان ؟ الاصطياف في صنين ؟

أهم عمل اليوم بتقدر تعمله الجامعة العربية تجيب نسخة من الانــروا بأسماء الاشخاص المسجلين لديها وتأخذ قرار بارجاع غير المسجل الى حيث كان . هذا أول عمل وأقدس عمل لو هالجماعة اتــوا لاسترداد أرضهم كمــا يدعون كانوا اطلقوا ولو رصاصة واحدة اثناء حرب تشرين ١٩٧٣ .

الشطي : فخامة الرئيس لو تسمح ان اقاطع كلامك . انطلقنا فــي أول مبارح كان ياسر عرفات بالاجتماع . قال : انا أريد تطبيق اتفاقيــة القاهــرة وملحقاتها . أنا أقول هذا الكلام للامانة . أنا لا أعلم بالغيب .

رياض : نحنا وصلنا لمرحلة نحاول نصل لشيء عملي . في شيء مثالــي وفي الشيء العملي . اللي بتتفضلوا فيه انه في فئــة خارجة عن القانون ولا تريد وقف اطلاق النــار .

ماذا يمكن ان نعمل ؟ ولو خطوة خطوة . الجديد في الموضوع انه في عمل عربي جماعي . يمكن ان الموضوع مش واضح لبعض الدول العربيــة . أنا شخصيا قلت ان موضوع استتباب الامن يحتاج الى نوع مــن الضمــان العربي . كيف يمكن ان نستفيد من نقطة انطلاق العمل العربي ، ثــم تشجيع العمل العربي نفسه . كيف نجعل الامة العربية ضامنة لهذا الاتفاق ؟

والعمل العربي الجماعي هو ان يقدر ان يساعد . طبعا لن يتم ذلك في ٢٤ ساعة . وفي نقطة بداية أثارها فخامــة الرئيس هــي موضوع اتفاقيــة القاهرة . والمشكلة اللبنانية الخاصة بالحوار اللبناني . فانه يرى بأن هذا لا يشكل عائق وانه ممكن اذا اجتمعوا اللبنانيون ان يصلوا الى اتفاق فيما بينهم ويمكن تحكيم الجامعة العربية في هذا الموضوع .

اتفاقية القاهرة وملحقاتها نعرف ان عدم تنفيذها هو الســبب في المشاكل او الجزء الاكبر من المشكلة .

بقلنا ياسر عرفات وكل المقاومة بانهم مستعدون لتنفيذ هــذا الكلام .

كيف نبدأ ؟ هناك مشكلة حاليا ، في الايام الاخير ، حصلت عملية مزيد من الخسائر ومن التدمير . المخيمات مثلا . مخيم كذا . تساءلتم لبعض الدول العربية وذكرتم مصر التي تصدت لهذا الموضوع وهي لا تعرف وضع المخيم . وضع المخيم على انه مخيم لاجئين فيه اطفال ونساء وفيه سلاح .

شمعون : صدر بلاغ عن المقاومة تقول فيه : انها ترفض تنفيذ اي بند من بنود قرارات الجامعة الا بعد انسحاب القوات السورية . المسألة انه اليوم صدر هذا البلاغ (مقاطعة من رياض ..)

حكيتو ساعتين وأنا أسمع . اسمحولي احكي . أنا أقول ان هذا الموضوع خطير جدا . بدنا نعرف . القوات السورية موجودة بقبول الحكومة اللبنانية وعلى الارض اللبنانية . مبدئيا لا احد يرفض وقف اطلاق النار . انما نحن الآن تجاه تصريح صادر عن الجهة المعادية والتي ذكرته . هذا شيء خطير .

الرئيس : الاخ محمود . هالبند اللي ورد بالصحف عن قدوم قوات الى لبنان بريد انو يتوضح مثل ما وضحتموه باجتماعنا اليوم .

شمعون : لانه كان ورد برقية ان العراق سيرسل قوات الى لبنان . يمكن حدوث حرب سورية ــ عراقية على أرض لبنان .

رياض : اذا تمكنا حصر الكلام في النواحي العملية يكون افيد لنا . التصريحات الصحفية والاذاعات ، كل واحدة تقول حسب تقديرها .

اليوم تم اتصال قبل ان احضر الى هنا . قالوا انهم موافقون على قرارات الجامعة بكاملها بوجود الاخ ابو اياد وابو اللطف . احب ان اؤكد للرئيس شمعون انهم موافقون .

تقريــر اللجنــة الثلاثيــة

الموفدة من الجامعة العربية الى لبنان

على اثر اتخاذ مجلس الجامعة العربية لقراره رقم ٣٤٥٩ يوم اول تمــوز ١٩٧٦ ، اجتمعت اللجنة الثلاثية التي شكلها المجلس في مقر الجامعة الساعــة العاشرة من نفس اليوم ، للتشاور في خطة العمل من أجل تنفيذ قــرار مجلس الجامعة . ثم غادرت اللجنة القاهرة الى دمشق ووصلتها في الساعة الثامنــة مساء ، بعد ان قدم وفد دولة الامارات العربية المتحدة طائرة خاصة لسفرها .

وفور الوصول ، اجتمعت اللجنة بالسيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وقد أكد سيادته استعداد سوريــا لتقديــم كــل معاونة للجنة من أجل نجاحها في مهمتها .

فــي الكفــور

وفي صباح يوم الجمعة ٧٦/٧/٢ توجهت اللجنة الى جونيــه بطائــرة هليكوبتر سورية حيث التحق بها الدكتور الخولي ، وتوجــه الجميع الــى الكفور للقاء مع الرئيس سليمان فرنجية ، وذلك بنــاء عــلى ترتيبــات سبق اعدادها بواسطة الدكتور الخولي . وحضر الاجتماع الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل والسادة ادوار حنين ، جوزف مغبغب ، نجيب الدحداح أمين عام وزارة الخارجية اللبنانية ، ولوسيان دحداح وزير الخارجية السابق.

شرحت اللجنة تطورات الموقف منــذ صدور قــرار الجامعــة يوم ٩ الماضي ، وحتى اجتماعه الاخير الذي أصدر فيــه قراره بتاريــخ أول تمــوز بتكليف اللجنة الثلاثية بالسفر الــى بيروت لتنفيــذ القرارات الصادرة عــن مجلس الجامعة وللمباشرة :

١ ــ الاشراف على التنفيذ الفوري لاطلاق النار •

٢ ــ وضع البرنامج الرامي لتنفيذ قراري مجلس الجامعة رقم ٣٤٥٦ و ٣٤٥٧ الصادرين في يومي التاسع والعاشر من الشهر الماضي •

أوضحت اللجنة ان الموقف استمر في التدهور ، وازداد التصادم المسلح بالرغم من موافقة كافة الأطراف على وقف اطلاق النار واحياء الحوار اللبناني ــ اللبناني ، وتنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها •

وأشارت اللجنة الى عدم تنفيذ الاطراف لهذه النقاط •

بينت اللجنة أهمية الوصول الى حلول عملية لتحقيق السلام وهو ما لا يمكن تحقيقه دفعة واحدة ، بل يتم على مراحل متتابعة • كما أكدت على أهمية وقف اطلاق النار كخطوة اولى لتتمكن قوات الامن العربية من القيام بواجبها والتمهيد لتنفيذ الخطوات الاخرى الكفيلة بتحقيق السلام في لبنان•

استفهم الرئيس فرنجية عما جاء في قرار المجلس الاخير بشأن ارسال قوات الامن العربية الى لبنان بدون شروط مسبقة • وقد شرحت له اللجنة هذه النقطة وازالت ما لديه من لبس حول هذه الجملة ، وانه ليس بها أي مساس بالسيادة اللبنانية •

أوضح الرئيس فرنجية ان ما يهمه هو عدم اشتراك أية دولة عربية في قوات الامن العربية دون الموافقة المسبقة من السلطات الشرعية اللبنانية • أكد الرئيس فرنجية ان المشكلة الاساسية هي العلاقات اللبنانية ــ الفلسطينية ، وذكر ان لبنان عرض نفسه لكثير من الاعتداءات الاسرائيلية والى تشريد سكان الجنوب نتيجة لتواجد المقاومة الفلسطينية في هذه المنطقة وان لبنان تحمل كل ذلك دون شكوى • ويرى الرئيس فرنجية ان اقرار السلام في لبنان لن يتحقق الا اذا تم تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها •

وذكر الرئيس فرنجية انه بالنسبة للعلاقات اللبنانية ــ اللبنانية ، فانه يقبل بتحكيم اللجنة حتى الدول العربية كلها في هذا الموضوع • وأكد

الرئيس فرنجية انه طالما يوجد سلاح في أيدي الافراد فسوف يستمر القتال. ولذا فمن الضروري سحب جميع الاسلحة من أيدي الفلسطينيين وكذلك من اللبنانيين على حد سواء .

وأكد الرئيس فرنجية ان وكالة غوث اللاجئين مسجل لديها أسماء اللاجئين الفلسطينيين . أما الفلسطينيون المسجلون غير لاجئين ، فلماذا لا يرحلون عن لبنان الى أي بلد عربي آخر .

أشارت اللجنة الى خطورة الموقف في تل الزعتر وانه يعتبر نقطة ساخنة وحساسة ، وأنه من الافضل البدء في تنفيذ قرار وقف اطلاق النار والشروع في تنفيذ اتفاقية القاهرة انطلاقا من تل الزعتر . وأثناء المناقشة كان رأي الرئيس فرنجية هو عدم جواز التركيز على تل الزعتر بينما توجد مناطق لبنانية أخرى تتعرض للهجوم والقصف والاحتلال من الجانب الفلسطيني .

عادت اللجنة وقررت ان موضوع تل الزعتر أصبح يشكل موقفا حساسا للغاية للفلسطينيين وللرأي العام العربي عامة . وبينت اللجنة انه لا يوجد اطلاقا ما يحول دون قيام قوة الامن العربية بمهمتها في مناطق أخرى ، بالاضافة الى تل الزعتر . وأشارت اللجنة في هذا المجال الى النقاط السبع التي اقترحها الدكتور حسن صبري الخولي ووافق عليها الطرفان ، وقد ورد بها اكثر من موقع بجانب تل الزعتر وانتهت اللجنة الى أهمية وقف اطلاق النار حتى يمكن تنفيذ الخطوات الاخرى في جو ملائم .

اقتراح فرنجية

وبعد مناقشات عديدة حول وقف اطلاق النار على تل الزعتر ، وتنفيذ القرار الصادر عن مجلس الجامعة العربية ، وكذلك النقاط السبع ، تقدم الرئيس فرنجية بالاقتراح التالي :

١ ـ أهمية عودة الحياة الطبيعية الى بيروت لإعطاء نوع من الطمأنينة. واشار الى نقص الغذاء وانقطاع الكهرباء مما سبب نقص المياه ونقص الادوية

واغلاق مطار بيروت ومرفأ بيروت ، وانقطاع المواصلات السلكية واللاسلكية والبرق وتوقف البنك المركزي عن العمل .

٢ ـ تطبيق اتفاقية القاهرة والبدء بها بتل الزعتر .

٣ ـ وقف اطلاق النـار .

٤ ـ تحريك قوة السلام العربية الى المناطق التي يتفق عليها .

وشرح الرئيس فرنجية رأيه في كيفية عمل قوة الامن العربية وأهميـة اعلان او انتهاء هذا العمل لاي طرف يثبت مخالفته لوقف اطلاق النار .

ذكر الرئيس فرنجية انه يجب ان تكون قوة الامن العربية قوة رادعـة حتى يمكنها فرض السلام . أكد الرئيس فرنجية أن آية قوة عربية تدخل الى لبنان دون موافقة السلطات الشرعية تعتبر قوة معتدية . كما أكد في نهايـة حديثه بالمبادرة العربية وتمسكه بوحدة لبنان .

وقد ذكرت اللجنة ان هذه المقترحات تتمشى مع قرار مجلس الجامعـة والنقاط السبع .

نـداء لوقف النـار

وفي نهاية اللقاء أعلنت اللجنة نداء الى الاطراف بوقف اطلاق النـار ، ونصه كما يلي : وجهت اللجنة الموفدة من قبـل مجلس الجامعـة العربيـة المشكلة من أمين الجامعة ووزير خارجية البحرين ووزير خارجية تونس نداء الى جميع الاطراف في لبنان بوقف اطلاق النار في جميع المناطق اعتبارا مـن منتصف ليلة أول تموز (تموز) وتلبية لهذا النداء وافقت كل الاطراف عليه .

وقد عرض هذا النص على الرئيس فرنجية ووافق عليه ، ثم اتصل الامين العام تلفونيا بالاخ « ابو اللطف » في بيروت وقرأ عليه نص النـداء ، فوافق عليه ، واذيع البيان فور مغادرة اللجنة مكان الاجتماع .

وقد أذاع راديو بيروت الذي يبث من عمشيت بيانا بالموافقة على وقف اطلاق النار اعتبارا من منتصف ليلة الثاني من تموز ، وضرورة تنفيذ اتفاقية القاهرة ، وعودة الحياة الطبيعية الى لبنان . كما اذاعت المقاومة بيانا أعلنت فيه التزامها بوقف اطلاق النار وان هذا الموقف مرتبط باحترام الطرف الآخر لتنفيذ هذا القرار مع وقف أي نشاط عسكري على مخيم تل الزعتر والانسحاب من جسر الباشا .

وفي صباح يوم السبت ٣ تموز ، تبين للجنة من الاذاعات ووسائل الاعلام انه لم يتم احترام نداء وقف اطلاق النار . وقد توجهت اللجنة الى مطار بيروت بطائرة هليكوبتر سورية ومنه الى مقر المقاومة الفلسطينية ، والتقت بالاخ أبو اللطف ، وبممثلين عن المنظمات الفلسطينية . وانضم الى الاجتماع في ما بعد ، ممثلون عن الاحزاب والقوى التي تكون الجبهة التي يترأسها السيد كمال جنبلاط .

وقد أوضحت اللجنة دورها وقرار مجلس الجامعة على غرار ما سبق ايضاحه . وقد تحدث معظم الحاضرين معبرين عن وجهات نظرهم والتي يمكن تلخيصها بما يلي :

١ ـ تأييد المبادرة العربية وموافقتهم على قرار مجلس الجامعة .

٢ ـ ضرورة انسحاب القوات السورية من الاراضي اللبنانية .

٣ ـ ضرورة وقف الهجوم على تل الزعتر فورا . وقد ذكر أبو اللطف للجنة ان الموقف خطير للغاية في تل الزعتر .

٤ ـ ان سقوط تل الزعتر يعني حدوث مذبحة مما سيترتب عليه ردود فعل عنيفة من جانبهم .

٥ ـ اشار البعض الى الاحوال السيئة التي يعاني منها الشعب في بيروت بسبب انقطاع الكهرباء والمياه والى جانب نقص المواد الطبية والغذائية .

٦ ـ أوضحوا ان الطرف الآخر لم يحترم نداء أمس بوقف اطلاق النار والانسحاب من جسر الباشا ، وقد اعتبروا ان هذا الشرط انما هو بمثابة عدم موافقة من المقاومة على وقف اطلاق النار .

اجتماع صوفر

وبناء عليه ، فقد اتصل الامين العام تلفونيا بالرئيس فرنجية للاستفهام منه عن أسباب عدم الالتزام من جانبهم بوقف اطلاق النار ، واستمرار الهجوم على تل الزعتر . وكان رد الرئيس فرنجية بأن البيان الذي اصدرته المقاومة أمس اشترط لوقف اطلاق النار الانسحاب من جسر الباشا ، وقد اعتبروا ان هذا الشرط انما هو بمثابة عدم موافقة من المقاومة على وقف اطلاق النار .

أوضح الامين العام للرئيس فرنجية ان هناك سوء فهم للبيان ، حيث أن اللجنة مجتمعة حاليا مع أعضاء المقاومة الذين يؤكدون التزامهم بوقف اطلاق النار بدون أي شرط .

وقد طلب الرئيس فرنجية من الامين العام الاتصال بالشيخ بيار الجميل والرئيس كميل شمعون بهذا الشأن . فاتصل الامين العام تلفونيا بالشيخ الجميل الذي كرر الرأي القائل بأن المقاومة لم تحترم قرار وقف اطلاق النار كما تم الاتفاق عليه .

اقترح الامين العام تشكيل لجنة مشتركة من جميع الاطراف للاشراف على وقف اطلاق النار . ولكن الشيخ بيار الجميل اعتذر لعدم امكانية تنفيذ ذلك في نفس اليوم . الا أنه يمكن اتخاذ اجراءات لتشكيل هذه اللجنة المقترحة في اليوم التالي .

طلب الاخ « أبو اللطف » من اللجنة المسارعة بالعودة الى دمشق لاجراء الاتصالات وبذل الجهود اللازمة من أجل وقف الهجوم على تل الزعتر .

اتصل الامين العام بالسيد رشيد كرامي رئيس الوزراء للاعتذار عن

الموعد الذي سبق تحديده معه ، وتم تبادل الرأي حول الموقف تلفونيا . كما اخطرت اللجنة عن الاعتذار عن بقية المقابلات التي سبق تحديدها ومنها زيارة سماحة المفتي وزيارة رئيس الرهبانيات .

وتوجهت اللجنة الى المطار الذي كان يتعرض الى قصف مدفعي وعادت الى دمشق بالطائرة .

وفي دمشق قابلت اللجنة مساء اليوم نفسه سيادة الرئيس حافظ الاسد وأبلغته بنتائج اتصالاتها مع كل من الرئيس فرنجية والمقاومة الفلسطينية .

وأوضحت اللجنة في عرضها ان سقوط مخيم تل الزعتر ستكون له آثار عنيفة في العالم العربي باعتباره مخيما للفلسطينيين ، كما ستكون لـه ردود فعل لدى الفلسطينيين وسيؤدي الى قيام عمليات عسكرية ضد الطرف الآخر . ودعت اللجنة الى ضرورة العمل بكل الوسائل لوقف الهجوم على تل الزعتر .

أكد الرئيس حافظ الاسد حرص سوريا على القضية الفلسطينية وحمايتها الثورة الفلسطينية ، وان سوريا لا تقبل بوقوع أي مذابح ضد الفلسطينيين أو أي مذابح ضد أية طوائف لبنانية . كما طرح الرئيس الاسد موقف حكومة سوريا من المقاومة وتأييدها المستمر لها .

طرح الرئيس الاسد أن تعمل اللجنة من أجل عقد اجتماع بين الطرفين في الرابع من تموز ، وذكر ان سوريا سوف تساهم بكل الجهود من أجل انجاح هذا الاجتماع الذي يتم تحت اشراف الجامعة العربية ، وأضاف ان سوريا سوف توفد السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية لحضور الاجتماع والمعاونة في انجاحه .

بعد عودة اللجنة مباشرة من مقابلتها للرئيس الاسد في الساعة الواحدة من صباح يوم الرابع من تموز ، تم الاتصال بمكتب المقاومة واقترحت اللجنة ان يعقد الاجتماع في صوفر عند الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه ، على

ان يتم تأكيد ذلك فور وصول رد الطرف الآخر • وقـد تلقى الامين العـام برقية من الاخ « أبو عمار » الساعة الواحدة بعد الظهر تفيد بالموافقة عـلى حضور اجتماع صوفر في الوقت المحدد •

وعلى أثر وصول هذه الموافقة ، تم الاتصال بجونيه لابلاغهم بالاجتماع المقترح ، وتوجهت اللجنة الى صوفر في الموعد المحدد ، وتم اللقاء في ساعة متأخرة من الليل وشاركت فيه الاطراف المختلفة • أوضحت اللجنة ان هدف هذه اللقاءات هو تطبيق قرارات مجلس الجامعة المتضمنة النقاط الرئيسيـة الكفيلة بوضع حل للمشكلة على الساحة اللبنانية ، وهي :

١ ـ وقف اطلاق النـار •

٢ ـ حل المشكلة اللبنانيـة •

٣ ـ العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية •

٤ ـ تشكيل قوة أمن عربية للاشراف على تنفيذ وقف اطـلاق النـار والمعاونة في حفظ السلام •

هذا بالاضافة الى النقاط السبع التي سبق للطرفين ان وافقا عليها ، وان المطلوب هو وضع برنامج تنفيذي لهذه القرارات والاتفاقات •

ورأت اللجنة أن يمثل كل طرف وفد على مستوى عال ومفوض باتخاذ القرار دون حاجة للرجوع الى أي جهة أخرى •

واعتبرت اللجنة أن هذا الاجتماع الاول هو اجتماع تمهيدي لتحديـد الاهداف وجدول أعمال الاجتماعات المقبلة •

وتم الاتفاق على ان ينعقد الاجتماع الثاني بعد ظهر اليوم التالي ٥/٧/٧٦ فـي صوفـر •

وكانت اللجنة قد تلقت في بحر نفس اليوم رسالة مـن الدكتور حسن

صبري الخولي من بيروت بشأن مقترحات تباحث فيها مع الطرفين ، ووافقا عليها تتخلص بالآتي :

أ ـ قيام الصليب الاحمر اللبناني والهلال الاحمر الفلسطيني باجلاء القتلى والجرحى .

ب ـ قيام قوات الامن العربية بنقل سلاح المقاتلين والاشراف على خروجهم ونقلهم .

ج ـ يبقى المدنيون من النساء والرجال والاطفال بعد تأمينهم على حياتهم .

د ـ تشرف قوة الامن العربية على تأمين المنطقة .

وفي يوم الاثنين ٧٦/٧/٥ ، وردت برقية من السيد حسن صبري الخولي تفيد بتعطيل الاجتماع الذي كان مقررا في ذلك اليوم في صوفر بسبب الاشتباكات التي وقعت في المنطقة الشمالية ودخول قوات مسلحة من شمال لبنان الى مدينة شكا في المنطقة الشمالية .

وتابعت اللجنة الموضوع فتبين لها أن هناك معارك شديدة قد نشبت في الشمال أدت الى احتلال المقاومة الفلسطينية والقوة المساندة لها مدينة شكا والمنطقة المحيطة بها جنوبي طرابلس .

معركة شكا

وفي المساء حضر الدكتور حسن صبري الخولي الى دمشق من بيروت واجتمع باللجنة وابلغها بأنه أجرى اتصالات تلفونية مع الرئيس فرنجية ، من أجل التأكيد على ايفاد وفد الى اجتماع صوفر الا ان الرئيس فرنجية أبلغه برفض الاشتراك في هذا الاجتماع بسبب احتلال المقاومة الفلسطينية والقوات المساندة لها لمدينة شكا في الشمال .

وقد تبين للجنة ان المقاومة يزداد تصعيدها بسبب استمرار الهجوم على تل الزعتر . واحتلال بلدة شكا والمنطقة المحيطة بها مما أدى الى توقف

الترتيبات التي سبق الاتفاق عليها بين الطرفين مثل :

١ ــ تحريك قوات الامن العربية الى تل الزعتر ٠

٢ ــ تحريك الصليب الاحمر الدولي الى تل الزعتر لنقل الجرحى والقتلى ، فقد تعرضت قافلة الصليب الاحمر لقصف مدفعي شديد أثناء محاولة الوصول الى تل الزعتر ٠

اجتمعت اللجنة مع اللواء ناجي جميل الذي كان مقررا ان يحضر اجتماع صوفر مع اللجنة ، وجرى عرض للموقف وتم الاتفاق في النهاية على ضرورة بذل كافة الجهود من أجل اعادة محاولة عقد الاجتماع المشترك بين الطرفين حيث ان ذلك هو السبيل الوحيد الذي وجدته اللجنة أمامها من أجل التوصل الى وقف اطلاق النار واعادة الامن والسلام الى لبنان ٠

يوم الثلاثاء ٦/٧/٧٦ اجتمعت اللجنة باللواء ناجي جميل الذي أبلغها أنه قام بعرض الموقف على الرئيس الاسد ، وان سيادته يرى بدوره انه لا سبيل أمام اللجنة سوى مواصلة بذل الجهود من أجل انعقاد الاجتماع المشترك الذي يجمع الطرفين تحت اشراف الجامعة العربية ٠ وأكد أن سوريا ستقدم كل المساعدات من أجل اتمام هذا اللقاء ٠

ارسل الامين العام برقية الى الاخ « أبو عمار » ذكر فيها ان اللجنة اتفقت على ان يتم اجتماع آخر في صوفر الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء ٧ تموز وطلب منه ارسال وفد مفوض ، وانه سيتم تأكيد ذلك فور الحصول على موافقة الطرف الآخر ٠ وفي نفس الوقت توجه رسول الى جونيه لتجديد الدعوة الى الرئيس فرنجية لارسال وفد مفوض الى هذا الاجتماع ٠

وردت رسالة من الاخ « أبو عمار » تفيد بموافقته على الاجتماع ، وان الوفد المفوض سيكون موجودا في الموعد المحدد ٠

وفي مساء نفس اليوم علمت اللجنة من الرسول الذي توجه الى جونيه

ان الرئيس فرنجية برفض حضور هذا اللقاء ، وان كان على استعداد لعرض الموضوع مرة أخرى على زملائه في الجبهة اللبنانية في اجتماع سينعقد يوم الخميس ١٩٧٦/٧/٨ .

محاولات لتحقيق اللقاء

وقد رأت اللجنة أنه بالرغم من كل هذه العقبات ، فمن الضروري مواصلة الجهود من أجل العمل لتحقيق اللقاء المشترك ، وكلفت الدكتور حسن صبري الخولي بمواصلة الاتصالات .

وفي صباح يوم الاربعاء ٧ تموز اجتمعت اللجنة لتقييم الموقف ولاحظت انه منذ صدور قراري مجلس الجامعة يوم ٩ حزيران و ١٠ منه ، لم يتوقف اطلاق النار ، بل اتسعت المعركة وزادت حدتها كما تفاقمت الخلافات بين كافة الاطراف المتنازعة في لبنان .

وقد رأت اللجنة ان تحقيق السلام والامن في لبنان يستدعي تنفيذ قرارات مجلس الجامعة بكافة بنودها ، الامر الذي يتطلب مواصلة الجهود لعقد لقاءات تضم كافة الاطراف تحت اشراف الجامعة العربية من أجل تنفيذ قرارات المجلس .

وقد لاحظت اللجنة ان العقبة الاساسية امام الوصول الى أي اتفاق هي فقدان الثقة بين الاطراف وعدم اطمئنان اي طرف الى احترام الطرف الآخر لأي اتفاق يتم التوصل اليه ، ولذا فانه من الضروري التفكير في ايجاد ضمانات كافية من الدول العربية تكفل تنفيذ واحترام الاتفاقات التي يتوصل اليها الطرفان تحت اشراف الجامعة . ومن الواضح ان قوة الامن العربية بتكوينها الحالي لا تشكل القوة المناسبة لتقديم الضمانات المطلوبة .

وفي ضوء هذا العرض والملاحظات التي أبدتها اللجنة ، فانها ترى ان الموقف في لبنان بما يشكله من تهديد لامن وسلامة لبنان والامة العربية ، قد أصبح من الضرورة بحيث أصبح يتطلب عملا عربيا جماعيا يتقرر على أعلى مستوى ، وبالتالي ترى اللجنة أهمية النظر في دعوة أصحاب الجلالة

والفخامة والسيادة الملوك والرؤساء العرب الى قمة عربية في أقرب وقت لاتخاذ القرارات اللازمة لحل المشاكل السياسية ، وكذلك النظر في الوسائل لضمان تنفيذ ما يتم التوصل اليه من اتفاقات •

النقاط السبع

وفي ما يلي النقاط السبع التي اقترحتها اللجنة :

١ ــ تأمين المطار للسفر ، عن طريق فتح المرور الى المطار من جهة المتحف لمدة ساعتين صباحا وساعتين مساء •

٢ ــ تأمين الآتي لعودة الحياة الطبيعية المدنية :

أ ــ وصول المحروقات من الزهراني الى جونية لتأمين الكهرباء •

ب ــ تأمين الاتصالات السلكية واللاسلكية في البريد المركزي •

ج ــ المصرف المركزي •

د ــ تأمين ميناء بيروت •

٣ ــ حل قضية عينطورة ، صنين ، عيون السيمان ، المتين ، تل الزعتر •

٤ ــ وقف الحملات الاعلامية بين المقاومة وسوريا •

٥ ــ انهاء المظاهر العسكرية في المدينة وبناء المؤسسات : الجيش ، الدرك ، الشرطة •

٦ ــ تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها •

٧ ــ بدء الحوار السياسي بين الاطراف للوصول الى التسوية الكاملة•

وقالت اللجنة أمام المجلس في تقريرها بأن الفلسطينيين وجبهة كمال جنبلاط وافقوا على هذه النقاط السبع بتاريخ ٧٦/٦/٣٠ ، والجبهة اللبنانية بتاريخ الاول من تموز ١٩٧٦ •



ملحق

« اتفاقيــة القاهــرة » *

« سري للغايــة »

في يوم الاثنين ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ اجتمع فــي القاهــرة الوفد اللبناني برئاسة عماد الجيش اميل البستاني ووفــد منظمــة التحريــر الفلسطينية برئاسة السيد ياسر عرفات رئيس المنظمة وحضر من الجمهوريــة العربية المتحدة السيد محمود رياض وزير الخارجية والسيد الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية .

انطلاقا من روابط الاخوة والمصير المشترك فان علاقات لبنان والثــورة الفلسطينية لا بد وان تتم دوما بالثقة والصراحة والتعاون الايجابي لمــا فيــه مصلحة لبنان والثورة الفلسطينية وذلــك ضمن سيادة لبـــنان وسلامتــه . واتفق الوفدان على المبادىء والاجراءات التالية :

الوجود الفلسطيني :

تم الاتفاق على اعادة تنظيم الوجود الفلسطيني في لبنان على أساس :

---

* ان هذا الاتفاق لا مثيل له في المواثيق الدولية :

١ ـ هو في الاساس سري ولكنه اذيع مرارا .

٢ ـ لم يعرض نصه على النواب ولا حتى على الوزراء بالرغم من اعتباره نافذا اثر توقيعه .

٣ ـ وقعه عن الجانب اللبناني العماد اميل البستاني دون ان يكون حاملا التفويض الرسمي الواجب اصداره لتوقيع الاتفاقات الدولية .

٤ ـ وقعه عن الجانب الفلسطيني ممثل لهيأة لم تكن تتمتع بعد باي اعتراف دولي .

٥ ـ قد يكون تفسير هذا الشواذات ان الاتفاق وضع ووقع بتسرع تحت وطــأة الاشتباكات العسكرية ، التي دارت وقتذاك ، بين الجيش اللبنانـــي والفدائيين الفلسطينيين ، في حين كانت بعض الدول العربية تهدد لبنان بالتدخل لمصلحة هؤلاء .

١ ـ حق العمل والاقامة والتنقل للفلسطينيين المقيمين حاليا في لبنان (١) .

٢ ـ انشاء لجان محلية من الفلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها وذلك بالتعاون مع السلطات المحلية وضمن نطاق السيادة اللبنانية .

٣ ـ وجود نقاط للكفاح الفلسطيني المسلح داخل المخيمات تتعاون مع اللجان المحلية لتأمين حسن العلاقة مع السلطة وتتولى هذه النقاط موضوع تنظيم وجود الاسلحة وتحديدها في المخيمات وذلك ضمن نطاق الامن اللبناني ومصلحة الثورة الفلسطينية (٢) .

٤ ـ السماح للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية من خلال الكفاح المسلح ضمن مبادىء سيادة لبنان وسلامته .

العمل الفدائي :

تم الاتفاق على تسهيل العمل الفدائي وذلك عن طريق :

١ ـ تسهيل المرور للفدائيين وتحديد نقاط مرور استطلاع في مناطق الحدود .

٢ ـ تأمين الطريق الى منطقة العرقوب .

---

١ ـ جاء في الفقرة (٥) من مقدمة « تقرير المفوض العام لوكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى وتشغيلهم » للمدة المتراوحة بين ١٩٦٧/٧/١ و ١٩٦٨/٦/٣٠ ان « في لبنان استمرت الوكالة في تقديم خدماتها بشكل عادي طوال السنة الماضية وكان عدد اللاجئين المسجلين لدى الوكالة ١٦٦٢٦٤ لاجئا في اخر حزيران (يونيو) ١٩٦٨ » .

٢ ـ جاء في الفقرة (٣٩) في الفصل الاول من « تقرير المفوض العام لوكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى وتشغيلهم » ما يلي : « في لبنان استحال على الوكالة تنفيذ المنهاج العادي للتحقق من صحة القوائم اعتبارا من شهر تشرين الاول ١٩٦٩ وهو التاريخ الذي زال فيه وجود ممثلين للسلطة اللبنانية في المخيمات » .

٣ ــ تقوم قيادة الكفاح المسلح بضبط تصرفات كافة أفراد منظماتها وعدم تدخلهم في الشؤون اللبنانية •

٤ ــ ايجاد انضباط مشترك بين الكفاح المسلح والجيش اللبناني •

٥ ــ ايقاف الحملات الاعلامية من الجانبين •

٦ ــ القيام باحصاء عدد عناصر الكفاح المسلح الموجودة في لبنان بواسطة قيادتها •

تعيين ممثلين عن الكفاح المسلح في الاركان اللبنانية يشتركون بحل جميع الامور الطارئة •

٨ ــ دراسة توزيع أماكن التمركز المناسبة في مناطق الحدود والتي يتم الاتفاق عليها مع الاركان اللبنانية •

٩ ــ تنظيم الدخول والخروج والتجول لعناصر الكفاح المسلح •

١٠ الغاء قاعدة جيرون •

١١ ــ يسهل الجيش اللبناني أعمال مراكز الطبابة والاخلاء والتموين للعمل الفدائي •

١٢ ــ الافراج عن المعتقلين والاسلحة المصادرة •

١٣ ــ ومن المسلم به أن السلطات اللبنانية من مدنية وعسكرية تستمر في ممارسة صلاحياتها ومسؤولياتها كاملة في جميع المناطق اللبنانية وفي جميع الظروف •

١٤ ــ يؤكد الوفدان ان الكفاح المسلح الفلسطيني عمل يعود لمصلحة لبنان كما هو لمصلحة الثورة الفلسطينية والعرب جميعهم •

١٥ ــ يبقى هذا الاتفاق سريا للغاية ولا يجوز الاطلاع عليه الا من قبل القيادات فقط •

رئيس الوفد اللبناني
اميل بستاني

رئيس الوفد الفلسطيني
ياسر عرفات

« اتفاقية ملكارت »

الملحقـــة باتفاقيـــة القاهـــرة

النقاط التي تم الاتفاق عليها في اللجنة المشتركة العليـــا بـــين الجانبين اللبناني والفلسطيني .

١ ـ تاريــخ الاجتماع

١٥ ـ ١٦ ـ ١٧/٥/١٩٧٣ .

٢ ـ الاعضـــــاء

١١ ـ عن الجانب الفلسطيني :

* المقدم الركن ابو الزعيم
* ابو عدنـــان
* السيد صلاح صلاح

١٢ ـ عن الجانب اللبناني :

* العقيد الركن أحمد الحاج
* العقيد نزيه راشد (المقدم سليم مغبغب) (١)
* المقدم ديب كمـــال

٣ ـ النقاط التي تـــم الاتفاق عليها

انطلاقا من تمسك الطرفين بالحرص على خدمـــة القضيـــة الفلسطينية واستمرار النضال في سبيلها ، وبالمحافظة عـــلى استقلال لبـــنان وسيادتـــه واستقراره وعلى ضوء الاتفاقيات المعقودة والمقررات العربية :

---

١ ـ حضر الاجتماع الاول .

٣١ ــ اتفاق القاهرة وجميع ملحقاته ؛

٣٢ ــ الاتفاقيات المعقودة بين الجانب اللبناني وقيادة فصائل المقاومة ؛

٣٣ ــ المقررات المتخذة في مجلس الدفاع العربي المشترك ؛

تم الاتفاق على جميع النقاط التي طرحت وفقا لما يلي :

اولا : الــوجــود

١ ــ فــي المخيمات :

١١ ــ العناصر البشرية :

١١١ ــ لا وجود للفدائيين •

١١٢ ــ تركيز مفرزة انضباط (كفاح مسلح) •

١١٣ ــ اعتماد الميليشيا لتأمين حراسة المخيم وحمايته الداخلية • يفهم بالميليشيا بعض الفلسطينيين قاطني المخيم وغير المنضوين في فصائل المقاومة والذين يمارسون أعمالهم المعتادة نهارا •

١١٤ ــ تركيز مخفر لقوى الامن الداخلي اللبنانية على مقربة من المخيم وفي مكان يتفق عليه •

١٢ ــ الاسلحة :

١٢١ ــ الميليشيا تحتفظ بالسلاح الفردي الخفيف •

١٢٢ ــ لا وجود للاسلحة المتوسطة والثقيلة في المخيمات • وعلى سبيل المثال (الهاون ، الصاروخ ، المدفع ، الاسلحة المضادة للدروع الخ •••) •

٢ ــ في المناطق الحدودية

٢١ ــ القطاع الغربي :

يمنع التمركز والوجود المسلح خارج المخيمات •

ملاحظة : تصحيح التجاوزات الحاصلة وخصوصا ازالة مركز البرغلية •

٢٢ ـ القطاع الاوسط :

وفقا للمقررات المتخذة في الاجتماع المعقود بين القيادة العامة اللبنانية وقيادة فصائل المقاومة بتاريخ ٨/١٠/١٩٧٢ .

٢٢١ ـ يسمح بالوجود خارج القرى في البقع المتفق عليها مع قائد القطاع العسكري اللبناني .

٢٢٢ ـ يمنع على عناصر فصائل المقاومة الوجود شرقي وجنوبي الخط الآتي : القصير ـ الغندورية ـ دير كيفا ـ الشهابية ـ بير السلاسل ـ السلطانية ـ تبنين ـ حاريص ـ كفرا ـ صديقين ـ قانا .

جميع هذه النقاط ضمنا .

٢٢٣ ـ يسمح بتركيز مخفر جنوبي بلدة حداثا من فصائل المقاومة في المنطقة : على أن يكون عديده بين ٥ ـ ١٠ عناصر باللباس المدني ويتحاشى الظهور العسكري . ويجرى تموينه بواسطة الحيوانات .

٢٢٤ ـ يحدد العمل بـ /٢٥٠/ عنصر على الاكثر لجميع البقع .

ملاحظة : تصحيح الوضع في حداثا .

٢٣ ـ القطاع الشرقي :

وفقا للمقررات المتخذة في الاجتماع المعقود بين القيادة العامة اللبنانية وقيادة فصائل المقاومة .

٢٣١ ـ العرقوب الجنوبي :

ثلاثة مراكز :

١ ـ أبو قمحة .

٢ ـ الخربية « قاعدة الشهيد صلاح » .

٣ ـ راشيا الفخار « جبل الشحار » .

عديد كل مركز بين ٣٠ و ٣٥ عنصر على الاكثر •

* يجري تموين هذه المراكز بواسطة السيارات المدنية •

* يمنع مرور عناصر هذه المخافر باتجاه مرجعيون الا اذا كان لديهم أمر مهمة أو مأذونية •

* يمنع التواجد في بلدة مرجعيون بالسلاح •

ملاحظة : تصحيح الوضع على مجرى نهر الحاصباني وازالة جميع التجاوزات •

٢٣٢ ـ العرقوب الشمالي وبقعة راشيا الوادي :

التواجد بعيد عن القرى •

* عدم التواجد غربي طريق المصنع ـ الحاصباني •

ملاحظة : تصحيح التجاوزات وازالة مركز مرج الزهور واخلاء جميع القرى الواقعة غربي طريق المصنع ـ الحاصباني حتى من العناصر الادارية وكذلك اخلاء جميع أماكن التمركز غربي هذا الطريق •

٢٣٣ ـ بعلبك :

لا وجود فدائي عدا مركز التدريب في النبي سباط •

ملاحظة عامة :

١ ـ السلاح : يسمح بوجود السلاح المتوسط والخفيف في هذه القطاعات •

٢ ـ يمنع التواجد داخل القرى اللبنانية •

٣ ـ تصحيح التجاوزات باعادة جميع التعزيزات التي قدمت الى لبنان من الخارج •

ثـانيـا : التجـول

١ ـ في الداخـل :

دون سلاح وباللباس المدني .

٢ ـ في القطاعـات :

بالتنسيق مع قادتها العسكريين اللبنانيين وحسب الاتفاقيات المعقودة .

٣ ـ القياديون والمسؤولون العسكريون .

٣١ ـ العسكريون :

٣٣١ ـ يسمح للقادة (من رتبة ملازم وما فوق بالمرور مع سلاحه الفردي ومع سائقه) .

٣١٢ ـ للمسؤولين المدنيين :

تزويد العناصر القيادة بتراخيص مرقمة وموقعة من القيادة ـ مركز الارتباط ، على ان تعمم الارقام على قيادات المناطق والقطاعات على عاتق مركز الارتباط اللبناني (تمنح التراخيص هذه استنادا الى طلب من اللجنة السياسية الفلسطينية في لبنان) .

ثالثـا : التـدريب

١ ـ منع التدريب في المخيمات .

٢ ـ يسمح بالتدريب في مركز التدريب في « النبي سباط » .

٣ ـ يسمح بتعهد التدريب التقني في اماكن يتم الاتفاق عليها بالتنسيق مع القيادة العسكرية العامة اللبنانية (مركز الارتباط) .

٤ ـ تمنع الرمايات خارج مركز التدريب .

رابعـا : العمليات

١ ـ تجمد كافة العمليات انطلاقا من الاراضي اللبنانية •

استنادا الى مقررات مجلس الدفاع المشترك •

٢ ـ عدم الانطلاق من لبنان الى الخارج للقيام بعمليات فدائية •

خامسا : القيادات

١ ـ أكد الجانب الفلسطيني بأن مركز القيادة الرئيسي في دمشق وأن هذا المركز لديه ممثلين في بعض البلدان ومنها لبنان •

٢ ـ تعهد الجانب الفلسطيني بتخفيض عدد المكاتب •

سادسا : الاعـلام

صرح الجانب الفلسطيني انه لا يوجد لدى المقاومة في لبنان سوى :

١ ـ فلسطين الثـورة •

٢ ـ وكالة أنباء « وفـا » •

بالاضافة الى بعض النشرات التثقيفية الدعاوية داخلية وخارجية تصدر عن المؤسسات الفلسطينية •

٣ ـ تعهد الجانب الفلسطيني بأن هذه النشرات لن تمس سيادة لبـنان ومصلحتـه •

٤ ـ التزام الجانب الفلسطيني بعدم وجود أية اذاعة في لبنان •

٥ ـ التزام الجانب الفلسطيني بعدم توريط لبنان اعلاميا بسبب نشر أو اذاعة أي نبأ او بلاغ يصدر عن المقاومة في لبنان •

سابعا : ضبط المخالفات والتجاوزات

تطبيق القانون اللبناني انطلاقا من مبدأ السيادة اللبنانية واحالة المخالفين أمام المحاكم المختصة •

١ ـ التجـاوزات

١١ ـ في القطاعات العسكرية :

* تعرض على لجان الارتباط المحلية ٠
* في حال عدم الوصول الى نتائج ، ترفع الى لجنــة التنسيق العليــا وتبت بالامر فورا ٠

١٢ ـ داخل المخيمات :

١٢١ ـ تمارس قوى الامن الداخلي ، بالتعاون مـــع الكفــاح المسلح الفلسطيني ، صلاحياتها في ملاحقة جميع الجرائم الجزائية والمدنية التي تقع داخل المخيم أيا كان مرتكبوها وتنفيذ جميع المذكرات والاحكــام العدليــة الصادرة بحق أشخاص يقيمون داخل المخيمات ٠

١٢٢ ـ يستثنى من التدبير الآنف الذكر الحوادث الحاصلة في المخيــم بين الفدائيين التي تمس أمن وسلامة الثــورة الفلسطينيــة ، حيــث تنحصر معالجتها اذ ذاك بعناصر الكفاح المسلح ٠

١٣ ـ خارج المخيمات :

١٣١ ـ ان الجرائم التي يرتكبها فدائيون خارج المخيمات يطبق بشأن مرتكبيها القانون اللبناني ، وتفاد قيادة الكفــاح المسلح عــن التوقيفــات والاجراءات التي تتخذ بحق الفاعلين ٠

١٣٢ ـ في حال ضبط الفدائيين باحدى المخالفات واستنساب السلطــة اللبنانية ضرورة معاونة الكفاح المسلح يجري الاتصال بــه بواسطة مركــز الارتباط ، على أن يترك البت بأمر المخالف للسلطة اللبنانية ٠

١٤ ـ الاعتقــالات :

١٣٣ ـ استنكر الجانب الفلسطيني اعتقــال أي لبنانــي أو أجنبــي والتحقيق معه من قبل عناصر فصائل المقاومة والتزم بعــدم تكرار مثل هــذا الامــــر ٠

١٥ ـ مخالفات السيارات :

١٣٤ ـ جرى الاتفاق سابقا على احصاء السيارات المرقمة بأرقام لبنانية بواسطة المديرية العامة لقوى الامن الداخلي ، والسيارات الداخلة الى الاراضي اللبنانية بموجب ادخال مؤقت صادر عن الجمرك اللبناني لاحصائها والبت بوضعها القانوني • ومن ثم منع بقاء أية سيارة فدائية على الاراضي اللبنانية بدون ترخيص قانوني انطلاقا من قانون السير اللبناني •

ثامنـا : الغربـاء

تعني الفدائيين غير العرب

تعهد الجانب الفلسطيني بابعاد جميع الغرباء باستثناء من يشارك بأعمال غير قتالية وذات طابع انساني أو مدني (طبيب ـ ممرض ـ مترجم) •

تاسعا : التنسيق

يشرف على التنفيذ :

« مركز الارتباط مع فروعه بالتنسيق مع الجانب الفلسطيني » •

التوصيـات

الموضوع : توصيات اللجنة المشتركة العليا التي عقدت اجتماعاتها بتاريخ ١٥ ـ ١٦ و ١٧/٥/١٩٧٣ •

اولا : عن الجانب الفلسطيني

* المقدم الركن أبو الزعيم •
* أبو عدنـان •
* السيد صلاح صلاح •

ثانيا : عن الجانب اللبناني

* العقيد الركن أحمد الحاج .
* العقيد نزيه راشد .
* المقدم ديب كمال .

ثالثا : التوصيات

* ترسيخ الثقة .
* الحوار المباشر المبني على التنظيم .
* احياء لجنة التنسيق على مستوى تمكينها من اتخاذ القرارات .
* تعزيز مركز الارتباط الرئيسي ، وانشاء مراكز ارتباط فرعية في المناطق بغية تأمين الاتصال المباشر ومعالجة القضايا بسرعة على الطبيعة .
* عدم المماطلة بحل الامور وانجازها بالسرعة القصوى .
* عدم التعامل مع الاشخاص الملاحقين قضائيا أو المشبوهين وذوي السمعة السيئة .
* اعادة الوضع الفدائي في منطقتي راشيا الوادي ودير العشائر الى ما كان عليه قبل ٣٠ نيسان ١٩٧٣ خلال ٤٨ ساعة .
* التعبئة الاعلامية السمحة والمباشرة بالتنفيذ خلال ٢٤ ساعة .

التمنيات

الموضوع : تمنيات الجانب الفلسطيني بعد الاجتماعات المشتركة بتاريخ ١٥ ـ ١٦ و ١٧/٥/١٩٧٣ .

* اعادة الاجراء الى ما كانت عليه قبل ٢/٥/١٩٧٣ :
ـ تخفيف مظاهر التوتر العسكري تدريجيا .
ـ تخفيف الحواجز كاجراء تفسائي .

❋ التمني بالغاء حالة الطوارىء •

❋ معالجة أمر الملاحقين قضائيا ، وخاصة العناصر الملاحقة من جراء ٢٣ نيسان ١٩٦٩ •

❋ الافراج عن المعتقلين من جراء احداث ٢ نيسان ١٩٧٣ •

❋ اعادة الاسلحة المصادرة منذ ١٩٧٠ •

❋ معالجة أمر اللبنانيين اصدقاء الثورة الفلسطينية •

❋ تسهيل سبل العمل للفلسطينيين المقيمين في لبنان •

★★★

الكتاب والكاتب

لا نريد بهذه الكلمة تقديم كتاب (شاهد على المذبحة) او الكاتب الاستاذ (زهير مارديني) ، الى القراء ، فكلاهما غني عن التقديم بما اشتمل عليه الكتاب من موضوعات ستظل محل اهتمام الامة العربية حقبة طويلة ، وبما عرف عن الكاتب من مواقف وطنية كثيرة . وجهود صحفية مقدورة .

وانما أريد بهذه الكلمة لفت أنظار القراء الى أمر له شأنه ووزنه في تقدير ما يكتب أو يقال ، وهو طبيعة الكاتب او المتحدث التي تملي عليه ما يكتبه او يتحدث به ، فانها تبدو في الكتاب كما تبدو الصورة في المرآة اذا كان خلفه الصدق وهدفه الحق . ومن ثم يدخل الكاتب عنصرا رئيسيا أو أساسيا مع العناصر والعوامل التي يقوم عليها تقدير الكتاب .. وقد يكون بين الكتاب والكاتب ما بين الصدى والصوت . فيجد القارىء فيهما تفسيرا لكليهما ، كما يبدو ذلك واضحا في هذا الكتاب الذي يدور حول أبرز احداث الشرق العربي في نهاية القرن العشرين .

لقد عاش المؤلف الاحداث ورأى بأم عينيه لبنان الجميل البرىء الذي غزاه الاجرام بكل معانيه وتفاسيره ... فاستل من وسط اللهيب قلمه وراح يحدثنا عن الحاقدين المبغضين الجائعين الى الانتقام والتخريب والى سلب ذوي المزايا مزاياهم ... العاجزين عن ان تكون لهم مزايا والرافضين لان يكون لاحد غيرهم مزايا ... أليست مزايا المجرم ان يعجز عن كل مزية وان يرفض ويكره ويقاوم كل مزية في غيره ولغيره .!

ماذا فعل المجرمون في لبنان ؟ كيف تصرفوا ؟ هذا ما رواه لنا المؤلف بأسلوبه المميز وبلغة حزينة ... حزينة حتى الاعماق !

من كان يصدق ان لبنان الجميــل يحتوي عــلى مجموعات مــن البشر عجزوا عن أن يكونوا فرسانا وأبطالا ، فذهبوا يعوضون من عجزهم وعليــه بأن تحولوا الى ذئاب وغربان والى قتلة ومغتالين ومخربين و ... لصوص .!

.. الذين عجزوا عن ان يكونوا مقاتلين فتحولوا الى قاتلين .!

.. الذين هربوا من الميدان لانه في الميــدان يوجد الاعــداء الاشداء فتسللوا الى المدن والقرى والشوارع والبيوت لانه لا يوجد فيها أحد مــن الاعداء ، لان جميع من فيها هم من الاطفال والنساء والرجال الاشقاء ، او من الحشرات والحيوانات الطيبة لتي لا يخشاها العاجزون عن أن يكونوا فرسانا وأبطالا .. التي لا يخشاها الهاربون من الميادين المواجهة للاعــداء ليتسللوا كاللصوص والحشرات الى المدن والقرى والطرقات والبيوت ، ليكونوا بديلا عن الابطال والفرسان الذين عجزوا ورهبوا ان يكونوهم ، وفرض عليهم أن يكونوهــم ..

.. الذين هابوا الاقتراب من الشجاعة فغاصوا في تراب النذالة ..

ماذا يقول التاريخ عن هذه المجموعات البشرية العامــة تحــت قيادات وحماقات ومجاعات وأحقاد وشهوات ؟

من المؤكد أن المؤلف حزن وتهجم وتعذب ونقل الينــا كل هــذا الــى كلمات ، الى أدب حي يركض لينطق السنطوز وما وراءها ..

الناشــر
دار العرفــان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها :
نخبة الزين المسؤول
نزار الزين

العدد ٥ مجلد ٦٥ ايار « مايو » ١٩٧٧ م ٢٣ جمادي الاولى ١٣٩٧ هـ


Shiabooks.net

بيني وبين القاريء

بقلم : نزار الزين



عزيزي القاريء :

يتساءلون ؟ فيقولون : ماذا جرى لكم في لبنان ؟ أفقدتم عقولكم وقلوبكم معا ، فصرتم كالحيوانات المفترسة او أشد شراسة ، واذا بكم الآن كرة تتقاذفها الارجل يستفيدون منكم ويتاجرون فيكم ، ثم يدعون أنهم المنقذون والحماة والمخلصون ، فهل أخذتم درسا نافعا واعتبرتم بعدما فقد منكم عشرات الالوف وأصبتم بخسائر فادحة من الصعب جدا تقديرها وتعويضها ، عدا ما تتعرضون له من الذل والمسكنة وغير ذلك فما استفدتم من هذه المجزرة ؟ اننا مع الاسف لا نرى تقدما وتطورا في حياة لبنان واللبنانيين بعد المجزرة ، رغم ثقتنا برجال الحكم الآن ولكن هل يتمكنون من صنع شيء اذا لم يعاونوا من الشعب كل الشعب ، خاصة وعامة ؛ فالاحتكار لم يزل موجودا ، والاستثمار يذر أقرانه ، وتوزيع المساعدات على المتضررين لا يوجد له ميزان عدل او تنظيم يوثق به ، الناس ينهبون بعضهم بعضا في جميع المجالات والحالات لا يتورعون عن شيء ، ولا يردعهم ضمير او يزعهم وجدان ؛ فاذا بقي الحال على هذا المنوال ، فلا لبنان جديد ولا ما هم يحزنون ، ولا تغير من السيء الى الحسن ، بل انقلاب من السيء الى الاسوأ ، فلا نرى ولا نسمع الا بالتجمع الفلاني والتجمع الفليتاني ، والقوى الفلانية

وغيرها الكركوزية وكلها للجاه والمال وليست لخدمة المصلحة العامة ، وكلها تروى عن جدي وعن جد جدي وعن آنس وعن حمال المكانس .

ثم الانكى من ذلك انه يجب ان تكون أميركيا او روسيا او ماسونيا او تنتسب الى أحد الاحزاب المخربة ، والا اذا كنت من المخلصين والموجهين التوجيه الصحيح يحاربونك ويثيرون الدعايات السامة ضدك والافتراءات عليك مستعينين بالقريب والبعيد لترويجها .

والنتيجة اذا لم نفكر ونتعظ ونزدجر ونغير ما بنا ونتفق فلا أمل بأن يعود لنا مجدنا وعزنا بل نبقى محكومين بعد ان كنا حاكمين وحينئذ نردد من جديد قول المرحوم رشيد نخلة :

ضيعان عزك راح يا لبنان وكفوف أهلك فصلوا الاكفان
تحيا عداك وتعيش عذالك وتروح فدوي عن عرب بستان

بين المأمون واديب

❋ اقبل احد الادباء على المأمون وسأله حاجة ، فرده ردا غير جميل ، فقال له الاديب :

اني ادخر لك شكرا ، وثناء حرا ، ومدحا بكرا يا أمير المؤمنين .

فأجاب المأمون : وهل مثلي يحتاج الى مثل شكرك ؟

فقال الاديب : ايها الامير ــ لا تحرك لسانك لتعجل به .

فلو كان يستغني عن الشكر مالك لكثرة مال أو علو مكان
لما ندب الله العباد لشكره وقال (اشكروني ايها الثقلان)

حكم ومواعظ

ـ ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون •

(قرآن كريم)

ـ وقال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون •

(قرآن كريم)

ـ ان الامير اذا تجسس على الناس افسدهم •

محمد (ص)

ـ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى •

محمد (ص)

ـ لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان •

ـ لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالادب ولا ظهير كالمشاورة •

ـ لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة اوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير ، ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالادب ، ولا قائد كالتوفيق ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا ربح كالثواب ، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد في الحرام ، ولا علم كالتفكر ، ولا عبادة كأداء الفرائض ، ولا ايمان كالحياء والصبر ، ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم (ولا عز كالحلم) ولا مظاهرة اوثق من المشاورة •

علي (ع)

ـ ما قرن شيء الى شيء ، أحسن من حلم الى علم ، ومن عفو الى مقدرة •

(عمر بن عبد العزيز)

ـ الريش الجميل ليس كافيا ليضع طائراً جميلا •

(ايسوب)

ـ نحن ننسى لاننا نحتاج للنسيان ، لا لاننا نريده •

(جورج ارنولد)

اسعد الحكام من اسعد رعيته واشقاهم من اشقاها

تعالوا الى الطبيعة نستشف أريج طهرها فقد كرهت نفوسنا نتانة المدنية والمدينـــــة .

تعالوا نستأنس بوحوش الغابات التي لا تقتل الا اذا اعتدى عليها ، فقد كرهنا وحوش البشر التي تقتل من غير اعتداء ، تعالوا نسرح الطرف والخيال في أجواء الطبيعة التي لا تبرق ولا ترعد الا لتمطر الحيـــا الـــذي يحـــي ميت الاعشاب والازهار والاشجار ، فقد عفنا سماء البشر التي لا تبرق ولا ترعد الا لمطر صواريخ ومدافع تمطر الانام الموت الزؤام . هلموا نستظل بظلال قوانين الطبيعة التي يستوي عندها الباز الاشهب والغراب الابقع فقـــد سئمنا القوانين التي يمزقها النسر بمخالبه ويعلق بها هوام الحشرات .

هلموا ننعم بافياء نوامي ترعى تنفيذها عين واضعها فقد سئمنا العيش في ظلال قوانين تعبث بحرماتها يد واضعها . سمو القوانين بسمو روح واضعها في سماء الحق ؛ والحق ظل الله على الارض ، فمن يستظل بالحق تتقلص من نفسه ظلال الباطل فيغدو فوق النزعات والاهواء ، فمن كان أشد الناس سلطانا على هواه وأقهرهم لرغباته ورغبات حاشيته كان أصلحهم للحكم ، فـــلا يرى لنفسه من الحقوق اكثر مما لغيره ، فليس بحاكم من يدخر الملايين وحوله من الجياع والفقراء ملايين ، والحاكم من اذا عرضت عليه الدنيا اعرض عنها . الحاكم في الامة كالقلب النابض في الجسم تصلح بصلاحه وتفسد بفساده ، فحاكم شقي، أمة شقية ؛ وحاكم سعيد أمة سعيدة . اسعد الحكام من أسعد رعيته، واشقاهم من اشقاها ؛ فكيف تصح امة وحاكـــم مريض بالجهـــل والاقطـــاع والظـــلم والالحاد . والجهل سرطان التقدم والرقي ، والاقطاع مقبرة العبقرية والنوابغ والعباقرة مصابيح الامة ، وأمة تنطفيء مصابيحها تغمرها ظلمة الموت .

الظلم قاتل العدل ، والعدل حارس الملك ، والملك اس ، وقد قيل ما لم يكن له اس فمهدوم . وما لم يكن له حارس فضائع ... والالحاد بيع الدين بالدنيا ، فلا الدين يبقى ، ولا الدنيا تدوم على قول الشاعر .

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

الحاكم من يرى الله رقيبا على نفسه فيقول مع عمر بن الخطاب : (أخشى ان يموت جمل على شط الفرات جوعا ويسألني الله عنه) فكيف يكون حاكما من يموت شعبه ظلما وقتلا وجوعا وعدوانا ، ولا يخشى ان يسأله الله عنه ؟

الحاكم الذي لا يرى في نكبة رعيته نكبة كان على الرعية نكبة . الا من ظل الدولة فأمة لا أمن فيها لا دولة فيها ، وشر البلاد بلاد لا أمن فيها ولا خصب ، فالفوضى تمشي في جنائز قوانينها ونظمها ، وترقص المفاسد والمظالم على جماجم ضحايا الصلاح ، والحق والحرية ، ويل لامة لا حرية فيها الا حرية القاتل بالقتل والقانص بالقنص والخاطف بالخطف ، والسارق بالسرقة . في غياب الدولة تظهر دويلات المفاسد كما تظهر في غياب الشمس اشباح الليل وجحافل الظلام ، فهل غزت الثعالب عناقيد كرمك لولا غياب الناطور ؟ وهل سطت الذئاب على خرافك فبددتها لو لم يكن الراعي نائما ؟ على حد قول الشاعر :

(ومن رعى غنما في أرض مأسدة ونام عنها تولى رعيها الاسد)

وهل فتكت الديدان في الجسم لولا غياب الروح عن الجسم ؟ فلو حملت الدولة السلاح ما حمل الافراد والاحزاب السلاح . وما حمل الافراد والاحزاب السلاح الا افلاس قوى الدولة ، كل أمة تكثر دويلاتها تكثر ويلاتها . اما قال المسيح (كل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب) .

ويل لامة يحمل رؤساؤها ألقاب دولة وليس فيها دولة . ويل لدولة كل من فيها دولة ما عدا الدولة .

تبا لدولة تتغنى بالاستقلال ويسودها الاحتلال ! كيف تسمي حكومة انقاذ حكومة تستجدي الانقاذ ممن كلفت انقاذ الانقاذ منه •

المحن محك الدولة فدولة لا تحل مشاكلها بيدها قد تأتيها المشاكل من يد تعهد اليها في حل مشاكلها ، اما قال الشاعر :

رب من ترجو بـه دفع الاذى كان يأتيك الاذى من قبلـه

وما أروع حكمة المسيح (ان لم يبن رب البيت عبثا يتعب البناؤن) ، ولقد أجاد صلاح الدين الايوبي حيث قال :

ان لـم أصن بمهندي ويميني ملكي فلست اذا صلاح الدين
تحمي الممالك ربها امـا أنـا فأريد أحمي الملك لا يحميني

الدولة التي تحميها دولة أبعد ما تكون عن الدولة • فالاستعداء ضعف ، والاستجداء ذل • فهل استعدت الاسود الذئاب على الثعالب ؟ ام هل استعانت الشمس بضوء الشمعة لانارة الاكوان • سيادة القانون في سيادة الدولة • فدولة لا سيادة لها ، لا سيادة للقانون فيها •

فما الانتفاع من وضع الدساتير والمواثيق والقوانين وليس هنالك دولة ترعى تنفيذ القوانين والدساتير والمواثيق •

الدولة التي تمنع جيشها من حمايتها وحماية الوطن ، وتبيح لجيش أجنبي حمايتها وحماية الوطن لدولة تعمل على مد رواق احتلال الوطن •

لبنان ظلال اشجاره وافياء اوديته وسحر قمم جباله واغاريد أطياره وعبير ازهاره وحفيف اشجاره وخرير مياهه وصفاء سمائه وهينمات نسماته واخضرار ارزه وزرقة عين بحاره وهذه وامثالها ترعاها عين الله ، فهل تغالبون الله والله لا غالب له ؟

فلو عكستم جمال لبنان على أرواحكم لرأيتموه هياكل صلاه ٠

ومساجد عبادة ، فكيف تجعلونه مغاور خطف وقنص ؟

لبنان نسر جناحاه المسيحي والمسلم ، فلا تفرقوا بين الجناحين ، فمهيض الجناح لا يقوى على الطيران ٠

ما كان لبنان وطن الجمال والفن لو لم يكن وطن المسيحي والمسلم ٠ فهو كالسماء ما كانت سماء لو لم تكن وطن عطارد والزهرة والمريخ، ونجمة الصبح والثريا و ٠٠ و ٠٠

وهل كانت الحديقة حديقة لم تكن فيها الوردة والياسمينة والريحانة والزنبقة ، فكيف تفرقون بين المسلم والمسيحي وهما يكملان بعضهما بعضا ؟ هما شريكان في السماء والارض ، والموت والحياة ؛ فهل رنت نجمة الصبح بعينها للمسلم ، واغمضتها عن المسيحي وهي لولاهما ما كانت نجمة الصبح ؟

لبنان ادرك وحدانية الله ووحدانية الاديان ، فعانق قرآنه انجيله ، فما لكم تفرقون ما يجمع الله والدين ؟ اما قال النبي (دم غير المسلم كدم المسلم في الحرمة) ؟

اذا كانت الثورة ترمي الى تعريب لبنان ، فلبنان عربي أكثر من أي قطر عربي ٠ فهل فتح قطر عربي ذراعيه لاخوانه الفلسطينيين بقدر ما فتح لبنان قلبه لهم ؟ حسب لبنان عروبة انه اطلع كواكب علم وادب وسياسة وحرية تألقت في سماء الشرق والغرب ، وهل العروبة الا العلم والادب والحرية والفكر والحق والعدل ٠

فاتقوا الله يا عباد الله فلله ملك السماوات والارض والى الله المصير ٠

كفرتم بآيات المسيح واحمد

سجنا ولم نجن مدى عمرنا ذنبا … واوطاننا امست لاشرارنا نهبا
وامست دهاليز البيوت مقرنا … نقاسي بها الآلام والهول والرعبا
فوا أسفا بيروت قد عمها الاسى … وكل امرىء فيها غدا والها جبا
على م بني قومي خفقتم الى الوغى … فهلا على الاعداء اعلنتم الحربا
مدافعكم دكت معالم عزكم … وسالت دماكم فوق اطلالكم سكبا
واطفالكم تشكو من الجوع والظما … وبات جميع الناس فوق الثرى سغبا
وكم من بريء قد قضى من رصاصكم … اذا مر يبغي القوت لم يقترف ذنبا
وكم من شباب كالزهور نضارة … غدا من رصاص القنص منزلها التربا
لقد جف دمع الثاكلات من الاسى … وقد قطعت اطفالها اربا اربا
وجاست خلال الدار منكم عصائب … يؤجج نار الحقد في صدرها القلبا
فاشعلت النيران لم تبق مصنعا … ولا متجرا تبا لما انكبت تبا
فيا امة طاف الجنون برأسها … فجنت ولم يبق لها جهلها لبا
كفرتم بآيات المسيح واحمد … وشوهتم القتلى واغضبتم الربا
مضى نصف عام تطلقون رصاصكم … على قومكم بالله هل نلتم اربا

النبطية ـ لبنان … محمد الحسن

محمود حسن اسماعيل :

غادر دنيانا مع زاده وخياله وحبه وعطره وظلاله

بقلم : زهير مارديني

منذ ايام قليلة اصبح الشاعر محمود حسن اسماعيل في ذمة التاريخ الادبي ، وغاب عنا الشاعر الذي كان اول من بلور الصورة في الشعر العربي ... ولم يكتف محمود بان يحمل لشعره موسيقى لفظية وصياغة عربية باذخة ، وانما استطاع في فنية ذهبية شماء ان يجعل اللفظ الشعري والصياغة الذهبية ترسم الصور ، وهذه الصور كانت تبدو حينا وقد غشاها من الفن الرفيع ضباب ، والقيت عليها غلالة نورانية شفافة ، او هي في حين اخر تبدو كصور عصر النهضة ، واضحة المعالم جلية التفاصيل بينة الدقائق ، او تجد الصورة حينا تستتبع النفس الانسانية وتتقصى دخائلها في فن متدفق فياض ، وكانت فكرة الصورة تسيطر على محمود حسن اسماعيل في اغلب شعره ، ولهذا تجد القصيدة عنده متكاملة يشير اولها الى اخرها ، ويتعانق اخرها مع اولها في تشابك فني عملاق ، وفي قدرة شعرية معجزة ... حتى لتحسب ان القصيدة رواية لروائي قادر ، صاغها شاعر رأسه في السماء ... او تجده يزجي اليك القصيدة في مقاطع ، كل مقطع منها يرسم صورة بعينها حتى اذا بلغت اخر القصيدة ، وجدت الشاعر قد انشأ من الصور المتلاحقة صورة واحدة فيها الفن والروعة والشموخ ..

ولما تشاكى القيد حولي واعولت من الرق ايامي وضجت سلاسلي
واخرس جلاد الطغاة قياثري وشل حديد المستبد اناملي

ودوخ ارضـــي ظالـــم فحصادهـــا يكفيـــه احزان الربـــى والجداول
تلفت فانساب الدجى مـــن مزاهري مزامير ليل عـــن خطى الفجر غافـــل

فارق محمود حسن اسماعيل دنيانا الفانية في الكويت عـــن ٦٤ عاما ، لنعيش في رؤياه الابداعية بين قطبي ، الموت والحرية ونتساءل عن :

العلاقة بين الحياة التي استنشقها الشاعـــر وبين الكلمات التـــي اطلقها زفير اشعاره ؟ ذلك ان رؤياه الابداعية تعني البحث فـــي قوانين تحول تجربته الى عمل ابداعي ..

وهنا نجد ان مادة الرؤيا الشعرية لمحمود مستقاة من تجارب حياته فـــي مرحلة الطفولة الواسعة ، وهي المادة التي جعلته يعزف دائما نارا لا ثلجا ، في عناق مع الوجدان الفردي والجماعي ، فقد عايش الطبيعة كل حياته في مرحلة الطفولة الواسعة على شاطىء النيل وتحت ظلال النخيل فهاجر معه سحرها الى المدينة ، مشحونا بصرير الصراع بـــين الانسان المضيء الفطـــرة ، والانسان المزيف ... فتدفق شعره نابضا بالتعبير القـــادر دون فضول فـــي التنميـــق والصقل الذي يفقده روعة الميلاد وصدقه ... جرفه هذا الواقع غـــداة نقلته المفاجئة من عالم القرية الى عالم المدينة عام ١٩٣٢ ، وكان هـــو نفسه وجودا صغيرا متكاملا للقرية بكل ما فيها وقتئذ مـــن سكينة مقهـــورة ، واضطـــرام مصفد ، وشجن عميق ، وكان لهذا الصدام النفسي شرره الـــذي ذرفته اغاني الكوخ ، فكان ديوانه الاول الذي نشر مع بداية ١٩٣٥ ..

وفي التحاور بين الموت والحرية ، نتلمس مفتاح رؤياه الابداعية ، بحيث يذكرنا في شعره بقول (شيلر) : (ان الجزء التارك او المتروك يتألم ويموت بدلا من الكل من اجل ان ينقذ هـــذا الكـــل ويحفظ او ينمو ويزدهر حسب الاحوال ... معنى كل تألم لم يستبدل الجزء نفسه بالكل ويحول بهـــذا بين الكل وبين تألم اكبر ...)

ولذلك وجدنا قصائد محمود جميعا تعكس درجة عليا للالم ، في لحظة العناق بين الالم والسرور ، فالاطراف في شعره ، فـي تماس كما يقال ، حيث تلمح دائما صورة شهيد يعلو جبينه (أسف باسم) كذلك الذي تحدث عنه (بودلير) وقال انه ينبثق من اعماق الحياة ..

وتعكس لغة الشاعر هذا التحاور بين الموت والحرية فـي حياته وشعره على السواء ، في انتقاء الصور والكلمات والالفاظ وتراكيب الجمل ، وفي اختيار الالوان والموسيقى والتلويح بالنار ، والنـور والدخان والسحب .. والضباب في : (اغاني الكوخ) و (هكذا اغني) و (اين المفـر) و « نـار واصفاد » و (قاب قوسين) و (رياح المغيب) و (ولا بد) ..

انـا ، والكوخ ، والظلام ، وليـل ... بجميـع الاسوار مـدت يـمـداه
وربابـي مدتـدق يشـرب الليـل ... ويشقى مـن كـل لحـن دجـاه
وعـزيف الريـاح راكـب غريـب ... فـي دروب الايـام تهوى خطـاه
دس فـي صـدره زمـان الحيارى ... والمساكـين بـين كفيـه تأهـواه
لا شعـاع ، ولا ضمـير ضيـاء ... من وراء السلوك يرنـو سنـاه
هلكت فـي ترابـه دعـوة المظلوم ... واخضـل مـن بكاهـا ثـراه

ونلاحظ هنا ان كل شيء يبدأ عند محمود بالنفي والتمرد ، وبالوعي بان هذا العالم غريب عن الانسان ، ويتابع اصراره والحاحه في جو مشحون بطاقة دافعة لا سبيل الى الاختيار فيها بعد انبعاثها بصورتها الفنية الكاملة ، وهـو لذلك يرفض المواربة في كل شيء ، في صلة الانسان بذاته ووجوده وحياته ، في تلفت واحد الى الحرية والحق والصدق ... منذ كان يعيش على مشارف نور النيل جنوب (ابو تيج) يشارك في العمل ، يفلح الارض ، ويبذر الحب ، ويتابع البذر منذ غرسها حتى الحصاد ، فكان لمعاناته وتأمله ومعايشته لانسان الكوخ اكبر الاثر في تبصيره بزيف ما يقوله الشعراء ، وجعله يعثر عـلى مـا افلت منهم وهو المعنى الانساني ، والتعبير عن الانسان وعذاباته ..

وهو يعبر عن الانسان وعذاباته من خلال (افاضات) وجدانية كما يقول في رفض للرق الانساني بحيث يتأكد لدينا دائما ان رؤياه الابداعية تتألف من مواد اولية تشكل في مجموعها حياة الشاعر ، بكل تفاصيلها الغريبة والبسيطة .. فنجد في شعره الغناء والشدو والعزف ، والاوتار والناي ، ونجده يؤكد انه كان يستمع الى اصوات البوم والغربان والهداهد ، والى شدو السواقي وبكاء الشادوف والى مزامير الرعاة ..

وكان وهو يزمر في (زمارة البوسيم) يسلق نبات البرسيم ، وكثيرا ما غنى مع الفلاحين الاغاني الشعبية ، كاغاني (دق الذرة) بلغتها الاصلية وباللهجة العامية ...

ولما تعرف في القاهرة بالشيخ زكريا احمد كان يطلب منه ان يسمعه بعض هذه الاغاني بلغتها الاصلية فكان محمود يستجيب للشيخ الذي كان يصغي اليه في استغراق فني .. وكان الشيخ زكريا يقول : شعر محمود لا يحتاج الى تلحين لانه لحن متكامل .

كانت قصائده تأتي متعانقة مع موسيقاها وصورها ومعانيها من داخل النفس يوصلها من خلال التعبير بالحروف :

(قاب قوسين من النور .. فسيري
واهتكي كل لثام في الضمير
وانهبي غيب المدى ، واحترقي
في اللظى الباقي على نار ونور
مزقي كل قناع ، وانقذي
من حواشيه الى الضوء الاسير
وادحري كل ظلام راسب
انشبته فيك اغلال الدهور)

والتحاور بين الموت والحرية في شعره ، لا يجعل الحرية مشكلة نظرية يثيرها العقل ، بل هي مشكلة عملية متضمنة في صميم وجودنا ضد الرق الانساني ، ولذلك نجد قصائده تقول لنا دائما اننا قد كتب علينا ان نكون (احرارا) وربما كانت حريتنا هي الشيء الوحيد الذي ليست لنا (الحرية) في ان نتخلى عنه ..

فقلت لناري اذن الفجر فارتعي — وشدي على الاصفاد شد المقاتل
وما مر عمر الطيف حين ترنحت — وذابت قيودي من عميق المفاصل
فكبرت .. جل الله ! عادت حقيقتي — ورنت اناشيدي ، وغنت بلابلي

هذا الشعر يفسر لنا حرص محمود على عدم الانتساء لمذهب من المذاهب الادبية ، لان الخط قيد وهو يحس عداوة روحه الضاربة للخطوط التي تشكل اسوارا تسجن الفنان وتعوقه عن الانطلاق ... وانما كان محمود حسن اسماعيل ينطلق من الانسان .. في كل طريق .. وكل هجير .. وكل ظل .. من كونه ذاتا تعانق الوجود الى كونه وجودا حيا في هذا الوجود :

اطلقيني انت اني كدت استاف الهلاكا
اطلقيني واسبحي ما شئت في الدنيا بفلكي
لا تخافي الغيب ان الغيب سر شع منك
فاذا جاءتك ايامي هوجاء التشكي
احرقي في لهب النشوة ايماني وشكي ...

هذا هو الشاعر الذي استودعناه الله ...

ومما لا شك فيه انه سيشغل الكثيرين من اساتذة الجامعات والدارسين.
غادرنا النابغة الذي قال :

مسافر زاده الخيال — والحب والعطر والظلال ..

«العروبة» تفقد ذاكرتها!

اليوم، وبعد ان تحدثت دنياهم في ذكرى اربعين الفقيـد كمال جنبلاط في المهرجان الذي ضم كل الماركسيين ومن كل واد عصا ...

اليوم، والضجة تملأ صحفهم واذاعاتهم وتلفزيوناتهم عن مآثر الفقيد، واعمال الفقيد، تمهيدا لتخليد ذكرى الفقيد .. نعم .. في هذا اليوم اتلفت الى دنيانا العربية المسلمة فاجدها صامتة ... واكثر من ذلك اجدها بلا ذاكرة. واي بؤس ان تفقد الصحف والاذاعات والتلفزيونات العربية ذاكرتها ... فلا تذرف دمعة على الشخصيات العربية التي غادرتنا ولا يعلم عنهـا ابناء الجيل اي شيء ..!

واي بؤس ان تفقد العروبة رجالها الواحد تلو الاخر فلا تنشط ذاكـرة لتكتب ما تعرفه عن هؤلاء الرجال ..

لقد سبق ان فقدنا رائد الكفاح العربـي الاستاذ عـلال الفاسي فلـم يتنادى ابناء العروبة لاقامة مهرجان يليق بذكرى هذه الشخصية الفذة ...

وفقدنا فوزي القاوقجي و ... و ... عشرات من الرجال الذين تركوا في دنيانا دويا ... ومع ذلك لم نسمع او نقرأ ان هناك من يفكر فـي تخليد ذكـراهـم .!

وفقدنا ايضا وايضا الاستاذ كاظم الصلـح صاحب المعادلة العربيـة ـ اللبنانية، القائمة على اساس (لبننة العروبيين) أي باعطـاء المتخوفين كـل الاطمئنان ... وبالحد من تطلعات العروبيين خـارج حدودهم اللبنانية ... فكانت عروبته واضحة وضوح الشمس، نقية نقـاء الطهر ... امضى خمسة وسبعون عاما كالمنارة التي لا تنطفىء في دنيا العروبة ..

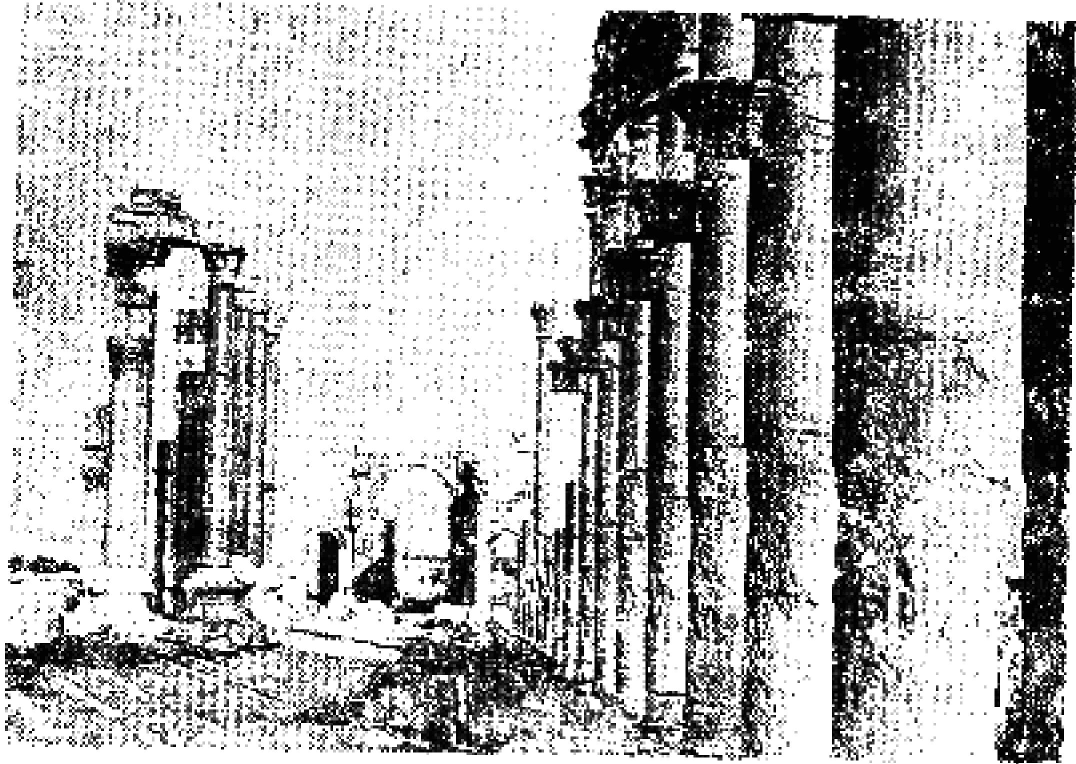
افلا يستحق هذا الرجل مهرجانا وقد مر اربعونه كما تمر الايتام علـى موائد اللئام ..!

زهير مارديني

في تاريخ تدمر

تطلع الى التحرير والوحدة ودرس في الصمود والمقاومة !

بقلم : بشير زهدي
استاذ محاضر في جامعة دمشق



اذا كان بعض المؤرخين يهتمون بتاريخ تدمر منذ عصور ما قبل التاريخ معتمدين على الادوات الصوانية المكتشفة من قبل بعثة العالم (كون) في كهوف (جرف العجلة) و (ثنية البيضا) ... واذا كان بعضهم يهتمون بتاريخها القديم اعتمادا على نصوص تضمنت اسمها اكتشفت في (كابا دوكيا) تعود الى القرن التاسع عشر ق. م وفي (ماري) الامورية تعود الى القرن الثامن عشر ق. م وفي كتابات الملك الاشوري (تفلات بلاسر الاول) من نحو ١١٠٠ ق. م ... الخ واذا كان الاخرون اهتموا بتفسير اسم (تدمر) اعتمادا على اشتقاق لفظ سرياني بمعنى (عجيبة) او (النخيل) ... فان ما يهمني في هذا البحث القصير هو ابراز صفحة نضالها .

---

١ ـ اهدي هذا البحث المتواضع الى ارواح الشهداء الابرار والضحايا الابرياء .

ان واحة تدمر ونبع (افقا) وموقعها على الطرق التجارية العالمية جعل منها محطة هامة ازدادت اهميتها حتى اصبحت في القرن الاول قبل الميلاد مدينة تجارية هامة . وان التعرفة الجمركية التدمرية ـ المحفوظة حاليا في متحف الارمتاج في لينينغراد ـ تدل على انواع البضائع المنقولة وفوائد تدمر من الرسوم الجمركية المفروضة عليها . وقد بلغ ازدهار تدمر الاقتصادي درجة جعلت القائد الروماني (انطوان) يطمع بثرواتها ويقوم بحملة فاشلة لسلب سكانها .

كما ان (تراجان ٩٨ ـ ١١٧) ادرك اهمية موقع تدمر فمنحها امتيازات خاصة بالمدن الكبرى . واقتبست تدمر النظم الرومانية ولا سيما حق الانتخاب للمجلس البلدي . كما تأثر (هادريان ١١٧ ـ ١٣٨) بأهمية موقع تدمر فمنحها حقوق المدن الحرة . فاعترفت تدمر له بهذا الجميل فأخذت تعرف باسم مدينة (بالميرا هادريانا) . كما نالت عطف أسرة الاباطرة السوريين السيفيريين (١٩٣ ـ ٢٣٥) واصبحت كروما واعفي سكانها من دفع الضرائب . وهكذا اصبحت (تدمر) في عهود الانطونيين (٩٦ ـ ١٩٣) والسيفيريين (١٩٣ ـ ٢٣٥) احدى عواصم الشرق الهامة . وكانت القوافل القادمة من شبه الجزيرة العربية وفارس والهند والصين وغيرها تتبع طريق تدمر . وكان التدمريون ينظمون النقل العالمي وعرف بعضهم بتجهيزه مراكب البحر الهندي .

وفي عام ٢٢٦ م أسس (اردشير) سلالة الساسانيين ، واحتل مملكة قرخيدونيا الصغيرة المستقلة عند مصبات نهر الدجلة والفرات وبذلك اغلق طريق التجارة امام التدمريين وحال دون وصولهم الى مراكزهم في الخليج العربي . وظهرت اطماع الملك الساساني (شابور) بعدما ارغم حامية (نصيبين) على التسليم ، وقام بأعمال وحشية تثير الرعب على جانبي الفرات ...

كان على مملكة (تدمر) ان تواجه هذا الخطر الساساني في عهد ملكها

(اذينة) • ويذكر (ادوارد جيبون) ان (اذينة) ارسل الى « شابور » هدية تليق بأعظم الملوك مؤلفة من قافلة تحمل اندر السلع واثمنها موفقة برسالة رقيقة • ولكن « شابور » المغرور أمر بقذف الهدايا في الفرات متسائلا : من هو (اذينة) الذي تبجح هكذا وكتب الى مولاه ؟ اذا كان ينبغي نفسه بتخفيف عقابه فدعوه يخر راكعا تحت اقدام عرشنا ويداه مغلولتان الى ظهره. فاذا تردد صبوا الخراب فوق رأسه وبني جنسه وبلده •••

وكان (شابور) هزم جيش الامبراطور الروماني (فاليريان) الذي عرض عليه مبلغا كبيرا من الذهب مقابل انسحاب مهين ، ولكن (شابور) رفض المال واحتجز المندوبين ؛ وتقدم على رأس جيشه مصرا على الاجتماع بالامبراطور (فاليريان) نفسه • فانتهت تلك المقابلة بأسر (الامبراطور فاليريان) والاستيلاء على أسلحة جنوده عام ٢٦٠ وكانت حركات الفرسان الساسانيين سريعة ، استولوا على انطاكية ودمروا طرطوس وفرضوا الحصار على (قيصرية) عاصمة كباروكيا • وبلغ من غرور (شابور) انه عرض الامبراطور الاسير بملابسه الامبراطورية مكبلا بالاغلال رمزا لعظمة انهارت• ولم يلتفت (شابور) الى نصائح الناصحين وتحذيرهم اياه من انقلبات المفاجئة •

عزم ملك تدمر (اذينة) على مقاومة الخطر الساساني ببسالة العرب الابطال ، فجمع جيشا صغيرا من القرى السورية وخيام الصحراء ؛ ونفخ الحماسة في هذا الجيش العربي الصغير ، وتقدم به لمواجهة جيش (شابور) في لقاء مسلح مستميت انتصر فيه • وعندما حاول شابور الانسحاب اعاق (اذينة) خطته واستطاع ان يستولي على جزء من كنوزه ؛ ويأسر عددا من نساء (شابور) الذي اضطر الى عبور نهر الفرات ثانية مضطربا خائبا ، فلحق به (اذينة) حتى عاصمته (طيسفون) •

وبعدما قضى (اذينة) في حمص على (كويتوس) المغتصب اصبح سيد انطاكية • وفي نحو ٢٦٧ قام (اذينة) بمهاجمة (شابور) من جديد وحصار

عاصمته لتحرير الامبراطور الاسير (فاليريان) الذي كانت نهايــة حياته تعيسة بين أيدي اعدائه الساسانيين .

ابتهجت روما بانتصارات (اذينة) على (شابــور) واعتبرتها ثأرا كبيرا لها من اعدائها الساسانيين . وان اذينة يستحق كــل تكريم . فمنحه مجلس شيوخ روما لقب (اوغست) و (زعيم الشرق) مما جعل منه نائب الامبراطور على القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية .

وتجدر الاشارة الى كتابة على قوس النصر في تدمر تتعلق بابن (اذينة) (هيروديان ملك الملوك) الذي تسميه النصوص الادبيــة (حيران) مما جعل بعض الباحثين يعتقد ان (اذينة) كان يرافقه ابنه في حملاته الحربية .

وبعد قيام (اذينه) بحملته الموفقة ضد القوطيين فــي آسيا ، وفي قمة مجده الحربي والسياسي ، وبعد عودته مباشرة الــى حمص للاحتفال باحدى المناسبات ، اغتيل (اذينه) مع ابنه عام ٢٦٨ م في ظروف غامضة قيل ان لابــن اخيه (مونيوس) علاقة بذلك . فارتقت عرش تدمــر بعــده زوجه (زنوبيا) التي حكمت البلاد باسم ابنها الامير القاصر (وهب الــلات) يساعدها فــي الادارة اصدقاء زوجها .

كانت (زنوبيا) ــ كزوجها ــ قويــة البنية ونشيطــة ومولعــة بصيد الوحوش الكاسرة وركوب الخيل . وكانت جميلة بملامحها العربية ، سمراء اللون ذات اسنان كاللؤلؤ ، تشع عيناهــا الواسعتان ذكــاء . وقــد وصفها (جيبون) بـ (السيدة الوحيدة التي شقت عبقريتها الفــذة استار الخمــول الذليل الذي فرضته على جنسها طبيعة آسيا وقواعد السلوك فيهــا ...) . وكانت تجيد العربية السريانية بالاضافة الى اللغتين اليونانية واللاتينية . وقد دونت لنفسها (خلاصة لتاريخ الشرق) . وكانت تقارن بين روائع (هوميروس) و (افلاطون) باشراف الفيلسوف الكبــير (لونجينــوس الحمصي) الــذي اتخذته كبير وزرائها . وكانت تبدو بملابسها العسكرية علــى رأس افــراد جيشها الذين كانوا يطيعونها باخلاص ، كما كانت تظهر في المناسبات الرسمية

بثوب ارجواني موشى بالجواهر •

واذا كان الرومان اعتبروا سلطات زوجها (اذينه) والقابه بمثابة امتياز شخصي فان (زنوبيا) احتقرت الامبراطور الروماني ومجلس شيوخ روما وارغمت بموقفها الصامد القائد الروماني (هيراقليانوس) المكلف بمحاربتها ان يعود من حيث اتى بعدما فقد جيشه وشهرته • وكانت (زنوبيا) ادركت اهمية وطنية الجيش فعربته وابعدت عنه العناصر الغريبة والدخيلة واخذت تعتمد في حكم البلاد على الحزم المتميز بالحكمة ، وعطفت على المسيحيين ودعمت موقف (بولص السيساطي) وادت سياستها الحكيمة الى احترام الدول المجاورة اياها وتسابقها للتحالف معها • واذا كانت مملكة تدمر في عهد (اذينه) ممتدة من الفرات حتى حدود (بيتينيا) ، فانها اتسعت في عهد (زنوبيا) بعدما شملت سورية وجزءا من آسيا الصغرى وشمال الجزيرة العربية • وفي عام ٢٦٩ ـ ٢٧٠ سار قائد جيشها (زبدا) الى مصر على رأس جيش وطني مؤلف من نحو سبعين الف محارب فخلع الحاكم المغتصب ، واقام حامية وطنية في الاسكندرية واصبحت مملكة تدمر بمثابة امبراطورية •

واذا كان الامبراطور (كلوديوس) يتابع حروبه ضد القوطيين ويقر بفضل (زنوبيا) التي كان يعتبرها كأنها تدعم الامبراطورية في الشرق ، فان (اورليان) قرر القضاء على مملكة تدمر فعهد الى قائده (بروبوس) باحتلال مصر من جديد ثم اتجه شمالا لاخضاع الولاية العربية وفلسطين وجنوب سورية ، واخذ (اورليان) على عاتقه مهمة الهجوم على آسيا الصغرى والقضاء على القوات التدمرية •

كان القائدان التدمريان (زبدا) و (زباي) يتوقعان هجوم الرومان ، فأقاما حاميات عسكرية عند (انكيرا ـ انقره) • اتجه (اورليان) الى آسيا الصغرى عام ٢٧٢ واستطاع ان يعيد ولاية (بيتينيا) الى امبراطوريته ويتقدم نحو (انقره) ويدخل مدينة (تيانا) • فشعرت انطاكية بالذعر ولكن دهاء (اورليان) حمله على اعلان عفوه عن كل الذين عملوا في خدمة (زنوبيا) •

جرت معركة بين الجيش التدمري والجيش الروماني قرب انطاكية ، واخرى قرب حمص . وكان وجود الملكة (زنوبيا) بين جنودها مما زاد من حماس جنودها وضاعف من مقاومتهم وكان معظم جنودها من رماة السهام والخيالة الثقيلة المدرعة بالصلب لهذا لم يستطع جنود (اورليان) تحمل هجوم التدمريين عليهم فهربوا او تظاهروا بالهرب ، فلحق بهم الجيش التدمري الذي ارهقوه بمعارك متقطعة حتى استطاعوا التغلب على الخيالة التدمرية الثقيلة في فترة تفذ ما في جعبة المشاة الخفيفة فانسحبت (زنوبيا) الى تدمر لمتابعة استعدادها ومواصلة مقاومتها وكانت تعلن بشجاعة وبطولة انها (لا بد ان تقرن نهاية حياتها بنهاية حكمها) .

وخيل للرومان ان طريق البادية المؤدية الى تدمر أصبحت مفتوحة امامهم ولكن العرب الممتلئين جرأة ونشاطا كانوا يزعجونهم في هذه المنطقة الممتدة بين حمص وتدمر . وعندما وصلوا الى تدمر ادركوا ان حصارها اكثر مشقة، حتى ان (اورليان) الذي تولى بنفسه الهجوم أصيب بجرح من احدى نبال الرماة التدمريين وكان يردد : (ان الشعب الروماني يتحدث باستهزاء وسخرية عن الحرب التي اشنها ضد امرأة ولكنهم يجهلون شخصية زنوبيا وقوتها ، وانه لمن العسير ان تحصى معداتها الحربية من الحجارة والسهام وكل انواع القذائف) وساور (اورليان) الشك في نتيجة الحصار ورأى ان من الحكمة ان يعرض على (زنوبيا) الانسحاب وعلى التدمريين الاحتفاظ بامتيازاتهم القديمة فرفضت شروطه .

كانت (زنوبيا) تعتقد ان مجاعة الجيش الروماني ستعجل بمغادرته البادية ، ولكن عودة القائد الروماني (بروبوس) من مصر ساعدت (اورليان) فقررت (زنوبيا) مغادرة عاصمتها سرا فامتطت أسرع هجنها ، ولكنها ما كادت تصل الى ضفة الفرات حتى ادركها فرسان (اورليان) فقبضوا عليها .

واستمرت تدمر في المقاومة . وبعدما استشهد وهب اللات دفاعا عن مدينته وزادت قوة هجوم الرومان استسلمت المدينة فجردها (اورليان) من

مصنوعاتها وزخارفها وكنوزها وفرض عليها غرامة كبيرة • واقام فيهـا حامية رومانية •

ثم اتجه (اورليان) الى حمص فقضى بالموت على مستشاري (زنوبيا) وفي مقدمتهم الفيلسوف الكبير (لونجينوس) الحمصي الذي استقبل الموت برباطة جأش • وواصل سفره الى بلاده• ولكن ما كاد يصل الى (الهلسبونت) في اواخر عام ٢٧٢ حتى وصلته اخبـــار ثورة تدمريـة قضت علـى الحاكم والحامية الرومانية • فعاد فورا الى تدمر فهدمها وقتـل سكانهـا بعنف ، كما قضي على حركة (فرموس) حليف زنوبيا في مصر • وتقلت (زنوبيا) الـى انطاكية ومنها الى روما حيث عرضت مكبلة بالسلاسل في احتفالات (اورليان) بانتصاراته ، وامضت بقية حياتها في تيفولي قرب روما • كما أصبحت مدينتها (تدمر) اطلالا تتحدث أحجارها ــ بصوت الصمت ولغة الفن ــ ملحمة نضال الانسان عبر التاريخ وخلود الابداع الانساني •

والخلاصـة : مما تقدم تبدو اهمية دراسة تاريخ تدمر الذي يعتبر بمثابة مشعل في طريق نضال الامم فـي سبيل تحريرهـا ووحدتهـا وانتصار القيم الانسانية •

دمشق بشير زهدي

يمدحـه بقـــدر

※ دخل ابن دارة على عدي بن حاتم فقال : اني مدحتك ، قال : امسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسبه ، فاني أكره الا اعطيك ثمن ما تقول ؛ لي الف شاة والف درهم وثلاثة عبيد ، وثلاث امـاء وفرس ، فامدحني عـلى حسب ما اخبرتك ، فقال :

تحن قلوصي فـي معـد وانمـا ... تلاقي الربيع في ديار بنـي ثعل
وابقي الليالي مـن عدي بن حاتم ... حساما كنصل السيف سل من الخلل
أبـوك جـواد لا يشق غبـاره ... وانت جواد مـا تعـذر بالعلـل

قال له عدي : امسك ، لا يبلغ مالي اكثر من هذا •••

من العادات والتقاليد الاقطاعية

بقلم : علي الزين

— ١ —

كان جل اوقات الحكام والزعماء الاقطاعيين فراغا في فراغ ، اذ لم يكن لديهم انظمة مرعية ولا ادارات منظمة ولا سجلات ولوائح واوقات دوام تدعوهم لامعان النظر والتفكير والعمل بمقتضاها ، او تحملهم مسؤولية كل خطأ او خلل او تهاون بواجباتها او بواجباتهم كحكام وقادة وزعماء مسؤولين؛ وانما كانوا يتصرفون بمقدرات البلاد وحقوق الشعب على هواهم ، او على ما يفرضه العرف القبلي او العادات الاقليمية ، واذا ما احرجتهم الطوارىء في مشكلة قانونية او شرعية أحالوها الى رجال الدين واستراحوا من موبقاتها ومن مغبة ما يترتب على حلها او تأزمها من مشاكل وشواغل زمنية ، واذا ما اضطرتهم المناسبات والمفارقات السياسية الى خطاب بليغ او جواب محكم الحجة والعبارة ، اعتمدوا في مثل هذه الحال على من يليهم من اعلام الشعر والادب في عصرهم وفي مقاطعاتهم كما كان يعتمد حمد البك وعلي بك الاسعد على الشيخ عبد الله البلاغي والشيخ علي سبيتي مثلا . (١)

ثم اذا كان لهم من شغل جدي مفروض ، فهو على ما تقتضيه المناسبات الخاصة بهم وبمصالحهم كمحاسبتهم لوكلاء املاكهم ، او استقبالهم لضيوفهم، وتلطفهم الى زوارهم ، وقضاء حاجات اصحاب الحاجات ممن يرضون عنهم او ممن يتزلفون اليهم بالطاعة العمياء .

---

١ — فصل من كتاب : العادات والتقاليد في العهود الاقطاعية المعد للطبع .

واما ما تبقى من الاوقات ــ وهو كثير ــ فقد كانوا يصرفونه كلــه او جله في الملاهي ابريئه كالاحتفاء بشتى الالعاب الاقليمية من (الدبكة) (٢) وحلقات المغنى والعتابا او الرقص الافرادي عــلى دق الطبل والرباب والمجوز والناي ضمن دائرة من المغنين والمصفقين ، ولعبــة (الحكم) لعبـــة السيف والترس ، او نشل (العمدة) (بفتح العين وتسكين الميم) (٣) وما الى ذلك من مظاهر التسليه . وكان لهم فــي الميــدان والعاب الفروسية وفي الصيــد والقنص عناية خاصة تستهلك جل اوقاتهم وخصوصا فــي فصل الربيع موسم صيد القري ، وفي فصل الخريف موسم صيد الحجال . وكذلك كانوا يهتمون في ترويض الخيل وتمرين الفرسان على اعتقال الرماح او لعب الجريد .

مظاهر الفروسية وتقاليدها

مثلت الفروسية وتقاليدها دورا مهما في بلادنا ، فكانت من ابرع مظاهر حياة الاقطاعيين العسكرية والرياضية فضلا عن وثيق علاقتها بالحياة السياسية والاجتماعية اذ كان فيها العز والجاه وفيها القوة والمنعة وكان في الحديث عن مآثرها وماضيها لدى القادة والساسة وعن منافع الخيــل ومضارهــا وعــن محاسنها وعيوبها وعن كرائمها وما قد نظم فيها من اشعار وارسل مــن اقوال مأثورة وما صنف حولها من قصص وحكايات واساطير بارعــة .. ما يمتــع السمار ويرفع معنويات الفرسان ، ويخلق حول القادة هالــة مــن التقديــر والهيبة والرهبة تحكم الالفة والمودة بينهم وبين الاصدقاء كما تعصمهم مــن كيد الاعداء ومغامراتهم .

وكان لميدان الخيل في جبل عامل خاصة مظاهره المتنوعة مــن خيولــة الرمح الى المبارزة بالسيف ، اللى اللعب بالجريد ، الــى الطراد المنظم ، الــى السباق ، الى غير ذلك من مظاهر الفروسية من براعة التمثيل البهلوانية عــلى ظهور الخيل : كوقوف الفارس على رأسه بجانب القربوس (٤) والفرس غائرة على مداها أو ا‍ــه للحجارة وهي سابحة في الميــدان ، او مروره مــن تحت بطنها او نزوله عنها وركوبه عليها وهي كذلك .

وكان لكل نوع من انواع المبارزة اصوله وشروطه واعلامه اللامعين .

خيولـة الرمـح

وكان من ابرع مظاهر الميدان وتقاليده المحترمـة ان تتـرتب الفرسان وتنقسم الى قسمين : قسم الى اليسار وقسم الى اليمين ؛ وان تصطف الخيـل ريشة (٥) وصائبة (٦) على جانبي الحلبة ، وان يبدأ الميدان بخروج احـد الفرسان ــ معتقلا رمحه على نحو خاص ــ ثم يطلع على حافة الصائبة التـي هو منها منحرفا الى اليمين بشكل شبه قوسي حتى اذا بلغ ثلثي المسافة ــ بين المتفين او الصائتين ــ رفع يده اليمنى الى اعلى وهز كفه محييا عقيد الصائبة المقابلة لصائبته بقوله : « من عين افنديتا » (بفتح ميم « مـن ») (وتشديد الياء من عين) او بقوله : « من عين راعـي الحمراء او الزرقاء او الدهماء » . فيوجه له العقيد من يراه كفوءا مـن فرسان تلك الصائبة . واذا لـم يكـن للصائبة عقيد يحيي الطالب من يختاره من فرسان الصائبة بقوله : « مـن عين راعي الشقرا أو الحمرا او الزرقا ... الخ) أو بقوله : « من عين ابو فلان او فلان الى غير ذلك من الالقاب والكنى ... فيتوجه هذا نحو المطلوب معتقلا رمحه على نحو خاص كذلك ويجري فرسه على حافة الريشة الى اليمين بشكل شبه قومي معاكسا لطلوع خصمه . وقد يكتفي طالب البـراز برفـع كفـه والاشارة بها الى مطلق من يبارزه من الفرسان بدون ان يتفـوه باسم او لقب يميزه او يخصصه عن غيره من الفرسان ، فيتوجه له من الصائبة المعينـة مـن يرى في نفسه الميل والقدرة على مبارزته . وفـي اثناء السير يعالج كـل من الفارسين رمحه فيغير من وضعه كأن يجعل رأس الرمح بحذاء الركاب الايمن ويسوي بين رأسه وأسفله في الارتفاع ويواصل المعالجة بحركات متناسبة مع سير الفرس وتدرجه في سرعة الخطى او مـع مـتلزمات التـديد والدفـاع بالرمح من حيث الارتفاع به والانخفاض وتغيير اوضاع الرمح يمنـة ويسرة . وعندما يتقارب الفارسان من بعضهما يلتف احدهما علـى الاخر ويأخذ كـل منهما في التجوال والطواف بازاء قرينه او خصمه ــ ضمن دائـرة مفرغـة ــ وعين كل منهما مشدودة الى عين الآخر وسنان رمحه مسدد نحو صدره حتى اذا لمح غفلة منه او انحرافا او حركة مريبة ، كسر عليه وهز الرمح او الخيزرانة في وجهه اشعارا بأنه قد استحكم منه وغلبة وقـد يجذفـه بالخيزرانة لنفس

الغايـة .

مبـارزة السيف

انها نسخة طبق الاصل عن المبارزة بالرمح ولا فـرق الا بأن يكـون السيف مشهورا بوجه الخصم بدلا من تسديد الرمح نحوه حتى اذا شعر احد الخصمين بانحراف او غفلة او حركة مريبة من صاحبه اومأ بالسيف نحـوه او علم به عليه . ولا يجوز لاي من المتبارزين ان يستهدف بضربته الفرس بـل الفارس بذاته ليتمنى لهذا الاخير ان يرد ضربـة السيف بسيفـه او يصدها بترسه .

ولعل (لعبة السيف والترس) على الارض هـي اقرب صورة للمبارزة على ظهور الخيل . فكل منها يقتضي المران واجادة المطاردة والمقارعة والمقابلة وتبطيل طعنات الخصم .

لعـب الجريـد

واما لعب الجريد في الميدان فانه كان يبتدىء ببعض المقدمات والمظاهر التي اشرنا اليها فيما تقدم من خيولة الرمح ، بيد انه لا يتحتم على الطالب هنا ان يعين المطلوب للمبارزة فمطلق فارس في الصائبة يحق لـه ان ينطلـق وراء الفارس الذي يرد رأس فرسه عن الصائبة .

واذا انطلق فارسان خلف الطالب الذي يرد رأس فرسه نحـو الصائبـة الاخرى فالاسبق منهما يكمل الشوط والثاني يعود او يرد بقوة الى الصائبة .

وينبغي للفارس الذي ينطلق في اثر الطالب ان يتدرج في حالات السير من الخفيف الى السريع الى الاسرع الى ان يتجاوز ثلث المسافة .

وعندئذ يدفع فرسه ويطلق لها العنان في اتجاه خصمه حتـى اذا تجاوز نصف المسافة او قارب الثلث الاخير من الحلبة ، قـذف خصمه المتقدم عليـه بالجريدة (٧) ثم انثنى راجعا ليكر عليه خصمه او يبرز اليـه فارس آخر مـن الصائبة . وهكذا دواليك الى ان ينتهي الكر والفر او تنتهي المدة .

ومن لوازم هذا النوع من الخيولة ان تظل عين الفارس السابق من المتبارزين تراقب حركات اللاحق منهما ليتقي جريدته وضربته بالوسائل الخاصة مثل احناء الرأس او الميل بصدره الى الشمال او اليمين من عنق الفرس ومثل الامتداد مع ظهر الفرس بحيث يصعب على الخصم ان يفرق بين جسم الفرس وجسم الفارس •

ثم ان من الاصول المحترمة في جميع انواع الخيولة ـ خيولة الرمح ، وخيولة المبارزة بالسيف ، وخيولة اللعب بالجريد ـ ان يحترس المبارز من ان يستهدف بطعنته او ضربته جسم الفرس بل جسد الفارس وخصوصا في خيولة السيف ، ليتسنى للخصم ان يرد ضربة السيف بسيفه او يصدها بترسه •

الطراد المنظم (٨)

اما خيولة الطراد فلا يلزم معها ايضا طلب مبارز • فأي فارس يرد رأس فرسه وينطلق امامك لك ان تطلب وراءه وتطارده • ولا يمتاز الطراد عن غيره من انواع الخيولة الا بان يبذل الفارس اللاحق جهده بان يدرك الفارس المنطلق امامه ويعلم عليه ولو بضربة عصا او غصن زيتون • ثم بأن يبذل الفارس السابق كل امكانياته كي لا يمكن طالبه من الفرسان ان يدركه او يعلم عليه ولو بالتلويح وهز العصا (٨) •

وكان من عوائد امراء الحرافشة وغيرهم من ـ المناصب والاعيان ـ عند الشروع في لعب الجريد ان يقول لهم ملاعبهم ومبارزهم : « كيف الميدان ؟ » فان قالوا له : « ميدان علي نضرب ونضرب » كان لكل من يلاعبهم ويبارزهم ان يرميهم بالجريد ، والا فانه يرميهم بالطربوش وما شاكله نعومة بينما يرمونه هم بالجريد (٩) •

خيولة السباق

اما خيولة السباق فكان من شروطها الاساسية ان يقف الفارسان بفرسيهما امام النظارة الواحد بإزاء الآخر ورأس الفرسين وحوافرهما

متساوية في خط مستقيم لا التواء فيه ثم انهما بعد هذا التوازن يدفعان فرسيهما وينطلقان نحو الهدف المعين فمن سبق اليه واخذه او تجاوز مكانه وتعداه فهو السابق بعرف الجميع • ومن تخلف عنه ولو بشبر واحد فهو المسبوق •

من عادات الفرسان وتقاليدهم

ومن التقاليد المرعية لدى الفرسان ان يلاحظ الفارس قبل الركوب احكام سرج الفرس وشد حزامه حين لا يتولى هو بنفسه امر ذلك • ثم ان يلاحظ فيما بعد اوضاع اللجام : قوسه ولسانه وحلقته وعذراه وعنانه ؛ ومدى قوة كل منها ومستوى حجمه ومناسبته سعة وضيقا وثقلا لحجم رأس الفرس وسعة فمه وطول شدقه وعنقه ، واختلاف سنه وطباعه حدة ومرونة•

ثم يلاحظ مع اوضاع السرج والحزام « سير الركاب » والابازيم ومدى قوة كل منها وصلاحيته للاستعمال ومناسبته لحجم هيكل الفرس ولاوضاع الفارس مع فرسه • ثم عليه ــ بعد ان يمتطي ظهر فرسه ــ ان يثبت صدر قدميه في الركاب ، وان يحكم ضبط فخذيه ويلزم بهما موضع دفتي السرج من ظهر الفرس • ثم ان يزن عنان اللجام وذلك بان يقبض عليه بيسرى يديه ويساوي بين طرفيه فلا يدع طرفا اطول من طرف ؛ ثم يضع اصبعه الوسطي بين الطرفين ، ويطوي ما زاد منهما بين الخنصر والبنصر من اصابع يده ، ثم يشد اليه بالعنان بحيث لا يترك منه شيئا يتأرجح بين شدق الفرس وكاهله او بين اللجام والقربوس ؛ ثم يضع قبضة يده على القربوس ويمشي •

وعندما يمشي الى الميدان فليس له ان يشد عنان فرسه او يحبسه او يرخيه الا بقدر ما يراه مناسبا لطباعه وحالاته واماكن سيره وجريه • نزولا او صعودا وسهلا او جبلا اذ للنزول في العقبات قدر من الحبس لعنانه وللاستعراض في اول الميدان قدر ولرد رأسه في آخر الشوط قدر بين الجذب والحبس ؛ وعندما تكون الفرس سابحة في قلب الميدان او مندفعة في جريها ، او صاعدة في عقبة كؤود • لكل حالة من هذه الحالات قدر من

ارخاء العنان ومده وشده يتناسب مع طبع الفرس حدة ومرونة او مع طول عنقها وقصره ، فان التثبت في الركاب وضبط الفخذين بدفتي السرج ، ووزن عنان اللجام امور يعتبرها البارعون بركوب الخيل اساس كل فروسية في الميدان •

ثم على خيال الرمح ـ بعد ان يستوى بظهر فرسه ـ ان يعتقل رمحه ويضعه تحت ابطه الايمن ممتدا الى مؤخرة السرج خلف الفخذ الايمن وان يجعل سنان رمحه بين اذني الفرس او قرب اذنه اليمنى • ثم عليه عندما يتوجه بفرسه الى الميدان ان يحافظ على الانحراف بكتفه الايسر نحو عنق الفرس وناصيتها وذلك وقاية لصدره ولوجهه من طعنات الخصم او من ضرب الفرس بعنقها او برأسها عندما يحبس عليها او يشدها الى الوراء او عندما تجفل من شبح مفاجيء فان بعض الخيل لحدة في طبعها او لخطأ في ترويضها قد تشب او تقف على رجليها وتضرب برأسها او عنقها ضربات لها خطرها على الفارس اذا لم يكن متحسبا لمثل هذه المفاجآت العنيفة •

ثم كان من التقاليد ان يكون لكل صائبة او ريشة خيل عقيد خبير بآداب الفروسية وعارف بمستوى قدرة الفرسان على تطبيق اصولها وشروطها عمليا •

وكان من الاصول ان يقف عقيد الخيل على يمين الصائبة وحافتها وان يتقدم صفوفها بمقدارماية ستني بحيث يتمكن من الاشراف على جميع افراد الصائبة او الريشة ليحكم توجيههم ويختار من فرسانهم من يرى فيه الكفاءة لمبارزة الطالب من الصائبة المقابلة له •

ومن الاصول ان لا يقرب الطالب للمبارزة او ان يصل الى صائبة المطلوب من الفرسان او على مستوى موقف عقيد الصائبة حين يكون لها عقيد •

كما انه لا يحق للمطلوب من الفرسان ان ينطلق خلف الطالب قبل ان

يرد هذا رأس فرسه نحو الصائبة التي انطلق منها لئلا يفاجئه او يأخذه على حين غرة •

ومن الاصول المحترمة في لعب الجريدة ان لا يطلق جريدته قرب صائبة الخصم لكي تكون الجريدة مستهدفة للخصم وحده لا لغيره من الفرسان •

وفيما يلي صورة رمزية لوضع الميدان :

الصائبة الاولى :

خط سير الطالب

موقف
العقيد



مكان المبارزة

خط سير المطلوب

الصائبة الثانية :



موقف
العقيد

ومن الاصول ايضا ان يرجع المطلوب عن مطاردة الطالب الى داخل صائبته او ريشته • واذا دخل وراءه الى حرم الصائبة فللعقيد ان يؤدبه حسب ما يراه ويريده له ، شرط ان لا تكون فرسه شرودا • وكانوا ـ حرصا على تطبيق هذه الشروط والاصول المرعية ـ يلجأون عندما يعسر الميدان الى لجنة من الخبراء تراقب حركات الفرسان وتقرر مدى التزامهم بأصول الفروسية وتقاليدها وتنبه الى مكان الضعف والخلل في تصرف اي فارس منهم ثم تحكم للمصيبين والمتفوقين كما تحكم على المخطئين والمتخاذلين كل بما يستحقه من تقدير واحترام او من لوم وتجريم •

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة ومنقذ أمة

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

التفسيــر الباديسي

القرآن يهب معجزة الاصلاح ، اذا وعته عقول نيرة ، اما الترديد دون فهم ، او الفهم السطحي الجامد ، فلا يزيـد المسلمين الا جمودا ، ولا يزيـد الطامعين الا استخفافا .

اقرأ القرآن خالي الذهن : لا تحـاول الانتصار لفكــرة ، او معارضة فكرة ، تفز بفهم سليم ، وتلمس الانسجام بين نصوصه .

قلوب الناس معرضة للغفلة ، وعقولهم يعقلها الجهل ، وهــذه امراض تتراكم على صفحة القلب فتغطيه ، كما تتراكم الشوائب عـلى المرآة فتحجب الظل ، ولا صاقل لهذا الا القرآن اذ ارشدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لهذا الدواء المجرب قائلا :

(ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقيل : يـا رسول اللـه مـا جلاؤها فقال : تلاوة القرآن) .

اما كلمة (رب تال للقرآن والقرآن يلعنه) فتعني الذين يقولون مـا لا يفعلون .

التفسيــر الباديسي

بعث ابن باديس في دروسه وخطبه وتفسيره الفخم نفوسا وجلا صدءا وانطلق مستعينا بجزئيات السنة القولية والفعلية والتقريرية عـلى فهم كليات القرآن الكريم متخذا منه سلاحا وعلاجا .

كان ابن باديس على كثرة اشغاله ووفيرة مهماته ، وتعدد لياليه المرهقة يختلي بنفسه ، ليغوص على كنوز القرآن العميقة ، وكلما ظفر بجوهرة تضاعف تلهفه لسواها .

قد يمتد الغوص حتى الهزيع الاخير من الليل ، ويصلي الفجر بوضوء العشاء ، شأن الخالدين الذين يرون في الغوص عبادة وسعادة لانه يردد مع ابي حنيفة : (لو علم ابو جعفر المنصور ما انا فيه من اللذة لنازعني اياها) .

ابن باديس الغارق بمقارعة الاستعمار حرصا على ما بقي من رمق امة طحن الغزاة عظمها ، كيف وجد وقتا يكتب به ويستنبط ويعلق ويحقق ؟؟؟

كان يأتي بما ظفر به ابان الغوص ويتليه في حلقات درسه فيلتقطه كبار التلاميذ ويحتفظون به ، وما ان مر ربع قرن حتى قدموه مجموعا كاملا (٩) .

سلك ابن باديس طريق المخلصين كابن تيمية والسيد رشيد رضا ، وفسر القرآن تفسيرا يبعث الحياة ، ويضع حدا لخطر الذين يزعمون الاسلام ، يضاد العقل ويقوم عثرة في طريق انطلاقه .

تبرم حين رأى بعضهم يقتصر على النحو ، وبعضهم يختلف في ما لا يتوجب اختلافا وتميز غيظا لما شحنو به بعض التفاسير من اسرائيليات وشوائب .

لان بلورة القرآن واشتد بشدته وخالق الناس بخلقه وكون مما استفاد منه مذهبا لو رآه الذين تدرس مذاهبهم في السياسة والاجتماع والاخلاق لتعلموا : كم ترك الاول للاخر .

استنبط منه علاجا للافات الاجتماعية والعائلية والفردية ، وارانا الذين اتخذوا القرآن دستورا وحملوه ترياقا يحملون راية العدل الاجتماعي ويقتبسون النافع من الفكر العالمي . واثبت ان الدين والخلق توأمين ، وان

ادلة العقائد والعبادات في القرآن ظاهرة وقد شرحت السنة كلياتها وان كل ما لا يتفق من عبادات وعقائد مع خط القرآن والسنة بدع طارئة . تلك البدع جبهة مترامية الاطراف خلقت فرقا استترت بالتأويل ورمتنا بزعازع لا تزال تشرق بنا وتغرب .

اعلن ابن باديس بحقول كثيرة من تفسيره ، ان فينا نحن المسلمين جهلا واسرافا وظلما وعتوا وفسادا وكفرا بأنعم الله ، وان جل البلاء المصبوب علينا تسلل من هذه النوافذ . اما الامم التي تشاطرنا الانغماس في هذا المستنقع ، فقد شفع لها يقظة دفعت الخطر كأنها غافلة من جهة ويقظة من جهات !!!

ومن الفهم السليم الذي نستفيده من تفسير ابن باديس قوله في ص ١٦٣ : (الخسران الذي وعد الله به من يخالف الكتاب والسنة وان كان موجها للمشركين ، الا انه من نصيب اهل البدع والضلال) .

طبعا لان مخالطي الكتاب والسنة يلتقون مع المشركين بنقط كثيرة ، منها تعدد الاصنام الجامدة قديما وتعدد الاصنام المتحركة حديثا .

علق على قوله تعالى (ففروا الى الله ..) بما خلاصته :

الفرار يعني الحركة ، نفر من قدر الله الى قدر الله ، وقد سئل الامام احمد بن حنبل عن شخص قال :

اجلس لا اعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال :

هذا رجل جهل العلم ، اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم (تغدو خماصا وتروح بطانا) اما علم ان الصحابة يتاجرون ويصنعون ويزرعون ؟؟؟

نفر الى الله ، لا نستعين بسواه ولا نعتصم بسواه ولا ننذر لسواه .

نفر الى الله ، اذ لا ينجينا من محن الدنيا وامراضها وخصوماتها وبلائها الا الفرار اليه : اي العمل بالكتاب الــذي اراده منقــذا من كوارث الدهــر ومحنه !!! .

نفر الى الله وننجو بقارب كتابه وحبال سنة رسوله ولا نفر منه .

عرض ابن باديس لذائذ هذه الدنيا مشوبة بألم ، وصور رحلتها قصيرة، لنحرص على وداعها مثقلين بزاد ، هو انارة طريــق الناس بمصباح القــرآن لتحرير رقابهم من ذل الاخطاء التي قد لا يكفرها الا نير الغزاة .

اشرق تفسير ابن باديس فنشر المدفونين في اجداث الانحراف .

اتخيل هذه الجهود فاجزم ان الله عظم فــي عين ابن باديس فهانت امامه قوة الغزاة .

طبعا من اوتي القرآن ، فقد اوتي الحكمة ، واحاط بالعلم مــن اطرافه وامتد باعه وترامى اطلاعه .

من اوتي القرآن ، فقد شفا نفسه مــن امراض الانانية وانقذهــا مــن مستنقع اليأس ، وفتح امامها ابواب الامل ودرعها بالصبر والحكمة .

لنقرأ ــ كما قال ابن باديس ــ بتمعن وادراك ، اذ مــا يحتفظ به سوانا من علم نافع وفكر مستو مستقى مما يحتفظ به قرآننا .

ولنقف امام الفكر العالمي ، موقف الناقد الفاحص المنشد :

وان مررت بأشجار لها ثمر   خذ الثمار وخل العود للنار

ما احوجنا لتفسير يصر على التصريح بكلمة الحق لا سيما حول العقيدة والعبادة ويرجح بالفقه ما يراه اولــى بالصواب ، ويبحث الكونيات ويغوص الطبيعة انسانا وحيوانا وجمادا ، ويكشف ما لا يــزال خافيا عورات الغــزاة ونواطيرهم ومماليهم ، ويفارق ما يدعوه الامعات مسايرة للواقــع لكنهم لا

يريدون الا الحرص على لقب مجدد ومطور ولو دفعوا ثمنه بعض خصائص امتهم (١٠) •

ما احوجنا لتنفيذ النصوص المعصومة ونقد وتمحيص ما يرونه تفسيرا لها من روايات العهد القديم ، كيلا يستمر الالتواء • وتتجسم الاخطار ويتضاعف سر خفيفي الوزن من عباد الورق المطبوع والمخطوط •

ما احوجنا للمرور سراعا على جسر العصبيات المذهبية والمشادات الكلامية والنظريات الغيبية •

ما احوجنا لغسل دماغ القارىء مما اعتراه من ادران الموضوعات والمكررات والاسرائيليات والمتضاربات التي ترمي القارىء بالحيرة والارتباك وتنسل من المفسرين من يرى مرجعه الفقهي محاطا بسور من العصمة فاذا لم تتفق معه الآيات استعان عليه بالتأويل • ومنهم من عاش عيالا على القصاصين والروايات الهزيلة ، ومنهم من رماها بعظائم الامور •••

وقد جاء تفسير علامتنا ابن باديس ايقاظا او ارهاصا ليقظتنا الكبرى المتوقعة ، او معجزة تشريعية تنادي :

لا فلاح للمسلمين بل للعالم الا بالاستنارة والهداية التي جاء بها المخلصون المهتدون •

لقد راع ابن باديس ما شاهد من زوايا مظلمة ، فسعى لانارتها ولمس ثغرات قاصمة قصد الذين تسللوا منها •

طلب عظيما فضحى بعظيم ، وسعى لاجتناء العسل فصبر على لدغ حمقى النحل •

اقام المنهاج التربوي على القرآن والسنة وود لو فهمنا القرآن فهما يتناسب مع سمو اهدافه •

نظر ابن باديس في التفسير نظرة عميقة ، فادرك ان في المستشرقين قوما اقامهم المستعمرون اهل رأي ومشورة وذوي ضلع في توجيه دفة سياستهم المعلومة ، فاستتروا بالبحث المنهجي الموضوعي والفكر الحر الطليق وصالوا على ما علم الناس جميعا سمو الفكر الطليق •

وادرك ان هؤلاء كجيش تقاسم مخطط الهجوم : بعضهم يصول على الاخلاق امثال فرويد او على جلال الالوهية امثال نيتشه او على عصمة القرآن امثال بلاشير او على حقائق التاريخ الثابتة امثال لامنس او يخيل الاسلام لا يعدو التصوف المغرق المنحرف امثال ماسينيون ، او يصول على العربية كلغة ويرحب بها كلهجات مرسومة بحرف غير عربي كدانلوب ، قتلا للعربية وتضيقا لدائرة امتدادها ومنعها من التداول وتمهيدا لانزاء القرآن نفسه !!!

وادرك ان في المفسرين قوما اعرضوا عن كلمة الحق ممالاة للعدو وحرصا على ما يتناثر من فتات موائد نواطيره ، وقوما يفسرون النصوص تفسيرا يحترم الواقع ـ ولو كان منحرفا ـ حرصا على لقب عصري ومتحرر وفاهم ومجدد ••• !!!

لم ار عجبا من هؤلاء اذا نالوا من ابن باديس او وصفوا حتى ابن تيمية نفسه بضيق الافق (١١) •

سلكوا سبيل التساؤل عما لا يعني مثل •

عصا موسى من اي شجرة ؟ ما اسم الغلام الذي قتله رفيق موسى ؟ كم عدد الدراهم المعدودة ؟ ما شكل كلب اهل الكهف ؟

وهناك خرافات كعبية وشعوذات وشعبذات وهبية تحللت التفاسير وشروح الاحاديث بل ومتون الاحاديث لا يزال العميان يتناقلونها •

اعرضنا عن نقلها او التحدث عن مراجعها اذ لم تخف على عميقي البحاثين كالقاسمي في تفسيره ج ١٦ ص ٥٦٩٥ من الطبعة الاولى والشيخ

محمود شلتوت في ص ٤٥ من فتاوات وحقول كثيرة جدا من تفسيري المنـــار والجواهر •

اعرض عن هذا كأنه اخذ الثمار وتــرك العود للمنـــار فشفى بالتفسير لا سيما لآيات الجهاد قوم ذبحوا انفسهم وسواهم بمدية الفهم السقيم •

الذين يعرضون دور ابن باديس في بعث الجزائــر يعجبــون حين يرون عكوفه الطويل على الاستفادة من نور القرآن الكريم • وحدثنا في كثير مــن المناسبات ان القرآن شفاء لما في الصدور اي هو شفاء من الغفلة ، اذ القلوب تصدأ الحديد لكن رسول الله اعلن ان القرآن يزيل ذاك الصدأ •

اما كلمة (رب تال للقرآن والقرآن يلعنه) فانه لا يلعنــه لاجل القراءة بل لاجل الارتكابات التي ينهي عنها القرآن •

والقراءة ــ ولو كانت مع اللعن ــ خير من عدمها لانها قد تفضي لصقل الحديد اما العدم فيفضي للصدأ •

حمل ابن باديس مهمة تحرير الجزائر واستعذب الموت في سبيل احيــاء شخصيتها عربية مسلمة ، لكن هذه لم ينسه ان يغتنم فرصة الراحــة ، ويحيلها للكتابة والتأليف والتحقيق •

وبعد جهود ربع قرن او جهاد ربع قرن صامت ، انهى ابن باديس تفسيره الفخم للقرآن الكريم ؛ فأقام له عارفو فضله حفلة فــي مدينة تلمسان عـــام ١٣٥٧ ــ ١٩٣٨ ردد بها الخطباء من كلماته :

(القرآن الذي صنع الــسلف لا يعسر عليه ان يصنع الخلف) وتحدثــوا عن الجهاد العملي الذي ينطوي عليه هذا التفسير ورأوه سبيـــل تأسيس بعث الجزائر الحديث ، ووقفوا امام تركة الامم وحاضرها موقف العاقل الفاحص•

تفسير ابن باديس كانك تلمسه

ارانا الفكر شمسا تشرق على قوم ، ثم تفارقهم لكن الى حين !!!

عرفنا تاريخنا وتراثنا ورشحنا لطلب المكانة اللائقة بنا .

ارانا المسلمين يحملون راية العز بيد وراية التواضع والانسانية بيد . ويحققون العدل الاجتماعي بظروف لم تعرف احياءا سواهم !!!

ارانا العربية تشدنا بالعرب السابقين وتصهرنا بالمعاصرين والاتين . وترفعنا لمصاف المؤمنين العاملين والمجاهدين الصابرين الناجحين .

دعا لتحقيق آمالنا لكن يبذل الجهد وممارسة الاعمال الطبيعية ، اذ الامل ضوء في صحراء ، ومنارة في ساحل ، ترسل النور وتستجيب دعوة مرسلي اشارات الاستغاثة .

ارانا بأوساطنا جهلا واسرافا وكفرا بأنعم الله ، وحقق ان البلاء المصبوب علينا تسلل من هذه النوافذ ، ورأى الامم التي تشاطرنا هذا الانحراف الخلفي شفيعا من يقظتها الاجتماعية ونهضتها القومية !!!

استخرج من بحر القرآن علاجا للامراض الاجتماعية والفردية والعائلية وارانا الذين يتخذون القرآن دليلا جديرين بطلب المعالي والاقتباس من النافع مما في الفكر العالمي .

وموجز القول :

لان تفسير ابن باديس بليونة القرآن واشتد بشدته وخالق الناس بخلقه وكون مذهبا لو رآه الذين ندرس مذاهبهم في السياسة والاجتماع والاخلاق لقالوا : كم ترك الاول للاخر !!!

الشجرة التي امر الله بغرسها ، واراد بقاءها ، لا يستطيع الناس اقتلاعها ولو اجتمعوا وتعاونوا .

والاسلام هو تلك الشجرة ، اراد الله لهـا الاستمرار ، واقام لهـا مـن صفوته حراسا ولعل ابن باديس ابرز حراسها في هذا القرن !!!

لقد سهر جيلا وربى شعبا وعد مجاهدين وصقل مرابطين ، وما ان توفي عام ١٩٤٠ حتى اخذ مريدوه ينفذون التخطيط الذي يستلزم افتـداء الجزائر بارواحهم ويكتبون وثيقة استقلالها بدمهم ، ويركزون رايـة مجدها عـلى جماجمهم !!

بين سعيد بن عثمان و معاوية بن أبي سفيان

❋ قال المدائني : دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن ابـي سفيان • فقال لـه :

علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني ، فوالله لابي خير مـن ابيه ، وأمـي خير من أمه ، وانا خير منه ، وقد وليناك فما عزلناك ، وبنا نلت ما نلت •

فأجاب معاوية على البديهة : أما ان آباك خير من أبيـه ، فقـد صدقت لعمر الله فان عثمان خير مني • واما قولك ان أمك خير مـن أمه فحسب المرأة ان تكون في بيت قومها وان يرضاها بعلها وان ينجب ولدها •

واما قولك انك خير من يزيد ، فوالله ما يسرني ان لـي بيزيـد مـلء الغوطة مثلك واما قولك انكم وليتموني فما عزلتموني ، فمـا وليتموني وانما ولاني من هو خير منكم (عمر) فأقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم ، لقد قمت بثأركم وقتلت قتلة أبيكم ، وجعلت الامـر فيكـم ، واغنيت فقيركـم ، ورفعت الوضيع منكم •

عائد من بلاد الأمن والأمانة

مشاهدات وانطباعات في السعودية

بقلم : روكس بن زائد العزيزي

في دار الكتب الوطنية والادارة العامة للاثار !

وفي دارة العلامة عبد العزيز الرفاعي ــ الرياض ــ

نهار الاثنين في ١٧ ــ ٥ ــ ١٩٧٦

ابتسم النهار رقيقا لطيفا ، وكانت ابتسامة العلامة الرفاعي ارق والطف، لقد جاء يتفقدنا في فندق (انتركو تيننتال) الرياض : هذا الرجل صبغ من اللطف ومكارم الاخلاق !

وبعد حيانا رفع لنا الصحف والمجلات ، واوصى بنا الاستاذ (عطية ابراهيم ابو حمود) مندوب العلاقات العامة في وزارة الاعلام : وهو شاب شهم ، دقيق المواعيد ، ما رأيت ارق منه حاشية !..



في دار الكتب الوطنية :

وصلنا اليها الساعة ال ١١،٣٥ الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة فاستقبلنا مديرها الاستاذ (عبد الرحمن بن عبد العزيز السراء) بلطفه الاجل.

سألناه عما تضم المكتبة (١) من مخطوطات نادرة ، فاجاب ان المخطوطات في هذه المكتبة لا تزيد على (١١٠) مائة وعشرة من المخطوطات ، لكنهم صوروا نحو (٢٠٠) مائتي مخطوط .

---

١ ــ على الرغم من كون كلمة مكتبة ، خاصة بمكتبات الوراقين ، فقد جارينا ما هو مألوف ، لان الاصل في ذلك ان يقال خزانة الكتب والجمع خزائن (العزيزي)

اما الكتب المطبوعة فهي نحو (٢٧،٠٠٠) سبعة وعشرين الف مجلـد . وقد اطلعنا قيم المكتبة الاستاذ (عبد الحفيظ) على مـا فـي المكتبـة مـن مخطوطات ومطبوعات . وقد انشئت هذه المكتبة سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

نسبة الذين يستفيدون من هذه المكتبة :

سألنا قيم المكتبة عن عدد الذين يستفيدون منهـا مطالعة ، واستعارة ، فاجاب انهم يقدرون باثنين وسبعين الف مستفيد ، ما بين مطالع ومستعير .

وبعد ان تجولنا في قاعات هذه المكتبة سجلنـا كلمـة اعجاب بالجهود المخلصة التي تبذل لخدمة العلم والمعرفة !

في دارة العلامة عبد العزيز الرفاعي سكرتير رئاسة الوزراء :

كان موعدنا مع الاستاذ الرفاعي لحضور حفلـة التكريم التـي اقامها ، الساعة الثانية بعد الظهر ، في الموعد ، جاء الاستاذ (علي باخشان) من وزارة الاعلام وصحبنا الى تلك الدارة الفخمة ، فوجدنا معالي وزير الاعلام الدكتور الاستاذ (محمد عبده يماني) ووكيل وزارة الاعـلام الدكتور (عبد العزيـز محيي الدين خوجة) والاستاذ (عبد الله بـن ادريس) رئيس مجلس رعايـة الفنون والآداب ، وهو شاعر مطبوع ، وباحث جليل ، وحضر الحفلـة الشاعر المبدع الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري ، والاستاذ زهير صلاح عبـد الجبـار وغيرهم !

وقد لاحظت ان الولائم التي تقام في المنازل ، ويتجلى فيهـا الكـرم العربي السعودي الاصيل ، ان الطعام يوضع على سماط ، ويتناوله الضيوف وهم قعود .

ولعل الغرض من هذا هو التأدب والشكر للـه علـى لقمته ، وراحـة الضيوف ، وزيادة الالفة بينهم ، وتفادي تقديم احد منهم على الاخر في هـذا المقـام !.

وبعد غسل الايدي يسكب الطيب على ايدي الضيوف ، ويقدم الشاي الفاخر في اقداح من البلور المذهب .

وبعد الشاي تدار القهوة وهي من الهال وبعض الافاوية ، لا من البن • بفناجين لطيفة للغاية •

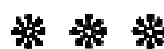
احاديث الادب والعلم بعد الغداء :

وبعد الغداء دار الحديث حول الادب ، والكتب التي ظهرت حديثا ، ودواوين الشعر ، فاسمعنا الاستاذ اميري مقطعات من الشعر جميلة ، علق بالذهن منها ابيات خاطب بها سيدة كانت تجلس هي وزوجها معه ، فسمعت عزفا على كمان ابكاها ، فجففت دموعها بمنديل لها ، ولامس المنديل شفتيها ، فسقط المنديل من يدها ، او هي اسقطته عمدا ، وقالت للاستاذ الاميري : « هذي دموعنا عند قدميك رايح تعمل فيها ايه يا استاذ ؟ »

قال الاستاذ الاميري ، فتناولت المنديل ، ورددته اليها ، من غير ان اقبله ، كما تقتضي الآداب الاجتماعية في مثل هذا الموقف ، وقلت لها :

« أيا من تجفف دمع الشفاه ... وقد ارهقتها هموم الحياه !
بمنديلها ، ثم تلقي به ... وقد عطرته ثنايا الشفاه
على الارض موطىء اقدامه ... وفي نفسها عنفوان وجاه
وفي مقلتيها تساؤل انثى ... (وفي القلب صوت يفيح صداه)
يقول لك الحر : « يا حرة ... اطمئني رعاك الاله
دموعك في الارض لكنها ، ... هي الارض حيث تخر الجباه

وقد ذكر الاستاذ انه نسي العجز الذي اشرت اليه بخط من تحته ، وعاضدتين ، فاقترحت من عندي هذا الشطر ! (العزيزي)



وروى لنا ان شابا حاول احراجه ، وهو يلقي محاضرة دينية ، اذ انتصب هذا الشاب وقال له : ماذا تقول في قول بشار بن برد :

ابليس من نار ، وآدم طينة ... والطين لا يسمو سمو النار

قال فاجبته على الفور :

ابليس من نار وآدم طينة والنار لا تسمو سمو الطين !
النار تأكل ذاتها ومحيطها ، والارض للانبات والتكوين

وذكر لنا رده على حسناء ارادت احراجه على اثر درس ديني بقولها :

ماذا تقول يا استاذ في قول القائل : « خلقت الجمال لنا فتنة ؟ »

قال : فاطرقت لمحة ، ثم اجبتها :

خلقت الجمال لنا نعمة ، وقلت لنا يا عبادي اتقون
وان الجمال تقى ، والتقى جمال ، ولكن لمن يفقهون
فذوق الجمال يصفي النفوس ويجبو العيون سمو العيون
ومن خامر العشق اخلاقه ؛ تأبى الصغار ، وعاف المجون

ولدى انصرافنا من الدار التي هي في حي (الملز) مررنا بحي المعذر ، وزرنا (المسمك) حيث قصر ابن عجلان الذي افتتحه جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، واستولى على الحكم !

عمان ـ الاردن **روكس بن زائد العزيزي**

---

* دعا احد الملوك زاهدا فأبى عليه اجابة الدعوة .

فقال الملك : وكيف لا يجيئنا وقد دعوناه ؟

فأرسل الزاهد الى الملك يقول : ايها الملك ، ان الذي منعك ان تجيئنا منعنا ان تجيئك ـ وهو الكبرياء .

اسراب السمك

رغيد النحاس

من جملة المظاهر السلوكية التي تقوم بها الاسماك لكي تتلاءم مع البيئة ومع الوظائف الحياتية *، تجمعها على شكل اسراب هي اشبه ما تكون بمؤسسة اجتماعية ترتبط السمكة بها بسلوك منظم كما انها تتميز بتخصصات تشريحية معينة . لذلك فان أفراد السرب الواحد هم من حجم مماثل ، ويقومون بحركات على غاية كبيرة من التناسق والتوافق .

تبدأ حياة معظم الاسماك القابلة لتكوين الاسراب في البلانكتون (Planhton) ، وهو مجموعة من النباتات المتناهية الصغر والتي تكون عائمة في مياه المحيط . ففي هذا البلانكتون توضع البيوض ومن ثم فانها تتلقح بواسطة سرب السمك . وتتطور البيوض الى اجنة ، والاجنة الى يرقات ، وهذه الى افراخ صغيرة ذات حركة ضعيفة اثناء السباحة . ثم تبدأ السمكة نموها المبكر وسرعان ما تظهر لديها قابلية التجمع في السرب . ولقد دلت بعض التجارب على انواع معينة من السمك ان التجمع في اسراب يبدأ عندما يصل طول الفرخ الى حوالي ١١ ــ ١٢ مليمترا فقط .

وهكذا فان القابلية للتجمع في أسراب تتطور مع نمو الاسماك الصغيرة . فالاسماك التي تكون بطول ٧ مليمترات تبتعد عن رفاقها بسرعة عندما تقترب من رأس او ذيل او جانب سمكة اخرى حينما تكون على بعد خمسة مليمترات فقط من تلك السمكة . وحين تصل السمكة الى طول ٨ ــ ٩ مليمترات فان اثنين من افراخ السمك قد يجتمعا سويا للحظات معينة اذا كان واحدا منهما قد اقترب من ذيل الاخر . ولكن اذا اقترب الفرخ من جانب او من مقدمة

---

* تلاؤم الاسماك مع البيئة والوظائف الحياتية ــ مقال للمؤلف في العدد الثاني من المجلد ٦٤ للعرفان .

فرخ آخر فانهما يبتعدان بسرعة عن بعضهما . وعندما يكبر الفرخ من ٩ مليمترات الى ٥ر١٠ مليمترات يكون التقارب الرأسي ـ الذيلي هو الشائع ، فيجتمع بذلك كل زوج من السمك لمدة تتراوح من ٥ الى ١٠ ثوان . وبعد هذا تبدأ الاسماك في التجمع لفترات قصيرة في جماعات تضم ثلاثة او اربعة افراد . ويكون الرأس بشكله الخاص ولوجود العينين فيه اكبر العوامل المحرضة في عملية تكوين المجموعات السمكية . اما الذيل فله تحريض معتدل . هذا وان التحريض القوي غالبا ما يؤدي الى تنافر بين الاسماك ، واما التحريض المعتدل فانه يؤدي الى تقارب فيما بينها . وبعبارة اخرى ، يجب ان تقترب سمكة من خلف سمكة اخرى حتى تستطيع مواكبتها والبقاء في المجموعة .

ولقد دلت بعض التجارب على ان الافراد التي تعزل تماما عن المجموعة تتمتع بمعدل عال في نسبة الموت . اما تلك الاسماك المعزولة التي تنجو ، فانها حينما تصل الى سن تصبح فيه قابلة على التجمع في السرب تؤخذ وتوضع مع افراد السرب فتفشل في توجيه نفسها بادىء الامر ولكنها ما تلبث ان تنضم الى المجموعة في غضون اربع ساعات .

وتدل تجارب أخرى على ان انجذاب فرخ من السمك الى فرخ آخر بواسطة الرؤية يتطور مع ظهور السلوك الاجتماعي . وفي هذه الحالة تكون للحركة اهمية كبرى في هذه العملية تفوق اهمية الالوان المحيطة بالسمكة ، واهمية النوع الذي تنتسب السمكة اليه . وتظهر أهمية الحركة على وجه الخصوص في أول عملية انجذاب بين فرخ وآخر .

وبما ان الاسماك تتجاذب حينما تكون متباعدة ، وتتنافر حينما تكون متقاربة ، فلقد فسر بعضهم المسافة الحاصلة بين سمكة واخرى ضمن المجموعة بأنها توازن بين عملية الجذب الناتجة عن حاسة الرؤية وبين عملية التنافر الناتجة ايضا عن الحاسة ذاتها . هذا ، ولا توجد ادلة صريحة حول تأثيرات الصوت او الرائحة او الطعم على السلوك الاجتماعي . ولكن الاجهزة الخطية

الجانبية (Lateral line system) تلعب دورا هاما في توجيه سمكة نحو أخرى وذلك بواسطة تأثر هذه الاجهزة بالموجات الصادرة عن حركة المياه حولها •

ان التجمع في أسراب هو سلوك تعتنقه اكثر انواع السمك لان له فوائد كبيرة من حيث كونه طريقة ناجحة للعيش مع انه لا توجد ادلة على كون هذا السلوك هو شيء اساسي بالنسبة للحياة • فمن نتائج تكوين الاسراب مثلا ، ظهور خواص عامة في الاسماك المجتمعة • فهي عموما ذات لون فضي ولها زعانف مسطحة صغيرة تتحرك بواسطة عضلات لا تسمح بحركة زائدة • فعلى سبيل المثال ، لا تستطيع هذه الاسماك الحركة الى الوراء • وهذه فائدة كبيرة لانها ترغم السمكة على البقاء في السرب • كما ان ظهور السمك بهذا الحجم الضخم (السرب بكامله) يربك العدو في كثير من الاحيان • وبوجود الاسماك مع بعضها يسهل البحث عن الطعام وتسهل عملية التكاثر (ولكن شو (Shau) وجد ان السرب يتألف اما من ذكور فقط او من اناث فقط في بعض الاحيان) كما ان السرب يزود افراده بطريقة اكثر فعالية من ناحية الحركة في الماء لان السمك يستفيد من الاضطراب الحاصل في الماء فيتحرك بسهولة اكبر موفرا بذلك قسما من قدرته التي يحتاج اليها عادة اثناء السباحة •

ومع انه من غير المعلوم فيما اذا كانت عملية تكوين الاسراب شيء مختص بالاسماك البدائية (من ناحية التطور) او بتلك الاسماك المتقدمة ؛ فان بعض الاسماك التي تكون الاسراب هي من نوع تشريحي بدائي وبعضها ما هو متقدم من الناحية التشريحية •

المرجع : ١ ـ انظر مراجع مقال تلاؤم الاسماك مع البيئة والوظائف الحياتية (العرفان)
Shau, E. 1962. the Schooling of Fishes Sc. Am. June.

نظرات في الصحافة وكتاب مواقف مع الصحافة العربية

عرض وتقديم : حسان الكاتب

اصدر الاستاذ ياسر الفهد عام ١٩٧٥ كتابه الاول « مواقف مع الصحافة العربية » الى جميع العاملين في حقول الصحافة والادب والتأليف والترجمة . وهو يضم في صفحاته الـ (٨٥) وطباعته الانيقة وغلافه الفني .. مجموعة من الدراسات والتعليقات حول قضايا الصحافة والنشر .

والملاحظ ان المؤلف اولى اهتماما زائدا للمجلات نظرا للدور المتميز الذي تؤديه في مجالات التثقيف والتوعية والاعلام في الوقت الذي ينصرف فيه كثير من القراء عن اقتناء الكتب المطولة ويقبلون بلهفة على الموضوعات القصيرة المشوقة في المجلات الدورية .

ويرى المؤلف في كتابه ان الاقبال على القراءة مرتبط ارتباطا وثيقا بتحسن مستويات المعيشة وارتفاع الدخول الفردية عند المواطنين العرب ، ولكن الى ان يتحقق ذلك ليشمل جميع الاقطار العربية ، يتوجب على المسؤولين في مجال الصحافة والاعلام ان يعملوا في اتجاهين :

آ ــ توفير اكبر كمية من الكتب والمجلات والصحف والنشرات وجعلها في متناول اولئك الذين لا يقدرون على شرائها ، اما بواسطة المكتبات العامة او على اساس اشتراك اجباري مخصص .

ب ــ تحسين مستوى الاعمال المنشورة في المطبوعات المختلفة حتى نجد القارىء متعة في مطالعتها ، وذلك من خلال التطوير الكتابي والصحفي

والفني للمجلات والصحف العربية بصورة خاصة •

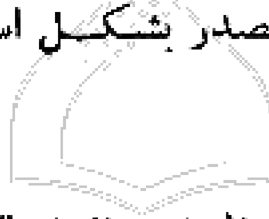
ويقسم الاستاذ ياسر الفهد المجلات الى ثلاث فئات :

١ ـ المجلات الجامعة •

٢ ـ المجلات الاختصاصية •

٣ ـ المجلات المتخصصة المنوعة •

كما يصنف المجلات من حيث الشكل الى مجلات عادية ـ ونشرات ـ وهي اما مصورة او غير مصورة وتصدر بشكل اسبوعي او نصف شهري او شهري او فصلي •



ويذكر على سبيل المثال بعض المجلات الجامعة في الوطن العربي •

العربي « الكويتية » ـ المجلة العربية « السعودية » الثقافة العربية « ليبية » ـ الاسبوع العربي « لبنانية » • ويرى ان هذه المجلات تقوم بدور عظيم في خدمة أهداف العلم والثقافة في الوطن العربي ، وليس هناك مجال لتفضيل واحدة منها على الاخرى فلكل منها نكهتها الخاصة وسحرها الفريد ويقترح تخصيص ابواب طبية ونفسية وقانونية للرد على اسئلة المواطنين في هذه الحقول الثلاثة •

اما المجلات الاختصاصية فهي :

آ ـ أدبية : كمجلات : البيان التي تصدر في الكويت والموقف الادبي ـ دمشق والآداب الاجنبية ـ دمشق « فصلية » الآداب كانت تصدر في بيروت الاقلام تصدر في بغداد الاديب كانت تصدر في بيروت الثقافة لصاحبها الاستاذ مدحة عكاش وتصدر في دمشق ـ الضاد لصاحبها الاستاذ عبد الله يوركي حلاق وتصدر في حلب منذ (٤٧) عاما •

ب ـ المجلات السياسية : مثل السياسة الدولية تصدر فعليا في القاهرة

شؤون فلسطينية ـ صوت فلسطين تصدر في دمشق والشورى تصدر في طرابلس الغرب •

جـ ـ المجلات الطبية : مثل طبيبك الخاص والدكتور تصدران في القاهرة طبيب العائلة تصدر في بيروت ـ طب الاسنان تصدر في دمشق طبيبك تصدر في بيروت •

د ـ المجلات الفنية مثل الكواكب تصدر في القاهرة الفنون تصدر في دمشق الموعد تصدر في بيروت الفنون تصدر في المغرب كل الفنون تصدر في طرابلس الغرب بليبيا •

هـ ـ المجلات العلمية : مثل المهندس العربي ـ المهندس الطليعي تصدران في دمشق ـ دنيا العلم تصدر في بيروت ـ العلوم كانت تصدر في بيروت ـ العلم تصدر في تونس •

و ـ المجلات الاقتصادية : مثل الاقتصاد ـ العمران ـ السياحة تصدر في دمشق الصناعة ـ التجارة ـ سعودية الصحيفة الزراعية ـ العمل ـ في القاهرة ـ المصارف والنفط لبنانيتان •

ز ـ المجلات التربوية : ومنها (التخطيط التربوي) لبنانية ـ الرائد ـ كويتية ـ المعلم العربي دمشقية تصدر عن وزارة التربية ـ المعلم الجديد ـ عراقية ـ رسالة المعلم ـ اردنية •

ح ـ المجلات العسكرية : مثل المجلة العسكرية والفكر العسكري تصدران في سورية عن وزارة الدفاع •

ط ـ المجلات الرياضية : ومنها الرياضة والحياة تصدر في دمشق •

ي ـ المجلات الدينية : جوهر الاسلام : تونسية التمدن الاسلامي ـ دمشق حضارة الاسلام : دمشق الارشاد المغربية الاسلام والحياة ـ مصرية •

رسالة الاسلام بغداد ـ البطريركية ـ دمشق ـ اليقظة ـ حلب الكلمة ـ حلب •

ك ـ مجلات المجامع والمعاهد الخاصة ـ اللسان العربي (مغربية) مجلة مجمع اللغة العربية وتصدر في دمشق ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ـ مجلة المخطوطات العربية ـ القاهرة •

الفئة الثانية : تضم المجلات الاختصاصية المنوعة كالنهضة الكويتية والمعرفة السورية وجيش الشعب السورية والشرطة والشبيبة ـ وجيل الثورة •

وهناك المجلات القضائية كمجلة المرأة العربية التي يصدرها الاتحاد النسائي بدمشق والحسناء تصدر في بيروت •

أما مجلات الاطفال فهي : اسامة وميكي وسعد وتان تان •• الخ •

ويقدم المؤلف بحثا قيما في باب تطوير المجلات والصحف ومما يقترحه في هذا الباب :

١ ـ الاهتمام بالمضمون الجيد والمستوى الرفيع للمواد المنشورة •
٢ ـ عدم تكرار الاسماء والغاء منطق النفعية •
٣ ـ مراعاة عامل التنوع والاتزان والتوازن بين المواد •
٤ ـ التشويق •
٥ ـ الوضوح •
٦ ـ الاخراج الجيد •
٧ ـ زوايا القراء •
٨ ـ الانفتاح على الاقلام العربية •
٩ ـ ان تتاح للكتاب حرية الرأي •

١٠ ــ ان لا تكثر الاعداد الخاصة .

وفي بحث آخر يتحدث المؤلف عن عوامل النشر في الصحف والمجلات العربية وهو في نظره :

١ ــ شهرة الكاتب .
٢ ــ مكانته ومركزه الاجتماعي .
٣ ــ خطة المجلة ونهجها .
٤ ــ عامل المناسبة .
٥ ــ النظرة الشخصية .
٦ ــ عامل العرض والطلب .
٧ ــ النفعية والمصلحة والصداقات .
٨ ــ الكتاب الناشؤون وازمة النشر .

واخيرا لا بد من القول بأن هذا الكتاب اضاف للمكتبة العربية لغة جديدة في ميدان الدراسات الجادة في حقل الصحافة فهو يمثل نواة لكتاب قادم يضم تقديما وشرحا لعدد كبير ليس من المجلات فحسب بل الصحف العربية ايضا بحيث سيدرس اكثر من (٣٠٠) مجلة وصحيفة عربية وهو خلافا للكتب السابقة يقوم وينتقد ويزن ويقدم الاقتراحات البناءة بهذا الخصوص .

تتصف افكار الكتاب بالجدة لان موضوعاته ليست من النوع التقليدي الذي درس سابقا وافكاره مستخلصة من الخبرة الشخصية العملية للكاتب .

والمؤلف يقترح اخيرا اصدار مجلة سورية على غرار العربي والثقافة العربية والمجلة العربية ورفع مكافآت الادباء والكتاب وضرورة اعلام المجلات للكتاب بمصير اعمالهم وما اذا كانت ستنشر ام لا ؟

واذا كنا اليوم نقدم عرضا موجزا للكتاب مواقف مع الصحافة العربية فاننا نتطلع بلهفة الى صدور المؤلف الجديد « مواقف جديدة مع الصحافة العربية » حتى يكون مرجعا جديدا يضاف الى مكتبة الصحافة العربية والله الموفق .

دمشق حسان بدر الدين الكاتب

شفيق المعلوف في شعره المترجم

بقلم : وديع ديب

الشاعر الذي احدثك عنه ، ربيب بيت عريق فـي الشاعرية ، وابن عالم وسعت مكتبته آلاف الكتب من مطبوعة وغير مطبوعة . وقلما تـرى اديبا او متأدبا ، يزور زحلة عاصمة البقاع ، ولا يحج الى بيت عيسى اسكندر المعلوف، بالنسبة لما حوت خزائنه من نفيس المخطوطات النادرة . ولمـا لـه في قلوب زائريه من تقدير واحترام ولطالما حدثني ، يـوم كنت مدرسا فـي الجامعـة الاميركية ، عن نفائس المخطوطات التي ابتاعتها الجامعة منه . كما حدثني عن نجله شفيق ، فيما قام به من ترجمات ادبية بارعة الى لغـة الضاد ، عن اللغتين البرتغالية والفرنسية . ومعلوم ان والد الشعراء فوزي وشفيق ورياض كـان استاذا في الكلية الشرقية في زحله ، وكان ممن عهد اليهم بالترجمة في عهـد فيصل ، يوم دخلت الشام في حوزته . وهكذا يصح في مـا ناله هؤلاء الابناء النجباء من علم ومعرفة وشاعرية على يد أبيهم ، مـا قالـه الشاعر الكبير أمين تقي الدين في استاذه بطرس البستاني ، ومنها :

لبست عباءة الاعراب تزهو ... بها حتى برزت من ارتداها
أخذنا عنك عاطرة القوافي ... وفرقنا على الدنيا شذاها

في هذا المناخ الادبي ، نشأ شاعر عبقـر شفيق المعلوف وعـلى ضفاف البردوني من جارة الوادي درج وترعرع . في هذا الوادي الظليل الـذي نظم فيه أحمد شوقي روائع قصائده ، والذي ينتصب فيه تمثاله دليلا على ما لهذا الوطن الجميل من فضل في خدمة الجمال . وكأني بشفيق عندمـا ترجم عـن بعض اللغات الاجنبية الى لغة آبائه واجداده ، قد هدف الـى امرين . الاول هو رغبته في توثيق أواصر القربى بين الشعبين العربـي والبرازيلي ، أو بـين الادباء من أبناء البلدين ، مـع العلم ان المتحدرين مـن أصل أسبانـي ، لا يحتاجون الى كثير من وسائل التقريب والترغيب . ذلك انك تجد بينهم مـن يفاخر بنسبه العربي المشرقي . واما الهدف الثاني الذي رمـى اليـه الشاعر ،

ولعله الاول من حيث الاهمية ، فهو رغبته في توسيع آفاق الثقافة والخيال امام الاجيال العربية الناشئة . يحدثنا أساطين التاريخ الادبي ، ان بعض الخلفاء في العصر العباسي من أمثال هارون الرشيد وولده المأمون ، كانوا قد شجعوا كثيرا كبار المترجمين على نقل شتى علوم ذلك العصر من طب وكيمياء وهندسة ، الى لغة الدولة من أجل توطيد دعائمها على أسس علمية راسخة وتوسيع آفاق الباحثين في كل حقل من حقول المعرفة . على انه قلما تجد مترجما في ذلك العصر ينصرف الى رجمة روائع الشعر او النثر عن أية لغة أعجمية ، كما يشير الى ذلك ، أديب العصر العباسي الجاحظ ، في كتابه البيان والتبيين . ومما يجدر ذكره ان الجاحظ اشترط في المترجم ان يكون متمكنا من اللغة التي ينقل عنها ، تمكنه من اللغة التي ينقل اليها ، بحيث لا تأخذ احداهما من الثانية او تغلب عليها . من هنا ، جاءت ترجمات شفيق المعلوف على غاية من الصدق والروعة ، لاخذه بأسباب اللغتين ، في شاعرية لا يرقى اليها الشك . بقي ان اشير الى ان الرغبة في الترجمة عن الغير دليل على تواضع الشاعر ، كما هي دليل ساطع على ثقته بنفسه . ان أحب ما كان يتحلى به هذا الشاعر الملهم هو تواضعه الذي يقربه من كل قلب خافق بالوفاء . حسب المستمع المتشوق الى سماع بعض روائعه المترجمة ، أن يصغي اليها بجميع جوارحه ، وان يتلمس ملامح الجمال هذه ، في الحرف الوضيء والكلمة الندية الوارفة ، والنغم الشجي والقصد النبيل . ان في شعره ما يرقى به الى أريكة النبوة وما يلامس عتبات الوحي ، وما يرتفع بخورا في معابد الحكمة . من هذه ، ما نقله عن الشاعر اولاغو بيلاك ، حيث يقول :

أساي لعمر يمر جزافا ... وحب يموت ولم يولد
فحبك خادعت نفسي به ... فطال الزمان ولم أسعد
فلما ضللت طريق طموحي ... وضيعت بين يديك غدي
لعنتك لعنة من نال منه ... اذاك وان كنت لم تقصدي

وعن الشاعر كاسترو ألفيس قوله :

أيا منزل الآباء أصبحت خاليا ... وقد كنت في ثوب من الزهو فضفاض

خلوت لكل الناس الا لناظري وانست عودي رغم هجري واعراضي
فأطلع لي خاليك أطياف من مضوا بأسرع مــن فتحي لجفنــي واغماضي
وحدث فيك الصمتقلبي مرددا علــي امانــي الخوالــي واغراضي
تفر لخطوي الذكريات كزمــرة من الطير قد اجفلن مــن بين انقاض
فتعبر بــيّ لمسا باطراف ريشها وترتــد عنــي عائدات الــى الماضي

ومما نقله من الشاعر اويس دي فونسكا ، الابيات التالية ، وكأنما هــي فيض من الابتهال :

الا دع يــد الآمال تلقــي ذرورها على قلبك المجروح مسكا مطيبــا
وكن مثل قلب الارض لو لم يفتحوا به الجرح فوق الجرح ما كان اخصبا
وكن كفضاء اللــه ان يرشق الورى حجارتهم لــم يبلغــوا منه مأربــا
وكم حجر يرمي بــه العبــد ربــه يصيــر اذا مس السموات كوكبا

يقول طاغور في قصة « الانتصار » : « ان للشعر الخالد منابع ثلاثــة ، هي : الله والطبيعة والقلب البشري » • بمعنى ان الاديب الــذي لا يستوحي الحق فيما يكتب والجمال فيما يصور ، ليس جديرا بالخلود ، الذي يصبو اليه في غمرة الفيض والعطاء • وهكذا فان شفيق المعلوف استطاع بما وهبه اللــه من نعم السماء ، ان يرتفع الى مشارف الحق والجمال • وان يبــغ على الشعر المترجم أصالة الوضع والابداع •

بيروت وديــع ديب

❋ ذكر علي بن عبيدة القلم فقال : اصم يسمع النجوى ، اعيــا مــن باقل ، وابلغ من سحبان وائل • يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ويجعل الكتب بين الاخوان ألسنا ناطقة واعينا لاحظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الالسن عند المشاهدة •

عبد الرحيم قليلات

(١٨٨٤ – ١٩٤٢)

بقلم : فوزي سابا

شاعران اشتهر شعرهما الاجتماعي منذ العشرينات من القرن العشرين على اختلاف نمطهما البياني : هما عمر الزعني الشاعر الشعبي وعبد الرحيم قليلات الذي حافظ على العمود الشعري بكل ما فيه من وزن وقافية وفصاحة .

ولد عبد الرحيم قليلات في بيروت سنة ١٨٨٤ وتلقى علومه في مدارس جمعية المقاصد الخيرية ثم في الكلية السلطانية متتلمذا على الشيخين عبد الرحمن سلام ومحيي الدين الخياط فنال شهادتها سنة ١٩٠١ مما اهله للالتحاق بالجامعة الاميركية حيث درس فيها اللغة الانكليزية مدة سنتين ؛ هاجر بعدها اي سنة ١٩٠٢ الى مصر مدرسا حتى سنة ١٩٠٥ وملازما الازهر الشريف في اوقات فراغه او متحلقا مع كبار الادباء .

سنة ١٩٠٥ انتقل من التعليم الى الوظيفة ، مع حكومة السودان فانتقل الى الخرطوم لكن الادب والصحافة كانا في دمه فانشأ سنة ١٩١١ جريدته « رائد السودان » التي عرفت بصبغتها الوطنية ولانها كانت ملتقى اقلام رجالات الفكر العربي اثارت حفيظة السلطات على صاحبها مما اجبره على ترك الوظيفة والسودان والعودة الى بيروت سنة ١٩١٤ اي عند ابتداء الحرب العالمية الاولى وكان ان جند في الجيش العثماني وارسل الى طرابلس الغرب حيث وقع اسيرا سنة ١٩١٥ وبقي الى سنة ١٩١٩ حتى افرج عنه وعاد الى بيروت سنة ١٩٢٠ فعين مفتشا لبلديتها وفي عام ١٩٢٢ تسلم مديرية الشرطة اللبنانية وبقي فيها حتى سنة ١٩٢٩ عندما قدم استقالته لاسباب سياسية .

بعد الاستقالة قضى بعض السنوات في بيروت ثم باع املاكه وقام سنة ١٩٣٣ برحلته الكبرى الى الهند وسيلان واندونيسيا ومنها توجه الى اليابان وبقي يتجر مدة اربع سنوات تخللتها رحلات وزيارات لاميركا وافريقيا الغربية ليعود ثانية الى لبنان سنة ١٩٣٨ ، اما رحلته الصغرى او بالاحرى رحلاته الصغرى ، فكانت تقتصر على اوروبا ومصر .

في المدرسة تعلم اللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية ، وفي الاسر تعلم اللغة الالمانية من زملائه الاسرى الالمان ، وفي رحلاته تعلم اللغتين اليابانية والاندونيسية ، وبذلك ملك قدرة على استيعاب الآداب المختلفة من مصادرها الاصلية ولغاتها الام ، مما زادت سجاياه الشعرية صقلا .

عرفناه خطيب المنابر وشاعرا بقامته الطويلة وجسده الجبار الذي غلبت عليه السمنة وقد تكون هي السبب في رحيله المبكر عنا ، كما كان لها تأثير في طباعه الرضية التي اكتسبته ذلك الظل الخفيف والبديهية الحلوة فعرفت مجالسه بالانس .

اذكر فيما اذكره عن عبد الرحيم قليلات انه دعي للخطابة خلال شهر رمضان المبارك ، فلما اعتلى المنبر ، بقامته الفارغة وجسده الجبار ، دوى التصفيق فانحبكت له النكتة ، قال الاصل في الحق يقع على صاحب الدعوة التي وقعها في رمضان المبارك ، الذي له تأثير كبير فيه ، ودل على جسده واشار الى السمنة المرتاحة عليه ، فصائم رمضان من امثالي وفاطره ابدا متكد، ان جاع تذمرت معدته ومتى فطر زادت تذمرا ، ثم القى قصيدته المشهورة ــ حليم وسليم ــ التي ما زلت اذكر منها قوله :

كلنا اخوة وما الفرق الا غلط في حسابنا موهوم
غلط اصل جمعه الطرح والضرب بهذا او ذاك والتقسيم
غلط لا يضل عنه لبيب غلط لا يشك فيه فهيم
كلنا اخوة وما الوطن الواحد الا بيت الاخاء العظيم
كلنا في حمى المحبة اهل ها هو المذهب الصحيح القويم

بهذا الروح نظر الى المجتمع ، بروح الانسانية والمحبة ، فجاء شعره للاصلاح الاجتماعي ولا سيما في تلك الفترة القلقة التي اصابت لبنان ، وكان احوج ما يكون لمن يضمد جراحه ويزيل رواسب التفرقة التي استملكته خلال اعصر الانحطاط وزادتها الحرب العالمية الاولى استمساكا ، فكان لا بد له من مصلحين امثال عبد الرحيم قليلات الذي جند نفسه من اجل الوحدة الوطنية محاربا كل ما يساعد على التفرقة سيان أكان عنصريا او دينيا او اجتماعيا ، لذلك لا نجد له الا القليل من الشعر الغزلي الذي كان يأتي به عرضا ، امثال قوله :

قسما بالحب اني مغرم ... ويمين الحب لي خير يمين
اتراهى بين يأس ورجا ... ورجائي بين شك ويقين

او قوله :

قدك البان وما شعرك ... الا غاب ايك
ردد الورق عليه ... لحن اشواقي اليك
والخزامى حول انسان ... الدجى من ناظريك

ايمانه بالقضية الوطنية والواجب الذي فرضه على نفسه لمداواة الامراض الاجتماعية ملكا حسه ولم يتركا له متسعا للنظر الى الضروب الشعرية الاخرى لكأني به على لسان عمر بن ابي ربيعة في قوله :

قالت وابثثتها سري وبحت به ... قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي ، فقلت لها ... غطى هواك وما القى على بصري

هكذا غطت العاطفة الوطنية على كل حواس عبد الرحيم قليلات وصهرت طاقاته كلها في طاقة واحدة هي الناحية الوطنية والاجتماعية ، فجاء ديوانه « الهيام » خطا واضحا للوطنية المثلى والتضامن المطلق من اجل العمل البناء فصدره بقوله :

رب يا ذا الجلال والاكرام ... لك حمدي وفي رضاك هيامي

حسب شعري يا رب وحي شعوري   حاطه منك صادق الالهام
وخيالي قد هام في كل واد   رب فاسلك به سبيل السلام
دنت بالحب راعيا كل دين   وكفى ان رائدي اسلامي

هذا هو اهداء الديوان مرسل مطلق الى الله جل جلاله ، اما باقي القصائد التي تقع في ثلاثمئة وست وعشرين صفحة فانها تداوي امراض المجتمع اللبناني على شتى انواعه .

في هذه الابواب تظهر شاعرية عبد الرحيم تابلات فنجد السهولة والوضوح في الكلمة وفي المعنى ، ليأتي شعره هذا موازيا لما نسميه بالسهل الممتنع الذي لصدقه ورقته يدخل القلوب ويؤثر فيها حتى الاستملاك ، بعدما جعل شعاره :

هو رب كل العالمين فيا ترى   ما الفرق بين موحد وموحد

كما اتخذ شعاره ايضا :

ما هيامي الا بربي وقومي   ولساني افخر به من هيام

ولكثرة امراض المجتمع انذاك طرق ابوابا من الشعر قل من طرقها من الشعراء لنجد شعره مخططا لمعالجة هذه الامراض كل على حده : من التسامح الديني الى تعليم المرأة الى رفع مستوى العمال الى التضامن الوطني . فيقول من قصيدة عنوانها في سبيل التوحيد :

بل اي يوم فيه اقوام الملا   يسمون بالقلب المؤلف واليد

ويقول في المرأة :

انا للمرأة الضعيفة عمري   مخلص صادق وفي العهود
اتمنى لها نهوضا سعيدا   يتحلى بطيب عيش سعيد
غير ان النهوض ما اتصان الا   بلباس التقوى وكسر القيود

ولانه مؤمن بالاصلاح الاجتماعي ؛ وبالرغم من تقلبه في الوظائف الكبرى الحساسة ، فانه كره السياسة ، ربما لانها تشغله عن واجبه الاجتماعي، فيقول من قصيدة :

دعني فمالي في السياسة ناقة تطلي ولا جمل يلمث بقارها
حظ المقامر والمغامر باسمها سيان حول غمارها وقمارها

تحللت المرونة في شعر عبد الرحيم قليلات الذي جاء كما النجاوى او انه عتاب الاحباب للاحباب ولان حبه لامته كان مشرقا فقد اضاء له حتى اكثر السبل ظلمة ، وبذلك تفتحت له ابواب اهلته للدخول الى الاذهان التي ما زالت عالقة برواسب الماضي الجاهل فكان يتخير المواضيع التي توافق هذه الطبقات مثالنقوله من قصيدة بعنوان ــ فلاح وشيخ معلم ــ التي بالرغم مما فيها من الفكاهة فقدت زاد مغزاها على فكاهتها :

تجادل فلاح وشيخ معلم على اجر تعليم ابنه مثل اقران
فقال له الفلاح اجرك باهظ بني لحقلي والنقود لجزداني
بها اشتري ما اشتهي او يكون لي حمار فقال الشيخ لا بل حماران
اتفهم قصدي يا ابا ابن مضيع حمارك هذا واحد وابنك الثاني
فقال له يا شيخ صاروا ثلاثة ورابعهم سلاب مال يعرفان

لقد جمع عبد الرحيم قليلات كل طاقاته وظرفه وادبه وعلمه وحولها الى الاتجاه الوطني الذي ارتسم في قلبه وظهر جليا في شعره فاذا عنواته لبنان :

ان كان اخطلها لعيسى ينتمي فانا ورب محمد حسانها
ديني محبتها وايماني بها وعقيدتي لبنانها لبنانها

سادات الظرف والاخلاص هؤلاء سلسلة متماسكة الحلقات في البناء وعلى اقلامهم بقي الاشعاع اللبناني مستمرا او متصل البت ، وعبد الرحيم قليلات واحد منهم •

بيروت فوزي سابا

مع الأعلام

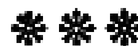
لونغفيلو : شاعر الاسرة

بقلم : سمير شيخاني

في مطلع القرن التاسع عشر كانت نيو انغلاند موطن البحارة ، والتجار والفلاحين ، والرواد ولم يكن هؤلاء يشكون لا من فرط الثروة المادية ، ولا من مصاعب الفقر المدقع • وكانت أرضهم خضراء خصبة ، همهم بناء المستقبل بدلا من التنقيب في زوايا الماضي ، لا يبالون بالالقاب •

كانوا يتميزون بالعناد ، والنشاط ، وقوة الشكيمة ، ويفخرون بمنجزاتهم المادية والادبية ذلك بأنهم رضوا قارة ، وانشؤوا ديموقراطية • ومع ذلك كانوا مبعث احتقار بسبب الخلال والمزايا التي جعلتهم فريدين في نوعهم بين سائر الاجناس البشرية • فشعوب العالم القديم كانت تنظر الى سكان العالم الجديد على انهم جماعة من بناة الطرق ، ذوو سواعد مفتولة ، وعقول متحجرة ، اناس يصارعون المساحات الشاسعة من الارض ، ولا يبالون قيد أنملة بمساحات الروح الاكثر اتساعا •

وقلما خطر ببال أحد ان روح الانسان يمكن ان تتغذى في مجاهل أميركا • وقد كانت نيو انغلاند من الناحيتين الادبية والثقافية مستعمرة بريطانية حتى زمن طويل من احرازها استقلالها السياسي • ولكن شيئا فشيئا خاضت معركتها ، وحققت انتصارها في حرب تحررها الثقافي • وكان بطل هذه الثورة الاميركية الثانية البيضاء هنري وادسورث لونغفيلو •



أبصر هنري لونغفيلو النور في سنة ١٨٠٧ في بورتلاند بولاية ماين ،

في أسرة عريقة من أسر انغلاند . وقد لمع أجداده في الميداتين العسكري والقضائي في تلك المنطقة الاميركية . وكانت دراسته ارستقراطية مثل أصله . وقد نشيء منذ حداثته على « عادات الاحترام ، والطاعة ، والايثار ، والابتعاد عن الاستدانة ، والقيام بالواجب بكل اخلاص » . وفي كليــة بودوين التــي التحق بها قبل بلوغه السادسة عشرة « كان دائماً مثال الجنتلمن في تصرفاته ، وحركاته وسكناته .

نشأ في بيت قوامه الكتب ، الموسيقى والاحاديث الابية ، فلا عجب ، ان هو بدأ بقرض الشعر ، في سن مبكرة . وفي الكلية ، عقد العزم على احتراف الادب ولكن والده ، في رسالة بعث بها اليه ، وهو في كلية بودوين حذره من سلوك هذا السبيل ملاحظا أنــه ليس في أميركــا ، ثروة تكفي ، للقيام بأود الاديب، سوى أن الاب ، لم يستطع ان يخفي وجه الاديب الفنان ، الذي كان له . فأنهى الرسالة التي بدأها بالتحذير العملي ، الواقعي بنقد شعري اذ كتب يقول لابنــه :

لقد قرأت قصيدة في صحيفة « الغزيت » الادبية الاميركية عرفت مــن التوقيع انها لا بد ان تكون بقلمك . انها حقا ، قطعة رائعة ، وقــد استمتعت بتلاوتها . ولكنك تلاحظ أن الشطر الثاني في البيت السادس مكسور .

وفي حين كان لونغفيلو يحاول ان يتخذ قرارا حــول مستقبله العملي ، تدخل القدر ليضعه من أجله . فقد شغر كرسي اللغات الحديثة فــي كليــة بودين . فعرض عليه التعليم بعد تخرجه ، شرط ان يقوم برحلة فــي أرجــاء أوروبا يدرس فيها اللغات المختلفة في مواطنها . وقد أبحر الى أوروبا تحدوه رغبة الشاعر الشاب ، عملا بالمبدأ القائل ، « ان الانسان يتضاعف بقــدر مــا يتعلم من اللغات ويتقن » .

وهبط فرنسا في بادىء الامر ، وكتب من بودوين يقول ان الحالة عــلى أفضل ما يرام :

« يمكنني في كل لحظة الاصغاء الى الاحاديث الفرنسية لان الفرنسيون دائمو الكلام » .

وتنقل في رحاب البلاد حاملا الناي ، مازجا بين دروسه الادبية والموسيقية . وطاف أرجاء اسبانيا ، وايطاليا ، وألمانيا ، فكان في كل مكان يستقبل أفضل استقبال نظرا لروحه الطيبة التي كانت تنير له الطريق ، لكأن ملامحه كانت في حد ذاتها « رسالة توصية » .

ولم تكن قدرته على اتقان اللغات لتقل عن تأثير شخصيته . فبعد ثلاث سنوات من الدراسة في العالم القديم قفل عائدا الى بورتلاند ، فاذا هو خبير باللغات ، قدير . سوى انه رفض القبول بغير درجة استاذ في كلية بودوين . وقد أقر مجلس الامناء في الكلية المذكورة تعيينه في هذا النصب التعليمي الرفيع في أول أيلول من سنة ١٨٢٩ ، وكان بعد في الثانية والعشرين من عمره .

وفي الكنيسة ، صباح يوم من أيام الاحد ، لاحظ ان ماري بوتر التي كانت زميلته في الدراسة ، والتي غابت عن أنظاره طوال سنين ، قد أصبحت صبية حسناء . فهرع الى شقيقته يرجوها بوقار الاستاذ ان تعرفه بالآنسة بوتر . وبحميا الشاعر كسب قلب الآنسة بوتر ، وحملها على ان تصبح زوجته . وقد أقام الاستاذ الشاب وزوجته في منزل ريفي جميل في ظلال شجر الغرغار ، حيث كان كل ما يحيط بهما يرفع انشودة الفرح لملاقاة الشمس الطالعة .

❋❋❋

وكان لونغفيلو بعيد الطموح ، لم يكتف بالبقاء استاذا للغات الحديثة في كلية بودوين ، بل أراد ان يصبح عاملا نافذا في قولبة الادب الوليد في بلاده . فقد كان الاوروبيون يتهمون الاميركيين بأنهم منهمكون في مشاريعهم المادية البحت ، لاهين عن كل ما عداها . وكان لونغفيلو شديد الحساسية بالنسبة الى هذا الانتقاد . ورأى ان يوحد جهوده وجهود زملائه المغامرين في

ميدان الروح ، أمثال : كوبر ، وبرايانت ، وآيرفنغ ، وويتيار ، لكــي يجنــد مواطنيه • وغايته من ذلك أن يبرهن لهم ان المجد الحقيقي لامــة من الامم لا يكمن في فتوحاتها الطبيعية ، بل في آفاق منجزاتها الفكرية والادبية • صحيح ان مواطنيه كانوا يشيدون هيكلا رائعا للحضارة ، الا أنه كان جسما بلا روح، وقد شاء لونغفيلو ان يكرس نفسه ، بالاشتراك مع زملائه المربين ، لاقامة صرح لروح الثقافة الاميركية • وفوق كل ذلك كان يرغب فــي خلق أدب أميركــي لجمهور أميركي • ولكن واجباته التعليمية كانت في تلك المرحلــة من حياتــه تستنفذ منه معظم وقته• وقد ازدادت هذه الواجبات عندما استقال البروفسور تكنور ، استاذ اللغات الحديثة الشهير من منصبه في جامعة هارفرد ، وعــرض على لونغفيلو الحلول محله شرط ان يزور مجددا المراكز الثقافية في أوروبــا لتوسيع أفقــه •

وقام لونغفيلو برحلته الثانية الى اوروبا ، فتعرف هذه المرة الى توماس كالاريل وروبرت براوننغ ، وكانت ترافقه زوجته الحسناء فكانت رحلة ممتعة للغاية ، زارا خلالها انكلترا واسوج والدانمرك وهولندا ، ولكن هذه السعادة لم تدم طويلا اذ توفيت زوجته ماري في صباح يوم أحــد في روتردام فــي هولندا دون ان تتألم فقد وضعت طفلا قبل الاوان وتألمت طوال ثلاثــة أسابيع ألما جسمانيا وعانت عذابا فكريا ، كبيرا وقبيل وفاتها ذهبت عنها آلامها ، مــع أنها بقيت بكامل وعيها ولم يفارقها هنري في تلك الايام العصيبة ، بــل كــان يجلس بجانبها على السرير ممسكا بيدها مراقبا نفسها الذي كان يضعف شيئا فشيئا وقبل ارتحالها عن هذا العالم بدقائق معدودات ، طوقت عنقه بذراعيها ، مرددة :

« أيها العزيز هنري ، لا تنسني ، ثم أغمضت عينيها وابتسمت وادعة »•
أنا لست ميتة ولا أنا نائمة ، لقد استيقظت من حلم الحياة » •

تلك كانت الضربة المفاجئة التي أحنت رأس الشاعر • فجمع ملابسهــا ، وأرسلها الى شقيقتها في أميركا ، مرفقة برسالة طواها عــلى الالـــم الــذي استشعره وهو يقوم بذلك الواجب • وما ان نفض يديه من رسالته الى شقيقة

زوجته الراحلة حتى أكب على دراساته في الادب الالماني • وعاد بعد اثني عشر شهرا الى أميركا ليتولى منصب استاذ اللغات الحديثة في جامعة هارفرد • وفي شتاء سنته التاسعة والعشرين هبط كيمبريدج وأقام في قصر كريجي التاريخي الذي كان في وقت من الاوقات مقر قيادة الجنرال واشنطن خلال حصار بوسطن في حرب التحرر • وما ان انقضت سبع سنوات على اقامته في هذا القصر حتى تزوج ثانية • من فرنسيس اليزابيث آبلتون ابنة أحد تجار بوسطن ، كان قد قابلها في سويسرا بعد وفاة زوجته الاولى • وكانت صبية ــ « نادرة الذكاء وفي عينيها عمق » • وكانت هدية العرس صك استملاك للقصر الذي ابتاعه لهما والدها التاجر •

وبدأت الشهرة تحلق في هذا القصر بأجنحة خفاقة • فقد نشر لونغفيلو ديوان شعر يردد صدى روح الشاعر الالماني غوته ، وايقاع الملاحم الاسكندينافية • كان يجد في كل عمل يومي عظة لفلسفة ايمان كونيه • ولم تكن فلسفة انسان محظوظ لم يفكر قط ، ولم يتألم • فقد تجرع لونغفيلو كأس الحزن والاسى حتى الثمالة • ومن خلال حزنه ، حقا ، بلغ حكمته • ومن خلال شعره تشوق الى مشاطرة سائر البشر حكمته • وكان تعليمه الجامعي ثانويا ومرهقا ، وقد وصفه بقوله :

ان العمل الجامعي أشبه بيد كبيرة تضغط على كل اوتار قيثارتي •

ولما أيقن ان رتابتها تهدد نضارة اناشيده استقال من الجامعة ، وانصرف بكليته الى العمل الادبي • وبدا له طبيعيا ان تنسج الحكايات الاميركية من الفولكلور الاميركي نفسه ، تماما كما تشيد الاكواخ من اشجار الصنوبر الاميركية • وهو عندما نبذ جسم الماضي الهامد احتفظ بروحه الحية • أخذ خمرة العالم القديم اللذيذ وصبها على مآدب العالم الجديد ، حتى بات يحمل لقب «شاعر الشعب» •

كان لونغفيلو شاعر الاسرة ، والسكون ، والسلام • ومع ذلك عاد الى قلبه الضباب والثلج والحزن • فقد قام الموت بسلسلة من الغازات على أسرته، ولكن بقدر ما كان الموت ينتزع ، كانت الحياة تمنح وتجدد •

ملاكان : ملاك الحياة وملاك الموت ، مرا فوق قريتنا .

فلما قام أبوه وأمه برحلة الليل الطويلة ، غردت في الفجر ثلاث بنات هن اليس ، وايدين ، واليغرا .

الا انه في أحد أيام الصيف من سنة ١٨٦١ ، رجحت احدى كفتي ميزان العدالة في غير مصلحته ففي ذلك اليوم يقف الشاعر متأملا الشمس المحيية ، رافعا شكره للخالق ، كانت زوجته في قاعة المكتبة منهمكة في تجعيد شعر صغارها بحديدة محماة على نار شمعة .. فاشتعل ثوبها ، وباتت كتلة من النيران في لحظات قليلة . فهرولت الى الخارج لانقاذ الصغار . وهرع الزوج من مكتبه على الصياح لنجدتها ، وطوقها بذراعيه ونجح جزئيا في اخماد النار . ونقلت الى السرير فريسة الالم المبرح ولكنها أسلمت الروح في اليوم التالي .

وراح الشاعر يذرع قصر كريجي طولا وعرضا ، وهو يكاد يجن من فرط اللوعة . لقد آثارت غيرة الآلهة كأس السعادة الطافحة ؛ فكان يردد معمغما : « لقد كنت سعيدا كثيرا .. سعيدا كثيرا .. » ولم يستطع نسيان تلك المأساة المفجعة وهو يسير في دهليز العمر « في الليالي الطويلة المسهدة » .

ومرت الاعوام ؛ فاذا هو ما يزال حزينا في قرارة نفسه ، ولكنه لم يفقد سكونه واتزانه الظاهرين . ولطالما تمنى الا يؤثر الزمن في عقله ، او يفقده القوة على الانشاد . ولم يخب أمله هذا . فقد بقي لأزهار خياله أريجها في خريف حياته . فبعد وفاة زوجته الثانية عكف على ترجمة رائعة دانتي « الكوميديا الالهية » . شعرا الى الانكليزية . ذلك بأنه ، كالشاعر الايطالي الاشهر ، قد نظر الى خيال بياتريسه في السماء . وقد نقل هذه الملحمة بمعدل نشيد واحد كل يوم ، وكان فراغه منها سنة ١٨٧٠ .

وقام بزيارة أخيرة الى اوروبا ، فاستقبل استقبالا لم يعرفه قط أي أميركي قبله . وقد استوقفه أحد العمال في الشارع ، وتلا على مسامعه قصيدته « مزمور حياة » . وعندما زار قصر الملكة فيكتوريا في لندن :

اختبأ الخدم وراء الستائر ليتأملوا ذلك الرجل الوقور ، ذا الوجه المشع كالقرنفلة ، تحيط به لحية بيضاء فضية ، وشعر من اللون ذاته ، والشاعر الذي حفظوا عن ظهر قلب قصائده المفعمة بالامل ...

***

وفي الذكرى الخمسينية لصفه ، في كلية بودوين التقى بزملائه القدامى وقرأ عليهم قصيدة للمناسبة بصوت ضعف من السنين ، ولكنه ما يزال فتيا بالامل . ثم تحدى الموت مرددا : « نحن الذين بتنا على وشك ان نموت نحييك غير جذعين » وتجمع الزملاء القدامى في غرف الدرس السابعة ، وتمشوا في الملاعب ، متجاذبين أطراف الحديث ثم ودع بعضهم بعضا بعد صلاة قصيرة . ذلك بأنهم أيقنوا أن صف سنة ١٨٢٥ لن يتاح له بعد أن يجتمع افراده الذين بلغوا من العمر عتيا .

ولكن الشيخوخة بالنسبة الى الشاعر لم تكن لتقل عن الصبا من حيث الفرص التي تتيحها له . فالنجوم لا تشع الا في الليل ـ انها في النهار لاترى . وقد بقي هناك عمل كثير لانجاز الهيكل الجميل للروح الانسانية . وبقيت هناك ألحان كثيرة تنشد بعد انسدال ظلال المساء . ولا عجب ، فهو في الخامسة والسبعين من العمر ، ولم يعش الا لحظة من يوم الابدية . في الخارج كان أحفاده يلهون في الشارع ، والعصافير تبعث الموسيقى في الحقول المجاورة . وسيبقى هناك أولاد يلعبون في الشوارع ، وعصافير تغرد في الحقول .

ودقت ساعة القرية ، فتنبه الشاعر من نومه ، ونظر بهدوء الى التماثيل الرخامية النصفية المنتشرة حوله في القاعة . وكان ثمة غرزة رقيقة في عين غوته ، وبدا كأن صوتا يخرج من بين شفتيه : « احمليني أيتها الابدية العظيمة ! ... »

ونهض الشاعر واقفا ، وأطفأ الشمع . ثم صعد الى الطبقة العليا لينام . وكان ذلك في ٢٤ آذار سنة ١٨٨٢ ، فرقد رقاده الاخير .

سمير شيخاني

الحمل الاقرن

تاليف : ش . بيشينالييف
ترجمة : عيسى فتوح

عزيــز

كان عزيز ابن راع ، يعيش في مراعي الجبال صيفا وشتاء ، يرعى والده الغنم طوال النهار ، بينما تبقى أمه في الخيمة المغطاة باللباد ، تطبخ الطعــام ، وترفو الثياب . وعندما يأتي المساء ، تساعــد زوجها عــلى ادخال الغنم الــى الزريبة ، لتنفق فيها الليل .

ما ان يصبح آخر خروف في الزريبة ، حتى يدخل والد الصبي الـــى الخيمة ويرفع عزيزا الصغير ثم يبدأ بدفعه في الهواء .

صاحت زوجته القلقة : « قف ! ستوقعه ! » .

ضحك والده قائلا : « ابن راع يجب أن يكون شجاعا وقويــا ، سيكبر حالا ، ويمتطي حصانه كأنه الريح ، سيكون راعيا حقيقيا ! » .

بسطت أم عزيز ذراعيها اليه وراحت تدعوه :

« تعال ، تعال » .

لكن عزيزا شعر بأنه سعيد جدا مع أبيه : كان كبيرا وقويا ، تفوح مـــن ثوبه رائحة صوف الغنم ، والدخان المنبعث من نار الخيمة .

قال والده صباح يوم جميل : « سآخذ عزيزا معي الى المرعى اليوم » .
أجابت أمه : « كلا ، انه صغير أكثر من اللازم » .

تجادلا فترة ، ثم قررا أن عزيزا سيكون من نصيب من يخف اليه أولا .

وهكذا وضعا عزيزا بينهما ، في وسط الخيمة ، وأخذ كل منهما يدعو الصبي اليه : « عزيز ! تعال الي ! » .

نظر عزيز الى أمه ، الى ذراعيها المبسوطتين ، ورأى كيف رنت اليه بعطف

ثم نظر الى أبيه ، الى راحة كفه الكبيرة يمدها اليه ، فاندفع نحوه بلا مقاومة .

قال له أبوه : « سأعلمك أن تركب ، وترعى الغنم » .

غادرا الخيمة . امتطى الاب حصانه ، وهو يضع عزيزا أمامه ، واتجها نحو قطيع الغنم الكبير ، يتحدثان بسعادة غامرة .

أما أمه فقد بقيت عند باب الخيمة ، تتبعهما بنظراتها ، ثم صبت قليلا من الحليب في جرة ، ووضعت بضعة أرغفة من الخبز في كيس ، وانطلقت خلفهما .

عزيز يصبح راعيا

تلك أول رحلة قام بها عزيز الى المراعي . لم يكن ثمة شيء في الدنيا أحب الى عزيز من ان يركب فوق السرج مع أبيه ، ويرعى الغنم . ذلك لان حياته في الخيمة ، الى جانب أمه ، لم تتح له أن يرى شيئا على الاطلاق ، الا الغنم ، أما الآن ... فصار يدس رأسه من عباءة أبيه كفرخ سماني من عشه . جلس فوق غطاء السرج الخمري ، على حصان ضخم .

هزه الحصان فتهادى كأرجوحة . ظن أنه أصبح الآن أطول بكثير من ذي قبل ، حتى الجبال التي كانت تخيفه وترهبه دائما ، بدت الآن رائعة المنظر ، لقربها منه .

حين لمس أوراق الشجر ، حرك يديه بفرح قائلا :

« آه ! انظر الى الشجرة ! » .

سمى له أبوه الاشجار والشجيرات واحدة واحدة : « تلك شجرة شربين ... تلك بيتولا .. تلك عرعر .. تلك نسرين .. وتلك صريمة الجدي » .

كرر عزيز وراءه : « شجرة شربين ... بيتولا ... عرعر ... » أراد أن يتعلم أسماءها كلها في الحال ، لكن كيف يمكن أن يعددها بسرعة ؟

عندما مرا بجرف صخري عال ، رأى عزيز شلالا ينهمر فوق الصخور . كان الماء أبيض من كثرة الزبد ، وقد ملأ هديره الجو .

صرخ عزيز : « انظر الى المـــاء ! » .

شد أبوه الحصان ، وثنى شعر الصبي المجعد .

قال مبتسما : « ذلك شلال » .

نظر عزيز الى أبيه بدهشة :

« شلال ؟ » .

« نعم ، شلال يعني الماء الساقط . انظر اليه يهوي من الجروف الصخرية هنـــاك » .

صاح عزيز ، وهدير الماء الساقط يحجب صوته :

« شلال ! شلال ! » .

كل يوم كان عزيز وأبوه يركبان الى الجبال ، حيـــث يكتشف الصبـــي شيئا جديدا .

عزيز يفتقد والـــده

ركب عزيز مع أبيه طوال النهار ، فافتقدته أمه كثيرا ، لكنها اعتادت بعد مدة على غيابه .

عندما كان الاب وابنه يعودان بالغنم من المرعى مساء ، كانت أم عزيز تخف للقائهما ، فتنزل عزيزا عن الحصان ، وتحمله الى الخيمة ، سعيدا متعبا ، فينام في الحال ، ويحلم بالشلالات وبشجرة التنوب العالية في الجبال ، وبالغنم •

لم يوقظه أبوه ذات صباح ، وعندما استيقظ أخذ يبكي ويندب أباه • أراد أن يلحق به الى الجبال •

وضعت أمه كل أنواع المأكولات اللذيذة الطعم أمامه ، وقالت له انها متأسفة ، لكنه استمر يقول : « أريد ان أمضي الى أبي ! أريد أن أمضي الى أبي ! » •

لم تستطع أن تفعل شيئا كي تجعله سعيدا ، ومنذ ذلك الحين ، صار على أمه أن توقظه كل صباح ، وتساعده ليكون جاهزا للخروج مع أبيه الى الجبال •

سأثبت لابي انني صرت كبيرا

ركب عزيز على السرج مع أبيه من الصباح حتى المساء ، يساعده على رعي الغنم •

أكل طعامه على نار الخيمة ، كراع حقيقي ، ونام على غطاء السرج ، تحت شجرة شربين ، متخذا من السرج وسادة لرأسه • لقد تعلم من قبل أشياء كثيرة : كيف يشق طريقه وسط العشب الكثيف في مروج الجبال ، وكيف يجمع نبات الراوند البري ، والفطور ، وعشب الحية • لم يخف حتى من النسور الكبيرة التي تحوم فوقه •

كان عزيز وأبوه يجلسان يوما فوق منحدر أخضر ، يراقبان الغنم وهي ترعى ، وكان حصانهما يقرض العشب بالقرب منهما • فجأة قفز والد عزيز مذعورا :

« انظر الى الغنم ! انها في غاية الدهشة أيضا ! » •

صاح عزيز وأسرع نحو القطيع : « سأهتم به ، دعني ! دعني ! » .

قال في نفسه : « سأثبت لأبي أنني صرت كبيرا » .

ظلت الغنم تنحدر نحو الوادي الضيق ، وتبتعد شيئا فشيئا ...

صاح عزيز ، وهو يمسك بكبش رمادي كبير ، هو أكبر كبش في القطيع :

« كوو ـ اي كوو . اي » .

تحركت الغنم على طول الوادي الضيق وهي تتبع الكبش الرمادي ، قائد القطيع .

اندفع عزيز نحو الكبش صائحا ، لكن لم يكد الكبش ينظر اليه ، حتى رفع رأسه ، وقفض أذنيه ، وأخذ يرعى العشب ، كما لو أنه لم يسمع شيئا . غضب عزيز . ضرب الكبش عدة مرات ، ثم أمسكه بأذنيه ورده . هز الكبش الرمادي رأسه . سقط عزيز ، ثم قفز وأمسك جزة الخروف الكثيفة بيديه كلتيهما ، الا أن الكبش الرمادي ، الذي كان يقف بهدوء حتى ذلك الحين ، خاف فجأة ، وأخذ يركض ، جارا عزيزا فوق العشب . لم يستسلم عزيز ، بل تشبث برقبة الرمادي الكبير ، الا أن قوته انهارت أخيرا ، فتركه .

وقف الرمادي الكبير . هز رأسه ، وفجأة لبط ساق الصبي بحافره الحاد . قفز عزيز بغضب . أراد أن يمسك بالرمادي الكبير ، لكن ساقه لم تستطع ان تثبته ، حينئذ دار كل ما في رأسه ، وسقط على الارض .

خاف الاب الذي كان يراقبه من بعيد ، فأسرع نحوه . استلقى على العشب لا حراك به . كانت الدماء تخضب ساقه .

انحنى أبوه ورفعه بلطف ، ثم حمله عائدا الى البيت .

كيف تحسن عزيز

كان على عزيز أن يلازم الفراش عدة أيام . لم تبرح أمه من جانب سريره مطلقا ، كما أن أحدا لم يستطع ان يشغلها عن العناية به . صنعت له أشهى الصحون : خروفا محشوا ، زلابية ، لحما وبيشربرمك .

لكن عزيزا لم يهتم بحياة كهذه . كان تعبا من الاستلقاء في الفراش ، ويريد أن يذهب الى المراعي مع أبيه .

استيقظ عزيز ذات صباح ليرى أباه جالسا قرب سريره . نهض ، فأمسك بيد والده ، وتوسل قائلا :

« أريد أن أذهب معك ! دعنا نذهب ! » .

قال الأب : « حسنا يا بني ، سنذهب حالا . أيتها الام أين أشياؤه ؟ » .

امتطى أبوه حصانه ، وثبت عزيزا على وسادة ناعمة أمامه ، ثم انطلقا ، لكن ليس الى المراعي ، بل في طريق آخر .

سأل عزيز : « الى أين نحن ذاهبان ؟ » .

قال أبوه : « الى القرية » .

شعر عزيز فجأة بالدهشة ، حتى ان ساقه المجروحة لم تعد تؤلمه . ربما كان ذلك بسبب الهواء النقي ، أو الركوب السريع .

سارا وقتا طويلا ، وهما ينحدران في الوادي ، حتى وصلا أخيرا الى شواطىء بحيرة ، حيث انتصب عدد كبير من الخيام البيضاء . ترجل أبوه ، وحمله الى احدى هذه الخيام .

بدت الخيمة كما لو أنها دكان ، فقد كان فيها أشياء كثيرة مدهشة ،

استرعت نظر الصبي . جلس رجل لطيف خلف قاطع ، تتدلى لحيته ، وتتألق عيناه بهجة . حين دخلا ، نهض من مقعده وحياهما بأدب . تحدث الاب اليه بضع كلمات . أومأ برأسه . غمز عزيزا ، ثم ذهب الى خلف حاجز ، وعاد يحمل بذلة بنية ، وحذاءين بنيين .

قال صاحب الدكان : « كل هذا من أجل ابنك ! » .

حبس عزيز أنفاسه ثم قال : « أهذا كله من أجلي حقيقة ؟ » .

ابتسم أبوه . تناول كمية من النقود من جيبه ، فعدها ثم أعطاها لصاحب الدكان .

« زن لنا قليلا من الحلاوة لهذا الفتى » .

غمز صاحب الدكان عزيزا مرة أخرى ، ثم وضع قليلا من الحلاوة والكعك المحلى في الميزان ، صبها كلها في كيس من الورق ، وأعطاها لوالد الصبي .

غادر الاب وابنه الدكان ، وذهبا الى خيمة أخرى .

أحب عزيز هذه الخيمة أكثر من سواها ، لانه لم يرى خيمة نظيفة بهذا الشكل ، تفوح منها الروائح الطيبة !

وقفت فتاة بلباس أبيض لاستقبالهما . أكد عزيز أنها كانت مكلفة بأمر هذا الدكان ، وانها كانت ترتقب عودة صاحبه بلهفة .

لكن قد انعكس كل شيء . همس الاب في أذن الفتاة ، ثم قال بصوت مسموع :

« تعال ، يا عزيز ، لتجرب بذلتك الجديد ! » .

مددت الفتاة عزيزا على متعد محشو مغطى بقماش أبيض ، وأخذت تخلع حذاءيه . حينئذ فقط أدرك ان الفتاة ليست فتاة المتجر ، بل هي طبيبة .

بينما كان أبوه يغير له ملابسه ، نظرت الى جرحه ، دهنته بنوع من العلاج ، ثم ضمدته .

آلم الجرح عزيزا ، لكنه لم ينبس ببنت شفة .

قالت الفتاة ، وهي تبتسم : « أرى انك بطل حقيقي ! حسنا ، حاول أن تقف على الجرح . لا تخف » .

ساعدت الطبيبة عزيزا على الوقوف ، ودفعته برفق الى الامام .

تمالك نفسه بصعوبة لئلا يسقط ، لأن ساقه كانت ضعيفة . خطا خطوة، فخطوتين ، فثلاث خطوات ، ولم يمض غير دقائق معدودات ، حتى نسي ألم ساقه فعلا .

أعطت الفتاة ذات الرداء الابيض والده بعض العلاج ، وشرحت له طريقة استعماله :

« يجب ان يغير الضماد بين يوم وآخر ، وسيتحسن بسرعة » .

جعلتك تستسلم ايها الرمادي الكبير

قال والد عزيز : « انتظر قليلا . ستثبت لك ذلك الكبش الرمادي ايضا » .

انتظر عزيز . كان ثائر الاعصاب ، يريد ان يلقن الكبش درسا بأقصى سرعة ، وان يسترد ما عاناه من ألم ساقه .

قال الاب يوما ، حين تحسن عزيز ، وصار على ما يرام :

« جهز نفسك ، ستأتي معي هذا اليوم . لقد حان الوقت لتلقن الكبش الرمادي الكبير درسا لا ينساه ، وليعلم من هو السيد » .

استل كرباجا كان معلقا على الجدار وقال :

« سأضربه ضربا محكما ، أليس من الافضل ان اضربه ضربا محكما ؟ »

فهز الاب رأسه لائما :

« كلا ، سنعلمه ببساطة من هو السيد هنا ، عندئذ يصبح أليفا ووديعا . ان تكن خائفا فقل منذ الآن . لا أريدك ان تخلف بوعدك اخيرا » .

قال عزيز بجرأة ، رغم ان قلبه طرق بشكل مسموع : « لست خائفا ؟ »

غادر الاب وابنه الخيمة ، وخرجا الى القطيع . كان الكبش الرمادي يرعى ويحدق بعزيز .

وقف عزيز يراقب . انطلق الاب الى الكبش ، وكان على وشك ان يمسكه ، لكن الرمادي الكبير قفز وولى هاربا ، فتشتتت الغنم خائفة . أمسك والد عزيز بالرمادي الكبير ، قبض على ساقه الخلفية ، ووثب على ظهره . أخذ الكبش يشب ، كحصان هائج . رمى نفسه من جانب الى آخر . جرى عدوا ، خب . فتل ونط عدة مرات ، لكنه لم يستطع ان يطرح راكبا خبيرا !

ليس الكبش ، على كل حال ، حصانا . سرعان ما ارهق الرمادي الكبير نفسه ، وراح يخب تعبا بطيئا متراخيا . ركب والد عزيز على الكبش . اردف الصبي وراءه وقال :

« حسنا ، لقد روضنا الرمادي الكبير . سيطيعنا الآن ، وسيذهب حيثما تقوده » .

استقر عزيز مستريحا على ظهر الكبش الوثير ، وغرز كعبيه فــي جانبيه كليهما قائلا :

« حا ــ حا ، ايها الرمادي الكبير ، حا ــ حا » •

صار راكب الكبش اكثر مدعاة للضحك من راكب الحصان •

امتطى عزيز الرمادي الكبير وسط القطيــع ، فرفعت الغنــم المدهوشة رؤوسها ، واخذت تراقب •

توقف الرمادي الكبير اخيرا ، يتنفس بصعوبــة وبسرعة • كانت جزتــه مبللة ، وقد بدت لامعة كالفضة •

قال والد عزيز ، وهو ينزلق عنه : « لقــد استسلم الآن • يمكنــك ان تركب عليه وحدك » •

ومنذ ذلك اليوم صار عزيز لا يبــــدو الا راكبا علــى ظهر « حصانه » الكبش الرمادي • يغدو به الى المراعي ، ثم يعود ثانية الى البيت •

مر الصيف • وفي الخريف سيقت الغنم الــى المسلخ • كــان الكبش الرمادي آخر ما وزن • عندما اقتيد الى الذبح ، خبــأ عزيز رأسه خلف أبيــه وبكى • شعر بالحزن الشديد لمفارقة صديقه •

كل واحد كان هناك : رئيس المزرعة التعاونية ، مديــر المزرعة ، مراقبو القطيع ، فاخر بوالد عزيز ، لجودة غنمه ، لانها كانت غنما كبيرة وسمينة •

قال ، وهو يبتسم ابتسامة عريضة : « نصف الفضل يعــود لمساعدي • تعال ، يا بني ، لا تكن خجولا ! » •

اقترب رئيس المزرعة ــ الذي قدر ان اكتناز الكبش الرمادي كان بفضل عزيز ــ من عزيز ، وربت على رأسه مهنئا •

قال للاب : « غدا صباحا ، يمكنك ان تختار الحملان لقطيعك الجديد ، وتكل أمر العناية بها لعزيز نفسه ، فقد وجدت بذلك الصبي راعيا حقيقيا » .

الحمــل الاقــرن

دار والد الصبي في اليوم التالي ، على القطعان الاخرى ، واختار من كل منها ، اثني عشر حملا ، ثم أخذها الى البيت .

قال لعزيز : « يجب علينا الآن ، يا بني ، ان تربيها . ستصبح فــي العام التالي حولية ، وبعد سنة او سنتين ، ستصبح غنما كبيرة . اعتن بها ، واختــر بعضها لنفســك » .

استعرض عزيز الحملان بسرور ، وأخذ يعدها على اصابعه . كانت صغيرة الحجم ، لطيفة ، وجبانة . احاطت الحملان بعزيز ، وهي تثغو : « ماع ــ ماع ــ مــاع ! » .

شعر عزيز نحوها بالحزن . قال : « انها جائعة ! لنسرع في اخذها الــى المرعى ! » .

خرج ابوه وأمه كلاهما من الخيمة ، وساعدا عزيــزا ، ثم اشترك الجميع في سوق الحملان الى المرعى .

قادت الحملان الكبيرة ، التي ولدت في وقت مبكر من الربيع ، القطيع . كان باستطاعتها ان ترعى ، وتعرف مواقعها ، لكــن كان بينهــا أيضا ، حملان صغيرة جدا ، تقصر من حين لآخر ، عن القطيع وتجري خلفه ، ممعنة في الثغاء ، فانتخب عزيز عشرة منها .

قال لابيه ، الذي ضمه ضمة سريعة : « هــذه الحملان لا تحتاج الى ان ترعى . سأطعمها في البيت » .

« مرحى لك ، يا عزيز ، تلك فكرة رائعة • أنـا وأمـك سنعتني ببقية الحملان ، وعليك انت أن تعتني بالمقصرين من الصغار ، ليس في هـذا اليوم فحسب ، بل في جميع الايام ، ألا تحب ذلك ؟ »

فأومأ عزيز برأسه ، والسرور يترقرق في محياه •

منذ ذلك اليوم ، لم يفارق عزيز حملانـه الصغيرة • صار يطعمها قـرب الخيمـة •

كان ثمة حمل واحد ، أولع عزيز به ، بشكل خاص • كان أبيض كالثلج ، فسماه كرة الثلج ، وكان أحب الحملان اليه واذكاها • لا يكاد يناديه : « كرة الثلج ! انظر هنا كرة الثلج ! » حتى يأتي الحمل الابيض اليه مسرعا ، ويتبعـه سائر الحملان •

رعت الحملان في المراعي يوما بعد يوم ، حتى نمت وازداد وزنها ، لكن حملا واحدا لم ينصرف الى الرعي ، كباقي الحملان • كان حملا رمادي اللون، ضئيل الجسم ، معوج القرنين ، بعكس غيره من الحملان الجماء التي لم ترزق قرونا • « ربما كان ذلك بسبب نحولة جسمه » • تعجب عزيـز ، وقـرر ان يستشير أباه •

جلب أبوه كيسا كبيرا الى الخيمة وقال :

« تلك رزمة شوفان للحملان الضعيفة او المريضة • اطعم حملك الرمادي الصغير شيئا منها » •

أخذ عزيز قبعة مليئة بالشوفان الى الحمل الاقرن الصغير ، لكنـه رفض الاكل ، ودفع رأسه بغضب •

أمسكه عزيز بقرنيه ، ووضع حفنة مـن الشوفان فـي فمه ، فلم يكـد يتذوق طعم الشوفان ، حتى تمدد قرب القبعة ، وأخذ يمضغ مـا تبقى منهـا

بشراهة . لم يترك حمله المدلل ، الى ان التهم الشوفان كله .

ثم ذهب الى نبع قريب ، فملأ القبعة ماء ، وقدمها لاقرنه الصغير .

« اشرب الآن ! استمر ! أريدك ان تعتاد على الاكل والشرب من يدي » .

حاول الاقرن الصغير الوصول الى القبعة ، وأخذ يشرب .

دعا عزيز الحمل الابيض : « كرة الثلج ! كرة الثلج تعال الى هنا » . فجاء كرة الثلج ببطء . يبدو انه كان غيورا من الحمل الرمادي . شم بارتياب رائحة الحمل الاقرن ، الذي كان يستلقي على العشب ، ويستدفيء بأشعة الشمس ، كما أن الحملان الاخرى شمت رائحته ايضا ، فطردها عزيز بعيدا .

« شو ! لا تضايقي اقرني الصغير اثناء راحته . انه يأكل ! » .

تقدمت الحملان ، وأخذت ترعى قريبا منه ، الا ان الحمل الرمادي سرعان ما توقف عن قضم العشب ، لانه كان يريد آكل الشوفان والخبز .

لكن عزيزا كان سعيدا . أحب حمله المدلل ، فصار يلعب معه طوال النهار ، حتى علمه النطاح .

نما الحمل الرمادي كبيرا وقويا ، كما ان قرنيه طالا أيضا .

هذا ما حدث يوما : كان عزيز مستلقيا على العشب قرب القطيع ، حين سمع فجأة ضجة غريبة خلفه ؛ كان مصدرها الاقرن الصغير ، الذي هجم على الحمل الاسود ، لكن الحمل الاسود أحجم عن القتال ، لانه لم يكن يملك قرنين .

شعر عزيز بالسعادة والبهجة فقال :

« كم أنت عظيم أيها الاقرن ! ستكون اقوى حمل في قطيعي » .

أمسك حملا آخر ، ووضعه مقابل الاقرن ، ليجعل احدهما يناطح الآخر ، اشتبك الاقرن في الحال ، ونطح الحمل الثاني بقسوة .

نظر والد عزيز الى كيس الحبوب الفارغ يوما وقال له :

« توقف عن اطعام الشوفان للحمل الاقرن ، فقد صار اكبر حمل في القطيع . نحتاج الى الشوفان لاطعام الحملان المريضة » .

عبس عزيز وقال : « لكن لماذا اعطيتني اياه ؟ اذا كنت تنكر عليه أكل الشوفان ، فسأقدم له طعامي » .

امتعض أبوه من هذا القول ، ولم يرغب في مجادلته .

نما الحمل الاقرن بسرعة وصار قويا ، مستعدا لمناطحة أي حمل يراه . لم يدع حملا الا ناطحه ، حتى انه هاجم يوما كرة الثلج .

لم يرغب كرة الثلج في العراك ، نظر الى عزيز متوقعا ان يساعده ، لكن عزيزا ربت على ظهر الاقرن ، حينئذ ترك كرة الثلج القطيع الصغير ، والتحق بالحملان التي كانت مع والد عزيز ، ولم يعد مطلقا .

صار الاقرن في الشتاء اقوى واشجع الحملان قاطبة ، لا يخشى حتى من الكلاب المهاجمة .

الاقـرن يفقـد قرنيـه

انطلق عزيز مع الاقرن يوما ليزور القطيع المجاور ، فقابل هنـاك صديقه سلطان .

فاخر عزيز ، وهو يرفع مدلله ، قائلا : « هل عندك حمل بقرنين ؟ اذا كان عندك ، فدعه يجرب مناطحة حملي . »

هز سلطان رأسه بالنفي .

« ألا تريده ان يناطح ؟ » •

قال سلطان : « دعه يجرب ، اذا كان يستطيع » •

أدار عزيز حمله نحو سلطان قائلا : « هاجمه أيها الاقرن ، هاجمه ! » •

تراجع الاقرن ، ودفع سلطان ، فسقط على الثلج صارخا : « قف ! لا تتابع ! » •

طرد عزيز الاقرن بعيدا وقال : « حسنا ، ألا تعتقد الآن بأنه يستطيع المناطحة ؟ » •

أجاب سلطان ، وهو ينفض عنه الثلج : « بالتأكيد ، عد مع الاقرن غدا • سأجد له نظيرا كفؤا • سنطلقهما ضد بعضهما » •

في صباح اليوم التالي ، وبعد ان سرح أبوه بالحملان الى المرعى ، أخذ عزيز الاقرن ليزور سلطان مرة أخرى •

طلب سلطان منه ان ينتظر • اختفى في السقيفة ، ثم اخرج كبشا ابيض كبيرا ، ذا قرنين محدودين ثقيلين •

هز عزيز رأسه وقال :

« آه ، كلا ! انه كبش كبير ، وخروفي مجرد حمل » •

طفح قلب سلطان ، فأمسك بذراع عزيز وقال :

« لا تهتم ! فهو عاجز في الحقيقة عن النطاح ، لانه هرم متداعي الجسم » •

تراجع الكبش ببطء • لم يشأ ان يقاتل •

قال عزيز في نفسه : « لا شك في أنه سيستلم لاقرني ، ومن الممكن

انه سيسحق ذلك الكبش الهرم ! » •

أطلق عزيز سراح الحمل وصاح :

« هاجمه ، أيها الاقرن ، هاجمه ! » •

طار الاقرن الى الكبش الابيض ونطحه في جانبيه عدة نطحات ، فلم يكترث الكبش بها في باديء الامر ، لكنه تميز غيظا ، وحدج الحمل بعينيه الحمراوين الشريرتين ، وادنى قرنيه الكبيرين •

تراجع الحمل الى الوراء ، ثم قفز الى الكبش المعقوف القرنين ، وأخذ يضربه بقسوة • في اللحظة نفسها ، أصبح قرناه الصغيران اجذلين في قرني الكبش الكبيرين ، ورغم المحاولات الجادة ، لم يستطيعا التفريق بينهما •

هنا بلغ الغضب من الكبش كل مبلغ فعلا • وقبل ان يأتي الصبيان لحمايتهما ، رفع الكبش الهرم الحمل في الهواء عاليا ، وراح يهزه • سمع صوت تحطم ، وارتمى الحمل جانبا •

أسرع عزيز الى مدلله • كان الاقرن مطروحا على الارض ، ينزف رأسه دما ، وقد طار قرناه من رأسه •

انفجر عزيز بالبكاء • صرخ بالكبش الابيض وصاحبه ، ولكن ما الفائدة ؟ لقد كان عليه ان يحمل الحمل المجروح الى البيت •

حينما جاء عزيز الى أبيه باكيا ، قال له أبوه :

« انك ملوم ، يا بني • كان عليك ألا تتلف الحمل ، وان تدعه يتعلم المناطحة وحده ، فاما أن يهاجم ، واما ان يكتسح • لا تبك ، بل كن مسرورا ، لان حملك فقد قرنيه ، ولعله سيصبح الآن افضل واكثر ألفة » •

خرجت أم عزيز من الخيمة ، فرفعت الحمل وقالت انها سوف تعيده الى القطيع الكبير في اليوم التالي « سيتحسن بسرعة هناك ، لكنه لن يقوم بـأي نطـاح » .

وضع والد عزيز يده على كتف ابنه وقال :

« لقد حان الوقت لتعمل يا بنـي . سنسوق القطيع اليوم الـى مرعـى جديد ، أتظن بأن حملانك تقدر على مواصلة السير مع غيرها ؟ » .

أجاب عزيز : « حتما انها تستطيع . سأعتني بها هذه المرة عناية حقيقية ، يا أبي ، صدقني ذلك » .

دمشق عيسى فتوح

بين معاوية وعقيل بـن أبي طالب

* كان عقيل بن ابي طالب قد هجر أخاه عليا ، وانحاز الى معاوية فبالغ في العطف عليه للنيل والكيد لعلي رضي الله عنه ، ولما قتل علي واستقر الامر لمعاوية واستقل به ، ثقل عليه امر عقيل وتجهم له ، وجلس معاوية يوما ، فقال لمـن وحلـه :

أتعرفون أبا لهب الذي انزل الله فيه قوله تعالى : (تبت يـدا أبي لهب وتب) ؟

فقالوا لـه :

لا نعرفه ؟

فقال معاوية :

هو عم هذا ، وأشار الى عقيل .

فقال عقيل على البديهة :

واتم اتعرفون امرأة أبي لهب التي قال الله فيها (وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) ؟

فقالوا لا .

قال عقيل :

هي عمة هذا ، واشار الى معاوية . فهي أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي لهب بن عبد العزي المشار اليها في السورة

اللغة العربية رابطة الشعوب العربية الاسلامية

بقلم : السيد محمد سعيد العرفي

ان القرآن العظيم صالح لكل عصر وانك لتجد المفسرين يوردون وجوها كثيرة لمعنى الآية الواحدة ، ولا شك في ان تلك الوجـوه لا تناقض تعاليـم الدين الاسلامي الاساسية فهل في استطاعة المترجم ان يقول :

ان هذا الوجه هو الذي أراده الله تعالى جزما من بين هـذه الوجوه ؟ فان قال : نعم ، فمن اين له الترجيح ؟ لانه بلا مرجح حتما . وان قال : لا ؛ فاما ان يختار تلك الوجوه كلها فيخرج عن الترجمة الى التفسير والتفسير لا نزاع في جوازه بجميع لغات العالم ، واما ان يتحير فيظهر العجز وهذا هو المطلوب.

والفرق بين التفسير والترجمة ان التفسير يحفـظ الاصل ويبقى ذلـك الاصل مرجعا لجميع المفسرين الآخرين فيكون التفسير بمثابة شرح له ، وامـا الترجمة فانها تستعاض عن الاصل فتصبح أصلا مستقلا مستغنيا عن المترجـم منه ويكون المقصود من الترجمة ان يصيب القرآن ما أصاب التوراة والانجيل فانه بالترجمة قد صار المجاز حقيقة والمتشابه محكما وكان ذلـك سبب ضلال أمـم كثيرة .

ان الله سبحانه وتعالى جعل الدين الاسلامي سمحا وسهلا رحمـة بعباده ففرض علينا فرائض فلا نضيعها وحرم أشياء فلا ننتهكها ؛ وحـد حدودا فـلا نتجاوزها وهذه هي أصول الدين الاسلامي وضرورياته التي لا يحصل فيهـا نزاع ولا خلاف الا بين الضالين أو معهم ، وأبهم أشياء رحمة بنا يجتهد كل منا فيها على حسب وسعه ـ ان كان الاجتهاد في مقدوره ـ فالمصيب له أجـران أجر السعي وأجر الاصابة ؛ والمخطىء له أجر واحد هو أجر الاجتهاد لانه بذل

ما في وسعه كما قال الشاطبي : فسلم لاحدى الحسنيين اصابة والاخرى اجتهادا رام صوبا فامحلا ومن هنا يزول الاعتراض على اعطاء الآية عدة معان •

اذن تبين ان من يطلب الترجمة عن حسن نية يريد الحجر على عباد الله تعالى بالزامهم اتباع حكم واحد والمرور على طريق واحد مع ان الله تعالى قال : ما جعل عليكم في الدين من حرج : ٧٨ ـ الحج •

ولو أراد الله تعيين ذلك الحكم لعينه كما عين غيره لانه كوسيلة ولذا لم يلزمنا الا بالوصول الى المقصود وهو الامتثال والطاعة واما الطريق فقد قال تعالى : فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا • ١٦ التغابن •

فالتقوى حسب الاستطاعة وسيلة والسمع والطاعة هما المطلب والمقصد • اما الشعوب التي لا تعرف اللغة العربية فان دعوتها الى الهداية تكون باعلان مبادىء الدين الاسلامي وتعاليمه بأي لغة كانت حتى اذا قبلها وفهمها كلا أو بعضا ورضي بها فعليه ان يتعلم اللغة العربية الجامعة بينه وبين اخوانه المسلمين كي يدرك بنفسه معاني القرآن ويجد لذة التدبر وينال أجره والا فان انكماشه في بلده واقتصاره على لغته وعدم تفاهمه مع ابناء دينه بعد عن غاية الاسلام ومناقض لدعامته الاساسية التي هي الاجتماع والاتحاد في الصلوات الخمس في اليوم الواحد وفي الجمعة والعيدين والحج •

فما دام التفسير بلغة أخرى غير ممنوع ومباح بل مطلوب وما دام افهام الدين وغايته بأي لغة كانت فاي لزوم للترجمة ؟ لولا ان وراء الاكمة ما وراءها وعلى هذا فان في امكاننا ان نصرح ونقول :

من المؤكد الذي لا امتراء فيه لدى المؤمن الحر المدرك ان مسألة ترجمة القرآن والقول بها لا يراد منه الا هدم الدين الاسلامي من طريق التفريق وتشتيت المجتمع لان اللغة العربية هي التي تجمع كلمة المسلمين في الاقطار كافة اذ ان التفاهم بلغة معينة مخصوصة أمر سهل وبسيط جدا والعدول عن الوحدة الى الكثرة دليل على سوء النية وفساد الطوية واني معتقد انه لا

يبحث في جواز الترجمة الا زنديق مارق أو أحمق أرعن مخدوع أو مأجور باع دينه بعرض من الدنيا زائل •

واما مسألة احلال اللغة العامية في محل اللغة العربية الفصحى فعلاوة على ما ذكرناه من الاضرار في بحث الترجمة فانها يلزم عنهما تفريق شمل الامة العربية نفسها فتصبح كل بلدة بل كل قرية أمة مستقلة لا علاقة لها مع غيرها في زمننا هذا الذي وهنت علاقات الشرق فيه فانا نجد في القرى التابعة لمصر ان كل واحدة من تلك القرى يمتاز أهلها عن الاخرى بلهجتهم ويختلفون بأمور أخرى أدى اليها الجهل وعدم تقديرهم لفضيلة التعارف والتفاهم اللذين تتألف منهما القوى التي تحفظ كيان الامة وتحوطه فتكون سياجا يحول دون ان تجوس خلاله الاعداء •

فالقول بترويج اللغة العامية توكيد للتفرقة التي أدرك أعداء العرب والاسلام انها تكون سبب تنفيذ برامجهم التي تؤمن مطامعهم ومنافعهم لانهم اتقنوا معرفة أسباب النزاع والشقاق والتفرق ونشروه بين المسلمين باسم الدين أو المصلحة أو المنفعة أو العادة أو غير ذلك حتى استحكم في نفوسهم • فبهذا وحده غلبوا المسلمين على أمرهم وأصبحوا أولياء أمورهم يتحكمون فيهم كما تشاؤه الاهواء والمطامع ، وبهذا أيضا يدوم الاستعمار ويبقى الاستعباد ناشبا مخالبه وأظفاره في جسم الامة حتى لا تقدر ان تتحرك فاذا أبدت قليلا من الحركة اسكتتها بقية الجسم فأهلك نفسه بيده •

والغريب ان الذين يريدون القضاء على اللغة العربية بداعي ان الوقت لا يسمح بتعلمها لاشتغال كل امرىء بعمل مادي في سبيل الحياة يتعيش بـه أو يعيل أهله ومن تحت كنفه هم انفسهم يروجون تعلم اللغات الاجنبية ويسمونها اللغات الحية وينشرون الدعاية لاجلها ويذيعون المدح والثناء لمن سعى لاجلها ويعلنون عنها بمناسبة وغير مناسبة ولا يرونها تمنع الاشتغال بالاعمال الخاصة ولا تعرقل شؤون التعيش وان لبث سنين طويلة على هذه الحال لان ذلـك لا غضاضة فيه ولا ضرر •

وهذا هو السبب الذي دعا العرب بل الشرق كله للزوم تقرير دراستها وتعلمها في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية وهيأوا لها الوسائل الكافلة لتسهيلها حتى ان معلم اللغة الاجنبية له قيمة زائدة واحترام على معلم اللغة العربية في البلاد العربية وفي الغالب يزيد راتبه على غيره من المعلمين كي ينتقي لها الاكفاء . وان معرفة لغة أجنبية وبعبارة أصرح افرنسية أو انكليزية كافية لنيل الشهادة الثانوية (البكالوريا) أو اجازة الآداب العربية في البلدان العربية .

وهذا من الاسباب التي مهدت للاجانب استعباد العنصر العربي والامة الاسلامية واستولوا على معظم بلدانهم باعتراف الاعداء انفسهم .

فقد نشرت جريدة المؤيد المصرية يوم الثلاثاء في ٢٠ جمادي الآخرة سنة ١٣٣٠ بعدد ٦٦٧٢ ترجمة الغارة على العالم الاسلامي نقلا عن مجلة العالم الاسلامي الافرنسية :

ومنه مؤتمر ادنبرج المنعقد سنة ١٩١٠ م ذلك المؤتمر الذي كان رئيس جمهورية اميركا « المستر روزفلت » ووزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور ـ المعروف بصاحب الوعد المشؤوم ـ من أعضائه البالغين مائتين وألف مندوب ، فاعتذر الاول برسالة ، وكان الثاني رئيس اللجنة السابعة وحضر المستر براين خطيب أميركا والمرشح لرئاسة جمهوريتها فكان من جملة قراراته التي نشرت في تسع مجلدات قرار اللجنة الثالثة ومنه :

اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على ان معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الاوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوربا كلها . أ هـ

فتأمل هذا الاعتراف الصحيح ولكن هل في الامكان اقناع الامة عن صحة ذلك ؟ كلا فهي لا تصغي لذلك نظرا لفساد تفكيرها حتى وان مر بها لا تأبه له وكأن الامر لا يعنيها او ان الاذي يمزق جسم غيرها فلا حول ولا قوة الا بالله .

ولقد أصبح الاهتمام باللغة العربية ضعيفا في البلدان العربية بزعمهم انها لغة البلاد وان الطالب يسهل عليه الوقوف على دقائقها متى شاء لكنما لما ثبت لدينا من الاحصائيات انها تزداد اهمالا تبين لنا ان هذا الرأي من أعظم الدسائس لان الطالب بعد ان يحمل الشهادة العالية التي تجعله يعتقد أنه أحاط بكل شيء علما بمجرد حصوله عليها وعندئذ لا تسمح له نفسه ان يتعلم مرة أخرى ممن يراه دونه ولو في علم واحد اتباعا لقاعدة خلقها القانون الاستعماري ــ بالواسطة أولا وأخيرا بلا واسطة وأوضح مواده •

« شهادة بلا علم خير من علم بلا شهادة »

فلا مناص لحامل الشهادة تطبيقا لهذه المادة المعمول بها منذ زمن غير وجيز من احتقار اللغة العربية بطبيعة الحال لانه يجهلها والمرء عدو ما جهل •

ولعل هذا هو سر عدم معرفة كثير من المتنورين المتعلمين ــ على ما يقولون ــ قواعد اللغة العربية وآدابها فلا بأس حينئذ ان يسميها اللغة الميتة لانها المقابلة للحية اذ ان تسميتها سامية مجاملة فقط بدليل انه يقتصر على الرطانة وحدها مظهرا فيها مقدرته وبراعته ولا سيما في مخاطبة ابناء جلدته العرب لان الرطانة لغة الاسياد لغة الامم الراقية •

فلا بدع اذا أعرض عن لغته (اللغة العربية) واحتقرها وأهانها لانها على زعمه لا تتسع لخياله الفاسد ولا لذهنه الجامد ولا لرأيه الاهوج ولا لفكره المختل •

عندي ان له بعض العذر في تهجمه على اللغة العربية واهانته لها بالقول والفعل ما دام لم يطلع على ما تحويه من الدقائق والمعاني لانه تلقن ان الشعور عبارة عن الماديات وان العقل والفضيلة هما الثروة وجمع المال ، فالغني عنده محترم وان كان أجهل الناس •

ولكن الذنب كل الذنب على ولاة الامر الذين أماتوا اللغة العربية (لغة القرآن) وعادوها ظاهرا وباطنا وحاربوها في المدارس والصحف والمجلات

والمجتمعات والنوادي بنشر الدعاية ضدها بجميع الطرق الممكنة وبترويج الطرق العقيمة الانتاج في تحصيلها ودراستها بوضع البرامج التي لا تنتج الثمرة المطلوبة • بخلاف غيرها من اللغات •

لذلك نجد من يزعم انه عربي صميم يرى الحط من كرامة اللغة العربية هو المدنية بعينها فاذا ما تعلم الرطانة في لغة اوربية اعتقد ان دماغه تبدل وأنف من ان يدعوه الناس شرقيا عربيا ، وناقض كلامه في الطعن ، فتراه يعيب اللغة العربية طورا بكثرة قواعدها وغزارة موادها ، وطورا بأن كلماتها لا تتسع لمعاني الخيال الذي وصل اليه عقله الجديد •

على انا لو فرضنا صحة زعمه : أما كان الاجدر به ـ بعد ان ترقى كما يقول ـ ان يظهر مواهبه العقلية في لغته الاصلية ، لغة آبائه وأسلافه ، ولكن أنى له ذلك وهو يجهلها ؟

اذ ان اللغة ليست معرفة الخطاب بالالفاظ المبتذلة أو بالامور البسيطة فقط وانما هناك أمور لا يدريها الا من عرف دقائق اللغة واطلع على المجلدات التي ينتقصها لكثرتها لان أساتذته علموه ان الغنى المحتوي عار عظيم فلذا لا يخجل من قوله : ان الوقوف على غوامض اللغة العربية يحتاج الى زمن طويل وسنين عديدة • ولو أنصف لعلم ان اللغة العربية أقل اللغات تعبا نظرا لضبط قواعدها وقلة السماعي والشاذ فيها نسبة لغيرها • بل لو عقل ذلك المسكين لعرف ان السنين التي أضاعها في المدارس المختلفة كان جلها محصورا في تعلم لغة حية ـ كما يزعمون ـ ثم هو لحد الآن لم يعرفها كما يجب اذ القاعدة ان الدخيل في لغة وان اتقن قواعدها فان لهجته تفضحه ولا يخفى حاله على عوام أهل تلك اللغة فضلا عن الخواص •

ليس معنى هذا ان نقول ان تعلم غير اللغة العربية محظورا او غير مقبول • كلا • بل هو مقبول شرعا مستحسن عقلا بدلالة ان رسول الله (ص) أمر زيد بن ثابت الانصاري ان يتعلم العبرية كما ثبت في الصحيح لاحتياج المسلمين يومئذ الى معرفتها ولان معرفة لغة أمة يساعد على كشف حالها الغامضة

والوقوف على نواياها وما تضمره وتشعر وتحس به والعلم بذلك يكون ـ على الاقل ـ وسيلة لدفع شرها ولربما يكون سببـا للتقارب والتفاهـم لان سوء التفاهم له أثر بليغ في اثارة الفتن والقلاقل وغالب الحوادث الدامية ناشئة عنه ومن المعلوم ان أقوى أنواع سوء التفاهم أو التفاهم السيء عدم معرفة لغـة الخصـم •

وانما نحن نذم الناطقين بالضاد اذا قدموا معرفة لغة أجنبية على اتقـان لغتهم العربية او جعلوها مساوية ومزاحمة لها فان من أعظم أنواع انحلال الامة العربية اهمالها لغتها وعدم الاعتناء بها حتـى انهـم أشركوا معهـا الانكليزية والفرنسية في المدارس الابتدائية وفي الثانوية بالاولى مـع ان هذين القسمين يجب ان يقتصر فيهما التعليم على لغة الوطن •

وبعد اكمال دراسته الثانوية يتعلم ما شاء من اللغات لانه تضلع في لغته ووقف على آدابها ودقائقها وعرف قيمتها ووجد اللذة في دراستها فلا ينفر منها بعد ذلك اذ القاعدة المنطقية •

النتائج تابعة للمقدمات صحة وفسادا •

ولكن الدسائس في أول الامر والقوة في آخره جعلت اللغات الاخـرى تسابق اللغة العربية في المدارس الابتدائية بل سبقتها فعلا كما أشرنا الى ذلك لان المغلوب شأنه تقليد الغالب في زيه وعاداته وشعاره ونحلته ولغته ظنا منه ان ذلك سر ظفره ونجاحه كما فصل ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته •

ان الذي ذكرناه من العراقيل التي تتهقرت بسببها اللغة العربية لم يرق في عيون اعدائها اذ رأوا ذلك لا يكفي لمحوها وتشويه جمالها البديع ورونقها الفتان وأسلوبها الرائق فاتخذوا طريقا معوجه أصبحت من أعظم الويلات على اللغة العربية والامة العربية لانهم جعلوا مـن شرط اتقان معرفة اللغة العربيـة دراستها في المعاهد الاوروبية فمن أراد ان يحوز لقـب استـاذ أو حكيـم « دكتور » يجب عليه ان يدرس في معهد اوربي أو على شخص درس في معهد موضوع لتمزيق شمل الامة العربية كي يستولي اعداؤها عليها والا فانـه لا

يرح ناقصا حتى يشهد له بعض المستشرقين او انه يكمل دروسه عليهم .

ومن هم المستشرقون ؟

فانا نجد كثيرا من علماء المسلمين وأمرائهم ومقدميهم مخدوعا بهم يثني عليهم حتى لا نكاد نرى صحيفة الا ونجد أعمدتها مملوءة بالاطراء والثناء عليهم ولا نرى حكومة شرقية الا وهي تخطب ودهم وتفاخر في ايجاد بعضها موظفا لديها بوظيفة علمية ذات قيمة وأثر في المجتمع يمكن بواسطتها تبديل عقلية النشء الحديث وتحويرها على حسب ما تقتضيه لوازم الاستعمار .

الحق ان المستشرقين ــ الا من نــدر ــ فريق مــن دعــاة الاوروبيين زودتهم حكوماتهم بسلطة القوة المادية والمعنوية وجمعوا لديهم قسما من كتب العلم النادرة القيمة ، واتخذوا لهم أسلوبا خادعا وهو انهم يريدون الوقوف على علوم الشرق ولغاته ونشر ذلك خدمة للعلم فقط واكثروا مــن الاهتمام باللغة العربية والتنقيب عن آثارها ومخطوطاتها وايجاد قسم منها مطبوعا لتعميم الفائدة ؛ وقد خدعوا الامم الشرقية عامة والشعب العربي خاصة بهذه الخزعبلات التي تشف عما تحتها من الفساد المرئي لدى أرباب الحجى والادراك وهو نشر الافكار الاوروبية المسيحية أو تسميم الاذهان الاسلامية لاجل التغلب على الشرق واستعباده ثم تجريده من علومه وآدابه وأخلاقه باسم خدمة العلم وباسم تطلب الحقيقة وتحت عنوان « حرية البحث » لقد وجدت هذه الدسائس مرتعا خصيبا فصارت عقيدة راسخة ليس اجتثاثها ونزعها أمرا سهلا بعد ان رأى الناس ثمرتها المادية وهي اعتناء الحكومات الشرقية بمن يميل لهذا الفريق فتمنحه من الالقاب والرتب والوظائف والرواتب الضخمة ما يجعل له ميزة تصير غيره بدافع الطمع الى اللحوق بــه ومجاراته فمسابقته .

يا للرزية يا للعار : لغة العرب ذات المجد الباذخ والحضارة القديمة لغة الفصاحة والبلاغة لا يعرف ابناؤها آدابها حتى انهم يذهبون كي يتعلموا آداب

لغة أمتهم من أعداء دينهم وأعداء أمتهم وأعداء لغتهم ان هــذا لهــو الضلال المبين •

ليت شعري ممن يتعلمون ؟

يتعلمون من أشخاص يفأفيء أحدهم ساعة ويتمتم أخرى ويهمهم مثلهــ ثم تخرج من فيه كلمة لا علاقة لها مع مخارج الحروف العربيــة ولا يمكن ان يفهمها أحد سواه ثم يكون استاذا للغة العربية في معهــد عربي في البلــدا العربية ويمنح لقب « أديب • أو كاتب • أو أستاذ » في اللغــة العربية وعنــد الاختلاف يكون قوله فصل الخطاب على المتقدمين والمتأخرين •

ما سمعنا لغة من لغات العالم الراقية والمنحطة أو الحيــة والميتــة يكون الحكم فيها والمرجع لمعرفة آدابها غير ابنائها الا الامة العربية وما ذكر التاريــخ ان أمة عدت من كمال العلم بلغتها دراستها على أعدائها الذين هم لها بالمرصاد اللهم الا في عصرنا هذا فانا رأينا ذلك من المفاخــر وحسبناه سواء السبيــل فسلكناه عن رغبة وسرور ولا أرى سببــا لترويج ذلــك سوى ان اخلاقنــا تفسخت وانحلت روابطنا فأضعنا شمم الآبــاء وعز الاسلاف وعظمتهم ولولا ذلك بالامر الممكن فضلا عن الاختلاف في ندبــه واستحبابه وفــي وجوبــه وافتراضه •

مسكينة لغة الضاد • يتحكم الشعوبيون في أدبها ويضعون لها التآليف التي شوهت وجهها الجميل ولوثت أخلاقها السامية وطعنتها فــي صميم شرفها ومجدها كما فعله زياد بن أبيه في كتاب المثالب ، والهيثم بن عدي ، ومعمــر ابن المثنى اليهودي ، وغيلان الشعوبي الزنديق بمعونــة طاهــر بــن الحسين الفارسي وزير المأمون العباسي كما رواه ابو عبيد البكري في شرح أمالي ابي علي القالي ونقله عنه سيد شكري الالوسي في بلوغ الارب •

ثم بعد ذلك يتكل فريق من العرب على الاعاجــم فيجمعون لهــم مــ القواعد كتبا تصبح المرجع الوحيد المقدم على غيره من آثار علماء العرب بــن

وقد وصل الامر ان أبدلوا آثارهم وغيروا أسمـــاء المصنفين الحقيقيين ككتاب سيبويه فقد نقل لنا ابن النديم المتوفي سنة ٣٧٨ هـ في فهرسه قال :

قرأت بخط أبي العباس ثعلب اجتمع على صفـــة كتاب سيبويه اثنـــان وأربعون انسانا منهم سيبويه والاصول والمسائل للخليل بن أحمد اه •

على ان كتاب سيبويه لم يقرأه أحد عليه ولم يقرأه على أحد وانما قــرأه بعد موته ابو علي الجرمي وابو عثمان المازني علي تلميذ سيبويه ابــي الحسن الاخفش المتوفي سنة ٢٢١هـ فكان ذلك سبب نسبة كتاب الخليل الى سيبويه•

ثم يأتي عصرنا هذا نقمة على اللغة العربية عندما صـــار المسيطر عليهـــا وأساتذتها الحقيقيين من الاوربيين والاميركيين الذي قدمنا صورة علك احدهم في نطق كلماتها والتي لا يعرف عنها السامع الا رطانة لا يدرى لها معنى لانهـــا لهجة قد اختص بها ذلك الاعجمي وروجتها قوة أمتـــه وسلطتها فقبلتها مجانين العرب مرضاة لمطامع المستعبدين •

ان العرب لا ينكر أحد منهم خدمة علماء الاعاجم المسلمين للغة العربيـــة وقد ركن العرب الى تآليفهم يخدمون لغة الدين المتمســكين المؤمنين به ، لغـــة القرآن الذي يتعبدون بتلاوته ومعناه ، يخدمون اللغـــة الرابطة بـــين شعوب المسلمين بالتفاهم والتخاطب فعملهم كان مشروعا وله مبررات جمة • ولكن ما عذر ابناء الامة العربية اليوم في الركون عـــلى معاهـــد الاوربيين والاميركيين وتحقيقاتهم السخيفة في علوم الشرق ولغاته وهم لا علاقة تربطهم مـــع الشرق عامة والعرب خاصة في عقيدة أو دين أو لغة أو عنصر اللهم الا رابطة الضـــد رابطة العداوة والبغضاء التي أخبرنا الله عنها في كتابه العزيز •

« قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكـــم الآيات ان كنتم تعقلون » ١١٨ ـــ آل عمران •

ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ويعلم اننـــا

سنصل الى هذه الحال المؤسفة فذكرنا بنعمته علينا بتشريفه لغتنا العربية محذرا لنا من التهاون في اكرامها وتبجيلها حيث قال تعالى :

« لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » ١١ ـ الانبياء • حقـا ان القرآن العظيم لذكرى خالدة لمجد الشعب العربي لو عقل ابناؤه ذلك لانـه بالسنتهم يتلى آناء الليل وأطراف النهـار يتدارسه نحـو خمس سكان الكـرة الارضية فصريح الآية يدل على ان اللغة العربية لا يهمل أمرها من المنتمين اليها أو يتطواطأ عليها مع اعدائها الا من فقد العقل لذلك يسمى نحتف نفسه بظلفه مدفوعا بيد الحادية شعوبية أو بدسيسة أحد الطامعين في تمام الاستيلاء على الامة العربية والممالك الاسلامية أو في استمرار احتلال مـا تحت يدهم مـن البلـدان •

لا جدال في ان الحياة الدنيا عبارة عن العمل الصالح في الآخرة والذكر الحسن في الدنيا لدى المؤمن أو عبارة عن الاخير وحده لدى غير المؤمن ولاجله تبذل الافراد والجماعات والشعوب كل ما في وسعها من أموال ومهج ، وغـير ذلك ؛ وبسبيله يستعذب الموت فيفادي بنفسه ويجازف في حياته طمعـا فـي ذكرى حسنة تبقى له بعد وفاته ؛ ومع ان القرآن العظيم لا يجهل أحـد أنـه أفضل ذكرى للعرب نبهنا الله عليه لنزداد تمسكا به ومحافظة عليه •

فاذا لا شبهة في ان من يطلب ترجمته ليحل محله قـرآن أعجمي يتلى ؛ ومن يريد احلال اللغة العامية محل اللغة الفصحى ليمحوها فهؤلاء مـع انهـم دخلاء في الامة العربية لتمزيق شملها ـ هم زنادقة ودعاة شر يتسترون باسم الاسلام تجب معرفتهم وعلى كل عربي صريح مؤمن ان يقاطعهم في كل الامور والشؤن لان زمن تأديبهم بغير ذلك لا يوافق ولا يناسب ضعفنا الحاضر مـادة ومعنـى •

ومما لا مراء فيه ان النصر والغلبة بالضعفاء والتضامن والاتحاد ولو مع القلة لا بكثرة هي غثاء كغثاء السيل وآيتا بدر وحنين نعم الشاهد على قولنـا هذا قال الله تعالى :

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » ١٢٣ ـ آل عمران .

وقال تعالى « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » ٢٦ ـ براءة .

وأشد الناس عداوة للاسلام وللامة العربية من يزعم ان قراءة القرآن بغير العربية تجوزها الشريعة الاسلامية بعد قول الله تعالى :

« قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » ٢٨ ـ الزمر .

ثم هو يسعى لايجاد اعوجاج فيه والله يقول : قرآنا عربيا ـ وهو يقول قرآنا أعجميا ، ويستند في ذلك على أقوال لا شك في انها معدة لهذا اليوم العصيب وصادرة من زنديق شعوبي ، أو من مغفل مخدوع ولا يسلم من هؤلاء عصر من العصور فقد قص الله علينا في قرآنه اعمال كثير من المنافقين وأقوالهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن غيره .

ولا ينبغي لنا ان تكون شهرة الرجل سببا في قبول قوله المناقض لقواعد الدين الاساسية واحكامه القطعية فكيف نقبل ما يرمي الى تحريف القرآن واضاعته حتى لا يبقى للمسلمين رابطة لانه اليوم رابطتهم الوحيدة التي لم يبق سواها ما يجمع كلمتهم ، فاذا تمكن الاعداء من القضاء عليه ـ والعياذ بالله تعالى ـ لم يبق أمامهم قوة يخشونها . أو يخشون انها توقظ المسلمين من رقادهم او تجمع كلمتهم ليقفوا في وجه الاستعباد فلا يقبلوا ان يكونوا عبيدا لمن كان عبدا لاسلافهم الذين كان تاريخهم مفخرة الانسانية .

لنعد الى الموضوع : فان الله تعالى أمرنا بالمحافظة على القرآن لان فيه ذكرنا من حيث انه نزل بلغتنا ولهذا اتخذت الشريعة الاسلامية الوسائل التي تحوطه وتحفظه . فقد روى الحاكم في مستدركه بسند صحيح من عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« من أحسن منكم ان يتكلم بالعربية فلا يتكلمن بالفارسية فانـه يورث النفـاق » •

ومن المعلوم ان المراد من اللغة الفارسية كل لغـة غير عربيـة اذا تكلم العربي بها بلا داع ولا موجب من تعلم أو تعليم أو تفاهم فان معناه قد رجحها على اللغة العربية : لغة القرآن وهذا هو النفاق بعينه •

وليس المراد النص في اللغة الفارسية بخصوصها • كلا بل المراد كل لغة غير عربية • وانما اختار الشارع ذكر اللغة الفارسية لانها مقدسة لـدى أمـم الشرق حتى ان معظم أهالي الهند والافغان وتركستان يجيدها ويراها لغة العلم فقد بلغ ببعضهم التعصب ان اختلق أحاديث موضوعة لمدحها والثناء عليها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا كانت مع هذه المزية وكان التكلم بها بين العارفين باللغة العربية بلا موجب يورث نفاقا فغيرها من اللغات يورث النفـاق بطريق أولى •

وهذا الحديث سياج للغة العربية لو عمل به ابناؤها وهو يدلنـا عـلى اهتمام الشارع بها لانها رابطة الشعوب الاسلامية ، ولغة كتاب الله تعالى •

فلعل العرب ينتبهون الى هذه الامور ويعرفون قدر قيمـة لغتهم وانـه عظيم جدا لدى الله تعالى والناس وفيه لهم منافع جمة وفوائد كثيرة فتدعوهم الحال الى التيقظ والالتفات نحو الدسائس التي تحاك لهم فـي السر والعلن فينبذونها ويقاومونها على حسب استطاعتهم من قول وعمل وقـد تعهد اللـه للمخلص في عمله بالظفر والنجاح اذا اعتصم بالله تعالى •

قال سبحانه جل شأنه : وكان حقا علينا نصر المؤمنين « ٤٧ » الروم •

وقال تعالى : فان حزب الله هم الغالبون « ٥٦ » آل عمران •

وقال تعالى : ألا ان حزب الله هم المفلحون •

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الاطهار وصحبه الاخيار ومـن تبعهم باحسان والحمد لله رب العالمين •

المتنبي !

في ذكراه الاربعين بعد الالف

هزت بعد سبات امة العرب هل يستفيق فتى الفتيان في حلب
هل يشرئب لـواء كان مسرحه بين السيوف ومرساه على الشهب؟
يا شاعر الدهـر ضيعنا حميتنـا واسود ما ابيض من تاريخنا الذهبي
لا تعجبن لدمعـي ؛ واعجبن اذا ضحكت في مأتم العلياء من طرب
هنا وهانت عـلى الباغي كرامتنا واصبحت ارضنـا نهبـا لمنتهب
تقاذفتنا حثالات الـورى اكـرا ونحن في غفلـة عنهم وفي شغب
كأننا لم نكن فـي الدهر ناحيـة في ساحة الحرب او في حومة الادب
اشكو همومي ولكن لم يمت املي كم فرج البت ما استعصى من الكرب
انـي لألمح فـي الآفاق بارقـة سبحانك الله اكرمها عـن الريب
يـا من يعيب علينـا اننـا حطب النار والنور لو فكرت من حطب

★ ★ ★

ابا محمـد هـل تعنيك شكوايـا فاستمر ، وهـل تضنيك بلوايا ؟
أصخ الي فان الصدر فـي حرج تكـاد تعثـر بالغصات نجوايـا
حظي كحظك لكن دربنا اختلفت وخاب مسعاك في الدنيا ومسعايا
لم تجن مـن حقلها الا سفاسفه ولم احـد لغـير الشوك يمنايـا
مسراك فيها عـلى نـار مسعرة ومثل مسراك فـي الآفاق مسرايا
وجدت في الشعر سلوى فاستعنت به على الزمان وغال الشعر سلوايـا
لا يستطيع جناحي ان يطير الـى ادنى مراقيك فاصفح عن خطايايا
ذكراك كالشمس لا يخبو لها الق فمن تراه غـدا يعنى بذكرايـا ؟

لولاك لـــم تستقم للشعر مملكة فــلا يقــل احــد الاك لولايــا
ما زلت نارا على نــار عــلى علم فهل تعف الليالـــي عـــن بقايايا ؟

★ ★ ★

ناشدتك الله حرك ريشتي ، فأنا كالميت ، بل انا ميت مزق الكفنا
احببت اهلي، ولكن ضاق بي وطني فقلت اجعل دنيا الله لــي وطنــا
وسامني زمني مـــا لا يطــاق فلم املأ فمي زبـــدا او العن الزمنــا
قبست منــك اماثيلا غلت ثمنــا ان كان غيري لم يعرف لها ثمنــا
حرية المرء كنز ليس يعــدل لــــه ما حاز قارون من مال وما اختزنا
ركبت من اجلها ما هال من خطر وعفت ما لان من عيشي وما حسنا
دجـــا صباحك واعتلت بشاشته فكيف ترجو من الليل البهيم سنا
وكيف يفلح سيف نصلـــه خشب لا خير فيه،اذا سيف السيوف ونى؟
او سمت كافور هجوا لا لبشرته لكن لان علـــى اخلاقـــه درنـــا
وليس كـــل بياض للنقـــا مثـــلا فرب سم زعـــاف خالط اللبنـــا

★ ★ ★

يا شاعر الدهر ان الصبر قد عيلا مذ اصبح الشعر تهريجا وتدجيلا
جنى البغاث عليه، واستهان بـــه رهط يرون فضول القول تنزيـــلا
لا يحسنون سوى مضغ الكلام فلا تعجب اذا امعنوا في الشعر تنكيلا
هاموا بسفسطة الالغاز واصطنعوا للسخف واللغو تمثالا واكليـــلا
من برج بابل قد جاءت بضاعتهم فانت تفهم منهـــا غير مـــا قيـــلا
لا ينتمون الـــى شرق بشعـــرهم والغرب ينبذهم جمعـــا وتفصيلا
تحنو عليهم مـــن النقاد شرذمـــة تعلموا النقد تزميـــرا وتطبيـــلا
عمي يسيرون خلف الديك عن عمه ويعلكون احاجي الشعر تأويـــلا

لم يجد في ردعهم نصح ولا كرم بل زادهم كــرم القــراء تضليلا
حلفت باسمك ان لجــوا بباطلهم لسوف نغزوهم طــيرا ابابيــلا !

* * *

أشرف علينــا وحدثنــا باسهاب عما تجرعت من شهد ومن صاب
شهدت في نصف قرن الف معركة وخضت الف عبــاب غير هيــاب
فلم تسجل لغــير العرب مفخــرة يا شاعر الدهر هل كانوا بلا عاب؟
ادناك منه فتى حمدان فاشتعلت بالحقد اكبــاد اعــداء واصحاب
ولم تكن دونــه شأنــا ومرتبــة وان تكن دون القــاب وأحساب
سعت افاعي الاذى والكيد بينكما فانقاد •• وازور قرضاب لقرضاب
فعفت صحبته ، لكن على مضض وغبت عنه وما كشرت عــن ناب
لا يشرب الحر من بئــر ويرجمها ولا يعفر خديــه عــلى بــاب
ان كان اعطاك مما فــي يديه فقد غمرته بعطايــا قلبــك الصابــي
مضت هداياه •• اما ما بذلت له فسوف يبقــى لاحقاب واحقاب

* * *

دار الزمان فهــل انبــاك انسان بما يعاني مــن الارزاء لبنــان ؟
تناهشته نيوب الغدر واجتمعت عــلى بقايــاه ذؤبــان وعقبــان
هذا الذي هدت الدنيا حضارته لم يبق منــه ومن ماضيه عنوان
ماتت ولم يبكها باك ــ رسالته فليس فيــه لغير الموت ميــدان
تبت يــد زرعت بالحقد تربتــه فصار مــن نبتهــا صل وثعبــان
تحول النور فيــه ظلمــة وذوت رياضه وانطوى حسن واحسان
فلا الجداول فــي واديه ضاحكة ولا البلابــل الحــان وألــوان
يا من يرد الــى الفردوس بسمته ويخمد النار ، فالشطران اخوان

حامت على فرق الأطفاء تحرسها قلوبنا ، ومشى في الركب عدنان
ان لم تعد لشتيت الصف وحدته فكل ربح لمـن يجنيـه خسران

★ ★ ★

يا شاعر الدهر بث الروح في وتري يعذب هديلي ويستحل الورى ثمري
الشام مدت الـى لبنان راحتها بالزهر فانتعش الايمان في الحجر
لبت نـداء الوفا يقتادها بطـل نجد تعود لا يختال مـن بطـر
هيا نغن لهـا : لاعكـرت بردى ريح، ولا اختلجت عيناك من كدر
يا حافظ الدار من شر يراد بهـا اراك مـن ظفر تمشي الـى ظفر
طارت اليك علـى بعد جوانحنا ترعى دروبك من كيد ومن خطر
لأنت قرة عين المجد ، مـا وقعت لولاك الا عـلى ليـل بـلا قمر
يا ابـن القضية غذاهـا بمهجته وكان اسخى عليها من يـد المطر
ما دمت تزأر في باب الشرى اسدا فقد تبخـر حلم الغاصب التتري
اني لارفع رأسي فيـك مفتخرا فلتنخفض هامـة الدنيا لمفتخر !

بوانس ايرس زكي قنصل

في ذكرى محمد «ص»

أما آن يا نعماي أن تتوددي … وان ترفقي بالمستهام المسهد
خيالك في عيني وذكرك في فمي … وصوتك في أذني ألحان (معبد)
أراك دواماً حيث كنت بجانبي … وحبك لي معنى النعيم المؤبد
وأنت مرادي اذ أقول (بثينة) … وان قلت يا (ليلى) فانك مقصدي
لئن كان ذنبي أنني بك هائم … فلست بهذا الذنب بالمتردد
ونحن بنو الآثام من دون ريبة … ولكننا نرجو الشفاعة في غد
وسيلتنا لله جل جلاله … محمد الهادي وآل محمد (ص)
ولاؤهمو ما دمت فخري وان أمت … فحبهمو ذخري هناك ومنجدي
فيا نفس بشرى بالسعادة والهنا … بمدح الرسول الهاشمي الممجد (ص)
شفيع البرايا من اذا ذكر اسمه … سرت نفحات القدس في كل مشهد
ومن تعشق الاسماع ميمون ذكره … ويهفو الى ذكراه كل موحد
سليل المعالي من ذؤابة (هاشم) … ومن خصه الباري بأطهر محتد
له الشيم الغر التي عز حصرها … على كل محص في الورى ومعدد
فكم حاز من مجد قضى دونه الورى … وكم نال من فخر طريف ومتلد
بمولده غاضت بحيره (ساوة) … وقيل: ألا يا نار (فارس) فاخمدي
وأسرى به ليلا الى (القدس) ربه … وكان له المعراج في خير موعد
فصلى بكل الانبياء وخلفه الملائك طرا ركعا اثر سجد
دنى فتدلى (قاب قوسين) وارتقى … الى حيث لا يرقى الخيال بمصعد

★ ★ ★

أتانا بدين خالد متطور … قوي قويم قيم متفرد
بسفر حوى كل العلوم جميعها … بسحر بيان في نظيم منضد

ودستور عدل لم يـر الدهر مثله ومنهاج حـق ثابت لم يفند ...
أبا فاطم .. مـاذا تجيد قريحتي بمدحك ، بل كل القرايح سيدي
اليك (أبا الزهراء) أشكو وأنما حديثي شجون والاسى في تجدد
تضعضع ركن الدين فالكفر مطبق بنا ، والعـدا للمسلمين بمرصد
ونحن كأصحاب « الرقيم » بنومة (ولا نستبين الرشد الا ضحى غد)
نروح ونغدو للشرائـع نبتغـي وفي شرعة الاسلام اعـذب مورد
ويطعن فـي قرآننا كـل حاقـد ويسخر من أحكامه كـل ملحد

* * *

لقد جاءنـا فكـر عقيم نتاجـه لكل مغير فـي الضلال ومنجـد
فهذا (يساري) الى (الشرق) مائل يرى (الدين كالافيون) للمتعبد
وذاك (يميني) الى (الغرب) منتمي وما شأنه ــ في الفكرــ غير مقلد
صنائع (امريكا) واتباع (روسيا) علـى انهـم كالثعلب المتأسـد
ودنست (القدس الشريف) عصابة حوت كـل أفـاق أثيم ومفسد
وفي (المسجد الاقصى) المبارك حوله تروح جمـوع الغاصبين وتغتدي
فمن للهدى يحميه من فتنة العدا ويحفظه مـن شر باغ ومعتد ؟!
ويا ليت شعري أين (فاتح خيبر) يصول فلا يبقي عـلى متهود ؟!

* * *

اليكم ولاة الامـر بعض خواطر عن الوضع ابديها بكـل تجـرد
أرى في بلادي كل يـوم عظيمة يبيت لهـا فكري بطرف مسهد
فمن نافق المسؤول فهـو مقرب ومن لـم ينافقـه ، فأول مبعـد
ألا فاسمعوا مني نصيحة مخلص صريح عـلى التطبيل لم يتعـود
رأيت مراعـاة الخواطـر دائما أساس فساد الحكم في كل مورد
وما نحن معصومين قط عن الخطا ولا بأس في الاخطاء دون تعمـد

فلا تغلقوا للنقـد بابا ؛ وقدروا ذوي الفكر ان جاءوا برأي مسدد
فما من رقـي للبـلاد ونهضة بشيء سوى النقد النزيه المجـرد

★ ★ ★

خذوا الحزم منهاجا ولا تسمعوا به كـلام عذول او مقـال مفنـد
وأقصد حزمـا لا اقـول تشددا ولا ريب أن الحـزم غير التشدد
فأن لم تروا في الحزم أمرا مؤكدا فأن انقلاب الوضع شبه مؤكـد

★ ★ ★

بلادي •• وقاك الله كـل بليـة بلادي •• حماك الله من كل معتد
ويا أمة الاسلام •• عودي الى الهدى الى دين طه (ص) خير هاد ومرشد
ويا أمة الاسلام •• عودي مجددا الى منهج الحـق المبين لتسعدي
ولا تذهبي شرقـا وغربا ، ففيهما ضلال ، وهذا نهج من هو مهتد
بـه حقق الاجداد كـل تقـدم وكل علـو فـي الحياة وسؤدد
فكانت لهم في الارض أعظم دولة بغير تعاليم الهـدى لـم تشيـد
فأن نحن عدنا للهدى عاد مجدنا ألا ان بـاب النصر ليس بموصد

★ ★ ★

ولا تيأسي فالليل ليس بسرمـد وبشرى بيوم ضاحك الوجه أرغد
فلا بد من فجر على الكون مشرق وان طال ليل عابس جـد أربـد

★ ★ ★

ويا رب وفقنـا لاصلاح شأننـا ويا رب هبنا وحدة القلب واليد
ويا ربنـا وفـق ولاة امورنـا الى كل مـا فيـه رضاك وسدد
ويا رب هبنا رحمة منك واهدنا الى الخير في ظل الاخاء الموطد
وصل علـى خير الانـام وصحبه وعترته الاطهار فـي كـل مشهد
وسلم عليهم ما دجى الليل او علا على الدوح صوت العندليب المغرد

الكويت عبد العزيز العندليب

انا في الايام سر موجع

شاعر يزكي الضحى في شعره — عاش يعطي الحب أحلى عمره
كل ما في الكون نعمى ورؤى — وضياء عبق من عطره
كيف لا اهوى جمالا صاغه — مبدع الاكوان من جوهره
يتجلى في كل آن صورا — قد عرفت الله في صوره
صنعة دلت على صانعها — رنوة للحسن في مخبره
كيف لا اهوى وفي قلبي الهوى — ومعاني الحب في سيره
أنا في الايام سر موجع — ويح قلبي من خفايا سره
جاهدا يحمل دنيا همم — وتسامت كبرا في كبره
غير أني اعبد الهم ويا — طهر قلبي لا تضق في طهره

صافيتا — عبد الحميد علي

مختارات الصحف

خطر يهدد لغتنا القومية

بقلم : الدكتور احمد عبد الستار الجواري
وزير الدولة العراقي ورئيس اتحاد المعلمين العرب

لغتنا العربية لها بين اللغات الحية خصائص ومزايا عديدة ، قد يغفل عنها او يجهلها المتحدث بها من اهلها ، ولا يلتفت اليهـا الا حين يقف منهـا موقف الدارس الباحث يتلمس المزايا والخصائص بروح الموضوعية والتجرد .

وكثير من هذه المزايا عادت لطول الفتها صفات معتادة لا يكشف عنها الا التأمل والتمحيص الدقيق .

على ان جانبا من تلك الخصائص والمزايا ينعكس اثره فيستحل مصاعب ومشكلات يعاني منها الدارس والمعلم ، والمنشيء والمعبر بها عن شتى حاجات الفكر والشعور .

من ذلك ان لغتنا العربية قديمة عريقة تضرب جذورها في اعماق التاريخ فلا يكاد يعرف لها قرار . وتتشعب بها المسالك والدروب ويطوف بهـا طول الاستعمال وكثرة التداول في آفاق واسعة رحيبة فيضفي ذلـك على مفرداتها وتراكيبها من المعاني والافكار ما يخرج بها عن الاصل فـي كثير من الاحيان. ويذهب بها الاتساع والمجاز وسعة التصرف الى مجالات وميادين تعجـز مـن ألفاظها محل النزاع بين المترادف والمشترك والمختلف والمؤتلف الـى غير ذلك مما يرد في جملته الى قدم اللغة وبعد عهدها في الوجود ، وما اضاف اليها كل ذلك ، مع استمرار التداول من المعاني والمفاهيم سواء فـي ذلك اللفظ المفرد والتركيب والاسلوب .

ولقد كانت العربية في عصور الازدهار لغة العلم والحضارة يعبر بها اهلها عن الافكار العلمية والفلسفية والادبية تعبيرا مشحونا بكل ما في اللغة الحية من طاقات وقدرات ، وما تنطوي عليه من استعداد للنماء والاتساع .

ثم اتى على العربية حين من الدهر كان هم التعبير بها الشكل والمظهر دون العناية بالفكرة الاصيلة والشعور الصادق ، وانصرف المنشئون الى ما عرف بفنون البديع من جناس وطباق ومقابلة وسجع وتورية ونحو ذلك من اساليب تنادي باللغة عن الاصابة والصدق ، وهما أساس فن القول في اللغة العربية .

وجاء من بعد ذلك فريق من علماء العربية جعلوا المعاجم وما اشتملت عليه كتب اللغة اكبر همهم ومبلغ علمهم غير آبهين ولا معنيين بأساليب التعبير وما اضافت الى اللغة والفاظها وتراكيبها من معان جديدة قضى بها تطور الفكر وتقدم المعرفة ، وما شهدته من ضروب الابداع والابتكار .

وكان هؤلاء الافاضل كانوا يتجاهلون واقع الفكر في عصورنا الحديثة هذه . هذا الواقع الذي تقوم فيه هوة سحيقة بين من اخذ من علوم العصر وتخصص فيها وبين من تخصص في فقه اللغة ونال منها حظه الوفير . لان كل فريق من الفريقين قد لزم موقعه ورضي به حتى حيل بينه وبين الفريق الآخر . وصار المتخصصون بالعلوم الحديثة اذا كتبوا بالعربية او تحدثوا بها في موضوع اختصاصهم ، خانهم التعبير واحتوتهم دوامة الغموض وافلت منهم زمام الدقة والاصابة ، في حين ان منهم من يكتب باللغة الاجنبية التي تعلم بها فيطلع على الناس بالمبدع والمبتكر الذي يشهد له اهل الاختصاص ويقدرونه حق قدره .

تلك مشكلة تعاني منها مؤسسات التعليم في شتى مراحله ويشكو منها اولو الاختصاص من كلا الجانبين شكوى مبهمة لا تكاد تصف العلاج او تهدي اليه .

وصار القائمون على امور التعليم في الجامعات والمعاهد العليا باللغة الاجنبية مع ما فيه من تبديد الجهد بالنسبة لطالب العلم من ابناء العربية ، ومع ما فيه من تقتير وضن على اللغة القومية بأن تكون وسيلة لتثقف الجمهور وأمداده بأسباب المعرفة في العلوم الحديثة .

ولست احسب ان احدا ينازع اليوم شعبية التعليم والثقافة وكونها حقا للجماهير لا مراء فيه ، بل ان من مصلحة الحاكم المسئول ايا كان مشربه ومذهبه ان يكون الجمهور على جانب كاف من المعرفة يغنيه عن ان ينعق مع كل ناعق او يتبع كل ذي دعوة براقة مغرية ينقاد اليها انقيادا القطيع بلا وعي ولا ادراك .

واذا كان لزاما على الدولة ان تبسط للناس اسباب المعرفة وان تفتح في وجوههم باب التعليم ، فان لزاما عليها ان توفر لهم وسائله واداته .

ووسيلة التعليم واداته الاولى هي اللغة . فانها وعاء الافكار ومضمارها الذي تجول فيه ، وهي ايضا سبيل التواصل الفكري والشعوري بها يتحقق انتقال المعرفة والخبرة بين الافراد .

من أجل هذا وأمثاله من الاسباب الخطيرة يلزم ان تكون العناية باللغة سابقة مقدمة ، وان يكون خطر التفريط بها ماثلا لكل معنى بالتربية والتعليم والثقافة والمعرفة بل لكل مشتغل بقضية الشعب أيا كان تخصصه ووجهة عمله .

ان اهمال هذا الخطر يتجلى على العموم في جهتين مهمتين : الاولى ظواهر خادعة من الاهتمام بالعامية على اعتبار انها وسيلة التعبير لدى الجمهور ، فيصبح هذا الجمهور يوما بعد يوم بعيدا عن الاخذ بأسباب المعرفة وينأى به ذلك حينا بعد حين عن الثقافة الحقيقية ومنابع الفكر العلمي المتقدم ، بل يرده الى الجهل وظلماته ومتاهاته يتخبط فيها بلا ادراك ويضرب من حوله سدا يحول بينه وبين مصادر العلم والعرفان .

والثانية ان يجعل من اللغة السائبة المائعة مشكلة اجتماعية كبرى يتنازع الناس في مجالها بلا طائل وبلا سبب مقبول ، حين يتحدث المتحدثون ويعبر المعبرون فلا يعني احدهم ما يقول لانه لا يحسن التعبير الدقيق باللغة من جهة، ولهذا لا يحسن من يتلقى عنه فهم ما يقوله وما يتحدث به .

ينطبق هذا على الالفاظ المفردة كما ينطبق على التراكيب والتعابير .

ان كثيرا من الخلافات والمنازعات في السياسة وفي الاجتماع مردها الى سوء التعبير من جهة والى سوء الفهم من جهة اخرى . وقديما قال قائلنا من يسمع يخل ، ومن يسمع غير الحقيقة يتخيله ، ثم يبني على خياله ما يشاء ، فاذا اراد ان يعبر عن ذلك كان تعبيره بعيدا عن الواقع الذي يحياه ، وكان سلوكه استجابة خاطئة لما سمع ، فيكون النزاع ويكون الخصام ويكون الخلاف الذي لا يقوم في الحقيقة على أساس صحيح .

ولا ريب ان ظاهرة الازدواج او الثنائية في استخدام اللغة امر على جانب كبير من الخطورة ، ذلك ان العامية في اغلب اقطار العربية او كلها قد بعدت عن اللغة الفصيحة بعدا بعيدا ، فجعل ذلك من لغة التعليم وهي الفصيحة شيئا يشبه ان يكون لغة غريبة او هي في افضل الاحوال لغة غير مألوفة ، لغة ما يعرف بلغة الام التي يفكر بها الانسان وبها يعبر عن مشاعره وحاجاته .

ان هذا الازدواج وتلك الثنائية نتيجة من نتائج الجهل الذي اطبق على الامة العربية في وطنها الواسع الكبير ، وهو في الوقت نفسه سبب من اسباب التعثر والتباطؤ في انتشار التعليم وتخلف الفكر والثقافة ، وصحيح ان عوامل التقدم في الفكر والثقافة ، وانتشار التعليم يقسرب بين العامية والفصيحة وينشىء في المجتمع لغة هي فوق العامية ودون الفصيحة . وهذا واقع فعلا في كل قطر من اقطار العربية من جهة وفي سائر اجزاء الوطن العربي من جهة اخرى . ذلك ان العربي في اقصى المغرب يتخذ للحديث مع اخيه في اقصى المشرق لغة عربية لا يمكن ان توصف بأنها الفصيحة الصحيحة المتقنة . ولكنها على كل حال عربية فيها من الصحة ومن الالتزام بحدود معينة من القياس

اللغوي وما يجعلها مفهومة في كل مكان من بلاد العربية ، قابلة للتطور ولمزيد من الضبط والاتقان ولكن هذا لا يغني في الوفاء بهذه الحاجة الاجتماعية ولا يصح ان يتكل عليه في حل المشكلة اللغوية في بلاد العربية • انه يفتقر الى المزيد من الجهود حتى يبلغ مبلغ الوفاء بالحاجة على كل حال •

ان علاج المشكلة اللغوية يحتاج الى سلوك اكثر من طريق • اول هذه الطرق ما يعرف بتيسير قواعد اللغة تيسيرا يقوم على نظر فاحص وتأمل عميق يأخذ بأسباب البحث الدقيق والنظرة الشاملة التي لا تعبث بالاصل ولا تقطع ما اتصل من تراث حضاري وفكري عريض •

وهي مهمة خطيرة لا ينهض بها الا من أوتي نصيبا من الدراية الواعية بالقديم والمعرفة النافذة بالجديد • وعرف للغة وظيفتها الاجتماعية الخطيرة في حياة الامة •

وتلقى هذه الطرق عناية كبيرة بنصوص اللغة التي عبرت بها عن سائر اوجه الفكر والشعور عناية لا تقف عند النصوص الادبية ولا تقتصر عليها بل لا بد من تدارس النصوص التي تناولت قضايا العلم والفلسفة وسائر اوجه المعرفة • وذلك موفور كثير في كتابات الجاحظ وابي حيان التوحيدي والغزالي والبيروني وابن سينا وامثالهم من اعلام الفكر الذين عبروا باللغة العربية عن افكار الفلسفة والعلوم ادق تعبير واصدقه •

ومن المعاصرين من ضرب في هذه الميادين اروع الامثلة • وان في آثار احمد امين ومصطفى عبد الرازق ومحمد عوض محمد رحمهم الله ، وفي كتابات احمد زكي وابراهيم مدكور وعثمان امين ما هو اجدر بالاهتمام واولى بالدراسة مما تنفتح به الاذهان وتألفه اذواق الاجيال الجديدة وتهتدي به في التفكير وفي التعبير عن الافكار •

وبعد فان المشكلة اللغوية واحدة من اهم ما يواجه حياتنا الفكرية والتعليمية • وكل توجه لعلاج هذا الجانب من حياتنا الجديدة لا بد ان يوليها ما تستحق من العناية والاهتمام والا بقيت اللغة وهي وسيلة التعليم والتواصل الفكري ثغرة واسعة تلتف منها المصاعب والعثرات حتى تضيع الجهود ويتبدد المجهود او يتضاءل نتاجه ويضمر او يضمحل لا سمح الله •

بغداد — أحمد عبد الستار الجواري

من عظماء الاسلام

سلمان الفارسي

بقلم : عبد الامير جعفر ارشدي

في بلاد فارس ارض الاكاسرة ذوي الدولة والحضارة والحكمة والمجد .. وفي بيت لم يخمد فيه لهيب النار .. وبين قـوم يسجدون لهـذا القبس الملتهب .. ولد (بهبود) والذي سمي فيما بعد (سلمان) .

لقد كان هذا الوليد موضع عنايـة والديـه ، فنشأ وترعرع بين قـوم يقدسون النار .. فتعلم اصولها وطقوسها .. بيد ان هذا الصبي لم يقتنع في قرارة نفسه بهذا الدين الذي يتمسك به ابناء قومه ، فاصبح فـي ريب مـن امره ، وشاءت الصدف ان يمر في احـد الايام باحـدى الكنائس المسيحية ، فسمع صلاتهم واعجبته طقوس دينهم ، فقال : هذا خير من ديننا .. وبعد فترة وجيزة كان (سلمان) شابا يعتنق المسيحية ويعيش مع الرهبان .

وذات يوم طرق سمعه خبر ظهور نبي جديد في جزيرة العرب ، اسمـه (محمد) يدعو الى دين الحق والعدل والمساواة ، ولما كان سلمان يبحث عـن الدين الذي يدله على خالق الكائنات قرر ان يصل الى هـذا النبي العظيم .. وبعد جهود مضنية لا مجال لذكرها وقف سلمان بين يدي رسول الله (ص) واسلم مؤمنا بدين الحق .. دين الاسلام ، وفتح اللـه قلبه للهـدى وفاض صدره بالعلم والمعرفة وامتلأ قلبه بالايمان ...

كان سلمان الفارسي ـ او المحمدي كما لقبه رسول الله ـ من الصحابة الكرام المقربين لرسول الله (ص) وكان المثل الاعلى لكل فضيلة وصل اليهـا

اي صحابي ، وبلغ درجة سامية في العلوم الاسلامية ، واشتهر بعلمه الواسع ، وعقله الراجح حتى قيل (ما نشأ في الاسلام رجل مـن كافة الناس افقه مـن سلمان الفارسي) وقالت عائشة : (كان لسلمان مجلس عند رسول الله ينفرد به في الليل .. حتى يكاد يغلبنا على رسول الله) وهناك الكثير مـن الاقوال المثبتة في كتب التاريخ تتحدث عن علم سلمان وزهـده وسمو منزلتـه فـي الاسلام .

ولقد زاد شرفا ومنزلة يوم الاحزاب عندما قال النبـي الكريم (سلمان منا اهل البيت) فانضم الى البيت النبوي ولم يرتق هـذه المنزلة احـد مـن الصحابة .

وكان الى جانب زهده وتقواه ذا عقل راجح وبصيرة نفـاذة ، ورأي سديد ، وهو الذي اشار على رسول الله (ص) بحفر الخندق حـول المدينة وانقاذ الاسلام والمسلمين من جيش الكفار بقيادة ابي سفيان .

لقد وجد سلمان في الدين الاسلامي ضالتـه المنشودة ، فاخلص للـه ولرسوله وكان مؤمنا تقيا ورعا .. حتى ان الامام علي عليه السلام كان يفاخر به حيث قال (ذاك امرؤ منا اهل البيت .. مـن لكم بمثل لقمان الحكيم .. علم العلم الاول ، والعلم الاخر .. وقـرأ الكتاب الاول والكتاب الاخـر .. وكان بحرا للمعرفة) .

كان سلمان الفارسي من المحبين والتابعين للامام علي عليه السلام وقـد قال ذات مرة (بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين .. والائتمام بعلي ابن ابي طالب والموالاة له) (ومن اقواله المأثورة جوابه علـى كتاب اخيـه فـي الاسلام (ابو الدرداء) الذي كتب له من الشام قائلا (.. اقدم يا اخي الـى بيت المقدس لعلك تموت فيه) فاجابه سلمان قائـلا (.. ان الارض لا تقدس احد .. وانما يقدس كل انسان عمله) .

وهكذا عاش سلمان الفارسي بـين الاسلام مؤمنا باللـه تعالى مخلصا لرسوله الكريم متبعا آل بيته الطاهرين باذلا كل عملـه وجهده وطاقته لديـن العدالة والتوحيد حتى صعدت روحه الطاهرة الى خالقها سنة ٣٥ هجرية ودفن في المدائن بالقرب من بغداد .

طهران عبد الامير جعفر ارشدي

الحرب واسطورة النجوم

بقلم : محمد شرارة

في الشعر ، كما في بقية الفنون ، مدارس تتراءى وكأنها الطلائع الجديدة التي تسير تحت أعلام الغد القادم وعلى وجوهها ملامح التمرد العازم على التخلص مما سنه الماضي وفرضه على العصور التي تليه .

واذا كانت هذه الظاهرة واضحة في عصرنا الحاضر وفي شعره الذي حمل الراية منذ بدأت مفاهيم الثورة الفرنسية تجتاز باريس ، وتدخل عواصم العالم ، فانها لم تكن في الماضي بهذا الوضوح ، وبهذه الاثارة التي تشهدها الاجيال المعاصرة . ولكنها كانت على أي حال ، وكان التمرد فيها على الركود جزءا من كيانها الادبي الجديد .

أبو تمام ، في تراثنا الشعري ، مدرسة من هذه المدارس التي تمردت على الاسلوب الشائع في عصرها . وقد فهمت « المحاكاة » التي سنها أرسطو فيما يتخلله الاحساس بالتطور المستمر والتفاعل الذي لا يكاد يستقر على حالة حتى ينتقل الى غيرها .. اي انها فهمت الصيرورة المتواصلة فهما يكاد يكون اقرب الى الفطرة منه الى الفلسفة . وبهذا الفهم استطاعت ان تضرب الجدار القديم وتواجه النقد المحافظ ، كما استطاعت ان تجد لها انصارا قادرين على الدفاع .

احدى قصائد هذا الشاعر التي تلتقي فيها ثورة الفكر بثورة الاسلوب قصيدة الحرب التي شنتها قيادة الروم في عصر الشاعر على « زبطره » وفعلت ما فعلت على اثر انتصارها بالنساء والاطفال . وتصور قصيدة ابراهيم بن المهدي التي ألقاها امام المعتصم شيئا بسيطا من الوحشية التي ارتكبت في زبطرة .

يا غارة اسر قد عاينت فاتهكي — هتك النساء وما فيهن يرتكب
هب الرجال على أجرامها قتلت — ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وبعد الفراغ من القائها كان الجانب الغربي من دجلة ملتقى الجنود ، ونصبت الاعلام على الجسر ، كما يقول المسعودي ، وابتدأ النفير .

وكانت كلمة : « وامعتصماه ! » التي اطلقتها احدى النساء في البلدة المنكوبة من جملة المثيرات التي حركت النخوة . وقد أحيط النداء المأساوي الذي تحمله الكلمة بهالة تدنيها من الاساطير . ولكن قصيدة الشاعر التي صورت الواقع أدق تصوير ، تجرد النداء من الهالة الاسطورية وتضعه في قلب الواقع .

ويظهر ان الجيش العربي الذي تجمع على ضفة النهر الخالد لم يكن من الجيوش البسيطة ، بل كان من الجيوش التي يحسب لها الحساب الدقيق في المواجهة. وفي ضوء ذلك تراجع القائد الرومي تراجعا كبيرا، وتبرأ مما ارتكبه جنوده في زبطرة. وقد ظهر ذلك على لسان الوفد الذي أرسله الى المعتصم: «ان الذين فعلوا بزبطرة ما فعلوا تعدوا أمري وأنا أبنيها بمالي ورجالي ، وأرد من أخذ من أهلها ، وأخلي جملة من في البلد للروم من الاسارى ، وأبعث اليك الذين فعلوا بزبطرة على رقاب البطارقة » هذا ما يرويه اليعقوبي المؤرخ الكبير . وذلك يدل على الفزع من الجيش الذي لا يزال في بغداد اكثر مما يدل على التوبة او الندم .

لم تكن زبطرة ، على ما يظهر ، من المدن التي ترابط فيها الجيوش الكبيرة ، ولكن الجيش الرومي الذي زحف عليها لم يكن أقل من مئة ألف ، وهو جيش هجومي مزود بكل ما يحتاج اليه الهجوم من الاعتدة والمؤن . أما الجيش العربي فكان ، على قدرته ، جيشا دفاعيا . ولم يتحرك الا بعدما ضجت الامصار من الفظائع والمذابح التي ارتكبها جيش الروم .

وفي كلمة الوفد الرومي التي ألقيت أمام المعتصم اعتراف بفظائع ذلك الجيش وقبائحه ، ولكن قائده يحاول ان يبرىء نفسه من الافعال المنكرة التي ارتكبها جنوده ، كما يحاول ان يعزو ذلك الى الفوضى وعدم الانضباط . وهذا ما يؤكده قوله : « ان الذين فعلوا ما فعلوا بزبطرة تعدوا أمري » واذا

كان جنوده وحدهم يتحملون التبعة ، كما يدعي ، فقد حق عليهم الحساب من جهتين لا من جهة واحدة .. من جهة الفظائع التي ارتكبوها واستباحوا فيها القوانين ، ومن جهة عصيان الاوامر التي اصدرها القائد . فلماذا لم يخطر ببال القيادة هذا الحساب الا بعدما بدأت الجنود العربية تلتم وتشكل في التمامها الجيش العازم على الزحف الى الشمال ..!

أما ما جاء بعد ذلك من الاستعداد للقيام بالتعويض على الخسائر وتسليم المجرمين الفوضويين للمعتصم كي يرى فيهم رأيه فلم يكن سوى لعبة وقتية يتخلص بها الروم من المأزق الذي وقعوا فيه ، ويتهيأون في الاثناء للغارة الحاسمة .

أخفقت اللعبة وتحرك الجيش العربي الى آسيا الصغرى ، وعوقب الانتقام الرومي بانتقام مماثل . وكان الرد على البادي متناسبا مع الاعمال التي قام بها الطغاة ، وبعد احتلال انقرة توجهت الكتائب العربية الى عمورية، وحوصرت المدينة الباغية .

في أثناء الحصار أرسلت الرسل الى الامبراطور لتخبر بما وقع وتطلب النجدة ، فوقع الرسل بيد المعتصم . وحاولت اللعبة مرة أخرى ، فكانت الاسطورة في صميم اللعبة وكانت الاشاعة بانها منيعة ، ولكنها على منعتها لا يمكن ان تستعصي على الفتح . وليس الامر أمرها ، بل أمر الفاتحين . وهؤلاء الفاتحون لن يكونوا من ابناء الحرائر والاحرار ، بل من أبناء الزواني والزناة ..!

واللعبة ، على ما فيها من دعاية ، لا تخلو من ذكاء فيه كثير من المكر ، وكثير من الايحاء ، وكثير من الاستهتار بالعقول .

عندما تبدأ الغارة على زبطرة ، ويفعل بأهلها ما فعل ، تكون الغارة طاهرة ومقدسة ومباركة من جميع كنائس العالم ، ويكون القائمون بها هابطين من الاصلاب المطهرة والارحام العفيفة النبيلة . أما الجواب عليها فلن

يكون من أصلاب وأرحام مماثلة ، بل من أصلاب الشياطين المطرودة من السماء ومن فردوسها الخالد ..!

ويظهر من الجواب أن الرجل الذي قاد حملة السرد لم يكن هينا ولا بسيطا الى الحد الذي يتصوره الرسل ، وما « ضحكته » على الرواية سوى ايماءة الى كبرياء الفكر الذي يسلط الضوء على الخرافة ، وعلى الكتب التي تتخذ منها وحيا والهاما قادرا على تضليل العقول البائسة الفقيرة في الوقت الذي يعجز عن اجتياز هذا الاطار .

ولا يكتفي المعتصم بـ « الضحكة » بل يتبعها بكلمة لا تقل عن الضحك بعدا وامعانا في السخرية : أما أنها لا يفتحها الا أبناء الزنى فمعي من أبناء الروم الكفاية .! » واذا كان أبناء الروم في صفوف الفاتحين فماذا يكون التفسير ، عندئذ : لهذا « الفتح » الذي يشترك فيه العرب والروم ؟! وهل يبقى الروم روما في هذه المشاركة ، وهل يظلون في العائلة المقدسة وهم شركاء أبناء الزنا في الفتح ، ام تنزل عليهم اللعنة كما نزلت على غيرهم ، ام يعودون الى بطون أمهاتهم ويذوقون فيها ثم تحمل الزواني مرة أخرى من الزناة ؟ ! انها أسئلة بلا جواب ، وستبقى الى الابد بدون أجوبة ..

وبجانب هذه الاسطورة تنصب « اسطورة النجوم » واذا كانت الاولى خاصة فان الثانية عامة .. الاولى خرافة اخترعها التلفيق والدجل الذي يغسل الادمغة . أما الثانية فعليها مسحة من العلم الذي يربط أحداث الارض بأحداث السماء . ولكن المعتصم سخر مرة أخرى من « العلماء » كما سخر من الدجالين ، وتحرك الجيش بقادته نحو الشمال حتى وصل الى عمورية . وكانت معركة مخيفة تصادمت فيها القوى تصادما لعبت تحته الارض والخيل والسيوف . وكانت قصيدة أبي تمام في تصوير المعركة من أروع ما عرفه الشعر في ذلك العصر .

يخلع الشاعر على « السيف » في بداية القصيدة ألوان المجد كلها ، ويمنحه جميع القيم . والذي أملى عليه هذه الفكرة روعة الانتصار من جهة

ورؤية المنجمين ــ وهم ذوو أقلام ــ من جهة أخرى ، ولكن السيف أداة عامة لا تفرق بين يد ويد • وكما كانت بيد المعتصم أداة دفاعية عن الحق ، كانت بيد تيوفيل بن ميخائيل أداة عدوانية سائبة • وفي نشرة التقديس للسيف كان التعريض بالقلم واعتباره أداة هامشية ، وقد نسي الشاعر نفسه ، ونسي ما قاله في القلم :

فصيح اذا ما استنطقته وهو راكب ... وأعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت ... عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت ... لنجواه تقويض الخيام الجحافل

فالقلم في هذه الابيات فكر • والفكر اكبر من جميع الاشياء ، وهو عالم تتضاءل أمامه جميع العوالم • أنه أجدر الكائنات بالاطاعة ، واطاعته نجاة وعبور الى شواطىء الامان • وعملية المعتصم نفسها لم تكن « سيفا » فقط ، وانما كانت « فكرا » أيضا • وقد حاولت الرسل الرومية بلون من ألوان الفكر ان تحول بين الجيش العربي والهجوم على عمورية • ولكن فكر المعتصم كان أصح من أفكارهم وأنصع ، كما كان أقوى من افكار المنجمين الذين تتلاقى وقفتهم بوقفة الرسل في النهاية وان اختلف القصد • وقد كان المتنبي أبعد رؤيا من أبي تمام عندما قال : الرأي قبل شجاعة الشجعان ، وان انتقل من تمجيد الرأي الى تمجيد القوافي لحظة أخرى •

على ان أبا تمام نفسه ، وفي القصيدة نفسها يواجه المنجمين مواجهة فيها كثير من السخرية ومن الاستخفاف بآرائهم ما يرفع الشاعر الى مستوى عبقري ، فهل كانت السخرية « سيفا » أم فكرا يتخذ هذا الزي في المواجهة !

أبو تمام لم يكن شخصا عاديا ، بل كان مؤسس مدرسة كما قلنا ، ولكنه يبقى كما يبقى غيره من بقية المفكرين في عصره طائرا يتنقل من مناخ الى مناخ ومن شجرة الى شجرة وان اختلفت الاشجار واختلفت أثمارها • والسر في ذلك يعود الى السلك الذي يربط بين الافكار ، واذا كان السلك مذبذبا كانت اللحظة الزمنية هي الاناء الفكري الوحيد • وهذه الظاهرة تمتد في

جميع العصور حتى تصل الى عصرنا الحاضر • وهي تلوح في تفكير جبران والعقاد وأحمد أمين كما تلوح في تفكير أبي العلاء والمتنبي وأبي تمام • وكل فكر يبقى عرضة للتناقضات اذا لم يكن وراءه خط فلسفي يحميه من الذبذبة او من اللحظة الآنية التي تفرض وجودها عليه •

واذا قيل « الشعر شعر » وهو لا يعترف بالقواعد ، قلنا هذا صحيح ، ونحن لا نطلب ولا يمكن ان نطلب ذوبان فيها • ولكنه عندما يكون واقعيا ــ وأبو تمام واقعي في هذه القصيدة ــ يفرض فيه ان يكون مرهفا جدا في التقاط الواقع وفي اختيار جزئياته ، والشاعر لا يطرح اسلوبا فقط أو عاطفة وانما يطرح فكرة أيضا والفكرة المطروحة لم تكن من بناته ، بل من بنات المجتمع ، ولم يكن فيها ، على ذكائه ، سوى صدى اجتماعي غارق في التلاشي البائس وان كانت القوة التي يتحدث عنها هي قوة الحق التي دافعت عن المظلوم في مواجهة الظالم ، ولكن الصياغة عامة والتمجيد يبدو وكأنه تمجيد مطلق للقوة •

بالرغم من كل ذلك تبقى القصيدة من الشوامخ في الفكر العربي وأدبه ، ويبقى التصوير فيها روعة فنية فاتنة • انها وان ابتدأت بما يشبه السجود للسيف والصلاة له فان ذلك لم يكن سوى تمهيد للحملة على فكر مزيف ، وخرافة شائعة :

والعلم في شهب الارماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب

والحملة على العلم ، وان بدت شاملة ، تخصص فيما بعد بالفلك وبالشهب التي تدور في دوائره ، ولا نظن ان التخصص في « شهب الارماح » يقتضي النفي لبقية العلوم •

ان التركيز على « الرماح والسيوف » وعلومها ، تركيز في الوقت ذاته على الاستهانة بالتنجيم وعلومه ، ودعاية للحيلولة بين المنجمين والتأثير في الناس ، ومن الواضح ان الهجوم يتخذ طابع الخلط بين العلم والتنجيم ، وبين ان العلم شيء والتنجيم شيء • ولا نعرف انتماء هؤلاء الناس حتى نتأكد من

النوايا . فاذا كانوا في الجانب الاسلامي كانت النوايا طيبة وان رافقها الخطأ. وان كانوا في الجانب الآخر كانوا أشبه شيء بالرسل الذين رأوا ان فتح عمورية لن يكون الا على أيدي أبناء الزنا .!

مهما يكن فان الربط بين الهزائم ومواقع النجوم ، أو بين الانتصار ومواقعها الاخرى شيء مضحك بالفعل . وقد أمعن الشاعر بالسخرية من هذه الرؤيا ، وكان موفقا في سخريته توفيقا يغبط عليه ويستحق التهاني :

أين الرواية.. بل أين النجوم وما — صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا واحاديثا .. ملفقة — ليست بنبع اذا عدت ولا غرب
عجائبا زعموا الايام مجفلة — عنهن في صفر الاصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة — اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيروا الابرج العليا مرتبة — ما كان منقلبا او غير منقلب
يقضون بالامر عنها وهي غافلة — ما دار في فلك منها وفي قطب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه — لم يخف ما حل بالاوثان والصلب

والسلاح الذي يهاجم به « الرواية والنجوم » من أمضى الاسلحة لان الاحداث التي وقعت لا تقف بجانبه فقط ، وانما تمده بقوة واقعية فيها من المنعة والقدرة ما يحطم جميع السهام التي تحاول الدنو منها ، والفضل في الرؤيا الاولى للمعتصم الذي كان الساخر الاول من التنجيم ومن المؤمنين به في الوقت الذي كانت النتائج مجهولة خفية تتحرك وراء الستائر في عالم الغيب . أما رؤية الشاعر فمستمدة مما كان ومما وقع بالفعل ، وهي رؤية مادية تزودها الاحداث القائمة بجميع العناصر اللازمة وتقدم لها المادة التي تعوزها الصياغة فقط .

معنى ذلك ان الشاعر لم يكن سوى دور الصائغ الذي يمنح المادة شكلها وصورتها التي تظهر فيها ، وهو دور له قيمة وله شأن ولا يقل أهمية عن الدور الاساسي الذي قامت به القيادة .

رؤيا المعتصم هي الرؤيا التي تمتد الى المجهول وتكتشف ما يختلج في احشائه . وهذه الرؤية العبقرية التي ترى الاحداث قبل وقوعها ، وتتنبأ بنوع المولود قبل ولادته ، وفي هذه الرؤيا يشترك سيف الدولة مع المعتصم في معركة « الحدث الحمراء » ؛ فقد كان جيش الروم في المعركة الاخيرة كما وصفه المتنبي :

خميس بشرق الارض والغرب زحفه وفي اذن الجوزاء منه زمازم

بينما الجيش العربي الذي يقوده سيف الدولة لا يتجاوز ٥٠٠ غلام ، وقد كان الاقدام بهذا العدد الضئيل على مواجهة ذلك الجيش الهائل نوعا من المغامرة المجنونة ، ولكن القيادة العربية كان لها رأي آخر . ولما ضربت ضربتها العبقرية الحاسمة قيل في القائد العظيم :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى الى قول قوم أنت بالغيب عالم

ويلتقي بصورة ما مستشارو سيف الدولة ومنجمو المعتصم في الرؤيا ، ولكن القائدين الكبيرين تجاوزا الاستشارة والتنجيم وكانت النتائج باهرة في كلتا المعركتين «١» .



مرة أخرى نعود الى التنجيم والى اصرار الشاعر على اخراج أهله في ثوب الجاهل التافه الخرافي . انه يصوغ اصراره في سياق استفهامي يحمل شحنة كبيرة من الاستنكار الساخر المتهكم ، ثم ينتهي التقرير بأن التنجيم لم يكن ولن يكون سوى « زخرف » أو « اكذوبة » أو « تحرض » أو « أحاديث ملفقة » ، وجميع المفاهيم التي تحملها هذه الكلمات تكاد تصب في

---

١ ـ لنا مقال واف عن « المتنبي والروح الملحمية » سينشر في مجلة « الثقافة الجديدة » التي تصدر في بغداد . وهو من كتابنا عن المتنبي الذي لم نستطع اخراجه لحد الان . والمقال يوازن بين العقلية العربية في الجاهلية ، والعقلية اليونانية ايام هومير . ثم يحلل قصيدة الشاعر في معركة « الحدث » ويؤدي التحليل الى ارتفاع البطل لمستوى الاسطورة بالرغم من ان البطل واقعي والحوادث واقعية ايضا .

بحيرة واحدة ، واذا كان لبعضها شيء من الشفاعة او سند من التبرير فبعضها الآخر تهمة تستدعي العقوبة .

الوعي الانساني ، أو كثافة الوعي ، كما يقول « كولن ويلسن » ، هو الاساس الدائمي في اكتشاف الغوامض الغارقة في قرارة الاشياء . وكلما كان الوعي حادا كانت الاشياء بلورا من النوع الكريستالي
ومن حظ العرب في العصور الماضية ان يكون لهم قادة يمتلكون مثل هذه الكثافة في الوعي ، وفي الرؤيا التي كانت تلمس الخفايا وتضع عليها الاصابع المرهفة .

مثل هذا الوعي يحرك الخيال في نفوس الشعوب ، ويخلق لحظة الاضاءة ، ثم يخلق روح التجاوب بين الشعب والقيادة ، وما حماسة أبي تمام في هذه القصيدة سوى تعبير ، وان كان ذاتيا ، عن روح الشعب التي ترى في الانتصار على الهمجية عيدا من أعيادها القومية الكبرى . ولم يكن اصرار الشاعر في الهجوم على التنجيم الا لانه أداة من أدوات القضاء على الوعي ، ووسيلة من وسائل التغطية على الرؤيا . ولا يكتفي الشاعر بالسخرية من التنجيم ، بل يلجأ معها الى الادارة العقلية في الاستناد الى المنطق البديهي الذي يدعمه التاريخ . انه يبين بأن النجوم بكماء ، وأنها أعجز من أن توضح الامور . ولو كانت قادرة على البيان والاخبار بالحوادث قبل وقوعها لبينت ما حل بالاوثان والصلب وما انتهت له هذه الآلهة .

أبو تمام يتوجه بهذا المنطق الى المتعلمين والى الجمهور الذي يطلب شيئا اكثر من السخرية . واذا كانت لدى الشاعر قناعة كافية بأن الذين يصدرون الاحكام عن النجوم لا يستحقون اكثر من كلمة لاذعة ، أو ابتسامة ساخرة فقناعته الخاصة لا تكفي لاقناع الآخرين . وفي ضوء هذا الاحساس انتقل الى ما يشبه المنطق العلمي في قوله : « لو بينت قط أمرا » وبما أنها لم تبين ما حل بالاوثان فمعناه أنها عاجزة وان العلم الذي يتخذ منها سندا للاحكام لا يعد التخرص والتلفيق . ان الشاعر يعتقد ان هذه الرمية الخاطفة

كافية لتمزيق غمائم الشك واقناع من لم يقتنع واذا اطمأن من الوصول الى هذا الهدف عاد الى متابعة الفكرة الاولى في مطلع القصيدة ، ثم ينطلق منها الى فتح الفتوح الذي يتعالى على « الشعر » « والخطب » واذا كانت هذه الفكرة مبتذلة في عصرنا الحاضر ، فقد كان لها شيء من الصيانة في عصره ، او انها لم تكن ، على الاقل ، هزيلة الى الدرجة التي تحرك أصابع المفلسين !

وبعدما اطمأن الى بلورة الفكر التي دار حولها ، واعتقد أنه وضعها في بؤرة الاضواء تحول الى المدينة التي انطلق منها العدوان على « زبطرة » واذا هي مدينة شامخة معتزة بقدرتها وجبروتها ، واثقة بنفسها . ولم يكن في هذه الصفات الذاتية شيء من الغرور ، أو الاعتداء الفارغ ، بل كانت تمتد من قمم التجارب والاختبار التاريخي الذي تدل عليه المحاولات الكثيرة الرامية الى كسر عنفوانها ، أو ترويضها ، على الاقل ، وبقيت في ابراجها وفي وجهها ملامح الكبرياء القادرة على التحدي الصارخ . والذين حاولوا ترويضها ، أو تذويب شيء من ايمانها بالذات لم يكونوا من ذوي الادوار البسيطة في اخراج التاريخ ، بل كانوا من صانعيه ، ومن القابضين على عناقه ، أو على شكائمه التي تضع « التوجيه » في الناحية التي تفرضها الظروف .

يكفي أن يكون واحد من هؤلاء في حجم « كسرى » وواحد في حجم « الاسكندر » وواحد آخر في مستوى « أبي كرب » . ولكن هؤلاء القادة الكبار لم يكادوا يصطدمون بها حتى ادركوا أنهم وعول تناطح الحديد ، أو اكباش تدق الصخور بقرون من الحشيش ، ومدينة تمر بمثل هذه التجارب الضخمة ، وتقف في وجوه أمثال هؤلاء القادة ، وتخرج من الوقفة ظافرة هي مدينة ذهبية تدخل النار وتخرج منها اكبر من اللهيب ، وأقوى من القدر .

لم تكن المدينة هي الوحيدة التي تعرف نفسها ، وتعرف قدرها الكبير ، بل كان العالم كله يشاركها في المعرفة ، وينظر اليها نظرة من الفزع بقدر ما فيها من الحساب وتقدير الخطى قبل الاقدام على المواجهة .

كل المغامرات تهون وتهون نتائجها اذا قيست بمغامرة الحروب • ان المغامرات المالية والحب ، والرحلات المخيفة بين الوحوش في الغابات تبقى مغامرات فردية محدودة الضرر اذا رافقها الاخفاق ، أما مغامرة الحرب فمغامرة المصير كله •

واذا كانت المدينة بهذه المنعة التي يتحدث عنها الشعر ، كان الاقدام على تحديها خطرا كبيرا ، وكان بامكان المعتصم ان يتهيأ اكثر ، ويأخذ الاهبة الدقيقة للمواجهة • ولكن القائد العربي كان ملما بكل شيء ، وكانت نظرته هابطة الى الاعماق ، وما ان وصل وخيمت جيوشه ، ورأته المدينة ورأت كتائبه حتى أدركت أنها وقعت في الفخ ، وان « الكربة السوداء » هي الشيء الوحيد القادم عليها وعلى أسوارها العالية :

ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت عن لونها وكأن الشمس لم تغب

وعندئذ أدركت ان الذي لاقته لم يكن كمن لاقت في الماضي ، كما أدركت ان الاعتداء على النساء والاطفال له ثمن كبير •

بغداد محمد شرارة

حصاة المسجد

❊ سأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصي المسجد يجدها الانسان في ثوبه او خفه او عالقة بجبته فقال له : ارم بها •• فقال الرجل : زعموا انها تصيح حتى ترد الى مكانها في المسجد •• فقال له عمر : دعها تصيح حتى ينشق حلقها • فقال الرجل : سبحان الله ! ولها حلق يا سيدي ؟ فقال له عمر : فمن اين تصيح ؟

اكسروا الأقلام ولا تخافوا الجوع !

بقلم : زهير مارديني

كثيرون من أهل القلم ، وقد أتت المأساة في لبنان على أثــاث بيوتهم ، وكل ما في جيوبهم ، بدأوا يفكرون جديا في تبديل مهنتهم بمهنة اخرى ... رغم تقدم العمر ، وضيق المجال الاقتصادي ...

وكثيرون عاشوا ... وفي فمهم ـ كما يقولون ـ ملعقة من ذهب ... ثم ضاعت هذه الملعقة في جملة ما ضاع في لبنان يوم أتى الحريق على الاخضر واليابس ...

فالى أهل القلم الذين يفكرون بكسر اقلامهم أسوق هذه القصة ..

كان ابو الحسين الجزار شاعرا كبيرا ظريفا .. وكان كاسمه جزارا ... فأشار عليه اصحابه من الشعراء ان يترك الجزارة وينقطع للشعر .. فأجابهـم الى ذلك .. وانقطع الى الشعر والمعيشة من الشعر .. فعـاد الـى الجزارة ، وقال فيها يمدحها أبياتا مشهورة منها قوله :

كيف لا أمدح الجزارة ما عشت طويـــلا وأهجـر الآدابــا
وبهـا صارت الكـلاب ترجيني وبالشعر كنت أرجو الكلابـا ؟!

وقولـــه :

بالامس انتظر الطعـام ببابهـم واليـوم تزدحم الكـلاب ببابي

اما الاغنياء الذين تحولوا الى فقراء بفضل (حرامية المأساة) فأسوق أليهم هذه القصص الحية التي عشتها في القاهرة بعد حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

كثيرون في مصر فقدوا « الملاعق الذهبية » التي ولدت معهم بعد الحركة ... الغالبية العظمى استسلمت للقدر ... ولكن بعضهم لم ييأس... بل ناضل وعرق وعمل .. حتى عادت الملعقة الذهب ... بل واكثر في بعض الحالات !

صديق الملك حلواني !

القصة الاولى .. بطلها ليس شابا بل تعدى مرحلة الشباب بسنوات وسنوات .. وكان يعمل في (السراي) ايام الملك السابق فاروق ، ولفظة (يعمل) هي من باب التجاوز ، فقد كان من كبار حاشية الملك .. حاشية الانس والليالي الملاح !

وقد وجد (بوللي) نفسه بعد الحركة مطرودا من القصر .. فاستأجر شقة واسعة في مصر الجديدة بايجار رخيص جدا ... خمسة جنيهات في الشهر .. والشقة في الدور الارضي .. وحول (البلكون) الى باب بعد ان أوصل الشقة بالشارع بسلم مكون من اربع درجات .. وحول الشقة الى محل (حلواني) .. وتخصص في عمل (الكيك) الممتاز بكل انواعه وخصوصا الكيك الانكليزي .. والبسكويتات و (بيتي فور) .

واشتهر المحل .. واقبل الناس على الشراء منه لجودة الاصناف التي يقدمها .. ونظافتها، فشجعه ذلك على التوسع .. فلم يقتصر على عمل (الكيك) و (البسكويت) .. بل اصبح يقوم بعمل (الكاتو) بأنواعه .. حتى اكتسب شهرة خاصة بين سكان مصر الجديدة وعددهم يوازي عدد سكان لبنان ..

وكنت أزور دكانه وأراه جالسا امام مكتبه منهمكا في الاشراف على

المحل ... او هو يراجع الحسابات .. طوال اليوم .. وما كنت لاتصور ان هذا الشخص الجاد نفسه كان في يوم ما من حاشية الملك فاروق !

ابن الباشا بياع سمك !

وصاحب هذه القصة كان من أغنى أغنياء مصر ، ومن كرام عائلاتها .. فهو من عائلة البدراوي ، العائلة العريقة والثرية ..

وضعت عائلته تحت الحراسة .. ولكنه رفض ان يظل خاملا وهو الشاب الرياضي .. ليعيش على صدقة الحراسة الذليلة .. فقرر ان يعمل وان يكون عضوا عاملا في المجتمع !

وقبل ان يبدأ أخذ يفكر .. انه يهوى صيد السمك .. فلماذا لا يفتح محلا صغيرا ليبيع فيه ما يصطاده هو وزملاؤه هواة الصيد ...؟!

واختار (محمد بدراوي) محلا صغيرا في (سيدي بشر) بالاسكندرية، وحوله الى محل لبيع الاسماك الطازجة ... واكتفى اول الامر ببيع كميات قليلة من الاسماك .. وبفضل معاملته الحسنة مع الزبائن .. واختياره الاسماك التي يعرضها .. نجح مشروعه ، وتهافت الناس على شراء اسماكه.. حتى ان كميات السمك التي كانت تعرض ، كانت تباع في ساعات قليلة !

وتوسع اكثر .. قرر ان يبيع الاسماك الطازجة وايضا الاسماك المطبوخة .. وكان يذهب بنفسه الى (الكباين) في سيدي بشر والمنتزه ... والمنازل يوزع طلبات الزبائن مستخدما في ذلك عربته (البويك) .. ثم .. بدأ يقدم اكلات السمك في محله .. المقلي والمشوي . وبعد ان اكتسب خبرة في مسألة المطاعم .. فكر ان يستفيد من (الفيلا) الكبيرة التي يملكها في شارع الهرم ..

(الفيلا) غير مستغلة ، وكبيرة جدا عليه هو وزوجته فقط .. فلماذا لا يحولها الى مطعم وكازينو ؟! عرض فكرته على مجموعة من اصدقائه

فشجعوه .. واعطوه المال الذي ينقصه .. وفي أول الامر حول الحديقة فقط الى (رستوران) يقدم الاكلات المشوية في المساء .. وفي الصباح يقدم المشروبات العادية وبعض الاكلات الخفيفة ..

ونجحت الفكرة .. فاضطر الى اغلاق محله الموجود في الاسكندرية .. وان يتفرغ لمشروعه الجديد .. وان يتوسع فيه .. وقرر ان يحول الفيلا كلها الى كازينو وملهى ليلي .. وبديكور بسيط تحول المكان الى (كازينو) كامل ، واكتفى هو وأسرته ببعض الحجرات في الدور الثاني ، يقيمون فيها..

وأراد (محمد بدراوي) ان يتميز الكازينو الجديد عن بقية كازينوات في شارع الهرم ، حتى يجذب اليه الناس .. وفعلا تميز الكازينو بثلاث ميزات :

اولها انه احضر فرقة جاز زنجية تعزف الموسيقى الزنجية في القاهرة .. ومن المعروف ان الزنوج هم الذين اخترعوا موسيقى الجاز ..

الميزة الثانية .. ان محمد البدراوي عين (ميتر دوتيل) للكازينو ذا خبرة طويلة بأجر ٣٠٠ جنيه شهريا .. وكان هذا المبلغ كبير جدا .. وعندما عارضه اصدقاؤه في ذالك .. قال لهم :

(صحيح المبلغ كبير لكن (الميتر دوتيل) الذي يشرف على (الجرسونات) وراحة الزبائن سيجعل الناس يحضرون الينا .. وبالتالي نكسب اكثر) .

والميزة الثالثة التي تميز بها الكازينو الجديد ان الزبائن والمترددين عليه .. كانوا يحسون انهم في بيتهم .. اي انهم مدعوون لا زبائن .. وكان يخيم عليه الجو العائلي .. فأقبل عليه الناس . ونجح المشروع نجاحا منقطع النظير .. حتى ان الباشا ترك ثروة كبيرة تعد بالآلاف عند وفاته قبل سنوات ..

شقيق الملكة المصور !

وصاحب القصة الثالثة .. شاب معروف .. فهو شقيق الملكــة السابقة فريدة .. ومن عائلة عريقة ..

بدأ حياته كما كانت تبدأ حياة ابناء الذوات .. فراغ فــي فــراغ .. سهر ولعب طوال الليل ونوم في النهار وركوب الخيل ..

وفجأة تغير مجرى حياة هذا الشاب (شريف ذو الفقار) .. فقد اصيب بشلل الاطفال وهو في سن (٢١) .. فتركه الاصدقاء ، فهو لم يعد صالحــا لحياة ابناء الذوات .. السهر وركوب الخيل واصطياد النساء .. وينطــوي على نفسه .. ينام عامين فوق سريره لا يفعل شيئا سوى النظر الــى السقف وحولــه ..

وقامت حركة ٢٣ يوليو ، وكان شريف يعالج فــي سويسرا ، وقــد اجتمعت به عند فقيد الادب الاستاذ محمد العزب موسى وسمعت منه قصته! قــال :

(سافرت الى سويسرا للعلاج .. قويت عنــدي حاسة النظــر وحــب الطبيعة وشفيت بفضل تصميمي على الشفاء وقوة ارادتي .. وعندمــا رجعت الى مصر لم أيأس .. قررت عدم مواصلة دراستي بكلية التجارة على الرغــم من انني كنت قد وصلت الى السنة الثالثة .. كنت أتضايق من نظرات زملائي الى العصاتين اللتين كنت أتوكأ عليهما .. واصبح عندي وقت فراغ .. فكيف أمضيه ..؟!

ادمنت التصوير .. كنت أركب السيارة واطوف بكــل مكان والتقــط الصور .. واعجب اصدقائي بالصور التي كنت التقطها .. وشجعوني عــلى الاستمرار في التصوير لدرجة انني سافرت في رحلة شاقة الى ديــر (سانت كاترين) في سيناء لاصوره ..

صورت الريف والطبيعة ، وخطرت لي فكرة .. لماذا لا أدرس التصوير؟ لكن اين ؟ ارسلت عدة صور من لقطاتي الى مدرسة لفن التصوير في الولايات المتحدة .. وعندما شاهدوا الصور ارسلوا لي الموافقة على التحاقي .. فسافرت الى هناك حيث درست التصوير الفوتوغرافي والتصوير السينمائي وتصوير الالوان ..!

وفي عام ١٩٥٦ عاد شريف ذو الفقار الى القاهرة ليعمل ست سنوات مساعد مخرج ومصورا في السينما ..

عمل مع قطين عبد الوهاب وعاطف سالم وحسام الدين مصطفى وحلمي رفلة .. ويقول :

(ولكنني لم استطع ان أستمر في عملي السينمائي .. والسبب هو قلة النظام وعدم المحافظة على المواعيد المتفشي بين العاملين في الوسط الفني .. ذلك ان أمر التصوير او (الاوردر) الذي يرسل الى الممثلين المفروض انه يكون الساعة ٤ بعد الظهر .. لا يبدأ التصوير الا في الساعة ٦ مساء .. فلا تكون الصور كما يجب .. فأشعة الشمس لا تكون في نفس قوة اشعة الشمس الساعة السادسة .. لكن الناس في الوسط الفني لا يقدرون هذه المسألة !) .

وترك شريف ذو الفقار التصوير السينمائي .. وتحول الى مصور صحفي .. وتخصص في تصوير الالوان وأغلفة المجلات ..

من مصور الى صاحب مطعم !

ويحكي شريف ذو الفقار كيف ترك التصوير وأصبح صاحب معطم :

(.. ابويا مات .. كان عندي قرشين .. قلت لازم اعمل بيهم حاجة والا الفلوس حاتروح .. قلت احسن حاجة ان افتح مطعما صغيرا لبيع

السندويشات والعصير .. واخترت المكان المناسب .. وكان دكانا مغلقا ويستخدم كمخزن .. واستطعت ان استأجره .. واستغرق اعداده وتجهيزه وعمل الديكورات له سنة ونصف .. ثم قمت بافتتاحه .. وطوال الفترة التي اعقبت الافتتاح لم يكن للمطعم مطبخ مستقل ، بل كانت الاكلات تطبخ في مطبخ منزلي ثم تنقل الى المحل .. ثم استأجرت شقة فوق المطعم لتكون مطبخا ومخزنا له ..)

ويرفض شريف ذو الفقار ان يتحدث عن دخله الآن في المحل .. وهو كبير جدا !

هذه قصص تثبت انه لا شيء مستحيل ، وان الانسان يمكنه دائما وتحت أي ظروف ان يبدأ من جديد ..

لقد سأل احد الصحفيين الامريكيين الملك السابق فاروق عن رأيه بعد ان أخذوا منه الملك والقصور والجواهر وكل شيء فأجابهم :

(صحيح انهم أخذوا مني كل شيء ولكنهم لم يأخذوا تلك الرغبة الكامنة في نفسي وهي لذة البدء من جديد) .. ولكن فاروق لم يبدأ من جديد في الدنيا .. ولكنه بدأها في الآخرة !

زهير ماريني

نصائح ثلاث

* قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، قال لي ابي اني ارى امير المؤمنين عمر بن الخطاب يدنيك ويقربك فاحفظ عني ثلاثا : اياك ان يجرب عليك كذبة ، واياك ان تفشي له سرا ، واياك ان تغتاب عنده احدا ، ثم قال : يا عبد الله ثلاثا واي ثلاث ، فقال له رجل : يا ابن عباس كل واحدة خير من الف ، فقال بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

اذا تسابت أمتي سقطت من عين الله

بقلم : المحامي كمدي نعدي

من القواعد الكلية ان ما زاد عن حده انقلب الى ضده ولو كان عقلا وحكمة ووحيا ، فكيف اذا كان ضروبا من الخراب والدمار والقتل والقنص والخطف ؟

اذا استسيغت الثورة على الفساد والاستعباد والباطل فما استسيغت على الصلاح والحرية والحق . فهل ثار الله على هابيل لان اخاه قابيل قتله ؟ ام ثار على قايين لانه قتل اخاه هابيل ؟ هل ثار الله على آدم وحواء بالطرد من الجنة قبل ارتكابهما المعصية ام بعد ارتكابهما المعصية ؟

كل ثورة لا تقوم على الحق والعدل والصلاح والحرية هي عاصفة هوجاء تدور رحاها على صاحبها كما تدور على الباغي الدوائر .

أهي الثورة ان توصد ابواب العدل والعدل اساس الملك ؟

أهي الثورة ان تخرس السنة المحامين والسنة المحامين السنة الحق والمنطق والقانون ، والنطق فضيلة الحي على المت وامة تتساوى احياؤها بامواتها تموت .

اهي الثورة ان تقضي على الامن فتقضي على الامة لان الامن حياة الامة تزول بزواله .

اي حق لغير اللبنانيين في لبنان وهم ضيوف ومتى كانت الضيافة تقابل بذبح الاطفال وقتل الابرياء والعلماء والادباء والشعراء ؟

لبنان جنة الاديان والاديان والكفران لا يلتقيان ، اي حق للطامح الى صنين وصنين قمة تجلي الله ، وقمة تجلي الله لمن انعتقت ارواحهم من الحرب ونزعات الارض ، أليس كارثة على الحياة ان تكون لنا الحياة ولا يبقى لنا

من الحياة ملظى يقينا خطر القذائف ؟ ايكون لبنان ملجأ المظلومين في الدنيا والمضطهدين والمشردين ويصبح ابناؤه مظلومين ومضطهدين ومشردين لا مأوى يؤويهم • الثورة على الكفر دين وعلى الدين كفر ، فما لكم تثورون على الدنيا باسم الدين والحديث الشريف يقول : (اذا عظمت امتي الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام) •

اتطلقون الجاني من السجن ليقتل البريء وتجعلون من البريء مجرما ومن منزله سجنا له ، وتدعون العدل وآفة العدل ان تجرم بريئا ، وتبرىء مجرما •؟

الثورة على الانسان ثورة على الله ، أليس الانسان في الله والله في الانسان • هذا الانسان الذي هو اغلى ما في الحياة امسى ارخص ما في الحياة •

الانسان شريك الانسان في السماء والارض ، في الموت والحياة ، فما قتل الانسان انسانا الا قتل الناس جميعا على حد الآية (من قتل نفسا بغير نفس ، او فساد في الارض فكأنه قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنه احيا الناس جميعا) •

وكيف تتباهون بقتل اخوانكم ، وانتم سلالة امة تباهي باعزاز الاخ والجار ، اما قال السموءال :

(وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز   وجار الاكثرين ذليل)

وما لكم تتغنون باسم العروبة بالسنتكم وانتم تبنون العروبة اعشاشا في ارواحكم • العروبة تأبى ان يكره الانسان لنفسه ما يحب للناس ، وانتم تكرهون احتلال بلادكم وتستطيبون احتلال لبنان • وما لكم تستخفون بالقتل والاقتتال والمسابة تسقط الامة من عين الله عملا بالحديث الشريف (اذا تسابت امتي سقطت من عين الله) •

وكيف يثور العربي على اخيه العربي في لبنان مهد العروبة ونبيه يقول : (الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله) فهل احبهم اليه اكثرهم قتلا

لعيالهم ؟ واني يكون فضل لعربي على عربسي ، والقرآن يقسول : (لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى) • وكيف تقتلون اليتيم والسائل والآية تحذر (اما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربسك فحدث) • فهسل القضاء على اليتيم والسائل وعلى لبنان نعمة يجب التحدث بها ؟ وكيف يقتسل المسيحي المسلم ومعلمه يكرز : (احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم) •

فلم الاحتراب باسم الاديان والاديان تحارب الاحتراب ؟ فتعالوا نحارب ما يثير الاحتراب في نفوسنا من جهل وبغض وجمود وتعصب وتقليد لتتساقط قوافل الحرب والحقد والبغض اشلاء • تعالوا نسر في ركب الحياة لتكسون لنا الحياة ، فالحياة محبة وانطلاق، تأبى البغضاء والانغلاق، الحياة تجديد فلم الجمود والتقليد ، الحياة في تغيير ما في النفس على حد الآية (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) •

انسان لبنان نفس لبنان ، ففي بناء الانسان بناء لبنان وقوام بناء الانسان الايمان بان الانسان اخو الانسان ، وان سعسادة الانسان فسي اسعاد اخيسه الانسان ، وان الاديان بجوهرها واحدة تهدف لهدف واحسد هسو الله ، ولا طائفية في الله ، ولا دين في الطائفية ، فمن الجهل الفاضح والكفر الفادح ان يغدو ابن المنطقة الشرقية غريبا عن ابن المنطقة الغربية ، وابسن المنطقة الغربية غريبا عن ابن المنطقة الشرقية • والانسان تخطسى الاكوان وجساور الشمس والقمر •

أليس كل ما في الكون في تعاون لا يقبل الانفكاك من اكبر كوكب في السماء الى اصغر حشرة في الارض • اتكون الاجرام والحشرات خيرا مسن الانسان ، والانسان قطب الحياة ؟ الحياة وحدة متماسكة الاجزاء لا مسلم فيها ولا نصراني ، فتعالوا نرفع علم لبنان الواحسد اللاطائفي فتسقط الفواصل ، لقد كفانا ان نعيش نحلا ومللا ونحن عبدة السه واحسد ولسنا عبيسد اصنام واوثان • هلموا نودع خريف الحرب والبغض والرجعية والتقليسد ونستقبل

ربيع السلام والمحبة والانفتاح والتجديد بشخص من قيضه الله منقذا للبنان الرئيس الاستاذ الياس سركيس .

لا عجب اذا ما اولته الدول الراقية الثقة وفي طليعتها الشقيقة سوريا . فمن ولاه الله خدمة بلاده جدير بثقة خيار عباده .

ان لبنان تهدم ولا يد تقوى على بنائه الا يد تخلق وتنشيء وتبدع هي يد الله ويد حاكم يحكم بعدل الله ، ومحبة الله ، وهل المحبة الا الله ، وما يبنيه الله لا هادم له .

بيروت — كعدي كعدي



وصية

اوصيك بالتقوى وبالاخلاق — فاذا هما صينا يصان الباقي
والصبر عون في الشدائد فاصبري — وثقي بعون الواحد الخلاق
فلربما ضاق الفسيح واجدبت — بعد العطاء موارد الارزاق
وتجنبي بخل البخيل وحاذري — ان تسرفي من خشية الاملاق
فالفقر يذهب بالكرامة والغنى — حصن لها بالبذل والانفاق
صوني جمالك بالعفاف واسدلي — من فوقه ستر الحياء الواقي
واذا نطقت تبيني وتخيري — ما طاب في الاسماع والاذواق
وتمسكي بالصمت في الغضب الذي — يودي بصاحبه الى الاخفاق
هذي نصيحة والد لفتاته — والنصح من حرص ومن اشفاق
ومن النصائح كالجواهر هذه — لحلى القلوب وتلك للاعناق

خربة سلم — احمد حسن الامين

الشيخ علي الصغير
نادرة بين الرجال

بقلم : خضر عباس الصالحي

في فجر يوم الاحد المصادف ٩/٣/١٣٩٥ هـ والموافق ٢٣/٣/١٩٧٥ م وافى الشيخ علي الصغير الاجل المحتوم في بغداد ، وتصاعدت روحه الزكية الى بارئها ، فأغمض عينيه الى الابد مودعا هذه الحياة الفانية ... انه لرزء أليم ، وخطب جسيم ، وقد عظمت في فقده الخسارة ، وجل في موته المصاب . فيا للفاجعة المريرة ، ويا للحدث الجلل ...

وما ان وصل الجثمان الطاهر الى مقره الاخير في مدينة النجف الاشرف حتى تلاقفته أيدي الجماهير الغفيرة ، وفي مقدمتها العلماء الاعلام ، ووجهاء القوم ، فكان تشييعا مهيبا ... وقد هز المصاب الفادح نفوس الكثيرين ممن عرفوه من خلال أدبه وشعره ، أو اتصلوا به اتصال تلمذة وصحبة وزمالة ، فكانت الافئدة مكلومة ، والعيون تذرف الدموع الساخنات ، فان فقده أدمى القلوب ، وقرح الاجفان ، وأوجع الجوانح ، والكل قابع تحت وطأة الشعور بالحزن والاسى ، لما جبل عليه الفقيد الغالي من أخلاق نبيلة ، وسجايا جليلة ، ولما له من المنزلة الرفيعة في النفوس ، حيث أفصح هذا الاقبال الشديد على تشييعه عن عظمة الرجل في دلالاتها العميقة ..!

لقد غادرنا بشكل نهائي وفاجع ، واستقبل رحلة اللاعودة باطمئنان ورضى ، ومضى الى المقبرة الخرساء حيث تتساوى الاضداد ، وتسقط الامتيازات ، وتتلاشى الاعتبارات ، وغيبة الثرى ، وأصبح في ذمة الله ، تاركا لنا من تراثه الفكري الموجه ما يستوجب الفخر والاعتزاز ..!

لقد فارقناه على مضض ، وشيعناه بقلوب ملهوفة ، ودموع مدرارة ...
فمن هو هذا الفقيد الراحل الذي استقبل الناس نبأ وفاته بهلع مرير ، وجزع كبير ، ورانت على وجوههم سحب الكآبة القاتمة ، وانبجست عيونهم بفيض من الدموع الغزار ، ولم يستطيعوا التغلب على عواطفهم المتفجرة ، فأجهشوا بالبكاء والنحيب ، وقد صعقوا لهول الرزء الاليم ...؟!

قبس من حياته

انه الشيخ علي بن الشيخ حسين الخطيب المفوه ، والشاعر المطبوع ، وبموته مات مثال لارجولة ، وأحد الاسس المكينة لبنيان الفقه الاسلامي الشامخة ، وأمثولة رائعة لرجل الدين الحقيقي في ورعه وتقواه ، وعلم خفاق من أعلام النجف البارزين المشهود لهم برجاحة العقل ، وغزارة العلم ، والشجاعة في ابداء الرأي ... وقد ولد بمدينة النجف الاشرف في اليوم الخامس من شهر شوال سنة « ١٣٣٣ » الهجرية ، والمصادف لسنة « ١٩١٤ » الميلادية ، وينحدر من أرومة موغلة في الاصالة والنبالة ، ومعروفة بالفضل والمروءة ، وينسل من عائلة لها مكانتها العلمية والادبية في النجف ... وفي ظل هذه الاسرة العريقة تربى تربية دينية أثرت في تكوينه الفكري والخلقي.. وفي هذه المدينة الحافلة بمعاهد العلم والمعرفة ، والعامرة بمساجد العبادة وتلاوة القرآن الكريم تفتح ذهنه على الحياة ، ولما اشتد عوده انتظم طالبا في احدى المدارس الدينية ، وأظهر منذ صباه الباكر تفوقا مرموقا ، ونضجا في التفكير ، وذكاء متوقدا ، وتعود الصبر على القراءة لا يشغله عنها شاغل مهما عظم ، فأكب على الدراسات التقليدية في المساجد ، وواصل المطالعة والدرس ، فحصل على العلم الوافر ، والثقافة العميقة ، وصقل مواهبه الثرة بالقراءات المتنوعة ، وهضم التعاليم الاسلامية ، واطلع على جميع جوانب المعرفة ، فاتسعت ثقافته ، ونال مرتبة عالية في العلم ، اذ لشدة كلفه بالعلم ، وولعه بالادب ارتاد مجالس الفضلاء ليرتشف من مناهلهم العذبة ، فدرس مقدمات الفقه والاصول والنحو واللغة على أيدي فقهاء العصر العظام وهم المرحوم السيد محسن الحكيم ، والسيد ابي القاسم الخوئي ، والمرحوم الحجة خضر

الدجيلي ، وقد نهل من ينابيعهم السخية فيضا من علم زاخر يزينه صبر على البحث وجلد على المحاورة ، وأوتي حظا وافرا من المعرفة، وتبوأ مكانة مرموقة في علوم الدين ، وصار في عداد الذين يعدون بالاصابع ..!

وتعشق الادب العربي ، فأخذ فروعه وفنونه عن أئمته ، وعمل على تنمية قابلياته الادبية ، وموهبته الفطرية في قرض الشعر حتى أصبح متضلعا في علوم اللغة العربية ، مالكا لأسرارها ، وأمست اهتماماته موزعة بين الفقه والشعر ، وأصبح شاعرا قوي العاطفة ، متقد الشعور ، عميق الفكر ، اتخذ اللغة وسيلة للتعبير عن كل ما تجيش به نفسه من خواطر ، وجعلها أداة خلق الصور الفنية الرائعة ، وجمع بين الفكرة الهادفة والفن الشعري ، وجاء شعره صورة صادقة لحياته ، وجسد بصوره الشعرية مجمل أفكاره وخيالاته ...

وعندما شق طريقه في عالم الابداع ، وحظي بشهرة واسعة في العلم والادب ، وأصبح له مقام رفيع في دنيا الشعر ، وصار ذا صيت ذائع في مجال العلم والعطاء والابتكار ، فقد انتسب الى جمعية الرابطة الادبية بالنجف الاشرف سنة « ١٣٥٥ » الهجرية ، وكان من أعضائها النشيطين ، وأشغل السكرتارية فيها طيلة خمسة عشر عاما خلفا للشاعر الخالد المرحوم السيد محمود الحبوبي ... وفي سنة « ١٩٦٠ » الميلادية انتقل الى بغداد ، وأقام فيها عالما دينيا ، وممثلا للمرجعية ، وشغل امامة الجماعة في « جامع براثا »«١» واهتم بالعلوم الشرعية ، والدراسات الدينية ، فعمل أستاذا للفقه الاسلامي

---

١ ـ جامع براثا سيأتي ذكره في الصفحة ٦٥٠ .

في كلية أصول الدين ببغداد ، وعضوا في جماعة علماء بغداد والكاظمية وعكف على التأليف فصدر له من المؤلفات رواية شعرية باسم « مرجريت » سنة « ١٩٤٨ » الميلادية ، وسلاسل أدبية هي عبارة عن مجموعة مقالات نشرت في مجلة « العصري » الزاهرة سنة « ١٩٤٩ » الميلادية ، ومحاضرات في الفقه الجعفري ... وله من المخطوطات ، علي وأهل البيت في القرآن ، والفقه الاسلامي المقارن ، ومباحث في الاصول ، ودروس في المنطق، وذكرى الشيخ جواد الشبيبي ، وديوان شعره بعدة أجزاء ...

ملامح شخصيته المميزة

كانت قامته تميل الى القصر ، ممتلىء الجسم ، عريض المنكبين ، على وجهه بشاشة تشف عن سريرة طيبة صافية ، وعلى شفتيه ابتسامة دائمة تدل على حسن الطوية ، ذو عينين براقتين تنمان عن ذكاء حاد ، وعقل وقاد ..!

والحق أقول انني كنت في أوج الحرص والتلهف على ملاقاته والتحدث اليه ، وذلك لاعجابي الشديد بأدبه الفياض ، ومعالجاته الشعرية التي أسهمت في نضال الامة العربية ضدكل أشكال التخلف والاستغلال ، وحرضت على مواصلة الكفاح للقضاء على الاستعمار والصهيونية ، واظهاره لقابليات شعرية متقدمة ، وامتلاكه الغنى والقدرة على العطاء ، وتصوير الواقع الثوري المعاش حتى أصبح أحد الشعراء البارزين في مرحلة الرواد ..!

وفي مساء أحد الايام من سنة « ١٩٧٠ » الميلادية تحقق الامل المنشود بلقائي الشيخ الجليل علي الصغير ، وذلك في مسجد « براثا » بالعطيفية أحد أحياء بغداد المشهورة من جانب الكرخ ، وصار من دأبي وديدني الالتقاء به في فترات متقاربة ، وأمست تجمعني اليه مودة فكرية ، ومحبة صافية كالسلسبيل ، ووشائج قلبية قوية التلاحم ، فعرفته عن كثب ، وكان الجانب الخلقي أشد ما بهرني منه ... له شخصية قوامها طيب المعشر ، ولطف الاماءة، وظرف الحديث ، وكان المثل الاسمى للوفاء ، وقد عز في مجتمعنا الوفاء الانساني ...

كان يستقبل زائريه بالترحاب ، ويفتح لهم صدره وقلبه ، ويوسع لهم في المجلس ، ويشاركهم الاحاسيس والمشاعر ، ويجاذبهم الافكار والآراء ... وله قدرة عجيبة على اكتساب محبة جلسائه منذ اللقاء الاول ، ويهيمن على الحاضرين بظرفه ونكاته الادبية ، وطلاوة حديثه ، وتلمح وراء أحاديثه ذكاء مفرطا في فهم الناس والاشياء ، يمتلك امكانية فائقة على الاقناع ، وعلى أساس منطقي ... وابتسامته تنشر أنوار المحبة والوداعة والطيبة على الآخرين ...!

وظلت الصلات الحبيبة قائمة بيننا حتى توفاه الله تعالى بالصورة الاليمة التي تلقيتها ، والتي أخذت مني مأخذها ، وقد جمد الدمع في عيني حين فاجأني نبأ نعيه ، وحاولت أن أذرف دمعة تخفف من غلواء حزني فما تسنى لي ذلك مطلقا ، حيث أخرس لساني ، وحجر الدمع في مقلتي ، وشل القلم في يدي ... لقد منحني من حبه ، وأعطاني من تقديره الشيء الكثير ، فيا للنبأ المفجع ، ويا للخسارة الفادحة ...

لقد عرفت فيه المروءة والنجدة والخلق الكريم ، وكان رجلا صالحا طيب القلب ، وعلى جانب عظيم من النزاهة والاخلاص ، والاتزان العقلي ، والسمو الروحي ، وكان انسانا ودودا متجردا من الاهواء والاثرة والانانية ، انسانا صقلته مأساة الحياة التي أخذت منه أكثر مما أعطته ، عاش حياة الزهد والتقشف ، فقد زهد في كل ما يشتجر حوله من حطام ومتع زائفة ، فلم يكن عبدا لشهواته ورغباته ، ولم ينحرف عن الجادة المثلى ، والطريق المستقيم ، ولا زاغ عن الحق ، ولا طأطأ رأسه الا أمام الحق ، في طباعه الشهامة والاباء والعفة ، أخذ بمبادىء التسامح والعفو عند المقدرة ، وتحلى بالتواضع ونكران الذات ، والصدوع بالواجب دون انتظار المثوبة ..!

كان من نفر مختار ومعدود ، وانسانا مشرق الوجه ، جليل السمت في سماحة تزينها الفضيلة ، وتتوجها مكارم الاخلاق ، حاد الذكاء ، حاضر البديهة ، سريع النكتة ، آمن بما علم انه الحق ، فعمل بوحي من ايمانه وضميره

وخلقه ، وكان صادقا مع نفسه ومع الناس حتـــى باتت سيرته الحميدة وأدبـــه الرائع خير مدرسة للاجيال العربية القادمة ..!

مهامــه الكفاحيــة

ان أحدا لم يستطع ان ينكر بأن المرحوم الشيخ علي الصغير أمسى مـــن الخالدين الذين فرضوا أسماءهم في سجل الزمن بما قدموه من جليل الاعمال والتضحيات فكرا وعملا ، وبما تركوه من تعاليم وسيرة ، وبمـــا خلفوه مـــن تراث وذخائر ، وبما تميزوا به من تفكير جاد ، وثقافة عميقة ، وجزالة منطق ؛ فهو من رجال الفكر الشرفاء ، والشخصية العلمية النادرة ذات الفاعليـــة فـــي تهذيب النفوس ، والعمل الجماعي المنظم ، وتعميق التغيير الجـــذري ، وارساء دعائم البلاد على أسس راسخة من العدل الاجتماعي ، والمساواة الانسانيـــة ، حياته حركة دائبة لا تتوقف ، يذود عن الاسلام بكل ما أوتي من قوة وحول ، فقد نذر نفسه لخدمة الدين ، واحياء تراثه ، والذب عن حياضه في روعة بيان ، ونصاعة حجة ... وقد أخلص لعقيدته الاسلامية ، وضحى من أجلها ، وكـــان مجاهدا من المجاهدين الافذاذ ، فلم يعرف التخاذل والمهادنـــة والنكوص ... كان يسمع كل سؤال ، ويجيب عن كل استفسار ، ويسأل عن الفقير والمحتاج، فيعطف عليهم دون ان يعلم أحد بذلك ، جعل رعاية البؤساء الهدف الاسمى ، والمثل الاعلى ، وسعى الى تقدم الامة ودوام ازدهارها بنفس نضالي مثابـــر ، وروح من الشعور العالي بالمسؤولية ، فألقى على عاتقه المهمة الكبرى ، مهمـــة اسعاد ابناء شعبه ..!

لقد كان على قدر كبير من الوعي والنظرة الدقيقة والصائبـــة ، وعرف بنزاهة الضمير ، واستقلال الفكر ، واتصف بالبذل والتجرد وروح التضحية ، وكرس حياته لنشر الافكار البناءة ، افكار الخير والعدل الاجتماعي ، وكـــان يسعى لخلق مجتمع انساني جديد ، مجتمع خال من الرذائل والظلم والحروب ، مجتمع تتوفر فيه كل امكانيات الرفاه والسعادة ، ولا تفتك به الامراض ، ولا تنتابه العلل ...

وحينما اتخذ بغداد محل اقامة له ، وعمل اماما في مسجد براثا هاله ما رأى من ضياع الشباب المسلم وتمزقهم ، وسيطرة الافكار الهدامة على عقولهم حيث انجرفوا بتيارات المبادىء التي لا تأتلف وروح الاسلام والقومية العربية، وأصبحوا يعيشون في فوضى لا منهجية وسط ركام من ظلام الطيش ، فعزم على خلق جيل صالح وتوجيهه الوجهة السليمة ليتصف بسلامة العقيدة ، ويتسم تفكيره بالدقة والعمق والاصالة ..!

وكان أهم عمل قام به هو تأسيس مكتبة براثا العامة ، وجهزها بأنفس الكتب العلمية والادبية ... ولما بدأ الشباب المثقف يتوافد عليها للافادة بما فيها من ثمرات العقول استغل تواجدهم في المكتبة فراح يوجههم الى طريق الحق والعدل ، وينير لهم سبل الرفعة والمجد ، ويهيب بهم الى التحلي بمكارم الاخلاق ، ويحثهم على التآزر والتآخي ، واشاعة المحبة بين الناس ، وترك الصفات الذميمة من حسد وبغض وافتراء واجتثاث الحزازات من الصدور ، اذ ان الاخلاق الفاضلة هي خير ما يجب ان يتجمل به الانسان ، ليخلق منهم مواطنين صالحين يحملون على أكتافهم أعباء الوطن ، ويبنون بسواعدهم الفتية مجده وعظمته ، فيمضي قدما في طريق التقدم والرخاء ..!

وهكذا استطاع تهيئة المناخ الذي يزيد من ثروة الشباب الفكرية ، وبلوغ أعلى مستوى ثقافي ممكن بينهم انطلاقا من الرؤيا الاسلامية المعتمدة على تأهيل الشباب الذي يشده فكريا لتحقيق انسانية الانسان ..!

وقد أدرك أهمية الدور الذي تلعبه الدراسة الفقهية في نظرته للحياة عندما كان يتلقى تحصيله العلمي في حلقات الدروس الدينية في الصحن الحيدري الشريف ، والتي تتجلى في أروع صورها العقائدية والتنظيمية ... وفي ما هو دائب عليه من أعمال مضنية في جامع براثا انتدب استاذا لتدريس الفقه الاسلامي في كلية أصول الدين ببغداد ، فاستغل هذا الانتداب لانجاز المهمات الملقاة على عاتقه ، اذ عمل على نشر وتعميق الثقافة الدينية والقومية بين الطلبة ، واستفزاز هممهم للنهوض بأمتهم ووطنهم ، ومتابعة النضال على

طريق الاهداف الخيرة ، وليحملوا الى جانب سلاح العلم والمعرفة روح الفخر والاعتزاز بأمتهم وتاريخها المجيد ، وتراثها العظيم ، ويتحلوا بالثقة والايمان.. وقد بث فيهم روح الابداع ، وأصالة الفكر ، وصلابة الاصرار ، وأصبح الموجه لهم اذا ضل بهم الطريق ، والمرشد لهم اذا ارتبكت منهم الافكار ، وقد تخرج عليه جمهور من طلاب العلم بعد ان نهلوا من غزير علمه الثر ، وفيض ادبه الجم ، وأعطاهم المضمون الواقعي للدعوة المحمدية ، وسعى الى تصعيد الوعي الثقافي بينهم في ضوء المبادىء الاسلامية ، ودعاهم ليأخذوا بأسباب التقدم الحضاري ، ويتفاعلوا مع مجمل الاحداث التي تمر بالاقطار العربية.. تلك خلال واضحة وبارزة في كثير من حوادث حياته وكفاحه ..!

كل نفس ذائقة الموت

لقد مات الرجل الحر وهو في أوج نضجه وعطائه بعد ان ترك وراءه سيرة من أعظم السير ، سيرة رجل وهب حياته للاسلام ، وعرف الحق فأخلص له ، وأسهم اسهاما واسعا في عمليات التوعية ، وأدى رسالته الفكرية التي أظهرت لنا مقومات شخصيته ومشخصاتها ..!

لقد اخترمته يد المنون بعد حياة مرهقة يحفها النصب ، وتؤرقها الاحاسيس ، وكانت وفاته خسارة فادحة للعلم والادب والفضيلة ، صدمة مروعة للذين اتصلوا به ، وأخذوا عنه ... وأودعه والدموع قد جمدت في عيني ، وكبا بي قلمي في التعبير عن مشاعري الحزينة ... وصور كثيرة من حياته تتزاحم أمام عيني ، فلن تستطيع يد النسيان ان تمتد لفكري وقلبي فتمحو منهما تلك الصور المهيبة ..!

لقد ترك وراءه تراثا ضخما من القيم المثلى ، والعطاء الانساني النافع ، والثروة الفكرية والعاطفية ، وان أهمية التراث العريض الذي خلفه لنا يكمن في كونه يوفر للانسان سعادة الدارين الفانية والباقية ... فليس من السهولة بمكان ان يملأ الفراغ الذي تركه ، وستظل مآثره نبراسا يضيء لنا درب الكفاح حتى تتحقق أهداف أمتنا ، وستبقى ذكراه عبقة في خواطرنا وقلوبنا

جميعا تتوارث الاجيال نتاجاته المنوعة ، فله من الاعمال الجليلة مـا يجعلـه خالدا في أعماق التاريخ ... وان نجله الشيخ محمد حسين الصغير سيتابـع ايقاد نور الشعلة التي أضاءها والده الراحل ، ويواصل أعماله الانسانية فـي المضمار الديني ، ويستمر على أداء خدماته البناءة في المجال التربوي ..!

رحم الله الفقيد بقدر ما قدم للاسلام مـن خدمات ، وأدخلـه فردوس النعيم ، وعزاء لأسرته وأصدقائه ومعارفه . . وليس لنا أمام هذه الفاجعـة الممضة التي تثير الحسرة في النفوس الا ان نستعين بالله صابرين محتسبين ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ...

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مـن قضى نحبـه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ... صدق الله العظيم

بغـداد ـ العراق　　　　خضر عباس الصالحي

ـ تصحيح لا بـد منه ـ

تقع بين الحين والحين أخطاء مطبعية مـن الصعب تلافيها مهما اعتنـى الانسان بالتصحيح .

وفي العدد الاخير اي الخامس تاريخ ايار « مايو » ١٩٧٧ اثناء وجودنا خارج لبنان وقع خطأ في صفحة ٤٣٦ في المقال المعنون :

« اسعد الحكام من اسعد رعيته واشقاهم من اشقاها » فلم يذكـر الا بالفهرس اسم كاتب المقال وهـو المحامي الاديب الكبير الاستاذ كعدي كعدي وقد ذكر خطأ اثناء الصفحات اسم الاستاذ زهير مارديني لان المقال الذي يليه هو للاستاذ زهير ، كما ان الاثنان في تحليل مثل هذه المواضيع فرسا رهان .

فعذرا على هذا الخطأ والرجاء تصحيحه .

السيد نور الدين شرف الدين

بقلم : السيد محمد صادق الصدر

السيد نور الدين شرف الدين عليه الرحمة ، والده العلامة الكبير المرحوم السيد شريف نجل الحجة المرحوم السيد يوسف شرف الدين .

وأمه الوالدة البارة المرحومة كريمة الحاج علي الزين والد المرحوم الشيخ عارف الزين ، صاحب مجلة العرفان ، ورجل الاخلاص والثبات .

والسيد شريف شقيق المرحومة والدتي ، وأمهما كريمة المرحوم العلامة الشيخ محمد سليمان الزين ، والد المرحوم الشيخ محمد رضا العالم الشاعر والقاضي الاديب المعروف .

ولد السيد نور الدين عليه الرحمة في النجف الاشرف في ٥ صفر سنة ١٣٢٧ ، حيث كان والده لا يزال في مهجره العلمي .

روع السيد نور الدين بفقد والده ، ولم يبلغ العاشرة من عمره ، فاحتضنه عمه الامام رضوان الله عليه ، وضمه اليه وقد حظي من عطفه ورعايته ما لم يحظ به ولد من والده وقد بقيت هذه الرعاية الى آخر لحظة من حياته .

نقله السيد بعد وفاة والده من شحور الى مدينة صور ، فأدخله المدرسة ، وقام بنفسه يعلمه العربية مع اخوانه أبناء عمه ، ثم أرسله الى العراق سنة ١٣٤٢ ، ومعه السيد محمد رضا والسيد صدر الدين رحمهما الله ، حيث يقيم أخوهم الاكبر المرحوم السيد محمد علي في الكاظمية ، موطن اخواله الاعلام من آل الصدر .

وكان يومئذ على قيد الحياة ، عميد الاسرة ، والمرجع الديني الاعلى ،

عمنا المرحوم السيد حسن الصدر ، لذلك كانت الكاظمية في ذلك العهد ، مقصدا يتجه اليه كثير من الطلاب والافاضل .

وكان أخوهم الاكبر السيد محمد رحمه الله في ذلك التاريخ مشغولا بدراسة الكفاية ، عند استاذنا المرحوم السيد حيدر الصدر ، الذي كان آية في الفقه ، وحجة في الاصول .

وكان المرحوم السيد محمد علي يكتب درسه من أصول الكفاية في كل يوم ، ويعرضه على استاذه قبل الشروع بالدرس ، والاستاذ يوليه من العناية والرعاية ما يشبع رغبته العلمية .

وبعد ان فرغ السيد محمد علي من الكفاية ، وهضمها درسا وشرحا ، قصد النجف الاشرف ، اذ كانت ولا تزال هي الهدف لطلاب العلوم الدينية في درس الخارج للدراسات العليا في الفقه والاصول .

وكان المرحوم السيد محمد علي يشرف على اخوته في النجف الاشرف ، ويختار لهم الاكفاء من المدرسين .

وبقي الجميع في بيت واحد ، يشار اليهم بالبنان ، من حيث الفضل والهدي والادب والمجد والخلق الرفيع ، ولكن شاء الدهر الخئون ، ان يفرق هذا الاجتماع ، فأصيب السيد محمد علي بمرض عضال ، اضطره للرجوع الى جبل عامل ، في وقت كانت البلاد العاملية تتهيأ لاستقباله ، بعد ان أنهى دراسته واجيز من أساتذته الاعلام ، كما ان المرحومين السيد محمد رضا والسيد صدر الدين ، اتجها الى الصحافة والوظيفة قبل ان ينهيا الشوط ، وقبل ان يفرغا من دراستهما العلمية ، وثبت السيد نور الدين على سالف عهده ، فنهل من العلم ما شاء حتى ارتوى ، وصب له في انائه حتى توسط ساحة الفضلاء وكان الماثل في علمه وهديه وخلقه وصلاحه .

وكان محبوبا مهابا محترما لدى القريب والبعيد ، ولا يذكر في يوم من

الايام الا بالخير ، ولا يشار اليه الا بالاكبار •

عف اللسان ، صادق اللهجة ، لا يذكر انسانا بسوء ، واو كان ظالما له ، ولا يدخل في نزاع او فتنة ، وشعاره قول جده أمير المؤمنين سلام الله عليه : كن في الفتنة كابن اللبون •

يتواضع ولكن برفعة نفس تواضع العلماء ، وهو بهذه النفس الرفيعة المتواضعة ، في كل ادوار حياته ، لا فرق في ذلك بين أيام الشباب والكهولة والشيخوخة ، وهو هو في أيام الصحة وأيام المرض ، لا تفارقه البسمة في حال ، كان يحب الاعتزال ، ولا يشترك مع الناس في أمورهم ، الا على قدر الواجب الذي يفرضه الشرع ، ويدعو اليه الاجتماع •

يحب ارحامه ويصلهم وان قطعوه ، وهو في كل أدواره همزة وصل ، ولا يرضى لنفسه ان يكون همزة قطع في يوم من الايام ، وهذا شأنه مع القريب والبعيد ، وهذا من خلقه الطبيعي بصرف النظر عن الواجب الشرعي ، وهي خلة كريمة ، ومن الصفات النادرة التي لا تجدها اليوم الا في قليل من الناس •

هادىء النفس ، فلا تحركه العواطف الا اذا غضب في سبيل حق ، فانه يثور ثورة الاسد الهصور •

عاشرته طوال أيامه رحمه الله ، فما لمست منه خطأ في قول او عمل ، وهو ميال لان يعمل ولا يقول •

يحب الصمت ، فهو لا يتكلم الا اذا دعته الحاجة الى الكلام وقد يظن من لا يعرفه انه عي اللسان ، ولكنه اذا تكلم تحدث بدون تكلف ، متسلسلا في فكره ومنطقه •

رجع السيد نور الدين من النجف الاشرف الى جبل عامل بعد ان ارتوى من العلوم كما شاء ، وقد استقبل استقبالا فخما ورحبت بـه القرى المجاورة

مظهرة شعورها بالاهازيج الشعبية المعبرة عن بالغ سرورهم •

وقد وجد عمه الامام رحمه الله به ما أقر عينيه ، واثلج صدره اذ رآه صورة طبق الاصل عن المرحوم أبيه علما وهديا وخلقا •

وقد اشترك في كثير من المناسبات العامة التي كان السيد عمه رحمه الله يدعو اليها ، ولا سيما مناسبات العيدين : المولد والغدير فقد كانت القرى العاملية تقصد السيد مجتمعة في نادي الامام الصادق (ع) لاستماع ما يقوله الادباء والشعراء الذين كانوا يتسابقون الى القول في هذه الحلبة من كل عام •

وكان السيد رضوان الله عليه ، يكتفي في السنين الاخيرة بما يقوله ابن أخيه السيد نور الدين ، أو ابنه المرحوم السيد صدر الدين اللذان كانا يمثلان السيد في مثل هذه المواقف أحسن تمثيل •

***

لقد كان المرحوم السيد أحمد الحسيني وزير العدلية في لبنان من الرجال المخلصين الذين يحرصون على سمعة القضاء وتحقيق العدالة ، وهذا ما حداه على تعيين السيد نور الدين قاضيا للشرع في صيداء ، وقد كان لهذا التعيين صداه الحسن في الاسرة القضائية مما أطلق ألسنتها بشكر الوزير والثناء عليه •

لقد صادف تعيين السيد نور الدين في صيداء كل الترحيب لان أهلها يكبرو مقام عمه الحجة شرف الدين ، ويعرفون أيضا منزلة أخواله آل الزين ، وهم في صيداء في مقدمة المحترمين لذلك رحبوا بقاضيهم كل الترحيب ، وأحلوه المحل اللائق به ، ونظروا اليه كعالم روحي يؤدي وظيفته الشرعية •

وكان رحمه الله يقضي أوقاته بين حل القضايا والدعاوى في المحكمة الشرعية ، وبين المطالعة في الكتب ، اذا رجع الى البيت وكان يولي عنايته في

الكتب التي ترد لمجلة العرفان ، وكان المرحوم خاله الشيخ عارف الزين يقدمها اليه ، ليبدي فيها رأيه .

وكانت العرفان تنشر رأيه من تقريظ أو نقد أو توجيه ، ولو جمعت هذه التعليقات النافعة ، لكانت كتابا قيما ، ولا سيما اذا أضيف اليها بعض المواضيع التي تدخل في باب الردود والنقود .

***

ولقد نقل من قضاء صيداء الى بيروت ، لعضوية محكمة الاستئناف الشرعية الجعفرية العليا ، وكان من ألمع أعضائها طوال السنين التي مرت عليه في هذه المحكمة ، ومركز الثقل فيها ، ومحل ثقة الناس واعتمادهم .

وكان المرشح الاول للرئاسة بعد احالة العلامة الفقيه على التقاعد ، ولكن السياسة القائمة يومئذ ـ وكانت مناوئة للحجة شرف الدين ـ حالت دون الوصول الى حقه .

وحيث كان السيد نور الدين رحمه الله أقدم الاعضاء ، وأكبرهم راتبا ، فانه لا يجوز من الناحية القانونية تعيين سواه بالاصالة ، لذلك عين وزير العدلية بالوكالة أحد أعضاء المحكمة ولما اقتضت السياسة ابعاد هذا الوكيل ، عينت عندئذ عضوا آخر من أعضاء المحكمة ، بعيدا عن الطرفين .

وبقي رحمه الله من الرئيس الجديد ، يسيران جنبا الى جنب في تدقيق القضايا واستئنافها ، وابداء الرأي فيها طوال السنين حتى انتهت مدتهما في القضاء ، باحالتهما على التقاعد في يوم واحد .

وهكذا كانت حياة أبي الشريف رحمه الله في القضاء طوال أيامه تشع نورا ، وتفيض شرفا ودينا .

دخل القضاء شريفا ، وخرج منه شريفا كما دخل ، وهو في كل أدواره

شريف ، وابن الشريف ، وابو الشريف ، ومن آل الشرف سيرة معطرة ، واسم كريم ، وعمل صالح ، يسيره فقه ودين ، فرحمة الله ورضوانه عليه .

نثره وشعره

نثره بليغ ، ناصع البيان ، واضح الاسلوب ، حسن الاداء ، ليس في ألفاظه تعقيد ، ولا في معانيه غموض ، تقرأ في ألفاظه النقية قلبه الطاهر ، وروحه الصافية .

لقد كان له ميل كبير في تحرير المقالة ، أكثر من كتابة البحوث وتأليف الكتب ، وفي هذه المقالات ، وفي رسائله الى الاصدقاء ما يستحق الاعجاب والتقدير .

وقد انصرف أخيرا الى البحث ، ولعل الدافع الى ذلك هذا الفراغ الكبير ، الذي حدث له بعد التقاعد ، فسده بالانشغال بالتأليف .

ونحن نشكر هذا الاعتزال الذي أتاح له الفرصة الثمينة وهيأ له هذا المجال .

وحسب هذا الفراغ ، ان أنتج لنا كتابه الجليل ، شرح الازرية ، فان الازرية من الشعر الخالد ، الذي جادت به قريحة شاعر العربية المرحوم الشيخ كاظم الازري رحمه الله ، وهي قصيدة غراء في مدح النبي والوصي والزهراء ، سلام الله عليهم .

ولا نعرف لها نظيرا في اللغة العربية ، من حيث السبك والمتانة والجزالة وفصاحة اللفظ ، وسنو المعنى ، وقد حلق في هذه القصيدة ، فلا يسبقه سابق ، ولا يلحقه لاحق ، وهي تدل على اطلاع واسع في التاريخ ، وقوة تستدعي الاعجاب والاكبار ، مع قدرة فائقة على ادلاء الحجج الساطعة ، تلك الحجج التي أضافت الى قوة اللفظ ، ثروة علمية ، زادت في جلال شعره وجماله .

وحسب السيد نور الدين رحمه الله ، ان نهض بشرح هذه اليتيمة الفريد ، شرحا ناصع البيان ، غزير المادة ، مشرق الديباجة واضح الاسلوب، وقيامه بهذه المهمة خدمة جليلة ، أسداها الى أمة الضاد في عصر اليقظة ، والمكتبة العربية اليوم بأمس الحاجة الى شعر الازري الخالد الطافح بالادب والحكمة ، والفياض بالحب والولاء لأهل البيت اعدال الكتاب ، وقادة الامة الى الحق والصواب •

هذا نثر السيد نور الدين ، واما شعره فانه رحمه الله قد اهتم بالنظم في الدور الاول من شبابه ، وكان يحاول ان يكون من فرسانه ، ولكن الوزن كان لا يستقيم له ، فيرجع راجلا لا يستطيع السباق ولا الجري ، ولا يؤثر عنه شعر في مهجره العلمي في النجف الاشرف ، مع توفر الدوافع التي تدفع بالاديب الى القول •

ولكنني أرسلت له قصيدة في ١٥/٧/١٩٤٦ ، يوم كان قاضيا في صيداء ، حركت عواطفه ، ودفعته الى القول بقصيدة عصماء ، بنفس الروي والقافية ، وهي من الشعر الجيد الذي يجعله في مصاف الشعراء ، ولو لم تكن له الا هذه القصيد لكفى •

وهذه قصيدتي التي أرسلتها اليه ، وفيها ذكريات وصور للماضي الزاهر الذي مر بازدهار ، ووطدت أركانه يد الاخاء باستمرار ، فقد قلت :

ارسلتها الوكة

اخي ذي حشاشتي على النوى لا تصطبر
حرى ومن اوارها هذا الفؤاد يستعر
ارسلتها ألوكة تعيد ذكر ما غبر
نشرت فيها صفحة من الاخاء في فقر
افرغت فيها صورة مشروحة فيها صور

تريك من اخائنا ... ما مر في عهد الصغر
عهد الصبا وليته ... تخليد العهد الاغر
العيش رغد مورق ... والعمر فيه مزدهر
والصفو في ايامه ... وفي لياليه السحر
البدر فيه نير ... وضاحك حتى الشجر
يكفيك منه حسنه ... وكل ما فيه غرر
فلحنه لحن الهوى ... يذيعه على الوتر
رقت حواشيه كما ... رق الهوى رق السحر
وشاع في الندية الـ ... فضل سناه المنتشر
تضوع كالمسك شذى ... ذكراه كلما خطر
وطاف في انحائه ... هذا الخيال واعتمر
تلنا المنى في عهده ... وعهده غض نضر
رضعت فيه حبكم ... والحب نعم المدخر
رشفته كما أشا ... من برة ومن ابر
يجمعنا على الاخا ... ء فيه حب استمر
لا يشتكي تغيرا ... ولا يفل من غير
قد وطدت اركانه ... يد الاخاء فاستمر

❋ ❋ ❋

اخي ذي حشاشتي ... تذوب من شوق وحر
ارسلتها مع البريد ... علها بكم تقر
ما كان هجري عن قلى ... لكنه كان قصر
لا عذر لي فيما مضى ... والخير لي ان اعتذر
وصل الخليل واجب ... في شرعنا وان هجر
نسعى الى امتثاله ... اما نهى او ان امر

شعارنــا الثبــات فــي ودادنــا مــدى العمــر
يــزيــدنــا تثبتــا صرف الزمــان ان يمــر
لا نختشــي مــن عــاذل ان غــاب فينــا او حضر
والبعــد ان مــض فــلا يزيــدنــا الا السهــر
نعيــد فيــه مــا مضى مــن سالف العهــر الاغر

* * *

ربــاه قلــت حيلتــي فــا اراني اصطبر
والبعد لا اقــوى عــلى اعبائــه مهمــا نـزر
هــل سفرة تعيــد لــي « صيداء » هيهات السفر
لــو كنت استطيع السرى لطــرت فــي ذاك الاثــر
لكنهــــا عــوائــق تعيق عــن نيــل الوطــر
فــأكتفــي بسهجتــي تــزور خــلا لــم يزر

* * *

عرج عــلى ذاك الحمــى وربعــه السامــي الاغــر
واخضع لقدس عيلم (١) « فصوله » تتلــى سور
وارجع الــى (كلماته الغ ــراء) فــي فضل الغرر
تجــد بهــا علامــة قــد رصــع العلــم درر
« مراجعاتــه » التــي تفيض فــي شتى العبــر
ابــان فيهــا مــا يشا مــن عالم الفكــر صور
وبــث فــي يراعــه مــن الكــلام مــا سحر
وفاض فــي تحليــل مــا قــد دق من معنى الخبر

---

١ ـ خال الناظم آية الله المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين .

وحل كل غامض من مشكل ومستتر
فجاء فيها آية بليغة مدى العصر

* * *

لن لي بلثم كفه وشم عرفها العطر
وجلسة بظله يحوطني عطف وبر
فأنتشي كما أشا من حنان مستمر
اروي غليلي من طلا حديثه العذب المسر
فأحتسي سلافة من منهل ثر مدر

* * *

حق لقطر عامل بشخصه ان يفتخر
ويزدهي جلالة بعلمه ويزدهر
انظر اليه باحثا وناقدا ومختبر
من مثله مناظرا وعالما ومبتكر
وهاديا ومصلحا وكاتبا ومفتكر
فلا تقس بشخصه أيا ترى مهما كبر

واما قصيدة ابي الشريف ، السيد نور الدين رحمه الله تعالى ، فقد اثبتها الحجة المرحوم السيد علي الصدر في كتابه القيم « الحقيبة » (١) ونشر منها صاحب كتاب (زعيم الثورة) المقطع الخاص بالمرحوم سماحة السيد

---

١ - الحقيبة في عدة اجزاء مخطوطة ضمنها الحجة المرحوم السيد علي الصدر الكثير من الحوادث التاريخية والفوائد العلمية وتراجم كثير من الشخصيات التي عاصرها او اقتضى الامر ذكرها وفيه الشيء الوافر .

الصدر ، وكانت الحقيبة مصدره فيما قاله الشعراء في الزعيم الصدر ، رضوان الله عليه .

واليك المقطع الخاص بالسيد الصدر رحمه الله ، من القصيدة التي ارسلها السيد ابو الشريف ، جوابا على قصيدتي المتقدمة ، قال :

أأبا النهى سقيا لماضينا وللعهد الاغر
ايام كنا لا تروعنا تباريح القدر
مذ كان يكفينا اذى الايام (سيدنا) الابر
من قاد للنصر العراق وما تولاه الضجر
ايام قاد الثورة الشعواء وارتكب الخطر
والموت كان الورد للاعداء منه والصدر
وبكفه الصمصام يفري من تخلف او غدر
واذا بجيش المستبد امام صولته اندحر
ذاك الذي افعاله بين الانام تنتشر
ذاك الذي علومه بين البرايا تزدهر
من ركب التاج على مفرق فيصل الاغر

توفي عليه الرحمة في ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٩٦ هـ في احد مستشفيات صيداء ، وشيع باحتفال مهيب الى صور ، حيث دفن الى جنب والدته البرة ، عليهما الرحمة والرضوان .

سيرة السيد صالح الشهرستاني وآثاره

بقلم : سلمان هادي الطعمة
عضو رابطة الادب الحديث في القاهرة

انجبت مدينة كربلاء رهطا من الادباء والمفكرين الذين نالـوا حظـوة فائقة في تاريخ الادب العربي بما خلفوه من تراث روحي عظيم ، حتـى صار صيتهم وعلت منزلتهم على مر العصور وكر الدهور .

وظلت كربلاء حامية للتراث واللغة ومنارا للفكـر والفضيلـة وعلـوم الشريعة بتقاليدها العريقة الراسخة قرونا طويلة .

والسيد صالح بن السيد ابراهيم بن السيد مرزا صالح بن السيد محمد حسين بن السيد محمد مهدي الموسوي الشهرستاني هو احد النوابغ الذيـن انجبتهم هذه المدينة التاريخية الخالدة . ويذكر الذين عاشوه انـه كان يتمتع بنفس عالية وخلق قويم وسخاء متميز مما حببته الى اخوانه .

ولد فقيدنا الراحل في مدينة كربلاء يوم ١٨ ذي الحجة ١٣٢٥ هـ الموافق لعام ١٩٠٧م (١) . ونشأ بين احضان احدى اسرها العلمية التـي لهـا قصب السبق في الفضل والادب . واغترف العلم من مناهل المعاهـد العلمية . واتم دراسته الاولية قديمة وحديثة فيها . وفي اوائل الحكم الوطني فـي العراق ، انتقل الى بغداد حيث اتم دراسته العالية متخرجا في جامعة آل البيت ؛ وكانت الجامعة الوحيدة آنذاك . وفي اواسط سنة ١٩٣٢م اضطرتـه ظروفه العائلية الخاصة للنزوح الى طهران وفيها تخرج في كلية الحقوق والعلـوم السياسية فيها . وعين مترجما في السفارة العراقية بطهران ؛ وبقي في الخدمة ١٥ عاما ،

---

(١) كما جاء في ترجمته التي كتبها بقلمه .

ثم تحول مترجما الى السفارة الاردنية بطهران ، وبقي هناك حتى سن تقاعده ومن ثم وفاته .

اشغل تحرير مجلة (المرشد) التي صدرت ببغداد في كانون الاول ١٩٢٩ وكانت معقل اقطاب الفكر والادب في هذه الفترة ، وقد لعبت دورا مهما في نمو الحياة الفكرية في الشرق العربي .

اما ثقافة الشهرستاني فقد كانت متنوعة تجمع بين الثقافة العربية والفارسية ، اذ قرأ الكثير من كتب التراث ، وكان يقبل على القراءة بنهم لا يعرف الشبع ، كما كان يدعو الشباب الى الاهتمام بالمطالعة .

كان باحثا حصيفا ومؤرخا جادا ومستقصيا مستوعبا بما نشره من الدراسات الادبية والنقدية والاجتماعية على صفحات (العرفان) اللبنانية و (المكتبة) العراقية و (الاخاء) الايرانية وغيرها بأسلوب رصين متألق ، حيث نشر مجموعة من المقالات والخواطر الادبية في شتى ميادين الادب والاجتماع والتاريخ والتراث الشعبي ونحو ذلك ، وترصد الكثير من الموضوعات الفكرية في كتاباته .

كان كيانا ضخما في عالم الادب ومؤرخا قيما في التراث العربي ، وكان من بقية السلف الصالح وادباء الجيل الماضي الذين يشار اليهم بالبنان . وكان عالما بأسماء الرجال مطلعا على الاخبار والاحوال ، وفي ذهنه جملة صالحة من المعارف التاريخية ، وله ولع كثير بأحياء الآثار الادبية والتاريخية المنسية .

كنت اتسقط اخبار السيد الشهرستاني البعيد عن وطنه منذ ربع قرن ، حتى زرت الرجل في طهران في داره وفي مقر عمله ، فوجدت فيه باحثا اوتي حظا وافرا من الفصاحة وانسكاب المعاني الرقيقة طالما حلى جيد الادب بنفثات قلمه السيال . وكان مرهف الحس ، متوقد الذكاء ، مهذب الخصال ، كريم الطبع ، وكانت داره منتجع رجال العلم والفضل ، ومنتدى الفكر والادب ،

حيث كانت تعقد هناك لقاءات فكرية وادبية على مائدته سيما في ايام الجمعة من كل اسبوع ، وفي فصل الصيف بالذات ، حيث ملتقى العراقيين .

توجد للسيد صالح الشهرستاني خزانة كتب عامرة بأمهات الكتب العربية والفارسية وبعض المخطوطات النادرة وكتب الانساب المعتبرة وبعض المؤلفات الانكليزية . وقد استطعت خلال زياراتي المتعددة له ان اقف على بعض تلك الآثار والنفائس التي تحتويها خزانته الجليلة ، وهي قسمان :

١ ـ الآثار المخطوطة التي بحوزته وتشمل ما يلي :

١ ـ مجموعة خطية فيها قصائد لاحد شعراء كربلاء ، ناقصة الاول والآخر ، وفيها قصيدة في رثاء السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني المتوفي ١٣١٥ هـ .

٢ ـ الصراط الابلج في انساب بني الاعرج . وهي بخط المؤلف السيد جعفر الاعرجي الكاظمي .

٣ ـ مجموعة السيد جعفر بن السيد محمد حسين الشهرستاني ، وتضم الرسائل التالية :

أ ـ رسالة دفع شبهات السيد محمد باقر حجة الاسلام الرشتي الاصفهاني .

ب ـ رسالة جواز البقاء على تقليد الميت . انتهى منها سنة ١٢٢٥٣ هـ .

ج ـ رسالة في الفناء وجيزة اتمها سنة ١٢٥٣ هـ .

د ـ رسالة في حكم من يتقن الطهارة والحدث وشك من المتأخر . انجزها في صفر ١٢٦٠ هـ .

هـ ـ رسالة في حكم عصير العنب اتمها سنة ١٢٥٨ هـ .

و ــ رسالة في طهارة ما في القدر وحليته لو وقعت فيها قطرة مــن الدم حال غليانه • انتهى منها سنة ١٢٥٨ هـ •

ز ــ رسالة في اصل حكم الشبهة المحصورة • انجزها في صفر ١٢٦٠هـ

ح ــ رسالة في سلسلة نسب الاغا باقر البهباني (بالفارسية) وهـــذه الرسائل اوردها الشيخ اغا بزرك الطهراني في (الكلام البررة) ج١ ص ٢٤٨ وفي مواضع متعددة من الذريعة •

٤ ــ الوثائق التي يحتفظ بها •

لديه وثائق ومستمسكات رسمية وغير رسمية خاصة بأملاك الشهرستانية في كربلاء والنجف منها :

١ ــ وثيقة تاريخها سنة ٩٩١ هـ •

٢ ــ وثيقة صلح او مصالحة مؤرخة غرة ذي الحجة ١٢٤٨ هـ •

٣ ــ وثيقة شراء بستان ودار مؤرخة غرة ربيع الثاني سنة ١١٨٨ هـ •

٤ ــ وصية المرحوم السيد محمد حسين الشهرستاني مؤرخة ١٩ شعبان ١٢٤٧ هـ •

٥ ــ وثيقة تقسيم الارض المعروفة بالحائرية مؤرخة ذي القعدة ١٢١٩هـ

٦ ــ ويقة رسمية ببيع للبستان مؤرخة غرة ربيع الاول ١٢٧٥ هـ •

٧ ــ وثيقة رسمية وقف دار في محلة آل عيسى ١٥ ذي الحجة ١٢٠٨هـ

٨ ــ شهادة عن اصالة الاسرة الشهرستانية غير مؤرخة •

٩ ــ وثيقة شراء بستان مؤرخة غرة رمضان ١٢٨٢ هـ •

١٠ ـ وثيقة رسمية لشراء دار مؤرخة ٧ ذي القعدة ١٢٨٦ هـ .
٢ ـ آثاره المطبوعة والمخطوطة .

للفقيد آثار جمة الفوائد ، تشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع في فنون الادب والتاريخ والدين وغير ذلك ، تطرق فيها الى امور لم يسبقه احد اليها . ومن جملة مصنفاته :

١ ـ رسالة دليل العتبات المقدسة (فارسي) طبع بطهران ١٩٥٠ .

٢ ـ تاريخ النياحة على الامام الشهيد الحسين بن علي (جزءان) طبعا بطهران (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤) .

٣ ـ عضد الدولة البويهي (دراسة) .

٤ ـ السيد جمال الدين الاسد آبادي الشهير بالافغاني (دراسة) .

٥ ـ تاريخ الاسرة الشهرستانية (ثلاث مجلدات) عربي وفارسي .

٦ ـ مجموعة الشهرستاني (مذكرات) باللغتين العربية والفارسية .

٧ ـ شخصيات ادركتها أو ـ من عاصرتهم .

٨ ـ مترادفات في اللغتين العربية والفارسية .

٩ ـ الامام البروجردي الطباطبائي (دراسة) .

١٠ ـ منتخبات من الشعر والامثال والحكم .

١١ ـ الامام زاده يحيى ومزاره (دراسة) .

١٢ ـ تعليقات على ابحاث تراث كربلاء . كتبه بخطه بتاريخ ١٨ جمادي الاولى ١٣٨٦ هـ (٣ ايلول ١٩٦٦) مخطوط في مكتبتي الخاصة .

اما اشهر مقالاته التي نشرها في الصحف والمجلات فهي :

١ ـ العلامة الشيخ جعفر النقدي •

الاخاء ـ العدد ٨٤ ـ السنة السابعة ج٢ ١٣٨٦هـ تشرين الاول ١٩٦٦ ص ١٣ •

٢ ـ الفقيه السيد هادي الخراساني

الاخاء ـ العدد ٨٥ ـ السنة السابعة رجب ١٣٨٦ هـ ـ تشرين الاول ١٩٦٦ ص ١٧ •

٣ ـ عبد الله احمدية

الاخاء ـ العدد ٨٦ ـ السنة السابعة رجب ١٣٨٦ هـ ـ تشرين الثاني ١٩٦٦ ص ١٧ •

٤ ـ السيد محسن الصدر

الاخاء ـ العدد ٨٧ ـ السنة السابعة شعبان ١٣٨٦ هـ ـ تشرين الثاني ١٩٦٦ ص ١١ •

٥ ـ ديوان ابي الحب

الاخاء ـ العدد ٨٨ ـ السنة السابعة ـ شعبان ١٣٨٦ هـ ـ كانون الاول ١٩٦٦ ص ١٦ •

٦ ـ قصيدة الزهاوي العربية في احياء ذكرى ميلاد الفردوسي

الاخاء ـ العدد ٨٩ ـ السنة السابعة ـ رمضان ١٣٨٦ ـ كانون الاول ١٩٦٦ ص ١٧ •

٧ ـ السيد علي اصغر الحسيني المرعشي

الاخاء ـ العدد ٩١ ـ السنة السابعة ـ شوال ١٩٨٦ هـ ـ كانون الثاني ١٩٧٧ ص ١٥

٨ ـ لمحة تاريخية من السلالة السنوسية الحسنية العلوية

الاخاء ـ العدد ٩٢ ـ السنة السابعة ـ شوال ١٣٨٦ هـ ـ شباط ١٩٦٧ ص ٨ .

١٠ ـ عضد الدولة البويهي وما قام به من خدمات في العراق

الاخاء ـ العدد ٩٥ ـ السنة السابعة ـ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ ـ آذار ١٩٦٧ ص ١٠

١١ ـ سلالة آل البيت الهاشمي اعرق سلالة عربية في العالم

الاخاء ـ العدد ٩٦ ـ السنة السابعة ذي الحجة ١٣٨٦ هـ ـ نيسان ١٩٦٧ ص ١٠

١٢ ـ المؤرخ المعاصر عباس اقبال اشتياني

الاخاء ـ العدد ٩٧ ـ السنة السابعة ـ محرم ١٣٨٧ هـ ـ نيسان ١٩٦٧ ص ٣٠

١٣ ـ العلامة السيد حسين القزويني الحائري

الاخاء ـ العدد ٩٨ ـ السنة السابعة محرم ١٣٨٧ هـ ـ ايار ١٩٦٧ ص ١١

١٤ ـ العلامة الحاج ظهير الاسلام

الاخاء ـ العدد ١٠٢ ـ السنة السابعة ـ ربيع الاول ١٣٨٧ هـ ـ تموز ١٩٦٧ ص ١٥

١٥ ـ السيد عبد الحسين آل طعمة سادن الروضة الحسينية بكربلاء .

الاخاء ـ العدد ١٠٥ ـ السنة السابعة ـ جمادي الاولى ١٣٨٧ هـ آب ١٩٦٧ ص ١٣

١٦ ــ الزهــاوي

الاخاء ــ العدد ٨٢ ــ السنــة السادسة ــ جمادي الاولــى ١٣٨٦ هـ ايلول ١٩٦٦ ص ٣٨

١٧ ــ لماذا اختارت جلالة الملكة فرح بهلوي لون الخضرة

الاخاء ــ العدد ١٠٩ ــ السنة الثامنة رجب ١٣٨٧ هـ ــ تشريــن الاول ١٩٦٧ ص ٢٧

١٨ ــ العلامة الشيخ ابو عبد الله الزنجاني

الاخاء ــ العدد ١١٢ ــ السنة الثامنــة ــ شعبان ١٣٨٧ هـ ــ كانــون الاول ١٩٦٧ ص ١٢

١٩ ــ ملك الشعراء بهار

الاخاء ــ العدد ١١٧ ــ السنة الثامنة ــ ذو القعدة ١٣٨٧ هـ ــ شعبان ١٩٦٨ ص ٢٦

٢٠ ــ السيد محمد صادق نشأت

الاخاء ــ العدد ١١٩ ــ السنة الثامنــة ذو الحجــة ١٣٨٧ هـ ــ آذار ١٩٦٨ ص ١٣

٢١ ــ السيد دبير الكتاب الشهرستاني

الاخاء ــ العدد ١٢٠ ــ السنة الثامنــة ــ محــرم ١٣٨٨ هـ ــ نيسان ١٩٦٨ ص ١٤

٢٢ ــ مشهد السيد احمد العلوي الشهير بشاوجراغ في شيراز

الاخاء ــ العدد ١٢٥ ــ السنــة الثامنــة ــ ربيــع الاول ١٣٨٨ هـ ــ حزيران ١٩٦٨ ص ١٧

٢٣ ـ مترادفات في اللغتين العربية والفارسية

الاخاء ـ العدد ١٢٦ ـ السنة الثامنة ـ ربيع الثاني ١٣٨٨ هـ ـ تموز ١٩٦٨ ص ١٤

٢٤ ـ السيد محمد العابد العلوي

الاخاء ـ العدد ١٢٨ ـ السنة الثامنة ـ جمادي الثانية ١٣٨٨ هـ ـ ايلول ١٩٦٨ ص ٢٩

٢٥ ـ مترادفات باللغتين العربية والفارسية

الاخاء ـ من العدد ١٢٩ ـ السنة الثامنة حتى العدد ١٤٣ السنة التاسعة .

٢٦ ـ اقدم نسخة خطية رأيتها في طهران

المكتبة ـ العدد ٤٣ ـ السنة الخامسة ـ تشرين الاول ١٩٦٤ ص ٨

٢٧ ـ جناح السيد جمال الدين الاسد آبادي المشتهر بالافغاني في مكتبة مجلس الامة الايراني .

المكتبة ـ العدد ٤٥ ـ السنة الخامسة ـ شباط ١٩٦٤ ص ١٩

٢٨ ـ مكتبة مجلس الامة الايراني

المكتبة ـ العدد ٤٧ ـ السنة الخامسة ـ تموز ١٩٦٥ ص ١٠

٢٩ ـ النفحة المسكية في الرحلة الملكية

المكتبة ـ العدد ٤٩ ـ السنة السادسة ـ كانون الاول ١٩٦٥ ص ١٠

٣٠ ـ مخطوطة خواص الاشجار

المكتبة ـ العدد ٥١ ـ السنة السابعة ايار ١٩٦٦ ص ٢٤

٣١ ـ ثاني مكتبة عامة في طهران

المكتبة ـ العدد ٥٤ ـ السنة السابعة ـ تشرين الاول ١٩٦٦ ص ٥

٣٢ ـ المجلد السادس من فهرس مكتبة الامام الرضا في خراسان

المكتبة ـ العدد ٥٧ ـ السنة السابعة آذار ١٩٦٧. ص ٢٣

٣٣ ـ مطبوعات حديثة من العراق

المكتبة ـ العدد ٦١ ـ السنة الثامنة ـ تشرين اول وتشرين الثاني ـ ١٩٦٧ ص ٢٣

٣٤ ـ جناح المصاحف الشريفة في مكتبة الامام الرضا بخراسان

المكتبة ـ العدد ٦٤ ـ السنة التاسعة ـ ايار ١٩٦٨ ص ٣٤

٣٥ ـ زهر الرياض وزلال الحياض

المكتبة ـ العدد ٦٧ ـ السنة التاسعة ـ كانون الاول ١٩٦٨ ص ٢٦

٣٦ ـ الامام الميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي

العرفان ـ الجزء ٤ ـ المجلد ٥٢ ـ تشرين الاول ١٩٦٤ ص ٣٩٢

٣٧ ـ تراث كربلاء ـ العدد الثامن

٣٨ ـ المصحف الشريف بخط الامام الحسن

العرفان ـ الجزء العاشر ـ المجلد ٥٢ نيسان ١٩٦٥ ص ٦

٣٩ ـ همدان او مدينة ابن سينا

العرفان ـ الجزء السادس ـ المجلد ٣٥ ـ ايار ١٩٤٨ ص ٨٣٠

٤٠ ــ رسالة خطية مدونة

العرفان ــ الجزء العاشر ــ المجلد ٥٣ ــ نيسان ١٩٦٦ ص ١٠٢٦

٤١ ــ السيد جمال الدين الاسد آبادي

العرفان ــ العدد الخامس والسادس المجلد ٦٢ ايار وحزيران ١٩٧٤ ص ٥٩٨

٤٢ ــ السيد جمال الدين الاسد آبادي

العرفان ــ العدد السابع ص ٧٤٠

٤٣ ــ السيد محمد مهدي الموسوي

العرفان ــ العدد الرابع المجلد ٦٢ ــ نيسان ١٩٧٤ ص ٤٣٨

٤٤ ــ قبر مزعوم لزيد الشهيد

العرفان ــ العدد الثاني المجلد ٦٣ ــ شباط ١٩٧٥ ص ١٨٠

٤٥ ــ قبر مزعوم لزيد الشهيد

العرفان ــ العدد الاول ــ المجلد ٦٣ كانون الثاني ١٩٧٥ ص ٦٦

٤٦ ــ الافندي وكتابه رياض العلماء

العرفان ــ العدد ٩ و ١٠ ــ المجلد ٥٦ شباط وآذار ١٩٦٩ ص ١٠١٢

٤٧ ــ الافندي وكتابه رياض العلماء

العرفان ــ العدد ١ و ٢ ــ المجلد ٥٧ ايار وحزيران ١٩٦٩ ص ٧٤

٤٨ ــ نظرة مستعجلة في شاهنامة نوبخت

العرفان ــ الجزء ٤ و ٥ ــ المجلد ٢٣ آذار ونيسان ١٩٣٣ ص ٥١٢

٤٩ ــ كتاب العين

العرفان ــ العدد السابع ــ المجلد ٥٧ تشرين الثاني ١٩٦٩ ص ٩٨١

٥٠ ــ كتــاب العين

العرفان ــ العدد ٦ ــ المجلد ٥٧ تشرين الاول ١٩٦٩ ص ٨١٥

٥١ ــ العلامة السيد مصطفى الكاشاني

العرفان ــ الجزء الرابع ــ المجلد ٢٥ تشرين الاول ١٩٣٤

٥٢ ــ السراط الابلج في انساب بني الاعرج

العدل الجزء ١ و ٢ ــ السنة الثانية ١٩٦٦ ص ٤٥

استأثر به القدر في طهران يوم السبت ٢٢ شعبان ١٣٩٥ هـ الموافق ٣٠ ــ ٨ ــ ١٩٧٥ ونقل جثمانه الى كربلاء وشيع تشييعا يليق بمكانته حتى مثواه الاخير في الروضة الحسينية المقدسة •

وفاء مني للرجل لما له من افضال كثيرة علي ، ولعمق الروابط الفكرية بيننا ، كانت هذه الصفحة من حياته وآثاره •

واخيرا وليس آخرا اننا اليوم في حاجة ماسة الى احياء ذكرى هذا المفكر ودراسة آثاره ، لما لها من فوائد تاريخية وفكرية وادبية •

ان الزمن سينصف الاستاذ الشهرستاني اداء لحق الادب وكرامة العرب ووفاء لابن العراق البار •

كربلاء ــ العراق   سلمان هادي آل طعمة

صور ومشاهد من العادات والتقاليد

فـي العهـود الاقطاعية

— ٢ —

اذا لاحظنا ان المماليك الذين كانوا يجلبون مـن خارج البلاد العربية ، كانوا يتعلمون لغة البـلاد ويتثقفون بثقافـة اهلهـا ، ويلبسون لباسهـم ، ويتسلحون بأسلحتهم ، ويتدربون حسب عاداتهم وتقاليدهم عـلى استعمال الاسلحة وركوب الخيل واتقان الفروسية .

ثم لاحظنا ان قادة العامليين ورجالهم ، في عهد عـلي بيك الكبير حاكم مصر ، واحمد باشا الجزار ، وسليمان باشا ، وعبد الله باشا وغيرهم من الولاة قد لابسوا المماليك وجاروهم في الازياء والالبسة ، واجهـزة الخيل وفـي استعمال الاسلحة والتمرين على ركوب الجياد واتقان الفروسـية .

ثم لاحظنا بعد هذا تلك الصور التـي رسمها الرحالـة (جون كارن) للاغنياء والفلاحين من اهالي البلاد العاملية واللبنانية يوم جابها مـن الناقورة الى زغرتا عام ١٨٣٨ م ولاحظنا ان تلك الصور جملـة وتفصيـلا لا يختلف بعضها عن بعض زيا وشكلا وترتيبا ولا يتميز فيها لباس المماليك وازياؤهم عن لباس غيرهم من اللبنانيين والعامليين .

بدا لنا من خلال هذه الملاحظات ان البسة اهـل جبل عامـل واسلحتهم واجهزة خيلهم وتمارينهم في الميدان لم تكن لتختلف وتتميز من حيث الشكل والسمت عما نراه في هذه الصور والملامح والاوصاف التـي رسمها الرحالة الفرنسي (فولني) للمماليك ص ١١٢ ـ ١١٧ من رحلته (تعريب البستاني) حيث يقول عن :

١ ـ البستهم :

قميص واسعة من نسيج قطني ناصع اللون ضارب الى الصفرة ، يعلوها رداء كالمبذلة من كتان الهند او مـن نسيـج دمشق او حلب . وهـذا الرداء

المسمى بالعنتري ينحدر من العنق حتى الكاحلين ، وينضم جانباه على مقدمة الجسم حتى الوركين حيث يثبت بتكتين • ويعلو هذا الرداء رداء آخر بشكل الاول واتساعه ، يصل كماه الواسعتان حتى رؤوس الاصابع ، ويسمونه القفطان • ويصنع عادة من الحرير ، وهو اثمن من الرداء الاول •

وثمة منطق طويل يضم الردائين معا الى القد ويقسم الجسم الى حزمتين• اضف الى ذلك قطعة ثالثة من الجوخ غير المبطن هي الجبة • ولا يختلف شكلها عن القطعتين الاولين اجمالا ، سوى ان كمها مقصوصان عند المرفقين • وهذه الجبة تكسى ، في الشتاء وغالبا في الصيف بالجلد فتصبح فروة • وفوق هذه الغلافات الثلاثة يأتي معطف رابع يرتدى في الاحتفالات وهو يغطي مجمل الجسم ورأس الاصابع ، اذ يرون في كشفها امام العظماء ما ينافي الحشمة والادب • ويبدو الجسم تحت هذا المعطف مثل كيس طويل ويخرج منه عنق عار ورأس حليق تعلوه عمامة • وعمامة المماليك تسمى (القاووق) وهو على شكل اسطوانة صفراء تحيط بها لفافة من الشاش منتظمة الاستدارة • وينتعلون حذاء من الجلد الاصفر يكسو الرجل حتى العقب ، وخفا بلا حوافي معدا لان ينزع في الطريق • اما الثوب الغريب فهو السروال ، لانه من السعة بحيث يصل الى الذقن طولا ، وكل ساق من ساقيه تسع الجسم كله • ويصطنعه المماليك من جوخ البندقية ، وهو اكثر سماكة وانعم ملمسا من الصوف الخشن • ولهذا السروال منطق ذو حجزة يعقد على الاقسام المدلاة من الثياب التي ذكرناها وتضم جميعها تحت السروال تيسيرا للمشي •

ثم يقول المؤلف نفسه (ص ١٠٠) من تعريب السيوفي للجزء الثاني : عن البسة السوريين بما فيهم اهل جبل عامل (وملابسهم التي نفقاتها ليست بيسيرة ولا ازرار لها ولا ابازيم ولا شيء من تلك الاشياء التي لا بد منها للاوروبيين فهي مؤلفة من سروال كبير واسع يقوم في آن واحد مقام الجوارب • ومن قطعة يشدونها على وسطهم وثلاثة اثواب يلبسونها الواحد فوق الآخر على منوال المماليك) •

٢ ـ اجهـزة خيلهم :

ان المماليك ما برحوا على ذهنية القرن التاسع ينقادون ابـدا للعـادة ويوسقون الحصان بعدة ضخمة الهيكل ، مثقلة بالحديد والخشب والجلـد • يعلوها من وراء قربوس يرتفع ثمانية قراريط ويغطـي الفارس حتـى رأس الورك ، ومن امام قربوس آخر يهدد صدره اذا ما انحنى ، ويستعيضون عن الصفة تحت السرج بثلاثة اغطية صوفية سميكة ، ويثبت كل ذلك في السرج بحزام يمر فوقه ، ويربط ليس بأبازيم ذات شوكات ، بـل بسموط معقـودة قليلة المتانة كثيرة التعقيد • وسروجهم واسعة المقدمة ولا سير لها في المؤخرة، مما يجعلها تسترسل على كتفي الفرس • (١١) والركب لوحات من النحاس تموق الرجل طولا وعرضا وترتفع حوافيها مقدار قيراط ، وهـي تتدلى مـن العرى ولهذه الركب زوايا حادة كالشفار تستعمل عوضا عن المهاميز لتفتح في كشوح الجياد جراحا مستطيلة • ويزن الركابان عادة عشر ليبرات ، وكثيرا ما تزنان اثنتي عشرة ليبرة (الليبرة ٥٠٠ غرام) اما السرج والاغطية فلا تزن اقل من ٢٥ ليبرة ، بنوع ان الفرس يحمل ستا وثلاثين ليبرة (١٢) وهـذا الامـر مستغرب خصوصا وان الخيل في مصر صغيرة القدود • والزمام ينتهي بحلقة حديدية تضغط على الذقن حتى تكاد تقطع الجلد ، مما يجعـل الفرس محطم جانبي الفكين ولا فم له (١٣) • ذلك ان المماليك يرجون اللجام رجـا عنيفـا فيطلقون العنان للفرس ثم يوقفونه بغتة فـي اشد حالاته انطلاقـا واذ يشد لجام الفرس تتصلب قوائمه ويطوي عرقوبه وينزلق بجملته قطعة واحدة كأنه حصان خشبي (١٤) ومن المعلوم ان هذه الطريقة تتلف الفم والقوائم بتكرارها على ان المماليك يجدون فيها اناقة وهي تتفق مع اساليبهم في القتال •

٣ ـ اسلحتهـم :

سلاحهم الاول (قرابينة) انكليزية ، طولها ثلاثون قيراطا ، وعيارها من القوة بحيث تطلق عشر رصاصات او اثنتي عشرة فـي وقت معا ، بنوع انهـا قاتلة وان لم تحكم رمايتها • ويحملون في اوساطهم غدارتين مشدودتين الـى الثوب ببريم من الحرير • وتتدلى من القربوس ضمة من الاسلحة يستعملونها للقتل ضربا • ويتدلى من حمالة فـي جنبهم الايمن سيف معقوف قلما نشاهد

نظيره في اوروبا ، طول نصله في خط مستقيم اربعة وعشرون قيراطا ، واذا قيس انحناؤه فثلاثون قيراطا . ولهذا الشكل الذي نراه مستغربا ، ما يبرره عندهم . فقد دل الاختبار ان النصل المستقيم يقتصر فعله على موقع الضربة وحينها . لانه لا يقطع الا بالضغط في حين ان النصل الاعوج ينزلق بقوة الذراع تقهقرا ويتسع مدى فعله . وخصائص السيف المفضلة عندهم : خفته وصفاء معدنه ورنينه وتموج حديده وبوجه خاص رقة شفرته .

٤ ـ تدريبهم وتمارينهم :

وكان التدرب على استخدام هذه الاسلحة شغلهم الشاغل طوال الحياة. يخرج معظمهم صبيحة كل يوم الى سهل حيال القاهرة ، وهناك يطلقون اعنة الجياد ، ويتدربون على اخذ القرابينة برشاقة وتسديد الرماية فيها ، ثم يضعونها تحت الفخذ وينتزعون غدارة يطلقونها ويرمونها ما وراء الكتف ، ثم غدارة ثانية تمر بالتجربة نفسها ، متكلين على البريم الذي يشد كلا الغدارتين الى الثوب . فيشجعهم البكوات الحاضرون . ومن تمكن منهم من حطم الهدف ، وهو عبارة عن اناء من خزف ، ذهبت اليه التهاني والمكافآت .

ويتدربون ايضا على معالجة السيوف ، وبنوع خاص على تسديد الضربة من الشمال الى اليمين ، وتتجه من الاسفل الى الاعلى . وهي اصعب الضربات على من يتقيها . وهم على قسط من المهارة بحيث ان الكثيرين منهم يقطعون بسيوفهم الحادة كلة من القطن كما يقطع قالب الزبدة . واحب التمارين اليهم لعب الجريد ، والجريد معناه القصبة ويطلق على كل عصا تقذف باليد : يتسلح الفرسان بهذه الحراب من العصي ويخوضون الميدان ، ثم تنطلق بهم الجياد عدوا فيرمون الجريد عن بعد فاذا ما رمى المهاجم الجريد انثنى فيلحق به من يليه ويرمي الجريد بدوره وتؤاتي الجياد فوارسها مؤاتاة تحسب معها انها في مثل اغتباطهم . على ان هذه الغبطة شديدة المخاطر ، فثمة سواعد ترمي بشدة فتأتي ضرباتها جارحة بل قاتلة (١٥) .

« الهـوامش والتعليقات »

١ ـ لاحظ الصفحة ٦٦٨ من مخطوطة الشيخ محمد مغنيــة حيث تنص على ان حمد البك نفسه قد كلف الشيخ علي سبيتي وطلب منـــه ان ينظم لـه خطابا ليهديه باسمه الى الخليفة العثماني السلطان عبــد المجيد . فنظم لـه السبيتي القصيدة التي يقول فيها :

لنا يوم الخميس واي يـوم   متعنا شوس مصر ان تناما

ثم لاحظ الصفحة ١٠٩ ـ ١٢١ من نفس المخطوطة حيث يبدو واضحا ان علي بك ومحمد بك الاسعد كلفا كلا من الشيخ عبد الله البلاغي والشيخ عـلي سبيتي وصاحب المخطوطة بان يكتب كل منهم (مقلبطـــة) ضد خورشيد باشا المعزول عن ولاية صيدا ليختار البكوات من تلك الصور المكتوبة احسنها انشاء وابلغها عبارة ولفظا في تأدية الغرض .

ثم لاحظ الصفحة ١٩٠ من المخطوطة حيث يقول المؤلف « طلبني عـلي بيك الاسعد الى تبنين فحضرت وقابلته فقال « انه حيث جلس على تخت كرسي الملك صاحب الخلافة السلطان عبد العزيز خان فاحب ان تنظم خطبة عن لساني تهنئه بمنصب الخلافة لاقدمها الى جلالة الملك وقد كنت كلفت شيخنا الشيخ علي سبيتي فعمل خطبة بليغة لغوية منافية لمشرب الزمن على عادة الشيخ يـوم شرح قصيدتنا العينية بكتابه الذي اسماه (العقد المنضد) فانـــه اكثر الشرح وملاءه من اسباب رفع المبتدا والخبر والفعل المضارع ، فجاء كتاب نحو مع ان القصد منه التاريخ وبيان (اغراض) صاحب القصيدة .)

٢ ـ الدبكة : وانما سميت هذه الرقصة الشعبية بالدبكة ، لانها تعتمد في جل حركاتها على رفع ارجل المشتركين فيها سوية وضربها بالارض ضربة واحدة تتكرر وتتفاوت شدة ولينا وكيفا حسب الجو ، وحسب اوزان الاغاني والتواقيع الموسيقية . والدبكة لا تسوغ لديهم الا في اجواء السرور والفرح كجـو الاعياد والاعراس والمفاجاءات السارة . وتبدأ بان يشرع دقاق القصب فـي (دوزنة) الشبابة او الناي او المجوز على لحن خاص مـن الحان الغناء كلحن (دلعونا) او (غزيل) . وعندها يتقاطر المجتمعون من الشباب او من الصبايا او من الجميع الى الاخذ بايدي بعضهم بحيث يشكلون من اصطفافهم يــدا بيــد شبه حلقة يتوسطها دقاق القصب . ثم يأخذون في رقص الدبكة ، فيشرعون في رفع كل

منهم سوية رجلا الى الامام ثم يضربون بها جميعا الارض ضربة واحدة من حيث يرفعون الرلجـ الاخرى الى الوراء بهدوء وينتقلون بها من مكانها الى ما يليها من الارض مع مراعاة التناسق والانسجام في الحركات .

ولا تمضي فترة على هذه الحال حتى تشتد الحماسة والمرح ويشتد قفز الراقصين بأرجلهم جميعا الى اعلى ، ثم يضربونها في الارض ضربتين او ثلاث ضربات قوية متناسقة ثم يعودون سيرتهم . وهكذا تتنوع الحركات والحالات ضمن دوران الصف وتحركه بانتظام .

وكلما تعالت اصوات الغناء البلدي وتناسقت مع الحان (المجوز) او الشبابة تتنوع حركات الدبكة وتتفاوت ضربات الارجل واهتزاز الخصور والاعناق رشاقة وخفة وزهوا .

وكان من محسنات الدبكة ومن مظاهر كمالها في عرفهم ان يكون الذي يقطر على الحاشية ، اي على مقدم الحلقة ويمين الصف ـ شاب معتدل القوام، بهي الطلعة رشيق الحركة سريع الخاطر فصيح اللهجة بارعا في الرقص الشعبي وخصوصا حين يكون بيده سيف او بالة ويكون الشاب القاطر الى جنبه مناسبا له في الطول والرشاقة ومتجاوبا مع حركاته الفنية واشاراته الرمزية (٧) . وما يزيد الدبكة طرافة واناقة وانسجاما التحاق قصارى القامة من الشباب بمؤخرة الحلقة والصف اي ان يقطروا على ما يسمونه (بالجحشة) اي مؤخرة الصف .

فان قصير القامة حين يكون على شيء من خفة الروح وسرعة الخاطر في ملاحظاته ومفارقاته وفي اغانيه وهتافاته يتسنى له من هذا الموقع المتواضع ان يغمر جو الدبكة بفيض من البهجة والسرور ، وان يلفت نظر الناس اليه والى تقدير مكانه وهو على (الجحشة) اكثر مما لو كان بغير هذا المكان من الحلقة كالحاشية التي لا يليق بنظرهم الا لطويل القامة وانيق المظهر .

٣ ـ العمدة : (بفتح العين وتسكين الميم) ، حجر مربع الاطراف يختلف وزنه ـ حسب سن الشباب المتنافسين ومستوى قدرتهم ـ بين ٤٠ و ٦٠ كلغ، يحفر في وسطه حفرة مربعة الجوانب بطول (١١ وعرض ١١ وعمق ١١ سنتي

---

٧ ـ ومن هنا اخذ المثل القائل « خذ المقطع من حاشيتو ، والمنصب من كوخيتو » اذ المراد بالمقطع هنا حلقة الدبكة وبحاشيتو ، الشاب القاطر على راس الحلقة ومستواه في حسن الطلعة واناقة المظهر ورشاقة الحركات ودقتها في الايحاء والانسجام مع الجو كما ان المراد بالمنصب ، الزعيم الاقطاعي وبكاخيتو ، مديره ومستشاره .

متر) ليوضع في قلبه وضعا محكما قطعة مصقولة من عود السنديان تملأ الكف ليسهل على المتنافسين من الشباب نشل ذلك الحجر (العمدة) من الارض الى اعلى الراس والهامة نشلة واحدة يقف بهـــا الناشل منتصب الساعد والذراع والقامة ليشهد له الناس قبل ان يرميها الى الارض لينشلها غيره كما نشلها هو .

٤ ــ القربوس : مقدم سرج الفرس ، حيث يعلـــق طرفا العنان بزردتـه العليـا .

٥ ــ الريشة : صف الخيل المنسق كاصطفاف الريش في جناح الطائر او كاصطفاف الزغب في عمود الريشة الكبيرة من الجناح .

٦ ــ الصائبة : هي مجموعة الفرسان المقابلة لمجموعة مثلها فـــي الطرف الاخر من الميدان سواء كانت منسقة الصفوف او مشوشة بغير نظام .

٧ ــ الجريدة التي يستعملها الفرسان تكون عادة من قضبان الخيزران او من السنديان او الرمان أو من غيرها من القضبان الطويلة الرشيقة .

٨ ــ هذا هو الطراد في السلم ، اما الطراد في الحرب والغزو فلـه معنى آخر في عرفهم وهو بأن ينطلق الهاجمون جماعة او افرادا وراء خصومهم مـن الفرسان حتى يدركونهم فيقتلون من يقتلون منهم ويسلبون وينهبون مـا امكنهم نهبه وسلبه ثم يعودون منتصرين . وقـــد يتغلب عليهم اخصامهم ويقهـرونهم فيعودون مخذولين مشتتين .

٩ ــ لاحظ الصفحة ٣٦٢ من دواني القطوف . للدكتور عيسى اسكنــدر المعلوف .

١٠ ــ اعتمدت في هذا البحث على ما شاهدته صغيرا في الميادين التـي كانت تعمر في بعض المناسبات والاحتفالات الشعبية ثم على ممارستي لركـوب الخيل وتربيتها ثم على ما قراته في الكتب الخاصة كحليـــة الفرسان وشعـار الشجعان لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي ، والعقد الفريد ، لابن عبـد ربه ، ودواني القطوف ، لعيسى اسكندر المعلوف ، وديـوان المتنبـي وديـوان البحتري . وغيرها من الكتب . ثم على ما سمعته كبيرا من السنة اللامعين في الميدان من فرسان الجبل او مـــن العارفين باصول الفروسية وتقاليد الميدان امثال : رضا بك التامر من قرية تولين ، والسيد طعـان خليل مـن عدبسة ، واحمد بك الناصيف من الزرارية والشيخ علي زين من اليا ، ومصطفى المحمود من قرية الحلوسية .

١١ ـ انما ينحدر السرج ويسترسل على رقبة الفرس حين يرث حشوه الداخلي ويتحجر لباده من كثرة الاستعمال ومن الامعان في اهمال تصليحه او تجديده والا فانه حين يكون صالحا وكما ينبغي ان يكون فلا يتزحزح عن مكانه من ظهر الفرس مهما جار عليها العدو والعرق في حرارة الصيف .

١٢ ـ يبالغ الكاتب في تقدير وزن السرج ووزن الركاب ، كما يبالغ في تصويرها باشكال تدعو الى السخرية والهزء . على انني شاهدت مثل هذا السرج والركاب عند بعض المحافظين من اعيان القرى ، وجربتها في غارة الفرس وفي سيرها الطويل . فاذا هي تريح الفارس اكثر من غيرها وتمكنه من تثبيت قدميه وضبط فخذيه وركبتيه . كما تجنبه مغبة الاسترخاء والاعتماد على مقعد السرج حيث يصبح عرضة للاضطراب والارتجاج والسقوط عن ظهر الفرس عندما تسرع به أو تضطرب حركاتها .

اما وزن الركاب المشار اليه فانه لا يختلف عن وزن الركاب الحديدية التي كانت ولم تزل تستعمل في بلادنا ولا يزيد وزن كل منها عن كيلو غرام .

١٣ ـ ان هذه الحلقة لا تضغط على الذقن الا حين تكون صغيرة ضيقة بالنسبة لحجم ذقن الفرس وهذا امر مستنكر في عرفهم لا يرتكبه الا من يجهل امور الخيل وما يناسبها من لجم وعدد وسروج .

١٤ ـ ان الذي يضايق الفرس عند شد اللجام ورجه هو لسان اللجام العربي الذي يمتد من قوسه داخل فم الفرس . لا حلقة اللجام . ولهذا ترى الخيل فاغرة فمها عندما يحبس عليها الفارس بشد اللجام اكثر مما يجب . اذ يرتفع هذا اللجام الى سقف الحلق ويدميه اذا لم تفتح الفرس شدقها .

١٥ ـ صفحة ١١٢ ـ ١١٧ من ثلاثة اعوام في مصر والشام للرحالة (فولني) تعريب ادوار البستاني .

جبشيت علي الزين

للبحث صلة

عائد من بلاد الأمن والأمانة

مشاهدات وانطباعات في السعودية

بقلم: روكس بن زائد العزيزي

نهار الثلاثاء في ١٨/٥/١٩٧٦

أ ــ في مستشفى الملك فيصل التخصصي •
ب ــ في جامعة الرياض •
ج ــ في دارة الملك عبد العزيز !

في المستشفى :

ارى قلمي عاجزا ، عن وصف هذا العمل العظيم الرائع ! الذي يبهر العيون جماله ، ويذهل العقل ما فيه من الدقة ! وكم تمنيت لو كان لي من علوم الطب ما يمكنني ان استوعب ، كل ما ذكر لي عن هذا المستشفى ! فهو يشمل على خمسة وثلاثين قسما ، وقد زرنا هذه الاقسام كلها ، يرافقنا : ويشرح لنا اغراض كل قسم ، الدكتور (روبرت لورنس) البريطاني الجنسية وقال لنا : « ان هذا المستشفى ، لا نظير له في الشرق الاوسط ، اطلاقا ! » وهو يشمل على (٢٥٠) مائتين وخمسين غرفة ، كل غرفة معدة لمريض واحد ، تشتمل على كل وسائل الراحة التي تخطر على الفكر ، وفي كل غرفة :

أ ــ تلفون •
ب ــ تلفزيون •
ج ــ راديو •

وفي كل لحظة يكون المريض تحت اشراف الاطباء والممرضين !

***

زرنا المختبرات العديدة ، وبنك الدم ، واراناا دليلنا الدكتور (روبرت اورنس) سبع غرف للعمليات ، ليكون العمل اسهل .

ومن المعلوم انه لا يقبل في هذا المستشفى الا الحالات التي تعجز عنها المستشفيات الاخرى . وليس المستشفى خاصا بالمملكة فيقبل فيه المرضى من اي قطر كان ، لكن بتوصية من لجنة من الاطباء !..

الاطباء العاملون في هذا المستشفى :

يختار اطباء هذا المستشفى من عباقرة ذوي الاختصاص المجربين ، من العرب ، ومن الاجانب ، فمنهم :

أ ـ اطباء سعوديون .

ب ـ وارادنة ،

ج ـ عراقيون ،

د ـ ولبنانيون ،

هـ ـ وسوريون ،

و ـ ومصريون ،

ز ـ واجانب من جنسيات مختلفة ، وجميعهم من ذوي الخبرة العالية في مجالات اختصاصهم !

***

في جامعة الرياض :

وفي جامعة الرياض استقبلنا امينها العام الدكتور الاستاذ (سالم احمد مباري) وهو رجل يشع الذكاء والحزم من عينيه ، رحب بنا اجمل ترحيب ، وذكر لنا ان الجامعة احد عشر قسما منها معاهد ، ومنها كليات ، وقال ان الجامعة بدأت بهذه الكليات :

أ ـ كلية العلـوم ،

ب ـ كلية الآداب ،

ج ـ الصيدلـــة ،

د ـ كلية الزراعة •

ثم ضمت الى هذه الكليات :

هـ ـ كلية الهندسة ،

و ـ وكلية التربية •

وقد انشأتهما وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع اليونيسكو •

ثم ضم الى الجامعة :

ز ـ كلية الطب ،

ح ـ معهد اللغة العربية لتعليم غير العرب من طلاب الجامعة

ط ـ وكلية طب الاسنان •

لغـة التعليم فـي الجامعة :

وقد ذكر لنا امين الجامعة ان العلوم كلها تدرس باللغة العربية ، لكـن مصطلحات الطب والهندسة ، تلقى باللاتينية ، وقال الاستاذ : « لجأنا الـى هذه الطريقة ، لكي لا نجعل الطالب معزولا عن العالم باستحداث مصطلحات تباعد بين الطالب وما هو معروف في دنيا العلم • وفوق هذا ، فنحن نجعـل اغلب الدروس ، في كلية الطب وكلية الهندسة باللغة الانكليزية ـ لان العلم لا تعصب فيه ـ

***

مكافـآت الطـلاب :

تصرف للطالب مكافأة شهرية مقدارها اربعمة وخمسون ريالا سعوديـا ما عدا مجانية التعليم ، وما عدا المسكن المجانـي ، والمواصلات المجانيـة ،

والكتب التي تحصيها الجامعة لطلابها بأثمان رمزية ــ اي بربع الثمن الاصلي للكتـــاب •

اما ما يحتاج اليه الطالب من ادوات خاصة بفنه ، فتؤمن لــه مجانــا ، وتهدى اليه عند تخرجه ؛ والمعروف ان طالب اية كلية ، لا يتخرج الا ويكون عنده مكتبة خاصة به تساعده في بحوثه ، بدائرة اختصاصه ، وفـــي سنــة التخرج يمنح الطالب مكافأة محترمة مقطوعة لتأمين بحثه •

❊ ❊ ❊

رحلات طلاب الجامعة :

تنظم الجامعة لطلابها رحلات لكل اقطار العالم ، تدريبا لهم في :

أ ــ الطـــب ،

ب ــ الصيدلة ،

ج ــ الهندسة ،

د ــ العلـــوم ،

هـ ــ والتجـــارة •

مشروع الجامعة على خط الدرعية :

سألنا الاستاذ عن مشروع رأيناه ونحن في طريقنا الـى (الدرعيـــة) ، فأجاب : « ان مشروع جامعة الرياض على خط الدرعية ، هو اكبـــر مشروع تعليمي ينفذ كاملا في العالم ؛ لان المشروع يضم كـــــل اقسام الجامعــــة ومعاهدها ، وكلياتها ؛ وسيتم تنفيذه ــ باذن الله ــ في غضون ست سنوات•

الفتـــاة والجامعـة :

قلت : « هل يسمح للفتاة السعودية ان تتابع دراستها فـــي الجامعة ؟ » أجاب : « ان الفتاة لا تحرم من التعليم الجامعي ، لكنها لا تنتظم في الدراسة مع الطلاب • بل تقبل الفتيات انتسابا ، ويقدمن للامتحان ، وينلن درجاتهـــن

العلمية . والنية متجهة ، لانشاء جامعة خاصة بالاناث . والطلاب عندنا صنفان :

أ ــ طلاب المنح ــ جمع منحة ــ

ب ــ وطلاب الإنتساب .

وطلاب المنح يعاملون كالطلاب السعوديين بلا اقل تمييز . اما طلاب الانتساب ، فليس لهم مكافآت مالية .

هـ ــ دارة الملك عبد العزيز :

دارة الملك عبد العزيز ، هي ارقى المجلات ، وقد صدر منها خمسة اعداد ، لانها دورية تصدر كل ثلاثة أشهر مرة .

هيئه تحريرها مؤلفة من :

أ ــ الاستاذ عبد الله بن خميس .

ب ــ الدكتور منصور الحازمي .

ج ــ والاستاذ عبد الله بن ادريس رئيس المجلس الاعلى لرعاية العلوم والآداب والفنون .

ورئيس تحريرها هو الاستاذ الكبير محمد حسين زيدان .
وسكرتير التحرير الاستاذ عبد الله الماجد .

***

في المكتبة المركزية :

رافقنا الاستاذ (سليمان الدغيم) مدير العلاقات العامة في الجامعة الى المكتبة المركزية ، فلقينا أمينها الدكتور العالم (احمد الضبيب) ومساعده الدكتور (ناجي ناصر) ويسمون المساعد وكيل العميد ، فاستقبلنا باللطف الذي ركب في دم كل سعودي مسؤول ، وتواضع نادر !

فذكر لنا ان المكتبة تضم (٣٥٠) ثلثمئة وخمسين الف مجلد مطبوع اما المخطوطات فثلاثة آلاف وخمسمئة . وتنظيم المكتبة على طريقة ديوي ، ويؤم المكتبة يوميا من (٧٠٠) الى (٨٠٠) قارىء ، وتفتح المكتبة ابوابها من الساعة السابعة ونصف الثامنة صباحا ، الى الساعة الثانية عشرة ونصف الواحدة ليلا !

وقسم المخطوطات منفصل عن قسم الكتب المطبوعة ، وفيه آلات تصوير حديثة مذهلة حقا ، والقوم جادون في تصوير المخطوطات ، بهمة لا تعرف التواني ، ولا التراخي .

عمان ـ الاردن روكس العزيزي

ـ المكتبة الصغيرة ـ

الاديب الكبير الاستاذ عبد العزيز الرفاعي الذي يقوم على أصدار المكتبة الصغيرة منها ما هو من تأليفه ومنها ما هو من تأليف غيره مجاهد في سبيل الادب والثقافة لان هذه المكتبة وان كانت صغيرة في حجمها : فهي كبيرة في معناها ومبناها ، ويدرك القاريء ذلك من عناوين اخر ما وصلنا منها:

١ ـ ضرار بن الازور الشاعر ، الصحابي ، الفارسي .

٢ ـ الحج في الادب العربي .

٣ ـ من امهات الكتب العربية .

٤ ـ من أجل الشباب ٥ ـ سوق عكاظ .

كل هذا باقلام كتاب ادباء مشاهير .

فنتمنى لهذه المكتبة الصمود والانتشار والازدهار .

داود القرم
(١٨٥٢ ــ ١٩٣٠)

بقلم : فوزي سابا

هو داود ابن الشدياق سمعان القرم ولد في غوسطا سنة ١٨٥٢ ثم انتقل ابوه الى غزير بلدة امه . وقد ولد موهوبا في الرسم فمنذ الصغر كان يرسم على الصخور في ضواحي غزير طيورا وحيوانات وغيرها من المناظر حتى اشتهر أمره .

وحدث ان بعض الآباء اليسوعيين الذين كانوا قد أسسوا آنذاك مدرسة في غزير ، شاهدوا هذه الرسوم فأعجبوا بدقتها وجمالها فسألوا عن صاحبها ، ولما عرفوا ان صاحبها فتى في العاشرة من عمره دهشوا ثم سألوه اذا كان يرغب بأن يعلم الرسم في مدرستهم فقبل طلبهم مشترطا ان يعلموه هم في المقابل اللغات ، وهكذا تم الاتفاق واصبح الفتى ابن العاشرة من عمره ، داود القرم استاذ الرسم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير .

نجح داود القرم في مهمته واشتهر ، وبما انه لم يكن يجد الالوان المطلوبة فقد كان يسحق اجزاءها بنفسه ويمزجها حتى تصبح موافقة للون المطلوب فيرسم بها على القماش كأي رسام كبير ، ولما لقيت رسومه هذه اقبالا عليها سافر سنة ١٨٧٠ الى روما للتخصص في الرسم .

كان في الثامنة عشرة من عمره عندما قصد الرسام الايطالسي الشهير ، روبرتو بومبياني ، اكبر امراء هذا الفن في العالم والرسام الخاص لملك ايطاليا .

لم يكن اتصال داود القرم بالرسام الايطالي الكبير سهلا ، لولا الحادث التالي :

كان داود القرم قد حمل معه الى روما بعض الرسوم الجميلة عن لبنان ليعرضها على الرسام العالمي ـ روبرتو بومبياني ـ الذي قرر ان يتتلمذ عليه؛ ولما وصل الى روما حاول يقابله مرة بعد مرة ، فلم يستطع فقد كان الخدم يمنعونه من الدخول الى الدار لكنه لم ييأس وثابر على طلب المقابلة ، وذات يوم وقد ألح بالطلب تجادل مع الخدم فانتزعوا منه رسومه ورموا بها أرضا مما احدث ضجة كبيرة استدعت انتباه الرسام الايطالي فخرج مستفسرا عن اسبابها فلما رأى الرسوم الملقاة على الارض اعجب بها ، وجمعها بنفسه ثم دعا داود القرم للدخول الى الدار ، بعدما قرر ان يتخذه تلميذا له دون سواه .

قضى داود القرم خمس سنوات في ايطاليا يتردد خلالها على اكبر معاهد الرسم فيها كمدرسة القديس لوقا ، ونادي الويدجي والاكاديمية الملكية فنال شهادات هذه المدارس العالية ، وبلغت شهرته قداسة البابا بيوس التاسع فاستدعاه الى الفاتيكان ليرسمه ، مما احدث ضجة كبيرة بين الرسامين الايطاليين ونقموا على هذا اللبناني الشاب لانه تفوق عليهم في بلادهم موطن الفنون الجميلة .

بعد هذا النجاح الباهر أصبح داود القرم الرسام الخاص بالعائلة المالكة البلجيكية ، زمن الملك ليوبولد الثاني ؛ لكنه فضل العودة الى لبنان فسكن بيروت وافتتح فيها مشغلا ، تقاطر عليه الوجهاء والحكام كمتصرفي لبنان وولاة سوريا وغيرهم من النافذين والاثرياء .

سنة ١٨٨٧ سافر الى الاسكندرية ، وكانت شهرته قد سبقته الى مصر ، فرسم عدة لوحات لمختار باشا الغازي ، المعتمد العثماني هناك . ولاسرة الخديوي توفيق الاول ولكبار الاعيان والامراء ثم عاد الى لبنان ؛ لكن الخديوي عباس الثاني دعاه سنة ١٨٤٩ الى مصر ليرسمه ، فلبى طلبه ورسم له صورة جاءت آية في الاتقان ، كذلك رسم المركيز ـ دي ريفرسو ـ سفير فرنسا في القاهرة فنالت لوحته هذه شهرة كبيرة ، حملت الجالية الفرنسية على عرضها في قاعة الشرف في النادي الفرنسي .

لم تقتصر اعمال داود القرم الفنية على رسم كبار الشخصيات الوطنية والعالمية ، بل زين كنائس لبنان بتحفه الرائعة حتى قيل ان هذه الكنائس اصبحت متاحف لاعماله .

من الامثلة العديدة على نبوغ داود القرم ، انه وقد تجاوز الثمانين من العمر ، كان يرسم صورة القديسين سركيس وباخوس وهما ممتطيان جوادهما ، على لوحة طولها ستة اذرع ، ولما وصل الى القسم الاعلى من اللوحة لم يستطع الصعود على السلم لضعفه وشيخوخته فقلبها رأسا على عقب واكملها وكان ذلك قبل وفاته بقليل في السادس من حزيران سنة ١٩٣٠ .

كم من شبه بين طفولة داود القرم وطفولة ميشال انج ، هذا كان يملأ بلاط منزله بما يرسمه عليه بالفحم فيثير غضب أمه ، وداود القرم استعان بالصخور يرسم عليها الاشكال التي تروقه ، كذلك تقارب الاثنان في العمر الذي نالا به الشهرة ، وكذلك اتتاجهما ، ليس من حيث الكلاسيكية وحسب بل ومن اعطاء الحيوية لانتاجهما ولئن جاز لميشال انج ان يطلب من تمثال موسى ان ينطق فرسوم داود القرم لها وشائج مع هذا النطق الصامت ، بعدما ظهرت عليها التأثيرات والانطباعات جلية واضحة حتى لكأنه دخل الى البواطن واستل منها اسرارها ثم ابرزها على ملامح اصحابها .

مع هذا الصفاء الذهني ، تحلل لدى داود القرم مميز الالوان الذي تألقت به لوحاته في تمازج معبر عن الفكر ، حتى ليصح فيها الرأي القائل « ان الطبيعة تقلد الفنان » .

متى عرفنا ان اللون له المركز الاكبر في الرسم ليس بما يضفيه على الشكل وحسب بل ومن حيث ــ خلفية الصورة ــ التي تفرق عملا عن عمل وتميز الرسم عن التصوير الشمسي .

داود القرم ، جلا هذه الناحية فأعطاها ما لم يعطها غيره ، فمن الالوان والتعرف اليها والى كيميائها ذكرنا انه كان يخرجها بنفسه ، اما من حيث المنطلق البصري فالذي له من آفاق لبنان مناخ لا تحد آفاقه .

في هذا الثراء الفني ، عمل داود القرم واتتج الروائع من رسوم زال هو وما زالت تتحدث عن نبوغه .

داود القرم رائد الرسم في شرقنا وكفاه ان من تلاميذه حبيب سرور ، كبير الرسامين وصاحب اكبر مدرسة لهذا الفن في شرقنا .

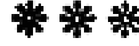
اللورد بايرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤)

بقلم : سمير شيخاني

كان ما يزال يرتدي الثوب النسائي عندما اشترك في اول شجار • فقد وبخته مربيته لانه وسخ ثوبه الجديد • فاعتراه غضب شديد ، وأمسك ثوبه بيديه الصغيرتين ، ومزقه من أعلى الى أسفل ، ثم اندفع نحو المربية وراح يوسعها ضربا ولكما ، ويصيبها بخدوش ، حتى اضطرت الى الاستغاثة وطلب النجدة • لقد خاض في طفولته سبع معارك ، انتصر في ست منها •

وزث جورج غوردون بايرون طبعه الحاد النزق هذا من طرفي أسرته كليهما • فعم أبيه قتل رجلا في شجار جرى في احدى الحانات • وعنه ورث لقب لورد وهو في العاشرة من عمره • ووالده فر بزوجته الاولى ليتزوجها من غير موافقة ابويها ، ثم فر منها فيما بعد ، وأنفق اموال زوجته الثانية على الشراب ، ثم هجرها ، وذهب ليموت في الخارج • وكانت هذه الزوجة الثانية ، والدة بايرون ، غرة ، ولها الحق بأن تكون كذلك • وكانت في سورات غضبها تمزق قبعاتها واثوابها • وعندما كان بايرون يقوم بعمل مزعج او مثير كانت ترميه بآنية الزهر ، ومجارف الموقد ، وتدعوه « الطفل المزعج الاعرج » • وكانت هذه الاهانة تسبب له دائما الغيظ الذي يعمي • ذلك بأنه كان شديد الحساسية بالنسبة الى قدمه المشوهة خلقة • وفي ذات يوم ، عندما رمته أمه بهذه العبارة الكريهة ، رفع مدية الى عنقه ، وكاد ينحر نفسه لو لم ينقذوه بصعوبة • وخلال شجار آخر ، هدد كل منهما الآخر بالقضاء على حياته ، وذهب سرا الى الصيدلية ليتأكد من ان الآخر لم يأت اليها لشراء السم •

الحيوان الصغير العنيف في غابة أسرة مشاغبة ــ هكذا كان جيرانهم ينظرون الى اللورد بايرون الشاب !••



ان حياة رجل فيه مثل هذه المجموعة المتنوعة من العواطف والانفعالات كان ينبغي ان تكون عاصفة • وهو القائل : « لو انني ولدت ، كما تقول المربيات ، وفي فمي ملعقة من فضة ، فقد توقفت هذه الملعقة في أرزي وأفسدت حلقي ، بحيث لم يعد بوسعي ابتلاع اي شيء بتلذذ واستمتاع ما لم يكن فلفلا احمر » • وقد كان دائم النهم الى توابل الحياة الحريفة • ففي الثامنة من عمره عرف حبه الاول • وقد وصفه ذلك بقوله : « ان شقائي وحبي لتلك الفتاة كانا من العنف بحيث انني أشك أحيانا في ان أكون قد أحببت حقا مذ ذاك • وعندما سمعت أنها تزوجت كدت أصاب بالتشنج » • وفي الثانية عشرة احب ثانية ــ وهذه المرة كانت ابنة عمه مرغريت باركو • ولكنها قضت بداء السل ، فكانت وفاتها تقريبا نهاية حياته •

لم يكن بايرون ليتحمل الالم الفكري والنفسي المبرح ، مع انه امام الالم الجسدي كان شجاعة شجاعة الرواقيين الذين كانوا يقولون بأن الرجل الحكيم يجب ان يتحرر من الانفعال ولا يتأثر بالفرح أو الترح ، وان يخضع من غير تذمر لحكم الضرورة القاهرة •

وللتعويض عن العرج في رجله ، عمد الى تقوية سائر أعضاء جسمه بالتمارين الرياضية القاسية • فركب الخيل ، ومارس الملاكمة ، ولعب الشيش ، والرماية بالمسدس ، والسباحة • حتى أنه أصبح من أفضل السابحين في انكلترا ، وأحد أكثر الشبان وسامة ، بحيث وصف بأنه نصف اله ونصف انسان ــ شيطاني على الغالب ــ على حد تعبيره الساخر •

كان يتمعض من عاهته ، ويعتز بجماله ، حتى أنه كان يقضي أياما بطولها من دون طعام محافظة منه على نحافة جسمه ــ مكتفيا ببضع قطع من

البسكويت ، وبمضغ العلكة المسك للتخفيف من شهيته . الا انه بعد هذه الحمية ، والتجويع الاختياري ، كان يساير قابليته ونهمه ، فيلتهم من الطعام ما لذ وطاب دونما اي حساب .



في التاسعة عشرة ، عندما كان بايرون طالبا في كلية ترينيتي ، نشر مجموعته الشعرية الاولى « ساعات الفراغ » سنة ١٨٠٧ ، فاستقبلها النقاد بفتور أقرب ما يكون الى العداوة . فكان رده الساخر على الذين هاجموا ديوانه قصيد تهكمية بعنوان « شعراء بريطانيون ومراجعون اسكتلنديون . ثبتت مكانته الادبية .

وبعد ان شفى غليله من هؤلاء « المجانين » ، نفض قدميه من تراب انكلترا ، ورحل الى القارة الاوروبية التي عاد منها حاملا نشيدتين من ملحمته الشهيرة « تشايلد هارولد » ، فنشرها سنة ١٨١٢ ، ولاقت رواجا منقطع النظير . وكان تأثيرها ـ على حد قول كاتب سيرته طوم مور ـ مكهربا . وأوجز بايرون نفسه هذا الترحيب العفوي بعبقريته بهذه العبارة الموجزة المحكمة : « استيقظت ذات صباح فوجدت نفسي شهيرا » . وكان ذلك اختبارا وجد بايرون فيه كل متعة ـ وهو ان تعبده الجماهير التي يكرهها . وهو القائل في وصف المجتمع : « اني اشمئز من مجتمع يصوغ عبارات ويقضي على الرجال » .

وفاجأ بايرون الجمهور بمفاجأة ثانية ، هي زواجه الذي يلاحظ هو نفسه بسخرية انه كان مفاجأ حتى له . ففي سنة ١٨١٥ اقترن بالآنسة ملبانك ، فرزق منها ابنة . ولكنهما انفصلا بعد حوالي سنة من زواجهما . ذلك بأنه لم يكن من النوع الذي يحب الاستقرار والحياة العائلية . حتى ان بداية شهر العسل كانت مشؤومة . فبعد مراسم الزفاف ، ولدى ترجلهما من العربة قال الشاعر لعروسه : « أنت الآن زوجتي ، وهذا يكفي لكي أكرهك . ولكن لو كنت زوجة أحد آخر ، فان ذلك كاف لكي أحبك ! » ولكن هذا

النوع من المزاح الساخر لم يرق اللايدي بايرون ذات العقلية العملية • وشكت في صحته قواه العقلية • وظل هذا الشك يساورها ويزداد مع الايام ، حتى كان يوم أجبرته فيه على زيارة الطبيب لفحصه • فلما اكد لها الطبيب انه يتمتع بصحة عقلية سليمة ، كان ردها : « يمكن ان يكون سليما عقليا ، ولكنه مجنون أخلاقيا ! » وتراكمت عليه المشاكل ، الى جانب مشاكله العائلية ، فهجر انكلترا مجددا ـ ولكن الى الابد هذه المرة !

كان رحيله حدثا عاما • فبينما كان يسير باتجاه السفينة في ميناء دوفر ، اضطر للمروريين حشد كبير من أفراد الطبقة الارستقراطية ، رجالا ونساء ، جاؤوا يتفرجون على رحيل الوغد الذي لعنوه وأعجبوا به • وأبحرت السفينة في القنال الانكليزي ، فهبت عليها ريح شديدة ، ما لبثت ان تحولت الى عاصفة هوجاء كادت تغرق السفينة وتلقيها على الصخور • ودب الهلع الى قلوب الركاب ، وراحوا يقبلون سبحاتهم ، ولم يبق غير بايرون محتفظا برباطة جأشه • وقد قال للمناسبة : « لقد ولدنا جميعا لنموت • أما بالنسبة الي فانني سأرحل وسط الندم ، ولكن ليس وسط الخوف ، بالتأكيد » •

الا ان الوقت لم يكن قد حان بعد لذهابه • فقد تغلبت السفينة على العاصفة ، ووصلت سالمة الى كاليه في فرنسا • وما هي الا بضعة أيام حتى وصل بايرون الى جينيف ، فلما سجل اسمه في « فندق انكلترا » هناك ، كتب تجاه كلمة « السن » ـ مئة !

وكان كل نزلاء الفندق يتلهفون لرؤية هذا الانكليزي الشاب الشيطاني ـ الشاب في عمره ، والعجوز في خبرته • سوى ان بايرون لم يكن لديه متسع من الوقت للمعجبين به • ذلك بأنه كان على موعد مع حبيبة جديدة هي كلير غودوين ، اخت زوجة الشاعر شيللي • فقد كتبت اليه رسالة تطلب فيها منه تعيين موعد للقاء ، قائلة : « ان امرأة غريبة كليا عنك تسمح لنفسها بالتوجه اليك ••• لعله يبدو تأكيدا غريبا ، ولكن ذلك لا يقلل من صحته ، فأنا أضع سعادتي بين يديك ••• اعلم انك لك شهرة في الجنون ، وانك شرير ، وخطر ، ولكن لا بأس ، فأنت تمسك بقدري ••» •

في بادىء الامر رفض بايرون طلبها . ولكنه استسلم أخيرا . وكانت جينيف مكان اللقاء .

وقابلها ، فكرهها ، وأحبها ، ثم نبذها . وقد أنجب هذا الغرام المشؤوم فتاة هي كلارا آليغرا ، وضعت في أحد الاديرة ، ولكنها توفيت في سن الخامسة . وشاء والدها ان يدفنها في كنيسة هارو ، ولكن رفض طلبه لان لا مكان للاطفال غير الشرعيين بين المؤمنين . وهكذا أبعدت عن مجتمع الاموات، كما أكره أبوها على البقاء بعيدا عن مجتمع الاحياء .

وفي جينيف التقى بايرون الشاعر الآخر شيللي الذي كان ، مثله ، متناقضا في شخصيته . ولكن تناقض شيللي كان من نوع مختلف ، فلقد كان روحا ضل طريقه من روعة الجبال المشرقة الى ظلال الوادي . كان يبحث عن النور ، ويتوق الى التنفس في عالم وجد نفسه فيه غريبا . ومثل بايرون كان غريبا غير مرحب به . وباتا صديقين حميمين . كان بايرون معجب بشيللي ويرثي له بسبب بساطته . وكان شيللي يعبد بايرون ويرثي له بسبب فساده وانحرافه .

بايرون وشيللي ـ ثائران على العالم . ولكن في حين كان شيللي منارة ، كان بايرون دوامة من العواطف . لم يكن ليستطيع التخلص من تململه ، وقلقه ، ومن طبعه الحاد النزق ، ومن جوعه الشديد للاختبار . وهو يعترف في كتابه الشعري « مانفريد » بقوله : « أنا لا استطيع ان أروض طبيعتي » . لقد كان دائما يبحث عن الاثارات الجديدة ، والمناظر الجديدة ، والعشيقات الجديدة ، والمخاطر الجديدة ، وتعددت وقائعه الغرامية المحرمة في مختلف الاوساط بدءا بالطبقة الارستقراطية ، ومرورا بالعاديات من بنات حواء ، وانتهاء بالساقطات منهن . فالحياة في عرفه ينبغي ان تتحول الى قصف ولهو معربد من النسيان ، والعالم الاقل بعثا على الرضا هو احتفال صاخب مخمور قصير ، وهو القائل : سأستثمر منجم شبابي حتى آخر عرق من المعدن ، وبعد ذلك ، عمتم مساء ! » .

وكان آخر عرق من المعدن في شخص الكونيسة تيريزا غويتشيولي • فقد كان ذهب سنة ١٨١٨ مع شيللي وزوجته للعيش في مدينة البندقية (فينيسيا) الايطالية ــ وكانت مرحلة أخرى من مراحل رحلتهما فرارا من نفسيهما • وفي احدى حفلات الاستقبال هناك تعرف الى هذه الحسناء الشابة ، وكانت زوجة الكونت غيتشيولي ، أحد نبلاء تسكانيا ، وكان في سن والدها ، فوقعت في حب بايرون ، وبادلها هو هذا الحب العنيف • وخيل له انه وجد أخيرا السعادة التي طالما نشدها طوال حياته • وكانت الكونتيس رائعة الحسن ، وسخية ، وحمقاء ــ الخصائص الثلاث التي تحول المرأة الى العاشقة المثالية • وكان قصر آل غيتشيولي الفخم في مدينة رافينا ، حيث كانا يعيشان ، المكان الافضل لتلك العلاقة العاطفية الرومنطقية •

وكان ثمة دائما الخطر المثير الذي لم يكن ليخيف بايرون ، ولم يكن هذا الخطر من ناحية الكونت غيتشيولي ، بل من الشرطة • فقد علم رجال الشرطة انه يتآمر من أجل تحرير ايطاليا • فراقبوا القصر ، وهددوه بالاعتقال ، حتى أنهم ألمحوا الى اغتياله • غير ان كل ذلك الاضطراب لم يكن الا ليضيف التوابل الى مأدبة حياته في رافينا ، لم يكن يخشى الموت ، « نحن آل بايرون نقضي في شرخ الشباب • ولكن ما دمنا في قيد الحياة ، فان صيحتنا هي « الى الامام » ••• ماذا تعني الذات ؟ ليس للفرد ، ولا ملايين الاشخاص أي قيمة ، انما روح الحرية هي التي يحسب لها حساب !•• » •

وكانت أيامه ولياليه غير منتظمة بقدر ما كانت مثيرة • يستيقظ عند الظهر ، فيتناول افطاره في الثانية ، ويقضي ما تبقى من فترة ما بعد الظهر في ركوب الخيل ، او الرماية بالمسدس ، او في نظم الشعر • ثم يتعشى في الثامنة مساء ، ويمضي بقية الليل متحدثا الى شيللي ، او في لقاء رفاقه من المتآمرين ، مخططا لتحرير البشرية • وقد اعتاد ألا يأوي الى فراشه للنوم الا في السادسة صباحا •

كان يكتب ، كما كان يعيش ، بسرعة انفعالية ولاهثة • وقلما كان يصحح ما يكتب « لا يسعني ان أعيد صياغة أي شيء ، أنا كالنمر • فاذا

أخطأت الينبوع الاول ، فانني أعود متذمرا الى الغابة من جديد . ولكنني اذا ما فعلت ذلك ، فانه يكون أمرا ساحقا ! » .

وغالبا ما كان ينجح في ذلك ، ولكنه كان أمرا ساحقا فقد سحق تقاليد الجمهور ، وطعن في آرائهم ومعتقداتهم الخرافية ، وصدمهم في شراء كتبه . وجعلهم يحمرون خجلا لدى اطلاعهم على مضامينها ، ثم جعلهم يتباعونها لاصدقائهم ، ففي يوم واحد وحسب التهم الجمهور ثلاثين ألف نسخة من قصيدته الطويلة « القرصان » التي لم تتطلب منه كتابتها غير عشرة أيام . وكانت سائر كتبه مثل « القرصان » من حيث الرواج العفوي والشهرة من مثل « سجين شيون » ، و « مانفريد » ، و « نحيب تاسو » ، و « مازيبا » وبعض المسرحيات . سوى ان أشهر كتبه على الاطلاق ، كان « دون جوان » ـ الكتاب الشعري الاكثر بايرونية بينها ـ وهو ملحمة هجائية نظمها خلال اقامته تلك الايام العاصفة في قصر آل غيتشيولي ، ويقول المؤرخ والناقد الفرنسي « تين » عن هذا الكتاب الذي هو كسائر كتبه قصة شعرية خيالية عن مغامرات بايرون الجسدية والفكرية ، ومزيجا من مليحه ونكاته المغرورة الضحلة والحكمة السامية : « انه عقد من اللآلىء الشرقية على الرغم من ادخال بعض الخرز الزجاجي غير الضروري في بعض الاحيان » .

فبطل « دون جوان » ، مثل بايرون تماما ، يكافح بيأس ضد المعاكسات الهائلة ـ الحقد ، الظلم ، الطغيان ، الاضطهاد ، الحرب . ولعل غاية بايرون الرئيسية في كتابته هذه الملحمة الشعرية ـ مثله في ذلك مثله في سائر كتبه ـ اصابة العالم بصدمة التفكير . فعلى الرغم من تشكيكه بكل شيء ، كان يؤمن ايمانا حارا بقوة الكلمة . وهو القائل :

« ... ذلك بأن الكلمات ، ونقطة حبر صغيرة
تسقط ، كالندى ، على فكر ، تحدث
ما يجعل الآلاف ، ربما الملايين ، يفكرون » .

فالكلمة تجعلك تفكر ، والتفكير سيحررك !

***

كان حب الحرية النبرة المسيطرة في شخصية بايرون . ففي قلقه المستمر، وسعيه الدائب وراء المغامرات الجديدة ، والقضايا الجديدة ، اندفع بكليته ، وبكل مشاعره وأحاسيسه وسط المعركة اليونانية من أجل الاستقلال والتحرر من السيطرة التركية . فسافر الى اليونان سنة ١٨٢٣ ، وكان عمله رائعا في تنظيم الكفاح ، وتبرع بمبلغ خمسين ألف دولار لليونانيين ، ثم قدم اليهم أثمن هدية في وسعه تقديمها ــ حياته ! فقد انخرط في الجيش اليوناني في بداية ١٨٢٤ ، ولكنه بعد ثلاثة أشهر أصيب بالحمى فتوفي في ١٩ نيسان في ميسولونغي ، آخر الحصون اليونانية . وكان في السادسة والثلاثين من عمره !

لقد تلقى بايرون نصف الضربات . ومع أنه لم يعش لكي يرى نهاية النزاع ، الا ا نتضحيته كانت كافية . ذلك بأن الدول الاوروبية ، وبخاصة فرنسا ، اهتزت كما بالكهرباء ، بفعل قدوته . فتدفق المال والرجال ــ من انكلترا ، وفرنسا ، وروسيا ــ الى البلاد المكافحة ، وبعد ثلاث سنوات من وفا بايرون انتصر اليونانيون وحققوا استقلالهم !

***

وبعد ، فاللورد بايرون ، شاعر القوة ، والعاطفة ، والظرف ، هو في طليعة شعراء القرن التاسع عشر الذين تحولوا من الكلاسيكية الى الاشكال الحديثة التي تتميز بالتعبير الحر ، وبروز الشخصية الفردية ، والتأثر الشديد العميق بجمال الطبيعة .

ذاعت شهرته في فرنسا ، وكانت قصائده مصدر وحي للكثيرين من الكتاب والرسامين الذين أنصفوه اكثر من زملائه البريطانيين .

وكان اللورد بايرون قوي الذاكرة ، يمكنه ترديد كل ما نظم حرفا حرفا ، في حين كان الشاعر السر ولترسكوت ضعيف الذاكرة الى حد بعيد . ومن طريف ما يؤثر عن هذا الاخير في هذا الصدد ، أنه أطرى يوما قصيدة من نظمه ظنا منه انها للورد بايرون .

كتب جديدة

بمناسبة صدور الجزء السابع من الموسوعة الموجزة
للاستاذ حسان الكاتب

لماذا يحتاج الطالب الى الموسوعة الثقافية ؟
حسان الكاتب والجهد الموسوعي

بقلم : ياسر الفهد



تلعب الموسوعات بمختلف أنواعها كما هو معروف دورا كبير الاهمية في دفع عجلة التطور الثقافي ورفد ينابيع العلم والمعرفة . وقد نشطت حركة اصدار الموسوعات العربية منذ أوائل السبعينات فظهرت ـ المعرفة ـ الموسوعة الموجزة ـ عالم المرأة ـ الهدف ـ الموسوعة الالكترونية .. الخ) بعد ان كانت المكتبة العربية تفتقر بدرجة كبيرة الى مثل هذه الدرر الثمينة . والموسوعات على نوعين منها الاختصاصية وتعنى بجانب واحد محدد من جوانب الثقافة كالموسوعات العلمية او الادبية او السياسية .. الخ، ومنها الثقافية العامة التي تضرب في شتى ضروب المعرفة فتأخذ من كل علم بقسط ومن كل فن بطرف . وكمثال على النوع الاول الموسوعة العلمية الاختصاصية في علوم الحاسبات الالكترونية . وقد صدرت مؤخرا عن الجهاز المركزي للاحصاء في القاهرة . وتضم ما يقارب (٢٥٠٠) تعريف علمي للمصطلحات المستعملة في الآلات الالكترونية وهي مزودة بمجموعة كبيرة من الرسوم الهندسية والصور والاشكال التوضيحية . أما النوع الثاني فتمثله الموسوعة الموجزة التي ما زال الاستاذ حسان الكاتب يعكف على اصدارها دون كلل على اجزاء منذ ستة أعوام . وهي عبارة عن موسوعة في المعارف الانسانية مبوبة حسب الحروف الهجائية وتتناول العلم والادب والاجتماع

والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والفلك والدين والتربية والقانون والفلسفة.. الخ فهي لا تترك جانبا من جوانب المعرفة الا وتطرقه ولا تلقى فرعا من فروع الثقافة الا وتتصدى له لذلك نجدها تزخر بكل ما يهم المثقف من معلومات وثائقية عربية وعالمية . وقد صدرت الموسوعة في دمشق على أجزاء متوافقة مع أحرف الهجاء ، كل جزء لحرف . وتقع كل أربعة أجزاء في مجلد : صدر الجزء الاول في عام ١٩٧١ والثاني في أواخر العام نفسه ، والثالث في النصف الاول من عام ١٩٧٢ والرابع في النصف الثاني منه ؛ والخامس في عام ١٩٧٣ ؛ والسادس في عام ١٩٧٤ . أما السابع فقد صدر في النصف الاول من شهر كانون اول عام ١٩٧٦ .

ومثل هذه الموسوعات الثقافية مفيد للمثقفين الاكاديميين والعاديين على حد سواء . ولكنها مفيدة بشكل خاص للطلاب في جميع المستويات الدراسية ؛ المدرسية منها والجامعة ، فهي مرجع دراسي وثائقي لا غنى للطالب عنه ؛ يرجع اليه في كل ما يجعله ويستعصي على علمه انها مصدر ثقافي ضروري لهذا الطالب في دراسته العامة ضرورة القاموس اللغوي له في دراسته اللغوية .

هذه الموسوعة القيمة هي حصيلة جهد فرد واحد . وهنا يكمن سر اهتمامنا الخاص بها فالموسوعات عادة لا تستطيع اصدارها الا الوزارات والمؤسسات الثقافية والمجامع العلمية . واذا أفلح انسان واحد دؤوب من القطر العربي السوري في التصدي لمثل هذا العمل الكبير فان من واجب الهيئات المختصة دعم هذا الجهد وتشجيعه ؛ وبما ان الموسوعة الثقافية الموجزة تنطوي على فائدة ثقافية خاصة بالنسبة لطلاب المدارس والجامعات فان وزارة التربية والجامعات السورية بشكل خاص مدعوة الى احتضانها ورعايتها فهي مرجع ثقافي دراسي من الطراز الاول تمد الطالب بكل ما يحتاجه من معلومات وارقام وحقائق في جميع جوانب الثقافة .

ياسر الفهد

خراب سنحريب

بقلم : لورد بايرون
ترجمة : عيسى فتوح

زحف الآشوريون كذئب في زريبة
كانت كتائبهم تتألق بالذهب والارجوان
وحرابهم تبرق كنجوم فوق البحـر
عندما تتدحرج الموجة الزرقاء ليلا على جبال الجليل الصامتة .

* * *

كأوراق غابة عندما يكون الصيف أخضر
لاحت رايات ذلك الصيف ، والشمس رأد الاصيل
كأوراق غابة يلهث الربيع في أعطافها
ذبلوا في الصباح ، وتفرقوا في كل مجهل .

* * *

لان ملاك الموت بسط جناحيه مع الريح
وتنفس في وجه ذلك العدو حالما عبر
أفرخت أعين النائمين موتـا وقشعريرة
واضطربت قلوبهم دفعة واحدة ، وسكنت الى الابد .

* * *

هنا ... تهالك حصان بخيشومه العريض
يحبس فيه أنفاس العجب والكبرياء
وتغطي رغوة أنفاسه البيضاء الارض المعشبة

بارد كرشاش أمواج الشاطىء تتكسر على الصخور .

***

وهناك ... تهاوى فارس شاحبا مشوها
وقد بلل الندى حاجبيه ، وأكل الصدأ سلاحه
كانت الخيام كلها ساكنة ، والاعلام وحيدة
وليس ثمة من يشهر الحراب ، او ينفخ في الابواق .

***

نوافذ آشور تعج بالصراخ والعويل
اصنامهم محطمة في معبد بعل
وقوى « آلهتهم » انهارت بحد السيف
وذابت كما الثلج بلمحة من نور اللـه .

اشأم من طـويس

* طويس يضرب به العرب المثل في الشؤم ، وهو رجل من أهل المدينة ، مولى لبني مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد الله . وهو اول من اظهر المجون بالمدينة ، وكان مغنيا يضرب بالدف . فسئل عن مولده فقال : ولدت يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفطمت يوم مات ابو بكر الصديق ، وختنت يوم قتل عمر ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لي ولد يوم قتل علي ابن ابي طالب فيقولون في امثالهم السائرة اشأم من طويس .

قاطع الطريق

شعر : الفريد نويز
ترجمة : عيسى فتوح

وحتى اليوم ••• ما يزال الناس يقولون :

في احدى ليالي الشتاء

عندما كان القمر كشبح سفينة مدفوعة فوق بحار غائمة ؛

عندما كان الطريق كشريط من نور القمر ، فوق الارض الارجوانية ،

أقبل قاطع الطريق راكبا —

راكبا — راكبا —

أقبل قاطع الطريق راكبا ، واتجه فورا الى الباب القديم

في الفناء الداخلي المعتم ؛ سمع صوت قدميه على الحجارة المرصوفة

لمس بطرف كرباجه درفة الشباك ••• لكن كل شيء

كان مقفلا ومسدودا •

أرسل نغمة قرب النافذة ، ومن ذا الذي يحتمل أن يكون منتظرا هناك

غير ابنة الامير ذات العينين السوداوين

غير ابنة الامير

ضافرة عقدة الحب النبيذية ، في شعرها الاسود الطويل ؟

الخنافيس

شعر : صموئيل مارشاك
ترجمة : عيسى فتوح

ذهبت خنزيرة في تجوال ذات يوم
مع أفراد أسرتها كلهم .
قالت الام السعيد : « أوينك ــ أوينك ! »
فصرخ الخنانيص : « اي ــ اي ! »

***

حينئذ قال الخنوص الذي صرخ أكثر من غيره :
« اخوتي ، ألا ترون » :
كل الخنانيص الكبيرة تقول : « أوينك ــ أوينك ! »
فكيف نصرخ : « اي ــ اي ! » .

***

« اصغوا الآن الي ، أيها الاصدقاء !
من قال اننا أقل شأنا من الخنازير الكبيرة ؟ »
مسكين من ظن انه غير قادر على ان يصرخ : « أوينك ــ أوينك » ،
فصرخ حقيقة : « اي ــ اي ... »

***

منذ ذلك الحين انقطعت الخنانيص عن ان تقلب التراب بفناطيسها
وترقص في المرج مرحا
ولانها لم تستطع أن تقول : « أوينك » ،
فقد صرخت : « اي ــ اي » فقط .

***

هذه القصة ، يا بني ، تشير
بوضوح ما بعده وضوح الى أنك
ان تكن صغيرا جدا عن ان تقول : « أوينك ــ أوينك » ،
فاصرخ بشجاعة : « اي ــ اي ! » .

رسائل الادباء

اخي عبد الهادي التازي المحترم

أطيب التحيات وأحر الاشواق وأخلص الود لشخصك اللامع غائبا وحاضرا وكما عهدتني ما زلت ذلك المحب .. الظامىء لحديثك ومجلسك . شاكرا لك هديتك (المحفظة) (١) التي أحملها في صدري لتحفظ نقودي وماء وجهي في سفري وبلدي .. كما أحمل اطيب المشاعر للاصدقاء ، وأتجمل بالمحبة للناس .. كل الناس فهم زادي في سبل الحياة ! ..

اخي الهادي : في هذا اليوم المشرق من أيام بيروت الجميلة كنت على موعد مع صفوة طيبة من أعمدة الفكر والادب لاصحبهم بسيارتي لزيارة (الفريكة) اذ يصادف اليوم موعد الاحتفال الذي سيقام لفيلسوف الفريكة (أمين الريحاني) (٢) وذلك لمرور ثلاثين عاما على وفاته رحمه الله .

والغريب من هذه الذكرى المحزنة ، هو ان جيء من أميركا بقارورة لا تضم في جوفها ذهبا او لؤلؤا .. بل رمادا هو اثمن عندي من الذهب ، واصفى من اللؤلؤ .. رمادا هو خلاصة حب انساني ، وتعاطف وجداني ..

وقد تعجب يا أخي اذا ما علمت بأن زوجة الريحاني السيدة (برثا) (٣)

---

(١) اشارة الى هدية صديقي التازي لمحفظة جلدية مطعمة بماء الذهب من صناعة اليد العاملة المغربية الفنية .

(٢) ولد امين ١٨٧٦ م ـ ١٩٤٠ م وقد هاجر مع عمه عبده الريحاني عام ١٨٨٨ م الى نيويورك . ثم عاد الى لبنان ١٨٩٨ م ورجع الى نيويورك ثانية وفي عام ١٩٠٤ م عاد فاستقر بلبنان .

(٣) زارت الفريكة السيدة برتاكيس عام ١٩٥٣ م .

التي توفيت هذا العام قد أوصت بأن تحرق جثتها ويؤخذ نصف رمادها ليرسل الى الفريكة ليستقر بجانب رفات حبيبها ، والنصف الثاني يبقى فـي مدينـة (اوركون) في أميركا ..

وما هي الا دقائق لا أدري يا أخي كيف انقضت .

واذا بنا في وادي الفريكة الوادي الجميل الـذي تحتضنه الجبـال ، وتغرقه الخضرة ، وتظلله خمائل العنب .

واجتزنا حديقة الدار ــ والـدار لـو كلمتنا ذات اخبـار ــ فالبـاب مفتوح الذراعين يستقبل المعجبين والمحبين ، وأول مـا استوقفنا التمثـال البرنزي لامين الريحاني ، وتحته حفرت كلمته المأثورة (قل كلمتك وامش) .

واستقبلتنا شابة رشيقة أنيقة فصافحت عيوننا منهـا ابتسامة مضيئـة ، ولامست آذاننا كلمات فضية .. وقادتنا الى صالة شاعرية تطـل على الوادي العميق ، فأدركت هنا لم أحب الريحاني قريته الصغيرة ، وهجر عالمه الكبير .. فلم تغره أمريكا ، ولا أوربا ولا حتى بلاده العربية ، ولم تغرر بـــه هبـات الملوك ، ولا حفاوة الامراء والرؤساء ، فالريحاني عاشق الفريكـة فحسب .. وهل تستطيع المغريات ان تغري العاشق بأن يبتعد عن خليلته ؟

علما بأنني لا أتفق وفيلسوفنا الريحاني في حسن ظنه بالملوك والامراء في حل المشاكل العربية ، وعـلى رأسها القضيـة الفلسطينية ... فالملـوك والامراء الحالمون .. أعجز من ان يتفهموا مشاكل أمة ، او يتحملوا همـوم شعب ..

وبعد ان ترشفنا القهوة العربية ، اشارت علينـا (الآنسة مـي) (*)

(*) الآنسة مي البرت الريحاني ، وقد سماها مـي والدهـا تيمنا باسم الاديبة مي زيادة للعلاقة الادبية والروحية التي تربطها باخيه امين منذ زارها في عهود الشباب ، ثـم زارته فـي الفريكـة .

والآنسة مي الريحاني اديبة ذكية تمد المجلات بمقالاتها الادبية ، وقد اهدتنا كتابها الانيـق (جفر على الايام) وعندما قرأته تنسمت اريج الانس الريحاني من عموم محتوها .

لنطوف في متحف عبها امين ، ورحنا تقلب نواظرنا بين المخلفات الثمينة فهـذا سيف أثري وهذه ملابسه العربية من عقال وكوفية وعباءة وجلابية أهداها له الملوك والامراء العرب عندما ساح في البـلاد العربيـة على ظهـور الخيـل والجمال . وكان ذلك عام ١٩٢٢ م .

وهناك شاهدت بعض رسائله ومؤلفاته ، فذاك كتابه (خالد) الذي كتبه باللغة الانكليزية ، وتلك نسخة من رباعيات (المعري) ترجمها الريحاني الـى الانكليزية عام ١٩٠٣ م .

ثم وقفت كما وقف قبلي الادباء والفضلاء لاسجل كلمتي فـي دفتـر التشريفات فكتبت :

« طالعتني وأنا في بيروت صحيفة الجمهورية العراقيـة تشعرني بـأن سيقام في الفريكة احتفال ١٣/٩/١٩٧٠ م بمناسبة مرور ثلاثين عاما على وفاة فيلسوفها وأديبها الكبير أمين الريحاني فرأيت استجابة لداعي الوفـاء للادب والادباء ان أزور عروس الريحانـي الفريكـة ، مرضعتـه ومحتضنتـه ... ـ والحبيب يزار ـ وها انني أجدني أقف خاشعا أمام محراب الفـن والادب في دار الريحاني ومتحفه ، حيث تناجيني في رحابـه أرواح معاصريه ادبـاء وشعراء كالعبقري الفذ (جبران) والاديبة المنكودة (مي زيادة) ، واستاذنا عطا الله ذكراه (نعيمـة) .. شكرا للساهرين على هـذا التراث الفكـري الخالـد » .

ثم سرنا نحو الباب فاستقلتنا السيارة نحو مرقد أمين الريحاني ، وقبعت في السيارة وأنا في عالم علوي .. بعيد عن مغريات الحياة .. منـزه عـن الاحقاد .. وما هي الا بضع دقائق معدودات ، حتى أجدني أمام مرقد مرمري لآل الريحاني تحتضنه سنديانتان ، ثم راح كل منا ينفض كفـه مـن باقات الزهور التي طرزت بأسماء المعجبين ، بينما جرب الاستاذ البيرت الريحاني ان يفتح بابا مرمريا محفورا عليه اسم (أمين الريحاني) (١٨٧٦ م ـ ١٩٤٠) ولما فتحت الباب البيضاء إذا بنا نفاجأ بجمجمة تحتها عدد من العظـام مرصوفـة

بعطف وعناية .. ثم عقب شقيقه البرت بقوله .. ان عائلة الريحاني لا تحتفظ بالجثة داخل الارض ..

وانما تنقلها عظاما الى هذه الرفوف العالية .. فهــذا أبـــي (فارس الريحاني) وهذه (سعدى) أمي .. ثم فتح الباب الملاصقــة لبــاب أمــين فواجهتنا قارورة تضم حفنة من رماد ، وقد خط عليهــا بالاحرف الانكليزيــة (برثاكيس ١٨٧٩ م ــ ١٩٧٠ م) .

فدهشت .. وقلت لنفسي ، التي تعشعش في ارجائها المطامح والمطامع ، والحب والغيرة ، والنزوات المغرية .. أهذه نهاية المطاف ، وختام الرواية ..؟

أحقا هذه هي جمجمة أمين العبقريــة التــي فكــرت فطالعت وتطلعت وسافرت وكتبت ..

أحقا هنا أخيرا استقرت ..؟

باخــلاص

ناجي جواد

المروءة والكرم والنجدة

* سئل عبد الله بن عمر عن المروءة والكرم والنجدة فقال : اما المروءة فحفظ الرجل نفسه واحرازه دينه ، وحسن قيامــه بصنعته وحسن المنازعــة ، وافشاء السلام .

واما الكرم فالتبرع بالمعروف ، والاعطاء قبل السؤال والاطعام في المحل .

واما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر فــي المواطن والاقدام عــلى الكريهة .

مختارات الصحف

الشدياق في اوروبا

(١٨٠٥ ـــ ١٨٨٧ م)

اكثر قراء العربية يعرفون كتاب الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي كتبه عن رحلته الى فرنسا بعنوان « تخليص الابريز في تلخيص باريــز » •• وقليلون هم الذين قرأوا كتاب الشدياق ، « كشف المخبا عن تمدن اوروبا » •

هو أحد رواد النهضة العربية الحديثة ، وقد كان صاحب شخصية قوية استطاع ان يشق بها طريقه من الفقر الشديد الى الغنى ، ومن خمول الذكــر الى الشهرة العريضة ، حتى ذاع صيته في العالم الاسلامي كلــه عندما أصدر صحيفة (الجوائب) • كذلك استطاع ان يكون لنفسه ثقافة واسعة عميقــة متعددة الجوانب في آن ، تبدت فيما خلفه من كتب في أدب الرحلات ، وفي الدراسات اللغوية التي برع فيها وبلغ مدى بعيدا ، وفي السيرة الذاتية ، اذ صور لنا شخصيته ووصف حياته في كتاب من أبدع وأظرف مــا كتب فــي التراجم الشخصية هو (الساق على الساق) •• بالاضافــة الــى كثير مــن المقالات التي عالج فيها شتيتا من القضايا السياسية والاجتماعية والحضاريــة وغيرها ، والقصائد التي يبدو انها لم تطبع حتى الآن في ديوان •

عرف الشدياق رحمه الله الفقر المر في بدايــة حياتــه ، فاشتغل بنسخ الكتب لاغنياء القراء ، فلم تكن المطبعة قد انتشرت في ذلك الوقت • كذلــك حاول العمل تاجرا متجولا بين البلدان والقرى ، ولكنه لم يرتح اليــه ، ولــم يصب منه ما يبتغي من رزق •• واشتغل ايضا بتدريس اللغة العربية بمدارس الامريكان في مالطة ، وعمل بعد ذلك مساعدا للدكتور (لي) الانجليزي في ترجمة التوراة الى اللغة العربية • وقد كفلت له الوظيفتان الاخيرتان مستوى مريحا من المعيشة ، غير انه استطاع أن يحرز بعد ذلك ثروة وصيتا ، وبخاصة

حين استقر في الاستانة ، وأنشأ صحيفة الجوائب التي نالت شهرة عالمية ، وكانت لسان الخليفة العثماني ، وحملت على كتفها الدفاع عن القضايا الاسلامية ، والوقوف ضد المطامع الاوروبية الاستعمارية •

كانت شخصية الشدياق من الشخصيات الخصبة ذات الاغوار الرحيبة البعيدة القرار • ولا شك ان بعض هذا راجع الى الظروف التي اكتنفت حياته : كالفقر الذي علمه الاعتماد على نفسه ، ومجالدة شدائد الحياة ، والانتصار عليها •• وكالاسفار الكثيرة التي رأى فيها مصر ومالطة وفرنسا وانجلترا وتونس وتركيا : واطلع على احوالها ، وتنبه لما بينها من مفارقات ، وعرف أسباب تخلفنا عن الاوروبيين والسبيل الى لحاقنا بهم • وقد ساعده على هذا كله ثقافة واسعة عميقة : وخاصة في التاريخ والاديان والاجتماعات واللغويات •

وهي شخصية قلقه طلعه تحب التنقل ، وتكره الجمود والركود في مكان واحد ، وتتمرد على المألوف ان لم تقتنع به وتطمئن اليه : مما يتطلب في احيان كثيرة الجرأة وصلابة النفس : لقد ترك الشدياق مذهبه الماروني الذي ورثه عن اسرته وتحول الى البروتستانتية غير مبال بما كان يسود الحياة الدينية آنذاك من تعصب مفرط عنيف : وفي تونس (وكانت سنه اثنين وخمسين عاما) اعتنق الاسلام وتسمى باسم احمد بعد ان كان يدعى (فارسا) : ويذكر بعض مترجميه انه كان مهيأ النفس من قبل للدخول في الاسلام : ثم جاءت مناقشاته مع شيخ الاسلام في تونس فقطعت الشك باليقين • كذلك جمعت شخصية الشدياق بين حرارة العقل والقلب ، فقد كان ذا غرام بالقراءة والتأليف : الا ان ذلك لم يمنعه ان يتذوق الحياة ، وكانت امرأته تعرف منه ولعه بذكر النساء ، وتغار من شعره الغزلي ، كما كان الشدياق يحب التفنن في الطعام ، وكانت عيناه يقظتين دائما لكل ما يقع من حوله ، ومن ورائهما ذاكرة واعية ، وقدرة على الملاحظة الدقيقة اللاقطة •

كان الشدياق يمور بحرارة الحياة ، ويتفطن لمواطن الفكاهة في الاشياء والاحداث والاشخاص ، مما يدل على نفس قوية تقدر على استنباط

السرور واشاعة البهجة ، وان استخدمت سلاح التهكم الواخز . لقد سخر الشدياق من الغباء الانساني ، وجلافة الذوق ، وضيق الافق ، والتعصب الذميم ، وصب سوط تهكمه على الجهلاء والمتنطعين ، وقد خالط ذلك شيء من المجانة عابه عليه قوم وغفره له قوم آخرون .

وكتابه (كشف المخبا عن تمدين اوروبا) سجل لرحلته الى فرنسا وانجلترا التي بدأها من مالطة في الثاني من سبتمبر سنة ثمان وأربعين وثمانمائة والف للميلاد ، وهو ــ ان كان قد تكلم عن صقلية ومارسيليا ــ لم يتلبث عندهما الا قليلا ، وجعل مدار كتابه على الريف الانجليزي ولندن وباريس ، فلم يترك شاردة ولا واردة مما رآه او قرأه متصلا بذلك الا سجلها تسجيلا مفصلا دقيقا : وصف البيوت وطلاءها ، وكيف يعيش الناس فيها ، وما تحوي من أثاث وحجرات ، ووصف الطعام والوانه وطرائق طبخه ، وما احبه او عافه منها ، ووصف الشوارع والمعارض والمتاحف ووسائل المواصلات ونظام سيرها ، ووصف الجو وملامح الناس وألوان سحنهم ، كذلك تناول العادات الاجتماعية ، وتقاليد القوم في التزاور والحفلات .. الخ ، اذ كان الشدياق يهدف ان يعطي لابناء قومه صورة واضحة أمينة للاوروبيين والحضارة الاوروبية ، فأول سبيل الى اللحاق بعدوك والتفوق عليه هو ان تعرفه . والاوروبيون انفسهم لم يستطيعوا ان يهزمونا ويحتلوا بلادنا الا بعد ان درسونا دراسة شاملة مستقصية ، وهم ما زالوا يدرسوننا حتى الآن من مختلف جوانب حياتنا نفسيا ، وفكريا ، واجتماعيا ، وسياسيا ، واقتصاديا ، واخلاقيا ، ويرقبون التطور الذي يطرأ على كل جانب منها ، وتأثر حياتنا به .. الخ .

والكتاب ــ وان بلغ الثلاثمائة صفحة تقريبا (من القطع الكبير) ــ يشد قارئه اليه بما فيه من حيوية الوصف لهذه الدنيا الغريبة على صاحبه ، وحتى بعد مرور اكثر من مائة سنة على هذه الرحلة فانها ما زالت قادرة على شد الانتباه واثارة العقل والعواطف والخيال ، فهي تصف اوروبا منتصف القرن التاسع عشر ، ولا شك ا ناوروبا قد تغيرت كثيرا منذ ذلك التاريخ

حتى اليوم .. ومن ثمة اهمية الكتاب : انه يفتح الباب امام المقارنة بين اوروبا الشدياق واوروبا الحالية ، وكيف تغيرت بها الاحوال ؛ وما المعنى التاريخي والحضاري لهذه التغيرات ؛ وما يشير اليه ذلك من اننا قادرون على ان نتغير ونتطور كما فعل الاوروبيون ، لو كسرنا ما بقي من اغلال الجمود والكسل النفسي والعقلي الفظيع الذي يمنع نبض حياتنا الا يسرع بالمقدار اللازم كي نصل الى مستوى من التحضر اقوى وارقى .

وهذه صورة من مارسيليا في ذلك الوقت : « هي وسخة الحارات والاطراف ، لكنها بهية الحوانيت والديار ، مبلطة الطرق ، وليس في ديارها مراحيض ، وانما يجمعون اقذارهم في وعاء الى ان يأتي رجل معه عجلة وعليها برميل كبير ، فيناولونه الوعاء ، فيفرغه في البرميل ؛ وما يجمعه فيه فانه يبيعه لتدميل الارض ، ولا اعرف مدينة اخرى بهذه الصفة ؛ ومنهم من يقذف بالاقذار امام البيوت ليلا ، فلهذا يشم الماشي في اكثر طرقها رائحة كريهة » . فهل ظلت مارسيليا على هذه الصورة الكريهة ؟ بالطبع لا .

والقاريء بلا شك يلاحظ هذا التصوير الدقيق الذي لا يفوته شيء في المنظر الا سجله (العربة المكونة من عجلة وبرميل كبير ــ الاوعية ومناولتها لصاحب العربة وافراغها في البرميل .. الخ) . والشدياق ــ كما هو ظاهر ــ لا يتحرج من وصف شيء ولا من ذكره ؛ ان لغته صريحة ، وقلمه امين ، وليس ذلك من مجافاة الذوق ، بل العكس هو الصحيح ، لانه يريد من هذا التصوير ان يبغض الينا القذارة ، ويصفي اذواقنا .

والكتاب كله يجري على هذا المنوال ؛ الا عندما يدع الشدياق خبرته المباشرة ، ويستشهد بما في الكتب من حوادث تاريخية او احصاءات ؛ فان القاريء يفتقد هذه الحيوية والحرارة ، ويشعر بحركة الاسلوب تبطيء ، مما يسبب له كثيرا من السأم .. ان الكاتب حينئذ يستبدل باللغة الادبية لغة الارقام والتاريخ ، وشتان ما بين اللغتين .

وفي الرحلة لفتات تهكمية بارعة ، وبخاصة على المستشرقين الذين يتصدون لدراسة تاريخنا ولغتنا وديننا وعاداتنا ، رغم انهم لم يستكملوا عدة البحث ، فيقعون في اخطاء شنيعة تجرهم اليها في احيان كثيرة رغبتهم في التحذلق والظهور في ثياب العلماء المحققين الذين فهموا كل شيء ، واحاطوا بكل شيء علما .

وهذه صورة ساخرة تبين كيف ان ضيوف الانجليز لا يجدون في مآدبهم الكرم والبهجة اللذين يجدهما ضيوف الشرقيين :

« وعند صف ادوات الشاي تقوم الست ايضا ، وتجلس في الصدر ، وتسأل من حضر :

ـ هل تريد ان تشرب شايا ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : اتشربه مع السكر ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : ومع الحليب ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : وتأكل نصف هذه الكعكة ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : وربع هذه الفالوذة ؟

فيقول : نعم ان شئت !

وكلما اكرمته باحدى هذه المركبات قال : « اني اشكرك » .

فاي بخل هذا الذي يتعامل ـ بدل الارقام الصحيحة ـ بالكسور ، وكسور الكسور !

ويلاحظ هذا الشكران المتكرر كلما (اكرمت) ربة البيت ضيفها بنصف او ربع او ثمن شيء من هذه الالطاف وكأنها خروف !

على ان فكاهة الشدياق ليست من اللون الفلسفي العميق ، انها تتصل بالواقع اتصالا مباشرا ، فيها التفات الى نواحي النقص في الاشياء والاشخاص ، وفيها الثقة بالذات ، وفيها اللذع ، ولكن ليس فيها هذا التعمق وراء اسرار الحياة ، حتى يصل المتألم الى الالم العبقري الذي يحاول ان يغطي عليه بالفكاهة والضحك ، كما نجد عند المازني مثلا .

والكتاب مملوء بالحكايات يؤكد بها المؤلف آراءه وانطباعاته ، والنفس البشرية تميل الى القصص وتطلبه ، ولا شك ان ذلك باعث على النشاط والمضي في القراءة .

ان هذه الحكايات تزيد الرحلة حيوية ، وتقربها من حلاوة السمر وما فيه من عفوية وتلقائية . ومن هذه التلقائية ظاهرة الاستطراد ، وهي في مثل هذا الكتاب غير معيبة ، لانه ليس بحثا علميا يراعى فيه التنظيم والتماسك .

واللغة الكتاب لغة سهلة مسترسلة ، ليس فيها سجع ولا محسنات لفظية ، لكنه راوح فيها بين النثر والشعر ، فهو حينا بعد حين يستشهد ببيت او اكثر له او لغيره ، مما يناسب السياق . والمراوحة بين النثر والشعر في التأليف القديم كانت شيئا مقبولا ، بخلاف الامر الآن ، فالكتابة العصرية تمضي نثرية خالصة ، الا في الندرة الشديدة التي تعد في حكم المعدوم .

والفاظه وجمله عليها طابعه واضحا اشد الوضوح ، وقد اعانه على هذا ــ بالاضافة الى تمرسه باللغة ، واتساع معرفته بها ، وعمق تذوقه لها ــ انه كان احد رواد الكتابة في العصر الحديث ، ومن ثم كان عليه ان يشق طريقه التعبيري بنفسه غالبا ، دون ان تتردد على قلمه التعبيرات المحفوظة . ومن الفاظه (الحافلة) اي العربة التي تجرها الخيول وتنقل الركاب داخل المدينة ، و (العاجلة) أي العربة ، (والجعل) وهو الاجر ، و (المضمار) وهو خط سير الحافلة ، و (الشفعة) اي النصيب . اما تراكيبه فيمكننا الاجتزاء بهذه الامثلة عليها : (نهروا اليها نهرا) بدل : شقوا ، و (سقطت شفعتك) اي

ضاع عليك نصيبك ، و (ترجمة بعين الالفاظ والتراكيب) وذلـك مقابل مـا نسميه الآن « ترجمة حرفية » ، وهو يسمي رب الدار (السائد) وربة الـدار (الست) . واحيانا يكتب اللفظ الاجنبي كما هو ، مثل (الستي) اي المدينة الصغيرة و (البنك) اي المصرف ، و (البوسطة) اي البريد .

وقد كانت له ترجمات لكثير من هذه الاسماء لم يكتب لهـا الشيـوع والبقاء مثل (الورقات اليومية) للصحيفة .

ان لغة الشدياق ليس فيها ادنى كلفة ، الا ان هناك شيئا من الصعوبة في متابعتها ، ويرجع ذلك اولا الى خلو الكتاب من علامات الترقيم ، فقد طبـع منذ نحو مائة سنة ، فلا تجد فيه فاصلة ولا علامـة استفهام ولا غيرهـا مـن العلامات التي تعين على فرز الجمل بعضها عن بعض ، فـلا تختلط وتشوش ذهن القاريء ، كما يرجع ثانيا الى انه يتكلم كثيرا عن اشياء لا تقع في دائرة خبرة معظم القراء ، كاسماء الاطعمـة والمشروبات الغريبـة : (الهرطمان ـ الهندباء ـ جذر الفوه ـ السيلقون ـ السرنج ـ النطرون ـ عود برازيـل .. الخ) .

واخيرا لا بد ان ننبه الى ان الشدياق رغم انـه عالم ضليع فـي اللغة ، واديب ومفكر كبير ، فان ذلك لم يمنعه مـن الخطأ بين الحين والآخر ، فهـو يقول مثلا : (لا بد وان) وتصويبه : لا بد ان ، او لا بد مـن ان .. وهـذا الغلط الشائع (رغم ان الامر كذا الا انه كذا) والصحيح : رغم ان الامر كذا فهو كذا . وهذا ليس مأخذا كبيرا ، فالكمال لم يكتب لواحـد مـن البشر ، ولكن ذلك لا يمنعنا من التنبيه اليه ، ومحاذرة الوقوع فيه .

العربي ابراهيم عوض

خذلان ديغول أم فشل قوى

شعر : احمد الصافي النجفي

سقط السيف بعد طـول القراع — وخلا الساح من حليـم شجاع

فلتودع حضارة الغـرب نبـلا — ولتسلـم قيادهـا للرعــاع

وليسدهـا ظـلام روح وعقـل — بعـد نكرانها لـذاك الشعـاع

انـت عرفتنـا السياسة صدقـا — بعـد تعريفها لنـا بالخـداع

مثـلا كنـت بيننـا ورسـولا — لك نهـج كالوحي كالابـداع

مـا تمسكت بالرئاسـة قسـرا — بعدمـا بايعتـك دون امتنـاع

ولكم فـزت بالرئـاسة طوعـا — ان ينلهـا باقي الورى بالصراع

عجبا قد ظهرت في عصر فوضى — فمحـوت الظـلام بالاشعـاع

بك عهد الفرسان في الغرب ولى — جاء عهد الخنوع عهـد الضياع

فارس القول فارس الرأي فـز — فارس السيف والحجى واليراع

اصبح اليـوم للثعالب صـوت — اذ خلا الغاب من زئـير السباع

ليس بدعـا ان يخذلوك ضلالا — كم شكا الحـق قلـة الاتبـاع

ولئـن تعتـزل فهيهات تخفـى — انت مـلء الابصـار والاسماع

بطلا كنت فـي اعتزال وحكـم — لم تـزل من كليهما في ارتفـاع

يسقط الحاكمون بالعـزل امـا — عرفوا قبـل حكمهم بارتفـاع

يرفع الحكم كـل وغـد وضيع — رفعتـه وضاعـة الاوضـاع

سوف تبقى ذكرى حضارة غرب — ان تسـده حضـارة الاطمـاع

أطال الله بعمر شاعرنا الصافي فقد اشاعوا خبر وفاته .

غضب المسيح عليكم ومحمد*

الليــل داج والدمــاء تسيــل والمجرمون عــلى الدروب تجول
ومدافع وقنابــل مــن هولهــا أمست ديــار العــز وهي طلول
وحرائق قد سودت وجــه الفضا وضيــاء بيروت عــراه افــول
بيروت درة يعــرب قــد نالهــا ما جل عنــه الوصف والتمثيل
لم يبق حــي ليس فيــه مآتــم وفجيعــة ومناحــة وعويــل
حل الجنون عــلى بنيك فشأنهم الخطف والتعذيــب والتقتيــل
قد كنت في أفق العروبة كوكبــا يرتد عنــه الطرف وهــو كليل
واليوم اظلمت الديار فــلا نرى غير الدموع على الخراب تسيل
اسفا على لبــنان ايــن جمالــه هذا السواد عن الجمــال بديل
اسفا عــلى لبــنان اين كرامــه ظعنــوا ومــا للظاعنين قفــول
لم يبق فــي لبــنان الا عصبــة منهــم ألا ان الكــرام قليــــل
يــا أمــة كفرت بأنعــم ربهــا فاذاقهــا التعذيــب والتنكيــل
غضب المسيح عليكــم ومحمــد والحــق والقــرآن والانجيــل

النبطية ١٠ كانون الثاني ١٩٧٦ محمد الحسن

---

* هذه القصائد التي ننشرها تباعا لفضيلة السيد محمد الحسن اوحتها اليه مأساة لبنان .

لبنان يا مهد الفهود

شعر : المرحوم جورج كعدي *

لبنان انت قصيدة الدنيا التي — زان الجمال وشاحها بوشاح
انشدت باسمك كل شعر خالد — ولثمت جرحك سائلا كجراحي
والروض ترقص زاهيات زهورها — كالغيد تملى من كؤوس الراح
وطن جمال الخلد بعض جماله — فالخلد في عيد وفي افراح
لكن عجبت لموطن ذا شأنه — أضحى اليهود به ملوك الساح
هم يمرحون به وما من سائل — عن قتل كل مكافح مسماح
بيروت معقلهم فطياراتهم — جلبت على الاوطان جيش اضاحي
أما الجنوب فكل يوم غارة — كم ازهقوا فيها من الارواح
والشعب لاه لا يحرك ساكنا — فكأن قتل الناس بعض قراح
أهل الفدى والبؤس اضحت ارضهم — مجلى الدمار وملتقى الاتراح
هدموا البيوت على رؤوس صحابها — واستضحكوا من ذلنا الفضاح
وحدوده لا جيش يدفع دونها — وشبابنا مستسلم للمراح
ومصيرنا بيد القضاء مصيره — وبلادنا نهبت لكل وقاح
لبنان يا مهد الفهود اجائز — هذا الخنوع بشعبك الطماح
قد كنت عنوان البطولة والعلى — ومشابها لنجادة وكفاح
فانفض غبار الذل وارجع مثلما — كان الجدود مفاخر الطماح
واملأ بلادك بالسلاح وكن على — الاعداء وقع صواعق ورياح
وارجع الى الارز المضيم كرامة — كانت مثالا من وغى وطماح

جورج كعدي

---

* اسفنا كثيرا لوفاة الصديق الشاعر المهجري الوطني الاستاذ جورج كعدي ، وكان قد بكى كثيرا حين ودعنا آخر مرة لما يكن لنا من المحبة .

آراء الناس ومشاكلهم :

ورقة العمل الشيعية ترسم تصور الطائفة للبنان الجديد

وطن موحد نهائي ملتزم بقضايا العرب

اقر المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في هيئته الشرعيــة والتنفيذيــة وتجمع الشخصيات الشيعية ، في اجتماع عقد يوم ٧٧/٦/١١ ، وبعد سلسلة اجتماعات بدأت منذ شهرين ، ورقة العمل للاصلاحات السياسيــة والاقتصادية والاجتماعية .

ويبرز في ورقة العمل اصرار الطائفة الشيعية على ان يكون لبنان وطنا نهائيا في حدوده الحاضرة سيدا حرا مستقلا عربيا في واقعه ملتزما بقضايــا العرب الاساسية وفي طليعتها قضية فلسطين ، وطنا يحتــرم الحريات العامــة ويقوم نظامه على مبدأ الفصل بين السلطات والعدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات في نظام اقتصادي حر مبرمج .

وشددت الطائفة الشيعية على ان هذه المبادىء ليست عارضة او طارئة ، وانها لا تقبل في شأنها المساومة ، لانها من جوهر لبنان ورسالته التاريخية .

كذلك اعلنت انها ترفض اي صورة من صور التقسيم تحت ستــار اللامركزية السياسية ، وهي تدعو الى لا مركزية ادارية تسهل عمل المواطنين ومصالحهــم .

وفي النطاق الخارجي ، نصت ورقة العمل على رفض جر لبنان الى أي محور سياسي عربي او دولي بشكل يقزمه ويفقده طابعه المميز .

وركزت ورقة العمل على المطالبة بقضايا اساسية هي :

ـــ الغاء الطائفية السياسية في كل المرافق .

ـــ انتخاب رئيس المجلس لمدة اربع سنوات بحيث لا يرتهن للنواب او للسلطة التنفيذية .

ـــ انتخاب رئيس الوزارة من قبل المجلس النيابــي ، واشتراكه مــــع

رئيس الجمهورية في تأليف الحكومة •

ـ تحديد صلاحيات كل من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء تحديدا واضحا •

وفي شأن الجيش طالبت الورقة بالاسراع في اعادة بنائه ليكون مدرسة لارساء قواعد الوحدة الوطنية ، وانشاء مجلس قيادة عليا ، وتطبيق التجنيد الالزامي وقانون خدمة العلم •

« هذه الورقة ـ الوثيقة التي تلخص موقف الطائفة من لبنان الجديد ، وقد وضعت بعد جلسات عدة للتشاور مع هيئات المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ومع رجال السياسة والاختصاصيين •

ان هذه الورقة هي موقف الطائفة تقدم الى الوطن وجميع ابنائه بعد جهد مضن ومخلص باعتبار انها مساهمة في بناء غد أفضل للجميع • وسوف ترسل الى جميع المعنيين وفي طليعتهم كبار رجال السياسة والاختصاصيين من ابناء الطائفة • ومن خلال جمع آرائهم وتفصيلها نهيء الملف الكامل ليوم الحوار الوطني ونقدم نسخة كاملة عنه الى فخامة الرئيس سركيس » •

وهنا نص ورقة العمل :

« ان الطائفة الاسلامية الشيعية في لبنان التي تعتز بكونها من ارسخ دعائم كيانه والتي ساهمت مساهمة فعالة في نضاله الطويل من اجل استقلاله والتي بذلت خلال المحنة المأساة كل ما في وسعها لصون وحدته وسلامة اراضيه وبقائه ضمن واقعه العربي ، ودفعت في هذا السبيل ، دونما منة ، من حياة ابنائها وممتلكاتهم ومختلف وسائل عيشهم ابهظ الاثمان ، والتي لا تزال مستعدة لبذل اية تضحية مهما عظمت من اجل الوطن المفدى •

بعدما جلت المحنة عن معظم انحاء لبنان ، ومع التشديد على وجوب اجلائها عن كامل انحاء الجنوب •

وازاء ما خلفته هذه المحنة المأساة من الدمار والتصدع في البنيان والانسان ، وفي هيكلية الدولة ، وفي الاقتصاد الوطني ، وفي لحمة المجتمع اللبناني ، وفي سمعة لبنان الحضارية ، فضلا عن عشرات الآلاف الضحايا البريئة من جميع الطوائف والمناطق •

وفي مقابل ما يطرح من الافكار وما يتخذ من المواقف ، من قبل الطائفية والسياسية ، في سبيل بناء لبنان الجديد .

وشعورا بمسؤوليتها التاريخية في هذا المنعطف الخطير من حياة لبنان، بل المصيري في حياة المنطقة بأسرها .

وتلبية لواجب المساهمة في انهاض الوطن والحفاظ على استقلاله وسيادته ووحدة ارضه وشعبه .

وانسجاما مع دوافقها الدائمة في خدمة المصلحة العامة . تحقيقا لمطامح الاجيال الصاعدة : تعلن ما يأتي :

١ ـ ايا كانت اسباب المحنة ، وايا كانت العناصر الخارجية التي هيأتها ودفعتها وتفاعلت بواسطتها على ارضنا ، وايا كان دور اسرائيل ومن يشد ازرها في هذه المؤامرة الضخمة التي حيكت خيوطها في عواصم عدة قبل ان تنفذ على ارض لبنان ، وايا كان صراع اليمين الدولي واليسار الدولي مباشرة او بواسطة اليمين واليسار اللبنانيين خلاف اللبنانيين او بعضهم مع الفلسطينيين وكانت امتيازات فئة منا وغبن فئة ، ومهما تعاظم عاملا الخوف والغبن عند كل من الفئتين ... وبكلمة واحدة مهما عددنا لهذه المحنة المأساة من اسباب داخلية وعربية ودولية يختلف على تحديدها اللبنانيون باختلاف مشاربهم ومصالحهم وانتماءاتهم ، يبقى امر ثابت واضح لا خلاف عليه : هو ان الجسم اللبناني كان قد فقد مناعته الطبيعية وأمسى عرضة لكل المضاعفات .

٢ ـ ان الوطن ، في معناه العميق ، ليس ارضا معلومة فحسب ، تلتقي عليها طوائف ضمن مناطق ، متعايشة سلميا في نوع من الحذر والتحاسد والتمويه ، بل هو قبل كل شيء مناخ استقرارا وطمأنينة وثقة في اخاء حقيقي وحرية مسؤولة وطموح على بساط العدالة الاجتماعية في اطار تكافؤ الفرص للجميع ، وفي احترام حضاري للكرامة الانسانية .

٣ ـ ان واجب الدولة ، واجبها الاول ، هو انماء روح المواطنية الصحيحة في نفوس المواطنين ، بكل ما لديها من وسائل . ومن الفضول القول ان كل الوسائل الناجعة للوصول الى هذا الهدف الاسمى هي اصلا ، بحكم طبيعتها ، في يد الدولة .

٤ – ان المآسي في حياة الشعوب الراقية بواتق انصهار وتجدد وتألق ؛ وليس كثيرا على الشعب اللبناني ، العريق في اصالته ، ان يخرج من مأساة العامين الرهيبة وقد انصهر وتجدد وتألق ؛ فيعمد الى تعمير ما تدمر في بنيانه الاجتماعي ، بل الى تجديد هذا البنيان من اساسه ، بما يكفل له وحدة وطنية حقيقية ، لا رياء فيها ولا زيف ، وحدة يكون هو فيها الوطن الحي ، الدائم التجدد على ارض الوطن الخالدة .

بعد هذه الملاحظات العامة التي تعتبرها الطائفة الاسلامية الشيعية اساسية في بناء لبنان الجديد ؛ يهمها ان تؤكد على ما يأتي :

اولا – هوية لبنان ونظامه

تجدد الطائفة الاسلامية الشيعية ايمانها بلبنان الواحد الموحد :

* وطنا نهائيا في حدوده الحاضرة سيدا حرا مستقلا .

* عربيا في محيطه وواقعه ومصيره ؛ يلتزم التزاما كليا بالقضايا العربية المصيرية ، وفي طليعتها قضية فلسطين .

* منفتحا على العالم بأسره ، يلتزم بقضية الانسان لانها من صلب رسالته الحضارية .

* جمهورية ديموقراطية برلمانية ، تقوم على احترام الحريات العامة وفي طليعتها حرية الرأي والمعتقد ، وعلى مبدأ فصل السلطات ، وعلى العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين ، في نظام اقتصادي حر مبرمج ، ووفق تخطيط علمي انمائي شامل لمختلف الطاقات والاحتياجات والنشاطات في كل المضامير : بلد الكرامة الانسانية والطموح الحضاري .

وتشدد الطائفة الاسلامية الشيعية على ان هذه الاوصاف ليست كليا او جزئيا ، ولا يمكن ان تكون ، موضوع مساومة او تسوية ، لانها ليست عارضة او طارئة ، وليست مطلبا من مطالب فئة دون أخرى ؛ بل هي منبثقة من جوهر وجود لبنان ، ومن صميم كيانه ، ومن رسالته التاريخية ، ومن آفاق مصيره ، ومن طموح ابنائه وتطلعاتهم المستقبلية .

ثانيا ـ ما لا يمكن

١ ـ تقسيم لبنان • ان الطائفة ترفض رفضا باتا اي صورة من صور التقسيم ، تحت ستار لامركزية سياسية ايا كانت هيكليتها ، وهي على العكس ترحب بأي صيغة للامركزية الادارية التي من شأنها تعزيز الحكم المسؤول في المناطق واختصار المعاملات الروتينية وتقريب القضاء من المتقاضين واشراك الهيئات الشعبية والبلدية ومجلس المحافظة في ادارة الشؤون المحلية •

٢ ـ تشويه وجه لبنان بتحجيم دوريه العربي والدولي ، او بقطعه عن المد الحضاري الانساني ، او بجره الى أي محور سياسي عربي او دولي ، بحيث يتقوقع ويتقزم او يتحيز ويفقد طابعه المميز •

٣ ـ تحجير الصيغة اللبنانية بحيث يبقى عامل القلق على المصير عند البعض ذريعة للمحافظة على امتيازات فئوية ، بينما يبقى عامل الغبن عند البعض الآخر بابا للنزاع ، وبحيث يبقى العاملان معا ثغرتين في الكيان تنفذ منهما المؤامرات على سلامة البلد واستقلاله وسيادته ووحدة ارضه وشعبه •

٤ ـ اي تسوية بين الفرقاء على حساب الوطن ، وان مؤقتة ـ وقد علمتنا التجارب انه لا يدوم الا المؤقت ـ بحيث لا يسفر الحوار المرتقب عن رغبة صادقة مدعومة بتخطيط شامل لتحديث الدولة في كل مرافقها ، تحديثا جذريا ، ولحل المشاكل الاجتماعية التي تتفاقم ، ولايجاد تكافؤ الفرص للجميع على اساس الكفاية والنشاط والاخلاص ، في ضوء رؤية مستقبلية مستمرة الاستكشاف ، مستمرة التركيز والتحسين •

هذه النقاط الاربع ، يهم الطائفة الاسلامية الشيعية ان تشدد على رفضها جملة وتفصيلا لانها شبه قنابل موقوتة ، لا بد من ان تؤدي الى الانفجار عند اول فرصة تسنح •

ثالثا ـ الخطوط الكبرى للاصلاح

تعي الطائفة الاسلامية الشيعية ، في عمق وشمول ، انها ليست وحدها في الوطن لتفرض ما تشاء ، وهي ، بانفتاحها على كل الافكار الخيرة ، تطلب بمحبة واخلاص الى جميع الطوائف والهيئات السياسية ان يبلور في انفسها هذا الوعي الوطني البناء • فلبنان للجميع ، لا فضل فيه لاحد على احد • واذا

كان لا بد من تمييز ، فالفضل لمن يعطي من مواهبه ونشاطه واخلاصه ، وليس لمن يأخذ من طريق الآخرين وعلى حساب الوطن .

بهذه الروح نطرح الخطوط الكبرى للاصلاح الـذي نرتأيه ، كورقـة عمل في الحوار المرتقب . ونحن اذ نعلن استعدادنا لمناقشة اي بند من هـذه البنود ، ولوضع دراساتنا في تصرف المسؤولين ، نؤكـد سلفـا أمريـن أساسيين : الاول ان هذه النقاط عامة يحتاج كل منها الى توضيح وتفصيل من قبل رجال الاختصاص في كل بند ، الثاني اننا مستعدون للقبول بأي اقتراح في هذه المجالات تتفق عليه غالبية اللبنانيين .

١ ـ في السياسة :

أ ـ الغاء الطائفية السياسية في كل مرافق الحياة العامة .

ب ـ اعتماد الاستفتاء الشعبي في القضايا المصيرية .

ج ـ تشكيل المجلس الاقتصادي الاجتماعـي ، او مجلس الشيوخ او كليهمـا .

د ـ تعديل قانون الانتخابات النيابية على اساس جعل لبنان كله دائـرة انتخابية واحدة ، واعتماد البطاقة الانتخابية ، واجراء الانتخابات فـي يـوم واحد . وفي هذا يصبح النائب فعلا « نائب الامة جمعاء » حسب نص المـادة ٢٧ من الدستور الحالي . ويصبح نائب كل شبر من لبـنان . ويقضي عـلى التزوير والرشوة وما اليهما . ويستغنى عن نقل الناخبين الى مناطقهم وما يجر ذلك من نفقات ومشاكل مخلة بالامن . ويفتح الباب واسعا للحزبية السياسية الصحيحة ، على أساس مبادىء وليس على اساس مصالـح عارضة او تجمـع اشخاص او تكتل طائفي . اضافة الى مزايا اخرى كثيرة .

ولكن اهم مزية في هذا التدبير ، ان يشعر النائب بأن ناخبيـه هـم مجموعة الشعب اللبناني وان منطقته هي كل ارض لبنان ، فتعتدل سياستـه بعيدا عن كل تطرف وتتسع آفاقه في السعي وراء المشاريـع العمرانيـة والانمائيـة .

ان المحنة المأساة التي دامت عامين ودمرت ، فضلا عن المبانـي ومرافـق

الحياة الاقتصادية ، لحمة المجتمع اللبناني ، تفرض فرضا ان يصبح لبنان دائرة انتخابية واحدة . والا فستبقى طوائف ومناطق ، ويبقى التمزيق في الباطن والتلفيق في الظاهر حائلين أساسيين دون اي وحدة وطنية حقيقية ، وبالتالي دون بناء وطن بالمعنى العميق الاصيل الثابت الاركان .

هـ ـ انشاء محكمة عليا من كبار القضاة ، متفرغة ، جميع افرادها قضاة ، مهمتها :

ـ بت دستورية القوانين .

ـ بت الطعون الانتخابية .

هذا اضافة الى المحكمة الدستورية العليا التي وردت في الدستور والتي نطالب بانشائها وقد قدم المجلس دراسة قانونية حولها الى المراجع المختصة .

٢ ـ في تطبيق مبدأ فصل السلطات :

أ فصل الوزارة عن النيابة بحيث يصبح قبول النائب الوزارة في حكم الاستقالة عن النيابة .

ب ـ انتخاب رئيس المجلس ومكتبه لمدة اربع سنوات ، لئلا يبقى رئيس المجلس رهن رضا النواب او رضا السلطة التنفيذية وذلك بطريقة الاقتراع السري الكامل .

ج ـ انتخاب رئيس الوزارة من قبل المجلس النيابي ، واشتراكه بعد ذلك مع رئيس الجمهورية في تأليف الحكومة .

د ـ عدم امكان حل مجلس النواب الا في حالات محددة .

هـ ـ تحديد صلاحيات رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء تحديدا واضحا .

و ـ في الادارة : اعتماد كل اساليب العلم والخبرة واعتماد مبدأ الفعالية ومفهومي الانتاج والمردود واستخدام التكنولوجيا لتحديث الادارة وتطهيرها تدريجا من العناصر الفاسدة او العقيمة ورفعها الى مستوى المسؤوليات الجسام التي تتولاها ، وان يكون تحركها دائما في اطار الرؤية والتخطيط وان تعتمد على تعزيز معهد الادارة وجعل عنصري الكفاية والمهارة مصدر الترقية .

٤ ــ الدفاع الوطني والامن الداخلي :

ــ اعادة بناء الجيش بحيث يصبح سياجا للوطن وأداة فعالة في انمائه ومدرسة لارساء قواعد الوحدة الوطنية وتعزيزه بالعدد والعتاد الكافيين ، وتحديث وسائل اعداده .

ــ انشاء مجلس قيادة عليا وفقا للنظم الحديثة .

ــ تطبيق التجنيد الالزامي وقانون خدمة العلم .

ــ تعزيز الجيش وزيادة عدد افراده واعادة النظر في ملاكات الرتب العسكرية بحيث يكون عدد العمداء والعقداء والمقدمين والرواد وسائر الضباط مستوحى من مقتضيات التنظيم العسكري البحت ، بالنسبة الى عدد افراد الجيش ووحداته العسكرية .

اعادة تنظيم قوى الامن الداخلي وتعزيزها بالعدد والعتاد والعناصر البشرية القيادية الصالحة ، بحيث تصبح قادرة على ضبط الامن ومساعدة العدالة في كل المناطق .

ــ حل كل الميليشيات والتنظيمات المسلحة وتجميع سلاحها .

٥ ــ في الثقافة : ان المفهوم الصحيح للثقافة هو مفهوم سياسي حضاري ، غايته الاولى بناء وطن موحد متماسك متحضر طامح . ومن وسائله مساهمة كل فرد في البناء المعنوي للوطن . لذلك لا بد من اعتماد وحدة الثقافة الوطنية بعد تحديد مضمونها ومعالمها واتجاهاتها .

اما اللغات والثقافات الاختيارية الاخرى التي يرغب المواطن في امتلاكها فهي بعد وجود الثقافة الوطنية الاصلية الواحدة سبيل التقدم الحضاري والانفتاح على العالم كله رسالة لبنان العالمية .

واما المقترحات فهي :

ــ انشاء وزارة للثقافة تهتم بمعرفة القوى التي تفكك جسم المجتمع وتحديد تطلعات الشعب .

ــ احياء التراث اللبناني وابراز منجزاتنا وتقاليدنا .

ــ انشاء الثقافة الريفية .

ــ انشاء مركز وطني للمعلومات والمحفوظات • او ، بطريقة أفضل ، التعجيل في انشاء مركز الابحاث العلمية وعلوم الانسان الذي قررت الاونيسكو انشاءه في جبيل منذ سنوات ، وبذل كل الجهود لارساء قواعده وتشييد بنيانه ، والاتصال الحثيث بكل الدول والمؤسسات الثقافية والمالية في العالم للمساهمة في اقامته وتجهيزه وتزويده بكل ما يحتاج اليه •

٦ ــ التربية والتعليم :

ــ اعادة النظر في برامج التعليم اعادة جذرية شاملة ، في مختلف المراحل ، بغية التوحيد والتحديث وتحقيق الفعالية التي يتطلبها التطور العلمي والتكنولوجي ، وبغية وضع لبنان في موكب العصر الذي يعيشه •

ــ الزامية التعليم ومجانيته حتى نهاية المرحلة المتوسطة •

ــ تعزيز التعليم المهني ، والزراعي منه على الاخص ، وتوزيع معاهده ومدارسه على المناطق اللبنانية حسب طبيعة تلك المناطق واحتياجاتها ، وذلك من ضمن خطة شاملة لتطور الصناعة والزراعة والتجارة تستشرف احتياجات هذه القطاعات المتزايدة وتمهد لسدها بتوجيه مهني سليم للناشئة في ضوء النمو السكاني وتزايد عدد المقبلين على الفروع المهنية •

ــ تعزيز الجامعة اللبنانية وتوزيع نطاقها ، مع المحافظة على وحدتها وجعلها قطب التربية والتعليم في لبنان ، وانشاء الكليات التطبيقية فيها ، وتزويدها بالاساتذة الاكفياء المتفرغين ، وتجيز مكتباتها ومختبراتها تجهيزا كاملا ، وتسهيل تعاملها بالمستوى اللائق مع كبريات الجامعات في العالم •

ــ دعم مجلس البحوث العلمية ، وتخصيص موازنة له في مستوى مهماته ليصبح عاملا فعالا في انماء الاقتصاد الوطني ، وحائلا دون هجرة الادمغة من لبنان •

ــ انشاء ادارات الاعداد التربوي على مختلف المستويات في كل المناطق •

ــ الزامية التعليم الديني وتأسيس دار للمعلمين من أجله •

٧ ــ الاعلام :

الاعلام ليس اخبارا فحسب • انه توعية وارشاد وتوجيه • من هنا

اهميته ايجابا وسلبا ، فهو الذي يساهم الى حد بعيد في خلق المواطن الصالح او في تضليل المواطن الجاهل • من هنا ضرورة توحيده توحيدا كليا من دون أي استثناء ومهما كلف الامر من مال وجهود ومجابهة • ثم اعطاء الاعلام الموحد مضمونا وطنيا صرفا • ثم تجهيزه بالعناصر البشرية الواعية المخلصة ، وبكل ما يحتاج اليه من آليات وانشاءات ووسائل اتصال ليصبح صوت لبنان وضميره ومصباحه •

وانطلاقا من هذه المبادىء يتحتم اتخاذ التدابير الآتية :

ــ اعادة النظر في تنظيم وزارة الاعلام ، لاعطائها الحجم الملائم لرسالتها الخطيرة كما ونوعا ، والاستعانة بكل معطيات التكنولوجيا الحديثة في سبيل ذلك •

ــ توسيع الاذاعة اللبنانية فنيا ليصل صوتها واضحا جليا الى كل انحاء لبنان من دون استثناء ، والى العالم بأسره •

ــ الغاء كل الاذاعات الخاصة التي أفرزتها الحوادث •

ــ انشاء مؤسسة في وزارة الاعلام ، مهمتها جمع الاخبار وتدوين الاحداث اللبنانية والعالمية وحفظ المستندات والوثائق المتعلقة بهذه الاحداث• وعموما تجمع وتنسق وتصنف وتحفظ كل ما من شأنه ان يفيد الباحثين والمؤرخين في المستقبل ، في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية •

ــ اعلان حرية الصحافة ، حرية مسؤولة ، ضمن الحدود القانونية ، ومراقبة مداخيل الصحافة ومصادر تمويلها وتشجيع اندماج الصحف المرخص بها في وحدات تعاونية ، والغاء كل الصحف غير المرخص بها التي افرزتها الاحداث •

ــ تطبيق مبدأ الزامية الاعلام والتزام السلطات بتنفيذ هذا المبدأ •

ــ تشجيع النشرات الدورية الثقافية والعلمية والتقنية •

ــ اعادة النظر ، نتيجة كل ذلك ، في قانون المطبوعات •

٨ ــ اجتماعيا

بما ان كل المشاريع التي تتولاها الدولة على كل الصعدان تتوجه الى الجسم الاجتماعي ككل وتهدف الى تحسين أوضاع الشعب المادية ، فمن

الضروري اذن ان تكون كل نشاطات الدولة مبنية في ضوء الاحتياجات الاجتماعية .

ان ارتقاء الانسان ورفاهيته وحقه في حياة كريمة تقتضي :

١ ـ ان يتم وضع سياسة ديموغرافية شاملة بالنسبة الى اللبنانيين والمقيمين على الارض اللبنانية والى الهجرة الداخلية والخارجية والى الطارئين الموقتين والدائمين حتى لا يخفى مكتوم واحد على ارض لبنان .

٢ ـ ان يتجه التطور الاجتماعي بحيث تتكافأ الفرص أمام الجميع .

٣ ـ ان تتأمن المساواة على مستوى العمل والتربية والثقافة باعتماد برامج وخطط تؤدي تدريجيا الى لا مركزية معظم المرافق الوطنية .

٤ ـ أن يتم وضع سياسة اسكان تسمح لكل مواطن بالحصول على سكن لائق بالانسان وتمكنه من امتلاكه في مرحلة لاحقة .

٥ ـ ان يتم وضع سياسة اشغال وتسليفات تسمح بتشييد مناطق سكنية في المدن والارياف .

٦ ـ أن يتم انماء المناطق المحرومة وانشاء مراكز تنمية في كل المناطق الساحلية والريفية .

٧ ـ تعميم الضمانات الاجتماعية بحيث تضم ضمان الشيخوخة والبطالة والمرض بالنسبة الى جميع المواطنين .

ـ أن يرسى بناء التقدم الاجتماعي على أساس من المشاركة الفعلية بين مختلف قوى الشعب المنتجة وأن يتأهل العمال تدريجيا للمشاركة في الادارة الذاتية مما يفسح في المجال لارتقاء اجتماعي حقيقي وبناء وطني عميق الجذور (مساهمة في ادارة المؤسسات ومشاركة في ارباحها) .

٩ ـ ان ترسم سياسة لمكافحة التلوث وحماية الطبيعة والانسان والثروات الوطنية تهدف الى تأمين مستوى أفضل لحياة المواطن في المستقبل القريب والبعيد .

١٠ ـ أن يتم انشاء مؤسسات استشفائية وصحية تبعا لحاجات المناطق.

١ ـ أن يتم وضع سياسة للطب الوقائي الاجتماعي تشمل كل انحاء الوطن . مع الاهتمام بالاقتصاد ككل ووضعه بين يدي الاختصاصيين والنزيهين .

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العدد السابع مجلد ٦٥ تموز « يوليو » ١٩٧٧ م شعبان ١٣٩٧ هـ


Shiabooks.net

تحويل دارة أحمد شوقي
إلى متحف أدبي :

عرس العربية والعروبة

بقلم : زهير ملوديني

يمكننا اعتبار ليلة الاحد الثامن عشر من (يونيو) ــ حزيران ــ ١٩٧٧ من الليالي التاريخية بالنسبة للادب العربي ، والشعر العربي ... ففي تلك الليلة انحنى الجهل للعلم ، بعد ان كانت العادة في الخمسينيات والستينيات ان ينحني العلم للجهل ، يوم كان الجهل يقبض على عنق السلطة ويمثل بالعلم والعلماء . والشعر والشعراء ... وحين اقول الشعراء لا اقصد شعراء النهود والافخاذ ، وشعراء التهريج العقائدي ، وتصوير الاقزام على انهم عمالقة ، بل اقصد الشعراء الذين تركوا في الدنيا دويا ومنهم شوقي وحافظ والمطران ..

في تلك الليلة عادت الروح الى كرمة بن هاني (دارة امير الشعراء احمد شوقي) بعد غياب عنها طال ٤٥ عاما تعدد فيه الزمان ، وتقلبت الاحوال وتغيرت الاحداث ورفعت راية الجهل طوال ربع قرن ، ونكست راية العلم ، وظهر ملاحدة الشعر العربي بحقدهم الاسود على اللغة العربية ، ولؤمهم على التاريخ العربي فصالوا وجالوا الى ان قيض الله للعلم من جاء ليعيد اليه الكرامة ، ويضع الجهل في مكانه الطبيعي .. فبدأت مصر تشهد الليالي البيضاء بعد ان كادت تفقد بصرها من الليالي الظلماء التي يفتقد فيها البدر ..

اذكر اليوم تلك القصة التي سمعتها من فقيد العربية الاستاذ عباس محمود العقاد يوم كانت مصر تفتقد الاحرار .. كانت مكتبة العقاد من المكتبات الشهيرة في دنيا العرب ، وكثيرا ما افلحت هذه المكتبة في حمايته من الجوع ،

فقد كان يبيعها حين يحس ان رأيه الحر يثير له المشاكل ويمنع عنه رزقه ، وقد باع العقاد مكتبته مرتين ليأكل ، وظل طوال حياته كاتبا حرا عظيما لا يقول الا ما يعتقد انه الحق •••

هذه المكتبة تعرضت يوما الى الاهمال الشديد بسبب غياب خادم العقاد، وقد حاول العقاد ان يزيح عنها الغبار فضاق صدره ، واحس ان صحته لن تمكنه من تنظيف المكتبة ، فقام على الفور ونزل الى حيث يقيم بواب العمارة ورجاه ان ينظف المكتبة ، ولم يكن البواب قد دخل شقة العقاد طوال فترة خدمته ••

تحية الجهل للعلم •!

صعد البواب الى شقة العقاد ولم يكد يدخل البيت حتى اصابه الروع والخوف ، وارتد هاربا ووقف خارج المنزل ، وهناك خلع حذاءه وتهيأ للدخول ، ولاحظ العقاد انه يدخل المنزل حافيا ، وسأله لماذا •• قال البواب انه يفعل ذلك احتراما للكتب ، أليس فيها ما كتبه احمد شوقي ••

ويقول العقاد خصم شوقي حين حكى القصة :

ــ لقد اكبرت فيه تحية الجهل للعلم ••

هذه العبارة التي تفوه بها العقاد ، تكاد تلخص روح عصر العقاد الذي كان شوقي من نجومه الزاهرة ••

كان هناك فكر وعلم ، وكان هناك جهل وفراغ ، ولكن الجهل كان يعرف قدره ، وكذلك العلم •• من هنا كان لا بد لنا من ان نعتبر ليلة عودة الروح الى كرمة بن هاني ليلة تاريخية لاننا في تلك الليلة بدأنا نسمع عودة الروح الى العصر •

بعد ٤٥ عاما •!

في الساعة الثامنة من مساء تلك الليلة دخل هذه الدار التي صمتت طويلا وكاد يلفها الهدوء وكأنها تتأمل ما كان ، دخل رئيس جمهورية مصر

العربية ومن حوله كوكبة من شعراء ومفكري العربية .. جاءوا من كل فج عربي الى شاطيء الجيزة الذي اختاره اميرهم احمد شوقي ليطل في اطار الجمال على الاهرام والنيل ، فاذا باسمه يضاف الى اسماء الشعراء الخالدين (شكسبير) و (دانتي) و (فكتور هوغو) و « طاغور » . وجاء الرئيس محمد انور السادات ومعه كوكبة الشعراء ليعيد الى تلك الدارة رونقها كي تصبح صالونا للفكر العربي يجتمع عنده مفكرو العرب والعربية ..

السياسة والفكر صنوان لا ينفصلان .!

ولعل السادات قد اراد بخطوته هذه ان يحي خطوة مشابهة جرت في هذه الدارة ، وذلك حين زار قبل نصف قرن سعد باشا زغلول شوقي ، وجلسا في صالون يطل على النيل والحوار يجمعهما كلما توقفت الابتسامة ... وقد سمعت من فقيد الظرف والادب الاستاذ محمد مصطفى حسام تفاصيل ذلك اللقاء :

(لقد اراد عبد الرحمن الجديلي ان يسجل ذلك الحدث بان يسمحا لبدر المصور ان يلتقطه ، وبينما هو يلتقطها قال الجديلي :

(هذه صورة الخالدين) ..

هنا اشار سعد العظيم الى امير الشعراء احمد شوقي هاتفا :

(هنا الخلود) ..

وهمس شوقي واصفا شخص الزعيم بان يكون حائزا لكل صفات الزعامة ، وهي كثيرة واولها ان يكون صاحبها على بسطة من العلم والجسم قويا على نفسه ، جريئا في الحق، خبيرا بمختلف الشؤون السياسية والقانونية؛ قويا وليس بقاس ... رحيما وليس بضعيف ... خطيبا قوي الحنجرة ، حسن البيان والالقاء ، يقدر الكبير من الاعوان ولا يجرح الصغير ، وقبيل هذا كله .. ان يكون حسن الوجه ... ولم يرسل الله نبيا قبيح الخلقة قط ..

هذا الشامخ الكبير !.

ان اطيافا تسرد ذاتها في تلك الليلة التاريخية التي عادت فيها الروح الى دارة بن هاني ، وكانت بدايتها في قصة طويلة لم تنته حول الشاعر احمد شوقي ، الذي ولد متطلعا محلقا الى السماء وكأنه مشدوه بالضوء والانوار فاصبح هو شعاعا منه للفكر ...

ألم يترك العديد من قصائد تبلغ الى (٥٠٠) في (الشوقيات) ومجلداتها الاربعة ، وعشرات الاغاني والتي تغنى عبد الوهاب بخمسين منها ، وللمسرح الشعري ترك سبع مسرحيات الفها وصاغها في خمس سنوات قبيل وفاته وهي:

(مصرع كليوباترا ... مجنون ليلى ... قمبيز .. عنترة .. علي بك الكبير .. دولة المماليك .. اميرة الاندلس) غير كتبه وروایاته النثرية ومنها :

(عذراء الهند .. تمدن الفراعنة .. فاشودة .. لادياسي او آخر الفراعنة .. شيطان بيتاورور .. اسواق الذهب) ..

لقد وصف شوقي طفولته الاولى بقوله :

(.. اخذتني جدتي لامي في المهد وكانت منعمة موسرة فكفلتني اوالدي ، وكانت تحنو علي فوق حنوها ، وترى لي مخايل في البر مرجوة .. حدثتني انها دخلت بي على الخديوي اسماعيل وانا في الثالثة من عمري .. وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال اعصابه ، فطلب الخديوي بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه فوقعت على الذهب اشتغل بجمعه واللعب به .. فقال لجدتي : اصنعي معه مثل هذا ، فانه لا يلبث ان يعتاد النظر الى الارض ..) قالت هذا دواء لا يخرج الا من صيدليتك يا مولاي.. قال :

جيئي الي به متى شئت ... اني آخر من ينثر الذهب في مصر ...
ويقول شوقي :

(... ولا يزال هذا الارتجاج العصبي في الابصار يعاودني ، وكان المرحوم الشيخ علي الليثي ـ صديق والدي ـ كلما التقيت عينيه بعيني : ينشد للمتنبي (محاجر مسك ركبت فوق زئبق) ..

مهابة الهيبة !.

ولعل هذه النظرة والتي تبدو وكأنها تائهة في الملا الاعلى هي التي حملت مثال مصر (جمال السجيني) يصمم تمثال شوقي بحجمه الطبيعي من برونز فوق قاعدته متطلعا الى سماء روما جالسا في حديقة (فيلا بورجيزي) بين شعراء تاريخ الانسانية منذ ١٥ سنة ، فاصبح الاوحد بين شعراء العربية الحديثين له كيان ووجود بين (الفردوسي ، وشيلر ، وفيكتور هوغو وشكسبير) خارج حدود العالم العربي ..

احمد شوقي ستظل تذكره العربية دائما مع البحتري وابي العلاء وامرىء القيس والفرزدق وابن الرومي وابي تمام وابي نواس ...

وكما اشتهر هؤلاء بالشذوذ كذلك اشتهر شوقي ، فكان لا يرتدي الا الصوف حتى في الصيف .. كان متدفق الالهام ... فما ان يبدأ في قصيدة ما حتى يبدأ قصيدة اخرى .. كان يصحو على قصيدة ويغفو على اخرى ... يتذوق الجمال ويحب مجلس الجميلات .! لا ينام طوال الليل حتى الرابعة كل فجر ولا يصحو الا عند الظهيرة ... وكان لا يحمل محفظة نقود في جيبه ... كان دائما يخلط اوراقه المالية النقدية وسط اوراق عادية اخرى حتى لا تلفت حاسة نشال ذكي ، كما كان متعودا ان يوزع العملة الفضية في جيوب (صديريته) كل فئة في جيب خاص ... ومقبلا على استنشاق النشوق الحاد .. واحيانا كثيرة كان اذا ما لم يسعفه الورق فانه يدون ما بقي على ظهر علبة سجاير واذا امتلأت فعلى اطراف كمي قميصه الابيض المنشاة ..

شاعر العربية و ... العروبة !

يمثل احمد شوقي (١٨٧٠ ـ ١٩٣٢) في تاريخ الشعر العربي الحديث

(ظاهرة) ادبية فريدة لها في الخلود والتأثير ما لم يظفر به سواها من العبقريات الادبية رغم كثرة الاسماء وتعدد المدارس ، ذلك ان شعره يقدم خلاصة مصفاة لديوان الشعر العربي كله ، شكلا ومضمونا ، تصويرا وتجسيدا ، بطريقة فنية ممتازة تعدل الانسان العربي بكل موروثاته القديمة فـي مجالـي الحضارة والفن .. فتراث شوقي يوحي بانه قد استوعب ـ بذكاء فذ ـ تراث العربية كله ولا سيما في مجال الشعر ، واثاره الشعرية والمسرحية والنثرية لا تتأتى الا بعد درس صبور للغة وتذوق رهيف لاسرارها ؛ لذلـك يقرب شوقـي الـى الوجدان العربي ـ دوما ـ ويجعل منه ظاهرة فنيـة مستقطبة ، ترشد الـى التراث العربي بكل خصائصه ومميزاته ..

لذلك كان شوقي يفضل ادباء العربية على كل من اعجب بهم مـن ادباء فرنسا امثال : (لامارتين والفرد دي موسيه) اكثر من هـذا فقد كان يرى ان محاولة ايجاد ادب مصري (غير شائع في الوطن العربـي لا يستوحي الادب العربي القديم) عبث وتزييف ... وتتيجة لهذا نجد شعر شوقي يقـدم اروع (نسق لغوي) عرفته العربية في العصر الحديث ... سواء من حيث البناء او الدلالة ... اي ان ديوان شوقي (مدرسة) تعلم اسرار العربية لمن سعى الى ذلك سبيلا ..

ان احمد شوقي كما فهم اسرار اللغـة العربيـة عرف ايضا مقومـات الوجدان العربي ودعائم (القومية العربية) ؛ قبل ان تطرح عـلى مستـوى النضال السياسي والايديولوجي ، لذلك نجده ـ فـي شعره ـ يجسد كـل مثاليات العروبة ، فكل ما اشاد به او شجبه يترجم فيه من وجدان امته ومثلها العليا .. فشوقي اكبر منشد تغنى بمثل امته الاخلاقية والاجتماعية ، كما كان اعلى صوت شعري في لحظات الشدة ، فرحا او حزنا ، متجاوزا ضيق الوطن الى رحاب الامة ، منطلقا من ايمان يجسده قائلا :

ويجمعنا اذا اختلفت بـلاد بيـان غير مختلف ونطـق

لقد جاهد ليجعل الترك يفهمون العرب فقال عام ١٩٠١ :

شمل اللغات لـدى الاقوام ملتئم والضاد فينـا بشمل غـير ملتئم

فقربوا بيننا فيها وبينكم فانها اوثق الاسباب والذمم

ولما ضربت فرنسا دمشق بمدافعها عام ١٩٢٦ واسى شوقي سورية مواساة الاخ الوفي الملتاع ، وبصر السوريين بدسائس الاستعمار ومكره ، وانار لهم طريق الجهاد بنصائحه ومهد لهذه النصائح بالبواعث التي دفعته الى اسداء النصح الخالص ؛ وكانت وحدة اللغة من هذه البواعث التي تربط قلوبهم بقلبه :

نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

وكان شوقي يهاجم بشدة هؤلاء الذين يتفلسفون بان اللغة العربية غير كافية لحاجة العصر ... وكان يدلل على ثراء اللغة العربية بماضيها العريق في دمشق وبغداد والقاهرة والاندلس وفارس وغيرها ، اذ زكت اصولها وبسقت فروعها ؛ ونهضت بمقتضيات العصر في جميع المرافق فمحت غيرها من اللغات ، واستقرت واستقلت محافظة على خصائصها وكيانها :

ان للفصحى زماما ويدا تجنب السهل وتقتاد الصعابا
لغة الذكر لسان المجتبى كيف تعيا بالمنادين جوابا ؟
كل عصر دارها ان صادفت منزلا رحبا واهلا وجنابا
لا تجئها بالمتاع المقتنى سرقا من كل قوم ونهابا
سل بها اندلسا هل قصرت دون مضمار العلاجين اهابا
غرست في كل ترب اعجم فزكت اهلا كما طابت نصابا
ومشت مشيتها لم ترتكب غير رجليها ولم تحجل غرابا

وما من شك في ان للعرب وجدانا مشتركا في السراء والضراء ، وهو كما يذكر علماء النفس وعلماء الاخلاق ذو آثار عظيمة في حياة الناس ، وسيطرة قوية على سلوكهم افرادا وجماعات .

وكثيرا ما تجاوب العرب في افراحهم واتراحهم ، وفي رضاهم وسخطهم ، وفي قلقهم واطمئنانهم . ولقد برع شوقي في تصوير هـذا الوجدان المشترك تصويرا جمع بين الصدق الوافي والصدق الفني في قصيدته التي حيا بها مبايعته بامارة الشعر من اقطار العروبة في عام ١٩٢٧ اذ وصف المهرجان بانه عكاظ اجتمعت فيه العروبة التي عبر عنها بالشرق على نهج كثير من شعراء تلك الفترة ــ ثم ختم القصيدة بتصوير الامة العربية جسدا واحدا اذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والالم ، فاذا تأوه بالعراق جريح امسك اخوته في الوطن العربي جنوبهم ، كناية على الالم الشديد الذي يضطر المتألم الى هذه الحركة ، وعرض شوقي لبعض ما يتصل بوحدة الشعور بالآلام من مظالم الاستعمار ، والتنكيل بالاحرار ، والجهاد للخلاص فقال :

يا عكاظا تآلف الشرق فيه ... من فلسطينه الى بغدانه
شرفت مصر بالشموس من الشرق ... نجوم البيان من اعيانه
رب جار تلفتت مصر توليه ... سؤال الكريم من جيرانه
بعثتني معزيا بمآقي ... وطني او مهنأ بلسانه
قد قضى الله ان يؤلفنا الجرح ... وان نلتقي على اشجانه
كلما أن بالعراق جريح ... لمس الشرق جنبه في عمانه

وحينما كان يستشهد بعض ابطال الحرب في جهادهم ، او تضرب مدنهم بقنابل الاعداء ؛ يهيج اخوتهم في الاقاليم الاخرى ويشاركونهم في الاسى والسخط على العدو الغاشم ، وطالما دوى صوت شوقي في هذا المجال . فلما ضرب الاسطول الايطالي بيروت عام ١٩٢١ والحرب قائمة في طرابلس الليبية بين العرب والايطاليين قال شوقي قصيدة صور فيها الابطال الذين قتلتهم القنابل اسودا ماتوا غدرا في غير معركة ؛ فليس لايطاليا اي فخر في قتلهم ؛ لان الليث المقيد يسهل صيده ؛ اما الليث المطلق فان صيده مرهوب ...

بيروت مات الاسد حتف انوفهم ... لم يشهروا سيفا ولم يحموك
سبعون ليثا احرقوا او اغرقوا ... يا ليتهم قتلوا على طبروك

كــل يصيد الليث وهــو مقيــد ويعز صيــد الضيغم المفكــوك
سالت دمــاء فيك حول مساجد وكنــائس ومــدارس وبنــوك
كنــا نؤمــل ان يمــد بقاؤهــا حتى تبل صدى القنــا المشبوك
لك فــي ربــا النيل المبارك جيرة لــو يقدرون بدمعهم غسلــوك

ولما ثارت سورية على الحكم الفرنسي سنــة ١٩٢٥ ضــرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم ، فالتهبت عاطفة شوقي ، وقال قصيدة رائعة مطلعها :

سلام مــن صبا بردى ارق ودمع لا يكفكف يا دمشق
وبي مما رمتك بــه الليالي جراحات لها في القلب عمق

هكذا كان شوقي يصرح بالعروبة ، ويحمي ذمارها ، وهكذا كان شوقي يتغنى بالقومية العربية ويعلي منارها ورحم اللــه شوقي الذي لــن يخلفــه شاعــر ٠٠!

بيروت زهير مارديني

حفلة تذكارية رائعة لشفيــق المعلــوف

اذا ذكر الشعر المهجري بصورة خاصة والعربي بصورة عامــة برز اسم شفيق المعلوف في المقدمة ، فهو شاعر محلق فــي جميع انــواع الشعر التي نظمها وفي ترجماته الشعرية عن الاسبانية ، اضف الــى ذلــك خلقه العالي ، لذلك فهو يستحق كل تكريم وتقدير ، وقد اقيمت له حفلة تذكارية تكلم فيها عدد كبير من الادباء والشعراء في ٢٦ حزيران ١٩٧٧ فالى الاعداد القادمة .

بيني وبين القارىء

عزيزي القارىء :

يهمنا ان تقدم العرفان لك ما يفيدك وينفع اولادك من مواد فيها توجيه صحيح ، وان تكون دائما على مستوى النهضة الفكرية والادبية لا في العالم العربي فقط ، بل في جميع أنحاء العالم ، ولذلك فانا نقدم لك في هذا العدد : جولة في الكتب الاجنبية كتبها الاخ الاستاذ زهير مارديني في مقال لاحق عن كتاب « لمناحيم بيغن » لانه من شؤون الساعة وجولتنا في الكتب العربية أوصلتنا الى أن نختار لك كتيبا صغيرا في حجبه كبيرا في معناه ومغزاه عنوانه « من أجل الشباب » صدر في مجموعة المكتبة الصغيرة التي يصدرها الاديب الكبير الاستاذ عبد العزيز الرفاعي وهو من تأليف المربي الفاضل والاديب الكبير الاستاذ محمد أحمد جمال يقع في أربعة فصول ، وهذا هو الفصل الاول والثاني منه ، على ان ننشر في الاعداد القادمة بقية الفصول :

* * *

قارئي الكريم :

منذ سنوات ونحن نحذر ونولول على الجنوب وساكنيه وآخرها في جريدتنا « جبل عامل » التي صدرت عام ١٩٧٥ ولكن من يسمع ومن يقرأ ومن يجرأ على الجهر بالحقيقة ، اما الآن بعد « خراب البصرة » كما يقول المثل ، او بالاحرى بعد ان طار الجنوب فما نفع النقيق والنعيق ؟!

انحراف الشباب عالميا

● الشكوى عامة في كل مكان ــ من انحراف الشباب ..
● شكوى الشباب انفسهم من اهمال المسئولين عنهم .

مثلت « رابطة العالم الاسلامي » في مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب المسلمين ، الذي التأم شمله في اسبانيا (١) والذي دعت اليه الجمعية الاسلامية في غرناطة برئاسة الاستاذين رامز الاتاسي ونزار الصباغ .. وأود أن أقول ــ بادي الرأي ــ ان وزارة المعارف في بلادي قد دعت مرتين الى ندوة عالمية للشبيبة الاسلامية عقدت في الرياض . وهي ــ أي وزارة المعارف ــ ما زالت قائمة على شئون هذه الندوة ، ومنظمة لنشاطاتها .. بريادة الوزير المخلص الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ .

وأضيف : ان قرارا حكيما أصدره مجلس الوزراء الموقر السعودي بتوجيه من الملك القائد الراشد (٢) « فيصل » (رحمه اللـه) بانشاء مجلس أعلى لرعاية الشباب برئاسة سمو الامير فهد بن عبد العزيز ــ ولي العهد ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .. واخلص من هذه الفاتحة الوجيزة الى التأكيد بأن الاهتمام « بالشباب » أصبح فكرة غالية ، ودعوة دائبة في كل مكان من العالم بصفة عامة ، وفي عالمنا الاسلامي والعربي بوصف خاص .

وهي ظاهرة تدل دلالة سافرة على ان (الشباب) يعاني مشكلات نفسية وتربوية وثقافية واجتماعية جديرة بالدرس والتفهم اولا ، ثم بالمسارعة الى الحل والمعالجة ثانيا ..

---

١ ــ كان ذلك في منتصف رجب ١٣٩٤ هـ .

٢ ــ حقا انه كان راشدا ، ولكن اين الراشدون بعده فلو انهم اقتفوا اثره وساروا على نهجه لنجحوا ...

وتبدأ الآن في تلخيص وجهات النظر المتعددة ـ ولكنها متقاربة ـ حول أسباب انحرافات الشباب سواء في عالمنا العربي والاسلامي ، ام في العالم الاوربي والامريكي ، الذي سبق الى شبابه هذا الوباء الاخلاقي ثم سرت الى شبابنا عدواه وبلواه ..

كما تثبت ما يراه رجال التربية والتعليم والتوجيه الاجتماعي من وسائل او طرائق لمواجهة هـذه الانحرافات الشبابيـة .. عـلى مستوى الاسرة ، والمدرسة أو الجامعة ، والمجتمع عامة ..

لماذا ينحرف الشباب ؟

في دراسة جنائية لاواء محمد الندرقيري ـ مدير ادارة الجنايات بالامن العام ـ جاءت ثمرة لخبرته الخاصة بحكم عمله ، ولحضوره مؤتمرات دوليـة عديدة تتعلق (بالجريمة والمجرمين) ـ يقول اللواء الاندرقيري :

❋ للتاريخ .. أرجو من كل رب أسرة ، ومن كل شاب وشابـة فـي بلادي : ان يعلموا اننا في السعودية أسعد مجتمع ، فلقد طفت العالم شرقـا وغربا ، وبحكم عملي كرجل أمن .. كنت أطلع على احصاءات الجرائم فـي كل قطر ومدينة ، فكنت أفخر بأن بلدي أكثر بـلاد العالم أمنـا واستقرارا ، وكنت أعجب كيف ان دولا كثيرة سـبقتنا في العلم والصناعة ، وتفخـر بأنهـا أكثر منا مالا وقوة ـ لم تستطع هـذه الدول ان تحقـق لمواطنيها الامـن والاستقرار ، فتطالعنا جرائدها اليومية صباح مساء بأنباء الجرائم البشعة التي من شأنها ان تهز كيان المجتمع ، وتجعله في خوف دائم وهلع مستمر ..

❋ ثم يقرر اللواء الاندرقيري : ان معظم الجرائم المرتكبة في العالـم انما تقع من الشبـاب .. وانها وليدة انفعالات نفسية تتعدد مظاهرها وصورها، كما تتفاوت أسبابها ودوافعها .. بين حب الانتقام ـ واشباع الرغبة الجنسية ـ والطمع في الحصول على المال ـ وحب السيطرة . وتنشأ هذه الانفعالات الاجرامية في نفوس الشباب نتيجة لعاملين : احدهما : عدم توفير التعليم في كل مرحلة . الثاني : عدم توفير العمل والكسب الشريف ومن المؤسف ـ كما

يرى اللواء الاندرقيري ـ ان كثيرا من الدول لا تهتم بتوفير فرص التعليم أكثر من المرحلة الابتدائية ، وتشترط لدخول المراحل التالية : ان يحصل الطالب على نسب معينة من الدرجات ـ واما الجامعات فلا يدخلها الا النابغون ، واذا عرفنا ان نفقات التعليم في كثير من هذه الدول لا يقوى على دفعها الا الاثرياء ، بدت لنا واضحة مشكلة الطلاب الفقراء ، الذين يضطرون الى ترك الدراسة للبحث عن عمل او وظيفة ومن بين (١٠٠) طالب للعمل يحظى خمسة منهم فقط بالعمل المطلوب بأجر رخيص ، فأين يذهب الاكثرون، وكيف يعيشون ؟ وماذا ينتظرهم من ظلام وضياع بعد ان سدت السبل أمامهم واغلقت الابواب في وجوههم ؟ انه الانتقام ثم الاجرام ..

❊ وليس من مكافحة ناجحة لجرائم الشباب الا اعطاء الدول فرص التعليم ، وفرص العمل لشبابها ، فبذلك تحميهم من الحيرة والقلق والخوف وسط هذا العالم الصاخب اللاغب الذي يعيشون فيه (١) .

وفي تقرير لمؤسسة (امباما دور كوللج) الامريكية عن ظاهرة الضياع والملل والخيبة التي أصابت الشباب الامريكي والاوروبي (٢) فأدت به الى الانحراف الى عالم (الهيبين) والغرق في شهواته الآسنة التي أفقدته طاقاته وقدراته وامتيازاته البشرية ـ قالت المؤسسة :

❊ ان الشباب باعتناقه (حرية الجنس) يعيش حياة اخلاقه فيها كأخلاق القطط يزاول فيها كل انواع الجنس واشكاله ، فلا غرابة ان تنتشر بينهم الامراض التناسلية بنسب كبيرة تصل أحيانا كثيرة الى درجة الوباء .

ثم ذهبت المؤسسة تشرح اسباب نشوء هذا (المسخ البشري) كما سمته وتعني به فريق (الهيبين) الذي تقلده غالبية الشباب في العالم ، وتمضي في طريقه القذر العفن ـ فذكرت ما يلي : ـ

---

١ ـ ملخص بتصرف عن مقالات للواء الاندرقيري ـ نشرتها جريدة (البلاد) قبل بضع سنوات .

٢ ـ يقول الرئيس الامريكي الراحل جون كندي : ان الشباب في امريكا اخذ في الانحراف بصورة مزعجة حتى اصبح لا يصلح للتجنيد منهم الا شخص واحد من كل سبعة اشخاص .

* الاطفال يرون في مجتمعهم وبين آبائهم واقربائهم سلوكـا ذا وجهين حيث الكذب والنفاق والتناقض ، وحيث تعتبر السرقة منهج حيـاة كما يكون الغش طريق النجاح ، والمصلحة الذاتية هي الغاية لكل متعلم وكـل عامـل • وحيث الكنائس لا تزيد عن كونها مباني أشبه بالخرائب لخلوها من القـوى الروحية الحقيقية •

* ثم هؤلاء الاطفال ينشأون في أسر مفككة ، او في بيـوت شقيـة يغيب فيها الحب المتبادل بين الابوين ، او في بيوت خاوية على عروشها ، لان الام والاب كلاهما يعملان ساعات طويلة خارج البيت ، فلا يجد الاولاد مـن يحدثهم ولا من يوجههم ، او يلومهم اذا أخطأوا ، ويثني عليهم اذا أحسنوا ••

وبذلك تنشأ الهوة الفكرية بين الكبار والصغار •• وبالتالي يبدأ شذوذ الصغار وتهورهم وعصيانهم •• الى جانب فساد الاسرة والمجتمـع •• يعيش الاطفال كما يعيش كبارهم في خوف من حرب ذرية ، ومن سباق الفضاء ومن نشوب حرب عالمية • ومن هنا ينشأ القلق في نفوسهم كمـا ينشأ اليأس مـن ايجاد حلول عاجلة او آجلة للأزمات العالمية والنزعات الدولية ، واليأس أيضا من اكتشاف أدوية للامراض المتزايدة •• كأمراض القلب والسرطان •• ثـم يكون (رفضهم) لهذا العالم العنيف المخيف •

النفور •• والاعراض بين الشباب والشيوخ

أما (كلود آلزون) في كتابه (محاولة لتفسير عـدم النضج في أوساط الشباب) ــ فيتهم الشباب المعاصر بالطفولة والعجز •• ويقول ان على الشباب ألا ينساقوا الى التأييد والطاعة العمياء بل عليهم ان يفهموا ما يطرح عليهم من مبادىء وعقائد وتقاليد ، ويعلل كلود رأيـه : بأن مشكلات الشباب المعاصر ناتجة عن الهوة السحيقة من عدم الفهم المتبادل بينه وبين عالم الكبار •

* قلت : صدق كلود آلزون ــ في وجهة نظـره ــ فالشباب نافرون ، والكبار معرضون او متجاهلون •• وكان على هؤلاء (الكبـار) من آبـاء وأمهات ومدرسين ومدرسات وموجهين اجتماعيين وموجهات : ألا يقابلوا نفرة

الشباب بنفرة مثلها ؛ بل يقابلونها بمحاولات حانية عاطفة لترويضها وتهذيبها ، واقناعها بالعودة الى الطريق الصحيح ـ ويقابلونها كذلك بالمسارعة الى حلول كافية شافية لمشكلات الشباب .. التعليمية والوظيفية والاجتماعية والجنسية جميعا .

***

وفي ندوة (الحوار الاسلامي المسيحي) التي انعقدت في لبنان سنة ١٣٨٨ هـ وتحدث فيها عدد من اعلام الفكر الاسلامي والمسيحي ـ قال الاستاذ انعام الله خان سكرتير المؤتمر الاسلامي في كراتشي : « اذا كان شباب اليوم هم قادة الغد ، فان واجب شيوخ الامة الاسلامية ان يساعدوا الشباب المسلم ، وان يسددوا خطاه ويعدوه للاضطلاع بمسؤوليات المستقبل » ..

ثم أضاف الاستاذ انعام الله قوله : « ان قادة العالم الاسلامي يهملون شبابهم .. اهمالا أدى بالكثير منهم في بعض الاقطار الى الافتتان بسحر الغرب ، والوقوع في « المادية » سواء اتجهوا غربا او شرقا » .

* وما يقوله الاستاذ انعام حق وصدق .. مع ان الاسلام دين يهتم بالاخلاق في الدرجة الاولى ويجعل (الشيوخ) في مقدمة المسؤولين عن تربية الشباب توجيها عن طريق القول والقدوة العملية في وقت واحد . وفي الفصل الثاني من هذا الكتيب يتجلى اهتمام الاسلام قرآنا وسنة وتاريخا برعاية (الشباب) وتربيتهم على مكارم الاخلاق منذ الطفولة والصبا ..

الشباب يعيش في عصر الازمات والمشكلات

يرى بعض المفكرين الاسلاميين ، الدعاة الى الاصلاح : ان الشباب ؛ من سوء حظه ، يعيش في عصر الازمات والمشكلات ، عصر القلق النفسي ؛ والاضطراب الفكري ، وفقدان الثقة ، وحرص الفرد على أخذ حقوقه ، واهماله لحقوق الآخرين .

هذا الى جانب استغلال القوامين علـى الحركات الثوريـة والاحـزاب السياسية لطموح (الشباب) وحماسه واندفاعه ، واستخدامها لـه لتحقيـق اهدافها العقائدية والسياسية ••

وقد أنتج ذلك بلبلة وفوضى في مراكـز تجمعات الشبـاب كالجامعات والمعاهد والمعامل والمصانع ، فسادتها الفوضى وقلة الانتاج العلمي والصناعي •• بل اضطراب هذا الانتاج وقلة جدواه • ونشب الخلاف ، واشتد الصدام بين رجال التربية والتعليم وبين الطلاب من الشباب وبين الشباب من العمـال والصناعيين وبين رؤسائهم ومديري المؤسـسات الصناعية التي يعملون بها •

ويعتقد سماحة الاستاذ ابو الحسن الندوي ـ المفكر والداعية الاسلامي المعروف : ان قلق الشباب واضطراب سيره ، يرجعان الى أمور عديدة : منهـا عدم ايمانه بقيمة ما تعطيه الجامعات من ثقافة وعلم ـ وتشككه في اخـلاص أساتذته وموجهيه ونزاهتهم وسموهم عن الاغراض الشخصية ـ ثـم ضعف الصلة بين الطلاب ومدرسيهم ، وافتقاد الشباب لرسالة مـا : يؤمنون بهـا ، ويتحمسون لها ، ويعملون في سبيلها •

ولاصلاح هذا الوضع القلـق المضطرب « للشباب » يقتـرح الاستاذ الندوي : اثارة شعور الايمان بمنافع العلم الدنيوية والاخرويـة فـي نفوس الشباب ـ وايجاد القدوة الحسنة علما وعملا وسلوكا مـن أشخاص المدرسين والموجهين الشباب ـ الى جانب شغل عقولهم بفكرة او دعوة تمنعهم عن تقبل الافكار والدعوات الوافدة المعاكسة للاسلام ، ثم اقامة نظام اجتماعي رواقي يعيش فيه الشباب حياة اجتماعية اسلامية •

وبالنسبة للشباب العربي ـ فـي منطقـة الشرق الاوسط ، قال بعض الخطباء من السياسيين العرب ان شبابنا ، كي يواجـه تحديات الصهيونيـة الغادرة الماكرة ، لا بد له من التزود بالخبرات العلمية والفنية •

❊ قلت ردا على قوله : ان الشباب العربي ، فـي مواجهتـه لتحديات

الثلاثي المتآمر على كرامة منطقة الشرق الاوسط واستقلالها ، الطامع في ثروتها وخيراتها المفسد لأمنها واستقرارها ـ لا يحتاج الى علوم وخبرات وفنون فهو يعيش في عصرها الذهبي ، ثم هو ـ ايضا ـ يتلقى دراسته وتجاربه فيها داخل بلاده وخارجها دون انقطاع .

ولكن الشباب العربي والاسلامي ـ في هذه المنطقة وغيرها ـ محتاج احتياجا شديدا وعميقا وشاملا الى تربية سلوكية تنمي فيه الرجولة والارادة والاخلاق هذا الثالوث التربوي العلمي الذي يفتقده شباب المنطقة وهو سلاحه الباتر وزاده الوافر في معركته مع التحديات المخربة لعقيدته واخلاقه المتآمرة على مستقبله وغده العاملة على خداعه وضياعه .

ذلك لان نظرية « العلم لاجل العلم » هي التي جردت الغرب حين آمن بها وطبقها في جامعاته ومؤسساته العلمية والتقنية ـ جردت شبابه ورجاله ونساءه من العقيدة الصحيحة ، ومن الخلق الانساني ، ومن الايمان بالمثل والمبادىء والغايات التي ميز الله بها الانسان عن الحيوان .

الشباب يعيش حياة مادية جنسية

وهناك من الدعاة الاسلاميين من يرى ان مشاعر الشباب المسلم تفتحت ـ في هذا العصر ـ على حياة مادية رهيبة ، حياة تقوم على التظالم والتطاحن والتحلل ، حياة تلاحقه وتطارده فيها بواعث الفتنة والرذيلة : من أفلام تجارية تتنافس في اثارة الغرائز الدنيا ، واشباع النزوات الرخيصة ـ ومجلات تحمل على أغلفتها وداخل صفحاتها صورا للنساء العاريات الكاسيات ، وتفوح منها رائحة العفن الخلقي التي تجتذب الحيوانات الضالة ـ وكتب تتحدث عن قصص الجريمة التي تجعل من الحمل الوديع وحشا ضاريا ـ وأغاني مبتذلة وألحان تعتمد على التأوه والتثني ، وتئد الرجولة ، وتمجد الميوعة ـ واعلانات تجارية تروج لسلعها بمناظر نسائية مثيرة ورسائل الالحاد والكفر تحطم القيم العقائدية ، وتحض على التمرد على الفضائل ، وتدعو الى كسر كل القيود الاخلاقية .

ويرى هؤلاء الدعاة الاسلاميون : ان مكافحة هـذا الوبـاء العقائدي والاخلاقي بين الشباب المسلم تتركز في افهامه حقيقة دينه ، واعطائه القـدوة الحسنة من الكبار آباء وأمهات ومدرسين وموجهين ورجـال حكـم ، لان المواعظ وحدها لا تكفي .. كما لا تشفي التعاويذ والتمائم الامراض البدنية، وكمالا تقاتل الجيوش ابتداءا أو دفاعـا بالصلوات والدعوات .. فكذلـك انحرافات الشباب لا تقوم الا بازالة (التناقضات) مـن مجتمعاتهم وأسرهم ، ومدارسهم وجامعاتهم ، وأسواقهم ومتاجرهم .

وعلى ذكر المدارس ـ دنيا كانت ام عليا على مستوى الجامعة ـ يلاحظ رجال التربية الاسلاميون ، ان الطلاب يتلقون امشاجا من القيم واخلاطا مـن الآراء المتناقضة ، من أساتذة متناقضين فكرا ومنهجا وسلوكا ، فهـم ـ اي الطلاب ذكورا واناثا ـ يتلقون من مدرس الفلسفة والاخـلاق نقيض مـا يدرسون على يد أستاذ الدين ، ويتعلمون من استاذ العلوم عكس ما درسوه من كليهمـا .



وكما هو الحال في البيئة التعليمية والتربوية في المجتمعات الاسلامية ـ يتكرر التناقض نفسه في مجالات الاعلام من اذاعة وتلفاز وصحافـة فحيث يتلو قارئ القرآن آيات عن غض البصر ، وحفظ الفـرج ، وستر العورات ، يأتي بعده حديث أو تمثيلية أو أغنية تغري بالنظر الـى مفاتن المـرأة ، وتثير الشهوة الجنسية في نفوس الفتيان والفتيـات وتشجع عـلى الاختلاط بـين الجنسـين ، وتبادل رسائل الحب والغرام والتماس اللقاء الحرام .

وهكذا دواليك تتابع برامـج الاذاعـة والتلفـاز ومقالات الصحف ، واعلاناتها التجارية وصورها العارية الكاسية متناقضة متنافـرة يفسد الخبيث منها الطيب ، ويهدم المفسد منها المصلح ، وتوقظ فتنا نائمـة ، وتثير غرائـز ساكنة ، ويكذب بعضها بعضا ، وينقض آخرها أولها .. الامر الذي يجعـل الشباب في حيرة وقلق يتحولان قليلا قليلا الى (رفض) عنيف لمكارم الاخلاق ومبادئ الدين ، وهتك لحرمات الاعراض وعورات البيوت .

من أجل ذلك يركز كثير من رجال التربية والفكر والدعوة الاسلامية في كل ما تحدثوا او كتبوا حول الشباب على مسألة (المثال الشخصي) الذي يفتقده هؤلاء الشباب في (الكبار) وعلى مشكلة (التناقض) بين القول والفعل ، وبين النظرية والسلوك ، ويشيرون الى ان التربية الاسلامية تعتمد أول ما تعتمد على (القدوة الطيبة) من الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات ، فالقرآن الكريم يؤكد مبادىء هذه التربية الناجحة في مثل هذه الآيات .

※ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » .

※ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » .

※ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

※ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » .

ونستطيع ــ الآن ــ ان نلخص مصادر انحراف الشباب كما تحدث عنها رجال الفكر والتعليم والتربية والتوجيه الاجتماعي ــ في سطور معدودة :

اولا : اهمال (الكبار) من آباء وأمهات ، ومعلمين ومعلمات ، وقادة ودعاة .. لتوجيه (الصغار) الذين هم الشباب ، وعدم اعطاء الكبار القدوة الصالحة من أنفسهم للشباب فيما يقولون وما يعملون ..

ثانيا : التناقض الواسع الذي تعيش فيه مجتمعاتهم في مناهج التعليم ، وبرامج الاذاعة والتلفاز ومقالات الصحف وأخبارها ، ومبادىء السياسة ومذاهب الاقتصاد .

ثالثا : تضييق الدول لفرص التعليم والتشغيل على شبابها مما أدى الى اضطرارهم لارتكاب الجرائم : انتقاما او كسبا للقمة العيش ، أو ارواء للغرائز العطشى •

رابعا : افتقاد (الحياة) في المجتمعات العامة حيث ازداد تكشف النساء وابداؤهن للمفاتن والمحاسن من اجسادهن ، ونشر صورهن العارية في الصحف واغلفة المجلات ، وعلى أبواب دور السينما وجدران الشوارع العامة •• الامر الذي شغل ابصار الشباب وبصائره بالتفكير الدائم في (الجنس) غراما به وبحثا عنه ، وحرصا عليه •

وفي الفصل التالي ـ او المحاضرة الثانية ـ تتجلى عبقرية الاسلام في رسمه لمنهج التربية العملية « للشباب » منذ الطفولة وتركيزه على مسئولية الكبار عن الصغار اي الشيوخ عن الشباب ـ رعاية وتوجيها وقدوة ••

ازمة الضمير الديموقراطي في احداث لبنان

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ حسن علي الزين ورث الادب كابرا عن كابر وهو رئيس مصلحة الانعاش الاجتماعي في لبنان مما يجعله يتحسس آلام الجماهير ؛ كتابه صورة عن مأساة لبنان اثناء النكبة ، وما حل به من تفكك خلقي واجتماعي في الحرب القذرة التي عاشها مدة سنتين ولم يزل يعيشها وسيبقى يعيشها سنوات ، وكما قال المؤلف « انها أزمة الضمير وجذورها تتصل بكل ما في هذا البلد من نظم تربوية ونظم اجتماعية ، والعلاج لن يكون يسيرا ولا سهلا » •

الكتاب نافع وجدير بالمطالعة •

اهتمام الاسلام بالشباب

قرآنا ـ وسنة ـ وتاريخا

ـ ٢ ـ

كان الاهتمام باديا ، في كل مؤتمر اسلامي ، بأوضاع الشباب المسلم ، والعمل لتوجيهه .. في عدد من العواصم العربية والاسلامية .. في مؤتمر البحوث الاسلامية الذي عقد في القاهرة في أوائل عام ١٣٩١ هـ وحضرته ممثلا (لرابطة العالم الاسلامي) ، وفي اجتماع اتحاد المنظمات الاسلامية الذي انعقد في منتصف شهر الحجة عام ١٣٩٠ هـ بمكة المكرمة ، وفي دورات سابقة لرابطة العالم الاسلامي ، وفي ندوة الحوار المسيحي الاسلامي التي التأمت في بيروت سنة ١٣٨٨ هـ ـ في كل هذه المؤتمرات وغيرها ألقيت بحوث علمية وأخلاقية عن (الشباب) وواجب رجال الحكم والسياسة والتربية والتعليم نحوه تربية وتعليما وترشيدا ، واعدادا للغد المرتقب ، بكل مسئولياته ، وقضاياه ، واماناته الثقال .

وفي المؤتمر الاقليمي الذي عقد بالكويت قبيل مؤتمر (كيوتو) الذي عقد باليابان عام ١٩٧٠ م للبحث في أسباب انتشار الجرائم الاخلاقية في العالم ـ قرر المؤتمرون : (أن ضعف الوازع الديني لدى الشباب اليوم هو أكبر أسباب انتشار الجرائم في المجتمعات الانسانية بصورة لم تعهد من قبل) .

اذن فالحديث عن (الشباب) ومسئولياتنا تجاهه كأمة تحظى دون الامم الاخرى بمنهج تربوي فريد ـ واجب ومناسب للمقام مكانا ، وزمانا ..

ان الشباب هم أمل الحاضر ، وعدة المستقبل .. أي رجال المستقبل : قادته ، حكامه ، وزراؤه ، قضاته ، ومعلموا أجياله التالية . واذن فمهمة اعداده وتربيته ليست سهلة ولا هينة ، وواجب اصلاحه وتقويمه ليس أمرا ثانويا بل هو فريضة على الآباء والاولياء ، واجبة الاداء .

لذلك وجب ان يبدأ في تكوين الشباب منذ النشأة الاولى ، منذ الطفولة الباكرة ، على ان يستمر هذا التكوين الراشد في أطوار العمر • ونحن المسلمين ينبغي ان نخلص في تكوين شبابنا على أساس اسلامي ، فلا ندعه ينشأ على عادات غير اسلامية ، ولا نطيل اقامته في جو غير اسلامي ، واذا اضطررنا الى ذلك من أجل الدراسة ، فلنقم له البيوت الاسلامية هناك ، التي يجد فيها بيئة أهله : معيشة وسلوكا واداء لفرائض الدين ، واستمساكا بآدابه ، وسيرا على هداه •

ودور الابوين في تكوين الشباب ، منذ النشأة الاولى ، مهم وفعال ، وقد أكد أهميته وفعاليته التوجيه النبوي : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، او ينصرانه ، او يمجسانه) (١) •

اما اهتمام الاسلام ــ قرآنا وسنة ــ بالشباب تربية وتعليما ، واصلاحا وتقويما ، فهذه بعض مبادئه ونماذجه :

اهتمام القرآن بالشباب

يلفت القرآن الكريم أنظار الآباء الى مهمتهم الابوية المقدسة ، وفي وصايا لقمان لابنه ومواعظه كما حكاها القرآن نفسه عن هذا الاب الحكيم (٢) في هذه الآيات الكريمات التي بدأت بالثناء على لقمان بأنه أوتي الحكمة وما يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا :

❊ « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر الله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غني حميد » •

❊ « واذ قال لقمان لابنه ــ وهو يعظه ــ يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » •

---

١ ــ رواه البخاري •

٢ ــ اختلف في نبوة لقمان •

❋ « يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل ، فتكن في صخرة ، أو في السماوات ، او في الارض يأت بها الله • ان الله لطيف خبير » •

❋ « يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الامور » •

❋ « ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الارض مرحا ، ان اللـه لا يحب كل مختال فخور » •

❋ « واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك • ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » (١) •

ان هذه الوصايا التربوية ، التي حكاها القرآن على لسان لقمان •• كنموذج لاهتمام الآباء بالابناء ، او عناية الشيوخ بالشباب ـ واضحة المعاني ، سامية الاهداف لا تحتاج الى تفكير كثير ، أو الى تفصيل طويل •

فهي أولا : النهي عن الاشراك بالله عز وجل ، فهو الحقيق بالتوحيد والعبادة ، لانه الخالق الرزاق والمحيي المميت ، وهو الفعال لما يريد •

وثانيا : التنبيه الى ان الله تبارك وتعالى يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وان الاحداث والاشياء الصغيرة •• مهما دقت وخفيت فان الله يعلمها ويأتي بها يوم القيامة ، ويحاسب عليها •• ان خيرا فخير ، وان شرا فشر •• ان الله لطيف خبير ، فعلى الشباب الذين لهم ـ على آبائهم وأولياء أمورهم ما الشيوخ ـ حق التعليم والتوجيه : ان يدركوا هذا المعنى الدقيق لقدرة الله عز وجل ، ولحكمه الواسع ، وخبرته المحيطة •

وهي ثالثا : الامر باقامة الصلاة ، التي هي عمود الاسلام ، وهي كذلك فرق ما بين الكفر والايمان •• ثم التوجيه الى واجب الامر بالمعروف والنهي

---

١ ـ سورة لقمان من ١٢ ـ ١٨ •

عن المنكر اللذين هما أساس المجتمعات وقيامها على الحق والخير والبر ، ثم الوصية بالصبر على مكاره الدعوة الى الله ، ومتاعب الجهاد في سبيله ، ففي الصبر ــ كما جاء في الحديث ــ خير كثير وجزاء الصابرين كما يقول القرآن كبير : (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) •

وهي رابعا : الزجر عن الكبرياء في معاملة الناس ، وعن الخيلاء مشيا في الارض •• فان الله يبغض كل مختال فخور •

وهي خامسا : الامر بالاعتدال في الخطى ، وخفض الصوت عند الكلام• لان رفع الصوت ليس من أدب الانسان بل هو شأن الحيوان •

وهل بعد هذه الاخلاق الكرائم ، والآداب الحسان من تربية ينشدها الآباء لابنائهم ، أو يطلبها الشيوخ لشبابهم ؟! •

***

ونمضي في تأمل آي القرآن الكريم ، فنجده يثني على جماعة من الشباب بأنهم « فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (١) لماذا ؟ لانهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة ، ولجأوا الى الله في كهف يعبدونه ويدعونه « ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشدا » (١) •

ونجد القرآن ــ في موضع آخر ، في سورة كاملة ــ يضرب نبيه يوسف عليه السلام ، مثلا للشباب الصالح العفيف الذي يستعصم عن الفسوق وهو يتعرض لفتنة جمال امرأة العزيز ، ويتصدى لرغبتها فيه ، ودعوتها اياه واستعدادها له : (وراودته التي هو في بيتها ، عن نفسه وغلقت الابواب وقالت : هيت لك قال : معاذ الله انه ربي أحسن مثواي •• انه لا يفلح الظالمون) (٢) •

---

١ ــ سورة الكهف ١٣ .
١ ــ سورة الكهف ١٠ .
٢ ــ سورة يوسف ٢٣ .

كما نقرأ في أواخر سورة (النور) تأديبا قرآنيا رائعا لاعضاء الاسرة المسلمة يشمل الشاب ، في موضوع الاستئذان من الصغار بدخولهم على الكبار في أوقات الراحة والخلوة : « واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته • والله عليم حكيم » (٣) وذلك لئلا يطلع الشباب على علاقات آبائهم الخاصة ، فينشغلوا بها ، قبل أوانها •• وفي ذلك فساد كبير • وفي اهتمام السنة بتربية الشباب ــ كما سيأتي توجيه آخر من هذا الوادي •

وأخيرا نجد القرآن يصور لهفة الآباء ، وحرصهم على صلاح ذريتهم في الدنيا ، تمهيدا للحاقهم بهم في سعادة الآخرة : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما » (١) • « والذين آمنوا، واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم عن عملهم من شيء ، كل امرىء بما كسب رهين » (٢) •

وبصفة خاصة يروي لنا القرآن قصة نوح عليه السلام مع ابنه : « قال يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » ولكن الابن أصر على الافتراق عن أبيه ، فلم ييأس نوح وتوجه الى ربه العزيز الحكيم بقلب الاب العاطف اللاهف : « رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » الخ ••• وقريب منها قصة ابراهيم عليه السلام في سؤال ربه عز وجل ان يشمل بنيه بالصلاح : « واجنبني وبني أن نعبد الاصنام » وان يجعلهم أئمة هدى مثله : « قال اني جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتي •• قال لا ينال عهدي الظالمين » •

فالقرآن اذن بما يقدم لنا من وصايا وآداب وقصص عن « الابناء » وضرورة عناية « الآباء » بتقويمهم وتعليمهم انما يؤكد اهتمامه البالغ بشباب

---

٣ ــ سورة النور ٥٩ .
١ ــ سورة الفرقان ٧٤ .
٢ ــ الطور ٢١ .

الامة الاسـلامية ؛ لانه في يومها مشرق أمل ، وفي غدها مناط عمل وجهاد ..

اهتمام الرسول بالشباب

وتأمل ـ الآن ـ اهتمامات نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام بالشباب: تعليما وتربية وتوجيها الى الخير ، واتتفاعا بنشاط الشبيبة وحماسها واخلاصها ـ فقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم الاحاديث التالية :

❊ اوصيكم بالشبان خيرا ؛ فانهم ارق أفئدة .. ان الله بعثني بالحنيفية السمحة ؛ فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ : ثم تلا قوله تعالى :

« فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون » .

❊ اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

❊ كما ذكر عليه الصلاة والسلام في ما يسأل عنه العبد يوم القيامة قبل أن يقضى له أو عليه انه « يسأل عن شبابه فيم أبلاه » .

❊ وعد الرسول في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله: « الشاب الذي ينشأ في عبادة ربه » .

❊ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحفظ للفرج ـ ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

❊ ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن » .

❊ لان يؤدب الرجل ولده خير من ان يتصدق كل يوم بنصف صاع » .

❊ مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ؛ وألبسوهم السراويل ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

* اكرموا أولادكم ، واحسنوا آدابهم » .

* من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه » .

* الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

* يا غلام اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » .

وغير ذلك من توجيهات تربوية يختص الاسلام بها الشباب ــ لا نحصيها في هذا الفصل ، لئلا نطيل على القاريء ويتأمل هذه الاهتمامات النبوية بالشباب تتبين ان الاسلام حريص على ان يلفت أنظار أتباعه وأفكارهم الى حقيقة تكوين الشاب كغرسة ناشئة طرية ، قابلة للتشكيل والتلوين على الصورة المرادة .

كما يلفت أنظارنا وأفكارنا الى خطورة هذه المرحلة من عمر الانسان : للمسارعة والاستباق الى رعاية تشكيلها وتلوينها على الصورة الطيبة الفاضلة التي يريدها الاسلام ، والتي يحث عليها القرآن والسنة النبوية .

ولان الشباب ــ كما جاء في التوجيه النبوي الاول ارق أفئدة ، لم تتراكم بعد على قلوبهم غشاوات العادات والاخلاق التي تتركز عادة في طبائع الشيوخ ــ كانوا ، اي الشبان ــ : اسرع الى الاستجابة لدعوة الاسلام ، ونصرة رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم .

والسبب نفسه يحث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما سبق من توجيهاته وتنبيهاته على ان يحسن الآباء تأديب اولادهم وهم صغار قبل ان يشبوا عن الطوق وتتحجر عقولهم وقلوبهم على طبائع منكرة ، فيصعب تهذيبها او تطبيبها في الكبر .

ويعد النبي صلى الله عليه وسلم تأديب الوالد لابنه الشاب أفضل عطية يهبها اياه ، بل هي خير من الصدقة يمنحها غيره .

وفي سبيل المحافظة على الشباب من الاندفاع مع فورة الحداثة وثورة العاطفة ـ يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب بالزواج ، لان فيه سكنا ومودة ورحمة بين الجنسين من الشباب ، وفي حالة تعذره او تعسره .. عليهم بالصوم ليخفف عنهم الحاح العاطفة ، ويلطف فيهم فورة الشبيبة .

ثم يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الاهتمامات ـ ان يغتنم الشباب شبابه الذي هو قوة وفتوة ، وحماس واخلاص ، قبل ان يهرم ، فلا يستطيع طلبا للعلم النافع ، والا انجازا للعمل الصالح ، ولا اداء لواجبات دينه وأمته ووطنه : دعوة وجهادا وذيادا .

كما يوصيه ان يحفظ الله .. أي يتقيه ويطيعه ائتمارا وازدجارا ، فجزاء ذلك ان يحفظه الله .. أي يكون معه في كل ما يسلك من طريق نحو معيشته وعمله وعبادته ، بالتوفيق والتيسير والعون ، والوقاية من كل سوء ..

وان يكون اتجاهه بالسؤال والاستعانة الى الله وحده ، فهو المالك المتصرف في الكون كله وفي الناس كافة : خلقا ورزقا ونفعا وضرا ، واحياء واماتة ، ورفعا وخفضا .

كما يحث التوجيه النبوي الى الامر بالصلاة .. حتى تصبح الصلاة للفتيان عادة لا يستطيعون منها فكاكا ، وهي بطبيعتها تهذيب لنفس الفرد وسلوكه ، ونهي له عن الفحشاء والمنكر ـ كما يقرر القرآن الكريم ذلك .

ونلاحظ ان التوجيه النبوي ألزم الآباء والامهات بالباسهم لاولادهم ذكورا واناثا السراويل ، والتفريق بينهم في المضاجع .. لانهم في هذه السن او هذه الفترة من العمر تتنبه فيهم الحوافز العاطفية والجنسية ، فلا بد خلال هذه الفترة الحرجة من آداب وأخلاق تلزمهم الحياء ، وتصرفهم عن التفكير في أمور سابقة لاوانها .

وقد أشرنا من قبل حين تحدثنا عن اهتمام القرآن بالشباب الى بعض آداب الاسرة التي شرعها الاسلام بصيانة الشباب من الانحراف الجنسي ،

وهي (العورات) الثلاث التي منع الصغار من الدخول على آبائهم وأمهاتهم خلالها الا بعد ان يستأذنوا ..

كل ذلك لينشأ الشباب أطهارا ابرارا بعيدين عن النزوات والشهوات التي تضعف الهمم وتهد العزمات ، وتصرف الشباب عن الاهتمام بالجد في الدراسة وطلب المزيد من العلم ..

اهتمام علماء السلف بالشباب

ومن وصايا علماء سلفنا الصالح ـ من صحابة وتابعين ـ بالشباب ما كان يقوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للشباب أنفسهم : « اياكم والتنعم ـ واياكم وزي العجم ـ وعليكم بالشمس فانها حمام العرب ـ واخشوشنوا ـ وانزوا على الخيل ، واضربوا بالسهام » .

* وما يقوله ابن شهاب الزهري : « لا تحقروا أنفسكم لحداثة اسنانكم ، فان عمر بن الخطاب كان اذا نزل به الامر المعضل دعا الفتيان ، واستشارهم يبتغي حدة عقولهم » .

* وما يقوله ابن الجوزي : « ان الشباب أمانة عند آبائهم ، وان قلوبهم كجوهرة ساذجة قابلة لكل نقش ، فان عودهم آباؤهم الخير نشأوا عليه ، وان عودوهم الشر نشأوا عليه ، فينبغي ان يصونوهم ويؤدبوهم ويهذبوهم ويعلموهم محاسن الاخلاق ، ويحفظون من قرناء السوء ، ولا يعودوهم التنعم والرفاهية ، فتضيع أعمارهم في طلبها اذا كبروا » .

الاسلام في الاساس .. كان حركة شباب

ونعود فنذكر بالحديث المنسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم : « بعثت بالحنيفية السمحة .. فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ » لنتبين سر مخالفة الشيوخ للدعوة الاسلامية بادي الرأي .. فهذا العالم الفرنسي (أيرمت) المختص بعلم الجهاز العصبي يكشف سر « الخلاف الدائم بين فئة الشبيبة وبين الفئة المتقدمة في السن .. ان سببه هو فقدان دماغ الشيخ

ليونته مع تطاول العمر ، وبالتالي عجزه عن الانسجام مع أوضاع جديدة وأفكار عصرية » .

وصدق الرسول الكريم .. لقد كانت حركة الاسلام الاولى : حركة شباب ، ويعترف بذلك (مونتقمري وات) في كتابه « محمد في مكة » اذ يقول : « لقد انتمى الى الاسلام شباب ينحدرون من أفضل العائلات ، وأشهر القبائل ، وان أهم فكرة نستخرجها من تاريخ المسلمين الاوائل : هو ان الاسلام كان في الاساس حركة شباب » .

وتأكيدا لهذه الحقيقة التاريخية التي يذكرها الحديث النبوي ، ويشهد بها المستشرق « مونتقمري وات » نثبت هنا بعض اسماء الفتيان والشبان الذين استجابوا لدعوة الاسلام ، وتولوا هم بعد ذلك رعايته ودعايته ، والجهاد في سبيله ونشره في العالمين :

« علي بن أبي طالب ـ ٨ سنوات » .

« الزبير بن العوام ـ ٨ سنوات » .

« الارقم بن أبي الارقم ـ ١١ سنة » .

« سعد بن أبي وقاص ـ ١٧ سنة » .

« جعفر بن أبي طالب ـ ١٨ سنة » .

« صهيب الرومي ـ ١٩ سنة » .

« زيد بن حارثة ـ ٢٠ سنة » .

« عثمان بن عفان ـ ٢٠ سنة » .

« عمر بن الخطاب ـ ٢٦ سنة » .

« ابو عبيدة بن الجراح ـ ٢٧ سنة » .

« بلال بن رباح ـ ٣٠ سنة » .

« عبد الرحمن بن عوف ـ ٣٠ سنة » .

« ابو بكر الصديق ـ ٣٧ سنة » .

الشباب الاسلامي : انحرافاته ومشكلاته

بعد ذلك العرض الموجز لاهتمامات القرآن والسنة وعلماء السلف .. بالشباب : تعليما وتربية وتوجيها نتحدث بايجاز أيضا عن انحرافات الشباب ومشكلاته ، وما ينبغي لنا ، بل ما يجب علينا من المسارعة الى انقاذه واصلاحه وتقويمه .

مما لا ريب فيه ان هذه الانحرافات والمشكلات التي يعاني منها الشباب الاسلامي ـ في عصرنا الحاضر ـ هي نتيجة لاسباب وعوامل متعددة ومختلفة .. بعضها ذاتي ، وبعضها محلي ، وبعضها خارجي .

اما السبب الخارجي لانحرافات الشباب المسلم ومشكلاته ، فهو العدوى السريعة الفتاكة التي انتقلت من شباب الغرب العلماني وشباب الشرق الالحادي ، الى شباب العالم الاسلامي عن طريقين : الاول هو الاستعمار السياسي سابقا وما خلفه من استعمار فكري وثقافي وتشريعي . الثاني هو الاتصال الحضاري والثقافي الدائم بين العالم الاسلامي والعالمين الغربي والشرقي .. فكثير من الشباب المسلم يتلقون العلم في معاهد الغربيين وجامعاتهم ، وكثير من خبرائهم ومدرسيهم يستقدمون للعمل في المعاهد والجامعات والمؤسسات العربية والاسلامية ..

أما السبب المحلي لانحرافات الشباب ومشكلاته .. فهو هذا التناقض الاجتماعي العجيب الذي يشيع في جوانب شتى من حياة الشباب : في البيت، والمدرسة ، والسوق والشارع ، والنادي .. ان الشباب ـ في مجتمعه ـ يتعلم في في مدرسته أمورا دينية ، ويستمع من العلماء والوعاظ الى دروس اخلاقية .. ثم ينطلق الى البيت والسوق والنادي فلا يرى اثرا أو صورة او مثالا لما تعلمه في المدرسة ، او استمع اليه في المسجد .

ثم يتكرر هذا التناقض عندما يرى الشاب في التلفاز ، او يسمع في المذياع قصة اسلامية رائعة تبدو فيها الاسرة مسلمة العقيدة والسلوك ، او

حديثا دينيا يحث على مكارم الاخلاق ، ويروي او ينقل بعض الآداب القرآنية والنبوية .. ثم بعد ذلك مباشرة يرى او يسمع ، مـن نفس المذيـاع او ذات التلفاز : قصصا تمثيلية ، او أغنيات او أحاديث .. تغري بمشاهدها وكلماتها وحركاتها بالفسق والفجور وعظائم الامور :

هذا الى جانب ما يرى ـ في المكتبات التجارية ـ من كتـب وصحف ومجلات تناقض موضوعاتها وصورها وقصصها وتورث قلوب الشباب حيرة وضلالا ، لا يميز معهما الطيب من الخبيث .

ان هذا « التناقض » الشائع فـي المجتمعات الاسلامية ـ هـو السبب المحلي لانحرافات شبابنا ومشكلاته ، وهو ـ في نظرنـا ـ أهـم الاسباب الثلاثة واخطرها ، وآجدرها بأن نبدأ باصلاحه وتقويمه .

أما السبب الذاتي .. فهو طبيعة الشباب : الحـدة والجـدة وحـب الانطلاق ، والحرص على الحرية ، والفراغ مـن المهمات والشواغل . وهـو ـ في نظرنا ـ أيسر الاسباب الثلاثة ، واصلاحه والخلاص منه ، يتأتى تلقائيا بالخلاص من (التناقض) الذي يعم سلوك المجتمعات الاسلامية كلها : فـي مناهج تعليمها ، وفي برامج اعلامها اذاعة وتلفازا وصحافة وكتابـا ، وفـي احكام تشريعها الشخصي والجنائي ، وفي المؤسسات الاجتماعيـة والثقافيـة والرياضيـة .

اذا استطاع المسلمون حكاما وعلماء ومفكرين ومعلمين ـ ان يتخلصوا من هذا (التناقض) الرهيب الرعيب في سلوك مجتمعاتهم .. عـاش الشباب بخير وطمأنينة ، وذهبت حيرته وثورته ، وانتهى تقليـده لانحلالات شبـاب الغرب وانحرافاته ، واقترب من دينه اعتقادا وسلوكا وعبادة ، وأحس بالامن النفسي والخارجي .. فيما يتحقق لـه من توافق بين المبـادىء الدينيـة والاخلاقية ، وسلوك المؤسـسات الثقافية والاعلامية والاجتماعية والاداريـة والتجارية في مجتمعه الاسلامي .

وباختصار : ان ما يقرأه الشباب الاسلامي او يسمعه فـي جامعتـه او

مدرسته او مسجده او كتابه او صحيفته عن عدالة التشريع الاسلامي ، وأصالة حضارة الاسلام ، وقصص أبطاله ورجاه وخلفائه ، التي ملأت سمع الزمان وبصره مجدا وحمدا ــ ان هذا المقروء او المسموع يجب أن يجده الشباب حقيقة واقعة في البيت والمدرسة والجامعة والنادي والسوق والادارة والوزارة .

وسيكون من طبيعة المطابقة بين السلوك والمبدأ : ان يعطي الآباء والحكام والعلماء والمربون والمدرسون والمفكرون والكتاب والوعاظ والرؤساء والوزراء .. القدوة الطيبة ، والاسوة الحسنة من أنفسهم للشباب. وبذلك يقضون على انحرافاته ومشكلاته ، وينتفعون بجهوده وطاقاته ، لخير دينه وأمته ووطنه .

كيف نملأ فراغ الشباب والطلاب ؟

بقي ان نتحدث عن (فراغ) الشباب طلابا وغير طلاب ، فالشباب من الطلاب مشغولون اكثر يومهم او أسبوعهم او شهرهم بالدراسة والمذاكرة . ولديهم ــ مع ذلك فترات (فراغ) يوميا واسبوعيا وشهريا بل سنويا .. وهي العطل الدراسية طويلة الامد التي تمتد قريبا من ثلاثة شهور او تزيد .

والشباب من غير الطلاب ، أي العاملين في وظائف الدولة او العمل التجاري ، او المؤسسات الاهلية .. لديهم (فراغ) أطول ، وفترات راحة واستجمام اكثر .

وفي الحديث « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » (١) وما أصدقه من حديث ، وما أمره من واقع أليم يعيشه المغبونون في صحتهم وفراغهم ، حيث يهدرونها في لهو ولغو ، وفي عبث وضياع ، دون انتفاع بعلم او عمل ، ودون ممارسة لرياضة جسدية او عقلية او روحية .

١ ــ رواه البخاري .

والشباب هم أول المقصودين بهذا التوجيه التربوي السامي ، فهم أكثر الناس صحة ، وأوفرهم عافية بحكم اعمارهم الفتيـة الناشئة . وهـم ارغب الناس في (فراغ) واجودهم سعيا اليه ، وبحثا عنه .. بحكم قلة مسئولياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، بل انعدامها أحيانا ، لانهم مكفولون مـن آبائهم . مكيفون من أولياء أمورهم : مأكلا وملبسا ومركبا .. ولذلك فهم أعظم غبنا في صحتهم وفراغهم من غيرهم .

ونحن الآباء ورجال التربية والتعليم والشئون الاجتماعية ـ مسئولون مع الشباب عن شغل (فراغهم) بما ينفعهم ويمتعهم متعة نظيفة شريفة ، وينفع في الوقت نفسه وطنهم ومواطنيهم من اعمال وخدمات اجتماعيـة وعمرانيـة وتعليمية ورياضية وتربوية .

ان هناك مجالات رحبة . وفرصا عديدة أمام الشباب طلابا وغير طلاب : لتكوين الجمعيات الثقافية والسياحية والرياضية ، والقيام برحلات وجولات داخل مناطق المملكة على الاقل ، والتطوع في أعمال الطـرق والمساهمة فـي تعليم الاميين ، والاستزادة من الدراسة الحرة فـي بعض العلـوم والمعارف واللغات الاخرى ، وزيارة المكتبات الخاصة والعامة للقراءة والبحث .

وللشباب من غير الطلاب ، الذيـن لـم يستكملوا دراستهـم لاسباب اقتصادية أو اجتماعية ، فرص متاحة لاستتمام هذه الدراسة بالانتظام فـي المدارس الليلية ، أو الانتساب للكليات التي تقبل الانتساب ، او تعلـم لغـة أجنبية ، أو خبرة فنية ، وما الى ذلك من اشتغالات والتزامات ترقى بمستوياتهم العلمية والفكرية ، وتنأى بهم عن مؤديات (الفراغ) وجناياته على الاخـلاق العامـة والخاصـة .

أليس ذلك خيرا من ان ندع الشباب في عالمنا العربي والاسلامي ، يقبل بكليته على نشر صوره وعنواناته في المجلات ، فيمـا يطلقون عليـه (بـاب التعارف) ويذكر تحتها هواياته العابثة التافهة .. فهذا يحب المطربة الفلانية ، وهذه تعجب بالمغني (فلان) وهذا يعشق الموسيقى ، وهذه تنتظر ان يراسلها

شباب او طالب من البلد الفلاني ، وذلك يطلب تبادل الصور والطوابع مع الآخرين بل مع الجنس الثاني بالذات .

بل أليس ذلك خيرا من ان ندع (الشباب) يلتهم الكتب والمجلات الجنسية ، التي يزعم أصحابها الاطباء أنهم يقدمون لقرائها أبحاثا ودراسات صحية ، وهم في الواقع المشهود يدسون السم في العسل ، حين يفتحون صفحات مجلاتهم لتساؤلات المراهقين والمراهقات في شئون الجنس ويتولون الاجابة عليها في صراحة ووقاحة تزيد الشباب نهما وتمد له في حبال النزوات والشهوات ، وتصرفه عن الاهتمام بمعالي الامور ومكارمها ، الى الاهتمام بالسخافات والتفاهات الجنسية ؟

ان هذه المصارف والمشاغل الجادة التي اقترحها لتكون بديلا للشباب عن مصارفه ومشاغله التافهة الحقيرة انما يسأل عن تحقيقها وانجازها : وزارات التربية والتعليم والاعلام والشئون الاجتماعية ، في العالم العربي والاسلامي كله . وهي تستطيع بامكاناتها المادية والادبية ان تستنقذ « الشباب » من ضياعه وفراغه ، ولتجعل منه أملا عذبا ، وعمدا صلبا لبلاده ومواطنيه ، وجندا صادقا قادرا على الجهاد والذياد .

وأعود فأذكر بما أسلفت من أن ما يكتب وما يذاع في صفحات العالم العربي والاسلامي واذاعاته وتلفازاته من أبحاث ودراسات ونداءات وتوجيهات دينية لوعظ « الشباب » وزجره لا يغني فتيلا ، ولا يردع من انحراف ولا يمنع من فسوق ، لان الكلام وحده لا ينفع ، اذا كان واقع المجتمعات العربية والاسلامية مخالفا له ، معاكسا اياه .

فلا بد اذن من العمل الجاد مع المواعظ العلمية والنصائح الخلقية .. التي ينشغل بها الشباب سلوكا واقعا ، ويكون بها مصدر قوة وخير وعزة لوطنه ولمواطنيه .

العهد : الدستور الأزلي

عهد الامام للاشتر النخعي يوم ولاه مصر ، وهو يصح ان يكــون دستورا لكل حاكم عادل ، فهل يقراه الحكام في بلادنا العربيــة والاسلامية . اذا كانــوا يقراون ــ ويسيرون على منهاجه ويهتدون بهديــه ، حينئــذ ينجحوا وينجحوا شعوبهم . وقد قررنا نشره تباعا في العرفان .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر فــي عهده اليه . حين ولاه مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها أمره بتقوى الله ، وايثار طاعته ، واتباع ما أمر بــه في كتابه : من فرائضه ، وسننه التي لا يسعد أحد الا باتباعها ، ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها ، وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فانه جل اسمه ، قــد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه .

وأمره ان يكسر نفســه من الشهوات ويزعها عند الجمحات ، فان النفس أمارة بالسوء الا ما رحم الله .

ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك مــن عدل وجور ، وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لــك فــان الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحبت أو كرهت ، واشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبــة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان : اما اخ لك في الدين ، او نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلــل وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على ايديهم في العمد والخطأ فاعطهم مــن عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فانــك فوقهم ووالي الامــر

عليك فوقك ، والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة ، ولا تقولن اني مؤمر آمر فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير ، واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك أبهة او مخيلة

فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فان ذلك يطامن اليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ويفي اليك بما عزب عنك من عقلك .

اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته ، فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال .

أنصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى ومن رعيتك ، فانك الا تفعل تظلم ! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع أو يتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم ، فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد .

وليكن احب الامور اليك أوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها رضا الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة .

ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم أعوان الاثمة ، واخوان الظلمة ، وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه : اولئك أخف عليك مؤونة واحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفا ، واقل لغيرك الفا فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك ، ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك واقلهم مساعدة فيما

يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع • والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة •

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء • فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان ، وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة ! والزم كلامهم ما الزم نفسه واعلم انه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وليس احد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للانصاف ، وأسأل بالحاف وأقل شكرا عند الاعطاء، وابطأ عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة • فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم •

وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم عندك اطلبهم لمعائب الناس فان في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك، اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع! فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور ، فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله •

وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر

عليك بما نقضت منها •

واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل عمال الانصاف والرفق ، ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله له سهمه • ووضع على حده فريضة في كتابه او سنة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولادة وعز الدين ، وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم •

العرفان وخطتها

العرفان : مجلة علمية أدبية ثقافية سياسية، تكرم حرية الفكر وتحترم رأي كل كاتب او مؤرخ او شاعر اتفقت معه في الرأي او اختلفت، وهي غير مسئولة عما ينشر فيها من مقالات وبحوث وآراء وشعر ، فأصحاب المقالات يتحملون تبعة آرائهم لا المجلة ، وانها تنشر كل رد في باب المراسلة والمناظرة بشرط ان يكون صادرا عن علم ويحترم آداب المناظرة •

★ ★ ★

بيان للقراء الكرام

سنة العرفان عشرة أشهر وهي تعطل شهري « آب وأيلول » م الموافق لشهري « رمضان وشوال » هـ وتعود الى القراء في ١٥ تشرين الاول الموافق ٣ ذو القعدة • فالى اللقاء في ذلك التاريخ •

مقالات كثيرة وشعر أكثر وأكثر تأجلت بسبب كثرة المواد •

مناحيم بيغن في
كتابه « الثورة »

اننا نحارب ...
اذن نحن موجودون !

بقلم : زهير مارديني

هل كان يجب ان ينجح تكتل (ليكود) لنتذكر ان زعيمه ميناحيم بيغن هو الارهابي العالمي الذي جعل من الارهاب طريقا للوصول الى السلطة ؟

لقد أظهرت التعليقات التي صدرت بعد اعلان نتائج انتخابات « الكنيست » التاسعة في الاراضي المحتلة ، والتي نال فيها ميناحيم بيغن ٤٣ مقعدا ، ان ما نعرفه عن مجتمع الاغتصاب أقل من القليل .. فاسرائيل التي نتحدث عنها صباح مساء في الصحف والاذاعات هي اسرائيل (العين المجردة) ... اما اسرائيل بمعنى التحدي الحضاري لهذه الامة فقلما يأتي على اطراف أقلامنا .. ولكي نفهم التحدي الذي تفرضه اسرائيل علينا يجب ان نفهمها من الداخل .. ان نفهم العوامل القديمة والجديدة التي تدخل في تكوين هذا التحدي .. سواء كانت هذه العوامل موجودة في التاريخ القديم ، او الارهاب المنظم او في التاريخ المعاصر .. سواء كانت هذه العوامل موجودة في مجال السياسة او العسكرية ...

لقد ايقظنا نجاح ميناحيم بيغن على ان اسرائيل اوسع من الكيلومترات التي تحتلها ، وأعمق من المسافة التي تفصل بين خطوط الهدنة ... والبحر !

وهذا هو الدليل ...

نذير ... ووعيد ..!

بعد قيام دولة الاغتصاب بأقل من سنة أصدر ميناحيم بيغن زعيم منظمة (الارغون زفاي ليومي) ـ ومعناها المنظمة العسكرية الوطنية ـ كتابا تحت

عنوان : (ذي ريفولت) ـ الثورة ـ تحدث فيه عن دور المنظمة في اقامة الدولة ، والمعارك التي خاضتها ، والجرائم التي ارتكبتها ، والاغتيالات السياسية التي اقدمت عليها ••• وقد أحدث هذا الكتاب ضجة عند صدوره، لا في الاوساط العربية التي لم تسمع بالكتاب ولكن في الاوساط العالمية التي استكثرت هذه الجرأة في رواية الجرائم •• على النحو الذي رويت فيها من قبل فاعلها والمخطط لها ••

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب :

(كتبت هذا الكتاب قبل كل شيء لامتي •• لئلا ينسى اليهودي ثانية ـ كما نسي ويا للكارثة من قبل ـ هذه الحقيقة البسيطة ••• وهي انه توجد أشياء اثمن من الحياة وأفظع من الموت ••• ولكنني كتبت هذا لغير اليهود أيضا •• لئلا يكونوا غير راغبين في ان يدركوا ، او ميالين الى التغاضي عن حقيقة انه من خلال الدم والنار والدموع والرماد ، قد ولد نوع جديد من الكائنات البشرية ، نوع لم يعرفه العالم على الاطلاق خلال أكثر من ١٨٠٠ عام ، هو (اليهودي المحارب) •• ذلك اليهودي الذي اعتبر العالم انه مات ودفن الى الابد ، قد بعث ••!)

بهذا النذير يستهل بيغن مقدمة كتابه •• وينهيها بالوعيد التالي :

(•• اني أسأل نفسي أمام القراء من غير اليهود ومن الاعداء • لو قدر لامتك ان تجد نفسها مرة أخرى في وضع كالذي كانت فيه عندما اضطرت الى ان تعمل تحت الارض وتحارب ، وتصبح ثائرا مطاردا ••• فهل تكرر في مثل هذه الحالة ما سبق ان فعلته ؟ والجواب هو بكل تأكيد • نعم) ••

الارغون اول منظمة ارهابية •!

ويروي بيغن في الفصول الثلاثة الاولى من الكتاب كيف اعتقل في الاتحاد السوفييتي في نيسان ١٩٤١ على اثر تسلله عبر حدود بولونيا ـ حيث ولد ـ ثم كيف نقل الى أحد معسكرات الاعتقال النائية ليمضي الثماني

سنوات التي حكم بها عليه بتهمة انه من عملاء المخابرات البريطانية .. ثـم كيف افرج عنه بعد فترة وجيزة على اثر توقيع التحالف بين بولونيا والاتحاد السوفييتي ، وكيف عاد الى بولونيا والتحق بجيشها ... ومع هـذا الجيش كيف انتقل الى فلسطين عن طريق ايران ثم العـراق ثـم شرق الاردن التـي يسميها (تراثنا) ..

ويقول ان اباه علمه منذ صغره ان اليهود سيعودون الى فلسطين التي لا يسميها الا (ارض اسرائيل) ! ـ وليس (يهاجـرون) او (يسافـرون) او (يذهبون) بل (سيعودون) ... كما يروي كيف انضم الى حركة (بيتاز) وهو تلميذ ، وهي منظمة الشباب اليهودي الصهيونية في اوربـا ، الـى ان أصبح زعيمها في بولونيا .. وشرح في أكثر من خمسين صفحة أهداف هذه المنظمة في تربية جيل من الشباب اليهودي يكون مستعدا ليس للعمل فحسب من أجل أهداف الصهيونية في اقامة دولة اسرائيل ، بل لان يحارب من اجلها ... ويتعذب ... ويموت ... كما يذكر انه في الوقت الذي كان فيه هـو وزملاؤه منهمكين في تربية شباب يهود بولونيا وتنظيم (اعادتهم) الى (ارض اسرائيل) نشأت في فلسطين منظمة (الارغون زفاي ليومي) التي كانت أول بشير بقوة اليهود ، وعلى رأسها قائدها الغامض (دافيد رازييل) ومساعـده الهادىء (ابراهيم شتيرم) ، وأول منظمة عملت عـلى توفير الاسلحة لليهود وعلى تدريب شبابهم عسكريا ..

وكان أول من نادى بانشاء الارغون هـو الزعيم الصهيوني (فلاديمير جابوتنسكي) الذي كانت سياسته تقوم على أساس ان اليهود لا يمكـن ان يستولوا على فلسطين الا بالقوة ، فلما فشل في اقناع الزعامـة الصهيونيـة الرسمية بانشاء جيش يهودي ، اسس بنفسه الارغون في فلسطين ، كما كـان هو منظم حركة (بيتار) في اوربا ..

ويذكر بيغن انه عند مروره بالحبانية في العراق ، لم يكن يدري انه على بعد خطوات من قبر اول قائد للارغون (دافيد رازييل) ، الذي كان أمله ان يضع نفسه تحت أمرته ويحارب تحت قيادتـه بمجرد وصولـه الـى فلسطين

وفراره من الجيش البولوني •• وكان (رازييل) قد قتل في العـراق اثنـاء قيامه بمهمة للجيش البريطاني •

ويختم بيغن الفصل الاول من كتابه فيذكر سخرية القياصرة الروس مـن التفكير الصهيوني ، ويرد بيغن على هذه السخرية بقوله :

(قد يكون هذا الايمان غير عملي •• ولكن ربما كان الايمان أقوى من الحقيقة •• فالايمان هو الذي يخلق الحقيقة) • ويقول :

(ان عاملين رئيسيين كانا يتحكمان في وضع الامة اليهودية فـي أوج الحرب العالمية الثانية : كان هتلر يبيد الملايين من اليهود في اوربـا ، وكانت بريطانيا تقفل في وجههم ابواب (وطنهم القومي) فلسطين •

احتقار العالم لليهود .!

ويستعرض بيغن ما حل باليهود في المانيا باسلوب ابتزازي ، ولا يلـوم المانيا وحدها على هذه الاعمال بل يحمل وزرها العالم كله وعـلى الخصوص بريطانيا التي يتهمها بالقيام بدور ايجابي فيها بوقفها الهجرة الى فلسطين ساخرا من ادعائها الخوف من تسرب جواسيس الالمان بين المهاجرين اليهود •

ويذكر ان الارغون قامت بالاشتراك مـع منظمات صهيونية أخـرى بتهريب آلاف كثيرة من اليهود من اوربا الى فلسطين رغم مقاومة بريطانيا لهذه العمليات ، ويقول :

(هبط ليل مظلم ، بل احلك الليالي ظلاما على الامة اليهودية في اوربا •• قتل وعذب ملايين النساء والاطفال والرجال •• ولم يعد هناك مجال لخداع انفسنا ••• لم يكن النازيون واصدقاؤهم وحدهم الذين ينظرون الى اليهود كحشرات يجب ابادتها ، بل اعتاد العالم كله اعتبار اليهود مختلفين على سائر البشر ••

وكما ان العالم لا يشعر بالعطف على الآلاف من الماشية التي تساق الى

المذابح ، فانه لم يشعر بالعطف ايضا ــ او ربما كان قد اعتاد ــ عنـد رؤيـة عشرات الالوف من اليهود يقادون الى مذابح الالمان ..

ان العالم لا يشعر بالعطف على الذين يذبحون .. انـه لا يحترم سوى اولئك الذين يحاربون) .

ويخلص بيغن الى ان هذين العاملين : اضطهاد اليهود في أوربا ، واغلاق ابواب فلسطين في وجوههم ، كانا السبب المباشر في نشوب ثورة اليهود فـي فلسطين ، مؤكدا انهما كانا السبب (المباشر فقـط) على اساس انـه ينبغي التفريق بين الاسباب الاساسية التي لا بد ان تنشأ عنها الحروب والثورات ، والاسباب المباشرة التي تحدد موعد قيامها ..

ابعد من اسرائيل .!

اما السبب الرئيسي في رأيه فهو روح الثـورة والكفـاح التي وجدت لدى فريق من اليهود ، والتي لولاها لغربت الشمس على امتهم .. ويستطرد قائـلا :

ان كفاح اليهود وان كان لم يحقق اغراضهم كلها ولم يؤد الى اكثر من قيام دولة اسرائيل في جزء فقط من بلادهم .. الا انه حـال دون تحطيمهـم نهائيـا .

وينبغي على الوكالة اليهودية سياسة (ضبط النفس) التي فرضتها على قوات (الهاغانا) والتي كانت تملي عليها الا تقوم بأي عمل حربي الا من قبيل الدفاع ، ذاكرا ان (الارغون) ما انشئت الا لتنفيذ عكس هذه السياسة .

ويقول ان قيادة الارغون عندما قررت بدء مهاجمتها للانكليز في أواخر عام ١٩٤٣ ، بحثت طويلا في هل تصدر بيانا باغراضها قبـل الشروع فـي الاعتداء ، او تقدم عليه مباشرة بدون مقدمات .. واخـيرا قررت اصـدار البيان رغم ما في ذلك من اضاعة لعنصر المفاجأة الهام من الناحيـة الحربية ، وذلك لشرح مبادئها وتحديد مطالبها واهدافها التي تتلخص في تنبيه اليهـود

الى ان المعركة ستكون طويلة وتتطلب تضحيات جسيمة ، وابلاغ العالم انها ستقاتل بكل الوسائل حتى تتم اقامة حكومة يهودية في فلسطين تنتقل اليها سلطات حكومة الانتداب ••

وينتهي الى انه لم يعد بذلك مجال للتراجع امام اليهود •• فاما تحقيق اغراضهم ، او الموت •• ويقول :

(ان الفيلسوف الفرنسي ديكارت قد نطق بكلمة بليغة عندما قال : ـ افكر •• اذن أنا موجود ـ ولكن هناك اوقات في تاريخ الامم لا يكون فيها التفكير كافيا لاثبات وجودها •• وقد تفكر الامة بينما ابناؤها يستعبدون رغم تفكيرهم او يبادرون في مثل هذه الاوقات تكون الكرامة الانسانية نفسها معلقة بالمقاومة ولذلك : اننا نحارب •• اذن نحن موجودون) ••

الستراتيجية اليهودية :

ويشرح بيغن كيف ان ثورة اليهود لم تقم على الاعتبارات العاطفية ، بل سارت على هدى من الواقع •• فقد قامت هذه الاستراتيجية الموجهة ضد الحكومة الانكليزية على قواعد رئيسية ثلاث اشبعت درسا ، عدا انها كلفت عدم محاربة العرب لها بقصر هجماتها على الانكليز واعلان العرب بعدم رغبتها في التحرش بهم ••

ويستطرد قائلا انه كانت هناك حركات وحوادث كبيرة وصغيرة وان لم تكن اعمالا عسكرية بالمعنى المفهوم ، فانها اصابت جذور هيبة الحكومة وربما كانت آثارها أقوى من الاعمال الحربية الناجحة ••• مثل اعتقال الضباط الانكليز كرهائن ، وجلدهم وشنقهم ، فلم تؤد هذه الاعمال الى ازدواء رجال الحكومة البريطانيين في الجحور ـ شأن اليهود في اوربا ـ فحسب ، ولم تزعزع هيبة الحكومة فقط •• بل ما لبثت ان حطمتها في فلسطين ••

وبفضل اعمالنا اصبحت فلسطين كبيت من زجاج تنظر الدنيا الى ما يجري في داخله باهتمام متزايد ، وكما كانت الاسلحة عدتنا في الهجوم ، كان

بيتنا الزجاجي درعا في الدفاع •• وبهذين السلاحين واصلنا كيل الضربات الى هيبة وكرامة حكومة الانتداب ••

التنظيم الداخلي لمنظمة الارغون •!

ثم يتحدث بيغن عن التنظيم الداخلي للارغون فيقول :

(•• كانت على رأسها قيادة عليا تشرف عليها هيئة اركان حرب ؛ وان المنظمة كانت مقسمة الى تشكيلات يتناسب عدد افرادها مع مقتضيات المعركة الخفية التي تخوضها ؛ وان عدد اعضاء المنظمة المتفرغين تماما لاعمالها لم يزد في أي وقت عن ثلاثين او اربعين عضوا يتقاضون مرتباتهم من المنظمة حسب حاجاتهم الاجتماعية لا مراكزهم في المنظمة ، فكان مجرد سائق بسيط ذي عائلة يتقاضى مرتبا أعلى مما يتقاضاه عضو القيادة العليا الاعزب ؛ بينما كان المئات من اعضاء المنظمة الذين ما لبثوا ان اصبحوا ألوفا يزاولون اعمالهم العادية في العلن وان كانوا جميعا تحت تصرف المنظمة في أي وقت تحتاج لهم فيه ••

وكان اغلب الاعضاء لا يعرف بعضهم بعضا ؛ كما لم يكن الجنود يعرفون ضباطهم الا عندما يخرجون معا للقيام بعمليات •• وكانت المنظمة تضمن المساواة التامة بين اعضائها من مختلف جنسيات اليهود ؛ بينما كان اليهود الغربيون بصفة عامة يزورون يهود البلاد الشرقية •• وكانت المنظمة تعتمد في تمويلها على ما تستولي عليه من معسكرات الانكليز ومن بنوكهم ، وعلى تبرعات اليهود في فلسطين وخارجها ، كما كانت المنظمة ــ بالاضافة الى تقسيمها الاداري والجغرافي العادي القائم على غرار الجيوش النظامية ــ تنقسم الى اربعة أجزاء هي :

ــ جيش الثورة ••
ــ فرق العاصفة ••
ــ فرق الالتحام ••
ــ فرق الدعاية للثورة ••

ويقول بيغن : (ان جيش الثورة لم يوجد قـط الا نظريا ، فقـد كانت الفكرة منه ان يؤلف احتياطي القوات ويضم جميع اعضاء المنظمة غير المشتركين في احد اجزائها الثلاثة الاخرى •• ولكن الذي حدث فعلا هو انه كان يتلقى المنضمين الجدد الى المنظمة فقط الذين كانوا يتلقون تدريبهم فيه ثم ينقلون الى احد الاجزاء الاخرى ، ولم يكن له كيان مستقل •

فرق الصاعقة او الجيش الاسود •!

اما فرق الصاعقة ، او الجيش الاسود كما كانوا يسمونه ، فقد كان الغرض من انشائها هو تدريب جماعات على العمل في المناطق العربية ، سواء في فلسطين او خارجها ••

وكان اعضاؤها يختارون من بين المائلين الى السمرة والذين تشبه ملامحهم ملامح ابناء البلاد العربية ، وكانوا يتلقون دراسات خاصة في اللغة ومختلف اللهجات العربية العربية ، وكانت نسبة كبيرة منهم من بين يهود الاقطار العربية • ويفرد بيغن لهذه الفرق اكثر من خمسين صفحة يتحدث من خلالها عن التكتيك والاستراتيجية واعمال هذه الفرق التي ارعبت الانكليز وابقت قواتهم في حالة ذعر دائم ••

فرق الدعاية الصهيونية •!

اما فرق الدعاية فقد افرد لها بيغن الصفحات تلو الصفحات ، فهي التي تدافع عن تصرفات الارغون ، وهي التي تقلب الجريمة الى بطولة ، وهي التي تنشر الصور في العالم وتشرف على اعداد المقالات •• ويقول :

(كنا نعمل تحت الارض ، فتصورنا الدعاية وكاننا نعمل من على ظهرها ••)

قيادة العصابة الارهابية •!

ويروي بيغن كيف ان (ياكوف مريدور) كان قد تولى القيادة العليا للمنظمة بعد مقتل قائدها الاول (رازييل) ثم لم يجد غضاضة في ان يتنازل له

عنها عند اختياره لها ، ورضي ان يكون عضوا في القيادة العليا تحت امرته ثم ما لبث ان وقع في ايدي الانكليز الذين نفوه الى اريتريا كما نفوا غيره من رجال الارغون الذين وقعوا في قبضتهم •• وبعد ان يعدد نواحي نبوغ اعضاء قيادة المنظمة الارهابية وكبار قواعدها يذكر ان الشاب الذي شغل مركز مدير عملياتها بعد اعتقال الضابط الكبير الذي كان يقوم بهذا العمل من قبل، وضع اكثر خطط العمليات الكبيرة التي قامت بها المنظمة •• وكان هذا الشاب يجمع بين صفتين قلما توجد في شخص واحد •• فقد كان لـه عقـل مفكر مخترع ، واستعداد قائد الميدان العامل المنفذ ••

الاستعداد لمحاربة العرب •!

في هذا الفصل يكشف بيغن عن انحطاط التفكير لديه ولدى معاونيه . انه يفاخر بوضعه نظاما دقيقا لمحاربة العرب لا يقوم على الاخلاقية ، انه لا يرى اي حرج من قتل اطفالهم ونسائهم لكي يدب في قلوبهم الخوف فيهربوا من فلسطين ويتركوها لليهود •• وهو يعزو الى نجاح العظمة في حربهـا ضـد العرب عدة عوامل منها السرية التامة التي كانت تراعيها في جميع اعمالهـا ، وتثبيتها المبدأ ان الفضول والتفاخر هما اعدى اعـداء السرية فـي اذهـان رجالها •• والى ان عملها السري كاد يكون مكشوفا •• فطبيعة المناطق التي يسكنها اليهود في فلسطين وخلوها من الجبال والغابات كانـت تحـول دون تجمع رجال المقاومة في أماكن بعيدة عن العيون وتضطرهم الـى العمل بـين السكان •• وكان في ذلك ميزة خاصة للاخفاء ، فقد كانوا يرون الكل ، ولا يراهم احد •• وكانوا ايضا يحرمون حمل الاسلحة عـلى الاعضاء الا عنـد القيام بالعمليات ، وكانت وجهة نظرهم في ذلك ان الاحتفاظ بميزة المبادرة في العمل التي كانت اهم مصادر قوتهم ، يتطلب عدم تعريض رجالهم للاضطرار الى خوض اية معركة مع السلطات الانكليزية الا حسب خطة موضوعة ••

ويقـول :

(ان المحافظة على اية حركة سرية تتطلب اكثـر مـن الاسماء المستعارة والاوراق المزورة ••• انها تتطلب اولا وقبل كل شيء الاقتنـاع الداخلـي

بشرعية العمل الذي تقوم به ، وكان هذا الايمان هــو الــذي يحــول دون اضطراب اعضاء المنظمة عنــد التقائهم بدوريــات الانكليــز التفتيشية ، ومواجهتهم لاسئلتهم المحرجة المدققة وهو الذي يحفظ لهم ثبــات جأشهــم وتماسكهم ويستفيض بيغن في الحديث عن عمليات الاغتيال الـسياسي الـتي نفذتها الارغون ، كما يستفيض بالحديث عن المجازر التــي افتعلتها المنظمــة داخل فلسطين ••• ويعتبرها من أساليب الحرب التي خاضتها المنظمة لجعــل العرب يخافون ••• ويقول :

لقد انتصرنا على الانكليز بالسرية ••• وعلى العرب بالوحشية)

كل هذا يشرحه بيغن في فصول الاساليب السرية للارغون ، وتعــاون الارغون مع عصابتي شترن والهاغانا •• وحين يأتي على ذكــر حرب فلسطين يقــول :

ان الحرب مع عرب فلسطين تطلبت القيام بجهود جبارة واسعة النطــاق خارج فلسطين ، لتجنيد اكبر عدد ممكن من شباب اليهــود وتجهيــز اكبــر كميات ممكنة من الاسلحة والمعدات وجلبها الى ميدان المعركــة التي تقــرر مصير الصهيونية ••• ويستطرد بيغن بأن الاستراتيجية العامة التي وضعتهــا القيادة العليا للمنظمة للحرب ضد عرب فلسطين ثم ضد جيوش الدول العربية كانت ترمي الى اربعة اهداف رئيسية هي :

ــ احتلال القدس ، ويافا ، وسهل الرملة ــ اللد ، والمثلث الذي تقــع على أطرافه مدن نابلس وجنين وطولكرم ، تمهيدا لفرض السيطرة اليهوديــة على كل الاراضي الفلسطينية على أقل تقدير ••

ولكن لم يتمكن اليهود من تحقيق اكثر من قسم واحد من هذه الخطــة تحقيقا كاملا ، وهو الشطر الخاص باحتلال يافا ، ومن تحقيق جزء فقط مــن قسم آخر هو الخاص باحتلال القدس ، فمع انهم احتلوا الجزء الاكبر منها الا ان بقاء احيائها خارج نطاق سيطرتهم يسلب العملية ميزة النجــاح الكامــل

ويحرم ما احتلوه منها ، بل ويحرم دولة اسرائيل كلها من الامان . (بعد ذلك وفي عام ١٩٦٧ تم لليهود تحقيق احلامهم وكان ميناحيم قد عين قبل حرب الايام الستة وزير دولة) هذا بعض ما يكتب عن مؤلف يحتوي على ٨٠٠ صفحة ... وهناك الكثير الكثير مما يجب ذكره ولكن ليس هنا مكانه ..

ولعله يجدر بنا في نهاية المطاف ان نذكر المعلقين ، نذكرهم فقط ، ان المخابرات الاسرائيلية قد تشكلت فور قيام الدولة من عناصر العصابات الارهابية ، وفي طليعتها منظمة « الارغون زفاي ليومي » فمعظم الذين شغلوا المناصب الرئيسية في هذه المخابرات كانوا من قادة هذه المنظمة ، ولم يلتحقوا بعملهم الا بعد ان دخلوا كلية « غسل الدماغ » الذي كان يدرس فيها بيغن نفسه ، وهذه الكلية من مهامها اعادة المقاتل الوحش الى السوية البشرية .

زهير مارديني

الى المشتركين في العرفان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنوء بحمله المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك ما يمكن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكات في المجلة كما يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية
٥ دنانير في البلاد العربية
١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربية
٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية
٥٠ دولارا جوا للخارج
١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسسات الرسمية والسفارات والبنوك والشركات بالبريد العادي
١٥٠ بالبريد الجوي
واشتراك الانصار لا حد له .

من حديث الفرسان في العهود الاقطاعية

بقلم : علي الزين

ثم اني استقطابا لكل ما يمت بالموضوع من اخبار وانطباعات وخصائص ارسلت صورة مجملة لما كتبته عن مظاهر الفروسية وتقاليدها لكل من الفاضل الشيخ عبد المحسن الظاهر والاستاذ رضا بك التامر وطلبت ملاحظاتهما وتعليقيهما على كل ما سجلته بتحفظ عن الموضوع باعتبار انهما ممن شاهدوا او مارسوا او تلقنوا هذه العادات والتقاليد في بيئة كان جل اعيانها مولعين بركوب الخيل وتعمير الميدان فبادرني الشيخ عبد المحسن بالرد التالي :

« صفوة الادباء فضيلة الاستاذ الشيخ علي الزين المحترم . اني مكبر لك ما اكبرته مني وعاطفة شوقي اضعاف عاطفة المشتاقين وتقديري لك فوق تقدير المقدرين نظرا لما ألمسه من حسن النقد وتتبع الآثار وبلاء التمحيص في جميع حوادث التاريخ .

طالعت رسالتك المنشأة عن صدق الاخلاص وثبوت الوداد . وطلبك مني بيان انواع الفروسية لعلمك اني عاشرت ممارسيها وملابسيها .

صحيح ادركت آخر عهدهم ، غير اني لم أشاهد من ذلك سوى اني سمعت من شيوخ العائلة (آل الصغير) بعض اوصاف عن الفروسية ولو جئت اصفها الآن لم آتي على بعض ما وصفتها وصورتها كأن السامع وصفها مثل مشاهد لها وجال في حلبتها لان الفكر الناضج والاحساس السليم يبدعان التصور وينمقان الوشي فيبهر الناظر ويطرب السامع وليس بعزيز على فضيلتكم ان تخرجوا لجبل عامل تاريخا جامعا لسائر أوضاعه من حروب وتقاليد وعادات فتكون عصاة الجريدة فيه كعصاة موسى واني لاشكر فضيلتكم على وضع الثقة بي في هذا المضمار مع اني لست من فرسان هذه الحلبة والله المسؤول بأن يوفقكم لما تأملون » .

في ١٠ آب سنة ١٩٦٧

عبد المحسن الظاهر

مشاهداتي

شاهدت من انواع الفروسية السباق فهو كما وصفتموه ، وشاهدت ضرب الجريد ، ومنه (الطقلمة) وهي ان يطلق الفارس اثناء غارته الجريدة التي بيده الى الارض على رأسها فتعلو عن الارض مقدار ذراع او اكثر حسب قوة الفارس ومهارته ، وحين ارتفاعها عن الارض يقبض عليها وهو غائر بفرسه .

وشاهدت من يضع رأسه على قربوس السرج ويرفع رجليه في الهواء ثم يعود رأسه لما كان عليه والجواد غائر به ، في منتهى الجري ، وشاهدت من يجمع الاحجار ويضعها في الخرج والجواد غائر .

ورأيت من ينزل الى الارض عن الجواد ثم يعلو عليه والجواد غائر ورأيت من يعطي ظهره رأس الفرس ووجهه الى قفاها ثم يعود الى ما كان عليه والفرس غائرة .



من هوامش اخبار الفروسية

وانواع الفروسية كثيرة وهذا الذي وصلنا من اخبارها ، فعهد الفروسية في زمن الشيخ ناصيف ، وحمد البك ـ بين ١٢٦٩ و ١١٦٣ هـ ـ كانت فيه الفروسية تشاهد عيانا بالواقع لا بالتمثيل . لخوضهما الغارات الحربية .

واما عهد التمثيل ففي زمن علي بيك وابن عمه محمد بيك الاسعد وأخيه خليل بيك حتى عهد كامل بك الاسعد . وهو آخر عهدها .



وفي عهد علي بيك ظهر تمثيل الفروسية بنصب الميادين في كل شهر او احتفال او مجتمع ، يقول الشيوخ من العائلة : كان علي بيك عالما (ملما) بأنواع الفروسية أخذ ذلك عن عمه حمد البيك ولكنه لا يمارسها وشهادته فيها غاية ما يتنافس فيها ، وظهر من اولاده محمد نجيب بيك جامعا لعلم

الفروسية وفنونها بالسيف والرمح والجريد ، وبعده أخـوه ناصيف باشـا (الاسعد) •

خليل بيك لم يكن محيطـا بأنواع الفروسية نظير علي بيك وان كـان اخوه محمد بيك في الطليعة ، ويصفه الشيوخ بأنه كان جريئا منيعا على الخيل وكان يحسن ضرب الجريد وخطأه فيها اكثر من صوابه ، والذي كـان ممتازا ومشهورا في ضرب الجريد ، حسن بيك الفارس ، يروي الشيوخ له اخبـارا بضرب الجريد شبيهة بالاساطير وبعده حسن بيك البندر وامتـاز عـن غـيره بالجرأة والاقدام •

رغب خليل بيك ان يتقن اولاده انواع الفروسية حينمـا كـان متصرفـا (قائمقاما) بلواء نابلس (١) • وكانت هنـاك العشائر العربيـة فوضع لهـم معلمين ، واتقن محمود بيك شيئا عنها وأقل منه عبد اللطيف وكامل بيك لـم يرغب بذلك ، وامتاز بألعاب الرمح (في عهد خليل بيك) عبد الله بيك التامر ، شاهدته ومعه الرمح حوالي سنة ١٣١٤ هـ ولم أشاهده في الميـدان ، وبقـي رمحه موجودا عند بعض أقاربه في قريتنا (الحلوسية) •

وفي عهد كامل بيك امتاز بالفروسية وتمثيلها محمود بيك وعبد اللطيف وناصيف باشا والشيخ حمد المحمود ، وفـي عصر كامل بـك ظهـر التلاعب (البهلواني) في الميدان كالوقوف على الرأس وكالنزول عن الجواد واخـذ الحجارة عن الارض وما شاكل ذلك •

والذين امتازوا بهذه الالعاب (البهلوانية) وأتقنوها اثنـان : سليـم محبوبي ، ومصطفى المحمود ، شاهدتهما رأي العين •

---

(١) يقول صاحب مخطوطة جواهر الحكم « انهم في ذلك العهد كانوا يسمون القائمقام متصرفا ولا يفرقون بينهما في الصلاحيات » . (لاحظ المخطوطة)

هذه غاية معلوماتي عن تمثيل الفروسية في جبل عامل (٢) .

ثم بعد هذا الرد من الشيخ المحترم جاءني جواب الاستاذ رضا بك بنصه التالـــي :

« بيروت في أول أيلول سنة ١٩٦٧ »

« أخي المفضال الشيخ علي : الود والاخلاص وبعـد ، تليت كتابـك وسرني منه انك في تمام الصحة والرفاهية ، أخي : لقد تمعنت بما يحتويه هذا الكتاب ، وعدت بذكرياتي الى سن الطفولة حينما كانت دروس الفروسية في الجنوب تمثل مركز الصدارة وكانت لها اساتذة لتلقينها ، وقد كنت من عداد التلامذة حتى بلغت درجة تقارب شهادة الاستاذ ، وانطلاقا من هـذا الواقـع وجدت عدم الجواب على مـا ورد بكتابك خطيـا لان هـذا يستلـزم وضع اطروحة ، وحتى أتمكن من اعطائك الاجوبة المثمرة يجب ان نجتمع اجتماعـا مطولا وعندئذ تدون معلوماتي فتأخذ منها ما تريد ، وتترك ما ليس لك مـن فائـدة فيهـا .

وأكون سعيدا اذا ما شرفتني الى التامرية ، وأنا لي حقوق عليك فاقبـل تسديدها بزيارة ، حتى اذا كانت حالتك المادية تمنع عليك من دفـع تكاليف الانتقال فاني على استعداد لتقديمها بالغة ما بلغت ؛

اذن عليك أن تخابرني هاتفيا الى التامرية وتحدد لي موعـد تشريفك ؛ والتامرية في هذا الفصل توافق مزاجك ، وجيراننا من آل الامين كثر ، نقضي الليل نستعرض ماضينا ونبكي على حاضرنا ونتكهن بمستقبلنا ، فـاذا مـا منحتنا من وقتك ليلة واحدة كانت قاضية علينا او منقذة لنا ، فباسم آل الامين

---

(٢) لا يخفى ان الذين لمعوا بتمثيل الفروسية بهذا العهد كثيرون ، منهم طالب محبوبي ، وامه محبوبي ، واخته ، من قرية الطيبة ، ومنهم الحاج يوسف حيدر جابر من النبطية ، والشيخ علي زين من الية ، والسيد عثمان خليل من عديسة والمعني وعلي افندي عبد الله من الخيام .

كما امتاز محمود بيك الفضل واسعد حله من النبطية بضرب الجريد وامتاز بهيج بك الفضل وسعيد افندي غندور بخيولة الرمح ، بل لمع بهيج الفضل في كل ميدان شاهدته به . (المؤلف).

وتابعهم رضا التامر ندعوك ولا نقبل لك عـذرا ، ونحـن بانتظـار تشريفك وختاما دم

المخلص
رضا التامر

***

وبناء على ما تضمنته هذه الرسالة للاستاذ رضا التامـر ، ذهبت الـى مزرعة التامرية واصغيت الى ملاحظاته وتعليقاته على مـا كتبتـه وصورته . فوجدت ملاحظاته ومعلوماته على تنوعها وتعدد صورها ، لا تختلف عن أدق ما سمعته من اعلام الفرسان في الجبل ان لم تفقها تنسيقا وتوضيحا ودلالـة على مدى معرفة الاستاذ بأصول الميـدان وشروطه وتقاليـده فـي الاوساط العامليـة .

***

من حديث الفرسان في المجالس العاملية

ثم اجتمعت بعد ذلك بالشاعر النابه السيد عبد الرؤوف الامين في قرية الصوانة ، وأطلعته على موضوع بحثي فاستصوب وحبذ ، ثم قال ألا تـرى لعلماء البلاد وادبائها من أثر او علاقة في صلب هذا الموضوع ؟

فقلت أجل ولكنها علاقة ثانوية ، تبدو لنا من خلال مـا كانوا يتحدثون به في مجالسهم ويروونه من الاقوال المأثورة والحكايات الطريفـة والشعـر المختار عن فضل الخيل وبيان فوائدها ووصف محاسنها والتنبيه الى عيوبهـا المقوتة كروايتهم عن بداية تكوين الخيل « وأن الله لما اراد ان يخلقها قـال للريح : الجنوب اني خالق منك خلقا ، فاجعله عزا لاوليائي ، ومذلة لاعدائي وحمى لاهل طاعتي ، فقالت الريح اخلق ، فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له سميتك فرسا وخلقتك عربيـا وجعلت الخير معقودا بناصيتـك والغنائـم محوزة على ظهرك ، والعز معك حيثما كنت ، آثرتك على غيرك مـن الدواب وجعلتك لها سيدا ، وعطفت عليك صاحبك ، وجعلتك تطير بلا جناح ، فأنت للطلب وأنت للهرب ، ولما عرض على آدم ما خلق من اشياء وسماها بأسمائها

وقال له اختر من خلقي ما شئت ، فاختار الفرس ، فقال له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلد وباقيا ما بقوا ، بركتي عليك وعليهم ، ما خلقت خلقا احب الي منك ومنهم ، ثم وسمه بغرة وتحجيل .

وكما يروى من أن الحرب في الجاهلية والاسلام ـ لم تكن تعد المال الا الخيل والابل ، وكان للخيل عندها مزية على الابل فلم تكن تعدل بها غيرها ، ولا ترى القوة والعزة والمنعة بسواها . لان بها كانوا يدافعون عن غيرها مما يملكون ، وبها كانوا يمنعون حريمهم ويحمون عن وراء حوزتهم وبيضتهم ويغادرون اعداءهم ، ويطلبون ثأرهم وينالون بها المغانم ، فكان حبهم لها وعظيم موقعها عندهم على حسب حاجتهم اليها وغنائهم منها وما يتعرفون من يمنها وبركتها » .

***

ومن أنهم « لم يكونوا في الجاهلية ولا في الاسلام يصونون شيئا من أموالهم كصياتهم للخيل ولا يكرمون شيئا ككرامتها ، لما كان لهم فيها من التباهي والتفاخر والتكاثر والقوة والمنعة والعزة والرفعة .

***

ومن ان النبي (ص) كان من ارغب العرب في الخيل وأصونهم لها وأشدهم اكراما وعجبا بها حتى انه ليأنس لصهيلها ويفضلها على الرجال فيما يسهمه لها ويراهن عليها ، وينهى عن استنتاج كرائمها من حمار او هجين لا يشبه اصله اصولها غيرة منه عليها واشفاقا من فساد لسانها » .

***

ويروى انه (ص) لما اتخذ الخيل وارتبطها واحبها وحض المسلمين على ارتباطها فسارعوا الى ذلك وازدادوا حرصا عليها وتنافسوا فيها وغالوا بأثمانها لما جعل الله فيها من انواع البركات وجماع الخيرات .

***

وكما يروى من انه (ص) قال :

« الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة ، واهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده في الصدقة » .

***

وأنه قال : « خير الخيل الادهم الاقرح المحجل ثلاث طلق اليمين فان لم يكن ، فكميت على هذه الشيه » . وأنه قال : « اذا اردت ان تغزو فاشتر فرسا أغر محجلا مطلق اليمين ، فانك تسلم وتغنم » ، ثم روي عنه (ص) انه قال : « لو جمعت خيول العرب في صعيد واحد ، ثم ارسلت لكان سابقها أشقر » .

***

ثم ان علماءنا وادباءنا كانوا الى هذا كله يتحرون المختار من الشعر ويتمثلون بما يتضمنه من التنويه بفضل الخيل والمغالات في تكريمها وصونها، كقول اسماعيل بن عجلان :

ولا مال الا الخيل عندي اعده ... وان كنت من حمر الدنانير موسرا
اقاسمها مالي واطعم فضلها ... عيالي وارجو ان اعان واوجرا
اذا لم يكن عندي جواد رأيتني ... ولو كان عندي مال قارون معسرا

وقول الاشقر بن حوران الجعفي :

ولقد علمت على تجنبي الردى ... ان الحصون الخيل لا مدر القرى
اني وجدت الخيل عزا ظاهرا ... تنجي من الغما ويكشفن العمى
وتبيت للثغر المخوف طلائعا ... وتبيت للصعلوك غرة ذي الغنى

***

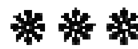
ومن الروايات المتداولة في هذا الباب ، قولهم « بأن الفارس من العرب كان يكره ان يعير فرسه الخاصة به لأحد ويتذمر من أن يركبها غيره خوفا من ان تفسد طباعها لتهاونه او جهله بالاصول المرعية ، ويستدلون لذلك بأن رجلا من بني تميم ـ وقد طلب منه الملك فرسا تسمى (سكاب) فمنعها منه وقال :

أبيت اللعن ان سكاب علق ... نفيس لا تعار ولا تباع
مفداة مكرمة علينا ... اذا نسبا يضمهما الكراع (١)
فلا تطمع ـ أبيت اللعن ـ فيها ... ومنعكها بشيء يستطاع (٢)

التغني بمحاسن الخيل

ثم كانوا لا يكتفون بهذا النوع الخاص من الشعر بل كان النابهون منهم يتحرون ادق واعذب ما قيل منه في وصف الخيل وتمجيد الفروسية ليتغنوا به وطالما سمعتهم يترنمون بقول المتنبي :

ويوم كليل العاشقين كمنته ... اراقب فيه الشمس ايان تغرب
وعيني الى اذني أغر كأنه ... من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضله من جلده في اهابه ... تجيء على صدر رحيب وتذهب
شققت به الظلماء ادني عنانه ... فيطغي وارخيه مرارا فيلعب
وأصرع أي الوحش قفيته به ... وانزل عنه مثله حين أركب
وما الخيل الا كالصديق قليلة ... وأن كثرت في عين من لا يجرب
فان لم تشاهد غير حسن شياتها ... واعضاءها فالحسن عنك مغيب



او يرددون باعجاب قول البحتري في وصف الجواد المعبر عن أصالته وعتقه :

---

(١) الكراع : فرس من كرام الخيل وجيادها المشهورة .

(٢) ابيت اللعن : كلمة تحية كانت العرب تحيي بها الملوك خاصة ، ثم ان الاصل في جملة (ومنعكها) ان تقال وتكتب ومنعك اياها باعتبار ان الضمير هنا يجب ان يكون منفصلا ووصله جرى على خلاف القياس ثم ان باء الجر في قوله (بشيء يستطاع) زائدة وبأن معنى البيت : لا تطمع حياك الله ايها الملك ـ في فرسي سكاب ـ والمحال ان منعك اياها او منعك منها او من ركوبها شيء يستطاع لي .

آمـا الجواد فقـد بلونا يومـه — وكفى بيـوم مخبـر عن عامـه
جار ى الجياد فطار عـن اوهامها — سبقـا وكاد يطير عـن اوهامه
جـذلان تلطمـه جوانب غـرة — جاءت مجيء البدر عند تمامـه
واسود ثـم صفت لعيني ناظـر — جنباتـه فأضـاء فـي اظلامـه
مالـت جوانب عرقـه وكأنهـا — عذبات أثل مـال تحت حمامـه
ومقـدم الاذنين تحسب انـه — بهما يرى الشخص الذي لأمامـه
يختال في استعراضه ويكب في — استدباره ويشب فـي اقدامـه
واذا التقى الثغـر القصير وراءه — فالطول حـظ عنانه وحزامه (١)
وكـأن فارسـه وراء قذالـة — ردف فلست تـراه من قدامـه
لانت معـا طفـة فخيـل انـه — للخيزران مناسـب بعظامـه
وكأن صهلتـه اذا استعلى بهـا — رعد تقعقع فـي ازدحام غمامـه
مثل الغراب مشى يباهي صحبـه — بسـواد صبغتـه وحسن قوامـه
أو كالعقاب انقض مـن عليائـه — فـي باقـر الصمان أو آرامـه

أو يتمثلون لأقل بادرة حماسية بقول امرىء القيس :

وقد اغتدي والطير فـي وكناتها — بمنجرد قيـد الا وابـد هيكل
مكـر مفـر مقبل مدبـر معـا — كجلمود صخر حطه السيل من عقل

---

(١) الثغر : جمع ثغور وهي الحدود التي يكمن وراءها الاعداء ويطلقون منهـا غاراتهم ثـم ان الثغر القصير يكون عادة ، بما وراءه من الاعداء المحصورين بمنطقة ضيقة ، اشد خطرا من الثغـر الطويل الحدود لان تجمع الاعداء عند الثغر القصير اسهل وغاراتهم منه تكـون محدودة الطريـق ومتوقعة في كل حين . وعلى هذا يكون المراد بقول البحتري « واذا التقى الثغر القصير وراءه » اذا التقى اهل الثغر القصير بغاراتهم وراء هذا الجواد فانه عند ذلك يطول حزام سرجه وعنان لجامـه نتيجة للسرعة الخارقة التي يفرضها توخي الخلاص من غارة الاعداء ذلك لان الجواد الاصيل في مثل هذه المفاجآة يجن جنونه في العدو ويسف كالنعامة على وجه الارض فيمد كشحه ويبسط يديه الى الامام بسرعة لا تكاد ترى معها متى يحركهما وينتقل بهما من مكان الى مكان آخر ، وعندها لا بد له من ان يضمر خصره ويدق كشحه فيرتخي لذلك حزامه ويتسع عليه ويطول كما لا بد مـن أن يطول عنان لجامه لامتداد عنقه ورأسه في مثل تلك الحالة من السرعة الخاطفة .

(الشرح بقلم : علي الزين)

له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تنفل

***

ثم عن محاسن الخيل وعيوبها

هذا الى غيره من الروايات الشائعة والاقوال المأثورة والشعر المختار الذي يحبب الخيل والفروسية الى عامة الناس وخاصتهم ويجعلهم يتنافسون في ارتباطها وفي ركوبها وفي الاشتراك مع الفرسان في حلباتها .

ولا أغالي اذا قلت ان ما كنت أسمعه بالامس من اقوال العلماء والادباء وتجار الخيول في بلادنا من ملاحظات وانطباعات عن خصائص الخيل وسمات محاسنها وعيوبها ، يوشك ان يكون صورة طبق الاصل لما أقرؤه اليوم في الكتب الخاصة من الاوصاف الدقيقة لمحاسن الخيل وعيوبها . ومن « أن الفرس الاصيل يجب أن يكون مجتمع الخلق متناسب الاعضاء صغير الرأس طويل العنق غليظ اللبة دقيق المذبح دقيق الاذنين طويلهما ، قائمهما مع شدتهما ولطف طيهما كأنهما ورق الريحان وأطراف الاقلام ، طويل الخدين أملسهما دقيقهما ، معتدل شعر الناصية ضيق القذال وهو موضع معقد العذار فوق الناصية ، واسع الجبهة ، أكحل العينين ، بارز الحدقة حاد النظر واسع المنخرين اسودهما مستطيل مشق شدقيه ، مستدير الشفتين رقيقهما ، وتكون الشفة العليا الى الطول قليلا ، دقيق الاسنان مرصوصهما ، طويل اللسان أحمر اللهاة ، واسع الصدر عظيم اللبب ، ممتلىء القصرة — وهي أصل العنق — لين العنق طويله عالي الحارك (ما بين أعلى الكتفين) قصير الظهر مستويه ، عظيم الجنبين والجوف ، منطوي الكشح ، سائل الاضلاع مستوفي الخاصرتين ، رحب الجوف مقب البطن ، مشرف القطاة — وهي مقعد الفارس — مدور الكفل قصيره مستويه قصير العسيب — وهو منبت شعر الذيل — تام الذيل أسود الاحاليل ، واسع المراث — مخرج الروث — غليظ الفخذين مستديرهما غليظ عظم الساق مستوى الركبتين لطيف الوظيف ، وهو ما فوق الرسغ الى الركبة ، قصير الارساغ غليظها يابسها يابس العصب

محدود المرقوبين اسود الحوافر أخضرها مدور الكعبين مقعبهما ملتصق السنبك بالارض مرتفع النسور صلبهما لين الشعر لان لين الشعر في الحيوان والجوارح والدواب محمود يدل على القوة ويزيد في الفرس لين الشكير ـ وهو ما حول الناصية وحول العرف من الشعر الصغير الذي يشبه الزغب ، وذلك أن تجد لمسه تحت يدك مثل القز المندوف ـ فان وجدته خشنا لم يسلم ذلك الفرس من الهجانة .

وان يكون مع ذلك كله رافع الرأس ذكي الفؤاد نشيطا عند الركوب والحركة مختالا متدللا اذا مشي ينظر الى الارض بعينيه مع ارتفاع رأسه وانحناء عنقه » .

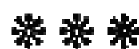
دليل الاصالة والعتق

ومن الادلة على الاصالة والعتق ما يروى من « ان سليمان بن ربيعة فرق بين العتاق والهجن بالاعناق وطولها فدعا بطشت من ماء فوضعت بالارض ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا فما ثنى سنبكه ثم شرب هجنه وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا .

ويستدل على جودة الفرس في حضره وسرعة عدوه ، بسمو هاديه (عنقه) وثبات رأسه وأن لا يستعين بهما في جريه (وذلك بأن يمدهما الى الامام) وأن تجتمع قوائمه فلا تفترق ويكون كأن يديه في قرن ورجليه كذلك حسب قول المتنبي :

رجلاه في الركض رجل واليدان يد   وفعله ما تقول الكف والقدم

ويبسط ضبعيه (عضديه) ويمد كشحه حتى لا يجد مزيدا قصوا عن يديه وقبضا من رجليه ، والقبض ان لا يمكن رجليه من الارض وانما يأخذ منهما بأطراف حوافره ويكون بسرعة قبضه كأن حوافره دفعا في رفغيه ويسلخ بيديه ويضرح برجليه في اجتماع كأنه يرفع بهما قائمة واحدة ويضبح بصدره ولا يختلط ولا يلهو عن حضره » .



الخصال الذميمة في الخيل

ومن العيوب المتفق عليها « أن يكون الفرس (عضوضا) وذلك بأن يعض كل من يدنو منه ما عدا سائسه ؛ أو أن يكون (نفورا) وذلك بأن لا يثبت لمن أراد اقرب منه ؛ أو أن يكون (جرورا) وذلك بأن يجرر الرسن ولا يطاوع قائده ؛ أو أن يكون جموحا وذلك بأن لا يرده اللجام من جريه وعدوه، أو أن يكون حرونا وذلك بأن يمتنع الفرس عن المشي ويقف بموضع واحد ؛ وقد يتوتد ولا يبرح مكانه واذا ضرب ليمشي ضرب برجله ، او ان يكون (حيوصا) وذلك بأن يميل براكبه عن الجهة التي يريدها صاحبه ، او ان يكون (عثورا) وذلك بأن يكون كثير العثار براكبه ، او ان يكون (رموحا) وذلك بأن يضرب برجليه أو أن يكون شموسا وذلك بأن يمانع كل من يحاول ركوبه ، او ان يكون (كموصا) وذلك بأن يلتوي براكبه حتى يسقط عن ظهره او ان يكون (شبوبا) وذلك بأن يرفع يديه ويقوم على رجليه ؛ او ان يكون (قطوفا) وذلك بأن يمشي مشيا يشبه الوثب •

يروى ان بعض العرب سأل ابنا له أي الخيل ابغض اليك ، فقال : « البطيء الثقيل ، الحرون ، الكليل الذي ان ضربته قمص ، وان دنوت منه شمس يدركه الطالب ويفوته الهارب » •

ومن قبيل هذا القول ، قول البها زهير يصف بغلة لبعض اصدقائه وصفا ينطبق بمضمونه على بعض الخيول الاصيلة بأنسابها الهجينة بخصالها الممقوتة ، ولكي لا تلتبس الصورة ينبغي ان تغير من قول الشاعر (لك يا صديقي بغلة) بما يسدد قصدك من القول :

لك يا صديقي (مهرة) ليست تساوي خردلة
تمشي فتحسبها العيون على الطريق مشكلة (١)

---

(١) مشكلة : اي مقيدة ، بقيد خاص تقيد رجل الفرس بطرف منه ويدها بالطرف الاخر ، ويربط الطرفين جنزير غليظ بطول باردة او اقل .

وتخـــال مدبـــرة اذا مـــا أقبلت مستعجلـــة
مقـدار خطوتهـا الطويلـة حـين تسـرع انملـــة (٢)
تهتــز وهـــي مكانهـــا فكأنمـــا هــي زلزلـــة
اشبهتهـا بـــل أشبهتـك كـأن بينكمـا صلـــة
تحكي صفاتـك في الثقالـة والمهانـــة والبلـــه

الامثـال الشائعـة بيـن الفرسـان

من الامثلة المستوحاة من تنوع الخيول في جبل عامل وحرص بنيه على اصالة ما يقتنون منها قولهم « كحيلة وحجتها برقبتها » .

يضربونه مثلا عن كل فرس أصيل جهل الناس اصلها ونسبتها الى كحيلة العجوز ، او غيرها من كرام الخيل ، ذلك انهم قلمـا يشترون فرسا للركوب خاصة الا اذا كان معها شهادة بصحة نسبتها الى احدى بطون الخيل المشهود لها بالاصالة والعتق ، مثل (العبية ، وصقلاوية الجدران ، وكحيلةالعجوز ، والهدابة أو المعنقية) الى غير ذلك من الخيول المشهورة بما اضيف اليها مـن نوادر طريفة في دنيا الفروسية ومحترمة في عالم الفرسان (١) .

هذا ما يذهبون اليه في مقام الجد ، وقد يستعملون هذا المثل للتهكـم وذلك حين يغالي صاحب اي دابة بدابته ويزعم بأنها من احسن انواع الخيـل أو انواع البغال او الحمير او غيرها مع كون دابته في الحقيقة والواقع مـن احقر افراد ذلك النوع وأخسه ، فيسرع اليها زئون الساخرون من زعمه الـى قولهم نعم هي « كحيلة وحجتها برقبتها » .



(٢) ومما شاهدت بمثل هذه الخصال المفوتـــة فرسان اصيلتان بانسابهما جديلتان جـــدا بتكوينهما الجسدي ، فرس حمراء كانت عند ال الامين في قرية مجدل سلم ، وفرس مثلها كانـت عند ال متيرك في قرية ارزي وكل من الفرسين حين تركبها ولو لمسافة قصيرة تشعرك بكل مـا لبغلـة الشاعر بهاء الدين زهير من خصال ذميمة وتخال انهما الصيناتان دونها بذلك الوضع الشليغ .

(١) لاحظ الصفحة ٢٦٠ من دواني القطوف والصفحة ٤٨ من سراج الليل في سروج الخيل .

ومنها قولهم (الكحيلة ما يعيبها جلالها) •

يضرب مثلا لكل جميل واصيل في صنفه وحقيقته قد عيب بما يكتنفـه من البسة رثة او هنات طارئة ، او نعوت ثانوية كالفرس الجميل وسرجه رث بال ، ولجامه مقطع •

ومنها قولهم (نصف الفرس اطباعها) •

يعني ان نصف الفرس المهنوي والمـادي يكون بأطباعها ، أي بترويضها وقصرها على احسن الخصال في المشي وسرعة العـدو والاستجابة لاشـارة فارسها لدى الاسـ تعراض ، او في الكر والفر ، والاقبال والادبار ، وما الى ذلك من حالات ومظاهر محببة في جياد الخيل •

❊ ❊ ❊

ومنها قولهم : (الفرس من الفارس) •

يعني ان الفرس في جميع مظاهرها وحركاتها الوشيقـة الانيقـة تتبـع لفارسها وراكبها ، فاذا كان راكبها بارعا في الفروسية والميدان برعت الفرس في جميع حركاتها ومظاهرها كرا وفرا واقبالا وادبارا واستعراضا لبراعته واذا كان راكبها قاصرا او جاهلا بأصول الميدان وانواع الفروسية اضطربت هـي حتى في مشيها العادي وساءت سيرتها بين الناس •

❊ ❊ ❊

ومنها قولهم : (الكحيلة بتعرف خيالها) •

ولعل هذا المثل مأخوذ من قول الشاعر :

والخيل عالمـة ما فـوق اظهرها من الرجال جبانـا كان او بطـلا

❊ ❊ ❊

ومنها قولهم : (خيال حرفوشي) •

يضرب هذا القول مثلا للمبالغة في براعة الخيال في الميدان وانواع الفروسية ذلك بأن امراء الحرافشة كانوا مضرب المثل في الفروسية والسيطرة على اعنة الخيل في أي ميدان فنسبة الخيال اليهم تكون غاية في مدح فروسيته وقد سمعت وانا صغير امرأة قروية تندب كبير اسرتها وتقول فيما قالت عنه •

يا مهرتو بأرض الفلا شوشي — مهرة مؤصلي وخيال حرفوشي

فالمراد هنا بـ (شوشي) : انطلقي على مداك في غاية السرعة • وبـ (مؤصلي) أي انها مشهود لها بالعتق وكرم الاصل • وبـ (حرفوشي) انه غاية في الفروسية وقوة المراس •

***

ومنها قولهم : (الفرس قلوق والخيال لألوء) •

يضرب مثلا للتناقض بين حال الفرس وحال راكبها • اذ المراد هنا بـ (لألوء) ضعيف مضطرب ، والمعنى ان الفرس حديد الطبع يضطرم قوة وحماسة وان الخيال ضعيف عاجز لا يصلح لمثل فرسه •

***

ومنها قولهم : (اللي ما عند عيلي يقني لو خيلي) •

يضرب مثلا للترفيه وملء الفراغ • اذ المقصود بالخيلي هنا الفرس الاصيل فانها كانت فيما مضى تدلل وترفه في بيوت السراة كما تدلل الاولاد الصغار ويبذل في سبيلها كل غال ورخيص من خدمة وعلف وعدد فاخرة •

فهي بروعتها وزينتها ومعزتها تشغل صاحبها او تلهيه وتفتنه عن غيرها من مباهج الحياة وفتنها حتى الاولاد والعيال انفسهم .

❊ ❊ ❊

ومنها قولهم : (نهمو حصني وشباه حمري) .

يضرب مثلا للخداع والغش ، ذلك بأن المقصود من (نهمو) نهم فرسه: أي عرضها على الحصان او عرض الحصان عليها حتى اذا استرخت وظهر ميلها للفحل شباها ولقحها حمار ، وهذا منتهى الغش والخداع لدى من يحرصون على اصالة النسل وصفائه في سلالة خيولهم .

❊ ❊ ❊

ومنها قولهم « فلان يلجم الفرس من طيزها »

يضرب مثلا في الحمقى والجهلة وقصيري النظر ، عندما تأتي اقوالهم وافعالهم ، ونظرياتهم ، في غير محلها أو تكون مخالفة لمقتضى الحال والواقع .

❊ ❊ ❊

ومنها قولهم « ما في الميدان الا حميدان » .

يضرب مثلا عند الاضطرار لمبترزة من هم دونك كفاءة ومكانة او عند الاضطرار لمصاهرتهم او مصاحبتهم او مساجلتهم او تكليفهم بما هو فوق طاقتهم .

علي الزين

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة ومنقذ أمة

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

التصميم على ابتلاع شخصية الجزائر :

ما رأيت كلمة جمعت معنيين متناقضين ككلمة استعمار ، اذ يعرضها العصر اللغوي طمأنينة وسعادة وعمرانا ، ويعرضها الواقع سيف نقمة بيد شعب او شعوب متحالفة حصلتا على عنق شعب او شعوب متماثلة .

طليعة الاستعمار الحديث :

الاسبان والبرتغال ، جارتان تشدهما روابط الجوار واللغة والروح ، وقد حجب التنافس التجاري أواخر القرن الخامس عشر بعض صفائهما فأمر الكرسي البابوي باطلاق يد الاولى في أميركا والثانية في الشرق .

اتخذت هذه الشواطي العربية مدخلا وأخذت تشحذ نيوبها لتقطع من الهند مفحص قطاة ، فمست يد الحسد انكلترا وهولاندا وفرنسا ، وكانت الجزائر من ضحايا التطاحن ووقوفي عنده لا يعني تفضيل سواه اذ لا نرى فرقا بين مستعمر وآخر لانهم يجتمعون بنقطة الاستنزاف .

مكافحة العلم :

غزا نابليون مصر عازما على تذرية المصريين واتخاذهم حقلا للتجربة فأعلن في مذكراته ان مصر تتحمل عددا أكبر ، ولاحظ القوة المعنوية التي يستمدها المصريون من الازهر بل ورأى الازهريين يقودون فرق المقاومة ، وسمع رجالها ونساءها يرددون (الله اكبر) فضاعف نقمته على الازهر وسمر بابه وراقب شيوخه ولوث مقدساته (١٤) !!!

وما هي الا اعوام حتى أخذ خلفاؤه ينفذون بالجزائر ما عجز عن تنفيذه بمصر ؟

التجهيــــل :

أخذت فرنسا منذ لامست قدمها الجزائر ، تدفن منابع الثقافة ومراكــز الفكر المزدهرة فدفنت بقسنطينة ، وحدها ٧٩ مدرسة !!!

وارت نحو الفي مدرسة ابتدائية وثانوية وعالية ، وجمدت حتى مهمــة معلمي روضات الاطفال التي لا تتجاوز تلقين سورة الفاتحــة وقصار السور ، وطاردتهم حتى الشعاف وبطون الاودية والاحياء المتوارية . نفــذوا منهاجــا أفضى لمحو التعليم ، ورموا الجزائر بقبري التطرف : اما الجهل واما امتصاص لبان العلم من ثدي ملوث كالمدارس التي تتنكر لشخصية الجزائــر ، وامــا حدائق اطفال تلقن قصائد تؤجج الروح القبلي وتحض على الانتقام من اعداء الداخل وتردد : (اذا أصبحنا فرنسيين فان الله أراد لنا ذلك ، ولو أراد كسر فرنسا لفعل لكنه يمدهــا ببعض قوتــه الالهيــة ، فلنحمد اللــــه ولنخضع لارادتــــه) (١٥) .

يعني ان حجب شخصية الجزائر بسحق مقوماتها ، أمر الهي ، وما عــلى الجزائريين الا مقابلته بالرضا والتسليم ، بل والتصفيق !!!

أمرت فرنسا بحفر هذين القبرين ونفثت منهما مــا يحول دون التقــاء الجزائريين الا على صعيد تشييع جثمان الجزائر . نفثت الالحاد الذي دعتــه علمانية ، ومهدت له بتشويه الاسلام والتشكيك بأصوله اذ نفذ وقته ومــات تأثيره لانه لا يحث على العلم ولا يفتح صدره للتطور ، بــل يعرقل ويجمــد ويميــت !!!

ورغم هذا الرمي القاصم ، اخذت جرائدها تمن على الجزائريين بحريــة العلم وتصف المتنكر للاسلام والعرب بالمتحضر المتفتــح التقدمي المنطلق ذي التفكير الحر ، اما الذي يفسر آيــات الجهاد تفسيرا سليما ، فمتخلف جامــد مغلق مقلد فاتته قافلة الادراك !!!

هذا التوجيه الممعن بالصولة ، انشأ جيــلا متغايرا يتقن التحدث عــن

حضارة فرنسا ومهمتها التمدينية ويبتل فرنسا من العرق العربي ويربطها بقدماء الغالبين ولا يكاد يعرف عن العرب الا الهزيمة في يواتييه •

مغالطة الاحصائيات الرسمية :

الطارؤن على الجزائر او المستوطنون كانوا عام ١٩٦٢ لا يتجاوزون ثمانماية ، وحدهم المحظوظون المقربون الفائزون بالنجاح في المدارس ، ونجاحهم بالتحديد يساوي أربعة أضعاف الوطنيين • فاذا أعلنت الاحصائيات ان نسبة النجاح في مدارس الجزائر تساوي كذا ، فانها تعني الطارئين •

اما الجزائريون الاصليون ، فسواد أطفالهم يتخذ الشوارع ملاعب والطرقات ملاهي وصفهم الشيخ الابراهيمي بكلمة (المشردين الضائعين) •

واذا اضطرت فرنسا لصيد الذين يهجرون مدارسها لعدم تدريس العربية ، علمت اللهجات العامية اذ رأيناها عام ١٩٤٧ تقيم لها مدرسا • طبعا حرمان الجزائر من العلم تمهيدا لاستلال العربيـة من لسانها والاسلام من قلبهـا •

على ان البخاثين من الفرنسيين انفسهم ، نددوا بسياسة دولتهم ، وحملوها تبعة خسارة قلوب الجزائريين ، وأفاضوا بأنباء نهب مكتباتها ومنها مكتبة الامير عبد القادر نفسها (١٦) وأعلنوا ان الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ، كانت تفوق فرنسا ازدهارا علميـا ، اذ نسبة الاميين بفرنسا نفسها عام ١٨٣٠ كانت ٤٥٪ (١٧) ولم يفت جريدة اللواء المصرية الصادرة في ٢ اكتوبر ١٩٠٢ ان تشير للعنت الفرنسي ، ومجلة البلاغ البيروتيـة ان تقوم بتحقيق محترم نشرته في ٩ و١٦ من كانون الاول ١٩٧٤ •

رمتنا بداء الجهل وانسلت :

دخلت فرنسا الجزائر فلم تجد أميا ، وخرجت تاركـة تسعين من مئـة مصفودين بأغلال الاميـة •

اما العشرة الباقون ، فبعضهم يهودي او مستوطن او جزائري تناول لبنا من كأس ملوثة ، او هاجر للخارج فتعلم على حسابه !!!

تصور سواد الجزائر الامي ، الذي يتكلم العامية المخلوطة بالفرنسية ، فيقول بالصلاة (نويت اصلي كاتر ركعة) !!!

مصادرة الاوقاف والجوامع :

ما زال يتعاون على خدمة العلم في الجزائر الدولة والاوقاف والمتبرعون من الشعب ويصعدون من الابتدائي للثانوي المنتظم حتى الاحتلال الفرنسي ، الذي صادر الاوقاف منذ عام ١٨٣٠ فهدم سارية كانت ترفع راية العلم .

والارتفاع بالعلم صعودا لا سيما في المغرب نظام قديم ، توقف لـــه الاوقاف وتقدم له الخدمات ، وان دعيت المدارس الابتدائية كتاتيب ، اذ نرى بعقلية وصدها ــ بصفتها احدى اعضاء المغرب حينذاك ــ ثلاثمئة كتاب .

الكتاتيب مدارس بدائية ، اما الثانوية والجامعية ، ففي الجوامع التـــي تصل لدرجة جامعات ، اذ يترقى بها الطالب من حلقة لحلقـــة ، فيمنحه رئيس الحلقة شهادة او اجازة كدليل على صلاحه للحلقة الاعلى .

ولعل اوقاف الجزائر تأخذ الصدارة بغناها وضخامة ريعهـــا ، اوقفهـــا المحسنون على مختلف أوجه البر والاحسان كالمساجد والمـــدارس والربـــط والمستشفيات والحرمين الشريفين ومساعدة الفقراء والعجزة والمغتربين مـــن طلاب العلـــم (١٨) .

صودرت في الجزائر جملة وتفصيلا وهي ــ علاوة على العقارات ومنها في العاصمة وحدها نحو ثمانية آلاف عقـــار نحو مليوني هكتار مـــن اثمـــن الارض ، وضم لها أملاك الداي والذين ينضمون للثورات .

على أن بدعة مصادرة الاوقاف الذي فازت فرنسا بعارها ، تذكرنا بأنها عاهدت الامير عبد القادر على احترام المساجد وأوقافها وشعائرها لكنها بعـــد

شهر فحسب احالت جامع كيتشاوه (جامع مدينة الجزائر الكبير) كاتدرائية ، وهو اول جامع ذاق مرارة التحويل .

وفي عام ١٨٣٧ وبمناسبة استسلام قسنطينة ، أحالوا جامعها كنيسة ، ثم تتابعت الاحالة لكن بعضها كنائس وبعضها نواد وثكنات واصطبلات ومراكز تبشير يحشر بها القسيس الاطفال المشردين الضائعين ويتخذ شعاره كلمة (بيجو) .

نصرهم يا ابي كيلا يطلقوا النار علينا بالمستقبل !!!

ولا غرابة بسلب الجوامع اذ هي ـ حسب تعبير بيجو ـ تنير ما ينيره الازهر والزيتونة والقرويين .

وهكذا أتت يد الدهر على المساجد ، وما ان جاء عام ١٩٦٣ حتى اصبح لليهود وحدهم ٤٥ معبدا وهم لم يكونوا عام ١٨٣٠ يتجاوزون ثلاثين الف نسمة ، وللمستوطنين الاجانب ٣٣٧ كنيسة ولم يكن لهم عام ١٨٣٠ وجود اما المسلمون وهم الملايين ومئات الملايين الذين كان لهم بقسنطينة وحدها ٣٥ مسجدا فلم يبق لهم الا (١٩) مسجدا متواضعا .

اما خطباء الجوامع الباقية ومدرسوها ، فمرتزقة من فتات مائدة سكرتير الامن العام الفرنسي ، اذ هو رئيس مجلس الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وقد حصر حق الخطب والتدريس والامامة بعيونه وآذانه الذين يفوزون بالخطب مكتوبة ويفعلون ما يؤمرون !!!

المرابطون :

الربط او الرباطات في الاصل ، مكان يقيم فيه المرابطون اي المنقطعون للدفاع ثم اطلق على مكان عرف باسم زاوية مشتقة من الانزواء ، يشتمل على مسجد ومطبخ ومكتبة وغرف هجوع ، يأوي لها الطلاب المنقطعون للدراسة والمسافرون القائمون برحلات علمية او فكرية .

اما مناهجها فتشبه الدراسة الابتدائية والمتوسطة والعالية ، وان كانت هذه تنحو نحو الازهر والزيتونة والقرويين اي تتوسع في دراسة الفقه والحديث والتفسير والسيرة النبوية ، وقد تضم لهذا تمارين عسكرية واستخدام اسلحة .

الربط والزوايا بعهد استعمار الجزائر :

دخل الاستعمار الجزائر وبها ثلاثمائة وخمسون رباطا او زاوية ، تضم نحو ثلاثماية الف نسمة ، فأخذ تنفيذا لتخطيط تفتيت شخصية الجزائر المبيت الممحص المدروس منذ عهد لويس التاسع ثم نابليون الاول اخذ يستعين بطلائعه خالقي الشوائب ، امثال ماسينيون ويشجع المفاهيم الهدامة كالجبر والارجاء والتواكل ، والزعم ان الاستعمار جاء بمشيئة الله وسيذهب بمشيئته ويخيل الصبر على الكوارث واجبا ينال صاحبه الاجر ، ويدعو هذه المفاهيم المسمومة تصوفا اسلاميا ، بل ويقاوم ـ تحت ستار الدفاع عن المتصوفة ـ يقاوم الجمعية الداعية للكتاب والسنة ويدعوا قطابها وهابيين وزاعمي اجتهاد ومنكري كرامات الاولياء .

وكلما غلا المتصوفة بالسلبية تجاه الجمعية كلما أمعن الاستعمار بمساعدتهم وسخر الجرائد لخدمتهم ، واقام نفسه حكما عنهم واصدر بنتيجة النقاش بينهم وبين الجمعية القرار التالي :

(خريجو الازهر والزيتونة والقرويين لا يدرسون الشريعة) .

يعني ان الشريعة لا تعدو ما يرد في زوايا المتصوفة !!! وحال بعض المتصوفة ـ او حاولوا الحيلولة ـ دون العودة للكتاب والسنة وعرقلوا النهضة وخلقوا الصراع ، لكنهم كشفوا انفسهم بالانحياز للغزاة ومكنوهم من المرابطة في ثغرة الاختلاف ، وأبوا حتى الوقوف على الحياد ، واستعصوا على التخطيط الحكيم الذي يود لو انتفع بما بقي لديهم من جذور اسلامية وعربية ليوجهها لخدمة الاسلام والعرب والجزائر .

بهذا السعي الناعم الذي بذل له الاستشراق المدخول فكرا ومالا ووضع تمسه مطية لوزارة الحرب •

بهذا تباعد الشقان : الداعون للكتاب والسنة وحماة الشوائب التي دعوها تصوفا فاتخذ الاستعمار هذا التباعد ثغرة يرمي بها الشقين او الشقيقين وما ان احس المتصوفة بمرارة الهزيمة حتى حاولوا اغتيال ابن باديس بيد شخص يحمل في عنقه مسبحة طويلة !!! لكن ابن باديس عفا عن بطل تلك المحاولة فحمل حتى اعداءه او جلهم على الاستعانة بخدمة الجمعية •

لا جديد :

وقف المصرون على الدفاع عن التصوف في طريق منهاج الجمعية كما وقفوا بعهد الامير عبد القادر ينفذون ارادة يهودي زعم المهدوية (٢٠) لكن الجمعية سارت في طريقها ورددت (كنا قبل التدرع بمذهب السلف نخاف اما اليوم فقد اصبحنا نخيف) •

اذن فالزوايا في الاصل آلة خير وان لوثها التوجيه الماسنيوني المستتر بالتصوف • لقد استعصى بعضها على ذاك التوجيه وأدرك ان عدم الالتقاء بالكتاب والسنة يضاعف تجهيل الجزائر ويطيل أمد عبوديتها ، فحافظ على مهمته لا سيما بتعليم العربية وساهم بالدفاع عن الجزائر عمليا (٢١) •

ـ فوز بالدكتوراه ـ

❋ فاز السيد سعد ناجي جواد بشهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لندن ، وهو فوز صادف اهله ومحله ، والذين سروا بهذا النبأ وشاركوا الدكتور سعد الفرحة كثيرون ، لان والده الاخ ناجي قد زرع المحبة والمودة والاخوة في قلوب وصدور الكثيرين من عراقيين وعرب ومسلمين في جميع انحاء المعمور ، تهانينا للدكتور سعد ، واطال الله بعمر والده الجواد •

تأثير نهج البلاغة في الأدب العربي

بقلم : سلمان هادي الطعمة
عضو رابطة الادب الحديث في القاهرة

يحسن بنا أن ننوه ان نهج البلاغة تراث فكري وأثر أدبي خالد أثـرى الادب العربي والانساني بلآلىء حكم الامام علي وبديع ألفاظه ، ولا شك ان الامام علي بن أبي طالب (ع) خير ما تمخضت عنه الانسانية في مثالية الانسان فلقد كان أقدر الناس بعد النبي محمد (ص) على صياغة الكلم البليغ .

يعد نهج البلاغة من أعظم الكتب الاسلامية شأنا ، وأرفعها قدرا ، جمع بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها ، وعرفت منزلته بـين الكتب وسمت مكانتـه لدى رجالات البيان والادب وباحثي الآداب العربية في كل العصور . يقـول جامعه الشريف الرضي في سبب تأليفه : « يتضمن مـن عجائب البلاغـة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية مـا لا يوجد مجتمعا في كلام امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحـة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهـر مكنونها ، وعنـه اخـذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا » (١) . ضمنه الامام كلما يصلح حال الانسانية ويرفع من قيمها المعنوية ، كما ضمنه اختيار محاسن الخطب ثم محاسن الحكم والادب مفردا لكل صنف بابا . ولعل الفصل الاخير يعد فصلا رائعا جدا لانه يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير فـي الحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة كمـا يتضح ذلك من مقدمة الكتاب .

وللسـيد الشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسن الموسوي اليـد البيضاء في التتبع والاستقراء والجمع والاختيار ، فقد ظهـر فضلـه لحسن

---

(١) راجع (شرح نهج البلاغة) لمحمد عبده ـ الجزء الاول ص (ج) .

الاختيار والتبويب ، وعمد الى ما هو الاصح في الاسناد ، فثبت ما هو أفصحه لفظا ، وأبلغه معنى ، وأجله حكمة ، وأحسنه عظة ، اذ هو الاليق الاحرى بأن ينسب الى سيدنا امير المؤمنين عليه السلام امام الفصحاء وسيد الخطباء وأفصح الخلق بعد رسول الله .

لنهج البلاغة في عالم العلم والادب موقع مرموق ، وهو سبب شدة اعتناء الادباء والمستشرقين بهذا الاثر النفيس الذي جمع فأوعى من ضروب البلاغة وأساليب الفصاحة ومحاسن الكلام المصاغ أحسن صياغة ، وكيف لا يكون هذا الكتاب خاصا لأشتات المحاسن ، وقد اختاره السيد الشريف الرضي وهو المعروف بحسن الاختيار والابتكار من كلام أمير المؤمنين احكم الحكماء وأبلغ البلغاء .

اما كون نهج البلاغة مطابقا لاسمه ، فقد أصبح غنيا عن الاستدلال لانه قد أقر المخالف والمؤالف بأنه ابلغ كلام بعد القرآن الكريم والحديث الشريف . وأما مناهجه وأساليبه فهي من أعجب ما نسج عليهما كاتب فمن وصف الله وتمجيده الى وصف أهل البيت عليهم السلام الى وصف حاله مع مناظريه الى ذكر الزهد والورع الى اختلاف العلماء في الفتيا الى وصف المنافقين الى تصوير الدنيا والآخرة الى عهوده لعماله وأعجبها عهده الى مالك الاشتر .

وقلما نجد شاعرا له نظرة في الحياة ، او قول في الحكمة أو شغف في لفظ رصين الا وجدت شعره يتفيأ ظلال نهج البلاغة ، لما له من الحكم التي تأخذ بمجامع القلب ، فهو عظيم المناقب ، جم الفضائل ، ومن أبرز ما يتميز به النهج هو وضوح الاسلوب ، وحسن المقصد ، وجزالة الكمات ، والمعنى المحدد الذي لا يحتمل معنى آخر . ويستخدم المحسنات البلاغية بصورة سائغة عذبة كالجناس والطباق وما الى ذلك . أما المادة الادبية التي يضمها الكتاب فانها تتسم بسلامة الاغراض والقيم ، وتستوعب المفاهيم الخيرة وابتعادها عن السفاسف والركاكة . لذا فقد حظي بالنصيب الاوفر من حيث اقبال العلماء والادباء والعارفين من العرب وغيرهم على الانتهال من هذا المنهل

العذب والارتشاف من معينه الذي لا ينضب • وقد شهد به الصحافي الشهير الاستاذ أمين نخلة وهو من افاضل المسيحيين مخاطبا من رجاه انتخاب (المائة) من كلمات الامام علي عليه السلام قال : (وليس بين يدي الآن من كتب الادب التي ترجع اليها في مثل هذا الغرض الا طائفة قليلة منها انجيل البلاغة (النهج) فرحت أسرح اصبعي فيه والله لا اعرف كيف اصطفى لك المائة من مئات بل الكلمة من كلمات الا اذا سلخت الياقوتة عن اختها الياقوتة ، ولقد فعلت ويدي تتقلب على اليواقيت وعيني تغوص في اللمعان فما حسبتني اخرج من معدن البلاغة بكلمة لفرط ما تحيرت في التخيير) (٢) •

أما ترسيسيان وهو من فضلاء الارمن ، فهو الآخر الذي يدلي برأيه الصريح زاعما تفوق نهج البلاغة على كل كلام لكثرة ما فيه من السهل الممتنع الذي لا يوجد في سواه وانقياد الاسجاع فيه بلا تكلف (٣) •

ويرى عميد الادب العربي الدكتور طه حسين ان كتاب نهج البلاغة ليس كله للامام علي كرم الله وجهه ، فالنصوص المنسوبة للامام علي في هذا الكتاب يغلب عليها طابع الصنعة وما كان الامام يخطب الامر نجلا كعادة العرب جميعا • ويقول العميد ان في بعض كتب التاريخ مثل الطبري والبلاذري خطبا للامام علي وهذه يمكن قبولها وصحة نسبتها اليه • ثم أليس من الغريب ان تكون الاحاديث قد رويت بالمعنى والمسلمون احرص عليها من أي كلام آخر • ويقال بعد ذلك ان هذه الخطب المنمقة للامام علي فضلا عن شيوع كلمات في هذا الكتاب لم تظهر الا في زمن المتكلمين والذي يرجحه ان نهج البلاغة من تأليف الشريف الرضي والمغفل هو ابن ابي الحديد ، لانه يعتقد ان ما يشرحه استطرادات لا معنى لها (٤) •

---

(٢) ما هو نهج البلاغة ؟ للسيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ١٣٨٠ هـ/١٩٦١ م ص ٥ •

(٣) المصدر السابق/ص ٧ •

(٤) مجلة (العربي) الكويتية/العدد ٢٠٧ (صفر ١٣٩٦ هـ ـ شباط ١٩٧٦ م) ص ١٤٦ ـ تعليقات واقوال مأثورة لطه حسين •

تصدى الكثيرون فشرحوا نهج البلاغة ، وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الاسرار ، وما حوى من الالفاظ العربية الغريبة الجمة حفظا تنسق فيه المعاني تنسيقا يسهل حفظها على ما يريد استظهارها . وان احسن الكلام اقربه الى الطبع وانفذه الى القلب .. هذا فضلا من ان هذا السفر الجليل لا يستغني عنه من رام اكتساب البلاغة في القول ، والارتقاء في مدارجها العليا ، والتدافع الى نيل الادب .

ولعل شرح ابن ابي الحديد والامام محمد عبده كافيان في هذا المقام ، فالاول يمثل الشروح القديمة ، حيث تناول نهج البلاغة وأخصبه وأضاف اليه عطاء ثرا ، والآخر يمثل العصر الحديث ، ويشكل جزءا من المهمة الكبرى التي كان يجاهد في سبيلها ، وهي مهمة البعث والاحياء لشريعة الاسلام ولغة الناطقين بالضاد في انظف عصورها ، وأصفى مواردها . ومن خلال سعيه لتحقيق هذه المهمة أعجب بما في الكتاب من روعة البيان وسمو المعاني وجزالة التعبير ، ولكنه رأى ان اكتمال الفائدة منه لا تتأتى الا بتقريبه من مدارك الشباب بشرح الغامض من ألفاظه ، وتوضيح الصعب من تراكيبه وتعيين المراد من اشاراته . والاثنان مجمعان على ان ما في دفتي النهج المشروح هو من قول الامام علي بن ابي طالب (ع) لذا جاء تأثيره الادبي عظيما في جميع العصور ، وقد استفاد الادباء ورواد الفضل منه ونحوا نحوه ، وجميع اقوالهم تدل على تأثيره البليغ في كتاباتهم ونهجهم الادبي ، وآخر هؤلاء عميد الادب العربي طه حسين وامام البيان مصطفى صادق الرافعي . كما ترجمت فصول منه الى بعض اللغات الغربية والشرقية ، فلم تخل منه مكتبة عربية أو أعجمية ، لما له من قيمة علمية وادبية واجتماعية .

سلمان هادي آل طعمة

كربلاء ـ العراق

الياس فرحات ... ثورة
في سبيل الإصلاح والوحدة العربية

بقلم : وديع ديب

لم يمض على أفول الشاعر شفيق المعلوف شهران من الزمن ، حتى فجع الادب العربي بفقد شاعر لا يقل عنه منزلة ولمعانا . هـو الياس فرحات أحـد كواكب العصبة الاندلسية التي سطعت أنوارها في سماء مدينـة ساو باولو (البرازيل) ، ولكل منها آمال ضوئية تقصر أو تطول بنسبة ما قدر الله لها .

وكان من رسالة فرحات أن يجري في مدار المعري وجبران حينا وفـي مدار امين الريحاني حينا آخر من حيث الدعوة الى نبـذ التقاليد الاجتماعية التي تباعد بين مواطن ومواطن وبين قطـر عربي وآخر وأغلب الظن أن رغبـة فرحات في نبذ التعصب الديني والاخذ بأسباب الحضارة العلمية هي من وحي بلدته كفرشيما وجارتها الحدث اللتين أنجبتا فريقا من الادبـاء والعلماء مـن أمثال سليم تقلا مؤسس جريدة الاهرام ، وشبلي الشميل صاحب المقـالات الفلسفية والاجتماعية ويعقوب صروف صاحب مجلة « المقتطف » ومؤسـسها وهي أول مجلة عربية عنيت بالعلوم وما يتصل بها من اختراعات واكتشافات . ومن أمثال الشيخ ناصيف اليازجي أحد أساطين اللغة العربية في عصر النهضة وكذلك ابنه الشيخ ابراهيم اليازجي النافخ الاول فـي بـوق الحريـة والاستقلال :

تنبهوا واستفيقوا أيهـا العرب   فقد طما الخطب حتى غاصت الركب

ومن هؤلاء أيضا الاديب العالم أحمد فارس الشدياق .

وغني عن البيان أن فرحات لم يكن الاول في ما دعـا اليه . فقـد سبقه الى ذلك شاعر صنو له هو الشـاعر القروي أمد الله في حياته وهو اليوم فـي التسعين من عمره ويكبر الفقيد في نحـو خمس سنوات . مـع أنهما عاشـا

كتوأمين متلازمين . فانت لا تستطيع ان تذكر أحدهما حتى تتذكر الآخر وقد شاءت الاقدار أن يغتربا عن لبنان في زمن متقارب وأن يعيشا معا في البرازيل شاعرين مغتربين تجمع بينهما الاماني الواحدة وتتلخص فـي أن يريـا لبنان وسائر الاقطار العربية في مستوى واحد من حيث التقـدم والازدهار وفـي ارتباط واحد واتجاه واحد من حيث الاهداف القومية عـلى أن ترتكز هـذه الوحدة على أسس قويمة من العلمنة التي لا تفرق بين مواطن وآخر مهما يكن لونه العقائدي أو الديني أو السياسي بحيث يكون أبنـاء الوطـن الواحـد متساوين في الحقوق والواجبات .

ولا أكون مغاليا اذا قلت بأن فرحات كان أشـد شعراء المهجـر تحمسا لهذه الدعوة من الاصلاح الاجتماعي بدليل ما في رباعياته من هذه النمـاذج الانسانية كما في قوله :

ما كان في ماضي الزمـان محرما فتعـذر التمييـز والاصـلاح
فالفتك فن والخـداع سياسـة وغنى اللصوص براعـة ونجاح
والعري ظرف والريـاء تمـدن والكذب لطف والفساد صـلاح

***

ومنهـا :

فيم التقاطع والاوطـان تجمعنـا قم نغسل القلب مما فيه من وضر
ما دمت محترما حقي فأنت أخـي آمنت باللـه أو آمنت بالحجـر

ان معرفتي بالشاعر ترجع الى عهد الدراسة فـي الجامعـة الاميركيـة والتدريس فيها وكنت قبل عودة فرحات الى لبنان سنة ١٩٥٩ أتبـادل معـه الرسائل الادبية التي تمت الى الادب المهجري بصلة مباشرة ذلك انني وضعت في عام ١٩٤٠ رسالة في أدب أمين الريحاني وفي عام ١٩٤٥ رسالة في موضوع الشعر العربي في المهاجر الاميركية . كذلك كانت صلتي بجميع أدباء المهجـر كما يشير الى ذلك الاديب حبيب مسعود في كتابه « ما أجملك يا لبنان » وهنا

يجدر بي ان أنوه بما كان يكنه الشاعر لوطنه لبنان من محبة واعجاب برغم ما عرف له من أبيات تشف عن كره لموطنه هذا . انه لم يكره لبنان وانما كره ما كان يجري فيه أحيانا من تنكر للوحدة العربية وكأني بشاعر لبنان الاخطل الصغير يكشف له عن وجه الحقيقة : يوم رثى فيصل ملك العراق ، في البيت التالـــي :

خذ بهمس القلوب في اذن الحب ودع عنـك كاذبـات المزاعـم

ومن المؤكد عندي ان فرحات لم يقصد الاساءة الى وطنه الاصغر لبنان وانما تمنى له ان يكون في طليعة الاقطار العربية تقدما وعلما وتسامحا عـلى حد قول عمر ابي ريشة :

علـم اللـه مـا انتقدتـك الا طمعا ان تكـون فـوق انتقادي

واني ما أزال اذكر لفرحات الابيات التالية وهي من قصيدته التي القاها في بلدته كفرشيما بعد غياب نصف قرن من الزمن في تلك الحفلــة العامـرة التي أقامها نادي الادب والرياضة في باحة مدرسة كفرشيما تكريمـا لشاعرها الكبير وقد تكلم في ذلك المهرجان الادبي الكبير نحو من خمسة عشر اديبـا وقد أسعدني الحظ في ان أكون واحدا منهم . وكـان عريف الحفلـة طالب جامعي ناشيء من كفرشيما هو اليوم الدكتور خليل نهرا من اساتذة مستشفى الجامعة الاميركية ببيروت وقد ذكر عن لسان أبيه ، الذي كان لمـدة لفرحات صديقا ورفيق صف في مستوى الحداثة ، نوادر بارعة من «زجله» ضحك لها الحضور كثيرا . ومنها الردة التي قالها لمعلمه الاب مـارون مداعبـا وكـان حضرته يعطف عليه بالنظر لذكائه وحداثته وهي :

شـو هالصبـاح الملعـون مصيبـة بتـلات مصيبـات
خـوري ومارونـي ومـارون يـا تعتـيرك يـا فرحـات

وكان من خطباء الحفلة الذين اتذكر اسماءهم ، فؤاد صروف .

وكانت كلمة صروف على كثير من العمق في التفكـير والروعـة فـي التصوير ، اقتطف منها بعض ما جاء في مقدمتها . قال حفظه الله :

« منذ ثلث قرن ، بعيد رحلتي الاولى ، الى الشق الشمالي من الاندلس الجديدة ، حيث نعمت بضياء كوكبة من زهرها ، تناهت الي من شقها الجنوبي آيات عبقريات لبنانية عربية شاعرة أصيلة الموهبة . فكان من بواعث غبطتي الادبية والوطنية ان يكون « المقتطف » منبرا لها . ولكن حسرة ظلت تساورني ، لان الدهر لم يواتني على رحلة تالية الى الجنوب . وكرت السنون ، وكأنها تتعمد ان تباعد بيني وبين من كنت أتوق اليه ، فظللت اكتفي بالبريد على مضض ، حتى اتيح لي ، في بعض السنوات الاخيرة ، ان اجتمع بصيدح وقنصل وشفيق ورشيد وهأنذا اليوم ، بين يدي فرحات ، امنية قد تحقق بعضها ، رباه رد ذخائرنا الينا » .

اما قصيدة المحتفى به فكانت على غاية من صدق العاطفة ، وكأنما هي صدى لقول ابي تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لاول منزل

وكان مستهل قصيدته :

سلبت لي الاقدار بعد حران ... واغاضني عما فقدت زماني

ومنها :

لبنان يا وطن الجمال تحية ... تغشى ربوعك مع شذى نيسان
يا مهد احلام الشباب ومصدر ... الحب البريء وهيكل الايمان
اني أراك فتى أشد فتوة ... من عهدك الماضي فكيف تراني ؟

الى قوله :

أنا ما أتيتك واعظا بل شاعرا ... متغزلا بجمالك الفتان
ولنحن نأبى ان نرى لك راشقا ... الا بماء الورد والريحان
انا نريدك قبة في هيكل ... متشامخ متماسك البنيان
حتى يكون لنا ونحن أعزة ... وطن نتيه به على الاوطان

وفيما أذكر ، ان الحفلة اقيمت برعاية الشيخ عبد الله جابر الصباح وزير المعارف الكويتي الذي دعا على أثر نهايتها ادباء الحفلة واصدقاءهم الى وليمة عربية تقام عشية في قصره الصيفي ببلدة العبادية في جوار عاليه وقد أحب جانب من الحضور ان يستمع الى الشاعر مفردا قبل ان تزدحم صالونات القصر الكبير بالضيوف المدعوين ويتلهى الناس بألوان الطعام والشراب وكان من بين المقاطع التي تليت الابيات التالية :

اني لالمح من خلال دموعي صورا طواها البين بين ضلوعي
صورا يجسمها الخيال مضاعفا عطشي ورؤية من أحب رجوعي
أربوع أحبابي لانت وان نأت بي عنك مركبة الزمان ربوعي
أنا في الخريف وما ذكرتك مرة ألا شعرت برجعة لربيعي

وأذكر انه في اليوم الثاني من هذا المهرجان الادبي دعانا الشاعر الى بيت أبناء أخيه في بيروت الكائن في حي مار الياس وهم السادة جوفر وايلي وميشال وفي زاوية من مجلس آل فرحات الكرام ، همست في أذن صديقي الشاعر ، هل توفر الك بعض الوقت لصاحبة قصيدتك الرائعة « خصلة الشعر » فأجاب وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، يؤسفني ان تكون قد توفيت قبل وصولي الى كرشيما في نحو ثلاثة أشهر وأردف قائلا : على انني زرت الجدث ووضعت عليه اكليلا من الورد . وبعد فلعله من الخير ان اثبت هنا شيئا من قصيدته تلك تدليلا على وفائه لمن أحب وهو الذي عرف بالاخلاص والوفاء لوطنه وأبناء قومه .

خصلة الشعر

خصلة الشعر التي أعطيتنيها .. عندما البين دعانا بالنفير
لم أزل أتلو سطور الحب فيها وسأتلوها الى اليوم الاخير

***

خنت عهد الحب لا بأس فاني مكتف بالاثر الغالي الثمين

لست بعد اليوم أحيا بالتمني بعد أن منيتني عشر سنين
أحمد الله فـا الاخلاف مني انني كنت لك الصب الامين
راجعي سيرة حبي راجعيها فهي نور ساطع للمستنير
واذا مرت بك الريح سليها انها تعرف من أمري الكثير

وهكذا تجري هذه القصيدة في سياق الموشحات الاندلسية شفافة الحرف بريئة الملامح مهجرية السمت وقد ألبسها الشاعر وشاحا من اللهفة والحنين .

وديع ديب

ـ كتب وردت للمجلة ـ

١ ـ الوثائق العربية : وهي مجلة سنوية يصدرها الفرع الاقليمي العربي للمجلس الدولي للوثائق ، ويرأس تحريرها صديقنا الاديب الكبير الاستاذ سالم الآلوسي الامين العام للمركز الوطني للوثائق في بغداد وهو من هو في علمه وادبه وفضله ووطنيته ونشاطه .

٢ ـ رحلتي الى افريقيا العربية ـ تونس الخضراء ـ وللاستاذ ناجي جواد مؤلف هذا الكتاب وهو الاديب المحامي الساعاتي هواية في الرحلات ، ومن مآثره انه يكتب عن كل بلد عربي يزوره حيث يجد فيه معارفه واخوانه لانه سفير ادباء العرب في العراق .

٣ ـ خزائن الكتب في كربلاء : يدل عنوان الكتب عليه ومؤلفه هو الاستاذ السيد سلمان هادي آل طعمة المؤلف الاديب الشاعر النشيط وخصوصا في نشر ادب كربلاء وشعرها في الخافقين .

مع الخالدين

ألفريد تينسون (١٨٠٩-١٨٩٢)

بقلم : سمير شيخاني

قرية صمرسبي الانكليزية تستريح على شكل كوب بين المروج الخضراء، وحولها تنتصب وسط الضباب الكنائس الرمادية الابراج ، كأنهما تخفرها ؛ فاذا ما ترددت أصوات النواقيس حسبت البخور يتصاعد في السماء فيلفها ؛ ومن وراء كل ذلك رأيت الامواج تكر في البحر الصاخب غير بعيد عن هذه القرية الجميلة .

ولكن الدكتور تينسون كاهن صمرسبي — ورجلا طويل القامة ، قوي البنية ، راجح العقل أنشأ اولاده تنشئة رفيعة ، وزرع فيهم أفكاره في جو من الصفاء والهدوء البعيد عن ملاهي العالم . وقد أنعم الله على هذا الكاهن الطيب بأسرة من اثني عشر فردا . وكان ألفريد الابن الاكثر قدرة وبراعة وذكاء ، فضلا عن خياله الخصب المتألق ؛ ففي ذات يوم من شهر آذار ؛ هبت ريح مجنونة عصفت بالحديقة ، فهرع طفل الخامسة لمواجهة عناصر الطبيعة الهوجاء . ملوحا بيديه ، صارخا : « انـي أسمع صوتا يتحدث في العاصفة ! » وحتى في طفولته ، كان يتجاوب بشغف مع الموسيقى ، وايقاع القوافي الشعرية . وفي الخامسة عشرة من عمره نزل عليه نبأ وفاة الشاعر اللورد بايرون نزول الكارثة الرهيبة ، فأظلم صباح حياته المرح المشرق ؛ وعلى صخرة بالقرب من منزله حفر هذه العبارة « لقد مات بايرون » ، مؤكدة بالانفعال الصادق ...

كان ألفريد تينسون ، داخليا ، بركانا مضطربا من العاطفة . وخارجيا أنتى دماثة الكبت وتصرف الارستقراطيين . فقد ربي وترعرع في جو قاعة الاستقبال حيث الرقة واللياقة والادب كانت انصاف الآلهة التي تقطن ذلك

المنزل ، وحيث غرائز العصيان والتمرد كانت محرمة ، تماما كما « الهياكل العظيمة في خزانة الاسرة » .

فلما بلغ العشرين من سنيه كان ، جسديا ، أشبه بنصف اله ــ طويل القامة ، مهيب الخلقة ، يتجلى النبل في ملامحه وعلى جبينه ، واسع الصدر ، طريقته في المشي أو الوقوف ، او الجلوس هي طريقة الملوك وقد وصفه صديقه السياسي غلادستون بأنه « كان من أجمل الرجال منظرا في العالم » . وقلما كان يتكلم في المجتمعات ، بل كان يعتصم بالصمت الغامض بحيث يخيل للناظر اليه أنه أمام مهبط الوحي والحكمة ، ولم يكن ليقطع حبل الصمت الا عندما كان يطلب اليه تلاوة أشعاره . وعندها ، كان يسحر سامعيه بجمال انشاده ، وقد أورد أحد أصحابه مرة هذه الملاحظة من فرط اعجابه به : « ليس من العدل ، يا ألفريد ، أن تكون في آن معا ابولون وهرقل ! »

وقد بدأت حياته الادبية بملحمة شعرية من ٦ آلاف بيت نظمها وهو في الثانية عشرة من عمره ، ووضع مسرحية شعرية وهو في الرابعة عشرة .

كان تنيسون محظوظا اذ ولد في أسرة رفيعة الثقافة ، تملك خزانة كتب قيمة . درس في بادىء الامر على والده الذي لم يرسله الى الكلية الا بعد أن صار بوسعه ان يتلو عن ظهر قلب كل قصائد هوراس . وفي كلية ترينيتي ، في جامعة كيمبريدج ، أنشأ عددا لا بأس به من الصداقات التي لم يفصم عراها الا الموت . وكان من اصدقائه الحميمين ويليام ثاكري ، وويليام غلادستون ، وتوماس كارلايل وغادر جامعة كيمبريدج ، ليبدأ رحلته الطويلة على دروب الحياة والسنين . غير أن حدثا مفاجئا قطع روتين حياته السار المرضي . فبعد شهر واحد من عودته من الجامعة ، دخل مكتب والده ، فألفاه جثة بلا روح . وطوال ليال بعد الدفن لازم ألفريد سرير والده الراحل على أمل « رؤية شبحه ، ولكن لم يظهر أي شبح » . لقد كان الموت مغامرة أزعجته ، وفي الوقت نفسه ، حيرته . لم يكن نشازا بل كان ايقاعا غامضا جديدا في سنفونية انفعالاته وأحاسيسه . لقد اختطف وجودا عزيزا ، ولكن

ترك مكانه هدوءا وسلاما مقدسين ، وتوقفا موقتا عميقا صامتا في انشودة الحياة الابدية .

خلال تلك الايام ناقش ألفريد سر الموت مع صديقه الحميم ورفيق الدراسة . زميله الشاعر آرثر هلم . وكان آرثر خطيب اخته اميلي السوداء العينين ، رشيقه الروحي ، وكثيرا ما كان الشاعران الشابان يقضيان الليل في التدخين متعمقين في « أسرار الآلهة » ، وغالبا ما كانت اميلي تنضم اليهما فتعزف على آلة الهارب ، في حين يستريح شقيقها مع أفكاره ، وحبيبها يغذي عينيه النهمتين بالنظر الى وجهها .

وذات ليلة ، عندما تلاشت الالحان الموسيقية ، مال ألفريد الى صديقه وحدثه عن يأسه الفكري ، قال : « ان شعراء آخرين يواجهون سر الحياة ويتحدونه ، في حين اني ألعب وحسب مع أصدائه » . وقد أشار الى أن آرثر كان يستطيع أن يرى السر الابدي بوضوح اكثر ، هذا السر الذي يمنح الحياة فنا عظيما ، وحياة للفن . ويقول مخاطبه : « انك تتلمس بثبات طريقك نحو ايمان محدد . وستصل حتما باذن الله تعالى ، اني أرى ذلك جليا في شعرك ! » .

وقام آرثر بزيارة قصيرة لفيينا ، فكتب الى تنيسون رسائل حارة شيقة عن صالات ومعارض الفن في تلك المدينة التي تضم لوحات رائعة لجيورجيوني ، ورفاييل ، وتيسيان . وذات يوم انقطعت رسائل آرثر . وبدلا من الرسالة المعتادة وصلته بطاقة قصيرة من والد آرثر يقول له فيها : « صديقك ، يا سيدي ، آرثر هلم ، رحل عن هذا العالم » .

كان تنيسون جالسا الى مائدة العشاء عندما وصلته هذه البطاقة ، فلم يمس الطعام ، ومن خلال الدموع التي فاضت بها عيناه استشعر كذب الكتابة المحزن ، فكيف يمكن للمرء ان يقول « لم يعد له وجود ؟ » ولمسته اصبع الله ، فنام .

كان على الشاعر الآن أن يواصل وحده البحث والتنقيب . لقد أثقل عليه الحزن ، فانتزع منه في فترة قصيرة نسبيا شخصين حبيبين الى قلبه أحبهما حبا كثيرا ، هما أبوه وصديقه ، وتبين له عدم صدق المثل القائل « ان الدنيا تقبل بلطف على اولئك الذين يتحلون باللطف » . ذلك بأن اللطف ليس الا الوجه الآخر لعملة الالم . والحكمة هي ابنة الحزن . وبقدر ما كان الانسان في تنيسون يزداد شقاء ، كان الشاعر فيه يصبح اكثر سموا . فلقد وجه نفسه وجها لوجه أمام ذلك الجبار المقنع الغامض الذي يسمى « القدر البشري » . فلقد جوبه بالتحدي لكشف القناع اذا استطاع الى ذلك سبيلا. وكثيرون قبله سجلوا اسماءهم على لائحة النزول الى ساحة المعركة ضد المحارب المجهول . فخاضوا المعركة بشجاعة ، وأبلوا بلاء حسنا بدا في بعض اللحظات ان يعدهم بالنصر في النهاية ، ولكنهم دحروا حتى الآن .

أما تنيسون فقد صمم على النجاح ، وذلك في بالتأمل الهادىء . وفي سبيل توفير هذا الجو انتقل مع والدته وسائر أفراد الاسرة الى منزل فخم في غابة ايبنغ ، حيث راح وسط حديقة فسيحة تضم بركة خاصة يستكشف أعماق تفكيره الصامتة . الا أنه لم يقصر أيامه على التمرين الذهني وحده . فبفضل بنيته الرائعة وقوته كان شديد الولع بالطبيعة والهواء الطلق ؛ فكان يقوم بالنزهات الخلوية الطويلة صيفا ، وبالتزحلق على البركة المتجمدة شتاء ، ولكنه كان دوما ؛ سواء في الهواء الطلق او بين أربعة جدران ، يواصل تخطيط الافكار ، وايقاعات أبياته الشعرية . ذلك بأن كلمات الشاعر ينبغي أن تقوم بوظيفة مثلثة : ينبغي أن تزود العين الداخلية باللون ، والاذن الداخلية بالموسيقى ، والقلب الداخلي بالامل !

ففي أشعاره الاولى قصر عن هذا المثال . ذلك بأنه عبر عما في نفسه بأسلوب ممتلىء بالحيوية والحماسة عكس عدم نضج في التجربة والاختبار ، وأحس النقاد بهذا العيب في شعره ولكنه سرعان ما وضع نصب عينيه شعارا جديدا سعى الى التقيد به ، وهو : « لجم كل جنون النمرة ، وقتل كل عواطف الافاعي » . فلما تحدث بعد ذلك لقي تجاوبا كبيرا من آلاف القراء . وكان قد بلغ الثالثة والثلاثين عندما نشر مجموعته الشعرية التي تضم

« يولسيس » و « موت آرثر » ، و « لانسلوت وغوينيفير » ، و « لايدي شالوت » . وقد دهش كل النقاد أمثال كارلايل ، وفتز جيرالد ، وسبيدنغ ؛ وأصدقاؤه لتطوره الشعري . وقد أورد المفكر الاميركي ايمرسون هذه الملاحظة دونما تردد : « ليس ثمة أذن أرهف حسا ، ولا سيطرة على اللغة أكبر ، من اذن تنيسون وسيطرته » . وعملا باقتراح عدد كبير من ذوي النفوذ منحه البلاط الملكي مرتبا سنويا . ومنذ ذاك رأى تنيسون شروق شمس شهرته .

وانهمك في مناقشة احدى أهم المشاكل الرئيسية في ذلك الوقت ـ الوضع الادبي والفكري للمرأة في المجتمع المتحضر . ففي العهد الفكتوري في انكلترا كان « الجنس الضعيف » ينظر اليه نظرة القاصر بالنسبة الى القانون ، وفي كثير من الاحيان كالملك المنقول او الاثاث في المنزل التروجي . وكتب تنيسون « الاميرة » ، وهي قصيدة يستبق فيها مسرحية « بيت الدمية » الشهيرة للروائي النرويجي هنريك ابسن ، فيدافع عن الاستقلال الروحي والفكري للزوجة في الشراكة الزوجية ؛ وتتلخص هذه القصيدة بأن الاميرة « ايدا » تثور مع وصيفاتها على تقاليد العصر السائدة ، ويتبعن دورة تربوية متحررة في أكاديمية ، ويتأهبن لولوج حياة تحرر من قيود الحب ، والزواج ، والحياة المنزلية أو العائلية . ومع ذلك ، عندما يصدر نداء الى غرائز الامومة فيهن ، تراهن يعدن الى الحظيرة ، ذلك بأن أي نهاية أخرى لم تكن لتحظى برضا جمهور الشاعر .

ثم ، ان تنيسون انهمك بعد ذلك بمشاكل يومه الدينية . وغالبا ما كان يزور ضريح زميله وصديقه آرثر هلم القائم بالقرب من مكسر الامواج « على الحجارة الباردة الرمادية » . وهناك ، وعلى ايقاع موسيقى الامواج ، وتحت السماء الامتناهية ، سمع « الاصداء الرقيقة العذبة » لمرثاه . فراح يدون كلمات مرثاته الشهيرة الرائعة « الذكرى » ـ من أجل آرثر ، تماما كما كان يريدني أن أكتبها . وكثيرا ما كان يتلو هذه الابيات الشعرية ، مع تطور النظم والكتابة ، على مسامع صديق بين آن وآن ، فيتهدج اذ ذاك صوته ، ويرتجف بالانفعال ، وتترقرق الدموع في عينيه وتنسكب على وجنتيه .

وشيئا فشيئا راحت قصيدته « الذكرى » تتطور من تعبير عن حزن شخصي الى فلسفة حياة كونية . فلما انتهى منها قال يصفها : « ان هذه القصيدة هي بالاحرى صيحة الجنس البشري بأسره أكثر منها صيحتي ! » .

والآن ، ما هي قصيدة « الذكرى » التي تعتبر أروع ما قيل في الرثاء في الادب الانكليزي بعد مرثاة « ليسيداس » لملتون ؟

***

و « الذكرى » ، هي النشائد الخالدة التي نظمها شاعر الانكليز ألفرد تنيسون تذكارا لحياة صديقه آرثر هلم ، وقد ظهرت سنة ١٨٥٠ ، وقد ترجمها الاستاذ أنيس المقدسي رغبة منه في تقديم صور هذا الشاعر الكبير الى أبناء العربية ، ليروا ما يتجلى فيها من معاني الشعر الحديث الذي هو العامل الاكبر في تهذيب الامم وترقية الجنس البشري ـ على حد قول المترجم .

وهذه الآن بعض ابيات الفاتحة ، من قصيدة « الذكرى » لتنيسون :

ايها الحب في سماء الخلود … يا ابني رب الاكوان ذا السلطان
لم نشاهدك نحن في ذا الوجود … سافر الوجه باديا للعيان
غير ان الايمان يهدي خطانا … ويرينا ما لا ترى العينان

***

أنت ابرعت هذه الكائنات … ووهبت الحياة للاحياء
وعليها قضيت حكم الممات … لا مفر من حكم هذا القضاء
ثم دست الحمام حتى ترينا … أن من خلقه الوجود الثاني

***

ما لنا غير ثابت الايمان … كيف نرجو بالعقل فهم الكمال
يدرك العقل ما ترى العينان … والذي لا يرى بعيد المنال

منك ايماننا فزده اتقادا وبهاء يا مصدر الايمان

* * *

ان حزني على الحبيب الفقيد لشديد ومهجتي في اتقاد
لا تلمني لضعف قلبي العميد واختبالي من هول هذا البعاد
هو حي وفي جنانك ربي سأراه أولسى بسكن جنانـي

* * *

في سنة ١٨٥٠ خلف اللورد ألفريد تنيسون وليام ودرزورث في أمارة الشعر في انكلترا .

رفض تنيسون لقب بارون مرتين : من الملكة فكتوريا سنة ١٨٦٥ ، ومن دزرايلي سنة ١٨٦٨ . ولكنه رضي بأن يصبح عضوا في مجلس اللوردات بناء على طلب صديقه غلادستون سنة ١٨٨٣ . وقد بقي تنيسون متمتعا بقواه العقلية والجسدية حتى وفاته سنة ١٨٩٢ وقد انسكب شعاع القمر على سرير موته وهو ممسك بمجلد لشكسبير كان يطالعه بشغف ومتعة في ساعاته الاخيرة . ودفن في ركن الشعراء في كاتدرائية وستمنستر .

سمير شيخاني

مصاب آل طعمة

توفي بأجله الموعود يوم ١٩ شوال ١٣٩٩ هـ المصادف ١٥/١٠/١٩٧٦ بمدينة كربلاء المرحوم المغفور له السيد هادي السيد محمد مهدي آل طعمه وهو أحد وجوه خدمة الروضتين المقدستين الحسينية والعباسية ووالد صديقنا الشاعر الاستاذ السيد سلمان آل طعمه .

وكان الفقيد معروفا بسيرته الحميدة وزهده وتقواه في الدنيا وترفعه عن كل ما تعارف عليه بعض الناس من المطامع الذاتية . ونسأله جل تعالى ان يتغمده برحمته الواسعة ويحشره مع أجداده الطاهرين .

« وطنيات » بطرس البستاني

المعلم بطرس البستاني كتب « وطنيات » في زمانه القرن التاسع عشر ، في جريدته « نفير سورية » .

١ ــ الوطــن :

اكثرنا ذكر الوطن في نشراتنا وما ذلك الا لانه أحب شيء الى سمع من كان محبا لوطنه والذ ما زين به جيد العربية من كلمات .

والوطن اشبه بسلسلة متصلة كثرت حلقاتها . طرفهـا اول منزلنـا او مسقط رأسنا بين حواه ، وطرفها الآخر بلادنا بين عليهـا ومركـز طرفيهـا ومغناطيسهما قلبنا او هما مركز قلبنا ومغناطيسه . ومن شأن الجاذبية القويـة التي للوطن طبعا نحو بنيه ان تضبطهم به م شديد داخل دائرته مهما كان رديا وتمسك داخل دائرته مهما كان رديا وتمسك بحبال قلوبهم وتجذبهم اليه جذبا عنيفا لتردهم اليه اذا غابوا عنيفا لتردهم اليه اذا غابوا عنـه وان تكـن ارض غربتهم احسن منه .

ومن الاقوال السائرة لو لم يكن الوطن قتالا كانت بلاد السوء خرابا . وبمقدار ما تكون حلقات سلسلة الوطن المادية او الادبية أقرب الينـا يكون تعلقنا به اشد وميلنا اليه أقوى . فمنـ لنا هو احسن المنازل وابناء وطننـا هم احسن الناس عندنا وهكذا . وما أصدق ما قيل السر بالسكان لا بالمنـزل . فمن جال في العلم ولا حظ البلدان وسكانها ظهر له ظهور الشمس في رابعـة النهار ان الوطن مهما كان له من المحاسن فقد يعطله شر سكانه ومهما كان رديا في ذاته فقد تصلحه محاسن أهله .

يا أبناء الوطن ، لاهل الوطن حقوق على وطنهم كما ان للوطن واجبـات على أهله . فبمقدار ما تكون تلك الحقوق مستوفية حقهـا ، يزيـد التعلق بالوطن والرغبة واللذة في تأدية تلك الواجبات ، وذلك اوضح من ان يبين .

فمن الحقوق التي على الوطن لبنيه ، الامنية ـ الامن ـ على افضل حقوقهم وهي دمهم وعرضهم ومالهم ومنها الحرية في حقوقهم المدنية والادبية والدينية ولا سيما حرية الضمير في أمر المذهب . وما أكثر الاوطان التي ذهبت شهداء لهذه الحريـة .

ومما يزيد ابناء الوطن حبا اوطنهم الاشعار بأن البلاد بلادهم سعادتهم في عمارها وراحتها وتعاستهم في خرابها وشقاوتها . ومما يزيدهم رغبة في نجاحه وغيرة على تقدمه ان تكون لهم يد في اعماله وتداخل في صوالحه . وبمقدار ما تكون المسؤولية الموضوعة عليهم اكثر ، تكون هذه الحاسيات اشد وأقوى . ومن الواجبات التي على ابناء الوطن لوطنهم حبه ، وقد ورد في الحديث حب الوطن من الايمان . وما اكثر الذين بذلوا حيوتهم وكل مالهم حبا لوطنهم . واما الذين يبدلون حب الوطن بالتعصب المذهبي ويضحون خير بلادهم من أجل غايات شخصية فهؤلاء لا يستحقون ان ينسبوا الى الوطن وهم اعداء له . والحق بهم الذين لا يبذلون جهدهم في منع وقوع الاسباب التي من شأنها ان تضر بالوطن او في تخفيفها بعد وقوعها . وما أقل الذين أظهروا في هذه الايام العصيبة الصعبة من ابناء هذه البلاد حبهم لوطنهم .

المعلم بطرس البستاني

(نفير سورية ـ الوطنية السابعة ـ ٢٥ ت ١ ١٨٦٠)

٢ ـ الارباح الادبيـة :

يا ابناء الوطن ، كأني بواقف على عنوان هذه اللائحة يقول متعجبا وهل من ارباح للوطن من حركة اهلية كثيرا ما بالغ محب الوطن في ذمها وبين جسامة اضرارها وكثرة خسائرها !

فمن الارباح الادبية الحاصلة للوطن من الحركة الاخيرة معرفة أبناء الوطن بطريق محسوس واضح عظم قباحة الحروب الاهلية وشدة رداءتها في ذاتها وفي نتائجها معرفة من شأنها ان تحدث فيهم طبعا تأسفا عميقا وندما صحيحا على ما مضى وكراهة وتنورا من ارتكاب ذلك في ما يأتي .

ومنها معرفة ابناء الوطن ان صالحهم العمومي وبالتالي الشخصي يستلزم وجود روابط الاتحاد وحسن الالفة والموادة بين فئاتهم وافرادهم . ولما كان يرجى زوال تأثيرات الضربة الاخيرة ومفاعيلها القبيحة في مدة قصيرة كان يحق لنا ان نؤمل ان ابناء وطننا لا ينسون سريعا قباحة الاسباب التي أوقعتها عليهم فيكونون دائما على حذر من الوقوع في ورطات نظيرها وينتبهون الى تفضيل صالح وطنهم وخير بنيه على تحسينات شهواتهم المنحرفة المضرة وشهوات الذين اقتادوهم او ساقوهم الى تلك الغوائل الردية والمهالك المهولة .

ومنها اقناع ابناء الوطن وغيرهم بأن تلك الحروب القبيحة والارتكابات الفظيعة هي بنات شرعية لقلة الديانة والتمدن او لعدمهما ، وبأنه لا يؤمل نهوضهم من سقطتهم بل بالحري سيبقون في حالتهم المتأخرة او يصلون الى حالة اردأ منها اذا لم يصلحوا احوالهم من هذا القبيل .

ومنها اقناع ابناء الوطن بطريق محسوس بأن الحكم هو ملح الارض لا بل حياتها . وبأن الشرائع هي لجام الاشرار واصحاب الارواح غير الهادية وان عدم وجود حكم والاستخفاف بالشرائع هما من اكبر الشرور لبلاد مهما كانت درجة تمدنها ونجاحها لان الحكم والشرائع اشبه بالصحة لا تعرف قيمها الا عند فقدهما .

على اننا ننبه ابناء الوطن الى امرين احدهما هو ان اصلاح احوالهم وبلادهم متوقف على اتحادهم واجتهادهم الشخصي لان اتكالهم في ذلك على الغير هو اتكال جائع على انه يشبع اذا اكل صديقه او مولاه واتكال جاهل على انه يصير فيلسوفا اذا تعلم جاره او ابن دينه لان من لا يقف وحده لا يكون من يضع يده تحت ابطه ليسنده . ثانيهما ان اظهار البغضة لجماعة بجملتها بناء على ذنوب ارتكبتها عمدا او خطأ بعض افرادها فضلا عن انه ليس من الانصاف هو مضر جدا وموجب توقيف او منع للاتحاد والالفة اللذين عليهما يتوقف نجاح الاهالي والبلاد .

(نفير سورية ـ الوطنية التاسعة ـ ٢٢ شباط ١٨٦١)

من شبلي الشميل

شكوى المستأجرين

من المقرر البديهي الذي لا خلاف فيه ان الاجتماع لا يقوم بفرد ولا بطائفة من افراد بل بأفراد وطوائف من أفراد يؤدون أعمالا مختلفة على قدر اختلاف المنافع التي يحتاج اليها الاجتماع بحيث ان كل واحد من أفراده يؤدي العمل الذي لا يستطيعه سواه ويستفيد من الآخر المنفعة التي لا يستطيعها وحده . وشبه الطبيعيون العمران بجسم حي كبير هائل وأفراده بمثابة الاعضاء في هذا الجسم فكما ان الاعضاء لازمة لسلامة الجسم كذلك الافراد لازمة لسلامة العمران .

ومن البديهي أن من كان هذا مركزه في الجسم يكون له فيه مثل ما عليه لذلك كان لكل فرد في الاجتماع حقوق على الاجتماع نفسه ، كما ان عليه واجبات له . ومن المعلوم أن من المنافع في الاجتماع ما هو ضروري لازم لا يمكن الاستغناء عنه من غير ان يؤذي الاجتماع في أهم اركانه ومنها ما هو غير ضروري يمكن الاستغناء عنه بدون ضرر . والحق الذي للفرد من ذلك يسمى حاجيا في الاول وكماليا في الثاني .

فالحاجي مثل حق الاكل والشرب والمسكن الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه والا هد الاجتماع من أركانه . هل يجوز ان يقال لطالب الرغيف ليقتات والماء ليروي والبيت ليأوي اليه ان المسألة مسألة « عرض وطلب » لا بد فيها من التراضي كالتراضي على ثمن خاتم من ماس أو مطرف من خز ؟

هل يجوز ان تنصرف المنفعة بالمسكن الى مصلحة طائفة من طوائف الاجتماع على حساب الغير مع معرفتنا ان هذا الغير هو المقوم لقيمة هذه المنفعة حتى يجوز ان يقال ان حقه من هذه المنفعة لا يقل عن حق صاحب الشيء

نفسه . واذا صح له هذا الحق جاز له صرف المنفعة الى مصلحته كما يجوز لصاحب الشيء صرفها الى مصلحته أيضا . ولذلك كان من وظيفة الوازع القيم على مصلحة العمران ان يراعي في المنفعة مع ذلك ظروف الزمان والمكان ايضا لتعديلها لمصلحة الاثنين والا وقع الاجتماع في الفوضى .

أنا لا أجهل ان هناك ناموسا يده فوق كل يد يعدل كل شيء في العمران وهو ناموس التكافؤ ولكني أعلم حق العلم قبل ان يتم ذلك على موجب هذا الناموس أن الحيف يقع على كثيرين وهذا مضر بالعمران ومن وظيفة الوازع اتقاؤه . وهذا لا يكون باطلاق مبدأ « العرض والطلب » وجعله أساس كل المعاملات على حد سواء غير فارق بين الضروريات وغير الضروريات أي بين الحاجيات والكماليات .

ان اكثر الحكومات حتى تلك التي نظن أنفسنا اننا أرقى منها تهتم بالامر واما نحن فنأكل الرغيف ممزوجا بالتراب ونشارة الاخشاب ويتقاضوننا أسعار المآكل كما يشاؤون ويتحكمون في أجور المنازل وينصرهم القانون وما ذلك الا لأن شرائعنا صارت بهذا التحوير والتبديل تنفا من شرائع غير ناضجة .

وهنا لي كلمة أوجهها الى المحتجين فأقول لهم انتم محقون في شكواكم وانتم في الاجتماع أعضاء لازمون ، لكم عليه مثل ما له عليكم وانتم مظلومون ايضا وظالمكم حكامكم وشرائعكم فلا تنحل عزائمكم . فقط أنصحكم ان تلوذوا في مطالبكم بجانب الحكمة حتى اذا كثر عددكم واشتد تضامنكم ولم ينصفكم الذين يجب عليهم ان يهمهم أمركم كان لصوتكم صدى فوق كل صوت وليدكم مدى فوق كل يد .

من مقالة « شكوى المستأجرين » مجموعة الدكتور الشميل ـ شبلي الشميل ص ٣٢٠ .

النهار نشرت في ((المؤيد)) عام ١٩٠٨

شاعر من بلغاريا

ميلادين اسايف

نقله الى الانكليزية : فلاديمير فيليبوف
نقله الى العربيــة : عيســى فتــوح

ولد في السابع من حزيران سنة ١٩٠٧ ، في قرية باليوفيتسا ، بمقاطعة بيركوفيتـا ،، وأنهى دراسته الثانوية في فراتسا • شارك في ثورة أيلول عام ١٩٢٣ ، وأجبر على الهجرة الى يوغسلافيا • عـاد الى بلغاريا سـنة ١٩٢٩ . وأصبح في السنوات التالية رئيس تحرير جريدة (الصدى) ، كما عمل فـي مجلات : (الفكر) و (النجـــم) و (الادب الجديـــد) و « المصـير » و (الـدولاب) •

حوكم عام ١٩٤٢ مع الشاعر نقولاي فابتساروف ، وأرسل الى المخيـم المركزي • اشترك في الحرب الوطنية بعد التاسع من أيلول عام ١٩٤٤ •

عمل سكرتيرا لاتحاد الكتاب البلغاريين • ونال جائزة ديميتروف لأحسن عامل في ميدان الثقافة الجماهيرية •

نشر أكثر من عشرين ديوانا منها :

« حريق » (١٩٣٢) ، « ضحايـا » (١٩٣٤) ، « الصباح الباكـر » (١٩٣٦) ، « الكوكب المضطرب » (١٩٣٨) ، « أغنية الانسان » (١٩٤١)، « الحرب » (١٩٤٥) ، « قصيدة عن البندقية » (١٩٤٧) ، « قصيـدة عـن فابتساروف » (١٩٤٨) ، « الشباب » (١٩٤٩) ، « نجم السلام » (١٩٥٠)، « قصائد مختارة » (١٩٥١) ، « الشباب المحصن » (١٩٥٣) ، « الحـب » (١٩٥٤) ، « مقطعات وقصائـد » (١٩٥٥) ، « تحـت شمس الصـين » (١٩٥٦) ، « قصائد ومقطعات » (١٩٥٧) ، « مناظر واضحة » (١٩٥٩) ،

« أشعار غنائية » (١٩٦١) ، « الشجرة الخضراء » (١٩٦٣) ، « ملاحم ثورية » (١٩٦٤) ، « شجاعة » (١٩٦٦) ، « قفاز القنفذ » (١٩٦٦) ، « القمة » (١٩٦٩) ، « قصائد » (١٩٧٠) ، « لا راحة لك » (١٩٧١) .

صدرت أعماله المختارة في مجلدين يضمان قصائد غنائية ، وقصائد شعرية ، ومنظومات .

حلم

أستلقي ميتا . قاتلي
أكثر ظلاما من الليل الذي أتحسس وطأته .
سماء رصاصية تخيم فوقي .
ذئب يعوي في مكان ما ، كأنه في جهنم .

***

أستلقي مطعونا ، وحيدا ، لا أحد يطرق بابي ،
رياح منتصف الليل تبدأ في الانين ،
ثم تهب شرسة هوجاء .

***

يحلو لك الليل أكثر فأكثر في العاصفة الغاضبة .
أحس بقبلة أم ، ثم أسمع شخصا ما يقول :
« لقد مت أيها الصقر الشجاع ، من أجل وطنك ،
وستبقى معي حتى يومي الاخير » .

***

أهي أمي ، أم أوراق العشب ،
تلوح طائشة حول رأسي الفاقد الحس ؟

لا أحد في العاصفة لا يرجع القهقري •
أستلقي مطعونا ، أستلقي ميتا •
لا أتنفس ، لا أحترق •
أستلقي وسط الاعشاب القاسية : لا أحد يطرق بابي •
تغضب العاصفة في الليل • عبثا
ستنتظر أمي عودتي •

***

شكر

أصـــداء الثـــــورة ،
ستتردد في الاجيال البعيدة ،
فوق أرضنا الجميلة
عندما ستكون سلالاتنا
أفضل منا بكثير •

***

لكن أطفال المستقبل سيعرفون ،
أننا قد عشنا
فـــي ظــــل
شبح الاسترنتيوم (١) ،
ذلك الوحش الدنيوي المجنون
الذي أحرق وقتل وشوه ،
في هيروشيما ويوخنوالد ،
وأن الاعصار المميت
زحف يقطع الارض ،

(١) الاسترنتيوم : عنصر فلذي •

فاحتمينا بأجسامنا
وأطفالنا الرضح
من التدمير والاضمحلال
الذي مد أيديه
نحو العدد .

***

أعرف أن التاريخ
سيوضح
عالمنا المضطرب المزعج ،
وسيحكي للاجيال القادمة
قصة أولئك
الذين حاربوا
ليجعلوا عالمهم
أكثر انسانية .

***

وعندئذ فان أطفالنا
في عالم المستقبل البعيد
سوف يكرمون الثورة
ويجلسون بجانب ويجلسون بجانب علمها الاحمر
جلسة وقار واحترام .

***

الرائد

أية نجوم في السماء تشدك اليها ،
أم أن حبك للحرية فقط
هو الذي جعلك تتكفل بهذه الرحلة ،
عبر المحيط الصعب اللامتناهي ؟

لقد رأيت جميع الابراج المزحمة
تندفع بعنف في الليل البارد الرهيب .
حيثما تعدم حرارة الشمس الحياة ؟
النجوم هناك باردة كالموت ،
وأنت محاط بظلمة لا تنتهي
بالريح المدوية وأنفاسها الصقيعية .
لتبقى وحيدا في ذلك الفراغ الرهيب !
في تعطشك المعذب للنور
ترى الشمس الجميلة العظيمة
تظهر في الليل البعيد الغور .
قلبك الفرح الكبير
ينبوع الحياة الازلي ،
لأن الكون
يبدو دافئا جدا وملألئا ...
ثم يبدو منظر عجيب آخر :
ألا وهو منظر الارض الطيبة القديمة ،
بجبالها وحقولها وبحارها الزرق
ـ أرجوحة ميلادك الخضراء الدافئة ،
لن تراها تتألق كثيرا .
تهبط باتجاهها كالحمام ،
تعود الى أرض الوطن ،
الى حبك العظيم الاول .

* * *

صان الله لبنانا

انعي الى العرب روض العرب لبنانا
فقد تصدع اخلاقا وبنيانا

مصائب الشر في ارجائه عبثت
فثار لكن على أهليه بركانا

واشعل الحقد نارا في جوانبه
فانهار حكما واخلاقا وانسانا

طاف الجنون بلبنان فلست ترى
غير المصائب أشكالا والوانا

نسيمه العذب من بعد الحريق غدا
نارا تسعر آلاما وأشجانا

مرابع الانس قفر والغراب بها
بعد البلابل ينشي الحزن ألحانا

خسون ألفا قضت ظلما وما برحت
قلوبهم تنفث الاحقاد نيرانا

بيروت أمست خرابا بعدما حرقت
وقد كساها الردى ذلا وأحزانا

اين القصور فقد دكت معالمها
وهام ساكنها في الارض حيرانا

اين الجمال فقد اودى الحريق به
وبل لمن اشعل الاوطان أضغانا

اين المتاجر لم يبق لها اثر
وبات ذو المال بعد الزهو اسوانا

يشكو الى الله من أشرار امته
طاوي الحشا مكفهر الوجه ظمآنا

اين المكاتب جهل القوم دمرها
والجهل يا قومنا اقسى بلايانا



يا أمة العرب ما اقدمت مسرعة
لنصر لبنان بل اغمضت أجفانا

تركت روضك نهبا للشام وما
حفظت عهدا ولا قدمت احسانا

وبعضكم ارسل الاموال يبذلها
للقانصين ومنهم كان ما كانا

غرقت في نعمة البترول لاهية
ولم يرف لكم جفن لقتلانا

لو ان ساداتكم ضموا صفوفهم
لم تمس اوطاننا للخصم ميدانا

لو انفقوا في سبيل الخير مالهم
ما ظل في العرب بعد اليوم غرثانا

لو انهم آمنوا بالله ما نزلت
هذي المصائب تغشاهم وتغشانا

اليك يا رب نشكو من تخاذلهم
عن نصر لبنان صان الله لبنانا

النبطية آذار ١٩٧٦
محمد الحسن

الى الدكتور عبدالرزاق محي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي

سموت بحسن الخلق والادب العالي | ونلت المنى والفخر بالعلم لا المال
بذلت قصارى الجهد دعما لفكرة | تؤجج نار العزم في الهيكل البالي
وكافحت في ميدان علم مجدد | يطور روح العصر حالا الى حال
وشيدت صرح العلم بالسهد والعنا | وصنت تراث العرب من دس محتال
وللضاد ما أعطيت من نفسك التي | تقضي الدجى بالبحث لا القيل والقال
وناضلت في حقل السياسة باذلا | لموطنك المحبوب من روحك الغالي
وقاومت أعداء العروبة لم تهن | لكيد عميل فوضوي ودجال
وأعلنت حربا ليس تبقي ولم تذر | لاجهاض داء في دم الشعب قتال
تقحمت أحداث الحياة مجالدا | صروف الليالي لم تبال بأهوال
وما هاضت البلوى جناحك حيثما | وثبت لقهر البغي في بأس صوال
حياتك نبراس لكل مناضل | يروم ارتياد المجد في عزم أبطال

***

فيا شاعرا غنى لأمة يعرب | بشعر من الاعماق يجري كشلال
يقود الى دنيا التحرر والعلى | شبابا تحدى كل بطش واذلال
وينشده الاحرار في موكب الفدى | فيذكي رماد الفعل في كل قوال
وما نال قوال مناه وانما | يحقق أحلام المنى كل فعال
قريحتك المعطاء روض ملون | بأحلى زهور من رغاب وآمال
وشعرك كالورد الربيعي عطره | يسيل على همس الشفاه كسلسال

وجددت في المعنى فكنت مصورا حيــاة حوت أسمى عظات وأمثال
وعبرت عــن أرقى طموحات أمــة تتوق لعيش لــم يرق بأوحــال
تحاول ان تحيــا من القيــد حرة ومن سوء أوضاع تردت بأغــلال

***

والله ما خلفت من عاطــر الصدى أشاع بكوني كــل يمن واقبــال
أقمت من الحــب المضمخ بالشذا بكل فــؤاد مخلص خــير تمثال
زرعت بحبــات القلــوب مــودة عليك فأفاضت كــل عــز واجلال
تواضعك المشفوع بالصدق والوفا لقــد هزمني النفس واهتاج بلبالي
وأعمالك المثلى أشاد بهــا الحمى وهل يحمد الانسان من غير أعمال؟!
أثرت بما أبديت نحوي مــن الولا منازع أشواقي ووجدي وأميالي
اليك قصيدي وهو فيض من الهوى ولست أزف الشعــر الا لمفضال
سأبقى به أشدو كطير عــلى الربى تغرد نشوى كــل صبح وآصال
وأضفر اكليلا مــن الحمد والثنــا لسيرتك الغــراء رغمــا لعذالــي
ومن صنــع الخــير العميم لشعبه تسامى له ذكر على مــر أجيــال

خضر عباس الصالحي
بغداد ـ العراق

صبــح جديــد

هــذا بياض الصبح لا مــا بقي بعد احتراق العــدو في مفرقــي
والليل مهمــا طــال لا بــد من صبــح جديــد بعــده مشرق
صبح المشيــب ويومــه زاخــر بالحــب والآمــــال والرونــق
يومــان عمــر المــرء اهناهمــا يــوم يتوجــه بيــاض نقــي
والمرء مــن يوميــه فــي مخضل غض وفــي وان الجنــى ريــق
مكنــه فــي ذا وذا غافــــل عن يومــه الآتــي فــلا يتقــي

خربة سلم : احمد حسن الامين

ـ العرين خلا ـ

شعر : عبد الحسين عبد الله

هـــذا العرين خـــلا فأين كماته ذهبت وايـــن سراتـــه وحماتـــه
هيهات كيف الصبر يجدي بعدما ذهب الخميس ونكست راياتـــه
من لي بحـــر من ســلالـــة يعرب حامي الحقيقـــة لاتني عزماتـــه

***

من لي بشعب واللئـــام قرينـــه وعلى المذلـــة لا يطـــول سباتـــه
من قائد الجيش الذي غصت به ارض الحجـــاز وأينهـــا ثقاتـــه
هبـــوا لنجدتـــه وشـــدوا أزره فالعـــز حيـــث تتابعت هجماتـــه

***

يا أمـــة الاســـلام دعـــوة آسف طالت لطول ركودكم حسراتـــه
ما المجد الا تحت بيت عجاجـــة لا تحت قصـــر أرفعت شرفاتـــه
فالبيت حـــل بـــه عـــدو فاسق وتنكرت مـــن بعدكـــم عرفاتـــه

***

عبد الحسين عبد الله

آراء النـاس ومشاكلهم

في ذكرى استشهاد كامل مروه

في ١٦ أيار ١٩٦٦ قبل ١١ سنة استشهد كامل مروه ، وغاب الرجل الذي كرس حياته وفكره مدافعا عن لبنان والقضايا العربيـة والحريـات ، داعيـا للوحدة الوطنية والالفة والمحبة .

نستعيد بعضا من افكار كامل مروه الذي قال كلمة الحق ومشى وهكذا تغتال العبقرية عندنا .

دعوا لهذا البلد طمأنينته !

الذين يظنون انهم يستطيعون ان يعبثوا بلبنان من جديد ، وان يثيـروا فيه الفتن والقلاقل ، يخطئون الحساب هذه المرة . فلقد القت الحوادث على اللبنانيين في السنوات العشر الاخيرة دروسا قاسية ، هددت استقلالهم اكثـر من مرة ، والقتهم في دوامة المنازعات الدولية والعربية وهم على غير بينـة . ولم ينجوا من الخراب في آخر الشوط الا بأعاجيب لم تكن كلها مـن صنـع أيديهم ..

ومن المؤسف ان ظروفا استثنائية ما تزال تحول دون الكشف عن خفايا سنوات القلق والاضطراب والتناحر . وحين تزول تلـك الظروف ، ويرتفـع الحجر عن الالسن ، سيسمع اللبنانيون أخبارا تذهل وتشيب !.

رغم هذا ، ورغم جهل المواطنين بكل ما دار بهم وحولهم ، فانهم يشعرون بالسليقة الحذرة التي شحذتها التجربة ، يشعرون انهم كانوا وقودا في نـار ليست نارهم . وهكذا تكونت فيهم مناعة عميقة الجذور ، تجعلهم ينفرون من كل محاولة ـ ايا كان مصدرها ـ لزجهم في مشاكل لا تعنيهم واتخاذ بلدهـم مسرحا للهرج والتوريط .

هذه المناعة تتجلى في هذه الايام بكل معانيها حيال النذر السوداء التي اخذت تلوح في الاجواء العربية . فاللبنانيون ، لهم آراؤهم ـ المختلفة ـ في مختلف الاحداث العارضة ، ويودون ان يظل بلدهم مجالا مفتوحا للرأي الحر ، وللكلام المباح ولو لم يكن مصدره حرا ولا ماله خيرا ، ولكنهم لن يسمحوا ان يصبح بلدهم ميدان معركة ، ولا ان يتخذهم احد حطب وقود ـ ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ! .

كامل مروه
(١١ شباط ١٩٦٦)

الثعلب والنمر

خرج نمر يبحث عن فريسة له في الغابة ، فعثر على ثعلب ، وعندما هجم عليه ليفترسه صاح الثعلب : (قف أيها العظيم، لا تفعل ذلك ، ان الآلهة عينتني ملكا على هذه الغابة ، وان كنت لا تصدق قولي هــذا فاتبعني لتجــد كيف تخافني الحيوانات جميعها وتحترمني) .

فسار الثعلب في الغابة وخلفه النمر وكانا كلما مــرا بحيوان هرب مــن أمامهما موليا الادبار خوفا من النمر لا من الثعلب . فعندئذ صدق النمر كلام الثعلب وتركه ومضى .

(فكم من ضعيف يتظاهر بالقوة مستغلا قوة سلطان ظالم يسنده) .

مختارات الصحف



طه حسين



عباس محمود العقاد

مستقبل الشعر الحديث

بعد تحرره من الوزن والقافية

« من يحاول فك وتر العود ، عن العود ، لا يبقى له منه غير وعاء من خشب ، كل ناقر عليه يستطيع أن يحدث صوتا » .

نزار قباني

بقلم الدكتور محمد محمود الدش

❊ « اذا كان الكاتب الناقد الإنجليزي هازلت الذي عاش بين سنتي ١٧٧٨ و ١٨٣٠ قد ترك بصمات واضحة على حركة التجديد التي طرأت على الشعر العربي في أوليات هذا القرن العشرين ، وتنادى بها العقاد والزهاوي والمازني وعبد الرحمن شكري وغيرهم ، فان الشاعر الانجليزي المعاصر اليوت (١٨٨٨ ــ ١٩٦٥) لا يقل عن زميله الناقد المذكور أثرا في صيحة التجديد التي نراها من حولنا هذه الايام ، ويرى متأثروها المؤرخون لبدايتها أنها برزت الى الوجود تدق بالحاح في الاربعينات من هذا القرن .

الكاتب الناقد الانجليزي هازلت والشعراء العرب

ونحن لا نزعم في ذلك زعما ، أو نظن فيه ظنا ؛ وإذا نجد الاستاذ عباس العقاد ـ رحمه الله ـ يقرر ذلك عن الحركة الاولى فيقول :

« ولا أخطيء اذا قلت ان هازلت هو امام هذه المدرسة الادبية (بعد شوقي) كلها في النقد ، لانه هو الذي هداها الى معاني الشعر والفنون وأغراض الكتابة ، ومواضع المقارنة والاستشهاد . وقد كان الادباء المصريون الذين ظهروا أوائل القرن العشرين يعجبون بهازلت ويشيدون بذكره ، ويقرأونه ويعيدون قراءته ؛ يوم كان هازلت مهملا في وطنه مكروها من عامة قومه » .

الشاعر اليوت والشعراء العرب

كما نجد أحد الرواد الذين يعلو صوتهم في الصيحة الاخيرة ، وهو الشاعر صلاح عبد الصبور ؛ يقرر أن الذي أخرجه ـ هو وناشئة الشعراء ـ من اسار التقليد الشعري الذي يؤثر ان تكون للشعر لغته الخاصة ، المجاوزة للغة الحياة ، البعيدة عنها في بعض الاحيان ؛ وأخرجهم من عباءة المدرسة الرومانتيكية العربية بموسيقاها الرقيقة وقاموسها اللغوي المنتقى ، الذي تتناثر فيه الالفاظ ذوات الدلالات المجنحة والايقاع الناعم ـ انما هو توقفه عند الشاعر ت . س . اليوت ، ولا سيما جسارته اللغوية ..

يقول : « كانت السليقة العربية التي أنبتتنا تنكر أبياتا كهذه الابيات من قصيدة الارض الخراب :

في الساعة البنفسجية ، ساعة المساء التي تئود

الى البيوت ، وتعيد البحار الى بيته من البحر ،

والتايبست (الكاتبة على الآلة) الى بيتها في موعد الشاي لتنظف المائدة من بقايا الافطار ، ولتشعل الموقد ، وتخرج الطعام من علبة الصفيح .

لقد تدلت من النافذة ، منشورة خوف السقوط ،
أطقمها الداخلية ، وهي تجف ، اذ لمستها أشعة الشمس الغاربة •
وتكومت على الاريكة ـ التي تتخذها سريرا في الليل ـ
جواربها ، وشبشبها ، وقمصانها ، ومشداتها • (١) •

لقد اختار شاعرنا الشاب ـ الذي يحب قصائد اليــوت حبــا يجعلهــا معلقات عصرنا ـ هذه السطور ليدل على أن قاموس العصر الحديث أرحــب وأوسع كثيرا من القاموس الشعري الضيق الخاص ، ولهــذا ينبغي أن تتكسر الحواجز وأن ينفسح المجال للتعبير عن الوجدان الحديث وعن ضمير الانسان العصري ، في حرية وأمانة وصدق •

ونحن لا نقف بطبيعة الحال موقف التخصيص من أثــر هذين الاديبين الغربيين في حركات التجديد الشعري ، مهما كانت منزلتهما العالميــة ، فقــد قرأ أدباؤنا وشعراؤنا غيرهما من ذوي المكانة والذكر فــي الادب الانجليزي والفرنسي والالماني والايطالي ، بل الروسي واللاتيني ، وانما يحق لأثــر هذين العلمين في الادب الانجليزي أن يتقدم غيره بما يقرره أصحاب القضية ، قضية التجديد ، أنفسهم •

تمرد على الوزن والقافية

وبينما نجد أثر الحركة المجددة الاولى لا يتجاوز المضمون والوحــدة الفنية الى الاصرار على تحطيم الاطر والاصول الموسيقية العربية ، فان الصيحة الاخيرة فتحت باب الاصرار بمصراعيه على ذلك التحطيم ، لكل من سولت له نفسه ان يقتحم حلبة الشعر أو يتسورها أو يتسلل اليها •

ونقول الاصرار على التحطيم ، لان حركة (الديوان) ومــن دار فــي مسارها أرادت في بعض ما نزعت اليه ان تحدث لونا جديدا مــن الشعــر ،

---

(١) هكذا رأى الشاعر ان ينقلها الى العربية •

متمردا على الحاجز الايقاعي أو القافية ، محتفظة فـي نفس الوقـت بالصورة الموسيقية الداخلية في القصيدة ، ولكنها لم تصر على هذا اللون من التمرد أو الرفض •

شعراء منا حاولوا التحرر من القافية ، ثم تركوا

ونحن نعرف ان توفيق البكري نظـم قصيدة أسماها « ذات القوافي » تحرر فيها من القافية وكذلك فعل جميل صدقي الزهاوي في عدد من القصائد، قال انه أطلقها من « قيد القوافي ، ذلك القيد الثقيل الذي تبرم به الشاعـر ، وحبيته الالفة الى السمع » ، ونظم عبد الرحمن شكري قصيدته التي أسماها « كلمات العواطف » وغيرها • ويذكر العقاد نفسه أنه نظم كثيرا من الشعـر المتحرر من القافية ، ولكنه لم يستسغه ولم يطق تلاوته بصوت مسموع فطواه وأهمله ، فلما عاد بعد ثلاثين سنة الى هذا اللون من الشعر أحس بذات النفور والانقباض عند قراءته أو سماعه •

وفي نفس الوقت الذي ظهرت فيه هذه الحركة في الوطـن الام ــ أو بعده بقليل ــ كانت هناك دعوة الرابطة القلمية التي أنشئت عن الادباء العرب في نيويورك سنة ١٩١٤ ــ ومن المعهم ميخائيل نعيمة وجبران وأبو ماضي ، دعوة الى عدم التقيد بالقوافي ، وكان أقوى الاصوات وأعلاها صوت نعيمـة الذي حمل على العروض ونبذ القوافي « فرب عبارة منثورة جميلة التنسيق موسيقية الرنة كان فيها من الشعر أكثر مما في قصيدة من مائـة بيت بمائـة قافيـة » •

جماعة (ابولو) حافظت على طابع الشعر القومي

وأحسب ان هذه المحاولات جميعا لم تكلل بالنجاح الذي يمكنها مـن الاستمرار ومواصلة التجارب الشعرية التي قاموا بها في درجات متفاوتة ، أو بدأوها ثم صرفوا النظر عنها ــ لأن الظروف الاجتماعية والفكرية والفنية لم تكن مهيأة لاستقبال مثل هذا اللون من الثورة الحاجـز الايقاعي ، ولأسباب أخرى مهمة ، نشير منها الى أن القمم الشعرية المشهورة في تلك الفترة مـن أمثال شوقي وحافظ ومطران والشابي وغيرهم كانوا يمسكون بناصية الشعر،

ويعضون على أصوله الموسيقية بالنواجذ ، فارضين من هيبتهم الفنية سلطانا على دولة الشعر : ملتزمين وملزمين بقواعده وقوانينه •

وأحسب أيضا أن تجمع الشعر العربي تحت لواء (أبولو) ، الذي ضم من المحافظين والمجددين فـي مصر والعـراق والسودان وتونس والمهجـر ، وصدور مجلتهم المتخصصة في الشعر ونقده بعددها الاول في سبتمبر ١٩٣٢، واستمرارها نحو ثلاث سنوات ـ قد قوى الاتجاه الرومانسي الذي يعتمـد على التجربة الذاتية والاندماج مع الطبيعة والايغـال فـي الغنائيـة ورنين الصياغة • وساعد على ذلك صوت قادم من بعيد ، من المهجر الجنوني ، حيث تكونت جماعة العصبة الاندلسية سنة ١٩٣٣ ، واستمرت قوية نحو عشريـن عاما ، ومن ألمع أدبائها الشاعر القروي ، والياس فرحات ، وفوزي المعلوف : وهي الجماعة التي عنيت بالصياغة الرصينة واختيار الالفاظ ، والحفاظ عـلى الطابع القومي العربي •

نقول : ان هذه العوامل كانت ذات أثر كبير فـي ايقاف التمرد عـلى الاصول الموسيقية ورفض الالتزام بالحاجز الايقاعي ، بحيث استمر التيـار المحافظ متمثلا في نفر من الذين شاعت أغانيهم الشعرية وترددت قلى الالسنة وقرعت الآذان وهزت النفوس تطريبا ، من أمثال ابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل ، والتيجاني ، والرصافي •

موقف شوقي من التجديد

وقد زعموا أن أحمد شوقي تأثر بحركة التجديد التي جاءت في صرخـة (الديوان) فبدأ ينظم مسرحياته الشعرية الشهيرة استجابة لنداء هذه الصرخة وقوتها • والذي نعرفه في هذا الشأن أن شاعرنا الكبير بـدأ عمله الشعري المسرحي أيام كان طالبا في فرنسا ، حين ألف مسرحية (علي بك الكبير) سنة ١٨٩٢ ، وان كان عاد فعدلها في أخريات حياته •• ثم ظهر (الديوان) بقلـم العقاد والمازني بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة ، أي في سنة ١٩٢٢ • وأحسب أن شوقيا لم يكن في حاجة الى من يحثه على ايجاد الشعر المسرحي بعد أن عاش بين مسارح باريس وقرأ المسرح الشعري الفرنسي واليوناني وغيرهما ومـن

عجب ان يتأثر شاعر بدعوة لا تملك أدواتها في المسرح الشعري فيكون المدعو تابعا للداعي في هذا المجال •

بل اننا نستطيع أن نقول في غير حرج ان شوقيا هو الــذي فتح أبواب التجديد في الشعر العربي الحديث : لا باعتباره شاعرا فذا ناضج الشاعريــة مستكملا أواتها التي أمكنته من ايجاد هذا اللون الجديد لأول مرة في تاريخ الشعر العربي كله فحسب ، وانما بسلوكه ومواقفه فــي طرائــق الصياغــة الشعرية حين اعتبر السطر لا البيت ، فــي المــواقف والانتقالات النفسيــة والحوارية ، وسيلة من وسائل النظم وأداة من أدوات الصياغة معتمدا عــلى الوحدة الموسيقية المعروفة في الشعر بالتفعلية • ففتح بذلك التصرف الذكــي بابا واسعا الى الصياغة الشعرية أمام شعراء التجديد المعاصرين الذين تأثروا ــ في وضوح ــ شوقيا من حيث لا يشعرون : ودعوا الى اعتبار التفعيلة ، لا البحر : هي الوحدة الايقاعية كما دعوا الى اعتبــار السطر ، لا البيــت ولا المقطوعة ، وسيلة للصياغة •

كان شوقي ينتقل في مسرحياته من بحر الى بحر : ومن قافية الى قافية ، واستغل هذه البحور في صورها المختلفــة : مشطورها ومجزوئها ، تامهـــا وناقصها ، قصيرها وطويلها : شائعها ومهملها : بــل صاغ أوزانــا جديدة لم يسبقه اليها غيره ، تمكنا من أدواته الموسيقية وقدراته الفنية والصوتية ، التي جملت في خدمته جميع الرخص الايقاعية المعروفة في موسيقى الشعر العربي• واقتضت الضرورات الفنية والنفسية والحوارية في صياغة المسرحية كل ذلك التنويع والتنقل ، كما اقتضت أن يكون السطر الحواري أو الغنائــي عــلى تفعيلة واحدة • وهذا يصلنا بالدعوة الجديدة التي تلغي بحور الشعر الخمسة عشر ،: ومتدارك الاخفش ، لتقيم الاساس الموسيقي على التفعيلات الثماني : فعولن ــ مفاعيلن ــ مفاعلتن ــ فاعلن ــ فاعلاتن ــ متفاعلن ــ مستفعلن ــ مفعولات • ويمكن اختصارها والاقتصار منها على خمس تفعيلات منهــا أو ست : فعولن ــ فاعلن ــ مفاعيلن ــ مستفعلن ــ فاعلات ــ (مفعولات) ، لأسباب فنية معروفة •

ازمة يعيشها الشعر العربي منذ ٢٠ عاما

ومهما تكن مصادر التجديد وأهدافه ، بواعثه وغاياته ، فان أمرا يشبــه الازمة ، يعيش الشعر العربي تحت وطأته منذ عشرين سنة أو نحو ذلك ، وهي مدة من الزمن قد تعين على تحسس الطريق ، وقد يساعد ما جرى ابانها عــلى النظر الى الامام خطوة أو خطوات . ولسنا نريــد أن نتعرض للمعارك التــي دارت بين (المحافظين) و (المجددين) : فالصراع بين القديم والجديد سمت الحياة ودينها ، والبقاء فيها للاصلح « أما الزبد فيذهب جفاء » بقدر مــا نريد أن نضع هذه الحركة في مكانها الصحيح أو نحاول ذلك .

محاور الدعوة الجديدة

وهذه الدعوة تدور أساسا حول محاور تركز عليهــا وتضغط بعنف . أهمها : المضمون العصري ، والتراث الانساني ، والوحدة العضوية ، واللغــة الواسعة أو العامة . ويربطون ربطا قويا بين هذه المحاور والاطــار الموسيقي التقليدي الذي لم يعد متحملا حرية الحركة والانفصــال والتعبير ، ويرون أن المبادرة الجديدة لا بد أن تكسر الاطار أو القشرة لتتنسم الهواء وتتــاح لهــا حرية الحياة بين أنماط الشعر العالمي . وهم من أجل ذلك يوجهون طرقاتهــم الشديدة الى هذه القشرة حتى تنمو البادرة وتشرق أزهارها ، فيتسع المصطلح الشعري لثمار جديدة الى جانب التراث القديم ، ويحيا الصنفان تحــت سماء واحدة في سلام .

الدعوة تنجب غثاء لا شعرا

بيد أن ما حدث في ظل هذه الدعوة الى الحرية وكسر الاطر والاطواق، كان شيئا رهيبا . اذ وجدنا سيلا هادرا من الكلام تدور به المطابع كل يــوم ليخرج مسودا صحائف ، وكتبا ودواوين ومجلات ، وهو أقرب الى الغثاء منه الى الكلام المعقول ، بله الشعر الموزون . وهذا صوت واحـــــدة مــن رواد الحركة ورائداتها هي الشاعرة نازك الملائكة ، يقــول « ستتقدم فــي السنين القادمة ــ حركة الشعر الحر ــ حتى تبلــغ نهايتها المبتذلة ، فهــي اليوم فــي اتساع سريع صاعق ، و أحد مسئول عن أن شعراء تزري المواهب ، ضحلــى

الثقافة سيكتبون شعرا غثا بهذه الاوزان الحرة » • كما أنها تتنبأ بأن هـذه الحركة ستصل الى نقطة الجزر في السنين القادمة ، فيرتد عنه أكثر الذين استجابوا لها « على أن ذلك لا يعني أنها ستموت » •

ويعتبر هذا أقوى الاسباب التي دفعت الى الوقوف في وجه الحركة ومحاربتها ، في خشية وخوف من أن يضيع المعيار الفني ويذوب المصطلح الشعري في هذا الغثاء ، الذي خلط خلطا فاضحا بين النثر والشعر ، بل بين الهذيان والحكمة • وتحضرني هنا عبارة فاليري : ان علاقة النثر بالشعر تشبه تماما صلة المشي بالرقص ، فالمشي له غاية محددة تتحكم في ايقاع الخطو ، وتنظم شكل الخطو المتتابع الذي ينتهي بتمام الغاية منه ، أما الرقص فعكس ذلك ، اذ على الرغم من استخدامه نفس أجزاء الجسم وأعضائه التي تستخدم في المشي فان له نظام حركات هي غاية في ذاتها •

محاولة ايجاد سبيل وسط

وليت الذين تسللت زحمتهم الى الحلبة مشوا فيها ، وانما اضطرب سعيهم واختلط جريهم ، فاذا حركتهم مجلبة للضحك والرثاء على سواء • ودفعا لهذا وذاك قامت حركة تحاول أن تجد سبيلا وسطا يقف هذه الازمة او الورطة ، بالملاءمة بين المضمون والصورة ، قام فيها الدكتور يوسف خليف عمليا باخراج ديوانه « نداء القمم » معتمدا على مقومات ينادي بها التجديد في الرمز والقصة • وهي محاولة مخلصة لا شك في هذا لانها جادة في سبيل التوفيق بين المتطرفين من الطرفين ، ولعله بمثابة (النداء) للصلح بين الفريقين ، ولكن تظل مشكلة اللغة التي يصر الدكتور الشاعر على أن تكون خصة بينما يصر الآخرون على أن تكون عامة ، تظل قائمة الى جانب مشكلة الحاجز الايقاعي أو القافية •

راي الدكتور طـه حسين

وكان أستاذنا الدكتور طه حسين أكثر سماحة من أقرانه في نظرته الى حركة التجديد والحكم عليها حين قال : « فليتوكل شبابنا من الشعراء على الله ، وليتشئوا لنا شعرا حرا أو مقيدا جديدا أو حديثا ولكن ليكن هـذا

الشعر شائقا رائقا ؛ ويومئذ لن يروا منـه الا تشجيعا أي تشجيع وترحيبا أي ترحيب ، ودفاعا عنهم ان احتاجوا الى الدفاع » • ولكن الاستاذ الكبير رفض فساد اللغة والاسفاف في اللفظ والتفريط في التصوير •

راي نازك ونزار

ولقد أحس شعراء التجديد أنفسهم بالورطة ، وثقل وطأتهـا ، فحذرت الشاعرة نازك الملائكة من طغيان الحركـة الجديدة لانهـا لا تصلح لجميـع الموضوعات ؛ كما حذرت من الاستسـلام المطلق للتحرر من اللغة الخاصة لان هناك خطرا جديدا يكمن في الانزلاق او الابتـذال والعامية ؛ وكذلك آكـد الشاعر نزار قباني أن التحرر من القافية العربيـة مغامرة قـد تودي بطابـع القصيدة العربية « وما سر استعصاء القافية علينا ودلالها الا لانها مرتبطة بسر النغم • ولما كان النغم هو سر القصيدة فلك أن تتصور أي مغامـرة مجنونـة يقدم عليها من يحاول فك وتر العود عن العود ، لـن يبق من القصيدة العربية حينئذ سوى وعاء من الخشب كل ناقر عليه يستطيع أن يحدث صوتا » •

مسرحيات نزعت قشرة الاطار ، وتميزت بالنضج

وبعد ، فهل آن لنا أن نتبين الطريق أمام هذه الحركة ، وهي أشبه بالجنين في حالة ولادة عسرة ؟

ان الطرق لا يزال يشتد على الاطار الموسيقي التقليدي ، وقـد قدحت المطرقة شرارا يوشك ان يكون نارا تضيء ، منذ برزت الى الوجود الشعري مسرحيات نزعت قشرة الاطار ، وتميزت بالنضج وتكللت بالنجاح ، نشير منها بخاصة الى مسرحيتين رائدتين في نظرنا هما : مأساة الحـلاج للشاعـر عبد الرحمن الشرقاوي ، ومن خلال هـذه التجارب الناجحة فـي الدراما الشعرية نستطيع أن نقول ان الحركة عرفت طريقهـا •• وليكن الشعر الغنائي غنائيـا باللفظ والمعنى جميعا ؛ فما عرفت البشرية غنـاء بغير موسيقا ، ومـا كانت الموسيقا بغير ايقاع ونغم وضابط واطار •

ولئن كان الطرق قد أصاب بشراره شاعرا غنائيا ، رافضا ما تدعو اليــه حركة التجديد ، هو محمود حسن اسماعيل ، حين طلع علينا بقصيدته الرائعة (وجئت اصلي) التي جاءت أشبه بملحمة غنائية حزينة يقف فيها الشاعر عــلى باب المسجد الاقصى بعد حريقه الآثم في ذكرى الاسراء والمعــراج ، فان مــا وفره الشاعر من مقومات فنية في القصــدة ، وأحاطها به ووقعه في ثناياها من مقومات موسيقية ، لا يتوافر عند كثير من الشعراء بنفس القــدر الذي تملكه شاعرية طبيعية موهوبة عتيدة في محمود حسن اسماعيل ، الذي أراد أن يدل ـ فيما أرى ـ على أنه قادر على توفير القيم الشعريــة ، والايقاعيــة منهــا بخاصة ، برغم الخروج على عمودية الشعر أو تقليديته .

اننا نستطيع أن نحصي القصائد الممتازة في حركة التجديد عدا ، وذلك لأن الشعراء الموهوبين الذين صاغوها ملكوا ناصية القدرة الشعرية ، لغــة وفكرا وايقاعا وتصويرا ، ولانهم قبل ذلــك تعاطــوا الشعر بكفاءة قبــل أن يقودوا ثورة على الاطار ويكثروا الطرق عــلى الاسوار ، فكانت بذلك لهــم خلفية ايقاعية شعرية تهديهم فوق طريق بدا لهم مفتوحا ، وان كان في حقيقة الامر أمام الكثرة الكاثرة مسدودا .

العربي   محمد محمود الدش

انصار العرفان ووكلاء العرفان

ستنشر في الاعداد القادمــة اسماء انصار العرفان ووكــلاء العرفان ، ونأسف انه ليس بين انصار العرفان مرجع واحد من مراجع الشيعة في العراق وايران مع انهم يعرفون جيــدا ان العرفان تاريــخ الشيعة وتاريــخ علمائهم وادبائهم وامتهم ، الجهل من الجاهل لا يؤاخــذ ، ولكن الجهل مــن العالــم يحاسب عليه في الدنيا والآخرة .

احتفــال تأبينــي

بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاة الفقيدة الجليلة قرينة الامام المرجع المغفور له الحاج السيد مهدي الشيرازي طيب اللــه ثراه ، وقــد أقيم فــي الروضة الزينبية بمحافظــة دمشق عصر يوم الجمعــة الموافــق ١ /٨/ ١٣٩٦ هجرية ، ننشرها الآن بمناسبة مرور عام على وفاتها :

ان جئت أرثي عش مهدي الورى — اذ ضم أربعة من الابطــال
فالليث راح يؤود أيل أشاره — بعرينــه لرعايــة الأشــبال
ولئن رثيت قرينــة المهدي مـن — تمنى الــى العليــاء بخير وصال
فلأنني مــن ذا وذلــك مقتــن — حسن السلوك بهـا لأشرف حال

الشيخ سعد السماوي

وقد كان الاحتفال رائعا حضره الكثيرون من العلماء والمثقفين من مختلف محافظات القطر العربي السوري كما شارك فيه وفود مــن لبــنان والكويت وايران والعراق وكان على رأس الحاضرين السيــد اسماعيل الاســد شقيق الرئيس حافظ الاسد وسماحة الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربيــة السورية وجموع من المواطنين ، كما شهده أساتذة وطلاب الحوزة العلميــة الزينبيــة .

وقد افتتح الاحتفال بآي من الذكر الحكيم رتلها الشيخ حسن الشريفي .

وتعاقب على الخطابة شعرا ونثرا كل من السادة الاساتذة :

أحمد علي حسن « طرطوس » قصيدة ، الشيــخ أحمــد عيــد الخيــر « اللاذقية » رئيس الجمعية الاسلامـية الجعفرية « كلمــة » الشيخ صــلاح عقلة رئيس جمعية أرباب الشعائر الاسلامية « دمشق ــ كلمة » الشيخ فضل غزال « اللاذقية ــ كلمة » السيد محمد ابراهيم الموحد « الكويت ــ كلمة » الشيخ حسين سعود « جبلة ــ كلمة » الشيخ كامل حاتم « مشقيتا ــ كلمة » الشيخ حمدان الخير « اللاذقية ــ كلمة » عبد اللطيف غنوم « حمص ــ كلمة جمعية النهضة العربية » وكان مسك الختام كلمة سماحة العلامة العبقري السيد حسن الشيرازي نجل الفقيدة . نكرر تعازينا بهــذه المناسبة للسادة الاربعــة الاشبال العلماء الاعلام ونأسف لضيق مجال هذا العدد عن نشر مضامين الخطب والقصائــد .

ـ حكـم ومواعظ ـ

ـ كل الالوان .. تتشابه في الظلام .

(فرانسيس)

ـ قليل من المتحمسين .. يمكن الثقة بهم !

(لورد بالفور)

ـ يرون عظمي ، وهمي جبر أعظمهم شتان ما بيننا في كل ما سبب
أهوى بقاءهم جهدي ، واكثر ما يهوون ان اغتدي في حفرة الترب

(عمرو بن معد يكرب الزبيدي)

ـ ان مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام اذا لقيته ، وان تدعوه بأحب الاسماء اليه . وأن توسع له في المجالس .

(عمر بن الخطاب)

ـ قيل لعبد الحميد الكاتب : أيما احب اليك أخوك أو صديقك ؟ قال انما احب أخي اذا كان صديقي .

ـ الاخوان على ثلاث طبقات : فاخوان كالغذاء لا يستغنى عنهم ابـدا وهم اخوان الصفاء واخوان كالدواء يحتاج اليهم فـي بعض الاوقـات وهم الفقهاء ، واخوان كالداء لا يحتاج اليهم أبدا وهم أهـل الملق والنفاق لا خير فيهم .

(الخليفة المأمون)

ـ ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة .

(لقمان الحكيم)

ـ الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأي ، ونشر كل مذهب وترويج كل فكـر .

(قاسم امين)

ـ الشاعر الذي لا تعرفه من شعره لا يستحق ان يعرف .

(عباس محمود العقاد)

صاحبها :
نخبة المدير المسؤول
نـزار الزين

العرفان

منشئها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ــ سنتها ١٠ أشهر بألف صفحة ،
تلفون مكتب صيـدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الثامن مجلد ٦٥ تشرين الاول «اكتوبر» ١٩٧٧م شوال ١٣٩٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، الحمد لله الذي جعلنا من المؤمنين الصابرين . قال تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الاموال والثمرات ، وبشر الصابرين» ولقد ابتلينا بهذا كله في العام الماضي وما قبله وفي هذا العام ، فصبرنا وبقينا صامدين ، ولا غرض لنا الا تأدية الرسالة بأمانة وصدق ، واسداء النصيحة والتوعية الصحيحة .

سأصبر حتى يعلم الصبر انني صبرت على شيء أمر من الصبر

والحقيقة ان الذين غادروا الحياة الفانية قبل هذه الحرب الاهلية في لبنان والازمة المحنة او النكبة الكارثة ولم يروا ما حدث ، ولم يسمعوا بكل ما صار :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن شرا ولا تسأل عن الخبر

قد استراحوا ، اذ انهم ماتوا وعندهم بعض الظن الحسن بلبنان وبأهله، ولم يتأكدوا أنه مصدر العفونات التربوية والاخلاقية .

نعم ، ان لبنان يتآمر فيه وعليه كل الناس ، كل الدول ، كل المذاهب كل المغامرين والمقامرين ، وبعد ذلك يظهرون الشفقة عليه ، والخوف من ان يناله سوء « يقتلون القتيل ويمشون في جنازته » بل ان لبنان بلد يتآمر هو ضد نفسه لكل الناس ، لكل الدول ، لكل المذاهب لكل المغامرين والمقامرين .

ان لبنان بلد لا يعاف شيئا ، لا يخاف شيئا ، خوفا فكريا أو أخلاقيا أو انسانيا ، والدليل على ذلك القتل الاعتباطي الذي حصل بصورة وحشية

بربرية لاناس لا ذنب لهم الا انه وقع الاختيار عليهم ليعذبوا ويموتوا ، والسرقات التي جردت المتوسط والفقير من جميع ما يملك اذ لم يترك اللصوص الذين يدافع عنهم المغرضون ، لم يتركوا لنا ولا لغيرنا، فرشة تتكيء عليها على الاقل في بيتنا ، او كرسيا نجلس عليه في مكتبنا، أو كتابا نطالعه ، فهل سمعت او طالعت يا قارئي الكريم في تاريخ البشرية منذ وجدت للان ، ثورة لا اخلاقية وحربا لا مبدئية ، بل تتسم بوحشية وبربرية خارقة مثل ما حدث في لبنان ، وجرى لابنائه البريئين من ابنائه المجرمين •

الخسارة التي تعرض لها الكثير من اللبنانيين ، سواء كان عن طريق وقف اعمالهم ، او عن طريق ما منوا به من سرقات لبيوتهم او محلاتهم ومكاتبهم او عن طريق الحريق كيف تعوض ؟ ومتى تعوض ؟• ومن الذي نجح بعد نهاية المعركة ؟!

لا شك بأن اميركة وروسية هما اللتان نجحتا ، اذ تمكنتا من تحقيق رغباتهما ومآربهما ، باذلالنا وخسارتنا وضياع عشرات السنين من حياتنا للبناء فيما هدمته الثورة في اقل من سنة واحدة ، وهذا مايثلج قلب اسرائيل• مئة ألف قتيل وثلاثماية ألف جريح ، وحوالي مئة مليار ليرة من الخسائر عدا الرصاص الكثير والمعدات الحربية من اميركية وروسية ، التي ذهبت جزافا واستعملناها ضد بعضنا البعض لا ضد اسرائيل • كل هذا عجيب غريب لا يقدم عليه من كان في رأسه ذرة من العقل • انه الجنون المطبق والفراغ والميل الى الكسب الحرام بدلا من الكسب الحلال • اما لبناننا الذي قالوا انه درة الشرق وجوهرة البحر المتوسط وبلد الحضارة والثقافة والاشعاع والمجد الباذخ ، فقد اثبت بهذه الثورة انه « كذبة كبيرة »

« كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد » ورحم الله العلامة الشيخ ابراهيم المنذر القائل :

قالوا استقل بنا لبنان فقلت لهم بالوهم ادركتم استقلال لبنان

ان لبناننا ويا للاسف ليس دولة بالمعنى الصحيح منذ زمن ما سموه استقلال للان وكان استغلالا لا استقلالا ، فكيف بظروفه القاسية أثناء الحرب الاهلية وبعدها ، انه مكشوف من كل جوانبه وفي كل الاتجاهات: لا دولة، لا حكم ، لا سلطة ، لا قانون ، لا قضاء ، لا مؤسسات ، لا عدالة ، لا تكافؤ فرص ، لا ضميرا وطنيا ، لا سيادة ، ولاشعب .

فالوطن كان ولا يزال متجرا في زاوية شارع ، والسيادة امتيازا لفئات واشخاص وحالات ، والشعب بين نعاج وذئاب وخارجين على القانون. نحن غير المسلحين النعاج، والمسلحون ، والحكام واذنابهم واتباعهم من الخارجين على القانون هم الذئاب والسكاكين لذبحنا ..

قارئي الكريم :

هذا العدد كان يجب أن يكون العدد الاول لسنة ١٩٧٦ ، وتشاء الظروف والاحداث ان يبقى مجلد ٦٤ يتيما على العددين ٢ و ٣ . وأصبح هذا العدد الثامن لهذه السنة .

نوجه تحية لانصار العرفان المعنويين والماديين ولقرائه في أنحاء الدنيا ونطلب العون من الله ومن مؤازرتهم لمتابعة سيرنا وجهادنا الشاق لانه صحيح ومستقيم يهدف الى التثقيف الديني والعلمي والخلقي. وقد عدنا بعد العطلة الصيفية الى الالتقاء بهم كل شهر في منتصفه كالمعتاد . متخذين من ايماننا بالله وبالوطن خير وسيلة للنجاح ، والله في عون العبد ما زال العبد في عون أخيه . والى اللقاء في العدد القادم انشاء الله .

بيني وبين القارئ
بقلم منقذ النزيه

عزيزي القارئ

كم تمنينا لو أن هذه الثورة كانت ثورة على حكام لبنان وزعمائه الخونة الظالمين الكفرة الفجرة الذين يحكمون ولا يحكمون ويستغلون ولا ينفعون . اما ان نحارب بعضنا بعضاً ، ونخرب ونهجر بعضنا بعضاً، وتقع « الفلة » على أمثالنا ممن لا يملكون شيئاً ، والنكبة تقع على الفقراء أكثر من الاغنياء . والسلب والنهب الذي حصل يقضي على حوالي نصف مليون لبناني بالجوع والتشريد والفاقة واللجوء الى الاخرين وما بنوه من تأسيس بيت او مكتب او محل، يهدمه غيرهم في اقل من لمح البصر لينفقه على القمار والخمر وما شابه ، وبعد ذلك اين هم رجال الدين والفكر عن التوعية الصحيحة ، عن الدعوة للايمان ومحاربة الالحاد والدعوة للعودة الى الدين الذي يعطي رادعا من ضمير ووازعا من وجدان ، وعن تحريم السرقة في جميع الاديان حتى عند البوذيين ، وان الله يمهل ولا يهمل، فان لم يضربهم في انفسهم للذين استباحوا كل شيء، فسيضربهم باولادهم وقد أضاعونا واضاعوا أنفسهم، هؤلاء الذين عملوا على الفوضى والتخريب في لبنان دون مبرر، ولا عجب وقد تقاتلوا لا عن مبدأ وعقيدة بل عن جنون وشهوة غريزية وبتأثير من الخارج، وان الثورة التي تكون عن مبدأ تكون

اخلاقية ، لا لضرر الآخرين وايذائهم ، ايا كان دينهم او مذهبهم ، وسواء كانوا اغنياء او فقراء .

هدانا الله جميعا لما فيه الخير والصواب . وأن نحسن بدلا من أن نسيء وأن نعمل صالحا ونكون من المؤمنين عوضا عن أن نكون من المجرمين والملحدين .

نزار الزين

هـذا العـدد

هو العدد الثامن من العرفان المجلد ٦٥ لعامه السبعين ١٩٧٨م.

والعدد القادم سيكون عددا مزدوجا التاسع والعاشر يحوي مذكرات هامة ، نشرها سيحدث صدى ودويا كبيرا، ألا وهي مذكرات المجاهد الاكبر الحاج أمين الحسيني ، وجميع مذكراته قد أحرقت اما هذه فلحفظها أسباب جوهرية ، جعلت العالم لا يحرم من هذه المذكرات الهامة ، التي ينشرها العرفان تقديرا ووفاء للحاج أمين الذي امتاز بالجهاد المضني والوفاء وخصوصا لاخوانه المجاهدين.

أما في السنة القادمة فسيشهد الانصار والقراء وكل محب للمطالعة وللادب الرفيع على أنواعه ، قفزة وتطورا كبيرا في مجلتهم العرفان .

تجاهلوا «المذبحة» في لبنان مع ان : رؤوس الحكام العرب هي المطلوبة

بقلم زهير مارديني

الآن ، وقد كشفت حقيقة (المذبحة) التي جرت في لبنان ، وحقيقـــة الصدام العسكري المصري ــ الليبي ، عن مدى هشاشة التضامن العربـــي ؟! والموقف القومي ..!

الان ، وقد فتحت دفاتر (العروبة)، ودفاتر (النكبات) التي مرت بالامة العربية خلال الربع قرن الاخير ، وانقسم الوطن العربي على نفسه بين لاجـــيء الى المركبة السوفييتية وهارب منها ..!

الان ، وليس غدا، لا يمكن لاحد ان يتجاهل حقيقة ما يدبر للامــــــة العربية ، وما يصنع لها من مصير شبيه بمصير الهنود الحمر على ايـــــــدي الامريكان ... ومصير كمصير المجريين والتشيكيين على ايدي السوفييت ..!

لقد اضحى من المستحيل ان يظل الكاتب الملتزم بقضية وطنه (في حـــالة وجوده) واقفا هادئا في هذه المسيرة الصاخبة التي ستأخذ في طريقها ما بقـــي لهذه الامة من ارث وتراث .!!

وما نحن وحدنا ــ بالطبع ــ المطالبين بوضع الحلول ولكن لا مفر من أن نشارك ... لقد ابحر الرافضون على السفينة السوفييتية ، ورفضت مصر ان تركب ... واحتدمت المعركة ... ونحن مرغمين ، واعين او غير واعين ... ان نحدد موقفنا ... ان نثبت حريتنا الكاملة بان نختار ...!

هل يختار الانسان العربي (مالتوس) او التكاثر ••• المركبة السوفيتية حيث صرامة الاوامر والالتزام بالعقيدة وتوجيهات الربان الذي لا يقبل المناقشة حتى لو وصلت السفينة الى الهاوية ••• او المركبة العربية التي ترفع العلم العربي والشعار العربي؟

والحقيقة ان هذه المعركة لا تلقي على الامة العربية الاسئلة ••• فما هي بأسئلة ، ولكنها تحديات لا يصمد امامها الفكر (المخلخل) بل الفكر الحي والموقف القومي ••!

ولنعترف اننا نواجه معركة لا شبيه لها في تاريخنا المعاصر ••• كل ما فيها ينتظر هبة حقيقية ليصب الانسان العربي نفسه فيها ••• وليس من الممكن ان يطلي الانسان وجهه لاخفاء الخوف او الغضب او اللامبالاة او الهم الذي يعانيه ••!

على ضفة (أهل الرفض) هناك الايديولوجية والصحف والاذاعات والمال و ••• سياسة الوفاق • ويكفي ان نذكر رقما واحدا لعل الذين يعيشون في الكهف يستيقظون ••• او على الاقل يتثاءبون ••• وهذا الرقم هو : في بيروت وحدها هنالك ٥١ مطبوعة ماركسية تصدر صباح كل يوم، وتوزع، ولديها القراء بالالوف وعشرات الالوف ••• يصدر من هذه المطبوعات نصف مليون نسخة الى العالم العربي معظمها يصل الى الايدي عن طريق التهريب ••• هذا ما عدا النشرات والكتب والاوامر الحزبية وتوجيهات الطلائع ••!

اما على الضفة (المصرية) فليس غير الصحف المصرية الممنوعة من الدخول الى نصف العالم العربي ، والاذاعات المصرية بفروعها الثلاثة (القاهرة ، صوت العرب ، والشرق الأوسط) يضاف اليها الخبرة المصرية الاعلامية •• كل هذا قد دخل المعركة ••• وما نراه في لبنان يكاد يعصر الافئدة ويدميها انما هو من نتاج هذه المعركة ••• بلى ! لنعترف اولا بهذا الواقع ثم نبحث بعدها عن الحل !

لهذا لم يعد هناك من عزلة : الانسان المعزول سينقرض حتى لو حصن نفسه بكل ما لدى امريكا والاتحاد السوفييتي من اسلحة ••• ولا صمت : ان الابتعاد عن هذه المعركة هو استخفاف ولا مبالاة تستوي مع الكـــذب والتمويه والزيف الفري ••!

اعرفهم ••• اعرفهم هؤلاء الذين ينتظرون الصحف القاهرية صباح كــل يوم ليقرأونها وهم يرتلون ••• داخل غرف فنادق بيروت الفخمة ••• وبعدها يمتطون سياراتهم ويذهبون الى اعمالهم وقد ادوا واجبهم و (انبسطوا) بينما غيرهم يحترق ••• ان هــؤلاء لا يدرون ان قراءتهم لهذه المقالات لا تقــدم ولا تؤخر لان الجيل الجديد قد تثقف على الايدي الرافضة التي تلعن القديم واهله ••• وتعتبر الجديد ما جاء به ماركس وانجلز ••• ولينين وهوشه منه وتشي جيفارا ، وهذا الماركسي الذي (نطز) في اخر العمر وانتزع اللقمة من أفواه شعبه وراح يوزعها على مرتزقة العالم الذين ينشرون صوره وآراءه في السياسة والحياة •• ان صورة (كيم ايل سونغ) تنشر صباح كل يوم في ١٨٠٠ صحيفة ومع الصورة اعلاناته ، واخرها ما نشر وينشر هنا وهناك وهنالك على صفحات الجرائد والمجلات العربية ••• انه لم يعد يكتفي بتوحيد كوريـــا بشمالها حيث يحكم ، وبجنوبها حيث يريد ان يحكم ••• بل اخذ يتطلع الـى العالم العربي عله يجد فيه مكانا يعلم فيه الناس الحكمة وطريقة التوحيد ••!

لهذا يجب ان يدرك هؤلاء الذين يتكئون على الارائك (ويسولفون) ان رؤوسهم هي المطلوبة ••• فهل يعلمون ؟ وهل يفقهون ؟

ماكس شيلر الفيلسوف الالماني المعاصر كان يقيم ندوة فلسفية مع تلاميذه ••• كلهم كان يشارك في النقاش الا واحدا ••• واراد شيلر في النهايـة ان ينطق الطالب بشيء ••• سأله فقال :

اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ••!

فاجابه شيلر :

يا لك من مزيف للنقود ••!

قد يسألنا سائل ، وماذا لدينا لكي نقدمه والمعركة في استعار ... والموج صاخب ... والايدي تضغط على الزناد ؟

الى هؤلاء نقول :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر ...)

لدينا الشيء الكثير لنقوله ... ولدينا الشيء الكثير لنعمله ...

ان (الرفض) وحده لا يكفي ... انه سطح نضع عليه الاشياء ولا نقبض منه على شيء ... اما ما تقوله القاهرة اليوم فلدينا الكثير من المآخذعليه..!

بعض كتاب القاهرة ومفكريها ممن نحترم ونقدر انساح وراء هياجه وراح يتهم العرب بالتقصير والتجني..! ويتهمهم بالتخاذل في نجدة مصر يوم كانت مصر ترزح تحت حكم (الاجهزة) و (مراكز القوى)... وبعضهم يتساءل اين كانت ضمائر العرب ازاء الحكم الرهيب الذي ساد مصر في المدة ما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٦٧.. وقد نسي هؤلاء الكتاب والمفكرين ان ثلاثة ارباع العالم العربي كانت تحكم بدورها بالاسلوب ذاته الذي حكم به شعب مصر ...

واذا شاء القدر ان يعود المجاهدون المصريون الى وطنهم فان عشرات الالوف من العرب ينتظرون الان العودة ليموتوا في وطنهم بعد ان يئسـوا من العودة كرمـاء ...

كنا ننتظر من مفكري وادباء مصر أن يمدوا ايديهم الى هؤلاء الذين ظلوا اوفياء للضمير العربي في مصر ... لا ان يغرقوا في الهياج والغضب بسبـب تصرف بعض المحسوبين على العرب ، وما هم بالعرب ، وان استعربوا ..!

فاذا كان السادات قد افرغ سجون ومعتقلات مصر ، فان عشرات الالوف من الابرياء ما يزالون في بعض السجون العربية يسامون ألوان العذاب لانهم وقفوا الى جانب الحرية والديمقراطية ، ودافعوا عن مصر العرب ... ثم من قال لهؤلاء الكتاب والمفكرين ان العرب يقفون الى جانب (الرفضة)...

هذا مجرد عتاب رقيق نسوقه للكتاب في مصر الذين بدأوا ينعمون برياح الحرية ، وقد تناسوا رفاق سجونهم خارج مصر ..!

ما يقوله (الرفضة)، وما يقوله الاحرار في مصر فيه الكثير من التجني على الامة العربية ... نقولها والالم يحز في نفوسنا ... من هنا كان لا بد لاحرار العرب ، ومفكري العرب من الظهور للرد على الطرفين واعطاء كل ذي حق حقه ...

لقد سبق لنا في «العرفان» ومنذ اكثر من ثلاث سنوات ان طرحنا فور اجهاز السادات على (الاجهزة) و (مراكز القوى) شعارا هو :

(لقد آن الاوان لظهور الكتلة الثالثة)... اي المجموعة المثقفة والمفكرة في العالم العربي التي امنت بالقومية العربية ، وربطت الديمقراطية بالحرية... ودفعت الثمن من حياتها وهنائها وضلوعها ... والتي تعرضت لجميع ألوان العذاب ، وصنوف الاتهام ولم تستسلم ...

ويمكننا الان ان نقول هذا دون ان نكشف الاسرار أن هذه الكتلة الثالثة قد بدأت تتحفز لتظهر في القاهرة .. ولا نريد ان نذكر الاسماء الان... ذلك لاننا بانتظار الافعال ...

ولكن هل ستظهر الكتلة الثالثة في غير مصر ؟

هذا هو السؤال ...!

ان في ظهور هذه الكتلة ما يضع الامور في نصابها ، فعندها لن يستطيع احد ان يتكلم باسم الامة العربية لمجرد وجوده في الحكم ... ولن يستطيع احد ان يبيع الامة العربية لمجرد انه اعتنق عقيدة لا تمت الى الارض العربية بصلة ...

وقد سبق ان اقتحم هذا الميدان الزعيم العربي علال الفاسي، فحمل الامه وامانيه وطاف بها على العالم العربي يبحث وينقب عن عشرة اشخاص ليبدأ معهم مسيرته الجديدة في طريق انقاذ الامة العربية مما علق بها من عقائد وافدة وايديولوجيات زاحفة ...

ومع انه وجد المئات من هؤلاء الا انه احب ان يبدأ بعشرة اختارهم اذكر منهم الان :

(اللواء محمود شيت خطاب ••• اكرم زعيتر ••• كاظم الصلح ••• أحمد محمد النعمـان ••• جلال السيد) اما باقي الخمسة فلا اريد ان اكشف النقاب عن اسمائهم لان لديهم من المتاعب ما يكفيهم •••

لقد ذكرت هذه الاسماء الخمسة لادلل على ان هناك من يفكر بالمستقبل العربي، ومن يعمل لانقاذه ••• ونلاحظ ان الفقيد علال الفاسي قد اختـار رفاق دربه من انحاء العالم العربي (شيت خطاب ـ العراق)، (أكرم زعيتر ـ الاردن) ، (كاظم الصلح ـ لبنان) ، (النعمان ـ اليمن) ، (جلال السيد ـ سورية)• وهناك ثلاثة اسماء من مصر قد اكملوا الطريق لوحدهم بانتظار أن ينضم اليهم باقي الاسماء الاعلام ••!

لن اكتفي بالمرور على الاسماء ، بل لا بد هنا من اعطاء ملامح عملهـم القومي •

من ملامح عمل هذه النخبة انها لا تعني بالعمل السياسي وحده •••لعل السياسة جانب من عملها ، ولكنه يمس الصورة الشاملة للفعالية الانسانيـة، وضمن الصيرورة نفسها ••• يحتضن مختلف جوانب الحياة في تفاعلهاوتوترها الاعلى مع الانسان العربي وتاريخه •••

وعملها في الاساس هو اولا حب ••• من لا يطيق الحب لا يطيق العداء ••• وليس بعربي من لا تكون كل ضلع ممزقة بالسياط ضلعـه ••• من لا يستطيع تفجير منتهى الكرامة من منتهى الحزن ••• من لا يستطيع ان يسحـق ذاته وفكره كل لحظة في سبيل حق امته ليس عربيا •••

الناقم ••• الحاقد ••• الموتور ••• الدموي ليسوا عربا •••

هم حرائق وارجال دمار •• تزييف على القومية العربية نفسها • هـم غربان جيفه تريد المشاركة في الاسلاب ••• تعرف فرح الانتهاز والتخريـب لافرح الابداع ••!

هم فوضويون يتمنطقون بالثورة ليساهموا في تخريب وطنهم !

وعملهم ايضا هو انساني لانه من الانسان ينطلق والى الانسان يعود•••

انه ايمان بان الانسان مرتبط بالاخرين ناج مع الاخرين وبواسطة الاخرين... بدون هذا المحتوى يبقى العمل العربي نارا في الهشيم ..! وهو ثالثا في صميمه انتماء ... التزام أصيل بالارث والتراث... تمهد ارادي طوعي بالعمل ومواجهة الواقع بحلول عربية ... انه لا يستمد اصالته من الرفض ابدا ولكن من نوع العوالم والعلائق الاخرى التي يعاني خلقها ...

انه ضد الصمت ... ضد اللامبالاة ... ضد الاستسلام لانها جراح على ارادة الخلق ...

وهو جدلي ... هو نقلة من التفكير السكوني الى الحركي ومن الانعزال الى المشاركة الحية ... العربي متمرد على نفسه ابدا ، معاود النظر في منطلقاته ابدا ... لا تنتهي امامه المعضلات ولا الحلول ابدا ...!

ان عصر التعايش الهادىء قد انتهى... كل العرب الان يعيشون في خطر ... كلهم مجرورون في لجج واحدة ... كل من له عينان متعب ... ان مصيرا اخر يصاغ للانسان العربي ... كيف يكون ؟

اذا لم نتحفز الان، فان الاقدام ستسير وقد تصبح المركبة العربية في يد قبطان لا يرحم ... وكم عرفت الامة العربية من امثال الذين لا يرحمون ...

اللامبالاة لم تعد ممكنة ... واصحاب الكهف هل يبقون فيه ؟

لقد يأوي الانسان الى الكهف في الازمات ، في سويعات الارهاق المدمر ... في الهرب الاحمق ... ولكن هل يستطيع الانسان العربي ان يعيش في الكهف ابدا ؟

اطفال الشواطىء البحرية لهم لعبة يعرفونها ... يجعلون القواقع الكبيرة عند آذانهم ليتسمعوا دوي البحر اللانهائي البعيد ... ماذا لو خرج اهل الفكر العربي من قوقعاتهم فحملوها ليتسمعوا الى هذا الهدير حولهم ويروا بأم اعينهم

حكامهم بعد خمس سنوات ...؟

لا اظلم الناس ولا الحق :

من يعجزه الزحف الى الينابيع الصخرية يشرب الماء الاسن في القيعان ، واني لارى على ركود المستنقع الاسن جموع الناس عبا ونهلا ، وكيـــلا ، وتجشؤا وغفوة صبح...

فهل اضحت الامة العربية كالمؤودة التي سئلت بأي ذنب قتلت ؟

لا الرفض بمستقر ... ولا الضياع بمستقر ... شرط ان تسمع النخبة العربية القواقيع الكبيرة في اذانها فتنطلق .

بيروت — زهير مارديني

قناع «قناص» و «ابتسامة» تاريخية

يحدثنا علم الحيوان على ان هناك بعض الطيور تظل صامتة خرســاء الى ان تفقأ عين من عينيها ، عندها فقط تغرد وتشدو ...

وقد اصبت في بيروت بما يصيب هذه الطيور حين شاهدت امامي انسانا يصاب برصاصة (قناص) فيخر على الارض صريعا فأهرع اليه تحت وابـل من الرصاص واحمله بيدي خطوات ثم انقله الى مستشفى الروم في الاشرفية ... فهل بامكاني ان اصف هذا المشهد بكلمات ولو خرساء !!

كنت قد اجتزت سوق النجارين في طريقي الى عملي ... وكنت اسـير في منتصف الشارع ... وكان هناك من يحمل (كلاشينكوف) ويسيربمحاذاة الحائط ويتلفت في مشيته كالفأر الحائر ... وما ان رآني اسير في منتصـف الطريق بدون مبالاة حتى امطرني بسيل من الشتائم مشيرا الي بأن التصـق بالحائط مثله ، وبينما كنت اتلقى سيل شتائمه كان المسكين يتلقى الرصاصـة في صدره ...!

كان ما يزال الى جانبي في السيارة التي أقلتنا الى المستشفى حين بدأت مسيرتي في الطريق المظلم الذي يمر باعماقه واعماقي ... وقد اكتشفت هذا الطريق من الضوء الخافت الذي رأيته على ابتسامته التي غطت وجهه ...

صدقوني انها كانت ابتسامة غريبة ... انها ليست ابتسامة شخصية... ولكنها ابتسامة (تاريخية)... ابتسامة مظلوم لا يعلم اسم ظالمه ...

لم يحدث لي أن رأيت جريحا يقع على الطريقة التي وقع فيها جاري في السيارة ••• بالرغم من مئات الجرحى الذين شاهدتهم يتساقطون في معارك الحرب مع اليهود في فلسطين••• كنا نحسد هؤلاء الجرحى على بطولتهم في ساحات الشرف ••• ولكن الامر هنا يختلف تماما ••• فقد كان الناس يرون جثث القتلى في الشوارع ويفرون منهم الى دورهم ••• وكانت هذه المشاهد تهزني لانها تروعني فتبكيني••!

ماذا حل بنا والدوامة الدامية تلف مدينة بيروت وسألت نفسي :

ما وجه الغرابة في هرب الناس من قتلى رصاص (القنص)؟

الا يحدث ان نحرص على مشاهدة الام الناس وعذابهم ودموعهم ودمائهم؟ ألا ندفع في ذلك وقتنا ومالنا ؟

والجواب : بـلى •!

لماذا ؟

لاننا نستريح لعذاب الاخرين ••• لاننا نتعذب لعذابهم ••• وهذا التعذب لعذاب الاخرين يريحنا • اذا لم اكن واضحا • فهذه هي الادلة •••

فالصحف والمجلات مليئة في هذه الايام بالدعوة الى الاقتتال ••• وفي اضفاء البطولة على الذين يصطادون الناس برصاصهم ••• واكثر الصحف انتشارا ايام المذبحة هي الصحف التي صفقت للاقتتال •••

كانت الدموع في عيوننا تصفق لهذه الانتصارات الصحفية ••• وكان الناس يتزاحمون على قراءة هذه الصحف والمجلات ••• احدهم اشترى مجلة اسبوعية بخمس ليرات وعكف على قراءتها بنشوة •••

ترى هل كانت نشوته نابعة من تقديسه للعذاب •••

فلا بد ان مشهد (اقتناص) رأس بشري يريح بعض الناس او كل الناس ••• مع انهم هم الذين قتلوهم ••• قتلوهم لانهم يتلذذون بالتعذيب، ويبكون عليه للذة التعذيب •••

في مستشفى الروم رأيت شيئاً لم اره من قبل حين وصل رفيقي الى غرفة العمليات ••• رأيت اناسا يعرفون شيئا لا يعرفه احد من الناس ••• لا انــا ولا رفيقي الجريح ••• انهم يعرفون ان ما تقلوه على (المحفة) انما هو شيء جامد••• وليس بشرا سويا ••• انهم يعرفون ضيوفهم الجدد وهم يختلقون عن ضيوفهم الذين اعتادوا على استقبالهم بالترحيب ••• فالضيف الجديــد لا أهل له ولا اصدقاء ••• انهم يعرفون كل ما نخافه ان نعرفه نحن ••• فما هي لحظات حتى ينتقل الضيف من المشرحة الى (البراد)••• وسيكونون اكثر سعادة لو كانت الاصابة مميتة ••• لانهم في مثل هذه الحالة يوفرون العنايــة وثمن الدواء••• وهناك رأيت شيئا أشد غرابة ••• رأيت اناسا يضعون اقنعة على وجوههم ••• لماذا ؟ حتى لا يروا الاحياء يتحولون الى اموات بلـــمح البصر •••

هذا القناع يشبه السحابة السوداء التي تخفي نجوما تلمع هي عيـــون الناس ••• ومعنى ذلك ان هناك شيئا اقسى من اصطياد الناس بواسطة بندقية عليها (مكبر) ••• عيون الناس ••!

عيون الناس في اليوم الذي اوصلت فيه رفيقي الى المستشفى فيها معــان غريبة ••• فيها استطلاع مخيف ••• وفيها اشفاق قاتل ••• وفيها فزع يضاعف فزع المصاب برصاصة (قناص)••• وهي تتفرج على الجثث المنقولة مـــن المشرحة الى البراد وتتفرج عليها وتتفرس فيها كأنها حيوانات غريبة ••• عيون مجنونة ، تنقل نظراتها بين اصحاب الاقنعة وبين الجثث الهارعة الى حيث تتكوم فـــوق اخواتها •••

ولذلك فهذا القناع يصبح في نظر الجثة وهي تلفظ انفاسها اقسى مـــن المـــوت •••

عند عودتي الى المنزل رحت اتقلب في الليل ••• وعندما كان الغطــاء يقترب من رأسي افزع كأن رصاصة قناص اخترقت قلبي••• وكان صـــــوت الجثة التي صحبتها الى المستشفى تصرخ في وجهي:

ـ هيه ... انبسطت لان رأسك سلم وذهب رأسي ؟

منذ تلك الليلة وانا أرى في احلامي اشياء تعلقت في حبل طويل كحبـل الغسيل ... انها وجوه غريبة ... وجوه اناس اعرفهم اختطفهم الرصـــاص (القناص) واناس لا اعرفهم ... وفي الصباح كانت ابتسامتي التي اعتدت ان اواجه بها الحياة قد اختفت تماما ... فلم يعد بامكاني ان اضعها من جديـد لاوهم الاخرين باني ما ازال أعيش ... والسبب هو ابتسامة الجريح الـذي شتمني لانني لم افعل كما فعل هو ... ابتسامة ما لجثة ما ..!

بيروت — زهير ماروديني

ملاحظـات هـامـة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقـالات واشعار وقصص غيرها يعبر عن اراء الكتاب انفسهـم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط ، و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لـم تنشر .

مطلوب انشاء مؤسسة لدراسات الوحدة العربية

بقلم: الدكتور جورج جبور
دكتور في العلوم السياسية

مدير مكتب الدراسات العامة لدى رئاسة الجمهورية العربية السورية
الاستاذ المحاضر في الدراسات العليا (قسم الفلسفة والاجتماع) بجامعة دمشق

(هذا الاقتراح نشرته مجلة المعرفة الدمشقية في عددها الخاص عن الوحدة العربية ، الصادر في ايلول ١٩٧٢) ولكـــن نظرا لاهميته ومعالجته الواقعية والصريحة احببنا اعادة نشره كما أحب ذلك الدكتور جورج جبور الغني عن التعريف لان احدى دور النشر في بيروت حاولت استغلاله .

تقـــديم

لم يكن الاقتراح الـــذي يعاد طبعه في الصفحات التاليـــة ، حـــين نشر عام ١٩٧٢ ، الخطوة التنظيمية الاولى التي طورتها للبحث العلمي في الواقع العربي بهدف توحيده . فقبل عشر سنوات من نشر هذا الاقتراح تقدمت الى منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة الامريكية باقتراح لانشاء رابطـــة عربية للعلوم الاجتماعية ، تضم ، اول ما تضم ، اختصاصيي العلوم الاجتماعية من العرب في تلك الدولة ، وتوسع عضويتها لتشمل بالطبع الاختصاصـيين في الوطن العربي ، والاختصاصيين العرب في الدول الاجنبية الاخرى . ولكـــن ظروفا كثيرة حالت دون ادراك قيادة منظمة الطلبة العرب اهمية ذلك الاقـــتراح آنـــذاك .

اما اقتراح انشاء مؤسسة لدراسات الوحدة العربية فقد حظي،منذ نشره، باهتمام أكثر ؟ اذ رحب به كثيرون ، وعقدت لبحثه ندوة في دار البعث،وشكلت عام ١٩٧٣ لاعتماد فكرته لجنة من كبار المسؤولين في القطر العربي السوري .

وبمناسبة اعلان تأسيس مركز للدراسات العربية في بيروت ، اوائل عام ١٩٧٥ ، رأيت مفيدا اعادة طبع الاقتراح ، وتوزيعه على نطاق واسع ، لـكي يسهم في بلورة اساس تنظيمي لعمل علمي عربي مشترك هادف الى تقريب الوحـدة .

هذا وقد حرصت ، مراعاة للدقة ، على اعادة طبع الاقتراح دون ادخال اي تعديل عليه ، على الرغم من انه يحتمل التحسين في عدة نقاط وردت فيه ، وعلى الرغم من ان توجهه ، في نواحي منه ، ينطبق على واقع الحال في القطر العربي السوري أكثر من انطباقه على واقع الحال العربي .

١٢ ــ ٢ ــ ١٩٧٥ ج.ج.

الى انيس صايغ ومركز الابحاث الفلسطينيـة :

حين يقترن العلم بالنضال يشق طريق .

أ ــ تمهيـد :

لعل خير ما يوضح توجه ما يلي من صفحات حادثتان ــ او على وجه أدق ادراكان شخصيان لحادثتين ــ يفصل بينهما ما يزيد على عشرين عاما .

« الحادثة الاولى » هي تلك الدهشة التي استحوذت علي ــ وكنت اذ ذاك في اوائل مرحلة الدراسة الاعدادية ــ حين كنت أقرأ نبذة عن حياة طـه حسين عميد الادب العربي لاكتشف انه نال الدوكتوراه في الادب العربي مـن جامعة باريس . شعوري الاول كان شعورا بعدم التصديق ، وبالشك في صحة تلك النبذة التي كنت اقرؤها عن حياة العميد . فهل يعقل ان يكون ثمة في باريس اناس اعرف منا بأدبنا ، وهو منا ما نعرف ؟ ومنذ ان تحققت من صحة تلك النبذة التي قرأت ، جثمت في ذهني اشارة استفهام كبرى ، تصمـت ولا تغيب : لماذا ؟

اما « الحادثة » الثانية فلم تمض عليها الا اسابيع معدودة . يومها كنت قد فرغت ، بعد مراجعة حوالي عشرين كتابا او نحو ذلك من تصنيف سجـل متواضع الحجم (حوالي مائة صفحة) عن اهم الاحداث التي شهدها القطـر

العربي السوري او اثرت فيه بين عامي ١٩١٨ وحتى نهاية عام ١٩٧١ . في ذلك اليوم بالذات وقعت على نشرة دعائية حديثة من احدى دور النشر في امريكا تعلن بها صدور سبعة مجلدات سجلت فيها اهم الاحداث الدبلوماسية والسياسية للوطن العربي كله من عام ١٩٠٠ وحتى عام ١٩٦٧ . مصنف هذه المجلدات السبعة استاذ امريكي يوحي اسمه بانه من اصل يهودي عربي وقد اقام في اسرائيل لعدة سنوات موظفا في السفارة البريطانية هناك .

دهشة التلميذ الذي كتبه في اوائل الخمسينات من « حادثة » طه حسين أخذت ، فيما بعد ، بعدا حزينا بلغ قمته في هذا الكتاب الجديد الذي وقعت على اعلان عنه : ان الذين « وضعوا يدهم » على أدبنا العربي قد وضعوا يدهم ايضا على تاريخنا،ليس القديم منه او الوسيط ، بل الحديث والمعاصر أيضا . ان ما يعرفه ويكتبه غير العرب عن العرب هو اضعاف ما يعرفه ويكتبه العرب انفسهم عن انفسهم . وفي كثير من الاحيان يكون مصدر علم العرب عن العرب هو ما ورد ويرد فيمايكتبه غير العرب عنهم . ان الحاجة ماسة لتعريب العلم بالعرب ، لتعريبه في بلاد العرب اولا وقبل كل شيء .

المؤسسة المقترح انشاؤها في هذه الصفحات ليست كلها وليدة رد فعل عاطفي او سريع لحادثة او حادثتين او عدة حوادث ، وليست كلها انتقاما لكرامة مهدورة يشعر بها كل دارس عربي حين يفاجئه الواقع العلمي المؤلم وهو ان عليه ان يرتحل الى ديار الغرب لكي يجد مصادره، ولكي يبحث مع اختصاصيي الشرق الاوسط في جامعات الغرب المسائل الفكرية التي تشغل ذهنه ويحصل منهم ايضا على درجته الجامعية المشعرة بتخصصه في الشرق الاوسط . المؤسسة المقترح انشاؤها لا تخلو بالطبع من الدوافع التي أوردت سابقا ولكنها لاتقتصر على ذلك . ان لها « مداخل » كثيرة نذكر اهمها الان لننتقل بعد ذلك الى تحديد مهمات المؤسسة والى تبيان الشكل التنظيمي والكيفية التي يمكن ان تبدأ وتطور بها عملها ، ثم لنخلص من ذلك الى تبيان المعوقات والتوقعات التي قد يثيرها الاقتراح .

ب ـ مداخل الى المؤسسة المقترحة :

كثيرة هي المداخل التي تقودنا الى التفكير بضـــرورة ايجاد مؤسسة لدراسات الوحدة العربية . والحق انه كما هي كثيرة ـ ويومية ـ المــداخل التي تدفعنا الى الايمان بضرورة الوحدة العربية كذلك هي كثيرة ويوميـــة المداخل التي تقودنا الى التفكير بضرورة انشاء المؤسسة المقترحة .

ولعل من المفيد ـ تبسيطا واختصارا ـ ان نتحدث عما يلوح لنا اهــم ثلاثة مداخل للموضوع ، وسأطلق عليها اسم المدخل القومي ، والمدخل الثقافي، والمدخل القطري العملي المباشر .

١ ـ المدخل القومي :

من المسلم به في هذا القطر وفي عديد من الاقطار العربية الاخرى ، ولدى كل القوميين العرب اين كانوا ، ان الوحدة العربية ضرورة حياتية كبرى وان القومية العربية حقيقة راسخة شامخة . وقد شغل الفكر السياسي نفسه منــذ منتصف القرن التاسع عشر والى الان بدراسة ظاهرة القوميات وانتهى مــن بحثه ـ عموما ـ الى الاستحقاق الحصري للقول بوجود قومية عربية ، والى ان العرب في كل اقطارهم امة واحدة ، والى ان الشكل الطبيعي للامة الواحدة هو ان تعيش في دولة واحدة.مشتقات هذه المهمة التي اخذ الفكر السياســي العربي نفسه بها هي البحث في مقومات القومية العربية (اللغة والتاريخ خاصة) وتبيان أثرها والالحاح على اهميتها في مقابل مقومات مضعوفة لقوميات اجمع على انها مصطنعة (العامل الجغرافي والقوميات الاقليمية ، او العامل الديني والدعوات الاسلامية ، او عامل اللهجة المحلية والقوميات المحلية). واذا كان لنا ان نعلق على هذا النمط من البحث القومي فهو القول بانه انجاز تاريـــخي هام ومفيد وضروري، وانه من جهة اخرى قد استنفد مهماته او كاد لاسيمــا في اقطار المشرق العربي. هذا القول لا يعني ضرورة « اغلاق » البحث فـــي مقومات القومية العربية بقدر ما هو دعوة الى اتخاذ انجازات البحث في المقومات كمنطلق . منطلق ننطلق منه الى ريادة نوع من البحث جديد ـ او اشبـــه بالجديد ـ ، نوع من البحث لابد منه اذا كنا نريد ان نتحرك في سبيل تحقيق

الهدف المعلن وهو الوحدة العربية . هذا النوع من البحث هو البحث في الكيفية التي تمكننا من تحقيق اوحدة لعربية، اي الانتقال من مستوى الحكم الاخلاقي (المشتق من بحث مقومات القومية العربية وغير المتعلق بزمان ومكان) الى مستوى الامكانية العملية (المشتق من بحث الكيفية).

من الحق الاعتراف بأن بحث الكيفية ليس جديدا بالكلية من حيث الاساس . مفكرون قوميون كساطع الحصري وزكي الارسوزي وعدد من كتبة الرسائل الجامعية تخيلوا كيفية ما لتحقيق الوحدة العربية . كذلك بحث في هذه الكيفية رجال سياسة وبحثت فيها احزاب سياسية في معرض نشاط سياسي (كما في مباحثات الوحدة العربية التي اسفرت عن قيام الجامعة ، او في معرض مشاريع « وحدة » الهلال الخصيب ، او في معرض المناقشات بين عدد من الحركات الثورية المعاصرة)، ولكن من الحق القول ان اكثر هذا البحث من قبل المفكرين كان قليل المنهجية العلمية من جهة وقليل التأثير على مجرى الاحداث من جهة ثانية . اما بحث السياسيين فقد كان في الاغلب ـ الى جانب افتقاده المنهجية اساسا ـ سلاحا سياسيا ، سهما سياسيا من مجموعة سهام تستعمل في ظرف معين ، ان لم يفتقر الى الاخلاص في المدى البعيد ، فقد افتقر اليه في المدى المباشر افتقارا حرمه من الشرط الاول للبحث وهو الجدية.

لن نؤرخ هنا ، للفكر الوحدوي ولن نوجه اليه النقد التفصيلي اذ ليس لنا الى ذلك حاجة ، فالمشكلة التي نطرحها بسيطة سهلة لا ينبغي ان تغيب عن الذهن في متاهات التقويم واختلافات وجهات النظر : اذا كنا دعاة وحدة عربية فعلينا ان نبحث الان كيف يمكن تحقيقها ، علينا ان نركز جهدنا الان على كيفية امكان اقامة الجسر الذي نصعد عليه من الواقع المرفوض الى المستقبل المنشود.

في الدعوة من مدخل قومي الى مثل هذا البحث تتوجب ملاحظة ما يلي:

ـ ان الوحدة كمهمة قومية يخص واجب وحق البحث في كيفية تحقيقها جميع القوميين العرب ، ولا يخص فقط جمهرة الحكام وحدهم . هذا افتراض اجمعت عليه الادبيات القومية واعتنقته انظمة الحكم الثورية .

ـ سواء كنا من انصار الثورة او الطفرة كأسلوب لتحقيق الوحدة العربية

او كنا من انصار التدرج والوظيفة فان الاطاحة بالواقع الموضوعي العربي ـ بما تعني الاحاطة من دراسة وما تعني الدراسة من تجميع وتقويم الوثائق وتقديم البدائل ـ تبقى دائما متوجبة .

ـ مهما كانت تقويماتنا لنظم الحكم العربية فان ثمة ظاهرة هامة في العصر الحديث هي اضطرار السياسة الى الارتكاز المتزايد على الدراسة . العصر الحديث قرب المسافة بين اجهزة الحكم وبين اجهزة العلم ، فلم يعد بامكان الاولى ان تتجاهل الثانية ، وصار من التراث الطوبائي المتجاوز تمسك الثانية بما دعي بنظرية العلم للعلم ، ان احد مؤشرات الحداثة والتطور في دولة ما في هذا العصر هو التعاون بين رجال الحكم ورجال العلم . ولعل هذه النقطة واضحة بما فيه الكفاية فلا تحتاج الى مزيد من الشرح.

ـ يتخذ بعض المثقفين من غياب تقاليد راسخة للحرية الفردية وحرية البحث في الوطن العربي حجة لتجنب البحث في القضايا المصيرية الهامة. لن ننفي هنا كل استحقاق هذه الحجة ، ولكن متابعي مسألة « حرية البحث الاكاديمي » يعرفون دون شك الحدود الكبرى الفعلية المفروضة على تلك الحرية حتى في اكثر الدول اعلانا عن تمسكها بتلك الحرية ـ واعني بها الولايات المتحدة الامريكية. كذلك فان باحثي الدول الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي لا يرون في تمسكهم بالماركسية ـ اللينية قيدا معوقا للبحث ، بل بالطبع يرون عكس ذلك تماما . وبوسعي ان اعدد عشرات الدراسات الموضوعية والملتزمة معا التي صدرت بالانجليزية والفرنسية عن دار التقدم بموسكو والتي يفاخر بموضوعيتها ـ رغم او سبب التزامها ـ اي اكاديمي . ثمة في اعتقادي مجال واسع امام الباحثين العرب لممارسة حرية البحث القومي بشكل يلوح به التمسك بهذه الحجة ذريعة للكسل غالبا ، اكثر منه شكوى من معوق جدي ـ وسنعود الى مشتقات من هذه الذريعة فيما بعد ـ .

وخلاصة القول في المدخل القومي انه من المحتم علينا قوميا ـ اذا كنا نؤمن حقا بالقومية العربية وبضرورة انبثاق الوحدة عنها ، كما نردد ليل نهار ـ

ان ندرس السبل المؤدية الى الوحدة وان تتقدم ببدائل الى الحكام والى الشعب بدائل تزداد جدية بمقدار ما تزداد جدية البحث للوصول اليها ٠

٢ ـ المدخل الثقافي :

يجب ان يكون هذا المدخل واضحا لكل مثقف سواء استوعب او عرف لماذا الاهتمام الدولي بدراسات الشرق الاوسط ٠ ثمة في الولايات المتحدة الان ـ حسبما تقول التقارير المتخصصة ـ حوالي سبعمائة جامعة تعطي كل منها مقررين على الاقل في كل فصل دراسي عن الشرق الاوسط في قسم العلوم السياسية وحده ، هما مقرر « النظم السياسية والحكومية في الشرق الاوسط » ومقرر « العلاقات الدولية للشرق الاوسط »٠ من هذه المئسات من الجامعات ثمة حوالي مائة تعطي شهادات في الدراسة العليا للشرق الاوسط أي درجتي الماجستير والدوكتوراه٠ كذلك يبلغ عددرسائل الدوكتوراه المقدمة سنويا الى الجامعات الامريكية عن الشرق الاوسط ما يزيد على مائتي رسالة، سواء قدمت الى اقسام الشرق الاوسط او الى اقسام العلوم السياسية او التاريخ أو علم الاجتماع او الانسانيات٠ أغلب هذه الرسائل يعالج مشاكل راهنة تشغل الشرق الاوسط ، وأقلها يتجه اتجاهات الاستشراق الكلاسيكية، أي يتجه الى التراث اللغوي او الادبي أو الديني ٠

ليس ثمة بين ايدينا تقارير مشابهة عن وضعية دراسات الشرق الاوسط في اقطار اوروبا المختلفة ، ولكن مراجعة قمت بها لفهرس مكتبة جامعة باريس عام ١٩٦٥ اظهرتني على عناوين مئات الدراسات عن القطر العربي السوري ،مقدمة على شكل مذكرات ورسائل جامعية ، اكثر من ثلثيها كتبها عرب سوريون او غير سوريين ٠ كذلك ثمة دراسات هامة عن الشرق الاوسط تصدر عن مراكز بحوث جدية في دول اوروبا الاشتراكية ٠ ويمكن في هذا الصدد تعداد اكثر من عشرين كتابا مكرسا للشؤون العربية صدرت في مدى السنوات العشر الماضية بالانجليزية او الفرنسية عن دول اوروبا الاشتراكية٠ ولماقلنا ان هذه الكتب صدرت بالانجليزية والفرنسية فذلك يعني ان ثمة عددا اكبر بكثير من هذه الدراسات صدر بالروسية او الالمانية او بغيرهما من اللغات المحلية في

شرقي اوروبا ، وليس لدى كاتب هذه الاسطر سبيل مباشر الى معرفتها (١). ولعل من المفيد الاشارة الى ان احد اهم الكتب التي صدرت عن التاريخ الاقتصادي للقطر العربي السوري وهو كتاب بدر الدين السباعي : اضواء على رأسمال الاجنبي في القطر العربي السوري (دمشق ، ١٩٦٤) كتب اساسا كرسالة للدوكتوراه في جامعة موسكو . وقد ذكر عميد معهد العلوم السياسية في جامعة بودابست لصاحب هذه الاسطر في ايار ١٩٧١ انه تقدم الى المعهد سنويا ومنذ عدة سنوات اربع او خمس رسائل للماجستير عن ازمة الشرق الاوسط باللغة الهنغارية .

حتى في الهند ثمة اخصائيون في الدراسات عن الشرق الاوسط لهم مكانهم المرموق ، ويكفي ان نشير بهذا الصدد الى بحوث الاستاذ م.س. اغواني (٢) والمدرسة الهندية للعلاقات الدولية .

أليس من المدهش في هذا الاقبال العالمي الكبير على دراسات الشرق الاوسط ان يلعب القطر والوطن العربي عموما دور المتلقي لبعض ما ينشر وان لا يصدر ، في الاغلب ، الا موادا خاما (بيانات سياسية ، خطابات ، الخ) تصنع (اي تدرس وتحلل وتقارن) على شكل كتب ودراسات في الخارج – خارج الوطن العربي عموما – ثم يعاد تصديرها الينا فنكتفي في علمنا بانفسنا على فضل الترجمة الامينة او غير الامينة ، المعلنة او المرتدية رداء التاليف ؟

والحق ان هذا السؤال يطرح سؤالا من نوع اخر : ما هي مراكز الثقافة السياسية في الوطن العربي عامة وفي القطر بنوع خاص ؟

---

(١) – لم نقف على اي بحث عربي حول وضعية دراسات الشرق الاوسط في الاتحاد السوفييتي . وبالمقابل نشر جاكوب لاندو ، استاذ نظم الحكم العربية في الجامعة العبرية ، عدة مقالات من ذلك الموضوع في مجلة Middle Eastern Affairs [illegible] يرئس تحريرها الصهيوني ابلي خدوري (انظر الاعداد : تشرين اول ١٩٧٠ ، [illegible] ١٩٧١ ، تشرين اول ١٩٧١).

(٢) – الاستاذ اغواني هو صاحب خير اول دراسة بالانجليزية عن [illegible] في مجلة International Studies الهندية عام ١٩٥٩ وله مؤلفات متتالية عن ازمة لبنان عام ١٩٥٨ وعدوان حزيران ١٩٦٧ . كذلك له جولات موفقة في دراسة الفكر السياسي العربي التقدمي .

هذا سؤال صعبة الاجابة اليه ، ولكن الملاحظة تظهر ان معظم ما تتغذى منه الثقافة السياسية عندنا يصدر اما عن دار الاهرام ـ جريدة الاهرام ولاسيما العدد الاسبوعي ومجلتا الطليعة والسياسة الدولية ـ او عن دار الطليعة ببيروت او مركز الابحاث الفلسطينية ببيروت ايضا • في الدرجة الثانية تأتي دور وصحافة اخرى ، كدور الهلال والصياد والنهار، او دور النشر الاخرى كدار الحقيقة ودار الاداب ودار المعارف ودار النهضة • في الدرجة الثالثة تأتي صحف ودور نشر محلية تمارس تأثيرها عموما داخل قطر عربي بذاته ولا تتجاوزه بكثير الى اقطار عربية اخرى •

ويلاحظ مما سبق انه باستثناء مركز الابحاث الفلسطينية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ليس ثمة بين ما ذكرنا من مراكز للثقافة السياسية اي مركز بحوث • صحيح ان ثمة معهد الدراسات والبحوث العربية في القاهرة التابع لجامعة الدول العربية والذي انشأه بجد وجهد عظيمين المرحوم ساطع الحصري، الا ان هذا المعهد من حيث هو تابع للجامعة ـ ولظروف اخرى ليست كلها خافية ـ لم ينتج عنه « تيار » في الثقافة السياسية ، وبالتأكيد لا يشعر المثقف السياسي العربي انه قد فاته الكثير فيما اذا لم يتابع نشاطات ذلك المعهد • كذلك يلاحظ ان مراكز التأثير في الثقافة السياسية اغلبها اما دور نشر او دور صحافة من حيث الاساس بما يعنيه ذلك من نزعة «تجارية» من جهة ومن انعدام فرص المناقشة الكبرى في اجواء تلك الدور للنظر الهادىء فيما يصلح للنشر وما لا يصلح من جهة ثانية • ويلاحظ اخيرا ان الجامعات العربية كلها تقريبا لم تصبح حتى الان مراكز اشعاع في الثقافة السياسية العربية الراهنة ويعود ذلك خاصة الى افتقارها للبحوث ـ وهذا امر يطول الحديث فيه ـ •

نخلص مما سبق الى القول انه بينما تتدفق الكتب والدراسات الجديدة في العالم عن الشرق الاوسط ، نشهد في الوطن العربي عموما اما ترجمة لبعض ما ينشر او تأليفا سريعا ليس على مستوى لائق • والحق ان جوهر المفارقة الكبرى هو انه بينما نقدر ان ثمة في الولايات المتحدة الامريكية وحدها ما لا يقل عن الفي باحث متفرغ فقط لقضايا الشرق الاوسط الراهنة (السياسية الاقتصادية والاجتماعية) يعيشون منها وتعطى لهم الرواتب لتكريس وقتهم

لها ، لا نرى نظرا لهؤلاء على اتساع الوطن العربي الا عددا محدودا جدا قد لا يتجاوز عشر ذلك الرقم في أحسن تقدير . بالاضافة ، لا يعرف هؤلاء الدارسون العرب بعضهم البعض ولا تضمهم رابطة ولا يجمعهم الى انفسهم مؤتمر دوري او ما اشبه .

اذن فان من الواضح ، عن طريق المدخل الثقافي ، ضرورة قيام مؤسسة عربية للدراسات العربية ، لكي تثبت افضليتنا في درس قضايانا ، على الصعيد العربي اولا ثم على الصعيد العالمي . ولا اشك لحظة في ان كل باحث عربي جدي يشعر بكرامته الثقافية مهدورة حين يرى الاجانب يغيرون على ما يجب ان يكون حقله الاول ، تغذيهم دولهم ومؤسساتهم بينما هو يحارب وحيدا حتى يفل عزمه ، فيقنع بان يصبح مترجما لما ينشره نظراؤه في بلدان العالم الاخرى . هل علينا ان نعود الى ساق وفرياق الشدياق — في منتصف القرن التاسع عشر — كي نؤكد « اصالة » المشكلة ؟

٣ — المدخل القطري العلمي المباشر :

يتمثل هذا المدخل في مشاكل يومية يعرفها المسؤولون : اذا احتاج عمل سياسي ما — فلنقل وضع دستور للقطر — الى النظر في مجموعة وثائق — هي في مثالنا دساتير البلاد العربية ليس الراهنة فقط بل والسابقة ايضا — فأين نجد هذه المجموعة من الوثائق ؟ ليس ثمة على حد علمي الا مجموعة ديفيس الانجليزية التي تضم دساتير الشرق الاوسط وتنقح دوريا . واذا احتجنا الى النظر في مجموعة وثائق حزب الاستقلال المغربي مثلا فاين نذهب ؟ الى باريس حيث لا اشك ان حوليات المغرب العربي التي تصدر في فرنسا هي اول ما يتبادر الى الذهن — ونستطيع ان نستدل منها على طريق — .

العمل اليومي للدولة في هذا القطر يستلزم معلومات كهذه بين وقت وآخر وليس ثمة من جهة في القطر تستطيع ان تلبي الحاجة . ولا نقول ان المؤسسات القائمة في القطر ليست كافية لتلبية الحاجة حتى نخلق مؤسسة جديدة ، ولكنني أقول ان المؤسسة الموجودة لم تقم بذلك الامر تاريخيا

وتجريبيا ، وليس ثمة ما يشير الى انها ستقوم به . من الممكن ذكر عدد من الاجهزة الحكومية والحزبية يقع هذا الامر في اختصاصها (الواسع): وزارة الخارجية ، الجامعات ، الادارة السياسية ، المجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، وزارة الثقافة (الخ) ، ولكن لكل جهة من هذه الجهات عذرا تقدمه في عدم السير في اتجاه تجميع الوثائق العربية (او حتى وثائق القطر). هذا العذر يكتسب « حقيقته » في عدم توفر الميزانية والخبرة وفي امور اخرى ليس هنا مجال تفصيل القول فيها . ويبقى ان الجامعة الامريكية في بيروت تقوم الان بهذه المهمة ـ على نحو ما ، وبحسب معاييرها الخاصة طبعا ـ وذلك في نشرتها :الوثائق العربية والسياسية . ولعلنا نذكر ايضا وايضا ان البرنامج الاول لتقويم تطور الفكر العربي في مائة سنة ـ والذي اتنج في هذا القطر ، من جملة ما انتج ، ثبتا نافعا بالمراجع المتداولة عن اقتصاد القطر ـ انما كان جزءا من احتفالات الجامعة الاميركية بعيد ميلادها المئوي .

المدخل القطري العملي المباشر ـ مدخل الاسهام في تسيير العمل اليومي للدولة ـ يقتضي منا اذن بدوره التفكير بانشاء مؤسسة للدراسات العربية.

جورج جبور

* هذا هو القسم الاول لما نشرناه بالعرفان في العدد الاول من هذه السنة وكان القسم الثاني .

عنوان مجلة « العرفان »

بيروت ـ لبنان

ص.ب : ٣٩٧٨

مجلة العرفان او نزار الزين

تلفون : ٢٥٦٥٥٠

ماذا بقي ؟!

بقلم : النقيب رياض طه

ماذا بقي من المثل والقيم في لبنان ؟

ما هي المزايا ، التي يختص بها هذا البلد ، والتي لم تسقط في عاصفة الدماء والدموع والنار والدمار ؟

ثمة فضيلة واحدة باقية ، على رغم السهام التي وجهت اليها ، والنكبات التي هزتها ، والضحايا والتضحيات التي بذلتها في سخاء وشجاعة وثبات .

انها الحرية .

حرية المعتقد ، حرية الفكر ، حرية القول : حرية ابداء الرأي ، والاحتجاج والمطالبة ، بل حرية كشف الاخطار وفضح الاسرار ، والتعبير عن الالم والامل ، ودفع الطمع وبعث الطموح .

انها ميزة لبنان الكبرى ، التي تبرر بقاء بنيته المهشمة ، وتعطي استمرار الحياة ههنا طعما ونكهة ومذاقا .

وعندما نتحدث عن الحرية ، فاننا نعني الصحافة ، التي تجسدها ، وتحمل رسالتها ، وتبعتها ، وتتحمل اعباءها وجراحها .

اذ لا حرية عندنا من دون صحافة : حتى حرية الانتخاب وحرية الاحزاب ، وحرية الخطابة والاجتماع ، وحرية المشترعين وممثلي الشعب انفسهم ، الصحافة هي التي تعبر عنها وتضمنها وتكافح من اجل صونها .

ومتى غابت السلطة ، وفقد الامان ، وتلاشت العدالة ، وعز الغذاء يبقى

لهذا الشعب حقه في ان يرفع صوته ، لكي يثبت انه ما زال حيا ، وانه قادر على البقاء !

على ان للصحافة اعداء وكارهين، مع كل ما تمثل من قيم • انهم اعداء الحرية، الذين يخشونها ، لانهم يخافون كل اشارة الى الجنايات والصفقات، والى الفساد والانحراف •

وهؤلاء المجرمون والملوثون يحاولون دائما ان يرموا الصحافة بحجر، مع انهم احرى بالرجم • او لم يثبت اخيرا انهم جميعا اوسخ مما يعزون الى الصحافة ؟!

انهم يريدون ان يقضوا على الحرية ، لكي يطمئنوا الى ان احدا لن يحاسبهم على ما ارتكبوا من جرائم واقترفوا من ذنوب •

وقد فاتهم ان نحر الصحافة سيعني زوال هذا النظام ، وبالتالي زوالهم هم • اذ ماذا يبقى من النظام الحر بعد ان تنتهي الحرية ؟

بل ماذا يبقى من لبنان كله ؟

وماذا يصدر لبنان الى الخارج، اليوم، سوى ثمرات عقوله وبنات أفكاره ؟

هل من « بضاعة » سوى الجرائد والمجلات والكتب ؟

وهل من وسيلة تعبر عن الحيوية المستمرة سوى هذه الصحف، التي يطلبها صباح كل يوم، الحكام والقادة والمثقفون والقراء جميعا، من مواطنين ومغتربين وعرب اشقاء ، ومن أجانب مراقبين تحت كل سماء ؟

الحرية المسؤولة ؟ نعم ! ان الصحافة تستطيع ان تضبط نفسها وتراقب ذاتها ، في نطاق ترسيخ الوحدة الوطنية ، وتوطيد الصلات العربية •

اما ضرب الحرية لطمس المسؤولية ، فلا ! ذلك لان الصحافة هي ضمير

الناس. ولئن قصرت السلطة الاشتراعية في مراقبة السلطة التنفيذية ، فان في وسع الشعب ، عبر صحافته ، أن يراقب سلطة التنفيذ وسلطتي الاشتراع والقضاء معاً !

وبعد ، فقد قلنا لرئيس الدولة ، قبل ثلاث سنوات، وفي حضور ممثلي الصحافة جميعا :

« ان النظام الديموقراطي البرلماني الغربي يفترض وجود صحافة حرة متعددة المذاهب والاتجاهات . واذا كانت صحافتنا مزعجة ، فان تغيير وضعها يستتبع تغيير النظام برمته ، وهو نظام لا خير فيه سوى الحرية .

ففي نظام الحزب الواحد ، يمارس الشعب الديموقراطية من خلال الحزب وعندما يحقق الحكم الثوري عدالة سياسية وعدالة اقتصادية اجتماعية ، يكون من حق القيادات والتنظيمات الحاكمة ان تنوب عن الشعب في ممارسة الحرية السياسية ، وتنتفي حاجة الناس الى النقد !

فالنظام الموجه ذو صحافة موجهة ، والنظام الحر صحافة حرة .

وعلى المسؤولين ان يختاروا : اما نظاما حرا بكل معاني الحرية ، واما نظاما موجها بكل معاني التوجيه !

اما ان يكون الساسة احرارا في ان يفعلوا ما يشاؤون من دون ان تكون للشعب حرية التعبير والنقد ، فهذا دليل عجزنا عن استيعاب دروس المحنة !

ولا نحسب اننا في حاجة الى مزيد من الشهداء والضحايا ومزيد من الخراب، لكي نتعلم بديهات الثقافة وألفباء المعرفة !

وقد آن للذين يفخرون بأن وطنهم انبت العباقرة ، ووزع العمران والاشعاع في الافاق، آن لمن يعتزون بمواهب لبنان ان يتركوه يحكم نفسه بنفسه منتسبا الى الحضارة !

شخصية لا تنسى : الدكتور زكي المحاسني

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

ـ ١ ـ

ما زلت أذكر مجالسنا الادبية في رابطة الادب الحديث في القاهرة ، وعلى ضفاف النيل الخالد ، التي كانت تضم صفوة من الادباء من مختلف انحاء العالم العربي . وكان واسطة عقدها هو الدكتور زكي المحاسني ، بروحه الصافية ، وحديثه الشاعري ، وتجاربه العميقة ، ونظراته البعيدة .

وكان المحاسني درة متألقة ، ومثالا فريدا ، وطرازا نادرا ، في كل جوانب شخصيته المتواضعة النبيلة .

ولد في دمشق الشام عام ١٩٠٧ ، ودرس في مدارسها ، ونال الحقوق السورية عام ١٩٣٠ ، ثم نال اجازة الاداب من سورية عام ١٩٣٢ حيث كان يدرس في الجامعة السورية ، وصار استاذا للغة العربية وآدابها في المدرسة التجهيزية الاولى بدمشق حتى عام ١٩٤٣ . وفي هذا العام بعثت به وزارة المعارف السورية الى القاهرة حيث نال شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية بدرجة جيد جدا ولم يلبث أن اسند اليه تدريس الادب العربي في كلية الاداب الحديثة بالجامعة السورية . وظل كذلك حتى عام ١٩٥١ حيث اختارته حكومة سورية ملحقا ثقافيا في السفارة السورية في القاهرة ، فقضى اربع سنين اخرى على ضفاف النيل ، ومعه قرينته الاديبة السورية الكبيرة السيدة وداد سكاكيني ، وانجاله ، يؤدي عمله الرسمي في السفارة ، ويشترك مع الادباء المصريين في حلقاتهم وندواتهم ومجالسهم الفكرية والادبية والثقافية وكأنه واحد منهم .

وفي عام ١٩٥٦ نقل الى دمشق للعمل في لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف السورية .

ولعل ما في الدكتور زكي المحاسني من ظرف وادب وذوق وانسانية مرده

الى يتمه ، فقد مات والده ولم يمض عليه غير عامين ، فرعته امه الحنون وعمه الوفي لصنيع اخيه معه . وكان والده من كتاب المحكمة الشرعية بدمشق، ومن اسرة عربية عريقة .

وكان الدكتور زكي المحاسني واسع الاطلاع على الادب العربي القديم والحديث ، وعلى الادب الفرنسي ، ملما بكل ما يصدر لاعلام الفكر العالمي، ذا ذوق اصيل ، وملكات عميقة ، مع اعتزاز كبير، منه بعبقرية العرب والاسلام وتراث العرب والاسلام وادبهم وفكرهم وحضارتهم ، ومع مجاراة للحضـارة الحديثة لا تبعده عن النبع الاسلامي الاصيل العميق المتمكن في نفسه .

ـ ٢ ـ

عين الدكتور المحاسني عضوا في المجلس الاعلى للفنون والاداب في سورية ، وقام بالتدريس في كلية الشريعة بمكة المكرمة التابعة لجامعة الملك عبد العزيز آل سعود ، ثم ندب للتدريس في كلية التربية في الجامعة اللبنانيـة عام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ وثلاثة اعوام بعده . وكان يشرف على مجلة « المعرفة » السورية في وقت من الاوقات .

وعين قبيل وفاته عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة تقديرا لعلمـه وفضـله .

ظل يكافح من اجل الثقافة والادب حتى استأثرت به رحمة الله فيالثالث والعشرين من مارس ١٩٧٢ بعد ان ابلى بلاء رائعا من اجل امته وبلاده ودينه وعروبته ، فبكاه اصدقاؤه وتلاميذه وعارفو فضله احر بكاء .

وكان مما يخفف عبء الكفاح عليه وجود سيدة فاضلة كريمة بارة بجواره هي زوجته الاديبة السورية الكبيرة وداد سكاكيني ، التي اقترن بها عام١٩٣٣ وهي من أصل لبناني، واحدى شهيرات الادب النسائي في العالم العربي اليوم.

ـ ٣ ـ

والدكتور المحاسني كاتب رصين الديباجة ، رائع الاسلوب ، وهو كذلك شاعر عمودي رفيع الصياغة ، قوي الموسيقى وشعره يرفعه الى منزلة عالية بين الشعراء المعاصرين ، وهو كذلك خطيب ومحاضر ومعلم وصحفي ودارس للادب العربي ، وناقد، وفقيه اسلامي ، وعلى الجملة فمواهبه أكبر من ان تحصى •

وكانت مقالاته ودراساته تزدان بها امهات الصحف والمجلات في مختلف انحاء العالم العربي وديار الاسلام،فهو من كتاب مجلةالرسالة والاديب والاداب والثقافة المصرية ومجلة الكتاب القاهرية ومجلة الكاتب المصري ومجلة الحج المكية ومجلة المنهل ومجلة المعرفة الدمشقية ومجلة الحديث الحلبية وسواها•

وصفوة القول انه اعطى وبذل كثيرا ولم يأخذ الا القليل ، وماذا اقول في اديب ملك كل مواهب الادب ، وخاض في كل ميادينه ، وكتب وألف اعمق الاثار الادبية ، ثم هولم تقدره بلاده حق قدره ، ولم تعطه الا التافه من المناصب التي كان يستطيع ان يخدمبلاده في اكبر منها واكثر •

ولكن الدكتور المحاسني كان مما يعوضه عن جحود جيله لعبقريته: زوجته السيدة وداد سكاكيني وابنه ذكوان وابنتاه ذكاء وأسماء ، حفظهم الله جميعا •

ـ ٤ ـ

اما مؤلفات الدكتور المحاسني فكثيرة منها :

١ ــ رسالة للدكتوراه ، طبعت عام ١٩٤٧ واعيد طبعها عامي ١٩٦٣ و ١٩٧٠ في القاهرة وعنوانها « شعر الحرب في ادب العرب في العصرين الاموي والعباسي الى عهد سيف الدولة »•

٢ ــ رسالة للماجستير طبعت في القاهرة عام ١٩٤٥ وهي بعنوان « ابو العلاء ناقد المجتمع » ثم طبعت في بيروت عام ١٩٦٤•

٣ ــ « النواسي شاعر من عبقر » طبع في دمشق ١٩٣٩ وفي بيــروت عام ١٩٧٠.

٤ ــ « المتنبي » طبع في القاهرة اعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٨ و ١٩٧١ .

٥ ــ ابراهيم طوقان شاعر فلسطين ، طبع في القاهرة عامي ١٩٥٩و١٩٦٢

٦ ــ دراسات في تاريخ النهضة العربية المعاصرة (بالاشتراك) نشرتــه في القاهرة الجامعة العربية عام ١٩٥٨.

٧ ــ الادب العربي المعاصر ــ نشر في القاهرة عام ١٩٦٠.

٨ ــ « أحمد امين » وهو محاضرات عن المفكر الكبير الراحل الدكتور احمد امين ألقاها في معهد الدراسات العربية العالية وطبع في القاهرة عام ١٩٦٣ على نفقة المعهد .

٩ ــ « عبد الوهاب عزام » وهو محاضرات ألقاها في المعهد نفسه عــام ١٩٦٨ وصدرت في العام نفسه كذلك.

١٠ ــ « ديوان الشريف العقيلي » صدر بتحقيقه في القاهرة عام ١٩٥٥.

١١ ــ « نظرات في أدبنا المعاصر » نشر في سلسلة المكتبة الثقــافية في القاهرة عام ١٩٧٠.

١٢ ــ «اساطير ملهمة» نشر في مصر عام ١٩٧١.

١٣ ــ الادب الديني ــ نشرته مكتبة الانجلو المصرية في القاهرة عــــام ١٩٧١.

١٤ « الشاب الظريف » وهو محاضراته في كلية الاداب بالجامعة اللبنانية عام ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ طبع في دمشق عام ١٩٧٢.

١٥ ــ « فقه اللغة المقارن » طبع في دمشق عام ١٩٧٢.

ومن اهم اعماله المخطوطة الخالدة الملحمة العربية التي نشر بعض فصولها

في مجلات مختلفة في حياته وديوان شعره ومحاضراته في الادب العربي ومقالاته ودراساته وبحوثه المختلفة ، وكلها يجب ان يعتنى بها واصدارها في مجموعة خاصة به .

ـ ٥ ـ

وبعد ، فقد كنا نقرأ للدكتور زكي المحاسني في حياته في مختلف الصحف والمجلات : المقالات الادبية والنقدية الرائعة، دون انقطاع ، وكنا نعجب لموسوعيته وألمعيته وعبقريته جميعا . فلما مات سكت الصدى ، وفقدنا هذا الطموح والامل والعمل والفكر الرفيع .

ولكن ان مات المحاسني ، وغيبته احجار ورمال ، فان ادبه خالد على مر الايام لا تغيبه عن عقل وفكر كل عربي ومسلم عاصر الحياة واحداث الزمن والعصر ... ان المحاسني بتراثه حي لا ينقطع له ذكر ، ولا تفنى له حياة .

إن صدى مواهبه وادبه سيظل يدوي في كل افق ، ويضيء كل درب، ويلهم كل مثقف واديب وكاتب وناقد في مختلف بلاد العروبة والاسلام .

رحمه الله ، انه لجدير بالذكر والخلود والحياة .

د. محمد عبد المنعم خفاجي
الاستاذ بالازهر الشريف

المراجع :

١ ـ فصول من الثقافة المعاصرة ـ لمحمد عبد المنعم خفاجي ـ ص ٧٤ ـ ٨٥ ـ طبع القاهرة سنة ١٩٥٨ .
٢ ـ مصادر الدراسة الادبية ـ القسم الثاني من الجزء الثالث ليوسف اسعد داغر ـ طبع بيروت سنة ١٩٧٣ ص ١١٢٥ ـ ١١٢٨ .

الاستاذ العظمة في شعره ونثره

بقلم: حسان الكاتب

- ١ -

من الصعب تعليل العبقرية والمواهب الفطرية ، والاستاذ الكبير احمد مظهر العظمة هو - الى جانب ما وليه من مناصب عالية - شاعر موهوب ، وكاتب اديب، وخطيب مفوه ، وكان لنشأته في اسرة محافظة ودراسته الادبية الى جانب دراسته الحقوقية ومطالعاته الكثيرة لامهات الكتب والصحف وتدريسه العربية وآدابها وعمله الدائب في جمعية التمدن الاسلامي وجولاته في البلاد العربية والغربية - اثرا في شعره ونثره دون ان يلفته شيء عن مأثرة من مآثر امته .

جعلنا كلمتنا هذه اربعة اقسام : اسرة آل العظمة ، وحياة شاعرنا استنادا الى إجوبته عن اسئلتنا ، وشعره ، ونثره .

- ١ -

اسرة آل العظمة :

اسرة عريقة في دمشق ، استوطنتها واستمرت منذ اربعة قرون ، شأن معظم الاسر العريقة فيها . يرجع نسبها الى التركمان ، وهم فرع من الترك . واول من عرف منها (حسن بك تركمان) المتوفي عام ١٠٤٠هـ وقد اشتهر بلقبه التركي (كميكلي) اي العظمي ، قدم دمشق من (قونية) التركية في اوائل القرن الحادي عشر الهجري معينا بوظيفة (كتخذا) اي زعيم الجند الوطني، وبنى في موقع باب المصلى بدمشق دارا له كانت حينئذ اكبر دورها ، ثم بنى دورا لاولاده وأنسبائه حتى كان من ذلك حي واسع عرف بحارة التركمان،

* هذا هو القسم الاول للقسم الثاني الذي نشر في العدد الاول من هذه السنة .

احترقت خلال فتنة الوالي ابراهيم باشا الدالاتي الكردي سنة ١٢٠٢ وانشيء محلها زقاق الموصلي.

رزق حسن بك محمد بك الكبير، وموسى باشا . وولي محمد بك الكبير كأبيه زعامة الجند، وولي موسى باشا زعامة الجند ايضا كأخيه وابيه. ونبغ من اولاده حسين بك (ت١١٣٢) وكان اميرا سخيا ذا فضل وشعر وكتابة ...

وقعت نكبة اصابت هذه الاسرة فقتل من قتل من رجـالها، وآثرت البقية الباقية العزلـة حينا الى ان نشـأ منها اسماعيل بـاشا (ت ١٢١٠) بن محمد بن حمدان التركماني، الشهير بالعظمة، وصار نائب (كتخدا) ايالة الشام، اعقب ولدين: ابراهيم بك ومحمد بك، ومات عقيما ... الخ (١).

- ٢ -

كانت ولادة الاديب الشاعر صباح ٦هـ ـ ٤ ـ ١٣٢٧هـ الموافق ١٧ـ٥ـ ١٩٠٩ م. توفي والده أحمد بك عام ١٣٣٦ وكان في نحو الثامنة من العمـر، حافظا للقرآن المجيد ومزارعا ووجيها ومتحدثا فاضلا، فذاق بوفاته اليتـم المبكر، وعاش في كنف والدته الحسيبة الحنون السيدة زينب السفرجـلاني بنت السيد احمد السفرجلاني مؤلف (السفينة الموسيقية) ورعاية اخ له وفي هو عبد القادر بـك .

ادرك عهد الكتاب وختم فيه تلاوة القرآن الكريم الاولى، وانهى الدراسة الابتدائية في مدرسة حي البحصة(المدرسة الرشدية سابقا) ثم الدراسة الثانوية في مدرسة التجهيز (مكتب عنبر) وحصل على شهادة التحصيل الثانـوي (البكالوريا الثانية، شعبة الفلسفة) عام ١٩٣٢، ثم انتسب الى معهد الحقوق والى مدرسة الادب العليا (كلية الاداب) في الجامعة السورية وتخرج عـام ١٩٣٥.

تزوج في ١٥ـ١٢ـ١٩٤٠ ورزق خمسة اولاد منهم اثنان من الذكـور هما الان في دراستهما الجامعية .

تأثرت ثقافته الادبية والعلمية والاجتماعية بدراسة الادب الفرنسي خلال

الدراسة الثانوية ، كما تأثرت برحلاته شرقا وغربا (٢).

دعا الى تأسيس جمعية التمدن الاسلامي بدمشق عام ١٣٥٠هـ ١٩٣٤م، والقى باسمها عام ١٣٥١هـ اولى محاضراته في قاعة المجمع العلمي العربي بمناسبة ذكرى المولد النبوي ، وبقي امينا لسرها حتى توفي آخر رؤسائها العالم القاضي الجليل الشيخ محمد حسن الشطي عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٢م) فانتخب الاستاذ العظمة رئيسا لها ، وقد كان ينهض في الحالين بمعظم أعمالها ، ومنها رئاسة تحرير مجلتها التي تطوع لها منذ اصدارها في ربيع الاول من عام ١٣٥٤ هـ ـ نيسان ١٩٣٥ ، حتى الان .

وتعاون وبعض العاملين في جمعيات اخرى ، ومن ذلك عمله في المؤتمر الكبير لنصرة الجزائر الذي دعت اليه جمعية انصار المغرب العربي بالاتفاق مع رابطة العلماء ، وقد انتخب أمينا عاما للمؤتمر في دورته عام ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٦٠م، وقد صدرت عن المؤتمر مقررات هامة في حينه منها الدعوة الى تأليف حكومة جزائرية .

سافر الى لبنان للنزهة ، والى العراق مدرسا ، والى مكة المكرمة والمدينة المنورة حاجا عام ١٣٦٣هـ ، والى بلجيكا موفدا عام ١٩٥٠ من وزارة التربية والتعليم للاشتراك في دورة تدريبية دعت اليها منظمة (الاونسكو) العالمية للعمل المشترك في سبيل السلام بواسطة الكتب المدرسية وغيرها وللتفاهم بين الدول بالقدر المستطاع ، وسافر الى فرنسا وهولندة وانكلترا سائحا ، والى مصر عام ١٩٥٧ عضوا في وفد الوحدة الثقافية .

دعي في عام ١٩٥٠ الى عضوية المجمع الاسلامي الدولي للعلوم والاداب في بولونيا .

كما دعي عام ١٩٥١ لعضوية المجمع العلمي لحوض البحر الابيض المتوسط (بالرمو).

الاستاذ العظمة والفن :

وللاديب الكبير مواهب فنية ذات آثار في الزخرفة والخط ، فقد تأثر بالفنان الراحل الاستاذ عبد الوهاب ابو السعود الذي درس في الرسم في

التجهيز الاولى بدمشق ، كما تأثر بمدرس الخط ـ الخطاط الكبير الاستاذ ممدوح شريف الذي كان يدرس الخطوط العربية ومنها الكوفية .. فتتبع الاستاذ العظمة الفنين الزخرفة والخط الكوفي في كثير من آثارهما في دمشق وحلب والقاهرة وبغداد ، وتصفح بعض المراجع مثل كتاب الحمراء الذي صور جملة من النقوش والخطوط الاندلسية ، حتى اصبح ذا ملكة في هذين الفنين . نقش لوحات عديدة ذوات زخارفة وخطوط كوفية ، كما زخرفه او خط عناوين كتب ومجلات ومقالات وبطاقات ، من ذلك زخرفة كتاب « امريء القيس للعلامة استاذه سليم الجندي ، وكتابة عنوان « الاسلام والفن » للاستاذ المربي محمود مهدي استانبوني (صديق الشاعر)» ومجلة التمدن الاسلامي في حجومها العديدة وكثير من مطبوعاتها ، ومجلة «الرسالة المصرية» .

اشترك في معرض الصناعات الوطنية الذي اقامته في دمشق وزارة الزراعة والتجارة في تشرين الاول عام ١٩٢٩ ، وكان تلميذا في التجهيز حينئذ ، فحاز شهادة الدرجة الثانية من قسم النقوش و (ميداليتها) واشترك في المعرض الزراعي الصناعي السادس الذي اقامته بالقاهرة الجمعية الزراعية الملكية في تشرين الاول عام ١٩٤٩ ، وحاز شهادة الدرجة الثانية وميداليتها من قسم (لوحات ونقوش عربية) خارجية .

مارس المحاماة فترة قصيرة بعد تخرجه من معهد الحقوق ، ثم التدريس في وزارة معارف العراق في ٦ـ١٠ـ١٩٣٦ ، وعين مدرسا في تجهيز البنين بحلب في ٢٢ـ١١ـ١٩٤١ ، ثم عين رئيسا لكتاب الضبط في ديوان المحاسبات بدمشق في ١ـ١١ـ١٩٤٣ ، وفي عام ١٣٦٠هـ ـ ٣١ـ٥ـ١٩٤٧ ، استقال لترشيح نفسه للنيابة ، وزعم المسؤولون بعد نجاحه وجود خطأ في جميع الاصوات !.. وصرح في مجلس خاص موظف كبير مطلع بل مشرف ، ان ايعازا ورد المحافظة مصحوبا بضبط مزور ، فوضع محل الضبط الصحيح ، فكان ذلك سبب عدم نجاحه وكان اكثر المرشحين اصواتا لخوض الدورة الثانية ، وجاءت الدورة الثانية فكانت اكثر تزويرا واظهر عدوانا ، وقاطعت المعارضة الانتخابات في دورتها هذه ، وقدمت الى المجلس النيابي طعونها على غير جدوى ، واشتهرت ظلامته بين الناس ، واطلق عليه وقتها (النائب الشعبي) .

عين عضوا للجنة التربية بوزارة المعارف في ٦ـ٣ـ١٩٤٨ وكالة ثم اصبح اصيلا في ١٣ـ٨ـ١٩٤٩ ، واصبح في ١٨ـ٢ـ١٩٥١ مفتشا للدولة ، وفي ١٠ـ٢ـ١٩٥٩ عين رئيسا لمكتب تفتيش الدولة . ثم اصبح وزيرا للزراعة في ١٧ـ٩ـ١٩٦٢ وقد اضيفت اليه وزارة التموين وكالة في ١٦ـ٢ـ١٩٦٣.

عاد الى رئاسة تفتيش الدولة في ١١ـ٣ـ١٩٦٣ وبقي رئيسا حتى احيل على المعاش في ١٦ـ٩ـ١٩٥٩ فقال :

أحلت على التقاعد وهو عجز ولكني سأجعله اقتدارا
ومن يزرع بذور الخير دأبا يجدها تملأ الدنيا ثمارا

له مؤلفات عديدة :

في التفسير : جزء عم ، وتبارك ، وقدسمع ، والذاريات ، وسورة لقمان (طبعة مدرسية) ، وسورة الحجرات ، وسورة لقمان (تأليف جديد مفصل).

في شرح الحديث النبوي : من الهدي النبوي (استلت الاحاديث من بعض اجزاء كتاب من هدي الاسلام) ، وعشرون حديثا (استلت من مجلة التمدن الاسلامي).

في الثقافة الاسلامية والتوجيه الإذاعي والمنبري والمدرسي : مذاعات ، سبل الاسلام ، نحو حياة مثلى ، حديث الثلاثاء (خمسة كتب) ، من هدي الاسلام (خمسة اجزاء لصفوف الحلقة الثانوية ودور المعلمين والمعلمات) ، التربية الاسلامية (جزءان ثانويان) من اعجاز القرآن ، الايمان وآثاره ، ديوان الخطب (مع لجنة رسمية) .

في التاريخ والحضارة : علي بن ابي طالب (من سلسلة عظمائنا للصغار) شرار بني اسرائيل والصهيونية (محاضرة). الثقافة العربية ، حضارتنا ، الاسلام ونهضة الاندلس .

في الادب : خواطر في الادب ودراسة نصوصه ونقدها . ديوانا شعر : دعوة المجد ، ونفحات ، مقالات في مجلدات مجلة التمدن الاسلامي الاربعين وغيرها ، لم تجمع كلها كما جمعت كلمات متسلسلة ومقالات كثيرة .

- ٣ -

شعر الاستاذ العظمة :

شعر صادق ، يلمس قارئه ذلك في كل قصيدة من قصائده ... في سمو نفسه وارهاف حسه ونبل غايته .

قال الشعر الكثير في اغراض شتى كما سنبين ، ولم يقل ولو بيتا واحدا فيما لا يؤمن به ، ولا فيما لا غناء للمجتمع به .

نلاحظ في شعره اسلوبا عربيا اصيلا ... اصالة في الكلمة الفصيحة ، واصالة في النسج العربي ، فهو جزل الالفاظ ، محكم البناء ، مشرق الديباجة ، لا لغو فيه ولا قلق ولا اعنات ، ولا اغراق في خياله يجعله كالاساطير ، ولا اسراف في تزيينه ، كدمى الاطفال .

وشاعرنا ليس شاعر مناسبات وحوليات يقتصر عليها ، كلا ، فهو كالمرآة تتجلى فيها المرئيات ، تثبت فيها المرئيات .. فهو يعلم ان الشعر من الشعور ، وليس لهذا خيار ، اذا كان مرهفا في تقبل الالهام او تركه ، الا اذا كان وسوسة تخالف سيرته واباءه .

قال في مقدمة ديوانه الاول دعوة المجد (... لكن الاجادة في القريض لا تكون الا بعد معاناة من اللسان والجنان والوجدان ، حتى يحسن صاحبها التعبير عن خفقة القلب ، وجولة الفكر ، وهمسة الخاطر ، ورجفة الانين ، وحرارة الحنين ، والوان النظرة ، ونجوى الزهرة ، ورقصة الفنن ، وبسمة الشعاع ، وزينة السماء ، وبكاء الطلل ، وغضب العاصفة ، ووحي الهداية ..)

هذا الاحساس الشامل ذلل له عقبات التعبير عن المعاني الصعبة ، من عالم النفس والفكر والقلب ، انظر اليه كيف عبر بدقة عن معنى الشعور بما لا يراه الناس وهم عنه غافلون :

أرى لعيني عينا فهي تبصر ما قد ينكر الناس في الاشكال والسير

اني ارى اكثر الاشياء تدهشني والناس من حولها كالغافل الحجر

وكم ارى الحسن في شيء يمر به ... اهل العقول مرور الصخر بالبشر
وقد امر بنفسي وهي في دعة ... فألحظ العالم الموار بالصور
هذي تروح وذي تغدو مسيرة ... بقدرة تعجز العالين في العصر

وهكذا يعيش مع العالم الموار بالصور والناس يمرون عليها تصحبهم الغفلة ، وبعض ذلك في الماضي الذي يبعثه الشاعر ويعيش فيه :

في رجعة من رحاب الدهر ماضية ... ومرتع في ربا الاحداث والاثر
كأن أمس حياة الدهر مجتمع ... في ساحة العمر بالتاريخ والعبر

وبهذه الدقة والابداع يمضي الشاعر الكبير حتى يستكمل وصفه لما يشعر به ، فيكون من قوله لنفسه :

فأنت في جسد والكون يسكنه ... كأنك البحر والايام كالدرر

وقد تكون الصورة (لقطة) سريعة ، ولكنه لا يفلتها ، بل يدعو الخيال لوصفها واخذ العبرة منها ، كما نجد ذلك في قصيدته « نجدة الحمائم » وهي قصة صغيرة رائعة في سبعة وعشرين بيتا ، والقصة هي رؤية الشاعر حمامة وقفت على قفص عصفورة ، فتخيل حوارا بين سجينة ، وحرة من الطير ذهبت لتنجدها الحمائم ، فأبطأت ، فماتت العصفورة التي تركت أثرا داميا وهي تحاول كسر الحديد بمنقارها . قال شاعرنا العظمة في آخر قصيدته هذه :

هب الطيور لنجدة ... ودنوا من السجن اللعين
فاذا السجينة ميتة ... من حولها دمها المبين
قد حاولت ليا لقضـ ... ـبان فما اجدت ظنون
ورمى الحديد بأسه ... منقارها الدامي المتين
اين الحمائم ؟ لم اجد ... ها منجدات ، أين ، أين
من رام انجادا فلا ... يبطيء ، فقد يقضي الحزين

جولة بين اغراض شعره :

في ديواني الشاعر ابتهالات الهية ومدائح نبوية اجمل من العرائس الحسان ، كأنهن حور الجنان ، في الصفحات (٥ـ٢٩) من ديوانه الاول « دعوة المجد » وفي الصفحات (٥ـ٢٥) من ديوانه الثاني « نفحات » يصحب ذلك وعي ومعرفة وسماحة ، ومن ذلك قوله في قصيدة (تسبيح الخلائق) اذ يقول فيها :

ومن عجب ان الطبيعة كلها ذواكر لله العظيم خواشع
وقد زادنا هذا الفضاء وما به عجائب تقدير لرب يطلع
وقد امسك الرحمن كلا بقدرة لها الحم والتمجيد والعلم يسطع
فسبحانك اللهم مجدك جامع وكل قلوب الكون نشوى تضرع

ومن ذلك ايضا قوله بعنوان (صلوات):

وكل خلية مني صلاة لرب الناس رب العالمينا
فجسمي مسجد وتعج فيه ملايين العباد الذاكرينا

وقوله في قصيدة ذكرى المولد النبوي مفتخرا بعروبته ومعتزا بهدايته :

قلت للبيد في الهجير وصدري خافق الوجد منشد بسام
والصحارى وما اعز الصحارى من ظلال الامجاد وهي ترام
ان هذا الثرى لينبت شيحا وخزامى طابت به الايام
واقام البان والقمر الوسنان والريم والمها والنعام
كيف اضحى للنور يمرح فيه كيف امسى ومجده الاعظام
ما الذي هز تربة فاذاها تنبت الفاتحين وهي عقام
خالد منهم وسعد وعمرو وعبيد وعامر واسام

وقوله في قصيدة بعنوان (حج البيت) يبث فيها الماضي وشعوره ببراعة وجمال :

هنا الخليل، هنا الهادي الرسول، هنا صديقه ، وهنا الابطال والعظم
أني سريت اري ذكرى اسامرها اري نضالا وثغر المجد يبتسم
يا قلب كم كنت تزجيني وتهلني وانت نشوان والتاريخ مرتسم
يا عين كم كنت في الماضي ونشوته جوالة في رحاب فضلها عمم
ترينني من علا الامجاد امكنة تشع نورا واقطار الدنا ظلم
قد كنت اسمعها ام كنت ألمسها كأنني شاهد لو انني القدم
ان ضقت ذرعا رجعت القهقرى املا فسرني النيران : البيت والحرم
وجلت في مهبط الانوار ساطعة وعدت مبتسما بالحق أأتمم

وفي ديواني الشاعر حكم كثيرة وعظات غزيرة انتشرت بين قصائد شتى ، من ذلك قوله في آخر قصيدة العلم :

يا زمان الكهوف كنت صبيا اترانا قد اختلفنا مآلا
قد تنال النجوم يوما وتغضي عن نجوم في ذاتنا تتلالا
شغلتنا لذائذ العصر عنها أترانا تبقى الزمان كسالى

وللاستاذ الشاعر قصائد روائع غر في الوطن والمجتمع وتاريخ الابطال في ديوانيه .

وقد ربط سعادته بسعادة وطنه وهدايته ، اذ يقول بعنوان (وطني):

وطني سعدت اذا سعدت فهل ترى روحي المحبة قلبها بساما
قد طال ليلي في هوانك باكيا حتى غدا حكم العدا أحلاما
وعلت ربوعك عزة بسامة لعلاك يا وطنا محا الاسقاما
لكن آثام الدخيل تمردت وتجاذبت زمرا ترى الاوهاما
فغدا الحكيم يراك تجتنب الهدى بدل الهوى ، فتزيده ايلاما

فتكـاد تذهب نفسـه ألمـا وما تصغـي الى نصح شكا الآثامـا
ولربمـا اتهموه عدوانـا وما زادوه الا جـرأة وكـلامـا
ولربمـا اضحـى غريبـا فيهم رأيـا وحظا عابسا ومرامـا
وطني سعـدت اذا رأيتك باسما ترجـو الرشاد وتهجر الاصنـامـا

ويتغنى بوطنه ويذكر بالمجد والبأس فيقول :

بشراك يا وطنـي فمجدك شـامخ ابـدا وليثك دائمـا مقـدام
وعنـاية الرحمن حولك اعين والحـق في حرم البـلاد امـام
نصب الفرنسيس اللئام شراكهم فرمتـهم فـاذا هم انعـام
لا تخدعنـك يا جبـان مدافع فعليـك صب شواظها العـلام
العـدل دمر ما بنيـته وربما هدمت حصون الظالم الاقـلام
والحق يهزأ بالحديد ويزدري شـم الحصون واهلهـا ظـلام

وقد وضع الشاعر اول نشيد للطيران السوري في عام ١٣٦٦هـ الموافق ١٩٤٩ م اذ يقول فيه :

عشقنـا الحياة بأوج العـلاء فطرنـا وشدنا تخوم السمـاء
فغردت الشمـس بسامـة لمن عزمهـم كاد يغزو الفضـاء
وهز الشـآم بلوغ الشهـب
فهـذي السماء غدت موطنا يحلـق فيها شباب المضـاء
فيـا جو بشـراك ان الذي غـزاك الهدى والنهـى والوفـاء
فـأكرم بصقر العلا والادب
فيـا حرم الوطن المفتدى سمـاء جنا وارضـا ومـاء
ستلقـى جنـودك مـا مثلهم سوى الليث يحمي عرين الرجاء
هـداة اباة حمـاة العرب

ويقول في مطلع قصيدة طويلة رصينة بعنوان « ذكرى الشهداء » :

ابى المجد عونا ما خلا الحق والعضبا ... فأصبح يهوى مشرق العلم والحربا
كذلك كان العرب سيفا ومشملا ... فمن لم يكن شبلا فما عرف العربا
فما همة النور الذي فضض الدنا ... بأرفع شأنا حينما انتشروا شهبا

الى ان يقول مذكرا باعداد القوة :

ومن ظن ان الشم تندك بالحصى ... اذا حصيت ، فالحمق افقده اللبا
تهاب الجبال الراسيات بنظرة ... فكيف اذا ثارت براكينها ضربا
ويخشى الجبان السيف وهو بغمده ... فكيف اذا سل الشجاع له عضبا
ومن هادن الابطال غدرا فانه ... سيحصد مكرا لا يقيم له جنبا
فوا شوق نفسي للرجال كأنهم ... جبال فما تنفك تستصغر الحصبا
وواشوق نفسي للسيوف كأنها ... حتوف فما تنفك تستسهل الصعبا

ويرحب في حفلة باشبال الجهاد المتطوعين ، ويحمل على وعود الغرب السياسية فيقول من قصيدة بلغت تسعة وثلاثين بيتا :

في الامس قد خان العهود وما رعى ... (حسينا) ولا القى ضميرا يعاتبه
فجاس (النبي) دار مجد ممرد ... واعلن نصرا ظفره ومخالبه
واعلن (بلفور) الخديعة وعده ... (فصهيون) منها وهي غضبى تحاسبه
رويدك يا مجزي اللئام بوعده ... فمن ماله يعطي جواد وكاتبه

الى ان قال :

لقد ضج منهم كل شعب وامة ... فألقتهم ركلا وصفعا تجاربه
أمسكم يا مجلس الامة لوثة ... ام الاصفر الرنان تغري كواكبه
فلسطين قلب للعروبة نابض ... وان الردى بعد اقتسام يصاحبه

وهيهات ان يحظى العدا بسوى الردى فحظهم من قلب عرب نوائبه
تهاب سيوف النصر وهي ضجيعة فكيف اذا ثارت وسارت كتائبه

وقال في قصيدة رائعة صارخة وكانت الحفلة التي انشدت فيها تحت رعاية وزير المعارف مذكرا وموجها :

يا وزير العلياء يا شاعر الشـا م المرجى يراعه وجنانه
يا خليلا رعيت جيلا جليلا يبتغي المجد مشرقا قرآنه
عربيا لا اعجميا ولكن تتجلى اخلاقه وبيانه
يتباهى بخالد وبسعد وصلاح ميزانهم ميزانه
ويقيم الصلاة شكرا لمولا ه ويلقاه برهم اخوانه

حسان الكاتب



الـدارة

مجلة فصلية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

وهي مجلة بقطع العرفان طبعت طبعا جيدا على ورق ابيض عدد صفحاتها ٢٧٥ صفحة تحتوي على مواضيع قيمة ومقالات رائعة وهي بتوجيه من العاهل العظيم صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز الذي جمع الى المجد والسؤدد الحنكة في السياسة والذوق الادبي الرفيع .

العرفان : ترحب بالزميلة العزيزة وترجو لها التقدم والازدهار .

شعراء كربلاء المعاصرون

عدنان حمدان

بقلم: سلمان هادي الطعمة

برزت في مدينة ابي الشهداء في الآونة الاخيرة ثلة من الشعراء الشباب، ذاع صيتها ولمع نجمها وبلغت شهرتها حدا لا يوصف ، ونالت منزلة رفيعة بين رجال الادب مما خلد لها الذكر الحسن على مر العصور وكر الدهور .

في كربلاء ، بلد الفكر والادب ، ولد عدنان حمدان جروان سنة ١٩٤٧م واكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة ، ثم دخل دار المعلمين الا بتدائية، فتخرج فيها سنة ١٩٦٦ وعين معلما في مدارسها ، ولم يزل يمارس مهنة التعليم في احدى مدارس كربلاء .

عدنان شاب ذو روح مرحة جذابة ، صادق اللهجة ، متقد الوجدان ، حلو الشمائل ، لطيف المعشر ، وهو مقل في النشر ، يؤمن بالتجديد ويترسم خطاه.

وهو بعد ذلك شاعر سريع الخاطر ، جيد القريحة ، ينم شعره عن رقة في الشعور ورهافة في الحس وفيض من العاطفة وانقياد للقوافي دون تكلف . اسمعه في قصيدته « مناجاة ابي تمام » يحيي الشاعر العظيم في ذكراه العطرة التي لا يسدل الزمن عليها ستار النسيان فيقول :

مرت بي الذكرى ولكن اللظى آبدا يصب النار في اعصابي
أشكو اليك وانت أكرم من له يشكو المعنى من شديد مصاب
وطني تمزقه المدى وكرامتي شلوا على الاظفار والانياب
كل له بدمي وارضي مطمع يا صاحب الذكرى فاين صحابي؟
قدست امرك لو تصيخ لصوته من مجمع عرب ومن اعراب

بينته نهجا رؤاه جحافل | لجب ورفرفه اصطلام حراب
بالسيف ترتجع الحقوق مصانة | فالسيف اصدق من مقال كتاب
فمشت ترددها الدهور متى ارتأت | عزا تصول به اسود الغاب
وتنكب المتخاذلون سبيلها | من خائن دنس ومن هياب
ومقاتل بالاغنيات عنيفة | ومقارع صف العدا بسباب
يتخادعون كأنما ثاراتهم | ما بينهم ، يا لوعتي وعذابي
حتى اذا جد الوغى لزتهم | عصب تكيل لهم امر حصاب
فهناك يشكون الاذى لعدوهم | شكوى الخراف لمدية القصاب

ومن قصيدة له بعنوان « الشاعر والفداء » وهي صورة رسمتها بريشته الشاعرية الامينة :

زخم الفداء فديت من متحدر | قدران من ذر وشم مسراق
مرحى ليومك حيث شد عيوننا | شغفا بآمال لديك منباق
وهفت قلوب كاد يوقف خفقها | يأس تسلمها من الاعناق
قنطت لكثرة ما جنت من قادة | زيفا ومن بسرق لهم ألاق
كثرت بنا الابواق في زعقاتها | حتى ضجرنا كثرة الابواق
عشرون والحرب الكذوب مقيمة | لكن بلا قدم لها او ساق
عشرون عاما والثغور غضوبة | نيرانهن رهينة الاطلاق
و «القمة» المسكين يشكو بؤسه | وهزاله لمقسم الارزاق
وسرت احابيل تخادع تارة | لتضيق في اخرى الى الاشناق
واللاجئون فريسة الاملاق | نزلوا بكل ركية ووطاق
واذا بهامك من وراء غياهب | متأزم متوقد الاحداق

يعدو وملهبة الذحول جواده (كالشنفري) في عدوه السباق
وضاء تحمل الف فجر كفه لدجنة عجزت عن الاشراق
فطفقت تحرق يأسنا بملاحم بوركت من مقحامة حراق
وتزيل عارا ظل شعبي كله من حيفه متواصل الاطراق
والعار يعلق بالذليل ومناله غير الدماء سخية من واق
فازحف لتبلغ ما كرعت من اجله مليون كأس للعذاب دهاق
وافتح فان وراء (فتحك) امة سمحاء لا تخشى من الاتفاق
لا تبتئس بالتضحيات فانها لعروسة التحرير بعض صداق
والموت في ظل العقيدة خمرة صهباء والرشاش كأس الساقي

واسمعه في قصيدة اخرى عنوانها « خواطر من افق النكسة » حيث يقول :

حتام يحدو خطانا الشعر والخطب وفي حزيران فر السادة النجب
راحوا لرد فلسطين التي اغتصبت فضاعت القدس والجولان والنقب
أعزتهم عزة بالاثم فاندفعوا الى المهاوي فكان الهلك والعطب
وسوفونا طويلا انهم رسموا للحرب خطتها والنصر يقترب
حتى اذا حان يوم الفصل واصطرعت قوى الفريقين بان الزيف والكذب
فراح صرحهم يهوي وجذوتهم تخبو وغطرسة المغرور تضطرب
وحل نسل يهوذا في مطارحنا يمشي الهوينا فهل من بعد ذا عجب؟

★ ★ ★

يا سادة الحرف مات الحرف محترقا على رمال بها « النابالم » يلتهب
دعوه ان لنا في مدفع هدر غنى ولا تسألوني ثم ما السبب

سلوا الحروف فهل ردت جحافلها	غزوا وهل هطلت من سحرها السحب
اني كفرت بشتى مـا نحاولـــه	الا الرصاص ففيه السؤل والارب
خمس وكـل لسـان ماضغ لغة	كمـا يريد فـلا ضـل ولا جلب
فما استعدنا بها شبرا ولا ارتعدت	فرائص لغـزاة لاولا رهبـوا
بل انهم قد عتوا من بعد واعتصموا	بما غزوا من اراضينا وما سلبوا

وفي انسجامه مع خيال المتنبي يصفه بانه :

.. ألق المطامح خالب ابصـاره	تلقى بـه الاوطان لـلاوطان
أسيان مجروح المواهـب لـزه	جنـف السرى وتنكر الاعـوان
يستوعب الاحداث وهو لها أخ	عزمـا وجزما دون اي هـوان
لتظـل في الاحداث مهما أعنتت	بصمـاته ، اطروحة الانسـان

ثم ينتقل الى مخاطبته :

أأبا محسد اي جرح شـاخب	من يوم «فاتك» مثقل الاركـان
جرح حدود الدهر بين شفاهـه	وله لى افق اللغى شفقـان
لم يرض (كافور) طموحك لومشى	يهديـك كـل التبر والمرجان
خلدت من أطريـت او ازريتـه	فهمـا بحي الذكر يستويـان
يـا مانح العنقود خمرة روحـه	للان خمرك مسكـر الندمـان

وترى الكآبة تنز بها اعوامه الخمس والعشرون :

خمسا وعشرينا تنز كـآبـة	وتقيء آلامـا مدى الاحقـاب

فهي على كدر مطرد :

خمس وعشرون ألوانا بهـا كدر	لا تستقر عـلى لون من الكدر

وعنده ان الاداب هي اقرب آصرة بين الناس :

لو قيل اي قرابة بـين الـورى اسمى لقلـت قرابـة الاداب

وفي احدى خمرياته لا تفتأ خمرته معاقرة له حتى الصباح :

وظل حتى الصبـاح الخمر قرقفها يرخي على اقرب الافاق بالحجب
وناء كلكلهـا ثقلا شعرت بـه ينيح فوق الجفون النخس والهدب
لم أدر هل مقة بالنفس تربطهـا ام انها اعتصرت في حانة العصب

وله في الخمر :

أشتهي الخمـر حين ألمح للكـأ س نديمـا بمقلتيـه احورار
امزج الخمر باللمى وكؤوسـي شفتـاه على شفاهـي تـدار

وهو في صباباته يساعف النجم حيث تصوره وهو مسمر يرتجف ،عاشقا مدلها مثله ، لذا يخاطبه مطمئنا :

يا ايها النجـم لا تضجر فان بنـا من الصبابات مايطغى على الضجر
هون عليك فانا معشر مزجـت ارواحهم بالهوى من عالم الصغر
وأي قلب سليـم لا تداهمـه نجل العيون ترش الروح بالحور

وهو يشقى لتسعد الحروف، فالضاد عنده رمز عتيد لكل المعطيـات الادبية ، اسمعه يقول :

أبيت اكرع آلامي فتسكرنـي ودون نشوتها يعشوشب الغضب
وللحروف مراح يلتظـي ضرمـا في كـل ناحيـة مني فأكتئـب
وضاق مما أرى صحبي فقلت لهم انا كحاطـب ليل فاتـه الحطب
هذي الحروف نرويهـا فتظمئنا وكم مشى ـ حين يغذوها ـ بنا السغب
عشنا لها حرسا ان مسها جنـف يومـا ، وثبنا وكل دونهـا حدب

عاشت بأفكارنا جذلى ونحن بها ... نشقى واعصابنا الاوتار والطرب

فيا رعى الله من اضلاعه طويت ... على فؤاد لغير الحرف لا يجب

وله في هذا الباب موارد عديدة في مختلف قصائده •• وللشاعر مؤلفات وبحوث ما زالت تنتظر الطبع وهي :

١ ــ الطغرائي (صاحب لامية العجم) دراسة وديوان • تناول فيهما الطغرائي من كل جوانب حياته ، الاجتماعية والسياسية والادبية خاصةلاميته وكل ما عورضت به من الشعر •

٢ ــ دراسة عن (شمس المعالي قابوس بن وشمكير) من امراء وشعراء القرن الرابع الهجري • نشر قسم منه •

٣ ــ دراسات عن ادباء وشعراء من الاندلس كأبن شهيد وابن هاني وسواهما •

٤ ــ الحمامة في الشعر العربي (بحث ادبي لغوي) وهو موسع ومصنف

٥ ــ ديوان شعر •

اضافة الى ما تقدم ، فللشاعر عدنان حمدان مقالات وخواطر اديبة سيكتب لها الخلود كيمايواصل اداء رسالته الكريمة المعطاء في تواضع مأثور وصمت بليغ •

كربلاء ــ العراق

سلمان هادي آل طعمة
عضو رابطة الادب الحديثفيالقاهرة

عبد الحميد بن باديس باعث نهضة ومنقذ أمة

بقلم الدكتور محمد علي الزعبي

- ٢ -

نموذج من جهود بعض اعلام الجمعية

١ ـ الشيخ العربي التبسي

هو احد أركان الجمعية منذ عام تأسيسها ، وهو أمينها العام المشارك في مخططاتها الكاتب في جرائدها ، ومنسق القوافل التي تحمل وعظها وارشادها وتبشيرها ؟

توفي ابن باديس فحمل نائبه الشيخ البشير الابراهيمي ، مهمات الجمعية، وما كاد الاستعمار يدفعه لاحد المنافي الصحراوية ، ويفرح بمرض الشيخ مبارك الميلي، حتى اتجهت الانظار للشيخ العربي التبسي، وهو ذو اطلاع واسع على الاحاديث النبوية والتفسير مع العناية بتأويل الايات المتشابهة تأويلا ينقذ التائهين •

قام بمهمة التعليم المسجدي بمدينة سيف ، فوهب ليله للكبار ، ونهاره للصغار ، واسس النوادي،ليلتقي بالجمهور، ويستل من صدره نفثات التوجيه الاستعماري، الذي تحالف على نفثه التصوف المغرق والمدارس الموجهة،ويذكره بالكلمة النبوية (المؤمن الف والوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف)• فتأسى بابن باديس والشيخ مبارك الميلي ، بغرس الثقة والتفاؤل والاعتداد بالنفس والمبايعة على بعث شخصية الجزائر •

تعرض للاخطار وللاضطهاد الشديد والاذى والكيد والسجن ، وهذا ما شحذ همته وحمله على تأسيس معهد للتعليم العالي ، فأمه الطلاب وتعهد بعض الاسر الكريمة بالانفاق عليه ، ومن هؤلاء السيد بن جلول محمود الطباخ•

وما ان سطعت شمس حركة التحرير (اول نوفمبر ١٩٥٤) حتى اعلن ولاءها ورآها تمثل جميع الجزائريين وتبتاع بدمها حريتهم .

وجد به المستعمرون خصما، فاخذوا يخشونه لا لانه مسلح ، بل لانه يصنع قلوب المسلحين .

وفي ليل ١٤ نيسان من عام ١٩٥٧ داهم قسنطينة سرب من المظليين لا ليصطدموا بمسلحين او يقضوا ـ كما يقولون ـ على مخربين ، بل ليختطفوا الشيخ العربي التبسي فحسب .

يقف القلم هنا حسيرا كليلا، لا يدري الظروف الذي رقي بـه الشيخ مصيره الاخير !!!

ها هي ذه ، قطرة من جهود الجمعية لقطناها من خلال الجرأة في النصح، والتحذير من السموم ، والحرص على ربط الجزائر بماضيها .

اما اعلامها ـ فابن باديس تناول مبادىء ثقافته من جامعة الزيتونة ، والشيخ البشير الابراهيمي والشيخ العقبي تناولاها من الحجاز ، والشيخ العربي التبسي ربيب الازهر لقد حملوا الامانة وتهذوا توجيه كبار اهل العلم، الذين رأيناهم في الجزائر قبل الاحتلال وبعده .

مخطط التغيير

افل عصر الذين طردوا بنور الاسلام ، ظلمات الجاهلية ، وحرروا بـدم المجاهدين ، شعوبا طال رقادها في اجداث المستعمرين القدماء.

افل فأخذنا نختلج بمعركة تجدد الامل كحطين ، وعين جالوت ، وشقحب، أو نرجىء لحظة القيامة كالزلاقة .

أفل ، او كمن ، وما زال كامنا ، حتى حملت جمعية العلماء المسلمين الجزائرية التغيير وبعثت من اجداث الاستعمار قوما طال رقادهم .

التغيير دستور الجمعية

امر الله بالتغيير ، وجعله داخلا في دائرة قدرة الانسان فاستجاب اقطاب الجمعية ، وناضلوا دون عروبتها واسلامها . التقوا مع الرواد المخلصين، بوحدة

الهدف والمصير ، وكشفوا مهمة الاستعمار البعيدة المدى •

التغيير مــاذا ؟

التغيير يتخلل مناهج الجمعية ، منذ رسمه ابن باديس ، بالتعاون مــع عضده وزميل جهده ووزيره في الملمات ، الشيخ البشير الابراهيمي • رسمــاه في مكة منذ ٦٤ عاما وكثيرا ما عبر عنه الابراهيمي بكلمة : (وزنا الامرفوجدناه راجحا، فقررنا السير فيه، ولو وجدناه مرجوحا لعدلنا عنه)• وما كاد يـرى تلاميذ الجمعية يبلغون الفا حتى قال: (ها هي ذه الكتيبة الاولى)•

هذا هو التغيير الذي يذكرنا بقول الشاعر : (قدر لرجلك قبل الخطو موضعها) التغيير رافد من نهر الايمان السليم ، واستجابة لنداء الوحي اذ هو يأمر بالانطلاق بعد التفكير (فاذا عزمت فتوكل) والعزم لا يأتي الا بعد وضع الامور على بساط البحث ،ومعرفة صحيحها من عليلها •

التغيير انقلاب ، لكن دون فرقعة ، وتخطيط محفوف بالحكمة والتروي واناة يهدف هنا لانشاء جيل معصوم من زلل الانحراف ، ويقوم بهجوم معاكس ويحكم الحصار ، يوقظ ويبعث وينشر ويعلن ان القضاء والقدر لا يحـولان دون ثماره ، ويأخذ من عظمة ماضي تاريخنا ما يتزود به ليشق هذه الظلمــة، ويستخدم من الوسائل المجدية المعاصرة مايضمن دفع سفينتنا لساحل الاطمئنان ويتذرع بالشريعة الاسلامية اذ هي وحدها اعطت ثمارها واثبتت جــدارتها وقدرتها على الخلود ؟!!

التغيير ولادة جديدة ، واعداد يرد صولة التآمر والمتآمرين ، ويكشف سرهم ويحبط مكرهم •

التغيير ايقاظ للذين كمنت في نفوسهم شعلة الايمان بالنصر ، فـأخذوا يرون انفسهم يضربون بحديد بارد ، ويزرعون بارض سبخة •

التغيير جهود تطرد الظلمات ، التي اناخت على القلب ، فأحالت عينه غينا ، واحالت النفس المطمئنة امارة• هذه الجهود دعاها سيدنا محمد صلى اللــه

عليه وسلم ، جهادا اكبر ، اذ الانتصار على العدو غير المنظور (النفس والانانية) لا يقل بطولة عن العدو المنظور .

التغيير فرارا الى الله ، وتوبة داخلة في اطار قدرتنا ، والا لما كلفنا الله به . توبة لا بد منها لطالبي التحرر، ووسيلة من وسائل اليقظة ، وسلم اذا لم تـتسلقه ارتفاعا،مسنا قانون تنازع البقاء،واعادنا لمدافن التحنيط اذلاجمود!!!

التغيير له دوافع داخلية كالاروقة المتحضرة، والمعتقدات الفخمة ودوافع خارجية وفي مقدمتها هذا الواقع الذي اطمع بنا الذباب .

التغيير يرينا المجتمع كقطعة حديد بين قطعتي مغناطيس يتجاذبانهـا ، ولعل القطعة الحاسدة المتربصة اصبحت راجحة بطول سهرها الذي قابلنـاه بغفلة قرون !!!

اما رجوحها فليس جبرا، او قضاءا وقدرا ، كما يظن القائلون . اذن لا بد ــ لاعادة التوازن او لرجوح كفتنا من اعادة النظر ، وهذه نقطة انطلاق نحو التغيير ، اذ هو مقدمات تفضي لنتائج.

غيروا ايها المناكيد، حرصا على دمكم، والا جرعه الشرهون ، اذ جميع المخلوقات تجوع وتشبع، اما الانسان فهو الشره الوحيد .

غيروا فانحناء اعناق قوم لاخرين ، ليس ناموسا تكوينيا بل ثمار يقظة قوم وغفلة آخرين . غيروا واصعدوا شطر النور ، والا اغرورقت عيونكم من دخان ظلمات الطامعين!! غيروا و (اتقوا الله): (ابتعدوا عن النظر الاجتماعي القصير) يجعل لكم فرقانا) نورا لا تشوبه ظلمة التجربة التي اخذت وقتكم وملكـت زمـامكم .

غيروا ، اذ الايمان السليم (عقيدة وعبادات ومعاملات) هو الذي ينقذ الفرد والاسرة والمجتمع من هذا (القلق الذي طحن العظام).

غيروا ، اذ العقيدة دون عمل مستقيم وسلوك سليم ، ثغرة خطر، تسلـل

منها صنوف الانحراف التي اثرت في سلوكنا وفرقت شملنا، ورمتنا بالخسران.

غيروا ، بورك اللوم البناء ولا بورك المدح القائم على كتمان العيوب ، اذ يعبد طريق المهالك دون شعور .

غيروا ، واجزموا ان اليهود ــ وهم الذين وجهوا الغرب المعاصر ــ يحملون وثيقة التآمر عليكم منذ ٢٥ قرنا على الاقل !!!

لقد كلت ايدينا من التسول وحفينا من التوجه للعواصم المتآمرة ، المختلفة الا بالتآمر !!!

فهلا حفظتم نعالكم وصنتم ماء وجوهكم وأرحتم ايديكم وتوجهتم الى الله ــ ولو مرة كما توجهت جمعية علماء المسلمين في الجزائر ؟

سجدة للاله تغنيك يا انسان عن الف سجدة للعبد .

غيروا ، وعوذوا بالاسلام ، اذ هو الكائن الحي ، الذي خرج من محن القرون الوسطى ناصعا وليخرجن ولو بلغ اخصامه سن الرشد المادي ولو لحد ما ــ وخجلتم من القيادات المتطاحنة والمبادىء المستوردة المتشاحنة .

غيروا فهذه المحنة عبرة، واني لارها نافذة امل وتفاؤل ، اذ الحق وصاحبه اثنان ، بل هو اسم من اسماءالله !!! انطلقوا من مبدأ الحتمية في النواميس

غيروا فالتغيير داخل في دائرة مقدرتنا .

اصلاح عقائدنا من الشرك تغيير .

اصلاح اخلاقنا من الفساد والانهيار والميوعة تغيير .

اصلاح صناعاتنا من بدائية لمتطورة تغيير .

ابدال جهلنا بعلم ، وتفككنا باعتصام تغيير .

تصميمنا على انتزاع حربة اليهود من قلبنا تغيير.

استخدامنا لما يفرض هذا الزمن استخدامه تغيير.

التخطيط ليقظة لا تمسها الفوضى والارتجال والتسرع والطيش تغيير• يغير الله ، اذ يستحيل ان يغير الا اذا غيرتم •

مثل هذا الواقع اعترى الاندلس بعد بطلها عبد الرحمن الناصر والمنصور بن ابي عامر • اما الشعب الساذج المسكين ، الغافل المغرور بالمخدرين ،فيبالغ بالدعاء طالبا من الله التغيير لكن احرار الفكر كانوا يعلنون :

التغيير ينبغي ان يبادر به الناس وفي مقدمتهم اولو الامر !!! غيروا ثم نازلوا العدو واصبروا وصابروا ورابطوا واستميتوا بالصمود العنيد !!!

غيروا واعلموا ان الشعوب ومنها نحن اخذت بالتغيير ؟

غيروا فان القرآن امرنا بالتغيير وضمن له النجاح•

غيروا ، ولا يتسربن لكم الوهن ويدفعكم لموت الاستسلام اذ انتم الاعلون الظاهرون الغالبون ، لان الله معكم ــ ما دمتم معه ــ ولن تذهب ثمار جهودكم •

غيروا واتلوا من كتاب الله (فلا تهنوا وتدعو الى السلم وانتم الاعلون والله معكم)•

هو ذا اسلامنا الذي ما زلنا نجهله حتى خلناه طقوسا جامدة واثاراقديمة وقشرة خارجية !

غيروا واعيدوا فلسطين للاطار الاسلامي ، اذ ابعادها عنه عرضها للتقضيم والتدويل واحاطها بمؤتمرات خبيثة تناولتها دول طامعة وزعامات قصيرة النظر وتاجر بها المساومون والمزايدون •

غيروا ، والا فالمستقبل لا يكتفي ببقائنا عبيدا ولو اقتصاديا للذين ادركوا معنى التغيير استخدموا اسلوبه ، اذ لا امل في تأجيل مصيركم ان لم تغسلوا اخطاءكم بدم الغير •

غيروا فقد آن لكم ان تروا عفريت الابادة يتحفز كالنمر للوثوب على الذين لم يصمدوا سلم التغيير الحيوي•

غيروا ، فان الحق في جانبكم ، والقوة لا تعوزكم .

غيروا فان القرآن وحده سبق جميع الناس واعلن ان اليهود يستحيل ان يفهموا الا بمنطق القوة ، اذ جميع ما يراه الناس مثلا عليا هي لديهم لا تعدو السخرية والتخدير والاضاحيك .

غيروا ، أليس خسارة التاجر ، تدفعه لتدقيق الحساب والاتجار بنوع آخر ؟

أليس الجراثيم واللصوص والهوام ، تحمل على النظافة والهندسة واشادة البيوت المحصنة .

ان التسابق يحمل على التقدم ويفضي للاستعداد ، اما عدمه فيدفع للفتور .

ان وجود العدو ، سر من اسرار يقظتنا ، ودافع من دوافع بعثنا ، وما علينا الا الاستفادة من قانون التغيير !!!.

غيروا اذ نحن في جو ثقيل لا يكشفه الا التغيير المنبثق من الفهم السليم.

غيروا، وتوبوا من الغفلة والسذاجة التي عرضت سواد واقعنا تخطيطا سماويا .

غيروا فانتم في حلبة تسابقكم بها افراس ما زالت تعاهد وتنقض حتى أصبح النقض ديدنها . لقد اتقنت رصد حركاتكم الامم وعرقلة تقدمكم ولم تختلف بوأدكم ،ان وجودهم من نعمة الله علينا اذ هو دافع .

غيروا اذ على مقدار فهمكم السليم واجتماع كلمتكم واستعدادكم بل وتقشفكم وحرمانكم الا من ثمن الرغيف والقميص ـ تقتربون من وداع واقعكم الفاضل ولا يغرنكم ما حشدوا من مال اذ (لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا) بل (سينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون).

غيروا ، ولا يغرنكم الواقع اذ (لن يضركم الا اذى ، وان يقاتلوكم يولوكم

الادبار ثم لا ينصرون) يهزمون امامكم اذا تدرعتم بالاسلام وستنتهي روايتهم بأيديكم (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله)• لن يستطيعوا اضراركم الا اضرارا يمكن ازالتها وقد تكون خيرا لانها توقظكم وتدفعكم لسد ثغرات كنتم بغفلة عنها •

غيروا وتدرعوا بسلاح القرآن المجرب الوحيد الذي ما زلنا نجهله حتى خلناه طقوسا جامدة واوتارا قديمة وقشرة خارجية •

غيروا واجزموا ان الاسلام خط دفاعنا الاول ، واخونا الارشد ودواء ناجح بالتجربة ضمد جراحنا على مدى التاريخ وحل عقدنا المستعصية •

غيروا ، لا ينقصكم مال ولا رجال ، بل ارادة قتال !!!

غيروا ، واعلموا ان فلسطين لا سيما القدس ، ليست ملكا لافراد اولهذا الجيل تحت نظلب التهويل من شأن العدو ومن يقفون وراءه ، لكن لا نرى انقاذ انفسنا من هذا الواقع فوق الطاقة ، اذ (العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) •

غيروا واجزموا ان اليهودي عابد مال ، يخشى على معبوده ، فاذا غشى المعركة ، غشيها دون قلب لان هذا مع معبوده • انهم يخافون الموت اكثر مما تخافون ، وترجون من الله ما لا يرجون لقد اخفقت التجارب واتهزمت المبادىء المستوردة ولم يعش ولن يعش الا الدرع المجرب (كتاب الله) وما علينا الا ان نحيل ايماننا القولي عمليا•

غيروا ، اذ لا وسط، كما اعلن العدو مرارا ، بلسان مناحيم بيغن قائلا: (لا سلام للعرب ما لم نحرر وطننا ، لان اله اسرائيل اختارنا للحكم)•

غيروا وخذوا حذركم من مؤامرات قوم اتخذوا الدين احبولة واحاطوه بسور عصبي عنصري ، شحذوا نيوبهم لازدراء جميع الناس واستباحةاموالهم وكراماتهم ، اذ العالم ليسوا لديهم انسانا اما اديانهم فليست جديرةبالاستمرار!

غيروا وتغلغلوا نفسية عدوكم فعرفوا الذين لا يتقون الا ظاهر الفساد وباطنه •

غيروا ، فقانون التغيير يشمل حتى التفاوت بالرزق ؟؟؟

قال الله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) سورة الزخرف ٣٢ .

اذا علمنا ان اعماله تعالى قائمة على العدل والدقة ، وان كلمة (سخريا) هنا تعني التعاون المتبادل الذي يشير له تعريف الانسان بكلمة (الانسان مدني بالطبع) اي لا يستطيع الحياة الا متعاونا ، وسمعنا الشاعر ينظم هذا المعنى بقوله :

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض ان لم يشعروا خدم

اذا علمنا هذا، ادركنا ان اسباب التفاوت في الرزق، فرديا كان او اجتماعيا يعود للقاعدة الثانية المستقاة من قوله تعالى : (وان ليس للانسان الا ما سعى) .

وجزمنا ان للرزق قانونا عادلا ، يشمل الافراد والجماعات والامم والدول .

اعني ان الله يرزق الناس ، على مقدار اتقان الطرق التي تجلب الرزق، اذ ليس للانسان الا ثمار سعيه .

فاذا رأينا فلانا يتمتع بكثير من الرزق، وفلانا يجهد لاجل قليله، لاينبغي ان نتخيل ان الله احب فلانا فمتعه ، وكره فلانا فضيق عليه، لان الخلق كلهم عياله ، فلا يمنع ويضيق ارتجالا ، بل علينا ان نجزم ان المتمتع كتلميذ سمع نصيحة الاستاذ فنجح، والمحروم اعرض عنها فرسب !!! ينجحان او يرسبان، على مقدار ما بذلا وفي الحقل الذي بذلا فيه فبلغ كلاهما نهاية الطريق الذي سلكه .

عرف كثيرا كانوا يمتهنون التعليم الابتدائي، باجور خفيفة ، وما ان بذلوا جهدا ودرسوا دراسات ليلية ، حتى فازوا بشهادات محترمة وعدلوا مستواهم .

ان للكفاآت يدا في التفاوت ، وسهم من النجاح، اما الذين فاتهم هذه الحقيقة فقد ضعفت همتهم ، وبعدوا عن النشاط ، وغفلوا عن القانون الصريح

المنطقي ، الذي يشع من (وأن ليس للانسان الا ما سعى) •

غفلوا ، وتعللوا بالحظ (والشنص) بل لم يخجلوا من وضع التبعة على عاتق الله نفسه !!! هذا مع الاعتراف ان هناك ظروفا تفرض التفاوت، لكـــن منها ما يستطيع الشخص قهره ، كانتقال طبيب من قرية منقطعة الى حيـــــث تزاحم الاقدام •

وظروفا تبدو مستعصية ، لكن يستطيع الانسان قهرها ولو متعاونا ، حتى لو كانت طبيعية كالجدب مثلا ؛ اذ يقهره باستخدام المياه الجوفية وحركـــة التشجير ! أو على الاقل استخدام الاستيراد ، كما فعل عمر بن الخطاب عـــام الرمادة •

هذا مع العلم ان التفاوت امر واقع تفرضه الحياة ، حتى لو تقاسم الناس مـــال الدنيا بالتساوي ، لعاودهم التفاوت ، ربما بعد لحظات !!! وعلى هذا، فالتفاوت في الرزق مربوط بتوجيه الطاقات ، اذ توجيهها لحقل ما ، يجـف حقلا آخرا •

الناس جميعا مرزوقون ، لكن من الجهات التي توجهوا لها ، اما تفاوتهم بنفس هذه الجهات ، فمنبثق من تفاوت كفاآتهم بحقل دون سواه !!!

استغلال الطاقات والكفاآت ، أثمر التفاوت الـــذي هو مهد للتعـــاون، اذا عدم تبادله يوقفه مجرى الحياة •

التفاوت بين الافراد ، قائم على قوانين فرضها علم الاجتماع، اما عدمه (اي منح الفاضل كاليقظ) فلا يتناسب مع عدل الله !!! اذ كلكم مرزوق من الطرق التي اتقنها •

مثلا وجه بعض الطلاب طاقته لدرس العربية ، واولى مادة الحساب ظهره فعاش مرجعا في العربية ، سطحيا في الحساب •

اعني ان الله قسم بيننا على مقدار نشاطنا واتقاننا في الحقول التـــــي

توجهنا شطرها كما قسم المعلم ارقام الفحص بين الطلاب على مقدار الاتفاق وبذل الطاقات •

الا ، للرزق سلم، درجاته تدعى ملكات ، ابتكار اقدام ، مثابرة ، ذكاء موجه ، جهود متواصلة، اتقان ، استفادة من التجارب، تطوير، تدريب، توجيه عملي•

وقد يتداخل ، عامل البيئة والفرص التي تمكن الشخص من ابراز مواهبه، وقد يأتي في نهاية المطاف عامل وراثة المواهب !!!

اما وراثة المال فقد تكون ان تجد شيئا من درجات السلم، سببا بانقلاب الثراء فاقة !!! أصعد هذه الدرجات واسعد بمعرفتها ، وردد مع ابن الوردي:

بين تبذير وبخل رتبة وكلا هذين ان دام قتل

تنقذ نفسك من التعقيد ، وتشفه من مرضي الحقد والكبت ، وتفارق شر البطالة، ولو بعمل متواضع هو مبتدأ تنتظره خبرة المفرح!!!

شكا شخص البطالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فاشار عليه ببيع بعض اثاث بيته ، فباع وابتاع فأسا وحبلا واحتطب وباع وقال : اتفقت وتصدقت •

بيروت محمد علي الزعبي



وحي الحياة

من قلم : روكس بن زائد العزيزي

٤٠٨

النقد هو سبيلنا الى الكمال والرقي ، والترحيب بالنقد دليل على العظمة النفسية في الافراد والامم .

٤٠٩

تموت فكرة الاصلاح اذا كان اسلوبها امرا وزجرا !..

٤١٠

كلما اجتهدنا ، شعرنا بان الحياة انبل مما كانت عليه قبل الاجتهاد ، وكلما نجحنا ، شعرنا بأن ايامنا أسعد !...

٤١١

الحكم على الناس بقواعد عامة مطلقة ، ضلال ليس بعده ضلال !

٤١٢

الاعمال العظيمة ، لا تستغني عن الافكار العظيمة التي تسبقها وتنظمها، لكن كل الافكار العظيمة لا قيمة لها ان لم تجد من ينفذها !

٤١٣

عدم السماح للامور بان تسير سيرها الطبيعي يفسدها

٤١٤

كل حماقة ترتكب ، تعلم صاحبها ان يندم على ارتكابها ، لكنها لا تعلمه ان يتجنب مثيلاتها !

٤١٥

النصائح تجارب فاشلة ، يريد الذين يحبوننا ان تتجنب مرارتـــها ، او اختبارات قاسية ، عجزت حكمتهم ان تلطف حدتها !

٤١٦

نحن نعيش مرة واحدة ، والغرض من هذا التحديد المخيف ، ان نستخدم كل دقيقة من حياتنا للسمو بقيمنا الانسانية في كل مجال !..

٤١٧

ان كان هنالك شيء اثمن من الحياة ، فهو الحرية ، وان كان هنالـــك شيء اشرف من الحرية فهو كيفية استعمالها لخيرنا ولخير الانسانية !

٤١٨

يبدأ ذل الامة يوم تذل المرأة ، ويبدأ ذل المرأة عندما تعجز عن استعمال حريتها بحكمة !...

٤١٩

عبادة المال جريمة، واحتقار المال جريمة ، وعند هاتين الجريمتين يضيـــع معنى الحياة وتتولد كل متاعبها وهمومها ومعضلاتها !..

٤٢٠

اذا كانت افكارنا صورا من نفوسنا ، فما اكثر ما نولد ، ونموت يومياً !.

٤٢١

اعداء البساطة ، اعداء لكل خير ، ولكل فضيلة !

٤٢٢

شر ما تبتلى به ، ان يؤول الناس بساطتك اسوأ تأويل !

٤٢٣

كثيرا ما يبذل الناس نفوسهم بسخاء ، لاقل الناس استحقاقا للبذل !..

٤٢٤

نكد العيش هو ابن الفقر البكر !..

٤٢٥

تجلد ، وتسامح، لكن اذا وصلت الى حد اللامبالاة ، فانت محتقر لنفسك !

٤٢٦

اذا وهب الله لك من جمال الخلق ، وصفاء القلب ، ونقاء الضمير ما يمكنك ان تعيش حياة لا تكلف فيها ، يسودها فرح الاطفال ، وعظمةالابطال، فقد وهب لك اعظم نعمة !

٤٢٧

بعض البشر كلما صدقتهم كذبوك ، وكلما اخلصت لهم خانوك !..

٤٢٨

الذي يحاول ان يعتذر عن جرائمه بذكر جرائم غيره ، لا ادري ماذا اسميه .

٤٢٩

اذا خلت البيوت من الحب ، شعر ساكنوها انهم في حاجة الى اشياء كثيرة كان الحب يخفي حاجتهم اليها !

٤٣٠

ما دامت آثام الاجداد ، وفضائلهم هي التي تحرك الاحفاد ، فاي عتب عليهم اذا اثموا ، واي فضل لهم اذا طهروا !

ملامح التطور الحضاري للفكر الديني

بقلم: رغيد النحاس

يرتبط نشوء الدين ارتباطا وثيقا بنوعية الحضارة الانسانية ، كما يرتبط ارتقاؤه او انهياره بمجموعة من العوامل التي تعقد مراحل الحضارة البشرية. فاذا ما اقتبسنا عن لسلي وايت تعريفه للحضارة ، نجد ان الحضـارة هـي نموذج معقد من الرموز مثل اللباس والعادات والمعتقدات والمؤسسات والاحداث والاشياء المتعلقة بالفن واللغة .

والانسان الذي هو قوام الحضارات يعرف بانه الكائن الوحيد القـادر على استخدام الرموز . فاذا ما اجتمع الرمز مع الاشارة في دلالتهما على اشياء تتخطى حدود ذاتهما ، فان الرمز يعطينا بذلك فكرة عن حقيقة مدلولة ، وينقل الينا اشياء ما كانت لتكون لولاه في متناول ايدينا ، ومثال ذلك القرآن.والرمز قد يفتح امامنا ابعادا تمت الى حاضرنا بصلة وثيقة ، كما يمتاز بانه يولد ويعيش ويموت وكأنه كائن حي . وهناك فرصة لاكتشاف الرمز من جديد واحيائه كما يحصل عند اكتشافنا لبعض اثار الحضارات القديمة . فعلى سبيل المثال اكتشفت ملحمة جيلجامش عام ١٨٣٩. ان احيـاء مثل هـذه الرموز هو الشغل الشاغل لعلم الدراسات الحضارية .

والطريقة المتبعة في هذه الدراسات تعتمد الموضوعية في البحث بـل قد تتعدى ذلك الى العلمنة بحيث يغدو الرمز بالنسبة للباحث شيئا غير حقيقي ولكنه ليس بكاذب وانما قد تكون له قيمة معينة . ذلك ان الانجيل على سبيل المثال قد يكون بالنسبة للمسيحي الحقيقة كلها، بينما يرى فيه الملحد الضلال كـلـه .

تحدثنا سيرة جيلجامش عن بطل هو ملك لمدينـة (Uruk) الواقعة الى الجنوب من بابل . وهذا الملك ثلثه انسان وثلثيه الباقيين آلهة . وهو يمضي

حياته في مغامرات عجيبة شاقة وغرامية احيانا بينه وبين آلهة كثر . فمثلا تسأله عشتار ان يكون زوجا لها وحين يرفض ترسل عليه ثورا من السماء فيحاربه جيلجامش مع صديقه انكيدو فيقتلاه مما يغضب الآلهة عشتار فتحل لعنتها على انكيدو الذي يموت نتيجة لذلك . ويتابع بطلنا مسيرة حياته بحثا عن الخلود ، ويخوض غمار مغامرات كثيرة في رحلات عامرة ولكنه يفشل في النهاية في الحصول على سر الالهة فاقدا بذلك الحياة الابدية . ولقد تضمنت الملحمة قصة الطوفان مما يؤكد ان هذه القصة قديمة العهد جدا .

ولئن كانت هذه حال التفكير في مشرق الارض ، فان الغرب بدأ يشهد ولادة ملاحم هوميروس التي احتوت على علاقات بشرية الهية تماما كما هي الحال في النتاج الشرقي . وكانت الصفة الغالبة هي تعدد الآلهة التي صيغت على اشكال مشابهة للاشكال البشرية واعطي كل منها عملا واختصاصا فكان هناك اله للحرب وآلهة للخمر واخرى للحب وكانت (زوس) الهة الآلهات جميعا لدى اليونان القدماء . ولقد صدرت الملاحم أمثال الالياذة والاوذيه نتيجة لعملية جمع شفوي ، اي ان الشاعر قد صاغها بعد اذ تناقلتها الاخبار من هنا وهناك ومن فم الى فم ولهذا يطلق عليها اسم السير او الملاحم الشفوية (Oral epics)

وحين بدأ العقل اليوناني يشق لنفسه طريقا وسط التخبط الملحمي سرعان ما اخذت هذه الطريق لنفسها معالم شتى وسرعان ما كان لهذه الطريق فروعا في هذا الاتجاه او ذاك . فاذا ما ازدهر الجدل الاقناعي لدى السفسطائيين وتوصلوا الى القول بان الانسان غير قادر على معرفة الثابت في الوجود ان كان لهذا الثابت اي وجود ، نجد ان سقراط وتلميذه افلاطون حاولا دحض تلك الافكار وخصوصا السفسطة التي تقول بان المعرفة تعتمد على الحواس . ولقد توصلا من فكرة الزمان والمكان الى ايجاد عالم مطلق هو عالم المثل او عالم المجردات العقلية The World of ideas ان هذا العالم هو الثابت في الوجود .

فاذا ما اطل ارسطو حدثنا عن الامكان وعن الفعل ، اي عن المادة والصورة وان كل شيء موجود فعلا هو امكانية لشيء آخر وكل ممكن هو قابل ليصبح

موجودا . ان تغير نسبة الصورة في سلم صاعد يوصلنا الى تحقيق معالم اكثر ثبوتا ووضوحا فنقول عن الشيء انه اكثر وعيا من سابقه حتى نصل في النهاية الى الوعي المطلق(Pure intellegence)الذي هو الاله . وهذا الاله لا يمكن ان يكون خالقا ذلك ان الخلق كما يفهمه ارسطو هو نقص ولا يمكن لـلاله ان يكون ناقصا .

واذا كان الفلاسفة السابق ذكرهم يمثلون التفكير « الهيليني » فـان فتوحات الاسكندر وما عقبها من اختلاطات حضارية ، زودتنا بفلاسفة مثـل افلوطين مطبوعتين بالطابع «الهيلينستي» الذي كان من اهم مميزاتـه التوفيق بين الفلسفة والدين . وكان طبيعيا ان يتمركز هذا النوع من التفكير في الشرق الذي تغلب عليه الاتجاهات الروحية . فالدين يعالج الحقول نفسها التي تعالجها الفلسفة عموما . فهو يتعاطى التفتيش عن الثابت في الوجود والبحث في كيفية نشأة الوجود ، كما يعنى بالسلوك البشري . ولكن الفرق الاساسي بين الاثنين هو ان الدين يرتكز على الوحي فهو بذلك عمل الهي صرف ويتطلب من الانسان ليس الفهم اولا بل الايمان . وحجج الدين الاساسية على صحة ما يأتي بـه هي المعجزات .

اما الفلسفة فهي كما يقول الدكتور نديم نعيمة استاذ الفلسفة العربية في الجامعة الاميركية في بيروت ، « محاولة انسانية لاكتناه حقيقـة الاشياء عن طريق اعمال وسائل المعرفة في البحث والتدقيق والاستنتاج والبرهان لذلـك لا جدل في الدين بينما الفلسفة تحيا على الجدل والمناقشة » .

والذي حصل في هذا الفكر الهليستي المترعرع في الشرق هو ان اليهود والنصارى وفيما بعد المسلمون قد اعجبوا بهذا التفكير الفلسفي المحكم المقنع والذي ورد اليهم وكان من الصعب رده . وهم من الجهة الثانية مؤمنون بمـا انزل عليهم من ديانات . وكلا المنهجين يعالج نفس القضايا فايهما يختار اهـل المشرق ؟

لقد كان الحل الطبيعي لهذه المعضلة او لهذا التناقض هو ان يسلـك الشرقي درب التوفيق بين الشريعة المنزلة والفلسفة الوافـدة وهكذا يمكن

القول بان الفلسفة الهلنستية هي فلسفة توفيقية حاولت جاهدة ان تبين ان كل ما ورد من فلسفة هو الوجه العقلي للدين وان الدين هو الوجه الروحي الوحيي للفلسفة ، وان كلاهما واحد في الجوهر وكلاهما يوصل الى نتيجة واحدة. وهكذا أخضعت النصوص للعقل وبرزت مثل المعتزلة التي سلكـــت درب التأويل . بيد ان اول بوادر هذه الظاهرة الاندماجية تجلت في الافلاطونيـة الحديثة (Neoplatonism) .

واذا ما نتنقل الى وجه اخر هو ديني بحت نجد ان التوراة قد حملت الينا حكايا اليهود والنصارى وفيها جاءت قصة الخلق التقليدية عن آدم وماتبعها من اخبار عن غيره من الانبياء مثل نوح وطوفانه .

والتوراة كتاب بلغت صفحات احدى نشراته باللغـــة الانكليزيـــة (Gerusalem Bible - Readers edition) حوالي السبع مئة والف صفحة من القياس الوسط وهو مقسوم الى قسمين رئيسيين،العهد القديم (The Old Testament) وهو معظم الكتاب ويروي قصة اليهود ، والعهـــد الجديـــد (The New Testament) ويختص باخبار النصارى .

ولئن كان كتاب العهد القديم قد بدأ بجزء يحكي قصة الخلق ، فـــان النقاد يعتبرون الجزء الثاني من الكتاب هو بداية العهد القديم الحقيقية لانـــه يحكي قصة تكوين الامة اليهودية . وحجتهم في ذلك ان الفرق بين الحـادثة التاريخية الترتيبية الاولى وبين الحادثة الاولى في التاريخ هو فرق في المعنـــى والاهمية . ان التاريخ عند اليهود يبدأ بتكوين الامة اليهودية وكل ما سبـــق ذلك باحداث ليس بذي اهمية لديهم حتى لو كان ذلك خلق العالم كله .

ولقد ارسل الرب الى اليهود موسى حتى يحررهم من عبودية فرعـــون. وسمي موسى بهذا الاسم لان كلمة Mashah العبرية تعني « يسحـــب » . وموسى كما تروي حكايته في التوراة كان قد ألقي في اليم حين خافت امـــه عليه من آل فرعون . ثم صادفته ابنة فرعون فسحبته من الماء وعهدت به الى مرضعة لم تكن سوى امه بالذات . وبعد ان اعيد الى ابنة فرعون سمتـــــه موسى وربته .

خرج موسى الى الوادي المقدس فرأى على الجبل نارا غريبة من نوعها شديدة الضياء لكنها لا تحرق الشجر . فتقدم ليستطلع الامر فاذا بصوت يناديه ان توقف واخلع نمليك انك في الوادي المقدس . وحين يتساءل موسى عن صاحب الصوت يجيبه يهوه (Yahweh) وهو الاسم الذي تعطيه التوراة للرب ـ « انا الذي أنا . انا اله اباءك اله إبراهيم واسحق ويعقوب » وفي الواقع ان اسم يهوه يعني بالعبرية « هو الذي ». ومن هنا نستنتج ان هذه العبارة ان كانت تعني اي شيء فانما تعني ان الاله لا تمكن معرفته من حدود هذه الكلمات . فكيف يعرف اليهود الههم اذا ؟ نلاحظ ان يهوه قد اكمل عبارته بقوله انه «اله آبائك اله اسحق ويعقوب ..» اضف الى ذلك بان يهوه حين يطلب من موسى ان يباشر بنشر الدعوة فانه يقول لموسى بانه ـ اي يهوه ـ قد تذكر وعده (Covenant) لاسرائيل بان يصون احفاده ويجعلهم شعب الله المختار . من هنا نرى ان الاله بالنسبة لليهود يعرف فقط من خلال احداث تاريخية معينة . او بعبارة اخرى من خلال علاقة الاله بشيء نسبي هو التاريخ هنا . ولذا فان اليهود قد اختاروا التاريخ كرمز لحياتهم وكموضوع رئيسي لدراستهم وهذا يناقض تماما ما انطوت عليه الفلسفة اليونانية من اختيار للطبيعة كأساس للبحث بينما لا يناقض مثلا احدث النظريات الاجتماعية التي ألغت الطبيعة واعتمدت التاريخ وتطوره كالماركسية . وهكذا فان افلاطون حين يتحدث عن فهم المعرفة فانه يخبرنا عن اشكال عقلانية صرفة تتعدى الحواس ولها علاقة وثيقة بعالم الطبيعة وعالم المثل . وحدثنا ارسطو عن التجربة الحسية كأساس للمعرفة ، ومن هنا فان المعرفة عند اليونان هي عمل من اعمال العقل أو انها استعمال حكيم علمي للتجربة الحسية . وفي كل هذه المراحل في تطور المعرفة يتوصل الانسان الى «الله» . بينما نجد عند اليهود ما يعاكس هذا تماما، فهنا نرى ان الاله هو الذي يبدأ اتصاله بالانسان فيناديه ، وحين يتم التعارف فان هذه المعرفة لا تكون نابعة عن احساس عقلاني او حسي تجريبي وانما من احساس عاطفي او شخصي . فالاله قد وعد اسرائيل بجعل ذريته شعب الاله المختار ، ولذا نراه في التوراة تواقا الى تنفيذ وعده للشعب الذي اختاره وأحبه . ان هذا النوع من التفكير يشكل ولا شك غرابة كبيرة بالنسبة للعقل

اليوناني .

واذا ما اردنا الرجوع الى الوراء أكثر ومناقشة وضع موسى كبطل لقصة التوراة ومقارنة هذا النوع من البطولة بالنسبة للبطل النموذجي الذي كنـــا نصادفه في الملاحم القديمة مثل ملحمة جيلجامش او الالياذة او الاوذيسه، فاننا لنستنتج ان موسى ليس بطلا نموذجيا . فالبطل الاسطوري النموذجي هــو ذلك الذي يتقبل القيادة والمجد ويغامر ويتخذ لنفسه الجاه والسلطان والخليلات وقد يتصل بالالهة اتصالات جنسية ، وينال بركاتهم او قد ينال من غضبــهم الشيء الكثير. بينما موسى لا يقبل القيادة باديء الامر ، وحتى حين يقبــل فانه يدعي عدم طلاقة لسانه فتصل به الدرجة للاستعانة باخيه من اجل مواجهة فرعون . واعظم مغامراته لا تتعدى رمي العصا وتحويلها الى حية بمســاعدة يهوه . فمحاولة معرفة الخالق عند اليهود هي محاولة للنظر وراء نحو التاريخ. بينما نجد ان واحدا من اعظم المؤرخــين اليونانيــين (Thucydides) يخبرنا في احد كتبه انه انما يكتب التاريخ لا لمعرفة الحقائق والوقائع فقــط بل ليستفيد من هذه الوقائع وليترك شيئا نافعا للاجيال القادمة .

وفي الوقت الذي يتعرف فيه اليهود الى الههم من خلال علاقته بالتاريخ الانساني ، نجد من اعمال اليونانيين انهم يعرفون الههم ليس عن طريق علاقته مع الانسان في تجارب خاصة ، وانما من ضمن حدوده الذاتية فللاله عندهم ذات وصفة ولكل اله من آلهتهم شخصية خاصة وله فضيلة خاصـــة (areté) ان اله اليهود ليصعب عبادته من قبل اليونان خصوصا ان كل التفكير اليهودي لا يعطينا اي فكرة عن نظام الكون (cosmos كما جاء لدى اليونانيين .

هذا وان الاختيار الذي خص به يهوه اليهود لا يستند مطلقا الى اي خصائص مميزة لهذا الشعب وانما كل ما تخبرنا به التوراة هو ان حب الالــه لهذا الشعب يجعله يختاره وان الثقة هي التي يملكها ذلك الاله في المكان الاول وليس الانسان ولذلك هو يحافظ على وعده ويطلب من الانسان ان يثق بــه ويتعبده ويطيعه ومن خلال هذه الطاعة ينبع القانون الذي تأتينا به التوراة . فالقانون لديهم ليس جملة من المعتقدات الاخلاقية العامة وانما هو تنوير لهذه

الثقة بالاله ولاعمال هذه الطاعة له •

وفي التوراة اخبار عن كثير من انبياء اليهود ، فما هي طبيعة تفكير هؤلاء وكيف نشروا رسالتهم ؟

لا يصح لنا ان نطلق على انبياء التوراة لقب انبياء وذلك لان هذا اللقب يوحي انهم يتنبأون بحدوث اشياء لم تكن حادثة • وهذا اللقب انما يصلح فقط لنبي مثل محمد بن عبد الله مثلا • ان انبياء التوراة ليسوا متنبئون (Seers) وانما هم يعالجون اشياء معينة في وقت معين•

وقد يرجع ذلك الى كون التفكير اليهودي تفكيرا ماديا (Concrete) وليس تفكيرا مجردا (Abstrait)• وربما كان هذا هو السبب في أصل الكثير من الاراء التي نستقيها من اطلاعنا على التوراة فمثلايقول يهوه لليهود: سأكون الهكم اذا كنتم شعبي ، أي اذا تقيدتم بقانون الطاعة وتمتعتم بالثقة التي منحتكم اياها • هذا ولقد اعتقدوا بان كونهم شعب الله المختار يحملهم مسؤولية تجاه العقاب كبيرة • وبالاضافة الى ذلك فان هؤلاء الانبياءيعتبرون « ثوريين » ذلك انهم هاجموا الدين ورجاله واتهموهم بالانطواء وعدم المشاركة الاجتماعية والسياسية • ومن هنا فان نبي التوراة انطلق الى اماكن العبادة لينتقد طريقة الكهنة في التعبد فنجد مثلا ان آموس (Amos) يقول فيالفصل الخامس من كتابه بانه يكره اعياد الكهنة ومجتمعاتهم وبالرغم من انهم يقدمون له هباتهم فانه لن يقبلها •

وهكذا نرى ان اله اليهود ليس له اسم ولا يمكن ان يدرك بالتجربة الحسية ، وفقط حين ننتقل الى العهد الجديدنجد ان الاله بدأ يتحدد بصفات ومعان •

والعهد الجديد من التوراة مقسم الى عدد من الفصول (Gospels) وكلمة (Gospel) هي محاولة لترجمةكلمة يونانية معناها الرسالةالطيبة أو الخبر الطيب • ولقد تعدد الانبياء في هذا القسم ايضا وكان همهم نشر دعوة المسيح ولقد تكلموا الكثير عن معجزاته واخباره غير ان اهم ما تجمع

عليه هذه الرسائل هو امرين : الاول ان العالم لا بد ذاهب الى يوم حســاب يكون فيه المسيح هو الحكم الاكبر • والثاني هو ان المسيح بعد صلبه وموته بعث من جديد وكذلك سيبعث الناس كلهم • واذا ما قورن هذا بالفلسفــة اليونانية يبدو البعد واضحا • فالذي يسير العالم ويحكـــمه وفق الفلسفة اليونانية هو الثابت في الوجود (Prime mover) بينما نجد في المسيحيـــة ان المسيح وحده ستكون بين يديه مصائر كل الناس •

لقد اتسمت الطريقة التي قدم بها المسيح افكاره بانها طريقة فوقيةجازمة (authoritarian) شأنه شأن اي دين فلا مجال للنقاش والجدل وانما تقــدم للانسان الحقائق مطبوخة جاهزة ويجب عليه ان يهضمها هكذا • ولقد اشبع المسيح رسالته بافكار جاءت وكأنها رد عنيف على تصلب اليهود وغنصريتــهم فلم يقل للناس انهم « شعب الله المختار » وانما قال لهم انهم متساوون امامه وان المحبة هي طريقة الحياةالاولى وان حساب الانسانسوف يكون وفقالمقدار ما ملأه في نفسه من الثقة بالحكمة التي جاء من اجلها المسيح ، فالنبي جون يقول « ان الساعة آتية عندما يترك الموتى قبورهم على صوته : اولئك الذين عملوا صالحا سوف ينهضون الى حياة واولئك الذين عملوا شرا فالى جحيم» • فالخطيئة هنا هي خطيئة ضد المسيح بينما عند اليونانيين الخطيئة هي خطيئة ضد القانون •

وتجلت ثورية عيسى على التقاليد البالية حين طلب شربة ماء من امرأة تنتسب الى عشيرة لا يسمح لاي من اليهود التحدث الى افرادها •

وهكذا فان انبياء العهد الحديث هم انبياء بكل ما تمليه معاني الكلمة في التنبؤ • ولقد كانت مهمة المسيح الرئيسية انقاذ البشرية من خطيئتها ضدالله•

وعلى سبيل المقارنة نجد ان طبعات التوراة التي تجمع بين العهديــن القديم والجديد بين دفتي كتاب واحد لا تستطيع ان تجمع بين فكرتي العهدين المتناقضين تماما • ان العقلية اليهودية لا يمكنها ان تتقبل فكرة ان يكون انسان واحد هو سيد الموقف المتحكم بكل المصائر • ذلك ان الامة الاسرائيليةالمبنية على اساس عرقي وعنصري من الصعب ان يضحى بها من اجل انسان واحد•

ثم تطالعنا قصة دين جديد مختلف في كثير من الاشياءعما سبقه من اديان. بل ان الاختلاف الاكبر هو في ان حركة محمد بن عبد الله الجديدة لا يمكن ان يطلق عليها لفظ ديانة (Religion) بالمعنى الذي يمكن اطلاقه على ما سبق هذه الانتفاضة الحضارية . فالاسلام ليس (Religion) بل هو «دين» وهكذا يؤكد الدكتور الغول مدرس الفلسفة الاسلامية في الجامعة الاميركية في بيروت. وكلمة اسلام تعني الاستسلام الى مشيئة الله وتحمل في طياتها سلطة ونظام عامين . وفي القرآن تطالعنا الايات التالية :

« ان الدين عند الله الاسلام ...» (آل عمران ، ١٩)

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ...» (آل عمران ، ٨٥)

« ... اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ...» (المائدة ، ٣)

« قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ...» (الحجرات ، ١٤).

ان هذه الآيات توضح لنا الصورة المختلفة التي يأتي بها الدين الجديد بالنسبة لما سبقه . ففيها التفريق بين الايمان وبين الاسلام بصورة واضحة. وان الاسلام الذي يتطلبه الله هنا هو تسليم كامل لا لارادة الله في طاعته لمجرد كونه الله بل في طاعته من خلال انضباطية كاملة تشرح نفسها في قانون متكامل يحدد مهمة الفرد ضمن الجماعة وواجب الجماعة تجاه الفرد وهذا ما يتأكد في العدالة الالهية التي تظهر بعض ملامحها في الايات التالية :

« ... ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (الانعام ، ١٦٤)

« من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون » (الانعام، ١٦٠).

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ...» (النحل ، ٩٠).

ولقد اتخذ الله اسماء عديدة وفقا لمقتضى احوال عديدة فكان الرحمن

الرحيم الغفور الجبار وما الى ذلك من هذه الصفات التي تـؤكد العدالة في الحساب وتؤكد الحساب بحد ذاته مما يبين اهمية الانضباطية السلوكية في هذا الدين لان السلوك الاجتماعي سيؤخذ بعين الاعتبار يوم الحساب . فالحساب هنا ليس فقط حول مقدار الايمان والثقة بالله بل هو من صميم « التسليم » لله كما سبق واشرنا .

والمسلمون يعرفون هذه الحقائق عن الله وعن الدين بنفس الطريقة التي عرف فيها اهل الديانات السماوية السابقة حقيقة ربهم اي بان « الحقيقة » جاءت من السماء عن طريق الوحي وهكذا كانت جاهزة كاملة لا غبار عليها ولا جدل فيها . ولكننا نلاحظ فرقا شاسعا بين طريقة الديانات السابقة وطريقة الدين الجديد فيما يصدمه من مقترحات تلي الايمان وتقضي باعمال الفكر والتأمل في سبيل الحصول على المعرفة والتعرف الحميم على ذات الله . وهذا يوحي بانه من الممكن للانسان ان يعيد النظر في ايمانه الساذج ويحوله الى ايمان مقرون بالفكر واعمال العقل وهذا ما تبناه أكثر الفلاسفة المسلمين حين واجهوا الامام الغزالي الذي وصف العقل بانه « متهافت » وغير قادر على الوصول الى حقائق ما ورائية (Metaphysical)

ولكنه من الخطأ بمكان ان نعتقد ان الطريقة التي طلب الله فيها الى المسلمين اعمال عقولهم في التفكير في خلقه ، توصي باي شكل من الاشكال بأن تكون مشابهة لطريقة اليونانيين في الوصول الى اصل الوجود . ان هناك فرقا بين اله المسلمين الذي وصفه فيلسوفهم الكندي بانه « مؤيس الايسات عن ليس » او خالق الاشياء من لا شيء ، وبين اله الفلاسفة اليونانيين الذي يوصف بانه « الثابت في الوجود » بحيث توحي فلسفتهم بان الكون قد انبثق عن هذا الثابت انبثاقا او انه فاض فيضا او اضاء ضياء .

لقد بدأ المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة على اساس انه مجتمع متدين يعيد كل حادثة الى الله ويجمع حول كلمة الله ويلتف حول قانونه الذي ما كان سوى ارادة الله ومشيئته في قضايا البشر .

وبعد وفاة الرسول استمر الطريق « القويم » عند المسلمين في اتباع

السنة دون جدل او نقاش اي اتباع سياسة التقليد وكل ما يخالف هذه السياسة هو « بدعة » (Innovation) لا يرضى الدين عنها •

وهكذا أبى اهل السنة تقبل الفلسفة او اعمال العقل وفضلوا الابقاء على ايمانهم المقرون باتباع هذه السنة بكل حرفيتها ومضامينها • ولقد نظر هؤلاء المحافظون الى التاريخ على انه عملية انتقال من سيء الى اسوأ وان العالم ذاهب ابدا من حسن الى طالح ولقد كانت للتاريخ لديهم بداية ونهاية• البداية هي الخلق ، والنهاية هي يوم الحساب • واذا ما قورن هذا بنظرة اليونانيين الى التاريخ لوجدنا نقيضه تماما • فالتاريخ لدى بعضهم هو حلقة تعيد نفسها ولدى آخرين هو عملية تقدم وازدهار •

وحين يتوصل المسلمون بفتوحاتهم الى اصقاع كثيرة من الارض يخرج المسلم الى اهل البلاد المفتوحة فيحصل صدام في الفكر بين ما يحمله من تقاليد عريقة فيها من التحفظ والحذر الشيء الكثير وبين ما يلقاه بين ايدي اهل تلك البلاد من تراث فلسفي وفكري لم يكن قد اعتاد عليها •

وكانت نتيجة هذا الصدام ظهور جماعات من المسلمين مناوئة للسنة والتقليد ومن ابرز هذه الجماعات فرقة المعتزلة التي اعتمدت « الكلام » اساسا للنقاش • ولقد صاحبتها او تطورت عنها جماعات اخرى مثل الاشعرية والشيعة وكلها جماعات متأثرة بصورة او باخرى بالخط الفلسفي الجدلي الذي تعود جذوره الى اليونانيين • ولقد مهدت هذه الجماعات لظهور ارباب الفلسفة الاسلامية مثل ابن سينا ، والكندي، والفارابي، والامام الغزالي، وابن رشد• ولقد تعارض المعتزلة مع اهل السنة في امور رئيسية هي خلود القرآن، وخلع الصفات البشرية على الله ، والعدالة الالهية ، والقدر والقضاء•

فمثلا يقول المعتزلة ان الله يجب ان يكون عادلا لانه كامل ، بينما يقول أهل التقليد ان الله يستطيع ان لا يكون عادلا او ان يكون وهذا شيء علينا ان نقبله « بلا كيف »•

ولقد كانت الفلسفة الاسلامية بمثابة تطوير لعلم الكلام الذي بدأه

المعتزلة . واعتقد بعض الفلاسفة ان الكون قد انبثق عن الله انبثاقا او انــه فاض فيضا ، كما فعل ابن سينا . بينما اكد آخرون وجود الخلق في لا شيء كما فعل الكندي.

واليوم بعد التطور الهائل الذي قلب مفاهيم البشرية يتساءل المرء ، اين تسير مسيرة الفكر الديني؟

لقد بدأ انقلاب فكري كبير بظهور ديكارت وباعطائنا فكرته الجديــدة عن الخالق والمتلخصة بقانونه « انا افكر فاذا انا موجود وانااشك فاللهموجود» ذلك ان ديكارت قال طالما ان هناك فكرة في رأسه عن الكمال تشغل باله وطالما انه انسان ناقص ، فلا بد ان المال قد اتاه عن كامل وهو الله .

وبعد ديكارت اتى المذهب التجريبي على ايدي باكون وهيوم ولــوك . فهاجم هيوم الدين برفضه فكرة وجود فكرة مسبقة في الذهن كما فعل ديكارت.

ولقد تشعبت هذه الفلسفات ما استطاعت الى ذلك سبيلا فلما ما ا داد التقدم العلمي والصناعي نجد ان الفلسفات قد بدأت تتلاشى لتستبدل بنظريات اجتماعية اقتصادية حديثة . واهم هذه النظريات هي الماركسية. فهل الماركسية فكر ديني؟ الجواب هو بالنفي القاطع ذلك ان هذه النظرية قد ألغت في مضمونها اهم عنصر يبحث فيه كلا الدين والفلسفة الا وهو الطبيعة . واعتبرت بديــلا عنه التاريخ كاساس للبحث . فهل هذه النظرية وامثالها آخذة لتكون «الدين» الجديد لابناء البشرية ؟ وهل اصبحت مظاهر المدنية الحديثة طقوس عبــادة في ذلك المعبد الذي ترتفع فيه اصوات الالات الصناعية لتبارك الرب الجديــد الذي نراه في كل وسيلة من وسائل الانتاج؟

المراجع :

اعتمد البحث على النصوص الاصلية في المراجع المنوه عنها في سيـــاق البحث وعلى بعض المحاضرات في الجامعة الاميركية في بيروت .

دمشق رغيد النحــاس

من اجل الشباب

بقلم : احمد محمد جمال

— ٢ —

حديث الى الشباب

● حول تأثرهم بالدعوات والافكار الهدامة للعقيدة والخلق .

● وهجرهم للعبادات الاسلامية التي هي خير تربية لهم تقوي عقيدتهم ، وترفع اخلاقهم .

ان تخلف المسلمين ، وانهزامهم امام عدوهم الحقير ، واضطراب احوالهم ، وقلق مجتمعاتهم لكل اولئك سبب واحد لا ثاني له : هو اتخاذهم القرآن مهجورا ، وهو الكتاب الذي بعث به اليهم نبيهم الكريم ، ليكون لهم عصمة من الزلل ، وعزة من الهوان ، وقوة من الضعف ، وسبيلا الى الخير ..

وانتم — ايها الشباب المسلم — هدف الاعداء ومرمى سهامهم طعنا في دينكم ، وهدما لكيانكم وتفريقا لشمل امتكم ، وتوهينا لوحدتها ، واذلالا لعزتها ..

كما انكم سريعو التأثر ببريق دعواتهم المخربة ، ومبادئهم الهدامة للاخلاق ، وافكارهم الهازئة بالله خالقا ورازقا ومدبرا للناس والكون ، وحقيقا بالعبادة والتوحيد .

من اجل ذلك اتحدث اليكم باختصار عن (الاسلام) عقيدة وشريعة ،

● « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » .

● « ان هو الا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين » .

وانما أردت بهذا الاستدلال العلمي الطبي على بعض ثمرات الصلاة الصحية الجسدية ، والثمرات الروحية اعظم وأهم .. ان ألفت انتباه شبابنا الذي ينصرف عن الصلاة والصيام او عن العبادات الاسلامية كلها ، متأثرا بشبهات سخيفة تافهة لا تقوى على البحث والنظر العميقين .. في الوقت الذي تشهد فيه المؤسسات العلمية الطبية الاجنبية بحكم للصلاة والصوم رائعة نافعة ، بل تنصح هذه المؤسسات العلمية الطبية الاوروبية والامريكية مرضاها المصابين بالقلق النفسي ، والتوتر العصبي ، وخلل الاجهزة الهضمية من كبد ومعدة وامعاء .. تنصحهم بممارسة الصلاة والصوم الاسلاميين(١) .

أجل أردت أن ألفت انتباه شبابنا الى انهم يهجرون دينهم عقيدة وسلوكا ، في الوقت الذي يستفيد منه اعداؤهم الذين تعمدوا صرفهم عن دينهم ـ يستفيدون من سلوكه وخلقه وتشريعه دون عقيدته روحا وتعبدا..



ايها الاخوة الشباب .. يا فرحة الحاضر ورجاءه ، وزاد المستقبل وسلاحه : اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون في تحصيلكم للعلم النافع ، ثم في تقديمكم لامتكم ووطنكم العمل الصالح الرشيد .. ولا تنسوا ان الله وعدكم وعد الحق فقال : « واتقوا الله ويعلمكم الله » . هداكم الله ، وأصلح بالكم ، وجعل منكم قرة اعين لآبائكم ومعلميكم ، وذخرا وفخرا لبلادكم ودولكم . انه سميع قريب مجيب .

(١) في كتابنا (محاضرات في الثقافة الاسلامية ـ فصل العبادات) . مزيد من تفصيل واستدلال بآراء علماء الطب في هذا الموضوع .

باعتباره آخر الاديان السماوية وناسخا لها ، وباعتبار رسوله عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين ومصدقا لهم جميعا ، وباعتبار شريعته كافلة لمصالح الانسان في دنياه وأخراه •

ونبدأ الحديث بذكر آيتين من القرآن الكريم تتلخص فيهما فلسفة المنهج الاسلامي بجانبيه الايماني والعملي وهما قوله عز وجل ـ من سورة الحج « يآ ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير ، لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ، ونعم النصير » •

● والى جانب الامر بالركوع والسجود ، وعبادة الله وحده ـ يجب ان يسلك المسلم طريق الخير قولا وعملا وبذلا ، ففي العبادة الخالصة والعمل الصالح : الفلاح المحقق ، والفوز المبين •

● والى الامر بالصلاة ـ في ختام الآية الثانية ـ والاعتصام بالله ، لانه هو مولى المؤمن ونصيره •• يجب ان تؤدى الزكاة ، وتبذل الصدقات ، فبهذا التعاون المادي بين الاغنياء والفقراء ، والاقوياء والضعاف تنشأ المحبة بين افراد المجتمع الاسلامي ، ويتم التكافل الاجتماعي ، ولا يبقى اثر لمشاعر الحسد والبغضاء في قلوب الفقراء تجاه الاغنياء ـ على العكس من « الشيوعية » التي يقوم نظامها الفاشل ، ودستورها الباطل على تحارب الطبقات وحقد العمال على اصحاب رؤوس الاموال ، وبالتالي بغض هؤلاء لأولئك نتيجة لسلب الحكومات الشيوعية لثروات الاغنياء ، والاستيلاء على مصانعهم ومزارعهم ، باسم انصاف العمال كذبا وزورا •

وبتأمل الآيتين السابقتين تتجلى كما اسلفنا ـ فلسفة المنهج الاسلامي بجانبيه الايماني والتشريعي :

- فهو دين ودولة .
- وعبادة وسيادة .
- ومحراب وجهـاد .
- ومصحف وسيف .
- وتربية فردية ، وتعاون اجتماعي .

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منـه ، وهو في الاخرة مـن الخاسرين »

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غـير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم »

وسبيل المؤمنين هي سبيل نبي الاسلام قبلهم ، وسبيل اصحابه وخلفائه من بعده .. كانوا يصلون بالنـاس في المساجـد ، ويقودون العسكر في الحروب ، ويفصلون في قضايا الرعيـة في المحـاكم ، ويتعهدون الافراد والجماعات بالارشاد والتوجيه ، وانكار المنكر واقرار المعروف ، ويراقبون سياسة عمالهم ونوابهم في المدن والامصار ، فيعزلون الجـائر المنحرف ، ويبقون الامين المستقيم .

يقول العلامة الاستاذ المودودي : ان الدين الذي تؤمن به يجب ان تفوّض اليه شخصيتك كاملة .. لا تستثني منها جزءا مـن أجزاء فكرك وعملك ، ومن مقتضيات الايمان اللازمة : ان تدخل في الاسلام كافة حتى يكون دينا لعقلك ، وقلبك ، وعينك واذنك ، وليدك ورجلك وجسدك ، ولقلمـك ولسانك ، ولبيتك واطفـالك وزوجتك ولمدرستك ومجتمعك ، ولتجارتك ومكاسب رزقك ، ولسياستك وحضارتك وآدبك ، ثم لا تنسى ان تنشر مكارم هذا الدين الذي آمنت به وتبث محاسنه وفضائله وتدعو البشر كافة للايمان به والدخول فيه .

- والا ما اقوى العقيدة عاملا على إدامة الصلة بالله ، وما امضاها

سلاحا للانتصار على متاعب الحياة ، وما اغناها كنزا تهون ازاءه متارف المـال والجاه .



وكما ان العبادات هي روافد العقيدة وسواندها ، تجدد القديم ، وتذكر بالمنسي ، فهي كذلك روافد السلوك وسوانده ، فالمسلم : لا يعبـد الله بالصلاة والصيام فقط وانما يعبده بسلوكه الخير النافع له ولأهله وأسرته ولمجتمعه وللمسلمين جميعا اذ لا خير في عبادة المسلم اذا لم تهده الى الحق ، وتنهه عن المنكر وتأمره بالمعروف .

والعبادات الاسلامية ، كما يقول الدكتور (محمد علي الزعبي) تحرر الانسان من استعباد الكهنة والسدنة وغيرهم من الذين يرون بأنفسهم شعاعا من ألوهية او تقديس ، ويضطهدون من لا يخصهم ببعض العبادة ، كما كان يفعل قدماء الرومـان والمصريين . وهي ايضا تحرره مـن تقديم القرابين للمعبودات الباطلة كالشمس والقمر والكواكب وتحرره كذلك من الاستعانة بالاموات ، والقسم باسمائهم وتقديم النذور لهم .



أيها الاخوة الشباب :

لعل من المهم والمفيد معا ان نشير هنا الى ظاهرة شبابية مؤسفة :
هي ان كثيرا من شباب المسلمين لا يلتزمون بفريضة الصلاة والصيام، مع انهما ركنان اساسيان من اركان الاسلام الخمسة ..

انهم لا يصلون ولا يصومون ، ويسخرون من المصلين والصائمين ، ويرون في هاتين العبادتين رجعية وتخلفا الى القرون الغابرة ، لا يتناسبان مع حضـارة القرن العشرين ومفاهيمه وانجازاتـه العلميـة والاختراعيـة ، والتكنولوجية .. وتختلط بتفكيرهم الناشىء الطري شبهات عن الصلاة والصوم والحج ايضا وهو الركن الخامس من اركان الاسلام .. يثيرها المتحللون من القيم الدينية من اعداء الاسلام ، وابنائه على سواء ، فتجد

ـ اي هذه الشبهات ـ في اذهانهم الخالية من العقل الكامل وصدورهم الفارغة من الايمان العميق ، تربة صالحة للانبات والاثمار ، ومن هذه الشبهات الضالة المضلة ان الصلاة والصوم ـ بل العبادات جملة واحدة ـ لا موجب لها ولا داعي اليها .. ما دام الانسان على خلق حسن ، حيث لا يؤذي احدا ، ولا يضر جارا ، ولا يظلم قريبا ولا بعيدا .

وينبعث هنا سؤال ، هو في الوقت نفسه رد على هذه الشبهة : هل وجد الانسان الذي لا يؤذي ولا يضر ولا يظلم ؟ مع انه لا يعرف الله ، ولا يعلم له امرا أو زجرا، ولا يرقب فيه إلاًّ ولا ذمة ، ولا يؤمن بيوم الحساب؟.

ان الانسان لا يأتمر بخير ، ولا يزدجر عن شر الا اذا كان مرتبطا بعقيدة دينية ، موصولة هذه العقيدة بين قلبه كايمان ، وجوارحه كعمل ، ولسانه كذكر لله توحيدا وتمجيدا وتسبيحا ، ومراقبة للغد بعد اليوم ، وللموت بعد الحياة ، وللجزاء بعد العمل .

اما الشبهة الاخرى : فهي ما يثيره اساتذة هؤلاء الشباب من اعداء الاسلام في جامعات اوروبا وامريكا ، حين يرون بعض طلابهم المسلمين يقيمون الصلاة فيضحكون في وجوههم سخرية ، ثم يقولون لهم : ما قيمة صلاتكم وما نفعها لكم اذا كانت عقيدة القضاء والقدر من اركان الايمان في دينكم الاسلام ؟ حيث ان كل شيء خيرا او شرا مقدر ومكتوب .

وأخيرا يجد الشباب المسلم من سخرية اعداء الاسلام ، واعدائهم بهم ـ حين يركعون ويسجدون ـ صارفا لهم عن الصلاة .. بل عن كل العبادات الاسلامية صورة وموضوعا ..

والغريب العجيب : ان الطلاب المسلمين الذين يتأثرون بشبهات اساتذتهم الغربيين حول الصلاة والصيام فينصرفون عنهما ، لضعف شخصياتهم ، وسطحية تفكيراتهم ـ لا يقرأون ما تكتبه المؤسسات العلمية والجمعيات الطبية في العواصم الغربية، عن انكشاف الآثار الطيبة النافعة نفسيا وجسديا لعمليات الصلاة والصيام .

هؤلاء الشباب المسلمون لا يقرأون مثلا ــ مــا اعلنته الاحصاءات العلمية الطبية في فرنسا منذ عامين : من ان ١٧ موظفا من اصل ٢٠ موظفا تتراوح اعمارهم بين ١٨ عاما واربعين عاما ـ يشكون من مرض يسمونه مرض (الديسك) ويؤكد الاطباء الفرنسيون ان هذا المرض هو مرض مدمني الجلوس على المقاعد ، ويؤدي الى ألم في العمود الفقري ، وبالتالي الى اختلال التوازن الجسدي ، كما يفسر الاطباء الذين اجروا بحوثهم عـلى ألوف الحالات في فرنسا ــ ان من اسباب هذا المرض : القلق النفسي ، والتوتر ، ويقولون ــ أي الاطباء الفرنسيون ــ : ان العبادة التي يمارسها المسلمون ــ أي الصلاة ــ هي أحسن علاج لمرض العصر الحديث ، مــرض (الديسك) وينصحون مرضاهم بممارستها .. نظرا لان حركات الركوع والسجود ــ في الصلاة الاسلامية ــ تلين بها عضلات الظهر وتقوى(١) .

وانا لا اريد بهــذا الاستدلال العلمي الطبي الرياضي ــ ان يصلي شبابنا ، لان في الصلاة منفعة صحيــة لاجسامهم ، او تقويــة لعضلاتهم وظهورهم ــ فنحن المسلمين مأمورون ان نسمع ونطيع ، وان نؤمن بالغيب ، والا نمتنع عن الايمان او الطاعة حتى نفهم اسرار العبادــات والتشريعات الاسلامية ، او حتى ندرك حكمتها ، ولكن اذا بدت الحكمة ، وتبين السر ، وظهر الاثر ازددنا ايمانا وتسليما ، فقد وعدنا الله تبارك وتعالى في قرآنه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ان الاحــداث الكونية والانسانية ، وتطورات الحياة ، مع تقدم العلم الذي هو هداية منه عز وجل ــ كل ذلك سيؤكد للناس ــ مؤمنين ومرتابين ــ ان الله حق ، وان دينــه قرآنا وسنة ــ حق ، وان رسوله حق .

ففي القرآن الكريم :

● « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون »

(١) آخر ما قرأت في ذلك كتاب (الاسلام والطب الحديث) للبروفسور محمد عالم كيرخان الاستاذ في كلية الطب بلاهور ــ باكستان .

حـديث مـع الشبـاب

حـول اضطراب المجتمعات الاسلاميـة بسبب ابتعادها عـن ذكر الله في كل اعمالها وقضاياها

ايها الاخوة الشباب انتم ـ ولا ريب ـ أمل الحاضر ، وذخر الغد . انكم ناشئة وشباب ، ولكنكم غدا رجال وقادة واصحاب رأي وسلطان . آباؤكم ومعلموكم والناس من حولكم ، والدولة من فوقهم جميعا ـ كل هؤلاء بأموالهم ، وقلوبهم ، وعقولهم لا مرجى لهم عندكم الا ان تعدوا الاعداد الصالح ، وتنشئوا التنشئة السوية ، وتعلموا التعليم النافع لتكونوا غدا علماء عاملين ، وقادة رأي راشدين ، وسادة مجتمع كراما تصلحون في الارض والعمل ولا تفسدون ، وتعدلون قولا وحكمـا ، ولا تظلمون ، وتقيمون على دينكم الحق ، ولا تزيغون .

من اجل ذلك .. من اجل اهميتكم الذاتية آثرت ان اتحدث اليكم بما أراه (موضوع الساعة) أو (قضية العصر) ولعل الله ان يجعل للمسلمين على ايديكم غدا فرجا ومخرجا .. اذا حسن اعدادكم ، وصلح استعدادكم ، وصدقت نياتكم وصحت عزائمكم ، فانما الاعمال بالنيات و(الايمان) ليس بالتمنى والتحلى .. ولكنه ما ثبت في القلوب ، وصدقته الاعمال .

نقل عن سلطان العلماء (العز بن عبد السلام) انه نظر يوما الى تلامذته من حوله ، فرآهم جميعا يبكون ، وقد افتقد احدهم مصحفه ، فقال عجبا : كلكم يبكي .. فمن سرق المصحف ؟ .

والمسلمون اليوم ـ ايهـا الاخوة الشباب ـ كلهم يبكون .. فمن سرق المصحف ؟ .

● الزعامات تشكو من رعاياها ، والرعايا تشتكي من زعاماتها !!.

● الرئيس يشكو من موظفيه وعماله والموظفون والعمال يشتكون من رئيسهم !

● المعلمون يتضايقون من طلابهم ، والطلاب يسأمون من معلميهم !.

● التجار يتباكون من كساد مزعوم ، والمستهلكون يجأرون من احتكار التجار ، وتغاليهم بالاسعار ، وغشهم في السلع .

● الاطباء يضيقون صدرا بالمرضى ، لانهم لا يلتزمون بالحمية الواجبة ولا بالدواء الموصوف ، ومع ذلك يترددون عليهم ، ويتوجعون لهم.!

● والمرضى حاقدون على الاطباء ، لانهم لاينصحون في فحص الداء ولا يخلصون في وصف الدواء ! .

● الآباء والامهات يشكون من الاولاد : جهدا في التربية والتعليم وسوءا في المعاملة والجزاء . والاولاد يسخطون رقابة آبائهم وامهاتهم على سلوكهم ، وحزمهم في معاملتهم ، وحرصهم على نجاحهم .

● الازواج تزعجهم معاملة زوجاتهم لهم : نشوزا او إعراضا ، أو اسرافا في مطالب الزينة ، أو اهمالا لشئون البيت او تقصيرا في رعاية الاولاد.

● والزوجات لا يعجبهن الا الرجل المطواع ، الجواد ، الصبور ، المستجيب لكل مطلب ، الملبي لكل نداء ، الراضي لكل اهمال ، الساكت على كل تقصير .

كلهم يبكي ؟ فمن سرق المصحف ؟ من المخطيء منهم ومن المصيب ، أو من الظالم فيهم ومن المظلوم ؟.

كلهم يقول ، ان الزمان فسد ـ وكذبوا فما فسد الزمان ، وانما الناس هم الفاسدون المفسدون للزمان .. وصدق أبو الطيب اذ يقول :

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

ان الواقع المؤسف : انهم جميعا سرقوا المصحف ؟ فكلهم راع ، وكلهم مسئول عن رعيته : الرجل راع وهو مسئول عن بيته واهله وولده ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والرئيس والمرؤوس راعيان

مؤتمنان على مصالح الامة ، ومسؤولان عن الامانة الثقيلة الجليلة .

والطبيب مسئول ، والمريض مسئول ، والتاجر مفروض عليه الامانة والرفق ، وحرام عليه البخس والتطفيف والغش والاحتكار والآباء والمعلمون رعاة امناء وهداة ايقاظ ، والابناء مطلوب منهم ان يبروا آباءهم وامهاتهم ، وان يحترموا معلميهم ، وان يستفيدوا منهم .



ان المجتمع الاسلامي بلغ من (العبث) درجة انعدم فيها الرابط والضابط ، واستوى السائل والمسئول ، واختلط الحابل بالنابل ، حتى اصبح كلهم يبكي ، وكلهم سرق المصحف !.

يقول الله عز وجل : « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ونحن المسلمين اليوم خائفون حزنى . لماذا ؟ لانهم يفتقدون شروط الامن ، واسباب الفرح .. فقد وصف الله اولياءه الآمنين بأنهم : « الذين آمنوا وكانوا يتقون » ووعدهم في الآية التالية : « لهم البشرى في الحياة الدنيا ، وفي الاخرة » .

● ويقول تبارك وتعالى : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » والمسلمون اليوم يعيشون في ظلمات الفرقة والذل والمعصية ، وظلمات الجهل والضعف والمرض .

● ويقول سبحانه : « ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » والمسلمون اليوم مغلوبون لأحقر عدو وأذله وأقله مع كثرتهم وقلته ، وغناهم وفاقته .

● ويقول عز وجل : «كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فاذكروني اذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون » .

فالله قد بعث الينا رسولا من انفسنا ، وهو يمن علينا بذلك منا ،

أفبعثه لكي نلهو ونلعب ، ونرقص ونطرب ونملأ فراغات حياتنا بأباطيل القول والعمل ، ولذائذ الاكل والشرب ومحرمات السمع والبصر ؟

لا . انما بعثه الينا ليتلو علينا القرآن الذي سرقناه وبعناه بأبخس الاثمان .. تماما كاللص الذى يسرق الجوهرة الثمينة ، أو السوار الذهبي النفيس ، ثم يبيعه بثمن بخس دراهم معدودة .

لا تستغربوا هذا التشبيه والتمثيل .. فالمسلمون سرقوا القرآن لانهم لن يقفوا عند حدوده ، ولا حرموا حرامه ، ولا حللوا حلاله ، ولا اقاموا معالمه ، ولا حفظوا مكارمه . وكذلك وصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الرجل الذي لا يتم صلاته ركوعا وسجودا وقياما وقعودا بانه (سارق) بل انه أسرق الناس .. في حديثه الذى يقول فيه : (أسرق الناس الذي يسرق صلاته . قيل يا رسول الله كيف يسرق صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها) .

وبعثه الينا ليزكينا ويعلمنا الحلال والحرام .. ثم أمرنا ان نذكره بالايمان والتقوى ، ليذكرنا بالحفظ والنصر ، ووعدنا ان صدقنا وعملنا صالحا ان نحيا حياة طيبة في الدنيا ، ثم أجر الاخرة أعظم وأكرم : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) . وقال فى المقابل : (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى) .

فلكل هذه المعيشة الضنك ، وهذا العبث الطاغي على شئون المسلمين فى كل أوطانهم ، ولهذا الهوان المضروب عليهم : سبب واحد لا ثاني له : هو اتخاذهم القرآن مهجورا ، هو اهمالهم لذكر الله فى كل احوالهم ، وهجرهم للدين امرا وزجرا ، ووعظا وذكرا .

● والمسلمون اليوم لا ينتفعون بصلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج. ولا أي منسك أو عبادة او عمل مما افترضه الله عليهم .. لان فريقا منهم لا يؤديه اطلاقا والفريق الثاني يؤديه رسما لا موضوعا ، وشكلا لا حقيقة ،

وقليل جدا هم الصادقون والاسلام دين النوايا والموضوعات والحقائق • وليس دين النفاق والمنافقين الذين (يخادعون الله ـ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراؤن الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا) •

● والمسلمون اليوم لا يذكرون الله الا قليلا ، لا يذكرونه بقلوبهم وعقولهم واعمالهم ، ولا يذكرونه في متاجرهم واسواقهم ولا يذكرونه في مكاتبهم ومدارسهم ، ولا في بيوتهم واسرهم ، ولا في سلمهم وحربهم •

لو كان المسلمون اليوم يذكرون الله كثيرا ، ويلتزمون الصدق والامانة والوفاء •• في كل ما يقولون ويعملون ـ لكان لهم من الله عز وجل سلطان ونور •• في ابصارهم واسماعهم وايديهم واقدامهم ـ وكانت سلمهم هناء وعزا ، وكانت حربهم للعدو غنيمة لهم ونصرا •

وصدق الله الجواد الكريم اذ يقول في الحديث القدسي : (ما تقرّب الى عبدي بأحب مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ، ولئن سألني لاعطينه ، ولئن استعاذني لاعيذنه » •

ويؤكد القرآن حقيقة عواقب الايمان والتقوى والذكر الدائم لله عز وجل •• بركات من السموات والارض ، (ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) •

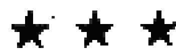
ويقول عن اهل الكتاب ـ ونحن المسلمين مخاطبون بكل ما جاء في القرآن من توجيه وتنبيه للامم الغابرة ـ (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ، وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) كذلك نحن المسلمين لو اقمنا القرآن عقيدة وشريعة وخلقا وسلوكا ، وذكرنا الله قياما وقعودا وعلى جنوبنا لاكلنا من فوقنا ومن تحت ارجلنا ، ولانتصرنا في حربنا ، وعوفينا في سلمنا • ولو ان المسلمين اقاموا القرآن وذكروا الله وتذكروا امره الحازم المكرر في عديد من الآيات القرآنية : بألا يتخذوا

اعداءهم واعداء دينهم اولياء .. لما تفرق شملهم ، ولا تصدع كيانهم ، ولا اختلفت كلمتهم ، ولا نزع الله مهابتهم من صدور اعدائهم ، ولا كانوا غثاء كغثاء السيل ، كما جاء ذلك في تصوير رائع لحديث نبوي جليل .

لقد حثنا الله تبارك وتعالى على ذكره في تقلبنا لطلب المعيشة واكتساب الرزق ، فقال : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .

وهكذا ترون ان الفلاح في معركة الرزق والكسب اي في السلم ـ وفي معركة الحرب مع العدو ، مترتب على ذكر الله عز وجل : بمعنى تقواه ومراقبته وطاعته ، واللجوء اليه بطلب التوفيق والنصر .

ولذلك هزم المسلمون في الجولة الاولى من معركة احد ، وانهزموا كذلك ، في واقعة حنين . مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قائدهم ورائدهم ـ لما خالفوا سنة الله في اكتساب النصر ـ وعصوا أمر قائدهم في الموقعة الاولى ، واغتروا بكثرتهم في الثانية ، وقال بعضهم : (لن نغلب اليوم من قلة) وأنزل الله في ذلك قرآنا يتلى على مر العصور ، ليكون لنا موعظة وذكرا : (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ، فلن تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين) .



ان قضية فلسطين مثل واحد من أمثلة كثيرة على هزيمة المسلمين ، في معاركهم مع اعداء دينهم ، ومخربي حضارتهم ، ومغتصبي اوطانهم ، ومذلي اعناقهم ، وآكلي ثرواتهم .. ولو انهم آمنوا واتقوا ـ كما يؤكد القرآن الكريم لفتح الله عليهم بركات من السماء والارض ، ولاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولجاءهم النصر مبينا على عدوهم المبين :

● « ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ؟ »

● « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »

● اذكروني اذكركم ، واشكروني ولا تكفرون »

● « ادعوني استجب لكم . ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » .

لقد تكرر توجيه القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه الى ذكر الله وتسبيحه والاستعانة به في كل شئونهم ، فهم مأمورون بذكر الله ذكرا دائما لازما لكل احوالهم ، وهم حين نسوا الله انساهم أنفسهم وعطل طاقاتهم عقليا وجسديا ، فلم يعد عندهم تفكير سليم ، ولا عمل صالح ، ولا شجاعة عند لقاء العدو ، ولا بركة في طلب العلم والتماس الرزق . ولم تعد لهم معرفة صحيحة بعدوهم وصديقهم ، فاتخذوا الاعداء اولياء ، وهجروا الاقرباء والاصدقاء ، بل اعلنوا على اهليهم وذويهم واخوتهم في العرق والدين حربا يضرب بعضهم فيها رقاب بعض بينما عدوهم اللدود الذي اغتصب ارضهم وديارهم واموالهم ينظر اليهم ضاحكا شامتا ، متمنيا لهم مزيدا من الفرقة والخلاف ، ومزيدا من التخريب وسفك الدماء .

وهم حين نسوا الله نسيهم .. فلم يعد عز وجل يذكرهم برحمة ولا لطف ولا توفيق الى الخير ولا هداية لاسباب النصر ، فهم في غناهم فقراء وفي جماعتهم ضعفاء وهم على علمهم جهلة ، وعلى كثرتهم غثاء كغثاء السيل .

● ايها الاخوة الشباب ..

انتم ــ كما أسلفت في فاتحة حديثي اليكم أمل الحاضر ، وذخر المستقبل . وأماني الآباء والامهات ، والمعلمين والمعلمات ، والسادة والقادة ــ والدولة من فوقهم جميعا ــ معقودة عليكم .. على صلاحكم في انفسكم واصلاحكم لما فسد في مجتمعاتكم الاسلامية في كل اقطار الدنيا ..

فلا تبدلوا آمالهم خيبة ، ولا تفاؤلهم شؤما ، وانجزوا الوعد ، واوفوا بالعهد ، واصدقوا الحديث ، وشدوا العزيمة . .

هداكم الله وأصلح بالكم وهيأ لكم من أمركم رشدا ●

احمد محمد جمال

اللقاء الأخير

قصة جديدة بقلم السيدة أم عصام

ستارة خمرية اللون وقنديل احمر يتنهد •• وزاوية ثبت فيها مقعدان •• الغرفة رائعة وسحر الصمت الضائع مع الماضي اروع من الف حكاية••انسياب الموسيقى عطر يوشح الذكريات الكامنة في اعماق قلبها •• عيناها في اللـــون الاحمر الدامي وجراح هناك في القلب تنزف بمرارة •• مـــرارة تتفشى فـــي الشرايين كلها ثم تستقر في الحلق فتطفئها جرعة من كأس كسلان ارتمى امامها على الطاولة الصغيرة •• ثم يكبر اطار البارحة •• يغدو وشوشات همــــس تنساب مع الموسيقى •• مع انة الكمان ورعونة البيانو •• كانت يوما هنـــا في تلك الزاوية •• وكان المقعد الاخر يضم وهم حبيبها ببسمته الدافئة وعينيه الخضراوين •• بطيبته وعطفه وحبه لها ••

تكبر تنهيدة القنديل •• يتمايل •• يترنح لدفء ابتلعه وحش الامس•• يعبق في انفاسه الضبابية الحمراء دخان لفافة تنازع بين شفتيها •• والجســـد المجرح يتكاسل اكثر فأكثر بين ذراعي المقعد حتى تخاله قد تلاشى روحا تلهث وراء المطل •• وراء ماض ليس من حقه ان يصبح رفيق الايام الضائعة في فـــم اصباح خلقت ثم ماتت ••

لقد حطمها مثل داء يفني الانسان ••

ــ امل ارجوك لا تتركيني •• انا في حاجة اليك•• وتغرق أمل مــــع حيرتها وذراعاه تضمانها بقوة •• تصهران اضلاعها •• بماذا تجيب ؟•• هـــو في حاجة اليها •• وهي في حاجة الى البعد عنه •• الى نسيانه •• تخال نفسها انسانة جاحدة اذا صارحته ــ سأتركك •• سأبتعد عنك لانسى خطيئتي••انها أكبر من ان اتحمل التفكير فيها ••

ــ (أمل هل سمعتني ؟ انا في حاجة اليك •• ارجوك •• اجيبي)•• بماذا

تجيب ؟.. تراها تملك الجرأة لتقول له بانه المجرم الاول في كل ما حصل ؟.. تراها تستطيع ان تهمس في اذنه بانه حطمها مثل داء يفني الانسان ؟.. ام تراها لم تتبدل ، بانسانيتها التي لا تجرح احدا فكيف وهو الغالي ؟..

ـ (أمل .. بدونك لست ادري ماذا كنت فاعلا .. انت ملاك ارسله لي الله ليشفيني من جراحي).. ملاك .. وتسخر بهزء كبير من نفسها الملاك.. ملاك في ثياب انسان ؟.. انسان يتمنى ويحب ويشتهي ؟؟؟ ... لا .. لا .. هي ليست بملاك.. هي بشر كغيرها من بني البشر .. لها اخطاؤها وحسناتها لها امنيات ورغائب فكيف يصفها بالملاك ؟.. الملائكة لا تعرف الاذى وهي التي جلبت الخراب لنفسها والشقاء لقلبها . .

يداه تضمانها بقوة عنيفة .. كيف تتخلص منهما .. تحس بانفاسها معدومة .. تتمنى الافلات من ضمته .. لا تستطيع .. على صدره تهفو لالف ألف امنية .. لو كان هذا الصدر لانسان اخر سواه .. لو كانت الكلمات التي تهمس في اذنها صادقة ومن فم انسان عرف الحب يوما .. لو .. لو ..

هذا الانسان يمثل العشق والهيام وهي تحس بهذا التمثيل،فكيف تصفعه بالحقيقة ؟.. بل كيف تصفع ذاتها التي تحبه ؟ كيف تنسل من بين ذراعين قويتين تحملان فورة الشباب .. تحملان الثلاثين ربيعا لهبا .. دافقا وصبا يفورا.. لاشهر خلت كانت ذراعاه تضمان جسد صديقتها واليوم تعانقانها هي.. الفم كان يهمس بالحب الصلاة واليوم يغني الكذب في ثنايا الكلمات العميقة اليتيمة .. جملة واحدة لا اكثر يرددها ـ انا في حاجة اليك ـ انا احبك او انا لك وانت لي فهذه آثار بائدة عفت عنها الايام وغدت طللا من الاطلال حينما نبذته الصديقة لتحب سواه . كانت تلك حواء الانثى حقا التي تخرج ليس آدم فقط من الجنة بل كل الاجيال المتعاقبة من الادميين.

ربما كانت صديقتها على حق بعد صدمة حطمتها مثل داء يفني الانسان.. وعاد هذا الفناء ليتماسك ويتكامل وينتقم ثم عاش يومه ليومه لا امسه ولا غده .. تماسك هذا الفناء ليرمي بالهياكل المزيفة والدمى .. دمية اثر دمية لئلا يعرف مرة ثانية الندم والحسرة ثم العودة الى الفناء.

تسلت الصديقة بالدمى قبل ان يستسيغوها هينة •• ساذجة •• وحينما تثاءبت مللا منهم رمتهم وكبلت ذاتها •• نستهم وعاشت كلا •• لا حسرة في الاغوار ولا ندما في الضمير ولا يقظة مجرحة لا تعرف النوم • كل هذا واكثر كانت صديقتها •• اما هي•• امل السكينة الوادعة •• التي تهب كل راحتها ثمن ابتسامة •• تبيع الهناءة وهي تفتقدها •• تدفع اغلى من الحياة ثمنالاسعاد انسان •• تفترش نفسها ارضا لمن ينثر الاشواك في دربها وتصمد •• تصمد لجراحها وعذاباتها •• تصمد رغم ندمها وشجنها •• بالرغم عنها كانت تفعل كل هذا ، ربما لانها خلقت طيبة هكذا •• سمحة وديعة •• كلها حنان ••

ــ (انت ملاك ارسله الله لي)•• هي حقا ملاك ، لكن لملائكتها حدود •• صحيح انها اعطت ووهبت •• أسعدت وضحت لكنها لن تخدع في لاحب•• كل ما تمتلكه من مادة ومعنى تدفعه ثمنا للصدق •• اما ان تحس بالتمثيل والكذب وعدم الحب فهذا ما تنكره وتستنكره بشدة عجيبة ••

من اين تستقي القوة ذراعاه المعانقتان لها •• من العدم ؟•• ومن ايـن تنهل هي بعض اطمئنان واستقرار•• وقد اصبحت قانعة ان هذا الملجأ المزيف ليس لها •• ولم يكن يوما لها ؟••

قبل اشهر عرفته عاشقا لصديقتها واعجبت بحب توهمته حبا في عصر افتقد معنى الحب الحقيقي •• كانت المحاربة الاولى لاراء صديقتها فيما لو استمرت الاخرى في عبثها المعتاد مع هذا الانسان الذي كان غاليا ، كانت دوما في صفه ومع ارائه حتى لو كانت خاطئة طالما وهب قلبه بصدق لفتاة واحدة لا بديل لها •• كانت دوما في صفه معادية لاراء صديقتها في كل حوار ونقاش حول هذا الموضوع ••

وجاء يوم ملته الاخرى ونبذته •• أصبح لديها مجرد دمية ملتها فرمتها في سلة المهملات كغيرها من الدمى المرمية للنسيان ••

وكان ملجأه الامين صدر امل •• يبثه لواعج قلبه وحزنه •• ومع الايام ومع اللقاءات المتعددة تسلل شيئا فشيئا لبرج حياتها ثم وجدت نفسها عاشقة

والهة تنتظره كل صباح وكل مساء كما كان يدعي هو الاخر بانها اصبحت لـه كل شيء حتى الهواء والماء وكل الحياة وومضة الامل .

لحظة ضمها الى صدره اول مرة تمنت ان تصرخ في وجهه وتقول : رد لي قلبي .. لا اريد العذاب. انت تحب الاخرى ما نسيتها ولن تنساها يوما فلماذا تعبث بقلبي ؟.. في تلك اللحظة الوليدة بينهما جبنت عن قول الحقيقة يلفهـا وهم كبير بانها ربما مخطئة في الحكم عليه .. وان الليل القادم بعد لحظـات ربما تولد منه نهار جديد سيغزل لها ضفائر متينة تتسلقها لتسبح في فضـاء محموم كله حب وسعادة واحلام كبيرة .. دون ألم او عذاب .. او مصاعـب للحياة القاسية . كان الوهم يسلبها كل تفكير في تلك الحكاية حتى النسيان.. نسيان نفسها .. نسيان كرامتها .. وتسلقت الجبال المشبوكة لها في الفضـاء كله .. كانت في عتمة دائمة تتخبط .. تتساءل عن هدفها اين هو ؟ .. متلفعة بليل يسكن وداعتها احلاما هانئة حلوة .. تارة مع آمال صبح تبسم وتارة على وهم مساء .. تتساءل وتتلفع وتتسلق دون ان تحسب حسابا للوهم ولا للبريق الكاذب بين تشابك الخيوط الواهية الواهنة الذي غزلها خيالها وقلبها فقط.. في لحظات مفاجئة وجدت اصابعها تقبض على الفراغ والعدم .. وروحها معلقة بين السماء والارض ضائعة تعبة .. تلفتت من أعماق يأسها تبحث عن صدره.. لم تجده .. نادته .. ما من مجيب .. توسلت اليه .. اين هو ؟ .. انه في بلد آخر .. في عزلة يندب حظه وحبه للاخرى التي نبذته . وهي معلقة بخيوط الوهم بحثت عنه بلمسها وهج حبها وبين شفتيها صلاة اسمه الغالي..

نادته ونادت بلهفة مشوقة ولوعة مروعة .. وحين عاد .. نظر اليها ببلادة وجمود .. في عمق نظرته الف موت .. وفي وجهه الف كآبة يغللها بصـوت تختنق الكلمات فيه حتى لتخال شفتيه مغلقتين الى الابد .. تحسست يديـه، انهما عاديتان لا نداوة الحب في الاصابع ولا لهيب الشعور في الشرايـين ولا نبضات الحياة تحت الجلد الاسمر .. رغم حبها قررت ان تتركه يأكلها نـدم وحشي.. لقد كانت الثمن .. ثمن النسيان لانسان لم يحس بها مطلقا ..كانت

جرعة الدواء لمريض بدأ يشفى ..

(لا تتركيني يا أمل .. انا في حاجة اليك).. رغم قواه الواهنة يمثل بانه يضمها الى صدره وجاءه صوتها صافعا مدويا :

ـ سامر كنت اتمنى ان يكون ما بيننا حبا ...

اجابها والدهشة المفتعلة تتربع ملامح وجهه :

ـ أليس ما بيننا حبا ؟..

تجيبه بحسرة كلية :

ـ لا يا سامر .. اراك شفيت ولست في حاجة الي .

وصرخ في وجهها يقطع انين كلماتها والمعنى الكامن في الحروف :

ـ لا .. لا .. انا في حاجة اليك .. انت واهمة .. انت واهمة ..

ـ سامر .. لقد دفعت الثمن وكنت لك .. وسأظل بصفك دوما ضد صديقتي حتى تعود اليك ان سلوتني ام لا .. ان احببتني يوما ام كـذبت علي.. اسامحك ..

وصمت رأسا على تعابير وجهه الف تساؤل لكلامها هذا ..

تمنت ان تسمع منه اي شيء.. تمنت ان يصفعها بالحقيقة ويقول لهـا: لا اريدك كفاني كذبا وتمثيلا .. فما حرك ساكنا ولا عادت له انسانيته المسافرة ليصدقها الشعور والقول بل سحبها بين ذراعيه وارتميا على الاريكة .. بقلب مفعم بالحب الصادق ارتمت بين ذراعيه .. ذراعين قويتين مسحوتتين بالشباب والعزيمة والقوة .. طويلا طويلا عاشت في وحدة .. طويلا طويلا عاشت في حرمان وغربة عمن حولها .. كانت قانعة لا تبحث عن احد .. حتى ولاالشعور الميت في حناياها لم يعذبها فقدانه يوما ، كانت تخال انالحياة هكذا ، دمـاء تفور ورغبة تذوي ثم تتنازع مع الايام حيث يصبح البشر امواتا تسير.. بجثة وبقايا احساس كانت تعيش .. كانت .. بقلب مفعم بالحب الصادق ارتمـت بين ذراعيه .. ترى .. كيف عاش الحب في قلبها ثانية ؟.. لقد ودعته وشيعته

ودفنته منذ زمن طويل ؟.. فماذا جاء بهذا الشاب الى حياتها ؟.. بكل ضعف واستسلام وايمان ووجد ارتمت بين ذراعيه لتودعه .. انه آخر لقاء يجمعهما معا .. هكذا قررت في قرارة نفسها .. آخر لقاء ..

أول لقاء جمعهما كان في ركن معتم من أركان أحد المطاعم.. يومذاك غمرتها الشفقة لبؤسه ينهم من كأس من البيرة يطفىء فيه ناره المتلظاة في جوفه .. كان يتكلم ويتكلم عن غدر الصديقة .. وهي مكومة في الزاوية المواجهة له تضم رداءها على جوانحها التي ترى العذاب ولا تدفع البلسم ولو كان كلمة حلوة او لمسة حانية ..

اول شعور سكن بباب قلبها هو الشفقة .. الشفقة الكبيرة على شاب حران انتذوى أزاهيره وأنيموت امل الحياة في نفسه باكرا ..

ثم كبر شعورها حتى تحولت الشفقة حبا كبيرا جرف كل شيء في طريقه .. اصبحت سيدة ذاتها .. ترمي وراءها كل المسؤوليات لتكلمه او تلقاه .. ترمي صديقتها وشعارها الابدي ـ عش اليوم لليوم لا أمسه ولا غده .. اما شعارها هي فقد كان عش لتحب .. وحب لتعيش .. احساسها بالسعادة كان كبيرا عندما تبدل سامر من انسان ضائع يائس الى محب ينتظر ويواعد ويحلم .. كانت الاستغاثة تتربع نظرته .. حتى ملك وتملك ..
كبيرا عندما تبدل سامر من انسان ضائع يائس الى محب ينتظر ويواعد ويحلم .. كانت الاستغاثة تتربع نظرته .. حتى ملك وتملك ..

وجاء يوم استنكر فيه وجود امل في حياته .. أمل المسكينة الذي ارتمى على يديها يوما يقبلهما ويستحلفها بكل عزيز الا يكون حبها له شفقة .. واستترت امل حتى احساسها البدائي بالشفقة انكرتها .. انكرتها حتى بينها وبين نفسها لتعيش قصة حب عرفت الآن انها الوهم .. كل الوهم رغم الصقيع يضمها بين ذراعيه ويقول لها :

ـ امل لا تتركيني .. انا بحاجة اليك ..

لكنها تحس بصقيعه •• تحس بالعدم في عينيه والموت في فمه •• ستطبق فمها •• لن تفوه بحرف •• ستنتظر الثمن •• ثمن شفقتها وحبها ونسيانهـــا لكرامتها •• ستنتظر كطبيب ثمن الدواء المجاني الذي اعطاه •• ستنتظـــر لانها كانت غبية ضحية ـ عش لتحب •• وحب لتعيش •• كان الاحرى بهـــا لو اعتقدت العكس : عش لتتبذ الحب وحب لتتسلى •• رغم العواصف التي كانت تحول في اعماقها كان رأسها على كتفه •• رغم الرياح التي تزأر فيتلافيف رأسها كان فمها مطبقا لا يشكو •• رغم السهام التي كانت مغروسة في قلبها•• غمرتها الشفقة لبؤسه ينهم من كأس من البيرة يطفيء فيه ناره المتلظاة فيجوفه•• كا يتكلم ويتكلم عن غدر الصديقة •• وهي مومة في الزاوية المواجهة له تضم رداءها على جوانحها التي ترى العذاب. ولا تدفع البلسم ولو كان كلمة حلوة او لمسة حانية ••

اول شعور سن بباب قلبها هو الشفقة •• الشفقة الكبيرة على شـــاب حران ان تذوي ازاهيره وان يموت امل الحياة في نفسه باكرا ••

ثم كبر شعورها حتى تحولت الشفقة حبا كبيرا جرف كل شيء في طريقه •• أصبحت سيدة ذاتها •• ترمي وراءها كل المسؤوليات لتكلمه او تلقـــاه•• ترمي صديقتها وشعارها الابدي : عش اليوم لليوم لا امسه ولا غده •• امـــا شعارها هي فقد كان عش لتحب •• وحب لتعيش •• احساسها بالسادة كان كانت تصمد •• وتدفع آخر قشة لغريق واخر جرعة لمريض واخر تنهيدة عـــلى صدر حبيب •• خيل لها يوما بانه حبيب ••

الهمسة الصادقة ماتت في مرارة الفم •• والبسمة الالفة ابتلعها وهم كبير خلك جفون مطبقة بعذاب حزين ••

ستتركه •• ستنسل من بين ضمة ذراعيه لاخر مرة •• لن يراها بعـــد اليوم •• احب فيها الدواء وكفى •• تسلق السلم على اضلاعها ووصل ••

ان عاد الى صديقتها ام لم يعد فقد انتهى من حياتها وقلبها ••

عندما غادرته تلملم جراحها كانت في خيالها صورة امرأة عمياء القلب معدمة على حافة قمة عالية تشرف على واد ضيق ..

ماتت كلمات تقول لها : حذار .. حذار .. لتمتد يدان تدفعانها الى السفح بعينين تتأملان بنهم وهدوء جسدا يتأرجح على الصخور الى الاعماق الاعماق ..

والصدى البعيد عبر الآفاق كان يردد :

ـ اتق شر من احببت .. اتق شر من احببت ..

دمشق ام عصام

الصحافيون المتضررون فعلا
ماذا حدث لهم ؟!

الصحافيون المتضررون كثيرا وحقيقة انطبق عليهم المثل « لا بالشام عيدنا ولا بد وما لحقنا العيد » .

الصحافيون المتضررون كثيرا وحقيقة ممن خسروا بيتهم ومكتبهم ومكتبتهم وجميع ما يملكون مثلنا «آكلوها وتلحوسوا» كما يقول المثل العامي، فلا الحكومة تعوض عن الاضرار ، ونقابة الصحافة قيل بأنها عوضت على ذوي الالسنة الطويلة وغيرهم من ذوي الحظوظ، اما الذين يستحقون وكانوا دائما من الصحفيين الملتزمين فقد ركبهم المثل القائل : «السعادة تجر السعادة والشقاء يجر الشقاء» أضف الى ذلك اساءة بعض الحكومات العربية الفقيرة؟! لمن تضرروا في سبيلها مما سنأتي على ذكره في الاعداد القادمة، فنضع النقاط على الحروف ونقول للمحسن احسنت وللمسيء أسأت .

خلق ليكون ملكاً

قصة بقلم : ج . باغنول
ترجمة عيسى فتوح

(الجزء الاول)

كان هنالك مرة ملك يتمتع بسلطان عظيم ، وثراء عريض . ذات يوم قدم الى بلاطه شيخ بسيط ، له عينان زرقاوان صافيتان . قال الناس ان لديه القدرة على ان يقرأ حيوات الرجال في النجوم .

قال له الملك : « حدثني شيئا عن نفسي » .

قال الشيخ : « عندما تموت لن يخلفك احد من اسرتك ، والرجل الذي سيخلفك لم يولد بعد » .

لم يسر الملك لدى سماعه هذا النبأ ، فأمر الشيخ بان يغادر بلاطه ، والا يعود مرة اخرى .

فكر الملك كثيرا بما سمع ، وبعد حين تزوج سيدة جميلة ، ونسي الشيخ . عندما تزوج الملك عم الفرح جميع الناس ، واملوا بان يرزق ولدا يمكن ان يغـدو ملكا صالحا .

ذات يوم ركب الملك مع بعض اصدقائه ، وقصد الغابة ليصطاد الحيوانات فرأوا حيوانا كبيرا جميلا ، راحوا يطاردونه . ولما كان الملك يمتطي افضـل حصان ، فقد استطاع ان يسرع في الجري اكثر من سواه . وما هي الا غمضة عين ، حتى خلف الجميع وراءه . عندما اظلم الليل وجد الملك نفسه وحيـدا في الغابة . لم يصطد الحيوان ، ولم يعرف اين هو ، او كيف يمكن ان يجـد منفذا للخروج من الغابة . قال في نفسه : «انني ضائع تماما ، لا اعرف ايـن يجب ان اذهب . الظلمة الحالكة تلف الان كل شيء . يجب ان انام هنـا في الغابة ، وغدا عندما تشرق الشمس ، سأبحث عن طريق انفذ به من الغابة .

بدأ الملك يصنع لنفسه فراشا من العشب والاوراق ، لكنه قبل ان يتمدد للنوم ، نظر بهذا الطريق وذاك ، فلمح حينئذ نورا ضئيلا : كان نور المصباح في النافذة . ركب حصانه وسار باتجاه النور ، ولما اقترب وجد ان النـــور كان ينبعث من خيمة رجل فقير . صرخ ففتح الباب رجل ضخم يرتدي ثيـــابا باليــــة .

قال الرجل : «لا يمكنك ان تدخل الى هنا ، لان زوجتي مريضة جـــدا، واخشى من احتمال موتها . انظر ، ان ثمة خيمة اخرى ، اذهب ونم فيهـــا ، وسأحمل لك شيئا لتأكل وتشرب .»

اثناء الليل ايقظت الملك صرخة حادة ، فخرج من الخيمة وتلفت حوله، لكنه لم يستطع ان ير شيئا ، فعاد واستأنف النوم ، وفي النـــوم رأى الشيـــخ بعينيه الزرقاوين الصافيتين يقف امامه .

قال الشيخ للملك : « تذكر طفل الرجل الفقير ، انه سيصبح ملكا فـــي مكانك » .

حينما اشرق الصباح استفاق الملك ، ثم خرج الى خيمة الرجل الفقـــير، فوجد الرجل داخلها يبكي ، وهو ينظر الى جسد زوجته الميتة ، والى جانبهـــا ذلك الطفل الصغير الذي ولد في الليل . كان الطفل حيا . نظر الملك الى الرجل الفقير ثم الى الطفل الصغير .

وبينما كان الملك يتأمل هذا المشهد الحزين ، سمع ضجة خارج الخيمة، كانت اصوات اصدقائه فخرج لقائهم . سر المرافقون اذ وجدوا ملكهم سليما، فركبوا حتى وصلوا الى باب الخيمة .

قال لهم الملك : « ان هذا الرجل المسكين قد ساعدني ، لذلك يجـــب ان تساعدوه لقد ماتت زوجته . يجب ان نعطيه قليلا من الذهب ، ونحمل الطفل الصغير معنا ، حيث ستعتني به سيدات القصر ، ويحيا بيننا .»

حينئذ عرف الفقير ان هذا الرجل انما كان الملك .

قال : «ايها الملك افعل كما تشاء ، انني لا استطيع العناية بابني ، لان امه

ميتــة ».

قال الملك لاحد خدمه ويدعى وليم : « وليم ، اعط الرجل هذه الكميـة من الذهب واجلب معك الطفل ».

اعطى وليم الرجل القطع الذهبية ، ثم اتى بصندوق صغير ، فرشه بالعشب اليابس ، ادخل الطفل في الصندوق ، وضع فوقه قليلا من العشب اليابـس ايضا ، وكان هذا كل غطائه .

امتطى الملك حصانه ثم قال لوليم : «اركب جنبي ، واستمع الى ما اود أن اقوله ».

حالما انطلقا من الخيمة راكبين ، اخبر الملك وليم ما قد سمعه في نومـه. قال : « لقد قال الشيخ ان هذا الطفل سيصبح ملكا بعدي ، وبما انني اكـره ان يصبح ملكا ،لذلك اريد منك ان تلقيه في النهر ».

قال وليم : « اذا كان الله يشاء في ان يصبح الطفل ملكا ، فسينقـذه حتى ولو حاولنا قتله ».

قال الملك : « لا تتكلم احمق . اقذف بالصندوق رأسا على عقب . ابق خلفي وافعل ما اقول ».

سافر الملك وخلف وليم ، فرمى وليم الصندوق في النهر . سمع الملك صوت وقع الصندوق في الماء . التفت خلفه ، فرأى الصندوق يطفو على صفحة الماء ، دون ان ينقلب، والطفل يبكي . حمل الماء الصندوق بسرعة بعيدا ...

عندما وصل الملك الى بيته ، قابله احد الخدم بوجه يطفح بالبشـر، واخبره ما حدث اثناء غيابه في الغابة ، وهو ان الملكة قد انجبت طفلا وطفلة . سر الملك للغاية ، فأعطى الخادم مبلغا من المال ، ولم يفكر بطفل الرجل الفقير.

بعد اربعة عشر عاما ، وفي صباح يوم ، انفرد الملك في الغابة ليصطـاد الحيوانات ، فشاهد رجلا وغلاما يقطعان الحطب . كان الصبي اشقر الشعر، أزرق العينين ، اما الرجل فكان اسمر اللون ، وذا عينين سوداوين .

سأل الملك : «من ذلك الصبي ؟»

هو ابني يا صاحب الجلالة .

قال الملك : « انه لا يشبهك ابدا ، اذهب وات بزوجتك الى هنا . اريد أن ارى ما اذا كان يشبهها » .

« سآتي بزوجتي يا صاحب الجلالة اذا كنت ترغب في ذلك ، لكنه لا يشبهها ، اننا ندعوه ابننا ، لانه يعيش دائما معنا . ليس ابننا الحقيقي ، بل عثرنا عليه قبل اربعةعشر عاما . انقذنا حياته ، ولا نعرف ما اذا كان ابوه او امه على قيد الحياة.»

نظر الملك بامعان الى الفتى والخوف يملأ قلبه ، في حين انطلق الرجل ليأتي بزوجته ، وعندما رجع كانت تصحبه زوجته ، وهي تحمل صندوقاصغيرا بين ذراعيها .

التفت الرجل الى زوجته وقال : « تكلمي واخبري الملك قصتك » .

« قصتي قصيرة جدا ، في يوم من الايام ، وقبل اربعة عشر عاما ، كنت اركب حماري على ضفةالنهر، عندما سمعت صرخة تشبه الصرخة التي يطلقها طفل رضيع . تأملت في العشب الطويل الذي كان ينمو على ضفة النهر ، فرأيت فيه صندوقا ، وفي ذلك الصندوق طفل صغير يبكي . نزلت عن الحمار والتقطت الصندوق ، ثم حملته الى البيت . سررنا به جدا لانه لم يكن لنا اية اطفال . أطلقنا عليه اسم روبرت ، وهذا هو الصندوق الذي وجدته فيه. اننا نحبه وهو يحبنا » .

عندما رأى الملك الصندوق ، عرف انه كان قد رآه من قبل ، وانه نفس الصندوق الذي رماه وليم في النهر ، وعرف ايضا ان الصبي كان هو الطفل الذي حاول قتله .

اعطى الملك للرجل وزوجته بعض المال ، ثم سافر والخوف يملأ قلبه. عندما وصل الى البيت نادى وليم ، الذي كان لم يزل احد خدمه ، وتحدث

اليه بهدوء وقتا طويلا ، ثم ارسل معه رسالة الى الرجل الفقير • امتطى حصانه وتوغل في الغابة •

وجد وليم في الغابة صبيا كان يحاول القبض على سمكة في النهر • رفع الصبي نظره عندما احس بمجيء وليم • قال وليم : « انني واثق من ان هـذا الصبي هو الذي ولدليكون ملكا »•

حينئذ قال للصبي : « اين هو الرجل الذي قابله الملك امس ؟ »•

«انه ابي ، اتبعني وانا سأقودك اليه •

عندما وصلا الى البيت ، دعا روبرت والده • نظر والده الى وليم ،فعرف من ثيابه الجميلة انه قد جاء من عند الملك •

قال وليم اقرأ هذه الرسالة ، انها من الملك •

اجاب الرجل : « لا استطيع القراءة ، لكن روبرت يستطيع »•

قرأ روبرت الرسالة ، فاذا بها امر لروبرت بالمثول بين يدي الملك الـذي يرغب في انيعتني به ، ويرسله الى مدرسة جيدة •

قال الرجل بحزن : « يجب ان تتصرف حسب اوامر الملك ، لكن لا تنس ان روبرت سعيد هنا للغاية»•

قال روبرت : «انا سعيد هنا جدا • ليس لانسان في الدنيا ابوانلطيفان كأبوي • لا اريد الذهاب •»

قال وليم : « يجب ان تأتي ، فحياتك هنا ستبقى حياة رجل فقير • الا تود ان تصبح متعلما ورجلا عظيما ؟ تعال معي »•

قال الرجل الفقير : « نعم ، يجب ان تذهب معه ، لكنني واثق من انـك ستظل تذكرنا دائما ، وربما ستحضر وتزورنا من حين لآخر •»

قالت زوجته : « نعم ، حاول ان تزورنا عندما تستطيع » ، ثم طوقتـه بذراعيها وقبلته •

قال وليم : « يجب ان تأتي الان »• ثم اقتاد روبرت الى حصانه • وبعد

ان امتطاه ، طلب من روبرت ان يعتلي ظهر الحصان وراءه ، ثم انطلقا سوية •

حزن روبرت جدا لمفارقته اولئك الناس الطيبين الذين كانوا له موضع الابوين طوال حياته • شعر بادىء الامر بالتعاسة ، ولكن بما انه كان فتى يافعا ، والشمس تشع دافئة، والطيور تغرد في الاشجار ، فسرعان ما استعاد شعوره بالسعادة •

بعد حين قال له وليم : « انزل عن الحصان ، لانه تعب جدا ، ولا يمكنه حمل كلينا »•

وهكذا نزل روبرت عن الحصان ومشى الى جانبه • توغلا في الغابة مدة طويلة ، حتى شعر روبرت بالتعب الشديد واراد ان يرتاح •

اوقف وليم حصانه ونزل، ثم جلسا كلاهما تحت شجرة، وبعد حين استلقى روبرت وغرق في نوم عميق ، حينئذ تناول وليم حجرا كبيرا ورماه به على الرأس • وبينما هو كذلك سمع ضجة : بعض المسافرين كان ماراً، امتلأ قلبه بالخوف • وقف ثم قفز على ظهر الحصان ولاذ بالفرار ، ظانا انه قتل روبرت •

عندما وصل الى الملك قال : « لقد مات الصبي • لن يصبح ملكا ابدا » •

(الجزء الثاني)

بعد مرور ست سنوات ، امل الملك بان تنجب الملكة طفلا ، لكن شيئا من هذا لم يحدث ، ولم تلد الملكة اية اطفال • خلال هذه المدة شبت ابنته عن الطوق ، واصبحت بارعة الجمال • كانت لطيفة بقدر ما هي جميلة ، لذلك أحبها جميع الناس •

عندما بلغت الاميرة الثامنة عشرة من عمرها ، توفيت أمها الملكة ، فحزن الملك وابنته عليها حزنا شديدا ، وقد ادى الحزن بالاميرة الى المرض •

قال لها ابوها : « دورا ، يا ابنتي ، انك تبدين مريضة ، لذلك ارى ان ابعث بك الى « بيت الوردة » في الريف ، حيث الهواء النقي ، والحياة الهادئة

كميلان يرد العافية اليك ».

قال الملك : « ابقي في «بيت الوردة» حتى احضر ، ربما اجيئك بامير لتتزوجيه ».

ذهبت الاميرة الى «بيت الوردة» في الريف مع خادمتها ماري . كانت سعيدة في الذهاب ، لكنها لم ترغب في الزواج من رجل لم تره من قبل ابدا. وعلى كل حال فقد كان عليها ان تنفذ مشيئة والدها ، آملة ان يأتي لها بشاب لطيف وجميل المنظر .

سافر الملك الى مقاطعة اخرى ليبحث عن رجل يصلح زوجا لابنته . كان لحاكم تلك المقاطعة جيش لا بأس به ، وكان احد ضباط ذلك الجيش شابا حسن الطلعة ، ذا شعر اشقر وعينين زرقاوين . عندما رآه الملك ظن انه يعرفه.

سأل الملك الشاب : « من انت ، واين موطنك ؟ اظن انني اعرف وجهك».

قال الشاب : اسمي روبرت ، وهذا كل ما اعرفه عن نفسي . قبل ست سنوات جيء بي الى هذه المقاطعة . حملني بعض المسافرين ، حينما عثروا علي في الغابة وانا بين الحياة والموت . حاول احد ان يقتلني ، فاصاب رأسي بضرر بالغ ، وهذا هو السبب في انني لا اتذكر اي شيء عن نفسي . كل ما اعرف اسمي فقط .

هنا تأكد الملك من ان الشاب كان هو الصبي الذي امر وليم بقتله.سأل حاكم المقاطعة عن هوية الشاب ، وعندما عاد الى مقاطعته اصطحب روبرت معه.

ذات يوم ارسل الملك في طلب روبرت .

قال : اذهب الى «بيت الوردة»، وخذ هذه الرسالة . اعطها للضابط قائد عسكري هناك . كن حريصا على ان تسلمها للضابط فقط ، ونفذ ما يطلب ان تعمله .

امتطى روبرت حصانه وسار عبر الحقول الى (بيت الوردة) . كانت امام البيت حديقة كبيرة ، وعند بابها يقف جنديان .

عندما لمحا روبرت قال احدهما : من انت ، وماذا تريد ؟•

قال روبرت : انني احمل رسالة من الملك ، يجب ان اسلمها للضابط •

قال الجندي : الضابط يتناول طعامه الان ، وعليك ان تنتظر ، لكن بما انك تبدو تعبا ، لذلك اترك حصانك هنا ، وادخل الى الحديقة لتجلس وترتاح ، وسأدعوك حينما يأتي الضابط •

دخل روبرت الى الحديقة ، كانت مكانا هادئا وجميلا ، مليئا بالازهـار والاشجار البديعة ، وكان بعض السمك الاحمر يسبح في مياهها • قضـى روبرت فترة وهو ينظر الى السمك ، ثم شعر بالاعياء ، فاستلقى تحت شجرة واغمض عينيه مستسلما الى نوم عميق •

بعد وقت قصير دخلت الاميرة دورا ووصيفتها ماري الى الحديقـة • مشتا قليلا فوق العشب الناعم الاخضر ، ثم جلست الاميرة لتأخذ قسطا مـن الراحة ، بينما راحت ماري تتمشى حولها منفردة • اقتربت من المكان الذي كان روبرت نائما فيه • عندما رأته توقفت ونظرت اليه بامعان • انها لم تر في حياتها ابدا شابا وسيما كهذا الشاب•

قالت : هذا هو الرجل الذي ستتزوجه الاميرة • ثم رجعت بسرعة الـى المكان الذي كانت الاميرة تقف فيه •

قالت : اظن اميرك قد اتى •

قالت الاميرة دورا : ماذا تعنين ؟

قالت ماري : تعالي وانظري بنفسك • شاب ولا اجمل ، نائم • انه يبدو اجمل من اي امير في الدنيا•

حينئذ اقتادت ماري الاميرة الى المكان الذي يغفو فيه روبرت • عندما رأته دورا اختلج الحب في قلبها • قالت الاميرة في نفسها : لن احب اي رجل آخر في حياتي • تسمرت في مكانها بعض الوقت ، تتأمله بلا ارتواء ، ثـم أدارت بصرها الى ماري التي راحت تقرأ رسالة ، كانت قد سقطت من يـد

الشاب . ما ان اخذت ماري في قراءة الرسالة ، حتى ابيض وجهها من شدة الرعب .

قالت الاميرة : ما تلك الرسالة التي تقرئينها ؟

« خذيها واقرئيها بنفسك ، من المؤسف ان يحدث مثل هذا لشاب لطيف »

اخذت الاميرة الرسالة وقرأتها ، وهذا ما قرأته : « الى ضابطي في (بيت الوردة) انا، الملك، آمرك بان تنزل الموت بحامل هذه الرسالة . كل الاشرار يجب ان يموتوا مثل هذه الميتة » .

خافت الاميرة دورا جدا . نظرت الى ماري برهة ، ثم قالت : «انتظري قربه حتى اعود ، فاذا نهض خبئيه ، ولا تدعي احدا يراه » .

ركضت بسرعة الى غرفتها، وتناولت قلما وقطعة نظيفة من الورق ، ثم جلست وراحت تكتب ، وهذا ما كتبته الاميرة دورا على الورقة : « الى ضابطي في (بيت الوردة). ابعث اليك باطيب تمنياتي . اريد ان تتزوج ابنتي حامل هذه الرسالة . لا تنتظر ، دعها تتزوجه بسرعة . عندما احضر ، يسعدني ان اجدهما زوجين . هذه هي أوامر ملكك .»

ثم عادت حينئذ الى الحديقة ، واطلعت ماري على الرسالة . وضعتا الرسالة في متناول يد الشاب وانصرفتا .

جلستا تنتظران في جانب آخر من الحديقة ، وكلتاهما ترتعد من الخوف.

قالت ماري: دعينا تتشجع . علينا ان ننهي ما قد بدأناه . اشعر في صميم قلبي بانك سوف تجنين ثمار السعادة .

بعد قليل سمعنا صوت الكلام . كان الضابط والشاب آتيين . قال الضابط : «سعادة الاميرة ، هذه الرسالة من والدك الملك ، ارجو ان تقرئيها بنفسك » .

عندما نظر روبرت الى الاميرة ، طفح قلبه بالحب . انه لم ير في حياته شابة بمثل هذا الجمال . قرأت الرسالة ، ثم نظرت اليه .

« سأكون سعيدة في ان انصرف حسب أوامر والدي . ان هاتفا يهتــف بي اننا سوف نجني قطوف السعادة معاً . دعنا نتزوج غدا » .

دهش روبرت جدا عندما سمع مضمون الرسالة . قال : «انني مستعد لان ابذل حياتي في سبيل الملك ، واخدمه حتى اموت . يرغب الملك في ان نتزوج ، وانا على يقين من انني سأحبك دائما وابدا . هكذا ...»

انتظر الملك يوما واحدا بعد ذهاب روبرت ، ثم امتطى حصانه ، وانطلق الى « بيت الوردة » .

عندما اقترب سمع رنين اجراس ، ورأى كثيرا من الناس يرقصون في الحديقة . دهش جدا ولم يدر بماذا يفكر . سار عبر الحديقة ، فرأى ابنتــه تمشي مع روبرت ، واليد في اليد ، وخلفهما ضابط الجيش . ما ان رأى روبرت ودورا الملك، حتى توقفا ، واتجه الضابط ليساعد الملك في النزول عن حصانه .

قال : « ايها الملك ، لقد تصرفت كما امرت، وتزوجت ابنتك الاميــرة من الامير روبرت » .

هتف جميع الناس من فرط السعادة ، وقذفوا بقبعاتهم في الهواء ، وجلس الملك يرنو الى ابنته وروبرت . حينئذ أورقت على وجهه نظرة السعادة .

قال : « انها مشيئة الله . خلق هذا الرجل ليكون ملكا » .

تأبط الملك ذراع ابنته بيد وقبلها ، كما تأبط ذراع روبرت باليد الاخرى ايضا، ثم التفت الى الشعب وقال : « هذا هو اميركم الجديد. اعلموا ان مشيئة الله قد قضت ان يكون ملككم . هذا هو اسعد يوم في حياتي . غنوا وارقصوا وعيشوا سعداء » .

صاح الشعب بصوت عال ، وراحوا يرقصون ثانية . تأبط الملك ذراع ابنته وذراع روبرت ، ومشى وسط الجماهير السعيدة في « بيت الوردة » .

عيسى فتــوح

في محراب ابن الفارض

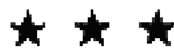
شعر : هـادي الشربتي

أعادتنـــي الذكرى لايام صبوتي ... فعدت الى الالفين سهدي ودمعتي
فان كان منـــي العود يحمد انما ... سعيت بنفسي نحو عودة محنتي
رمـا ضرني اذ لست اول عاشق ... يؤوب الى وادي الهوى بعد توبة
ولكن ما قاسيت من ألم الجوى ... بسالف ايامي يعكر عــــودتـــي
وما حيلتي والحب يغري جوانحي ... ويسري باعراقي ويلهب لوعــتي
يزين لي مــابت اخشى عذابـــه ... فقلت على رغم اصطباري حيلتي
ووسوس في نفسي بشتى فتونه ... الى ان وهى منها الزمـــام فلبت
سعيت الى حتفي بنفسي ولم يعد ... يفيد الذي أظهرتـــه من تعنــت
أيجدي فتيلا ان تمـــد يـــد الى ... غريق رمـــاه الموج في قلب لجة؟
وهل دمعة الثكلى يعيد انسكابها ... فقيدا عليه اشهر الحول مــرت؟

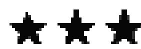


اعادتني الذكرى الى زمـــن بـــه ... كساني الصبا من نسجه خير حلة
زمان بـــه يحلو الربيـــع وعيشه ... دتسعد ايامي وتزهو فتـــــوتي
لبست بـــه برد الشباب منعمـــا ... فكنت المجلي بين صبحي وفقتي
وتصفو لنـــا كأس الحياة نعبهـــا ... بلا كدر يغشى صفاها وغصـــــة
تغني لنا الايـــام عذب لحونهـــا ... فتطرب سماري وتوقد نشوتـــي

فلا الليل يدري كيف نطوي ظلامه ولا الشمس تدري كيف حلت وولت
ولا العمر يدري كيف نطوي سجله فما عامه في عيشنا غير لحظة
وان بقايا مجلس ومدامة واطياف سمار واوشال خمرة
تدل على ان كان في الحي سامر ورنة كاسات واصداء نغمة
وفتية لهو افرغ الدهر كأسها فنامت على ذكر الدنان واغضت



حلفت يمينا بالمدامة والهوى وبالدمعة الخرساء في الخد سحت
باني مهما في الحياة تنوعت صنوف صباباتي واسباب نعمتي
فلم آك خال البال يوما وانما دهاني الذي منه الحشاشة ضجت
وذاك بواكير لعهد خياله الى الان لا ينفك يسكن مقلتي
تسربلت من نسج الصبابة حلة كستني بثوب من ضناي وعلتي
وما برمت نفسي ولا خافقي ارعوى ولا ذقت ذرعا من عذابي وشقوتي
وجدت نعيمي في الهوى وشقائه فلم ينصدع قلبي ولا الروح ملت
فان كنت خالي القلب كانت شبيبتي سرابا به كل اللبانات ضلت
عذاب الهوى سلوان نفسي ومدمعي سميري متى سود الليالي اطلت
قد استعذبت نفسي الاذى في سبيله فان شفائي في سقامي ولوعتي
فيا شوق زدني حرقة بعد حرقة عسى ان تنال النفس ما قد تمنت



عجبت لقلب ما كفاه الذي رأى ولم يتخذ في العمر اية عبرة
وما زال غضا يشتهي مسلك الهوى واسقامه للان لما ابلت

عنود فــلا يثنيه عن نزواتـــه وعيد ولم تنفـع لديه نصيحتي
ففي كل عرق فيـه ألف وسيلة الى الشوق يذكيه بألف فتيـــلة
يهيم عـلى رغمي بوادي صبابة به من مهاوي الموت الف بليـة
تمـرد حتى لم يعـد في تمكني له الروع حتى استنفدت قابليتي
ولم يك طوعي كي ارد جمـاحه فطاوعته كرهـا على غير رغبـة
ولجت وسلمت القيـاد لامـره وان فنيت روحي ونفسي اضمحلت
ركبت متون العشق استعذب الردى بنفسي على حد الحسام استقرت
ولليأس حال ان تمـلك مهجـة فاما الى حيث الاماني تجلـت
واما الى لحد يشـق وصخـرة لها السحب ناحت والاعاصير غنت



سمعت نشيج المـاء في غليانـه ينوح وفي ذراته النار شـبت
ينادي أهيل الحي من في دياركم فؤاد يواسيني ويرثي لحـالتي
سفحت على الشعب الخضيب مدامعي زلالا فأحيت أدمعي كل ميـت
وكانت صبايا الحي تقصد موردي فرادى ومثنى عند شاطىء ترعتي
ويقصدني العشاق في امسياتـهم فكانت مجالي لهوهم في ضيافتي
وكان على جرفي لدى الليل محفل يعبون من كأسي وصرف مدامتي
واحييت بطن الارض من كل ممرع ولولاي لم تزهو البقاع وتنبت
فكان نصيبي ان صليت بحزمـة من العشب من ثديي نمت وتقوت
جزائي بشر رطب عود سقيتـه فأحرقني لمـا استحـال لجمرة
رضيت بما قد قدر الله قانعـا فما حيلتي ان كانت النار قسمتي

فشأني شأن الماء والعشب في الهوى | وجوزيت شرا رغم طهري وعفتي
أضعت كياني كله في رحابـــــه | فؤادي وآمالي وعقلي وراحـــتي
فما الحب في شرعي مقالة قائــل | اذا عهدها ولى مضت وتوفـت
ولا كأس خمر حين دب خمــارها | فزهو وابداع وافراط نشـــوة
وان سخنت منها الرؤوس فنغمة | تغنى وان تلقى الاباريــق تخفت
ولا لحظة يسمو الخيال فينتشي | لحمى لظاهـــا للجوارح هزت
ولكنه مزج لروحــين كلمـــا | تقــادم عهــد شمله لم يشقــت
وهل ممكن للماء فضل عن الطلا | اذا خمرة بالمـــاء في الكأس شفت
كذلك دأب العاشقين تلاحمـــت | قلوبهم بعضا ببعــض ولـــزت
حبيبي فؤادي فهو في مستقــره | متى حن اعضائي بنجواه حنـت
تزعمت ركب العاشقين فحيثمــا | أسير وسير الركب رهن اشارتي
وما ذاك مني نزوة او جهـــالة | اريد بهــا ارضاء نفسي وشهوتي
ولكنني بالحق أصبحت قائــدا | لجيش لهـــام سائر في معيتــي
اذا عقد العشـــاق للحزن محفلا | وكل همــوم القوم بالحق قيست
فلم تــك الا عشرتهم حملـــته | لوحدي فاعجب باتزاني وقوتــي
فصاحب «ليلى‌جن» من فرط حبه | ولم يك الا جارعا بعض حرقتي
و «فرهاد» لما شج بالفأس رأسه | فحسرته في الحب اعشار حسرتي
واسطورة «الحلاج» يذهب سرها | هباء اذا مـــا قستهـــا بحقيقــتي
اذا دخل «ابن الفارض» الحال مرة | وعاد .. فحال ينقضي عندميتي
حياتي (حال) كلها منذ ان وعى | فؤادي وسر الحب في الارض حنتي

على رغم ما اسلفت لا زلت مالكا عناني ولم افقد كياني وهيبتي

* * *

تعشقت من صلى الجمال لحسنه فصار على رغم المعادين حصتي
سما بخل (عمران)عن الطورعندما سبا برقه لف الفلاة بوقدة
ولم يواري الشعلتين حقيقة او جنته ؟ ام نار رب تجلت
وعاف اليد البيضاء حين تبسمت ثناياه برهانا لصدق نبوة
فعاد فما للوحي يهفو فؤاده فلم يسترق سمعا ولم يتلفت
وآنس نارا لا من الطور وقدها ولكنها من بين جنبيه شعت
وخر على رغم النبوة ساجدا لآية حسن بين عينيه رفت
كأنفاس عيسى الروح انفاس لطفه تفوق على ريح من الخلد هبت
وما يوسف الصديق يحوي بهاءه وان اغرمت فيه زليخا وهامت
وما سلسبيل الخلد يصفو كنفسه كأني بها من معدن الله صيغت

* * *

كلفت بمن اهوى الى ان اضلني عن الدرب فاستعذبت فيه غوايتي
وهبت له عقلي وديني فحبه مناي واشواقي له فوق طاقتي
مصلاي اضحى وجهه فعبادتي له واليه توبتي وانابتي
صلاتي تسبيح لقدس جماله ووجنته عند التهجد قبلتي
وما لسواه اسبل الطرف خاشعا وفي موضع الرجلين محراب سجدتي
ضلالي اذا خلفت عن ذكر حبه وان همت وجدا فيه تمت هدايتي
خيال محياه نديمي ومؤنسي وطيب ذكراه يبدد وحشتي

تملــك احساسي وكل جوارحي ودب دبيب الجمر في لب فكرتي
ولست بسال ان تمكنت ســلوة ففي حبه أدركت قمـــة لــذتي
وان غاب عن قلبي هواه هنيهـة فذلك في عرفــي دليل ضلالــتي

كربلاء ــ العراق هادي محمد الشربــتي

خيمتي

★★★

الصيف عاد وخيمتي عادت كما كانت تفــوح بها الطيوب وتعبق
أرض عليها الياسمين ديــولــة وذيــوله بزهورهــا تتنمق
وتشابك الرمـــان فيها وانحنت اغصـــانه بثمـــارها ترفّــق
وانجلنــارك بقايــا لم تزل مزهــوة اكمامــها تتفتــق
وبــدا القرنفــل باسما ألوانه شيء عــلى جنبــاتهـا يتعلق
وهناك دالية كــأن قطوفهـــا حبات بلــور صفـا ، تتألــق
قد خالطــت بفروعها جاراتها فتنــاسقت ما مسهــن منسق
حتى غدت في وحدة من حسنها والحسن من اجزائــه يتحقق
هي معبدي وقت الصلاة وملتقى صحبي لدى شجراتهـا تتحلق
وتظل منها ذكريــات أحبـــة كالطيف قــد مروا بها وتفرقوا

خربة سلم احمد حسن الامــين

قافلة الحياة

شعر : محمد القريني

تحث السير قافلة الوجود بصحراء الابوة والجدود

تحث السير جيلا بعد جيل من الجيل القديم الى الجديد

تسير وسيرها ابدا ودوما الى جهة الترقي والصعود

فمن ليل النحوس تسير فينا الى صبح المسرة والسعود

فكم مرت عليها من حقوب وأزمان مريرات الورود

وكم قاسى الاوائل من خطوب وكم بذلوا جهودا في جهود

وكم فتكت بهم تلك البلايا من الامراض والفقر الشديد

وعاث الجهل أزمانا طوالا وقيدهم بانواع القيود

وكم لاقى البرايا من شقاء يسوق بهم الى ضيق اللحود

وكم قاسوه من ظلم وغش لطاغوت وجبار عنيد

وشمس العلم سائرة ببطء وليل الجهل جاث في ركود

الى ان لاح فجر العلم فيه يمزق ظلمة الجهل الكنود

وفيه استبشرت كل البرايا وزال الروح عن كل الوجود

وقرت أعين العلماء طرا بما بذلوه من جهد جهيد

فأشرقت العلوم بكل ارض وهب الناس من ذاك الرقود

فأين اليوم من زمن تقضى واين اليوم من تلك العهود؟

أهل كانت لـ (عاد) كهرباء ... ومـاء للاسالة او (ثمـود)؟

وهل (فرعون موسى) طار يوما ... فلم يجنح الى (الصرح المشيد)؟

وهل ركب الاوائـل في قطـار ... يجـوب الارض بيدا بعد بيـد؟

وهل كانت بـذاك العهد يومـا ... بواخر تمخـر البحر العنيـد ؟

وهل سيـارة سارت وراحـت ... كهب الريح في العصف الشديد ؟

وهـل سمع الاوائل من اغـان ... واخبار تذاع من البعيـد ؟

وهل في (الشاشة البيضاء) يومـا ... رأوا ما قد شهدنا من شهـود ؟

فكم للعلم من نعـم جسـام ... وكم للعلم من عيـش سعيـد ؟

وامـا في غد فالله يـدري ... وليـس غـدا علينـا بالبعيد

فهذا الكون خـزان عظيـم ... يسير مع الزمـان بلا حـدود

وان العلـم مكتشـف خبـير ... يرى الاشيـاء في بصر حديـد

عجائبـه تلـوح بكـل عصر ... عجـائب ليس تحصى للعـدود

وقافلـة الحياة تسير دومـا ... الى النعمـاء والعيش الرغيـد

كربلاء ـ العراق ... محمد عبد الله القريني

وَإِذَا ٱلعُرُوبَةُ نَدَّ عَنْكَ بَيَانُهَا

فَسَدَ ٱلفُؤَادُ مَعَ ٱلبَيَانِ ٱلمُفْسَدِ

شفيق جبري

صاعقة التمرد

شعر : خضر عباس الصالحي

يلقى النكاية والجحود أديب — ظلما وما مست يديه ذنوب
وعدت عليه من الانام مكائد — ومن الزمان نوائب وخطوب
قد عافه حتى الصحاب فهل غدا — ذاك الغريب تقاذفته دروب
لهفان يزدرع الرجاء بكونه — ويظل في جني الرجاء يخيب
سهران ينتفض الحنين بشجوه — والجرح يصرخ فيه والتعذيب
قلق يقلب في الدجنة طرفه — وبسمعه يثوي شجا ونعيب
المعبد الدامي المهدم وكره — والعطر جف بروضه والطيب
تقتات من وهم المنى افكاره — ويضيق افق عن رؤاه رحيب
ويلم من جفنيه احلام الصبا — يأس ويغمره ضنى ولغوب
وأساه يعصر منه نفسا تصطلي — ألما ويحرقه لظى ولهيب
واليه يومىء باشتياق مطمح — ويلف مطمحه دجى ومغيب
ويروح يجر وحده في غربة — ان المفكر في الوجود غريب
سفحت رغائبه رياح تمزق — والروح منه تقمصته ندوب
قلمي يصور بالقريض حقيقة — ان المعذب في الدنى الموهوب

* * *

ما كل من رصف الحروف بناثر — أو شاعر تهفو اليه قلوب
الا الذي جاز العقول خياله — وعليه نم الفكر والاسلوب
ترشف الامل البعيد طيوفه — ولشدوه كم تستفيق شعوب
صلب العقيدة ثائر متمرد — لا يحني منه الهامة الترهيب

بغداد — خضر عباس الصالحي

لبنان الفواجع والمآسي ... لبنان الرعب والمـوت

الى أيـن ... الى أيـن ؟!

بقلم : يوسف ابي رزق

لبنــان !...

يا مقبرة فجرت سكرا ،

جنــت عهــرا ،

رضمــت قيحــا وصديــدا .

ولغت نهما ، وهي تعربــد عربــدة السكران .

بــدم يغلي ويفـــور .

كقـــدوره ..

من قحف عظــام الجمجمــة الكبــرى ..

تتفجر سيلا عرما كالطوفــان ...

★ ★ ★

يا نهر المـوت الصاخب هدرا ، كالاعصار !.

يــا نهر الزمجرة العظمـــى !..

يا نهر الجثث المحروقة ، في تنور الحقد الاسود، يا لبنان !...

يا حلــق الافعــى !...

يا أنيـاب الوحش !... ويـا جـوع الشيطان !...

★ ★ ★

يـا نار الحرب الاهليـة !...

يـا خسة عـار الهمجيـة ...

يـا حنجرة البركـان !..

يـا جوعا اسود ، لا تشبعه آلاف والاف الابدان ..

تنـين يمضغ ، يقضم ، يسحق ، يطحن ...

يزدرد الانســان ...

في لبنـان ..

★ ★ ★

يـا نوح العائلة الثكلى !... يا عذراء الجـان

من داس جبينـك بـالاقـدام ؟..

وسطـا كاللص عليك ، يمزق جوهرة البلدان ..

يسلبك عقـود اللؤلؤ والمرجـان ..

باللـه !... بربـك !.. قـولي ..

يـا أحلى غانية بكر ... نهشتك الديدان ..

★ ★ ★

قولي !.. لا تخشي !.. قـولي ..

من كلـل رأسـك بـالشـوك ؟..

من مزق شـالك ؟..

من سـمرك ؟..

من لفـك بالاكفـان ؟..

★ ★ ★

اليوم الاعمى ، اليـوم الاسـود ...

يوم الثالث عشر من نيسـان ...

يوم العانس ، تحبل في شيخوختها عهرا ،..

بجريمة مذبحـة الانسـان

فاذا بشهـور العام تكر

وكـل بجرائمه نيسـان ...

★ ★ ★

الموت هنا .. الموت هناك .. الموت هنالك .. كل مكان .

دنيا جنت فمضت تفتك .. تنهش ، تنتهك الاديـان ..

انسـان مجنون ، مسعور ،

ينهش لحم اخيه الانسـان

في لبنـان ...

★ ★ ★

هل مات الله ترى هل مات ، وأغمض عينيه عن لبنان ...

فسرى الاجرام بليل الكفر ،

وعينـاه جمر ، غضب ، مـوت ودخان ...

قد لف الفجر البـاكي ،

قد غمر الصبح الشـاكي
برداء الحسرة والاحزان ..
فبـلادي تغرق في مأتم ..
خرساء حدادا ، صامتة حزنا .
والموت القاسي يتكلم .

★ ★ ★

أصوات القصف أعاصير ، وصواعق ترجمنا .
وسمـاء لا ترحم ..
مدن وقرى تأكلها النيران ، وتجرفها عاصفة دمـدم ...
مدنيـات وحضارات ، قيم عليا ، مثل عليا ...
أخلاق راحت تتمزق ...
وتطير هبـاء في الدنيا .. تذوي ، تتلاشى ، تتهدم .
والارز الاخضر ييبس ، يغرق رعبا في طوفان الدم ...
هل مات الله ؟.. ترى هل مات ؟ وأغمض عينيه ، عن لبنان !..

★ ★ ★

جثث نزرعها في الارض ، فتنبت شوكا ...
تنبت حقدا ... بغضا أسـود ..
شجر الحنظل والعلقم ...
جيف ، أشلاء تحت الجسر ...
أمعاء تتهرأ من نتن ...

اعراض من نهش لم تسلـم •••

★ ★ ★

سبي ، تشريـد ، تقتيـل ••
تجويع ، تهجـير ، يتم ••
قتل ، تحريق ، ثكـل •••
نـار جهنـم ••
هبت اعصارا ، واشتعلت حمما •••
نفخت فيها ريـح صرصر ••
فمشت في السهل وفي الـوادي ••
تحرق عن بكرة أبيه •• لبنان الاخضر •

★ ★ ★

يا ويـح انوفنا ، لم تزكـم ••
من رائحـة اللحم المشوي ••
يـا ويح بطون لم تتخم ••• مما التهمت •••
مما التقمت •• مما جرعت •••
من قرب الـدم ••

★ ★ ★

لبنـان تحول من بلد الاشعاع ،••• النـور ، الفكر •••
الى غاب وحـوش •••
عفو الوحش •• فهو أعف وارحم ••

في لبنان الاسود ، من آدم ..

★ ★ ★

اخجل يا وطنا ! شئناه عظيما ، عملاقا ، فتقزم ...
اخجل بنيـك ودسـهم ...
هشمهم .. واذبحهم ..
ارجمهم رجم الزانيـة ...
مزقهم تمزيقا لا ترحـم .

★ ★ ★

أبنـاؤك ، عارك ، خزيك في الارض ...
تلطيخ جبينك بالوحل ، بكل القاذورات
تقيأهم .. ابصقهم .. اتفلهم ...
من فمك المحروق ، فلن تندم ..

★ ★ ★

مزق كتب التاريخ ، ودعك من الفخر ...
بأبناء العهر ..
مزق ... احرق .. لا ترحم .
فتراثك بعد اليوم دمار ، نار ، عار ... لا ترحم ..

★ ★ ★

تراثك تلك الهجمات الوحشيـة ..

تلك الردات القبليـة ..

تلك الغزوات الهمجية ...

تراثك « هتك العرض ، ونهب الارض ، وذبح البعض .»

★ ★ ★

تراثك أنياب التنين

تراثك احيـاء الستـين (١)

على أكـبر ...

على أكـبر ...

★ ★ ★

يا للخزي !... ويـا للعـار ..

هل ندري ما كنـا فيه ، وماصرنا ؟!..

عدنا نـتخلف عن ركب الدنيـا

أجيـالا ...

نتخبط في ظلمـة ماضينا ..

والعالم طرا ، يتقدم ...

★ ★ ★

اخجـل يا وطنا !

شئناه عظيما ، عملاقا ، فتقزم ..

(١) سنة ١٨٦٠

اخجــل ببنيك ودســهم ..

هشمهم ، واذبحهــم ...

أرجمهم رجــم الزانيــة ...

مزقهم .. تمزيقــا ..

لا ترحم .

يوسف ابي رزق

الى المشتركـين في العرفــان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنــوء بحملــه المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك ما يمكــن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكــات في المجلة كمــا يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

٥ دنانير في البلادالعربيــة

١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربيــة

٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية

٥٠ دولارا جوا للخــارج

١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسســات الرسميــة والسفــارات والبنــوك والشركــات بالبريــد العادي

١٥٠ بالبريــد الجوي
واشتراك الانصــار لا حــد لــــه .

المتطفلون والخطب الجوفاء

سبحان من فطر العباد ... على اختلاف في الشعور
واباح (تكوير) العمائم ... للصغير وللكبير ..
حتى تلاشى الفرق ما ... بين الاوادم والحمير
وتبدلت شيم الوداعة ... بالصلافة والغرور
وتسابق المتطفلون ... على المنابر كالنسور
(وتدركبت) صيغ المواعظ ... كالصخور على الصخور
وتنوعت خطب (الفطا ... حل) بالشهيق وبالجعير
وتنافر الكلمات في (الاعجا ... ز) منها والصدور
جوفاء ترعد كالطبول ... أو البطون لدى الزحير
لا شيء بين عجيجها ... غير النفاية والقشور
وبقية من تافه الآ ... راء والنظر القصير
وتحل كالجهل تزري ... بالجليل وبالحقير ..
لا يستثير به الغشيم ... ولا يروق لدى الخبير
سبحان ربي اين معنى ... اللطف في هذي الامور ؟
وبها يشك المؤمنون ... ويغتلي كفر الكفور
ويضج كل مفكر ... في الشعب من سوء المصير
حتى الذين (تأمركوا) ... وتعودوا بيع الضمير

المناشورة ... شاعر المغفلين

ابواب العرفان

رحلتنا الى الكويت والعراق

★ ★ ★

في اواخر الشهر الثالث من هذه السنة زرنا الكويت وقضينا فيها ٢٢ يوما ، وعدنا الى لبنان ، وفي أواخر الشهر الرابع زرنا العراق ، وبقينا فيها ١٧ يوما . سنكتب عن الزيارتين في الاعداد القادمة . وكان بودنا زيارة البحرين وايران العربية ولكن الظروف لم تساعد على ذلك. ولعلنا نوفق الى هذا الامر في تشرين .

★ ★ ★

بين مصر وليبيا

ما جرى بين مصر وليبيا يحزن ويؤسف ، في هذه الظروف الحرجة التي يجب ان يتكاتف فيها العرب ويتضامنوا حدث ما حدث بين مصر وليبيا، وكأنه لا يكفي انهم ينشرون غسيلهم (الوسخ) على السطوح ، في الاذاعات وفي الصحف ، أهذا دور الصحافة او الاعلام بصورة عامة السباب والشتائم. واين ادعاء العرب بالدفاع عن فلسطين وتبني قضيتها ؟! بهذه الاساليب وبهذه الاعمال الصبيانية التي تعطي اسرائيل سلاحا معنويا ضد العرب.

الملامح الاساسية لحياة خليل الهنداوي

ــ الولادة في صيدا عام ١٩٠٦ .

ــ غادر لبنان ١٩٢٨ على أثر القائه قصيدة وطنية في حفلة لاستقبال رياض الصلح العائد من مهجره لاول مرة . وأبعد عن لبنان الى بلد عربي، فاختار دمشق له موطنا . التي سبق ان قضى فيها سني الحرب العالمية الاولى.

ــ مارس التعليم في صيدا وعمره ١٧ عاما ــ وفي قرية منقرى لبنان من عام ١٩٢٥ الى ١٩٢٧ .

ــ في بدء عام ١٩٢٩ عمل مدرسا للادب العربي في تجهيز دير الزور ــ وفي هذا البلد استكمل مطالعاته وثقافته وكتاباته الاولى التي كانت مجلة الرسالة والمقتطف مجتلاها .

ــ جمع بين الثقافتين : العربية والفرنسية التي ترجم عنها الكثير من روائعهما .

ــ وفي نهاية عام ١٩٣٩ انتقل الى حلب ، واتخذها مستقرا له ــ درس في ثانوياتها على اختلافها ــ وفي عام ١٩٥٨ نقل مديرا للمركز الثقافي العربي ثم الى التدريس .

ــ وفي ١٩٦٥ أحيل على التقاعد .

ــ تزوج مرتين وله من الاولاد سبعة .

ــ جاء في مخطوطته « سيرتي الذاتية » وصف لرحلاته العديدة التي قام بها الى كل من : مصر ، فلسطين قبل الاحتلال الصهيوني ، دول اوروبا الشرقية والغربية ، الولايات المتحدة الاميركية .

ــ حضر المؤتمر الاول لادباء العرب عضوا في بيت مري ١٩٥٢، والمؤتمر

*** بعد كتابة ما تقدم بشهرين تلقينا نعي الاستاذ خليل الهنداوي ونحمد الله انه احتفل به في حياته كما يرى القارىء في الصور . تعازينا الحارة لاولاده ولعل احدا منهم يخلف الفقيد الراحل بالادب .**

الخاص بادباء آسيا وافريقيا في طشقند ١٩٥٨ ، والمؤتمر الخاص بأدباء اسيا وافريقيا في بيروت ١٩٦٧ ، حضر المؤتمر الثامن لادباء العرب في دمشق ١٩٧١.

ـ رئيس المكتب الفرعي لاتحاد الكتاب العرب بحلب حاليا .



المثقفون والادباء يحيون الاستاذ خليل الهنداوي على جهوده خلال نصف قرن من عطائه الادبي.



الاستاذ خليل الهنداوي يلقي كلمة الشكر بعد الاحتفاء به .

في ذمة الله

ـ وفاة شاعر الشعب السيد احمد الصافي النجفي ـ

• • •

فوجئنا بعد صدور العدد السابع من العرفان بنعي الصديق الحميم القديم شاعر الشعب السيد احمد الصافي النجفي، ونظرا لمنزلته الشعرية الكبيرة نفكر في اصدار عدد خاص به اذا وفقنا الله ، دواوينه الخمسة عشر نشر اكثرها في مجلة العرفان .

آل الصافي عائلة علم وفضل وأدب وأكثرهم ان لم نقل كلهم شعراء ..

تعازينا الحارة لآل الصافي الكرام نخص بالذكر ابن اخيه الصديق الكريم الدكتور علي الصافي فالى القادم ان شاء الله .

★ ★ ★

ـ الشيخ حبيب المزيدي ـ

توفي بالكويت صديقنا الشيخ حبيب المزيدي العالم الفاضل المطلع، وكان قاضيا للشرع في الكويت ، وبعد ان احيل على التقاعد كان يجلس للقضاء في مسجد « المزيدي » وهذا الجامع من أجمل وافخم المساجد في الكويت. وديوانية الشيخ حبيب كانت تضم العديد من العلماء والادباء والوجهاء وعنده مكتبة حافلة . تعازينا الحارة لآل المزيدي نسأل الله لهم الصبر والسلوان وللفقيد الراحل الرحمة والغفران ..

الف يوم مع

الحاج امين



زهير المارديني

كلمة لابد منها

في البداية نصحوني بالاقلاع عن هذه المحاولة ... التي تكاد تكـون مستحيـــلة .!

لم حذروني من خطورة الاصرار على جعل الرجل يتكلم ... فـــلم يسبق له ان تكلم علنا ... ولم يسبق له ان افضى باســـراره الى اي مخلوق ... ومع ذلك اقدمت ، واستطعت ان اقنع الرجل باهمية كلامـــه والقضية الفلسطينية تواجه الاعاصير . وكان الاصدقاء يشفقون عـــلي ، ويتنبأون بفشلي وضياع جهودي ... وقد شاءت اقدار الرجل والاقـــداري ان تتحقق نبوءة الاصـدقاء ... اذ سرعان ما طلب مني هؤلاء الاصدقاء ان ادفن ، وبيدي كل اقوال الرجل التي سجلتها . واشترطوا ان يكون طلب الدفن ممهورا بتوقيعي .!

لم اكن في وضع يمكنني من الرفض .. أو حتى الاحتجاج ، لقـد يئست من كل شيء ، حتى من التمرد على الاصدقاء . كنت في الحقيقـــة ادفع ثمن سذاجتي وجهلي بدخائل القادة .. وبسرعة البرق الخـــاطف تدافعت سيول الاحزان الى نفسي ورحت امر على الجبين براحة الكف ، حينا في عنف ، وحينا في لطف ... وتحركت على شاشة الذهن صـــور محاولاتي لجعل رجال الامة العربية يتكلمون قبل ان يختطفهم الموت ... فاذا هي صور حزينة كئيبة ...

ومع انه ليس هو الكتاب الوحيد في حياتي ، فقد شعرت بان ما طلب مني كثير... واكثر من ان اتحمله ... لقد كان المطلوب دفن الكتاب حيا... كان الكتاب الذي قارب على النهاية هو اثمن شيء بالنسبة الي ... انـه بضعة اوراق يسميها الناس كتابا ، وكنت اطلق عليها شيئا اخر هـــو : (ولـــدي) !

امضيت في اعداد الكتاب الف يوم . .

قرات عشرات الكتب ..

زرت المكتبات الكبرى والصغرى ..

اجتمعت بشخصيات عديدة لعبت ادوارا بارزة في حياة القضيـــــة الفلسطينيـــة ..

سهرت الليالي الطوال وانا انقح واعيد الصياغة .. حتى بلغت الاوراق التي سودتها مئات الصفحات ، مع ان المطلوب هو ٢٠٠ فقط !

كان موضوع كتابي جديدا ، ودفعني الغرور لان ابحث عن دار اجنبية لنشره ، وتم العثور على الدار ، وتم الاتفاق على النشر بسرعة لم اكـن لاتصـــورها ...

يومها رقصت في الشوارع ، وصافحت كل من وقع بصري عليـه ... وانفقت ما كان في جيبي تعبيرا عن فرحتي . واعجبت دار النشر الاجنبية بما قدمته اليها من نماذج .. قالت لي في كتاب رسمي ان ما وصلها هـو ابعد من الكتابة العادية ... انه تصوير بالكلمات ... وبينا انا في الطريق ظهر من طلب مني التوقف ، واسدال الستار على الموضوع بكامله ... لان الظروف لا تسمح ، وان من الافضل الابقاء على الاسرار داخل الصدور ، وان ... وان ... وتمت عملية الدفن بدون دموع ، وحتى بدون صراخ.. ولم يمش في جنازة الكتاب احد ممن صفقوا لي كثيرا وانا اعمل علىاعداده.

كان الاتفاق على ان تتم عملية الدفن (على السكت) !

ومات كتابي الرابع الذي كنت اريد ان اطل من خلاله على الضفـة الثانية من الدنيا ... ضفة الحقائق التي لا تخاف .. وضفة الادب الذي يشق طريقه الىالضياء اذا كان ادبا حقيقيا ... وضفة السياسة الـتي لا تخاف الارهاب !

وددت ان ارمي حنقي في وجه (الكتاب) الذي مزقته بالفعل ، والذي امضيت الف يوم في اعداده ، واصرخ :

لماذا قبلت ان ادفنــك حيـا وبيدي ؟

كانه هو المسؤول عن موتــه ؟

كانني لا اعرف لماذا مات ... وكيف مات .. وفداء اي شيء مات..!

كانني اجهل انه كان يحيا حاملا الموت بين دفتيه .!

الم تكن الحقيقة هدفي ؟

ان الجميع في وطني يختلفون باستمرار ويتفقون على شيء واحـــد

فقط ، هو السير وراء جنازة الحقيقة متكاتفين .. لان (الجميع) يخافونها!

مات الكتاب وهذا التجمد المتصلب في داخلي لا يتحلحل ولا يتسرب دمعـا .. لمـــاذا ؟

بعد أن تمت عملية الدفن بفترة وجيزة لزم الحاج امين الحسيني فراش المرض ... واستدعاني بواسطة مرافقه الامين (البرناوي) مشترطا عليه أن لا يعلم احد بهذه الزيارة من الملتصقين بالحاج امين..

وسألني الرجل : هل ما تزال مصرا على اصدار الكتاب ؟ فاجبته :

الم تأمروا بدفنه حيا ، فما الذي ذكركم به الان ؟

قال وابتسامته التي لا تفارق وجهه تشارك كلامه : يجب أن تأتيني بعد أيام للابراق الى دار النشر لايفاد من يمثلها لالتقاط الصور التي سبق أن طلبتهــا .!

اجبتـــه :

دعنا من الكتاب الان وما سببه لي من خسارة مادية ومعنوية ... نريدك أن تعود الينا سليما معافى وهذا جل امانينا .. فاجاب :

لا .. لا ... أريد منك ان تخبرني بالعنوان الذي تريد وضعه على الكتاب .. فمن يدري لعلنا لن نلتقي ؟

واحسست أن الرجل يريد أن يفارقنا .. لقد تعب من حياته ، وتعب من النضال الطويل القاسي ... وتعب اكثر فاكثر من هؤلاء الذين يشكلون حوله حزام الضغط .. فقلت له :

لقد امضيت مع سماحتكم الف يوم من اجل انجاز الكتاب ... وفقدت نصف بصري ، ماذا لو كان العنوان (الف يوم مع الحاج امين)؟

ابتسم الرجل .. ثم اغفى ، وخرجنا من غرفة نومه ونحن نغالب دموعنا ..

وتلاحقت الايام والاحداث بسرعة عجيبة ...

لقد اختطف الموت الحاج امين الحسيني بعد لقائي به بايام قليلة... وبعد ذلك بفترة قامت (اللبحـــــــة) في لبنان ... فدخلوا على دارته

التي تبعد بضعة كيلومترات عن بيروت ، واقتحموا مكتب الهيئة العربية العليا القريب من الدارة ، ودمروا كل شيء ، ثم احرقوا الدارة والمكتب بعد ان فجروا قساطل المياه لتغمر التاريخ الفلسطيني... فقد كان كل حائط ... كل حجر ... كل كتاب .. كل ورقة .... يحكي شيئا من تاريخ قضية العرب الاولى ....

لم يكن السكان في الدارة والمكتب ... وكان القدر قد اشفق على صاحبها من رؤية هذه الوحشية فاستعجل الاجل ، وبقي النساء وبعض الموظفين فقط مع (البرناوي) مرافق المفتي الامين ... وحين استشعر هؤلاء الخطر تركوا كل شيء في مكانه وخرجوا خفافا تاركين للتاريخ ان يروي ما فعله الانسان باخيه الانسان في لبنان ...

وحين ذهبت برفقة (البرناوي) الى الدارة صفعني المنظر المرعب على وجهي ...

المكتبة الثمينة التي تحوي مئات الكتب النادرة ... ومذكرات الرجل التي كتبت بخط يده (المنمنم)... والصور التي تجمعه مع قادة العالم ... والوثائق والمراسلات والرسائل التي كان يحتفظ بها ... والذكريات المتصلة بكل ركن من الدارة والمكتب ... كل هذا اصبح رمادا ...

ترى من سيقتحم سيرة الحاج امين الحسيني كما اقتحمتها ذات يوم؟

من تراه سيمد اليمين ليلتقط الحقائق ويعرضها على الناس ؟.

تلك الدنيا التي كانت ترمف بالحياة والناس والتي ارتبطت باسم الحاج امين ... واخبار الثورات ، والاضطرابات من سيتحدث عنها للاجيال؟

فمهما كان راي اصدقاء وخصوم الرجل حول الاسلوب الذي خاض به الحاج امين الحسيني المعركة ، فليس بين هؤلاء من ينكر ان المفتي هو احد القادة العرب الذين تركوا في الدنيا دويا ..

عدت من زيارتي للدارة والمكتب بتصميم جديد وهو ان اذهب الى المقبرة وانبش التراب عن الكتاب واعيد صياغته مديرا ظهري لهؤلاء الذين اختلفوا منذ غياب المفتي والذين كانوا يسيئون الى الرجل حيا وميتا ...

زهير

تقـــديم

بقلم: محمد أمين الحسيني

كان الغرض من احاديثي في هذه الصفحات هو ان التحدث عن قضية بلادي التي شغلتني منذ ان وعيت على هذه الدنيا وما زلت ... كنت استعرض خلالها الاحداث التي وقعـت في فلسطين والتي كنت على صلة مباشرة بها ، وذلك حـتى امكن نفسي من التفكير في امرها بوضوح . وكان الصديق الاستاذ زهير المارديني يشاركنـا هذه الاحاديث فاقترح أن يسجلها .. وبدا لي في اول الامر ان مهمته صعبة وشاقة ، بسبب كثرة تنقلاتي بين المـدن العربية واضطراري للسفر الدائم والتنقل حيث يعيش بنو قومي ، ولكنـه تمكن من تحقيقها معتمدا على دابه ، ومثابرته ، وحرصه على ان يقدم للقارىء في هذه الظروف العصيبة صورة واعية لهذه القضية التي تحتل الآن مكان الصدارة في العالم .

وعندما جمعت هذه الاحاديث رأيت من واجبي ان اشير الى ان احاديثي قد نقلت اثناء فترة مضنية قاتمة من حياتي، ولذا فهي تحمل اثارا بينة منها بسبب الظروف التي تعيشها قضية بلادي ، ومهما يكن فقد تركت الاستاذ زهيرا يسجلها على عفويتها معتمدا على ما اعرفه عن الصديق من اخلاص وتجرد ، ذلك انها قد تكون بالنسبة لبعضهم مهمة فيما يتعلق بكنه احاسيسي ومشاعري اثناء روايتها .

ولقد حاولت في هذه الاحاديث ان اعكس مشاعري الى ابعد ما تمكنني الظروف ، فلم احاول والحالة هذه ان اروي استعراضا لتاريخ القضية الفلسطينية العادلة . فالذين يرغبون في القيام بدراسة مستفيضة لماضي فلسطين القريب وحاضرها فعليهم ان يتجهوا الى غير هذه الاحاديث الخاصة التي قد تساعدهم مع غيرها من الروايات الفردية على سد الثغرات وعلى تقديم متكأ لدراسة الوقائع .

لقد اطلعني الصديق الماردين على بعض ما كتب ، وتدارسنا معا الطريقة التي لجأ اليها في سرد الاحاديث التي رواها عني ، فكنت اقره على اشياء واخالفه على اشياء . ولكن هذا لا يمنع من التاكيد بانني انتقدت بعض الجهات وجنحت احيانا الى القسوة في هذا الانتقاد ، الا ان هذا الانتقادلاينتقص من احترامي لبعض هذه الجهات . فلقدشعرت بانه يجب على الذين يمارسون القضايا العامة ان يكونوا صريحين بعضهم مع بعض ومع الجمهور الذي يقومون

بخدمته . وهكذا فان الحقائق التي سردتها كانت مشفوعة بمحاولة تجنب المشاكل والمسائل المحرجة ، وهي مسائل قد تكون احيانا باعثة على الاسى ولا تساعد المشتغلين بالقضايا العامة على فهم بعضهم بعضا ، كما لا تساعدهم على فهم ما يواجهونه من مشاكل .

وارجو ان لا يحمل شيء مما رويته اثرا مما لا اقصده حيال اي فرد او جماعة .

لقد تعمدت ان أتجنب مناقشة القضايا التي هي موضوع خلاف في العالم العربي اليوم اللهم الا بصورة غير مباشرة .

ذلك انني لا ازال اعتبر نفسي في المعركة التي فرضت على بلادي ، ولا تسمح لي الظروف وانا في خضم المعركة بان اذهب بعيدا في اغوار التباين في وجهات النظر ، او حتى ان اقرر في ذهني ما يجب فعله بامرها ، هذه امور تناقش بعيدا عن انفعالات المعركة !

وهكذا فانني لم اجد ان الامر يستوجب اضافة الكثير على ما رويته الان بشأن تلك القضايا ، وعلى هـذا فان هـذا التسجيل لاحاديثي التي اضطلع في نقلها الاستاذ زهير المارديني لا تعدو عن كونها هيكل رواية لاحداث الماضي القريب ، واذا كانت تدنو من الحاضر فانها تتجنب بحذر الاتصال به .

محمد امين الحسيني





في الرابع من حزيران «يونيو» ١٩٧٤ ، طيرت وكالات الانباء العالمية نبأ وفاة واحد من اكبر زعماء العرب في القرن العشرين سماحة الحاج محمد امين الحسيني ، وكان ذلك النبأ مصدر اسف وحزن عميقين، لا للامةالعربية التي ينتمي اليها الرجل الكبير فحسب ، وانما للامة الاسلامية قاطبة التي عرفت

هذا المناضل وقدرت الميزات الانسانية العظيمة التي وهبها الله لـه .. ذلـك ان قيادته للشعـب الفلسطيني ضـد الصهيونية وعملائها والمستعمرين واعوانهم ، لم تكن اعـلاء للقيم النضالية التي تكافح من اجلها الامة العربية فحسب ، وانما كانت اعلاء للانسان العربي نفسه في مواجهة القـوى الطاغية التي تود هدم روح الشعب وقواه المعنوية .

وان ما تلقى به ابناء الامة العربية، وابناء الامة الاسلامية قاطبة ، نبأ وفاة المفتي من الاسى والحزن البالغين الى حد بعيد ، ليس السبب فيه راجعا الى مجرد نواحي العظمـة الانسـانية المتجسدة في هذا الرجل فحسب ، بل ايضا الى ذلك الاكبار الغريب الذي يكبره العالمان العربي والاسلامي لنضاله الصخري بصمود عجيب في سبيل قضية فلسطين..

ان اعظم قيمة جسدها وتجسدها ذكرى الرجل منه هـي الابقاء على الشعلة التي اوقدها بيده وانار فيها الطريق أمام الاجيال الصاعدة ..

ربما كانت شخصـية الحسيني احدى الشخصيات النادرة في التاريخ العربي المعاصر قد استطاعت ان تحقـق ذلـك التوازن الشديد الصعوبة بين الرغبـة العميقة في السلام ، والحب الجارف للانسان عامة ، وبين الاصرار العنيد عـلى المقاومة القتاليـة للقوى الصهيونية ، والتي تنطوي في نهاية المطاف ، على القتل وسيول الدم ، بيد انها قضية ليس فيها خيـار ...

لقد امضيت مع سماحته ما يقرب من الف يوم على مدى

اربع سنوات وانا اصغي اليه وهو يتحدث عن القضية الفلسطينية والثورات العربية ، ودونت ما سمعته منه على الورق ، ثم جمعت هذا الورق ونسقته على امل ان يصدر في كتاب ، ثم شاءت الاقدار أن يغيب عن هذه الدنيا قبل ان يكمل الاطلاع على ما دونته .. لهذا فاني اتحمل وحدي مسؤولية كل ما كتبت ...

لقد تصورت حين لقائي به اول الامر انني سأجد انسانا ممرورا فوارا من الاسى ، لما عاناه من قسوة الاحداث طوال حياته ، ومن جراء ما لقيه من صنوف التآمر الصهيوني عليه؛ غير ان اول ما لفت نظري واسترعى انتباهي هو امارات الوداعة العجيبة المرتسمة دائما على قسمات وجهه ، بيد ان هذه الوداعة تقترن بنظرة شديدة النفاذ ، تنطلق من عينين أيقنت انهما تريان كل شيء وان كان يلوح انهما لا تدققان في شيء..

لقد بدا لي ـ لاول وهلة ـ بثيابه النظيفة والانيقة ، وعمامته البيضاء التي لا تفارق رأسه حتى وهو في منزله ، وشعر لحيته التي خطها الشيب تماما ، بدا لي كأنه لم يعرف في حياته الا الالم والامر والنهي ، ولكني سرعان ما وجدت على وجهه دلائل الاتزان والوقار والكياسة والمرونة واللباقة ... ولكن هل يمكن ان يقال ان له نظرة ثاقبة ، وقدرة على اخفاء مشاعره ؟

لا يسعني ان اجيب على هذا السؤال بالدقة ... وجل ما يمكن أن اقوله انه لم يعرف معنى السذاجة طول حياته. فهذا الرجل ذو الجسم الضئيل والوجه الذي يشبه وجه السيد المسيح ، واللحية التي تفرض احترامها على السامعين،

والنظرة الفاحصة المدققة ، والعينين اللامعتين اللتين يعلوهما جبين يتوجه شعر ابيض خفيف .. هذا الرجل الذي يبدو في وداعة الطفل لا يعيش الا بقوة الخيال والتصور وفي نيران الكفاح والنضال و ... الصراع !

عندما التقيت به لاول مرة في منزله بالمنصورية في اوائل عام ١٩٦٩ ، كدت لا اشعر به وهو يدخل قاعة الاستقبال التي كنت انتظره فيها ، ولم اسمع وقع خطواته على الارض ، فان نعليه السوداوين اللذين يشبهان اخفاف المصلين كانا يتزحلقان على السجاد في ثبات ...

لقد بهرتني هذه الشخصية الاسطورية التي دخلت هذه القاعة وكانها ابت الا ان تتحرك بطريقة هي اقرب الى الطيف. ومن عجب ان في حركات المجاملة التي يقوم بها شيئا ينم عن العزيمة الخارقة .. فاذا قدم الى ضيفه قدح الشاي الشفاف ، او طلب منه ان يجلس الى جانبه ، خيل الى زائره انه يريد ان يعتذر دائما عن اضطراره الى الاجابات المستمرة التي تستدعيه ان يغادر الصالة اكثر من مرة .. وخيل اليه ايضا انه الصديق المفضل لديه !

ومن الثابت المحقق انه يعرف قيمة الاتصالات الشخصية حق المعرفة ، وهو بارع كل البراعة فيما يبديه من لطف ولين جانب حيال ضيوفه الكثر من مختلف الاعمار والاجيال والاراء ... بل ان له قدرة عجيبة حقا على تحويل النقاش العادي الهادىء الذي يدور بينه وبين زواره الى حوار كله حرارة عن قضية فلسطين ، ثم سرعان ما يصبح لكلماته التي تبدو عادية جرس قوي ...

ويجيد الرجل الى حد مذهل حقا التحدث بلهجة بارعة الى جميع الاعمار، والى جميع الشخصيات .. الى المقاتلين والى الشيوخ بصورة خاصة .

وتتجلى نعومته في الطريقة البالغة التبسيط التي يتكلم بها الى الشباب الفلسطينيين الذين نذروا انفسهم للموت من اجل اعادة حقهم المغتصب ... وهذا الرجل هو بالتأكيد استاذ في وضع التكتيكات السياسية ، وفي درء مناورات العدو وخبثه ، وفي كشف الدعايات الصهيونية التي تسخر لخدمتها كل ذكاء ينطوي عليه من تركيب وتعقيد .. كان لاسمه في الثلاثينات والاربعينات وحتى الخمسينات وقع السحر في قلوب العرب ، فاسم (الحاج امين) في تلك السنوات العجاف كان احد العوامل المؤثرة على نحو كبير في الابقاء على القضية الفلسطينية على سطح الاحداث العربية تغلي !

* * *

وهناك قصص كثيرة ترويها الجدات لاحفادها عن هذا الاسم الذي كان يهز الالوف ويدفعهم للموت .. كان الرجل اغنية على شفاه الصبايا والشباب ، والامل الذي يداعب خيال الرجال ؛ وحب الحاج امين لم يقتصر على ابناء فلسطين وحدهم ، بل تعداه الى الساحتين العربية والاسلامية ..

وبالرغم من المعاناة الشديدة التي مارسها الرجل في حياته العريضة ، الا انه لم يفقد روح البهجة والانس في جو عمله ، وهذه الروح تعد احدى العوامل التي تستند اليها صلاته

الودية الوثيقة بجميع القادة والزعماء والسياسيين الذين اجتمعوا به ...

* * *

سأروي في هذا الكتاب مولده ، وطفولته ، وشبابه وتاريخه من خلال ما سمعته منه ... والسبب المباشر لاقدامي على هذه الخطوة هي تلك التهمة الملتصقة بنا نحن الذين شاءت اقدارنا ان نتعرف على القادة والزعماء ، والقائلة بأن كتاب العرب اعق الكتاب بحق رجالهم ...

هذه التهمة صحيحة الى حد ما .. فما ان يغيب القائد العربي ، والزعيم العربي ، والسياسي العربي ، حتى نترك سيرة حياته نهبا للاعداء !

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

واظلم الحق لو انكرت على الحاج أمين ما قدمه لامته من جهاد قومي .. لقد كان رسول قضية قبل ان يبلغ الوعي بحكومات العرب درجة ادراك ان الحق لا يقف وحده .. ولو انكرت ذلك اذن لكفرت ، على الظلم ، بتاريخ طويل من الجهاد العربي الدؤوب كان الفلسطينيون وحدهم في معظم الاحيان جنوده وابطاله ...

لن أتعرض في هذا الكتاب الى خصومات الرجل ، فلكل رجل ملأ حياته بالنضال والعمل اخطاء ، ولكل رجل اضطلع

بارفع المسؤوليات في ايام اشتداد الازمات خصوم .. ولكن لنتذكر ونحن نخوض في الاحقاد والخصومات والعداوات ان للعدو اجهزة علمية منظمة مستمرة تعمل باستمرار لحجب الضوء عن رجالات العرب الذين استطاعوا ان يشقوا القشرة العربية ويخرجوا الى النور كقادة محترمين .. والحاج امين واحد من هؤلاء دون أدنى شك ..

لقد احصيت مرة عدد الكتب التي صدرت في نقده وتجريحه في المانيا الغربية وحدها فاذا بها تتجاوز الـ ٩٤ كتابا ... رأيتها بأم عيني معروضة في مكتبة (بون) ، ومتيسرة لكل من حاول اقتناءها او استعارتها ... ففي هذه المكتبة موظف يهودي ما ان يراك تلتقط ايا من هذه الكتب حتى يقبل عليك هاشا باشا ويسألك هل تريد احدها ؟ فاذا اجبت بالايجاب يسارع الى مكتبه فيقدمه اليك مجانا ...

هكذا يعملون ...

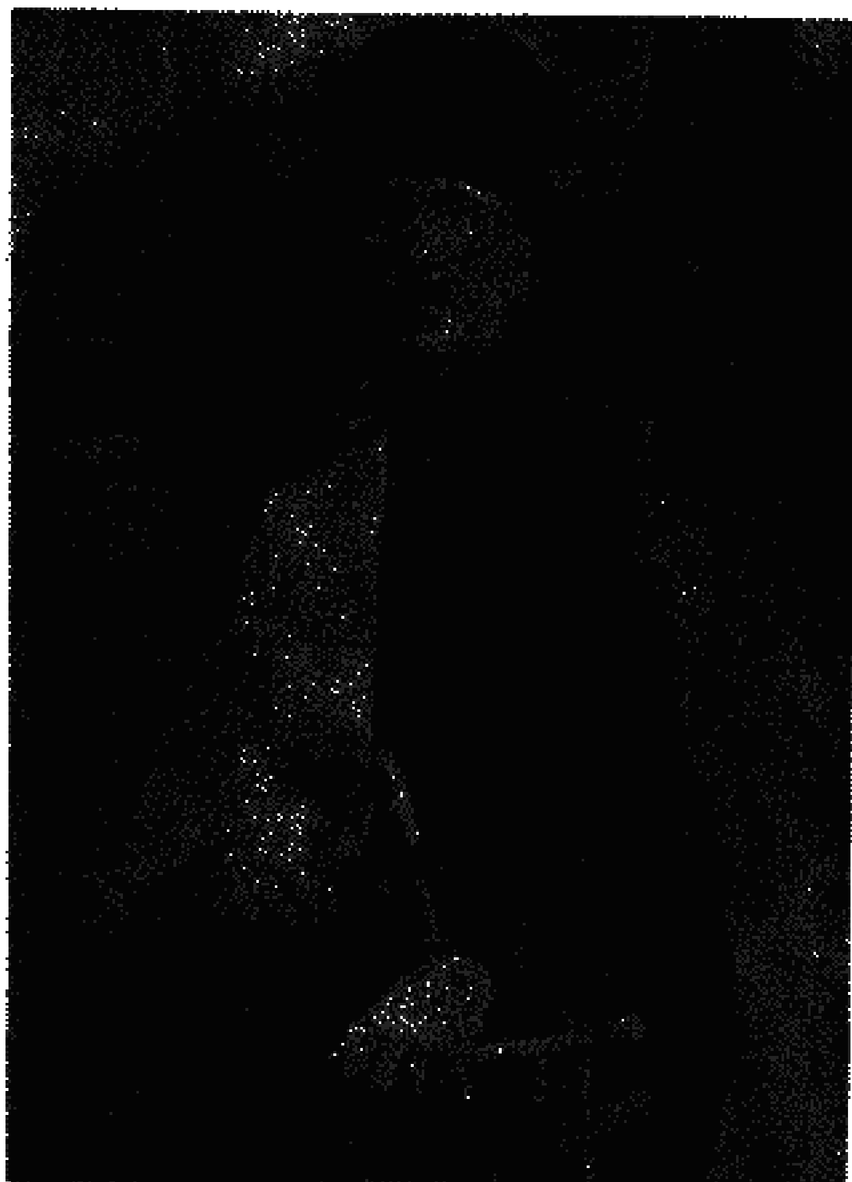
اتراني فعلت الكثير حين اعددت هذا الكتاب ؟

زهير مارديني



الفصل الأول

نشأة المفتي وشخصيته



صورة تذكارية للمغفور له السيد محمد امين الحسيني عندما كان ضابطا في الجيش العثماني



السيد محمد رشيد رضا

من منا لم يتعجب وهو يتطلع الى واجهات المكتبات ويرى هذا العـــدد الضخم من الكتب التي ظهرت حول القضية الفلسطينية. ولقد دفعني الفضـول والاهتمام الى جمع معظم المؤلفات التي تظهر حول هذا الموضـوع ، والصادرة باللغات التي أعرفها ، ولكنني اضطررت الى التوقف عند ذلك ، لاني أدركت أنني أسعى الى عمل المستحيل ، فما أن انهي قراءة واحد من هذه الكتب حتى تكون الاسواق قد امتلأت بكتب اخرى جديدة !

جاءت حرب حزيران ١٩٦٧، فشحذت رؤوس الاقلام ، ولم يحدث في التاريخ أزمة أسالت هذا القدر من المداد ، وملأت هذا العـــــدد الضخم من الصفحات مثل تلك الازمة ... والكتاب الذين خاضوا تلك القضية يدعــون عدم انحيازهم ، وأن همهم الوحيد هو البحث عن الحقيقة .

واني لأتسـاءل اذا كانت تلك الجهود قد ساهمت في جعل الازمة اكثر وضـــوحـــا !

وحسب رأيي أن النتيجة كانت عكسية ... فهناك عدد كبير من المؤلفات وضعت بغية اخفاء الحقيقة . والقضية الفلسطينية تتعقد كل يوم اكثر من اليوم الذي قبله في نظر الجمهور .

كل الذين لعبوا دورا ما في هذه القضية قالوا كلمتهم ، ولكن الذي لعب الدور الرئيسي لزم الصمت حتى الان .. ولذلك جاء هذا الكتاب ضرورة ملحة لازالة الغيوم التي تكتنف هذه القضية ، والهدف هو اخراج وجهة نظر المفتي من الظلمات ..

وحتى الان انزوى المفتي في صمت تام ، لماذا تصرف هذا التصرف ؟

هل يمكن السكوت عندما تكون الحقيقة هي موضوع الكلام ؟

ولتبرير سكوته أعطى أسباب عدة لم يملها في نظري سوى تحفظه الناجم عن تربيته النبيلة ، فالكلام يعني كشف النقاب عن الكثير من الاسماء العزيزة عليه بالرغم من كل ما حدث !

في أحد الايام فتح المفتي أمامي دفتر يومياته التي بدأها منذ اول شبابه، وقرأ علي بعض المقاطع فأخذني الذهول !

لقد اتضح لدي بأن تاريخ مأساة فلسطين يجب ان يعاد النظر فيه ، بحيث يعطي الى المواقف السياسية والرجال الذين عاشوا تلك المأساة قدرهم الذي يستحقونه في التاريخ !.

لقد فرض المفتي على نفسه الصمت ، واختار النضال على طريقته ...

قد تكون ذاكرة الناس معرضة للضعف .. أما ذاكرته فلا تخطىء ، فهل هو سعيد ؟

ان بشاشته وكلماته العذبة الموسيقية تخفي تحتها قصة المأساة . لقد أوحى الي بأنه يذيب نفسه .. ان الهزائم العربية قد خطت اثارها على جبينه، وهو على ابواب الكهولة ، وتركت كل معركة ظلا من الحزن على وجهه..

ولكن وجهه يعكس معارك اخرى ايضا... انها المعارك الملتحمة في داخلــــه، وذلك ليس بسبب السن على أي حال .. ومع ذلك وبالرغم من كل المصاعب الشديدة التي واجهها احتفظت عيناه بنورها الوقاد ، وتعبيرها الشاب ، فهما تسخران من الزمن ومن التجارب ، ويجلس المرء أمام هذا الرجل وهو مبهور من شعلة الذكاء والحياة التي تشع من نظراته ... وكلما تكلم اقتنعت بــــأن مأساة فلسطين ما زالت حتى الآن تسبح في الالغاز وعليه ... اصبــــح من الواجب حمل هذه الشخصية السامية على الكلام علنا ..



كانت الصدفة وحدها هي التي دفعتني الى القيام بهذه المهمة ، فلم يكن من السهل ابدا اقناع الرجل بأن يتكلم ... ولكن حريق المسجد الاقصى هو الذي هز ضميره وصمته وجعله يتكلم !

وحتى وقوع هذه الكارثة كان الرجل ضحية صراع داخلي حاد . فكلما حاول دفن الماضي ، زاد ألمه ، كان عليه ان يتحرر بأي ثمن ... ويتكــلم ! ولما قادته مخيلته الى الاقصى وهو يحترق ، كانت الصدمة عنيفة جدا، ودفعت به الى وضع حد لهذا الصراع بين الصمت والكلام !

كان اجتماعي الاول معه في منزله (بالمنصوريــة) الــــتي تبعد بضعة كيلومترات عن بيروت .. وكان ذلك في مطلع عام ١٩٦٩ وفي الساعة المحددة وجدته بانتظاري ، وهو في الواقع دقيق المواعيد ولا يستقبل احدا على غير موعد سابق ، وكان كلما زرته ينتظرني في المكان نفسه الذي استقبلني فيــه أول اجتماع ، وكأنها اصبحت عادة مستديمة ...

سألتــه :

ما هي اولى ذكريات طفولتك يا صاحب السماحة ؟ قال :

(لقد تفتحت عيناي لاول مرة على ضوء الفجر منعكسا على قبة المسجد الاقصى، وقد تلألأت كالجواهر ، لقد ولدت على بعد خطوات من هذه القبة).

ان أحلى ساعات عمر المفتي وأهمها جرت في هذا المسجد . فمنه قاد المقاومة الفلسطينية التي اقترن اسمه بها فيما بعد ... وايا كانت المؤلفات التي وضعت حول المسجد الاقصى ، سياحية كانت ام تاريخية ، ام اثرية ... وايا كانت جنسية واضعيها ودينهم ، فانك تجد اسم المفتي مذكورا فيها ... فهو الذي وقف بنفسه على اخر عمارة جرت لهذا الاثر العظيم المقدس، وذلك عندما تسلم منصبه مفتي فلسطين ، وكان المسجد قد بدأ يظهر عليه الوهن ، ولكن وجود المفتي نفخ فيه روحا جديدة فاستعاد المسجد مظهره الذي كان عليه أيام الامجاد السالفة .

استانف المفتي قوله :

(.. ان الاطفال في أسرتنا يلقنون مبادىء الدين وهم في أول ادوار حياتهم ومنذ أن كنت طفلا كنت أذهب الى المسجد للصلاة... وكنت في اثناء صباي أحب التنقل بين أروقة المسجد السبع المفصولة بالاعمدة ، وكانت يداي تتحسسان السلاسل الواصلة بين تلك الاعمدة ، فاشعر بالدفء يغمر راحتاي. وأكثر ما أحببت هو الجلوس في المحراب الرائع الجمال ، وهناك كنت اصلي وأتأمل .. ولدى تلمسي الرخام الذي يكسوه كنت اشعر وكأن روحا جديدة قد دبت بأوصالي ...)

ـ ومتى صليتم آخر مرة في المسجد ؟

(كان ذلك عام ١٩٦٧ ، يوم كان اول (مارس) لاكون أكثر دقة ، كنت منقبضا ، وقد غمر قلبي حزن عميق ، لقد ذهبت الى المسجد لاحاول استرجاع أفكاري .. لقد استحال علي أن انام ليلة اول مارس ١٩٦٧ . فقد كنت اسمع الاقصى يناديني. ولكن الطريق كانت تبدو لي وكأنها لا نهاية لها . وبينما كانت الطائرة تحلق فوق مطار القدس رأيت القبة وكأنها تبتسم لي. لقد تركت قطعة من نفسي في كل ركن من اركان المدينة ، على كل رابية من رباها ... وكم تذكرت الجبل الذي استشهد فوقه ابن عمي عبد القادر (١)

---

(١) هو الشهيد عبد القادر الحسيني ، والده كاظم الحسيني شيخ القضية الفلسطينية ، كلاهما مدفونان بجوار المسجد الاقصى رحمهما الله .

وهو يدافع عن المدينة .)

ـ لقد قابلتم الملك حسين ، خلال هذه الزيارة ، فهل تذكرون ماذا دار بين جلالته وبينكم لقد كان الظرف حرجا جدا ، وكان التوتر بين العرب واسرائيل قد بلغ أوجه ؟

صمت المفتي قليلا كأنه يستحضر ذاكرته المثقلة بأحداث السنوات القليلة الماضية ثم قال :

(.. في هذا اللقاء الذي تم في القصر الملكي بعمان رحب بي الملك حسين كثيرا ، وكان يردد ..

هذه البلد بلدكم ونحن بحاجة الى رأيكم واستشارتكم، واستعرضنا معا لقاءات سابقة يوم اتصل بي عام ١٩٦١ وطلب مني العودة الى وطني،وكنت أعلم أن هذه العودة ستثير عليه الكثير من الحرج ، ففضلت التريث وشكرته في حينه ، وأذكر انني قلت له : احذروا الحلول السلمية ، فجلالتكم تعلمون ان العرب مسالمون والخصم يخادع ، فاحذروا هذه الحلول ... وكنت قبل أيام من هذه المقابلة اصدرت كراسا حذرت فيه من تعريض الضفة الغربية وهي الجزء الاكبر من البقية الباقية من فلسطين لاجتياح يهودي مسلح في الوقت الذي يختاره الاعداء لهذا الاجتياح فتسقط في ايديهم غنيمة باردة دون أن يكون لها سند من دفاع عربي تعتمد عليه في دفع العدوان وينشأ عن ذلك كارثة جديدة بضياع اقدس بقاع فلسطين وأهم مواقعها العسكرية ، وتشريد بقية الفلسطينيين ، وضياع ممتلكاتهم واموالهم ومقدساتهم وفي طليعتها المسجد الاقصى المبارك وسائر الاماكن المقدسة ، وبخسائر فادحة في النفوس ، كما وقع في قطاع غزة عام ١٩٥٦ بل أشد وادهى... وكان نص ما ورد في هذا الكراس في مخيلتي حين كنت اتحدث مع جلالته وقد طمأنني ووعدني بأن يظل دائما الوفي الامين لهذه القضية المقدسة).



العائلة العريقـــة

يعــود اسم عائلة الحسيني الى الحســين سبط الرســول (صلى الله عليه وسلم) ، ولذلك فان عائلـــة الحسيني من أعرق الاصول العربـــية والاسلامية ..

ولما كان الرسـول لم يترك خلفا ذكرا ، فان استمرار الذرية قد جرى عبر صهره وابن عمه وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، الخليفة الرابع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

وكانت هذه الصلة ذات اهمية في الدور الديني والسياسي الذي لعبـه المفتي في القضـية الفلسطينية .

قال المفتي عندما سألته عن شجرة عائلته :

(منذ حوالي ٨٠٠ سنة وصل السيد محمد بدر الدين الحسيني واسرته الى فلسطين قادما من الحجاز حيث استقرت الاسرة الحسينية بالقدس منـذ ذلك الحين ، وأقام بعض فروع العائلة ، في غزة واللد ، وكان شقيقي الـذي خلف والدي في منصبه اذ كنت اصغر الابناء . ورزق والدي بعشرة .. سبع بنات وثلاث ذكور ، وعرف والدي السيد طاهر الحسيني بين ابناء قومـــه بعلمه الواسع في الشرع الاسلامي ، وكان صالحا تقيا ، وحين ولدت عام ١٨٩٧ حرص والدي على تعليمي العادات الاسلامية ..

ومنذ حداثتي لقنني اصول الدين ، وباشرافه بـــدأت قراءة القرآن الكريم وحفظه ودراسة العلوم الدينية ، واللغة العربية .. ثم درست العلوم العصرية .. وبعض اللغات الاجنبية في مدارس الحكومة العثمانية .. ومدرسة الفرير في القدس وجامعة الازهر والجامعة المصرية في القاهرة .)

ـ هل كان لكم جيران من غير المسلمين ؟

ـ (نعم ، كان لنا جيران من المسيحيين ، ومن اليهود ايضا ، وكان والدي يوصينا دائما بان نحسن معاملة الجيران الى ابعد مدى حتى كأنهم اقرباء ، ولم

يكن يشترط علي أن امارس اللعب مع اطفال معينين ، وذلك وفقا لتعاليـــم الاسلام السمحة ..)



.. مع بدايــة النهضـــة

ان ولادة المفتي وشبابه تميزتا بأحداث جسام رئيسية .

في عام ١٨٩٧ توفي في استنبول المفكر الاول ومبدع حركة التـــحرر الاسلامي في العصر الحديث السيد جمال الدين الافغاني ، اصله من كـــابل عاصمة افغانستان ، وابن السيد عبد الغني صاحب الطريقة (السلفية)،تحالف مع الامير محمداعظم وناضل ضد اخيه (شيرعلي) ولما انهزم حليفه اضطر لمغادرة بلاده ، وبعد جولات متتابعة في الهند وفي الحجاز ، استقر في القاهرة حيث تابع التبشير بافكاره التي عاشت معه في افغانستان .

وقد عرف كيف يكسب الى جانبه الشباب المصري المثقف ، وكان ابرزهم الشيخ محمدعبده.. ولما خشي الخديوي من نشاط الافغاني اخرجه سنة١٨٧٩ من الاراضي المصرية التي كان قد لجأ اليها منذ ثماني سنوات . والحقيقـــة ان وجوده كان اكثر ما يزعج الانكليز الذين كانوا يعدون العدة لاحتـــلال مصر . وعاش الافغاني في بومباي تحت الرقابة حتى عام ١٨٨٣ بعدسنة مـــن هزيمة عرابي باشا من قبل القوات الانكليزية ، وفي هذا التاريخ سمح لـــه بمغادرة الهند . فقرر ان يقيم في باريس حيث لحق به صديقه وتلميذه محمد عبده الذي نفي من مصر ايضا . وقد اشتركا معا في اصدار مجلة (الـــعروة الوثقى) التي لاقت نجاحا منقطع النظير على الرغم ان عدة دول اسلامية قد منعتهـــا .

ونتيجة الحاح السلطان عبد الحميد الثاني عاد الى استنبول حيث وضع تحت تصرفه قصرا خاصا ، واخذ هناك يستقطب المثقفين من الشباب العربـــي

والاسلامي وظل مراقبا وممنوعا عليه اية حرية تعبير وذلك في المرحلة الاخيرة من حياته حتى توفي بمرض السرطان عام ١٨٩٧ .

وفي عام ١٨٨٨ صدر عفو عن الشيخ محمدعبده فعاد الى مصر ليتابع الرسالة التي ابتدأها استاذه الشيخ جمال الدين وينشر المبادىء عينها . وكان ابرز تلاميذه الشيخ رشيد رضا الذي اسس كلية (الدعوة والارشاد)،واصدر مجلة (المنار) الشهيرة لتحل محل (العروة الوثقى) .

وحتى الحاج امين الحسيني تتلمذ فيما بعد للشيخ رشيد رضا .

وعندما توفي الشيخ رشيد رضا عام ١٩٣٥ ثابر المفتي على مهمةاستمرار رسالة الافغاني وعبده ورضا ، ومدرستهم (الايديولوجية).

وفي الواقع ان هذه (الايديولوجية) مجهولة تماما في اوروبا لذلكعندما يدرس الاوروبيون العالم العربي ينطلقون غالبا من الحركات الثورية او الرجعية ، متجاهلين وجود تيار فكري آخر ، هذا التيار الذي يمارس على الرغم من جميع المظاهر تأثيرا كبيرا على الجماهير ، اذ يتخذ من القرآن منطلقاته، ومن المسجد مكان الملتقيات .

وكانت هذه (الايديولوجية) قد اطلقت مختلف الحركات الاسلامية والتي كان أقواها حركة (الاخوان المسلمين)، وفي مطلع حياة الحاج أمين كان مصير بلاده يتقرر ، وحتى قبل مولده ففي الخامس والعشرين آب ١٨٨٢ كانت الباخرة اصلان تنزل في يافا على الساحل الفلسطيني مائة عائلة يهودية أسست أول مستعمرة ــ بيتاح تكفا ــ (بطاح الامل)، وبعد فترة وجيزة وصلت اسر اخرى لتبني مستعمرة اخرى . وقد رافقت طفولة المفتي انهيار الامبراطورية العثمانية التي لم يكن بقي لها في شمال افريقيا سوى ليبيا « وكانت تعرف وقتئذ ــ بطرابلس الغرب وبرقه ــ » . وفي ليبيا تمكنت ايطاليا من تحقيق مطامعها في احتلالها .

وفي اوروبا تقلصت حدودها ولم يبق لهاسوى قسم بسيط من البلقان .

وعندما خلع السلطان عبد الحميد حصل انشقاق عميق بين عنصري الشعب العثماني : العرب والاتراك . وجاء تولي (تركيا الفتاة) الحكم ليزيد من الانقسام وقد كان التعصب القومي عند حزب « تركيا الفتاة » يفضح بشكل سافر الخلاف الذي يغذيه تجاه العرب .

وكان الحاج أمين يحمل احتراما واجلالا كبيرين للسلطان عبد الحميد ، هذا ما لاحظته في احاديثنا التي تركزت حول هذه الشخصية .



الحسيني في الجيش التركي

عندما أعلنت تركيا الحرب الى جانب الالمان استدعي الشاب محمد امين الحسيني للخدمة الالزامية ودخل كلية ضباط الاحتياط العسكرية .. وبعد تسعة اشهر اصبح ضابطا مرشحا في الفرقة ٤٦ المرابطة في ولاية أزمير .

تميزت تلك الفرقة كثيرا في الحرب العالمية الاولى وتحملت كثيرا من نتائجها .. لا نجد في سجله اية عقوبة او عدم انضباط ..



بداية التآمر الدولي

كانت سنتا (١٩١٩ ـ و ١٩٢٠) حاسمتين في حياة محمد امين الحسيني ، كان قليل النوم يغشاه قلق عميق . لقد قرأ ولا شك في هاتين السنتين كما لم يقرأ في سنيه الماضية الاخرى .

لقد وضح عنده أن مؤتمر فرساي اعطى الفرصة للحلفاء ولانكلترا خاصة لخديعة العرب فخانوهم افدح خيانة .. كانت الرسائل المتبادلة بين الحسين شريف مكة والبريطاني السير هنري مكماهون تنص على استقلال البلدان

العربية ما عدا « عدن » وأفضلية في العلاقات الاقتصادية والسياسية مع البلاد العربية المستقلة •

غير ان الاتفاقات بين بريطانيا وفرنسا وروسيا تخالف ذلك •

« في الرابع عشر من شباط ١٩١٨ صدر بلاغ رسمي في باريس يقول :

استقبل وزير الخارجية الفرنسية المسيو ستيفان بنشون،سوكولوف،ممثل الجمعيات الصهيونية الذي ابدى سروره للتعاون المجدي بين الحكومتين البريطانية والفرنسية حول ادخال اليهود الى فلسطين •»

في ١٩ أيار سنة ١٩١٨ قام سفير ايطاليا في لندن المركيز امبريال بزيارة المسيو سوكولوف واكد له حسن نية حكومته في مساعدة اليهود في تحقيق رغبتهم بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم •

في ٣١ آب ١٩١٨ استقبل الرئيس ويلسون الحاخام ستيفان ويز وعبر له عن ارتياحه للنجاح الذي حققته الصهيونية وموافقته على وعد بلفور •

في كانون الثاني ١٩٢٠ خطب الوزيرالبريطاني اليهودي هربرت صموئيل لدى تعيينه مفوضا ساميا في فلسطين قائلا :

(انا ذاهب لفلسطين لتنفيذ الاوامر المتعلقة بتحقيق مشاريع دولتي الرامية الى انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين •)

يقول المفتي :

(كنت ابن ثلاثة وعشرين عاماوانا اشاهد بدايةالتجربة الكبرى فيفلسطين التي فصلت عن الامة العربية وخاصة عن سورية وقد احتلها الانكليز وهموا بتقديمها لليهود •• كنا نحن الفلسطينيين اذن تجابه قدرا مأساويا •)



ابحثوا عن الصهيونيــة

سنة ١٩٢٠ كان في فلسطين خمسون الف يهوديا يقابلهم مليون عربـي، وكان اليهود يرون التحكم في كل شيء في البلاد ، وكان الاحتلال البريطاني يقوم بمهمة الحرس لهم • كانوا يرغبون في خضوع الادارة البريطانية لـهم وكانوا يعرفون بصفاقه انهم بفضلها يحققون الوطن القومي الـذي يطالبون به ، كان يكفي ان يتخذ البريطانيون موقفا محايدا حتى يتهمهم اليهود بالميل نحو العرب واللاسامية •• كانوا يريدون ان يعد العرب الفلسطينيون انفسهم لمغادرة وطنهم •

يتحدث وايزمن في مذكراته عن انتقال الشعبالفلسطيني لمصلحة اليهود• يتحدث عن ذلك ببساطة عجيبة كان ذلكامر طبيعي : (لم نشتر الكفاية مـن الأرض وهكذا لم نستطع اذن الحديث عن انتقال العرب)• وكانـت الادارة البريطانية تسلك سلوكا واضح الانحياز لهم • وكانت ارادتها في تنفيـذ المخطط اليهودي لا تترك مجالا لشك ، ولم تكن التصريحات الرسمـية التي يؤكد فيها البريطانيون تمسكهم بالحياد ورغبتهم في انشاء دولة (يمــارس فيها المسلمون والمسيحيون واليهود حقوقا متساوية) مؤيدة بالواقع •

ان قراءة عاجلة لكتاب هربرت صموئيل (ذكرى) يكفي لفهم الدسائس التي كانت تحيكها الصهيونية للوصول الى اهدافها •

أمسك المفتي بالكتاب واخذ يقرأ لي بعض المقاطع ، ويقطع قراءته ليعلق بين حين وآخر بفكرة ، (وقديجهل البعض ان لدى المفتي مكتبة نادرة تحتوي على معظم ما انتجه الصهاينة ••• وكان بعضها مترجما الى العربية •)

يقول هربرت صموئيل :

(اذكر بالترتيب الاحداث التي سببت تعييني مفوضا ساميا في فلسطين وارجو من القاريء ان يعود بذكرياته الى بداية ١٩١٤ حينما بدأنا ننتظر فشل المانيا وحلفائها ، في تلك الفترة ما كنا نشك في ان مستقبلا جديدا يفتح امام فلسطين اعني في اللحظة التي اعلنت فيها تركيا الحرب •••

في الواقع تساءلت دائما لم اعلنت تركيا الحرب . كان من غير الممكن ان تربح شيئا من ذلك بل كان عليها أن تخسر كل شيء . ان تعصب (تركيا الفتاة) لالمانيا والحماس لهذه الحرب كان غير المعقول الذي كانوا يعلنونه من أجل الحرب الى جانب ألمانيا وكان بعيدا عن الادراك ...

ان السياسة المعقولة كانت تقضي آنئذ الوقوف على الحياد .. مرة اخرى أقول : (ابحثوا عن الصهيونية). لو وقفت تركيا على الحياد لازدادت ثروة على حساب المتنازعين واحتفظت باراضيها ... اقدر ان الصهاينة كانوا يريدون جرها الى حرب ليست قادرة على النصر فيها ..)

وتابع المفتي القراءة في كتاب هربرت صموئيل :

« تبدل الوضع . كان هناك قدر جديد لفلسطين . وكانت بريطانيا العظمى بالنظر الى مصالحها الستراتيجية في الشرق الاوسط مدعوة كي تلعب أكبر دور في هذا القدر .

« كان على دولتنا ان تفكر فيمن يحل محل الاتراك في فلسطين البلد المجاور لقناة السويس . في ما يتعلق بي . كان لهذا الموضوع أهمية أساسية . كنت اول وزير يهودي يشغل منصب وزير في الحكومة البريطانية. ووضعت اولا خطتي ...»

يتوقف المفتي عن القراءة ويقول :

أتساءل هل كان وزيرا بريطانيا يهودي الدين أم وزيرا صهيونيا في قلب الحكومة البريطانية ... وهل كان يخدم مصالح هذه ام تلك ؟... لمن انتسب : للامة الانكليزية ام للصهيونية ؟

ثم يستأنف قراءته :

« ... لذلك قابلت وزير الخارجية لنتناقش في الامر . وسجلت في مفكرتي أني تحدثت في ٩ تشرين الثاني مع السير ادوارد كري عن مستقبل فلسطين ... أظن اني عرفت كيف انتهز الفرصة التي تمكن الشعب اليهودي من تحقيق آماله التاريخية بتأسيس الدولة اليهودية من جديد ، أكدت للسيد

ادوار غراي ان على بريطانيا العظمى ان تلعب دورها في تأسيس هذه الدولة وبالنظر الى موقع فلسطين الجغرافي المتاخم لمصر كان لزاما على الامبراطورية ان تربح صداقة هذه الدولة • وسألني اللورد غراي اذا كنت اقدر أن سورية يجب ان تكون جزءا من هذه الدولة فأجبت : « على العكس ••• ليس من المناسب ان تحوي الدولة اليهودية مناطق مكتظة كبيروت ودمشق لانه يصعب تمثل عدد سكانها الكبير » واضفت « من المفيد ان تحتل سورية بقية اجزاء سورية الكبرى ومن الافضل لمصلحة الدولة اليهودية ان تجاور دولة اوروبية من ان تكون علاقتها مع تركيا •••»



كان الصهيونيون يتصرفون منذئذ اذن بخريطة الشرق الاوسط •

يستأنف المفتي القراءة :

« حظيت اليوم بمقابلة قصيرة مع لويد جورج حول الموضوع نفسه • فبعد ان اثار مسألة مستقبل فلسطين في مجلس الوزراء لخص عرضه قائلا : « اني اتلهف لرؤية دولة يهودية هناك •••» كتبت ملاحظاتي ووزعتها على زملائي• وعدت اليها في شهر آذار فأضفت اليها عدة تصحيحات ثم وزعتها مرة ثانية • رجوت في هذه المذكرة من بريطانيا العظمى ان تجعل فلسطين تحت حمايتها وان تشجع الهجرة اليهودية اليها • ووافق مجلس الوزراء على دعم البند الاخير • وفي الخامس من شباط تحدثت مرة اخرى مع السير غراي وابديت له شكوكي في موقف العرب الذين يمثلون خمسة اسداس السكان »••

ينزع المفتي نظارته ويعلق :

لم تكن نسبة اليهود حتى واحد على عشرين •

ثم يمضي في القراءة :

(حول قبول حكومة دولية تتمثل فيها البابوية والولايات المتحدة الامريكية وبمساعدة مجلس استشاري يهودي فقال لي : « هنالك حل آخر وهو ابقاء السلطة العثمانية وتأسيس دولة شبيهة بالدولة اللبنانية•••» فأقنعته

بالاخطار التي تهددنا اذا حاولنا حكما غير الحكم البريطاني ، ان ارادة دولية تتعرض الى تسلط دولة اوروبية اخرى .

وكتب الي الدكتور وايزمن من بعد أن تعرف على مستر بلفور في مانشستر رسالة في ١٥ اذار ١٩٠٥ يقول فيها : (حظيت بحديث مع مستر بلفور ان مساعدته مضمونة اذا عرف موقف الفرنسيين بوضوح . انه من غير المعقول ان يكون السكان الحاليون لفلسطين ـ نظرا لضآلة عددهم ـ الحق بتقرير مصير هجرة اليهود وعودة هذا الشعب الذي عاش فيها قبلهم وهذا راجع الى ان اليهود اقاموا في هذه البلاد مؤسسات روحية وثقافية ذات اهمية كبيرة للانسانية والتي تجتذب دائما الاهتمام خلافا للفراغ الثقافي الذي يهيمن على هذه البلاد منذ الف عام)..

يتوقف المفتي عن متابعة القراءة ويقول :

لقد تجاهل ببساطة كل الحضارة العربية ومساهمة الفلسطينيين في هذه الحضارة ، لقد كرس نفسه وهو وزير لتمثيل الصهيونية في قلب الحكومة البريطانية التي توصل لاقناعها بخطته . ولما انتصرت بريطانيا جاء فلسطين مندوبا ساميا لتنفيذ الخطة كموظف بريطاني لا صهيونيا .

والحق ان الدولة الصهيونية ولدت لدى وصول هربرت صموئيل الى الارض المقدسة واعطيت المراكز الحساسة ليهود او لانكليز يساعدهم فيها يهود .

كان مدير دائرة الهجرة يهوديا اسمه « جايمسون » كما كان مدير التجارة الخارجية يهوديا ...

★ ★ ★

وأمسك المفتي بكتاب آخر رسمي عنوانه (فلسطين) اصدرته سلطة الانتداب سنة ١٩٣٩ وعدد منه الاسماء اليهودية التي كانت تتولى المناصب الكبرى .

أما في مجال المالية فقد كان هنالك ثلاثة مديرين يهود من اصل خمسة.

كان هنالك مفتش بوليس عربي يقابلـه ستة من اليهود • واخـــذ اليهود يوجهون اقتصاد البلاد بفضل هربرت صموئيل ، واخذت تعطيهم السلطـة املاك الدولة مجانا • وفوق ذلك عفا عن اليهود الذين ارتكبوا جرائم بحق العرب وخبأ تقرير اللجنة البريطانية التي ادانت الصهيونية في مسؤوليـــة احداث سنة ١٩٢٠ •



ـ هل تستطيعون سماحتكم ان تعطونا فكرة عن تلك الاحداث ؟

ـ امام التحديات الصهيونية ، تحول قلق الشعب الفلسطيني الى توتر أخذ يتزايد مع الزمن • كان مستحيلا على اليهود ان يفهموا لماذا تتمســـك بأرضنا ، لم يكن لنا اليهم اي حق فيها وكانوا يرون ان علينا ان نرحل فنترك لهم فلسطين • كما ان الاحتلال الانكليزي جعلهم عصبي المزاج•

سنة ١٩٢٠ جاء عيد الفصح اليهودي والمسيحي وعيد النبي مـوسى معا في الرابع من نيسان • وخال لليهود انهم الوحيدون الذين يحق لهم احياء هذه الذكرى ولا بد من الذكر ان فلسطين كانت تحتفل قبل ظهور الاسلام والمسيحية واليهودية بهذا العيد وأظنه تقليدا كنعانيا (١)•

في تلك السنة أعدت كل طائفة احتفالها وكان احتفالنا أهمها واكثرهـا عددا واجتمع الناس ، كما في كل عام في الاقصى كي يسيروا منه على الطريق التقليدي الذي يؤدي الى الجبل الذي فيه قبر النبي موسى وخرج النـاس من المسجد وهم يحملون علم الوحدة العربية وما أن تجاوزوه قليلا حـتى هاجمهم عدد من اليهود يقودهم جابوتنسـكي « زعيم منظمة الارغون زفاي ليومي الارهابية » وانتزعوا العلم من حامله وداسوه ••• فبدأ القتال •••

سألت المفتي :

ـ مع ذلك يزعم وايزمن في مذكراته ان اليهود لم يكونوا غير عـدد

(١) المشهور في التاريخ الاسلامي ان عيد « النبي موسى » انشأتـه الدولة الصلاحية او دولة المماليك لصد قراصنة الافرنج •

ضئيل اجتمع ارتجالا للدفاع عن الحي اليهودي الذي هاجمه العرب ويدعي اكثر من ذلك وهو ان التظاهرة اتجهت الى الحي اليهودي فهاجمته بدل ذهابها الى مقام النبي موسى «من غور الاردن قرب اريحا» . ما رأي سماحتكم بذلك ؟

أجاب المفتي ممتعضا : « ما هذا ؟ ليس الهجوم على المسالمين من طبيعتنا . وما كان هدف احتفال ديني الهجوم على الاخرين ... وهذا ما ثبت خلال المحاكمات ... كان اليهود عديدين ومنظمين يستهدفون هجوما. هم الذين بدأوا بالتحرش . ولا تنس ان شرارة كانت تكفي ليلتهب البارود ... لقد دامت الحوادث أياما خمسة .

ـ يلمح ايضا ، يا صاحب السماحة ، الدكتور وايزمن بان السلطات البريطانية ابدت ميوعة واهمالا ظاهرين ...

ـ أياما خمسة كنا نقاتل فيها بلا سلاح ضد الجيش البريطاني واليهود، خاصة كانت النتيجة حسب البلاغ الرسمي: تسعة قتلى من اليهود واربعة من العرب ومائتان وخمسون جريحا من الطرفين ، واعلن منع التجول اياما عديدة في المدينة المقدسة .

ـ هل ساهمتم في الحوادث ؟

ـ طبعا ! لقد ساهمت وسأساهم دائما وفي الصفوف الاولى للمعركة كلما تعرضت امتي لذلك .

حاولت السلطات الانكليزية توقيفي فاختفيت ، لم تستطع العثور علي. وقد علمت ان الانكليز اوقفوا في ٢١ نيسان سنة ١٩٢٠ صديقي ورفيق الكفاح الامير محمد الزناتي فهاجمت السجن مع بعض الشبان العرب فاحتللناه بعملية خاطفةوحررنا صديقي مع اخوانه المسجونين من المناضلين. بعد هذه الحادثة استدعى الانكليز قواتهم من يافا وطبرية للقدس بينما امتدت عملياتنا الى سمخ وبيسان فاضطر اليهود الى اخلائهما .

على أثر هذه الحوادث أصدر الجنرال بولز حاكم فلسطين العسكري البلاغ التالي :

(في البلاد توجد حكومة واحدة وهذه الحكومة هي التي اديرها انا ! ان تحت تصرفي قوة عسكرية مهمة مستعدة لسحق من يثير الفتن،وسأستخدمها في المستقبل دون حذر) .



التواري الاول ، ثم العفو !

وتألفت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن الحوادث وحكم على الشاب امين الحسيني بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة، وبحثت عنه السلطات في كل مكان عبثا فقد كان ساعتئذ في دمشق حيث كان الملك فيصل الاول ملك سورية . ولما احتل الفرنسيون سورية ترك المفتي سورية والتجأ الى شرق الاردن، وما كانت عمان سوى بلدة صغيرة تحرقهاالشمس. استقبله الامير عبد الله الحديث القدوم من الحجاز بالحرارة نفسهـا التي استقبله فيها اخوه الملك فيصل . وبعد وصوله بأيام قليلة الى عمان جـاء هربرت صموئيل في زيارة للامير عبد الله ، وفي خلال الغداء الذي اقامه لـه الامير عبد الله سأل المفوض السامي الامير :

ـ سمعت ان السيد محمد امين الحسيني في عمان !

أجاب الامير : نعم ! هذا صحيح ..

استأنف هربرت صموئيل ، فقال : « وكان على علم بتحركات الحسيني واتصالاته بمشايخ البدو » :

ـ وما يفعل هنـا ؟

اجاب الامير : انه ضيفي . وقد كان ابوه صديقا واخوه مـن افضل علمائنا . فلا استطيع ان أرفض ضيافته ، له علي حق الاحترام .

قال المندوب السامي : ولماذا لا يعود الى فلسطين ؟

قال الامير : أنت تعرف كما أعرف انه محكوم بعشرة سنوات مع الاشغال الشاقة .

ـ سأعفو عنه .نحن الاخرون نقدرصفاة وحماس ووطنية هذا الشباب. أرجو ان تنقلوا له قراري هذا .

ـ لا استطيع الا ان اشكركم .

وأتم سماحته قائلا : كان واضحا ، وكان الامير رحمه الله يعرف كما أكد لي أن المندوب السامي هربرت صموئيل كان يريد ان يكتسب مودتي فقد كان معروفا بحسن التصرف وترحابه بضيوفه ولكن هذه البادرة لم تكن تخفي خطته . كنت أعلم المهمة التي يريد تنفيذها .»

بعد صدور العفو عن محمد أمين الحسيني عاد الى القدس واقترح عليه بعض اصدقائه ان يزور المندوب السامي شاكرا فرفض .

وبعد شهور من عودته توفي اخوه الشيخ كامل الحسيني مفتي فلسطين رحمه الله .

الفصل الثاني

الحاج أمين مفتيًا للقدس



المفتي يتوسط اعضاء مكتب مؤتمر العالم الاسلامي الاول الذي عقـــد في القدس لنصرة فلسطين



المفتي والى جانبه الامير عبد الكريم الخطابي
مع بعـض الشخصيات العربية في القـاهرة



في بومباي بالهند في الرحلة التي قام بها المفتي ومحمد علي علوبة باشا الى الاقطار الاسلامية عام ١٩٣٢ . وفي الصف الخلفي مولانا شوكت وعدد من مسلمـــي الهند



أصبح مركز الافتاء شاغرا . وكان على المسلمين ان ينتخبوا خلفا له. في عهد العثمانيين كان يتقدم المرشح ، ولم يكن احد ينازع آل الحسيني في هذا المنصب . فكان العلماء يجتمعون في الاقصى كي ينتخبوا ذلك المرشح. كانت الانتخابات نوعا من الرسوم الشكلية التي تدعم رسميا هذا الحق (البيعة) . عند موت كامل الحسيني كان وارث هذا الحق أخاه محمد أمين.

وكانت السلطات البريطانية ترى في ترشيحه وهو الرجل الذي حكمت عليه المحكمة العسكرية بعشر سنوات مع الاشغال الشاقة تحديا لها ، وكان زعماء اليهود من جانبهم يودون ايضا أن يتقدم مرشح سواه لان مركز الافتاء يمنح هذا الفتى « الثوري » نفوذا شعبيا لدى العرب . وألح المتعاونون مع السلطات البريطانية على الشيخ حسام جار الله وهو المعروف بتقاه كي يتقدم بترشيحه . وعن ذلك يقول الحاج امين الحسيني :

(كنت أكن له دائما الاحترام ، وليته لم يرشح نفسه فلقد تورط فيما لا ينسجم مع سمعته . كانت السلطات البريطانية تجهد في ابعادي عن المنصب

كي تحدث انقساما في الكفاح العربي ويتحول الشعب عنه الى نزاع داخلي . وكان علي ان افضح خطتهم . لقد انتهز (هربرت صموئيل) وهو الصهيوني المتعصب فرصة الانتخابات تلك حتى يجهض تجمع الفلسطينيين حول شخصي ... كان يقول عني : (ما زال صغيرا ...) اذ كان عمري سنة ١٩٢٢ لم يكن يتجاوز الخامسة والعشرين .

غير ان ألاعيبهم دعمت موقفي . ولولاها لمرت الانتخابات كسابقاتها في خلال قرون هادئة . غير أنها هذه المرة اخذت شكل معركة صعبة . لقد أيقظت اهتماما عظيما عند الشعب الذي أبدى حماسة رائعة لها . فجاءت برقيات التأييد لشخصي من كل جهات العالم الاسلامي. وجاءت وفود من المدن والقرى الفلسطينيةلتدعم موقفي . وهكذا ساهمت المؤامرات اليهودية والانكليزية في تقوية كلمتي عند شعب فلسطين واكدت التفافه حولي . لقد ساهم دعم البلاد الاسلامية في اعطاء معنى للكفاح الفلسطيني ولمركز المفتي الذي اخذ يثير اهتماما كبيرا . لقد أقام هذا المركز صلات وثيقة بين تلك البلاد والمسألة الفلسطينية . امام هذا التأييد المطلق لي اضطر المندوب السامي لان ينحني واكره على المحافظة على الحياد ولو ظاهرا .

ويوم الانتخاب فاز اسمي بالاكثرية الساحقة .)

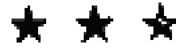
هكذا اصبح محمد امين الحسيني « صاحب السماحة مفتي القدس».

ويضيف المفتي :

(وبعد الانتخابات زارني هربرت صموئيل في دار الافتاء مهنئا).

ثم انتخب سماحته رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى القائم على ادارة الاوقاف والمحاكم الشرعية الاسلامية واضيف لقب أكبر الى لقب المفتي فاصبح « صاحب السماحة مفتي القدس الاكبر » ، واصبح بذلك ممثلا أعلى سلطة روحية في البلاد .

كان محمد أمين الحسيني أصغر من حمل هذا اللقب ، وشرع وهو في سن الخامسة والعشرين يحمل المسؤوليات الكبرى ، لقد اراد ان يكون الكفاح مبنيا على قواعد مدروسة لا على الارتجال .



أول مهمة واجهته

ـ هل تستطيعون التحدث الينا عن الخطة التي وضعتم لمتابعة الكفاح؟

« كانت هذه الخطة بسيطة . كانت المسألة الفلسطينية مجهولة في العالم كله ، وانتهزت الصهيونية ذلك كي تضمن تأييد الرأي العام معتمدة على وسائلها الاعلامية الهائلة . لقد استطاعت الصهيونية بفضل سيطرتها على الصحافة وعلى علاقات الجالية اليهودية في اوروبا واميركا وعطف بعض العقول على ما حاق اليهود من اضطهاد وتعذيب كسب هذا الرأي العام وتسخيره لادعاءاتها بفلسطين.

اما أنا فقد كنت لا املك من الوسائل والاسباب الضرورية لدعوتنا شيئا . لقد وجدتني في وضع عسير ، وكان علي الخروج منه . لقد عملت على تنظيم الدعاية فلاءمتها مع اتصالاتي التي لم تكن بسيطة . لقد عزمت على ان اثير اهتمام البلدان العربية اولا والعالم الاسلامي ثانيا وهما بالضرورة معنا في قضيتنا . وكان لزاما ان يتنبهوا اولا لاهمية كفاحنا . لقد قررت أن ألجأ الى كل الوسائل . كانت وسائلي قليلة ولكنه كان يجب ان اربح منها اكثر ما يمكن .

عندما انتخبت لمنصب المفتي كان الاقصى قد بدأ يظهر فيه الوهن . ولقد تعرض هذا المسجد لتغيرات هامة بعد بنائه ، ولقد تهدم جزء منه بعد الهزة الارضية التي اجتاحت فلسطين عام ٧٤٧ هـ فعمد العباسيون الى ترميمه وتوسيعه ثمانية عشر مترا من الناحية الشمالية واضافوا ثلاثة اعمدة لكل مجموعة من اعمدته . واضطروا لتبديل امكنة بعضها مما تأثر بالهزة ولكنها حافظت على شكلها

الاموي . اما الالواح الخشبية الدقيقة الحفر والفسيفساء فقد ظلت على حالها . ثم جاء الفاطميون فبدلوا الاعمدة بما هو اضخم واقوى دون ان يمسوا الالواح الخشبية ، ولكنهم رمموا ما انهدم من الفسيفساء.

وبعدهم الايوبيون ، الذين اضافوا جناحا شماليا مقابل المسجد ثم جاء المماليك الذين دعموا الاعمدة بجدران فبدت مربعة بعد ان كانت دائرية . وبعد أن اقاموا أعمدة في الجناح الايوبي تحل محلما تخلخل ودعموا المسجد من كل جوانبه اضافوا جناحا آخر من الناحية الجنوبية حتى يستطيع المسجد احتواء عدد المصلين الذي ازداد مع الزمن . وقد حافظ علىهذا الشكل قرونا اربعة .

في بداية القرن العشرين اخذت بعض الاقواس والاعمدة بالوهن وكان يحز في نفسي أن أرى ذلك ولا اتحرك ، فقمت بالمبادرة الضرورية لانقاذ هذا الاثر الذي له عدا قيمته المعمارية قيمته الروحية والتاريخية وهو الىذلك رمز المقاومة . دعوت مهندسين من المصريين والاتراك كي يرمموه ترميما اولا ينقذه . فعمدوا الى السقف فرمموه ما عدا القبة التي فوق المحراب وقد بقيت على متانتها ونزعوا الالواح الخشبية وطلي مكانها بالاسمنتيا للاسف. كما انهم رفعوا البيوت والابنية المجاورة التي تسيء الى منظر الجامع الخارجي . اما في الداخل فما غير المهندسون من المنظر الا قليلا مما تقتضيه الضرورة .

لم يكن لدي من المال ما يكفي لترميمه كاملا ، فقررت ان أقوم بحملة تبرعات تمكنني من القيام بعملية ترميم واسعة . واخترت البدء بمصر فقمت بالاتصالات لتأليف وفد . وما أن علم هربرت صموئيل بالامر حتى ارسل لي كتاب توصية الى الجنرال اللنبي كي يسهل مهمتي وكان يرمي الى حصر مهمة الوفد في جمع التبرعات تفاديا للدعاية التي يمكن ان تثار من اجل القضية الفلسطينية وكنت من جهتي اعتقد ان مهمتي لا تكمل اذا لم افرد للدعاية دورها الكبير .

كانت اللجنة تحوي في عدادها خير وجوه فلسطين.

كان أول من استقبلني في مصر استاذي الشيخ رشيد رضا ، بعد فراق دام سبع سنين وبوسعكم ان تقدروا كم كان اللقاء حارا . عبر لي عن فرحته الكبرى برؤية تلاميذه يقودون حركة (اليقظة) قال لي :

(لم يكن جهدي اذن عبثا !) وألح علي أن يساهم باعمال الوفـد وان يكون عضوا فيه وما كان بوسعي الا الرفض فكيف أبيح لنفسي رئاسة وفد هو عضو فيه ولكني اضطررت للرضوخ لالحاحه لقد أراد ـ على تواضعه ـ أن يدلل على دعمه المطلق لعملي.

كان أول من قمنا بزيارته شيخ الازهر (أبا الفضل الجيزاوي) ولقـد ادهشني جهله المطلق لقضية فلسطين . لم يكن هناك من يدرك في مصر ان قضية فلسطين ستصبح قضية العرب الاساسية وسبب الانقلابات والثورات وسقوط الانظمـة .

بـدأ الشيخ رشيدرضا الحديث مذكرا بالاخطار الـتي تتعرض لها فلسطين والتهديد الذي يتعرض له الفلسطينيون بالطرد من وطنهم ... ثـم تحدثت عن الصهيونية والاستعمار واهدافها المشتركة .

واذا بشيخ الازهر يسأل مثيرا عجب الوفد .. (ما تلك فلسطين هـذه التي تـتحدثون عنها؟ لم اصدق ما تسمعه اذناي). كيف يمكن ان يجهل،وهو العليم بامور الدين . الى هذه الدرجة مبادىء الجغرافيا ، كيف يستطـيع ان يكون بعيدا عن المشاكل الصعبة التي تهدد الامة ؟ واعـدت عرضي صابرا موضحا ما استطعت التوضيح.

اجاب : أفهم مما تقولون ان مشكلتكم تـتعلق ببعض اليهود الذيـن لا يحترمون حرمة الاقصى ... أليس كذلك ؟ سأتصل بحكمدار القـاهرة كي يرسل قوة تطرد هؤلاء اليهود الخبثاء من القدس ...



فأجبت : المسألة أخطر من ذلك ، كل بوليس القاهرة لا يستطيع حلهـا فهي تتعلق بالانكليز ومدافعهم وجيوشهم ، تتعلق بالامبراطورية البريطانية ...

فأجاب : ـ آه ... أرى ان المسألة سياسية ... انتم تعلمون اني لا أتدخل في السياسة .. اعتذر اليكم .

كانت الزيارات الرسمية التي قمنا بها لرئيس مجلس الوزراء ووزرائـه مخيبـة . كان السلطان احمدفؤاد يحكم مصر آنئذ تحت الحمايةالانكليزية، ولكن السلطة الحقيقية كانت بيد الجـنرال اللنبـي ، ولم يكن الـوزراء والمسؤولون يرغبون بزيارتنا لانهم كانوا يرون فينا (اعداء الانكليز)...

كان فندق الكونتيننتال قد تحول في اثناء اقامتنا الى ملتقى للشخصيات المصرية الوطنية المؤمنة بالقضية العربية . ولقد زارنا عـدد من اللاجئـين السياسيين الذين تعرفت عليهم في القدس...

* * *

قمنا بارشاد الشيخ رشيد رضا بتنظيم جمعية لجمع التبرعات لترميـم الاقصى يرأسها الامير محمد علي أخو الخديوي السابق عباس حلمي وكان من بين اعضـائها شخصيـات مصرية منها المؤرخ المصري الكبير ـ احمـد شفيـق باشـا ..

* * *

مصر تتعرف على قضية فلسطين

أراد الجنرال اللنبي ان يدلل على حسن نيته فـأقام عشاء على شرف المفتي دعي اليه رئيس الوزراء والوزراء والوجهاء سأل الجنرال ضيفه عـن الهدف من الزيارة وما كان السؤال ليخفي قلقه عن الغرض منها ، فقد كـان يخشى اتصالات المفتي في مصر وامتداد افكاره التي وجدت ارضاخصبة لهـا في ذلك البلد العربي المحافظ في امور الدين الحساس للضيم الذي يلـحق بالارض المقدسة من الاحتلال الانكليزي والصهيوني . كان واضحا انـه لا

يريد اثارة الرأي العام المصري حول الوضع القائم في فلسطين .

اجاب المفتي على سؤاله قائلا :

(تعلمون ان المسجد الاقصى تعرض لعدة هزات ارضية، ومن الضروري ترميمه ولكن الاموال اللازمة غير موجودة لدينا ، لقد كلف بناؤه خراج مصر سبع سنين ....)

اللنبي ــ كم يكلف الترميم ؟

المفتي ــ نحن بحاجة لمائة الف استرلينية على الاقل كدفعة اولى ...

اللنبي ــ ان جمع التبرعات الذي تقومون به يبدو لي عديم الفائدة . يكفي ان اكتب رسالة الى جريدة التيمس افتتح فيها اكتتابا لترميمه حتى أحصل في ايام على المبلغ المطلوب .

المفتي ــ ان هدفنا لا يتوقف على التمويل فقط بل لنا هدف اخلاقي ايضا فنحن نرمي الى توجيه انظار العالم الاسلامي لاماكنه المقدسة ولسنا راغبين في تبرعات لها صفة السؤال وانما بالمساهمة . ان هدف الدعوة التي تقوم بها هو جمع المسلمين في جهد واحد . لو كانت المسألة مادية فقط لاستطعنا بنداء نوجهه الى اغنياء العالم الاسلامي العديدين بين ابناء ديننا فيدفعوا هذاالمبلغ. انني انتهز هذه المناسبة لاشكركم على دعمنا في المشاكل التي تعترضنا ...

☆ ★ ☆

حوار مع السلطان احمد فؤاد

ولما رأى السلطان احمد فؤاد (١) الا خطر من استقباله للمفتي اقام له عشاء على شرفه في القصر الملكي . ودارالحديث بين السلطان والمفتي باللغة التركية التي يتقنها الاثنان .

---

(١) السلطان احمد فؤاد هو والد الملك السابق فاروق وبعد استقلال مصر ١٩٢٣ اصبح الملك فؤاد الاول .

الملك ـ ما هذه اللجنة التي ألفتموها مفتي أفندي ؟ أتجهلون ان الامير محمد علي مختل ومجنون وان الشيخ بخيت ذلك الاعور هو مجنون حقيقي؟اما أحمد شفيق باشا فهو صفر ... استطيع وحدي ان ادفع لكم ما انتم بحاجة اليــــه ...

المفتي ـ ان المبلغ الذي نحن بحاجة اليه هو مائة الف استرلينيــــة ، جلالتكــم ...

الملك ـ هذا ليس بذي بال سأرسلها لكم حال عودتكم الى فلسطين...

(وظهر فيما بعد ان جلالته نسي وعده تماما فلم يصلنا منه قرش واحد).



قلت للمفتي :

ـ نستطيع ان نقول اذن ان رحلتكم الاولى خارج الحدود الفلسطينية لم تكن نــاجحة .

المفتي ـ على العكس ظهر انها كانت ناجحة نجاحا كبيرا . لقد اجتزنــا المرحلة الاولى فنجحنا بايقاظ اهتمام مصر وهي أكبر البلدان العربية.كان هدفنا الاول واعيده عليكم ان نجمع العرب حول القضية الفلسطينية ... قبــل سفري لم اعلق كثيرا على النتائج فقد كنت لا اهتم كثيرا بالاوساط الرسمية وخاصة القصر . كان الشعب هدف الرحلة لان معركتنا تؤول بالفشل دون دعم الشعب العربي . فقد كان العدو يعتمد على وسائل هائلة يستخدمها بذكــاء وحيلة . كان يحاول ايجاد نزاع في قلب فلسطين بين المسلمين والمسيحيين لان البابوية لم تكن تنظر بعين العطف على (الوطــن اليهودي) وكــــان مصير المسيحيين والامكنة المقدسة يقلقها وكان موقف مندوبها المونسينيور(سيريتي) عند توقيع الانتداب في جمعية الامم معروفا .

« وكانت الصهيونية عالمة بوزن الفاتيكان الروحي فقامت بلعبة مزدوجة فحاولت بشتى الوسائل اقناعه لمصلحتها . لقد بذل ممثلوها في زياراتهم لروما

والفاتيكان جهودا كثيرة لاقناع البابوية بان اهدافهم سليمة في فلسطين وحاول الصهيونيون ـ كمرحلة اولى ـ اقتساما بين المسلمين والمسيحيين في مرحلة ثانية كي يكسبوا دعم الاخرين • لقد حاول هربرت صموئيل المستحيل كي يربح عطف المسيحيين ولكن دون نتيجة •

« لقد آلف المسيحيون والمسلمون منذ القدم وحدة متكاملة في البلدان العربية • لقد استمر التقليد الذي نشأ بعد الخليفة عمر الى يومنا هذا • وما كان هذا التقليد نفسه الا تعبيرا عن الشعور المشترك لكل المسلمين وكل المسيحيين الذين كافحوا دائما جنبا الى جنب • أبان الحروب الصليبية كان مسيحيو بيروت يتنكرون بثياب الصليبيين حتى يحملوا المؤن والذخائر عن طريق البحر الى عكا المحاصرة ، وحملوا السلاح في صف صلاح الدين ضد أبناء دينهم• لقد ابدوا نفس الحماس في الكفاح ونفس القوة التي ابداها المسلمون •

ـ هل تستطيعون ايراد امثلة على ذلك ؟

ـ أستطيع ان اورد لكم الى ما لا نهاية ! لقد كان فدائيا مسيحياذلك الذي فجر دار الوكالة اليهودية • كنا نجهل من هو الذي يبذل جهدا أكبر في الكفاح المسيحيون ام المسلمون • لم نكن نتساءل من المكافح أمسيحي هو أم مسلم كلهم كانوا عربا •

★ ★ ★

سياسة بريطانيا ذات الوجهين

ـ في تلك الفترة جاءت فلسطين ـ صاحب الساحة ـ لجنة (هاي كرافت) ولقد قيل كثيرا عن مهمتها وتقريرها من كلا الجانبين• ما رأيكم بها؟

المفتي ـ كان (هاي كرافت) قبل كل شيء قاضي القضاة من طينة القضاة البريطانيين الذين يدرسون الوقائع ببرودة حتى يصلوا الى الدوافع والتفاصيل

في كل قضية دون انحياز • ان وضعه يشبه كثيرا وضع الانكليز الذين كانوا يصلون في تلك الفترة الى فلسطين وهم مقتنعون بالصهيونية ثم يعودون الى بلادهم بنظرة جديدة مختلفة عن المشكلة الفلسطينية واعطيكم مثلا لـورد (نورثكليف) ولورد (بيفربروك)• اعتقد ان الدعاية الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى وفي السنوات التي تلتها شوهت افكار كثيرين •

هنالك كثير من الانكليز ، تدفعهم نزعة (بيرونية) (١) حديثة ، دعموا الصهيونية • فلقد عرفت كيف تستغل الشعور الديني الذي توجيـه القراءة وعطف الرأي العام على المظالم التي لحقت باليهود في المذابح واخبار (الغيتو) فكانت تؤكد عليها ، واستطاعت من هذا السبيل اعطاء فكرة عن فلسطـين مختلفة عن الواقع • كانوا يصورون فلسطين صحراء ويزعمـون اننا نحن الفلسطينيين بدو رحل ، وزعموا ان الوطن القومي اليهودي لا يثير مشكلـة اذ يكفي ان يشيروا لنا حتى نترك البلاد • كانت دهشة كثير من الشخصيات الانكليزية كبيرة لدى وصولها للبلاد عندما كانت تجد عكس ما ظنت ، ولا ننسى ان مشروعا برفض وعد بلفور قد عرض سنة ١٩٢٣ على مجلس اللوردات وفاز بالاكثرية وكان ينتظره نجاحا مماثلا في مجلس العموم لولا تدخـلات تشرشل التي جعلت كفة الميزان تميل لمصلحته •

ــ لقد انطوى كفاحكم على كره شديد لتشرشل • فما هي الاسـباب العميقـة لذلك ؟

ــ لقد رأيت فيه دائما عدو العرب الاول الاكثر قسوة وتصميما •

عندما جاء في زيارة لفلسطين في ٢٨ اذار ١٩٢٨ قام بزيارة الاقصى والقى خطابا فيه فأشاد بشهداء اليهود والمسيحيين ووصف العرب « بالمخربين » فكان الخطاب سببا في مظاهرات عربية••• في زيارته تلك غرس شجرة نخيل في المكان الذي كانت تشاد فيه الجامعة العبرية واعلن امله ان تكون رمزا لنجاح الحركة الصهيونيـة •

---

(١) تلميحا الى اللورد بيرون الذي ساعد اليونانيين ضـد العثمانيين •

ـ تعتقدون اذن ان (هاي كرافت) كان محايدا في تـقريره •

ـ ان تقرير (هاي كرافت) يفضح في الحقيقة ضعف الانتداب والنظرة الخاطئة الظالمة التي بنيت عليهـا نظرية الوطن اليهودي في فلسطين • وهـو يظهر في بعض مقاطعه عدم امانة السلطات المحلية في نقل واقع الحال •

واخذ المفتي يقرأ لي بعض المقاطع من هذا التقرير : ان الشعب الـذي ندرسه ليس شعبا عاديا لانه دام عدة ايام وهو يحدث كلما التقت جماعـة من المسلمين بجماعة من اليهود وهو يشتد يوما بعد يوم وقد عانت منه منطقة يافا وخاصة المستعمرات اليهودية القريبة من تلك المدينة)•

(لقد بات العداء نحو السكان اليهود عميقا وقد لاحظنا ان السكـان العرب يكرهون الحكومة التي يأخذون عليها سياستها الموجهة لانشاء وطـن يهودي في فلسطين •••فالبلاد كلها مقتنعة ان هذه الحكومة تخضع لضغط الصهاينة وتبدي ميلا ظاهرا لها مع ان اليهود لا يمثلون الا اقلية من السكان فالحكومة تساعدهم في تحقيق مخططاتهم • لقد اكد لنا بعض العرب ، وهـذا ما تأكدنا منه ، انه لولا المسألة اليهودية في فلسطين لما لاقت تلك الحكومة اية صعوبة في الادارة المحلية • اننا نعتقد ان سبب عداء العرب للبريطانيين هو سياسة حكومتهم الداعمة للصهيونية •)



(لو ظل اليهود اقلية ، كما كانوا في العهد التركي ، تحافظ على الاعتدال، لما أزعجهم أحد • لقدحقد عليهم العرب عندما رأوا تطرفهم ورغبتهم في السيطرة على البلاد فهم في كل لحظة ينتظرون بادرة من اليهود تحرك الرأي العام ضد العرب • ان ذلك هو السبب الذي عرض وجهاء اليهود للاهانة •)

ثم اضاف المفتي قائلا :

(ولكن تقرير (هاي كرافت) لم يؤثر في السياسة التي اتبعها المندوب السامي وحكومته • لقد روج الانتداب ضد الحقوق الشرعية لشعب فلسطين كما يتضح ذلك من رد المفوض السامي على تقرير كرافت حين قال :

(••• وضع البلاد في شروط سياسية اقتصادية ادارية تسهل نمو الوطن القومي اليهودي)• تلك هي الروح التي أملت كتاب تشرشل الابيض الصادر سنة ١٩٢٢ الذي يقول فيه : (ان عودة اليهود الى فلسطين التي يريــدون ان يجعلوا منها وطنا قوميا لهم جديرة بالاهتمام والاحترام • هذه العودة هــي حق لهم وليس منحة يمنحونها •)

امام اعتراضات العرب اجاب الانكليز انهم ينفذون فقط صك الانتداب الذي أسندته لهم عصبة الامم زاعمين انهم لم يكن لديهم الحق ولا القــدرة على تعديله • كان ذلك هو الجواب الذي سمعته من رئيس وزراء انكــلترا سنــة ١٩٣٠• وفي نفس السنة سمعت ، مستغربا ، رأيا مخالفا لذلك من امين عام عصبة الامم السيد (اريك دراموند) وهو نفسه انكليزي •• قــال لي : (ان عصبة الامم لم تضع صك الانتداب لقد قدمته لها الحكومة البريطانيــة بعد موافقة الصهيونية)•

ونجد في كتاب الدكتور وايزمن (ولادة اسرائيل) تأكيد ذلك قــال : (كنا نعلم تماما ان الوضع في فلسطين يصبح قلقا وغير مرض ما لم تصــدق عصبة الامم على الانتداب • ولم يتم ذلك التصديق الا في تموز ١٩٢٢•••) ويتم وايزمن قائلا : (لقد خلف كرزون بلفور في وزارة الخارجية وكان يهتم باتمام مشروع الانتداب، وكنا من جهتنا نعتمد على مساعدة (بن ف كوهن) الثمينة الذي ظل في لندن الى جانبنا بعد استقالة زملائه البرانديسيين مــن المجلس التنفيذي • كان بن كوهين من احذق صانعي القوانين في الولايــات المتحدة ، لقد كافح شهورا لربح معركة الانتداب مع سكرتير كرزون الشاب اريك فوريست آدم الذي كان كثير الذكاء ، فعال ولطيفا • لقد عرضت مشاريع عديدة ورفضت وكنت اتساءل كيف الوصول الى نص نهائي • كانت الصعوبة الجديدة هي في عرض الوقائع • ولقد توصلنا الى الجملة التالية (اعترافــا بالعلاقات التاريخية التي توجد بين اليهود وفلسطين •) كان الصهيونيــــون يريدون ان تكون الجملة (اعترافا بالحقوق التاريخية لليهــود في فلسطين) ولكن كرزون لم يقبلها بأي ثمن •••)

الفصل الثالث

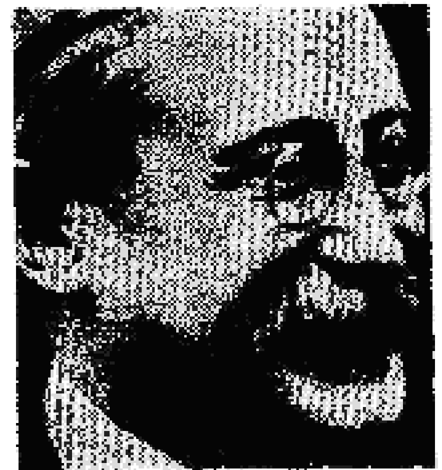
الصدام مع بريطانيا



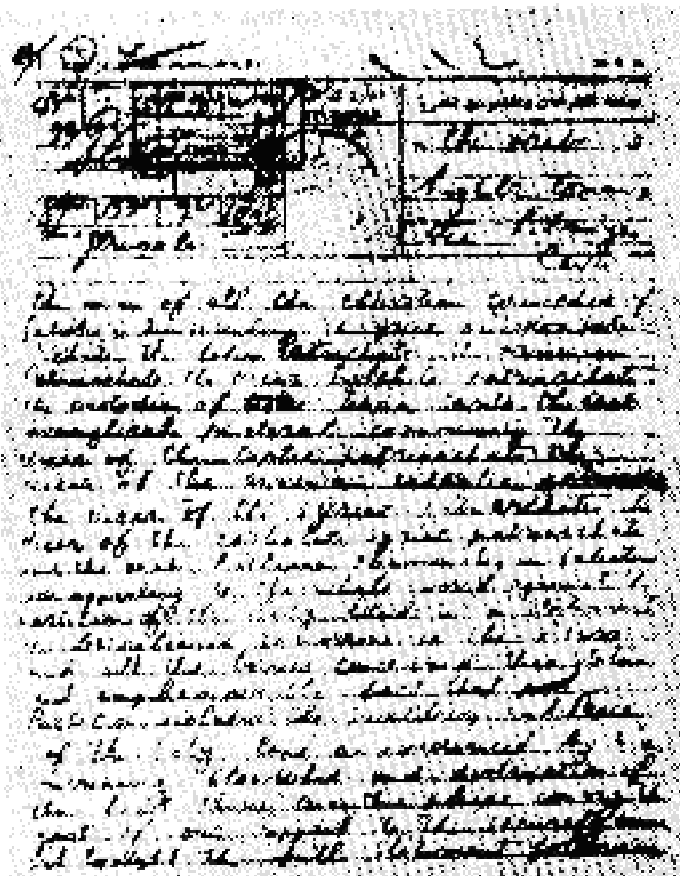
روزفلت وجه رسائل لزعماء اليهود لتأييد قراره في جعل فلسطين دولة يهودية



بالرغم من ان الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط ، عارض في تكوين « فيلق يهودي » فان ونستون تشرشل صمم على تأليف هذا الفيلق على أن يكون ملحقاً بالجيش البريطاني .



ليون بلوم واجه ضغط امريكا والصهيونية



البرقية التي بعث بها المفتي الى الحكومة البريطانية احتجاجاً على المشروع البريطاني



دين اتشيسون وزير خارجية امريكا ضغط على فرنسا من اجل اليهود



هنا يتحدث المفتي عن تصميم الشعب الفلسطيني على انتزاع حقـوقه بجميع الوسائل التي كانت متوفرة لديه فيقول :

« لم يزد الزمن الوضع الا تأججا في فلسطين وخيم القلق على البـلاد جميعا . كان شعبنا المؤمن وقد اعوزته الوسيلة للدفاع عن نفسه مكرها على خوض المعركة وكانت بريطانيا يومئذ اكبر قوة عالمية ، وكانت الصهيونيـة وامكاناتها التي لا تنضب ، فهي تعتمد على ثروة اليهود في العالم وتسلط اليهود على بلدان كبيرة مثل الولايات المتحدة وبريطانيا . كانت القوى العالمية التي تدعم الصهيونية تبذل كل ما في وسعها لضربنا فالساسة في كل من اميركـا وبريطانيا وغيرهما من البلدان الاجنبية يمالئون الصهيونية طمعا في الحصول على اصواتها الانتخابية وتأييدها ويجهدون في ابداء العطف عليها ومساعدتها. وما كان لدينا نحن في هذا الوضع غير حل وحيد .. الشهادة ! لقد ارادوا لنا الهجرة وذبح أعز ابنائنا واشجعهم . ولوتعرض شعب غيرنا لما تعرضنا لـه لاستسلم ، اما نحن الفلسطينيين فلم تزدنا الالام التي احتملناها اكثر مـن

نصف قرن غير الصلابة والعزم على ان تتمسك بارض اجدادنا • ان اولادنا الذين يولدون الان في البؤس يحلمون منذ ماينطقون باولى كلماتهم بالموت على أرض الوطن الضائعة •

في السنوات المنقضية بين ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥ اي منذ ما وجدت نفسي في مركز المسؤولية لم اضيع وقتي ابدا ، ولقد عولت على خوض المعركة على مختلف المستويات كي تكون مجدية وكان علي اولا ان اعمل مع اخواني الذين كانوا الى جانبي في تنظيم الشعب •

كان الصهيونيون وهم على ما هم عليه من تنظيم دقيق يتصورون انهم قادرين على النصر ، ولم يكن لنا من ملء هذا الفراغ بالتنظيم فعزمنا على استخدام كل ما لدينا من وسائل ، وما ان عرضت على اخواني ضرورة حشد القوى حتى وافقوا على ذلك ، وكنا مع اخواننا (المسيحيين) على وفاق تام ، ولم يكن بيننا متعصبون • وسرعان ما تكونت في كل مدينة وقرية حتى ماقصي منها لجان المقاومة ، وكنا نعتمد على الزمن في تراص صفوفنا ، وكان تتابع الاحداث المذهل ساعدا لنا في تجمعنا وتمكين اواصر وحدتنا ، كنت واخواني نعمل ليل نهار ، كنا نتصل باكبر عدد ممكن من الناس ••• نزور المدن والقرى والاماكن القصية في فلسطين تلبية للواجب المفروض علينا •

لم تكن الاحوال في سورية خيرا منها في فلسطين • كان شعبها وقد سلب حقه يعد نفسه لحمل السلاح ضد الفرنسيين ، وكانت الاخبار تصلنا مثيرة والواجب يقضي علينا رغم انشغالنا بمشاكلنا بمد العون لابناء وطننا • وما كانت الحدود المصطنعة التي قسمت سورية اجزاء لتقنعنا بالبعد عن المعركة ضد المحتل ايا كان • في بداية ١٩٢٥ قامت الثورة في سورية •»

وسارع المفتي الى القيام بجولة بحجة تفتيش مكاتب الافتاء في فلسطين كي يدعو الشعب الى المشاركة في الثورة السورية ، فترك كثير من اصدقائه وظائفهم وعائلاتهم كي يقاتلوا في سورية ، والذين عاصروا هذه المرحلة يتحدثون باسهاب عن المساعدات المالية والسلاح ، والمساعدات الادبية التي قدمها المفتي الى الثورة ، أذكر هنا انني أجريت مرة

مقابلة صحفية مع سلطان باشا الاطرش عقب عودته الى دمشق وسألته عن الاشخاص الذين قدموا المساعدات للثورة السورية ورفضوا الاعلان عن اسمائهم فقال سلطان باشا : ضع في رأس القائمة سماحة الحاج أمين الحسيني ، فو الله كنا نحن في كفة واعماله ومساعداته لنا في كفة اخرى ، كان يحرر الرسائل للملوك والامراء ورؤساء الدول والاحزاب الاسلامية يطلب فيها المساعدات للثورة، وألف لجنة من عدة شخصيات فلسطينية ليسهروا على جمع التبرعات ترأسها احمد حلمي باشا (الذي اصبح فيما بعد رئيس الحكومة عموم فلسطين) تحت اسم « اللجنة المركزية لاغاثة منكوبي سورية »، ويروي حسن الحكيم في مذكراته وكان من رجال الثورة السورية ومن رجال السياسة في سورية ، ان المساعدات التي قدمت من قبل المفتي واللجنة التي ألفها وصلت الى مبلغ ٥٠ الف ليرة ذهبية ، ما عدا قيمة السلاح..



حين قال المفتي لبونسو : لا !

وشهود تلك المرحلة من الشخصيات العربية يروون تلك الحادثة التي تركت ضجة كبيرة في تلك الفترة ... كان المسيو بونسو مفوضا ساميا في سورية ولبنان واراد المفتي ان يقوم بزيارة للعراق فكان لا بد من مرور سيارته في الارض السورية ، وفي درعا المدينة السورية التي يقوم فيها مركز الحدود بين سورية والاردن عرف المفتي ان السلطات الفرنسية تمنعه من دخول سورية لانه اشترك في الثورة السورية مؤازرا ومشجعا، ولم تكن السلطات الفرنسية على علم بتفاصيل الدور الذي قام به . فعاد المفتي الى القدس وسافر الى العراق من طريق اخر ...

وتشاء الظروف ان يقوم المسيو بونسو بزيارة لمدينة القدس بعد فترة وجيزة حيث حل ضيفا على المفوض السامي البريطاني.. فقاطع المفتي جميع الحفلات التي اقيمت على شرفه ، وكان يتضمن البرنامج الرسمي الذي وضع لبونسو زيارة الاقصى ولما علم المفتي بالامر وجه رسالة الى المفوض السامي

البريطاني اعلمه فيها أن زيارة المسجد الاقصى ممنوعة على المسيو بونسو ، وبذلت محاولات كثيرة لاقناع سماحته فرفض مؤكدا انه سيمنع الزيارة بالقوة اذا لزم الامر وهكذا ألغيت الزيارة ...



المفتي و «الكتاب الابيض» !

بعد زيارة المستر تشرشل لفلسطين سرت شائعة تفيد ان بريطانيا تريد نشر كتاب ابيض تلبي فيه رغبات الفلسطينيين (يضع حدا للنزاع بين العرب واليهود) كما زعمت السلطات البريطانية ..

يقول وايزمن في كتابه (ولادة اسرائيل) :

(لقد صاغ هذا الكتاب الابيض حسب ظني السير هربرت صموئيل). لقد صيغ الكتاب بشكل يهدىء خواطر العرب فهو يبدأ بذكر مخاوف العرب واليهود ثم ينتهي الى بحث الانتداب ووعد بلفور والهجرة .

ويضيف وايزمن قائلا .. (قدمت لنا مذكرة بالكتاب الابيض قبل نشره ودعينا للموافقة على السياسة المحدودة فيه).

لقد تضمن الكتاب الابيض جزءا مما سمي بدستور فلسطين الذي نص على قيام مجلس تشريعي فلسطيني مؤلف من ٢٢ عضوا عشرة منهم بريطانيون يعينهم المندوب السامي واثنا عشر اخرون ، اثنان منهم من اليهود واثنان مسيحيان وثمانية مسلمون كلهم منتخبون . وكانت قرارات المجلس بحاجة لتصديق المندوب السامي كي تصبح نافذة . وما كان يحق للمجلس ان يناقش في وعد بلفور والانتداب ...

لذلك دعا المفتي الشعب لمقاطعة الانتخابات فقاطعها الشعب بالاجماع، وسقط المشروع وكان كذلك نصيب مشاريع اخرى مثل المجلس الاستشاري والوكالة العربية ....

ـ لماذا رفضتم مشروع المجلس التشريعي الذي كان يعطي افضلية للعرب ما داموا الاكثرية ؟

ـ لنقم بحساب صغير : عشرة موظفون بريطانيون يضاف اليهم ممثلان يهوديان ، ذلك نصف العدد .. فاين الاكثرية ..؟

ـ والوكالة العربية ؟

ـ يفهم من كلمة الوكالة العربية ان الحكومة كانت تريد استخدامها لاغراض ادارية ، ان وجود وكالة عربية ، ووكالة يهودية يعني ان فلسطين مقسمة الى مجتمعين متساويين في الحقوق ، وكنا نطالب نحن بحقوق سياسية وديمقراطية وتمثيل حقيقي للشعب قائم على اساس الاكثرية لا على اساس تسليم فلسطين لليهود .

لقد انعقدت خلال السنوات ١٩٢٢ ـ ١٩٢٩ سبعة مؤتمرات عربية كان أهمها ذلك الذي انعقد في ٢٠ تموز سنة ١٩٢٨ والذي توصل الى تحديد مطالب العرب في النقط التالية :

ـ انتخابات برلمانية ديمقراطية .

ـ حكومة ديمقراطية .

ـ التقليل من عدد الموظفين البريطانيين .

ـ الاعتراض على منح استغلال البحر الميت لشركة يهودية .

ـ الاعتراض على تفضيل العمال اليهود على العمال العرب .

ـ ايقاف اصدار قوانين جديدة بانتظار انتخابات ديمقراطية .

بريطانيا تلجا الى الشدة

انتهت مدة هربرت صموئيل سنة ١٩٢٥ وعين مكانه الفيلد مارشال لورد بلومر الذي اتخذ وضعا اقسى من الاول، وفي سنة ١٩٢٨ تبعه جون تشانسلور .

اخذ اليهود بناء على دعم السلطات البريطانية لهم يسفرون عن عدائهم، وذلك بعد مؤتمر زوريخ الصهيوني ١٩٢٨ استقال جابوتنسكي من المجلس التنفيذي الصهيوني لانه (مائع) على حد تعبيره وألف الحزب التصحيحي الذي يدعو الى استعمال القوة قائلا ان استخدام القوة وحده يحقق الاهداف الصهيونية •

ــ ما دام اليهود اقلية فمن اية قوة يتحدث جابوتنسكي ؟

ــ من نافل القول ان اذكركم ان اليهود كانوا عازمين على احتلال فلسطين بالقوة وما كان الانتداب البريطاني غير مرحلة انتقال لحمايتهم تسبق المرحلة التي يغدون فيها اكثرية فينتقلون الى الهجوم ، ولقد اثبتت الاحداث صحة هذه النظرية • لقد كانوا في مستعمراتهم يعيشون في نظام الثكنة العسكرية يتبعون فيها بالاضافة الى الاعمال الاخرى تدريبا عسكريا • ولقد اسسوا منذ ١٨٧٠ قوة سميت (هاشومر) او الحرس ، وبعد الحرب العالمية الاولى جاء فلسطين اكثر اعضاء (الفيلق اليهودي) وكان عدده (٥٠٠٠) الى فلسطين ليكونوا نواة الهاجاناه وما توقف هذا التنظيم عن زيادة عدده حتى غدا (١٥٠٠٠) في بداية الحرب العالمية الثانية والاحظ لكم ان تدريبهم العسكري ما كان يثير اعتراضات من السلطات البريطانية التي كانت تعطف عليهم وتشجعهم ، رغم عدم مشروعية مثل هذا التنظيم • ان اكثرية المهاجرين اليهود كانوا يصلون فلسطين وقد اتموا تدريبهم العسكري•

الاصطدام مع اليهود

ــ من اين كانوا يحصلون على السلاح ؟

ــ من مصادر عديدة اهمها الجيش البريطاني نفسه • سنة ١٩٢٨ كان الماجور ساندرز واذكر لكم الاسم ــ مكلفا باعطائهم الاسلحة •

ــ هل يمكن ان تحدثونا عن احداث ١٩٢٩ ؟

ــ في ١٥ آب ١٩٢٩ اتجه موكب يهودي الى حائط البراق الشريف

الذي يدعونه زورا (المبكى) وهم يرددون اناشيدهم الدينية . وعندما وصلوا الجدار وضعوا عليه علمهم . كان التحدي سافرا . وبقي العلم هناك حتى ٢٠ من نفس الشهر وفي ذلك اليوم حدث اصطدام في ممر البراق الشريف لم تستطع الشرطة تهدئته الا بعد جهد واخذت بنفس الوقت جماعات مسلحة من اليهود تنزل الى شوارع المدينة المقدسة وكأنهم دوريات من المحتلين ، او كأنهم القائمون على نظام الامن ... وامتدت يوم ٢٣ الاصطدامات الى كل المدينة وغدت الشوارع مسرحا لقتال بين اليهود والعرب الذين لا يحملون الا السكاكين والعصي والحجارة وما انتزعوه من ايدي عدوهم من سلاح فقتل في ذلك اليوم ٢٨ يهوديا وجرح ١٣ من العرب .

وانتقلت اخبار الصدامات الى كل فلسطين فحدثت صدامات اخرى في كل المدن التي يقطن فيها اليهود . في الخليل قتل ٦٠ يهوديا وجرح ٥٠ .

وتجدد الصدام في الخليل فهاجم الشعب مراكز البوليس واليهود وقتل من الجانبين ما يقرب من ١٠٠ قتيل .

وفي صفد قتل تسعة من اليهود وجرح ٢٨ من الجانبين . امتدت هذه الثورة سبعة ايام قتل فيها حسب الاحصاءات الرسمية ٤٧٢ يهوديا وقتل او جرح من العرب ٣٧٧.

وارتكب الانكليز جرائم بشعة ، ولقد ذكرت رويتر في برقية مؤرخة في ٤ ايلول ١٩٢٩ فظائع القوات البريطانية ... في الوقت الذي قامت فيه هذه الحوادث كان المندوب السامي البريطاني في لندن ، فعاد الى فلسطين وما ان وصل حتى اعطى تصريحا اتهم العرب فيه بالتوحش ، فأعلنت اللجنة التنفيذية تكذيبا لتصريحه وقعه رئيسها موسى كاظم باشا الحسيني في ١١ ايلول ١٩٢٩ ذكر فيه الوقائع كما جرت فاضحا تصريحات المندوب

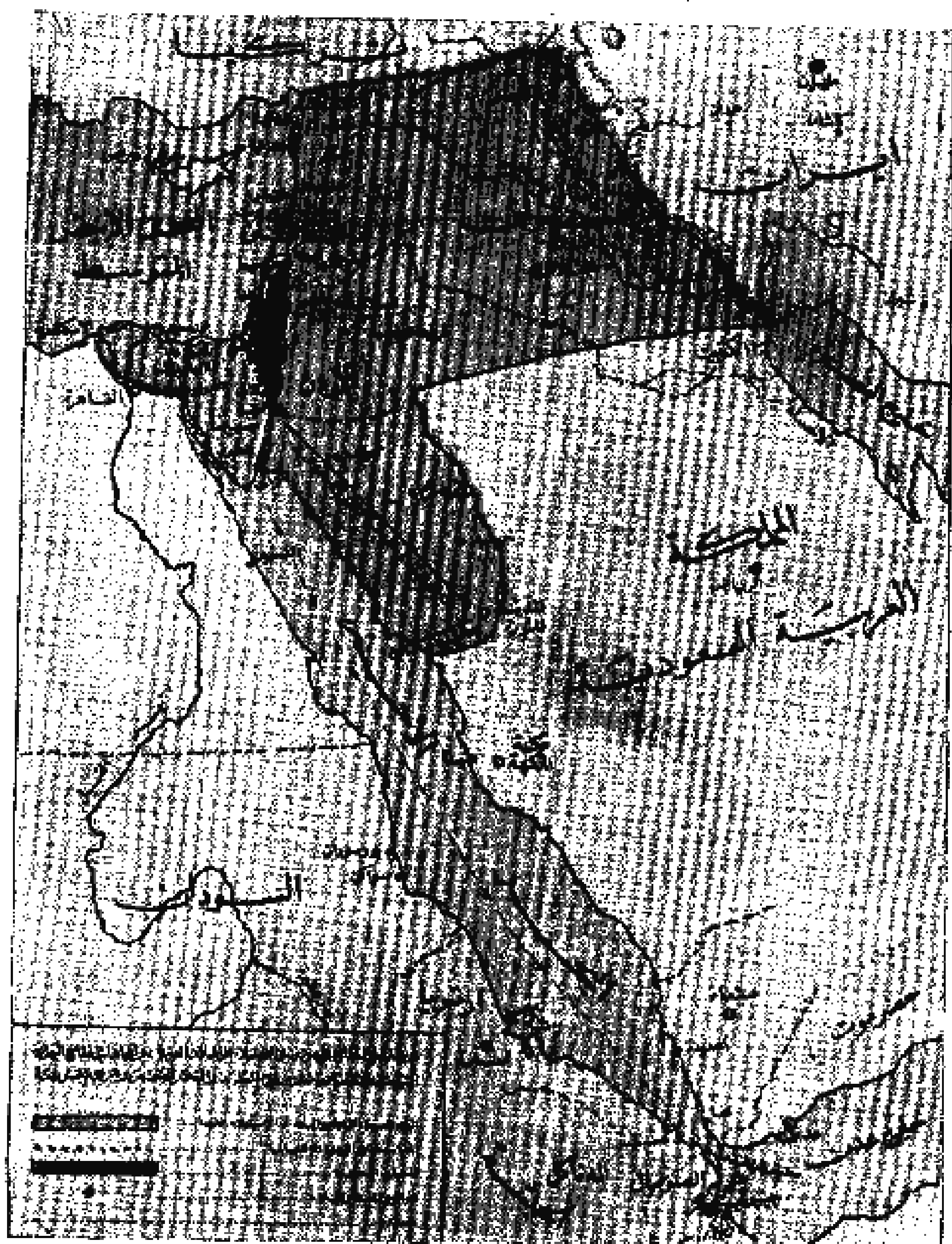
السامي داعيا الى تحقيق حيادي يوضح الحقيقة ويثبت (ان تصريح المندوب السامي لا اساس له من الصحة).

اوقفه على الاثر مئات من الشباب العرب وحكم على عشرين متــهم بالاعدام ونفذ بثلاثة منهم دون تأخير ... (فؤاد حجازي ، عطا الزير ، محمد جمجوم) وحكم على ٢٣ احكاما مؤبدة وعلى ٨٧ احكاما مختلفة بين ثــلاث سنين وخمس عشرة سنة ، وكان عدد المحكومين من العرب احكاما مختلفــة ٧٩٢ رجلا ، وحكم على قرى كثيرة بدفع غرامات ووضع اكثر الزعماء العرب في الاقامة الجبرية ...

اما الاحكام على اليهود فقد تميزت باللين ، ولاذكر حادثة : قتل شرطي يهودي اسمه (خانكيز) عائلة عون العربية المؤلفة من سبعة افراد ، فحكــم عليه بالموت ثم استبدل الحكم بالمؤبد ثم انزل الى ١٥ عاما ، وبعد قليل عفي عنه . وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٩ اذاعت رويتر انمحكمة حيفا حكمت على تسعة من العرب بالموت وعلى اثنين اخرين حكما بخمسة عشر عاما لانــهم اتهموا اتهاما فقط بقتل عائلة يهودية دون اثبات قانوني.

الفصل الرابع

في مواجهة بريطانيا والصهيونية



هذه الخريطة لإسرائيل الكبرى عثر عليها التلاوي في خزائن روتشيلد


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وضح بعد احداث ١٩٢٩ ان السلطات الانكليزية والصهيونية تريد بأي ثمن الخلاص من المفتي، وما كانتا تخفيان انه عدوهما الاول ... كانت صفته الدينية والمكانة الوطنية التي يتمتع بها في ارجاء العالمين العربي والاسلامي تدفعانهما للتردد، وكان هو قادرا على كشف مخططاتهما ... ووصلت في نهاية تشرين الاول سنة ١٩٢٩ الى فلسطين اللجنة التي يرأسها المستر والتر شو، وتمثل الاحزاب البريطانية وعقدت سبعا واربعين جلسة عامة واحدى عشر سرية واستمعت الى ٦١٠ شهادات من عرب ويهود، ورفعت في نهاية ذلك تقريرها الذي دعي فيما بعد كتاب (باسفيلد الابيض) الذي تقول فيه :

« ان السبب الاساسي لهذه الاحداث الذي لولاه لما حدثت او لما امتدت هو عداء العرب لليهود . ان عدم تحقيق امانيهم السياسية والوطنية والخوف الذي يمليه مستقبل اقتصادهم ولدت مجتمعة خيبة امل متزايدة

لانها نشأت عن خوفهم من فقدان اسباب المعيشة والتعرض لسيطرة اليهود السياسية بسبب الهجرة المتصاعدة وشراء الاراضي • »

ويضيف التقرير :

« من الضروري تحديد طبيعة القلـق الذي يهيمن على العرب نتيجة لوضعهم الحالي ، فهم رغم انهم يكونون اكثرية السكان لا يتمتعون بسلطة رسمية معترف بها تسمح لهم برعاية ما يعنيهم من امر • مع ان اقلية من شعب آخر تتمتع بعلاقات رسمية تستخدمها لتوجه الحكومة بشكل يسكن لمصالح هذه الاقلية • »

استقبلت الاوساط العربية تقرير (شو) استقبالا لا بأس به برغم انه لم يحو كل ما ترجوه • وسافر وفد من زعماء العرب السياسيين قوامه موسى كاظم الحسيني ، والمفتي ، والفرد روك وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني الى لندن للاتصال بالسلطات الانكليزية • وسافر في نفس الوقت وايزمن الى لندن واستخدم كل الوسائل لالغاء الكتاب الابيض وما كان ينقصه الاصدقاء مثل بلدوين وسمطس وسير جون سيمون) وغيرهم ••• وكان يعمد الى الحجة التالية مع من يراهم من البريطانيين (اذا كان التعهد الذي اخذته على نفسها سلطة الانتداب قد تقلص حتى غدا تعهـدا تجاه ١٧٠ ألفا يقابلهم ٧٠٠ الف أي اقلية صغيرة ضد اغلبية تستطيع تفسـير ما تلا ذلك من امور • غير أن السلطة المنتدبة تحمل واجبا تجاه الشعـب اليهودي وما المائة والسبعون ألفا غير طليعته) لقد ثار وايزمن ضـد روح (الحياد) فهو يكتب في كتابه (ميلاد اسرائيل) : اذكر فقرات استخرجناها من جمل واردة في محضر احدى الجلسات • في المقطع العاشر من الكتاب الابيض يقول :

(ان الدفع الى الفوضى والاضطراب ايا كان مصدره سيعاقب بشدة ولقد رأيت في هذا المقطع اثر الادارة الفلسطينية وموقفها الحيادي بين جزء

من عدوين مـن الشعب كلاهما مسؤول) كانت كل بادرة تدل على بعض الانصاف تثير وايزمن ...

واستقال وايزمن من الوكالة اليهودية كي يضغط على رئيس الوزراء فثارت لذلك الصهيونية العالمية وانهمرت برقيات الاحتجاج على عصبـة الامم ورئيس الوزراء فانصاع لهذا الالحاح وايزمن خشية عداء الصهيونية .

ولم يصغ احد للوفد العربي وردت مطاليبهم في وقف الهجره وبيـع الاراضي وزوال الحكم البريطاني ليقوم مكانه حكم محلي .

في ٣٠ أيار ١٩٣٠ اذاع المندوب السامي البريطاني بلاغا قال فيه :

(ان الحكومة المنتدبة ترى نفسها مضطرة لصرف النظر عـن المطالب العربية لانها تخالف روح الانتداب . ان الحكومة عازمة على السهر عـلى سلامة مصالح الطوائف غير اليهودية في فلسطين وهي مصممة على الا تسمح باتباع سياسة تضر بمصالح هذه الطوائـف والحكومة البريطانيـة ، حسب توصيات لجنة شو سترسل السير (جون هوب سيمبسون) ليدرس مسـألة الهجرة والتنمية على الارض الفلسطينية نفسها وسترفع دراسته في تقرير) .

قنع المفتي واخوانه ان في عدد اللجان المتزايد القادمة الى فلسطين لم يكن غير مضيعة للوقت لا يؤدي الى اية نتيجة ايجابية ، فهذه اللجان لم يكن الهدف منها سوى تهدئة الشعب الثائر القلق على مصـيره ، ولم يكن تقرير المستر سمبسون ليختلف عن تقارير من سبقه واضاف لهـا متسائلا كيف تسمح السلطات المنتدبة بتشغيل العمال الذين وصلوا حديثا من ليتوانيا وبولونيا واليمن مع ان جزءا كبيرا من عمال البلاد عاطل عن العمل .

كان سيل الهجرة في تلك الفترة يتسارع عما قبل .

واشتدت حملة الصهاينة واصدقائهم ضد الكتاب الابيض ، وفي الرابع من تشرين الثاني ١٩٣٠ ارسل وزير المستعمرات رسالة الى جريدة (التايمس)

يقول فيها ان الحكومة البريطانية الغت الكتاب الابيض واكدت عزمها على اباحة الهجرة ، ويضيف : (ان هجرة العما لاليهود لن تتأثر بعدد العمال العرب العاطلين عن العمل من التكاثر) .

ثم ارسل رئيس الوزراء البريطاني رسالة الى وايزمن يؤكد فيها محتوى رسالة وزير المستعمرات (للتايمس) ، فانبرى المفتي فأطلق تصريحه المشهور وسمى فيه كتاب رئيس الوزراء البريطاني (بالكتاب الاسود) .. وقال المفتي فيما قاله :

« ها هي بريطانيا التي تتهمنا بالسلبية قد رضخت وتنكرت لما سبق ان نشرته على العالم قبل ايام من اعترافها بتضرر العرب وانتشار البطالة بينهم وعدم استيعاب الارض للمهاجرين واستحالة استخراج الفلاحين العرب من اراضيهم حتى في حالة التشكك في الملكية ... انها لا تقيم اعتبارا لبطالة ابنائنا والمستقبل المخيف الذي تضمره لهم الصهيونية . انها تعد بمنح اراضي املاك الدولة لليهود وهي عالمة ان هذه(١) الاراضي رغم تسميتها بهذا الاسم ليست الا ملك ابنائنا ولقد عاش عليها اجدادنا قرونا مديدة انها تريد طردهم منها بالقوة كي تعطيها الى الذين يجيئون كي يحطموننا .)

اول مؤتمر اسلامي

بلغ الحماس اشده وتظاهر الشعب الفلسطيني وتحدث الناس عن الثورة واخذ خطباء المساجد يدعون الى الحزم في المقاومة وهاجم الجيش المتظاهرين فنجم عن ذلك جرح وسجن الكثيرين .. كان الفلسطينيون يواجهون الجيش الانكليزي من جهة والمنظمات الصهيونية من جهة ثانية ...

وتحرك المفتي في اكثر من اتجاه فدعا الى مؤتمر اسلامي في القدس ، وتقبلت البلدان الاسلامية الفكرة بحماس ذلك ان مكانة المفتي في الاوساط الاسلامية وسمعته الوطنية ، وقيمته كل هذا كان من شأنه ان يدفع بالمسلمين الى تلبية ندائه السريع .

واتفق المفتي موعدا للمؤتمر ليلة الاسراء ـ المعراج ـ وكان موعدها تلك السنة في أول كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٣١ ، واشترك في هذا المؤتمر عشرون بلدا مسلما بوفود هامة مثلت فيها وجوه الاسلام الكبرى ، كضياء الدين الطباطبائي وهو من اكبر علماء ايران وساهم بنفسه في اعداد المؤتمر ، والشاعر الباكستاني محمد اقبال ، مولانا شوكت علي زعيم مسلمي الهند ، وعبد العزيز الثعالبي زعيم النضال التونسي ، والشيخ رشيد رضا المصلح الاجتماعي ، ومحمد الحسين زعيم شيعة العراق ، وعباس اسحاقي زعيم مسلمي الاورال الذي عبر خفية حدود الاتحاد السوفياتي كي يحضر المؤتمر .

رأس المفتي الجلسات . كان التأثر باديا على وجوه اعضاء المؤتمر ، ألح المفتي على أهمية وضرورة العون الاسلامي التي يجب ان يساهم فيها كل المسلمين قائلا :

(ان معركتنا ليست معركة بسيطة ضد السلطة المنتدبة . انها معركة مستميتة ضد قوى عالمية ، ونحن نقاوم معركة افناء لا سابقة لها في التاريخ ..)

اتخذ المؤتمر مقررات نلخصها فيما يلي :

١ ـ مقاطعة البضائع الصهيونية ـ تلك التوصية كانت الاساس في مقاطعة الدول العربية للانتاج الاسرائيلي والشركات التجارية والصناعية المتعاملة مع اسرائيل . لقد نفذت هذه التوصية في تلك الفترة من المسلمين في بلادهم حتى ما كان منها محتلا بحزم ، فلقد رفض الشعب شراء الانتاج اليهودي رغم التسهيلات التي كان يلقاها من سلطات الاحتلال .

٢ ـ وقف الهجرة .

٣ ـ تأسيس جامعة اسلامية في القدس .

٤ ـ تأسيس شركة زراعية تحمل مسؤولية انقاذ الاراضي حتى تبقى بين ايدي اصحابها العرب .

ـ اسمحوا لنا يا صاحب السماحة بسؤال : الرأي العام مقتنع بأن الوكالة اليهودية قد اشترت جزءا من الاراضي الفلسطينية . ان الكتب التي ظهرت لمصلحة اسرائيل ما تفتأ تكرر ذلك . يقول مثلا (ارثر كوستلر) في كتابه (تحليل معجزة) ... (لقد اشتروا بلادهم بالتقسيط اردبة اردبة ..) ويضيف : (لقد اخذ اليهود الارض خلافا لكل المستعمرين دون استخدام القوة والتهديد وانما بما دفعوا من مال لقوم لم يكن همهم غير بيعها) هل تستطيعون ان توضحوا هذا الموضوع ؟

ـ اتساءل كيف يمكن لكتاب يزعمون انهم منصفون وانهم يحترمون القلم والكلمة ان يشوهوا الحقيقة والمنطق الى هذا الحد . هؤلاء الكتاب يجانبون الاحصاء الذي هو اكبر تكذيب لادعاءاتهم .

في ١٥ ايار ١٩٤٨ لم يكن يملك اليهود رغم كل المساعدات البريطانية الا حوالي ٧٪ من مجموع الاراضي الزراعية في فلسطين ـ كانوا يملكون مليوني دونم من اصل ٢٧،٥ مليون دونم .

لقد اتبع المجلس الاسلامي الاعلى سياسة نجحت بدعم الشعب لها في فشل خطط الشراء التي اتبعها الصهاينة ورسموها بدقة ، مستخدمين لها كل ما لديهم من وسائل . ولاعطكم مثلا .. كانوا يعرضون على المعوزين من الفلاحين الذين انهكتهم الديون والضرائب مبالغ ضخمة ويحاولون شراء اراضي القاصرين ، فاتخذ المجلس الاسلامي الاعلى قرارا يمنع بيع ارض القاصر واشترى ارض المعوزين الذين رغبوا في البيع ، كما عمد الى اقراض المحتاجين واشترى اراضي بعض القرى وسجلها وقفا باسم سكانها . لقد اشترى قرى كاملة مثل دير عمرو وزيتا بمبلغ قدره ٥٤٠٠٠ جنيها ، وكذلك الاراضي المشاع في طيبة وعتيل والطيرة وغيرها ...

لقد ذكرت التقارير المقدمة الى لجنة الانتداب في عصبة الامم ان المجلس الاسلامي الاعلى يجعل شراء الاراضي مستحيلا من قبل الصهيونيين .

لم يبع الفلسطينيون للوكالة اليهودية من اصل المليوني دونما خلال سبعين عاما الا ٢٥٠ الف دونم وخلال ظروف غامضة . لقد استولت الوكالة اليهودية على الباقي من ذلك بأساليب عديدة ، فلقد تملكت في عهد العثمانيين ٦٥٠ الف دونم من املاك الدولة بحجة استصلاحها وتأسيس مدرسة زراعية ومنحتها السلطات البريطانية ٣٠٠ ألف مجانا من املاك الدولة ومئتي الف اخرى بأجر رمزي ، واشترت ٦٠٠ ألفا من ملاكين سوريين ولبنانيين .

ـ ألم يكن الملاكون المذكورون كثيري العدد ؟

ـ لا ... لقد آلت اليهم الملكية في العهد العثماني من املاك الدولة في ظروف خاصة ، واعتقد ان ذلك حدث في عهد السلطان عبد العزيز ، فلقد اصدرت الدولة العثمانية في تلك الفترة قرارا باستصلاح أراض يستطيع الافراد بموجبه ان يتملكوا ما يستطيعون من املاك الدولة وتقدم على هذا الاساس كثيرمن اولئك الملاكين بطلبات استملاك ..

ـ هل كانت تسمح الدولة العثمانية ، بمنح مساحات واسعة للافراد ؟

ـ لم تكن الطلبات بالواقع تقدم باسمائهم وحدهم . كانت تقدم باسم جماعة ، وكان الامتياز يعطى باسم صاحب الطلب ورفاقه ، وعلى ذلك كانوا يحصلون على التفويض باستصلاح الارض وامتلاكها بعد فترة عشر سنوات؛ وكان بوسعهم بعد هذه الفترة تسجيل تلك الاراضي باسمائهم فيحلون محل الدولة بملكيتها ، وكانت تزور كثير من القوائم ، وقلما تدقق السلطات ، وكثيرا ما كانت تنزع اسماء الكثيرين من الذين احتوتها قوائم الطلبات برشوة الموظفين المحليين ، وهكذا يصبح المومأ اليه ملاكا لمساحات واسعة . في قرى كثيرة ظن الفلاحون انهم فيها ملاكون سنين عديدة .

ان ورثة هؤلاء الملاكين السوريين واللبنانيين لم يكونوا يعرفون اين تقع اراضيهم ، واضيف ان هذه الاراضي لم تكن خالية من السكان كما زعمت الدعاية الصهيونية . لقد طرد الفلاحون الذين يعملون فيها بالقوة الانكليزية.

واعطانا المفتي بعض المجلات التي كانت تصدر في تلك الحقبة وفيها وصف مسهب لاخلاء الاراضي …

نشرت مجلة الشباب التي يصدرها شيخ المجاهدين المرحوم الاستاذ محمد علي الطاهر في القاهرة في عددها الصادر في ٩ شباط ١٩٣٥ ريبورتاجا كتبه مراسلها يقول فيه :

(لقد شدهنا لما شاهدناه . كنا نرى بأعيننا مستقبلنا … رحيل العرب والبؤس .. لقد بتنا نعرف مستقبلنا .. سنطرد من القرى قرية بعد قرية .. قافلة اثر قافلة ..

لقد وجدنا اولئك المطرودين من ارضهم ، نساء واطفالا وعجزة على هضبة وقد فقدوا في صباح واحد كل ما يملكون الارض والبيت …

حتى الجرحى لم يعالجهم احد . كانوا ينتظرون الاطباء الذين تطوعوا لعلاجهم …

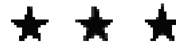
سألت شيخا منهم .. كيف حدث ذلك فأجابني .. كنا نشتغل صباحا في الارض على عادتنا لا نأبه لشيء عندما جاءت قوة عسكرية وطلبت منا ان نترك الارض فرفضنا فهاجمونا فقاومنا بالعصي .. دون فائدة …)

وتابع المفتي قائلا : لقد طردت بنفس الطريقة قبيلة الحوارث من الارض التي كانت تملكها اسرة تيان البيروتية ، ٤٠٠٠٠ دونم واضطرت /٢٠٤٦/ عائلة على مغادرة عشرين قرية عربية مسجلة باسم آل سرسق التي باعوها للوكالة اليهودية ـ في مرج ابن عامر ـ .

كانت الارض التي اعطاها الانكليز للوكالة اليهودية في منطقة بيسان ومساحتها ١٦٥ ألف دونم مسجلة باسم السلطان عبد الحميد يسكنها ١٥٠٠٠ عربي طردوا منها .

ـ نرى من ذلك ان بيع الاراضي لم يكن يتبع طريقة طبيعية ؟

ـ ان الفلسطينيين القلائل الذين باعوا اراضيهم كانوا منبوذين من الشعب . لقد اضطر بعضهم لمغادرة البلاد وقتل منهم بعض آخر من قبل مجهولين ، كما ان المسيحيين والمسلمين رفضوا ممن مات منهم ان يوارى في مقابرهم ...



كان صدى المؤتمر الاسلامي عظيما حلت بعده القضية الفلسطينية في البلدان الاسلامية في مكان الصدارة ، ولكنه لم يحقق عمليا كل ما توخاه المؤتمرون لان البلاد الاسلامية كانت اكثرها خاضعة للاحتلال . وقرر المفتي القيام بجولة كبرى في البلدان الاسلامية وخاصة الهند كي يتابع اعمال المجلس الاعلى ومهمته ، وعندما وصل الى الهند قام بدعوة لجمع المال فاذا به يأتيه من مختلف الجهات .

التوجه لاستنفار العالم الاسلامي

ـ هل كان الانكليز يرغبون بفشل مهمتكم في الهند لانكم تمثلون فلسطين فقط ام كانت هناك دوافع اخرى ؟

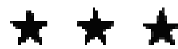
ـ كانت دوافعهم عديدة ، واهمها ان بريطانيا كانت تقف في وجه كل تجمع اسلامي .. ولم يكن في نيتي اثارة احد . فلقد حددت لمهمتي هدفها العملي وهو ... تنظيم المساعدة المالية حتى تتمكن من تنفيذ مقررات المؤتمر الاسلامي الاعلى وان تتمكن خاصة من اقامة جامعة اسلامية . وكان من الطبيعي ان اتعرض لموضوع فلسطين ، وكان الوفد متفقا معي في ذلك من محمد علي علوبة باشا الى الشاعر اقبال والآخرين ، لقد قاومت السلطات الانكليزية التبرعات لاسباب فلسطينية لقد قال لي أمين اللجنة الاسلامية في الهند ـ آنئذ ـ ووزير التربية في حكومة البنغال (فيروز خان نون) انه اطلع على برقية مرسلة من لندن الى نائب الملك السير ويلنغتون يطلب اليه

فيها ان يعامل الوفد بكل احترام ، وان يعمل ما وسعه على افشال مهمته لان نجاحه يخلق مشاكل سياسية لسلطات الانتداب في فلسطين •

ـ أي نوع من المشاكل ؟

ـ ان جامعة اسلامية في القدس تصبح مركز اشعاع للشبيبة وتساعد على تثقيفها وتحررها لا تتفق ورغبات الانتداب ، كانت سياسة الانتداب ترمي الى تجهيل الشعب بدل تشجيع التعليم كما يقتضي الواجب عليها ، كانت نسبة الامية متساوية في كل الطوائف وخاصة في المدن ولكن هذه النسبة اختلفت بعد وصولهم • كانت فلسطين مقسمة في الواقع الى دولتين الانتداب والوكالة اليهودية وكانت لها تنظيماتها وميزانيتها الخاصة التي تعتمد على المساعدات الخارجية وكانت لهذه الوكالة مدارسها في المدن والمستعمرات بينما كان يعتمد العرب على الحكومة المنتدبة لتعميم التعليم وكانت نيتي ان تتولى نحن هذه المهمة •

كما ان انشاء جمعية زراعية عربية يساعدها اغنياء المسلمين تتمكن من افساد الخطط الرامية لشراء الارض العربية •



اثارت زيارة المفتي للعالم الاسلامي ضجة كبيرة وحركت نفوس المسلمين ، فلجأ المندوب السامي (تشانسلور) الى لجنة جديدة كي يهدىء من الوضع الشعبي المتفاقم ، وتألفت اللجنة من كبار الموظفين البريطانيين يرأسها المستر جونسون نائب مدير المالية ، فقدمت اللجنة تقريرا يفضح سلوك الادارة البريطانية الشائن تجاه المزارعين العرب الذين ترمي بهم الى الفاقة وتثقل كواهلهم بالديون ، ولقد القى التقرير المسؤولية على سلطات الانتداب وفضح نيتها في افقارهم كما بين حمايتها السخية للانتاج اليهودي •

وكيما يدلل المستر ماكدونالد على (نيته الطيبة) تجاه الصهيونية استشار الدكتور وايزمن في تعيين مفوض سام جديد اكثر حزما من مستر تشانسلور قائلا له :

(اريد ان اسمي جنرالا قادرا على العمل مستعملا عقله) ، وعين السير ارثر واكهوب ، وقد قال عنه وايزمن : لقد بدأ عمله سنــة ١٩٣١ وحققت البلاد تقدما عظيما في عهده !

ـ كيف كــان سلوك هذا المندوب السامي ؟

ـ لقد اظهر السير واكهوب انــه اقسى المفوضين السامــين واكثرهم حيلة . كان يذهب الى زيارة الفلاحين في قراهم كي يظهر بساطته ويرسل في الغد دون ان يؤنبه ضميره جنوده لطردهم منها . لقد عانت فلسطين في عهده اشد ما عانت من النير البريطاني ..

ـ هل ادت تقارير المفوضين السامين المختلفين الى نتيجة ايجابية ؟

ـ ابدا ... كنا ما نزال حتى سنة ١٩٣٢ على شيء من الامل ولكنه زال مع الزمن . لقد ظننا فترة ان السلطة المنتدبة ارتكبت اخطاء عن جهــل للواقع وان الموظفين المحليين استغلوا حسن نيــة رؤسائهم في لندن ، واننا بفضل الصبر نتمكن من اقناع المسؤولين البريطانيين بعدالة قضيتنا ، ولكننا للاسف الشديد ان السياسة البريطانية كانت تعمل الى ان تؤول بفلسطين الى شهادة (استشهاد) جديدة . كل عذابنا ... كل الآمنا كانت تعد بعناية . لم يكن امامنا غير الشهادة . كانت الصهيونية وبريطانيا العظمى عازمتين على انتزاعنا من ارضنا وما كان ليشك احد من الفلسطينيين بذلك .

ـ كل ذلك يدفع للاستسلام على ما يبدو !

ـ ألم تقرأوا هوراس لكورنيل حيث يقول : ماذا تريد ان يفعل ضد ثلاثــة ؟

ـ ان يمــوت ...



مقاطعة سلطات الانتداب

كان الوضع يزداد سوءا . وبدأ الشعب يبحث عن سبيل للخلاص فلا يجد . كان لا بد من الخروج من الازمة . فدعت اللجنة العربية العليا التي يرأسها موسى كاظم باشا الحسيني في شباط ١٩٣٣ الى مؤتمر مثلت فيه المدن والشعب بمختلف طبقاته يعقد في مكاتب المؤتمر الاسلامي . وكان جو الاجتماعات متوترا ، وبعد دراسة موقف السلطات البريطانية اعلن المؤتمرون عزمهم على اعلان عدم التعاون على كل المستويات مع سلطات الانتداب كما اعلنوا عن مهلة شهر للسلطات تعلن فيها وقف شراء الاراضي وتوقيف الهجرة حتى اذا لم تنفذ السلطة ذلك دخلت المقاطعة في مجال التنفيذ ...

وفي اول اذار سنة ١٩٣٣ اعلن الاضراب العام . وقامت اللجنة العربية العليا بزيارة ليافا لتنظيم المقاطعة ، فشكلت لجنة للتنفيذ والدعاية لشراء اسهم شركة انقاذ الاراضي ...

وعندما عاد المفتي ورفاقه الى القدس وجدوا المدينة في وضع متأزم . اثر الخبر بدخول /١٠٠٠٠/ يهودي جديد الى فلسطين دون اذن وازداد القلق لان التأشيرات كانت تمنح لليهود، ولقداعلن المؤتمر الصهيوني المنعقدفي براغ عن (ضرورة هجرة غير محدودة) .

اخذت بريطانيا تسلح خفية المنظمات الصهيونية ، ولقد حصلت اللجنة العربية العليا على الدليل سنة ١٩٣٦ اذ بدأت سلطات الانتداب تدخل في شرطتها بعض اعضاء (الهاغانا) وتسلمهم البنادق . وفي نفس تلك السنة وقعت الهاغانا اتفاقا مع (قيادة الشرق الاوسط العسكرية) لتسليح قواها وتدريبها على حرب العصابات كما أسست الادارة البريطانية مدرسة تدريب سرية في المنطقة الواقعة جنوب شرق حيفا ..

وكان للصهيونيين الحق في التظاهر بينما كان حمل السلاح جريمة موصوفة وكان التظاهر ممنوعا علينا .

اعلنت اللجنة العربية العليا آنئذ انها ستقوم بمظاهرات تحدد زمنها دون اخبار السلطات . وكان ذلك بداية التحدي السافر ...

وفي يوم الجمعة ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٣ خرجت مظاهرة اشترك فيها عدة الاف من العرب من المسجد الاقصى بقيادة موسى كاظم الحسيني فهاجمتها قوى الجيش وجرح ٣٥ عربيا ...

بعد هذا الحادث دعا المفتي الى اجتماع في المؤتمر الاسلامي اعلن فيه متابعة المظاهرات ، وقامت مظاهرة ضخمة في يافا منعها المندوب السامي دون نتيجة فهاجمت قوات الجيش البريطاني المتظاهرين امام جامع يافا الكبير بمشاتها وخيالتها ومصفحاتها فسقط ٣٢ قتيلا و١٦٧ جريحا كان بينهم الشيخ الجليل موسى كاظم الحسيني وعمره آنئذ ٧٥ عاما ، وقد توفي بعد ذلك في اذار ١٩٣٤ متأثرا من هذا الحادث ...

واعلن عن مظاهرة ثانية في يافا غير ان الشرطة هاجمت مبنى الجمعية الاسلامية المسيحية واوقفت وجهاء المدينة المجتمعين لدراسة تنفيذ المظاهرة ووضعوا في سجن عكا . اما المفتي الذي أصبح المسؤول الاول عن المقاومة فقد التجأ الى المسجد الاقصى ولم تجرؤ السلطات البريطانية على الاقتراب منه خشية اثارة الرأي العام الاسلامي ...

(قال المفتي : كان علينا ان نحمل السلاح ... وما من سلاح ...)

ارسل المفتي رجاله كي يأتوا بالسلاح من البلاد العربية المجاورة ، واخذ الوضع يتأزم بمرور الزمن ، ونشر المفوض السامي واكهوب جوا مرعبا في البلاد .

بداية الكفاح المسلح وظهور الشيخ عزالدين القسام

في تلك الفترة كان يتردد على المفتي الشيخ عز الدين القسام ، وكان المفتي يحيطه بعناية خاصة ، لقد جاء من سورية لاجئا فكان له المنصب الذي طلبه .

لم يكن الشيخ عز الدين القسام شيخا فقط ، فقد سبق له ان حمل السلاح وقاتل الافرنسيين عند دخولهم سورية حتى نهاية الثورة ثم لجأ الى حيفا ، كان صديق الفقراء معروفا بفضله وعلمه ، كان يدرس الدين في جامع حيفا الكبير ، ولما كان تعيين العلماء في المساجد من اختصاصات المجلس الاسلامي الاعلى الذي يرأسه المفتي فقد امر بتعيينه ليوفر له حياة

(١) كانت تعني املاك الدولة الارض التي يملكها رسميا السلطان ولكن الفلاحين كانوا يشغلون اكثرها عمليا . وعلى ذلك كانت ملك الدولة قانونيا ولكنها عمليا ملك الفلاحين الذين يزرعونها كابرا عن كابر منذ قرون .

(٢) الوقف . . هو ملكية جماعية في الشرع الاسلامي ، هناك نوعان من الوقف، الاملاك العائدة الى الاماكن المقدمة المساجد ، والوقف الذري .

ا ـ وقف الاماكن المقدسة : كل اهل البر يعطون عن تقى او تعطي الدولة ارضا او بناء او ملكا للانفاق من عائداته على خدمة الجوامع والمدارس التابعة لها وعلى القائمين على ذلك .

ب ـ الوقف الذري : كان بعض الملاكين الكبار رغبة منهم في الحفاظ على ما يورثون لابنائهم يوقفون في وصيتهم ما يملكون على ذريتهم فلا يستطيعون نقل ملكيتها لغيرهم ويعود عليهم دخلها .

وكان المفتي حفاظا على بعض الاراضي يشتريها القرية بصفته رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى ويسجلها وقفا على اهلها .فيمنع بيع القرية ويعمل الناس في هذه الارض فيعيشون فيها مقابل جزء يدفعونه للمجلس الاسلامي الاعلى يعادل الخمس حسب ما تقتضيه الشريعة الاسلامية وهكذا يزداد فوق ذلك الحفاظ على الارض .

(٣) في كثير من القرى في البلدان التابعة للعثمانيين كانت هناك اراض تدعى (المشاع) لم تكن مسجلة على اسم معين وانما كانت ملكيتها تعود للقرية كلها وكان يفلح عمليا تلك الاراضي الفلاحون الذين لا يملكون ارضا مسجلة باسمائهم .

(٤) كل ارض لم تكن مسجلة باسم ملاك كانت تعتبر ملكا للتاج أي الدولة وكان يعمل في تلك الاراضي منذ اجيال فلاحون دون أن تسجل باسمائهم نظرا للصعوبات التي يجدون لدى الموظفين المحليين .

شريفة ، فانعقدت حوله حلقـة كان يوجهها في امور دينها ويحثها على مقاومـة المحتل ...

وحين بدأت فلسطين كلها تتحدث عن الثورة بدأ الشيخ القسام يدعو الى الكفاح المسلح ويدعو الى المقاطعة . منذ سنة ١٩٢٢ لم يكن اي مسلم يخضع للاحتلال ،لان الخضوع له معناه انه خالف تعاليم الدين ...

ومنذ بداية ١٩٣٥ شهدت منطقة جنين وطولكرم ونابلس عدة اغتيالات لضباط بريطانيين وعمليات مغاوير فكانت القطارات تنسف وتهاجم الثكنات ويقتل من يتعاون من العرب مع الانكليز ... وكان القسام يريد بأي ثمن ان يساهم بنفسه في هذه العمليات ولم يكن يرضى ان يظل بعيدا حين يذهب تلاميذه للموت ...

ولقد استشهد القسام بعد ان اعلن الثورة رسميا في غابة « يعبد » القريبة من جنين في الخامس والعشرين من تشرين الثاني سنة١٩٣٥ وكان لاستشهاده صدى حزين وحداد في فلسطين وفي العالم العربي كله .

الشعب في فلسطين يحمل السلاح

لقد حسم عام ١٩٣٥ استشهاد الشيخ محمد عز الدين القسام وهو من الوجوه المعبرة عن روح الثورة الفلسطينية فترة المعركة السلبية ، فعزم شعب فلسطين على حمل السلاح . كان القسام يريد ان يعطي مثلا وعاه الشعب فاحتذاه .

ولد الشيخ القسام (محمد عز الدين) في جبلة احدى مدن الشاطىء السوري الصغيرة سنة ١٨٨٢ وهو ابن الشيخ عبد القادر القسام رأس الطريقة القادرية الصوفية في تلك المنطقة . وكان هذا فقيرا يجني رزقه من التعليم في كتـاب يعلم فيه القرآن الكريم والاناشيد الدينية .

رحل الشيخ عز الدين في بداية هذا القرن للقاهرة حيث درس في الازهر وكان لامعا في دراسته ،وتميز منذئذ بتدينه وبعد أن انتهى من تلك الدراسة

اقام قليلا في مسقط رأسه ثم قام برحلة لتركيا يدرس في مختلف جوامعها العقيدة كما كان يفعل المدرسون من السلف الصالح •

وبعد ان عاد الى بلدته اخذ يعلم مكان ابيه على مدى اوسع وقام بعمله على اكمل وجه ، فكان يدرس الصغار نهارا والكبار ليلا وعم المدينة حماس ديني شديد فكانت شوارع المدينة ترى مقفرة اذا اذنت صلاة الجمعة •

عندما غزت ايطاليا طرابلس الغرب دعا الشعب للجهاد وانتقى /٢٥٠/ متطوعا وقام بحملة تبرعات كي يؤمن معاش هؤلاء الرجال وعائلاتهم واتصل بالسلطات العثمانية فأبدت ترحيبا حارا وطلبت من هؤلاء المتطوعين السفر الى الاسكندرونة كي يستقلوا باخرة الى طرابلس الغرب وبعد ان وصلوا الى اسكندرونة انتظروا فيها اربعين يوما دون جدوى ثم تلقوا الامر من السلطان بالعودة الى بلدهم ، فبنوا مدرسة بمال التبرعات لتعليم الاميين •

عندما دخل الفرنسيون سورية باع الشيخ بيته وهو كل ما يملك واشترى اربعا وعشرين بندقية واعلن الجهاد وقاتل حتى سنة ١٩٢١ حين لجأ ورفاقه الى تركيا بعد ان انتهت الذخيرة لديهم اما الشيخ فقد ذهب مع ستة من اخوانه الى فلسطين كي يقوم بواجبه •

وفي فلسطين وجد الشيخ القسام كل ترحيب من المفتي الذي كان يعلم نضاله وورعه ، واختار الشيخ القسام حيفا وجامعها مكانا لاقامته ، فعين كما اشرنا من قبل المفتي خطيبا رسميا في المسجد ومدرسا ، فكان يدرس في مدرسة خاصة للصغار وكان يعيش ورفاقه الستة حياة تقشف ، كان الرفاق يعملون في ميناء حيفا بينما يدرس هو ويطهو لهم الطعام •

عرض عليه البعض التوسط لدى الفرنسيين للسماح لعائلته بموافاته وكانت ما تزال في جبلة فرفض قائلا :

(ارفض كل منح المحتل) فقام بالمهمة بعض اصدقائه السوريين وسمح لعائلته وعائلات رفاقه بموافاتهم الى فلسطين ، فعاشت العائلات السبع في

بيت واحد لانهم ما كانوا يملكون اجر بيت لكل عائلة • فلقد كانوا يدفعون اكثر جنيهم لتمويل المجاهدين ، وتعلم في تلك الفترة رفاقه وكانوا قبلا اميين وساهموا بنقل رسالته الى الجمهور في حيفا وما كان يضيع وقته ، فقد كان يذهب الى المزارع فيدرس الفلاحين وهو يساعدهم في عملهم الزراعي •

كان مزاج الشيخ المتصوف ينعكس على سلوكه وتدريسه فما كان يقبل الضعف ايا كان مصدره •• يذكر عنه انه لما عين مدرسا للغة العربية في دورة تدريبية مسائية لموظفي الدولة لاحظ ان احد هؤلاء التلاميذ جاء الدرس سكران فصفعه امام الجميع وحرم عليهم جميعا التدخين في دروسه •

في سنة ١٩٢٩ طلب وجوه المسلمين في حيفا من السلطات البريطانية ان ترسل قوة للمحافظة على الجامع من هجوم يهودي محتمل • فثار القسام ضد هذا الطلب قائلا في خطاب القاه بتلك المناسبة :

(ان جوامعنا يحميها المؤمنون منا • ان دمنا هو الذي يحمي مساجدنا لا دم الآخرين ••) ووصف الطلب بالجبن والمروق ودليلا على الخضوع والذل • وعندما دعته السلطات للتحقيق فلم ينكر شيئا مما قال ، وعندما اوقف اعلنت المدينة الاضراب فاضطرت السلطات الى اخراجه من السجن ••

كان يتمتع بشعبية كبيرة •• عندما رأى ان موعد الثورة حان القى خطابا في جامع حيفا استقال فيه من وظائفه ودعا الشعب الى ان يلحق به في الجبـال •••

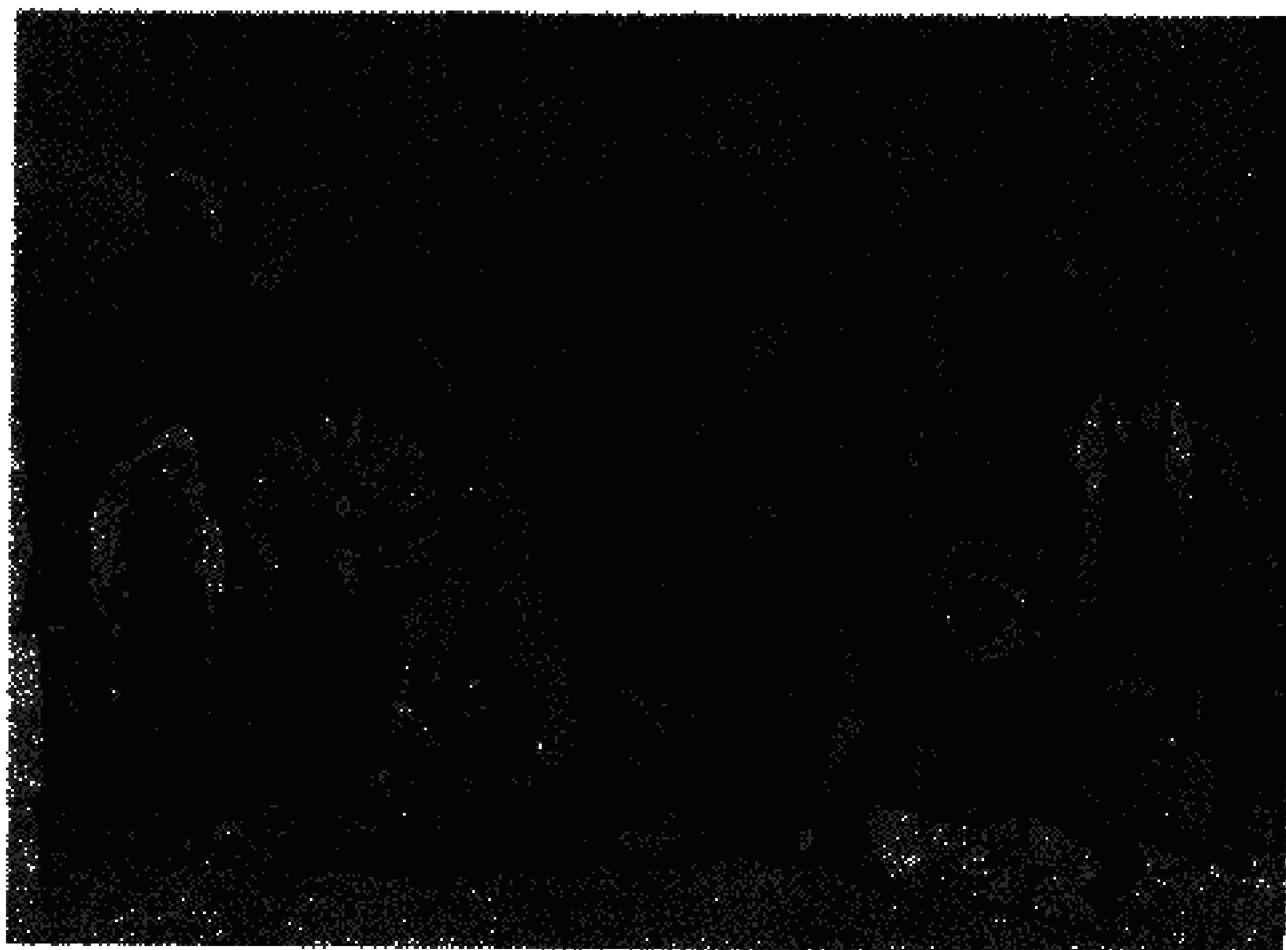
عندما هاجمه الانكليز ورأى ان مقدمة الهجوم من الشرطة العربية صاح برجاله : (لا تقتلوا ابناءنا) حتى اذا احيط به من كل جانب انتظر اقتراب الجيش منه حتى يطلق الرصاصة الاولى المؤذنة بأولى معاركه واخرهـا في فلسطين • ولقد دامت ثماني ساعات • كانوا خمسة عشر رجلا فقط •••

الفصل الخامس

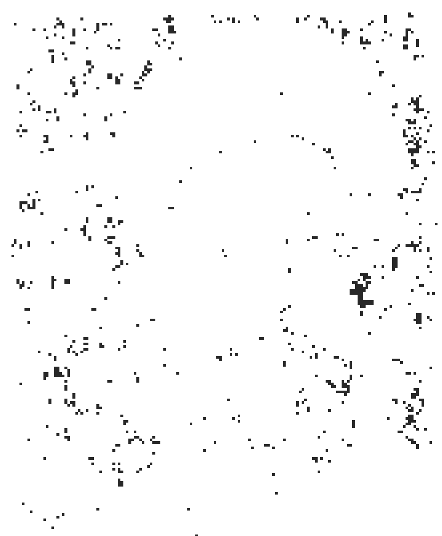


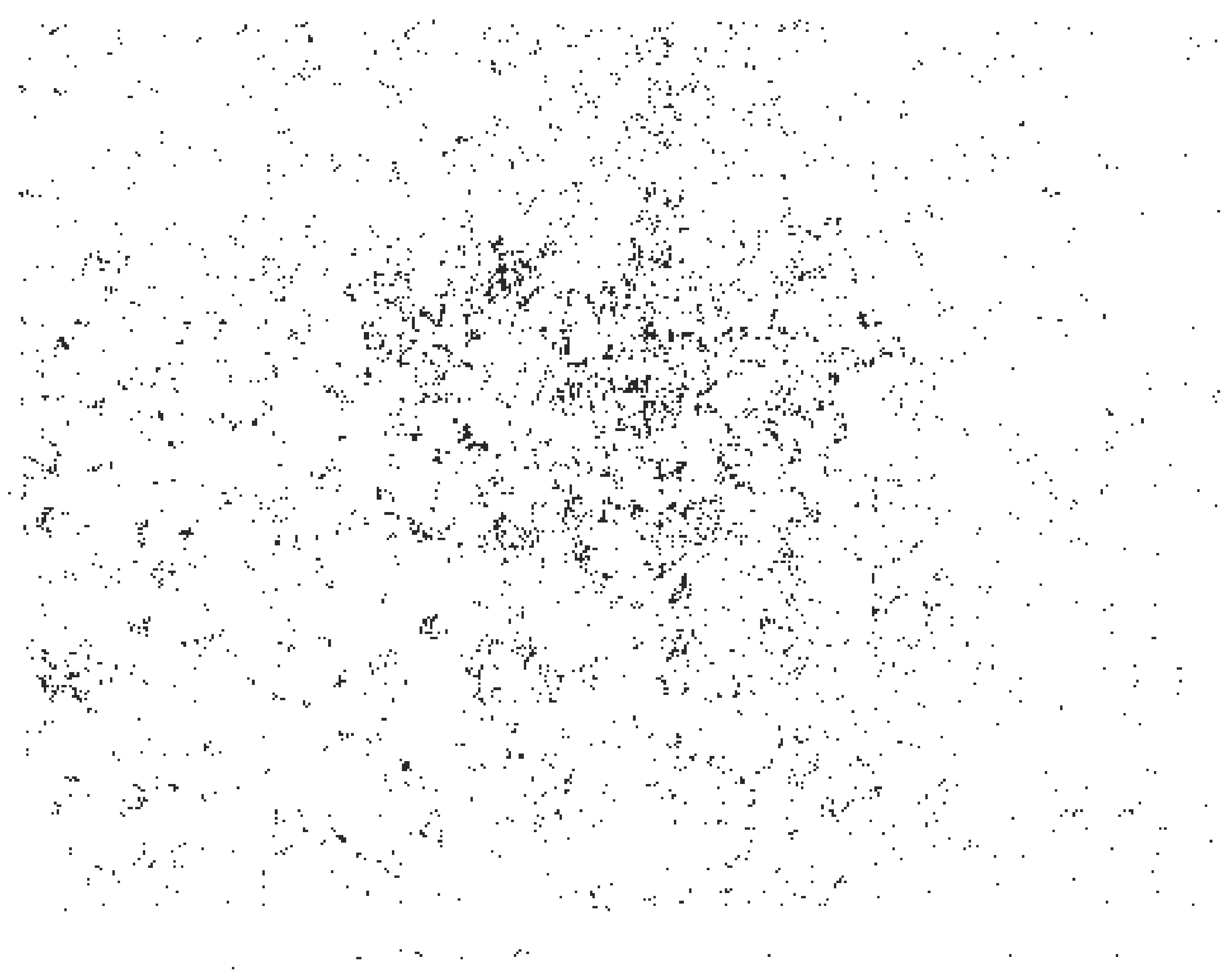
المجاهد الشهيد
الشيخ عز الدين القسام

الثورة الفلسطينية وتدخل الحكام العرب



الثائر محمد امين الحسيني وهو في مطلع شبابه الاول الى اليسار مع فريق من المجاهدين العرب





مرت البلاد في مرحلة تحفز ، وساد الهدوء حتى لعجب الانكليز واليهود لانهم لم يتعودوا ذلك ، كان الشعب يتسلح سرا ..

عندما توفي القسام شهيدا كانت اللجنة العربية العليا قد عزمت على اللجوء الى السلاح ...

اعلن المفوض السامي قراره بتأليف مجلس تشريعي من ٢٨ عضوا (١٤) من العرب و(١٤) من اليهود والانكليز والاجانب ومنع انتقال الاراضي في المناطق التي وجب ان يترك لها قطعة من الارض تكفي لاعالتها ... غير ان المسؤولين البريطانيين سحبوا هذا المشروع لان الصهيونيين هاجموه بعنف ، فأخذ المفتي واخوانه يعدون بدقة القيام بالثورة ...

اعلن في المرحلة الاولى في ٢٠ نيسان ١٩٣٦ اضرابا عاما ...

ودعا المفتي الى الوحدة الوطنية ، واجتمع زعماء الاحزاب الفلسطينية وانتخبوا لجنة منهم تضم جميع رؤساء الاحزاب الفلسطينية بدون استثناء

وانتخب المفتي رئيسا لها بالاجماع واعلنوا متفقين اهداف تألفهم وهي :

١ ـ ايقاف الهجر ةاليهودية الى فلسطين •

٢ ـ وقف بيـع الاراضي •

٣ ـ تأليف حكومة برلمانية ديمقراطية •

وألفت لجان فرعية دعيت باللجان القومية في كل مدن فلسطين •

امتد الاضراب سريعا الى كل البلاد فأغلقت المدارس وامتنع المحامون عن الدفاع امام المحاكم واغلقت غرف التجارة وتوقفت مـكاتب المؤتمر الاسـلامي عن العمل وسـاهم رؤسـاء البلديات والشرطة العرب واعلن الاطبـاء انهم يعالجون المرضى مجانـا طيلة الاضراب ، وأضربت المتـاجر واعلن الفلاحون عن عدم بيع انتاجهم بالسـوق حـتى السجناء المحكومون بالاشغال الشاقة امتنعوا عن العمل ولـم تفتح ابوابهـا سوى الصيدليات والافـران •••

وملأ الاضراب عناوين الصحف العالمية فالتايمـس تردد •• اليـوم التسعون ••• العشرون بعد المائة للاضراب وتعاظمت الحركة واخذ الخطباء في الجوامع والكنائس يدعون الى مزيدمن المقاومة ، وبدأوا يـدعون الى حمل السلاح •

ودعت اللجنة العربية العليا الى مواصلة المقاطعة ، كما دعت الى عدم دفع الضرائب ، واستخدمت السلطات البريطانية المادة الرابعة مـن قانون الغرامات المعمول بها في فلسطين الذي يقضي بأن يدفع الشعب نفقات الجيش الذي يؤتى به الى البلاد لحفظ الامن •

وفي اول آيار (مايو) اذاعت رويتر برقية تصف الحالة القلقة في فلسطين فتقول : (القيت قنبلة على مركز الشرطة في حيفا واحرقت في يافا مـدرسة يهودية والقدس يسودها منع التجول ، سبعة عشر جريحا من العرب) •

واعلنت دوائر المندوب السامي عن وقوع حريق في ميناء حيفا تمكنت السلطات من حصره وعن حوادث عديدة في مختلف المدن الفلسطينية •

وجاء في تلك الفترة نوري السعيد وزير الخارجية العراقية الى القدس فزار المفتي كما حاول الامير عبدالله ـ الملك عبدالله فيما بعد ـ وجد الملك حسين ـ ان يتدخل لتهدئة الوضع وايقاف الثورة غير انهما لم يتمكنا من اقناع المفتي بتخفيف حدة الثورة •••

في الثامن عشر من ايار اعلنت بريطانيا العظمى عن عزمها على ارسال لجنة ملكية لدراسة اسباب الثورة كما ألح المندوب السامي على المفتي لايقاف الثورة ولو الى فترة من الزمن فاعلن المفتي عن مقاطعة اللجنة •

اخذ اليهود يخلون المستعمرات واذاعت رويتر في ٤ حزيران ١٩٣٦ البرقية التالية :

(امتلأت القدس باللاجئين من المستعمرات حتى غدا تموينهم عسيراً••)

وفي ١١ تموز اطلقت النار على المندوب السامي • واخذت البيانات الرسمية تتتابع معلنة وقوع القتلى والجرحى والاغتيالات وحوادث القطارات ••• الخ • واوقف بعض زعماء اللجنة العربية العليا وارسلوا الى سجن الحفير ، واشتد القتال فمن استطاع من الشعب الحصول على السلاح التحق بالثورة •

شهداء رفعوا راية الكفاح المسلح

ـ صاحب السماحة ألم ترهقك هذه الاحداث ؟

نظر الي مندهشا وقال : (ليس الانسان بمنجاة من الارهاق ولكن المسلم الحق من انتصر على نفسه ، وفوق ذلك كان اولئك الذين يستشهدون على اراضي المعركة يقدمون مثلا للعالم اجمع ولاعطكم مثلا ••• الشيخ قاسم محمد الشايب الذي قتل في ساحة الشرف وما كان يحمل غير قرآن واثني

عشر قرشا كانت كل ثروته . بعد معركة الكرمل جاءت قروية الى ارض المعركة كي تعين الجرحى ، وكانت تعلم ان ابنها من الثوار حتى اذا رأت احد الشهداء قالت : انه يشبه ابني واقتربت منه فقالت : (انه ابني) وزغردت فرحا حتى اذا علم اهل القرية بموقفها جاءوها مهنئين . من يعيش بين هـــذا الشعب تزداد همته ..)

اخـــذ الملوك والرؤساء العرب يلحون لايقاف الثورة وفي الثامن مـــن تشرين الاول ١٩٣٦ اذيعت بيانات اربعة موقعة من الملك عبـــد العزيز آل سعود ، ملك العربية السعودية ، ويحي حميد الدين ملك اليمن ، وغازي ملك العراق ، والامير عبدالله امير شرقي الاردن ، تدعو الشعب لوقف الثورة وكانت تلك البيانات ذات نص واحد ...

القدس ــ سماحة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ...

الى ابنائنا عرب فلسطين .

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مـــع اخواننا ملوك العرب والامير عبدالله ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل.. وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم .

واذاع المفتي بـــدوره بيانا باسم اللجنة العربية العليا اعلن فيـــه ان اللجنة قررت بالاجماع وبعد استشارة اللجان القومية وموافاتها باتفاق الاراء أن تلبي نداء أصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الامير بالبيان المثبت اعلاه وان تدعو الامة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاد الى السكينة وانهـــاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من صباح الاثنين الواقع في ٨ تشرين الاول وبأن يبكر افراد الامة العربية في صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء ورفع الشكر لله تعالى على ما ألهمهم من صبر وجلد ثم يخرجون الى فتح مخازنهم ومزاولة اعمالهم .. بعد ذلك بقليـــل اعلن وزير

المستعمرات في مجلس النواب عن دخول (١٨٠٠) يهودي جديد الى فلسطين وبدأت البلاد تتحرك من جديد ، وتلقى المفتي رسالة من العاهل السعودي ..

(من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة صاحب السماحة الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا حفظه الله ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فلقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين والاسباب التي حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية وبعد استماعنا لكل ما ابداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتكم وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب فقد رأينا ان المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة لان ذلك اضمن لحقوقكم وادعى لمساعدة اصدقائكم في حسن الدفاع عنكم ... وقد أبدينا للوفد الكريم جميع ما لدينا من الاراء في ذلك ونحب ان تكونوا على ثقة باننا لا نألو جهدا في سبيل مساعدتكم لاصلاح الحال بقدر امكاننا واننا لنرجو من الله ان يوفقنا جميعا لما فيه الخير للاسلام والعرب. واقبلوا احتراماتنا الفائقة .)

أمام الحاح الملوك العرب وجد المفتي نفسه مكرها على أن يقدم للجنة الملكية في ١٢ كانون الاول سنة ١٩٣٦ المطالب العربية قائلا :

(واخيرا فان العرب لا يرون اية فائدة أو أمل من اصلاح في ادخال تغييرات ثانوية لان الداء انما هو في الاساس وما لم يعالج الاساس معالجة صحيحة فان الداء يظل مستفحلا والشر متفاقما وفي اعتقاد العرب ان المعالجة الاساسية والصحيحة هي في :

١ ـ العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة التي نشأت عن وعد بلفور واعادة النظر في جميع النتائج التي نتجت عنها والتي ألحقت الاضرار والاخطار بكيان العرب وحقوقهم .

٢ ـ ايقاف الهجرة اليهودية ايقافا تاما وفورا .

٣ ـ منع انتقال الاراضي العربية منعا تاما وحالا •

٤ ـ حل قضية فلسطين على الاسس التي حلت عليها قضايا العراق وسورية ولبنان بانهاء عهد الانتداب وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين تقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ذات حكم دستوري تمثل فيها جميع العناصر الوطنية ويضمن للجميع فيه العدل والتقدم والرفاهية • والنتيجة فان سياسة انشاء وطن قومي يهودي في هذه البلاد العربية من طبيعتها ان تؤدي الى استمرار القلق والاضطرابات وتجعل من هذه البلاد المقدسة وطنا دائما للفتن بينما هي أحق بلاد العالم بالسلام والطمأنينة •)

لم يكن لدى اللجنة الملكية الحق في دراسة منشأ الخلاف • كان هدفها كما أعلنه وزير المستعمرات في مجلس العموم ان تقوم بدراسة عميقة لاسباب النزاع كخطوة اولى للتهدئة : (ان رغبة حكومة جلالته هي اعادة النظام ومن أجل هذا الغرض تقترح على جلالته تعيين لجنة ملكية تدرس اسباب الفوضى ومطاليب العرب واليهود دون التعرض لروح الانتداب •)

سميت اللجنة لجنة بيل باسم رئيسها • ولقد قدمت تقريرها في ٧ تموز ١٩٣٧ الذي يرمي الى تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب وبقاء السلطة البريطانية في منطقة القدس على ان يضم الجزء العربي للاردن •

ولاول مرة يذكر التقسيم كنتيجة طبيعية للتيه في تأسيس الوطن القومي اليهودي•

لقد دام الهدوء شهورا اربعة تحت الحاح الملوك العرب وفي ٢٦ ايلول سنة ١٩٣٧ هاجم اربعة من الشباب العرب المستر اندروز حاكم الجليل ومساعده كوردون وهما خارجان من الكنيسة الانكليكانية في الناصرة واردوهما قتيلين وأوقف عدد من الزعماء والاطباء والسياسيين ••• واستؤنفت الثورة•

قال المفتي :

(اخذ يعاني أفضل رجالنا من ساسة ورجال دين اقسى التعذيب •••

الضرب بالسوط والتعذيب على اختلاف اشكاله ..

ـ اسمحوا لنا بمقاطعتكم ... تزعم بعض الكتب الاجنبية ان الانكليز كانوا متسامحين مع العرب ولم تشر تلك الكتب للتعذيب . اما عن السجون فالانتداب البريطاني يقول انه ادخل عليها تحسينات ، وقد كانت اوضاعها مؤسفة في العهد العثماني ؟

اجاب المفتي على سؤالي بقوله :

« لقد قتل ١٢ ألفا من الفلسطينيين تحت الانتداب البريطاني . ولاحدثكم قليلا عن سجونهم .. لقد عذب المجاهدون بشكل لا يشرف الانتداب البريطاني ، لقد خضعوا الى انواع منه تفضح لا انسانية ذلك الانتداب بل لقد أوجد البريطانيون سجونا لم يكن لها وجود في العهد العثماني ، ولاعدد لكم السجون الرئيسية ..

معتقل الحفير الواقع على عدة كيلومترات من بئر السبع . وكان مركز اتصال بين القطعات العسكرية في العهد العثماني واستخدمه الانكليز لمراقبة المهربين وفي سنة ١٩٣٦ اصبح معتقلا سياسيا نظرا لوقوعه على اطراف الصحراء وبعده عن المدن . ولقد اعتقل فيه عوني عبد الهادي وقدري طوقان واكرم زعيتر والشيخ صبري عابدين وغيرهم ... كان السجناء يعيشون فيه في ابنية خشبية يعانون مناخا صحراويا شديدا ..

وسجن غزة المؤلف من زنزانات وقواويش غير صحية كان يعطي فيه السجين غطاء واحدا . وكان الميجر (هارنكتون) يشرف فيه بنفسه على التعذيب .

اما سجن عكا الذي لم يكن غير جزء من القلعة القديمة ، كثير الرطوبة فكان يكدس فيه السجناء ويمنعون حتى عن التدخين .

واقيم في ضواحي عكا معتقل المزرعة المؤلف من ابنية خشبية ، بلغ عدد السجناء فيه سنة ١٩٣٧ (١٣٠٠) سجينا كانوا يكرهون على الجلوس جميعا

القرفصاء صباحا فيستعرضهم آمر المعتقل البريغادير (ستيل) فينقر عـــلى رؤوسهم واحدا بعد الاخر . في ذلك المعتقل شنق الشيخان فرحان السعدي وابو درة ...

وسجن المسكوبية ... حول الانكليز سنة ١٩١٨ بناء الدير الروسي فجعلوه لمحاكم حكومة فلسطين واستخدموا قبو النبيذ المتعزل الى سجن يعذب فيه المجاهدون . لقد اقترفت في ذلك السجن اساليب لم تكن معروفة قبـلا كان يؤتى بالشيخ ويكره على اكل قشور البطيخ او ان تفرك وجوههم بـــا ويبدو انهم وجدوا ان تلك الوسيلة اكثر حضارة من الضرب...

ثار الشعب ، وكان لا بد من حمل السلاح...

ــ وهل حملتم السلاح ؟

اني ضابط قديم لي خبرتي في الحرب وليس الدم الذي يجري في عروقي دم العلماء فحسب وانما دم المجاهدين ...

ــ زعمت بعض الشائعات بعد حوادث ١٩٢٩ انكم كنتم تودن مغادرة البـــلاد ؟

ــ ابدا ... كانت تلك تخرصات لا صحة لها زعمها وفد المحامين الذي رأسه السير بويد مريمان ، وقد جاء يدافع عن الصهيونيين امام لجنة شـــو . لقد ذهبوا الى اني عزمت على القيام برحلة لاوروبا للدعوة لقضيتنا قبل ذلك فأعددت جواز السفر والتأشيرات اللازمة لتنقلاتي ، ولما انفرجت الازمـــة أوقفت كل شيء وألغيت الرحلة وبقيت الى جانب اخواني . وكانوا يريدون من ذلك اقناع اللجنة باني المسؤول الوحيد عما يجري في فلسطين وان شعبنا كان يقبل الانتداب وبوعد بلفور لولا وجودي . ولست بحاجة لاقيم الدليل على باطل هذه الحجة .

لقد اثبت تاريخ القضية الفلسطينية ان شعب فلسطين تعلق بها روحـــا وجسدا ودافع عنها بشجاعة عظيمة . انه لم يستسلم ولم يتخل عن المعركة رغم

الآلام التي تحمل ورغم الشقاء الذي يهيمن على مصيره . ولقد اعلنت ذلك للجنة الملكية فقلت :

كنت في الحقيقة معولا على السفر وعندما تبينت التآمر الذي يحاك للشعب والشر الذي يراد به بدلت رأيي وعزمت على الوقوف معه في الساعات الحرجة . لقد ادعى الصهيونيون الى اني كنت سأترك البلاد .. اعلن اني لو كنت خارج البلاد لرجعت دون ان اتردد لحظة الى ميدان المعركة كي ادفع العدوان عن ابناء وطني واتحمل الواجب المفروض على كل فلسطيني وخاصة علي أنا ... وكيف يمكن لي ان اخيب رجاء شعب فلسطين الذي منحني الثقة من كان يستطيع التنبؤ ساعتئذ اني اكره بعد ثماني سنوات على مغادرة البلاد ؟

ولم تكن في نيتنا فوق ذلك ان نوقف المعركة لولا تدخل الملوك والرؤساء العرب . كنت ارغب أن تستمر الثورة ، ولكن الملوك والرؤساء العرب ظنوا أن تدخلهم يحل الازمة فقد المهم ان يروا شعب فلسطين معرضا للاختيار بين ترك الارض وبين الذبح. كانوا يريدون ان يوفروا عليه تضحيات لا جدوى منها وكنت أذهب الى ان التضحية وحدها هي التي تؤدي الى حل مقبول لقضيتنا .كان علينا امام عناد الصهيونية وبريطانيا العظمى ان نستمر بالمعركة مهما كان الثمن ولكني اضطررت امام الالحاح على افساح المجال امام الملوك والرؤساء ليتلمسوا بانفسهم غدر بريطانيا والصهيونية .

في اليوم الذي اتخذنا قرار وقف الاضراب وما رافقه من اعمال وتنفذ ذلك في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٦ سيطر على فلسطين جو ثقيل ..

ارتأت اللجنة العربية العليا ان تدرس مع الزعماء العرب الموقف الواجب اتخاذه تجاه اللجنة الملكية (لجنة اللورد بيل) وكان الفلسطينيون ميالين لمقاطعتها وكنا نود التشاور مع الزعماء العرب في مثل هذا الموقف وذهبت عدة لجان الى مختلف العواصم العربية لهذه الغاية ..

وسافرت انا خلال فترة الحج الى السعودية فقد كانت خير فرصة اشرح فيها للمسلمين الذين يجيئون من مختلف ارجاء العالم القضية الفلسطينية وكان أعضاء الوفد السيد عزة دروزة (فلسطيني) ورياض الصلح (لبناني) وكامل القصاب (سوري)... كنت أذهب دائما برفقة وفود تمثل عدة بلدان عربية لاني اقدر ان مسألة فلسطين لا تتعلق بالفلسطينيين وحدهم وانما بالعرب عامة والمسلمين قاطبة ..

وعندما اجتمعنا مع جلالة المرحوم الملك عبد العزيز سعود قدمت له عرضا كاملا للوضع وتطرقت رغم ان هدف الزيارة كان القضية الفلسطينية الى ضرورة بذل الجهد لتحقيق الوحدة العربية ، فكلفني بأن انقل استعداده لتحقيق هذا الهدف للحكومة العراقية التي كانت تصلني بها احسن الصلات.

وما ان عدت الى فلسطين حتى ذهبت الى دمشق في وفد آخر كي اقابل المرحوم رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي ولم تطل اقامتنا في دمشق فقد جاءتنا انباء مقلقة عن فلسطين دفعتنا للعودة الى القدس على جناح السرعة.

عندما قدمت لجنة بيل تقريرها في ٢٢ تموز الى الملك سارت شائعات تفيد انه يحوي قرارا بالتقسيم فثارت الافكار . وفي دمشق علمت ان السلطات البريطانية خرقت الهدنة وعمدت الى تنفيذ التقسيم بالقوة واخذت توقف المناضلين ولقد استغربت السلطات البريطانية عودتي ظانة اني انتهزت فرصة الهدنة فنجوت بنفسي ، وأخذت ترسل لاقناعي بقبول حلولهم وحاولوا معي كل وسائل الترغيب فعرضوا العروض المغرية من مركز وألقاب ... وامام تشبثي تبدلت اللهجة فانقلبت من اللطف الى التهديد وارسل لي مدير المخابرات بواسطة اصدقائه قائلا ان الانكليز مصممون على اللجوء للاسباب التي تمكن لمصلحة بريطانيا وانهم مستعدون الى ركوب المخاطر واستخدام القوة للوصول الى مراميهم ونصحوني بالحكمة خيفة على مصير عائلتي واصدقائي واثاروا

الشائعات الزاعمة اني الوحيد الذي يقف ضد سياستهم وفي ذلك الحين وفي ١٦ تموز ١٩٣٧ نشرت جريدة التيمس مقالا تقول فيه : (ان المفتي هوالعقبة الوحيدة امام حل القضية الفلسطينية والتفاهم مع اليهود ولولا الخوف من محمد امين الحسيني لظهر كثير من المعتدلين على المسرح وعلى الحكومة البريطانية الا تترك الساحة خالية لنشاطه بل عليها ان تقيله من مناصبه وخاصة من رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى وان تلجأ ضده للقوة وضد القسم المتعصب المتطرف الخ ...)

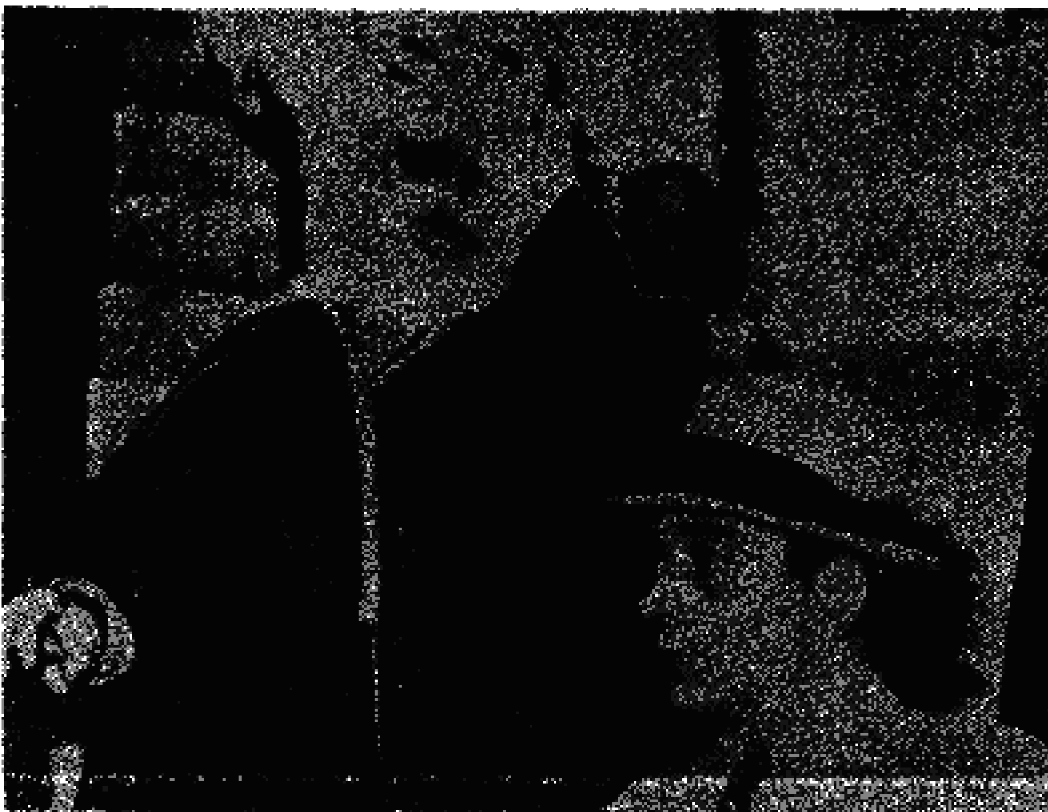
كان المقال يكشف عن نوايا الانكليز العدوانية ضدي واتخذت الاحتياطات لمعرفتي بعلاقات التايمس الرسمية وشبه الرسمية ...

الفصل السادس

المفتي يغادر فلسطين



الزورق العادي الذي انتقل بواسطته المفتي من يافا الى جنوب لبنان



المفتي حين وصل الى لبنان بعد ان غادر فلسطين سرا وافلت من حصار الانكليز



يقول المفتي :

في ١٧ تموز ١٩٣٧ في الساعة الخامسة حوصرت مكاتب اللجنة العربية العليـــا من قبل البوليس البريطاني الذي احتل الشوارع المؤدية اليها والحي المحيط بها ، وكنت آنئذ أرأس جلسة عامة.وكان الضابطان ركس وفيزجيرالد يقودان تلك القوة وبعد انقطعت خطوط الهاتف هاجمت القوة قاعة الاجتماع ولما لم تجدني بحثت عني في كل الغرف • في تلك اللحظات كنت اسلك طريقي بهدوء الى المسجد الاقصى فلقد خرجت من الباب الخلفي عندما احتلت القوة الحي وكانت سيارتي تنتظرني كعادتها عند الباب عندما ازور مكانا مــــا و «برناوي» (١) جالس الى جانب السائق وكان وجوده في السيارة يعني اني في المكاتب ، واستطعت بهذه الطريقة الوصول الى باب المدينة القديمة التي تحيط بها اسوار عالية بنيت في العهد العثماني فدخلت الباب متجها الى بيتي الـــذي

(١) البرناوي : طفل نيجيري تربى في كنف المفتي ولازمه كظلـــه في حـــله وترحاله ، والرحلة الوحيدة التي تخلف عنها تلك التي اختفى فيها المفتي مـــن طهران وظهر فيما بعد في بلاد المحور ، والسبب في تخلفه يعود الى انه كـــان معتقلا من قبل الانكليز طيلة ايام الحرب العالمية الثانية .

يشرف على الجدار الغربي للاقصى والرواق الكائن مكان البراق .

في حرم المسجد كان يقيم عدد من المجاهدين المدججين بالسلاح المستعدين للقتال ...

وهكذا فشل المخطط البريطاني الرامي للقبض علي، فقد كانت هنالك على باب مكاتب اللجنة العربية العليا مصفحة مستعدة لنقلي الى حيفا ومنها الى جزر موريس في المحيط الهندي على الطراد ربياليس ..

امام هذا الفشل وبعد ان عرف الانكليز اني في الاقصى حاصروا حرمه شهورا ثلاثة فأحاطت به قوة كبيرة وقطع عنه الكهرباء والهاتف ، وفي هذه الشهور الثلاثة جاء الانكليز بقوة عسكرية من مسلمي الهند مستهدفين احتلال الاقصى بالقوة والقبض على المجاهدين ...

تمسكت في تلك الفترة بالبقاء في فلسطين مؤملا مشاركة المقاتلين والعمل بالثورة المسلحة ولكن هذه الرغبة لم تتحقق ، وساهمت الظروف بغير ذلك، واخذت الاحداث تتلاحق سريعا ، وما كنت اريد ان يتحول الاقصى الى ساحة قتال يسيل فيها الدم ، كنت اخاف كثيرا عليه اريد ان اجنبه المخاطر وانقذه من التعرض لما ينال منه ، وكيف اسمح لنفسي بالنيل من قدسيته وقيمته؟ كان قرار ترك فلسطين خارجا عن ارادتي . كانت تلك ارادة الله ...



ولعله من المفيد ان يلم القارىء ببعض الاحداث التي وقعت في تلك الفترة والمفتي في الاقصى .. خا بامل الشعب الفلسطيني عندما اعلن تقرير لجنة بيل ورفض محتواه وارسلت اللجنة العربية العليا مذكرة للملوك العرب تعلن فيها رفضها للتقسيم وتصر على تحقيق آمال شعب فلسطين .

وفي آب (اغسطس) ١٩٣٧ قدمت الحكومة البريطانية المشروع الى عصبة الامم فرفضته لجنة الانتدابات التي يرأسها المركيز (تيودولي) فعرضته الحكومة البريطانية على الهيئة العامة بعد شهر من ذلك بواسطة وزير

خارجيتها المستر ايدن فهاجم المشروع وزراء خارجية مصر والعراق وايـران وافغانستان والبانيا وخاصة الرئيس دوفاليرا رئيس وزراء ايرلندا ورئيس وفدها لدى العصبة الذي رد على برقية الشكر التي ارسلها اليه المفتي قائلا : (ان التقسيم هو اكثر الاسلحة لا انسانية التي يستخدمها الاستعمار لتمزيق قلوب الشعب الخاضعة له •)

وفي ٨ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٧ انعقد في سورية وفي بلودان الواقعة على بعد ٤٥ كلم من دمشق مؤتمر عربي جمع ٤٥٠ عضوا مثلت فيه مختلف الاتجاهات العربية رأسه ناجي باشا السويدي وناب عنه في الرئاسة الامير شكيب ارسلان ومحمد علي علوبة باشا والمطران حريكة •

كان الهدف من المؤتمر بحث القضية الفلسطينية ، واتخذ القراربالاجماع (ان فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والعرب يرفضون جميعا تقسيمها او اقامة دولة يهودية على ارضها •) واقسم المجتمعون وقوفا امام الله والتاريخ والشعوب العربية والاسلامية ان يستمروا بالكفاح حتى تحرير فلسطين•

دفعت القضية الفلسطينية ، وقد أخذت أهمية كبرى في نظر العالم عامة والعرب خاصة ومقاومة الفلسطينيين العنيدة من جهة ودفع الصهيونية المستمر من جهة اخرى السلطات البريطانية لاستخدام القوة • وكانت حادثة مقتل اندروز ايذانا ببدء المعارك •

بدأت بريطانيا بحل اللجنة العربية العليا والمؤتمر الاسلامي وكلفت لجنة من ثلاثة موظفين ـ اثنان منهما بريطانيان ـ يرأسها المستر كركبرايد بادارة الاوقاف والمحاكم الاسلامية الشرعية واوقف اكثر أعضاء اللجنة العربية العليا ونفوا الى جزر سيشيل • واتخذت لجان منظمة الجهاد قرارا بسفر قائدها الى سورية قبل استئناف الثورة في ١٥ تشرين الاول •



يقول المفتي :

(عندما أكرهت على مغادرة البلاد اعددت بيانا دعوت فيه الشعب لاستئناف حمل السلاح في ١٥ تشرين الاول • لم يكن تركي بلادي سهلا ••• كانت المدينة القديمة كما ذكرت لكم محاطة بالجيش البريطاني المعسكر حول الاسوار •

عندما وصلت الى بيروت اتصلت بي الدايلي اكسبرس تعرض علي مبلغا كبيرا لقاء مقابلة ابين فيها نفس الطريق التي تبعتها • فرفضت العرض اعتقادا مني انه قد يأتي يوم اسلك فيه نفس الطريق !) وها انا اتحدث اليك عن ذلك •

التواري الثاني

كنت اسكن احد بيوت القدس القديمة وهي جزء من الحرم يتصل بالمبنى الرئيسي للاقصى وأظنه كان قديما احد المدارس التي تحيط بالمسجد ، ولقد اتخذت احتياطي منذ بداية الكفاح فأغلقت كل منافذ البيت (من ابواب ونوافذ) عدا ما اتصل بفناء المسجد واحدثت ممرا متصلا ببناء قديم هو مدرسة تتصل بدورها بالابنية المجاورة •• وفي اللحظة التي اجتزت فيها الممر تبينت كم كنت على حق فيما فكرت باقامته •

بعد أن خرجت من الاقصى تسلقت سور المدينة القديمة الجنوبي حتى بلغت قمته وكان هنالك حبل ثبته الاصدقاء ودلفت مستعينا بالحبل من علو عشرين مترا مع رفيق الرحلة عارف الجاعوني ، وهبطنا في بستان كان صاحبه يرقب رواح وغدو الدوريات البريطانية ، وعوت الكلاب لما رأتنا ولكن احدا ما انتبه وظللنا في ذلك البستان حتى تأكدنا من سلامة الخروج منه ومن هنالك نزلنا وادي الربابة ثم صعدنا الحي العربي القائم على جبل الشيخ حيث كان ينتظرنا بعض الاصدقاء في سيارة ، كنت متخفيا في ثياب بدوي وتركت القدس في الساعة السابعة من مساء ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٧•

ولقد أوقفت الشرطة السيارة عدة مرات على طريق يافا ، وفتشت• ذهبنا

مباشرة الى بيت الصديق المرحوم يوسف ضيا الدجاني الذي كان يسكن تلك المدينة على شاطىء البحر وكان قد هيأ مركبا لننتقل فيه الى بيروت ولكن الانكليز صادروه وقد شكوا بامره ، ولما كنا مكرهين على الرحيل سريعا قبل ان تكتشف امرنا السلطات ، استقلينا قاربا صغيرا لا يتجاوز طوله ثلاثة امتار صاحبه بحار شجاع من يافا اسمه يوسف الطويل وسافرنا في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل متكلين على الله مجانبين ما استطعنا قوارب دوريات حرس الشواطىء الانكليزية البخارية • وأبحرنا محاذرين الشاطىء كي لا تثير الانتباه، ينير طريقنا اشعة الابنية التي على الشاطىء • وسرنا سيرا بطيئا حذرا وقضينا عدة ساعات حتى اجتزنا مرفأ يافا وتل ابيب ، وعندما انبلج الصبح كنا أمام قرية سيدنا علي وهي قلعة ارسوف الصليبية الشهيرة ، وشاهدنا اقتراب مركب حربي فنزلنا الى الشاطىء حتى يبتعد عنا ولما عدنا الى البحر هبت ريح معاكسة اكرهتنا على طي الشراع واستخدام المجاذيف ، وفي المساء نزلنا الشاطىء مرة اخرى كي نستريح عند صخرة ، ولم نستطع في ١٥ ساعة ان نجتاز أكثر من ٤٠ كيلومترا •

وبعد ان ارتحنا عاودنا السفر حتى الفجر الذي رأينا اول انواره جنوب حيفا في محاذاة قرية طنطورة فتوقفنا هناك كي نأكل وننام قليلا في مغارة يلجأ اليها المهربون •

ــ بماذا كنتم تشعرون في هذه الساعات الصعبة ؟

ــ صعب علي أن احدد ذلك كان التعب يسيطر على كل العواطف الاخرى ولكن الخوف من ان يكتشف امرنا كان يضطرنا على التغلب عليه وكان الخطر يدفعنا الى مضاعفة الجهد ، وكنا نجد القوة رغم الانهاك• ان مقاومة الانسان لا حدود لها في الساعات الصعبة • كلما اجهد الانسان شد الله في أزره •

فارقت فلسطين وانا احس بمرارة شديدة ومع ذلك كنت احافظ على الامل بمتابعة الكفاح • كانت هذه الاحساسات ممزوجة بالخوف من ان يكتشف امرنا• وفي الساعة التي أطبقت جفني كي انام قليلا جاءت دورية من

الشرطة المكلفة بمكافحة التهريب فنهض يوسف يستقبلهم مرحبا فأجابه الشرطي: (ظنناكم مهربين) وألح على دعوتنا للغداء فاعتذرنا وعندما ابتعدت الدورية عدنا الى القارب وجاءتنا ريح موافقة دفعتنا باتجاه لبنان وعندما تجاوزنا حيفا اخذ الكرمل يختفي قليلا قليلا عن عيوننا ..

وقليلا بعد ان تجاوزنا شاطىء فلسطين جاءنا مركب بخاري فرنسي من حرس الشواطىء فأوقفنا واقتادونا الى مدينة صور وهم يعتقدون انهم قبضوا على مهربين يراقبونهم ولكنهم احسوا بالخيبة عندما وجدوا انهم أخطأوا . وقدمت لهم نفسي باسم محمد الجعفري فلم يقنعوا بذلك رغم قناعتهم اننا لسنا من المهربين ، فقد شكوا في أمر ذلك المركب الذي يجيء من فلسطين ، وجاء بعد ذلك مدير الامن العام فحاولت اقناعه لاطلاقنا فما نجحت واقتادنا الى رئيسه مسيو كولومباني مدير الامن في بيروت الذي عرفني حالا رغم تنكري ومنعني من متابعة الطريق الى دمشق . أوقفت توقيفا مؤقتا ، وبعد أيام استمرت فيها الاتصالات بين السلطات الانكليزية التي كانت تطالب بي والسلطات الفرنسية التي ارتبكت لوجودي ، وسمح لي بعد ذلك بالسكنى موقتا في بيت الدكتور سامح الفاخوري رئيس المؤتمر الاسلامي في لبنان. ثم أرسل الي بعد ذلك الكونت دي مارتل المفوض السامي الفرنسي في سورية ولبنان مدير غرفته كي يعرض علي الاقامة في باريس فرفضت .

وحاولت حينئذ الخروج من الورطة التي وجدتني فيها فقررت وزميلي ان نحاول الفرار مرة اخرى بواسطة الحبل وكان البيت الذي نسكنه في الطابق الثالث تحرسه الشرطة من الخارج وينام فيه بعض الضباط للحراسة، واستطاع صديقي الذي اعانني في الخروج من فلسطين الحصول على حبل واخذنا ننتظر الوقت الملائم لربطه بالنافذة ، كان الغيث مدرارا تلك الليلة وكان بوسعنا التنفيذ فيها لندرة العابرين في الطريق ..



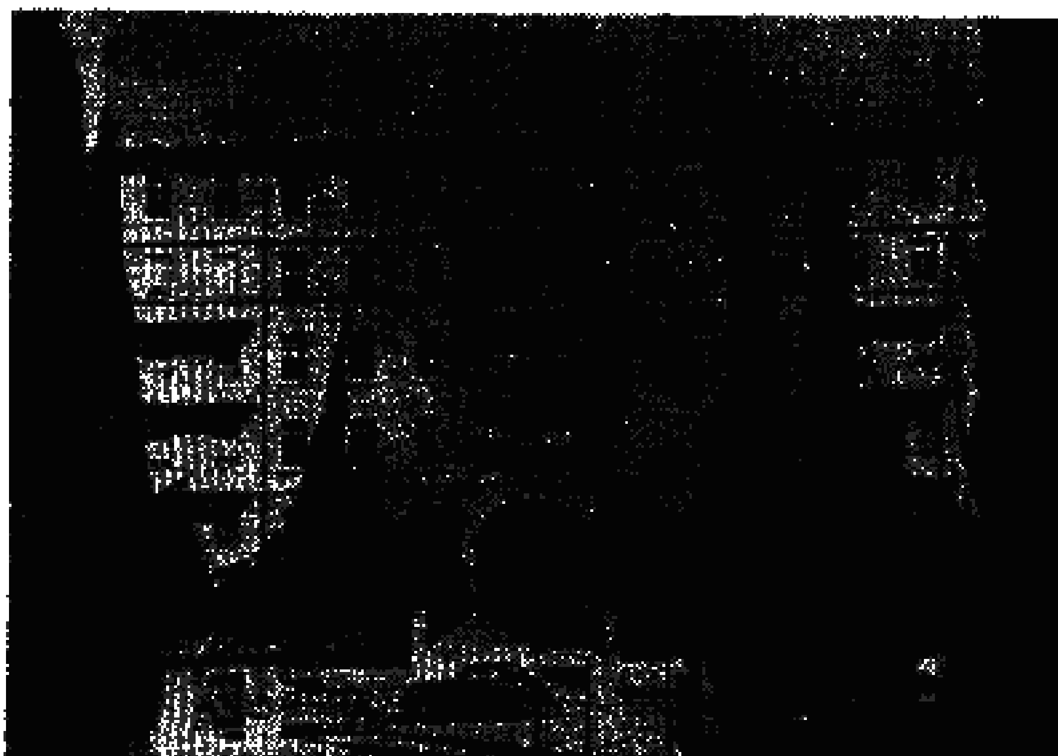
قامت ضجة كبرى في بيروت بعد وصولي اليها ، وانتشرت في العاصمة انباء الاتصالات التي نجمت عن ذلك ، فقام الشعب اللبناني بمظاهرات ضخمة لتأييدي والاحتجاج على نفيي الى باريس ، وتدخل القادة السياسيون في الامر وزارني مرة ثانية مدير غرفة الكونت دومارتيل لينقل الي قرارالمفوض السامي القاضي بمنحي الاقامة في لبنان مبديا رغبته في أن تكون خارج بيروت وطرابلس فاقترحت مرة ثانية سورية فرفض •• وعندئذ انتقيت «ذوق مكايل» في منطقة كسروان فسمح لي بذلك •

الفصل السابع

مواصلة الثورة الفلسطينية



قوات البوليس الانكليزي تعاين احدى المناطق التي ارتكب فيها اليهود مذابحهم ضد العرب .



فندق الملك داود نسفت ادواره العليا انتقاما من المؤامرة الاستعمارية ضد شعب فلسطين .


فوزي القاوقجي اسندت اليه
قيادة المتطوعين في الجبهة الشمالية


مذابح اليهود ضد العرب تمت على أيدي اليهود المتدينين ورجال الدين الربانيين

ويمضي المفتي قائلا :

(استأجرت دارا في ذوق مكايل بعد وصولي اليها ، وبدأ اخواننا يصلون شيئا فشيئا الى القرية ويقطنون البيوت المجاورة فسرعان ما اصبح الحي حينا مما سهل علي الاتصالات مع من اريد رغم مراقبة السلطات الشديدة، وقد أمضيت الصيف في «قرنايل». وعندما كنت لا أقدر على الاتصال العلني ببعض الاشخاص كنت ألجأ الى الاتصال بهم في السر ، وهكذا تمكنت من ان أجتمع بعدد أكبر من الشخصيات واستقبل الرسل الذين يجيئون من جهات عديدة ...

استؤنفت الثورة كما كان متفقا عليه أشد واعند من ذي قبل حتى لقد أثارت شجاعة المجاهدين وبطولتهم العالم بأسره الذي اخذ يرى شعبا من مليون نسمة يقاتل الامبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية ... اخذ المقاتلون يهاجمون المعسكرات والثكنات والمطارات والقوافل العسكرية وينسفون خطوط المواصلات ، وخطوط شركة النفط ...

ولجأت السلطات البريطانية الى اساليب القمع المتوحشة وجلبت اربع فرق من أفضل الجنود الى فلسطين وزادوا عدد الشرطة حتى وصل الى عشرة آلاف رجل ... ووصل عدد الشهداء الى ستة الاف منهم ١٥٠ أعدمتهم المحاكم العسكرية ، وأعيد ذكر اسم فرحان السعدي الذي شنقوه وعمره خمس وسبعون عاما، وكان آنئذ صائما في رمضان، ووصل عدد المعتقلين الى ٥٠ ألفا . ونسفت احياء كاملة في بعض القرى ونهبت البيوت ...

في أواخر سنة ١٩٣٨ وصلت الثورة الى القمة وسيطرت على البلاد ما عدا المدن الكبرى ورحلت اكثر العائلات الانكليزية عن فلسطين وبدأ المجاهدون يظهرون بين حين وآخر في المدن ، في جنين قتلوا حاكم المدينة العسكري في مكتبه الرسمي ولم تجرؤ الشرطة التي كانت تقوم بحراسة المحافظة من الاقتراب منهم ، وعندما خرجوا الى شوارع المدينة لم يستطع اي شرطي الاقتراب منهم ، وفي بئر السبع هاجموا سجن المدينة وحرروا السجناء مما سبب نقل حاكم المدينة الجنرال (ويفل) وتعيين الجنرال (هانبج) الذي عرف بفظائعه .

وامتدت الثورة الى شرق الاردن فوقعت معارك قريبا من اربد وعجلون وأخذ المناضلون يجيئون من البلدان المجاورة للاسهام في الثورة .

وحاول الانكليز خنق الثورة بكل الوسائل فما استطاعوا . لقد جاء الى فلسطين عدة قواد بريطانيون للقضاء عليها منهم (ويفل) و (ويلسون) خلال السنوات ٣٦ ـ ٣٩ .

وجاء البريطانيون بعد ذلك بالسير (تيجارت) المعروف بخبرته بالقضاء على الثورات الشعبية . ولما رأى هذا ان المساعدات الاساسية للثورة تأتي من سورية ولبنان وشرق الاردن ارتأى اغلاق الحدود بوضع الاسلاك الشائكة والالغام في المعابر الموجودة في المنطقة ، ولكن المجاهدين استطاعوا ازالة هذا (الجدار).

ووصلت حركة الدعم لقضيتنا في البلدان العربية الى الاوج ، وكثرت الاجتماعات في مصر ، فاجتمع في القاهرة مؤتمر نسائي عربي ارسل كتبا الى مختلف الحركات النسائية في العالم طالبا اليها نجدتنا كما وقع ١٧٠ نائبا مصريا من مختلف الاحزاب عريضة تدعو الحكومة لمساعداتنا ، واجتمع بعد ذلك مؤتمر برلماني من مختلف البلدان العربيةوالاسلامية اعلن تأييده المطلق لقضيتنا ومطالبنا .

وانتخب هذا المؤتمر وفدا مؤلفا من محمد علي علوبة باشا من مصر وشودري خليق الزمان وعبد الرحمن خليقي من مسلمي الهند فسافر الى لندن للدفاع عن قضيتنا .

ولجأ الانكليز الى وسائل مجردة عن كل خلق لايقاف الثورة فحاولوا ايجاد فرقة بين العرب منمسلمين ومسيحيين بأن دفعوا عملاءهم لتوزيع منشورات لهذا الغرض يهاجمون فيها المسيحيين، وعمدوا الى عدة جرائمقتل ليبرروا هذه الحملة فقتل المهندس ميشيل متري ـ وهو مسيحي ـ رئيس اتحاد العمال تنفيذا لذلك المخطط . ولكن وحدة الفلسطينيين كانت اقوى من أن تتأثر بهذه المؤامرات ، ولقد لقي قتلة السيد متري العقاب الذي يستحقون، ولقد كان على الثوار ان يدرسوا تفاصيل تلك المؤامرة للقضاء عليها ..

ذات صباح استقبلت شابا فلسطينيا كان يعمل ضابطا في المخابرات البريطانية في يافا ، استطاع ان يكسب ثقة رؤسائه البريطانيين . جاء الى بيروت بحجة المعالجة في مستشفى الجامعة الاميركية ، واحتال للخروج منه كي يأتي الي فيطلعني على ما يبيت الانكليز من جديد لفلسطين، ولقد وضحت، بفضل تلك الزيارة خططهم لدي. وهي تتلخص باستخدام كبار المجرمين للوصول لهذه الغاية . كان هؤلاء ينظمون في عصابات يخضع التسلسل فيها لعدد الجرائم فيقود اكثرهم جرما اقلهم . كان يخرجهم الانكليز من السجون بأعذار مختلفة ، ولقد تكررت في تلك الفترة حوادث الفرار من السجون . كانت السلطة تدفع لهم عدا الهدايا رواتب شهرية وتسلحهم . كان الضابط

الذي ذكرت نفسه مكلفا بتنظيم احدى تلك العصابات المؤلفة من ٢٠ رجـلا يقودهم مجرم معروف اسمه (ابو تجيـم)، وكان يحمل كل منهـم اوراقـا تساعده السلطات عند اللزوم واذنا بحمل السلاح ، وكانت تلك الجماعـات تقوم بنشاطها في الامكنة التي يكثر فيها المسيحيون وخاصة في جبال رام الله، وكانت اقوى تلك العصابات تتمركز في منطقة القدس .

قدم الي الضابط كل المعلومات الضرورية وخاصة اسماء المجرمين. في تلك الفترة هوجمت عدة قرى ونهبت مثل : (بيت جالا ، والطيبة ، وبئر زيت، وجفـنة) وغيرها ...

عندئذ أعطيت الاوامر لمنظماتنا للقضاء على تلك العصابات ، وحـمل عبد القادر الحسيني ، الذي كان يعالج في لبنان من الجراح الخطـيرة التي أصيب بها في معركة الخضر ، والتي قتل فيها ، سعيد العاص ، مسؤولية ذلك، فعاد سريعا الى فلسطين وهاجم الجماعات التي تعبث حول القدس وقضـى عليها ثم اتجه الى الجنوب لينهي العابثين بمنطقة رام الله فأخذ منهم اسلابهم واعادها لاصحابها ، وشكل محكمة عسكرية كي تقرر مصير من بقي منهـم حيـا ...

ارسلت الحكومة البريطانية (لجنة فنية) كي تدرس امكانية تنفيـذ التقسيم قاطعها العرب ، وبعد أن قامت بعدة زيارات في الاردن وفلسطين عادت الى انكلترا لتقدم تقريرها .

واعلنت الحكومة البريطانية ان مقاطعة العرب جعلت تنفيـذ التقسيم مستحيلا واقترحت عقد مؤتمر للحكومات العربية يمثل فيه اليهود والعـرب لايجاد حل للمشكلة الفلسطينية ... لقد سجلت الثورة انتصارا اذن .

وألقى وزير المستعمرات خطابا في مجلس العموم حول تقرير اللجنـة الفنية اعترف فيه بأهمية الثورة الفلسطينية واهدافها الوطنية ..

وجرت اتصالات بين الحكومة البريطانية والدول العربيـة ، مصر ،

السعودية ، العراق، اليمن ، الاردن ، من اجل تحقيق ذلك المؤتمر ، وتجاهل الانكليز اللجنة العربية العليا في الدعوة اليه والواقع ان المهم عندهم كان الا أساهم انا في المؤتمر ••

وكان ذلك شرفا لي ، لقد علمت انهم يخافون المقاومة التي أمثلها ، كان الفلسطينيون يريدون بأي ثمن ان تمثلهم اللجنة العربية العليا ، وان أكون انا الممثل في المؤتمر ، ولكنني اقنعتهم بتجاوز هذه النقطة فلم أكن اريد ان يكون شخصي مانعا من القيام بمحادثات قد تؤدي الى تنائج ايجابية •• ولقد قبلت في النهاية بقية شروط الفلسطينيين ••

ـ وما كانت تلك الشروط ؟

ـ اطلاق سراح الموقوفين وخاصة اولئك الذين كانوا في جزر سيشل وحرية الفلسطينيين بانتقاء ممثليهم ورفض عقد جلسة عامة يجلس فيها العرب الى اليهود حتى لا يكون مجال للحوار مع ممثلي الصهيونية • عندئذ عينت اللجنة العربية العليا ممثلي فلسطين•

لهذا رفضت الحوار مع الصهاينة !

لقد تبنت السياسة العربية والشعوب العربية موقف المفتي في عدمالحوار مع زعماء الصهيونية حتى غدا عقيدة • في سنة ١٩٣٣ قابل بن غوريون بعض الشخصيات العربية كي يقنعها بالوصول الى اتفاق ، فاقترح عليه هؤلاء ان يتحدث في ذلك مع الفلسطينيين وخاصة المفتي قائلين : (ان تقرير مصير فلسطين هو في يد الفلسطينيين) فاجاب بن غوريون •• (أنا مستعد لمقابلة الشيطان في سبيل الوصول الى هذا الهدف)• وعندما جاء رسول يرجو المفتي السماح لبن غوريون بمقابلة سماحته اجاب : (لست مستعدا لمقابلة الشيطان !•)•

وفي ذلك يقول المفتي :

ـ ان اساس موقفي مبني على رفض الحوار مع الصهيونية لان هـذا

الحوار معناه الاعتراف بحقها ببناء هذه الدولة والاعتراف بتمثيلها للشعب اليهودي وأرى ان اليهودية دين لا حزب سياسي • لقد استغلت الصهيونية معتقد اليهود الديني حتى تجرهم للقيام بأكبر مذبحة في التاريخ •• كنت اريد بأي ثمن ايقاف هذه المذبحة ولكنها تزداد مع مرور الزمن ••• ان اقتلاع شعب من وطنه يقتضي مقاومة هذا الشعب ••• هل وصل المخطط الصهيوني الى هدفه ؟ لا ••• انه ما زال في اول مراحله • لقد تساءلت دائما الى اية نتيجة يوصل الحوار ••• تهدئة النزاع ؟ وكيف ذلك ؟ انا اعرف ما يريدون ••• تهدئة المقاومة • في ٧٠ سنة لم يقل اي زعيم منهم ما هي الحدود التي تطالب بها اسرائيل • انهم عنيدون عازمون على تحقيق خطتهم • ولا ارى من فائدة للحوار • طوال النزال لم اجد نقطة واحدة يلتقي عليها الصهيونيون والعرب • لقد كان مؤتمر لندن اكبر مثال على ذلك ولقد انتهى الى الفشل ••

اصدرت الحكومة البريطانية بعد التداول مع الحكومة المصرية في ١٧ آيار سنة ١٩٣٧ كتابا ابيض يقضي بتأسيس حكومة فلسطينية مستقلة بعد عشر سنوات مشروطة باتفاق العرب واليهود ، توقع بعد قيامها معاهدة صداقة مع بريطانيا العظمى • ويقام مجلس تشريعي منتخب كما يقضي بفترة انتقال تسمح للفلسطينيين بتسلم الادارة شيئا فشيئا ويسمح لاخرمرة بدخول ٧٥٠٠٠مهاجر يهودي في خمس سنوات على ان لا يسمح بدخول غيرهم الا بموافقة العرب • كما أن القوانين الخاصة بانتقال الاراضي العربية ترسم حسب شروط المناطق المختلفة من فلسطين •

وزعت اللجنة العربية العليا بعد اعلان الكتاب الابيض بيانا تنتقد فيه السياسة البريطانية والاسس التي يقوم عليها هذا الكتاب • ورفضته الوكالة اليهودية زاعمة ان محتواه ينافي حقوق الشعب اليهودي (الطبيعة الخالدة) لفلسطين • واستمرت الثورة •••

الفصل الثامن

الهجرة من لبنان الى العراق



المفتي مع المجاهد ابراهيم ابو ديه في بيروت



يقول المفتي :

تأزمت الحال في صيف ١٩٣٩ في اوروبا ، وتقاربت فرنسا وبريطانيا ، وطلبت الاخيرة من فرنسا ان تتبع في سورية ولبنان سياسة ضدنا ، واخذت السلطات الفرنسية تراقب بدقة نشاط الفلسطينيين في سورية البلد الوحيد الذي كانوا يأتون منه بالذخيرة ، وأوقفت عددا منهم ومثلوا أمام المحاكم العسكرية ..

وفي شهر أيلول من تلك السنة ازداد الضغط الفرنسي، وألح الفرنسيون لتسليمي لهم ، واقيم معسكر اعتقال في تدمر وبكفيا كي يوضع فيه المجاهدون الموجودون في سورية ، ووضعت تحت مراقبة شديدة . وصدرت الاوامر من المخابرات الانكليزية التي كانت جد قوية في تلك الفترة بلبنان الى عملائها لمراقبة حركاتي وسكناتي فكانوا يتلصصون ليل نهار حول المنزل في (ذوق مكايل). كان هؤلاء العملاء من مختلف طبقات المجتمع من موظفي الامن العام حتى التجار الى الدعاة ...

ولقد كنت هدفا لعدة مؤامرات اغتيال اكتشفت في الوقت المناسب . سنة ١٩٣٦ مثلا اشترى الانكليز بعض الشراكسة في الاقصى وعندما اكتشف أمرهم وبلغ أهل قريتهم قضوا عليهم ..

وفي سنة ١٩٣٧ اكتشفت محاولة للغم البيت الذي اسكنه في ذوق مكايل .

ـ كيف استطعتم كشف هذه المخططات ؟

في البدء كانت تأتيني المعلومات من جهات مختلفة وبشكل عفوي . ان الشعب الذي يخوض معركة يقدم امكانات لا تحصى كان الناس يقدمون مختارين ما يصلون اليه من معلومات ، كان الشرطة الذين يعملون مع الانكليز يجدون وسيلة يوصلون فيها المعلومات التي تهم الثورة او تعني بشخصي..

قررت بعد ذلك أن انظم خدمات المتطوعين في تنظيم سريع لمقاومة التجسس، ولقد قدم لنا هذا التنظيم الكثير من الخدمات فقد توصلنا بواسطته الى معلومات هامة عن الهيئات العليا والاتصالات الجارية بين سلطات الانتداب الفرنسية والانكليزية ولقد علمنا بالوقت المناسب الخطة الفرنسية الرامية الى اعتقال اعضاء اللجنة العربية العليا في بكفيا والمجاهدين وضباطهم لنقلهم الى تدمر، فلقد علمنا الاسماء وكل ما يتعلق بهذه القضية ، وهكذا استطاع المعنيون التسرب الى تركيا والعراق والسعودية ...

وحدثت سنة ١٩٣٩ حادثة دفعتني الى اعداد الهرب . في اواخر ايلول من تلك السنة في الساعة الثانية والنصف صباحا هاجمت قوة من الامن العام بيتي في ذوق مكايل ، ولكن حرسي الخاص المكون من المجاهدين الفلسطينيين ومن المتطوعين من البلدة ـ جريا على العادة العربية التي تفرض المحافظة على الضيف ـ منع موظفي الامن العام من الوصول الى البيت . ولو لم استفق لاصطدم بعضهم ببعض . خرجت وسألت الضابط عما يريد فلما رآني اعتذر وانسحب مع القوة . فلقد ظن رؤساؤه اذ جاءتهم انباء مغلوطة اني تركت

لبنان في الخفاء وبالواقع كنت افكر جديا باعداد ذلك لان الانكليز كانوا يضغطون ضغطا شديدا على الفرنسيين لتسليمي.

كانت المراقبة الشديدة تجعل فراري في غاية الصعوبة ، فوضعت خطة دقيقة قررت تنفيذها في ٥ تشرين الاول ، ولكن حادثة صغيرة مضحكة اخرت ذلك . فقد دعاني سامي بك الصلح رئيس محكمة الجنايات ــ الذي اصبح فيما بعد رئيسا للوزراء ــ دعاني للعشاء في ٣ تشرين الاول ، كان المسيو برتران مدير الامن العام بين المدعوين وخلال المأدبة وجه السيد الصلح الي الكلام منتقدا موقف الفرنسيين تجاهي قائلا : (اننا نحن اللبنانيين نأسف لاننا لا نستطيع ان نقوم بالواجب نحوك وارى ان تسافر للعراق او مصر فهناك يقدم الشعب الواجب الذي تستحق).

لم يكن حتما على علم بنيتي ولكن كلماته كان من الممكن ان تنبه الامن العام ، واخذ مسيو برتران يدافع عن موقف السلطات الفرنسية نحوي التي أملتها اوضاع الحرب واظهرت من ناحيتي تفهما لوضعهم كي لا أثير الشكوك، وزيادة في الحذر أجلت موضوع السفر الى ١٣ تشرين الاول وعدلت الخطة.

في السادس من تشرين الاول دعاني الاستاذ فؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية السعودية للغداء في بيته في رأس بيروت وهنالك التقيت بالمسيو بالبرو الوزير المفوض في جدة وهو صديق قديم تعرفت عليه في القدس حيث كان يمثل فيها فرنسا وابدى لي رغبة بزيارتي في بيتي في ذوق مكايل، وقياما نحوه بالواجب ورغبة مني في اخفاء خطتي دعوت المدعوين الى الغداء في ٩ تشرين الاول ولكن الضرورات اقتضت سفر المسيو بالبرو الى دمشق فابلغني بواسطة السيد حمزة رغبته بتأجيل الغداء الى ١٥ تشرين الاول فوافقت وعندما علم في ١٣ نبأ هربي لم يصدق قائلا : (مستحيل فانا مدعو عنده في ١٥ منه). كانت المصادفة غريبة ان اترك بيروت في ١٣ تشرين الاول ١٩٣٩ ، تماما بعد عامين من خروجي من القدس ، وفي نفس الساعة ... لم يكن ذلك اختيارا اراديا مني ، ولكن الصدف هي التي حدثت وكنت مع ذلك متفائلا..

ولم يكن امر هذه الرحلة سهلا ، فقد كانت بيروت مركز قيادة الجنرال ويغان العامة قائد جيش الشرق. كانت حركة الجيوش مستمرة ...المصفحات، دوريات البوليس المدني والحربي وفوق ذلك الجواسيس الذين يراقبوتني... كان ذلك يجعل المهمة شاقة ، خاصة بعد فرار المجاهدين من معتقل تدمر ...

اخذ حراسي كما كان متفقا عليه يلهون الحرس الفرنسي بتقديم العشاء حينما غادرت المنزل من الباب الخلفي المطل على بستان نمت فيه اشجار باسقة، وكانت البيوت المجاورة يسكنها فلسطينيون من رفاقنا ، صعدت الجبل مع صديق لي حتى وصلنا الى سيارة تنتظرنا كي تنقلنا الى بيروت ، ومنها سلكنا الطريق الى دمشق فقطعناه دون اية حوادث .. وفي دمشق كانت تنتظرنا سيارة يقودها السيد محمد طبال من دير الزور يرافقه خبير وقد تعود كلاهما السفر في الصحراء السورية ، وما ان خرجنا من المدينة حتى اطلقت علينا النار، ولكن احدا منا لم يصب بسوء ذلك اننا لم ننتبه لاشارة الحرس بالتوقف . وقد سويت الحادثة بالحسنى .

بعد ساعة وصلنا الصحراء .. كانت تنتظرنا فيها مسافة ١٠٠٠ كيلومتر بين الرمال وكان علينا ان نبتعد عن الطريق المطروقة . وعن مراكز الهجانة ـ حرس الصحراء ـ والدوريات التي تمخر عباب الصحراء في مصفحاتها بحثا عن المهربين والمتسللين ، اقترح السائق على الدليل ان ينام قليلا كي يرتاح قائلا .. (انا أعرف جيدا هذه المنطقة) ومر كل شيء بسلام حتى لمحنا في الافق انوارا فقال السائق انها مضارب قبيلة بدوية يعرفها واتجه نحوها ولما وصلنا وجدنا انفسنا في خيام الهجانة يحيط بنا الجنود ، وقد رفعوا رشاشاتهم واخذ قائدهم وهو ايضا من دير الزور يحقق معنا . كانت تلك الليلة الاولى من رمضان . حاولت ان اقنع الرقيب صالح اننا تجار اغنام محاولين بهذه الصفة ان يتركنا وشأننا ولكنه عاند وقرر ان يأخذنا تحت الحراسة الى تدمر حتى نمثل امام السلطات المختصة ، ولقد قضينا الجزءالاكبر

من الليل في مناقشة لم تثمر ، ووجدت نفسي في موقف يقتضي ان ألعب الورقة الاخيرة واغامر بكل شيء ، فطلبت من الرقيب صالح ان يكلمني على حدة ؛ فقلت له : (انا محمد امين الحسيني)! فتراجع خطوة ذاهــــلا ••• أضفت : (اني راحل الى العــراق!) فقال لي بعد هنيهة تفكير : (انتـــم اذن صاحب السماحة •• كيف اسمح لنفسي ؟ انني اضع نفسي وجنودي ومستقبـلي في خدمتكم ••• بوسعكم ان تسافروا ••• اية خدمة استطيع ان اقدمها ؟)

ـ (اكبر خدمة ان تسمح بسفرنا •• رعاك الله)•

لن أنسى ابدا هذا الرجل الذي غامر بوظيفته وحياته من اجل انقاذي••

واتجهنا مع الفجر الى بغداد وقطعنا المسافات الشاسعة من الرمـــال مبتعدين عن كل حي وانا أذكر بيت الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى　　وصوت انسان فكدت اطــير


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل التاسع

المفتي في بغداد



فهمي سعيد
قبض عليه الانكليز



محمود سلمان
قائد الطيران



صلاح الدين الصباغ
القائد العسكري
لحرب العراق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كان العراق في تلك الاونة يتمتع باستقلال نسبي ، وكان اكثر البلدان العربية ملاءمة لقبول لجوء المفتي اليه (١)٠

يقول الحاج امين وهو يروي كيف وصل الى بغداد :

« وصلت بغداد في الخامس عشر من تشرين الاول سنة ١٩٣٩ وقد انهكني التعب ، وكنت بحاجة للنوم ٠٠ جاءني صديقي امين بك التميمي الذي وصل قبلي كي يجس النبض ـ فأكد لي حسن نية الحكومة العراقية ٠

في اليوم التالي قمت بزيارة رئيس الديوان الملكي رشيد عالي الكيلاني ، فاستقبلني استقبالا حارا فابديت له رغبتي بزيارة مجاملة للوصي الامير عبد الاله ، وبعد دقائق استقبلني سموه استقبالا جيدا وهتف الى رئيس وزرائه نوري السعيد كي ينبئه بقدومي ، فألح هذا على الامير كي يأتي بأسرع ما يمكن ، وبعد ان ودعت الامير شاكرا حسن لقياه ذهبت لزيارة رئيس الوزراء في مكتبه بالرئاسة ٠

بعد تناول عبارات التهنئة التقليدية اخذ يسألني اسئلة غريبة عن كيفية وصولي الى بغداد والطريق الذي سلكت الخ ...

كان يبدو انه يستغرب عدم معرفة السلطات العراقية بدخــولي الى ارضها وكان فوق ذلك يريد ان يعرف كيف سهلت السلطات الفرنسية دخولي العراق. فأكدت له انها لم تكن على علم بخطتي ولو علمت لمنعتني من وصولي الى بلاده . وبدا لي رغم عبارات الصداقة الحارة ان تعبير وجه رئيس الوزراء يفضح قلقه من وجودي في بلاده ... وكان وصل قبلي الى العراق ما ئتا مجاهد

(١) نجد من المفيد ان نذكر القارىء ببعض الاحداث التاريخية التي تبين الاوضاع التي كان عليها هذا البلد في الحرب العالمية الثانية والتي ادت بالمفتــي الى السفر الى المانيــا .

كان العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر محط اطماع انكلترا ولقد قــال اللورد كرسون :

(ان بغداد مرفا غير مباشر من مرافيء الخليج الفارسي ولا بد من ضمــها الى المنطقة الخاضعة للنفوذ البريطاني .)

وابان الحرب العالمية الاولى دخل الانكليز بغداد بعد معركة قاسية واعلن الجنرال مود قائلا : (جئنا محررين لا محتلين) . بعد ان انتهت الحرب استمر الانكليز باحتلال البلاد ، وفي ١٩٢٠ وضع العراق تحت الانتداب البريطاني فقامت على الاثر ثورة في تموز من تلك السنة كانت خسائر الانكليز فيها فادحة، ووقعت هدنة شكلت على اثرها حكومة وطنية برئاسة عبدالرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد ، وكلفت هذه الحكومة بالقيام بانتخابات مجلس تأسيسي والاشراف على استفتاء شعبي لانتخاب ملك . وكانت قراراتها خاضعة لموافقة المفوض السامي.

كان المرشحون للعرش اربعة . وبعد مفاوضات تم ترشيح الملك فيصــل الذي انزله الفرنسيون عن العرش بعد ان غلب في حربه معهم فاضعف ترشيحه الاخرين لان الملك فيصل كان يتمتع بشعبية كبرى في العراق فاعلنته الحكومة العراقية ملكا شريطة استفتاء الشعب الذي قامت به في ٢٣ آب ١٩٢١ وحصل بنتيجته على ٩٦٪ من الاصوات ، واصبح العراق ملكية دستورية ديمقراطية .

كانت سياسة الملك فيصل معروفة بكلمة : (خذ وطالب). في ١٠ تشرين اول سنة ١٩٢٢ وقعت اول معاهدة انكليزية عراقية اعطيت فيها بعض الاستقلال

فلسطيني فأظهر لهم الشعب والحكومة العراقية كرما عظيما ، فلقد كان شعب العراق اكثر الناس حماسا للقضية العربية .

ولقد انهالت علينا الدعوات من المنظمات الشعبية والهيئات الدينية ، فلم نقبل الا الدعوات الرسمية واعتذرنا عما عداها خاصة ما جاءنا من مختلف المدن العراقية ، فلقد قررنا حسب السياسة التي اختطيناها في البلدان العربية الاخرى ان لا نتدخل في المشاكل الداخلية ، وان نكرس جهدنا للبحث عن دعم القضية الفلسطينية ، ولم تكن تعنينا الخلافات السياسية المحلية ...

للعراق وكانت هذه المعاهدة هدف معارضة شديدة وانتقادات قاسية كان فيصل يشجعها ، وقد وافق البرلمان العراقي سنة ١٩٢٤ عليها .

سنة ١٩٢٥ حصلت بريطانيا على امتياز استغلال حقول البترول في الموصل لمدة ٧٥ سنة ، وقد جابه توقيع الاتفاق معارضة قوية في قلب البرلمان العراقي..

سنة ١٩٢٧ ذهب الملك فيصل في زيارة رسمية لانكلترا نجح فيها باقناع الحكومة البريطانية ، بتعديل بنود المعاهدة الانكليزية العراقية ، واقترحت معاهدة جديدة لم تعرض على البرلمان .

سنة ١٩٣٠ سمي نوري السعيد رئيسا للوزراء فقام بمفاوضات جديدة مع البريطانيين ووقع معاهدة جديدة في ١٠ حزيران ١٩٣٠ تلك هي خطوطها الكبرى :

« تعترف بريطانيا باستقلال العراق وتساعده كي يصبح عضوا في عصبة الامم ويساعد العراق بريطانيا في حالة الحرب في حماية خطوط مواصلاتها .. تحتفظ بريطانيا بقاعدتين عسكريتين في العراق ... تساعد بريطانيا العراق بمستشارين ـ كان يعني هذا البند عند المعارضة نوعا جديدا من السيطرة لان المستشارين كانوا يهيمنون هيمنة كاملة على الوزارات التي يقومون فيها على زعمهم بمهمة المستشارين ـ ان يكون رؤساء المحاكم من الانكليز . كما تساعد بريطانيا الجيش العراقي بتقديم الاسلحة والعون التقني له .

كانت مدة تلك المعاهدة خمس وعشرون عاما .

لم يرحب الشعب بتلك المعاهدة . وكانت بالنسبة للملك فيصل الاول خطوة ربحها العراق من الانكليز ، واستخدم نفوذه حتى صدقها البرلمان بعد ان

أثار وصولي لبغداد قلق الانكليز • لم يكن الوضع ملائما لهم فلقد كان العراقيون يحفظون لهم اكثر من كل العرب عدم وفائهم بعهودهم للشريف حسين ، ويحقدون عليهم من اجل تلاعبهم ابان الحرب العالمية الاولى وخاصة من اجل وعد بلفور ••• ولم يكن يخفى على العراقيين رغبتهم لان يخسر الانكليز الحرب وميلهم الى المحور ، ولقد استقبل الشعب في العراق قطع العلاقات الديبلوماسية مع المانيا في ١٣ ايلول ١٩٣٩ استقبالا سيئا فلقد كان يستلهم موقفه من المثل القائل : (عدو عدوك صديقك)• ولقد ازعج هذا

وعد المعارضة بان يطالب بتعديلها في مفاوضات قادمة بعد توقيع تلك ، وذلك ما حدث فعلا .

سنة ١٩٣٢ قامت ثورة آشورية شجعها الانكليز ، قضى عليها ولي العهد والجنرال بكر صدقي.

سنة ١٩٣٣ توفي الملك فيصل وخلفه ولي العهد غازي الاول الذي اصبح ملكا على العراق وعمره (٢١) عاما .

بين سنوات ١٩٣٣، ١٩٣٦ اوصلت المركة السياسية بين الاحزاب البلاد الى وضع صعب .

وفي ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ قام اول انقلاب عسكري في البلدان العربية ، فلقد انتهز بكر صدقي مناسبة المناورات السنوية وسار الى بغداد فاسقط الوزارة وطلب من الملك تعيين حكمت سليمان لرئاسة الوزارة وتسميته هو رئيسا للاركان ، وبعد قليل اغتيل بكر صدقي ... لقد جرب هذا حينما اصبح رجل العراق القوي ، رغم الفترة القصيرة ان يقوي الجيش العراقي بشراء اسلحة من بلاد المحور ، وسلك سياسة دعم لحركة المقاومة في سورية وللثورة الفلسطينية خاصة .

استطاع الملك غازي ان يكتسب حب الشعب ، ونعم بشعبية كبيرة في سورية وفلسطين وتوفي في ١٤ اذار سنة ١٩٣٩ في حادثة اصطدام سيارة ، وثارت شائعات كثيرة انه كان ضحية مؤامرة بريطانية قتل على اثرها المتظاهرون القنصل الانكليزي في الموصل وعين الامير عبد الإله وصيا على العرش فقد كان الملك فيصل الثاني نجل الملك غازي ذا اربع سنوات من عمره .

الشعب توقيف الالمان الموجودين في العراق من قبل السلطات العراقية وتسليمهم الى الانكليز ، وكانت اذاعة برلين التي اخذت تحظى بشعبية كبرى بين الشعب العراقي تساهم في تأليب الشعب على الانكليز ، وكانت تذكر بسطائب العراقيين باستقلال حقيقي وبمواقف الانكليز ، وتلح على خيانة الانكليز للعرب في الحرب العالمية الاولى وتحذر الشعب العربي من ان يستغل مرة اخرى ، وكانت تحلل المعاهدة الانكليزية العراقية واصفة اياها بسانها استعباد مستور وكانت هذه الاذاعة تلقى صدى كبيرا في قلب الجيش العراقي. وكان نوري السعيد يلح دون جدوى على ضرورة اعلان الحرب ضد المانيا الى جانب الانكليز حفظا لمصلحة العراق ، غير ان اجتهاده كان يلقى معارضة شديدة ...

وما كان وصولي لبغداد الا ليزيد في وضع الشعب العراقي العدائي للانكليز ، وكانت السفارة البريطانية ، وهي على قوة كبرى في ذلك الحين ، تتجسس على اتصالاتي وتعترض لدى الحكومة على أية فعالية من فعالياتي. فقد كان يكفي ان احضر حفلة ما حتى تعلن لومها . وكنت مراقبا بصورة دائمة ...

وقد علمت من صديقي أمين باشا العمري قائد الفرقة الاولى العراقية ان المستشار ادموند وهو من المهيمنين على وزارة الداخلية العراقية قد وضع خطة لاختطافي وتوقيفي خارج الحدود العراقية .

ولم تكن تلك المرة الاولى التي يقترف فيها الانكليز هذا العمل . فلقد اختطفوا سنة ١٩٢٠ ياسين باشا الهاشمي الذي كان رئيسا للمجلس التشريعي في عهد الملك فيصل الاول وجاءوا به الى معسكر صرفند الانكليزي.

كما انهم اختطفوا طالب باشا النقيب وزير الداخلية العراقي بعد ان دعته الانسة بيل ـ سكرتيرة الشؤون الشرقية لدى المفوض السامي ـ لتناول كأس من الشاي ، وعند خروجه اقتيد الى البصرة ومنها الى الهند حيث سجن.

ومع ذلك قرر امين باشا العمري والعقيد صلاح الدين الصباغ امر الفرقة

الثانية ارسال دورية عسكرية للحراسة في شارع الزهاوي حيث كنت اسكن .

ولقد كنت هدفا لمؤامرة من منظمة (ارغون) كلف فيها رئيس هذه المنظمة (راتسل) بنفسه ، وفي الواقع عندما اعلنت الارغون ايقاف نشاطها ضد الانكليز والتعاون معهم في الحرب ، وضعت كل اعضائها تحت تصرفهم، فكلفوا بمهمات خاصة ، وفي شهر ايار ١٩٤١وبعد اعلان الثورة العراقية،وصل راتسل مع بعض اعضاء منظمته للقيام باعمال التخريب وكانت مهمتهم تقتضي دخول بغداد متنكرين بثياب الاعراب ونسف مستودعات البترول واختطافي. يؤكد ذلك ريتشار كروسمان ما قلت لكم في كتابه : (أهي ميونيخ ثانية ؟)

اتهزت فرصة وجودي في بغداد فطلبت من السلطات العراقية ان تقوم بتدريب الفلسطينيين تدريبا عسكريا فدخل عدد كبير من هؤلاء في مدرسة ضباط الاحتياط وحصلوا على شهاداتها ».



كانت هناك معركة سياسية ضارية قسمت الاوساط السياسية وخاصة الجيش الى معسكرين يتجمعان حول رجلين هما نوري السعيد ورشيد عالي الكيلاني . ولقد كان الاول ميالا للانكليز يرى ان التعاون معهم في الحرب يوصل العراق في نهايتها الى حقوقه الوطنية وكان يؤكد ان الحلفاء سيحققون النصر النهائي رغم الظواهر الخادعة ، حسب رأيه ، التي تشير الى انتصار المانيا . اما رشيد عالي الكيلاني فكان يرى انه يستحيل الاعتماد على الانكليز الذين تسيطر الصهيونية على سياستهم ، وكان يذهب الى ان الالمان على عكسهم لم يسيئوا ابدا الى العرب ، وكان يذهب الى ان نصرهم مؤكد ولهذه الاسباب يتمسك بسياسة الحياد .



ويقول المفتي : « كان الموقف دقيقا في العراق واخذت الازمة تشتد، وبت اخشى صداما في قلب الجيش العراقي ، وفي شباط استقال نوري السعيد، وكان المرشح للرئاسة هو رشيد عالي الكيلاني..

وانشق زعماء الجيش فقد كان يرى بعضهم ضرورة مساهمة نـــوري السعيد في الوزارة مع طه الهاشمي بينما يرى القسم الاخر ابتعادهما ، وهدد القسمان باللجوء الى السلاح واعلنت الاحكام العرفية في معسكرات الرشيد والرشراش وباتت تكفي شرارة واحدة حتى يصطدم الطرفان في معركة ، وفي ليلة ١٨ شباط احيل رئيس اركان الجيش حسين فوزي باشا على التقاعـــد ومعه امين باشا العمري واعتذر رشيد عالي الكيلاني عن مهمة تأليف الوزارة وبقي نوري السعيد المرشح الوحيد لها .

في التاسع عشر من شباط زرت رشيد عالي الكيلاني فوجدت عنـــده بعض الزعماء العراقيين الذين كانوا يتناقشون في احداث الليلة الفائتـــة ..

وفي ذلك المساء زرت ايضا نوري السعيد ولما سألته عن اسباب استقالة وزارته السابقة قال لي:

لقد نصحنا الانكليز بتبديل الوزارة كل سنة لان عدد الطامحين الـــى الوزارة هو اكبر من عدد الحقائب وهم يزدادون مع الزمن ويحقدون عـــلى الوزارة لعدم وصولهم اليها والتغييرات وحدها تهدئهم لانها تعطيهم الامـــل بالوصول اليها ! ولم يخف علي عتابه لاني لم اساهم بحل المشكلة ، وعندما اجبته عن عزم الفلسطينيين على اتخاذ موقف الحياد ازاء المشاكل الخاصـــة بالعراق اجاب : (في الاحوال الحاضرة المشكلة عربية تهم كل عربي !) واتفقت معه على ان اقوم بواجبي لجمع الشمل والمساعدة لتأليف حكومة تآلف يختار الوصي على العرش رئيسها وكان يريد هو ان يوقع رؤساء الوزارة السابقون والزعماء السياسيون ميثاقا وطنيا يجمع جميع الاتجاهـــات لمجابهة حـــالة الحـــرب ».

في تلك الفترة كان الحاج امين الحسيني يتمتع بسمعة وطنية كبيرة مـــن جميع الاطراف ، فقد كان الرأي العام العربي بكامله الى جانبه بعدما لمـــس من مواقفه الوطنية الصلبة وتصديه للاعداء ، جميع الاعداء ومجابهتهم .

ويستطرد المفتي قائلا :

« قمت على الاثر بزيارات مختلفة وحدد موعدلاجتماع رؤساء الوزارات السابقين والزعماء السياسيين ، وقد وقعوا جميعا الميثاق المقترح من نـوري السعيد فحملته الى الامير الوصي.

وهكذا ألف رشيد عالي الكيلاني وزارته الاولى التي اعلنت الغـاء الاحكام العرفة واخرج من السجن رئيس الوزراء السابق حكمت سليمـان الموقوف منذ اغتيال بكر صدقي مع وزيرين اخرين هما صبيح نجيب وابراهيم كمال المتهمين بمؤامرة اغتيال الوزير رستم حيدر .

(طالب الانكليز بمرور جيوشهم وتمركزها في العراق وقطع العـلاقات الديبلوماسية مع ايطاليا ولم يخف الانكليز غضبهم وهم الذين لم يتعـودوا الرفض من المسؤولين العرب الرسميين وبدأت الاجهزة السرية بالتآمر ولعب في ذلك المستر دومفيل رئيس المخابرات في الجيش البريطاني المقيم في العراق اكبر دور وهو شخص التقيت به قبلا بفلسطين..

ـ لقد روى انه كان يلاحقك ؟

ـ كان شعوري كذلك ..

ـ ماذا كان منصبه في فلسطين ؟

ـ زارني مرتين في مكاتب المجلس الاسلامي الاعلى يصحبه مراسـلا للدايلي اكسبرس ، في المرة الاولى ألقى علي عدة اسئلةعن المشكلة الفلسطينية أجبت عليها كما اجيب أي صحفي.

وفي المرة الثانية جلس حد مكتبي ولاحظت كأنه يقرأ بعض الاوراق ، وأحسست كأنه يعرف العربية ، وذلك ماتأكدت منه فيما بعد ، فقد كـان يحسنها باللهجة العراقية ..

وفي المرة الثالثة جلس في مكتب سكرتير المؤتمر الاسلامي السيد جمال

الحسيني ينتظر الاذن بالدخول علي ، وانتهز فرصة غياب قصيرة من جمال فأخذ يقرأ في الملفات التي على المكتب ، وفاجأه جمال الحسيني على غير انتظار فافهمه اني ليس لدي الوقت لاستقباله .

وبعد ذلك بزمن طويل اي حين عودتي من المانيا جاء دومفيل كي يزورني في مكان اقامتي في القاهرة في حلمية الزيتون فقال لي :

نحن الانكليز نفهم دوافع عدائك لنا ونحترمها ونأخذ عليك فقط ذهابك الى المانيا وتعاونك مع الالمان .. فقلت له :

لو كنت انكليزيا لكان لكم الحق في ذلك ولكني لست كذلك . اني بصفتي عربيا يرزح وطنه تحت الاستعباد البريطاني رأيت من واجبي ان ألجأ لكل الوسائل التي تحرر ارضي . انتم تأخذون علي هذا الموقف على انه خطأ، اما انا فلا ارى فيه غير القيام بالواجب.)

وبعد ذلك ارسل في مهمة الى لبنان .

وفي سنة ١٩٥٠ عاد الى القاهرة بوضع يائس فقال لي احدهم انه يقيم في غرفة بائسة في اعلى بناية كبيرة ، وانه لم يكن يملك ثمن القهوة وانه عزل من مناصبه لحبه العرب حسب دعواه ورغبة في مساعدتهم . وعندما سمعت ذلك ذهبت افكاري الى ستيرلنغ .

ــ سترلنغ المشهور الذي جرح في محاولة اغتياله في دمشق ؟

ــ هو نفسه . عندما وصل الى حلب تقدم الى المرحوم سعد الله الجابري رئيس وزراء سورية آنئذ يطالب مساعدته وقد تظاهر وزوجته بالفقر فأعطى الرئيس السوري امره كي تعمل السيدة سترلينغ ممرضة في مستشفى حلب لكي تقوم باودها ، وعندما اكتشفت صلات ستيرلنغ السرية رحل الى دمشق واذا به يتمتع بالثروة ويتصل بمشايخ البدو ويثيرهم ضد الحكم السوري، وانتهت مهمته بالمحاولة التي تحدثتم عنها ..

ـ ماذا كانت مهمة دومفيل في العراق حسب رأيكم سنة ١٩٤٠ ؟

كان مكلفا بكسب العراق الى جانب الانكليز حتى اذا لم ينجح اعـد لاحتلال بريطانيا للعراق...

* * *

واستطرد المفتي قائلا :

عاد بعد قليل الراغبون بالتعاون مع الانكليز والحياديون الى الصدام، وثارت شائعات تقول بهجوم انكليزي على العراق ، ولقد اكدت صحة تـلك الشائعات تصريحات المستر تشرشل سنة ١٩٤١ حين اعلن انه كان يود ارسال قوة في حزيران ١٩٤٠ ولكن الفشل في جبهته في ليبيا اخر التنفيذ ..

كان الانكليز يريدون استخدام العراق في الحـــرب لاهمية مركــزه الاستراتيجي .

عندما زار المستر ايدن القاهرة سنة ١٩٤١ قدم لوزير خارجية العراق توفيق السويدي المطاليب التالية :

ـ قطع العلاقات الديلوماسية مع بلدان المحور .

٢ ـ حرية مرور الجيوش الانكليزية في العراق وتمركزها في المكان الذي تراه ضروريا لمتابعة العمليات العسكرية .

٣ ـ ارسال فرقتين عراقيتين لشمال افريقيا للمساهمة بالحرب ضـــد المحـــور .

واضاف ان وضع الضباط العراقيين يبعث على القلق ... لم يستطـع الانكليز ان يدركوا الدوافع التي تحرك اولئك الضباط، اما انا فكنت افهمها، وكيف يمكن لضباط مؤمنين بالوحدة العربية خدعتهم السياسة البريطانيـة عشرين عاما ان يقاتلوا الى جانب جيوشها ؟ لم يكن يهمهم ان تنتصر بريطانيا

فما كانوا يرون في مثل هذا النصر غير استمرار للاستعباد البريطاني لامتهم التي يجب ان يدافعوا عن حياضها اولا ... لقد جمعتني مع اكثرهم صداقات قديمة متنها الزمن ، فقد كنا زملاء سلاح في الفرقة ٤٦ ، وقد كنت مع العقيد محمد سلمان في نفس الكتيبة ، ولقد وجدت عندما التقيت بهم عام ١٩٣٩ان الافكار التي ألفت بيننا قد انغرست اعمق مع الزمن ... فلقد تضاعف حماسهم الوطني . كانوا يبحثون عن رجل سياسي يقودهم ، ولقد لقبهم الانكليز (بالمربع الذهبي) اتفقوا أول ما اتفقوا نوري السعيد فلما اختلفوا معه التفوا حول طه باشاالهاشمي وعندما يئسوا ايضا منه اتحدوا مع رشيد عالي الكيلاني الذي كان يؤمن بنفس افكارهم ، كانوا متفقين جميعا على تجنيب العراق مغبة الحرب والاحتفاظ بالقوة المسلحة لخدمة قضية الوطن .

وعقد اجتماع على جانب عظيم من الاهمية عند العقيد محمد سلمان قائد الطيران حضرته مع زميلين من زملاء الفرقة ٤٦ هما العقيدان فهمي سعيد وصلاح الدين الصباغ ، وبعد مناقشة طويلة للوضع اتخذوا القرارات التالية:

١ ــ تطبيق المعاهدة العراقية الانكليزية بدقة والمحافظة على الحياد بين المتحاربين .

٢ ــ عدم التحرش ببريطانيا او ببلاد المحورالتي كانتفي اوجانتصاراتها.

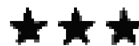
٣ ــ زيادة عدد وطاقة الجيش بالسلاح وتجنيبه مخاطرالحرب .

٤ ــ تحاشي الاشتراك بالحرب بأي ثمن والسهر على عدم اراقةالدماء العربية في سبيل بريطانيا التي لا يبشر نصرها بخير للعرب ونتائج الحرب العالمية الكبرى اثبتت ان البريطانيين ليسوا مستعدين ان يقوموا بالتزاماتهم وخاصة تجاه فلسطين .

٥ ــ مراقبة تطور الحرب لانتهاز الفرصة التي تخدم مصالح الامة

العربية ، فاذا اعلنت اليابان والاتحاد السوفياتي الحرب على انكلترا واستمرت هذه على موقفها العدائي للعرب ، اضطر العرب جميعا لحمل السلاح ضدها.

٦ ـ اذا حانت هذه الفرصة تعلن الثورة اولا في فلسطين كما اعلنت سنة ١٩١٦ في مكة والحجاز فتكون بداية انطلاق ثورة عربية كبرى تحرر فلسطين اولا والبلدان العربية الاخرى من الاحتلال الانكليزي والصهيونية .



١٠٣٩

لهذا فشلت ثورة العراق !

يقول المفتي :

اشتدت حملة السفارة البريطانية ضدي في بغداد وواصلت ارسال كتب الاحتجاج ضدي للمسؤولين العراقيين ، فعرض علي نوري السعيد بكل لباقة ــ قبل استقالته ــ ان أقوم بزيارة للولايات المتحدة تستهدف العمل لكسب الرأي العام فيها واقناع المسؤولين الاميركيين بعدالة قضيتنا ، ولما بينت لــه صعوبة القيام بهذا المشروع عرض علي وساطته لتسهيل مهمتي. في ربيع١٩٤١ زار المسيو دونافان مبعوث الرئيس روزفلت البلاد العربية يدعوها لمساعدة بريطانيا وعلمت من وزير خارجية العراق انه يريد ان يراني ، ولقد علمت منه خلال الحديث ان هدف رحلته مقابلة الزعماء العرب يكي ينقل لهم رغبة الرئيس الاميركي الذي كان يرى تأجيل المطاليب العربية حتى نهاية الحرب زاعما ان فترة الأزمة ليست الفترة التي تختار لخلق الصعاب فأجبته : (ان انكلتــرا ليست مستعدة في الحرب او السلم ان تلبي مطالبنا العادلة والعرب مصممون على نيل حقوقهم مهما كانت الظروف ..)



بلغت انتصارات المانيا القمة وأخذت تثير حماسا كبيرا وعطفا متزايدا من العرب واخذ هؤلاء يعلقون املا كبيرا للوصول الى امانيهم وازداد كرههم لبريطانيا واصدقائها ..

وهنا يستطرد المفتي قائلا :

بعد ان عاد نوري السعيد من رحلته للقاهرة وقد كان وزيرا للخارجية في وزارة الكيلاني ، أطلعني على المحادثات التي قام بها مع الشخصيات البريطانية العسكرية والمدنية وخاصة الجنرال ويفل واللورد كيلرن ـ سفير بريطانيا في القاهرة ـ وقال لي : (تصحني العسكريون بمقابلة المدنيين ولم يستطع هؤلاء ان يعطوا اي جواب عن المشاكل العربية ، فقد كانوا جميعا في فوضى وقلق سببتها الغارات الالمانية على لندن)، دام الحديث طويلا وقد وجدت فيه خيبة امل كبيرة ..

قال لي: (لماذا لا ننضم من جديد الى تركيا؟) قلت له ان تركيا اليوم ليست تركيا الامس الاسلامية فلقد قطعت كل العلاقات التي تربطنا بها فهي تزعم انها جزء من اوروبا وانكرت علاقتها بالاسلام مبرر وجودها .)

بدت لي فكرته غريبة وهو الذي كان اول الذين تركوا الجيش التركي في الحرب العالمية الاولى كي يلتحق بثورة الشريف حسين ، والذي قامت سمعته على هذا الموقف يفكر بان يمحو الماضي ليعيد وحدة انتهت منذ عشرين عاما ! كان يفكر بطريقة خاصة به . لقد كانت واقعيته تحجب عنه رؤيا المستقبل ، وما كان يرى امكانية نهضة عربية دون مساعدة خارجية ، وبعد أن خاب امله بالانكليز اخذ يفكر بدعم آخر . كان خطأ سياسته انها تعتمد على الربح السياسي الذي تقدمه فرص الخلافات بين الدول العظمى دون ان يعطي الدور الاول للشعب ..

زارني بعد ذلك بقليل طه باشا الهاشمي ولمح الى ضرورة الاتصال بألمانيا من خلال المنظمات الفلسطينية ، وكان يرى انه من غير الملائم ان تقوم بذلك دولة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة واضاف قائلا : (ذلك هو ايضا رأي نوري

السعيد وهو يود لو تقوم انت بالمبادرة) قلت له: (نحن الفلسطينيين لا نملك الوسائل لذلك .) ذلك ان بعض الداعين الى التعاون مع الالمان ما كانوا يحظون بثقة الوطنيين.

تفاقمت الازمة بين الداعين للتعاون من السياسيين مع انكلترا ، وبين الزعماء الوطنيين الراغبين في الحياد .

في تلك الفترة جاء الكولونيل نيوكمب ، رفيق لورنس خلال ثورة الشريف حسين الى بغداد موفدا من قبل اللورد لويد وزير المستعمرات البريطاني ليتصل بالزعماء العراقيين والفلسطينيين والتحدث معهم عن المشاكل التي تعنيهم وخاصة المسألة الفلسطينية .

دعاني نوري السعيد بعد ان استقبله ، لزيارته مع بعض اعضاء اللجنة العربية العليا للمناقشة في مهمة نيوكمب التي تتلخص فيما يلي :

١ ـ اعلان الفلسطينيين موافقتهم على محتوى الكتاب الابيض .

٢ ـ التعاون مع بريطانيا على أساس السياسة المنصوص عليها في ذلك الكتاب الابيض .

بعد ذلك الاجتماع مع نوري السعيد رفضت رؤية نيوكمب مرة ثانية علما مني بان مهمته ليست سوى حيلة ، ولعدة اسباب ... اولها ان انكلترا أثبتت انها غير قادرة على تنفيذ سياسة الكتاب الابيض . والثاني ان التعاون بينها وبين الصهيونية لم يكن يوما اشد منه في تلك الفترة ، وكانت الاخبار التي تأتيني من فلسطين تؤيد ذلك ، وقد اذاع راديو برلين خبر تشكيل الفيلق اليهودي وكانت بريطانيا تستخدم الصهيونية لجر الولايات المتحدة للحرب ضد المانيا . وكان تقديري انه ما ينبغي ان نضيع وقتنا في آمال لا طائل تحتها، وفضلت العمل لتشجيع الاخوان العراقيين على توحيد العرب بدل اضاعة الوقت في التفكير بالتعاون او عدم التعاون مع الانكليز . وما كان بوسعنا ان نملي شروطنا ما دمنا ضعافا .. كانت الاوساط السياسية العراقية تتحدث

عن الوحدة العربية ، ولكن كيف الوصول اليها ؟ ومع اي بلد تبدأ المحاولة؟ تلك كانت هي الاسئلة المطروحة ..

اقترحت خطة لتحقيق الوحدة بين السعودية والعراق . كان واجبا قبل كل شيء ان نسوي الخلافات القائمة بين البلدين حول القبائل البدوية التي تقطن البلدين حسب الفصول .. كان يرى بعض العراقيين ان ظروف الحرب لا تسمح بهذا الجهد الوحدوي .

ألحيت على ضرورة الاتصال بالسعوديين معتمدا على الحديث الذي دار بيني وبين الملك عبد العزيز سنة ١٩٣٧ ، وكنت موقنا انه من الذين يتمسكون بوعدهم وابلغت رأيي لرئيس الوزراء وطه باشا الهاشمي اللذان سهلا مهمتي عند الامير الوصي وباقي الوزراء ، وبفضل هذه الجهود ذهب وفد الى جلالة العاهل السعودي . وعقد اتفاق وتحسن الجو بين البلدين ...

كان الانكليز قلقين لهذا النشاط ، واخذت اجهزتهم السرية تبدي نشاطا عظيما.قال لي بعض اعضاء الوفد انهم لاحظوا وجود المستر دومفيل في الطائرة فلقد اندس بين طاقم الطائرة ، وهكذا كان المسؤولون العراقيون يعملون مكشوفين دون القدرة على الاحتفاظ بأي سر ..

خلال الاحاديث التي جرت بيني وبين طه باشا الهاشمي ابدى لي قلقه من هذه الناحية . قلت له : (وجهاز مكافحة التجسس ماذا يفعل ؟) فأثار جوابه دهشتي : (ليس لدينا مثل هذا الجهاز . اننا نرفض ان نقتدي بالسلطان عبد الحميد فنحن لا نريد التجسس على الناس ...)

قلت له : (ولكني لا اتحدث عن التجسس على المواطنين وانما عن مكافحة التجسس .)

وما كان يجهل فوق ذلك طه باشا ان المستر ادموندس مستشار وزارة الداخلية ثم مستشار الداخلية والخارجية المعروف بعدائه للعرب ــ كان يوقع بين العرب والاكراد ــ كان يشرف على كل فعاليات العراق بأجهزته ..

قلت له : (تأخذ على السلطان عبد الحميد تنظيمه اجهزة سرية ! ارى من جهتي ان ذلك دليل ذكاء ومهارة ، فقد كان يكافح لسلامة الدولة ضد اجهزة الدول الكبرى • هل تنسى ان الحلفاء كانت لهم اجهزة للدفاع عن الدولة •• تذكر ان الرسول ثمه كانت له عيون ترقب حركات العدو •••)

بعد ان اقتنع برأيي ابلغني فيما بعد انه خصص مبلغ الفي دينار من ميزانية الدفاع لتأسيس مكافحة التجسس ، لقد اقنعته بالواقع ولكني اظن انه لم يقدر الموضوع حق قدره ••• كان المبلغ ضئيلا ••• لقد اضطررت للاتصال بمسؤولين اخرين من اجل اقامة هذا الجهاز•••

كان العراقيون يهتمون ايضا بتسليح الجيش العراقي • من هذه الناحية لم يطبق الانكليز نصوص المعاهدة الانكليزية العراقية •

كان العراقيون منذ ١٩٣٦ يبحثون عن السلاح واعداد جيشهم ، ولقد اشترى بكر صدقي قبل اغتياله كمية من السلاح من المانيا • وعندما يئس العراقيون من الانكليز التفتوا الى الولايات المتحدة التي باعتهم بعض الطائرات ولكنهم اكتشفوا ان تلك لطائرات لم تكن مجهزة بالسلاح والعتاد ، فلا هي صالحة للسلم ولا للحرب ••

وكان لدى الجيش العراقي معملان صغيران للذخيرة (استعارهما) الانكليز طيلة مدة الحرب ••• كان سهلا ان نعرف نية بريطانيا • كانت تريد جر العراق باي ثمن الى الحرب دون ان تهتم بمصلحة العرب ••• كان الانكليز يريدون استخدام الارض العراقية وكأنها مستعمرة ليس لشعبها الحق في السهر على مصالحه وجر العراق الى الحرب لخدمة بريطانيا فقط • كانوا يتعللون بالديمقراطية والحرية بينما يخضع اكثر شعبنا للنير البريطاني عدا عن وعد بلفور الذي نرزح تحت عبئه • كان السفير البريطاني المير (بازل نيوتن) يريد توجيه السياسة العراقية ويتدخل حتى في تفاصيل تلك السياسة • وكان يستهدف اسقاط وزارة رشيد عالي الكيلاني ، فاستقال منها عدة وزراء •• واستغرب المسؤولون العراقيون سفر الامير الوصي المفاجيء الذي ترك بغداد

الى الديوانية في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٤١ وهكذا أكرهت الوزارة الكيلانية على الاستقالة والف الوزارة طه باشا الهاشمي ، وطالب الانكليز بتبديل قادة الجيش فاستقالت ايضا وزارة الهاشمي ، وفي ٣ نيسان هرب الوصي مرة ثانية في قارب بخاري الى الدورة واستقل منها سيارة اوصلته الى الحبانية واستقل من هناك طائرة الى البصرة ولجأ هناك الى الباخرة الحربية الانكليزية (كوك سبير) في ٤ نيسان ..

عندئذ ألف السيد رشيد عالي الكيلاني وزارة دفاع وطني ودعا البرلمان الى اجتماع في ١٠ نيسان ، وعين الامير الشريف شرف وصيا ..

واشتد النزاع بين انصار الحكم الماضي وبين الوطنيين الحياديين ..

في الثامن من نيسان امر تشرشل ان ترسل فرقة هندية للبصرة بحجة التحاقها بالقوات البريطانية في جبهة شمالي افريقيا وعارض الجنرال ويفل الذي رأى قواته تتبعثر في مناطق واسعة وما كان يرغب في ان تقوم قواته بمعركة لا فائدة منها .. فأرسل له تشرشل برقية وضعته امام الامر الواقع : (نحن بحاجة لقاعدة البصرة كي نحافظ على بترول ايران).

قلقت الحكومة العراقية من جراء ذلك ، فاعترضت وحاول الانكليز تطمينها مؤكدين لها ان هذه القوة لن تقيم في العراق ، وانها ستغادر في فترة أيام ثمانية .

وعين في العراق سفير انكليزي جديد هو المستر كورنواليس .

زارني آنئذ الاستاذ جورج انطونيوس « المفكر العربي المعروف ومؤلف كتاب يقظة العرب » ليحذرني من فداحة الموقف ، وطلب مني ان أتوسط له كي يقابل السيد الكيلاني فذهبنا معا لرؤيته . واتفقنا معه رغبتنا في تجنيب العراق صداما مسلحا على السماح بمرور الفرقة الانكليزية خلال ايام ثمانية واعلنت السفارة الانكليزية مضمون هذا الاتفاق وتعهدها بتنفيذ بنوده ، وفي ١٧ ، ١٨ نيسان نزلت الفرقة الهندية في البصرة ولكنها لم تتحرك منها ، فطلبت

اليها السلطات العراقية مغادرتها حسب الاتفاق المذكور ونصوص المعاهدة العراقية البريطانية ، وجوابا على ذلك جاء الانكليز بفرقة ثانية للمدينة في ٢٩ نيسان ، ورغم اعتراض العراق احتلت القوات الانكليزية البصرة وعينت لها حاكما عسكريا ودعمت قواها في الحبانية ـ المطار الواقع على بعد ٨٠ كلم من بغداد ـ بقوة مصفحة . كانت شكوكنا وتنبؤاتنا حول السياسةالبريطانية اذن صحيحة ..

في تلك الفترة وصلت الدعاية الالمانية الى الاوج. واخذ المسؤولون العراقيون يطلبون مني ايجاد اتصال مع الالمان . ولم لا ؟ لقد كان شعبنا خاضعا للاستعباد الانكليزي لا الالماني ، ولقد ابدى الالمان منذ عهد السلطان عبد الحميد عواطف الصداقة ، ولقد كان هتلر يتمتع بشعبية عظيمة .

لقد اكدت لنا الدراسة الدقيقة التي قمنا بها للوضع انه آخذ بالتدهور فقررنا الاتصال السري بالالمان ، فاقترحت على احد معاوني الامناء وهو سكرتيري الخاص الاستاذ عثمان حداد ان يقوم بذلك الاتصال الاول . وهو من اهل طرابلس التحق بنا منذ بدايات النضال وابدى غيرة واخلاصا للقضية العربية ، وكان آنئذ يعيش معنا في بغداد وكان يعرف لغات كثيرة ، واعطي جواز سفر عراقي وكتب الاعتماد اللازمة ورسائل في غاية الاهمية منها رسالة لهتلر ، فسافر في بداية ١٩٤١ الى تركيا حيث قابل فون بابن .. لقد ذكرنا في الرسائل التي أرسلناها النقط التي حددنا بموجبها التعاون مع الالمان ..

١ ـ الاعتراف الرسمي من قبل دول المحور بالبلدان العربية المستقلة.. مصر ، السعودية ، العراق ، اليمن .

٢ ـ الاعتراف بحق البلدان العربية الخاضعة للانتداب ـ سورية، لبنان ، فلسطين ، الاردن ـ بالاستقلال .

٣ ـ الاعتراف بحق البلدان العربية الخاضعة للاستعمار الانكليزي بالاستقلال .. السودان ، البحرين ، الكويت ، عمان ، مسقط ، قطر ، حضرموت ، امارات الخليج العربي.

٤ ـ اعادة عدن وبقية الاقسام المنفصلة عن اليمن والتي يستعمرها الانكليز .

٥ ـ الاعلان من قبل دول المحور انها لا تطمع بمصر والسودان .

٦ ـ الاعتراف بحق العرب بالوحدة استجابة لآمال الشعب .

٧ ـ الاعتراف بحق العرب بالغاء الوطن القومي اليهودي واعلان المحور بعدم الاعتراف به .

واتصل فون باين ببرلين التي اعلنت استعدادها لاستقبال الاستاذ حداد مقابل هذا بعد وصوله برلين بمساعدة صديقي الكبير الامير شكيب ارسلان، من قبل الهر فابنسكر امين عام وزارة الخارجية الالمانية والهر ميلتشرز مدير الدائرة الشرقية في الوزارة .

فتلقيت والسيد رشيد عالي الكيلاني هذه الرسالة :

وزارة الخارجية الالمانية

برلين في ٣ نيسان ١٩٤١

تلقى الفوهرر رسالتكم المؤرخة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤١ التي ارسلت بواسطة سكرتيركم الخاص ...

لقد اهتم كثيرا بالتفاصيل المتعلقة بالكفاح العربي وحظيت باهتمامه، وهو يشكركم لبادرة الصداقة التي ابديتموها باسمكم واسم الشعب العربي.

ان الفوهرر ينتهز هذه الفرصة ليعلن لكم تمنياته ، ويشكركم بلسان وزير خارجية الرايخ الثالث الهر فون روبنتروب وهو راغب في المساعدة لنجاح الجهود التي تقومون بها من اجل القضية العربية .

وبما انكم تودون معرفة سياسة المانيا التي تتبعها بالنسبة للقضيةالعربية فانا مفوض بان أنقل اليكم ما يلي:

ان المانيا لم تحتل ابدا ارضا عربية وليست في نيتها ان تضم لها اي جزء من البلدان العربية ، انها ترى ان الشعب العربي الذي أبدع حضارة كبرى

وأثبت مقدرته في الادارة والكفاءة العسكرية ، أن المانيا تعترف بناء على ذلك باستقلال البلدان العربية المستقلة وحق غير المستقل منها بالاستقلال ..

ان الشعبين الالماني والعربي متفقان على الكفاح ضد العدو المشترك الانكليز واليهود . ان المانيا مستعدة للتعاون معكم وان تقدم لكم حسب طاقتها المساعدة العسكرية الضرورية في حالة اضطراركم لاعلان الحرب على الانكليز والوصول الى اهدافكم . وبناء على صداقة المانيا للشعب العربي ومن اجل تحقيق الرغبة التي ابديتموها بواسطة سكرتيركم الخاص انا مكلف بان انقل اليكم ما يلي:

ان المانيا مستعدة في الحال لتقديم العون العسكري ودعم الشعب العربي في حرب قد تقع مع انكلترا اذا مكنتها وسائل المواصلات من نقل هذه المساعدات .

وانصحكم بان ترسلوا من جديد الى المانيا سكرتيركم الخاص كي يتمكن من البحث في التفاصيل المتعلقة بتعاون الصداقة القائم بيننا او بان ترسلوا رسولا آخر ، اذا لم تسمح الظروف بعودة الاستاذ حداد .

وارجو بقاء هذه الرسالة سرية ، لقد جرى الاتصال اللازم بالحكومة الايطالية التي وافقت على مضمونها . وسينقل لكم سكرتيركم الخاص عن باقي انطباعاته وبوسعه ان ينقل لكم تأكده من نصر المحور المحقق ومن حتمية انكسار انكلترا ..

وارجو ان تكلل جهودكم بالنجاح واهنئكم للقرار الذي اتخذتموه لخدمة القضية العربية .

المخلص لكم

هير فون فايتسكر

امين عام وزارة الخارجية الالمانية

ثم جرى اتصال آخر قام به مع السفارة الالمانية في انقره الوزير العراقي ناجي شوكت الذي اعلن فيه ان وضع العراق الدفاعي هو جيد وطلب فيه عونا بالطيران والاسلحة المضادة للطيران والمدافع ضد الدرع .



الفصـــل
العاشـر

بداية التعاون مع المانيا



الدكتور فريتز غروبـــا
وزير المانيا المفوض في العراق ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ ، ثم في مايس ١٩٤١

(تكل الانكليز مرة اخرى بوعودهم)..

في اول ايار التقطت المخابرات العراقية البرقية التالية : (سيخطب المستر بللي المس كورنواليس غدا)، انكلمة يخطب لا يمكن ان يفهم منها الخطوبة ، فالمستر بللي مفتش البريد كان بعيدا عن مثل ذلك وفهم من ذلك العراقيون العسكريون ان العمليات الحربية تبدأ في ٢ من ذاك الشهر ..

وفي الواقع ضرب الطيران الانكليزي القوات العراقية المتمركزة على بعد ٢٥ كم من قاعدة الحبانية ، وعند ذلك عزم العراقيون على الدفاع عن انفسهم، واتصلوا ببرلين لاعادة العلاقات الديبلوماسية مع المانيا مبدين الرغبة بعودة « فريتش غروبا » ممثلا لالمانيا في بغداد .

★ ★ ★

كان كروبا المثيل الالماني للورانس . عين سنة ١٩٣٢ وزيرا مفوضا في بغداد والسعودية بعد ان كان قائما بالاعمال ــ كان التمثيل على هذا المستوى

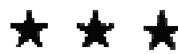
بين المانيا وهذين البلدين ـ ولقد كان صديق الشخصيات العربية الكبرى من الملك فيصل الاول حتى الملك غازي الى الملك عبد العزيز آل سعود، وكل الرؤساء للوزارات العراقية المتعاقبين، ومن عدد كبير من الوزراء، وكان المفتي قد التقى به عقب حل اللجنة العربية العليا في ١ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ بواسطة القنصل الالماني في القدس ..

كان القلق الذي احدثته السياسة البريطانية لدى الشعب فرصة الساسة العرب كي يربحوا الرأي العام العراقي الى جانب المانيا .

لقد استطاع بكر صدقي بفضل صديقه غروبا الذي كان يزوره يوميا شراء اسلحة المانية وجلب اختصاصيين ألمان ..

كان بكر صدقي يخشى وقوع صدام مع الانكليز واحتلالهم بغداد فقرر ـ في هذه الحال ـ متابعة الحرب في المناطق الجبلية في شمال العراق ، وعلى ذلك طلب من صديقه غروبا ان يأتي بخبير عسكري الماني يضع لهمخططا لهذا الاحتمال . فوصل الكولونيل الالماني هاينتر شخصيا بصفة عالم اثار فدرس مكان العمليات ووضع لبكر صدقي خطة مفصلة هيأت بدقة .

عند قطع العلاقات الديبلوماسية رجع فريتز غروبا الى المانيا وحل ضيفا على رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني .



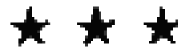
ـ ماذا كنتم تتوقعون صاحب السماحة بالنسبة للعزم على الدفاع المشروع ؟

ـ كان تفاؤلي اقوى من كل شعور آخر . في مثل هذه الظروف لا ادع الصعوبات تسيطر علي .. اري النصر مهما كانت فرصته قليلة فاندفع للعمل في سبيل النصر ..



وبالواقع كان الوحيد الذي يوحي بالامل بين المسؤولين الذين ضعضعتهم الاحـداث ..

كان كبار الضباط وابناء الشعب يجيئون اليه للتوجيه . كان بالفعـل روح المقاومة ...



ويقول المفتي :

في المعارك التي حدثت في يومي ٣، ٥ ايار عانى الجيش العراقي خسائر كبيرة اضطرته للانسحاب من الفلوجة والتمركز في الرمادي وبقي مع ذلـك جسر الفلوجة بيديه ، وكان مستحيلا على الدبابات البريطانية ان تتقدم لان العراقيين كانوا يستطيعون اغراق الارض بالماء وما كان الجيش العراقي قادرا على احتلال الحبانية لانه لم يكن يملك مدافع ضد الدرع والطيران. احتل العراقيون عدة محطات لشركة الاي بي سي وما كان ينقصهم البترول .

اندفع المتطوعون الفلسطينيون وبعضهم كان يتدرب في الكلية الحربية العراقية للدفاع عن قلعة الرطبة ليقطعوا الطريق على الجيش الانكليزي المرابط في الاردن وعلى القوات الاردنية ...

(في الثاني عشر من ايار وفي اجتماع حضره الرئيس الكيلاني والجنرال امين زكي باشا رئيس الاركان وفريتز غروبا ، وحضرته انا ، عرض علينا العقيد الصباغ حاكم بغداد العسكري الموقف الحربي على الخارطـة ، واضاف ان القوات العراقية تستطيع لو كانت لديها الطائرات ووسائل الدفاع ضد الدرع والطيران ان تحتل الحبانية ، فعرض غروبا على العراقيين ان يأتـوا بالجنرال فيلمي من ألمانيا وهو الذي خدم في الحرب العالمية الاولى في سيناء مع الاتراك بصفة مستشار لوزارة الدفاع العراقية فاجابه العقيد الصباغ : (نحن لا نثور ضد الانكليز كي يحل محلهم الالمان ..) فأجابه غروبا : (ليس لكم مـا تخشون من تعيين فيلمي فهو سيكون قائدا للقوات الالمانية في العراق فيرتدي

البزة الالمانية ويقبض راتبه من الحكومة الالمانية ويقدم لكم النصح ٠٠)
في ١٥ ايار احتلت القوات الانكليزية والاردنية الرطبة بقيادة كلوب باشا ورفض بعض القوات الاردنية حمل السلاح ضد العراقيين ٠ تدهور الوضع وزالت قوة الجو العراقية وأصبح الطريق مفتوحا أمام القوات البريطانية الى بغداد ٠ كان على القوات العراقية ان تحتل الحبانية ولكن المساعدات لم تصلها ٠٠

وصلت بعض الطائرات الالمانية الى الموصل وبعض الطائرات الايطالية الى كركوك ، كان من الضروري تخريب جسر المجرة في جنوب الحبانية لمنع القوات الانكليزية الموجودة في الرطبة من مساعدة القوات المحصورة في الحبانية وكان ضروريا وجود طائرات (الشتوكا) التي لم يكن لدى العراق شيء منها ، والموصل تبعد ساعتي طيران عن الحبانية ، ولم يكن ممكنا تدخل الطيران الالماني وكانت الطائرات الايطالية بحاجة الى الوقود الذي لم يكن موجودا في محطات الشركة التي يسيطر عليها العراقيون ٠٠

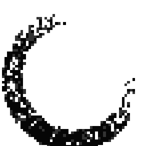
بين ١٦، ٢٠ ايار قذفت الطائرات الالمانية القليلة التي استطاعت الوصول الى بغداد مطار الحبانية ولكن بعد فوات الاوان ٠

في التاسع عشر منه احتل الانكليز الفلوجة ويئس المسؤولون، وسافر ناجي شوكت للمرة الثانية الى انقره لطلب المساعدات من السفارة الالمانية ٠٠

في ١٩ نفسه قرر المسؤولون العراقيون تنفيذ خطة بكر صدقي ـ هاينتز ٠

في ٢١ أيار قام الجيش العراقي بهجوم معاكس في الفلوجة ودخل المدينة ولكنه لم يستطع احتلالها لعدم وجود آليات لديه ٠

في ٢٣ أيار صدر عن اركان هتلر العامة الامر السري بمساعدة العراق عسكريا ٠





الاستعداد لمغادرة العراق

ويمضي المفتي قائلا :

في السابع والعشرين من ايار تقدمت القوات الانكليزية نحو بغداد فقاوم العراقيـون بضراوة .

وفي مساء ٢٩ منه حوالي منتصف الليل اتخذت الحكومة العراقية فـي اجتماع خاص قرارا باستئناف القتال في شمال العراق. ونقلت الخزانةالعراقية للشمال برفقة وزير المالية والاركان العامة .

واستقل رئيس الوزراء والضباط الكبار والزعماء والمجاهدون العرب قطارا خاصا .

وصلنا خانقين على الحدود الايرانية في صباح الثلاثين من ايار كي تتجه الى الموصل وعلمنا هنـاك ان الجسور امامنا قـــد هدمتها جميعا الطائرات الانكليزية ، وصدقنا الاخبار مع انها كانت كاذبة ، فقررنا ان ندخل ايـران وهي بلد صديق فنعود من راوندوز الى العراق ..

وفي ايران علمنا رغم الاستقبال الحسن !اننا بتنا لاجئين سياسيين لايسمح لنا بالعودة الى العراق .

ـ أي درس نستفيد من هذه التجربة صاحب السماحة ؟

ـ كان الفشل من جهة ، وحقق شعبنا درسا كبيرا ، كانت تجربته اعطتنا دليلا عمليا على تفاني شعبنا وسهولة توحيده ..

منذ ان اعلنت الثورة جاء الكثيرون من العرب كي يساهموا بهـا مـن سوريين وفلسطينيين ولبنانيين الخ.. ولو ان الزمن امتد بها لجمعت شعبنـا كلــه ..

وكان للفشل عدة اسبـاب ..

كانت كثير من الاعمال مرتجلة فلم تمكن الخلافات الداخلية ــ خلال سنين عديدة ــ الزعماء العراقيين من اعداد الثورة قبل الحرب ، لقد كانوا على حماس كبير ، ولكنهم كانوا قليلي الواقعية •

كما ان المخربين كانوا كثيرين في قلب الشعب ، فلقد اضر الكثيرون منهم واخروا جهد العاملين بالشعارات الكاذبة التي يخيل انها تخدم الشعب •

ولو ان العرب عرفوا كيف يستفيدون من هذه الفرصة لتغير مصيرهم•

ــ لو ان هذه الثورة انتصرت صاحب السماحة اما كانت تضيع الثمرة عندما ينتصر الحلفاء ؟

لو انها استطاعت طرد الانكليز لاستطاعوا بعد نصرهم على الالمان ، ما داموا حلفاء لروسيا ، والاميركان ان يعودوا للعراق ويضعوا يدهم عليـــه فتذهب جهود العرب عبثا ؟•••

ــ لا اعتقد ذلك • اظنهم كانوا يترددون امام جيش عربي قوي•

ــ هل تظنون ان المخربين وحدهم سبب الهزيمة ؟

ــ وحدهم لا ••• ولكنهم مسؤولون عن جزء كبير منها واني لاتساءل اذا كنتم تعطونهم الاهمية التي يستحقون ، كان علينا ان نكافح ضد (آلة) عالمية •• مخابرات بريطانية وخاصة الصهيونية • لقد استخدمت هذه اكثريـــة اليهود العراقيين فقد كان هناك موظفون صغار يبدون وكأنهم لا وزن لهـــم اساءوا كثيرا ، منهم عامل هاتف او كاتب ، او محاسب الخ•• لقد استطـــاع هؤلاء أن يفضحوا اكثر اسرارنا ••• وأستطيع ان اضرب لكم امثلة كثيرة••

ــ لم تكن تلك الثورة اذن غير مرحلة بطولية ••••؟

ــ بل اقول بداية الملحمة الكبرى !



ايران .. أنقره .. بلغاريا

ـ كيف استطعتم الهرب من ايران بعد ان تعذر بقاؤكم فيها؟

اضطرت الحكومة العراقية وقادة الجيش لدخول الحدود الايرانيــة اجتنابا للوقوع في اسر القوات البريطانية وكان قادة الجيش يعتزمون اقامة خطوط دفاع واستئناف المقاومة في المنطقة الجبلية في شمال العراق فلما تبــين لهم ان الجسور (الكباري) المقامة على نهــر دجلة قد نسفتهــا الطائرات البريطانية ولم تعد صالحة للعبور ، فكروا في امكان الوصول الى المنطقــة الشمالية عن طريق « راوندوز » الايرانية حيث ان ايران دولة جارة وصديقة للعراق (حينئذ) وان للدولة الالمانية فيها نفوذا كبيرا .

لكن لم يلبث ان ظهر ان الانباء عن النفوذ الالماني في ايران مبالغ فيها، فتعذر لذلك تنفيذ خطة الدفاع من المنطقة الشمالية . واحسنت السلطــات الايرانية استقبال الوافدين من عراقيين وفلسطينيين وسوريين وغيرهم .

ثم لم تلبث الحرب ان نشبت بين المانيا وروسيا في ٢٢ حزيران (يونيو) اي بعد وصولنا طهران بأقل من ثلاثة اسابيع ، فتشاءمت من هذا الحــادث اذ كنت على علم بما كان الانكليز يبيتونه لايران ،وان دول الحلفاء كانت قد أعدت خطة عسكرية لاحتلالها في عام ١٩٤٠ ، في اجتماع عسكري عقده قواد الحلفاء برئاسة الجنرال «فيغان» بصفته قائدا عاما لجيوش الحلفاء في الشرق الاوسط حينئذ ، وكنت عرفت هذه الخطة من العقيد صلاح الدين الصبــاغ الذي دعي حينذاك كمندوب عن الجيش العراقي لحضور ذلك الاجتــماع العسكري . فرأيت من الواجب ابلاغ الحكومة الايرانية خبر تلك الخطــة لتتدبر امرها وقابلت وزير الخارجية الايرانية « آقاي عامري » واطلعته عليها، دون ذكر مصدرها ، معززة بخريطة تبين الـــطرق التي ستسلكها القــوات البريطانية من جنوب ايران وغربها . فشكرني الوزير العامري على ذلك لكنه على ما بدا لي لم يصدق النبأ وقال انه ليس بيننا وبين بريطانيا خصومة ولذلك فاني لا اتوقع منها أي عدوان على ايران .

ولم تكد تنقضي بضعة اسابيع على حديثي مع وزير خارجية ايران حتى وقع العدوان البريطاني على ايران وفق الخطة العسكرية التي سلمتها اليه ، وسلكت القوات البريطانية في عدوانها الطرق المبينة في تلك الخريطة .

وقد تبين لنا على اثر اعلان المانيا الحرب على روسيا ، ولمعرفتنا بخطة بريطانيا لاحتلال ايران ،انمقامنا بها لم يعد مأمون العاقبة . فراجعنا سفير تركيا في طهران « سعاد » بك ليستأذن لنا حكومته للاقامة بها ، وجاء الجواب بعد لأي بالسماح للسيد رشيد عالي الكيلاني وافراد اخرين كان منهم ناجي باشا السويدي وزير مالية العراق حينئذ واحد كبار زعمائه ، وامين بك التميمي عضو المجلس الاسلامي الاعلى بفلسطين واحد أبرز رجالها الوطنيين ، وكان سبب السماح لهما انهما كانا من كبار الموظفين في العهد العثماني لكنهما لم يتعجلا السفر وتريثا حتى فوجئت ايران بالاحتلال الانكليزي ـ الروسي . ولم يلبث الانكليز أن ألقوا القبض عليهما وساقوهما الى المنفى في روديسيا مع جماعة اخرين من الفلسطينيين والسوريين والعراقيين فوافاهما الاجل فيها رحمهما الله .

اما انا فلم تسمح لي تركيا بالالتجاء اليها واعتقد أن سبب ذلك الضغط البريطاني، وعندئذ اتصلت بالسفارتين الالمانية والايطالية،ثم بالسفارة اليابانية، ولم نلبث ان علمنا من السفير الالماني الهر (ايتل) ان بريطانيا وروسيا انذرتا ايران نهائيا بتسليم ٤٠٠ الماني كانوا مهندسين وخبراء في المصانع الايرانية بحجة التجسس فتمسكت بهم حكومة الشاه رضا بهلوي لحاجتها اليهم وقالت انها لا تستغني عنهم وانهم رجال فنيون لا يتعاطون بالسياسة ، لكن الحلفاء أصروا على طلبهم وأصرت ايران على مواقفها وظهرت بوادر الحرب .

وعلى اثر ذلك عقدنا اجتماعا حضره الوزراء والقادة العسكريون ولفيف من وجوه العراقيين والسوريين والفلسطينيين ، تدارسنا فيه الوضع واتصلنا بوزير الخارجية الايرانية وبحثنا معه موقفنا بصفتنا لاجئين سياسيين ، فقال الوزير مؤكدا : انكم لاجئون سياسيون وضيوف لدينا ولا تسمح القوانين

الدولية ولا شرف ايران بتسليمكم الى خصومكم فاطمئنوا ...

ولم تلبث الطائرات البريطانية ان اخذت تحلق في سماء طهران،واقتحمت القوات البريطانية المناطق الجنوبية من ايران من نفس الطرق التي سلمت خريطتها الى وزير خارجية ايران ، فنشأ عن ذلك ذعر كبير، وشرع بعض الناس يجلون عن طهران . وازداد موقفنا حرجا ، فرأينا أن نلجأ الى افغانستان وذهبت الى سفارتها وقدمت كشفا باسماء عدد من الوزراء والقواد وغيرهم من المجاهدين وكبار الوطنيين بطلب اللجوء الى افغانستان ، فابرقت السفارة فورا الى « كابول » ولم تلبث حكومة افغانستان ان استجابت للطلب وقبلت لجوءنا جميعا ، وكنت واثقا من استجابتها ومن استعداد الشعب الافغاني الشجاع للفداء والدفاع عن مثله العليا .

ومع ان افغانستان كانت بعيدة عن ميدان حركتنا ونشاطنا ، في ذلك الظرف ، الا انني كنت اسعى جاهدا لسلامة رفاقنا . وقد رابني موقف موظف في السفارة الافغانية ثم عرفت فيما بعد انه هندي الاصل وعميل للمخابرات البريطانية . ولا ريب في انه اطلع المخابرات البريطانية على خطتنا ورغبتنا في السفر الى افغانستان ، فكان لاطلاع الانكليز على ذلك فائدة كبرى لانهم ركزوا جهودهم في البحث عني في حدود ايران الشرقية الشمالية الموصلة الى افغانستان وبثوا فيها العيون والارصاد ، فكان في ذلك فشلهم ونجاتي من كيدهم .. لكن سرعة الزحف على طهران لم تمكن احدا من الخروج منها وكنت اعددت لي ولسائر اخواننا مخابيء عديدة حذرا من مباغتة الاعداء لنا .

وفي ٢٨ اغسطس غادر الشاه رضا بهلوي واسرته طهران الى «اصفهان» فكان ذلك نذيرا بدنو الخطر ، وكانت قوات الاحتلال الروسية قد وصلت « كرج » على بعد بضعة عشر كيلومترا من طهران وسيصبحون فيها وكان الانكليز يسرعون في الوصول اليها ايضا . فأرسلت رسولا ليوقظ الوصي الشريف شرف ورئيس الاركان اللواء امين زكي ويدعوهما للخروج فورا الى المخبأ الذي اعددناه ، وارسلت رسولا اخر الى القواد والاشخاص الاخرين

الذين يخشى عليهم ان يبادروا بالخروج الى مخابئهم السرية • لكن الوصي ورئيس الاركان تأخرا بعض الوقت ، فكان ذلك كافيا لاحاطة الشرطة بالمكان ومنع اي شخص من مغادرته وعندئذ اسرعت بالخروج من المكان الذي كنت اقيم به الى دار السفارة اليابانية ومكثت فيها ارتقب الحوادث •

وفي اليوم التالي احتل الروس طهران من الشمال واحتلها الانكليز من الجنوب • وتعذر الخروج منها ، ولم يكن مناص من التربص والاختفاء الى حين ، واستمرت الحال على هذا عدة ايام ثم حدثت مفاوضات بين الانكليز والسلطات الايرانية وسعى الانكليز للتفاهم مع الشاه وزينوا له العودة الى طهران فعاد ، ولما اخذت الحياة العادية تعود الى حالتها الطبيعية اصدرت الحكومة الايرانية بيانا دعت فيه جميع اللاجئين السياسيين من العرب الى الطمأنينة والظهور ، ومما يؤسف له ان معظم اخواننا استجابوا لتلك الدعوة فخرجوا من مخابئهم وعادوا الى منازلهم • فلما ظهروا قابلهم رئيس الوزارة ووزير الخارجية وسألاهم عني واكدا لهم ان ليس علي ولا عليهم اي خطر أو ضرر وطلبا اليهم ابلاغي ذلك •• لكنني لم اقبل الظهور وعاودت تحذيري لهم الا يطمئنوا الى هذه التأكيدات الموعز بها من السلطات الاجنبية المحتلة وان يعودوا الى الاختفاء ، لكنهم ويا للاسف لم يعملوا بنصيحتي ولم يصدقوا تحذيري الا بعد ما اصبحوا في قبضة السلطات البريطانية • وعندئذ تذكرت قول دريد بن الصمة :

نصحتهم نصحي بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

(ولهذه المناسبة ، ولتتالي الكوارث والنكبات على فلسطين والاقطار العربية المجاورة ، اذكر هنا انني كثيرا ما نبهت اولي الامر والزعماء العرب، الى الخطر الصهيوني والمطامع اليهودية وانها ليست منحصرة في فلسطين وحدها بل ستتعداها الى الاقطار المجاورة فكان بعضهم يظن ان في ذلك مغالاة ومبالغة ، فلم يولوا الامر حقه من الاهتمام الجدي ولم يعدوا العدة للخطر المقبل وها هو العدو اليوم يحتل فلسطين كلها وسيناء المصرية برمتها ، ومنطقة الجولان السورية متخذا منها قاعدة لمهاجمة سورية والاردن معا)•

وهكذا لبث اخواننا في الاعتقال بضعة اسابيع ثم نقلوا الى غياهب سجن « الاهواز » في الجنوب فمكثوا نحو ستة اشهر ثم نقلوا الى روديسيا في جنوب افريقيا وهم الوصي الشريف شرفه ومعظم الوزراء العراقيين : ناجي السويدي وموسى الشابندر ورؤوف البحراني ومحمد علي محمود واخوه عبد الجبار ومحمد يونس السبعاوي ورئيس اركان الجيش اللواء امين زكي والعقداء الثلاثة محمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب . والمحامي داود السعدي وصديق شنشل وعبد القادر الكيلاني وغيرهم ، ومن الفلسطينيين امين التميمي وجمال الحسيني واخوه الدكتور داود وعارف الجاعوني ومحمد محمد شعيب ومن السوريين عثمان كمال حداد وغيرهم .

وبعد مدة استقدمت السلطات العراقية ، بايعاز من الانكليز ، العقداء الثلاثة والوزير محمد يونس السبعاوي من ميناء « دوربان » ثم العقيد صلاح الدين الصباغ الذي اختفى في ايران بعض الوقت ، ثم استطاع ان يتسلل الى تركيا واعتبرته السلطات التركية لاجئا سياسيا فأقام بها مدة الى ان طلبت منه مغادرة بلادها بضغط من الانكليز فغادرها الى سورية ، وبحيلة وتآمر القي القبض عليه في احدى نقاط الحدود وتم تسليمه الى السلطات العراقية حيث نفذ فيه حكم الاعدام شنقا كما نفذ من قبل في زملائه العقداء الثلاثة والوزير السبعاوي . وتوفي في المنفى في روديسيا ناجي السويدي وامين التميمي وعارف الجاعوني رحمهم الله جميعا .

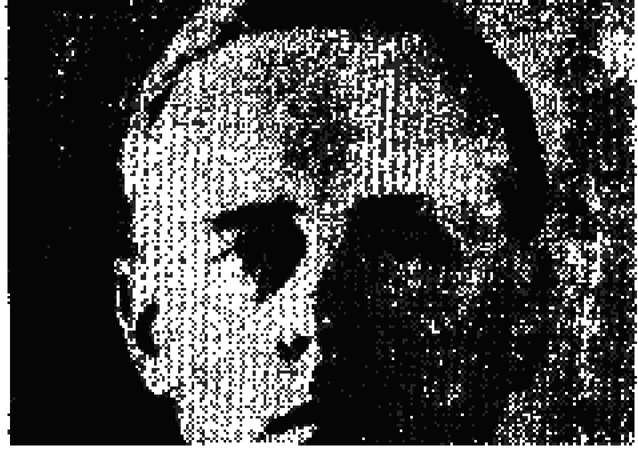
ولما دخل ايران المارشال ويفل القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الاوسط اذاع بيانا بدفع مكافأة مالية سخية لمن يقبض على المفتي او يدلي بمعلومات تؤدي الى القبض عليه حيا او ميتا . وطلب ويفل من الشاه شخصيا ان يبذل جهده لتسليمي الى السلطات العسكرية البريطانية ، كما علمت بذلك من المرحوم يوسف ذو الفقار باشا سفير مصر في طهران حينئذ ، وهو والد الملكة فريدة وقد غمرني بكرم اخلاقه وشهامته . وكان مدير الشرطة العام « اقاي مقدادي » يلح على اخواننا ليدلوه على المكان الذي كنت اختفي فيه ويعرض عليهم جائزة المرشال ويفل .

واخيرا في مساء ٢٣ ايلول (سبتمبر) وبعد ان بدلت مكان اقامتي اكثر من مرة خلال تلك الفترة الحرجة خرجت من طهران في سيارة باص ايرانية مع عدد من المسافرين وسلكت السيارة طريقها الى الحدود التركية مارة بكرج فقزوين فزنجان فتبريز في اذربيجان حيث كان الروس يحتلون تلك المنطقة ويفتشون المسافرين تفتيشا دقيقا ، ومكثنا في تبريز خمسة ايام اذ اوقف الروس كل السيارات والقوافل ثم سمح لها بالسفر . واستغرق سفري في الاراضي الايرانية بضعة عشر يوما كانت كلها في مناطق الاحتلال الروسي وقبل ان اجتازها الى الحدود التركية استوقفني ضابط المخابرات الروسية نحو عشر ساعات لاشتباهه بجواز سفري ثم اجتزت الحدود التركية مع قافلة من المسافرين من ولاية ارضروم قريبا من جبال أرارات الشهيرة ومنها الى ولاية «سيواس» حيث ركبنا القطار الى انقره . وفي تركيا اختلفت وسائل السفر فكانت السيارات حينا والدواب احيانا .

ولما وصلت انقره لم امكث بها الا بضع ساعات تجولت خلالها في شوارعها ثم استأنفت السفر بالقطار الى استانبول حيث اجتمعت فيها باثنين فقط من أخلص اخواننا واسبقهم في خدمة قضيتنا الوطنية وهما الاستاذان محمد اسحق درويش والشيخ حسن ابو السعود الذي توفاه الله في القاهرة بعد عودتنا جميعا الى مصر . ومن طريف ما حدث انني عندما كنت في استانبول استريح من عناء تلك السفرة المضنية ، سمعت من الاذاعة تصريحا للمستر ايدن وزير خارجية بريطانيا حينئذ ردا على اسئلة بعض النواب في مجلس العموم البريطاني جاء فيه : (ان المفتي الذي هو العدو الاول لبريطانيا قد اصبح في قبضة يدنا وان المكان الذي يختفي فيه في طهران مطوق الان بقواتنا) .. ثم استأنفت السفر بالقطار من استانبول الى ادرنة ثم الى بلغاريا ومنها الى رومانيا فالمجر فالنمسا فايطاليا ، وليس صحيحا ما ذكر من ان طائرة ايطالية حملتني من انقره الى ايطاليا .

الفصل

الحادي عشر





الفرد روزنبرغ



كارل أيخمان الذي اختطفه اليهود من الارجنتين واعدموه في اسرائيل ... رفض الادلاء بشهادة كاذبة عن المفتي .. اثناء محاكمته .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثم يمضي المفتي قائلا :

« وجدت نفسي بعض الهدوء في القطار الذي اقلني الى صوفيا وتركت لذاكرتي العنان باستعراض شريط احداث السنة الاخيرة .»

لماذا لم يبد الالمان فعالية اكبر ؟ كان يقلقني هذا السؤال الذي لا اجد له جوابا فقد كان بوسعهم ان يفعلوا افضل مما فعلوا ، وما كانت المسافة التي تفصل بين جزيرة كريت التي احتلوها وبيروت الا ثمانمائة كيلومترا ، اما رودس فهي اقرب . وكان ارسال المساعدات اذن سهلا . كما ان احتلال قبرص كان ممكنا بل ضروريا بعد النكبة التي مني بها الاسطول الانكليزي في الاسكندرية ...

لقد فتح الهجوم الانكليزي الفرنسي الحر على سورية مسرحا جديدا للعمليات ولقد قدمت المقاومة الفيشية للحلفاء التي استمرت اكثر من اربعين يوما رغم قلة القوى التي لديها ، امكانات للمساعدةالالمانية التي كان يمكن ان تصل العراق عبر سورية مجالا للتعاون بين فرنسا الفيشية والمانيا بحيث

تنفذ اتفاقيات (مونتوار). وكان بوسعنا ان نعد جيشا عربيا من مليون مقاتلا في مدة وجيزة وفي مثل هذه الشروط كان يتبدل مصير الحرب كله. كنا بعد تحرير ارضنا نعطي فرصة كبرى بالنصر للالمان ...

لقد وجدت الجواب على سؤالي بعد وصولي الى المانيا فلم تكن عمليات حوض البحر المتوسط الا ثانوية لان المانيا حشدت قواها في عملية (بـاربا روسيا الكبرى) ـ عملية الهجوم على روسيا ـ ولقد تحرك بعد وصولي الى برلين ثلاثة ملايين رجل و ٦٠٠٠٠ حصان و ٦٠٠٠٠ آلية عسكرية ، و ١٩٠٠٠ قطارا باتجاه الحدود السوفياتية ...

سنة ١٩٤٠ اعطى هتلر اوامره لاعداد هذا الهجوم الكبير وهو ما عرفه التاريخ حتىئذ ... لقد قامت ثورتنا اذن في زمن غير مناسب ».



في اواخر سنة ١٩٤١ بدأ مصير الحرب ينقلب على هتلر ... وصل المفتي الى برلين في ١٩ تشرين الثاني من تلك السنة ، وقد بدأت الجيوش الحليفة تمد سلطتها قليلا قليلا في منطقة الشرق الاوسط .

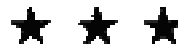
وقد خفت فعالية الهجمات الجوية الالمانية تدريجيا على لندن . كما ان أضرار الغواصات الالمانية بالاسطول الانكليزي اخذت تقل شيئا فشيئا ، وتدنت نسبة المراكب التي أغرقتها هذه الغواصات من ١٥٤ في شهر نيسان الى ٣٤ من تلك السنة ، وبدأت الصناعة الانكليزية تعود الى مجراها المعتاد..

اخذت بريطانيا العظمى تجمع قواتها على مسرح القتال في الشرق الاوسط واخذ الوضع يتحسن لمصلحتها خاصة بعد ان اتجهت معظم قوات المحور الى الجبهة الشرقية ، وما بات الطيران المتمركز في كريت وصقليا يهدد القوافل البحرية الانكليزية . وجاوزت جزيرة مالطة عملية عسكرية مشابهة لعملية جزيرة كريت وعادت تلعب دورها كقاعدة انكليزية فعالة ضد قوافل تموين (الجيش الافريقي) حتى لقد انبأ الجنرال رومل في تشرين الثاني سنة ١٩٤١

القيادة العامة الالمانية انه لم يتلق غير ٥٠٩٣ طنا من العتاد مقابل ٦٠٠٠٠ طلبها وهكذا اضطر جيشه المؤلف من الفرقتين المدرعتين الالمانيتين (١٥ ، و٢١) والفرقة الخفيفة ٩٠ وثماني فرق ايطالية سبعة منها مشاة وواحدة آلية الى التوقف عند طبرق دون القدرة على الهجوم على مصر . وهكذا سنحت الفرصة لانكلترا لاحتلال ليبيا ...

اما على الجبهة الروسية فقد رد الجيش الالماني عن موسكو بعد ان غدا على بعد ٣٢ كلم منها في السابع عشر من كانون الاول هاجمت ٤٢٧ طائرة يابانية بيرل هاربور ...

في هذا الوضع بدأت المرحلة الاولى من اقامة المفتي في بلاد المحور ...



ـ لماذا المحور وليس الحلفاء ؟

ـ « سألتم : لماذا المحور وليس الحلفاء ؟ ... ان مصلحة امتي هي التي تملي اختياري . ان مصير فرد يعتبر لا قيمة له عندما يتعلق الامر بمستقبل الامة . ان انتصار الانكليز كان يعني ان فلسطين ضائعة . لم يكن شعبنا قادرا على الدفاع عن نفسه وحيدا . كان لا بد لنا من البحث عن دعم ، دعم من هو أقوى من عدونا . وكانت انتصارات جيوش المحور لا تدع مجالا للشك في نهاية الحرب وما كان في نيتي أن أنتظر دون عمل حتى النصر النهائي والخضوع لرغبات المنتصرين . كنت اريد ان يحمل العرب السلاح لا الى جانب المحور ، بل من أجل قضيته من أجل تحرير بلادي ، ولم يسبق طيلة مدة الحرب ان قاتلنا الى جانب المحور ، ان الشعب لا يطمح الى تحقيق أمانيه الا عبر التضحيات ودم ابنائه ...

ان الشعب يعرف حقيقة رجاله فمنذ عام ١٩٢٢ الى ١٩٤١ والشعب يعرف قضيته ويعرف اعداءه ، وذهبت الى بلاد المحور بحثا عن التأييد لقضية بلادي ... وبهذه الصفة قابلت الدوتشي والفوهرر .

ـ صاحب السماحة اثارت اقامتكم على ارض المحور في اوروبا حيث تركت الحرب العالمية الثانية وخاصة النازية والفاشية ذكريات مؤلمة ـ تعليقات كثيرة ـ فلقد اتهمتكم الصهيونية بالتعاون مع النازية والفاشية •••

ـ قاطعني قائلا :

« ان الرأي العام من عمل وسائل الاعلام التي تنقل الاحداث وقـــد شوهت حقيقتها في غالب الاحيان ، وليس لنا نحن العرب وسيلة للتعبير عـــن انفسنا •• ان وجهة نظرنا لم تشرح ، او انها لم تعلل ولم توضح•••

ـ ولكننا لا تنقصنا وسائل الاعلام •••؟

ـ نعم ••• ولكننا نسيء استعمالها • ان الاسس التي تعتمدها دعايتنا أو دعاياتنا خاطئة تساهم في فشلنا •• قولوا لي هل افادتنا دعاياتنا شيئــا في اوروبا ؟ انا اعرف ما تعتقدون ••• انها لم تنفعنا بشيء • لقد كانت امــام تخرصات او صراخ اجش • وعندما كنت اقرأ ما يكتب عن اقامتي في المانيــا كنت اتساءل :

اين كانوا يريدون ان أذهب ؟••• الى المنفى ؟ الى السجن ؟ ان اسلم نفسي للانكليز ؟ هل كانوا يريدون ان اذهب الى أعدائي بمحض ارادتي ؟ ما هو الثمن ؟ ••• لم يخفني الموت ابدا ••• ولكني كنت اريده موتـــا مجديا لامتــي •••

كانت الامبراطورية البريطانية كلها تلاحقني ••• تتبعني أينما كنــت، وفي الحق لم اكن راغبا بترك ارض وطني ••• هؤلاء الذين ينتقدونني هل يعرفون حياة الخفاء ••• الترقب ••• الخوف الدائم من البوليس••• والموت الذي ينجم عن ذلك ؟ هل عاشوا مثلي على انتظار الغيب الذي يحسم وجودهم يخشون الصوت الضئيل الذي يمكن ان ينبه الجواسيس •• كلمة لا معنى لها يقولها صديق يمكن ان تكتشف مخبأك ••• غلطة ••• اشارة لم يحسب حسابها ••• يمكن ان تضعك تحت رحمة العدو ؟

كان علي في تلك الظروف الشاقة التي كانت تواجه شعب فلسطين، وذلك حق بل واجب ما دمت معه في المقاومة ، أن ألجأ الى كل الوسائل التي تمكنني من انقاذه . ولم اكن ملزما بتقديم حسابي عن اتصالاتي الا للشعب نفسه ، وهذا الشعب يعرف من أنا ويعرف ماذا أفعل ولمصلحة من افعل ...

انا لم أذهب الى بلاد المحور كي اضع نفسي تحت تصرفهم . لقد ذهبت في سبيل خدمة قضيتي التي هي قضية امتي بكاملها ... ذهبت مفاوضا لا متعاونا . كنت أتوق لان تكون اقامتي ذات نفع لفلسطين خاصة ولوطني العربي الكبير عامة وللاسلام الذي احمل اكبر مهمة من اجل اعلاء كلمته .

ـ لقد اثار انشاء الجيش المسلم انتقادات حادة ...

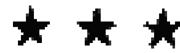
ـ وكيف نحرر ارض الوطن ؟ هل تظنون الكلام قادرا على ذلك ؟ كان المسلمون في البوسنه والهرسك يقتلون ، ويذبحون وكان علينا ان نوفر لهم شيئا من الحماية ...

ـ اثيرت اقاويل مصدرها الصهيونية وعملاءها بانكم قد سكتم على تعذيب اليهود في المانيا ؟

ـ على العكس تماما ! لم تكن مشكلة تعذيب اليهود مطروحة في المانيا حين وصلت ، كان الالمان يعرفون ماذا يفعلون ، ولم يكن لنا دخل في هذا الموضوع ، كانت عملية تعذيب اليهود قد استنفدت اغراضها ، ان للالمان تاريخا مع اليهود وكانوا قد خططوا ونفذوا ، ولا شأن لنا بما يفعله غيرنا، كنا هناك ضيوف لنا قضية ، وكل ما كان يهمنا هو قضيتنا ... وفوق ذلك كان الالمان والطليان يفكرون اولا بمصالحهم ، وكان علي ان انتزع منهم الاتفاقات وكنت مضطرا الى تحاشي امور كثيرة ...

كنت أرى انهم كثيرا ما يرون اقحامنا فيما لا نريد منتهزين وضعنا الضعيف . وكنت اعارض بشدة ...

لم تكن مهمتي سهلة في بلاد المحور وبوسعكم ان تروا ذلك فيما سأرويه لكم عن ظروف تلك المرحلة ...



مقابلة موسوليني

ويمضي المفتي قائلا :

كنت أعلم قبل ان أصل روما ان مهمتي لن تكون سهلة فيها ، وان صعوبات كثيرة تنتظرني فيها ، واولها واصعبها الا اسمح لهم بالظن ان وجودي يمكن ان ينفعهم بشيء...

كان بين العرب وايطاليا حساب طويل وقديم ، ولم اغذ نفسي بالوهم.. كانت ليبيا تعاني من الاحتلال الطلياني ما تعانيه بقية الأقطار العربية من الاحتلالين الفرنسي والانكليزي . ومنذ سنة ١٩١١ ، أي منذ نزول الجيوش الايطالية في الشواطىء الليبية وشعب ليبيا خاضع للظلم والاضطهاد ، ولكم سال دم اخواننا عبر المقاومة التي امتدت حتى سنة ١٩٣٣ ، لقد لاقى عمر المختار قائد تلك المقاومة ـ وهو الشيخ ذو الستة والتسعين عاما الموت رغم عمره بعد ان اسر في معركة بالسلاح الابيض ـ حتفه فشنق رغم احتجاجات العالم ...

وكانت ايطاليا الفاشية فوق ذلك تطمح لاحتلال تونس .

بعد ان اتصلت بي السلطات الايطالية حددنا موعدا لزيارة موسوليني .. وفي اليوم الموعود جاء موظفو المراسم الي في فندق اكسيلسيور وجدت نفسي في السيارة التي تحملني الى موسوليني جنبا الى جنب مع الايطاليين الذين قتلوا القائد العظيم عمر المختار ... امام المسؤوليات الكبيرة لا بد لنا من ان نواجه الواقع وان نتصرف ...

استقبلني في مدخل قصر فينسيا ـ الشهير بشرفته التي يخطب منها

الدوتشي في جموع الايطاليين الـذين كانوا يأتون لاستماعـه ـ البـارون (انفوزو) نائب وزير الخارجية نظرا لغياب الكونت شيانو في زيارة رسمية في برلـين ...

كان موسوليني ينتظرني في باب مكتبه الواسع وكأنه قاعة محاضرات..

استقبلني بسرور ظاهر . كان مظهره ومشيته يبعثان في الشعور انـي جئت احيي أحد اولئك القادة الرومان وكأنه بعث وتزيى بزي ايطالي . كان رأسه المرتفع وخيلاؤه تظهر قوة فكيه وكانت عيناه تدفعاني للتفكير بنابليون وانطونيوس .. وبعض حركات يديه في باغنيني..

كانت طبيعته القوية الحازمة تقربه من نابليون . اذا تحدث عن التـاريخ الروماني بدا بليغا وظهر اعجابه بروما التاريخية وامبراطوريتها والامل الـذي يعيش عليه بأن يكون باني ايطاليا الجديدة ... ايطاليا الغازية .. ترى الى اين كان يذهب به خياله ؟ لم يكن علي صعبا فهم مطامحه التي يخفيها بكثير من اللباقة الدبلوماسية ...

كان صوته يبدي عاطفة حسية كان بريق عينيه الذي يلتمع في نظراتـه يكشف عن حدس السياسي الذكي وحلم الانسان العاطفي ... انطونيـوس على شواطىء مصر ! كانت شخصيته تظهر اتزانا بين رجل الدولة والفنان ... كان فن عزف الكمان ظاهرا في حركات يديه ...

وقد سمعت انه كان عازفا ممتازا ...

كان يرى ان مهمته ـ وكان يتحدث عن ذلك بايمان ـ في ان ينهي الميوعة الايطالية وان يبني ما تهدم خلال قرون ... كان معجبا بغاريبالـدي محرر ايطاليا وكان يقدر ان شرف اتمام رسالته المحررة واحياء المجد الروماني يعود الى موسوليني نفسه .. قال لي وهو يشد على يدي : احييك باسم الشعـب الايطالي وحكومته وباسمي أنا ...

ورافقني حتى مكتبه فجلس كل منا على مقعد امام الاخر•• وبقي البارون الفونزو ـ جريا على عادة موسوليني بالنسبة لمعاونيه في الزيارات الرسمية بأن يظلوا واقفين•

وبعد ان هنأني سألني عن الطريق التي اتبعت حتى وصولي الى البلقان• كان الحديث يدور بالفرنسية التي يتقنها الى جانب لغات عديدة اخرى •••

لقد ادهشني بمعرفته لتاريخ ومشاكل الشرق الاوسط ••• كان يستمع الي باتنباه شديد فشرحت له مواقفنا دون ان اترك اي التباس يمكن ان يؤدي في المستقبل الى سوء تفاهم • فلقد عزمت من المقابلة الاولى على توضيح كل شيء وما كان بودي ان اعيد مع المحور الخطأ الذي وقعنا فيه مع الحلفاء• كنت اعلم ان هتلر يكن احتراما خاصا لموسوليني وعلمت ان هذا الاخير كان يعارض في حرب ضد الاتحاد السوفياتي • وكم تساءلت ما هي الاسباب التي دفعت بالفوهرر لعدم قبول نصيحته •••

لقد اوحى لي في هذه المقابلة الاولى رغم طموحه انه رجل لا ينسى الواقع ، وكان حسه العملي يمكنه من التمييز بين الواقع والوهم • كانت أفكاره نتيجة تفكير طويل مبني على الحساب ••• منطق واقعي يسومي باستراتيجيته ، ولقد اوحى لي ايضا انه انسان موهوب بذكاء عملي لا تغيب عنه العملية في مهمته التي كانت ترمي لتحقيق مثل أعلى اعني اعادة بناء الامبراطورية الرومانية •••

شرحت له بوضوح مطالب العرب بالاستقلال والوحدة ورفض كل أشكال الاستعمار ، من الاستعمار المباشر حتى الحماية والانتداب والقواعد العسكرية • ولقد تبينت ولا اكتمكم ذلك من ملامحه انه لم يكن ينتظر كل هذا الموقف الصارم مني•

قلت له : ان هدفنا الاول هو انقاذ فلسطين من المؤامرة العالمية وان تلغي مرة واحدة مفهوم الوطن القومي اليهودي على ارضنا • ان ايماننا بالدفاع

عن وجودنا هو الذي يملي علينا الكفاح ضد الوطن القومي اليهودي ، وليس التعصب كما يزعم المتخرصون . انه الحق الذي يمنحنا اياه انتسابنا لارضنا. ان كل وطني له الحق في ان يطالب بارض وطنه وليس التعصب دافعاًلقضيتنا. لقد كانت العلاقات في الوطن العربي اخوية دائمة بين المسلمين والمسيحيين لقد تعاون العرب دائما في سبيل وطنهم وفق اعتقادهم الديني..

اجابني : أعرف ذلك ان ما اعلمه عن العرب وخاصة عن الدين الاسلامي هو كثير لقد درست القرآن والتاريخ الاسلامي والتسامح الذي يحله الاسلام محلا اسمي ولكن هؤلاء واشار الى الكونت اقوزو لا يعلمون شيئا ..)

تساءلت بيني وبين نفسي : ترى هل يستصغر معاونيه ام انه لا يحترمهم؟

استمر قائلا : (ان مطالبكم تحظى باحترامنا واهتمامنا . اننا راغبون في مساعدتكم على تحقيقها ونحن على استعداد للاعتراف بامانيكم . اما عن الوطن القومي اليهودي فلكم كل الحق في كفاحه . اننا ندعم هذا الكفاح ونقف الى جانبكم ..

لقد حاول الـ ٤٦٠٠٠ يهودي المقيمون في ايطاليا والذين لا تتجاوز نسبتهم ١ من ١٠٠٠ من السكان السيطرة علينا . انهم رغم تمتعهم بحقوق المواطن التي اعطاهم اياها شعبنا لم يعطوا اي دليل على تعلقهم بهذا الشعب. كل منهم جاسوس انهم يقومون بالدعاية ضد ايطاليا ويساندون اعداءها ... انهم طابور خامس بيننا . وسنتخذ الموقف الذي يستحقه موقفهم منا . وأضاف في نهاية حديثه : انتم اصدقاؤنا وحلفاء بلاد المحور في هذه الحرب التي ستبدل كثيرا في مستقبلنا ومستقبلكم . اننا نتعاون معكم تعاونا مبنيا على الثقة والتعاون المتبادل . انني بهذه الروح ارحب بكم بيننا . لقد وصلتم في الوقت الذي توقظ فيه منطقة الشرق الاوسط اهتماما كبيرا وانا من ناحيتي اهتم بذلك اهتماما كبيرا وانا سعيد برؤيتكم بيننا ، وعندما تذهبون الى المانيا ارجو ان تنبهو الفوهرر الى اهمية الشرق الاوسط وخاصة قناة السويس .. انها عنق الامبراطورية البريطانية . هناك نستطيع خنقها

والى الابـد ... ان جبهة الشرق الاوسط هي التي تساهم في النصر الـذي يبدل مصير الحرب !)

فهمت من كلامه انه يعتمد علي كي أقنع الفوهرر بعدم جدوى الحملة التي يعدها ضد روسيا .. كان يعلل موسوليني حجته باظهار الستراتيجيـة الكلاسيكية الروسية التي تتلخص في جر جيوش الاحتلال الى الثلج والجليد والسهول فتعمد بعد ذلك الى افنائها في هجوم معاكس . ولمح في الحديث الى نابليون وشارل الثاني عشر ملك السويد اللذين وقعا في الفخ . صـــحبني الدوتشي الى باب القاعة وهو يكرر تهانيه ويلح على البارون انفوزو بتلبية طلباتي اثناء اقامتي في ايطاليا ... واكد لي الكونت انفوزو إنه سينفذ اوامر زعيمه بدقة وانه سيضع نفسه تحت تصرفي. فطلبت اليه بعد الشكر ان يسهل لي شكليات السفر اللازمة الى رحلة اقوم بها لبرلين في اسرع ما يمكن ...

فسألني قائلا دون ان يخفي دهشته : منذ الان ؟ لماذا لا تقيمون بيننا ؟

فأجبته : لا بد من السفر وسأعود لروما عندما تتهيأ الفرصة ...

وبدلا من ان نذهب الى الفندق رافقني الموظفون الى فيلا عظيمة في ضواحي روما هي فيلا سكارلاني التي وضعتها الحكومة الايطالية تـــحت تصرفي ، وقد وجدت ان حقائبي سبقتني اليها .

لم اقم في هذه الفيلا غير يومين قبل سفري الى برلين نقلت على اثرهمـــا الى قصر آخر هو فيلا كولونا الكائنة في جبل مونـــتي ماريو المشرف على رومـــا (١)..

وهنا يروي المفتي القصة التالية :

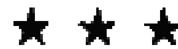
لا بد لي من ان اتوقف عن روايـة ذكرياتي لاحـــدثكم عن حكاية تتعـــلق بهذا القصر لها علاقة بتاريخ فلسطين ...

كان جد عائلة كولونيا من الصليبيين وقد حمل معه عندما عاد من القدس عمودا زعم الرواة ان السيد المسيح جلد عليه وقدمه هدية للبابا الذي منحـه

يستأنف المفتي الحديث :

خرجت من مقابلتي الاولى مع موسوليني ممتنا . لقد أيد الدوتشي الاماني العربية في الاستقلال والسيادة قائلا : باسم الحكومة الايطالية اجيب رغباتكم بالاعتراف بامانيكم الحقة وبمساعدتكم بتحقيقها مع حكومة الرايخ التي تتبنى ـ على ما اعتقد ـ نفس الموقف .)

لقد أدت المفاوضات التي دارت بيننا وبين الحكومتين الايطالية والالمانية الى تصريح رسمي وقعه وزيرا خارجية الدولتين وسأروي لكم بالتفصيل قصة هـذا التصريح ..



لقب امير كولونا ، ولقد ورثت العائلة منذ ذلك التاريخ الثروة واللقب والجاه. ولقد تزوج احد افراد العائلة سيدة لبنانية من عائلة سرسق التي لعبت دورا هاما في السياسة الايطالية خلال الحرب العالمية الثانية بفضل ذكائها وفهمها وكرمها وسعة اطلاعها ، ولقد كانت تعمل في خدمة الحلفاء. كانت أبواب قصرها مفتوحة لعلية القوم في روما يؤمها الامراء والارستقراطيون والوزراء والاغنياء. وكان من عداد ضيوفها الدائمين الكونت شيانو يأتي الى ولائمها وحفلاتها. وكانت تحيطه بالرعاية والاصدقاء والصديقات . كانت تحاول اقناعه بقوة الحلفاء وتفوقهم في الانتاج الحربي ، العامل الوحيد الذي يقرر مصير الحرب والعالم وخاصة ايطاليا . وكانت هذه السيدة تقنعه بانه الرجل الذي تنتظر ايطاليا مبادرته كي تمكن له مستقبلا عظيما نظرا لكفاءاته الثمينة ولمركزه العالي...

ولقد نجحت السيدة اللبنانية بالتأثير تأثيرا عظيما على الكونت صهر موسوليني واقرب معاونيه اليه فدفعته لان يكون في صف المعارضين الاول لموسوليني في جلسة ٢٥ ايلول ١٩٤٣ الشهيرة حيث خانت الاكثرية في المجلس الفاشستي الاعلى الدوتشي . في ذلك اليوم أوقف موسوليني بعد لقائه مع الملك فيكتور عمانوئيل وبقي في سجن سري حتى انقذه الضابط الالماني الشهير (سكورزيني) واخرجه من قلعة مونتي ساسو في١٣ كانون الاول سنة ١٩٤٣..

ذلك فصل صغير مما سمعت اثناء الحرب ...

الى برلـــين

يستأنف المفتي حديثه :

(ثاني يوم قابلت فيه موسوليني استقبلت في فيلا سكارلاني السفير الالماني فون ماكنزن حفيد المارشال الالماني الشهير بصحبته الكونت فون بسمارك المستشار في سفارة الرايخ الثالث في روما وتحدثنا عن تفاصيل الزيارة التي نويت القيام بها الى المانيا ...

في ٨ تشرين الثاني ١٩٤١ تركت روما بالقطار قاصدا برلين ، وفي التاسع منه وصلت ممر برينر الذي اشتهر بعد مقابلات هتلر وموسوليني فيه . كان على رصيف المحطة وفد رسمي في استقبالي يرأسه وزير الدولة الدكتور (اوتومايسيزا) يحيط به رئيس البروتوكول والدكتور ملتسرز مدير عام الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الالمانية والدكتور غروبا . ورافقوني الى برلين حيث حللت ضيفا على الحكومة الالمانية التي احلتني في قصر (شلوس بلفور) الذي بني عام ١٧٨٥ والقائم في حي (نيوغارتن)..

قام طيران الحلفاء بغارة ليلية في اليوم الثاني لوصولي للعاصمة الالمانية، فأيقظني الموظف المكلف بشؤوني وقادني الى ملجأ القصر . لقد عجبت لما رأيت ... عدة غرف للنوم ، وقاعات للطعام والاستقبال وعيادة مجهزة بما تتطلبه العمليات الجراحية والعناية بالجرحى.

بقيت في ذلك القصر اسبوعين ثم انتقلت الى « غوته شتراسه » في ضاحية تسيلنورف البعيدة ١٦ كم من برلين ..

كان وزير خارجية المانيا غائبا عن برلين في زيارة لقيادة المنطقة الشرقية في بروسيا ، فانتهزت هذه الفرصة لرؤية عدة شخصيات اسلامية من اذربيجان وقوقازية وتركستانية وسواها ممن يعيشون في برلين . اذكر من تلك الزيارات خاصة زيارة غلام صادق خان وزير خارجية الافغان السابق وشاندار بوز الزعيم الهندي الشهير وعدو الاحتلال الانكليزي الكبير الذي بقي في برلين حتى سنة ١٩٤٤ حيث اتفق مع الالمان على تنظيم ثورة ضد الانكليز في بورما

والهند فأخذه الالمان في غواصة الى الشرق الاقصى وهناك قضى في حادثة طائرة استقلها للوصول الى بورمان ...

واقيمت على شرفي عدة حفلات قابلت فيها عدة شخصيات المانية تحدثت معها في المواضيع التي أردت اثارتها ..

دعاني الدكتور ميسز ثاني يوم لوصولي لبرلين لتناول الشاي عنده ..

واقام الدكتور نورمان حفلة غداء ، وهو مدير الشؤون السياسية في وزارة الخارجية وبعده الدكتور فايز ساكر . ومن ٢٠ تشرين الثاني استقبلني فون روبنتروب في وزارة الخارجية الالمانية القائمة في ويلهلم شتراسه ، ودام الحديث معه ساعة ونصف ...

لقد فوجئت حين قابلت هذا الرجل ، فلم تكن الصورة التي كانت في ذهني عنه من خلال الصحافة تتفق مع صورته الحقيقية ، لقد جهدت الصحافة في تشويه شخصية الوزير لدى الرأي العام ، فلقد وصفته على انه وصولي ماهر ومحدود الضمير والعقيدة . وجدتني امام مخطط حقيقي وقور لا تخفاه الوقائع . ولم تكن بساطة حديثه تخفي دقة احكامه . كانت الناحية العقلانية الواقعية في شخصيته تطغى على الناحية العاطفية . وكان يبدو لي علميا اكثر من غيره من الالمان .

قال لي وهو يستقبلني : (اخيرا اتشرف بمعرفة الرجل الاسطوري .. لقد تتبعت نشاطكم باعجاب).

كان خلال الحديث مستمعا يقول فكرة بين الفينة والفينة ..

قال لي : (يجب ان تحل القضية الفلسطينية ضمن نظرة عالمية دون الاهتمام بموقف الانكليز ، هذه القضية يمكن ان تثير احداثا عالمية خطيرة ، ان فلسطين عربية وحل قضيتها يجب ان ينبثق عن هذه الحقيقة مهما كانت الشروط ..)

وقال بالنسبة لاحداث العراق : (كنت أود لو انها تأخرت حتى ظـروف اكثر ملاءمة نستطيع فيها ان نقدم عونا مجديا لقد تألمنا لمصير هــذه الثورة وللنتائج الحزينة التي تعرض لها اصدقاؤنا الشجعان)•

فهمت من الحديث انه يستنكر على الدكتور غروبا وبعض اصدقائــه تشجيع العراقيين على القيام بمحاولة في غير أوانها • فاكدت له ان العراقيين يشاركونه الرأي ولكن الانكليز لم يمكنوهم من انتظار الفرصة المناسبة•

وابلغني التاريخ المتفق عليه لموعد مع هتلر وسألني عن موضوع الحديث الذي اريد الخوض فيه معه فشرحت له اهداف كفاحنا التي سببت وجــودي في المانيا وقلت : (نحن نريد ان نقيم التعاون المتبادل بتوقيع معاهدة مــع المانيــا وحلفائها تعترف فيها بحقوق العرب في الاستقلال وتساعد في الغــاء وعد بلفور •••)

لقد ارسلت الى هنا سكرتيري الخاص السيد حداد لان التصريح الالماني لم يكن بنظرنا كافيا ونريد تصريحا مفصلا ودقيقا • ان تجربة شعبنا وخيبتــه مع الانكليز تدفعنا لهذا الالحاح • ولكنا بعد ان تلقينا رسائل اوضح مــع مساعدكم الاول هرفون فايساكر يوجد لدينا الان القواعد الاساسية لهــذه المعــاهدة •••

اجابني نحن عازمون على الاعتراف باستقلال البلدان العربية ومساعدتها في تحقيق امانيها ولكن الفوهرر يفضل حفاظا على مصلحة الطرفين الا يعطــي تصريحات تزعج المجهود الحربي الان وتثير ضجة لدى بعض الامم التي تفضل الان عدم احراجها)• ولما سألته من يعني •• اجاب ، (تركيا مثلا لها بعــض المطالب في الارض السورية) •• قلت له •• ان مصلحة تركيا ان يكون على حدودها دولة صديقة بدل دولة كبيرة كفرنسا •• بوسعنا ان نرسل رســولا الى فرنسا يطمئن الاتراك الى نوايانا الطيبة وان يقوم بمفاوضتهم بهذا الامر••

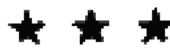
قال بوسعكم ان تنقلوا رأيكم للفوهرر ، واؤكد لكم على كل حال اننا متفقون على قواعد التعاون التي تؤول الى تحقيق ما تطمحون اليه •

اتصلت بعد ذلك من اجل هذا الهدف بالهر فون فاسيماكر وكان علـى جدار مكتبه خارطة مفصلة . قلت له :

(انظر ــ وانا اريه الوطن العربي ــ هذه البلاد الممتدة من الاطلسـي حتى حدود ايران والموارد الطبيعية فيها وعددسكانها... وموقعها الستراتيجي والعواطف الصادقة لدى شعبها بالنسبة للالمان .)

قال : (انا موافق ولكننا عندما نقارن قوى الشعوب في زمن الحرب لا نتوقف عند مساحة الارض وانما عند عدد الفرق التي تحشدها هذه الشعوب. ان تركيا تملك الان ثلاثين فرقة وخمسين عند النفير وما تملكه الدول العربية جميعا هو سبعة . ان طاقة العرب هي للاسف تحت تصرف العدو .. وليس معنا من العرب الا انتم المقيمين هنا بيننا ... اما بقية طاقة شعبكم فيستغلها الخصم .)

فكرت عندئذ بجواب الخليفة علي في حربه مع معاوية التي انتهت الى ان يحكم الاخير للذين قالوا له : قلوبنا معك ... فقال قلوبكم معي وسيوفكم مـع معاوية ...



مــع هتلر

يقول المفتي :

في الرابعة والنصف بعد ظهر ٢١ تشرين الثاني ١٩٤١ قابلت ادولف هتلر فوهرر المانيا وزعيم الرايخ الثالث . لم آكن انتظر ان استقبل بمراسم استقبال رسمي . عندما ترجلت من السيارة في ساحة المستشارية في مدخل بوابتهـا الكبيرة استقبلتني الموسيقى العسكرية وطلب الي مرافقي موظف المراسـم في وزارة الخارجية الالمانية ان استعرض سرية حرس الشرف ثم صحبني عبر قاعات المستشارية الكبرى وممراتها حتى قاعة الانتظار فطلب الي رئيس المراسم

ان انتظر حتى يعلن عن قدومي وبعد أقل من دقيقة استقبلني هتلر في مكتبه وآبدى لما دخلت الترحاب . كان يحيط به عدد كبير من معيته وبينهم ترجمانه الخاص الهر شميدت الذي نقل لي حديثه الى الفرنسية .

قال لي بعد ان طلب الي الجلوس امامه : « أهنئك واهنىء نفسي ان قد نجوت من عدونا المشترك . لقد تابعت قلقا مراحل تنقلك من طهران الى برلين اني أعتبر خلاصك نصرا . ان تاريخ حياتك معروف عندي بتفاصيله . ان كفاحك يحظى باحترامي . اني اقدر المعركة العظيمة التي خاضها الشعب الفلسطيني بشجاعة وحيدا لا يعتمد على احد ضد الامبراطورية الانكليزية واليهودية العالمية . ان جرأة هذا الشعب وتصميمه العنيد وتمسكه بحقوقه وتفانيه تستحق اعجاب العالم . »

كانت قوة صوته ولهجته الصارمة العميقة تخيل لي انها تتردد في القاعة . كان تعبير وجهه يرتسم على وجوه الذين حوله حتى لكأن كلا منهم يردد في داخله اقواله التي تقطعها الترجمة ولاحظت ان شفاه بعضهم تتحرك كأنها تتمتم معه ما يقول . وكانت عيونهم تتسع حدقاتها او تصغر وفقا لحركة عيني الفوهرر وكانوا يقطبون حواجبهم او يحركون رؤوسهم معه تبدو عليهم المشاركة في التعبير كأنهم مأخوذون بمغناطيسيته . كان جو الحديث حارا على هدوء وكانت لهجة الفوهرر المليئة تضاعف معنى الكلمات فتحفرها في ذاكرة محدثه حتى لكأن لها معان ابعد من معانيها الحرفية يتعكس فيها مزاجه العنيف .

قال : « ان لاقامتك بيننا معنى كبير ويجب ان تؤتي بثمارها واعلم ان هدفك الاول ان تعبر عن الاما ل العربية وارادة هذا الشعب بالكفاح ضد عدو الانسانية المشترك ... »

وترك لي بعد ذلك مجال التحدث وبعد ان شكرته لكرم الضيافة الذي لقيته في المانيا ذكرت العلاقات الطيبة التي تجمع بين المانيا والاسلام والتي

تحققت في عهد السلطان عبد الحميد ، قلت له : « ان المانيا لم تعتد عبر تاريخها الطويل على اي بلد عربي او اسلامي . لقد عاني شعبنا اعباء سياسات محدودة غير شاعرة بحقوق الشعوب في الحياة والحرية . لقد فرضت هذه السياسات الظالمة على شعبينا الاستعباد فقد رزح شعبكم تحت معاهدة فرساي ونتائجها المخربة وعلى شعبنا وعدبلفور والاستعمار والحماية والانتداب والانفصال ... لقد جمعتنا الآلام المشتركة في قدر واحد . ان كفاحنا واحدا يجمعنا . ان رسالتنا تستحق تضحيات كبرى . ان الشعب العربي الذي نكلت بريطانيا بعهودها له التي قطعتها في الاتفاقات المعقودة مع الشريف حسين ، لن يتوقف عن الكفاح . اما نحن الفلسطينيين فسنظل اول من يقاتل حتى آخر ابنائنا . سنتمسك بارض الوطن تمسك حياة او موت . ولن نسمح للانكليز بان يجعلوا من ارضنا رقبةجسر للاستعمار البريطاني . ان شعبنا الذي قاسى من تجربة الحرب الكبرى ليرغب في عقد معاهدة مع بلدان المحور وخاصة مع آلمانيا تحفظ حقوقه وتعلن على الرأي العام حتى اذا انتهت شكوكه انضم الى المعركة التي هي معركتنا ضد عدونا المشترك .

لاحظت وانا أعرض رأيي على الفوهرر ان جفناه أقل حركة مما عند الاخرين وكان سكونهما يعطي وزنا وقوة لنظرته الصارمة . وكان لوجهه الهادىء تعبيرا متعاليا يبدي طبيعته المتحدية المسيطرة ، رأيت ان انتباهه شديد لا يترك كلمة من كلماتي تفوته واحسست كأنه يستعيد آرائي وبعد الجواب عليها في دخيلته . يحس محدثه انه قريب بعيد مما يحبب في شخصيته على صرامتها .

استأنفه قائلا : لقد شرحت استراتيجتي في « كفاحي » اولا : سأكافح اليهود دون وني ...»

كان لكلمة يهودي وقع خاص عندما يلفظها .

« ... ان الغاء الوطن القومي اليهودي هو جزء من معركتي . ان اليهود ... كان يشدد على آخر حرف من يهودي *Juden* فيلفظها *Judem*

... يريدون ان يقيموا دولة مركزية تكون قاعدة لنشاطهم واهدافهم المخربة . انهم يريدون ان يهدموا كل الدول ... كل شعوب العالم . انه من الثابت ان اليهود لم يقوموا باي عمل بناء في فلسطين . دعايتهم كاذبة . كل ما بني في فلسطين بناهالعرب لا اليهود منذ ما قبل التاريخ . ان طبيعتهم لا تسمح لهم بالبناء ولقد قررت ان اجد بأي ثمن حلا دقيقا نهائيا للمشكلة اليهودية وبعد ذلك سأدعو اولا كل دول اوروبا ثم البلدان التي من غير اوروبا ان تتعاون معي لنضع حدا نهائيا لليهودية العالمية التي تشكل خطرا يهدد العالم اجمع .»

كان هتلر هادئا في حديثه احسست انه يفتح قلبه فلم يخف على قناعته بضرورة وضع حد لجرائم اليهود واستمر قائلا : « أليس عجيبا ومخيفا ان يتعاون عدوان مختلفان مبدأ وهدفا الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، أقصى اليمين واقصى اليسار ؟ تناقض عجيب ! لقد استطاعت اليهودية العالمية احتيالا ...» ارتفع صوته وتقلصت عضلات وجهه ـ واخذ يشدد على مخارج الحروف كما يفعل الخطباء العرب حين يشددون علىحروف القلقلة. كان يقترب مني وهو يتحدث وتزيد اشارا تيديه في معنى كلماته فتتقلصان فتقويان تعبير وجهه وعيناه تقدحان شررا . « ... أن تجمع المتناقضين الرأسمالية والماركسية وتقرنهما بحبل واحد كي يخدما مصالحها ولكن هذا الامر لن يدوم ...» وقطعت يده شيئا ما يراه هو وحده . « ان ذلك ضد الطبيعة !»

تابع حديثه صافي الهدوء وفي عينيه نظرة ملهم : « اننا نتابع كفاح موت أو حياة ، معركة تحسم نهائيا بين الوطنية الاشتراكية واليهودية ونجاحها يأتي بعون وايجابي هام للعرب الذين يكافحون معنا . ان وعدا عاطفيا لا معنى له. ان الضمانات التي تدعمها القوة المنقذة هي وحدها ذات معنى واقعي . والحرب العراقية خير مثل لذلك فرغم كسب العراقيين لدعم الشعب الالماني العاطفي لم تمكنا الظروف من أن نأتيهم بالمساعدة العسكرية الضرورية لهم . لقد رأى

الشعب الالماني في الثوار العراقيين رفاق سلاح وآلام • فلقد عانوا نفس ما عانينا ولم تكن المساعدات التي أرسلناها كافية للنصر على القوة البريطانية•

أما عن الكفاح الذي يقرر مصير العرب فلا أسمح لنفسي بالحديث الا كمبدأ أي مؤمن برسالته وكقائد عسكري وجندي شاعر بواجباته• كل من يساهم في انتصار هذا الكفاح النبيل يخدم قضية العرب وعلينا ان نميز بين ما ينفعنا وما يضر بنا في سيرنا المنتصر ضد اليهودية العالمية وبريطانيا العظمى واعدائنا الآخرين وعندما نحقق النصر تدق ساعة تحقيق الامال العربية •

ان الوضع في هذه الفترة هو كما يلي : نحن نقاتل الان كي نشق طريقا لنا في القوقاز الشمالي ونلاقي صعوبات شديدة في النقل سببها خطوط المواصلات : تخريب الطرق والخطوط الحديدية والشتاء والبرد والثلج ••• اننا اذا استعجلنا باعلان تصريح يتضمن استقلال سورية يضعف موقف حكومة فيشي وتتخلى عنا بينما يشتد موقف ديغول وسلطته • ويظن الفرنسيون ان دعمهم لانكلترا يخدم مصالحهم ويستخدم اعداؤنا سورية مثلا لاثارة مخاوف الفرنسيين على امبراطوريتهم • مثل هذا التصريح يخلق لنا مصاعب كبرى تمنعنا عن حشد جيوشنا في الشرق •»

وبعد وقفة قصيرة استمر وقد بدا عليه التفكير : « اريد ان أقول لك شيئا يجب ان يظل مكتوما بيننا : اولا سأتابع الكفاح حتى القضاء علىاليهودية العالمية ••• ثانيا عندما تصل جحافلنا المصفحة وقوات الطيران الالماني الى منحدرات جنوبي القوقاز يصبح الوقت مناسبا للتصريح الذي تطلبون ويحين تحرير العرب • ان المانيا ليست لها اية مطامح في أية دولة عربية •

« ثالثا : أنا سعيد انكم نجحتم بالوصول سالمين • اني أؤكد لكم ان الساعة التي تقودون فيها العرب الى الحرية باتت قريبة وعندما تأتي لن أحفل بالنتائج التي تترتب على هذا التصريح عند الامم الاخرى •

« رابعا : أعتقد ان انتصارنا في الشرق سيسبب سقوط الامبراطورية

الانكليزية ان الطريق من روستوف لايران ثم العراق هو أقصر من الطريق من برلين الى روستوف • انا اعرف ان العرب قلقون من اجل التصريح الـــذي عنيتم ولكن اسمح لنفسي بان أذكركم اني في السنوات الخمس الاولى مـــن وصولي للحكم لم أعط اي تصريح رسمي فقد انتظرت الساعة التي استطيع فيها دعم تصريحاتي بقوة السلاح ••

« ولا تنس اني عندما اساعد العرب فانما من اجل خدمة المانيا اولا وانا أعرف اني عندما اساعدكم فاني اقوم بواجبي لمصلحة المانيا • وفوق ذلك فان المانيا ليست لها مطامح استعمارية خارج اوروبا فلقد ذهب زمن الامبراطوريات الاستعمارية ولن اعيد اخطاء الامبراطوريات الكبرى التي كانت تحلم باجتياح العالم • ان قواتنا العاملة الان في شمال افريقيا لا تستهدف احتلال الارض وانما كي تتابع الحرب ضد العدو• لن اطالب بمستعمرات المانيا القديمة التي اخذت منها بعد الحرب العالمية الاولى ، ان الرايخ الثالث لا مطامح له الا في القارة الاوروبية ذات الحضارة القديمة حيث يستطيع الشعب الالماني ان يحيا ويتفتح وعندما يغلب الانكليز ستعود قواتنا الموزعة في العالم كي تلعب دورها التاريخي الحضاري•

ليست لنا مطالب في البلدان العربية فنحن اصدقاؤكم وبوسعـــكم ان تعتمدوا علينا ولكن اعتمدوا على انفسكم اولا فنحن نفكر اولا بمصالح المانيا وعليكم ان تفكروا انتم بمصالحكم اولا •••»

لم يكن هتلر اذن راغبا في اعطاء تصريح رسمي كنت اعتبره هاما واساسيا في متابعة الكفاح • كانت الحرب قائمة وفي الحروب تقدر القوة وحدها مصير الامم ؛ وكان على العرب ان يؤلفوا جيشا ويحملوا السلاح للدفاع عن قضيتهم ان من يتخذ موقف المشاهد بين المتحاربين ينتهي الى ان يخضع لرغبات المنتصر أيا كان • لقد حددت الظروف اختيار شعبنا • التحالف مع الحلفاء ؟ لم يكن السؤال مطروحا فلقد كانوا مبدئيا ضدنا • مع المحور ؟ ان اللجوء الى هـــذا الحل يفترض تحديد شروط التعاون • كان يبدو لي انتظار احتلال الالمـــان

للقوقاز غير معقول ، فالزمن كان يمر سريعا وكان علينا ان نؤلف نحن جيشنا ـ ولا بد لذلك من بعض الزمن ـ والا نعتمد على الالمان للدفاع عن قضيتنا . ان ابناءنا وحدهم يجب ان يحملوا عبء هذه المهمة الكبرى .

أمام الوضع العام الذي شرحه الفوهرر اقترحت عليه معاهدة سرية فقال : « ان الاتفاقات السرية لا تظل بالضرورة سرية فلا بد من ان يطلع عليها بعض الاشخاص فتنكشف بعد قليل . لقد اعطيت في حياتي تصريحات قليلة على عكس الانكليز الذين أعطوا تصريحات كثيرة دون ان ينفذوها . اما انا فأتقيد بوعودي قلت مرة لماريشال فنلندا ان بلاده تستطيع الاعتماد على اذا هاجمها العدو مرة اخرى ، وكانت هذه الكلمات القليلة اكثر اهمية من تصريح مكتوب ولألخص لكم قراري ...» كانت لهجته هادئة صارمة « ... أعلن لكم اننا عندما تصل جنوب القوقاز تحين ساعة تحرير العرب وبوسعكم ان تعتمدوا على هذه الكلمة ».

دام الحديث ساعة وخمس وثلاثين دقيقة . عندما تركت الفوهرر كنت أشعر ببعض القلق رغم تأكدي من الاستراتيجية التي يتبع . وكنت قانعا قناعة مطلقة بعزمه على الكفاح ضد الصهيونية واعوانها الاستعماريين فلقد كان رجلا لا يتزعزع ايمانه بافكاره شديد الحماس بتحقيق اهدافه ولم يكن على تلاعب الساسة الانكليز الذين يظهرون حب الشعب العربي او اي شعب آخر ثم يخدعونه ، وكان صريحا في خطاباته واحاديثه الخاصة ، وكانت مصلحة الرايخ هي همه الاساسي . كان ما ينفع الشعب الالماني يحظى بحبه او حقده او اهتمامه . فقد كانت المانيا عنده كل شيء . كانت عاطفته القوية وطبيعته المسيطرة سببا في عنفه الذي يشارف الهوى ورأيت انه من العبث اقناعه في تلك الفرصة ولكني لست الذي ييأس من الوصول الى هدفه فقررت ان اصل له خطوة خطوة بأن اتصل فاقنع الموظفين المختصين بالشؤون الشرقية .

ـ هل سنحت لكم الفرصة بمقابلة الفوهرر غير هذه المرة ؟

ـ قابلته مرات ثلاث . ثالثها كانت في حفلة استقبال رسمية وكان ذلك

عقب دخول الولايات المتحدة الحرب ، ولاحظت انه كان راغبا في التحـدث الي • عندما جيبته اعتذر لي قائلا : انه يود رؤيتي ولكن اعماله كثيرة ولقد تحدثنا طويلا ذلك المساء ، ولقد تحدث عن اليهود الالمان •

قال لي : « لم اكن اجد اي فرق بين مسيحي ويهودي المـــانيا كان ام نمساويا ولذلك عجبت لتبدل وضع اليهود المفاجيء في المانيا بعد وعد بلفـور فلقد شدوا ضد كل المؤسسات الالمانية واخذوا يخربون في دوائر الدولـــة والجيش ويقومون بدعاية هائلة لنقط ويلسون الاربعة عشر التي لا تفـرق ـ كما زعموا ـ بين غالب ومغلوب •

ولقد ادت هذه المؤامرة الى الانهزامية في ألمانيا وعاثت فسادا المنظمات اليهودية بنفس الوقت في التموين التابع للجيش فخسرنا الحرب •

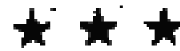
ـ أ جبته بانهم لعبوا في بلادي نفس الدور • وفكرت بالفتاة اليهودية سارة أهرنسون التي روى لي حكايتها الجنرال التركي جوادرفعت اتيل خان رئيس الاستخبارات التابعة للجيش الرابع العثماني• ثم اكد لي القصة فيمـا بعد الدكتور حسن ابراهيم باشا الحلبي رئيس اطباء ذلك الجيش • فلقد كان يتناول فطوره في حيفا ـ كان البيت الذي يسكنه ملكا لعائلة يهودية ـ فرأى حمامة تحط وتنضم الى باقي الحمام ورأى في رجلها حلقة فأمسكها واذا بـه يجد رسالة سرية مرسلة من سارة اهرنسون الى الجيش البريطاني •••»

استأنف هتلر حديثه قائلا : « ان اليهود هم الذين دفعوا بالولايـات المتحدة لدخول الحرب ضد المانيا سنة ١٩١٧ ، ورأيت بعد ان أسست الحزب الاشتراكي الوطني ان زعماء اليهود يتابعون محاولاتهم لتدمير المانيـا بزرع الفوضى والافكار الماركسية واذكر لكم مثلا : كارل ليبكنشت زعيم الثورة الشيوعيةفي برلين سنة١٩١٨ ـ ١٩١٩ وروزا لكسمبورغ وبعد ذلك «اوجين ليفني» الذي اعلن نفسه الديكتاتور الشيوعي لبافاريا سنة ١٩١٩ ، كـان اليهود يريدون ان يقطعوا كل امل بنهضة المانيا • ولهذا السبـب اقتنعت ان

مهمتي الاولى ومهمة كل الوطنيين الاشتراكيين بل كل الالمان ان يستمروا في في كفاحهم دون شفقة ضد اليهود .

ــ اجبته : نحن العرب نعتقد انها الصهيونية التي قامت بالتخريب لا اليهود .

قال هتلر : انتم شعب عاطفي . ادعوكم لزيارة معهد الدراسات الذي أسسته كي اقنعكم بفكرتي وستجدون ان قناعتنا ثابتة علميا .»



اتصالات مع شخصيات المانية ويابانية

ويستطرد المفتي في الحديث عن تلك الفترة فيقول :

« علمت في تلك الفترة ان المفوض السامي الالماني في فرنسا الهرشولتز المسؤول الاول عن العلاقات الفرنسية الالمانية هو الذي كان يعارض في اعطاء التصريح الذي اطلب فانتهزت فرصة وصوله الى برلين ودعوته للعشاء مع الشخصيات الالمانية المختصة بالشؤون الشرقية والعربية في وزارة الخارجية الالمانية . وقد ساعدوني انفسهم في اقامة هذه الحفلة . وكان الحديث طويلا جربت فيه ان اقنعه أن مصلحة المانيا ليست في ربح الشعوب العدوة وانما الصديقة واخصها العرب . واعتقدت بعد ان غادر المنزل ان المناقشة كانت مفيدة وانها بدلت موقفه .

ولم اكتف بالاحاديث مع الهر فايتسكر والهر فورمان المدير السياسي العام في وزارة الخارجية وشخصيات اخرى المانية وايطالية ولقد اتصلت ايضا بسفير اليابان في الرايخ الالماني الجنرال اوستيما الذي تعرفت اليه في حفلة الاستقبال التي اقيمت في الرايخستاغ بمناسبة دخول اليابان الحرب الى جانب المانيا بعد الهجوم الخاطف الذي قامت به اليابان في ٧ كانون الاول سنة ١٩٤١ على بيرل هاربور . كان السفير الجنرال اوشيما هو ضيف الشرف في تلك

الحفلة التي حضرها هتلر ومعه كل وزرائه وكبار قادته • بعد هذه الدعوة عقدت الصداقة مع الجنرال اوشيما وتزاورنا كثيرا ولقد ساعدنا عند المحور وهو المختص بالشؤون الشرقية •

وصل رشيد عالي الكيلاني الى المانيا اثناء اقامتي فيها فتقدمنا بعدة مشاريع لتصريح رسمي او معاهدة بين العرب والمحور كان آخرها في ٢٨ايلول سنة ١٩٤١ عدلناه بعد مناقشات طويلة مع المختصين ثم رفعناه الى وزارة الخارجية الالمانية •

نص المشروع :

تعلن دولتا المانيا وايطاليا ، بصفة رسمية ، عن سياستهما تجاه الاقطار العربية على النحو التالي :

١ ـ تعترف المانيا وايطاليا باستقلال الدول العربية التي ظفرت باستقلالها فعلا وهي : مصر ، العراق ، العربية السعودية ، اليمن •

٢ ـ تعترف المانيا وايطاليا باستقلال الاقطار العربية الموضوعة في الوقت الحاضر تحت الانتداب البريطاني كفلسطين والاردن ، او هي رازحة تحت الحكم البريطاني كالسودان والكويت والبحرين وقطر ودبي والشارقة وابو ظبي وغيرها من امارات الخليج وعمان ومسقط وحضرموت والمحميات في جنوب اليمن •

٣ ـ تعلن المانيا وايطاليا انهما لا تعارضان اي عمل تقوم به سورية ولبنان في سبيل الحصول على الاستقلال الكامل •

٤ ـ تعلن المانيا وايطاليا بطلان جميع التحفظات البريطانية فيما يتعلق باستقلال مصر والسودان •

٥ ـ لا تثير المانيا وايطاليا اية اعتراضات في سبيل استقلال الدول العربية استقلالا تاما ، كالاعتراضات التي يهيئها نظام الوصاية الذي ابدعته عصبة

الامم والدول الاستعمارية كوسيلة لاخفاء مطامعها الاستعمارية .

٦ ـ تعترف المانيا وايطاليا بحق الدول العربية في تحقيق وحدتهاالقومية وفقا لمصالحها ورغباتها . وتتعهد دول المحور الا تثير اية اعتراضات في سبيل الدول العربية في جهودها لتنفيذ اية خطة تستهدف تحقيق الوحدة العربية .

٧ ـ تعترف المانيا وايطاليا بعدم شرعية الـسـوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وبان لفلسطين وغيرها من الاقطار العربية الحق في حل المشكلـة اليهودية في فلسطين وفي البلاد العربية الاخرى بما يتفق ومصلحة العرب .

٧ ـ ليس لالمانيا وايطاليا في الاقطار العربية اي مأرب اكثر من ان تريا الامة العربية جمعاء تتمتع بالحرية والاستقرار والرفاهية ، وتؤدي دورهـا التاريخي في هذا العالم ، وان يكون تعاونها الاقتصادي مع دولتي المحور على اساس مصالح الفريقين ، وعلى قدم المساواة ، وهما تطالبان الدول الغربيـة باحترام الحالة الراهنة (ستاتوكو) في فلسطين وغيرها فيما يتعلق بالشؤون الروحية وضمان الحرية في ممارسة الشعائر الدينية .

وبعد ستة شهور من محادثات ومناقشات طويلة ، وبعد موافقة هتلر ؛ وفي ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٢ ، تمكنا من الحصول على عهد رسمي من كل من ألمانيا وايطاليا موقع عليه من فون ريبتروب وزير الخارجيـة الالمانية ، والكونت شيانو وزير الخارجية الايطالية ، بالاعتراف بالحرية والاستقـلال للاقطار العربية الواقعة تحت الحكم البريطاني وبالعمل للقضاء على الوطـن القومي اليهودي في فلسطين .

وفيما يلي الترجمة الحرفية للكتاب الموجه الى من فون ريبنتروب باللغة الالمانية ، وتلقيت كتابا مماثلا لهذا النص من الكونت شيانو وزير الخارجية الايطالية . (وتلقى السيد رشيد عالي كتابين مماثلين من ريبنتروب وشيانو).

« برلين ٢٧ ابريل ١٩٤٢

الى صاحب السماحة مفتي فلسطين الاكبر محمد امين الحسيني

صاحب السماحة :

« جوابا على كتابكم الذي ارسلتموه الى هذا اليوم ، بالاشتراك مع سيادة رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني ، وتأكيدا لمحادثاتي معكم ، فاني أتشرف بابلاغكم ما يأتي :

« ان الحكومة الالمانية ، تقدر كل التقدير ، ثقة الامة العربية في دول المحور واهدافها ، واستعدادها للمشاركة في الكفاح ضد العدو المشترك ، حتى يتحقق النصر النهائي • كما انها تدرك تماما ما اوضحتموه من الاهداف القومية للاقطار العربية في الشرق الادنى ، التي تقاسي الالام تحت نير الاضطهاد البريطاني في الوقت الحاضر •

« ولذلك فاني اتشرف بان اؤكد لكم ، باتفاق تام مع الحكومة الايطالية ان استقلال وحرية البلاد العربية المضطهدة الآن تحت الحكم البريطاني ، هما هدف من اهداف الحكومة الالمانية •

« وبناء على ذلك فان المانيا مستعدة لتقديم كل ما تستطيعه من مساعدة للاقطار العربية في الشرق الادنى الرازحة الآن تحت نير الاضطهاد البريطاني ، وان تعترف بسيادتها واستقلالها ، وتوافق على وحدتها ، اذا كانت مرغوبا فيها ممن يعنيهم الامر ، وعلى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين •

« وعلى كل حال ، فمن المتفق عليه ان يظل نص هذا الكتاب ومحتوياته سرا مكتوما ، الى ان يتقرر خلاف ذلك ، بتفاهم مع الجانبين •

وتفضلوا سماحتكم بقبول ابلغ احترامي الاكيد •

« ريبنتروب »



موقف المانيا الهتلرية من مسائل المغرب العربي :

يستأنف المفتي حديثه :

كان واضحا ان النص يعني دول الشرق الادنى العربي وان المحور يتجنب مسألة الشمال الافريقي العربي وكانت اسباب هذا الموقف عديدة اولها ان المانيا وايطاليا لا تريدان اثارة فرنسا واسبانيا والسبب الثاني انهم ما كانوا يريدون ذكر ليبيا التي تحتلها ايطاليا وتونس التي كانت تطمع بها وكان علي أن أضاعف الجهد للوصول لاتفاق على هذا الموضوع .

هذا وقد زارني في كانون الاول سنة ١٩٤١ وبعد وصولي باسابيع قليلة الى برلين الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي ولفت نظري الى ضرورة العمل لتحرير الامير محمد عبد الكريم الخطابي بطل المغرب السجين لدى الفرنسيين بعد الثورة التي قادها بشجاعة ضد الاسبان والفرنسيين بين ١٩٢٣ و ١٩٢٨ . لم يكن هذا الرجل يعني بطل الريف والمغرب فقط وانما كل البلدان العربية والاسلامية .

فكتبت حالا مذكرة رفعتها الى وزارة الخارجية الالمانية بينت فيها التقدير الذي يكنه العرب للامير عبد الكريم الخطابي ورجوت فيها الحكومة الالمانية للتدخل من اجل تحريره مما يسعد العرب ويسهل مهمتنا في البلدان العربية القائمة على التعاون مع الالمان . لان تعاون هذه الشخصية يدعم موقفنا .

غير اني لقيت معارضة شديدة في وزارة الخارجية الالمانية التي طلبت مني أن أؤجل هذه المحاولة كي لا أزعج الفرنسيين والاسبان . وكانوا يأملون في تلك الفترة الوصول الى تعاون قوي مع الاسبان كما ان العلاقات بين حكومة فيشي والمانيا كانت تسير في طريق التحسن كما طلبوا مني ايضا تأجيل المطالبة بتحرير الزعماء الوطنيين التونسيين : الحبيب بو رقيبة ، صالح بن يوسف ، يوسف الرويسي والدكتور حبيب تامر ، ورشيد ادريس حسين التريكي ورفاقهم الذين كانوا في السجون الفرنسية . ولقد صمتنا عن الموضوع حوالي سنة ثم قدمت بعد ذلك مذكرات تم على اثرها اخراجهم من السجون .

وبهذه المناسبة اروي لكم حادثة معبرة تعطيكم فكرة عن موقف الزعماء العرب الذين كانوا يعيشون في بلاد المحور • بعد ان خرج من السجن السيد بو رقيبة ابدى الالمان الرغبة بان يعطي تصريحا لمصلحتهم ولما كان موقف المحور غير واضح اجاب : « ان فرنسا لم تسجن شخص بو رقيبة ولكن الذي تتجسد فيه آمال شعب تونس الوطنية • فانا لا اربط بلادي بمستقبل المحور فهي تقاوم الاحتلال الاجنبي ايا كان مصدره وليس بيدي ان اعطي باسمها تصريحا سياسيا في زمن الحرب •»

وامام الحاح اصدقائه من اجل ان يعطي على الاقل تصريح شكر فقط ترك باريس على قدميه وهو لا يملك قرشا ومشى حتى مرسيليا وهناك اندس في باخرة نقل متجهة الى الشرق فعمل على ظهرها كعامل عادي ولما وصل الى بور سعيد ترك الباخرة ودخل مصر •

لقد جربت بكل الوسائل ان اقنع الالمان بفائدة التعاون مع بلدان المغرب واطلعتهم على الرسائل التي تصلني من زعمائه وبعد الاتصالات الاولى قمنا بمحادثات حول هذا الموضوع • لقد سنحت الفرصة باثارة مسألة المغرب جديا في بداية ١٩٤٢ وكانت لدى الالمان معلومات غامضة عن الاستعدادات الامريكية للهجوم على تلك المنطقة ووصلتني رسائل من بعض الزعماء المغاربة عن تلك الخطة واكد لي احدهم أهمية الاستعدادات السرية وحدد لي يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٤٢ لنزول القوات ، فكتبت لوزارة الخارجية الالمانية احذرها من مفاجأة ممكنة فلم تعر ذلك كثير انتباه ظانة انها اشاعات ، وسافرت في تلك الفترة لروما وحدث نزول القوات في التاريخ الذي حددته الرسالة •

استقل احد موظفي الخارجية الالمانية الكبار الطائرة وجاء خاصة الى روما لمقابلتي وسؤالي كيف استطعت الوصول الى معرفة التاريخ الصحيح للغزو الاميركي فأجبته : « من الرسالة التي وصلتني واشرت لها في المذكرة •»

بعد ذلك ابدى الالمان اهتماما كبيرا برسائلي الخاصة بافريقيا الشمالية • فانتهزت تلك الفرصة كي اطلب من المحور الاعتماد على التعاون مع بلدان

المغرب (مراكش والجزائر وتونس) لرد الهجوم الامريكي الذي كان واضحا فيه الاثر الصهيوني واليهودي العالمي • فلم يخف وايزمن آنئذ غبطته من احتلال تلك المنطقة ، فقد اعلن ان الجزائر وفيها ١٤٠ ألفا من اليهود تكون جسرا يربط نيويورك بالقدس كما ان محافظ نيويورك لاغوارديا وهو يهودي كان في تلك الحملة مديرا للتموين •

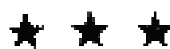
في ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٢ قدمت مذكرة اعرض فيها مطالب المغرب •

ـ يبدو صاحب السماحة ، ان الالمان تأخروا كثيرا في فهم اهمية الدور الذي تلعبه تلك البلاد !

ـ الزمن الكافي لهزيمتهم •

ـ ماذا كانت الخطة التي كان يجب ان يتبعوها حسب رأيكم ؟

ـ كان تقديرهم للقوى بعيدا عن الواقع فلقد كانت نظريتهم مستمدة من قواعد بليت فلم تكن نظرتهم عن العالم الثالث تسمح لهم برؤية ما يخبئه المستقبل لهذا العالم • لم يجن الالمان الثمرة المرجوة من نصرهم في معركة فرنسا ولم يتبعوا سياسة واقعية لانهم لم يدركوا اهمية هذا النصر والنتائج المترتبة عليه فلقد قدروا قواهم فوق قدرها وظنوا انهم يستطيعون التحالف مع فرنسا مع ان الدراسة مهما كانت سطحية للعلاقات الالمانية الفرنسية تدحض هذا الظن ، وارى انه ما كان ينبغي عليهم التوقف عند محادثات مع الفرنسيين بل كان عليهم ان يذهبوا للمستعمرات ويتحالفوا اولا ودون انتظار مع افريقيا الشمالية مما كان ممكنا آنذاك • كان بوسعهم ان يعدوا جيشا من مليونين الى ثلاثة ملايين رجل فيكون نصرهم في العلمين سهلا • تلك القوة كان يمكن ان تتضاعف في زمن قليل وما كان شعب مصر ليتردد عن المساهمة في الكفاح ولقد ارسل لي الملك فاروق نفسه رسالة يعلن فيها رغبته في الالتحاق بالمحور•



الملك فاروق يفكر في الفرار الى المانيا :

ـ الملك فاروق صاحب السماحة ؟

ـ بنفسه ... لقد عرض أن يترك القاهرة بالطريق الصحراوي حتى يصل ليبيا واتفقنا مع السلطات الالمانية في برلين على ان ينتظر اشارات ثلاثة من الاذاعة الالمانية ، ولقد اعطيت له الاشارة الثانية حينما وصل رومل الى العلمين ، ولكن تراجع جيشه ألغى مخطط فرار فاروق . كنت اعتقد ان جيشا عربيا من عدة ملايين كان بوسعه ان يحرر ايران فتنضم الينا وحينئذ يصبح احتلال القوقاز مظاهرة عسكرية فقط .

يبدو لي ان الالمان لم يكونوا يعطون لمثل هذه الخطة الاهمية التي تستحق وكان يظهر لي ان الغاية من جيش رومل كانت مشاغلة الجيوش الحليفة لمنعها من متابعة المعركة في اوروبا والحيلولة دون مساعدة الاتحاد السوفياتي. كانوا يرون الخطة العامة بشكل معاكس تماما لرأيي : لقد بدأوا حيث كان يجب ان ينتهوا . لقد نجحت باقناعهم ولكن بعد مرور الزمن . فلقد كان جيش رومل يقاتل حينئذ متراجعا . في ١٦ كانون الثاني ١٩٤٣ قدمت مذكرة ثانية لا تختلف الا قليلا عن الاولى ولكن جيوش المحور كانت قد بدأ يظهر عليها الضعف ولقد قبلت الفكرة في الوقت الذي لم تعد ذات قيمة .

الفصل

الثاني عشر

الجيش العربي



المفتي يتوسط عددا من المتطوعين في الجيش العربي




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ويستطرد المفتي قائلا :

« ان المسألة الفلسطينية وكل المسائل العربية لا تحل الا بقوة السلاح !
ان اتباع سياسة مبنية على الثقة بالخصم وحسن نيته وقناعته هو سياسة وهم لا سياسة رجل مؤمن بالعمل . ان الحق الذي لا تدعمه القوة يصبح لدى الرأي العام دعوى باطلة . تلك هي قضية الحضارة الحديثة الكبرى . ان مفهومها عن الحق هو حق الاقوى ، قد تقولون لي ولكنه نقص لا يتوقف عنده مثالي ... ولكن محرر امة يجب ان يبدأ تحقيق رسالته من الوقائع . كان سبب هزائمنا جميعا عدم وجود جيش قوي .

لقد استقبلني المحور كحليف وكان بحاجة لنا نحن العرب والمسلمين لتحقيق اهدافه وكنا نحن بحاجة الى تأسيس جيش يكون وسيلتنا الوحيدة للدفاع عن حقنا .

كان المحور يهيمن او يستطيع الهيمنة على جزء كبير من الوطن العربي

وبعض البلدان الاسلامية وكان من الممكن اذن تحقيق الفكرة ومن عناصر مسلمة .

لقد كان تأسيس جيش عربي يدافع عن القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين اهم اهتماماتي اثناء اقامتي في بلاد المحور . لم اتخل عن هذه الفكرة حتى في الوقت الذي تأكدت منه ان المانيا ستخسر الحرب . كنت مقتنعا ان يوما يأتي يكون فيه لهذا الجيش فائدته ولذلك الحيت على وجوب تدريب مواطنينا تدريبا عسكريا . لاني كنت اعتقد اننا نستطيع ان نستمر بالكفاح معتمدين على انفسنا اذا خسر المحور الحرب كما اني ارى ان ابناءنا هم الذين يجب ان يقاتلوا على ارضنافكان لا بد من ان نعدهم للقيام بواجبهم .

تقدم خلال ثورة العراق سنة ١٩٤١ عدد كبير من الطلاب العرب طلبات تطوع في الجيش الالماني وبدأوا بعدما قبلت طلباتهم التدريب فشجعت الفكرة منذ وصولي الى برلين وطلبت الى السلطات الالمانية ان توسع مجال عملها بشكل يتمكن فيه كل العرب المقيمين في بلاد المحور من الانضمام الى هذا الجيش ... وفي تلك الفترة جاء الانكليز بعدد كبير من العمال العرب الى اليونان فلما سقطت في يد الالمان اخذ اولئك العمال اسرى وكان اكثرهم من الفلسطينيين فتفاهمت مع السلطات الالمانيةعلى اخراجهممن المعتقلاتوارسالهم الى مراكز التدريب واسست لذلك مدرستان حربيتان احداهما تخرج منها مائتا ضابط والاخرى لتخريج صف الضباط واحدثت دورة في لاهاي لتدريب ٦٠ مقاتلا على اعمال المغاوير تبعتها دورات اخرى في مناطق متعددة وهكذا اصبحت لدينا نواة الجيش الاولىالمدربة على مختلفالاسلحة قوامها الاساسي من العرب .

ولقد تميزت عناصرنا بمهارتها اثناء التدريب ، وقد حضرت شخصيا حفلة التخرج للدفعة الاولى من المغاوير وكان اكثرهم من الفلسطينيين والمغاربة فأبدوا براعة مدهشة في استعمال الاسلحة المختلفة التي اخترعت حديثا خلال الحرب في يوغوسلافيا لمعارك العصابات ولم يخف الالمان اعجابهم بلياقةجنودنا

الجسدية والنفسية ولقد ثبت ذلك فيما بعد في معارك ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ .

عندما يتحدث المفتي عن هـذا الجيش الذي أسسه تلمـع عيناه حماسا فيقول :

« كانت هذه النواة مثلا لجيش المستقبل الذي يجب ان يحتذى فلقد كانت عناصره من شتى بلدان امتنا العربية الكبرى : المغرب ، تونس ،مصر، العراق الخ..

... هذا الجيش يجب ان يكون وسيلة مزج عناصر الامة ومقدمـة الوحدة . فلقد فعلت الحدود التي قامت بين أجزاء امتنا في عصور الانحطاط والاحتلال ففرقتها فنشأت فروق في اللهجات والعادات ولا بد لتوحيد الامة من توحيد ثقافتها ... اي ان تمر في مرحلة يسهل فيها التبادل السياسي والاقتصادي والتجاري وغيرها حتى توجد مرة اخرى حياة مشتركة بين العرب . وتحقيق مثل هذا الهدف صعب .

منذ وصولي لالمانيا علمت باعلان انكلترا تأسيس « الفيلق اليهودي ». الذي يخدم فيه اليهود شهورا ستة حتى اذا انتهت جلبوا الى فلسطين وتركوا فيها باسلحتهم الخفيفة كما وصلتني معلومات عن استعدادات اليهود العسكرية في فلسطين وعن اعمال التخريب التي يقومون بها على ارض الوطن . ذلك دفعني لان اضاعف الجهود من اجل تدريب من امكن من العرب كي نعد أنفسنا للمعركة المنتظرة بين العرب واليهود بعد انتهاء الحرب .

سنة ١٩٤٤ بدا واضحا ان امكانية النصر قد افلتت من يد الالمان وكان علي أن اتخذ العدة لمثل هذا الاحتمال وبعد اتصالات عديدة بواسطة الهر همنر اعطى الفوهرر اوامره بمساعدتنا في حالة قيام حرب مقبلة في فلسطين وقررت الحكومة الالمانية ان تنشىء «الجيش العربي » واعلن هذا القرار في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ في اجتماع عقدناه في مقر التنظيمات الالماني للاحتجاج ضد وعد بلفور . ثم اعلن الفوهرر موافقته على مدنا بالاسلحة اللازمة . ولتحقيق

هذا الهدف بنى الالمان مستودعا كبيرا تخزن فيه الاسلحة الحديثة الخفيفة. ولقد وضع الالمان تحت تصرفنا اربع طائرات من ذات المحركات الاربعة لنقل العتاد ووضعه في مخابىء سرية لتدريب المجاهدين في فلسطين لاستعمال هذه الاسلحة واعداد المعركة المقبلة . ولقد كلف الهر شلونبرغ في هذه العملية. ولقد سافر على طائرة اولى ضابطان فلسطينيان مع ثلاثة ضباط المان من الاختصاصيين مع بعض الاسلحة للقيام بالتجربة الاولى وكان هدف هذه الرحلة تجميع السلاح وتدريب المجاهدين من جهة واقامة الاتصال باللاسلكي من اجل ارسال الكميات الاخرى وكان مقررا عدم الصدام مع القوات البريطانية طيلة مدة الحرب والاستعداد لما بعدها . وهكذا سافرت الطائرة الاولى يقودها المجاهد الشيخ حسن سلامة وبعد وقفة في الطريق تموت بها بالبنزين وصلت الى فلسطين ونزلت منها الاسلحة والضباط بالمظلات من ارتفاع (٢٠٠٠) قدم في ناحية اريحا . وارسلت بعد ذلك طائرة اخرى بقيادة المجاهد العراقي قاسم الكرادي الذي اشتهر في معارك ١٩٣٦.

كنت اعول كثيرا على نجاح هذه العملية فلقد كانت كمية الاسلحة : آلاف البنادق والمترايوزات والاسلحة الاخرى لحرب العصابات التي سوف تقوم بجبال فلسطين ولقد اخذت ترسل الكميات الفخمة منها ومن العتاد ، واقيم في رودوس مخزن كبير وكذلك في ليبيا حيث خبئت ثلاثون الف قطعة من اجل ارسالها الى فلسطين حتى يستخدمها جيشنا عندما تدق الساعة .



برقية من مصطفى النحاس باشا

انقذوا المسلمين في يوغوسلافيا

ـ ما هي الدوافع الاخرى ـ غير دوافع القضية الفلسطينية ـ التي حفزتكم لتجنيد العناصر العربية في جيش المفروض انه سيقف الى جانب المحور؟

أجاب المفتي :

« وتوالت المآسي والفواجع في يوغوسلافيا الى ان سقطت تحت الضربات الالمانية في ربيع سنة ١٩٤١ • ووافق الالمان وحلفاؤهم الطليان على قيام الحركة الكرواتية المتطرفة « اوستاشي» بانشاء دولة كرواتيا وضم بوسنة وهرسك اليهـا •

وكان من السهل التنبؤ بالموقف الذي ستتخذه الدولة الكرواتية من الصرب القاطنين في اقليمها ، وبالسياسة التي ستتبعها في بوسنة وهرسك، وهي تأمين الرجحان للقومية الكرواتية فيهما نهائيا ، بتطهيرها من الصرب باعتبارهم عنصرا دخيلا فيهما ، وباطلاق شعارات تؤكد اوثق الصلات التي تربط المسلمين البوشناق بالكروات ، وان المسلمين هم من صميم الشعب الكرواتي•

وكان من الواضح كذلك ان الصرب لن يقبلوا البتة بان تمتد سيادة الدولة الكرواتية الى بوسنة وهرسك ، حتى ولو لم تمسهم تلك الدولة بسوء ••

فلم يكن بد من ان يؤدي هذا الخلاف بين القوميتين ــ بعد ضم بوسنة وهرسك الى كرواتيا ــ الى اصطدام هائل بينهما ، تكبد المسلمون البوشناق خلاله اكبر الضحايا في بوسنة الشرقية ، ثم اتسع نطاق عدوان الصرب على المسلمين في مناطق اخرى ، فاصبحت بوسنة ميدانا لمجزرة كبرى عندما اصدر الجنرال دراجا ميخائيلوفيتش وزير حربية يوغوسلافيا وقائد العصابات الصربية تعليمات الى تلك العصابات بتاريخ ٢ــ١٢ــ١٩٤١ توضح ان القصد من كفاح الصرب هو « ايجاد حدود مشتركة مباشرة بين صربيا والجبل الاسود بالقضاء على المسلمين في سنجاق يني بازار ، الفاصل بينهما ، وبين صربيا وبلاد السلوفيين بالقضاء على المسلمين والكروات الكاثوليك في بوسنة وهرسك!»

وعلى اثر ذلك شرعت العصابات الصربية في شن هجماتها الوحشية بقيادة ميخائيلوفيتش مع صفوة من ضباط جيشه وجنوده في الجبال الشاهقة، وتربص

فيها حتى سنحت له الفرصة بانتقال القوات الالمانية الى الميدان الروسي، فانقض بعصاباته الوحشية المسماة « شتنيك » (وهي تعمل لاقامة صربيا الكبرى وابادة كل من في البلاد من العناصر ، اسلامية كانت او كاثوليكية عدا الصرب الخلص)، على الشعب البوشناقي المسلم الاعزل، وامعنوا فيه فتكا وقتلا حتى اربى عدد القتلى على مائتي الف •• وعدد المشردين منهم على ما يزيد عن ذلك •

لقد كنت في روما يوم ١٩ كانون الاول عام ١٩٤٢ حينما اتصل بي السيد مصطفى بوصولاجيتش البوشناقي الطالب في جامعة روما وانبأني بالمجزرة الوحشية التي اقترفت في المسلمين في منطقتي بوسنة وهرسك من قبل عصابات الشتنيك الصربية • ثم تتابعت الانباء المحزنة تفصل تلك الفظائع الرهيبة•

ولما كان بعض زعماء البوشناق قد اشتركوا في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١ وكان لي بهم صلة ومعرفة سابقة ، فقد ابرقوا الي في برلين مستنجدين ، ثم وصلتني رسائلهم شارحة تلك الفظائع الوحشية التي اقترفت فيهم • ثم جاءني وفد من هرسك برئاسة مفتيها حافظ عمر افندي جابيتش ومن اعضائه الشيخ احمد افندي قره بك وآخرون ، وحدثني الوفد عما يجري في تلك البلاد من ابادة المسلمين ، فبادرت بمراجعة وزارة الخارجية الالمانية واطلعت وكيلها الهر فون وايتسيكر على حقيقة الامر وعلى البرقيات التي وصلتني من زعماء بوسنة يطلب السماح لوفد منهم بالقدوم الى برلين لمقابلتي • فأبدى شديد اسفه وقال ان تلك المناطق هي في « المجال الحيوي » لايطاليا فلا يمكننا ان نقوم بعمل جدي قبل الرجوع اليها ••



مقابلتي الثانية لموسوليني

فسافرت في اليوم التالي الى روما وطلبت مقابلة الدوتشي موسوليني• فاستقبلني فورا في قصر فينيسيا ، وكانت تلك مقابلتي الثانية له ، وكان البحث

فيها منحصرا في المجازر المروعة التي تقترف في مسلمي يوغوسلافيا لابادتهم واستئصال شأفتهم •• وحضر المقابلة الكونت شيانو وزير الخارجية• وذكرت لموسوليني انباء تلك المجازر التي تجري في تلك المناطق التي تحتلها نحو تسع فرق عسكرية ايطالية وفرقتين المانيتين من قوات المحور • وقلت له : لو حدث جزء يسير من هذه الفظائع في الشرق للاوروبيين ، لقامت الضجة العظيمة وانطلقت الدعايات والاتهامات •• فابدى موسوليني اهتماما شديدا ونظر الى شيانو الذي ظل واقفا على قدميه طول مدة الحديث وقال له : « ان هذا الموضوع خطير ، فاتصل بالسفير الالماني في روما لاتخاذ جميع الوسائل مع السلطات الايطالية والالمانية لوقف هذه الحالة المؤسفة » •

(وكان السفير الالماني حينئذ الهر فون ماكنزن نجل القائد الالماني الشهير فون ماكنزن القائد العام لقوات المانيا وحلفائها في البلقان في الحرب العالمية الاولى)•

فلما رجعت الى برلين وصلتني انباء تدل على ان المجازر مستمرة وان عدد القتلى بلغ مائتي الف ، وان أكثرمن هذا العدد اصبحوا بلا مأوى في تلك الاصقاع الشديدة البرد ، كما علمت ان السلطات الالمانية لم تسمح لوفد من بوسنة بالقدوم الى برلين• فقابلت فون وايتسيكر مرة اخرى وطلبت منه السماح لي بزيارة تلك البلاد ، فقال ان هذا متعلق بالدولتين الكرواتية والايطالية ، فقابلت سفير كرواتيا في برلين الموسيو « بوداق » وحدثته في الموضوع ، ومن اجل اطمئنانه اقترحت عليه ان نسافر معا الى « زاغرب » عاصمة كرواتيا ومنهما الى « سرايبغو » عاصمة بوسنة • فوافق على ذلك لكن وزارة الخارجية الالمانية ظلت على موقفها السلبي • فاتصلت حينئذ بالجنرال « برغر » رئيس اركان قوات الصاعقة (اس اس)••

واقنعته بضرورة سفري واعلمته بموافقة السفير الكرواتي على ذلك، فأعد لي الجنرال « برغر » طائرته الخاصة العسكرية وثمانية من الضباط الالمان لمرافقتنا ، ثم لحق بنا سفير كرواتيا « بوداق » فسافرنا وبرفقتنا بعض

اخواننا من رجال مكتبنا في برلين الى « فيينا » يوم ٢٤ مارس ١٩٤٣ ، وكان يوما غزير المطر شديد ، ثم الى « زاغرب » حيث انزلتنا الحكومة الكرواتية في ضيافتها ، وقابلت رئيس دولتها الدكتور « آنته بافيليتش » ورئيس وزرائها « جعفر بك كولينوفيتش » . وقد ادب لنا بافيليتش مأدبة عشاء وابدى اهتمامه بالقضية التي نسافر من اجلها وعطفه على مهمتنا وتبرع بمليون « كونه » كرواتية لمساعدة المنكوبين ، وكذلك ادب لنا رئيس الوزراء مأدبة اخرى ، وكذلك وزير الدولة « حقي حاجيتش » الذي تولى امر الاتصال بي خلال اقامتي في زاغرب ..

وفي اليوم التالي وصل بالطائرة الى زاغرب الكومانداتور مالليني من وزارة الخارجية الايطالية (تولى في اواخر عهد موسوليني وزارة الخارجية) يصحبه مندوب من وزارة الخارجية الالمانية ، وقد حاولت الحكومة الكرواتية، بالاشتراك مع سفيري المانيا وايطاليا في « زاغرب » ان يثنوا عزمي عن السفر الى بوسنة متذرعين الى ذلك الحرص على حياتي من المجازفة في تلك البلاد المضطربة والمملوءة بالعصابات الدموية الخطيرة ، لكنني اصررت على السفر وكتبت اليهم كتابا سجلت فيه « اني اتحمل مسؤولية ما قد يصيبني من تهلكة في زيارتي لبوسنة رغم نصائح الرجال المسؤولين في كرواتيا وممثلي المانيا وايطاليا . وامضيته وسلمته اليهم ، ثم استأنفت السفر الى « سرايفو » اي « بوسنة سري » ورافقنا في السفر الشيخ عاكف خانجيش مفتي الجيش الكرواتي ، لكن عاصفة ثلجية ارغمت طائرتنا على العودة الى « زاغرب » ، وبعد بضعة ايام عاودنا السفر ، لكن طائرتنا لما وصلت بوسنة سراي لم تستطع الهبوط لشدة العاصفة الثلجية ، فعادت الى « بانيا لوقه » . فلما خرجنا من المطار ، دهشنا لمشاهدة اهل بانيا لوقه يلبسون العمائم والطرابيش ، ونساؤهم متحجبات ، وشعرنا كأننا نجتازشوارع القدس القديمة ، او سوق الحميدية في دمشق ، او حي السيدة زينب في القاهرة ، وبقينا في بانيا لوقه ثلاثة ايام دعانا خلالها الى الغداء فضيلة مفتيها الحاج حافظ مصطفى نورفيتش ، وهو رجل

عالم فاضل ويحسن اللغة العربية ، فلما جلسنا الى المائدة قال معتذرا عن بساطة الطعام : لا تؤاخذونا فقد غلا قدرنا (بكسر القاف) على قدرنا (بفتحها) .

واخيرا غادرنا بانيا لوقه الى بوسنة سراي حيث اجتمعنا بزعماء بوسنة وهرسك وبعد البحث معهم ومع قيادة القوات الالمانية في كيفية المحافظة على حياة البشناقة والدفاع عنهم ومنع وقوع المذابح فيهم ، وافقت الحكومة الالمانية على تجنيد الشبان منهم وتدريبهم وتسليحهم للدفاع عن انفسهم وعائلاتهم داخل بلادهم . وقبل ان اغادر بوسنة كان قد تم تسجيل نحو سبعة الاف متطوع ولما عدت الى برلين تم الاتفاق مع الحكومة الالمانية على تأليف فرقة عسكرية بوشناقية سميت باسم « فرقة خنجر » وتولى قيادتها الجنرال الالماني « زاوبر تسفايغ » . ثم تلا ذلك انشاء فرقة اخرى باسم « فرقة قاما» وبلغ عدد جنود الفرقتين نحو ٣٧ الفا ، كما تألفت قوات محلية اخرى من شرطة ودرك وحرس (ميلس) بلغ مجموعها كلها قرابة مائة الف مقاتل، وبذلك استطاع اهل بوسنة وهرسك ان يدفعوا عن انفسهم الخطر الماحق الذي كان يهددهم .

ولم يكن من سبيل لحماية المسلمين في تلك البلاد من الابادة الا بالتفاهم مع السلطات الالمانية والتعاون معها ، فتم الاتفاق على ما يلي :

١ ــ تجنيد عدد من الشبان المسلمين في مقاطعات بوسنة وهرسك وسنجق « يني بازار » لتأليف قوات عسكرية ، وقوات للامن العام والشرطة.

٢ ــ يناط بهذه القوى حماية النفوس والاموال من المعتدين عليهم داخل بلادهم في المناطق المذكورة .

٣ ــ لا تكلف هذه القوات بالقيام باي عمل عسكري خارج بلادهم ، ولا بأية مهمة اخرى غير الدفاع عن انفسهم وممتلكاتهم .

٤ ــ تتعهد الحكومة الالمانية بتسليح هذه القوات وتدريبها ، وبابقاء

الاسلحة مع افرادها خلال الحرب وبعدها •

وقد قامت القوات البوسنوية التي أربت على مائة الف من اشجع الجنود، بمنع المجازر عنهم وعن جميع مسلمي البلقان وشرق اوروبا وعددهم نحـــو ستة ملايين ، وغدا الجنرال ميخائيلوفيتش وغيره من طغاة البلقان يدارونهم ويتوددون اليهم • ولما ظهر في تلك البلاد ، رئيس يوغوســـلافيا الحالي ، (يوزيب بروز تيتو) واشتد خطره تم التفاهم بين الالمان وميخائيلوفيتـش، على مقاومة تيتو لانه كان يتلقى الاسلحة والعتاد من روسيا ، فأمد الالمان ميخائيلوفيتش بالسلاح والعتاد • فلما شعر هذا بالقوة حاول ان يعود سيرته الاولى من الفتك في المسلمين ولكن بالسلاح الالماني هذه المرة !

ولما اعلمني البوسنويون بذلك قابلت الجنرال « برغر » واطلعته عـــلى حقيقة ما يقوم به ميخائيلوفيتش ، فاهتم للامر ولما تأكده ، اصدر امرا سريا للمعامل الالمانية لتصنع ذخائر البنادق والمدافع التي يتسلمها ميخائيلوفيتش بطريقة فنية تؤدي الى افساد تلك الاسلحة ، وابطال مفعولها ، وقد تم ذلـــك فعـــلا •

بعد عودتي من بوسنة سراي كتبت الى المرحوم مصطفى النحاس باشـــا خبر هذه الكارثة وتفاصيلها مشفوعة برسالة من زعماء المسلمين البوسنويين وقد حملها المرحوم الدكتور مصطفى الوكيل الذي كنا نتعاون واياه في اوروبا وكان من اخلص العاملين وافضل الشبان الذين عرفتهم في حياتي ، وتوجـــه الى استانبول حيث سلمها الى قنصل مصر العام السيد امين زكي وهو مـــن افاضل المصريين وخلصائهم ، فحملها السيد امين زكي الى النحاس باشـــا • وقد وصفت له في تلك الرسالة حالة مسلمي بوسنة وهرسك على حقيقتهـــا ورجوته ان يعمل ما في وسعه لمساعدتهم ، وان يحدث ملك يوغوسلافيا بطرس الثاني في شأنهم لان ميخائيلوفيتش كان من اتباعه • وكان الملك بطرس حينئذ لاجئا في مصر بحكم علاقاته الودية مع بريطانيا وحلفائها في الحرب ، وكذلـــك

عدد من الوزراء والشخصيات من الرعايا اليوغوسلافيين لاجئين اليها .

وقد اثارت الرسالة حمية رئيس الوزارة المصرية وشعوره الانساني وتوجه من فوره فزار الملك بطرس وحدثه في الامر ، ثم هدد باخراج جميع الرعايا اليوغوسلافيين من مصر اذا لم يستجب الملك بطرس ويعمل على وقف المذابح في مسلمي يوغوسلافيا ، وكان لذلك الموقف الحازم اثره في نفس الملك بطرس وتخفيف وطأة تلك المذابح المروعة .

ولم تكتف الحكومة المصرية بذلك العمل بل تبرعت بخمسة وعشرين ألف جنيه وتبرع الهلال الاحمر المصري بخمسة وعشرين الفا اخرى وتم ارسال الخمسين الفا الى الصليب الاحمر لتوزيعها على منكوبي المسلمين في يوغوسلافيا وقام الصليب الاحمر مشكورا بهذه المهمة الانسانية .

وقد تلقيت جوابا على رسالتي مشتملا على ما اتخذته مصر من اجراءات في هذا الشأن .

وبعدما اتم الجيش الالماني تدريب الفرقة البوسنوية الاولى « خنجر » ذهبت والدكتور مصطفى الوكيل لزيارتها في قرية « نوى هامر » في مقاطعة سيلزيا ، ومكثنا اربعة ايام في تلك الزيارة ، فرأيناها مجهزة تجهيزا كاملا بانواع الاسلحة والمدافع ، وكان قائدها الجنرال « زاوبر تسفايغ » الالماني يرافقنا في زيارتنا لكل فوج من افواج الفرقة . وقد اعجبنا بروح الجندية الرائع الذي كان يتحلى به افرادها وبالنظام الدقيق الذي كانوا يتبعونه .

عند البدء في تأليف فرقة « خنجر » كانت « التعبئة الروحية » من اهم ما عنينا به لان العقيدة والايمان ضرورة اساسية لكل جيش ، ولان الجندي الذي لا يتمتع بالايمان ولا يرتبط بعقيدة ولا يدري لماذا يقاتل ويضحي بروحه ، لا يمكن الاعتماد عليه . ولدى جميع الامم الواعية دوائر خاصة بالغذاء الروحي في جيوشها ، لانه ضرورة قصوى كالغذاء المادي ، بل اكثر اهمية ، والجيوش التي لا تعتنق عقيدة ولا تقاتل في سبيل هدف معين فمصيرها

الهزيمة والخزي .. وعلى اثر ذلك اتفقنا مع السلطات الالمانية على انشاء معهد للائمة لتوزيعهم على وحدات الفرقة . وقد انشىء المعهد في مدينة « غوبن » واختير له عدد من علماء البوشناق لتوجيه اولئك الائمة . وقمت بالقاء بعض المحاضرات فيه وكذلك الشيخ حسن ابو السعود والدكتور مصطفى الوكيل ، فقد كانا يلقيان المحاضرات والدروس في ذلك المعهد الذي تخرج فيه ائمة افواج الفرقتين . وكان المعهد يعنى الى جانب التدريب الروحي ، بالتدريب العسكري الوافي، حتى اصبح كل امام منهم ضابطا مدربا . وقد كنا في زياراتنا للمعهد ، نحادثهم ونأكل معهم ونتحدث فتتطرق احاديثنا الى قضية فلسطين ، فكانوا يتحرقون شوقا للجهاد في فلسطين . وبالفعل جاء عدد من ضباطهم وجنودهم بعد انتهاء الحرب العالمية الىفلسطين وساهموا في معاركها ببسالة رائعة ، ولو اتسع مجال الجهاد حينئذ ، ولو لم تحل المؤامرات الاجنبية والتيارات الاستعمارية دون استمرار معركة فلسطين، لرأينا الالوف من اولئك الجنود البوسنويين البواسل ، وغيرهم من المجاهدين يساهمون معنا في تحرير فلسطين وانقاذ الاماكن المقدسة . واملنا كبير في ان الفرصة التي اضاعت علينا المؤامرات والتوجيهات الاجنبية ومنحت الصهيونيين فرصة خمس وعشرين سنةمن الوقت للاستعداد والتأهب ووضعت القضية الفلسطينية في ثلاجة (كما صرح جيمس غرانت وكيل الخارجية الامريكية في ٣٠ نيسان ١٩٦٣) لن تضيع مرة اخرى وان المجال سيفسح لجميعالمجاهدين الصادقين المخلصين ليقوموا بواجبهم نحو فلسطين.

وكذلك انشأنا ، بالاتفاق مع الالمان ، معهدا اخر في « درسدن »لتخريج الائمة الاذربيجانيين والقوقازيين وغيرهم ، وبذلك اربى عدد المجندين في بلاد المحور من عرب وبوسنويين ، واذربيجانيين وغيرهم ، على مائتي الف مقاتل .

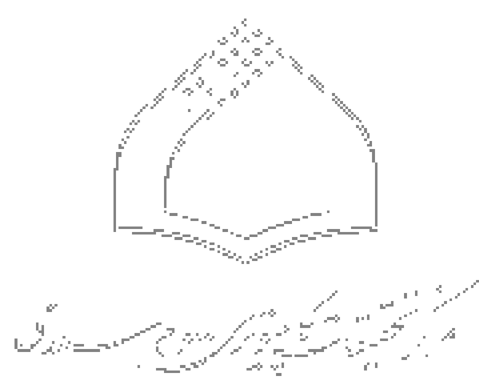
من أخص مزايا مسلمي البوشناق ثقافتهم الاسلامية ، واخلاقهم الكريمة، واقبالهم على حفظ القرآن الكريم وتجويده ، رجالا ونساء واذكر ان اعيان

سراييفو اقاموا حفلة شهدها عدد كبير من القراء المثقفين لتلاوة القرآن فلما سمعت تلاوة كثير منهم أعجبت بهم ، فهم كأحسن القراء في مصر ، كما ان بعض النساء كن يحفظن القرآن كله . وقد زارني في برلين عام ١٩٤٣ وفد بوشناقي كان من اعضائه سيدة حافظة للقرآن وهي مهندسة متخرجة من جامعة برلين ، وقد سمعناها تتلو القرآن الكريم ، تلاوة لا تقل في جودتها واتقانها وحسن ادائها عن احسن القراء ...

وقد زرنا في سراييفو المعهد الاسلامي الشهير مدرسة غازي خسرويك، التي تخرج القضاة والعلماء وسائر رجال الدين . ولهذه المدرسة فضل كبير في نشر الثقافة الاسلامية . ولا ندري ما فعل الدهر بها اليوم . فقد بلغنا انها تحولت عن وجهتها الاساسية.

وصلينا الجمعة في جامع سراي بوسنة الكبير (جامع الغازي خسرويك) وسمعنا من الخطيب الذي كان يلقي الخطبة بالعربية الفصحى ، مما اثار اعجابنا . وقد تكلم بعد الصلاة كل من الشيخ محمد خانجيتش والاستاذ قاسم دوبراجة ، فأحسنا كل الاحسان ، وأعجبنا بعربيتها الفصحى ، وبراعتهما في الالقاء.

ولقد عرف البوشناق بالشجاعة النادرة . شهد لهم بذلك كل من عرفهم. ولما سمع هتلر بانشاء الفرقة البوسنوية الاولى قال : « اني عرفت جنودهم في الحرب العالمية الاولى فقد كانوا من أبسل الجنود في الجيوش النمساوية، وكانت قيادة الجيش النمساوي حين تحتدم المعارك وتشتد الحاجة الى اختراق جبهة ، تستدعي الجنود البوسنويين الشجعان ، فقد كانوا يقتحمون الميدان بشجاعة عظيمة ، وحين يقتربون من الاعداء يستلون « قاماتهم » (والقامة سيف قصير صقيل ذو حدين) ويعضون عليها بنواجذهم حتى اذا التحموا بالعدو نقلوها الى ايديهم فأبلوا بها احسن البلاء.



الفصل الثالث عشر

قصة الخلاف بين المفتي ورشيد عالي الكيلاني



المفتي والكيلاني في المانيا



آخر صورة للسيد رشيد عالي الكيلاني
(نيسان ١٩٦٣)



جميع الذين ارخوا هذه المرحلة من التعاون العربي الالماني افرغوا الصفحات العديدة للخلاف الذي نشب بين الحاج امين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني ، وقد اصدر البعض كتبا عديدة عن هذا الخلاف وذكروا الاضرار التي لحقت بالقضية العربية عامةوالقضية الفلسطينيةخاصة منجرائه.. لهذا كان لا بد من سؤال المفتي عن طبيعة هذا الخلاف واسبابه ومسبباته.. فقال :

ــ الخلاف بيني وبين المرحوم السيد رشيد عالي الكيلاني بولغ فيه كثيرا ، وقد حاول البعض توسيع شقته لكننا حسمناه حسما نهائيا ، وكان امده قصير باتفاقنا على اللقاء مرتين في الاسبوع ، مرة في منزله ، ومرة في منزلي ... والسيد الكيلاني صديق كريم وعربي اصيل ، وكنت واياه في العراق وفي اوروبا على تعاون وثيق وكنا نؤمن بمبادىء واحدة . وقد يكون للاصدقاء وجهات نظر تختلف احيانا ، لكن اكثر وجهات نظرنا كانت واحدة. ولم احاول في اي وقت ان اخاصمه او انافسه ، ولم تصدر عني قط اية كلمة

ضده لاي اجنبي طيلةالمدة التي كنا فيها في المانيا وايطاليا ، ولم اؤثر نفسي عليه في شيء ، وكنا نتشاور في كل الامور عندما كنا في منزل واحد في برلين، فلما جاءت اسرته من تركيا الى المانيا انتقل بها الى منزل آخر ، وهذا امر طبيعي . ولكن ذلك لم يحل دون اتصالنا واستمرارنا في اللقاء والتشاور . وكانت مساعينا السياسية لدىدولتي المحور لصالح القضايا العربية تتم بالاشتراك بيننا ، الى ان افترقنا قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولما قيض الله لنا اللقاء بعد عودته من المملكة العربية السعودية الى القاهرة ، بقينا على ما كنا عليه من الصفاء والوفاء وتبادل الزيارات.

ثم التقينا مرارا في مكة المكرمة ، وفي الرياض ، وتبادلنا الزيارات الودية، واستمرت علاقاتنا الاخوية بعد عودته الى بغداد . وبعد وفاته رحمه الله في بيروت ودفنه في بغداد ، استمرت علاقاتنا مع اسرته الكريمة واقاربه على ما كانت عليه من مودة وصداقة ..

ولست ارى مبررا للتركيز على موضوع الخلاف بيني وبين السيد الكيلاني الى حد القول بانني اعلنت الحر بعليه .

لقد روى البعض ان الكيلاني رفض العمل تحت قيادتي ، وان رشيد عالي الكيلاني حاربني بعنف ، وانني تحالفت مع هملر ضده ... فأنا لم اطلب قط من السيد الكيلاني العمل تحت قيادتي ، ولا كان سفري الى المانيا وايطاليا خلال الحرب العالمية الثانية سعيا وراء شهرة او زعامة ، بل لمتابعة العمل والخطة التي اعتقدت انها قد تؤدي الى انقاذ فلسطين من الصهيونية وتحرير الامة العربية من الاستعمار ، واستمرت مساعينا السياسية مشتركة وتمكنا من حمل دولتي المحور على الاعتراف رسميا باستقلال الاقطارالعربية.

ـ ما هي حقيقة الخلاف بينكم وبين الدبلوماسي الالماني غروبا ؟

كان الدكتور غروبا وزيرا مفوضا لالمانيا في بغداد الى ان اعلنت الحرب

العالمية الثانية وقطعت حكومة نوري السعيد علاقتها الديبلوماسية بالمانيا استجابة للضغط الانكليزي ، وسلمت الرعايا الالمان الذين كانوا في العراق الى السلطات البريطانية فاحتجزتهم في الهند الى نهاية الحرب ، ولما نشبت الحرب بين العراق وبريطانيا عام ١٩٤١ واعاد العراق علاقاته الدبلوماسية بالمانيا رجع الدكتور غروبا الى العراق ، لكنه لم يلبث ان عاد الى برلين قبيل دخول القوات البريطانية بغداد .

وكانت بعض الشركات الالمانية ترغب في الحصول على امتيازات اقتصادية في العراق فتوسط لها غروبا لدى السيد رشيد عالي بعد وصوله الى برلين ، لعقد اتفاقات اقتصادية خاصة بالنفط وغيره من الموارد الاقتصادية . وقد حدثني السيد رشيد عالي حينئذ في هذا الموضوع ، فكان رأيي التريث في عقد اتفاقات اقتصادية مع الشركات الالمانية الى ان تنتهي الحرب .

وكان يقيم باستانبول عندئذ السيد ناجي شوكت والدكتور محمد حسن سلمان وهما وزيران في وزارة السيد رشيد عالي الاخيرة فاقترحت عليه ان يستدعيهما الى المانيا لاستشارتهما في الشؤون العراقية ، فاستدعاهما فكانا خير مستشارين . اما موضوع الاتفاقات الاقتصادية فقد ارجىء الى ما بعد الحرب . واعتقد أن هذا الموقف ساء غروبا وقد بدا ذلك في تصرفاته فيما بعد .

اما القول بان الهر فون ريبنتروب وزير خارجية المانيا ايد غروبا في التفرقة بيني وبين الكيلاني وانه اقتنع بسياسة غروبا هذه واعطاه حرية التصرف لتحقيق هذا الهدف وان موقف ريبنتروب هذا لا يمكن ان يوصف الا بانه خيانة للعرب ، فهي أقاويل وادعاءات لا اعتقد صحتها ، فلم يكن فون ريبنتروب يعمل للوقيعة بين زعماء العرب ولا هو ايد غروبا في عمله هذا .

وكذلك ليس صحيحا ان سفري الى روما كان لتثبيت مركزي في ايطاليا قبل ان يصلها « نفوذ » غروبا ، وللحملة على غروبا والكيلاني معا وان مقابلتي

الاولى لموسوليني كانت في فبراير عام ١٩٤٢ والصحيح انها كانت في اواخر اكتوبر عام ١٩٤١ ، اثر وصولي روما بعد مغادرتي طهران الى تركيا فالبلقان فالنمسا فايطاليا • ولم اكن قد ذهبت الى المانيا ، ولم يكن السيد رشيد عالي قد وصل الى اوروبا من استانبول حيث كان مقيما •

واثباتا لذلك اورد هنا نص البرقية السرية التي ارسلها القائم باعمال السفارة الالمانية في روما الكونت بسمارك (حفيد البرنس بسمارك السياسي الالماني الشهير) الى وزارة الخارجية الالمانية عن وصولي الى روما ومقابلتي لموسوليني وان الحديث في المقابلة كان حول القضية العربية على وجه الحصر •

وهذه البرقية منقولة عن السجلات الرسمية البريطانية ، التي اصدرتها المكتبة الملكية البريطانية تحت عنوان : (وثائق ديبلوماسية عن وزارة الخارجية الالمانية) ،وهي من ضمن مجموعةالوثائق التي استولت عليها دول الحلفاء عند احتلال المانيا •

ترجمة البرقية رقم (٤٢٨)

٧١/٥٠٨٩٣

من القائم بالاعمال في ايطاليا الى وزارة الخارجية

برقيــــة

سري

رقــم ٢٧٢٣ في ٢٨ تشرين الاول

بالاشارة الى برقيتي رقم ٢٦٩٥(١) المؤرخة في ٢٥ تشرين الاول ، فان التقرير المبلغ عنه في البرقية المذكورة آنفا بشأن وصول المفــتي الاكبر الى ايطاليا قد تم نشره في الصحف الصباحية امس ، ان التأخير ليوم واحد جاء نتيجة لان الدوتشي ، لكونه غائبا عن روما ، لم يكن قادرا على استقبال المفتي الاكبر امس الاول لكنه استقبله امس صباحا بحضور انفوزو •

اخبرني انفوزو ان شخصية المفتي الاكبر قد تركت انطباعا مرضيا جدا في الدوتشي • لقد كان رجلا في منتصف الاربعينات من عمره واعطى انطباعا على كونه ذكيا ، وقد بدا أنه يعرف تماما ما يريد • وقد دارت المناقشة ، التي دامت وقتا كافيا وجرت باللغة الفرنسية حول القضية العربية على وجه الحصر، وابلغ المفتي الاكبر الدوتشي ان هدفه الاساسي كان استقلال فلسطين وسورية والعراق • واوضح ايضا انه سيطلب في الوقت المناسب الى الحكومتين الايطالية والالمانية تصريحا بان مساعي الحكومتين مطابقة لمساعيه السياسية التي وافق عليها الدوتشي •

واضاف انفوزو ان المفتي الاكبر رغب اولا في انتظار وصول الكيـلاني ومن المحتمل بعد ذلك ان يذهب لزيارة برلين•

روما في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤١

« بسمـارك »

(١) ابلغ بسمارك في هذه البرقية (رقم ٧١/٥٠٨٩٢) ان الصحافة ستنشر في ٢٦ تشرين الاول اخبار وصول المفتي الاكبر الى مطار ايطالي•

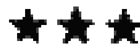
★ ★ ★

ـ قيل ونشر بانكم شكوتم غروبا الى وزارة الخارجية الالمانية ؟

ـ هذا ليس صحيحا ، فالذين روجوا لهذه الانباء زعموا انني بعد مقابلة موسوليني شرعت في الحملة على الدكتور غروبا والكيلاني في دوائر وزارة الخارجية الايطالية ولقيت تأييدا قويا منها ومن الكونت شيانو •

ولو كنت اريد ان اشكو الدكتور غروبا لشكوته الى وزارة الخارجية الالمانية لانها مرجع الشكوى ، ولا يعقل وانا في اول زياراتي لروما ان اجعل

فاتحة عملي فيها الشكوى من ديبلوماسي ألماني • ثم ان غروبا لم يكن يستطيع ان يفرض رأيه على وزارة الخارجية الايطالية ، ولم تكن السلطات الالمانيـة العليا راضية عن تصرفه عندما كان في بغداد ومحاولته تحريض العراقيين على محاربة الانكليز قبل ان يكونوا مستعدين للحرب وقبل ان تصلهم الطائرات والامدادات العسكرية من المانيا التي كانت معظم قواتها منصرفة الى محاربة روسيـــا •



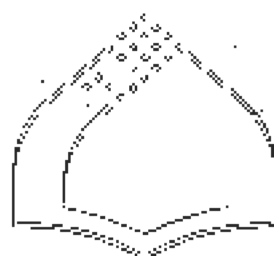
الفصل

الرابع عشر

المفتي يغادر ألمانيا



صورة تاريخية تجمع المفتي والرئيس الحبيب بو رقيبة اثناء الحرب العالمية الثانية.



يقول المفتي :

اشتدت وطأة غارات طائرات الحلفاء على المانيا منذ اواخر عام ١٩٤٣ ، وازدادت شدة عام ١٩٤٤ ، فكانت بعض الغارات تهاجم برلين بألف طائرة ، واحيانا بأكثر من ذلك ملقية حممها وقنابلها المدمرة والحارقة على كل انحاء برلين ، لا فرق بين أهداف عسكرية او مدنية . وقد اصيبت دارنا في شارع « كرومه لانكه ــ غوته شتراسه » عدة مرات . وكانت السلطات الالمانية المختصة تبادر بانذارنا بالغارات بالتليفون قبل وقوعها ، فنذهب الى الملاجىء القريبة ، ونمكث في الملجأ حتى تنتهي الغارة ، فنعود الى الدار فنجدها احيانا سالمة ، وأحيانا مصابة في بعض اقسامها ، وكذلك الدور المجاورة في تلك المنطقة التي هي ضاحية من ضواحي برلين.

وفي احدى المرات خرجنا من الملجأ ، فشاهدنا دارا مواجهة لدارنا تحترق، فأسرعنا ورفاقنا لمساعدة الجيران ، فوجدناهم يكافحون النيران وينقذون ما

يمكنهم انقاذه من المتاع واللباس بنظام دقيق ، دون فوضى او هلع ، وبضبط نفس يدعو الى الاعجاب ، وقد ادى ذلك الى انقاذ قسم غير قليل من امتعة الدار الثمينة •

وقد اصيبت دارنا مرارا ، وكانت ملكا لسفير المانيا في الارجنتين ، ومؤلفة من ثلاثة ادوار ، تحيط بها حديقة واسعة ، فكانت السلطات الالمانية تصلح الدار فورا عند اصابتها ، فنعود الى سكناها • ومكثنا على هذه الحال الى ان وقعت في ٢٣ نوفمبر عام ١٩٤٣ غارة جوية عظيمة دمرت معظم الدار ، فلما خرجنا من الملجأ وعدنا اليها لم نجد فيها الا جزءا صغيرا نستطيع ان نتقي به البرد ، فاضطررنا وجميع رفاقنا سكان الدار ان نقضي تلك الليلة في ذلك المكان الضيق •

فلما كان اليوم الثاني نقلتنا السلطات الالمانية الى منطقة بعيدة عن الغارات الجوية على بحيرة « ساوه » ، فمكثنا بها نحو شهرين ، ثم انتقلنا منها الى مدينة « سيناو » حيث قضينا نحو اربعين يوما في فندق ، ثم انتقلنا منها الى « اويبين » وهي احدى المنتجعات الالمانية بالقرب من حدود تشيكوسلوفاكيا ، فأقمنا ببيت كبير اتسع لنا ولاكثر رفاقنا ، وكنا نحو عشرين رجلا ، ومكثنا في أويبين معظم عام ١٩٤٤ وشطرا من عام ١٩٤٥ • ولكننا لم ننقطع عن برلين خلال هذه المدة ، فكان رفاقنا يتناوبون الذهاب اليها ، فيقضي كل واحد منهم اسبوعا في مكتبنا لتفقد شؤون المراجعين من عرب ومسلمين ، وقضاء مصالحهم في تلك الظروف الحرجة •

فلما اشتدت الحال ، وضيق الحلفاء الخناق على المانيا ، وشرعوا في الزحف على الاراضي الالمانية عام ١٩٤٥ ، زارنا في مقرنا في اويبين « البورغرمايستر » وهو الاسم الرسمي لحاكم المنطقة ، وابلغنا ان هذه المنطقة اصبحت منطقة خطرة ، وان السلطات الالمانية ترغب في نقلنا الى مدينة « بادكشتاين » وهي منتجع شهير في جنوب النمسا • وقد لاحظنا عند زيارة البورغرمايستر لنا ، ان السيارات التي تقله ومن معه كانت كلها تسير بالفحم ، بدلا من البنزين الذي

اصبح قليلا وغالي الثمن في المانيا • فتوجهنا الى بادكشتاين بعـــد ان حولنا سيارتنا الى سيارة وقودها الفحم ، وفي طريقنا اليها مررنا بمدينة «باداولستر» حيث مكثنا ثلاثة ايام ، ثم استأنفنا السير الى مدينة « سالزبورج » وفي طريقنا اليها وعلى مقربة منها اقمنا اسبوعا في قصر شهير كان هتلر قد خصصه لاقامة بعض ضيوفه • واخيرا وصلنا « بادكشتاين » حيث انزلتنا السلطات الالمانية في فيللا « كارلشتاين » التي لم تتسع لنا جميعا فنزل بعض اخواننا في فنادق المدينة ، وكان بينهم فلسطينيون ومصريون وسوريون وتونسيون وايرانيون• وكانت السلطات الالمانية قد خصصت هذه المدينة للهيئات السياسية لبعدهـا عن الغارات الجوية ولعدم وجود مصانع فيها تجعلها عرضة للقصف والتدمير•

قبل الانتهاء من الحديث عن اقامتنا بالمانيا ومغادرتها الى سويسرا ففرنسا، أرى ان أشير الى بعض الوقائع قبل مغادرتنا بادكشتاين نهائيا • ففي اواخر ايامنا في المانيا فجعنا بالدكتور مصطفى الوكيل • ولا اتذكر اني حزنت لفقد احد كما حزنت لفقد شهيدين فذين كانا متشابهين في كثير من الصفات والمزايا النادرة ، هما الدكتور مصطفى الوكيل الذي استشهد في برلين يوم ٤ اذار ١٩٤٥، والسيدعبدالقادر الحسيني الذي استشهد يوم ٨ نيسان عام ١٩٤٧

قضى مصطفى الوكيل شهيدا كريما من شهداء الامة العربية ، بعدمـا كان مجاهدا عظيما من مجاهديها وكانت حياته الغالية القصيرة شعلة وهاجـة من المبادىء الشريفة ، وقبسا من نور الايمان ، وقدوة صالحة للشبان الناشئين والرجال العاملين ، ومثلا حيا للوطنية الصادقة ونكران الذات في سبيل المجموع والايثار والفداء في سبيل المبادىء المستقيمة والمثل العليا • وكل من عـرف الشهيد استهوته هذه الصورة الحية من صور الايمان والفداء ، والبسالـة والخلق الكريم •

لقد سبق لي ان نوهت بمصطفى الوكيل في بعض المناسبات وارى من الواجب ان اوفيه بعض حقه لمناسبة الحديث عن استشهاده في برلين•

فعندما كنا في العراق ونشبت الثورة العراقية في ربيع عام ١٩٤١ لتعنت

الانكليز الذين كانوا قد اعدوا عدتهم لاحتلال العراق واتخاذه قاعدة لهم في الحرب (كما اورد ذلك تشرشل في مذكراته) تطوع الفقيد مصطفى الوكيل لقتال الانكليز دفعا لعدوانهم على العراق والتحق بكتيبة المجاهدين الفلسطينيين بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني ، ولما انتهت المعركة وخرج من العراق عدد من احرار العراقيين والفلسطينيين والسوريين وغيرهم ممن كانوا عرضة لنقمة السلطات البريطانية وعملائها ، خرج الفقيد مع زملائه من مجاهدي فلسطين الى سوريا فتركيا ، ومنها الى المانيا ، وقد اتيح لي خلال اقامتنا في العراق والمانيا ان ازداد معرفة به ، وتجربة واختبارا له ، فما زادتني تلك الايام على شدتها وصعوبتها الا اعجابا به وتقديرا لاخلاقه بشجاعته وزهده وانكاره لنفسه ، وكنت ارى فيه مثلا لما ينبغي ان يكون عليه الشاب العربي المسلم من الاخلاق الفاضلة والتربية العالية .

وكان الفقيد خلال مدة الحرب موفور النشاط دائبا على العمل لخدمة المصالح العربية والاسلامية عامة ، والمصرية خاصة . ومن اعظم الخدمات التي أداها لوطنه مصر وكان له الفضل الكبير فيها ، التصريح المشترك الذي صدر عن المانيا وايطاليا عام ١٩٤٢ بالاعتراف باستقلال مصر ، ومطالبة دول المحور بأن لا تقوم الطائرات الالمانية والايطالية بقصف المدن المصرية بالقنابل وكذلك في مساعينا المشتركة لانقاذ ركاب الباخرة المصرية « زمزم » وملاحيها من الاسر ، والعناية بهم وبغيرهم من الاسرى ، وبعدد كبير من الجاليات العربية والاسلامية في المانيا ، وقام برحلات عديدة شاقة الى تركيا والبانيا وبعض العواصم الاوروبية في سبيل خدمة مصر والاقطار الاسلامية . وعندما اخذت العصابات الصربية تعيث فسادا في بلاد البوسنة وتمعن في اهلها المسلمين قتلا ذريعا حتى بلغ عدد القتلى منهم نحو مائتي الف نسمة ، اصر الفقيد على التطوع في صفوف المدافعين عن مسلمي البوسنة ، ولكنني كلفته بالسفر الى البانيا للمشاركة في اعلان استقلالها ولتأليف فرقة عسكرية فيها للدفاع عن مسلمي البانيا ، وهناك استقبله رئيس الدولة الالبانية مهدي بك فراشيري وانزله في بيته تكريما له . وقد رفض الفقيد طيلة وجوده في المانيا ان يأخذ مخصصات الرجل السياسي

وهي اربعة امثال المخصصات العادية وكان يكتفي بمخصصات الرجل العادي .

وكان الفقيد يعمل معي في برلين طيلة النهار وشطرا من الليل . فلما اشتدت الغارات الجوية على برلين لم يكن يلجأ الى المخبأ بل يمكث في مكانه لا يتزحزح ويقول : (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) فاستطعت ان آتي به الى بيتنا بعد الالحاح. ولما هدم البيت الذي كنا نقيم به في برلين لثالث مرة طلبت منا الحكومة الالمانية ان تنتقل الى قرية «ساوة» على بعد سبعين ميلا من العاصمة ثم انتقلنا منها الى «اويبين» في ساكسونيا على مقربة من الحدود التشيكوسلوفاكية واقمنا بها مع اخواننا وفي مقدمتهم الفقيد واخذنا نتردد على برلين ، واتخذنا من « المعهد الاسلامي » مكتبا لنا واخذ اخواننا يتناوبون العمل فيه اسبوعيا ومن جملتهم الدكتور الوكيل . لكنه كلما ذهب لا يعود بعد انقضاء نوبته الاسبوعية الا بالجهد ، وبعد ان اطلبه بالتليفون مرارا ، وكثيرا ما كان يقول لي : ارجو ان لا تضيع علي فرصة الشهادة هنا ، او على الاقل مشاهدة المعارك حين تنشب في برلين نفسها بين الالمان والروس لدراسة«حرب الشوارع » التي قد نحتاج اليها في بلادنا .

وفي ليلة ٤ اذار (مارس) ١٩٤٥ اغارت على برلين طائرة انكليزية واحدة على غير العادة وألقت قنبلة واحدة ايضا مصوبة خصيصا على « المعهد الاسلامي » حيث كان الفقيد فيه ، فسقطت على بعد عشرة امتار منه ، وكانت قنبلة هواء مضغوط ، فدمرت البناء تدميرا كاملا ونال الفقيد الشهادة التي كان يتوق اليها وطالما سعى لها . فلما بلغنا الخبر ونحن في «بادكشتاين» بادر كل من الدكتور معروف الدواليبي (رئيس وزراء سورية فيما بعد) والاستاذ محمد اسحق درويش عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين والدكتور سميح الموصلي من كرام اخواننا السوريين بالسفر الى برلين للقيام بواجبات دفنه والصلاة عليه ثم تبعتهم بعد ذلك مع الدكتور فرحان الجندلي (وزير الصحة السوري فيما بعد) . وتم دفنه في المقبرة الاسلامية التي كانت للدولة العثمانية . ومن غرائب الصدفه ان كان ضريحه بجانب ضريح مجاهد كبير

مثله هو المرحوم الحاج نافع شلبي احد فضلاء مدينة حلب ومؤسس المعهد الاسلامي في برلين ، ذلك المعهد الذي كان الدكتور الوكيل آخر من تولى العمل فيه . وقد كان الزعماء والضباط الالمان شديدي الاعجاب به والاحترام له .

وعندما كنا في مصر بعد عودتنا من المانيا تم نقل جثمان الفقيد من المانيا الى القاهرة عام ١٩٥٤ وجرى له استقبال كبير عند وصوله بالطائرة يوم ٢٢ رمضان ١٣٧٣ (٢٥ ايار ١٩٥٤) وبعد وصوله شيع جثمانه بموكب حافل في وطنه العزيز بعد ان ظل بعيدا عنه أربع عشرة سنة . وقد اشتركنا في هذا الموكب الذي بدأ من ميدان التحرير واشترك فيه رئيس الجمهورية حينئذ ورئيس الوزراء وعدد كبير من الوزراء والعلماء والفضلاء ثم بعد الصلاة على الجثمان في جامع جركس سير به الى مدافن الاسرة حيث ألقيت خطب التأبين .

وقبل ان نترك بادكشتاين نهائيا ، توجهت والدكتور فرحان الجندلي الى برلين ، للقيام ببعض الشؤون ومنها بناء قبر الدكتور مصطفى الوكيل ، ومكثنا بها عشرة ايام بفندق ادلون الشهير ، الذي كان ينزل به حينئذ معظم رجال السلك السياسي للوقاية من الغارات الجوية لان فيه ملجأ عميق الغور يهبط اليه بنحو مائة درجة . وكانت برلين في تلك الايام هدفا لاشد الغارات الجوية ، التي كان معظمها يحدث ليلا ، فكنا نهبط الى الملجأ ريثما تنتهي الغارة . واخيرا جاء مندوب من الخارجية الالمانية فأنذر جميع الهيئات السياسية وانذرنا ايضا بضرورة مغادرة برلين خلال يومين ، لان زحف الحلفاء قد اقترب من برلين ، واصبحت مطوقة بجيوشهم .

وكان بناء الضريح قد انتهى ، وكانت برلين في تلك الايام ، في اواخر شهر نيسان ١٩٤٥ ، قد اصبحت حطاما لا تكاد العين تقع فيها على بناء قائم . فغادرناها متوجهين الى بادكشتاين ، ولعل سيارتنا كانت آخر سيارة غادرت

برلين قبل احتلال الحلفاء لها ، ولكننا لم نستطع ان نحدد الطريق الذي يجب ان نسلكه حتى لا نقع في ايدي القوات الزاحفة ، ولما سألنا المراجع الالمانية المسؤولة اشارت علينا بان نسأل قائد الموقع العسكري في كل مكان نصل اليه ، وهو يرشدنا الى الطريق الذي يجب سلوكه ، فعملنا بذلك .

وكانت طائرات الحلفاء التي أطلقوا عليها اسم (الغربان السود) وهي طائرات سود صغيرة الحجم قد انتشرت في كل مكان ، فكانت تنقض قريبا من الارض على قوافل السيارات الخارجة من برلين وغيرها، فتحرقها بمن فيها من الركاب والمتاع .

وقد شاهدنا في طريقنا قوافل من السيارات محترقة بمن فيها ، ولذلك آثرنا أن نسير بسيارتنا دون ان ننضم الى احدى القوافل وكنا عندما نرى تلك الغربان السود ، تترك السيارة وتختفي في احدى الغابات ، الى ان تبتعد تلك الغربان عنا .

وحدث عند وصولنا الى كارلسباد ان قصفت تلك الغربان السود بعض المواقع بالقرب منا في كارلسباد . ثم غادرناها ، واستأنفنا السفر الى « مارينباد » ، وكنا حريصين على الاستفادة من ظلام الليل ، للنجاة من تلك الطائرات الشديدة الخطر . لكن سيارتنا اصيبت بعطل قبل ان نبتعد عن مارينباد ، فشرعنا في اصلاحها فلم نتمكن من ذلك حتى الفجر، قد اشتد البرد، فذهب الدكتور فرحان ليبحث عن مكان نأوي اليه ، وماء او شاي نشربه، فوجد جماعة من اللاجئين الالمان يقيمون في مكان يشتمل على غرفة فسيحة، وقد قسموها الى عدة اقسام لتتسع لهم ، وخصوصا لكل عائلة منهم قسما، وجعلوا الحواجز فيما بين الاقسام من الحبال او الخيطان لا يتعدونها،واتخذوا من احد جوانب الغرفة مطبخا مشتركا للجميع ، وعندهم ماء ساخن فذهبنا اليهم واعطيناهم بعض الشاي الذي كان معنا ، ففرحوا به لان الشاي كان نادرا في المانيا حينئذ ، ثم أعطينا الاطفال قطعا من الشيكولات ، كانت معنا،

فلم يعرفوها ورفضوا اخذها لانهم ولدوا في زمن كانت فيه المانيا محرومة من الشيكولات واشياء كثيرة غيرها من الكماليات • ولكن المأكولات الاساسية كانت متوفرة •

وشاهدنا شابا مستلقيا في الفراش تبدو عليه دلائل الصحة • فعجبنا من أمره لانه قلما كان يشاهد شابا المانيا في تلك الايام غير مجند في الجيش او في عمل اخر من مقتضيات الحرب • وسألناه هل انت في اجازة ؟ فتبسم ورفع الغطاء عن جسمه فاذا باحدى رجليه مقطوعة من فوق الركبة ، وقال هذه اجازتي • ولما قدم له الدكتور فرحان سيجارة اقبل عليها بشغف ظاهر ، وقال : انني منذ عشرة ايام لم ادخن سيجارة واحدة ، وكانت الدولة الالمانية يومئذ تدعو الشعب الالماني الى الاقلاع عن التدخين ولا تسهله للمدخنين • كما كانت تقاوم الخمر بشدة •

وفي طريقنا من برلين الى بادكشتاين مررنا بمدينة « نورمبرغ » فكانت خرابا يبابا ، وكان عهدنا بها العمران والازدهار ، والحركة الدائبة والمنشآت الرائعة • وقد وقع عليها اختيار الحلفاء بعد الحرب لتكون مركزا لمحاكمة زعماء المانيا وغيرهم ممن سموهم (بمجرمي الحرب) وحكموا على كثيرمنهم بالاعدام او السجن مدى الحياة •

ولا بد من الاشارة هنا الى ان اليهود طالبوا بمحاكمتي في محكمة نورمبرغ كمجرم حرب ، بتهمة ابادة اليهود وتأليف فرقتين عسكريتين من مسلمي البوسنة وفرقة ثالثة في المانيا لمحاربة الحلفاء ، لكن محاولاتهم أخفقت •

كانت هذه حال المانيا في اواخر سني الحرب وعند انتهائها • غارات ، ودمار ، ومعارك جوية وبرية وبحرية ، وحرمان • ورغم ذلك كله كان النظام والصبر والطاعة تسود الشعب الالماني ، وبقي نظام توزيع الطعام ساريا • وقد اصدرت الهيئات الشعبية الالمانية بيانات ونشرات للشعب الالماني طالبة منه

ان يمد يد المساعدة الى اللاجئين والمحتاجين بسبب ظروف الحرب القاسية ، وان تكون المساعدة حسب الاستطاعة اما بالمال ، او بالملابس ، او بشريحة خبز من رغيف ، او بأي شيء يستطيعه المرء ، كما طلبت من افراد الشعب مساعدة الشيوخ والعجزة وحمل العاجزين منهم عن السير ، وحمل الاطفال وأمتعة الذين لا يستطيعون من الضعفاء القادمين بالقطارات او بالسيارات ، وان يرشدوهم الى الملاجىء ويقدموا لهم كل ما يستطيعون من خدمات ، حتى كنس الغرف وتنظيف الاماكن ..

وصفوة القول ان الشعب الالماني شعب عظيم ، جمع العلم الى الشجاعة، الى النظام والطاعة ، الى التعاون والايثار ، وغير ذلك من الميزات التي تحلى بها . ولا شك في ان الشعب الفلسطيني ، وكل شعب يجاهد ويكافح في سبيل انتزاع حقوقه واسترداد وطنه من ايدي الغاصبين ، لا بـد له من التحلي بالصفات والميزات التي تؤهله للعمل العظيم الذي اضطلع به ، واهمها صدق في القول ، والاخلاص في العمل ، والتعاون ، والفداء ، والايثار ، والصبر على المكاره ، عملا بقوله تعالى (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون).

ويستطرد المفتي قائلا :

لما تفاقم الخطر باجتياح جيوش الحلفاء مناطق كثيرة من المانيا ، واصبحت تحيط بها من كل جانب ، بحث معنا كبار المسؤولين الالمان عن طريق خروجنا من المانيا . فاقترح بعضهم ارسالنا في غواصة تقلنا الى احد الشواطىء العربية. وكدنا نقدم على هذه المغامرة ، رغم خطورتها ، لولا اننا سمعنا في الاذاعة من سويسرا في شهر نيسان عام ١٩٤٥ ان الحكومة السويسرية ، وفقا لتقاليدها تقبل اللاجئين السياسيين في بلادها . فوجدنا في ذلك حلا وفرجا ، وشرعنا في تهيئة وسائل السفر الى سويسرة ، وذهبنا برفقة احد موظفي الخارجية الالمانية الى مطار « كلاغن فورت» وهو المطار الاخير الذي لا يزال في يد السلطة الالمانية . وهناك شاهدنا نوع الطائرات التي كنا سنسافر بها ، فاذا

بها طائرات حربية صغيرة لا تضمن لاحد سلامة ، ولا تتسع كل واحدة منها الا لراكب واحد بجانب قائدها ، الذي لم يقبل ان يتحمل مسؤولية نقلنا . فاضطررنا للعودة الى بادكشتاين وقررنا ان نسافر بطريق البر الى سويسرة.

وكنا قد حصلنا على سيارة تسير بالبنزين الذي كان غالي الثمن جدا واشترينا صفيحة واحدة بمائة دولار اميركي . وبعد غروب شمس يوم ٥ـ٥ـ١٩٤٥ خرجنا من بادكشتاين متجهين الى الحدود السويسرية ، في ليلة شديدة البرد كثيرة الثلج ، واجتزنا اكثر من مائة كيلومتر ، لكن تراكم الثلوج حال دون مواصلة السير ، فأردنا الاتصال بحاكم تلك المنطقة ، وكان معنا موظف الماني ، فذهب ليبحث لنا عن اقرب مركز للشرطة ، لنتمكن من استعمال التليفون والاتصال بالحاكم ، فوجد بعد البحث مركز شرطة ، وطلب منه ان يمكننا من مخابرة الحاكم ، فدله على مركز سري للتلفون تحت الارض، ينزل اليه بسلم وسطحه ممهد ومسوى بالارض ، لئلا تراه طائرات الحلفاء. فأتينا اليه ولما طرقنا الباب خرجت الينا فتاة مجندة فطلبنا منها ان تصلنابالحاكم ومع ان الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل ، فقد استطعنا الاتصال به ، فأجاب طلبنا وامر المخفر بمساعدتنا . وكلفت احد الرفاق ان يعطي الفتاة أجر المكالمة التليفونية ، فأعطاها خطأ اكثر من الاجر المقرر فأخذت الرسم المقرر وهو مارك ونصف المارك وردت باقي الورقة المالية .

ومما لا انساه ان الموظف الالماني عندما قال للفتاة ان الذي يريد ان يتصل بالحاكم بالتليفون هو ضيف الفوهرر (اي ضيف هتلر) اجابت بحزن عميق ان الفوهرر قد مات . ولم يكن الخبر قد بلغنا بعد . وقد اعجبنا بصبر تلك الفتاة التي كانت تقوم بواجبها بكل امانة ودقة ، في تلك الساعة وتلك الليلة المكفهرة اكفهرارا جويا وعسكريا وسياسيا .

لكن كل محاولاتنا للتقدم نحو الحدود السويسرية اخفقت لتراكم الثلوج ، فاضطررنا للعودة مرة اخرى الى بادكشتاين واتصلنا برجال الخارجية فيها . فهيأوا لنا طائرة حربية لتقلنا من مطار « كلاغن فورت » الى

سويسرة • وقضينا ليلتنا في كلاغن فورت ، ولما ذهبنا في اليوم التالي الى المطار وجدنا الطائرة الحربية في انتظارنا وفيها اثنان من الطيارين • وعند الساعة الواحدة بعد الظهر اخذنا قائد المطار ، وألبسنا ملابس المظليين ثم ودعنا ، وطارت الطائرة باتجاه سويسرة • وكان ذلك اليوم ، يوم الهدنة ، واليوم الاخير للحرب الذي استسلمت فيه المانيا ، ولهذا السبب لم نصادف طائرات مقاتلة للحلفاء تتصدى لطائرتنا في الطريق• فلما وصلنا الى « برن » العاصمة سمعنا صفارات الانذار تدوي في الجو • فلما هبطنا الى ارض المطار واطلع الموظفون المختصون على اسمائنا ، اتصلوا بالمسؤولين فجاء مدير الامن العام الى المطار ، وبعد حديث معه ، وبواسطته مع السلطات المختصة ، رفضوا السماح لنا باللجوء الى سويسرة • فقلنا لهم اننا سمعنا اذاعتكم الرسمية، وقد اعلنتم بها انكم مستمرون في المحافظة على تقاليدكم بقبول اللاجئين السياسيين في بلادكم فأجابوا ان هذا صحيح ولكن ثمة قائمة (كشفا) باسماء اثنين وثلاثين شخصا استثنى اصحابها من السماح لهم باللجوء،واسمك بينها، ولذلك لا يسعنا قبولكم في سويسرة ، ولكننا مستعدون لتزويدطائرتكم بما تحتاج اليه من الوقود وغيره ، على ان تستأنفوا السفر فورا الى اسبانيا مثلا بصفتها بلادا محايدة •• فسألنا الطيارين الالمانيين اللذين كانا يقودان الطائرة عن امكان ذلك ، فقالا ان الطيران الى اسبانيا ليس في الامكان، لان الحلفاء لا بد انهم عرفوا بامرنا الان وستدمرنا طائراتهم ونحن في الجو • وعندئذ ابدينا للسلطات السويسرية استحالة سفرنا جوا ، فنصحتنا بالاسراع بالخروج من بلادها ، قبل أن تطالبهم سلطات الحلفاء بتسليمنا اليها • وكان المرحوم شكيب ارسلان والمرحوم السيد عبد الفتاح عمل سفير مصر في برن قد عرف بوصولنا الى برن ، وبرفض السلطات السويسرية قبولنا ، فحاولا جاهدين حملها على قبولنا لكن مساعيهما الحثيثة لم تؤد الى نتيجة ايجابية•

وعندئذ طلبنا من ادارة الامن العام ان توافق على سفرنا الى فرنسا بطريق جنيف وليس الى الحدود الالمانية التي جئنا منها لان الامريكيين احتلوها •

ولا الى كلاغن فورت التي احتلها اليوغوسلافيون • فقالت ان الحكومة السويسرية تصر على سفرنا الى الحدود الالمانية التي دخلنا من فوقها وفقا للقانون الدولي (وكانت هذه الحدود محتلة من القوات الفرنسية) وهي مستعدة لان توفر لنا البنزين لايصالنا الى المكان الذي جئنا منه من المانيا فلما قلنا لهم اننا نفضل ان تتسلمنا السلطات المدنية الفرنسية وليس القوات العسكرية التي هي قسم من قوات الحلفاء وتابعة لقيادتهم وطلبنا ان يسمحوا لنا بالاتصال بسفراء الدول العربية ، رفضوا طلبنا وألزمونا بالسفر الى الحدود الالمانية وعندئذ اضطررنا للسفر بالقطار بحراسة الجنود الى تلك التي اجتزناها جوا ورافقنا موظف فرنسي من جمعيةالصليب الاحمرالدولي للعناية بي من الناحية الصحية وقد خفف عنا لطفه ودماثته بعض ما لقيناه من السلطات السويسرية من صلف وسوء معاملة •

ولما وصلنا مدينة كونستانزة على ضفاف البحيرة المشهورة باسمها وجدنا هناك بعض رجال الصليب الاحمر الذين جاءوا لمعرفة حالتنا الصحية• ووجدنا ان الجيش الفرنسي قد احتل تلك المنطقة• فتسلمنا رجال الجيش وذهبوا بنا الى معسكر قريب من تلك البحيرة قضينا فيه ليلتنا •

اما قائمة (كشف) اسماء الاثنين والثلاثين الذين اشارت اليهم السلطات السويسرية في حديثها معنا فتحتوي على اسماء هتلر وغورنغ وروبنتروب وهملر واخرين من الالمان وكذلك موسوليني وبافيليتش رئيس جمهورية كرواتيا وغيرهما •

وفي فندق بايرهوف على شاطيء بحيرة كونستانزة حيث انزلتنا السلطة الفرنسية مؤقتا في طريقنا الى باريس وجدنا في الدور الثاني من الفندق ولي عهد المانيا السابق البرنس فون هوهنزولرن وفون ماكنزن سفير المانيا السابق في روما ، والوزير الالماني فون نويراث ، والبروفسور فون كريم وعددا من القواد الالمان ، ولكننا لم نقابلهم اذ كانوا معتقلين بحراسة الجنود •

وبعد ان مكثنا يومين في الفندق نقلونا الى السجن العسكري حيث قضينا ليلة • وفي اليوم التالي نقلونا في سيارة مكشوفة في قافلة محروسة ومسلحة ، فمررنا بعدة مدن فرنسية وعند الغروب وصلنا مدينة ستراسبورغ فقضينا فيها تلك الليلة في سجن عسكري كبير في غرف منارة وفيها ماء واسرة من حديد فراشها من التبن وكانت على كل حال خيرا من الليلة السابقة التي قضيناها في سجن كونستانزة •

وفي صباح السبت ١٩ـ٥ـ١٩٤٥ غادرت القافلة ستراسبورغ الى باريس • وكان رفيقنا في الرحلة طبيب المرشال بيتان الخاص وصديقه مسيو مينيتريل ، وهو انسان مهذب وقد حاول ان يخفف عنا ويطمئننا باننا سنكون موضع رعاية السلطة الفرنسية ، واشار علينا ان نتصل عند وصولنا باريس بالمسيو شوفيل وكيل وزارة الخارجية ، اما هو فكان يعتقد ان مصيره الى السجن •

ولما وصلت القافلة باريس اخذوا من فيها جميعا الى سجن (شيرش ميدي) ومعناها (ابحث عن الظهر) وسبب هذه التسمية كما قيل لنا ان هذا السجن شديد الظلام • ومكثنا بضع ساعات في ساحة ذلك السجن المظلم ريثما نقلونا الى دائرة الامن العام حيث قضينا ليلة في احد مكاتبها • وكان رجال القافلة نحو ثلاثين شخصا ملأوا جميع الغرف وكلهم من الفرنسيين المغضوب عليهم لتعاونهم مع بيتان والالمان ، وكانوا ينتظرون الحكم عليهم بالاعدام وقد سمحت السلطة لزوجاتهم وامهاتهم بزيارتهم لوداعهم فكان عويل النساء وتحسر الرجال يملأ جو دائرة الامن العام حزنا وألما •



الفصل
الخامس عشر

الحلفاء يطالبون برأس المفتي

WANTED!

FOR MURDER . . . FOR KIDNAPPING . .
FOR THEFT AND FOR ARSON



ADOLF HITLER

ALIAS

Adolf Schicklegruber,
Adolf Hittler or Hidler



هذا المنشور وزعته قيادة الحلفاء علي أثر انتصارها وفيه تطلب القبض علي هتلر حيا او ميتا



ـ لقد صدرت عدة كتب عن نشاطكم في باريس اثناء فترة احتجازكم وروى العديد من الصحفيين القصص عن هذا النشاط فما هي الحقيقة ؟
اجاب المفتي :

في اليوم التالي لوصولنا باريس « الاحد ٢٠ـ٥ـ١٩٤٥ » جاءنا المسيو ديفو مدير القسم العدلي في الامن العام ومساعده المسيو بادن ، فقلت لهما انني بما لي من صفة دينية وبصفتي رئيسا للمؤتمر الاسلامي العام ورئيسا للجنة العربية العليا اطلب واتوقع من حكومة الجمهورية الفرنسية ان تسمح لي بالانتقال من هذا المكان الى منزل او فندق وان اعامل معاملة لائقة ..

فاجابني المسيو ديفو بلطف وبشاشة : تأكدوا ان الجنرال ديغول مهتم بكم كل الاهتمام وستعاملون المعاملة اللائقة بكم وستغادرون اليوم هذا المكان . ثم سألني ديفو عمن اعرف في باريس فقلت له انني اعرف السفراء والوزراء المفوضين العرب ، والسيد قدور بن غبريط ممثل حكومة المغرب.

وفي اليوم نفسه انتقلنا الى منزل على بعد ١٣ كيلومترا من باريس في ضاحية سان مور ـ لافارين على نهر الماردن ، محاطين بحراسة شديدة • واحيط السيد قدور بن غبريط علما بوصولنا ، وكان هو المشرف على شؤون مسجد باريس وله صفة رسمية مغربية فأبدى اهتماما كبيرا لوصولنا وبادر بارسال سكرتيره الفرنسي الينا ومعه طباخ مغربي ليتولى امر طعامنا • واقمنا بذلك المنزل ريثما ينظر في امرنا •

وفي اليوم التالي قرأنا في صحف الصباح انباء عن وصولنا الى باريس ووصول دوبرينون وزير حكومة فيشي السابق في برلين ومينيشربل طبيب المارشال بيتان • وجاء في بعض هذه الصحف ان الحكومة البريطانية تطالب بتسليمنا اليها بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين ، وكذلك القيادة العليا لجيوش الحلفاء التي كان يتولاها الجنرال ايزنهاور • لكن الحكومة الفرنسية وقفت موقفا متحفظا وحجتها في ذلك ان لها معنا حسابا سابقا طويلا لاشتراكنا في مساعدة الثورة السورية على فرنسا عام ١٩٢٦ ولاننا تعاونا ايضا مع الالمان في الحرب العالمية الاخيرة •

وفي هذا اليوم كرر مسيو ديفو زيارته لنا للاطمئنان على صحتنا وراحتنا ، ثم تحدث ملمحا الى اننا سنبقى في الاراضي الفرنسية • فقلت له ان هذا ما نتوقعه من الجمهورية الفرنسية في هذا الموقف •

وفي صباح اليوم التالي (٢٣ـ٥ـ١٩٤٥) شاهدنا سيارة عسكرية مقفلة ومكتوبا عليها كلمة « سجناء » تقف بباب منزلنا فأزال مجيئها الطمأنينة النسبية التي شعرنا بها من حديث ديفو • لكنها لم تلبث ان انسحبت بعد ساعتين بعدما تلقت امرا بذلك • وقضينا اياما استولى علينا فيها القلق والارق حتى كدنا نغص بالماء الفرات حقيقة لا مجازا في تلك الاونة الحرجة •

ثم لم نلبث ان قرأنا في الصحف انباء الاضطرابات التي حدثت في سورية ، واخذت الصحف تهاجم سياسة بريطانيا في الشرق • واعتقد انما وقع في سورية

من خلاف شديد بين البريطانيين والفرنسيين عقب الحرب العالمية الثانية كان من جملة الاسباب التي حملت فرنسا على عدم تسليمنا لبريطانيا •

ومن جهة ثانية لقد تلقى الجنرال ديغول برقيات كثيرة من مقامات عربية واسلامية في شأننا وقامت مظاهرات كبرى في بيروت وبعض البلاد العربية والاسلامية للعناية بنا • وقام زعماء مسلمي الهند وعلى رأسهم محمد علي جناح رئيس رابطة مسلمي الهند يطالبون بالاهتمام بامرنا ، وارسل امام اليمن يحيى حميد الدين برقية خاصة الى الجنرال ديغول يطلب منه ارسالي بطائرة الى اليمن حيث اكون في ضيافته • وحدث بعد ذلك ان زار باريس ملك المغرب محمد الخامس بدعوة من الجنرال ديغول لمشاهدة الاحتفال بيوم النصر ففوجيء بالملك محمد الخامس يطلب منه ان يسمح له بأخذي معه الى المغرب تلبية لرغبة علماء المغرب واعيانه •

ولما وصل باريس بعد ذلك باي تونس مولاي محمد الامين طالب ايضا بمثل ذلك فكان لجميع هذه العوامل تأثير كبير على السلطات الفرنسية•ولكن الاعداء ، وفي مقدمتهم الصهيونيون لم يغفلوا عنا وظلت مساعيهم الحثيثة تلاحقنا حتى كادت تنجح • وسأتحدث بعد قليل عن هذه المساعي•

وكما طلبنا من السلطات الفرنسية ان نستقبل بعض معارفنا من العرب والمسلمين الذين كانوا في باريس عندئذ ومنهم عدد كبير من السفراء والوزراء المفوضين لعدة دول عربية واسلامية ، ولكن انقضى شهر على اقامتنا بلافارين دون ان نقابل احدا ، وعلمنا فيما بعد ان مسيو بونسو المندوب السامي السابق لفرنسا في سوريا ولبنان عام ١٩٢٨ ، والسيد قدور بن غبريط وبعض السفراء والوزراء المفوضين العرب قد طالبوا بزيارتنا منذ وصولنا باريس لكنهم لم يمكنوا من ذلك • ثم فوجئنا بزيارة مسيو «غيرامو» مساعد مدير الشؤون العربية في وزارة الخارجية والمسيو « ديفو » و «الكابيتان كلاتو » وكان محور الحديث في هذه الزيارة رحلتنا من المانيا الى سويسرا ففرنسا ثم الاستعلام عن السيد رشيد عالي الكيلاني• وتناول الحديث الوضع العام في

سورية ولبنان والاقطار العربية . وسلمني مسيو غيرامو رسالة من الصديق المرحوم سامي بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية حينئذ .

ثم زارنا مسيو بونسو وحده ، وكان عندئذ يتولى رئاسة اللجنة الخاصة باللاجئين في اوروبا ولجنة شؤون الشرق الادنى . وتحدث في زيارته هذه عن رغبة فرنسا في التعاون مع الاقطار العربية وانها ماضية في سياستها هذه .

وفي ٢٨ـ٧ـ١٩٤٥ زارنا مسيو بونسو مرة اخرى وابلغنا فحوى برقية وصلتهم من سفير فرنسا في القاهرة مسيو « ليكوبيه » مؤرخة في ٢٣ـ٧ـ١٩٤٥ خلاصتها ان الصحف المصرية تحدثت عن وجودي في فرنسا وانني معتقل وسوف اقدم الى المحاكمة ، وان السفارة بادرت بتكذيب ذلك مؤكدة للقصر الملكي وللامين العام لجامعة الدول العربية عزام باشا انني ضيف فرنسا وانني اقيم بمنزل في ضواحي باريس ، وان السفير ليكوبيه استقبل وفدا من الفلسطينيين الذين طالبوا بالاهتمام بنا والافراج عنا .

واضاف مسيو بونسو ان جلالة ملك المغرب وسمو باي تونس طلبا من الحكومة الفرنسية العناية بي وتوفير اسباب الراحة لي وانهم يطلبون من فرنسا ان تحافظ على صداقتها للمسلمين وتسهل اسباب عودتي الى البلاد العربية .

وكان في باريس عندئذ بعض الاصدقاء في السلك الدبلوماسي منهم محمود فخري باشا سفير مصر واحمد بك الداعوق وزير لبنان المفوض ، وعدنان بك الاتاسي وزير سورية المفوض ، وسمو السردار شاه ولي خان سفير افغانستان ، وقد طلبوا مرارا مقابلتنا دون ان يسمح لهم في بادىء الامر الى ان فاجأنا فؤاد بك حمزة الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية في باريس بزيارته ، فسررت بلقائه وعلمت منه بمساعي جميع الاصدقاء المذكورين لمقابلتي . واخيرا سمحت لهم السلطات الفرنسية بالمقابلة على ان تتم في بيت المسيو بونسو ، الذي دعانا واصدقاءنا المذكورين الى شرب الشاي

في بيته ودعا معهم مسيو « بالاي » مدير الشؤون العربية في وزارة الخارجية ومساعده « غيرامو »، وقال انه يأسف لغياب سفير افغانستان في سويسرة.

وكان اللقاء سارا ومؤثرا ، وكانت هذه اول مرة تقابل فيها احدا غير رجال الامن والموظفين الفرنسيين منذ وصولنا باريس ..

ودار معظم الحديث على الشؤون العربية والظروف الحاضرة ، وتحدث مسيو بونسو عن رغبة فرنسا في التعاون مع الدول العربية وتساءل عن افضل الوسائل لاعادة التمثيل الدبلوماسي بين فرنسا والعراق .

وفي ١٤ ـ ٨ ـ ١٩٤٥ الموافق ٥ رمضان زارني المستشرق المعروف « ماسينيون » مهنئا بشهر الصيام وحدثني عن سياحته في الشرق لدراسة احوال المسلمين وانه زار سورية والعراق وايران حيث قابل فيها صديقنا الشهير السيد ضياء الدين الطباطبائي الامين لعام للمؤتمر الاسلامي العام الذي عقدناه في القدس عام ١٩٣١ ، ثم زار الهند فقلت له انني سمعت بالراديو خطابه الذي ألقاه في دلهي عن اللغة العربية ، ثم عرج على افغانستان وتركيا ولبنان ثم توجه الى مصر وقابل عبد الرحمن عزام باشاالذي قال له ان المفتي خير من يعمل للجامعة العربية ، وان اي سوء يصيبه يكون له اسوأ الاثر في العالمين العربي والاسلامي، واضاف ان عزام باشا بعث في شأني بمذكرة الى اللورد كيلرن (سفير بريطانيا السابق في مصر حينئذ) بواسطة مسترسمارت السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية وقال فيها انه اذا اسيء الى المفتي فان الثورة ستقع في فلسطين لا محالة ، ثم تحدث مسيو ماسينيون عن ضرورة تعاون الاقطار العربية مع فرنسا لصالح الطرفين.

وبعد يومين زارنا دولة احمد بك الداعوق للتهنئة بشهر الصيام وابدى فيضا من كريم الشعور وصادق العطف والود وعلمت منه انه قابل مسيو بيدو رئيس الوزارة الفرنسية ومساعده مسيو شوفيل وحدثهما في شأننا وشأن اخواننا الذين بقوا في بادكشتاين بالمانيا وان القيادة العسكرية الامريكية نقلتهم تحت الحراسة الى سالزبورج ومنها الى فرانكفورت امايين.

وكان الاخ الصديق الدكتور معروف بك الدواليبي يتردد علينا حينا بعد حين مبديا كل اهتمام وعناية بامرنا .

واذكر ممن زارنا المرحوم الدكتور محمود عزمي رئيس وفد مصر الى الامم المتحدة حينئذ ، فكان مما قاله لي ان قبول الدول العربية للكتاب الابيض البريطاني الصادر عام ١٩٣٩ (وهو الكتاب الذي لامني بعض الناس لرفضي اياه قد كان خطأ ، وان تهافتهم عليه قد أعطى اليهود الحجة على انه مجحف بهم ، وقالوا انه لو كان عادلا لما قبله العرب . ورغم قبول العرب للكتاب الابيض ظل اليهود رافضين له ، ولذلك لم تنفذ الحكومة البريطانية شيئا منه .

واذكر ايضا زيارة وفد لبنان الى الامم المتحدة لنا عندما مر بباريس عائدا من نيويورك ، وقد كان من ابرز اعضائه المرحوم رياض بك الصلح ، وحميد بك فرنجية متعه الله بالصحة والعافية ، وقد لبى الوفد دعوتنا الى تناول طعام الغداء وكانت فرصة سانحة انسنا فيها بهذا اللقاء . وكان ممن رافق الوفد في تلك الزيارة الصحفي المعروف الاستاذ حنا غصن وكعادتنا رجوناهم الا يطلعوا احدا على مكاننا ولكن صديقنا الاستاذ غصن من محرري جريدة «لوموند» الفرنسية استطاع ان يعرف مكاننا ، فلم تمض على تلك الزيارة غير فترة قصيرة حتى ارسلت المخابرات اليهودية بضعة أفراد من عصابة « ارغون تسفاي ليومي» الصهيونية لاغتيالي فأخذوا يتجسسون حول الدار لكنهم لم يستطيعوا الوصول اليها للحراسة المضروبة عليها ، فتسللوا الى المنزل المجاور وتسلقوا الاشجار الباسقة واخذوا عدة صور للدار تمهيدا لعملية الاغتيال .

وقد اعترف بهذا الحادث كاتب يهودي في كتاب نشره مشتملا على مذكراته .

وبلغني ، من كل من احمد بك الداعوق والمرحوم عدنان بك الاتاسي، ان السفير البريطاني زار وزارة الخارجية الفرنسية ، وطلب منها تسليمي الى بريطانيا . وانه بعد زيارته لها بساعة قابل السفير الامريكي ، الذي لم

يلبث ان قام بزيارة لوزارة الخارجية الفرنسية ، وعزز طلب زميله السفير البريطاني .

وفي تلك الفترة وصل الى باريس الجنرال « بينيه » المفوض السامي الفرنسي الاخير لسورية ولبنان ، وكان يحمل الي رسالة من الصديق المرحوم سامي بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية حينئذ ، فزارني في منزلي في « بوجيفال » وسلمني الرسالة ، ثم رددت اليه الزيارة في وزارة الدفاع حيث كان . وعلى اثر انتهاء زيارتي له رافقني الى السيارة مستشاره السيد انطوان رزق من افاضل اللبنانيين الذين عرفتهم خلال اقامتي السابقة في بيروت عام ١٩٣٧ ــ ١٩٣٩ فسألته عن سبب زيارة سفيري بريطانيا واميركا لوزارة الخارجية الفرنسية في يوم واحد ، وعما بلغني من ان الحديث في تلك الزيارة كان في شأني . فأيد ذلك ملمحا الى ان اميركا وبريطانيا تضغطان بشدة على الحكومة الفرنسية لتسليمي ، ومشيرا الى التقرير الذي قدمه المسيو ليون بلوم الى الحكومة الفرنسية في هذا الشأن .

اما محاولة محاكمتي في نورمبرج فقد كانت على الصورة الاتية :

بذل اليهود الصهيونيون اقصى جهودهم لمحاكمتي كمجرم حرب في محكمة نورمبرج ، ولما كانت مواد القانون الذي اصدره الحلفاء في صفة مجرمي الحرب لا تنطبق علي ، فقد عمد اليهود الى تلفيق تهم تحقق لهم امنيتهم منها انني حرضت السلطات الالمانية النازية على ابادة اليهود ، واني كنت السبب في القضاء على ملايين منهم ، واني حرضت على يهود يوغوسلافيا وكنت السبب في القضاء عليهم ، كما انني كنت قبل ذلك المحرض على ثورة العراقيين على يهود بغداد .. ونحو ذلك من التلفيقات ..

وقد استطاعوا اغراء الهر كرومي ، (مساعد ايخمان) الذي علم ان اليهود يعدونه احد المسؤولين عن قتل اليهود في المانيا ، بان يدلي بشهادة كاذبة امام كاتب عدل سويسرة بانه شاهدني مجتمعا بايخمان وسمعني وانا احرضه واحرض غيره من الزعماء الالمان على ابادة اليهود ، وجعلوه يوقع على الشهادة

بعدما وعدوه بانقاذه من الاعدام.. ولم اكن اعرف كرومي ولم تكن له بي اية صلة ، ولكن الاعداء اغروه بتقديم شهادته مشفوعة باليمين الكاذبة (ورغم ذلك لم ينقذوه من الموت ، فأعدم مع غيره من الذين اعدموا في محاكمات نورمبرج). ولهذه المناسبة اعيد هنا ما سبقت الاشارة اليه من ان اليهود حينما تمكنوا من اختطاف ايخمان من الارجنتين ، حيث كان مقيما ، وجاءوا به الى فلسطين المحتلة ، حاولوا اغراءه ليؤيد شهادة مساعده كرومي باتهامي ولكن ايخمان كان شريفا ، فأبى ان يفعل ذلك ونفى صلته بي.

وقد اغرى اليهود وزير خارجية يوغوسلافيا بان يقدم شكوى باتهامي الى محكمة نورمبرج وعلى اثر ذلك ارسلت المحكمة الى الحكومة الفرنسية طلبا بتسليمي اليها ، وجاء المسيو بونسو الى البيت الذي كنا معتقلين فيه، وسلمنا اوراق الاتهام ، فاخذناها منه للرد عليها ، وادحضنا جميع التهم التي حاولوا الصاقها بنا ، وشجبنا ان نكون من مجرمي الحرب ، وبذلك ردت الحكومة الفرنسية طلب محكمة نورمبرج ، ورفضت تسليمنا اليها .

وكانت المذكرة التي قدمها « بيرجسون» رئيس اللجنة اليهودية للتحرير القومي في الولايات المتحدة في شهر مايو ١٩٤٥، تشتمل على اربعة بنود اعتبرها اليهود كافية لاداتني بجرائم الحرب ومحاكمتي بموجبها . وتتلخص فيما يأتي :

١ ـ ان نشاط المفتي كمجرم حرب ، يرجع الى ما قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، فقد اثار حملة ارهابية في فلسطين سنة ١٩٣٦ مؤيدة من الالمان والطليان ..

٢ ـ على اثر نشوب الحرب نقل المفتي نشاطه الى العراق حيث دعم رئيس الوزراء في محاولة لقلب نظام الحكم ولوضع العراق في معسكر المحور، وبسبب ذلك قتل في هذه الفترة الوفا من اليهود كثير منهم قتلوا في بغداد .

٣ ـ انطوى نشاط المفتي في المانيا على اسوأ الفظائع التي اقترفت خلال الحرب . فبالاضافة الى تأليفه فرقة الـ اس. اس . البوسنوية الاسلامية،

كان مسؤولا عن ذبح المسلمين في يوغوسلافيا وغيرها من بلاد البلقان الذين تقاعسوا عن تأييد النازيين . ويقال انه اشرف بنفسه على المذابح في سراجيفو (كــــذا)!

٤ ـ تعاون مع كارل ايخمان قائد معتقل « اشويتز » على ابادة اليهود جماعات في غرف الغاز .

وكان اليهود استغلوا ظروف فرنسا في ذلك الحين وحاجتها الاقتصادية والسياسية الى الولايات المتحدة الاميركية ، وانتهزوا فرصة ايفاد المسيـــو ليون بلوم « اليهودي » رئيس الوزارة الفرنسية سابقا الى الولايات المتحدة، ليطلب منها ان تمد يد العون الى فرنسا التي كانت في حالة عسر شـــديد ، فاختاروه لبلوغ قصدهم لما يعلمون من تأثير اليهود على السلطات الاميركية والشعب الاميركي . فلما ارسل بلوم تقريره الى الحكومة الفرنسية عن مهمته، ذكر فيه ان الاميركيين يطلبون من فرنسا تسليمي الى بريطانيا ، بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين ، واكد في تقريره ان هذا الامر يهم الاميركيين كثيرا ويسهل مهمته في الحصول على مساعدتهم لفرنسا ..!

وركز اليهود مساعيهم على هذه القضية طيلة المدة التي اقمناها في فرنسا، فجاء « شرتوك » السكرتير السياسي للوكالة اليهودية حينئذ من لندن الـى باريس ليبحث مع الرسميين الفرنسيين في شأننا وتطورات قضيتنا . وكان يهمه بصورة خاصة ان يعرف مكان اقامتنا .

وجاء من تل ابيب « توبي ازازي » مدير الشؤون الشرقية في الوكالـة اليهودية وطلب مقابلة الاستاذ ماسينيون ليبحث معه في امرنا لكن ماسينيون رفض مقابلته .

وشاهد رجال الشرطة الذين كانوا يتولون حراسة منزلنا ، حاخام لافارين يمر من امام منزلنا ، وهو يلبس لباسا مدنيا . ودلالة هذا ان اليهود عرفوا مكان اقامتنا وانهم يرقبوننا فيجب علينا الانتقال الى مكان آخر .

وعلمنا ونحن في لافارين ان القيادة العليا لجيوش الحلفاء ، كانت قـد

ارسلت احد ضباط القيادة ليتسلمنا من القوات الفرنسية عند اجتيازنا الحدود السويسرية من المنطقة المحتلة ، الا ان السلطات الفرنسية رفضت تسليمنا .

ثم سمعنا من اذاعة لندن ان السيد عبد الرحمن عزام استقبل كلا من سفير فرنسا وسفير يوغوسلافيا في القاهرة مقابلة خاصة بنا وانه سلم سفير يوغوسلافيا مذكرة الى حكومته في شأننا .

تلك الظروف والاوضاع اشعرتني بالقلق والحرج ، فرأيت انه لا بد من مغادرة فرنسا ، ووطنت نفسي على ذلك في اول فرصة اتمكن فيها من تهيئة وسائل الخروج في تلك الظروف الصعبة ، التي لم تكن وسائل السفر فيها موفورة ، فقد كانت معظم المواصلات الجوية عسكرية ، وكانت المواصلات البحرية خاضعة لمراقبة شديدة . ولكنني صممت على الخروج من فرنسا باية وسيلة .

الصهيونية تدخل المعركة ضد المفتي

قال المفتي : لم ينفك اليهود منذ وصولي الى فرنسا ، على اختلاف مؤسساتهم وهيئاتهم ، يحرضون سلطات دول الحلفاء على محاكمتي كمجرم حرب . وهم موقنون انني وقعت في الشرك . وان هذه الفرصة السانحة للانتقام لانني ، بزعمهم ، شاركت في ابادة ملايين اليهود الذين قتلهم النازيون .

فقد اعلن الرئيس الاميركي « ترومان » بتاريخ ٢٥-٢-١٩٤٦ لوفد من اتحاد اليهود في اميركا « ان الجريمة التي ارتكبت تحت الحكم الهتلري ، والتي كان من ورائها ان قضي على خمسة ملايين وثلاثة ارباع المليون من اليهود سيلقى مرتكبوها جزاءهم العادل .. »

وحوالي ذلك التاريخ اعلن الاستاذ « برودتسكي » رئيس الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية ورئيس المنظمة اليهودية في بريطانيا في تصريحله :

« ان مفتي القدس يجب ان يعامل كمجرم حرب » .

وفي الجلسة الاخيرة التي عقدتها بتاريخ ٢ــ٣ــ١٩٤٦ لجنة التحقيق البريطانية ــ الامريكية التي ارسلت الى فلسطين ، واستمعت فيهااللجنة مرة ثانية الى شهادة بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية التنفيذية حينئذ ، وموسى شرتوك رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية يومئذ ووزير خارجية « اسرائيل » فيما بعد ، اخذ شرتوك يحرض اللجنة المذكورة علي قائلا :

« لم يكد المفتي يصل الى برلين حتى اخذ يذيع منها داعيا العرب الى القيام بحملة تخريب وراء الخطوط البريطانية وانتظار اشارة منه للقيام بثورة عــامة ..

ووفقا لاعتراف احد النازيين البارزين في نورمبرغ (يقصد شرتوك بقوله هذا الهر كومي معاون ايخمان الذي خدعه اليهود وحرضوه على الادلاء بشهادة كاذبة ضدي مقابل انقاذه من الاعدام) ، فان المفتي كان احدالمحرضين الرئيسيين على حملة ابادة اليهود بالجملة .. الخ ».

وكانت جريدة « لوموند » الفرنسية الوثيقة الصلة بزعماء اليهــود والصهيونية قد نشرت في ٧ــ٢ــ١٩٤٦ مقالا في صدر صفحتها الاولى مملوءا بالدس والتحريض جاء فيه : « ان المفتي الذي اعتقلته السلطة الفرنسية في المانيا يقيم الان تحت الرقابة في ضواحي باريس ، وتعتبره الدوائر البريطانية والحليفة مجرم حرب بسبب اعماله الموالية للهتلرية اثناء الحرب . وان «ادغار ماورد » مراسل جريدة « نيويورك بوست » كتب في هذا الخصوص انــه يستدل من التصريحات التي ادلى بها الدكتور رودلف كازنر ، بعد حلف اليمين، ان الحاج امين الحسيني هو الذي وضع خطة لابادة خمسة ملايين يهــودي، وانه هو الذي اقترح على هملر مرارا ابادة يهود اوروبا ، معتبرا ذلك حلا سهلا لقضية فلسطين ، ترى الم يسمع قضاة نورمبرغ باسم هذا المفتي ؟ وهل هناك موظفون بريطانيون وامريكــيون او فرنسيون معــارضون في كشف هذه القضيــة ؟»

ثم اضافت « لوموند » قائلة : «ومن المعلوم ان المفتي الاكبر ، بعد أن دبر المذابح في فلسطين ، التجأ في عام ١٩٣٨ الى سوريا والعراق. وفي بغداد

كان المفتي المحرض على قيام ثورة رشيد عالي ، وبعد فشل هذه الحركة لجأ الى المانيا ، حيث اصبح رئيس جيش التحرير العربي » .

وكان اعوان اليهود وعملاؤهم من نواب بريطانيين وغيرهم ، ولاسيما من حزب العمال الذي يحتوي عددا غير قليل من النواب اليهود وعملاء الصهيونية ، ما انفكوا منذ وصولي الى فرنسا ، يثيرون هذه المسألة في مجلس العموم البريطاني ، ويوجهون الاسئلة الى وزارة الخارجية البريطانية ، لتظل المسألة حية وعالقة في اذهان ساسة بريطانيا ودول الحلفاء . فمن ذلك انمستر بيفن وزير الخارجية رد على سؤال في مجلس العموم يوم ١٣ـ١٢ـ١٩٤٥ « عما تم في مسألة امين الحسيني مفتي فلسطين المعتقل الآن في احد المنازل» ، فقال : انه قدم الى الحكومة الفرنسية طلبا في شأنه . وانه لا يستطيع ان يضيف شيئا الى اجاباته السابقة في هذا الشأن .

ولما سألته النائبة المس بلانش قائلة : «أليس من الصواب ان يسلم هذا الرجل الى السلطات الفلسطينية (اي الحكومة البريطانية في فلسطين) نظرا الى كونه انزل اعظم الضرر بقضية الحلفاء؟ اجاب المستر بيفن قائلا : « اني لا اشتهي ان اراه يعود الى فلسطين!»

ومن ذلك ان مستر ج. هوى من نواب حزب العمال وجه سؤالا في ٢٥ـ٢ـ١٩٤٦ الى مستر هكتور ماكنيل وكيل وزارة الخارجية عما اذا كان قد استرعى نظره المستندات التي قدمت في قضية جرائم الحرب في نورمبرغ عن الدور الذي قام به الحاج امين الحسيني باثارته المشروع النازي لافناء اليهود في اوروبا والتشجيع على تنفيذه ؟.

فرد ماكنيل بان هناك تحقيقا خاصا يجري بشأن الحاج امين الحسيني مفتي القدس ، للوقوف على وثائق دقيقة عن اية ادلة خاصة بهذه المسألة قدمت الى محكمة نورمبرغ الدولية .

وفي ٢١ـ٢ـ١٩٤٦ اذاع مراسل رويتر من مدينة كليفلاند بولاية اوهايو

الامريكية ان اليهود عقدوا مؤتمرا عاما طلبوا في نهايته محاكمة مفتي فلسطين بصفتــه مجرم حرب !

وقد اثارت هذه الدسائس والمؤامرات اليهودية ، الصحافة العربية في لبنان وفلسطين ومصر وغيرها ، فانبرت للدفاع عني وادحاض مزاعم الاعداء.

يتضح موقف الحكومة الفرنسية من مسألة تسليمي او اخلاء سبيلــي، فيما نشرته جريدة « باري بريس » الفرنسية في ١٠ نيسان ١٩٤٦ (الطبعــة السادسة) تحت عنوان : «فرنسا لا تريد تسليم المفتي الاكبر ، الذي تحتفظ به في اقامة تحت المراقبة ».. وهذا ملخصه :

« اثناء التعليق على برقية من مصدر اجنبي ، جاء فيها ان فرنسا سترفض على ما يظهر اطلاق سراح مفتي القدس الاكبر امين الحسيني.

« لقد صرح في الكي دورسيه (وزارة الخارجية الفرنسية) ان الحكومة الفرنسية لم يصلها اي طلب من قبل حكومة عربية من اجل عودته الىفلسطين او الى بلد ما من الشرق الاوسط .

« ان المفتي يعيش حاليا تحت حماية فرنسا . انه حر ويعامل بكـــــل الاحترامات الواجبة نحو مقامه ، وطبقا لاحكام دينه . وتقوم الشرطة بحراسة مكان اقامته الواقع في مكان ما في منطقة باريس .

« وقد صرح متحدث باسم « الكي دورسيه » بان بريطانيا العظمــى طلبت في الواقع تسليمها المفتي ، غير ان بريطانيا اجابت على استيضاحــات مقدمة من الحكومةالفرنسية بان المفتي غير مذكور في القائمة البريطانيـــة لمجرمي الحرب.. وبالنتيجة فان فرنسا قررت الا تستجيب للطلب البريطاني.

واضاف المتحدث ان طلب الحكومة البريطانية غير موافق لاحكامالقانون الدولي ».

لهذه المناسبة نشرت الدايلي ميل الانكليزية بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٤٦ مقــالا جاء فيه :

« اميط اللثام في باريس عما يبدو انه تغيير في وجهة نظر الحكومة الفرنسية ، بأن المفتي ليس معتقلا ، ولا توجد قيود من اي نوع على حركاته، وهو يعيش تحت حراسة البوليس ومنزله سر مكتوم لاعتبارات تتعلق تتعلق بسلامته •• وان ناطقا بلسان وزير الخارجية الفرنسية صرح قائلا انه اذا شاءت اية دولة عربية قبوله او دعوته الى بلادها فان الحكومة الفرنسية لا تقيم اية عقبة في سبل تنقلاته » •

واضافت الديلي ميل تحت عنوان (مفاجأة) قائلة ان الاعلان بان المفتي « حر » في فرنسا كان له وقع مفاجيء في باريس ، وربما ان الحكومة الفرنسية قد غيرت موقفها تجاهه •• والمكان الذي يقيم به مكتوم كتمانا شديدا ، مما جعل مراسلي الصحف يفشلون في الاتصال به ، ويلازمه رجال من الشرطة لحمايته فقط ، كما اوضح ذلك موظف وزارة الخارجية الفرنسية أمس »•

ثم أضافت الجريدة ان الحكومة البريطانية طلبت مرارا من الحكومة الفرنسية خلال مدة اقامتي بفرنسا ان تسلمني اليها ، وان السلطات الفرنسية رفضت ذلك ، لان تسليمي اليها ، دون اسباب كافية ، مخالف لاحكام القانون الدولي•

وعلى اثر اعلان وزارة الخارجية الفرنسية موقفها السليم من قضية حريتي، ورفضها الخضوع لمطالب بريطانيا ومساعي المنظمات اليهودية العالمية، وجهت الى وزير الخارجية الفرنسية كتاب الشكر التالي:

« باريس ١٢ ابريل ١٩٤٦

« حضرة صاحب المعالي وزير خارجية الجمهورية الفرنسية ••

« لقد اطلعت بسرور كبير على البيان المنشور في الصحف بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٩٤٦ من قبل المتكلم بلسان وزارة الخارجية الفرنسية فيما يختص بالمعاملة التي أعامل بها في فرنسا ، والذي ورد فيه ان الحكومة

الفرنسية لن تضع اية عراقيل في سبيل سفري الى احد البلاد العربية اذا شاءت قبولي او دعتني اليها .

وانني اذ اتقدم بالشكر الجزيل الى الحكومة الفرنسية على تصريحها هذا ، وعلى حسن معاملتها اياي طيلة اقامتي في هذه البلاد ، واود ان اشير لهذه المناسبة الى الاسباب والظروف التي أدت الى التجائي اليها :

« ١ ــ ان سبب خروجي من فلسطين ثم سفري الى اوروبا يرجع في الاصل الى السياسة الجائرة التي اتبعت في فلسطين منذ ثمان وعشرين سنة ؛ والتي تستهدف تحويل هذا الوطن العربي الآهل بسكانه منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا ، الى شعب آخر ، مما يؤدي الى القضاء المبرم على كيان هــذا الوطن ، ويهدد سكانه بالابادة والفناء . وان معارضتي الطبيعية المنطقية لهذه السياسة الغاشمة ، وعدم موافقتي عليها ، كـانت السبــب الحافز للسلطة البريطانية في فلسطين لمحاولة القبض علي في شهر اغسطس ١٩٣٧ واعتقالي في جزيرة نائية . ولكنني نجوت من تلك المحاولة ، ولجأت الى لبنان مدة عامين لقيت خلالهما من فرنسا احسن معاملة . وبعد اعــلان الحرب سنة ١٩٣٩ وتشديد الضغط من قبل الحكومة البريطانية من اجل تسليمي ، اضطررت للجوء الى العراق ثم الى ايران . ولما احتلت ايران في خريف ١٩٤١ اعــلن الجنرال ويفل جائزة بمبلغ ٢٥ ألف جنيه في سبيل القبض علي ممــا اضطرني لمغادرة ايران الى تركيا . ولما لم تقبل هذه لجوئي اليها لم يبق لي منــاص من اللجوء الى اوروبا . فيتضح لمعاليكم مما سبق بيانه ان لجوئي الى اوروبا يرجع الى مطاردة السلطات الانكليزية اياي منذ سنة ١٩٣٧، اي منذ بضع سنوات قبل هذه الحرب ، وليس لاسباب تتعلق بهذه الحرب .

« ٢ ــ ان الزعم بانني جندت المسلمين البشناق ضد الحلفاء لا يتفق مع الواقع فالحقيقة هي ان عصابات « الشتنيك » التابعة للجنرال ميخائيلوفيتش هاجمت المسلمين البشناق وقتلت ما ينوف على ٢٠٠ الف من رجال ونساء وأطفال ، دون ان تقوم دول المحور بالدفاع عنهم رغم احتلالها لبلادهم ، مما

اضطر المسلمين الى تشكيل قوات من ابنائهم ، لمجرد الدفاع عن انفسهم ضد العصابات المهاجمة • وقد حول الالمان بعد ذلك قسما من هذه القوات الى فرقة مختلطة من البشناق المسلمين والكاثوليك ، بقيادة ضباط المان ، ولم يكن لي دخل في تنظيمها كما شرحت ذلك في المذكرة التي قدمتها الى الحكومة الفرنسية في صيف ١٩٤٥•

« ٣ ـ عند انتهاء الحرب لجأت الى البلاد الفرنسية ، حيث اقمت منذ نحو سنة ، ولم اقم طيلة هذه المدة بأي عمل سياسي ضد احد •

« وانني في الختام اذ اكرر شكري للجمهورية الفرنسية على حسن صنيعها ، الذي سيكون له احسن الاثر في توثيق العلاقات بين فرنسا والبلاد العربية ، ارجو ان تتفضلوا بقبول فائق الاحترام •»

(التوقيع)

ولهذه المناسبة ، اورد هنا ان معالي الاستاذ عبد الرحمن عزام باشا الامين العام السابق لجامعة الدول العربية ، ارسل حينئذ كتابا الى لجنة التحقيق البريطانية ـ الاميركية في شأن العرب المبعدين عن اوطانهم والمشردين في مختلف بلاد اوروبا ، المعتقلين منهم والمسجونين ، وذلك بناء على ما قرره مجلس جامعة الدول العربية من لزوم السعي لدى الجهات المختصة في شأنهم• وقد وجه معاليه نظر اللجنة الى ما هنالك من فوارق في المعاملة بين هؤلاء العرب وبين اليهود ، اذ بينما يرزح العرب تحت نير الضيق ويكابدون آلام التشرد او الاعتقال ، يتمتع اليهود بكامل حريتهم في التنقل والاقامة حيث يشاءون ، واضاف معاليه في كتابه ان من واجبه ان يلفت نظر اللجنة الى امر هذا الفريق من العرب ، حتى تنتهي محنتهم ، ويمنح المبعدون حق التنقل والاقامة حيث يريدون والعودة الى وطنهم (وذكر اسمي على رأس هذا الفريق)•

وصرح معاليه قائلا :

« لقد اعربت من قبل عن وجهة نظري في مسألة الحاج امين الحسيني،

وقد قامت الجامعة العربية من جانبها بمساع دبلوماسية لتسليم المفتي الى العرب، وليس الى بريطانيا لكي تقدمه الى المحاكمة . واني اشكر الحكومة الفرنسية للمساعدة التي قدمتها اليه ، كما انني واثق بانها ستوافق على طلب الجامعة العربية السماح للمفتي بالاقامة في البلد الذي يختاره ».

وعندما كنت في باريس كتبت مرارا الى معالي عزام باشا ، في شأن خطر الهجرة اليهودية الى فلسطين التي يطالب بها اليهود وتدعمهم فيها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ، وضرورة وقوف جامعة الدول العربية منها موقفا حازما ، وقد تناولت رسائلي اليه ايضا موقف اليهود من قضيتي ، ومطالبتهم بتقديمي الى محكمة نورمبرغ ، وتحريضهم حكومة يوغوسلافيا على ذلك ، فوردتني منه ثلاث رسائل ردا على رسائلي ، كانت الاولى في ٢٥ـ٩ـ١٩٤٥ من القاهرة ، وقد اشار فيها الى وصول كتبي اليه ، وانه لم يدخر وسعا في المسعى في سبيل حريتي سواء مع البريطانيين او مع اليوغوسلافيين ، وانه ابلغ الحكومة اليوغوسلافية اسف العرب على تدخلها في طلب محاكمتي كمجرم حرب ، وان العرب يعتبرون عملها اكبر اساءة لهم ، وان الحكومة المصرية أيدته في ذلك .. الخ.

ثم تلقيت منه رسالة ثانية من لندن في ١٧ـ١٠ـ١٩٤٥ اشار فيها الى وصول رسائلي .. وان المعركة مع اليهود حامية جدا ، وان وسائل العرب محدودة ، ولكن عناية الله اعظم من كل شيء ، وانه يوافق على ان الامرليس أمر هجرة ١٥٠٠ يهودي ولكنه المبدأ . ثم اشار الى مسألتي وقال : « انه لا يدخر وسعا فيما يستطيع عمله لانقاذ اي عربي بل اي مسلم ».

وآخر رسالة وصلتني منه قبل خروجي من فرنسا كانت من القاهرة وتاريخها ١٥ـ٢ـ١٩٤٦ وقد اعرب فيها عن عاطفة شريفة ومودة صادقة، وقال « انه بذل ما امكنه من المساعي لتحقيق الحرية لكل العرب المبعدين، وان الامور مرهونة بتيسير الله ، واشار الى ما يجده من متاعب ومشاق لا حد لها ، حتى ممن ينتظر منهم العون . وان من الصعب الوقوف بجانب الحق والحرية ».



الفصل السادس عشر

من فرنسا الى مصر



المفتي في صورة تاريخية مع الرئيس محمد نجيب وعدد من رجالات العرب



اسماعيل صدقي انتقد لجوء المفتي



السفير البريطاني مايلز لامبون احتج لدى الحكومة المصرية



محمود فخري باشا سفير مصر في باريس ساعد المفتي



المفتي مع الدكتور معروف الدواليبي في لبنــان

قرر المفتي مغادرة فرنسا من اول فرصة تسنح له ، وباية وسيلة ، خاصة بعد ان بدأت الصحف الصهيونية تشن حملتها ضد وجوده في فرنسا .. وبدأ المفتي يتساءل الى اي بلد عربي سيلجأ هذه المرة؟

وقرر اللجوء الى القاهرة .

وفيما يلي يروي المفتي تفاصيل فراره من فرنسا .

ان الدور الاول والجانب الاهم في تلك المغامرة فقد قام به الصديق الكريم الدكتور معروف الدواليبي (رئيس وزراء سورية فيما بعد) فقد شاء له خلقه الكريم ان يعطيني جواز سفره .. واقتضى هذا تبديل الصورة وتغيير اللباس وحجز مكان ما في طائرة مسافرة من باريس الى القاهرة .. وكان ركاب الطائرة خليطا من مدنيين وعسكريين .. ولم يحدث عائق في مطار (اورلي) الذي قامت منه الطائرة من باريس الى روما .. وفي روما فحص المختصون جوازات سفر الركاب . وكان الجو رديئا فقضينا الليل في احد الفنادق .. وفي الصباح التالي استأنفنا السفر الى ميناء (بيريه) في اليونان

حيث هبطت الطائرة للتزود بالوقود ومنها استأنفنا السفر الى القاهرة .. ولحسن الحظ لم يكن من يعرفني بين ركاب الطـــائرة . وفي المساء هبطت الطائرة في مطار (بن فيلد) الذي اصبح الانمطار القاهرة الدولي . ولما تـم فحص جوازات الركاب وخرجت من المطار ، تنفست الصعداء وحمدت الله على السلامة ورددت قول البوصيري :

عناية الله اغنت عن مضاعفة ... من الدروع ، وعن عال من الاطـم

ولم اشأ الركوب في السيارة المعدة لنقل الركاب واثرت سيارة اجـرة عادية فنقلتني الى فندق ميتروبوليتان بالقاهرة ..

اما اختياري السفر الى القاهرة فقد كانت له اسباب عدة ، من اهمهـا انا في باريس كنا على اتصال ببعض اخواننا في القاهرة لنظـــل على صلـة بالحوادث في تلك الظروف ، وان القاهرة كانت مركز الثقل في العالم العربي وفيها جامعة الدول العربية ، وانها (اي القاهرة) متاخمة لفلسطين حيث يتوقع استئناف الصراع الدامي بين الفلسطينيين واليهود . وكان بعض الاصدقـاء يحملون الينا رسائل من القاهرة بين حين وآخر . وكان مؤتمر بلودان قـد انعقد للنظر في شؤون القضية الفلسطينية ، لكنه لم يسلم من دسائس المخابرات البريطانية ، ومحاولات ذوي الاغراض والاهواء وكانت اليهودية العالمية قد جندت كل قواها للفوز في معركة فلسطين من ناحيتها السياسية والعسكريـة حملت بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية على ان تلقيا بكل ثقلهما في المعركة، وكانت لهما الكلمة العليا حينئذ في شؤون العالم عامة والشرق العربي خاصة، بعد انتصار الحلفاء وانهيار دول المحور . ففي تلك الحال لم يكن البقـــاء في فرنسا محمودا ، ولم يكن يخلو من الخطر ، ولذلك غامرت بالسفر الـى القاهرة ، ويسر الله سبيلي اليها دون عائق .

وكنت قبل سفري قد اعددت كتابا الى وزارة الخارجية الفرنسيـــة ، وكلفت الاستاذ محمد اسحق درويش بإيصاله اليها . اما ما حدث بعدذلك فقد

فصله المسيو فوشيه مراسل مجلة (المصور) المصرية من باريس ونشرته المجلة في عددها الصادر بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٤٦ ، كما يلي :

« بعد ظهر يوم السبت ، غادر الاستاذ محمد اسحق درويش ، ابن اخت المفتي ، الدار القائمة على قمة مرتفعات بوجيفال ، والمشرفة على نهر السين ، في طريقه الى وزارة الخارجية • وكان يحمل الى المسيو (بونو) مدير قسم افريقيا والشرق الادنى في الوزارة رسالة من الحاج امين الحسيني ، كان لها وقع القنبلة ! فهو يبلغ الحكومة الفرنسية بانه اضطر الى السفر (متخفيا) وانه لما كانت الحكومة الفرنسية قد اعلنت في شهر ابريل الماضي انها لا تمانع في سفره من بلادها ، فقد اعتبر نفسه حرا من كل قيد ، وعزم على مغادرة فرنسا ، وكان يود ان يغادرها جهارا ، لولا انه شعر ان اعداءه يوالون تعقبه ، وان حياته قد تصبح في خطر ولذا آثر ان يكون بالقرب من اولئك الذين وقف على خدمتهم حياته •

« ولم ينس سماحته ان يختم رسالته بشكر الحكومة الفرنسية على حسن ضيافتها واسفه لما قد يجره لها رحيله من متاعب »•

ثم أشار المراسل الى ان الحكومة الفرنسية بدأت التحقيق في الحال لمعرفة الظروف التي احاطت بالحادث ، والى ان رفاق المفتي والمتصلين به قالوا انه لم يطلعهم على ما أقدم عليه ، وان الشعور بالقلق على حياته كان قد ازداد شدة في المدة الاخيرة ، وكثيرا ما رأى اشخاص مجهولون يطوفون حول الدار وكان كلب الحراسة وهو من كلاب الرعاة يكثر من العواء في الليل ••

واضاف المراسل ان الرسالة الى وزارة الخارجية مؤرخة في ٢٨ مايو ، ولكنها لم تسلم الا في ٨ يونيو ، واستنتج من ذلك ان السفر حدث بين المدة الواقعة بين تاريخ الرسالة ويوم تسليمها • وقد ادعت بعض الصحف ان المفتي لجأ الى احدى السفارات الاجنبية ، ولكن ثبت بعد ذلك انه غادر الارض الفرنسية كلها •

ونشرت المجلة في مكان آخر من نفس العدد « ان انباء خاصة وصلت الى الدوائر العربية ، تفيد ان الحكومة الفرنسية كانت على وشك ان تقرر تسليم المفتي الى الحكومة البريطانية ، وان الحكومة الفرنسية اتخذت هذا القرار اثر عودة المسيو ليون بلوم من اميركا ، حيث نجح في عقد قرض كبير هناك وان ليون بلوم تباحث مع الحكومة الاميركية ، ومع الاوساط المالية الامريكية في قضية المفتي، ثم تمكن بعد عودته الى فرنسا من اقناع حكومته بتسليم سماحته ، فيكون المفتي قد غادر فرنسا في الوقت المناسب .»

وفيما بعد نشر كاتب يهودي يدعى موريس بيرلمان كتابا في لندن عام ١٩٤٧ عنوانه (مفتي القدس ــ قصة الحاج امين الحسيني) تطرق فيه الى مسألة خروجي من فرنسا فقال :

« أقام مستر داف كوبر (سفير بريطانيا في باريس عندئذ) حفلة بمناسبة يوم النصر في ٨ حزيران ١٩٤٦ في حديقة السفارة البريطانية في باريس، وكان المسيو بيدو وزير خارجية فرنسا احد المدعوين ..

« وقد وصل متأخرا حاملا معه النبأ المهم بان الحاج امين الحسيني مفتي القدس ، قد اختفى من الفيلا ، حيث كان يقيم تحت المراقبة منذ انتهاء الحرب.

(ولم يكن اسم الحاج امين الحسيني اسما جديدا يحتل لاول مرة الصفحات الاولى في العالم ، وكذلك لم يكن اختفاؤه الغريب (اللغز) مغامرة جديدة له ، لكن مغامرته هذه المرة كانت اكثر اثارة ، وتعاقبت التكهنات ، عدة ايام والاشاعات الواحدة تلو الاخرى ، عن مكان اقامته، والسبيل التي سلكها للفرار).

ثم زعم الكاتب اليهودي ان المسيو بيدو قال انني قطعت عهدا للحكومة الفرنسية بانني لن احاول مغادرة فرنسا ، وهو زعم كاذب ، فانني لم اقطع اي عهد من هذا القبيل ..

ثم استرسل بيرلمان فكتب عني ما املته عليه اهواؤه وصهيونيته ، حتى

ان كاتبا صهيونيا اخر اسمه (جوزيف شختمان) الف كتابا اخر عنوانه « المفتي والفوهرر » ، انتقد في مقدمته كتاب بيرلمان هذا ، وقال انه مكتوب بصورة عدائية على طول الخط ، وبشكل غير لائق بالسمعة والكرامة بالنسبة للموضوع .

وقد نشرت الاهرام رسالة مطولة لمراسلها من باريس تاريخها ٣٠ يونيو ١٩٤٦ في هذا الموضوع جاء فيها :

« وعلى اثر التصريحات الرسمية بان فرنسا لا تعرقل سفر المفتي ، يقول اخصاؤه المقربون منه انه اعتبر نفسه حرا يستطيع ان يسافر في الوقت الذي يراه مناسبا ، وانه اخلى من اي تعهد سابق » .

« ويحتمل ان يكون المفتي قد اعرب في خطابه انه يأسف لان وجوده سبب متاعب لفرنسا ، وان اطالة اقامته فيها تعرضه للخطر يوما عن يوم ، على الرغم من الوسائل التي تتخذها السلطات الفرنسية لحمايته اذ ان اعداءه يوالون البحث لكشف مقره » .

« ولهذه المناسبة اشير هنا الى ان مسيو بونو وكيل وزارة الخارجية الفرنسية وجه كتابا الى مدير بوليس باريس هذه ترجمته :

(لي الشرف ان احيطكم علما بان سكرتير الاتحاد العربي في مصر ، بعد مفاوضات مع الشخصيات الاسلامية في الشرق الاوسط ، ابلغ مفوضيتنا في مصر عن خشيتهم من وقوع اعتداء على حياة الحاج أمين الحسيني المفتي الاكبر من الارهاب الصهيوني الذي تقوم به جمعية (شترن) السرية الارهابية ..

(ومع انه ليس لدينا من المعلومات ما يؤكد هذا ، فقد رغبنا في اطلاعكم على هذا الامر لتتخذوا مع من يخصهم الامر الاحتياطات اللازمة لحمايته ورفاقه) .

عن وزير الخارجية بونو

(وعلى الرغم من رغبته في ان يعود الى بلده بالطريق المشروع فان الظروف قد اكرهته على ان يحيط هذه العودة باشد التكتم . ولم ينبىء بسفره اي شخص من اصدقائه العرب).

(وقد حملته الحالة في فلسطين ، التي تجتاز ادق المراحل في تاريخها ، على تعجيل سفره ، وقد قال لوزارة الخارجية انه لن ينسى حسن الضيافة والمعاملة الطيبة التي عاملته فرنسا بها).

واضاف مراسل الاهرام :

وتساءل بعض المقامات العربية في باريس عما اذا كان لرحلة المسيو بلوم الى اميركا علاقة في تعجيل سفر المفتي . اذ يؤخذ من المعلومات التي تلقتها المقامات العربية ان الهيئات الصهيونية ، التي ساعدت المسيو بلوم في مفاوضاته الاخيرة ، انما ساعدته وهي مشترطة عليه ان يساعدها عند عودته على تحقيق مساعيها فيما يختص بالمفتي الذي يطلب الصهيونيون تسليمه .

ولم تستطع الصحف الفرنسية الى الان ان تستقي المعلومات عن الطريقة التي غادر بها المفتي فرنسا . فالمقربون منه يقولون ان رحلته محفوفة باشد المخاطر ، فلا يستطيعون ان يدلوا بأي معلومات في هذا الشأن ..

« وقد علمت ان الاميرة شويكار نقلت معها من مصر خطابات على جانب عظيم من الاهمية للمفتي ، على انها لم تتمكن من ان تسلمه اياها ، لانه كان قد سافر عندما وصلت الى باريس ».

ويضيف المفتي :

كان لبنان في طليعة الاقطار العربية التي تابعت تنقلاتي ، وتصدت للدفاع عني ، على اثر خروجي من المانيا الى سويسرة ومنها الى فرنسا ، وخلال وجودي في فرنسا ، وبعد سفري منها الى البلاد العربية ، ولا عجب فلبنان قطر عربي اشتهر بحبه للحرية ودفاعه عن الاحرار . وقد كنت لقيت في لبنان كل ترحيب وحفاوة خلال اقامتي به عامين كاملين ما بين ١٩٣٧ـ١٩٣٩ بعد خروجي من فلسطين ، وهو ما اتذكره ولا انساه ، واقدره حق قدره .

ففي اليوم السابع من شهر ايار ١٩٤٥ تناقلت الانباء العالمية والمحلية في لبنان خبر الطائرة التي حملتني وبعض اخواني من بادكشتاين بالمانيا الى سويسرة ورفض السلطات السويسرية قبولي لاجئا سياسيا واعادتنا الى الحدود وفي اليوم التالي لذلك الحادث كان اعلان الهدنة بين دول الحلفاء والمانيا، فانطلق الناس الى الشوارع يحتفلون لهذه المناسبة معلنين سرورهم لانتهاء الحرب ، ولكن الصفوة من الوطنيين اللبنانيين كانوا يعلمون في قرارة نفوسهم ان انتصار الحلفاء كان يعني انتصار الصهيونية وان انهيار المانيا حينئذ كان يعني ضياع فلسطين وسقوطها غنيمة لليهودية العالمية ، المتآمرة مع بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية ، فلم يلبثوا ان هتفوا بسقوط الصهيونية وحياة فلسطين عربية ، وما لبثت الجماهير المتظاهرة ان انضمت اليهم ، ولم تلبث المظاهرة الكبرى بالهدنة ان انقلبت الى مظاهرة وطنية هادرة ، وسارت الوف الجماهير هاتفة بحياة فلسطين وزعمائها المجاهدين ،وظلت تطوف الشوارع على هذا النحو الى ساعة متأخرة من الليل •

لكن نبأ هذه المظاهرة الكبرى لفلسطين ومجاهديها لم ينشر في الصحف اللبنانية ، لان الكولونيل ستيفن المراقب العام البريطاني للصحف والانباء منع نشره ، وصدر بلاغ مقتضب اذيع في اليوم التالي جاء فيه (ان الجيش البريطاني قام بترحيل المتطوعين الفلسطينيين من لبنان)•!

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر ايار نشرت الصحف اللبنانية نص (عريضة) تحمل تواقيع نخبة من وجوه اللبنانيين ، من النواب ورجال الاحزاب والمنظمات ورجال الصحافة والفكر ، موجهة الى رئيس الوزراء اللبنانية يومئذ سماحة الشيخ عبد الحميد كرامة ، رحمه الله ، يطالبون فيها الحكومة اللبنانية بالسعي لدى (السلطات الحليفة) لاعادتي الى الوطن • وكذلك نشرت الصحف عرائض وبيانات اخرى كثيرة حول هذا الموضوع تباعا •

وابدت الهيئات والصحف الوطنية اهتماما كبيرا لقضية فلسطين ،وعقدت اجتماعات وطنية عديدة انتصارا لها ، واحتجاجا على موقف اميركا وبريطانيا من قضية فلسطين ، وتأييدهما للقضية الصهيونية ، ودعت منظمتا النجـــادة والكتائب الى الاضراب تضامنا مع (الشقيقة فلسطين) وطالبت الصحـــف والهيئات بعودتي الى الوطن العربي، وباطلاق سراح اخواننا المبعدين والسجناء وعودتهم الى الوطن .

وقد اثارت انباء البرقيات ، القائلة ان الحكومة الاميركية ارسلت مذكرة الى الحكومة الفرنسية تؤيد فيها طلب الحكومة البريطانية تسليمي اليهـــا ، استياء الشعب اللبناني واستفزته ، فاعلن استنكاره لذلك المفوضيتـــين الاميركية والبريطانية ، وقدم (الشباب الوطني) مذكرة احتجاج الى وزير اميركا المفوض بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٤٦. وقد بلغ من استياء الشعب اللبناني واستنكاره للموقف البريطاني ــ الاميركي ان ألقيت قنابل على المفوضيتـــين البريطانية والاميركية مساء ٥ آب ، فأحدثت فيهما ضررا بالغا ، وكان هـــذا اول حادث من نوعه يقع في البلاد العربية ، ولا سيما لبنان ، واعتبر هذا العمل تعبيراً عن سخط الرأي العام على الموقف البريطاني ــ الاميركي .. وفي اليوم الثاني ألقي القبض على الوطني الشهم السيد محمد رستم طبارة وعدد مـــن الشبان الوطنيين ، وأوقفوا عدة ايام ..

وكان للصحافة اللبنانية موقف نبيل في ذلك الحين ، ولا سيما صحف الهـــدف والصيـــاد ، واصحـــابها الافـــاضل زهـــير عسيران وســـعيد فريحة ، التي لم تنفك عن نشر المقالات والانباء والصور ذات العلاقة بالموضوع كما ان المظاهرات الحاشدة والاضرابات العامة كانت تحدث في كل مناسبة .

قبل تفصيل ما حدث بعد خروجي من باريس ووصولي الى القاهرة،اشير باقتضاب الى وقع ذلك الحادث في نفوس الصهيونيين وعملائهم وفي الدوائر البريطانية والاميركية . فمن ذلك ما اورده اليهودي الصهيوني جـــوزف شختمان في كتابه « المفتي والفوهرر » من ان عضو الكونغرس الاميركـــي

« ايمانويل كيللر » تقدم بطلب الى وزير الخارجية « جيمس بيرنز » بـان تبادر الحكومة الامريكية بالعمل على تقديم المفتي الى محكمة نورمبرغ مع كبار مجرمي الحرب وان تجري المحاكمة بالسرعة الممكنة ، ثم انذر الوزير بان المناورات الديبلوماسية البشعة قد ينتج عنها بقاء المفتي حرا طليقا ، وقال ان اي تقصير في متابعة المفتي يفسر في الشرق كله بانـه ضعف من جـانب البريطانيين والاميركيين .

واضاف شختمان ان « بارتلي كروم» عضو لجنة التحقيق الانكليزية ـ الامريكية بشأن فلسطين (المعروفة باسم لجنة انسكوب وهو من اشـد أنصار الصهيونية) ارسل في ١١ حزيران ١٩٤٦ (بعد خروجي من باريس) برقية الى وزير الخارجية الامريكية « بيرنز » ألح فيها على الولايات المتحدة، بان تعمل مع الحكومة البريطانية على اتخاذ جميـع الاجراءات والتدابـير الضرورية للقبض على المفتي وتسليمه للمحاكمة ، وقال في برقيته : « هل لي ان اقترح بكل احترام ان تحصل وزارة الخارجية من السجلات الرسميـة الموضوعة تحت تصرف الادعاء في محاكم مجرمي الحرب في نورمبرغ ، وفيينا وكذلك من دائرة مخابراتنا الامريكية ، على صور من الاتفاقات المكتوبة بين المفتي والحكومة النازية ؟ فاجاب وزير الخارجية بانه لا يعلم عن اية خطـة للولايات المتحدة لسؤال فرنسا عن الكيفية التي غادر بها المفتي بـاريس . واضاف : وليس لدى وزارة الخارجية معلومات عن هذا الموضوع وهي غير مستعدة ان تبحث فيما اذا كان المفتي مجرم حرب ».

ولما مضت ايام على خروجي من فرنسا دون ان يظهر لوجودي اي اثر في اي قطر عربي او اجنبي، اخذت وكالات الانباء العالمية والصحف تنشـر مختلف التكهنات . ففي فلسطين منعت السلطات البريطانية نشر اي نبـأ يتعلق بي . وقد عطلت احدى الصحف مدة اسبوعين لانها ذكرت اسمـي. وقالت برقية لوكالة اليونايتدبرس من القدس ان الاذاعة البريطانية لما اذاعت نبأ اختفائي اخذ الفلسطينيون يفتحون الراديو على لندن للاستماع الى انباء

اذاعتها واضافت الوكالة « ان العرب لم يساورهم اي قلق لعدم وجودمعلومات حقيقية عن المكان الذي وصل اليه المفتي لان دمشق او مكة او المدينة هي منزل للحاج امين كما هي القدس كما صرح بذلك الاستاذ عوني عبد الهادي الناطق باسم اللجنة العربيةالعليا ، وان الجو السعيد بقرار المفتي انطبع على الشوارع الضيقة في القدس القديمة كما انطبع على شوارع المدينة الجديدة التي ازدانت بالاعلام والزهور واغصان الزيتون ، وظهرت صور المفتي في كل مكان . »

وانتقدت « الايفنج نيوز » الرقابة التي فرضتها السلطة البريطانية في فلسطين لمنع نشر انباء عن وصولي وقالت ان هذا « القرار السخيف » فيوقت السلم لا يمكن ان يحول دون وصول هذا النبأ الى اسماع الذين يريدون ان يعرفوه بل الامر بالعكس فلن تؤدي الرقابة الشديد على الانباء الا الى رواج الاشاعات وكثرة التكهنات واثارة السخط على الذين فرضوها .

وعلى اثر ذلك اصدر مكتب المطبوعات في حكومة الانتداب البريطاني بفلسطين البيان التالي ، وقد نشرته الصحف في ١٢ـ٦ـ١٩٤٦ .

« فهم بصورة موثوقة ان الحاج امين الحسيني قد غادر فرنسا ، وليست هناك اي معلومات رسمية عن مكان اقامته في الوقت الحاضر » .

ولما كانت جلسات الجامعة العربية منعقدة حينئذ في « بلودان » لبحث توصيي لجنة التحقيق الانجلو ـ اميركية بشأن فلسطين والخاصة بالسماح لمائة الف يهودي بدخول فلسطين فورا استجابة لطلب الرئيس الاميركي ترومان ، فقد توقعت بعض الدوائر ووكالات الانباء الاجنبية ، ان اكون ذهبت الى دمشق للاشتراك في اجتماعات مجلس الجامعة ، وقالت بعض الدوائر في لندن ان اشتراك المفتي علنا في تلك الاجتماعات قد يزيد موقف بريطانيا حرجا عند بحث قرار تتخذه الجامعة بشأن تقرير لجنة التحقيق لان خصوم العرب سيحاولون استغلال القول بان زعيما عربيا منفيا قد ساعد على اتخاذ ذلك القرار .

وفي لندن اعلن متحدث من وزارة الخارجية البريطانية ان بريطانيا تطالب الحكومة الفرنسية ببيان عن الظروف التي غادر فيها الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ، فرنسا اخيرا •

وفي باريس قام احد كبار السفارة البريطانية بتحقيق رسمي لدى وزارة الخارجية الفرنسية طالبا ايضاحا عن سفر مفتي القدس من فرنسا •

وفي واشنطن علق ناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية على الانباء الخاصة بفرار المفتي بطائرة امريكية من فرنسا ، بقوله ان الوزارة لا تعرف شيئا عن هذا الامر •

واكدت الدوائر الفرنسية في باريس ان التحقيق لم يظهر اي تواطؤ من الموظفين الفرنسيين ولكن عقوبة ادارية ستلحق بقوميسير البوليس الذي كان مسؤولا عن امن المفتي وسلامته ، لاهماله وهو موظف معروف لانه كان مكلفا بحماية اعضاء المؤتمر الرباعي الاخير في قصر لوكسمبورج•

وفي ١٥ـ٦ـ١٩٤٦ اعلنت وزارةالبحرية البريطانية ان المدمرة«فيراجور» اوقفت السفينة « ديفوتنشر » وهي من سفن النقل على مسافة من بور سعيد وفتشتها لاحتمال ان يكون المفتي على ظهرها •• وبعد ان وصفت الوزارة في بيانها عملية التفتيش بانها اجراء عادي فرضه فرار المفتي من فرنسا قالت: (وتتخذ الحكومة كل التدابير الممكنة لمنع المفتي من الوصول الى الشرق الاوسط)•



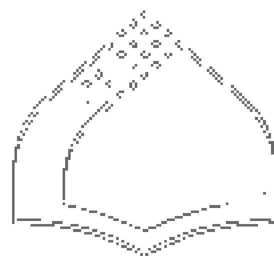
الفصل

السابع عشر

ظهور المفتي في القاهرة



المفتي في القاهرة مع الفيصل والنقراشي وخشبة . اول لقاء له مع الاصدقاء



يقول المفتي :

قبل الانتقال الى احداث القاهرة بعد خروجي من فرنسا ، لا بد من الاشارة الى اخواننا الذين تخلفوا في المانيا وسجنوا ببروكسل ثم نفي بعضهم الى سيشل • فعندما غادرت المانيا الى سويسرة ، كان يرافقني الاستاذ محمد اسحق درويش والاستاذ راسم الخالدي • وتخلف في بادكشتاين عدد من اخواننا الذين كانوا معنا في المانيا ، من فلسطينيين وسوريين ولبنانيين وغيرهم ، اذكر منهم المرحوم الشيخ حسن ابو السعود وسعدالدينعبداللطيف وسليم الحسيني ؛ هؤلاء من القدس ، والدكتور ظافر الرفاعي (وزيرالخارجية السورية فيما بعد)، من حلب ، والدكتور فرحان الجندلي (وزير الصحة السورية فيما بعد)، من حمص، ورمزي الالاجاتي من حلب والمرحوم بهاء الدين الطباع من بيروت ويوسف الرويسي من تونس وغيرهم •

وكان اخواننا هؤلاء قرروا البقاء في منزلنا في بادكشتاين • في ارتقاب ما سيكون بعد احتلال الحلفاء ، وبعد يومين من سفرنا دخلت البلد قوات

امريكية ، ترافقها قوات رمزية من الانكليز والفرنسيين ، وتسلمت القـوات الامريكية الاماكن المهمة والدوائر الرسمية • وبموجب الاوامر الرسميـة الخاصة بالاجانب اتصل اخواننا بدائرة الحاكم العسكري الاميركي للاستعلام عما سيكون من امرهم ، فبادىء ذي بدء طمأنوهم•ثم اعلموهم انهم موقوفون الى اشعار آخر ، ومنعوهم من الخروج او الاتصال باحد ، ووضعوا حرسا عليهم مدة اسبوعين ، ثم نقلوهم بالسيـارات برفقة الحرس الى مدينـة سالزبورغ ومنها الى المطار ، ثم جاءت احدى الطائرات الانكليزية ، فأنزلت ضباطا انكليز واصفادا حديدية لتقييد المعتقلين • وبعد قيـد الاسماء وانهاء عملية التسلم والتسليم ، اركب اخواننا الطائرة الى وجهة غير معلومـة ، وبعد طيران ساعة ونصف الساعة هبطت الطائرة بهم في مطار بروكسل ، وما لبثوا ان نقلوا منه الى السجن العسكري وألبسوا ملابس السجناء ، وسيقوا الى زنزانات مكثوا فيها شهرا يعاملون معاملة غير لائقة ، وبعد تحقيق آخر في امرهم نقلوا من الزنزانات الى غرفة واحدة كبيرة • ومكثوا في هذا السجن تسعة شهور على هذه الحالة الاليمة •

كان الدكتور معروف الدواليبي (رئيس وزراء سورية فيما بعد) في طليعة من تعاونوا معنا خلال اقامتنا في اوروبا في سني الحرب من الفضـلاء الشرفاء وكان مقيما بباريس للحصول على الدكتوراه من جامعة السوربـون، ويزورنا في برلين بين حين واخر • وظل عهدنا به من المودة والمروءة للعنايـة باخواننا السجناء في بروكسل ، واتفقنا واياه على توكيل محام فرنسي للعناية بأمرهم والدفاع عنهم لدى السلطات المحتلة والرسمية ، وتم اختيار المحامـي المسيو « اوجول » لهذه الغاية ، فأخذ الدكتور الدواليبي والمسيو اوجـول يواليان العناية بامرهم ، ويتفقدان شؤونهم ومصيرهم • وقداهتمت السفارة المصرية والمفوضيتان اللبنانية والسورية في باريس بامر رعاياها المسجونـين من رفاقنا وكان للسفير المصري محمود فخري باشا وللوزيرين المفوضـين أحمد بك الداعوق وعدنان بك الاتاسي مساع مشكورة لاطلاق سراحهـم• وقد اقترنت المساعي بالنجاح • وتمكن اولئك الاخوان من العودةالىبلادهم•

اما اخواننا الفلسطينيون فلم تكن لهم دولة ترعى شؤونهم وتهتم لامرهم، وساءت احوالهم فاضربوا عن الطعام احتجاجا على ما كانوا يلقونه من سوء المعاملة . وعلى اثر ذلك عملت السلطات البريطانية على نقلهم من بروكسل الى جزيرة سيشل بطائرة خاصة في الاسبوع الاول من شهر شباط ١٩٤٦ حيث قضوا فيها اربعة شهور ، وساءت صحة بعضهم ، فسمح لهم بالسفر الى القاهرة وبقي الآخرون سبعة اشهر اخرى سمح لهم بعدها بالسفر الى القاهرة.

كان الذين يتوقعون قدومي الى القاهرة من اخواننا واصدقائنا قلائل. فلما وصلت القاهرة يوم الاربعاء ٢٧ جمادي الاخرة١٣٦٥وفق ٢٩ـ٥ـ١٩٤٦ لم استقر بفندق ميتروبوليتان الا فترة قليلة ثم توجهت في المساء الى مصر الجديدة واجتمعت بالاستاذ علي رشدي عنان والسيد محمد منيف الحسيني والاستاذ علي رشدي مصري الذي سبق له ان عمل معنا في المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى بادارة المعاهد الدينية في القدس . فلما اضطرتني الاحداث لمغادرة فلسطين ووضعت السلطة البريطانية يدها على المجلس الاسلامي الاعلى استقال الاستاذ علي من عمله وعاد الى القاهرة ، اما السيد محمد منيف الذي حالت الظروف دون مرافقته لنا الى ايران واوروبا فقد استقر بالمملكة السعودية الى نهاية الحرب ثم عاد الى القاهرة هو والشهيد عبد القادر الحسيني.

وصادف وصولي القاهرة وجود اللورد ستانسجيت على رأس وفد رسمي بريطاني لمباحثة الحكومة المصرية في قضية جلاء الجيش البريطاني عن مصر . وكان رئيس الوزارة المصرية حينئذ اسماعيل صدقي باشا ، ولما كنت حريصا على الا يسبب وجودي في مصر اي حرج للحكومة المصرية عندئذ فقد اثرت الا اظهر ، وان انتظر بعض الوقت ريثما تصل المباحثات التي كانت في مرحلتها الاخيرة الى نتيجة . ولذلك قر الرأي على التوجه الى الاسكندرية لقضاء فترة من الوقت . وفي اليوم التالي توجهنا بالقطار الى الاسكندرية حيث قضينا بضعة ايام ثم عدنا الى القاهرة وانتقلنا الى منزل استأجرناه

بمصر الجديدة وظلت اقامتي خلال هذه المدة مكتومة عن الجميع •

وفي يوم ١١ رجب (١١–٦–١٩٤٦) رددت البرقيات ونشرت الصحف نبأ مغادرتي باريس ثم لم يلبث النبأ ان انتشر في مصر وفلسطين وسائر العالم العربي ، واخذ اصدقاؤنا يستطلعون الخبر اليقين ، وانقضت ايام اخرى دون نتيجة ، فأخذ القلق يساور نفوسهم ، وكان سفير مصر في باريس محمود فخري باشا قد أبلغني الرغبة في وجودي بالقاهرة وقد أيدت ذلك السيدة الجليلة ناجية هانم ذو الفقار ، عمة فريدة وشقيقة يوسف ذو الفقار باشا الذي عرفته في طهران اذ كان سفيرا لمصر في ايران ، وقد لقيت منه عندئذ عناية كبيرة ، ولمست فيه خلقا كريما ، ولكن لم يكن من بد للتمهيد لذلك لان وجودي بمصر في ذلك الظرف سيزعج السلطات البريطانية وربما دفعها الى اتخاذ اجراءات تسيء الى مصر ، وقد تم التمهيد بواسطة يوسف باشا وزرت قصر عابدين مساء الاربعاء ١٩ رجب ١٣٦٥ (١٩–٦–١٩٤٥) فقابلت عبد اللطيف طلعت باشا كبير الامناء ، ثم استقبلني الملك فاروق استقبالا وديا اعرب فيه عن سروره بوصولي الى القاهرة ومما قاله انه كان خائفا علي لما سمع بخروجي من باريس وانقضاء عشرين يوما دون وصولي وانه اتصل بالتليفون برئيس الجمهورية السورية ورئيس الجمهورية اللبنانية سائلا عني، فشكرت له اهتمامه وعنايته معتذرا عن تأخري بحرصي على الا احرج الحكومة المصرية وهي تقوم بالمفاوضات في مسألة الجلاء•

وفي نهاية المقابلة ابدى رغبته في ان اكون في ضيافته • وبعد ثلاثة ارباع الساعة كنت نزيل قصر انشاص •



ولما وصلت القصر وجدته محاطا بحراسة شديدة على الجسر المتحرك المنصوب على فرع نهر النيل الذي تعبر عليه المشاة والسيارات الى منطقة القصر • وعلى المطار المجاور له ، وان قوة كبيرة من الجنود والسيارات

العسكرية كانت تتولى الحراسة • وقد كتم خبر وجودي في انشاص عن الجميع ريثما تتدبر السلطات المصرية الامر مع السلطات البريطانية اذ كان يخشى ان يعمد الانكليز الى استعمال القوة لانتزاعي من مصر الى حيث يشاءون • وقد سبق للانكليز ان فعلوا هذا في بعض خصوم سياستهم • مثل طالب باشا النقيب الذي اختطفوه من البصرة ونفوه الى الهند • وياسين باشا الهاشمي الذي اختطفوه من دمشق في عهد حكم الملك فيصل بن الحسين واعتقلوه في معسكرهم في صرفند قرب مدينة الرملة بفلسطين • وقد سجل حادث اختطاف ياسين الهاشمي شاعر العراق الكبير معروف الرصافي في قصيدة قال فيها :

ياسين انك بالقلوب مشيع هل انت للوطن العزيز مودع؟
أخذوك يا بطل المعامع غيلة بيد الخداع ومثلهم ما يخدع

واقمت بانشاص ١٩ يوما ، لم استقبل خلالها الا ولدي صلاح الدين، وولد اخي المرحوم حسين ، والسيد موسى ابو السعود ولد زميلنا ورفيقنا في الجهاد المرحوم الشيخ حسن ابو السعود ، الذي كان حينئذ منفيا في سيشل والسادة علي رشدي عنان ومحمد منيف الحسيني والقائد الشهيد عبد القادر الحسيني•

وكان خبر وصولي القاهرة وزيارتي قصر عابدين قد انتشر في القاهرة والقطر المصري وتناولته البرقيات والصحف بالتفصيل والتعليق فلم تبق صحيفة ولا مجلة الا وافاضت في الحديث عنه • وتفضل كثير من كبار كتاب مصر ورجال السياسة والادب والعلم فيها بكتابة مقالات اضفوا علي فيها من الاطراء والثناء ما لا استحق بعضه وتناولوا سابقة عملي بما شاء لهم فضلهم وكرم خلقهم من الاشادة والتنويه ، اذكر منهم الاساتذة الافاضل فتحي رضوان واحمد حسين من الاحياء • وابراهيم عبد القادر المازني ومحمد توفيق دياب ومحمد مندور وخليل ثابت ممن توفاهم الله ، وانبرت الصحافة المصرية وساسة مصر ورجال حركتها الوطنية ، على اختلاف نزعاتهم واحزابهم ، لنقد

سياسة بريطانيا نحو القضية الفلسطينية ، والتنديد بموقفها من هذه القضية عامة ومن قضيتي خاصة . والمطالبة باطلاق حريتي لممارسة عملي الوطني ومتابعة خدمتي للقضية دون اي ضغط او اكراه .

وفي ٣٠ حزيران (يونيو)١٩٤٦ نشرت الحكومة المصرية التي كان رئيسها اسماعيل صدقي باشا ، بيانا عن وصولي الى مصر وظهوري في قصر عابدين، واشار البيان الى « ظروف هذه الزيارة وملابساتها » ومما جاء فيه العبارات التالية : « واذا كانت الحكومة المصرية قد سمحت باقامة السيد محمد امين الحسيني في ديارها فهي ترجو في الوقت عينه الا ينظر الى هذه المسألة الا بنفس الروح الكريمة التي انبعث عنها قرارها ، واداء لواجب المجاملة ..»

« ولا يخفى ان مصر اليوم تجتاز مرحلة من ادق مراحل حياتها السياسية ترجو لها التوفيق والفلاح في ظل الهدوء والنظام ، ولا ريب ان سماحته مقدر لذلك .. »

وبرغم ما اشتمل عليه بيان الحكومة من عبارات المجاملة والتقدير،فقد انتقدته الصحف المصرية والرأي العام المصري ، وطالبت بان لا يكون ثمة أي تحفظ على اقامتي بمصر ، وباطلاق الحرية التامة لي في العمل لصالح قضية فلسطين والقضايا العربية والاسلامية ، ولا ريب في ان صدقي باشا اراد مجاملة السلطات البريطانية ، التي أقلقها وجودي في القاهرة ، فقد كان السفير البريطاني دائم المراجعة للحكومة المصرية في هذا الشأن . »

هذا وكان مجلس جامعة الدول العربية قد دعي الى عقد دورةاستثنائية في « بلودان » يوم ١٨ ايار (مايو) ١٩٤٦ ، ثم ارجيء الاجتماع الى شهر حزيران المقبل ، ريثما ينعقد اجتماع ملوك الدول العربية ورؤسائها في ٢٧ و ٢٨ ايار في انشاص لبحث قضية فلسطين . وكان من بواعث تصميمي على السفر من فرنسا الى الوطن العربي في تلك الايام ان لا اكون بعيدا عن مجرى الاحداث الخطيرة التي كانت تعصف بالقضية الفلسطينية عندئذ ..

كانت لجنة التحقيق المشتركة التي عينتها الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الولايات المتحدة الامريكية ، والمؤلفة من اثني‌عشر عضوا من الانكليز والاميركيين بالتساوي قد اصدرت تقريرها في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٦ ، بعدما باشرت مهمتها في اوروبا ، ثم زارت القاهرة واستمعت الى شهادة الامين العام لجامعة الدول العربية وشهادات ممثلي الدول العربية ، ثم زارت عواصم بعض الدول العربية ، واجتمعت برؤساء حكوماتها ، ثم انتقلت الى فلسطين واستمعت الى شهادات بعض العرب واليهود • وقد جاء تقرير هذه اللجنة شديد التحيز الى اليهود وبعيدا كل البعد عن الحق والنزاهة والمنطق، فقد سايرت فيه رغبة الرئيس الامريكي ترومان ، صنيعة الصهيونيين واوصت بادخال مئة الف من مهاجري اليهود الى فلسطين ، كما اوصت بان لا تكون الهجرة الى فلسطين معلقة على رضاء العرب ، بحجة عدم وجود بلاد غير فلسطين ترضى بالهجرة اليها ، وان اليهود لا يرغبون في الهجرة الى بلاد غير فلسطين؟ !

وكذلك اوصت بابطال القوانين التي تحدد انتقال الاراضي العربية الى اليهود ! وكان رد فعل تقرير اللجنة شديدا في فلسطين والاقطار العربية، وقوبل باستنكار عام ومظاهرات صاخبة واضرابات شاملة ، ونقد شديد للذين تعاونوا من العرب مع تلك اللجنة المتحيزة وادلوا اليها بشهاداتهم ، وسخط عظيم على السياسة البريطانية التي ادخلت امريكا طرفا في النزاع القائم بين العرب وبريطانيا في شأن قضية فلسطين ، كأن الفلسطينيين لم يكفهم ظلم بريطانيا وعتوها وكيد الصهيونية العالمية ومكرها حتى تستعين عليهم بريطانيا بامريكا •

وعلى اثر ذلك انعقد مؤتمر انشاص في ٢٧ و ٢٨ ايار (مايو) ١٩٤٦، وتقرر فيه التمسك باستقلال فلسطين وصيانة عروبتها وتأليف هيئة عربية فلسطينية عليا تمثل الفلسطينيين وتنطق باسمهم • ثم تبع ذلك عقد دورة استثنائية لمجلس جامعة الدول العربية في بلودان ، وقد حاولت الدول العربية

ان تظهر فيه بمظهر القوة والحزم والتصميم على نصرة فلسطين ، وايلائهـا حقها من العناية والاهتمام ، وشهد الاجتماع بعض رؤســاء الحكومـات العربية ووزراء خارجيتها ، ورجال ذوو مكانة مرموقة من العرب ، وكان ابرز القرارات التي اسفرت عنها الاجتماعات الرد على تقرير لجنة التحقيق الانجلو امريكية والتوصية بتأليف هيئة عربية فلسطينية عليا تعتمدها جامعة الـدول العربية في الشؤون الفلسطينية ، ثم اتخــذ في تلك الدورة قرار بمفاوضة الحكومة البريطانية لحل قضية فلسطين وفي حال فشل المفاوضات تعرض قضية فلسطين على الامم المتحدة . ولقد جاء هذا القرار الاخير تجاوبا مع بيـان وزير خارجية بريطانيا مستر بيفن ، الصادر في ١٤ تشرين الثاني (اكتوبر)١٩٤٥ الذي ادخل به الولايات المتحدة الامريكية طرفا في قضية فلسطين ، باعـلانه تشكيل لجنة التحقيق الانجلوامريكية ، وتأكيده ان الحكومة البريطانية ستضع مشروع حل ، يستند على توصيات اللجنة المذكورة ، وتعرضه على الامـم المتحدة للموافقة عليه ، وان هذا الحل سيتخذ شكل « وصاية دولية » تحت اشراف الامم المتحدة !..

والواقع ان النتائج التي اسفر عنها اجتماع بلودان لم تكن في مستوى الامال التي عقدت عليه ، لقد كانت الحماسة لفلسطين تملأ صدور القـوم، والرغبة شاملة في الاخذ بالوسائل الناجعة لانقاذها من الاستعمار والصهيونية ودعم الفلسطينيين بالمال والسلاح ، عن طريق تشكيل « الهيئة العربية العليا لفلسطين» التي تقرر تأليفها ، لكن وصول البريغادير كلايتون مدير مخابرات الجيش البريطاني في الشرق الاوسط الى بلودان ، مصحوبا بالمستر برايانس مساعد مدير المخابرات البريطانية في فلسطين ، قد اضعف تلك الحماسة التي كانت تتأجج في الصدور ، وكان باعثا على اتخاذ القرار الخاص بمفاوضـة الحكومة البريطانية ، تجاوبا مع بيان مستر بيفن وقضى كلايتون وزميلـه برايانس اياما في بلودان ، كانت لهما خلالها جولات في الفندق الذي عقـدت فيه الاجتماعات .

وكانت الحكومة البريطانية لما قررت تشكيل لجنة التحقيق الانجلـو امريكية قد بدا لها ان الحاجة تدعو الى تعاون الفلسطينيين معها ، تسهيلا لها على اداء مهمتها ، وحاولت ان تقيم الدليل على ذلك باطلاق سراح بعـــض المعتقلين من الفلسطينيين.

وقد بحثت الاحزاب الفلسطينية موضوع التعاون مع اللجنة المذكورة، لكنها لم تتفق على رأي موحد ، فرأى فريق من الفلسطينيين التعاون مع اللجنة وعارض ذلك فريق آخر واستمعت اللجنة الى بيانات الذين تقدموا اليها من الفريق الاول ، ثم غادرت فلسطين .

وعلى اثر ذلك نشأ خلاف بين اعضاء اللجنة العربية العـــليا ادى الى انسحاب بعضهم وتأليفهم « الجبهة العربية العليا » ..

فلما اشتد الخلاف بين الفريقين ، وكنت حينئذ في باريس ، خشيـــت ان يؤدي الخلاف الى اضعاف الموقف الفلسطيني بوجه عام ، ويصيب القضيـــة الفلسطينية بضرر بالغ ينشأ عنه زيادة تعنت السلطات البريطانية والامريكيـــة واستهانتها بالشعب الفلسطيني وقضيته، فوجهت رسائل الى عدد من زعماء الاحزاب ورجال الحركة الوطنية في فلسطين دعوتهم فيهـــا الى التعاضـــد والتعاون ونبذ الخلاف للتمكن من مجابهة الخصوم والاعداء وكان لتلـــك الرسائل اثر ملحوظ في تخفيف حدة الخلاف والانشقاق الداخلي ، لكن قيام كل من اللجنة العربية العليا والجبهة العربيـــة العليا في فلسطين استمـــر الى ان انعقد مجلس الجامعة في بلودان وقرر تأليـــــفه « الهيئة العربية العليـــا لفلسطين » ، وبذلك زال الخلاف وتوحدت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية.

بريطانيا تلاحق المفتي في القاهرة

واستطرد المفتي قائلا :

تركت ثورة فلسطين المجيدة التي نشبت استنكارا لسياسة بريطانيـــا الظالمة ومشروع تقسيم فلسطين ، واستمرت زهاء ثلاث سنوات من ١٩٣٦ الى

١٩٣٩ وما قام به الشعب الفلسطيني ، وفي طليعته المجاهدون الابرار من اعمال بطولية خارقة ، اثرا عظيما في العالم • وقد ظهرت آثار تلك الثورة المجيدة صريحة في السياسة البريطانية خاصة ، والعربية عامة ، كما ظهرت باشد من ذلك في العالمين العربي والاسلامي •

ففي مصر تألفت لجنة برلمانية من الشيوخ والنواب على اختلاف احزابهم، للدفاع عن قضية فلسطين ، ووقع مائة وسبعون منهم على عريضة استنكار لسياسة بريطانيا الظالمة في فلسطين منتصرين للشعب الفلسطيني في جهاده الكبير • وعلى اثر ذلك دعا محمد علوبة باشا الى عقد مؤتمر برلماني في القاهرة صيف عام ١٩٣٨ شهده عدد كبير من الشيوخ والنواب من مصر وسوريا ولبنان والعراق ، ووفود من فلسطين والمغرب ومسلمي الهند ومسلمي البوسنة، واتخذ المؤتمر قرارات بتأييد ميثاق الشعب الفلسطيني واستنكار سياسة بريطانيا لتقسيم فلسطين ، ثم أرسل المؤتمر وفدا برئاسة علوبة باشا الى لندن للدفاع عن قضية فلسطين والدعاية لها •

وفي سورية انعقد مؤتمر عربي عام في بلودان في ٨ ايلول ١٩٣٧ بمساعي لجنة الدفاع عن فلسطين في دمشق واللجنة العربية العليا لفلسطين حضرته وفود من سورية ولبنان وفي فلسطين ومصر والعراق بأكثر من اربعمائة مدعو واختير لرئاسة المؤتمر ناجي باشا السويدي (العراق) ولنيابة الرئاسة محمد علي علوبة باشا (مصر) والامير شكيب ارسلان (لبنان) والمطران حريكة (سورية) ولامانة السر العامة الاستاذ محمد عزة دروزة (فلسطين)•

وفي الهند عقد المسلمون بزعامة العصبة الاسلامية وجمعية الخلافة اجتماعات عديدة وقاموا بمظاهرات عظيمة اعلنوا فيها تأييدهم لجهاد شعب فلسطين واستنكارهم لسياسة بريطانيا الجائرة • مؤيدين حق العرب في فلسطين ومنددين بسياسة التقسيم ومطالبين بالغاء وعد بلفور والاعتراف باستقلال فلسطين • وكان من مؤيدي العرب في عصبة

الامم ايرلندا والبانيا وفرنسا . وكان من آثار اشتداد ثورة فلسطين عــام ١٩٣٨ ان قدم عشرون نائبا في البرلمــان البريطاني اقتراحا الى الحكومــة بوقف الهجرة اليهودية وقفا تاما الى ان تحل قضية فلسطين حلا ملائما .

واذاع وزير المستعمرات مالكوم ماكدونالد بيانا عن تعيين لجنة فنيــة تدرس امكانات التقسيم وقال ان الحكومة البريطانية لم ترتبط بمشروع معين.

واذاعت اللجنة العربية العليا بيانا ردت فيه على بيان وزير المستعمرات وكذلك فعل قواد المجاهدين الذين اذاعوا بيانا مماثلا .

فلما وصلت اللجنة الفنية الى فلسطين صيف ١٩٣٨ لم يتقدم اليها احد من العرب ببيانات . اما اليهود فتقدموا الى اللجنة مطالبين بتوسيع القســم اليهودي الذي نص عليه التقسيم وان يضاف اليه صحراء النقب وسهول بيسان والاحياء اليهودية في القدس ، وطالب المتطرفون منهم بدولة يهودية تشمــل فلسطين كلها ، وطالب آخرون بادخال شرق الاردن في الدولة اليهودية .

وقدمت حكومة شرق الاردن مشروعا الى اللجنة يشتمل على دولــة موحدة تضم شرق الاردن وفلسطين ويكون فيها لليهود استقــلال ذاتي في المناطق اليهودية والحق بهجرة محددة . وقدمت اللجنة الفنية بعــد عودتها تقريرا الى الحكومة البريطانية اشتمل على دراسة موسعة واشار الى الصعوبات العديدة التي تقوم في وجه اي مشروع من مشاريع التقسيم .

وعلى اثر ذلك اصدرت الحكومة البريطانية بيانا اعلنت فيــه عدولها عن مشروع التقسيم وانها ستبحث عن حل آخر يمكنها من الوفاء بالتزاماتها نحو كل من العرب واليهود ! وقالت انها تعتزم دعوة الحكومات العربية وممثلــي كل من العرب واليهود في فلسطين الى مؤتمر لندن للوصول الى حل ملائم.

وكان اعلان الحكومة البريطانية عدولها عن التقسيم نصرا عظيما للشعب الفلسطيني في جهاده واعترافا بفوز الثورة بتحقيق احد اهدافها وهو القضاء على التقسيم ، وكذلك حقق الجهاد الفلسطيني هدفا آخر من اهدافه هو ان

تصبح قضية فلسطين قضية عربية واسلامية عامة • وخلال ذلك قام وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد بزيارة سرية لفلسطين درس فيها الحال عن كثب مع السلطات البريطانية ، ولما عاد الى لندن القى خطابا عن رحلته ومما جاء فيه قوله « ان فلسطين هي اصعب بلد في العالم » وبعد ان اشار الى متاعب المندوب السامي والقائد العام قال « ان القضاء على الثورة ليس امرا سهلا وان مركز بريطانيا صعب لما عليها من الالتزامات المزدوجة للعرب واليهود» ثم القى بيانا في مجلس العموم طلب فيه من الاعضاء عدم الاندفاع وراء العاطفة وألا يتجاهلوا الامر الواقع في فلسطين ، واشار الى رفض العرب لوعد بلفور وصك الانتداب منذ البداية واعترف بان ما يحدث في فلسطين الان هو ثورة منظمة واسعة النطاق وان الدافع لها وطنية صادقة وان الشعب البريطاني لو كان مكان الشعب الفلسطيني لضحى بكل ما يستطيع في سبيل حريته المهددة • واخيرا اشار الوزير الى ان الحكومة البريطانية تعتزم اجراء محادثات مع العرب واليهود ، كل فريق على حدة ، ثم تجمع بينهما للتوفيق ان أمكنها ذلك والا عمدت الى الحل الذي تراه مناسبا •••

الخطة البريطانية الجديدة

تتلخص الخطة البريطانية الجديدة فيما يلي:

١ ــ تأسيس حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط بمعاهدة تضمن لبريطانيا مصالحها العسكرية والتجارية •

٢ ــ تضع جمعية تأسيسية فلسطينية ، منتخبة او معينة ، دستورا لدولة يضمن حرية زيارة الاماكن المقدسة وحماية الطوائف وفقا لتعهدات بريطانيا للعرب واليهود ، ومركزا خاصا للوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ويضمن المصالح الدولية التي تعتبر بريطانيا نفسها مسؤولة عنها ••

٣ ــ فترة انتقال تسبق تأسيس الحكومة الفلسطينية تكون الدولة المنتدبة (بريطانيا) خلالها مسؤولة عن الحكم ••

٤ ـ بعد عودة النظام واستتباب الامن تتخذ اجراءات على مرحلتين لاضافة عدد من الفلسطينيين (اي العرب واليهود) الى المجلس الاستشاري، وعدد اخر الى المجلس التنفيذي مع بقاء المندوب السامي متمتعا ببعض السلطات •

٥ ـ لا يمكن تحديد مراحل التطور الدستوري خلال فترة الانتقال ولا تحديد نهاية هذه المدة لانها تتوقف على نجاح التطورات الدستورية وتعاون أهل فلسطين (اي العرب واليهود) • ولا تتخلى بريطانيا عن مسؤوليتها في الحكم الا بعد اطمئنانها الى ان حسن اندماج الطوائف سيجعل قيام حكومة صالحة امرا ممكنا •

٦ ـ تستمر الهجرة اليهودية خلال خمس سنوات حتى يبلغ اليهود ثلث السكان ، وتصبح الهجرة بعد ذلك خاضعة لقرار الهيئات الدستورية خلال فترة الانتقال او بالتشاور بين الحكومة البريطانية وممثلي العرب واليهود •

ولما لم يكن ممكنا قبول هذه الخطة فقد ادخل بعض مندوبي الدول العربية تعديلات عليها كان اهمها ان تؤسس حكومة فلسطينية مستقلة بوزراء فلسطينيين عندما تهدأ الاضطرابات ، وان تتولى جمعية فلسطينية منتخبة وضع دستور فلسطين ، وان تنتهي مسؤولية بريطانيا وتصبح فلسطين مستقلة استقلالا كاملا خلال عشر سنين ، واذا تعذر ذلك لاسباب خارقة يعقد مؤتمر بريطاني فلسطيني ـ رباعي للنظر في الامر •

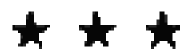
واما الهجرة اليهودية فتستمر بمعدلها الحالي وهو اثنا عشر الفا في السنة مدة خمس سنين ثم تقف نهائيا الا بموافقة العرب •

لكن الوزارة البريطانية اجرت تعديلات على هذه المقترحات وكانت الوفود العربية قد غادرت لندن فأرسلتها وزارة المستعمرات الى مصر حيث تولى بحثها وفود الدول العربية ولما رأوا فيها مخالفة لما تم عليه اتفاقهم مع

وزارة المستعمرات اجروا تعديلا على بعض بنودها وبعد استشارة الوفد الفلسطيني ارسلت المقترحات والتعديلات الى اللجنة العليا لفلسطين في لبنان حيث كنت حينئذ للنظر فيها ، فكان الرأي انه لا بد من تعديل هذه المقترحات وارسلت اللجنة عندئذ وفدا الى القاهرة يحمل رأيها ومقترحاتها . فتداولت الوفود العربية ووضعت على اساسها صيغة جديدة ابلغتها الحكومة البريطانية.

غير ان الحكومة البريطانية لم تأخذ بالصيغة العربية الجديدة واصدرت خطتها السياسية الجديدة في كتاب ابيض في ٧ أيار (مايو) ١٩٣٩ قالت انها وضعته على ضوء محادثات مؤتمر لندن . فلما اطلعت اللجنة العربية العليا على الكتاب الابيض اعلنت رفضها لهذه الخطة السياسية لانها لا تحقق مطالب الشعب الفلسطيني ولا تختلف عن مقترحات لندن التي رفضها وفد فلسطين والوفود العربية جميعا ، بل تنقص عنها .

وعندما اطلع محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية على الكتاب الابيض سارع باصدار تصريح اعلن فيه انه لا يستطيع ان ينصح الشعب الفلسطيني بقبوله . وكذلك كان موقف الحكومتين السعودية والعراقية .



واصدرت اللجنة العربية العليا بيانا حازما بالرد على كافة البنود التي اشتمل عليها الكتاب الابيض وهي الخاصة بصك الانتداب والتزامات بريطانيا وبالاستقلال والدستور وفترة الانتقال ، وبالحكم الذاتي والسلطة التشريعية، وبما ادعته بريطانيا من مسؤوليتها عن حماية الوضع الخاص للوطن القومي اليهودي فكان مما اشتمل عليه رد اللجنة العربية على هذا الادعاء البريطاني قولها « ان الشعب العربي لا يعترف بالوطن القومي اليهودي ويعتبره عدوانا صريحا مستندا الى القوة على اقدس حقوقه ، وان الوطن القومي كان دائما علة العلل والسبب الاساسي في كل ما عانته فلسطين طيلة عشرين عاما من كوارث وثورات ودماء وخراب عام ، واكدت اللجنة انه لن توجد في فلسطين

يد عربية ترضى ان تسجل في صلب الدستور او المعاهدة قيام وطن قـــومي لليهود فيها ..»

وتناول رد اللجنة العربية ما قررته الحكومة البريطانيـة من رغبة في استمرار الهجرة اليهودية بزعم ان وقف الهجرة في الحال يلحق الضرر بنظـام فلسطين المالي والاقتصادي وبمصالح العرب واليهود (كذا) وبحجةالمساهمة في حل مشكلة اليهود العالمية (كذا) وطالبت اللجنة العربية باصرار في ختـام ردها ، بمنع انتقال الاراضي من العرب الى اليهود منعا باتا ونهائيا .

هذه خلاصة الاسباب التي استندت اليها اللجنة العربية العليا في رفضها الكتا بالابيض ، وكانت برفضها هذا تعبر عن الرأي العام الفلسطينيوالعربي بصورة عامة . ويظهر مما تقدم بيانه ان الحكومة البريطانية علقت انهـــــاء الانتداب وتأسيس الدولة الفلسطينية على رضاء اليهود ورغبتهم في الاندماج في هذه الدولة . ولكن اليهود لم يبدوا شيئا من الرغبة في الاندماج بـــــل عارضوه بقوة ، واتخذت معارضتهم هذه اشكالا وصورا متعددة مــــن الاحتجاج والاستنكار وتأليب الرأي العام الاوروبي والامريكي ، الىالثورة المسلحة على الحكم البريطاني في فلسطين.

وفي هذا المجال نورد ما ذكرته الوفود العربية من ان الانكليز اعتذروا من عدم قبولهم وجهة النظر العربية بما وقع عليهم من ضغط الرئيس الامريكي روزفلت ، استجابة لرغبة اليهود ، واضطرارهم لمسايرته للظروف الدوليـــة الدقيقة حينئذ ، وهذه الحجة ظل الانكليز يدفعون بها عن غدرهم ونكثهم بعهودهم منذ نشوء المشكلة الصهيونية وابلائهم الشعب الفلسطيني بهـــا . وكانت الحكومة البريطانية قد اعلنت انها ستشرع في تنفيذ سياسة الكتـاب الابيض عندما تهدأ الحال في فلسطين ، وقد هدأت الحال فعلا بعد نشـــوب الحرب العالمية ولكن التنفيذ لم يحدث ، وظل باب الهجرة اليهوديـة مفتوحا على مصراعيه سواء في ذلك الهجرة التي سماها اليهود « مشروعة » والهجرة غير المشروعة لليهود المهربين الذين كان عددهم باعتراف السلطات البريطانية

لا يقل عن عدد المهاجرين الذين كانوا يسمونهم « الشرعيين » وظل الانكليز يسيرون على سياسة المراوغة والتخدير بضع سنوات مغتنمين فرصة الحرب العالمية الثانية التي جاءت موانية لهم الى ان نقضوا الكتاب الابيض نقضا كاملا عام ١٩٤٦ باستجابتهم لطلب ترومان ادخال مئة الف يهودي دفعة واحدة الى فلسطين وبعودتهم الى مشروع التقسيم مرة ثانية عن طريق ايفاد لجان تحقيق جديدة الى فلسطين لتكون مبررا لسياستهم الجديدة القديمة، وضربتهم القاصمة التي وجهوها الى الشعب العربي الفلسطيني ، بل الى الامة العربية والعالم الاسلامي ايضا ، بنقلهم القضية الفلسطينية الى ميدان الامم المتحدة .

التآمر البريطاني على فلسطين

ويستطرد المفتي قائلا :

رفض اليهود السياسة التي انطوى عليها الكتاب الابيض البريطاني لانها لا تحقق مطامعهم . فهم يريدون هجرة يهودية واسعة النطاق ، مطلقة غير مقيدة ولا محدودة ، وان تطلق لهم الحرية في الاستيلاء على الاراضي العربية، الاميرية منها والخاصة ، وهم لا يريدون حكما مشتركا بينهم وبين العرب يكونون فيه اقلية . بل يريدون ان تكون فلسطين كلها لهم . وبتعبير آخر ان تكون فلسطين يهودية كما هي انكلترا انكليزية كما عبر عن ذلك زعيمهم وايزمن . بل هم يريدون « اسرائيل الكبرى » من النيل الى الفرات . ولذلك ثاروا على سياسة الكتاب الابيض البريطاني واخذوا يولون وجوههم شطر الولايات المتحدة الامريكية لتكون عونا لهم على بريطانيا ! والحال ان بريطانيا لم تكن في يوم من الايام موالية للشعب الفلسطيني ، ولا للشعوب العربية الاسلامية ، ولكنها كانت تسير مع العرب على سياسة المداورة والمراوغة ضمانا لمصالحها الاقتصادية والعسكرية في العالمين العربي والاسلامي ، ولانها بما لها من سابق في الطرق والوسائل الاستعمارية ، والسياسة العالمية كانت موقنة ان الحرب العالمية الثانية آتية وانها ستضطر الى خوض غمارها ، فلا

غنى لها عن مداهنة العرب والمسلمين ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

لكن زعماء الصهيونية الذين وطنوا انفسهم على خدمة قضيتهم الباطلة التي لا سند لها من حق ولا منطق ، استطاعوا بمساعيهم الحثيثة المتواصلة ان يستنفروا المنظمات والمؤسسات اليهودية في الولايات المتحدة ، ويجندوا كل عناصرهم العاملة فيها ، للتأثير على الاميركيين لدعمهم وتأييدهم في الضغط على بريطانيا لاحباط مؤتمر لندن ، ونقد الكتاب الابيض ، وفتح ابواب فلسطين لهجرة يهودية واسعة النطاق . فلما وقعت الحرب العالمية الثانية واتخذت المانيا سياستها المناوئة لليهود ، انتهز زعماء الصهيونية هذه الفرصة لحمل الكونغرس الاميركي على اتخاذ قرار بانشاء دولة يهودية في فلسطين واطلاق الهجرة اليهودية اليها ، وكادوا ينجحون في مساعيهم لولا تريث بعض رجال الدولة ولاسيما العسكريون منهم لئلا يترك ذلك اثرا سيئا في الاقطار العربية التي كان اكثر حكوماتها سائرا في ركب الحلفاء .. وظل الزعماء الصهيونيون يوالون مساعيهم في امريكا ، وفي بريطانيا وفرنسا وكل الدول والمؤسسات والهيئات والجمعيات التي لهم فيها وجود او عليها تأثير مستغلين العطف على اليهود من الاضطهاد النازي حتى حققوا نتائج عظيمة ، واستطاعوا حمل بريطانيا على نقض الكتاب الابيض بل على الانجراف في التيار الصهيوني انجرافا كان له اسوأ الاثر على القضية الفلسطينية .

توسل اليهود لبلوغ غايتهم وتحقيق مطامعهم بوسائل شتى ، فاغتنموا فرصة نشوب الحرب العالمية الثانية لتقوية انفسهم ، وتعزيز اسلحتهم ، ومضاعفة قواتهم العسكرية ، وتحصين مدنهم ومستعمراتهم ، وحملوا الدولة البريطانية على تحصين فلسطين في وجه قوات دول المحور ، ومن ذلك انشاء خط ايدن وغيره من التحصينات العسكرية القوية . وجندت السلطات العسكرية البريطانية خلال الحرب الوفا من شبان اليهود في الجيش البريطاني فدربتهم وسلحتهم واشركتهم في بعض العمليات الحربية ، واستخدمت عددا كبيرا غيرهم في مصانع الجيش البريطاني وثكناته ومستودعاته وفي الوظائف

الفنية والرئيسية ، واعتمدت بعض المصانع اليهودية لانتاج الذخائر والمتفجرات وغيرها من اللوازم العسكرية • وبلغ عدد الذين دربهم الانكليز وجندوهم في الجيش البريطاني ثلثة وثلاثين الفا (كما جاء في التقويم اليهودي السنوي « هاشاتا » لعام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤)• وهذا الرقم لا يشمل عدد المجندين منهم في قوات الشرطة والدفاع السلبي ولا (الهاجانا) وهي قوة الدفاع اليهودي • ونقل اليهود بمساعدة الانكليز كميات عظيمة من مختلف الاسلحة الى فلسطين ووزعوها على مستعمراتهم ومنظماتهم العسكرية الارهابية •

وفي عام ١٩٤٣ طلب الزعماء الصهيونيون من السلطات البريطانية تأليف (فيلق يهودي) والحاقه بالجيش البريطاني كوحدة مستقلة • فاستجاب لهم تشرشل الذي كان رئيس الوزارة البريطانية عندئذ ، الا ان المرشال ويفل قائد القوات البريطانية في مصر والشرق الاوسط عارض هذا الطلب لكيلا يثير حفيظة العرب • لكن تشرشل اصر على تأليف الفيلق وجعلته القيادة البريطانية جزءا من الجيش البريطاني في حملته على ايطاليا عام ١٩٤٤ • وبعد انتهاء الحرب عاد افراد الفيلق اليهودي الى فلسطين ومعهم اسلحتهم الخفيفة•

وقد ا ورد تشرشل قصة هذا الفيلق في مذكراته عن الحرب العالمية الثانية• (قد سبق لي ان اشرت الى هذا الحادث في فصل سابق من هذه المذكرات)•

وقبل أن تنتهي الحرب كان اليهود قد اتموا تنظيم قواتهم وتسليحها فأرادوا اغتنام الفرصة لتهويد فلسطين واقامة دولتهم فيها خشية قيام حركة عربية عامة بعد الحرب تحول دون استجابة بريطانيا وامريكا لهم وتحقيقهما لرغباتهم، وخوفا من ان يفقدوا بمرور الزمن عطف العالم الغربي عليهم ، وهو ما حصلوا عليه بدعايتهم الواسعة عن اضطهاد المانيا النازية لليهود •

لهذه الاسباب والاعتبارات شرعت المنظمات اليهودية الارهابية في اقتراف جرائم واسعة النطاق ضد السلطات البريطانية والشعب العربي في فلسطين في آن واحد • وقامت عصابتا (ارغون زفاي لئومي) و (شترن) ومن ورائهما قوة الدفاع اليهودية المعروفة بالهاغانا ، باعمال اجرامية ارهابية

في منتهى القسوة والفظاعة ، كنسف الدوائر الحكومية والفنادق ودور المؤسسات والشركات والمصالح العامة وبعض الجسور والمحطات والمخافر والقاء المتفجرات من ألغام وقنابل في الاسواق والمجتمعات مما ذهب ضحيته عدد كبير من العرب وقليل من الاجانب ، وكانوا بذلك يقصدون بلوغ غايتين: الاولى استعجال السلطات البريطانية لتستجيب لرغباتهم وتحقيق مطالبهم والاخرى ارهاب الفلسطينيين وحملهم على النزوح من فلسطين والتخلي عن اراضيهم وممتلكاتهم فيأخذها اليهود غنيمة باردة ..

وكان من ضحاياهم اللورد موين الوزير البريطاني في الشرق الادنى، وهذا منصب استحدثه الانكليز في زمن الحرب وجعلوا مركزه القاهرة ، وبعض الضباط والجنود الانكليز في فلسطين ، وحاولوا اغتيال المندوب السامي البريطاني السر هارولد ماكمايكل بكمين اعدوه له في طريق القدس ـ يافا فنجا المندوب وقتل سائقه وحارسه وجرحت زوجته ، وحاولوا ايضا اغتيال الجنرال باركر القائد العام البريطاني في فلسطين ، لكنهم لخفقوا في ذلك . اما ضحاياهم من العرب فكانوا مئات القتلى والوفا من الجرحى . وقد ثبت ان (الوكالة اليهودية) ذات الصفة الرسمية في تمثيل اليهود في فلسطين . وللهاغانا وهي قوة الدفاع اليهودية يدا أثيمة في تلك الجرائم ، وقد كانتا تتظاهران بالحياد وان لا صلة لهما بالاعمال الارهابية ، حتى اضطرت السلطات البريطانية بفلسطين ان تقتحم دار الوكالة اليهودية في القدس وتعتقل بعض زعمائها وتفتش مكاتبها وتصادر منها وثائق ومستندات تدين زعماء اليهود وتثبت صلتهم باعمال النسف والتدمير والارهاب ، وان الهاغانا وعصابة البالماخ التابعة لها تعملان تحت اشراف الوكالة اليهودية وان عصابة شترن تعمل متعاونة مع الهاغانا .

واعترف رئيس الوزارة البريطانية مستر (اتلي) في بيان رسمي اثر تفتيش دار الوكالة اليهودية بان الثورة اليهودية مدبرة ومخطط لها وان الوكالة رفضت ان تستنكر اعمال الارهاب ، واضاف ان الهيئة العسكرية اليهودية

التي تدير اعمال الارهاب تضم سبعين الفا من الهاغانا وخمسة الاف من (البالماخ) وخمسة الاف او ستة من عصابة (الارغون) ، ولم يذكر عدد عصابة (شترن) لكن المعلومات تدل على انهم يتراوحون بين الف والفين.

وقد سبق للسلطات البريطانية ان استقدمت الى فلسطين الجنرال(وينغت) الخبير البريطاني في حرب العصابات الذي كان يقود القوات البريطانية في بورما والملايو ، استقدمته لتدريب الهاغانا على حرب العصابات وطرق مقاومة الفلسطينيين اذا ما حاولوا استئناف حرب العصابات ضد القوات البريطانية.

وكان شبان اليهود يهربون السلاح بالاتفاق مع الجنود البريطانيين . ونذكر مثلا على ذلك حادث تهريب قامت به عصابة (سركين) وبعض الجنود البريطانيين لكمية كبيرة من السلاح هي ألف بندقية ورشاشة ومئات الالوف من الطلقات . وكانت نتيجة المحاكمة العسكرية الصورية التي قدموا اليها، الحكم ببراءة سركين وعصابته ، ونقل الجنود البريطانيين المشتركين في الجرم الى بريطانيا ، واقالة النائب العام العسكري لانه اجترأ على اتهام الوكالة اليهودية وزعماء اليهود بأن لهم صلة باعمال التهريب والاشراف عليها !!

ومثال آخر : فقد كتب الارهابي السفاح مناحم بيغن زعيم عصابة الارغون في مذكراته التي نشرها عام ١٩٥١ ان منظمته نقلت حمولة عشرين عربةمن عربات السكك الحديدية من الاسلحة والذخائر والمتفجرات التي اودعها الجنود البريطانيون في مستعمرة (باريس حنا) اليهودية على طريق حيفا .

وسبق هذه الاحداث ، ما يماثلها من اعمال تهريب السلاح سرا وجهرة كحادث تهريب المدسات البلجيكية الكبيرة من نوع (مونشر) في براميل الاسمنت من بلجيكا الى ميناء يافا باسم الزعيم الصهيوني ذيزنكوف رئيس بلدية تل ابيب وغيرها من الشحنات وهي لا تكاد تحصى . وكانت السلطات البريطانية في فلسطين تتغاضى عنها . اما الاسلحة التي كانت السلطات تقدمها

لليهود في المدن والمستعمرات بحجة الدفاع عن النفس فلا سبيل الى حصرها.

اما نواة التشكيلات العسكرية اليهودية في فلسطين فهي (جمعية المحاربين القدماء) من اليهود المسرحين من جيش الجنرال اللنبي الذين سمحت لهم الادارة العسكرية البريطانية بالبقاء في فلسطين والاحتفاظ باسلحتهم ، كما سمحت للشبان اليهود بتشكيل كتائب ظاهرها رياضي وكشفي وثقافي واجتماعي وباطنها عسكري من مثل منظمات المكابي ، وتراميلدور ، والطلائع وغيرها ..

شرع اليهود في اعمالهم الارهابية من مطلع عام ١٩٤٤ الى ما بعد منتصف عام ١٩٤٧ ، فأسقطوا هيبة بريطانيا ودمروا كثيرا من ممتلكاتها وكثيرا من دوائر حكومتها في فلسطين وشنقوا افرادا من جنودها وجلدوا اعدادا من ضباطها وقتلوا كثيرا من كبار موظفيها وألحقوا بها اشد الاهانات دون ان يلقوا على جرائمهم هذه عقابا مذكورا ، وكانت هذه الجرائم تقابل بتسامح وتغاض لا نظير لهما ، وكان الذين يتصدون لمقاومة هذه الجرائم هم رجال الشرطة اما قوات الجيش البريطاني فلم يسمح لها قط بقمع الثورة مع انها كانت قادرة على ذلك خلال اربع وعشرين ساعة كما جاء في تقرير رفعه المندوب السامي البريطاني الى مرجعه الاعلى في لندن .

وعند مقارنة موقف السلطات البريطانية من ثورة العرب في فلسطين وموقفها من ثورة اليهود يتضح الفرق العظيم بين معاملتها لهؤلاء واولئك . فان اغتيال مستر اندروز حاكم لواء الجليل الذي قام به بعض المجاهدين العرب عام ١٩٣٧ حمل السلطات البريطانية على حل المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى وعزل رئيسه وحل اللجنة العربية العليا ونفي اعضائها الى سيشل والغاء اللجان القومية في المدن الفلسطينية وزج مئات من الرجال والشبان والقضاة والعلماء في المعتقلات والسجون بتهمة المسؤولية عن الثورة . ومع ان العرب في ثورتهم لم يدمروا ممتلكات الحكومة ولا دوائرها الرسمية (باستثناء القاطرات والسكك الحديدية لقطع مواصلات الجيش) وان ثورتهم كانت شريفة

ومقصورة على مقاتلة العسكريين دون المدنيين ، فانهــــم كانوا عرضة لاشد العذاب والنكال كنسف مدنهم وقراهم واتلاف مؤونتهم ونهب اموالهم وفرض الغرامات الباهظة عليهم وغير ذلك مما لا سبيل الى وصفه من الاعمال المتناهية في القسوة والظلم ، هذا عدا مئة وثمانية وأربعين مجاهدا اعدموا شنقا وكانت احكام الاعدام تصدر على العرب وتنفذ فيهم الحكم •• اما القتلى والجرحى من المجاهدين والمدنيين رجالا ونساء واطفالا فقد بلغوا عشرات الالوف •

ولنضرب مثلا على الجرائم واعمال القسوة والتعذيب التي اقترفها الجنود البريطانيون ، ما وقع في مدينة الخليل في ثورة عام ١٩٢٩، المعروفـــــة بثورة البراق حيث اخذ الضابط البريطاني (كفراتا) يقتل العرب اعتباطا فقد امر جنوده باطلاق النار جزافا على الاهلين فأخذ اولئك الجنود يتصيدون عـــابري السبيل وغيرهم من اهل المدينة ويطلقون النار عليهم • وحجة كفراتا في ذلك ان عدد قتلى اليهود يزيد على عدد قتلى العرب ، وانه يجب انيتم (التعادل) في عدد القتلى من الجانبين •• وهكذا سقط ضحية تلك (المعادلة) البريطانية غير العادلة عدد من العرب الابرياء قتلى برصاص الانكليز••

وفي قرية (حلحول) الواقعة على طريق القدس ـ الخليل اقترف ضابط بريطاني يهودي جرائم منكرة بوسائل اخرى من وسائل التعذيب • فقد ألقى القبض على عدد من شبان تلك القرية بتهمة اشتراكهم في اعمال ثورية وقعت بالقرب من قريتهم وكانوا بريئين منها • ثم أجبرهم على ان يحفروا حفرا عميقة وامر جنوده بان ينزلوا في كل حفرة منها واحدا من اولئك الشبان ويهيلـــــوا عليهم التراب حتى الاعناق فلا يظهر منهم الا الرؤوس العارية ،وابقاهم على هذه الحال المنكرة دون طعام وشراب بضعة ايام تلفح رؤوسهم الشمس في أشد ايام الصيف حرا ، وهم يستغيثون طالبين اسعافهم بشربة ماء ولا مجيب• وقد بلغت القسوة من ذلك الضابط انه كان يأمر جنوده باحضار الماء واراقته على التراب امام اعين اولئك التعساء ليزيدهم عذابا ويضطرهم للاعتراف بما لم يقارفوه ولا علم لهم به !

وكان ان هرعت نساء القرية الى القدس ينقلن خبر اولئك المعذبين فضج الناس وجاروا بالشكوى واضطرت السلطات لاطلاق سراح من بقي منهم على قيد الحياة •

وقد أثار الوفد الفلسطيني حادثة حلحول عندما كان في لندن يفاوض الحكومة البريطانية حيث ندد السيد جمال الحسيني رئيس الوفد باعمال الظلم والتعذيب التي تقترفها السلطات البريطانية في الشعب الفلسطيني ، واعترف المستر مالكولم مكدونالد وزير المستعمرات يومئذ بصحة هذه الحادثة الاليمة واعلن اسفه لوقوعها •

ومن الوسائل غير الانسانية التي كانت تلجأ اليها السلطة البريطانية حينئذ لحماية جنودها واخماد الثورة انها كانت ترغم عددا من العرب على الركوب في عربات كاشفة على خطوط السكك الحديدية (ترولي)، وفي سيارات تتقدم الجنود على الطرق العامة اتقاء لما ينشأ من خطر المتفجرات التي كان المجاهدون يلغمون بها السكك الحديدية والطرق ، حتى اذا ما انفجر لغم أودى باولئك العرب الذين هم في الطليعة وسلم الجنود البريطانيون الذين هم في المؤخرة ••

أما أعمال النسف والتدمير فنضرب مثلا عليها نسف المدينة القديمة بيافا عام ١٩٣٦ ، فقد تذرعت اليه السلطات البريطانية بان المجاهدين الفلسطينيين يتخذونها مكمنا لهم وينطلقون منها الى اعمالهم الثورية •

واقترفت السلطات في مدينة جنين مثل ما اقترفت في يافا اذ نسفت نحو نصف المدينة دون مبالاة بما يصيب الاهلين من خراب ودمار •

واما القرى والاحياء العربية الاخرى التي نسفتها السلطة او احرقتها في الثورة الكبرى عام ١٩٣٧ ، واستمرت عامين كاملين فهي تعد بالعشرات ••

ونأتي الى تلخيص نشاط اليهود السياسي والاعلامي خلال ايام الحرب

واستجابة بريطانيا وامريكا لهم وما كان من نقض بريطانيا لسياستها المرسومة في الكتاب الابيض :

ففي عام ١٩٤١ عرض الزعيم الصهيوني وايزمن على بريطانيا مساعدة رؤوس الاموال اليهودية لها وتعاون اليهودية العالمية معها لكسب الحرب مشترطا موافقتها على اطلاق ايدي اليهود في فلسطين وشرق الاردن ومناطق لبنان الجنوبية بما فيها نهر الليطاني.

غير ان ظروف الحرب عندئذ لم تكن في صالح بريطانيا فلم تستطع اتخاذ اجراء من هذا القبيل .

وشرع اليهود من اجل دعم فكرة اقامة الدولة اليهودية يقيمون التظاهرات ويعقد زعماؤهم ومنظماتهم الاجتماعات والمؤتمرات . واعلن بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ ، ان اليهود لا يمكنهم ان يتخلوا عن شبر من ارض فلسطين حتى قمم الجبال واعماق البحر . واعلن بعد ذلك ان الصهيونية قد رسمت خطتها وسياستها على اساس ان فلسطين يجب ان تصبح دولة يهودية .

ثم في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٢ عقد زعماء اليهود مؤتمرا في القدس اعلنوا فيه رفضهم لمشروع التقسيم وطالبوا بدولة يهودية في فلسطين .

وقام يهود امريكا وبريطانيا باعمال مماثلة وعقدوا اجتماعات ومؤتمرات عدة كان اهمها مؤتمرهم العالمي الاستثنائي في فندق بلتيمور في ايار ١٩٤٢ الذي قرروا فيه جعل فلسطين دولة يهودية واخراج العرب منها .. ثم مؤتمرهم العالمي في لندن في كانون الثاني ١٩٤٥ .

وفي ٣ تشرين الثاني ١٩٤٣ قدمت اكثرية اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي و ١٨١ عضوا من النواب مذكرة الى الرئيس الاميركي مطالبين بالعطف على اليهود وتحقيق مطالبهم وان الغاية من تصريح بلفور هي انشاء دولة لليهود في فلسطين (كومنولث).

وفي صيف عام ١٩٤٤ ولمناسبة انتخابات رئاسة الجمهورية عقد مؤتمر للحزب الجمهوري ومؤتمر آخر للحزب الديمقراطي لتعيين مرشح للرئاسة فأيد كل من المؤتمرين جعل فلسطين دولة يهودية •

ووجه الرئيس روزفلت رسائل الى زعماء اليهود في امريكا خولهم فيها ان يعلنوا تأييده لقرار جعل فلسطين دولة يهودية ، وان حكومته لم توافق على سياسة الكتاب الابيض البريطاني ولما اعيد انتخاب روزفلت رئيسا عام ١٩٤٥ اكد تعهده لليهود بمساعدتهم على انشاء دولة يهودية في فلسطين •

وفي اذار ١٩٤٤ قدمت مذكرة من بعض اعضاء مجلس الشيوخ الى لجنة الشؤون الخارجية بمشروع قرار لالغاء الكتاب الابيض البريطاني وانشاء دولة يهودية في فلسطين وتحقيق مطالب اليهود ، لكن هذه المذكرة حفظت موقتا بناء على طلب جورج مارشال وزير الخارجية ورئيس اركان حرب الجيش الامريكي لاعتبارات عسكرية خوفا من اثارة العرب وانعكاس ذلك على الموقف العسكري • فلما تغير مجرى الحرب لصالح الحلفاء ارسل جورج مارشال رسالة الى السناتور واغنر زعيم الاكثرية في مجلس الشيوخ قال فيها انه يؤيد الاقتراح الوارد في المذكرة نظرا لزوال الاعتبارات العسكرية التي حملته فيما مضى على معارضته بحثها !•

وفي عام ١٩٤٥ اشتدت دعاية اليهود في امريكا بواسطة الصحف والاذاعات وشركات الانباء لمشروع الدولة اليهودية •

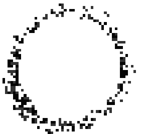
وطالبت اكثرية كبرى من مجالس الولايات المتحدة الامريكية بانشاء الدولة اليهودية وفتح ابواب فلسطين لهجرة يهودية حرة •

وفي بريطانيا قررت اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطاني ان تتبنى سياسة قيام دولة يهودية في فلسطين وتوسيع حدودها لتتسع لاكبر عدد من اليهود وترحيل العرب من فلسطين!

وفي المؤتمر الذي عقده حزب الاحرار البريطاني قرر ان يتبنى سياسة

الغاء الكتاب الابيض واطلاق الهجرة اليهودية الواسعة الى فلسطين.

فلما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء اشتد نشاط اليهود السيـــاسي في بريطانيا وامريكا ، مع استمرارهم على ثورتهم المسلحةفي فلسطين وقدمwايزمن مذكرة الى مؤتمر سان فرنسيسكو طالب فيها بان يكون الحل لمشكلة فلسطين منطبقا على وعد بلفور وحق اليهود المكتسب في وطنهم القومي وقيام دولـة يهودية في فلسطين (كومنولث). وما يقتضيه ذلك من رفع القيود عن الهجرة اليهودية وبيع الاراضي.



واغتنم اليهود فرصة موت روزفلت وحلول ترومان محله وحاجتـــه الى تأييدهم فضغطوا عليه بشدة فلم يكن منه الا الاستجابة لمطالبهم باندفاع غريب وسرعة اغرب اذ طلب من الحكومة البريطانية ادخال مئة الف مهاجـر يهودي دفعة اولى الى فلسطين ، واعادة النظر في اوضاع القضية الفلسطينية وحلها بما يلائم أمن اليهود واستقرارهم . فبادرت الحكومة البريطـــانية بالاستجابةلمطالب ترومان واقـــدمت على ارتكاب خيانة جـديدة لعهودها ومواثيقها بالغائها سياسة الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ التي تعهدت بتنفيذهـا سواء رضي العرب واليهود او لم يرضوا . ولكنها لم تقدم على ذلك فورا بل راوغت كعادتها واقترحت على ترومان تأليف لجنة تحقيق انجلو امريكيـــة يؤخذ بتوصياتها وتبنى على اساسها سياسة جديدة يعمل بها لحل مشكـــلة فلسطين !!

الفصل الثامن عشر

عبد الناصر والمفتي



كان ظهور المفتي بين اعضاء مؤتمر باندونغ مفاجأة ضخمة ، ويرى في الصورة الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل اثناء تادية صلاة الجمعة في المسجد الكبير بباندونغ . وتعد هذه الصورة من الصور النادرة التي تجمع المفتي بعبد الناصر .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دق جرس التلفون في مكتب المفتي بداره في القاهرة (حلمية الزيتون)، المكتب الرحب القائم الى جانب الدار ، والذي يكسوه السجاد الوردي ، كان ذلك في نهاية مارس عام ١٩٤٧ ، كان المتكلم الصاغ محمود لبيب احـــد الضباط المجاهدين الذين قاتلوا في طرابلس الغرب وجاهدوا ضد الانكليـز وطلب من الحاج امين أن يسمح لبعض الضباط الشباب بمقابلته في منزلـه مقابلة سرية •

طلب الحاج أمين من محدثه القدوم اليه مسبقا للتبـــاحث في الامر ، فلبى الدعوة •

كان الصاغ محمود لبيب يعمل مع المفتي ، وقد كلفه بمهمـــة تدريب المجاهدين على القتال ، واطلق عليه اسم (رئيس حركة الشباب الفلسطيني)، وكان معارا للهيئة العربية العليا من قبل وزارة الدفاع المصرية لهذا الغرض••

جاء الصاغ لبيب في الموعد وقال للمفتي :

هناك بعض الضباط الشباب الذين يحترمون جهادك وتضحيتك من اجل وطنك ، يريدون ان تسمح لهم بزيارتك ، وقد اشترطوا ان يأتون اليك بصورة سرية ، فهل توافق سماحتكم على ذلك :

هل انت واثق منهم يا لبيب ؟

نعم انا واثق منهم ، وأود ان تتعرف عليهم ،!

اذن رتب المقابلة بالشكل الذي يتفق وطلبهم ،

ويقول المفتي وهو يروي لي هذا الحادث :

لقد اوعزنا الى بعض الحراس بالابتعاد ، وتركنا الباب الخلفي للمنـــزل بدون حراسة ، وفي الموعد المحدد دخل علي الصاغ محمود لبيب ومعـــــه اربعة ضباط :

(الصاغ جمال عبد الناصر ، الصاغ كمال عبد الحميد ، الصاغ عبد الحكيم عامر ، ولا اذكر اسم الرابع) وقد شعرت بان الضباط يريدون ان يتكلم عبد الناصر باسمهم ، ولاحظت انهم يقدمونه عليهم ، ويسكتون حين يتكلم .. فأدركت انني امام زعيمهم .

رحبت بهم وشكرت لهم عاطفتهم الوطنية وقلت لهم مـــاذا تريدون بالضبـــط ؟

فانبرى للكلام الصاغ جمال عبد الناصر وقال :

نحن يا سيدي نريد ان نتعاون معكم ، ونقاتل الى جانبكم ، وسنلتزم بالخطة التي تضعونها لنا ..

فشكرتهم على عاطفتهم الوطنية وسألتهم هل لديهم خطة ؟

فأخرج الصاغ جمال عبد الناصر من جيبه خطة كاملة وقال تستطيع ان نفيدكم كثيرا اذا ذهبنا الى جهة غزة وبئر السبع ، ولكن تعلمون اننا كضباط

لا نستطيع ترك عملنا دون استئذان رسمي من المسؤولين في وزارة الدفاع ، من اجل هذا نرجوكم التكلم مع القصر لاخذ موافقته اولا ، ثم التكلم مع النقراشي باشا رئيس الوزراء على ان يقبل باحالتنا على الاستيداع ..

يقول المفتي :

وافقت على خطتهم ووعدتهم بالتكلم مع القصر ومع النقراشي وحين سألتهم من يكلم وزارة الدفاع اجابني عبد الناصر :

نحن سنعمل لاخذ موافقة حيدر باشا قائد الجيش ، لان لدينا صلة به.

ويمضي المفتي قائلا :

ذهبت الى القصر الملكي وكلمت رئيس الديوان بشأن السماح لهؤلاء الضباط بالتطوع معنا ، وبعدها ذهبت الى النقراشي باشا ، فاذا به يرفض رفضا باتا ويرجوني أن لا أقبل بمثل هذا العمل لا سيما مع هؤلاء الشباب المندفعين ...

وحين ألححت على القصر بالموافقة رجاني رئيس الديوان الملكي بالتريث بمض الوقت .

طلب مني عبد الناصر ورفاقه الاجتماع بي مرة ثانية ، فأجبته الى طلبه وبالطريقة ذاتها التي تم فيها الاجتماع الاول ، فجاء مع رفاقه واعلمني ان حيدر باشا رفض المشروع ، فأبلغتهم بان النقراشي باشا رفض وان القصر تريث فوعدوني ببذل المساعي ، كما وعدتهم بدوري بان آكلم الملك بشأنهم ، وكان الملك فاروق لا يرفض لي طلبا . ورغم عدم تحقيق طلبهم فقد ظلت صلاتي حسنة وودية مع جمال عبد الناصر ورفاقه ، وكنت أحيانا ألقاه فألمس حماسه واندفاعه من أجل قضية فلسطين .

وقامت حركة ٢٣ يوليو فاستبشرنا خيرا ، وبعد أيام قليلة من قيامها قابلت اللواء محمد نجيب الرجل الطيب الصادق وكان الى جانبه علي صبري.

واذكر هنا انني قابلت جمال عبد الناصر في بيته ولفت نظره الى موضوع التعويضات الالمانية لاسرائيل التي كانت مثارة في ذلك الحين ، وخطرها على القضية الفلسطينية، وذكرت الاخطار الكامنة وراءالموافقة الالمانيةعليها،وكانت يومها مجرد محاولة من اميركا للضغط على المانيا لدفع التعويضات ، وقـــد اصغي الى أقوالي ووعدني خيرا • ثم قدمت مذكرة الى مجلس الثورة بنفسي، وحين ذهبت للاجتماع بمجلس الثورة قابلني الصاغ المرحوم صلاح ســالـم، فأخبرني ان مجلس الثورة مجتمعا واستلم مذكرتي وطلب مني الانتظار قليلا، لعرضها على رفاقه، وأمر باحضار المرطبات ريثما يعود الي ، ولم تمض دقائق حتى خرج الصاغ سالم وقال لي :

لقد اتخذنا قرارا بقطع العلاقات مع المانيا اذا قبلت دفع التعويضات الى اسرائيل ، ثم عرض علي صورة البرقية التي سترسلها الحكومة المصرية الـــى حكومة بون ، وعليها توقيع علي ماهر باشا الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء اثر حركة ٢٣ يوليو • وكان موقفا مشرفا لرجال الثورة الذين يعلمون حقيقة العلم مدى حاجة المانيا الغربية في ذلك الحين الى الاسواق العربية•

وبعد اسبوع من هذا الموقف عقدت الجامعة العربية اجتماعا عـــاجلا واتخذت قرارا بمقاطعة الحكومة الالمانية اذا وافقت على دفع التعويضـــات لاسرائيل •••

ولكن محمود فوزي مندوب مصر الدائم في هيئة الامم المتحدة تدخـــل تدخلا ملحا لتجميد هذا القرار ، ودفع بحكومته للتغاضي عن القرار الـــذي اتخذته •••

واذكر هنا ان السفير الالماني في القاهرة جاءني وطلب مني أن أخـــفف ضغطي على الحكومة المصرية وعلى الجامعة العربية لان الموضوع ليس في يد ألمانيا وحكومتها بل انها مرغمة للدفع تحت ضغط الولايات المتحدةالامريكية•

وهكذا تحمست الثورة ثم سرعان ما خفت الحماس وتركوا المسألة معلقة الى آن تفاقمت ••

منذ ذلك الوقت وانا اشعر بالمضايقات تلاحقني الى ان وقع العدوان الثلاثي وجاء هامرشولد الى القاهرة واجرى مباحثاته مع عبد الناصر ، ومن يومها ونحن نشعر ان شيئا ما يهيأ ضد القضية الفلسطينية ، منعونا من اقامة الحفلات التي كنا نغتنمها لاثارة قضية فلسطين ، ومنعونا من الاتصالات ، وراقبوا كل من يزورنا ، وفجأة شعرت ان قضية فلسطين قد خمدت ، وانها قد تحولت الى قضية لاجئين ..

وبدأت روائح الحل السلمي للقضية تطل علينا من جديد ، كان هذا الحل معروفا لدينا ، ولكنا كنا نقاومه بكل قوانا ، وننبه الحكومات العربية الى خطره ،

وجاءت المفاجأة التي أذهلتني ..

لقد وصلتني رسالة من هيئة الامم المتحدة تخبرني ان همرشولد يعد مشروعا لحل قضية فلسطين ، وانه اتفق مع عبد الناصر على خطوطه الكبرى، وان الرئيس المصري قد وافق عليه . فلم أصدق .

بعثت برسالة سرية الى الدكتور محمد الفرا (وكان يومها موظفا في هيئة الامم المتحدة وليس رئيسا لوفد الاردن) فجاءني الجواب بصحة النبأ واضاف، عليه بان هامرشولد قد اتفق مع عبد الناصر على حل هذه القضية خلال عشر سنوات مقابل ثلاثة الاف مليون دولار تأخذ منها مصر الف مليون دولار، وتأخذ سورية مثلها ، ويوزع الباقي على لبنان والاردن. وكان هذا المبلغ بمثابة رشوة للدول العربية المضيفة للفلسطينيين ...

وفجأة وبدون سابق انذار هبت الصحف المصريــة الخاضعة لاشراف الحكومــة تشن حملة قاسيــة ضد الهيئة العربيــة العليا ورجالها ، وانصبت الاتهامات على رؤوس العاملين في حقل القضية الفلسطينية ، بعثنا بردودنا فلم تنشر ، حاولنا الاتصال برجال الحكومة المصرية لمناقشتهم فرفضوا مقابلتنا، واذا بمجلة روز اليوسف تشن علي حملة ظالمة لم تعرفها الصحافة المصرية من

قبل ، بعثت بردي الى هذه المجلة فرفضت نشره ، بعثت بردي الى الصحف المصرية الاخرى فتجاهلته ، فتشنا على محامي لاقامة الدعوى على هذه الصحيفة المتجنية فلم يتجرأ احد على الدخول في دعوى تقام ضد جريدة الثورة المقربة من السلطات .

وفي احدى الليالي فوجئت بشاب متزن يطلب مقابلتي وهو من ابرز المحامين المصريين (وامسك عن ذكر اسمه) فقال لي :

انا على استعداد لان اقيم الدعوى على مجلة روز اليوسف ، ولكني اؤكد لك انك لن تجد قاضي واحد في مصر لديه الجرأة بان يحكم ضدها، والافضل ان تكتبوا للرئيس بذلك .

كتبت للرئيس جمال عبد الناصر مثنى وثلاث ورباع فلم أحظ باي رد، وكان الجو في القاهرة حارا ، ولم يعد لوجودنا اي معنى ، طالما اننا نشتم ونهاجم ولا نستطيع الرد ، عندها قررت ان اذهب الى دمشق وكان ذلك في ١٥ ايلول ١٩٥٩ ، واثناء مروري في بيروت رأيت من الانسب ان اقضي فصل الصيف في سوق الغرب وما ان علمت الصحافة اللبنانية بوصولي حتى انطلقت الصحف الناصرية في حملة سباب وشتائم ، في حين انبرت الصحف الحيادية بالدفاع عن القضية الفلسطينية وكشف النقاب عن اسباب هذه الحملة، وعلاقتها بمشروع همرشولد والثلاثة الاف مليون دولار المختبئة في مشروعه المعروف . ولم يكن في نيتي مغادرة مصر ، ولكن قناعتي بانني لن استطيع عمل شيء هناك دفعتني لمغادرتها والاقامة في لبنان .

والجدير بالذكر ان حكومة لبنان كانت ضد مشروع همرشولد ، لان استيطان اللاجئين في لبنان يتنافى مع مصلحة الدولة ، فاكثرية الفلسطينيين الذين يراد توطينهم هم من المسلمين ، واستيطانهم معناه منحهم الجنسية اللبنانية ، عندها سيهتز التوازن الطائفي ، من اجل هذا رفضت المشروع وعملت على كشف اسراره .

جامعة الدول العربية

الأمانة العامة

عزيزي صاحب السماحة السيد أمين

السلام عليكم، وصلتني كتبك، أما المسائل
الرئيسية فلم أدخر وسعًا في سبيل سفرك
من البريطانيين أو بالنسبة لليوغوسلافيين
وطلبهم، وقد بلغت الحكومة اليوغسلافية
أن العرب على تدخل لطلب محاكمتك
كمجرم حرب وأن العرب يعتبرون عمل أكبر إساءة
لهم وقد أيدتني الحكومة المصرية في ذلك
وقد بلغني البعض كما طالعه عن رسمي أنها لم تطلب
شيء بعد. أرجو كل ما في يدي لما وثقت على
ما أتمنى لكم مزيدًا والله يرعاكم. وتقبل وافر الحب

عبد الرحمن عزام

٢٥/٩/٤٥

وقد استلمت خطابك ١٦ سبتمبر المرسل لسماحة الصحيح
وسلمت مذكرة الدفاع للحكومة المصرية
لتوضيح وجهة نظرنا في حالة تحرك اليوغسلافية
في ما قبل مطلبهم مرة أخرى. وأرجو تأييد
ما طلبناه سابقًا منذ مدة بعدم التعرض لكم.

عزام

الرسالة الأولى من عزام الى المفتي

٤٥/٧/١١

SAVOY HOTEL LONDON

عزيزي ولدي الحاج أمين

السلام عليكم . وصلني خطابك وإذا

[illegible]

عبد الرحمن عزام

الرسالة الثانية من عزام الى المفتي

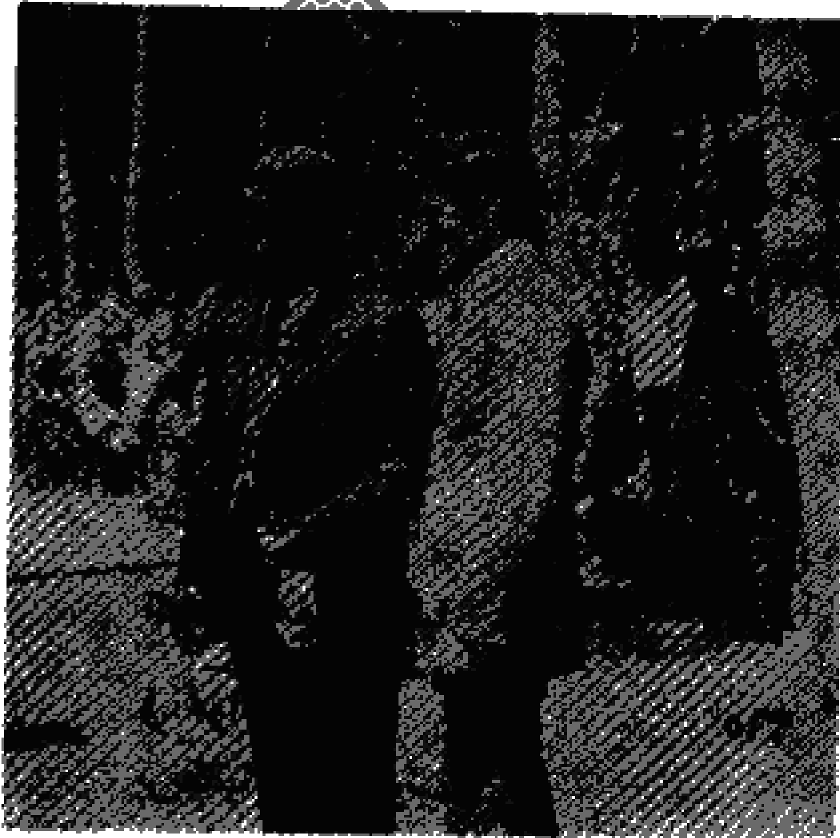
عزيزي الأخ أمين

[illegible]

عبد الرحمن عزام

٤٦/٩/١٤

واحدة من رسائل عزام



« البرغاوي » مرافق المفتي الاسبق يلقي على جثمان الراحل
نظرة الوداع الاخيرة

الفهرس

صاحبها
مدير التحرير المسؤول
نزار الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

منشئها
أحمد عارف الزين

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ـ سنتها ١٠ أشهر بألف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الاول مجلد ٦٦ كانون الثاني «يناير» ١٩٧٨ م محرم ١٣٩٨هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

من عام الى عام

بقلم : صاحب العرفان

عزيزي القارئ

يسرنا ان نقدم لك العدد الاول من مجلد العرفان السادس والستين لسنته الواحدة والسبعين هجرية والتاسعة والستين ميلادية وكنا نتمنى ان نتمكن من النهوض به وتطويره وتقدمه اكثر من الان ، ولكن القضية هي مسألة قصور لا تقصير اذ ان الحوادث المفجعة التي مر بها لبنان ضربتنا في الصميم ، فاذا بالمادة التي هي عصب الحياة والسير الى الامام تفقد .

ونحمد الله ان العرفان بقيت صامدة مستمرة في احلك الاوقات وفي ظروف عصيبة لم يتمكن غيرنا من الصمود فيها ، قال البعض ان هذه مغامرة، بل بطولة وبقي كلامهم عواطف فقط ، لم ينفع العرفان في شيء قولهم هذا وذكرنا بابيات للجواهري كان ارسلها للمرحوم الوالد المؤسس يقول فيها :

أأحمد ما ابثثتك الهم والجوى	لتسعدني الا لانك عارف
ألا لا تنل شكواي منك فانها	تؤلم حتى الصخر هذي القذائف
يقولون مطبوع القريض لطيفه	فهل قوبلت باللطف هذي اللطائف
ألا لو يبوح الشعر مني بما انطوى	لهبت على هذي الطروس عواصف

على ان هؤلاء مهما كان امرهم أهون من اولئك الحاسدين والمنافقين والمكابرين والمتآمرين الذين خرجوا من اوكارهم حين حلت بنا الكارثة يشاركون في الذبح ومنهم من اوجدته العرفان من العدم ولولاها لكان شخصا عاديا، على

انه كما قال المثل: «لوخليت لبليت» فللعرفان انصار معنويون وماديون لايتخلون عنها في الازمات، كما ان الله معها لا نهامع الحق. في الظروف العصيبة والاوقات الحرجة لا شيء يعدل الاتفاق والاتحاد والعمل يدا واحدة في سبيل العز والكرامة واسترجاع الحق السليب ولا نرى هنا انسب من افتتاحية كان الوالد المؤسس عليه الرحمة كتبها سنة ١٩٢٢م في مناسبة كهذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه الانجبين وعباده الصالحين .

اللهم هب لنا جنانا ثابتا ومقولا صادقا ولسانا بالحق ناطقا وهب لمؤازرينا نجحا وتأييدا وسدادا ولمناوئينا هداية ورشادا واجعلنا ممن يأخذون العفو ويأمرون بالعرف وينهون عن المنكر وحسن نياتنا انك تعلم ما تكنه الصدور وما تلده الازمنة والدهور وهيء لنا من امرنا رشدا وبعد : فقد مر على تأسيس (العرفان) أحد عشر عاما لم يصدر منه سوى خمسة مجلدات و (جزءان) وذلك لان الحرب الضروس التي أنست الناس حرب داحس والبسوس بل حرب بونابرت واليابان والروس ألجأتنا الى توقيفه واصدرتنا عن اصداره وما برحنا منذ حصل الانقلاب وفتح ما أوصد من الابواب نتربص تربص المتحفز المتردد وننتظر انتظار المترقب المسترشد حتى آنستنا سنوح الفرصة فانتهزناها قبل فواتها .

ولا غرو فالامور مرهونة بأوقاتها واثقين بحسن الفوز والفوز الحسن للبلاد التي تحيي ما اندرس من معالم العرفان وتظهر ما انطمس من صوى الامة والاوطان .

وقل من جد في أمر يحاوله   وحاول الصبر الا فاز بالظفر

اللهم انك تعلم ما اصاب هذه الامة من الخطوب وما نابها من النوائب والكوارث والكروب التي أوهت قواها وحلت ما وثق من عراها وهي ما زالت تارة لاهية لاعبة وطورا صائحة صاخبة ، وهذا الوطن التاعس يتململ

بين ايديها تململ شخص حكم عليه بتقطيع اوصاله فهو يئن متألما ومعذبـه يضحك هازئا ولو نبشت دفينة هذا الشعب المتغلغل في علوائه السادر في خيلائه وسألته عن الداء والدواء لاجابك جل افراده لم لا تتفـق ؟ ولم لا تتحـد ؟ ولماذا نبقى في بهماء الخلاف متسكعين ، ولم لا نزال عن الغي والجهـل غير معرضين .

يـــا للرزية كـــم تفرق بيننـــا وتضلنــا الاضغـان والاحقــاد

هل فرقنا الدين حاشا ثم حاشا ان يأمر دين من الاديان بالتفريق وهذه الكتب السماوية كلها متفقة على الامر بالتآلف والتعارف وليس من الدين في شيء سلوك طريق الخلاف والشقـــاق .

وليــس بديــن كــل مــا يفعلونه ولكنــه جهــل وســـوء تفهــم

ام أضلتنا السياسة التي نستعيذ بالله منها كما استعاذ منها ذاك الحكيم فقال : اعوذ بالله من السياسة والساسة ومن كل سائس ومسوس ومما اشتقت منه لفظة السياسة .

أجل هي التي أضلتنا وفرقتنا بيد انها ذهبت بذهاب امس الدابر وبرهنا في كل مواقفنا اننا امة قاصرة تحتاج الى الوصي المرشد فكان الانتداب حتمـا مقضيا فهلا برهنا عن حسن نياتنا بقوة تضامننا لنقصر اجل تلك الوصايـــة ويحترمنا المنتدبـون .

اما اذا ظللنا لاهين في الامور الخاصة عن الامور العامة مشتغلين في تمزيق أهاب بعضنا بعضنا فابك واندب هذا الوطن التاعس الذي اضاعه ابنـــاؤه وأضله ادلاؤه فهو لا شك يموت ولسان حاله ينشد :

أضــاعوني وأي فتى اضاعـــوا ليــوم كريهــة وســـداد ثغــر

فهلموا يا ابناء الوطن وتصافحوا بالقلوب قبل الايدي وانبذوا ظهريا كل من يسعى للتفريق بينكم هلموا كلكم من مسيحيين ومسلمين بل من شيعيين وسنيين وموارنة وكاثوليك وارثوذكس ولوثريين الخ واطرحوا الاضغان جانبا

واصرخوا صرخة واحدة قد تحالفنا واتحدنا على ايقاظ هذا الوطن من غفلته وانقاذه من ورطته فقد آن ان تؤثر بنا العظات ونعتبر بما مر بنا من العبر والمثلات ٠

يا ابناء الوطن الواحد : الوطن لاهله والدين لله فكونوا عباد الله اخوانا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان لا طريق لاعلاء شأن هذا الوطن الا باتحاد ابنائه على رفع منار العلم والعرفان وتخريب بيوت الجهل والتعصب الذميم واعلموا ان السلاح الوحيد الذي تتسلح به الامم الراقية هو العلم فبادروا اليه لتكونوا شعبا حيا حرا مستقلا وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والا ان دام هذا الحال فاقرأوا عن المعالي السلاما :

ان دام هذا ولم تحدث له غير ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وفقنا الله لجمع الشتات واحياء الموات واقالنا الله العثرات وهدانا الى نشر العلم والقول الصريح ، انه سميع مجيب ٠

حوار ممتع

دخل ابو العيناء على المتوكل وكان ضريرا ٠ فقال له المتوكل : اي شيء تحسن؟ قال : أفهم وافهم ، وآخذ من المجلس ما حوى، فمرة أغلب ومرة أغلب ٠ قال : تحب ان تلزم مجلسنا ٠ قال : يا امير المؤمنين انا اجهل الناس من يجهل نفسه ، انا امرؤ محجوب ، والمحجوب تختلف اشارته ، وقد يجوز قصده ، فيصغي الى غير من يحدثه ، ويقبل بحديثه على غير من يسمع منه، وجائز ان يتكلم بكلام غير راض ، ومتى لم افرق بين هذين هلكت ٠ واخرى: كل من في مجلسك يخدمك وانا احتاج ان اخدم ، ولم اقل هذا جهلا مني بما في هذا المجلس من الفائدة ، ولكني اخترت العافية على التعرض للبلاء ٠ فقال الفتح بن خاقان : يا امير المؤمنين ، هذا رجل عاقل عارف بنفسه وبحق الملوك ٠ قال : فيلزمنا في كل الاوقات لزوم الفرض الواجب ٠

ذكرى كربلاء •

بقلم : محمد علي اسبر

الذكريات في تاريخ الاسلام كثيرة .. ولا ريب ان من ينقب عن الجوهر الاصيل ، والمرمى النبيل لكل ذكرى ، يجد ان ذكرى « مأساة كربلاء » تحتل المكانة الشامخة في تاريخ الاسلام المجيد ...

ذكرى كربلاء — ذكرى استشهاد الامام الحسين بن علي بن ابي طالب تمثل — منذ كان الدهر ، وحتى يفنى الدهر — النضال الحازم الغني بشمائل الشجاعة ومعانيها ... والانسانية وفضائلها ...

استشهاد الامام الحسين في كربلاء هو الذي أرسى قواعد الاسلام من جديد على صخرة الخلود ، بعدما قلقلتها الجاهلية الاموية التي اتخذت لها من جبة الاسلام رداءا بينما كانت تتوجه في قلبها الى تماثيل اربابها الاول : هبل، واللات، والعزى ... ضحى الامام الحسين بنفسه الزكية ، وبالعظاريف الميامين من أهله وصحبه راضي القلب ، مبتهج الخاطر ، ولكن ، أتعلمون لم فعل ذلك ؟؟؟

زعم قوم ان الامام الحسين ثار على يزيد طلبا للملك .. وغمز آخرون من شجاعته، فزعموا : انه عندما احمر البأس ، ورأى كتائب ابن زياد المؤلفة من اربعة آلاف محارب ، زعموا ، انه رضي ان يذهب الى الطاغوت يزيد، ويضع يده في يده . ونسب اليه بعضهم الخطأ في ثورته على يزيد ، وسفهاء يزيد .. وقال غيرهم ... وكثيرا ما قال المغرضون وتقولوا ... ولكنهم جميعا قالوا : كذبا ، وبهتانا ، وزورا ..

• القيت في جامع الامام علي الرضا في جبله في احتفال العاشر من محرم، والاستاذ محمد علي اسبر مرب فاضل واديب كبير وقد زانه الله بحسن الخلق والتواضع والوفاء والكرم .

لقد ثار الامام الحسين على يزيد بن معاوية لنفس الغاية التي جاء من أجلها جده محمد بالرسالة الالهية ..

حارب الامام الحسين كما حارب الحمزة بن عبد المطلب ، وكما حارب عمه جعفر بن ابي طالب ، وكما حارب ابوه الامام العظيم علي ، واستشهد كما استشهدوا لاجل تحقيق مثل الاسلام العليا ..

ثار الامام الحسين غضبا لجماهير الشعب الكادحة التي سحقتها ، الفردية ، المتعالية ، المتكبرة ... ثار الامام الحسين لتكون السياسة التي تحكم الناس سياسة الذكر الحكيم ، لا سياسة الاوثان ، والغدر ، والسيطرة، والخمور ...

ثار الامام الحسين ليخلص الشعب من الجمود ... ويدفع به في ميادين العمل الخلاق ، لينشيء حضارة ... ويرفع مدنية ... ويحقق عدالة الاسلام الاشتراكية ..

ثورة الامام الحسين كانت للعرب جميعا ، وللمسلمين جميعا ، وللانسانية كلها ..

من اجل ذلك ثار الامام الحسين .. وفي سبيل ذلك استشهد صلوات الله عليه ..



الامام الحسين من معدن جده رسول الله الذي اصطفاه العلي العظيم ليحمل رسالته الى العالم قاطبة .

انه من طينة ابيه علي الذي ولد في أقدس بيت عرفه الكوكب الارضي ، وهو بيت الله الحرام ، فكانت ولادته تلك دليلا ساطعا على مكانته الشاهقة... وعلى سموه الروحي الجليل .

انه من طينة امه فاطمة التي قال عنها والدها الرسول الكريم : فاطمة

بضعة مني من آذاها فقد آذاني ، ومن اذاني فقد آذى الله . الامام الحسين من جوهر تلك الطينة المباركة ، وقد عاش حياتها الفاضلة المشرقة بأنوار الوحي الرباني ، وحنان الحب الرحماني . كم ركب هو واخوه الحسن ظهر جدهما رسول الله ، فيمشي بهما ، وهما فوق ظهره(١)، ويقول لهما ، والمسرة تتدفق من وجهه النبيل بسمات نيرات : نعم الحمل حملكما ، ونعم العدلان انتما ..

وقبل هذا ، عندما فتح الحسين عينيه ليرى النور فتحهما على وجـه جده النبي العظيم الذي تناول لسانه بفمه الشريف ، ينضره بعبق الالهام... ثم يسكب في اذنيه موسيقى السماء آيات من المصحـف الكريم ، وفصول الآذان المجدولة من ضياء التهليل والتكبير ..

ثم شب الحسين ، وترعرع في فردوس القرآن الكريم ، يتغذى من ثمار الوحي الصمداني ، وأساتذته الثالوث الممجد : محمد ، وعلي ، وفاطمـة فاذا هو ـ وقد فني في ذات القرآن ـ صار ، وكأنه سورة ملخصة من القرآن... وكيف لا يكون كذلك .. وان له عند كل آية وقفة تأمل عميقة ... وان له من كل آية علما رفيعا .. وانه ليكتشف في تلافيف كل اية سرا بديعا ، دقيقا.. فاذا قلبه الفتي .. اذا نفسه النقية .. اذا مداركه المتفتحة ، تتسع لمعـارف الدنيا ، وما بعد الدنيا ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

ذلك ، هو الامام الحسين ، فكيف لا يحارب لاجل مبادىء القرآن نوره ، وكنز حياته ؟؟

انه من آل محمد ، وعلى آل محمد ان يحافظوا على التراث السماوي الذي جاء به سيدهم محمد من لدن علي ، حكيـم .

ان عليهم ان يحموا مبادىء الاسلام من كل رجس ... ليبقى الاسلام منارة هدى وفيض ، ورحمة ، ومحبة .. ليظل أصل كلمة التوحيد راسخـا في الارض ، وفرعها باسقا في السماء ..وهكذا فعلوا .

(١) راجع صفحة ١٠٩ من نور الابصار للشبلنجي .

امير المؤمنين علي جعل من حياته درعا للاسلام ، ومفاهيم الاسـلام ، واخلاق الاسلام ، فجالد الشرك حتى ذبحه ... واقام عمود الاسلام(١) وما زال يواصل الجهاد حتى :

سقط السيف بعد طول الضراب   من يـد الحق أحمر الجلباب

والامام الحسن مثل دوره في الحفاظ على استمرار الاسلام حتى مضى شهيدا كأبيه .. والآن جاء دور بطل كربلاء .. جاء دور الامام الحسين الذي رافق اباه واخاه ، وقاسمهما لذة الجهاد بعد غياب جده رسول الله .

كان يرى حكام المسلمين يخلقون الاحداث خلقا ، ويبعثون بها أفاعي جبارة الى آل محمد لتبتلعهم .. كان يعجب من اولئك القوم الذين خاطبهم الله بلسان نبيه فقال : قل، لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ، وكلهم يعلم : ان عليا ، وفاطمة ، والحسن ، وهو هم القربى التي اوصى بها الله ... وعندما نزل قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » أجمع جده رسول الله والده عليا، وفاطمة امه، وهو، واخاه الحسن ، ونشر عليهم عباءته ، وقال مخاطبا ربه : اللهم ، هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم ، وطهرهم تطهيرا (٢)، والمسلمون يعرفون هذا ايضا ، ومع ذلك فهم لا يترددون عن اطلاق سهام الشر القاتلة على آل محمد .. وان كل مسلم يقول في صلاته : اللهم صل على محمد وآل محمد ... ومن هم آل محمد ؟؟ انهم علي وفاطمة واخوه الحسن ، وهو ، وابناؤهم الائمة.. هؤلاء هم آل محمد (٣) ، وذلك معروف بالضرورة من كل مسلم مؤمن

---

(١) في الصفحة ١٦٩ من المجلد الرابع من شرح النهج للمعتزلي ما ياتي : ان عليا جلس الى عمر في المسجد وعنده ناس ، فلما قام عرض واحد بذكره تنسبه الى التيه ، والعجب ، فقال عمر : حق لمثله ان يتيه ، والله ، والله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام ، وهو بعد اقضى الامة .. الخ.

(٢) ـ راجع صفحة ١٣٠ من المجلد السابع من صحيح مسلم ، تحت عنوان فضائل اهل البيت ، وصفحة ٢٨ من كتاب فاطمة الزهراء للعقاد ...

(٣) راجع الصفحة ١٠٥ والصفحة ١٦٠ من كتاب ابناء الرسول في كربلاء لخالد محمد خالد من علماء الازهر والصفحة ١٠١ من نور الابصار .

برسالة محمد .. ومع ذلك فهم لا يحجبون عن الفتك بآل محمد حينمـــا تواتيهم الفرص .. أليس ذلك هو العجب العجاب ؟؟

هذه الافكار كانت بلا ريب تتمشى في خاطر الامام الحسين.. وكأني به صلوات الله عليه ـ يبتسم من اعمال هذه الامة العجيبة ، الغريبة ... وكأني به لا يلبث ان يزحزح هذه الافكار جانبا ، لينصرف الى احداث ساعتـه ، لير ى، كيف يعالجها ؟؟ ... ان الاسلام في خطر ... وعليه هو ان يؤدي دوره ليحافظ على صرح الاسلام من الاذى ، ويثبت عمده المرتجـفة ...

معاوية فرض ابنه يزيد حاكما مطلقا على الناس ، فقضى بذلك عـــلى حكم الشورى ... وقد خطب أحد قادته حينما نصب يزيد حاكما فقال : هذا أمير المؤمنين ، واشار الى معاوية ، فان هلك ، فهذا ، واشار الى يزيد ... ومن ابى فهذا وسل سيفه من غمده ، وأشهره في وجه رؤساء الوفـود التي دعيت للحضور لتبايع يزيد ..

وبارك معاوية ذلك الخطيب فقال له : أنت أخطب العرب (١).. وقد مات معاوية ، وركب يزيد سدة الحكم ، ويزيد لا هم له منذ كان غلامـــا غضبا الا شرب الخمور ، والانغماس في حمأة الملذات ، والملاهي ، ومســامرة القرود(٢)، حتى سماه أهل الشام « يزيد القرود »..

واذا كان ذلك هو أمير المؤمنين ، كما سماه والده معاوية ، فكيــف يمكن ان يكون وزراؤه ، وقادته ؟؟

حتما سيكونون على شاكلته ... وحتما سينعكس ذلك على جماهير الشعب : فوضى ، وتعاسة ، واضطهادا ...

اذا فالاســلام في خطر ..

العدالة الاجتماعية الاسلامية قد اندكت شوامخها دكا .. جماهــــير

(١) راجع صفحة ٢٨ من مروج الذهب للمسعودي من المجلد الثالث .

(٢) راجع صفحة ١٤٤ من كتاب الحسين ابو الشهداء للعقاد ، والصفحة ٦٧ من الجـزء الثالث من مروج الذهب للمسعودي .

الشعب تتغذى ثمار القهر ، والحرمان •• جماهير الشعب ترغم على دفـــع الضرائب المرهقة ••• جماهير الشعب مظلومة •• وحقها من بيت المـــال ••• حقها من الزكاة يصرف على المتع الجسدية المحرمة •• وعلى المحاسيـــب ، والانصار الذين يثرون من بؤس الآخرين •• واولئك الآخرون قد جعل منهم جبروت أمية المتجسد بيزيد عالم أشباح انطفأ فيه نور كل اباء ، وألقى بنفسه في مستنقع استسلام حزين ••

القبلية التي تمزق وحدة الامة ، والتي قضى عليها الرسول ، أحياهـا معاوية وابنه يزيد ، فقربا اليمانية ، وفتحا لها بيت مال المسلمين تنهب منـه ما تشاء لتحمي عرش أمية العائم فوق بحر من دماء الابرياء •••

الاخاء ، الحرية ، المساواة ، المحبة ، هذه الاركان التي فرضها الاسلام، لاسعاد المجتمع البشري ، صارت في النفس الاخير من الخمود ••• لم يبق من الاسلام ومبادئه الا شعارات خارجية ، ينادى بها تدجيلا ، وتضليلا •

الاسلام في خطر • ومن له غير آل محمد !! من له غير الامام الحسـين رأس البيت النبوي ؟!

لكأني به ـ صلوات الله عليه ـ بعدما جالت هذه الخواطر في قلبه •• وبعدما وفاها حقها من الدرس البصير •• كأني به يخاطب نفسه الزكية قائلا: الى جهاد القاسطين يا حسين ، الى جهاد هؤلاء الذين أعادوا الجاهلية سيرتها الاولى •• وعطلوا احكام القرآن ، وضيعوا سنة نبي الهـدى ، « واتخذوا مال الله دولا ، ودين الله دخلا ، وعباد الله خولا »••



خرج الحسين من المدينة الى مكة المكرمة بعدما كتب يزيد الى عاملـه في المدينة ان يأخذ له البيعة من الحسين فاذا رفض ان يبايع فليمزقه بشفـار

السيوف ... وفي مكة بدأ وجوه أهل الكوفة يمطرونه برسائلهم ... عشرات مئات ، ألوف الرسائل من الشعب وقادته يبايعون الامام الحسين ... كلهم يتعجلون حضوره ليتسلم القيادة . وينقذهم من الظلم الذي يأكلون زقومه أكلا ...

ترى ، هل اقتنع الامام الحسين ان اصحاب تلك الرسائل سيفون بعهودهم عندما تتصافح الاسنة ... وتشتعل نار الحرب بينه وبين يزيد بن معاوية ؟؟

أنا أعتقد انه لم يكن واثقا بهم ...، ومع ذلك ، واستجابة لصوت الحق الجريح ـ استجابة لنداء القرآن ..، فقد لبى الدعاء .. وأرسل اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن ابي طالب ، ليأخذ له البيعة ... ويكتب اليه بما يرى ..

بيد ان الامام الحسين لم ينتظر جواب مسلم ، بل لحقه بعد فترة قصيرة من الزمن ، ومعه النساء ، والصبيان ، من أهل بيته الكريم . وجاءه ابن عباس يريد ان يمنعه من الذهاب ... وجاء أخوه محمد ابن الحنيفة .. وجاء ابو سعيد الخوري .. وجاء كثير غيرهم .. وأسرع الى اللحاق به عبد الله بن عمر بن الخطاب ضارعا اليه ان لا يترك مكة ، ويذهب الى الكوفة ... الكل بكوا .. الكل توسلوا ورجوا ... الكل كانوا مدركين ان النتائج ستكون شرا مستطيرا ... ولم يكونوا هم أكثر ادراكا للنتائج منه ... وبالرغم من كل ذلك فقد رفض ان يكون من القاعدين ...

انه يعلم انه سيلقي بنفسه في لهوات الموت ، ولكن موته سيحفظ الاسلام من الضياع ، اذا ، فليسر على اسم الله والبركات .

ومضى في طريقه شطر الكوفة ، وقبل ان يصل كربلاء بلغه مصرع ابن عمه مسلم ... علم ان ثمانية عشر ألفا بايعوه ، وانهم تخلوا عنه عندما قبض عليه عبيد الله بن زياد ، وعلم انه جرى بين مسلم ، وبين ابن زياد الحوار التالي :(١)

---

(١) معالي السبطين للمازندراني ـ الحائري المجلس الرابع صفحة ٢٤٠.

قال ابن زياد : أخبرني يا مسلم ، لماذا أتيت هذا البلد ؟؟

فقال مسلم : لقد أظهرتم المنكر ، ودفعتم المعروف ، وتأمرتم على الناس بغير رضى منهم ، وحملتموهم على غير ما امركم الله به ، وعملتم فيهم باعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، وندعوهم الى حكم الكتاب والسنة ، وكنا أهل ذلك ، فشتمه ابن زياد وأمر به فقتل .. سمع الامام الحسين ذلك فلم يتراجع، ورأى في الطريق دعبل الشاعر قادما من الكوفة فسأله عن شؤون الناس ، فقال له : قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع يزيد فلم يتراجع .. بل كتب الى رؤوس اهل البصرة الكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي .. الى مالك بن مسمع ، والاحنف بن قيس ، ومسعود بن عمر ، وقيس بن الهيثم ، والمنذر بن الجارود .

اما بعد ، فاني ادعوكم الى احياء معالم الحق ، واماتة البدعة والباطل، فان تجيبوا تهتدوا سبيل الرشاد ..(١)

هذه الكلمات الست عشرة توضح غاية الامام الحسين من ثورته ... انه يريد احياء معالم الحق .. واماتة الباطل والبدع ، وفي ذلك عز الاسلام ورفعته ، وهناء جماهير الشعب وكرامتها ... أرسل الامام الحسين هذا الكتاب ، وانطلق قدما حتى وصل القادسية ، فاذا ألف محارب طليعة جيش عبيد الله بن زياد يقودهم الحر بن يزيد التميمي اليربوعي ، يحدقون به ، وبمن معه ... واجتمع الامام الحسين ، بالحر ... وعندما حضرت الصلاة اتخذ الحر وجنوده من الحسين اماما يصلون بصلاته .. وتحدث الامام الحسين الى الحر طويلا .. أعلمه انما جاء ليعيد للاسلام اشراقه ، أعلمه انما جاء ليعيد للشعب حريته ، وحقوقه ، ولكن الحر وقف عنيدا ، مكابرا ... رفض الدخول في أي حوار فكري ... أطفأ مصباح عقله ... وأصر على

(١) ابناء الرسول في كربلاء لخالد محمد خالد

تنفيذ اوامر عبيد الله بن زياد ... واخذ يسير اذا سار ركب الحسين ، وينزل اذا نزلوا ، ومر على ذلك أيام ثقيلة ، مضنية ... كان الحسين لا يفتر فيها عن التحدث الى الحر وجنوده عندما تواتيه الفرصة المناسبة ، خطب فيهم ، وبمن معه يوما فقال : أيها الناس .

ان رسول الله «ص» قال : من رأى سلطانا جائرا ، مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله ، مخالفا لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يعير عليه بفعل ، ولا بقول ، كان حقا على الله ان يدخله مدخله ،.. الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلوا حرام الله ، وحرموا حلاله ، وأنا أحق من غيري، وقد أتتني كتبكم ، وقدم علي رسلكم ببيعتكم ، فان قمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم ، وان لم تفعلوا وتقضتم عهدكم ، فحظكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم .. (١)، فظلوا حيث هم حجارة او حديدا .

واخيرا نزل الامام الحسين كربلاء .. وبين عشية وضحاها ، أصبح يواجه أربعة آلاف محارب ، بينما قوته لا تزيد عن اثنين وسبعين بطلا ... وعاد الامام الحسين يعلم القوم ، وقائدهم عمر بن سعد بن ابي وقاص .. عاد يعلمهم انه ثار على يزيد ليرفع عنهم سياط الظلم التي بها يجلدون .. وقال لهم : ان يزيد بن معاوية وابن زياد ومن معهم قد تنكروا لاحكام القرآن..، وانهم يحكمون الشعب بعقلية ، رجعية،جاهلية .. وقال لهم : انا ابن بنت نبيكم جئت ملبيا نداءكم ان : أقدم الينا ، وانقذنا ، ولكن ما من سميع ... واخيرا بدأت المعركة ، وأخذ أصحاب الامام الحسين يتساقطون في ميدان البطولة المشرفة ، واحدا بعد الآخر .. كانوا يلقون بأنفسهم بين ذراعي الموت دفاعا عن ابن رسول الله .. كانوا يجعلون من الموت جسرا يعبرون عليه الى العالم

(٢) تاريخ الطبري ـ المجلد السابع تحت عنوان احداث احدى وستين للهجرة المحمدية.

الآخر •• ليتخلصوا من أجسادهم الترابية ، ويلبسوا الحلل النورانية في جوار محمد ، وعلي، وفاطمة •

وجاء بعدهم دور ابناء الرسول ، والنخبة المصطفاة من الهاشميين ، فقاتلوا أبطالا شدادا ، قطعوا عنهم الماء ليستسلموا ولكن ، هيهات ، هل تستسلم الملائكة للشياطين ؟؟

وانتهت المعركة النكراء باستشهاد الامام الحسين ، وجميع المؤمنين بمبادئه المحمدية •• وحمل من بقي من النساء والصبيان من آل الرسول الى الكوفة ••

ثم ماذا كان هناك ؟؟ كيف وجدت امة محمد نفسها بعد استشهاد الامام الحسين ؟؟

في الكوفة وقف زيد بن أرقم الصحابي المعروف وصرخ في وجه ابن زياد موجها خطابه للحاضرين فقال : يا معشر العرب الذين صرتم عبيدا ، أتقتلون ابن فاطمة ، وتؤتمرون ابن مرجانة ؟؟

ونال زياد من الامام الحسين ومن والده علي أمير المؤمنين ، فوثب عبد الله بن عفيف الازدري وقال بصوت راعد :

يا ابن مرجانة• ان الكذاب ابن الكذاب انت وابوك ، والذي ولاك وأبوه•• يا ابن مرجانة ، أتقتلون ابناء البيين ، وتتكلمون بكلام الصديقين؟؟ فأمر به فقتل •• (١)

ثم ما لبثت الثورة حتى تفجرت في كل مكان •• ثار التوابون بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ••• ثم ثار المختار الثقفي •• غدا العراق شعلة من نار تتوقد طعامها الاجساد والدماء••• ، ثم ثارت المدينة المنورة••• فكانت وقعة الحرة التي أباح فيها يزيد مدينة الرسول ثلاثة ايام للجنود

---

(١) الطبري المجلد السابع احداث عام ٦١ هـ.

يقتلون الناس ، وينهبون الاموال ، ويفسقون في النساء(١).. وثارت مكـة فرماها يزيد بالمنجنيق(٢).. تحرك العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه ، وتعالت صيحات الاستنكار ، وأشرعت أسنة الرماح .. وهجرت السيوف أغمادها ولم تنته الثورات حتى آكلت عبيدالله بن زياد ، ويزيد بن معاوية ، وعمر بن سعد بن ابي وقاص ، وكل من شارك في قتل الامام الحسين واصحابه .. بل لم تنته الثورة الا بانتهاء الدولة السفيانية الاموية ... ثم لاحق دم الحسين أمية باشخاص المروانيين حتى تلاشت الدولة المروانية الاموية ايضا.

ونتساءل الان : هل حقق الامام الحسين الغاية التي كان ينشدها من استشهاده ؟؟

ويأتي الجواب : نعم . لان استشهاده حفظ راية الاسلام شامخة ، وجعلها تتحدى الطغيان الاموي ، وتورده موارد الهلاك .

والآن ايضا : أين هو الامام الحسين بالنسبة لشرف التضحية ؟؟

ان الامام الحسين عطر الشهادة ، ومنارة الخلود .. ان الامام الحسين رمز حي للبطولة ... والانسانية .. والكمال البشري الاعلى .. على دم الامام الحسين ثبتت أعمدة صرح الاسلام بعد اضطرابها .. وتخلخلها .. وكفى بذلك فخرا ، وشرفا ، وسؤددا ...



وماذا عسى ان يقال في اولئك الذين حاربوا الامام الحسين ؟؟

الامام الحسين جاء ليخرجهم من ظلمات الظلم ... الى نور العدل

---

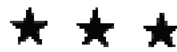
(١) ابو الفداء الجزء الاول صفحة ١٠٧ وراجع ايضا صفحة ١١٥ من كتاب الحسين ابو الشهداء للعقاد .

(٢) ابو الفداء الجزء الاول صفحة ١٠٨ وراجع في استباحة المدينة ورمي الكعبة صفحة ١٥٢ من كتاب المعارف للدينوري . والصفحة ٦٩ من الجزء الثالث من مروج الذهب للمسعودي.

الاجتماعي... جاء ليصب عليهم نعيم الدنيا جنات دانيات القطوف ، مفروشات بالحب .. والكرامة .. فحاربوه ...

لقد جاءهم النبي الانسان في شخص الامام الحسين يريد ان يطهرهم ... ويزكيهم ... فرفضوا ارادة الخير ... وحاربوه حتى قتلوه ..

لقد كتبوا بأيديهم صك عبوديتهم ... وعبودية الاجيال التي جاءت بعدهم ... عندما خرجوا عن انسانيتهم وقتلوا النبي الانسان الذي جاء ليجعلهم يحيون مبادىء القرآن ، وما فيها من مثالية وجمال تهدفان الى تحرير المجتمع البشري ... وتنميته باستمرار نحو الكمال المادي ، والروحي... فيا لها من رزية سجلت انتكاسة مرة لقيم الشخصية الانسانية .



أنا لا ابكي امامي الحسين ، وان كانت مأساة كربلاء ـ في جوانبها العاطفية ـ ملحمة دموع ، ودماء... ذلك لان المعاني الرسولية العميقة التي قدم ذاته المقدسة قربانا لها ، فوق البكاء ... انها منبع الاعتزاز.. وقمة الجلال ، وسدرة منتهى البطولة ..

الا ما أعظمك في وجدان الحق يا امامي الحسين ، ما اعظمك في قلب كل مخلوق يعرف كرامة الوجه البشري في كيان الفرد ، والجماعة ..

وما أحرانا ان نقتبس من أخلاقك الرحمانية ...، ومن صلابتك المحمدية ... ومن شجاعتك العلوية .. ومن حدبك على جماهير الانسانية : المستغلة، المحرومة ... ما أحرانا ان نقتبس منها جميعا مثلا نورانيا يهدينا في مراحل حياتنا الى بناء امجاد الدنيا ... والآخرة ..

واني من هنا ، من جامع حفيدك الامام علي الرضا في جبله انحني اعظاما لامامي الحسين ، الذي وفى ما عاهد الله عليه ...

سلام عليك يا امامي الهادي ، يا ريحانة الرسول ، يوم ولدت ، وسلام عليك يوم استشهدت ، وسلام عليك يوم تبعث حيا . الصلاة والسلام عليك يا امامي الحسين ، يا من تغذى لبن الحياة المخضرة بالنقاء من ابهام جده رسول الله (١).

جبله ـ محافظة اللاذقية — محمد علي اسبر

(١) راجع الصفحات ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٥ ـ ٧٣ من كتاب ايام الحسين للشيخ عبد الله العلايلي .

مالك بن الريب

الغربة ومأساة المصير

بقلم: محمد شرارة

كان الركب يتحرك من المدينة الى الشمال ، وكانت المدينة تودع الراحلين، وكان في طليعة الركب المسافر سعيد بن عثمان الوالي الجديد الذي تنتظره خراسان بعد ما صدرت الاوامر من دمشق بالتوجه الى المنطقة التي انضوت، أو ستنضوي تحت لواء العالم الجديد •

سار الركب وانحدر الى البادية ، وراح يتغلغل فيها وفي رمالها الظامئة، والرمال تكاد تأكل الابل الصابرة على العطش والجوع • وكانت البصرة هدف الرحلة الاولى للركب المسافر الى الشرق • وفي البصرة تلتقي المياه القادرة على ارواء العطاشى القادمين من الصحراء ، وفيها ظلال النخيل التي تمنح النسيـم الناعم للوجوه التي لوحتها الشمس ، وامتصت ما فيها من بقايا الرواء •

في مثل هذه الدنيا يكون الماء أعظم ما يواجه السائرين بها ، ويكون الظل من المنح التي لا تفيها مكافأة مهما كانت المكافآت • ومهما كانت قيمتها عالية• وبينما كانت القافلة تسير وهي تتطلع الى ملتقى النهرين الخالدين ، لاحت لها كوكبة من الرجال متأهبة لكل احتمال •• عيونها ترنو الى الافق البعيد، وايديها على قوائم السيوف ، وما ان دنا الوالي ورجاله من الكوكبة الواعية حتى لاح له فيها رجل يعرفه ، ويعرف بطولته ، كما يعرف شجاعته التي تتحدث عنها ركائب البادية بشيء من الهلع • انه مالك بن الريب الذي جمع بين البطولة والشعر والجمال •• بين اللهب الذي يطل من عيون الاسود ، والعذوبة التي تطل من عيون العذارى العاشقات •! وكما يلتقي في الطبيعة عويل العاصفة وغناء البلابل ، يلتقي في الانسان احيانا غضب العناصر الغبية الحمقاء ورحيق الازهار المذوب في كؤوس الآلهة •

مالك واحد من هؤلاء الناس الذين تتلاقى فيهم التناقضات الحدية بأعظم ما في الحدود من التناحر ، فالرجل يحب الكرم الى درجة الجنون ، ولكنه عاجز عن القيام به، وفي الى حد الهيام ، ولكنه لا يقدر على الوفاء . فارس تعرفه الخيل ،وتعرفه صهواتها الرائعة ، كما تعرفه شهامة الفروسية ، وقاطع طريق تعرفه القوافل التي يخيفها اسمه . شاعر تذوب القلوب في كلماته، وقاتل تنحني سيوفه بالدماء . جميل اذا رأته العوائق ذابت في خدورها ــ كما يقول المتنبي ــ وقاس كأنه بقايا من اطلال معركة مجنونة !.

وكان سعيد بن عثمان يعرف فيه هذه الصفات . فلما تلاقى الرجلان كان حوار ، وكان حديث تساءل فيه سعيد : « ما الذي يدعوك الى ما يبلغني عنك من العداء وقطع الطريق ؟» وكان جواب صريح لا غمغة فيه ولا غموض: « العجز عن مكافأة الاخوان .. أصلح الله الامير ». وسأل الاميرمرة اخرى: « أتكف عما تفعل وتتبعني ان انا أغنيتك ؟» وكان الجواب : « آكف كأحسن ما كف أحدا » وانقطع بعد الحوار ما كان بين مالك وماضيه ، وكانت للشاعر الفارس حياة جديدة.

في هذه الدنيا من امثال مالك عدد قد يكون كثيرا ، وقد يكون قليلا ، ولكنه موجود مهما كان تعداده . هذا العدد طيب في جوهره ، وفي صفاته الاساسية ولكنها الظروف المعقدة وقلة الوعي والعجز عن الرؤية هي التي تتحكم وتملي على هؤلاء الناس وامثالهم سلوكا خاطئا . ومن العجيب ان لا تجد «مكافأة الاخوان» سبيلا لها في قطع الطريق على العابرين . واذا كان لهذا المنطق ما يبرره فيمالو صدر عن واحد احمق ، فانه غريب جدا على شاعر كبير مثل مالك بن الريب .



في الحياة الجديدة التي دخلها الشاعر لا نكاد نجد سوى ومضة سريعة واعتراف خاطف بما صار اليه ركزه في كلمتين تشيران الى ماضيه وحاضره :

ألم ترني بعت الضلالة بالهدى   واصبحت في جيش ابن عفان غازيا

وفيما عدا ذلك لا نجد سوى حنين مدمر وشوق ملتهب الى « الغضا» واهل « الغضا » :

لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا مزار ولكـن الغضـا ليـس دانيـا

وتكرار « الغضا » ثلاث مرات في بيت واحد اسلوب تغتفره البلاغـة العربية ، ان لم تعتبره جميلا، ما دامت الكلمة رمزا لعالم نفسي غارق بمثـل ما غرق مالك. والغضا في قصيدة الشاعر يشبه ليلى في قصيـدة اخـرى لشـاعر آخر :

وعوني ومـا عندي لليلى أقولـه لليـلى ....

فالغضا عزيز ، وليلى عزيزة بحيث يذوب كل عزيز عنده وعندها اذا بقي في الدنيا شيء آخر غير الغضا . وغير ليلى . ولذلك كان التكرار يشير الى ما « للغضا » من مكانة في نفس الشاعر تقترب او تكاد تقترب من هيكـل العبادة . وفي هذا الاقتراب تتخذ كلمة « مزار » لونا دينيا يلقي على الغضا وشاحا مقدسا تأوي اليه النفوس التي أضنتها الحيرة وهدها القلق . وبهذا اللون تكتسب الكلمة قيمتها الفنية التي تومىء الى المسار النفسي، والى ما يختلج فيه . ولو لم يكن للكلمة هذا « اللون » لامكن ان تحل محلها من الناحية الفنية كلمة أدق منها في الدلالة على الجو النفسي مثل كلمة « هناء » او« نعيم» او «حياة» او ما اشبه ذلك من الكلمات التي تعبر عن جو بعيد عن جو المأساة الذي يضطرب فيه الشاعر :

لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا « هناء » ولكن الغضا ليس دانيـا

ويبقى الوزن مستقيما بالمقياس العروضي.

شيء آخر يعانيه البيت او تعانيه الكلمات في الواقع غير التكرار الذي يستطيع ان يجد لنفسه عذرا بلاغيا ممتازا ، وهذا « الشيء » هو الاستدراك الواقع بعد الغضا الثانية : « ولكن الغضا ليس دانيا » فان الاستدراك وما بعده زائد عن الحاجة الفنية ما دامت «لو» الامتناعية وافية بالحاجـة . ان

الكلمة المذكورة تغني غناء تاما عما بعدها ما دامت كما تعرفها القواعـــد : « صرف امتناع لامتناع » والجو الذي تحمله : « لودنا الغضا » جو هـائل في تعبيره عن اليأس والاسى الشاجي . ولا يظهر بعده الاستدراك سـرى « ترحل » خال من كل قدرة على الاستفزاز والاثارة الحزينة التي قدمتهـا اللحظة الشعرية في قوله : « لقد كان في اهل الغضا لودنا الغضا مزار » . ولو استطاعت ان تأتي بعد «مزار» كلمة اخرى مثل «آه» لكان عندئذ للاستدراك معنى كبير . ولكنه « الوزن » الذي يسيء الى الكلمات احيانا ، ويخنقها أحيانا اخرى .!

على ان هذه الملاحظات وغيرها من الملاحظات النقدية الاتية لا تفقـد القصيدة شيئا من الجو الشجي الذي ينطلق من الكلمات كما تنطلق شظايا غيمة سوداء ، في سماء صافية .

ومن الغريب ان تكون لانسان عائش او كان عائشا على ارهاب القوافل وترويعها مثل هذا النفس الحنون ، ومثل هذا الغنى العاطفي الذي تتضاءل ازاءه عواطف العشاق . ان الشاعر لا يزال في صدر الاسلام ، وفي الايام الاولى من أيام معاوية، وهي ايام ، كما يعرف التاريخ ، تعود العصبية القبلية فيها الى التنفس ، والى الامتداد في الاقطار الواسعة التي انضمت الى العالـم الجديد . والشاعر نفسه لم يكن اكثر من رجل يراقب العابرين على الطريـق المتحركة بين المدينة والبصرة . واذا رأى قدرة في نفسه ، وضعفا في المارة ضرب ضربته واستولى على اموال القافلة ، واعتبر عمله امرا طبيعيا خاليا من كل ما يستوجب النقد او المؤاخذة ان لم يعتبره بطولة تستحق الثناء . ولما انقذه سعيد من هذه الحياة وحوله الى الهداية بعد الضلال كما اعترف في احـد أبياته السابقة ، كانت هذه الصرخة التي يمتد وراءها عذاب يفوق عـذاب السعـير .

لو كان الشاعر في بيته وبين اهله لما مر به سعيد واخذه معه لكان لهذه الصرخة مبرر ، وكانت لهذا الشوق دوافعه ، ولكنه لم يكن في بيته ولا بين

أهله وانما كان على الطريق فزاعة تخيف العابرين . فلما وصل الى خراسان كانت هذه الصرخة القوية الحادة التي توزع اصواتا تشبه اصوات النعاة.

عرفنا ان سعيدا ذهب واليا الى خراسان ، وان ولايته كانت بامر من معاوية ، ولكن مالكا يخبر انه « اصبح غازيا في جيش ابن عفان .. اي جيش سعيد ، وان هذا الغزو كان تحولا رائعا في حياته ، كما كان بيعا للضلالة بالهدى . ومن شأن التحول الى الهدي ان يخلق في النفس جوا من الصحو والاشراق والاضاءة السعيدة . ولكن الغزو الذي اعتبره الشاعر هداية كان في أرض عدوة ، وهذه الارض تغتال المهج والارواح . فهل كان سعيد غازيا، وهل كانت خراسان ارضا عدوة كما يصورها الشاعر ، وهل يتفق الشعر مع التاريخ ؟ الرواية التاريخية مضطربة : « مكث بخراسان .. مات في غزو سعيد .. قتل بخراسان طعن فسقط وهو في آخر رمق .. مات في خان فرثته الجان .. وضعت الجان الصحيفة التي فيها القصيدة تحت رأسه.» (١) وهكذا تختلف الرواية وتضطرب ثم تسير في أضطرابها حتى تصل الى مستوى الاسطورة .

مهما تكن الرواية ، ومهما يكن شأنها فاننا سنسير مع القصيدة ، ونمشي على ضوئها في النقد والتحليل. واول ما يصادفنا شكوى الشاعر من سيره في ارض عدوة ، وهو غاز كما يقول . وماذا ينتظر الغازي من الارض التي يغزوها، وهل يمكن ان تكون ارضا صديقة ؟ قد تكون صديقة بعد الهزيمة اذا تبين لها انها كانت على ضلال ، وان الغزو لم يحمل لها سوى الهداية كما حملها للشاعر . اما ان تكون صديقة في أثناء الغزو فتكليف شاق ان لم يكن مستحيلا .

بعد التحول الذي يعترف به مالك كانت له رسالة ، ومن فصول رسالته تحويل الحياة من البؤس الى النعيم ، ومن الضلالة الى الهدى ،

« ١ » يمكن مراجعة ذيل الامالي لابي علي القالي في الموضوع .

ومن الليل الى النهار، ومثل هذه الرسالة لها تبعاتها ولها متاعبها • وعلى الذي يحملها ان يعرف هذه التبعات ، وان يستقبل المتاعب بما يقتضيه شرف الرسالة ، ولكن مالكا لم يكد يواجه شيئا قليلا من التبعة حتى تفتحت في قلبه جميع النوافذ ، وانطلقت الصيحة من كل نافذة ، وكان هـذا الجزع من الغربة ومن الجهاد :

وأصبحت في أرض الاعادي بعدما أراني عن أرض الاعـادي نائيـا
لعمري لئن غـالت خراسان مهجتي لقد كنـت عن بابي خراسان قاصيا
فان انج من بابي خراسان لا اعـد اليها وان منيتمـوني الامـانيـا

وتأتي هذه الابيات بعد البيت الذي باع فيه الضلالة بالهدى، والبيت الاخير فيها ثورة ان لم يكن تجديفا على هذه النهاية •

وكان الشاعر وحده في ارض الاعادي ، او كان وحده يحمل المعـاناة لكان لهذه الصيحة قدر من التبرير ، ولكنه لم يكن وحده ، بل كان جنديـا فيجيش غاز يجتاح ارضا عدوة ويناضل في سبيل مثل اعلى ، وفي المشاركـة نوع من الانس او التسلية او التأسي على الاقل ، ولكن مالكا لم يجد فيها شيئا مما تقدم ،وكانت الذات قبل كل شيء ، وكانت الاحاسيس تتجمـع وتتلاقى في بؤرتها الخاصة ، ثم تنطلق منها الى العواصم الاخرى • ومن هذه الاحاسيس كانت هذه الفوضى وهذا التمزق في الفكر والاسلـوب، كما كانت هذه البلبلة الغريبة !•

من البدائه ان « الاصباح » في ارض الاعادي يجعله « نائيا » عنهـا قبل ان يكون فيها، وفي الشطر الاول ما يغني عن الشطر الثاني كله ، والشعر تركيز وديناميه وقوةاشعاع، ، والتركيز يكره الثياب الفضفاضة • وكلمـة « أراني » فرضها الوزن قبل ان يفرضها الفن • والمكان الغني يستدعـي « كنت » او ما يماثلها • واذا تسامحنا في كلمة « غالت » واعتبرناها نوعا من الاستعارة يبقى البعد وحده عن بابي خراسان خاليا من الزخم الذي يحتمله

الاغتيال، وتحمله خراسان في ابوابها ، ففي الشطر الاول قوة فوارة وتهمة صارخة مقذوفة في وجه المدينة الطاغية « يناسبها الشحوب المتهادي الذي يحمله « القصو » الطبيعي عن المدينة التي تتنفس الاغتيال والجريمة ، فالشطر الاول فائر ملتهب، والثاني رماد خاب وان كانت تحته بقايا من الجمرات السائرة الى الرماد ايضا . اما البيت الثالث ففيه شيء كثير من الطفولة ومن تحدياتها المهزومة التي لا تخلو من نبرات محبوبة، وفيه هذه «اللاأعد» الغريبة النابية المتمردة على قواعد اللغة التي تقتضي ان يكون مكانها « فلا اعود ». واحلال « لم » محل « لا » يؤدي أو قد يؤدي الى شيء من اصلاح الخلل، ولكنه يوقع المعنى في تناقض بين الماضي والمستقبل ، ويبقي جواب الشرط على خلله ..!

اما الطفولة التي أشرنا اليها فواضحة ، وبالقدر الذي تطل فيه يطل معها الحرص على الحياة ، والتشبث بها يشبه تشبث السير كليفورد احد أبطال قصة اللادي شترلي ، فقد عاد هذا الرجل من احدى معارك الحرب العالمية الاولى مشلولا ، ولكنه كان حريصا على الحياة ، وعلى كل ما فيها من المتع التي يمكن ان يتمتع بها مشلول !.

وفي قول شاعرنا « وان منيتموني الامانيا » ما يؤكد الطفولة ويشير الى الحرص الشديد على حياة تتلاشى كما تتلاشى الاوراق في شجرة جفت تحتها الارض، واختفت من جذورها بقايا المياه .

الحياة حلوة ، ولن يتخلى عنها احد باختياره . وكل واحد يتمنى الخلود ، وقد يعتقد او يظن انه خالد ولا يفكر بالموت ، بل ولا يخطر بباله ما دامت الحياة سائرة في خطها الطبيعي . وكل واحد يعمل للدنيا وكأنه باق الى الابد بدون حاجة الى المواعظ . واذا احس بان الحياة بدأت تنحدر من القمة الى الوادي تنبه الى المصير ، وبدأت تراوده الاحلام المخيفة. وفي اللحظة ذاتها يبدأ الحرص على ان يمتليء ما تبقى من اللحظات بكل ما في

الدنيا من متع ولذائذ • وكل واحد وواحدة يتمنى ان يكون له ما كـــان لكليوبترا من الحياة التي انعكست في قول شاعر القصور :

يومي بأيـام لكثرة مـــا مشـت فيـه الحيـاة وليلتـي بليـــال

ويزداد الحرص عند الاحساس بالتلاشي او الذوبان • وعندئذ تأخذ « النهلة » شكل « الرشفة » التي لا تبقي في الكأس شيئا • ومالـك يمـر في مثل هذه اللحظة عندما قال : « لا أعد اليها »•

ان خراسان لم تعد مدينة ولا ارضا ، بل عنكبوتا يلقي حوله دوائـر لا من اللعاب الذي يصطاد الحشرات الصغيرة ، بل من الاسلاك التي يكمـن الموت في محاولة الخروج منها والتغلب عليها ، ولذلك كانت هذه اللهفـة التي تشبه « السذاجة » في كلمة « لا أعد اليها » وهي كلمة فيها من الشوق الى النجاة بقدرمافيها من الخوف واليأس •

محنة الشاعر اشبه شيء بمحنة هابط في قلب البحر • انه قادر علـــى السباحة ، ولكن اشباح الموت تتكاثر بمرور اللحظات والثواني • والامـل بالنجاة لا يختلف عن امل الهارب من القدر النازل • وما بابا خراسان ســوى هذا البحر الذي اخذه الجوع الى الفرائس •

في هذه اللحظة تتجمع الاشواق الهائلة وتتداعى ذكريات الابناء والظباء السوانح والابوين والزوجة وجميع الاشياء التي تمس الوتر الجميل في النفس الانسانية • والجو الذي كان يعيش فيه الشاعر قبل انضمامه لسعيــد ، جو رهيب يمحو من النفس جميع العواطف النبيلة الرائعة ، ويحل محلها ما يبعد الانسان عن انسانيته • لقد كان ، كما عرفنا ، قاطع طريق • ومهنـــة القـتل والترويع والاستيلاء على اموال الناس • ومن شأن هذه المهنة ان تطلق الغرائز الدنيا في النفس البشرية ، فتحل القسوة محل البر والحنان ، وتحل الوحشية محل الالفة والتقارب ، ويصبح منظر الدم احلى من منظر الجنائن • ثم انتقل من جو الرعب الى خراسان واذا به كمن ينتقل من الزهر الى ارض الافاعي وتبدأ الصيحة ، ويبدأ هذا اللهاث الغريب لا الى الطرق التي كانت مأواه قبل

السفر الى خراسان ، بل الى الاهل والاقارب والاحباب . ان هؤلاء الناس يتراءون وكأنهم كل ما في الدنيا من المتع والنعيم . وينكشف في هذه الذكرى كل ما في النفس من الكنوز الخوالد ، كما ينكشف الجوهر الانساني الذي يبقى حيا وان مر حاملوه بأسوأ الدروب .

ان التناقضات التي تعج بها نفس الشاعر ترفع الستار عن الغابة التي تجد ترابها في النفس البشرية عامة لا في نفس مالك وحده . وكما تكون الغابة وحوشا وطيورا وظلالا وأزهارا وأشواكا وورقا أخضر واغصانا يابسة تكون النفس ايضا . ففي نفس اللص فضائل لا تقل اهمية عن الفضائل في نفس القاضي العادل . ومهمة التربية والتحليل النفسي أن تكشف هذه الفضائل الكامنة وتخرجها من الاعماق الى السطح ، ثم تجعلها ورقة التعامل المتبادل في العلاقات بين الناس . والشاعر يجلو لنا هذه الكنوز حتى تبدو وكأنها الذهب الخارج من النار ، فالحنين المأساوي ، والنغم الحزين والنبرة الباكية ظواهر تشير الى ما وراءها من رقة ولطف وعذوبة . وبالقدر الذي تشير الى هذه المعاني تشير الى لوم مهذب وعتاب ناعم للذين خلوا بينه وبين السفر ولم يمنعوه منه . والابيات الدائرة حول هذه الفكرة تدل على انه لم يكن في البادية، كما يروي التاريخ الذي اشرنا الى جانب منه ، وانما كان بين أهله واقاربه الا اذا كان أهله وأقاربه يشتركون معه في الوقوف على الطريق .

في بعض الابيات ما يمكن ان يسمى بـ « النقد الذاتي » او محاسبة النفس ، ولكنه لا يقتصر على محاسبة نفسه وحدها ، بل يشرك غيره :

فلله دري يوم أترك طائعا ... بني باعلى الرقمتين وماليا
ودر الظباء السانحات عشية ... يخبرن اني هالك من ورائيا
ودر كبيري اللذين كلاهما ... علي شفيق ناصح لو نهانيا
ودر الرجال الشاهدين تفتكي ... بامري ألا يقصروا من وثاقيا
ودر الهوى من حيث يدعو صحابتي ... ودر لجاجاتي ودر انتهائيا

والجملة التي تتصدر الابيات تعني في أصلها : « لله ما يصدر عني او عن غيري من الخير ، ويتعين المعنى تعيينا دقيقا بحسب المضاف اليه • فهل حملت هذا المعنى بهذه الاماكن؟ واضح انها لا تحمل شيئا من ذلك ان لم تحمل اللوم والتأنيب والحسرات والتنهدات الشاعرة بما يشبه الحيلولة المطلقة بينه وبين الاشياء والاشخاص المذكورين •

انه يلوم نفسه في اولها ثم يتعداها الى ابويه اللذين يتصفان بأحلى ما في الابوة والامومة من الصفات • فكلا الابوين شفوق ، وكلاهما قادرعلى النصح، ولكنهما لم ينصحاه ، ولم ينهياه عن هذه المغامرة • ولكن ما معنى هذا اللوم للابوين خاصة ، وهل يتضمن اعترافا بالقصور الذاتي ، او بقاء تحت الوصاية•

ان الشفقة على الابناء عاطفة اصيلة في الابوين ، ولكن « النصح » يستدعي شيئا أكثر من الشفقة •• يستدعي بعد النظر واختراق الغوامض والقدرة على تحليل الكوامن القائمة في العالم البعيد والحكمة المستمدة من التجربة • فهل كان أبواه مؤهلين لذلك ، وهل كانت لهما مثل هذه الكفاءة البصيرة بالامور ، وهل أهملاه بالرغم من هذه الكفاءة وخلياه في الريح ؟ اذا كان الشاعر شاعرا بقصوره ، وكان أبواه على علم بمصيره ، وكانا عارفين بانه يحسن الاصغاء ، وبقيا ، برغم ذلك ، ساكتين عن توجيهه ونصحه ، فانهما يستحقان اللوم ، وربما يستحقان اكثر منه • واذا لم يكن شيء من ذلك فلا لوم ولا تثريب •

أما الظباء السانحات فتتخلف ، على ما يظهر ، عن الطيور السوانح ، ففي الكلمات العربية المأثورة : « من لي بالسانح بعد البارح ؟» والسانح طير يحمل مروره التفاؤل ما دام مرورا عن اليمين • أما البارح فطير يحمل التشاؤم ما دام مروره على الشمال • فاذا كانت الطيور والظباء متساوية في المرور وفي نتائجه فقد انعكست النتائج في القصيدة ، ولعبت البوارح في الظباء دور السوانح في الطيور • والاسطورة وان كانت وثنية النشأة والعقيدة ، ظلت قائمة ، وبقي لها شراعها الخافق بعد التخلي عن الاوثان ، وبقي واحد مثل مالك

يعتقد ان حركتها نوع من الوحي ، وانه هالك لا محالة بعدما سنحت الظباء في العشية بجانب الحي . وكان على من وراءه ان يعرفوا ذلك وان يمنعوه من الرحيل ، ولكنهم ظلوا ساكتين ، وبقي النهي في قلوبهم اذا اختلـــجت بها . ويشارك ابويه في استحقاق اللوم « الرجال الشاهدون تفتكه بأمره » والتفتك بالامر نوع من العناد والاصرار على الرأي ورفض المشورة . واذا كان يعترف بأنه عنيد وانه يرفض آراء الاخرين فما معنى لوم الرجال الذين أبقوا وثاقــه طويلا ولم يقصروه ما دام لا يسمع لاحد رأيا اذا كان مخالفا لرأيه ؟!

أما « در الهوى » فينبغي أن يكون مختلفا عن «دره» و « در الظبـــاء » و « در كبيريه » . ومن الضروري ان تعود الكلمة الى معناها الاصلي وتأخذ دورها الاساسي في البناء ، ولا يمكن ان يكون « الهوى » و « الحب » موضع اللوم والتأنيب ، لانه كان في الرمل ، او كان الرمل واحدا من اماكنه المحبوبة:

وما كان عهد الرمل عندي وأهـــله ذميمـــا ولا ودعت بالرمــل قاليـــا

وبالرمل منـــي نســـوة لو شهدنني بكـــين وفديـــن الطبيب المـــداويـــا

كما كانت « رحى المثل » و « فلج » من اماكنه الاخرى ، وهي أماكـــن محبوبـــة لا تقل عن الرمـــل :

فيا ليـــت شعري هل تغيرت الرحى رحى المثل او امسـت بفلج كما هيا

اذا الحـــي حلوها جميعا وأنزلـــوا بهـــا بقرا حم العيـــون سواجيا

وكلمة «بقر» لا تعني هنا سرب الظباء الكبيرة . اما المقصود الاساســـي فالنساء السوداوات العيون اللواتي كن جزءا من ذلك الهوى الملتهب في جميع الابيات ، كما كن وراء هذه اللوعة التراجيدية التي يسيل بها كل حرف ، وكل نبرة من نبرات القصيدة . وفي هذا التساؤل تتداعى الاماكن كما تتـــداعى الذكريات التي تعيد المشهد ، وتعيد ما كان فيه من الصبابة والمتع الغنيـــة، ويتحول الشاعر في أثناء التداعي الى نسمة ناعمة ، او فجر ابدي ، أو طائر يغني في غابة صامتة ، كما تتحول الاماكن الى معابد تسكنها الالهة .

ان الحب والجمال يمتلكان مثل هذه القدرة التي تقلب الحياة وتنقلها من الضد الى الضد ، ويكفي أن تلمس قلبا مثل قلب مالك حتى تحوله من انسان شاذ غريب الاطوار الى ما يشبه الملاك ، وتستخرج من نفسه كل هذه العواطف التي نسيت كل شيء في سبيل العودة الى الاماكن المقدسة .!

أهو الحنين الذي يدفع كل هذه العذوبة ويلقيها في كلمات حية نابضة، ام هو الاحساس بالموت في ديار الغربة ، ام كلاهما يلعبان لعبة لا تختلف عن لعبة العواصف ؟

لا اظن ان الطبيعة في خراسان اقل جمالا من البادية، ولااظن ان اشجارها أدنى من الغضاء، ولكنها الارض والاهل والاحباب والذكريات وملاعب الصبا والحب والطفولة وما أشبه ذلك من الاشياء الكبيرة والصغيرة هي التي تحرك مثل هذه الزلازل في الحياة الانسانية ، وتقلبها هذا الانقلاب . وتجربة الشاعر توحي بان « الزلزلة » ضرورية احيانا لمعرفة الذات وتحريك ما فيها من الكوامن .



يختلط برياح الشوق احساس الشاعر بقيمته الحربية وتقديره لذاته . ولا بد أن تكون هذه القيمة معروفة كما لا بد ان يكون لها في نفوس قومه من المكانة ما لها في نفسه . ومن اعتراف القوم بمنزلته كان هذا التاريخ الذي يطل وراءه الاعتزاز :

وقد كنت عطافا اذا الخيل أدبرت ... سريعا الى الهيجا .. الى من دعانيا
وقدكنت صبارا على القرن في الوغى ... وعن شتمي ابن العم والجار وانيا
فطورا تراني في ظلال ونعمة ... وطورا تراني والعتاق ركابيا
فطورا تراني في رحى مستديرة ... تخرق أطراف الرماح ثيابيا

وهذه الابيات ترجمة لجزء آخر من حياته هو الجزء البطولي الذي تحتاج اليه البوادي بقدر احتياجها الى الماء . وأول الاشياء في بطولته هو

الثبات اذا ادبرت الخيل •• أي الثبات في زمن الهزيمة • وهذا النوع من الثبات هو الذي يستحق التنويه والتباهي ، فاذا كانت الخيل كلها صامدة، وكان كل فارس من فرسانها اقوى من الموت توزعت الشجاعة توزعا متساويا، وليس لاحد أن يرفع رأسه فوق رؤوس الذين تشاركوا في الصمود ما دامت البطولة مشاعة، اما الصمود في لحظة الهزيمة فانه الامل الاكبر في ساعة اليأس، أو الباب المفتوح في الوقت الذي انسدت جميع الابواب،وأغلقت حتى الكوى الصغيرة • وبطولة الشاعر من هذا النوع الفريد •• لقد مال ميزان المعركة، وأحس رفاقه المحاربون ان خصومهم اقوى ، واصبح البقاء الذاتي هدفا والنجاة غاية • فقد أدبرت الخيل ، وادبارها محتما دامت المعركة في عنفوانها، بل نوع من الخذلان للذين صمموا على البقاء في الساحة مهما كان الثمن ، فقبل بداية الاشتباك يمكن ان يكون انسحاب عدد من الخيل والجنود محمولا، اما انسحاب هذا العدد في قمة المعركة فلن يكون انسحابا ، بل اكبر اعانة للعدو • وهو خيانة حقيرة واهانة للقيم والاخلاق • وبالقدر الذي يكون الادبار نذلا ، يكون الثبات نبلا وشرفا ، واذا نجح فيما بعد كانت البطولة نوعا من الاساطير •

وفي الوقت الذي كان الصمود جزءا من طبيعته كانت تلبية النداء الداعي الى الحرب سريعة ، وهي فضيلة اخرى تضاف الى بقية فضائله الممتازة ، كما يضاف اليها صبره على نده ومثيله في الحرب • وفي هذا الارتفاع بمستوى عدوه الى مستواه فضيلة جديدة ، فقد جرت العادة ولا تزال جارية حتى في عالم الحضارة على تجريد الخصوم من جميع الصفات الممتازة وانزالهم الى الحضيض •

اما وتاؤه أو توانيه عن «شتم الجار » و « ابن العم » فليس فيه ما يستحق المباهاة ، واذا كان فيه شيء من الاخلاق فانه شيء عادي ولا يرتفع الى مستوى اخلاقه الاخرى ولاسيما الفروسية •

ان الابتعاد عن شتم الجار واهانة ابن العم شيء مألوف ، او صفة عامة

مشتركة بين اكثرية الناس • وعندما تكون الصفة مألوفة وان كانت طيبة لا تستدعي المباهاة او الفخر الكبير ما دامت صفة قبلية او شعبية ، واذا كان الفخر بالقبيلة فمن الممكن ان يكون لها شأن في مواجهة القبائل الاخرى التي تؤذي جيراتها وتشتم ابناء العمومة • اما تحويل الصفة المشتركة الى صفة فردية خاصة فنوع من الاحتكار او من الادعاء الكبير •

وفي الابيات ما يدل على غنى الشاعر ورفاهه ، ومن عادة الاغنياء ان يكونوا بمأمن من المتاعب ، وان يكون الاتباع سياج الدفاع الذي يتلقى النار والحديد وجميع الكوارث النازلة • ولكن مالكا ، على غناه ونعيمه، سيكون في صميم المعركة اذا استدارت الرحى ، ودارت في لهواتها الخيل والفرسان • ولن تحول الظلال الناعمة بينه وبين غبار العاديات في لهيب المعمعة ، بل انه يغادر النعيم وظلاله الى متاعب الحرب والى الاصطدام بالرماح التي استطاعت ان تصل الى ثيابه • وان تصنع بها ما تصنع الرماح اذا لعبت بالثياب •

المنعمون يحرصون على الحياة ، لان حياتهم تستحق ان تعاش ، وتستحق البقاء على الارض • ومعركة الحضارة لم تكن معركة الضرورة ، بل معركة الرفاه المتجدد الذي لا يعرف القناعة ، والرفاه لا يستخدم ذاته ، بل يستخدم البائسين والفقراء في الذود عن وجوده واستمراره • ومالك وان كان لا يدرك هذه الحقيقة ادراكا علميا بيد انه يحسها احساسا لا واعيا ، ومن هذا الاحساس الباطني كانت هذه « الظلال » وهذه النعمة التي تمر مرور البريق في الحديث عن الخيل والهيجاء والاستغاثة ، وتوحي بان « الظلال » لا تأسره ولا تبعده عن اهوال الحرب •

ثم يأتي بعد الذكرى ، وبعد التدليل على الفراغ الذي خلفه بعده ، الاحساس بالموت ، وهو احساس يتجمع فيه الخوف والرعب من الفناء :

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني وأين مكان البعد الا مكانيا

غداة غد يا لهف نفسي على غد اذا اولجوا عني واصبحت ثاويا

واصبح مالي من طريـف وتـالد   لغـيري ، وكان المال بالامس ماليـا

وقول القائلين : « لا تبعد » وان كان نوعا من التعزية ، يأخذه الشاعر على حقيقته ، ثم يرد عليه بشيء من التهذيب الظاهري : « وهم يدفنونني » ولكنه في باطنه يكاد يقول لهؤلاء القائلين : اي سخف اكبر من هذا السخف، وأي هراء اكبر من هذا الهراء ؟! ثم لا يلبث هذا « الباطن » ان ينطلق في صيحة عاصفة : « واين مكان البعد الا مكانيا ؟» وهذا الاستفهام فيه سـيء كثير من الاستنكار . وقد جاء شيء من هذا المعنى باسلوب اخباري استسلامي في رثاء ابي الحسن التهامي لابنه :

والشرق نحو الغرب أقرب شقـة   من بعـد تلك الخمسة الاشبـار

وهو الاستسلام الوحيد الذي تنطفيء فيه كل ذبالة ، ويتلاشى وميـض القناديل ، ولكن اللهفة تبقى قائمة ما دام في الحياة نفس ، ويبقى معها التشبث وان كان يائسا .

الشاعر يبدو في هذه المرحلة وهي المرحلة الاخيرة تقريبا ، طائرا من طيور المساء التي تدخل في الليل الابدي ، كما يبدو واقفا على تخوم الغيوب في رؤية اللحظة الاخيرة من حياته ففي هذه اللحظة يدلج الاصحاب بدونه ، لان الحياة التي تحرك الصحب ، تلاشت فيه . وقد صوحبت الرؤية بالحسـرة الشديدة والزفرات الحارة لا على الحياة وحدها ، بل على المال الذي كان ماله، واصبح لغيره بعد موته .

وفي البيت الخاص الذي يعالج هذا المعنى شيء من الزيادة المترهلة ايضا: لان قوله : « واصبح مالي » ينطوي على الجزء الاخير في قوله : « وكـان المال بالامس ماليا »، ولكن الخوف والاحساس بالمصير يطفيء الوهج النفسي الذي يتبعه الوهج الشعري.

وفي مجموع الابيات اعتراف صارخ يعبر عن الحرص ، وعن القبض على الحياة بجميع الاصابع ، وبكل ما تستطيع ان تلمه الاصابع من القوة :

من كـان من دنيـاه ينفض راحه   فانا على دنيـاي اقبـض راحـي

وهكذا تلتقي النفوس على بعد المسافة بين مالك بن الريب والاخطل الصغير ، شاعر الهوى والشباب .. تلتقي في حب الحياة والحرص عليها برغم هذه الرؤيا المستمدة من صميم الواقع :

تعب كلها الحياة فما اعجب الا لراغب بازدياد

ولا يكتفي الحرص عليها في فترة البقاء ، بل يمتد الى ما بعد الموت ، ولكنه يتخذ في هذه المرة زيا من ازياء التساؤل الغارق في طلب المرور على المقابر، والقاء التحيات على الضريح الذي يرقد فيه :

فيا ليت شعري هل بكيت ام مالك كما كنت لو عالوا نعيك باكيا
اذا مت فاعتادي القبور وسلمي على الرمس اسقيت السحاب الغواديا

انه التمسك المستمر بالحياة ... بالوهم .. بالاشباح.. بالظلال وان زالت الشجرة ، وطواها القدر. والا فما معنى السؤال عن البكاء، ولماذا؟ وما شأنهذه الموازنة بينه وبينها اذا لم يكن وراءها اثارة او دفع الى اتخاذ الموقف المماثل لموقفه فيما لو كانت السابقة ؟ وما معنى الطلب في « اعتياد القبور » والتسليم « على الرمس » والدعاء لها باسقاء الغوادي من السحائب اذا لم يكن تمسكا بالاشباح بعدما اختفت الشجرة وغابت في التراب .! ولو استطاع الشاعر ان يستعمل « هلا » بدل « هل » لكان تعبيره عن الحالة النفسية التي يمر بها ويعانيها ادق من الاستفهام ، ولكنه الوزن الذي يؤدي احيانا الى الاخفاق والفشل في اللجوء الى الادوات .



يتخذ الاهتمام بالمرأة في القصيدة دورا بارزا ، ويتجلى ذلك في قوله: « تبكي بواكيا » و « نار المازينات » و « حورا جوازيا » ولما وصل الى لحظة الوداع كانت اللحظة مشحونة بـ «نسوة الرمل» :

وبالرمل مني نسوة لو شهدنني بكين وفدين الطبيب المداويا
فمن أمي وابنتاي وخالتي وباكية اخرى تهيج البواكيا

و « الباكية الاخرى » هي الزوجة او الحبيبة ، أو ينبغي ان تكون احداهما بعد الام والخالة والبنتين . والمرأة في القصيدة تكاد تكون «الوسادة الذهبية » التي يتحدث عنها « ييتس » في وصف هيلانة وباريس بطلي الالياذة الهوميرية :

وما قيمة هموم العالم

عند باريس الجبار

حين ذاق النوم على وسادة من ذهب

فجر اول يوم بين ذراعي هيلين

فهل كانت «الباكية الاخرى» التي يذكرها مالك بمثابة هيلانة عند باريس وهل ذاق الشاعر العربي على الوسادة الذهبية ما ذاقه الامير الطروادي ؟ ان التوتر والقلق اللذين يشحنان القصيدة بعد مفارقة الغضا يشيران في الوقت ذاته الى الدائرة النفسية الامينة التي كانت سياج الشاعر في ارضه ، واللهفة التي يذكر بها الغضا لم تكن سوى لهفة القلق الى الامان ، والتوتر الى الطمأنينة . ولم تكن للغضا نفسه اية قيمة لو « الباكية الاخرى» و«المازينات» اللواتي كن المصدر الاول من مصادر البهجة قبل الرحيل الى خراسان .

الفرق بين نفسية الشاعر العربي والامير الطروادي ، هو الفرق بين هيلانة و « الباكية الاخرى »، فهيلانة كانت لرجل اخر له سطوته وله جيوشه التي تعرف كيف تلقي الدروس ، وكيف تؤدب الذين يتجاوزون الحدود . واذا نسي الامير كل ذلك بين ذراعي المرأة الفاتنة في غمرة النشوة ، فان النسيان لن يمتد الا بقدر ما تمتد النشوة التي ترصدها العفاريت . اما « الباكية الاخرى » فتختلف عن هيلانة ، فلم تكن لرجل آخر ، بل كانت للشاعر نفسه . ولذلك كانت النشوة بين ذراعيها نشوة صافية خالية من الخوف والحذر والترقب . واذا كانت النشوة من هذا النوع ، كانت متعة هائئة ، وكانت عسلا مصفى من كل تنغيص وخالصا من كل مرارة . ولذلك كان هذا الحنين العجيب .

بغداد محمد شرارة

ومضة عن الروح والخلاف في حقيقتها

بقلم: حسان الكاتب

ذكر بعض المتكلمين ان مكان الروح القلب واستدل له بحديث ابن عساكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اما النفس ففي القلب والقلب بالنياط والنياط يسقي العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق » وهذا حديث مرسل وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة : فيه غريب كثير واسانيده ضعيفة جدا والله أعلم . واما اختلاف الناس في الروح وهل هي النفس او غيرها ؟ فمن الناس من قال هما اسمان لمسمى واحد ، وهذا قول الجمهور ، وقيل بل هما متغايران ، قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح : النفس تطلق على امور (احدها) الروح قال الجوهري : النفس الروح يقال خرجت نفسه قال ابو خراش :

نجا سالما والنفس منه بشدقه ولم ينج الا جفن سيف ومئزر

اي بجفن سيف ومئزر والنفس الدم يقول سالت نفسه ، وفي الحديث « ما لا نفس له سائلة لا ينجي الماء اذا مات فيه » والنفس الجسد قال الشاعر:

نبئت أن بني تميم ادخلوا أبناتهم أمور نفس المنذر

والنامور الدم ، والنفس العين يقال اصابت فلانا نفس اي عين . قال ابن القيم : ليس كما قال فالنفس هاهنا الروح ونسبة الاصابة الى العبد توسع لانها تكون بواسطة النظر والذي أصابه انما هو نفس العائن ، وتطلق النفس على الذات كقوله تعالى (فسلموا على انفسكم ـ ولا تقتلوا انفسكم ـ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ـ كل نفس بما كسبت رهينة) وتطلق النفس على الروح وحدها كقوله تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ـ واخرجوا

أنفسكم ـ ونهى النفس عن الهدى) وقوله (ان النفس لامارة بالسوء ـ ولا أقسم بالنفس اللوامة) ، واما الروح فلا تطلق الروح على القرآن كقوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) وعلى الوحي كقوله تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) وقال (وينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا (وينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون) وانما سمي ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة فان عاقبة . وسميت الروح روحا لان بها حياة البدن وكذلك سميت الريح ريحا لما يحصل بها من الحياة وهي من ذوات الواو ولهذا تجمع على ارواح قال الشاعر :

اذا هبت الارواح من نحو ارضكم وجدت لمسراها على كبدي بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة ، فسميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها واما من نفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا،ومنه النفس بالتحريك، فان العبد كل ما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث عادت اليه اي رجعت له . قال الامام ابن القيم فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمي الدم نفسا لان خروج الذي يكون مع الموت يلازم خروج النفس وان الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس فلهذا المعنى قال السموأل :

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع بكثرة وسرعة يقال افاض اذا دفع باختياره وارادته وفاض اذا دفع قهرا وقسرا فالله سبحانه هو الذي يفيضها عند الموت فتفيض هي . وقالت فرقة من اهل الحديث والفقه والتصوف : الروح غير

النفس ، قال مقاتل ابن سليمان للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد لـــه شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه الروح (؟) اسرع من طرفة عين فاذا اراد الله تعالى ان يميته في المقام امسك تلك النفس التي خرجت .

وقال ايضا : اذا نام خرجت نفسه وصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت فأخذت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح ويعلم انه قد رأى كيت وكيت . وقال ابو عبد الله بن منده من علمائنا : ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس طينية نارية والروح نورية روحانية . وزعم بعضهم ان الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وان الخلق بها ابتلى .. وقال طائفة من اهل الاثر ان الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح ، والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو اعدى لابن آدم منها ، فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها ، والروح تدعو الى الاخرة وتؤثرها ، وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى ، وجعل الملك مع العقل والروح والله سبحانه وتعالى يمدها بالهامه وتوفيقه . وقال بعضهم الارواح من امر الله احصى حقيقتها وعلمها عن الخلق . وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياة من حياة الله . وقالت طائفة للمؤمن ثلاث ارواح وللكافر والمنافق روح واحدة . وقال بعضهم للانبياء والصديقين خمس ارواح. وقال بعضهم الارواح روحانية خلقت من الملكوت فان حقت رجعت الى الملكوت . ذكر هذا كله الامام ابن القيم في كتابه الروح ثم قال قلت الروح تتوفى وتقبض روح واحدة وهي النفس واما ما يؤيد الله به اولياءه من الروح فهي روح اخرى غير هذه الروح كما قال تعالى (اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وكذا التي ايد بها عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى (اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس) وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده هي غير الروح التي في البدن،

واما القوى التي في البدن وان اطلق عليها ارواحا كما يقال الروح الباصرة والروح السامعة والروح الشامة فهي قوى مودعة في الابدان تموت بموت الابدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى ، قال وتطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله تعالى والانابة اليه ومحبته وانبعاث المهمة الى طلبه وارادته ونسبه هذا الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التي يؤيدها اهل ولايته ، وهنا يقال فلان فيه روح وفلان ما فيه روح، وللمحبة روح، وللانابة روح ، وللتوكل والصدق روح، والناس متفاوتون في هذه الارواح اعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها او اكثرها فيصير ارضيا بهيميا والله المستعان •

«الورى» محله جر بالاضافة الىالارواحاي ارواح الورى، قالفيالقاموس: والورى كفتي الخلق•والمراد بنو آدمومثلهم الجن فيمايظن لان التكليفوالمعاد والحسا بيشملهم « لم تعدم » بموت الابوان التي كانت فيها ولا تموت هي ولا تفنى ، وزعمت طائفة انها تموت وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت ، قالوا : ودلت الادلة على انه لا يبقى الا الله تعالى وحده كما قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) قالوا واذا كانتالملائكة تموت فالنفوس البشرية اولى والدليل على عدمها عدم قدمها ولهذا قال الصواب عدم عدمها « مع كونها » اي الارواح « مخلوقة » لله تعالىومحدثة ومربوبة اوجدها بعد ان لم تكن «فاستفهم» اي اطلب علم ذلك من مظانه واستكشفه من مكامنه ، يقال فهم كفرح فهما ويحرك وهي افصح وفهامة وفهامية علم الشيء وعرفه بالصلب وهو فهم ككتف سريع الفهم واستفهمني طلب مني فهم المطلوب فافهمته وفهمته ، فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لاكتساب الاراء ، والله اعلم •

حسان الكاتب

العهد "الدستور الأزلي"

عهد الأمام للأشتر النخعي

فالجنود باذن الله ، حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن، ولا تقوم الرعية الا بهم ، ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم .

ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث في القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه . وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه او ثقل . فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك واتقاهم جيبا وافضلهم حلما: ممن يبطىء عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم ألصق بذوي المروءات الاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك . ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على

جسيمها ، فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون بـه وللجسيم موقعـا لا يستغنـون عنه •

وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وافضل عليهـم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو ، فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، وان افضل قرة عين الولادة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وانه لا تظهـر مودتهم الا بسلامة صدورهم ولا تصلح نصيحتهم الابحيطتهم على ولاة الامور وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم ، فان كثرة الذكر لحسن افعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله •

ثم اعرف لكل امرىء منهم ما ابلى ولا تضيفن بلاء امرىء الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امريء الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امريء الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيمـا • واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور ، فقد قال الله تعـالى لقوم احب ارشادهم « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسـول » فالرد الى الله : الاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة • ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذ عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه واوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعـة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممـن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء واولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائـه • وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة

لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عنـدك فانظر في ذلك نظرا بليغـا !

فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة واثرة فانهم جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخـلاقا واصح اعراضا ، واقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا ثم اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجـة عليهـم ان خالفـوا امرك أو ثلمـوا أمانتك ثـم تـفقد أعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السـر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احدا منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار بما اصاب من عمله ثم تصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله ، فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم الا بهم ، لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طـلب الخراج بغير عمـارة اخرب البـلاد وأهلك العباد ولم يستقـم امره الا قليـلا فان شكوا ثـقلا او عـلة او انقطـاع شرب أوبالة او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنـهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزين ولايتك مع استجلابك حسـن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجحامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد ، احتملوه طيبة انفسهم بـه

فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتي خراب الارض من اعواز أهلها وانما يعوز اهلها لاشراف نفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالصبر ثم النظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجرأ بها عليك في خلاف لك يحضره ملاء ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك : فاعمد لاحسنهم كان في العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لرأس كل امر من امورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات واوصي بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع تحكما في البياعات ذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله عليه وآله وسلم منع منه وليكن البيع بيعا سمحا : بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين واهل البؤس والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا

واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييعك التافـة لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقـد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فأعذر الى الله في تأدية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كلـه ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصـدق موعود الله لهم . واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصـك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن (لن تقـدس امة لا يؤخذ لضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعى ونـح عنهم الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار ، ثم أمور من امـورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها اصـدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله افضل تلـك المواقيت وأجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك : اقامة فرائضه التي هـي له خاصة فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ واذا قمت في صلاتك للناس

فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله الحاجة • وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وجهني الى اليمن كيف أصلي بهم ؟ فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ، فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل، وانما الوالي بشر لا يعرف سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت أحد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه ؟ أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك اذا أيسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في عاملة •

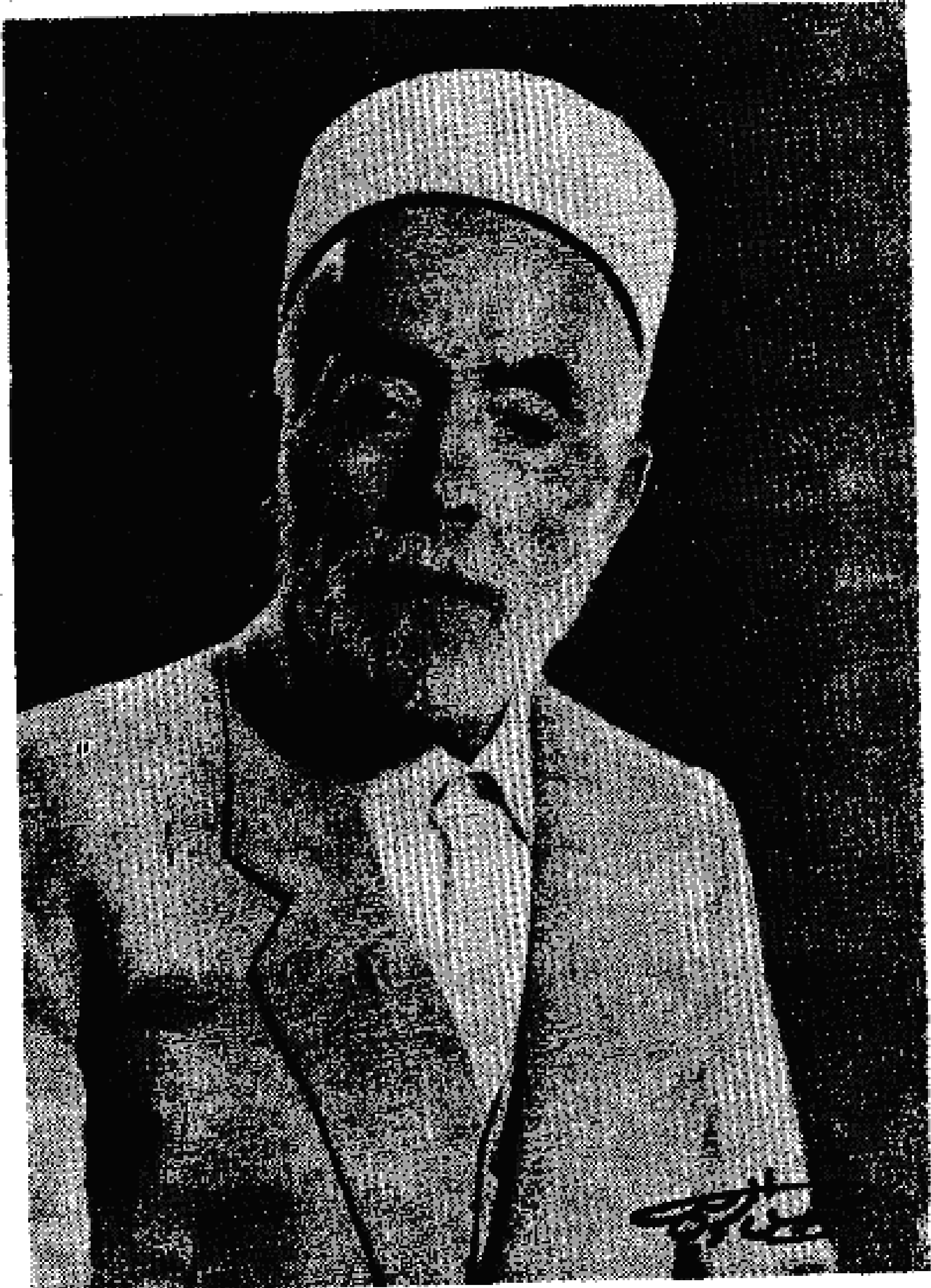
ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والاخرة •

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع : وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة •

وان ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك ، فان في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعيتك واعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق •

اللغة العربية

بقلم: مؤسس العرفان



● نعود الى نشر شيء من مقالات مؤسس العرفان في المجلدات القديمة وهو من ابرع كتاب المقالة في القرن العشرين .

لقيت اللغة العربية الكريمة من تحامل اعدائها ما جرعها الغصص وأذاقها ضروب الهوان وانواع الازدراء والامتهان وصادفت من اهمال ابنائها وعقوق المنتمين اليها ما يضيق عن احتماله الصدر ويفقد ازاءه الصبر فلله الامر ، لغة يعرب ومضر وعدنان تلك اللغة التي تنزل بها القرآن وألفت بها الكتب الممتعة والاسفار المفيدة والدواوين ذات المادة الغزيرة ، يحاول قـوم طمس آدابها وجحد فضلها ويسعى آخرون لمحوها من لوح الوجود ، اللغة التي أنجبـت هاشما وعبد المطلب وابا طالب وامرأ القيس وزهير بن ابي سلمى والنابغـة والسموأل وقس بن ساعدة وغيرهم من فطاحل مشاهير الجاهليين وعلي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وابا الاسود الدؤلي وحسان بن ثابت وطارق بن زياد وموسى ابن نصير والرشيد والمأمون والخليل بن احمد وجعفر الصادق وابا حنيفة والشافعي وابن حنبل ومالكا وابا تمـام والبحتري والمتنبي وابا فراس وابن المعتز وابن الرومي وابا بكر الخوارزمي وابن العميد والصاحب ابن عباد وجرير والفرزدق والكميت ودعبل والشيخ المفيـد وابن بابويه وابن المطهر الحلي والشريـف الرضي والشريـف المرتضى وابا العلاء المعري والغزالي والبخاري والزمخشري وابن خلدون والطبـري والطبرسي والفارابي وابن رشد وابن البيـطار وسيف الـدولة الحمداني والاصفهاني صاحب الاغاني وابن سيدة وابن مكرم صاحب اللسان وياقوت الحموي وابن خرداذبة وغيرهم من الاسلاميين ممن لا يمكن سرد اسمائـهم هؤلاء من المتقدمين فضلا عن نوابغ المتأخرين من مسلمـين ومسيحيين الذين جاهدوا في سبيل لغتهم جهادا دونته الدواوين وهو يدوم ما دامت السموات والارض وحسبك اليازجيون والبستانيون وكفى .

لها الفصاحة تعزى أينمـا وجدت ... شهودها مثل قـس او كسحبـان
وفي البلاغـة هل خـود تضارعها ... واصلها صاعـد يسـمو لقحطان
وبعض خدامها عبـد الحميد ومن ... تـلاه من اصفهـاني وجرجـاني
وغـيرهم من ملوك الفضل آخرهم ... رب النهى اليازجي الكوكـب الثاني

وكم لجناتها في أرض لبنان   من هائم في معانيها وبستاني

هذه اللغة التي ألف فيها ونظم ونثر الالوف من النوابغ الذين اكبر امرهم الشرق والغرب ونشر كتبهم وأعجب بها المستشرقون من افرنسيس وانكليز وطليان واسبان وروس الخ.

هذه اللغة الشريفة نسرت فيها ألوثة الاعاجم وفضلت عليها لغة الاجانب ورشقت بسهام الغدر من كل جانب وما احسن ما قاله حافظ ابراهيم في شكواها :

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة   وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا اهلهم بالمعجزات تفننا   فيا ليتكم تأتون بالكلمات
سقى الله في ارض الجزيرة أعظما   يعز عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته   لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق   حياء بتلك الاعظم النخرات
أيهجرني قومي عفا الله عنهم   الى لغة لم تتصل برواة
الى مجمع الكتاب والجمع حافل   بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فاما حياة تبعث الميت في البلى   وتنبت في تلك الرموس رفاتي
واما ممات لا قيامة بعده   ممات لعمري لم يقس بممات

اجل حياة الامة بحياة لغتها وموتها بموت لغتها فماذا يريد الستون مليونا الذين يتكلمون باللغة العربية المنتشرون في جزيرة العرب والعراق وسوريا ومصر وافريقيا والسودان وتونس والجزائر وطرابلس الغرب ومراكش ان يصنع في لغتهم ؟ وحتى متى صامتون لا يبدون حراكا ولا يحركون ساكنا ألم يعلموا ان لغتهم صائرة الى الزوال ان دام الحال على هذا المنوال ، ألم يعلموا انهم اذا انقرضت لغتهم انقرضوا واذا بادت بادوا ولولا تلك النهضة المباركة في مصر لكان الحال أدهى وأمر ، هلا اتخذنا الامة الاسرائيلية النشيطة

نبراسا لنا ان كنا نحسن القدوة فقد قاومت هذه الامة الضعيفة التي لا يزيد عددها على الخمسة عشر مليونا كل تيار وقفه امامها وثبتت على مر السنين زهاء ثلاثة آلاف عام وما ذلك الا لانها ما زالت حافظة لغتها العبرانية التي تعزها في خلواتها وجلواتها •

وهكذا عاش اليهود وعاشت لغتهم معهم حتى انك ترى اليهودي يكتب بطاقته باللغة العبرانية ولو لم يقرأها احد غيره فيا لله كم يفعل الثبات والاعتصام بمثل هذه الغيرة على اللغة اعتزت اللغة العربية حيث حفلت النوادي والدواوين بكبار الكتاب والمنشئين في عهد الامويين والعباسيين والبويهيين والفاطميين والايوبيين حتى أن صبح الاعشى استغرق اربعة عشر مجلدا ضخما وهو في لغة الدواوين وحسبك من غيرتهم على العرب والعربية ما روي عن الصاحب ابن عباد وهو فارسي الاصل ان رجلا أعجميا تقدم اليه بقصيدة مطلعها :

غنينا بالطبول عن الطلول وعن عنس عذافرة ذمول

يفضل بها العجم عن العرب فلما بلغ منتهاها اشرأب الصاحب ينظر في الزوايا واطراف القوم فقال اين أبو الفضل (بديع الزمان الهمذاني) وكان منتبذا في زاوية قال فوثبت وبست الارض بين يديه فقال اجب عن ثلاثتك قلت وما هي قال أدبك ونسبك ومذهبك فقلت ولا مهلة للقول الا بما تسمع:

أراك على شفا خطر مهول بما اودعت نفسك من فضول
طلبت على مكارمنا دليلا متى احتاج النهار الى دليل
فخرت بملء ماضغتيك فخر على قحطا

حتى اتى على آخر الابيات فنظر الصاحب الى الرجل فقال كيف ترى فقال لو سمعت به ما صدقت ، قال فاذا جائزتك ان وجدتك بعدها في مملكتي أمرت بضرب عنقك ثم قال لا ترون رجلا يفضل العجم على العرب الا وفيه عرق من المجوسية يرجع اليها • صدق الصاحب فو الله وتالله ما افسد هذه اللغة ولاقت بعضد العربية الا اولئك الدخلاء الذين سرت لوثة فسادهم

واستشرى داء ضلالهم وعنادهم ولعلهم عن غيهم يرجعون والى رشدهم يثوبون هذا ولنا كلمة طويلة الذيول كثيرة الفروع والاصول، حول اللغة العربية التي لم يبق لنا ذماء من الامل الا بها ولا مجال للعمل الا في تعزيزها نبث بها ما في الصدور من لواعج العتاب وتنثل ما في الكنانة من سهام الملام التي نسددها للامة العربية والحكومة المنتدبة .

صحائف عندي للعتـــاب طويتها ستنشر يومـــا والعتاب طويـــل

احمد عــارف الزين

الى المشتركــين في العرفـــان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنــوء بحملــه المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان تتدارك ما يمكــن تداركه وذلك برفع واشتراك الانصـــار لا حـــد لـــه .

قيمة الاشتراكـــات في المجلة كمـــا يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

٥ دنانير في البلادالعربيـــة

١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربيـــة

٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية

٥٠ دولارا جوا للخـــارج

١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسســـات الرسميـــة والسفـــارات والبنـــوك والشركـــات بالبريـــد العادي

١٥٠ بالبريـــد الجوي



الرابطة الأدبية في دمشق

جمعية ومجلة

١٩٢١ - ١٩٢٢

بقلم: عيسى فتوح

شعر فريق من ادباء دمشق في اذار سنة ١٩٢١ بحاجة الادب العربي الى نهضة توقظ الادب من سباته العميق، وتبث فيه روح النشاط والحيوية، ورأوا ان كل مجهود يبذله الافراد متفرقين، هو مجهود ضائع لا يأتي بالثمرة المرجوة، فصمموا على انشاء جمعية ادبية تلم شملهم، وتوحد قواهم، فتم لهم ذلك، وعقدوا اول اجتماع تمهيدي لهذا الغرض في الرابع من شهر اذار سنة ١٩٢١، حضره جمهور من الادباء، واستقر رأيهم على تأليف جمعية تعمل على خدمة الادب تسمى (جمعية الرابطة الادبية)، وانتخبوا سبعة منهم للجنة التأسيسية وهم: ابراهيم حلمي، ابراهيم دادا، حليم دموس، خليل مردم بك عبدالله النجار، فخري البارودي، نجيب الريس.

ثم اجتمعوا مرة ثانية في ١٢ اذار ١٩٢١، حيث وضعوا قانون الجمعية الذي صادقت عليه الحكومة، وفي ١٩ اذار من السنة نفسها عقد الاخوان جلستهم الثالثة، وشرعوا في انتخاب اللجان التي نص القانون على وجودها وهي:

اللجنة الادارية، ولجنة التأليف والترجمة والنشر، ولجنة النقد، ولجنة انشاء المجلة.

١ - اللجنة الادارية:

تألفت من: خليل مردم بك (رئيسا)، ابراهيم دادا (نائبا للرئيس)، حيدر مردم بك (خازنا)، زكي الخطيب (كاتبا داخليا)، عبد الله النجار (كاتبا خارجيا).

٢ ـ لجنة التاليف والترجمة والنشر :

تألفت من : شفيق جبري ، حبيب كحالة ، حليم دموس ، عز الدين علم الدين (التنوخي)، سليم الجندي ، نسيب شهاب ، جورج الريس •

٣ ـ لجنة النقـد :

تألفت من : الانسة ماري عجمي ، محمد الشريقي ، الشماس ايفانيوس زائد (مطران عكار وتوابعها حاليا)، قبلان الرياشي ، يوسف حيدر •

٤ ـ لجنة انشاء المجلة :

ولما عزمت الجمعية على اصدار مجلة تكون لسان حالها ، رأت ان تنتخب لجنة خاصة لانشائها ، فنال اكثرية الاصوات كل من الاخوان : خليل مردم بك ، محمد الشريقي ، حليم دموس ، عزالدين التنوخي ، زكي الخطيب ، نسيب شهاب ، احمد شاكر الكرمي (صاحب مجلة الميزان)•

درجت الجمعية منذ تأسيسها على عقد اجتماع عام كل اسبوع ، يحضره جميع الاعضاء العاملين ويتلو فيه احد الاخوة محاضرة في موضوع يختاره، ثم تعرض اعمال اللجان على الاعضاء للمناقشة فيها ، وتطرح شؤون الجمعية الادارية على بساط البحث •

كان من اهداف الجمعية عقد صلة التعارف بينها وبين الادباء في جميع الاقطار العربية والمهاجر ، وتوحيد قواهم المتفرقة ، وتنظيم صفوفهم ، ليتسنى لهم الفوز في معترك الحياة الادبية الذي كان يستظهر فيه الادعياء ، وينتصر المبطلون •

نظـام الرابطـة

يتألف نظام الرابطة من سبع عشرة مادة ، تنتظمها خمسة فصول ، ألخص أهم ما ورد فيها :

تتكون هذه الجمعية من بعض الادباء المقيمين في دمشق ، وغايتها اعلاء كلمة الادب العربي ، ولا تتدخل في السياسة مطلقا • وهي تدأب على عقد

جلسات اسبوعية ، تتلى فيها الخطب والمباحثات نثرا وشعرا ، وتسعى الــى تشجيع طلاب الادب ، واقامة الاسواق الادبية (الحفلات) على اختلافها .

ينقسم الاخوة المنتسبون للرابطة الى قسمين : اخوة عمــل (عاملين) واخوة (شرف)، ويشترط في العاملين :

١ ــ أن يكونوا من الادباء .

٢ ــ ان توافق اكثرية الاخوة المطلقة على انضمامهم ، بعد البحث التام عن احوالهم .

٣ ــ يتحتم على كل أخ ان يبذل قصارى جهده في سبيل مساعدةالرابطة والقيام بما يناط به من الاعمال ، ومن يتمنع عن دفع ما يترتب عليه دفعــــه يرصد قيده .

اما اخوة الشرف فانهم ينتخبون بموافقة الاكثرية ، ممن اشتهـــــــروا بمناصرتهم للادب وودوا الانتماء الى الرابطة ومشاركتها في الرأي ، ولكن لم تسمح لهم أحوالهم بحضور جميع جلساتها والقيام بكل ما تستدعيه قوانينها، وهؤلاء لا يحق لهم التصويت .

تقوم لجنة التأليف والترجمة والنشر بما يعهد اليها من تأليف وترجمـــة واحياء الخطابة ، اما لجنة النقد فتقوم بنقد ما يعرض عليهـــا من مؤلفات لجنة التأليف والترجمة ، وغيره من القصائد والمؤلفات الادبية ، وتعرض كل من هاتين اللجنتين ثمرة اعمالها على الاخوة مرة في الاسبوع .

وقد اخذت الرابطة على نفسها مهمة طبع الكتب الادبية ، واكـــــــرام المجيدين من الادباء واقامة الحفلات التكريمية .

اعمال الرابطــة من خــلال جلساتها

تم في الجلسة الثالثة التي عقدت في ١٩ اذار سنة ١٩٢١ الاتفاق على اقامة حفلة تأبين للمرحوم ولي الدين يكن ، وانتخبت لجنة مكونة من : خليل مردم بك ، حبيب كحاله ، حليم دموس ، عبد الله النجار للتهيئة للاحتفال .

وفي الجلسة الرابعة التي عقدت بعد اسبوع ، اي في ٢٦ اذار تقرر ان تقام حفلة التأبين يوم ٨ نيسان ١٩٢١ ، وتقرر أن يقوم الاخ رشدي الحكيم مقام الاخ يوسف حيدر في لجنة النقد ، وان يحمل الاخوة في حفلة التأبين شارة موقتة ، وهي عقدة حريرية ذات لون بنفسجي ، ريثما يتم وضع شارة دائمة ، واخيرا تليت رسالة من السيد يوسف لطيف يعد فيها باهداء صورة ولي الدين يكن مكبرة ، فتقرر قبول الصورة وشكره على هديته .

لم يجد شيء في الجلسة الخامسة ، باستثناء عرض بعض قرارات اللجنة الادارية الخاصة بامور تتعلق بحفلة التأبين.

في الجلسة السادسة مساء ١٦ نيسان ١٩٢١ قرىء محضر اللجنة الادارية وقبل ما اقترحته من القاء محاضرات اسبوعية في الاجتماعات العامة . على ان تعين اللجنة الادارية المحاضر من الاخوة وتخبره بذلك قبل اسبوعين على الاقل وان تعرض كل محاضرة بعد القائها على لجنة النقد للنظر فيها .

في الجلسة السابعة مساء ٢٩ نيسان ١٩٢٩ ألقى الاخ احمد شاكر الكرمي محاضرته في « معنى الادب »، وقرئت رسالة من الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف يحبذ فيها خطة الجمعية ، ورسالة من الاخ نجيب الريس ينبيء فيها بمغادرة دمشق ، وتقرر ان يشطب اسم الاخ الذي يتخلف عن حضور الجلسات ثلاث مرات متوالية بدون عذر مشروع .

في الجلسة الثامنة مساء ٧ أيار ١٩٢١ ألقى الاخ ميشيل سعد محاضرته « المقابلة بين اللغة العربية وبقية اللغات »، ثم تقرر ان تصدر الجمعية مجلة باسم (الرابطة الادبية)، يكون رأس مالها مساهمة بين الاخوة ، وان يقوم الاخ احمد شاكر الكرمي مقام الاخ رشدي الحكيم في لجنة النقد الى ان يشفى من مرضه ، وقبول السادة : عبده كحيل وتوفيق شاميه ومتري قندلفت اخوة شرف في الرابطة .

في الجلسة التاسعة مساء ١٤ ايار سنة ١٩٢١ تلا خليل مردم بك محاضرته في « فتنة القول »، وتقرر ان ينوب حليم دموس عن الانسة ماري عجمي في لجنة النقد لتغيبها في بيروت .

ظلت الجلسات تعقد اسبوعيا بشكل دائم ، لا يتخلف عنها اي من الاخوة الا لاسباب قاهرة ، وتقرأ محاضرة على الاقل في كل جلسة . ففي الجلسة العاشرة التي عقدت مساء ٢١ ايار ١٩٢١ تلا الاخ ميشيل سعد محاضرته في « الفراسة »، وقرىء كتاب قدم لحاكم سورية العام بتسميته رئيس شرف للجمعية ، كما انتخبت لجنة اصدار المجلة .

في الجلسة الحادية عشرة مساء ٢٧ ايار ١٩٢١ القى الاخ الشاعر حليم دموس محاضرته في « التجدد الادبي »، وفي الجلسة الثانية عشرة مساء ٤ حزيران قدم الاخ عزالدين التنوخي محاضرته « مقدمة تاريخ الادب اليوناني» .

في الجلسة الثالثة عشرة التي عقدت مساء ١١ حزيران تلا الاخ قبلان الرياشي محاضرة لم يذكر اسمها ، وتقرر تسمية السادة : عبد القادر المغربي وسعيد الكرمي ويوسف لطيف اخوة شرف للجمعية .

في الجلسة الرابعة عشرة مساء ١٨ حزيران تلا الاخ نجيب الريس محاضرته في « الشعر »، ثم قرىء كتاب من « الرابطة القلمية » في الولايات المتحدة الاميركية ، حرره مستشارها ميخائيل نعيمه ، كلف فيه رابطة دمشق ان تكون مراسلة لرصيفتها رابطة نيويورك ، ودعا فيه الرابطة الادبية الى « خلق روح جديدة تنفث فيها حياة حديثة ، فتقتلع يابسها ، وتنمي ما اخضر من نبيتاتها ، وترمم ما تداعى من اركانها ... ففي آدابنا كثير مما رث وبلي، فحان وقت فرزه ونبذه ، وكثير مما هو حري بالحفظ والادخار » .

ويقول نعيمه ايضا : « وفي شرعنا ايها الاخوان ، اننا قد بلغنا في نمونا الادبي نقطة نراها حدا فاصلا بين عهدين ، ونرانا عندها واقفين بين ماض يستعبدنا بتقاليده ، ومستقبل يدعونا الى اطلاق القريحة من حبوسها ، ونعني باطلاق القريحة ان يغمس الكاتب قلمه في قلب الحياة ، قبل ان يغمسه في

المجبرة ، اذ ذاك يصبح الادب معرضا للفكر الحي والروح المستيقظة، لاميدانا تتبارى فيه البهرجة اللغوية ، والسفسطة البيانية »•

وقد أجابت الرابطة الادبية على كتاب الرابطة القلمية برسالة حررها رئيسها المرحوم خليل مردم بك ، أعلن فيها استعداد الرابطة الادبية للتعاون ومد يد المصافحة لكل العاملين على خدمة الادب الصحيح بقوله :

« يسرنا ان نسير معكم جنبا الى جنب في ظل لواء هذه اللغة الشريفة عاملين يدا واحدة ــ كل بقدر استطاعته وطاقته ــ على نصرة الادب العربي واعلاء شأنه ، بعد ان طال أمد غفلة الادباء ورقودهم ، فامتلأت حقول الادب بالشوك والزؤان ، وغدت في حاجة قصوى الى أيد عاملة تتعهدها بالعناية والاصلاح »•

« لقد كان كل فرد منا ــ قبل ان تجمع الرابطة شملنا وتضم شتاتنا ــ يشعر بالحاجة الى اجتماع الكلمة ، والافتقار الى الاتحاد في سبيل انهاض ادب من كبوته ، وما هي الا ان ارتفع صوت الداعي الى الاتحاد ، حتى اسرعنا الى الاجابة ، وأظهرنا الى عالم الوجود هذه « الجمهورية الادبية » الصغيرة التي تمد لكم اليوم يد الاخاء » •

«اننا نشعر بخطر التبعة الادبية الملقاة على عواتقنا ، لاننا نعلم عظيم حاجتنا الى النهوض والتجدد في ادبنا ، وقد وطدنا العزيمة على العمل، وشرعنا في المسير على السراط الذي رسمناه لانفسنا ، واذا كنا نسكت عن شرح خطتنا لكم ــ وانتم اخواننا في الادب والوطنية ــ وعن بيان تفاصيل اعمالنا ونياتنا، فما ذلك الا لاننا لا نرى ان نكثر من الاماني والوعود ، ونفضل ان تروا اعمالنا قبل ان تسمعوا اقوالنا •»

« وستصلكم قريبا المجلة التي قررنا اصدارها ، لتكون لسان حالنا، فتمثل لكم جزءا من الجهد الذي عزمت رابطتنا على بذله في سبيل خدمة مبدئها الاسمى »•

« وها نحن نمد يدنا لمصافحة كل العاملين على خدمة ذلك المبدأالجليل، ونقول لهم تعالوا لنسكب قلوبنا فوق الاوراق ، كما تسكب لآلىء الندى فوق الازهار ، حينما يبتسم الليل عن فلق الصباح ، تعالوا لنحرق ذكاءنا امام خدمة المبدأ المقدس بخورا يتصاعد الى العلاء ، كما تتصاعد انفاس الورود العطرة في الربيع .»

« نحن لكم ، وانتم لنا على القرب والبعد ايها الاخوة الاحباء ، وسلام عليكم ولكم بكرة وعشيا . »

في الجلسة الخامسة عشرة مساء ٢٥ حزيران ١٩٢١ تلا الاخ محمد الشريقي محاضرته « نهج الادبين » ، كما تلي كتاب الرابطة القلمية ، وتقارير اخرى .

وفي الجلسة التالية ألقى الاخ عبد الله النجار محاضرته « القوى الغاشمة »، وتقرر تأليف لجنة لوضع شارة للجمعية ، فانتخب لذلك ثلاثة من الاخوة هم : ماري عجمي والشماس ايفانيوس زائد واسعد شاكر الكرمي، وان يكون قرارها نافذا .

في الجلسة السابعة عشرة مساء ٩ تموز ١٩٢١ ألقى الاخ الشماس ايفانيوس زائد محاضرته « ماهية الفن »، ثم بحث في قبول اعضاء جدد لم تذكر اسماؤهم وفي الجلسة الثامنة عشرة مساء ١٦ تموز ١٩٢١ تلا الاخ نسيب شهاب محاضرته « تاريخ الطيران » وفي الجلسة التالية لها ألقى الاخ راشد البيلاني محاضرته « السعادة »، ثم ووفق على شارة الجمعية التي صممت على شكل قلم وزهرة متعانقين.

في الجلسات الثلاث التالية ألقيت محاضرات : « الشعر العربي » للاخ سليم الجندي ، و « نشوء الجماعات » للاخ سيمون لويس ، و« الالعاب الرياضية » للاخ جورج الريس ، كما تقرر حل لجنة التأليف والترجمة لاهمالها العمل الذي عهد به اليها ... وفي الجلسة الثالثة والعشرين التي عقدت

مساء ١٠ ايلول ١٩٢١ ألقى الاخ زكي الخطيب محاضرته « لمن المستقبل » : وألفت لجنة جديدة للتمثيل والاحتفالات قوامها الاخوة : فخري البارودي، سيمون لويس ، نجيب الريس ، جورج الريس ، فيليب سعد ، بهيج الخطيب، راشد البيلاني . وتقرر السماح للغرباء بحضور اجتماعات الجمعية العـ... باذن سابق .

في الجلسة الرابعة والعشرين مساء ١٨ أيلول ألقى الاخ مصطفى الشهابي محاضرته في « تاريخ الزراعة »، وقرئت كتب مرسلة من : عبد الحميد الرافعي والشماس ميخائيل الحاج ، وفي الجلستين التاليتين ألقى الاخ فخري البارودي محاضرته في « الانتقاد »، وألقت الاخت الانسة ماري عجمي محاضرتهـــا «الشباب والشيخوخة»، ثم توقفت الجلسات سبعة عشر يوما من ٥ ــ ٢٢ تشرين الاول لاسباب لم تذكر .

كان مجموع الجلسات الاسبوعية التي عقدت خلال عام ١٩٢١ ستـــا وثلاثين جلسة ، ألقيت فيها ــ الى جانب ما ذكرت ــ محاضرات : « عـــلاقة الارمن بالعرب » للاخ عزالدين التنوخي ، و « الجراد » للاخ حليم دمـــوس، و « الذاكرة » للاخ ميشيل سعد ، و « الشخصية في الادب » للاخ احمـــد شاكر الكرمي ، و «أصل اللغة » للاخ عبده كحيل ، و « الشخصية المتغيرة والحقيقة المجزأة » للاخ فيليب سعد . وتقرر في الجلسة الرابعة والثلاثـــين التي عقدت مساء ١٠ كانون الاول ١٩٢١ تعيين لجنة يوكل اليها طبع كتـــاب « معاني الشعر » للاشناندانى (١)، وتخصيص ريع حفلة الرابطة لتصحيحـــه ووضع المقدمة والفهارس والشروح والهوامش له ، وهي مؤلفة من الاخـــوة: سليم الجندي ، واحمد شاكر الكرمي ، وحليم دموس ، وعبد الله النجـــار، وخليل مردم بك .

---

(١) الاشناندانى هو ابو عثمان سعيد بن هرون الاشناندانى . ذكره ابن النديم في مقالة اللغويين والنحويين من كتاب الفهرست ، وعده من علماء البصرة . روى عنه ابن دريد ولقيه في البصرة . له من الكتب (معـــاني الشعر) و (كتاب الابيات). عاش في القرن الثالث للهجرة .

وفعلا اقامت الرابطة حفلة ساهرة في نادي « زهرة دمشق » يوم الجمعة في ١٦ كانون الاول ١٩٢١ ،ألقى فيها حقي العظم حاكم دولة سورية ، كلمة أعرب فيها عن ارتياحه لاعمال الجمعية في جهادها الادبي ، وتكلم بعده كل من الاخوة : زكي الخطيب ، محمد الشريقي ، احمد شاكر الكرمي ، حليم دموس ، وتخلل الخطب عرض مناظر صور متحركة ، وموسيقا آلية .

في الجلسة الخامسة والثلاثين مساء ٢٤ كانون الاول ١٩٢١ تقرر قبول عارف النكدي اخا عاملا ، كما ألقى الاخ عبد الستار السندروسي محاضرة بعنوان « تأثير البداوة في الحضارة »، وفي الجلسة الختامية لعام ١٩٢١ ألقى الاخ عبد الله النجار محاضرته « الناسك المجنون ». في اول جلسةمن جلسات العام الجديد ١٩٢٢ ألقى الاخ زكي الخطيب محاضرة عنوانها : « بحث في المعضلات الاجتماعية » ، وتليت مختارات من كتاب « معاني الشعر » للاشناندانى ، وقصيدة للاخ عارف النكدي عنوانها « لا رعى الله »، وتم الترحيب بالاخ فخري البارودي ، بمناسبة قدومه من القاهرة ، وتقرر ان تقوم لجنة النقد بجمع كتاب تنتخب مادته من آثار الاخوة شعرا ونثرا ، الا ان هذا العمل لم يتم ، ولم يطبع للرابطة اي كتاب غير « معاني الشعر »، الذي قدم هدية لقراء المجلة ، بدلا من العدد العاشر .

في الجلسة السادسة مساء ١٧ شباط ١٩٢٢ ، ألقى الاخ عارف النكدي محاضرته « اللغة العربية »، وتقرر قبول اخوة مراسلين ، وان لا يقبل اخ في الجمعية ما لم يقدم اثرا من آثاره الادبية يدل على كفاءته .

في الجلسة السابعة ألقى الاخ محمد الشريقي محاضرته « نشيد الانسانية »، وقبل كل من : درويش ابي العافية ، وفائز الشهابي ، وميشيل فرح أخوة عاملين في الرابطة .

وفي الجلسات الاربع التالية ، ألقيت محاضرات: « اشرف الشعر واحسن القول » للاخ نجيب الريس ، و «الفرد والجماعات » للاخ رشدي ملحس ، و «التشبيه» للاخ ميشيل فرح ، و «سر النجاح » للاخ فخري البارودي ،

وقرىء محضر لجنة النقد لمحاضرتي عارف النكدي وميشيل فرح ، وتقرر الغاء لجنتي التمثيل والنقد ، على ان يضاف عضوان من لجنة النقد للجنة الانشاء فتقوم عندئذ بمهمة النقد ، ثم اعلن الرئيس مدة انتهاء عمل اللجنة الادارية، بعد مرور سنة على تشكيلها ، ففاز بالانتخابات الجديدة كل من الاخوة :
خليل مردم بك (رئيسا)، محمد الشريقي (نائبا للرئيس) ، زكي الخطيب (كاتبا داخليا) فائز الشهابي (كاتبا خارجيا) ، وميشيل سعد (خازنا) .

وتقرر ايضا ان يؤخذ من كل اخ عامل ليرة عثمانية ذهبا ، كحد ادنى، لاستئجار مركز للرابطة في المستقبل ، ورفع قيمة الاشتراك الشهري من خمسة وعشرين قرشا الى خمسين قرشا ، وفصل كل من يتخلف عن دفع اشتراكه ثلاثة اشهر ، وتكليف الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بالقاء محاضرة ادبية في الجلسة القادمة .

لم تعقد جمعية الرابطة الادبية في سنتها الثانية الا احدى عشرة جلسة فقط ، كان تاريخ آخرها ٢٥ اذار ١٩٢٢ . واذا اضفنا اليها ستا وثلاثين جلسة في السنة الاولى ، يصبح مجموع جلساتها سبعا واربعين جلسة ، قدم فيها العديد من المحاضرات التي أغنت الادب العربي وزادته ثراء وخصبا .

مجلة الرابطة الادبية

لقد كان الهدف من اصدار مجلة (الرابطة الادبية) هو ان تكون اللسان الناطق باسم الجمعية ، وتعبر عن آراء اعضائها وافكارهم ومشاعرهم ، وان تستقطب نتاج الاخوة الادبي من شعر ونثر ومقال وقصة ومسرحية ... لكن هدفها الاسمى كان « هدم ما تداعى من الفاسد وبناء الصالح ، مع حياطة المتين منه » .

شعرت الرابطة بان الادب العربي رسف في اذلال القيود ، وكبلته اغلال الصنعة البغيضة خمسة قرون متوالية ، وقد آن له ان ينهض من كبوته هذه، ويستفيق من غفوته الطويلة ، وينجو من « ادباء لا يضربون الا على غرار سواهم ، وينطقون بما لا تجيش به صدورهم » .

« ثم خلفهم خلف غلف قلوبهم ، معوجة ألسنتهم ، ما عرفوا من الادب الا التفاعيل والاسجاع جمعوا الى سخافة المعنى رديء اللفظ ، فكانوا في الدرك الاسفل من الهذيان والهذر ».

كان الدافع لتأسيس الرابطة اذن ، الغيرة على الادب بالدرجة الاولى، بعدما وصل الى ما وصل . فقد صار كمريض تساوره الاسقام ، وتواثبه الآلام ، حتى كاد يلفظ انفاسه ، بعدما طال نزعه ، حتى قيض الله له من أساة الادباء من نفس كربته ، وكشف غمته .

رأت الرابطة ان علاجه لا يعدو احد قسمين لا يجوز التفريق بينهما ، وان اختلفا ، الاول تعهد جسمه الناحل الضاوي بالتقوية ، والثاني نفي الاوضار التي علقت ببدنه ، وكان منها بؤرة جراثيم خارت لها عزائمه ، فعلى من يتصدى لمعالجته ، ان يكون بانيا وهادما وطبيبا وجزارا في آن واحد .

حالة الادب هذه هي التي حفزت طائفة من ادباء دمشق على نصرته بل خدمته فبايع بعضهم بعضا بقلوبهم قبل ايديهم على تعهده والعناية به ، وتحالفوا على اعلاء كلمته ، فأسسوا الرابطة الادبية ومن ثم مجلتها التي لم يكتب لها العمر الطويل .

كانت سنة المجلة عشرة اعدادفقط وعدد ممتاز ، صدر العدد الاول منها في مطلع ايلول سنة ١٩٢١ ، والعدد التاسع في مطلع ايار سنة ١٩٢٢ ، اما العدد العاشر الذي ختمت به السنة الاولى ، فكان كتاب « معاني الشعر » الذي حققته الرابطة ، وطبعته طبعا متقنا على ورق صقيل ، بعد ان شرحت مواطن الغموض فيه، وجعلت له ملحقا يحتوي على فهارس للابيات الشعرية والاعلام والبلدان ، مع ترجمة الرجال والنساء الواردة فيه .

كان المدير المسؤول عن المجلة هو الاخ عزالدين التنوخي ، وكانت تطبع في مطبعة « الترقي » بمحلة «القيمرية» لصاحبها صالح الحيلاني . اما قيمة الاشتراك فليرتان سوريتان ، وفي الاقطار الاخرى ليرة مصرية واحدة.

وكان لها وكلاء في مختلف الجهات ، ففي حلب (اسماعيل سامي الكيالي) وفي طرابلس الشام (يوسف سعد)، وفي رأس المتن بلبنان (سامي مكارم)، وفي النبك (يوسف خنشت)، وفي مصر (محيي الدين رضا) ، وفي المكسيك (ادارة جريدة العلم)•

كانت صفحات كل عدد في اربع وستين صفحة ، ويحتوي على خمسة ابواب ثابتة هي : باب سير الادباء ، وباب تهذيب الالفاظ يحرره الاخ سليم الجندي ، وباب صدفات الغواص يحرره الاخ عزالدين التنوخي (ابو قيس) وباب الامالي تحرره لجنة الانشاء غالبا ، وباب النقد ، بالاضافة الى باب الرواية الذي نشرت فيه رواية « مي » التي ترجمها عن الانكليزية الاخ احمد شاكر الكرمي •

لم يبق احد على قيد الحياة من اخوة الرابطة الا : المطران ايفانوس زائد في (حلبا)، بلبنان ، وقد اصدر مجموعة كبيرة من مؤلفاته الشعرية والنثرية ، وترجماته ••

عيسى فتوح

عنوان مجلة « العرفان »

بيروت ـ لبنان

ص•ب : ٣٩٧٨

مجلة العرفان او نزار الزين

تلفون : ٢٥٦٥٥٠

محمد علي الحوماني

بقلم: فوزي بابا

محمد علي الحوماني اديب بلا ضفاف ، صعب ان تعرف أوله ؛ ثم أين من العين آخره ، كذا الاعصار ظاهرة احجية وحكاية فضاء .

هكذا عرفه الاديب انطون قازان في كلمات ، وهــــذا هو محمد علي الحوماني الذي ولد سنة ١٨٩٦ في حاروف قضاء النبطية من صميم جبل عامل، فكان ابدا عامل خــير وبناء .

درس اوليات العلوم على أبيه واخيه في مدرسة النبطية الحكوميــــة ثم في مدرسة شقرا كما تتلمذ على العالمين السيد حسن يوسف والسيــــد عبد الحسين شرف الدين وانتقل بعد ذلك الى مدرسة الصنائع في بــــيروت التي تركها مجبرا بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى فالتحق بالتعليم خلال مدة هذه الحرب أي من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨ مدرسا في مدرسة النبطية الرسمية ثم في مدرسة شقرا .

عند انتهاء الحرب العالمية الاولى هاجر الى النجف الاشرف ودرس على شيوخه علوم البلاغة والبيان والفلسفة ولما تمكن من هذه الفنون عاد الـــى ممارسة التعليم في مدرسة النبطية ، وبقي حتى نشوب الثورة السوريـــــة الكبرى سنة ١٩٢٥ فالتحق بها ثم انتقل الى الاردن فعين مدرسا في الســـلط لكنه لم يمكث طويلا فعاد سنة ١٩٣٢ الى دمشق وعمل مدرسا للاداب في الجامعة العلمية .

رحالة هذا الرجل ، لا اجد قول الشاعر الا منطبقا عليه :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحـــي واما بالعشيـــة يسمر

اخا سفر جواب ارض تقــاذفت به فلوات فهــو اشعث اغــبر

فمن لبنان الى العراق الى سوريا الى الاردن ثم رجوعا الى لبنان ليستقر مدة طويلة في القاهرة حيث اسس سنة ١٩٣٠ مجلته العروبة ، ليعود بها الى لبنان ثانيا ويسهم سنة ١٩٣٩ في تأسيس مجلة الامالي بالاشتراك مع الادبـاء عبد الله مشنوق والدكتور عمر فروخ والدكتور محمد خير النويري •

ما نزل بلدا الا وترك له فيه اثرا يذكر ، لقد زار اوروبا وافريقيا والصين والهند والاميركيتين ففي الشمالية منها طبع ديوان القنابل في ديترويتمشيغن سنة ١٩٤١ ، وفي الارجنتين ترك اثرا ظاهرا في مجتمعنا الادبي ، حمل الدكتور جورج صوايا صاحب مجلة الاصلاح ، ان يتساءل عن الحوماني بعد رحيلـه عن البلاد ، وعن انقطاعه عن ندواتها الادبية ، كذلك ذكره جورج صيـدح في كتابه ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ، بانه من النخبة المثقفة التي عملت على احياء التراث ورفع الشعر والادب في المهجر •

وكما كان ينتقل من بلد الى آخر على طيب اثر ، كان له المشاركة في الحركة الاجتماعية والسياسية التي طغت على اجواء البلاد آنذاك وساهمت بالبحث في شؤون جبل عامل •

اخذ من كل فن بعلم ، وانه لمن الصعب ان تجلى اعماله في كتاب فكيف بحديث، فالاكتفاء اذا بالامثلةدليل على اتساع آفاق هذا الشاعر الكبير والناثر المبدع والاجتماعي الذي ساهم مع الثالوث العاملي « الزين ورضا وظاهر » في معالجة شجون جبل عامل ونقد مجتمعاته •

كان محمد علي الحوماني في نثره كما كان في شعره ، بليغ المعنى رائـع الصورة رشيق اللفظ ، ساحر الاسلوب كما كان في ندوات الادب شديـد الذكاء حاضر النكتة عذب الروح له منطق جذاب •

ومن خلال هذه السجايا دخل شعره وادبه القلوب فما كاد ينشر ديوان شعره الاول سنة ١٩٣٧ حتى قال فيه كبار النقاد والادب رأيهم ، معترفـين

بمقدرته الشعرية وابداعه ، من ذلك قول امير البيان الامير شكيب ارسلان:

وتهنأ بما آتاك الله من قريحة عاملية وفصاحة وائلية وشعر عذب رائق وبيان يجمع بين ابداع الخيالات واصدق الحقائق .

كذلك قال العلامة السيد محسن الامين :

... فيه الفصاحة والبلاغة والرصانة والحصانة والمتانة والبراعة والرقة والانسجام فكان عقدا في جيد الدهر وحلية لهذا العصر ومفخرا من مفاخر النظم والنثر .

اما الشيخ سليمان ظاهر فقد رأى الى محمد علي الحوماني بالـذات فقال : الحوماني قطعة من سحر الشعر ، فشمائله شعر وحديثه شعره ونثره كنظافة شعر ، وكأن يد الابداع صاغته شعرا قبل ان اخرجته للناس شاعرا ناثرا متسلطا على النفوس وأهوائها .

الناظر الى ضروب الشعر التي كانت شائعة آنذاك في جبل عامل او على الاصح فرضت نفسها على الشعراء يرى ان محمد علي الحوماني قد عمل على اكثرها ان لم يكن عليها جميعا ، جاعلا من شعره حلة بين القديم والجديد ، مختارا الجيد من المذهبين ليصح فيه القول : « انه شاعر قديم جديد ، قديم كما التراتيل الدينية وجديد كما بهجات اللون » فجاء ادبه باجمعه من شعر ونثر ترتيبا وتخطيطا لما يجب ان يتناوله المفكر في هذا العصر ، فتناول الشعر الاجتماعي والسياسي لكنه رأى الى المرأة بانها قوامة على اصلاح المجتمع وان اصلاحها اصلاحه وافسادها افساده فقال فيهاعلى شتى احتياجاتها واجلسها حيث يجب ان تجلس فيقول :

علموها الفنـون فنا ففنـا هي اولـى بالعلـم منكـم ومنـا

خلقـت زهرة لنا ليـس الا من رياض العفاف والصـون تجنى

ولم يكتف بهذا القدر من تعليم المرأة بل رأى اليها بروح صوفية خالصة عارية عن الشوائب فيقول :

رب حواء حين صورت حواءك هــــل كان قبلها تصوير
او هل بعدها يشع على الاحداق مـــن عـالم الملائك نور
هي بيت القصيدمن شعرك المنظوم والكــون شعرك المنشــور

استنصاره للمرأة وجهاده لرفع شأنها جاء نتيجة لايمانه بوطنه الــذي أراده ان يكون •

باسم المسيح وباسم احمد كبرت تحت البنود قــلانس وعمائــم

فحمل على التقاليد البالية وعلى الطغيان وعلى الظلم ايا كان لــونه او مصدره، ثم على تجديد يعيد الينا ما أقره الشعراء المولدون في العصرالعباسي اوجد لونا خاصا من الشعر اعتمد فيه الاصالة غير متنكر للماضي ولا ســبحا بالحديث •

حبـــذا العود الى الماضي علومــا وفنونا
عالـــم كان ابا الرحمــة والام الحنونــــا
واذا افتن رأينـــاه على الفن امينــــا
ينشـــد الشعر فيبنيه قلاعا وحصونـــا

لكن هل اكتفى محمد علي الحوماني بالاثارة الشعرية هذه ، انا ارى في شعره جلبة الساحات ، انه أدب جماعة ، ففي الغزل بــاح فجاء شعره صافيا نبيـــلا :

عجبت وقد قالوا احكاك برقــة نسيم الصبا ، هيه كيف حكاني
هبوه حكاني رقــة ولطافـــة فاين له شذوا فمي ولسانــي

هذه اشياء عن محمد علي الحوماني ، اما الناظر الى قصيدته السينيـــة التي عارض فيها البحتري واحمد شوقي فيجد فيها عمارات عالية للشعـــر ومقامات مجيدة للنفوس الكبيرة التي عمر بها صدر الشاعر وتحسس مشاعره جمعــــاء :

ربمـا انضج التجارب درسـي لثلاثـين من سنـي وخمـس
بـين جهدين من يـد ولسـان تحت ليلين من غموض ولبـس
هـات حدث عن الحياة او اسمع فكـلانا فيهـا مهذب حـس

قد يظن الاخذ بهذه القصيدة انها لا تبتعد عن الشعر القديم شبكا ومعنى، اما الواقع فانها من النقد الثائر البناء الذي يتناول غير حالة من الحالات البائسة التي كانت تعم المجتمع يقول :

اطرحوا الجهل ساعة وتعالـوا ابصروا في البحـار جنة انـس
بحر علم يطغى بهم فـوق شـم من جبال الحديد في البحر ترسي
مـا الذي تبلغ البراعة من عـد السها وهي في انامل خمـس
يعجز الحصر ما احس واضعاف خوافيـه لم تقع تحت حسـي
عرفوا اللـه كيف يعبد في القلب دمـا فائرا وعزة نفـسي
عبدوه فوق الطروس يراعـا وخميسا موج تحت الدرفـس
هزت الصـم صرختي فلمـاذا لا تعي الاذن منهم غير همـس

قصيدته السنية هذه ترجعنا الى مجلته العروبة ، والعديد من المجموعات الشعرية والنثرية التي حلى بها الادب العربي فنجد انفسنا امام عملاق كيفما تناولته اخذتك اعماله ، وكم اصاب انطون قازان الحقيقة عندما قال فيه :

قصرت عباراتي على قامات تعبيرك ، فاسلم بها عنفوانا لا ينال ، وصرخة لن تحول صدى ..

نعم محمد علي الحوماني صرخة لكل زمان ومكان .

اي جـد يغريـه بي اي عـز تترامى اليـه آيـة نفـس

فوزي سابا

القمة اللبنانية التي انهارت بعد انهيار قمة مصر!

انيس الخوري المقدسي ... طه حسين اللبناني



انيس الخوري المقدسي (الثاني من اليسار) خلال انعقاد مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٦٥ . والاول الى اليسار هو العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي شاعر العراق

كان انيس الخوري المقدسي ، رحمه الله ، مربيا قبل ان يكون استاذا، وعالما قبل ان يكون معلما . فهو منذ ان اتسب للجامعة الاميركية ، ما عرف فيه رفاق الصف وزملاء التدريس سوى انسان سوي وصديق وفي بحيث وافق الاسم المسمى ، وكأنما احمد شوقي عناه في قوله :

قم للمعلم وفه التبجيلا   كاد المعلم ان يكون رسولا

فقد كان مثال الاخلاص والوفاء في علمه ولم يكن يميز بين طالب واخر من حيث المحبة والرعاية وكثيرا ما كان يفخر بطلابه ان هم بلغوا مركزا

اجتماعيا عاليا او حققوا مستوى من العلم مشرفا . وبنسبة غبطتـه بما يبلغ ابناؤه الطلبة كان حزنه على فقد اي فرد منهم . من هذا القبيل ما حـدث له على أثر وفاة تلميذه كاظم بك الصلح . فقد اتصل بي اكثر من مرة مستعلما عن كيفية الوصول الى دارته بقصد التعزية وكنت اعلم بعد زيارة له بمرافقة الدكتور جورج فواز وبشهادة صهره الدكتور فردرك معلوف وربما لمست من ضعفه البادي للعيان ، انه اعجز من ان يرقى سلم البناية التي يقيم فيهـا شقيق الفقيد ، الرئيس تقي الدين الصلح ، حيث كانت تقبل التعازي للرجال. وكان ان اتصلت بالرئيس الصلح وهو من رفاق الصف اعلمه بحال استاذنا الصحية ورغبته في تأدية الواجب فاذا بالاستاذ الصلح (يهاتفه) على الفور، بانه من الواجب الخلقي والوطني ان يذهب هو اليه بنفسه ، او احد افراد العائلة لتقبل المواساة في بيته على تقدير انه والد روحي لجميع طلابه . وهكذا فقد ذهبت انا والصديقان منح الصلح وفاضل عقل نزور استاذنا الجليل في منزله المجاور للجامعة الاميركية . وكان ذلك قبيل وفاته في اسبوع واحـد. ولشد ما كانت دهشتنا ، وهو في حدود المئة من العمر ، عندما اخذ يبحـث في اسباب الازمة اللبنانية ومعطياتها بحث الواقف على كنه الامور ، ولكم انحى باللائمة على المفكرين من مسلمين ومسيحيين لعجزهم عن اخماد نار الفتنـة في مهدها . وحرص منح الصلح على ان يخفف عنه عبء البحث مع رغبتـه الشديدة في الاصغاء اليه . فكان يستأذنه بإبداء الرأي من فترة الى ثانية ، وهنا استأذنته في دوري بتلاوة بعض ابيات من شعره . وما ان قرأت عليه البيـت الاول حتى اكمل ما بقي من ابياتها ، ومنها :

مهـلا كرام المسلمـين فمنكـم ... يرجى الـورود الى حيـاض السؤدد

لا تجعلوا « التقليد » يفرط عقدنا ... فرجـاؤنا عبـث اذا لـم يعقـد

ان فرق الايمـان بـين جموعنـا ... فلسـانـنـا العربي خـير مـوحد



انيس الخوري المقدسي مع حافظ ابراهيم وخليل المطران
يوم زارا الجامعة الاميركية عام ١٩٣٩

وغني عن البيان ان هذه القصيدة هي من اشهر القصائد الوطنية التي نظمت اثر اعلان الدستور العثماني سنة ١٩١٠ . على انه من الحق ان يقال بان استاذنا المقدسي لم تكن تستهويه المواضيع السياسية كثيرا ذلك لان ولاءه للادب شغله عن اي ولاء اخر ، وعليه فاذا كانت كلمة « اديب » مستوحاة من الحديث الشريف : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فهو ذلك الاديب الذي يليق به هذا القول واذا كانت هذه الكلمة مستوحاة من « الدأب » كما يزعم طه حسين وفريق من كبار المستشرقين ، كان هو ذلك الاديب المعني بهذا القول . وهو الذي أغنى المكتبة العربية بنفائس المؤلفات التي يعتمدها الاساتذة الكبار في المستوى الجامعي . حسبه منها ، كتبه التالية : امراء الشعر في العصر العباسي ، تطور الاساليب النثرية ، المختارات

السائرة ، الاتجاهات الادبية في العالم العربي، اعلام الجيل الاول من شعراء العربية في القرن العشرين وهو اخر ما طبع له سنة ١٩٧٢ ، وفي هذا السفر الادبي النفيس يحدث عن شعراء عاصرهم وكان صديقا لاكثرهم ومنهم بحسب ترتيب الكتاب احمد شوقي ، خليل مطران ، حافظ ابراهيم ، جميل الزهاوي، معروف الرصافي ، شبلي الملاط ، وايليا ابو ماضي . ومما يجدر ذكره ان استاذنا كان في جميع هذه المؤلفات وغيرها ، مثال العالم المنزه عن التحيز . ولقد نهج في بحثه نهج الاخلاص للعلم والولاء للحقيقة عملا بقول الفرزدق:

امامك فانظر اي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج

هذا وفي رأيي المتواضع ان استاذنا المقدسي لا يقل عن زميله طه حسين في شيء من خصائص التحليل والتعليل . وانه هو وعميد الادب العربي يكونان الحلقة المكملة للجهد الادبي الذي قام به من قبل جرجي زيدان صاحب مجلة « الهلال » في هذا الحقل . ومما اذكره من ايام الدراسة في الجامعة الاميركية اننا كنا ونحن نستمع الى استاذنا الانيس محاضرا ومحدثا نطمئن الى علمه كل الاطمئنان ، وكثيرا ما كنا نطمع في تسامحه عند ابداء الرأي. فلم يكن يتعالى على اي طالب منا في شيء من المعرفة ، واذا اخطأ احدنا او تعمد التشويش في ساعة الدراسة ارشده الى وجه الصواب برفق ومحبة . واذكر ان وجهنا اليه سؤالا عن الفرق بين قديم الشعر وحديثه فابتسم قائلا : المهم في الشعر ان يكون مشتملا على عناصر الجمال والخير وان يكون صورة للبيئة التي يترعرع فيها . وهكذا فان من جملة الاسباب التي جعلته يؤثر شوقي على الكثيرين من الشعراء المعاصرين هو لكونه غنى آلام امته وآمالها في شعر جمع بين جزالة اللفظ وسمو الرؤيا ومكارم الاخلاق وهو صاحب البيت القائل :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وهو اذ يحدثك في كتابه عن شاعره المفضل يذكر له الابيات التالية :

رب جـــار تلفتت مصر توليـــه ســـؤال الكريم عن جـــيرانـه
بعثتـــني معزيـــا بمـــآقي وطني او مهنئـــا بلسانـه
كان شعري الغنـــاء في فرح الشرق وكـــان العزاء في احزانـــه

ولعل تقديره لشاعرية شوقي على هذا النحو او ذاك مرده الى نشــأة استاذنا الدينية . فلقد نشأ في بيت انجيلي محافظ وله في كتاب التراتـــيم الكنسية اكثر من ترنيمة واحدة كان منها ما رتل في ساعة جنازته تدليلا على ايمانه برحمة الله وبركاته . ومعلوم ان شوقي نظم اروع شعره في تكريــم الانبياء والاشادة بتعاليمهم النورانية الهادية الى الخير الانساني على غير رياء او مصانعة . وبعد فليس القصد من كلمتي هذه ان ازيد القارىء الكريــم معرفة بالفقيد الكبير استاذ الاجيال على مدى نصف قرن من الزمن . يكفيه من الشهرة ان يتبوأ رئاسة الدائرة العربية من الجامعة الاميركية الى ما ينيف عن ربع قرن وان تكون مؤلفاته ملء الاسماع في عالم الادب والاستشراق . وان يكون بين كبار الكتاب في اسرتي مجلة « المقتطف » و « الهلال » يوم كان العطاء الادبي مقصورا على فئة قليلة عزيزة . هذا بالاضافة الى شخصية ادبية فريدة ترتكز على دعائم ثلاث هي : علم على غير ادعاء ، وتدين على غير تزمت ، وتواضع على غير مجاملة .

بيروت — وديع ديـب

امتحـــــان

كان يحيى بن اكثم يمتحن من يريدهم للقضاء فقال الرجل رشح لمنصب القضاء : ما تقول في رجلين ، زوج كل واحد منهما الآخر امه فولد لكل واحد من امرأته ولد . ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لامه .

عبد الحميد بن باديس

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

التصوف مـــاذا ؟؟؟

لا تصوف في الاســلام

قطعا ، مر العهد النبوي والراشد والناس لا يعرفون مرجعا الا كتاب الله وسنة رسوله ثم جاء قوم فخلعوا على ما ادخلوه من الفكر الامي الوثنـــي والكتابي (٢٢) كلمة تصوف وحاولوا ربطها بأهل الصفــــة ناسين ان ليل هؤلاء عبادة ودراسة ونهارهم جهاد وعفة عما في ايدي الناس كما وصفهـم أحد معاصريهم بقوله :

سمت العبيــد من الخشوع عليهم   للــه ان ضمتهـــم الاسهـــار

فـاذا ترجلت الضحى شهدت لهم   بيض القواضب انهـــم احـــرار

لقد حقق شيخ الاسلام ابن تيمية كلمة تصوف لم تكن في القرون الثلاثة الاولى معروفة لكن الذين ألصقوها باهل الصفة ارادوا ربطها بالعهد النبوي ليصبغوا على ما نقلوه من أمشاج الامم ثوبا شرعيا متجاهلين ان خير بـاب يمر منه المتقربون الى الله هو العمل بفرائضه او الوقوف عند حدود فرائضه كما في البخاري من حديث قدسي :

(ما تقرب الي عبدي بمثل ما افترضته عليه)

ذكر الله لا يعني الحلقات الصوفية

وحقق في كتابه (الكلم الطيب) ان ذكر الله لا يعني الا تذكرة ومراقبة واستشهد بآيات كثيرة مثل قوله تعالى : (اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكـروا

الله) وهذه لا تعني اعملوا حلقات ذكر بل تذكروا ان الله يراقبكم فـــلا تهربوا امام عدوكم ، اما الذين رأوا الذكر قفزا وصعودا ونزولا فلا نـرى عملهم تشريعا اذ هم مهما احطنا اسماءهم بهالة تقديس ليسوا قدوة !!! هـذه معان سليمة لا تكاد تخفى الا على الذين خالوا الانحراف استقامة والتأويل الطارئة منطقــا •

مرجعنا القرآن والسنة فحسب

وسواء أكان التصوف مشتقا من الصفة او الصفاء او الصوف اوالتيوزف (الحكمة) فهو جسم غريب عن عقائدنا وعباداتنا اذ هما محاطان بسور توقيفي مسلح بحديد (اليوم أكملت لكم دينكم)•

وكلمة توقيفي تعني ان العقائد والعبادات ، ليست خاضعة للاهواء ، اذ أهل البدع والبدعة كل ما فعله الناس باسم الدين ولا يوجد له من الدين دليل يؤيده ــ يخالون اهواءهم عبادة وقد يدافعون عنها •

لقد هزلت بالجزائر دراسة الفقه بعد تدهورها بفم الغزاة ، فتــــوارت كلمة (توقيفي) واصبحت كلمة صوفي تعني العكوف على الاضرحة نسأل امواتها المنافع ونستدفع بهم المضار ونكلفهم الرزق والغيث بل والذرية ونقبل أضرحتها ونشعل الزيت والبخور في اعتابها ونستثير حميتها !!!

اخذنا نرى الذين لا يعرفون الفقه رجال دين ، وقد شجع الاستعمار هذه الطبقة واستخدمها واتخذها احبولة لمآربه !!!

مثلا يقول مدير الشؤون الاهلية بالجزائر اثناء الحرب العالمية الثانية ما نصـــه :

(وصل بنا امتهان واحتقار الدين الاسلامي الى درجة اننا اصبحنـــا لا نسمح بتسمية المفتي او الامام الا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ولا يمكن لموظف ديني ان ينال اي رقي الا اذا أظهر للادارة الفرنسية اخلاصا منقطع النظير)•

هؤلاء الذين لا يعبدون الله بما امر ، بل بما ورثوا من اهواء منطوية تحت كلمة (حدثني قلبي عن ربي) انغمسوا بالتعاون مع الغزاة فتناولـــوا منهم ثمن الخبز الجاف ، اما ثمن الادام فقد تناولوه من اجور التعـــاويذ والتمائم والاحجبــة .

لقد اتخذهم الغزاة مطية ، واستعان بهم جمعية العلماء المسلمين واستفاد من فئاتهم اكثر من جيشه واخذت جرائده تشجعهم وتـــدافع عنهم وتخيل انحرافهم اسلاما ، ضحك الاستعمار عليهم بالتماس البركة ، فسخر ألسنتــهم ومركزهم في قلب العامة واجتمعوا مع منهاج المعارف المثبط في الغاية وان لم يجتمعوا في الاسلوب .

اعرض بعضهم عن المهن الحرة كالتجارة والزراعة والصناعة ، وعـــاش بالتناقض تارة يزهد حتى بارتداء القميص النظيف وبتأسيس البيت الشرعـي ومباحثات الحياة وطورا يتحلق لرجال الدولة ويسجد على ابـواب الذيـن بيدهم الدنيـا .

ومن السموم التي نفثوها عدم استخدام وسائل الوقاية اعتمادا عـلى نفثات دعوها كرامات ، ناسين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه سار في طريق محفوف بالواقعية وحذر من الالاعيب الصبيانية .

هؤلاء او بعضهم ، أقاموا انفسهم حجرا في طريق الجمعية ، وتـآمروا على ابن باديس نفسه وظنوا كلمة وهابي سيئة فرموه بها !!!

أجهزوا على العربية اولا

العربية لغة الجزائر الاصلية ، منذ الموجات القحطانية التي سبقت العهد الكنعاني ــ الفينيقي .

اتخذ الغزاة شعارهم ــ اجهزوا على العربية اولا ــ فاوصدوا بطريقها نافذة الاستمرار ، وحالوا دون تدريسها ، ولو كلغة ، واعلنوا عليها حربـا معدومة الهدنة ، واغلقوا باب الارتزاق بوجه متداوليها ، ورأوها اجنبيــة ،

وعللوا هذه الحكمة بكلمة : (العربية لغة شعر وصلاة) اي ليست لغة علم وإيقاظ ، بل وامعنوا في التمادي فاصدروا عام ١٩٣٧ قانون يلحق متداولها بالمجرم ويهدده بالحبس او الغرامة او بهما معا .

لا عجب فالتصميم على ذبح العربية ، قديم نفذته فرنسا بالجزائرمباشرة ووقفت انكلترا امام رواده بمصر : صنوع وسواه من دعاة العامية .

ولئن خفت صوت هؤلاء لا سيما امام كتب محمد جلال كشك الكثيرة الثمينة فقد ارتفع في لبنان من افواه دعاة العامية والحرف اللاتيني الذين نسوا انهم يسيئون للبنان حتى اقتصاديا .

انطلق هؤلاء من نقطة السلبية مع العرب فطفى التـــــظر القصير على بصائرهم وحال دون صوت ضمائرهم وابطنوا هسم انف الفصحى ام الاشتقاق وملتقى العرب وتساءلوا :

هل تصلح العربية لغة حضارة ؟؟؟ !!!

وحملت رايته مجلة المقتطف ودارتها سلامة موسى في كتابه (اليـــوم والغد) ولويس عوض في كتابه (بلوتولاند) الذي يدعو لترجمة القرآن للعامية المصرية .

اخجلوا يــــا جمــاعة

اخجلوا من اليهود الذين خلقوا لغة مرقعة من السريانية والاراميـــــة والكنعانية ... ونحتوا منها الفاظا سياسية ورأوا الله لا يتكلم الا بها .

قصة المستوطنين الاوروبيــين

خطب الجنرال بيجو عام ١٧٤٠ مصرا بوجوب انتزاع السهول الخصبة والواحات المخضوضرة من الجزائريين وحشرهم في الجرود والصحراء .

دعا لتسليم هذه الارض للغرباء الوافدين من فرنسا والمانيا واسبانيـــا ومالطة وسواهم من الفلول المطرودة من الالزاس واللورين وعلل اقتراحـــه بكلمـــــة :

(لان هؤلاء لا سيما العسكريين منهم ، قادرون على حمايتها).

خسر الجزائريون بهذا الاقتراح لا سيما في المناطق الرأسمالية نحو اربعين بالمئة من املاكهم . واصبح الطارؤون مالكيها بل ومستحدذين على النشاط الاقتصادي والصناعي والثروات الزراعية والمعدنية ، فانهارت الحرف الوطنية واصبح مستوى حياة الجزائري ادنى مستوى في العالم ، وهذا ما حمل بعضهم على التطوع بالجيش الفرنسي او مغادرة الجزائر ركضا وراء الرغيف ولو بمزاولة الاشغال الشاقة .

هل تعجب لـ ٧٠٠ الف دخيل يبتلعون رزق ٩ ملايين ويستخدمونهم باجور منحطة ومن انف عن الخدمة صفعه القانون .

لقد اصبح لهم منذ عام ١٩٤٨ في البرلمان ١٦ نائبا اما الجزائريون فقد فازوا عام ١٩٤٥ بـ ١٥ نائبا .

هل تعجب بعد هذا للمجاعات والازمات الاقتصادية وتفاقم الضرائب؟!!

لا تعجب احفظ كلمة بيجو (حيث توجد ارض ومياه يجب انتزاعها دون تعليل).

خرافة الادماج والتجنس

الادماج في الاصل ، يعني الانسجام ، لكنه في التخطيط الفرنسي يعني تذويب الجزائر وسحق شخصيتها .

فكرة الادماج هذه ليست طارئة ، بل تنفيذا لتخطيط باح به نابليون الثالث ١٨٥٢ ـ ١٨٧٠ مذ قال :

(منحت الجزائر الجنسية الفرنسية) وهذا يعني ـ في ما يبدو للناس ـ ان تندمج الجزائر بفرنسا ويصبح لكل جزائري نفس الحقوق التي يتمتع بها الفرنسي الاصيل . تداول هذه الخدعة كثيرون من الذين جرعوا ثقافتهم من المدارس ذات المنهاج المبيت لكن عرف ما وراءها اعلام في مقدمتهم الشيخ البشير الابراهيمي اذ صرح بمواضع ومناسبات متعددة بما نصه :

(جماعة الادماج ليسو من هذه الامة)

اصرت الجمعية في دروسها وتوجيهها على طرد خرافة الادماج ، ودعت الجزائريين لمعرفة انفسهم واكتشاف هويتهم ، واعلنت ان قبول الجنسية الفرنسية تمهيدا للادماج ، وتملت من تبعة افتداء الجزائر ونصحت المتفرنسين قـائلة :

(ان ارتفاع افراد من امـة يطحن الغزاة عظمها ، لا يعني ارتفاعها).

ونصحت الذين يناموبن على نغمات : ادماج ، جمهورية جزائرية ـ فرنسية واصرت على التمتع بالوطن الجزائري متكاملا .

طبعا لان الاستعمار والوفاء لا يلتقيان ، ومهادنة مستعذبي الشك عبث.

خرافـة المسـاواة

ضعيفو الهمة من المتفرنسين أي مكتسبي الجنسية الفرنسية ، يقصدون بالمساواة مساواتهم هم بالفرنسيين لا مساواة سواد الشعب ، اي يريدون لو اصبحوا هم طبقة ارستقراطية حتى على ابناء قومهم،ولو تنازلوا عن الشخصية الجزائرية ، وقانون الاحوال الشخصية الاسلامي.

والمساواة عندهم هدف لذاته ، وليست مرحلة يعقبها مراحل . طغت عليهم الانانية فلم يتساءلوا :

خدمتي في الجيش الفرنسي تستلزم مساواتي بالفرنسي ، وهذا يتنافى مع كلمة : (مواطن من الدرجة الثانية) لكن موقفهم هذا حمل ابن باديس على استعارة اسلوب الجاحظ فكتب : (المساواة في المحن والواجبات لا في الحقوق) . فاذا حارب الفرنسيون يجب على الجزائري ان يشاطرهم محنة الحرب ويجب على الشيوخ ان يفتوا بضرورة التعاون مع فرنسا لكن اذا ساد السلم يحرم على الجزائري ان يلقي دلوه في حفلات انتصار الجيش الفرنسي كما رأينا في ختام الحرب العالمية الثانية .

من هم جمـاعة : نـافق او وافـق او فـارق

اشتهر الذين يعيشون بملاعق الدين والدنيا ويوالون فرنسا دون قيد ويلتقون مع منهاج ازهاق الجزائر ولو بنقطة .

اشتهروا باسمين :

أ ـ جمـاعة نافق او وافق او فارق .

ب ـ المسلمـون الفرنسيون .

هذان الاسمان يعنيان جمهورا كبيرا يدخل فيه الاحزاب التي تحارب الاسلام كجوهر وتشريع ، وتتفاهم مع المتجرين باسمه تفاهم مصالح متبادلة.

هؤلاء الذين شكلوا شجى في حلق ابن باديس ونصحوه بالكف عن التعرض للسياسة والرضى بالامر الواقع ، وامعنوا بالاستتار بالوطنية وزعموا انهم يتعاونون مع فرنسا لمصلحة الجزائر ، ناسين ان رجاء حياتها من الساهرين على موتها ركض وراء سراب .

هؤلاء كثيرا ما وصفوا جمعية العلماء بـ (جامدة على القديم) وكثيرا ما تعللوا وخاطبوا ابن باديس بمثل هذه الدورة :

يوجد كثيرون من غير المسلمين منحرفون حتى عن معرفة وحدانية الله ورسالة خاتم الرسل فلماذا لا تقوم اعوجاجهم اولا ؟

والاجمل من هذا قولهم :

(ان الذي يحاول التقويم لا بد ان يكشف جوانب من عيوب الاخرين، وهذا لا يجوز لان الفرنج يطلعون على ما لم يكونوا يعرفون من عيوبنا !!!

هؤلاء الذين يرون انفسهم رواد الجديد ، يغيبون حين تحمر الحدق ، ويتصدرون للقيادة والتوجيه ويودون لو سلبوا من الامة ثمار تضحياتها .

استعانت فرنسا بهؤلاء على سحق شخصية الجزائر ، وخنقت بيد تعضهم لغتها وطارأت بيد بعض مفاهيم دينها السلمية ، ثم رأت نفسها في نهاية الجولة مشرفة على الاجهاز الكامل ولم تدر ان الليالي الحبالى ولدت أقطاب الجمعية.

هؤلاء شاهدوا فرنسا تقيم لكل مدينة جزائرية عيدا بمناسبة مئة عام على استسلامها فأخذوا يغرون الجمهور بارسال برقيات التهنئة .

بيروت محمد علي الزعبي

فاطمة الزهراء

لمفكر باكستان الدكتور محمد اقبـال
وترجمة الاستاذين محمد حسن الاعظمي والصاوي شعلان

المجد يشرق من ثلاث مطالـــع ... في مهـد فـاطمة ، فما أعلاهـا !
هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي أم من؟ ... من ذا يداني في الفخـار أبـاها ؟
هي ومضة من نور عـين المصطفى ... هـادي الشعـوب اذا تروم هداها
هو رحمة للعالمـين ، وكعبـة الآ ... مال في الدنيـا ، وفي أخراهـا
من أيقـظ الفطر النيام بروحـه ... وكأنـه بعـد البلـى أحيـاهـا
وأعـاد تاريخ الحيـاة جديـدة ... مثل العرائـس في جديد حلاها
ولزوج فاطمة بسـورة « هل أتى » ... تاج يفـوق الشمس عند ضحاهـا
أسـد بحصن الله يرمي المشكـلا ... ت بصيقـل يمحو سطور دجاها
ايوانـه كـوخ ، وكنز ثرائـه ... سيـف غـدا بيمينه تيـاهـا
في روض فـاطمـة نما غصنان لـم ... ينجبهمـا في النيـرات سواها
فأمـير قافلة الجهـاد ، وقطب دا ... ئرة الوئـام والاتحاد ابنـاها
حسن الـذي صان الجماعة بعدما ... أمسى تفرقهـا يحل عراهـا
ترك الخـلافة ثم اصبح في الديـا ... ر امـام ألفتهـا ، وحسن علاها
وحسين في الابـرار ، والاحرار ما ... أزكى شمـائلـه وما أنـداها !
فتعلمـوا دين اليقـين من الحسـ ... ين اذا الحـوادث أظمأت بلظـاها

وتعلموا حريــة الايمــان مــن صبر الحســين ، وقد اجـاب نداها
الامهــات يلــدن للشمس الضيـا ء ، وللجواهر حسنهـــا وصفاهـــا
مـا سيرة الابناء ، الا الامهـــات ، فهم اذا بلغوا الرقي صداهــا
هي أســوة للامهــات ، وقــدوة يترســم القمــر المنيـر خطـاهـا
لمــا شكا المحتــاج خلف رحابها رقــت لتلك النفس في شكــواها
جادت لتنقــذه برهن خمــارهـــا يا سحــب أين نداك من جــدواها
نــور تهاب النــار قدس جــلاله ومنى الكواكــب ان تنال ضياهـا
جعلت من الصبر الجميــل غذاءها ورأت رضا الزوج الكريـم رضاها
فمها يرتــل آي ربـــك ، بينمـــا يدهــا تدير عــلى الشعير رحاها
بلــت وســادتها لآلىء دمعهـــا من طــول خشيتها ، ومن تقواهــا
جبريل نحو العرش يرفع دمعهـــا كالطــل يروى في الجنــان رباها
لولا وقوفي عنــد أمر المصــطفــى وحدود شرعتــه ، ونحن فــداهــا
لمضيت للتطواف حــول ضريحهــا وغمـــرت بالقبــلات طيب ثراهــا

تترى ان شــــاء الله

خرج المأمون في ليلة من ليالي الشتاء القارصة البرد يجوب بغداد مع بعض من اصحابه ، فلما اقتربوا من الجسر اذا بثمامة بن اشرس ســـكران يترنح ، فلما رأى المأمون توارى عنه ، فقصده اصحابه وجرجــروه الى ان أحضروه امام المأمون فقال : ثمامة هذا ؟ قال : اي والله . قال : أسكران انت؟ قال : لا والله . قال : فمن انا ؟ قال لا ادري والله . قال عليك لعنة الله . قال : تترى ان شاء الله ، فضحك المأمون وتركه .

فذا يتلو انجيلا وذا يتلو قرآنا

شعر: محمد المحسن

مضت سنـــة والحرب تجتاح لبنانا — فهل من سبيل كي يعود كما كانـــا
ألم يكفهم قتل الالـــوف وحرقهـــا — ضلالا فهل كانت عن الحقد قربانـــا
بنـــي قومنا ماذا دهاكـــم فثرتـــم — على قومكم والخصم يضحك جذلانا
يـــود بان يحتل عمـــدا بـــلادكـــم — ويلبسكـــم ذلا وفقرا وحرمـــانـــا
ويـــلبكـــم ماء الحياة وحسبكـــم — بهـــذا وذا يـــا قوم عـــارا وخذلانا
مدافعكم أصمت ولكـــن قلوبكـــم — وجرت على الاوطان بؤسا وخسرانا
وتلك القصور الشامخات تهدمـــت — وساكنها قد هـــام في الارض حيرانا
ولم يبـــق في لبـــنان الا مـــــروع — يقـــاسي من الآلام والحزن ألوانـــا
مضـــت سنة لم تعرف النوم أعـــين — وقد ملأت كل الدروب ضحايانـــا
فكـــم حرة مـــاتت فداء لطهرهـــا — وكـــم ضل طفل فاقد الاهل ظمآنا
يئن ويبكـــي لا يرى من يغيـــــثه — فيبعـــث في الاحشاء وجدا واشجانا
صغـــير مروع تاه في الحي صارخا — وقد ضمه الايتـــام عطفا واحسانـــا
الى الله نشكو من فظــــائع قومنا — وكلهم في الـــدار اهلا وجـــيرانا
لعمري ان الـــــذئب أرحم منكـــم — وان أفاعي الرمـــل ارفق اســـنانا
فتوبوا الـــى باريكم ان ذنبـــــكم — عظيـــم وقد تجدي الندامة شيطانا

اما آن ان يشفى الجنون وترجعوا الى عقلكم والعقل يرجع احيانا
وتخرس اصوات المدافع بعدما غدا دمكم منها على الارض غدرانا
وتشرق شمس الامن بعد افولها ونتهل فيه الصفو صفحا وغفرانا
ونغسل من غل وحقد قلوبنا ويصبح ذئب الغدر في النفس انسانا
ويعتنق الاخوان بعد اقتتالهم وندخل روض الحب اخضر ريانا
ويجمعنا الود القديم موحدا فذا يتلو انجيلا وذا يتلو قرآنا
ويصفو لنا العيش الكريم ونلتقي على الخير نعلي للفضيلة بنايانا
وتعصمنا الاخلاق من كل زلة وترجعنا دوما مدى العمر خلانا
وتسرح اسراب الظبا بروضها فنحسبها في الروض تمرح غزلانا
وهنا دليل الصفو والامن والهنا ومن يأبى منا ان تزول رزايانا
فتزهو ربا لبنان بعد ذبولها فتصدح أطيارا وترقص اغصانا
وللربوات البيض تهفو نفوسنا لتطفىء نارا سعر بين أحشانا
وبنصر ابناء العروبة أقبلوا الى الصيف في لبنان شيبا وشبانا
فما راق للعرب الاكارم غيره مصيف يد الرحمن أولته احسانا
فنحظى بلقيا الاصدقاء ويشتفى فؤاد اليهم ذاب شوقا وتحنانا
ونكبت اعداء ونعش انفسا ونبذ احقادا ونرجع اخوانا
ويقضى على الاشرار منا ومنكم فنبلغ اوطارا ونحفظ اوطانا

النبطية محمد الحسن

الا كنت يا عيد الأضاحي

شعر: محمد حسين الزين

من نظم العلامة الشيخ محمد حسين الزين برثاء صديقه وعديله العلامة الكبير السيد حسين يوسف مكي المتوفي بدمشق والمدفون في مقام السيدة زينب عليها السلام.

هل استطيع النظم في الاحزان ... والخطب اذهلني وهز كياني؟
خطب جسيم عم امة «احمد» ... فبعيدها وقريبها سيان
خطب الفتى السباق في ساح العلى ... خطب «الحسين» العالم الروحاني
والمرتدي ثوب الفضيلة يافعا ... والمجتبى من سائر الاقران
للحكم والفتوى لابناء الورى ... للصلح ان ما وافق الخصمان
جمع الفضائل جلها في شخصه ... واجلها الاخلاص للرحمن
لبس العمامة وهي تاج عروبة ... وشعار اهل العلم والايمان
فأعزها قولا وفعلا خيرا ... وسما بها صعدا على كيوان
واعز شرعة جده بجهوده ... وجهاده السامي الرفيع الشان
وصلاته لله في غسق الدجى ... وصلاته في السر والاعلان
بكرت سيدنا الجليل برحلة ... قد أوصلتك الى فسيح جنان
حيث الملائك فتحت ابوابها ... واستقبلتك بلهفة وحنان
والحور من فوق الارائك رحبت ... وتزينت بالدر والمرجان

لا كنت يا «عيد الاضاحي» بعدما … لف «الحسين» بأفضل الاكفـان

وتعفر الوجـه المنير بتربــــة … طهرت «بزينب» من بني عدنـان

بنت الامام ابي الائمة « حيدر » … علم الهدى اخت «الذبيح» الثاني

ومديرة الايتـام يوم مسيرهـم … من كربـلاء الى بنـي سفيـان

صبرا « علي بن الحسين» وآله … فالموت خط على بنـي الانسان

والكائنـات جميعها تلقى الفنـا … غير الالـه الواحـــد الديـان

هذي الرئاسة قد اتتـــك وراثة … وجدارة بالفضـل والاحسان

فانهض بها نحو العلاء ولا تـدع … بابا لنقـد ثابـت الاركــــان

محمد حسين الزين

دعــاه الى القضـــاء



قال ابن سيرين : كنا عند ابي عبيده بن ابي حذيفة في قبة له ، وبـــين يديه كانون له فيه نار ، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه وساره بشـيء لا ندري ما هو ، فقال ابو عبيده : ضع لي اصبعك في هذه النار ؟ فقال له الرجل : سبحان الله اتأمرني ان اضع لك اصبعي في هذه النار ! فقال لـــه ابو عبيدة : أتبخل علي باصبع من اصابعك في نار الدنيا وتسألني ان اضـع لك جسدي كله في نار جهنم ! قال : فظننا انه دعاه الى القضاء .

يا متعب الليل

شعر: عدنان حمدان

يا متعب الليل في اهدابك الضجر ... مجمرا جانباه الفكر والسهر
رنين صمتك تذوي وهو مرتشف ... من ذوب روحك حتى تزدهي الصور
يا راشف الجمر خمرا من مواقده ... اذا ثويت فلا خمر ولا سكر
والمرتوي قلقا والمعتلي أرقا ... في مقلتيك تهادى السهد والكدر
أوقد جفونك حتى يلتظي سهر ... واضجر طويلا فأحلى النشوة الضجر
يا حانة السهر المخمور قد طربت ... لك الليالي وارخى عطفه السمر
قيثارة الليل نشوى اذ قعدت لها ... مغردا وارتدى ألحانك الوتر
عيناك ديوان شعر انت صاحبه ... وفي ملامحك الاعصار ينتحر
جرحت روح الدجى فانهال ناغره ... فجرا على شفة الآفاق ينحدر
حطمت كأسك اذ أهرقتها نزقا ... وطي روحك ذوب الخمر يستعر
وقلت للنجم لا تغرب فرب هوى ... بيني وبينك لم يستكنه البشر
رحتم نديمين هذا خمره ألق ... من مقلتيه وهذا خمره شرر
حتى تمطر من أهدابه غبش ... في كل منعطف يجري وينتشر
هذي الليالي خضيلات بمبسمه ... فيا شفاه العذارى ها هنا الوطر



مؤطر الليل ألوانا وأخيلة ... حتى تمتطي الدجى واعشوشب السحر
احزانك الخضر جرس الشعر موسقها ... فاخضر فيك الاسى واستوسق الكدر

هذي قوافيك أرواح مموســــقة ريانة اللحن لا عــود ولا وتــر
مرافيء القول قد اتعبها ســـفــرا حتى التوى التعب المكدور والسفر
كـل المســافات أخطــاء يصححها خطــو عريض يعفى دونــه الاثر
غنيت كـل حبيباتي فما طربــت الا التــي حجرها تأوي لــه الفكر
كـم ليلــة بت غض الروح أنفقها خمرا ولعســا وما يستحلب الوطر
مجمرا ثم أدلى دلــــوه نــزق مني وأتلع جيــدا للهوى وطــر
صعــدت للشفة العليــا أعب لمى وعـدت للشفــة السفلى وبي خدر
شفاهك الخضر يا لعساء داليــــة من الكروم فمن للكــرم يعتــصر



كفرت بالدمــع ان يجري به بــرد اني اريــد دموعــا طيها الشــرر
حبيب قلبي أما تغريــك اخيلتــي وقــد تمرت وهذه أدمــــعي درر
انا الذي سقــي العنقود اخيلتــي فرف خمرا عــلى الاقداح ينهمــر
هــذي الدوالي تعلاتي وموجدتي فهل يعيق عيوني الــدل والحــور
انا امرؤ في اسيــل التيه ذو لهــب وانني في عجيــف الدهر مزدهــر
حمــالة قلقــا والوجد مقصــلتي والحزن قومي واحباب النهى الفكر
مسود لا مسود مذ خلقــت ولــن امــارس الذل حتى حين احتضــر
عرفت ان ابي قد مــات لا نشبــا ورثته فتراثي المــارن الـــذكــر
اسمو وصاحبــتي العتبى ولا عتب مني عليهم وان صدوا وان وتــروا
تزري بي الصدف الحبلى تعــاوتني فالسيــف خزيان اما عانه القــدر

كربلاء ـ العراق عدنان حمــدان



عيد المعلم بين عامين

١٩٧٦ - ١٩٧٧

شعر: يوسف أبي رزق

احتفلت المدارس في صيدا بعيد المعلم ١٩٧٦ وهذه أبيات من القصيدة الطويلة التي القاها الاستاذ الشاعر يوسف أبي رزق في الاحتفال .

أعيد للمعلم وهو يشقى ... وسدت دون مطمحه الدروب
أعيد للمعلم والاماني ... ممزقة ، وموطننا كئيب
أعيد والبلاد لهيب نار ... وفي لبنان أكباد تذوب
أعيد والارامل واليتامى ... غذاؤهم المآسي والنحيب
أعيد والحداد بكل بيت ... وموطننا تمزقه الحروب

* * *

أتجار السلاح كفى فجورا ... كفى جشعا ، فقد طمت الخطوب
أيتخم قزمة ليجوع شعب ... وتفنى أمة ، ليعيش ذيب
بلاد مزقت ظلما وجورا ... وقد هزلت لتنتفخ الجيوب

* * *

حنانك ايها البلد المدمى ... أليس لدائك القاسي طبيب
ويا شعبا ! توزع كل أرض ... وشرد ، فهو في الدنيا شعوب
الهي ! سح مالك من غيوث ... على أرضي ، فينطفي اللهيب

وترجع وحدة الوطن المفدى كما كانت وتغتفر الذنوب
وينهض من رماد الموت حيا على الاجيال ، لبنان الحبيب

وهذه ابيات من القصيدة الطويلة التي ألقيت في احتفال سنة ١٩٧٧ :

بعد ليل من الفواجع مظلم طلع الفجر ، فجر عيد المعلم
حاملا للورى بشائر خير وللبنان راحة المتألم
وطني ! ايها الحبيب المفدى باسمك العذب بعد ربي أرنم

★ ★ ★

ايه لبنان قاهر الموت قم من ظلمة القبر ، ظافرا ليس يهزم
قم تجرع من كوثر المجد كأسا بعد أن جرعوك كأس العلقم

★ ★ ★

أضرم المجرمون في الشعب نارا واستباحوه بالحديد ، وبالدم
وطني اغتيل خسة مثلما اغتيل امام الحجى ، بسيفه ابن ملجم
حاولوا أن يقزموه ولكن ظل ذاك العملاق لم يتقزم
وأرادوا تقسيمه ، فرفضنا ان لبنان واحد لا يقسم

★ ★ ★

دغدغوا طائفية الكفر فيه بشروا بالضلال ، باسم جهنم
فرماهم لبنان بالخزي والعار ونادى باسم الاله الاعظم
وطنا للاخاء ، للحب دينا اي دين يدعو لان تتخاصم
أهو دين الاسلام دين ابن عبد الله ، ام ذاك دين عيسى بن مريم
يا مسيح الفداء ، عفوك عنا يا رسول الاسلام عذرك أكرم

كل دين يا قوم دين سلام | واخاء يدعو لان تتفاهم
ليس للدين اي ذنب ولكن | نحن أصل البلاء يا نسل آدم



رسل الحرف قادة الفكر فينا | أنقذوا النشء، انه قد تحطم
يا بناة الاجيال لبنان يدعوكم | فهبوا، وابنوا الذي قد تهدم
وانشروا النور حيث حل ظلام | وانشروا العلم حيثما الجهل خيم

صيدا — يوسف ابي رزق

ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص غيرها يعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط ، و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

بيروت

شعر: أحمد حسن الأمين

لهب أحال الليل وجه نهـــار ... وصبــاحه بدخانــه متواري
حمم القذائف والرصاص تساقطت ... فأتت بكــل فجيعة ودمــار
لم يبــق في لبنان صرح واحــد ... الا اصيــب لهولهــا بصــرار
بيروت كم بعــت الهدى وشربته ... وبذلت حسن نضــارة بنضــار
وابحت للعشــاق منك محارمــا ... فعريت من فضــل وفضل ازار
واقمت سوقا أمهــا اهل الهدى ... من كــل قطر في الورى وديار
وتداعت الاخلاق حــتى انهــا ... اضحت لمن تعنيه وصمة عــار
وعدا على مغنــاك من ارضعتــه ... ثدي البغــا وصلاك منه بنــار
فمددت طرفــك لليمين فلم يجد ... من منقذ ومـــددته ليسار
فاذا الصحــاب تنكروا وتغيروا ... وغدو كواســر كلــهم وخداري
الكل فراس وانت فريســـــة ... حيطت احاطــة معصم بســوار
وجه الحضارة في ربوعك لم يكن ... الا كوجــه للخداع معـــار
قد اسقطته الحادثات ملطخــــا ... بدمــاء اشياخ قضوا وصغــار
تأبى السباع الجائعات مساسهم ... بأذى وتأنف مطعمــا بقفـــار

خربة سلم — احمد حسن الامـين

قصة الحياة - ملايين الحكايا
تأملات
بقلم: رغيد النحاس

أوردت الصحيفة الباريسية « الانترناشونال هيرالد تريبيون » في عددها الصادر يوم الجمعة الرابع من تشرين الثاني ١٩٧٧ ما يفيد بــان الدكتور كارل ووس اكتشف نوعا جديدا في الحياة على سطح كوكبنا •• من المعروف ان الكائنات الحية يمكن تقسيمها بصورة عامة الى كائنات مجهرية لا تــرى بالعين كالباكتيريا ، والى كائنات ترى بالعين المجردة وهي مجموعة الحيوانات والنباتا ت المألوفة • النباتات تتنفس الاوكسجين وتطرح ثاني اكسيد الكربون في الظلام ، اما في النور فان عمل النبات الرئيسي هو القيام بعملية التركيــب الضوئي وتشمل اخذ ثاني أكسيد الكربون وطرح الاوكسجين • الحيوانات ــ والانسان في أعلى مراتبها ــ تتنفس بأخذ الاكسجين وطرح ثاني اكسيد الكربون •

اما النوع الجديد من الحياة والذي كان يصنف في السابق على انــه نوع من الباكتيريا فهو يتوفر في بيئة معدومة من الاكسجين مثل قاع المحيطات، ومعدة الابقار • هذه الكائنات تأخذ ثاني اكسيد الكربون والهيدروجين والماء وتطرح غاز الميثان • ويزعم الدكتور ووس ان هذه الكائنات وان تشابهـت مع الباكتيريا في اوجه كثيرة فانها تختلف تماما بالنسبة للعمليات الكيمائيــة الداخلية التي تقوم بها • ان هذا النوع من الحياة هو واحد من اقدم انواع الحياة على الارض ، وقد يكون ذا علاقة وثيقة بأقدم كائن حي تطورت عنه كل صور الحياة المألوفة اليوم ، ولعل قصة الاكتشافات والاختراعات ستطول بطول بقاء الحياة •

ان المتطلع الى علوم ما بعد الحرب العالمية الثانية يجد ان كثافة البحث والانتاج العلمي تتزايد يوما بعد يوم حتى ان السنوات العشرين الاخيرة قد تكون قدمت للانسان من العلم والتقنية ما يزيد بكثير عن مئات السنين التي سبقت ذلك من حياته ، وبديهي القول ان العلوم هي اكثر مجالات الحيــاة وثوقا والتصاقا بتاريخها من الناحية العملية • فقد تزول حضارة معينة عند احد منعطفات التاريخ وقد تقوم على نفس الارض الجغرافية حضارة جديدة، وفي مجتمع ما قد يموت اديب عظيم ذو اتجاه معين ويظهر أديب غيره باتجـــاه مخالف وبشخصية جديدة تبقى فيها مسيرة الادب تتطور ضمن المعطيات البيئوية أو الانسانية الجديدة • اما مسيرة العلوم فمهما تغيرت شخصياتها او البيئــة الموجودة فيها ، ومهما تعثرت مسيرتها فتبقى سلسلة تطورها مترابطة بالضرورة لان العلم يبحث في حقائق موضوعية بينما يعالج الادب انفعالات ذاتية اقرب الى الجانب النفسي الحضاري للانسان • وبعبارة اخرى قد يمتلك انســان موهبة الشعر دونما معرفة وثيقة بكل الشعراء الذين سبقوه ، بينما لا يستطيع العالم ان يقيم دراسة معينة دونما معطيات سابقة • وعلى الاغلب فان عالمــا باختصاص معين يكون بالضرورة قد درس كل جوانب اختصاصه وتاريخ هذا الاختصاص سواء مباشرة او عن طريقما تواجد له من المبتكرات حتى الساعة• الشاعر انسان مبدع من ذاته ومن تفاعله مع البيئة المحيطة به • والعالم انسان مبدع : بالضرورة من معطيات اختصاصه • النقد الادبي لا يحسمه نقد ادبي آخر ، اما النقد العلمي فقد يحسمه تغير لون محلول كيمائي معين في انبوب اختبــــار •

ومع هذا نكون مغالين اذا اعتقدنا ان العلم قد اعطى اجوبة حاسمــة لكل مشاكل الحياة • او على الاقل انه استطاع حتى تفسير كل مظاهر الحياة• هناك الكثير من الاسئلة والقليل من الاجوبة خصوصا في تلك العلوم التي تتعاطى الحياة مادة للبحث كالعلوم البيولوجية • والسبب هو ان معالجـــة الحياة وفهمها هو اصعب من الناحية العملية من معالجة المادة غير الحية• ومن

هنا فان العلوم الفيزيائية هي الان اكثر تقدما من العلوم الطبية والطبيعية. عندما تعالج المادة لا يهمك ان خسرتها اما حين تعالج الحياة ـ وخصوصا الانسان ـ فان اول محددات البحث هو انك تريد الانسان حيا بعد التجربة. ولذا فان اكثر التجارب الطبية تقام على الحيوان ، مع العلم بان هذا وان حل المشكلة الاساسية (حياة الانسان)، فانه لا يسهل كثيرا عملية البحث . وذلك لان حياة الحيوان هي ذات قيمة كبيرة لدى كثير من الناس والعلماء . اضف الى ذلك ان الحقيقة الثابتة هي انك لا زلت تبحث في الحياة وان الصعوبة باقية حتى لو كانت النتيجة النهائية هي التضحية بالحيوان . مع اهم هذه الصعوبات مثلا هو ان الجسم الحي هو في تغير مستمر وان مجموعةانفعالاته ليست شيئا ثابتا بالضرورة . كما ان العناية بالحيوانات المجرية واطعامها وما شابه ذلك تستوجب التضحية بالكثير من الوقت والجهد ، بينما حفظ المواد الكيمائية او الفزيائية والعناية بها هي عملية اكثر بساطة .

وعلى كل حال فان العلوم البيولوجية قد تصل في السنين القليلة المقبلة الى عصر ذهبي خصوصا في ذلك الجانب الذي يبحث في علم الوراثةوالصبغيات (الحاوية على المورثات الطبيعية والتي توجد في نواة خلايا الكائنات الحية) وعلى الادق ما يمكن ترجمته بعلوم الهندسة الوراثية التي تثير الان ضجة كبيرة في الولايات المتحدة الاميركية وهنا في بريطانيا ، لان هذا العلم قد يؤدي في النهاية الى تكوين كائنات حية في المخبر وهذا ما يقلق الكثير من المعارضين لفكرة التجارب في هذا المضمار لان هؤلاء المعارضين يخافون مثلا ان تخلق صدفة انواع من الجراثيم التي قد تسبب اوبئة تقضي على الحياة (سنأتي على تفاصيل هذه العلوم في حلقات اخرى). وآخر ما توصلت اليه هندسة الوراثة هو امكانية تركيب احد الهرمونات بواسطة استعمال حمض نووي مصنع . والحمض النووي هو المادة الكيمائية التي تتألف منها المورثات داخل نواة الخلايا الحية . فلقد جاء في عدد يوم الاثنين السابع من تشرين الثاني ١٩٧٧ من الانترناشونال هيرالد تريبيون انه قد تم تصنيع

مورث قادر على انتاج نسخة اصلية لاحد الهرمونات الموجودة في دمـــاغ الانسان وذلك بوضع هذا المورث مع مستعمرة باكتيرية استطاعت انتـــاج الهرمون ، اي ان الباكتيريا عملت وكأنها مصانع كيمائية فانتجت الهرمون وفق المعلومات التي أعطاها الحمض النووي المصنع ، ونقل عن الدكتـــور فيليب هاندلر رئيس الاكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة قولـــه بان هذا « انتصار علمي من الدرجة الاولى » .

ان هذا الخبر ينقل اعلى مراتب التعقيد التي توصلت اليها العلـــوم البيولوجية من الناحية التقنية . وطبعا فان قصة اي علم لا تبدأ ابدا بهـذا التعقيد . فمن المعروف ان العلوم قد ارتبطت قديما بالفلسفة فكان الفيلسوف هو العالم . ويشترك العلم والفلسفة في بداية تطورهما بخاصية التأمل والتفكير بالكون ومعطياته (ولا اريد ابدا ان أوحـي بان العلم والفلسفـــة شيئان متوافقان) . ولعل مرحلة التأمل هذه هي التي أعطت اسم « التاريخ الطبيعي» للعلوم البيولوجية في مراحلها الاولى . اما اليوم فمن الواضح ان التـــاريخ الطبيعي هو جزء من هذه العلوم وليس ابدا كل هذه العلوم . ان التاريـخ الطبيعي بالنسبة للكائنات الحية قد يعني دراستها باشكالها ووظائفها المختلفة ووصفها وتصنيفها وفقا لهذه الاشكال والوظائف ، ودراسة تصرفها في اماكنها الطبيعية ، واساليب حياتها . ويهمني مبدئيا الجانب الوصفي التصنيفي العام في هذا العلم لان هذا الجانب هو النتيجة المباشرة للتأملات التي تعتمدهـــا بعض اساليب البحث كاول خطوة في بداية اي دراسة .

ان الواقف في بستان قد يرى ازهارا ملونة وفراشات ، نباتات مختلفة وطيورا ، ولا يرى الكثير من الكائنات الاخرى التي تحيـط به لمجرد انها لا ترى بالعين المجردة . ففي الجو وفي الماء الكثير الكثير من هذه الكائنات الاخرى التي تحيط به لمجرد انها لا ترى بالعين المجردة . ففي الجو وفي الماء

الكثير الكثير من هذه الكائنات المتناهية الدقة والصغر ، منها الحيوان ومنها النبات ، ومنها لا هذا ولا ذاك • ويمكن للانسان ان يتساءل : ما هي هـذه الاشياء ؟ كيف يختلف النبات والحيوان ؟ وكيف يختلف الحيوان والحيوان؟ ويمكن للانسان ان يعقداسئلته اكثر ويسأل كيف يمكن لهذه الحياة ان تستمر؟ بل كيف تنوعت الكائنات ؟ لماذا تنوعت ؟ وهل كانت كل هذه الاشياءموجودة منذ غابر الازمان ؟ كيف وجدت ؟ وهل ستبقى الى الابد ؟ هذه اسئلة قليلة من أسئلة كثيرة تحير عقل الانسان دائما وابدا • وقد يكون المشتغل بالعلم اكثر حيرة لانه تعلم كلما اكتشف عجزا جديدا وقصورا في الاجابة عن كـل اسئلته • ولكنه دائما يحاول ان يجيب وهو ابدا يحاول ان يتعلم •

وفي هذه السلسلة من الحكايا سنحاول ايها القارىء ان نتعرض للامـور بأبسط أسلوب ممكن وسنبدأ بأبسط الامور ثم نبني عليها وهذا قد يعـني عكس المنطق الحياتي • وبعبارة اخرى فاننا سنبدأ بوصف ما هو موجود الان من كائنات حية ثم نرجع الى العمليات الحياتية التي تقوم بين هذه الكائنات، ثم الى اسباب وجود هذه الكائنات وكيفية نشوئها • وبهذا اننا نأمل انه بعد الانتهاء من هذه الحكايا ان تكون لدى القارىء صورة عامة عن نشوء الحياة على سطح الارض وتطورها الى وقتنا الحاضر من وجهة نظر العلم •

الى اللقاء مع الحكاية الاولى في عدد قـادم •

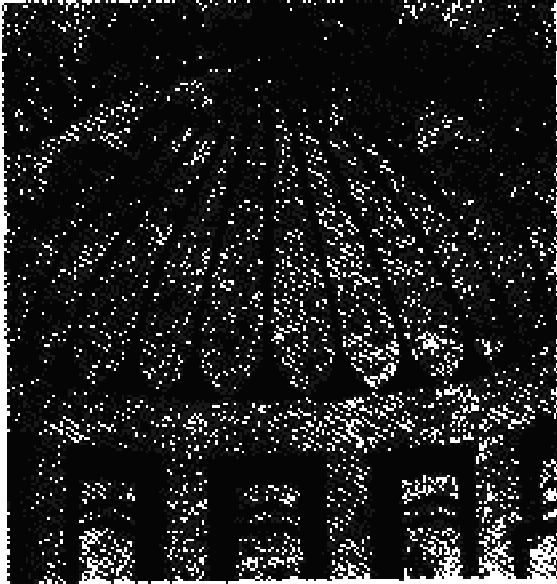
انكلترة — رغيد النحاس

العدد الخاص عن الصـافي شـاعر الشعب

لتبقى ذكرى صديقنا المرحوم السيد احمد الصافي متصلة وبما انالحفلة التي ستقيمها وزارة الاعلام العراقية ستكون في ١٢ شباط ، لذلك قررنـا ان يكون عدد العرفان الخاص عن الصافي هو عدد حزيران اي العدد السابع من العرفان لهذه السنة فانتظروه لانه سيكون جامعا •

العلم الحديث يؤيد القرآن الكريم

بقلم: ابراهيم مصبح



« ان هذا القرآن يهـــدي للتي هي اقوم ».

ان هذا العالم الحـــائر في حاجة اليوم الى هداية الله .. في حاجة الى الاسلام .. ان رسالة الله الاخيرة الى البشرية تحمل حضارة ، وعدلا ، وخلقا ، ومساواة حقيقية ، لا طبقيـــة فيها ، ولا دكتاتورية ...

ان رسالة الاسلام المستمدة من الوحي الالهي الهدى والنور والرشد والرحمة . وصدق الحق تبارك وتعالى اذ يقول : « قد جاءكم من الله نور وكتـــاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجــــهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم . »

لقد كتب الله على نفسه الرحمة ، اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قبل سبطه الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فقال الاقرع ابـــن حابس: ان لي عشرة من الاولاد ما قبلت واحدا منهم فقال الرسول : « من لا يرحم لا يرحم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » .

وفي اطار الرحمة التي حث عليها الاسلام ، ما روي عن ابي هريرة قوله:

بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فاذا كلب يلهث من شدة العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسك بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ـ قالوا : يا رسول الله ، وان لنا في البهائم أجرا ؟• قال : « نعم في كل ذات كبد رطبة أجر » •

وتحدثنا كتب السيرة عن الامام العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ـ انه نهى عن ركض الابل ، ما لم تكن هناك ضرورة ملحة الى ذلك ، وانه ارسل الى واليه بمصر قائلا : انه بلغني ان بمصر ابلا نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل ، فاذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن انه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل •

لقد انتشرت الدعوة الاسلامية ، وساد المسلمون ، بالقيم الفاضلة والنظريات العلمية والسلوك الانساني ، والمبادىء العادلة ، ونشروا العلم والمعرفة وكان نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم قدوتهم في كل شيء ، ينهجون نهجه ، ويسيرون على هدي مبادئه وتعاليمه ،وانسانيته وبره ورحمته•• سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه : فقالت « كان خلقه القرآن » •• يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقف عند حدوده »•

ـ ماذا قال علماء الغرب ، عن القرآن •• دستور الانسانية الخالد •• وكتاب المسلمين المقدس ؟

قال توماس كارليل ، المؤرخ الانجليزي والاستاذ بجامعة كمبردج في كتاب « الابطال » :

« لقد نظر العرب الى القرآن الكريم نظرة معجزة لما بين آياته واذواقهم من ملاءمة ، ولعدم وجود ترجمة تذهب بحسنه وابداعه • لقد اعطاه العرب من التبجيل اكثر مما اعطى اهل الاديان الاخرى لاديانهم ، وما برح في كل زمان

ومكان قاعدة التشريع والعمل ، والقانون المتبع في شئون الحياة ومسائلها ، والوحي المنزل من السماء ، هدى للناس ، وسراجا منيرا ، يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما ، ومصدر أحكام القضاة ، والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة ، وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة ، يتقاسمه ثلاثون قارئا على التوالي ، وكذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوته في آذان الالوف من خلق الله وفي قلوبهم في كل آن ولحظة » .

وقال الفيلسوف الفرنسي« الكس لوازون » في كتابه عن « محمد »:

« خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة ، وسجل للاخلاق ، وكتاب مقدس ، وليس بين المسائل العلمية ، المكتشفة او المكتشفات الحديثة ، مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية » .

وقال هنري توماس ، ودنالي توماس في مؤلفهما : كتاب « القادة الدينيون » .

« ان القرآن واضح في منهج السلوك الذي يتطلبه المسلم ، فان واجبه الاول ان يرتفع غاية الارتفاع الذي يعلو الى الاقتراب من صفات الله ، وقد عمل على ادماج النزاع بين الافراد والقبائل في اخوة الاسلام الى تحقيق هذه الاخوة بتعليم كل رجل وكل امرأة وكل طفل ــ منهجه الكامل من السلوك المستقيم » .

وقال « ادوار مونته » مترجم القرآن بجامعة جنيف :

« ان القرآن في الحقيقة ذو قيمة خارقة للعادة ، فهو بين الكتب العربية الدينية اعظم شأنا ، وهو يشتمل على الحياة الروحية لقسم من النوع الانساني والقارىء يجد في القرآن صفحات غاية في الابداع سواء من جهة الفكر او من جهة القالب الديني الذي وضع فيه الفكر ، وكذلك نجد فيه لآلىء فريدة

في علم الروح معروضة في آيات هي اعلى ما يمكن من الاسلوب النثري ، وهو فيه اسلوب قائم بذاته ، وفي القرآن منازع دينية ذات سعة مدهشة .

وقال « ولفانج لانجرميش » المستشرق الالماني :

« ان القرآن اكثر الكتب التي تقرأ في العالم ، وهو ايسر حفظا ، واشدها أثراً في الحياة اليومية ، لمن يؤمن به ، فليس طويلا كالعهد القديم ، وهو مكتوب باسلوب رفيع ، أقرب الى الشعر منه الى النثر ، ومن مزاياه ان القلوب تخشع عند سماعه وتزداد ايمانا وسموا » .

وقال الدكتور « شبلي شميل » مترجم نظرية داروين الى اللغة العربية :

« ان في القرآن اصولا اجتماعية عامة ، وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للاخذ بها في كل زمان ، حتى امر النساء ، وان القرآن فتح امام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة ولترقية الروح والجسد ، بعد ان أوصد غيره من الاديان تلك الابواب فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلي عن هذا العالم الفاني » .

ـ هذه بعض آراء مفكري الغرب عن القرآن الكريم بعد دراسة منصفة له ، وآثار انتباههم ابداع القرآن الفكري .

وتحدثنا كتب السيرة :

ـ ان جماعة من اليهود قالوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : أحق يا محمد ان هذا الذي جئت به الحق من عند الله ؟ فأنا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة .

فقال لهم الرسول : اما والله انكم لتعرفون انه من عند الله ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة ، ولو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله ما جاءوا بـه .

فقالوا : يا محمد ، اما يعلمك هذا انس ولا جن ؟

فقال لهم : اما والله انكم لتعلمون انه من عند الله ، واني لرسول الله، تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة •

فقالوا : يا محمد ، فان الله يصنع لرسوله اذا بعثه ما يشاء ، ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه ، والا جئناك بمثل ما تأتي به •

فأنزل الله تبارك وتعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » •

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ يقول : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد فآمنا به ، من قال به صدق، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم •»

ابراهيم مصبح

التقوى

قيل لرجل صف لنا التقوى ، فقال : اذا دخلت أرضا فيها شوك كثير كيف كنت تعمل ؟ فقال أتوقى وأتحرز ، قال فافعل في الدنيا كذلك فهي التقوى •

وقفة مع الاستاذ عيسى الناعوري

بقلم: وحيد الدين بهاء الدين

صدرت الطبعة الثالثة من كتاب «أدب المهجر» للاستاذ عيسى الناعوري وفي هذه الطبعة من الحذف والاضافة مايدعو القارىء الى الاهتمام بالكتاب..

وقد لفت نظري ، بالاخص ، ما أضافه الاستاذ الناعوري الى موضوع « جورج صيدح » من كلام كله عجب ، يجفوه الذوق الادبي ويأباه المنطق العلمي ، ويرفضه واقع الشعر العربي المعاصر ، هذا الذي يدين بشيء غير منكور ، لجورج صيدح وامثاله من الشعراء المتجردين من مرض نفسي وغرض مادي ..

الذي يهم ان الاستاذ الناعوري ساق عبر ست صفحات من الثناء على شخصية جورج صيدح ومن التهليل لشعره الوطني والقومي والوجداني ما هو حري بالالماع اليه ..

ولكن الذي يهم اكثر مما ينبغي ان الاستاذ الناعوري بعد ذلك الثناء وهذا التهليل ، جعل يناقض نفسه بنفسه في ما اضافه في هذه الطبعة من كتابه، من سطور هي مدار النقاش وموضع الحوار ..

قال الاستاذ الناعوري : « على ان ما يؤسف له ان صيدح ـ مثل القروي وفرحات ومن بقي من شيوخ المهجر ـ لم يعد يستطيع ان يقدم معنى جديدا ولا شعرا نابغا بمثل الحيوية القديمة ».

لست عارفا بعد مفهوم الجديد والتجديد لدى الاستاذ الناعوري ، وكنت أفضل لو وضحه حتى تتاح لي مناقشته ومحاورته ..

غير ان هناك حقيقة معروفة لا يختلف عليها اثنان في دنيا الادب، وهي

ان التجديد في كل زمان ومكان تتجلى في صدق التعبير وفي صدق التصوير . وهل للاستاذ الناعوري رأي مبدع آخر ، لم يأت به الاوائل ولا الاواخر بحيث ينسف هذه الحقيقة الصارخة الساطعة ؟!

من هنا فان جورج صيدح في شعره الجديد صادق التعبير وصادق التصوير . لانه لا غاية له الا ان يسوق الشعر لمتلقيه كما يريد هو ، لا كما يريد الاستاذ الناعوري وغيره . دونك دواوينه المطبوعة ومجموعاته المنشورة كـ « شظايا حزيران » هذه التي نوه بها الاستاذ الناعوري ذاته ..

وهل الشعر الجديد لجورج صيدح الا امتداد لشعره القديم .. الشعر شعر والا فلا .. وتلك حقيقة اخرى .. في الوقت الذي لا اتردد فيه في تفضيل شعره الجديد هذا على الشعر القديم . لانه افضل صورة واعمق اعرابا ، وأوثق صلة بالواقع وبالناس .. وماذا يرى الاستاذ الناعوري في شهادة كبار النقاد في الوطن العربي في شعر جورج صيدح الجديد الخاص بالوطنيات من امثال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور صفاء خلوصي، وعجاج نويهض ومحمد عبد الغني حسن وظافر القاسمي ونظير زيتون ومحمد علي طاهر وجعفر الخليلي وعبد الله النجار ووديع فلسطين وغيرهم كثر .. واخشى ان يكون الاستاذ الناعوري قد صار يتوهم انه ليس في هؤلاء ولو واحدا من يرتفع او يستطيع ان يرتفع الى منزلته الادبية . والعياذ بالله ..؟!

وواصل الاستاذ الناعوري كلامه قائلا : « ولا سيما في وطنياته التي أصبحت تغلب عليها الخطابية والعنترية وكذلك النثرية والركاكة كما نرى في مجموعته « شظايا حزيران » التي ظهرت عام ١٩٦٩ » ..

اطلاق الحكم ، اي حكم ، في منتهى السهولة ، انما تسويغ هذا الحكم من الصعوبة بمكان ..

لقد أطلق الاستاذ الناعوري حكمه على شعر جورج صيدح الجديد بهذا الشكل .. لكن خانه تسويغ هذا الحكم !!

فأين ابعاد هذه « الخطابية والعنترية وكذلك النثرية والركاكة »؟؟؟ ترى لماذا لم يحددها ، ويسلط عليها انوارا كاشفة تعزيزا لدعواه ؟! وأين هي الادلة والاستشهادات الشعرية التي تفرضها الامانة العلمية واخلاقية الناقد ...؟!

من اجل هذا كله فالاستاذ الناعوري هو وحده الذي يتحمل نتيجة ما ساقه من حكم لم يقدر ان يدعمه باسباب مقتنعة وادلة مفحمة ؟!

وكنت ارجو ان يتخذ من رأيه موقفا ايجابيا يدافع عنه ولا يتهرب منه...؟؟ لذا فان حكم الاستاذ الناعوري على شعر جورج صيدح الجديد مردود غير وارد .. متهافت يعوزه المنطق والانصاف ..

وأتساءل الان اين هي « الخطابية والعنترية وكذلك النثرية والركاكة» في مجموعة « شظايا حزيران » ؟!

هل هي في قصيدة « الفصح ١٩٦٨ » او في قصيدة « الفدائيون » او في قصيدة «واشكيياه» او في قصيدة «ليلة الميلاد» او في قصيدة « متى نلتقي » التي أهداها جورج صيدح الى « اخيه المشرد عن فلسطين منكوبا في الدنيا والدين » والتي يقول فيها :

اقول لنفسي و الدياجير اطبقت ... على امتي ، قد يسفر الليل عن فجر
فاحلم بالثارات تؤخذ عنوة ... واحلم بالغارات والفتكة البكر
وازعم ان الحق ينبو سلاحه ... ويغري سلاح البطل في آخر الامر
فيقضي على اسرائيل شؤم يهودها ... ولؤم مربيها المدجج (بالــذر)
تعود ــ كما قال الكتاب ــ فلولها ... مشردة ملعوفة ابد الدهر

واخيرا قال الاستاذ الناعوري : « وفي قصائده من النثر الركيك ومن العنتريات الخطابية شيء كثير مما يدل على ان عهد الشعر الجيد عند صيدح ذبل وانتهى أمره ...».

اتهامات متهافتة •• وتجريح لا قيمة له قطعا •• ولا يقره منهج البحث الادبي الاصيل ••

حسبي ما سلف ان قلت •• ففي ذلك كفاية ••

مع هذا فالذي أراه ان الاستاذ الناعوري في ما استرسل فيه ربما يمارس عملية اسقــاط •؟!

ثم ماذا ؟! ثم أهكذا ينبغي ان يعامل جورج صيدح من لدن اصدقائه، ــ والاستاذ الناعوري منهم ــ ولا من اعدائه ، ان كان له أعداء ؟؟ وهــــو الشيخ المريض المتكف بديار الغربة ، بهذا الشكل الشائن الشاذ الذي لا بد ان يكون وراءه سر ما ؟؟

نعم أهكذا يجب ان يقابل جورج صيدح وهو الذي يغمس قلمه في دمعه ودمه ، يستنطقه ذلك الاحساس الجريح الذي يباهظه الثمن ، وتستنهضه هواجسه الروحية القلقة ، والتماعاته الفكرية الحــــادة امام خطوب بلاده ، وتستثيره السلبيات والمؤامرات والخيانات التي يراها ببصره وبغيرته ؟

وبعد ؟

من قبل تطاول الشاعران : القروي وفرحات على شخصية جورج صيدح فما استطاعا ان ينالا منها قيد شعرة ، ثم انبرى طالب زيان لشعره بالتجريـــح والتقبيح بعدما اثنى عليه ثناء لا مزيد عليه الا ان سهمه قد طاش •• وسيكون لي معه شأن •• ان شاء الله ••

وكذلك الاستاذ الناعوري الذي لم يكن في ما ساقه الا كنافخ في رماد••

بغداد وحيد الدين بهاء الدين

تقديم لكتاب

التحليل النفسي للذات العربية

بقلم المؤلف : الدكتور علي زيعور

من المألوف ان يقدم الكاتب عمله لقرائه عبر مجلة يعتز بصداقتها ، ويحترم انغراسها المثمر في التاريخ الثقافي العربي. فيما يلي توطئة تقول ماهو مؤلفنا: « التحليل النفسي ...»●

(...) حاولنا دراسة عدم التوازن بين الذات العربية وحقلها ، او الخلل في الصحة الانفعالية الذي يمثل خاصة في عدم الشعور بالرضى عن الذات في المجتمع ، وعن المجتمع امام « الحضارة العالمية » . كأن انساننا اليوم مطروح في حقل هو في موقف العدو له : لا ينال الفرد من مجتمعه قيمة ، ولا يأخذ اشباعا لحاجياته ومشاعره بالامن والثقة .

ونحن نرى ان توفير تلك الصحة ، التي هي توازن بين الانا وحقلها المنفتح على العالم ، يحرر الطاقات الابداعية، ويصوغ النظرة الاصيلة للرد على مجابهات العصر . من اجل ذلك البناء الاثنيني ــ الصحة الانفعالية في الفرد والاستقرار المعقلن في المجتمع ــ كان عملنا مجمل نظرات ناقدة للسلوك والفكر من جهة ، وعلى التراث وواقع المجتمع من جهة اخرى . لهذا تتراكم هنا نداءات الاصلاح المعروفة (في اللغة، والقوانين، وتوفير العمل والاداة والعقلنة ...) مع الدعوات للتنمية الشاملة ، ولايجاد صيغة تصون بها الذات نفسها وتتحرر ، هي ومجتمعها ، من فكين : الواقع القاسي والمثل الاعلى الصعب المنال .

● التحليل النفسي للذات العربية ، انماطها السلوكية والاسطورية . دار الطليعة ، بيروت، ١٩٧٧ .

لقد شددنا على قيمة العوامل الثقافية والاخلاقية والوجدانية التي تحافظ على الدينامية للذات ، وتقدر على تقديم العلاج الى جانب ما يقدمه ايضـــا العقلي والعملي. فالشخصية العربية مصابة بترجرج وقلق ، وتخلخل في القيم ومشاعر الامن والانتماء. نلاحظ اضطرابها دون صعوبة : هنـــاك الــوعي بالتخلف، وبتسليط الآخرين ، وفشل التجارب الانهاضية . اما اسباب عـــدم استقرارها فتكمن في التقلبات السريعة للحوادث ، والتغير الهائل في كل مجال في العالم ، والمخاوف على المستقبل ، والازدواجيات (في المبادىء والواقع، في السلوك ، في الحضارة ...) ، وتعدد الافكاريات وتناقضها داخل القطــر الواحد . كما ان لحياة المدينة ، ولتأثير الثقافة غير العربية ، وتجريح الوعي والحاملات التاريخية ، سببا في تقلقل تلك الشخصية .

وبعد ، تترابط فصول هذا الكتاب ، بل وحتى عناوين الفصل الواحد او الجمل احيانا ، من الداخل وبشكل ايحائي احايين كثيرة . ولعل سبب ذلــك كون الموضوع كثيفا ، او هو كالأجمة غزير . ثم يبدو ان مصطلحات جمـــة تستلزم التعريف مثل : باعث ، حافز، اوالية ، ثقافة ، نمط ، مهجن ، وأن بعض العناوين او الفصول تستلزم بحثا اطول او تبدو متسرعة لا تقدم نظرة المؤلف الى القضية ، وان الاهتمام بالاطر النفسية وبالداخلي واسلوب العيش يفوق الاهتمام بالمجتمع والاجتماعي، وان المراجع والهوامش لا تكفي او نادرةاحيانا. ذلك قريب من الصحيح، لكن الى حد. نظيره ايضا ما قد يبدو انه تناقض بين الدعوة هنا الى احترام الابعاد التاريخية وبين الهجوم عليها الذي هــو بالحقيقة نقد لا تهجم ، وتحليل على ضوء الظروف لا تجريح.

اما المناهج فتنطلق من اعتبار الذات العربية زبونا Patient هو موضوع حي ، ووحدة دراسية منغرسة في التاريخ ، وكل مستمر . وبالتالي فقد لجأنا ــ بغية التعرف على ذلك العميل ــ الى الطرائق التجريبية (ملاحظة، تسجيل، تحقيقات ميدانية ، مناهج مقارنة) والى الطرائق العيادية (التحادث ، الملاحظة، الروائز، اختبارات الاسقاط). ثم بدا كما ولو ان الذات هذه قد استلقــت

على اريكة، في جو هادىء، واخذ المحلل النفسي ـ الجالس قبالتها في جلسات، وراءها في اخرى ـ يستكشف لا وعيها الفردي ولا وعيها الجماعي • وهكذا فقد جرى تقصي طفولتها ، وتقري اوضاعها الاسرية ، وجروحاتها الصامتة او الحوادث المعيقة للتقدم المكبوتة • وحصل ايضا تحليل بعض مشكلاتها الجنسية والدينية ، ومعالجة شبكاتها الفكرية والاخلاقية ضمن وسائلها الانتاجيـــة ومستوياتها المعيشية المتفاوتة •

ظهر العلاج شاقا • والاهم انه مبثوث تارة ، وبدا في نسق بارز ـ وعقب الانتهاء من « الجلسات » التحليلية ـ تارة اخرى • ذلك كان لاننا نؤمن بـان التحليل للذات التاريخية ، وهو الذي يتطلب بكثرة التحادث معها والمحاورة، يستلزم منهجا يقضي بتقويم النظرة كلما بدا الزيغ في سلوك الزبون ، دون اغفال بالطبع لضرورة تقديم العلاج الشامل اي النسق « الشافي » غب التعرف على الشخصية وخللها في حقلها • ●

علي زيعـــور
كلية الاداب ـ الجامعة اللبنانية

● الدكتور زيعور من قرائنا القدامى ، ومن الذين ساهموا في تحرير مكتوبات المجلة • وهذا هو كتابه الرابع الذي يقدمه للمهتمين بعلم النفس وبالتحليل النفسي على الخصوص. (العرفان)

ســد عليــه السبـــل

دخل احد الشعراء على ملك فاستأذنه في الكلام ، فقال له الملك لــي شروط • فقال : وما هي ؟ فقال : ان لا تمدحني في وجهي فاني اعرف منـك بنفسي ، فان قلت في حقا فقد تقدمت فيه معرفتي • وان قلت كذبا ، كنـت ساخرا مني • وعلى ان لا تكذبني على ضميرك ، فانه لا رأي لكذوب • وعلى ان لا تغتاب عندي احدا ، فان الاغتياب لا يرضى به لنفسه الا ذو النقـص والامتهان • فقال الرجل للملك : أفأنصرف ؟ قال : اذا شئت •

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

نحن نحب ان نتكلم عن كل بلد وكل قطر نزوره في كل رحلة من رحلاتنا ، ولكن تداخل الاسفار ووفرة مواد العرفان وكثرتها تدفعنا الى اختصار ما نكتب وهناك مدن تحتاج الكتابة عنها للتطويل ، بل الى عددخاص حتى يستكمل الانسان مافيها ، ويقارن بين ماضيها وحاضرها . على انا هنا نبادر الى شكر وزارتي الاعلام في الكويت والعراق لضيافتهما الكريمة لصاحب العرفان ، ثم انفي الكويت افرادا يا رعاهم الله يشاركون في الاعمال النافعة وينفقون مما افاء الله عليهم من نعمته ، ولولا كثرة المرتزقة والنصابين لكان الحال افضل ، والنتيجة أميز ، على ان هناك مثرين آخرين لا يميزون بين الجوهر والعرض والغث والسمين ، فيدفعون كثيرا لمن لا يستحق ويحرمون من يستحق . وكل له الخيار فيما يفعل وما يتصرف . ولا بد لنا هنا من شكر أنصار العرفان بالكويت اثناء سفرتنا اليها بالشهر الثالث من السنة الماضية ولا اغالي اذا قلت انهم مع معالي الاخ الدكتور علي الصافي من العراق والاخ الدكتور اسماعيل عباس من لبنان هم الذين دفعوا عجلة العرفان الى الاستمرار وعدم التوقف رغم ان ما دفعوه لا يعادل اجرة عددين ممتازين من اعداد العرفان، وهؤلاء السادة هم : السيد محمد الشيرازي والسيد ابراهيم جمال الدين والحاج يعقوب البهبهاني والحاج زيد الكاظمي والحاج محمد قبازرد، والسيد تقي مصطفوي ، والحاج ابراهيم محمود جوهر حياة والحاج احمد بهمن واخوانه والحاج مهدي حبيب واخوانه والحاج حسين عبد الكريم

معرفي والحاج يوسف بهبهاني واولاده ، والحاج حمزه مغامس واخـواتـه والحاج عبد الستار آغا علي ، والحاج حسن الشواف ، والحاج عيسى السيد حسين اليوسفي ، والحاج علي يوسف المتروك ، والمرحوم الشيـــخ حبيب المزيدي ، والحـاج حسين العطـار وامين عيـدال ، ومصطفى حـب الله ، وطالب وعبد الله محمد جمـال .

ولا ننسى صديقنا وكيل العرفان الاسبق في الكويت ومن انصـــاره المعنويين الاخ الاستاذ عبد الصمد تركي ، اما وكيلنا الحالي المؤمن الصامت الذي يبتعد عن الكنفشة والظهور السيد مرتضى الموسوي الخباز فيعـجز القلم عن شكره . وانا لنأسف ونقولها بمرارة ان العاملين في الكويت وهم يملأون سوق واجف وما حوله وبينهم اغنياء لا يفكرون بالاشتراك بالعرفان على الاقل ان لم يكن بمناصرته اذا استثنينا الاخ الغيور الاستاذ مصطفـى حب الله المصور الشهير والنسيبين ابراهيم وهاني شفيق الزين وهكذا ينطبق المثل العامي : « عيش كتير بتشوف كتير ». وكذلك الحال في لبنان .

واما في العراق فلا بد لنا بعد الاخ معالي الدكتور علي الصافي طبعـا من شكر السادة الاتية اسماؤهم : الشيخ محمد مهدي الخالصي ، السيد سلمان هادي الطعمة ، السيد عبد الرزاق الحسني ، ناجي جواد ، خضر عبـــاس الصالحي .

والشكر كل الشكر للاخ الاستاذ سالم الآلوسي الذي كلما وردنـــا العراق سقانا من معين محبته وكرمه ووفائه .

لا بد لنا من عودة الى موضوع الرحلات ، فانما أدب الرحـلات شيق والحديث عنه لطيف ، ولكن مع الاسف لم نزل في قلق نمسي نفكر في المستقبل وهل نتمكن من الاستمرار والبقاء بعد الكارثة التي حلت بنا والمحنة الـتي أصابتنا .. والى اللقاء في العدد القادم .

نزار الزين

وَإذا الصُّحُفُ نُشِرت

العربية الفصحى في مدارج جمع شمل ..

● الفصحى

● القرآن

انصرفت قبائل العرب في شعرها ونثرها عن لهجـــاتها المختلفـة الى الفصحـى

بقلم : الدكتور شوقي ضيف
استاذ الادب العربي بكلية اداب القاهرة

نستطيع اذا سايرنا لغتنا الفصحى متصعدين معها في التاريخ ان نلاحظ انها كانت دائما رمز وحدة العرب وقوميتهم ، فهي العروة الوثقى والجامعـة المثلى التي طالما ضمت قلوبهم بعضهم الى بعض ، فمضوا يشقون طريقهـم الى تحقيق امانيهم السايسية والاجتماعية متعاونين متآزرين ، لا يهنون ولا يضعفون ، بل ينفذون كاللهب المستعر الى ما يريدون .

كانت للقبائل العربية لهجات ، ولكنهـم التزمـوا في شعرهم ونثرهم لغة واحدة

ولنعد ادراجنا الى العصر الجاهلي فاننا نجدها قد تم تكونها فيـــه واتخذتها القبائل العربية الشمالية لسانا لها يعبر عن عقلها وشعورها ، وكانـت لكل قبيلة لهجتها الخاصة ، غير انها لم تصدر عنها في شعرها ونثرها ، انمـا صدرت عن لغة ادبية واحدة ، هي هذه الفصحى المعربة التي نظن انها كانت لغة قريش . وكأنما رأى الجاهليون ببصيرتهم النافذة انه لا بد لهـم ان

يجتمعوا على لغة بينها ، حتى يحققوا ما يطمحون اليه من سيادتهم واعتزازهم بقوميتهم ازاء الغزو المنظم في الشمال من قبل الروم في الغرب ، والفرس في الشرق ، والغزو الآخر المنظم في الجنوب من قبل الاحباش •

لغة عربية ادبيـة واحدة بدات في الجزيرة العربيـة من القـرن الاول الميـلادي

ولا ريب في ان هذا الطموح لاتخاذ لغة ادبية واحدة بدأ مبكرا منـذ القرون الاولى للميلاد ، لكنه لم يتحقق تماما الا منذ اواخر القرن الخامس الميلادي ، واذا لغة عامة تشيع بين القبائل العربية الشمالية ، واذا العرب جميعا يلتفون حول مكة حامية الوثنية حينئذ ومركزها ، وقد امسكت بزمام القوافل التجارية التي كان يمسك بها اليمنيون في عصور استقلالهم والتي كانت تنقل العروض والسلع بين المحيط الهندي والخليج العربي وبحر الروم ، واذا كثير من اليمنيين انفسهم يهجرون لغتهم الحميرية ويتخذون العربية الفصحى لسانا لهم • يدل على ذلك اوضح الدلالة ان الوفود الجنوبية لم تتخذ حين وفدت على ارسول صلى الله عليه وسلم مترجمين بينها وبينه ، بل كانت تستمع الى هديه ويستمع اليها في نفس اللغة الشمالية المعربة التي نزل بها الذكر الحكيم•

وجـاء القرآن فـدعم هذه اللغة العربية الواحـدة ، ومـدها الى سـائر الاقطـار

وهذا التاريخ الاول للغتنا الفصحى المعربة وما انبعث معه من شعـور عميق بانها رمز القومية العربية وشخصية العرب المعنوية دعمه الاسـلام والقرآن الكريم ، اذ اخذت تفرض هذه اللغة سلطانها في بيئات جديدة متفرقة في اقطار الارض ، ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط آسيا الى جبال البرانس في شمال اسبانيا ، ولم تستطع لغة من لغات هـذه البيئات ان تثبت لها او تحول بينها وبين سيادتها • وقد يكون من اسباب ذلك انها كانت لغة القرآن الكريم ، وقد يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفـني بحيث لم تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات ، ومهما تكن الاسباب

فانها اصبحت لغة قومية لامم وشعوب قد تختلف وتتباين في اجناسها واصل نشأتها ، ولكنها تأتلف وتتحد في عروبتها ، فهي جميعا تنضوي تحت لوائها، وتتلقن لسانها وتعب من قرآنها وشعرها وبيانها ، ولا تلبث ان تعيش لها وبها، وتحيي فيها حياتها المعنوية : الادبية والعقلية ، وهي ما تزال الى اليوم لغة شعوب الشرق العربي من الخليج الى المحيط الاطلسي تتوهج جذوتها وترسل ضوءها وشررها الى كل مكان • حتى في امريكا ، فقد تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال تضيىء في مجلاتهم وآثارهم الادبية •

اللغة العربية وسعت ثقافات الفرس
واليونان والهند ومصر واللاتين كذلك

وواضح انها اجتازت آمادا واحقابا متطاولة من الزمن ، وقد ألمت بها خطوب كثيرة ولكنها وقفت في طريقها كالصخرة في مجرى السيل ، يلم بها ثم يزايلها • وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور ، بل لقد تطورت اطوارا كثيرة بحكم ما التقت به من ثقافات ، وقد حولت اليها وصبت فيها ثقافات الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية ، فوسعتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير ، وكأنما اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من الفكر والمعرفة ، وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته ، بل يجري غزيرا زاخرا متدفقا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود بين الامم والشعوب•

اللغة العربية وحدت بين شعوب كثيرة

ولقد وحدت اللغة العربية بين هذه الشعوب والامم ، فاذا هي جميعها عالم عربي واحد مهما تدانت او تباعدت ، ومهما شرقت او غربت • فقد اقبل على هذه اللغة الفصحى الادباء من كل قطر عربي ينتجون فيها شعرهم ونثرهم•

واتسعت اللغة لفنون من التطور في نثر وفي شعر

وتطوروا بهذا الشعر والنثر فنونا من التطور تختلف سرعة وبطئا وقوة وضعفا ، وهم في ذلك لا يخرجون على عمودها واصولها اللغوية الفصيحة•

وقد استحدثوا ضروبا من الشعر والنثر لم تستعص عليها هذه الاصول ، بل أخذت تستوعبها استيعابا رائعا ، خذ الشعر مثلا فهو ، مهما اختلفت عليـــه الاجيال والعصور والاقاليم ، ومهما اختلف عليه من احداث وخطوب ، يجري في صورتها الجزلة المصقولة صورة لا تنبو على القديم ، بل تستمد من كيانها وقوتها وروعتها •

ابـــو نواس يثور عــلى وصف الاطــلال
ثم يعود اليه

وقد يثور الشعراء على بعض موضوعات الشعر القديمة على نحو مــا ثار ابو نواس على وصف الاطلال ، ولكن ابا نواس نفسه يعود فيصفها،وكأنها جواهر الشعر العربي لا يستطيع شاعر ان ينبذه او يهجره الا الى حين ، فاذا رجع الى نفسه عاد اليه •

ويخوض ابو نواس وغيره في موضوعات حديثة تلائم عصورهم فتنهض بها الفصحى وتؤديها اداء مبينا فيه قوة وجمال •

وجدد شعراء الاندلس ، فاسعفتهم الفصحى

ويحاول شعراء الاندلس ان يجددوا في صورة القصيدة فيستحدثـــوا الموشحات ، ويتخذوا فيها من الادوار والاقفال وحدتين بدلا من وحدة البيت القديمة مزاوجين في الموشحة بين اوزان وقوافٍ مختلفة ، وتسعفهم الفصحــى بما يريدون ، فهي لا تتخلف عن اي صورة من صور التجديد مهما يكن في اللفظ والمعنى او في الشكل والمضمون •

واتسعت الفصحى لفنون الفلسفة والمعرفة

وعلى غرار الشعر وسعت هذه اللغة فنون المعرفة والفلسفة التي ترجمت في اول الامر • ثم شارك فيها ابناؤها ، فاذا منهم العلماء والفلاسفة الذين تعنو لهم الوجوه •

ومن غير شك احتاجت الفلسفة كما احتاج العلم الى ألفاظ جديدة، ولم

تلبث هذه الالفاظ ان وصفت اما عن طريق النحت والاشتقاق والاصطلاح، او عن طريق التعريب ، وهو تعريب صقلت فيه الالفاظ الاجنبية بحيث غدت عربية في وزنها . وحملت اللغة من ذلك احمالا كبيرة من الكلمات والالفاظ، ألفت فيها الكتب والمصنفات المعروفة .

واندمج عرب ومستعربون ، فكانوا بفضل اللغة امة واحدة

وتفوقت منذ العصر العباسي العناصر المستعربة على العناصر العربية الخالصة ، فكان كبار الشعراء والكتاب والعلماء والفلاسفة من المستعربين. بل لم يعد هناك عرب ومستعربون ، انما اصبحت هناك شعوب عربية ، تعيش في ادبها وفلسفتها وعلمها معيشة واحدة .

ويكتب كاتب في قرطبة كتابا ، فيقراه قارىء القاهرة وبغداد والحواضر جميعا

فما ينظمه شاعر في بغداد يقرؤه زميله في دمشق والقاهرة والقيروان ومراكش وقرطبة ، وما يكتبه كاتب في قرطبة يقرؤه زميله في تلك الحواضر، فكله ادب واحد ، وكلهم يصدرون عن اصول واحدة ، فيها الصلة التي لا تنبت بالقديم ، وفيها الصلة ببيئاتهم وعصورهم فهم جميعا عرب يشتركون في نفس المشاعر والاحاسيس ، وفي نفس الافكار والعقول . وبالمثل ما يكتبه اي اديب منهم في فن من فنون النثر فانه يصبح ملكا مشاعا بين الجميع ، واذا جدد اديب لونا من ألوان النثر ، كلون المقامة ، احتذى على مثاله شرقيون وغربيون، فلم يعد عمل شخص ولا عمل بيئة ، بل اصبح عمل كل الاشخاص والبيئات ، فليس بين شخص وآخر ولا بين بيئة واخرى تقاطع او تخاصم فهناك رحم وقربى موصولة ، هي قربى اللغة التي تعلو صلتها قرابة الجنس والدم ، لانها قربى الروح والفكر والشعور .

لم يكونوا علماء ايران ، ولا مصر ولا الشام

وانمـــا علمـاء لغـة وامة واحدة

ومن الخطأ ان تقول علماء العراق او ايران او الشام او مصر او المغرب او الاندلس ، فهم ليسوا علماء قطر او اقليم بعينه ، وانما هم علماء العالـم العربي جميعه ، يؤلفون فيما بينهم وحدة ، يبني فيها الخالف على ما وصل اليه السالف • وكذلك قل في الفلسفة وفي كل ضروب المعرفة •

وتستطيع ان تتبين ذلك في علم كعلم النحو ، فانت لا تستطيع ان تفهم النحو عند الشاميين والمصريين والاندلسيين والمغاربة وما صنفوا فيه مـــن مصنفات دون ان ترجع الى اصوله عندالبغداديين ومن قبلهم من البصريـين امثال سيبويه •

وانت كذلك لا تستطيع ان تفهم الفلسفة عند ابن رشد وابن طفـيل وغيرهما من الاندلسيين وغير الاندلسيين دون ان ترجع الى ما كتبه ابن سينا والفارابي وغيرهما من الايرانيين • وقل ذلك في اي فرع من فروع المعرفـة والفكر ، وقد كان الكتاب يؤلف في بغداد او في غيرها من الحواضر في الشرق الاوسط ، فيشرحه عالم في المغرب او في الاندلس ، والعكس بالعكس•

تراث واحـــد

فكله تراث واحد يسهم فيه العرب على اختلاف اقطارهم وعصورهـم واجيالهم تراث يتطور ويعمل في تطوره اناس مختلفون من الشرق والغرب• وحقا تقاطعت الاقاليم العربية فيما بينها احيانا تقاطعا سياسيا ، ولكن لم يحدث ان تقاطعت شعوب هذه الاقطار ادبيا وثقافيا ، فقد ظلت الصلة بينها وثيقـة، تحميها وتسندها اللغة العربية التي ربطت بين العقول والقلوب •

واتسعت اللغة الفصحى لما استحدث

العصر الحـــاضر من فنـون وعلـوم

وعلى نحو ما استطاعت ان تحمل كل ما صادفته في تاريخها القديم مـــن

ثقافات وآداب واستطاعت في عصرنا ان تحمل كل ما اخذناه عن الغرب من ثقافات علمية وادبية ومن نظم سياسية وقضائية وادارية • وقد اصبحت لغة العلم الحي الحديث تنشره في البلاد العربية ، واتسعت فنونها النثرية والشعرية فعرفنا المقالة والقصة والشعر القصصي والمسرحي ، ونهج شعراء بشعرهم نهجا رمزيا او سرياليا ، واسعفتهم هذه اللغة بكل ما ارادوا من صور التعبير ، وانطلقت تعمم ذلك وتشيعه في ديارها المتباعدة •

وكان ذلك معناه اتساع طاقتها التعبيرية ، وان لها من قوة شخصيتها وطبيعتها ما يمكنها من الافصاح عن كل ما يختلج في نفوس البشر وعقولهم• وقد اصبح لها في قلوب العرب من الجلال والروعة ما يشعرون معه اتهاجامعتهم التي لا يمكن ان تنقض ، ففيها تاريخهم وتراثهم وكل ما دار في عقول ونفوس آبائهم واسلافهم انها كيانهم وحياتهم وكل ما فكروا فيه وطمحوا اليه من آمال تحققت او يعملون على تحقيقها ، فهي تعبيرهم عن وجودهم وذاتهم وقوميتهم اليها يردون وعنها يصدحون ، والى ظلالها يفيئون ، فيجدون فيها غذاء عقولهم ومتاع قلوبهم وارواحهم متاعا كله جمال وروعة وجلال •

وجاءت اللغات المحلية ، احيانا ، منافسة
الفصحى ، فما استطاعت

وطوال العصور الوسطى والعصر الحديث نجد من ينحرفون عنها في الاقاليم العربية فيكتبون بعض آثارهم الادبية بلغاتهم المحلية ، وقد نجد في بعض ما كتبوه شيئا من اللذة والمتاع ، ولكنه لا يرتفع الى تراثها الادبي القيم ، وايضا فانه لا يصبح خاصا باقليمه لا يتجاوز الى الاقاليم الاخرى الا في القليل النادر ، لسبب طبيعي وهو انه لم يكتب في اللغة المعربة الفصحى، او بعبارة ادق لانه لم يكتب في اسلوبها الرفيع ، وهو اسلوب يقوم على الجزالة والمتانة والرصانة ، وليس هذا فحسب ، بل يقوم ايضا على الصفاء والعذوبة كأنه الرحيق المصفى •

الفصحى لحن الايام الخوالي ، ومعزوفة الحاضر

وهو اسلوب يهز العرب ، بل يهز افئدتهم في مشارق الارض ومغاربها، وكأنما هو موسيقاهم ، يحنون اليها حنينا يعبث بقلوبهم ونفوسهم ، وكأنما ينادي شيئا في اعماقهم ، فهم يشدون اليه مسجيبين ، او قل كأنما هو لحن وجودهم الذي يحمل اليهم ايامهم الخوالي ، بل لكأنما يحمل اليهم فرحة العمر ، فلا يسمعونه حتى تقشعر قلوبهم وتتفجر ينابيع السرور في ضمائرهم فهو اللحن القديم الجديد ، طالما عزفه شعراء العرب وادباؤهم وفلاسفتهم ورجال الفكر فيهم ، ولا يزالون يعزفونه عزفا مدويا ، يضم شملهم ويجمعهم ويلم كلمتهم في سبيل الوحدة والوعي القومي . انهم جماعة واحدة وقومية واحدة ذات لسان واحد، لسان كأنه القبس الالهي جمعهم عليه فاطرالسموات والارض ، ليؤدوا عملا واحدا ورسالة واحدة هي رسالة العزة والكرامة والقومية .

العربي — شوقي ضيف

عرف عددهم

روى ابن الجوزي قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، وجد المسلمون بالقرب من الماء رجلين ، الاول من قريش ، والاخر مولى لعقبة بن ابي معيط . فاما القرشي فأفلت من يد المسلمين وهرب . واما مولى عقبة فامسكوا به وجعلوا يسألونه عن عدد القوم فيقول : هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم . فجعل المسلمون اذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم ، فاجتهد النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبره فأبى. ثم ان النبي سأله كم ينحرون من الجزر ؟ فقال عشرا لكل يوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جزر لمائة رجل .

سنة اليأس من الحرب والسلام



ليس في الروزنامة اللبنانية اوراق وسنون قديمة او جديدة . فالايام كلها علامات استفهام . والساعة اللبنانية واقفة لانها لا تستطيع ان تعمل في وقت واحد على التوقيت الاميركي ، والسوفياتي، والاوروبي ، والعربي ، والاسرائيلي.

واللبناني لم يعد يملك ذاكرة خاصة ، ولا حلما خاصا ،ولا املا خاصا. فللمرة الاولى اصبحت حدود اللبناني هي حدود وطنه . واصبحت حياةاللبناني مثل مصير وطنه ، في مهب رياح الاخرين .

فكل جيوش العالم موجودة في لبنان باستثناء الجيش اللبناني . وكل حكومات العالم موجودة باستثناء الحكومة اللبنانية . واللبناني لم يعد يستطيع ان يأكل الا على مزاج الرئيس كارتر . ولا ان يشرب الا على مزاج الرئيس بريجنيف . ولا ان يقرأ او يكتب او يفكر الا على مزاج دول المنطقة. ولا ان يجد شرطي سير على المفارق الخطرة الا اذا كان على صدره قرار من قمة الرياض ، وموافقة من الجبارين الدوليين ، ومصادقة من مختار اوروبا الرئيس جيسكار ديستان .

كأنما في كل بيت لبناني جمعية امم . وكأنما خلف كل مسؤول جمعية مسؤولين غير مسؤولين .

واذا كانت سنة ١٩٧٧ هي سنة الطاقة في اميركا ، وسنة نهاية الماوية في الصين ، وسنة خفض التضخم في فرنسا ، وسنة الصعود الاخير لبريجنيف في الاتحاد السوفياتي ، فانها في لبنان سنة فريد روفايل .

واذا كنا نخاف قبل عامين من ان يأخذ الاخرون لبنان بالحرب ، فاننا نخاف الان من ان يأخذوه بالسلم .

هذا زمن العجائب يقول الرئيس السادات في حديثه الى « التايم » . فالرئيس المصري يزور القدس . ورئيس وزراء اسرائيل يزور مصر . لكن الاعجوبة الكبيرة المنتظرة لم تحدث . فالسلام يقترب على المسرح ويبتعد في الواقع . والذين اطلقوا على سنة ١٩٧٧ يوم ولادتها اسم سنة السلام . يسمونها عند الرحيل سنة اليأس من الحرب والسلام .

بلى ، ثمة اعجوبة واحدة تحققت . فالرئيس السادات تمنى عندما كان شابا ان يصبح ممثلا . وقد قرأ اعلانا في صحيفة مصرية يطلب ممثلين للعمل، فبعث ، كما يروي هو «للتايم» ، بصورته مع رسالة تقول انه يجيد تمثيل الادوار التراجيدية والكوميدية ، ولو انه يفضل الكوميديا . وها هو الان، كما تقول « التايم » التي اختارته رجل العام «ممثل ذو ارادة حديدية» بل هو اكبر نجم تلفزيوني في العالم . ولعل من الافضل تسمية عام ١٩٧٧ عام السادات وليس تسمية السادات رجل العام .



سنة اخرى في التيه العربي ، فالساعات هي اكثر الهدايا العرب . لكن الزمن خارج الحسابات العربية .

فهل هناك خارج الوقت الميت بين سنة قديمة وسنة جديدة وقت لاعادة النظر في الكثير من السياسات المزيفة والشعارات المزيفة والحقائق المزيفة؟

أليس من الافضل مصالحة الشعوب مع الحكام قبل مصالحة اسرائيل؟.

منذ ثلاثين سنة قيل : قضية فلسطين هي القضية العربية الوحيدة . وتحت اسم فلسطين وضعت كل القضايا الاخرى في الظل او اصبحت محرمة مثل التابو . فالحرية عيب وجريمة قبل التحرير . كذلك الخبز ، والثقافة المنفتحة، والديمقراطية .

وصارت التقدمية بديل التقدم وليس الطريق اليه . وصارت المحافظة

بديل الاستقرار وليس الطريق اليه • ولم يعد هناك صوت يعلو على صوت العسكر •

وها نحن الان امام المأزق الكبير • بدل تحرير فلسطين تحررت المنطقة من الديمقراطية تقريبا • وكثر السلاح وقل الخبز • وكثرت القيود وقل الفكر • وكانت هناك قضية فصار لدينا قضايا •

وما يقال علنا هو عكس ما يجري في السر • فالبعض يقول في السر ان تحرير فلسطين هو شعارات طلاب مدارس في المرحلة الرومنطيقية • ومجرد قبول الدخول في مفاوضات التسوية يعني الاعتراف غير المباشر بان عصر الجبارين لا يسمح بازالة اسرائيل •

والبعض الاخر يتحدث في السر عن « استحالة التحرير والبحث عن الوطن البديل » •

ولعل اكثر الذين يتحدثون عن الحرب هم الذين لا يريدونها • واكثر الذين يتحدثون عن التسوية هم الذين لا يريدونها • فالخوف من التسوية لا يقل عن الخوف من الحرب • لان التسوية تفتح كل السجلات المطوية وتخرج كل المواضيع المحرمة من التابو الى النور •



مأساتنا الكبيرة ليست في اننا نعيش في وضع استثنائي او في زمن استثنائي • بل في اننا نعيش في وضع مؤقت وزمان مؤقت • فالحياة في زمان استثنائي مغامرة عظيمة • لكن الحياة في زمان مؤقت موت آخر • بل هي قراءة يومية للاوروسكوب السياسي ، وانتظار الحظ •

والوطن لا يبنى على الحظ • والدولة لا تأتي باليانصيب • فهل تكون سنة ١٩٧٨ سنة الركض وراء الفرص بعدما كانت سنة ١٩٧٧ سنة الهرب من الفرص ؟

الانوار — رفيق خوري

اهم الاخبار والآراء

الشيخ محمد مهدي الخالصي
يحاضر في المعهد البابوي بالفاتيكان

الدين للحياة ، ولتيسير امور الناس في تصرفاتهم ومعاملاتهم ، وقد وضع للتقريب بين الناس لا للتباعد والتنافر ، وخصوصا في هذه الايام التي اتصل البشر بنا جميعا بعضهم ببعض في جميع اقطار الدنيا . والآية القرآنية في هذا المعنى صريحة : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فالمسلمون الذين تجمعهم شهادة « ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله » لا يوجد اي خلاف بينهم وانما السياسة هي التي فرقتهم وبعض عمائم السوء الذين يتاجرون بالدين وبالبدع والضلالات وبذر قرن الخلاف بين الطرفين ، والا فلا فرق بين



العلامة الخالصي يهدي قداسة البابا نسخة من القرآن الكريم

الجعفري والحنفي والشافعي « حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرام محمد حرام الى يوم القيامة ».

وبين المسلمين والمسيحيين الخلاف الديني لا يجب ان يجر الى خلاف سياسي طالما ان القرآن يقول « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الخ».

ومن هذا القبيل لبى سماحة العلامة الالمعي المجدد صاحب « جامعة مدينة العلم بالكاظمية» والذي يقيم صلاة الجمعة كما امر القرآن الكريم فيأتم به آلاف المصلين ، لبى دعوة المعهد البابوي بالفاتيكان لالقاء محاضرة عن «الفكر الاسلامي والتشيع» بمناسبة العام الجديد للمعهد ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ فذهب الى روما فالفاتيكان واجرى حوارا ومناقشات مع قداسة البابا والكرادلة وكبار رجال الدين المسيحي ، وقد رأى ان المناسبة تقضي بان يكون عنوان المحاضرة « العلاقة بين الاسلام والمسيحية » كما وردت بالقرآن الكريم الذي



العلامة الخالصي في حوار مع قداسة البابـا

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد بدأ بالايات التي تذكر السيدة مريم وعيسى«ع» وعلاقة المسلمين مع البشر عامة والمسيحيين خاصة •

وختم محاضرته الموفقة التي صفقوا لها كثيرا بالآية القرآنية الكريمة:
« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وان لا يتخذ بعضنا بعضكم اربابا من دون الله» •



قداسة البابا يمنح العلامة الخالصي وساما رفيعا

★ ★ ★

وقد منح قداسة البابا لسماحة الشيخ وساما رفيعا لا يعطى الا لرؤساء الدول • نرجو لسماحة الشيخ التوفيق والعزة والرفعة والنجاح في جميع أعماله • وسننشر المحاضرة مع شيء عن جامعة مدينة العلم بالكاظمية في القابل ان شاء الله •

الشيخ جابر الاحمد أمير الكويت الجديـــد



شيعت الكويت وسط مظاهر الحزن والاسى أمس ، اميرها الراحـــل الشيخ صباح السالم الصباح الذي توفي فجر ٣١ـ١٢ـ١٩٧٧ عن ٦٢ عامـا اثر اصابته بنوبة قلبية • وشارك في تشييع الجنازة عدد من الوفود الرسمية العربية ، وجماهير حاشدة من ابناء الكويت •

وقد تلقت العواصم العربية نبأ الوفاة بمشاعر الحزن والالم واعلنـت الحداد الرسمي وقررت ارسال وفود للتعزية •

وقال بيان رسمي ان الشيخ صباح الذي ادى اليمين الدستورية فيتشرين الثاني ١٩٦٥ ، توفي بنوبة قلبية في الساعة الثاية فجر امس •

واعلنت السلطات الكويتية حدادا رسميا لمدة ٤٠ يوما تنكس خلالهـا الاعلام • وصدرت اوامر باغلاق الدوائر والمؤسسات الحكومية لمدة ثلاثـة ايام حدادا على الامير الراحل •

وقال البيان ان مجلس لوزراء بناء على الدستور وقانون الخلافـــة الدستوري ، اعلن الشيخ جابر ولي العهد ورئيس الوزراء اميرا جديدا على البلاد •

وقد أقسم الامير الجديد اليمين الدستورية خلفا لابن عمه •

ولا يتوقع حدوث اي تغيير في سياسات الكويت • ويكاد يكون مـن المؤكد ان يحافظ الامير الجديد على خط التعاون الوثيق والتنسيق الراهن مع العواصم العربية ، وخاصة مع السعودية ودول الخليج • كما ان الكويت ستستمر في اتباع سياسة الحياد التقليدية التي تسير عليها •

والشيخ جابر الاحمد هو الامير الثالث عشر من آل الصباح ، وهو النجل الثالث للمغفور له الشيخ احمد الجابر امير الكويت السابق • وقد ولد بالكويت عام ١٩٢٨ ، وتعلم في مدارسها ، وشغل منصب رئيس الامن العام في منطقة الاحمدي من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٩ ، ثم منصب رئيس دائرة المالية واصبح اول وزير للمالية والاقتصاد ، فالمالية والصناعة عام ١٩٦٦ • ثم شغل منصب رئيس مجلس الوزراء وتولى منصب نائب الامير عندما كان يغيب عن البلاد الامير الراحل الذي رشحه في ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٦ ليكون وليا للعهد •

انصار العرفان في لبنان

★ ★ ★

١ ـ الشيخ علي الفقيه ٢ ـ الشيخ حسين معتوق

٣ ـ الشيخ محمد تقي الفقيه ٤ ـ الشيخ عبد الكريم شمس الدين

٥ ـ السيد عبد اللطيف فضل الله، وهذا السيد الشريف أردنا ان نهديه العرفان لقصيدته الرائعة في مؤسس العرفان فأبى الا ان يكون من انصار العرفان •

انصار العرفان في سورية

٦ ـ حسن ومحمد سعيد الزين ٧ ـ الحاج علي خليل

١ ـ الشيخ عبد الله العرفي ٢ ـ الشيخ حيدر العرفي

٣ ـ محمد رشيد العرفي ٤ ـ الحاج عبد الله الدبس

٥ ـ امين الحاني ٦ ـ سليمان النسر

مختارات من الحكم والخلق والبلاغة

ـ ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ـ قرآن كريم

ـ وقال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون (قرآن كريم)

ـ ان الامير اذا تجسس على الناس أفسدهم ـ

(محمد «ص»)

ـ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

(محمد «ص»)

ـ لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان ـ علي «ع»

ـ لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالادب ولا ظهير كالمشاورة . علي «ع»

ـ لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالادب ، ولا قائد كالتوفيق ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا ربح كالثواب ، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد في الحرام ، ولا علم كالتفكر ، ولا عبادة كأداء الفرائض ، ولا ايمان كالحياء والصبر ، ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم (ولا عز كالحلم) ولا مظاهرة أوثق من المشاورة .

علي «ع»

ـ ما قرن شيء الى شيء ، أحسن من حلم الى علم، ومن عفو الى مقدرة.

عمر بن عبد العزيز



بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

هذا الشهر أي شهر شباط « فبراير » وفي ٥ منــه بالتحديـد هـــو الذكرى السنوية لتأسيس العرفــان وكان ذلك سنة ١٩٠٩م ، الموافق ١ محرم سنة ١٣٢٧ هـ، وكان كل شيء في تلك الايام على التاريخ الهجري وهكــذا يكون قد مضى ٧١ عــاماً على تأسيس العرفان عدا ما يتبعه من جريــدة « جبــل عامل » وكتب كثيرة نشرتهــا مؤسســة مجلة العرفان لا حصـر لهـــا ، وقد كانت مدرســة سيارة يذكرهـا الكبار لـــلآن وكيف كانوا يتلونها على المـــلا في ساحات قراهم ، وتسمي الامهات كل كتاب او دفتر باسم العرفــان . لذلك زينــا جلد هذا العدد برسم « مؤسس العرفــان » وتقرر ان يكــون اليوبيل الماسي « للعرفــان » سنة ١٩٨٢ . وان يكــون هذا اليوبيــل عالميا يشمل لبنــان وبلاد العروبة والاســلام والمهاجر الــخ مما سنبينه في حينــه .

ــ الصحــافة المنكودة الحظ

والمهــدورة الحقـــوق

لا يوجـد أقسى ولا آلم من الضربة والمحنة التي اصيبت بها الصحافة في لبنــان بعد الحوادث الضارية التي تعرض لها هذا البلد الجميل ، معنويا

وماديا والتعويض على هذه الاضرار ماذا ؟ تصريحات واجتماعات وبهورات ، لا ورق ولا ورق بكسر الراء ، فالافلاس اذا منتظر ، وقانون تقاعد واسعاف الصحفيين ، أين صار ؟ في خبر كان !

ودار الصحافة لم تزل كما كانت منذ ١٥ عاما . وهكذا دواليك. والصحافة الثقافية السياسية مظلومة اكثر من الجميع ، فبلاد الناس تمدها بانواع الفيتامينات الا لبنان .

وكان الله في عوننا . والى العدد القادم لنسجل بعض تتمة رحلتنا الى الكويت والعراق .

نزار الزين

تالثهم اشعر

اجتمع جرير والفرزدق والاخطل ، وهم ثلاثة من رؤساء الشعراء في مجلس عبد الملك بن مروان ، فأحضر لهم رهانا من المال وقال : ليقل كل امرىء منكم بيتا في مدح نفسه ، وأيكم غلب وظفر ، فله هذا الرهان ، فبادر الفرزدق وقال :

انا القطران والشعراء جربى   وفي القطران للجربى شفاء

وقام الاخطل فقال :

فان تك زق زاملة فاني   انا الطاعون ليس له دواء

ثم نهض جرير وقال :

انا الموت الذي آتي عليكم   فليس لهارب منه نجاء

فقال له عبد الملك : لك الرهان غلبت خصميك ، فلعمري ان الموت يأتي على كل شيء .

اللغة العربية

بقلم: خوسيس العرفاني

اللغة العربية وهي من أمهات اللغات الحية ، ومن أغناها في المعـــاني والالفاظ وأوسعها في الكلمات والمترادفات يرميها بعض الجاهلين من أبنائها بالعقم وهي الولود ويعزوها خصومها الى الهرم وهي في ريعان الصبا وشرخ الشباب ، تلك لعمري داهية الدواهي وأم المصائب وبكر الاحن والنوائب .

رمــوني بعقم في الشبــاب وليتني عقمت ولم أحفل بقــول عـــداتي

ليست اللغة العربية أبنة يومها ووليدة أمسها بل هي من أقدم اللغـات التي تربت في حجور الآباء واحضان الامهات واذا صح أن حمورابي هو أقدم مشترع عربي وكتبت شريعته باللسان العربي ، فاللغة العربية كانت في أوج التقدم من أربعين قرنا لان الدولة الحمورابية التي نشأت في العراق وما بـين النهرين ونشرت آدابها وشريعتها في جزيرة العرب من أقصاها الى أقصاها ، كانت ذات مدنية باهرة وعلوم زاهرة ومدارس معتبرة حتى أن المرأة كـانت متمتعة بأكثر من حقوقها كالمرأة الغربية في عصرنا الحاضر .

ولو ألقينا نظرة على شعر الشعراء الجاهليين وحسن تصرفهم وجزالـة شعرهم لعجبنا وأي عجب من قوم سكنوا البوادي ولم يضربوا من المدنية بسهم ومع ذلك فقد جاءوا بكل لفظ طريف ومعنى دقيق ظريف ومن يقــرأ قول زهير ابن ابي سلمى في معلقته ولا يعجب به أشد الاعجاب لما جمع مـن الحكمة وفصل الخطاب قال :

رأيت سفاه الشيــخ لا حلم بعده وأن الفــتى بعـد السفاهة يحلــم

وأعلم ما في اليـوم والامس قبله ولكنني عن علم مـا في غـد عمي
ومن لـم يصـانع في امور كثيرة يضرس بأنيـاب ويوطأ بمنسـم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومـه يستغن عنه ويـذمـم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحـه يهدم ومن لا يظلم النـاس يظلـم
ومن هـاب أسباب المنايا ينلنـه ولو نـال أسبـاب السماء بسـلم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتـق الشتـم يشتـم
ومن يجعل المعروف في غير أهلـه يعـد حمـده ذمـا عليـه وينـدم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لـم يكـرم نفسـه لا يكـرم
ومهما تكن عنـد امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلـم
وكائن ترى من معجب لك شخصه زيادته او نقصـه في التكلـم
لسـان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبـق الا صورة اللحـم والدم

الى غيرها من المعلقات والمجمهرات والمنتقيـات والمذهبات والمـراثي والمشوبات والملحمات ولو أعملت النظر وسرحت رائد الفكر في خمريات ابي نواس ومدائح ابي تمام وغزليات البحتري وحكميات المتنبي وفخريات ابـي فراس وتشبيهات ابن المعتز وابن الرومي وفلسفيات المعري وبدائع الشريـف الرضي وغيرهم من سابق ولاحق ومتأخر لرأيت العجب العجاب ولأبصـرت ما يأسر لحسن موقعه الالباب وخطأت اولئك المعجبين الفخورين المفضلـين للشعراء الاعجميين كفيكتور هوغو وشكسبير وداتني وغيرهم لكن هو التقليد الاعمى وعدم التغلغـل في دراسة الآداب العربية وقلة التوغل في اسـتخراج تلك الكنوز المطمورة في الكتب ولد هذا الجهل الشائن والرأي الآفن •

ومن يك ذا فـم مر مريـض يجد مرا بـه المـاء الزلالا

ولو ألقيت نظرة صادقة على كتب فقه اللغة للثعالبي والالفاظ الكتابيـة

للاصفهاني والاضداد لابن الانباري والمزهر للسيوطي وغيرها لتمثلت لك عظمة تلك اللغة الغنية بألفاظها وتعابيرها ومترادفاتها ومتشابهاتها ولألفيت لبعض الاسماء كالشمس والاسد والبعير وسواها عدة اسماء ومنها ما بلغ الالف عدا حتى قيل ان للداهية اربعة آلاف اسم هذا فضلا عما امتازت به هذه اللغة من الدلالة على الكلمات حسب قوتها وضعفها كالخضم لاكل الرطب والقضم لأكل اليابس والقبض للأخذ بأطراف الانامل والقبض للاخذ بالكف كلها الى آخر ما هنالك وما اتسعت له من ضروب الملاحن قال ابن دريد تقول (والله ما سألت فلانا في حاجة قط) والحاجة ضرب من الشجر له شوك (وما رأيته) أي ما ضربت رئته (ولا كلمته) أي جرحته (ولا أعلمته أي ما جعلته أعلم أي ما شققت شفته العليا) (ولا أخذت منه كلبا) وهو المسمار في قائم السيف (ولا فهدا) وهو المسمار في وسط الرجل (ولا جارية) وهي السفينة (ولا شعيرة) وهي رأس المسمار من الفضة ولا صقرا وهو دبس الرطب (ولا كسرت لها سنا وهي قطعة من العشب تتفرق في الارض) (ولا ضرسا وهي قطعة من المطر تقع متفرقة في الارض) الخ..

أضف الى ذلك اختصار الكلم كقولهم الملوان والقمران والنحت الذي اشتهر عنهم كقولهم عبشمي للمنتسب الى عبد لشمس وتيملي للمنتسب الى بني تيم اللات وضبطر للرجل الشديد مركبه من ضبط وضر ويلحق بذلك البسملة والحمدله والتهليل وغيرها على أن النحت قليل في اللغة العربية بالنسبة الى غيرها من اللغات نظرا لاتساع مادتها وغزارة ينابيعها ولا كذلك غيرها التي ضاق عطفها ونضبت مواردهافاحتاجت لكثرة النحتحتى ان اللغات غير السامية لم ترجع موادها الاصلية الا الى بضعة مئات من الكلمات .

هذه اللغة الشريفة التي وسعت انواع العلوم واضراب الفنون التي تفوق بها العرب زمن الامويين في دمشق والعباسيين في بغداد والامويينوغيرهم في الاندلس والفاطميين في مصر تريد فئة من ابنائها او أدعيائها نبذها ظهريا وطرحها مكانا قصيا والاستعاضة عنها بلغات افرنجية ورطانة أعجمية .

أيهجرني قومي عفا الله عنهم الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعاب الافاعي في مسيل فرات

ولم ندر اذا فقدت لغتهم لمن ينتسبون واذا هانت ففي أي لغة يعتزون

أما الحكومة المنتدبة نفعنا الله بارشادها وهدانا الى معرفة جميلها وحسن بلائها وجهادها فقد نبذت اللغة العربية نبذ النواة ومن الغريب جدا ان امة خرج منها مثل دي ساسي وسيديلو وكوسان دي برسفال وجوبار وجسان هميرت وفلجانس فرنيل وآتيان كاترمار ونوال دي فرجه وجوزف رينو وسليمان منك وغيرهم كسكاترير وباروں وغرنج ولويس جاك برنيه وبيبرستين كازمرسكي وكليمان موله من المتوفين ومن المعاصرين دوسوركي وماسينيون واضرابهم ممن خدموا العربية أجل خدمة وعنوا بآدابها ومؤلفاتها لا تأخذ بناصر العربية ، ولا غرو فهؤلاء غير اولئك هؤلاء يعملون بقول عظيمهم نابوليون القائل (علموا الفرنسية ففي تعليمها خدمة الوطن) وقد صدق فيما قال ونحن لا ننكر عليهم ذلك .

وانما ننكر تلك التراجم السقيمة ولغة الدواوين المنحطة وهنات غير هينات لا يسع المقام الاحاطة بها ولو لم يكن الا التعليم لكفى فكيف بغيره مما هو أعظم وأدهى وكنا والترك على طرفي نقيض لغمطهم حقوق لغتنا قال قائلنا :

جاروا على لغة القرآن فانصدعت لها الشآم وضج البيت والحرم
فالقدس باكية والشام شاكية وفي الحجاز يكاد الركن ينحطم

ولعلهم يثوبون الى رشدهم حينما يرون أبناء هذه اللغة ضموها الى أحضانهم وايقنوا ان بها عزهم وعزة سلطانهم فيؤلفون بها انواع المؤلفات ويجمعون ما تفرق منها من الشتات ويضعون لها الجديد من الكلمات ويشتقون

لها ضروب المشتقات ويعلمون انها أغنى واوسع اللغات لان اصولها حــوت ثمانين ألف لفظة واشتق من كل لفظة عشر كلمات هذا والذي نراه أنه لا حياة حقيقية لهذه اللغة ما لم يجتمع ابناؤها في اقطار الارض ويجمعون على بنــاء جامعة كبرى تكون محط رحالهم ومرجع ابنائهم ويكون هناك مجمع علمـــي عام يرتبط به كافة علماء العربية في الشرق والغرق فيضع الاسماء للمصطلحات الجديدة ويطبع المؤلفات الطارفة والتليدة فتعتز العربية اعز الله انصارها وحيا في مشارق الارض ومغاربها علماءها وأحبارها .

أحمد عارف الزين

العهد "الدستور الأزلي"

عهد الامام للأشتر النخعي

ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك ولله فيه رضا ، فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك ، وأمنا لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم ، واتهم في ذلك حسن الظن . وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالامانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ، فانه ليس من فرائض الله شيء ، الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر . فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك ، فانه لا يجترىء على الله الا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته، ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق ، فان صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته ، وان تحيط بك من الله فيه طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك .

اياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فانه ليس شيء أدنى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة ، من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم

القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ، لان فيه قوة البدن ، وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك او سيفك او يدك بالعقوبة ، فان في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي الى أولياء المقتول حقهم .

واياك والاعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليحق ما يكون من احسان المحسنين.

واياك والمن على رعيتك باحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال الله تعالى : كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون .

واياك والعجلة بالامور قبل اوانها ، او التسقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت.فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه .

واياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة ، والتغابي عما تعنى به قد وضح للعيون ، فانه مأخوذ منك لغيرك ، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الامور ، وينتصف منك للمظلوم ، املك حمية انفك ، ومسورة حدك ،وسطوة يدك ، وغرب لسانك ، واحترس من كل ذلك بكف البادرة ، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك .

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة ، او سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، او فريضةفي كتاب الله ، فتقتدى بما شاهدت مماعملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما

عهدت اليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها .

وانا اسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه، مع حسن الثناء في العباد ، وجميل الاثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، انا اليه راجعون ، والسلام على رسول الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليما كثيرا ، والسلام .

حسن تصرف

حكي ان ابا بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، كان شاعرا مجيدا وكاتبا لامعا ، وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد جفوة ، لان الخوارزمي قد هجاه حيث قال :

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت ... كفاه بالجود حتى اخجل الديما
فانها خطرات من وساوسه ... يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

وفي بعض الايام ، قصد الخوارزمي الصاحب بن عباد ، وهو بارجان، فلما وصل الى بابه قال لاحد اصحابه :

قل للصاحب على الباب احد الادباء ، وهو يستأذنك بالدخول . فدخل الحاجب واعلمه . فقال الصاحب : قل له قد ألزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب.فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له الخوارزمي : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء.فدخل الحاجب واعاد عليه ما قاله . فقال الصاحب: هذا لا يكون الا ابا بكر الخوارزمي ، فأذن له بالدخول .

من رائدات الصحافة
جوليا طعمه دمشقيه
١٨٨٣ - ١٩٥٤

بقلم عيسى فتوح

اذا استعرضنا رائدات الصحافة النسائية في الوطن العربي، منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى اليوم ، كانت السيدة جوليا طعمه دمشقية في الطليعة، اذ تعتبر مجلتها « المرأة الجديدة » عاشر مجلة نسائية ظهرت في لبنان ، اما المجلات التي ظهرت قبلها ، وان لم تعش طويلا فهي :

١ ـ « الفردوس » ـ لويزا حبالين	١٨٩٦
٢ ـ الاعمال اليدوية ـ الانسة فاسيلا	١٩٠٨
٣ ـ العالم الجديد النسائي ـ انجلينا ابو شقرا	١٩٠٩
٤ ـ مرشد الاطفال ـ عفيفة كرم	١٩١٢
٥ ـ فتاة لبنان ـ سليمة ابي راشد	١٩١٤
٦ ـ منيرفا ـ ماري يني	١٩١٧
٧ ـ فتاة الوطن ـ ماري زمار	١٩١٩
٨ ـ الخدر ـ عفيفة صعب	١٩١٩
٩ ـ الفجر ـ نجلا ابي اللمع	١٩٢٠
١٠ ـ المرأة الجديدة ـ جوليا طعمة دمشقية	١٩٢١

اما اول مجلة نسائية ظهرت في الوطن العربي عامة فهي مجلة

« الفتاة » لهند نوفل ، وذلك في مصر عام ١٨٩٢ ، وكانت قد هاجرت اليها من لبنان في جملة من هاجر من اعلام الصحافة ، طلبا للحرية ، كمريسم مزهر صاحبة مجلة « مرآة الحسناء »، واستير مويال صاحبة « العائلة »، وانيسة عطا الله صاحبة « المرآة »، وروجينا عواد صاحبة « السعادة »، وروز انطون صاحبة « السيدات والبنات » ، ولبيبة هاشم صاحبة « فتاة الشرق » ، وملكة سعد صاحبة « الجنس اللطيف »...

ولدت جوليا طعمه دمشقية في قرية « المختارة » بلبنان عام ١٨٨٣ ، وتلقت علومها في مدرسة الفنون الاميركية في صيدا ، ثم انتقلت الى«كفرشيما» حيث اكملت دراستها الثانوية ، واصبحت معلمة فيما بعد ، لكن ميلها الشديد الى الصحافة كان اقوى ، فراحت تكتب المقالات وتنشرها في مجلات: «فتاة لبنان »، و «الحسناء» التي أسسها نصير المرآة جرجي نقولا باز عام ١٩٠٩ ، و « الفتاة » و «الفجر ». ولم تكتف باصدار مجلة « المرآة الجديدة » بل اصدرت الى جانبها اول مجلة للاطفال هي « سمير الصغار » في أول كانون الثاني عام ١٩٢٥ ، ثم جريدة «النديم» عام ١٩٣٣.

كذلك ألفت كتاب «مي في سورية» بمناسبة زيارة الاديبة مي زيادة لبنان وسورية عام ١٩٢٢ ومنذ ذلك الحين انعقدت بين الكاتبتين اواصر المودة والصداقة ، وراحتا تتبادلان الرسائل ... اما المناصب الادارية التي شغلتها فهي رئاسة الاتحاد النسائي اللبناني .

تزوجت من السيد بدر دمشقية ، متخطية بذلك الشكليات الدينية والمذهبية ، وظلت تكافح من اجل رفع مستوى المرأة العربية ، الى ان اصيبت بمرض عضال عام ١٩٣٤ اقعدها في الفراش عشرين عاما حتى توفيت في بيروت سنة ١٩٥٤ عن واحد وسبعين عاما .

لا اظن ان مجلة نسائية عربية صدرت قبل المرآة الجديدة او بعدها استطاعت ان تضاهيها او تكون في مستواها اخراجا وشكلا ومضمونا ، ويكفي ان نلقي نظرة على ابوابها الدائمة لندرك مدى رقي هذه المجلة الفريدة

التي بذلت صاحبتها وقتها وجهدها في سبيلها ، حتى غدت في طليعة المجلات النسائية العربية ، فقرظها عشرات الكتاب والصحفيين كأسعد خليل داغر ، وجبران التويني ، وبولس الخولي ، وفيليب حتي ، وحليم دموس ، وبدوي الجبل ، وجميل صدقي الزهاوي ، وسليم سركيس ، وجبر ضومط ، وتقولا فياض ، وداود قربان ، ونعوم لبكي ، ونجيب مشرق ، ومحي الدين النصولي مشيدين بمكانتها ، مقدرين فضلها وقيمتها ، اما ابوابها الدائمة فهي:

١ ـ مقال افتتاحي بعنوان « الى ابنة بلادي » تحرره جوليا نفسها كل شهر ٢ ـ اللطائف الشعرية ٣ ـ العاملات في النهضة النسائية ٤ ـ البيت ٥ ـ اعمال النساء ٦ ـ اشغال يدوية ٧ ـ العلم والفن ٨ ـ الصحة والجمال ٩ ـ حكاية الشهر ١٠ ـ رسائل ١١ ـ عالم الادب ١٢ ـ كل شيء ١٣ ـ حفظ الصحة والطب المنزلي ١٤ ـ اعظم الاشياء واغربها ١٥ ـ مرآة الكون ١٦ ـ الاعمال الخالدة واصحابها ١٧ ـ الفنون الجميلة ١٨ ـ حوادث واخبار ، ثم اضافت اليها في مطلع السنة الخامسة ١٩٢٥ بابين جديدين هما: أسئلة الطفل والاجوبة عليها ، وتفسير الاحلام . اما باب سمير الصغار فقد فصلته عن المجلة وجعلته مستقلا في ست عشرة صفحة ، يهدى شهريا الى مشتركي المجلة مع اجزائها دون زيادة في قيمة الاشتراك .

كانت غايتها من فصل باب سمير الصغار وجعله مجلة صغيرة تمكين الوالدين من تسليم الطفل مجلته بقطع يتفق مع ذوقه وسنه ، وتعويده على روح الاستقلال ، وحفظ اعداد المجلة نظيفة لاجل التجليد ، وتسهيل الاشتراك في سمير الصغار لمن يرغب من طلاب المدارس ، فلا يضطر الى دفع بدل اشتراك المجلة بكامله .

تضمنت مجلة « سمير الصغار » فوائد ونكات واسئلة وحكايات وألعابا مفيدة تساعد على تهذيب الطفل وانماء مداركه وتسليته ، وتقويم اخلاقه .

كانت مجلة المرأة الجديدة من اشهر وارقى المجلات النسائية عامة ، تصدر بانتظام في مطلع كل شهر على مدار السنة ، وتحوي من الابحاث ما يفيد ويمتع الكاتب والاديب ، والشاعر ، والتاجر ، والطالب ، والطالبة ، وربة المنزل ، والفتاة ، والصغار ، بالاضافة الى اخبار العالم والاختراعات ، وكل ذلك في ثمان واربعين صفحة من القطع الكبير .

لقد كانت الافتتاحيات التي تكتبها بعنوان « الى ابنة بلادي » دروسا قيمة في اصول الاخلاق والتربية والتقويم والارشاد ، فلنسمعها تقول في افتتاحية عدد ايار سنة ١٩٢٢ تحت عنوان « الجمال والمال » : « سيدتي ، اني اغبطك على جمالك الطبيعي لانه هبة الهيبة لا يتمكن امهر المتفننين من البشر ان يأتوا بمثله ، واذا استطاعوا تقليده فلا يستطيعون ان يجعلوه دائما . لماذا ؟ لان الجمال الحقيقي لا يأتي من الخارج بل من الداخل ، الجمال الخارجي مهما بلغ من البهرجة ومظاهر الثبات فانه زائل ، واذا كان مجلوبا بمساحيق معدنية ترك اثرا يضر بالبشرة ضررا بليغا » .

« اما الجمال الحقيقي فمصدره الدم ، وهذا يتخذ قوامه من الغذاء والرياضة والشمس والهواء ، ومتى صح الدم ، توردت الخدود ، ولمعت البشرة ، فصارت وضاءة حسنة » .

وقالت في رسالة بعثت بها الى مي زيادة : « ... نعم لقد قرأت لك كتابا كثيرة ، لكنني أظنها صادرة لا من جسد بل من روح تحوم في فضاء مصر لا قرار لها لتهبط فيه ، ولا هيكل لتأوي اليه ؟ وعلى هذا بقيت عندي روحا مجردة من كل شيء مادي ، لا اصدق وجود فتاة حقيقية باسم مي ... أراك مثالا لاعمالنا وجهادنا في سبيل النهضة النسائية في سورية ، وانا على يقين تام ان ليس من سيدة اخرى تخدم هذه النهضة الادبية المنشودة بقدر ما تخدمينها انت في كتاباتك السامية المؤثرة ... وعلى رغمي اختم هذا الحديث مصافحة اياك بكل محبة واخلاص » .

قالت عنها الاديبة اللبنانية اميلي فارس ابراهيم في كتابها « اديبات لبنانيات »:

« ... انها ما قطعت يوما ذلك الخيط المتين الذي يشدها الى ابناء وطنها تغضب لكرامتهم ، وتثور لحقهم ، توجه وتقود ، آية حس ، ورائدة مجتمع، تبعث روح المثابرة على المضي في دفع القافلة الى الامام ، مقعدة، كسيحة، عيية » .

عيسى فتوح

الى المشتركين في العرفان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنوء بحمله المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان تتدارك ما يمكن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكات في المجلة كما يلي :

واشتراك الانصار لا حد له .

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

٥ دنانير في البلادالعربية

١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربية

٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية

٥٠ دولارا جوا للخارج

١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسسات الرسمية والسفارات والبنوك والشركات بالبريد العادي

١٥٠ بالبريد الجوي

الشرقي والايماءة اللاذعة

بقلم: محمد شرارة

المدارس التي حافظت على التراث ، وصانت اللغة العربية وآدابها في الفترة المظلمة ، لم تكن كثيرة . وكانت النجف واحدة من اللواتي ساهمت في الصيانة وحماية التراث .

كانت رسالتها ورسالة أخواتها في بعض البلاد العربية احاطة اللغة باطار من الحماية . اما الابتكار والتجديد فلم يكن منه شيء ، بل لم يخطر ببال أحد . وكانت الاجيال تتعاقب وكأنها جيل واحد ممتد على مسافة واسعة من الزمن ، فلا تفاعل ، ولا صراع بين جديد وقديم ، بل لم يكن شيء يصح أن يسمى « جديدا » .لان الجيل الذي يأتي طبعة ثانية للجيل الذي أتى . وسارت الحياة في طريقها الروتيني ، وظلت ماشية فيه حتى وصل نابليون الى الشرق. وعندئذ ولدت البراغيث ، وبدأت تلسع النائمين ، كما بدأ التفاعل يلعب دورا متواضعا على المسرح الواسع . ثم تحولت البراغيث الى بعوض أو نحل ، او ما أشبه ذلك من اللواسع الضعيفة التي تكفيها حركة بسيطة لتكون بين الاصابع الساحقة.

مهما يكن فقد بدأت اليقظة التي سماها التاريخ « نهضة » ، وبدأت العيون ترى اشياء جديدة ، وأخذ الشباب العربي يذهب الى باريس وغيرها من عواصم الحضارة ، وكان ما كان من زحف الثقافة الناهضة على شواطيء

(١) هوستيد: هو العالم الانكليزي الذي كان مشغوفا بعالم الارواح ، وكان من دعاة السلام .

البحار . ثم تحول الزحف البطيء الى تغلغل ، وبدأت الصحف تظهر وتتحدث عن أشياء غريبة .

بعدئذ كانت الحرب العالمية الاولى التي كانت زلزالا في قواعد الانظمة الاقطاعية خاصة ، وولد عندئذ ما يمكن ان يسمى بالجيل الجديد . ثم بدأ الافراد يتفاوتون في النظر الى الاشياء، فلم تعد البنت نسخة ثانية لامها ، ولا الولد طبيعة جديدة لابيه . وكان دور الشعر في العالم العربي كله دورا رائدا في الصراع ... الشعر الذي خلقته حركة التفاعل .

الشرقي أحد الرواد الاوائل في الحركة الجديدة التي تجرأت على الاسوار بعدما غادرت القوقعة والبيوت المقفلة . ولم يكتف بالمغادرة ، بل راح يهز السور ويحاول ان يوجد فيه الثقوب التي تتحول الى نوافذ يمر بها الهواء .

في ذلك الزمن الصاعد من الركام غرقت الباخرة «تيتانيك» وغرق فيها عالم انكليزي معروف بالدعوة الى السلام . ويخترق النبأ أسوار النجف ، ويصل الى الشرقي ، فيأخذه النبأ الى وادي الدموع ، ثم يتحرك الشعر في روحه ، ويظهر في قصيدة بكائية غريبة:

وماء قد قرأت الشعر فيه — فردد بالخرير صدى قصيدي
هل انكسر الشعاع به انعكاسا — أم استعلى برسم من « ستيد »
أداعية السلام وقد تداعى — عليك سلام أرواح الجنود

لم يكن ، يومئذ ، غريبا ان يرتفع هذا الصوت في أي عاصمة من عواصم العالم ، ولكن ارتفاعه في النجف المحافظة كان بمثابة دقة في ناقوس حزين ينوح على عظيم من عظماء المسلمين في كنيسة من كنائس روما في العصور المظلمة .!

معنى ذلك ان الشرقي كان ظاهرة جديدة غريبة في بيئته الخاصة، وان

الروح العالمية يمكن ان تجد لها اناه في أشد البيئات انطواء على الذات ، وان للفكر والعاطفة مدرسة مشتركة تقفز فوق جميع الاسلاك :

بمدرسة العواطف قد نشأنا ودودا يشرئب الى ودود

والمدرسة المذكورة لم تكن سوى وحدة المشاعر في الاشفاق على الانسان والحرص على حياته وسعادته وحمايته من اسلحة الابادة التي بدأت يومئذ تطل على الحياة ، وتهدد الحضارة التي بنتها الجهود الانسانية المشتركة .

مثل هذه الظاهرة قفزة في التاريخ السائر ببطء شديد ، او يخطى خائفة خوفا قويا من الحركة ، والمدارس التي كان لها دور الساهر على التراث تمنح نفسها الحق المطلق في القيادة ولا يحق لاحد ان يتحرك الا باذنها . وربما كانت ثقة النجف بنفسها واعتدادها بقيمها اكثر من البقية . ولذلك كان على الذين لا يرون رأيها ان يختاروا بين البقاء فيها اذا قبلوا ما تفهم او الرحيل عنها اذا رفضوه . وكان الشرقي في طليعة الذين رفضوا الاوامر ، وندوا عن السرب ، وقبلوا المواجهة ، واستعدوا للرد على النار القادمة من مختلف الجبهات .

النار الاولى كانت من القيادة الدينية ، وقد أثبت تاريخها الطويل انها ضد الحركة سواء كانت في الجامع او في الكنيسة ، وانها غالبا ، ان لم يكن دائما ، مع «الماضي» او « الوراء » ... لقد حرمت المدرسة الحديثة، مثلا ، ولما قامت كان ابناؤها اول الذاهبين اليها . ثم قاومت بصورة أشد مدارس البنات . ولما فرضتها حركة التطور الاجتماعي كانت البنات مثل الابناء . وفي الاثناء كانت تقاوم الصحافة ، وتعتبرها نوعا من المباغي الفكرية . ثم كانت لها صحافتها التي تقاوم التقدم .

في وجه هذه السلطة المطلقة كان الشرقي من حملة الاعلام ، وكان يرد على النار بنار أقوى :

أيها البلبل المعلق في السجن سلام أصخت ام لن تصيخا

في رمـال التاريـخ آثار اقدام رفـاق تخطت التاريخـا
نفخـت في الجراب دهرا وولت فـورثنا جرابهـا المنفـوخـا
واذا بي ما بين أجربـة تمشـي على الارض سـادة وشيوخـا

ولم تكن النار عليها وحدها ، بل على التاريخ الذي لم يتجـاوز اثار الاقدام ... آثارها لا على الصخر ، مثلا ، بل على الرمال .! وهي وخزة من الوخزات العرسجية التي تنز رؤوسها دما ، او رصاصة دمدمية نفاذة . وفيها يتراءى سؤال كبير عن هذا التاريخ الذي لم يكن سوى أثر على الرمل يتركه قدم ، او حذاء . وأي شيء يستطيع ان يتركه قدم على الرمال .!

بالتأكيد لم يكن القصد من التاريخ معناه العام ، بل تاريخ الفئة التـي تتصدر القيادة في الوقت الذي لم تعط جزاء سوى «النفخ في الجراب» وهو وعاء من جلد ، او وعاء آخر من الاوعية التي يمج العرف الاجتماعي ذكرها . واللغة الانكليزية تسميه « Scoreum » ومهما يكن قصد الشاعر فانه غايـة بين السخريـة ذات الايحاءات الفولتيرية . والكلمة من الهجاء القاسي المشير الى « الفراغ » و « اليبس » و « الهواء ».!

هذا الجراب ونظائره هو الميراث الذي تركته الاقدام المتحركة عـلى الرمال .. والكلمات على بساطتها تكاد تكون عالما كبيرا من التداعي الشبيه بحجر المغناطيس . ولكنها ، على ما تحمله من دلالات ديناميه ، لا يخلو بعضها من قلق . فكلمة « رفاق » تحمل ألوانا من المعاني النفسية والفكرية والمبدئية تحول بينها وبين الاثر الذي خلفه النافخون في الجراب . وفي الوقت ذاتـه لا يمكن ان يكون هؤلاء رفاقا لمن يصب عليهم مثل هذه الكلمات الموغلـة في الهجاء المر .

وكلمة « رفاق » لم تكن موجودة في الابيات ، فقد قرأها لنا في سنة ١٩٤٠ هكذا :

في رمــال التــاريخ آثار اقــدام لقــوم تجــاوزوا التــاريخــــا

وكان ذلك في دار السيد ضياء بحر العلوم قاضي كربلاء ، ثم جاء البيت في الديوان كما نقلناه . وربما تكون عودة الضمير في « تخطت » و «ولت» هي التي استدعت هذا التغيير .. لقد أراد ان يتجنب عودة الضمير على المذكر فوقع في خطأ أكبر . وكلمة « تخطت » تشارك « الرفاق » في قلقها فقط، بل ايغالها في الخطأ . ان الشاعر يقصد بها «ماتت» وكلمة « ورثنا » تؤكد ذلك ، وهو قصد لا يمكن اقراره ، كما لا يمكن الدفاع عنه . فالكلمـــة تمني « التجاوز » و «السبق» واذا قيل : تجاوز الهدف كان معناه : خلفـه وراءه . وتخطى التاريخ : سبقه . ومعناه «سايكولوجيا» ان عمره العقلي اكبر من عمره الزمني والصفة تستدعي المدح لا الهجاء . ولذلـك كـانت الصورة مختلفة عن المضمون ، وهو يؤدي الى الاضطراب في الجانب الفني.

قبل الشرقي كان ابو العلاء يفتح النار ايضا على هذا الرعيل من الناس الذين ينطلقون دائما من المخادعة والتناقض بين القول والفعل :

رويدك قدخدعــت وأنــت حر بصاحب حيلة يعــظ النســاء
يحرم فيكــم الصهبــاء صبحا ويشربهــا على عمــد مســـاء
يقــول لكم غــدوت بلا كساء وفي لذاته رهــن الكســـاء
اذا فعــل الفتــى ما عنه ينهــى فمن جهتــين لا جهــة أســاء

والابيات لوحة بسيطة واضحة تتصل بجميع العقول . واختيار النساء في الوعظ لم يكن مصادفة . وهو مستمد من وضعها التاريخي المتـأخر في زمانه . وكلما كان العقل فارغا كان التصديق بالخرافات والدجل ســهلا، كما تكون الاستمالة الى ما يقال على المنابر اسهل . وعندما تكون المرأة هي الجانب الاخر في مثل هذه الشؤون تكون الاثارة في نفوس الاحرار أقــوى، لان القبول بما تقبل النساء اهانة خفية ، لا لانهن نساء ، بل لان الاكذوبة

والخرافة تجد لها بسرعة مكانا في الرؤوس العاجزة عن النقد ، وعن التمييز بين الذهب وبقية المعادن الملونة . والاشارة الخاطفة الى المساواة بين القادر والعاجز في قبول « الوعظ » تنزل القادرين الى مستوى العجزة . وتثير النخوة التي تستدعي الرد العملي من الجانب الآخر .

بعد الاشارة الخاطفة دخل في التفاصيل المتناقضة القاصة على هوة بين القول والعمل . واذا كان لوحدة الزمن شأن في اقرار التناقض كما يرى المنطق الصبوري ـ منطق ارسطو ، فان الفصل بين الصباح والمساء لا يخل بالوحدة ما دامت وحدة الشخصية قائمة . والواعظ لم يجعل الشيء الواحد موضوعا لحكمين مختلفين فقط ، بل استباح لنفسه في المساء ما كان يحرمه في الصباح ، وهو شيء يلفت النظر . وبعد ما اجتاز التفاصيل وصل الى النتيجة التي تتركز في مضاعفة الاساءة .

وكما كانت بعض كلمات الشاعر الاول بعيدة عن الدقة الفنية ، كان لها ما يماثلها في كلمات الثاني . فكلمة « حر » ، مثلا ، لا علاقة لها بالموازنة بين الفكر الثاقب والفكر السطحي ، او بين الفكر واللافكر اذ لوحظ رأي المعري بالمرأة . والفكر نفسه يبقى جناحا قادرا على الحركة سواء كان في السجن الضيق او الفضاء الرحب وان كان تحويل الفكر الى فعل بحاجة الى الحرية . والذي يريده ابو العلاء ان « الحيلة » التي تقوم عليها الموعظة خفيت على العقل المضيء كما خفيت على العقل المطفأة ضوؤه .

الالوان ايضا مشتركة بين الشاعرين في تلوين اللوحة ، ولكن اللون في اللوحة العائلية لا يجعل الواعظ شخصية متناقضة فقط ، بل يخرجه شحاذا مبتذلا يطلب الاجر الكبير على ما لقيه من الحيل في وجوه الناس ، ثم يحذر المجتمع منه ومن آكاذيبه . بينما يقتصر اللون في اللوحة الشرقية على اضاءة الصورة ولا يتدخل في التوجيه . ويبقى الشرقي بحدود هذه الاضاءة في قوله الآخر :

أنظـر الى سبحتـه تر الـذي أقـول لك
شيطانة بخيطهـا بين الثقوب قـد سلك
يـا ذرة من نفخنـا قـد ارتقت الى الفلك
ماسودت السبحة لكن قـد أرتنـا عملك

انها الصورة فقط ، وهي هنا كما كانت هناك لا تتدخل ، ولا تحاول ان تستميل القارىء او السامع ، بل تعتمد على وعيه واقتداره على التحليل والتركيب • و « السبحة » رمز اكليروسي يشير الى نوع من الامتياز القائم على اساس ديني تشترك في تكوينه جميع التصورات والافكار التراثية فنية كانت أو غيرها ، ثم تنتهي الى بناء ايديولوجي له حجاوته الخاصة وما يشترك مع الحجارة من وسائل في اقامة الهيكل الكبير •

الشرقي يتناول الرمز في اول بيت تناولا برقيا يعبز الى حملة الرمز الذي لم يكن سوى رئي شيطاني • واختيار الخيط للتشبيه تطرب له البلاغة التقليدية التي تجد في دقة الخيط الممتد بين الخرز والشيطان المتواري نوعا من الصفة المشتركة المركزة القائمة على الخفاء بين الخيط والشيطان • وعندئذ يتـراءى الظاهر نقيا يرتدي ثياب البراءة الطاهرة ، والباطن غيوم كبريتية تنطلق فـي أمواج متلاحقة وتمحو ما في الحياة والمعالم من جمال • واذا تكاملت اللوحة كانت هذه الفئة طاقة ابليسية عجيبة ترتدي ، على شرورها ، الزي الالهـي الذي تسيل منه خيرات العالم •!

الصورة على ما فيها من ابداع يقترب من النموذج لا تخلو مما يبدو وكأنه شيء دخيل عليها • فالبيت الثالث يكاد يكون عضوا زائدا لا علاقـة له بما قبله او بعده • واسناد المصدر « نفخ » الى ضمير المتكلم « نـا » انتقال من الشخصية الى وظيفة السبحة التي ينسبها لها الاكليروس الدينـي، وهو في الوقت نفسه انتقال من الغائب الى المتكلم الغريب عن الموضوع غربة

تامة . وهذا النوع ، وان سمته البلاغة التفاتا ، يشبه حطة الطائر المتعب الذي لم يكد يضع رجله على الارض حتى طار الى عشه . وكان للشاعر مجال بأن يسند المصدر الى ضمير الغائب ، ويقول : « من تمخه » بدل « تمخنا ». وعندئذ تكون الصورة اقرب الى الجملة الاعتراضية المقبولة وان بقيت خيوط الربط غامضة خفية ، يضاف الى ذلك ادخال نفسه فيما ينتقده ... ويبقى الشاعر سائرا في الخط نفسه عندما يقول :

هبط البلبل بالوحي على الروض وطارا
ابتلى من شرب الخمر فلاموه جهارا
ليت في كل حرام نشوة تعطي الخمارا!
لترى الناس كما اني ارى الناس سكارى

انه لا يتدخل ، ويبقى في حدود المراقب او الرواية . واذا تساءل متسائل: أي وحي ، وماذا كان ؟ جاء الجواب بانه صورة جديدة من صور الدجل القائم على التناقض بين العلن والسر ، او بين الظاهر والباطن ، او عودة الى الذي «يحرم الصهباء صباحا ويشربها مساء » ولكن الشرقي يمد النموذج وينقله من الخاص الى العام في اسلوب تفتيشي متحرك عائد بالوثائق التي يعود بها المفتشون من الوقائع .

في التشريع الديني لم تكن الخمر وحدها من المحرمات ، بل يضاف اليها كثير من الاشياء المعدودة من الكبائر التي تستوجب الحدود . ولكن الخمرة نمامة على شاربيها في الوقت الذي تبتعد بقية المحرمات عن النميمة وتحتفظ بأسرارها . والا فمن اين جاءت اللواقط ، مثلا ، لو كانت المحرمات كلها نمامة عما يجري وراء الستائر !.

في العالم الذي تخلص ، الى حد ما ، من العقد الذاتية والاجتماعية كثير من الاعترافات الكبيرة المدهشة . وفي العالم الباقي الرازح تحت عقده تشهد

عيادات الاطباء والمحاكم سيلا من الحوادث المثيرة • وذلك يشير ، ان لم يدل دلالة صارخة الى ان الواقع شيء والقوانين شيء آخر • واذا كان الواقع في واد ، والقوانين في اودية كانت نظرة الشاعر مستمدة من حركة الواقع، ومن صميم السير البشري • ولو قدر للنقد الذاتي ان يتبلور ويأخذ مكانته في الحياة لما كانت لهذه « الامنية » حاجة • ورؤية الشاعر لا تتعدى في روحها وجوهرها رؤية المسيح في دفاعه عن مريم المجدلية : « من لم يخطيء منكم فليرمها بحجر » واذا اختلفت عنها فلا تختلف بغير اسلوبها التهكمي اللاذع الذي يتجاوز اسلوب الوعظ الهاديء الساكن الى الاسلوب النامي الذي تتحرك فيه رؤوس الابر وشظايا الزجاج •

ميزة الساخر انه لا يجرد خصمه من المعرفة ، ولا يضعه في خانة الجهل، بل يضعه في خانة النفاق ، بينما الواعظ يتغاضى ، ويلقي اثناء تغاضيه قدرا من الاضاءة • ولذلك كانت السخرية اقرب الى الاثارة واشد عمقا في التحريك،

ان الذين رفعوا الايدي على المجدلية ، وحاولوا ان يوجهوا لها الحجارة كانوا يعرفون انفسهم كما يعرفون ان«الخطأ»او الخطيئة لم تكن من خصائصها الذاتية ، بل من خصائص اغلبية البشر ، ولكن المسيح تغاضى عن هذه المعرفة ووضع المشكلة في اناء آخر حتى يتجنب العناد ويصل الى الهدف بأبسط الامور • وربما اتخذ هذا الاسلوب من باب تدارك الحوادث قبل وقوعها ، لان الحجارة لم تزل على الارض ، او في الايدي ولما تنطلق ، بينما انطلق اللوم هناك ، ونزلت العقوبة بالشاربين ، واصبح الموقف بحاجة الى رد الصاع •• ومن هنا ولدت السخرية التي تمنت ان تكون النشوة في جميع المحرمات ، لا في الخمرة وحدها • ولو تمت هذه الامنية لما بقي سوى القليل في الغربال •!

كتب مرة احد الظرفاء كلمة بعنوان : « ما جره علي الصدق في يوم واحد » بعد ما قام بالتجربة • وما كاد يقترب المساء حتى كانت «قلة الذوق» و « السخف » وامثالها من الصفات تغمره وتفيض فوقه • وقد تنكر الناس

له . وابتدأ التنكر من اخته ، وامتد الى احب اصدقائه . والكذب من المحرمات المهمة . هذا على الصعيد الفردي ، اما على الصعيد الاجتماعي والسياسي فالمسألة اكبر . ولو سقطت الاكاذيب من الصحافة والاذاعة والكتب وغيرها من وسائل الاعلام لما كان «غوبلز» غريبا في هذا العالم . والفرق بينه وبين غيره انه كان اكثر حماقة ، واكثر وحشية . وكانت حماقته وحماقة رفاقه في المانيا النازية من حظ البشرية .

معنى ذلك ان نظرة الشاعر مملوءة بالتجربة ، وان « النشوة » لو كانت في جميع المحرمات لكان معظم الناس سكارى ..!

من ناحية الفكرة او المضمون لا غبار على الابيات ، اما من ناحية اللغة الفنية فلا تختلف عن الابيات السابقة ، فكلمة « اني» فرضها الوزن اكثر مما فرضها الفن ، والتعبير عن المضمون تكفيه بقية الكلمات : « لترى الناس كما أراهم » تقول بثينة : « وكما تراني يا جميل أراكا» . واذا كانت « النشوة» أول السكر فلا تستطيع انتعطي « الخمار » لانه الصداع الذي ينشأ عن الخمر .. وحتى لو كانت « سكرا » فلن تكون ذلك السكر القوي المؤدي الى الصداع . فالطلب منها ان تعطي الخمار تكليف بما لا تستطيعه. والشاعر يعرف اللغة واسرارها ولا تخفى عليه مثل هذه البسائط ، ولكنه كان يتسامح أحيانا .. سألته مرة عن « النفس » في البيت الثاني من قوله :

بين موتي وحياتي نفس طالما نبه قوما نفس

نفس الشاعر لاتصويره ميزة فوق المزايا النفس

فاجاب : « جميع الخصائص التي تشير الى التفرد بحيث تعرف القصيدة وتنسبها لصاحبها وان لم يذكر اسمه .» وأعدت السؤال : « هل تساعد اللغة على هذا التفسير ؟ » فكان جوابه: «الشرقي لايلتزم دائما بالقاموس..» ويظهر انه عدل عن رأيه فيما بعد ، لان البيتين محذوفان من القصيدة في الديوان ،وكانا في مطلع قصيدة « شهقات ».

في بعض الاحيان » تقتصر هذه الظاهرة على الكلمات ، بل تتعداها الى السياق حتى يبدو وكأن الخيط الذي يربط بين الكلمات مفقود او ضائع، او خفي كما يخفى الذهب في التراب :

ضاع النسيم وانما مفتاح قلبي الضائع
أأعيش ظمآنا ومن حولي تمج شرائع
كم مسجد يدعو لتفريق وقالوا جامع
الله صانع هذه الدنيا فما أنا صانع

فضياع النسيم ، ومفتاح القلب ، والعيشة الظامئة ، والمسجد خليط لا يؤلفه صورة متناسبة الابعاد ، ولا تتضح الا بكد ذهني وبحث عما وراء الكلمات من روابط .

فاذا ضاع النسيم ضاع القلب . ولكي نجد العلاقة بين « المفتاح الضائع » والعيشة الظامئة يجب ان نفهم بأن النسيم هو الحرية ، وان الجو الذي يعيش فيه الشاعر جو خانق . والمقصود به الجو الاجتماعي . وقد اشار لذلك في رباعية اخرى :

دعوا نظم السياسة في هدوء وثوروا للنظام الاجتماعي
أرى ثوب التطور مستعارا اذا هو لم تفصله المساعي
يمينا لو تبوعت الافاعي على صدري لما قصرن باعي
فشعبي لو تقوم له بشبر من المسعى تقدم في ذراع

وبالاعتماد على هذه الابيات يكون الجو السياسي بخير، والفصل بين السياسة والنظام الاجتماعي يشير الى سذاجة عجيبة لا تتناسب مع مستواه الفكري والثقافي . ومهما تكن وجهة نظره فقد كان ساكتا عن السياسة في عصره ، ان لم يكن راضيا ، بالرغم من فكره التقدمي . وفي ضوء النظرة

الى الانظمة يتضح الربط الغامض بين « الشرائع والمسجد » .

ان الشرائع واقعة بين « الظمأ » والمسجد . وكلتا الكلمتين تشدها اليها بقدر متساو من القوة . وهي تعني « موارد الماء » كما تعني « السنة » او « ما شرع الله لعباده من الاحكام » فاذا لوحظ « الظمأ » كانت ماء . واذا لوحظ المسجد كانت تشريعا دينيا . والكلمتان قرينتان تتجاذبان « الشرائع» وتحاول كل واحدة منهما ان تستولي عليها وتستأثر بها . واذا حاولنا ان نحل هذا التجاذب بجعل « الشرائع » تورية ، أبت التورية ان تدخلها في فصولها لان المعنى المشترك فيها يضعف في احد الطرفين ، ويقوى في الآخر :

فقالت : رح بربك من أمامي   فقلت لها : بربك أنت روحي

فالظاهر من قوله : « انت روحي » هو الرد على قولها: «رح من امامي» والمقصود أبعد بكثير من الظاهر ... انه يعني : « انت حياتي » وهو اكبر بكثير من « ظلي » او «ابق» التي هي الضد لـ «رح». فهل تتحمل «الشرائع» مثل هذه المعاني .! وهل تقوى فيها أحد المعنيين على الآخر.! واضح انها لا تتحمل شيئا من ذلك . ولكن الخط الفكري الذي ينطلق منه الشاعر ونظرته العامة تكاد تؤكد ان المقصود بها « السنة » او ابوابها او « السدنة » الذين حملوا الامانة وخانوا الرسالة ، لان رسالتها دعوة الى وحدة الكلمة وتعزيزها . ولكن الذي كان هو العكس تماما . ومن هنا تحول الجامع الى اداة تمزق المجتمع ، وتحول روابطه الى هلهلة . وربما كان البيت الثالث في الابيات السابقة هو المقصود الاساسي من الرباعية كلها . وعندئذ تنصرف كلمة « الظمأ » عن مدلولها اللفظي الى شيء آخر .

وربما كانت هذه الرباعية خلفية لما جاء في احدى قصائد الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، الشاعر النجفي الآخر :

مشت الناس على ضوء الهدى   للظلام

وتبعت القوم أعدو جاهلا ما أمامي
جرتي مملوءة خمرا وها أنا ظامي

ليتني أرشف فاها
عار فاسر لماها

ان في الجرة سرا كامنا لا أعيه

فالظمأ واحد ، والامنية متشابهة . وربما كانت « الجرة » هنا هي « الشرائع » هناك ، ولكنها ، على أي حال ، لم تكن جرة الاعشى، ولا الاخطل ولا ابي نواس . والدكتور عبدالرزق كان يسير ، الى حد ، في خط الشرقي قبل ان يكون دكتورا . وربما كانت ثوريته في شبابه اكبر من ثورية الشرقي. ولكنه انتهى كما انتهى اكثر اولئك الشباب الذين حملوا المصابيح الصغيرة، وبقيت النجف وهي تدور على كل تجدد ، وعلى كل ظاهرة تحاول تغييرها.

بغداد محمد شرارة

اخذ باخلاق اربعة

★ ★ ★

قيل ان عبد الملك برمروان استأذن بالدخول على معاوية بن ابي سفيان فأذن له . فدخل وسلم وجلس ، وبعد ان فرغ من حديثه قام وانصرف فقال معاوية : ما أكمل ادب هذا الفتى . فقال بعض الحاضرين . نعم يا امير المؤمنين اخذ بأخلاق اربعة ، وترك اخلاقا اربعة . اخذ باحسن البشر اذا لقي، وأحسن الحديث اذا حدث ، وباحسن الاستماع الى حديث ، واحسن الوفاء اذا وعد . وترك مزح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من لا يرجع الى الحق، وترك مخالطة من لا أدب عنده ، وترك من القول والعمل كل ما يعتذر منه.

الدكتور شبلي الشميل

١٨٦٠ – ١٩١٧

بقلم: فوزي سابا

ولد بكفرشيما بالقرب من بيروت سنة ١٨٦٠ وتوفي بمصر سنة ١٩١٧. تلقى دروسه الاولية في مدارس بلدته ثم انتقل الى الجامعة الاميركية في بيروت وكان زميلا في الدراسة ليعقوب صروف صاحب المقتطف الذي قال في تعريفه:

« ... جاء الشميل المدرسة الكلية الانجلية ـ الجامعة الاميركية اليوم ـ سنة ١٨٧٧ وله من العمر حوالي سبعة عشر عاما فتجاورنا على مقعد المدرسة سنتين. شاب قصير القامة، اسمر اللون، مرتد الثياب الفرنجية يوم كانت نادرة الاستعمال ـ هو من كفرشيما ضيعة استاذنا ناصيف اليازجي، وانا من ضيعة الشدياق، وكلانا يود ان يحتذي بابن بلده، فكنا نتنافس في اقتفاء أثرهما.

والشميل ابن بيت علم، اخواه ملحم وامين معلمان، ولهما تآليف في الفلسفة وابوهم من ادباء العصر. وفي سنة ١٨٨١ ترك شبلي الدراسة اذ صار طبيبا جسمانيا ثم عالما صريحا وفيلسوفا جريئا لا يحابي احدا.

كان حاد الذهن سريع التصور، نابغة في التعليل، المعيا في اكتشاف الحقائق، وكان اشهر الاطباء في التشخيص الطبي فكأنما يوحى اليه، وبلغت منه الفراسة انه علل حوادث كثيرة بالاستهواء الذاتي قبل شيوع هذا العلم في اوروبا.

وهو فوق ذلك، ذو ذاكرة ماضية وقوة استحضار فائقة، انيس المحضر

حسن المحاضرة ، فكه الحديث، طلق المحيا ، بشوش ، مخلص ، منصف ، ذو شجاعة ادبية تفوق الحد ، متغطرس على الظالمين ، متواضع للضعفاء البائسين، كريم لم يستفد من علمه ، ولو حرص على ماله حرصه على مقالاته لكان من الاغنياء ولعاش ميسورا موفورا . كان واسع الرواية قوي الحجة متحمسا لمعتقده .

وهذا النابغة العظيم هو زعيم فكرة التطور والنشوء والارتقاء في عالم الضاد . حاز شهادة الطب يوم كانت معركة النشوء والارتقاء حامية الوطيس في الغرب فنقل رحاها الى الشرق . قرأ عنها في المدرسة سنة ١٨٧١ فهزىء بها . لكنها شغلت باله ، فظلت تعمل في عقله الباطن ، حتى خطب عند نيله الشهادة في موضوع : « اختلاف الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية » . وكل ذلك عن غير قصد منه .

رحل بعد نيله الشهادة الى اوروبا والاستانة فاطلع على المذهب في كتب اصحابه ، وكأنه يعلل تحوله الى هذا الموضوع فيقول : « ان تربيتي المدرسية لم تسمني بطابعها فان اعتلال صحتي في حداثتي لم يسمح لي بأن اكون من متخرجي المدارس ما خلا الطب .

بعد رحلته الى اوروبا للعلم والتخصص استقر في مصر وهو ابن خمس وعشرون سنة فاقام في طنطا عشر سنوات ممارسا فيها الطب ، ثم انتقل الى القاهرة سنة ١٨٩٥ ، وفيها اصدر مجلة « الشفاء » عام ١٨٩٦ فسطع اسمه في عالم الفكر والادب ، حتى صار من اعلام النهضة الفكرية في الشرق وكان في طليعة الذين علموا الشباب التفكير العلمي الحر .

عندما كان الدكتور شبلي الشميل يجلس في « السبلنديار» القائم بالقرب من ادارة جريدة الاهرام ، كان كبار المفكرين من علماء وفقهاء يتحلقون من حوله ، يصغون اليه ، ولا يناقشونه ، وطالما تجاوز العرف في نشر آرائه لتأكدهم من انه ، كما يداويهم جسديا كان يقدم لهم هذا العلم اصلاحا

وتحضيرا ، فنظروا الى آرائه نظرة احترام وقبول مما صدره على اقرانه واحله مرتبة المعلم المثقف وعلى غرار الشيخ ابراهيم اليازجي الذي كان يقول لاي فقيه لغة الحنث ، كان للدكتور شبلي الشميل ان يقول لاي عالم انذاك اخطأت فالعلم هكذا ...

لكن الدكتور شبلي الشميل لم يقنع بعلم الطبيب ، بالرغم من قوله ، ان اعتلال صحتي في حداثتي لم يسمح لي بان اكون من متخرجي المدارس ما خلا الطب فانه جمع غير ضرب من العلوم من اجتماع وتطور وارتقاء وعلم الاحياء وفلسفة جدلية واقعية ، لنجده يقول :

ان اليوم الذي ينصرف فيه الانسان عن تنسيق الكلام الى اتقان العمل، هو اليوم الذي تتقوم فيه طباعه ، فتقل سخافته ويكثر جده ، ويقل رياؤه وينشط من البذل ، ويرتقي ارتقاء حقيقيا ، ويحق له حينئذ ان يعد نفسه انسانا .

والمزية الملازمة للدكتور الشميل انه جعل الفلسفة واقعا والواقع فلسفة، وبذلك استطاع مسح رواسب عصر الانحطاط من النفوس او على الاقل تأهيل النفوس لمحاولة التخلص من هذه الرواسب ، فانه فتح بابا واسعا للتفاعل بين الفكر المعاصر وآخر التطورات التي وصلت اليها الابحاث الاجتماعية في زمنه ، وكل ذلك بلغة بسيطة عليها طابع العلم وتحمل غير قليل من حيوية الاسلوب الادبي والنزعة الجدلية لنسمعه يقول في علم الهيئة :

ان كل حركة من حركات الانسان التي تأتي بداهة ، مهما خفيت ، اذا دققت النظر جيدا تجد ان لها مدلولا تدل عليه فهي لا تأتي اعتباطا ، ولكنها واقعة تحت شرائط وقوانين معلومة راسخة في الجسد كله ، ومتوافقة بعضها مع بعض بناموس المطابقة على ممر الاجيال بحيث ان كل مؤثر يطرأ على اي جزء من البدن يحدث فيه تأثيرا تهتز له سائر اعضاء هذا البدن ، وهذا التأثير انما من مطابقة حركات العضلات التي يتألف منها الجسد لانفعالات

الاعصاب التي تنقل التأثير وتتأثر منه بحسب ما يكون موافقا لها او غير موافق ، الا ان من هذا التأخير ما هو ظاهر لنا جيدا ويبدو لاقل عيان ، ومنه ما هو خفي . واشد اعضاء الانسان قبولا لهذا التأثير واعظمها اظهارا لـه عضلات الوجه بحيث ان أقل تأثير يشعر به الانسان يرتسم على ملامح وجهه ارتساما بديعا يظهر للمتأمل جيدا مهما اجتهد صاحبه في اخفائه حتى قيل في المثل السائر ، والقول حق « الوجه مرآة الانسان » مرآة تدل على حبه وكرهه وانبساطه وانقباضه وقبوله واصغائه وتشتت افكاره ورغبته ورهبته واعتباره واحتقاره اعراضه سلامته وخبثه وصدقه ومكره وبساطته ودهائه وذكائه وبلاءته وانسه ووحشته ولذته وأله ومرضه ، وبالجملة على كل حال من احواله الاصلية فيه والعارضة عليه . وليس للانسان لغة مشتركة بين أفراده مثل لغة ملامح وجهه ، فالبشر عموما يختلفون في اللغات التي يتحدثون بها ، ولكن قلما يختلفون في هذه اللغة البديهية الطبيعية التي هي فيهم اعرق من اللغات الاخر الحادثة لانها لغة كانت للانسان قبل ان يتيسر له النطق بلسانه وباجيال عديدة ...

ثم يسترسل في وصف هذه التأثيرات وعلاقتها بالعضلات ودلائلها ومعانيها واشكالها ، كذلك نقرأه في علم الاجتماع من مقال بعنوان « تاريخ الاجتماع الطبيعي ».

ان البحث في العمران لم يكن في القديم الا من هم بعض الحكماء ولم يبن على قواعد راهنة الا في هذا العصر وقريبا من هذا العهد وعما قليل سيصير درس سننه من اول الضروريات للانسان لان ارتقاء الانسان في التمدن له نتيجتان لازمتان وقد طالما عدهما الناس متناقضتين ، وهما نمو الحياة الشخصية ونمو الحياة الاجتماعية معا . فقد كان الاعتقاد سابقا ان ما يبذله الفرد في مصلحة الجمهور انما يبذله من مصلحة نفسه وبالعكس . ولم يكن يظن ان بين المصلحين ارتباطا شديدا ولذلك كانت شرائع البشر في القديم

أشد انحرافا لجانب الاستبداد واقل احتراما لجانب العدل في التعاون والاشتراك في المنفعة . ولم تتجل هذه الحقيقة كما ينبغي الا في هذا العصر ، اي بعد أن رسخت معارف البشر في العلوم الطبيعية وانجلى لهم بها ارتباط سنة هذا الكون فرأوا اتفاقا حيث كان سواهم يرى تناقضا ، وارتباطا حيث كان يرى انفصالا ، فرأوا مصلحة الفرد مرتبطة بمصلحة الجمهور وبالعكس ، ارتباطا شديدا حيث لا تتم حياة الواحد الا بحياة الاخر لانهم رأوا السنن الفاعلة في الاجتماع نفس السنن الفاعلة في الافراد . ولذلك قالوا ان الاجتماع لا تتم معرفة طبيعته وسننه الا بمعرفة طبيعة الافراد وسننها ، كما ان الجسم الحي لا تتم معرفة سننه الا بمعرفة سنن الكريات الحية التي يتركب فيها لان كل صفات الاجتماع في الخلق والاخلاق متصلة اليه من الافراد التي تؤلفه وكل صفات الافراد كذلك متوارثة فيهم ومنتقلة فيهم من الاجتماع، فاذا استقر بنا هذه السنن في تاريخ نشوءها الى اصلها الطبيعي ، خاليين من الغرض والتشيع انتقل بنا البحث في الاجتماع من دائرة الشريعة والسياسة الى دائرة علم الحياة ودخلنا في قسم من العلم الاجتماعي يمكن تسميته تاريخ الاجتماعات الطبيعي لان البحث حينئذ لا يقتصر على الحكم الوازع والاجتماعات السياسية بل يعم الاجتماعات البشرية كافة حتى الاجتماعات الحيوانية منها ...

هذا من حيث العلم ، أما اللغات فانه كتب باللغة الفرنسية كما كتب باللغة الانكليزية تماما كما في اللغة العربية ، كذلك لم تقتصر كتاباته على النثر بل تعدته الى الشعر ، ولئن قصر شعره عن نثره فانه حمله كثيرا من الفلسفة والعلم ، نسمعه يقول :

هو الحب اكسير الوجود بلا مرا   ولولاه ما كان الوجود كما ترى
فكل الذي تلقاه في الكون سره   وهاديه في افعاله كيفما نحا
هو الحي مولودا هو الميت فانيا   هو النجم قد اسرى هو الصبح والدجى

هو الكل في كل ، معيدا ومبدئـــا وما نحن الا فيه من صور الفنــا

وليس فنـاء مــا نراه ، وانمــا هـو العود للاولى هو البعث لـلالى

قضوا فحيينا ، واقضينا بمــودتا اليهم وغير ـ الكل ـ ليس له بقــا

بهذا الصفاء الذهني والدقة العلمية اجتاز الدكتور شبلي الشميل المراتب العلمية الى منصات العلم وبها ايضا تكامل ايمانه بانسانية الانسان ، فعمـل جاهدا على اسعاد البشرية فدوى صوته داعيا ومبشرا بنهضة حديثة تقـوم على ركنين المحبة والعلم •

بهذه الروح عاش وبها عمل فجند كل طاقاته للعطاء المثمر ، فـــأعطى واجزل ، على صوفية علمية ، تبني ولا تهدم الا الساقط من البناء فكان من المفردين الذين رفعوا اسم لبنان عاليا •

فوزي سابـــا

عنوان مجلة « العرفان »

★ ★ ★

بـــيروت ـ لبنــان

ص•ب : ٣٩٧٨

مجلة العرفــان او نزار الزين

تلفـــون : ٢٥٦٥٥٠



عباس أبو الطوس

شاعر الوطنية والحب

١٩٣٠ - ١٩٥٨

بقلم: سلمان هادي الطعمة

من أبرز شعراء كربلاء في العصر الحديث ، كرس شعره ــ او معظمه ــ لقضايا وطنه ، لذا كان في الطليعة من مناضلي المدينة ضد الاستعمار البغيض والعهد المباد . وان الاطلاع على شعره يدلنا على مسيرة حياته .

عرف بين اقرانه بالصراحة والجرأة والحيوية ، وقد انعكست هذه المزايا الفريدة في شعره ، فجاء ملتهب الالفاظ ، صارخ المعاني ، لا يعرف المهادنة والتراجع والنكوص . فقد دفعه احساسه بالاوضاع الشاذة المحيطة به الى تصويرها تصويرا واقعيا معبرا ، واخراجها في اطار مؤثر يستلفت الانظار . هذه العوامل والاسباب كلها جعلت من عباس ابي الطوس شاعرا وطنيا مرموقا . ذاع اسم الشاعر نتيجة لكفاحه المرير ضد الاستعمار الغاشم ، وظل متنقلا بين جدران سجون الكوت وبغداد وبعقوبة وغيرها ، وقضى فترة عام ونصف العام نزيلا في تلك السجون ، التقى خلالها بفريق من الشعراء والادباء امثال السيد محمد صالح بحر العلوم وحسين مردان وزهير احمد القيسي ، وذاق خلال هذه السجون اشد انواع التنكيل والارهاب ــ كما

حدثتني نفسه ـ ومن مخاض المعاناة تلك كانت قصائد وطنية رائعة تلتهب حماسة وتفيض عواطف صادقة وتطفح بالالم والغضب .

انضوى الشاعر تحت لواء الحزب الوطني الديموقراطي الذي كان يرأسه المرحوم كامل الجادرجي ، تدفعه الروح الوطنية ، فنراه يعبر عن اعتزازه بهذا الحزب ، فيخاطبه في مؤتمره الخامس المنعقد ببغداد عام ١٩٥١ قائلا :

ثر على الظلم ولا تخش النزاعا ... واملأ الدنيا نضالا وصراعا
وأمط عنك قيودا طوقت ... جسمك الحي وتأبى الانخلاعا
حطم القيد وسر قدما كما ... سارت الاقطار للعز سراعا
وانطلق نارا كما كنت اذا ... عربد الظالم الهبت البقاعا
ثر على الغرب جحيما محرقا ... يغمر الطاغين خوفا وارتياعا
هذه الانفس لولاه لما ... عضها البؤس ولا العامل جوعا
وأسير الكوخ لولاه لما ... عاش في الارض غريبا ومضاعا

وينتفض الشعب العراقي ضد المعاهدات الجائرة والحكام المستبدين عام ١٩٥٢ ويساق الالاف من المواطنين الى المجالس العرفية، والشاعر كمناضل تهزه هذه الانتفاضة كأي مواطن تشرب بحب الوطن ، فيهتف للجماهير التي صنعت الوثبة من اعماقه قائلا :

جددوها وثبة تحيي الرجاءا ... وتدك الظلم والجور سواءا
وثبة صادقة لا تنثني ... من يد البغي ولم تخش التواءا
وثبة حمراء في شعلتها ... تغمر النفس اعتزاما واباءا
عمت النهرين لما عصفت ... في المجالات بهاءا وابـاءا
وعلى الوادي أثارت مشعلا ... مستضيئا يملأ النفس ضياءا

زعزعت (لنـدن) في قوتهـا واطـارت ما ترجيه هبـاءا
واثارت انفسـا حـاقـدة تتحـدى جمـرة المـوت مضـاءا
وشبابا لا يبـالي ضرمـا ورصاصا فوقهـم يهمي وبـاءا

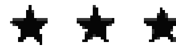
وينقل الشاعر من سجن الى سجن ، والقيد في معصميه ، واهـانة السجانين تسلب منه الحرية والكرامة ، فيتعذب ، وتتمزق روحـه ، ويتمرد على سجانيه ، وينفث قصائده :لما يمثل كل ما في اعماق الجماهير من ألـم وغضب . فنراه وهو في سجن الكوت عام ١٩٥٣ يكتب الشعر معبرا عـن أحاسيسه المرهفة وخلجات نفسه المعذبة فيقول :

سيظل يحضنـك الشقـاء ويستبد بـك الالـم
وتمـوت نعماك الجميلة بـين انيـاب العـدم
وتزمجر البلـوى عليـك مثيرة فيـك السـأم
ويهـزك القيـد المثقل ساعديـك فلـن تنم
وصفـاء عينك يختفي وجيوش همـك تزدحـم
وعلى جمـال صبـاك يعتكف الشحوب ويرتسـم
ويلفك السجن المبـرح والشـدائد والنقـم
والوحـدة السوداء والليـل المكفـن بالظلـم
واذا شكـوت فما شكاتـك من اذاك سوى الضرم
واذا شـدوت فمـا نشيدك في اسـارك غـير دم

ونراه وهو في سجنه يسأله رفاقه السجناء عن التهمة الموجهة اليـه ، فيسأله احدهم هل هو قاتل ، هل هو سارق ؟ فالوطنية في تلك العهود كـانت

جريمة يحاسب عليها قانونه ،فتعال نستمع الى شاعرنا وهو يصف هذه الحالة في رباعياته ، فيقول :

حببت بـلادي وهي ام كريمـة ورحت الى ارضائهـا باذلا جهـدي
وكم قيل لي ما بال شعرك قد اتى شجيا من الايثار ملتهـب الـوقـد
وما علمـوا اني بحبك موطني جننت فلم احفل بعـذل ولا نقـد
حياتي جحيم فيـك لكن احبـها وارفعها حتى عـلى جنـة الخلـد



وليـل به في السجن بت مقيـدا اراعي ظلامـا فوق رأسي مخيمـا
هنـاك دنا منـي سجين منـاشدا يساءلني عمـا جنيـت ليفهمـا
فقال سرقـت الناس أم أنت قـاتل فقـلت وجمر الحزن في تضرمـا
حببت بـلاد الرافدين وأهلهـا ومن اجلها يـا صاح سميت مجرما

وعندما تندلع ثورة الجزائر يصفق لها الشاعر ويغني بكل عنف وبكل صدق احاسيسه العربية المنطلقة الى الغد الافضل . فنراه في قصيدته التي نظمها عام ١٩٥٧ يحيي فيها ثوار هذا القطر العربي المناضل ، معبرا عن حقده الدفين على الاستعمار وثقته بالمناضلين من ابناء الامة العربية ، فينشد :

سأقتحم المـوت ولا انحنـي من فـزع للغـاصب الارعـن
وأضرب العـدو في قلبـه واطرد الاشرار عن مـوطنـي
الحقـد يسري في دمي صاخبا مندفعـا كالعاصف الادكـن
فليقـدم البـاغي الى ساحتي ويركـض الوحـش على السوسـن
هـذا سلاحي في يـدي لم يزل يحصد اعـدائي ولـلا ينثني

وتراه في غزله يكتب عن تجربة صادقة ومعاناة عميقة ، فهذه ابيات يعبر فيها عن حبه للبلاد ، يقول :

فديتك ليلاي ان الهوى تسعر كالنار بين العروق
وها انا حيران ارعى الدجى واسكب لحن الغرام العميق
واصغي لوقع الخطى العابرات ودمدمه الريح عبر الطريق
تعالي فدي عينك الساهمه ورؤيا غلالتك الحالمة
تمرين في تقلة كلها حنين واغنية ناعمه
حنانيك لا ترهقي شاعرا تلظى بآهاته الظالمه

الالم يطغى على شعره ، ففي قصيدته (رسالة) نراه متخوفا من حبيبته يكتب لها بتوجس ورعشة ولهفة ، فقد عوده زمانه ان الاذى يلاحقه والتعسف يسرق منه كل شيء ، فحبيبته يخشاها ويحبها ، وهي تكاد لا تثق بالحب ، لذا فهو ممزق ضائع حائر متمرد . اسمعه يقول :

كتبت الي تقول يا صب خل الهوى ان الهوى صعب
أنا لا احبك في الحياة ولا اهنو الى صب ولا اصبو
نظراتك الولهى تخوفني قل لي أبين عيوننا حرب
وخطاك حين أسير تتبعني حتى اخاف يمسني الريب
هيهات امنحك الرجاء ولو هوت السماء وخرت الشهب
الحب آثام مسلسلة فيه الخداع المر والكذب
كم غادة عذراء دنسها عار الرجاء ولعنها العيب
فغدت بلا شرف يلاحقها الخزي واللعنات والسب
جانب هواي فكم تبادلني برسائل يطفو بها العتب

مع هذا كله ، فشاعرنا رقيق الطبع ، مرهف الحس ، جياش الشعور والعاطفة ، يكاد يذوب وجدا وصبابة ، اسمعه يتردد :

رفقا بصبك ايها البدر فلقد اذاب فؤاده الهجر
حتام تجفوه وتتركه هيمان لا فكر ولا صبر
يرعى الدجى حيران مضطربا وكذاك حين يضمه الفجر
وتثير لوعته اذا خطرت ريح الصبا ويهزه الذكر
لا الروض يبهجه بمنظره فرحا ولا الاوتار والخمر

ولم يمض طويل وقت ، حتى انبثقت ثورة الرابع عشر من تموز ، فانطلق الشاعر يعانق صاحبه الجديد وامله المنشود الذي تغنى به طوال اعوام. وهنا تجلت شخصية الشاعر بشعره ، فكانت قصائده اعاصير في وجوه الغاصبين. وها هو يهتف للثورة ويبشر بها بقوله :

ثار العراق على القيود بالعزم والامل الوطيد
أقسى من البركان بل اقوى من الحتف المبيد
ليدك طغيان الفساد ودولة البغي العتيد
ثار العراق كما يثور البحر صخاب الحدود
بالشعب يعصف كاللظى بالجيش يطبق كالحديد
فاذا بشمس الغاصبين تغيب عن هذا الوجود
وسماء بغداد تدوي بالهتاف وبالنشيد
والمجرم السفاح يسقط تحت اقدام الجنود
الله أكبر اي نصير لاح في البلد التليد
الله اكبر أي مجد شاع في خفق البنود

ثار العراق على القيود بالعزم والامل الوطيد

ولا يفوت القارىء ان الشاعر كان يعاني الكثير من الآلام النفسية الناتجة عن حياته المريرة وظروفه القاسية التي عاشها ، والمرض الذي لا يكاد يبارحه ، وكان في نفسه ألم مكبوت ، وفي روحه لوعة خافتة ، وكانت الظروف السائدة تحول دون ان ينفس عما يعتور نفسه ويجيش في فكره .

وبينما كان يعيش افراح الشعب بانتصار ثورة تموز اشتد عليه المرض، فلم يمهله الزمن ليعيش حياة اطول . وفي مساء يوم ٢٤ـ١٢ـ١٩٥٨ سقط الشاعر فجأة على الارض مغشيا عليه ، ونقل الى المستشفى الحسيني بكربلاء، وبقي تحت رعاية الاطباء يومين كاملين ، لم يجد منهما نفعا ، حتى فارق الحياة صباح يوم السبت المصادف ٢٦ كانون الاول عام ١٩٥٨ م، وشيع جثمانه من قبل اصدقائه تشييعا يليق بمكانته الى مثواه الاخير في وادي كربلاء.

ومن معاشرتي للشاعر ابي الطوس وجدته شابا ذكيا ومثقفا ، متعدد الجوانب ، ذا خيال واسع واحساس مرهف ، ونفس صافية ، وخلق كريم . وما زلت اذكر ايامنا الحلوة على ضفاف نهر الحسينية بكربلاء ، حيث النسيمات العليلة تداعب الذكريات ، وحيث كنا نتطارح بالشعر الوجداني والوطني، فتمر الساعات جذلى دون ان نحس باقضائها . وان كنت انسى فلن انسى تلك الاجتماعات الرائعة التي كانت تضمنا مع الشاعر ونخبة من مفكري البلد، وابو الطوس كان يسرد لنا ذكرياته في السجون والمعتقلات ، ثم كان ينتقل فجأة بفرح طفولي عن نظرته الى الحب ومعاقرته بنت الحان وما كان يفعل دبيبها الناعس . لله ما أحلى هذه الذكريات وما اجملها !!

لقد توقف ذلك القلب النابض الذي وهب الكثير ، واحترقت شمعة ابي الطوس لتنير درب الحرية ، كما احترقت من قبل شموع العديد من الشعراء الذين وهبوا حياتهم وشعرهم من اجل قضية بلادهم . ولو قيض له ان يواكب الثورة ، لغنى لها بأروع الاناشيد .

كربلاء ــ العراق سلمان هادي الطعمة

شاعر عبقر : شفيق المعلوف وطيب ذكراه

بقلم : المحرر

في ملعب الكلية الشرقية ، في الدار نفسها حيث تمتم شفيق المعلوف اول أبياته جرت تظاهرة شعرية وادبية احتفاء بذكرى شاعر عبقر ، شعراء وادباء من لبنان وسوريا والاردن وآخرون بعثوا بقصائدهم وكلماتهم من مصر والعراق حتى من باريس ، انشدوا على ضفاف البردوني فردوا الى زحلة حكايتها مع الكلمة .

وحضر المهرجان اكثر من الفي شخص ، في طليعتهم وزير التربية والفنون الجميلة الدكتور اسعد رزق ممثلا رئيس الجمهورية ، والدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والارشاد القومي في سوريا ومحافظ البقاع السيد هنري لحود والشيخ كميل جمجم المدعي العام التمييزي والسيد فوزي غازي ممثل نقيب المحامين والاباتي شربل قسيس والارشمندريت سمعان عبد الاحد عضوا « الجمعية اللبنانية » ، ونواب زحلة جوزف سكاف وحسين منصور والياس الهراوي وسليم المعلوف وعدد من الوزراء السابقين والرئيس والاعضاء في بلدية زحلة ـ المعلقة ، كما حضر من البرازيل ابن الشاعر اسكندر وابنتاه منى وروزي .

اقيم المهرجان في ملعب الكلية الشرقية وارتفعت فوق المنصة صورة للشاعر حفرها في الخشب الفنان الزحلي جميل ناضر ضمن علم لبناني من الزهور . وافتتح في الرابعة بالنشيد الوطني ، ثم قال عريف الحفلة جان بخاش « يكتسب هذا الاحتفال في هذا الظرف بالذات معنى وبعدا يطرحان عنا

حجاب الايام السود ويشكل في مستواه الادبي والتمثيلي الرفيع الجامع فاتحة خير وامل لعودة لبنان التصافي ولبنان الاخاء ».

وتكلم الدكتور اسعد رزق : « يسعدني ويشرفني فيهذا المهرجان الادبي ان أمثل فخامة الرئيس الياس سركيس الذي اصر على المشاركة في احياء الذكرى ليدلل على رعايته للثقافة والعلم . ومما يزيدنا اعتزازا ان تقام الحفلة التكريمية في مسقط رأس الشاعر وفي الكلية الشرقية بالذات التي أعطت لبنان قيما عبر رجالات خرجتهم » . واضافه رزق ان والده توفيق تلقىعلومه الابتدائية في الشرقية حيث رعاه عيسى اسكندر المعلوف والد الشاعر. وختم ان الحكومة اللبنانية قررت المساهمة في تخليد ذكرى الشاعر فمنحته وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الاولى . وسلم الوسام الى نجل الشاعر بناء على تكليف من الرئيس سركيس .

وتلا عريف الحفلة رسالة اعتذار من الرئيس سليم الحص لعدم تمكنه من الحضور نقلها الى لجنة التكريم الشيخ خليل تقي الدين .

واعطيت الكلمة للدكتورة نجاح العطار فتكلمت بلهجة الادبية لا بلهجة الوزيرة وبغنائية تفذت وببحة شامية وبالقاء انثوي وخرجت بان النجوم قد تنطفيء لكن القصائد تبقى متألقة خصوصا قصائد شفيق المعلوف وطرب الجمهور لها وصفق لكل مقطع .

وتبعها الاب ابرهيم نعيمه رئيس الكلية الشرقية ورئيس لجنة تكريم الشاعر ، ومما قاله : « لو سكتنا نحن عن هذه الذكرى لنطقت دفاتر الشرقية العتيقة بل لنطقت هذه الحجارة بالذات وهي التي شهدت تبرعم عبقرية شفيق المعلوف وتفتحها في نيسان الشعر ».

واعتلى المنبر مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك السريان الارثوذكس وعضو مجمع اللغة في دمشق ، فتحدث عن قيمة الشاعر الانسانية التي توازي قيمته الشعرية . وتكلم الشيخ خليل تقي الدين ، ثم الدكتور فؤاد افرام

البستاني منطلقا من تحديد لامارتين للشاعر بانه « اله هابط الى الارض من كريات السماء » ، وقال عن الشاعر انه «تواق الى التفلت من عوالم الارض والعوالم الاخرى وتواق الى فردوسه الاصيل ويظل الشاعر مضطربا حائرا ما لم يكن له ذلك» . وقال ان «شفيق المعلوف احد ممثلي الشعر اللبناني الراقي الذي كان ولا يزال ينفح الشعر العربي بتلك الوحدة الشعرية ضمن التنوع، وحدة بنائية شاملة على تنوع الاجزاء واختلاف الانغام والالوان » .

وتكلم الاستاذ عيسى ابرهيم الناعوري من الاردن . وألقى الاستاذ احمد الجندي من سوريا قصيدة ، احد ابياتها :

لقـد كان شعرك مثل الزهر تقطفه ونجتني العطر من آيـاته الجـدد

ثم تلا السيد محمد سليم رشدان من الاردن دراسة عن تاريخ الاساطير عند العرب ، مبينا كيف استطاع شفيق المعلوف ان « يعصرن » الاسطـورة باسلوب شعري فيه شيء من الصلاة والتقرب من الله ، وألقى الشاعر عبدالله يوركي الحلاق صاحب مجلة «الضاد» في حلب قصيدة « سفر الخلود »فضرب على أوتار بطولات الزحليين وانتزع تصفيق الحضور .

واعطيت الكلمة لرشدي المعلوف شاعر البيان والجمالية وشاعر اللفظـة المفاجأة وشاعر المعنى المتعذر احيانا واطل راجي الراعي وكأنه شيخ مـن التاريخ اتى بصوته المجلجل وهو في الثمانين ، ليقول « ان شفيق المعلـوف كان الناثر في شعره ينظم فيه عقودا من الذهب ». وسرد حوارا بين الشاعرية الثائرة على موت شفيق والموت الضاحك المستهتر .

وجاء سعيد عقل فاهتز مكان الاحتفال تصفيقا ، والختام كان للشاعـر رياض المعلوف فألقى باسم العائلة في الوطن والمهجر قصيدة ثم كلمة شكر.



وزيرة الثقافة السورية: أغا لبنان هو عبقر

مجد الفن لا مجد المجد ، عرشا كان او سدرة منتهى ، هو وحده ، في الجبابرة ، الجبار الاكبر ، ودونه ، على عتباته ، يرتمي الكل ، لانه الاعلى، ولا قيـاس .

هكذا ، صرحه الاعظم ، يبدو شاهقا ، اين منه الخورنق والسدير ، واين منه ، في عصرنا ، ناطحات السحاب ، الكل يتطامن ، فالاتي في موكب عبقر جليل ، جلالة الآتي بهيا على الماء ، او السائر في السحب غيمة بيضاء هـي المخمل ملمسا ، وهي الهزيم دويا ، ففيها تنبت ازاهير السحب ، وفيها تتفجـر موهبة الذي هو من آلهة الاغريق على نسب ، لانه على جبل ولد ، ومـع المعجزة كان له موعد .

ويشمخ الفن ، فقل للاولمب تواضع ، ويزهو ، فقل للدنيا ارفلي بعباءة من وشي أجنحة الفراشات ، وينطق ، فيا بلابل الدوح كفي ، لان لحنـا ما عرفه وتر ، يتصاعد من الارض صلاة للسماء.

اقول رحلة بلد الالحان ، تلك التي عزفها الجن يوما ، على قيثارة فريدة في القيثارات ، ان عصف الرياح في وادي « العبقريين » ما كان تتمـة، كان زعزعا روضه « بساط الريح »، ذلك الذي كمركبة ايليا صعد ، ثـم صار رهوا ، وعلى متنه انسابت الحمائم البيض ، وفي اجوائه تعالت الابتهالات رقيقة شجية مريمية حينا ، داوية نحاسية فاغنرية ، ومن هذا المزيج النفسـي تشكل عزف « المعلوفيين » الذين كانوا في الشعر جوقة واد ، علم الاودية كيف يصاغ من الصوت والصدى مزمور لم تعرفه ، في عزها ، مملكة المزامير .

كل هذا ولم ترض ربة الشعر.

قيل ان فتى عشق اميرة يوما ، اشترطت عليه مهرا لها ان يجمع ثـروة

من النجوم ، « كيف يا اميرتي ؛ قال الفتى ، النجم بعيد ولن تطوله يدي ». فقالت الاميرة : « من لا تطول يده النجوم عليه الايتزوج الاميرات». وادرك الفتى الا مناص ، وان عليه اذا اراد الزواج منها ان يخرج كل ليلة الى رابية عالية ، ويبقى ثمة ساهرا ، لعل نجمة ترأف بحاله فتسقط بين يديه .

ومر به ذات ليلة شيخ حكيم ، فسأله عن حاله ،قال الفتى : « انتبي اقطف النجوم مهرا لاميرتي ». قال الحكيم : « وكم نجما قطفت »؟ قال الفتى : « ان يدي لا تطول النجوم ، ولهذا انتظر ساهرا ان ترأف بحالي فتسقط بين يدي ». قال الحكيم : « لكن النجم لا يسقط يا بني ، واذا سقط انطفأ فأضحى رمادا . عليك اذا اردت ان تجمع ثروة من النجوم ، ان تقطفها قطفا ». قال الفتى : « لكن ذلك لن يصير ابدا ، فالنجوم بعيدة ، واين انا منها ؟» . قال الحكيم : « ليس ثمة بعيد مع الهمة البعيدة ، وكل شيء له ثمن» قال الفتى : « وما هو الثمن الذي علي ان ادفعه ؟» . قال الحكيم : « ان تبقى مكانك ساهرا ». قال الفتى : « ابقى ساهرا حتى اموت ؟». قال الحكيم: « حتى تموت ، وهذا هو قدرك ، فانت لاتستطيع قطف النجوم وانت لاتستطيع الاقلاع عن قطف النجوم ، وستعيش قلقا ، متأرجحا في حبك بين شك ويقين، وهذا اعمق الحب واعذبه ».

فانتحب الفتى بعضا من الوقت ، لكنه سرعان ما استرد العزم فقال : « لسوف اقطف النجوم ايها الحكيم ، وسأتزوج اميرتي ، ان يدي لا تطول النجم ، ولكن من قال لن ابلغ ان ارتفع اليه ؟ » فابتسم الحكيم وقال : «سأمر بك من قابل لارى كم نجما قطفت ». وودعه وانصرف ، فلما كانت السنة مر به ثانية ، فوجده حيث هو ، ومر به سنة بعد سنة ، حتى نضج الفتى وتجمع لديه بدل النجوم عقد من قصائد ، وعندئذ قال الحكيم : « اذهب الى أميرتك انك جمعت مهرها ». قال الفتى : « ولكنني لم أقطف نجما واحدا بعد ». فقال الحكيم وهو يربت على كتفه : « انما ارادت

أميرتك ان تصوغ لها قصائد شعر لا ان تقطف لها نجوم سماء ، النجوم تنطفىء اما القصائد فتبقى متألقة ».

ان الشعراء هم قاطفو نجوم ، وتلك هي الحكاية ، غير ان عليهم ، في الوصول الى بغيتهم ، ان يسهروا ، ان يشقوا ، ان يصوغوا من نبضات قلوبهم كلمات قصائدهم ، ودون هذا الشرط ، لن يبلغوا ان يأتوا اميرتهم فرسانا على خيول مطهمة .

وقطف شفيق المعلوف نجوما كثيرة ، صار غنيا وامواله نجوم لا حصر لها ، امتطى متن شيطانه الشعري الى «عبقر»، وهناك طوف بين البلدان المرصودة وابالسة الابراج ، ومر بالطريق المسحورة واكل من اشجار النبوءات ، وحينما ، في وادي «العبقريين» ، شاهد رفاتهم وسمع همس جماجمهم ، ظلت احلامه كبيرة الى غير حد ، لانها احلام هوى ، هو في الشعر روح الشعر :

لكنما احلامنا لم تزل ترقص سكرى فوق غلف المقل
حاملة للناس خمر الهوى مشعة خلف كؤوس الامل
احلامنا نحن فقل للألى شادوا لنا الانصاب اكبارا
احلامنا كن لطافا فلا تصيروا الاحلام احجارا

ونسأل : لماذا اختار شفيق المعلوف ان يطوف في ارض الجن ، ناسجا من الاساطير والخرافات اناشيده ؟ هل اغرته جدة الموضوع ؟ طرافته ، رؤاه الغريبة ؟ كل هذا معا ، وفوقه ان الشاعر في تلك المعمارية الملحمية ، اراد فتحا في عالم مجهول ، يذكر بالمعري وداني ، ويزيد انه جمع في ملحمته روحا شرقية غربية ، فيها من الشرق تهاويله ، ومن الغرب ولعه الفلسفي في استقراء الاساطير وما وراءها ، ووفق الى ذلك بحيث جاءت « عبقر » نشيدا عبقريا ضخما في ذاته ، وكان رئيف خوري على حق حين قال : « اذا تقدم ميامين الشعر العربي

المعاصرون ، يقرعون باب الخلود وبايديهم جوازات سفرهم ، حق لشفيق المعلوف ان يكون في اول الداخلين وبيده « عبقر » •

ومثلما كانت لذلك الفتى الذي اراد قطف النجوم ، اميرة محبوبة ، كان للشاعر اميرة محبوبة ايضا ، ومن اجلها ، ومعها ، في الظن ، راد المجهول في الوادي الذي ترتع فيه قبائل الجن •

فعبقر ما صعدت فيهضباتها   وحيدا ولا طوفت فيها بمفردي
فلي في تلقي الوحي عنها نجية   اجوز بها الدنيا وفي يدها يدي

وليس مصادفة ان تكون اميرة الشاعر على عناد وعصيان كذلك • ان درب الشاعر بالاشواك ، كما بالورود ، مزروع ، والاميرة تدفعه الى العلى، الى المستحيل ، ليتمرس بالصعاب ، فيدفع من دمه ثمن حبه • وقد تسبينا تلك الكلمات المزمورية المنثورة في « ستائر الهودج » الى نجيته روز فرح معلوف، ولكن من يدري ، فقد تكون هي وقد تكون سواها ، تلك الاميرة التي جعلته يسهر الليل على راية النجوم •

اميرة للجن قد ابرمت   قبائل الجن بعصيانها
حزن بها فانها لا تني   تقضي الى الغاب باشجانها
مست بروح ليس من عبقر   غادرها غرقى ببحرانها
لم تجده رقية عرافها   كلا ولا حكمة كهانها

ان للاميرة الجنية في « عبقر » معادلا انسيا في ستائر الهودج • «هجرت الوادي ـ يقول ـ فطويت السهول والهضاب ، ووهبت عصاي اعمى الطريق وزعت زهرة على كل عابر ، وحمل اليك العابرون زهوري ، فقطرتها في اناء اخفيته في صدرك ، كيلا يتنشق طيبه سواك • كانت بساتين الغوطة في ثياب العرس ، وجذب الزهر الاغصان الى الارض لانه مثقل بالطيوب ، وهمت في

غمرة من ضياء الربيع ، فاذا بي اراك بين الظلال ، يا حلم الشاعر على ضفة النهر البعيد » .

مع الاميرة يأتي الوطن . تأتي امه . بورك الوطن الام ، فالحنين يطيل ليل الشاعر وتتعب اوتاره من شدة العزف ، ولا يبرح في غربته يناجي وطنه ، ليس الأصغر ارضا ، بل الاكبر معنى ، لبنان الذي هو « قبلة الله » ، والسفينة تلوح راقصة على مناكب الموج ، وصورة الام تلوح على حوافي الافق :

لان امـي حين القاها ان طـوقتـني بذراعيهـا
لقيـت في بؤبـؤ عينيها ألذ ايـامي وأحلاهـا

وبعد الامير والوطن تأتي دمشق « مرضعة الابوة » التي لا تعق :

سألتك يـا دمشق ونحن قوم يوحـدنـا المصير فخبرينـا
ايمضي الناس في طلب الدراري وتنفتح السمـاء (لفاغرينـا)
ونحن على الحدود قد اتقفنـا وليـس على عبور العـابرينا
سألـت دمشق يا اخت المعالي ولـؤلـؤة العصور الاولينـا
مرقصـة النجـوم على مطاوي يـارق لن تذل ولن تهـونا
اموقظـة البطولة من كراهـا ألبست القبر للمتغطرسينـا
اذا شهر السيوف العرب يوما ومـلن على أكف الضاربينـا
يمر بهن سيفك مستـهزا فيخلـين الطريق وينحنينـا

الشاعر سأل دمشق : « ألست القبر للمتغطرسينا ؟ » ودمشق اجابت ، ليس في التاريخ ، ولا في الكتب التي قرأ فيها الشعراء مجدها فحسب ، وانما ايضا في واقعها ، في تشرينها ، وانتم تعلمون ما كان تشرينها .

غير ان دمشق ، وهي قبر للمعتدين ، كانت ولم تزل صدرا حنونا دافئا

للاشقة ، وبدا تسلم الجراح ، حين جراح الاخوة جراحها ، وحين في سعير الفتنة ، يتطلع الذين ينزفون اليها •

فيا شاعر « عبقر »، دمشقك في الرجاء كانت رجاء لا يخيب ، ولن يخيب ابـــدا •

اما انت الذي يقول في قصيدته الخرساء :

هل الفضل فضلي ان تكنجن عبقر تداركن شـعري بالبيـان المجود
حنـون على عودي فسلت اناملي له وترا من شـعرهن المجعـد
بنيـت لنفسـي معبـدا ولحكمة اشـاد بها الكهان هـدمت معبـدي
وما انا في شعري سوى قلب مؤمن اطـل على الاحيـاء من جفـن ملحد
سـلكـت سبيلا قد اكون ضللته وربـة غـاو بالغوايـة يهتـدي
وهل عبقر الا وميض خـلابة يلوح على افق الشبـاب المـورد

اما انت ايها الشاعر ، فاسمح لي ان اعرف فضلك فيك ، وان اتلمس آرض « عبقرك » في ارض لبنانك •

انما لبنان هو عبقر ، انما لبنان هو عبقر ، انما لبنان هو عبقر •

الدكتورة نجاح العطار
وزيرة الثقافة والارشاد القومي
في الجمهورية العربية السورية



قصيدة رشدي المعلوف

هو ذا الامير فصفقي يا عبقر ... عاد الوفاء به وحن المنبر
ملأ الكواكب من جمالك رونقا ... وسنى وآب اليك حيث المصدر
هي صحبة الدنيا فلما ملهما ... هاج الحنين به وتاق الجوهر

★ ★ ★

يا شاعرا هو ساحر لا شاعر ... بخلوده كادت تضيق الاعصر
اهدى الخيال اليه رقية فنه ... فاذا البنان ملحن ومصور
كم لفظة جاءت مفاجاة وكم ... معنى اتى وكأنه متعثر
اقصى الصعاب عليه ما يلقاه من ... حسد القوافي ايها يتخير
دانت افانين القريض لوحيه ... فكأنها من جنده ما يأمر
فالرصف طبع والجزالة شيمة ... والفكر والابداع حظ خير
ولعل آية فضله ديباجة ... من غربة الشعر الجديد تحذر
يزهي الحضارة انها مضماره ... في ما يسطره وفي ما يضمر
ومن البلاغة ، نكهة واصالة ... أن لا نبوح وان تبوح الاسطر

★ ★ ★

يا منصف الحب المرفه والنهى ... والحسن والادب الرفيع اتذكر
ايام كنا في رحابك عصبة ... نستملك الدنيا ولا نستأثر
نهدي العشية فجرها وبودنا ... لو ان ماثرة الدجى تتكرر
سمار شعر ان اضاء رحيقه ... نسطو على الدن العريق ونسكر

ويهزنـــا شطط المـذاق فمدمـــن | لا يستسيـغ ومستجـد يشكـر
ويقـوم بيـن عميقنـا وانيقنـا | جـدل تضج به السماء وتكفر
حتى اذا عقـدت عكـاظ لواءها | نصغـي ونابغة الصواب يقـرر
ويطيـب مجلسنـا وسيـدة الشذا | وجـه يفيـض رضى وقلـب يغمـر
... نعمى من العمر السخي كـأنها | في الذكريـات ثمـالة او عنبـر

★ ★ ★

اشفيق والاحـلام انت شفيعهـــا | مـاذا اقـول وبؤسنا مستنفر
في يــوم واديك الظليـل يسؤني | آن اجرح الذكـرى بمـا اتـذكر
لبنـان ، معبـدك الـذي غنيتـه | لبنـان هذا المـارد المتحضـر
لبنان قلب اللـه ينبوع المنـى | ذاك الذي لـولاه جف الكـوثـر
سفر الطمـــوح البكر ملحمة العلى | اسطـورة الجبـل الذي لا يقهر
يهنيـك انـك لم تزره بعدمـا | فتحوا له باب الجحيم واسعروا
فاذا النفير هو الضمير فلا يـد | ترجـي الجنـون ولا سماء تغفر
واذا الاحـب من اللقاء مـمزق | واذا الاعـز من البنـاء مـدمر !
... هي منـة للمـوت لولا انهـا | جـاءت تروع انفسـا وتكدر

★ ★ ★

لبنـان هذا الحلـم هذا المرتجى | هذا العطـاء الفـذ هذا الاكبر
كنـف الجـآزر والمروءة شرعة | وعـلى الصروف عريـن ليث يـزأر
اخذت جهالتنا عليه ومن غـدت | سبـل الجهـالة دربـه يتعثر
اتـراه كان مقـدرا ومحتمـا | ام تلـك زلتنـا التي لا تغفـر ؟
مـا أي وللماضي لعل لنا غـدا | هـو واحـة التاريخ او هو انضر

من عنفوان شبابه وترابه نبني معالم مجده ونكبر

★ ★ ★

يا من يعيش مع اليقين وفي الرؤى وعلى الشفاه اصادق ما خبروا ؟
اي القبور بوسعها الا ترى فيك الحياة واي موت يجسر
احلى قصائدك التي ابدعتها خلق هو الشعر النقي واعطر
جود الذي ملأ الوجود تيمنا وتنعما لسم لا يعود ويظهر ؟
من فرط ما انا مؤمن ببقائه الهو عن الخطب الاليم واصبر
واكاد امنع اضلعي من شجوها فالشجو عند المؤمنين تطير
قالوا غصصت فقلت عفوا انمتي عن مهرجان الشعر غاب الاشعر

★ ★ ★

اخي شفيق معلوف

القيت في حفل تأبين الشاعر شفيق معلوف الذي اقيم في الكلية الشرقية بزحلة يوم ٢٦ \ ٦ \ ١٩٧٧

حزن الشعر يا اخي وتأثر وبكى حسرة عليك المنبر
والقوافي تيتمت نائحات باكيات عليك كم تتحسر
احرق الدمع مهجتي ضلوعي يا لدمع كالنار ملء المحجر
جمد الدمع في عيوني حزنا وعلى جفني الكئيب تسمر
يا شهيد اليراع والوطن الغالي الذي مجده بمجدك يكبر
عمرك الآن بالخلود مديد انما في الحياة كان الاقصر
نحن كنا ثلاثة نتغنى من ضفاف الوادي لارض المهجر

فاحتللنا في دولة الشعر صرحا اثر صرح ومنبرا بعد منبر
كان فوزي على بساط مع الريح وراح الشفيق يقصد عبقر
وانا في الحياة صرت وحيدا بين هذا وبين ذاك محير
لست اخشى الممات بعدكما اليوم وماذا في فضلة العمر احذر
فالى موعد قريب لقائي معكما في الاثير .. لن اتاخر
شعرك السحر والبلاغة فيه فهو عقد منمنم ومجوهر
ملك الشعر انت انت امير ولك الصولجان ذا فتصدر
لا تسلني عن سكرتي بالقوافي دع اخاك الرياض بالشعر يسكر
نشوتي هذه من الشعر كانت من دنان الشفيق من فم عبقر
فقد الشرق عبقريا عظيما فيك من من شفيقه ــ اليوم اشعر
ايه لبنان والمصاب عليه كمصاب الحروب ادهى واكثر
كم به كنت دائما تتغنى وعلى حربه اسى تتاثر
وتتبعت حربه باهتمام هم لبنان كم حياتك كدر
فالرسالات كلها استفهام عن مآسيه راجيا ان ينصر
نصر الحق يا اخي فتطمئن غدنا باحرفه سوف نفخر
قلت فيه شعرا بديعا جميلا رددته الرواة في كل محضر
هذه زحلتي من الحزن جنت وهي تبكي عليك لا تتصبر
لك شعر فيها يذوب حنينا وهي دوما شفيقها تتذكر
بلدة الشعر كم عشقت سماها وثراها وكم يراعك صور
نهرها .. والكروم فوق الروابي ثم وادي الفردوس .. وادي الكوثر
وهي ترجو بان تعود اليها ثم في قلبها ضريحك يحفر
عصبة الشعر انت كنت لواها ذي عكاظ فيها البلابل تسحر

هاك لبنان يملأ الكون شعرا اي شعر بشعره ما تأثر
كل فرد منا اراد اغترابا حمل الشعر والطموح .. وابحر
يا زميلي .. ويا شفيقي المفدى يا جناحي الذي هوى وتكسر
لك قلب على الجميع شفيق وطباع كأنها نفح عنبر
كيف انسى اخوة غمرتني منك دوما وكيف لا اتذكر
كنت انت .. الانسان قولا وفعلا وفعال الانسان تبقى .. وتذكر

زحلة ـ لبنان رياض معلوف

ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة أو يعبر عن اتجاهها .

● كما أن مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط ، و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار ، كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

عبد الحميد بن باديس

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

ابن باديس رجال في رجل

في حقل الوعظ

ألف ابن باديس من الكتب ما ينهي عهد الحفظ المجرد والفهم السطحي ودر الاسلوب الجاف ، وضم لها من التفسير والدروس وحلقات الوعظ والمحاضرات ما اثبت في ان الله زادنا بالاسلام قوة وثباتا .

رفع راية مجد مستقبل الجزائر بيد ثابتة على سارية فهم القرآن فهما سليما واعلن في مؤلفاته هو الدواء العالمي الذي لا يخشى منه ظلما ولا هضماء وحذر من المؤامرات الكامنة تحت ستار دراسته بيد الذين اعلنوا المنهجية والموضوعية .

أشرقت شمس توجيهه فأحيت الذين تعرضوا لشماعها وقضى وقته مجاهدا لا يكاد يحظى بساعات من الهجوع ، حتى يأخذ بتدريس الجمهور بعد صلاة الصبح، ويستأنفه ضحى لتعليم الاطفال . وما هي الا ساعة بعد الظهر يتناول بها قليلا من الطعام ، حتى يستأنف جهوده مغتنما فرصة الاجتماع لصلاة العصر .

اما الكهول وذوو الرأي والحنكة والتجربة بل والحرف المتواضعة فقد تمتد جلستهم من التاسعة مساءا حتى الهزيع الاخير من الليل ، يتلقون تفسير الايات ويستصبحون بالسيرة النبوية ويرون انفسهم امتدادا لابطال الفكر كابن خلدون ، وقد حاول بعضهم المساهمة في بعض مهماته المادية لكنه آثر الايثار .

ولا نكاد نراه في قسنطينة حتى نسمع صوت درسه الاسبوعي من وهران وتلسمان ، ليراه هذا علاوة على محاضراته حول (قدماء العرب في القرآن) وبيان يد الحضارة الاسلامية في الفنون .

في حقل الصحافة

لم يكف ابن باديس رياسة جمعية العلماء والقيام بتوجيه معقم لم تحـل دون المسافات والعراقيل .

لم يكفه التعرض لسهام التآمر الذي قضى على اخوانه وحاول التهامه.

لم يكفه مهمة السياسة التي عالجها بحنكة وعمق ودراية ، ضاما للوعظ والمحاضرات والتأليف استخدام الجرائد والمجلات مرسلا على صفحاتها صوت التقويـــم .

اذا اعتاد الناس رؤية الصحفي غير المحدث ، وهذا غير المفسر وخطيب الجمعة والواعظ العام والموجه لحمل السلاح .

لكن ابن باديس خرق هذه العادة ، فرأيناه صحفيا علاوة على جميـــع مهمـــاته ، ولا اكاد اجد كلمة صحفي بمعناها الشائع متناسبة مع واقعـه ، اذ للصحافة لديه منهاج قل منتهجوه ، في من عرفنا من الصحفيين .

لقد استخدم الصحافة ـ جرائد ومجلات ـ لنشر ما يريد الافصـاح عنه في حلقات الجوامع وفوق اعواد المنابر ، وصحح افكار جمهور تتقـاذفه التيارات المتعددة لا سيما ما برز منها بين الحربين العالميتين.

خاض الصحافة باسلوب اصلاح فريد خال من الاطراء والغمط ، ولـم ينس الوقوف طويلا حول العالم الاسلامي ككل حرصا على بقاء هذه الصورة ماثلة امام قراء مقالاته كتمهيد لاثارتها في نفوسهم.

تعددت اسماء الجرائد التي كانت ميدانا لجولات كلمه كالشهاب والمجاهد والبصائر والمنتقد والشريعة ، والسنة المحمدية ، والصـراط السـوي ،

والشريعة المطهرة . ولا يعجب القارىء من تعددها ، اذ لا يكاد يرتفع صوتها حتى يضيق به الاستعمار الكامن وراء المرجفين والمبطنين لكن لا تكاد تخنق صوتا حتى يرتفع مليون آخر ، ولئن عاش بعضه عامين فقد عاش الاخر ثلاثة اشهر او اربعين يوما (٣٤) . لكن هذا لم يزده الا اقداما اثر ابتياع مـــســـا دعاه (مطبعة الجزائر الاسلامية) عام ١٩٢٥ لاستخدامها وسيلة من وســائل الايقــاظ .

احتفظت تركته الفكرية بحياة حافلة بعقل كبير وقلم معقم ـ الا عــلى الاستعمار ـ وقلب جريء فسرى توجيهه بالنفوس مثل سريان بالصفحات.

حاول الاستعمار حطم ذاك القلم الخالد بمنح ابن باديس رياسة الامور الدينية لكن قناته لم تلن ، فاضطهد واوذي وجر في نهاية المطاف على مــدارة الاقامة الجبرية وبلغت نار الاذى اخوية الموظفين.

اسرة ابن بــاديس

العام للعلم ـ سلبي مع الاستعمار فحسب

اسهمت هذه الاسرة في تاريخ المغرب منذ العهد الفاطمي ومــا زال الحديث عنها سلسلة مترابطة ، حتى رأينا اعلامها بقسنطينة آخر القرن الماضي.

لا نكاد نجد كتابا يحوم حول شمال افريقيا ، خاليا من كلمة باديــس، وحسبنا المعز لدين الله بن باديس الذي تولى امارة المغرب الاوسط من عام ٣٦٢ لعام ٣٧٣هـ .

اما اجداد عبد الحميد وأطرافه القريبون فمنهم القاضيان حميده بــن باديس ومكي بن باديس الذي اشترك مع ثلاثة من زملائه النواب عام ١٧٩١ بــوضع عريضة تتحدث عما يلاقيه الشعب الجزائري من تعسف .

علم للعلم

شعار هذه الاسرة (العلم للعلم) لقد خيره أبوه بين المنهاج الذي سار

عليه اجداده ، او الالتحاق بمدارس الاستعمار فاختار الاولى ، وارتحل لمنابع العلم في المشرق والمغرب ، واتم دراسته بجامعة الزيتونة ودرس بها عاما وعاد للجزائر مزودا بوصايا شيوخه (احذر قبول الوظيفة كيلا يكون علمك مطية).

عاد لقسنطينة لتصبح منارة هداية ، فأعاد للجوامع دراسة موطأ مالك ومسند احمد واختار منهاج سلفه علما وجهادا •

ضم لمعلوماته الواسعة ، وجرأته وعراقة اسرته ، موهبة خطابية فذة، ساعدته على التأثير بسامعيه ، فشرح لهم امهات الكتب •

كتب الحديث والفقه وكتب الاجتماع كمقدمة ابن خلدون وكتب الادب كالنويري والمبرد وديواني ابي الطيب المتنبي وابي تمام •

عروبة الجزائر

موجة البربر

كنت أحاول اصطياد النصوص التي تريني الديار العربية من طارق للخليج ومن طوروس لاقصى جنوب اليمن ، عامرة بالموجات التي غادرت شبه الجزيرة لاسيما اليمن •

وكم كنت افرح حين العثور على مرجع لاسيما اذا كان حجة كصاحب خطط الشام مثلا ، لكنني عثرت على صفة جزيرة العرب للهمداني ، رأيت الجنجج والثقات عيالا عليها •

لقد خاض هذا الموضوع ، مستندا للنقوش والمساند التي انفرد بمعرفتها، فحققه نثرا وتغزل به شعرا •

وها انا على ضوئه ، اعرض الموجة العربية التي اشتهرت في المغرب (الادنى والاوسط والاقصى) بالبربر :

البربر مــاذا

عدد الشاعر اسعد تبع الموجات ، وبعد الحديث عن الغساسنة والمناذرة والهكسوس خلص للقول :

ومنـا بأرض المغرب جنــد تعلقوا الى بربر حتــى اتــوا أرض بربــر

موجة البربر

قد تطلق كلمة البرابر على الغنم ، يقول طرفة بن العبد :

ولكن دعــا من قيس عيلان عصبة يسوقون في ارض الحجــاز البرابرا

وكأن اهل المغرب القدمــاء حين حل ارضهم اقدم الموجات العربيــة اطلقوا عليهم رعاة غنم ، كما اطلق قدماء المصريين على بعض الموجات العربية القديمة اسم رعــاة •

وبربرا احدى جزر اليمن ، وقد تكون كلمة بربر اطلقت على موجــة غادرت اليمن مبحرة من هذه الجزيرة •

وقد تطلق كلمة بربر على من ابتعد ـ ولو بعض الشيء ـ عن اللفــظ العربي الفصيــح• قطعا من الموجات التي فارقت شبه الجزيرة موجة حلــت المغرب الادنى والاوسط والاقصى ويظهر ان ابتعادها عن شبه الجزيرة الام رماها وعلى تطاول الاجيال بلهجات طارئة كما نرى ، نراها تلفظ كلمــــة (قرت حدث) وتريد بها (قرية حديثة)•

وسواء كانت كلمة بربر متسللة من الغنم او الرعاة او جزيرة بربرة او ابتعاد اللهجة فهي على كل حال حجة علّي ان موجة عربية غادرت شبه الجزيرة وحلت المغرب بظروف زمان ومكان يتعذر على المحققين تحديدها • واشتهرت لاسباب كثيرة باسم بربر •

ها هي ذه جذور كلمة بربر وقد حققها المؤلف الجزائري الجامعي فــي سياق تهكمه بالسم الفرنسي الذي يرى البربر من بقايا الغاليين •

حققه مستندا لاشهر مؤلفي ومحققي هذا العصر كالامير شكيب ارسلان مثلا ونشره بهذا النص :

(امة يمنية عاربة ، قحطانيون قد نزحوا من الجزيرة العربية الى السودان والمغرب والاندلس وجزائر البحر الابيض المتوسط .

هذه الامة العاربة القحطانية ، قامت بأول فتح عربي للمغرب ونشرت العمران بالدم العربي القح في ديار المغرب الكبير) ١هـ.

وسواء هاجرت من اليمن للمغرب مباشرة ، او بعد ان اقامت اجيالا بفلسطين وحملت اسم كنعانيين او اسم فينيقيين الذي اطلقه اليونان قبل ٢٣ قرنا فقط ، فقد حملت للمغرب مصنوعاتها واقامت على سواحله مراكز تجارية معومة تربط سواحل الشام بالمضيق المعروف بمضيق طارق .

واذا علمنا ان مدينة قرت حدث ـ قرية حديثة ـ قرطاجة وحدها، كانت تضم قبل ٢٩ قرنا نصف مليون نسمة ، رأينا تلك الموجة رائدة .

معنى الامازيغ

كلمة تتردد في الجزائر ، وتعني الاشراف او السادة او المقدمين اوالاعيان وهؤلاء سواء أكانوا اهل الجزائر القدماء الذين عمروها قبل حلول الموجة او الموجات العربية ، او كانوا هم الموجة العربية نفسها ، او ذابوا بها عن طريق التعايش والانسجام الطويل .

سواء كان هذا او ذالك فهم يعترفون بجذرهم العربي يأبون كلمة بربر بالمعنى الذي يريده الاستعمار ويرون انفسهم طليعة عرب المغرب .

أما تأثير هذه الموجة في المغرب حضاريا وسياسيا وحربيا ، فحسب القارىء رؤيته في العراق الطويل الروماني ـ القرطاجي.

اما الاختلاف ببعض الكلمات ورسم الاحرف فلا ينبغي ان تنسى تداخل الخطوط في الجزيرة نفسها كالمسماري والثمودي والمسند الحميري والصفوي

ـ خلق بتطاول الازمنة كلمات متغايرة لعل اصلها اختلاف اصطلاحات النقط مع العلم ان هذه لا تعدو العصر العباسي وان ارتبطت بأصل واحد اذ هي تنبثق من ابجدية واحدة .

وهكذا عاشت الجزائر سنة كنعانيةقرونا وقرونا فحافظتعلى قحطانيتها وصهرت سواها ، وقد عبر ابن باديس عن هذا بقوله (ما دخل الجزائر فاتح الا انصهر بها ، لكن العرب المسلمين صهروها بلغتهم ودينهم فأصبحت عربية مسلمة).

ويلاحظ القارىء من هذا قوة جذور العربية الكامنة بها اذ لولاها لعاشت الجزائر مسلمة غير عربية كفارس وخراسان مثلا .

قحطانية الجزائر الام وصغيرتها القريشية

فرحت العربية القحطانية القرطاجية العريقة السائدة بالمغرب الكبير، باستقبال حفيدتها اللهجة القريشية التي حملها الفتح الاسلامي ، فعاد الفرع لاصله والاسد لاجمته .

استنشقت الام رائحة حفيدتها مذ تسامع المغرب اخبار فرقة عمرو بن العاص بدخول مصر فأرسل اهل طرابلس ـ ليبيا وفدا يحمل التهنئة ويذكر بوشائج العروبة ويقاسم على الانضمام ويتمنى لو تابع زحفه لطرابلس .

هبط عمرو طرابلس على رأس فرقة من الصحابة فقوبل بالتعاون وسوعد على التحرير رغم الانتفاضات التي استغلتها الكهنة .

استدار الزمن واخذ جناح شبه الجزيرة يأنس بالعودة لحضن امه، واخذ عقبة بن نافع يقيم من مدينة القيروان مصنعا لابطال الفكر وما لبثت آخر اللهجات التي طرأت على المغرب ان ذابت في محيط العربية القريشية، وما ان أشرف القرن الاول علىالافولحتى سمعنا طارقا يقول : (البحر من وراءكم والعدو امامكم ...) واخذ المغرب من حينذاك يحمل شعلة الاسلام

للاجزاء التي تليه لاسيما في عهد المنصور السعدي المعروف بالذهبي، وحقق الوحدة مع الاندلس وعرقل الخطر الذي يحدق بها كما رأيناه بعهد يوسف تاشفين ، واقام اول جامعة في العالم كله كما رأيناه بعهد الادارسة وتعاقب عليه من عهود الاغالبية والمارضين والسعديين ما لا يزال مفخرة التاريخ.

لا جديـــد

حاولت الكاهنة المرور من كلمة (عرب وبربر) لكن ما لبثت الحقيقـة الكامنة بين الام القحطانية والبنت القريشية ان طردت تلك المحاولة الى الابد.

احفاد الكاهنة المعاصرون لم يأخذوا درسا من فشل جدتهم بل تتبعوا خطاها وشروا كلمة عرب وبربر المدفونة منذ عهدها.

مثلا كثيرا ما قصت فرنسا بين احياء أو قرى العرب والعرب الذيـــن دعتهم بربر بحجة عدم الانسجام ، وألغت المحاكم الشرعية حرصا ـ كما تقولـ على تقاليد البربر وتراثهم واعادتهم لجذورهم الغالية اللاتينية ، بل فصلـت قبائل البربر من بعضها واقامت لكل قبيلة نظاما حرصا على تراث القبائل!!!

ومنعت الجار العرب من الوصول لقبائل البربر وحالت دون زيــادة الفقهاء وحملة القرآن وخلقت في طريقهم المثبطات والمعوقات .

بل شمل عدلها البربر وسواهم اذ ما زالت تضيق بالحجاج حتى اصبح عددهم في بعض الاعوام ٢٠ حاجا .

لقد حاولوا التهام الجزائر شطيرتين عربية وبربرية، ناسين الاطار الاسلامي الكبير الذي رأى الانسانية جنسا وانواعها شعوبا .

ومن العجب ان ألسنة السياسة واقلامها وصفحاتها تناست ان القبـائل اليمنية القحطانية الكنعانية القرطاجية التي امتدت مراكزها التجارية على طول السواحل الممتدة من حيفا الى طارق تناست هذا واطلقت على هذه الموجـة المتحضرة المحضرة أطلقت عليها بربرية ولا تزال تزعم ويقلدها العامة من اصحاب

الاقلام ان هذه الكلمة تشير للتخلف والبطش وتصف الحرب والصولات الوحشية المدمرة بالبربرية وممثلي ادوارها بالبرابرة ٠

والاعجب من هذا ان الاقلام الكامنة المتربصة كطه حسين مثلا رددت التوجيه الاستعماري والتقت مع مستشرقي اليهود أمثال مرجليوث وانكرت وجود العرب انكارا جازما فرأت العراق اشوريا والشام فينيقية ومصر فرعونية والمغرب بربرا والحجاز كلدان واليمن حبشية والخليج واطراف نجد الشرقية فرسا والتقت مع العهد القديم الذي يرى العرب لا يعدون سكان العربية (الصحراء) ولا يتقنون الا تربية الغنم والابل ٠

قومية الجزائر من وجهة نظر ابن باديس

كثيرا ما غاص ابن باديس موضوع القومية ، معلنا ان العربية ليست عنصرية اذ (وحدة الامة قائمة على اتحاد قلوبها)!

من هنا ينطلق ابن باديس ليعلن ان الجزائر وطن صغير في دائرة وطن هو المغرب الكبير ، وهذا جزء من ديار العرب ، وزاوية من الوطن الاسلامي، وعضو في العالم الانساني اذ الاسلام وسع جنس الانسان وانواعه ومذاهبه وارتقى به من الاسرة للعالمية ٠

لا قومية ، ان العرب ليسوا قوما ، بل امة تشعب منها اقوام ، اذ الشعب شعبة من اصل ٠

على ان ابن باديس يرى كلمة العروبة والقومية جوفاء اذا لم تتحكم

نشر في جريدة الشهاب ج٨ مجلد ١٣ عدد شعبان ١٣٥٦ ــ اكتوبر١٩٣٧ باتحاد قلوب واستقامة سلوك ٠

ص ٣٥٤ مـا نصه :

(نحن حراس الاسلام والعروبة والقومية)٠

اما الولاء لدى الجزائر فهو للاسلام وحده ، اذ رغم انسحاب الاتراك

الذي استلزم طعن الجزائر ، رأينا الجزائريين لاسيما ايام الحرب الايطاليـة ـ التركية يعلنون التضامن مع الاتراك ويكتتبون لمصلحتهم ، ويقاطعـون البضائع الايطالية ، ويصفقون لانتصارا تليبيا •

رأيهـا بـه

اما الوحدات السياسية فقد اوجزت رأيها بها فقالت بلسان ابن باديس:

(الوحدة السياسية تكون بين من يسوسون انفسهم) •

يعني ان الذين يغفلون عن التخطيط المفضي للنتائج الحاسمة ، ويدعون لوحدة ، يضحكون من سذاجة الجمهور ، اذ هو طفل يصفق لهم جاهلا خطر الثكنات العدوة الجامعة فوق ارضهم (اذ ارض الامة الواحدة جسم لا يتجزأ ولو جزأه الغزاة)!!!

اذن فالانطلاق شطر الوحدة السياسية هو تطهير الداخل اولا ، وهـذا ما عرض الجزائر مصممة على تنقيته بأيد مضرجة متمردة متحدية !!!

هذه الايدي لم يفتها ان حياة جزء من ديار امة منفردا ولـو مستقـلا وكريما ، لا يعني الحياة الكاملة ، اذ يستحيل ان يعيش جسم منزوع اومشلول الاطراف •

اعني أن ابن باديس يعرض الوحدة العربية الكبرى ، التي تقيم نفسها قنطرة يمر عليها الاسلام ، يعرضها وسيلة لانقاذ الانسانية مما رمتها بـه القوميات الضيقة التي تجري بها العنصرية مجرى الدم •

هذه الوسيلة ، غاية كل عاقل ومنتهى رجاء المفكرين ومدينة الفلاسفة الفاضلة ، اذ المجزؤون لا يستطيعون التحليق في جو الحياة الكريمة الا اذا اجتمعت اجزاؤهم وتلحلحت اطرافهم • لا سيما والقرآن ارادنا أئمة قـدوة واسوة للشعوب المحرومة من الوحدة •

فكرة المهدي في الاسلام

بقلم: نصر الله سماك

الاعتقاد بالمهدي ومنجي البشرية فكرة قديمة وكان الانسان من الزمان القديم يعتقد به وينتظر يوم ظهوره. طالما ان الامم والاقوام المظلومة والمغتصبة حقوقهم لم يتمكنوا من استردادها لذا فتكون فكرة قيام قائم يقوم ويقتص من الظالمين ويملأ الدنيا عدلا وقسطا معقولة . من الطبيعي ان كل قوم اصابه اكثر اذى وظلما فعقيدة المهدي فيهم تكون اكثر رسوخا . كما نعلم ان بعض من الظالمين ويملأ الدنيا عدلا وقسطا معقولة . من الطبيعي ان كل قوم اصابهم سوتراي المنجي . وكذلك في أديان اليهود والزرادشت والبوذيين والهند والمسيح جماعات من الناس ينتظرون منجيا وهاديا وحسب اعتقادهم يظهر هذا القائم في آخر الزمان .

اذا العقيدة بظهور المهدي امل كل مظلوم يريد من ورائه تهدئة آلامه بقيام هذا المنجي .

المهدي في الاسلام

المهدي بفتح الميم وكسر الدال اسم مفعول من هدى بمعنى : « الذي قد هداه الله الى الحق . وقد استعمل في الاسماء حتى صار كالاسماء الغالبة وبه سمي المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجيء في آخر الزمان» (١). وبهذا المعنى لقب بعض الانبياء والرسل بالمهدي دون

---

١ ـ ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث والاثر ج ٥ ، ص ٢٥٤ ، لسان العرب المحيط لابن منظور ج٣ ص ٧٨٧ .

ان يكونوا من المنتظرين . كما جاء في شعر جرير الشاعر في وصف نبينا ابراهيم عليه السلام :

ابونا ابو اسحاق يجمع بيننا أب كان مهديا نبيا مطهرا

وفي قصيدة حسان بن ثابت في رثاء الرسول الاكرم (ص) سمى النبي مهديا ، اي الذي هداه الله الى الحق :

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الارمد
جزعا على المهدي اصبح ثاويا يا خير من وطي الحصى لا تبعد
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدي (٢)

وفي الحديث النبوي الشريف جاء المهدي بمعنى الذي هداه الله الحق . روي عن علي بن ابي طالب (ع) سئل رسول الله (ص) من الذي يأتمر بعدك فقال :

« ان تؤمروا ابا بكر تجدوه امينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة ، وان تؤمروا عمر تجدوه قويا امينا لا يخاف في الله لومة لائم ، وان تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم ». (٣)

وقال سليمان بن صرد الذي قام يطالب بدم الحسين عليه السلام بعد قتله قال :

« اللهم ارحم حسينا الشهيد بن الشهيد المهدي بن المهدي ». (٤)

ويمدح جرير الشاعر سليمان بن عبد الملك في قصيدته ويلقبه بالمهدي اي الذي هداه الله الى الحق :

---

٢ ـ ديوان حسان بن ثابت ، طبعة تونس ص ٢٤ .
٣ ـ اسد الغابة ، ج٤ ، ص ٣١.
٤ ـ تاريخ الطبري ، طبعة دوخوية ، ج٢ ص ٥٤٦ .

سليمان المبارك قد علمتم هو المهدي قد وضح السبيل

اما ابن التعاويذي الشاعر المادح عند الخليفة العباسي الناصر الملقب بالمهدي يمدح الخليفة ويغلو فيه ويسميه المهدي المنتظر :

انت الامام المهدي ليس لنا امام حق سواك ينتظر

تبدو لابصارنا خلافا لان يزعم ان الامام المنتظر(٥)

فكرة المهدي عند المسلمين هي عبارة عن ظهور القائم في آخر الزمان ، كما ذكر في الاحاديث النبوية الشريفة :

« يملأ الارض عدلا وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا »، وفي الحديث النبوي : « يخرج المهدي من امتي خمسا او سبعا واو تسعا ، انا وحمزة وعلي وابو جعفر والحسن والحسين والمهدي » (٦)٠وايضا جاء في الحديث الشريف: « لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا» (٧)٠ وفي الحديث النبوي : « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني أو من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي » (٨)٠

وبعد قتل الامام علي صلوات الله عليه افترقت الامة التي اثبتت له الامامة ٠ فرقة منها قالت : «ان عليا لم يقتل ولم يمت ولن يموت حتى يملك الارض ويسوق العرب بعصاه ويملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وهي أول فرقة قالت في الاسلام بالوقف بعد النبي من هذه الامة

٥ ـ ديوان ابن التعاويذي قاهرة طبعة مارجوليوت ١٩٠٤ ص ١٠٢ ، جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣

٦ ـ الجزء الثالث من كتاب مسند ابن حنبل وكتاب السنن لابن ماجه ، الباب الرابع والثلاثون من كتاب الفتن .

٧ ـ كتاب السنن لابن ماجه ، باب الحادي عشر من كتاب الجهاد .

٨ ـ المقدمة لابن خلدون ، الفصل الثالث من الكتاب الاول ، والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي طبعة ليدن ج١ ، ص ٢٠٧ .

واول من قال من بينها بالغلو وهذه الفرقة تسمى السبائية اصحاب عبد الله بن سبأ . والفرقة الثانية التي قالت بالوقف في الاسلام هي الكربية اصحاب أبي كرب الضرير ، قالت انما المهدي هو واحد وهو ابن الحنفية وانما غاب فلا يدري أين هو وسيرجع ويملك الارض ، ولا امام بعد غيبته الى رجوعه» (٩).

وبعد هذه الفرقتان اكثر فرق الشيعة اعتقدت بالغيبة وظهور امامهم. وكما ذكرنا العقيدة بظهور المهدي لا تختص بالشيعة بل توجد اخبار تدل على ظهور المهدي في آخر الزمان في كتب اهل السنة والجماعة مثل كتاب الصحيح للترمذي وابو داود وابن ماجه وكتاب المسند لابن حنبل وغيره ولكن البخاري ومسلم يشكون بهذه الاخبار ولم يذكروها في كتبهم ، ولكل امة مهدي ينتظروه وبانتظاره يهدئون آلامهم كما نرى الهنود يعتقدون بظهور مهديهم المسمى بـ «ويشنو» ومسيحي الحبشة برجوع ملكهم تئودور والمغول بقيام جنكيزخان وهذه العقيدة توجد بين كل امة كانت لها عظمة وجلالا ولكي يستعيدوا تلك العظمة اعتقدوا بظهور وقيام نوابغهم ورجالهم في آخر الزمان (١٠).

اول من ادعى المهدية بعد الشيعة هو عبيد الله بن محمد (٢٥٩ــ٣٢٢هـ) مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب فاختط مدينة المهدية عام ٣٠٣ هجرية واتخذها قاعدة لملكه ومات بها بعد ان حكم اربعا وعشرون سنة (١١). وظهروا دعاة آخرين في الاسلام منهم ابو عبد الله محمد بن تومرت المتوفي سنة ٥٢٤هـ وهو مؤسس اسرة الموحدين في المغرب ، والمهدي السوداني الذي

---

٩ ــ كتاب المقالات والفرق تصنيف سعد بن عبد الله ابي خلف الاشعري القمي ، تصحيح وتعليق الدكتور محمد جواد مشكور ، طبعة طهران ١٩٦٣ ص ٢٠ و ٢٧ .

١٠ ــ تاريخ الفانستان بعداز اسلام ج١ ص ٨٦٧ ، جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ١٩٢ .

١١ ــ الاعلام للزركلي ج١ ص ٣٥٣ .

ادعى المهدوية في السودان وتلقب سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١ م) بالمهدي المنتظر وتغلب على الخرطوم عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥م) ومات بالجدري في تلك السنة في ام درمان (١٢)• وميرزاغلام احمد قادياني (١٨٧٩ ــ ١٩٠٦م) ولد في قاديان من مدن بنجاب الهند وادعى بانه المهدي المنتظر والمسيح الموعود وكلاهما ظهرا في شخصه وتوفي عام ١٩٠٦م وما زال اتباعه في الهند والباكستان وافريقيا واندونيسيا ومقرهم لاهور من بلاد باكستان (١٣)•

المهدي في الشيعة

قال النبي صلى الله عليه وسلم:«المهدي من عترتي من ولد فاطمة»(١٤) واختلفت الشيعة في المهدي ونسبه ، فرقة تقول هو من ولد عباس وفرقة تجزم بانه علوي وغير فاطمي ويعتقد الآخرون بانه حسني او حسيني • اما في اسم ابيه قولان ، الاول تعتقد الامامية ان اسم ابيه الحسن والثاني قول اهل السنة والجماعة بانه عبد الله • وكذلك اختلفوا في شخصية الامام وافترقت على عشرة اقوال : منهم الذين زعموا المهدي هو محمد بن حنفية او ابنه ابو هاشم والفرقة الثانية وهم المغيرية زعموا ان محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية هو المهدي والفرقة الثالثة وهم الاسماعيلية الخالصة زعموا ان اسماعيل بن الامام جعفر الصادق هو المهدي والفرقة الرابعة وهم الناووسية زعموا ان الامام جعفر الصادق هو المهدي والفرقة الخامسة وهم المباركة زعموا ان محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق هو المهدي والفرقة السادسة وهم الواقفة الذين وقفوا على موسى بن جعفر

١٢ ــ ايضا الاعلام للزركلي ج٦ ص ٢٤٥ ، مهدي از صدر اسلام تا قرن سيزدهم هجري، تاليف دارمستتر المترجم الى الفارسية المرحوم محسن جهانسوز ، طهران ١٣١٧ ش، سعد محمد حسن : المهدية في الاسلام منذ اقدم العصور حتى اليوم ، قاهرة ١٩٥٣•

١٣ ــ Hastings Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol. X, P. 530 = 531. Lucien Bouvant, Les Ahmadiyya de Qadian Journal Asiatique (Jullet Septemre 1928).

١٤ ــ كتاب السنن لابي داود ، الباب الثاني والسبعون من كتاب الطهارة ، وكتاب السنن لابن ماجه ، الباب الرابع والثلاثون من كتاب الفتن .

وقالوا انه الامام القائم ولم يأتموا بعده بامام ولم يتجاوزوا الى غيره،والفرقة السابعة العسكرية زعموا ان الامام الحسن العسكري هو المهدي والفرقة الثامنة وهم المحمدية زعموا ان ابا جعفر محمد بن علي الهادي هو المهدي والفرقة التاسعة وهم الشيعة الامامية يزعمون ان الامام محمد بن الحسن هو المهدي ، والفرقة العاشرة وهم اهل السنة والجماعة لا يركزون المهدي في شخص بل يقولون هو نوعي ويزعمون ان المهدي هو مجدد دين الاسلام ومصلحه في آخر الزمان (١٥)٠

وخلاف ذلك فان الشيعة تعتقد بان المهدوية تتركز في شخص وهي سلسلة وراثية انتقلت من النبي الى وصيه الحقيقي الامام علي بن ابي طالب ومنه الى اولاده حتى وصل الى الامام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام وهو القائم من آل محمد ٠ ويعتزمون ان الائمة كالنبي ملهمون من جانب الله ويقولون ان الامام له الرئاسة العامة ومقامه فوق البشر العادي وعلمه علم لدني وليس اكتسابي ٠ وعندما خلق الله آدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد نورهم بنوره وبهذا النور نور اوصياء رسوله محمد الذين هم الائمة الاطهار وهذا النور يتجلى ويسطع في الامام ويميز على غيره من الناس وبهذا النور يتمكن الامام ان يعيش مئات وحتى آلاف السنين دون اي نحوله او ضعف او كهولة حتى يظهر بامر ربه (١٦)٠

اختلاف الشيعة الامامية بعد وفاة الامام الحسن العسكري

توفي الامام الحادي عشر ، حسن بن علي العسكري بسر من رأى يوم الجمعة الثامن من شهر ربيع الآخر سنة ستين ومائتين ودفن في داره في البيت الذي دفن فيه ابوه ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة وصلى عليه ابو عيسى بن المتوكل وكانت امامته خمس سنين وثمانية اشهر وخمسة ايام وتوفي ولم ير له

---

١٥ ـ حاج ميرزا حسين طبرسي نوري ' نجم الثاقب دراحوالات امام غايب ، طبعة طهران.

١٦ ـ الدكتور محمد جوادمشكور : ترجمة فرق الشيعه نوبختي ، طبعة طهران ١٣٥٢ شمسية (١٩٧٥ م) المقدمة الثانية ص ١٥٤ ـ ١٥٩ .

خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر • فأمر الخليفة المعتمد على الله العباسي بحجز اموال الامام وختموا حجراته وبعث بقابلات لتفتيش نسائه وعندما اشارت احداهن بانها تحمل طفلا من الامام أتوا بها الى غرفة ووكلوا لها عدة خادمات وخدام • فزعم الخليفة باقتسام ما ظهر من ميراث الامام بعد قضاء سنتين وهي لم تلد ، فوقع الخلاف بين اخوه جعفر وامه وهي ام ولد كان يقال لها عسفان ثم سماها ابوه حديث ، واما حديث اثبتت عند الخليفة بانها ترث الامام وجعفر يطالب الخليفة بميراث اخوه وبعد حجز الميراث لمدة سبعة سنين اقتسم ما ظهر من ميراثه بين اخيه جعفر وامه حديث • فجاء جعفر عند الخليفة واجبره بحبس صيقل وهي انكرت ولدا للحسن زاعمة انها حامل من الامام فحبسها الخليفة في بيته كي يعلم وضع حملها ، وعلى اثر الحوادث الكثيرة التي وقعت في خلافة المعتمد العباسي نسوا وجود صيقل وهربت من ايدي الخليفة وعماله والتجأت في بيت حسن بن جعفر الكاتب النوبختي حتى تولى الامر المعتضد بن المعتمد العباسي ، وامر بنقل صيقل من بيت الحسن بن جعفر النوبختي الى داره وقد مضى عشرون عاما عن وفاة الامام الحادي عشر وبقيت صيقل في بيت المعتضد حتى ماتت عام ٣٢٠ هجرية • فافترق اصحاب الامام اربعة عشر فرقة • وكان الخلاف في الامامة والغيبة بين الفرق كثيرا حتى اختلفوا في عدد الائمة • استند جماعة منهم الى حديث رواه سليم بن قيس الهلالي من اصحاب علي بن ابي طالب قال فيه الائمة هم ثلاث عشر اماما • وزعم ابو نصر هبة الله بن محمد الكاتب من رجال الغيبة الصغرى زعم ان زيد بن علي بن الحسين مؤسس الزيدية هو امام وزعم حسين بن منصور الحلاج الصوفي الذي كان يعتقد بالائمة الاثني عشر زعم ان الامام الثاني عشر قد توفي ولم يأتي من بعده امام وقد اقتربت الدنيا من قيام القيامة •

وفي رواية محمد بن اسحاق النديم صاحب الفهرست ان ابو سهل النوبختي الذي هو من اعيان الشيعة قال اني اعتقد بامامة ابن الامام الحادي

عشر ، اي الامام القائم ولكن الامام الثاني عشر قد توفي في الغيبة والامامة تكون في نسله واحدا تلو الاخر حتى يأتي آخر الزمان وبمشيئة الله يظهر الامام الغائب .

وازدادت فرق الشيعة في عصر المسعودي مؤلف مروج الذهب من اربعة عشر فرقة بعد وفاة الامام الحسن العسكري الى عشرين فرقة ، ويذكر المسعودي مقالات هذه الفرق في كتابيه المفقودين المقالات في اصول الديانات وسر الحياة (١٧).

القائم من آل محمد

في كتب العامة والخاصة روايات كثيرة عن المهدي . ومن كتب العامة التي روي فيها احاديث المهدي هو كتاب الصحيح للبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابو داود وابن ماجه والمسند لابن حنبل وغيره من الكتب. وبعض علماء الحديث كأبي نعيم الاصفهاني وكتاب البيان في اخبار صاحب الزمان لابي عبد الله الكنجي وكتاب علامات المهدي لجلال الدين السيوطي . وهؤلاء كلهم رووا بان المهدي من عترة رسول الله من ولد فاطمة واسمه محمد وكنيته ابو القاسم ولقبه المهدي ، وبعض اهل السنة والجماعة ذكروا ان اسم ابيه هو عبد الله (١٨).

وفي كتاب ينابيع المودة من كتاب اربعين حديث لحافظ ابو نعيم ان المهدي هو ابن الامام الحسن بن علي العسكري (١٩). واسم امه على اختلاف

---

١٧ ـ عباس اقبال آشتياني : خاندان نوبختي ص ١٠٧ ، ١١١ ، ١٦١ ، ١٦٢ نقلا من كتاب كمال الدين وتمام النعمة ، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي ، الفهرست للنديم ، والرجال للنجاشي، ومروج الذهب للمسعودي، والدكتور محمد جواد مشكور : تاريخ شيعه وفرقه هاي اسلام تاقرن جهارم ، طبعة طهران ١٩٧٦ ، ص ١٢٤ ـ ١٣٠ .

١٨ ـ راجع الحديثين الشريفين : « لو لم يبق من الدنيا الا يوم ...» والحديث : «المهدي من عترتي من ولد فاطمة » في نفس المقال .

١٩ ـ السيد صدر الدين صدر : المهدي ، طبعة قم ص ٧ ـ ١٠ .

الروايات صيقل ، وحديث ، وسوسن ، وحكيم ، ونرجس وهي ام ولد(٢٠). ويذكر ابن حجر في كتاب الصواعق ان الشيعة الامامية يقولون ان المهـدي المنتظر غاب في سرداب بيت ابيه في سامراء (سرمن رأى) وهم ينتظرون ظهوره وبعضهم اتوا بفرس بباب السرداب كي يركبه عند ظهوره . على اي حال لا يعرف كيف غاب المهدي ووفقا للاخبار الواصلة الينا ان المهدي المنتظر هـو ابو القاسم محمد بن الحسن الذي ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٦ هـ وعندما توفي ابوه الامام الحسن العسكري (سنة ٢٦٠) بدأت الغيبـــة الصغرى له (٢١).

وفي رواية الشيخ صدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة ، ان ابو خلف الاشعري سعد بن عبد الله رأى ذلك الامام عند طفولته في بيت ابيـه الامام الحسن العسكري يلعب بكرة صغيرة (٢٢).

للمهدي غيبتان ، الاولى الغيبة الصغرى ومدتها ٦٩ سنة من سنة ٢٦٠ الى سنة ٣٢٩ هـ والثانية الغيبة الكبرى وبدأت من سنة ٣٢٩ هـ وتمتد حـتى يومنا هـذا .

عـلائم الظهور

من علائم الظهور كثرة الظلم والجور ، وظهور آيات سماوية ، والقتل والمجازر ، والبلاء والعذاب ، وانتشار الرايات السود في خراسان ، وظهور سيد من السادة من خراسان وهربه الى مكه ، وقتل النفس الزكية ، وظهور السفياني في دمشق وغيره من العلائم رواها المجلسي في كتــــابه بحــار الانــوار (٢٣).

ومن علائم الظهور ايضا : « نزول سيدنا عيسى بن مريم من السمــاء»

٢٠ ــ نفس المصدر ص ١١٤ ــ ١٢٦ .
٢١ ــ نفس المصدر ص ١٥٧ ــ ١٥٩.
٢٢ ــ كمال الدين وتمام النعمة طبعة طهران ، ص ٢٥١ ــ ٢٥٧ .
٢٣ ــ السيد صدرالدين صدر : المهدي ص ١٨٦ ــ ٢٠٠ .

وطلوع الشمس من المغرب ، واستماع صيحة في السماء تنادي « ان الله قادر على ان ينزل عذابا من فوق رؤوسكم ومن تحت ارجلكم » ، وخروج الدجال الذي سمي على اختلاف الروايات بصائف بن صائد وصائف بن سعيد وصائد بن صيد ، ويقولون انه يهودي او امه يهودية ويخرج من قصبة في اصفهان تسمى يهودية . وجاء في الحديث النبوي : « فما يخرج الدجال حتى تفتح الروم » (٢٤). و«الدجال يخرج من ارض بالمشرق» (٢٥). ليس للدجال العين اليمنى وله عين واحدة في جبينه وفي الحديث الشريف : « وان المسيح الدجال اعور العين اليمنى » (٢٦) وهذا العين ساطعة كنجمة الصباح وفي عينيه شيء يشبه جلطة الدم وفوق عينه كتب بخط جلي « الكافر » بحيث يقرأه كل متعلم وامي وبجبهته يتحرك الشمس وامامه جبل من اليحموم ووراءه جبل ابيض يظن الناس بانه طعام . وفي الحديث : « ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا » (٢٧) . يخرج الدجال في ايام المجاعة وهو راكب على حمار اخضر او رمادي اللون ، وكل شعر منه يطرب طربا ويمشي بكل خطوة مسافة ميل ويلوي الارض تحت رجله ويجف كل ماء عندما يصله وينادي بصوت عال يسمعه كل جن وانس وشيطان في مغارب الارض ومشارقها ويقول : « اتبعوني يا اصدقائي ، انا الذي خلقت كل موجود واعطيته رزقه ، انا ربكم» وينخدع الناس فيتبعونه ، وفي النهاية يقتل الدجال على تل في الشام يعرف بتل الافيق بيد المسيح عيسى بن مريم الذي نزل من السماء . اما في الحديث النبوي : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لد »(٢٨) ، ثلاث ساعات خلون من

---

٢٤ ـ الباب الخامس والثلاثون من كتاب الفتن في سنن ابن ماجه .

٢٥ ـ الباب السابع والخمسون من كتاب الفتن في صحيح الترمذي ، الباب الثالث والثلاثون من كتاب الفتن في سنن ابن ماجه ، صفحة ٧و من الجزء الاول لمسند احمد بن حنبل .

٢٦ ـ الباب السابع عشر من كتاب التوحيد في صحيح البخاري ، الباب الرابع عشر من كتاب الملاحم في سنن ابيداود ، والباب الثالث والثلاثون من كتاب الفتن في سنن ابن ماجه ، المسند لاحمد بن حنبل الجزء الثاني ص ٣٣ و٢٧ و ١٢٤ و١٣١ والجزء الخامس ص ٣٨.

٢٧ ـ باب الخمسون من كتاب الانبياء وباب السادس والعشرون من كتاب الفتن في صحيح البخاري .

٢٨ ـ الباب الثاني والستون من كتاب الفتن في صحيح الترمذي .

يوم الجمعة ، وتكون فترة حكومته ٤٠ يوما او ٤٠ سنة ، وجاء في الحديث النبوي : « ويمكث ابوا الدجال ثلاثين عاما » (٢٩) وفيه يملأ الارض ظلما وجورا وكفرا (٣٠) •

الدجال بمعنى الكذاب وهي كلمة سريانية، اصلها «دكل» بمعنى الكذب ومنه « المسيح الدجال » اي الكذاب الذي سيظهر في آخر الزمان •

وفي الاحاديث الاسلامية فالدجال احمر اللون ، جعد عطط ، جسيم، عريض النحر ، أعور ، أجلي الجبهة وباليمنى ظفره غليظة ، وان عينيه تنامان ولا ينام قلبه وهي صفة من صفات النبوة واتباع الدجال هم الكفار والمنافقون والنساء واليهود (٣١) وجاء في الحديث الشريف : « يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا » (٣٢)•

ومن علائم الظهور ايضا خروج دابة الارض ، ودابة الارض من اكبر شرائط الساعة • ويروى ان طولها سبعون او ستون ذراعا ، وهي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات ، فرأسها رأس ثور ، واذناها اذنا فيل ، واقدامها اقدام بعير وتظهر في تهامة او بين الصفا والمروة وقيل ينصدع جبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع والناس سائرون الى منى•وقيل من ارض الطائف• فتضع على وجه الكافر علامة سوداء ، وعلى وجه المؤمن علامة بيضاء وتنتشر هذه العلامات حتى تشمل الوجه كله• وهكذا يمتاز المؤمن من الكافر ، ويقال ان الدابة ستجلب معها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن بالعصا ، وتكتب في وجهه مؤمن ، وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه كافر لا يدركها طالب ، ولا يعجزها هارب • ومن ثم يخاطب الناس بعضهم

٢٩ ـ احمد بن حنبل المسند ، الجزء الخامس ص٤٠ ، ٩٩ ، ٥١ •

٣٠ ـ ترجمة بحارالانوار للمجلسي، المجلد ١٣ ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣ •

٣١ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، ج٩ ص ١٢٥ ـ ١٤٨ ، دونالدسن : عقيدة الشيعة ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣ •

٣٢ ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ج٢ ، ص ١١١•

الآخر بالمؤمن والكافر . وقد نشأت هذه القصص من تأويل سورة النمل ، الآية ٨٤ ، وقد ورد فيها : « واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » وقد ذكرت في الآية ١٣ من سورة سبأ : « فلما قضينا عليه قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » (٣٣).

المرحوم المجلسي يذكر في كتابه سألوا من امير المؤمنين (ع) ما معنى الطامة الكبرى ؟ قال خروج دابة الارض من الارض قرب الصفا ومعها خاتم سليمان وعصا موسى وتطبع المؤمن بالخاتم وتكتب في وجهه « هذا مؤمن حقا» وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه « هذا كافر حقا » وبعد طلوع الشمس ترفع الدابة رأسها من المغرب والمخلوقات كلهم يرون هذه الدابة فيستغفرون ولكن لا تقبل اعمالهم ولا توبتهم ومن ثم يخرج المهدي ويصلي وراءه المسيح عيسى بن مريم ، والقائم هو الشمس الذي يظهر من المغرب بين الركن والمقام ويزيل الكفر والفسق والظلم والجور من الارض (٣٤).

والمعروف ان بعض علائم الظهور كخروج السفياني الذي هو من اعقاب يزيد بن معاوية واسمه ابو محمد زياد بن عبد الله السفياني خرج سنة ١٣٣ اوائل الدولة العباسية ، وانتشار الرايات السود في خراسان ترتبط بقيام ابي مسلم الخراساني سنة ١٣٢ هـ ، ايضا قتل النفس الزكية الذي هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن والمعروف بأرقط قتل على يد عيسى بن منصور العباسي في عهد الخليفة منصور العباسي بالمدينة سنة ١٤٥ وهذه العلائم ظهرت سابقا ، ولكن الرواة والمؤلفين نسوها واعتقدوا بانها من علائم ظهور المهدي في آخر الزمان .

---

٣٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، ج٩ ص ٧١ ، ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث والاثر ج٢ ص ٩٦ .

٣٤ ـ ترجمة بحار الانوار للمجلسي ، المجلد ١٣ ص ٤٨٢ .

ظهور القـــائم

تقول الشيعة الامامية وبعد ظهور العلائم يظهر المهدي بقدرة الله ولطفه ويتراوح عمره بين ٣٠ و٤٠ عاما وهذا الامر العجيب لا يكون الا بقدرة الله ومعجزة الامام • محل ظهور المهدي في مكة قرب الكعبة والنـاس يبايعونه بين الركن والمقام (٣٥)• ويحيي الله ثلاثمائة وثلاث عشر مؤمنا من الاموات وهم يحاربون الكفار مع الامام المنتظر(٣٦)• يقول المرحوم المجلسي قـــال رسول الله يخرج المهدي من قرية كرعة وعند خروجه يكون فوق رأسه سحاب ومن بين السحاب تنادي الملائكة « هذا المهدي خليفة الله »•

ويذكر المجلسي في روايته ميزات الامام فيقول لونه عربي (اسمـر) وجسمه اسرائيلي وعلى خده وشم كالكوكب الساطع ، وشعر جبينه قليـل ، وبين ثناياه فاصلة (٣٧)•

وسيجلب المهدي الخاتم والعصا ورداء وعمامة النبي وبعيره غضبـــا وبغله دلدل وفرسه براق وحماره يعفور ويكون معه نسخة من القرآن جمعها الامام علي بن ابي طالب(ع) (٣٨)•

كما ذكرنا سلفا من علائم الظهور نزول المسيح وقتل الدجال بيـــده وصلاته وراء الامام • وعند ظهور المهدي يستيقظ اهل الكهف من نومهم بعد آلاف السنين فيسلم عليهم المهدي وهم يردون سلامه وينامون مرة ثانيـة الى يوم القيامة • وفي روايات اخرى ان اصحاب الكهف يصبحون من انصـاره ويحاربون الكفار معه •

ومن الامانات الموجودة عند المهدي تابوت سكينة لسيدنا موسى (ع)،

٣٥ ـ السيد صدر : المهدي ص ٢٠٨ ـ ٢١١ •

٣٦ ـ محمد باقر المجلسي : تذكرة الائمة طبعة حجرية ، طهران ص ١٧٨ •

٣٧ ـ المجلسي : بحار الانوار ، المجلد ١٣ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ •

٣٨ ـ ايضا المجلسي : بحار الانوار ، المجلد ١٢ ص ٦٧٤ •

ونسخة مصححة من اسفار التوراة والانجيل وعندما يعرضها على اليهـــود والنصارى فكلهم يسلمون • يستخرج المهدي تابوت سكينة من مغارة في انطاكية واسفار التوراة من جبل في الشام • ومن ثم المسيح يكسر الصليب بأمره ويقتل الدب ويهدم الكنائس • يتوفى المهدي في الاربعين من عمـــره ويدفن بالمدينة بين قبر ابي بكر وعمر • المهدي يأتي بالاسلام الحقيقي ويملأ الارض عدلا وقسطا •

واختلفوا في خلافة المهدي قيل ثمان وقيل سبع الى تسع سنين وقال بعضهم خلافته تكون خمس سنوات وفي بعض الروايات ذكرت عشرون الى اربعون عاما (٣٩)•

بيروت
نصر الله سـمـالد
طالب الدراسات العليـا
في جامعـة القديس يوسـف

٣٩ ــ تاريخ شيعه وفرقه هاي اسلام تاقرن جهارم ، تاليف الدكتور محمد جواد مشكور طهران ١٩٧٦ ، السيد صدر الدين صدر : المهدى ص ٨٨ ، ٩٧، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٣ ، بحار الانوارمجلد١٢ ص ٦٦ ، عقيدة الشيعة ص ٢٤٣ ، نجم الثاقب دراحوالات امام غايب ، تاليف حاج ميرزا حسين نوري ، طبعة طهران ، مؤسسة جاويدان .

الايــــام

★ ★ ★

الايام خمسة ، يوم مفقود وهو أمس ، ويوم مشهود وهو يومك الــذي أنت فيه ، ويوم مورود وهو غدك ، ويوم موعود وهو آخر ايامك من الدنيا، ويوم ممدود وهو يوم القيامة •

أنشودة الجراح

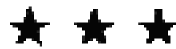
شعر: عدنان حمدان

عطش الثار فاسكبي يا جراح   مات في غمرة الشروق الصباح
الثمار التي انتظرنا جناها   قطفتها حين النضوج الرياح
والعقول التي اعتمدنا حجاها   رقصت في ربوعها الاقداح
والسيوف التي اعدت الى الثار   لم يلف في غمودهن صفاح
والصدور التي تاجج فيها الحقد   يوما يصول فيها السماح
والرجال التي يبالغ في افصاحها   اذ جلا الدجى اشباح
والربوع الخضراء عادت هشيما   كل روض بزهوها صواح
والثكالى وحولهن اليتامى   ينتشي في بيوتهن النواح
وحصاد الحروب في كل فصل   عشرات البقاع منا تباح

★ ★ ★

يا نديمي وما سواك بهذا الامر   ثبت لديه راي صراح
اترى الامر واضحا ام عليه   من نسيج المحيرات وشاح
فسفين يرمي به الموج خبتا   وتعين الموج اللئيم الرياح
وسالت الملاح اين سرانا   فتوارى عن سؤلي الملاح!
صيح للموت فاستجابت شعوب   واستطالت باهلها الارواح

وتمطى الرعيـــل وازور عـــزم يـــدلي للمنـــون او يمتـــاح
وقطعنـــا من الغـــرور يميـنــــــا وشمـــالا وانشبتـــه الرمـــاح
وزرعنـــا في ليلـة اليأس فجرا واتحنـــا كل الذي قد يتـــاح
وكثيرا من الثمـار قطفنـــــا غير ان الجمـــال فيها جمـاح
فدعـــوا للسـلام فارتـد نصـــر ثـــم صـــاحوا بان ذاك اقتـــراح
فتهاوى من حـــالق الافق نســر اريحـــي قد هيض منـــه الجناح
يا نديمي وفي الحـــديث شجـــون ســحب الصيف غيثهـــن مزاح
فشـل دائـم الربيع واخفـــاق المســـاعي غـــدونـــا والـــرواح
قفزة نحـــن ثم تنكـــص للخلف وفي ظهرانـــا ترف الجــــراح



يـــا جراح الشهيد وهو ضجيـــع المـــوت عزا بـــه لانت ســـلاح
فشظـــايا الجراح تنبث كـــالفجر لهيبـــــا على الـــدجى فيـــزاح
ومطـــاف النمـــاء مضمون نصر سرمـــــدي عطـــاؤه وطمـــاح
عبقري النـــوال سمح العطايـــا تعبـــت في امتداحـــه المـــداح
رحـــم طـــاهر وكـــل وليـــد لم يجيء منـــه فهو سقط سفاح
يمنـــح الحرب رجلهـــا ولظـــاها لا عـــدمنـــاك ايهـــا المنـــاح
يزهر الثـــار في ضفـــافك نصـــرا ثم تخضـــر بالفخـــار الســـاح

كربـــلاء ــ العراق

عدنـــان حمـــدان

محنة الجنوب الكبرى

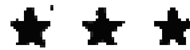
شعر : الشيخ محمد حسين الزين

عرج على لبنان حادي الاينـــق لترى الجنــوب واهله في مــازق
وعوامـل الحرب الضروس بغربـه وجنوبــه وشمالــه والمشرق
واهمهـا طمع العـدو بما حوى من منبـت خصـب ومن ماء نقـي
وموانيء كانـت قديمـا وحدهـا أرقـى الموانيء للسفين الفينيقي
فانصاع يقذفــه باوقات الضحـى والصبح والامساء ليل مغســق
بقذائف هــدامة حراقــة جبلت شظاياهـا بغـاز محرق
فهــوت بيــوت كلها فوق الثرى وتصدعــت اخرى فمـا عادت تقي
وتفرقت سكـانها ايدي سبــا وغـدوا نزولا في العراء المرهـق
لا مــاء فيــه ولا كـلاء ولا ضيــا لا نــوم لا اسعاف للدنف الشقـي

★ ★ ★

وتكـاثر النهب الدنيء عـلانيـا من دارة المثري ودار المملــق
ومن الدوائر والمتـاجر كلهــا حتى التي اختصت ببيع الفستق
أو خصصت للقــوت شبه مطاعم أو افردت للنــوم شبه الفنــدق
حتى المعاهـد والمعابـد نــالها شر اللصوص وقبلهم لم تسرق

اما الضحايا جلها من عجز | او رضع او نائم في الخندق
والبعض مزقت الشظايا جسمه | في الحقل او في البيت شر ممزق
اما الفقير فقد اضيف لفقره | ان لا يرى في قومه من مشفق
او لا يرى عملا يقوم باوده | فاضطر يطرق كل باب مغلق



اما الثكالى الحاسرات فانها | تروي الثرى في دمعها المتدفق
وتنوح لا الخنساء تحكي نوحها | كلا ولا رجع الحمام الشيق
اما اليتامى البائسون فما رأوا | من ميتم ياوي وشهم منفق
حيث القلوب قست كاحجار الصفا | والاثرياء تشبثوا بالدافق
فاذا اتى غوث لارباب الشقا | هب الثري لاخذه قبل الشقي
والناس اضحوا كالقيامة ذهلا | لا يابهون بمن قضى وبمن بقي
تركوا التجول حيطة من رميهم | برصاصة القنص السريع المحدق
او خطفهم وعذابهم في مكمن | كمن القساة لديه قرب المفرق
تركوا الضحايا في العراء عواريا | وتسابقوا نحو الخبيء الضيق
كالضب يسرع للدخول بجحره | حذر الهلاك برشقة من مرشق
حتى اذا ظنوا الهدوء تعجلوا | في دفن موتاهم بقبر مطبق



كثرت مواعيد السلام لشعبنا | من معشر ما فيهم من صادق
هذا العدو تفاقمت ضرباته | وقضت على بعض الهدوء السابق

وعلى أماني الصامدين بأرضهم رغم العذاب أو الخراب الماحق
فتهجروا عنها برغم أنوفهم متسابقين الى المكان الساحق
فلعلهم ينجون من بعض العنا أو شر هناك ووحش ناطق

★ ★ ★

عم الاذى كل الجنوب فلا ترى من مؤمن ناج ولا من فاسق
اين الاولى ملأوا الجيوب باسمه وبنوا قصورا كالقصور بجلق؟
أين الاولى ملأوا البلاد حماسة وتملقا في القول او في الموثق؟
ام يلف منهم واحدا قد عاده في «المحنة الكبرى» وشاهد ما لقي
تركوه مغلول اليدين فريسة لعدوه الشرس اللدود الاحمق
وتكلموا لما تكلم غيرهم كالببغا لا تستقل بمنطق

نزيل بيروت — المهجر

محمد حسين الزين
الجنوبي

تحدثني، ولم أفهم عليها
كأن حديثها الشعر الحديث

عبد الحسين عبد الله

مرحى بالزين في ثرى الحسين

نظم: سلمان هادي الطعمة

قلوب اهل الهوى في غـــاية الطرب شوقـا بمقدم فخر العـــلم والادب
ورفرف النصر فـــالايام ضاحكـة تتيـــه كالحسن في اثوابها القشـــب
ومشعل الفكر اذ يـزدان مؤتلقـــا يشـــع منه سنى العرفـان عن كثب
مجـلة بجميـــل الـــذكر حافلة تجر اذيـالها تيها على الشهب
تحـــوي من الادب العالي صحائفهـا وتزدهي بشذا الاشمـــار والخطب
تحكي الثريـــا اذا ما لاح مبسمها تنـادم الفكر في مناى ومقتـــرب
يـــا بلبل الادب الفريــد ما برحت عرائـــس الوجد في جــــد وفي لعـــب
غرد على فنـــن العرفـــان منتشيـــا في هامة الفخر سجع الصادح الطرب
عســاك تنعش ارواحـا وافئـــدة كيمـا تزيـــل هموم المجهد التعب
حللت في كربـــلا اهلا وقد شخصت اليـــك افكـــارها من سالف الحقب
فالرافـــدان ولبنان الاشـــم معـا لا فرق بينهما في وحدة النسب
تحية ملؤهـــا الاكبـــار عاطـــرة ترف من خلجـات الشوق والحبب

كربلاء ــ العراق سلمان هادي الطعمه

الشمعة المحترقة

شعر: علي الفتال

افنيت عمرك في القرطـاس والقلـم — وكنت للحق تجلوه وانت ظمي
وصرت من فرط ما تهوى الصراحة لا — تخشى الملامة من لوامة قزم
لانـت كالطـود والاقـزام جاثيـة — ترنـو اليـك كنبـع في ذرى القمـم
واليوم حسبـك فاهنا بعد طول عنى — في عالـم الحرف تسعى غير مغتنم
ان انـت كرمت مـا كرمت عن عبث — الا لانـك نـور في دجى الكلـم
(الناس تعشق من خالا بوجنتـه) — ومـا عشقت سوى القرطاس والقلم

★ ★ ★

ايـه ابا الزيـن كم أتحفتنا ابـدا — من فيـض علمـك من نثر ومن نظم
فمرة انـت صـداح بقـافيـة — فرائـدا تصطفيها عـذبة النغم
ومـرة أنـت للتاريخ منصفـه — ومرة انت شيخ وافر الحكـم
ومرة بل ومـرات تطـوف على — هـذا الفقيـد وذاك الطيب الشهـم
تطريـه من فيض طيب انت منبعـه — لدفـق نور مزيـلا حلكـة الظلـم

★ ★ ★

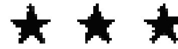
فاسلم ابا الزين في ما قلت من كلـم — فالقلـب موحيه لا من رغـوة بفمي

العراق ـ كربـلاء — علي كاظم الفتـال

روزو الشاعر

نظم - ابن العروبة

جاء « روزو » مبهرج الثوب زاه   مسدلا شعره على كتفيه
وله شاربان طالت نزولا   وتدلت فجاوزت فكيه
وارتدى بزة النساء اختيارا   من لدن راسه الى قدميه
فحكى الغانيات غنجا ودلا   عله يجذب العيون اليه
ثم سمى الشذوذ هذا جديدا   ماله في قديمنا من شبيه



ومشى الدلع في ميوعة خنثى   وتثنى كالغصن في ميلتيه
وحكى الثرثرات من غامض   القول والهذر ما يحكيه
قلنا هذا : اجاب شعر جديد   لهواتي من خاطري امليه
اننا نطلب الجديد خروجا   من اطار القديم رغم ذويه
هيئوا لي التلفاز اظهر فيه   هيئوا لي المذياع كي القيه
هيئوا لي : والمال عندي وفير   هيئوا لي من فضلكم سامعيه
هيئوا لي الاعلام من كل نوع   لاريكم « بالضبط » ما اخفيه
اننا في عالم الشعور جديد   يرفض الذكريات عن ماضيه
ليس في كيفكم وجوب بقاء   ثابت ان سيرته ارتضيه

كل ما في وجودكم من نظام لفتة من حصافتي تنفيه
ما دياناتكم وتلك الحواشي غير سخيف اسلافكم تمليه
ليس اخلاقكم وتلك النواهي غير وهم خسرتم العمر فيه
كان اباؤكم فكنتم صداهم لستم غيرنا قل عن ابيه
وأتينا لهدم ما شدتموه من بناء وما رجعتم اليه

★ ★ ★

قال : « رورو » مؤشرا بيديه انا حر ، وما نشأت عليه
خطتي الرفض في جميع القضايا وجحودي لما اصطلحتم عليه

★ ★ ★

ايهذا « الهبي » حسبك هذرا لست الا في عالم التمويه
اننا ناكل الطعام فهل تاكل غير الطعام يا ابن الايه
اننا نشرب الشراب فماي الصنف مما ارتضيه تستقيه
ليس ما في الوجود من موجدات غير داء ووصفة تشفيه
سنة الخلق والحياة نظام ابدعت صنعة المصور فيه
جل باري الوجود في كل معنى عن نظام التبديل والتشويه
ايها المفلس الخلي من الفكر والقول والكلام النزيه
قد تعلمت بضع كلمات في الشعر اذ رحت جاهلا تدعيه
وتربعت سدة الحكم تقضي تصطفي من تشاء او تنفيه
لم يكن شعرك المسمى جديدا غير خبط العشواء في ارض تيه
خبت لم تأتنا بغير عقيم يا لك الويل والذي تأتيه
مفردات من الكلام عجاف اعربت عن ضميرك المتبوه

ورمــوز مـــن شعر ذات رقيــع   برهنـــت عن هـــواجس المعتوه
كـل مــا جئت من شذوذ المعاني   هــذيان المحمــوم غـــم عليـــه

★ ★ ★

رب غــر مراهـــق جاء يوما   يــدعي الشعر عبر من يدعيه
قائمـــا قاعدا لنشـــر هـــراء   بـــاذلا في سبيلـــه ما لديـــه
ولقــد ظن بالمظــاهر اضحـى حجـــة ترجـــع الرواة اليـــه
شاعر الخنفشار حسبك هذرا   تدعـــي دائمـــا بما لست فيـــه
كل مــــا قلتـــه خليط كـــلام   فاســـد عن سخافـــة تهذيـــه
خـــل عنـــك الزمـــان والناس فيـــه تتغنى بمـــا لهـــمـــا يقتضيـــه
تنشـــد الشعر ساحرا بالقوافي   واضح القصد سمعنـــا يشتهيـــه
وعلـــى وزنـــه تغنـــى صنوفـــا من بديـــع الالحـــان ما ترتضيـــه
وعـــلى وزنـــه تغنى العتابـــا   والمعنـــى ومـــا يمـــت اليـــه
ان تلـــك الاوزان تقطـــر شهـــدا « انهـــا الدر في يدي مجتنيـــه»
فـــاذا مـــا خلت من الوزن صـــارت   مثل شعـــر مخنفـــس تفتريـــه
ولقـــاء حققتـــه لـــم تحقـــق   فيـــه ما تشتهي ومـــا ترتجيه
انـــه ملتقى السخافات حقـــا   ملتقى الطيـــش في جميع الوجوه
ثـــم سميتـــه عكاظا وسوقـــا   ســـوف اجيالنـــا غدا ترويـــه
اي ســـوق هذا واي عكـــاظ   جئـــت يـــا فاقد الذكا تحييه
كســـدت سلعة لديـــك وبارت   ولـــك الغبن بالذي تشتريـــه

ابـــن العروبـــة ـ الجنـــوب

حب ولكن .....

قصة ـ بقلم وحيد الدين بهاء الدين

جلست حياله هادئة طائعة ، تترنح بها احاسيس متناقضة صارخـــة، أثارها الموقف لاول وهلة .. تتلمذ على مدرس لا تعرفه من قبل . ولم يخطر لها ببال أنها تلاقيه في يوم ما ، لينتشلها من ما تتسحق تحـــت وطأته .. في قراره .. « انما تصنع الظروف من غير توقعات ، وفي غفلة من الانسان ، اي شيء ينسحب عليه سلبا او ايجابا .. كما او كيفا ..» .

كان يفزعها ما يثور في قاعها .. فكرها شارد يتداعى كالمطرقة عـــلى السندان .. الى حيث لا تدري يغوص بها الخيال ، تناهيا وتواترا ..

أخذت تخالسه نظرة تلو اخرى . ثم رفعت اليه رأسها حيرى وخجلى، كمن تريد ان تستدرجه ، وقدتاهت باصرتاها عبر النافذة البلورية المغلقـــة، في غرفة الضيوف ، من غير تمهيد باغتها المدرس .

ـ لنبدأ من اول الكتاب ..

ـ حسنا كما ترى ...

بحسم :

ـ قبل ان ندخل في صميم الموضوع ، هل هناك ما تودين قـــــوله كمنطلق..؟!

(ماذا اقول له .. بطران .. وهو مالك زمام الامر . وانا اعاني همــا واجتـــاز محنة ؟):

اجابت مرتبكة :

ـ ضعيفة انا في اللغة العربية .. هذا واقعي !؟

وشملها بعينين تعلوهما نظارة طبية :

ـ سأبذل قصارى جهدي لازالة اثار ضعفك . (ومواصلا) :

ـ ولا اريد منك الا ان تتعاوني معي بعض الشيء ..

ردت بشجاعة :

ـ كتابنا يتسم بالجفاف ، فما كان بامكاني ، وهذه حالتي، ان استسيغه طيلة عام كامل من الدراسة ، في الوقت الذي لا تستهويني المادة بالذات .

(حجة واهية وغريبة .. ستمتص كل ما اتشبث به من طاقة .. بنت الشرف والدلال .. لا ادري كيف سأقطع معها هذه الرحلة الشاقة).

ـ عجيب .. ولكن السبب كما يبدو ليس في الكتاب ..

وتساءلت :

ـ يعني ؟!

باستخفاف خفي :

ـ وهل تنقصك الرغبة الملحة في الدرس ؟! بلا مؤاخذة ، فالمحاولة قد تخلق مثل هذه الرغبة ..

صمتت «ذكرى» حتما قتالا ..

(هذا اجير يستوفي حقه بعد أداء مهمته . لكن ما باله يلهبني بسياط التقريع) . (ثم متابعا):

ـ ما تحققت الاحلام في دنيا الناس ، ولا الاماني الا بالمحاولات، والاحساس العميق بجدواها ..

مزقها التخاذل ، كأن طاسا من الماء المثلج قد صب عليها ، فبدت منكمشة مختلجـة :

ـ ولكن حاولت ، وأحاول النوم حتى ادرك غايتي أو اهلك دونهـا .

ـ اما اليوم فربما يكون فيه كل شيء قد فات ..

ابتلت عيناها ، وجعلتا تنفثان شرارة الكمد والتساؤل .. (ربما .. ربما ، آه من قسوة هذه الكلمة الرهيبة !) ..

مرة اخرى :

ـ المحاولة توجدها الرغبة . عذرك غير وارد .. لننظر الى الاسـاس!

امتقع لونها :

ـ ماذا افعل اكثر من ما فعلت ؟!

ـ تلك هي ميزة الفرد في دنيانا ..

(جاء يدرسني اللغة العربية ام الفلسفة .. واعظ .. خطيب) ..

وشجعها قوله ، فتفاءلت بعض الشيء :

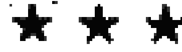
ـ متأكدة انا من ان ضيقي سينفرج على يديك في هذا الامتحـان العسير . رفقا بي .. اعصابي مرهقة ..

ـ على اية حال ، اشكرك .. نقطة الضعف في الانسان ، غروره وتغابيه، لا يعير للكارثة بالا الا حين يحس بها ماثلة امامه ، او يباغت بوقوعها فعلا .

مع هذا لابدأ معك المشوار من الصفر .

ـ . . . .

غضت « ذكرى » طرفها ، تتوارى في خجل .. ذابت شخصيتها وهي تعض شفتيها مستكينة ، مطرقة ..



« ذكرى » في رونق العمر ، احتفلت لايام خلت بذكرى ميلادها العشرين .. طالبة في الصف المنتهى من الاعدادية . دللها ابواها على نمو مغال ، حتى باتت لا تعنيها من الحياة الا جوانبها المضيئة المغرية .. شبت تحب الرقص والغناء وارتياد السينما . لا تزور أقاربها الا لماما ، ومع افراد اسرتها .. تنظر الى معظم الناس باستعلاء وكبرياء ، فتجفوهم وتنأى عن مجاراتهم .. كذلك لا تخالط زميلاتها بالمدرسة الا اذا كانت مضطرة ..

حاضرها المدرس في موضوعات ، ثم ساعفها على حل بعض التمرينات، ممليا عليها تارة ومسجلا لها بنفسه على دفترها الخاص تارة اخرى ، ما ينبغي ان تحتاط له ، في فترة غيابه عنها ، لتكون على بينة من امرها ، استعدادا للمحاضرة القابلة ..

قال ابوها ، بعيد مغادرة المدرس للبيت :

ـ كيف كان درسك الاول ، ومدرسك ؟!

بشيء من التفاؤل :

ـ مغتبطة انا به .. ومتوقعة للنجاح ..

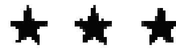
ـ وهل وعى مشكلتك ؟

ـ ابدى تفهما ، وقد صارحته بكل ما يتعلق بي ..

ـ عسى ان يكون فيه الخير ..

ـ ذلك رجائي يا ابي ..

في حين طفقت سيارة المدرس تقدلع به المسافة الى دارته ببطء واضح . زهوة الربيع تدب في اعطافه كما لو كانت قشعريرة الانتشاء .. معتدل قوامها، وممتلىء قليلا . الوجه مستطيل ، يقطر بياضا وينتهي بذقن بارز .. عسليتان عيناها فوق بحر من قشدة . كانت ترتدي فستانا انفرج اعلاه عن صدر ناهد نافر ، يجانس السماء لونا ويشارك الطبيعة انشراحا .. واقدحت في رحابه شعلة الانعتاق .. يقود سيارته بهدوء مثير .. لا تزايله صورة«ذكرى» عبر الزجاج الذي تخترقه حزمة كثيفة من شمس النهار .. تعاتبه كلماتهـا الموحية التي ما برحت تقرع اذنيه .. حاصرته الهواجس .. اندفع يستسلم لعقله الباطن ..



اخذ حضور المدرس الى دار «ذكرى» يتوالى كل اسبوع . انه وان كان مترددا بادىء بدء في قبول هذه المهمة لتباعد عهده بالتدريس ، ناهيك بضعف الفتاة في مادة اللغة العربية ، غير انه سرعان ما يتبدد تردده ليحل محله شيء من الرضا النفسي .. وكلما استرسل في القاء محاضراته عليها زاد بها تعلقا وافتتانا ، واعارها التفاتا واكتراثا ، حتى صار ينتظر حلول الجمعة بفارغ الصبر المشوب بالقلق ، ليسعد بلقياها ويأنس بحديثها ، ثم يدعوها ان تشاطره وتتجاوب معه ...

بينهما اتصل خيط من الاعجاب المتبادل ، هذا الذي ما لبث ان استحال حبا هادئا ، وان كان غير متكافيء وغير متوازن .. جعلت « ذكرى» تطمئن الى سلوك مدرسها بتمهل ، وتتذوق كلامه المستطرد على حذر ، ثم تستجيب في شبه رغبة لنداءاته العفوية ، بالرغم من الارتياب الذي يخالج كيانها ..

ذات مرة ، وبينما كانا في غمرة احدى المحاضرات ، ومن حيث لا تنتظر « ذكرى » فاجأها المدرس :

ـ هل كنت تتوقعين ، وانت طالبة ، يهمك النجاح قبل اي شيء ، ان

تجري بيننا احاديث على هذا المستوى ؟!

ارسلت «ذكرى» عبر النافذة نظرة متحجرة .. كانت الطيور تعلو في سماء الربيع ، والهواء يهب رطبا ، ثم قالت :

ـ قطعا ما كنت اتوقع . هذه الحالة غير سائدة في مجتمعنا ، بينما هي ظاهرة في مجتمعات اخرى اوغلت في مضمار الحضارة ، ثم ليس لكل انسان من الشجاعة ما يحفزه للولوج الى مثل هذه الاحاديث .

ـ انت وديعة وهادئة .. العفو . ولكن يحز في نفسي ان اجدك مترددة وربما معقدة ؟!

لست معقدة كما يخيل لك . انا مترددة هذا هو الاصح ، حتى ولو تعقدت على سبيل الافتراض ، فذلك الى المجتمع الذي نعيش فيه .. انه مجتمع لا يؤمن ولا يفكر .. بل هو يأكل ويشرب ...

ـ جوابك سلبي غير مقنع .. (وتابع):

ـ يظهر انك صندوق مغلق مملوء بالاسرار . تقولين شيئا وتخفين اشياء اخرى ..

بجواب فاتر الا انه حاسم :

ـ نعـم ..

ارتفع صوته ينم على الضيق.

ـ ولماذا ؟!

ـ . . . .

واستخف به الهوس مستغلا الموقف :

ـ احبك .. ماذا تريدين ان تقولي ؟!

كانت تداعب قلمها مداراة لواقعها المعاش :

ــ أحسست •• وهل انا جحشة حتى لا افهم ؟

فجأة دخلت عليها امها ، تحمل بيدها صينية ، فوقها كوبان من الحليب، الى جانبهما شيء من المعجنات ••

سادها صمت طاغ مزيج بالخوف •• التقطا فيه انفاسهما المترددة •• ثم كررها •

ــ احبك يا « ذكرى »! ولن انساك ، وسيكون لحبنا ذكرى !

(ماذا يريد مني ؟ وانا اتخبط في محنة لا اعرف كيف اخرج منها)•

ردت منفعلة :

ــ ألا نعود الى الدرس • القلق يعتصر وجودي ببلادة ••

ابتسم هادئا :

ــ لا بأس في ذلك •• لكن لم تجيبي عن السؤال ؟؟

(أف •• من هذا المدرس •• من اين جاء ؟؟)

ــ يسرع الامتحان الينا بكل ثقله ، وانا بعد لم اسيطر على المادة •

ثم مخففا غلواءهــا :

ــ اضمن لك النجاح •• هذا كاف !

اتسعت حدقتاها جذلا ، بدأ صدرها ينشرح ، وملامحها تتلبسها ظلال الراحة ••

ــ بعد النجاح ، سأعرف كيف امزق هذه الدفاتر والكتب !

اسرع المدرس ، فرفع الكوب بيده ، وادناه من فمها ، جعلها تحتســـي

الحليب بطمأنينة ، وما ان عتمت « ذكرى » ان مدت هي الاخرى ، يدهـا الى الكوب الثاني ، وعلت به بعض الشيء ، حتى قربته من فمه ، وجعلتـه يشرب ..

تلاحمت نظراتهما في شبه غيبوبة .. تلاقت ارواحهما بكـبرياء .. تضاحكت اساريرهما في ذروة من الصمت والتوتر ..

ــ احبك يا « ذكرى »..

فاه به المدرس علك غير هدى ..

ــ وانا احبك ايضا .. احبك .. (ثم باستدراك):

ــ اقدرك ، فقد حررتني من سجني .. وانقذتني من اشياء كثيرة ! ايامي عصيبة ، والامتحان غول آت ومخيف ..

ــ احبك يا « ذكرى ».

بايجابية قالت :

ــ اعتقد ان مشكلات الحياة من التعقد ، وهموم الانسان من الكثرة بحيث تكلفنا ثمنا باهظا ، ننسى فيه انفسنا .. فضلا عن ان مجرد التفكـير في الحب ربما كان ترفا ان لم يكن كارثة تنساق وراءها ..

ولم يبال ما نطقت به ،فعاودسالف حديثه :

ــ أذكرك بجمالك الهادىء ، وعينيك العسليتين ...

انقلبت في رضى وابتسمت :

ــ وسوف اذكرك بوجهك الاسمر ونظراتك ذات المعاني ربما لا استطيع تفسيرها ..

ــ اما توضحين اكثر ..

ـ لكن لا شك انك تريد ان تستجلي نفسيتي بنظراتك السديدة ، وتتوغل في اعماقي بتساؤلاتك ..

ـ هذا صحيح ...؟!

ـ هكذا تعطيني اهمية أكثر من ما استحق !

انساب صوته صارما حاسما :

ـ نعم ، لن انساك ، هل في هذا خير ؟ (ثم) :

ـ وانت يا « ذكرى » ؟!

ـ الظروف تقرر ذلك .. ربما ..

ـ ذكرى ، انت خليقة بحبي .. بثقتي !

بجد مشوب بحياء :

ـ اتمنى ان تحيا حياة هانئة لكيلا تنساني الى الابد ..

اقترب منها وجذبها اليه برفق متناه ، غير انها ابت .. وامسك بيدها مستدرجا اياها . مرة اخرى ابت متزحزحة الى الخلف قليلا . ثم ظل يلاطفها شارعا بقراءة كفها على رسل ، وانعطف يقول ، بينما اعماقه تتمزق وتتحرق :

ـ حسنا عذري .. الى الابد .

ـ فليكن ..

ـ ولكن ..

ـ فليكن ...



بباب الحديقة انتصبت « ذكرى » واقفة ، الى جانبها ابوها الشيخ ،

فرحة فرحا مزيجا بشيء مبهم .. شتى التصورات والتخيلات تترامى بها الى ما وراء الافق .. شمس الربيع تدغدغ شعرها شبه الاشقر المسترسل، تودع مدرسها بحرارة ، وقد انتهت مهمته ، وتوالت ايام حلوة من صفحات حياتهما .. عبير الهوى والشكر يفوح من ثغرها ، وصدرها كما لو كان مدا وجزرا:

ـ الى اللقاء .. (وارتفعت يدها الغضة):

ـ الى اللقاء ..

اخذ المدرس ، بسيارته في ذلك الشارع الطويل يتباعد ، و « ذكرى » ما فتئت ملوحة بيدها ، تضطرب شفتاها بكلمات تتيه في الفضاء ويبتلعهـا جوفه المجهول ..

بغـداد وحيد الدين بهاء الدين

اخـلاط ستة

سخط الحجاج على احد رؤساء القبائل فحبسه في بيت مظلم ، وامر ان يقيد بالحديد ، فبقي اياما على تلك الحالة ، فأرسل اليه من يسأله عن حالـه فاذا هو منشرح الصدر مطمئن النفس . فقالوا له : انت في هذه الحالة مـن الضيق وتراك ناعم البال . فقال : اصطنعت ستة اخلاط وعجنتها واستعملتها فهي التي ابقتني على ما ترون فقالوا : صفه لنا هذه الاخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى . فقال : أما الخلط الاول فالثقة بالله ، واما الثاني فكل مقدر كائن ، واما الثالث فالصبر خير ما يستعمله الممتحن ، واما الرابع فاذا لـم اصبر فماذا اصنع ، واما الخامس فقد يكون اشد مما انا فيه ، واما السادس فمن ساعة الى ساعة فرج ، فبلغ الحجاج ما قاله فأطلقه واعزه .

قصة قصيرة

الساعة الواحدة ظهرا

بقلم : رغيد النحاس

كانت تيرين تلوح له بكل يدها حينما شاهدته يخرج من بوابة الجامعة الى الزقاق الذي تركت فيه سيارتها ، فهناك الموعد المعتاد الساعة الواحدة من ظهر أغلب ايام الاسبوع • ولعله الموعد الوحيد الذي تلوح فيه تيرين بكل يدها لانسان • ويبتسم فيه ماجد هذه الابتسامة العريضة التي تغير من طبيعة وجهه الجدي الحاد القسمات • واللقاء ككل يوم : عناق طويل ثم نظرات اعجاب متبادلة كأنها تجدد العهد وتعيد الثقة كل يوم الساعة الواحدة ظهرا •

ـ سيارتي أم سيارتك ؟

ـ لا هذه ولا تلك •• بعد مسيرة الامس أعتقد انني أستحق وجبة شهية خصوصا انني كنت المسلم العربي الوحيد في مسيرة أرمنية ••• انني أمزح!

ـ يا لك من مغرور ، بل كان هناك عشرات المسلمين والعرب وكلهم ساهموا في احياء ذكرى استشهاد الارمن •

ـ انا متأكد من ذلك •• بل كنت أعاكسك •• ولعل المسلمين والعرب قد عانوا من ظلم العثمانيين بنفس المقدار •• تعرفين رأيي بهذا الموضوع • هيا تمشي الى •••

ـ « ذي جرين »؟

ـ بالضبط•• تعرفين اني أعتبره احلى زاوية في بيروت •

ــ لا شك انه مكان رائع ومعتدل الاسعار ويبدو انك لا تمل منــــه أبدا . هل لا زلت تشرب فيه كل مساء ؟

ــ أغلب الامسيات وحبذا لو كنت دائما معي.

ــ يا ليت .. يا ليت .

ويضمها اكثر بيده التي تطوق خصرها وتتهادى خطواتهما حينما ينعطفان بالقرب من السفارة الانكليزية الى الكورنيش العريض ، ويمد ماجد بصره الى أمواج البحر الابيض المتوسط الهادئة ثم ينظر في وجه صديقته الابيض الناصع الذي صبغت عليه الشمس الساطعة لونا ورديا .

ــ ان وجهك يا تيرين مثل بيروت .

ــ هل تعني ان فيه الكثير من الابنية والطرقات والسيارات ؟

ويضحك ماجد بصوت مرتفع يصل الى مسامع عامل محطة الوقــــود المجاورة الذي يبتسم له ويأخذ له تحية بيده قائلا :

ــ الله مع الاستاذ .. والحلوين

ــ الله مع سعيد . تفضل وتناول غذاءك معنا .

ــ عامر .. بل انتما تفضلا اذا كنتماتقبلان على بعض البيض المسلوق

ــ الف صحة .. الف صحة .

وابتسامة اخرى من ماجد وتيرين .

ــ ماجد .. لا شك انك تحب الناس كلهم على اختلاف طبقاتهم .

ــ بل احب الانسان الطيب من اية طبقة اتى وما الالبسة والمراكز سوى اقنعة تفرضها البيروقراطية وظروف العمل .

ـ كفى فلسفة وخبرني الان كيف تمزج بين وجهي وبين بيروت ؟

ـ هل تذكرين في العطلة الماضية حين استعرنا مركب والدك وقمنا بنزهة بحرية ؟ حينما عدنا مع الغروب كانت بيروت على البعد ناصعة البياض على خلفية وردية اللون ... كان شعرك يتطاير مع النسائم الباردة وانت ترددين بعضا من اغاني فيروز.. وكان وجهك قد اصطبغ بحمرة الشمس الساطعة ..

ـ أتذكر انني حينما وصلت الى كلمة « لؤلؤة بحرية » قلت لي ان بيروت هي فعلا لؤلؤة في الليل ولؤلؤة في النهار ومنذ تلك اللحظة نسيت المركب والنسائم الباردة والبحر ونسيت تيرين وصارت بيروت شغلك الشاغل حتى وصلنا الى الميناء .. أيها الخائن !

ـ أعرف انك لا تلومينني .. فأنت تحبين بيروت اكثر مما احبها أنا .

ـ اتفقنا .. لقد غلبتني

ـ اتمنى ان أغلبك حتى النهاية

ـ ماذا تعني ؟

ـ أتمنى ان يكون حدسي صحيحا وان يكون وقف اطلاق النار هذه المرة نهائيا بعد مرور اكثر من شهر دون وقوع حوادث تذكر ، وليس كما يتنبأ البعض ـ ومنهم انت .. لم أعرف انك متشائمة الى هذا الحد .

ـ أنا لست كذلك ولكنني أعتقد ان حرصك على بيروت يجعلك تتصور ان القضية ابسط مما هي عليه .. ان مثاليتك توهمك بان الانسان لا يمكن أن يقوم بهذه الاعمال التي نسمع عنها نشاهدها خصوصا ان هذا الانسان يدعي انه اكثر بشر المنطقة مدنية وثقافة .

ـ انه امر غريب حقا .. لست ادري .. على كل حال انت لبنانية،

وأنت تدرسين التاريخ ولا بد انك اقرب الى فهم السياسة مني ، أما انـــا فيبدو ان قوانين الفيزياء لم تستطع أن تجعل مني انسانا ماديا •• لا بد انني عالم فاشل !

ــ بل انك أنت المتشائم الان •• انت انسان ناجح قبل كـل شيء وانا متأكدة انك حين تعود للاردن ستقدم الشيء الكثير لبلادك •

ــ الحب أعمى !

ــ صحيح ولكنه ذا بصيرة •

ــ آه •• أيتها الارمنية لا شك ان لغتك العربية في تحسن مستمـــر •

ويقف ماجد قليلا حتى تمر تيرين امامه الى داخل حديقة المطعـــم • وكالعادة فان الطاولة الصغيرة التي تتربع في احدى زوايا الحديقة هي مكانهما المفضل • وأول ما يفعله بعد الجلوس هو ان يتفقد ببصره كل زوايا المكان التي اصبحت جزءا منه • النباتات الخضراء الكثيرة المزركشـــة الاوراق ، والاصائص المرتبة على بركة صغيرة ، والفوانيس المعلقة هنا وهناك ، والبـاب الزجاجي الخشبي الذي يفصل الحديقة عن المشرب • لقد كان هذا المزيـــج من الاشكال والالوان مع أنغام الموسيقى المنطلقة من داخل المشرب يعكـــس اليه مزيج صفارات مختلفة غربية وشرقية • حتى ان رواد المكان هم مزيـــج من الشرقيين والغربيين ولعل الوضع مشابه للحال في الجامعة الاميركيـــة في بيروت حيث يحصل علومه • لقد كـــان هذا المزج الحضـــاري جزءا مـــن نظريته في الحياة • فقد كان يعتقد ان تطور المجتمعات لا بد في يوم من الايام ان يصهر كل الفروقات العنصرية والدينية والاقليمية في بوتقة جديدة تخرج من قالب الانسان كانسان ولا شيء غير الانسان • كان يعلم انه ليس مـــن جديد في هذه الافكار ولكنه كان يعلم ــ وكانت تيرين تعلم ــ ان هـــذه الافكار لم تتحقق بعد ، وان هذاالمزج قد يشكل ظاهرة خطر عوضا عن ان يكون ظاهرة صحة تحقق تلك الاماني المنشودة •

ـ سأذهب لاحضار الشراب بينما تفكرين ماذا تريدين للغذاء •

ـ سأتناول بعض الجبن والسلطة •

ـ يا للغباء ! بل أعتقد ان الطبق اليومي شهي هذا اليوم •

ـ لا داعي للمصاريف الكثيرة اضف الى ذلك انني لا انوي آكـــل الكثير من الطعام هذا اليوم •

ـ يا لك من بخيلة

ـ حتى لو كنت أنت صاحب الدعوة ؟

ـ هاها•• لا عجب ان أباك من اصحاب الملايين •

ـ كفى ثرثرة وعجل بالشراب فانني عطشى يا حبيبي •

ويبتسم لها وما أن يغادر مكانه حتى تتسلق اليه احدى القطط الاليفة التي تمر بين الحين والآخر مستمدة كرم الزبائن واحيـــانا حنان ايديهم التي تداعب جسمها الناعم • وتنظر تيرين في عيون القطة ، وتنظر القطة في عيون تيرين وبعد لحظات من الاطمئنان ترقد القطة بهدوء ، وتحول تيرين عيناهــا الى باب المشرب منتظرة عودة ماجد بحنان كبير •

وضع ماجد قدحين بلون شمس بيروت على الطاولة المغطاة بقمـــاش أرجواني اللون ، وقبل ان يجلس احتسى جرعة كبيرة ثم استدار مخاطبـــا القطة ان تسمح له بالجلوس الى جانبها وحاول وضع نفسه في ما تبقى من مكان على الكرسي بيد ان القطة لم ترق لها الفكرة وقفزت مولية الادبار •

ـ هذا أفضل •• ألا زلت تصرين على السلطة ؟

ـ نعم • مع العلم انه قد يروق لي ان اتطفل الى صحنك وأتذوق بعض « الشيش كباب »•

ـ يا لك من شيطانة ! كم انا سعيد بك •

كانت اللحظات تمر بين جوارحه المفعمة بسكرة الصداقة الحميمة التي تجمعه مع هذه الانسانة ، ويبدو أن أحب شيء الى قلبيهما كان تلك الفكرة الكبيرة •• فكرة الانسان المحب للعطاء ، المتجرد عن الانانيات الدينية او الاقليمية العمياء • وكم من مرة شهدت هذه الطاولة محاوراتهما حول هذا الموضوع ، بل ألم يكن هذا الموضوع هو الذي جمعهما اولا واخيرا؟ أو لم يكابد الكثير حين علم اهله انه يصاحب فتاة من غير دينه • حتى أهل تيرين الاكثر تحررا وتقدما يقبلون به صديقا للعائلة بتحفظ • صحيح انهم في غاية اللطف معه • ولكن •• ألم يلمح له والدها انه لا يقبل فكرة زواج ابنته من غير دينه وذلك خوفا من كلام الناس وهو صاحب مركز اجتماعي كبير ••• يا لغباء العالم ! أحقا نحن في اواخر القرن العشرين ؟ ولكنها تبقى الحقائق المرة • وكما قالت له تيرين ، ان يحب الانسان شيئا لا يعني هذا ان الشيء سيصير في القالب الذي يريده هذا الانسان • صحيح•• صحيح•• كيف يمكن لانسان واحد ان يغير العالم ؟ وحتى •••

ـ اين وصلت ؟

ـ نعم ؟ لا•• لا•• لا شيء ، بل كنت افكر كيف اننا نؤمن معا ان الانسان كانسان هو أهم من العادات والافكار •• أو لم يخلق هو كل هذه العادات والافكار ؟

ـ صحيح ولكن مع الاسف لقد خلق لنفسه فيها سجنا كبيرا • على كل حال دعنا من هذا الان ، فلدي خبران قد لا ترتاح اليهما •

ـ خيرا ؟

ـ اولا لن اتناول القهوة معك الان فعلي أن أذهب •• لن احضر دروس بعد الظهر فوالدتي متوعكة قليلا •

ـ انني شديد الاسف لذلك •• الازمة القلبية من جديد ؟

ـ يبدو كذلك •• ويبدو انني من الان سأصرف الكثير من الوقت الى جانبها •• أنت تعلم أنني ولدهما الوحيد • ويبدو ان •• الحقيقة ان الشيء الآخر الذي أود ان اقوله هو اننا قد نغادر قريبا الى باريس •• انت تعلم عقلية والدي •• الامر كله يبدو سخيفا ولو كنا فقراء لبقينا هنا •• اعلم انك ستقول لي لماذا لا تبقين انت •• لست ادري •• على كل حال لازلت فتاة شرقية بالرغم من كل افكاري وا عتقد ان والدتي ستكون بحاجة الي •• لست ادري ••

وبينما يمسح عن عينيها الدموع القليلة التي قهرت مقاومتها كان يتذكر ان هذه الدموع هي مثل دموعه الصامتة التي تخشى لحظة الفراق •• فراق نيرين •• وفراق لبنان •• وكان يؤكد لها :

ـ نعم اني افهم كل هذا ، لا داعي لان تبحثي عن الاعذار ، بل أعتقد انك تقومين بالشيء الصحيح •• عمليا على الاقل •• اما النظريات •• يبدو ان كل شيء سينتهي كما انتهت قصة شهداء الارمن •• ذكريات سنوية •• للتذكير فقط •• ومــاذا بعد هذا ؟

ـ لا تكن قاسيا

ـ سامحيني •• لا يحق لي أن أقول شيئا •• فأنا ايضا من هــذه « الاكثرية الصامتة » التي لا تستطيع ان تغير وجه الامور •• سلامي لوالدتك وأبيك مع خالص حبي •

ـ •• على كل حال سأراك كثيرا في الايام القادمة ولا بد ان تــأتي لزيارتنا ولا تنس السبت القادم أهلي في الجبل وسأبيت انا في بيروت لان عرس ثريا يوم الاحد •• أنت مدعو ايضا ، وليلة الاحد السهرة عندك •• سأبيت عندك •

ويهز لها برأسه متنهدا مبتسما ابتسامة شاحبة ، اما هي فلقد تصنعت

المرح في تلك اللحظات وتركته الى فنجان قهوته واتجهت خارجة والدموع تنصب من عينيها . وكان يعلم انها ما ان تغيب عن ناظريه حتى تبكي وتبكي كثيرا . وكان يعلم في قرارة نفسه ان هذه أبسط المشاكل .. على الاقل تيرين بخير ، واصدقاؤه كلهم لا زالوا بخير .. كان كل ما يتمناه هو ان تنتهي أزمة لبنان الى الابد لانه كان لا يزال مقتنعا ان جوهر القضية لا يستحق كل تلك المآسي .. لا يستحق القتل والخطف والتعذيب .. لماذا لا يكون الجميع مثله ومثل تيرين ؟ لماذا لا يتفاهمون على أقل قدر من الخسائر .. يا له من غبي كان يعتقد .. ليس هذا هو منطق التاريخ .. وليس هذا هو منطق الاشتباكات الاهلية .

كان يرفع فنجان قهوته ليحتسي اول جرعة عندما شعر رأسه ينفجر بدوي هائل ويرى امامه أشلاء طاولات وكراسي تتبعثر . هل هذا يوم القيامة الموعود ؟ أمن المعقول ان تكون هذه احدى القذائف الاثيمة ؟ ثم لماذا يحس بسائل ساخن ينساب من رقبته الى ظهره وصدره ؟ لماذا وقع من يده شيء كان يحمله .. لماذا تبعثرت هذه الحديقة الجميلة .. ماذا يحصل الان في بيروت ؟ وتيرين .. أين انت يا تيرين .. أين القيم والانسان والاكثرية الصامتة ؟

عندما بدأت رؤيته تضمحل كانت زرقة السماء الصافية تتهادى كأمواج البحر الابيض المتوسط وكان اللون يتلاشى الى سواد قاتم وكان النور الوحيد الذي يراه هو مركب كبير والى جانبه مركب كبير آخر ، واحد يقترب من بيروت والآخر يبتعد عن جزيرة تغرق في شرق البحر الابيض المتوسط . وعلى كل من المركبين نفس الفتاة تيرين ذات العيون اللوزية تغني للبنان ولارمينيا ولفلسطين .

انكلترا رغيد النحاس

ابواب العرفان

للاستاذ طلال مجرة

من ادب الرسائل

بقلم : سعد ناجي جواد
دكتوراه في العلوم السياسية

والدي الحبيب : لقد نقلت لي عزيزتك وعزيزتي لمياء انتاجك الادبي الاخير (من أدب الرسائل) ورحت التهم سطوره فرحا به وان كانت بعض حوادث هذا الكتاب المعروضة من خلال رسائله المتبادلة غير جديدة علي حيث حدثتني انت عنها وعشت انا معك ، كما عاشت العائلة كلها ، الا انني استعدت بقراءة الكتاب ذكريات كثيرة ذكرتني باناس تناقشنا حولهم وموضـــوع صداقتهم •

لقد كانت آراؤنا تتضارب في هذه القضية ، حيث كنت دائما اطـرح فكرة الابتعاد عن كل من تجدفي نفسه سوءا او في شخصيته ضعفاً ، واعتقد بانه يتوجب على الانسان ان ينتقي اصدقاءه المقربيـن وان يقـابل الاسـاءة بالهجران ، فهذا في اعتقادي هو الحل الناجع مع كل من يحاول استغلال شيء محبب ومقدس كالصداقة، ولكنك يا والدي كنتدائما تحثني على ان لا اكون متطرفا في رأيي ، وتؤكد لي بان الصداقة اخذ وعطاء ، وهي كالصفقة التجارية قد تنجح مرة وقد تفشل اخرى ، وبالنتيجة يكون الانسان مُغتبطـا بـما حقق من ربح ، وعليه ان ينسى الخسارة ، ثم كنت ترشدني الى التعرف على

أكثر عدد ممكن من الناس، وان أرحب بكل صداقة جديدة • وبعدها تكون عملية انتقاء الصديق الصدوق •

بقي هناك ناحية اخرى تخص اخراج الكتاب اسمح لي يا والدي أن أعرضها أمامك وهي :

اولا ــ من المفضل عند كتابة عن الصديق ان تضع تحت الاسم وبين قوسين تأريخ الميلاد والوفاة فهذا ما هو متبع في الكتب والمنشورات التي تبحث او تتحدث عن الاشخاص والسير ، كأن تقول مثلا اللواء عبد الحميد العبوسي (١٩١٨ ــ ١٩٧٤) ثم تتحدث بعد ذلك عن حياة هذا الانسان، هذه الناحية ستسهل على القارىء معرفة عمر هذا الشخص ببساطة وتوضح للناس أن مجتمعنا لا يحوي المعمرين الذين يغص بهم المجتمع الغربي ، كما وان ذلك سيسهل عليك تفادي السهو في ذكر تاريخ الوفاة ، كما حدث في حديثك عن صديقك وزميلك عبد علي ناصر طيب الله ثراه •

ثانيا ــ تتعلق بشرحك على الصور المنشورة فبما انك تكتب لجمهور قد يجهل بعضهم تلك الشخصية التي تكتب عنها ، وكثيرا ما يكون قد سمع بها ولم يراها ، فالواجب ان تكون واضحا ودقيق الاشارة على كل صورة تنشرها فالقاعدة المتعارف عليها في مثل هذه الاحوال هو الاشارة من اليمين الى اليسار او بالعكس ؟ كما انه من المستحسن ذكر اسم البلد او المدينة التي التقطت فيها الصورة •

الواقع يا والدي : ان هذه الملاحظات البسيطة والاعتراضات الدقيقة قد لا تهم جوهر الكتاب القيم ، ولكنها تساعد على اخراجه اخراجا اكثر جودة ، واكبر أهمية للمستقبل •

ثالثا ــ وهو الاهم ، فيما يخص محتوى الكتاب ، فقد جرت العادة عند الكتابة عن الرسائل ، او عن سيرة انسان من خلال رسائله ان تكون المقدمة التي تسبق نشر الرسائل اطول واكثر تحليلا وشرحا ، لذا اعتقد انه

كان من المستحسن ان تضيف زيادة على النبذة العامة عن (أهمية الرسائل) مقدمة تشرح فيها بشيء من التفصيل عن الاثر الذي تركته هذه الرسالـــة او تلك من نفسك، أو عن الدافع الذي جعلك تكتب هذه الرسالة، وبالاحرى عن الدافع الذي جعلك تهتم بهذه الرسائل وتحتفظ بها، هل هو الدافع الادبي؟ ام أنه دافع شخصي ...؟ قد تقول انك اتبعت ذلك بذكر نبذة قبل كل رسالة، ولكن ذلك ليس بالوافي حيث ان هذه النبذة جاءت معرفة بالشخص أكثر منها بالرسالة ، والذي أقصده انا هو ان تكون هنالك مقدمة تشرح فيها السبب الذي دفعك لكتابة الرسائل في الاربعينيات ثم سبب احتفاظك بهم ، هل كان سبب ذلك مثلا انك بدأت تكتب الى اصدقاء اخذوا بالابتعاد عنـــك سعيا وراء الرزق ، ومتطلبات الحياة والواجب الوظيفي ــ كما هو المفهوم مـــن الرسالة الاولى والثانية ، وعندها تكون الدوافع هي المشاعر الاخوائية ، أم ان السبب كان لتكاثر مشاكلك وتزاحم متاعبك في تلك الفترة من توقد طموحك حيث كنت تعيش ثلاث تجارب متداخلة ومضيئة في نفس الوقت ، الا وهـــي ارساء الاسس المتنامية لعائلتك المتنامية وجهادك في الحصول على دراسة كافية ومؤهلة تتناسب ومواهبك الادبية ، وسعيـــك وراء رزق تجـــاري يتناقض واتجاهاتك الادبية العاطفية الخيالية .

أقول هل تلك الاسباب جعلتك تشعر بالحاجة الى التحدث الى الاصدقاء والادباء ، ثم في الخمسينات هل كان السبب هو انك واجهت مشكلة اخرى وهي انك بعد أن وفقت في تجارتك وبدأت تمد يد العون الى جميع النـــاس المقربين منك وخاصة المثقفين والادباء منهم (حيث انهم هم المفلسين في كل عهد ومجتمع) مع الاسف ، أقول هل كان ذلك بدافع محبة العلم وتقديس الادب، أم انه اندفاع روحي يشابه اندفاعك نحو الاصدقاء في الاربعينات ؟ ثم ماذا كان الاثر في الستينات والسبعينات ، حين بدأت تشعر بالصدمة التي ظهرت واضحة في الكثير من رسائل تلك الفترة نتيجة لفشلك في تقييم بعض الاصدقاء الذين تنكروا لك في ايام عزهم ...!

واخيرا ما هو الاثر الذي تركه على نفسك ذلك الجحود ونكران الجميل ...! طبعا هذا ما افكر به انا ، اذ اني متأكد بانك تحمل اراء تعاكس بعض ارائي ...

وبودي بل كنت أتمنى ان تكون اشارتك لصديقك المرحوم حسين عاصي أدق وأوضح وحاوية على سبب وفاته ، وكيف ان قلبه استكثر عليه فرحته العظيمة ، ساعة قفز قفزاته الطفولية عند سماعه نبأ عبور الجيش العربي المصري (لقناة السويس) واحتلاله (خط بارليف) فتخلى عنه قلبه في وقت كان هو في أشد الحاجةاليه لاسناده في هذه الفرحة الكبرى .

لا يخفى عليك ـ يا والدي وصديقي ـ بان السبب الذي دفعني لتسطير هذه النقاط ، هو انني أعتقد ان التفصيل والشرح لمثل هذه الاحداث التي قد تكون بسيطة اليوم او بديهية لانها حدثت حولنا او معنا ، ولكن ستكون لها أهميتها كلما تقادم عليها الزمان ، ثم انها ستساعد القارىء كثيرا على تفهم القصد من وراء كتابة رسائلك ومن ثم على السبب الذي دفعك لاختيار هذه الرسالة بدلا من تلك . وبالتالي على العيش معك ، او بالاحرى تأهيل القارىء كي يعيش في جو عشته انت اثناء تسطيرك لهذه الرسائل .

لندن سعد ناجي جواد

وإذا العروبة ندّ عنك بيانها

فسدَ الفؤادُ مع البيانِ المفسدِ

شفيق جبري

اخترنا لك :
احسن ما في الكتب

من كتاب : قضايا الفكر في الادب
المعاصر للاستاذ وديع فلسطين

الحروف اللاتينية

ونشبت معركة حول الحرف اللاتيني وهل يصلح للحلول محل الحرف العربي في لغة الضاد • وكان اول داعية الى الكتابة بالحروف اللاتينية هو المرحوم الدكتور عبد العزيز فهمي الذي وضع في هذا الباب سفرا بسط فيه دعواه • ولكن وفاة صاحب هذه الدعوة عاجلت الدعوة نفسها ، لولا ان سلامه موسى كان يبعثها من آن الى آن مطالبا بأن تكتب اللغة العربية بحروف لاتينية ، شأن التركية والروسية والصقلبية وما اليها من لغى •

ومعروف ان الصلة مقطوعة تماما بين اللغة العربية واللغة اللاتينية القديمة ومشتقاتها الحديثة • فمحاولة انشاء صلة بين اللغة العربية واللغات اللاتينية الاصل لا يمكن ان تتم الا على حساب التراث العربي كله ، لان الاخذ بالحرف اللاتيني يقطع كل صلة بين الضاد وتراثها القديم ، وقد ينشىء لها صلة بالآداب اللاتينية وهو امر تكتنفه الريب الكثيرة •

والحرف هو من مقومات اللغة ومميزاتها • فان انفصل عنها تهالكت اللغة وتداعت وصارت حطاما •

ومما نفهمه ونقبله أن يدعو داع الى اضافة حروف جديدة الى اللغة العربية تسد ما فيها من ثغرات كحرف الباء ذي النقاط الثلاث مثلا او حرف

الفاء المثلث النقاط او حرف الجيم المخفف غير المعطش . ولكـن مما لا نفهمه او نقبله ان ندع حروف الهجاء العربية جميعا ونحاول الاستعاضة عنها بحروف هجاء لاتينية ، ثم لا نكتفي بذلك بل نحرف هذه الحروف الابجدية الجديدة مضيفين اليها حروفا اخرى منتقية منها كالخاء والظاء والعين والغين والحـاء وما اليها .

بل ان مما نفهمه ولا نقبله ان يدعو داع الى هجر اللغة العربيـة بحروفها وقواعدها وتراثها الى لغة اخرى كالتركية الحديثة مثلا التي صار لها تـراث وكيان مستقلان عن اللغة التركية القديمة .

ومما نفهمه ولا نقبله أن يدعو داع الى هجر اللغة العربية هجرا تامـا الى غيرها من اللغات اللاتينية الحية ذات التراث المجيد ، كالانجليزيـة او الفرنسية ، لانهما لغتان عصريتان متطورتان تتسعان للعلم ومصطلحاتـه وألفاظه . اما ان يدعو داع الى ابتداع لغة جديدة ، وحروفها خليط مـن اللاتينية وغير اللاتينية ، وقواعدها عربية محرفة ، وتراثها معدوم ، وكيـانها متروك للاجتهاد الفردي ، فهذه دعوة لا نفهمها ولا نقبلها .

ثم ، أليس مما يعطل ركب الثقافة ان نقف حيث نحن ، ثم نبدأ تعلم هذه اللغة الجديدة ، ثم متى اجدناها وتمكنا منها شرعنا في اصدار كتب وصحف ومجلات بها . وبعد ذلك نضيع العمر في اعادة كتابة التصانيف القديمة كلها بهذه اللغة ؟ أليس هذا مضيعة للوقت ؟ وخير منه واجدى وابدى ان ينفـق هذا الوقت في البحث عن الاساليب التي تجعل اللغة العربية لغة عصرية مطواعة للعلوم غنية بالترجمات عن الآداب الغربية والشرقية جميعا ؟

فالحرف اللاتيني قد يساعد على تقويم النطق . ولكنه يقضي على اللغة العربية قضاء مبرما ، ولو حلت قضية القواعد على النحو الذي يناه في مـا

تقدم ، لما كانت هناك حاجة الى تقويم النطق او ضبطه ، لان النطق يهون على من يعرف القواعد ويراعيها .

وما دمنا نتكلم عن النطق ، نذكر ان محمد فريد ابا حديد كان قداقترح تسكين أواخر الكلمات عند النطق ، كما هو الحال في الحديث الذي يجري بين اثنين . فلا يعني المحاضر او المذيع او الخطيب بتحريك اواخر الكلمات حسب موقعها من الاعراب ، لان في السكون عصمة له من الخطأ . وهذا الرأي غير عملي لان تحريك اواخر الكلمات ضروري لربط كلام المتكلم من ناحية ، ولافهام القارىء المعنى الذي يقصده المتحدث من ناحية اخرى . ثم ان هذا الاقتراح غير مقبول اذا كان المجال مجال استشهاد بالشعر او تلاوة له . فالشكل ضرورة جوهرية في الشعر ، وبدونه لا يخلو الوزن من عيوب الكسر والخلل .

واقتراح فريد ابي حديد لا يحل مشكلة بل يهرب من مجابهة تلك المشكلة . فهو لا يحل مشكلة النطق ولا مشكلة القواعد . ولكنه يتهرب من مواجهة هاتين المشكلتين متسترا وراء السكون . والعلاج السليم هو ان يتعلم الناس القواعد ، وبالتالي النطق . ومن ثم يهون عليهم ان يقرأوا قراءة سليمة ، ولا تعود بهم حاجة الى التخفي وراء الحرف الساكن في آخر الكلمة .

ساسة الغرب تخدع الخصم لكن
خداع الشعب في بلادي سياسي

أحمد الصافي النجفي

من كتاب « قول على قول » للاستاذ حسن الكرمي

السؤال : من القائل وما المناسبة :

ليس الكريم الذي يعطي عطيته عن الثناء وان اغلى بـه الثمنا
بل الكريم الذي يعطي عطيته لغير شيء سوى استحسانه الحسنا
لا يستثيب ببذل العرف محمدة ولا يمن اذا ما قلد المننا

بكاري محمد

ابن الرومي

● الجواب : هذه الابيات الثلاثة للشاعر العباسي ابن الرومي . وفي معنى ابن الرومي عن المن شبيه بقول امرىء القيس :

افسدت بالمن ما اوليت من نعم ليس الكريم اذا اسدى بمنان

ويقول جرير في مدح يزيد بن عبد الملك :

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف

وابو الاسود الدؤلي يقول وينسب الى غيره :

ساشكر عمروا ما تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت

ويقول بشار في معنى ابن الرومي :

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء

ومما يشبه قول ابن الرومي هذه الابيات التي لا اعرف قائلها :

وصاحب سلفت منه الي يد ابطت عليه مكافاتي فعاداني
لما تيقن ان الدهر حاربني ابدى التندم في ما كان اولاني
افسدت بالمن ما اوليت من حسن ليس الكريم اذا اولى بمنان

وقد رأينا ان البيت الاخير لامرىء القيس مع تغيير كلمة واحدة .

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

حكايات الاسبوع

باستثناء فرض الرقابة على الصحف ..

وباستثناء قانون الايجارات الذي باركه اصحاب الاملاك ولعنه المستأجرون جميعا ، وهم الكثرة الساحقة من اللبنانيين .

وباستثناء فرض رسوم الماء والكهرباء والحراسة والتليفون عن سنتي الحرب ايام لم يكن هناك تليفون ولا ماء ولا كهرباء ولا شيء على الاطلاق سوى الموت والدمار وتفشي السرقات .

وباستثناء شراء نصف اسهم شركتي التلفزيون واخضاع جميع الاقنية لنقل أخبار الحكومة وتصوير السادة الوزراء وهم يتصافحون استعدادا لاجتماعات العمل وبحث اوراق العمل والانهيال بعد ذلك على رؤوس المشاهدين واعصابهم بالتصريحات والبيانات والوعود التي لا يتحقق منها شيء .

باستثناء كل هذا ، وكل ما هو من نوعه وطرازه ، ماذا فعلت هذه الحكومة ؟

هل كافحت الغلاء ؟ هل وفرت الامن والطمأنينة ؟ هل اصلحت الطرقات وأعادت الحياة الى التليفونات ؟

قولوا لنا ماذا فعلت حكومة الرئيس سليم الحص ؟

هل عمرت سوقا ؟ هل هدمت كوخا ؟ هل حلت مشكلة المهجرين ؟

قولوا لنا ماذا فعلت ؟ وبماذا أحسنـــت ؟ ولماذا هي محسوبة علينــا حكومـــة ؟

هل كشفت جريمة ؟ هل علقت مشنقة ؟ هل وضعت حدا لاعمال التخريب والترويع وارجاع لبنان الى الوراء ؟



كنت اطرح هذه الاسئلة على صديق من انصار الحكومة ، فكان جوابه ان تقصير الحكومة لا ينفي حقيقة ساطعة وهي ان رئيسها رجل آدمي وسائر اعضائها ناس اوادم .

قلت :

ـ يا سلام ، بل يا الف صلاة وسلام عليك ايها الصديق وعلى هـؤلاء الاوادم الذين يحكمون لبنان . لقد كان من واجبنا نحن ابناء الشــعب ومن حق السادة الاوادم علينا ان نزوجهم ونصاهرهم ونترك القطط تأكل عشاءهم، ولكن ان نتركهم في الحكم اكثر مما تركناهم وان نعرف من نعمة آدميتــهم اكثر مما عرفنا ، ان هذا لا يليق بهم ولايليق بنا ولا بالمنطق البزرميطي الذي تحاول ان تفضل به الادمية على الكفاءة والرجولة واثبات الوجود !

قال الصديق :

ـ لو كنت انت في الحكم ماذا كنت تستطيع ان تفعل ؟

قلت :

ـ اولا وقبل كل شيء كنت اعتذر شاكرا لاني خلقت لاكون صحافيــا ولم اخلق لاكون وزيرا . ولكن الطموح عند بعض الناس يتجاوز كل منطق ومعقول ، والا تفضل قل لي ما علاقة رجل المال والبنوك فريد روفايل بالعدلية

والقضاء والمحاكم ؟ وما علاقة الدكتور صلاح سلمان بالداخلية والفرقة ١٦؟ وكل ما له علاقة بهيبة الدولة ؟ وما علاقة زميله الدكتور اسعد رزق بالتعليم والتربية الوطنية والفنون الجميلة ؟

وهنا ضحك الصديق ضحكة الواثق من الانتصار وقال :

ـ أسمح لي أن أسألك بدوري: ما علاقة البكباشي جمال عبد الناصر بالثورة والحكم الثوري وزعامة العرب ؟

قلت :

ـ كان الله في عون طبيبك .. نحن نتكلم عن التلال والسفوح فما بالك تنتقل الى رؤوس القمم ؟

واراد ان ينتقم فسألني :

ـ ما رأيك في مبادرة الرئيس السادات ؟

قلت :

ـ صح النوم ، ألم تقرأ ما كتبت بهذا الموضوع ؟

قال :

ـ قرأت ولم أقتنع .

قلت :

عمرك ما تقتنع .

قال :

ـ ليس من عادتك ان تقول كلاما جارحا .. الخ.

الانوار ـ ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٧٨

حزب « التبرير » الاسلامي !

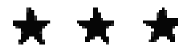
ما رأيكم في ان نطلق عليهم « حزب التبرير الاسلامي »؟

اولئك العارفون المنتشرون في ارجاء عالمنا العربي ، المتخصصون في تفصيل الثياب الاسلامية التي تغطي كل موقف ، وتناسب كل قياس وترضي كل ذوق . المهرة في التلاعب بنصوص القرآن والاحاديث النبوية وتطويـــع حقائق التاليخ الاسلامي . خبراء التلفيق والتخريج ، والترقيع اذا لزم الامر. العباقرة في شم وتحسس اتجاه الريح ، كلما مال الشراع مالوا معه ، شريطــة الا تلوح بوادر الغرق ، لانهم ــ ببساطة ــ يفعلون ما يفعلون ليحيوا ، لا لكي يموتوا !

الا يشكل هؤلاء حزبا حقيقيا ؟.. الهدف واضح والبرنامج والاساليب معروفة ، والانتشار واقع بالفعل . وكما ان هناك احزابا للخاصة ، المحافظين والاقطاعيين مثلا ، فان شرط العضوية الوحيد في حزب « التبرير » هذا هو ان يكون المريدون من العارفين، الذين تشترط فيهم « المرونة » الفكرية ، وسعــة الافق ، والذمة ايضا !

احدهم ، وقف مرة في ندوة باحدى العواصم العربية يؤكد ان التصوير حرام ، ويعزز رأيه بالادلة والقرائن . وبعد ان انتهى من كلامه قال له احــد الجالسين ، الا ترى ان هناك صورا بذاتها معلقة على جدران دواوين الحكومة، وان الصورة التي تعلو ظهرك ينطبق عليها التحريم ، طبقا لما تقول . عندئذ قال صاحبنا بكل وقار ، انه الرسم وليس التصوير . لان التصوير بالكاميرا لم يكن معروفا في ايام الاسلام الاولى ، والصورة في حكم ظل الانسان ، ولم يقل احد بان الظل حرام ! بسرعة مدهشة جاء التبرير ، وتم « تفصيـــل » الفتـــوى .

يذكرنا ذلك بما حدث بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة بعده ، ثم قوله سيروا بسيرة عمر . ولكن الخليفة الجديد لم يتحمل السير على طريق عمر بن عبد العزيز ، بالمثل العظيم الذي ضربه والقيم النبيلة التي جدد غرسها . اراد يزيد ان يطلق لهواه العنان ، فاتي باربعين شيخا ـ من أهل التبرير ـ فشهدوا له : ما على الخلفاء حساب ولا عذاب!



وكما تتعدد الفرق داخل الحزب الواحد ، فان من بين اهل التبرير فرقة تخصصت في تطويع نصوص القرآن لتفسير الظواهر والانجازات العلمية . اذا هبط الانسان فوق القمر ، قالوا ان ذلك موجود في القرآن . واذا ألقيت قنبلة ذرية على هيروشيما اكدوا ان النبوءة قديمة في بعض السور . واذا اطلق صاروخ في الجو ذكروا ان « قذائف الحق » نعرفها قبل غيرنا .. وهكذا !

وربما كان من تحصيل الحاصل ان نقول ان القرآن تضمن تسجيلات للعديد من الظواهر الكونية والعلمية ، ولكن ملاحظتنا تنصب اساسا على افتعال هذه العلاقة بين القرآن والعلم في مسائل تفصيلية يتقدم فيها البحث وتتغير فيها النتائج كل زمن .

والان يعمل حزب التبرير ـ بكل فرقه ـ بهمة تثير الانتباه ، منذ هبت ريح السلام وهم يرمزون على نقطتين ، موقف الاسلام من السلام ، ثم صلح الحديبية ، باعتباره نموذجا للمهادنة والمصالحة . وما قيل ـ وهو كثير ـ يحتاج الى تصحيح وايضاح .

نعم يدعو الاسلام الى السلام في كل مناسبة قرآنية . وتحية المسلم هي « السلام عليكم » والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، بنص الحديث الشريف . لكن الوقوف عند آية « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » يعد ابتسارا مخلا . وتصويرا غير امين لموقف الاسلام من هذه القضية .

ذلك ان آية « وان جنحوا للسلم ... »، تسبقها على الفور آية«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...» والقرآن الكريم الذي يقول : « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » يسبق هذا النهي بامر نصه : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ». وهو ذاته الذي يقول : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ، ان تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون .»

وهو ذاته الذي يقول : «فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم، فما جعل الله عليهم سبيلا » ثم يضيف : « فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ، ويكفوا ايديهم ، فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم .»

وفقه المسلمين هو الذي يقول : ان غلب العدو على بلد من بلاد الاسلام او ناحية من نواحيها فالجهاد فرض عين . فتخرج المرأة والعبد بلا اذن الزوج والمولي . وكذلك يخرج الولد من غير اذن والديه ، والغريم بغير اذن دائنه.

وفقه المسلمين هو الذي يقول ايضا : ان امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على اهل الغرب تخليصها .

لقد كانت حروب الاسلام دفاعا عن الانسان ، تستهدف تحريره من العبودية والشرك والظلم ، ومن اجل هذه الرسالة فرض « الجهاد »، الذي تتعدد فيه النصوص ، بعضها يحث المؤمنين ويبشرهم وبعضها يرمي القاعدين بابشع النعوت والصفات في الدنيا والآخرة .

واذا كان هذا هو موقف الاسلام من تحرير الآخرين ، فما بالكم اذا تعلق الامر بتحرير المسلمين لانفسهم ؟

ان ابرز الآيات الداعية الى السلام وحدها ، دون الاشارة الى سياقها الحقيقي والشروط الموضوعة في القرآن لتحقيق هذا السلام ، هو حيلة يلجأ اليها اهل التبرير ، متصورين انهم بذلك يركبون الموجة ويسايرون التيار .

وهو منهج مكشوف وشهير في عالمنا العربي ، شعاره قراءة الاحكام بطريقة « لا تقربوا الصلاة »٠



بقي موضوع صلح الحديبية ، ومحاولات التذكير به والقياس عليه ٠

كان ذلك في العام السادس للهجرة ــ في شهر ذي القعدة ــ والرسول (ص) وصحبه في المدينة قوة صاعدة تحاول ان تثبت اقدامها في أرض الجزيرة٠ وقتئذ اعلن الرسول (ص) انه متوجه الى مكة ليؤدي العمرة ، بينما المشركون هناك، رافضون لهذا الكيان الجديد ٠

خرج الرسول (ص) ومعه ١٥٠٠ من صحابته ، وفزعت قريش ظنا منها انهم قادمون لقتالها٠ فبعث الرسول (ص) اليهم عثمان بن عفان ليطمئنهم ٠

اقتنعت قريش ، وأرسلت مبعوثا للاتفاق مع المسلمين، فقال له رسول الله (ص): اكتب بيننا وبينكم كتابا ٠

وتقول الرواية التاريخية ان الرسول (ص) دعا علي ابن ابي طالب ، وقال: اكتب ، بسم الله الرحمن الرحيم ٠

عندئذ قال مبعوث قريش ــ سهيل بن عمر ــ اما الرحمن فو الله مــا ندري ما هو ، ولكن أكتب «باسمك اللهم » كما كنت تكتب ٠ فقال المسلمون، والله لا نكتبها ، الا بسم الله الرحمن الرحيم ٠ فقال النبي (ص) : اكتب باسمك اللهم ٠

وكان هذا تنازلا اثار انتباه المسلمين ٠

ثم قال الرسول (ص) يملي عليا اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل :والله لو كنا نعم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ٠ ولكن اكتب : محمد بن عبد الله ٠

فقال النبي (ص) : اني رسول الله وان كذبتموني • اكتب « محمد بن عبدالله » • وامر عليا بان يمحو ما كتبه ، فتمنع وقال : لا والله لا أمحوها فقال رسول الله (ص)، أرني مكانها ، فأراه مكانها ، فمحاها •

وكان هذا ايضا تنازلا اثار انتباه المسلمين•

ثم طلب مبعوث قريش ان يرجع المسلمون وعلى رأسهم النبي (ص) ، ولا يعتمرون الا في العام التالي حتى لا يظن العرب انهم دخلوا مكة عنوة، فوافق الرسول (ص) •

بعد ذلك طلب المبعوث شرطا غريبا ، اذا انضم واحد من اهل مكة الى معسكر المسلمين بغير اذن ــ حتى ولو كان قد أسلم ــ يرد الى قريش ، واذا لجأ واحد من المسلمين الى مكة ، لا تلزم قريش برده الى النبي • ووافق الرسول (ص) ايضا على هذا الشرط •

وشاء القدر ان يصل الى معسكر المسلمين ، والاتفاق لم يتم بعد ، احد مسلمي مكة هاربا من العذاب وهو يرسف في قيوده • وقد رمى بنفسه وسط الجموع عند الحديبية • ولم يفوت مبعوث قريش الفرصة ، وقال : هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه على ان ترده •

فرد النبي (ص) قائلا ان الاتفاق لم يتم ، وطلب من مبعوث قريش ان يترك هذا المسلم الوافد (جندل بن سهيل)، ولكن المبعوث اصر على موقفه، فوافق الرسول (ص) على تسليمه •

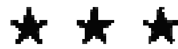
فلم يملك الرجل نفسه وقال مستغيثا : يا معشر المسلمين ، ارد الى المشركين وقد جئت مسلما ، الا ترون ما لقيت ؟

وهكذا ، وسط دهشة المسلمين ، تم الاتفاق بين النبي (ص) وقريش، على هدنة امدها عشر سنوات ، وعلى ان يرجع المسلمون هذا العام ، وعلى ان يدخلوا مكة في العام المقبل والسيوف في اغمادها ، وان لكل قبيلة حق الدخول

في عهد مع اي من الطرفين .. الى غير ذلك من شروط تسليم الافراد بين قريش والمسلمين..

يصف ابن هشام الموقف وقتئذ بقوله انه « دخل عليهم ــ المسلمين ــ امر عظيم حتى كادوا يهلكون ». ويشير الواقدي الى ان المسلمين « كانوا يتميزون غيظا وألما ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما » .

هذه باختصار شديد ابرز وقائع صلح الحديبية ، الذي اعتبر بداية الانتصار الكبير للمسلمين ، وفيه نزلت ايات سورة الفتح وفي مقدمتها : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » (نزلت في طريق العودة الى المدينة بعد الاتفاق مباشرة).



واذا أردنا ان نقارن ونقيس ، فلا بد ان نضع في الاعتبار اولا انه في حقيقته « هدنة » مسلحة وليس صلحا (انهار الاتفاق بعد سنتين بسبب نقض قريش لشروطه) ـ ومن ناحية اخرى فان عناصر الصراع الاساسية مختلفة، فلم يكن بين المسلمين وقريش قضية ارض مثلا .

ولنسأل بعد ، كيف كان الصلح فتحا وانتصارا ، رغم ما قدم من تنازلات ؟

لقد كان الانجاز الاكبر هو اعتراف قريش ــ زعيمة الوثنية ــ بالمسلمين كقوة اثبتت وجودها ، حتى صارت طرفا له شرعيته ، وينبغي التسليم بوجوده والتفاهم معه .

ثم ان الصلح اتاح للمسلمين الاختلاط بالمشركين في امان ، ومكنهم ذلك من نشر الاسلام بينهم . وفي سيرة ابن هشام انه « لما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم احد في الاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه ».

وكانت النتيجة ان الرسول كان قد خرج الى الحديبية واصحابه عددهم ١٥٠٠ ، ثم خرج في عام فتح مكة ـ بعد الصلح بعامين ـ وقد وصل عدد أصحابه الى عشرة الاف •

وكان من ثمار الصلح ان توقف العذاب كان يلقاه المسلمون في مكة •

ويذكر سير توماس ارنولد في كتابه «الدعوة الى الاسلام» ان الهدنة أتاحت للرسول (ص) ان ينشط بدعوته بين القبائل التي تقيم جنوبي المدينة حتى تخوم اليمن • وكان لانتشار الاسلام بين هذه القبائل اهمية خاصة من الناحية العسكرية ، اذ انه جعل قريشا محاصرة بالمسلمين من الشمال والجنوب ، وبذلك تقرر مصير مكة وقريش نهائيا •

لقد كان الصلح طريقا لحسم المعركة نهائيا لصالح المسلمين •

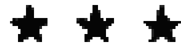
ومن ثمار الصلح ايضا ان الرسول بهدنته مع قريش تمكن من ان يوجه الضربات والسرايا الى القوى الاخرى التي كانت تحاول الانقضاض على المسلمين ، من اليهود الى البيزنطيين الى التجمعات البدوية الاخرى في الصحراء وطوال السنة السابعة للهجرة (الاولى بعد الصلح)، كانت سرايا المسلمين تؤدب هؤلاء وتردعهم •

وبلغة الساعة • فان هذا « الاتفاق الجزئي » مكن الرسول (ص) من « تحييد » قريش ، واتاح للمسلمين فرصة التفرغ لتصفية الجبهات المعادية الاخرى • كان « تسكينا » لجبهة ، وليس انهاء للمعركة بين الاسلام والشرك •

وكتب السيرة حافلة برصد العديد من الانجازات الحقيقية الاخرى التي كسبها المسلمون بعد صلح الحديبية ، بينما كل ما قدموه لم يتجاوز تنازلات شكلية بالدرجة الاولى •

لكن الذين يذكرون ويقيسون ، من اهل التبرير ، يقرأون سيرة النبي

ايضا بطريقة « لا تقربوا الصلاة »! ولو انهم قرأوا الاتفاق بامعان ، لاكتشفوا انه حجة عليهم وليست لهم !



ولن يتوقف نشاط حزب التبرير الاسلامي ، ليس فقط لقوته وعراقته ولكن ايضا لان ظروفا مواتية عديدة تهيء المناخ المناسب لاستمراره وانتشاره.

ومعذرة اذا كان هذا الذي كتبته بمثابة بلاغ ضد حزب التبرير واهله.

لكنه يشفع لي انني اوجه هذا البلاغ الى ضمير امتنا ، التي يعلم الله وحده ما يراد لها وبها .

ومعذرة ايضا اذا كنت قد قطعت مناقشة اخرى حول مسألة التحديث في الفكر الاسلامي ، ضرورته ومخاطره ومداه .

وأرجو ان استكمل هذه المناقشة في مرة قادمة .

فهمي هويدى

منشئها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ـ سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الثالث مجلد ٦٦ آذار «مارس» ١٩٧٨ ربيع الاول ١٣٩٨



مطبعة الابجدية ــ بيروت ــ تلفون ٢٣٨١٧٤

بيني وبين القارئ

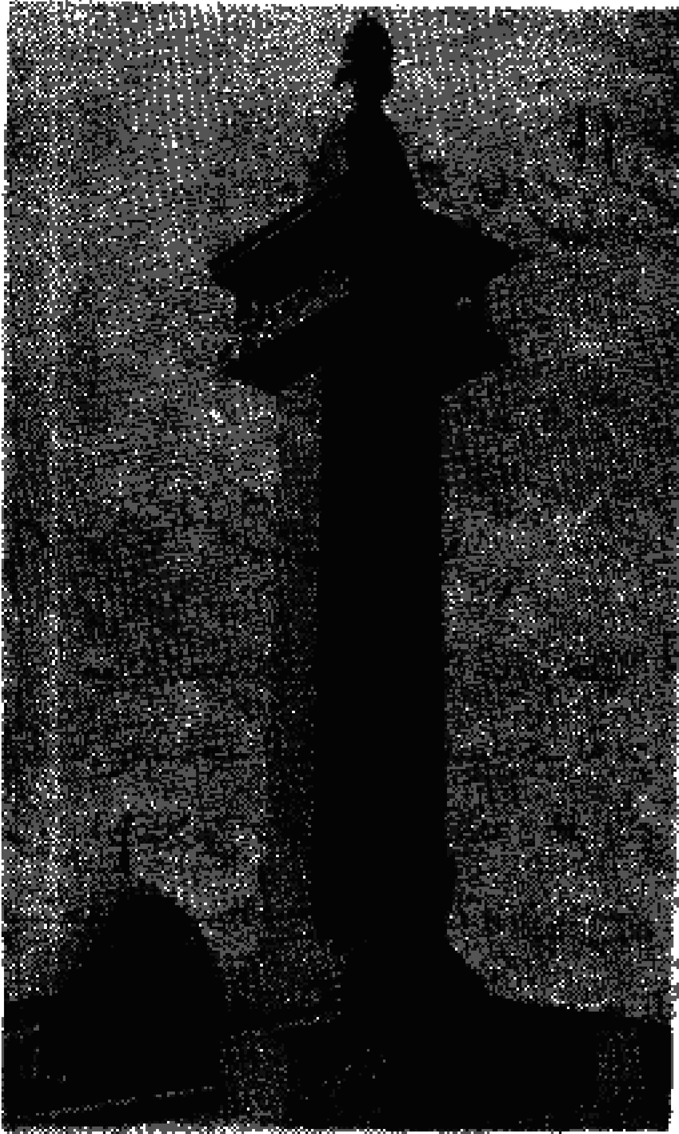
بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

نعود لنحدثك ولو قليلا عن رحلتنا الى الكويت والعراق فاذا ألقينا نظرة على مساجد الكويت تجدها جميلة مزركشة فيها الكثير من الفن المعماري العربي الاسلامي ، ها هو مسجد « المزيدي » بمأذنته وبهوه يستهويك ويستجلبك للصلاة .

وكنا قد أشرنا الى وفاة القيم عليه الشيخ حبيب المزيدي احد وجوه الكويت النيرة رحمه الله واجزل ثوابه . وكذلك مسجد الحاج عبد الله عبد اللطيف العثمان رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، رائع بكل معنى الكلمة، ولم يزل للان تذاع الشعائر الدينية في رمضان بالكويت منه ، وهذا أعظم ذكرى وفخر ، وللعثمان مسجد فخم في دمشق ، ومسجد جميل في « بحمدون الضيعة » ولئن لم يقدر كما يجب ، ولم يذكره حتى الذين غمرهم بفضله، فان جزاءه عند الله كبير « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » فكيف من جاء بالحسنات ، وكان يقدر المروءات والمكرمات .

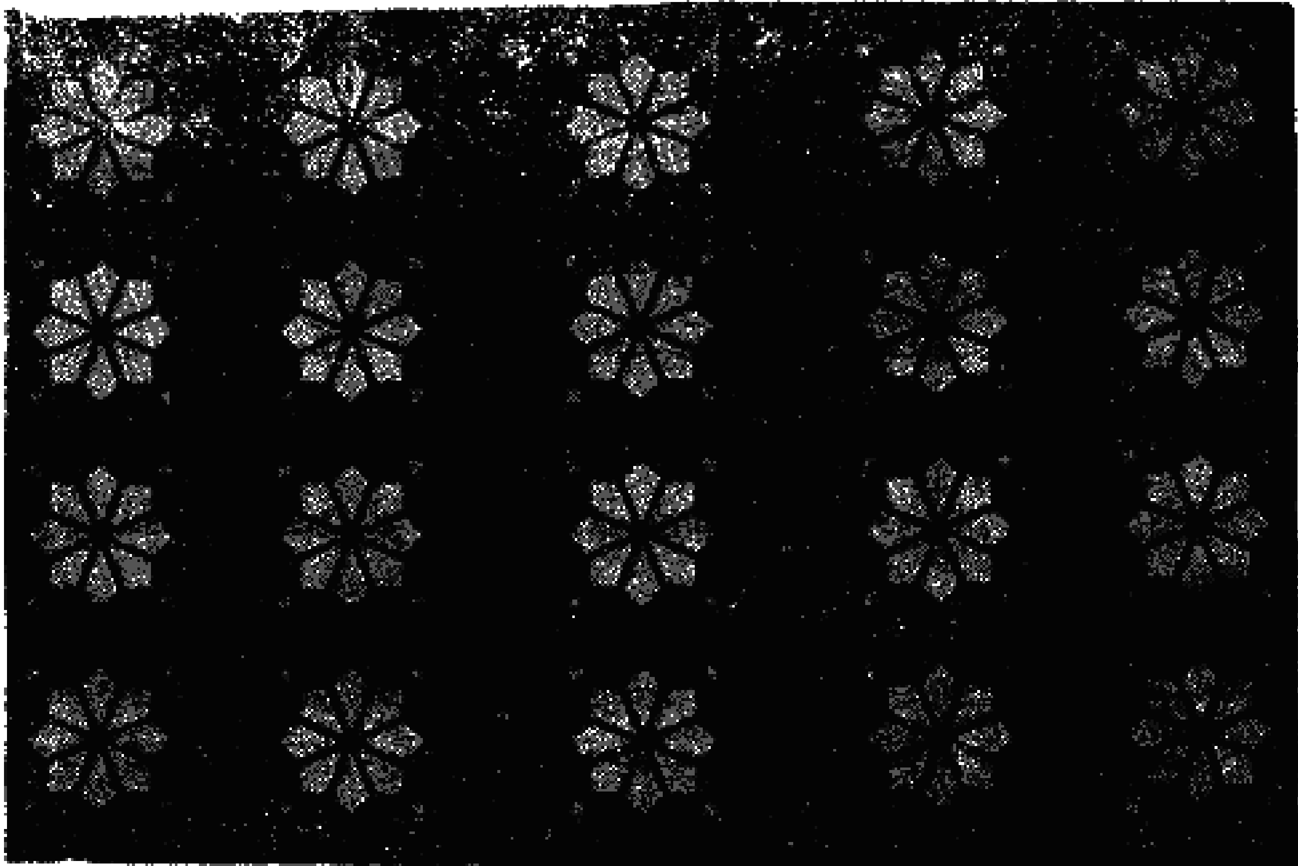
وهذه الديوانيات الموجودة في الكويت التي يحييها ذوو الوجاهة والمكرمة من الكويتيين من أحسن العادات ، ويكفي انها تبعد الناس عن المقاهي وما شابهها وتجمعهم ، على ان بعض هذه الديوانيات كديوانية « الحاج محمد قبازرد» تتحول اكثر الاحيان الى ندوة علمية ادبية قل نظيرها ، وهكذا يجمع الزائر بين غذاء العقل وغذاء المعدة .



مائذنــة مسجد المزيدي

في الكويـــــت .

وتحتها يرى بهو المسجد



وأما في العراق فمن جهة المساجد يكفي ان هناك الحضرات الشريفة التي لا مثيل لها في العالم . وكم أنسنا بان الطبيب الاديب الدكتور عبدالمجيد القصاب وهو من كتاب العرفان القدامى لم يزل يحافظ على ندوته الادبية مساء كل جمعة ، كذلك المحامي الاستاذ حازم المفتي وهو من اشراف الموصل وابن شقيقة المغفور له الشيخ محمد حبيب العبيدي مفتي الموصل احد المجاهدين المخلصين في سبيل العروبة والاسلام وأحد كتاب العرفان القدامى يجلس مساء كل جمعة فيتحلق حوله رهط من المحامين والادباء وذوي الفضل في بغداد .

وهناك قبول او استقبال او ندوة سيادة العلامة الاديب الشاعر الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي مساء كل ثلاثاء يحضره جماعة من كبار الادباء والشعراء على ان كل مأدبة في العراق او حفلة شاي تتحول الى ندوة علمية ادبية تاريخية والحقيقة ان العراق في هذا المجال الادبي لا يلحقه لاحق ولا يسبقه سابق .

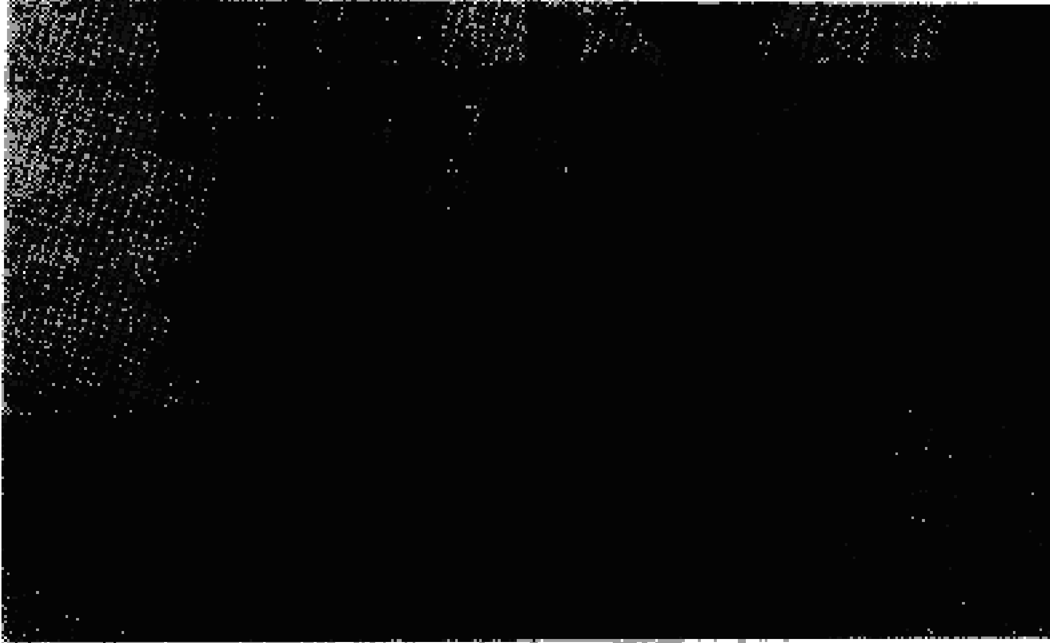
وصادف في هذه الرحلة وهي الاولى في السنة الماضية ان الدولة اصدرت مرسوما بتعزيز اللغة العربية في دوائرها وهي بادرة حسنة تشكر عليها .

وفي سفرتنا الثانية للعراق السنة الماضية صادف المهرجان الاحتفالي مدة خمسة ايام للمتنبي سيد شعراء العرب قديما وحديثا والذي لا يعترف بشاعريته جماعة الشعر الجديد ، فيا للعجب ، وقبله كان الاحتفال بتكريم « توينبي » المؤرخ البريطاني الشهير صديق العرب .

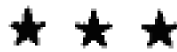
وليس من المعقول ان نذهب الى العراق ولا نزور النجف وكربلاء اما في النجف فللعرفان جولات وجولات ، وقد سارت بمدينة الامام وعلمائها وادبائهــا مسير الشمس ، ولكن العرفان ، حظهــا قليـل لان صاحبها لا يطلب ، ولان الجوهر لا تعرف قيمته ولا يقدر حتى عند الرافعين علم الدين والعلم والايمان ، فكيف بغيرهم !؟

العرفان ـ العدد الثالث ـ مجلد ٦٦

« الكاظمية تحتفي بصاحب العرفان »



من اليمين الدكتور ضياء الدين ابو الحب ، سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي الخالصي ، الاستاذ نزار الزين ، الاستاذ طارق الخالصي وراء حسين شعبان والى جانبه يقظان ضياء ابو الحب في حديقة دار سماحة شيخنا الخالصي يوم الجمعة المصادف ١٨ ـ ٢ ـ ١٩٧٨



وفي كربلاء لقينا حفاوة معنوية ادبية ، على ان الاخ الصديق الاديب الاستاذ سلمان هادي الطعمة زاد عليها الحفاوة المادية فشكرا له • وقد كتبت صحيفة العدل النجفية عن هذا الموضوع قائلة :

زار مدينة كربلاء في ايام عيد الاضحى المبارك الاستاذ نزار الزين صاحب مجلة العرفان اللبنانية ، وفي غرفة سادن الرضة الحسينية استقبله السادة الشعراء سلمان هادي آل طعمه ومحمد علي الخفاجي وعدنان غازي الغزالي ثم تفقد الضيف الكريم بعض الاماكن السياحية فزار بحيرة الرزازة ، وفي نادي الموظفين بحي الحسين اقيم على شرفه حفل تكريمي انشدت فيه قصيدتان للشاعر السيد سلمان الطعمة والشاعر علي كاظم الفتال ثم رد عليهما الضيف بكلمة بليغة • وفي مقهى الادباء حياه رهط كبير من الادباء كان من بينهم

السادة محمد حسن الكليدرا آل طعمه والاديب حسن عبد الامير والشاعر عدنان حمدان والشاعر عبد الستار محسن الجواد •• ومكث ليلته في دار الاديب السيد سلمان آل طعمة بحي المعلمين ، ثم عاد الى بغداد فودع بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم • تاريخ ٧ـ١٢ـ١٩٧٧

وفي هذه السنة دعتنا وزارة الثقافة في العراق لمهرجان الصافي وقد استقبلنا مندوب الوزارة السيد صبار على المطار بكل لطف ودماثة خلق وصحبنا لفندق آغادير الممتاز من جميع النواحي نظافة وخدمة واكلا • وفي الثاني عشر من شباط ١٩٧٨ كان الاحتفال التأبيني حيث تحدث ممثلا عن الوفود فيه نزار الزين صاحب العرفان ، الذي اختارته اللجنة التكريمية برئاسة الدكتور شفيق الكمالي ، هذا في اليوم الاول واما في اليوم الثاني فقد عقد المهرجان بالنجف • وسنأتي على تفصيل هذا بعددنا الخاص عن الصافي ولكنا نسارع فنقول ان التوفيق والنجاح حالف الحفلتين ، وبتنا تلك الليلة بالفندق السياحي بالنجف الذي سررنا به ، لا لميزته فقط وحسنه ، بل لانا لاول مرة نجد في النجف فندقا من هذا الطراز •

وفي يوم ١٤ـ٢ـ١٩٧٨ غادرنا النجف الى كربلاء مع الوفود وبعد زيارة المقامات المقدسة ، زرنا جمعية النهضة الاسلامية التي تصدر مجلة صوت الاسلام فاستقبلنا بها بكل ترحاب ، وبعد ان رحب رئيس الجمعية بالوفود،قدم السيد عبدالله البرذوني شاعر اليمن الذي انشد بعض قصائده،ثم تلا الشاعر الاديب الاستاذ سلمان هادي الطعمة قصيدته« مرحى بالزين في ثرى الحسين » مرحبا بصاحب العرفان ، ثم طلبت الوفود من صاحب العرفان ان يتكلم باسم الوفود ويرد بكلمة شكر ففعل ، وودعنا كما استقبلنا بالحفاوة والاكرام • وقد اخذ منا التلفزيون العراقي حديثا عن الصافي والمربد،وسننشر بعض المواضيع الهامة التي قيلت بالصافي والمربد ، فالى الاعداد القادمة •

وفي ٢٠ـ٢ـ١٩٧٨ ودعنا العراق عائدين الى لبنان •

الكلمة والبناء الفني

بقلم : محمد شرارة

الكلمة جزء من البناء القائم على تصميم هندسي ، والعلاقة بينها وبين غيرها من الكلمات هي العلاقة الهندسية الرابطة بين الجزئيات الكثيرة المؤدية الى بناء جديد . والفرق بين التصميم الهندسي والتصميم الشعري او القصصي ان الاول يضع الخريطة ويوكل اخراجها وتجسيدها الى غيره . اما الثاني فهو المهندس والعامل .. هو المصمم ، وهو الذي يختار الجزئيات ويقيم بينهما العلائق . وفي أحيان كثيرة يطرأ شيء من التعديل على التصميم في أثناء الحركة الذهنية ، أو في اثناء العمل المتحرك الذي يتجول بين الكلمات .

والكلمة ، بهذا المستوى ، جزء من البناء الحي المتكامل الذي تستند اقامته الى نوع من التشارك بين الكلمات والى التفاعل الجدلي الذي يذيبها في غيرها ، ويذيب غيرها فيها . ثم ينشأ من الذوبان المتبادل وحدة مصهورة تتداخل فيها الاجزاء تداخلا يتراءى البناء عنده وكأنه نوع من المليودي المدهشة .

واذا كانت الكلمة بهذا المستوى كان البناء الذي تقيمه اكبر من « المحاكاة » السطحية التي فهمها افلاطون واعتبرها « اقل مرتبة من العلم ومن الصناعة ، لان فيها بعدا عن ادراك جوهر الحقائق ، ولان جهدها ينحصر في نقل مظاهر الاشياء وخيالاتها الحسية »(١) .

وكما أصيبت « المحاكاة» بسوء الفهم أصيب « الايقاع » بالسوء ذاته

« ١ » الدكتور محمد غنيمي هلال : النقد الادبي : ص ٤٤

أو بسوء التفكير • يقولH. COOMBESفي كتابه : « الادب والنقد » : «سوء التفكير حول الايقاع في الكتابة الذي يضلل بعض الكتاب ويغري البعض الآخر ، هو الذي يقيم على وجه الدقة والحصر ، رابطة منطقية او سببية مع الانواع الاخرى من الايقاع كدقة القلب وحركة الاذرع والسيقان ، وتعاقب النهار والليل ، ودوران القمر حول الارض ، ودوران الارض حول الشمس • هذا التكرار الاعتيادي قل او كثر • وهذا النشاط في الانسان والطبيعة والكون هو الذي يقيم آساس الايقاع في الفن • وهذه آخطاء مهمة، لانها تجعل الاستنساخ المجرد مبدأ النشاط، كما لو كان الايقاع في الفن ، جوهريا ، هو الايقاع نفسه الذي يشكل الاستنساخ للوحدات المبني تصميمها على ورق الجدران •

ان العيب في القياس الذي يصبح به الايقاع في الكتابة مسألة تسجيلية منهجية ، وتعبيرا ميكانيكيا فقط » (٢)•

وكما تجاوز كومبز هؤلاء المصابين بسوء التفكير في الايقاع ، فقد تجاوز التلميذ استاذه في « المحاكاة » واعتبرها « اعظم من الحقيقة ومن الواقع • والفنون عند اورسطو تحاكي الطبيعة وتساعد على فهمها • والفن شأنه شأن النظم التهذيبية والتربويةيكمل ما لم تكمله الطبيعة ، او يتمم ما تعجز الطبيعة عن اتمامه «٣» لانه في محاكاته يكشف عما ينقصها » وذلك يعني « ان الطبيعة تتشكل من خلال الذات ، لا ان الذات تتشكل من خلال الطبيعة » كما يقول الدكتور عز الدين اسماعيل •

وهذه النظرية الاورسطية التي جاءت ردا ضمنيا على نظرة افلاطون تحمل في جوهرها وفي روحها شيئا من النظرة الحديثة التي ترى ان «البلاغة ليست في صدق الاحساس ، او في صدق التعبير ، او جمال الاسلوب وافصاحه عن شخصية الكاتب بل في ان يخلق الكاتب او الشاعر معادلا موضوعيا

« ٢ » H. COOMEES الادب والنقد و LITERATURE AND CRITICISM,
« ٣ » محمد غنيمي هلال المصدر السابق «٤» الدكتور رشاد رشدي: النقد والنقد الادبي

للاحساس الذي يرغب في التعبير عنه ، او يخلق شيئا يجسد الاحساس ويعادله معادلة كاملة . فاذا اكتمل خلق هذا الشيء ، او هذا المعادل الموضوعي استطاع أن يثير في القارىء الاحساس الذي يهدف الى اثارته »«٤» واذا قورنت هذه النظرية العميقة بنظرة اورسطو السابقة لاح للمتأمل ان النظرة الجديدة تستند ، في جزء منها على الاقل ، الى نظرة اورسطو .

ان اتهام الطبيعة بالنقص والعجز الذي وجهه لها الفيلسوف اليوناني وضع الفانوس بأيدي الذين جاءوا بعده ، ودفعهم الى التفتيش عن سد النقص القائم في الطبيعة ، فكان الصدق في الاحساس ، والتعبير الصادق عنه حتى انتهى البحث الى الشاعر الانكليزي ت.س. اليوت في خلق المعادل القادر على ابداع احساس مماثل عند القارىء .

يوازن ايفور ايفانز بين الكلمة من جهة ، واللون والنغم من جهة اخرى في الاداء الفني ، ثم ينتهي التوازن الى ايمان بقدرة اللون والنغم على اعانة الفنان في الوقت الذي تعجز الكلمة عن تقديم مثل هذه الاعانة لان « الكلمات تستعمل في جميع اغراض الحياة ، واستعمالها بهذه السعة يهبط بها الى الابتذال حتى تصبح كالنقود التي عفى عليها الزمن » بينما يبقى اللون والنغم بعيدين عن الابتذال . وبهذا البعد يكونان عونا للرسم والموسيقى على اداء المهمة. وبعبارة اخرى .. ان الطاقة الابداعية في النغمة واللون تجهز الفنان بالعناصر الابداعية ، وتجعل مهمته في الخلق اسهل من مهمة الشاعر او الكاتب ، لان الحيوية في اللون والنغم اعلى بكثير من حيوية الكلمة . ولذلك كانت مهمة الشعر اصعب بكثير من مهمة الموسيقي والرسم ، لان ادواته اقرب الى الموتى منها الى الاحياء اذا قيست بالنغم واللون . وعليه ، لكي تصبح الادوات لائقة ، ان ينفخ بها الروح ، ولن يكون قادرا على القيام بهذا العبء الا اذا كان بمستوى الانبياء القادرين على احياء الموتى.

يقول ايفور : «الشاعر يحاول النظر الى الكلمات نظرة جديدة ويرتبها ترتيبا يوفر المتعة التي نجنيها من الموسيقى او الصورة . وينشأ الجانب الاكبر

من هذه المتعة عن ترتيب الكلمات ترتيبا يحلو وقعه في السمع حين تتعاقب الالفاظ الواقع عليها الضغط ، والالفاظ الممتدة على مدى زمني اطول بحيث توفر لمجموعة من الكلمات شيئا من اللذة التي تحققها الموسيقى.» «٥»

ولو كانت الكلمات اجراسا فقط لكان لهذا الرأي شأن كبير ، ولكنها اكثر من اجراس .. انها افكار وعواطف وايحاءات واجواء متجددة وما أشبه ذلك من الامور الخلفية الكامنة وراء التركيب . وسنرى فيما يأتي من الامثلة ما تصنعه الكلمات المتضامنة وما لها من قدرة على النفوذ الذي زودها به الشاعر ، وما منحتها قدرته من عوالم وان كانت في بعض الاحيان عادية.

واذا كانت « اللغة اول عناصر الادب » كما يقول غوركي فان «مفهوم الاسلوب ، كما يقول تيتشرن، يحتوي في ثناياه على وحدة الكلمة والصورة ، ووحدة الصورة والبناء ، ووحدةالبناء وفكرة العمل الشعوري » وذلك كله يؤكد ان الترابط الفني بين الكلمات ، والقدرة على انشاء الوشائج الحميمة بينها يبعدها عن الابتذال ويدخلها في اطار جديد تصبح فيه بمستوى الموسيقى او الصورة التي لا تقتصر على توفير المتعة ، كما يريدها ايفور ، بل توفر مع المتعة احساسا جديدا بالحياة . فاذا وصلت الى هذه الدرجة كانت أشبه الاشياء بـ « الحب » الذي يخلق في كثير من النفوس الوانا تشبه ألوان الافق الذي يتجدد كما تتجدد الامواج في كل لحظة.

واذا كانت اللغة برأي غوركي اول عناصر الادب فانها فيما يسمى بـ « الرأي الجمالي » جميع العناصر ، وتأخذ جميع الادوار حتى يصبح الفن « مجرد نشاط لغوي يحقق رموزا غامضة الى معان روحية بعيدة. وكلما ازدادت الرموز غموضا والمعاني بعدا كان العمل الادبي أكبر جودة، لان هذه الرموز مقطوعة عن اصولها المادية او الحيوية ، وليست لها علاقة بالتجارب الحقيقية التي مرت بالشاعر ، بل هي رموز الى ادراك غيبي سحري

« ٥ » ايفون ايفور : موجز تاريخ الادب الانكليزي : ترجمة الدكتور شوقي السكري ، وعبد الله الحافظ.

اسطوري خارق امتلك الشاعر حين انتج شعره ، فاذا وصف في الظاهر ناقة أو فرسا او طللا فان هذه الاشياء لا تعنيه في الحقيقة ، وهي لم تكن سوى رموز الى العالم الغيبي الاسطوري .» «٦» وهذا الرأي على ما فيه من غلو لا يجرد الكلمات من معانيها تجريدا تاما ، ولا يفصلها عنها ، بل يحولها الى رموز تشير «الى معان بعيدة » وكلما أمعنت المعاني في البعد كان العمل الادبي اكبر جودة .» وفي هذه الرؤيا يتحول الفن الى ما يشبه «زمزمة العلوج» «٧» أو تسابيح الكهنة التي لا يفهمها سوى العراف الكبير او الكاهن الاعظم . وكلما أردنا ان نفهم بيتا من الشعر كان علينا ان نستنجد بالكاهن أو العراف حتى يحل لنا الرموز ويوصلنا الى معناه البعيد . واذا قال قيس:

وكنت وعدتني يا قلب اني اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى فما لك كلما ذكرت تذوب

وجب ان تكون هذه الكلمات « رموزا الى معان بعيدة » حتى تكون شعرا جيدا ، وان لم تكن رموزا هوت من رفرف الشعر ، وحرمت من كل ما يسمى « جودة » .!

ليلى بذاتها لم تكن ليلى ، و« القلب الذائب » لم يكن قلب الشاعر العاشق ، بل ان «ليلى » وبقية الكلمات « رموز الى ادراك غيبي سحري اسطوري خارق امتلك الشاعر حين انتج » هذين البيتين .

لا شك ان وراء البيتين « معاناة » ملكت الشاعر واستولت على احاسيسه وروحه وعواطفه . وهي معاناة واقعية لم يمر بها قيس وحده ، بل مر بها كل من مر به الحب الذي مر بقيس ، وذاق من عذابه وما ذاقه الشاعر العامري ، وهذا التعبير لم يكن عن شيء غيبي بل عن واقع متصل

« ٦ » ينقل هذا المقطع الدكتور محمد النويهي في كتابه « نفسية ابي نواس » من كتاب «دراسة الادب العربي» للدكتور مصطفى ناصف . وهو استاذ في جامعة» عين شمس »

« ٧ » جماعة تتراطن عند الاكل وهي صادلة لا تستعمل اللسان ولا الشفة في كلامها ، بل اصواتا تديرها في الخياشيم والحلوق ، فيفهم بعضها بعضا .

بأصوله المادية الحية ، ولا يمكن ان يكون هاربا منها الى عالم اسطوري سحري ، ونحن الذين نقرأ هذا الشعر لا نحتاج الى « جهاز » يخترق الكواكب حتى نصل الى المعاناة التي يكابدها الشاعر ، بل نحس ان كل كلمة ، اذا روعي وضعها الاجتماعي ، تكاد تكون عدسة قادرة على نقلنا الى العالم الداخلي الذي يختلج فيه قلب قيس ، وترتعش فيه روحه وعواطفه ، ونحس ان الشاعر يضطرب كما يضطرب عصفور في قفصه ، وان الارض تضيق من حوله ، ويصبح فيها كما قال عن نفسه في مكان آخر :

كأن فجاج الارض حلقة خاتم علي فما تزداد طولا ولا عرضا

على ان نظرة الدكتور وان كانت صادرة عن استاذ معاصر في كلية معاصرة تعود في جوهرها الى نظرة افلاطونية قديمة . «فافلاطون يرى ان الفنان يستمد فنه من الوحي والالهام ، ويسير على القواعد الفنية بدون شعور » ولذلك كان الفن عنده « جنونا سماويا » اما كونه سماويا فلأن الفنان يبرز الى الوجود اشياء بمنتهى الجمال ، واما انه جنون فلأنه هو نفسه لا يعرف كيف صدرت عنه » «٨» وبالرغم من تصاعد الرقم القياسي في الجمال فان «الالهام» لن يكون «في مستوى المعرفة العقلية ، بل هو احط منها ومن ثم كان الفن احط من الفلسفة .» ...!.

حكاية : « لا يعلم كيف صدرت عنه » هي «العالم الغيبي الاسطوري» عند مصطفى ناصف . وحكاية « الجنون السماوي » هي « الرموز المقطوعة عن اصولها المادية الحيوية » واذا كان هناك خلاف فلا يتجاوز الكلمات التي تؤدي في النهاية غرضا واحدا . وافلاطون كما يعرفه من له المام بسيط بالفلسفة صاحب « المثل » التي كانت مددا لكثير من الاراء القريبة من الخرافة . ومهما كان الوشاح الذي يلقيه بعض الدكاترة على فلسفته جديدا تبق هذه الفلسفة عتيقة تتدحرج في انحدارها الى عصور قديمة .

« ٨ » احمد امين : قصة الفلسفة اليونانية : ص ١٢٩

في ابتهال من ابتهالاته يقول طاغور الشاعر الهندي ما ترجمته : « لقد التقينا كما تلتقي طيور البحر ، واقتربنا كما تقترب الامواج . لقد طارت الطيور ، وتلاشت الامواج . اما انتم فقد رحلتم .» وطاغور متصوف. ولكن هذه الكلمات الشعرية واضحة وشفافة وخالية من كل غموض . وبالرغم من شفوفها تقدم صورة جميلة ونشوة قائمة على التأمل . واذا كانت «رموزا الى معان روحية بعيدة » فانها رموز واضحة خالية من « الغموض » الذي يشترطه الدكتور مصطفى في « جودة العمل الادبي ».

ومثل هذا القول قول الشاعر الآخر :

هدأت نارهم وقد عسعس الليل وحار الهادي وضل الدليل

فالكلمات ، على ما فيها من بساطة ، غلائل ناعمة يطل وراءها الجو الطبيعي الذي اختفت فيه الحركة ، وسيطر الصمت على الكون والحياة سيطرة تامة مصحوبا بالجو النفسي الشاعر بالوحشة المترامية التي تحاصر القافلة المسافرة في ليل تتدافع امواجه ، وتتوالى فيه القطع الغارقة في ظلمة تنتقل من سواد الى سواد اشد يتلاشى فيه خيال الامل بالوميض الذي يمكن ان يخلق تطلعا ، ولو ضئيلا ، يبعث شيئا من الحيوية في الارواح المحاصرة .

لقد نام الساهرون على « الشعلة » الهادية ، وهوى العمود الناري الى القرارة العميقة ، والليل ينشر جناحا وراء جناح ، وموجة بعد موجة من الظلمات الحالكة . ومن الطبيعي ان يضطرب الدليل ، وتأخذه الحيرة التي يأتي بعدها الضلال . وكان من الطبيعي ايضا ان يختنق الصوت في حنجرة الحادي ، وان يختفي في هذا السواد الاعمى ، ولكن الشاعر خلع « الحيرة» على الحادي كما خلع « الضلال » على الدليل . وبالقدر الذي حالفه التوفيق في الثاني جانبه في الاول .

الصفة الاساسية للحداء تتعلق بالصوت ، او هو الصوت نفسه ، وربطه بالحيرة تثبيت لصفة ثانوية بدل الاساس . والجو الذي يتحرك فيه الشاعر

جو يجرد الاشياء من خصائصها الاولى ، ويلفها بما يشبه الشلل . والحادي في حيرته لا يفقد اولى خصائصه ، بل يفقد شيئا مشتركا بينه وبين غيره ،وهو خلل كبير في البناء الفني ، ولكن ذلك لا يحط من المشاعر النفسية التي خلقها الشاعر .

في عالم قريب من هذا العالم تجنب عمر ابو ريشة في احدى قصائده الرائعة ما وقع فيه الشاعر السابق :

أوقفي الركب يا رمال البيد ... انه تاه في مداك البعيد

فمشت فوقه وجفه فم الحادي ... وغصت لهاته بالنشيد

واذا قيل ان الجفاف مستمد من «الرمال» هنا ، ولا رمال هناك كان الجواب ان الاساس هو « الضياع » والتيهان والضياع واحد هنا وهناك. وهو الجزء الاساسي في العلائق بين الكلمات . ومن طبيعة الموقف الفني ان يفقد الحادي جوهر الخصائص التي تلازمه .

في بيتي عمر نص على التيهان واخبار عنه بالفعل « تاه » وهذا التعبير قربالاسلوب من التقرير ، بينما كان الايماء في البيت السابق هو الاساس. ولم يكن هدوء النار وعسعسة الليل وحيرة الحادي وضلال الدليل سوى ايماءات متتابعة لا الى « الضياع » فقط ، بل الى الغرق في متاهة لا تكاد تعرف الحدود . وهذا ما يسمى بالتركيز ، او انطواء الشيء القليل على العوالم الكبيرة . ومن هذا الاسلوب الذي لا يمكن تحديده تنبع قيمة الاثار الفنية ، ويستمد الفن خلوده .

في هذا الضوء يبقى الشعر شعرا . ويبقى قادرا على خلق الاحاسيس المتنوعة وان تقادم عليه الزمن ، وامتدت بعده السنون :

ان الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك ما يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

الكلمات مألوفة شائعة ، ويعرفها كل من له المام باللغة ومفرداتها ، ولكن قدرة الشاعر وحاسته الفنية استطاعت ان تبني بالكلمات الشائعة عالما تفسيا تتموج فيه الاوتار المختلفة التي تند عنها الحان تذيع اللحظات الاخيرة في وقفة التمزق والانفصال المريع.

ان القوة الناشئة من الكيان الشعري ، ومن العناصر المترابطة فيما بينها تقرب العمل الشعري ذاته من المعجزة ، فهؤلاء الغاديات السائرات بين الفجر وطلوع الشمس يغادرن ملاعب الطفولة والصبا ، ويسرن في الهوادج المتهادية لم يسرن وحدهن ، بل سار معهن ذلك الضوء الذي تتحول الحياة في غيابه الى ذهول او غيبوبة او شبح مترنح قريب من شبح السكران ، وقد حولن البقايا القليلة من العبرات الى معين لا يعرف النضوب ، في الوقت الذي غاضت الدموع في عيونهن وانحدرت الى اعمق الاعماق مصحوبة بذلك التساؤل الرهيب : « ماذا لقيت ؟» وهو تساؤل يتراوح بين « الاقلاب » و « الاستكشاف » في الحدث التراجيدي.

ان التفسير ، مهما تصاعد ، ومهما حاول ان يجد ما يعادل العناصر المتشابكة من مشاعر وايقاع واجراس وفكرة في اقامة الصرح الكبير يبق اقل من الكيان ذاته . والعودة الى العناصر اشبه شيء بالعودة الى الادوات التي تتألف منها الطاقة الكهربائية التي تنير الظلمة وتمنح الضياء . وما تحويل الكيان المتماسك الى جزئيات او جزء مبعثرة سوى عمل مادي لا يستطيع ان يضيء جميع الدقائق الجمالية مهما سما شأنه . ومن هنا كان تدريس الادب أصعب بكثير من تدريس العلوم الاخرى اذا اريد للمادة الادبية ان تصل الى الاخرين بكل ما فيها من جماد حي وارواح متحركة .

بالرغم من الخلل النحوي في البيتين السابقين باستعمال « الذين » بدل اللواتي، وواو الجماعة في «غادروا» بدل نون النسوة ، ظل العمل الشعري في رفرفه العالي ، وظل الجو الفني في ابهى اشراقته، ولم يستطع الخلل في القواعد ان يضعف الهندسة الفنية ، او يوقف تأثيرها الجمالي .

في الجانب الجمالي القائم بهذين البيتين ، والموقف المؤثر والحالة النفسية وبقية العناصر الاخرى يطل ابو تمام في قوله :

كادت لعرفان النوى ألفاظها   من رقة الشكوى تكون دموعا

فالغدو هناك هو « النوى » هنا . واذا كانت كلمة « الغدو » تعين الزمن الذي تتحرك فيه ، فان « النوى » تبقيه على اطلاقه . و « العبرات » الفائضة هناك ، هي «الالفاظ» التي كادت تكون دموعا هنا . ولا يعني هذا التشابه في الحالة وفي التصوير توجيه التهمة الى ابي تمام باستعارةالاضواء منزميله . بل يعني ان الجو الذي تشترك في خلقه مجموعة من العناصر جعلت هذا البيت في القمة ، كما جعلت البيتين السابقين في المستوى ذاته . والجمال لم ينشأ عن غموض او ستائر تحول بينالقارىءوالوجه المضيء في الكلمات .

هذه النظرة تتعلق بالتعبير الذاهب من الخارج الى الداخل ، ومن المرايا الى الارواح . وهناك من النظرات ما يقف عند الخارج فقط :

ان تتهمي فتهامة وطني   أو تنجدي ان الهوى نجد

فتهامة ونجد ،وانكانا طرفي بقعة معينة من الارض ، يتخذان معنىكونيا وامتدادا عالميا ينثني ويتداخل بعضه في بعض حتى ينحصر او يكاد ينحصر في نجد وتهامة . والتقسيم نوع من الحصار الذي يقيمه الشاعر حول حبيبته. واذا كان الحصار في اساسه مكروها . فانه هنا حصار غنائي ، او حصار الورد الذي يتشكل في اضاميم يلعب فيه الذوق والفن لعبته الرائعة المرتدية نوعا من التساؤل الضمني الذي يتنفس فيه الاغراء والحنان والوله وجميع وسائل القربى المؤدية الى التنازل عن الكبرياء . والتعبير وان كان خارجيا لا يخلو من عبور الى الداخل . وقد حملت « وطني » هذا النوع من العبور

والصورة ، على قدمها ، تبقى اكثر ايحاء من محاولة التأثير على ليلى في قول قيس الذي وضعه شوقي على لسانه:

حنانيك ليلى ما لخل وخلـة من الارض الا حيث يلتقيـان
فكـل ديار قربت منك منزلي وكل مكـان انت فيه مكـاني

ثم يتراجع الحصار ، ويتخذ الخيار ، ما دام هناك خيار ، رجاء او طلبا لا يخرج عن اطار الرجاء .. رجاءفي ان يكون «وعد» «ان لم يكن وصل» :

ان لـم يكن وصل لديـك لنا يشفي الصبابة فليكـن وعـد

وهي قناعة تجد أصولها في نوع من التبتل الذي يجعل من المرأة اقنوما ينضم الى بقية الاقانيم في البيع والكنائس .

في الحدود الخارجية يتساوى عدي بن الرقاع مع صاحب «اليتيمة » في ابداعه . ولما قرأ «تزجي أغن كأن ابرة روقه » سمعه فيمن سمعه ابو تمام وقال : « لقد اشفقت عليه : ماذا يستطيع ان يقول بعد ! » فلما اتم الشـطر بقوله : «قلم اصاب من الدواة مدادها » حسدته !.

واذا كان واحد مثل ابي تمام يحسد « عديا » فمعناه ان الحقيقة الفنية هي المقياس في وزن الشعر . وابو تمام لم يكن شاعرا هينا ، ان لم يكـن من العباقرة .

في هذا الضوء يسقط كثير من الشعر المعروف ، بل تسقط دواويـن بأكملها ولا يبقى منها ، اذا بقي ، سوى ابيات قليلة . كما يسقط اكثر الشعر الذي يختبيء وراء الغموض والتركيب المهلهل الذي يفتقد الروابـط ، ويفتقد الروح الشعرية بالنهاية اذا اخذنا بنظرية « الخلق » الذي يتعدى ذاته ويمتد الى الاحساس الآخر .

بغداد محمد شرارة

عبد الحميد بن باديس

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

يهود الجزائر

سالم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم اليهود ، ما وسعته المسالمة وعفا عنهم حتى ضاق العفو ، لكن أبت عليهم انفسهم المكونة بيد التلمود الا الثبات على وضعهم الذي لا يتبدل •

لقد أبت عليهم انفسهم الا التعاون مع غزاة الجزائر ، اذ لهم من دمهم الموروث معوقات : لا يستطيعون الاخلاص للبلد الذي يعيشون فيه ، ولا يندمجون في المجتمعات ، وهذا ما يفرض استلالهم من الانسانية والاسرة الانسانية ويحملهم على استعذاب لعق دمها واستساغة اشلائها •

لقد صمموا على الانتقام من جميع الناس ، واعلنوا بسلوكهم الصريح عدم التعايش الكريم ورغم ان الجزائر في جميع عهودها ، باركت معتقداتهم وضمنت أمنهم ، مستندة للقرآن الكريم ، رغم هذا لم يستطيعوا الكف عن التعاون مع الغزاة ، انتقاما من القرآن نفسه ، اذ هو برأي بعض مستشرقيهم الذي يحرض المسلمين على الاصطدام بالفرنسيين •

ولم نجد عجبا من تحبيزهم للغزاة ، اذ هذا دينهم ، وهذه هي الصفات التي تلازمهم •

ذلك لان القرآن لا يعطي الصفات الموقتة بل الدائمة التي تلازم الامم ملازمة الظل فاذا وصف اليهود بصفات ، يجب ان نراها صفات تتغلغل اعماق التاريخ ، أعني ان من قارن صفاتهم حين نزول القرآن بصفاتهم الان ، لم يجد الا التوافق والالتقاء ، فكان صفاتهم اسلحة •

ابى اليهود التعايش الكريم الذي جاء به الاسلام واعلنوا العداوة منذ فجره حتى ان كعبا بن الاشرف اخذ يؤثر وثنية قريش على التوحيد ، ويبكي قتلى بدر قائلا :

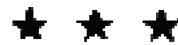
(هم ملوك الارض وبطن الارض بعدهم خير من ظهرها).

لقد سخروا من العهود وتآمروا على رسول الله وودوا لو القوا عليه حجرا من سطح وما كادوا يطمئنون لوجود الاحزاب حتى اخذوا يمثلون دور الانقضاض من الداخل .

التآمر والتربص لديهم سلاح عتيق جذوره الاسفار الماصقة بموسى وساقه التلمود واوراقه البروتوكولات وثماره ما لمس الناس ويلمسون وسوف يلمسون .

قد يصبح التربص سلاحا داخليا ، كما رأينا في يهود اسبانيا ذاب منهم قسم في المغرب وقسم في الجزائر (لكن في ما يبدو للناس) وعاش قسم ظاهرا ومن الذائبين والظاهرين يهود الجزائر الذوبان المصطنع ، خلقهم القديم الذي لا يزال متقنا ، فقد حدثنا مؤلف كتاب (كنوز مدينة بلقيس ص ٩٤) ان في عاصمة شريف بيحان يهودي وولده وما ان مات الاب حتى زعم ولده الاسلام وتبناه امير بيحان .

هؤلاء اسسوا لمصائب الانسانية مصنعا سريا عالميا قائما على اوائل لا يعتريها الفتور ، وصدروا اسلحة تسبق الازمنة والامكنة تطورا وصقلا ، كثرة تواكب الانسان حتى نهاية الدهر هؤلاء استقبلوا جسر الانسانية سليما وصمموا على مغادرته انقاضا واستعصوا على الاديان في الامم او الانسجام بمحيطها .



الساحل الافريقي الذي استساغ نصف مليون فينيقي هم سكان مدينة قرطاجة !!! هل استطاع استساغة ٣٠ الفا هم يهود الجزائر؟

طبعا لا ، لان الفينيقي من الاسرة الانسانية لا يرى بالانسجام والاندماج بأسا اما اليهودي فيحرص على السلبية ويتنكر لمن حاول انسجامه كما نرى في روسيا ايام القيصر نقولا الثاني.

التحفز للثورة الكبرى

استقبل دالاديه ، رئيس الوزارة الفرنسية حينذاك وفدا جزائريا ، واخذ يصف مدافع فرنسا بالطويلة ، فانبرى ابن باديس قائلا :

لدينا مدافع الله وهي أطول وأطول .

عاد الوفد مخذولا فأخذ انصار الجمعية يرددون شعارهم المعروف (شعب الجزائر مسلم ...) ويصرون على كلمة (المستعمر لا يفهم لغة الترجـــي) واخذ بن باديس يعلن ان صك عبودية الجزائر لا تمزقه الا يد ابنائها المضرجة وينــــادي :

ايها الشعب ان عملك على جلالة وثبة وخطوة متبوعة بوثبات وخطوات، وبعدها اما الحياة واما المـــات .

أحس دالاديه تأثر مدافع ابن باديس كتميز غيظا وبالغ بالتعنت وضاعف التحذير من دراسة او تدريس او التكلم بالعربية معلنا :

على الجزائري ان يتنازل عن التمسك بشخصية الجزائر المسلمة ، والا أمنحه حق النيابة البرلمانية حتى عن الجزائر نفسها ، ولن اساويه بالفرنســي الذي اتخذ الجزائر وطنا .

اغتنمت الجمعية هذه الفرصة ودعت لمؤتمر عرضت فيه الخطر المتربص وحذرت المخدوعين وكشفت لهم تاريخ الاستعمار وواقعه ومستقبله على ضوء الماضي والحاضر .

وسأل شخص من اين يأتي خلاص الجزائر؟ فاجاب ابن باديس من هناك واشار للجبل ، يعني ان قيد الذل لا تحطمه الا الايدي المضرجة بالدم .

اما المصرون على الغي ، فقد كشفوا انفسهم ، ولمس الشعب داخلهم؛ لكن الجمعية ــ عملا بالتخطيط الواعي ــ لم تغلق باب التوبة بوجوههم ، حرصا على جمع الشمل وحبا باتاحة الفرص واملا بالعودة لخط الجزائر المستقيم .

انفض المؤتمر مرددا كلمة ابن باديس التي استهل بها الاجتماع (الايام المقبلة ستلد مجد الجزائر ، قليل من الدواء يطرد كثيرا من الالم ، قليل من النور يطرد كثيرا من الظلمة ، كلمة حق جريئة تدك حرصا من الطغيان) .

انطلق المخلصون من نقطة التفاؤل فطردوا اليأس وهزموا القنوط، ورأوا بدهور الجزائر المخيف تمهيدا لصمودها وخلودها .

وانطلق المنتفعون من فتاة موائد الغزاة، الراكضون وراء الالقاب ، الذين يخالون التوجيه المدخول ثقافة وتقدما واصلاحا ويقظة وتحفزا للحاق بركب الحضارة المهرول .

انطلقوا يحذرون الجمعية من الانغماس بالسياسة ويعرضون العراقيل بثوب النصح والاخلاص بل ويحيطون بالمؤامرات، ويغتالون الابرياء، ويرمون سواهم بالتهم ، كما اغتالوا الشيخ كحول ورموا الشيخ العقبي وهذا تمنى لهول ما لاقى لو كان المغتال وليس المتهم . لكن الجمعية لم تزدها العراقيل الا تفاؤلا وتصميما على مبدأ (الايام المقبلة ستلد مجد الجزائر) ولم تزد الجمهور الا جزما بان بذور النصر ليست ادعية ابتهالات وحلقات واورادا وتهارشا حول الالقاب واتجارا بالمبادىء المستوردة وانصهارا في بوتقة الغزاة وخطبا وقصائد وتصفيقا وهتافا بل تنفيذ هذا الوعد :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة » .

رأى ابن باديس بعين بصيرته ما ستؤول له عاقبة الباطل فردد الآية الكريمة « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون » بل خرج عن مخطط الصمت قائلا :

(وان عاقبة هذه السياسة الخرقاء لن تكون الا وخيمة مهما اعتزوا بقوتهم واغتروا بسلطانهم)•

تحقق ان الباطل ينطوي على تجريد الجزائر من شخصيتها العربية فاحرجهم بطلب حرية التعليم بالعربي وايجاد مدارس لايواء الاطفال وحرية الوعظ بالمساجد وحرية الحج وحرية السفر والغاء قانون الطوارىء•••

فوقفوا سلبيين ، لكنه فرح بهذه السلبية ورآها تمهيد يستلزم هذا التصريح : (تستطيع فرنسا الآن اغتنام الفرصة والا فقدتها الى الابد)•

احاط بالجمعية هالة صممت على التغيير وتوقعت الشهادة ، وانطلقت تؤسس الكتاتيب الخيفة المتواضعة لتعليم مبادىء العربية والسور القصيرة من القرآن سرا ذلك لان القوانين وآخرها قانون ٨ مارس ١٩٣٨ تحرم تعليم العربية الا بترخيص •

تلك الهالة اخالها مقصودة بكلمة الاستاذ مالك بن نبي ، الاستعمار يريد منا جهلة يستغلهم فيجدنا تقاوم جهوده بجهود •

تلك الهالة نذرت نفسها جندا لله مخلصا فنهلت من صفاء نصحه، واستقت من معين ارشاده تلك الهالة ، جزمت ان طريق الخلدمحفوف بالاشواك فسهرت لتهب أجيالها الاتية اطمئنانا قادتها الجمعية وسيطرت عليها بالاخلاص وانطلقت بها من نقطة : الاسلام عقيدة معقولة ، ورسالة خالدة ، وشريعة نقية ، واستجابة لنواميس الحياة ، وجيل يتسلقه المتفائلون المصممون على التمتع بالهدف البعيد ، الذي لا تلمسه الا الايدي المضرجة ••

تلك الهالة هي البذور التي صنعت حاملي السلاح الذي حرر الجزائر•

تلك الهالة رأت الطيش الفرنسي بلغ ذروته فخرجت من كهوف السر الى ساحة العلن ورددت :

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب
من رام ادماجا له رام المحال من الطلب

يا نشيء انت رجاؤنا ... وبك الصباح قد اقترب
خــذ للحياة ســلاحها ... وخض الخطوب ولا تهب
واذق نفوس الظالمـين ... السـم يمزج بالرهـب
نحن الاولى عرف الزما ... ن قديمنـا الجم الحسب
ومعين ذاك المجـد في ... نسـل العروبة ما نضب
واذا هلكت فصيحتي : ... تحيـا الجزائر والعرب

اغتنم قطبا الجمعية ـ ابن باديس والابراهيمي ـ ذاك الجو ، وأخـذا يصرحان بالهدف الذي انطويا عليه أعواما ويرسمان طريقا ذا مراحل تـرى الراحة محرمة قبل تطهير الجزائر من انفاس آخر محتل .

التفتا لذراري المجاهدين موقدي نار الثورات فرأياهم يودون لـــو فازوا بخوض الساحات التي استشهد بها اباؤهم واخذا ينظمان الطاقـــات ويعدان القلوب لافتداء الجزائر .

احاط بهما المؤيدون والعاملون والمضحون من المعلومين والمجهولـــين من انصار الجمعية احاطة الهالة بالقمر .

لمس الباطل ما تنطوي عليه نفسية اقطاب الجمعية فحاولوا تدجينها تارة بالاوسمة وطورا بالوظائف والالقاب ، لكن هؤلاء كانوا اشد شكيمة واصلب عودا فصدع ابن باديس بتوجيه شيوخه (احذر قبل الوظيفة لئلا يكون عملك مطيـــة) واقتدى به اهل العلم والمعرفة من الاقطاب اذ يعلمون ان قبـــول الوظيفة من الباطل يستلزم ربط اللسان وحطم القلم .

وليس جديدا ان يعلم القارىء ان الباطل اذا وظف ذا لسان طلق وقلب مؤمن وقلم حر وعنق عال لا يقصد الا قطع اللسان وحطم وابتياع القلـب والقلم وانحناء العنق .

صحيح ، الاستعمار لم يكن يجهل هذا التحفز ، لكنه غض الطـرف خشية رد فعل غير مأمونة ، اذ جرائد الجمعية ودروسها حملت الكثيريـــن

على الاستعداد لافتدائها ، ولذا سلك طريقا اشد سلامة هو التخطيط لاغتيال ابن باديس بيد مخبول يضع في جيده سبحة !!!

لكن لم ينجح وقد عفي ابن باديس عنه اقتداء بالكلمة النبويـــــة (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) •

القسم الثاني :

عالج ابن باديس حضارة قدماء العرب في القرآن في ثنايا تفسيره وخص هذا الموضوع بثلاث مقالات مطولة نشرها في نيسان ومايس وحزيران مـن مجلة الشهاب لعام ١٩٣٦•

وقد انطلقنا من توجيهه وضمنا لكتابه هذه الفصول المتواضعة •

حضارة الجاهلية الاولى

العالم كما نراه من نافذة التكوين الطبيعي ، مر بفترات ومراحل طويلة الامد ، اما وجود الانسان ، فينزع لجذور عريقة في الحقب •

والذين يرون حواه دفينة جدة ، يفقدون الدليل ، لكن اذا علمنا ان هذا رمز لعرض شبه الجزيرة ، مهدا للانسان الاول ، لمسنا الاشارة لام الحضـــارة الاولى ، وتغلغلنا دراستها من نافذة القرآن نفسه ! اذ انفرد بالاشارة لهـــا ، فقال تعالى في سياق التحذير مما يعتريها ويهدمها ، مخاطبا نساء النبوة :

« وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » •

والتبرج ، اظهار ما يجب اخفاؤه من الزينة والمفاتن ، واصله الخروج من البرج (القصر) ثم استعمل في الخروج من دائرة الاحتشام ، نهى الله عن التبرج اذ يستلزم تجاوز حدود الله ومكارم الاخلاق ، كتكلف الميوعـــة ، كأن التبرج من عقارب الحضارة ، يرافقها وجودا وعدما ، فاذا ما تردت الامم في هاويته ، ومسها شيطان الامراض الصحية والخلقية ، اخذت تتلقى سهـــام

الترف من داخلها ، وشرع سوس الانهيار ينخر في عظامها ، ويقضي لختـام مطافها ولو خال قصيرو النظر سلامة هيكلها •

نهي سبحانه عن تبرج الجاهلية الاولى ، الغارقة في غياهب القـرون ، المقصودة بكلمة (العرب البائدة) أو طسم وجديس •

عــاد الاولى

برزت عاد الاولى ، بعد الجاهلية الاولى ، (قبل ازمنة التاريخ) فاتخذت حضرموت موطنا ، واشتهرت ديارها باسم الاحقاف ، وهي سلسلة هضبـات رملية ، وحققت حضارة استلزمت انحرافا ، فتداركها الله برسل قبل هـود، وهو اقدم من عرفنا من رسل شبه الجزيرة !!!

ها أنا ذا تجاه الآية ٢١ من سورة الاحقاف ، بسياق الحديث عن هود: « وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه »•

والنذر جمع نذر ، والمراد الرسل ، ونحن لا نعرف لعاد رسولا قبل هود، وهذا ما يريني بين الجاهلية الاولى وهود اجيالا واجيالا ، غرست ثمـار حضارات حدثنا عنها القرآن مجملة ، كأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم، كان يخشى على امته (امة الدعوة وامة الاجابة) مثل عاقبتها فيردد كلمـة: (شيبتني هود) •



أشادت عاد الاولى ، المنازل المرتفعة الشامخة ، ذات الطوابق والردهات، في السفوح والاودية والسهول والقمم • أشادت ما دعاه القرآن آيـة ، اي معجزة فنية ، يعجز من حاول تقليدها ، تظهر من بعد كأنها علامة يهتدى بها، وتتطاول لمثلها أعناق معاصريها ، ليحققوا مثلها ، أو ما يقرب منها ، ويـسود

رؤساء الامم ووجوهها واعيانها والمقدمون فيها ، لو حاكوها أو اقتربوا من محاكاتها .

قوم هود ، (فارهون) ـ حاذقون بالنحت والهندسة وفنون التجميل والتزويق والتجارة وتعبيد الطرقات والرفاهية .

أقاموا حصونا ومصانع لاوائل الزراعة والبناء والدفاع ، وما تتطلبه حياة الحضارة المحلقة . بهذه المصانع التي تود لو جابهت عوادي الدهر ، بلغت عاد اوجا حضاريا ، لا يكاد يطاوله سواها من معاصريها .

اما الزراعة والتشجير والحدائق ، فحسبنا ان الله بوأ عادا ـ اعطاها منحها وهبها أجمل ارض واسعدها واكثرها خيرا ، وهيأها وذللها ، فانتفعت عاد من وجهها ثمارا (طلعها هضيم) يانع ناضج ، ومن طباقها الرخام والمعادن ومنها الحديد الذي ينحتون به الجبال اي يبرون او ينجرون موادها الصلبة .

محمد علي الزعبي

محيي الدين الخياط

١٨٧٥ - ١٩١٤

بقلم: فوزي سابا

لئن جاز علميا ان تحدد النهضات الادبية بأزمنة واشخاص ، يكن حد النهضة الحديثة الزمان الذي عاش فيه محي الدين الخياط ، وله هو ايضا أن يحمل هذا التاريخ •

عندما أنهى اللبنانيون ، أمثال آل اليازجي والشدياق واترابهم عصر الانحطاط ، كان على لبنان ان يطلع من يكمل هذا المسرى ولا سيما والنهضة ما زالت على طفولة مؤهلة للانتكاس اذا لم تأخذ بها يد لها من مفاضل البناة الاوائل ما تسمح بها باكمال الرسالة •

ويكون محي الدين الخياط احد الذين اصابهم القدر ليصبح من الحلقات المكملة او المداميك التي ترتفع عليها عمارة النهضة الحديثة •

ولد محي الدين الخياط في صيدا سنة ١٨٧٥ وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة المقاصد الخيرية ثم انتقل الى بيروت واتم علومه في مدارسها ايضا، كما تتلمذ على الشيخين الكبيرين يوسف الاسير وابراهيم الاحدب ، وتضلع من الاصول والفقه والتاريخ ، فاختير معلما في مدارس المقاصد الخيرية في بيروت، وبعد ممارسته للتعليم مدة ثمانية عشر عاما اصبح مفتشا للتعليم حتى وفاته سنة ١٩١٤•

عندما انهى محي الدين الخياط دروسه كان قد ادرك ان عليه واجبا نحو وطنه وامته مخطط له منذ كان على مقاعد الدراسة ، حتى اذا خرج الى العالم ، وهو الشاعر رائق الديباجة متينها ، لم يبق عليه سوى تنفيذ مخططه

هذا فاختار منه الاكثر تأثيرا والابعد انتشارا: التعليم والصحافة ، وكلاهما وعر المسالك لما فيه من محاذير وما فرضه العصر عليه انذاك .

ففي الصحافة : عمل في جريدتي الاقبال وثمرات الفنون ، اللتين ابرزتا الاقلام الرائدة ، فكفى محي الدين الخياط معهما المكتوبجي وتعنته وجهله. اما في التربية فقد كانت الصعاب على مستوى ما كانت عليه في عالم الصحافة لا سيما عندما يحاول المربي الانتقال بالطلاب من جو الكتاتيب الى المناهج الحديثة ، على أن محي الدين الخياط ميز نفسه بتجاوز هذه العقبات فانه بالرغم من تحرره واشاعة الروح المتحررة في اعماله التي أهلته لمركز الريادة للنهضة الحديثة كان متى اشتدت عليه الاهواء يروح الى ترجمة الاثار التركية المتحررة فيتخلص من عنت المكتوبجي ومن سواه ممن ليس دونه تعنتا .

خلال الاعوام الطويلة التي مارس فيها التعليم في مدارس المقاصد الخيرية اطلع اجيالا من الشباب المثقف طبع أثره فيهم وأوقد روح الحرية والعلم صدورهم فالتقى في أعماله الادبية هذه مع شاعر الحرية الياس صالح، عندما ترجم رواية ـ الوطن او سلستره ـ للكاتب التركي نامق بك كمال، وقصيدته المشهورة بعنوان ـ مطالب تدعوني ، التي جاء فيها :

مطالب تدعوني وادعو المطالبا فلا زلت مطلوبا ولا زلت طالبا
رأيت زماني عن هوى الصدق باكيا فصنت مقامي واعتزلت المناصبا
ومن كان « انسانا » ويعرف نفسه فلا ينزوي عن خدمة الخلق جانبا
وما المرء الا من يمد يمينه لينصر مظلوما ويرحم صاحبا
وليس يعين الظالمين بظلمهم سوى أدنياء تستلذ المثالبا
ومن آثر الدنيا على حسن سمعة وذكر له يبقى ويبقي المناقبا
فذاك كمن عاف النعيم مخلدا بلذات دنيا برقها كان خالبا
هو العزم ان صحت عزيمة ربه يدير بها الدنيا فتهتز جانبا

كذلك تهتز البلاد اذا رست بها قدم المقدام تبغي المطالبا
فلا تيأسن ان شمت بالشعب فترة ولا تك للاوطان بالخزي ناعبا
فهل يتهم الرئبال وهو مقيد بان قد خزى عزما وخار مخالبا

الى ان يقول :

فحبك يا حرية شبه ماسة وما الضغط يا ماس بعزمك ذاهبا
فأواه يا حرية لم سحرتنا وجئت من السحر الحلال غرائبا
سألتك ان لا تجعلي الدهر بيننا وبين عيون الحسن منك حواجبا
هو الوطن المعشوق يشبه غادة لعشاقها تولي الاماني سرائبا

فلا غرو ان رأينا الشباب يتأثر بالروح التي يبثها فيه محي الدين الخياط فتنبع من محيطه سواه في الحقل التربوي او الصحفي نهضة تلاقت في مراميها مع النهضة التي صدرت عن المدارس الوطنية واطلعت للبنان والعالم العربي الاقلام المتحررة التي استشهد البعض من اصحابها امثال عمر حمد وسعيدعقل والمحمصاني وسواهم ،

يقول مارون عبود في كتابه رواد النهضة ـ كان محي الدين الخياط رائدا كبيرا من رواد النهضة بما تركه لنا من تآليف في الاصول والتاريخ والفقه فمهد الطريق للناشئين ... اما أشهر ما له من الشعر فقصيدة عنوانها سوانح وبوارح بناها مخمسة على احرف الهجاء ملتزما في كل مخمس قافية توحد القصيدة، مثال قوله :

هيولي الكون في صور الهباء الام نجول في هذا الفضاء
أتبقى يا فناء بلا فناء أم الافناء سلسلة البقاء
أم الابقاء مجلبة الفناء

ثم مخاطبا الانسان :

فسر في الارض زهــوا او زميــلا فلن تصل الجبــال الشم طــولا
وليــس لخرقها تبغي سبيــلا نعــم حاولت فيها المستحيـــلا
ولكــن ذاك حــول الكهرباء

لم يقتصر عمل محي الدين الخياط التربوي على التعليم وحسب بـــل تعداه الى تأليف الكتب المدرسية مما حدا بالعلامة الاب شيخو ان يقول عنه في كتابه تاريخ الاداب العربية :

« ومن فضله ـ اي محي الدين الخياط ـ على الناشئة عدة تآليـــف وضعها للمدارس العربية كدروس القراءة ودروس الصرف والنحـــو ودروس التاريخ الاسلامي ودروس الفقه» ، هذا فضلا عن سوانح وبوارح ، وشـرح ديوان ابي تمام وديوان عبد الله بن المعتز وتعليق على شرح نهج البلاغـــة للشيخ محمد عبده .

هذا في الحقل التربوي ، اما وقد رأى الحاجة تستدعي تثقيف المجتمـع ككل ليعمل يدا مع الناشئة المتعلمة فانه اختار الصحافة اداة وواسطة لعملـه واختط له معها الاعلام المثقف ، متأكدا من ان رقي الامم يتوقف على مـدى رقي افراد مجتمعها فجاء كل ما كتبه في جريدتي الاقبال وثمرات الفنون يدعو الى تهذيب النفوس قبل اطلاقها من ـــ القمقم ـ المسحور الذي انحبست فيه طيلة عصور الانحطاط ، مما جعل مقالاته في هذا المجال ، مثيرة غير متفجـرة بناءة غير هدامة ، لادراكه التام ان الهدم لا يجوز الا للترميم وان على المصلح ان لا يقول به الا متى حاز جميع الصفات الصالحة للبناء وايجاد البنائـــين الصالحين قبل التبشير بالهدم والترميم .

وهكذا في اقتدار متماسك ، اخذ محي الدين الخياط شطرا من المجتمع اللبناني وتواضع معه على تؤدة ، اخذ يرفعه قليلا قليلا ، ولم يبـــرح بجذبه

على لين ويداريه على لطف حتى اهله للصيرورة التي ينطلق منها الى الاحسن فاستدارت من مجتمعه هذا هالات تلاحمت مع الهالات الطيبة في المجتمعات الاخرى انصهرت كلها بعد جهاد هؤلاء الرواد في وطن موحد هو لبنان اليوم.

عندما اتحدث عن هؤلاء الافذاذ اراهم وكأنما هم اغصان آرزنا تجتمع الى الجزع الام الذي هو لبنان ، وكل ما تناثر عن اقلامهم ان هو الا الاقتدار اللبناني الذي سرى بالمنح الى العالم .

فوزي سابا

الى المشتركين في العرفان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنوء بحمله المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان تتدارك ما يمكن تداركه وذلك برفع

واشتراك الانصار لا حد له .

قيمة الاشتراكات في المجلة كما يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

٥ دنانير في البلادالعربية

١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربية

٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية

٥٠ دولارا جوا للخارج

١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسسات الرسمية والسفارات والبنوك والشركات بالبريد العادي

١٥٠ بالبريد الجوي

ميشيل مغربي
في رحلة الشعر والموت

بقلم : عيسى فتوح

نعت انباء البرازيل في حزيران الماضي وفاة الشاعر الحمصي ميشيل مغربي، أحد مؤسسي العصبة الاندلسية ، عن سبعة وسبعين عاما ، قضى ثلاثة وخمسين منها موزعا بين التجارة والشعر ، وهو آخر حبة في عنقود شعراء المهجر الذي انفرط الى الابد ، ولم يبق أحد من أعضاء العصبة على قيد الحياة الا رئيسها الاسبق الشاعر القروي ، الذي يقيم الآن في قرية (البربارة) بلبنان .

ولد المرحوم ميشيل مغربي في الاسكندرية من أبوين حمصيين في ١٦ كانون الاول عام ١٩٠١ ودرس في مدارسها الابتدائية اللغتين العربية والانكليزية حتى سن العاشرة، ثم انتقلت به والدته(١) الى حمص عام ١٩١١ حيث التحق بالكلية الانجيلية ، وتتلمذ على الاساتذة : فريد ملحم ، وحنا خباز ، ويوسف شاهين حتى نهاية المرحلة الثانوية . ولما آنس من نفسه القدرة على النظم، أصدر اول ديوان له تحت عنوان « العواصف » عام ١٩٢٢ .

طوحت به رياح النوى الى « تشيلي » اواخر عام ١٩٢٣ ، فأقام فيها ستة اشهر ، ثم اتجه منها الى البرازيل ، حيث عكف فيها على التجارة والمطالعة ونظم الشعر في اوقات الفراغ ، وظل طويلا يمني النفس بطبع ديوانه الثاني « رمال وصخور » ، منتظرا ان تستأنف دور النشر في لبنان نشاطها، ولما يئس من الامر دفع به الى احدى المطابع في البرازيل ، ولست ادري هل صدر او لا .

كتب الي رسالة في ٢٨-٥-١٩٧٦ في أربع صفحات كبيرة مليئة

---

(١) لان والده توفي قبل ولادته باربعة اشهر .

بالاعترافات والمناقشات ، فحدثني عن الامراض الكثيرة التي اصطلحت على جسمه وفي طليعتها مرض القلب قائلا :

« انني أقاسي من الذبحة الصدرية ، وسيكون موتي بسببها قريبا . اعرف ذلك غير أني أطلب من الله ان انجز طباعة ديواني قبل أن يجيء هذا الامر المحتم ، ولقد ذللت العوائق الان . كنت مزمعا على ان اطبعه في احدى مطابع بيروت ، لكنني صبرت كثيرا ولم تنته الحوادث فيها ، فاتفقت مع احدى المطابع في سانباولو ، وسيبدأ في منتصف الشهر القادم » .

لكنه مات للاسف دون ان يرى ديوانه مطبوعا ، ويقرأ قول النقاد فيه ، فقد كان حظه سيئا بين شعراء المهجر عامة ، لانه لم يكتب عنه بالشكل الكافي ، بالرغم من انه كان « متين الصياغة ، رائع الخيال ، رقيق الحس ، وعالج فنونا من الوصف ، والحنين ، والتأمل ، والقصص الشعري : التاريخي والاسطوري ، كما نظم في الشعر الوطني الجيد في مناسبات مختلفة (١) » .

لا شك انه هو وحده المسؤول عن عزوف النقاد عن دراسة شعره ، يعترف بذلك في قوله : « لا اعتقد انني صغير بين ادباء المهجر ، لكن كان الكثيرون يكتبون لي لاوافيهم ببعض انتاجي الشعري فلا اجيبهم ، فكانت قسمتي ضيزى في ما كتب عن ادباء المهجر » .

سألت الشاعر المرحوم شكر الله الجر عنه مرة فأجابني : « ان ميشيل مغربي أجود قريحة من سائر شعراء حمص في البرازيل ، واكثرهم تعددا لموضوعاته ... وعند من لا يعرفه اديبا ، يظنه تاجر أزرار فحسب » ولما اطلع ميشيل مغربي على رأي زميله في العصبة الاندلسية الذي نشر يومئذ في مجلة «الاديب» اللبنانية ، علق عليه بقوله : « هذا صحيح وذلك لاني تاجر هل يريدني ان أظهر امام الزبن بمظهر الاديب ؟ او ان أتكلم معهم كلام اديب ، وهم انصاف أميين ؟ لو فعلت ذلك لشعروا بالنقص ، فانفضوا عني ، وتهربوا

(١) أدب المهجر للدكتور عيسى الناعوري ـ صفحة ٥٣٥ ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثالثة

مني ... انها خطة مني لم يكن منها بد . لي قصيدة عنوانها « نجوى العاصي» نظمتها بعد خمس سنوات من وصولي الى البرازيل ـ وكنت قد قضيت تلك السنوات الخمس متجولا في انحاء البلاد ، أعرض بضاعتي على المواطنين ، اصحاب الحوانيت التجارية البعيدة عن سانباولو ، ولم انظم في اثنائها الا قليلا جدا اصف فيها حالتي ، ومنها هذان البيتان :

ولقد اطـوف علي ستر تنكر للالمعيـة مبعـد طـراح
والقـوم لا يدرون اني شاعر الـ عاصي ، وأني البلبل الصـداح

ان عملي في التجارة كان يقتضي مني بساطة المظهر ، وبساطة الحديث ، اما شكر الله فلم ينجح تاجرا ، لانه كانت تنقصه السياسة . اشتغل في الادب فأنتج انتاجا حسنا ، اما انا فاليك ما اقول ايضا في قصيدتي « مـا شـاء ربك كان» :

خضت التجارة والقريض معـا بحريـن كـل زاخر طـام
فقضيـت عمرك في العباب ولم تطفىء غليل فـؤادك الظـامي
لـو لم تخض بحر التجـارة لم يبلـغ قريضك اي عـوام
ولكنـت أثرى القوم عن ثقة لو كنـت للشعراء لم تنضم
مـا شـاء ربك كان لا تنـدم

― ٢ ―

لقد نجح ميشيل مغربي في التجارة والشعر معا « يطارد الشعر والشعر يطارده(١) فان التقيا على غفلة من الاشغال المادية جاء بشعر غنائي بديع : وان اهتم بمناسبة عرضت اجاد النظم ، ثم انصرف الى مهامه وقتا طويلا لا ينتزعه الشعر منها الا بقوة قاهرة خارجة من اعماق نفسه ».

(١) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية لجورج صيدح صفحة ٤٠٤ دار العلم للملايين ـ الطبعة الثانية .

كان شاعرا حساسا ، سريع التأثر ، يتطير من كآبة المساء ، وهجوم الليل ، ويضيق بالحزن الذي يحمله غروب النهار الى حد الاختناق ، وقبله ضاق خليل مطران وايليا ابو ماضي :

نشرت راية الاصيل لتطوي صفحة اليوم بعد صفحة امس
هو ذا الليل هاجم في سواد يغمر الارض بالاسى والتأسي
ناشرا راية الكآبة حتى لآخال الوجود مرآة نفسي

لكننا نجد فلسفته في الحياة والموت تختلف عن فلسفة ايليا ابي ماضي في قصيدته «الطلاسم» التي لا يدري فيها من اين جاء والى اين سيمضي. انه « لا يبالي» بكل هاتيك القضايا المصيرية ، وحسبه في هذا الوجود ان يتمتع بالجمال المطلق ، ويتنعم بالاحلام الناضرة :

ايه يا طير ان سر البرايا بابه ظل محكم الاغلاق
حاولت فتحه فلاسفة الدنيا فباؤوا بالعجز والاخفاق
حسبنا في الوجود انا وسعنا كل حسن الوجود بالاحداق
وامتطينا أحلامنا فجرت خلف الثريا جرى الخيول العتاق
« لا نبالي » من أين جئنا ولا أين سنمضي وما عسانا نلاقي

لكننا نجده في قصائد اخرى « يبالي » كثيرا بمسألة الوجود والمصير، ويقع في نفس الحيرة والتساؤلات التي وقع فيها شعراء المهجر الشمالي بخاصة: ماذا وراء القبر ؟ وما مصير شاعر ينتظر العفو والمغفرة من ربه ، الجنة ام النار؟:

مـاذا وراء القبر يا خالقي من بعد ان اخلع هـذا الجسد؟
أعددت نارا ام ترى جنة لشاعر على رضاك اعتمد ؟
يشفع في محو معاصيه

بعض خصال حلوة فيه ترضيك ملاي مباديه

معتقـدا مـا أعتقـد

ويؤمن بان الانسان مسير بالقدر لا مخير ، وكان يمكن ان يكون طاهرا كبرعم الورد ، نقيا كندى الفجر ، لو لم يخلقه الله انسانا ضعيفا لا يستطيع ان يقاوم اغراء الفتون ، وسحر الجمال :

فـؤاده برغـم آثامـه ممتلـيء حبا وايمـانـا

كـان كزر الورد في طهره لـو انت لـم تخلقه انسانـا

لكنـه مسـير بالقدر

— ٣ —

زار ميشيل مغربي وطنه سورية سنة ١٩٥٦ بعد هجرة دامت ثلاثة وثلاثين عاما ، فقد وصل الى البرازيل في الرابع عشر من ايلول سنة ١٩٢٣، ووصل الى حمص في الرابع عشر من ايلول نفسه سنة ١٩٥٦ ، فما ان اكتحلت عيناه برؤية حجارها السود ، ولاح لهما نهر العاصي حتى اغرورقتا بالدموع، أما هو فقد ضاع في نشوة اللقاء ، لا يدري أفي حلم هو ام في يقظة :

هذي تحية مدمعي الهطـال يـا أيهـا الوطن الحبيـب الغـالي

في يقظـة ألقـاك أم في غفوة من بعـد اعوام مـرن طوال

أجر الغريـب رجوعه لبلاده مـا أجره احـرازه للمـال

ثم ينتقل الى حمص التي أنجبت خيرة شعراء المهجر ، ليتغنى بجمـال رياضها ، وعبير أزاهيرها ، ووارف ظلالها ، ونضرة أثمارها واشجارها ، ويتذكر معاهد طفولته ومرابع صباه في « الميماس » فيقول :

يا حمص ، يا حمص الحبيبة مرحبا بنسيمـك المتعطـر الاذيـال

برياضك الغناء ، بالازهـار بالـ أثمـار ، بالاشجـار ، بالاظـلال

بـديـار أحبابي، بأربع صبوتـي بسرير أحلامي ، بأفـق خيـالي
أن تنجبـي الشعراء لست بعاقر من خالـدي الشهداء والابطال

وهل تراه يذكر حمص دون ان يذكر عاصيها الذي سلخ أكثر من ثلث قرن يحن الى جرعة من مائه الرقراق ، ورقدة هادئة على ضفافه الساجيـة، يستعرض فيها صور الماضي ، وينظر الى غروب الشمس الذي يذكره بغروبه المنتظر عن هذا الكون :

عاصي ، يـا عاصي ها انـا عـائد خـل الانين ، وخـف لاستقبالـي
أواه ، واحر الفـؤاد لجرعـة من مائـك المترقرق السلسـال
ولضجعة فوق الضفاف طويلة ذكرى لضجعـات الزمـان الخالي
مستعرضـا اشباح امسي ناظرا في الشمس غاربـة مثال زوالي

والعاصي لا يكاد يختلف في انينه ، وضحكه الممزوج بالبكاء ، عن حال الشاعر ، فكأنهما في الهم واحد ، لولا ان العاصي ما يزال في ريعان الشبـاب، لم تغيره صروف الدهر ، وهو قد لوت الليالي كفه على العصا ، واصبح قاب قوسين أو ادنى من القبر :

تمسي وتصبح باكيـا متضاحكا أتظـن يـا عاصـي حالك حالي
طوبـاك انك في أهـابـك لم تزل أما انـا فانظر لسـوء مآلي

ويسائل النهر اما يزال يذكره صبيا يتردد عليه صباح وأصيل كل يوم ، وحيدا ، متشردا ، تائها متنقلا بين « الوعر » و « الميمـاس » و « الشلال »، لا شيء يشغل باله الا البحث عن اسباب الهوى ، ودواعي اللهو والمتعة ، امـا اليوم فلا دعد ولا هند ، وصار اذا رمى سهام الحب طاشت وأخطأت اهدافها:

أولست تذكرني صبيا طـالما وافـاك في الاصباح والآصـال
متفردا ، متشـردا ، مـترددا للوعر للميمـاس للشـلال

والقلب يملؤه الهوى لا شيء الا ه والا هند يشغل بـالي ؟
فاليوم لا هندا ولا دعدا ارى أرمي الحسان ولا تصيب نبالي

وينتهي أخيرا الى هذه الصورة الرائعة التي تفصح عن شاعرية ميشيل مغربي الطلقة ، وتدل على ابداعه وسمو بيانه ، ففيها وثبة في الخيال ، ودقة في الاحساس ، وهل هنالك أروع من صورة القلب يسابق الحذاء لمعانقة تراب حمص الذي لا يكاد يطأه الا مترفقا كأنه في هيكل او معبد ؟ وهل هنالك أبدع من رؤيته وقد اكب على حجارة حمص يقبلها خاشعا ، وعلى ترابها يمرغ به جبينه ؟ ان هذا عندي منتهى التقديس والاحترام :

حسرا أمر على ربوع طفولتي ومواكب الذكرى تمر حيالي
مترفق الخطوات لا أطأ الثرى الا وقلبي سابق لنعالي
ولقد أكب على الحجار مقبلا وأعفر الاهداب بالصلصال

عاد ميشيل مغربي الى حمص في السادسة والخمسين من عمره شيخا يلوذ بالصلاة ، بعد ان غادرها شابا لا يدور لسانه الا على الغزل ، ولا يفيض قلبه الا بالنجوى ، عاد ، وقد جففت الشيخوخة أناشيده واغانيه ، ليطلب من حمص التوبة والمغفرة على بعده الذي يعتبره عقوقا لها وانكارا للجميل :

بصلاتي الخرساء عدت اليك لا بتغزلي
فنشائدي وجمت على شفتي بعد ترحلي
هلا تقبلت المتاب فقلت يا رجل ادخل
يا هيكل الاحلام ، يا دار الحبيب الاول

عاد الى حمص ليسلم عن كثب ، ويرد التحية ، لكنها لاذت بالصمت ، وكأنها لم تطرب لعودة شاعرها الغريد ، وقد طارت جوانحه من شدة الشوق والحنين ، الا انه مع ذلك لم يضيع طريق البيت ، فهل يمكن ان يضيع العصفور طريق عشه القديم ، ولو طال الفراق وامتد البعاد ؟

باكرت اقرئك السلام فلذت بالصمت العميق
ردي التحية ، هللي لاياب شاعرك المشوق
طارت جوانحه اليك ولم يضل عن الطريق
والطير ليس يضل حين يعود للعش العتيق

لقد وفى الشاعر بوعده لحبيبته في العودة الى الوطن ، لكنه عاد بلا شباب ، وكان قد غادره يافعا يتفجر صحة وعافية ، بحثا عن المال الذي وجده بعد العناء :

قولي لها يا دار ان سألتك عني باكتئاب
العهد قام به الحبيب فانه يا هند آب
قد كان لا مال له ، واليوم ليس له شباب

— ٤ —

كان القاسم المشترك الاعظم لشعراء المهجر هو الحنين الى الوطن، والمشاركة في المناسبات الدينية والاجتماعية ، والاحتفال في الاعياد القومية ، حيث كان يتألق فيها ميشيل مغربي شاعرا لا يشق له غبار ، يلتهب حماسة واندفاعا ويتقد نخوة وحمية ، كما بدا في قصيدته « عيد الشهيد الاكبر » التي ألح فيها على ضرورة الوحدة العربية ، ليعيد العرب كلهم عيدا واحدا :

ما العيد الا يوم أبصر امتي بين المذاهب تجمع الاضدادا
ليست تدين بغير دين واحد جعلت له بيت الحرام الضادا
أما شكت مصر لضيم نالها أبكت دمشق واحزنت بغدادا
واذا فلسطين اصيب فؤادها فكأن لبنانا اصيب فؤادا

ويصب جام نقمته على اولئك الذين تفرق بين اخوتهم في الوطن

نزعات الطائفية البغيضة المريضة ، فيتاجرون بها ، ويلقون مصلحة الوطن جانبا ، وهو هنا يلتقي بالقروي ـ فيقول :

ان ديني ان اترك الدين من أجـل بـلادي وأعبد الاحجـارا
وصلاتي انلاالـه سوى أرضي ولـوكان اهلهـا كفـارا

انه يضحي بالدين في سبيل الارض ، واذا كان الدين يقوده الى مخاصمة ابناء قومه ، فهو يريد دين السلام حتى ولو كان الحادا . وخير الاديان عنده دين يرفع العبودية عن الانسان ، ويحرره من الذل وسيطرة الآخرين :

ان كان في الدين الخصـام فحبذا ديـن السلام وان يكـن الحـادا
أسمى المذاهب في البرية مذهب ينفي عن المتعبـد اسـتعبـادا

لقد عاش ميشيل مغربي في بلاد الحرية ، لا يعرف للتعصب معنى ، يحارب تجار الطائفية والاقليمية الضيقة من اجل ان تبقى كلمة بلاده واحدة ، لا يعرف التمزق الى قلبها سبيلا ، فاذا اطل عيد المولد النبوي احتفل مع اخوانهالمسلمين بهذا العيد كأنه منهم ، وكأن العيد عيد جميع المسيحيين:

ما لاح أضحى او تألق « مولد» الا طربـت كأنني انـا منهـم
جودت آي الذكر في قرآنـه فـاذا ملائكـة البيان تحـوم

ويربط بين العروبة والاسلام ، فالشاعر الصادق العروبة ، في رأيه ، هو ذاك الذي يجيد النظم في هذا العيد الاغر :

مـا أنت في حب العروبة صادق ان لـم تكن في عيد طه تلهم

بل كيف يجوز ان نصنـف الناس حسب أديانهم ، وكلهم ينتمون الى أرومة واحدة ، هي أرومة العروبة ؟ أليس المسيح ومحمد ، وآمنة ومريـم كلهم عرب ؟ :

أولست منهـم والارومة يعرب والى الارومة كل فرع يدغـم ؟

اني لفي قلبي المسيح وأحمد ولفيه آمنة تقيم ومريم

ولو سأله أحد عن دينه لاجابه بانه ينتمي الى المذهبين معا ، فهو مسيحي ومسلم في آن واحد :

يا سائلي أي المذاهب مذهبي اني مسيحي واني مسلم

ويرى ان اي واحد منا لم يختر دينه لانه الاصلح ، وانما لانه ورثه عن أبيه في جملة ما ورث ، وهل قال الله لاحد ان هذا الدين افضل من سواه فاتبعوه ؟ لذلك كانت عنده جميع الاديان السماوية متساوية في جوهرها ، لانها كلها تدعو الى الحب والخير والصلاح ، ولا فرق بين ان يعتنق الانسان هذا الدين او ذاك ما دام كلاهما يقودان الى الحق ، ويبشران بالسلام :

يرث الفتى عن والديه دينه فاذا به يرضى ولا يتبرم
لكنما الديان ، جل جلاله ما قال اي دروبه هو اقوم
كل صراط مستقيم للفتى ما دام غير الحق لا يترسم

لم يكن المغتربون العرب يتركون مناسبة من المناسبات القومية تمر في الوطن الا أحيوا مثلها في مهاجرهم ، وكانت هذا الاحتفالات تتكرر عاما بعد عام ، فعندما احتفلوا بذكرى مرور عشرة اعوام على جلاء الاستعمار الفرنسي عن سورية ، نظم الشاعر ميشيل مغربي قصيدة من خمسة وخمسين بيتا ، وراح يتغنى بها ، مشيدا بذلك اليوم الاغر الذي نال فيه السوريون استقلالهم بعد كفاح مرير ، وصراع عنيد ، قائلا :

لا طويت الادهار جلق الا ولواء العلا بها ممدود
جدي جدي امية قد نا داك من جنة الخلود الوليد
ما جلاء العدو الا جلاء الـ ـبطل ، لله يومه المشهود
يوم أعلى الكفاح رايته البيضا ء ، وانـدك للفجور عمود

فاذا العز والكرامة لا سلطة عات ، لا مستكبر ، لا عميد

ويفتخر بامته العربية التي راحت تسير في طريق المجد، متخطية الاشواك، متباهية بعدد ما قدمت من شهداء ، وبذلت من تضحيات فيقول :

امة تعدو في طريق علاها وكأن الاشواك فيها ورود
تزدهي كلما اشارت الى قبر وقالت : هنا أقام شهيد

ثم يرسم لنا هذه الصورة الرائعة التي يبين فيها ان اللباس الارجواني الذي تلبسه اليوم ناعمين ،انما كان من دماء الاحرار التي سفكت فوق ارض الوطن ، واذا كنا نحتفل بعيد الجلاء ، فعيد الشهداء هو خلود أرواحهم في جنات النعيم :

ان لبسنا من الحياة برودا فدماء الاحرار هذه البرود
أو يكن عيدنا الجلاء فعيد الـ شهداء المغيبين الخلود

— ٥ —

لقد اصاب ميشيل مغربي ما اصاب سائر شعراء المهجر ، حين انتقلوا من مدنهم وقراهم البسيطة الوادعة في الشرق ، الى بلاد الآلة والصناعة ، حيث لا يعرف الأخ اخاه ، ويعيش الانسان رقما تافها ، عبدا للآلة التي تأمره فيطيع ، لذلك كره مدنية العالم الجديد وحياته الزائفة المصطنعة ، وآثر العودة الى البساطة في احضان الطبيعة ، حيث يعيش الانسان حرا قانعا ، وسيد نفسه:

صفو الحياة قناعة في مذهبي والبعد عن بعض النجاح نجاح
والعيش في كنف البساطة جنة والعمر فيه كله افراح
تبا لها مدنية غرارة سجنت بها الاجساد والارواح
اصفى من السلطان بالا في الورى الشاعر القروي والفلاح

وهو يغبط الطيور على حياة الحرية التي تحياها في ظلال الطبيعة السمحاء

حيث لا تقاليد تحدد سلوك المخلوقات ، ولا شرائع تقيدها ، ولا اوضاع اجتماعية آسرة تشدها بوثاقها :

أين هم منك يا كناري في صفو وشدو وغبطة وعناق
أين هم من طير حكيم له الروضة العرش والمرش غير مطاق
لا تقاليد ، لا شرائع لا أوضاع عيش تشده بوثاق
فهو يهوى الحياة بكرا كعابا عريت من أثوابها الاخلاق
وهو دون الورى يحب وحب قانع رائع بجو راق

ويصور حالة الشر ، والفساد ، وانحطاط الاخلاق التي جرتها علينا المدنية الحديثة ، وكيف صارت عشرات الجرائم ترتكب كل يوم باسم هذه المدنية المزيفة التي اصطنعها الانسان ، ولكن لنسفه وتدميره روحيا وجسديا :

غير أنا يا طير من عالم رهن فساد ، وفتنة ، وشقاق
يدعي غاية التمدن فيه خاضبو الارض بالدم المهراق
عابدو النار والدماء فما بعد صلاة في معبد الاخلاق

ـ ٦ ـ

كان ميشيل مغربي شاعرا بارع الوصف ، أوتي بصرا نفاذا ، وبصيرة وقادة ، وكان شديد التأثر ، ملتهب الشعور ، فاذا رأى فتاة بعمر الورد تتلوى على سرير المرض ، والحمى تلهب أنفاسها ، وصفها وصفا رقيقا،ينم عن دقة احساسه، وصدق عاطفته ، ونبل مشاعره ، فقد كان صدرها يعلو ويهبط كالموج في العاصفة ، وشعرها ينتثر فوق الوسادة كالليالي الحالكة السواد ، يزحم بعضها بعضا :

بأناتها يعلو ويهبط صدرها عواصفه من موج على الشاطىء انقضا
وقد شعثت فوق الوساد شعورها ليالي بهما بعضها يزحم البعضا

ثم يصور شعوره نحوها ، وكيف كان يسترق النظر اليها استراقـاً ، فاذا التفت الانظار بغتة ، اغضى حياء وخجلا ، وراح يداعب كفها ، ليوهمها بأنه يجس نبضها :

وطرفي عليها يجتني قسماتها اذا أعرضت حتى اذا نظرت أغضى
أدغدغ بالكفين كفا تمدها وأوهمها اني أجس لها نبضا

لقد ظل ساهرا عليها عدة ايام بلياليها ، لا تعرف اجفانه طعم النوم ، حتى تحسنت صحتها ، ونضرت حمرة العافية وجنتيها ، وزال المرض عنها ، ولكن الى أين ؟ الى جسده ليستقر فيه :

سهرت عليها ليلة بعد ليلة وجفني الليالي كلها لم يذق غمضا
الى أن رأيت الورد عاود حسنها وزايلها داء الى جسدي أفضى

ان قصيدة « المريضة » التي اخترت منها هذه الابيات القليلة ، كافية لان تعطينا فكرة عن الجانب الوصفي في شعره الذي تعددت أغراضه وتميزت ألوانه .

عيسى فتوح

في النساء

● قال ابو السفاح لخالد بن صفوان :

يا خالد ان الناس قد اكثروا في وصف النساء ، فأيهن اعجب اليك ؟ قال: اعجبهن يا امير المؤمنين التي ليست بالضرع الصغيرة ولا الفانية الكبيرة ، وحسبك من جمالها ان تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، اعلاها قضيب ، واسفلها كثيب ، كانت في نعمة فأصابتها فاقة ، فأترفها الغنى ، وادبها الفقر .

سوم

الرجوع عن الخطأ

بقلم السيد علي ابراهيم

اجتاز مراحل الدراسة كلها وانصرف بعد ذلك للارض يحنو عليها فترفده بالعطاء ، مال للزراعة مع ان المألوف من حملة الشهادات السعي خلف الوظيفة واذا اختاروا الاعمال الحرة فلا تعد رغبتهم ، مهن ، الطب ، والمحاماة ، والهندسة ، ومن حبسته طاقته المادية عن ذلك عمد لمهنة التعليم متعللا بها شاكيا من تقصير الوسيلة عن الوصول للغاية ، وكنت أراه مثلا فريدا بين المواطنين ساعيا خلف الانتاج واتقان العمل ما وسعه ذلك ، فهو مع المجلات والنشرات الزراعية ، يأخذ منها ما يحتاج اليه ويطبقه في حقله مستفيدا من التجارب والممارسة، واستمر على العناية بالارض زمنا الى ان أزهرت الدنيا من حوله وامتلأت يده بالجنى ودخل السرور قلبه وعاش في مملكته سعيدا، وأفاد نهجه وسلوكه غيره من المزارعين ، رأوا فيه مجتهدا دؤوبا وعاملا مخلصا يطبق العلم على العمل ، فرآتهم هذا المنتسب الجديد لجماعتهم الحامل اجازة مرور من الحياة العلمية وزاددهم التقرب اليه خبرة ومعرفة •

وجاءني والده ذات يوم يشكو الي همه زاعما انه لم يعلم ولده ويجاهد في سبيله ليصبح مزارعا بسيطا لا هم له سوى انتظار الموسم والاهتمام بالشؤون الزراعية ، وان هذه الحياة ميسورة لمن ارادها دون مسيرة طويلة في دروب العلم والعرفان ، طالبا مني معالجة القضية مع ولده ليرجع عن الخطأ ويمشي مثل غيره من المثقفين الذين يرجى منهم الخير لامتهم ووطنهم، قلت يا ابا حسان : لست قانعا بجهة نظرك لاسعى في سبيل ما تريد ، ان ولدك الذي تشكو منه صاحب رسالة يؤمن بها ، ولا يستطيع الكلام المنمق الخلاب

ان يصرف مؤمنا عن ايمانه ، واراه رائدا في عالم محتاج لامثاله من كبـــار الاحلام والآراب ، الذين ارتفعوا عن التقليد وجعلوا الحقيقة لهم هدفـــا ، وهيهات ان يقنع طالب الجوهر بالعرض ، وطالب الحق بالباطل ، انك جاهدت في سبيله وحقق الله املك ، فكان ولدك انسأنا فاضلا ، خيره مأمول ، وشره مأمون ، وماذا تريد بعد ذلك ؟! وليست امته بحاجة لاسمى مما يقدمه لها ، ولا ينقضي عجبي من قولك ان الحياة التي اختارها ميسورة لمن ارادهـــا ، فانه مجدد لا يشق غباره ، لم يمش مع القافلة دون ادراك وتمييز ، عـــانى من الاوهام فجعل الحقيقة له هدفا ، فهنيئا لك بالقطاف المبارك الميمون .

ايـــام الصفـــاء

يذكر حياته الاولى في القرية عندما كانت تبزغ آماله مع وفود بنيـــه ، وكلما درجـــوا من حوله احس بان لهم مع السعادة موعد ، يزرع أرضـــه مطمئنا بان الرزق الكفاف سيأتيه فليس بحاجة للتفتيش عنه ومكابـــدة الصعاب في سبيله ، فاذا انهمرت السماء بالامطار وتساجل البرق والرعـــد في موسيقى تترك آثارا خفية في النفوس ، والجأه البرد والصقيع الى الموعد ، توزعت نظراته بين الطبيعة الجياشة في الخارج والنار المتأججة في الموقـــد ، ولم يجد فرقا بين الصورتين في مجال الحياة والخلق والابداع ، فان ضحكت الارض من بكاء السماء واكتست حلتها السندسية ، ارتاد جمال الطبيعـــة واستمع الى خرير الماء في السواقي ورأى الفراشات الحالمة تروح وتجيء ، ثم تزدحم على فكره وقلبه الرؤى والمشاهد فتختلس جفونه من الكـــرى غمضات ، على بساط الربيع او تحت شجرة وارفة الظل ، فاذا صحا مـــن هجوعه كان انتباهه يقظة للفكر والروح ، فاذا ناجى قلمه وجد الخواطر فياضة كأن روافدها لا ينضب لها معين ، واذا رجع لكتبه التي يحملها ومشى مـــع اصحابها في تجوالهم ، استعار جناحي طائر ، وطاف بين الربى والمعالم يوشك وهو منسجم مع الصور ان ينسى نفسه .

يشغل العمل رفاقه القرويين عن الكلام الذي يضر ولا ينفع ، فلا وقت عندهم للحقد والتنافس طالما ان الارض تعطي بمقدار ما تأخذ ، وان المنافع قريبة المتناول من الجميع لا يكثر منهم حولها نزاع وخصام ، فاذا دفعتهم للاجتماع حاجة ورغبوا بالنجوى وتبادل الاراء كانت بيوت ذوي اليسار منهم ، أندية يستمعون فيها الى محدث او قارىء جريدة فاذا مالت بهم للزراعة لفتة ، كثر في هذا المجال بث الاراء واعطاء النصائح •

ثم تتابعت عليه الاحداث ، وتوالت الليالي والايام ، وكلما اراد ان يجمع تلك الذكريات نفرت من بين يديه ، فطال حنينه لايام الصفاء ، وحلم بمستقبل زاهر يجمع شمل الاحبة ، ويصرف الناس للكنوز الثمينة في الارض والنفوس ، ويعود لشبابه الراعي مجدها الزاهر ، ويجمع الناس حماس رائع لقافية شرود من فم شاعر يؤمن بالله والوطن ويحب الحياة نعمة لا نقمة ورضا يغمر الفكر والنفس والقلب •

علي ابراهيم

مـع جوتيـه

الشاعر الالماني الكبير جوتيه (١٧٤٩ ـ ١٧٣٢) سألوه يوما ، من هو الرجل الذي أثر في حياتك أكثر من غيره !

قال : « أبي •• ولم يكن ابي شاعرا •• ولكنه كان رجلا عظيما •• كان أقسى ناقد لكل ما اكتب •• كان يصحح لي أخطائي ، وكان يلومني ، اذا احس ان الخطأ اكبر من أن يسكت عليه ، ولكنه لم يكن أبدا ينسى ان يشجعني بعد كل لوم يوجهه الي •• وكنت اشعر بالدفء يسري في أوصالي بعد كل مرة يلومني فيها • ثم يشجعني بعد لومه • تماما كما لو كنت اجلس تحت أشعة الشمس بعد حمام بارد !! »

الحج بعبادته ومنافعه

والتنظيم المرجى لحل مشاكله المعاصرة وزحامه

تأليف المحامي محمد بن كمال الخطيب

عرض وتقديم : حسان الكاتب

ان مشكلة العصر من الضياع عامة ومشكلة المسلمين من اضاعة مقاصد شريعتهم مشكلة أخص ، فهي تتكرر في حجهم عاما فعاما على رغم ما يبذلون من عناية وجهد افرادا وجماعات ، شعوبا وحكومات ، وذلك من ضيق النظر حين لا يحاط بالمشكلة الا على مقدار الساعة .

وان اقبال الحجيج بعديده الضخم اقبالهم وهم على حالهم في بلادهم على ما توارثوه من جهل وغفلات وعادات سيئة كل ذلك وما اليه يجعل لقاءهم مشكلة بديل ان يكون لقاء ذكر ويقظة وشهود للمنافع الاسلامية لاكرم وفد على الله تعالى من خير امة اخرجت للناس هداية الله لخلقه .

ومن هذا الحال تراهم بكثرة اذا تلاقوا لم يتعارفوا ، واذا تزاحموا لم يتراحموا ، واذا تحدثوا كانوا عن الله معرضين أحيانا كثيرة ، واذا تعاملوا لم يتناصفوا وبدت الاساءة في كثير من المعاملات بينهم ، ولم يجدوا من نظام البلد بتطوافه ومطوفيه ما يهديهم ان لم يزد له سوء الحال افسادا وويلا ، خلافا لما امرنا به الله في هذه المناسبة العظيمة مناسبة اداء فريضة الحج .

لذا فقد جاء كتاب الاستاذ محمد بن كمال الخطيب « الحج بعبادته ومنافعه » كي يتلمس هذه المشكلة ويبحث عن حل لها .

لقد أصدرت هذا الكتاب جمعية التمدن الاسلامي كهدية سنوية لمجلة

التمدن لعامها الرابع والاربعين .. ويقع في ٨٠ صفحة من القطع الكبير وطبع في مطابع المطبعة العمومية بدمشق عام ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م.

لقد أهدى المؤلف الكتاب الى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية كي يضع بين يدي جلالته الحل المناسب للتنظيم المرجى لحل مشاكل الحج المعاصرة وزحامه .

كما قدم الاستاذ الخطيب في مستهل الكتاب ـ كتاب مفتوح بعنوان تحية وتذكرة الى جلالة العاهل السعودي.

اذ استهل المؤلف الفاضل بما قدمته المملكة من خدمات وتطورات جليلة في ميدان خدمة الحجيج حتى اصبح الحرم الشريف في مكة المكرمة والحرم الشريف في المدينة قبلة يهفو لها كل مسلم فالعناية والاهتمام باديان على كل مرفق من مرافق الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة .. ورغم كل ما بذلته المملكة من رعاية وعناية الا ان الوضع لا يزال يشغل بال المسؤولين لتطوير العناية خاصة وان عدد الحجاج الى هذه الديار يزيد عن المليونين في كل عام يجتمعون في يوم واحد في عرفة ويقيمون في منى ويؤدون الطواف في الحرم المكي ويزورون الحرم المدني على هذه الحال .

وهنا جاء المحامي الكبير والشيخ البليغ والمؤلف القدير كي يضع اقتراحاته للمزيد من التطوير للتقرب من الكمال كي يذلل الصعوبات التي يلاقيها الحجاج في هذه الديار وكي يستطيعون تأدية المناسك وما امر الله سبحانه من التعارف والتآلف والتشاور والتحابب وتبادل وجهات النظر بعكس ما هم عليه من التزاحم والتناحر .. الخ..

ثم قدم في بحث آخر موضوعا بعنوان « اجمال المنظر والخطة الاصلاحية » حيث يذكر في هذا المجال ما يلي :

١ ـ النظر الى الحج على انه رحلة تثقيف وتهذيب وعبادة يوجب التعليم لها ومرافقة (المعلم) لاهل رحلتها حتى لا يمروا على آيات الله من

طريق حجهم وهم عنها معرضون من جهالة وغفلة وان تنظم تنظيم الرحـــلات الجماعية السياحية والثقافية في حلها وترحالها على مستواها العالمي •

٢ ـ مساهمة ادارة الحج بالاشراف على الحجيج من بلادهم والاستعانة بالملحقين الثقافيين في القنصليات السعودية وبالجمعيات وارباب الشـــعائر الاسلامية والعلماء العاملين •

٣ ـ يبدأ الانتفاع من الحج كمؤتمر سنوي ومعرض دائم باعـــداد استمارة في كل قنصلية سعودية يتعرف منها الى شخصية الحاج علميا واجتماعيا واقتصاديا وهلمجرا حتى يستفاد من ذوي الكفاءات بلجان يعقد منها مؤتمر سنوي للاصلاح والتعاون الاسلامي محليا ودوليا •

٤ ـ تنظم مكة والمدينة وارض المناسك من عرفات الى منى تنظيمـــا عمرانيا وصحيا بحيث تعالج مشكلة الزحام وتيسر المواصلات وتســـد الحـــاجات •

أ ـ ويقام ذلك على اساس (مكة كلها حرم) (وما بين ولايتي المدينـــة حرم) وتفرغ لذلك من المباني طوابقها الارضية لتكون امتدادا للمسجديـــن بما يغني عن كل توسعة اخرى •

ب ـ تعمم لذلك مصورات وتعليمات سنويا •

ج ـ ويخصص لكل قطر مواطن دائمة وتجعل معارض دائمة الى جانب مؤسسات القطر كالبعثة الصحية ونحوها •

د ـ تنظيم استقبال الحجيج بنظام جديد يحل محل نظام المطوفـــين البالي تحت اشراف لجنة عليا ولا يعني تغيير النظام انقطاع موارد الحج المألوفة للمطوفين بل تجديد تنظيم ذلك بما يحقق المقاصد •

هـ ـ ويخصص للمهتدين للاسلام وخاصة من البلاد المتقدمة (لجنـــة

مضيفة) ويساعدها من الشباب الجامعي ونحوهم اعوان وتنظم لهم ندوات ومحاضرات وتوزع عليهم كتب ونشرات ومصورات وهدايا .

و ــ وتجعل دعاية الحج دعاية موسم واعلان مبادىء في معركة الصراع الثقافي الدولي.

ز ــ وتؤلف لجنة اصلاح ذات البين بين الاقطار الاسلامية وتقوم بدور توثيق العلائق .

وقد قدم المؤلف في بقية الكتاب تفصيل وتحليل وتعليل ومقترحات الاصلاح وبيان حسب المخطط التالي :

١ ــ الحج رحلة بمشاكلها وحلها (تمهيد لايضاح المشكلة وطرق حلها).

٢ ــ منافع الحج.

٣ ــ الحج معرض امة ومنبر دعوة .

٤ ــ ادارة الحج .

٥ ــ الحج والاستطاعة .

٦ ــ مقترحات جديدة .

٧ ــ مكة والمدينة ومشكلة الزحام والسير فيهما .

٨ ــ المناسك بتنظيمها تحل مشكلة الزحام فيها .

ويختم المؤلف الاستاذ محمد بن كمال احمد الخطيب كتابه بالكلمة التالية :

هذا هو الحج بأهميته وعبادته ومنافعه وحاجاته وحل مشكلاته وكلها تنتظر من العاملين المخلصين جدا النظر بها للاخذ بها ان شاء الله .

ونحن نسأله سبحانه وتعالى ان يوفق جلالة الملك خالد آل سعـــود وحكومته وشعبه الكريم لتحقيق الاماني الغالية وبذلك رفعة العرب وذكرهم وعزة الاسلام واهله .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » حقا .

والحمد لله رب العالمين .

دمشق حسان بدر الدين الكاتب

قصة الحيــاة - ملايين الحكايــا تأمــلات

بقلم : رغيد النحاس

١ ــ الحيوانات الثدييـــة

ينتمي الانسان الذي يعتبر نفسه القمة في عملية التطور الحيــاتي الى مجموعة من الحيوانات تشترك معه في الخصائص التشريحية والبيولوجيــة الاساسية ٠ هذه المجموعة تعرف بمجموعة الحيوانات الثديية او الحيوانات اللبونة ، والتي تنتمي بدورها الى مجموعة أعم وأكثر شمولا هي مجموعــة الفقاريات أي الحيوانات التي تملك عمودا فقريا، ولئن كان التطور الحياتي والعمليات الاساسية المقترنة به هي مجال موضوع آخر سنرجيء بحثه الان، فلا بد لنا على الاقل من كلمة قصيرة حول معنى التصنيف الحيواني مع بعض التلميح الى فكرة التطور ٠

ان عملية وصف الكائنات الحية من الناحية العلمية تتضمن تصنيف هذه الكائنات الى مجموعات وفئات بشكل هرمي بحيث يكون رأس الهرم هــو الصفة العامة الشمولية لمجموعة معينة من الكائنات ٠ مثلا التقسيم الرئيسي للكائنات الى مجموعات اساسية مثل الحيوان والنبات يضم الحيوانات كلها تحت « مملكة الحيوان »، ويضع النباتات كلها تحت « مملكة النبــات » ٠ ومملكة الحيوان الان يمكن تقسيمها الى فئات ومجموعات مثلا حيوانــــات ثديية أو حيوانات زاحفة او أسماك وهكذا ٠ ثم تقسم هذه الفئات الى فئات اخرى أكثر تخصصا حتى نصل الى جنس واحد من الكائنات مثلا : «أسماك البوري »٠ بل يمكن ان نكون اكثر تحديدا ونقول اي نوع من اســــماك البوري نريد ، ذلك ان هناك اكثر من نوع واحد من هذا السمك ، ولكل نوع اسم خاص ٠ وبصورة عامة فان من اهم التقسيمات التي تقع تحت مملكـــة

معينة هي تقسيم هذه المملكة الى طوائف والطائفة الى جماعات ، والجماعة الى رتب ، والرتبة الى فصائل ، والفصيلة الى أجناس ، والجنس الى انواع. ان كل هذه التقسيمات تتم وفق صفات معينة يتمتع بها الحيوان ويشترك فيها مع افراد جنسه الواحد مما يميزه عن غيره من الحيوانات . فالتصنيف اذا هو مفتاح الشخصية لاي كائن حي . وهناك غرض أساسي ثابر على نفس الدرجة من الاهمية ، ألا وهو ان التصنيف يعطي الحيوان مركزا بالنسبة لسلم التطور الحياتي . وبعبارة اخرى فان التصنيف يقول للحيوان من هو وأين يتمركز الان بالنسبة لغيره من الحيوانات ، ويقول له من أين اتى أي أين يتمركز الان بالنسبة لتاريخ عملية التطور . ذلك ان نظرية التطور تعتبر ان كل الكائنات الحية قد تطورت عن كائن واحد قد يكون خلية حية او مجموعة من المركبات الكيمائية التي تجمعت في غشاء وشكلت ما يشبه الخلية الحية. وبعد هذا بدأت الحياة تمر في مراحل من التعقيد والارتقاء والتنوع وفقا لمقتضى البيئة او البيئات الجديدة التي كانت تخلقها عوامل التغير الطبيعية خلال آلاف بل ملايين السنين . وهذا المقياس الواسع في المدة الزمنية ضروري جدا لادراك عملية التطور الحياتي . ان مخيلة الانسان لا تستطيع ان تستوعب هذه التغيرات لان حياة الانسان كلها لا تتجاوز حفنة من عشرات السنين . أي لا يمكن لهذه التغيرات ان تكون « محسوسة » او « ظاهرة » خلال فترة زمنية قصيرة. ان البيئة المتغيرة تستلزم في الكائن الحي تغيرات معينة وتطورات مختلفة . كما ان الكائن الحي يؤثر في البيئة ويغير فيها وهو بالتالي قد يؤثر مباشرة أو غير مباشرة على كائنات اخرى . فمثلا لو ان هناك كائنا حيا يتخذ بعض الحشائش مسكنا له ، ولو ان هناك حيوانا يتغذى على نفس الحشائش فان نوعا من التنافس بين الكائنين يظهر بصورة غير مباشرة . كلاهما يتطلب هذه الحشائش واحد كمسكن والآخر كغذاء . ففي حال التهام الحيوان للكثير من هذه الاعشاب توجب على الكائن الآخر ان يجد لنفسه مسكنا جديدا . ان اختيار بيئة جديدة هو الذي يفرض تغييرا في نمط حياة

هذا الكائن الحي • وان تغير نمط الحياة هذا هو الذي يتطلب تغيرا في الشكل والحركة وقد يؤدي الى تطور حقيقي في ذلك الكائن الحي ، من هذا المنطق آخذت بعض الزواحف بالتطور حينما واجهتها ظروف حياتية وبيئوية جديدة في سالف العصور • فمثلا حين احتاجت لان تحمي جسمها من برودة الطقس تطورت الى حيوانات تملك الريش وصار تطيورا ، او أنها غطت جلدها بالشعر واصبحت من الثدييات •

لقد استطاعت هذه الزواحف بحصولها على جلد قاس مليء بالحراشف ان تشق طريقها من الاماكن التي تتوافر فيها المياه الى بعض الاماكن الاكثر جفافا • ولذلك نجد الان الكثير من الزواحف يعيش في بيئة صحراوية • ولكن لا زالت هذه الزواحف لا تستطيع تنظيم درجة حرارتها وبذلك فهي تعتمد على البيئة المحيطة بها • اي انها تختار لنفسها البيئة الاكثر ملاءمة• ففي الصحراء مثلا تحتمي اثناء النهار في الظل او تدفن نفسها في الارض حتى تتقي حرارة الشمس القاتلة ، فاذا ما غابت الشمس خرجت تبحث عن اسباب عيشها • ان هذه الحقيقة هي من اسباب ظهور حيوانات اخرى غير الزواحف حتى تكون اكثر تلاؤما مع البيئات المختلفة • وطبعا لا نعني هنا ان الزواحف تزول لتحل محلها حيوانات جديدة بل على العكس لازالت الزواحف كمجموعة من الحيوانات تزدهر وتعيش بالاضافة الى الحيوانات التي ظهرت بعدها في سلم التطور وتطورت عن بعض الزواحف القديمة التي انقرض بعضها •

لقد مكن هذا التطور الحيوانات الثديية التي ظهرت أن تنتشر في أماكن كثيرة من العالم بغض النظر عن نوعية البيئة طالما أن باستطاعتها مواجهة تلك الظروف المتغيرة • فالحيوانات الثديية اليوم تعيش في المناطق القطبية وفي المناطق الاستوائية ، في الجبال وفي الانهار والبحيرات بل وفي أعماق المحيطات • وهذا بالطبع يتطلب تلاؤما مع البيئة الجديدة يؤدي الى

اختلاف في أشكال هذه الثدييات بل حتى في بعض وظائفها . مع ان هذه الاختلافات ما هي الا مظاهر متعددة لنموذج أصلي واحد . فما هو هذا النموذج ؟ وما هي هذه الاختلافات ؟

الخصائص العامة والمميزة للحيوانات الثديية

تستمد الحيوانات الثديية تسميتها من خاصة تميزها عن بقية الفقاريات ألا وهي امتلاكها لغدد متخصصة تفرز الحليب الذي ترضع به صغارها.وهناك خاصة اخرى بذات الاهمية هي ان هذه الحيوانات تغطي جسمها بطبقة من الشعر الذي يحفظ حرارتها من التغير .

فهذه الحيوانات على عكس اسلافها من الزواحف هي ذات درجة حرارة ثابتة ، أي أنها من ذوات « الدم الحار ». ولكلتا الخاصتين أهمية مشتركة من ناحية التطور . ففي مرحلة التطور الحيواني ، وعندما بدأت هذه الحيوانات تظهر للوجود كان الشعر ضرورة للمحافظة على حرارة الجسم كما قلنا . والشعر ينبت في غدد جلدية متخصصة ، وبعبارة اخرى فان الجلد قد ظهرت فيه الكثير من الغدد اثناء عملية ظهور الشعر فصارت افرازات هذه الغدد ترطب الجسم بينما الشعر يدفئه . وهكذا فان هناك عملية تنظيمية للحرارة . اذا كان الطقس حارا فان الغدد العرقية مثلا تفرز العرق وترطب الجسم . ومن هذه الغدد الجلدية المديدة تخصص البعض وصار يفرز الحليب .

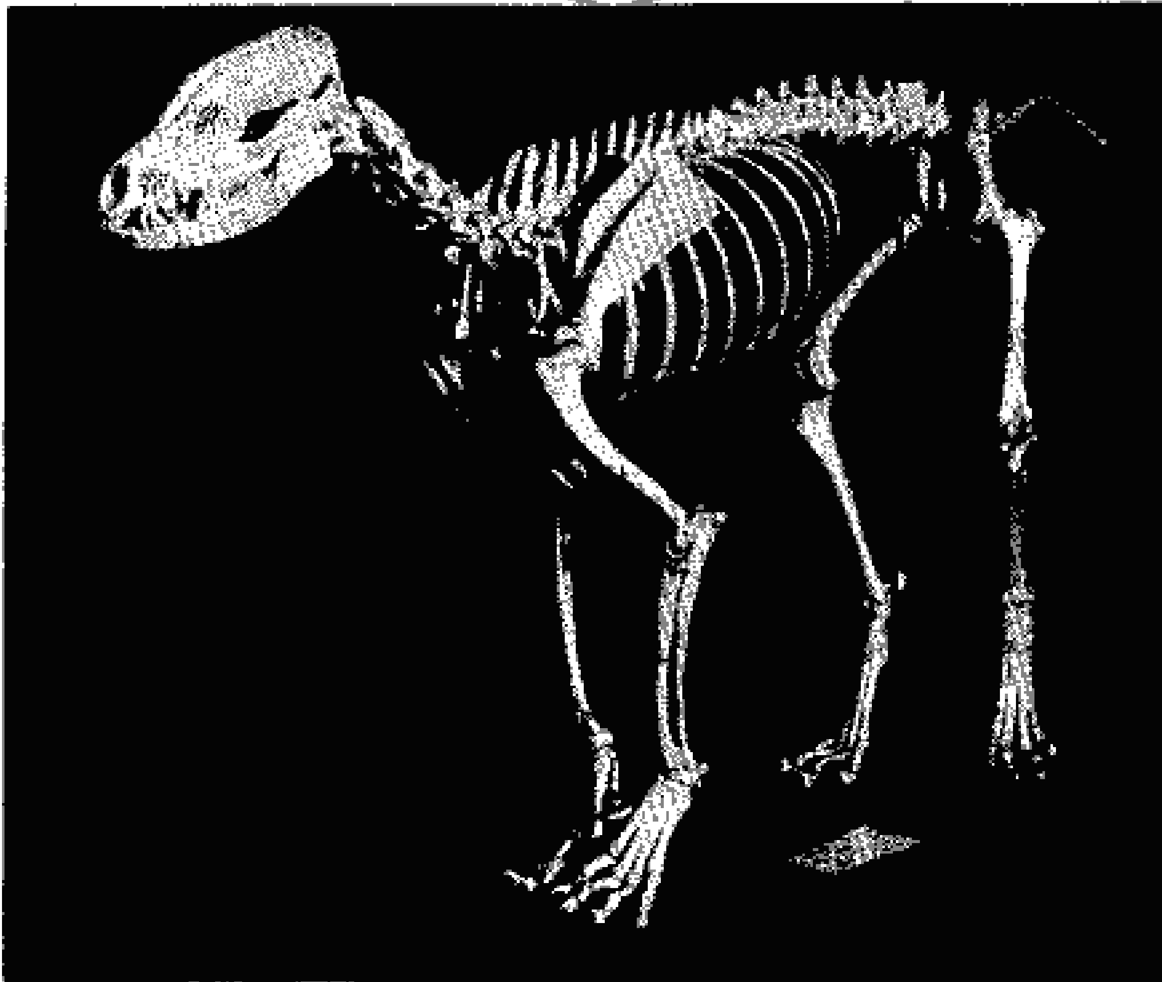
ومن الخصائص المميزة الاخرى وجود ثلاث عظام صغيرة في الاذن الوسطى لهذه الحيوانات . هذه العظام تنقل الاهتزازات الصوتية من غشاء الطبل الى الاذن الداخلية .

ومن الخصائص الاخرى ـ والتي لا تقتصر ضرورة على الثدييات ـ وجود أربعة اطراف (يدان ورجلان في حالة الانسان مثلا). والقلب في هذه الحيوانات مؤلف من اربع جيوب . فالدم الوريدي (وهو الدم القادم من

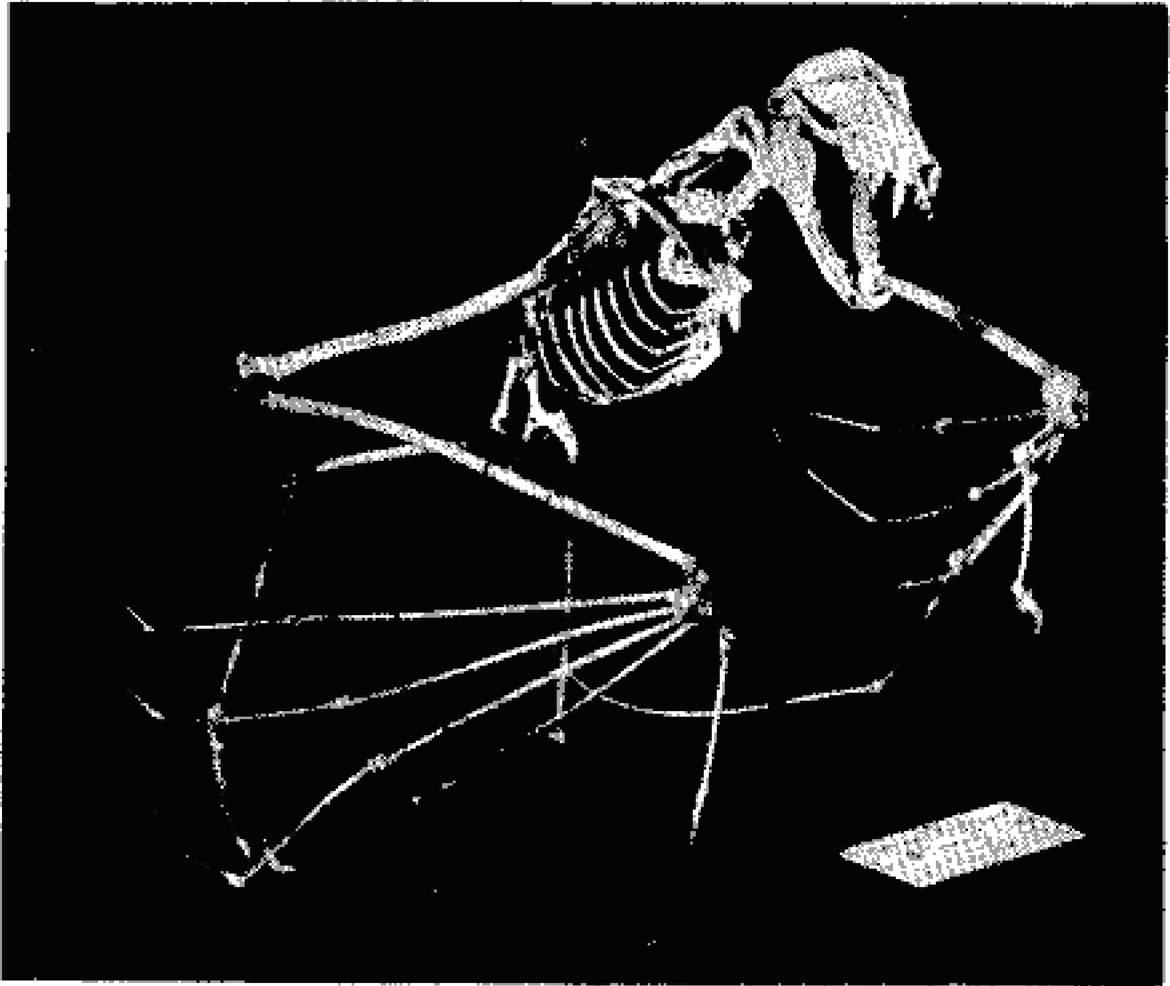
أنحاء الجسم والحامل لفضلات عمليات الاستقلاب) يصب في الاذين الايمن ثم الى البطين الايمن ، وهما يؤلفان القسم الايمن من القلب • ثم ينتقل الدم من البطين الايمن الى الرئتين حيث يتحول الى دم نقي مليء بالاكسجين بعد طرح غاز الفحم عن طريق الزفير ، واستنشاق الاكسجين عن طريق ما تأخذه من الهواء بواسطة الشهيق • هذا الدم النقي يعود الى القلب فيصب في الاذين الايسر ثم يضخه البطين الايسر الى كافة نسج الجسم عبر الشرايين المختلفة•

الحيوانات الثديية تولد صغارها احياء ما عدا وحيدات المسلك وهي مجموعة تبيض بيضا •

تملك الحيوانات الثديية حجابا عضليا حاجزا يفصل بين الرئتين والتجويف البطني للجسم •



الشكل 1 ـ الهيكل العظمي للكلب • يمكن اعتباره نموذجا عاما لترتيب العظام في التدريبات



الشكل ٢ ـ الهيكل العظمي لاحد الخفافيش . لاحظ استطالة العظام في الاطراف الامامية . وهنا تطور في الشكل حتى يتلاءم مع التطور الوظيفي وهو الطيران .

وعدا الجمال ، فان الكريات الحمر في دم الثدييات لا تحتوي على نواة حين يصل الحيوان الى مرحلة نموه الكامل .

وهناك الكثير من الخصائص التي تميز الجمجمة والهيكل العظمي لهذه الحيوانات . وهي على غاية في الاهمية . ونكتفي هنا بعرض صورتين أحدهما تمثل الهيكل العظمي للكلب ، ويمكن اعتباره نموذجا عاما يمثل الحيوانات الثديية بالنسبة لشكل عظامه وترتيبها (الشكل ١) . والاخرى للثعلب الطائر وهو احد الخفافيش وهي ثدييات طائرة (الشكل ٢). ونلفت النظر هنا الى مقارنة هاتين الصورتين وملاحظة كيف ان النموذج العام هو

واحد غير انه في حالة الخفاش قد استطالت العظام في الاطراف الامامية حتى تتلاءم مع وظيفة الطيران •

وبصورة عامة فان الثدييات اكبر حجما من غيرها من الفقاريات مع العلم بأن حجم الثدييات يتفاوت كثيرا • فأكبر الثدييات هو الحوت الازرق الذي يزيد وزن بعض افراده عن المئة طنا • بينما لا يزيد وزن بعض الثدييات الشبيهة بالفئران عن ثلاثة غرامات ونصف •

مجموعات الحيوانات الثديية المختلفة

بعد ان تطورت الحيوانات الثديية الى شكلها وتكوينها الاساسي الذي يتميز بالخصائص السالفة الذكر ، والتي جعلتها تنتشر في بيئات مختلفة عديدة متنوعة المناخات والاشكال ، كان لا بد لها من أن تخطو خطوة ابعد من ذلك وتتلاءم بصورة افضل مع هذه البيئات المختلفة مع الاحتفاظ بالنموذج الاساسي • ولهذا فاننا يمكن ان نرى بعضها قد تطور ليتلاءم مع العيش على اليابسة مثل القرود والانسان والماشية • وبعضها قد تطور واصبح يطير في الجو مثل الخفاش • وبعضها صار يسبح في الماء مثل الحيتان • وسنتعرض الان الى ذكر هذه المجموعات المختلفة من الثدييات •

حيوانات تعيش على اليابسة

١ ــ مرتبة الحيوان الرئيس

ينتمي الانسان الى هذه المرتبة وهو من الغوريللا والقرود يشكل اعلى درجة في تطور هذه المرتبة • والغوريللا هو اكبر الرئيسيات على وجه الارض ويعيش على شكل مجموعات كل منها يشكل «العائلة» ويقضي معظم وقته على الارض في الغابات الكثيفة في افريقيا الاستوائية ، وفي الاماكن التي يصعب الوصول اليها • وفي الليل ينام في أسرة يعدها خصيصا لذلك ويصنعها من اوراق واغصان الشجر • وهو حيوان عاشب بصورة رئيسية اي ان وجبته الغذائية تقتصر على النباتات •

اما حيوان الأياي فيوجد في شرق مدغشقر وهو بحجم القط وله أظافر بشكل المخالب ، وأسنانه تشبه أسنان الجرذان • ويأكل لب قضبان الخيزران وقصب السكر ويقتات ببعض الحشرات • ينام اثناء النهار في الحفر الموجودة في الاشجار ويلف ذيله على جسمه اثناء النوم •

وفي ادنى درجات تطور الرئيسيات هناك حيوانات مثل الليمور وفيه أجناس كثيرة اشهرها ذلك الذي يسكن في مدغشقر وله وجه يشبه وجه الثعلب وذيل مخطط عرضيا بالابيض والاسود على شكل حلقات متناوبة• ويأكل الفاكهة بصورة رئيسية ويقتات ببعض الحشرات وبيوض بعض الطيور• أما زبابة الشجرة التي تشبه السنجاب نوعا ما ويبلغ طولها حوالي ٣٥ سم ولها ذيل طويل وكثيف الشعر فهي تأكل انواعا مختلفة من النبات والحيوان •

يوجد من الرئيسيات ثلاث وتسعون ومئة نوع •

٢ ـ مرتبة القوارض

ويوجد فيها تسع وعشرون وسبع مئة وألف نوع • وهي أكثر الثدييات عددا من حيث الانواع ومن حيث عدد الافراد الموجودة في النوع الواحد ، لذلك لا عجب ان يكون تعداد الفئران والجرذان اكثر من تعداد البشر في بعض الاحيان بمرات كثيرة •

تستمد تسميتها من عملية قضم الاطعمة القاسية باسنانها المعدة خصيصا لذلك • ولذلك فان الفم يقوم بالقضم والمضغ مما ساعد هذه الحيوانات على التكيف مع انواع مختلفة من الاطعمة ، اي انه بات بامكانها العيش في بيئات مختلفة وهي لهذا قد كيفت نفسها بأساليب مختلفة ايضا فباتت تستطيع دفن نفسها، وتركض، وتقفز، وتتسلق ، وتسبح، وهي تتواجد في الصحارى وفي الغابات وفي القطب وعلى خط الاستواء • وهي بصورة عامة ذات حجم صغير نسبيا• وتنقسم الى مجموعات ثلاث• الاولى تضم السنجاب والمرموط

والصيدناني • والثانية تضم الجرذان والفئران • والثالثة تضم الخنزير الهندي والشيهم والاغوطي •

ومن الامثلة الاخرى التي تنتمي الى المجموعات السابقة : القنـدس ، والهمستر ، واللاموس ، والعضل، والفأر الاسود ، والفسكاس ، والشنشيله، وهذا الاخير يملك أنفس فراء على الاطلاق ويقال ان الانثى فيه تسيطر على جنس الرجل •

٢ ـ مرتبة الارنبيسات

وفيها مجموعتان الاولى تضم حيوانات مثل البيكه والثانية تشمـل الارانب والارانب البرية •

البيكه حيوان أصغر من الارنب وله اذنان قصيرتان ومستديرتـان والذيل يكاد يكون معدوما • يعيش في المناطق الصخرية • في الصيف يقوم بجمع الخضر والنباتات وذلك بأن ينقلها في فمه الى حيث يسكن وينشرها على الصخور حتى تجف تحت الشمس • وفي حال حدوث عاصفة فان الجميع يهرعون الى اخفائها في مكان لا تصل اليه المطر • وهكذا حتى تجف تماما فتنقل حينذاك الى اماكن خاصة يعدها تحت الصخور البارزة وهذه الاماكـن تكون بمثابة المستودعات التي يلجأ اليها في الشتاء ويأكل •

الارنب البري يتواجد في اميركا وشمال افريقيا • ويعيش في جحر يحفره لنفسه • وفي الربيع له فصل طويل من التزاوج بحيث تكون مدة الحمل تسع وعشرون يوما وبعد ولادة الانثى باثنتي عشر ساعة فانها تستطيع ان تزاوج من جديد وتحمل •

ان العشب الذي يتناوله الارنب غالبا ما يكون صعب الهضم • وبينما تتغلب الحيوانات المجترة على هذه المشكلة بتقيؤ طعامها واعادة مضغـه من جديد فان الارنب يقوم بعملية تناول طعامه من جديد بصورة غريبة • فعندما يكون مستريحا في جحره يطرح روثا طريا خاصا يقوم بتناوله مباشرة مـن

شرجه . وفقط حينما يخرج للمرعى فهو يطرح روثا اعتياديا قاسيا . وهذا يعني ان كل الطعام يمر مرتين في الجهاز الهضمي حتى يستطيع ان يستفيد اكثر ما يمكن من تلك الوجبة .

٤ ــ مرتبة اللواحم (آكلات اللحوم)

وتحتوي على اثنين وخمسين ومئتي نوعا تغطي معظم انحاء العالم . ولقد ساعد الانسان على انتشار هذه الحيوانات في أماكن لم تكن موجودة فيها سابقا قبل وجوده هو مثل استراليا ونيوزيلانده . وهذه الحيوانات كما يدل اسمها تتغذى على اللحوم ولا يوجد سوى شواذ قليلة فمثلا حيوان البنده العملاق يتغذى على قصب الخيزران .

اما مجموعات هذه المرتبة فهي كما يلي :

مجموعة الكلاب والثعالب والذئاب وتضم سبعا وثلاثين نوعا .

مجموعة الدبب وفيها سبع أنواع (الشكل ٣)



الشكل ٣ ــ الدب القطبي دليل حي على تلازم الثدييات مع اقسى عوامل البيئة .

مجموعة الراكون والقوطي والبنده (١٨ نوعا)

مجموعة ابن عرس والدلق والغرير والظربان وثعلب الماء (٦٨ نوعا) .

مجموعة تشمل الرباح والزبار والنمس (٨٢ نوعا)

مجموعة الضباع (أربعة انواع)

مجموعة القطط التي ينتمي اليها الاسد والنمر (٣٦ نوعا)

٥ ـ مرتبة ذوات الاظلاف المفردة

وهي اكثر الرتب المهددة بالانقراض من الوجود حيث ان الاحصائيات تدل على ان اعداد افرادها وأجناسها كان الاكثر تدهورا على مر العصور. وتشمل مجموعة تضم الحصان والحمار وحمار الوحش والزرافات (٧ انواع)

ومجموعة التابير (٤ أنواع) . ومجموعة الكركدن او وحيد القرن.

٦ ـ مرتبة ذوات الاظلاف المزدوجة

وفيها اربع وتسعون ومئة نوع . وتتميز عن الرتبة السابقة بوجود جهاز هضمي اكثر تعقيدا فالمعدة هنا مؤلفة من عدة اقسام قد تصل الى اربعة. والطعام يمزق ويبلع بسرعة ثم يمر الى المعدة الاولى ثم المعدة الثانية وبعد هذا يعود الى الفم ويمضغ مضغا جيدا ثم يبلع من جديد الى المعدة الثالثة (ذات التلافيف) ثم الى المعدة الرابعة الحقيقية (المنفحة).

وتتميز هذه المجموعة بوجود زوج من القرون ذات أشكال مختلفة، واحيانا توجد عند الذكر فقط واحيانا عند الذكر والانثى حسب نوع الحيوان. والمجموعات هي :

مجموعة الخنازير (ثمانية انواع)

مجموعة البقري (نوعان)

مجموعة البرنيق (نوعان)



الشكل ٤ ـ الجمل ذو السنامين احد ممثلي مجموعة ذوات الاظلاف المزدوجة .

مجموعة الجمل واللامة (ست انواع) (الشكل ٤)

مجموعة المجترات (أربع أنواع)

مجموعة الأيل (واحد واربعون نوعا)

مجموعة الزرافات والاكاب (نوعان)

مجموعة الشائك القرن (نوع واحد)

مجموعة البقريات والخراف والنعاج والغزلان والظباء (١٢٨ نوعا).

٧ ـ مرتبة الفيلة

وهناك نوعان واحد في افريقيا والآخر في آسيا .

الفيل الافريقي أكبر الثدييات على اليابسة وقد يصل وزنه الى ستة أطنان وله آذان كبيرة جدا تميزه عن الفيل الآسيوي .

الفيل حيوان عاشب يتغذى على مئات الكيلوغرامات من الاوراق والاعشاب والفواكه كل يوم ويشرب كل يوم حوالي اربعين غالونا من الماء.

٨ ـ مرتبة الوبر

وفيها ست أنواع تعيش في افريقيا ولها شكل وحجم قريبان من شكل وحجم القوارض .

٩ ـ مرتبة خنزير الارض

هذه الرتبة تحتوي على نوع واحد فقط وهو خنزير الارض الذي يعيش في مراعي افريقيا ويتغذى على النمل الابيض .

١٠ ـ مرتبة البنغوليات

وهي آكلات نمل يكتسي جسمها بحراشف مع الاحتفاظ بالشعر على البطن ويوجد منها سبع أنواع في أفريقيا الاستوائية وجنوب آسيا وسومطره وبورنيو والفيليبين .

١١ ـ مرتبة الدرداوات

وهذا الاسم يعني ان هذه الحيوانات بلا اسنان ولكن هذا الامر غير صحيح . وتتألف هذه المرتبة من ثلاث مجموعات رئيسية تتوزع في اميركا الوسطى والجنوبية .

المجموعة الاولى تضم آكل النمل العملاق وله مخالب حادة يدافع بها عن نفسه ويستعملها في فتح أعشاش النمل . أنفه طويل ومستدق وذيله طويل وكثيف الشعر .

المجموعة الثانية تضم الكسلان وهو حيوان بطيء الحركة يسكن في الاشجار ويتعلق بأغصانها بأرجله فيصبح رأسه وجسمه للاسفل . ومن حسن حظه انه وهو في هذا الوضع المنقلب قد اصطف شعره بطريقة تمكن الامطار الهاطلة من عدم التجمع بين شعره فهذا ما يجعل البلل يزول عن جسمه بسرعة. وغالبا ما يبدو شعره مخضر اللون والسبب هو ان الكثير من الطحالب تستوطن



الشكل ٥ ـ المدرع (أحد أفراد الدرداوات) وتراه في الصورة يتناول غذاءه في حديقة الحيوانات بلندن .

فيه . والكثير من الحيوانات الصغيرة التي تأكل هذه الطحالب تعيش ايضا في شعر الكسلان مثل بعض الخنافس ، وخلاصة القول ان شعره بمثابة مزرعة . أما هو فيتغذى على الفاكهة واوراق النباتات .

والمجموعة الثالثة فيها المدرع الذي يستوطن اميركا الجنوبية . وأرجله وظهره ورأسه وذيله كلها مدرعة بصفائح عظيمة (شكل ٥). وله عدد من الاسنان يزيد عن اي حيوان ثديي آخر . هذه الاسنان صغيرة وليس لها جذور وقد يصل عددها الى المئة .

١٢ ـ آكلات الحشرات

يوجد من هذه الحيوانات أربع وسبعون وثلاثمئة نوع تتوزع على أميركا الشمالية وآسيا وافريقيا . وتتغذى بصورة رئيسية على الحيوانات اللافقارية مثل الديدان والحشرات والرخويات والقشريات . ومن الامثلة على

هذه الحيوانات القنفذ الذي يأكل الحلزون وبعض الحيايا بالاضافة لما ذكر سابقا . عند الولادة تكون الاشواك التي تغطي جسمه طرية ثم تقسى شيئا فشيئا وبنفس الوقت تنشأ عند الحيوان القابلية لان يلتف حول نفسه على شكل طابة كلما هدده الخطر .

١٣ ـ ذوات الجراب

تحتوي هذه الحيوانات على « جراب » أو « جيب » للحماية تكون فيه حليمات الانثى . وعند ولادة الصغار يكون الصغير غير مكتمل النمو فيزحف الى الجيب حيث يتمسك بفمه بهذه الحلمات حتى يكتمل نموه . والجهاز التناسلي ايضا غريب من نوعه فيوجد لدى الانثى رحمان بدلا من رحم واحد . كما يوجد لديها مهبلان بدلا من واحد . والذكر له قضيب متشعب والخصيتان تتوضعان امام القضيب وليس خلفه كما هي الحال في غيره من الحيوانات . ولا يوجد في هذا الحيوان أسنان لبنية وانما تنمو له وجبة واحدة من الاسنان طوال الحياة . أي انه لا يبدل اسنانه .

من الامثلة على هذه الحيوانات الابوسوم الذي يعيش في جنوب اميركا ويأكل الحشرات واحيانا بعض الحيوانات من الزواحف الصغيرة والفواكه. أنثى هذا الحيوان ليس لديها جراب وانما يتعلق الصغار بالحليمات ثم يركبون على ظهر الانثى في وضعيات مختلفة حتى يكتمل نموهم اكثر .

ومن الامثلة الاخرى الكنغر . وهو اكبر الجرابيات . أرجله الخلفية أطول من الامامية ويستعمل ذيله في دعم وزنه اثناء الجري وهو بذلك يصل الى سرعة كبيرة كما انه يستطيع القفز عاليا . وهكذا فانه يستطيع الهرب من كل اعدائه على الاطلاق ما عدا ـ طبعا ـ الانسان .

١٤ ـ مرتبة وحيدات المسلك

وهي مرتبة متدنية من الثدييات يوجد فيها مسلك واحد للاعضاء التناسلية والبولية والهضمية . وهي الثدييات الوحيدة التي تبيض بيضا . والحيوانات البالغة ليس لديها أسنان ولا توجد عندها آذان خارجية. كما

ان تنظيم الحرارة ليس كافيا بل هناك اختلافات قد تصل الى خمس درجات مئوية • وعلى هذا فان هذه المرتبة تشابه اسلافها من الزواحف • كما تحتوي الذكور في أرجلها الخلفية على شوكة سامة غير معروفة العمل بيد انه مـــن المعلوم ان هذه الشوكة تنشط في موسم التزاوج •

من الامثلة قنفذ النمل الذي يدفن نفسه في الارض بحيث لا يظهر سوى أشواكه وهو يستعمل هذه الطريقة كوسيلة للدفاع عن النفس اما الشـوكة المذكورة سابقا فان نوعية السم الذي فيها ليست بذات خطر يذكر • يتغذى هذا القنفذ على النمل في غينيا الجديدة في شرق استراليا وتسمانيا حول البيـــئة المـــائية • وفي بداية الموسم التزاوجي تتشكل عند الانثى جيب حيث تنقل اليه فيما بعد بيضة واحدة • والحليب يصب مباشرة على الجيب دون وجود حليمات • وعلى هذا فان الصغار الخارجة من البيوض تمص الحليب من بين شعيرات الام •

اما البلاتبوس فان اناثه تبني حفرة خاصة في الطين وتضع فيها بيضتان وتحضنهما مدة اسبوعين ثم يرضع الصغار الحليب من الشعر المحيط بغـدد الحليب وليس لهذا الحيوان جيب •

بين البر والبحر

١٥ ـ مرتبة الفقمة (عجول البحر)

هذه الحيوانات تقضي اوقاتا كثيرة على اليابسة ولا زالت تحتفظ باطرافها الخلفية التي تساعدها في جر جسمها على اليابسة حيث تعود كل سنة للتوالد • أما بقية اوقاتها فتقضيها في الماء • تتغذى على الاسماك بصورة رئيســية • ويغطي جسمها فراء قصير خشن • وهناك ثلاث مجموعات • الاولى تضـم اسود البحر وفيها ثلاث عشرة نوعا • ومجموعة الفظ وفيها نوع واحـد • والثالثة تضم مختلف عجول البحر وفيها ثماني عشرة نوعا •

في المـــاء

١٦ ـ مرتبة الخيلانيات

وفيها أربع انواع • اثنان في اميركا واثنان في افريقيا • وهي حيوانــات لا تأتي الى اليابسة مطلقا والصغار تولد تحت الماء مثل الحيتان • وبعد الولادة تحمل الانثى صغارها على ظهرها وترفعها الى سطح الماء وتعودها على الغطس والصعود لاستنشاق الهواء حتى تصبح قادرة على السباحة الى جانب امهاتها خلال ساعتين • وهذه الحيوانات لا تستطيع الدفاع عن نفسها لكنها تعيــش في أماكن لا يمكن لاعدائها من الحيتان مثلا ان تصل اليها ذلك ان الاماكــن التي تختارها تكون المياه فيها ضحلة • وتتغذى على الاعشاب البحريــة • ومن الامثلة : خروف البحر •

١٧ ـ مرتبة الحيتان

وتشمل اثنان وتسعين نوعا من الحيتان والدولفينات وخنازير البحــر ويمكن تقسيمها الى مجموعتين متميزتين • الاولى تشمل الحيتان ذات الاسنان وفيها ثمانين نوعا • والثانية تشمل الحيتان البلينية وفيها اثنا عشر نوعــا • وفي هذه الاخيرة يحل البلين محل الاسنان الاعتيادية • والبلين هو عظم فــك الحوت • كما ان اكبر الثدييات على الاطلاق يقع في هذه المجموعة• فا لحوت الازرق يصل طوله الى ثلاثين مترا ووزنه الى إكثر من مئة طن كما ذكرنا •

وبما ان هذه الرتبة قد تطورت لتتلاءم مع الحياة في المحيطات فــــان هناك علامات فارقة مميزة • فمثلا لا يوجد لها اطراف خلفيــــة • والاطراف الامامية تحولت الى زعانف • كما انه لا يوجد عنق بالمعنى الصحيح ولا توجد آذان خارجية والفتحة الانفية توجد في اعلى الرأس ؛ كما انعدمت الغــــدد العرقية وزال معظم الشعر الذي يغطي الجسم •

تستعمل هذه الحيوانات الاشارات الصوتية في الاتصالات ما بينهـــا وتتبنى اسلوبا شبيها باسلوب الخفاش في تحديد الاشياء بواســطة رجــع الصـــدى •

وبالنسبة للغذاء فان الحيتان ذات الاسنان تتغذى على الاسماك وبعض الثدييات المائية وبعض اللافقاريات الكبيرة • اما الحيتان البلينية فانها تتغذى بواسطة تصفية الماء واخذ البلانكتونات وهي كائنات صغيرة جدا ، ويقوم البلين بعمل مصفاة تحجز العديد من البلانكتونات التي يدفعها اللسان بدوره الى داخل الحلق بعد اغلاق الفم • ولسان الحوت الازرق قد يصل وزنه الى أربعة اطنان أي ما يعادل وزن فيل !

ان كل هذه الحيوانات تستنشق الهواء بصعودها الى سطح الماء بين الحين والآخر •

بين الارض والجو

١٨ ـ الليمور الطائر

ويوجد في هذه المرتبة نوعان فقط ينتشران في جنوب اسيا والفيليبين• وبالرغم من اسمها فان هذه الحيوانات لا تطير وانما تتسلق برشاقة وتتسلل بين الاغصان يساعدها في ذلك طيات كثيفة من الجلد بين الارجل وهذا الجلد ينشد في حال تسلق الحيوان • هذه الحيوانات تنام في النهار في شقوق الاشجار وتخرج في الليل لتأكل • الانثى تحمل مرة واحدة في السنة والحيوان الرضيع يترك معلقا في الشجرة لوحده عند غياب امه احيانا •

في الجو

١٩ ـ الخفافيش

وهي الثدييات الوحيدة التي تطير بالفعل •

يوجد منها واحد وثمانين وتسعمئة نوع في كافة انحاء العالم عدا المناطق القطبية •

وهناك مجموعتان اساسيتان بالنسبة لنوعية الغذاء ، المجموعة الاولى تضم آكلات الفاكهة وهي حيوانات كبيرة الحجم ولها نظر جيد • والمجموعة

الثانية تضم آكلات الحشرات وهي اصغر حجما ونظرها ضعيف لكنها تستطيع تقدير البعد بواسطة رجع الصدى ، ولها اشكال كثيرة مختلفة نذكر منها الخفاش مصاص الدماء الذي يعيش في جنوب واواسط اميركا . والحقيقة ان هذا الخفاش لا يمص الدماء وانما يلعقها لعقا بعد ان يغرز نابيه في جسم فريسته من الحيوانات الاخرى حتى يسيل الدم الذي يمنع بختره بواسطة مادة خاصة يفرزها الخفاش مع لعابه . والخطر لا يكمن في كمية الدماء التي يستهلكها الخفاش خصوصا اذا كان الحيوان الفريسة بحجم خروف مثلا . وانما الخطر يكمن في الامراض التي ينقلها الخفاش مثل داء الكلب .

لقد رأينا ان الحيوانات الثديية وان اشتركت جميعا في خصائص اساسية واحدة فان الاختلافات الشكلية والوظيفية كانت في بعض الاحيان على غاية في التغاير ، مثلا لاحظ الفرق بين الخفاش الذي يطير وبين الحوت الذي يسبح . ولاحظ ايضا كيف ان بعض هذه الحيوانات تمثل تسلسلافي التطور من الحياة في بيئة معينة الى الحياة في بيئة اخرى مثلا الفقمة بالرغم من ان شكله أقرب ما يكون متلائما مع الحياة في البحر فانه احتفظ باطرافه الخلفية التي يستعملها في جر جسمه على اليابسة . لكنها لا يستطيع استعمالها بنفس الطريقة التي يستعمل فيها حيوان اليابسة أرجله مثلا . كما ان الفقمة لم يفقد هذه الاطراف نهائيا كما هي الحال في الحيتان التي ما عادت بحاجة لاستعمال اليابسة . ونستطيع ان ننظر الى القرود مثلا على انها مرحلة بين المشي على أربعة اطراف والمشي على الطرفين الخلفين فقط (الانسان) . فالقرود تمشي متحنية الظهر تماما وتستعين باطرافها الامامية على المشيء والتسلق .

وبالرغم من هذه الفروقات الظاهرة احيانا كالفرق بين الانسان والحوت مثلا ، فان هناك ما يجمعها على كونهما من الثدييات المتقدمة وكلاهما من المشيميات اي تلك الحيوانات التي تحمل الانثى فيها صغارها داخل الرحم

ويكون هناك علاقة بين الدورة الدموية للام والدورة الدموية للجنين من خلال الاغشية المشيمية . ثم ان الام تلد صغارها احياء . وبعبارة اخرى فان أهم نقاط التقارب بين الانسان والحوت قد لا تكون متوفرة بين الانسان وحيوان اخر يعيش على اليابسة . وهكذا .

اننا نترك للقلوى ان يعمل خياله بهذا الاسلوب المقارن في فهم الصفات والتبدلات المختلفة في طرائق الحيوانات لان الاسلوب المقارن وحده هو الكفيل بايجاد الكثير من الاجوبة حول الكثير من النقاط الممتعة في هذه الحياة . واننا كما وعدنا فبعد ان نكمل حكايانا الوصفية الحالية فلا بد اننا سنطرق ابواب الفهم الافضل للاساليب الحياتية وعندها نتمنى ان تكون هذه المواضيع اكثر متعة . والى ذلك الحين لا بد لنا من اكمال التعداد والوصف . فالى اللقاء مع حكاية اخرى من ملايين الحكايا .

انكلترا — رغيد النحاس

وصية الامام علي

لابنه الحسن « عليهما السلام »

ومن وصية له عليه السلام لابنه الحسن (ع) وقد أجمع المفكرون وعلماء التربية أنها احسن كتاب في علم الاخلاق .

من الوالد الفان ، المقر للزمان المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، والظاعن عنها غدا ، الى المولود المؤمل ما لا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض الاسقام ، ورهينة الايام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الاحزان ، ونصب الآفات ، وصريع الشهوات ، وخليفة الاموات .

أما بعد ، فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني ، وجموع الدهر علي ، واقبال الاخوة الي ، ما يرغبني عن ذكر من سواي ، والاهتمام بما ورائي غير أني حيث تفرد بي ـ دون هموم الناس ـ هم نفسي فصدقني رأيي ، وصرفني هوائي ، وصرح لي ملخص امري ، فأفضى بي الى جد لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، ووجدتك بعضي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن شيئا لو أصابك اصابني ، وكأن الموت لو أتاك اتاني فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت اليك كتابي مستظهرا به ان انا بقيت لك أو فنيت .

فاني أوصيك بتقوى الله ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ان أنت أخذت به ؟؟

أحيي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله

بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما أصاب من كـان قبلك من الاولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبة وحلوا ديار الغربة وكأنـك عن قليل قد صرت كأحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف وامسك عن طريق اذ اخفت ضلالته ، فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال ، وأمر بالمعروف تكن من أهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات للحق حيث كان وتفقـه في الدين وعود نفسك التصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر في الحق .

وألجيء نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريـز ومانع عزيز واخلص في المسألة لربكفان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خـير في علملا ينفعبعلم لايحق تعلمه . أيبني اني لما رأيتني قد بلغت سنا ورأيتني ازداد وهنا ، بادرت بوصيتي اليك وأوردت خصالا منها قبل ان يعجل بـي أجلي دون ان أفضي اليك بما في نفسي وان أنقص في رأيي كما نقصـت في جسمي أو يسبقني اليك بعض غلبات الهوى أو فتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية : ما ألقي فيها من شيء قبلتـه فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك مـن الامر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤونـة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما قـد كنا نأتيه واسـتبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

أي بني ، اني ــ وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي ــ فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني

بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلــك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيلة وتوخيت لــك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت ــ حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق واجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقتبــــل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وان أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويلــــه وشرائع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه ولا أجاوز لك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب الي من اســلامك الى أمر لا آمن عليك به الهلكة ورجوت أن يوفقك الله لرشدك وان يهديــك لقصدك فعهدت اليك وصيتي هذه واعلم يا بني أن أحب ما انت آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بمــا مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون من اهل بيتك فانهم لم يدعــوا أن نظروا لانفسهم كما أنت ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعــلو الخصوصيات وابدأ ــ قبل نظرك في ذلك ــ بالاستعانة بالهك والرغبة اليــه في توفيقك وترك كل شائبة أولجتك في شبه أو أسلمتك الى ضلالة ، فــاذا أيقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك فاجتمع وكان همك في ذلك همــا واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالــب الدين من خبط او خلط والامساك عن ذلك امثل ، فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة وان الخالق هو المميت وان المغني هو المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليــه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد او ما شاء مما لا تعلم فان أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت ومــا

أكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعـد ذلك فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتـك ومنه شفقتك واعلم يا بني ان احدا لم ينبيء عن الله كما أنبأ عنه الرسول صلى الله عليه آله وسلم فارض به رائدا والى النجاة قائدا فاني لم آلـك نصيحة وانك لن تبلغ في النظر لنفسك وان اجتهدت ـ مبلغ نظري لـك . واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد ! كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه أحد ولا يزول أبدا ولم يزل أول قبل الاشياء بلا أولية وآخر بعد الاشيـاء بلا نهاية . عظم عن أن تثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلـك فافعل كما ينبغي لمثلك ان يفعله في صغر خطره وقلة مقدرتـه وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه في طلب طاعته والخشية من عقوبته والشفقة من سخطه، فانه لم يأمرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح.

مـلاحظـات هـامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقـالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن آراء الكتـاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة أو يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفـقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب أو اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحـد فقط ، و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار ، كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

الاسلام ومشكلة الفقر

بقلم : خضر عباس الصالحي

لعل الناحية الاقتصادية أهم مشكلة تواجه الامم والشعوب في حياتها حيث على حلها حلا جذريا يتوقف تطورها الحضاري ، وتقدمها الاجتماعي ، فليس من الانصاف ان تنعم فئة قليلة العدد بخيرات البلد وموارده الطبيعية، وتبقى أغلبية الشعب تئن تحت وطأة الفاقة والحرمان، وتكابد العذاب والمعاناة بسبب العوز المالي الذي يأخذ بتلابيبها ، ويسد في وجهها منافذ العيش الكريم، وينتصب حائلا دون تحقيق متطلباتها الحياتية الضرورية ...

والاسلام دين سماوي ، ودستوره القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى أوحى به الى النبي العربي محمد بن عبد الله (ص)، وقد تضمن مختلف الاحكام الفقهية ، وشتى النواهي والاوامر الالهية ، وقصص الانبياء ، وسن نهجا قويما للاخلاق الفاضلة التي على اسسها يقوم المجتمع الانساني السعيد.. وتعاليمه السامية صالحة لكل زمان ومكان ...!..

ولما كان المجتمع العربي آنذاك مؤلفا من طبقة الاغنياء ، وطبقة الفقراء ، والتي من ضمنها العبيد ، تلك الطبقة الكادحة المسحوقة ... لذا عني الاسلام عناية خاصة بمشكلة الفقر ، وعالجها معالجة موضوعية ، فشرع الزكاة حيث تؤخذ من مال الغني . وبشروط معينة ، وتقدم الى خليفة المسلمين او من يقوم مقامه ليوزعها على المحتاجين ..

وهنا الكثير من الآيات القرآنية التي قرنت الزكاة بالصلاة لاهميتها البالغة في القضاء على حالة الفقر السائدة في الوطن العربي فقد قال تعالى في محكم كتابه العزيز :

(وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا فان اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين).

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة).

(انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة).

(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة)

وقوله على لسان النبي عيسى عليه السلام :

(وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا).

ولم يكن الاسلام نظاما اشتراكيا فهو يحترم الملكية الفردية ، ولا يدعو الى تأميم أملاك الناس ، ولكنه يأبى توسيع هذه الاملاك على حساب تعاسة الآخرين وبؤسهم ... وليس صحيحا ادعاء امير الشعراء احمد شوقي في قوله مادحا الرسول :

الاشتراكيون انت امامهم لولا دعاوى القوم والغلواء

ولكنه اصاب كبد الحقيقة حين قال في القصيدة ذاتها :

داويت متئدا وداووا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء

أنصفت اهل الفقر من اهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء

ان الله تعالى امر بالانفاق ، واوضح الجهة التي يستوجب فيها هذا الانفاق فقال :

(فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدونه وجه الله واولئك هم المفلحون).

وهناك العديد من الآيات القرآنية تدعو الناس الى الانفاق ومنها :

(لينفق ذو سعـــة من سعتـه) .

(الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوه منا ولا اذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

(وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة).

يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيـــع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) .

وقال تعالى عن المؤمنين :

(والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) .

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

(ان الله سيجازي الذين ينفقون اموالهم في سبيله ، وينتشلـــون اخوانهم الفقراء من وهدة الشقاء والاملاق كقوله :

(وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون).

وقال :

(مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم).

وقـــال :

(فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون).

وقـــال :

(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

ان الله حينما يغدق النعم على عبد من عباده انما يجعله مؤتمنا على هذه

النعم ، وعليه ان يصرفها في مواضع الشرعية فلا يكدسها ، او يستغلها لاشباع شهواته وملذاته الآنية لذا قال مخاطبا الذين آمنوا :

(يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه).

وأنذر المتخلفين عن اداء فريضة الانفاق بقوله :

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون).

وقال الرسول محمد «ص»:

من منع قيراطا من الزكاة آلبه الله تعالى على منخريه في نار جهنم .

وهو الذي أحس احساسا عميقا مدى الآثار السيئة التي يتركها الفقر على الناس فقال :

كاد الفقر ان يكون كفرا .

والامام علي عليه السلام وهو ابن عم الرسول، وزوج ابنته البتول، وحامل لوائه في الغزوات والحروب ، وباب مدينته العلمية(١) حينما رأى التفاوت الطبقي ، والتمايز الاقتصادي بين المسلمين قال :

ما جاع فقير الا بما متع به غني والله سائلهم عن ذلك .

وقد أدرك تماما عمق الآلام النفسية التي يتركها الفقر في نفوس ضحاياه الابرياء فقال :

لو كان الفقر رجلا لقتلته .

ولا ريب في ان الزكاة ركن من اركان الاسلام ، وفريضة جعلها الله في مال الغني تؤخذ منه ، وتدفع للفقراء والمساكين ونحوهم ، ولذلك كان

(١) جاء في الحديث النبوي الشريف « انا مدينة العلم وعلي بابها » .

النبي «ص» يبعث عماله الى مختلف الاقاليم ليجمعوا الزكاة ويردوها الى الفقراء...

والزكاة تطهر النفس من داء البخل ، وعبادة المال ، وتجعلها تحس بالرحمة والمواساة والاخاء الحقيقي نحو الفقراء فتتعاطف القلوب، ويزول عنها الحقد والكراهية والقسوة ...!..

بهذه الصيغ والاساليب الجادة والفاعلة عالج الاسلام مشكلة الفقر، فأوجب الزكاة على المسلمين الاغنياء ، ودعاهم الى الانفاق في سبيله ، وان الذين يتوانون في تلبية هذه الدعوة فقد خاطبهم بقوله :

(يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد).

ولما كان الدين الاسلامي خاتم الاديان السماوية لذا جاء كافلا السعادة البشرية ، منقذا الناس مما كانوا عليه من ضلال مبين، آخذا بايديهم من الظلمات الى النور ... فهو دين الانسانية بكاملها ، خالص من أوضار الباطل ، مجرد من أهواء الغواية ، مطهر للنفس من الادران العالقة بها ، هاد الى الايثار والبذل والتضحية ، ساع للاصلاح البشري في فرده ومجتمعه ، داع الى الجهاد لمحاربة الاعداء ، رابط بين الناس جميعا برباط الرحم الانساني ، لا يتهاون مطلقا في مكافحة الظلم والتعسف والارهاب ، ولا يساوم في اداء الفرائض ، ويرفض البدع والشعوذة والدجل، ولذا قال عز وجل في آخر آية أوحى بها الى النبي «ص» وهو يحج حجة الوداع فقرأها على الحجاج الذين التفوا حوله بجموعهم الغفيرة :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا). صدق الله العظيم

بغداد ـ العراق خضر عباس الصالحي

خيطان رفيعان

قصة نفسيّة

بقلم: وحيد الدين بهاء الدين

دلفت (منى) الى غرفتها بالفندق ، فقد ودعتها زميلاتها عند البـاب ، أثر جولة قامت بصحبتهن في المدينة المضببة بالحضارة والتعقد ..

كانت متعبة ، شرد لها بالها ، وتكاسلت اجفانها ، وان بدا عليها مـرح ظاهر وانفرج ثغرها عن ابتسامة معبرة ...

تهالكت على سريرها بعفوية ، تسرح نظرها حواليها ، ملتقطة انفاسها، ومسترجعة صورا متلاشية . ثم بدأت تتهيأ للنوم ، بعد ان نزعت لباسهـا الخارجي ، استعدادا للنهوض باكرا ، والعودة الى وطنها على الطـائرة بنشـاط جم ...

هذه آخر ليلة لها في المدينة ، تزورها للمرة الاولى .. تذكرت انهـا قرأت عن متاحفها واثارها في المجلات العربية والاجنبية ، حتى عرفت عنهـا الشيء الكثير . لكن ما رأته كان ابهج من ما وعته ، وابعد من ما ادركتـه، حتى عظم ذهنها ابعادا وشمورها انشراحا ..

عمدت الى حقيبتها ، ترتب ما بها ، وتحزمها ، ليكون كل شيء على مـا يرام ، لا يدركها الوقت في اقل تقدير . وما برحت بها حتى استعادت في خاطرها شريطا من الحوار اتصل ضحى اليوم بينها وبين زميلتها (درية) :

ـ انظري الى هذا الرجل •• رداء بال •• شعر أشعث ، يعزف كالمجانين على الكمان • لعله يطرب نفسه والمارة عنه مشغولون ؟؟

علقت زميلتها بشيء من الخبث :

ـ بل يطرب الواقفين بالتعبير عن معاناته وهمومه عزفا •• (ومتابعة) :

ـ احسب انك تجهلين السر في ذلك ؟؟

بسذاجة الاطفال الذين يواجهون موقفا ما لاول وهلة :

ـ أي منظر هذا غير مألوف ، وهو يحدث في منتصف الشارع ؟

ـ انها طريقة مبتكرة في الشحاذة • لا يريد هذا الفقير ان يمد لاحد يد الاستعطاف كما يفعل فقراؤنا ، بل يسمع من يشاء ، مقطوعات ، ثم يتناول شيئا من ما يجود كأجر •••

ـ الواقع ، معقولة هذه الطريقة !!

وانبرت لها زميلتها الاخرى (امال)، وهي تعيد بها الى يوم امس ، حين كانتا تجتازان اكبر ميادين المدينة ، وتتبضعان بعض حاجياتهما :

ـ ألست ذاكرة ذلك الكهل وهو يرسم صورا تخطيطية لاصحابها الواقفين عنده ، لقاء ثمن بخس ، ينفحونه به بطيبة خاطر ؟؟

ـ انطبع على صفحة فكري • ولن انساه ما حييت ••

عقبت (درية) وعيناها النجلاوان تبرقان :

ـ كلاهما فنان • يستغلان مواهبهما لاستدرار عطف الناس واستدراجهم

ـ نفس الغاية ، والوسيلة جديدة •

ـ أليس هذا افضل لهما ، ما داما عاجزين او متعاجزين عن طرق الابواب ومد الايدي وقسر الاخرين على غير ما يحبون ويشتهون !!؟

ـ حسن ، وشريف .

عز على (منى) ان يمر بها بطيئا تعاني فيه وحشة لا تطيقها ، ولم تألفها من قبل ، وهي العذراء العديمة التجربة . رأت في فزعها الى المذياع ، وقــد شرعت تدير مفتاحه على اذاعة عربية ، شيئا من السلوى وتزجية لفراغها الثقيل ... المديد .

كانت الاغاني عبر الاثير تخدر احساسها الراكد وتشحذ تعلقها بالحياة وتهمز حرمانها ..

واستسلمت لغيبوبة ، تختلط فيها تصوراتها مع احلامها ، في حين كانــت الطبيعة في الخارج خرساء ذات نسمات رخية ، تشيع في جوف الليل سكوتاً أعمق ، وغموضا اشد ..

دق جرس الهاتف ، وكان الى جانبها على الطاولة الصغيرة ..

اذا بزميلتها (امال) تقتحم عليها اسوارها وتخرق صمتها :

ـ ماذا تعملين ؟؟

ـ استمع الى اذاعة عربية .

ـ هكذا يستبد بك الشوق والحنين في الغربة ؟ ؟

ـ وهل لي غيرهمــا ؟؟

ـ لعلك منسجمة مع احدى الاغاني ؟؟

ـ كيف عرفت ؟ هو حدس . آليس كذلك ؟؟

باتفعال ينم على الود :

ـ كيف لا اعرف وانت زميلتي القديمة ، لا تفوتني اهتماماتك ..

ـ وانت اي شيء يشغلك ، والليل يطوينا ؟؟

ـ فتحت الاذاعة المرئية ثم اقفلتها •• برامج غريبة ، غير مستساغة • لغة لا اعرفها اصلا !!

ـ هذا هو المناخ هنا •

ـ اين هو من مناخنا ؟؟

ـ مناخنا عربي •• وهنا اوروبي ، يتأثر بمادية الحضارة ويتفاعل مع مفارقاتها وتناقضاتها •

ـ ألا ترين ان لكل مناخ ما له وما عليه ؟؟

ـ صحيح • ولكن مهما يكن فان مناخنا الحضاري احسن • سكنا اليه بعد ان عرفنا سره وجماله ، وهو يلائم عيشنا وطبائعنا ••

ـ اما حزمت حقيبتك ؟؟

بثقـــة :

ـ كل ما لـدي معد ••

ـ غدا في مثل هذا الوقت نكون هناك ؟

ـ ان شاء الله • ونعانق ديارنا واهلنا ••

ـ الى لقاء قريب ••

ـ صباحا • ان شاء الله ••

★ ★ ★

بتباطوء اندست في فراشها العريض • كل ما يحدق بها ساكن • يدعوها الى الاطمئنان •• الى النوم الهنيء •• ان هو الا حين حتى أسرعت يدهـــا تطفيء النور • باتت في الظلام تغالب وحدتها ، الا من دفقة من ضوء القمر ، تضطرب من خلال النافذة المطلة على حديقة الفندق ••

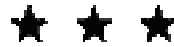
وتعابثت بها الاطياف .. عازف الكمان وهو يسر بقوسه على الاوتـار. ذلك الشارع الطويل ضجة لا تهدأ .. ويتدثر بالوان الحب والشوق.تجددت مواقف وترادفت ذكريات عبر الذهن المنهك ، الى ان وجدت نفسها لا تنام.. بالاحرى لا تريد ان تنام .. لا تستطيع اليه سبيلا ..

كانت حيرة تعجز . تمطت مكرهة في مكانها الدافيء .. تثاءبت،وحاولت أن تغمض اجفانها لعلها تنجدها .

فاذا بها تنتفض كالملدوغة .. طالعتها الساعة مشيرة الى الثانية عشرة. مرة اخرى تصدمها رهبة الليل ، وقد انتصف !!

الزمن هامد لا يتحرك ..

الاذاعة المرئية الى يمينها ، لماذا لا تعالجها ولو لاول مرة منذ هبوطهـا الفندق . علام لا تبدد بها قلقها وارقها ؟؟ انها خير رفيقة لها في ليلة تكـاد تتكأ بها على الظلام ..



كان هناك رواية تعرض وتتوغل حوادثها في صميم العقدة ، وتقـارب النهاية بتدرج فني..

حدقت (منى) في هذا الذي جعل يتتابع على الشاشة البيضاء . باديء بدء اشـاحت عنه متأففة ، وحاولت ان تقفل الجهاز لاعنة لحظتها الشعورية الانية ، مكتفية بمدارة نفسها وحملها على النوم ...

هاتف اهاب بها : ان تجمد .. والا تريم !!!

صارت مقسورة على تعقب الرواية . وهي تتخذ وقفات متباينـة كما تقضي طبيعة الفن .. وتتلون كل آن بحركات توائمها وتسايرها ..

والتحمت معها بعض الشيء .. ما لبثت ان انشدت اليها عنوة . حـتى

غلبها سلطانها . واذا بالنوم يجفوها ، ومكابدة الوحدة تزايلها . لكن مـــا يتجسد دونها لم تشهده من قبل . لا في خيالها ولا في واقعها ..

ورجعت بها عبارات زميلتها على اسلاك الهاتف قبل ساعات ، الى الوراء:

ـ مناخنا ومناخهم . (وفي قرارها):

ـ هذه هي الاعجوبة !!

(وانتصبت البطلة امام المرآة بخيلاء . كانت رائعة .. ناضجة حقـاً . لا تشكو عيبا . جسد صيغ من البلور ، يلتصق به ثوب شفاف يزيده اشتهاء واغواء . اضواء الغرفة منبسطة ، تخطف البصر ، وتتحسس كل نأمة فيها ...

خاطبت نفسها ، ترن ضحكتها :

ـ هل هناك من تتحداني ؟؟؟

ـ انا اتحداك .

كان البطل يتظاهر بالرزانة .. اماراته تشف عن تمرد عاصف .

ـ . . . .. .

ـ انها ارادة الوجود .

ألقت عليه نظرة شاردة واكتفت .. ولم تحرك ساكنا ...!!

ـ . . . .. .

ـ نعم انا الذي اتحداك . (ومستمرا) :

ـ واصرعك ..؟؟

ـ هكذا ؟؟

ـ ألسنا جنسين متممين . وجد الواحد منا للاخر ؟؟

ـ كذلك ما تقول ٠ لكن هذا لا يحمل معنى التحدي بقدر ما يحمـل معنى التجاوب ؟؟

غير مبال اقترب منها ، حتى اوشك انيلتصق بها ٠٠

وما برحت البطلة امام المرآة واقفة بزهو ٠٠

رفع يسراها برباطة جأش على كتفه ، وطوق خصرها النحيل برشـاقة، واغرق عينيه في خضرة متناهية الحدود ٠٠

ـ على مهلك ٠٠٠

أطبق فمه على ثغرها لا يرتوي منه ٠٠ فارت أحاسيسه وتلونت ٠٠٠

كانت تنظر مستسلمة ولا تنبس ٠٠

ما تراه (مني) حقيقة لا تغيب ٠٠ طالما طمست بين ركام من المظهـر الزائف ٠ ندت عنها آهة خفية ، علا لها شهيقها ٠ خواطرها تنثال ٠٠ تلتهـب، واذا هي على سجيتها تذوب ٠٠٠

خطا بها البطل نحو السرير الخشبي الانيق وهو يقول :

ـ يالك من غانية تضمرين القدرة على الاغراء٠٠

واستحالت تائهة لا تبين ٠٠٠

ـ هذا قدرنا ٠٠ أليس كذلك ؟؟

ابتسمت ، مسمرة عينيها في الحائط وقد زينته لوحة (الطبيعـة) لفان كـوخ ٠٠

وما عتم أن اشعل البطل المصباح الازرق الذي الى مقربة منها :

ـ ولا منجاة لنا من قدرنا !!

انبرت متسائلة من غير مناسبة :

ـ وهل تحبني !!؟؟

ـ ألست جديرة بحبي ؟؟

ـ هذا ما يجب ان تقوله انت لا انا .

يقصد :

ـ احبك واريدك ..

وغيرت المجرى الى غيره :

ـ كانت اختي تحب عشيقها بوحشية ..

ـ الحب سيد المواقف في حياة الانسان ..

ردت متغابية ومستفهمة ايضا :

ـ وكان الانسان قديما يمارسه ؟؟

ـ بالضرورة . منذ الازل وسيظل حتى الابد ..

وتتململ في جلستها على حافة السرير . تدير رأسها نحو الوسادة بتلقائية .. ثم تأخذ سمتها ... شفتان مطبقتان .. مكتنزتان . عيناها خضراوان طافيتان فوق بحر من الزبد . وجه ابيض تشوبه حمرة فاتحة .. يذكرك ثوبها باوراق الورد في الخريف . شعرها التائه .. الصارخ على كتفيها يشبه الكستناء ..

(قالت (منى) في ذات نفسها : هكذا كوني .. ما دمت موجودة . تبدد الوهم . لتعش لحظة مقتطعة من الحياة .. لذة الوجود . لحظات تأتي وتزول .. كالدخان !! ظاهرة ، سعادة لا تتكرر ..)

وسكن الليل بعمق .. وانكمشت الحديقة بيلادة..عقربا الساعة ينطقان بالثالثة .. لا يتناهى الا انسياب المياه هادئا .. رائقا يذيع الخدر .. القمر يكتسي قمم الاشجار وافاق الطبيعة بشعاع نوراني .

مرت برهة .. وقال :

ــ اراك ساهمة ؟؟

ــ لا ادري ..؟

سرعان ما ضمها الى صدره ، كمن اخذها بغتة .. ينثر قبلاته في فمها.. في صدرها . ويمر براحته على مفاتنها .. ويشد عينيه في عينيها ..

بـــدلال :

ــ كيف اتركك .. وهذا قدرنا .

همزها شيطان التذكر .. (سمعت كلاما كهذا قبل الان ..).

ــ . . . . . .

وتلقاها بين يديه ، تتراءى به الصور والمشاعر بعيدا ..

تاهب (منى) في عنفوان الحدث .. استغرقت في عالم لا مهرب منه.. خيل اليها انها تتقمص شخصية البطلة ، يحركها الموقف . توترت كل خليـة فيها . اشتعلت سادرة . تتخبط .. راحت في تيه منقادة .. بينما الستـائر الحمراء المختلجة على النوافذ تهيجها . نفثات القمر المتساقطة تنير لها الدرب الوعر ، وتفني في قرارة الحرمان ..

(وبدأت الرحلة ...

كانت تجربة هادئة .. لكن مشتهاة .

ومضات الحياة تمتزج بعبير الروح . الخيال والواقع متآلفان في لحظـة من التوهج العفوي . حلم يتحقق . وتجمد الزمان والمكان عند الذروة ... دونهما تمزق الظلام بحرا من النهار .. ويضمحل القمر خجلا ويتوارى .. نبع الوجود يتسامى بهما . يزيدهما رشفات .. يحيلهما هائمين لا يعيـان..

لا يصحوان حتى لتكاد تحسب ان الارض والسماء قد تعانقتا على احر من الجمر .. انه المرفأ .. النهاية ..) ..

★ ★ ★

افاقت (منى) من غيبوبتها مذعورة ..

فقد تضعضعت في سريرها خائرة .. وازاحت عنها الغطاء ...

ثم تزحزحت عنه قليلا .. فاذا جسدها يتفصد عرقا ،قلبها يسرع دقا .. يتشبث باللاشيء .. داخلها يتمزق لهيبا ...

كان هنالك خيطان رفيعان من الدم يسيلان .

وحيد الدين بهاء الدين

● كتب المنصور العباسي الى جعفر الصادق يقول : لم لا تزورنا كما يزورنا الناس ؟ فاجابه ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ولا عندك من الاخرة ما نرجوك له ، ولا انت في نعمة فنهنئك بها ، ولا في نقمة فنعزيك . فكتب اليه المنصور : تصحبنا لتنصحنا . فكتب اليه الصادق : من يطلب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

★ ★ ★

● قال الجاحظ كنت جالسا عند احد الوراقين ببغداد فاقترب مني ابو العباس احمد بن يحيى وكان من ائمة النحو في عصره فسألني : الظبي معرفة او نكرة يا جاحظ ؟ فقلت : ان كان مشويا على المائدة فمعرفة ، وان كان في الصحراء فهو نكرة فقال ابو العباس ما في الدنيا اعرف منك بالنحو .

صفحة من التاريخ المنسي

فصاحة الاعرابية حملت الخليفة على الزواج منهـا ...

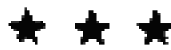


حكى البحتري قال : كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر ، فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فأطلق عنـان جواده وكان على سابق من الخيل ، فأشرف على ماء من الفرات ، واذا بجارية عربية خماسية القد ، قاعدة النهد ، كأنها القمر ليلة تمامه ، وبيدها قربـة املأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر ، فانحل وكاؤهـا فصاحت برفيع صوتها : يا أبت !! ادرك فاها ، فقد غلبني فوها ، ولا طاقـة لي بفيها ، فعجب المأمون من فصاحتها ، ورمت الجارية القربة من يدها ، فقال لها : يا جارية ، من أي العرب انت ؟ قالت : انا من بني كلاب ، قال : ومـا حملك ان تكوني من الكلاب ؟! قالت والله لست من الكلاب ، وانما انا من قوم كرام ، غير لئام ، يقرون الضيف ، ويضربون بالسيف ، ثم قالت : يـا فتى •• من اي الناس انت ؟ قال : او عندك علم بالانساب ؟ قالت : نعم ! قال : انا من مضر الحمراء، قالت : من اي مضر ؟ قال : من اكرمها نسبـا، واعظمها حسبا ، وخيرها اما وابنا ، من تهابه مضر كلها ، قالـت : اظنك مـن كنانة • قال : انا من كنانة • قالت : فمن اي كنانة ؟ قال : من اكرمها مولـدا، واشرفها محتدا ، واطولها في المكرمات يدا ، من تهابه كنانة وتخـافه • قالت: اذن أنت من قريش • قال : انا من قريش • قالت : من اي قريش انت ؟ قال: من أجملها ذكرا ، واعظمها فخرا ، من تهابه قريش كلها وتخشـاه ، قالت : انت اذن والله من بني هاشم • قال : انا من بني هاشم • قالت : من اي بني

هاشم ؟ قال : من اعلاها منزلة ، واشرفها قبيلة ، من تهابه هاشم وتخافه ، قال : فعندئذ قبلت الارض وقالت : السلام عليك يا امير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين . فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال : والله لاتزوجن بهذه الجارية ، لانها من اكبر الغنائم ، ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزلنا هناك وانفذ خلف ابيها وخطبها منه فتزوجها .. واخذها وعاد مسرورا ، وهي والدة ولده العباس .

افحمتهم المراة

بنى بعض اكابر البصرة دارا ، وكان في جواره بيت لعجوز يساوي عشرين دينارا ، وكان محتاجا اليه في تربيع الدار فبذل فيه مائتي دينار فلم تبعه فقيل لها ان القاضي يحجر عليك لسفاهتك حيث ضيعت مائتي دينار لما يساوي عشرين دينارا ، فقالت : لم لا يحجر على من يشتري بمائتين ما يساوي عشرين دينارا ، فأفحمتهم . وترك القاضي البيت في يدها حتى ماتت .



زهد في متاع الحياة

قال سويد بن غفلة : دخلت على امير المؤمنين علي بن ابي طالب بعد ان بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير وليس في البيت غيره ، فقلت :

يا أمير المؤمنين بيدك المال ولست ارى في بيتك شيئا مما يحتاج اليه البيت .

فقال يا بن غفلة ، ان البيت لا يتأثث في دار النقلة ، ولنا دار نقلنا اليها خير متاعنا ، وانا عن قليل اليها صائرون .

اشراقة

شعر : سلمان هادي الطعمة

اسكبي العطر مثل دفق الضياء انت سحر يمور بالاشذاء
اي يوم فيه تبلج فجر وسرى النور في حشا الظلماء
اشرقي كالشمس في قلبي الداجي ولا تشعلي اللظى في دمائي
انت في روضتي كباقات ورد تنثر الحسن كالسنى الوضاء
جن بي الشوق فاتركيني ـ مني الروح اناجيك في الضحى والمساء
واستفاقت نفسي على الشفة السكرى لتروي عن ذكريات لقاء
كم اناغي الفجر الطروب فتهفو شهقة النور في الربوع الظماء ؟
واطل الصباح ينثر اطيابا على الكون عابق الانداء
بين عينيك يسمر النجم ولهان ويغفو بنشوة علراء
انت احلى من السنى في عيوني يتراءى كهالة من بهاء

★ ★ ★

زفرات الشجون هاجت بصدري وغدت نفسي الكئيبة حيرى
كيف اسلو والليل تنهل فيه ذكريات تبوح دلا وسحرا
وغدا ان ابث شكواي للفجر ونار الهوى تؤجج جمرا
المح الحسن كالصبابة كالانسام فوق المروج تخطر سكرى
امس كنا في حيرة نعبر العمر خيالا لذنا وحلما اغرا
اسقنيها كاسا شهيا فاني انتشي من جمال عينيك خمرا

كربلاء ـ العراق سلمان هادي الطعمه

يا نسيم الفجر

شعر : علي محمد الحائري

كم خيال هجت في قلب المشوق عند مسراك نسيم السحر
ولكم من ثغرك الحاني الشفوق قد تنشقت اريج الزهر

ثم دجى الافق وكم مات الضياء
وتوارى الكون في الليل البهيم
كم بدا الحزن على وجه السماء
ينشر الرهبة في دنيا الغيوم
حين لا صوت سوى لفظ الفناء
ينذر العالم بالخطب الجسيم

غير اني كلما جن الدجى وبدا منه سواد الطرر
افقد الوعي حبورا والحجى واوافي النجم خدن السهر

انا سحر فيك يا فجر فلي
نشوة عندك تسليني العنا
ورؤى لتشمل طرفي من على
فتوافيه باحلام المنى
ومدام هي تروي غللي
فيضج الشوق في لحن الغنا

أيـــه يا ســاقي الهوى در بالطلــي   في كؤوس الاقحـــوان العطر
وذر العـــاشق يغــدو ثملا   يتملــى في محيــــا القمـــر

شــــاعر فلـــل اصفـاد الحياه
وغــدا يبحـث عن سر الخـــلود
هــاله اشبـاح بـــؤس جاثمـات
فهو نـد الحزن، صالي الحسرات
ظـاهر الطبرة ، مجروح الكبـــود

غـــير شوق قاده نحو الجمال   قـــد تصبــاه بوادي العمر
وتغشـــاه خضم من خيـــال   صـاخـب المــوج ولم ينحسـر

كربلاء ـ العراق   علي محمد الحـائري

ســهم الجــود

دخل اعرابي على الفضل بن يحيى وسأله ان يجود عليه بقليل من المال ، فاقترح احد الحاضرين ان يأخذ الفضل سهما من كنانته ، ويركبه في كبد قوسه، ويومىء الى الاعرابي ايماه ، فان رد على نفسه ببيت من الشعر فقد استحـق العطاء. والا فان العطاء لم يصادف محله . فوافق الفضل على ذلك الاقتراح. وبالفعل بادر الى السهم وركبه في قوسه ، واوما به الى الاعرابي قائلا ردسهمي ببيت من الشعر فأنشد الاعرابي :

لقوسك قوس الجود والوفر والندى   وسهمك سهم العز فارم بها فقـري

فيض الحب

شعر : عبد الستار محسن الجواد

حسدوني لما راوني افيض عن شعور ينساب منه القريض
أترى الفكر قد تدفق وحيا فاستجابت اليك فيه العروض؟
أم عيون فاضت عذابا فكانت طوفانا من منبع لا يغيض ؟
فتغنيت بالمعاني توالت شدوا فيه للنفس عن هوى ترويض
رحت تسجي الى النفوس اناشيد تسلى بها معنى مريض
أم ترى اشتقت في الطبيعة في رحاب بالامنيات يفيض
قلت ماذا غير الذي قلت اني لمعنى بحب من لا تثيض
نذرت في حبها واستقلت في طريق ناى بها التعريض
تركتني غداة ضنت بوصل في بحار من الخيال اخوض
وعذاب الجفاء اصبح عذبا في وصال قد ناله التحريض
صور في مشاعري رسمتها اسيات يشع منها وميض
برزت تلبس الوشاح عروسا زفها الشوق زانها التقريض
تلثم الورد والرياحين في الروض ورقص الشفاه منها فروض
رصعتها الالفاظ فانتظمت في اغنيات شدا بهن (القريض)
هل ترى ان فكرة داعبتني في خلاء بالنفس عنها أروض؟

ام اذا ما الخطوب يوما توالت من حياتي يصدني التعويض ؟
انا من يا ترى اذا لم تثرني في حياتي بساطة او غموض
انا انسانها الذي وشحته بارقات من الاماني بيض
اسلك الدرب في الحياة بعزم لا ابالي اضيق ام عريض
زاحمتني خواطر ايقظتها ذكريات زهت بهن العروض
شهر نيسان في الطبيعة شهر لربيع به العيون تفيض
ثاني اثنين اذ هما يكسوان الارض وشيا على الحسان عروض
كان آذار قبله يتغنى وبه بعد مايس يستريض
ذاك فيض الربيع تنساب منه في بحور من القريض فيوض

كربلاء ـ العراق عبد الستار محسن الجواد

نباهة شاب

بعث السلطان محمود الغزنوي كتابا الى الخليفة القادر بالله يتهدده بخراب بغداد ، وان يحمل تراب بغداد على الفيلة الى غزنة . فبعث اليه برسالة فيها كلمة « ألم » وليس سوى ذلك ، فتحير السلطان وعلماؤه في حل الرمز وجمعوا كل سورة في القرآن في أولها « الم » فلم يهتدوا الى الجواب المناسب . وكان في جملة كتاب السلطان شاب لم يعبأ به . فاستأذن بحل الرمز ، فأذن له . فقال : ألم تهدده بالفيلة قال : نعم . قال : فكتب اليك ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . فاستحسن السلطان جوابه وقربه .

اخـي صبراً

مهداة الى الصـديق العزيز الاديب النابه سـالم الآلوسـي

شعر : خضر عباس الصالحي

اخي صبرا على محن الزمـان عهدتك صامدا ثبت الجنـان
وليس تسومه الاحداث خسفـا سوى رجل دعي أو جبـان
وانك في قراع الهـم فـذ أبيـت العيش في ظل الهوان
وانك في تحدي الهول ليـث شجـاع غير مجهول المكـان
اذا جارت عليك خطوب دهـر تقابلهـا بروح غـير وانـي
وتلقـى النائبات بكل بـأس شديد غير مهزوز الكيـان
وتشمخ في الاسى طـودا اشما وعند الروع لم ترضخ لجاني
وليس ينـال منك اليـاس يومـا اذا تسعى لتحقيق الامـانـي

★ ★ ★

أ « سـالم » يا جميل الخلق دوما ويا جم الوفـا ، عف اللسان
ويا حلو التحدث في النـوادي كأن اللفـظ ، لفظك من جمـان
ملكت نواصي الادب المجلـي وحزت الفخر في سحر البيـان
وانـك يا حبيب الناس طـرا بمـا مارسـت من قيم حسـان

لرزئك انني رتلـت شـعرا خضيـل الدمع ، مشبوب الحنـان
تخضبـه دمـاه من جراحـي وتطفح فيه انـات الكمـان
وكنت اروم ترديـد النجاوي موشـاة بابكـار المعـاني
واصـدح بالاناشيد السكـارى وامرح هائمـا بين المغـاني
اليـك ازف انغامـا نشـاوى مضمخـة باشـذاء التهـاني
وبت الشاعر المحزون ابـدو كئيـب النفـس ، مخنوق الاغاني
ولكنـي رايت الصبر اجـدى فكم هم تلاشى كـالدخـان
وان الصبر في الجلـى سـلاح رهيب الوقع في يـوم الطعـان
وليس بذلـل النكبـات الا فتى اضحى ولوعـا بالتفانـي

بغداد ـ العراق خضر عباس الصالحي

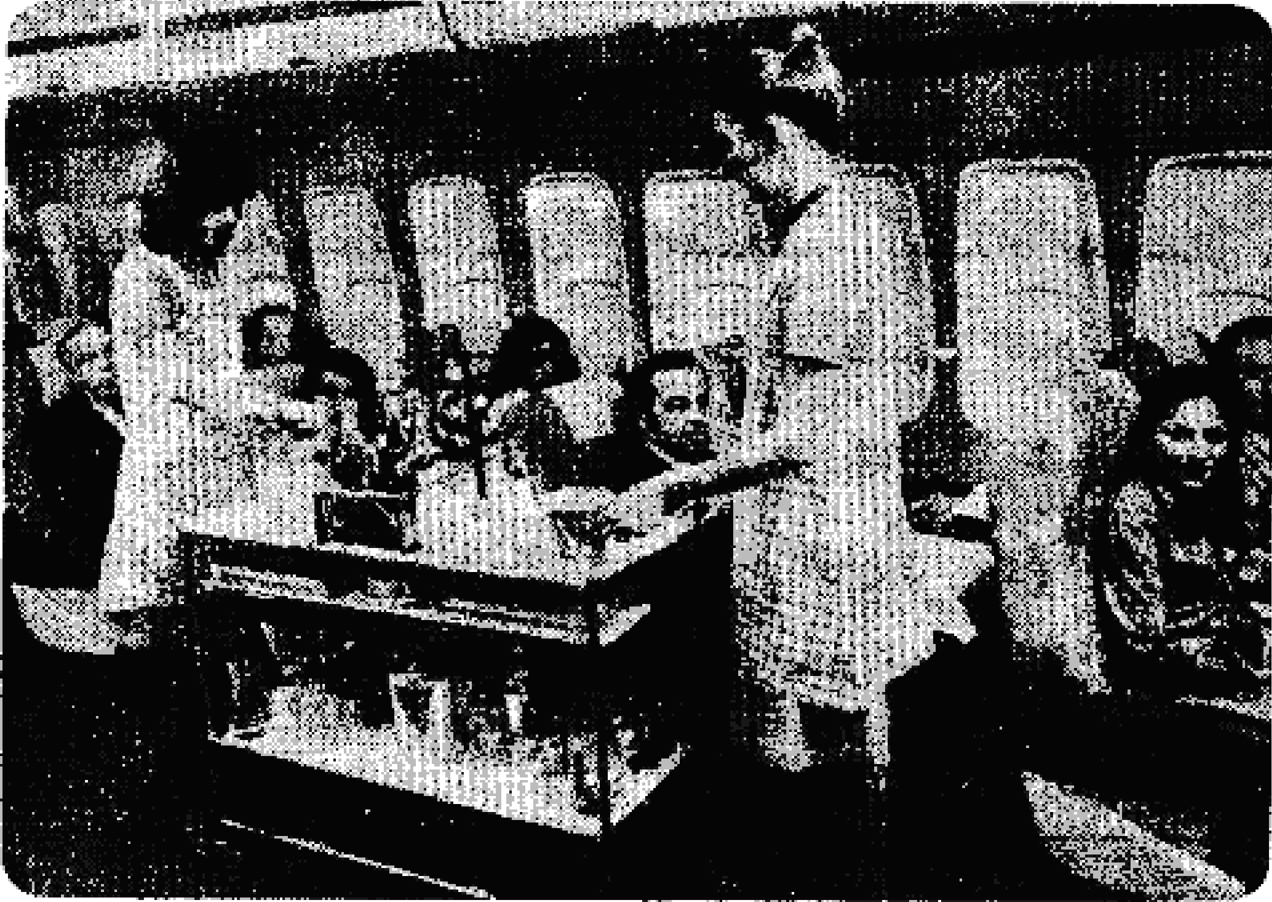
الصبي والملكة

كان بين ونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل ، وبين برتراند راسل فيلسوف بريطانيا الشهير ، حب مفقود ، لاسباب واضحة تكمن في نظرة كل من الرجلين الى الحياة نفسها ، فالاول رجل سياسة ، والثاني رجل سلام وهب حياته لخير البشرية وامنها .

الا ان هذا العداء ، لم يمنع سير ونستون من ان يعترف بذكاء صديقه اللدود برتراند راسل وجرأته حتى انه قال يوما : « ان عبقرية راسل ولدت معه ، فهي لم تكن صفة اكتسبها بفضل تعليمه ودراساته وابحاثه ..

روى تشرشل يوما لاصدقائه قصة ذلك اللقاء الغريب الذي تم بين راسل الصغير والملكة فيكتوريا ملكة الانكليز ، وكان برتراند يومها صبيا صغيرا لم يتجاوز العام التاسع من عمره ..

خبرة ٣٠٠٠ عام
تدعم حسن تدريب مضيفاتنا



الضيافة اللبنانية المشهورة التي ذاعت في آفاق العالم تبلغ هذا الشوط البعيد الأبعد ٣٠٠٠ عام من المحافظة على التقاليد العريقة والتهذيب في العادات والأخلاق فمن أول معاني هذه الضيافة الترحيب الحار الذي يلقاه المسافر على متن طائراتنا، ثم وجبات الطعام التي تقدم إليه ساخنة حتى في الرحلات القصيرة المسافة. ويتجلى حسن هذه الضيافة في الأطباق الخزفية التي يقدم فيها الطعام، وأيضاً في أنواع المشروبات التي تقدم مجاناً لركاب الدرجة الأولى. ومن معاني هذه الضيافة تهيئة الفرصة للمسافرين لشراء الهدايا على متن الطائرة معفاة من الرسوم (أكثر من ١٢٠ صنفاً معروضاً للبيع). على أن ضيافتنا تعني قبل كل شيء توفير الراحة والعناية والخدمة الشخصية التي اشتهرت شركتنا بتقديمها لركابها.

لقد قضينا ٣٠٠٠ عام في إتقان هذه الخدمة.



MEA

طيران الشرق الأوسط الخطوط الجوية اللبنانية

ابواب العرفان

آراء الناس ومشاكلهم

لكي تبقى منشرحا

* لا تظن ان الناس لا يحبونك .

ـ اعترف ان اكثرية الناس مرهقة اكثر مما يلزم باعمالها اليومية ، ومع ذلك فانها لا تهتم بذلك .

كن مسرورا ، متعاونا ومسعفا ، لتجد انك تعيش سعيدا .

* لا تدم التفكير بالاشياء السيئة التي يمكن ان تحدث لك مستقبلا، ولا بالاناس الذين يمكن ان يؤذوك .

* تذكر ان في الحياة الحلو والمر ، وان كلا منهما جانب من جوانب الحياة ، وعود نفسك التحسس بكل ما يبهج ويروح عن النفس .

وعندما تلتقي بالآخرين ، فتش فيهم عن الاشياء التي تحب ، لان لكل انسان محاسنه ومساوئه .

* لا تعتقد ان كل من تلقي يجب ان يبادهك بالحديث دائما ، فخذ انت المبادهة احيانا .

* تذكر انك تستطيع ان تستمتع كثيرا بالحياة ، لمجرد تشجيعك الآخرين على التحدث اليك . فكن لذلك مفتوح الوجه ، واذا ما لقيت الاخرين فابتسم او بادرهم بالتحية ، لان مجرد ذلك قد يساعدك على ان

تأخذ من الاخرين افضل ما عندهم •

❋ لا تعتقد انك انت وحدك على حق دائما •

❋ تذكر اننا كلنا بشر ، وان الخطيئة من طبيعة تركيبنا ، ولهذا نبدو احيانا مضحكين •

اما اذا تمسكت تمسكا قويا بمستلزمات الحفاظ على الكرامة ، واصررت على شدة تحسسك بها ، فان ذلك سيحيل حياتك الى توتر مزعج ويضر باعمالك • لهذا ننصحك ان تراقب نفسك احيانا ، وان تضحك بنفسك على بعض تزمتاتك •

❋ لا تظن لحظة اننا نستطيع دوما ان نحصل على كل ما نريد بسهولة•

❋ اذكر ان حياتك لن تكون مسرة اذا لم تتخلص من ذلك ، واذكر كذلك ان المصاعب تتضاءل اذا ما قابلتها بتوتر اقل ، وانك بعد ان بلغت سن الرشد يجب ان تدرك ان النجاح والفشل ، والصعود والهبوط ، كلها من خصائص الحياة ، ويجب ان تتقبلها بابتسامة •

❋ لكي تبقى منشرحا ، فانك بحاجة الى حس النسبة نحو مخاطبك ونحو اهميته ، وان تعود نفسك لكي تكون من ذوي الامزجة المرحة •

تغلب على القلق

عندما تجد نفسك في لحظات ضعف ، وقد تغلب عليك القلق ، جرب ان تقول لنفسك بشكل حاسم ما يأتي :

❋ ابدأ نهاري وانا مقتنع ان حياتي بيد الله •

❋ قررت ان اعيش يومي ، من غير ان افكر بالامس ولا بالغد ، لان ما مضى فات ، والمستقبل غيب ، ولي الساعة التي انا فيها •

* صممت على ان اواجه يومي بمعالجة ما اقدر على علاجه ، وترك ما لااستطيع علاجا له الى الغد ، لان الزمن حلال المشاكل •

* سأمضي اليوم عشر دقائق على الاقل في الاسترخاء والراحة التامين، واتخيل اني مستريح فوق سحابة من السلام تلف الكون •

* سأتقبل كل حال يدخل البهجة على نفسي ويزيد من انتعاشـــي وســروري •

* اذا ما واجهت اي امر يخيفني ، فاني سأطفو فوقه بالبهجة النفسية•

* سأذكر نفسي دوما بضرورة الشكر والحمد ، لاني استطعت ان أعيش واظفر •

قرر ... تنجح !..

جاء في الرسالة التي يوجهها المصرف الملكي الكندي لزبائنه ما يلي :

لكي تتخذ قرارا او اكثر ، فان ذلك يقتضيك الشجاعة • وكل رجــال الاعمال الناجحين يتصفون بانهم اشخاص استطاعوا ان يحزموا امرهم ويقرروا امورا لو واجهها غيرهم من ذوي لتفكير الضعيف لشلت قدرتهم على التفكير•

ان سر قوتهم كامن في قدرتهم على أخذ المبادهات المرتكزة الى المعرفـة والخبرة والوسائل والاهداف ، ارتكازه الى استعدادهم لتحمل مسؤوليات قراراتهم واعمالهم •

انظر الى الافضــــل

اذا جعلك مظهرك تفكر انك قليل الشأن ، فانت قليل الشأن حقا • واذا جعلك تفكر بانك صغير ، فانت صغير صدقا •

لهذا انظر الى احسن ما فيك ، لكي تكون على أحسن حال فكرا وعملا .

(من كتاب سحر التفكير بالامور العظيمة).

لكي تتغلب على المصاعب

قل لنفسك دائما : « هناك وسيلة للتغلب على هذه المشكلة »، لان افكارنا كالمغنطيس ، فبمجرد ان تقول لانفسنا : « هذه مشكلة عويصة لا يمكن ان تتغلب عليها »، فان هذا القول يؤثر فينا ، ويزيد من وقوعنا في الورطة ، لانه يدغدغ مخاوفنا ويقويها .

اما عندما تقول لانفسنا : « هناك وسيلة للتغلب على هذه المشكلة » فان مجرد قولنا هذا يحرك في عقولنا القدرة على الابداع ، ويزيدنا ثقة بانفسنا ، وهو الشيء المطلوب للتغلب عادة على الصعاب جميعا .

(من كتاب : سحر التفكير بالامور العظيمة).

السعادة

اذا سألك سائل : « هل انت سعيد ؟... »، فلا تفكر قبل الاجابة بما امامك من اعمال عليك انجازها ، ولا بالسندات المستحقة التي عليك دفعها ، ولا بمذكرات الانذار التي عليك ان تجيب عليها ... ولكن فكر بالاعمال التي أنجزتها .

ان الانسان يكون اسعد اذا فكر بما انجز ، لا اذا فكر بما عليه ان ينجز .

(من الرسالة الشهرية التي يوجهها البنك الملكي الكندي لزبائنه).



مختارات من الحكم والخلق والبلاغة

ـ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى . والله غني حليم .

ـ الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منـــا ولا آذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ـ يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر .

قرآن كريم

ـ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : المنان بما اعطى ، والمسبل ازاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب .

حديث شريف

ـ الريش الجميل ليس كافيا ليصنع طائرا جميلا . (ايسوب)

ـ نحن ننسى لاننا نحتاج للنسيان ، لا لاننا نريده . (جورج ارنولد)

ـ كل الالوان .. تتشابه في الظلام . (فرانس)

ـ الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأي ، ونشر كل مذهب وترويـــج كـــل فكر . (قاسم أمين)

ـ الشاعر الذي لا تعرفه من شعره لا يستحق ان يعرف .

(عباس محمود العقاد)

ـ تسلية الانسان نفسه اولى له وأنفع من الانقباض والغم .

(ديـــوجـــين)

ـ تأخرت استبقي الحياة فلم اجد لنفسي حياة غير ان أتقدمـــــا

(مكس مولر)

ـ اذا لزم النقد ، فلا يكون الباعث عليه الحقد ، ولكن موجـــها الى الآراء بالتمحيص لا الى الاشخاص بالتنقيص •

(محمد البشير الابراهيمي)

ـ حسبما تهيىء فراشك يكن رقادك •

(مثل روســـي)

ـ الامبراطورية التي تقوم على الحرب ، تعيش بالحرب •

(مونتسيكـــو)

ـ كل الافكار الجديدة يشتبه فيها ، ثم تقاوم ، لا لسبب الا لانهـــا لم تصبح بعد عادية • (جون لوك)

ـ الحب •• نحلة تزن في القلب • (توماس لودج)

ـ السلام لا يتجزأ • (لتفينوف)

ـ لن اعدل شيئا في اقتناعي بان الناس في كل مكان يمكن ان يكونوا احرارا •

لنكولن

ـ الانسان الذي لا يفقد عقله امام الاغراء •• ليس لديه ما يفقده •

ليسنج

ـ الانسان •• حيوان مدمر !

ناثانلي لي

ـ الناس نوعان : نوع ينظر الى الطين ونوع ينظر الى النجوم •

فريدريك لانجبريدج

وإذا الصحف نشرت

صفـة الانسان الكامل في تراثـنا العربي

كما يحدث عنه من اسلافنا :

ابن مسكويه ، والغزالي ، والرا زي ، والجاحظ

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمـود

الكاتب الصادق مع نفسه ، المدرك للامانة التي يحملها ، اصالة عـن نفسه ونيابة عن سواه ، لا يكتب للتسرية ، ولا لملء الفراغ الورقي في صحائف الكتب والمجلات ، وانما يكتب لامر كأن يكشف عن الحق في الموضوع الذي تصدى للكتابة عنه ، وعندئذ تجيء كتابته ــ في الاغلب الاعـــم ــ كالمرآة الكاشفة لما يتبلج في نفوس الناس ، وما تعج به حياتهم في عصره ، فكأنمـا هو يكتب لمعاصريه وللاجيال القادمة وثيقة يرجعون اليها لينظروا كيف كانت الحياة في ذلك العصر وقد ضاقت بما تراه الاعين وبما تسمعه الاذان ، فيترك هذا كله ، لا يمسه بكلمة واحدة ، ويأخذ في بناء حياة مثلى ليقوم فيها مجتمع أمثل ، فهو ــ بما يكتبه ــ يضع امام الناس القدوة والنموذج ، تاركا لـــهم ان يقارنوا ما هم فيه بما كان ينبغي ان يكونوا عليه ، لعل الهوة العميقـــة بين الواقع والمثال ، تهولهم فتحفزهم الى ان يبدلوا من حياتهم حالا بحال .

بل ان الامر كثيرا ما يختلط علينا اذ نقرأ لاسلافنا ما كتبوا ، فنسأل: ترى هل كانوا يرسمون بأقلامهم صورة معاصريهم ، او انها صورة رسمت لتصلح في المعاصرين فسادا ؟ ترى هل حاكوا الواقع او تصوروا المثال ؟ وايا ما كان شأن الاسلاف الكاتبين ، حينما كتبوا عن الانسان كيف كان او كيف ينبغي له ان يكون ، فهأنذا امام تحليلات هبطت منهم الينا ، ولو نشرت امام أبصارنا نحن ابناء هذا العصر ، لوجدنا فيها ـ يقينا ـ صورة الكمال الانساني ، التي تصلح معيارا نقيس اليه واقع الانسان المعاصر ، لنرى كم بلغت في سلوكه زاوية الانحراف ، نعم ان هذه التحليلات التي أعنيها ، تفوح برائحة اليونان الاقدمين ، كأنما تلك ـ في مواضع كثيرة ـ تلخيص لهذه لكن القبول نصف الابتكار ، فيكفينا في هذا الصدد اننا قد قبلنا الصورة الكاملة معيارا لنا ، قبلناها عن اعتقاد ورضى ، واجريناها على اقلامنا جزءا من تراثنا ، وليس يحد من كمال الكامل اين يكون مصدره .

حكم العقل واحد ، وحكم الهوى يتعدد

المدار في نموذج الانسان الكامل عندهم هو ان يكون «عاقلا» بالتعريف الفلسفي الدقيق لكلمة « عقل »، فهي كلمة ما ايسر ان تقولها في سياق الحديث ، ولكن ما اعسر ان تجد لها التحديد المحكم ، ولئن كانت الفكرة كثيرا ما يوضحها نقيضها ، فنقيض العقل هو « الهوى »، فماذا يميز احكام « العقل » من احكام « الهوى » ؟ يميزها ان الحكم من النوع الاول هو في كل حالة معينة واحد لا يتعدد بتعدد الاشخاص ، او بتعدد النزوات عند الشخص الواحد ، على حين ان الحكم من النوع الثاني يقبل التعدد بكلتا الصورتين ، فاذا قال قائل ان العشرة نصفها خمسة ، لم يكن ثمة مجال امام غيره ، ولا امام نفسه ان يتنكر لهذا القول ، مهما تكن ظروفه ومزاجه ، واما اذا قال قائل ان شروق الشمس اجمل من غروبها ، كان هنالك احتمال ان يختلف معه سواه ، بل ان يختلف هو نفسه مع نفسه اذا تغيرت حالته ، والعلة

في وحدانية الحكم العقلي ، وفي تعدد احكام الهوى ، هي ان حكم العقل نقيضه مستحيل على الذهن ان يتصور حدوثه ، واما حكم الهوى فيمكن ان يتصور حدوث نقيضه .

الكمال التزام بالعقل عند المفكرين من اسلافنا

ذلك استطراد أردت به ان اوضح للقارىء ماذا يراد حين يقال ان اساس الحكم لانسان بالكمال عند المفكرين من اسلافنا ، هو ان يكون مقيدا بعقله ازاء الاشخاص والاشياء والمواقف ، وقد كان من الافكار المألوفة عند هؤلاء المفكرين جميعا ، فكرة جاءتهم من اليونان الاقدمين مع الترجمة التي نقلوا بها تراث اولئك اليونان ، وهي ان يقاس كمال الشيء بادائه للفعل الذي خلق من اجله ، فشجرة البرتقال كمالها ليس هو نفسه الكمال بالنسبة لشجرة الورد ، وكمال النمر ان يكون نمرا وكمال القط ان يكون قطا ، ولا يجوز ان يحاسب نوع بكمال نوع اخر ، وعلى هذا الاساس نفسه يكون كمال الانسان مرهونا بجوهره ، وجوهره هو العقل ، فأفضل الناس هو اقدرهم على التزام احكام العقل فيما يفعل وما يجتنب « من غير تلون فيه ولا اخلال به في وقت دون وقت » كما يقول ابن مسكويه في كتابه « تهذيب الاخلاق» .

النفس الانسانية ثلاث قوى منها العقل وهو افضلها

ويجري ابن مسكويه ـ وغيره من مفكري العرب اجمعين ـ على نسق اليونان ، فيحلل النفس الانسانية تحليلا يردها الى قوى ثلاث : ففيها الشهوة الى اشباع حاجات البدن ، وفيها الغضب الذي يستثار دفاعا عن النفس ، وفيها العقل ، ولكل من هذه القوى فضيلته ورذيلته ، فالفضيلة في الاشتهاء هي العفة وضدها هو الشره ، والفضيلة في الغضب هي الشجاعة وضدها هو الجبن ، والفضيلة في العقل هي الحكمة وضدها هو الجهل ، واذا اجتمعت هذه الفضائل الثلاث كان من اجتماعها فضيلة رابعة هي العدل ، على ان القوى الثلاث التي ذكرناها ، ليست كلها على درجة واحدة ، بل فيها ما هو اعلى وما

هو ادنى ، والعقل اعلاها ، وهو الذي من شأنه ان يلجم الغضب وان يحد من الشهوة ، ليقف كلا منهما عند الدرجة التي ترضاها الحكمة ، كأنه هو القائد في مركبة يجرها جوادان ـ اذا استخدمنا التشبيه المعروف الذي صور به افلاطون حقيقة الانسان في حالة كماله ـ فهو يسوس الجوادين بالزمام في يده ليضمن للعربة اعتدال السير.

الانسان وحده ، يعد فيه الف بواحد

وان الناس ليتفاوتون في الطرق التي يسوسون بها حياتهم وفق حكمة العقل ، تفاوتا ليس له نظير في افراد نوع آخر لان سائر ضروب الكائنات الحية تمسير على قوانين طبائعها ، ليس لها في ذلك اختيار ، فلا فرق يذكر بين نمر ونمر ولا بين قط وقط اذا ترك وطبيعته ، اما الانسان ففي فطرته ان يختار ولذا فمن واجبه ان يكون مسؤولا عن اختياره ، ومن هنا جاء التفاوت الفسيح بين انسان وانسان في مقدار احتكامه للعقل حين يختار ، ويذكر لنا ابن مسكويه في هذا السياق حديثا شريفا : « ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان »، كما يذكر كذلك هذا البيت من الشعر :

ولم أر امثال الرجال تفاوتا الى المجد ، حتى عد ألف بواحد

عند اسلافنا : حكمة العقل تكتمل بالعمل

على انني احب الا امضي بالحديث عند هذه النقطة،دون ان انبه القارىء الى فكرة هامة ، لو افلتت من ايدينا فقد افلت ركن ركين في بنية الفكر العربي، ألا وهي انهم ـ اعني أسلافنا من مفكري العرب ـ لم يتصوروا فقط ان يقتصر الانسان على حكمة العقل دون ان يمدها الى فعل يؤديه بناء عليها ، فلا يكون العلم علما عندهم الا اذا أعقبه العمل على اساسه .

وفي ظني ان هذه الاضافة جاءت لتميز المفكر العربي من سلفه اليوناني، برغم اشتراكهما في الطريقة التي حللوا بها النفس الانسانية ، « فالقوة العاملة»

ـ على حد تعبيرهم ـ التي تتمثل فيما نحصله من معارف وعلوم ، تكملها « القوة العاملة » التي تتمثل في تنظيم امور الحياة وترتيبها .

وعلى هذا الضوء نستطيع ان نفهم ابن مسكويه حين يقول : « ان ما يختص به الانسان من حيث هو انسان ، وبه تتم انسانيته وفضائله هو الامور الارادية » كما نفهمه كذلك حين يحدد الخير بانه « فعل » ما قصد به من وجود الانسان ، ويحدد الشر بانه هو ما يعوق ذلك الفعل ، وتطبيقا لهذه القاعدة لا يكون الخير ابدا فيمن « يتأمل » وهو ساكن ، بل لا يكون الخير ابدا فيمن يملأ رأسه بثقافات الاولين والاخرين ، ثم لا فعل بعد ذلك يؤديه على ضوء ما قد عرف .

الغزالي ، كابن مسكويه يقول بالعقل والعمل

وننتقل الى علم آخر من اعلام الفكر العربي ـ هو الامام الغزالي ـ لنجده يشارك في الاسس نفسها وفي الروح نفسها ، فأول ما يلفت انظارنا في هذا الصدد عنده ، ان له كتابين ، اراد بكل منهما ان يكون قسيما للاخر كأنما اراد ان يعلن بالا حياة على اي درجة من الكمال الا اذا اجتمع فيهما قسط من ذينك القسيمين : واما الكتابان اللذان اعنيهما فهما « معيار العلم » و « ميزان العمل » ، ففي الكتاب الاول يضع للعلم حدوده ويقيم له الاسس التي تضمن له الصواب ، وفي الكتاب الثاني يبين كيف يجيء العمل وفق ذلك العلم .

ويرى الغزالي ـ كغيره من المفكرين العرب ـ ان صورة الانسان الكامل لا تتحقق لنا الا اذا حللنا النفس الانسانية اولا ، فتراه يهيب بالباحث ان يعرف نفسه كأنه في ذلك سقراط ، فيقول : اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك ، كما يروى في هذا السياق حديثا شريفا : « اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه » ، ثم يقرر لنا في السياق نفسه ان معرفة النفس ومعرفة الله امران متلازمان : « ومن رحمه الله على عباده ان جمع في شخص الانسان على صغر حجمه

من العجائب ما يكاد بوصفه يوازي عجائب كل العالم ، حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم ، ليتوصل الانسان بالتفكير فيها الى العلم بالله » .

لكنه اذ يحلل النفس الى قواها ، يأخذ بالتحليل نفسه الذي نقل اليهم عن اليونان ، وهو ان يجعل فيها شهوة تطلب اللذة ، وغضبا يطلب الغلبة ، ثم عقلا يسوس السير ويضبط الخطى ، فاذا اراد ذكر الفضائل ، جعلها اربعة: فالحكمة فضيلة القوة العقلية ، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية ، والعفة فضيلة القوة الشهوانية ، ومن توافر هذه الفضائل الثلاث ، تنشأ الفضيلة الرابعة وهي العدالة .. هذا ، ولم يدع الغزالي موضعا في كتابه الا واعاد فيه القول بضرورة ان يجيء « العمل » لاحقا ضروريا « للعلم » الذي تدركه القوة المفكرة ، وان يكن يجعل لهذين اللفظين معنى خاصا ، فالعلم ــ عنده ــ هو علم بالالهيات ، والعمل ــ عنده ــ هو العبادة وفق ذلك العلم ، لكن تحديده لهذه المعاني لا ينفي بنية الاطار الفكري الذي نتحدث عنه ، وهو تصور الموقف مرتكزا على قطبين ، هما العلم من ناحية وتطبيقه من ناحية اخرى، كائنا ما كان المعنى الذي يعطيه المفكر للعلم ، والمعنى الذي يحدد به نوع العمل .

الرازي في كتابه « الطب الروحي » يفصل كيف يكون العمل

تلك ــ اذن ــ هي الاسس النظرية لنموذج الانسان الكامل عند المفكر العربي القديم : تحليل للنفس على نحو ما حللها به اليونان الاقدمون ، وهو تحليل مؤداه ان تكون القيادة للعقل ، هو الذي ينظم الرغبة والانفعال ، دون ان تطمس رغبة او ان يطفأ انفعال ، لكن الفكر العربي لم يترك الامر عند هذا الحد النظري المجرد ، بل تناوله بصورة تفصيلية تصلح لهداية الناس في سلوكهم الفعلي ، ونسوق مثلا لهذا التناول المفصل ، ما كتبه ابو بكر محمد بن زكريا الرازي فيما اطلق عليه اسم « الطب الروحي » او « طب النفوس »، والذي اوحى له بهذا العنوان ، هو كتابه الذي كان قد الفه في

الطب الجسماني ، فما لبث ان رأى ان الصورة لا تكمل الا بكتاب آخر يؤلفه في طب النفوس ليصح الانسان بالكتابين جسدا وروحا .

والذي قصد اليه الرازي بطب النفوس هذا ، هو ان يتعقب مصادر النقص الخلقي عند الانسان ، ليبين لقارئه كيف يكون اسعد حالا وأهنأ حياة اذا هو ملك زمام فطرته ووجهها على النحو الذي يهيىء له حياة متزنة معتدلة مأمونة العواقب ، وهو يصف كتابه هذا في فاتحته بقوله : « هذه مقالة عملتها في اصلاح الاخلاق » ـ قاصدا « بالاخلاق » ذلك السلوك السوي السليم ، وهو باتجاهه هذا انما يذكرنا بجانب هام من جوانب الطب النفسي الذي شاع في عصرنا هذا وذاع واصبحت له « عيادات » وتصدر عنه مئات المؤلفات ، مع اختلاف في طريقة التناول تتناسب مع اختلاف العصرين .

فصل الرازي في فضل العقل

ولقد فصل الرازي كتابه عشرين فصلا ، كان اولها فصل في فضل «العقل» ومدحه ، وها هنا نضع اصابعنا على مفتاح رئيسي من مفاتيح الشخصية العربية كما صورها تراثنا ، الا تكن هي الشخصية العربية كما وقعت بالفعل في مجرى التاريخ ، فهي الشخصية التي تعلق بها النموذج والمثال ، فنموذج الانسان كما رسموه هو الانسان الذي كان محكوما بعقله ، لا بشهوته وغريزته بل ولا بوجدانه وعاطفته ، ولماذا تركوا الزمام للعقل لا للهوى ؟ الاجابة عند الرازي ـ وغيره ـ ان ذلك أجلب « للمنافع » آخر الامر ، فقد تعود علينا الاهواء باشباع لرغباتنا سريع ، لا يلبث ان ينقلب علينا هما وغما ، واما فعل نبنيه على وزن نتائجه القريبة والبعيدة ـ وهذا هو نفسه العقل ومعناه ـ فالارجح ان يكون مأمون العاقبة ، فالعقل ـ كما يقول الرازي ـ هو : «الشيء الذي لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والاطفال المجانين »» « وبالعقل نتصور افعالنا العقلية قبل ظهورها للحس ، فنراها كأن قد احسسناها » . وما دام أمره كذلك فقد « حق علينا الا نجعله وهو الحاكم محكوما عليه ، ولا

وهو الزمام مزموما ، ولا وهو المتبوع تابعا ، بل نرجع في الامور اليه .. ولا نسلط عليه الهوى الذي هو آفته » ـ وانا أترك للقارىء العربي المعاصر ان ينظر لنفسه ويحكم : الى اي حد تترك هذا الزمام لاصحاب النزوةوالهوى؟

والفصل الثاني للرازي في الهو ى

واذا كان الاحتكام الى العقل هو احد وجهي العملة ـ كما يقال ـ فلا بد ان يكون الوجه الآخر هو في قمع الهوى وردعه ، لان هذا مكمل ضروري لذاك ، ومن ثم جعله الرازي موضوعا للفصل الثاني من كتابه ، فلئن كـان الانسان بعقله مدركا للامور ادراكا صحيحا ، فهو بقمعه لهواه صاحـب « ارادة » ، والعقل من جهة ، والارادة من جهة اخرى ، هما ـ كما نعلـم ـ جانبان متلازمان : احدهما له النظر والاخر عليه التنفيذ ، وليس الامر بالهين اليسير الا على من تناول ارادته بالتدريب المتصل الدءوب ، وذلك لان مـا سوف يقاومه الانسان بارادته تلك ، انما هو طبع مغروز في جبلته ، فانظر كم هو عسير على الكائن الحي ان يسير ضد طبيعته ، فلعل هذه ان تكـون هي « الامانة » التي عرضت على الجبال فأبين ان يحملنها ، وحملها الانسان (والكلام هنا من عندي لا من عند الرازي) فلقد آثرت الجبال ، ومعهـا سائر الطبيعة من جماد ونبات وحيوان ان تترك نفسها لقوانين ليست مـن صنعها ، فهي تسير ولكنها لا تعرف : لماذا ؟ ولا الى اين ؟ الا الانسان ! يقول الرازي : البهائم واقفة عندما يدعواليه الطباع ، على خلاف الانسـان الذي يسلك السلوك بعد روية عقلية فيخالف به ما يدعو اليه الطباع ، « فانك لا تجد بهيمة تمسك من ان تروث او تتناول ما تغتذي به ، مع حضوره وحاجتها اليه ، كما تجد الانسان يترك ذلك ويقهر طباعه عليه ، لمعان عقلية تدعوه الى ذلـك » .

العشق عند الرازي بلية

بعد ان يفرغ الرازي من كلام طويل يوازن فيه بين لذة عاجلة يرضاها

الهوى ولذة آجلة يفضلها العقل ، تقرؤه فتحسب انك انما تطالع فصلا عند « بنتام » او عند « جون سيتوارت مل » (من مفكري القرن الماضي في انكلترا) ينتقل بك الى اولى الصفات النوعية الخاصة التي لا تكون ابدا من صفات الرجال ذوي الهمم الشماء ، الا العشق ، او الحب ـ بلغة يومنا ـ لانه بلية يكفي فيها انها تدعو العاشق الى تذلل وخشوع ، « فاما الخنثون من الرجال والغزلون ، والفراغ ، والمترفون ، والمؤثرون للشهوات ... فلا يكادون يتخلصون من هذه البلية » وكأنهم بها يرتدون الى حالة الطبيعة العمياء ، فاقرأ هذا وامام عينيك صورة لشباب « الهيبز » في عصرنا !

العجب عند الرازي

ولا نطيل الوقوف هنا لننتقل الى نقيضة نفسية لا تبرأ منها الا بتسليط العقل على الهوى ، وتلك هي « العجب » ، فكل انسان هو بطبيعته محب لنفسه ، وذلك يدعوه الى « استحسان الحسن منها فوق حقه ، واستقباح القبيح منها دون حقه ... فاذا كانت للانسان ادنى فضيلة ، عظمت عند نفسه ، واحب ان يمدح عليها فوق استحقاقه ، واذا تأكدت فيه هذه الحالة صار عجبا ، ولاسيما ان وجود قوما يساعدونه على ذلك »...

ومن بلايا « العجب » ـ كما يقول الرازي ـ انه يؤدي الى النقص في الامر الذي يقع به العجب ، لان المعجب لا يروم التزيد في الباب الذي منه يعجب بنفسه ... فالمعجب بعمله لا يتزيد منه ، لانه لا يرى ان فيه مزيدا ، ومن لم يستزد من شيء ما ، نقص لا محالة ، وتخلف عن رتبة نظرائه .

والفصل السابع من كتاب الرازي في الحسد

ومن العجب ينتقل المؤلف الى الفصل السابع من كتابه في الحسد ، ويحلل الحسد الى عنصرين يجتمعان ، هما : البخل والشره ، فالحسد اعم وأوسع من البخل على حدة ، ومن الشره على حدة ، اذ البخيل لا يحب ان ينال احد

مما يملكه شيئا ، لكن الحسود يضيف الى ذلك جانبا آخر ، هو الا ينال احد خيرا ، حتى ولو لم يكن ذلك مما يملكه هو .

ومحال على «عاقل» ان يكون « حسودا » لان الحسد والعقل ضدان، ذلك لان الحسود لا يحسد البعيدين عنه، فهو لا يحسد من بالهند والصين ـ على حد تعبير الرازي ـ وانما ينصب حسده على الاقربين منه، فاذا احتكمنا هنا الى العقل ، قلنا : انه اذا كان حمقا او جنونا ان يحزن الحاسد لخير من هو بحضرته وقريب منه ، اذ الاقربون هنا ـ كالابعدين ـ في انهم لم يسلبوه شيئا مما في يديه ، ولا منعوه بلوغ شيء كان يقدر عليه .

واقرأ هذه العبارة النافذة من كلام الرازي في الحسد: « انا نرى الرجل الغريب يملك اهل بلد ما ، ولا يكادون يجدون في انفسهم كراهة لذلك ، ثم يملكهم رجل من بلدهم ، فلا يكاد ان يتخلص ولا واحد منهم من كراهته لذلك، هذا على انه ربما كان هذا الرجل المالك ـ اعني البلدي ـ أرأف بهم ، وانظر اليهم من المالك الغريب ، وانما يؤتى الناس في هذا الباب من فرط محبتهم لانفسهم ، وذلك ان كل واحد منهم ـ من اجل حبه لنفسه ـ يجب ان يكون سابقا الى المراتب المرغوب فيها ، غير مسبوق اليها ، فاذا هم رأوا من كان بالامس معهم ، اليوم سابقا لهم مقدما عليهم ، اغتنموا لذلك ، وصعب ،واشتد عليهم سبقه اياهم اليها ، ولم يرضهم منه تعطفه عليهم ، ولا احسانه اليهم ، لان انفسهم متعلقة بالغاية مما صار اليه هذا السابق ، لا غير ، لا يرضيهم سواه ، ولا يستريحون دونه ، واما المالك الغريب ، فمن اجل انهم لم يشاهدوا حالته الاولى ، لا يتصورون كمال سبقه لهم ، وفضله عليهم ، فيكون ذلك أقل لغمهم واسفهم ، وقد ينبغي ان يرجع في مثل هذا الى العقل »»

ومما يمحو الحسد عن النفس ـ هكذا يمضي الرازي في قوله ـ ان يتأمل العاقل احوال الناس ، فانه سيجد ان حالة المحسود عند نفسه خلافها عند الحاسد ، فلا يزال الانسان يستعظم الحالة ، ويتمنى بلوغها ، حتى اذا

بلغها لم يسر بها الا مديدة يسيرة ، بقدر ما يستقر فيها ويتمكن منها ويعرف بها ، ثم تسمو نفسه الى ما هو فوقها ... انه عندئذ يصير بين هم وخوف : خوف من النزول عن الدرجة التي بلغها ، وهم لما يتمنى بلوغه .

الرازي والغضب والكذب

وينتقل المؤلف الى حالة الغضب ووجوب دفعه ، لان الغضب اذا اشتد وأفقد الغاضب عقله ، « فربما كانت نكايته في الغاضب وابلاغه اليه المضرة، اشد واكثر منها في المغضوب عليه » والحق انه « ليس بين من فقد الفكر والروية في حال غضبه وبين المجنون كبير فرق » .

ثم يتناول الكاتب حالة الكذب وكيف يقضي العقل عند العاقل بوجوب اطراحه ، لان الكذب يدعو اليه الهوى ، اذ كثيرا ما يكون الدافع الى الكذب هو رغبة الانسان في » التكبر والترؤس « ـ هذه عبارة عن الرازي ـ فيقول القول الكاذب اذا رآه مما يهيىء له الرفعة على سامعه ، « وقد قلنا انه ينبغي للعاقل ان لا يطلق هواه فيما يخاف ان يجلب عليه من بعد هما وألما وندامة ـ ونجد الكذب يجلب على صاحبه ذلك » .

انني لالفت نظر القارىء الى طريقة الرازي في التفرقة بين ما يجوز فعله وما لا يجوز ، اذ هو يجعل المدار كله على « المنفعة » في المدى البعيد ، لا على تطبيق المبادىء ايا كانت نتائجها في حياة الانسان ، ولما كان الفعل الواحد كثيرا ما يختلط نفعه بضرره ، كان دور العقل هنا هو ان يوازن بين النفع والضرر ، وأيهما يكون له الرجحان يحدد للانسان طريق سلوكه اقبالا على الفعل المعين او ادبارا عنه ، وبعد هذه الملاحظة منا ، اقرأ هذه الموازنة الطريفة في حالة الكذب : « ليس يصيب الكذاب من الالتذاذ والاستمتاع بكذبه ـ ولو كذب عمره كله ـ ما يقارب ، فضلا عما يوازي ، ما يدفع اليه ـ ولو مرة واحدة في عمره كله ـ من هم الخجل والاستحياء عند افتضاحه ، واحتقار الناس » ...

الرازي والبخل

ويجيء بعدئذ حديث المؤلف عن البخل ، وها هنا نجد تفرقة غاية في اللطافة والدقة ، وذلك ان البخل ليس دائما من فعل الهوى ، بل منه مما قد يكون نتيجة روية عقلية وبعد نظر الى المستقبل البعيد ، ولما كان «العقل» هو مدار احكامنا ، كان البخل الذي تحاربه هو ذلك الجانب منه المبنى عند البخيل على مجرد خوف من الفقر خوفا لا يقوم على اساس معقول ، لان ذلك من قبيل الهوى ، واما ما ينبني على تدبير العقل فهو مقبول •

الرازي يتحدث عن الغم والشره والسكر وشهوة الجنس

ويمضي الرازي في تطبيق معيار العقل على ضروب النقص التي تفقد الانسان صحته النفسية ، فيتحدث عن حالة « الغم » ووجوب دفعها ، وما الوسيلة لهذا الدفع الا ان يحد الانسان من رغباته وشهواته ومواضع حبه، اذ الغم هو في صحيحه خوف عند المغموم من ان يفقد ما يملك ، فلو درب نفسه على الاستقلال عن الاشياء ، بحيث اذا ضاع منها ما ضاع لم يحس مرارة ضياعه ، كان بذلك قد أبرأ نفسه من علة الغموم •

وعلى هذا الاساس نفسه يحدثنا المؤلف عن حالات « الشره » و« السكر » و « شهوة الجنس » وما اليها من رغبات الجسد ، التي لا تبلغ ابدا حد الاشباع ، واذن فالعلاج هو الوقوف منها جميعا موقف القصد والتوسط، فلا تدعها ولا تندفع وراءها الى آخر المدى •

الموت لا خشية منه

ويختم الرازي مقالته هذه عن طب النفوس ، بحديث عن الخوف من الموت وكيف يجب التخلص منه بتحكيم العقل ، « فالانسان ليس يناله من بعد الموت شيء من الاذى بتة ، اذ الاذى حس ، والحس ليس الا للحي وهو في

حالة حياته ... فاذا قيل : ليس في الموت لذائذ الحياة . قلنا: ليس بالميت حاجة اليها ، ولا له اليها نزوع».

ويلخص الرازي السيرة الفاضلة ـ اي صحة النفس ـ في سطرين ، فيقول : « ان الانسان اذا لزم العدل والعفة ، وأقل من مساحكة الناس اذا ومجاذبتهم ، سلم منهم ، واذا ضم الى ذلك الافضال عليهم ، اولي منهم المحبة، وهاتان الخلتان هما ثمرتا السيرة الفاضلة .

نموذج للانسان الامير او الوزير ، عند الجاحظ

ها نحن اولاء قد رسمنا خطوطا تصور نموذج الانسان كما تمناه ثلاثة من أعلام الفكر العربي القديم ، من الناحيتين النظرية والعملية ، هم : ابن مسكويه ، والغزالي ، والرازي، ونريد ان نضيف الى نموذج الانسان في عمومه نموذجا رسمه مفكر رابع ، هو الجاحظ ، للانسان وهو أمير أو وزير ، ففي رسالة « المعاش والمعاد » التي وجهها الى الوزير محمد عبد الملك الزيات (وقيل الى محمد بن ابي داود، الذي تولى على قضاء بغداد في عهد المتوكل)، ومن ذا يسعه ان يقرأ رسالة كهذه فيها نصح للوزير ، دون ان يذكر رسالة مكيافلي التي ينصح بها الامير فبينما المثل الاعلى للامير في تصور مكيافلي هو ان يبلغ غايته بغض النظر عن الوسائل المؤدية اليها ، من ظلم وغدر وكذب وخداع وما شئت من رذيلة ، ترى الجاحظ يوصي وزيره بان الحكم لا يستقيم الا مع طائفة من فضائل ، اذا جاوزها فقد ضل السبيل، لا بالنسبة الى الاخلاق النظرية وحدها ، بل كذلك بالنسبة الى المنفعة المرجوة سواء كانت منفعة في دنياه او في آخرته ، لا فرق بين الحالتين.

والمبدأ الاساسي عند الجاحظ في رسالته هذه ـ كما هو عند ابن مسكويه والغزالي والرازي جميعا ـ هو احتكام المرء الى عقله دون الميل والهوى، على ان يفهم « العقل » بمعنى الطريق المؤدية آخر الامر الى نفع يرجح الضرر: « اعلم ان الله جل ثناؤه خلق خلقه ، ثم طبعهم على حب اجترار المنافع ودفع المضار ، وبغض ما كان بخلاف ذلك ، هذا فيهم طبع مركب ، وجبلة مفطورة، لا خلاف بين الخلق فيه ، موجود في الانس والحيوان ».

ويعقب الجاحظ على ذلك بعبارة كأنما اراد بها ان يشرح للوزير ما يقصد اليه حين يؤسس السلوك على « العقل »، وحين يترجم مثل العاقل بانه هو الذي ينشد اكبر النفع في نهاية الامر ، فيقول ما معناه ان العبرة هي في قدرة الانسان على رؤية النتائج الاخيرة منذ أوائل الامور ، « واستشفافه بعقله ما تجيء به العواقب »، وبقدر تفاوت الناس في هذه الفكرة يكون تفاوتهم في الفضائل ، واما اذا انتظر المرء حتى يقع ما يقع فيراه حين يقع « فذاك امر يعتدل فيه الفاضل والمفضول ، والعالمون والجاهلون »، ثم ينصح الجاحظ وزير بان يحكم وكيل الله عنده ـ ويعني بذلك عقله ـ على هواه ، ويلقي الى عقله بزمام امره .

وكذلك يوصي الوزير بالعدل ، قائلا له : « اعلم ان الحكم في الآخرة هو الحكم في الدنيا : ميزان قسط ، وحكم عدل »، ولعل من اركان العدل ان يحفظ للناس اقدارهم اذا قام بينه وبينهم معاملة ، على ان تقاس هذه الاقدار على قدر البلاء والاستحقاق ، محذرا اياه ان يركن في تقديره للناس الى الهوى .

وينصح الوزير ان « اجلس في المحافل دون الموضع الذي تستحقه حتى يرفعك اهلها ، فاذا تنافس القوم في حديث وعندك منه مثل ما عندهم فأمسك حتى يحتكموا اليك ، لانك ان نافستهم كنت واحدا منهم ».

وهو اذ يذكر له الفضائل الاساسية ، يتفق فيها مع غيره ممن ذكرنا او لم نذكر ، وكذلك الامر حين يحذره من الرذائل المذمومة التي من شأنها ان تزيل عنه السلطان ، ومن اهمها الكذب والغضب والجزع والحسد ، وله في هذه الرذائل كلام بلغ غاية الجودة ونفاذ البصر ، ثم هو يفرق له بين طريقة يعامل بها عدوه واخرى يعامل بها صديقه ، فعليه مع العدو ان يحصن عنه أسراره ، وان ينتهز له الفرصة فيظهر حجته عليه ، وان يظهر له الاستهانة به،

لكن يستبطن الحذر الحذر منه والاستعداد له ، اما مع الصديق فيوصيه قائلا:

« .. لا تكونن لشيء مما في يدك اشد ضنا ، ولا عليه اشد حدبا ، منك بالاخ الذي قد بلوته في السراء والضراء ... فانما هو شقيق روحـك .. ومستمد رأيك ، وتوأم عقلك ، ولست منتفعا بعيش مع الوحدة ، ولا بد من المؤانسة ... ثم لا يزهدنك في الصديق ان ترى منه خلقا او خلقين تكرهما فان نفسك التي هي اخص النفوس بك لا تعطيك المقادة في كل ما تريد ، فكيف بنفس غيرك ؟»

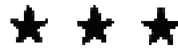
واقرأ هذه الارشادات المتوالية التي يوجهها الجاحظ لوزيره ، واجعل صورة مكيافلي ماثلة امامك في كل ما تقرؤه للجاحظ هنا ، لتعلم مدى البون بين ناصح وناصح ، فبينما يقول مكيافلي لاميره : ان الامير الذي يريد حفظ كيان دولته ، لا بد له في كثير من الاحيان ان يخالف الذمة والمروءة والانسانية والدين . يقول الجاحظ لوزيره ان يحذر الافتئات على حق انسان لضعفه ، بل ان سمو الحكم هو في ان يغلب الحاكم نفسه ليكون في نصرة الضعيف ـ فالحلم ـ مثلا ـ كما يقول الجاحظ ، حلمان ، اشرفهما حلمك عمن هو دونك ، والصدق صدقان ، اعظمهما صدك فيما يضرك ، والوفاء وفاءان ، اسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه ، تلك هي ـ كما يقول ـ اركان الدين ، وهي كذلك اركان الدنيا ، ويستطرد الجاحظ مرشداً للوزير: احذر المفاخرة بالانساب .. اقتصد في مزاحك ، فان الافراط فيه يذهب بالبهاء ، ويجرىء عليك اهل الدناءة ، وان التقصير فيه يقبض عنك المؤانسين، « وانا أوصيك بخلق قل من رأيته يتخلق به ... الا يحدث لك ، انحطاط من حطت الدنيا من اخوانك استهانة به ... ولا يحدث لك ارتفاع من رفعت الدنيا منهم تذللا وايثارا على نظرائه في الحفظ والاكرام »...



تلك صور للانسان الاكمل صورها السالفون ، فان يكن عسيرا على

الطبع ان يجريها في معاملات الحياة الواقعة ، فلا اقل من ان نرفعها امام الابصار نموذها ، وان القوم ليعرفون بمثلهم العليا كما يعرفون بتاريخهم الواقع ، قد يعابون بهذا ويمدحون بذاك ، لكن الجانبين معا يكونان الصورة الحق ، اذا أردنا الانصاف .

زكي نجيب محمود



ابنة الزهراء : السيدة زينب

كانت رضي الله عنها مثل باسقات الشجر ، ألقت ظلها المديد الوارف على قيم الحياة الانسانية فاضاءت المكان حولها واضاءت الزمن .. حتى اعتلت امجاد هذه القيم كلها لا تشاركها فيها واحدة .. ولا يقاسمها احد ، سواء من السابقات عليها او المعاصرات لها او الآتيات بعدها ... جاء مولدها في العام الثالث بعد الهجرة النبوية . ورضعت ــ مع لبن الام ــ اخلاقيات الانسان التي تمثلت وتبلورت في بيت النبوة ، فوالدتها سيدة نساء نساء اهل الجنة السيدة فاطمة الزهراء . ووالدها ابو الشهداء سيدنا علي بن ابي طالب . اما اكبر اشقائها فهو سيد الشهداء ــ بعد ابيه ــ الامام عبد الله الحسين ، وقد ولد بعدها بسنة واحدة .

وشاء قدرها رضي الله عنها ان تعايش وتعاصر المتقنعين بالاسلام من بني امية ، كما شاء قدرها ان تشهد وان ترى مذابح التصفية الجسدية التي دبرها ونظمها على احفاد النبي وآل بيته ــ خليفة من الامويين يدعى يزيد بن معاوية ابن ابي سفيان . فواجهت السيدة زينب كل تلك الاحداث بشجاعة تتصاغر امامها سيرة الابطال على طول المحطات الزمنية . فبعد استشهاد شقيقها الامام عبد الله الحسين ومن معه من اخوة وانصار في واقعة كربلاء ،

وقفت أمام يزيد وحوله السفاحون وألقت دفاعها الباقي عن شهداء العقيدة وعن كرامة بيتها معلنة ان نذالة الجبناء لن تدوم في أرض سقتها دماء المؤمنين .

وعندما اراد يزيد قتل زين العابدين علي بن الحسين ـ وهو ابن شقيقها ـ حالت السيدة زينب دون ارادته . وهكذا قدر للبيت النبوي ان يكون له امتداد تاريخي وموضوعي في حياة الامام زين العابدين الذي اصبح رابع الأئمة الاثني عشر عند الامامية .. ولم تسلم السيدة زينب .. رضي الله عنها ـ من عبث السفاحين ، فنقلوها مع السبايا الى الكوفة ثم الشام وهناك شدها الحنين الى المدينة المنورة حيث مثوى جدها لوالدتها نبي الاسلام ، وحيث البقيع . غير ان والي المدينة اشار عليها بالهجرة فاختارت مصر وطنا ثانيا لها .. وكان غرة هلال شهر شعبان عام ٦١ بعد الهجرة ـ ٢٦ ابريل ٦٨١ ميلادية ـ يشرق على سماء مصر حين بلغت السيدة زينب مشارف بلدة العباسة من اعمال مركز ابو حماد بمحافظة الشرقية فاستأنفت الطريق الى القاهرة في موكب حافل ومعها من اهل بيت النبي زين العابدين علي ابن الحسين والسيدة سكينة بنت الحسين والسيدة فاطمة النبوية . فاستضافها والي مصر (مسلمة بن مخلد) في بيته . وخلال احد عشر شهرا ـ هي بقية عمرها ـ كانت السيدة زينب هي المثل الاعلى لصبر العبادة وشجاعة المؤمن وكرامة الانسان . وحين شاء قدرها ان تستريح بعد مرارة المعاناة وحلاوة الجهاد في سبيل الله فاضت روحها الطاهرة مساء يوم الاحد ١٤ رجب عام ٦٢ بعد الهجرة ـ ٢٧ مارس ٦٨٢ ميلادية ـ فاختير بيت اقامتها مثوى لجثمانها الطاهر حيث هو الآن بمدينة القاهرة .. بعد حوالي تسعة وخمسين عاما أنفقتها كلها دعوة لله سبحانه وتعالى ودعاء اليه ورجاء فيه واعتزازا به ..

رضي الله عنها .. ورضي الله عليها .. وارضاها .. فالسيدة زينب هي والدتنا ـ في الله ـ وهي المثل الاعلى يهتدي به زوار الحياة كلما يفد عليها مولود جديد .

مجلة منبر الاسلام

البيروني

للدكتور فاضل الطائي

عرف البيروني بسعة اطلاعه وحبه للغات فقد اجاد اضافة الى العربية الفارسية والسنسكريتية واليونانية والسريانية وثمن علماء العالم الاعمال العلمية التي خلفها البيروني فقد ذكر سارتن (انه مؤلف عربي كبير وانه سائح وفيلسوف ورياضي وفلكي وموسوعي والكل تعتبره من اعظم العلماء في كل العصور والازمان واتصف بطابع التسامح والحب للحقيقة والشجاعة الفكريـــة).

ـ وقال ابن العبري (ان مصنفات البيروني كثيرة ومتقنة ومحكمة).

اما الدكتور ادوار سخاو المستشرق الالماني المعروف فقد قال عنه :
(ان البيروني يعتبر من وجهة نظر تاريخ العلوم اكبر ظاهرة علمية في الحضارة الاسلامية لان جميع الكتب التي الفت في الرياضيات والفلك والطبيعيات تعتبر لعب اطفال بجانب تحقيقات البيروني العلمية . انه عالم نباتي واسع الاطلاع ورياضي قدير وفيزيائي رصين) .

ونشر سخاو في ليبزك سنة ١٨٧٨ م احد كتب البيروني هو (الاثار الباقية عن القرون الخالية) واعاد نشره سوفيتز ١٩٢٣م يبحث هذا الكتاب في التاريخ والفلك والتنجيم .

نشرت اكاديمية العلوم السوفياتية عام ١٩٦٣م ترجمة لكتابه عن الاحجار الكريمة قام بتقييمه س.ف. دافيد سوف عام ١٩٦٤م وقال :

انه يحتل مكانا خاصا في تاريخ علم المعادن ولو انه معروف اكثر في حقول اخرى لاختراعه جهاز قنينة الوزن النوعي البكتومتر ، لتعيين الاوزان النوعية للمعادن والفلزات بدقة مدهشة واضاف دافيد سوف يميل مؤرخو العلم الغربيون الذين تادوا ما يتصفون العرب الى تجاهل كتابات البيروني

في المعادن والفلزات والخامات والتي هي شاملة ، حقيقية ، عملية ورافضة لكثير من التراث الخرافي للازمنة السابقة .

اما عن ابرز اعماله ذكر الدكتور الطائي :

ـ انه اول من كتب في الصيدنة (الصيدلة) وبرز في الجغرافية والفلك والهندسة والمثلثات اذ اعطى صورة واضحة عن تثليث الزوايا وقدم بحثا عن اختلاف طول الليل والنهار في المناطق المتجمدة وكتب حول تصميم خطوط الطول والعرض ودوران الارض والجاذبية .

ـ اما بحوثه الكيماوية فهو اول من حضر الاسفيداج (كاربونات الرصاص القاعدية) بنوعية جديدة وانتقلت طريقته الى هولندا ، واجاد في وصف الفلزات ومركباتها وذكر اماكن خاماتها وطرائق استخراجها .

ـ اما طريقته في صنع الزجاج وتلوينه فهي لا تختلف عن مثيلتها الحالية المسماة :

(طريقة الصودا لصنع الزجاج) .

ـ وقد خلف البيروني اكثرمن ١٨٠ مخطوطا في الادب والرياضيات والفلك والفيزياء والجغرافية والجيولوجيا والاحياء الا انه لم يبق منها الا النزر القليل ومن بين كتبه القيمة الذي اشتهر بها في النباتات الموسوم (العقاقير) ويتضمن هذا الكتاب وصف خصائص وفوائد الف عقار مستخرج من النباتات والاعشاب والحيوانات والمعادن . ان هذا الكتاب لم يفقد قيمته العلمية حتى في عصر التقدم العلمي الحديث فنلاحظ الكثير من المختبرات في العالم تجري التجارب على العقاقير المستحضرة من الاعشاب او اي نبتة ورد ذكرها في كتاب البيروني محاولة صنعها في مختبرات البحوث للشركات الاوروبية .

وختاما ان الحقيقة ساطعة حيث تعد القرون الثالث ، الرابع والخامس للهجرة العصر الذهبي للعلوم والحضارة عند العرب .

(الف باء)

اليانصيب الوطني اللبناني

ثروة للمساهمين واسعاف للمحتاجين

تقام حفلات السحب في التلفزيـــون

مساء الخميس من كل اسبوع الساعـة السابعـة مســـاء

لا تدعوا الحظ يفوتكـم

ترقبوا موعد سحب كل اصدار مزوديـن باوراقكم

منشئها
أحمد عارف الزين

العرفان

صاحبها
نجيب أحمد عارف الزين
نزار الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ـ سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الرابع ـ مجلد ٦٦ ـ نيسان « ابريل » ١٩٧٨ م.
ربيع الثاني ـ جمادى الاولى ١٣٩٨ هـ.

ساسة الغرب تخدع الخصم لكن
خادع الشعب في بلادي سياسي

أحمد الصافي النجفي



دور العقيدة الاسلامية

في

التفاهم الاسلامي المسيحي

المحاضرة

التي ارتجلها

سماحة الامام الشيخ محمد مهدي الخالصي

شيخ جامعة مدينة العلم ـ الكاظمية العراق

في

المعهد البابوي للدراسات العربية

في روما

بتاريخ

السبت ٣ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ

١٥ تشرين الاول ١٩٧٧ م

تقديم الاب الدكتور ميخائيل فيتزجيرالد رئيس المعهد البابوي للدراسات العربية في رومـــا ••

* * *

أرحب بكم اليوم في ابتداء السنة الدراسية للمعهد ، وأشكر الله لهذه الفرصة التي تتاح لنا ان تستقبل في معهدنا رئيس المدرسة الاسلامية الشيعية ــ مدينة العلم ــ في الكاظمية ، بغداد ، واشكر ايضا مسؤولي الامانـــة الفاتيكانية للعلاقات بين المسيحيين وبين مؤمني الاديان الاخرى ، الذين دعوا فضيلة الشيخ لزيارة رسمية لروما ، والى لقاء قداسة البابا يوم الخميس ، وفي الحقيقة كنا في انتظار هذه الزيارة منذ سنتين تقريبا ، لان صديقنا المشترك الاستاذ « لوي كارديه » قد عرفنا رغبة سماحتكم العظيمة في تعميق التفاهـم بين المسلمين والمسيحيين، وتقوية العلاقات بينهما ايضا،ولذلك نحن مسرورون جدا للزيارة، وسنستمع الان الى محاضرتك في هذا الموضوع المهم «العلاقات بين المسلمين والمسيحيين »•

★ ★ ★

المحـــــاضرة

ابتدا بالقائها سماحة الامام الساعة الحادية عشرة قبل الظـــهر كان يقوم بترجمتها عـلى الفور الى اللغـــة الفرنسيـــة الاب فرنسيس ابو صخ

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الافاضل الاساتذة الكرام والطلبة المبجلين ، أحييكم بالتحية المشتركة في ديننا والتي يتمثل فيها الهدف المشترك لما نحن في صدده فأقـــول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله وانبيائه والتابعين لـــهم باحسان اقول انه من دواعي اعتزازي وفخري ان تفرد لي ادارة المعهد البابوي للدراسات العربية القاء كلمة الافتتاح في مبدأ سنتها الدراسية تلك الكلمـــة

التي جرت العادة ان تعهد الى واحد من أصحاب النيافة أو أحد الشخصيات الكنسية الكبيرة من ذوي المقام العلمي • وان هذه الالتفاتة الكريمة لها مغزاها العظيم بما تشير اليه من المراحل التي قطعناها في سبيل تطوير العلاقات الاسلامية المسيحية وعلى طريق التفاهم والتعاون لخير شعوب الارض جميعا ولكسب رضوان الله سبحانه وتعالى • لقد كان من المقرر ان يكون حديثي هنا بينكم عن (الفلسفة الاسلامية وجانب التشيع منها بالخصوص) كما اقترحه صديقنا العزيز سيادة عميد المعهد « البروفسور فيتزجيرالد » في رسالة الدعوة التي تفضل وأرسلها الي قبل سنتين • وكنت قد أزمعت ان أفعل ذلك ، ولكن لما عهد الي بالقاء كلمة السنة الدراسية المباركة ان شاء الله في معهدكم العتيد مع حضور السادة اعضاء السلك الدبلوماسي والضيوف الافاضل ، ورجال الكنيسة المبجلين، اصبح من المناسب أن يكون الحديث مركزا على الجانب الفكري المتعلق بالهدف الاساس من زيارتنا الى الفاتيكان، وهو تطوير وتعميق سبل التفاهم الاسلامي المسيحي ، على أن نوكل الجانب العلمي الاكاديمي للموضوع الى فرص اخرى ، ان شاء الله، وفي لقاءات قادمة ، اكثر استيعابا لطرح الموضوعات ذات الطابع الاختصاصي ، ويعتبر حديثنا اليوم شرحا وتتميما ، للاحاديث التي جرت في لقاءاتنا ، مع قداسة الحبر الاعظم ، ونيافة الكاردينال « بينيدولي » والحوار الذي جرى مع اصحاب النيافة والسيادة اصحاب الاختصاص من رجال الدين في الفاتيكان وسائر اللقاءات •

موضوع المحاضرة

ان موضوع محاضرتنا او بالاحرى حديثنا هو:(دور العقيدة الاسلامية في التفاهم الاسلامي المسيحي)، ان الذي صاغ عنوان المحاضرة هو السؤال الاتي: ما هو الدافع الاساس الى التفاهم الاسلامي المسيحي ؟ هل هو مجرد المجاملة الظاهرية تمليها العلاقات المتطورة للمجموعات البشرية المختلفة في

العالم المعاصر ؟ ذلك العالم الذي يقترب يوما بعد يوم وتتداخل شعوبـه ؟• هذا ما يقوله البعض : أم ان الدافع لهذا التفاهم هو مجرد الاحساس بالخطر المحدق بالتدين عموما ؟ والتحدث الذي يتعرض له الدين من قبل المبادىء اللادينية هذا ايضا ما يفكر به البعض • ولكنني وان كنت لا ابخس هذين العاملين اهميتهما ، ولكني أقول ان الدافع الحقيقي ، بما اننا رجال تديـن وحقيقة ، ان شاء الله ، لا يمكن ان يكون هذا ولا ذاك لانه لا مجامـلة في الدين ولا مداهنة •

دافع العقيـدة

بل ان الدافع الحقيقي بالنسبة لنا نجده في اسس عقيدتنا الاسلاميـة، وفي نصوص القرآن ، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وفي وصايا نبينا الرسول الاكرم (ص) فدافع العقيدة هو الاساس الذي ينبغـي ان تبنى العلاقات الحميمة بين دينينا العظيمين ، والهدف من ذلك اولا وبالذات هو كسب رضوان الله سبحانه وتعالى ، وثانيا وبالفرض لنبني يدا بيدحضارة الانسان على اسس الايمان بخالق الانسان في محبة وسلام، وانني في استعراضي لاسس عقيدتنا في المسيح ومقدسات الديانة المسيحية ، سأعتمد على مصـدر اساس في الشريعة الاسلامية لا يناقش فيه اثنان من المسلمين، اذ لا يخـفى عليكم ان في الاسلام مصدرين رئيسيين للتشريع هما : اولا ، الكتاب وهو القرآن ، ثانيا : السنة النبوية ، وهي اقوال المعصوم وافعاله وتقاريـره ، ولا يخفى على السادة الاساتذة الكرام ، انه عند فقدان النص فهنالك مصدران آخران هما الإجماع والعقل كما هو عند الشيعة الامامية او القياس كما هـو عند غالبية اخواننا اهل السنة والجماعة • ولكنني هنا سوف لا اعتمـد الا على النص القاطع في كتاب الله لان ما فيه قاطع الثبوت وفي آيات العقيـدة قاطع الدلالة •

المقدسات المسيحية

ان النقاط الجوهرية في العقيدة المسيحية تدور حول المسيح ، وامه البتول عليهما السلام ، والانجيل ، والحواريين، والكنيسة ، ورجالها ، ولا شك، ان المسيحيين يهمهم ان يعرفوا ماذا يقول كتاب المسلمين في حقهم ، وحق رجالهم ، وحق مقدساتهم ، ولكي لا اطيل عليكم سوف انتخب نصا واحدا من نصوص عديدة وردت للحديث عن كل نقطة ٠

نظرتنا الى المسيح

ففي آية ٤٥ من سورة آل عمران : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ٠ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ٠ قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا اقتضى امرا فانما يقول له كن فيكون ٠ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل٠ ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ٠ ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ٠ ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم »٠

الى مريم العذراء

ثانيا نظرتنا او عقيدة المسلمين في مريم العذراء البتول ٠ آية ٤٢ من سورة آل عمران :

« واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ٠ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ٠ ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم

وما كنت لديهم اذ يختصمون » •

وفي هذه الآية اشارة صريحة الى بتولية مريم وطهارتها من الدنس ، وهنالك آية اخرى تصفها بانها سيدة نساء العالمين •

الى التوراة والانجيل

ثالثا : عقيدتنا في التوراة والانجيل : آية ٣ من سورة آل عمران :

« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل، من قبل هدى للناس وانزل الفرقان •••» •

الى الحواريين

نظرتنا الى الحواريين من اصحاب المسيح (ع) ونرى كيف ان القرآن ضرب بهم مثلا وجعلهم امثولة يقتدى بهم وامر المؤمنين بان يكونوا مثلهم نجاه في سورة الصف آية (١٤):

« يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين »•

الى المسيحيين

لا شك انكم تحبون ان تسمعوا نظرة القرآن وما قال عنكم ، قال في سورة المائدة آية ٧٢ :

« ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون » •

وفي سورة الحديد آية ١٧ قوله تعالى :

« ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة » •

الى عموم اهل الكتاب

نظرتنا الى عموم اهل الكتاب من مسيحيين وغيرهم مـن اتبـاع الرسل قال تعالى في سورة المائدة آية ٦٩ :

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ».

الى عموم الرسل :

ثم نظرتنا الى الانبياء والرســل في آية ٧٥ من سورة البقرة :

« آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنـا واليك المصير» .

وقوله تعالى في سورة البقرة آية ١٣٦ :

« قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيـــل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » .

ثم ان الاسلام يحكم كل من لم يؤمن بالله وكتبه ورسله او يفرق بين رسله بالايمان فيقول في سورة النساء آيــة ١٣٥ :

« يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا».

وعلم التفسير يؤكد ان هذه الآية انما المراد بها التأكيد على الايمـان بالانبياء والسابقين وكتبهم وجعل ذلك جزءا من عقيدة الاسلام ذلـك لان الخطاب فيه الى الذين آمنوا يأمرهم بان يؤمنوا بسائر اصحاب الرسالات من الانبياء ، اي ينبغي ان لا يظن المؤمن بانه يستطيع ان يقتصر في ايمانه عـلى الايمان بالله ورسوله حسب دون ان يؤمن بسائر الانبياء وكتبهم في هــذه

الآيات من القرآن كتابنا المقدس تجدون المرتكزات الاساسية من معتقداتنا التي نعتبرها ذات دور اساسي في التفاهم بين اتباع الدينين العظيمين وضرورة تطوير هذا التفاهم هو الاحسن فالاحسن •

نقاط ونقاط اخرى

نخلص من كل ذلك القول بان القدر المشترك في عقيدتنا تتلخص في الايمان بالله واسمائه الحسنى وصفاته والايمان بكتبه ورسله والايمان باليوم الآخر يوم الجزاء بالثواب او العقاب ثم الايمان بقواعد الاخلاق المشتركة واهم ما في هذه النقطة ، ان الاخلاق في ديانتنا ليس مصدرها المصلحة والمنفعة الدنيوية الفردية او الاجتماعية كما هو الحال في الاخلاق بالمفهوم الوضعي بل مصدر الاخلاق في ديانتينا هو الايمان بالله سبحانه وتعالى ورقابته على ضمير الانسان ثم الايمان بيوم الدين يوم القيامة حيث يدان المذنب ويثاب البريء •

انسانية الدين

وانسانية الدين قدر مشترك بين ديانتينا ايضا فكلنا نؤمن بان الدين للناس جميعا اسودهم وابيضهم ، كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، على اختلاف قومياتهم واوطانهم ويعبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة الحجرات آية ١٣ :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير »•

الاسلام هو التسليم

ثم ان اختيار كلمة الاسلام للدلالة على ديننا يقصد به اولا وبالذات التسليم لله سبحانه وتعالى في التكوين والتشريع وبهذا المفهوم عبر القرآن عن جميع الانبياء واتباعهم بانهم مسلمون • فعن ابراهيم (ع) في سورة البقرة آية ٣١ :

« اذ قال له ربـه اسلم قال أسلمت لرب العالمين » .

وكان قول الحواريون عندما سألهم عيسى (ع) من انصاري الى اللـه قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، وبهذاالمعنى هل يرفض مسيحي ان يكون من المسلمين ؟ وبمعنى الايمان بالمسيح والبتول مريم والانجيل والحواريين هل يرفض مسلم ان يكون مسيحيا ؟.

نفي الشرك والوثنية

ومن نقاط الوفاق بين ديننا نفي الالحاد والشرك والوثنية ، اذ لايخفى ان الاسلام الذي جاء ووجد البشر يعبدون غير الله او لا يؤمنون بـــه او يشركون به انداداً من دونه بني اساسه على الايمان بالله ونفي الشركوالوثنية ولهذا فمن المعلوم ان المسيحية ترفض الشرك والوثنية مثلنا ، كما لا احـسب ان مسيحيا يرضى ان يتهم بالشرك مع الله آلهة اخرى .

معالجة القرآن لنقاط الخلاف

لا شك ان في القرآن الكريم آيات اخرى تخص بعـــض المعتقـدات المسيحية الرائجة والتي يضعها موضع المناقشة الهادئة بكل احترام وكمـــا أوصى بقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن . قد تكون تلك الملاحظات القرآنية حول موضوع كالتوحيد والتثليث امرا عسير القبول لدى المسيحي لاول وهلة ولكن النظرة المتأملة الفاحصة الى هذه الآيـــات تؤكد انها تفضي الى نفس الطريق الذي نسلكه الى التفاهم والتقريب ذلـك لانه ليس من هدف تلك الايات المساس بمقام المسيح او مريم العذراء البتول أو الحواريين او الانجيل او سائر المقدسات فقد رأيتم حديث القرآن عن كل اولئك بل بالعكس تماما انما ترمي تلك الآيات الى هدف مشترك ايضا وهو تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به وتنزيه الانبياء عما لا يليق بهم ممـــا قد يكون ورد في العهد القديم مما يعتبره القرآن مساسا بمقام الانبيـــاء المنزهين عن كل نقص وخطيئة .

خلاف تسامي لا خلاف نقض

ولتوضيح هذا المنحى فلنأخذ مثلا ما ورد في القرآن الكريم في سورة النســاء آية ١٧٠ :

« يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحــق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ».

انما جئت بهذه الآية لكي أعرض لكم كيف ان القرآن الكريم يناقش هذه القضايا مناقشة تدعو الى المحبة والود وان كان فيها وجهات نظر مختلفة بعض الشيء او تبدو مختلفة لاول وهلة ، والقرآن هنا يخاطب غير المسلمين من أتباع الاديان السماوية بعبارة يا اهل الكتاب ويذكر عيسى (ع) بلقبــه المسيح ردا على اليهود وتأكيدا على العقيدة المشتركة بيننا في ان المسيــــح الموعود هو عيسى (ع) ثم بعد ذلك يصفه بانه رسول الله ردا على من لــم يؤمن به وكذبه ، وليس ذلك فحسب بل فوق ذلك يقول انه كلمته التي ألقاها الى مريم واكثر من ذلك اذ هو روح منه . فاننا وان كنا نعتقد ان جميــــع الارواح هي من الله سبحانه ولكن بالنسبة لعيسى فان له خصوصية اذ خلقه خلافا للقوانين المعتادة في الولادة بل خلقه بكلمته المباشرة . ولهذا فان المسيح عند المسلمين يختص بلقب روح الله ، وكثيرا ما نجد في الادعية التي يقرؤها أتقياء المسلمين وفيها توجيه التحيات الى الانبياء يقولون والسلام على عيسى روح الله . ويتركز هدف الاية التي نحن بصددها في كلمة « سبحانه » وهي كلمة التنزيه اي انه تعالى منزه عن صفات المخلوقين من الولادة والموت والاكل والشرب والتعب والمنام ، وان يولد من شيء ، او يولد له ولد ، بل له مــا في السموات والارض وكل ما في السماوات والارض له ومخلوق له . وعندما نقول عيسى روح الله فذلك لزيادة التقديس والتعظيم ، وكما نقول مثلا ان

الكعبة او المسجد او الكنيسة بيت الله فان الله منزه عن المكان وكل البيوت والاماكن لله ولكن لماذا اذن الله لبيوت ان ترفع ويذكر فيها اسمه نسبهـا اليه تعالى تعظيما وتكريما ، كما نقول عن القدس بيت ايل او بيت الله . انما أوردت هذا المثل لاستجلي روح القرآن حينما يناقش ما يراه بحاجة الى نقاش من معتقدات المسيحيين وسائر اتباع الديانات السماوية بكل احترام ونظرة تقديسية وتنزيها من كل شائبة يشوب تلك المعتقدات .

هذا هو القسم الاول من المحاضرة واذا كان فيهشيء من الاتعاب لكم ولاستاذنا « ابي مخ » فلا بأس ان تعتبروها نوعا من التمرين على الاستماع الى محاضر عربي يتكلم بلغته . واسمحوا لي لكي اتحدث اليكم بكلمات اخرى بسيطة وان كان وقت «ابي مخ» ربما يكون متضايقا ولكننا سنقتصر ما يمكن اختصاره .

تعالوا .. دعوة القرآن للتفاهم

ما أود ان الفت اليه انظار اخواننا الكرام ورجال الدين المسيحيين بصورة خاصة ان فكرة التعاون واللقاء والتفاهم بين دينينا ليس من بنت افكارنا نحن فانها دعوة قرآنية منذ ان جاء الرسول محمد (ص) بدعوته وجه القرآن نداءه الى اهل الكتاب آمرا رسوله ان يقول لهم « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » ٦٥٠ آل عمران . وهنا يأمرنا يعرفنا القرآن فيقول اعدوهم الى هذه الدعوة للقاء على النقاط المشتركة وهي توحيد الله سبحانه وتعالي وعبادته والاخلاص له فان استجابوا لكم لهذه الدعوة فمرحبا بهم وان تولوا ولم يستجيبوا لهذه الدعوة لسبب من الاسباب فقولوا اشهدوا بانا مسلمون والاسلام هنا ايضا ليس بمعناه الاصلاحي بمعنى اننا ليس بيننا فرق انتم تسلمون وجهكم لله ونحن ايضا مسلمون وجهنا لله اي سيبقى الباب مفتوحا حيثما او حينما

تمدون لنا ايديكم ستجدون ايدينا ممدودة اليكم • انطلاقا من هذه الدعوة التي نعتبرها أمرا شرعيا واجب الاتباع • ترك المسلمون دائما الباب مفتوحا للحوار مع اخوانهم من اهل الكتاب واللقاء معهم والتعاون معهم في كل النقاط المشتركة وتيجة لهذا المعتقد ايضا بنى المسلمون احسن العلاقات الممكنة ووطدوها مع المسيحيين واليهود وسائر الاديان عبر القرون ، وقد امرنا بالحفاظ على مقدساتهم واموالهم كما نحافظ على مقدسات انفسنا واموالنا وانفسنا وان ندافع عنهم اي خطر يمكن ان يحدق بهم او بمقدساتهم •

اسباب التوتر غالبا غيرديني

واذا كان هنالك يوما ما توتر بين المسيحيين والمسلمين فلم يكن دائما سببه دينيا انما كان غالبا يرجع الى احد سببين ، هذان السببان احدهما داخلي والاخر خارجي ، اما السبب الداخلي فهو طغيان السلطان ، فقد يحدث ان يكون هنالك سلطان جائر او يكون هنالك حاكم غير ملتزم باحكام الشريعة وتوصيات الشريعة في تحسين العلاقات والحفاظ على المسيحيين وسائر أهل الكتاب فكان يضطهد ، وكان المسلمون قبل المسيحيين يتعرضون لاضطهاده • واذا ما استعرضتم التاريخ ووجدتم في يوم ما اضطهادا للمسيحيين في العالم الاسلامي أردنا اياه فسنريكم اضطهادا واسعا للمسلمين وعلى أشد واكثر ، مما يدل على ان الامر هو اضطهاد حاكم طاغية لامة وليس اضطهاد اصحاب دين لاصحاب دين آخر •

ثانيا السبب الخارجي

اما السبب الثاني فهو كما اشرنا سبب خارجي وهو الاستعمار • والاستعمار خصوصا الاستعمار الاوروبي حينما توجه الى الشرق، وتعلمون ان الاستعمار والسياسة غالبا لا اخلاق لها او لا تلتزم بقواعد الاخلاق ، كان الاستعمار يحاول في كثير من الاحيان ان يستثير المسيحيين ضد المسلمين والمسلمين ضد المسيحيين لكي يفرق بينهم ويكسب شطرا من الناس الى جانبه •

مثل من التاريخ القريب

ولكي أوضح هذه النقطة اضرب لكم مثلا من التاريخ الحديث المعاصر فاننا في العراق حينما تعرض العراق للاحتلال الانكليزي في اوائل الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٧ وما بعدها قام العلماء يقودون المجاهدين الى ساحات القتال لرد عادية الغزو الاستعماري للبلد ولكنهم في الوقت الذي كانوا يصدرون الفتاوى بوجوب مقاومة الاستعمار وجيوشه واحتلاله كانوا في تلك الفتاوى حريصين على ان يفتوا بضرورة الحفاظ على احسن العلاقات مع المسيحيين الموجودين وعدم الاصغاء نهائيا الى الدعايات الامبريالية الاستعمارية التي كانت تريد ان تلقي الخلاف بين المسلمين والمسيحيين او تحرض بعضهم على بعض . فالمشكلة لم تكن ابدا بين المسلمين والمسيحيين مشكلة دينية انما كان الحوار والمحبة دائما متبادلا بينهم وانما كانت المشاكل غالبا تثيرها السياسة .

مثل آخر

وكما ضربت مثلا لاحتلال الانكليز كذلك حينما قرر العراقيون ان يقوموا بثورة في سنة ١٩٢٠ وكانت بقيادة علماء المسلمين، وانما اؤكد على قيادة العلماء حتى تنظروا الجانب الديني في الموضوع وتلاحظوا كم كانوا حريصين على الاخرين وكان المرحوم جدنا الشيخ مهدي الخالصي ووالدي ممن برز اسمهم في قيادة الثورة العراقية ، ولهذا احتفظ بنصوص الفتاوى في وثائقنا الخاصة التي كانت تصدر من قبلهم ، من قبل جدنا وسائر العلماء ضد الغازي المحتل ، كانت تلك الفتاوى دائما وغالبا تقترن بوجوب الحفاظ على احسن العلاقات الطيبة مع المسيحيين وان الجيش الغازي لا يمثل المسيحية ابدا واننا ينبغي ان نبقى حريصين على الحفاظ على اعراض من في كنفنا من المسيحيين واموالهم ومقدساتهم ، وما افتى المجتهد الكبير في وجوب الجهاد الا بعد ان اخذ العهود والمواثيق من جميع القادة المحليين للحفاظ على الاقليات الدينية خاصة المسيحيين واليهود .

حتى مع اليهود

ويمكن ان يقال ذلك حتى بالنسبة لليهود الذين نحن الان في مشكلة كبيرة مع اسرائيل ،مع ذلك فان الحفاظ على اليهود المحليين او المسالمين الذين لم يكونوا لهم دخل في مساعدة اسرائيل على احتلال بلادنا كانت من التوصيات التي يركز عليها القادة الدينيون . وكذلك الامر بالنسبة للحكومات الان بدأت الحكومات تفتح الابواب لكي يعود اليهود الذين اضطروا الى الخروج لسبب من الاسباب او للظروف الاستعمارية التي كانت سائدة او للتحريض الذي كان يعمله حتى بعض اليهود ضد المسلمين ولكي يحملوا اليهود على بلادنا للنزوح الى اسرائيل مع ذلك فقد قامت الحكومات في البلاد الاسلامية باصدار قرارات العودة والترحيب باليهود الذين يريدون ان يعودوا الى بلدانهم ممن غرر بهم فهاجروا ، وكانت الحكومات العراقية من الحكومات المبادرة الى اصدار هذا القرار قرار عودة اليهود وكذلك تابعتها سائر الحكومات كحكومة المغرب وما شابه ، مما يدل على ان المسألة ليست مشكلة دينية .

اما اسرائيل فمشكلة استعمار استيطاني

حتى المشكلة بيننا وبين اسرائيل ليست مشكلة دينية انما هنالك غزو استعماري استيطاني على بلادنا فنحن ندافع عنه فمن يعينهم لا نستطيع ان نمد له يد المعاونة ولكن من لا يعينهم وانما يحتفظ بدينه ويريد ان يعيش بيننا واحدا منا فنحن نرحب به وهذه القرارات الرسمية التي لا يمكن نكرانها تكشف عن هذه الروح التي ندعو اليها . والسببان اللذان ذكرناهما للخلاف والتوتر بين المسلمين والمسيحيين كان احدهما الحاكم الظالم والثاني الاستعمار والحمد لله بعد ان زال هذان السببان ان شاء الله وزوال الاستعمار الذي كان هو السبب في بعض التوتر وسوء التفاهم بين المسلمين والمسيحيين خصوصا اقول بعد زوال الاستعمار جئنا الى روما لكي نوطد هذه العلاقات ونبنيها على اساس من عقيدتنا وليس لمصلحة ولا مجاملة .

وقلت للبابـا

وهذا ما قلته لقداسة البابا في لقائي معه ، قلت له انني جئت لكي اهنئك على هذه السياسة في فتح الابواب على العالم الاسلامي وابلغك بانك ستجد تجاوبا عميقا مع جميع العالم الاسلامي لهذا الانفتاح العظيم ، وان التـاريخ ـ هذا ما قلته لقداسةالبابا ـ وان التاريخ سيسجل ان في عهد بابا عظـيم جرى حوار جديد بين الاسلام والمسيحيين فانعطف التاريخ على مســاره الصحيح متوجها الى الله سبحانه وتعالى بعد ان كان الشيطان قد انحـرف به عن المسار الذي يؤدي الى الله . ونرجو ان يكون ذلـك في عهدك وتراه بعينك وتقر عينك به ، وأرجو ان تقر اعينكم جميعا بهذا الحوار الذي سيؤدي الى المزيد من حسن التفاهم والمزيد من العمل المشترك على ما نحن بصـدده من خير ليعم السلام على الارض كما ورد في الانجيل ليكون المجد لله فـي الاعالي وفي الناس المحبة وعلى الارض السلام . والسلام عليكم ورحمـة الله وبركـاته .

★ ★ ★

وبعد ان هدأت عاصفة التصفيق المتد ، قال سماحته مداعبا والتصفيق حتما للاستاذ ـ ابي مخ ـ لانه ترجم ترجمة رائعة وتعب تعبا كبيرا ، ثـم استطرد سماحته قائلا : وانني ابارك لكم السنة الدراسية الجديدة وارجـو ان تكونوا انتم بالدرجة الاولى حاملي هذه الروح الجديدة التي سميتهـا روح فاتيكان القرن العشرين ، او لمطلع القرن الواحد والعشرين ان شاء الله.

★ ★ ★

تعقيب

بعد انتهاء سماحته من القاء المحاضرة عقب الاب الدكتور موريـس بورمانز ، معاون رئيس المعهد البابوي للدراسات العربية ، ورئيس تحريـر مجلة (اسلاميات مسيحيات) قائلا :

حضرة الشيخ ، علي ان اشكرك باسم جماعة الاساتذةوالطلاب والطالبات

عن الكلمة الطيبة والافكار الحميدة والاراء المفيدة التي عبرت عنها في هذه المحاضرة المفعمة بروح المودة والاخوة .

ان الحوار بين المسيحيين والمسلمين لا يزال ينتظر انصارا كثيرين يلتزمون بصدق وحق في سبيل ازالة الافكار المسبقة وبالخصوص توحيد القلوب والعقول من الجانبين حتى تتفتح جميعا الى نور الحقيقة الالهية ذلك النور الذي ينبثق عن الله فينيرنا ونرجع به الى من هو نور على نور بيده مفاتيح الغيب ، اشكرك من جديد واعترف بالجميل واقدم اليك هدية ثمينة وهي في نفس الوقت متواضعة الا وهي نسخة من مجلتنا الجديدة (اسلاميات مسيحيات) أي ابحاث اسلامية مسيحية وذلك اقول بالخصوص تذكارا عن زيارتك المباركة لهذا المعهد ورجاء منا ان يجمعنا الله تعالى في يوم ما وهو ذلك اليوم الذي ينعم كل منا ، بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وا لشكر لك من صميم قلبنا والى اللقاء ان شاء الله .

اسرار الحياة اجمل ما فيهـا !

جوتيه (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢)، شاعر المانيا وفيلسوفها الكبير ، قال يوما يحدثنا عن الحياة واسرارها : « ان اعظم ما في الحياة هو غموضها وخباياها .. لقد تجلت حكمة الله في اخفاء ما حولنا من اسرار الطبيعة ، لاننا لو عرفنا كل شيء ، فسوف يحتوينا شعور بملل قاتل ، وسنفقد الرغبة في الاستمرار في الحياة ، ونجد انفسنا في نهاية الامر تقف حيث لا ندري ماذا نصنع بانفسنا .. تماما كما لو كنا ننتظر الموت بعد مرض يئس الطب من علاجه !

بيني وبين القارئ

بقلم منظور الزين

عزيزي القارئ

لنعد في هذا العدد الى نبذة عن رحلتنا في السنة الماضية الى الكويت والعراق فنقول :

اما في الكويت فقد كان صديقنا السيد عبد المطلب الكاظمي وزيرا للنفط وهو اختصاصي في موضوعه ونشيط في عمله ويتمتع بشخصية قوية، وكان قبل الوزارة يضمخ فمه بالمسك حين يتكلم عن العرفان ولكنه في الوزارة وكان بامكانه بكل سهولة ان يخدم العرفان ، لم يفعل ولعل لـه عذرا وانت تلوم ، وليس لنا حتى أن نعتب ، اما الذي نعتب عليه فهو شقيقه السيد عبد اللطيف الكاظمي التاجر الثري ، يقول لي صديقنا اخوه الطاهر القلب مثلنا النقي السيرة والسريرة ، هل زرت الاخ عبد اللطيف وطلبت منه مناصرة العرفان فأجيبه « لا » وكذلك يطلب مني الاخ الشاعر الشيخ محمد جواد الدجيلي ، وفي هذه السفرة زرنا الاخ عبد اللطيف عضو مجلس الامة السابق والتاجر الناجح الآن وقدمنا له عددين من العرفان وكان غائبا عن مكتبه ، ولما عدنا اليه لم يرجع العددين بل قالت السكرتيرة : يلقاك في ديوانية الحاج زيد ولم يصل للآن ، اما الاخ الحاج زيد الكاظمي اللطيف الكريم المتواضع الشهم العف الخدوم النافع فله مع العرفان ومع غيرها أياد لا ننساها، وهي تشفع لا للاخوين فقط ، بل لكثير.

قارئي الكريم :

تعال معي الى ان نروي لك بعض النبذ عن سفرتنا الاولى الى العراق في الشهر الرابع من السنة الماضية •

من الطبيعي حينما يزور احدنا العراق ان يزور كربلاء والنجف، امـا في كربلاء فقد حدثنا القراء في العدد الماضي عن الحفاوة بنا •

واما في النجف فقد زرنا مرجع الشيعة آية الله الخوئي وهو يعرف الكثير عن العرفان وكان في نيته مناصرة العرفان حسب ما بدا لنا ، ولكنه لم يفعل لانا لم نطلب ؟! « تحسبهم اغنياء من التعفف » الظاهر انها لم تمر ببـــال مراجعنا ! في هذا اليوم كنا ضيوفا على الاخ الكريم الاديب اللطيف السيـد محمود الصافي قائمقام النجف ، وقد دعا معنا الاخوين العالمين الفاضلـين الشاعرين السيد علي بدر الدين والشيخ محمد فرحات ، اما السيد عـلي بدر الدين فهناك اجماع على محبته والاجماع سنة آسندت الى حديث صحيح، واما الشيخ محمد فرحات فنأسف انه يخلط عباسا بدباس ويقيس البيـض على الباذنجان اذ يعتبر ان ميزان الناس ومقياسهم السياسة المحلية الضيقة لا الثقافة والفكر ، سامحه الله ونتمنى ان يبقى دائما « مزهزها » كما رأينـاه آخر مرة في فندق السياحة بالنجف •

اما في رحلتنا الثانية الى العراق في السنة الماضية وكانت للتخلص مـن القلق النفسي الذي انتابنا ولم يزل في لبنان ، فقد زرنا النجف وذهبنا الـى الحضرة فقط ، ثم عدنا في المساء ـ وفي بغداد كان لم يزل يعبق اريج حفلات المتنبي وقد بقيت خمسة ايام متوالية ، وحينما تقيم الحكومة العراقية هـذه الحفلات للمتنبي وقد أحسنت صنعا، ثم يجرد المتنبي احد الشعراء من شاعريته، فمعنى ذلك ان حكومة العراق لا تضع الاشياء في مواضعها ، فهل يذكـرون او يعقلون ؟

اما سفرتنا هذه السنة للعراق بدعوة من وزارة الثقافة العراقية لحضور مهرجان الصافي فسنأتي على ذكرها في العدد الخاص لهذا الموضوع •

واما المربد الذي حضرنا بعضه ونشرنا في هذا العدد من العرفان قسما مما قيل فيه ، فقد تمنينا لو لم يشوهه بعضهم بكلام هراء لا معنى له ، بينما أجاد فيه بعض المحاضرين ومن الشعراء الاساتذة : سليمان العيسى ، محمود درويش ، مصطفى جمال الدين ويوسف الصايغ ، ومحمد صالح بحر العلوم ، وعبدالرزاق عبد الواحد ومصطفى الغوفاري الجزائري الذي ابدع ايما ابداع وكان للعروبة والاسلام في قصيدته القدح المعلى ، فأين العروبة التي يمثلها العراق من الثرثرة والهراء الذي سمعناه ولم نفهم معناه ، ومن قصيدة صديقنا مصطفى هذا البيت الذي يعادل ديوانا :

يتآمرون على الحسين ويشفقون على يزيد

رجاؤنا ان لا ينقلب المربد الى مرتد .

وسيأتي بعد ذلك الكلام على رحلتنا الى الكويت والبحرين وربما غيرها هذه السنة .

* * *

المنتدى الثقافي بكربلاء يحيي ادباء العروبة
١٩٧٨/٢/١٥



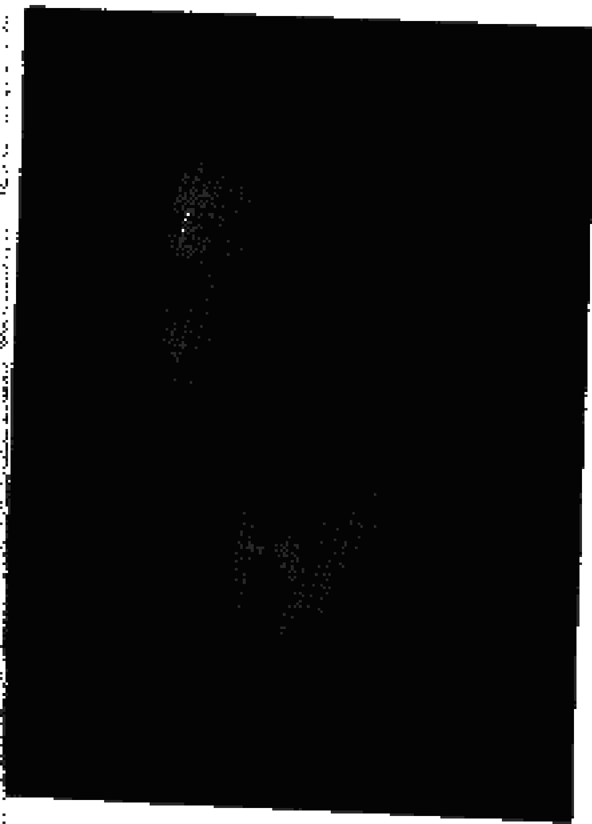
الدكتور حسين علي محفوظ ، نزار الزين صاحب مجلة العرفان اللبنانية ، الشاعر عبد الله البردوني من اليمن ، الشيخ عبد اللطيف الدارمي صاحب مجلة « صوت الاسلام » الكربلائية ، سلمان هادي الطعمة .

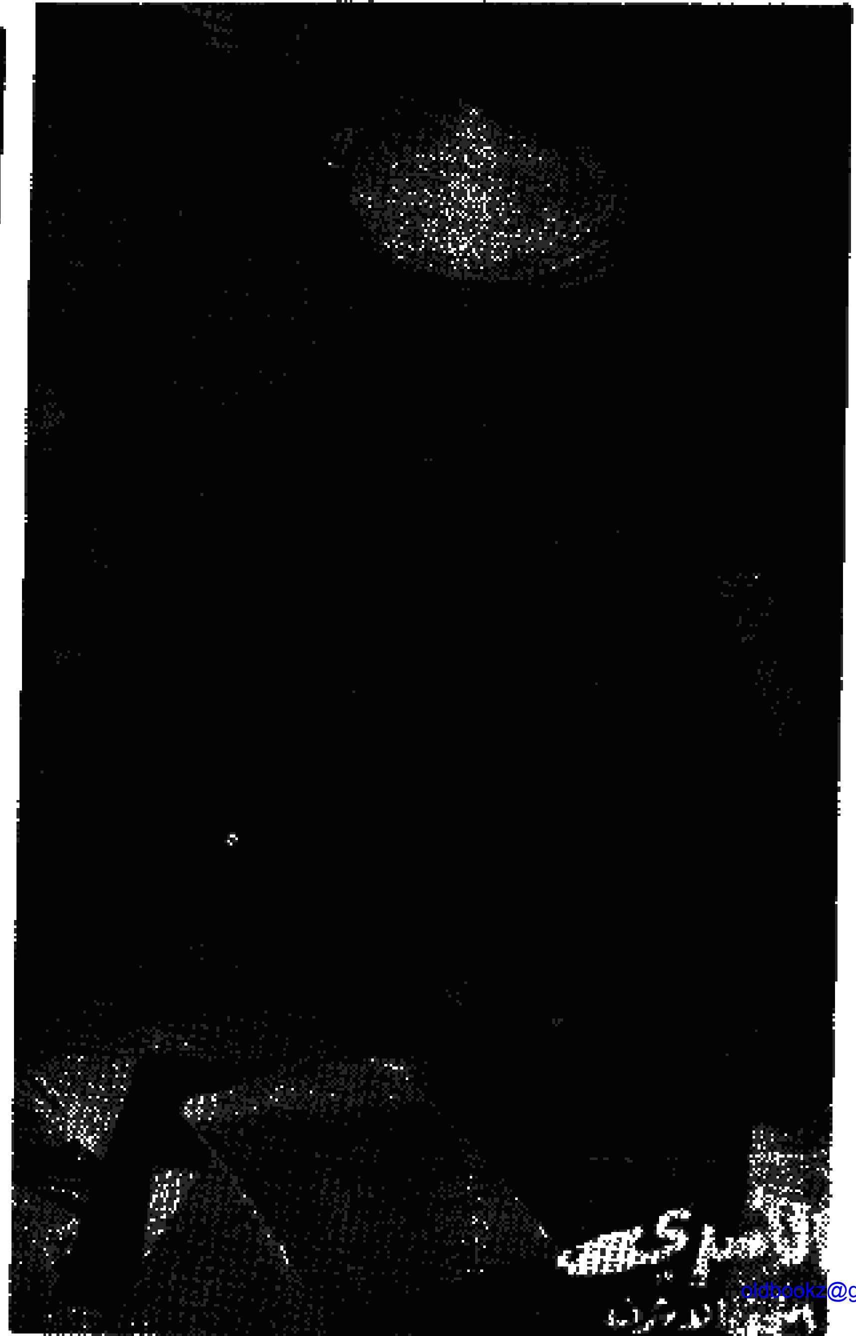
آغا بزرك

١٢٩٣ ـ ١٣٨٩ هـ

شيخ محدثي العصر، وإمام الفهرسة والسيرة والتاريخ وعلامة الحديث والرجال ..

بقلم: الدكتور حسين علي محفوظ





اسمه ونسبه ولقبه

هو محمد محسن بن علي بن محمد رضا بن محسن بن محمد بن علي أكبر بن باقر ، الطهراني ، المدعو « اغا بزرك » .

ميلاده ومولـده

ولد في طهران ، ليلة الخميس ، ١١ ربيع الاول ، سنة ١٢٩٣ هـ .

دراستـــه

درس القرآن في بيتهم ، وأدخله والده الكتاب سنة ١٣٠٠هـ وتعلــم العربية سنة ١٣٠٣هـ وأكمل المقدمات في مــــدارس طهران ، فقرأ الآداب ، والتجويد ، والحساب ، والحكمة ، والكلام ، والهيئة ، والهندسة ، والمنطق ، وعلوم الحديث ، والاصول ، والفقه ، على أساتذة أفاضل ، منهم :

١ ـ السيد حسن الاسترابادي .

٢ ـ الحاج السيد ميرزا حسن الطهراني ، المتوفى سنة ١٣٢٨هـ .

٣ ـ ميرزا محمود القمي .

٤ ـ الشيخ محمد تقي النهاوندي .

٥ ـ الشيخ علي بن ملا محمد النوري الايلكائي ، المتوفى في حــدود سنة ١٣٤٠ هـ .

٦ ـ الشيخ باقر معز الدولة ، الطهراني .

٧ ـ السيد عبد الكريم اللاهيجي ، المتوفى في حدود سنة ١٣٢٢هـ .

٨ ـ ميرزا محمد تقي الكركاني ، المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ .

٩ ـ ميرزا محمد تقي الاشتياني .

١٠ ـ ميرزا محمود الحكيم القمي ، المتوفى بعد سنة ١٣١٣ هـ .

١١ ـ ميرزا ابراهيم الزنجاني ، المعروف بـ « مسكر » ، المتوفى سنة ١٣٥١ هـ.

١٢ ـ السيد محمد تقي التنكابني ، المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ.

١٣ ـ المولى عبد الخالق المشهدي ، المدرس في مدرسة المستشار بمشهد ، المتوفى سنة نيف و١٣٢٠ هـ.

١٤ ـ الشيخ محمد حسين الخراساني ، المتوفى سنة ١٣٤٧ هـ.

هجرته الى العراق

هاجر الى العراق ، سنة ١٣١٣ ، واستقر في النجف سنة ١٣١٥ هـ. ثم هاجر الى سامراء سنة ١٣٢٩هـ. ولبث فيها بضع سنين . ثم فارقها ، ونزل الكاظمية سنة ١٣٣٥ ، وسكنها حتى سنة ١٣٣٧ هـ.

ثم عاد الى سامراء حتى غادرها الى النجف سنة ١٣٥٤ هـ، وبقي فيها حتى مات سنة ١٣٨٩هـ.

قرأ في النجف الفقه ، والاصول ، والحديث ، والرجال ، على :

١ ـ السيد محمد تقي القزويني ، المعروف بالسيد اغا ، المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ.

٢ ـ ميرزا محمد علي الرشتي الجهاردهي ، المدرس ، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ.

٣ ـ الشيخ حسن التويسركاني ، المتوفى قريب سنة ١٣٢٠ هـ.

٤ ـ الشيخ عبد الله الاصفهاني ، المتوفى سنة ١٣١٧ هـ.

٥ ـ ميرزا حسين النوري ، المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ.

٦ ـ شيخ الشريعة الاصفهاني ، المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ.

٧ ـ الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني ، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ.

٨ ـ ميرزا حسين الخليلي ، المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ.

٩ ــ الشيخ اغا رضا الهمداني ، المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ .

١٠ ــ السيد محمد كاظم اليزدي ، المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ .

١١ ــ الشيخ محمد طه نجف ، المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ .

وقرأ في سامراء على :

١٢ ــ الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي ، المتوفى سنة ١٣٢٨ هـ .

وفــــاته

توفي في النجف ، يوم الجمعة ، ١٣ ذي الحجة ، سنة ١٣٨٩هـ . ودفن في حجرة خزانته في داره في الجديدة ، بالنجف ، يوم السبــــت ١٤ الشهر الحرام .

مشــــايخه

الذين اجازوا له الرواية عنهم

(أ) الامــــامية :

١ ــ السيد ابو تراب الخوانساري ، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ .

٢ ــ السيد احمد بن ابراهيم الطهراني ، المعروف بالكربلائي ، المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ .

٣ ــ السيد حسن الصدر ، المتوفى سنة ١٣٥٤هـ .

٤ ــ ميرزا حسين الخليلي الطهراني ، المتوفى سنة ١٣٢٦هـ .

٥ ــ ميرزا حسين النوري ، المتوفى سنة ١٣٢٠هـ .

٦ ــ الشيخ عباس القمي ، المتوفى سنة ١٣٥٩هـ .

٧ ــ الشيخ علي الخيقاني ، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ .

٨ ــ الآخوند ، المولى علي بن فتح الله النهاوندي ، المتوفى سنة ١٣٢٢هـ

٩ ـ الشيخ علي بن محمد رضا آل كاشف الغطاء ، المتوفى سنة١٣٥٠هـ

١٠ ـ شيخ الشريعة ، فتح الله بن محمد جواد الاصفهاني ، المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ .

١١ ـ الشيخ محمد صالح آل طعان القطيفي البحراني ، المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ .

١٢ ـ الشيخ محمد طه نجف ، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ .

١٣ ـ السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي ، المتوفى سنة ١٣٣٤هـ .

١٤ ـ ميرزا محمد علي المدرس الجهاردهي الرشتي ، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ .

١٥ ـ السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني ، المتوفى سنة ١٣٨٦هـ .

١٦ ـ الآخوند ، الشيخ محمد كاظم الخراساني ، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ .

١٧ ـ السيد مرتضى الكشميري ، المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ .

١٨ ـ الشيخ موسى بن جعفر الكرمانشاهي الحائري ، المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ

١٩ ـ السيد ناصر حسين ، صاحب العبقات ، المتوفى سنة ١٣٦١ هـ .

٢٠ ـ السيد ميرزا هادي الخراساني ، المتوفى سنة ١٣٦٨ هـ .

(ب) أهل السنة :

١ ـ الشيخ ابراهيم بن احمد حمدي الخربطلي ، خازن مكتبة شيخ الاسلام احمد عارف حكمت بالمدينة المنورة .

٢ ـ الشيخ عبد الرحمن عليش الحنبلي ، المدرس بالازهر .

٣ ـ الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله خوقير المكي ، الشافعي ، امام المسجد الحرام .

٤ ـ الشيخ محمد علي الازهري المكي المالكي ، المدرس بمكة .

مشاهير الرواة عنه

يروى عنه مآت وبما جاوزوا الالفين ، من مشاهيرهم :

١ ـ الشيخ جعفر نقدي

٢ ـ السيد جمال الدين الكلبايكاني .

٣ ـ الحاج اغا حسين البروجردي .

٤ ـ الشيخ حسين القديحي .

٥ ـ حيدرقلي خان ، السردار الكابلي .

٦ ـ الشيخ ذبيح الله المحلاتي .

٧ ـ السيد رضا الهندي .

٨ ـ السيد شهاب الدين المرعشي .

٩ ـ السيد صادق الهندي .

١٠ ـ الشيخ عباس القمي .

١١ ـ الشيخ عبد الحسين الاميني .

١٢ ـ الشيخ عبد الحسين الحلي .

١٣ ـ السيد عبد الحسين شرف الدين .

١٤ ـ السيد عبد الرزاق المقرم .

١٥ ـ السيد عبد الله الموسوي ، البرهان السبزواري .

١٦ ـ السيد علي نقي الكهنوي .

١٧ ـ الشيخ فرج القطيفي .

١٧ ـ السيد محمد المشكاة ٠

١٩ ـ الشيخ محمد حسين المظفر ٠

٢٠ ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين ٠

٢١ ـ الشيخ محمد رضا الطبسي ٠

٢٢ ـ السيد محمد صادق بحر العلوم ٠

٢٣ ـ الشيخ محمد صالح آل طعان القطيفي البحراني٠

٢٤ ـ ميرزا محمد علي الغروي الاوردبادي٠

٢٥ ـ ميرزا محمد علي التبريزي الخياباني، المدرس ٠

٢٦ ـ الشيخ محمد علي المعلم الحبيب آبادي ٠

٢٧ ـ الشيخ محمد علي اليعقوبي٠

٢٨ ـ ميرزا نجم الدين الشريف العسكري ٠

٢٩ ـ السيد ميرزا هادي الخراساني ٠

٣٠ ـ السيد هبةالدين الشهرستاني٠

ومنهم ايضا :

٣١ ـ الدكتور حسين علي محفوظ ، كاتب هذه الرسالة ، وابنه واخوه وبعض اقاربه ٠

* * *

مؤلفاته :

١ ـ أبسط الاماني في الاجازة للسيد الجلالي ٠

٢ ـ الاجازات المبسوطة ، وهي عدة ٠

٣ ـ الاجازات المتوسطة ، وهي عشرات ٠

٤ـ الاجازات المختصرة ، وهي نحو من ألفين.

٥ ـ اجازات الرواية والوراثة في القرون الاخيرة الثلاثة .

٦ ـ أحوال جماعة من العلماء ، قلا من خط الجبعي.

٧ ـ احياء الداثر من مآثر اهل القرن العاشر .

٨ ـ اختصار الجزء الرابع من كتاب «رياض العلماء».

٩ ـ اختصار كتاب الزيدية ، في التراجم .

١٠ ـ ازاحة الحلك الدامس بالشموس المنيرة في القرن الخامس .

١١ ـ استخراج الرسالة المنسوبة الى الغزالي ، في شرح دعاء « جنة الاسماء» ، والقصيدة المذكور فيها آداب كتابة ذلك الدعاء ، وشرائطه ، مع اختلاف نسخ الدعاء.

١٢ ـ الاسناد المصفى الى آل المصطفى ، وهو « المشيخة ».

١٣ ـ انتخاب الامجاد من تاريخ بغداد .

١٤ ـ الانوار الساطعة في المائة السابعة .

١٥ ـ باب في المترجمين من علماء الهند في كتاب « سبحة المرجان» تأليف آزاد البلكرامي .

١٦ ـ ترجمة ابن جمهور العمى البصري.

١٧ ـ ترجمة ابن شهراشوب . كتبها للسيد هبة الدين واوصلتها انا اليه

١٨ ـ ترجمة الشيخ عبد اللطيف بن ابي جامع ، جد آل محيي الدين.

١٩ ـ ترجمة العقيدة الاسلامية بالفارسية . تأليف المستشرق البريطاني كويل ويلهام ترجمها الى العربية ضياء الدين المصري. وظهرت باسم « آيتي اسلام » .

٢٠ ـ تعريف الانام بحقيقة المدنية والاسلام ، ترجمة كتاب « المدنية والاسلام ».

٢١ ـ تفنيد قول العوام بقدم الكلام .

٢٢ ـ تقاريظ الكتب والمصنفين ، بالعربية والفارسية .

٢٣ ـ تقريرات الآخوند ، في الاصول .

٢٤ ـ تقريرات الآخوند ، في الفقه .

٢٥ ـ تقريرات شيخ الشريعة ، في الفقه .

٢٦ ـ تواريخ منتزعة من ملتقطات فصوص اليواقيت .

٢٧ ـ توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد .

٢٨ ـ الثقات العيون في سادس القرون .

٢٩ ـ الجوابـات .

٣٠ ـ الحقائق الراهنة في المائة الثامنة .

٣١ ـ حياة الشيخ الطوسي.

٣٢ ـ الدر النفيس في تلخيص رجال التأسيس.

٣٣ ـ الذريعة الى تصانيف الشـيعة .

٣٤ ـ ذيل كشف الظنون .

٣٥ ـ ذيل المشيخـة .

٣٦ ـ الرحمانية .

٣٧ ـ رسالة في حال كتاب الكافي ، وهل يوجد فيه خبر ضعيف أو لا .

٣٧ ـ رموز البحار ، مرتبة على حروف المعجم .

٣٩ ـ الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة .

٤٠ ـ شجرة السبطين وشرعة الشطين.

٤١ ـ شعره العربي ، وهو قليل جدا .

٤٢ ـ شعره الفارسي ، وهو قليل ايضا .

٤٣ ـ الضياء اللامع في عباقرة القرن التاسع .

٤٤ ـ ضياء المفازات في طرق ومشايخ الاجازات .

٤٥ ـ طبقات أعلام الشيعة .

٤٦ ـ الظليلة ، في تشجير بعض البيوتات الجليلة .

٤٧ ـ علماء الزيدية .

٤٨ ـ فهارس المخطوطات التي اطلع عليها في ايران .

٤٩ ـ فهرس الخزانة الغروية .

٥٠ ـ الفـــوائد .

٥١ ـ الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة .

٥٢ ـ كشكول متفرقات .

٥٣ ـ كشكول سفر الحج .

٥٤ ـ الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة .

٥٥ ـ لامع المقالات في فهرس فصول جامع السعادات .

٥٦ ـ مجموعة أجازات السيد بحر العلوم التقطها من مجموعـة شيخ العراقين الطهراني .

٥٧ محصول مطلع البدور وتلخيص ما فيه من المنثور .

٥٨ ـ مختصر موجز من حياة زين الدين ، ابي محمد ، علي بن محمـد بن يونس البياضي .

٥٩ ـ مراسلاته ، الى العلماء والسائلين في المشارق والمغارب •

٦٠ ـ المراسلات الطهرانية ، وهي مجموعة رسائله الى الدكتور حسين علي محفوظ جمعها كاتب هذه الرسالة في مجموعة خاصة مفردة •

٦١ ـ مستدرك الذريعة •

٦٢ ـ مسند الامين في مشايخ الرجاليين •

٦٣ ـ مشايخ فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي ، في اسانيد تفسيره•

٦٤ ـ مصفى المقال في مصنفي علم الرجال •

٦٥ ـ مقدمات الكتب ، وهي كثيرة •

٦٦ ـ مكاتبات الشيخ محمد علي بن زين العابدين ، المعلم الحبيب آبـادي •

٦٧ ـ ملخص زاد السالكين •

٦٨ ـ منتخب كتاب الادعية ، للامير السيد حسن بن ابراهيم بن معصوم الحسيني ، القزويني•

٦٩ ـ منظومة العقائد ، في اصول العقائد الخمسة ، بالعربية •

٧٠ ـ نزهة البصر في فهرس نسمة السحر •

٧١ ـ نقباء البشر في القرن الرابع عشر •

٧٢ ـ النقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف •

٧٣ ـ نوابغ الاعلام والرواة في رابعة المآت •

٧٤ ـ هدية الرازي الى المجدد الشيرازي•

٧٥ ـ واقعة الطف الخالدة ، كلمة مختصرة•

٧٦ ـ الياقوت المزدهر في تلخيص رياض الفكر •

خزانتـــه

تعد خزانة الشيخ اغا بزرك في النجف من اجل الخزائن الاسلاميـــة في هذا العصر • وفيها من الذخائر في التاريخ، والتراجم، والحديث، والفهارس ما لا يحصى • وقد وقفها في يوم الجمعة ، ٢٥ ذي الحجة ، سنــــة ١٣٧٥هـ• وأشهد السيد عبد الله الشيرازي ، والسيد ابراهيم الحسيني الشيـــرازي الاصطهباناتي الشهير بميرزا اقا ، والشيخ محمد رضا الطبسي ، والشيـــخ حسين مشكور • وهذا نص وقفيتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي : الحمد لله الواقف على خطرات الضمائر ، والمطلع على خفايا السرائر ، والعالم بما زبر في كافة الدفاتر • والصلاة والسلام على من اوحي اليه كتاب الاسلام ، الناسخ لما انزل قبله على الانام • وعلى اوصيائه المعصومين عن جميع الآثام ، حفظة شرعه وكتابه الى يوم القيام •

وبعد فلما وافاني التحريض من اولادي الكرام ، وبلغني التأكيد عنهـم، بابقاء كتبي في مقبرتي في النجف الاشرف ، لانتفاع عموم الفضلاء والاعلام، ودعاني ترغيب الشرع الشريف الى تقديم الصدقة الجارية النافعة لاهــــل الاسلام ، اغتنمت الفرصة ، واستخرت الله ـ جلّ جلاله ـ واجريت صيغة الوقف لكافة ما تحويها مكتبتي في النجف ، المؤسسة بعد نزولي اليهـــا من سامراء ، سنة ١٣٥٤ ـ ما عدا المطبوعات من الذريعة ، وطبقات الاعلام • فانها تباع ، وتصرف قيمتها في طبع بقية اجزائهما ، وما عدا ما كتبته بقلمـــي من تصانيفي او غيرها ، مما سبق مني وقفها خاصة لخصوص اهل الفضل من أولادي الذكور ، لانتفاعهم عنها ، واقدامهم على طبعها ـ وجعلت توليـــة هذه الكتب ونظارتها لصهري الحاج الشيخ حسين ، والسيد مهدي المدرسي، واولادي الذكور القاطنين في طهران ، وأولادهم • وهم الذين يقيمون بادارة المقبرة التي هي محل تلك الكتب ، ويبذلون مصارفها •

ولو فرض ــ والعياذ بالله ــ انقراض هؤلاء ، أو عدم قيام أحد منهم ببذل مصارف المكتبة ، فلتنقل الكتب الى مكتبة أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ التي أسسها الشيخ العلامة الاميني قبل سنتين ورغبتي الى ذلك من يوم تأسيسها .

وعلى أي ، فهذه الكتب موقوفة ما بقيت أعيانها ــ الى ان يظهر الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه ــ ويعمل فيها بما أراده الله تعالى .

ومن بدله ــ بعدما سمعه ــ فاثمه عليه . وكان وقوع صيغة الوقف، وقبض المتولي ، في يوم الجمعة ، الخامس والعشرين ، من شهر ذي حجة الحرام ، من سنة خمس وسبعين وثلثمائة والف ١٣٧٥ وذلك بعد مضي شهر تام من يوم دحو الارض ، من تلك السنة . وبعد مضي ثلاثة اشهر وثلاثة أيام من انشاء وصيتي الرسمية ، المؤرخة يوم الخميس ، الحادي والعشرين من شهر الصيام ، من السنة المذكورة .

وقد حررت ذلك بيدي المرتعشة ، في داري ، في النجف ، وانا

حسين علي محفوظ

عنوان مجلة « العرفان »

★ ★ ★

بيروت ــ لبنان

ص.ب : ٣٩٧٨

مجلة العرفان او نزار الزين

تلفون : ٢٥٦٥٥٠

عبد الحميد بن باديس

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

عاد ارم — جيران الحجر — موقف المؤرخين والرحالين — قصة الناقة — نهاية ثمود هي عاد ارم ، المرتفعة في مجدها وشدة بأسها ، وقوة اجسامها ووفرة مواليدها وقلة وفياتها .

هاجرت من حضرموت ، بعد أن اذنت شمس حضارتها بالافول ، فحلت وادي القرى ، المعروف للان بتربته الخصبة ، وآباره المترعة ، وأمطاره الغزيرة وواحاته المخضوضرة ، وامتدت للحجر . أنزلها الله أرضا ، صالحة للحياة والانتاج ، والتقدم والعمران والتجارة والصناعة ، فاستأنفت السير في خط حضارة سلفها ، وورثتهم بناء ، وقوة سياسية وحربية ، وهندسة ونجارة ونحتا ، وتمتعت بالامن والرغد والهدوء والاطمئنان ، فانعدم المحرومون والحاقدون وقطاع الطريق .

فاقت عادا الاولى ، فلم تنحت من الجبال بيوتا ، بل نحتت الجبال نفسها بيوتا !! اذ معلوم الفرق بين من نحت من الجبل ، اي احال بعضه منزلا ، ومن نحت الجبل ، اي اتخذه نفسه منزلا ، كما نرى الامم المعاصرة ، التي تحيل قلب الجبل مدينة ، وتستخدم منه انفاقا توصلها مكانا آخر ، تدفع خطر ما قد تلاقيه من قطع المواصلات !!!

معلوم ان كلمة نحت تساوي : نجر ، بري ، جلي ، صقل ... وهذا يستلزم اوائل وادوات كثيرة ، ويقتضي معرفة الهندسة والحساب .

وهذا ما ساعد عادا الثانية ، على أن تقيم في السهول بيوتا ، حرصا على قطف الزرع والثمار ، وتقيم في الجبال بيوتا ، بل وتنحتها بيوتا ، وتعرضها

متمتعة بحدائق ومنازل ، تحف بها الاشجار ، ذات الثمر الهضيم ، الليـــن اللطيف •

اما قوة جيشها فقد حملت قادته على التحدي ، اذ لم يكن في ما يعرفون من اجزاء الارض ، جيش يوازيه ، قوة ومنعة وتنظيما واقداما •

وكأن القرآن اقر تحديهم فلم يقل : ألم يروا ان جيش دولة كـذا ، أشد منهم قوة بل قال : (ألم يروا ان الله الذي خلقهم أشد منهم قوة)•

جيران الحجر

أما جيران الحجر ، وفي مقدمتهم الانباط ، فيكادون يشكلون معهـــا حضارة واحدة ، اذ عرضهم القرآن يقومون بالرحلات حرصا على الـوعي ، ويتفوقون بالتجارة ، كما نرى في آثار امتدادهم للعقبة ، وارتباطاتها التجارية مثل تبوك ومعان ودومة الجندل ومدن الانباط ، وتيماء وميناء حقل (ميناء تبوك على البحر الاحمر) اذ رأينا لهؤلاء لاسيما ايام ملكهم عبادة الاول ، والحارث الثالث ، دورا تجاريا فخما قبل خمسة وعشرين قرنا •

لقد ساهموا في عمران جرش ، بل وتجاوزوها لبصرى وحوران الغربية، وعرفوا بها بعض المياه المعدنية واستخدموها للاستشفاء ، كما نرى في ترجمة النبي العربي أيوب •

تحدثت الايات الكريمة عن امتداد حضارة الحجر ، واعلنت انها كانـت أشد من عرب القرن الهجري الاول قوة ، واشارت لزراعة وتشجير العقبـة بكلمة (واصحاب الايكة) •

والايكة أشجار التف بعضها على بعض ، فغطت الارض بالغابات ، وقد اشتهرت منطقة العقبة بهذا ولا تزال كلمة الايكة مطلقة على واد يـسـدعونه مغائر شعيب •

الحجر حلقة اتصال بين الاحقاف والشام اذ ترى وجه الشبـه ، بين آثارها واثار النبطيين ، في مدينة بتراء وخربة التنور والتل العالي ، كما نرى الالتقاء في اتقان النقوش والحفر والنحت والبناء ذي الطوابق ، بل نرى خطوة الغراب (شعار النبطيين) منقوشا على بعض آثار ثمود ، وهذا ما يؤكد صحة الروايات التي ترينا الحجر (مدائن صالح) دخلت يوما دائرة النفوذ النبطي .

موقف المؤرخين والرحالين

لعل المؤرخ الاصطخري ، أول رائد مسلم ، زار الحجر منذ ألف عام، ورأى بيوته المنحوتة على سلسلة جبال ليست متصلة ، وصفها بقوله (لا يكاد يصعدها أحد الا بمشقة).

القرآن نفسه دعا تلك البيوت قصورا وعرضها عبرة وآية ، ولم يرها الاصطخري او سواه من الرحالين والرواد والمؤرخين مقابر ، ورغم هذا زعمها بعض المستشرقين مقابر !!!

قالوا هذا ـ كعادتهم ـ ! فرددناه كعادتنا ! بل نقروا فرقصنا ، وأنى لبعض حملة أقلامنا أن يجربوا طعم الاستقلال ، ولو بالترديد والرقص ، ويلتمسوا ـ ولو مرة في العمر ـ هداية القرآن !

لقد فاتهم ، ان ثمودا اقامت على تلك السلسلة دولتها المثالية ، وتركت اخبارها بالخط الثمودي (حروفه مقطعة دون نقط) وان الذين يقيمون قصورا في السهول والشعاف لا يحتاجون كهوفا يقيهم الحر والقر !

قصة الناقة

اما هذه ، فلا أراها تعدوا التجربة ، في سماع توجيه الرسول صالح او التمرد ، اذ السلبيون تجاه ارواء الناقة ، أشد تماديا في السلبية تجاه ما جاء به !!!

هذه تشبه قصة القائد الذي مر بنهر فأمر جنوده بعدم الاستقاء ، لان الذين يتمردون حتى في الشرب وعدمه ، أشد تمردا حين يؤمرون بخوض المعركة .

نهاية ثمود

اعترى حضارتهم ما يعتري الحضارات ، من التطرف والاعراض والتنازع الداخلي ، فأخذت الايات الكريمة ، تحذر من مثل قصورهم ، وتهدد بمثل مصيرهم ، وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، هذا المقصد، منذ مر بالحجر في طريقه من المدينة لتبوك عام ٩ هـ قائلا لاصحابه ، (لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم) بل وامر بعدم الاستقاء من مائها .

حجر الآن

حاضرة منطقتها الان ، محافظة العلا ، ولم تحتفظ من تلك الحضارة الا بقايا شجيرات من النخل يتخللها خيام قبيلتي حرب وولد علي، او منازلهما التي تشبه الخيام !!

هكذا انتهت ثمود كحضارة ، وان بالغ بعضهم ورآها انتهت كقبيلة، لم ينج منها الا شخص يدعى ابا رغال وهو في ما قيل جد الثقفيين !!!

من حضارة قدماء العرب

معادن ـ مصانع ـ انظمة ري ـ تجارة .

معادن

الآيات الكريمة ، عرضه الاحقاف والحجر ، متمتعين بمنازل فخمة، يتخلل الماء طباقها ، ويزينها النقوش المتقنة .

تحدثت عن ديار برز عمرانها ، وارتفع شأن زراعتها ، وطرقها المعبدة الآمنة .

ضبطت مسافاتها بالاميال ، وتقاربت مواقعها ، فلا يكاد المسافر يفارق مدينة او محطة أعدت لرفاه المسافرين ، مجهزة بأسباب الهدوء والراحة ، حتى يستقبل عامرا (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين)• يجتاز مدنا ظاهرة ، عالية، ذات سلطان ورفعة واستعداد وغابات كثيفة وواحات نضرة ، وأعداد مـــن السكان متكاثرة •

تفوقت بارتفاع مستوى المعيشة ، وصعدت سلم نظافة ، فارتفع شأنها الصحي ، وفازت بكثرة النسل وقلة الوفيات ، ونجت من الاوباء ، التي تفضي على الامم ، المحرومة من حصانة الوقاية ، بل وفازت باطالة الاعمار (وزادكم بسطة في الخلق) اذ كانوا ــ كما قال صاحب المصحف الميسر : (أطـــول الناس اعمارا وأقوى أبدانا) •

صعدت سلم فنون ، ولا تزال بصماتها تعلو صور حيوانات ، أليفـــة ومفترسة ، بعضها منقرض !!! ولعلها اقدم ــ أو من أقدم ــ ما عرف المنقبون، من آثار قدماء العرب وسواهم •

اما المعادن ، فقد عرض القران العربي ، بعرف المناجم ، ويتقن استخراج الحديد ، قبل خمسة واربعين قرنا ، كما نرى في قوله تعالى قاصـــدا نوحـــا: (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أي عرض عرب العراق يقطعون اخشابا، ويقيمون سفنا مصنوعة باوائل الحديد ، كالقدوم والمنشار، مشدودة بالمسامير، كأن العراق من حينذاك ، يؤسس ما ندعوه الان احواض السفن ، ويتقـــن الهندسة وزرع وتصنيع القطن والكتان والنسيج ، لاحالتها حبالا وشراعا، ويتقن النجارة وصنع القؤوس كما نرى في الآيات التي حدثتنا عن ابراهيم •

وسواء أكان ذو القرنين يمانيا كما يجنح لهذا كثيرون ، من اصحـــاب المراجع المحترمة ــ أو ليس يمانيا ، فهو على كل حال ، من هذا البلد الـــذي كان منذ قرون تستعصي على التحديد ، يعرف مناجم الحديد والنحـــــاس والرصاص ، ويستطيع استخراجها وصهرها ، ويعرف النقد ــ الفضـــة والذهب ــ ويتمتع بملوك أقوياء ، ماديا ، ويكادون يتقمصون الملائكة زهدا

وعفة وبعدا عن الطمع . ولئن فرحنا حين رأينا قومنا في العراق يصنعـــون السفن وما يستلزمها من اوائل النجارة والهندسة منذ عهد نوح ــ وهو على كل حال في متناول المؤرخين ــ فقد تضاعف فرحنا ، حين رأيناهم يقودون جيشا يخترق جدار الشرق الاقصى ، وينقذ بعض سكانه من بعض ، باقامـــة سد محكم بقطع من الحديد والنحاس والرصاص ، ويحجم عن عبادة الذهب، ويؤمن بالله ايمانا سليما .

تعليق على المعـادن

تظافرت يد الاثار وتحقيقات المؤرخين ، على رؤية الجزيرة سياقة مجلية، بل تحدت عصور الانحطاط ، ولا تزال تستخرج المعادن بالطرق البدائية !!!

بغض النظر عن حضارة الجاهلية الاولى ، (ومعرفة المعـــادن كركن أساسي في الحضارة) وغض النظر عن الادوار التي رأيناها بين الجاهليـــة الاولى وعهود رسالتي هود وصالح ، نجزم أن معرفة استخراج المعـــادن لم تندثر باندثار حضارة العاديين والثموديين والنبطيين والمديانيين ، بل استمرت وتوورثت فأخذنا حتى قبيل الاسلام نرى مناجم غطفان وذبيان وكعب وسليم، بل ونرى في العهد النبوي ما يشبه وزارة المعادن . وما زلنا نرى يد اخراج المعادن ممدودة حتى القرن الرابع الهجري.

المعـادن قبيل الاسلام وبعده

نشاط قدماء العرب ــ سيدنا محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، منح المراسيم للراغبين بالتنقيب عن المعادن .

نشـــاط قدماء العرب

لعل عرب عسير وعمان ، أسبق الامم بمعرفة استخراج المعـــادن ، اذ استخرجوا النحاس ثم تلاهم عرب سيناء ، فاستخرجوا الذهب والفـيروز منذ أربعين قرنا .

اما اليمن ، فقد ضربت أسماء تبابعتها ــ أباطرتها ــ ملوكها ، عـــلى

دنانيرها الذهبية ، التي لا تزال محفوظة .

اتفق علماء التاريخ ، وعضدتهم الاثار الناطقة ، المكتشفة حديثا ، بان العرب ، ان لم يكونوا اسبق الامم ، باستخراج المعادن ، فهم من السابقين ، كما صرح بهذا شيخا مؤرخي اليونان : (سترابون وديودور).

ثم جاء الاسلام ، فوجد كثيرا من القبائل تنقب الارض التي ظنت بها المعادن ، كمناجم بحران وفاران وتبوك ومهد الذهب ... بالحجاز ، ومناجم اليمامة والحفير والظبيب والعوسجة وتربة والهجير والقصاص ... بنجد ومناجم شويلة وخولان وسبأ وفروة ... باليمن ، بل رأينا من لا أرض لهم، يحاولون العثور على ذرات الذهب في مجاري الانهر وبطون الاودية .



بارك الاسلام هذا النشاط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في معرض الثناء على بني عقيل ، وقد ذكر امامه معدنهم المعروف بمعدن (جعاد) ، بأرض بني عقيل يمطر الذهب .

سيدنا محمد منح المراسيم للراغبين بالتنقيب عن المعادن

اما القبائل التي لا مناجم لها ، فقد منحها رسول الله حق التنقيب ، فاذا عثرت اعترف لها بحق الاستثمار ،وأعطاها اذنا مخطوطا ، كما ترى في اذن بلال بن الحارث المزني المحفوظ بهذا النص : (هذا ما اعطى محمد رسول الله بلالا بن الحارث المزني ، أعطاه معادن القبلية) .

بهذا ضبطت المساحات ، وساد النظام ، وعمت الطمأنينة . واني لارى ثروات الجاهليين ، كعبد الله بن جدعان المعروف بـ (حاسي الذهب) وثروات الصحابة كعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وطلحة والزبير ... التي لا يحطم سبائكها الا الفؤوس ، أراها ليست ثمار تجارة فحسب ، بل ثمار معادن .

مر عصر النبوة ، والخلافة الراشدة ، والناس آمنون على مناجمهم ،

وكثيرا ما تعاملوا بقطع غير مضروبة ، فتضاعف التنقيب والاستثمار ، لاسيما بعد أن اسست دمشق عام ١٢٨هـ ما نعرفه اليوم بوزارة المعادن .

ثم خبت جذوة النشاط تدريجيا ، فأفلت شمس التنقيب ، لاسيما بعد صولة القرامطة على مكة عام ٣١٧، وصولة صاحب الزنج على البصــرة ، وأقبلت عصور الغفوة واصبح أمر المعادن حديثا يتعاوره المؤرخون .

ثم ما زلنا نجهل ونهزل ، حتى جهلنا اخبار هذه المعادن التي تحتــفظ بها المراجع ، وبتوجيه الطامعين الكامنين ، خلنا ديارنا لا تصلح الا للحياة البدائية ، بل تضاعف هزالنا ، ومرضت انوفنا وما زلنا غافلين مرضى الانوف، حتى استنشق العلماء الالمان ١٩٠٢ رائحة معادن وسوائل الحجاز ، فاغتنـم المتنافسون سواد غفوتنا ، وجاسوا خلال ديارنا وعاثوا بخبايانا !!!

المصــانع

ذكرت الآيات الكريمة كلمة مصانع ، بسياق الحديث عن حضارة قدماء العرب ، اشارة الى انها من مستلزمات الحضارة ، لكن بعض المفسرين،الذين كتبوا في عصور الانحطاط والفتور ، صرفوا كلمة مصانع عن معناها الظاهر، الذي تفرضه القرينة الملموسة ، وفسروها بكلمة (قصور وبيوت) ، ولــو عاشوا لهذا الزمن ، وشاهدوا ما تمخضت عنه آثار عاد وسبأ وثمود وعسير، لادخلوا تعديلا على ما كتبوا .

تنكروا لكلمة مصانع ، ناسين انهم يعرضون تفسير (وتنحتون مــن الجبال بيوتا) والنحت يستلزم اوائل ومعادن ، والنعمة تستلزم زراعــة واشجارا ومياها وأمنا وعدلا واطمئنانا ، بل نسوا انهم يفسرون آيات تعرض حضارة (لم يخلق مثلها في البلاد) ،على الاقل (البلاد التي عاصرت قيامها).

وصرفوا كلمة (السائحين والسائحات) عن الرحالين ورواد الاكتشافات وفسروها بـ (الصائمين والصائمات)، ناسين ان السياحة للاطلاع والابداع والنفع العام ومساعدة عقل الانسانية الكلي ، معطوف على العابدين الحامدين

الراكعين الساجدين . وفاتهم قاعدة (اذا تعذرت الحقيقة يصار الى المجاز) وحمل كلمة (السائحين والسائحات) على الحقيقة ليس متعذرا .

أعلنت الآيات بمناسبات كثيرة ، ان العرب الاقدمين كانوا على سعــة وبسطة ، وقوة وبناء واسلوب حياة راق ، تلمسه من كنوزهم المدفونــة وحضاراتهم السباقة .

نلمسه من مصانع ثمود التي لا تزال آثارها قائمة في مدائن صالح ، بل كانت المصانع تغمر المدن الكبرى كمكة والمدينة ، اذ بهما من الآثار ما يحملنا على الجزم بوجود مصانع الزجاج والفخار والملاعق والسكاكين ، وتغمر حتى المدن المتواضعة كما نرى قرية السودا ــ احدى قرى عسير ، تصنع الادوات الزراعية والمنزلية .

ولا عجب فالمصانع العربية قديمة جدا ، وقد اشار لها ابن خلدون مرارا لاسيما حين حدثنا عن انتقال الخط الذي وصفه (ببالغ الجودة) من اليمــن لسواها .

الســــدود

موضوع المياه ، يدفعنا للتحقق من تفوق العرب بالقدرة على اقامــة القنوات التي توصل المياه للبيوت والقصور والبساتين . تفوقوا بهذا ، ولا يزال نظام تقسيم المياه الموروث عنهم موضع استغراب الوافدين لمشاهدة آثارهم في الاندلس .

ولا ريب أن العناية بهندسة الماء ، اثمرت سدود الجزيرة ، وما اكثرها وأخلدها واحكمها .

الآبــــار

مياه شبه الجزيرة الجوفية ، للان لا تكاد تتجاوز ثلاثة عشر متــرا في كثير من المواقع التي خبرتها بنفسي . وهذا ما يدفعني للتحقق بان نظــام

الابار كان يغطيها ، ولعل من بقاياها واخلدها بئر تيماء (هداج)، اصلحته دولة المملكة العربية السعودية حديثا ، وامدته بمضخات ضاعفت ثراء تيماء وعمرانها . بل عثرت الحفريات حديثا بتيماء ، على آبار كثيرة، لا يكاد يفرج عنها حتى يتدفق ماؤها ويستعصي على النضوب رغم المضخات الضخمة المعدة للارواء الزراعي .

الانهـــار

اما الانهار التي حدثنا عنها هيرودتس قبل ٢٥ قرنا ، فبعضها ينساب مئات الاميال ليصب في البحر الاحمر او الخليج ، وبعضها جف ولا يزال يحمل اسم نهر كذا او وادي كذا ، كما نرى في وادي السرحان وهو الان اسم دون مسمى .

بيروت — محمد علي الزعبي

مـــلاحظـات هـامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط ، و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار ، كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

الأدب ووحدة الثقافة العربية

بقلم: الدكتور عبد الله عبد الدائم

- ١ -

لعل الادب ــ من بين مظاهر الحضارة الاخرى ــ أحفلها تعبيرا عن شخصية الامة وهويتها القومية ، لا بوصفه مرآة لتلك الشخصية حسب ، ولكن بوصفه اعمى اداة لخلقها وتجديدها ايضا • ان سائر قسمات الحضارة، من علم واقتصاد وعمران وسواها ، نتاج لابداع الامة وعبقريتها وقدرتها على تسخير الطبيعة للانسان اما الادب ــ ومعه الفن والفلسفة ــ فهو الذي يكشف عن الملامح الذاتية الخاصة للامة حاملا منه نظرتها الى الكون والوجود وتصورها لدور الانسان فيهما انه وعي الامة لحقيقتها ورسالتها ، وانه الدور المشع عبر العصور يختزن معه كل يوم رؤاها العميقة وصبواتها المتشوقة المتجددة وطموحها الخلاق الى ابداء مصيرها ومصير الانسان عامة •

وهو اذ يفعل ذلك ، يندس في اعماق الشعور ، بل في اقاصي اللاشعور، ويحضر بجرأة في النفوس عارما قويا باقيا لا تزعزعه الغواشي ولا تنال منه الاحداث • اصالة الامة تأوية اولا في ادبها ، لانه تعبير عما تنفرد به، ولان اداته اللغة القومية التي تحمل معها دوما فلسفة الامة وتجربتها ، ولان ميدانه الجماهير الواسعة العريقة ، يغنيها ويغتذي بها ، ويرفدها وترفده ويحيا بها ومنها والادب العربي من اكثر الآداب العالمية التصاقا بهوية الامة واصالتها ورسالتها لا لانه ادب غني حسب، بل لانه كان وما يزال ابرز ما اختصت به الامة العربية منذ بداية تاريخها حتى اليوم •

وليس من قبيل الطرفة ان نروي ما أثر عن ابن المقفع في هذا الشأن : جاء في الامتاع والمؤانسة ، لابي حيان التوحيدي ما يأتي :

« قال شبيب بن شبة : انا لوقوف في عرصة المربد، وهو موقف الاشراف ومجتمع الناس وقد حضر اعيان المصر ـ اذ طلع ابن المقفع فما فينا أحد الا هش له وارتاح الى مساءلته . ثم أقبل علينا فقال : أي الامم أعقل ؟ فظننا انه يريد الفرس . فقلنا : فارس أعقل الامم ، نقصد مقاربته ونتوخى مصانعته . فقال كلا ، ليس ذلك لها ولا فيها ، هم قوم علموا فتعلموا ومثل لهم فامتثلوا واقتدوا ، وبدئوا بامر فصاروا الى اتباعه ، وليس لهم استنباط ولا استخراج . فقلنا له : الروم . فقال ليس ذلك عندها ، بل لهم ابدان وثيقة ، وهم اصحاب بناء وهندسة لا يعرفون سواهما ولا يحسنون غيرهما . قلنا : الصين . قال : اصحاب اثاث وصنعة ، لا فكر لها ولا روية . قلنا : فالترك . قال : سباع للهراش . قلنا : فالهند . قال: اصحاب وهم ومخرقة وشعبذة وحيلة . قلنا : فالزنج . قال : بهائم هاملة . فرددنا الامر اليه . قال : العرب . فتلاحظنا وهمس بعضنا الى بعض . فغاظه ذلك منا وامتقع لونه ثم قال : كأنكم تظنون في مقاربتكم ، فو الله لوددت ان الامور ليس لكم ولا فيكم ، ولكن كرهت ان فاتني الامر ان يفوتني الصواب الى ان يقول: « ان العرب ليس لها اول تؤمه ولا كتاب يدلها . أهل بلد ، قفر ووحشة من الانس ، احتاج كل واحد منهم في وحدته الى فكرة ونظرة وعقله ...»

وبعد ان يبين كيف قادهم ذلك الى تنظيم امور معاشهم وحياتهم وابتكار ادابهم وعلومهم ، ينتهي الى القول : « وجعلوا بينهم (يعني العرب) شيئا ينتهون به عن المنكر ويرغبهم في الجميل ويتجنون به على الدناءة ويحضهم على المكارم . حتى ان الرجل منهم وهو في فج من الارض يصف المكارم فما يبقى من نقلها شيئا ، ويسرف في ذم المساوىء فلا يقصر . ليس لهم كلام الا وهم يحاضون به على اصطناع المعروف ثم حفظ الجار وبذل المال وابتناء المحامد . كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله . ويستخرجه بفطنة وفكرته ، فلا يتعلمون ولا يتأدبون ، بل نحائز مؤدبة وعقول عارفة فلذلك قلت لكم :

انهم اعقل الامم لصحة الفطرة واعتدال البنية وصواب الفكر وذكاء الفهم .

ليس قصدنا من رواية هذا الحديث ان تفاضل بين العرب وسواهم وان لهم السبق والفضل على من عداهم ، فنحن ننكر مثل هذا المذهب في مديح أمة وتجريح سواها . غير اننا نؤمن ـ وتؤمن معنا الدراسات الحديثة، ان ثمة خصائص تميز أمة من امة كالخصائص التي تميز طباع الافراد بعضها من بعض وليس في ذلك حكم قيمة لخاصة على اخرى وبالتالي لامة على أخرى بل تقرير ووصف لحقيقة . ومثل هذا المعنى هو الذي ينتهي اليه صاحب « الامتاع والمؤانسة » يقول معقبا على كلام ابن المقفع :

« فلكل أمة فضائل ورذائل ، ولكل قوم محاسن ومساوىء ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها وعقدها كمال وتقصير . وهذا يقضي بان الخيرات والفضائل والشرور والنقائض مفاضة على جميع الخلق ، بين كلهم . فللفرس السياسة والاداب والحدود والرسوم ، وللروم العلم ، وللهند الفكر والروية والسحر والاناة ، وللترك الشجاعة والاقدام ، وللزنج الصبر والكد والفرح ، وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذمام والخطابة والبيان » .

على اننا حين نذكر ان الادب هو السمة الغالبة التي امتازت بها الامة العربية لا نعني بذلك ان نعاون خطأ شائعا ، وهو ان المنازع العلميةالتجريبية بعيدة عن عطاء العرب وحضارتهم . فنحن نؤمن ان اهم ما تتصف به الحضارة العربية انها استطاعت ـ ولا سيما في أوج ازدهارها . ان تجمع جمعا وثيقا بين المنازع الادبية والفكرية وبين المنازع العلمية التجريبية ، في حين اقتصرت الحضارة اليونانية كما يقول راندال في كتابه عن « تكوين العقل الحديث» على النتاج الفكري والفلسفي ودار فيها العقل حول ذاته بدلا من ان يدور حول الاشياء . وحسبنا دليلا على ذلك ، بيت الحكمة ، في بغداد وعطاؤه العلمي وابحاثه التجريبية ، الى جانب العطاء الادبي والفكري الذي نعرف . وهذا المنزع العلمي التجريبي لدى العرب ـ الذي ولد الحضارة الحديثة في

الغرب ـ هو الذي يحلو لكاتب مثل (فانتيجو) ان يدعوه باسم المعجزة العربية •

وبعد ، هذا حديث ذو شجون قد يذهب بنا بعيداً وقد ينأى بنا عن مقاصد بحثنا • ولعل خير ما تفعل للتدليل على صحة ما قدمناه من قول حول التحام العميق بين الادب وحياة العرب ونظرتهم الى العالم ان نتقرى بعض صفحات الادب العربي في ماضيه وحاضره وان نرى خاصة كيف عبر هذا الادب عن ثقافة موحدة وكيف كان في الوقت نفسه اداة لتوحيد الثقافة •

وهنا نود رغبة منا في جمع شتات مثل هذا البحث الواسع الشائك ـ ان نتحدث عن هذه الصلة بين الادب ووحدة الثقافة العربية خلال فترتين من فترات حياة الامة العربية فنتحدث اولا عن دور الادب في وحدة الثقافة العربية ، بل وفي سلامة الامة العربية وحفظها ، بعد تداعي الدولة العربية الاسلامية على يد الاعاجم حتى بواكير الغزو الاستعماري الغربي • ونتحدث بعد ذلك عن دور الادب في وحدة الثقافة العربية في العصور الحديثة منذ بواكير النهضة العربية في مطلع القرن التاسع عشر حتى اليوم ثم نخلص من هذا الى ايضاح مفهومنا للدور الذي ينبغي ان يلعبه الادب في المستقبل من اجل توطيد وحدة الثقافة العربية وتعميق مجراها واغناء عطائها •

ونحن في هذا لا بد ان نقتصر على عرض خاطف سريع ، فشعاب البحث كثير هيهات ان تفي بها أسفار برأسها •

اما دور الادب في وحدة الثقافة العربية في عصر تكونها في الجاهلية والاسلام وفي عصور ازدهارها ايام بني امية والعباس فندعه جانبا لاتساع أبعاده ونطاقه ولان شأنه بين لا يحتاج الى فضل من ايضاح •

اولا ـ الادب ووحدة الثقافة العربية ايام انحطاط الدولة العربية :

لا بد من التنبيه اولا ان عصر الانحطاط هذا متصل بما قبله موصول بما بعده ، وان فصلنا له هو من باب تيسير الدراسة والبحث • كذلك لا بد

من التنبيه ان ما يدعى باسم عصر الانحطاط عرف في الحقيقة ومضات مشرقة ، وعرف يقظات سياسية نامية هنا وهناك في ارجاء الوطن العربي ، وحمل في اعماقه بذور النهضة التي تلته . ولم يكن عصر الانحطاط سباتا وركودا كله ، بل كان اقرب ما يكون الى عصر انتظار وترقب وتحفز وتنضج فيه التجربة العربية من خلال الالم ومرارة الهزيمة العسكرية ، وتقيم في الاعماق قواها المتطلعة الى الانبعاث .

وههنا ايضا نكتفي بالقليل ، محاولين الاقتصار على جوهر الامر ، وجوهر الامر عندنا ان الامة العربية حين غلبت على يد اخلاط المغول والترك والتتر ، ولا سيما بعد سقوط بغداد . هزمت عسكريا ولم تهزم ثقافيا . ولقد كان ارتيادها المستمر لمعين ادبها وما يحمله من تعبير عن هويتها القومية وعن قيمها التي تدين بها ، اهم عامل في الابقاء على وجودها وفي مقارعتها للدخلاء ومناهضتها للغزاة . لقد ظلت المعاني التي حملها الادب العربي في العصور الخالية شائعة لدى ابناء الامة في جميع اقطارهم في فترة التقهقر هذه، يغتذون بها ويستمدون منها شعورا بالاصالة وبوحدة الارتباط ووحدة المصير، ويستاهون من خلالها العزم على الانبعاث والنهضة واهم ما في الامر ان تلك المعاني الادبية لم تكن شائعة لدى الصفوة من المتعلمين وحدهم ، بل كانت خطاً مشتركا بين أبناء البلاد العربية، على اختلاف حظوظهم من الثقافة. كانت تلك الآداب تنقل من الآباء الى الابناء ، ويتناقلها جيل عن جيل . وتبث في معاهد التعليم على اختلاف مستوياتها ، كتاتيب او مدارس وتشيع في دور العلم غير النظامية ، كمجالس العلماء ودور الوراقين والمساجد والزوايا والربط وسواها . كانت الاجيال تأخذها كابرا عن كابر ، في كل دنيا العرب، شامخة حاملة لتراث واحد وقيم واحدة ومنازع واحدة ، مكونة مواقف وانماطا من السلوك واحدة ، اي ثقافة واحدة .

الاشعار التي تروى والامثال التي تتداول والحكم التي تتبادلها الالسن والاقوال المأثورة التي تسير بها الركبان ، كانت كلها ثروة من الفكر الموحد

والقيم الواحدة تشد ابناء الامة العربية بعضهم الى بعض وتلف الاقطار العربية كلها باطار من الشعور بالانتساب الى الاصل الواحد والانتماء الى المحتد الاصيل •

لقد كانت لقاء عبر الحدود والسدود ، ومن وراء الضغط والاكراه تجمع الامة العربية على كلمة واحدة وتزودها بما يشد من عزيمتها ويلهب آمالها ويذكي نضالها •

وهل نحتاج الى الشواهد وهي اكثر من الكثير ؟

مآثر الجاهلية الذائعة في حكم زهير وأوابد امرىءالقيس وعنترة والنابغة والاعشى واقوال الاعراب المنثورة وامثالهم وسوى ذلك كثير تطل عبر القرون تنبت في ذاكرة الاجيال نحتاج منها الكثير من حكم اخلاق العرب الاصيلة من كرم ونجدة وشجاعة ووفاء بالعهد ورعاية للجار ونصرة للمظلوم •

وأدب الدعوة الاسلامية ينقل الى الاجيال صفحات من روح الاسلام وجهاده في سبيل نشر القيم العربية الانسانية الخالدة • والاقوال المأثورة عن الصحابة والخلفاء الراشدين وسواهم من ابناء الوثبة الاسلامية العربية تطبع في النفوس معاني الرسالة التي أوكلها الاسلام للعرب ، والاخلاق العربية التي بعث الرسول ليتمها ، وتعمل على خلق بنيان نفسي موحد وتربية فكرية متكاملة •

والاحاديث الشريفة تعلم الجهاد والنضال ومكارم الاخلاق وترسم سبل السلوك والعمل ، وتذيع بين افراد الامة تبني شخصيتها المتماسكة وسلوكها الموحد • والقرآن الكريم ــ كتاب العربية الاكبر ــ يأسر باعجازه وجلاله وبلاغته ولسانه العربي المبين نفوس العرب ، ويجمعهم على كلمة واحدة وقيم واحدة ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويحيل وجودهم وجودا انسانيا شاملا ، ويجعل منهم امناء على نظرة واحدة ، حملة لمنطلقات واحدة روادا لبناء

عالم انساني جديد ، ويحفظ فوق هذا وقبل هذا لغتهم القومية ويغنيها ويتخذ منها الاداة الاولى لوحدتهم الحافظة لكيانهم الحاملة لرسالتهم .

والتراث الادبي في العصر الاموي ـ شعره نثره ـ يذكي روح العروبة ويجند العصبية العربية في بناء الدولة الجديدة ويسجل خطوات العرب في انطلاقهم نحو الفتح المادي والمعنوي ونحو العمران الحضاري .

وأدب العصر العباسي وما بعده ـ ايام ازدهار الدولة العربية الاسلامية ـ يسجل نضال الامة العربية في سبيل الابقاء على هويتها امام هجمات الشعوب الاخرى ، ويعطي الصورة السليمة لمزج الثقافة العربية بالثقافات الاعجمية ، ويرد دعاوى الشعوبية ويبرز من جديد شأن العرب ودورهم وقيمهم واخلاقهم . وهيهات ان نوفي هذا التراث الادبي الموحد بعض حقه في مثل هذا المقام ووراء ما ذكرنا اجواء وآفاق فسيحة من الادب العربي الذي ذاع وشاع بين الجماهير في شتى الاقطار العربية وأشاع معه مواقف ونظرات ومثلا قوية الوشائج ، مفصحة عن اصالة الامة العربية وخصائصها ، باعثة على امتطاء طريق واحدة للعمل والبلاد .

واذا كانت الثقافة تعني في نهاية الامر ـ كما تبين ـ الدراسات الانتربولوجية والاجتماعية الحديثة ـ أنماط السلوك ـ الشائعة لدى شعب من الشعوب ، سواء كانت مادية او معنوية ، فلا شك ان انماط السلوك لدى الانسان العربي قد صاغتها الاداب العربية صياغة واحدة متينة اصيلة ، جعلت من الوجود العربي جسدا واحدا يختلج وينشط مؤتلفا متسقا متناغما .

لقد اوجد الادب ضربا من الشعور الجماعي ، بل من اللاشعور الجماعي وتغلغل في الكيان العضوي للفرد العربي انى كان وخالط منه اللحم والدم ، ووسمه بسمات واحدة ونظرات جامعة تنبثق من الاعماق في كل مناسبة لترده الى اصوله وجذوره مهما تآمر عليه الاحداث .



ولقد استطاعت هذه الثقافة الادبية العربية الموحدة ، اشعارا وامثالا وأقوالا مأثورة وحكما واقاصيص ونصوصا ادبية واحاديث شريفة وآيـات قرآنية ، ان تبقى خاصة على هوية الانسان العربي في عهود الغلبة الاجنبية، ولا سيما بعد الغزو الاستعماري الاوروبي ، وان تكون لديه قيم متماثلـة ونظرات متشاكلة وعزيمة موحدة في سبيل الخلاص من اثقاله والانطلاق نحو تجديد رسالته . انها الى جانب التراث الاسلامي في تمامه وكماله ، بل عـن طريق التضامن الكامل بينها وبينه ، حفظت الشخصية العربية من الضيـاع وانقذتها من مخاطر الاغتراب والاستلاب الثقافي ، وجعلتها قادرة على مقاومة ما تعرض له المجتمع العربي لا سيما بعد غزو الاستعمار من اخطار تهـدد قيمه وبنيانه وتاريخه بل مهد وجوده وهنا لا بد من كلمة حق تقال وهي ان الذي وفر الحماية الثقافية والحماية القومية السياسية بالتالي للوجـود العربي بعد غزوات الاستعمار الغربي خاصة منذ ايام الحملات الايبيريـة حتى غزوات الاستعمار الحديث ، لم يكن كما قد يخيل للمرء اولئك المثقفـين الذين اغتذوا بالثقافة الاجنبية وحاولوا نقلها الى اوطانهم فبعض هـؤلاء المثقفين كثيرا ما خدعوا ببريق الثقافة الغربية الوافدة وبقيمها المحدثة خداعا أنساهم في كثير من الاحيان جذورهم واصولهم العريقة . بل ان فريقا منـهم لم ينج من ان يكون لعبة في يد المستعمر يجنده في معركته الضـاريـة ضد الوجود العربي ، تلك المعركة التي وعى المستعمر منذ البداية انها لن تفلح سياسيا وعسكريا اذا لم تفلح ثقافيا اي اذا لم يتم اقتلاع الانسان العربي من تربة ثقافته القومية تمهيدا لاقتلاع شخصيته المستقلة ولذوبانه في شخصيـة الغازي . لقد اراد الاستعمار اولا وقبل كل شيء ــ ومحاولاته العنيـدة في المغرب العربي اكبر شاهد على ذلك ــ ان يخلق لدى الانسان العربي اكبارا لثقافة الاجنبي المحل يوازيه ازراء بالثقافة العربية ووعي بوضوح ان النصر العسكري والسياسي لن يأتي له الا اذا حقق النصر الثقافي . هذا الهـدف الاستعماري ايدت جهوده مع الاسف فئات مثقفة في البلاد العربية ــ عـن

وعي منها او عن غير وعي ـ حسبت ان تخلف البلاد العربية مرده الى تخلف ثقافتها وقيمها وان سبيل التقدم هو اصطناع الثقافة الغربية والمعايير الغربية ومن هنا فان الذي حفظ الثقافة العربية حقا من الضياع والاضمحـــلال فقط الوجود العربي كله ، لم يكن المثقفين بالدرجة الاولى ، بل كان جمهرة الناس من ابناء الامة العربية الذين تختلف حظوظهم الثقافية دون شك ويختلف نصيب كل منهم من ثقافته العربية ، غير انهم جميعهم رضعوا الى حد كبير من معين تراثهم القومي المشترك وادبهم العربي الموحد .

نقول هذا ونحن ندرك ان فريقا من المثقفين قيض لهم ان ينجوا مـن هذا التشويه والانحراف الثقافي ، وعرفوا كيف يستمدون من ثقافة الاجنبي ما يردهم الى جذورهم وما يوظفونه في خدمة ثقافتهم وامتهم وما يحاربون به الدخول عن طريق سلاحه نفسه .

والحق ان مقارعة الاحتلال الاجنبي لجأت في كثير من الاحيان الى سلاح الثقافة العربية الاصيلة وجعلت وسيلتها احياء الاداب العربية والتراث العربي .فكما ناهض المجتمع العربي في العصور القديمة الهجمات الشعوبية عن طريق احياء الاداب العربية وبيان مآثر العرب في الجاهلية وما بعدها ، فعلة الجاحظ وابن قتيبة وسواهما قارع المثقفون المؤمنون بامتهم الاحتلال العثماني ومن بعده الاحتلال الغربي ، عن طريق نشر الثقافة العربية واحيائها. هذا ما فعله الشيخ طاهر الجزائري في دمشق وما فعله ابراهيم اليـــازجي والشيخ عبد القادر الاسير وبطرس البستاني وحسن بيهم في لبنان في محاربتهم للعثمانيين ، وهذا ما فعله العلماء في الجزائر وما فعله كثير سواهم في ســائر ارجاء الوطن العربي من اجل محاربة الاستعمار الحديث .

ثانيا ـ دور الادب في وحدة الثقافة العربية في العصور الحديثة:

العصور الحديثة في التاريخ العربي نجد بذورها كما قلنا في مرحـــلة الانحطاط نفسها التي لم تخل من ومضات وخلجات انبعاثية . وهنا ايضا لا نستطيع ان نفصل هذه العصور عما سبقتها وان نضع لها حدودا زمنيـــة

دقيقة . ولعل حملة نابليون على مصر في مطلع القرن التاسع عشر احدى الصور الهامة التي تشير الى بداية تلك العصور .

على انه ليس من شأننا ان نتحدث حديثا تاريخيا عن تلك العصور وان نبين عوامل نشأتها وخصائصها . والذي يعنينا ان نتحدث عن سماتها الادبية . وأبرز سمة ادبية لتلك العصور ظهور آداب المحدثين فيها الى جانب آداب القدامى ، واتصال المحدثين هؤلاء بالتجربة الادبية العالمية .

وظهور ادب المحدثين هذا الى جانب الاداب العربية القديمة طرح في قوة وقسوة مسألة الصراع بين القديم والحديث ، وبتعبير اوضح طرح الصراع بين الاتجاهات الادبية التي سقت جذورها اولا وقبل كل شيء من الآداب الاجنبية وبين الاتجاهات التي ظلت تنهل من معين الآداب العربية القديمة .

واذا توخينا الايجاز المفرط في هذا المجال قلنا ان الادب العربي الحديث ترجح في الواقع بين تيارات ثلاثة اساسية :

اولها التيار الذي يستقي معظم عطائه ونتاجه من الادب العربي القديم ويحاول احياء التجربة الادبية العربية احياء حرفيا عن طريق الرجوع الى مظانها الاهلية عن طريق نشر تلك المظان واشاعتها .

وثانيها ـ التيار الذي أعرض عن الادب العربي والثقافة العربية القديمة واستهتر بهما ، بل عمل على الازراء من شأنهما وسعيا الى نشر قيم الحضارة الغربية الوافدة والى تقليد اساليبها وفنونها الادبية ويرتبط بهذا التيار تيار الادب المحلي الاقليمي الذي حاول ان ينسلخ عن ربط الثقافة في بعض الاقطار العربية بالثقافة العربية وان يربطها في آن واحد بالثقافات التاريخية القديمة والثقافات القطرية المحلية والثقافات الاجنبية .

وثالثها ـ التيار الذي حاول مزج الثقافة العربية بالثقافة الاجنبية فاصطنع لغة العصر الحديث واساليبه المحدثة في نشر الثقافة العربية القديمة

وفي ابداع ثقافة عربية جديدة تستقي موضوعاتها من التراث العربي في الماضي او من حياة المجتمع العربي في الحاضر .

ولن نتريث عند كل واحد من هذه التيارات الثلاثة ، فالحديث عن مثل هذا لا يتسع له هذا المقام . وحسبنا ان نقول ان التيار الذي مكن لنفسه واستطاع ان يحيا ويتطور هو التيار الثالث ، تيار المزج بين الثقافة العربية والثقافة الاجنبية . اما التياران الآخران فلا نقول انهما فقدا القدرة على التأثير وعاشا ويعيشان الى حد كبير في عزلة عن جملة الجو الثقافي الذائع لدى جمهرة ابناء الامة العربية . على ان هذا التيار الثالث نفسه ، تيار المزج بين القديم والحديث كان وما يزال مراتب ودرجات وانواعا . ومن المفيد ان نرصد بايجاز تلك المراتب والانواع ، لان في ذلك دليلا يهدينا الى ما نريد لمستقبل الثقافة العربية .

فالجمع بين القديم والحديث اخذ احيانا مظهر الاضافة والضم ، بمعنى انه جمع بين وجهين من اوجه الادب ، الادب العربي والادب العالمي الحديث، جمعا حفظ لكل منهما هويته وطابعه دون ان يستطيع اقامة الملحمة اللازمة بينهما ودون ان يتمكن في النهاية من توليد ادب عربي الطابع والموضوعات حديث الاسلوب والنهج . لقد كان هذا النوع من الادب يعرض صورتين من الادب ، الادب العربي والادب الاجنبي دون ان يقوى على استخراج مركب جديد ، اصيل وحديث معا . وفي احيان اخرى اخذ هذا المزج بين القديم والحديث مظهرا آخر فظهر ادب يحاول في ظاهر الامر ان يعالج مشكلات الانسان العربي والمجتمع العربي ــ تأثرا منه بالآداب الاجنبية وجهلا منه لحقيقة مشكلات المجتمع العربي ، أثار في معظم الاحيان مشكلات لا تنتمي حقا الى واقع هذا المجتمع بل هي مشكلات منقولة مجلوبة اراد ان يحملها الوجود العربي بل ان يفرضها عليه .

ووراء هذا وذاك قام جهد اصيل للمزج بين القديم والحديث ، انطلق اولا من الواقع العربي ومن مشكلاته وهمومه ، واصطنع للتعبير عنها كل ما يقربه من ذلك ، ولا سيما الاساليب الحديثة في الفنون الادبية . لقد سقي أصحاب هذا الاتجاه من معين التراث ومن نبع الواقع العربي ، وعرفوا حياة المجتمع العربي ومشكلاته ، وعاشوا مع الجماهير العربية في همومها ونضالها وتطلعاتها ، وصاغوا تجربتهم العربية الطابع في اطار أدب اصيل لا تبدو عليه آثار العجمة وان يكن قد اغتذى وارتوى من لبان الادب العالمي .

وهذا النوع الثالث من مزج القديم بالحديث او التالد بالطريف او الاصيل بالمحدث ، هو الذي يعنينا امره ، لانه التعبير السليم عن الصيغة الموجودة لوحدة الثقافة العربية . ولا نقصد بهذا القول ان هذا النوع من الادب قد نجح نجاحا كاملا في مهمته ، وانه لم يتعثر في مشيته هذه ، ولم يترجح بين التيارات الاخرى احيانا فالادب العربي الاصيل الحديث الذي ننشد هو تجربة موصولة قطعت شوطا كبيرا ولكن امامها اشواطا ، بل امامها ما لا حد له ولا نهاية من الجد والكد في سبيل توليد ادب ذي قوام عربي وذي قدرة على الخلق والابداع الانساني . واهم سمة تسم هذا الادب بل تكون معيارا له ، هي التصاقه بالجماهير وتعبيره عن حياة الشعب العربي وتطلعاته ، في كتله العريضة وجموعه الكبيرة .

ولا نغلو اذا قلنا ان الابداع الانواع الاخرى من مزج الثقافة ، ومن ورائها التياران اللذان اشرنا اليهما ، تيار قديم القديم وتيار الحديث المجلوب ، كانت في معظم الاحيان من صنع طبقة من الادباء ارستقراطية النشأة او العقلية ، كما كانت موجهة في كثير من الاوقات الى علية القوم من امراء وحكام وحفنة ثقافية محدودة . ومن هنا لم تستطع تلك الطبقة ، رغم ثقافتها المزدوجة احيانا ، القديمة والحديثة ، ان تولد أدبا أصيلا يعبر عن واقع المجتمع العربي ويتقرى حاضره أملا في بناء مستقبله . لقد افتقرت هذه الانواع من الادب

غالبا مصدر وحيها الاصيل ، حين لم تعرف جماهير الشعب العربي ولم تحي معها همومها وتطلعاتها ، بل لقد كانت النظرة المستترة وراء نتاج هذه الطبقة، النظرة الى الادب بوصفه متعة او حلية او براعة في اللفظ أو اكثار من الطرف والنوادر ، لم يكن أدب تلك الفئة مدفوعا بوعي الجماهير موجها اليها ، بل كان الى حد كبير أدب المستأنق اللاهي ، يطرب للكلم الجميل ويطرب بــه ، ويأنس بالغريب أيا كان شأنه ومصدره ، ويؤثر التعالم والتفيهق على التأثر بحياة الشعب والتأثير فيها ، قلما كانت تلك الفئة تطرح على نفسها هــذا السؤال الذي لا يكون ادب حق بدونه : لماذا نكتب ولمن نكتب ؟ ولعــل الكتابة عندها غاية في ذاتها ، ليس لها معيار الا معيار الجمال الشكلي والرونق المعجب لقد كان الادب لديها ألهية ، وكان المبنى مقدما على المعنى ، وكــانت تركب المركب السهل ، مركب اللعب اللفظي الذي ساد ايام انحطاط الدولة العربية ،

عبد الله عبد الدائم

أصول نظرية الشعر عند العرب

بقلم الدكتور عناد غزوان اسماعيل

- ١ -

الفن تعبير حي ناطق عن الطبيعة الانسانية بمظاهرها وظواهرها المتباينة حين ينقلها الفنان نقلا متحركا مباشرا الى الاخرين حيث تولد اسس التجربة الفنية القائمة على : المادة والمضمون والتعبير فالايقاع والانسجام • واللغة هي روح العمل الفني المتبلور في تجربة ادبية او لوحة فنية او قطعة موسيقية• وحين تولد القصيدة باعتبارها ظاهرة فنية ذات ارتباط وثيق بواقعها الاجتماعي والنفسي تصاحبها استجابة ذاتية عامة ، على مستوى الفرد او استجابة عامة ، على مستوى الجمهور في تقدير ابعادها الفنية وقيمتها الجمالية • فتكتسب القصيدة من خلال هذه الاستجابات حركة وديمومة تقربها شيئا فشيئا لان تكون نموذجا شعريا ، او « مثالا فنيا » في عصرناهذا علما ان كل عصر يعد وحدة تامة بذاتها تعبر عن نفسها من خلال نموذجها الشعري الذي لا يقاس باي شعر آخر (١)•

فالاستجابة الضرورية القائمة على الانطباع الكلي او الذوق المحض هي النواة الاولى في تكوين الحكم الادبي الذي يتطور عبر مراحل حضارية وفكرية الى (مقياس) او (معيار) نقدي وهنا تجب الاشارة الى التمييز بين النقد باعتباره فعالية خلاقة وفن وبين الدراسة النقدية او تاريخ النقد باعتباره ضربا من المعرفة • لا شك ان فهم نظرية الادب لا يمكن ان يتم بمعزل عن النقد والتاريخ طالما ان طبيعة الفن الشعري ببعديها القومي

---

١ ـ اوستن وارين ورينيه ويليك ، نظرية الادب ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة الدكتور حسام الخطيب ، دمشق ١٩٧٢ ص ٥٠

والانساني تخضع للتطور الحضاري لانها جزء من الفكر الادبي العام وهنا لا بد لنقد الشعر باتجاهاته وتياراته المختلفة من اتخاذ موقف (فالنقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة الى الفن عامة او الى الشعر خاصة يبدأ بالتذوق اي القدرة على التمييز ، ويعبرونها الى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم (٢) والموقف النقدي ينشأ من تحديد العلاقة بين الفكر والواقع اللذين يصورهما الفن الشعري ، حيث يكتسب «الموقف» عندئذ سمة التنظير التي تؤلف بدورها الاسس النظرية الفكرية او الاصول النظرية للنقد الادبي ونقد الشعر على وجه الخصوص . فالدراسة التي تسعى الى « تثبيت الاسس النظرية الفكرية التي كانت توجه النقد عند العرب هي المنطلق في دراسة النقد واتجاهاته المختلفة . والا بقي وصفا سطحيا او تلخيصا وبترا للاثار التي خلفها اعلام النقد الادبي (٣) . فالبحث في طبيعة الفن الشعري ــ القصيدة العربية ــ من حيث الاصالة والمحاكاة واللغة والتقويم الفني ، والنقد باعتباره موقفا ، مؤتلفان في تنظير الحكم الادبي وتجسيد الاصول الفكرية في بناء هذا الحكم او ذاك بعيدا عن الانطباع الفردي الذي لا يعتمد على التعليل ولا يحاول التحليل القائم على الحجة والبرهان في تحديد ماهية المؤلف النقدي وتبيان طبيعته الفكرية .



لا شك ان فهم اصول نظرية نقد الشعر عند العرب تنطلق من معرفتنا بمواقف نقاد الشعر العربي القدامى من قضية الشعر، تلك المواقف التي لا يمكن للدارس تجريدها من محتواها الفكري وخاصة قضية الصراع بين الشعر العربي القديم والمحدث وما ينتج عنها من مناهج وتعليلات ظهرت في المناقشات النقدية والجدل الادبي الذي صاحب القصيدة العربية نشأة وتطورا ومثالا فنيا رفيعا في الادب العربي.

كانت القصيدة العربية النموذج الشعري الفريد في العصر الجاهلي

٢ ــ د. احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ط1 بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٦
٣ ــ د. احسان عباس ، المصدر السابق ، ص ٩، ١٠

والعصور التي تلته من حيث نضجها الفني وبنائها اللغوي وشكلها العروضي بالاضافة الى كونها الرصيد الفكري والثقافي للعرب وقتئذ • فقد صورت الحياة العربية تصويرا غنائيا واقعيا صارت فيه « ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون واليه يصيرون» (٤) ذلك العلم الذي « لم يكن لهم علم اصح منه » (٥) وقد صاحبت هذا النموذج الشعري احكام واقوال ادبية عامة في مجال تقويمه فنيا او المفاضلة بين شعرائه مدحا وقدحا • وقد امتازت تلك الاحكام بانها عربية النشأة ، موجزة صريحة تعتمد على الذوق الشخصي والتأثر الذاتي ، « لا تقوم على تفسير او تعليل ولا تستند على قواعد مقررة وليس لها من دعامة الا الذوق العربي المحض » (٦) اما البحث في طريقة الشاعر ومذهبه الادبي وكشف العلائق والصلات بين شعره وواقعه الاجتماعي فلم تكن معروفة في العصر الجاهلي(٧) للدرجة التي تؤلف فيها موقفا او اتجاها نقديا متميزا • ولكن الاستقراء الادبي لبعض النصوص النقدية في العصر الجاهلي يكشف لنا ان الذوق الذاتي لم يكن وحده المعيار النقدي لذلك العصر ، بل وجدت الى جانبه بعض الدلالات والنظرات النقدية التي تبلورت حول الصياغة الشعرية ومعاني الصور وكانت حقا بذرة النقد الشعري عند العرب في العصور التالية • من ذلك هذا النص « تحاكم الزبرقان بن بدر، وعمرو ابن الاهتم ، وعبدة بن الطيب والمخبل السعدي الى ربيعة بن حذار الاسدي في الشعر ، ايهم أشعر ؟ فقال للزبرقان اما انت فشعرك كلحم اسخن لا هو انضج فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به • واما انت يا عمرو ، فان شعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر ، فكلما اعيد فيها النظر نقص البصر • واما

---

٤ ـ محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، شرحه محمود محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢ ص٢٢

٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٢

٦ ـ طه احمد ابراهيم ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار الحكمة ، بيروت ، (بلا تاريخ طبع) ص١٨ . وانظر ايضا : د. محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، القاهرة ، (بدون تاريخ طبع) ، ص ١٠

٧ ـ المصدر نفسه ، ص ١٦

انت يا مخبل فان شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، واما انت يا عبده فان شعرك كمزاده احكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر (٨)، وهذا يعني ان شعر الزبرقان يجمع بين الطيب والرديء ويبدو ان الفاظه مرصوصة لا قوة في معانيها ولا روح تؤلف بينها وشعر عبده بن الطيب قوي الاسر، متين النظم، متماسك متلاحم (٩). ان هذا النص لا ريب، يكشف اهتمام النقد الجاهلي بالشعر صياغة وفكرة وهو اهتمام يسمو على مجرد الــــذوق الشخصي او الروح الانطباعية العابرة التي يستبد بها التأثر وقد عد بعــــض الباحثين المعاصرين نموذجا يجمع بين النظرة التركيبية والتعميم عن الانطباع الكلي دون لجوء للتعليل وتصوير ما يجول في النفس بصورة اقرب الى الشعر نفسه(١٠) قد يكون هذا النص او النموذج النقدي، دليلا على وجود جمهور شعري يقدر الصياغة الشعرية ويعجب بالفن، كان له اثر ايجابي في تطــوير الحياة الادبية (١١) في العصر الجاهلي، « فنقد الشعر وترتيب الكلام ووضعه مواضعه، وحسن الاخذ، والاستعارة وتقي المستكرة والحاسي صنعة برأسها ولا نراه الا لمن صحت طباعهم، واتقدت قرائحهم، وتنبهت فطنهم، وراضوا الكلام وردوا او ميزوا »ي(١٢) فالجمهور الشعري الذي تتوفر فيه مثل هذه الخصائص والسمات جدير برفع المستوى الفني للتجربة الشعرية، ودافع مباشر من دوافع خلق الانموذج الشعري الذي يسمو فوق الاعتبارات الشخصية والاهــواء الفردية والعصبيات القبلية والانتماءات الطبقية. هذا الانموذج الذي جسد الجاحظ خصائصه الفنية بقوله : « اجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجـــزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك انه قد افرغ افراغا واحدا وسبك سبكا واحدا،

---

٨ ـ المرزباني الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٠٧ و ١٠٨

٩ ـ طه احمد ابراهيم، المصدر السابق، ص ١٦

١٠ ـ د. احسان عباس، المصدر السابق، ص ١٢

١١ ـ د. طه الحاجري، في تاريخ النقد والمذاهب الادبية، الاسكندرية، ١٩٥٣، ص٢٣

١٢ ـ ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري، المصون في الادب، تحقيق عبد الســلام محمد هارون، الكويت، ١٩٦٠ ص ٥ و٦

فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان» »(١٣) وقد احسن الجاحظ في مكان آخر تحديد الشعر بقوله انه « صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير» (١٤) مؤكدا بذلك على حسن التأليف وبراعة خيال الشاعر في رسم الصورة حين يجعلها ترتبط بالتأمل الذهني والنفسي ارتباطا وثيقا • ويبدو ان رسم الصورة الشعرية والابداع في صياغتها ، والتفنن بخلقها ، تجديدا او محاكاة صارت في الوسط النقدي ، بعد القرن الثاني الهجري ، قريبة من كونها « مهنة » او «حرفة» حين اقترنت بلفظ « صناعة » كما وردت في نص الجاحظ والعسكري ـ وكما وردت قبلهما في نص لمحمد بن سلام الجمحي بقوله : «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم ، كسائر اصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الاذن ، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما تثقفه اللسان (١٥) « فالصناعة الشعرية » تستلزم توفر المهارة والقدرة الفنيتين بالاضافة الى الدربة والممارسة والمدارسة ، كي يستوي الفن الشعري مثالا جيدا ونموذجا ذا قيمة ، جديرا بالتقدير والتقويم النقديين اللذين هما من ابرز المميزات الخاصة للدراسة الادبية • »

وثمة ظاهرة ادبية وجدت في الشعر العربي قبل الاسلام وانتشرت بين عدد من الشعراء امثال : اوس بن حجر ، زهير بن ابي سلمى ، كعب بن زهير والحطيئة كان لها اثرها في بناء القصيدة ، تلك هي ظاهرة « الحوليات » القائمة على عملية « التنقيح » و « التهذيب » و «التثقيف» فقد وصف الاصمعي زهيرا والحطيئة واشباههما دون الشعراء بانهم عبيد الشعر ، لانهم نقحوه

---

١٣ ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ج١ ، ط٢ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ ، ص ٦٧ . وانظر ايضا : العسكري ، المصون في الادب ، ص٦ ، ٧

١٤ ـ الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الجزء الثالث ، ط١، القاهرة ، ١٩٢٨، ص ١٣١ ، ١٣٢

١٥ ـ الطبقات ، ص ١٦ وانظر ايضا : خير الله علي السعداني مصطلحات نقدية ، اصولها وتطورها الى نهاية القرن السابع للهجرة ، (رسالة ماجستير) جامعة بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ١٠٢ و١٠٣

ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . (١٦) مميزا هذا الاتجاه الشعري من حيث التأليف والبناء الفنيين عن اتجاه الطبع الشعري . وقبل الاصمعي وضح كعب بن زهير طبيعة هذه الظاهرة الاسلوبية حين حلل ابعادها وجسد « خصوصيتها الفنية » بقوله :

فمن للقوافي شـأنها من يحوكها ... اذا ما ثوى كعب وفوز جرول
يقول فلا يعيا لشيء بقوله ... ومن قائليها من يسيء ويعمل
يقومها حتى تقوم متونها ... فيقصر عنها كل ما يتمثل
كفيتك لا تلقي من الناس شاعرا ... تنخل منها مثل ما اتنخل(١٧)

متسائلا من يا ترى يستطيع ان يرفع من شأن الشعر ويحسن نسجه ويتقن « حياكته » اذا مات كل من كعب والحطيئة . فهما شاعران هم كل واحد منهما اختيار وفحص وتشذيب وتقويم شعره وصولا به الى مستوى فني رفيع . والاختيار الفني قائم على عملية « تقويم وتثقيف » القصيدة باستعمال « الثقاف » في تعديلها وتهذيبها كي تستوي متونها ، كما تستوي متون الهام ، فتصير تلك القوافي بعد التقويم والتعديل قصائد غرا يتمثل بها في المجالس الادبية على ألسنة الجمهور الشعري ، اي هي «امثلة شعرية» تحقق الطموح الفني في نفوس اصحابها ، والى هذه الحقيقة اشار الحطيئة بقوله « خير الشعر الحولي المنقح المحكك »(١٨) .

لا شك ان هذه الخصوصية الفنية لا تعني تشابها في الاساليب وفي لغة التعبير ، بقدر ما تعني تشابها في الصياغة والتأليف والبناء منظرا لان الاسلوب

---

١٦ ـ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ ، الجزء الاول ، ص٢٢ .
١٧ ـ شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعه السكري ، القاهرة ، ١٩٦٥ ص ٥٩ ، ٦٠ .
وانظر ايضا : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٨٨ ، ص ٩١
ويروى صدر البيت الثالث على الوجه التالي :
« يثقفها حتى تلين كعوبها » .
١٨ ـ الشعر والشعراء ، ص ٢٢

الشعري لا يمثل الا صاحبه فلكل واحد من هؤلاء الشعراء اسلوبه الفني في التعبير عن تجاربه الخاصة والعامة وان ظهرت على هذا الاسلوب او ذاك بعض ملامح التشابه في استعمال بعض التشبيهات والصور والالفاظ . وهــذه مسألة طبيعية تخلقها البيئة في تأثيرها بلغة التعبير والاداء الفني من جهة ، والعلاقات الاجتماعية الخاصة والعامة بين الشعراء انفسهم من جهة اخـرى . ويبـدو ان عملية « التنقيح » و « التثقيف » الشعريين قد استمرت بالنمو والتطور في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي وكأنها اتجاه شعري لــه انصاره ودعاته ، فهذا سويد بن كراع وهو شاعر جاهلي اسلامي يذكر تنقيحه شعره مصورا معاناته الذاتية التي تصاحب ميلاد القصيدة تصويرا دقيقا بقوله:

أبيـت بابواب القوافي كأنمـا ... اصـادي بها سربا من الوحوش نزعا
أكالئهـا حتى أعرس بعدمـا ... يكون سحيرا او بعيـد فأهجعـا
عواصي الا ما جعلت وراءها ... عصا مربد تخشى نحورا واذرعـا
أهبت بغر الابـدات فراجعـت ... طريقـا املته القصائد مهيعـا
بعيدة شـأو لا يكـاد يردها ... لهـا طالب حتى يكل ويظلعـا
اذا خفت ان تروى علي رددتهـا ... وراء التراقي خشيـة ان تطلعـا
وجشمني خـوف ان لضان ردها ... فثقفتها حـولا جريدا ومربعـا
وقـد كان في نفسي عليها زيـادة ... فلم أر الا ان اطيع واسمعـا (١٩)

وقد مثل ذلك عن عدي بن الرقاع من شعراء العصر الاموي الذي يذكر شـدة اهتمامه بشعره ، فلا يظهره لجمهوره ومتذوقي فنه الا مستويا ، سليما، مبرأ من العيوب والشوائب والعروضية اللغوية بعد « التقويم » و «التثقيف» فيقــول :

---

١٩ ــ الشعر والشعراء ، ص ٢٣ ، ٥٢٠ .

وقصيدة قـد بت اجمع بينها   حتى اقوم ميلها وسنـادها
نظر المثقـف في كعوب قناتـه   حتى يقيـم ثقافـة منـادهـا (٢٠)

ان اهتمام الشعراء العرب القدامى بتنقيح وتهذيب قصائدهم من اجل خلق النموذج ـ المثال في الشعر ليس بالخصوصية النادرة التي يتفرد بهـا الشعر العربي دون غيره من اشعار الامم الاخرى . فقد كان (فرجـل) الشاعر اللاتيني القديم ـ على سبيل المثال كثير العناية بشعره ، كثير الاناة حتى كان نظم البيت الواحد يستغرق عنده احيانا يوما كاملا ، فأمضى لهذا السبب، حوالي احدى عشرة سنة في كتابه الاينادة ، ولو لم يعجله الموت لقضى ثلاثة اعوام اخرى في تهذيبها وصقلها » (٢١) الامر الذي يجعلنا نعتقد ان البحـث عن المطلق ، او اذا شئنا الدقة في الجمال الشعري المطلق : كان طموحا وغاية يسعى اليها الافذاذ من الشعراء تحقيقا للمثالية الفنية القائمة في الاساس على اصالة الحاسة الفنية والدربة والتثقيف وهي ذاتية الجذور وان بـدت عامة في بعض الاحيان ، كما هي الحال عند بعض شعرائنا القدامى من امثال زهير وكعب والحطيئة . ولعل وجود هذه الظاهرة الادبية في الشعر العربي في العصر الجاهلي هو الذي خلق الحس النقدي القائم على الاحساس باثر الشـعر في النفس . ولكن شخصية الناقد المحلل والمنظر لم تظهر في ذلك العصـر، على الرغم من وجود المادة النقدية بل ظهرت في عصور الاستقرار الحضـاري فيما بعد حين تأصلت اسس النظرية النقدية عند العرب بمبادئها ، ومقـولاتها

وانظر ايضا : د. عبد الجبار المطلبي ، الشعراء وتجربة الشعر ، مستل من مجلة كليـة الاداب ، العدد السادس عشر ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧٣ ص ١٩ ، ٢٠ .

٢٠ ـ الشعر والشعراء ، ص ٢٣ ، ٥١٦ ، والمطلبي ، المصدر السابق ، ص ٢٠ ، يذكر بيتين للشاعر ذي الرمة يصور فيهما ارقه وعنايته بشعره واهتمامه به . كي تكون قوافيه فريدة بل مثالا شعريا :

وشعر قد ارقت له غريـب   اجنبـه المسـاند والمحـالا
فبت اقيمـه واقـد منه   قـوافي لا اعـد لهـا مثالا

٢١ ـ د. عبد الجبار المطلبي ، الشعراء وتجربة الشعر .

ومعاييرها، وان كان البحث عن المثل العليا في الصياغة والمعاني من ابرزالدلالات التي تكن وراء مفهوم الحس النقدي في العصر الجاهلي.

يرتبط النقد ، فكرا ادبيا ، بواقع بيئته اجتماعيا سياسيا ، تعصياواخلاقيا في بناء حكم او استنباط معيار او اتخاذ موقف. ويبقى الذوق المعلل ، القائم على التبرير . عنصرا مهما من عناصر العملية النقدية وليس الذوق غيرالمسبب الذي يقف عند الجزئيات ويقفز الى تعميمات خاطئة تجعل من شاعر اشعر الناس لبيت قاله (٢٢) ولقد استوعب نقادنا القدامى هذه الحقيقة حين ميزوا بين الذوقين في مجال الحكم على الاثر الشعري من حيث الجودة والرداءة . فالاستحسان المحض الذاتي التأثري ليس ذوقا نقديا ولا يصلح لاصـــدار حكم او تثبيت موقف من ذلك ما رواه ابن سلام في مقدمة طبقاته : « قال قائل لخلف : اذا سمعت انا بالشعر استحسنته فما ابالي ما قلت فيه انــت واصحابك . قال له : اذا اخذت انت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف انه رديء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ (٢٣)

وقد جـد عبد القادر الجرجاني ــ بعد ابن سلام ــ اهمية وقيمــة « الذوق المعلل » في سبر اغوار التجربة الشعرية بصورها الغامضة او الواضحة وبمعانيها الروحية او الحسية حين قال : « انت لا تستطيع ان تنبه السامع لها وتحدث له علما بها حتى يكون مهيئا لادراكها ، وتكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه احساسا بان من شأن هذه الوجوه والفروق ان تعرض فيها المزية على الجملة ، ومن اذا تصفح الكلام وتدبــر الشعرفرق بين موقع شيء منها وشيء (٢٤) » فالذوق عند عبد القــاهر يقترن « بالقريحة » ولا يستطيع السامع او القارىء ان يصدر حكما اويصرح

---

٢٢ ــ د. مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، ص ١٠.

٢٣ ــ طبقات فحول الشعراء ، ص ٧.

وانظر ايضا : د. محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الادبي والبلاغة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٣ .

٢٤ ــ عبد القادر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، القاهرة ١٣٣١ هـ ، ص ٤٢.

بقول الا اذا امتزج الذوق بالقريحة فخلقا في نفس صاحبهما الاستجابة المتمثلة بوجود « الاحساس » وحينئذ يتحرر الذوق من استبداد التأثرية والعفوية الساذجة ليتجه نحو « تدبر الشعر » او «التجربة الشعرية » والقدرة على التمييز بين المعاني والصور التي تنفرد بها تجربة او قصيدة عن سواها فالذوق الذي قصد اليه ابن سلام وحدده عبد القاهر الجرجاني يعني الموهبة الانسانية التي انضجتها رواسب الاجيال السابقة وتيارات الثقافات المعاصرة والتي امتزجت جميعها فكونت هذا الشيء المسمى بحاسة التميز او التذوق الادبي (٢٥) وبذلك يختلف في معناه وابعاده النقدية عن الذوق الذاتي الذي وجد في الاحكام الادبية العامة في العصر الجاهلي :

حين اطل الاسلام ثورة اخلاقية وفكرية واجتماعية حاسمة في تاريخ العرب في العقد الاول من القرن السابع الميلادي ، بدأ صراع سياسي ـ فكري في حياة العرب الثقافية يأخذ طريقه وسرت آثاره الى كل جزئيات الحياة العامة والخاصة ، فاختنقت قيم قديمة وحلت مكانها قيم اسلامية جديدة واعية الى تثبيت اسس مجتمع جديد تسوده العدالة وتؤلف بين طبقاته الاجتماعية روح الاخوة والمساواة . فكان ذلك الصراع فكريا قائما على روح الجدل والاحتجاج حينا ودمويا حربيا حينا اخر ، حتى استقر الصراع بانتصار الاسلام على الوثنية ، فكان لزاما ان يولد موقف جديد تجاه الشعر يستمد اصوله من طبيعة هذه الثورة الجديدة ، فلم يعد الشعر ادبا بمعناه الظاهر او تعبيرا عضويا عن الحياة الباطنية ، بل هو تنفيس حر عن الوجدان في قضاياه الخاصة والعامة ، لذلك يرى فيه العربي كل صورة من صور حياته فهو عندما يرجع الى الشاعر انما يجد عنده شخصيات حية تمثل في كل منها صورة من صور الحياة كما هي ، وكما يتمناها (٢٦) فأراد الاسلام للشعر ان يحقق

---

٢٥ ـ الشماوي ، قضايا النقد الادبي والبلاغة ، ص ٢٥ ، وانظر ايضا : د. محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري ج١ دار المعارف بمصر ، ص ١٢، ١٣، ١٤.

٢٦ ـ عباس محمود العقاد ، اللغة الشاعرة ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٨٦، ١٠٦ ، وانظر ايضا: د. عناد غزوان موقف القرآن الكريم من الشعر العربي مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٦٩ ، ص١١٩.

وظيفة اجتماعية تستوعب معنى البناء والتقدم وتصوير الواقع وفق فلسفة تولد رحابها الحرية في الفن والتعبير ، وقديما تنبه بعض الفلاسفة والمفكرين الى الغاية الاخلاقية التي يحققها الشعر لما فيه من موسيقى ونغم تحبب تلك الغاية الى نفوس الجماهير ، فقد ادرك افلاطون خطر انحراف الشعر او الفن عن غايته الاخلاقية فعارض اشد المعارضة نظرة السفسطائيين الذين « مكان فنهم يقوم على التمويه والخداع(٢٧) لا ريب ان افاق نقد الشعر في العصر الاسلامي بدأت تتسع « وجنح الى شيء من الدقة ، وحاول ان يحدد بعض خصائص الصيغة والمعاني ويتأثر شيئا ما بروح البناء والتأسيس التي سادت فيما كان يجد امام المسلمين من شؤون التشريع » (٢٨) وحين تطورت الحياة العربية الاسلامية بسبب الفتوح ، بدأ العرب يخرجون من عزلتهم في شبه الجزيرة العربية ليطلوا على بيئات جديدة . فحدث تفاعل حضاري وصارت العربية المتمثلة بأدبها الشعري والنثري ، لغة هذه الحضارة الجديدة التي كان الاستقرار والتدوين من ابرز سماتها الفكرية والثقافية. فأثرت العربية بغيرها من اللغات كما تأثرت بها تلك مسألة طبيعية يوضحها الروح الانساني في كل لغة حية من لغات العالم . ففي الوقت الذي انتشرت فيه العربية وبسطت نفوذها الادبي والحضاري على بيئات مختلفة كالعراق ، والشام ، ومصر ، وبلاد فارس بدأ اللحن يتسرب اليها وهو امر طبيعي نتيجة للتمدد الحضاري ومظاهر الترف والرخاء التي عمت الحواضر الاسلامية بالاضافة الى الصراع القبلي والسياسي الذي صاحب تطور الفكر الاسلامي والسياسي فكانت الحاجة ضرورية في استقراء نصوص هذه اللغة وتدوين موروثها الشعري والنثري حفاظا على نقائها وصفائها وتثبيت اسس علمية ووضع ضوابط منطقية لقواعدها ونحوها واعرابها معتمدة على اساليب هذه اللغة الفصيحة، الشائعة فكان مطلع القرن الثاني الهجري منطلق هذه النهضة العلمية التي تمركزت في

٢٧ ـ د. عناد غزوان اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
٢٨ ـ طه احمد ابراهيم ، تاريخ النقد الادبي لمسند العرب . ص ٢٣.

مدينتي البصرة والكوفة حيث اجتمعت جهود الرواة واللغويين والنحاة والنقاد على تطوير المنهج العلمي في الدراسات الادبية واللغوية ، ذلك المنهج القائم على الاستقراء والاستنباط والحجة والذوق الادبي الرفيع . اذا يبدأ نقد الشعر بتحليل النصوص باحثا في صياغاتها ومعانيها دارسا رجالها متجاوزا في بعض الاحيان بنية الشعر ومعانيه الى نقد الشعور والتفرقة بين احساس واحساس (٢٩) فتظهر في المعجم النقدي العربي مصطلحات جديدة « القديم الاسلامي » ، المحدث ، المولد ، الطبقة ، المصنوع ، المطبوع ، اللفظ والمعنى، الرقة ، الغريب ، الشاذ ، الفصيح، الفحل ، والفحولة ، القياس ، السماع، وحين وضع الخليل بن احمد الفراهيدي العروض وعد مخترعا ومكتشفا ، لهذا الفن الجديد « قد وضع في ايدي هؤلاء العلماء مصطلحا للعيوب الشكلية من اقواء واسناد وايطاء . ظل مفزعهم كلما ارادوا نقد الشعر من تلك الناحية»(٣٠) بالاضافة الى ذلك فان الخليل قد منح الشعراء حرية التعبير حين تمدحهم امراء الكلام يصرفونه انى شاؤوا ويجوز لهم والا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى(٣١) وتقييده ، ومن تصريف اللفظ وتعقيده والحرية والتعبيرية التي ذهب اليها الخليل لا تعني « الفوضى في التعبير » وتغليب الشاذ على الفصيح لان الشعراء الذين سماهم «بأمراء هم الفحول الفصحاء الذين يحتج بلغتهم ، اسلوبا وتعبيرا وذوقا ولعل في قول ابن قتيبة « اشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه » (٣٢) اشارة الى الشاعر المثال الذي يبدو مرادفنا « لأمير الكلام » بنظر الخليل .

عناد غزوان اسماعيل

---

٢٩ ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ص ٢٤ ، ٤٠ .

٣٠ ـ احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٤٧.

٣١ ـ ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ، زهر الاداب ، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١ ، القاهرة ، سنة ١٩٥٣ ج٢ ، ص ٦٣٣ ، وانظر ايضا : احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، حاشيته ص ٤٧ ، نقلا عن : منهاج البلغاء ص ١٤٣ ونعمة رحيم، النقد اللغوي عند العرب ، رسالة دكتوراة جامعة بغداد ، شباط ١٩٧٧ ص ١٧١ وانظر ايضا د. محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد العربي ، ج١ ص ٥٩ ، ٦٠، ٦١

٣٢ ـ الشعر والشعراء ، ص ٢٦.

٤٥٤

عبد الرحيم قليلات

١٨٨٤ - ١٩٤٢

بقلم: فوزي سابا

شاعران اشتهر شعرهما الاجتماعي منذ العشرينات من القرن العشرين على اختلاف نمطهما البياني ، هما عمر الزعني الشاعر الشعبي وعبد الرحيم قليلات الذي حافظ على العمود الشعري بكل ما فيه من وزن وقافية وفصاحة .

ولد عبد الرحيم قليلات في بيروت سنة ١٨٧٤ وتلقى علومه في مدارس جمعية المقاصد الخيرية ثم في الكلية السلطانية متتلمذا على الشيخين عبدالرحمن سلام ومحي الدين الخياط فنال شهادتها سنة ١٩٠١ مما اهله للالتحاق بالجامعة الاميركية حيث درس فيها اللغة الانكليزية مدة سنتين، هاجر بعدها اي سنة ١٩٠٢ الى مصر مدرسا حتى سنة ١٩٠٥ وملازما الازهر الشريف في اوقات فراغه او متحلقا مع كبار الادباء .

سنة ١٩٠٥ انتقل من التعليم الى الوظيفة ، مع حكومة السودان فانتقل الى الخرطوم لكن الادب والصحافة كانا في دمه فأنشأ سنة ١٩١١ جريدته « رائد السودان » التي عرفت بصبغتها الوطنية ولانها كانت ملتقى اقلام رجالات الفكر العربي اثارت حفيظة السلطات على صاحبها مما اجبره على ترك الوظيفة والسودان والعودة الى بيروت سنة ١٩١٤ اي عند ابتداء الحرب العالمية الاولى وكان ان جند في الجيش العثماني وارسل الى طرابلس الغرب حيث وقع اسيرا سنة ١٩١٥ وبقي الى سنة ١٩١٩ حتى افرج عنه وعاد الى بيروت سنة ١٩٢٠ فعين مفتشا لبلديتها وفي عام ١٩٢٢ تسلم مديرية الشرطة

اللبنانية وبقي فيها حتى سنة ١٩٢٩ عندما قدم استقالته لاسباب سياسية .

بعد الاستقالة قضى بعض السنوات في بيروت ثم باع املاكه وقام سنة ١٩٣٣ برحلته الكبرى الى الهند وسيلان واندونيسيا ومنها توجه الى اليابان وبقي يتجر مدة اربع سنوات تخللتها رحلات وزيارات لاميركا وافريقيا الغربية ليعود ثانية الى لبنان سنة ١٩٣٨ ، اما رحلته الصغرى او بالاحرى رحلاته الصغرى ، فكانت تقتصر على اوروبا ومصر .

في المدرسة تعلم اللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية ، وفي الاسر تعلم اللغة الالمانية من زملائه الاسرى الالمان ، وفي رحلاته تعلم اللغتين اليابانية والاندونيسية ، وبذلك ملك قدرة على استيعاب الاداب المختلفة من مصادرها الاصلية ولغاتها الام ، مما زادت سجاياه الشعرية صقلا .

عرفناه خطيب المنابر وشاعرا بقامته الطويلة وجسده الجبار الذي غلبت عليه السمنة وقد تكون هي السبب في رحيله المبكر عنا ، كما كان لها تأثير في طباعه الرضية التي اكسبته ذلك الظل الخفيف والبديهية الحلوة فعرفت مجالسه بالانس .

أذكر فيما أذكره عن عبد الرحيم قليلات انه دعي للخطابة خلال شهر رمضان المبارك ، فلما اعتلى المنبر بقامته الفارغة وجسده الجبار ، دوى التصفيق فانحبكت له النكتة ، قال الاصل في الحق يقع على صاحب الدعوة التي وقعها في رمضان المبارك ، الذي له تأثير كبير فيه ، ودل على جسده واشار الى السمنة المرتاحة عليه ، فصائم رمضان من امثالي وفاطره ابدا متكد ، ان جاع تذمرت معدته ومتى فطر زادت تذمرا ، ثم ألقى قصيدته المشهورة ـ حليم وسليم ـ التي ما زلت اذكر منها قوله :

كلنا اخوة وما الفرق الا غلط في حسابنا موهوم
غلط اصل جمعه الطرح والضرب بهذا او ذاك والتقسيم
غلط لا يضل عنه لبيب غلط لا يشك فيه فهيم

كلنا اخوة وما الوطن الواحد الا بيت الاخاء العظيم
كلنا في حمى المحبة اهل ها هو المذهب الصحيح القويم

بهذا الروح نظر الى المجتمع ، بروح الانسانية والمحبة ، فجاء شعره للاصلاح الاجتماعي ولا سيما في تلك الفترة القلقة التي أصابت لبنان ، وكان أحوج ما يكون لمن يضمد جراحه ويزيل رواسب التفرقة التي استملكته خلال اعصر الانحطاط وزادتها الحرب العالمية الاولى استمساكا ، فكان لا بد له من مصلحين امثال عبد الرحيم قليلات الذي جند نفسه من اجل الوحدة الوطنية محاربا كل ما يساعد على التفرقة سيان أكان عنصريا او دينيا او اجتماعيا ، لذلك لا نجد له الا القليل من الشعر الغزلي الذي كان يأتي به عرضا ، امثال قوله :

قسما بالحب اني مغرم ويمين الحب لي خير يمين
اترامى بين يأس ورجا ورجائي بين شك ويقين

او قوله :

قدك البان وما شعرك الا غاب ايك
ردد الورق عليه لحن اشواقي اليك
والخزامي حول انسان الدجى من ناظريك

ايمانه بالقضية الوطنية والواجب الذي فرضه على نفسه لمداواة الامراض الاجتماعية ملكا حسه ولم يتركا له متسعا للنظر الى الضروب الشعرية الاخرى لكأني به على لسان عمر بن ابي ربيعة في قوله :

قالت وابثثتها سري وبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي، فقلت لها غطي هواك وما ألقى على بصري

هكذا غطت العاطفة الوطنية على كل حواس عبد الرحيم قليلات وصهرت

طاقاته كلها في طاقة واحدة هي الناحية الوطنية والاجتماعية ، فجاء ديوانه « الهيام » خطا واضحا للوطنية المثلى والتضامن المطلق من اجل العمل البناء فصدره بقوله :

رب يا ذا الجلال والاكرام لك حمدي وفي رضاك هيامي
حسبشعري يا رب وحي شعوري حاطه منك صادق الالهام
وخيالي قد هام في كل واد رب فاسلك به سبيل السلام
دنت بالحب راعيا كل دين وكفى ان رائدي اسلامي
رائد نور هديه دين موسى دين عيسى ، دين النبي التهامي

هذا هو اهداء الديوان مرسل مطلق الى الله جل جلاله ، اما باقي القصائد التي تقع في ثلاثمئة وست وعشرين صفحة فانها تداوي امراض المجتمع اللبناني على شتى انواعه .

في هذه الابواب تظهر شاعرية عبد الرحيم قليلات فنجد السهولة والوضوح في الكلمة وفي المعنى ، ليأتي شعره هذا موازيا لما نسميه بالسهل المتتع الذي لصدقه ورقته يدخل القلوب ويؤثر فيها حتى الاستملاك ، بعدما جعل شعاره :

ما رب موساكم ورب مسيحكم يا قوم الا تفس رب محمد
هو رب كل العالمين فيا ترى ما الفرق بين موحد وموحد

كما اتخذ شعاره ايضا :

ما هيامي الا بربي وقومي ولساني افخر به من هيام

ولكثرة امراض المجتمع انذاك طرق ابوابا من الشعر قل من طرقها من الشعراء لنجد شعره مخططا لمعالجة هذه الامراض كل على حدة : من التسامح الديني الى تعليم المرأة الى رفع مستوى العمال الى التضامن الوطني . فيقول

من قصيدة عنوانها في سبيل التوحيد :

بـل أي يوم فيـه اقـوام المـلا يسمـون بالقلب المؤتلف واليـد
حيطـان جامعهم وسقف كنيسهم ومدى كنيستهم موحد معبـد

ويقول من قصيدة ـ العامل التعب ـ :

هـو يشقى وسواه يستريـح من سـواه الا طيب ابن الاطيـب
كرم الشغيـل موسى والمسيح وبـذا جـاء النبـي العربـي

ويقول في المرأة :

انـا المرأة الضعيفـة عمـري مخلـص صادق وفي العهـود
اتمنى لهـا نهـوضا سعيـدا يتحلى بطيب عيـش سعيـد
غير ان النهوض ما اتصان الا بلبـاس التقوى وكسر القيـود

ولانه مؤمن بالاصلاح الاجتماعي ، وبالرغم من تقلبه في الوظائف الكبرى الحساسة ، فانه كره السياسة ، ربما لانها تشغله عن واجبه الاجتماعي ، فيقول من قصيدة :

دعني فمـالي في السياسة ناقـة تطلى ولا جمـل يلـث بقـارهـا
اني لاستجلي امتطاء جوادهـا والبعض يستحلي ركوب حمـارها
وامج لطف جمالها وجلالهـا ناهيـك خفه جـلالهـا وجرارها
حظ المقامر والمغـامر باسمها سيان حول غمارها وقمارهـا

تجلت المرونة في شعر عبد الرحيم قليلات الذي جاء كما النجاوي او انه عتاب الاحباب للاحباب ولان حبه لامته كان مشرقا فقد اضاء له حتى اكثـر السبل ظلمة ، وبذلك تفتحت له ابواب اهلته للدخول الى الاذهان التي مـا زالت عالقة برواسب الماضي الجاهل فكان يتخير المواضيع التي توافق هـذه

الطبقات مثال قوله من قصيدة بعنوان ـ فلاح وشيخ معلم ـ التي بالرغم مما فيها من الفكاهة فقدت زاد مغزاها على فكاهتها :

تجادل فلاح وشيخ ومعلم ... على اجر تعليم ابنه مثل اقران
فقال له الفلاح اجرك باهظ ... بني لحقلي والنقود لجزدان
بها اشتري ما اشتهي او يكون لي ... حمار فقال الشيخ لا بل حماران
اتفهم قصدي يا ابا ابن مضيع ... حمارك هذا واحد وابنك الثاني
فقال له يا شيخ صاروا ثلاثة ... ورابعهم سلاب مال يعرفان

لقد جمع عبد الرحيم قليلات كل طاقاته وظرفه وادبه وعلمه وحولها الى الاتجاه الوطني الذي ارتسم في قلبه وظهر جليا في شعره فاذا عنوانه لبنان .

ان كان اخطلها لعيسى ينتمي ... فانا ورب محمد حسانها
ديني محبتها وايماني بها ... وعقيدتي لبنانها لبنانها

سادات الظرف والاخلاص هؤلاء سلسلة متماسكة الحلقات في البناء وعلى اقلامهم بقي الاشعاع اللبناني مستمرا او متصل البت ، وعبد الرحيم قليلات واحد منهم .

فوزي سابا

لو ركب الابيض

كان البراء بن قبيص صاحب شراب ومزاج ، فدخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه اثر لجرح حديث . فقال الوليد : ما هذا ؟ قال : ركبت فرسا اشقر فكبا بي . فقال : لو ركبت الابيض لم يعثر بك . فعرف بانه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط .

رواد المسرح العربي الحديث

بقلم: عيسى فتوح

على اثر وفاة مارون النقاش ــ مؤسس المسرح العربي الحديث ــ عام ١٨٥٥ ، توقفت الحركة المسرحية في بيروت ، فرحل الى مصر اثنان من ابرز العاملين في ميدان المسرح هما اديب اسحق (١٨٥٦ ــ ١٨٨٥)وسليم خليل النقاش (ــ ١٨٨٤) ابن اخي مارون النقاش واصطحبا معهما الممثل يوسف خياط الذي كان احد الممثلين في فرقة سليم النقاش ، واختاروا الاسكندرية مركزا لعملهم . كان اول عمل بدأ به الزميلان اسحق والنقاش ، أن اقبلا على تعلم الموسيقى العصرية المصرية مدة ثلاثة اشهر ، لما كان لها من أثر فعال في الاقبال على المسرح في تلك الايام ، وهي تختلف عن الموسيقى الشامية بعض الاختلاف ، الا ان هذا التعلم لم يكن ذا فائدة كبيرة في نجاح الفرقة ، فسقطت في مكانها ، لكنهما لم يلقيا السلاح فورا ، بل ظلا يحاولان تثبيت اقدامهما ، فنقل سليم النقاش اوبرا « عائدة » من الايطالية الى العربية، ثم ألف دراما في خمسة فصول شعرا ونثرا وسماها « الطاغية او الظلوم » وهي مسرحية رومانسية تتحدث عن الدسائس في بلاطات الملوك والحكام الشرقيين بشكل عام ، كما أعاد اديب اسحق كتابة مسرحية « اندروماك » لراسين ، ثم ترجم بعدها مسرحية تاريخية بعنوان « شارلمان » ومسرحيه « الباريسية الحسناء » فاختار لها عنوان «غرائب الاتفاق» . وبالاجمال فان جميع مسرحيات اديب اسحق التي عربها او اقتبسها مثل « لباب الغرام او الملك مثريدات » لراسين ، و « هوراس » لكورني ، و « زنوبيا » لـلاب اوبيناك لم تلاق الرواج المنتظر ، فاتجه الزميلان الى العمل في الصحافة ، ولم

يعش مسرحهما في الاسكندرية الا عاما واحدا ، وتخليا عن فرقتهما ليوسف خياط الذي انتقل بها الى القاهرة ، وضم اليها بعض الممثلين الجدد كسليمان القرداحي، وظلت تعمل بين نشاط وضعف حتى سنة ١٩١٥.

استهل يوسف خياط اعماله بتمثيل مسرحية « صنع الجميل » في تياترو « زيزنيا » بالاسكندرية، الا انه وجد العمل بعيدا عن القصر لا يجدي نفعا ، لذلك طلب المساعدة من الخديوي اسماعيل فلبى طلبه ، وفتح امام فرقته ابواب دار الاوبرا ، فترك مسرح « زيزنيا » في الاسكندرية ، وسافر الى القاهرة .

اختار يوسف خياط مسرحية « الطاغية » لصديقه سليم النقاش كي يبدأ بها حفل افتتاح موسم دار الاوبرا لعام ١٨٧٨ دون ترو او تبصر ، مدفوعا باعجابه بسليم النقاش ، فظن الخديوي ـ وقد حضر تمثيلها ـ انه هو المقصود بالطاغية ، فغضب لما تخلل التمثيل من ذكر الظلم والظالمين بخاصة ، وأيقن أنه يعرض به وبحكمه ، لذلك امر باخراج الخياط وفرقته من مصر، فعاد الى سورية ، وظلت دار الاوبرا مغلقة في وجه التمثيل العربي حتى سنة ١٨٨٢ .

لكن الدكتور محمد يوسف نجم ينفي خروج الخياط من مصر ، ويقول انه مثل في تياترو « زيزنيا » في اذار سنة ١٨٧٩ ، ومعنى هذا انه لم يخرج من مصر ، بل انزوى قليلا في الاسكندرية .

ثم يغيب حينا من الزمن ليظهر من جديد في اواخر سنة ١٨٨١ ، فيمثل في القاهرة مسرحية « ابو الحسن المغفل او هارون الرشيد » لمارون النقاش،ويعيد تمثيلها بعد فترة قصيرة ، ثم يختفي عن المسرح مرة اخرى على اثر اندلاع الثورة العرابية ، ليظهر فجأة اواخر عام ١٨٨٤ بفرقة جديدة ألفها من السوريين والمصريين ، ويفتتح موسمه على مسرح « زيزنيا » في العاشر من كانون الاول

فيعيد تمثيل مسرحية الطاغية ، ويتلوها بمسرحية « الكذوب » في الثامن من كانون الثاني ١٨٨٥ على مسرح « البوليتياما » في الاسكندرية ، ثم مسرحية « هارون الرشيد » ، لكنه لا يلبث ان يعود الى مسرح « زيزنيا » في اواخر اذار من العام نفسه ومعه الشيخ سلامه حجازي ذو الصوت الرائع، ثم يتوقف عن التمثيل حينا من الزمن ليعود اليه في كانون الثاني سنة ١٨٨٦ بفرقة جديدة ،ويشترك معه في التمثيل المطرب مراد رومانو ، ثم يطوف في مدن مصر وارياقها فيمثل في الزقازيق وطنطا والمنصورة ودمنهور ودمياط وبنها وميت غمر ، وتنتهي رحلته عام ١٨٩٠ حيث أراد ان يرتاح نهائيا ولاسيما بعد ان اخذت فرقة سليمان القرداحي وفرقة ابي خليل القباني تستقطبان النشاط التمثيلي ، فيتجه الى بعض الاعمال الادبية ، ويعلن عن عزمه على طبع رواية « غصن البان » التي ترجمها نجيب الحداد عن الشاعر الفرنسي لامارتين ، وتختفي اخباره مدة طويلة ، حتى يأتي نعيه في آذار ١٩٠٠.

كان سليمان القرداحي احد اعضاء فرقة يوسف خياط ، ثم انفصل عنها وألف فرقة خاصة به في الاسكندرية وذلك في مطلع عام ١٨٨٢ ، وبدأ عمله في الاوبرا ومعه الشيخ سلامة حجازي ، والممثلة « حنينة » فمثل مسرحية « تليماك » التي قلبها عبد الله البستاني مسرحية عن قصة لفنيلون وقدحضرها الخديوي ورجال حاشيته ، وبعض قناصل الدول الاجنبية ، ثم مثل بعدها مسرحيات : «الفرج بعد الضيق » و «فرسان العرب» و « زفاف عنتر » ، ثم عاد الى الاسكندرية حيث مثل مسرحيتي «تليماك» و«فرسان العرب » على مسرح « زيزنيا ».

لقد مثل القرداحي عشرات المسرحيات ، وطاف بفرقته مدن سورية ومصر والمغرب العربي ، كما انشأ مسرحا باسمه في الاسكندرية ، وقدمت اليه الحكومة مساعدة بان منحته قطعة ارض على شاطىء البحر . وظل يلازم خشبة المسرح حتى سنة ١٩٠٠ حيث بدأ نجمه يأفل امام النجاح العظيم الذي

أحرزته فرقة اسكندر فرح وفي طليعتها الشيخ سلامه حجازي ، لكنه استرد شيئا من نشاطه سنة ١٩٠٥ حين انفصل الشيخ سلامة حجازي عن اسكندر فرح ، فمثل عدة مسرحيات على مسرح اسكندر فرح ، وفي عام ١٩٠٧ غادر القاهرة نهائيا الى شمال افريقيا ، فمثل في تونس والجزائر ، ثم استقر بـه المقام في تونس حيث اسس فيها مسرحا عربيا لاقى كل رواج واقبال ، وقد أنعم عليه باي تونس بوسام الافتخار وبرتبة بك ، لكن الموت فاجأه يوم الخامس من ايار سنة ١٩٠٩ وهو في قمة نجاحه وتألقه ، وكان يأمل ان يغطي بذلك النجاح ما اصابه من خسارة في القاهرة ، فخلا الجو بذلك لباقي الفرق المسرحية .

عيسى فتوح

شعر

الاديب الخالد

بقلم السيد علي ابراهيم

آمن بحرية القلم فلم يخضع لارادة قوى يعادي الموهبة لانه ليس من اصحابها ، وعلم ان نصيبه من الحياة فلم يسخره لحاجات النفس ونزعاتها ، فليست المتعة العابرة بنظره سوى اطياف تتلاشى ويبقى مجد القلم ووفاؤه وصدقه في السراء والضراء ، تنشر المحبة والصفاء والامن والسلامة للناس أجمعين ، وتلك هي رسالة الادب ان لم تطلب الخير وتكافح الشر ، وتقف في معبد الحق والجمال ، فتتلو الآيات والروائع ، وتبصر ما لا يبصره الناس فتحاول جاهدة الارتفاع بهم للمستوى الكريم ، تكون بضاعة رخيصة لا غناء فيها . آمن بحرية الانسان المطلقة الشاملة أينما كانت وكيف اتجه ، وطلبها للمرأة التي انهكها الجهل ، وغلتها التقاليد فجعلت منها دمية تعبث فيها الايدي وسلعة تباع وتشرى ، وللكلمة أراد لها ان تنطلق صادقة مخلصة من قلوب اصحابها فلا تسجد على الاعتاب وتدعو لتعفير الجباه وتجوز بالبيان غايته الاساسية النبيلة ، وهي التعبير الصادق والسير بموكب الحياة للغاية المثلى، التي تبني ولا تهدم ، وترفع ولا تضع ، وللدين ، اراد له ان يكون الآمر بالمعروف ، الناهي عن المنكر ، الصلة التي تربط المجتمع وتشده للاهداف السامية بعيدا عن الاستغلال والمفاخرة والمباهاة ، لا يكون وسيلة للنفوذ والمتاجرة ولا سلاحا يستعمله من يشاء للكسب ، يجمع ولا يفرق ، فالخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه أنفعهم لعياله .

اما حبه لوطنه وحنينه اليه ، فلم يكن للعرض والطلب ، وانما هو عن وجد دفين وهوى وشجت أسبابه في اعماق الحس والشعور ، وكثيرا ما سمعته يردد قول الجواهري :

يا أم عوف وما كنا صيارفة   فيما نحب ولا كنا مرابينا
لم ندر سوق تجار في عواطفهم   وبائعين مودات وشارينا
لا نعرف الود الا انه دفق   من الصبابة يعتاد المحبينا

واذا ذكر جرح وطنه وايام الصفاء السالفة يوم التقت فيه مواكب المعرفة والفنون، وكان مهدا للحائرين ومأوى لمن نبت بهم اوطانهم وقسى عليهم الزمن يوم نشر المعرفة والحضارة في سائر بقاع الارض وكان للغة العربية هاديا ودليلا ناجى أحبابه فيه بقول بن زيدون :

غيظ العدى من تساقينا الهوى، فدعوا   بان نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا   وانبت ما كان موصولا بأيدينا
وقد نكون وما يخشى تفرقنا   فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا

استعرض في ذهني حبه للحياة ، وفرحه وكيف عشق الجمال في شتى مظاهره واشكاله ، سواء أوحت به امرأة ، او نغم ، او كلمة بليغة ترتفع بالانسان للمبدأ الاول باعث الخير ، وموحي الجمال ، ثم رأى الدنيا وقد تنكر وجهها ، وأدبر معروفها ، وتبدل حالها ، فآله ان تكون كعهده بها، فانطفأ ، في ايام الربيع ايام الورود والرياحين..

انامل من ذهب

لم يحصل سميح على شهادات مدرسية ولم يرث عن ذويه شيئا ، واضيف لضيق حاله انه أصيب بصدمة أثرت على رجله فأوشك ان يكون مقعدا، ولكن الارادة القوية أبت عليه ان يستسلم ويصبح عالة على غيره ، فوضع أمام

فكره هدفا مزدوجا ، أن يثقف نفسه بالقراءة والمطالعة ، وان ينتج فيعين أهله ويعد نفسه للمسؤولية عن بيت وزوج وبنين ، ورأيته في المعترك الحامي الوطيس والناس في سباق مع الزمن ، تميل بهم احداثه يمينا وشمالا ، يمتهن حرفة الضرب على الالة الكاتبة فيبرع فيها ، وكانت الصنعة ولم تزل وسيلة للرزق الحلال الطيب ، وطريقا للغنى عن الناس ، ترفع شأن صاحبها وتجعله عزيز النفس محترم الجانب ، يقصده اصحاب الحاجات ويرجعون اليه ، وقد جذب صدقه اليه من عرفه وتعامل معه فوجد فيه انسانا بارعا يحفظ حق غيره ويحترم نفسه ، اما القناعة فقد اعتمد عليها عدة يجوز بها الزحام ويعبره للهدف المنشود، ويخطىء من يجعل الطمع له شعارا ويجوز برغبته الحد الذي ينبغي له ، فيخسر حيث ينشد الربح الوفير . وعناني امر سميح فراقبته واذا به يختلس من وقته فرصا ينكب فيها على كتب الادب القديمة والحديثة فيحسن الورد والصدر ، وينهل من معينها ما طاب له ، والكتاب لا يسرد محبا يعرف حقه ويختار منه ما يفيده ويتفق مع هواه واهدافه ، ورأيته في بيته زوجا وابا اراح نفسه من حيث تعب غيره ، فقد جعل المحبة صلة بينه وبين اسرته فصانته عن التردي في دروب اللجاج والخصام ، ولم يطلب السلطة لينازعه فيها من يضيق بها ذرعا وتثقل على كرامته وعزة نفسه ، ومرت ايامه على احسن حال اتآجا وتثقيفا وعلائق اجتماعية منتظمة هادئة يريح فيهما ويستريح، يبدو له الغد من وراء حجب الغيب زاهرا مشرقا فتغمر السعادة والطمأنينة قلبه ، ولا تثير الازمات شعوره واحساسه .

ثم فرقتنا اسباب الحياة ولم يبق بيني وبينه غير أطياف من الذكريات قلبي بها ضنين ، ولم يخطر لي انه سيصبح في عداد المؤلفين ذات يوم ، وكم كانت دهشتي بالغة عندما حمل الي البريد كتابا جعل عنوانه (من صور الحياة) شرح فيه التجارب التي عاناها ، ودأبه في طريقه الشاق الطويل ، ولفت نظري فيه انه يعبر عن آلام وآمال قسم كبير من المجتمع، ويصور صراعهم في سبيل لقمة العيش بأنامل من ذهب .

علي ابراهيم

الصّافي في بيت الصّافي

بقلم: خضر عباس الصالحي

لا ادري لماذا أحببت الاستاذ احمد الصافي النجفي هذا الحب الجارف الذي غمر كل جارحة من جوارحي ، وامتزج بكل خفقة من خفقات قلبي ، وخالط كل قطرة من قطرات دمي ، ولكن الذي أدريه جيدا انني شغفت بشعره شغفا عظيما ، وولعت بدراسته ولعا شديدا ، وأمعنت في استجلاء معانيه امعان المتأمل المبهوت .. ذلك الشعر المفعم بالافكار الفلسفية ، والروح الثورية ، والمتسم بالعفوية والتلقائية ، والذي أثبت تميزه الاصيل في النهج الفكري والاتجاه والرؤيا الفنية ، وتعامله مع الموضوعات الواقعية ...!

وكنت كلما تحل العطلة الصيفية أهرع الى سورية ولبنان للالتقاء به ، والاستماع اليه وهو يترنم بقصائده ذات الدلالات الجمالية ، والنزعات الانسانية ، والتي تحمل رؤى وجدانه ، واضافاته الجديدة والمتميزة في المضامين وأجده انسانا كبير النفس ، متواضع الخلق ، عميق الفهم ، وذا آفاق لا تحد ، وفضائل لا تعد ، فيخالجني شعور بالفرح يمازجه احساس بالاعجاب ...!

وكثيرا ما كان يحدثني عن وطنه العراق ، ويفصح عن حنينه اليه ، وتلهفه للعودة اليه ، فيحملني الى ان أشاركه غصة الغربة ...

وعندما يتكلم عن أفراد اسرته في العراق يخص الدكتور علي الصافي بجانب كبير من كلامه ، وهو ابن اخيه العلامة المجاهد المرحوم السيد محمد رضا الصافي حيث كان كلما يسافر الى بيروت أو الشام يلتقي به ، ويحنو عليه ، ويلبي رغباته ، ويتعاطف معه بدأب شغوف ...!

وكنت كلما أزور الاخ الدكتور علي الصافي بمكتبه في عمارة مرجان

الكائنة بالباب الشرقي من بغداد لا يدور حديثنا الا حول عمه السيد احمد الصافي النجفي ويقول لي بلهجة مشوبة بالقلق :

ـ لقد أصبح عمي شيخا مكدودا انهكته هموم الدنيا ، وأرهقته اعباء السنين ، وضعف بصره ، وصار لا يقوى على المشي الا بصعوبة بالغة ، فانني أشعر بالمسؤولية تجاهه اذ لا بد من معاونته على تحمل مشاق الشيخوخة وآلامها المبرحة ... أليس هو القائل :

سرى شيبي من رأسي لاهدابي وهدت الجسم آلامي وأوصابي
وأعيت العين عن عرفان من نظرت فصرت أعرف بالاصوات اصحابي

فأتطلع اليه بنظرات تقطر ألما واقول ولساني يتعثر باللوعة المخنوقة :

ـ ولماذا لا تحبذ اليه العودة الى العراق ..؟

فيجيبني قائلا :

ـ لقد طرحت عليه هذا الرأي عشرات المرات ، وفي كل مرة يصر على البقاء في بيروت مهما كانت النتائج ... هذا مع انه كثيرا ما كان يردد قوله :

سئمت من وحدتي غريبا الا صديق الا عدو

وعندما أصابت شاعرنا الصافي رصاصات الغدر والخيانة ، وعولج في مستشفى المقاصد الاسلامية اضطر للعودة الى بغداد ، وذلك في مساء يوم الخميس الموافق ١٩ ـ ٢ ـ ١٩٧٦م استجابة للدعوة التي تلقاها من حكومتنا الوطنية ، وكان الدكتور علي الصافي أول المستقبلين لعمه في مطار بغداد الدولي ... حيث نقل رأسا من الطائرة الى مدينة الطب للمعالجة وهو يقول :

يا عودة للدار ما أقساها أسمع بغداد ولا أراها

ومكث في مدينة الطب اثنين وعشرين يوما ، وخرج منها يوم الجمعة

المصادف ١٣ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ م، واستقر في دار ابن اخيه الدكتور علي الصافي الواقعة في حي المنصور بجانب الكرخ من بغداد ••• وهي دار واسعة وجميلة تحبط بها حديقة غناء نسقت فيها الاشجار تنسيقا رائعا ، وطرزت ممراتها بالازهار الملونة ، واكتست ارضها بالثياب السندسية ، وجوقة العصافير ترفرف في اجوائها الرحبة فتبعث زقزقاتها الحلوة التي تتردد اصداؤها في الارواح النشوى ، وكأن الصافي كان يعنيها حين قال :

قصدت الطبيعة مستنجدا بها هاربا من جميع البشر
فجئت الى روضة غضة تعانق فيها قدود الزهر
يسامرها بالغنا طائر يساجله بالنشيد النهر
فأصغي لاعذب انشودة مقطعة بحفيف الشجر
دخلت كآدم في جنة وما لي كآدم عنها سفر

وفي هذا النص الذي كتبه الصافي في لحظات ابداعه الشعري دلل على حب عميق للطبيعة •• وقد ألبسه وشاحا من اللهفة والحنين ، واجاد التحليق في الآفاق الفكرية ••!• •

وانصب اهتمام الدكتور علي الصافي على توفير كل اسباب الراحة لعمه الصافي ، واعداد الاجواء المناسبة لمزاجه ، والمبادرة لتلبية كل طلباته الآنية ، وقد استخدم معاونا له يرافقه ليلا ونهارا دو انقطاع ••• كما ان زوجته الاميرة « هند » وهي مربية فاضلة ، واستاذة جليلة ذات ثقافة عربية أصيلة بالاضافة الى نسبها العريق بأمير قبيلة ربيعة القاطنة في محافظة الكوت، وقد عرفت بخصيصة الذوق والحس الشعري ، ولذا أوصت الصافي عناية فائقة ، وخصصت جانبا من وقتها لخدمته حتى قال فيها :

أميرة أعقد الامور تحل عطف نساء لها وعقل رجل

كان الصافي صباح كل يوم يجلس على الكرسي منفردا في حديقة

الدار الانيقة لينعم بالتسامي الروحي، والاستبطان الذاتي ، والاستغــــراق المجنح ••• وكان قد اصيبت عيناه بالعمى قبل قدومه الى وطنه بنحو ستــة أشهر ••• حتى اذا أشار عقرب الساعة الى العاشرة صباحا قدم احد البلابل من مكان مجهول ، ووقف على أحد الاغصان المورقة ، وراح يزغرد بأغاريده المذبة ذات الانغام الرخيمة ، والايقاع السحري ••• وما ان يسمع الصــافي صوت البلبل حتى يغرق في تهويمة صوفية تأخذ عليه حضوره في ما يظــل يتابع الاصداء بوجدانه متابعة واعية ويقول :

أيهــا البلبل الملــذ سمعي　　بغنــاء ما مثله من غنـــاء
أرســل النور في الغناء لعيني　　لأرى شكلك البديع البهـاء
ثم رفرف من فوقنا حيث تحكي　　همزة الوصل بيننا والسمـــاء

انها لقطة مصور بارع تحمل نبضات فنية رائعة ، مشحونة بازدحـــام الصور ، عميقة في استحواذها على النفس ••• ولا غرابة في ذلك فللصــافي مهارة عجيبة في رصد اللحظات الخصبة المليئة بالمعاني الفجائية التي تستخلص منها مغزى عميقا ••!••

ويواصل البلبل تردده على الحديقــة كل صباح ، وفي الساعة العاشرة تماما ، ويظل يغرد زهاء نصف ساعة ثم يطير الى جهة بعيدة ••• وينتظـــر الصافي عودته بشوق متعاظم ليستمع الى صوته وهو يصدح على فنن الاشجار حيث يوحي اليه أرق الشعر وأعذبه ، فتتفجر شاعرته المعطاءة بفيض الهامه ، وروائع عرائسه ويقول تحت عنوان « اميران » :

أحب غنــاءك يا بلبـــــلي　　أحبك يـــا موحي الشعر لي
أميران في فننـــــا نلتـــقي　　على لحـــن قــافيتي رتـــل
يطيـــب مع الشعر لحن الغنـــا　　فــاني وإياك في محفـــــل

وفي اليوم التالي تتلبد السماء بالغيوم ، ويكفهر الجو ويكلح وجهه ... ويترقب الصافي قدوم سميه البلبل ... ولكن ترقبه يذهب سدى ... فلعله انزوى مثله في عشه ، واعتزل كما يعتزل الشعراء ... وتحت عنوان « جناية الغيم » يهتف من اعماقه قائلا :

حجب الغيم بلبل الامس عني ... يا لحزني بفقد احلى غناء
فأنا منزو بكوخي وظني ... انه اليوم مشبهي في الزوائي
ان في عالم البلابل حينا ... عزلة مثل عزلة الشعراء

وهكذا تظل تجربته الشعرية متبلورة بالوعي والنضج متدفقة بالابداع والعطاء ، متسمة بالتفوق والابتكار ، ولا تفتقد الاصالة مطلقا !..

وبامتلاكه مقومات الفن الشعري ، وتمكنه من القدرة على رؤية الابعاد والمعاني المستقبلية ، وامتيازه بالصدق في المضامين ، وحرارة الرغبة في التعاطف والاتصال والبث ، واستقطابه عددا كبيرا من معاني الحياة فتح عوالم جديدة في الشعر العربي المعاصر ..!

واني لأجد الكلمات عاجزة عن استيعاب كل المشاعر والانفعالات التي أحسها وانا ألتقي باستاذي الكبير أحمد الصافي النجفي في مدينة الطب بعد عودته الى بغداد ... فقد استطعت ان أعبر عن شعوري بقصيدة تحت عنوان « الصافي العائد »، وألقيتها على مسامعه ، ولا مجال لذكرها هنا ، وقد نشرتها احدى الصحف العراقية ...

وصرت اتردد عليه في دار الدكتور علي الصافي بعد خروجه من مدينة الطب حيث يتقاطر على زيارته المعجبون به ، واذكر منهم الاساتذة الافاضل الدكتور عبد الرزاق محي الدين ، والدكتور الشيخ احمد الوائلي ، وجعفر الخليلي ، وسلمان الصفواني ، وشفيق الكمالي ، وناجي جواد ، وهلال ناجي، وعلي الحلي ، والمرحوم فؤاد عباس، ورشيد عباس الصفار، وطارق الخالصي

وطالب الحاج فليح، وسلمان هادي الطعمة ، ووحيد الدين بهاء الـــدين ، وعبد الغني الخليلي ، ورشيد كرم ، وحسين محمد شعبان ، وباقر أمين الورد، والدكتور شامل السامرائي •

كما زاره الاخ نزار الزين خلال وجوده ببغداد في شهر ايلول مـــن سنة ١٩٧٧ الميلادية برفقة الاستاذين سالم الآلوسي وحافظ جميل •

وكنت أراه وهو يجتمع بهؤلاء الاخوان الاعزاء يحس بفرح غامــر ، ويشيع البشر في وجهه ، فينفذ الى مشاعرنا عن طريق الوداعة والبساطــــة والصفاء ••• ويتحدث في مختلف المواضيع فتغلب على احاديثه روح الشاعرية ورقة الاحساس وصدق الحقيقة ••• يتكلم بلغة طافحة بالشوق والانفعال والحب ، لغة لها قوتها الفاعلة والمؤثرة في نفوسنا ••• وباسلوبه الرقيـــق المترقرق ، واستطراداته التي تنساب في كل اتجاه ، يروي لنا دوره الكبــير والمهم في ثورة العشرين التي تفجرت في جنوبي العراق في السنة «١٩٢٠» الميلادية ، ويستعيد ذكرياته في ايران وسورية ولبنان ، فيعرض علينا فصولا ممتعة منها ، فننجذب اليه لما يتصف به من نفاذ في البصيرة ، ورسوخ في الادب، وجمـــالا في التعبير•••!•

ويتحدث عن تجاربه الادبية ، والمراحل التي قطعها في مضمار الشعر ، والاعمال المتميزة التي انجزها ، ويتوغل في سبر أغوار قدراته الادبيـــة ، ويكشف عن ابعاد اتاجه الشعري ومعطياته بقراءة نماذج منها فيثير بيننـــا عاصفة من الاعجاب الشديد ••••!••

وتشترك جميع قصائده بمسحة ابداعية تجديدية تعتمد الوزن والقافية، فان الشعر عنده هو الكلام الموزون المقفى ذو الاخيلة البديعة ، والمفعـــم بالتجربة والمعاناة ، واستخدام ادوات الفن الشعري ••!••

ويلتزم جانب الموضوعية في أحاديثه عن الشعر الحر ، ويعطيها حقها من الاهتمام والتركيز فيقول :

ــ لقد حاول دعاة الشعر الحر التحديث في الشكل والمضمون ، فتلاعبوا بتفعيلات البحور تلاعبا أفقدها تلك الصور الموسيقية ، وساء تصرفهم في اللغة واستعمال مفرداتها في غير ما وضعت لاجله ، فجاءت قصائدهم شوهاء ممسوخة ...

ووفق منظورهم الضيق ، وفهمهم القاصر اخذوا يتجردون من الوزن لانهم لا يريدون الانطلاق ... وأوزان الشعر قيود تكبل شاعريتهم ... ولم يعلموا ان الاوزان صور موسيقية تقيد بها الشعر العربي لما بينها وبين مقاطع الالفاظ العربية من الملائمة الصوتية لذا بلغت بالشعر درجة فنية رفيعة ، وانها لن تقف حائلا دون تمكن الشاعر الموهوب من الاجادة في كل غرض من الاغراض الشعرية ....!..

ان هذه التغييرات التي حصلت في بنية الشعر حيث اصبح مجرد تراكم مفردات ، وجمل مبعثرة ومشحونة بفساد اللغة ، والاسفاف في اللفظ ، والتفريط في التصوير مما جعله منفصلا عن احاسيسنا ، ولا يثير فينا اقل اهتمام ...

لقد وقف الصافي موقف الساخط على الخارجين من عمودية الشعر او تقليديته ... واضافة الى هذا فان الشعر لديه وسيلة من وسائل نقد الواقع الاجتماعي ، والتصدي للفوارق الطبقية وشجبها ، ويؤمن بالشعر الموجه الذي يسهم في التطوير ، ويغني الفكر ... فهو عنده ادارة توعية وبناءة ، ولذا سار بشعره في اتجاه خدمة الجماهير وتوعيتها ، وشدها الى مصيرها ، وابراز دورها النضالي في ازدهار الحياة ، واضاءة المستقبل ...!..

وفي هذه المرحلة البالغة الدقة والخطورة كرس كل طاقاته واساليبه في الافصاح عن اهداف الامة وقضاياها القومية ، ومهد للجماهير طريق التمسك بالقيم والمبادىء ، واعلان الثورة على الطغاة والمنحرفين ، ورفض كل صيغ التضليل والاحتواء ، وبذل الغالي ، وتقديم التضحيات ، واسترخاص الحياة دفاعا عن شرف الامة وعزتها ....!.

ولم يدخر وسعا ولا جهدا باسهامه في بلورة وعي الانســـان العربي وتحريضه على تغيير الواقع المتخلف ، فقد أبرز في شعره المشكلات الاجتماعية على انها الموضوعات الاكثر أهمية ، وركز على مآسي وعذابات الطبقة الكادحة كونها طبقة مميزة ، وذات دور في الواقع الاقتصادي والسياسي ...وقصيدته في الفلاح أشهر من ان تذكر ... لان طبقة الفلاحين تحتل مركزا مهما عــلى صعيد الحاضر والمستقبل ...!..

وفي ظهر يوم الاثنين المصادف ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٧٧م توقف قلب الشــاعر الكبير عن الخفقان ، وانتهت رحلة العذاب والمعاناة التي عاشها منــذ ســن الصبا ... وكان لهذا الحادث المفجع أصداؤه البعيدة في الاوساط الادبيــة، والمحافل الفكرية ، فقد كان انموذجا فذا للشاعر الذي حفظ للشعر كرامتــه وقدسيته ، وان الانتاج الغزير الذي خلفه في دواوينه المطبوعة والمخطوطــة يعتبر ثروة ضخمة قدمها لقومه في اكثر من نصف قرن من المتابعة الادبية... وسيبقى ذكراه خالدا خلود الزمن بعد ان ترك شعرا ثوريا اصيلا ، وتاريخا مجيدا ، وأثرا حميدا ... ولن يستطيع الزمن ان يمحو خياله من ذهني ، ولا يزيل ذكراه من قلبي ... ذكراه التي امتزجت بدموعي السواجم ، وحسراتي الحرى ...!..

بغداد ـ العراق　　　　خضر عباس الصالحي

التجربــــة اولا

قيل ان رجلا مدح رجلا في وجهه فقال له : يا عبد الله ، لم مدحتــني؟ اجربتني عند الغضب فوجدتني حليما ؟ قال : لا . قال : اجربتني عند السفر فوجدتني حسن الخلق ؟ قال : لا . قال : اجربتني عند الامانة فوجدتني امينا؟ قال لا ، فقال لا يحل لاحد أن يمدح احدا ما لم يجربه في هذه الاشياء الثلاثة.

تحية المولد النبوي الشريف

القيت هذه القصيدة في الاحتفال الكبير الذي احيته مدينة ((صيدا)) بمناسبة ذكرى عيد المولد النبوي الشريف

١٩ شباط سنة ١٩٧٨

شعر : يوسف ابي رزق

سلوا اصنام مكة ما دهاها ... تلاشت بعد منعتها قواها
تجبكم ، بنت وهب ضعضعتني ... لسدن وهبت الى الدنيا فتاها
الا بوركت اما بنت وهب ... بدا فجر النبوة من حشاها
محمد اشرف الخلق استنارت ... به الدنيا ، ونالت مبتغاها
قباب الكون خاشعة لديه ... نداء ((الله اكبر)) في ذراها
ظلام الجاهلية مزقته ... شموس اشرقت من وجه طه
بمولده تحققت الاماني ... وهللت الملائك في سماها
فمن ارض الحجاز رسول حق ... على الدنيا سما وعلا وتاها
يتيم حطم الطغيان لما ... اذل البطل واختار الالها
وامي بوحي الدين حقا ... اليه كل علم قد تناهى
هو القرآن معجزة تسامت ... بآيات البيان وقد حواها
تنزلها السماء عليه وحيا ... الهيا ، وجبريل تلاها
فكانت ثورة الاسلام في الار ... ض باسم الدين بالغة مداها
يقود جيوشها البطل المفدى ... الى جنب الرسول وقد حماها
علي كوكب التاريخ فيه ... البطولة عزة نالت مناها

اميـر العبقريــة يا امــامــا … حـوى درر البلاغة واصطفاهـا
بكفـك ذو الفقار اذل كفـرا … وشـاد عقيدة يعلـمي بنـاهـا
اميـلاد الرســول جلوت دنيـا … من الاوهــام تغرق في دجاها
سحقت الشرك بالتوحيـد حين … الخليقـة مرغت فيــه الجباها
طلعت على دجى الاجيال فجرا … وايقظـت البريـة من كراهــا
فيا لــك ثورة زعزعت روما … ودحرجـت القياصر من عــلاها
تلاشـى دونها سلطان كـسرى … وحرب الدين دائـرة رحـاها
فمزقت الضلال وكل كفـر … وللايمـان قد حثت خطـاها
سلوا الصحراء كيف غدت جنانا … تفيض قداسة وتتيـه جـاها
سمـت أرض الجزيرة بعد خفض … وعزت بعد فقر في غناهـا
سمـو الانبيـاء على ودينـا … بميـلاد الرسـول على ثراهـا
نبـي العرب ! عفـوك عن شعـوب … اضاعت في جهالتهـا حجـاهـا
رسـول الحـق ! اشرف من سماء … الخلـود على بـلادي في اساهـا
على لبنـان ، تسحقه الرزايـا … وارض جنوبــه فقدت رجاها
سياسـات الكبار جنـت عليها … وصهيـون تغـير على حماهـا
أتزرعنـا الريـــاح بكل ارض … وتبقـى النار تنمي من بناها
بـلادي يا رسـول الله ضلت … اعنها كي تعـود الى هـداها
غـدت في الكون مأسـاة المآسي … تحشرج وهي تغرق في دماها
أغثنـا يا نبـي الله ! واسـال … الهـك ان يعيـد أها هناهـا
لنذكر يوم مولـدك المفـدى … عهـودا خالدات في ربـاهـا
ونحيي العيـد مبتهجين لا مثل … هنا العام ، واهـا اثر واها

صيـدا … يوسف ابي رزق

جبل عامل

شعر : محمد الحسن

بلد المحبة والسلام ... بلد العروبة والكرام
يا عامل الخيرات والا ... حسان يا راعي الذمام
نكبتك اشرار اليهو ... د ولم تدع غير الحطام
ماذا لقيت من العتا ... ة وما جنوه من الاثام
سفكوا دماء الابريا ... ء وذي افاعيل الطغام
ماذا لقيت من العرو ... بة غير دولار الكلام
تركوك نهبا للغزا ... ة وما غزاك سوى اللئام

★ ★ ★

لبنان درة يعرب ... لم يلق فيهم من محامي
تركوه نهبا للطغا ... ة كأنه نسل حام
ونسوا مصيفهم به ... بين الرياض وفي الاكام
ونسيمه ومياهه ... فيها شفاء للسقام
كم لاجيء قد امه ... هربا من الموت الزؤام
من بعد يأس قاتل ... امسى واصبح في سلام

★ ★ ★

بترولكم اغناكم ... فغدوتم اثرى الانام
وبذلتم اموالكم ... في كل موبقة حرام
ناديكم نادي القما ... ر سميركم كاس المدام
لكن بخلتم بالقليل ... النزر يبذل للطعام
اين المروءة والوفا ... قد اصبحا تحت الرغام
لا خير منكم يرتجى ... لا ترج خيرا من سوام
لم نلق منكم ناصرا ... لمهجر تحت الخيام
أطفالهم من بؤسهم ... باتوا على سغب ظوامي
البرد اضنى جسمهم ... والسحب فوقهم هوامي

ومهجريــــن تعسفـــوا الوديـــان خوفا في الظـلام
مـــا بين شيخ عــاجز او طفلة نحـو الفطـام
وشبابــهم صرعى عـلى وجه الثرى تحت الركام
والطـــائرات تصب فـــو ق رؤوسـهـم كــاس الحمام
ومـدافـع وقنـــابل تنهـل كالغيث السجام
عطـف الغريـب عليهـم والعرب لجوا في الخصام
عودوا الى احســـابكم عــودوا الى نهج الكــرام
فالله ينصركم اذا عــدتـم الى ظل الوئام

النبطيـة محمد الحسن

الى المشتركـين في العرفـــان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنــوء بحملــه المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك ما يمكــن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكـــات في المجلة كمـــا يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية
٥ دنانير في البلادالعربيــة
١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربيــة
٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية
٥٠ دولارا جوا للخـــارج
١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤســـات الرسميـــة والسفـــارات والبنــوك والشركــات بالبريــد العادي
١٥٠ بالبريـــد الجوي
واشتراك الانصـــار لا حـــد لــــه .

فراق الى الابد

مهداة الى روح المرحوم السيد هادي السيـــد محمد مهدي آل طعمـــة

شعر : خضر عباس الصالحي

نجم هوى من شاهق الافـــاق   فخبـا ضياء مكارم الاخـــلاق
ومن الصـدور تصاعدت حمم اللظى   فاصابت الاكبـاد بالاحـــراق
نفس تحـلت بالمروءة والـوفا   وحـوت ارق العطف والاشفاق
هو من سلالة احمـد فخر الورى   جم التواضع طيب الاعــراق
راد الصروح الشم في اهدافه   وبهـا اطل على ذرى الافـاق
واذا اصاب الصحب خطب لم يكن   للبذل غـير مبـادر سبـاق
ثبت الجنـان ومنه لم تنل الدنى   عند الغنـى وبحالـة الاملاق
ما عدت بعد رحيله النائي سوى   صب الى عهد الهوى تـواق
لما سمعت بنعيـه ادمى الاسى   قلبي ، وسال الدمع من احـداقي
الدمع في عينـي خالطـه دم   ينسـاب مثل الجدول الدفـاق
وتفجـرت آلام حزن قاتـل   كتفجـر البركان في اعمـاقي
وغدوت نهبا للهواجس والضنـى   وفريسـة لمخالـب الاقـلاق
طاحـونة الالـم المرير تلفنـي   وتجـر احلامـي الى الازهـاق
احيا وما في الكـاس غير ثمالـة   من خمرة الامل الجميل الراقي
واذا ظمئـت اروح انقع غلتـي   بالدمـع ، دمع الياس والاخفاق
واذا السجين ، سجين هم شـدني   بقيوده من ذا يفك وثاقـي ؟
وانـا اداري بالنحيب كآبـتي   حتى غـدوت بآخر الارمـاق
كالليـل قد لاح النهار لناظري   فالشمس لم تغمـره بالاشراق
واذا احتواني الليل لم ألمح به   بدرا ، فان البـدر رهن محـاق

ويح الفراق فما امر سمومه ... اني اغص بسم كاس فراق
اصبحت بعد براحه الشاجي الذي ... ما بعده عود على الاطلاق
مثل الجريح يئن من اوجاعه ... او كالحمام ينوح في الاطواق
او زهر روض جف ماء غديره ... فبدا هزيلا ذابل الأوراق
ما زلت اذكر كيف كان يضمني ... عند اللقاء لقلبه الخفاق
كلا ولن انسى مودته التي ... منها بكاس قد رشفت دهاق
كنا اذا ما نلتقي بعد النوى ... الصدر يجذبني بسيل عناق
ولطالما خفق الفؤاد بذكره ... فغدا الفؤاد ضحية الاشواق
وانا ببغداد الحبيبة اشتكي ... ألم الجوى كالعاشق المشتاق
واتيه كالهيمان في وادي الهوى ... أسقي الغليل بمدمعي المهراق
قد كنت بالامس القريب مرتلا ... شعرا يمور بفيضه الرقراق
كالبلبل الصداح رفاف الرؤى ... أزجي اللاحن في ربوع عراقي
واليوم انشد رائعات قصائدي ... وفمي يغص بمدمعي المغداق
وسلا الشجي وبت وحدي ناحبا ... لما نعى الناعي أعز رفاقي
كاس الحياة فما وجدت بها سوى ... وشل جرعت به آمر مذاق
والروح ظماى للوفاء ولم تجد ... الا خمور الغدر عند الساقي
ساظل للذكرى العزيزة مخلصا ... فخذوا على ما ادعي ميثاقي
واذا اتفتى يغزوه جيش منية ... هيهات لا منجى له او واقي
يا راحلا عنا الى دنيا البقا ... انعم بظل الواحد الخلاق
قد عفت دنيا لم تكن ابدا سوى ... دار لكل تناحر وشقاق
دنيا تواكبها دسائس اهلها ... ملغومة بالويل والارهاق
الناس ياكل بعضهم بعضا فما ... اضحوا سوى مستنقع لنفاق
تبا لدنيا كم بها من نكبة ... عصفت بكل مفكر عملاق
واذا طوتك يد المنية في الثرى ... ذكراك تبقى كالسنى الالاق
ما هذه الدنيا سوى دار الفنا ... حقا ، وان الله فهو الباقي

بغداد

خضر عباس الصالحي

ابواب العرفان

الف يوم مع الحاج امين

ملاحظات عابرة حول ما كتب عن لسان المفتي الحسيني

بقلم : السيد عبد الرزاق الحسني

في تموز من عام ١٩٣١م ، حدث اضراب أهلي في بغداد سرعان ما انقلب الى اضطراب سياسي شمل العراق بأسره واستمر أسبوعين كاملين تعطلت خلالهما الاشغال العامة واضطرب الامن وسادت الفوضى فاقترح علي السيد محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية المعروفة ان نسافر الى القاهرة بطريق دمشق ـ بيروت ـ حيفا والقدس فنقضي فصل الصيف في الربوع العربية الجميلة من جهة ، ونتخلص من الفوضى الضاربة اطنابها في الوطن العزيز من جهة اخرى . وكان الاقتراح حسنا للغاية لاني كنت أكاتب جريدة « الاهرام » المصرية سنتين ، واتهيأ لطبع احد مؤلفاتي في القاهرة . وقد تكرم المغفور له الملك علي فمن علي برسالتي توصية احداهما الى اخيه الامير عبد الله والاخرى الى مفتي فلسطين الحاج محمد امين الحسيني .

وكان قطع الطريق بين بغداد ودمشق قبل خمسين حجة يستغرق اربعا وعشرين ساعة اذ لم تكن يومئذ طائرات نقل للركاب ، ولا كانت سيارات سفر مريحة « اوتوبوس» ولكن الرحلة كانت موفقة كل التوفيق . ولما

وصلنا القدس نزلنا في أحد فنادقها المتوسطة ثم زرنا المسجد الاقصى والقبة الصخرة وعرجنا على المجلس الاسلامي الاعلى فقدمنا الرسالة الى سماحة الحاج محمد امين فاستقبلنا استقبالا حسنا وأكرم وفادتنا اكراما خاصاً، وشملنا بعطف ورعاية لم استكثرهما عليه لان المعدن من منبعه لا يستغرب ؛ والتبر من متربه لا يستكثر ، وقد اقترح علي صاحب السماحة ان اكاتب جريدة « الجامعة العربية » التي كان يصدرها قريبه الاستاذ محمد منيف الحسيني كما اكاتب الاهرام فنزلت عند اقتراحه في الحال ، وكانت بيني وبينه مراسلات ومكاتبات ما زلت أحتفظ بها معتزا .

ودالت الايام دولها واذا بالمفتي الحسيني يصل الى بغداد في ١٥ تشرين الاول ١٩٣٩ ثم ينزل دارا متواضعة اعدت له في شارع الزهاوي ، قبالةالبلاط الملكي ، واذا بهذه الدار تصبح مقرا للاتصالات الواسعة من رجال الجيش والسياسة والصحافة وحملة الاقلام وكبار الموظفين ، وكان هؤلاء يحدثون سماحته بدخائل امورهم بحيث أصبح أعرف الناس ببواطن الامور في العراق. يعرف ما لدى الجميع اوسع معرفة بينما لا يحيط كل من هؤلاء الا بنصيب من هذه المعرفة . فقد كان الرجل يستقبل زواره بكياسته التي تخفي ما في نفسه ، فيسحر الناس بلطفه ، ويحرص على رد الزيارة لكل من يزوره ، بصرف النظر عن مركزه السياسي والاجتماعي . ولما تطورت العلاقات بين بريطانية والعراق تطورا أدى الى الاصطدام المسلح بين الجيشين العراقي والبريطاني في الثاني من مايس ١٩٤١ كان المفتي الحسيني الكوكب الوهاج في هذه الحركةالخطيرة فلما تغلبت القوات الاستعمارية الغاشمة على الحق العراقي الصريح ، استطاع الحاج محمد أمين ان ينجو واصحابه من الغدر البريطاني فهرب الى ايران فتركية فايطالية فألمانية بينما قبضت السلطات المختصة على صاحب هذا المقال وعلى صحبه فابعدوا الى المنافي والسجون ليقضوا فيها سني الحرب العجاف لا أرانا الله مثلها في قابل الايام .



هزت نكبة فلسطين كيان الامة العربية ، وهزت نفوس ابنائنا وعقائدهم على اختلافها هزا عنيفا فكان على ملوك العرب ورؤساء الجمهورية في بلادهم والمسؤولين عن الحكم فيها أن يعيروا هذه الحالة النفسية أعظم الاهتمام فيتلافوا ما فات ، ويعملوا على النهوض بالشعب في الداخل ، وعلى انتاج سياسة عربية تهدف الى توحيد أجزاء الوطن العربي وتعتبر قضية الحرية والاستقلال في جميع هذه الاجزاء قضية واحدة فتعبيء جميع القوى لمجابهة الاخطار والتحرر من الاستعمار حتى يتم تحرير فلسطين لتدمج في وطن حر موحد ، ولكن الحكومات العربية سارت في واد ، وسارت شعوبها في وادآخر ، فتسلسلت الحوادث المؤسفة ، وهوت العروش الشامخة وكثرت الاغتيالات .

ففي يوم ٣٠ آذار ١٩٤٩ قام الزعيم حسني الزعيم بانقلابه العسكري الاول في دمشق فطوح بالسيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، وأجلاه عن البلاد . وفي يوم ١٤ آب من السنة نفسها تزعم اللواء سامي الحناوي الانقلاب السوري الثاني ، وهو الانقلاب الذي أدى الى اعدام حسني الزعيم واعدام رئيس وزرائه حسني البرازي . وفي يوم ١٩ كانون الاول من هذه السنة ايضا كان الانقلاب الثالث الذي قام به العقيد الشيشكلي وأدى الى اخراج اللواء الحناوي من سورية واغتياله في بيروت .

وفي يوم ١٦ تموز ١٩٥١ قتل السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان أثناء الزيارة التي أداها الى الملك عبد الله ملك الاردن وبعد اربعة ايام قتل الملك عبد الله وهو يهم بالدخول في المسجد الاقصى لاداء فريضة الجمعة .

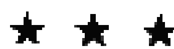
وفي يوم ٢٣ تموز ١٩٥٢ كان الانقلاب العسكري في مصر الذي عصف بعرش الملك فاروق ، واجلاه عن ارض الكنانة .

وفي ١٨ ايلول ١٩٥٢ كان الانقلاب الذي أطاح بحكم الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية ثم بحكم كميل شمعون .

وفي يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ أطاح الجيش العراقي بحكم الهاشميين وقضى على الاسرة الهاشمية في بغداد ، واعلن النظام الجمهوري والظاهر ان الثورات والانقلابات ستستمر في البلاد العربية حتى تسترجع فلسطين وتقوم الوحــدة العربية الكاملة .

وكان لا بد لزعماء العرب ان يدونوا مذكراتهم وينشروا للشعب العربي أخبارهم واعمالهم وتجاربهم وهذا ما بدأ به المغفور الحاج محمد امين الحسيني ونشره في اعداد متسلسلة من مجلة فلسطين . وكنت كلما قصدت لبنان في أشهر الصيف كنت أزوره برفقة الاستاذ نزار الزين فاستحثه على السمـــاح بنشر هذه المذكرات المفيدة في كتاب مستقل خدمة للتاريخ فكان يعد ولكن ظروفه لم تساعده على الايفاء بالوعد . واتذكر انني تجاسرت في عام ١٩٧٣ فقلت لسماحته ان البلاد العربية تتجه اليوم كلها نحو الاشتراكية واصبح من حق كل عربي ان يجمع مذكراتكم المفيدة وينشرها في كتاب مستقل فأجابني ــ رحمه الله ــ هذا صحيح ولكن أعدك بقرب شروعي في جمع هذه المذكرات وطبعها ثم ذهب الى ملاقات ربه قبل ان يحقق للناس هذا الحلم اللذيذ .

أما العمل الشاق الذي أقدم عليه الاستاذ زهير الماردينى ، بجمع مــا سمعه من المغفور له ، واما اقدام الاستاذ نزار الزين على طبع هذا المجمــوع فعملان جليلان يستحقان كل حمد وثناء وكل تقدير وتمجيد . وقد قــرأت هذا المجموع الجليل في عدد العرفان المزدوج (التاسع والعاشر من المجلد ٦٥) ولفتت نظري بعض الهنات فرأيت أن اثبتها فيما يلي .



ص ٩١٣ كان انتقال الحاج محمد امين الحسيني الى الرفيق الاعلى في الرابع من تموز ١٩٧٤ الموافق ١٤ جمادى الآخرة ١٣٩٤ وليس في ٤ حزيران .

ص ١٠٢٩ الذي وافق على المعاهدة العراقية ــ البريطانية لسنة ١٩٢٢ كان المجلس التأسيسي العراقي وليس البرلمان .

ص ١٠٢٩ وقعت المعاهدة العراقية ــ البريطانية للسنة ١٩٣٠ في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ وليس في العاشر منه .

ص ١٠٣٠ كان تمرد الآشوريين على الجيش العراقي قد وقع في آب ١٩٣٣ وليس في عام ١٩٣٢ .

ص ١٠٣٠ قتل الملك غازي في ليلة الرابع من شهر نيسان ١٩٣٩ وليس في ١٤ آذار من هذه السنة .

ص ١٠٣٠ قطع العراق علاقاته الدبلوماسية بالمانية في الخامس من ايلول ١٩٣٩ ، وليس في الثالث عشر منه .

ص ١٠٣٤ لم تعلن الاحكام العرفية في معسكر الرشيد بسبب انشقاق زعماء الجيش العراقي ، بل اعلنت هذه الاحكام في ٦ آذار ١٩٣٩ بسبب اتهام السيد حكمة سليمان بتدبير انقلاب ضد وزارة نوري السعيد .

ص ١٠٣٤ لم يخرج رئيس الوزراء السيد رشيد عالي زميله السيد حكمة سليمان من سجنه وانما أخرجه السيد نوري السعيد بعد ان أصيب « حكمة » بالتدرن الرئوي ، وسمح له بالاقامة في السليمانية .

ص ١٠٣٤ هنالك روايات مختلفة حول وثيقة التآخي بين رؤساء الوزارات فجميل المدفعي يقول ان الوثيقة كانت تأييدا لسمو الوصي وقد اعطيت بناء على طلبه (محاضر مجلس الاعيان ٥٠٤) ورشيد عالي يدعي ان الوثيقة نظمت على طلب منه كوسيلة لصد كيد الخصوم (تاريخ الوزارات العراقية ٥ ــ ١٣٧ من الطبعة الرابعة) اما أنا فقد سمعت من الحاج محمد أمين الحسيني ان نوري السعيد اوعز الى سماحته باعداد هذه الوثيقة (الوزارات و ١٣١)

ص ١٠٤١ اظن ان سماحة المفتي الحسيني ني اجتماعه بالكولونيل نيوكمب في دار السيد ناجي شوكت القائمة على شارع ابي نواس وكنت حضرت هذه المقابلة وقمت بشيء من الترجمة •

ص ١٠٤٤ كان هرب الامير عبد الاله الى الديوانية قد تم في الثلاثين من كانون الثاني ١٩٤١ وليس في العاشر منه •

ص ١٠٤٧ لم يكن السيد ناجي شوكت وزيرا مفوضا للعراق في انقره يوم تم الاتصال مع السفارة الالمانية ولكنه كان وزيرا للعدلية في وزارة رشيد عالي الثالثة وقد سافر الى أنقره للاتصال •

ص ١٠٥١ كانت القوا تالعراقية فوق الكثبان المحيطة بقاعدة الحبانية يوم ضربها الطيران البريطاني ولم تكن على بعد ٢٥ كيلومترا عنها كما ذكر في هذه الصفحة •

ص ١٠٥٢ كان الفريق بكر صدقي يحرص حرصا شديدا على الاحتفاظ بتقرير الكولونيل الالماني هاينتر الخاص بالدفاع عن كردستان العراقية • ولما سافر الى الموصل يوم ١٠ آب ١٩٣٧ في طريقه الى تركية ، كان التقرير في محفظته اليدوية فلما قتل في اليوم التالي سلم العقيد شاكر الوادي التقرير الى الانكليز•

ص ١٠٥٣ كان انسحاب الجيش العراقي من الحبانية الى ابي غريب ومنها الى بغداد • ولم يجر اي انسحاب الى الرمادي•

ص ١٠٥٣ لم يكن العقيد صلاح الدين الصباغ حاكما عسكريا لبغداد وانما كان قائدا للفرقة الثالثة •

ص ١٠٥٤ لم تكن الطائرات الايطالية بحاجة الى وقود ولكن الطيارين الطليان رفضوا التحليق بطائراتهم .

ص ١٠٥٥ كان قد تقرر انتقال الحكومة من بغداد الى كركوك لتنظيم القتال منها وقد اعد قطار خاص لهذا الغرض فلما علم رئيس الوزراء السيد رشيد عالي الكيلاني بهرب القادة الاربعة صلاح الدين الصباغ ، وفهمي سعيد ، ومحمود سلمان ، وكامل شبيب ، الى ايران عن طريق خانقين، اسقط في يده فأمر بجعل وجهة القطار الخاص « خانقين » بدل كركوك وهكذا التجأ وصحبه الى ايران .

ص ١١١٧ سافر السيد ناجي شوكت من تركية الى المانية بمحض اختياره ولم يكن سفره تلبية لدعوة تلقاها من السيد الكيلاني ، وكانت تركية تود بقاءه في أراضيها لما له من علاقات طيبة مع ساستها وقد ايد ذلك لي مرارا وجاء التفصيل في كتابه « سيرة وذكريات ثمانين عاما » .

ص ١١٢٠ قال لي المغفور له الحاج محمد امين الحسيني انه كان قد توسط لدى المقامات الالمانية العليا لمنع محاكمة الدكتور فريتز غروبا فتوسط في مسعاه وكانت الحكومة الالمانية مصممة على محاكمته بتهمة تحريضه العراقيين على محاربة الانكليز قبل ان يكونوا مستعدين للحرب .

هذا ما بدا لي عرضه عن الامور التي تمت في العراق وكنت شاهد عيان فيها . اما الامور التي ذكرها المغفور له عن مقابلاته لهتلر وموسوليني وعن الجيش العربي المقرر تنظيمه في اوروبا الغربية وعن سوء التفاهم الذي حل بينه وبين المغفور السيد رشيد عالي الكيلاني في ديار الغربة فلا اتعرض له من قريب او بعيد ولا سيما وعندي اوراق المرحوم الكيلاني واوراق غيره مما لا يحسن ذكره الآن .

الكرادة الشرقية — السيد عبد الرزاق الحسني

مختارات من الحكم والخلق والبلاغة

ـ « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

« قرآن كريم »

ـ « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل عملا صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

« قرآن كريم »

ـ « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » .

« قرآن كريم »

ـ ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر بالقلب وصدقه العمل ، وان قوما قد ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى كذبوا ، لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل .

« حديث شريف »

ـ ألا اخبركم بخير الناس وشر الناس ، ان خير الناس رجل عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره ، او على قدميه حتى يأتيه الموت ، وان من شر الناس رجلا فاجرا يقرأ كتاب الله لا يرعوي الى شيء منه .

« حديث شريف »

ـ ما من يوم تصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا .

« حديث شريف »

ـ الكبر بطر الحق ، وانتقاص الناس ، والازدراء بهم ، والتعاظم عليهم .

« حديث شريف »

ـ النملة تعمل ، ولا تقترض ابدا .

لافونتين

ـ اغبى امرأة تستطيع ان تخدع اذكى الرجال . ولكن الرجل الغبي لا تخدعه الا امرأة بالغة الذكاء !.

كبلنج

ـ ما اسرع ما يتبدد المجد .. الدنيوي !

توماس كيمبس

ـ الحب نار .. لا تتركنا الا رماد .

جون كيتس

ـ التاريخ ، حلم مزعج ، أحاول ان أنساه !

جيمس جويس

ـ الامانة .. فضيلة تمدحها ، وتتركها تموت جوعا .

جوفينال

ـ القرد قرد .. حتى ولو لبس الحرير !

بن جونسون

ـ الحب كمرض الحصبة .. لا بد ان يمرض به الجميع .

جيروم كابلانكا جيروم

ـ اتعس الناس المتردد !

وليم جيمس

وإذا الصحف نشرت

اللغة العربية وقدرتها على استيعاب مفردات العلوم ...

عبد الرزاق البصير :

العامة جرح خطير يعمق التجزئة ويثبت دعائم الاقليمية ..

د. شاكر مصطفى :

نعاني نقصا كبيرا من كلمات تعبر عن حـاجاتنا العاديـة ..

ندوة الثلاثاء الاخيرة ، كانت حول اللغة العربية وقدرتها على استيعاب مفردات العلوم العصرية . كان المقرر ان يتحدث في الندوة الاستاذ الاديـب عبد الرزاق البصير والدكتور شاكر مصطفى فقط ، ولكن اهمية الموضوع ، وما فيه من اثارة ، وكونه ذا صلة بالاختصاصات جميعها ، جعلت الحاضرين يشاركون جميعهم في الحديث عن هذا الموضوع ، وابداء وجهـات نظرهم حـوله .

دور القرآن في تطوير اللغة

بدأ الاديب عبد الرزاق البصير حديثه فقال :

كان القرآن اداة لتطوير اللغة ونموها اذ نقل مفرداتها من معان محدودة الى معان جديدة واسعة . «الصوم» مثلا ، هو الشجر الذي ليس فيـه ورق . وجاء الاسلام ونقله ليدل على فرض من الفروض . ولفظة «الصلاة» يزعمون انها آرامية ، لكن القرآن نقلها الى عبادة . و « الزكاة » : الطهارة والصلاح . ونقلها الاسلام الى حقوق للفقراء عند الاغنياء .

شـــيوع اللحن

ولما انتشر الاسلام في انحاء العالم ، ثم امتزاج العربية بكثير من الاعاجم ، فشاع اللحن . واحس علماء العربية بان الخطر اصبح محدقا ، فاندفعـوا يبحثون عن سبل صون اللغة وحمايتها فرحلوا الى البادية ، وتكلفوا المشاق ، بدافع من حبهم للغة ، الحب الذي جعلهم يستعذبون هذا التعب ، وتلـك المشـقة .

وخلال هذا ، ولدت قضية النحو ، هل هو علم عربي ام انه مأخـوذ من السريانية ؟ وانا اميل الى ان النحو علم عربي صرف ، لان الشعر الجاهلي يسري على هذه القواعد التي وضعها علم النحو ، ويتفق معها .

ثم أحس العلماء بضرورة ترتيب اللغة ومفرداتها ، فوضعوا المعاجـم ، ولكنها لم توضع كما نعرفها الان ، حيث كانت في البدء تصنف المفردات حسب الموضوعات .

وجاءت بعد ذلك الحاجة الى الترجمة ، ونقل العلوم الى العربية ، فنقلت حسابات بطليموس واقليدس وجالينوس ، دون ان يلاقي المترجمون صعوبة ما ، مما يدل على ان العربية تستوعب هذا التجديد الهائل .

ويختلف نهج المحدثين عن نهج القدماء الذين كانوا يسعون الى البادية حفاظا على اللغة . فقد تأسست اليوم مجامع اللغة العربية ، حتى صارت تضم مئة الف مصطلح ، مما يعني ان العربية غنية مرنة .

ونتساءل بعد هذا كله : هل العربية عاجزة حقا عن استيعاب العـلوم الحديثة ؟ لقد خطط لهذه الفكرة الاستعمار ، واقتنع بها كثيرين ، حتى صاروا يعتقدون بصحتها .

ثم اننا نجد اليوم ان الجامعة السورية تدرس مختلف العلوم بالعربية ، ونجحت في هذا ، وفي مقدمة الكليات التي تدرس موادها بالعربية .. كليـة

الطب التي خرجت الاف الاطباء الذين سبقوا كثيرا من زملائهم المتخرجين من جامعات اوروبا واميركا .

ومن الاخطار التي تواجهها العربية اليوم : العامية التي يتحدث بها ابناء العربية ، وهذا في رأيي جرح خطير ، لانه يعمق التجزئة ، ويثبت دعائم الاقليمية .

اداة حضارية

ثم تحدث الدكتور شاكر مصطفى فقال : ليست اللغة مفردات ، لكنها أداة حضارية ناجمة عن حاجات انسانية مادية او معنوية ، يعبر عنها بصوت له شكل .

اللغة ، صياغة الفكر ، بتحويل الافكار الى اشكال يمكن للاخرين ان يفهموها .

واللغة تتأثر كثيرا بالبيئة التي تحيا فيها ، ولذا فاني أرى ان نصا من العصر المملوكي او العصر العباسي لا يمكننا ان نفهمه الان كما كان يفهمه ابناء هذا العصر او ذاك .

ان اللغة صورة من المجتمع وحاجاته ، وثبات اللغة يعني جمودها ، ومن هنا يقولون ان اللغة تغني وتفقر بغنى المجتمع حضاريا او فقره .

وثلاثة او خمسة آلاف سنة من عمر اللغة العربية ، فترة ليست قصيرة في عمر لغة تكونت من لهجات مختلفة ومتعددة . وهذا الشكل الاخير الذي وصلت اليه العربية ، كانت نتيجة تطور طويل .

وفي الوقت نفسه ، اخذت العربية من اللغات المجاورة دون ان تكون للعربية حاجة اليها ، ولكنه الجوار والتعامل .

تجربة التعريب

ثم انتقل الدكتور شاكر مصطفى الى الحديث عن تجربة التعريب ورأى انها كانت سهلة على العرب ، لا لان العربية سهلة ، ولكن لان علماء العربية قاموا بالتجربة نفسها في القرون الهجرية الاولى ، كما اننا نجدها لدى العرب قبل الاسلام .

ودلل على ان العربية الحاضرة تختلف عن العربية القديمة ، بأمثلة منها:

دخول فعل « الكون » واستعماله اليوم بكثرة ـ كثرة الجمل المعترضة كثرة استعمال الفعل المبني للمجهول ـ كثرة استعمال ضمير الغائب ـ ادخال الالف والنون قبل ياء النسبة ـ ادخال ال التعريف على حرف النفي : لا ـ صوغ الاسم من الحرف « هو » : الهوية . (مع العلم بان «هو» ضمير ، والضمير اسم وليس حرفا).

وختم د. مصطفى حديثه بتسجيل الملاحظات التالية :

١ ـ لا يمكن ان يوجد لدينا مصطلح علمي اذا لم يكن له في حياتنا العلمية ما يقابله .

٢ ـ نعاني نقصا كبيرا من كلمات تعبر عن حاجاتنا العادية .

٣ ـ نحن مضطرون الى ايجاد مصطلحات نطلقها على ما يجد من اشياء، فاذا لم نضعها بعربيتنا ، دخلت اليها رغما عنا .

٤ ـ طرائق تأليف العبارات في اللغات الاخرى ، تسهل على اصحابها استعمال كلمات جديدة كثيرة .

ثم عاد الاديب عبد الرزاق البصير فتعرض للعامية ، وقال ان العامية الكويتية عاجزة عن ان تعبر عن نفسها ، فكيف يمكنها ان تعبر عن حياة حضارية .

انهم يأتون بألفاظ لا يفهمها الكويتيون انفسهم ، واني اتحدى ـ على

سبيل المثل ـ ان يزعم احد انه يفهم هذه الجلسات البدوية التي تذاع في التلفزيون .

ان هناك سهاما توجه الى الامة ، من حيث تدري ولا تدري ، وارى ، ان معجزة العربية ليست في استيعابها ما ورد اليها ، فالحضارة العربية هي حضارة الطبيعة ، فليست هناك حضارة مادية ، ان العربي يستعمل للسيف عددا كبيرا من المفردات ، وكذلك للجمل ، وهكذا ..

معجزة العربية اذن ، في دقة التعبير عن خرائج النفس ، تعبير لم تبلغه لغة في العالم ، قديما وحديثا . ولعل كتاب « فقه اللغة » للثعالبي خير مثال على هذا ، فقد ذكر فيه ان للحب مراتب متعددة ، وكذلك للغضب .. وهكذا.

وتتابع المتحدثون ، فتكلم الاستاذ مروان المتولي والدكتور محمد عيد الاظن والدكتور مأمون المهايني والاستاذ علي الحسن .. وكل يدلي بدلوه في هذا الموضوع .. ذي الشأن الكبير.

* * *

محاورة : الدكتور عبد السلام الترمانيني في الادب والقانون والتاريخ والتراث

● للادب دور كبير في حياة رجل القانون

● اذا تساوى رجلا قانون في المعرفة القانونية فالرجحان للاديب منهما ...

المؤرخ العربي الذي اثبت وجوده في نظري هو ابن خلدون والمتنبي هو في مقدمة الفحول

استاذ القانون والاديب ، واستاذ التاريخ واستاذ الادب والشاعر والفنان واستاذ الفلسفة والاجتماع والمثقف وغيرهم من المختصين بالعلوم الانسانية هؤلاء ينصب تفكيرهم او تتجه اكثر اهتماماتهم على ينابيع الثقافة والحضارات

وتمتد تطلعاتهم الى معرفة الماضي كما تمتد طموحاتهم الى وعي الحاضر واستشفاف المستقبل • ومن هذه النظرة فان الحديث الذي يمكن ان يجري مع واحد من هؤلاء يجب ان يقتصر دوره على اختصاص هذا المختص بمفهومه المعروف ، بل من الضرورة في هذا العصر ان تتشعب الاسئلة على مثل هذا المثقف الذي نعرف ان له اهتماماته الفكرية في ميادين المعرفة ، وعلينا ان نعرف بالمقابل مدى نشاط هذا المثقف في مجالات الحضارة المختلفة ، فنقف بذلك على جهود هذا المثقف وتجاربه وآرائه في اكثر من مجال فهو يمثل بالنسبة الينا عينة من شخصيات هذا الحاضر ، وقيمة ثقافية تنتمي الى عصرنا،وبالتالي علينا ان نكتشف الجوانب المضيئة من معرفة هذا المثقف ونستفيد من فكره وآرائه وخبراته •

وهذا الحديث الذي يمضي القارىء للاطلاع عليه هو مع شخصية من الشخصيات القانونية المعروفة واستاذ القانون والشريعة بجامعة الكويت الدكتور عبد السلام الترمانيني • وهو من رجال القانون والفكر ، وله ولع في الادب والتاريخ • وعندما سألته عن كل اهتماماته ومؤلفاته لم يشأ ان يزيد على انه في الوقت الحاضر استاذ قانون في كلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت •

ولكنني علمت انه كان من ابرز المحامين في سورية وقد مارس المحاماة في موطنه « حلب » ما يزيد على ثلث قرن ، وكان نقيبا للمحامين ، وعميدا لكلية الحقوق بجامعة حلب ، واستاذا للقانون فيها وفي جامعة دمشق• كما انه تولى في وقت مضى مناصب ادارية منها منصب محافظ لمدينة دمشق ، وتولى مناصب وزارية فكان وزيرا للداخلية ووزيرا للصحة ، وعرف عنه انه لم ينسب الى حزب او الى نشاط سياسي معين• وله عدة مؤلفات مطبوعة في القانون والتاريخ والتراث وله مطالعات واسعة في الادب •

وهذا الحديث هو جولة بين الادب والتاريخ والقانون مع الدكتور عبد السلام الترمانيني وحول اهتماماته الحاضرة في مجال الكتابة •

● ما هي الخصائص التي يجب ان تتوفر في استاذ القانون ؟

ـ القانون قاعدة حياة واستاذ القانون يجب ان يتمتع بثقافة عامة عالية تتصل بكل جوانب الحياة من فلسفة وادب وتاريخ وجغرافية واقتصاد وعلم نفس واجتماع . فهذه العلوم تغذي الفكر القانوني وتساعد في تفسير كثير من القواعد والنظريات القانونية . وعليه ان يتتبع التطور العلمي وما يحدثه من تطور في الشرائع الحديثة ليساهم عن طريق المقارنة والاقتباس في وضع خطة لمستقبل القانون الوطني ويساعد المشرع في تطويره .

● ما هو دور الادب في حياة رجل القانون ؟

ـ للادب دور كبير في حياة رجل القانون فهو عون له في ايضاح الفكرة القانونية وفي حسن سبكها وصياغتها . فرجل القانون سواء اكان استاذا او قاضيا او محاميا ، يستطيع اذا ما كان اديبا ان يجذب الاذهان اليه اذا كتب والاستماع اذا تحدث . واذا تساوى رجلا قانون في المعرفة القانونية فالرجحان للاديب منهما .

● كيف تحدد العلاقة بين التاريخ والقانون ؟

ـ التاريخ هو احداث الماضي بكل ظواهره ، والقانون كظاهرة اجتماعية له تاريخه ، وتاريخه مرتبط بجميع الظواهر الاخرى لا ينفك عنها . خذ مثلا قانون الاسرة ، فهذا القانون مرتبط بجميع الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي عملت على تطوير الاسرة ، ولا يمكن فهم هذا القانون الا بفهم العوامل الماضية التي أدت الى تطويره . ولذلك يعتبر تاريخ القانون اساسا للعلوم القانونية .

● بماذا تتميز طبيعة ونشأة الاسرة العربية منذ الجاهلية عن غيرها من المجتمعات الاخرى ؟

ـ لا يمكن اعطاء هذا السؤال حقه من الاجابة في مقابلة صحفية .

وقد عالجت هذا الموضوع في كتابي « الوسيط في تاريخ القانون والنظم القانونية » الذي تتولى الجامعة طبعه ، كما عالجته بتفصيل اوفى في كتاب اعددته عن (تاريخ الاسرة العربية في الجاهلية والاسلام) غير اني استطيع أن اشير الى ان الاسلام اعتبر الاسرة الخلية الاساسية في بناء المجتمع الاسلامي فنقض الاساس الجاهلي الذي كانت تقوم عليه واقامها على اساس جديد حدد لكل فرد من افرادها مركزه القانوني ، وفي حدود هذا المركز يمارس كل منهم ما منحه من حقوق وما رتب عليه من واجبات .

● علمت انكم على وشك انجاز كتاب تاريخي عن المئتين والخمسين سنة الاولى للهجرة . عن اي شيء تاريخي يتحدث هذا الكتاب ؟

ــ انا مولع بالتاريخ منذ حداثة سني ، وحين قدمت للكويت خصصت ما يتبقى من فراغي لقراءة التاريخ الاسلامي وتاريخ الامم التي عاصرته واقترنت احداثه باحداثها . وقد قمت بوضع فهرس زمني لاهم الاحداث التي رافقت مسيرة التاريخ الاسلامي وساهمت في صنعه ، وقد تضمنت هذه الاحداث الوقائع الحربية والثورات الداخلية والحركات السياسية والاجتماعية والمظاهر العمرانية والثقافية مع ترجمة لاعلام الرجال والنساء ممن كانت لهم صلة بهذه الاحداث او قامت بسببهم . وقد وضعت بيانا بكل حادثة وآخر للبلدان والامكنة التي جرت فيها الاحداث . وجعلت ذلك كله على شكل فهرس ابجدي يسهل الرجوع اليه وختمت هذا العمل بفصل تحليلي للتاريخ الاسلامي مستمد من تسلسل الاحداث بترتيبها الزمني . وقد بدأت من السنة الاولى للهجرة حتى عام ١٣٧٠ (١٩٥٠ للميلاد) ، وقسمت هذه المسيرة الزمنية الى مراحل وانجزت المرحلة التي تمتد من السنة الاولى للهجرة الى عام ٢٥٠ (٨٦٤ للميلاد) وهي المرحلة التي بلغت فيها الدولة الاسلامية اقصى سعتها وازدهارها . وقد تضمنت مع الاحداث التي تسلسلت فيها ترجمة وافية لثمانمائة علم من اعلام الرجال والنساء . وكانت غايتي من هذا العمل ان ارسم خطا بيانيا لمسيرة التاريخ الاسلامي في مرحلة تكوينه ثم في مرحلة صعوده ثم في مرحلة انحداره مع تحليل للعوامل المختلفة لهذه المراحل التي تساعد على

التأمل فيما كنا عليه وفيما نحن فيه وفيما ينبغي ان نكون . وقد دفعت الجزء المتعلق بالمرحلة الاولى الى صديقي الاستاذ الدكتور شاكر مصطفى لمراجعته.

● من خلال شغفك بالتاريخ والادب الى جانب القانون من هو المؤرخ العربي والشاعر العربي الذي اثبت وجوده لكل العصور ؟

ـ المؤرخ العربي الذي تعنيه هو في نظري ابن خلدون ، فقد وضع في مقدمة تاريخية القواعد التي ينبغي للمؤرخ مراعاتها في كتابة التاريخ ، تلك القواعد التي كانت اساسا لعلم الاجتماع وبذلك جعل التاريخ علما يخضع لقواعد موضوعية واخرجه من نطاق الرواية التي كان يعتمدها المؤرخون.

اما الشاعر العربي الذي تعنيه فدعني قبل ذكره ان احدد عناصر الشعر. فالشعر في رأيي يتألف من ثلاثة عناصر : احساس وجداني ولغة سليمة تعبر عن هذا الاحساس تعبيرا صادقا وصياغة فنية فيها نغم تنقلك الى هذا الاحساس وتشعرك بجماله وروعته . وهذه العناصر اذا ما تساوت في الجودة والاتقان ارتقى صاحبها الى مرتبة الفحول . وعندي ان المتنبي هو في مقدمة الشعراء الفحول الذين تتوفر في شعرهم العناصر الثلاثة فأثبت بها وجوده لكل العصور . أليس هو القائل :

وما الدهر الا من رواة قصائدي   اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

اما شعراء زماننا ففيهم المجيدون والمبرزون ولا ريب ولكنهم قلة ، وفيهم من لا تتساوى في شعره العناصر الثلاثة . غير اني ألاحظ ان مستشعرين كثيرين اقتحموا ساحة الشعر وفيهم من تخلف فيه عنصر او عنصران ، وفيهم من تخلفت فيه العناصر الثلاثة ، ويبقى صحيحا من صنف الشعراء الى اربعة أصناف فقال :

الشعراء فأعلمن اربعة   فشاعر يجري ولا يجرى معه
وشاعر ينشد وسط المعمعة   وساعر من حقه ان تسمعه
وشاعر من حقه ان تصفعه

● من قراءاتك لاحاديث واراء الكتاب والشعراء والمفكرين في مقابلاتهم

مع الصحافة ، ما رأيك بأدب المقابلات واثره في القارىء والمفكر نفسه ، ومـا دور السائل في هذا الحوار ؟

هذه المقابلات ضرورية ومفيدة فهي ضرورية لانها تصل رجال الفكـر بالجمهور عن طريق الصحافة وتعرفهم به وبآرائه من خلال الحوار بينهـم وبين السائل . وهي مفيدة لان الحوار يكشف عن آراء رجل الفكر في كثير من القضايا يوضحها او يعللها او ينقدها . ويشترط في السائل ان يكون قادرا على استخراج مخزون هذه الاراء واستخلاص المفيد منها بامانة . وهذه مهمة شاقة لا تؤتي ثمرتها الا اذا كان السائل نفسه من رجال الفكر . وهذا الطراز من الحوار قديم عرفه اليونان في محاورات افلاطون التي نقل فيها آراءاستاذه سقراط وفي محاولات اخرى منها محاورات الكاتب اليوناني لوسيان الـذي عاش في القرن الثاني بعد الميلاد والتي اجراها على لسان الموتى الذين اجتمعوا في الجحيم يتحاورون في مباهج الدنيا التي قضى عليها الموت وشبيه بذلكرسالة الغفران لابي العلاء المعري وقد تأثر بها الشاعر الايطالي واضحا فيالكوميديا الالهية . وفي العصر العباسي ظهر نوع من الحوار كان يجري بين العلمـاء بمحضر الخليفة او بمحضر وزير من الوزراء وفيه كانت تطرح قضايا فكرية وعلمية . وكان هذا النوع من الحوار او المناظرة يدعى «الجدل» وقد وضعت له قواعد وكتبت فيه فصول ومؤلفات عرفت بأدب الجدل . وقد شاع اليوم أدب المقابلات في الصحافة العربية وعقدت له ندوات تدعى « لقـاءات » او « موائد مستديرة » يشارك فيها رجال الفكر في مناقشة الامور التي تهـم المجتمع .

● باعتباركم عاصرتم الدعوة للوحدة العربية فما رأيكم في تحقيقهـا، وكيف تتصورون قيام وحدة بين البلاد العربية تزيل هذا التشتت الذي تعانيه؟

ـ اذا كنت تعني قيام دولة عربية موحدة من الخليج الى المحيط ، وبمعنى آخر اذا كنت تنشد انشاء امبراطورية عربية تجمع الارض العربية في دولـة واحدة فهذا امر صعب المنال ، ومثل هذه الدولة قامت في ظل العهد الاموي وزالت بزواله ، ولكنني ارى ان يبقى تصور الدولة الكبرى أمنية حيـة في

نفوس ابناء الامة العربية تتجسد باقامة تكتل عربي يتميز بخصائص الانسان العربي . وفي تصوري ان السبيل الى ذلك ان ترتبط البلاد العربية بوحدة ثقافية ذات جذور عربية ووحدة في التشريع ذات جذور اسلامية وبوحدة الثقافة والتشريع تتحقق بها شعور اصيل ومثمر بالتعاون في المجال الاقتصادي وفي المجالات الاخرى يشد هذا التكتل ويجعله قادرا على مقارعة التحديات التي تواجهها الامة العربية .

● ما هو تفسيرك لهذا الشعور بالقلق الذي ينتاب الشعوب العربية ؟

ـ هذا الشعور بالقلق مصدره الخوف وهو من رواسب الماضي ، ومن مظاهره ما نلقى من شيوع الكذب والرياء التماسا لكسب المنافع وحفظ المصالح . ومن اجل ان تتفتح عبقرية الامة العربية وتتحلى بقيمها الاخلاقية لا بد ان تتحرر من عقدة الظلم ، وسبيلها الى ذلك حاكم مؤمن يستمد شرعيته لا من الدستور فقط، بل من عمله الصالح وثقة الشعب به واطمئنانه الى عدله.

★ ★ ★

عبقرية الامام علي في علم الحيوان

عادل محمد علي الشيخ

يزخر التاريخ العربي وحضارته الرفيعة بالكثير من النوابغ والعباقرة في كل العلوم والفنون من ادب وفلسفة وتاريخ وسياسة وعلوم بحتة واجتماع وجغرافية وغير ذلك. والعرب الحق ان يتفاخروا بما انجبته امتهم من نوابغ كانوا ولا زالوا وسيبقون افذاذا او اصحاب فكر عظيم لا ينضب معينه ، لانهم اصحاب فلسفات ومدارس علمية هي الاسس التي بنيت عليها حضارات الغرب والشرق الحديثة .

ان حضارة العرب العريقة لم تترك شيئا الا وبرزت فيه ، وكانت هناك مدارس في مختلف العلوم . وقد كان علماء العرب يحمل كل واحد منهم عبقرية في اكثر من علم ، وكانهم موسوعات او دوائر معارف . فالذي كان

فيزيائيا هو فلكي وكيمائي وطبيب في آن واحد ، كما كان من بين علماء العرب من هم في الاصل قادة عسكريون بل وخلفاء وامراء ، وهذا يدل دلالة قاطعة على ان علماء العرب كانوا اشبه بجامعات تضم مختلف انواع المعرفة والثقافة والفكر المبدع . والمدهش ان عمالقة العرب في العلوم لم يتتلمذوا على غيرهم من علماء الحضارات الاخرى او يقتبسوا شيئا دون ان يشيروا له لانهم تمسكوا دائما بالامانة العلمية . والدليل على ذلك ان اوروبا في فترة القرون الوسطى كانت تسبح في ظلام دامس من الجهل والتأخر والوحشية حتى ان بعض مؤرخيهم اطلقوا على تلك الفترة بالقرون المظلمة بينما كانت امة العرب تسطع عليها أشعة العلم والفكر الخلاق . ومن اعلام العرب الافذاذ الامام علي بن ابي طالب (ع) الخليفة الرابع والاخير من الخلفاء الراشدين الذي عرف بشجاعته وفروسيته وبلاغته وكرمه ونبله ووفائه وشهامته . فهذا الرجل العظيم يتمتع بشخصية فذة ، لعبت دورا كبيرا في تثبيت اركان الاسلام وكان الساعد الايمن للنبي محمد (ص) وله فضل كبير على العرب ونشر الاسلام في مشارق الارض ومغاربها . وعبقرية الامام علي لا يمكن تحليلها بأسطر قليلة فهي عبقرية فريدة من نوعها تجمع السياسة بالادب والدين بالعلم والبلاغة باللغة والعسكرية بالكرم والنبل والفلسفة بالمنطق . وهناك خصائص حميدة يتمتع بها الامام علي في مجال العلوم الطبيعية وقليل منا من يعرف ان لهذا الفيلسوف اقوالا في مجال علوم الحيوان تطابق تماما ما جاء بها العلم الحديث . وقد ترك الامام مادة قيمة خالية من شوائب الخرافات والاساطير . يقول الدكتور جليل ابو الحب : (فالامام قدم لنا دراسة صحيحة في علم الحيوان قبل ما يقارب الاربعة عشر قرنا ولم تقل هذه الدراسات في اهميتها العلمية عن دراساتنا في الوقت الحاضر . فانه لم يدع اللامعقوليات تملأ حديثه عن الحيوان . ولقد امتلأت الكتب التي كتبها المتأخرون كثيرا عن عصره بانباء غير معقولة وغير علمية عن الحيوانات). والذي يثير الاعجاب في عبقرية

الامام في علم الحيوان انه يعتبر سابقا لاعمال كل علماء العرب في هذا المضمار، لان علوم اليونان لم تكن معروفة في زمنه لدى العرب ، ومع ان علماءاليونان والهنود والفرس كانوا قد كتبوا في مجال علوم الحيوان الا انها كانت مجرد حشو ملفق بالاساطير والاوهام البعيدة عن معاني العلم وآفاقه الرحبة • وسنتناول في بحثنا نماذج مما جاء به الامام عن الحيوانات المختلفة ونطابقها مع ما جاء بم علم الحيوان الحديث •

١ ـ في الحشرات :

فقد تحدث الامام علي عن نوعين من الحشرات الاقتصادية النمل والجراد، فقال عن النمل : « انظروا الى النملة في صغر جسمها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها وصبت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها ، لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس ، والحجر الجامس » •

النمل من اذكى الحشرات الاجتماعية التي ذكرها الامامعلي، وهيحريصة على جمع الغذاء ، وتتخذ لها قرى تحت الارض فيها غرف ودهاليز ومخازن للحبوب وذخائر للشتاء وتمتلك حاسة شم قوية • وغرف النمل في العش أنواع فمنها غرف خاصة للملكة لتضع البيض بمعدل ٦٠ بيضة في الدقيقة ومنها خاصة للحضانة • والعمال على نوعين : نوع يعتني بدور الحضانة وهي مربيات ونوع آخر يحرس العش او المستعمرة ، وكلاهما يقومان بجمع الطعام• وكثيرا ما نلاحظ ان النمل تستطيع ان تنقل اجساما اكبر بكثير من جسمها وتقلبه وتسحبه ولكنها تستريح بين حين وآخر ثم تستأنف عملها الشاق • والمواد التي تجمعها حشرات النمل كثيرة من مواد نباتية كالحبوب وقطع الاوراق وبعض الحشرات الميتة وغيرها • ومن سلوك النمل الغريب ان بعض

البذور التي تدخرها كالقمح او الارز او الشعير تنبت اذا تركت في جوف الارض مدة طويلة ، ولذلك فهي تقسم الحبة الى قسمين قبل خزنها لتمنعها من الانبات ، اما حبة الكزبرة فانها تقسمها الى اربعة اقسام ، لانها لو قسمت نصفين لنمى كل قسم بمفرده ، وتقوم النمل باخراج الحب الى سطح الارض لتعرضه للهواء واشعة الشمس حتى لا يتعفن . والنمل اذا احس بظهور الغيوم اعاد الحب الى مكانه خوفا من هطول المطر . وكلام الامام علي عن النمل جاء مطابقا تماما لما عرفه العلم الحديث عن النمل وسلوكه الاجتماعي المدهش . والنمل يكد في الصيف ويجمع الغذاء ليخزنه للشتاء لان الجو في هذا الفصل لا يسمح له بالخروج لجمع الغذاء والعمل . كما ان النمل عندما تجلب المواد الغذائية الى المستعمرة لا تضيع طريقها او مستعمرتها ولا تفشل ولا تيأس في مسعاها في طلب الرزق وفي عملها من اجل ذلك .

ثم ينتقل الامام علي الى وصف اعضاء الحس عند النمل حيث يقول : « لو فكرت في مجاري أصلها وعلوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها ، وما في الرأس من عينها واذنها ، لقضيت من ذلك عجبا » .

عيون النملة تقع في مقدمة رأسها وهي عبارة عن عيون بسيطة ومركبة . وتحس النملة بواسطة الشعيرات والشويكات المنتشرة على جسمها ولاسيما على لوامسها . ولكن وجود اذن بالمعنى المتعارف عليه عند النمل ليس له وجود ، وهذا ليس معناه ان النمل لا يحس او يسمع . فكثيرا ما نلاحظ ان النمل السائر في خطين ذهابا وايابا يتلاقى فيما بينه ليخبر احده الآخر بواسطة قرون استشعارها الدائبة الحركة عن مكان الغذاء او عن الاعداء او اي شيء آخر . وهذا يدل دلالة قاطعة على وجود لغة مشتركة بين النمل بواسطة اعضاء حس خاصة .

وعن اشارة الامام علي الى وجود اضلاع (شراسيف) في النمل يحدثنا

الدكتور جليل ابو الحب فيقول : (وهنا ايضا اننا نعرف ان النملة والحشرات معدومة الاضلاع • غير ان جسم الحشرات يتكون من حلقات واضحة وبارزة وكأنها الخطوط او الضلوع حول الجسم • ان تركيب النملة الحلقي يوحي لنا بكل وضوح بمنظر الاضلاع في الجسم)• وعن الجراد يقول الامام علي: « وان شئت قلت في الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين واسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل لها الحس القوي ونابين بهما تقترض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع في زرعهم ولايستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث في نزوتها وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة »•

للجرادة زوج من العيون المركبة وثلاث عيون بسيطة ، والعين المركبة تتكون من (٤٠٠ وجه) يمثل كل منها وحدة تتألف من مجموعها العين المركبة• اما العيون الثلاث البسيطة فتقع في قمة الرأس وتحمل ايضا زوجا من اللوامس المفصلية تتحرك في جميع الجهات ، وتقوم كأعضاء اللمس والشم كما تحمل لواحق تابعة للفم • واعضاء السمع في الجرادة عبارة عن فتحتين ، واحدة على كل جانب من الحلقة الاولى من حلقات البطن • وهاتان الفتحتان مغطاة بغشاء سمعي دقيق ، ولا يعرف اعضاء السمع في الجرادة الا الذين تخصصوا في التشريح الحيواني، حيث انها تقع في مكان بعيد من الرأس • وتقوم اللوامس الشفوية والفكية وقرون الاستشعار في الجرادة باستلام المؤثرات الخارجية لتقوم بتوصيلها الى اللويفات العصبية التي بدورها تنقلها الى الالياف العصبية ومن ثم الى الجهاز العصبي المركزي • والفم في الجرادة عبارة عن شق في مقدمة الرأس يحيط به وعلى جانبيه فكان قويان سوداوان مسننا الحافة، تستعمل الجرادة هذين الفكين للقضم والقطع فهما بمثابة نابين • وكان تعبير الامام علي عن رجلي الجرادة الخلفية وتشبيههما بالمنجل لهو خير تعبير علمي ووصفي له دلالته الفلسفية العميقة ، وكان حقا تعبيرا صائبا • فالرجل الخلفية

في الجرادة طويلة قوية سميكة القاعدة مستدقة النهاية ومعقوفة ، وحافة القسم المستدق من الرجل هذه مسننة مما يجعلها تشبه المنجل تماما.وتستخدم الجرادة هذه الارجل للقفز للمساعدة على الطيران ، ولكنها تستخدم الارجل الامامية والفكوك في الحصول على غذائها وتقرض طعامها بالفكين القويين الموجودين في الفم .

وبذلك يتحدث الامام علي عن الاضرار الجسيمة التي تحدثها والآثار الاقتصادية السيئة التي تتركها هذه الحشرة الصغيرة على المزروعات والتي تخيف كل الفلاحين في اكثر بلدان العالم . ففي اواخر الصيف تبدأ الانـاث بوضع البيض في حفر ، من ٢٠ ـ ٣٠ بيضة في كل حفرة ، حيث يفقس في اوائل الربيع فتخرج الصغار شبيهة بالجراد البالغ ، ولكنها عديمة الاجنحة وخالية من الاعضاء التناسلية الناضجة ، وتسمى بالحوريات ويكون خطره اشد وافتك من الجراد البالغ ، حيث تزحف هذه الحوريات الجائعة على شكل جيش جرار ، يكتسح في سيره ما يصادفه من اخضر ويابس فيؤدي الى حدوث كوارث عظيمة في مختلف المزروعات وخصوصا مزارع الحنطة والشعير . وفي اثناء هجومه هذا تبدأ بعض التحولات الفسيولوجية في شكله فينسلخ هيكله الخارجي ست مرات حتى يصل البلوغ عندما تتكون له اجنحة تساعده على الطيران وتعرف هذه الادوار الستة بالاستحالات وان كانت غير كاملة .

وتتجمع اسراب الجراد المهاجر في اماكن خاصة تعرف بالاوكار الجماعية وقد تمكن المراقبون من مشاهدة تكون تجمعات هائلة قد يصل تعدادافرادها الى (٥٠٠ ألف مليون حشرة)، تبدو عند طيرانها كسحابة تحجب ضوء الشمس لمدة ايام .

وعندما تنقض هذه التجمعات على منطقة ما في امريكا او افريقيا او

استراليا فانها تسبب خسائرجسيمة ، قدرت في الولايات المتحدة وحدها بمبلغ (٢٥٠ مليون دولار سنويا)٠

٢ ـ الطيـور :

وعن الطيور يتحدث الامام علي باسلوب سلس ولطيف ، فيصنف بعضها ويتحدث عن اسلوبها في الطيران وبناء اعشاشها وكيفية حصولها على غذائها، ثم يوضح لنا كيفية اختفاء الطيور عن اعدائها وعن الالوان التي كساها الله بها ، كما ان الامام علي (رضي) يعتبر سباقا الى معرفته بتصنيف الحيوان لان ما ذكره من وصف وتعداد لانواع الطيور يدل على باع هذا الرجل وفضله على هذا العلم منذ اكثر من ١٣٠٠ سنة خلت ٠ ويعتبر الوصف الذي جاء به الامام علي فيما يخص الطيور وبهذا الاسلوب العلمي الممتزج بالاسلوب الادبي الدقيق ، فلسفة علمية ادبية ذات قيمة واعجاز ، فيه دقة وثبوت يحق للامـة العربية ان تفتخر به في كل عصر وزمان ، ولنترك الامام يتحدث لنا عما جاء به من عبقرية فذة في هذا المجال « وما ذرأ من مختلف صور الطيور الـتي اسكنها اخاديد الارض وفروق فجاجها ، ورأس اعلامها ، من ذات اجنحـــة مختلفة وهيئات متباينة ومصرفة في زمام التسخير ومرفرفة باجنحتها في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج ، كونها بعد ان لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقائق مفاصل محتجبة ، ومنع بعضها بعبالة خلقه ان يسمو فـي السماء خفوقا ، وجعله يدف دفيفا ، ونسقها على اختلاف في الاصابيغ، بلطف قدرته ودقيق صنعته ، فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غـير لـون ما غمس فيه ، ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبـغ فيه »٠ ويقول « فالطير مسخرة لامر ، احصى عدد الريش منها والنفس وارسـى قوائمها على الندى واليبس ، وقدر اقواتها واحصى اجناسها ٠ فهذا غراب ، وهذا عقاب ، وهذا حمام ، وهذا نعام ، دعى كل طائر باسمه ، وكفل لـه رزقه » ٠ وهكذا نجد ان الامام علي (رضي) قد برع في وصف عادات وسلوك

الطيور وكان نابغا في تصنيف انواعها واجناسها معتمدا على بيئاتها وتراكيبها الفسيولوجية والتشريحية . وقد كان عبقريا في وصفه طيران انواعها فهذه تخفق بجناحها او تبسطها عند الطيران وهذه تصعد عاليا في السماء او تبقى قريبة من الارض . كما كان احد الرواد الافذاذ في علماء سلوك الحيوانات حيث وصف محلات بناء أعشاشها ، فذكر ان منها ما يبني عشه او افحوصه في اخاديد الارض وشقوقها او في أعالي الاشجار والجبال . ونوه عن اسلوبها في الحصول على الغذاء فقال ان منها من تفتش عنه على الارض ، ومنها مـــا يبحث عنه في الماء ، ومنه من يعثر عليه على الاشجار وفي اعالي الجو . وقـــد كان الامام موفقا عندما عدد الالوان التي تلون معظم الطيور ، فمنهـــا من يكون لونه واحدا لا تشوبه شائبة ومنها من هو ملون بالوان عديدة ، وهو بذلك يشير الى ان هذه الطيور تحاكي الطبيعة والبيئة التي تعيش فيها من اجل التخفي عن اعدائها ، وهو نوع من انواع استخفاء الحيوان المعروف في العلوم المعاصرة . ويصف الامام الطاووس بصورة مفصلة وبكل دقة وامعان، كوصف عالم متمرس من علماء الطيور المعاصرين فيقول : (ومن اعجبها خلقا: الطاووس الذي اقامه في أحكم تعديل ، ونضد ألوانه في احسن تنضيـــد ، بجناح أشرج قصبه ، وذنب أطال مسحبه ، اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على رأسه كأنه قلع داري عنجه نوتيه . يختال بألوانه ، ويميس بزيفانه ، يفضي كافضاء الديكة ويؤر بملاقحة أر الفحول المغتلمة في الضراب. احيلك من ذلك على معاينة ، لا كمن يحيل على ضعيف اسناده . ولو كـــان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها مدامعة فتقف في ضفتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المتبجس لما كان ذلـــك بأعجب من مطاعمة الغراب ، تخال قصبه مدارى من فضة وما انبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما انبـــتت الارض قلت جنى من زهرة كل ربيع .

وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او كمونق عصب اليمن . وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد نطقت بالجين المكلل يمشي مشي

المرح المختال ، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله واصابيغ وشاحه ، فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا يكاد بصوت يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه ، لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقدنجمت من ظنبوب ساقه صيصة خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ، ويخرج عنقه كالابريق ومغرزها بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة مبلسة مرءاة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه وشـدة بريقه ، ان الخضرة الناضرة ممتزجة به . ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق . فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق . وقـل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط ، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه ، فهو كالازاهير المبثوثة لم تر بها امطار ربيع ولا شموس قيظ . وقد ينحسر من ريشه ، ويعرى من لباسه ، فيسقط تترى ، وينبت تباعا .. فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان ، ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبـل سقوطه . لا يخالف سالف الوانه ويقع لون في غير مكانه . واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحيانا صفـرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقـول ، او تستنظم وصفه أقوال الواصفين واقل اجزائه قد أعجز الاوهام ان تدركـه الالسنة ان تصفه) .

لو نظرنا الى المظهر الخارجي للطاووس لشاهدنا ان ريشه اصفر ذهبي الحواشي وجبهة العين عارية من الريش اما ذيل ذي العرف منه ١٨ ريشـة طويلة مستديرة الاطراف يغطيها الذنب الملون المعروف في الذكر . والامام لم يترك جزءا من ريش الطاووس الا وصفه وصفا سديدا ، فهناك قصب الجناح وريش الذنب والقنزعة ومخرج العنق . اما تغير الالوان تارة حمراء وتارة خضراء واخرى صفراء او برتقالية فالامام محق في ذكرها بهذا الاسلـوب ، اذ ان التغيرات السريعة تحدث نتيجة اختلاف اطوال موجات ألوان الضوء من جهة وبالنسبة للزاوية التي ينظر منها الناظر الى الطير ، وكذلك من جهة اخـرى تفاوت انعكاس موجات ألوان الضوء الابيض بالنسبة لباقي الالوان التـي

تظهر كالموجات المتغيرة . واقدام الطاووس طويلة وهي مغطاة من الامـــام بحراشق وفيهما مهماز مخروطي الاصابع رجله متوسطة الطول والاماميـــة متصلة عند اصولها بغشاء ، وهي عديمة الالوان لانها غبراء داكنة ، والامام هنا يؤكد ان هذا الطير يخجل ويفقد غروره عندما ينظر الى ساقيه القبيحتين. وقد ذكر الامام كلمة ديكة خلاسية اي المتولدة من الدجاج الهندي والفارسي، ومعنى هذا ان الامام قد عرف عملية تهجين بين نوعين مختلفين وهو ما يطلق عليه الان بعلم التهجين في علم الحيوان الحديث .

ويحدثنا الامام عن سلوك الطاووس وعاداته في التزاوج وكيفيةالحصول على انثاه فهو يزهو ويختال ويتبختر بالوانه الجميلة حتى يجذب اليه الانثى ويقوم باعمال جذابة تعطيه شخصية تحبب اليه انثاه لتفوز به، وهذا ممـــا اكده علم سلوك الحيوان بصورة عامة وعلم سلوك الطيور بصورة خاصة. ويشير الى عملية تسافد الذكر مع انثاه ، وقد لاحظ بنفسه هذه العمليـة، ويؤكد بذلك ان العملية الطبيعية هي الوحيدة في تزاوج وتناسل الطيـــور والعمليا تالاخرى الشائعة بين الناس هي خرافة لا محال ، والتي تســـمى (بالمطاعمة) التي تقول ان اناث الغراب تلقح بأخذهادمعة من جفن الذكر . كما يتناول الامام بعد ذلك عملية نسل الريش القديم في الطاووس ، وهـــذه العملية ظاهرة معروفة عند الكثير من الحيوانات كالحياتوالضفادعوالحشرات فتستبدل الطبقة العليا من جلدها بين فترة واخرى وليس في الطيور فقط . وعندما يعود الريش الجديد بدل القديم الساقط بنفس اللون والحجم وفي محل غرسه السابق لا يحيد عنه قيد انملة . وبهذا يكون الامام علي قد عرف الشيء الكثير عن علم التشريح ايضا .

ومن هنا يحق لنا ان نفتخر بشخصية الامام علي (ع) هذا الرجل الذي ترك ثروة ضخمة من الافعال والاعمال والاقوال ، وخصوصا كتابه الشهـير « نهج البلاغة » الذي يزخر كثيرا بالعلوم الطبيعية (كالفلك والحيوانوالنبات) والهندسة والجغرافية والتاريخ والفلسفة والمنطق والسياسة والقانونوالبلاغة وقواعدا اللغة . وكان الدكتور جليل ابو الحب محقا عندما قال : (ان مــن

يتطلع ويستزيد من التطلع في نهج البلاغة يشعر ان للعرب والمسلمين الحق في الافتخار بالامام علي (ع) كبطل قومي وديني وفلسفي كما يفتخر اليونان بسقراط وافلاطون وارسطو ، وكما يفتخر الرومان بيوليوس وقيصر وشيشرون ، وكما يفتخر الفرس برستم وانو شروان ، وكما يفتخر الهنود ببوذا ونهرو وغاندي). ان الامام علي يعتبر وبحق اول من وضع اسس وقوانين علوم عديدة استفاد منها علماء اوروبا . وبدون مبالغة اقول انه لولا ظهور الامام علي لما ظهر ابن سينا وابن الهيثم وسيبويه والخليل الفراهيدي والجاحظ وابن خلدون ولما ظهر نيوتن ولينوس وهارفي وكيلر ، وكثيرون غيرهم ، ويكفي ان يكون النبي محمد (ص) قد سبقنا باعتزازه بعبقرية الامام علي (ع) الفذة عندما قال : « انا مدينة العلم وعلي بابها » .

عادل محمد علي الشيخ حسين

جبل الحيـــاة ..

سألوا سومرست موم المؤلف والكاتب الروائي الانجليزي الكبير (١٨٧٤ ــ ١٩٦٥ م) في عيد ميلاده التسعين : « كيف يكون شعور الانسان عندما يمتد به العمر ؟» .

وقال موم وهو يشير باصبعه الى جبل كسته الثلوج : « هل ترون هذا الجبل .. ان الحياة اشبه ما تكون بعملية تسلق لجبل عال .. فالمرء منا قد يصل الى قمة ما يكسوها الجليد في هذا الجبل الذي بدأ يتسلقه من السفح وهو طفل يحبو .. فاذا وصل الى قمته نظر وراءه ، فاذا به يرى الوادي الذي امتلأ بالخضرة والزهور، وقد امتد وراءه على مدى البصر ..

« ولكنه لا يلبث ان يعود الى واقعه فوق القمة الباردة التي وصل اليها .. وقد يشعر بالبرد ، وتخور قواه ، فلا يلبث ان يسقط ويموت .. ولكن كثيرون هم الذين يرفعون رؤوسهم وينظرون الى ما فوقها ، فيرون قمما اخرى اعلى من القمة التي وصلوها واكثر بياضا .. فيمضون في طريقهم الى ان يبلغوها» .

« انا شخصيا بدأت اشعر بالوهن يدب في اوصالي !» .

اليانصيب الوطني اللبناني

ثروة للمساهمين واسعاف للمحتاجين

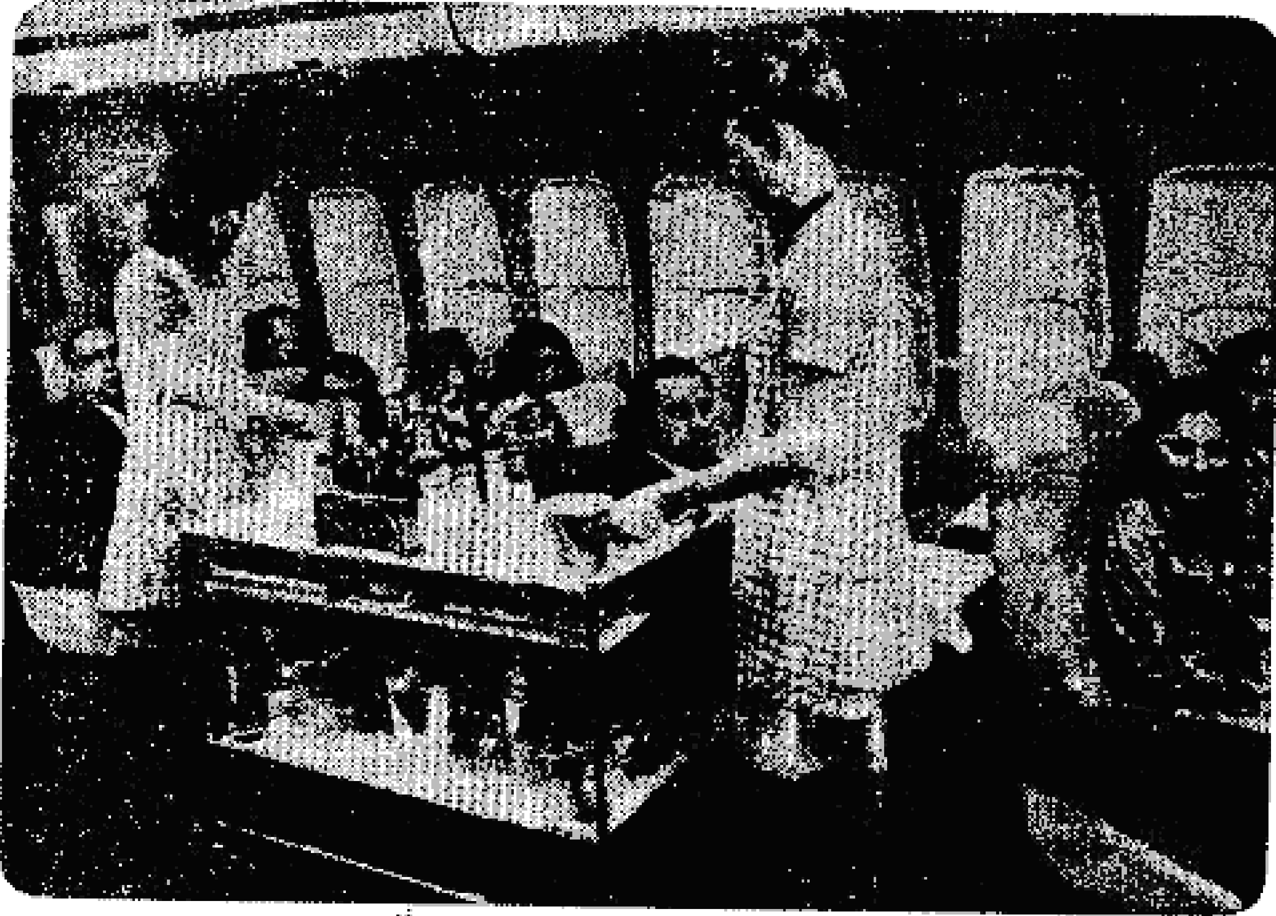
تقام حفلات السحب في التلفزيـــون

مساء الخميس من كل اسبوع الساعـة السابعـة مســـاء

لا تدعوا الحظ يفوتكـــم

ترقبوا موعد سحب كل اصدار مزوديـن باوراقكم

خِبرة ٣٠٠٠ عام
تُدعم حسن تدريب مضيفاتنا



الضيافة اللبنانية المشهورة التي ذاعت في آفاق العالم تبلغ
هذا الشوط البعيد الأبعد ٣٠٠٠ عام من المحافظة على التقاليد العريقة والتهذيب في العادات والأخلا
فمن أول معاني هذه الضيافة الترحيب الحار الذي يلقاه المسافر على متن
طائراتنا، ثم وجبات الطعام التي تقدّم إليه ساخنة حتى في الرحلات القصيرة
المسافة. ويتجلى حسن هذه الضيافة في الأطباق الخزفية التي يقدّم
فيها الطعام، وأيضاً في أنواع المشروبات التي تقدّم مجاناً لركاب الدرجة الأولى. ومن معاني هذ
الضيافة تهيئة الفرصة للمسافرين لشراء الهدايا على متن الطائرة معفاة
من الرسوم (أكثر من ١٢٠ صنفاً معروضاً للبيع)، على أن ضيافتنا تعني قبل كل شيء
توفير الراحة والعناية والخدمة الشخصية التي اشتهرت
شركتنا بتقديمها لركابها.
لقد قضينا ٣٠٠٠ عام في اتقان هذه الخدمة.



MEA

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

صاحبها
ورئيس تحريرها المسؤول
نزار الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ـ سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الخامس مجلد ٦٦ أيار « مايو » ١٩٧٨م
جمادى الاولى ـ ج٢ ١٣٩٧هـ



بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

بعد عودتنا من العراق هذه السنة كنا نود السفر الى البحرين وخوزستان « ايران العربية » ومسقط ونجعل الكويت مركزا وسطا تنطلق منها الى هذه الجهات ، الا ان رحلتنا اقتصرت على الكويت والبحرين ، نظرا لما طرأ على صحتنا من انحراف ونحن في البحرين مما اضطرنا الى تعجيل العودة الى لبنان للاستشفاء وطلب الدواء .

وتجد في الكويت اشكالا وألوانا من الناس منهم المغمورون الذين يعملون دون ضجيج او عجيج وهم المؤمنون حقا ، والفاعلون الخير صدقا، ومنهم الاصيلون في هذا المضمار الذين لا تخلو مكاتبهم يوميا من الغادين والرائحين . ومنهم المستجدون في طلب الوجاهة تدق لهم الطبول ، وتقرع الاجراس ، ولكنهم عند التجربة ليسوا من فرسان هذا الميدان ، ولن يفلحوا مهما جربوا اللحاق بالغزلان . لان الانسان مهما بلغت دعاياته يمكن أن يكذب على الناس مرة واحدة لا أكثر ، والمستحدث تبطره النعمة ، فيظن أنه الواحد الاحد ، فاذا به متكلف متصنع في جميع أعماله وتصرفاته تقوده حاشية لا خير فيها ولا عندها ، ولا يهمها الا نفسها ، واذا وظيفته عبء عليه ، وكذلك وجاهته .

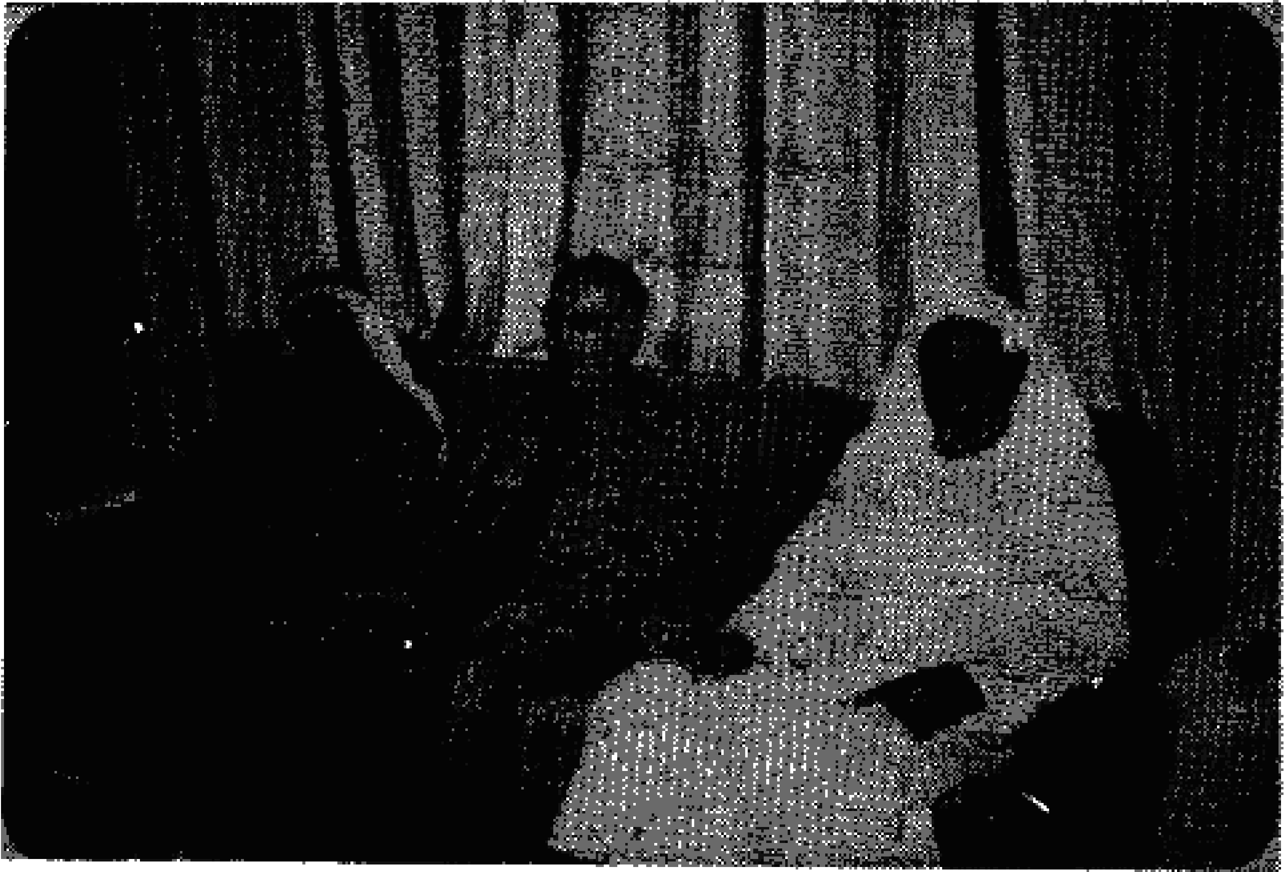
ونتطلق من الكويت الى البحرين فنصلها بعد منتصف الليل حيث كان في استقبالنا وكيلنا في البحرين السيد علوي المشقاب ونجله جواد وابن عمه السيد عبدالرضا البحارنة ، ويأبى السيد علوي الا ان أكون ضيفه ، فقلنا مع القائل : « الامتثال خير من الادب »، والبحرين جزيرة تتألف من جزر



في البحرين : السادة علوي الخباز ، علوي مكي، نزار الزين، علوي المشقاب في منزل علي بعرليل ١٥ ـ ٤ ـ ١٣٩٨هـ الموافق ٢٥ ـ ٣ ـ ١٩٧٨م.

★ ★ ★

صغيرة على شاطىء البحر ، حاضرتها « المنامه» وهي مركز الحكومة ، لها أمير ووزارة مؤلفة من ١٥ وزيرا ، واكثر سكانها وخصوصا في القرى شيعة ولكنهم شأنهم في كل مكان « واللبيب من الاشارة يفهم » وسكان البحرين يحبون القراءة والمطالعة ، شغوفون بالعلم ولكن اكثرهم : العين بصيرة واليد قصيرة مع الاسف .



في البحرين : صاحب العرفان بالوسط وعن يمينه السيد صادق البحارنه رئيس غرفة التجارة والصناعة بالبحرين وعن يساره السيد علوي المشقاب وكيل العرفان .

★ ★ ★

وقد استقبلنا في نادي السنابس بحفاوة بالغة وألقى السيد عبد الجليل كلمة رائعة في الترحيب بصاحب العرفان نشكره عليها ، لا لما ورد على لسانه من كلمات الثناء علينا ، بل لانه برهن بكلمته انه من المتتبعين للعرفان وجهادها وجهودها ، وقد أعجبنا بجمعية التوعية الاسلامية التي نتمنى ان يكثر مثلها في البحرين ، وقد استقبلنا فيها بحرارة ودعينا لالقاء محاضرة بناديها ففعلنا رغم تأخر صحتنا وسررنا بالاسئلة التي وردت بعد المحاضرة وهي أسئلة هامة يستحق كل منها ان يكون موضوع مقال خاص . ويرأس هذه الجمعية فضيلة الشيخ عيسى قاسم ونائب رئيسها فضيلة القاضي الشيخ عبد الامير

الجمري ، تتمنى لهذه الجمعية النجاح وندعو البحرانيين الى معاضدتها ومناصرتها .

جمعية التوعية الاسلامية

لجنة الخطابة

« لقاء ثقافي »

الليلة السبت ١٦ ربيع الثاني ١٣٩٨هـ الموافق ٢٤ ـ٣ـ ١٩٧٨م الساعة الثامنة والنصف تلتقون بالاستاذ نزار الزين رئيس التحرير لمجلة العرفان اللبنانية في محاضرة عن شخصية الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، في قاعة المحاضرات بمبنى الجمعية ،

فأهلا بكم في هذا اللقاء النافع .

لجنة الخطابة



وبعد ان بقينا في البحرين اسبوعا ودعناها ، وكم تمنينا البقاء فيها مدة أطول .

شكرا لوكيلنا في الكويت السيد علوي المشقاب ، لجميع الذين أبوا الا ان نجيب دعوتهم لمآدبهم ، السادة : صادق البحارنه ، الشيخ عبد الامير الجمري ، علوي مكي ، ملا محمد جعفر العرب ، علوي الخباز الخ.

قارئي الكريم :

الى اللقاء في عددنا القادم المزدوج الخاص بشاعر الشعب السيد أحمد الصافي النجفي .

– بيــان وتصحيح –

كنا ذكرنا في العدد الاول من هذه السنة انصار العرفان وسهونا مـع الاسف عن ذكر التاجر الوجيه الحسيب السيد حسين السيد هاشم البهبهاني هذا وقد علمنا ان لهذا السيد اعمال مشكورة وآثار مبرورة في الكويـت وبعلبك والهرمل ، كذلك من حسناته طبع كتب الصديق العلامة السيد امـير القزويني على نفقته .

كما أنه زاد الى انصار العرفان التاجر الوجيه الحاج يوسف احمدالغانم شكرا للجميع .

وصية الامام «ع» لابنه الحسن «ع»

٢

يا بني ، اني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وانبأتك عن الآخرة وما أعد لاهلها فيها وضربت لك فيها الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها ! انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دراهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك ألما ولا يرون نفقة فيه مغرما ولا شيء أحب اليهم مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلهم • ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه •

يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب أن يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك•

واعلم أن الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك واذا كنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك •

واعلم ان امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا غنى لك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيواليك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم

عقبة كئودا المخف فيها احسن حالا من المثقل والبطيء عليها اقبح حالا من المسرع وان مهبطك بها لا محالة على جنة او على نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطيء المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا الى الدنيا منصرف واعلم ان الذي بيده خزائن السموات والارض قد اذن لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه . ولم يمنعك ان أسأت من التوبة ولم يعالجك بالنقمة ولم يعيرك بالانابة ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى ولم يشدد عليك في قبول بالانابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤئسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب وباب الاستيعاب فاذا ناديته سمع نداءك واذا ناجيته علم نجواك فأفضيت اليه بحاجتك وأبثثته ذات نفسك وشكوت اليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على امورك وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره : من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم ان امامك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما أخرت عنك الاجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيرا منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفي عنك وباله والمال لا يبقى لك ولا تبقى له واعلم انك انما خلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة وانك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق الى الآخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا يفوته طالبه ولا بد انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك

فاذا أنت قد اهلكت نفسك يا بني ، اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى يأتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له أزرك ولا يأتيك بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها فقد نبأ الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضا ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة قد أضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ! ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها ! سلكت بهم الدنيا طريق العمى وأخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام كأن قد وردت الاظعان يوشك من أسرع أن يلحق واعلم يا بني ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا واعلم يقينا انك لن تبلغ أملك ولن تعدو اجلك وانك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب واجمل في المكتسب ، فانه رب طلب قد جر الى حرب فليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما خير خير لا ينال الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك ! وان اليسير من الله سبحانه اعظم واكرم من الكثير من خلقه وان كان كل منه ، وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يديك احب الى من طلب ما في يد غيرك ،ومرارةاليأس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف أفحش الظلم . اذا كان الرفق خرقا

كان الخرق رفقا ، ربما كان الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح وغش غير المستنصح ، واياك واتكالك على المنى فانها بضائع الموتى والعقل حفظ التجارب • وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة • ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة ، سوف يأتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير انمى من كثير ولا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء ر جاء أكثر منه واياك ان تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله بغير اهله لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك وامحض اخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذ مغبة ولن لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه أحلى الظفرين وان أردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا له ذلك يوماماومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا تضيعن حق اخيك اتكالا على مابينك وبينه فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه ولا يكن أهلك اشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد عنك ولا يكونن اخوك على مقاطعتك اقوى منك على صلته ولا تكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك ان تسوءه ، واعلم يا بني ان الرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تأته اتاك ، ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى ، ان لك من دنياك ما أصلحت به مثواك وان جزعت على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك ، استدل على ما لم يكن بما قد كان

فان الامور أشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالآداب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب ، اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين، من ترك القصد جار والصاحب مناسب والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العناء رب قريب أبعد من بعيد ورب بعيد أقرب من قريب ! والغريب من لم يكن له حبيب ، من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان أبقى له، وأوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله ومن لم يبالك فهو عدوك قد يكون اليأس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب وربما اخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده، اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن أعظمه أهانه ليس كل من رمى اصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار ، واياك ان تذكر من الكلام ما كان مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك واياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب ابقى عليهن وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المرأة من امرها ما جاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في ان تشفع بغيرها واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول استودع الله دينك ودنياك وأسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة ، والسلام •

مع الخالدين

مقابلة مع هارييت بيتشرستو التي حررت كتابها العبيد

بقلم : سمير شيخاني

صوت : في اواخر تشرين الثاني من العام ١٧٦٢ ، تقول الحكاية ، استقبل الرئيس ابراهام لنكولن في البيت الابيض سيدة في اواسط عمرها ضئيلة الحجم ، فلما صافح يدها الصغيرة بيده الكبيرة المليئة بالعقد صاح : « أذن هذه هي السيدة الصغيرة التي تسببت في هذه الحرب ؟! »

كانت تلك السيدة الصغيرة هارييت بيتشرستو ، مؤلفة كتاب « كوخ العم طوم » ـ الرواية التي ساهمت عندما نشرت قبل عشر سنين من انتخاب ابراهام لنكولن رئيسا للجمهورية في تحرير العبيد . أما الساسة والمؤرخون المعاصرون فيعتبرونها التأثير المقرر المظيم الذي ادى الى ازالة الرق وتحرير العبيد في العالم الجديد . وسنقضي مع هارييت بيتشرستو هذه الدقائق في الحديث معها عن حياتها وعملها الجليل . ولا بد ان تكون هذه المقابلة ممتعة ومفيدة معا من حيث الاضواء التي ستسلط على هذه الشخصية الفذة ...

هارييت : ولدت في مدينة ليتشفيلو من اعمال ولاية كونكتيكت حيث ترعرعت ، ثم انتقلت الى سنسناتي حيث عشت ثماني عشرة سنة . وهناك شهدت الاضطرابات المعادية للرق ، وقد ساعدت العبيد الذين كانوا يفرون من أسيادهم ، واستمعت الى قصصهم . ثم في سنة ١٨٥٠ انتقلنا الى بروزويك في ولاية ماين حيث كان زوجي كالفنستو قد عين استاذا في كلية بودوان .

صوت : الا انه كان من المستحيل عليك ان تهربي من قضية الرق حتى في ولاية ماين ، فقد كانت تلك القضية شغل الصحافة الشاغل ، وكان مجلس الشيوخ الاميركي يردد صدى خطب تشارلز صمنر الداعية الى الغاء الرق ،

كما كان اخوك القس هنري وورد بيتشر يلقي عظاته في الكنيسة وكلها تدور حول العبيد الارقاء • وكنت قد كتبت عددا من القصص القصيرة لزيادةدخلكما الذي لم يكن كافيا لسد حاجات الاسرة • وكانت روحك الشديدة التدين تسعى الى اعطاء العالم صورة عن وحشية استعباد البشر لاخوانهم البشر •

هاريت : اردت أن اظهر قضية الرق بتعابير انسانية تصور الاسر التي تحطمها مطرقة النخاس والقسوة التي يعامل بها هؤلاء المنكودو الطالع ، بحيث تساهم هذه الصور الروائية في جهل الجميع على عدم التساهل في الاستعباد بعد الان • ولكن الكتابة في موضوع سياسي كانت تغاير التدريب الذي خضعت له طوال حياتي• الا ان رسالة من شقيقة زوجي اطلقت الشرارة ، فقد كتبت السيدة ادوارد بيتشر الي تقول : « لو كان باستطاعتي استخدام الريشة لكتبت شيئا يجعل هذه الامة تحس كم هي لعينة قضية الاستعباد والرق» •

صوت : ويذكر اولادك لفترة طويلة قراءتك تلك الرسالة على مسامعهم كما يذكرون كيف قفزت على قدميك كما لو كنت تؤدين عملا من اعمال التكريس ، وهتفت وقد جعدت الرسالة بيدك الصغيرة « ساكتب شيئا ما » • وهكذا جلست ذات يوم الى مكتبك وبدأت بالكتابة • هل تذكرين ما هي أول عبارة كتبتها ؟

هاريت : بالطبع اذكر ذلك فاسمع ما كتبت : « في ساعة متأخرة من بعد ظهر احد ايام شباط الباردة كان رجلان يجلسان وحيدين وامامهما كأسان من الخمر في قاعة الطعام الفخمة الرياش في احدى المدن في ولاية كنتكي •••»

صوت : وهكذا بدأت ريشتك رحلة طويلة لمتكوني تدرين اين ستنتهي، ولكنها انتهت في جيتسبورغ وابوماتوكس ، ولم يكن لديك اي فكرة مسبقة عن القوة الرهيبة التي ستطلقها روايتك تلك « كوخ العم طوم » •

هاريت : كنت انظر الى روايتي على انها رسولة سلام ، ولطالما رددت ان الاله نفسه هو الذي كتبها !••

صوت : أصحيح ، يا سيدتي، ان مشهد جلد العم طوم كتبته قبل اسابيع عديدة من تخطيطك الحاسم لروايتك ؟

هارييت : انه الواقع ... فلقد ظهر ذلك كالرؤيا امامي اثناء أحـــد القداديس ، وبوضوح ، وكما لو كنت حاضرة شخصيا رأيت عبدا عجـــوزا يجلد جلدا مميتا من احد غليظي القلب من البيض . فلما انتهت الصلاة هرعت الى المنزل وانا اغالب الدمع بصعوبة ، وكما لو كنت في غيبوبة اوصدت دوني باب غرفتي ورحت ادون على الورق المشهد كما رأيته . ولما قرأته على مسمـــع افراد اسرتي بكى الاولاد بكاء مرا وقال لي زوجي : « هاتي ، ينبغي ان تكتبي قصة يكون هذا المشهد ذروتها »!

صوت : وهكذا كان ، وانصرفت الى كتابة روايتك الشهـيرة ، أليس كذلـــك ؟

هارييت : الحقيقة انني رسمت قصتي لتكون ثلاثة استكشافـات او أربعة ، وقدمتها الى الناشر بما يلي ، في صحيفة « ناشونال ايرا» الصـــغيرة الصادرة في واشنطن ، فقبل بها دون ان يراها واتفقنا على مبلغ ثلاثمايةدولار ثمنا لها .

صوت : مسكينة هارييت ، لقد اصبحت الاستكشافات الثلاثة اوالاربعة اربعين وانقضت سنة كاملة قبل ان تستطيعي جمع كل خيوط السجادة التـي عملت في حياكتها . فبايلي لم يرفع مبلغ المكافأة في حين استمرت القصة تزداد طولا ، وتنشر في صحيفة « ناشونال ايرا » .

هارييت : في الخامس من حزيران سنة ١٨٥١ ، وعلى الصفحة الاولـى من تلك الصحيفة ، نشرت الجزء الاول من الرواية التي اثرت في حالة جيل كامل من الاولاد ، وكان بينهم ابني « فريد » فمشوا بروح صليبية بعد ذلك بعشر سنين الى فوهة المدفع غير هيابين .

صوت : من العجيب حقا ان تحدث قصتك التي نشرت متسلسلة فـي

صحيفة مجهولة ذلك الاثر الوطني البالغ • فقد كان احد انصار تحرير العبيد مشتركا في تلك الصحيفة فكانت تنتقل من يد الى يد حتى تتلف ، فلما لم ترسلي في الخريف الفصل المنتظر للنشر ، في حينه هبت عاصفة احتجاج على الناشر المسكين •

هاريت : الواقع ، يا سيدي، انني أصبحت شيئا فشيئا اسيرة روايتي، ذلك بانني كنت اكتب واكتب فيها والنهاية لا تلوح قريبة لناظري • فكنت انى أذهب ومهما افعل يلاحقني شبح الفصل التالي الذي سينشر في الصحيفة ، فضلا عن انني لم اكن متحررة من تدبير شؤون منزلي والاهتمام بأسرتي ، الامر الذي كان يدفعني الى الجنون •

صوت : وكان هناك رجل ينظر برعب بالنسبة الى طول روايتك هو دجون دجوويت احد ناشري الكتب في بوسطن الذي وافق على نشر روايتك المتسلسلة في كتاب مستقل • وكان يتوقع ان يكون مجلدا عاديا يباع بسعر معقول الا انه فوجيء في نهاية تشرين الاول بان رواية « كوخ العم طوم » تبدو انها ستملأ مجلدين ضخمين فطلب منك ان تضعي لها النهاية لانالموضوع كان في رأيه غير شعبي ، ومجرد صدوره في مجلدين سيقضي على رواجهحتما •

هاريت : الحقيقة انني وافقت الناشر دجوويت على رأيه لانني كنت قد أرهقت نفسي بسبب اطالة الرواية • ونشرت الصحيفة انه نظرا لما بلغته « كوخ العم طوم » من الطول فان كاتبتها ستنهيها ببضع فقرات تروي فيها تطورات الاحداث • فقامت قيامة القراء ، مما جعل صاحب الجريدة يسارع الى تطمين المشتركين والقراء بانني سأواصل الكتابة دون اي قطع أو تجزئة• وهكذا كان !••

صوت : وابصر الكتاب النور دون اي دعاية مسبقةبالنسبة الى المراجعين والناقدين الا ان يوم صدوره في العشرين من اذار سنة ١٨٥٢ كان يوما مشهودا في مكتب الناشر اذ التهمت على الفور نسخ الطبعة الاولى البالغة ستة آلاف • وفي غضون الاسبوع الاول كان الناشر دجوويت يشغل ثلاث

آلات طابعة تعمل اربعا وعشرين ساعة يوميا باستثناء الاحد ، ومئة مجلد وثلاثة معامل لتقديم الورق اللازم .

هاربيت : وكان المبلغ الذي تقاضيته بمثابة حقوق تأليف عن مبيعات الاربعة الاشهر الاولى عشرة آلاف وثلاثمئة دولار . ولمناسبة مرور سنة على صدور روايتي « كوخ العم طوم » اعلن الناشر انه بيع خلال السنة ثلاثمئة وخمسة آلاف نسخة ، مع وجود طلبات متزايدة يوما بعد يوم .

صوت : ومما يذكر ههنا ان روايتك « كوخ العم طوم » كانت عرضة لقرصنة ادبية من قبل الناشرين الاجانب في عدد من البلدان ، وترجمت الى الكثير من اللغات . اما في اوروبا فقد راج الكتاب بين الطبقات البائسة والمحرومة . وفي لندن ونيويورك وبوسطن حولت الرواية الى مسرحية عرفت النجاح الكبير ، وراح الاميركيون يغنون اغاني العم طوم والطفلة ايفا ، وهما من ابطال روايتي ، وقد حظيا بعطف القراء ...

هاربيت : وتضاربت الاراء في الرواية التي كانت تلاقي رواجا في الولايات الشمالية والجنوبية على السواء ، وتباع بحرية مكتسبة مؤيدين وانصارا لحركة التحرير . ولكن فجأة منع بيع الكتاب في الجنوب ، وبات من الخطر اقتناء نسخة منه . وراح البريد الذي كان يتدفق علي يتضمن رسائل تهديد لي بسبب اثارتي عصيان العبيد . وسرعان ما تبين للفريقين ان « كوخ العم طوم » لم تكن رواية وحسب ، بل لغما وضع في اساس الجمهورية .

صوت : في نهاية هذه المقابلة اود ان انقل اليك ما كتبه بعد ذلك باربعين سنة الناقد النيويوركي مونرو مقوما روايتك واثرها التاريخي قال : « ان الغاء الرق لم يكن ولا يمكن ان يكون من صنع شخص واحد . فقد كان نتيجة جهود كثيرة اتحدت ... ولكن اعظم تلك المؤثرات وابعدها مدى كان رواية « كوخ العم طوم » .»

سمير شيخاني

قصة الحياة - ملايين الحكايا تأملات

بقلم: رغيد النحاس

٣ - الطيور

كنت امشي مع انحدار الطريق الساحلية التي تمر بميناء «سكاربري» احد المنتجعات الانكليزية على بحر الشمال • وكان الميناء القديم يشكل بأشرعة السفن المصطفة فيه ، وبالهضبة العالية التي تلتف حوله لوحة اصيلة تتذكرها ريشة الفنانين ، وكانت الطيور المهاجرة التي تزور الميناء باعدادها الوافرة هي اكثر ما يعطي هذه اللوحة نشاطا وحركة ، فلقد كانت هذه الطيور البحرية البيضاء ترفرف جماعات جماعات حول الميناء وبين أشرعة السفن الخشبية فترف معها العيون طربا وانسجاما • وتذكرت ايام المدرسة وبالتحديد دروس الرسم ولوحاتنا البريئة التي كنا نرسمها وكنا دائما نضيف الى السماء طائرا أو اكثر ، وكأن السماء لا يمكن معرفتها الا برسم الطيور فيها • بل كأن اللوحة لا يمكن ان تتزن فنيا الا اذا توسطتها تلك المجنحات الجميلة • ولعل وجود هذا الكائن معلقا بين السماء والارض ، ووجود جناحين هو الحركة الدائمة بينهما • ولعل الطيران هو التجسيد نحو الافاق البعيدة • ترى هل نفكر بهذا المنطق لاننا على الارض وننظر الى فوق ؟ وترى ماذا تفكر الطيور وهي تنظر الينا من ذلك الفضاء العلوي؟

التطور والطيران

ان تلك الصور الاخاذة فيما تنطوي عليه من جمال طبيعي تخفي وراءها حقائق مضنية عن ماهية الحياة وعن تلك المعركة الدائمة في سبيل التلاؤم مع البيئة والتطور نحو حياة افضل • ولقد رأينا ملامح من هذا الصراع في حكايتنا السابقة وما حكايتنا الان سوى جزء من تلك القصة التي لا تنتهي : قصة

الحياة، وبالتحديد فاننا الان بصدد تلك الكائنات التي تطورت عن بعض الزواحف القديمة ـ تماما مثل ما فعلت الثدييات ـ ولكن ضاقت عليها اسباب العيش على اليابسة فاختارت الاجواء الفسيحة مسكنا ومرتعا .

والحكاية بدأت منذ ثلاثين ومئة مليون سنة ، فيما هو الان اوروبا الوسطى حيث كانت في ذلك الوقت بحرا استوائيا . وهناك تطورت الاطراف الامامية لبعض الزواحف وصارت أجنحة . وعلى هذا، فلقد ظهرت اولا الزواحف المجنحة وتطور عنها الطيور البدائية التي احتفظت بالكثير من صفات الزواحف . وبعد مضي فترة قد تصل الى الخمسين مليون سنة بدأت تظهر الطيور بالشكل الذي نعرفه الان . والفترات الزمنية المذكورة اعلاه تأكيد آخر على ان عملية التطور عملية طويلة المدى . ومرة اخرى نحث القارىء على أن من أهم عناصر فهم التطور هو عدم قياس المدة الزمنية على النحو الذي اعتدنا عليه ، أي يجب دائما تصور حدوث الامور من خلال فترات زمنية تزيد عن عمر الانسان بملايين المرات .

الريش وصفات اخرى

حينما كنا نجمع ريش الطيور الجميل ونضعه بين الصفحات في كتبنا المدرسية لم نكن نعلم ان الريش هو الذي أعطى الاجنحة تلك القابلية العظيمة على الطيران . لقد تطور الريش عن بعض الحراشف في تلك الزواحف التي سلفت الطيور . والواقع ان الطيور نفسها لا زالت تحتفظ ببعض الحراشف على ارجلها وطبعا ان تطور العظام في الاجنحة هو الاساس الذي يستند عليه تطور الاجنحة بالذات . ذلك ان عظام الاجنحة فارغة مما يجعلها خفيفة جدا ، وهي بنفس الوقت قوية وصلبة . وهذا بالطبع هام جدا بالنسبة للحركة والطيران . والريش الذي يكسو جسم الطائر ، والذي يكتسب أهمية خاصة على الاجنحة، هو معقد التركيب جدا . وبالاضافة لوظيفته في المساعدة على الطيران فهو

يحفظ الحرارة تماما مثل الشعر في حالة الثدييات • فالطيور هي ايضا فقاريات من ذوات الدم الحار •

وللريش وظائف هامة اخرى • فهو يساعد الطيور احيانا على التمويه فتتفادى بذلك الحيوانات المفترسة ، كما يساعدها في عملية التكاثر فغالبا ما يجتذب الذكر الانثى اليه باستعراض ريشه الجميل كما يفعل الطاووس مثلا• وتوجد قرب ذيل الطيور غدة تفرز الزيت الذي يوزعه الطائر بمنقاره على جسمه فيشكل مع الريش طبقة عازلة ضد الماء الذي يعوق حركة الطيران اذا ما تجمع على الجسم لانه في هذه الحالة يزيد من وزن الطائر •

وتتوضع أرجل الطائر نحو الجهة الامامية من الجسم مما يجعل مركز ثقل الطائر يقع تماما فوق هذه الارجل • وهذا ما يساعد على التوازن خصوصا في طريقة قفزه على الارض • كما يساعد هذا بعض الطيور على الوقوف على رجل واحدة مدة طويلة وحتى النوم في هذه الحالة كما تفعل طيور الفلامنكو (النحام)•

وتتألف الاقدام من أربع اصابع في معظم الحالات ، ثلاث منها الى الامام، وواحدة الى الخلف • وهذا التشكيل يساعد على الحركة السريعة •

اما المنقار فهو الوسيلة التي تمسك والتي تساعد على أخذ الطعام • والرقبة فيها الكثير من الفقرات العظيمة مما يساعد الطائر على تحريك رأسه في مختلف الاتجاهات وبسرعة • وهذا يدعم عمل المنقار في جميع الاطعمة •

ان الحركة السريعة ، والقابلية على الطيران ، وبذل هذا الجهد يصحبها دوران دموي جيد ومناسب • فالقلب كبير نسبيا • ومع ان الرئتين صغيرتين نسبيا فانهما مدعومتان بأكياس هوائية تساعد على تخفيف وزن الجسم وتساعد ايضا على أخذ الهواء بصورة تزيد عن استطاعة الرئتين لوحدهما •

والدماغ في الطيور متطور بصورة جيدة وفيه مراكز جيدة لحاستي السمع والرؤية • أما حاسة الشم فليست قوية ، وحاسة التذوق متنوعة وهي جيدة عموما •

بعض الطيور لا يطير !

قد يخيل للبعض ان هذه الطيور تمثل مرحلة وسطا بين التطور من الزواحف المجنحة الى الطيور الحقيقية • ولكن الحقيقة هي ان هذه الطيور التي لا تطير هي في الاصل طيور قادرة على الطيران ولكنها فقدت هذه القدرة لاسباب غير معروفة تماما • واحد التفسيرات هو ان هذه الطيور قد وجدت في بعض الجزر وبذلك تخلصت من أذى الحيوانات المفترسة الموجودة على القارات • ولهذا فهي لم تعد بحاجة للطيران طالما ان الارض آمنة وطالما ان الرزق موفور • ولهذا فان التوقف عن الطيران مدة طويلة من الزمن قد خلق أجيالا تعجز عن اداء تلك المهمة • هذه النظرية ، على كل حال ، لا يمكن تعميمها على جميع الطيور التي لا تطير • فمثلا النعامة التي وجدت في السابق ولا تزال في افريقيا ــ حيث الحيوانات المفترسة تزدهر باعداد وافرة ــ لا تطير • ترى هل يكون كبر حجم النعامة من الاسباب التي جعلتها تعيش وتتقي اذى المعتدين دونما حاجة للطيران ؟

اما تلك التي تطير ..

يستطيع بعض الطيور ان يطير على علو كبير يصل الى اكثر من تسعمئة مترا مثل بعض انواع الغراب الاعصم • اما كاسر العظام ــ وهو طائر شبيه بالعقاب ــ فانه قد يرتفع اكثر من ثمانمئة مترا • وقد تصل سرعة الطيران الى سبعين ومئتين كيلومترا في الساعة في حال انقضاض بعض انواع الصقور على فرائسها • وتصل سرعة الطيران الى مئة كيلومترا في الساعة ، ويستطيع الاحتفاظ بمكانه في الجو بضربات جناحية التي تصل الى خمس وخمسين ضربة في الثانية الواحدة •

وعدا تلك الحالات الخاصة فان اغلب الطيور لاتتعدى سرعتها الستين كيلومترا في الساعة • ويستطيع بعض الطيور قطع مسافات طويلة جدا اثناء الهجرة • وتستعمل الطيور الشمس اثناء النهار والنجوم اثناء الليل في الملاحة. غير انه من غير المعلوم كيف يستطيع دماغ الطائر استعمال هذه المقاييس دالربط بينها في عملية الملاحة • وتستعمل الطيور الاثار الارضية مثل الأنهار كعلامات مميزة حين النظر اليها من الجو •

اين توجد الطيور وكيف تتلاءم مع البيئة

مع ان الطيور توجد في جميع اصقاع الارض بما فيها المنطقة القطبية (شكل ١) الا ان عدد انواعها يزداد في المناطق المعتدلة • وبالطبع فان توزعها يتطلب تلاؤما معينا مع البيئة التي اختارت ان تعيش فيها • وقد يكون من النادر ان تجد نوعا من الطيور خارج تلك البيئة التي اعتاد على الحياة فيها



طيور البطريق : من الطيور التي لا تطير وتشاهد في الصورة تحتضن صغارها • وتسكن هذه الطيور في المناطق القطبية •

مع ان هناك انواعا قليلة تتلاءم مع العيش في اماكن مختلفة ولكن بتحفظ شديد يجعل بالامكان الربط بين بيئة معينة وبين مجموعة الطيور التي تسكنها كما يقول بعض خبراء الطيور •

في الغابات

تعشعش دجاجة الارض وبعض انواع الدوري والجنك (عصفور اميركي) على ارض الغابات • اما الشجيرات الصغيرة القريبة من الارض فيقطنها طيور مثل دوري الحقل والكردينال والطائر المحاكي • وهذا الاخير يقلد اصوات بقية العصافير بمهارة كبيرة • واذا ارتفعنا اكثر الى الشجيرات العالية والى الاغصان المنخفضة من الاشجار الكبيرة نجد ان طيورا مثل « ابو الحناء » وملك العصافير • اما الاغصان ورؤوس الاشجار العالية فتسكنها بعض انواع الصقور والنسور • وتعشعش البومة ونقار الخشب والنمنمة (طائر صغير جدا) في حفر في جذوع الاشجار •

في الحقول والبساتين

وهنا ايضا تعشعش بعض الطيور في حفر الاشجار ويمكن احيانا معرفة اي نوع من الطيور يوجد في حفرة معينة من حجم تلك الحفرة • وبعض الطيور يصنع اعشاشا معلقة من اعلاها مثل الصفارية والاخيضر • اما الغراب ومالك الحزين فيستخدمان العيدان في بناء العش • وهناك نوع من الطنان يزين عشه الصغير ببعض الاشنيات والطحالب • والحسون يستعمل في اعشاشه بعض المواد القطنية • اما ملك العصافير فيستعمل الاعشاب لبناء عشه • وبعض الانواع الاخرى قد تستعمل الطين بالاضافة للجذيرات والاعشاب •

في الماء

هناك ستمئة نوع من الطيور تلاءمت للعيش في الماء مثل طيور الفلامنكو التي تتواجد في الاماكن الضحلة من بحيرات افريقيا حيث يستعمل منقاره الطويل في مص الماء وطرحه من جوانب فمه وفي هذه الاثناء يمر الماء بمرشحة خاصة تجمع ما يحتويه من الاطعمة •

وتتزود أقدام البط والاوز بأغشية تصل بين اصابعها وتساعدها على الحركة على سطح الماء والغوص داخل الماء لالتقاط الفرائس •

وهناك ستون ومئتا نوعا تعيش في المحيط حتى ان بعضها وصل لدرجة انه لا يتسرب سوى ماء البحر ويمضي سنوات عديدة دون ان يمس اليابسة مثل القطرس •

ان الطيور التي تقطن البيئات المختلفة التي ذكرناها يمكن النظر اليها الان من ناحية طريقة التغذية التي تتبعها •

الطيور المفترسة

وفيها طيور تفترس في النهار مثل الصقور والنسور • ومنها ما يفترس في الليل مثل البومة وهذه الطيور تعيش على افتراس الحيوانات الاخرى •

الطيور اللاحمة العاشبة

تأكل الخضر والحشرات وبعض الثدييات الصغيرة • فبعضها يأكل الحشرات والحبوب مثل القبرة • وبعضها يأكل الموز والعناكب والفئران وحتى البيض مثل التناجر الموجود في اميركا الوسطى •

الطيور آكلة الفاكهة والحبوب

في الغابات الاستوائية وحيث توجد كميات وافرة من الوجبات الغذائية اللازمة تزدهر الببغاوات التي تعيش على الفاكهة ، والطيور التي تعيش على رحيق الزهور مثل الطنان •

الطيور آكلة الحشرات

وهي طيور تستطيع التحرك بسرعة كبيرة مثل السنونو والسمامة • اما الصرد فيستطيع نزع زعنفة الزنبور قبل التهامه • وبعضها يتتبع جيوش النمل فيقتات على النمل وعلى الحشرات الاخرى التي تصادفه في الطريق •

حقائق ممتعة

ان تصرف الطيور بصورة عامة اسير للغريزة التي تولد مع الطائر • هذه الغريزة تتحكم في الطائر خصوصا عندما يكون كل شيء حوله طبيعيا ،

أي ان أموره تسير سيرها المألوف دون أن تتدخل تجارب الانسان في حياته مثلا . اما حين نقوم بالتجارب على الطيور فان بعض التغييرات التي تطرأ في البيئة الاصطناعية قد تتدخل في النمط المألوف لتصرف الطائر وعندها فقد يتوجب على الطائر استعمال «ذكائه» فيعملية رد الفعل على هذه التغييرات. والذكاء عند الطيور شيء نسبي جدا ويتراوح بين طائر وآخر ولذلك يمكن القول ان الغريزة هي أول وآخر ما يؤثر في التصرف .

ففي تجربة قام بها احد العلماء علقت انثى احد الطيور على احد الاغصان وكانت هذه الانثى محنطة ولقد صدف ان كانت على الغصن في وضع غير مألوف ابدا أي في وضع ليس من عادة انثى هذا الطائر ان تكون عليه . ومع ذلك فلقد اقترب منها ذكر حي وحاول الاقتران بها تماما كما لو كانت على قيد الحياة مثله .

والغريزة تلعب دورا هاما في عملية الهجرة لدى الطيور . وفي عمليات اخرى مثل اختيار الاماكن التي سيعشش فيها الطائر وطريقة بناء العش والدفاع عن منطقته ، والاقتران ، ووضع البيوض واحتضانها ورعاية الصغار.

هجرة الطيور

لا تهاجر الطيور فقط بحثا عن الطعام . فكثير من الطيور المهاجرة لا تتوقف حين تجد مكانا وافر الغذاء وانما تتابع طريقها الى الاماكن التياعتادت ان تقصدها في عملية الهجرة.

واكثر الطيور تهاجر اثناء الليل تاركة النهار للتغذية . وبعضها يهاجر ليلا ونهارا ، وبعضها يهاجر اثناء النهار فقط . واثناء الهجرة الليلية تتبع الطيور أي ضوء ثابت حتى ان الكثير منها يموت حين يصطدم بالمنارات البحرية .

وتؤثر العواصف تأثيرا سيئا على الطيور اثناء عبورها فوق مساحات شاسعة من المياه حيث تتبلل هذه الطيور وتضعف قدرتها على الطيران وهكذا

يغرق الكثير منها حتى ان عاصفة واحدة قد تقضي على الالاف . والحديث عن الهجرة اكبر بكثير مما نستطيع البحث فيه هنا ونكتفي بالقول بان الكثير من أسرار الهجرة ودوافعها لا تزال غير مفهومة من قبل الانسان .

حرب وحب

في حياة الطيور صراع على الرئاسة والقيادة . بل على الاصح صراع لاثبات القدرة على السيطرة . فاذا ما واجه الطائر خصما فانه يرفع صدره في وجهه وقد ينفش ريشه ويغني . وهكذا يفعل الخصم الى ان يتراجع أحدهما والا فان المعركة تتخطى حدود التحديات الى مرحلة العنف الفعلي الى أن يثبت أحدهما انه الاقوى . وهكذا تتأسس مراتب وكفاءات في مجموعة معينة من الطيور .

تصل الذكور من الطيور المهاجرة قبل الاناث الى نهاية الرحلة . وعند وصول الذكر يختار لنفسه منطقة محددة تكون بمثابة الاقليم الذي ستقطنه عائلته والذي سيدافع عنه أذى الدخلاء والمعتدين او تطفلهم . وحتى حين تصل الاناث فان الذكر يحاول ايضا ابعادهن عن اقليمه ، ولكن هذا لا يدوم طويلا فسرعان ما تغلب عليه غريزة التزاوج فيحاول عندها اقناع احدى الاناث بقبول الناحية التي يدافع عنها .

ان حجم هذه الاقاليم يعتمد على العادات الغذائية للطيور ، وعلى عدد الطيور الموجودة في المنطقة . فمثلا الطائر الذي يحتاج لجمع الغذاء من جانب مسكنه يحتاج الى اقليم كبير حتى يؤمن لنفسه الكمية اللازمة من الغذاء . اما الطائر الذي يطير مسافات بعيدة لجمع الغذاء فلا يهمه حجم الاقليم الذي هو فيه . وقد تحدث الكثير من الاشتباكات في بداية تشكيل الاقاليم الى أن يستطيع كل زوج من الطيور معرفة حدوده بالضبط واحترام حدود الاخرين .

اتغني الطيور ام تتكلم ؟

ان غناء الطيور هو في الاساس مجموعة من النداءات التي تشكل وسيلة الاتصال « اللغوي » بينها . فلقد تبين ان هناك اكثر من طريقة تتبعها الطيور في اظهار أصواتها بانغام مختلفة لكل منها غرض خاص . ويمكن اعتبار كل نغم بمثابة كلمة معينة . وهناك انغام معينة يمكن لجميع الطيور فهمها خصوصا تلك التي تتعلق بتحذير الرفاق من العدو . او نداء الصغار من أجل الطعام. ولكن هناك انغاما اخرى لا يمكن فهمها الا ضمن النوع الواحد . ونداء الطيور عملية تتوارث عبر الاجيال .

والغناء في الطيور ـ بالاضافة الى جمال الريش ـ هو من الصفات الجنسية الثانوية أي تلك الصفات التي تساهم في العملية الجنسية وتكون مساعدة للصفات الاساسية التي تفرق الذكر عن الانثى . والصوت في الكثير من الانواع أهم من الريش لانه يميز بين النوع والنوع أكثر مما يستطيع الريش ان يفعله . وهكذا تستطيع الطيور التزاوج بافراد نوعها الواحد فقط . والغناء افضل ما يكون عليه عند الذكر . وبصورة عامة يقتصر على الذكور مع العلم بان اناث بعض الانواع تغني أيضا .
ان اغنية الطير هي في الاساس اعلان من الذكر للانثى عن وجوده وبنفس الوقت هي تحد للذكور الاخرين . وعلى ما يبدو فان اللحظات التي يغني فيها الذكر تؤثر على الانثى كلما غنى الذكر .

وحياة عائلية ايضا

تصل الطيور الى مرحلة النضج خلال اسابيع بعد الولادة . وأكثر الطيور تكبر وتبني أعشاشها وتتكاثر وتبيض وتعنى بالصغار حتى يصبحوا قادرين على الاعتماد على انفسهم كل ذلك خلال فترة تتراوح بين الشهر أو ستة أسابيع .

وبصورة عامة فان الطيور خلال هذه الدورة الواحدة من حياتها تأخذ لنفسها زوجا واحدا فقط . والطيور التي لا تهاجر قد تحتفظ بنفس الشريك

سنة بعد سنة • وحتى الطيور المهاجرة قد تحتفظ بنفس الزوج سنين عديدة قبل أن يتغير لسبب أو لآخر • وطبعا لا يمكن اعتبار هذا قاعدة عامة خصوصا في حالة الطيور المهاجرة •

ومن الطريف ان بعض الطيور تبقى وفية لازواجها فلا تتزاوج بعد موت القرين ، ولكن أغلب الطيور تؤمن لنفسها زوجا جديدا بعد ساعات قليلة من موت شريكها • ويحصل أحيانا ان يتزاوج الذكر الواحد مع عدة اناث بنفس الوقت والعكس وارد ايضا ولكن هذا نادر الحدوث •

بعد التزاوج تصبح وظيفة الانثى بناء العش في البقعة التي اختارها الذكر • ولكن الموقع الحقيقي للعش يكون من اختيار الانثى • كما ان الانثى تقوم ببناء معظم العش • وفي بعض انواع الطيور يقوم الذكر باختيار المكان المحدد للعش • وفي انواع اخرى يقوم الذكر ايضا ببناء العش وحتى انه يحتضن البيض ويعتني بالصغار •

ويقوم ذكر النمنمة ببناء العش كوسيلة لاظهار ذكورته ليس الا • وما ان تأتي الانثى وتقبل به زوجا حتى تخرب ما بناه وتبدأ ببناء العش من جديد •

وبيوض الطيور تختلف في اشكالها واحجامها وألوانها كثيرا ، فليست كل البيوض مثل بيض الدجاج • والواقع ان بيوض بعض الطيور داكنة الالوان جدا حتى انها تكاد تكون سوداء • وتساعد هذه النماذج المختلفة على تمويه البيوض فلا تراها الحيوانات التي تتغذى عليها •

الاتصال الجنسي والتكاثر

تتكاثر الطيور كما نعلم بالاباضة • واذا تفحصنا بيضة الدجاج نجد انها مغطاة بقشرة تحمي الجنين الذي يتشكل داخل البيضة بعد عملية الالقاح • وهذا يعني انه يجب أن يتم الالقاح قبل تشكل القشرة حول البيضة ذلك ان القشرة تمنع النطف المذكرة من الدخول الى قلب البيضة وبالتالي تمنع الالقاح • والذي يحصل ان النطف تدخل الى البيضة اولا وبعد الالقاح تتشكل القشرة

بواسطة مفرزات غدة خاصة ثم تبيض الدجاجة • وهذا لا يعني ان كل البيوض التي تخرج من الدجاجة هي بيوض ملقحة او بيوض تحوي أجنة بل ان الكثير من البيوض لا تتلقح وهكذا يمكن ان تصلنا صالحة للغذاء كبيض وليس كجنين دجاجة •

والاتصال الجنسي بين الذكر والانثى هو اتصال خارجي بحت يتم بواسطة التصاق مؤخرة الجسمين ببعضهما التصاقا فقط ذلك ان اكثر الطيور المذكرة لا تملك عضوا مذكرا وحتى تلك التي تملك واحدا تقوم باتصال خارجي أيضا • وينتقل السائل المذكر بهذه الطريقة الى البيضة فيلقحها •

يقوم صفار البيضة بتقديم الغذاء اللازم لحياة الجنين وكلما كبر الجنين كلما استهلك الصفار الى ان تنتهي مدخرات البيضة الغذائية تماما ويخرج الفرخ الجديد مجددا حياة آبائه واجداده •

يساعد الابوان على فقس البيوض باحتضانها لفترة معينة، ومدة الاحتضان لا تتعدى الاسبوعين في بعض الطيور الصغيرة وقد تصل الى اكثر من شهرين في بعض الطيور الكبيرة مثل العقاب •

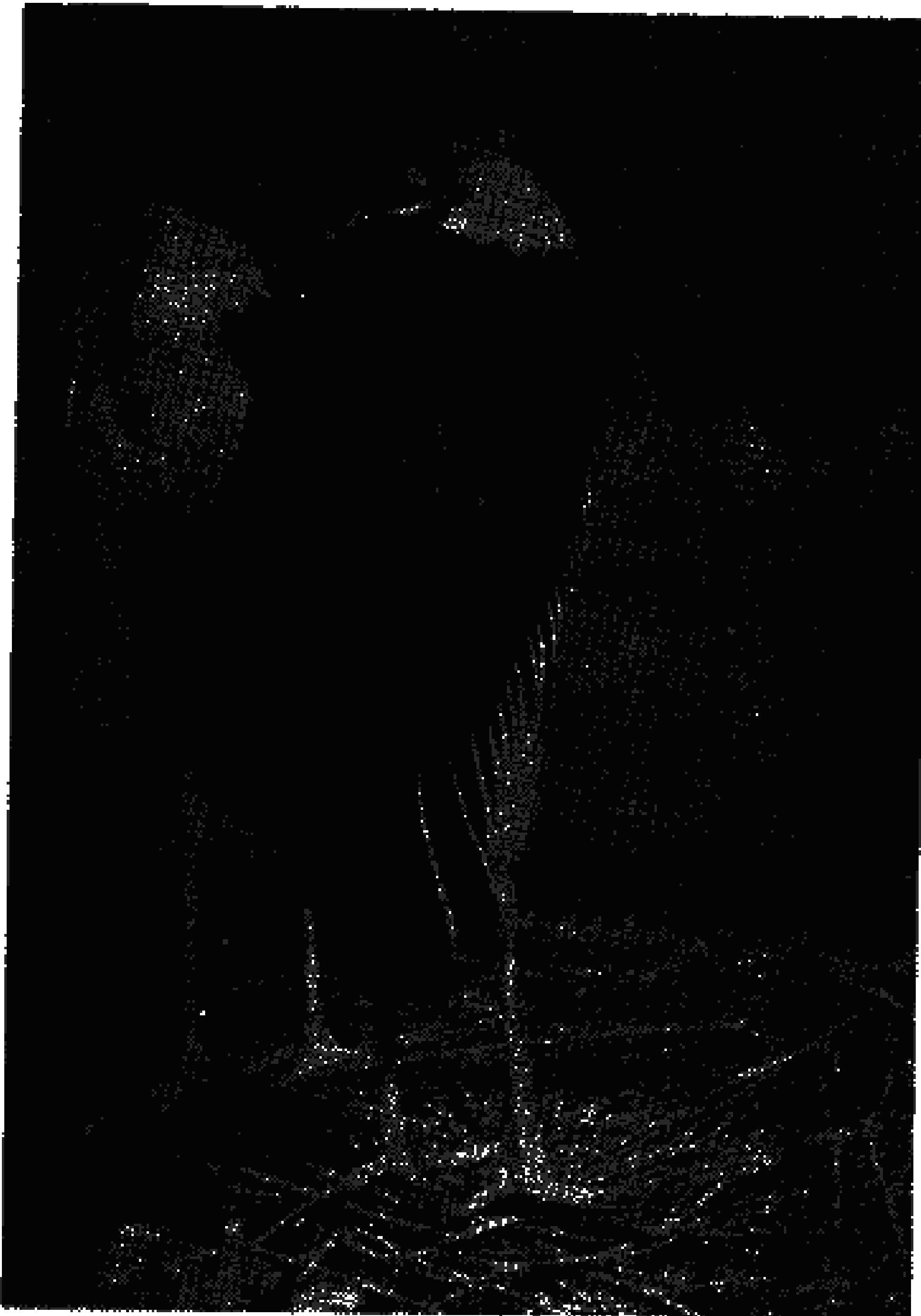
ومن طرائف العناية بالبيوض واحتضانها ان بعض انواع الطيور تتطفل على اعشاش غيرها وتضع بيوضها فيها • وهنا يأتي الطير صاحب العش فاما أن يرمي بالبيض خارجا أو انه يبني فوقه عشا جديدا يضع هو بيوضه فيه ، أو انه يقبل بالامر الواقع ويحتضن البيوض الدخيلة مع بيوضه هو •

نحن والطيور

لقد كانت الطيور دائما رمزا لبعض الجوانب النفسية والحضارية للانسان وهكذا صارت شعارات الكثير من الدول صقورا ولسورا • وسواء أحصلت الطيور على هذا المركز السامي في تفكير الانسان عن جدارة او عن مجرد كون

الفكرة شطحة صوفية في هذا التفكير يبقى هذا الامر نسبيا ومتروكا للجدل. وما يهمني الان بعض الحقائق العملية .

الطيور مصدر غذاء هام بالنسبة للانسان خصوصا تلك التي صارت تربى في دواجن لتعطي البيض واللحم . والطيور تساعد الانسان في انقاذ الكثير من محاصيله الزراعية بغذائها على الحشرات والديدان الضارة . والكثير من الطيور يتغذى على بذور الاعشاب الضارة بالمحاصيل . وهناك طيور تتغذى



طائر اللقلق : طويل المنقار وطويل العنق وطويل الساقين

على الحيوانات الضارة مثل الفئران والجرذان وما شابه ذلك • وهناك تلك الطيور التي تتغذى على الميتة من الحيوان فتنظف شواطئنا وحقولنا •

ومن جهة اخرى فهناك تلك الطيور التي تحدث الكثير من الاضرار بمصالح الانسان • فبعضها يهاجم بعض المحاصيل كالذرة وبعض الفواكه• وبعضها يهاجم الحيوانات التي يربيها الانسان كالسمك وبيوض الدجاج•

وختاما سأترك القارىء مع (الشكل رقم ٢) وفيه زوجان من طائر اللقلق في صورة التقطت في حديقة الحيوانات في لندن •

والى اللقاء مع حكاية اخرى في عدد قادم •

انكلترا رغيد النحاس

ملاحظة :

يرحب الكاتب بأسئلة القراء حول هذه السلسلة من المواضيع اذا ما وجهت الاسئلة الى العنوان التالي :

RAGHID NAHHAS,

The Department of Zoology,
The University of Hull,
Hull HU6 7 RX

ENGLAND.

حـديث

قال ابو يعقوب الخريمي : تلقاني سعيد بن وهب مع طلوع الشمس ، فقلت ، اين تريد ؟ قال : ادور لعلي اسمع حديثا حسنا • ثم تلقاني انس بن ابي شيخ ، فقلت : اين تريد ؟ قال : عندي حديث حسن ، فانا اطلب له انسانا حسن الفهم ، حسن الاستماع • قلت : حدثني به • قال : انت حسن الفهم ، سيء الاستماع • وما ارى لهذا الحديث الا اسماعيل بن غزوان •

الأدب ووحدة الثقافة العربية

بقلم: الدكتور عبدالله عبد الدائم

٢

غير أن مثل هذا الطراز من الادب المترف ما لبث حتى فقد شأنه وبطل دوره بعد تغير المجتمع العربي وتطوره ، وبعد ان اصبحت القضية الاولى في حياة العرب قضية البناء الاجتماعي وخلق الكيان العربي المستقل النامي المتحرر من اثقال اوضاعه الاجتماعية والاقتصادية السيئة ومن هنا نشأ ذلك النوع الحي من الادب ، الادب الذي يبحث عن الاصالة والجودة والابداع في اعماق حياة الجماهير العربية وفي حرارة انطلاقتها نحو بناء مجتمع جديد . بل لقد كان هذا التيار الجديد في الادب من القوة والزخم بحيث أكره الانواع الاخرى من الادب على تأثر خطاه وان لم تفلح في ذلك الا ظاهرا .

ان الثقافة العربية في العصور الحديثة التي عرفت غزو المستعمر وغزو الثقافة الدخيلة ، وعرفت الصراع بين الامة العربية وبين اعدائها واخذ فيها النضال القومي صورة النضال ضد الاستعمار والتخلف مما تقول ان الثقافة العربية ــ في العصور الحديثة لم تعد تعني ــ كما كانت من قبل ــ مجرد احياء التراث العربي وجلائه وبيان مواطن الابتكار والقوة فيه ، كما لا تعني ايضا الاستلقاء المسترخي في احضان الثقافة الاجنبية . لقد اصبح للثقافة العربية الاصيلة تعريف واحد لا ثاني له وهو انها التعبير عن واقع حياة الامة ومشكلاتها وسعيها لبناء حياتها الجديدة . ووحدة الثقافة العربية بالتالي لم

تعد تعني مجرد الانتساب الى تراث عربي قديم موحد له شأنه وقيمته دون شك ، كما لا يمكن ان تعني ارتداء ثوب الثقافة العربية ، بل اصبح قوامها ذلك الادب الذي امتد من المحيط الى الخليج يجلو حياة الشعب العربي ويعبر عن مشكلات المجتمع العربي ويرسم طريق الخلاص للامة العربية .

وتلكم هي سمات الادب الاصيل في كل عصر ومصر . انه لا يستطيع ان ينسلخ عن حرارة مشكلات مجتمعه ، ولا يستطيع ان يملك مفجرات الابداع ودوافع الخلق الادبي اذا هو لم يحي عصره ولم يعش هموم شعبه ولم يشارك في تطلعات امته وصبواتها بل اذا هو لم يتصدر المعركة ، ويرهص بما هو آت ويتحسس قبل سواه دفقة التيارات العميقة التي تثور في أعماق الامة وتحركها نحو عهد جديد ، أو ليس الاديب والفنان اصلا وجوهرا من كان أقدر على تحسس مشاعر الناس الدفينة قبل انبجاسها وعلى التعبير عن تطلعاتهم الخفية قبل ظهورها والارهاص بمستقبلهم الذي يومىء اليه حاضرهم؟ أو ليس الادب اشبه بميزان حساس يهتز للتيارات الخفية وينذر بوجودها ويخرجها من حال الوجود بالقوة الى حال الوجود بالفعل ؟ اذ كان الادب مرتبطا كما يحلو لبعضهم ان يقول ــ بعواطف الاديب الذاتية واحاسيسه الداخلية . أفيمكن الفصل ــ وعلم النفس يشهد على ما نقول بين ذات الاديب وذات المجتمع الحالة فيه ؟ أو ليست الانا الفردية والانا العليا ــ على حد تعبير أصحاب التحليل النفسي مرتبطين ارتباطا عضويا بحياة الجماعة وتربتها وثقافتها ؟ وهل هنالك عواطف واحاسيس انسانية معلقة بين السماء والارض، مفصولة عن هواء مجتمع قومي وانساني معين ؟

نقول هذا وفي ذهننا تلك النظرة التي توحد بين القومية والانسانية وترى في التربة القومية المكان الطبيعي لتفتح المشاعر الانسانية والانسان عندها لا يكون انسانا حقا ان لم يكن اولا ابن قومه وامته ، ولا يكون شيئا اذا لم يكن اولا من هو ، اي ذلك الانسان الذي اختلط وجوده بوجود امته ، وأطل

من خلال ذلك الوجود على الوجود الانساني كله. هذا هو الدرس الـــذي تعلمنا اياه الحضارة العربية وتعلمنا اياه اي حضارة . ان اي حضارة لا تعطي للانسانية اذا لم تع ذاتها وخصائصها لتسهم من خلال ذلك في العطاء الانساني .

وتحضرني بهذه المناسبة بعض اقوال الشاعر القروي . لقد عبر احسن تعبير عن هذا الالتحام بين القومية والانسانية حين بين ان الاولى طريـــق الثانية وان الحديث عن نزعة انسانية مفصولة عن الجذور القومية لا يعـــدو ان يكون ضربا من اللهو او ضربا من التضليل ، ان لم يكن تعبيرا عن خـور وضعفه . فالنزعة الانسانية المجردة الخلوة من دمها الحي ، دم القومية، بضاعة مجلوبة حاول الاستعمار ان يدسها في المجتمع العربي وفي سائر الدول الضعيفة من اجل الاستمرار في اذلالها والسيطرة عليها . وحتى شعار السلام ، وهـو شعار رفيع الشأن ، ينقلب الى ضرب من الاستسلام عندما يدين به الضعفاء من دون الاقوياء . وعندما يكون السلام الذي يفرضه الغالب على المغلـوب. يقول الشاعر القروي :

أمـــا السـلام فاننا اعداؤه حـتى يدين بحبـه أقـــوانـا

ويقول ايضا :

أتينـــاهم بانجيـل المسيـح فجـاؤونـا بآيـــات الفتـــوح

ويعبر الشاعر القروي تعبيرا بليغا عن هذا المعنى في مقدمة ديـوانـه الشعري « الاعاصير » ويذكر من يأخذ عليه غلوه في الشعر القومي انـه لا يستطيع ان يجترح المعجزات فيرى الازهار والورود في جـو يسوده أزيـز الرصاص ويعفره جو المعركة الدائرة بين الشعب العربي وبين المستعمر الدخيل.

وبعد هذا أيضا حديث ذو شجون ، ولعلكم تطمحون الى ان احدثكم عن شواهد من ذلك التيار الادبي العربي الاصيل الذي عبر عن هموم المجتمـع العربي وتطلعاته والذي عنت الحداثة والاصالة عنده العودة الى الاصـــول والينابيع ، أصول الوجود العربي في سرائه وضرائه ، في قلقه وطمأنينته ، في

كره وفره ، في نضاله الموصول من اجل بناء كيان عربي جديد بحضارة الامـة وتراثها ، قمين بحاضرها ومستقبلها .

غير ان هذا المطلب تقصر عنه مجلدات بكاملها ، ونخشى ان نحن اقتصرنا على القليل ان نغمط الموضوع حقه وان نقع في تقصير مخل . وهنالك من بينكم في الوطن العربي من هو اقدر منا على القيام بمثل هذه الدراسة الـتي نأمل ان يتوفر عليها ادباؤنا .

وحسبي أن اشير اشارات تلغرافية الى بعض مظاهر هـذا التيار أدب المقاومة ، أدب الثورة الفلسطينية ، بعض منه ، وأدب الكفاح والنضال ضـد المستعمر طرف من اطرافه ، والروايات والاقاصيص المعبرة عن اوضاع الشعب الاجتماعية القاسية او عن تطلعاته حلقة من حلقاته ، وعطاء الشعراء الملتزمين بأمتهم ، المعبر عن صبواتها ، المفصحين عن شؤونها وشجونها ، جـانب من جوانبه ، وأدب المفكرين والمنظرين لحياتنا القومية والاجتماعية وجه أصيـل له ، والادب الشعبي الذي يحكي حياة المجتمع العربي واجواءه واتراحه مظهر من مظاهره ، والادب الذي يعرف ان يستقي من تراث العرب الماضي بواعـث الحاضر وان يصل ماضي الامة بمستقبلها شكل بارز من اشكاله ...

اما الاسماء التي عبرت عن هذا الادب فكثيرة استميحكم المعـذرة ان عجزت عن تعداد بعضها في هذه الفرصة المحدودة . ولعل من الصحيح بعدذلك ان هذا النوع من الادب تيار قبل ان يكون أسماء ، ولعلنا نجده مبثوثا في نتاج واسع عريض اكثر مما نجده متحلقا حول أسماء بعينها . غير انه في هذه الاحوال كلها قائم هناك ، يزكو وينمو ويشتد عوده يوما بعد يوم . انه في آن واحد تعبير عن وحدة الثقافة العربية بمعناها الصحيح والاصيل ، وبناء لهذه الوحدة الثقافية . وهل يقوى على توحيد الثقافة العربية الا ادب يمتدح ثراءه مـن وجود الامة ومطالبها وحاجاتها ؟ وهل ثمة ما يوحد الثقافة العربية غير هـذا التيار الذي يقتحم الحلقة ويوحي بمستقبل الوجود العربي؟ ولقد شق هـذا التيار طريقه في الاقطار العربية جميعها ، وان يكن خطة من النمو يختلف مـن

قطر الى قطر ، ان سائر التيارات الادبية في نظرنا لا تستحق من المحلل لواقع الثقافة العربية ان يتوقف عندها . ان الذي يعبر عن حياة الامة الحقة دوما وابدا ليست التيارات الجانبية ، ولاالهوامش الشاذة ، ولا بقايا ومخلفات العهود الماضية ، ولا تخبطات ثقافة مغتربة ضلت وجودها واخطأت مشيتها . بل الذي يعبر حقا عن حياة الامة ووحدتها التيار الفعال المحرك الذي يشق طريقه في ثبات وقوة ، ما دام موطىء قدمه واقع مجتمعه وتطلعات شعبه وصبوة أمته .

قد يعيش الادب البعيد عن الاصالة في خزائن المكتبات ، اما الادب الذي يعيش في النفوس ، ويحفر مجراه في العقول ، ويدخل القلوب قبل الاذان، فهو الذي يعبر عن حاجة حقيقية ويجيب على تساؤلات حية ويستجيب لنداءات عميقة صادرة عن لجة الجماهير لجة الحياة .

لقد قلنا ونقول ان قوى الابداع الضخمة والحقيقة في أمتنا ثاوية في الجماهير المحرومة . وما الاشتراكية الا سبيل لتفتح قوى الابداع تلك ، عن طريق تحريرها من اغلال اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي تقتل قوى الابداع لديها في مهدها وتحول دون كامل عطائها . والادب من أبرز مظاهر الخلق والابداع ، انه ايضا هناك ، في الجماهير الواسعة العريضة ، يفترض منها الاديب الحق وحيه ورؤاه ، ويأبى الاديب الصادق ان يغترب عنها ، ولا يرضى الا ان تكون مواقعه مواقعها ومواقفه مواقفها . بل ان الاديب من خرج من صفوفها وتكون في الحياة المشتركة التي خاضها معها ثم رد اليها بضاعتها ادبا صافيا نقيا لا يصطنع بل يجود بما اخذ ، ولا ينحت من صخر بل يغرف من بحر ، ولا ينطق بلسانه بل ينطقه لسان الجماهير . والكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء .

أجل لا بد ان يكون للكلام رصيد والا كان لغوا ولهوا . ورصيد كلام الاديب معاناته لحياة الجماهير ومشاركته فيها واسهامه في تطويرها .

والادب كالنقد يعاني من التضخم شر معاناة ، ويفقد مثله قيمته عندما يجــاوز رصيـــده .

ان اقتران القول بالعمل اهم ما يميز بعض جوانب الادب العربي القديم في جاهليته واسلامه وان المعاظلة وفضول القول مما رفضه تاريخ تطور الادب العربي، ولعل من أقوى مظاهر البلاغة والبيان في الادب العربي في كثير مــن عصوره وضع القول في موضعه السليم وتعبيره الدقيق عن سلوك معين او موقف معين اذا استطعت ان تجعل كلامك مثل التوقيع فافعل : هذا شعــار من شعارات الادب العربي ..انه يوصي بالايجاز الذي يؤدي الى مطابقة اللفظ للمعنى ، والمعنى عمل وسلوك . اما الجنوح الى المعنى وتغليب الالفاظ على المعاني ، فمن سمات عصور التخلف في الحضارة العربية .

واذا كان من حق الادباء وواجبهم ان يتأسوا الماضي ، فلهــم في ادب الرسول الكريم وادب الصحابة وأدب الخلفاء الراشدين وأدب رجــــالات الدولة العربية الاسلامية من بعد ، قدوة حسنة . لقد كان أدبهم حقا تعبيــرا مقتصرا عن موقف وعن عمل . هو أدب بليغ لانه تعبير صادق دقيق عن موقف يفصح عن قيمة خلقية أو فكرية أو انسانية . وعصرنا هذا لا يقبل لغة القول. ان فيه من الاعباء الجادة والمهمات الضخمة ما ينكر فضول الكلم . ان التأثير في الاشياء وفي الواقع شعار المدنية الحديثة في شتى الميادين ، ولا بد ان يكون شعارها في الادب . الادب شكل وشكل هام من القوى المحركة للمجتمـــع الدافعة له الى أمام وأدبنا العربي أمامه من هموم امته ومشكلاتها ومطالبهـا ما يملأ وجوده ، وامامه من المشكلات الجادة ما لا يسمح له بان يتلهى بسواها. أجل ، الادب جد ، والادب يتفتح ويزكو جمالا وروعة وخلقا عندما يكون جادا. ليس الجمال نقيض الجدية في الادب بل هو خدينها ووليدها . الجمال الحــق يستقي روعته من الصدق ، الصدق مع الذات ومع الآخرين . انه جمال مشرق لانه مقتصد غير مسرف ولانه مطبوع غير مصنوع ، ولانه نزيه غير مصانع. انه نتاج طبيعي لمن رقى في معارج المشاعر الانسانية عن طريق احترامه لقيم

الانسان الحقة وعن طرق سعيه اليها وتعميق جذورها .

ونود ههنا ألا يحمل قولنا هذا على غير محمله ، وان يظن اننا نرى ان يحبس الاديب نفسه في اطار موضوعات محدودة لايتجاوزها تجنح الى الموضوعات القومية والسياسية . فما ندعو اليه في الواقع هو ان يرتبط الاديب بمجتمعه وبالانسانية من خلال مجتمعه وان يعبر تعبيرا صادقا عن هموم ذلك المجتمع وتطلعاته . وواقع المجتمع وتطلعاته ميدان رحب فسيح ، بل ميدان يمكن التنويع والتفريع فيه دون ما حد . انه يشمل المشكلات الاجتماعية وما أكثرها وما أشد تنوعها وما أوثق اتصالها بمشكلات الانسان الفردية. وانه يضم المشكلات النفسية ـ الاجتماعية ، وهي أرض خصيب للتعرض الى ما لا حد له من العواطف والمشاعر الانسانية التي تحيا وتتحرك في اطار مجتمع معين . وانه يشمل كل ما هو لصيق برسالة الانسان على الارض ونظرته الى الكون من خلال مجتمعه وامته . وغير ذلك كثير . ان تعرية بعض القيم الاجتماعية البالية مثلا لا يقل شأنا عن النضال في سبيل تطويره المجتمع وتحريره وتقدمه ، بل هو جزء من هذا النضال وان الدعوة الى تحرير المرأة من رق أثقالها الاجتماعية التي تغل عطاء نصف الامة ليس ادنى شأنا من النضال في سبيل التحرر من العبودية السياسية والعبودية الاقتصادية . وان تنمية الذوق الرفيع والاحساس الفني الرهيف جزء من العمل على اصلاح المجتمع وتقويم عوجه. غير ان الذي نؤكد عليه ان يصدر هذا كله لدى الكاتب عن شخصية متكاملة وعن نظرة فلسفية متآخذة وان يكون لكل نوع من النتاج مكانه وموقعه في صلب الحياة الاجتماعية وفي جملة المعركة القومية التي هي ـ كما قلنا ونقول ـ معركة انسانية في الوقت نفسه ويقيننا ان الاديب الذي يستقي حقا من معين انسان مجتمعه لا بد ان يلامس النضال في سبيل تطوير ذلك المجتمع في أي موضوع يطرقه ، ولا بد ان يصيب عطاؤه حوله في رصيد المسيرة القومية ولا نعني بذلك اصطناع الربط بين اي موضوع وبين حركة النضال الاجتماعي بل نعتقد ان هذا الربط لا بد ان يتحقق سهوا او عفوا

الخاطر لمن تكاملت نظرته الى مجتمعه وادرك دوره فيه واستمد امثلته وشواهده من لحمه ودمه . أو لم يتذكر عنترة حبه لعبلة وهو في وسط المعركة .

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

أو لم يجد الشاعر القروي في حبه للفتاة الانكليزية « مود » مناسبة تذكره ارتباطه بقومه .

وحقك يا مود لولا ذووك   لما فرق الحب بين العباد

الادب حياة ، والحياة كل متآخذ ، والاديب المبدع من سقى تتاجه من النظرة المتكاملة الى المجتمع والناس والكون . قد يغلب بحكم طبعه ، جانبا على جانب ، وقد يغلب هذا الجانب حينا وذلك الجانب حينا آخر ، ولكنه في هذا كله وحدة من الفكر والنظرة والشعور يرى رسالته الاجتماعية القومية الانسانية في كل شيء ويرى كل شيء في رسالته الاجتماعية القومية الانسانية. انه قد يرى في زهرة الصباح تتفتح عن أكمامها تباشير الفجر لامته ، كما قد يرى في شدو الطير حنين الشعب وأنينه :

يا نائم الطلع اشباه عواديها   نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا تقص علينا غير ان يدا   قصت جناحك جالت في حواشينا

قد تكون الامة عنده انثى وقد تكون الانثى أمة ، وقد يكون النهر الجارف فورة قومه وجيشان شعبه ، وقد يكون هديره زأرة العربي وقد ثار على المستعمر كما في قصيدة شهيرة للشاعر القروي .

ألم يقل « تولستوي » ان كل شيء متصل بكل شيء ؟ الابداع الحق هو الذي يعرف أن يلف الاشياء كلها في اطار نظرة واحدة موحدة لحمتها وسداتها انسان مجتمعه وقومه ، لا ذلك الانسان الخيالي الذي خلعت عروقه

من نبض الحياة أو تفيحت دماؤه في أسن الاغتراب عن هوائه وتربته • ليس الادب عطاء مقصد مفصولا عن الزمان والمكان وليست العاطفة الادبية احاسيس مجزأة تقيم في أطر خاوية • الادب ومجتمع زمان ومكان معين وجهان لحقيقة واحدة • وكل ما في الامر أن علينا ألا ننسى أننا نتحدث عن مجتمع مفتوح لا عن مجتمع مغلق ، عن مجتمع يجاوزذاته ويرقى بوجوده عن طريق اتصاله بعالم القيم ، ذلك العالم الذي هو دوما امامنا وليس وراءنا ، يبدو امامنا كالافق ونبدعه دوما ونجدده كما يبدعنا ويجددنا ، ونخلق من خلال هذا السعي الموصول انسانا يزداد انسانية ويرقى في معارج الانسانية الى غير حد، ان هذا التيار الادبي الذي ندعو اليه والذي ظهرت تباشيره ، حين يغرف من معين حياة الشعب في شتى أقطار البلدان العربية ، وحين يعبر عن تطلعات هذا الشعب ونضاله من اجل تجديد وجوده ، يكشف عن وحدة الثقافة العربية لدى الجماهير العريضة واقعا وتطلعا ، ويؤكد وحدة الشعب العربي في نضاله على طريق معركة المصير الواحد • غير انه فوق هذا يجلو وحدة الثقافة العربية من منظار آخر حين يكشف عن واقع هام : انه يبين كيف ان هذه الوحدة الثقافية تمتلك حقا اهم مقوم لاي وحدة ، نعني الوحدة في اطار التنوع • فالمجتمع العربي الذي يصف شؤونه وشجونه يتبدى من خلال ذلك مجتمعا يتوافر له التنوع الذي يغني وحدته ويجعلها خصيبا • والوحدة العميقة كما نعلم،سواء في الثقافة او سواها ، هي الوحدة التي تتكون من تنوع الاجواء والتجارب وانماط الحياة ، ضمن اطار واحد شامل يجمع بينها انها الوحدة من خلال التنوع ، وهو غير التعدد والانقسام بطبيعة الحال • كذلكم المجتمع العربي لمن عرف أن يجلو معالمه ويبرز قسماته : انه مجتمع يملك ارضية مشتركة من انماط الحياة والسلوك والمشاعر ، غير انها تلبس تهما لكل بيئة ، ازياء واشكالا خاصة تزيد في اغناء الكل الذي تنتسب اليه • هذا الوجود العربي المتنوع في اطار الوحدة الموحد من خلال التنوع ، هو الذي تعمل التجربة الادبية الحية على جلاء صورته وكشف ابعاده • انها تفصح ، من خلال الالتحام الحي بهذا

الوجود ، كيف تعمل صوره واشكاله متناغية متسقة في اطار اللحن الاساسي الذي يحكمها جميعا • انه يقدم عن طريق الاتصال المباشر الحي بالواقع ، الحجة الدافعة التي تدحض ادعاءات القائلين بتباين الحياة العربية وتباعدالوانها وتناقض انماطها • انه يظهر أن الحياة العربية ، لدى الافراد والجماعات ، على غنى أشكالها وألوانها تنضح بمشاعر واحدة وتعاني من مشكلات واحدةوتلتقي حول اهداف واحدة • انه يكشف عن ان وراء القشرة الظاهرة المشوهة التي ترين على الوجود العربي بحكم عوامل التخلف الطويل والاستعمار المديد،واقعا حيا متشوقا يحمل تجارب الامة العربية في الماضي والحاضر ، ويحمل تطلعها وصبوتها الى حياة جديدة والى مصير واحد •

ذلكم ان الجوهر الاصيل للامة ثاو هناك ، هناك في أعماق حياة الكثرة الكاثرة من ابنائها ، وحين يلامس الاديب المبدع تلك الاعماق ويصل الى كنهها وقوامها ، يلتقي التقاء عفويا صادقا بذلك الجوهر ، ويكشف عن اصالته ووحدته وعمقه • عند ذلك تنكشف له وحدة الهموم والمشكلات ووحدة القيم والاهداف لدى القروي في قريته ، ولدى المزارع في حقله ولدى العامل في مصنعه ، ولدى الجندي في خندقه ، ولدى الطالب في مدرسته ، ويرى كيف تفصح هذه الانماط المتنوعة من الحياة عن مشكلات‌واحدة وتومىء بحلول واحدة بل يتكشف له قبل هذا لقاء هذه الصورمن الحياةعبر الحدود والسدود في شتى انحاء الوطن العربي مشرقه ومغربه ، ضاحكة من المسافات التي تباعد بينها متحدية تلك البنى المصطنعة التي تفرض عليها الانفصام والانقسام •

أجل ان وحدة الثقافة العربية وحدة ديناميكية متحركة لا ساكنة، تتجلى قواها الدافعة المحركة وراء السطح الظاهر منها • والاديب الحق هو الذي يتصل بتلك التيارات السارية في الاعماق ، وبالمشاعر التي تعصف من داخل ، وبالومضات التي تبدد ظلمة الاقنعة الدخيلة ، ويحيا معها توفزها وتطلعها الى الانبثاق والظهور بل يستبق ذلك التطلع ويراه وهو في طريقه الى الانبعاث ويقبض عليه في حركته المبدعة المجددة •

ان حياة الشعوب لا تبنيها التراكمات السطحية والترسبات الطارئة ، بل تبنيها الحركة الداخلية الحية التي تصهرها وتصوغها صياغة جذرية شاملة وتلك الحركة الداخلية الحية ، تلك الدفقة الحيوية التي تثور في الاعماق، هي التي يقوى الاديب المبدع على الامساك بها وادراك منطلقها ووجهتها ومعناها. « اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ».

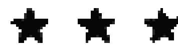
الاديب المبدع ، كأي انسان مبدع ، لا تخيفه المياه الاسنة التي تغزو وجود اي امة بل يدرك ان النهر الجارف هو الذي يشق المسيرة ويغمر الارجاء ويزيل الزيف . ان وجود هذه البراكين الداخلية المتفجرة في اعماق الحياة العربية ، انى كانت واين حلت ، حقيقة واقعة تتجاوز كل وجود ظاهري زائف، والادب الاصيل هو الادب الموصل الى الاعماق ، المدرك لحركتها ، الراصد لتيارها المرهص بفجرها . والثقافة الحقة اليوم تقوم عند نقطة التلاقي بين الابداع وبين القدرة على التحريك ، بل هي حصاد التفاعل بينهما .

اما الاديب الذي يحسب الظاهر باطنا ، والدخيل أصلا وجوهرا ، ويخال الورم شحما ولحما ، والبثور والامراض العارضة بنية مقيمة ، فهو الذي لم يستطع ان ينفذ الى حقيقة الحياة والوجود ، ورضي بان يكون ادبه صورة فوتوغرافية جامدة واي معنى للادب اذا لم يعرف النظرة الحادة النفاذة ولم يستشرف الواقع من خلال روية شاملة محيطة ، ولم يتحسس البذور النامية القوية التي تحرك مسيرته .

من هنا تلك المسألة الزائفة ، مسألة الادب ايكون للعامة أو الخاصة ، للجماهير او النخبة . فالادب جوهرا وتعريفا لا يمكن ان يكون شيئا آخر سوى أدب الجماهير منها يستقي رؤاه واليها يرد نتاجه . ولا نقصد بالادب طبعا تاريخ الادب فلهذا شأن آخر لا ننكره حين يوضع في موضعه السليم اننا نعني الادب الجديد ، الادب الخلاق ، الادب القادر على التعبير عن حياة مجتمع معين . اما الادب الماضي، فهو عند الاديب المبدع ليس مجرد ارث تاريخي جامد او مواقد انطفأت ولم تخلف سوى الرماد ، بل جمرات ما تزال مشتعلة في نفوس الناس يتوجب اذكاؤها عن طريق تجديدها . والادب القوي

لا يرفض ذلك الارث المكتسب ، ولكنه يدمجه بالتجربة الحية ويتجاوزه. والادب المكتسب عنده نقطة ارتكاز وليس عائقا ، الادب الحقيقي هو في آن واحد انفصال عن الادب المكتسب وتمثل وهضم نقدي له . وهو بهذا المعنى ثورة .

ولا يتسع المجال للحديث عما تمليه مثل هذه الثورة الثقافية في الادب من اعادة نظر جذرية في مضمون تعليم الادب في المدارس وفي طرائقه . وحسبنا ان نشير عابرين الى مطلب واحد اساسي وهو ان يكون هدف هذا التعليم تنمية روح الخلق والابداع لا روح التقليد والاتباع ، عن طريق الاتصال الحي بمحركاتها ودوافعها ، نعني حياة المجتمع العربي ، بحيث يصبح الابداع الادبي ثورة لا تقل شأنا عن الثورة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بل ان هاتين الاخيرتين لا تقومان في الواقع بدون الثورة الادبية الثقافية .



وبعد ، هل استطعت حقا ان اتحدث عن دور الادب في وحدة الثقافة العربية ؟ لعل حديثي عما ينبغي ان يكون قد غلب على حديثي عما هو كائن. وهذا في رأيي امر طبيعي فانه هدف بناء وليس اكتشافا. والثقافة العربية الموحدة هدف نبنيه وان كنا نعرف ان بذوره قائمة . نحن ندرك اوضح الادراك ان وحدة الثقافة لم تتأت لامة كما تأتت للامة العربية ، فهي هناك تجأر وتجهر بصوتها ولكن هل داخلنا الشك يوما بان اي وجود مهما يكن قويا غنيا ، في حاجة الى تعهد وتطوير وتجديد ؟ الثقافة العربية الموحدة حقيقة قائمة دون شك ، والتيار الادبي الاصيل الذي اشرنا الى معالمه آخذ طريقه الى الاكتمال والنضج ولكن هيهات ان ينسينا ذلك دورنا في اغناء هذا التيار الثقافي المجدد الموحد وفي تطويره وتعميقه . وهيهات ان ننسى ان هذا التيار الادبي الاصيل يغالب قوى دخيلة كثيرة ويشق طريقه عبر عقبات وصعاب . بل كثيرا ما يشك فيه المشككون ويغمزون من قناته .

ان لهذا الملتقى معاني كثيرة ، ولكن لعل ابرز معانيه ان يظهر للملأ زخم

هذا التيار الادبي الجاد ، وان يتعاهد مرتادوه على كل كلمة سواء بينهم : ان يناضلوا من اجل نصرة هذا الادب نتاجا وتوضيحا وشرحا وتحليلا .

مزيفو الوجود العربي في الادب ، شأنهم في السياسة ، كثيرون والمتخاذلون امام رسالة الامة العربية في شتى الميادين يفلسفون التخاذل ويبررونه . ولكن الرسالة بطولة ، والبطولة لفظا وتعريفا ما لا يأبه للصعاب .

« واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجساد »

ولم يبن الحضارة يوما مفسروا الفساد وشارحوه ومبرروه ، بل يبنيها دوما وابدا من يثبت زيفه وبطلانه بعمله وجهده وقدرته على الانفصال عنه .

وآداب الامم الحية كانت دوما السباقة الى بناء نهضتها ، وكانت المهاد الذي قامت عليه يقظة الامة وانبعاثها . ويا له من دور جليل : ان تجندالاقلام في سبيل البعث العربي المنشود في سبيل الامة العربية الواحدة ، ورسالتها الخالدة الى الانسانية ...

الدكتور عبد الله عبد الدائم

أصول نظرية الشعر عند العرب

بقلم الدكتور عناد غزوان اسماعيل

٢

ان الخط البياني التاريخي لتطور نقد الشعر عند العرب المبتديء بالنصف الاول من القرن الخامس الميلادي ــ اقدم نص شعري عربي ناضج ــ الى مطلع التاسع الميلادي ، بداية القرن الثالث الهجري ، يؤكد ان حركة الشعر العربي كانت متطورة فنيا وذات دلالة حضارية وفكرية ، بيد ان النقد الذي صاحبها كان في الاغلب الاعم ذوقيا تأثريا ثم تحول الى نقد الصياغة الشعرية والمعاني بشيء من التعليل والعمق واستقر منهجيا يدرس قضايا الشعر واللغة والادب ويحلل بعض الظواهر الفنية المتعلقة بالاسلوب الشعري ولغة القصيدة وصحة التراكيب ، في القرن الثاني الهجري ، عصر التدوين والنهضة العلمية التي شملت علوم اللغة العربية ، وكان هذا التطور من مرحلة الى اخرى ومن عصر الى آخر مرتبطا بمواقف أدبية فكرية نستطيع ان نصطلح عليها بأصول النظرية النقدية عند العرب علما ان هذه الاصول استمرت بالظهور والنمو والتطور مع مراحل تطور الفكر الادبي العربي بعد القرن الثاني الهجري ، فبرزت واضحة المعالم والسمات في القرنين الثالث والرابع الهجريين عصر الترجمة والتأليف عصر المفاخرة والاحتجاج ، عصر الترجمة والجدل الادبي ، عصر النضج الفني والتجديد في الحركات الادبية الشعرية والنثرية ، عصر الاختيار تدقيق وتحقيق النصوص الادبية عصر استقرار المنهج اللغوي والنحوي والتثبيت من الرواية والرواة فلمعت طائفة كبيرة من اعلام الادب واللغة تحلل وتعلل وتفسر كثيرا من الظواهر اللغوية والشعرية والبلاغة

كان لها الفضل في تنظير المعيار النقدي وتثبيت اصوله وان بدت تلك الاصول موزعة بين كتب الادب وآثار النقاد تتألف اصول النظرية النقدية العربية، بعد استقرائها وتأليف شتاتها من : الذوق الادبي الصافي الطبيعي الذي تجاوز في كثير من احكامه ودلالاته ، التعميمات على الرغم من وجودها فاهتم في احدى مراحله بصياغة الشعر ومعانيه وعبر عن روح عصره تعبيرا غنائيا كغنائية القصيدة العربية في عصورها الاولى وكان بذلك مظهرا واقعيا من مظاهر الحياة الادبية في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام والعصر الاموي فاكتسب الاصل الذوقي بعد ظهور الاسلام ، حسا اخلاقيا انصب اهتمامه المباشر على « المضمون الشعري للقصيدة ، فأراد لهذا المضمون ان يسمو على العصبية القبلية والاقليمية ليكون صوتا انسانيا جديدا ، يستمد مقوماته من القيم والمثل الاسلامية الجديدة ، بيد ان شدة الصراع السياسي وتوهج العصبية القبلية مرة ثانية وحركة الفتوح العربية الاسلامية قد صيرته ضربا من المثالية والطموح فلم يستطع النهوض بالحس الاخلاقي الى مستوى المعيار المنهجي في تقويم التجربة الشعرية ، وقد مرت الاشارة الى اهمية الذوق ومكانته في الدرس النقدي ٠

اما الاصل الثاني اللغوي ، القائم على دراسة التراكيب الادبية الفصيحة وفق مقياس منهجي لا يقبل مساومة ولا يؤمن بعصبية ولا يجامل في الاحكام وقد كانت بداية هذا الاصل النقدي مرتبطة بنشأة علوم اللغة في نهاية القرن الهجري ومطلع القرن الثاني وتتجلى اهمية هذا الاصل في أنه أرسى مفهوم الحجة وثبت الاعتماد على النص الاصل الفصيح فأمد النقد الادبي بأسس منهجية قائمة على الاختيار والتدقيق فقد كان النقد عند اللغويين يعتمد على المزاج والاستعداد والثقافة وكانت الخصومة في الشعر والشعراء حادة لا تكفي القول القاء بل تدعمه بالدليل ٠ ومن هنا عمق البحث في خصائص الشعراء

وعمق البحث في ضروب القول (٣٣) •

فالاصل اللغوي في النقد لا يقف عند سلامة النص الادبي من الخطأ ومطابقته الشائع المألوف من قواعد اللغة بل يحاول الكشف عن مواطن الجودة والرواة في ذلك النص (٣٤) من خلال مقاييس الخطأ والصواب التي خلقها الاستقراء وحفظتها الرواية ، بيد ان احكامه كانت تهتم بالجزئيات اي بعبارة اخرى أن النظر الى النص الشعري اسلوبا متكاملا والانتهاء من تحليله لغويا الى رأي شامل لم يكن شائعا للدرجة التي يستطيع بها «بلورة الاسلوب الشعري كلا فنيا »، بل كانت وحدة البيت وربما الكلمة المفردة هي محور النقد اللغوي وحين ظهر بعض الشعراء الموهوبين في رسم الصورة الفنية والتألق بخلقها مثل ابي تمام الذي امتاز بالتجديد في منح اللفظة القديمة دلالة تصويرية جديدة وقف النقد اللغوي منه موقف المستفز فاتهمه بالخروج على « عمود الشعر » وخاصة النقد اللغوي المحافظ في بيئة اشتد الصراع فيها بين الشعر العربي القديم والمحدث وكان للاصل اللغوي ، دوره البارز الفعال في تاريخ هذا الصراع فقد كان « استخدام الالفاظ على غير النحو المألوف وفي غير المجال الذي كانت ترد فيه » من ابرز سمات التجديد التي استفزت اللغويين ومن تبعهم من النقاد والمحافظين (٣٥)•

اهتم الاصل اللغوي بدراسة الكلمات المفردة والتعابير الادبية المستقلة، فكان الاسلوب في ضوء هذا الاهتمام شكلا واطارا يقصد به نوع الكلام ونهجه ، اما طريقة صياغة التعابير والمفردات وهي جوهر الاسلوب فلم يعبأ بها هذا الاصل كثيرا وان ظهرت في عصور متأخرة تحديدات رائعة في مجال دراسة الاسلوب الادبي ، كما هي الحال ، عند ابن خلدون الذي يرى ان الاسلوب قالب ذهني تنصب فيه التراكيب ويتلاءم مع فن القول •• ولنذكر

---

٣٣ ـ طه احمد ابراهيم ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٦٠

٣٤ ـ نعمة رحيم كريم ، النقد اللغوي عند العرب ص ١٦٧ •

٣٥ ـ النقد اللغوي عند العرب ، ص ١٠٧

هنا سلوك الاسلوب عند اهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب او ألقاب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها ويصيرها في الخيال والقالب او المنوال (٣٦) يؤكد ابن خلدون في هذا النص ، على الصلة الوثيقة بين التفكير والتعبير (٣٧) باعتبار ان الاسلوب صورة ذهنية يخرجها الخيال كالقالب او المنوال والشاعر المجيد هو الذي يحسن اختيار الفاظه وتراكيبه فيتقن نسجها ويبدع في تأليفها من خلال تجربة واعية فيفضي عليها من ملامح شخصيته ووجدانه بعض سماته حيث يولد فنه الشعري المعبر عن خصوصية صاحبه .

وان الاصل اللغوي لا يقف عند حدود دراسة التركيب الشعري من حيث الصواب والخطأ بل تعدى ذلك الى دراسة واقعه التاريخي بحثا عن الفصيح وتوضيحا لعلة ، فكانت دراسة البيئات العربية بشعرها ومواقعها مدعاة لتعليل بعض الظواهر الشعرية وخاصة نقاء لغة التعبير او فسادها بيد ان هذا الاهتمام المتصل بالمشاهدة والفكر والتعليل لم يعترض لجودة الشعر او رداءته . والبحث في البيئات اللغوية والمفاضلة بينها لا يخلو في بعض الاحيان ، من بعد سياسي مرتبط بالعصبية القبلية نتيجة للتوزيع الجغرافي للقبائل العربية التي تعد فصيحة وحجة في لغتها يستشهد باقوالها في المناقشات والمجالس الادبية .

---

٣٦ ـ ابن خلدون ، المقدمة ، دار احياء التراث العربي بيروت (بدون تاريخ الطبع) ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

٣٧ ـ علي ابو ملحم ، في الاسلوب الادبي ، بيروت ١٩٦٨ ، ص١٠،١١، ١٢ .

بعد تحقيق النص الشعري والتثبيت من صحة نسبته ، الاصل الثالث في النظرية فتحقيق النصوص من خلال منهج موضوعي قائم على الاختيار والفحص والموازنة عنصر بارز وفعال في العملية النقدية واسسها المتينة (٣٨) وهو عمل نقدي صعب يحتاج الى قدرة ومهارة فائقتين بطبيعة العمل الشعري لغة واسلوبا وانتماء تاريخيا بالاضافة الى الدربة والممارسة والخبرة بعناصر ذلك العمل وقد وفق فـ•ب ولسن في تحديد اهمية وخصائص المحقق العليمة بقبوله • فالمحقق المثالي متمرس بالمصادر وناقد ومؤرخ وعالم اثار وخبير خطوط ولغوي ومتفلسف (٣٩)•

وهنا يبرز اسم محمد بن سلام الجمحي المتوفي ٢٣١ او ٢٣٢ هـ• فهو في كتابه طبقات الشعراء رائد في هذا الاختصاص النقدي الدقيق تحقيق النصوص ـ فقد كان ابن سلام الواسطة لتزويد دارسي تاريخ النظرية النقدية عند العرب بمادة قيمة وذلك بما نقل من اراء الاخرين واخبارهم • وبما حفظ من مظاهر جدهم وجدلهم ان هذه الاراء لتعكس لونا من حضارة العرب ، وتدل على استقرار في الفكر الادبي وتشير الى ان النقاد بدأوا يدينون النظر ويسسون قضايا واسعة تنطوي على عناصر انسانية يمكن ان تلتقي اطراف منها مع مآ وصل اليه مفكرون في جوانب اخرى من العالم (٤٠) •

وابن سلام في بحثه لكثير من القضايا الادبية كان يصدر عن حس عالم متأثر بروح عصره في الاستيعاب والشرح والتحليل وذكر الاسباب والمسببات (٤١)•

يقوم تحقيق النصوص عند ابن سلام على مجموعة امور منهآ : اجماع

٣٨ ـ د• محمد مندور ، النقد المهجري ، ص١٧ •

٣٩ ـ ديفيد ديتش ، مناهج النقد الادبي بين النظرية والتطبيق ، ترجمة : الدكتور محمد يوسف نجم ، مراجعة : د• احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٧ ص ٥١٦ نقلا عن :

٤٠ ـ د• علي جواد الطاهر ، محمد بن سلام وكتابة ((طبقات الشعراء)) (مسودة) كتبت مقدمة هذا الكتاب سنة ١٩٦٤ ، ص ١٧٠ • وانظر ايضا : د• احسان عباس ، تاريخ النقد عند العرب ، ص٧٢ ، و د• محمد زغلول سلام تاريخ النقد العربي ، ج ١ ص ٩٩،٧٠١،٧٠١

٤١ ـ طه احمدابراهيم ، تاريخ النقد الادبي لسند العرب ، ص ٧٦•

وثقافته العنيفة وذوقه الادبي الرفيع فهو حين ينبه الى الشعر المفتعل الموضوع أهل العلم ، والرواية الصحيحة والاخذ عن اهل البادية بالاضافة الى خبرتـه بقوله : وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه • ولا حجة في عربيته ولا ادب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائـع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف • وقد تداوله قوم من كتاب الى كتب ، لم يأخذوه عن اهل البادية ولم يعرضوه علم العلماء وليـس لاحد اذا جمع اهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه ان يقبـل من صحيفة ولا يروى عن صحفي وقد اختلفت العلماء في بعض الشعر كمـا اختلفت في بعض الاشياء اما ما اتفقوا عليه فليس لاحد ان يخرج منـه (٤٢) انما يؤكد على هذه الاسس التي يراها تؤلف روح المنهج العلمي الذي يقيس في ضوئه اصالة النص فيقبله او ضعف سند النص وافتعاله فيرفضه لذلـك تراه جريئا وصريحا في شكه العلمي لبعض النصوص مشيرا في مواطن كثيرة من كتابه الرائد الى قضية الوضع والنحل في الشعر العربي القديم منها قوله: فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها ومآثرها استقل بعض العشـائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلت وقائعهم وارادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والاشعر فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كـانت الرواة بعد ، فزادوا في الاشعار التي قيلت وليست بشكل على اهل العلم زيـادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وانما عضل بهم ان يقول الرجل من اهل بادية من ولد الشعراء او الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعـض الاشكال (٤٣) مؤكدا بذلك ان العلماء بالشعر من اهل الثقافة والفراسـة والتجربة يستطيعون تحقيق النص والتميز بين الموضوع المفتعل والاصيـل الجيد فكذلك الشعر يعرفه اهل العلم به (٤٤) وقد يصرح بحرية العالم الواثق من منهجه باسم القبيلة التي تضع الاشعار من ذلك ذكره لحسان بن ثابت حين

٤٢ ـ الطبقات ، ص ٦٠٥
٤٣ ـ الطبقات ، ص ٣٩ ، ٤٠
٤٤ ـ الطبقات ، ص ٨

عده أشعر شعراء المدينة ونوه بكثرة شعره وجودته فقال .. وقد حمل عليه ما لم يحمل على احد . لما تعاضهت قريش واستتبت وضعوا (٤٥) .

اشتد الصراع بين الشعر العربي القديم والمحدث منذ مطلع القرن الثالث الهجري ، على الرغم من ان جذور هذا الصراع كانت موجودة في الادب العربي قبل هذا التاريخ ، نتيجة للتطور الحضاري الذي اثر في بنية القصيدة شكلا ومضمونا زد على ذلك تطور ونشاط حركة التجديد التي كانت على النقيض من اتجاه المحاماة والتقليد لا شك ان مفهوم الصراع الادبي لا يمكن ان يدرس في ضوئه نتائجه ومسبباته بمعزل عن حركة تطور المجتمع العربي وما صاحب ذلك التطور من صراع طبقات واحداث ادبية وفكرية مهمة . وهنا يبرز الاصل الرابع في تاريخ النظرية النقدية العربية وهو ما يمكن ان نصطلح عليه بأصل العدالة الاجتماعية القائمة على اتخاذ موقف صريح من الشعر الجيد العدالة الاجتماعية التي لا تفرق بين الشعراء على اساس من التعصب القديم ـ لانه قديم ـ وتتجاهل التجارب الشعرية الناتجة الجديدة في اشكال وصور ـ المعبرة عن روح عصرها لانها جديدة او محدثة طالما ان الجودة الفنية هي المقياس النقدي ومعيار المفاضلة بين الشعراء دونما اهتمام بأي اعتبار زمني او مكاني.

ارتبط هذا الاصل بابن قتيبة (المتوفي سنة ٢٧٦ هـ) حين وضع ابعاده في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » وهي مقدمة تصلح ان تكون بحثا نقديا ذا قيمة تاريخية نظرا لما تضمنه من قضايا مهمة كانت شائعة قبل عصر ابن قتيبة او متعاصرة معه . يرى ابن قتيبة ان التقليد في الاحكام الادبية والتعصب الاعمى القديم والتعصب غير المبرء ـ والمسبب لا يخدم قضية ولا يقوى على بناء القديم والمحدث . فيقول : ولم اسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له ، سبيل من قلد ـ او استحسن باستحسان غيره . ولا نظرت الى المتقدم

---

٤٥ ـ الطبقات ، ص ١٧٩ .

بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، واعطيت ملاحظة ووفرت عليه حقه (٤٦) قد تكون هذه الثورة على المقلدين ومن انصار القديم واعتماده على رأيه المستقل ثورة صادرة عن نظر فلسفي اكثر من صدورها عن حكم استقراره من طبيعة الشعر القديم والحديث ونسبة الجودة في كل منهما او قربهما من مثل اعلى في الشعر (٤٧).

في حين ان ابن قتيبة قد اهتم اهتماما واضحا بمبدأ الجودة الفنية حتى صار عنده ما يشبه المعيار النقدي في العدالة الاجتماعية بين الشعراء والقدامى والمحدثين من ذلك .

قوله فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه او انه رأى قائله (٤٧).

فهذه المقابلة والمطابقة « يستجيد » ويرذل « الشعر السخيف » والشعر الرصين لتقدم قائله « ورأى قائله » توضح حقا طبيعة واسس مبدأ العدالة الاجتماعية في بناء الحكم النقدي عند ابن قتيبة .

الانصاف الادبي والعدالة الاجتماعية في المفاضلة بين الشعراء قائمة على الجودة الشعرية من حيث الصياغة وحسن التأليف .. ولا احب احدا من اهل التميز والنظر ، نظر بعين العدل وترك طريق التقليد يستطيع ان يقدم احدا من المتقدمين الكثيرين على احد الا بان يرى الجيد في شعره اكثر من الجيد

---

٤٦ ـ الشعر والشعراء ، ص ١٠

٤٧ ـ د. محمد مندور ، المصدر السابق ، ص ٢٠، ٢٨ . وانظر : د. طه احمد ابراهيم، ص ١٢٤، ١٢٥ .

و د. احسان عباس ، ص ١٠٦ ، ١٠٧

ود. محمد زغلول سلام ، ص ١١١ ،١١٢ ، ١١٣ .

ود. محمد زكي العشماوي ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

٤٨ ـ الشعر والشعراء ص ١٠

في شعر غيره • ولله در القائل : اشعر الناس من انت في شعره حتى تفرغ منه (٤٩)•

يعلل ابن قتيبة انطلاقا ، من ايمانه بمبدأ العدالة والانصاف ، ظاهرة الصراع بين القديم والمحدث تعليلا علميا صائبا حين يربط مفهوم القدم والحداثة بالعصر والزمان اي ان العمل الفني حين يولد اول مرة فهو جديد عصره فاذا أثبت اصالته وجودته صار انموذجا ومثالا يحتذى ويقلد فيكتسب بذلك ديمومة البقاء ويؤثر في غيره فيصير قديما حين يولد جديد اخر ينافسه في الاصالة والجودة ليتحول هو الاخر الى كونه اثرا قديما اي ان التقليد الشعري يخلق تجديدا شعريا حسب متطلبات روح العصر والتطور الحضاري والفكري ثم يصير التجديد محاكاة • العمر في ظرف معين وحالة نفسية واجتماعية خاصة وضرورة حضارية ملحة ، تحليق الجديد ويثور على القديم وما ان يستقر الجديد بأصوله وخصائصه تبدأ ضرورة اخرى في الخروج عليه نحو جديد اخر وهكذا تنشأ الحركة في فهم تطور الحركات الشعرية حيث ترتبط بروح العصر والصراع الاجتماعي وقد وضح ابن قتيبة جانبا من هذه الظاهرة بقوله : ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجية في اوله • فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا الحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم ، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا والخريمي والعتابي والحسن بن هاني واشباههم فكل من أتى بحسن من قول او فعل ذكرناه له واثنينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله او فاعله او حداثة سنه كما ان الرديء اذا ورد علينا للمتقدم او الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه (٥٠) •

٤٩ ـ الشعر والشعراء ، ص ٢٦
٥٠ ـ الشعر والشعراء ، ص ١٠ ، ١١

لا شك ان الخروج على بعض قواعد الفن الشعري ، بتبرير وتعليل ، لا يعني خروجا على الفن الشعري ذاته كما ان حرص الناقد على تقويم الجديد جودة اورداءة يجب الا يفقده على تقويم القديم ايضا تلك السمة المتميزة لاصل العدالة الاجتماعية في المفاضلة والموازنة واتخاذ المواقف الادبية بين الشعراء القدامى والمحدثين .

الموازنة القائمة على التحليل والتعليل والتزام الروية والاناة والـذوق الادبي الرفيع والموهبة الناقدة ، وتحقيق النصوص والقدرة على اتخاذ الموقف هي الاصل الخامس من اصول النظرية النقدية . فهي مصطلح نقدي جديد دخل لغة النقد الادبي العربي في القرن الرابع الهجري وكان حقا نواة النقـد التحليلي او التطبيقي في الشعر العربي وصاحب هـذه المـوازنة هو الآمدي (المتوفي سنة ٣٧٠ هـ) حين ألفها ليوازن بين شاعرين محدثين كبيرين همـا : ابو تمام والبحتري ، ليصل الى تحديد موقعها الشعري من حيث الصياغـة، الاسلوب ، اللغة ، الاداء الفني الجودة الرداءة . التعبير الشعري (الصورة) والسرقة « فالموازنة المعللة هي الطريقة التي يثبت بها المرء انه قد اصبح ناقدا فليكن الامدى ذلك الناقد .. ليثبت ان ناقدا من طرازه يقف في مستـوى العلماء القدامى ان لم يكن بقدرته على التعليل والتحليل اوضح مقاما(٥١).

تبدأ الموازنة بمقدمة يسلط الامدي الضوء فيها على حقيقة منهجه وطبيعته التعليلية والتحليلية فيقول : فاما انا فلست افصح بتفضيل احدهما على الاخر ولكني أقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية وبين معنى ومعنى ثم اقول : ايهما اشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى ؟ ثم احكم انت حينئذ ان شئت على جملة ما لكل واحد منهمـا اذا أحطت علما بالجيد والرديء ثم يضيف الى هذا القول بعد ان يكرره في تمهيده لباب السرقات ، بعبارة جديدة وهي ... فان محاسنها تظهر في تضاعيف

٥١ ـ د. احسان عباس ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

ذلك وتكشف (٥٣) يعني ان الموازنة بالمعنى الذي حددها هي المعيار النقدي الذي يكشف موقع الشاعرين فنيا فهو ناقد حذر ومتأن في اصدار الحكم ، فلا يريد ان يخضع نفسه لثأرية عابرة او يلزم نفسه برأي سابق قد يضطره الى اتخاذ الموقف التوفيقي او التبريري على حساب اضطهاد النص الشعري واخضاعه لرأيه السابق قبل التحليل وادامة النظر والتأمل العميق فيقول: ولست احب أن اطلق القول بأيهما اشعر عندي لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر ولا ارى لاحد ان يفعل ذلك فيستهدف لذم احد الفريقين (٥٤) فتبدأ الموازنة عنده بذكر احتجاج الخصمين حيث يسجل بامانة وصدق حجج انصار كل شاعر واسباب تفضيلهم له ثم يأخذ في دراسة السرقات عند كل من ابي تمام والبحتري ثم يعرض اخطاء وعيوب الشاعرين.

واخيرا ينتهي الى الموازنة التفصيلية بين ما قاله كل منهما في كل معنى من معاني الشعر .

فالموازنة تكشف لنا الامدي ناقدا منهجيا ذا روح ناضجة ، حذرة ، يقظة ، بعيدة عن التحيز . وحين يقارن بين الشاعرين ، لا يفصح تفضيل أحدهما على الاخر تفضيلا مطلقا كما مر بنا ذلك ، ولكنه يترك الحكم الكلي للقارىء ، وهذا بلا ريب منهج رجل يرى المذاهب المختلفة ويقبلها ويسجلها، ثم منهج ناقد دقيق يرفض كل تعميم مخل وتعصر احكامه على ما يعرض له من تفاصيل (٥٥) فأصل الموازنة هنا لا يعني دراسة الكتاب ، دراسة مفصلة ، او الاهتمام بالنتائج التي توصل اليها الامدي من خلال مناقشاته لكثير من القضايا النقدية وهو يوازن بين أبي تمام والبحتري ، بل ان المنهج النقدي الذي اعتمد عليه الامدي في تعليله وتحليله واحتجاجه وقدرته الفائقة على

---

٥٢ ـ الامدي : الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ ، جـ١ ، ص ٧

٥٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٤

٥٤ ـ الموازنة ، ص ٦

٥٥ ـ د. محمد مندور ، المصدر السابق ص ٩٤ ، ٩٥ .

استيعاب النص هو الذي يؤلف روح هذا الاصل النقدي اذ يعد صورة جديدة من صور النقد العربي ومدخلا رائدا في النقد التحليلي او التطبيقي.

يعد صاحب «الموازنة» مصطلحات نقدية في القرن الرابع الهجري ـ مصطلح «الوساطة» الذي استحدثه القاضي الجرجاني (المتوفى سنة ٣٦٦هـ او سنة ٣٩٦هـ) عنوانا لكتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه» فتكون الوساطة عندئذ جزءا من الاصل الخامس من اصول النظرية النقدية . يقوم منهج «الوساطة» على مبدأ المقايسة ، فالناقد الذي يتحرى الانصاف قبل ان يفرد عيوب شاعر او حسناته بالتمييز عليه ان يقيسه على ما كان في تاريخ الشعر والشعراء ، فلا يستهجن خطأه في اللفظ لانه قلما تجد شاعرا سلم من هذا الخطأ ، ولا يستنكر خطأه في المعنى فكم عدد العلماء من صنوف هذا الخطأ في شعر الاقدمين (٥٦) والمقايسة في الوساطة تعني عند مندور «قياس الاشباه والنظائر» (٥٧) وبالاضافة الى المقايسة فقد امتازت «الوساطة» بروح التعبير والتعليل والعدالة بالحكم ، العدالة الادبية القائمة على المحبة والدليل من ذلك قول الجرجاني : ... وتجعل الاقرار بالحق عليك شاهدا لك اذا انكرت ، وتقيم الاستسلام للحجة ـ اذا قامت ـ محتجا عنك اذا خالفت، فانه لا حال اشد استعطافا للقلوب المنحرفة ، واكثر استمالة للنفوس المشمئزة، من توقفك عند الشبهة اذا عرضت ، واسترسالك للحجة اذا قهرت ، والحكم على نفسك اذا تحققت الدعوى عليها (٥٧) يحاول الجرجاني من هذا المنطق

---

٥٦ ـ د. احسان عباس ، المصدر السابق ، ص ٢١٧.

٥٧ ـ د. محمد مندور ، المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

وانظر ايضا : د. عبده قلقيله ، القاضي الجرجاني والنقد الادبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ص ٢٣١ ـ ٢٥٩ .

اضاف المؤلف مصطلح « المقاصة » ويعني بها ان نأخذ من حسنات الشاعر بمقدار سيئاته عن كل سيئة حسنة ، فاذا وجدنا له من حسناته النسبة الكافية لتغطية سيئاته حكمنا له والا حكمنا عليه » ص ٢٣٩ .

٥٨ ـ القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح ، محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط٣ ، القاهرة (بلا تاريخ طبع) ص٢ ، ٣ .

الادبي للمتنبي الوصول الى الظاهرة الشعرية التي احتدم النقاش والجدل في تقريظها او الحط منها(٥٩) فيسلك في ذلك سلوك الناقد المنهجي الهادئ الموضوعي ولعل اختصاصه بالقضاء قد اكسبه دقة اختبار البينة والحجة وامتحان الدليل انصاف الحقيقة الادبية وتحقيق رأي نقدي منصف منهجي قد يكون موقفا قبل اصدار الحكم النهائي فلا يتعصب لقديم ولا يجحد جودة المحدث فهو يرى ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من اسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز،وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان. ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والاعرابي والمولد ! (٦٠) ويبدو ان الجرجاني متأثر بموقف ابن قتيبة من قضية الصراع والمفاضلة بين القديم والمحدث ، بيد ان منهجه النقدي اكثر وضوحا ودلالة من مسابقة وهذا ربما يفسر تأثير التطور الحضاري الذي شهده القرن الرابع الهجري في الفكر الادبي والفكر النقدي خاصة ، بالاضافة الى ان الشاعر ـ موضوع الوساطة ـ هو المتنبي الظاهرة وليس شاعرا من الشعراء المغمورين .

فالموازنة و «الوساطة » منهجان نقديان ليس كتابين في النقد ، هما روح النقد التحليلي الذي يمثله الاصل الخامس في النظرية النقدية .

أما الاصل السادس فينطلق من تحديد عبد القاهر الجرجاني (المتوفي سنة ٤٧١ م) لماهية اللفظ في علاقاته الجزئية والكلية بالمعنى وهو ما اصطلح عليه في الدرس النقدي « بنظرية النظم » وتعد هذه النظرية رد فعل او ثورة على اصحاب البديع او اصحاب نظرية اللفظ التي سادت ميدان النقد والبلاغة تقريبا في القرن الرابع . ثم بلغت غايتها عند ابن سنان الخفاجي في « سـر

---

٥٩ ـ الوساطة ص ٣ ، ٤
٦٠ ـ الوساطة ص ١٥ ، ١٦

الفصاحة » والذي اراد ان يستغل بلاغة أرسطو في تأييد اراء اصحاب البديع (٦١)٠

قضى عبد القاهر الجرجاني في نظريته هذه على الثنائية بين اللفظ والمعنى في مجال المفاضلة بينهما فقاوم تيار اللفظية اشد مقاومة وقال ان الالفاظ خدم المعاني (٦٢) واهتدى الى ان الذي يحدد قيمة الكلمة المفردة ، والذي يحكم عليها بالصلاح او الفساد ، بالجودة او الرداءة هو السياق الذي وردت فيه ، لانه المجال الوحيد الذي يمكن للفظة ان تتحرك فيه وتعمل (٦٣) وهو بذلك يجعل اللفظة ، كمظهر حي مادي تتحرك ضمن اطار المعنى ، المظهر التجريدي للتعبير ، وعندئذ تؤدي وظيفة فنية ، هي كل متكامل تخلقه لغة التعبير • فاللفظ المفرد لا قيمة له ولا يكتسب معنى الا اذا أدى وظيفة في سياق ما « فالالفاظ تستمد دلالاتها من عاقاتها بالكلمات السابقة او اللاحقة بها » (٦٤) •

فالالفاظ المفردة لا يقع بينها تفاضل من حيث هي ألفاظ مفردة وانما تتفاضل بعد ان تتآلف في عبارة ، وتتآخى في تركيب • واما قبل ذلك فلا تتفاضل الا ان يقال « هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية ، وان تكون حروف هذه أخف وامتزاجها احسن » (٦٥) وبذلك فان الصورة الشعرية

---

٦١ ـ د. محمد زغلول سلام ، المصدر السابق ، ج٢ • ص ٢١٥ و د. احسان عباس ، المصدر السابق ص ٤٢٢

٦٢ ـ د. محمد مندور ، المصدر السابق ، ص٤٢٥ نقلا عن « اسرار البلاغة ، ص٥ »

٦٣ ـ د. محمد زكي العشماوي، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ وانظر دلائل الاعجاز ـ ص ٤١٥ ، ٤١٦ •

وانظر ايضا د. احمد احمد بدوي عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية ، اعلام العرب (٨) المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة (بلا تاريخ طبع) ص ١٠١ ، ١٠٢ •

ود. محمد مندور ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦.

٦٤ ـ د. محمد زكي العشماوي ، المصدر السابق ص ٢٠٥

ود. احمد احمد بدوي المصدر السابق ص ١٠٤ ، ٢٥٦ و ٢٥٧ •

٦٥ ـ النقد اللغوي عند العرب ، ص ١٥٢ • دلائل الاعجاز ، ص٣٦.

وانظر : د. محمد مندور ، المصدر السابق ص ٢٢٦ و ٢٢٧ •

عند عبد القاهر الجرجاني ليست مجموعة ألفاظ منفصلة او مستقلة عن غيرها ولا مجموعة معان مجردة تجريدا فلسفيا ، بل هي ـ اي الصورة ـ اتحاد فني تام بين اللفظ والمعنى ، يخلقه السياق والانسجام اذ يمنحه عندئذ القدرة على الحركة والعمل • لا قيمة للفظ بلا معنى ، من خلال السياق والعلاقات الجزئية والكلية ، ولا وجود لمعنى بلا لفظ يجسد دلالته من السياق ذاته •

فعبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم يعد من رواد النقاد المنظرين للغة الخلق الفني في الشعر وهي من الدراسات الحديثة في النقد الادبي العالمي وخاصة في البحث عن الجوانب الرمزية والانفعالية في اللغة وهي الجوانب التي تصنع الصورة في العمل الادبي• فمنهج عبد القاهر هو المنهج المعتبر اليوم في العالم الغربي ولقد جددت الانسانية ومعرفتها بتراثها الروحي منه أن اخذت به في اوائل القرن التاسع عشر • والمنهج اللغوي ـ الفيولوجي ـ هو أكثر المناهج خصبا لا في الادب فحسب بل في كافة العلوم التاريخية(٦٦)•

ان نظرية النظم القائمة على الروابط بين الاشياء وعلاقاتها اللغوية حتى قررت ان اللغة ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات ، كانت قد تجاوزت « اللفظية » بمعناها البديعي ، او الاهتمام بالالفاظ من حيث هي اصوات مسموعة كما يظهر ذلك بوضوح في كتاب « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجي (المتوفي سنة ٤٤٦هـ) فقد بحث ابن سنان في الاصوات عامة وفي فلسفتها وخصائصها ثم المقارنة بينها وبين الالوان (٦٧)•

فالكلمات او الالفاظ عنده اصوات مسموعة ، قائمة على مخارج الحروف وتقاربها • وكان اهتمامه منصبا على تحديد معايير الحسن والجمال باللفظ المفرد وبيان ما يمكن ان يكون فيه من تلاؤم او انسجام صوتي ••• ولم تكن

---

٦٦ ـ د• محمد مندور ، المصدر السابق ، ص ٣٢٦ •
وانظر : د• محمد زكي العشماوي ، المصدر السابق ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ •
٦٧ ـ د• محمد زغلول سلام ، المصدر السابق ج٢ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ •

لديه القدرة على تتبع الخصائص التي تنشأ من تقابل الكلمات وتداخلها • او ما عساه ان يترتب من علاقات صوتية او نغم او ايقاع ، كما لم يبحث في علاقات الصوت بالمعنى (٦٨) اي ان ابن سنان لم يطور الدراسة الصوتية وجرس الالفاظ الى دراسة وظيفة الكلمة في الاداء الفني او التعبير الادبي فقد اهمل العلاقات الايجابية بين اصوات اللغة ومعانيها وبين الصوت والانفعال (٦٩)• ولو قدر له ان يفعل ذلك لعد رائدا في هذا الميدان النقدي الذي تزخر به الدراسات النقدية العالمية المعاصرة فهو « عالم يحكم عقله ، وليس ناقدا يحكم ذوقه وخبرته بالنصوص وتلمسه لاسرار الجمال فيها (٧٠) وان صار كتابه بعدئذ الاساس العلمي لاتجاه اصحاب البديع ، في حين تبرز عبقرية عبد القاهر الجرجاني في منحه اللغوي العميق ، المتمثل باهتمامه بالتركيب الادبي ، من خلال ربط الكلمة بغيرها ومنحها وظيفة فنية تتحرك فيها بحرية وعفوية •

تجتمع هذه الاصول الستة : الذوق الادبي الصافي ، التحليل اللغوي، تحقيق النصوص ، العدالة الاجتماعية القائمة على الجودة الفنية ، الموازنة المعللة والوساطة المقايسة واخيرا نظرية النظام ، فتخلق النظرية النقدية عند العرب وهي تراث علمي جليل الشأن لا يخلو من احساس عميق بالحداثة والمعاصرة ، يجدر بنا ان نقف عنده دراسة وتحليلا وموازنة وتقديرا • وقد أحسن الدكتور محمد مندور بهذا الخصوص ، حين قال : انه لتراث عظيم ان نمتلك في النقد الادبي المنهجي كتابين كالموازنة والوساطة وفي المنهج اللغوي كتابا كالدلائل نجد فيه أدق نقد موضوعي تطبيقي وأعمقه (٧١)•

---

٦٨ ـ د. محمد زكي العشماوي ، المصدر السابق ص ٢٩٥

٦٩ ـ د. محمد زكي العشماوي ، المصدر السابق ص ٣٠٠

٧٠ ـ د. محمد زغلول سلام ، المصدر السابق ج٢ ، ص ٢٦٣•

٧١ ـ النقد المنهجي عند العرب ، ص ٣٣١

مصادر البحث :

١ ـ البيان والتبيين ، الجاحظ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٦٠ .

٢ ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب ، طه احمد ابراهيم ، دار الحكمة، بيروت (بدون تاريخ طبع).

٣ ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب ، د. احسان عباس ، ط١، بيروت ١٩٧١ .

٤ ـ تاريخ النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام ، ج١ ،ج٢ ، دار المعارف بمصر (بدون تاريخ طبع).

٥ ـ الحيوان، الجاحظ ، رحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارو ، القاهرة ١٩٣٨ (ج٣) ط١ .

٦ ـ دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، القاهرة ١٣٣١هـ .

٧ ـ زهر الاداب ، ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط١ ، القاهرة ١٩٥٣ .

٨ ـ شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة السكري ، القاهرة ١٩٦٥ .

٩ ـ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، دارالثقاف ، بيروت ١٩٦٤ .

١٠ ـ الرقمر وتجربة الشعر ، د. عبد الجبار المطلبي ، مستل من مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد، العدد السادس عشر مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧٣ .

١١ ـ طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، شرح محمود محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢ .

١٢ ـ عبد القادر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية ، د. احمد احمد بدوي ، الدار المصرية للتاليف والترجمة اعلام العرب ، ٨، ط٢، بلا تاريخ طبع .

١٣ ـ في الاسلوب الادبي ، علي ابو ملحم ، بيروت ١٩٦٨

١٤ ـ في تاريخ النقد والمذاهب الادبية ، د. طه الحاجري ، الاسكندرية ١٩٥٣ .

١٥ ـ القاضي الجرجاني والنقد الادبي، د. عبده قلغيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

١٦ ـ قضايا النقد الادبي والبلاغة ، د. محمد زكي العشماوي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٦٧.

١٧ ـ اللغة الشاعرة ، عباس محمود العقاد ، القاهرة ١٩٦٠.

١٨ ـ محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء، د. علي جواد الطاهر، مسودة كتبت المقدمة في اواخر سنة ١٩٦٤ ، بغداد .

١٩ ـ مصطلحات نقدية ، اصولها وتطورها الى نهاية القرن السابع للهجرة (رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الاداب) ١٩٧٤ ، خير الله علي السعداني.

٢٠ ـ المصون في الادب ، ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، الكويت ، ١٩٦٠.

٢١ ـ المقدمة ، ابن خلدون ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت (بلا تاريخ طبع) .

٢٢ ـ مناهج النقد الادبي بين النظرية والتطبيق ، ديفيد ديتشس ، ترجمة د. محمد يوسف نجم ، مراجعة د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٧

٢٣ ـ الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ .

٢٤ ـ الموشح ، المرزباني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥.

٢٥ ـ موقف القرآن الكريم من الشعر العربي ، د. عناد غزوان اسماعيل، مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٦٠.

٢٦ ـ نظرية الادب ، اوستن وارن ، ورينيه ويليك ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة : د. حسام الخطيب ، دمشق ١٩٧٢.

٢٧ ـ النقد اللغوي عند العرب ، نعمة رحيم كريم (رسالة دكتوراه كلية الاداب ، جامعة بغداد) شباط ١٩٧٧.

٢٨ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح : محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط٣ ، القاهرة (بلا تاريخ طبع).

د. عناد غزوان اسماعيل

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

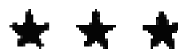
الجـلاء في الشعر العربي السوري

بقلم: عيسى فتوح

« يوم أغر مشهر سيظل انشودة في فم الزمان ، وبسمة في ثغر الصباح. يوم ألهم الشعراء والخطباء بجوامع الكلم ، ونيرات القوافي ، فخلبوا الالباب، وفتنوا العقول بأهازيج النصر وترانيم الظفر ، ينشدونها تحية لسورية التـــي نالت الحرية والاستقلال . »

« فرحة فاضت بها الجوانح ، فانبثقت على اطراف الالسنة وجوانــــب الاحداق ، وتعالى صداها فغمر أجواء الفضاء ، وتغلغل في التراب ، فاهـتز الابطال في مضاجعهم ، وسرت في الاضرحة واللحود رنة النبأ العظيم، فاختلج كل رفات والتمع ثراك يا سورية ، مشعا ببسمات العبقرية تطلع من خـــلال التراب .... » .

« مهرجان ولا كالمهرجانات ، مهرجان الحق تألقت أنواره في مدائن سورية، وانبسطت أشعته الى بلاد العرب جمعاء ، فانهزمت دونه دياجي الاتراح، وبدت سورية في ذلك اليوم منارة عالية ترسل شعاعها الجوال الى العيون والقلوب في قصي البقاع ودانيها ، فتخضل المآقي بدموع الفرح ، تتلألأ في غمرة الضياء، وتخفق الافئدة مغمورة بسنا النعيم ...» .



لو رحنا نجمع ما قيل في الجلاء من قصائد منذ عام ١٩٤٦ حتى اليـــوم، لألف ديوانا ضخما . ذلك لان الشعراء الذين عاصروا هذا الحادث الجلل في تاريخ سورية ، بعد ان عانوا من الاستعمار كل ألوان الاذى وصنوف القهر،

لم يستطيعوا ان يكتموا هذه الفرحة العظيمة في قلوبهم ، فعبروا عنها باشعارهم المنظومة على الطريقة التقليدية ، لان موجة التجديد لم تكن قد سرت بعـــد في جسم الشعر العربي •

لم تقتصر فرحة الجلاء على الشعراء المقيمين في الوطن الام ، ممن رزحوا تحت نير الاستعمار الفرنسي واكتووا بناره فحسب ، بل وصلت الى المهجر، ولا سيما المهجر الجنوبي ، الذي كان يرتبط ارتباطا وثيق الصلة بأحداث الامة العربية بعامة ، واحداث سورية بخاصة ، في طليعتهم الشاعر القروي ، والياس فرحات ، وجورج صيدح، ونصر سمعان ، وزكي قنصل • اما في الوطن فقد ساهم الشعراء مساهمة فعالة في صنع هذا اليوم الاغر في جبين ســوريــة ، فقصائدهم قبل الجلاء كانت حربا لا هوادة فيها على المستعمر الغاشم ، مــن هؤلاء : بدوي الجبل ، وبدر الدين الحامد ، وسليم الزركلي ، وخلـــيل مردم بك ، وانور العطار ، وشفيق جبري ، وعمر ابو ريشة واحمد الجندي، وغيرهم •

لقد وقف الشاعر الحماسي جنبا الى جنب مع الثوار في غوطة دمشق،وجبل العرب ، وجبل الزاوية ، وجبال اللاذقية يلهب النفوس الظامئة الى الحريــة، ويحرك الهمم المتطلعة الى الاستقلال والتخلص من نير العبودية والاستغــلال والقهر ••• وهكذا فلم يتوان الشعراء عن القيام بدورهم الطليعي في قيـــادة الجماهير التي هبت كالمارد الجبار تطالب بالجلاء عن سورية ، بعد ان جثم على صدرها اكثر من ربع قرن ، وهي تتجرع كؤوس العذاب ، دون ان تكون هناك بارقة من امل في النصر ، كما يقول شاعر حماه بدر الدين الحامد :

ست وعشرون مرت كلمـــا فرغت جام من اليأس صرفا أترعت جـام

ولذلك لم يكد يطوي الاستعمار خيامه على عجل ، حتى دوى صوتــه هادرا بفرحة الجلاء :

يوم الجــلاء هو الدنيا وزهوتهــا لنــا ابتهاج وللباغــين ارغـــــام

ولا ينسى ان يشير في قصيدته الى يوسف العظمة ، شهيد معركة ميسلون ــ وأي قصيدة في الجلاء يمكن ان تغلغل ضريح ميسلون ــ هذا البطل الذي حمل روحه على راحته ، وألقى بها في مهاوي الردى ، خرج ليقاتل المغيرين المدججين بأسلحة استعراضية خفيفة :

يا راقدا في روابي ميسلون افق ... جلت فرنسا وما في الدار هضام
لقد ثأرنا وألقينا السواد وان ... مرت على الليث أيام وأعوام

ثم تستبد به نشوة الظفر والانتصار ، فيثني على بطولة سورية ، التي كانت قبورا للفاتحين منذ الازل ، لم تطأطيء رأسها لغاصب ، ولم تحن هامتها لمعتد :

هذي الديار قبور الفاتحين فلا ... يغررك ما فتكوا فيها وما ضاموا
مهد الكرامة عين الله تلكؤها ... كم في ثراها انطوى ناس وأقوام

ان تراب سورية يغص بجثث الشهداء الذين صرعهم البغي على مر القرون ، ويمتليء في الوقت نفسه باشلاء الغاصبين الذين ارتد كيدهم الى نحورهم ، ونالوا القصاص جزاء ما اقترفت ايديهم :

لو تنطق الارض قالت انني جدث ... في الميادين آساد الحمى ناموا

٢

اما بدوي الجبل ، هذا الشاعر العملاق الذي حمل راية الكفاح ، وتنكر تحت اسمه المستعار ليتفادى صولة المستعمرين ويتقي شرورهم ، بعد ان ملأت قصائده الوطنية الرنانة صفحات الجرائد العربية ، فلم يهن ، ولم يلن ، بل كان شعره حربا على الفرنسيين طوال ربع قرن ، لا يفتأ يثير عليهم حمية الشام ونقمتها فهي :

عربية الانساب تطرب للوغى ... في جاهليتها وفي اسلامها

فـاذا أراد زمامها ذو قـوة　　شمست على البـاغي بفضل زمامهـا
عطفـت عليه بالسيوف كأنهـا　　من حزمها صيغـت ومن اقدامهـا
السمـر حـول قبابها مركوزة　　والبيض لامعة بظـل خيامهـا
ولقـد أراد بهـا القوي تحكما　　فتنمرت ابـدا على حكامهـا

فما ان قطفت سورية ثمرة الجلاء ، بعد تعب طويل وصراع مرير ، حتى راح يصف ذلك اليـومِ المحجل في جبينها قائلا :

انتزعنـا الملـك من غـاصبـه　　وكتبنـا بالـدم الخمـر الجـلاء

ثم يبين ما كان للنساء السوريات من دور فعال في صنع الجلاء، فقد وقفن صفا واحدا الى جانب المقاتلين في كل مكان، يطلقن الزغاريد كلما استشهد بطل، ويثرن الحماسة في قلوب الثوار :

كلمـا جنـدل منـا بطـل　　زغردت في زحمـة الهول النساء
كلمـا نادينـا فتيـان الحمى　　كبر الفتيـان وارتـد النـداء

أما يوم الجلاء الذي صنعه الثوار بفضل صمودهم ، فجدير ان يكتبه الله على وجه الشمس دلالة على أهميته ومكانته في النفوس :

حق يـوم الشـام ان تكتبه　　قـدرة الله على وجـه ذكـاء

لقد صاغ البدوي ابيـاته بديباجة أين منها ديباجة البحتري ، وبلاغة مترفة رائعة ، واناقة لا تدانيها اناقة كما في قوله :

همس الفردوس هل من نبـأ　　عن ربا الغوطـة معسـول الرجاء
نحـن للغـوطة في الجلـى فدى　　ولهذا الكحل في العـين فـداء

ـ ٣ ـ

وهذا هو الشاعر سليم الزركلي صاحب ديوان « دنيا على الشام » يغني للجلاء من على منبر المدرج الكبير في الجامعة السورية ، يوم ١٧ نيسان سنة ١٩٤٦ ، حيث احتفلت سورية بأول عيد لها ، وارسلت الدول العربية الشقيقة وفودا رسمية في الاحتفال فيقول :

اليوم عيدك يـا دمشـق فهللـي ... وتفتحي عن عـالم محسـان
عيـد بأفراح الجـلاء وصنـوه ... بتنـاصر الاخـوان والاقـران
أبـت العروبة ان تنام على الاذى ... أو تنطـوي في اليأس والنسيان
يـا يوم يعرب في دمشق لك الفدا ... حييت في الازمـان والاوطـان

ثم يقف وقفة لا بد منها عند قبر من سفح دمه الزكي في ميسلون، وبذل روحه رخيصة ، فيطلب السقيا لقبره ، ويعده كعبة المخلصين والاوفياء :

يـا قبر يوسـف لا عدتك مواطر ... هـن الرجاء لموطـن ظمـآن
يـا قبر يوسـف لست قبرا قائما ... مـا انت الا كعبـة الخلصـان

ويتغنى بعد هذا بدمشق التي كانت ولم تزل معقل الاحرار ، ويصف كيف خفقت أعلامها ، وعزت بعد ذل ، وطربت بعد سنوات من الحزن العميق، وراحت تبني حياتها من جديد ، وتنهض من كبوتها قوية شامخة جبارة :

أمعاقل الاحرار طـاب لك الجنـى ... وحلا لـك التغريـد في الافنـان
خفقت بـك الرايات ، يا لخفوقها ... من بعد طول أسـى وطـول هـوان
الراية الكبـرى ترفرف ، والعـلا ... تبني معاهدهـا بكـل مكـان

ولا يكتفي بهذا القدر ، بل يمعن في التغني ببطولتها ، ومكانتها التاريخية وكيف قطعت قيود الذل غير عابئة بها ، وكيف تخطت الشدائد رافعة الرأس،

فكتبت أروع ملاحم البطولة بالحديد والنار ، وهذه غوطتها التي استعادت فتنتها وسحرها شاهد على ذلك :

أدمشق ما انت الغداة بثاكل ما أنت بالنادي الخضيب العاني
ما أنت بالبلد المضيع حقه ما أنت بالوطن القليل الشان
كم وثبة لك في القيود تقطعت اسبابها ودم تسرب قان
ولكم أفقت على الشدائد والاذى وسبحت في البلوى وفي الاحزان
رضت الجهاد فما استكان لغاصب ولقد خططت ملاحم الفرسان
اليوم تبتعث الحياة فتية في غوطتيك وساحر الارنان

ويحفزها اخيرا على هدم ما بلي ورث ، لتعيد صنعه من جديد ، ويشجعها على ان تثب وثبتها الجريئة غير هيابة ، لان الدهر لا يقف الى جانب الخامل والضعيف :

فتجردي من كل قيد معقد وتحفزي للهدم والبنيان
وثبي مع الاقدار لا تتهيبي فالدهر ليس لخامل مذعان
وحذار ان تنسي مواكب للعلا لقت مع الامجاد في الاكفان

قلت ان جميع الشعراء الذين تغنوا بالجلاء جنحوا الى قصائدهم الى ذكر حادثتين اثنتين في تاريخ سورية الحديث ، ألا وهما استشهاد يوسف العظمة ، وضرب دمشق بالمدافع عام ١٩٤٥ ، الا ان شاعرية سليم الزركلي الفياضة أبت عليه ان يجمع في قصيدة واحدة بين ثلاث حادثات تشكل انعطافا كبيرا في تاريخ سورية القومي ، لذلك افرد لضرب دمشق قصيدة طويلة ، تعد من عيون ما قاله في هذا المجال ، وهي بعنوان « ذكرى العدوان » قدمها بما يلي:

« في اليوم التاسع والعشرين من ايار عام ١٩٤٥ طاش سهم السلطات الفرنسية ، وانبرت تقصف دمشق بوابل من نيران مدافعها ورشاشاتها دون

وعي ، وقد شعرت ان أوان انفلات سورية من ربقة الانتداب قد حان،وراحت تضرب ذات اليمين وذات الشمال ، فوقعت ضحايا ، وهدمت مبان ، وحرقت دور ، وكان في جملة ما استهدف للنيران مبنى المجلس النيابي ومن فيه من جنود الدرك ، فكانت هذه الحماقة الدامية العمياء ، سببا كافيا ليقظة الضمير العالمي ، وتدخل هيئة الامم المتحدة ، وكان الجلاء ...» . والقصيدة في اربعة واربعين بيتا ، وعلى قافية واحدة ، كقصائده كلها ، استهلها بقوله :

كفكفي بالدمع يا بنات الهديل   وامسحي بالدماء جفن الاصيل
نشر الغدر في دمشق رواقا   يبعث الرعب ما له من مثيل
وهوى يحصد النفوس الابيات   ويزهى بالهدم والتقتيل

ان من يقرأ هذه القصيدة ، لا بد ان يذكر قصيدة ابن الرومي في خراب البصرة على أيدي الزنج ، رغم الفارق الكبير بين معالم دمشق الحضارية ومعالم البصرة ، فاسمعه يقول :

صور تترك المدامع حيرى   بين مستعبر وبين همول
والردى مشرع اسنته الحمر   مغذ في الطعن والتمثيل
يفرش الارض بالدماء ليلهو   فوق أشلاء مثخن وقتيل
حلفه البغي ان ينكل بالشا   م ويجري دماءها كالسيول

وهو اذ يذكر الضحايا في هذه النكبة النكباء ، لا يراها اجساما محطمة ، او أشلاء مبعثرة منثورة هنا وهناك ، بل اقمارا سطعت لتنير الدروب امام الاجيال المقبلة لتعرف كيف تنتقم وكيف تثأر من جلاديها :

يا ضحايا وما أجل الضحايا   في جهاد على البقاء طويل
أطلعتكم دنيا الشهادة أقمارا   تنير الدروب بعد أفول

فاستضـاءت بكم عيـون ليال كم اطافت على العلا بـالدليـل
الدم الحر لا يقيـم على الضيـم وكـم اجج اللظى في السهـول

وينتهي الى خطاب سورية بلهجة المرشد الناصح ، ان تحشد قواها ، والا تستسلم الى الضعف والتخاذل ، لان ذلك لا يقيلها من عثرتها ، ولا الى اليأس والرضى بالمطمح القريب المنال ، بل عليها ان تنسى جراحاتها الدامية ، لتتخطى تلال الشوك التي سدت عليها الطريق :

يا بـلادي وما ألوتك نصحـا لا تسـيري مع الهوى وتميلي
حشدي فالحشود عز روابـيـك وجدى فمـا الونى بمقيـل
كم خطـوب وأدت بين ضلوع من لهيـب ، ومهجـة من نصـول
وشهيد دفنت بـين جفـون ونجيـع ما كـان بالمطـلول
الجراحـات مـا تزال تنـدى والكرامـات مـا ونت عن ذحول

الى ان يقـول :

ضـلة الرأي ان يراودنـا اليأ س ، ونرضى من العـلا بالقليـل
انمـا المجـد ان يطاوعك الدهر وتزهى بعسـكر وخيـول

اما قصيدته « رمـوز قاسيون » التي قالها في احدى مناسبات الجـلاء عام ١٩٤٧ ، فاكتفي منها بهذه الابيات القليلة ، مشيرا الى ان الشاعر سليم الزركلي قد اعطى دمشق وميسلون وقاسيون والجلاء اكثر مما أعطى أي شاعر آخر ، فديوانه « دنيا على الشام » زاخر بالقصائد التي استوحاها منها :

فجر نيسان ضاحـك بـالاضاحي منضـد
صـور في جفـونه رائعـا تجـرد
ذكريـات مريـرة ليـس تبلى تـردد

ويختم قصيدته الطويلة بقولـه :

يـا ربى الخلـد طاعة قـاسيون يخـلد
للتعـالي جهـادنـا والمـواضي تجـدد
وعلى دوحـة العـلا فـالجلاء المؤبـد

وحسبي أن ألمح الى رائعته « هذا الجلاء » التي ألقاها في ١٧ نيسان عام ١٩٦٦ في رابطة الحقوقيين بدمشق ، لأقف عند هذه الابيات الجميلة :

اني لأذكر ، والذكرى مقدسـة يـومـا بأفراحه الاعياد تختـال
يوم جلا فيه عن دنيا النعيـم أذى شـد الرحيل ، فما يعييه أرقال
جلا عن الدار ، والخيرات تطعمه وود لو لـم يكن بين وترحـال
جلا وكان ضني ، فاستشرت امـم ضـاقت مذاهبها ، وانجاب بلبـال

— ٤ —

وما دمنا في معرض الحديث عن سليم الزركلي ـ مد الله في عمـره ـ فلنذكر ابن عمه المرحوم خير الدين ، الذي لم يقصر هو الآخر في بث لواعجه، ونشر اشجانه يوم ضربت دمشق بمدافع الفرنسيين ، فثارت ثائرته ، واستشاط غضبه ، وكانت قصيدته ، او قل صيحته التي تفتت الاكباد ، وتقطع القـلوب، ومن منا لم يحفظ هذه الدرة التي بنيت عليها ، قبل سواها ، شهرة خير الدين الزركلي كشاعر وطني بلا منازع ، فاسمعه يستهلها بقوله :

الاهـل أهلي والديـار ديـاري وشعـار وادي النيرين شعـاري
مـا كان من ألـم بجلق نـازل واري الزنـاد فزنـده بي وار
ان الدم المهراق في جنبـاتها لدمـي ، وان شفـارها لشفاري

ثم يصف ألسنة اللهب المتصاعدة ، وقد راحت تلتهم الاخضر واليابس، والذعر الذي انتاب الاطفال في احضان أمهاتهم ، والشيوخ الذين استهدفهم الفرنسيون ، دون ان يرحموا شيخوختهم وضعفهم ، وهم بريئون من كل ذنب :

النار محدقة بجلق بعدما ... تركت حماة على شفير هار
تنساب في الاحياء مسرعة الخطى ... تأتي على الاطمار والاعمار
والقوم منغمسون في حمآتها ... فتكا بكل مبرأ صبار
الطفل في يد أمه غرض الاذى ... يرمى وليس بخائف لغمار
والشيخ متكئا على عكازه ... يرمى وما للشيخ من أوزار

أما الذين بقوا في دمشق ، وهي على هذه الحال ، فكيف يقر لهم قرار؟ انهم ينتظرون الموت بين لحظة واخرى ، ولا سيما ان دخان الحرائق قد جعل الليل نهارا ، فلا يستطيعون التمييز بينهما ، ناهيك عن القذائف التي تنصب عليهم كالوابل المدرار :

صبرت دمشق على النكال لياليا ... حرم الرقاد بها على الاشفار
لهفي على المتخلفين برحبها ... كيف القرار ولات حين قرار
يترقبون الموت في غدواتهم ... واذا نجوا فالموت في الاسحار
لا يعلمون أفي سواد دجنة ... هم سهد أم في بياض نهار

ويحلل سبب غضب الفرنسيين على دمشق ، فلا يجد له مبررا سوى طبيعة الاستعمار الشرسة ، ورفض دمشق الذل الذي أرادوه لها ، ولهذا دكوا معالمها الحضارية دكا ، حتى جعلوها أطلالا كتدمر او نينوى :

ما دمروك هم ولكن دمروا ... ما كان فيك لهم من استعمار

حسلوا عليك مواثبين وما لهم ثار، وثرت وانت ربة ثــار
مسا ينقمون عليك الا انهم شهدوك غير مقودة لصغار
فاذا المنازل، وهي شامخة الذرا منهار أطلال على منهار
واذا المدينة تدمر أو نينوى أنقاض عمران ورسم دمار

ويبارك اولئك الذين اشتروا ديارهم بدمارهم ، والذين رفضوا حياة الشاء في يد الجزار ، فثاروا هائجين :

المشترون ديارهم بدمارهم وهم يرون به رباح الشاري
أنفوا حياة الشاء كل عشية وضحى تعيث بها يد الجزار

ثم يسخر من الفرنسيين الذين لاذوا باذيال الفرار ، فاختبؤوا خلف الاسوار ، وستروا غرارهم بضرب الآمنين من الاطفال والمرضعات :

طارت بألباب الفرنجة صيحة في الشام فاندفعوا الى الاسوار
واستهدفوا الاطفال في حجراتها والمطفلات وهن في الاخدار
ستروا بضرب الآمنين فرارهم فاعجب لعار ستروه بعار

لا أشك في ان هذه القصيدة كانت صرخة جهاد ، وصيحة ثأر ، ودستور ثورة ، زادت النار ضراما ، واذكت لهيبها ... حتى كان الجلاء .



اما الشاعر خليل مردم بك فقد رثى يوسف العظمة في قصيدتين : الاولى « ذكرى يوسف » نظمها في نيسان عام ١٩٢٥ ، والثانية « يوم ميسلون » في تموز عام ١٩٣٠ ، ولم أعثر في وطنياته على قصيدة في الجلاء . يقول في الاولى :

اعكف على جدث في عدوة الوادي بميسلون سقاه الرائح الغادي
وطأطيء الرأس اجلالا لمرقد من قضى له الله تخليدا بأمجاد

ثم يصف خروج السوريين الى صد جيش فرنسا الكامل العدد والعدة، ويثني على اقدام شهيد ميسلون وجرأته ومغامرته بجيشه القليل :

في فتية نفروا للموت حين بدا جريدة من زرافات وآحاد
صلى الاله عليهم من مجندلة اشلاؤهم بين أغوار أنجاد
فدى العروبة بالنفس التي كرمت يا رحمة الله للمفدي والفادي
وعاش ما عاش يحميها ويحرسها ومات يدفع عن حوزاتها العادي
قد كان قائدها حيا وجامعها ميتا ، فبورك في الحالين من هاد

ولا يفوته ان يرسل حسراته واشجانه على دمشق التي احرقها الفرنسيون بهذه الابيات التي تنضح ألما وحسرة ، من قصيدة « يوم الفزع الاكبر » :

باتت دمشق على طوفان من لهب يا دين قلبي من خطب تكابده
موج من النار لا تهدأ زواخره يمده آخر ما ارتد وافده
وبل القذائف هطلا له مدد والنار والنفط والتهديم رافده

لكن لم تكد الصحف العربية تتناقل هذه القصيدة الزاخرة بالنقمة والاسى، حتى جدت السلطات الفرنسية لاعتقاله وزجه في السجن ، فنزح الى الاسكندرية ، ومنها الى اوروبا ، وظل غائبا مدة اربع سنوات ونصف •

أما قصيدة « يوم ميسلون » فتعتبر من اروع ما قاله المرحوم خليل مردم بك ، فقد صب فيها جام نقمته على الفرنسيين الدخلاء ، واظهر فيها شحنات من ألمه الدفين على مصرع بطلها ، وكل ذنبه انه خرج للدفاع عن وطنه ورد المغيرين عليه :

أيوسف والضحايا اليوم كثر ليهنك كنت أول من بداها
غضبت لامة منها معد فأرضيت العروبة والالها
فيا لك راقدا نبهت شعبا وأيقظت النواظر من كراها
ويا لك ميتا أحييت منا نفوسا لا تقر على أذاها

الى ان يقول :

مصيبة ميسلون وان أمضت اخف وقيمة مما تلاها
فما من بقعة بدمشق الا وقود النار فائرة سواها

- ٦ -

ترى هل يمكن ان نمر بقافلة الشعراء السوريين الذين هللوا للجلاء وهزجوا بمناسبته ، وننسى شاعر حلب عبد الله يوركي حلاق ، صاحب مجلة الضاد ، الذي نذر نفسه لخدمة قومه ، وعروبته منذ فجر شبابه حتى اليوم ، فلم يعرف عنه انه تهاون او فرط في حق لغته او بلاده ، وهذا ديوانه الثاني « حصاد الذكريات » يضم مجموعة من القصائد الوطنية العامرة بروح الثورة والحمية ، أسماها « اناشيد الجهاد »، منها قصيدته « ذكرى الجلاء » التي استهلها بقوله :

ذكرى الجلاء ترف في أفق المنى فتعيد ذكرى ثورة وجلاد
أيام امطرنا الرصاص بوابل يفري الحشا ، ويفت في الاعضاد
لكنه ما فت من اعضادنا الحر لا يخشى الحمام العادي
صمدت له منا الجموع وكافحت من اجل أعلام وأجل مبادي

ليس في قصيدة الشاعر عبد الله يوركي حلاق ذلك العمل الفني الذي نلمسه في قصائد عمر ابو ريشه او بدوي الجبل ، الا انها ولا شك غنيةبالعاطفة

الصادقة والاحساس المرهف ، والايمان العميق بالعروبة والحق الذي لا يصل اليه الانسان الا على جسر من جثث الشهداء:

فالحق تحرزه الاباءة بالدما الحق لا يجنى بلا استشهاد
والمجد لا يبنيه غير أعزة بصوارم حمر وبيض أياد
تلقى الصوارم في أكف رجالنا عزا فتأبى صحبة الاغماد
لم يذعن العرب الاباة لظالم كلا ولا صبروا على استبداد

وهو اذ يقول ذلك فلمعرفته الحقيقية بطبيعة قومه العرب الاباة ، الذين لم يعتادوا على الذل ، ولم يألفوا الهوان في اي عهد من عهودهم الطويلة :

تأبى العروبة ان يسام مقامنا خفضا وتأبى رفعة الاجداد

ـ ٧ ـ

كم كنت امني النفس ، حين رحت اقلب ديوان « ظلال الايام » للشاعر المرحوم انور العطار ، الذي طبع عام ١٩٤٨ ، ان أعثر على قصيدته الرائعة في الجلاء ، لادرسها دراسة مستفيضة ، واقف عند كل جزئية من جزئياتها وقفة مستأنية مطمئنة ، فأصبت ، لسوء الحظ ، بخيبة امل ، واكتفيت بابيات منها لملمتها من هنا وهناك ، كما يلملم الشحيح دراهمه، وانا اعرف انها لا تنقع الغليل ولا تبل الصدى .

يوقظ الشاعر في ابياته الماضي العريق ، لينظر الى روعة الحاضر ، وكيف راحت سورية العربية تبني مجدها ، وتشيد صرح عزها ، بعد ان ظفرت بالاستقلال :

أشرقي يا روعة الماضي علينا واسبقي اشراقة الفجر الينا
وتعالي وانظري كيف بنينا

ثم يحدثنا عن افتتان السوريين باوطانهم ، واستماتتهم في سبيلها، وحبهم

اياها الى حد العبادة ، لانهم اباة يكرهون الضيم ويرفضون الذل :

هــذه أوطاننا نحمي حماهــا أي قلــب لم يتيمــه هــواهــا
اي نفس حرة ليست فداها

فما ان يرحل المعتدي عن ارض الوطن ، حتى تزدان ربوعه بالزينــات ، وتعمه الافراح ، وتسود البهجة النفوس ، ولا بدع ، فالجلاء يوم أغر مشهــر على مر الزمان ، يوزع الخير والسعادة على غيره من الاعياد ، فلتفرح دمشق اذن ، وتهلل بهذا اليوم الطروب :

قد جــلا العادي عن الربع الحبيب وتلالا السعــد في الافق الرحيــب
فابسمي فيحاء لليوم الطروب

هو يــوم في جبــين الدهر غــــره كل عيــد يستقي منــه المســره
كل سحر في الورى يحسد سحره

ابيات على قلتها ، تنساب موسيقاها الشجية انسياب النبع الرقــراق ، فتتغلغل في حنايا النفس ، وتستقر في اعماق الوجدان .

— ٨ —

ما قلته في قصيدة انور العطار ، أقوله في قصيدة شفيق جبري ، التـــي أعياني البحث عنها ، في بطون الكتب والمجلات ، وكلكم يعرف انه ليس لشفيق جبري ديوان مطبوع حتى الان ، يمكن ان يلجأ اليه الباحث ، وانه اعتزل دمشق واعتكف في بلودان ، لا يبرحها حتى في ايام البرد الشديد وتراكم الثلــــوج، وجنون العواصف ... فاعتمدت فيها على ذاكرتي ، لكنها خانتني هي الاخرى، ولم تمدني الا ببضعة ابيات كنت قد حفظتها صغيرا في المدرسة الابتدائيــة، وهي تصور فرحة الجلاء أبلغ واروع تصوير ، حيث استخدم المرئيـــــات والمسموعات ، واسلوبا آخر يسميه البلاغيون « تجاهل العارف » . هو يعرف

جيدا ان ما يراه في الشام عيد لا حلم ، بدليل هذه الاعلام المرفرفة، والاناشيد التي يملأ صداها الكون ، ومع ذلك يتساءل :

حلم على جنبات الشام ام عيد لا الهم هم ولا التسهيد تسهيد
اتكذب العين والرايات خافقة أم تكذب الاذن والدنيا أغاريد

يا لها من فرحة انجلت فيها سحب الهموم ، واستسلمت العيون الى كراها، بعد سنوات من الارق والسهاد ، ثم يتساءل عما حل بالفرنسيين ، وقد صار لا يسمع لهم حسا ، ولا يقف لهم على نبأ ، لكنه سرعان ما يجيب بانهم قد رحلوا الى غير رجعة ،مدحورين مقهورين، يجرون اذيال الخيبة والفرار :

ويل النماريد لا حس ولا نبأ ألا ترى ما غدت تلك النماريد؟

لم تكن فرحة الجلاء ظاهرة عابرة ، بل فرحة عميقة ، اسكرت القلوب، وأسالت دموع الفرح على الخدود • أفلا يبكي الفرح الانسان مثلما يبكيه الحزن ؟

كأن كل فؤاد في جلائهم نشوان قد لعبت فيه العناقيد
ملء العيون دموع من هناءتها فالدمع در على الخدين منضود

والعيد لا بد ان يذكره بالمرحلة المرة التي سبقته ، فهو لم يأت عفواء ولم يقدم هدية ، بل دفع السوريون ثمنه باهظا في التاسع والعشرين من أيار، يوم نكبت دمشق اسوأ نكبة وروعت بالنيران أبشع ترويع ، ولا سيما الاطفال الذين لم تهدأ مخاوفهم ابدا :

يا يوم أيار والنيران ملهبة على دمشق تلظيها جلاميد
الطفل في المهد لم تهدأ سريرته مروع من لهيب النار مكدود

ـ ٩ ـ

كانت قرائح الشعراء تتفتح كلما اطل في الافق نيسان جديد تفتح اكمام الورد عندما يباكرها الطل ، وستظل تتفتح وتعطي أحلى الكلام لاروع عيد في تاريخ سورية ، رغم مضي اكثر من ثلاثين عاما على جلاء فرنسا ، وانا واثق من ان ثمة قصائد في الجلاء لم تنشر ، ولم تزل في ادراج ناظميها ، وانما ألقيت على المنابر فقط ، وظلت بعيدة عن انظار الدارسين ... والواقع انني بعدما فرغت من كتابة هذه المحاضرة فوجئت بقصيدة للشاعر انور الامام في الجلاء ، فآثرت أن اضمها لانها حجر القفل الذي يكمل مدماك البحث ، رغم أنها قيلت في السبعينات كما اعتقد ، الا انها تتسق كل الاتساق مع ما قيل في الجلاء من قصائد : افكارا ، ووزنا ، واسلوبا وطريقة نظم لم يحد الشاعر عنها ، رغم اندياح موجة التجديد في الشعر المعاصر .

يستهل أنور الامام قصيدته بمعنى ربما يكون قد سبقه اليه غيره ممن نظموا في الجلاء، وهو انه لولا الشهادة والفداء لما لاحت في الافق بارقة امل في انقشاع غيوم المستعمر عن البلاد ، وان الشعوب لا تنال حقها الا بنضالها، والمجد لا يورق ما لم تسقه الدماء ، واذا سقيت الارض بالدماء الزكية ، أنبتت أبطالا لا يهابون الموت :

مهر الجلاء شهادة وفداء ... لولاهما ما كان ثم جلاء
حق الشعوب تناله بنضالها ... والمجد يورق ما سقته دماء
والارض ان عبت نجيعا عاطرا ... فنباتها الابطال والكرماء

ثم يتحدث عن وقفة العز المشرفة التي وقفها شعبنا البطل قبل الجلاء ، وعن تصميمه الاكيد على دحر الدخلاء الغاصبين ، وصيحاته المجلجلة التي اهتز لها الكون ، تنادي بخروج اولئك الذين راحوا يتباهون ويختالون عجبا، كأنهم سادة ونحن عبيد :

اني لاذكر وقفة يزهو بها قومي وتفخر باسمها العلياء
الشعب في ساح النضال مصمم لا ينثني او يخرج الدخلاء
أنف اختيال الغاصبين فجلجلت صيحاته فاهتزت الارجاء

ويقف ـ كما وقف غيره ـ عند حادثة ضرب دمشق ، يوم صب الفرنسيون الرصاص عليها كالحميم ودمروها بمدافعهم وقنابلهم بلا رحمة او شفقة ، فصمدت صمود الجبل الاشم ، واستماتت في الدفاع ، حتى تحققت أمنيتها الكبرى في الجلاء ، وقطفت ثمرة النصر والحرية والاستقلال :

ركب الطغاة رؤوسهم وتحكمت في الامر منهم نقمة هوجاء
صبوا القنابل كالحميم وجلق طود عليه تحطم الانواء
صمدت بساحات النضال وصانها شعب الى غاياته مشاء
حرجوا وعيد العرب يوم جلائهم عيد عليه من الجلال رواء

ويبارك نيسان ، شهر الكرامات والخير والعطاء ، شهر الاعياد القومية، شهر استيقاظ الطبيعة والانسان معا ، شهر انتشار العبير وتفتح الورود ، وهل هنالك ورود اشهى من الجلاء ، كما يقول الشاعر ؟:

نيسان يا منح الورود شهية أشهى الورود تفتح وجلاء
مرت بشائره معطرة الرؤى... في ميسلون فزغرد الشهداء

ويلتفت اخيرا الى ابي الشهداء يوسف العظمة ، يدعوه الى النهوض من قبره في هذا اليوم التاريخي ، ليشارك الشعبأفراحه ، ويرى الشام وقد رحل عنها الدخلاء ، ثم يؤكد للغاصبين ان سورية اذا ما وعدت وصممت ، فلا بد ان تنجز وعدها ، وتحقق تصميمها :

وأطل يوسف والبهاء يزينه ليرى الشآم وقد جلا الدخلاء

ليقول للغازين ان عهودنــا رغم الشدائــد ذمــة ووفــاء
تطوي الليالي الكالحات وينجلي صبــح أصيل مشرق وضــاء

— ١٠ —

فاذا انتقلنا الى المهاجر ، وجدنا الصيحات المدوية في شعر جورج صيدح، هذا الرجل الوطني الحر ، الذي يقطن الان في باريس ، وقد انهكت الشيخوخة جسمه ، وان لم تنهك عقله وتفكيره ، فهو لم يزل مقيما على الوفاء لعروبتــه الصافية ، منذ ان غادر مسقط رأسه دمشق قبل نصف قرن ، ولاصدقائــه الذين تخطفهم الموت واحدا واحدا ، فرثاهم جميعا بقلب يعمره الاســى ، وعبرات لا تجف ، فها هو ذا يرفع صوته من بونس آيرس ، عاصمة الارجنتين قــائلا :

هيئي يــا دمشق أقواس نصــر من عناق الاعلام والمشرفيــه
وانظمي موكب الجــلاء وسيري أمــة بالجهــاد تبعــث حيــه

ثم يشير الى مواكب الشهداء ، وقوافل من صرعهم بغي المستــعمر ، فانظروا في ظلمة القبور ، وناموا تحت الصخور ، لو حياهم احد في هذا اليوم الاغر ، لردوا عليه التحية :

في طريق تعبدت بالمواضــي كل بــاغ بها ضريح ضحيه
كــم شهيد تحت الجنادل مصغ ان وقفــتم عليه رد التحيــه

قصيدة رائعة ، يحار الدارس ماذا يختار منها ، وماذا يترك ، ضمهاديوانه « حكاية مغترب » وكل بيت اجمل من اخيه ، لذلك لا بد من الرجوع اليهــا كاملة في الديوان ، وحسبي ان اثبت منها هذه الابيات التي تنم عن تعلق صيدح بوطنه ، ونمو الحس القومي عنده ، أفلا يستحق منا لفتة تكريم قبل أن يرحل، كما رحل قبل مدة قصيرة شفيق المعلوف والياس فرحات ؟ :

يا لعيد تزف جلق فيه آية الحق للشعوب العتيه
رحل الضيف مثقلا بالمعاصي يركب العار في البحار مطيه
زغردي يا حرائر الشام هذا « يوسف » المهر بالدماء الزكيه

اقسم أنني لم أقرأ اجمل من قوله : ان يوسف العظمه خطب الحرية،فقدم لها دماؤه الزكية مهرا . ألا بورك هذا المهر ، وبورك قائل هذا المعنى الرائع الذي قل أن يفطن به شاعر .

— ١١ —

اما قصيدة المرحوم نصر سمعان ، شاعر العروبة ، كما كان يلقب ، فلا تقل روعة عن قصيدة صيدح . انها درة فريدة حواها ديوانه الذي طبع بعد وفاته في البرازيل عام ١٩٧٢ ، واشرف عليه رشيد شكور ، ولا غرو ، فنصر سمعان شعلة قومية وهاجة ، سطعت في سماء المهجر الجنوبي ثم انطفأت، وخلفت حرارتها التي ما تزال تستعر فينا ، في قلب كل عربي مؤمن صادق العروبة . هذا ونصر سمعان من حمص ، او من بلدة « القصير » على وجه التحديد ، هاجر وقلبه لا يخفق بغير حب قومه ، وسعيه لرفعتهم وسيادتهم، ووحدة كلمتهم ، فلنسمعه يقول في الجلاء :

بت العز في ظلال بنوده ومشى النصر في ركاب جنوده
وطن كم وددت في عيده الاكبر لو كنت شاهدا من شهوده
هتف المجد باسم ابطاله الصيد وهز الزمان ذكر عبيده
وكسا البشر ارضه وتجلت زهوة الفتح في مواكب عيده
ثأر الحق فالاغاريد تترى والزغاريد فوق قبر شهيده

والجلاء في ذهن كل عربي يرتبط ارتباطا وثيق الصلة بيوسف العظمة،

فلا بد ان ينال هو الاخر حصته من التمجيد واكبار بطولته الخارقة ، وشجاعته الفريدة فيقول :

شرفـــا ميسلون كل جهـــاد   شرف العرب أنت درة جيـــــده

أيقظي يوسف الشهيد فهذا   العيـد يا ميسلون عيد خلوده..

ثم يختتم قصيدته بهذه الابيات التي تعبر عن صدق محبته لبردى وميسلون التي مهرت الجهاد أغلى الغوالي :

شرفا ميسلون مجـدك بـاق   أي عـات يقوى على تبديده

يومك الابلج الوضيء المحيا   زان نور الوجود نـور وجوده

بردى ينشد الاهازيج والار   ز تحييك روحه بنشيـــده

وحمى كل نـاطق عربي   يطفـح البشر من ثغور وروده

قد مهرت الجهاد أغلى الغوالي   فحبـاك الجهاد اغلى عقـوده

أنت يا ميسـلون معقل شعب   خفقـات القلوب خفق بنوده

وعندما قصف الفرنسيون دمشق واحرقوها ، كان لذلك الحادث الفاجع رد فعل كبير في نفسه ، فراح يقول والاسى يعصر قلبه :

هبـت وعين الزمان ترقبها   وخاض بحر الرجاء مركبهـا

الله في امـة مجاهـــدة   سـعير حمى الآبـاء يلهبها

لا عـاديات الزمان تقهرهـا   ولا مراقي الطموح تتعبهـا

هناك شاعر آخر ، أحببت أن اجعله خاتمة المطاف ، ألا وهو زكي قنصل ، الذي يعيش الآن في الارجنتين ، ومن منا يجهل شاعر « غلواء » كما يسمي

نفسه ، وصاحب ديوان « نور ونار » وديوان « عطش وجوع » ، وهو الذي ملأت قصائده الهادرة دنيا الحرب ، يرفع صوته في كل مناسبة قومية، ليستنهض همة شعبه ، ويبعث فيه روح النخوة والحمية ، ولا ابالغ اذا قلت انه خليفة القروي وصيدح وفرحات في المهجر الجنوبي ، عقدوا له لواء الشعر الاصيل الذي ينبع من نفس محترقة ، ويتحدر من وجدان حي ، وطبع مرهف ، كما يتحدر السيل ، او كما يتفجر الينبوع من قلب الجبال .

لا أظن ان أحدا يستطيع ان ينكر على الشاعر زكي قنصل صفاء عروبته، ونبل عقيدته ، وشرف أهدافه ، فقد حمل راية القومية العربية خلف البحار، وكأنه سفير بلا سفارة ، فلا غرابة ان يؤلف عنه الاستاذ عبد اللطيف اليونس كتابا كاملا ، يدرس فيه حبه وحنينه ، ويتحدث عن تعلقه بوطنه الام ، كما يتعلق الرضيع بثدي أمه ... ولذلك لم تكد الجالية السورية في الارجنتين تعلن عن عزمها على الاحتفال بأول عيد للجلاء عام ١٩٤٦ ، حتى كان أول المتكلمين فيه ، فلنسمعه يقول :

ثورة الشعب لم تزل في البدايه ضل من يحسب الجلاء نهايه
ألف الحمد لا تمثل الا مطلع الحمد لا ختام الآيه
قد تساس الشعوب بالسوط لكن كل درب له ـ وان طال ـ غايه

ثم يخاطب الفرنسيين الذين عبثوا بالحق ، وداسوا الكرامة ، ليقول لهم ان هذا الحق لا بد أن يظهر ، مهما أمعنوا في التضليل ، ومهما خبا نور هذا الحق :

أيها العابثون بالحق مهلا ان للحق ألف جيش ورايه
حرسته عناية الله ممـا يتمنى له خصوم العنايه
ان خبا نوره لماما فلن يخبو دواما ولن تطول العمايه

ثم يحدثنا عن الخسارة التي مني بها المستعمر ، وكيف عاد في النهاية

مدحورا يجر اذيال الخيبة والخسران ، بعد ان عاث في الارض فسادا ما شاء له أن يعيث ، لان صيحات الجهاد زلزلت رواسبه وشلت يديه ، ولم يستفد من كل ما حشده من جيوش واسلحة وعتاد ، وجمع حوله من عملاء وأذناب ، وادعاه من الغيرة على مصلحة الوطن :

عاث في موطني الدخيل ولكن عاد بالخزي في ختام الروايه
زلزلت صيحة الجهاد رواسيه وشلت يديه منا رمايه
لم يفد ما أعده من جيوش وادعاه من غيرة ووصايه
لم تفده سعاية من عميل شر ما يطبخ العميل سعايه

لقد علمته تجارب الحياة ان ينطق بالحكمة ، فهو شاعر قد حنكه الدهر ، وأمده بالخبرة العميقة ، فكم من باطل ارتد على مروجيه ، وكم من وشاية أطاحت بمن حاكوها ! وخير الناس من تمسك بالحق وحده لانه باق ، وسواهم حثالة لا خير فيها :

يذهب البطل بالذين استغلوه وتجني على الوشاة وشايه
صفوة الناس من تمسك بالحق ظهيرا ... وما عداهم نفايه

ثم يلتفت الى اولئك الذين خاضوا غمار الموت فعلا ، وتطهروا بنيران المعركة ، ليقول لهم انكم وحدكم موئل الرجاء ومحط الامل لحماية الملايين التي تنظر اليكم بلهفة وشوق ، وانكم النجوم التي تضيء دروب المستقبل للسارين والضائعين :

يا حماة الديار مرحى لأنتم خير من ترتجى لديه حمايه
أين من خاض غمرة الموت ممن خاضها في رسالة او حكايه
قد زرعنا رجاءنا في ثراكم فاجعلوا غاية المطاف بدايه
أنتم نجمة الصباح لساري ن وأنتم للضائعين هدايه

وأخيرا يبعث بتحيته من وراء البحار الى كل من نجا من معركة الشرف والبطولة ، ويطلب من الله ان يجزل ثواب من مات فيها :

أجزل الله أجر من مـات منكم ورعى السالمين خير رعايه !

وكما ربط باقي الشعراء بين الجلاء وفاجعة ميسلون التي فجرت ثورة الجلاء فيما بعد ، كذلك فعل شاعر غلواء ، فقد مجد شهيدها ، وبارك صموده واستبساله ، ولا سلاح معه غير ايمانه المطلق بعدالة قضيته ، وحق وطنه بالحياة العزيزة الكريمة :

يا راقـدا في ميسلـون سقى بدمـائـه حرية العـرب
لله وقفتـك التي جعلـت صغرى الهضاب أميرة الهضب
جـالدت بالايـمان تطلقـه نـارا بوجه الجحفـل اللجب
لم تلق بالا للألى زعمـوا ان العنـاد مطية العطـب

ثم يخاطب قبره الرابض في ميسلون ، فيقول انه اشبه بمحراب يلوذ به المؤمنون ، ليتبركوا منه ، اما تمثاله الشامخ بعنفوان الى السماء ، فانه يحوم حوله بالنجوى ، ليستمد منه الوحي ، والالهام ... تنظر اليه الشمس خاشعة، وتغض السيوف طرفها خجلا من شجاعته :

مثواك محرابي أطوف بـه وأحـوم بالنجوى على النصب
ترنـو اليك الشمس خاشعة ويغض طرف الصارم الذرب

لقد جلا من صرعوا يوسف العظمة ، وغابوا في مطاوي النسيان ، الا انه سيظل خالدا على مر الاجيال وتوالي العصور ، يحكي الاجداد للاحفاد اخبار بطولته المشرفة :

ذهب الالى صرعتـك رميتهم وبقيت فوق مدارج الحقـب
يـا قاهرا بالمـوت باطلهـم آب الغزاة الى الحمى فـآب

قلت في بداية هذا الكلام ان ما قيل في الجلاء من قصائد يؤلف ديوانا ضخما ، ولا أزعم انني أحطت بها كلها ، وحسبي اكون قد سلطت الضوء على أشهر هذه القصائد ، ونوهت بها وبقائليها لكن ثمة قصائد لا تقل عنها روعة لشعراء لا ينتمون الى سورية جغرافيا ، بل ينتمون اليها قلبا وعاطفة وهوى، هزتهم فرحة الجلاء ، فسطروا الفرحة شعرا ، كالقروي وفرحات ومحمد علي الحوماني ، أرجو ان اعود اليهم في مناسبة اخرى .

دمشق　　　　　　عيسى فتوح

الى المشتركين في العرفان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنوء بحمله المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان تتدارك ما يمكن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكات في المجلة كما يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية
٥ دنانير في البلادالعربية
١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربية
٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية
٥٠ دولارا جوا للخارج
١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسسات الرسمية والسفارات والبنوك والشركات بالبريد العادي
١٥٠ بالبريد الجوي
واشتراك الانصار لا حد له .

رسوم

وجوه نبيلة

بقلم : السيد علي ابراهيم

لقد ترك في الريف ذكريات حسانا كلما عاد اليها أحس باللوعة والحنين، يذكيها في نفسه ان الايام الباقية من عمره لا تسمح له باستئناف حياة جديدة في القرية التي كانت مسرحا لايام شبابه الاولى ومبعثا لاحلام صباه ، بعد ان مضى في المدينة نصيبه الاوفى ، يذكر من وجوهها النبيلة شيخا نقي الثوب والوجه عاش والقلم بيده ، يناضل ويكافح ، لم ين عزمه ، ولم تضعف همته، صقلت حده السنون فكلما تصرمت توهج وزاد مضاء ، ظل سبعين عاما امام دواته يفكر ويستهدف ، يعبد ربه فيجلس اليه بالاسحار والناس نيام ، فيرتل ويحن ويتشوق ، ثم ينصرف من ساعة النجوى مع خالقه لارفع ما خلق واسماه، فيقف امام باب المعرفة خاشعا ينفض الاتربة المتراكمة على الهيكل بريشته ويحميه بقلمه ويغسله بعرق جبينه ثم يعود لصلاته فيستغرق ويستلهم ، وهكذا يحيا بين سجادته ودواته يشع من جبينه النور وتفيض نفسه بالحنان فيردد :

كفاني تسآل الرسوم التي امحت   سؤالي لاسفار العلوم كفاني

ويذكر من وجوهها النبيلة رجلا كرس حياته للخدمة العامة دون ان ينتظر من ذلك عوضا ، يهب لنجدة الداعي من اي جهة أتاه لا فرق لديه بين قريب وبعيد ، استعرت المروءة بين جوانبه فبعثته للتضحية ، فهو كاتب استدعاآت، ومنظم عرائض ، وهو واسطة خير يسعى بالصلح بين المتخاصمين وينظر في اكثر القضايا التي تعرض لابناء القرية فيصرفها بنية مخلصة واحساس واقعي ،

دخل اسمه كل بيت فشاطر سكانه آمالهم وآلامهم وكان له في كل حركة اجتماعية صادقة نصيب •

ومن الوجوه النبيلة التي يذكرها امرأة استطاعت باقتصادها وتدبيرها أن تعلم اولادها الثلاثة وتنهض بالعبء وحدها بعد وفاة ابيهم ، مع ان المورد ضئيل ، والوسائل ضعيفة ، ولكن لله عباد ، اذا أرادوا أراد ، فلم تزل دؤوبة مجتهدة تصل الليل بالنهار الى ان عبرت ببنيها العقبات الكؤد واجتازت بهم مراحل الدراسة كلها ، وأصبحوا رجالا قادرين يطمحون لكل ما هو نافع لهم وللمجتمع ، ابتسم لهم الغد بعد صبر وجلد ، وكنت أراها تنظر اليهم ودموع الفرح والشكر تترقرق في عيونها ولسان حالها ينشد مخاطبا كل واحد منهم:

حسبي من الدنيا ومن آرابها ... ان تبقى واسمك موضع الاكياس

يستعرض في ذهنه تلك الذكريات ويود لو تهدأ نفسه من هذا الغليان الذي حولها فان في الحياة جمالا وخيرا كثيرا •

عودة الحرية

سمع أساتذته ورفاقه يهتفون باسم الحرية ، وقرأ عنها في الكتب التي بين يديه وتشاء الصدف أن يكون حاد المزاج يصعب عليه الوقوف بين نفسه وما تهوى ، فمشى لغايته قدما لا يلوي على شيء ، اما والده وذووه فقد حكم عليهم بالجهالة قبل ان يخطو خطوته الاولى ، ولم يعد بعد ذلك مجال لاقامة حوار بينه وبينهم ، وانصافا للحقيقة يجب الاعتراف بانه كان نجما لامعا في سماء المعرفة والعمل الاجتماعي نهضت به همته لخدمة مواطنيه ولم يفصل همه عن هموم الناس،استهدف بحركاته وطنه وقضاياه معتبرا ان اهدافه الخاصة وطموحه وأحلامه لا يمكن ان تتحقق جميعها الا اذا كانت جزء من كل حلقة من السلسلة الطويلة ، ولكن ذلك لا يمنع من ان يخطىء ويصيب، وان قناعاته ليست حقا كلها بالنسبة لما يرى غيره ، وهنا محل الخلاف بينه وبين كثير من الناس ، وربما كان ذلك يرجع لاختلاف النظرة بين جيلين آذنت

شمس احدهما بالمغيب واشرقت لعين الثاني بأعرة السنا شديدة اللمعان ، وشاقني أن أعرف اذا كان ثمة قاسم مشترك نلتقي عنده ، فليس امام العلاء باب مسدود يتعذر عليهم معالجته .

قلت ، يا حسان ، لا بد من عودة للحرية التي قدسها جميعا ، ألا تعتقد معي بان فرض الآراء التي تستدعيها حريتك على الآخرين قبل اقناعهم بها يعتبر من الظلم الذي لا يرضى عنه احد ، وأي فكر سديد يسمح له بحرية تعتدي بها على حريتي، ولست الان بصدد نقاش فلسفي معك حول هذا الموضوع ولكنني أسألك بكل بساطة ووضوح ، هل تكون سعيدا بشقائي ومرتاحا بتعبي؟ وانا شريكك في المجتمع الذي تعيش فيه نستقي معا من منهل واحد، ونزرع الارض ونقطف الثمرة وتجمعنا الآمال والآلام ، فقال : ولكننا ان عملنا بنظرتك هذه وقفنا عن تطوير الحياة بشتى الميادين ، وينبغي لك ان تسلم معي بأن اتفاق البشر على نظرة واحدة لا يكون منذ وجد الانسان على وجه الارض، وانما هي محاولات يصل بها للاصلح اذا أخلص النية واختار الوسيلة الصحيحة وفي هذا المجال لا بد من الرضوخ لرأي الاكثرية فهي صاحبة القول الفصل والحكم الاخير بهذا الموضوع ، وتلك قضية أقرتها سائر النظم الاجتماعية ووصل اليها الانسان المتحضر بعد رحلة طويلة شاقة .

علي ابراهيم

لم اكذب

قال الحجاج يوما لبعض اصحابه ، ما يقول الناس عني ؟ فاستعفوه فلم يعفهم ، واصر ان يقولوا ، فقام احدهم وقال : يقولون انك ظلوم غشوم، قتال ، كذاب .. قال : كل ما قالوه قد صدقوا فيه الا الكذب ، فوالله ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين أهله .

عمر الأنسي

بقلم : فوزي سابا

ولد في بيروت سنة ١٨٢٢ وتوفي فيها سنة ١٨٧٦ ، وقد اخذ العلم شأن علماء زمانه على الشيخين محمد الحوت وعبد الله خالد ، فبرز على اقرانـــه واشتهر ليقول فيه الاب شيخو في كتابه « الاداب العربية » ولما كانت مصـر تفتخر بطهطاويها والعراق باخرسها كانت بيروت تأنس بأنيسها . قلــــدته الحكومة عدة مناصب كنظارة النفس اي دائرة النفوس ، في لبنان ، وعضوية مجلس بيروت ومديرية حيفا ونيابة صور ، فتقلب فيها كلها واظهر دراية وعفة نفس وعلو همة » .

لما اتخذت اليقظة في شرقنا كيانا تعرف به ، انتهى العلـم من زمــن التشرد واصبح سماة اصحاب المراتب بعدما كان سمة الموالي ، ولولا ذلــك ما نهضت امة مشرقية ، ولولا هذا التحول لما استطاع لبنان اسراء مشاعلـــه الى ابعد من حدوده .

وكان العثمانيون قد صرفوا اللغة العربية عن مدارسهم كلغة رسميـــة فاحتضنها لبنان في اعز امكنة عنده ، وفي الصدور حتى لا يذل لفظ منها .

والواقع ان الاوداء ذات الشعاب المصونة حمت شعب لبنان تماما كمــا حمت اللغة العربية ، ولما جاءت المطبعة الى دير قزحيا اصدرت الكتب العربية بالحرف السرياني وعرفت مطبوعاتها بالكرشوني ، وابتدأ عصر نشر التراث العربي من هذه المطبعة العالقة بين الشعاب والقمم .

ويكون نصيب لبنان الذي اضطلع بنشر اللغة العربية ان يعمل على الحرف

العربي للمطبعة في شرقنا ، وبذلك انتقل الكتاب من مرحلة البدائية الى مرحلة الانطلاق ، ذاهبا بعصر الانحطاط ، وبذلك انفكت العقول من عفونة التعنت والاهتراء الذهني ، فهي على رجال علم وادب وانشاء ، ويكون الشيخ عمر الانسي احد هؤلاء الرواد ، فهو على شعر رصين التعبير بريء من الركاكة بالرغم من انه جاء به مديحا مثل معاصريه متهديا بالصناعة اللفظية التي كانت عنوان عصره ، فكما قال بطرس كرامه قصيدته ــ الخال ــ قال الانسي قصيدته المكونة من خمسين بيتا كلها على قافية العين ــ جاء في مطلعها :

خذي من ودادي العين يا قرة العين — وفي عبد عين ما ارى منك من عين
وهاك وجودي يابنة القوم فاسمحي — وجودي بما تحوى يداي من العين
ولا تبعديني عمد عين فتشمتي — وشاتي وتغري في الملامة بي عيني
هواك دعا عيني تفيض عيونها — وداعي الهوى يا هند ليس سوى العين
ويا ربة الخال التي شاب عارضي — بها وغرامي السالف العهد كالعين

ويكون له نمط معاصريه من الشعراء في الابتهال على انه كان اكثر صوفية واسهل منهم للاخذ ، ليقرب به من المناجاة :

رب انت الرقيب دوما عليهم — فاكفني شر أعين الرقباء
لك يا رب مرجع الامر طرا — في البرايا يغني عن الاطراء
فسواء اطلت شكواي او قصرت — مما به دهيت اشتكائي
رب خطب به رمتني الاعادي — قصرت عنه ألسن الخطباء
فجلا ليله سنى فرج الله — وخابت مقاصد الاشقياء
عالم الغيب والشهادة — لا يغرب عنه شيء من الاشياء
قادر اوجد الخلائق من لا — شيء فضلا وجاء بالالاء

على ان عمر الانسي تفرد عن زملائه الشعراء بالهجاء ، ولعل الذين هجوا الشاعر الياس صالح قد حوروا قوله في هجاء قهوجي اسمه هلال :

تعس الهلال القهوجي لانـــه ... قد قطـع الاقـاس من انفاسـه
هـذا الهلال هو الهـلاك وانما ... غلطوا فلم يضعوا العصا في رأسه

فقالوا

هو طالــح لا صــالح لكنهم ... غلطوا ولم يضعوا العصا في رأسه

على هذا النمط اوجد الهجاء الهازىء الذي ارجع الينا فكاهات ابـن الرومي في الاحدب ، وصاحب اللحية الطويلة ، وابعدنا عن قباحات الخطيئـة وحماد عجرد ، فنسمعه يقول في ـ ثقيل :

شكا ثقل الذنوب لنـا ثقيــل ... فقلت لـه استمع لبديع قيــلي
ثلاث بالتناســب فيـك خصت ... فلـم توجـد بغيرك من مثـيل
ذنوبـك مثل روحك ضمن جسم ... ثقيـل في ثقيـل في ثقيـــل

وهو الى ذلك لطيف القول ، حاضر البديهة ، حبيب الى القلوب ، حتى في هجائه ، فتراه لشدة ما فيه من مرح يعتذر الى من هجاه :

كلفتني نظم الهجـاء ، ولم يكن ... دأبي ولكن الاسـى لا ينتسـى
ولقد اتتك فريـدة لو شـابهـا ... ابليس يا ابن الارذلـين تبلسـا
قابلت طولـك يا بليـد بطولها ... بل ليـس موضوع هناك فيعكسا

كما اوجد نمطا للهجاء اختص به دون سواه ، اوجد ايضا في الغـــزل فنا قصصيا فنسمعه يقول من قصيدة :

لثمت يد المحبوب يوما فقال لي ... على خجل ، حوشيت يا علم المجد

مقامك أعلى أن أراك مقبـــلا بجسمي غير الجيد والثغر والخد
وما أنت الاكعبـة الحسن حينما لثمتك نلت الاجـر يا غاية القصد

وقد رأينا الى هجائه وغزله فلنر الى مديحه في احدى قصائده :

قلوب الورى في مطمح الفكر قلب وبرق المنى في غيهب الوهم خلب
أمانيك الاحلام والحلم يقظـــة وآمالك الاوهـــام والنفس أكذب
ويا رب نفس بالامـــاني عللـت وصاحبها عن قابض الماء اخيـب
فلا تعـدن النفس بالخير طامعا اذا لم يكن للنفس في الخير مذهب
وذو الود ان يذكر يدا لك عنده فان التنـاسي منك ثمـة انسب

على ان قصيدته التي مدح بها الامير أمين ارسلان جاءت مفردة في التركيب فاق فيها اسلافه من الشعراء البيانيين ، الذين افتنوا بالبيانين اللفظي والمعنوي او عملوا على التاريخ ، لان عمر الانسي جعل قصيدته هذه على ابحر متعددة وقواف مختلفة ، فان كل سطر مؤلف من شطرين ، والشطر مقطوع الى اربعـة اجزاء ، اذا تركبت الاجزاء الاولى تألفت منها قصيدة مستقلة او الاجزاء الثانية تألفت منها قصيدة اخرى ومن مجموع الجزئين في الشطرين تتركب قصيـدة اخرى ، ويتركب من اسطر كل حقل قصيدة على حدة ، اما الجزآن الثالـث والرابع من كل بيت فهي ألفاظ يصح ابدال القوافي بها ، مثال ذلك :

يا للهوى من لصب لم ينل اربـا عطفـا على مستهام رق وانتحبـا
عاني المها مستهل الدمع ساكبـه واهي القوى ما شكا بؤسا ولا وصبا

فيقرأ ،

يـــا للهـوى عطفـا على عانـي المهـا واهي القـوى

أو

يا للهوى من لصب لم ينل اربــا   عـــاني المها مستهل الدمع ساكبه
بادي الضنا ذو غرام سامه شجنا   يهوى الظبا وهوى الآرام غالبــه

أو

عطفـــا على مستهام رق وانتحبا   واهي القوى ماشكا بؤسا ولاصبا
وافي العنا مشفق من برجه وهبا   طول المدى وهو لا يصغي لمن عتبا

وتقرأ هذه القصيدة على سبعة اشكال ، اما اذا اعتبرنا ابدال القـــوافي فيتكرر ذلك ثلاث مرات الا الشكل الثاني فيكون مجموع القراءات ١٩ قراءة، وربما امكن استخراج قراءات اخرى •

كل هذا يدلنا على ان مجلس الانسي كان حافلا بالظرف تستهوي طرفة شاعرنا فيصفها وصفا دقيقا لطيفا مثال ذلك هذان البيتان من قصيدة بنـــى عروضها على السين وقافيتها على الثاء وجعلها محاورة بينه وبين ألثغ اسمــه ســـليم :

أقول له: يا بدر ما لـــك عابســـا!!   يقول دلالا : انني بـــك عـــابــث
فقلت : وما للظرف اصبح ناعســـا ؟   فقال : هو الفتـــان للعـــقل نـــاعث

يقول مارون عبود في كتابه رواد النهضة الحديثة (هذا هو الرائد الانسي الذي ابتسم معه الشعر في القرن التاسع عشر كما ضحك مع الشاعر تقـــولا الترك قبله) •

فوزي ســـابا

الصافي ورئيف خوري

بقلم : خضر عباس الصالحي

كان الاديب اللبناني المعروف رئيف خوري صديقا حميما للشاعر العراقي الكبير أحمد الصافي النجفي ، وملازما له ، فكانا يقضيان الوقت معا في مقاهي بيروت الشهيرة كمقهى ابي عفيف ، ومقهى البحرين ، ومقهى فاروق ، ومقهى فلسطين، وكان الصافي يشنف اسماع صديقه بكل ما جد من شعره الرائع المبتكر، فيعجب لهذا الاثر الفني المتكامل المنسجم ، وما فيه من افكار جديدة لهـا طلاوتها وحلاوتها ، وينشد اليه حيث عذوبة الاسلوب ، وجمال العبارة ، وقوة الحجة ، وحيث الافق الرحب الذي تجول فيه المعاني الطريفة التي تفتح الاذهان على كل جديد نافع ومستساغ ، ويجد في شعره متعة متجددة مشحونة بالفكرة اللماحة المضيئة ، والذي يصور النفس الانسانية ادق تصوير !

وكان الاديب الراحل رئيف خوري الحر الفكر ، والطلق الافق قد منحه الله ذكاء ممتازا ، ونفسا قوية ، فهو دقيق الملاحظة ،عميق التفكير ، وشعاره لا تحكم على شيء الا بعد ان تعرفه ... وله اعمال فكرية تضمنت ومضات نقدية نفاذة ، وتميزت باسلوب ادبي رفيع ، واشتهرت بتداخلها مع الحياة ، وبراعتها في تصوير حلم الانسان لتحقيق الغد المنشود ، وفتح منافذ العقل على التيارات الثقافية في الحضارة العالمية المعاصرة !..

اما الاستاذ الصافي فهو شاعر موهوب يعرف الشعر حق المعرفة ، وذواثر كبير في دنيا الشعر ، عبر عن مشاعره بالاسلوب الحسي المباشر ، واعطى للفن الشعري صورا جديدة كل الجدة ، التقطها من مشاهد الحياة اليومية ، وكانت للكلمة عنده مسؤوليتها وشرفها ، وللفكر قيمته واعتباره ، ولذا جاءت

اشعاره علامة مميزة بين الشعر العربي قديمه وحديثه للمعاني الكبيرة التي تحملها ، ورسمها لخلجات القلوب ، واضاءة الوجدان العربي ، ولتعبيرها الصادق عن حالات الشاعر النفسية • وما زال الشعر يحتل موقعا بارزا في اهتماماته ، ذلك الشعر البعيد عن الاغراب والغموض ••• انه ينفذ الى القلب دون استئذان لخلوه من كل لفظ مستنكر ، ووحشي مستكره ، ولحسن نظمه وأسلوبه ، وبديع تأليفه ، وتصرفه في الالفاظ ذلك التصرف البارع الذي تأتي فيه المعاني طيعة ذات حكم عالية مع تناسب في البلاغة ، وتشابه في الفصاحة ، وتجاوزه لكل تباين في القضايا التي يتعرض الى ذكرها ••• وبذا عد الصافي في المشهورين من الشعراء ، وواحدا من ألمع أبناء جيلنا بعد ان أغنى حركة الشعر العربي بفيض من ابداعاته القيمة ذات النظرة الانسانية النافذة •••!

حدثني الصافي وقد ابتسم بحنو وقال :

ـ كنت أملك نسخة من القرآن الكريم جاءتني هدية من احد الاصدقاء المعجبين بشعري ، وكان قد استنسخها بيده ، ولكن خطه لم يكن من الخطوط الفنية البارزة المعروفة كخط الرقعة والكوفي والديواني والفارسي وغيرها ، وانما خطا عاديا ، فكنت كلما خلوت الى نفسي في حجرتي انشغل بتلاوته ، وانا مأخوذ بما فيه من بلاغة وفصاحة واحكام وعبادات وقصص ومواعظ وعبر مع جزالة الالفاظ ، وجمال الصياغة الادبية ، والصور الفنية ••• ان آياته قد فصلت تفصيلا ، وهو كما قال الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» ••• ولو لم يكن فيه غير جلال معانيه ، وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولي على الافكار ، ويأخذ بمجامع القلوب وكما قلت فيه :

الله قد أنزل القرآن معجزة ولم يزل سره العلوي محجوبا
لا يستطيع امرؤ تبديل لفظته كأنما خلق القرآن مسكوبا

وكما قلت ايضا :

أقرآن وحي الله أم لمع نـــوره أم الــدر منثورا بصافي نميـــره
كلام بــه الخلاق يظهر بيننــــا وسفر رأينـــا الله بــــين سطوره

وكنت أقرأ الى جانب قراءتي للقرآن الكريم اشعارا لعمالقة الشعر العربي كالمتنبي والمعري وابي تمام والبحتري وابي نواس وابن الرومي ... ولكــن اسلوب القرآن كان يغطي على هذه الاشعار مهما تسامت في معانيها ، وتألقت في كلماتها ، وتأطرت بالصور الجميلة البراقة ... فانه يذهلني بما فيه من حسن اللفظ ، وروعة المعنى ، وقوة التعبير ... وقد ابحت بهذه الخواطر الى صديقي رئيف خوري وهو الاديب المطلع على الثقافات المعاصرة كالثقافة الانكليزيـــة، والثقافة الفرنسية الى جانب احاطته الشاملة بالآداب العربية قديما وحديثا ... وفجأة خفق قلبه في صدره وقال بعبارته العظيمة الموجزة :

ـ انه سحر البيان ...!..

ونظر الي رئيف خوري مندهشا وقال :

ـ وثق انني لو لم آكن شيوعيا ملحدا لما اعتنقت الا عقيدة الاســلام ، واصبحت مسلما ...!

ولم يختصر حبي للقرآن ، واعجابي به على تلاوته فحسب ، بل انـــي أحفظ نصوصا كثيرة منه ، واستشهد بها في المجالات العلمية والادبيـــــة والاجتماعية في مجالسي الخاصة بالمقاهي التي ارتادها حيث يجتمع بي لفيف من الادباء والمفكرين فأسحرهم بما اتلو عليهم من الآيات البينات ، والســـور الخالدات ....!.

وفي احد الايام التقيت بصديقي المرحوم رئيف خوري في مبنى الاذاعة اللبنانية ، وقد اعتدت ان القي منها بعض اشعاري بتكليف من المشرفين عليها،

وكان قد جاء لالقاء حديث ادبي ، وبعد ان انتهينا من مهمتنا خرجنا معا ووجهتنا بيروت ... فقلت له وانا مقبل عليه بشوق ولهفة :

ـ دعنا نمشي على ارجلنا حتى نصل مبتغانا .

فقال ووجهه يشرق بالبهجة والحبور :

ـ افعل بما تريد وترغب .

فخفق قلبي بفرح عظيم ، وصرت احدثه عن القرآن وشغفي الشديد به ، وعظم تأثيره في نفسي ، فحدق بوجهي جيدا ، وقال بالحرف الواحد :

ـ انه من العقل الفياض ، والعقل الفياض في لغة الفلاسفة والمتصوفة المسلمين ومصطلحاتهم هو الله تعالى ... وليس من صنع بشر ، وان هذا الزخم في صوت القرآن يجعلنا نشعر انه ليس كلاما منقولا ، وان الله ذاته يتكلم ....!.

ففغر الصافي فمه مندهشا وقال :

ـ ان القرآن هو الكلام المعجز المنزل على النبي محمد «ص» لفظا ومعنى ، وكان العرب أهل بلاغة وفصاحة ، ولكنهم ادركوا انهم عاجزون امام بلاغة الله حتى انهم منوا بخيبة أمل مريرة في معارضة سورة واحدة ، أي سورة ... وهذا برهان ساطع على ان القرآن الكريم كتاب الله المنزل من عنده ، وان محمدا «ص» رسوله وخاتم انبيائه ، وان الاسلام هو دين الله الحق ، ورسالته الخالدة لاهل الارض التي لا يقبل من احد سواها ، حيث قال الله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » ...

وقد حوى القرآن كل الاحكام المتعلقة بالعقيدة والفقه ، والاحوال الشخصية ، والمعاملات المالية ، والعقوبات ، وقال الله عز وجل : « ونزلنا عليك

الكتاب تبيانا لكل شيء » وقال جل شأنه : « ما فرطنا في الكتاب من شيء» وبذا اصبح حجر الزاوية في حل المعضلات الحياتية ، وايجاد السبل الناجعة للنهوض بسائر الامم والشعوب ...!

والضرورة تقتضي ان نذكر هنا ان مجالس الصافي في مقاهي بيروت كانت ندوات ثقافية ، ومما يزيد من أهمية هذه المجالس حيث ان المكانة الاثيرة التي يحتلها الصافي لدى الادباء كانت تدفعهم الى مجالسته ، فيتجمعون حوله كالازهار عند ضفاف السواقي ، فتجري بينهم احاديث شتى تتداولها ألسنتهم ، فينشدون اليه لروح الظرف التي يسبغها على احاديثه التي تتضمن مختلف صنوف الثقافة والمعرفة الانسانية ، وترصد العطاءات الادبية الجادة من أجل تكريسها واشاعتها ، وتسهم في تعميق حركة الادب ، وتكشف غوامضها، وتضيء جوانبها المتباينة ... وبذا يغني الصافي تجربة زواره ، ويضيف لهم معلومات جديدة ... انه يمثل اصالة الفنان الكبير الذي اعطى لشعره خصائص مميزة قائمة على التشخيص والمعالجة ، ورسمت لنا صورة ناطقة عن عالمه ، وكشفت النقاب عن السمات النفسية الاساسية له ، وألقت الاضواء على نوازعه العاطفية التي كان لها بلا شك ابعد الآثار في حياته العامة والخاصة ...!..

وحينما توفي الاستاذ رئيف خوري الرجل المنصف ، والذي كان مواظبا على قراءة القرآن ، وحافظا للكثير من اياته فقد الاستاذ الصافي بوفاته خليلا وفيا ، وخدينا مخلصا يرعى الذمام ، ويلتزم بحقوق الصداقة ، وواجبات الاخوة ، فبكاه أحر بكاء ، وذرف عندما وافاه نعيه دموعه الغوالي... وفي قلبه لوعة حرى ، وفي نفسه أسى عميق ، وقد غص بالشجي المرير يوم رثاه قائلا كحمامة تهدل بحزن :

ذكرتك حين فقدي للندامى فكنت نديم روحي والمداما

رجعت الي في ذكراك حيا خلعت حجاب موتك والرجاما
معا نتناشد الاشعار ، أصغي وتصغي لي ، وتعشني ابتساما
فلم أر منشدا أو مصغيا لي شبيهك يشبه الشعر انسجاما
ففي الاصغاء والانشاد فن لدى من يملك الذوق التماما
وتأخذ بالطرائف في حديث وتحضر من ذوي الادب، القدامى
نبي الشعر أحمد ، وابن هاني حضور ، قط ما عرفوا الحماما
فها هي نشوة الذكرى اعترتني فأنستني المدامة والندامى

خضر عباس الصالحي

افحام

★ ★ ★

حكي ان يحيى بن خالد البرمكي كان يطوف مع هارون الرشيد في أسواق بغداد ، فرأى الرشيد احمالا كثيرة تنقل على دواب ، فسأل الرشيد عنها ، فقيل له : هذه هدايا خراسان الى امير المؤمنين بعث بها علي بن علي بن ماهان . وكان ابن ماهان هذا قد ولي خراسان بعد الفضل بن يحيى البرمكي . فقال الرشيد ليحيى اين كانت هذه الاحمال في ولاية ابنك الفضل، فقال يحيى : كانت في بيوت اصحابها يا امير المؤمنين . فأفحم الرشيد ولم يحر جوابا .

ايهذا الصديق ؟ . .

في رثاء الاستاذ سعد فريحه

راحل انت والفراق مديد — لم ذا البين فجاة والصدود
كيف جد النوى بعاصف ريح — كدن من هوله الجبال تميد
وتخيرت راجعا من بعيد — لك مثوى بالقرب وهو بعيد
ايه ما ضر لو صبرت قليلا — علـه بعد ذا السلام يسود
كيف ينجو ابا عصام مداع — للردى والمنون قرم عنيد
لم ينسا فله اصيد بمذراع — او يقي الهاربين حصن مشيد
فلمن بعدك الصراحة دوما — بالقضايا لواؤها المعقود
ونضال صعب المراس بهرج — ما ونى العزم منه او لان عود
اخطا النبل فيه مع نابليه — واستوى سيد به ومسود
سيرة تلك قد طوتها الليالي — هي في سيرة النضال نشيد
قد حباها البراع مجدا طريفا — دونه بالفخار مجد تليد
فقدك بالانجبين سد فراغ — لك ضخم وهو العزاء الوحيد
قم تحدث لنا ببعض حديث — عن حياض البلاد فيد تذود
وارو هل بالجدود تحظى وقرت — بك عينا اباؤنا والجدود
وكذا الموت هل يرام خلاص — منه والطب بالغ ما يريد
ثم قل لي اعالم المثل حق — أم محقق مكابر وجحود
ونزاع هناك ام مستقر — ليس فيه ممالك وحدود
وضيوف على الاثاث صحب — وجموع من قبل البين نود
ام هموا حيثما اقاموا قرونا — لك خلت نزلهم قفار وبيد
عللوا النفس بالبقاء وانا — في غد سوف للقاء نعود
ايرى ناظري وجوها تخفت — وجنان بها ازاهر رود
ومذاب اللجين في نفثات — يخلب اللب درها المنضود
يتلاقى بها الشقيقان لطف — كزهور الربى وباس شديد
ايهذا الصديق قد طال ليلي — اذ اتى البرق ناعيا والبريد

وعناني الاسى كاني المعزي … فيه لا الآل والفؤاد الفقيد
مازجت ادمعي المحابر فيه … فاذا بالمدامع البيض سود
ليس بدعا بأن اوافيك حقا … ليس يرعى الودود الا الودود
كم عدوت الالى تجاهل فعري … عاهد منهمو وغير حسود
بيد اني باسطر ما عساني … عنك اروي وانت سفر مجيد
والعصامي قلما بمثيل … او بكفؤ له الزمان يجود
والمجلي بالنود في كل عهد … قد مضى والغضنفر الصنديد
قاوم الانتداب غير مبال … بالالى ركع له وسجود
او محاب كما تحابي النشاوي … او مجار كما تجاري العبيد
بل طوى الموت نيقدا جاحظيا … فر من باسه العتي الجمود
وهو للوثب بعد ستين عام … يتمطى كما تمطى الاسود
قل أرب الصياد صادك عاد … وكذا الكل للفنا مولود
أم ملت الألى اطاحوا بشعب … مثلما عاد زلزلت وثمود
اضرموه لظى بمارج نار … تقتفيه عواصف ورعود
وتعاني البلاء في كل يوم … ألبين دونه الليالي السود
يتنادى الى الوفاق فريق … وهموا عنه غيب او قعود
ولكم اخلفوا بشتى وعود … فاذا كالسراب تلك الوعود
لهف نفسي على زمان تقضى … اين عهد الصفا وعيش رغيد
حيث رهط من الميامين ولوا … سدة الحكم والكماة الصيد
وأعالي الجبال وهي عقاب … آهلات تعج فيها الحشود
ليت تلك العهود لم تك دالت … وانطوت او تؤوب تلك العهود
وقصارى الآمال رجعى ارشد … ومحط الانظار عهد جديد
قل لهم ما على الجهود صعاب … عندما تحسن النوايا الجهود
مثلما كنت في مواقف شتى … لك فيها نضالك المعهود
ربع قرن والليل داج فهلا … طلع الفجر واستفاق الرقود

كامل شعيب العاملي

غبار .. غبار !..

ركضنا ، يرى الركض اقدامنا	فليس على الدرب الا الغبار
نروح ونغدو ، نكد ونشقى	ويدفعنا السيل عبر القفار
ونضوي ، وتذبل آمالنا	كما يذبل الزهر بعد ازدهار
نشيد الديار ، ويا ليتنا	بعيد النوى تحتوينا الديار!
ونعلي الحجارة فوق الرفات	لنبقى ، فتضحك منا الحجار!
ونركض في الليل ، عبر النهار	نريد الفرار ، واين الفرار ؟
لماذا اتينا ؟ وماذا جنينا ؟	وعما قريب يحط الستار
وتغتمض العين عن عالم	هو الحلم ، رف جناحا ، وطار
غدا ، سوف يكثر عنا السؤال	وبعد غد ، لا سؤال يثار
وقد تشرق الشمس من بعدنا	ويسطع للمدلجين النهار
كأن لم نجيء ساعة للحياة	ولم نفرغ الروض بعد اخضرار

* * *

ويا عابرا بيديك الزهور	وحولك اوراقها في نثار
كأن دماءك في وردها	تضوع عبيرا ، وتزهو احمرار!
تمتع صباحا بشم العرار	فانت ، مساء ، طعام العرار

* * *

هو العقل اعطاك حكم اليقين	بماذا تشك ؟ لماذا تحار؟
تمسكت بالعيش ، تبغي الخلود	تطول الليالي ، وهن القصار
تمر الحياة مرور القطار	وركابها ابدا في انتظار
قوافل يعدو عليها الفناء	ولا شيء .. لا شيء الا الغبار

خليل الهنداوي

ذكريات جميلة

صورة من قبل عشر ين وما زالت فتيه
جسمي الناحل يفنى وهي تبقى ابديه
انها للمرء عنوان وذكرى وهويه
هي من افضل ما يز جى الى الخل هديه
انما الصورة ابدا ع وروحي العبقريه

* * *

صورة تبعث في القلب جميل الذكريات
يوم كنا والندامى وكؤوس مترعات
واحاديث لطاف بليال مقمرات
انها من نعمة العمر علينا الامسيات
ومضى العمر وما فيه سريع الخطوات

* * *

صورة تحمل اطياف شباب قد تنامى
وصبا غصن توارى في ثنايا الدهر ضاعا
ورؤى العمر غيوم ان للغيم انقشاعا
وبها الانسان لا يملك للشيب دفاعا
اصبحت الصورة للانسان زادا ومتاعا

الديوانية ـ العراق عبد الجبار الزهيري

دمعة وداع

يا دمعة الود سيلي ... ان شئت اولا تسيلي
فلست تطفين نارا ... تاججت في غليلي
سعيرها يتلظى ... ما ان له من ذبول
لها لدي وقود ... يمدها من ذهولي
يا دمعة الود لا لن ... تشفي عذاب غليلي
ولست تجدين حتى ... لو سلت كل مسيل
ترى ايرجع ماض ... القى عصي الرحيل
وهل تعود نجوم ... لـلاقق بعد افول
ما ارخص الدمع يجري ... على فراق الخليل

* * *

أواه يا ذكريات ... عشنا جميل رؤاها
وطالما قد سكرنا ... بخمرة من صفاها
ما كان احلى لقانا ... فيها وما احلاها
فكم لنا من ليال ... رفت علينا مناها
ويا لها من طيوف ... قد اجتلينا رواها
وضمنا الف نجسم ... مكال بشذاها
يا قاتل الله دهرا ... اودى بها فطواها
مرت علينا سراعا ... كان حاد حداها
واحسرتا كيف ولت ... تجر ظل خطاها

كربلاء ـ العراق ... صالح هادي الخفاجي

ابواب العرفان

الصحة وتدبير المنزل

الليمون دواء لامراض البرد

الليمون الحامض ثمرة في مقدمة الفواكه المغذية والشافية على السواء وعلى اختلاف مذاقها وانواعها واحجامها ، ما بين الحلاوة والحموضة ، وما بين الضخامة والصغر ، والخشونة والنعومة .

الليمون هو شقيق البرتقال واحد الثمار الحمضية المرموقة . يدعى في اللغات الاجنبية Lemon أو Citron وفي لبنان يطلق اسمه على البرتقال ويميز بينهما بتسمية احدهما ليمونا حامضا والاخر ليمونا حلوا ، وفي العراق يسمى النومي.

والليمون فاكهة مغرقة في القدم ، ظهرت في اسيا وازدهرت زراعتها في حوض البحر الابيض بشكل خاص . ومنه انتقلت الى اوروبا محتفظة باسمها العربي.

ومنذ اقدم الازمان والناس يستخدمون الليمون كدواء شاف في عدد من الاوبئة والامراض كالكوليرا والتيفوئيد والروماتيزم والنقرس والالتهابات المعوية وامراض الكبد .

لقد كان لسرعة انتشار الاوبئة في الزمن السالف ، أثره في ارتفاع مكانة الليمون جيلا بعد جيل ، مع اتساع نطاق الخدمات الشفائية التي يؤديها ولعلنا

ما زلنا نذكر كيف اشتد الاقبال على الليمون عند ظهور وباء الكوليرا في بعض بلاد الشرق الاوسط ، فقد نادى الاطباء يومئذ باتقاء ذلك الوباء بواسطة الليمون ، فنصحوا الناس باضافة الليمون الى ماء الشرب بعد غليه ، لان لليمون خاصية القضاء على جراثيم الكوليرا التي تنتشر عن طريق الماء •

وقد ألف ذوو المواليد ان يقطر الاطباء والقابلات قطرة واحدة من الليمون في عيون المواليد فور ظهورهم الى الحياة ، وذلك بقصد جلاء بصر المولود حديثا ووقايته شر الالتهابات وانتقال الجراثيم الهاجمة في ثنايا جهاز والدته التناسلي •

ولعلنا نذكر كيف اقبل الناس على اتقاء الانفلونزا بواسطة الليمون كلما كانت تجتاح المنطقة وكيف اثبت مفعوله الحاسم في ايقاف جراثيم الانفلونزا عن النمو والانتشار •

ان سر الامكانات الواسعة التي يتمتع بها الليمون في مجال الوقاية والعلاج يعود الى احتوائه عددا من الفيتامينات والمعادن فهو غني بالفيتامين « آ » و « ب٢ » و « ب ١٢ » و «ب ب » بالاضافة الى الحديد والكلس والبوتاس والفوسفور والكربوهدراتيات والبروتين والدهن •

الا ان غنى الليمون بالفيتامينات يتمثل بشكل خاص في الفيتامين «ث» الذي يكون مع حامض الليمون ، العنصر الاساسي لهذه الفاكهة • والفيتامين «ث» يفيد في حالات الاصابة بداء الحفر (الاسقربوط) بالاضافة الى ميزاته الاخرى التي سبقت الاشارة اليها •

ويقول الاخصائي العالمي الدكتور « ميلتون» ان الليمون دواء بالغ الفعالية والقدرة في امراض الفم والوقاية منها ، وخاصة الامراض التي تؤدي الى تخلخل الاسنان وسقوطها المبكر •

والليمون مقبض للاوعية الدموية كما انه مخثر للدم ، فهو اذن نافع في تضميد الجروح وعلاج القروح ، فاذا ما أصيب امرؤ بالرعاف ـ نزيف

الانف ــ فان بالامكان وقفه بدلك فوهة الانف بقطعة قماش مبللة بعصير الليمون فيكون لذلك اثر سريع وحاسم .

ونظرا لما تبين من تأثير الفيتامين «ث» في الغدة الدرقية ، فان الليمون يعتبر مهدئا للاعصاب ، وقد اوصى الاطباء كل من يشكو الجدرة (اي ضخامة الغدة الدرقية الرابضة في مقدمة العنق)، بالاكثار من تناول الليمون او زرق الفيتامين «ث»، ولما كان المصابون بضخامة الغدة الدرقية يشكون توفز الاعصاب والاضطرابات العصبية والرجفان ، فان اثر الليمون كمصدر من مصادر الفيتامين المذكور لا يحتاج الى تنويه .

وقد تبين ان الليمون يملك القدرة على ترميم الانسجة ومفعوله البانـي يمتد الى جميع انسجة الجسم لان الكلس الذي يدخل الجسم لا يتمثل او يتثبت في العضوية الا اذا دعم بالفيتامين دو او الفيتامين ث ، وقد اتخذ المؤتمر الوطني للطفولة والامومة الذي انعقد في ايطاليا قبل عدة سنوات مقررات وتوصيات تقضي باضافة الليمون والبرتقال الى غذاء الحوامل والى وجبات الاطفال الذين يتغذون بالحليب الصناعي.

ولليمون خاصة اخرى هي احتواؤه على املاح وحوامض عضوية تساعد على احتراق الفضلات والاملاح ولذا فهو يوصف في حالاتالروماتزما والنقرس وارتفاع الضغط الشرياني وتصلب الشرايين والدوالي وعرقالنسا والالام العصبية المختلفة .

ويستخدم الليمون في جميع حالات الحمى وبخاصة عند ارتفاع حرارة المرضى ، لانه يساعد على طرح الفضلات ويزيد في ادرار البول ويؤثر في غدتي الكظر والدرق اللتين تنظمان النبض .

ولليمون قدرة على مقاومة السموم . ويروي لنا الادب المصريالقديم قصة مدهشة عن اثنين محكومين بالاعدام سيقا لتنفيذ الحكم فيهما بواسطة لدغة نوع من الثعابين السامة تدعى «آسبيك» ولكن احد باعة الليمـون

دس في يد كل من المحكومين ليمونة كبيرة تناولاها في الحال ، وكم كانت دهشة المشرفين على التنفيذ شديدة عندما تبين لهم ان لدغة الثعبان لم تؤثر في المحكومين ، وبعد تحقيق دقيق اشترك فيه كهنة لهم علم في السموم ، تمكن الاهتداء الى السر • ولكي يتأكد المحققون من الامر جاءوا بمحكومين آخرين اعطي احدهما ليمونة ثم اطلق عليهما الثعبان فاذا بالذي اكل الليمونة ينجو من الموت واذا بالثاني يلاقي حتفه في الحال • وقد أيد العلم الحديث هذه النظرية واعترف بقدرة الليمون على مقاومة السموم •

ولقشر الليمون قدرة على تنشيط الكبد ، وهو صالح للاكل بعد ازالة طبقته السطحية بواسطة الحك « البرش» ، كما يفيد في طرد الديدان والغازات والتعفنات المعوية •

ولا بد اخيرا ، من التفريق بين الليمون الطبيعي وبين ما يسمى حمض الليمون ، اذ ليس هناك ادنى علاقة بين الاثنين ، فبينما الاول يعتبر فاكهة، لا يعدو الثاني ان يكون عقارا اسمه العلمي « حمض الطرطير » ذا خاصية مقبضة ولذا فلا يجوز استعماله في الطعام او السلطة •

والليمون يوصف ايضا في حالات التهاب المسالك البولية (الكلوة والبروستات والمثانة) فهو يطهر المجاري ويغسلها بقدرته على ادرار البول وطرح الفضلات •

واذا ما منع مريض ما من استعمال ملح الطعام العادي ، فان في الليمون ما يعوضه بعض الشيء عن ذلك الملح نظرا لوجود املاح البوتاسيوم في هذه الفاكهة مما يجعل طعم الالوان مقبولا •

واخيرا ، فالليمون مهضم ومشه لان حامضيته تحرض الافرازاتاللعابية والغدد المعوية ، فهو يحتوي على خميرة « الدياستاز » المهضمة ، اما اذا عصر

على الطعام المطبوخ فانه يعيد اليه مافقده من فيتامين بسبب حرارة الطبخ او الغلي ، كما ان عصير الليمـون على الخضار التي تؤكـل نيئـة يعقمها ويقضي على الجراثيم الموجودة فيها •

وهكذا يتبين كم لهذه الفاكهة من فوائد طبية وغذائية وبخـاصة فيما يتعلق بامراض البرد كالرشوحات والنزلات الشعبية (البرونشيت) والزكام والروماتيزما •

شهرنا نقص يومـا

هوى رجل امرأة من قبيلة تغلب ثم تزوجها، واهدى اليهـا ثلاثين شاة وزقا من نبيذ معتق ، وبعث ذلك كله مع احد غلمانه ، فلما صار الغـلام في الطريق ، فتح زجاجة النبيذ وشرب بعضا منها ، ثم ذبح شاة وأكلها ، فقالـت المرأة للغلام ، لما اراد الانصراف : اقرىء مولاك السلام ، وقل له : انشهرنا نقص يوما ، وان سحيما راعي شياهنا اتانا مرثومـا ـ مكسورا ـ فلما اتى الغلام الى مولاه ، اخبره بما قالت له المرأة ، فضربه حتى اقر •

« عنوان مجلة العرفان »

* * *

بـيروت ـ لبنـان

ص•ب : ٣٩٧٨

مجلـة العرفان او نزار الزين

تلفـون : ٢٥٦٥٥٠

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

اثر العقائد الدينية في تقدم البشرية

للسيد جمال الدين الافغاني
١٢٥٤ – ١٣١٤هـ (١٨٣٩ – ١٨٩٧م)

أكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد ، واودع نفوسهم ثلاث خصال(١) كل منها ركن لوجود الامم ، وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية ، واساس محكم لمدنيتها ، وفي كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقي الى ذرى السعادة ، ومن كل واحدة وازع قوي يباعد النفوس عن الشر ، ويزعها عن مقارفة الفساد ، ويصدها عن مقاربة ما يبيدها ويبددها .

العقيدة الاولى : التصديق بان الانسان ملك أرضي ، وهو اشرف المخلوقات .

الثانية : يقين كل ذي دين بان امته اشرف الامم ، وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل .

والثالثة : جزمه بان الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم ارفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي ، والانتقال من دار ضيقة الساحات ، كثيرة المكروهات، جديرة ان تسمى بيت الاحزان وقرار الالام – الى دار فسيحة الساحات ، خالية من المؤلمات ، لا تنقضي سعادتها ، ولا تنتهي مدتها .

---

(١) هذا النص مقتبس من رسالة ((الرد على الدهريين)) وقد الفه السيد باللغة الفارسية سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩م) حين كان في مدينة ((حيدر اباد الدكن)) وقد ترجم الرسالة الى العربية تلميذه الاستاذ الامام محمدعبده بمساعدة تابعه عارف ابي تراب الافغاني.

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة في الاجتماع البشري ، والمنافع الجمة في المدنية الصحيحة ، وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم ، وما لكل واحدة من الدخل في بقاء النوع ، والميل بافراده لان يعيش كل منهم مع الاخر بالمسالمة والموادعة ، والاخذ بهمم الامم للصعود في مراقي الكمال النفسي والعقلي •

من البين ان لكل عقيدة لوازم وخواص لا تزايلها •

فما يلزم الاعتقاد بان الانسان اشرف المخلوقات ــ ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب انه كلما قوي الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات في صفاتها، وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلي ، وكلما سما عقله اوفى على المدنية ، واخذ منها بأوفر الحظوظ، حتى كاد ينتهي به الحال الى ان يكون واحدا من اهل المدينة الفاضلة ، يحيا مع اخوانه الواصلين معه الى درجته على قواعد المحبة ، واصول العدالة ، وتلك نهاية السعادة الانسانية في الدنيا، وغاية ما يسعى اليه العقلاء والحكماء فيها •

فهذه العقيدة اعظم صارف للانسان عن مضارعة(٢) الحمر الوحشية في معيشتها والثيران البرية في حالتها ، ومضاربة(٢) البهائم السائمة ، والدواب الهاملة ، والهوام الراشحة التي لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية، ولا تهتدي طريقا لحفظ حياتها ، وتقضي آجالها في دهشة الفزع ووحشة الانفراد •

هذه العقيدة أشد زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدي لافتراس بعضهم بعضا كما يقع بين الاسود الكاسرة ، والوحوش الضارية، والكلاب العاقرة ، واشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات •

---

(٢) المضارعة : المماثلة ، وضريب الشيء : نظيره

وهذه العقيدة احجى حاد للفكر في حركاته ، وانجح داع للعقل في استعمال قوته ، واقوى فاعل في تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل.

ان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد ، بل يظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل ، والى اي حد تصل بهم الشرور ، وبأي منزلة من الدناءة تكون نفوسهم ، وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية .

ومن خواص يقين الامة بانها أشرف الامم وجميع من يخالفها على الباطل ان ينهض آحادها لمكاثرة الامم في مفاخرها ، ومساماتها في مجدها ، ومسابقتها في شرائف الامور وفضائل الصفات ، وان يتفق جميعها على الرغبة في فوت جميع الامم ، والتقدم عليها في المزايا الانسانية عقلية كانت او نفسية ، ومعاشية كانت او معادية ، وتأبى نفس كل واحد عن اعطاء الدنية ، والرضا بالضيم لنفسه ، او لاحد من بني أمته . ولا يسره ان يرى شيئا من العزة ، او مقاما من الشرف لقوم من الاقوام، حتى يطلب لامته افضله واعلاه . ذلك انه بهذا الاعتقاد يرى ابناء قومه الیق وأجدر بكل ما يعد شرفا انسانيا .

فان جارت صروف الدهر على قومه فاضرعتهم ، او ثلمت مجدهم ، او سلبتهم مزية من مزايا الفضل ـ لم تستقر له راحة ، ولم تفتأ له حمية ولم يسكن له جيشان ، فهو يمضي حياته في علاج ما آلم بقومه حتى يأسوه او يموت في أساه (٣).

فهذه العقيدة اقوى دافع للامم الى التسابق لغايات المدنية ، وامضى الاسباب بها الى طلب العلوم ، والتوسع في الفنون، والابداع في الصنائع، وانها لابلغ في سوق الامم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف ، من غالب قاسر ومستبد قاهر عادل .

(٣) يأسوه : يطببه ويعالجه ، وأساه : علاجه .

وان أردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ، ماذا تجد من فتور في حركات آحادهم نحو المعالي ؟ وماذا ترى من قصور في هممهم عن درك الفضائل ؟ وما ينزل بقواهم من الضعف ؟ وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة ؟ والى اي هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصا اذا بغى عليهم الجهل فظنوا انهم ادنى من سائر الملل .

ومن مقتضيات الجزم بان الانسان ما ورد هذا العالم الا ليتزود منه، كمالا يعرج به الى عالم ارفع ، ويرتحل به الى دار اوسع ، وجناب امرع ، ليمرع واديه ـ ان من أشربت هذه العقيدةقلبه ينبعث بحكمها ، وينساق بحاديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة ، والمعارف الصافية ، خشية ان يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لابراز ما اودع فيه من القوة السامية والمدارك العقلية ، والخواص الجليلة ، باستعمالها فيما خلقت له فينجلي كماله من عالم الكمون الى عالم الظهور ، ويرتقي من درجة القوةالى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته في تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ولا يناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية ، وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متنكبا عن طريق الخيانة ، ووسائل الكذب والحيلة ، معرضا عن ابواب الرشوة ، مترفعا عن الملق الكلبي ، والخداع الثعلبي ، ثم ينفق ما كسب في الوجه الذي يليق ، وعلى الوجه الذي ينبغي ، وبالقدر الذي ينبغي، لا يأتي فيه باطلا ولا يغفل حقا عاما او خاصا .

فهذه العقيدة هي أحكم مرشد واهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة ، وهذا الاعتقاد اشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التي لا عماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه ، والقيام على صراط العدل المستقيم .

هذا الاعتقاد انجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الامم ، اذ لا عقد لها الا مراعاة الصدق ، والخضوع لسلطان العدل في الوقوف عند حدود المعاملات. هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية ، تهب على القلوب ببرد الهدوء

والمسالمة ، فان المسالمة ثمرة العدل والمحبة ، والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنة ، وهي غراس تلك العقيدة التي تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور ، وتنجيه من متائه الشقاء وتعاسة الجد ، وترفعه الى غرف المدينة الفاضلة ، وتجلسه على كرسي السعادة ..

وقد يسهل عليك ان تتخيل جيلا من الناس حرم هذه العقيدة فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس ؟ وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشرة والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد ؟ وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة(٤) عن نور المعرفة .

★ ★ ★

الحسن بن علي رضي الله عنه

للاستاذ توفيق ابو علم

زوجاته :

عرف الامام الحسن رضي الله عنه بحسن عشرته لازواجه فكان يمسكهن بمعروف ويسرحهن باحسان وكان الناس يرغبون في مصاهرته . وروى ابو الفرج في الاغاني بسنده عن عوف بن خارجه قال : « والله اني لعند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته اذ أقبل رجل يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر فحياه بتحية الخلافة .

فقال له عمر : من أنت ؟ قال : انا امرؤ القيس بن عدي الكلبي . قال: فما تريد ؟ أريد الاسلام . فعرضه عليه عمر رضي الله عنه ، فقبله ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه .

(٤) العشا (على وزن العمى) ضعف البصر ، وصاحبه : اعشى.

قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط امر على جماعة المسلمين قبله ونهض علي بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه فأخذ بثيابه .

فقال له : « يا عم انا علي بن ابي طالب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ، وهذان ابناي الحسن والحسين من ابنته ، وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا فقال : قد أنكحتك يا علي المحياة بنت امرىء القيس،وانكحتك يا حسن سلمى بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرىء القيس (أم السيدة سكينة).

وقال هشام الكلبي : كانت الرباب من خيار النساء وافضلهن ، وسنرى في الفصل القادم انها خطبت بعد قتل الامام الحسين. فقالت : « ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تزوج خولة بنت منظور الفزارية ، وجعدة بنت الاشعث ، وامكلثوم بنت الفضل بن العباس ، وأم اسحاق بنت طلحة ، وولدت منه ولدا سماه طلحة ، وام بشير بنت ابي مسعود الانصاري ولدت منه زيداً ، وهند بنت عبد الرحمن بن ابي بكر ، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن ابي بكر ، وغيرهن ومجموع ما تزوجه لم يتجاوز خمسة عشر ، وهو رقم لا يمت الى الكثرة المزعومة بصلة، ولا يمت الى ما زعمه بعض المستشرقين من ان عدد زوجاته وصل الى المائة، ويعيب بعض قصار الادراك كثرة زواجه وطلاقه مع اني ـ كما بينت ـ أعتبر عدد مرات زواجه عاديا مثل الذي كان يحدث في زمانه ، ولست ادري من اين جاءت هذه الكثرة التي يتحدث عنها رجال التاريخ والمستشرقون كما سنرى بعد قليل وينسى هؤلاء جميعا ان الزواج في زمانهم كان يربط العصبيات ويزيد في قوة القبائل ، وكان تعداد الزواج امرا مألوفا بل مستحبا وهو في بيت النبوة اكثر استحبابا ، وليس مع الحلال تهمة ، وما احوج المجتمع لأئمة الهدى الذين يمشون بين الناس بنور الايمان الذي يروونه من عرقهم الطاهر المطهر ، وينمونه في بيئتهم النقية الصالحة .

وصدق الامام علي كرم الله وجهه حينما قال في السادة آل البيت الاطهار :

« أين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا، ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم ، وأدخلنا واخرجهم ، بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى » •

وصدق الفرزدق حين قال :

ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم او قيل من خير أهل الارض قيل هم

وينتهز (لامنس) هذه الفرصة ليتحدى الاسلام ليلصق به التهم ويطعن في رجاله ، وقد كتب في بحثه عن ازواج الامام : « ولما تجاوز (يعني الامام الحسن رضي الله عنه) الشباب وقد انفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق فأحصى له حوالي المائة زوجة وألصقت به هذه الاخلاق السائبة لقب المطلاق، وأوقعت عليا في خصومات عنيفة وأثبت الحسن كذلك انه مبذر كثير السرف، وقد خصص لكل من زوجاته مسكنا ذا خدم وحشم ، وهكذا نرى كيف يبعثر المال ايام خلافة علي التي اشتد فيها الفقر ••»

وقد اعتمد لامنس في قوله : « ان لار الزواج والطلاق على اقوال المدائني وامثاله من المؤرخين الذين تابعوا السلطة الحاكمة فكتبوا لهـا لا للتاريخ •

وقد استقى المستشرقون الذين كادوا للاسلام في بحوثهم من منهل المؤرخين الذين ساندوا تلك الدول الجائرة التي ناهضت اهل البيت وعملت على تشويه واقعهم والحط من كرامتهم ، وقد زاد عليه لامنس فذكر من الاكاذيب ما لم يقل به احد غيره فقد قال :

١ ـ انه ألفى اباه بسبب كثرة زواجه وطلاقه في خصومات عنيفة ولم يشر أحد ممن ترجم الامام الى تلك الخصومات العنيفة التي زعمها لامنس •

٢ ـ وذكر ان الامام خصص لكل من وزجاته مسكنا ذا خدم وحشم وان جميع المؤرخين لم ينقلوا ذلك ، وهو من الكذب السافر والافتراءالمحض لقد كان زواج الامام الحسن ليس الزواج الذي يختص به الرجل لمشاركة حياته ، وانما كانت حوادث استدعتها ظروف شريعة محضة ، من شأنها انيكثر فيها الزواج والطلاق معا ، وذلك هو دليل سمتها الخاصة .

ونعود الى زوجاته ، فأما « خولة بنت منظور الفزارية » فهي من سيدات النساء في وفور عقلها وكمالها تزوج بها كما سأبين فيما بعد ، فقيل انه ليلة اقترانه بها بات معها على سطح الدار فشدت خمارها برجله وشدت الطرف الاخر بخلخالها فلما استيقظ وجد ذلك فسألها عنه فقالت له معربة عن اخلاصها وحرصها على حياته : « خشيت ان تقوم من وسن النوم فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب ، فلما رأى منها ذلك احبها واقام عندها سبعة ايام ، وقد بقيت عنده حولا لم تتزين ولم تكتحل حتى رزقت منه السيد (الحسن) فتزينت فدخل عليها الامام فرآها متزينة فقال لها « ما هذا ؟» فقالت له: « خفت ان اتزين وأتصنع فتقول النساء تجملت فلم تر عنده شيئا فأما وقد رزقت ولدا فلا أبالي ».

وبقيت عنده الى ان توفي فجزعت عليه جزعا شديدا ، فقال لها ابوها مسليا :

نبئت خولة امس قد جزعت من ان تنوب نوائب الدهر
لا تجزعي يا خول واصطبري ان الكرام بنوا على الصبر

وذكرت السيدة زينب بنت علي العاملية في ترجمة خولة ما حاصله انها لما بلغت مبالغ النساء خطبها جملة من وجهاء قريش واشرافهم ، فامتنع ابوها من اجابتهم لانهم ليسوا باكفاء لها ، ثم انه طلق امها (ملكية بنت خارجة) فتزوجها من بعده طلحة بن عبيد الله ، وتزوج ابنه محمد بخولة فولدت له

ابراهيم وداود وام القاسم ، وقتل زوجها محمد في واقعة الجمل فخطبها جماعة من الناس فجعلت امرها بيد الحسن فتزوجها •

ويروى انه لما نزح الامام الى يثرب حملها معه ، فبلغ أباها ذلك فأقبل الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيده راية فركزها في المسجد، فلم يبق قيسي الا وانضم تحتها وهو يهتف بقومه ويستنجد بهم على أخذ بنته من الامام ، فلما بلغه رضي الله عنه ذلك خلى سراحها فأخذها وخرج فجعلت خولة تتوسل به على ارجاعها وتندد بعمله وتذكر له فضل الامام ، فندم على فعله وقال لها « البثي هاهنا فان كان للرجل بك من حاجة سيلحق بك » • فلحقه الامام الحسين وعبد الله ابن عباس ، فلما انتهوا اليه قابلهم بحفاوة وأرجعها الى الامام ، وهذه القصة مشكوك في صحتها •

اما « جعدة بنت الاشعث » فقد اختلف المؤرخون في اسمها ، فقيل سكينة ، وقيل شعثاء ، وقيل عائشة ، والاصح انها جعدة حسب ما ذكره اكثر المؤرخين وكما جاء في مقاتل الطالبيين •

اما « عائشة الخثعمية » وقد تزوجها الامام الحسن في حياة والده ولما قتل علي اقبلت الى الامام الحسن فأظهرت الشماتة بوفاة ابيه •

فقالت له : « لتهنك الخلافة » •

ولما علم عليه السلام شماتتها قال لها : « ألقتل علي تظهرين الشماتة؟ اذهبي فانت طالق » فتلفعت بثيابها وقعدت حتى انقضت عدتها ، فبعث لها بقية صداقها وعشرة آلاف درهم صدقة لتستعين بها على امورها ، فلما وصلت اليها ، قالت : « متاع قليل من حبيب مفارق » ولم يذكر التاريخ ان الامام طلق زوجة سوى هذه وام كلثوم وامرأة من بني شيبان •

اما بقية زوجاته فقيل هن : ام كلثوم بنت الفضل بن عباس،وفي الاستيعاب ان الامام الحسن تزوجها ، ثم فارقها فتزوجها من بعده ابو موسى الاشعري، ثم ام اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي وقد ولدت منه ولدا اسماه

طلحة ، وأم بشير بنت ابي مسعود الانصاري وولدها زيد ، وهند بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وامرأة من بنات عمرو بن اهيم المنقري ، وامرأة من ثقيف وولدها عمر ، وامرأة من بنات زاره ، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة فقيل لها انها ترى رأي الخوارج فطلقها وقال : « اني اكره أن أضم الى نحري جمرة من جمر جهنم » وأم عبد الله ، وهي بنت الشليل بن عبد الله اخي جريلاً البجلي ، وام القاسم •

وبذلك يكون مجموع ما تزوجه الامام الحسن هذا العدد الذي ذكرناه وهو لا يمت الى الكثرة المزعومة بصفة،ولنا ان نسأل اين كثرة الزواج والطلاق التي طبل لها بعض المؤرخين •

واذا كان هناك تعدد لزواجه فيجب الحكم على ذلك في ظل الظروف التي كان يعيش فيها ، فاذا كان قد تزوج اكثر من مرة فانه يقصد بهذا التعدد الاصهار الى كثير من القبائل لان الحاكم على حد تعبير ابن خلدون يستند الى عصبية ، ولما كان بنو امية لم ينتصروا ويتمكنوا في الارض الا بما توافر لديهم من عصبية فقد ادرك الحسن بما قد يتعرض له ذووه وذريته من اضطهاد وتقتيل لا يحفظ منه سلالة الرسول من الاندثار والانقراض الا تعدد الزواج وكثرة النسل •

اولاده :

اختلف المؤرخون في عدد اولاده اختلافا كثيرا ، فقد روى انهم اثنا عشر « ثمانية ذكور واربع اناث » وقيل ستة عشر الذكور احد عشر والاناث خمس ، وقيل غير ذلك وقد اتفق المؤرخون انه لم يعقب احد من اولاده سوى الحسن وزيد •

اما أعلام اولاده فهم :

١ ـ القاسم : وقد استشهد مع عمه سيد الشهداء في واقعة كربلاء •

٢ ـ ابو بكر : واسمه عبد الله أمه أم ولد ويقال لها رملة ، يرزيوم الطف يحامي عن دين الله ويذب عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستشهد في تلك الواقعة .

٣ ـ عبد الله : استشهد مع عمه في كارثة كربلاء وله من العمر احدى عشر سنة ، نظر الى عمه الحسين وقد احاطت به جيوش الامويين ، فأقبل يشتد للدفاع عنه ، وسارع ابجر بن كعب بالسيف ليضرب الامام الحسين، فصاح به الغلام : « ويلك يا ابن الخبيثة اتضرب عمي؟» واتقى الغلام الضربة بيده ، ثم رماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه .

٤ ـ زيد : وقد كان كريم الطبع جليل القدر كثير الاحسان قصده الناس من جميع الافاق لطلب بره ومعروفه ، وكان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما ولي سليمان بن عبدالملك عزله منها ، ولما هلك واستخلف عمر بن عبد العزيز أرجعها اليه .

وقد مدحه محمد بن بشير الخارجي بقوله :

اذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة ... نفى جدبها واخضر بالنبت عودها
وزيد ربيع الناس في كل شتوة ... اذا اخلفت انواؤها ورعودها
حمول لاشتات الديات كأنه ... سراج دجى قد فارقته سعورها

وكان يركب فيأتي سوق (الظهر) فيقف به فتزدحم الناس على النظر اليه ويعجبون من خلقه ، ويقولون يشبه جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتوفي له من العمر تسعون سنة ورثاه جماعة من الشعراء منهم قادمة بن موسى الجمحي بقوله :

فان يك زيد غالب الارض شخصيه ... فقد بات معروف هناك وجود
وان يك أمسى رهن رمس فقد ثوى ... به وهو محمود الفعال فقيد
سميع الى المضطر يعلم انه ... سيطلبه المعروف ثم يعود

وليس بقوال وقد حط رجله | لملتمس المعروف أين يريد
اذا قصر الوعد الذي قد نمى به | الى المجد آباء له وجدود
مناديل للمولى محاشيد للقرى | وفي الروع عند النائبات اسود
اذا مات منهم سيد قام سيد | كريم فيبني مجدهم ويشيد

٥ ـ الحسن : وقد حضر مع عمه الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء فقاتل معه حتى سقط جريحا ثم انقذ ورجع الى المدينة وتزوج بابنة عمه (فاطمة بنت الحسين) .

وقيل توفي وعمره خمس وثلاثون سنة مسموما وقد سقاه السم الوليد بن عبد الملك .

منبر الاسلام

عهد من الاستشراق جديد

اكثر انصافا ، واتزه غايـــة

بقلم : عفت الشرقاوي

كتاب يسهل تعليم اللغة العربية ، لغة العرب ، ينشره معهد الدراسات الاسلامية ، بجامعة ماكجل الشهيرة ، بمدينة منتريـال بكنـــدا .

ازداد الاقبال على تعلم اللغة العربية بين الاجانب ، خلال السنـــوات الاخيرة بصورة ملحوظة ، ويفسر هذا الاقبال بعاملين اساسيين : الاول هو النهضة العربية الجديدة التي يمر بها الوطن العربي الان في جميع انحائـــه، والتي تستلهم فيما تستلهم تراثها الماضي لتبعثه من جديد ، وتتلمس فيه قيما ومثلا عالية تحييها لحاضرها المتطور الناهض .

لقد أثارت هذه النهضة المتوثبة انظار العالم الحديث الى واقع الامـــة العربية الحي، فتجدد الاهتمام والمتابعة لاخبارها السياسية والثقافية ، وتطلعت الاعين الى مزيد من العلم بتطورها الحضاري ، ورغب كثيرون في دراسة لغة الحضارة ليكون اتصالهم بها اوثق واشد صـــلة .

هذا هو العامل الاول .

واما العامل الثاني فهو الاتساع المطرد في دائرة الابحاث الاستشراقية والتطور الناشيء عن محاولة كثير من المستشرقين حتى نهاية الحرب العالميـــة الثانية .

اولى هاتين الصفتين هي قصر العناية بدراسة حضارة الاسلام على الجانب الكلاسيكي وحده ، وثانيتهما هي ميل كثير من المستشرقين الى هوى دينـــي او عنصري في تناولهم لحضارة الاسلام .

لقد وجد المستشرق الحديث ان تاريخ الاسلام حلقة متصلة ، وانه لا

يمكن فصل حاضره عن ماضيه ، او فهم احدهما بدون الاخر ، ووجد ثانيا انه لا سبيل الى فهم هذه الحضارة ، والرؤية الواعية لاعماقها الاصيلة ، من غير تعاطف انساني عميق مع صانعيها واصحابها ، وان الميل مع الهوى في تناول جوانبها لا يؤدي الا الى نتائج واهية ، تجافي روح البحث العلمي الحق، كما يتطلبه قارىء القرن العشرين •

تطور النشاط الاستشراقي الى حد كبير خلال العقدين الماضيين من هذا القرن ، وتحول تبشير القرن التاسع عشر الى فلسفة حضارية راقية على يد كثيرين من المستشرقين المحدثين ، وهكذا اجتذب الاستشراق مئات من الطلاب، واخرج العديد من الاساتذة الجدد ، وازداد تبعا لذلك الاقبال على اللغة العربية ، اللغة الام للحضارة الاسلامية •

ازداد الاقبال على تعلم العربية ، وازدادت بذلك المحاولات من اجل اخراج كتاب يناسب الطالب الاجنبي الجديد ، ويجذبه الى هذه اللغة ،ويسهل عليه أمر قراءتها وكتابتها • ومن احدث هذه المحاولات الكتاب الذي ألفه الاستاذان : سلمان العاني ويعقوب شماس تحت عنوان «Phonoloyy and script ob literary arabic» (صوتيات اللغة العربية وكتابتها)وقد طبعه معهد الدراسات الاسلامية بجامعة ماكجل بمونتريال ـ كندا سنة ١٩٦٧ • والكتاب مدخل مبسط الى اللغة العربية : يقدم الحروف في مجموعات متتابعة ذات خصائص صوتية معينة، يشرحها المؤلفان في دقة وبساطة وعلى اساس من علم الاصوات المقارن • يجعل الكتاب حروف الثاء والتاء والباء ، مثلا ، مجموعته الاولى التي يقدمها للطالب ، بادئا بالوصف الصوتي المقارن لكل حرف منها، متبعا ذلك بتمرينات صوتية ، يقوم بها الطلبة ، تقليدا لمدرسهم ، او متابعة لشريط التسجيل الذي أعده المؤلفان لهذا الغرض • ثم يقدم الكتاب بعد ذلك طريقة رسم هذه الحروف الثلاثة في اماكنها المختلفة من الكلمة ، مشيرا باسهم دقيقة الى حركة القلم اثناء الكتابة ، ثم يعطي اخيرا تمرينات منوعة على كتابة هذه الحروف ، تقليدا ، ثم اصالة ، في قاعة الدرس ، ثم خارجها.

ويمضي الكتاب في تقديم بقية الحروف في مجموعات متتابعة مؤجلا

الحروف ذات المخارج الغريبة او الصعبة على القارىء الغربي الى قرب نهاية الكتاب ، حيث يقدم الغين والعين في مجموعة ، ثم الخاء والحاء والجيم في مجموعته الاخيرة على نفس النمط السابق •

وفي الكتاب ــ بعد تقديم الحروف والتمرين الوافر على قراءتها في كلمات ــ ملحق بالقواعد الاساسية في القراءة ، مثل : لام التعريف، والحروف الشمسية والقمرية ، وعلامات الاعراب، والتنوين الخ••

والكتاب في رأيي مقدمة كاملة لقراءة العربية وكتابتها ، بحيث يستطيع الطالب ان يبدأ بعد ذلك قراءة الجملة البسيطة ، متدرجا فيما بعد الى دراسة نحو العربية المفصل ، وتحصيل معجمه اللغوي المناسب ، وتدريس هذا الكتاب قد يستغرق شهرين في فصل متوسط الاستعداد ، ولكن يخلص الطالب والمدرس من مشكلات قرائية وكتابية كثيرة ، قد تنشأ فيما بعد ، اذا ما قدمت الحروف العربية على نحو اخر ، لا يقوم على منهج صوتي وكتابي مقارن ولا يراعي الامكانيات اللغوية للطالب الغربي••

في رأيي ان هذا الكتاب كسب كبير في تاريخ تدريس اللغة العربية للاجانب ، ولا يعرف هذه الحقيقة الا من خبر تدريس هذه اللغة لهم وعرف طبيعة المشكلات التي تواجه كلا من الطالب والمدرس في هذا الصدد ، اوقارن بينه وبين المحاولات السابقة في هذا المجال ، حيث تبدو اللغة العربية شيئا شاقا ، على الطالب ان يجهد في سبيله ، ويتحمل كل ما فيه من عسر •

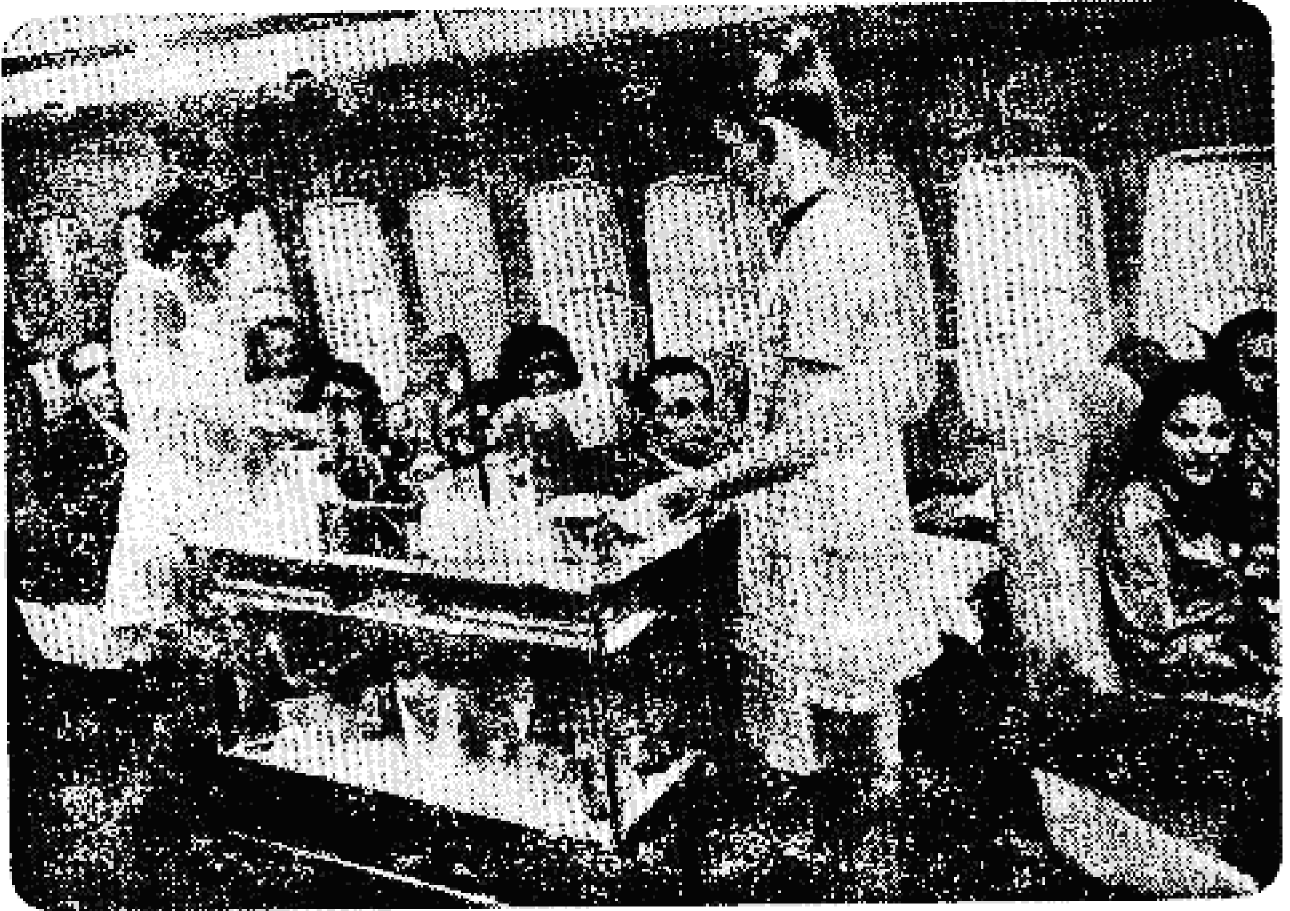
تستطيع احدى وزارات التربية والتعليم ، او الثقافة والاعلام ، في الدول العربية تبني هذا المشروع البسيط ، ثم اتباع ذلك بنشر الاجزاء التالية من السلسلة التي اعدها المؤلفان للطبع •

وتستطيع ادارة الثقافة بجامعة الدول العربية ايضا ان تقوم بذلك ، فتمد الى الطالب الغربي يد الصداقة ، عسى ان يمد اليها يوما قلب الصديق ، او عقل المنصف • وهي بلا شك قادرة على اخراج الكتاب في صورة افضل واجمل من صورته الحاضرة •

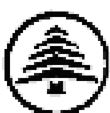
الكتاب نشر في عام ١٩٦٧ ، وثمنه ٢٫٧٥ دولار •

عفت الشرقاوي

خبرة ٣٠٠٠ عام
تدعم حسن تدريب مضيفاتنا



الضيافة اللبنانية المشهورة التي ذاعت في آفاق العالم لم تبلغ
هذا الشوط البعيد إلا بعد ٣٠٠٠ عام من المحافظة على التقاليد العريقة والتهذيب في العادات والأخلاق.
فمن أول معاني هذه الضيافة الترحيب الحار الذي يلقاه المسافر على متن
طائراتنا، ثم وجبات الطعام التي تقدم إليه ساخنة حتى في الرحلات القصيرة
المسافة. ويتجلى حسن هذه الضيافة في الأطباق الخزفية التي يقدم
فيها الطعام، وأيضاً في أنواع المشروبات التي تقدم مجاناً لركاب الدرجة الأولى. ومن معاني هذه
الضيافة تهيئة الفرصة للمسافرين لشراء الهدايا على متن الطائرة معفاة
من الرسوم (أكثر من ١٢٠ صنفاً معروضاً للبيع). على أن ضيافتنا تعني قبل كل شيء
توفير الراحة والعناية والخدمة الشخصية التي اشتهرت
شركتنا بتقديمها لركابها.
لقد قضينا ٣٠٠٠ عام في إتقان هذه الخدمة.



MEA

طيران الشرق الأوسط الخطوط الجوية اللبنانية

اليانصيب الوطني اللبناني

ثروة للمساهمين واسعاف للمحتاجين

تقام حفلات السحب في التلفزيـــون

مساء الخميس من كل اسبوع الساعـة السابعـة مســـاء

لا تدعوا الحظ يفوتكـم

ترقبوا موعد سحب كل اصدار مزوديـن باوراقكم



العرفان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نـزار الزين

الاعداد ٨ ، ٩ ، ١٠ مجلـد ٦٦ تشرين الاول « اكتوبـر » تشرين الثاني « نوفمبر » كانـون الاول « دسمبر » ١٩٧٩ ـ ذو القعـدة ، ذو الحجـة ، محـرم ١٣٩٨ ـ ١٣٩٩ .

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارىء :

لا أدري ماذا أكتب وقد بري القلم من كثرة الكتابة في موضوع نكبة لبنان ومأساته بعد ان حولوه من بلد المحبة والسلام الى بلد البغضاء والخصام ، ومن بلد الحضارة والاشعاع الى بلد الحقد والجهل ، ومن بلد الراحة والاستجمام الى بلد الرصاص والجهل وما شابه ذلك من المزعجات ، فكم تغنى الادباء من كتاب وشعراء نثرا ونظما بلبنان لا في امتداح مناظره وجماله ، بل في شمائل أبنائه ، و .. و .. الخ . فأين كل هذا ذهب، بل طار الى خارج الحدود ام هل صدئت الافهام على حد قول « أبو العلاء » في أبيات له تحت عنوان « صدأ الافهام » :

لقد صدئت افهام قوم فهل لها ... صقال ويحتاج الحسام الى الصقل
وكم غرت الدنيا بنيها وساءني ... مع الناس مين في الاحاديث وفي النقل
سأتبع من يدعو الى الخير جاهدا ... وارحل عنها ما أمامي سوى عقلي
اذا جهزتني غائبا غير آيب ... تركت لها ما حملتني من الثقل
مخبرة الحالات نافضة القوى ... موثقة الاغلال محكمة العقل
تواصت بها الارواح في القيظ بعدما ... تناصت بها الارماح في زمن البقل
ومن كان في الاشياء يحكم بالحجى ... تساوى لديه من يحب ومن يقلي

وكنا قد فكرنا ان الجولة الرابعة الطويلة التي بدأت في أيلول ١٩٧٥ كانت النهاية ، فاذا بتموز ١٩٧٨ يجدد المأساة ولا ندري اذا كان لها من نهاية، فعددنا الممتاز عن السيد أحمد الصافي النجفي علق بالمطبعة ولا يمكن ان يخرج الا متى هدأت الحالة واستقر الوضع في لبنان .

صبرنا طويلا وتحملنا كثيرا ولا أدري اذا كانت الايام تبقي بنا رمقا .

ذلكم هو القرآن الكريم

بقلم : الشهيد الشيخ حسن البنا

« كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الاتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم » ـ الترمذي عن علي رضي الله عنه مرفوعا ـ .

ذلكم هو القرآن الكريم :

وقد أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليتلوه المؤمنون فتنشرح بهذه التلاوة صدورهم ، وتستنير أفئدتهم وقلوبهم ، وينالوا به مثوبة الله يوم القيامة ، وما تقرب أحد الى الله تبارك وتعالى بمثل كلامه ، ثم ليكون بعد ذلك دستور حياتهم ونظام مجتمعهم ، يرسم لهم طرائق الحياة السعيدة في هذه الدنيا ، وطرائق الفوز والنجاة في العقبى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (سورة النحل الآية ٩٧) « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (سورة طه الآية ١٢٤) .

فليس المقصود من القرآن مجرد التلاوة أو التماس البركة وهو مبارك حقا . ولكن بركته الكبرى في تدبره وتفهم معانيه ومقاصده ؛ ثم تحقيقها في الاعمال الدينية والدنيوية على السواء ؛ ومن لم يفعل ذلك ، أو اكتفى بمجرد التلاوة بغير تدبر ولا عمل فانه يخشى أن يحق عليه الوعيد الذي يرويه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه : « يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا ، وان أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا » .

ولهذا كانت الحاجة ماسة الى التفسير المفهم الذي تتضح به المعاني والمقاصد بحسب مدارك البشر وما تتسع له عقولهم ؛ ان كان القرآن في الحقيقة قد يسره الله للناس تيسيرا عجيبا « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » (سورة القمر الآية ١٧) « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » (سورة مريم الآية ٩٧) « فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » (سورة الدخان الآية ٥٨) ، ولكنه بعد تبلبل الالسنة وفشو اللحن ؛ وانتشار العامية والبعد عن الفصحى ، صار الناس في حاجة الى تفسير الالفاظ والتراكيب التي قد يغيب معناها عن أذهانهم أو يخفى مدلولها عن ادراكهم ، هذا مع أن القرآن الكريم هو دستور الدين والدنيا . وقد ضمنه الله من علومهما وما يتصل بهما من المعارف ما تتفاوت في ادراكه عقول الناس ، وما يزال الزمن والبحث يكشف عن درره وجواهره ويبين عن غرائبه وعجائبه « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » « فصلت الآية ٥٣ » .

حسن البنا



العلم في الكتب المقدسة

أمانة الأجيال

بقلم: الشيخ عبد العزيز العلي المطوع

(١)

الوزن والقوة المحركة بين دافعة وجاذبة :

يقول الحق تبارك وتعالى منبئا عن بني اسرائيل : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » (الآية ٦٣ من سورة البقرة) « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » (الآية ٩٣ من سورة البقرة) كما جاء مثل ذلك في الآية ٥٤ من سورة النساء والآية ١٧١ من سورة الاعراف ، قال سبحانه : « ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » ؛ وقال جل شأنه : « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » .

ان ذكر القرآن الكريم لأربع آيات في موضوع واحد بثلاث سور متفرقات ، يستدعي وقفة طويلة ويسترعي انتباها خاصا ، ويقتضي تأملا واعيا ؛ سيما بعد أن ذكر الله سبحانه في ثلاث من تلك الآيات الكريمة : « خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » .

فاقتلاع جبل من موقعه ـ على هذا التصوير القرآني ـ والارتفاع به الى حيث يصبح وكأنه ظلة يدعو الى الدراسة والى التعرف على بعض أسرار الطبيعة انتفاعا بها ، والاقتلاع عادة لا يتم الا بقوة جاذبة أو دافعة ، كما تدفع كرة في الفضاء مثلا ، أو يدفع الوقود جسم الصاروخ ، أو تجذب قوة ما ، دلوا من بئر ، أو تشد قوة المغنطيس قطع الحديد نحوها ، أو كما تستعمل الطريقة المروحية في تسيير السفن والطائرات وغير ذلك ، أو كما يتحرك الماء بين المد والجزر بتأثير جاذبية القمر ، وللجاذبية أنواع أخرى لا ينبغي اغفالها ـ كجاذبية تماسك الخلايا فيما بينها في الجسم الحي ، وتماسك الذرات في الجسم الميت ، وجاذبية الوحدات في المجموعات من جهة ثانية ، ولولا ذلك لتفككت أجزاء المجموعات الكونية ـ مثلا ، وتناثرت وحداتها، وقد جاء ذكر ذلك في مستهل من سور التكوير والانفطار والانشقاق وغيرها من آيات الله ، حين تنفطر السماء وتختل موازين الجاذبية الكونية ، وتتناثر الكواكب ، اجتزىء من ذلك قوله سبحانه في مستهل سورة الانفطار : « اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت » وقد سبق أن قدمت في الحلقة الثانية من الحديث حول سورة البقرة بالعدد الثاني من المجلد التاسع عشر من مجلة « البعث الاسلامي » التي تصدرها ندوة العلماء في لكنو ـ الهند ـ بعض التفاصيل عن الارض وعن أهميتها وأن المجموعة كلها وكل ما في السماوات مسخر للانسان الذي هو من هذه الارض ، مما يحملنا على أن نقول : (كان الاحرى بهذه المجموعة أن تسمى بالمجموعة الارضية بدلا من تسميتها بالمجموعة الشمسية) .

لا سيما وأن الارض لم تخلق لفائدة الشمس وباقي المجموعة ، بل العكس هو الصحيح ، ولعل في الآية ٦٧ من سورة الزمر ما يشير الى هذا المعنى حيث يقول سبحانه : « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة ... » ولعل في ذكر عبارة (الارض جميعا) ما يشير الى المجموعة الارضية ، وبهذه المناسبة لا يفوتنا أن نقول : ان لفظ الارض في القرآن

العظيم لم يأت بصيغة الجمع ، وربما كان ذلك لثقل الكلمة في صيغة جمعها ، ونتوئها عن سلاسة الاسلوب القرآني ، كذلك يلاحظ أنه لا يخطىء من يقول ـ أرض القمر مثلا أو أرض المريخ أو غير ذلك من مفردات المجموعة ولقد تركز بحثي في الحلقة الثانية المذكورة حول أربع آيات : ٩ الى ١٢ من سورة فصلت ، وظهرت لي منها أهمية الارض بالنسبة للكون كله ، ولعلها هي نواته ومنطلقه ، لا سيما وان عناصر الكون كله من عناصر هذه الارض وان الاجواء العليا كلها مربوطة بجوها .

جاذبية الايمان والحب والتعاطف :

كما أن هناك جاذبية فيما بين عناصر تكوين المخلوقات المختلفة ومجموعاتها ، هناك جاذبية حب وتعاطف بين مختلف الكائنات الحية كذلك ، كما جاء في سورة يس : « سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » وفي المثل : (ان الطيور على أشكالها تقع) .

وان أسمى هذه الجاذبيات جاذبية الفضائل التي تتمثل في وشائج الاصلاح القائمة على النفع العام وفي التكتل للجهاد في سبيل الله وصالح المجتمع بين بني الانسان ، كتصديق عملي للايمان الخالص ، وبهذا جاءت رسالات الله سبحانه ؛ وقد ورد في الحديث الشريف : (ليس الايمان بالتمني ولكن الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) كما جاء على الاثر كذلك (والذي نفس محمد بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء اذ فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) .

وجاء في الآية الثالثة من سورة الصف ، بيان ما يفرق الصفوف ويحيل الحب الى جدل ومشاحنات بين الاحبة ، والى مقت كبير عند الله ، وذلك عندما يشتد التنافس حول استغلال عواطف الدهماء بعبارات خلابة رعناء ، وصولا الى قمة زعامة جوفاء ، دون امكانية اقتران القول بالعمل ، قال سبحانه : « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » واذا كان الله سبحانه

يمقت الذين يقولون ما لا يفعلونه فانه يحب اقتران العمل بالقول في كل ما هو صالح ومفيد ؛ كما هو مفهوم الآية الرابعة من سورة الصف « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (١) ، وقد جاء في الآيات ٥٤ ـ ٥٦ من سورة المائدة : الصفات الكاملة للمؤمنين المحبين لله الجديرين بحبه سبحانه ، الذين سوف يأتي الله بهم على أنقاض المجردين من كل هذه الصفات أو جلها ، أكتفي منها بذكر الآية ٥٤ قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » (٢) .

التعادل والوسط او الحياد عند الانسان :

واذا كانت الجاذبية بين المخلوقات طبيعية ؛ لتكوينها الثلاثي المؤلف من (الايجاب والحياد والسلب) فانها قد تختلف عنها في الانسان كوحدة ، لان أصل تكوينه الفطري والفكري حيادي ، غير أن اتمام القاعدة الثلاثية يكون باستقبال الانسان الحيادي للتيارات الايجابية في الخير من الله سبحانه وملائكته الاكرمين وكتبه ورسله وعباده الصالحين ، وباستعداده لاستقبال تيارات الشر من الجانب السلبي ممثلا في ابليس وأعوانه من الجنة والناس ؛

(١) ويظهر من ذلك أن الله يحب أن تقوم أعمالنا العامة والخاصة على صورة منظمة أقرب ما تكون الى نظام الجندية والقيادة ، حتى يتم لها النجاح وسرعة الانجاز ، وما أجمل ما تقوم عليه صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم ، من تبعية المأمومين لامامهم ابتداء وانتهاء ، حركة وسكونا ، وما أروع ما أعطاه الشارع للمأموم من حق الاعتراض على ما يمكن أن يقع الامام فيه من أخطاء ، وتنبيهه الى تلافيها ، فان تلافاها كان خيرا والا فارقته الجماعة ، واقاموا جماعة أخرى من دونه لان اعتبار الحق مقدم على كل اعتبار وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، كما قال الرسول الكريم .

(٢) وأرى لزاما على كل مؤمن أن يستعرض أمام ضميره هذه الصفات ليتلافى شوائب الردة فيذبها عن نفسه ليكون جديرا بالوعد الحق .

بدليل أن ملائكة اللـه الكرام وابليس ، كانوا بالمـلا الاعلى قبل آدم عليـه السلام ، غير أن ابليس لم يتح له الجو الملائم للقيام بدوره ولم يكن له مناص من أن يتجه الى اليمين الايجابي أو يتلاشى ، ولكن حينما خلق آدم حياديـا تهيأ له فراغ الجـو السلبي المناسب لطبيعته ، فانحرف ليملأ مكانه ويقـوم بمهمته ، فتم بذلك التكوين الثلاثي تمشيا مع السنن الكونية مما هيـأ لآدم التمركز الطبيعي ، وذلـك بتعادل الايجاب والسلب ، ومعنى ذلك الحيـاد ؛ ولولا ذلك لما كان حياد ولا سلب ؛ كما أنـه لو خلق آدم في جو ملائكي دون ابليس ، لانحاز الـى اليمين الايجابي واختفى في غمـار الملائكة الكـرام ، وتعطلت الحكمة بفقد مشكلتها ، وتيتم العلم بغياب وعائه ـ ألا وهو الانسان الحيادي ، ويتلاشى السلب والحياد كذلك ؛ لو لم يعـد آدم الى ربه نادمـا مستغفرا ، فيقبل سبحانه توبته ويقبل عثرته ، ولكن ارادة الله الكلية غالبة ؛ اذ لا بد لهذا الانسان المعد للعلم مـن فلك نسبي يدور فيـه ؛ وارادة نسبية يستطيع صرفها نحو الايجاب كما يستطيع صرفها نحو السلب ، وقد حملـه الله الامانة والمسؤولية لقاء مواهب ميزه الله بها على الخلق كله ... وبتمركز آدم في موطن الحياد ـ كان تمركز ذريته في هـذا الموطن ، وكان ذلـك هي الفطرة الاولى التي فطر الله الناس عليها وجاءت بهـا رسالات اللـه المختومة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهكذا يقول سبحانه في الآية ٣٠ مـن سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطـر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » وفي الحديث الشريف) كل مولود يولد على الفطرة ... (والفطرة هي الطبيعة والحياد ؛ ويحفظ عـلى الانسان فطرته ايمانه السليم ، وعمله القويم ، قال سبحانه في مستهل سورة التين : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » وفي سورة العصر وغيرها في هـذا المعنى مـن كتاب الله كثير .

أي ان الانسان الطبيعي في عقله واحساسه وارادته ـ مفطور على الخير ـ فاذا ما هبت عليه رياح غفلة فأثارت فيه بعض غرائزه فانحرفت بـه ، ثـم

استفاق على الاثر فعاد الى فطرته مستغفرا تائبا الى ربه وجد الله سبحانه ـ دوما ـ كما أنه أهل للتقوى فهو أهل للمغفرة ، وهكذا جاء في ختام سورة المدثر : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » .

فاذا ما حاول انسان ما ، الانحياز كلية نحو اليمين أو نحو اليسار فانه يكون قد اختار وضعا منافيا لطبيعته ، خارجا عن انسانيته ، متباعدا عن المهمة التي خلقه الله من أجلها ، والامانة التي حمله اياها ، وخصه بها دون الخلق أجمعين .

على أن للانسان المتزن ثقلا يتمثل في رجاحة عقله ، ومتانة خلقه ، واستقامة سلوكه ، فالاولى بمثله ألا ينحرف نحو اليمين المعطل ، أو اليسار المجرد ، أو يستسلم لغرائزه دون ضوابط تتكفل بارساء قواعد الصوالح العامة والخاصة ، وبقدر زيادة الفراغ في الانسان بقدر ما يخف وزنه فتستهويه الزخارف والمغريات وتنحرف به عن الطريق القويم ، والصراط المستقيم .

أما المجموعات البشرية ـ على اختلاف عصورها وتغاير عقائدها ، وتضارب سلوكها ، وتفاوت أخلاقها فلا بد لها أن تنصهر في بوتقة القاعدة المثلثة ، بل وحتى بين صفوف المصطفين الاخيار ، والصحابة الابرار ، مصداقا لقوله سبحانه في الآية ٣٢ من سورة فاطر : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » .

أجل لا بد لهذه المجموعات أن تنقسم الى ثلاثة أقسام ـ وان انتسبت الى عقيدة واحدة أو حزب واحد (١) منحاز الى اليمين نحو العقيدة أو الحزب الواحد (٢) منحاز الى اليسار (٣) وسط بين اليمين واليسار فلو تم عزل اليمين على حدة ، واليسار على حدة ، والوسط كذلك ـ لانقسم كل قسم من هذه الاقسام الى ثلاثة أيضا ، وكذلك الامر كلما تكررت عملية العزل بحيث لا تقل المجموعة الواحدة عن ثلاثة .

وفي كتاب الله وسنة رسوله ــ في هذا المعنى كثير ، مما سيأتي بعد ذلك ، ولعله الى مثل هذا كان يهدف العالم الالماني هيجل ــ في قاعدته الفكرية الثالثة .

الـوزن :

ان في بحثنا لما يدور حول اقتلاع جبل بقوة مضادة تفوق وزنه ، واستعراض قواعد الوزن ونظرياته احتكاما الى العلم الذي جاء في الكتب المقدسة أنزلها الله سبحانه بعلمه ، وختمها بالقرآن الكريم ، فلقد ورد في بضع آيات من سورة الرحمن ــ ما يفيد هبوط الاثقال الى القاع ، وارتفاع الاخف وزنه الى أعلى ، أذكر من ذلك قوله سبحانه في الآيات : ٧ الى ١٠ من سورة الرحمن : « والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . والارض وضعها للانام » ويظهر من ذلك أن الانام مشدودة الى الارض بحكم أوزانها كهبوط كفة الميزان الراجحة صوب الارض وارتفاع الاخرى الى أعلى ، وذلك خلافا لقاعدة الجذب المعروفة بأن الاخف وزنا أكثر انجذابا ، وأن الوزن في مقابل الجذب أي مضاد له ، وقد كان وضع الارض للانام خاضعا لأوضاعهم وأثقالهم واحتياجاتهم تمشيا مع قاعدة الوزن بدليل قوله سبحانه في الآيات ١١ ــ ١٢ بعد الآية العاشرة من سورة الرحمن : « فيها فاكهة والنخل ذات الإكمام . والحب ذو العصف والريحان . فبأي آلاء ربكما تكذبان » ولا شك أن من آلاء الله سبحانه ونعمه ؛ أن جعل للفواكه والمحاصيل والرياحين أوزانا تجعلهما في متناول يد الانسان ؛ ولعل في ذلك توضيحا وتفسيرا لقوله سبحانه قبل ذلك في الآية السادسة من نفس السورة : « والنجم والشجر يسجدان » ويرى أكثر المفسرين أن من المراد بالنجم هنا كل ما ينجم من الارض أو يكسو وجهها بالاخضرار ، كالكلا وسائر النباتات وفي هذا ما يشمل الحب ذا العصف والريحان ، ومن المراد بالشجر ــ كل ما علا وامتد ظله أو تدلى ثمره نحو الارض ، وكل من النجم والشجر يسجد نحو الارض

ويدنو منها تطبيقا لقاعدة الوزن ، ولقد عبر قيس عن هذا المعنى عندما قال لبعيره (اسجد لليلى) أي أنخ لها حتى تركب بيسر وسهولة ، فالسجود في الصلاة ، هو التصاق الجبهة والاعضاء بالارض ؛ ولعل في ذكر العصف ما يلفت النظر أولا الى أن للاجواء مقاومة تتأثر الاشياء الخفيفة بها قبل سواها كالعصف الناتج من سيقان البر والشعير ، وثانيا لعله كناية عن السائمة ، حيث ان هذا العصف لا يمكن مقاومته للعواصف الا بتجميعه وتكتيله كطعام لها ، ككل ما نجم من الارض في سجوده نحوها ، شأن الانسان حيث تقول الآية الرابعة عشرة من نفس السورة : « خلق الانسان من صلصال كالفخار » وذلك بعكس المخلوقات الخفيفة الجانة فلها طاقاتها النارية وأوزانهما الخفيفة المتفاوتة في خفتها بالنسبة لجو الارض ، كما جاء في الآية ١٥ من سورة الرحمن حيث يقول سبحانه : « وخلق الجان من مارج من نار » وسميت المخلوقات الخفيفة بالجان لانها تجن عن البصر ، وكما أن الانسان لا يرى الهواء مع احساسه بوجوده . فانه لا يرى ما هو في وزنه أو أخف منه ، على أن للمخلوقات الجنية خفة وطاقات لا ترتبط بالارض الا بحكم القاعدة المتقدمة في هذه الخفة ، وتلك الطاقات المختلفة ، بدليل ما وصف به القرآن جنود نبي الله سليمان من الجن المسخرة لخدمة مشاريعه فيما يحتاج اليه من أبنية ومصنوعات ، حيث يقول جل شأنه : « والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد » الآيتان ٣٧ ، ٣٨ من سورة (ص) وفي هاتين الآيتين ما يشير الى أنهم على ثلاثة مستويات من الخفة (أ) الذين تتواءم خفتهم مع جو الارض وهم البناؤون (ب) الذين هم أخف من جو الارض مما يضطرهم الى التحامل على أنفسهم حتى يمكن وصولهم الى مصانع سليمان غوصا في الجو الارضي كما يغوص الانسان في النطاق المائي (ج) الذين لا يستطيعون الوصول والاستقرار على سطح الارض الا بأثقال تشدهم اليها شأن كل ما خف عن مقدار حجمه من الماء ، كما يستعين من يروم الوصول سريعا الى قاع البحر بأثقال تشده اليه .

الاطباق الطائرة :

وظهر مما تقدم أن في الفضاء الخارجي مخلوقات خفيفة ذكية عاقلة مسؤولة تجن عن الابصار وتتناسب في خفتها مع ما يحيط بها من الاجواء العليا ، ولا يستبعد أن تكون الاطباق الطائرة التي زارت حديثا أنحاء الارض مرارا من قبيل هذه المخلوقات الجنية التي هي أخف المستويات الثلاثة المتقدمة وانها تستعين بثقل الاطباق لاختراق الجو الارضي ، كما جاء في قوله جل شأنه : « وآخرين مقرنين في الاصفاد » أما النوعان الآخران فيمكنهم الوصول الى الارض بدون واسطة كما جاء في كثير من آيات كتاب الله .

هذا واني أعتقد أن هناك قاعدة تمثل جميع الاوزان في جميع الاجواء وهي :

على قدر المسافات بين الجزئيات في الاحجام .

والاجواء ـ تكون معايير الوزن :

لقد نسق الخلاق العليم سبحانه جميع وحدات الكون ومجموعاته ـ مهما تناهت في الصغر أو الكبر على وتيرة واحدة لا تفاوت فيهما من ناحية الخلقة والتكوين ، مصداقا لقوله سبحانه في بضع آيات من مستهل سورة الملك ، اجتزيء منها قوله سبحانه في الآية الثالثة : « الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » (١) ويظهر من ذلك أن الخلق كله ـ ذراته الميتة وخلاياه الحية ـ تتكون وحداته من جزئيات متماسكة في نطاق يختلف في الحجم والمسافات بين هذه الجزئيات ـ على أن لكل نوع كثافته ، فبقدر ما تتسع المسافات

---

(١) من رحمة الله سبحانه ـ حفظ ذرات الكون من ان تنفطر ، اذ لو انفطرت ذرة واحدة من ذراته لانشطرت واندفعت تستكمل نفسها مما جاورها ـ فتندفع الاخرى الى مثل ذلك ، وهلم جرا وبسبب هذه الاستكمالات ينفرط عقد الكون وتدق ساعة نهايته .

بين الجزئيات في النوع ـ بقدر ما تقل هذه الكثافة ـ والعكس بالعكس ، فاذا كان مقدار الكثافة في الكتل أو الانواع المجردة من عوامل الرفع والجذب يقل عن مقدار المثل من الجو ارتفعت نحو العلو ، أما اذا زاد مقدار الكثافة عن مقدار المثل فانها تهبط نحو القاع ؛ علما بأن قاعدة ارشميدس عن الاوزان في الماء لا تختلف عما تقدم ؛ لان القواعد في جميع الأجواء واحدة، وأن الهبوط الى القاع لكل ما زاد وزنه عن مقدار حجمه من الهواء قاعدة ثابتة تجفل الاطفال منه في أمهادها ، وتخشاه الطيور في أعشاشها ، وكذلك كل مخلوق يحمل غريزة حب البقاء ؛ وعلى هذا الاساس فان نظرية نيوتن ليست بدعا في قاعدة أرشميدس ، وليست جديدة بالنسبة اليها ، ولا تخرج عن قاعدة مقادير الكثافات النوعية في الاحجام والاجواء ، وتدلل على ذلك بأن سقوط تفاحة نيوتن على الارض انما هو نتيجة زيادة الكثافة النوعية فيها بالنسبة لمقدار حجمها من الهواء ، ولو أن سقوطها صادف حوضا أو بئرا لحال الماء بينها وبين القاع ، ولطفت فوق سطحه وذلك لان كثافتها تقل عن كثافة مقدار حجمها من الماء ، ومثل ذلك لو سقطت قطعة من الحديد في ماء لرسبت هذه القطعة في القاع بسبب زيادة كثافتها بالنسبة لمقدار حجمها من الماء ، فلو صادف سقوطها اناء من الزئبق مثلا لحال الزئبق بينها وبين القاع ؛ لان كثافتها تقل عن كثافة مقدار حجمها من الزئبق .

ان في المماثلة التامة بين التفاحة في المجال الهوائي وبين قطعة الحديد في النطاق المائي لأكبر دليل على قانونية تفاحة نيوتن ، وأن هبوط ما زاد وزنه عن مقدار وزن جوه الى القاع ـ قاعدة ثابتة غير قابلة لاعادة النظر .

ويظهر مما تقدم أن اطلاق نظرية (نيوتن) لم يكن على القانون الواضح والمسلم به . بل على التعبير عنه وتفسيره بالجاذبية ، ومعلوم أن كل نظرية قابلة لاعادة النظر على عكس القوانين الثابتة والقواعد الراسخة ، ومن هذا المنطلق فانني أرى أنه كان في امكان نيوتن أو تلاميذه من بعده أن يجعلوا من نظريته قانونا متمما لقانون أرشميدس معلنين أن القواعد في الماء

والهواء واحدة ، وأن أرشميدس لو مد قانونه المائي الى المجال الهوائي لما ترك مجالا لاستحداث مثل نظرية نيوتن ، هذا وأرجو أن أكون قد وفقت في الجمع بين أرشميدس ونيوتن في قاعدة واحدة وهي : على قدر المسافات بين الجزئيات في الاحجام والاجواء تكون معايير الوزن ••• واذا كانت هذه القاعدة عامة وشاملة في جميع الاجواء ، فانني أرى أن هنالك قاعدة أخرى ربما كانت أعم شمولا للوزن في الاحجام والاجواء ، وهي القاعدة الثالثة •

القاعدة الثالثة :

واني لأرى أن قاعدة السلب والايجاب والحياد تشمل الوزن أيضا ؛ فالتصاق احدى كفتي الميزان بالارض ايجاب ، وارتفاع الاخرى سلب ، وتعادل الكفتين حياد ، وكذلك الشأن في كل تعادل وكل وسط ، وأن كل تعادل ووسط بين شيئين قد يؤدي الى شيء جديد ، وقد يكون فيه علم مفيد ، وأن الكون كله يقوم على قاعدة التعادل ، وعلى أساس هذه القاعدة فان الماء يعتبر ايجابا بالنسبة للهواء ، والهواء يعتبر سلبا بالنسبة للماء وايجابا بالنسبة للاثير بعده ، ثم لعل الهواء يكون بمثابة التعادل والحياد بين الماء والاثير وهكذا الامر في طبقات الاجواء المختلفة ، فالأثير يعتبر سلبا بالنسبة للهواء ، وايجابا بالنسبة للطبقة التي تليه ،وعلى هذا الاساس فان كل طبقة تعتبر ايجابا لما فوقها وسلبا بالنسبة لما تحتها ، وكل طبقة بين طبقتين تمثل التعادل • شأن الهواء بين الماء والاثير ؛ الامر الذي يحملنا على الاعتقاد بأن سلسلة هذه الطبقات مترابطة متماسكة بحكم اختلاف الوزن سلبا وتعادلا وايجابا ، ولاأدل على ذلك من أن الاشارات اللاسلكية والاذاعات المسموعة والمرئية ، تستقبل وترسل بين المحطات الارضية والطبقات العليا وانا نرى الشمس نهارا والقمر ليلا ، كما نرى الكثير من النجوم رغم أبعادها الشاسعة ، وفي ذلك كله ــ دليل على تسلسل الصلة بين الاجواء وقوة ارتباطها •

على أن التعادل والحياد بين الاجواء المتنافرة ـ عامل مهم في هذا التماسك والارتباط ، ولولاه لانفصلت الاجواء عن بعضها بحكم التنافر والتسالب ، ولما بقي على سطح الارض ماء أو هواء ، واذا انعدم الماء والهواء انعدمت جميع الاجوء المتفرعة عنهما ، وتعدمت الصلة بين الارض والسماء ، وتداعى نظام الكون واختفت سمة الحياة لارتباطها بالماء ، مصدقا لقوله سبحانه : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

ويظهر من قوله سبحانه : « والسماء رفعها ووضع الميزان » الى قوله سبحانه : « والارض وضعها للانام » ان الوضع للارض مقابل الرفع للسماء ، كما يظهر من ذلك أيضا ، ان الارض أقرب مفردات المجموعة نحو آخر مراحل الايجاب المعروفة ، ولقد قرأت في كتاب (النجوم في مسالكها) للورد جيمس العالم الانجليزي المعروف وتعريب أحمد عبد السلام الكرداني بك وزير معارف مصر الاسبق ـ ما معناه (ان الارض والمجموعة تتخذ وضعا انعزاليا في احدى زوايا العالم) ولعل في ذلك تأييدا لما تقدم .

وكما أن هناك تبادلا بين الارض والسماء في مجالات الارسال والاستقبال ـ فان هناك تبادلا في الاوزان مما خف منها أو ثقل ، وان هذا التبادل يخضع لهذه القاعدة الثلاثية الشاملة ، ويظهر من ذلك أنه اذا كان اتجاه الاثقال نحو الارض عموديا فانه يتجه الى جهة الايجاب مخترقا بذلك الطبقات السلبية في الاجواء الخفيفة حتى تصل الى جو ايجابي تمثل فيه السلبية ، شأن قطعة الحديد في حيز من الماء ، ما لم ترطم قبل ذلك بجسم صلب كقاع الارض أو قاع البحر أو ما شاكل ذلك ، في مقابل أن الاجسام الخفيفة لا تستقر في الاجواء الثقيلة ، ما لم تقترن بثقل بل تنطلق مطرودة ـ بحكم القاعدة ـ نحو العلو حتى تصل الى جهة سلبية تمثل فيها الايجابية بالنسبة اليها ، شأن الابخرة المتصاعدة من مياه الارض فانها تتصاعد الى أعلى حتى تستقر في مكان الايجاب بالنسبة لما فوقها ثم تعود الى الارض ماءا عذبا طهورا ، ما لم ترتطم مثل هذه الابخرة بجسم صلب ـ أثناء انطلاقها ـ

يحول بينها وبين متابعة مسيرتها الى أعلى ، وذلك كالابخرة المتصاعدة من ماء ساخن الى سقف حمام مثلا فانه يحول بينها وبين انطلاقها حتى تتساقط رذاذا، وذلك كحكم ارتطام الاجسام الثقيلة بجسم صلب كالارض ــ أو ما شاكلها .

ومن الادلة على أن الارض هي أقرب مفردات المجموعة نحو آخر مراحل الايجاب المعروفة ــ ان الهابطين بسفن الفضاء على القمر مثلا ــ لا يستطيعون الهبوط عليه من الجهة المقابلة للارض . وهذا مـا ينطبق على جميع الكواكب العليا لتعادلها وارتباطها بالارض فيما أعتقد ، وكذلك لا يمكن أن يستقر طائر أو انسان استقرارا عاديا من الناحية المقابلة للارض على بالون أو غيره ممـا يحلق في الفضاء ، كما يشاهد أن الحمائم وأمثالها حين تأوي الى أوكارها ــ فانها لا تستطيع الهبوط عليها من الناحية المواجهة للارض ، واذا كنا نـرى الخفافيش وبعض الحشرات تسير أو تستقر في سقف مثلا ، فمرجع ذلك الى أن الله سبحانه قد خلق لها من وسائل التشبث مـا يجعلها قادرة على احتماله وزنها كشأن الاشجار المستقلة والثمار المعلقة .

التعادل بين جهتي الوزن واللاوزن

أو بين الايجاب والسلب :

ويظهر مما تقدم أن الجهة العليا سلبية وأن الجهة السفلى ايجابيـة وأن الجهات الاربع الباقية بعد ذلك جهات حيادية . كل جرم أو حجم ، وان فـي الوصول الى نقط الالتقاء بين الايجـاب والسلب أو الوزن واللاوزن ــ مـا يفقد الاجرام أوزانها بطريقة الازورار والتعادل : وذلك كما تربط اناءا مليئا بالماء ثم يدار به في الفضاء فانه لا يفقد ما به من مـاء ، ولا يستبعد أن تكون الاجرام المنطلقة من الارض الى منطلقة ما يسمى بانعدام الوزن ــ خاضعـة لتعادل جهتي الوزن واللاوزن ــ لافتقار هذه الاجرام الى التركيز على جهـة الوزن أثناء دورانها حول الارض ، ما لم تدفعها قوة ما ، نحوها ، والا لبقيت هائمة دون ارتباط بالارض وكذلك حين ينطلق ممارس الانزلاق على الجليد

من مرتفع فانه يظل حافظا لتوازنه سابحا في الفضاء بما يحمل من زاحفات حتى يلامس الارض ، ومثله في ذلك من يمشي بين مرتفعين فوق سلك فانه يهتدي ـ لا شعوريا ـ لطريق الموازبة بواسطة عود يمسك بـه ليحفظ عليه تعادله ، وكذلك توجد في الالعاب السركية أنواع متعددة من هذا القبيل ، ويحضرني أنه بينما كنت أسير يوما في احدى العواصم العالمية اذ شدت انتباهي مجموعة من الكبسولات الدوائية تتواكب في طبق بيد بائع متجول ، وقد تبين لي أن بداخل كل كبسولة منها كرة رش صغيرة ، فبدا لي أن الكرة حين تصل الـى وضع ما ، تفقد الكبسولة وزنها ـ وتثب متحركة الـى أعلى ، وسرعان مـا تزايل الكرة مكانها في الكبسولة ، وفي أقل من ثانيـة تتكور تلـك الحركة فيحدث ذلك دهشة لدى الناظرين فقلت في نفسي سبحان الله ... لعل فـي ذلك تجسيد الفكرة فقدان الوزن عند نقطة التقـاء جهتي الوزن واللاوزن ، وقـد تبادر لذهني أنه لو استطاع الانسان أن يثبت كرة الرش عنـد نقطـة التعادل وأن يضع للكبسولة ما يشبه جنـاح الفراشة مثلا مع بعض الحركات الاولية ـ لأمكن طيرانها ، الامر الـذي يوحي بأن تعادل ـ انطلاقه ـ شكل طائر ـ طيرانا بدون طاقة ، ولعل العلم قد استفاد من التعادل ، وذلك بامكان هبوط طائرات التمرين وبعض أنواع الطائرات الاخرى ـ الى الارض سالمة حين تتوقف محركاتها لسبب ما ، وأمر التكيف والتعادل في ذلك مع التيارات الهوائية ـ معلوم كما هو الشأن في الطائرات الشراعية وما شاكلها .

وضع الجبل اثناء تحليقه في الفضاء :

مما لا شك أن الجبل أكثر كثافة من مقدار حجمه من الهواء ، فاقتلاعه يستدعي طاقة رافعة مضادة تفوق وزنه ، وبقاءه معلقا في الفضاء ـ يكـون بالتعادل بين جهتي الوزن واللاوزن بطريقة الازورار بـين الافقي والرأسي ، كشأن سائر الاجرام السابحة فـي الفضاء ومن بينها الارض ، لانها جميعـا مائلة بين الافقي والرأسي ، الامـر الذي يحمل على الاعتقاد بأن مركز الوزن يتعادل في الوسط ، وان تعادل ـ حركة ـ فقدان وزن ـ بدليل أن الاجرام

المنطلقة من الارض نحو الفضاء ، تظل مرتبطة بها رغم بعدها ، مستمرة في دورانها حولها ثم تتهابط نحوها بقدر ما تتهادى سرعتها ، الى أن ترتطم بها في نهاية المطاف ككل وزن اذا تجرد من أحد العوامل المتقدمة فانه ينصب الى جهة الايجاب احدى الجهات الست وهي جهة الارض •

لكل شيء وزن :

وتؤكد ما سبق أن لكل شيء وزنا كبر أم صغر ، فما لا وزن له في الماء له وزنه في الهواء ، وهكذا الموازن في غير ذلك من الاجواء مهما خف وزنها أو ثقل ، فذرة الهيدروجين مثلا ـ وهي أخف ذرة عرفها العلم في المحيط الارضي ـ لها وزنها ؛ بدليل أن العلماء جعلوا منها وحدة في أوزان الذرات الاخرى ، وقد سبق القرآن العظيم معايير العلم في ذلك فجعل من الذرة وحدة لموازين الاعمال كما جاء في ختام سورة الزلزلة « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وحتى الالكترون وهو جزء من الذرة لا بد وأن يكون له وزن في جو الذرة ، وكذلك فيما اذا كان للاكترون توابع وتوابع التوابع كحلقات مسلسلة ؛ على أن القرآن العظيم قد استبق العلم الى ذكر ما هو أصغر من الذرة ، حيث يقول سبحانه في الآية ٦١ من سورة يونس : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين » وكلمة مثقال مشتقة من الثقل الذي هو الوزن •

جهة الوزن ومنتهى الثقل :

اذا صح ما نشر من اكتشاف ماء في القطب الجنوبي يزيد وزنه كثيرا عن وزن الماء العادي ، فليس بعيدا ان يتدرج ثقل هذه الامواه الى ما هو أكثر ثقلا فأكثر ، كتدرج الاجواء الخفيفة الى ما هو أكثر خفة نحو جهات الرفع في حلقاتها المتتابعة •

وإذا كانت الكتابة ـ في مثل هذا التدرج ـ تنتهي عادة بعبارة (الى ما لا نهاية) ـ فاننا كمسلمين نؤمن بأن عرش الرحمن محيط بكل شيء ، كما قال سبحانه في آية الكرسي من سورة البقرة : « الله لا اله الا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السماوات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السماوات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » ونؤكد ايماننا مرة أخرى ـ بأن هذا الاستمرار في تدرجه ينضوي تحت عرش الرحمن ، وأن عرش الرحمن هو منتهى الوزن لقوله صلوات الله عليه فيما معناه : (سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) وفي هذا التوجيه النبوي ما يثبت أن عرش الرحمن أثقل ما في الوجود والتسبيح بهذه الصيغة غاية الكثرة ومنتهى صيغ الاعداد والحساب ، وأن ذلك مما يوحي بأن الامواه في تدرجها نحو الثقل ينتهي أثقلها الى ما تحت عرش الرحمن كذلك ، يؤيد ذلك ما جاء في الآية السابعة من سورة هود : « وكان عرشه على الماء » وان كل ما ظهر في الوجود من وسائل الاختراع والكشف كالطائرات والاقمار وغيرها ـ لم تستطع اكتشاف ما وراء القطب الجنوبي وأن ما أرسل من صواريخ الى ما وراء هذا القطب لم يعد ولم يعرف له مصير •

ويظهر من ذلك أن السماوات والارض وما بينهما ـ خفه أو ثقل ـ في كنف عرش الرحمن ، وأنهما رغم المسافات الواسعة ، والابعاد الشاسعة ، لا تعدو عن كونها حلقة في فلاة ، كما صور الحديث الشريف ذلك ، فيما معناه : (ان الارض بالنسبة للسماء الاولى كحلقة في فلاة ، وأن كل سماء بالنسبة لما بعدها كحلقة في فلاة وأن السماوات السبع والارض وما بينهما بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة) •

ولعل توسط الارض فيما بين خفيف الاجواء وثقيلها يجعلها في الوزن الوسط المتعادل ـ بمثابة الحياد بالنسبة للكون كله ، ولعل في تكرار اقتران

السماوات بالارض في كثير من آيات الله ـ ما يوحي بأهمية الارض ومكانتها الوسط وارتباط أجوائها بأجواء السماء على غرار القاعدة المتقدمة في تبادل الاوزان بين الارض والسماء ايجابا وسلبا وتعادلا ، ولا أدل على ذلك من قوله سبحانه في الآية الرابعة من سورة الحديد « وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها » وقال جل شأنه في الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة طه : « تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلا ، الرحمن على العرش استوى ، له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » ولعل فيما جاء بسورة الانبياء ٣٠ ـ ٣٣ ما يحسن الرجوع اليه في هذا المعنى •

تجارب علمية وملاحظات حولها :

وطالما تحدثنا عن الوزن وأقمنا عليه من الادلة ـ ما سمح به المقام ووصل اليه فهمنا مستندين فيه الى بعض ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله فلا بد لنا من استعراض ما قاله بعض العلماء ثمرة لتجاربهم في هذا الصدد ، تيسيرا على القارىء عند المقارنة بينها وبين ما يقرؤه في هذا المقال •

فقد ورد عن أرسطو أنه قال : الاحجام الساقطة تكون سرعتها متناسبة مع وزنها أي أن الجسم الثقيل يكون أسرع سقوطا الى الارض من الجسم الخفيف ، وكذلك نسب الى جاليلو أنه قال : الاجسام الهابطة ثقيلة كانت أو خفيفة ـ تسقط بسرعة واحدة لولا مقاومة الهواء التي لا يشعر بها في حالة الاجسام الثقيلة ومعنى ذلك أن الجسم الخفيف أبطأ سقوطا بسبب هذه المقاومة ، فلما اخترعت مفرغات الهواء أمكن ايجاد حالة فراغ تام ، وثبت أن الجسم الخفيف كالريشة مثلا يسقط في وقت واحد مع قطعة معدنية وهذا لا يتعارض مع ما نحن بصدده ، أولا لأن في ذلك ما يزيد ايماننا بهبوط الاشياء على اختلاف أوزانها الى الارض رغم الفراغ ، وثانيا : لان الفوارق لا تكون الا بالنسبة للاجواء ، فاذا ما انعدمت الاجواء زلت الفوارق ، بدليل

أن عامل المقاومة الهوائية لقطعة الورق ، أقوى من عامل المقاومة لقطعة حديد مثلا ، واذا كان أحد العلماء قد ذكر بأن سر المقاومة يتمثل في شكل الورقة لا في وزنها ، ثم كور ورقة وألقى بها مع قطعة حديد من فوق كرسيه الى الارض فوصلتا معا في وقت واحد .. صحيح أن مقاومة الهواء لقطعة الورق في حال تكويرها تقل عنها قبل التكوير ، الا أن تلاشي المقاومة غير صحيح . وربما فات هذا العالم أن فوارق المقاومة قد لا تظهر واضحة في المسافات المحدودة والاماكن الضيقة ، ولكنها تظهر جلية فيما لو ألقى مثل ذلك من مرتفعات عالية ، ويظهر مما تقدم أن ما قاله جاليليو لا يخالف ما روي عن أرسطو من أن الجسم الثقيل ـ أقل تأثرا في مقاومة الجو من الجسم الخفيف ، لهذا يكون سقوط الجسم الثقيل الى الارض أسرع من الجسم الخفيف ، كما يظهر مثل ذلك بصورة أقوى في النطاق المائي ، أما ما نسب الى جاليليو من أنه ألقى من فوق برج بيزا بقطعتين معدنيتين متفاوتتين وزنا وحجما فسقطتا الى الارض في وقت واحد ـ فنسبة ذلك اليه غير صحيحة ، لان الذي قام بهذه التجربة هو تلميذه فنشكزيو فنفاني على أن هذه التجربة أيضا لا تختلف عن نظرية أرسطو اذا كان نوع القطعتين وشكلهما واحدا واذا كان الامر كذلك فان من البديهي أن يكون مسطح كل قطعة متناسبا مع وزنها ، وبهذا تكون مقاومة الهواء لكل منهما نسبية ، ومعلوم أيضا أن للهواء ضغطا كما أثبتته تجارب بورشللي ، وبهذا يكون الضغط عليها نسبيا كذلك ، وعلى هذا الاساس فان فنفاني لم يأت بجديد ، على أنه لو أمن تلاميذ أرسطو فيما قاله فنفاني وعلموا أن لكل قطعة من القطعتين وزنا يتناسب مع حجمها ومع مقاومة الهواء وضغطه عليها ـ لصححوا مفهوم نظرية فنفاني لصالحهم بدلا من اعتراضهم عليها .

وروي عن كبلر أنه وقع في حيرة من تسارع الاجرام كلما قربت نحو الارض ، وبينما كان نيوتن يفكر في حيرة كبلر اذ وقعت أمامه تفاحة خلال تفكيره فظن أن في سقوطها حلا لما أشكل على كبلر فأعلن نظريته للناس وأخذها العالم عنه كنظرية تقادم العهد بها ، ويظهر أن نيوتن قد غاب عنه أن

حيرة كبلر هي من تسارع الاجرام كلما قربت من الارض ، لا من مجرد سقوطها نحوها ، كما غاب عنه أيضا أن الحل العلمي لشارع السقوط ، هو أن أي جرم يهوى نحو الارض يحمل عمودا هوائيا بنسبة حجمه اى ما يصل علوه الى نحو أكثر من مائة كيلومتر من سطح الارض ؛ وان هناك مقاومة هوائية من تحته ، وتهذا يتضح أن الجرم كلما قرب من الارض كلما ازدادت قوة الضغط الهوائي عليه ؛ علما بأن لهواء يتزيد كثافة كلما قرب من الارض ــ كما تقل المقاومة كذلك من أسفل الجرم ، ويستمر التسارع في تزايده حتى تصل درجة الضغط الى مائة بالمائة في النهاية . وتتهابط درجة المقاومة الهوائية الى أصفر حين يلتصق الجرم بالارض ، فيصبح في الوزن الطبيعي الثابت الذي تقوم عليه المقادير العلمية والمعايير الحقوقية ، مصداقا لقوله سبحانه « والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . والارض وضعها للانام » .

تجني اليهود على الاجيال :

وفي كل ما تقدم من ارتفاع الجبل وما يحمله من قوانين الطبيعة وأسرار العلم وحق الاجيال فيه ــ محل دراسات وعلوم مستفيضة ، أنعم الله بها على بني اسرائيل من قوم موسى ، ودعاهم الى تفهمها والانتفاع بها وحملهم مسؤوليتها ليكونوا عنصر خير للاجيال ، ولكنهم على العكس ضيعوا هذه النعم العلمية وشغلوا أنفسهم عنها بالمجادلات والتعصب العنصري ، وافساد الآخرين واشعال نار الفتنة والحروب بين الامم ، وتشكيك الناس في كل رسالة لا تأتي موافقة لهواهم ، وذلك في تداخلهم بشتى الوسائل في كل مجتمع ، كي يأمنوا تفوق كل كثرة على قلتهم ، وفي كتاب الله كثير مما يدمغهم في هذه الناحية ويقيم الحجة عليهم ؛ اذكر من ذلك الآية من سورة آل عمران حيث يقول سبحانه : « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » وقد جاء في الآية ٦٤ من سورة المائدة : « ... كلما أوقدوا نارا

للحرب أطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين » ومن أراد المزيد من معرفة ما عليه اليهود من خلاق معوج وحملوه من مسؤوليات تنحوا عنها ، فليرجعوا الى ما جاء به كتاب الله في سورة الاعراف من الآية ١٤٤ الى الآية ١٧٧ .

وليست اليهود اقتدوا بموسى ـ عليه السلام ـ وانتفعوا بما قام به من الجهد ، وتحمله من الحرمان واتصف به من أدب العبودية وتواضع طالب العلم ، والى القارىء الكريم مثلا لذلك ، ومن حسن الحظ أن يكون هذا المثل القرآني علميا منطبقا على ما نحن بصدده من التعادل والوسط فيما بين الماء والهواء بجو ثالث أمكن أن يعيش فيه الحوت والانسان .

هجرة موسى في سبيل العلم :

للعلم مكانة لا يقدرها حق قدرها الا القليل ، وهذا كليم الله موسى ـ عليه السلام ـ حين علم بوجود عالم بمكان يحتوي على ظاهرة علمية تتعلق بمجمع البحرين ـ لم يتردد في أن يرحل للبحث عنه ويكابد ويجد حتى يلقاه، فيتلقى عنه وينتهل منه فأعد عدته واصطحب فتاه وراح يضرب في الارض مؤكدا أنه لن يعود حتى يدركه ، وقال الله سبحانه في ذلك : « واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا » الآية ٦٠ من سورة الكهف ، فلما بلغ المكان المنشود لم يعرفه فجاوزه بحثا عنه وعن العالم حوله ، كما جاء في الآيتين ٦١ ، ٦٢ « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا . فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » والذي يظهر من سياق هذه الآيات الشريفة أن الضمير في كلمة بينهما يعود الى البحرين لانه المكان المستهدف لهذه الرحلة الشاقة .

مجمع البحرين :

لقد أدرك موسى ضالته حين سمع من فتاه أن الحوت قد تسلل من

الصخرة الى البحر عجبا وذلك من المكان الذي باتا فيه الانسان والحوت معا، وأنه لا بد وأن يكون (مجمع البحرين) أي المائي والهوائي ، والذي سيجده عنده العالم الذي سيأخذ عنه ويتلقى منه فاغتبطا لذلك ــ عائدين الى الهدف المنشود يقصص هو وصاحبه الاثر ، حتى أدرك بغيته كما يحكي كتاب الله : « قال كذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا • فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » الآيتان ٦٤ ، ٦٥ من سورة الكهف ، ولعل هذا المجمع تم بطريقة علمية توصل اليها هذا العالم بتخفيف الماء وتكثيف الهواء الى درجة التعادل أي التساوي في الوزن حتى أمكن امتزاجهما بوزن موحد ــ فوق صخرة وجد فيهما موسى وصاحبه المأوى والراحة ، كما وجد الحوت الحياة والنشاط ، فتسرب عائدا الى الماء بأعجوبة، وهذه ظاهرة علمية ربما كان في الامكان الاستفادة منها وتجربتها في الجمع بين الهواء والاثير بطريقة التعادل في الوزن ــ ليعيش الانسان بمكان ما في الفضاء كما عاش الحوت فوق صخرة التقى عليها البحران : المائي والهوائي ، لا سيما وأن حكم السمكة في خروجها من بحرها المائي كحكم الانسان في خروجه من بحره الهوائي تماما ، وهنا عرف موسى أنه أمام العالم المنشود الذي ركب الاسفار والعناء في سبيل التعليم منه فعرض عليه صحبته كما جاء في كتاب الله « هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا • قال انك لن تستطيع معي صبرا • وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا • قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا • قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » الآيات ٦٦ ــ ٧٠ من سورة الكهف •

ان فيما اعتزمه موسى من رحلته ، والتضحية بوقته وراحته ، وقبول التعريض بقلة صبره وقصور علمه وضعف طاقته ، ثم وعده بالصبر وتكرار وعده بالطاعة لمعلمه وأستاذه خلال رحلته ، في كل هذا دليل على قيمة العلم وفضله ومكانته ، فانطلق العالم والنبي ولعلها بمعناها العلمي ، متنقلين من سفينة في البحر خرقها العالم لانقاذها من ملك غاصب ، الى قرية البخل

والتنكر ، فأصلح العالم بها جدارا تحته كنز ليتيمين كان أبوهما صالحا ـ دون مقابل لشراء طعام ضنت به القرية عليهما وكان قد صادف قبل ذلك غلاما فقتله ؛ اشفاقا على والديه الصالحين أن يرهقهما طغيانا و كفرا كما جاء بيان ذلك في الآيات من ٧٩ ـ ٨٢ من سورة الكهف .

الادب النبوي الرفيع :

نعم لم يستطع كليم اللـه موسى كرسول مشرع وانسان ، أن يسكت على ما يقوم به العبد العالم وكان رد العالم عليه ـ رغم علمه سلفا بما قيل ـ عتبا رقيقا حيث يذكر الله سبحانه قول العالم « ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا » وكان اعتذار موسى أول الامر فيما رواه كتاب اللـه : « لا تؤاخذني بما نسيت » أي من وعدي لك ، وكان رد العالم في المرة الثانية تذكيرا آخر لموسى بما قال له قبل بدء الرحلة، وكان رد موسى اعترافا بمخالفته لما وعد ـ معلنا معذرة العالم في عدم مصاحبته له فيما لو سأله بعد الثانية حيث تقول الآية الكريمة : « ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا » الآية ٧٦ من سورة الكهف ، ولكن موسى عليه السلام لم يستطع كبح جماح تساؤله فراح يسأل للمرة الثالثة فكان رد العالم انهاءا للرحلة المثيرة المليئة بالعجائب والاسرار ، والجامعة بين عالم ورسول ، كما جاء في الآية ٧٨ من سورة الكهف : « قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » .

والظاهر من قوله سبحانه فانطلقا ـ أن فتى موسى لم يصحبهما ، وهنا قد يتساءل المرء لماذا تخلى موسى عن فتاه عندما صاحب العالم في رحلته ، وقد يكون الجواب : أن قوام الرحلة طاقة علمية ورسالة سماوية ، ولعل الفتى لم يشرف بمثل هذا التكليف ، ولم يزود بمثل هذه الطاقات ، وأن هذا العمل من أمر الله سبحانه ، كما أن وجود ثالث في أمور ليست محل وفاق الصاحبين مما قد يجعل الثالث بينهما في مكان الترجيح لأحد الطرفين ...

بينما مهمة العالم تقتضيه أن ينفذ ما آمر بـه دون منازع أو معارض بايمان لا يقبل مناقشة أو جدلا ؛ على أن يشرح بعد ذلـك ما غمض من خفايا الامـر ، ودق فهمه على الرسول الكريم ... وسيأتي عنـد استعراض ثلاثية العالـم الالماني هيجل وثنائية تلميـذه كـارل ماركس واتجـاه الفيلسوف الفرنسي غوستاف ليبون ـ ما هو أكثر تفصيلا في هذا الباب باذن الله :

هذا ومن غير المستبعد ـ كقول بعض المفسرين ـ أن يكـون صاحب موسى وذو القرنين والـذي أحضر عرش بلقيس مـن اليمن الـى القدس ـ شخصية واحدة معمرة قامت بكل هـذه الادوار العلمية منها ما تم في هـذا المقال ؛ ومنها ما سيأتي عند عرض قصة ذي القرنين باذن الله وأنه ... ايليـا بن ملكان الخضر عليه السلام والله سبحانه ولي العلم والتوفيق .

هذا واني أحاول في كتاباتي ـ أن أتدارك ما عساه يكون قد فات غيري ممن تعرضوا لتفهم كتاب الله وعرضه ... وأن أعرض ما ظهر لي مما يشمله رحاب القرآن الكريم المنزل بعلمه سبحانه ؛ مبتعدا عـن التكلف في الفهـم والتعبير ، متذرعا باستعمال ألفـاظ تجعلني في موضع التماس الفهم لا فـي موضع الجزم به ، وذلك مثل : ربما ، ولعل ؛ ويظهر لي ، وغير ذلك ، راجيـا أن تكون كتابتي بمثابة مفاتيح لكل واع متفرغ يهمه الخير ويعمل له ، كمـا يهمه اعلاء كلمة الله والعمل لها ؛ فيتوسع في ذلك بما يفيء الله بـه عليه من فيض علمه وعظيم فضلـه : « واتقوا الله ويعلمكم اللـه » قرآن كريم (رب مبلغ أوعى من سامع) حديث شريف ... ولله در الشاعر .

لا تقـل قـد ذهبت أربابـه كل من سار على الدرب وصل

واذا كان الكثير من علماء الدين يتورعون عن بعض الابحاث العلمية في معاني القرآن الكريم ـ رغم ما جاءت به آيات الله وأحاديث الرسول الكريم من الحث على الدراسة والبحث ، والاستماع الـى مجالس العلـم وأحاديث العلماء ـ فما ذلك الا غيرة منهم عـلى كتاب اللـه المنزل بعلمـه سبحانه أن

يتناول ذلك بعض المتكلفين يحاولون اخضاع معانيـه للنظريات القابلة للتغير واعادة النظر ، على أني أعتقد ان هؤلاء العلماء ـ لا يعارضون في دراسـة الآيات العلمية ـ دراسة بعيدة عن اخضاعها لأيـة نظريـة معرضـة للتغيير والتبديل على مرور الايام وظهور الحقائق الثابتـة ـ استجابة لقـول اللـه سبحانه : « أولـم ينظروا في ملكوت السماوات والارض ومـا خلق الله من شيء » وقوله جل من قائل : « وكأي من آية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضـون » وقوله عز شأنه : « وفي الارض آيـات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتـى يتبين لهم أنه الحق » والآيات في مثل هـذا المعنى كثيرة ، بـل اني أرى مرة أخرى ـ أن فـي الاعراض عـن التفكير والدراسة فـي ملكوت السماوات والارض مـا يضع المعرض الكاسح عنهـا في عـداد منكري البعث وسكان الجحيم ، قال جل شأنه : « ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيـا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النـار بمـا كانوا يكسبون » .

واذا كنت قد استعرضت في هذه الكلمـة أقوال بعض العلماء العالميين وثمرة تجاربهم في باب الوزن ـ فليس ذلك بقصد المطاولة أو المزايدة ، بـل لوضعها تحت الضوء القرآني المنزل بعلم من علمه فوق كـل ذي علم ، وضعا للامور فـي نصابها الصحيح ... فـان حالفني التوفيق فالفضل يعود الـى المدرسة الكاملة ، والمعجزة الخالدة ، والمأدبـة الدائمـة ـ ألا وهي مدرسة القرآن الكريم وان جانبني التوفيق فعذري أني استخدمت مواهبي المحدودة وبذلت جهدي الضئيل ـ منصاعا لأمره سبحانه في كثير من آياته الداعية الى التفكر والتدبر والتبصر والتزود ـ من ينابيع العلم تنتهل البشرية من معينـه الصافي وتغترف من ورده النمير ـ وتحـاول الغوص في لججـه الهـادرة ، والسباحة بين أمواجه العارمة ، للانتفاع بمـا استطاعت الوصول اليه مـن مجاهيل ، والاستنارة بما أمكنها الحصول عليه من خبايا العلـم ومكنوناته ،

علما بأن فوارق العلم بين الخلق نسبية ، أما العلم الكامل المطلق فلا يكون الا لله العليم الخبير ••• على أنني أقف على قدم الرجاء ضارعا ملتمسا منه سبحانه مثوبة الجهد في الحالتين •

ان البشرية كلما ازدادت علما اكتشفت فيه جهلها قبله ، واعترفت بجهلها لما وراءه ، وفي الاثر ، (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال) •

وهيهات لها أن تدرك من العلم نهاية الوصول ، أو غاية المأمول ، مصداقا لقوله سبحانه : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وقوله جل شأنه : « وقل رب زدني علما » وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (اطلبوا العلم ولو بالصين) وأيضا (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) وقوله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وكذلك يقول صلى الله عليه وسلم (لغدوة أو روحة في سبيل العلم تعدل عبادة أربعين خريفا) وأيضا (من تساوى يوماه فهو مغبون) وفي الاثر (اذا طلع علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك في شمس ذلك اليوم) وما أجمل الختام بقوله سبحانه : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » •

عبد العزيز العلي المطوع

★ ★ ★

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة ومنقذ أمة

الثورة الكبرى خاتمة المطاف

قامت دولة المغرب الكبرى ردا لعرب الشمال الافريقي والاندلس ، وسواء انسجمت الجزائر بالمغرب الكبير أو حافظت على كيان خاص فقد سلخت هذه القرون درعا لا سيما بعد بلوغ الغزاة مدينة وهران التي أصبحت مثواهم الاخير ، وطالما استعان الاتراك بأسطولها واكتفوا بالدعاء للسلطان على منابرها وما زالت متعاونة معهم حتى انسحب ممثلهم الداي حسين ملقيا مهمة الدفاع عن الجزائر على عواتق أبنائها وحدهم .

لقد أمر الله الشعوب المقهورة بالتأهب والاستعداد وحض على استنشاق هواء الحرية النقي وضمن لها النصر وحذرها موالاة ومصافحة قاهريها ، وان أباح لها المجاملة ريثما تكمل الاهبة ، وتنضج طبخة الاستعداد .

كم تسرع حين نقول : قرنا وثلثا استغرق المد الاستعماري للجزائر ، اذ لا احتلال للجزائر بكل أجزائها . بل منازلة ليس لها مثيل تقابل بقسوة ليس لها مثيل !! فتصيب بعض الاجزاء بشلل موقت ، لترتفع الراية بيد غير مشلولة .

نار تتأجج في جزء فتندفع منها عين الغزاة وتهلع قلوبهم ، ولا يكادون يتخيلون اطفاءها ، حتى تتأجج في جزء آخر . واذا علمنا ان الاستعمار لم يكمل احتلال المناطق الجنوبية الا مطلع القرن العشرين ، أدركنا المقاومة

الضارية التي روعتـــه وقضت مضجعه ، ثورات وثورات ، بـل ثـــورة ذات حلقات يأخذ بعضها برقاب بعض ولو تخللها انفراجات في بعض المناطق دون بعض ، وان رأينا في مقام الصدارة بضع ثورات منها في القرن الماضي :

١ ـ ثورة الشيخ أبي عمامة ، وهذه وحدها امتدت ١٧ عاما ١٨٨٢ ـ ١٨٩٩ .

٢ ـ ثورة لالا فاطمة .

٣ ـ ثورة أود سيدي الشيخ .

٤ ـ ثورة محمد المكراني .

كل هـــذا والثائرون لا يملكون مـــالا ، ولا سلاحا ، ولا يجدون مـــن جيرانهم مساعدة !!!

اما في القرن الحاضر

فقد وضعت الحرب العالمية أوزارها وفرحت الشعوب المقهورة بوصايا الرئيس ولـسون الاربعة عشر المقدسة !!! فذهب الامير خالـــد وبعض أعيـــان الجزائر ليذكروه بمأساتهم ، لكن ما زاد على كلمة (لم آكن أقصدكم) . ثم انتهت الحرب العالمية الثانية ، ومـــا ان شاطر بعض الجزائريين قرنسا فرحـــة النصر عام ١٩٤٥ حتى احمرت العيون المهزومة أمام الالمان ونسفت من مدينة الجزائر حيا مأهولا بخمسة وأربعين الف نسمة . بهذا بلسغ البطش الفرنسي ذروته ، ومر الغادون والرائحون على الضحايا بنفوس تذهب حسرات ، فأخذ الفكر الكامن في النفوس المؤمنة بأن الله ينجز ما وعد ، يخرج لعالم الواقع ، كأن قوة غيبية تعهدته وملائكة تطوعت لقيادة جحافله .

ثـورة ١٩٥٤

وما هي الا عشر سنوات ١٩٥٤ حتـــى انطلق أشبال الشهداء ، يثأرون

للكرامة الجريحة والعزة المكلومة مصممين على التضحية منفذين منهاجا يكفل النصر .

انتفضوا دفاعا عن دين الله ، ورفعا لرايته ؛ ومحافظة على لغة وحيه .

انتفضوا متذكرين ما رواه البخاري عن علي بن أبي طالب بهـذا النص : (كنا مع النبي يوم الخندق فجاءت فاطمة بكسرة من خبز قائلة لرسول الله : خبزت لابني وجئتك منه فقال : بنية ، انها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيـام .

هذه دروس نبوية لمست قلوبا مؤمنة كونت من لا تفتر لهم همـة عـن جهاد ، ولا يقعدهم وهن عن صراع ، لقـد أقسموا ليشهدن مجـد الجزائر ، وصبروا صبر المرابطين الواثقين المتحفزين ، وتذكروا كلمة ابن باديس (قليل من الدواء يطرد كثيرا من الالم ، قليل من النور يطرد كثيرا من الظلمة) كلمة حق جريئة تدك عرشا من الطغيان) . خرجوا مجهزين بسلاح الايمان ، كأنهم يسمعون كلمة عمار بن ياسر (أمن الجنة تفرون) ؟؟

خاضوا معارك غير متكافئة : عدوهم مدجج بالسلاح ، لكن يحول دون انسانيته كبرياء وخيلا .

أما هم فقد عضهم القر وأرهقهم الجهد ، فتبادلوا قطعة السلاح وتحملوا بصبر وجلد ، وتعزوا باليوم الذي قال عنه ابن باديس (سيلد مجد الجزائر).

قلة عزلاء ، الا من سلاح الحق الطبيعي ، لا ترهب ولا تفر ، بل تخوض نار المعركة مرددة (الحق مشتق من الله الحق) .

قلة ظهرت بعد كمون ، وجهرت بعـد كبت وشعرت أن موقفها يستلزم المباغتة والسرعة والتضحية والاقدام ، والحرص على الفوز بزمام المبـادرة ، فصعدت الجبال وأخذت أماكنها ومكامنها وتجلت خبرتها ورددت مع شوقي:

ومـا نيـل المطالب بالتمني ولكن تؤخـذ الدنيا غلابـا

جانبت التواكل والصغائر والتوافه التي قدمها الغزاة ملهاة ؛ ومرت بأعوام شداد ، فانكفأ عدوها مدحورا ، وانجلى جو المعركة (تمت كلمة ربك صدقا وعدلا) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) .

هو ذا استقلال الجزائر ـ ويسيئني بعد هذا ـ أن أرى بعض الجرائد العربية تقول بمناسبة ودون مناسبة : (فرنسا أعطت الجزائر استقلالها !!!) .

نحن لا ننكر ان في العالم منذ كان كان وحتى الآن والى الابد شيء اسمه حق طبيعي وفي رأسه حرية الشعوب . ولا ننكر ان أمما تحالفت وتساعدت وتبادلت المنافع على حساب ابتلاع أمم أخرى ، كما رأينا هذا في عدة مؤتمرات دولية كمؤتمر الجزيرة مثلا المعقود عام ١٩٠٦ والامم التي أهينت كرامتها وديست عزتها وسلب استقلالها وحريتها كثيرة لعل في رأسها الجزائر ، وقد حاولت افتداء نفسها بثورات القرن الماضي الخمسة الشهيرة التي كانت تمهيدا لثورة المليون شهيد الاخيرة !!!

اذن فرنسا لم تعط الجزائر استقلالها بل انتزعته الجزائر بدمها وفدته بأفئدتها . ورغم هذا الواقع الذي أرانا فرنسا تستغني عن كثير من مستعمراتها الافريقية لتحشد جيشها لوأد ثورة الجزائر . ورغم هذا نجد صحفا تستغفر الله حين نصفها بالعربية تود لو دفعتنا لنشكر فرنسا التي منحت الجزائر استقلالها ، ناسية انه يؤخذ وينتزع ، كأنها لم تسمع قول شوقي :

وللحرية الحمراء باب ... ... بكل يد مضرجة يدق

حينذاك ، وحينذاك فحسب ، تذكرت فرنسا كلمة الشيخ (مدافع الله أطول وأطول) وتخيلت يده الممدودة شطر الجبال حيث ينبثق مجد الجزائر ، وينكفىء غزاتها أمام تلاميذ المدارس المتواضعة القابعة في الزوايا المهجورة والاحياء المتواضعة وبطون الاودية وشغاف الجبال .

لقد أحرج الغزاة الجزائر فأخرجوها ،

رموها بالاضطهاد الديني وافتعال المجاعات التي تفقد بها الجزائر نصف مليون ، ليستغلها المبشرون ويدخلون الاحياء الخربة الا من أطفال ايتام حاملي الصليب بيد والرغيف بيـد !!! فنفثوهـا قوانين (المسؤوليـة الجماعـي) والحساب دون حكم ، وجلـد الذي يرفض السخرة اذا طلب منـه العمل في مزارع الدخلاء ، وحبس الجزائري بالشبهة ، والتجنيد الاجباري الذي أرقـا مئتين وخمسين ألف جنديا يخوضون الحرب ضد ألمانيا فيموت منهم ثمانون ألفـا !!!

صمموا على ابادتها ولم يقبلوا معذرتها حين دفعت عن نفسها خطر قانون الابادة . أحرجوها وحملوها على تضميد جراحها بسائل من دمها ، اذ من فاز بقبس من تاريخ ثوراتها وقف مشدوها !!!

ما كادت تنتهي حرب التحرير حتى ورث أبطالها بيتا هدمه الغزاة عمـدا ليقيموا على أنقاضه وأشلائه ما ينعمون برؤيته ورثته فأخذت باليـد الرحيمة تلملم الجائعين الطريدين وتحضر البدو اذ هـم السواد الذي أمدها بدمـه ، وتجد في البناء والاقتصاد والتعليم والتعريب والصناعة ومـا يستلزم الانشاء من روافد آثرنا الاقتصار منها على نواح محدودة .

لقد ألقت الجزائر سلاحها عام ١٩٦٢ وعدد سكانها ثمانية ملايين وما هي الا عشر سنوات حتى أصبحوا أربعة عشر مليونا .

زيادة مستمرة في الولادات تراجع ملموس في الوفيات !!!

لا تعجبوا فالاشجار المثمرة يتضاعف نموها على مقدار تقليمها !!!

تصور الامبين والمشردين وفاقدي عائليهم .

تصور الذين مـا كادوا يضعون أسلحة المواجهـة حتى أخذوا يغسلون بصمات الاستعمار ويقاتلون بأسلحة اجتماعية متعددة .

تصور الآفـاق الواسعة التي يتمتع بهـا الذين يعلمون أن قوة الامـة وامتداد لغتها متلازمان وجودا وعددا •

تصور تعريب التعليـم وبرامجـه ، ومصطلحاته ، واقامـة دور معلمين واستقدام معلمين •

تصور الاستعمار ، وقد عبأ صحفا تدعو لعزل الجزائر بل وبترها مـن جسم العرب والمسلمين وربى ثلة ترى الماضي الاصيل الحي رجعية والانسلاخ من العربية والاسلام بـل والشرقية حضارة ، وزعم ـ كترديد لمـا لا نـزال نسمعه من صواريخ المناهج الرسمية الموجهة ـ المسمومين ـ ان عهد الحضارة الذي رأى من العرب لم يكن الا ثمرة من ثمار الفكر اليوناني •

محمد علي الزعبي

اعلام العراق الحديث

قاموس تراجـم

١٨٦٩ ـ ١٩٦٩

تأليف : المحامي باقر أمين الورد

والمؤلف : محام قدير وأديب نشيط منتج ، وهذا الكتاب الذي سيكون موسوعة كبيرة أكبر دليـل على حيويته واخلاصه للادب والتاريخ ، وهـذا الجزء الاول من ا ـ ح ، قدم له الدكتور ناجي معروف قبل وفاته طبعا • وان تقديم الدكتور ناجي معروف رحمه الله للكتاب لدليل آخر على نفاسة الكتاب وقيمة المؤلف الاديـة • فنرجو ان يتمكن المؤلف متابعـة الاجزاء الباقيـة بمساعدة وزارة الثقافة والاخوان المخلصين •

العــزة والتواضــع

بقلم : الشيخ محمد الخضر حسين

العــزة ــ التواضع

سهل على الانسان أن يدرك معنى الفضيلة في صورة مجملة ، بل سهل عليه أن يتعرف ما هي الفضائل بتفصيل ، وانما العسر في أخذ النفس بها ، والسير في معاملة الناس على قانونها ، وعسر العمل على الفضيلة مع تصور مفهومها ، والشعور بحسن أثرها يجيء من ناحية الشهوات التي قد تطغى فتطمس على البصائر ، وتكاد تحول معرفتها للخير الى جهالة عمياء . وقد يؤخذ الدارس للاخلاق من ناحية ضعفه في تطبيق الاعمال على ما تقتضيه أصول المكارم ، ذلك لان علم الاخلاق يشرح الفضيلة ، ويبين ما بينها وبين الاخلاق الاخرى من صلة ، وينبه على ما لها من آثار حميدة ، ولا يتعرض لمظاهر الفضيلة مظهرا فمظهرا ، ولا لمواضع الاخذ بها موضعا فموضعا ، بل يكل ذلك الى اجتهاد الشخص ونباهته .

وحدود الفضائل تقع بمقربة من أخلاق مكروهة ، وهذه الحدود في نفسها واضحة جلية ــ الا أن تمييز ما يدخل فيها مما هو خارج عنها ، يحتاج الى صفاء فطرة أو تربية تسأس بها النفس شيئا فشيئا .

وكثيرا ما يتشابه على الرجل لأول النظر أمور ، فلا يدري أهي داخلة في الفضيلة أم هي خارجة عن حدودها ، وربما سبق ظنه الى غير صواب ، فيخال ما هو من قبيل الفضيلة مكروها ، فيدعه أو يعيب غيره به ، أو يخال ما هو من قبيل المكروه فضيلة فيرتكبه أو يمدح غيره عليه . وهذا الشأن يجري في خلقي العزة والتواضع .

فعزة النفس تمتاز في الاذهان عن الكبرياء امتياز الصبح من الدجى ، اذ العزة ارتفاع النفس عن مواضع المهانة ، والكبرياء استنكاف النفس أن تأتي صالحا ، بتخيل أن ذلك العمل لا يليق بمنزلتها ، أو تعظمها عن أن تجامل ذا نفس زاكية بزعم أنه غير كفء لها •

ويقابل العزة الضعة ، وهي انحدار النفس في هوة المهانة ، ويقابل الكبرياء التواضع ، وهو اذعانها للحق ونظرها الى ذي النفس الزاكية أو المستعدة لان تكون زاكية ، نظر احترام أو عطفه واشفاق •

والفرق بين حقائق هذه الاخلاق سهل المأخذ ، ولا يكاد يخفى أمره على عامة الناس فضلا عن خواصهم ، ولكن أحوالا تعرض للرجل فيختفي فيها الوجه الذي يدعو الى مظهر الرفعة فيعد مستكبرا ، أو يختفي فيها الوجه الذي يدعو الى مظهر التواضع ، فيعد صاغرا •

وفي الناس من عد التواضع ذلة وعد اعتزاز النفس من جهله كبرا

وقال رجل للحسن بن علي : ان الناس يزعمون أن فيك تيها ، فقال : ليس بتيه ولكنه عزة ، وتلا قوله تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) وقال عبد الرحمن الناصر الخليفة الاموي بالاندلس لابنه المنذر : ان فيك لتيها مفرطا ، وان العيون تمج التياه ، والقلوب تنفر عنه ، فقال المنذر : « ان لهذا السلطان رونقا يريقه التبذل ، وعلوا يخفضه الانبساط ، ولا يصونه الا التيه والانقباض » ، ثم ذكر أناسا يعدون تواضع الرجل صغرا ، وتخفضه خسة ، فقال له عبد الرحمن : ابق وما رأيت •

فوزن المعاملات الخاصة والحاقها باحدى خصلتي العزة أو التواضع ، أو طرحها الى الكبرياء أو المهانة ، يرجع الى اجتهاد الشخص نفسه ، وهذا لا يمنع غيره الذي عرف من سر المعاملة ما عرف من علانيتها أن ينقدها ، ويصف صاحبها بأنه عزيز النفس أو متواضع ، أو يحكم عليه بأنه متكبر أو متصاغر •

في عزة النفس فوائد تعود عـلى الشخص نفسه ، منها ارتيـاح ضميره وسلامته من ألم الهوان الذي يلاقيه من لا يحتفظ بكرامته ، ثم ما يلقيه هذا الخلق على صاحبه من مهابة ووقار ، واحراز مكانة احترام في النفوس ممـا تنشرح له صدور العظماء ، وانما عيب الرجل في أن يجعل هـذه المكانة غايته المنشودة ، أو يتخذها حبالة لاصطياد مآرب لا يتعداه نفعها .

ولهذه الخصلة آثار صالحة في الاجتماع ، فان الامـة التي تشرب في نفوسها العزة يشتد فيها الحرص على أن تكون مستقلة بشؤونها ، غنية عـن أمم من غيرها ، وتبالغ في الحذر من أن تقع في يد من يطعن في نحر كرامتها . ولا يستحي الانسانية أن تراه مهتضما لحقوقها .

ومن عناية الاسلام بأدب العزة أنه بنى كثيرا من أحكامه العملية عـلى رعايتها ، كما منع القادر على الكسب من بسط كفه للاستجداء ، اذ كـان في استجدائه اراقة لماء وجهه بين يدي من تكون يده هي العليا ، قال صلى اللـه عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب عـلى ظهره خـير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعـه » وسن الهجرة من بلـد لا يرفع فيها الاسلام لواءه الى بلد تخفق عليه رايته وتقام فيـه أحكام شريعته ، قال تعالى : (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) وشرع الذود عن الاوطان وحمايتها من أن يكون للخصوم عليها سيطرة اذ لا نصيب لجماعة المسلمين من سيطرة غير المسلم الا العسف والارهاق .

ومن الاحكام القائمة على رعاية العـزة أن التبرعات لا تتقرر الا بقبول المتبرع له ، فلو وهب شخص لآخر مالا ، لم تنعقد الهبة الا أن يقبلها الموهوب له ، اذ قد يربأ به خلق العزة عن قبولها ، كراهة احتمال منتها ، والمنة تصدع قناة العزة ، فلا يحتملها ذوو المروءات الا في حال ضرورة ، ولا سيما منة تجيء من غير ذي طبع كريم أو قدر رفيع ، والعلماء الذين كانوا لا يقبلون عطايـا ولاة الامور ، يريدون الاحتفاظ بكامل عزتهم حتـى يكون موقفهم في وعظ أولئك الولاة اذا حادوا عن الرشد موقف الناصح الامين .

ومن هذه الاحكام شرط الكفاءة في النكاح ؛ ذلك لان في تزوج الرفيعة بمن هو دونها امتهانا لقدرهـا ، وغضا من كرامـة أوليائها ؛ فجعل للمـرأة وأوليائها الحق في الممانعة من تزوجها بمن لا يكافئها ، وانما اختلف الفقهاء في تحديد الكفاءة كما هو مقرر في كتب الاحكام •

وقد عرف الفقهاء أن الشريعة تراعي في أحكامها حـق العزة فقالوا : ان المسافر يقبل هبة الماء للوضوء ولا يتيمم ، اذ لا يمتن بمقدار ما يتوضأ به من الماء عادة ، ولم يلزموه قبول هبة ثمن الماء ، وأجازوا له التيمم ، اذ كان فـي هبة الثمن منة ، والمنة تورث شيئا من الذلة ، وعلى هـذا النحو جرى الامام الغزالي اذ جعل خشية الاهانة مسقطة لوجوب النهي عن المنكر ، وموضع هذا أن يعرف العالم أن نهيه لا يجدي نفعا ، ويزيد على عدم جدواه بأن يسومـه أولئك المبطلون أو الفاسقون خسفا ، أما اذا كان يرجو مما يقوله أو يكتبـه فائدة ، فاحتمال الاذى في سبيل العمل الصالح عزة لا تطاولها عزة •

ومدح الانسان نفسه رعونة ، فاذا مسه أحد بازدراء ، فان علم الاخلاق يسمح له بأن يذود عن عزته ، ويقول كلمة ينبه بها على مكانته ؛ وفـد أبـو الفضل بن شرف الى المعتصم أحد أمراء الاندلس في زي تظهر عليه البداوة ، وأنشده قصيدته التي يقول في طالعها :

مطـل الليـل بوعـد الفلق وتشكى النجـم طـول الارق

فاهتز المعتصم لسماعها طربا ، فحسد أبـا الفضل من الحاضرين ابـن أخت غانم ، وقال له : من أي البوادي أنت ؟ فقال أبو الفضل : أنا من الشرف في الدرجة العالية وان كانت البادية علي بادية ؛ ولا أنكـر خالي ، ولا أعرف بحالي ، فانقبض ابن أخت غانم خجلا •

وأما التواضع وهو بذل الاحترام أو العطف والمجاملة لمن يستحقه ؛ فهو خلق يكسب صاحبه رضا أهل الفضل من الناس ومودتهم ، وهو الطريق الذي

يدخل بالشخص في المجتمع ويكون به عضوا ملتئما مع سائر الاعضاء التي يتألف منها جسد نسميه الامة ، فالتواضع أنجح وسيلة الى الائتلاف والاتحاد اللذين هما أساس التعاون على مرافق الحياة وجلائل الاعمال ، قال الله تعالى يدعو رسوله الكريم الى هذا الخلق العظيم : (واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني أنا النذير المبين) وقال تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) •

يستكبر الاغبياء ظنا منهم أن في الاستكبار رفعة ، والحقيقة أن ابتغاء الرفعة من طريق التواضع أنجح من التوسل اليها بطريق التجبر والغطرسة ؛ فالتواضع الحكيم يورث المودة ، ومن عمر فؤاده بمودتك ، امتلأت عينه بمهابتك :

وأحسن مقرونين في عين ناظر جلالة قدر في خمول تواضع

قد يراك الرجل وأنت تقضي حق الاحترام رجلا عرفت من كماله ما لم يعرفه ؛ فيعد عملك تصاغرا ، ويرمي أمامك أو وراءك بسهم الانكار ، ولو اطلع على ما بطن من هذه المعاملة كما اطلع على ما ظهر منها ، لأقام لك بدل الانكار عذرا ، قدم أبو الفضل ابن العميد لأبي بكر بن الخياط نعله ، فعده بعض الحاضرين افراطا في التنازل ؛ فقال أبو الفضل : أؤلام على تعظيم من قرأت عليه شيئا من الطبائع للجاحظ الا عرف ديوانه ، وقرأ القصيدة من أولها الى آخرها حتى ينتهي اليه !

وكان أبو العباس المبرد عندما يرى أبا بكر الابهري مقبلا ينهض قائما حفاوة به واجلالا ، فخطر على بال بعض أصحابه أنه تجاوز حد التواضع وأن أبا بكر لا يستحق هذا القدر من الاجلال وشافه المبرد بهذا الخاطر ، فقال المبرد :

اذا ما رأيناه مقبلا حللنا الحبا وابتدرنا القياما

فلا تنكرن قيامي له فان الكريم يجل الكراما

يتواضع الرجل لأقرانه فلا يصاعر لهم خدا وان أبى الدهر اسعافهم ؛ ولا يخرج في معاملتهم عن حدود المساواة وان رزق من المال أو الجاه ما لم يرزقوا ، قال البحتري :

واذا ما الشريف لم يتواضع للأخلاء فهو عين الوضيع

ويتواضع الرجل لمن هو دونه في ظاهر هذه الحياة أو فيما يجري به عرف الناس كالاستاذ يجامل طالب العلم ، والرئيس يجامل المرؤوس ، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقوال الذين أوتوا الحكمة ، وسيرة الذين استقاموا على الفضيلة ما فيه عظة حسنة وقدوة صالحة •

أما الاستاذ لا يتعاظم على طالب العلم فمن مظاهرة الاصغاء اليه عند المناقشة ، واجابته عما سأل في رفق ، وتلقي ما يبديه من الفهم بانصاف ؛ فان أخطأ نبهه لوجه الخطأ ، وان قال صوابا تقبله منه بارتياح ، وارتياح الاستاذ لآثار نجابة الطلاب مما يزيدهم جدا في الطلب ، ويشعرهم باستعدادهم لان يكونوا في النوابغ ، وانما ينبغ الناشيء في العلم متى تألق في نفسه مثل هذا الشعور ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه » ومن حكم الامام علي كرم الله وجهه : « وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، ولمن تعلمونه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء » •

وأما الرئيس لا يتعظم على المرؤوس فمن مظاهره لين القول في مخاطبته، والعناية بقضاء ما يستطيع من حاجته ، والسعي في دفع الاذى عن جانبه ، والرئيس المتواضع يتحامى أن تشهد منه أثرا يدل على أن نفسه تحدثه بأنه أفضل منك ؛ الا مظاهر يسيغها عرف أصبح مألوفا بين الناس ، روى الامام مالك : أن عمر بن الخطاب « كان في فضله وقدمه ينفخ عام الرمادة (١) النار

(١) الرمادة : الهلكة سمي به عام جد بهو قحط وقع في زمن ابن الخطاب لهلاك الناس فيه والاموال •

تحت القدور حتى يخرج الدخان من تحت لحيته » ذكر هـذا مالك لهـارون الرشيد ، وقال له : ان الناس يرضون منكم بما دون هذا .

ونقرأ في سيرة مظفر الدين صاحب أربل أنه بنى أربعة ملاجىء للزمنى والعميان ، وقرر لهم ما يحتاجون اليه في كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه في عصر كل اثنين وخميس ، ويدخل الى كل واحد في نزلـه ، ويسأله عن حاجتـه ، فاحسان مظفر الدين الى هؤلاء رحمة ، ودخوله عـلى كل واحد فـي نزله ، وسؤاله عن حاله ، تواضع .

وصفوة المقال أن العزة ترجع الى أن يقدر الانسان قيمـة نفسه ، فـلا يوردها الا الموارد التي تليق بهـا ، والكبر يرجع الى أن يرى نفسه في منزلة فوق منزلتها ، فيتراءى في مظاهر يعدها العارفون بكنه حاله اغترارا واسرافا في التقدير ، والضعة ترجع الى أن يغمـط نفسه حقها ، ويضعها فـي مواضع أدنى مما تستحق أن يضعها ، والمتواضع من يعرف قدره ، ولا يأبى أن يرسل نفسه في وجوه الخير وما يقتضيه حسن المعاشرة .

واذا كان من يحتفظ بالعزة ، ولا يصرف وجهـه عـن التواضع ، هـو الرجل الذي يرجى لنفع الامة ، ويستطيع أن يخوض في كـل مجتمع ، ضافي الكرامة ، أنيس الملتقى شديد الثقة بنفسه ، كان حقـا على من يتولى تربيـة الناشىء أن يتفقده في كل طور ، حتى اذا رأى فيه خمولا وقلـة احتراس من واقع المهانة ، أيقظ فيه الشعور بالعزة والطموح الى المقامات العلا ، واذا رأى فيه كبرا عاتيا وتيها مسرفا ، خفف من غلوائه ، وساسه بالحكمة حتى يتعلم أن المجد المؤثل لا يقوم الا على دعائم العزة والتواضع .

محمد الخضر حسين

مع الخالدين

غاريبالدي

إعداد : سمير شيخاني

صوت : عرف التاريخ العديد من الجنود المرتزقة الابطال . أما غاريبالدي ، وهو واحد من أبرز الابطال في كل عصر ومصر . كان من الجنود المرتزقة غير المحظوظين . وذلك بمحض اختياره . فقد كان دائما يسعى وراء القضايا القليلة المكاسب فيناصرها ويحارب في سبيلها . وكان دائما يحمل السلاح لنصرة المظلومين والمحرومين . فحيثما كانت هناك أمة تنهض الى تحرير نفسها ، سواء أكانت في العالم القديم أو في العالم الجديد، كان غاريبالدي يهب على رأس قوات التحرير . ولقاء خدماته لم يكن ليطلب أي مكافأة أو مجد . ففي سنة ١٨٤٢ ، عندما أحرز سلسلة من الانتصارات من أجل الاورغواي ، كان يعيش وزوجته في كوخ آيل الى السقوط ، ليس له باب ، ومحطم النوافذ .

هذا في الحرب ... أما في الحب ، فقد كان كذلك قليل الحظ ... فقد أحب مرارا ، وتزوج ، ولكن آخر زواج له كان كارثة عليه . فحتى آخر يوم من حياته ظل يفكر في المركيزة ذات الثمانية عشر ربيعا التي بهره جمالها ... ظل يفكر فيها بحقد ، ولكن أليس الحقد قريبا من الحب ؟

غاريبالدي : مهلا ، مهلا ، يا سيدتي ، أراك تتعمقين في حياتي الخاصة .

صوت : عفوا ، يا سيد غاريبالدي .. أنا لم أشأ الا أن أكون مؤرخة صادقة . وأعتقد أن حياتك العامة والخاصة على السواء باتت ملكا للعالم .

ومن الانصاف للواقع والتاريخ ان نلم بكل شاردة وواردة من دقائق حياتك الحافلة في هذه المقابلة •

غاريبالدي : حسنا ، ليس أحب من ذلك الى نفسي ، فسلي ما تشائين •

صوت : أنت من مواليد نيس في سنة ١٨٠٧ ، وقــد كان أبوك قبطانــا بحريا ، وفي دمك كان يجري منذ نعومة أظفارك حــب المغامرة والحريــة • وكانت تسليتك المفضلــة وأنت صغير التجول فوق التــلال ، والسباحة فــي البحــر •

غاريبالدي : والواقع انني قلت مرة للروائي الفرنسي الكسندر دوماس انه يبدو أنني ولدت برمائيا (يقهقه) •

صوت : ولم يكن الخوف يعرف الى نفسك سبيلا ، ولعل أبلغ دليــل على ذلك انقاذك امرأة أشرفت على الغرق ولم تكن قــد جاوزت الثامنــة من عمــرك •

غاريبالدي : أنا لو لم أكن صغيرا عندما أنقذت تلك المرأة من الغرق لمــا لفت عملي الانظار واستحق التأريخ •

صوت : في الخامسة عشرة غادرت المدرسة ؟

غاريبالدي : كانت الحرية والانطلاق أحب الي من الجلوس فــي حجرة الــدرس •

صوت : وأبحرت بمفردك الى جنوى سعيا وراء المغامرات • فكان ذلك ضربة شديدة توجهها لوالدك الذي شاء أن يجعل منك كاهنا •

غاريبالدي : ولكن « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن » • فلما أيقن والدي أنني لم أخلق لحياة الهدوء والسلام جعلني في عداد بحارة سفينته •

صوت : وكنت ، على صغر سنك ، أفضل البحارة ، وأكثر منهم معرفة ، مع أنك لم تدرس مثلهم •

غاريبالدي : الواقع أنني كنت شغوفا بالمطالعة ، فلم أقصر في قراءة كتب الفلسفة والتاريخ والشعر •• وخصوصا الشعر •

صوت : وكنت كذلك مولعا بالغناء ، تردد كثيرا أناشيد الثورة الفرنسية • وما لبثت بعد سنتين أن أصبحت قبطانا وكانت مهمة قيادة السفن في مطلع القرن الثامن عشر على جانب كبير من الخطورة • وقد أبحرت شطر المشرق حيث كان الاتراك واليونانيون مشتبكين في معركة دامية •

غاريبالدي : وقد حاربت القراصنة الذين هاجموا سفينتي بالفؤوس والمدى • وقد مخرت عباب البحار التي خلدتها قصائد الشاعر بايرون البطولية ، وكنت أعمل بوحي قوله « انه لافضل للمرء أن يموت حرا بدلا من أن يعيش عبدا رقيقا » •

صوت : وفي ذلك الوقت علمت بخبر ذلك الايطالي الذي لم يأبه بالموت في سبيل الحرية • شيرومينوتي ، الذي حاول توحيد بلاده المفككة الاوصال وتخليصها من نير النمسويين ، فوقع أسيرا بين أيديهم ، وكان مصيره الموت •

غاريبالدي : قتلوه ، ولكنهم لم يستطيعوا قتل روحه الثورية • ذلك بأن الشرارة التي أطلقها مينوتي ، ازدادت جذوتها اتقادا فباتت شعلة متأججة في الكثير من قلوب الايطاليين •

صوت : وقد قادك أحد أتباعه الى الوطني الثائر ماتزيني الذي كان ما يزال حيا يرزق ، ويعتبر رسولا من العناية الالهية للاخذ بالثأر • وهكذا أبحرت الى مرسيليا لمقابلة ماتزيني ، وكان قد نفي اليها دون أن تلين له قناة •

غاريبالدي : الواقع ، يا سيدتي ، ان كولومبوس لم يجد من السعادة والسرور لدى اكتشافه أميركا ، مثلما وجدت أنا لدى اكتشافي هذا المخلص الذي كان عليه أن يحقق لشعبنا أمانيه ومطامحه القومية •

صوت : وهكذا أثمر تعارفكما تعاونا في سبيل الحرية دام طوال حياتكما : كان ماتزيني صاحب الحلم الكبير ، وكنت أنت مترجم الحلم الى

أعمال أعظم وأكبر •••

غاريبالدي : في البدء كان تحرير ايطاليا يبدو عملا لا رجاء منه • فقــد كانت ايطاليا نتيجــة للحلف غــير المقدس الذي عقــد سنة ١٨١٥ ، مفككة الاوصال ، وأشبه بجثة تنزف دما ••• كانت كما وصفها السياسي النمسوي الداهية الساخر مترنيخ ، وهو والد سنة ١٨١٥ غير المقدس ، « مجــرد اسم جغرافي ، وليس لها شيء من مقومات الامم •• » •

صوت : ولكي تحيل الاسم الميت الى أمة حية بدأت باثارة العصيان بين بحارة الاسطول الملكي الجنوي • ولكن أحد الثائرين ارتكب جرم الخيانة ، فهربت الى مرسيليا لتجد حكومة بيدمونتي قد وضعت ثمنا لرأسك •••

غاريبالدي : عندها لم يكن بد من السفر مع نفر من الرفــاق المخلصين الى أميركا الجنوبية حيث كانت تنتظرنا ثورات أخــرى ، وطغيــان يجب أن يــزول •

صوت : وكانت مغامراتك هناك أغرب حقا من حكايات ألف ليلة وليلة• وطوال اثنتي عشرة سنة ــ أي من سنة ١٨٣٦ الى سنة ١٨٤٨ ــ قدت جنودك الذين كانوا يعرفون بالقمصان الحمر فــي حروب العصابات التي أدت الــى تحرير الاورغواي وريوغراندي • وكمــا كنت محاربا ممتازا ، كنت كذلــك عاشقا ممتازا •

غاريبالدي : لست أنسى الظروف التي جمعتني بتلك الفتاة الاسبانيــة الحسناء آنيتا ريبيرا التي أصبحت زوجتي على الرغم من ارادة والدها الذي لم يشأ أن يوافق على زواجها مني ، أنا محرر بلادها •

صوت : ومما يذكر في هــذا المجال ، يــا سيد غاريبالدي ، ان زوجتك كانت تشترك معك في حملاتك العسكرية • ولــما أنجبت لك ولــدا أسميته مينوتــي •

غاريبالدي : تيمنا باسم بطل أول ثورة ايطالية •

صوت : وكنت شابا مليح الوجه ، هرقلي البنية ، تروق في عيون الجميلات • ولكنك كنت مع ذلك مخلصا لزوجتك • ولكي تخفف من غيرتها قصصت شعرك الذهبي الضارب الى اللون الكستنائي ، ذات مرة وقلت لها : « الآن ستتوقف الحسان عن مطاردتي بعض الوقت » (يقهقهان) •

غاريبالدي : لقد فعلت كما فعل شمشون من قبل •

صوت : ولكنك لم تفقد مثل شمشون قوتك على محاربة خصومك وأعدائك • فما ان انتهيت من مهمتك في أميركا الجنوبية حتى عدت الى ايطاليا لتحارب النمسويين ، ولتدافع عن روما ضد الفرنسيين وكنت اذ ذاك تحمل لقب « نمر مونتيفيديو » •

غاريبالدي : كنا ألف رجل ضد ثلاثين ألف فرنسي • ولم يكن ثمة ما ينقذ رجالي من الهلاك على يد الجيش الفرنسي الا معجزة • وقد حدثت المعجزة • وشتت قوات الجنرال أودينو ، وأعلنت روما سنة ١٨٤٩ جمهورية حرة ــ وحكومة « بلا سجون ، وبلا محاكمات ، وبلا عنف •• » •

صوت : ولكن ذلك لم يدم طويلا ، فقد لجأ الجنرال أودينو الى الخدعة ، وفتك بحامية روما ، ولكنك استطعت النجاة بعد اصابتك برصاصة في جنبك • وكانت زوجتك حاملا ، ففرت معك •••

غاريبالدي : وفر معي أيضا ما تبقى من جنودي ، بعد أن أرسلت اليهم نداء أدعوهم فيه الى الالتحاق بي اذا اذا شاؤوا لتحرير بلادهم من نير الدخلاء بمواصلة الحرب •

صوت : ولا تنس أنك وعدتهم بالجوع والعطش والاعياء والمعارك ، والموت • وطمأنتهم الى انهم لن ينالوا أي مرتبات ولا أية مؤونة (يقهقهان) •

غاريبالدي : ذلك هو الواقع • وكانت الشجاعة الفائقة التي أظهرتها ، وأظهرتها معي زوجتي آنيتا حافزا لهم على تلبية ندائي •

صوت : وكان انسحابكم ملحميا حقا . ولكن زوجتك المسكينة آنيتـا مرضت أثناء الانسحاب من وجـه النمسويين وماتت قبـل أن تكتحل عيناها برؤية أحلامك الكبرى تتحقق ورحلت الى الولايات المتحـدة الاميركية حيث حاولت الاقامة ، وحيث عملت في أحد مصانع الشموع .

غاريبالدي : ولكن سرعان ما هجرت العالم الجديد لاقـود سفينة عائدة الى الشرق مرددا بيني وبين نفسـي : « لقد كفاك مغامرات ، يا جوسيبي ، عد الى ايطاليا ، وانسحب من الحياة العملية ، واخلد الى الراحة . فأنت تتقدم في السن ... » .

صوت : وذهبت الى كابريرا ، وهي جزيرة في عرض ساحـل سردينيا ، وابتعت كوخا رجوت أن تنهي فيه ما تبقى لك من أيام على الارض ، في عزلة وهدوء تامين ...

غاريبالدي : ولكن صوت المضطهدين بلغني عبر المياه ، وسرعان ما دبت الحياة مجددا في أعماقي . فقد كانت ايطاليـا ، بوحي من السياسي القديـر كافور ، تحاول من جديد أن تنفض عنها نير السيطرة النمسوية .

صوت : انه الحلم القديم نفسه ، ايطاليا موحدة ، وحرة .. فغـادرت كابريرا ، والتحقت بقوات كافور . وهكذا عدت مـرة أخرى الـى الحرب ، وعدت كذلك الى الحب . ذلك بأنك التقيت فتاة في التاسعة عشرةمن عمرها تدعى المركيزة راكموندي ، فتزوجتها بعد فترة غـرام لاهب في كانون الثاني من العام ١٨٦٠ .

غاريبالدي : ولكني تركتها بعد بضعة أيام من الزواج لانني عرفت انهـا كانت ما تزال على علاقة بشاب كانت تحبه قبلي .

صوت : ولم يبق أمامك الا ميدان القتال ..

غاريبالدي : لم يكن بد من ذلك . فقد تألمت كثيرا ، وطعنت في حبـي وفي كبريائي .

صوت : ولكنك تعزيت بتكريس حياتك من جديد لخدمة بلادك . فبألف متطوع منحت ايطاليا كلا من نابولي وصقلية . ثم انسحبت الى جزيرتك كابريرا . وحتى آخر يوم من حياتك ظللت تفكر في المركيزة ذات التسعة عشر ربيعاالتي بهرك جمالها ... كنت تفكر فيها بحقد ... ولكن أليس الحقد قريبا من الحب ؟

غاريبالدي : تماما ... لم يتحقق حلمي في الحب ، فتحقق في الحرية والوحدة فاذا بايطاليا تتوحد تحت حكم ملك واحد هو فكتور عمانوئيل ، من أسرة سافوي .

صوت : وماذا كانت مكافأة الملك لك على ما قمت به من أجل توحيد ايطاليا ؟

غاريبالدي : في السادس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٨٦٠ ، قابلني الملك فكتور عمانوئيل وكنت مع نفر من رفاقي الثوار . كان لقاء باردا في ذلك الصباح البارد الرطب . وبعد ان هز الملك يدي مصافحا ، واصل طريقه تتبعه الحاشية في موكب فخم . وكان موقفنا ، جنودي وأنا ، موقف المتفرجين العاديين الذين لم يكن لهم أي دور في تحمل ضريبة الحرب الباهظة . وكان الى جانبي صديقة دجيسي هوايت ، قلت لها : « دجيسي ، انظري ، انهم يدفعوننا الى الخلف » .

صوت : لا عليك يا سيد غاريبالدي ، فالحال هكذا دائما مع أمثالك : في الحرب تكونون في المقدمة وعندما تنتهي الحرب ، تصبحون في المؤخرة.. أليس كذلك (يقهقهان) .

غاريبالدي : لا بأس ، يا سيدتي ، لا بأس ...

سمير شيخاني

عدنان مردم شاعراً

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

عرفت عدنان مردم منذ سنين طوال ، من دواوينه الثلاثة التي صدرت له : نجوى (١٩٥٦ — دار المعارف بالقاهرة) — صفحة ذكرى (١٩٦١ — عن الدار نفسها) عبير من دمشق (١٩٧٠ — بيروت — عويدات) .

وقرأت له مسرحياته الشعرية بعد ذلك : غادة أفاميا (١٩٦٧ — بيروت) — العباسية (١٩٦٨) — الملكة زنوبيا (١٩٦٩) الحلاج (١٩٧١) — رابعة العدوية (١٩٧٢) — مصرع غرناطة (١٩٧٣) — فلسطين الثائرة (١٩٧٤) — فاجعة ميرلنغ (١٩٧٥) — ديوجين الحكيم (١٩٧٧) — وكلها من طبع بيروت .

وبين يدي ديوانه الاخير « نفحات شامية » الذي صدر في بيروت عام ١٩٧٩ ، مضمخا بعبير الحب للشام ، ولمدينته العريقة دمشق ، ذات التاريخ الطويل الحافل .

وعدنان مردم بك من أسرة المردمين ذات الماضي العريق في التاريخ والادب واللغة والشعر وعلوم الدين . وبحسبنا والده خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق من قبل ، وصاحب الآثار الادبية الخالدة المشهورة ، والذي يكتب عنه صديق لنا رسالة للدكتوراه ، وهو « خير الدين كم الماز » .

وعدنان مردم من طبقة جيل الـرواد في الادب الـسوري الحديث من أمثال : أبو ريشة وأمجد الطرابلسي ، وأنور العطار ، وزكي المحاسني ، وسواهم . وهو شوقي النزعة ، ينتمي الى مدرسة البعث الجديد ، ويشبه عزيز أباظة في الشعر المصري المعاصر ، وفي اتماءاته الفنية والادبية ، وموسيقاه الحلوة ، وخياله التصويري البديع ، شاهدان له على رفعة محله في الشعر ، وتميزه فيه .

وسأكتفي في هذه الكلمة بالحديث عن ديوانه الاخير « نفحات شامية » الذي يمثل الكلاسيكية الجديدة خير تمثيل بكل خصائصها وسماتها الفنية والفكرية .

ـ ٢ ـ

« نفحات شامية » يمثل شاعرنا الكبير عدنان مردم بك خير تمثيل ، فهو يحمل روحه الوطنية المتأججة ، ويحمل طابعه الشعري البديع الجديد ، ويحمل موهبته التصويرية الرفيعة الاصيلة ، ويحمل منهجه في نظم القصيد وموسيقاه ، ويحمل قبل كل شيء فكره وثقافته وطابع فهمه للحياة .

وأبواب الديوان الكبرى هي : الوصف والطبيعة ـ صور فنية ـ المعذبون في الارض ـ شيء من القلب ـ تأملات ـ صور من التاريخ .

١ ـ فالوصف والطبيعة تسع قصائد جميلة مؤثرة : دمشق التاريخ ـ الليل في دمشق القديمة ـ سوق الحميدية ـ برك الماء في بيوت دمشق ـ قاسيون في الثلج ـ وصف ليالي الحسوم ـ النارجيلة ـ القرية في الليل ـ وصف الجفاف والمحل .

ولنأخذ قصيدة من هذه القصائد لنتعرف اليها والى الشاعر ، ولتكن قصيدته « الليل في دمشق القديمة » بأبياتها الثلاثين ، وبموسيقاها الحلوة التي ترجع الى بحر الخفيف ، وبقافيتها الدالية الممدودة ، وبخصائصها الفنية المتميزة .

القصيدة تدل على ملكة الشاعر الرفيعة في التصوير والوصف والخيال ، ويكاد الشاعر يمثل لنا الليل في رهبته وسطوته في دمشق القديمة أروع تمثيل . ودمشق القديمة قد تختلف عن الجديدة في هبوط الليل عليها ؛ فلا شك ان لقدمها واطلالها وحاراتها وشوارعها الضيقة ، ولاهلها المكافحين أثرا متميزا بالليل ، ومن منا لا يقف مذهولا أمام روعة الليل في حي الحسين بالقاهرة ، وهو الحي القاهري الفاطمي القديم ، الذي يأخذ بالليل زينته وجماله وبهاءه ، كأنه عروس تتزين في ليلة زفاف ، مما لا تجد شبيهه في ليل القاهرة الجديدة ، من أحياء الزمالك أو جاردن سيتي ؛ أو مصر الجديدة أو مدينة المهندسين مثلا .

والشاعر يبدأ قصيدته بوصف الظلام ، الذي يلقيه الليل على الكون رهيبا ذا سورة وسلطان :

عصف الليل في الفضاء البعيد بغواش ملء البسيطة سود
وترامى في شاسع كعباب تترامى أطباقه عن وعيد
وقتام الظلام في كل أفق يتراءى كبيرق معقود
نشر الرعب في النفوس فجاشت خوف رعب أضالع كبنود

وهو هنا يمثل رهبة الليل وسطوته ، وحلوله على الكون ، وكأنه البحر اللجي تثور أمواجه بوعيدها وتهديدها . وسواد الظلام يبدو في كل أفق ظاهرا مرفوعا ، وكأنه العلم المرفوع والراية المعقودة .
ثم يعود الشاعر الى دمشق التي لا تهرم أبدا ، ولا تعرف في الليل الرهيب غير الوداعة والسكون والمهادنة :

واستكانت دمشق تحت جناح لظلام على الورى ممدود
نعمت دونه دمشق بفيء من ظلال ، واستسلمت للهجود
من رآها في غمرة حين ألقت بذراع على التراب ، وجيد
خالها الورد أطبقت بجفون لمنام على سراب الوعود

الـى أن يقـول :

وتـراءت دمشـق خلف نقـاب   من جـلال لغابـر من جـدود
جثمت كالقضـاء مأثـم ريـب   وهـي ترنـو بمقلـة لبعيـد

فدمشق تستلم للسكون في الليل ، وتنام مـلء جفونها ، كأنها الغـادة الهيفاء ، تستـسلم للنوم في سراب الوعود .

وكنت أظن ان الليل في دمشق القديمـة يبعث فيها الحيـاة والحركـة والنشاط ، كما نرى في حي الحسين ، أو حي السيدة زينب مثـلا في القاهرة ، ولكن الامر هنا بالعكس كما يصوره الشاعر الكبير .

ويستمر الشاعر في وصف الليل في دمشق القديمة ، فيصفه بالطرافـة ، ويصفها بالصمت المطبق ، حيث يقول :

تجد الليل فـي دمشق طريفا   يبهر العـين بالطريف الجديد
ويطول الصمت العميق ويحلو   بالاماني مـن طارف وتليـد
تجد الصمت ضاربـا بجران   دون ليل اطباقـه من حديـد

ثم يعود الى دمشق وتاريخها التليد الحافل وكفـاح أبنائها على طـول العصور فيقول فيما يقول :

ودمشق التاريـخ همس نشيـد   عبقري عـلى شـفاه الخلـود
ذكريات من عبـد شمس أراها   بظنوني وخاطـري ونشيـدي
سـطعت كاليقين فهـي ضيـاء   لنفوس حـيرى وطرف جحـود
وأراهـا تلـذ في كـل مسمع   كلحـون علويـة الترديـد
يـا بلادي ومـا ترابك عنـدي   برخيص ولـم يكـن بزهيـد
طاب عندي(كالبيت) طهرا وطابت   ذكريات عزيـزة مـن جـدود

وهنـا ننوه بأمرين : موسيقى الشاعر الرائعـة ، وملكته التصويريـة الرفيعة ، ثم بطبعه الشعري الجميل وموهبته الاصيلة في نظم القصيد ، ونجد

هنا قاموس الشاعر اللغوي ، هذا القاموس الذي ينم عن اعتداد بالتراث ورجوع اليه ، واعتزاز به ؛ وعن ثقافته اللغوية الواسعة ، وأشير هنا الى أن المقطع الاخير في هذه القصيدة ، قد صدر به الشاعر ديوانه ، تحية لدمشق ولتاريخها الطويل العريق • وقصائد هذا الباب كله تعود الى بحر الكامل ، والخفيف والرمل والمتقارب ••

٢ ـ وباب الصور الفنية يشتمل على ست قصائد هي :

راقصة آه يا زين ـ المتحلقون حول النار ـ ثور السانية أو الساقية ـ وصف هرة مدرب الحمام ـ شارب النارجيلة •

ولنخص بالحديث هنا قصيدته « شارب النارجيلة » التي تعود الى بحر الوافر ، والتي يصف فيها سحب الدخان ، التي تخرج من فم شارب النارجيلة ، ويصف ما يعتريه من آلام وعذاب وادواء • ثم يصف طرحها في ركن من الدار ، ويصف رقة زجاجها وصفاءها وعزتها عند صاحبها ، ويصف القوم الذين يجلسون اليها للشراب •

يقول في مطلع هذه القصيدة :

أطال يعب من سؤر الندامى ... لظى ويمجها سما زؤاما

ثم يقول :

أعذباً عب شاربها وشهداً ... أم الاسقام يكرعها لماما
أطال عذابه بيديه لما ... عن الاصباح من عنت تعامى

ويقول فيها :

ثوت (نرجيلة) في عقر ركن ... وقرت كالاذى سكن العظاما
مطارفها الزجاج صفت وراقت ... كما صفت المدامع من يتامى
تكاد لرقة ولفرط صقل ... تسيل كقرب سارية ترامى

يريد كماء سحابة ممطرة بهطل •

وما ينفك شاربها حفيا كأن بها يرى بدرا تماما

الى آخر هذا الوصف العميق الجميل ، ثم يسترسل الى شاربيها فيقول في وصفهم :

ترى سمارها رقوا وراحوا بحلبتها على ضغن كراما
يطيلون الحديث بلا عتاب ويخفون العداوة والخصاما
رضوا بالدون من عمر ذليل وعاشوا دهرهم ابدا نياما

واذا عدنا الى قصيدته « النارجيلة » في باب الوصف والطبيعة ، التي تعود الى مجزوء بحر الكامل ، والتي مطلعها :

تاج « لها فوق الجبين » يذكر على كر السنين ويقول فيها :

ضمت من البلور ثوبا سال من هيف ولين
شفت طرائق نسجه كأشعة الفلق المبين
بلورها من رقة همس الوساوس والظنون
والماء في أحضانها صخب ، وطورا مستكين
يتلو أقاصيص الهوى ويقصها للسامعين
تلقاه يسهب تارة وتراه يوجز من شجون
هو واللظى متجاوران معا على كر السنين
ضمتهما « نرجيلة » ضم المتيم باليمين
خرطومها عبق الشذا للطامعين الحالمين

ثم يتحدث عن شاربيها حديثا عذبا رقيقا رفافا ، وقد استوقف نظري في البيت :

أنفاسها حكت السالفة رقة للظامئين

وأظن فيه خطأ مطبعيا ، ولعله :

أنفاسها حكت السلافة رقة للظامئين

تجد هذه القصيدة أكثر عذوبة ، وأروع تصويرا ، وأحلى موسيقى ؛ وان كانت مضامين القصيدتين واحدة ..

وقصائد الباب الثاني تعود الى بحر الكامل والمتقارب والوافر ، ويشبه الباب الثاني في ـ الاعتزاز بالقاموس اللغوي ـ ويشترك معه في الطبع الشعري الاصيل ، وفي قوة ملكة الوصف والتصوير ، حتى لنكاد تحسبنا امام ابن المعتز الشاعر الخليفة العباسي (٣٤٧ ـ ٣٩٦ هـ) من جديد .

٣ ـ والمعذبون في الارض عشر قصائد هي :

بائع الصحف ـ الجزار ـ موزع البريد ـ الخباز ـ الفلاح ـ الحداد ـ الراعي ـ ضاربة الودع ـ مسحر رمضان ـ بائع الصبار .

ولنأخذ قصيدة من هذه القصائد ، ولتكن « الفلاح » ، لنتعرف عليها وعلى الشاعر من خلالها ؛ ولنرى كيف نظر شاعرنا الكبير الى هذا الرجل المسكين المعذب في الارض . الذي عني بوصفه ، عنايته بوصف أشباهه من المعذبين في الارض في هذا الديوان ، وفي ديوانه الآخر ؛ عبير من دمشق .

يقول الشاعر الكبير في مطلع هذه القصيدة التي نظمها من بحر الرمل :

صامت والحقل همس ونداء واجم والصبح نفح وعطاء

ثم يصف املاقه وكدحه وسقمه وكفاحه ، كما يصف بكوره وشقاءه بمحراثه وبالارض التي يزرعها فيقول فيما يقول :

هب يسعى ضاربا في شاسع يمين هي والصخر سواء
أيقظ المحراث من غفوته فانبرى المحراث يحدوه الرجاء
نخب الارض ، ولم تأل يد تنخب الارض له كيف يشاء
صدره في صدرها لا يأتلي عالقا ما كر صبح أو مساء
كمحبين التقى ثغراهما بعد أن برح بعد وجفاء

ثم يصف الشاعر صبر الفلاح وهمته وعفته واسماله الباليات يقول :

تجـد الفلاح لـم تغرب لـه ... همة مـا أشرقت يوما ذكـاء
لبس الصبر عـلى المـر ولم ... يعيه في العيش مـر أو بـلاء
هو كالطير عـلى السعي هوى ... كلمـا يخفق للفجـر لـواء
مـا على الفلاح لورثت لـه ... شملة، والعرض في الطهر سماء

هذه القصيدة الرائعة التصوير لا حد لجمالها ولا لبلاغتها ولا لروعتها ، وفي آخرها يقول الشاعر :

يـده المجفاء سالت في الربى ... رحمة ، فالنفح منها والعطـاء
سقت الارض دما من جرحها ... بسخاء لا يدانيـه سخـاء
ونضت أحلامهـا الغـر التي ... فاح منها الطيب وانهل الضياء

وقصائد هذا الباب ترجع الى بحر الخفيف والكامل والرمل وموسيقاها حلوة ، وتتميز هي والقوافي بالرنين الجهوري الصدى ، لا الهامس اللحن •

٤ ـ وباب « شيء من القلب » يحتوي على ست قصائد هي : الشباب ـ عـلى الطريق ـ دون الرصيف ـ المغني المقفـر ـ قصص الذكـرى ـ الذكريات الاليمـة •

ولنأخذ من هذا الباب قصيدته « الشباب » لنرى ما تحتوي عليـه من قيم فنية أو فكرية ولتكون مادة لفهم الشاعر كذلك •• فمـاذا فيها ؟ وما هو المعنى الخفي بين حواشيها ؟ يقول الشاعر في مطلع قصيدته هذه ، التي نظمها من بحر الخفيف :

زيف حلـم ، وعالـم مسحور ... ملؤه التيه والرؤى والغرور
تجد الصعب دونه غـير صعب ... وسواء لديـه ليـل ونـور
ولياليـه فتنـة وعطـور ... وصحاريه جـدول مسجور

ثم يستمر في وصف الشباب فيقول :

الشباب الفينان فيض نعيم فاح منه الشذى، ورف العبير
يتراءى في أعين الغير حلما سرمديا ، لا ينتهي ويغور

ثم يقول في كفاح الشباب وجلاده للايام وسعيه في الارض ...

والشباب الفينان جذوة نور وانطلاق الى العلا ومسير
جعل الارض حلبة اصراع مستمر يصول فيها المغير
وأتى النجم غازيا حين ضاقت سبل الارض دونه والبحور
وتحدي الاقدار طيشا وجهلا وهو ذر في الكائنات صغير

ويتحدث عن قصر أيام الشباب ومعجزاته كذلك فيقول :

ما الشباب الفينان غير شهاب يتراءى لفترة ويغور
تتحلى به الحياة ويحلو شظف العيش والشقاء المرير
كيف أوفي الشباب حقا ومدحا وهو دنيا وعالم مسحور

والقصيدة تصويرية جميلة ، وفيها نغمة الحزن على أيام الشباب ، وفيها كذلك صورا من كفاح الشباب ومعجزاته وعبقريته ، ولكنها لا تخلو من العنصر الذاتي المثير . .والشاعر قلما يتحدث عن نفسه في شعره الا عرضا ورمزا .

وقصائد هذا الباب من الخفيف والوافر والكامل والرمل . ومن قصائده الجميلة الرائعة العميقة قصيدته (غصص الذكرى) التي يذكر فيها ماضي وصال مشرق بالحب والحنين واللوعة وهي قصيدة عالية الطبقة في الشاعرية . ويقول فيها الشاعر :

قدحت ذكراك في النفس لظاها وأعادت لوعة طال شجاها
جئت مغناك ضحى أسأله عن ليال واد البين صباها
نشرت ذكراك أياما لنا غالها ريب العوادي وطواها
ليس في الذكرى التي نشتاقها ما يسلي النفس أو يشفي صداها

٥ ـ وفي التأملات ست قصائد كذلك : الشمس ـ السمكة السجينة في قفصها البلوري ـ عالم القمر ـ وصف ليالي رمضان ـ أيتها الارض ـ النبع المتقطع ـ وتعود هذه القصائد الى بحر الكامل والرمل ••• وهي قصائد رقاقة دقيقة التصوير •

٦ ـ والباب الاخير في الديوان هو « صور من التاريخ » ، ويحتوي على ثمان قصائد هي :

وقعة عين جالوت ـ جلنار ـ وهي زوجة الملك قطز التي حاربت معه المغول في عين جالوت وقتلت دونه لترد بنفسها عنه سهم أحد المغوليين فقضت شهيدة في ساحة الحرب ـ الحرب في الجولان ـ الدمار في القنيطرة ـ ابن زيدون ـ محنة بيروت ـ بيروت بعد عام من الفتنة ـ سقوط تل الزعتر •

والقصائد من بحر الخفيف والوافر والكامل والبسيط الذي نظم منه قصيدة واحدة في الديوان هي قصيدة الحرب في الجولان •

وهذه القصائد يمتزج فيها وهج الفن بعبق الذكريات التاريخية الحافلة، ولا نستطيع الحديث عنها لطول الدراسة ، ورغبة في الانجاز •

ـ ٢ ـ

وبعد ، فماذا أقول عن شاعر بردى الكبير ، عدنان مردم بك ، هذا النغم الشجي ، الذي يعيش مع الالهام في ذرى الشام وذكرياته العبقات ، والذي يحول كل شيء في الحياة الى نغم جميل ساحر ، والذي أمسك بعصا الشاعرية ، فتحولت في يده الى معجزة من معجزات الفن ، قل ان نجد مثلها عند الكثير من الشعراء ••• ان ديوانه « نفحات شامية » وحي من السماء •

القاهرة د • محمد عبد المنعم خفاجي

نوفل نيوف
ومسؤولية الترجمة

بقلم : عيسى فتوح

صدر مؤخرا العدد الثالث من مجلة « الحياة المسرحية » ــ شتاء ١٩٧٧ ــ ١٩٧٨ عن وزارة الثقافة ، ويرأس تحريرها الكاتب المسرحي الاستاذ سعد الله ونوس ، ويتولى التحرير الاستاذان نبيل حفار ، وسحبان سواح . وأعترف منذ البدء أن هذا العدد سجل قفزة واسعة الى الامام ، بالرغم من أن المجلة لم تحتفل بعيد ميلادها الاول ، وأنني لست هنا في صدد تقويم مواد هذا العدد ، أو دراستها ، فقد يتولى غيري هذه المهمة ، بل أحب أن أتوقف عند كتاب المستشرقة السوفياتية ت. آ. بوتينتسيفا « ألف عام وعام على المسرح العربي » الذي بذلت فيه جهودا مشكورة ، وحاولت أن تؤكد أن جذور المسرح العربي عميقة جدا ، توغلت في تربة المجتمع العربي منذ ألف عام ونيف . وقد قام الاستاذ نوفل نيوف بتلخيص الكتاب عن الاصل الروسي ، وترجمته ترجمة لم تخل من بعض الهنات ، أحببت أن أشير اليها لاستكمال الفائدة من هذا البحث القيم ، وأتمنى لو تولى هو أو غيره ترجمة هذا الكتاب الذي تفتقر اليه مكتبتنا العربية ، لانه من أوسع وأشمل المراجع عن تاريخ المسرح العربي ، الذي كنا نعتقد أنه يبدأ بمارون النقاش !

١ ــ الصفحة السابعة ــ العمود الاول ــ السطر الاول ورد اسم الكاتب المصري أحمد رشدي صلاح ، والصواب أحمد رشدي صالح ، وورد في السطر الثاني قوله : « بروفيسور جامعة بيروت محمد يوسف نجم » وكان يجب أن يوضح أي جامعة ؟ ففي بيروت أربع جامعات ، والمعروف أن الدكتور محمد يوسف نجم أستاذ في الجامعة الاميركية ،

ويعتبر كتابه « المسرحية في الادب العربي الحديث » من أهم ما ألف في هذا الموضوع ٠

ه ـ الصفحة السابعة ـ العمود الثالث ـ السطر الثاني ورد قول المترجم « كان عند العرب مترجمون عظام (الفارابي ، ابن سينا ، ابن رشد) والمعروف أن هؤلاء فلاسفة وليسوا مترجمين ، كما لا يخفى على أحد ، أما المترجمون العرب فمنهم : حنين بن اسحق ، ويوحنا بن ماسويه ، وقسطا بن لوقا وسواهم ٠

٣ ـ الصفحة الثامنة ـ العمود الثاني ـ السطر الرابع عشر يقول : « ولكن يا لموضوع الخمر في شعر الحسن أبي النواس » وكان يجب أن يقول : الحسن بن هاني الملقب بأبي نواس ٠

٤ ـ الصفحة الثامنة ـ العمود الثاني ـ السطر السابع عشر جاء فيه « ... المبتعدين كثيرا عن الاسلام الارثوذكسي » ٠ أعتقد أن القليلين هم الذين يفهمون معنى هذه العبارة ، وكان يجب أن يقول الاسلام الحنيف ، وكلمة « أرثوذكس » معناها الرأي المستقيم ٠

٥ ـ الصفحة العاشرة ـ العمود الثاني ـ السطر الثالث ورد قوله « ويذكر آدم ميتز في كتابه (النهضة الاسلامية) » والصواب (الحضارة الاسلامية) ، وقد نقله الى العربية عبد الهادي أبو ريده ٠

٦ ـ الصفحة العاشرة ـ العمود الثالث ـ السطر الخامس قال « وملحنون منهم ابن المسجح » والصواب ومغنون منهم ابن مسجح بحاء مهملة فجيم ٠

٧ ـ الصفحة الحادية عشرة ـ العمود الثاني ـ السطر الخامس عشر ورد قوله « الايناده » والصواب « الانياده » وهو خطأ مطبعي ، وبعده بسطرين ورد قوله « ضد الغزاة المنغول » والصواب « المغول » ٠

الصفحة الثالثة عشرة ــ العمود الثاني ــ السطر الثامن عشر ورد قوله « تاريخ الحضارة الاسلامية لجرجي زيدان » والصواب « تاريخ التمدن الاسلامي ، ويقع في خمسة أجزاء » •

٨ ــ الصفحة الثالثة عشر ــ العمود الثالث ــ السطر السابع والعشرون قال « الوقائع المصرية وكان رئيس تحريرها رفعت الطهطاوي » والصواب رفاعة رافع الطهطاوي •

٩ ــ الصفحة الرابعة عشرة ــ العمود الاول ــ السطر السابع والثلاثون ورد قوله « يعقوب صنوع لقب بموليير المصري ، بينما كان لقبه أبو نظار » والصواب أبو نظاره ، وورد الخطأ في اسم جريدته التي أسسها عام ١٨٧٧ فجعلها أبو نظار ، وهي أبو نظاره •

١٠ ــ الصفحة الخامسة عشرة ــ العمود الثالث ــ السطر الخامس ، ورد في حديثه عن أحمد شوقي قوله « الا أن كثرة المقطوعات الغنائية في كل من ليلى والمجنون وعنترة ضمنت لكلتيهما النجاح » والصواب مجنون ليلى •

١١ ــ الصفحة الخامسة عشرة ــ العمود الثالث ــ السطر التاسع ، ورد في كلامه عن عزيز أباظه قوله « قيس ولبنا ثم سقوط الاندلس » والصواب قيس ولبنى وغروب الاندلس •

١٢ ــ الصفحة السادسة عشرة ــ العمود الاول ــ السطر العشرون ورد قوله « وكانت مسرحية السد للكاتب محمود المسادي من أهم الاعمال التي دخلت تاريخ الادب المسرحي في المغرب » والصواب محمود المسعدي ، وهو كاتب تونسي معروف •

١٣ ــ قالت المؤلفة عن كتاب (دراسات في تاريخ المسرح العربي والسينما) لجاكوب لانداو ؛ أو (يعقوب لينداو) الاستاذ في جامعة

بنسلفانيا في أميركا الشمالية . ولكن عيب كتاب لانداو يكمن في أحادية الجانب لدى المؤلف ، وفي تحيزه لاوروبا أحيانا ، كما أنه لا يربط أشكال الفن المسرحي العربي الشعبية بتطور المسرح العربي ، فيرفض الجوهر القومي له ، فهو يؤكد على فضل وأثر الحضارة الاوروبية على الحضارة الاسلامية ... » وكان على المؤلفة ، أو المترجم أن يشيرا الى أن يعقوب ليندا و كاتب يهودي متعصب ، عاش فترة في فلسطين ، ولذلك يريد أن يطمس كل فضل أو سبق للعرب ، وليس هذا بمستغرب من كاتب مشبع بروح التعصب والحقد والكراهة .

دمشق عيسى فتوح

* * *

عنوان مجلة العرفان

بيروت : لبنان

ص. ب : ٣٩٧٨

قيمة الاشتراك

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

عشرة دنانير في البلاد العربية

خمسون دولارا في الخارج وللحكومات والشركات .

اشتراك الانصار لا حد له .

شعراء كربلاء المعاصرون
عبد الرزاق حسن عزيز

بقلم : سلمان هادي الطعمة

يعتبر الشاعر عبد الرزاق حسن عزيز من الشعراء الذين أخلصوا في شعرهم لقضية بلادهم وأمتهم ، اذ راح يصف بـه الاحداث المثيرة التي مرت بها أمتنا العربية وذلك بتجربة صادقة وتعبير مؤثر . وكان في مثل هذه المواقف يبدو شاعرا مؤمنا كل الايمان بقضايا أمته المصيرية ، فكان الشعر عنده يمثل الرصاصة التي تنطلق من فوهة بندقية الجندي المقاتل لتستقر في صدر العدو ، ولذا نجد في ديوانه (ظل النخيل) قصائد كثيرة قالها في الثورة الفلسطينية التي تعتبر القضية المركزية للعرب جميعا . وهو في انتاجه الشعري يتفجر عن طاقات ابداعية ضخمة ، وشعره صادر عن تجربة جادة ومعاناة صادقة ، فهو حينما ينظم يعتني بالموضوع ، فاذا انتهى الموضوع انتهت عنده القصيدة ، فلا حشو ولا تهويل ، ولـهذا جاءت قصائده قليلة الابيات ، لان العبرة بالكيف لا بالكم ، وشاعرنا يرسم لوحات جميلة رائعة في معظم قصائده ، وانه ذو عطاء ثر لا ينضب معينه . وهذه المجموعة تضم العديد من القصائد القومية والاجتماعية والوجدانية . ففي قصيدة (فدائي في الجبهة) يصف المقاتل العربي بقوله :

دمـاء على أرض الخليل تسيل ... وجسم يغطيه التراب هزيل
جرى دمه المطلول في القدس عاطرا ... بليل وريان الهواء قتيل
سنهدي بهذا القبر في حومة الوغى ... وهذا سناه شاهد وكفيل
ولليل آيات كأن نجومه ... بريق اذا جاء النهار بخيل
حملت بقلبي النهار في ظلمة الردى ... وللافق لون كالرماد ثقيل
اذا التحمت ناري بنار بنادق ... سمت حيث نجم الفاتحين دليل

سحائب في رحب السماء كأنها | طريق على بعد الديار طويل
وان بعدت دون اللقاء أحبة | فكم غائب في مهجتي نزيل

ان كل انسان يناضل من خلال ما يقدم للامة العربية من عطاء ، وشاعرنا يتحسس بنكبة القدس الحبيبة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، فهو يناجيها ويؤكد لها اننا لا ننام على ضيم ، واننا في الدرب لسائرون ، فيقول :

ألا يا نجمة الصبح انظرينا | على سهف سنخبرك اليقينا
ولست أعهدك أرجو دلالا | وان جئت المحبة تسأليـنا

ثم يخاطب الرسول الكريم بقوله :

رسول الله يا خير البرايا | وأعذب منبع منه روينا
رسول الله هل يرضيك عذر | اذا جئنا ببابك لاجئينا
وهل ترضى لقومك اذ رماهم | صهاين بئس قوم حاقدينا
أبا الزهراء جئتك مستغيثا | أرى الباغين كانوا غادرينا
أبا الزهراء يا سدا منيعا | ويا بطلا أمام الجاهدينا
وكنا كالكواكب حين تزهو | ويطلب عفونا في ما عصينا

وفي قصيدته (بين الاحبة والجهاد) فانه من خلال حبه لحبيبته ، أحب الجهاد لتحرير الاجزاء المغتصبة من وطننا العربي الكبير ، لانه كان يريد ان يعيش هو وحبيبته والعرب جميعا في بلاد محررة من كل قيد أجنبي كي تنعم السعادة الكاملة في ظل الحب المقدس الطاهر فيقول :

قد ضل عقلي حائرا لا يرجع | والشوق في سلمى أحر وأوجع
كم زرتها ليلا بطيف عابر | حبي لها بين السطور سيطبع
ماذا أقول وأي شعر نافعي | ان الكلام بوصفها لا ينفع
أحببتها سرا ولست بخائف | وأحبها جهرا وعيني تدمع

الحب أغلى من عذول يعـــذل والسهد يمضي بالفؤاد ويفزع
هذي جفوني قد أطاح بها الكرى ما ذنبها لا تستريح وتقطـــع
اللـــه يقضي مـــا يريد بحكمه اني رضيت بـــه واني طيـــع
ولبست ثوبا غـــير ثوب أحبتي فعلام جفني في الدجى لا يهجع
ولبست ثوبا غـــير ثوب أحبتي فوجدته مجدا وتاجا يلمـــع
لكنما ألمـــي ووجـــد صبابتي قد أصبحا نـــارا بها أتلـــوع

اضافة الى ذلك نجد اهتمامات الشاعر بجوانب الحيـــاة المختلفة ، فلـــه كثير من القصائد في الاغراض الاخرى كالاخوانيات والوصف والرثاء وغـــير ذلـــك .

مما تقدم يتضح ان شعره يتمتع بحس مرهف وصدق شعور وحـــرارة عاطفـــة .

والشيء الذي يؤثر في النفس أشـــد التأثير ويؤلمها أقسى الالـــم هو ان الشاعر عبد الرزاق حسن عزيز توفي وهو لا يزال في بدايـــة عطائه الشعري ، حيث استأثر به الموت وهو في أخريـــات شبابه ، وكان المجـــال أمامه واســـعا للاجادة في قرض الشعر ومحاولة الابداع فيه ، ولذا فوجيء أصدقاؤه برحيله الابدي ، فترك في نفوسهم لوعة حرى وفي عيونهم دموعـــا عبرى . وبامكاننا أن نقول ان اسمه سيخلده طويلا ، حيث ان أثره (ظل النخيل) كفيل بتخليده ما كر الجديدان .

كربلاء ــ العراق سلمان هادي آل طعمة

* * *

رسوم

شاعرنسيه الناس

بقلم : السيد علي ابراهيم

لم يزل ينوم وقد نسوه مع أنه من نفحات الوطن العطرة أسهم في كل بناء ، في السياسة فكان من أعلامها الذين صدقوا الوعد واستهدفوا رفعة الوطن ومنعته بنهجهم وسلوكهم ، فلم يذكر أحد عنه أنه أساء لمواطن أو اتخذها ذريعة للمكسب ، عمل جاهدا في خدمة المصلحة العامة وحاول أن يرتفع بالمفاهيم لمستوى القيادة المسؤولة عن التخطيط والتوجيه ، ولم يجعل ارضاء عامة الناس هدفا له دون ان يكون قانعا بالخطة التي يرسمها لنفسه ، وفي الادب فزود التراث العربي بروائع تضفي على الغزل والحنين والرثاء ثوبا زاهيا مشرقا لا تبلي جدته على مرور الليالي والايام ، وارتفع بصفات الاديب وسماته للافق البعيد حيث ينبعث النور من رسالة الموهبة والاخلاص للفن على أن يوجه الحياة لما فيه سمو النفس الانسانية وخير الانسان .

وفي الاجتماع ، فلم يترك للنبل مزية دون أن يقتنصها وتكون شعارا له ، سمير حبيب تحوطه الكؤوس المشعة والعيون المتألقة ، ويتحلق حوله الاخوان والندمان ، أخو ليل ونجوى لا تصرفه الكأس عن القيام بالواجب وتحقيق الرغائب ، فاذا جد الجد لا يني عن حمل الاعباء ولا يتقاعس عن دواعي المروءة والوفاء ، كأن الشاعر العربي القديم لم يقصد غيره عندما قال :

شمر نهارا في طلاب العلى ... واصبر على هجر الحبيب القريب
حتى اذا الليل أتى مقبلا ... واكتحلت بالغمض عين الحبيب
فقابل الليل بما يشتهي ... فانما الليل نهار الاريب

وثق الصله بين النخبة من أبناء وطنه وبين أشقائهم في العالــم العربــي فكان اللسان الناطق في المحافل ورب البيت الذي يقصده الضيوف والزوار ، أما في الشعر فقد غاص بالعمق واستلهم من كنوز الحياة غرره الحسان وانتقى لخواطره الرائعة كلمات فريدة مشرقة فكان نسيجا وحده قل من أدرك شوطه من الشعراء ، ومع ذلك نسيه الناس وقد أقعده المرض ، وربما نــال عنايتهم واهتمامهم من لا يستحق ذلك من الذين يمرون بالحياة مرورا عابرا وقصارى ما يرجو منهم الانســان الواعي المؤمن بالقيــم ان لا يعكروا المــاء ولا يقطعوا الرجاء ، كنت أجلس اليه فيتسلسل حديثــه كما يهمي الغيث فيروي الارض العطشى واني أذكره الآن بقوله :

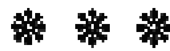
نحن في الذكرى تلاقينا عــلى قبل الشوق وضوضاء اللقاء
وتشاكينا تباريــح الهــــوى وتنفسنا هنــاك الصعــداء
ملتقى من خلس السعد ومسن لذة الغمض ومن نيل الرجــاء

رسالــة الطبيــب

مارس مهنته في الحي الذي يسكنه في المدينة ورأى جيرانه ومرضاه فيه نمطا فريدا لا عهد لهم به ، فليس للمعالجة عنــده رسم محــدد ، ولا للمعاينة أوقات مقررة ، يراعي بالنسبة لبدل أتعابه الذي يستوفيه حالة المريض المادية فربما تبرع بثمن الدواء أو قنع بالميسور مهما كان قليلا ، وربما فرض قيمــة مرتفعة عندما يعلم ان حالته تتحمل ما يستحقه من أجر ، أمــا وقت عمله فهو حسب الحاجة اليه ، يلبي النداء ولو في ساعة متأخرة من الليل ، ويلفت النظر فيه بنوع خاص أنه يقرأ ويبحث ويتزود من المعرفــة دائما ، فليس لها عنــده حدود ؛ لسان حاله الحكمة المأثورة (يبقى العالم عالما ما طلب العلم فان ظــن أنه علم فقد جهل) وكثيرا ما يحجم عن القيام بأي عمل منتظرا مراجعــة كتاب أو مشورة من يثق به من زملائه ، يعتمد فــي سلوكه وأسلوبه على التواضع ومحبة من يتعامل معهم فيعالج النفس قبل الجسم ولا يشعر من يراجعه بغــير

العاطفة والحنان وكان من نتيجة ذلك أنه أصبح قريبا من القلوب والنفوس ، أحب فيه المواطنون هذه الصفات فأرادوه لمجال آخر هو بزعمهم أوسع دائرة وأدعى للفائدة والمنفعة : وهذه هي حالتهم كلما استعرت فيهم جذوة المحبة والاحترام لمواطن تميز بصفاته وأعماله رشحوه للسياسة ورغبوا اليه أن يكون فارس ميدانها ، ولم يغيروا طريقتهم مع الطبيب سمير ، أرادوا منه ان يكون نائبا عنهم يمثلهم في البرلمان فأبى عليهم ما أرادوا ولم يقتنع أنهم على صواب بما يهدفون اليه ، وسمعته يحاورهم قائلا : انني لا أفهم لم يجب على من قدر له خدمة المصلحة العامة أن يكون رجل سياسة لينال رضى الجمهور ويحقق الآمال المعقودة عليه ، لم لا يكتفي منه الناس بأداء رسالته بالحقل المعد له ، أليس الانسان ميسرا لما خلق له •

ألا ترون معي ان الانحراف بالعامل المجتهد عن نهجه والوقوف بينه وبين تحقيق رغبته لا ينتج عنه سوى ضرر المجتمع ومنع القافلة عن المسير ، ان المعلم في مدرسته والمزارع في حقله والطبيب في عيادته وغير هؤلاء من العاملين لخير المجتمع ، أصحاب رسالة يتوفقون في أدائها بمقدار ايمانهم واجتهادهم وانكم تفرضون بسعيكم هذا أعمالا ومناهج على من لم يخلق لها ولا يرغب فيها ، فرفقا يا سادة بأنفسكم وبمن تحبون •



بين علي وصعصعة

❋ قيل : ان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عاد صعصعة بن صوحان في مرضه ـ وكان من شيعته الاقربين ، فقال : « يا صعصعة لا تتخذ عيادتي لك أبهة على قومك » فقال صعصعة : « بلى والله أعدها منة من الله علي وفضلا » فقال له الامام علي : « اني كنت ما علمتك لخفيف المؤنة ، حسن المعونة » فقال صعصعة : « أنت والله ـ يا أمير المؤمنين ـ على ما علمتك بالله عليما ، وبالمؤمنين رؤوفا رحيما » •

لقاء مع الأديب السوري
عيسى فتوح

أجرى اللقاء : حسان علي محمد

حياتـــي :

ولدت عام ١٩٣٥ في قرية صغيرة اسمها (بقرعونة) مـــن قرى منطقـــة (صافيتا) الجميلة ، محافظة طرطوس (سورية) • أنهيت المرحلـــة الابتدائية في مدرسة خاصة بقرية (كفرون سعادة) المجاورة ، والاعدادية في ثانويـــة ابن خلدون الخاصة في (مشتى الحلو) والثانوية في التجهيزية الارثوذكسية بدمشق عـــام ١٩٥٦ •

انتسبت الى كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية عام ١٩٥٦ وتخرجت منها بشهادة الليسانس عام ١٩٦٠ • ثم قضيت عاما واحدا في كليـــة التربية حيث نلت في نهاية عام ١٩٦١ شهادة الدبلوم العامـــة في التربية • وكانت دراستي الجامعية كلها على نفقة الدولـــة لانني فزت بمسابقة المعهـــد العالي للمعلمين يومئـــذ •

بدأت في تدريس اللغة العربية وآدابها وأنا في سنتي الجامعية الثالثـــة لاني حرمت من والدي صغيرا ، وبعـــد أن دخلت مـــلاك التعليم الرسمي في وزارة التربية تنقلت بين مدن : ادلب ، حلب ، بانياس ، اللاذقيـــة ، الـــى أن استقررت نهائيا في دمشق منذ عام ١٩٦٩ •

عملت سنة واحدة في مجلة « المعلم العربي » التي تصدرها وزارة التربية شهريا ثم عدت الى العمل في التدريس ، وأنـــا الآن أمين سر جمعيـــة النقـــد الادبي في اتحاد الكتاب العرب بدمشق • وأمارس الكتابة الادبية في جريدة (الثورة) بنوع خاص •

أخذت أنشر دراساتي في النقد الادبي منذ عام ١٩٥٦ في صحف ومجلات الوطن العربي ، ولا سيما « الاديب » اللبنانية ، و « الضاد » و « الكلمة » و « اليقظة » في حلب ، و « المعرفة » و « الموقف الادبي » و « الثقافة » و « جيش الشعب » و « الشرطة » في دمشق . أما الصحف التي كتبت فيها فلا تحصى ...

متزوج ولي أربع بنات هن : لينا ورنا ومايا وميرنا . أجيد اللغة الانكليزية .

مؤلفاتي :

١ ـ « عندما جاءت عصافير الدوري » ـ مجموعة شعرية مصورة للاطفال للشاعرة البلغارية ليدا ميليفا . ترجمة ، صدرت عن وزارة الثقافة ١٩٧٥ .

٢ ـ « أديب اسحق » باعث النهضة القومية ، سيرة ونقد ـ تأليف . صدر بمساعدة اتحاد الكتاب العرب بدمشق ومجلة « العرفان » ١٩٧٦ .

٣ ـ « مدرسة القلق » مجموعة قصص للاطفال مترجمة عن : بليبا تسكوفسكي ـ ايرينا زخيلزنوفا ـ الكسي تولستوي ـ سيلفي فالجال ـ الكسندر بوشكين ـ يوري افيرنكوف ـ فالنتين كاتايف . ويضم ثماني عشرة قصة . صدرت عن وزارة الثقافة ١٩٧٦ .

٤ ـ « دنيا الحكايات » مجموعة قصصية للاطفال مترجمة عن الكاتب البلغاري انجل كارا ليتشف ، ستصدر عن وزارة الثقافة وتضم عشرين قصة .

٥ ـ « الفأس الذهبية » مجموعة قصصية للاطفال . ترجمة ، ستصدر قريبا عن وزارة الثقافة .

٦ ـ « كتاب قوس قزح » مجموعة شعرية للاطفال للشاعر الروسي صموئيل مارشاك . ترجمة ، وهو قيد الطبع .

١ ـ ما رأيكم في الحياة الادبية العربية الآن وأين سورية في خريطة الابداع العربي ؟

ثمة نشاط ملحوظ في الحركة الادبية العربية الآن ، تلمس آثاره من خلال ما يصلنا من صحف ومجلات الاقطار العربية ، ولا سيما في مصر ولبنان (قبل الحرب الاهلية) لكننا لا نستطيع أن نرصد هذه الحركة النشيطة بدقة ، لان القارىء العربي ما يزال ممنوعاً من الاطلاع على جميع الكتب والمجلات والصحف التي تصدر في قطر آخر ، بسبب اختلاف أنظمة الحكم ، وسوء التوزيع ، ووضع العراقيل والسدود في وجه تسويق المطبوعات على اختلافها . هناك نشاط في التأليف يوازيه نشاط مماثل في الترجمة من الآداب الاجنبية . وعندنا في سورية مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب تحمل اسم (الآداب الاجنبية) ، لكنها حتى الآن تهتم بنقل الاداب الاجنبية الى العربية وليس العكس . اننا بحاجة لان يعرف العالم أدبنا ويقف على نشاطنا الفكري والثقافي ، ومدى تقدم وتطور هذا النشاط . والواقع أن سورية جادة في هذا السبيل لتثبت ذاتها بين شقيقاتها العربيات ، ولعلها تأتي في الدرجة الثالثة بعد مصر ولبنان ، وعندنا أدباء مرموقون في الاتحاد وخارجه يعكفون بجد على التأليف والترجمة ، يتبنى الاتحاد كتبهم المؤلفة ، أما وزارة الثقافة فتتبنى كل انتاج جيد سواء أكان تأليفاً أم ترجمة ، في حين انصرف مجمع اللغة العربية الى تحقيق التراث فقط . أما دور النشر الخاصة فقليلة جداً ، أو قل معدومة بسبب غلاء الورق وأجور الطباعة ، فالاديب يعتبر طبع أي كتاب على نفقته الخاصة مغامرة .

من شعرائنا الاحياء المرموقين : بدوي الجبل ، عمرأبو ريشة ، سليمان العيسى ، أحمد سليمان الاحمد ، أحمد الجندي ، حامد الحسن ، سليم الزركلي ، عدنان مردم بك ، عزيزة هارون ، نزار قباني ، ويأتي في الجيل الثاني : محمد عمران ، ممدوح عدوان ، علي الجندي ، فايز خضور ، علي كنعان ، نهاد رضا ، منذر لطفي . أما كتاب القصة والرواية فمن أشهرهم :

عبد السلام العجيلي ، حنا مينه ، فاضل السباعي ، زكريا تامر ، اسكندر لوقا، عـادل أبو شنب ، حسيب كيالي ، صلاح ذهني ، عبد اللـه عبد ، جـورج سالم ، وليد اخلاصي ، عدنان الداعوق ، عبد العزيز هلال ، وداد سكاكيني ، ألفة الادلبي ، غادة السمان ، كوليت خوري ، سلمى الحفـار الكزبري ، أم عصام (خديجة النشواتي) • ومن كتاب المسرح : عدنان مردم بـك ، عـلي عقله عرسان ، خليل هنداوي ، سعد الله ونوس ، فرحان بلبل • ومن النقاد : عدنان بن ذريل ، محيي الديـن صبحي ، عيسى فتوح ، خلـدون الشمعـة ، يوسف اليوسف •

٢ ـ كيف يصير هناك تكامل أدبي عربي ؟

لا يمكن أن يصير هناك تكامل أدبـي عربي الا بفتح الحدود وازالـة الحواجز أمام رحلة المطبوعات على اختلاف أنواعها • وهذا لا يتم الا بتوحيد أو اتفاق الانظمة السياسية في الاقطار العربية • ورغم المؤتمرات الادبية التي عقدت في كل من لبنان وسورية والعراق والكويت وتونس والجزائر دعت الى تسهيل حركة المطبوعات ، لتمهيد الافكـار ، الا ان العملية ظلت مـع ذلـك متعثرة • ثم يجب أن يبقى الادباء أحرارا في التعبير عن آرائهم وأفكارهم،وان يعقدوا الصلات الودية ، عـن طريق اللقاءات الدائمة ، وتبـادل الرسائـل والزيارات والخبرات ، واهداء الكتب ، والتعاون الوثيق المبني على المحبـة والالفة ، وعقـد المؤتمرات ، وتنظيم الرحـلات الجماعية بين أدبـاء الاقطار العربية • فكم من صداقة أدبية بقيت محصورة في مجال المراسلة فقط !

٣ ـ ما هي مشاريعكم الادبية المستقبل ؟

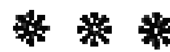
ان اطبع ما لدي من مخطوطات ، وأجمع ما نشرته في الصحف والمجلات العربية في كتب مستقلـة ، فشهرة الكاتب تقـوم بالدرجة الاولى على كتبه المطبوعة لاعلى المقالات والابحاث التـي ينشرها في الصحف والمجلات مهمـا كانت كثيرة ، فقد لا يتيسر للجميع قراءتها ، وقد تضيع في ركام الموضوعات

المتعددة التي تحويها ، بالاضافة الى أن صورة الكاتب لا تبدو متكاملة الا في الكتاب لانه جامع شامل • آمل أن أوفق للمزيد من الكتابة التي أرضي بهـا تطلعات الجماهير ، وأعبر فيها عن همومهم وآلامهم ، وأضيف حجرا جديـدا الى البناء الادبي الشامخ الذي نسعى جميعا لاقامته • لكن الظروف الصعبة التي يعانيها الكتاب بخاصة تحول دون ذلـك ، وفي طليعتها لهاثهم الموجـع خلف المادة التي صارت كل شيء في حياة الانسان المعاصر •

٤ ــ ما هي الانجازات التي حققتها من خلال كتاباتك السابقة ؟

تتمحور كتابتي في مسألتين اثنتين همـا : الدراسة والتقويـم ، وأدب الاطفال • غايتي من الدراسات الادبية في سورية والمهجر ، وقد ركزت عـلى أدب المرأة السورية ، لان الكثيرين من القراء في الاقطار العربيـة لا يعرفون شيئا عن هـذا الادب ، ولذلـك نشرت أكثـر من خمس عشرة دراسة فـي مجلات ، الاديب ، والآداب والثقافة ، والمعارف ، ودنيا المـرأة ، والحسناء ، والمعلم العربي ، والمرأة العربية عن : ماريانـا مراش ، نازك العابـد ، مـاري عجمي ، وداد سكاكيني ، سلمى الحفـار الكزبري ، ألفـة الادلبي ، غـادة السمان ، كوليت خوري ، جورجيت حنوش ، عزيزة هارون ، طلعة الرفاعي ، قمر كيلاني ، هيام نويلاتي ، أم عصام (خديجة النشواتي) ، فاطمة حداد ••• آمل أن أضمها في كتاب يحمل عنوان : « أديبات سوريات » • أمـا كتاباتي عن المهجر ، فقد أردت من خلالها أن أسلط الاضواء عـلى من تربطني بهـم بعض الصلات ، كتبت عـن « أسرة العريبلي » باعتبارهـا أول أسرة سورية هاجرت الى أميركا الشمالية عام ١٨٧٨ ، وانشأت أول صحيفة عربية في المهجر عامة وهي (كوكب أميركا) عام ١٨٩٢ • كما كتبت فصولا عن الهجرة الـى العالم الجديد بشكل عام : أسبابها ودوافعها ، أمـا الاشخاص الذين درستهم فهم : شكر الله الجر ، الشاعر القروي ، زكي والياس قنصل ، ميشيل مغربي ، يوسف صارمي ، جورج صيدح ، نبيه سلامة ، نمر سمعان ، أسعد رستم •

يبقى أن أشير الى أن اهتمامي بأدب الاطفال يعود الى احساسي بفراغ أدبنا العربي منه ، وندرة ما يكتب للاطفال الذين آن لنا أن نمنحهم شيئا من اهتمامنا ، فبعد حرب حزيران ١٩٦٧ طفق بعض الادباء يكتبون الاناشيد والاغاني والقصص والمسرحيات الموجهة للصغار ، ليغرسوا فيهم معاني البطولة والشجاعة والشعور بالعزة والكرامة والاباء ، والتضحية ، ثم انشئت مجلة « أسامة » للاطفال فتبنت هذا الانتاج . وصار لها جيش كبير من القراء الصغار . نذكر من هؤلاء الكتاب : الشاعر سليمان العيسى ، عبد الله عبد ، د. اسكندر لوقا ، عادل أبو شنب ، ليلى سالم ، أيوب منصور ، عيسى فتوح ، ميخائيل عيد ، زكريا تامر ، عبد اللطيف الارناؤوط ، دلال حاتم ، وكلي أمل أن ينشأ هذا الجيل الذي تشبع بقصص وأشعار ومسرحيات هؤلاء الكتاب ، مؤمنا بقوميته ، معتزا بعروبته ، متمسكا بحقه في الحياة الحرة الكريمة ، قادرا على الوقوف في وجه المد الاسرائيلي الشرس ، واثقا من الصمود في معركة المصير ، وتحدي الغزو الاستعماري والفكري .



الحسد

❋ قال الجاحظ عن الحسد : « الحسد ـ أبقاك الله ـ داء ينهك الجسد ، علاجه عسير ، وصاحبه ضجر وهو مسلك خفي يعسر الخروج منه ، وما ظهر منه فلا يداوى ، وما بطن منه فمداويه في عناء . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء » .

الحسد عقيد (قرين) الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق ، ومنه تتولد العداوة ، وهو سبب كل قطيعة ، ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم من الاقرباء ، ومحدث للتفرق بين القرناء ، وملقح « مولد » الشر بين الحلفاء » .

شعراء من كربلاء

سلمان هادي آل طعمة

بقلم : سعيد بهاء مهدي

تعتبر أسرة السادة آل طعمة من الاسر العربية العريقة في القدم والتي تعسل جذورها بقبيلة آل فائز المعروفة في تاريخ كربلاء القديم وينحدر نسبها من السيد ابراهيم المجاب بن السيد محمد العابد بن الامام موسى الكاظم عليه السلام ، الذي سكن بجوار قبر الحسين عام ٢٤٧ هـ . وقد برزت هذه الاسرة ونالت قصب السبق في الرياسة ونقابة المدينة في القرون السحيقة ، ولقبت بآل طعمه نسبة الى جدها الاعلى طعمة (الثالث) بن علم الدين بن طعمه (الثاني) الذي تولى نقابة الاشراف في قصبة كربلاء وهو صاحب المقاطعة المعروفة بـ (فدان السادة) التي أوقفها على ذكور أولاده سنة ١٠٢٥ هـ ؛ وهي اليوم حي العباس وتوابعه .

وتعاقب أولاده وأحفاده على استلام النقابة والرياسة ؛ وكان لهم الدور الرئيسي في الحوادث السياسية ولهم مواقف بطولية وأعمال سامية ذكرتها أهم المصادر التاريخية في بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة .

وقد برزت هذه الاسرة على المسرح الادبي في مفتتح القرن الرابع عشر الهجري ، وأنجبت كثيرا من رجال الفكر وأرباب القلم شعراء وكتاب ومؤرخين خدموا العلم والمعرفة ، وسجل التاريخ أسماءهم بأحرف من نور ، وما قدموه من خدمات للعلم والادب والخطابة ، ولا زالت هذه الاسرة العربية تقدم عطاءها الزاخر في هذا المجال .

وسلمان هادي الطعمة واحد ممن أنجبتهم هذه السلالة الكريمة .

ولادته ونشأته

ولد الاستاذ سلمان هادي الطعمة في مدينة كربلاء عام ١٩٣٥ ، وأنهى دراسته الابتدائية عام ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠ وتخرج من المتوسطة عام ١٩٥٦ ومن دار المعلمين الابتدائية عام ١٩٥٩ وعين معلما في عين التمر • ثم نقل الى مسقط رأسه كربلاء • وفي عام ١٩٦٧ م انخرط في سلك الدراسة الجامعية والتحق بكلية التربية بجامعة بغداد للدراسة في موضوع التربية وعلم النفس ، وتخرج فيها عام ١٩٧١ ولا يزال يعمل في حقل التربية والتعليم •

نشاطه الادبي

عشق السيد سلمان الطعمة الشعر والادب منذ كان صبيا يافعا ، اذ واصل دراسته وتتبعه الذاتي فقرأ نخبة بارزة من شعراء العصر الجاهلي وصدر الاسلام والاموي والعصر العباسي والفترة المظلمة وتأثر بشاعر الحب والغزل عمر بن أبي ربيعة وشاعر الحكمة أبي الطيب المتنبي وشاعر الوصف البحتري • ومن الشعراء المحدثين تأثر بشاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري ونزار قباني • بدأ محاولاته الشعرية عام ١٩٥٣ بتشجيع من ابن عمه الشاعر المعاصر الدكتور صالح جواد الطعمة •

ذكرنا ان الاستاذ سلمان عشق الشعر والادب منذ نعومة أظفاره ، واستحوذ سلطان هذا العشق على كل أحاسيسه ومشاعره ، مما جعله ينصرف اليه بالرغم من مشاكله • وفي الحقيقة يعد شاعرنا أنشط أديب عرفته مدينة كربلاء في عصرنا الحاضر ، فبالرغم من الجمود الادبي الذي يخيم على هذه البلدة المقدسة ، تجد شاعرنا في حركة ديناميكية دائبة ومستمرة • فتراه يبحث هنا وينقب هناك ، يكتب وينشر ، ولا أنسى انني في صيف عام ١٩٧٣ كنت على موعد معه في احدى مكتبات المدارس الدينية ، فذهبت اليه فوجدته غارقا وسط مجموعة من الكتب المخطوطة ، والعرق يتصبب من جبينه في حر تلك الظهيرة الشديد ، قلت في نفسي اذا كان كل أديب يعمل مثل هذا،

ويبذل مثل هذه الجهود وان كان جهدا فرديا ، لارتفع لواء الادب في كربلاء عاليا .

لم يكن نشاط شاعرنا شيئا جديدا ، وانما كان نشاطه منذ فجر شبابه ؛ فقد رأيناه عام ١٩٥٧ يعمل مع نخبة من شعراء كربلاء أمثال المرحوم عباس أبو الطوس والمرحوم السيد مرتضى الوهاب وآخرين غيرهم لتأسيس (رابطة الفرات الاوسط) الادبية التي تأسست في كربلاء وساهمت بدور فعال في بث الوعي القومي والوطني بين جماهير الشعب . ثم رأيناه يقوم بتأسيس (ندوة الخميس) الادبية عام ١٩٦٧ والتي كانت تقام في داره مساء كل يوم خميس يحضرها جمع غفير من شعراء وأدباء هذه البلدة ومن غيرها ، ولا يزال دائب الحركة دون كلل أو ملل مضحيا كل وقته ومستسهلا كل صعب من أجل خدمة الادب .

وبالاضافة الى هذا النشاط الرائع ، فانك تلمس فيه صدق المشاعر وحسن المعاشرة المصحوبة بالتواضع ؛ وان ما يؤخذ على شاعرنا هو حدة مزاجه وذلك لكثرة أعماله ولكن سرعان ما تتغلب عليه طيبة قلبه فيعتذر عما بدر منه جراء حدة المزاج ، وهذا ان دل على شيء فانه يدل على وداعة نفسه وطيبة قلبه ودماثة أخلاقه وحبه ووفائه لاصدقائه .

شاعريته ونماذج من شعره

أما شاعريته فانه يكفيه فخرا ان عددا من كبار رجال الفكر والادب قد ثمنوا شاعريته ووفوا حقه . واليك قارئي العزيز نبذة مما قاله الاستاذ الكبير والاديب اللامع المرحوم توفيق الفكيكي عن شاعرية شاعرنا فقال ما نصه : (ومن أبرز خصائص شعر شاعرنا الوجداني الفصيح فصاحة الالفاظ فانها كالزلال رقة ومتميزة لا ركاكة فيها ولا ابتذال ونغمها الموسيقي كمناغات بنات الهديل يرفع له حجاب السمع فينساب الى شغاف القلوب ، ففصاحة الالفاظ

هو شعار ديوان الشاعر وانها لا تتجافى عن مضاجع الرقة ولا تتجانف عن مهيع السلاسة وهي ميسم قصائده ولها انسجام تام مع سجاحة خلق ناظمها التي هي ألين من اعطاف النسيم ...) (١) .

مقال بعنوان (فصاحة شاعر كربلاء) بقلم الاستاذ توفيق الفكيكي .

أكتفي بهذا القدر مما قيل عن شاعريته لأقدم للقاريء الكريم نماذج من شعره الذي رفعه الى مصاف الشعراء الخالدين ، فهذه قصيدة (لقاء مع الربيع) تجد فيها العواطف الدفاقة والمشاعر الصادقة والبراعة في وصف الطبيعة الساحرة ، فيقول :

هتف الشوق في ربوع الجنان ... وتغنى بأعذب الالحان
وتهادي النسيم يسكب نجواه ... رقيقا على الروابي الحسان
فاذا الشوق همسة داعبتها ... حمرة الاقق بالشذى الفتان
واذا الطل منحة الفجر يبدو ... في الروابي قلادة من جمان
وشباب الربيع تحمر خداه ... فيحكي شقائق النعمان
والصباح الضحوك يغمر دنيا السحر بالبشر والمنى والاغاني
وتمد الظلال من شجر الليمون ، والبرتقال ، والرمان
حيث تلهو الحسان عند الينابيع ومجرى المياه في الوديان

وفي قصيدته (خلجات مشوق) ترى موهبته الشعرية تتدفق كالسيل ، وترى ذاك الخيال الخصب الذي يصوره لك تصويرا فنيا رائعا . اسمعه يعاتب حبيبته التي هجرته وبقي هو مخلصا لحبها يبثها لواعجه وأشجانه :

آمنت أنك رغم البعد تعنيني ... ووجهك النضو مهما لاح يسبيني
فكم أقضي الليالي ساهرا قلقا ... والهم يقلق آمالي ويشجيني
ومر طيفك فتانا يسامرني ... يحدث الروح عن شوق ويلهيني

(١) راجع مجلة (العدل) الصادرة في النجف ج ١٤ و ١٥ ــ السنة الثالثة .

واهتاجت القلب آمال معطرة لا تستقر على حال وتسكين
فلذت بالطيف استوحي مفاتنه عسى تعود لي النجوى فتجديني

أما احساس شاعرنا بمشاكل وطنه وأمته العربية ؛ فهو احساس كل عربي مخلص ، فلقد عكس في شعره صور مجتمعه ومآسي أمته وما عانت على أيدي المستعمرين من ظلم وتسلط • وها هي قصيدته (صرخة) التي نظمها أثناء العدوان الثلاثي الغادر على بور سعيد عام ١٩٥٦ يقول فيها :

من عميق الجراح من مهجة الشعب صراخ يدوي بغير انفصال
وجيوش الظلام في غمرة الظلم مع النور في أشد قتال
وانبعاث الشجون ما زال يعلو من نفوس تعج بالاهوال
يا بني العرب ها هو الفجر يزهو هو فجر الكفاح فجر النضال
جاء كي يقطع القيود بنفس ملؤها قوة لدحر الضلال

وعند قيام ثورة الجيش والشعب في ١٤ تموز عام ١٩٥٨ م اهتزت مشاعر شاعرنا ، فحياها بقصيدة يقول في مطلعها :

تموز يومك خالد جبار أبدا تشع بنوره الاقطار
يوم به انتفض العراق على الاذى وعلى الطغاة كأنه اعصار
اذ سار بالامجاد صفا واحدا فهوت صروح وارتمت أسوار
وأطل صبح بالكرامة مشرقا هو للتحرر راية وشعار

وهكذا يصور سلمان آل طعمة احاسيسه ومشاعره في صور خالدة تجسدت في قصائده الرائعة التي تنم عما يحمله من خيال خصب وفن أصيل وتصوير جذاب •

آثـاره

لم يبرز شاعرنا في شعره فقط ، وانما برز أيضا في نثره وبحوثه ،

فنظرة واحدة لآثاره القيمة المطبوعة منها والمخطوطة تعطيك فكرة واضحة عما يمتاز به في نثره من جودة في التعبير وسلاسة في الاسلوب ، ومعظم مقالاته وبحوثه التي نشرها في الصحف والمجلات العربية يطغى عليها الطابع الادبي والتراثي •

أما مؤلفاته المطبوعة فهي :

١ ـ الأمل الضائع ١٩٥٤

٢ ـ شاعرات العراق المعاصرات ١٩٥٥

٣ ـ ديوان حسين الكربلائي ١٩٦٠

٤ ـ أبو المحاسن ١٩٦٢

٥ ـ الاشواق الحائرة ١٩٦٢

٦ ـ تراث كربلاء ١٩٦٤

٧ ـ ديوان أبي الحب ١٩٦٦

٨ ـ ومضات من تاريخ كربلاء ١٩٦٧

٩ ـ شعراء كربلاء (٣ أجزاء) ١٩٦٦

١٠ ـ مخطوطات كربلاء ج ١ ١٩٧٣

١١ ـ خزائن كتب كربلاء الحاضرة ١٩٧٥

١٢ ـ دليل بأسماء أدباء كربلاء ١٩٧٧

أما آثاره المخطوطة فهي :

١ ـ رحلات ومقابلات

٢ ـ من اعلام الفكر العربي

٣ ـ هوامش على الكتب

٤ ـ خواطر في العلم والادب

٥ ـ دراسات في الشعر العراقي الحديث

٦ ـ الصافي .. كما عرفته

٧ ـ شعراء كربلاء المعاصرون

٨ ـ شعراء كربلاء (الجزء الرابع)

٩ ـ عشائر كربلاء وأسرها

١٠ ـ علماء كربلاء

١١ ـ تراث كربلاء الشعبي

١٢ ـ بذل الهمة في أحوال آل طعمة

١٣ ـ الحسين في الشعر الكربلائي

١٤ ـ تراجم وسير

١٥ ـ مخطوطات كربلاء ـ الجزء الثاني

١٦ ـ مخطوطات كربلاء ـ الجزء الثالث

١٧ ـ عواطف هائمة ـ ديوان شعر

١٨ ـ رياض الذكريات ـ ديوان شعر

١٩ ـ في ظلال العقيدة ـ ديوان شعر

٢٠ ـ مقالات أدبية

كربلاء ـ العراق

سعيد بهاء مهدي الفلاري

الرحلة النادرة

شعر : خضر عباس الصالحي

احقق احلام المنى حين ارحل ... الى بلد في غيده اتغزل
وينجاب ليل الياس عن حدق المنى ... ويغمرني ضوء الرجاء المؤمل
انقل طرفي في الطبيعة ذاهلا ... واشرب من خمر العيون وانهل
وقلب باضلاعي يزيد خفوقه ... لكل فتاة بالمحاسن ترفل
وليس عجيبا ان تراني مولها ... فهل انا الا العاشق المتبتل
ساهيم بوادي الحب صبا متيما ... وليس سوى قلبي عليه اعول
ارف انجذابا للجمال والتثني ... كطير بآيات الغرام ارتل
وكل فتاة بضة الجسم حلوة ... لها صورة في خاطري تتمثل
وكل ملاك في الطريق اذا مشت ... فقلبي باعماق الاضالع يجفل
وان لاح قربي للكواعب مجمع ... فاني الى رشف اللمى اتسلل
وفيهن كم تبدو فتاة مليحة ... باسهم عينيها لقلبي تقتل
على نهدها تحنو ارتعاشة خصلة ... من الشعر تسبي المستهام وتذهل

وفي جانبي لون من الحسن رائع ... بجسده حقل وطير وجدول
وما ارغد العيش الذي راح ينقضي ... بجنب رياض حولها الماء سلسل
اذا اجتمع الوجه الجميل وروضة ... وماء فقد حل النعيم المفضل
ومن ليس يجني ورد خد فانه ... بليد الحجى او ساذج ومغفل

أصول بساحات الغرام مقاتلا ... ولست فتى في صولتي اتطفل
وامسي بمحراب الرؤى متعبدا ... وفي القلب شيطان الهوى يتململ
تعانق روحي كل خود رشيقة ... ونيران شوق في الجوانح تشعل
اعود الى عهد الشباب اذا ارتمي ... على الصدر يغفو شعرها المتهدل
وان كنت ميتا سوف احيا اذا اغتدت ... شفاهي لورد الوجنتين تقبل
فارفع اعباء الاسى عن كواهلي ... ومن معزفي ينثال شعر محجل

أرى الحسن عنـد الغانيات كصارم ... لكل فتـى جـم الشعور يجنـدل
وأنـي لأهـوى أن أموت صبابـة ... وروحي على حـب الحبيبة تبـذل
شبابي انطوى نهب الشقاء ممزقـا ... وكـان بأصـفاد الضيـاع يكبـل
تجـر حتفي الآلام فـي حـد سيفها ... وفي غـور أقصى مهجتي تتوغـل

اذا كان غـيري بالغنـى متجمـلا ... فاني بمـا شـاء الهـوى أتجمـل
أرى الحب فـي دنياي كاسا شهية ... وخمرتهـا فـي أعرقي تتغلغـل
ومـا أجمـل الدنيـا تمـر كأنهـا ... طيوف بهـا ثغـر الحيـاة يهلـل
ومـا أبـدع الحسناء للعين ان بدت ... مهفهفـة بـل فوق مـا أتخيـل
ومـا أروع الأيـام تمضي بجنبهـا ... ولي في مغانيها خميـل ومنـزل

دعوني أحطـم كـل قيـد امضني ... كفاني مـن الحرمـان مـا أتحمـل
ترى الهـم محفورا بوجهـي وطالمـا ... بقافيتي صوت القنـوط يجلجـل
وليس سوى سحر النساء يثيرنـي ... وان زمـر الأعداء ضدي وطبلـوا
وبالرغـم من شيب يجلـل هامتـي ... اليهـن مسلوب النهـى أتوسـل
فهل سوف أحظى بالوصال وأجتني ... قطاف طموحي قبلمـا العمر يأفـل

صوفيا ـ بلغاريا

خضر عباس الصالحي

* * *

زار الشـاعر خلال شهر تموز من السنة « ١٩٧٨ » الميلاديـة بلغاريـا فأوحت له عاصمتها صوفيا ، وميناؤها فارنه هذه القصيدة :

ـ العرفان ـ

فقيد الشعر

نظم : محمد علي عباس الشكرجي

(ألقيت في حفل تأبين الشاعر المرحوم السيد مرتضى الوهاب الذي اقيم في صحن الحسين (ع) من قبل أدباء كربلاء) .

مواقيت الزمان لها اعتبار وعمر المرء ليس له قرار
فضوء الفجر يهتك ستر ليل وفي ظلماته يطوي النهار
ويعرف ذاك علم دون ريب ويحكمه نظام واختبار
وفي اجل البرية رهن حكم يصوبه ممات واحتضار
ويجهل كل عبد ذاك دوما فاعمار طوال أو قصار
ورب الخلق اعلم من سواه يكون لوحده فيها اقتدار
اذا حلت منيتنا لتطوي امانينا فما منها الفرار
فكم وارت كراما تحت ترب ومن أقرانهم خلت الديار ؟
ومنهم (مرتضى) الادب المعلى مؤرخه وشاعره الفخار
تأمل سامعي ادواح شعر له صنعته افكار غزار
كأنك قد شممت به عبيرا تزهر منه فوجه ازدهار
وجنات من الريحان تبدو به والطير يشدو والهزار
وأنهار بماء الورد تجري وعطر منه يجنى والثمار
كأن الحور يسعين ابتهاجا لافراح وتجمعهن دار
ويعقد فوق ارؤسهن زهر اكاليلا ويطبقها احمرار
يتحصن وبشرهن يزيد حسنا على وجه فيبدو جلنسار
ويلبسن الثياب مزركشات وتلمتع القلائد والسوار
كأن بها عواطفها فتطغى باصرار فيلويها اصفرار
وهذا الشعر وافقه حياة فتنعدم الحياة ولا يضار

فقيد الشعر يا من كنت تسمو بروحك والحياة بها اختيار
فكنت وفي مسارك حيث تبدو نهيم بك المشاعر والوقار
على مهل تخط الدرب مشيا لتحمل ثقل فكر يستشار
وفي عينيك تزدحم المعاني فيحويها قصيد وابتكار

فقيد الشعر في احلى صفات ... فانت سيرها وهي الازار
مضيت بعزة وسمو قصد ... ولم يقربك في دنياك عار
فكنت مجاهدا وعزيز قوم ... وكنت مكرما ولك اعتبار
وما احلى الجهاد اذا تجلى ... ليكشف ظلمه وهو المنار
وللشعراء دور في التسامي ... لسان الشعب هم وهم الاوار

فقيد الشعر والدنيا سبيل ... فطورا لا حبا وبه انحسار
وللشعراء ارحبه مجالا ... فهم صلحاؤه وهم العثار
ففي اشعارهم تبنى الاماني ... ويهدمها انطواء وانحدار
كمثل الماء يروي كل زرع ... ويهلكه انقطاع وانغمار
فقاطرة الحديد تسير طوعا ... بلا عقل ويدفعها البخار
فيه قوى توجهه لخير ... ومنها الشر عقباه انفجار
وذلك من جماد فيه فعل ... وتاثير وشان واختبار
فكيف بكائن يحيا بعقل ... وتفكير وبطبعه المسار

فقيد الشعر عفوا ان شعري ... تناول منته امرا يثار
وان لحفلنا هذا مقالا ... يقال بموضع وله اطار
تؤبن من طواه الترب طرا ... بحزن فالحقيقة تستعار
فكيف يؤبن الشعراء فهذا ... وحيا بالبنان له يشار
الا س العلم والافكار تبقى ... ولا تبلى ويغشاها الدمار
ولكنا على العادات نسعى ... تخلدها رواسبها الكثار
وعمر المرء يبدا حيث يفنى ... فيحييه تراث واعتبار
ويدفن كل فرد في فعال ... له والخير صانعه الجوار
رعاك الله في لحد طهور ... فطابت تربة بك والقرار

كربلاء ـ العراق

محمد علي عباس الشكرجي

* * *

مختارات الصحف

المؤتمر الإسلامي المسيحي في قرطبة

المؤتمر الاسلامي المسيحي في قرطبة

شهدت مجلة العربي أخطر مؤتمر ، حول أخطر موضوع • وكان المؤتمر في قرطبة في اسبانيا الكاثوليكية المتشددة • وكان الموضوع هو الحوار الاسلامي المسيحي ، وقد دار بالذات ولأول مرة حول أكثر النقاط حساسية : اعتراف المسيحية بالاسلام دينا ومحمد نبيا ••

ورغم دقة الموضوع ، الا أن العربي رأى تقديم هذا التقرير الدقيق عنه ، لانه من حق القارىء أن يعرف •

بلغة هذا الزمان ، فان ما حدث في قرطبة كان بمثابة اعلان لفض الاشتباك بين المسيحية والاسلام ، وتوقيع لاهوتي بالاحرف الاولى على نبوة محمد يحدث لاول مرة منذ قرون ، ويفتح الباب لمرحلة وفاق من نوع آخر بين الديانتين الاعظم •

جرى هذا كله على مدى أسبوع حافل بالمفاجآت والمعاناة والاثارة ، تحولت خلاله قاعة بلدية قرطبة الى كرسي اعتراف كبير ، جلس الجميع فوقه وقالوا شهاداتهم ، ثم انفض المؤتمر الاسلامي المسيحي العالمي الثاني ، ليعود الى جولة جديدة بعد عامين •

خلال ذلك الاسبوع الاخير من شهر ابريل ، التقى في عاصمة الاندلس ، فريق من رجال اللاهوت والمثقفين المسيحيين مع فريق آخر من المفكرين والعلماء المسلمين ، ليشاركوا في محاولة فريدة من نوعها تستهدف تقييم النبيين محمد وعيسى من وجهة نظر كل فريق •

وهذا الموضوع الذي وصفه مطران مدريد ورئيس أساقفة انبانيا الكاردينال انريكي ترانكون بأنه خطير وعسير • واعتبره الدكتور سلفادور نوجالس رئيس جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية « محاولة لتغيير موقف المسيحية من محمد (ص) » و •• « تحريك للضمير المسيحي لكي يتبنى موقف التقدير الايجابي لنبي المسلمين ، يختلف عن الموقف الحالي » • واعتبره مقرر المؤتمر الدكتور ميخائيل ايبالسا الاستاذ بكلية الفلسفة واللاهوت بجامعة مدريد « ضرورة الانتقال من المهاترات المذهبية للقرون السالفة ، ومن الصمت الحذر أو الجاهل لعدد كبير من مسيحيي اليوم ، الى المعرفة الواسعة والتقدير الايجابي لمحمد نبي الاسلام » •

ازالة الركام اولا

لماذا اختاروا هذا الموضوع بالذات ؟

يرد الدكتور ايبالسا : لان شخصية النبي محمد (ص) مقدمة الى العالم المسيحي بصورة مشوهة الى حد كبير ، حولها نسجت العديد من الافتراءات والاكاذيب والخرافات ، التي نشأت كلها من الفكر المتعصب الذي ساد الغرب منذ بدأ الاسلام يدخل أوروبا ، وكانت مثل هذه الافتراءات احدى وسائل تعبئة الجماهير ضد المد الاسلامي •

« كان لا بد من أن نزيح هذا الركام اذا أردنا أن نفتح الطريق لتعاون اسلامي مسيحي »، هكذا قال الدكتور ايبالسا ، الذي أعد رسالته للدكتوراه عن راهب اسباني من جزيرة مايوركا أعلن اسلامه في القرن السادس عشر ، وعاش في تونس حتى صار رئيسا لديوان الخليفة • كان اسمه انسلم تورميدا وأصبح عبد الله الترجمان • أضاف ايبالسا : لقد كان موضوع مؤتمرنا الاول الذي عقد في سنة ٧٤ ، وكانت قرطبة مقرا له أيضا ، هو : الضمير الاسلامي والمسيحي أمام مشاكل التطور • وكان هدفنا أن يقدم ممثلو كل دين رؤيتهم الفكرية للقضايا المعاصرة وذهبت مناقشات المؤتمر الى ما هو

أبعد ؛ اذ تعرضت الى رؤية كل دين للآخر . الاسلام من وجهة نظر المسيحية، والمسيحية من وجهة نظر اسلامية .

كان التقدير والفهم والتفاهم هو السمة الاساسية للمناقشات التي جرت في المؤتمر الاول ، وهو ما أطلق عليه مطران الجزائر الكاردينال دوبال « روح قرطبـــة » .

« بعد النجاح الذي حققناه ، قررنا أن نخطو خطوة أخرى ، وأن نقترب من نقطة اللبس الحقيقية عنــد العالم المسيحي وهـــي : شخصية النبـي محمد (ص) ولكي تكتمل الصورة في الاذهان فتحنا البـــاب أيضـــا لتقييم شخصية المسيح ، هناك لبسا من نوع آخـــر يحيط بهـــذه الشخصية عنـد جماهير المسلمين » .

قال الدكتور ايبالسا أيضا : ان هذا الكلام الذي قيل في المؤتمر الثاني يعد نقطة تحول كبيرة في الفكر المسيحي والنظرة المسيحية الى النبي محمد . يكفي أن يقف رجال اللاهوت بكل ما يمثلونه من وزن ديني وفكري ليعترفوا بنبوة محمد ، وبدوره الهائل في تاريخ الانسان .

ثم أضاف مقرر المؤتمر القـــادم ــ الثالث ــ سيطرح للمناقشة موضوع العلاقة بين الديــن والتوسع السياسي . الفتوحــات الاسلامية من ناحيــة ، والاستعمار والتبشير من ناحية أخرى ، وستكون احدى نقــاط البحث هي : كيف تقدم الفتوحات الاسلامية الـــى الفكر الغربـــي ؟ وكيف تفسر الحروب الصليبية أمام الفكر الاسلامي ؟

« اننا نريد أن نطوي صفحة الماضي ، ونزيل معها كـــل بذور الكراهية والرفض ، لنفتح الطريق لمرحلة التعاون والثقة في المستقبل » .. هكذا يقول الدكتور ايبالسا . « لقد اتفقت فرنسا والمانيا بعد الحرب العالمية الثانية عـــلى منهج يعالج جراح الحرب والكراهيـــة التي ترسبت في الاعماق نتيجة لهـــا ،

بحيث يقدم ما جرى للاجيال الجديدة ، بصورة تزيل هذه الكراهية ولا تسمح لها بالاستمرار في المستقبل ، ونحن نريـد أن نفعـل الشيء نفسه بالنسبـة للمسلمين والمسيحيين » .

يقول الرجل أيضا : لهذا السبب كلفنا فريقـا من الباحثين بدراسة ٢٥٠ كتاب يتداوله التلاميذ في مختلف مراحل التعليم باسبانيا ، وطلبنا منهم حصر العبارات والوقائع التي تقدم الاسلام ونبيه بصورة مشوهة الـى التلاميذ ، تمهيدا لتصحيح تلك الوقائع ، واستبعاد كل ما هو مختلق ومكذوب منها .

غاب الازهر والفاتيكان

هل تمضي المسألة بهذه البساطة التي تروى بها القصة ؟

بالتأكيد لا . ونظرة الى وجوه المشتركين في المؤتمر تقودنا الـى حقيقة تثير الانتباه هي : لقد غاب عن المؤتمر كل من الازهر والفاتيـكان !

وتردد أن الازهر غير مقتنع بجدوى الحوار ، وانه أرسل تعميما برأيـه الدول العربية والاسلامية . وهو ما فسر غيبـة دول المشرق العربي باستثناء سوريا ومنظمة تحرير فلسطين ، بينما شاركت في المؤتمر دول المغرب العربي ، وبعض الشخصيات التي تمثل النشاطات الاسلامية غير الرسمية في اندونيسيا وماليزيا والهند ، الى عدد آخـر من المفكرين المسلمين الذين دعـوا بصفاتهم الشخصيـة .

قيل أيضا ان الفاتيكان يرحب بالحوار ويدعو اليـه . لكنه لـم يعترف رسميا حتى الآن بنبوة محمد ، فكيف يشترك في مؤتمر يطرح هذه القضيـة موضوعا للمناقشة . ولهذا السبب فقد أوفد الفاتيكان مندوبا عنـه لحضور مؤتمر قرطبة الاول ، لكنه التزم الصمت حيال هذا المؤتمر الثاني .

اعترف الفاتيكان بالاسلام فقط ، بعد دورة مجمع الفاتيكان الثانية التي استمرت ثلاث سنوات ، من ٦١ الى ٦٤ (مناقشات المجمـع الاول استمرت

٣٠ سنة في القرن السابع عشر) • وفي أعقاب هــذه الدورة الثانية جـاء في قرارات مجمع الفاتيكان : « ان الكنيســة تنظر أيضا بتقدير الى المسلمين الذين يعبدون الله الحي القيوم الرحيم ، القــادر على كــل شيء ، خالــق السماء والارض ، الذي كلم الناس والذي يخضعون لاوامره الغيبية بقلوب راضية ، كما خضع له ابراهيم الذي يحتل مكانة خاصة في العقيدة الاسلامية • انهـم يعظمون المسيح كنبي ، وان كانوا لا يعترفون به كاله • يحترمون أمه البتول مريم ، وأحيانا يذكرونها بكل تقوى • ثم انهم يرتجون اليوم الآخــر ، يــوم يجزي الله جميع الناس بعد البعث • وهم ، بالتالي ، يقدرون الحياة الاخلاقية ويعبدون الله ، خاصة بالصلاة والزكاة والصيام •

« واذا نشأت عبر القرون خلافات وعداوات غــير قليلة بــين المسلمين والمسيحيين ، فان المجمع الفاتيكاني المقدس يدعو الجميع الى نسيان الماضــي ومحاولة التفاهم المتبادل الصادق ، والعمل المشترك ، لنصرة وتأكيد العدالــة الاجتماعية والقيم الاخلاقية والسلم والحرية لجميع الناس » •

هذا هو نص رأي مجمع الفاتيكان ، الذي لم يشر من قريب أو بعيــد الى النبي محمد (ص) الا انه دعا صراحة الــى احترام العقيــدة الاسلامية ، لاول مرة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية • وهي خطوة غير كافية من وجهــة نظرنا ، لكنها ايجابية بغير شك ، كانت هي البدايــة الحقيقية لمــا أطلقنا عليه وصف « مرحلة الوفاق بين الديانتين الاعظم » •

وهذا المعنى أكدته احدى أمانات الفاتيكان ، التي أصدرت في عــام ٧١ كتابا من ١٠٠ صفحة يتضمن بعض التوجيهات للحوار الاسمي المسيحي • لا يعترف بوضع محمد (ص) كنبي بالنسبة للمسيحيين ، ولكنها تطلب منهــم أن ينظروا « لمؤسس الاسم » بالاحترام •

وعندما أرسلت جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية الى الفاتيكان تدعوه للاشتراك في المؤتمره ، وقوبلت الدعوة بالصمت الــذي فهم انــه مقاطعــة

لمناقشاته ، كتب الدكتور سلفادور نوجالس رئيس الجمعية (رسالته للدكتوراه عن ابن رشد) خطاب احتجاج الى سكرتارية الفاتيكان قال فيه ان موقفهم من المؤتمر يتعارض مع قرارات المجمع الثاني الذي يدعو الى احترام عقيدة المسلمين ، « الامر الذي لا يمكن أن ينفصل بأي حال عن احترام نبي المسلمين » •

لكن الفاتيكان ظل على موقف الصمت ، والقطيعة •

قصة استرداد المسجد

وقال وثيقو الصلة بدوائر الفاتيكان ممن حضروا المؤتمر أن هناك تيارات محافظة تضغط بشدة لكي لا يذهب الفاتيكان الى أبعد من الاعتراف بالاسلام ، وان البابا لا يريد أن يخوض في هذا الموضوع ، الذي قد يفجر قضايا كثيرة يطول حولها الجدل ، خصوصا وأنه بلغ مرحلة متأخرة من العمر •

وفي البحث الذي قدمه الى المؤتمر الاب جي مارتيه حول « مواقف معاصرة من نبوة محمد » سجل تفسيرا طريفا لعدم الاعتراف بنبوة محمد ، منسوبا الى راهب آخر هو الاب جاك جونييه يقول فيه : انه لا يمكن اعتبار محمد نبيا لان ذلك يعني بالنسبة للمسيحيين الاعتراف بانجيل جديد يحل محل انجيل المسيح • وان الاعتراف بمحمد نبيا يعني الاعتراف بكل ما يتضمنه القرآن ، وبالتالي بأن محمدا خاتم المرسلين وخاتم الاديان • وهذا لا يعتبر سوى الغاء لانجيل المسيح !

ولم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة التي صادفت الاعداد للمؤتمر • لان أطرافا عديدين كان من مصلحتهم أن يتوقف الحوار بأي وسيلة (في اسبانيا جمعية صداقة يهودية مسيحية نشطة انشئت عام ٦٣) •

وكان من بين محاولات « التشويش » التي حدثت أن صحيفة أ• ب• ث اليومية الاسبانية نشرت قبــل خمسة شهور من عقــد المؤتمــر ان المسلمين يريدون غزو اسبانيا من جديــد ، وأنهم سيطالبون فــي المؤتمــر الاسلامي المسيحي بمسجد قرطبة الشهير !

أحدث المقال ردود أفعال مختلفة ، حتى أن قاضي قرطبة انزعج وكاد أن يصدق الرواية ، واستدعى المسؤولين عن جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية التي تنظم المؤتمر (انشئت سنة ٦٦ وتضم ١٥ من المثقفين المهتمين بالقضايــا العربية والاسلامية في مدريد) وسألهم عن مدى صحة هذه المعلومات •

ولم يطمئن قاضي قرطبة الا بعد تأكيدات قاطعة من جانب ممثلي جمعية الصداقة ، بأن المقــال مختلق مــن أساسه ، وان المسلمين لا ينوون المطالبــة بمسجد قرطبــة !

اذن فقد تراوحت المواقف من المؤتمر بين رفض المبدأ (الازهر) ورفض الموضوع (الفاتيكان) ، وتسميم الجو بأي وسيلة (عناصر محلية) •

ومع ذلك فقد انعقد المؤتمر وقيل خلال جلساته كــلام كثير يستحق أن يسمع ويسجل •

كلهــم مسلمون

وخلال المناقشات التي استمرت أسبوعا ، وألقي خلاله ١٦ بحثا ، كانت هناك « ايضاحات » حرص كل طرف على أن يسجلها أمام المؤتمر •

❊ في بحث الدكتور عبد العزيز كامــل ، مستشار ولي عهــد الكويت ونائب رئيس وزراء مصر السابق ، قال :

ان الاسلام جــاء مصدقا لكل نبي ورسول ، وقــد دعــا النبي والذين يؤمنون معه الى ذلك : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كــل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » •

والقرآن الكريم يطلق تعبير « المسلم » على جميع الانبياء والمرسلين ، فكلهم مسلمون له • فعن ابراهيم يقول : « اذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين » ـ وكذلك أبناء ابراهيم ويعقوب كانت الوصية لهم « يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » • وكان قول الحواريين عندما سألهم عيسى « من أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » •

والناس جميعا في الاسلام أبناء أسرة كبيرة واحدة ، أبوهم واحد : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » •

هذا الموقف الرحب ، حرص الدكتور عبد العزيز كامل على أن يسجله في بداية بحثه حول « محمد الرجل السياسي ، مؤسس لمجتمع سياسي ونظام اجتماعي عادل وانساني » •

وفي بحث الدكتور أحمد هيكل مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد حول « محمد شخصية تاريخية » ايضاح آخر يتعلق بمنهج التقييم قال فيه : لكل أصحاب الكتب والمقالات والاحكام التي لا تقر محمدا حق قدره أقول : ان التحقيق العلمي الذي يضع محمدا في مكانه من التاريخ ويعرفنا به كشخصية تاريخية ؛ يقتضي أولا الرجوع الى المصادر الاصلية المتصلة بعصر محمد وحياته ، وعدم الاعتماد على الخرافات والاوهام وأقوال المغرضين أو الجاهلين بسيرة حياته • كما يقتضي التحقيق العلمي ، ثانيا ، الاتصال ببيئته وتمثل روح عصره ، وتعرف أهم عادات تلك البيئة وتقاليدها ، في اطار الزمان والمكان ، مع التنزه عن كل تلفيق وتخمين • وأخيرا يقتضي المنهج العلمي وضع ما كان عليه أمر الحياة قبل محمد وبدء دعوته ـ في مقارنة منصفة ـ أما ما آل اليه أمر تلك الحياة بعد محمد وتمام رسالته • فهنا يكون التحقيق ويكون المنهج ، ويكون قول الحق •

رؤيــة مختلفــة للمسيح

* ايضاح ثالث : سجله الكاردينال الزيكي ترانكون رئيس أساقفة اسبانيا ، الذي بدأ كلمته بذكر اسم الله الرحمن الرحيم واسم سيدنا المسيح. قال الرجل وهو يدعو الى فتح صفحة جديدة « يجب أن نعترف بأن العقيدة المسيحية ترى في المسيح أكثر مما يراه المسلمون . واننا على أي حال نحسه بطريقة مختلفة . ذلك ما نريد ان نبديه لكم ، دون أن نثير من جديد جدلا لاهوتيا تقليديا بيننا . والحق انه من الصعب عرض العقيدة المسيحية التي تنسج لغتها داخل الجماعة المؤمنة كي تفهم هذه العقيدة أمة غير مسيحية . ان ذلك يستلزم عمليا تغيير اللغة ، ويستلزم على الخصوص الثقة في أن ينير الله القلوب لمعرفة الحق .

ان شهادة عيسى المسيحية تنطلق من الايمان بوحدة الله . « آمنا بالله وحده » . هذا ما نعلنه بكل قوة مع اخواننا المسلمين . وكأتباع المسيح ، نؤمن بالله الاحد ، المنزه ، خالق السماء والارض ، المثيب ، الرحيم ، الغفار ، الخ . وفي استطاعتنا أن نتبنى كل أسماء الله الحسنى التي يطلقها المسلمون على الله الواحد ، اله ابراهيم واسحاق ويعقوب وعيسى ومحمد والمسلمين . ان عقيدتنا في التثليث لا تنقص شيئا من ذلك الايمان الذي ينبغي لاخواننا المسلمين أن يعترفوا لنا به . فنحن كذلك نرفض الشرك مثلهم ولا نرضى ان نتهم بأننا نشرك مع الله آلهة أخرى .

ثم قال الكاردينال ترانكون : بجانب ذلك ، نؤمن بأن لعيسى صبغة الهية . وهذا سر مسيحي عميق جدا يشغل بحق بال المسلمين . لكن يجب أن نعترف لاخواننا المسلمين بأن صبغة المسيح الالهية ، تلك العلاقة الخاصة والحميمة بين الله وهذا الانسان ، هي بالنسبة لنا أيضا سر لا يدرك . واستنادا الى نصوصنا وتقليدنا العقيدي ، نعبر عن الوحدة الالهية بالتثليث ، غير اننا لا نستطيع ادراكه . وكذلك تظل غامضة في نصوص القرآن الكريم

تلك الصلة بين الله وروحه القدس الذي أوحى بـه الى مريم وعيسى ، كلمة الله التي ولدت منها • فالعلاقة بين الله وروحـه وكلمته تطرح لكـم مشكلا أيضا ، اذ يقول القـرآن نفسه « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمـر ربي وما أوتيم من العلم الا قليلا » •

جـذور المشكلـة

بعد ذلك اقتربت الابحاث من جوهر المشكلة • شيئا فشيئا •

أحد هذه الابحاث كان عنوانه « **الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة** المزيفة التي كونتها المسيحية عن النبي (ص) » ، وقد قدمه الى المؤتمر أحـد كبار رجال اللاهوت الاسبان ، هو الدكتور ميجيل كروث ايرناندث •

في السطور الاولى من بحثه قال : ربما لا يوجد صاحب دعـوة تعرض للتجريح والاهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمد (ص) • كذلك لا نكاد نجد اتهامه أساسه السياسة ـ لا الدين ـ مثل تلك الاتهامات التـي وجهت للاســلام •

ثم طرح تصوره لبدايات الصدام بين المسيحيين والاسلام على الوجـه التالي : ان المسار الطبيعي لانتشار الاسلام من الجزيرة العربية كان يمر قسرا عبر أثمن الاماكن المسيحية ، وهي الارض التي ولد وعاش ومـات فيها عيسى الناصري الذي هو بالنسبة للمسيحيين ابن الالـه الحي • ذلـك ان الاسلام انتشر أولا في آسيا الصغرى وشمال افريقيا ، وقـد كانت مهـد الكنائس الاولية والكبرى للمسيحية مثل القدس والاسكندرية •

لهذا السبب ـ يقول الدكتور ايرناندث ـ سرعان مـا ألصقت اتهامات بغير حصر بالنبي محمد (ص) تشـهر به وتطعن في نبوته • حتى وصف عنـد المسيحيين بأنه « أمير الظلام » ؛ خاصـة بعدما كـاد الاسلام يقضي عـلى المسيحية في اسبانيا ، بعدما فتح كل الجزيرة الايبيرية •

وفي مرحلة تالية ـ يضيف الدكتور ايرناندث ـ عندما حلت الدولتان الفاطمية والسلجوقية محل الامراء العباسيين بدأت تظهر بوادر عدم التسامح الذي عرف به الاسلام تجاه المسيحيين ، وتوالت الاساطير المبالغة في هذه البوادر ألف مرة ، حتى أدت الى حركة الحملات الصليبية التي استهدفت طرد الاسلام من الاراضي المقدسة •

وقد استمرت الخرافات وحملات التجريح تحيط بالاسلام والمسلمين ونبيهم حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي • وفي مطلع القرن الثالث عشر بدأت تتقاص الخرافات ، دون أن تتغير صورة النبي محمد (ص) في أذهان المسيحيين الذي ظل يوصف بأنه مزيف وكاذب •

وفي القرن التاسع عشر اختفت تماما صورة الكاذب عن محمد (ص) ، عندما درست شخصيته دراسة علمية • ولكن صورته « نبيا مزيفا » ما تزال سائدة حتى أيامنا هذه •

وبنفسه تصدى الدكتور ايرناندث للرد على هذه المزاعم ، قال :

* ان نصوص التوراة والاناجيل لا تشير الى ان طريق النبوة قد أغلق بنبوة يعقوب ولا بنوة عيسى •

* ان بعض العبرانيين كانوا يرفضون عمليا احتمالات مجيء أنبياء جدد بعد يعقوب • « وليذكر الجميع ان عيسى الناصري اتهم وحوكم باعتبار انه كافر ، وليس باعتباره نبيا » •

* ان كل الدلائل التاريخية والاجتماعية ، بل وحتى من وجهة النظر الدينية المسيحية ، فان محمدا (ص) يعد نبيا حقيقيا (أشار الدكتور ايرناندث الى انه نشر دراسة في سنة ١٩٦٨ تؤكد هذه الحقيقة)

وبعد هذه الشهادة ملأ الدكتور ايرناندث ٦ صفحات في فضائل النبي محمد الاجتماعية والسياسية (القدرة على تحليل بناء مجتمع شبه الجزيرة العربية ـ الحكمة السياسية « رجل الدولة » ـ المقدرة غير العادية على

تحريك الجماهي) ـ ثم فضائل النبي الشخصية (الجاـد ـ الاعتـدال ـ الحكمة ـ العدالة) ـ ثم فضائله اللاهوتيـة ، بالتعبير المسيحي الشائـع ، العقيدة والامل والمحبة •

شـهادة ورد

شهادة أخرى سجلها الدكتور ميخائيل ايبالسا تكمل الصورة :

قال أمام الجميع : لقد جئنا بالضغينة منذ آماد بعيدة • لقـد نشر في اسبانيا منذ قرن تماما كتاب يحمل اسم « القرآن » وقدم على انه ترجمة أمينة للاسبانية • مفسر ومفند تبعا للعقيـدة والتعاليم الكاملـة للدين الكاثوليكي المقدس ، الرسولي الروماني والحقيقة الوحيدة ••• و ••• الموجز التاريخي لحياة وأفعال النبي الكاذب محمد ••• القوانين المضللة والجاهلة والمتناقضة التي نشرها هذا القائد الخبيث بين أبناء قومه من العرب » •

وأضاف ايبالسا : وتستمر ٩٩٢ صفحة على هذه الوتيرة :

ثم قال : وقبل ذلك بقرن أصدر رجـل دين فاضل كتابا آخـر أكثـر اعتدالا عنوانه « حقيقـة أخلاق محمد ودينه : فكرة عادلـة عن هـذا النبي المزيف ، بدون الثناء عليه بافراط ودون الحط منه بحقد •• ضد ميل الفلاسفة الذين يدافعون عن المحمديين » •

وتساءل الرجل : أي قدر من الضغينة تجـاه نبي الاسلام غرسناه فـي أعماق أجيالنا ؟

وبعد أن استعرض صفات النبي وخصاله قال : ان مجرد السؤال عن صحة اخلاص النبي محمد (ص) في مهمتـه النبوية ورسالته القرآنية ، كما فعـل اليسوعي المطران لامانيس في مطلع هذا القرن ، هذا السؤال يعد طعنا خطيرا للمسلمين ، بل هو عين الاستفزاز الجدلي •

ومحمد (ص) ـ يضيف البحث ـ عرف في مجتمعه التصعيد الروحي دون ان يفقد مادية حياته ومحيطه • استطاع ان يبلـغ مرتبة الرمـز الانساني والالهي للمجتمع المؤمن دون ان تكون له الصفة الالهية المباشرة التي تنسبها المسيحية ليسوع •

انه بالنسبة للمسيحية يتجسد الوحي الالهـي في شخص انسان هـو المسيح ، بينما هو بالنسـبة للاسلام يتمثل في كتاب هو القرآن •

وعندما تكلم الدكتور جون تايلور ممثل مجلس الكنائس العالمي ، مضى في نفس الاتجاه ، فقال انه اذا كان المسيحيون قـد أظهروا مشاعر الرفض أو عدم الاكتراث « عندما يتعلق الامر بالاعتراف بالقـرآن الكريم والصفـات الرائعة للنبي محمـد (ص) فقـد كانوا أكثر تباطؤا فـي تقدير المفاهيـم والانجازات التي قامت بها الجماعـة الاسلامية في التاريخ وفـي المجتمع المعاصر » •

ثم أضاف قائلا : انني ألح على ضرورة الدراسة التاريخية من الجانبين • المسيحيون الذين ينبغي أن يعترفوا بنفوس تائبة بما ارتكب في حق النبـي محمد من أخطاء لوثت التاريخ الروحي والثقافي المسيحي • والمسلمون الذين قليلون منهم فقط درسوا بروح متفتحة تاريخ ورمزيـة الكتابات المسيحيـة وعقائد وتراث الكنيسة •

فـي استعراض المواقف

من نقطة التقييم انتقلت الابحاث الى نقطـة استعراض مواقف المفكرين المسيحيين من محمد عليه السلام •••

وقد تولى عرض هذه المواقف بالدرجة الاولى الاب جي هارتيه ، الذي قدم أبرز آراء علماء اللاهوت في هـذه القضية ابتـداء مـن منتصف القرن العشرين • فمنهم من يؤكد نبوة محمد (ص) الحقيقية مثل لويس ماسينيون

الذي قال « ان نبوة محمد ايجابية من حيث أنها أحدثت ثورة في القيم ودعت البشرية الى الايمان باله واحد . وقال « يعتبر محمد (ص) في المقام الاول نبي الرفض ، اذ قال « لا » باسم ربه قالها للوثنيين الذين يعبدون الاصنام . وقالها لليهود الذين حولوا وعد ابراهيم الى تمييز عنصري ، وقالها للمسيحيين الذين حرفوا رسالة يسوع واعتبروه ابن الرب ، في حين يرى محمد (ص) ان عيسى لم يدع ذلك على الاطلاق .

ومن علماء اللاهوت من يعتبر محمدا (ص) « نبيا ارشاديا » مثل شارل لودي أي ان نبوته ليست مرتبطة بتعاليم دينية محددة (يقول الاب هارتيه ان هذه النظرية تؤدي الى أخطاء جسيمة) .

وثمة آراء أخرى لعلماء اللاهوت لا تعترف بنبوة محمد (ص) أو بالقرآن الكريم .

الاب توماس بو مثلا يقول انه ليس نبيا « لانه لا ينتمي الى أي وجه من أوجه الخلاص » . ويستند في ذلك الى مجموعة الوقائع التاريخية التي نقلت الى الغرب بصورة مشوهة ثم تداولها الجميع كحقائق ومسلمات ، مثل قضية زوجات النبي (ص) وقصة زواجه من السيدة زينب بنت جحش التي طلقها زيد بن حارثة ، والظروف التي أحاطت بالفتوحات الاسلامية .

والبروفسور روجيه ارنلويز انتقد القرآن في كتاب له ، « لانه يتضمن خروجا عما تعارف عليه المسيحيون ، فيما يتعلق بالمسيح مثلا . » و .. « لانه لا وحي بعد وفاة آخر الحواريين » .. وهكذا ..

وفي نهاية بحثه قال الاب هارتيه ان تباين هذه المواقف واختلافها يؤكد الحاجة الى ضرورة تعميق الفكر اللاهوتي المسيحي في هذا المجال .

وفي نطاق الاستعراض أيضا ، قدم الاب جيوليو باسيتي ساني ، من جماعة الرهبان العاملين بحثا آخر موضوعه : محمد نبيا .

وقد حدد الاب جيوليو موقفه بصراحة فـي قوله : انني أرى التاريـخ الانساني برمته ، وبصفة خاصـة تاريخ الانسانية الديني ؛ وقـد اتخذ مـن المسيح محورا • ثم استعرض الادلة التي تؤكد صدق نبوة محمد (ص) في التوراة وفي التاريخ ، وانتهى الى انه يعد « نبيا حقيقيا في اطار تاريخ السلام الذي يتخذ من يسوع المسيح محورا » •

وحول الموضوع ذاته قدم الدكتور جريجوريو رويث الاستاذ بجامعـة كومباس (مدريد) بحثا يجيب على السؤال : بأي معنى يمكن اعتبار محمد (ص) نبيا من قبل المسيحيين ؟

وكانت خلاصة الاجابة انه طبقا لمقاييس التوراة وأنبياء العهد القديـم ، فان محمدا (ص) يعتبر نبيا من وجهة النظر المسيحية ★ •

وفي نهاية هذه الرحلة ؛ دعا الدكتور سلفادور نوجالس الى تقييم جديد للنبي ، في بحث عنوانه « محمد : رؤيـة تاريخية جديدة » • ومن أبرز مـا سنجله في هذا البحث :

ـ ان التعصب العام للمسيحيين في تاريخ الخلاص قد تم الغاؤه الى حد ما عن طريق النصوص الصادرة عن المجمع الفاتيكاني الثاني •

ـ انه يمكن عن طريق تلك المبادىء (قرارات المجمـع الفاتيكاني) ان تكون هناك نظرة جديدة الى الرؤية التي كانت لدى المسيحيين عـن شخصية محمـد •

★ اثار هذا البحث ضجة شديدة في جلسة المؤتمر ، اذ اعترض بعض ممثلي الدول الاسلامية على بعض ما ورد فيه • وكـان رد الدكتور رويث انه اجتهـد مستندا الى ما توفر لديه من معلومات وانه مستعد للتخلي عن وجهـة نظره اذا وجد معلومات اخرى مغايرة ومقنعة •

ـ الكنيسة المسيحية تقوم بدور الشاهد ودلالة الخلاص في الحياة الاخرى ، ولكن لا يمكن ان تصبح بأي حال المكان الوحيد للخلاص •

ـ من وجهة النظر المسيحية ليست هنام عقبات كبيرة في وصف محمد (ص) بالنبوة • « ولا بد من اعترافنا بأنه الى جانب معطيات النبوة التي توفرت له ، فهناك أيضا الكمال الشخصي والقدرة الفائقة على التبشير بالرسالة » •

دفاعا عن العقيدة الجامعة

لماذا الحوار أساسا ؟

البعض عندنا يرفض طرح هذا السؤال ، قائلين انه بغير جدوى ، لان المسلمين سيظلون مسلمين ، والمسيحيين سيظاون على دينهم • اللقاء اذن مستحيل « الا ان يتنازل التوحيد عن شيء من عقيدته ليلتقي مع التثليث في منتصف الطريق • وهذا أمر يرفضه الاسلام » •• على حد تعليق أحد الكتاب في مقال نشر عقب المؤتمر •

ان هذا الطرح يفترض ان كل طرف يستهدف من الحوار أن يحول الآخر عن عقيدته ، وهو أمر لم يقل به أحد على الاطلاق •

ان هدف الحوار هو تعميق الفهم ، وتبديد المخاوف ، واقتلاع جذور الحساسية والرفض ، لتمتد جسور المودة والتعاون بين بني الانسان مهما اختلفت مواقفهم المذهبية والعقيدية •

ثم اننا في عصر الحوار •

فهناك حوار مستمر بين المذاهب المسيحية ذاتها • وحوار بين المسيحية واليهودية ، وبين المسيحية والبوذية ، وبين المسيحية والماركسية * •

---

* راجع في استعراض اتجاهات الحوار المعاصر ومستوياته ومحاولات اسرائيل استغلال حوار المسيحية واليهودية لصالحها في كتاب « الحوار بين الاديان » ـ للدكتور وليم سليمان •

منافذ الحوار مفتوحة في كل اتجاه ، فلماذا نصم آذاننا نحن وننغلق عن العالم ، بينما لدينا الكثير مما هو مشرف ، نقوله ونقدمه الى من حولنا •

وهناك واقع آخر يفرض ضرورة الحوار بين الاسلام والمسيحية ، طرحه أمام المؤتمر الدكتور خ• اجنايفوا نايت استاذ تاريخ الثقافة بجامعة مدريد ، مصحوبا بخريطة احصائية دقيقة •

قال الدكتور نايت : ان الاسلام هو أكبر قوة حية اليوم ، وهو الذي يدعم تيارات العالم الثالث ، اذ انه ينتشر أساسا في ٤٢ دولـة ، من خلال ٧٢ مذهبا تتفرع عنـه (يذكر صاحب البحث ان المسيحية يتفرع عنهـا ٢٦٠ مذهب) •

يقول الرجل أيضا ان سكان العالم الآن ينتمون الـى ٦ ديانات : ثلاث منها محلية (اليهودية التي تخص اليهود فقط والهندوكية للهنـود والمجوسية للمجوس) ، بينما الديانات الاوسع انتشارا في رأيه هي : الاسلام والمسيحية والبوذيـة •

ويضيف الدكتور نايت : ان ربـع سكان الكرة الارضيـة الآن (ألف مليون) ينتمون الى الاسلام ، والربع الآخر يعتنق المسيحية • والربع الثالث موزع بين الهندوكية والبوذية واليهودية والمجوسية ، وبقايا ديانات أخرى • الربع الاخير يعتنق الشيوعية • أي ان الشيوعية انتقلت خلال ١٠٠ سنة مـن لا شيء الى السيطرة على ربع الكرة الارضية •

وينتهي من هـذا العرض الى ان الشيوعية تتقـدم فقـط في الـدول المسيحية والبوذية • ولما كانت اليهودية والهندوكية والمجوسية ديانات محلية لم تتأثر كثيرا بالمد الماركسي ، فان الاسلام يصبح الدين الوحيد الذي يتقدم ولا يتراجع •• خصوصا وان هذا الدين ـ الاسلام ـ قـادر على مواجهـة الشيوعية والرأسمالية في آن واحد •

ويسجل الدكتور ثابت أيضا انه في أفريقيا « نجد الآن ان هناك شخصا واحدا يعتنق المسيحية مقابل شخصين يعتنقان الاسلام » ٠

ثم يصل الى هدفه عندما يقول ان هنـالك خطرا ماثلا يهـدد العقيـدة الجامعة (يعني الايمان باللـه) وهو واقـع يجب أن يتنبه اليـه الجميـع ، ويتكاتفوا من أجل صده ، بالحوار والتعاون الدائمين ٠

دور السياسة والاقتصاد

على أن المسألة ليست دينا خالصا ٠

ذلك ان الدعوة الى الحوار الاسلامي المسيحي نشطت بشكل بارز فـي السبعينات ، بعدما تصاعد الدور العربي في الساحة العالميـة ، خصوصا فـي أعقاب حرب اكتوبر ٠ ونظرة على تتابع مراحل الحوار تؤكد هذه الحقية : في سنة ٧٠ عقد مؤتمر للحـوار في عجلتون بلبنان اشترك فيه ممثلون للاسلام والمسيحية والهندوكية والبوذية ـ في سنة ٧٢ أقيم حوار اسلامي مسيحي في برمانا بلبنان ـ في سنة ٧٤ عقد المؤتمر الاول الاسلامي المسيحي في قرطبة ـ سنة ٧٥ عقد مؤتمر آخر للحوار في تونس ـ سنة ٧٦ عقد مؤتمر للحوار فـي طرابلس بليبيا ـ سنة ٧٧ مؤتمر قرطبة الثاني الذي نتحدث عنه ٠

وقد أقرني الدكتور ايبالسا على هذا الرأي ، ان هنـالك مناخا سياسيا واقتصاديا هو الذي حرك الدعوة الى الحوار ٠ لكنه أضاف ان هناك التزاما أخلاقيا أيضا من جانب فريق المثقفين الاسبان ، ذلك انهم على قناعة حقيقيـة بأن الاسلام لعب دورا عظيما في التاريخ الاسباني ٠ وان هـذا الدين ونبيه العظيم قد ظلما ولقيا من الجحود والتجريح مما يدعو أي منصف الى محاولة تصحيح هذه الصورة ، مستثمرا المناخ الراهن ٠

وعندما قلت ان الحـوار في جوهره هـو حوار بـين الغرب والشرق ، وليس بين المسيحية والاسلام فقـط ، لان الضغائن وبذور الكراهيـة التي

يتحدث عنها موجودة في الغرب بالدرجة الاولى ، والتعايش قائــم منذ قرون في الشرق بين المسيحية والاسلام .

أيد الدكتور ايبانسا هذا الرأي أيضا قائلا ان هذا الحوار الديني بغــير شك أحد عناصر لقاء الغرب والشرق في العصر الحديث .

وهذ المعنى أكده من زاويــة أخرى الاب ميشيل ليلون مقرر الامانــة الكاثوليكية للعلاقات مع الاسلام (انشئت في باريس سنة ٧٤) ، الــذي قال في بحث قدمه الى المؤتمر عن تطور نظرة الرأي العــام الفرنسي تجاه نبــي الاسلام : « ان التطور الذي حدث في فرنسا وأوروبا بوجه عام تجاه الاسلام والعالم الاسلامي قد جــاء نتيجة لحصول كافــة الدول الاسلامية عــلى استقلالها ، وللدور السياسي والاقتصادي الذي تقوم به الدول العربيــة في الساحة الدوليــة » .

وقد سجل الاب ميشيل ليلون معالم هذا التطور في نتيجة استفتاء من ثلاثة أسئلة وزع على مجموعة من الاشخاص سنة ٧٠ ثم طرحت الاسئلة ذاتها على هؤلاء الاشخاص أنفسهم في عام ٧٦ ، وكانت النتيجة كما يلي :

* السؤال الاول : هل قرأت القرآن ؟

في سنة ٧٠ كانت الاجابة هي : واحد قرأه كلــه ، و ١٩ قرءوه بصفــة جزئية ، و ٨٠ لم يقرءوه .

وفي سنة ٧٦ كانت الاجابــة هي : ٧ قرءوا القرآن كلــه ، و ٣٥ قرءوه بصفة جزئية ، و ٥٨ لم يقرءوه .

* السؤال الثاني : ما هو رأيك في نبي الاسلام ؟

في سنة ٧٠ كانت الاجابة : ٢ جيد جدا ، ٨ جيــد ، ٥٠ سيء ، ٤٠ سيء جــــدا .

في سنة ٧٦ أصبحت الاجابــة : ٣ جيد جــدا ، ٤٠ جيــد ، ٣٧ سيء ، ١٠ سيء جدا .

* والسؤال الثالث : هل تعرف حياة محمد (ص) نبي الاسلام ؟

في سنة ٧٠ كانت الاجابة : واحد جيد جدا ، ٨ جيــد ، ١٦ قليلا ، ٧٥ لا شيء .

في سنة ٧٦ أصبحت الاجابة : ٤ جيد جــدا ، ١٨ جيد ، ٤٣ قليلا ، ٣٥ لا شيء .

ويعلق الاب ميشيل ليلون على هذه النتائج بقوله ان هنــاك تطــورا ايجابيا في معرفة الفرنسيين بالقرآن والاسلام في السنوات الاخيرة ، رغم ان النتائج تشير في الوقت ذاتــه الى مــدى انتشار جهــل الفرنسيين بالاسلام وتعصبهم تجاهــه !

ماذا حقق الحوار في قرطبة ؟

لقد كشف حــوار قرطبة عن نقاط ضعف فينا لا يمكن تجاهلها . فــي استعدادنا لسماع الرأي المخالف في مستوى ما نقدمه من جهد علمي يخاطب عقول الناس ولا يستثير انفعالاتهم ، في منهج العمل الذي يعتمد على الجهــد الفردي ولا يؤمن بروح الفريق .

ولا بد أن نقرر ان أكثر ما قاله المفكرون المسيحيون كان مفاجأة للجميع . لكننا لا نستطيع ان نقول ان طرفا كسب وطرفــا خسر ، والا قورن الحــوار بمباريات كرة القدم التي تحتسب نتيجتها بعدد الاهداف .

فقط شق الحوار طريقا جديدا في علاقــة المسيحية بالاسلام ، أصبــح مفتوحا لكي يتقدم فوق من يشاء ويعمقه من يشاء .

واذا ترجم الاتجاه الرئيسي للكلام الــذي قيل من فوق منصة الحوار

الى واقع ترده المجامع الرسمية ، ويتلقاه التلاميذ فــي مدارس الغرب ، فقــد تحقق بذلك انجاز عظيم •

واذا بقي كما هــو ، آراء ومواقف مسجلة فــي المذكرات والابحاث ، فسيظل نقطة مضيئة ومشرقة •

وفي كل الحالات فان المنتصر الحقيقي هــو كل مسلم ومسيحي متحضر ومستنير •

المنتصر الحقيقي هو انسان هذا العصر •

العريسي



وصية من الحسن العسكري عليه السلام

جاء في الدمعــة الساكبة ان الامــام الحادي عشر عليــه السلام أوصى شيعته بما يلي « أوصيكم بتقوى الله والورع فــي دينكم والاجتهاد للــه وصدق الحديث واداء الامانة الى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجواب وبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآلــه : صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم فان الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الامانة وحسن خلقه مع الناس قبــل هــذا شيعتي فيسرني ذلك ، اتقوا وكونوا زينا ولا تكونوا شينا ، جروا الينا مودة وادفعوا عنا كل قبح فانه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله وما قيل فينا مــن قبيح فما نحن كذلك ، لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله فلا يدعيه أحــد غيرنا الا كذاب ، أكثروا ذكر اللــه وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي فان الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآلــه بعشر حسنات احفظوا ما وصيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام •

حاجة العلماء الى الايمان

بقلم : احمد محمد جمال

نشرت بعض صحفنا اليومية خبرا تحت عنوان (تحدث الاطباء ••• بغريزة الامومة) عن أم تعاني مرضا خطيرا في كليتيها ، وهي في الرابعة والعشرين من عمرها •• وقد قرر الاطباء أن تخضع هذه الام المريضة لعلاج مستمر من غسل دمها ، ومراقبة كليتيها ، وعندما أخبرتهم بأنها حملت ، أجمعوا على ضرورة اجهاضها •• فرفضت ، وأنجبت أخيرا طفلة بصحة جيدة •• الامر الذي أذهل الاطباء •

قلت : لو كان الامر ، كما وصفت الجريدة : تحديا من الام المريضة للاطباء بغريزة الامومة •• لكان من الجائز والمحتمل أن تسقط حملها بعد بضعة شهور ، أو ان تموت هي بسبب الحمل الذي رآه الاطباء مستحيلا بالنسبة لمرضها الخطير ••

ولكن الحقية هي أن ما حدث لهذه الام من حمل وانجاب على الرغم من اجماع الاطباء المختصين على استحالة سلامة الام مع بقائها حاملا ــ يؤكد (أولا) أن مشيئة الله عز وجل هي المتحدي الغالب للعلم البشري والتقدير الانساني ــ كما يؤكد ذلك (ثانيا) حاجة الانسان مهما أوتي من علم وخبرة وتقدير وتدبير •• الى التسليم بأن هناك ربا : هو أعلم وأخبر وأقدر وأحكم تدبيرا ، والى الاستعانة في الوقت نفسه بهذا الرب العليم الحكيم الرحيم ••

ان هذه الام المريضة ، لم تتحد الاطباء بغريزة الامومة ، وانما تحدتهم

بمشيئة الله الذي خلقها ، وابتلاها بهذا المرض الخطير ، ثم أراد لها أن تحمل وتنجب على رغم أنوف الاطباء .. ذوي العلم القليل ، والايمان الهزيل !

(انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) .

(انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) .

ولذلك نجد زكريا أحد أنبياء بني اسرائيل ، عليه السلام .. عندما بشر بأنه سينجب ولدا : (قال رب أنى يكون لي غلام ، وكانت امرأتي عاقرا ، وقد بلغت من الكبر عتيا) ؟

ان زكريا عليه السلام هنا يتعجب كيف سيكون له ولد وقد وهن عظمه ، واشتعل رأسه شيبا كما أن امرأته عقيم لم تلد منذ تزوجها .. وهي حالة بالنسبة للزوجين معا تجعل الحمل والانجاب مستحيلين .

ولكن مشيئة الله القدير الخبير فوق المستحيلات البشرية ، فكان الرد الالهي على زكريا : (قال كذلك قال ربك .. هو علي هين ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) .

وبعد قصة زكريا تأتي قصة مريم بنت عمران ، عليها السلام ، في سورة واحدة وسياق واحد ، يأتي اليها الملك .. وهي معتزلة أهلها شرقي المسجد الاقصى للعبادة ، متمثلا في صورة بشر سوي . فتتعوذ بالرحمن منه خوفا على نفسها وعرضها ، ويسارع جبريل عليه السلام لطمأنتها وازالة مخاوفها ، فيقول لها انه رسول من الله عز وجل ليهب لها غلاما زكيا .

واذا كان زكريا تعجب أن يكون له غلام .. مع ان له زوجة ، وكل ما ظنه مانعا من الولد هو شيخوخته وعقم زوجته ـ فمن حق مريم أن يكون عجبها أشد لانها امرأة لا زوج لها .

ولذلك قالت لجبريل : (أنى يكون لي غلام ، ولم يمسسني بشر ، ولم أك بغيا) ؟ فأجابها جبريل : (قال كذلك .. قال ربك : هو علي هين ، ولنجعله

آية للناس ، ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا) •

ان العلماء ـ على اختلاف اختصاصاتهم نظرية وعملية ـ يجب أن يقترن علمهم وخبرتهم بالايمان الثابت ، واليقين الراسخ ، بأن الله عز وجل الذي علمهم ما لم يعلموا ، وفتح أمامهم أبواب المعرفة ، ونوافذ التجربة : أعلم منهم وأقد وأخبر وأحكم ـ وصدق الله العظيم :

ـ (وفوق كل ذي علم عليم) •

ـ (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) •

وبين أيدينا قصة بل حادثة من الوادي نفسه ، وادي الاطباء والمرضى ـ يقول الاستاذ « موريس قطريب » في مجلته (نداء الصحة) : طالعت مؤخرا اختبار سيدة علمتني درسا في الايمان والثقة وعدم القلق على مـا قد يخبئه الغد من أحداث •

قالت السيدة : ذهبت يوما مع زوجي الى أحد كبار الاطباء ، ولم أكـن حينذاك جاوزت الثلاثين من عمري ، فانتحى بي الطبيب جانبا ، وصرح لي بأن حالة زوجي خطيرة ، وبأن الامل في شفائه ليس كبيرا ، فاسودت الدنيا فـي عيني ، وكدت أقع مغشيا عـلي • فأجلسني الطبيب ، وراح يعزيني بكلمات رقيقة ، ثم تابع حديثه قائلا : أذكر أنني كنت يوما في الريف ، فرأيت فلاحـا متقدما في السن يحرث حقلا ، فاقتربت منه ، وقلت لـه مداعبا : هبك علمت أنك ستموت بعد ساعتين •• فماذا تفعل ؟

فنظر الرجل الي نظرة ساخرة وقـال : أستمر في عملي ـ فأثرت فـي نفسي هذه الكلمات أعمق تأثير ، وعلمتني أن أواصل عملي غير عابيء بما قد يصوره لي عقلي العاجز من متاعب أو مخاوف قد تصادفني في الغد •

ونصح الطبيب العاقل المعترف بعجزه البشري ـ نصح الزوجة الشابـة الخائفة على زوجهـا المريض أن يموت بسبب مرضه الخطير ـ أن تعتصـم

بالايمان ، وتستمر في أداء رسالتها الزوجية نحو زوجها وأولادها وبيتها !

يقول الاستاذ قطريب : وخرجت الزوجـة من عيـادة الطبيب معتصمة بالايمان ومرت الازمة بسلام ، واستعاد زوجها صحته ، ومرت سنوات عـلى هذه الحادثة وهما يعيشان سعيدين » .

قلت : هكـذا ينبغي أن يكون ايمـان الاطباء عندما يتعاملون مـع مرضاهم .. فهم عاجزون مهما أوتوا من علـم وخبرة ، وهـم جاهلون أيضا بالغيب ، وما يأتي به من قدر الله اللطيف الخبير .

ويذكرني موقف الفلاح الذي رد على الطبيب : بأنه سوف يستمر فـي حرثه وزرعه حتى لو علم بأنه سيموت بعد ساعتين ـ يذكرني بالتوجيه النبوي الشريف الذي يعلمنا فيـه الرسول صلى اللـه عليه وسلم : ان نقف مثـل هذا الموقف المؤمن الشجاع حين قال ما معناه : انه لو كان بيد أحدكم فسيلة وعلم بقيام الساعة فليغرسها .

المجلـة العربيـة



أعـداء المـروءة

قال رؤبة بن العجاج أتيت النسابة الكبرى فقال لي : « من أنت ؟ » فقلت : « أنا ابن العجاج » قال : « قصرت وعرفت ، لعلك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني ، وان تكلمت لم يعوا عني » قلت : « أرجـو الا أكـون كذلك » قال : ما أعداء المروءة ؟ « قلت : « تخبرني » قال : « بنو عم السوء اذا رأوا حسـنا ستروه ، وان رأوا سيئا أذاعوه » . ثم قال : « ان للعلم آفـة وهجنة ونكدا ، فآفته نسيانه ، ونكده الكذب فيه ، وهجنته نشره عنـد غير أهلـه » .

اللغة العربية
وحاجات العصر

بقلم : عبد الرزاق البصير

أكثر من شعار اقترح لهذا العام فبعضهم يطلق عليه « عــام الطفولة » وبعضهم يطلق عليه « عام الحسم » أو « عام القضية » ، بالنسبة الى فلسطين، وبعضهم يطلق عليه « عام اللغة » . ولا بأس من أن يطلق أكثر من شعار على عام واحد ، فان ذلك يعني تنافسا شريفا في أعمال جادة ، تعزز أوجه الخير في عدة جوانب من الحياة الانسانية ، اذ ان كــل شعار يعني دفــع المتخصصين للسعي الحثيث في الوجه الذي يهتمون به .

ولما كنت من المتجهين نحو اللغة ، فانه يطيب لي أن أتوقف حول ما يعنيه هذا الشعار الاخير الذي اقترح لهذا العام . وأول ما أرجوه ان تأخذ به جميع أقطار أمتنا العربية . فمن المعروف ان اللغة هي أوثق رباط يربط بين أفــراد هذه الامة ، بالاضافة الى أنها هي الاداة التي يعبر بها كل فرد عما يجول فــي نفسه من أفكار وعواطف وآمال .. فلو أنك أخذت أثرا فكريا أو أدبيا صدر باللغة العربية الفصيحة ، فانه يصعب عليك ان تعرف ما اذا كان صاحب هــذا الاثر من مشرق الوطن العربي أو مغربه .. حتى ولو كان ذلــك الاثر يعالج واقعة محلية .. لان الجزائري أو السوري أو العراقي كثيرا ما يعيش أحداث قطر غير قطره .. أو كثيرا ما يدرس في بلد غير بلده الذي نشأ فيه ، واذا به يتأثر بتلك الاحداث فيصوغ ذلك التأثر شعرا أو قصة أو مقالة تتناول قضية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو عاطفية أو علمية ، مما يجعل قارئها غــير

قادر على معرفة البلد الذي ينتمي اليه ذلك الاديب أو المفكر الذي أصدر ذلك الاثر ، وقد انتهى الباحثون من القول بأن اللغة هي الميـدان الخصب الـذي يستطيع شتى الباحثين أن ينطلقوا منه لدراسة الامة التي تتحدث بها •• فمنها يستطيع الباحث الاقتصادي معرفة حالتها الاقتصادية ، وقل مثل ذلك في بقية نواحي الحياة من سياسة واجتمـاع وعلوم •• اذ ان مفردات تلـك اللغـة توضح لك مستويات أهلها ، فكلما ارتقت الامـة فـي حياتها ارتقت لغتهـا ونشأت فيها مفردات تخص ما تمارسه الامـة من نشاط في أي ميدان مـن ميادين الحضارة ••• لأن الذهن لا يستطيع أن يفكر بدون لغـة • فقد ذهب العصر الذي يقبل من الكاتب بأن تكون مفرداته أكثر من معانيه •

ولعلنا من أشد الامم حاجة الى أن نضع شعار « عـام اللغـة » موضع العمل الجاد فما يزال في هذه الامة من يعتقد بأن لغتها غير صالحة لاستيعاب ما يجد في حضارة هذا العصر ، وأسطع برهان على ذلك هو ان معظم جامعاتنا تدرس العلوم التطبيقية بلغات أجنبية ، في حين أن بعض أقطار البلاد العربية جعلت اللغة العربية هي لغة الدراسة في جميع فصول جامعاتها •• فكان لهـا ما أرادت من حيث قدرة لغة هذه الامة على تقبل كل العلوم التطبيقية ، ممـا يجعل القول بأن قواعد لغتنا تستعصي على الاجابة لمـا يراد منها قولا غـير صحيح •

اللغـة والوحـدة

واللغة ككل الكائنات تضعف حـين تترك للاهمال ، وتقوى كلما كثـر العمل بها • ولسنا في حاجة الى القول بأن العلماء والمفكرين والادباء يقربون أمتهم من الوحدة حـين تتضافر جهودهم في تنميـة لغتهـم وتقويتها ، اذ ان تضافر الجهود يعني اغناء اللغة بمختلف الاثار الادبية والفكرية واللغويـة ، مما يجعل أبناء هذه الامة يقبلون على تلك الاثار قراءة وتأملا ، الامر الـذي يكون عندهم وحدة في تفكيرهم مما يجعل الوحدة قادرة على الثبات لكل ما

تتعرض له من أخطار ومحن ٠ اذ أن الافراد يكون ارتباطهم بلغتهم أشـد مما كان عليه من قبل ، لانها تعتمد على الفكر بالاضافة الـى المشاعر والمصالح ٠ فكل عامل من هذه العوامل له تأثيره ومكانته في تقوية الوحدة ٠

ونحن اذا ما تأملنا في تاريخ تنمية لغتنا وتقويتها ، وجدناها ترتكز على أمور كثيرة يمكن أن نجمعها في أمريـن اثنين : أحدهما تمكن حبهـا مـن النفوس والقلوب ، بحيث دفعهم هـذا الحب العظيم الـى تحمـل المصاعب والمشاق في سبيل جمعها وترتيبها وتهذيبها ٠ فقد أقام أبو عمرو بن العـلاء ، والكسـائي ، والاصمعي والخليل بـن أحمد وغيرهم من علماء اللغـة أعواما كثيرة في البوادي يتنقلون بـين قبائل العرب ليستمعوا منهم الـى المفردات العربية على طبيعتها ويدونوها ٠٠ حتى لقد قيل ان الكسـائي أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه ٠ وأما أبو عمرو بن العـلاء ، فقد رووا أن كتبه عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف٠

وأخبار علماء اللغة كثيرة معروفة في هـذا المجـال ، وكان كثير مـن الاعراب يفدون على مدن العراق ، فيأخذ العلماء عنهم اللغـة ، ولم يكونـوا يقبلون كل ما يسمعونه من الاعراب من مفردات ، شعرا كانت أو نثرا ، وانما كانوا ينعمون النظر فيها فيقبلون منها ما يلائم الطبـع السليم ، ويصفون مـا يخالف ذلك بالحوشي الذي يستحب تركه ٠ وقد تفرع عن هـذا الحب تألمهم مما كانت تلحن به العامة ٠

ومن الواضح أن اللحن قد شاع بين الناس بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الامم ، فوضع العلماء للغـة قواعد وطرقا تصون الالسنة عن الخطأ فـي القول سواء كان ذلك في الشعر أو النثر ٠ وقد سميت هـذه القواعد بعلـم النحو ، وقد اختلف الباحثون فقال الكثير منهم ان هـذا العلم عربي خالص ، وقال بعضهم انه مقتبس من اليونان أو السريان ، وان أبا الاسود ـ واضـع هذا العلم ـ كان يعرف السريانية ، وقـد اقتبس قواعد علم النحو من قواعد النحو السرياني وهذا الرأي أحدث جدلا طويلا بين مؤيد له وشاك فيه ٠

ومهما يكن من أمر ، فان النحو علم واسع له قواعده ، وما زال المهتمون باللغة العربية يتحدثون عنه ويؤلفون فيه . وسيستمر هذا النشاط في هـذا العلم الى ما شاء الله .

النحو عربي خالص

على أني أود أن أشير الى الرأي القائل بأن علم النحو علم عربي خالص ، وأنا أعتمد في ذلك على القرآن الكريم وعلى الشعر الذي قيل قبل الاسلام ، فانك تجد قواعد علم النحو مستمدة من هذين المصدرين . فلو لم تكن هذه القواعد موجودة عند العرب منذ أقدم العصور لما روعيت تلك القواعد مثـل هذه المراعاة الدقيقة ، كذلك استدل بقصـة الاقواء التي تروى عـن النابغة الذبياني ، فقد روى المرزباني أن محمد بن سلام قال في كتابه طبقات فحـول الشعراء : لم يقو أحد من الطبقة الاولى ولا من أشباههم الا النابغـة في بيتين وهمـا قولـه :

من آل ميـة رائح أو مغتدي   عجـلان ذا زاد وغير مـزود
زعم البوارح ان رحلتنـا غدا   وبذاك خبرنا الغراب الاسود

حتى نبهته اليه احدى المغنيات ، فغير البيت مراعيا فيه القواعد النحوية قائـلا :

زعم البوارح ان رحلتنـا غدا   وبذاك تنعاب الغراب الاسود

أليس معنى هـذا الذي رويناه ان الذين يستمعون الشعر وينظمونه يعرفون بأن هناك قواعد علمية لا بـد من مراعاتها ، فان الشعر يصبح غـير مستقيم ، والاقواء هو مخالفة تلك القواعد ، بـل انهم يعرفون قواعد جمـع القلة وجمع الكثرة . فقد انتقد النابغة الذبياني حسان بن ثابت في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى   وبذاك تنعاب الغراب الاسود

لانه استعمل اسيافا وهذا جمع القلة وكان عليه أن يستعمل السيوف كما كان عليه أن يستعمل « الجفان » بدلا من الجفنات • وليس من المقول أن تكون كل هذه الملاحظات الدقيقة صادرة عن الذوق وحده ، وانما هناك ـ فيما أعتقد ـ قواعد معروفة لديهم في علم قائم بذاته ؛ لكنه ضاع في جملة ما ضاع من ذخائر وكنوز •

على ان حب العلماء للغة العربية قد دفعهم الى أن يرتبوا مفردات اللغة في معاجم كان أولها معجم العين الذي ينسب الى الخليل بن أحمد أو غيره من العلماء ، ثم أخذت تلك المعاجم في التطور حتى وصلت الى ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر ، ويطول بنا الحديث لو أردنا ان نفصل في كيفية تأليف المعاجم وتطورها ، لانها كثيرة متشعبة ، فمنها ما هو مخصص للغة من حيث مفرداتها، ومنها مـا يخص الجغرافيا الطبيعية كالمعاجم التي ألفت فـي أسماء الجبال والانهار ، والكتب التي ألفت في أسماء الابل والخيل ، والمعاجم التي ألفت في دلالات الالفاظ وكيفية استعمالها ؛ كما نراه في المخصص لابن سيده • فهـو يحدثك مثلا عما تقول المفردات في : المبتذل من الثياب وفي عيوب الثياب وفي تمزيق الثياب وما تقوله المفردات في ظلمة الليل حين يشتد أو حين يكون فيه غمام ، وفي طول الليـل وقصره وفي كيفية غلـق مجاري المـاء وفتحها وتصريفها ••• الى غير ذلك من جوانب الحضارة •

عندما صارت لغـة دولية

ولا بد لنا ، هنا ، ان ننتبه الى أن العلماء كانـوا لا يقبلون من المعجمين الا الموثوق المتيقن بصحته ، مما انشأ جانبا هامـا ممتعا من النقـد اللغوي ، وهذا يدلك على العناية الشديدة من العلماء بهذه اللغـة العظيمة • وهنـاك معاجم أخرى خصصها مؤلفوها في خلق الانسان ، فهم يحدثونك عما خصصته اللغة من مفردات في نشأة الانسان ، منذ كان نطفة في رحم أمه حتى مفارقته لهذه الحياة ؛ بعد ان تكون رحلته في هـذه الحيـاة طويلة •• يكون فيهـا

عاجزا الا من حركة خفيفة لا تترك اللغة العربية حالة من حالاته في حياتــه ، ولا عرقا أو عصبا أو عظما في جسـده الا وتخصص لها كلمة تدل على ذلك .

وليس من ذلك ان في هذه المعاجم ما يدل على عظمة هذه اللغة وقوتها ، فليس من الغريب اذا ما رأيناها قد أضحت لغة دوليـــة يوم ان كانت الامــة العربية تشارك في صنع الحضارة الانسانية بصورة عظيمـــة . فكل من يريد ان يكون لاثره انتشار واسع بين الناس يصطنعها لغة لذلك الاثر ، الى جانب ما تتصف به هذه اللغة العظيمة من مرونة بحيث يكون اشتقاقها سهلا ميسورا كما ترى في لفظة « ضرب » فان أصل هذه الكلمة ايقـــاع شيء على شيء ، لكن مدلولها يتسع حسب موقعه ، فاذا قلنا : « ضرب مثلا » يكون بمعنـــى أورد مثلا ، اذا قلنا « ضرب في الارض » ، كان المعنى ذهب فـــي الارض .. واذا قلنا « ضربنا على آذانهم » كان معناه التغطية على الفهم .

و « جاهد » : أصل هذه اللفظة يعني بذل الانسان وسعه في المدافعـــة والمغالبـــة . غير أن القرآن الكريم نقلها الـــى بذل الطاقـــة في نشر الدعوة الاسلامية والدفاع عنها . وجهاد الشيطان دفـــع وسوسته واغوائه ، وجهـــاد النفس مغالبتها ودفعها عن شهواتها .

و « عقد » ، أصل هذه اللفظة الجمـــع بين أطراف الشيء ، لكنهـــا اذا أضيفت الى الايمان أصبحت وثيقـــة مؤكدة ، واذا قلنـــا « اوفوا بالعقود » بمعنى اوفوا بالعهود ، وهو أوكدها ، والفرق بين العقد والعهد أن العهد فيه معنى الاستيثاق والشد ، ولا يكون الا بين متعاقدين ؛ والعهد قد ينفرد بـــه الواحد فكل عهد يعد عقدا ولا يكون كل عقد عهـــدا ... الى غير ذلـــك من الافعال التي تعطيك مصادرها وأسماؤها معاني لا تحصى .

دور القرآن الكريم

لقد اتسـع هـــذا الباب ، بفضل القرآن الكريم كما أشرنا الى ذلك قبـــل قليل اتساعا عظيما ، لان القرآن قد أسس علوما اسلامية كانت في الاصل غير

موجودة كعلم التفسير وعلم الفقه ، ثم تفرعت الى شعب لا تحصى كعلم الكلام ، وعلم النحو ، والبيان ، والبديع ، وعلم العروض . وفي كل علم من هذه العلوم مصطلحات كثيرة لا تعد ، كالطهارة ، والصوم ، والزكاة ، والصلاة ، والوضوء ، والتيمم .. الى ما هنالك من المصطلحات الفقهية . أما في علم النحو وعلوم البلاغة فانها جاءت بمصطلحات كثيرة أثرت اللغة العربيه على شاكلة المبتدأ والخبر ، والحال ، والتمييز ، والبدل ، والافعال الناسخة ، وحروف الجر ، والجزم ، والنصب ، والاستعارة ، والكناية ، والمجاز ، والطباق ، والجناس على اختلاف فروعه ، والتورية ، والالتفات ، الى غير ذلك من المصطلحات الفقهية . أما في علم النحو وعلوم هذا في علم العروض فقد جدت مصطلحات كثيرة ، كالطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ، والخفيف .. وما شئت من مصطلحات في علم الموسيقى وعلم الكلام وعلم الفلسفة .. فان هذه المفردات كانت معروفة قبل أن تنشأ هذه العلوم ، لكن مدلولاتها اختلفت عن المعاني التي نقلتها اليها تلك العلوم .

وليس من شك ان هذه المصطلحات كانت عنصرا من عناصر نمو اللغة العربية . ونلاحظ ان المحافظين الذين كانوا لا يجيزون استعمال أي مدلول « للفظة » الا اذا كانت واردة عن الشعراء الجاهليين لم يقفوا أمام انتشار المصطلحات التي جاءت في شتى العلوم ذلك لانهم أدركوا بأن كل علم لا بد وأن يأتي بمصطلحات جديدة . فليس من الممكن أن يعترض عليها أحد بحجة أنها غير معروفة عند العرب قبل الاسلام ، وانما كانوا يعترضون على ما يأتي به الشعراء الامويون والعباسيون ، لكن كثيرا من الشعراء مضوا يجددون في معاني كثير من الالفاظ غير مبالين باعتراض المعترضين ، فثبتت في نفوس الناس حتى أخذوا يستعملونها كما يستعملون غيرها من المفردات .

والانصاف يفرض علينا ان ننوه بأن العلماء الذين كانوا يتشددون في قبول المفردات التي تأتي في شعر الشعراء الامويين ، معذورون الى حد كبير ، فقد شاعت اللكنة الاعجمية بين الناس بصورة مخيفة حتى أن بعضهم كان

يتكلم دون أن يفهم أحد عنه شيئا ، الا من اعتاد سماع مثل ذلك الاسلوب في الكلام ، مما أفسد كثيرا من المفردات العربية •

ولقد عرض لنا الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » صورا ممـا كان يجري على بعض الالسنة من هذه اللكنات ، حتى لتفسد العبـارة العربيـة افسادا ، فمن ذلـك ان الحجاج سأل نخاسا : أتبيـع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ فأجابه : « شر يكاتنا في هوازها وشر يكاتنا في مداينها ، وكمـا تجيء تكون » • ولم يفهم الحجاج ما يقول ، فقال له : « ويلك ، ما تعني ؟ » فقال بعض من اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثـل ذلك ، يقول : « شركاؤنا بالاهواز وبالمدائن يبعثون الينـا بهـذه الدواب ، فنحن نبيعها على وجوهها » •

التشدد تجـاوز الحدود

ويقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه « تاريخ الادب العربي » ، الجزء الثاني ، صفحة ١٧٢ : ان آثار هذه اللكنات كانت تجري عـلى ألسنة فصحاء الموالي ممن صعدت بهم ملكاتهم الـى أفق الشعر العربي ، حتـى أصبحوا لا يقلون فيه فصاحة وبلاغة عن شعراء العرب الخلص ، كزياد الاعجم وأبي عطاء السندي وغيرهم مـن الشعراء ، وأخبارهم في ذلـك معروفة لو أردنا ذكرها لخرجنا عن القصد ، على أن تشدد بعض علماء اللغـة ربما تجاوز الحـدود المعقولة ؛ فليس كل الشعراء المولدين يجرون على مثل هذا النحو من اللكنة ، ثم ان من المعروف لدى الجميع ان تطور اللغة يعتمد على الشعراء والادباء في جملة ما يعتمد عليه ، كما تشهد ذلـك في بعض مـا نظمه أبو نواس مـن استعمال لفظة التولد والفلسفة ، وفي مثل قوله :

رقت عن المـاء حتى ما يلائمها لطافة وجفا عن شكلها المـاء

وهذا التعبير مأخوذ من كلام النظام وغيره من المتكلمين الذين كانـوا يتحاورون في كثافة الاجسام ولطافتها ، وفيما بينها من ملاءمة ومباينة • وقد

فصل في ذلك المرحوم الدكتور طـه حسين ، وأوضح أن الشعر لم يكن قبل أبي نواس يصطنع مثل هـذه الالفاظ ، لان علـم الكلام لـم يكن منتشرا كانتشاره أيام هذا الشاعر . وسنجد مثل هـذه المصطلحات الفلسفية عنـد الشعراء الذين كانوا في زمانه والذين جاءوا من بعده ، ذلك ان الفلسفة وعلم الكلام وكثيرا غيرهما من العلوم أصبحت معروفة لدى المثقفين ، الامـر الذي أشارع معاني جديدة لكثير من المفردات ؛ ثم ان علينا ان نتعرف على الطريقة التي سلكها الذين ترجموا الكتب التي تمس الرياضيات على اختلاف فروعها، والذين ترجموا عن الهندية والفارسية ، ما يمس ديانات تلك الامـم وعاداتها وتقاليدها وفلسفاتها ، فان في التعرف على طريقة أولئك العلماء ما ينفعنا فـي تنمية اللغة العربية . فنحن نواجـه سيلا من المفردات التي تزداد بهـا اللغات الحية مما يفرض علينا ملاحقة هذا النمو بالنسبة للغة العربيـة ، والا فسنبقى غير قادرين على التعبير عما نحتاج اليه في حياتنا اليومية .

والحق ، ان مجامع اللغة العربية قد قطعت شوطا واسعا في هذا المضمار باضافتها الى اللغة مصطلحات في مختلف العلوم بلغت أكثـر من مئـة ألف ، على وجه التقريب ، ولكن يلاحظ ان بعض المفردات الاجنبية تترجم بألفـاظ مختلفة ؛ مما دفع المخلصين الذين يدركون ما تعنيه التسميات المختلفة لمصطلح واحد من تفرقة للتعبير العربي ، لذلك تجدهم يلحون في دعوتهم الى توحيد المصطلحات العلمية وغير العلمية لكـي لا تتفرق في تعبيرنا ، وليفهـم بعضنا بعضا حينما يجتمع كل فريق لغرض مـن الاغراض . فلنفترض ، مثـلا ، ان عسكريين من مختلف البلاد العربية اجتمعوا لـرد مغتصب مـن المغتصبين . فلنتصور كيف حالهم حين تكون مصطلحاتهم غير موحدة ، فليس مـن شك انهم سيرتبكون عندما تصدر الاوامر من القيادات .. أو حينما يتحدثون في شأن من شئون الحرب . وقل مثل ذلك في علماء الكيمياء أو الفيزياء حـين يجتمعون في مؤتمر من المؤتمرات ، أو حين يذهب معلم من الجزائر الى سوريا ليدرس أبناء ذلك البلد ، أو لالقاء المحاضرات ؛ فانها ستكون مفارقات محزنة مضحكة بلا شك .

الطريق لاثـراء اللغـة

أما كيفية اغناء لغتنا بالمصطلحات ، فان علماءنا قد وضعوا لذلك قواعد منها : الاشتقاق ، والنحت ، والتركيب •• ولهم في ذلـك أحاديث مفصلة لا يتسع لها هذا المجال ، ويكفي ان نعرف انها بدأت منذ أيام الخليل بن أحمـد وسيبويه ، وابن فارس ، وابن جنى وغيرهم مـن العلماء ، ومـا يزال العلماء المتخصصون في اللغة العربية يبحثون في ذلك حتى هذه الايام • وقد ظفرت اللغة العربية من هذه البحوث المتصلة بفوائد جليلة لا تحصى ، اذ ان علماءنا الاجلاء لا يبدون رأيا أو يقدمون اقتراحا الا بعد أن يبذلوا كل ما في وسعهم من طاقة في البحث والتمحيص لتكون مقترحاتهم وآراؤهم رافدا من روافـد اغناء اللغة العربية واثرائها ، ولا سيما علماؤنا المعاصرون الذين يجيدون لغـة أجنبية أو أكثر ، فانهم يتعمقون في كيفيـة اتساع اللغـات الاجنبية ، وفيما يتخذه العلماء من وسائل لترقية لغتهم وانمائها • فنحن نعلم جميعا ان مشاركة تلك الامم في صنع الحضارة أقوى بكثير من مشاركتنا ، مما يجعـل حاجتهم الى وضع المصطلحات الجديدة أشد من حاجتنا ، وان تمسكهم بلغتهم لا يقل عن تمسكنا بلغتنا ، وهذا كله يجعل النظر في الوسائل التي يتخذونها لتنميـة لغاتهم يفيدنا في تنمية لغتنا ، ولا يعني هذا اني أدعو الـى اتباعهم بصـورة كاملة ، وانما الذي أعنيه بأن ننتفع بما يمكن الانتفاع به منها •

وكل ما أريد قوله ، هنا ، هو ان ننظر الى هذه البحوث نظرة جدية ولا سيما تلك التي تدعو الى توحيـد المصطلحات العربيـة وتتخذ كل الوسائل ونسلك كل السبل في تعميمها ونشرها لتكون شائعة بين الناس •

العربي ــ عبد الرزاق البصير

رسائل الأدباء

بين الوهاب والطعمة

أرسل الشاعر السيد مرتضى الوهاب هذه الابيات ضمن مجلة (الثقافة الاسلامية) الى صديقه الشاعر السيد سلمان هادي الطعمة ، الذي كان يزاول التعليم في عين التمر :

يـا راحلا نحـو (عين التمـر) يغرسها
ثقافـة مـن عيـون الديـن يسقيهـا
رسـالة الدين (أهـل البيت) مصدرها
وعنهـم في الـورى (سلمان) يلقيهـا
هذي (الثقافـة) خذها مـن أخي وطن
لـك المـودة فـي الاعمـاق يبقيهـا

١٩٥٩/١١/٢٩

فأجابه السيد سلمان الطعمة على نفس الروي :

وافـت هديتـك الغـراء طافحـة
بالفكـر تنبـي عـن الحسنى وتبقيهـا
مـن فيضهـا يغرف القـراء معرفـة
فيهـا تروي الـورى علمـا وتسقيهـا
أبـا (عطـاء) كفـاك الشعر مفخـرة
مَـن منشد الغـرر الغـرا وملقيهـا ؟

١٩٥٩/١٢/٥

المراسلة والمناظرة

بين المحمصاني والعاملي

خطاب العاملي :

أذاع الراديو حديثا للقاضي والمحامي السيد صبحي المحمصاني الـذي يعد من المجلين بين القضاة والمحامين ، أجاب فيـه سائلا « عمن هـو أفضل الصحابة وأعدلهم » فقال : عمر بن الخطاب •

ولو كانت منزلة المحمصاني من نفسي منزلة غيره ممن لا يتدبرون مـا يقع تحت أنظارهم أو يقتصرون عـلى التعبير عـن أهوائهم وأفكارهم دون الرجوع الى التحقيق والتوغل بزيادة التدقيق لمررت بقوله مرا عابرا ولكنـه وله منزلته في القضاء ، لا يجوز أن أسدل على قوله الستار •

ويظهر ان الاستاذ المحمصاني كان عثر على المشادة الكلامية التي جرت بين الخليفتين الامام علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان في عهده ، وكان أكثر تأثرا بقول عثمان في شأن من هو أفضل الصحابة بعد الرسول من الصحابـة العدول ، وذلك ان عثمان عندما قام طلحة والزبير ومحمد ابن ابي بكـر تشد أزرهم عائشة لجعل مال الامة وقفا على بني أميـة ، بعث عثمان الى الامـام بأبيات يستنجده فيها مطلعها :

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلي والا فادركني ولمـا أمزق

وكان الامام علي ابان ذاك الحدث يقول : « لقد دفعت عن عثمان حتـى خشيت ان أكون آثما وبلغ عثمان ذلك ولما التقاه قال للتنفيس عـن غيظـه : « ان أبا بكر وعمر كانا أفضل منك » ، وكان جواب الامام له : « أنـا أفضل منهما ومنك ما سجدت لصنم ولا زلت بي بالقضاء قدم » •

وجواب الامام في الفقرة الاولى يجيب عن نفسه في الفقرة الثانية ان أعطى الرسول الراية في وقعة خيبر لابي بكر ثم لعمر وانكسرا بها ، فالتفت الى الصحابة ، وقال : لأعطين الراية غدا كرارا غير فرار يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » . فاشرأبت الاعناق لتعلم من هو الذي عناه بقوله ، فاذا هو الامام علي الذي يقول فيه المعري أحمد بن سليمان التنوخي :

الامام الذي الاله براه قبل خلق المريخ والميزان
وعلى الافق من دماء الشهيدين علي ونجله شاهدان
فهما في أواخر الليل فجران وفي أولياته خفقان

ويقول أحمد ابن الحسين المتنبي مخاطبا سيف الدولة علي بن حمدان :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له خير الخلائق والانام سمي

ويقول ابن ابي الحديد المدائني وهو صاحب شرح « نهج البلاغة » حين خلعه باب قلعة خيبر :

لولا الحدوث لقلت أنك باعث بالارواح بالاجساد والمستنزع
يا خالع الباب الذي عن خلعه عجزت آكف أربعون وأربع

وهنا يجب ان نحتكم في شأن الحوار الذي دار بين علي وعثمان الى كتب السيرة حيث يقول ابن ابي الحديد عند الكلام على سيرة الامام وفضله ان « شيوخنا وعلماء الكلام في الاسلام . يقولون بتفضيله » .

وكان عمر يقول اذا استعصت عليه قضية فقهية : « مسألة ولا ابو حسن لها » . ويقول : « لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن » . وجيء بزانية له وهي حامل ، فهم عمر بتطبيق الحد الشرعي عليها فقال له الامام : « ويحك يا عمر ، ما تصنع ولئن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على الذي في بطنها » . فقال : « ما أصنع » . فأجابه بقوله : « تدع المرأة حتى تلد ويكبر الولد ويدب الى رزقه فان تابت فأمرها الى الله ، وان لم تتب فأمرها اليك » . فقال عمر : « لولا علي لهلك عمر » .

هذا فقهه ، وأما علمه فروى لي العلامة الفقيد الشيخ أحمد المحمصاني وكان رفيقا لي في التدريس في الثانوية ودار المعلمين عام ١٩٢٣ و ١٩٢٤ انه رافق أستاذه الامام الشيخ محمد عبده للتنزه على شاطىء بحر بيروت وكان الامام منفيا اليها في حوادث الثورة العرابية ، منتدبا لتدريس التوحيد في المكتب السلطاني . فسأله العلامة المحمصاني عن كثرة ذكره لفضل الامام علي والافغاني : « ما نسبة علمك الى علمهما ؟ » ، فقال انه أخذ حفنة من الرمل ، وقال له : « يا أحمد نسبة علمي الى علم الافغاني كنسبة حبة من هذه الحفنة اليها ، ونسبة علم الافغاني الى علم الامام كنسبة هذه الحفنة الى هذا الرمل الوافر ، والموجة من هذه الامواج الى هذا البحر الزاخر » . وكذلك حسبنا الاستشهاد بقول الامام محمد ابن ادريس الشافعي بالامام :

وله كمال ليس فوق كماله ... الا كمال الله عز كماله
وله جلال ليس فوق جلاله ... الا جلال الله جل جلاله

وقول مار توما الاكويني كما ذكر فرح انطون صاحب « الجامعة » انه لدى استشهاد ابن رشد بقول الامام في شرحه لارسطو : « ان مار توما يقول هذا كلام لا اعتراض عليه لانه كلام الانسان الكامل » . وقام عمر من على منبره يوما وقال : « لئن بلغني ان أحدكم أخذ صداق ابنته أكثر من صداق بنت رسول الله لاستردت الفضلة منه . فقامت بقالة من بين القوم وقالت له : ليس لك هذا يا ابن الخطاب . والآية تقول : ان آتيتم احداهن منه قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا . فالتفت الى الجمع ، وقال : « ألا تعجبون من خليفة أخطأ وامرأة أصابت ؟ » . ويكفي انه كان واضع قانون التقاعد ، عندما رأى رجلا أعمى تقوده ابنة له ليسأل الصدقة بكفه . فقال لأصحابه : « ويحكم أليس هذا فلان النصراني الذي كان كاتبا لبيت المال ؟ قالوا : بلى . قال : أتستعملونه قويا وتستضعفونه أعمى ؟ يسأل الناس بكفه : أليس في بيت مال المسلمين ما يسد عوز هذا الرجل وفاقته ؟ وأخذ بيده الى عثمان وفرض له مرتبا مدة حياته فكان أول تقاعد نشأ في العالم .

وكان الامام أبو حنيفة وفيلسوف الشرق السيد جمال الدين الافغاني اذا ذكر الامام علي في مجلسيهما يقومان ثم يقعدان اجلالا له وتعظيما •

وفي عدله قول النبي وهو حديث متفق عليه : أقضاكم علي • وقول عمر نفسه : « لو ولي الخلافة الاجلح (يعني الامام) لحملها على الحق الواضح والمحجة السمحاء » • والآية من صورة ياسين تقول : « وكل شيء أحصيناه في امام مبين » • وأجمع أكثر المفسرين على ان هذه الآية نزلت في حق الامام• والحديث الشريف يقول : « يا علي أنا وأنت أبوا هذه الامة » • ويقول : « علي مني بمنزلة رأسي من بدني » •

وخاتمة القول قصة فيلسوف الفريكة أمين الريحاني ، كتب الي يوما كتابا جاء فيه : « يا أخي يا شيخ كامل يطلب مني الانكليز والاميركان بالحاح كتابا عن الامام علي ، ففتحت نهج البلاغة واذا بي أمام هذا القول : « يقوله عمه العباس عند وفاة النبي للامام علي مد يدك ابايعك • فيقول الناس : عم رسول الله بايع ابن رسول الله فلا يختلف عليك اثنان • فأجابه بقوله « انا أعلم بأنها لا تنال الا بشرا لا ينفع معه الخير وشر لا ينفع معه الخير • ولعمري انها تشتمل على أربعة مواضيع تستغرق كتابا فلسفيا وحدها على حدة فكيف بجميع أقواله • تعال الى الفريكة وأنقذني من الغرق في لجج هذا البحر الخضم » •

والحديث النبوي يقول : « ما اختلفت دعويان الا كانت احداهما له • فمن نصدق اذن قول عثمان بتفضيل عمر عليه وقال عمر له عندما طعنه ابو لؤلؤة في بطنه : « كأني بك وقد قلدتك قريش أمرها فذبحت ذبح الكبش لحملك بني ابي معيط (أي بني أمية) على رقاب الناس » ، أم قول الامام بأنه الافضل من أبي بكر وعمر ، وقد أطبق المسلمون والمسيحيون على عصمة الخلف بعد السلف على حد قول القائل :

وهبني قلت ان الصبح ليل ... متى احتاج النهار الى دليل

كامل شعيب العاملي

جـواب المحمصاني :

قرأت في « نهار » أمس تعليقا للاخ الاستاذ كامل شعيب العاملي عـلى حديث لي في الاذاعة اللبنانيـة ضمن برنامج « راديوراما » ، اعتبر فيه اني قلت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الصحابة وأعدلهم . ثـم عقب على هذا القول بما مآله ان عمر ليس بأفضل من الامام علي كرم الله وجهه .

والحقيقة ان التعليق مبني على سوء رواية لمـا قلته . والواقع اني كنت قد سئلت عن عظيم كان له تأثير في حياتي . فذكرت عمر الفاروق . ولم يكن البحث في ذلك الحديث عن أية مفاضلة بين الصحابة ولا بين الخلفاء ولا بـين غيرهم مـن العظماء . واني وان كنت أعتبـر سيرة الفاروق مـن المثاليات ، وأتذكر عدله ونزاهته وعبارته « من أين لك هذا » ، وأتذكر تطبيقه الاحكام الشرعيـة حسب روح العدالـة ووفق متطلبات تقلب الحاجـات والعـادات والمصلحة العامة ، وأتذكر خاصة حزمه الذي نحن في أمس الحاجة الى مثلـه في هذه الايام ، الا ان كل ذلك لا يعني اني أفضله على غـيره من الصحابة أو الخلفاء ، ولا اني أفضله من وجه خاص على الامـام علي كرم الله وجهـه . والكل يعلم مـا للامام علي من فضل وعلم وفقـه وعـدل وتقوى وبلاغـة وشجاعة . وهو الذي قال عنه النبي (ص) « أقضاكم علي » . وهو أكـرم كرام أهل البيت الذين عنتهم الآيـة الكريمة « انما يريد اللـه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

فأرجو ان يكون في هذا التصويب ما يرضي الضمير . وكنت أود لـو ان الاستاذ العاملي انتبه الى حديثي على صوابه فكفى نفسه مؤونـة التعليق والتعقيب . ولكن على كل حال ذلك مناسبة طيبة لهـذا التوضيح . « فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

صبحي رجب المحمصاني